العربي

العدد ١٤٧
ذو الحجة ١٣٩٠
فبراير
(شباط) ١٩٧١

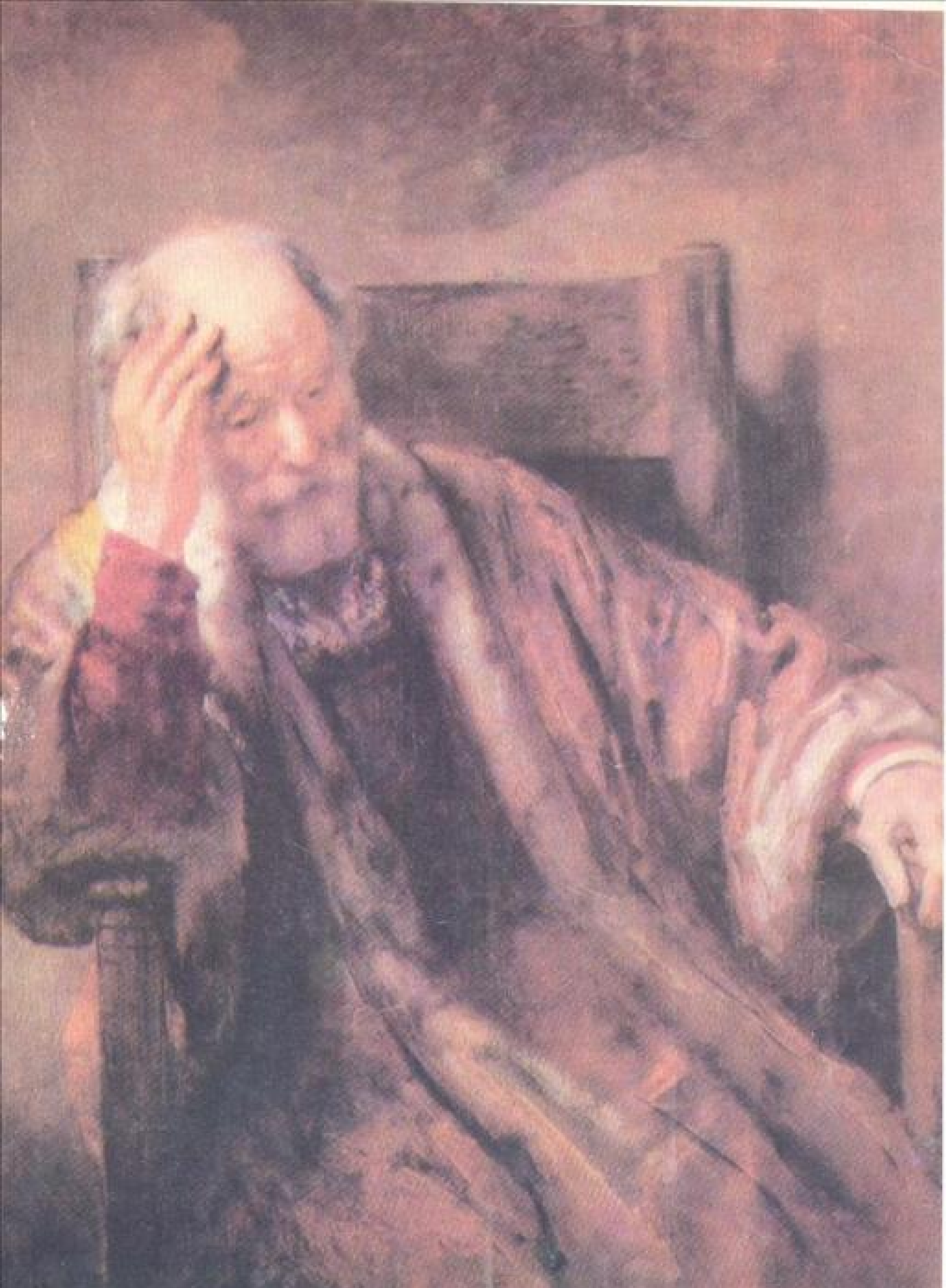


كثير من رجال اليمن يختزن القات في شدقه ..
ان القات هو الطامة الكبرى في هذا البلد الشقيق .

جوائز
١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرو
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



من روائع الفن العالمي : الرجل العجوز الجالس فى مقعده

● لوحة شهيرة للرسام الهولندى المعروف رمبرند(١٦٠٦ – ١٦٦٩) . وتعتبر هذه اللوحة دليلا على براعة رمبرند فى الكشف عن الحقائق النفسية الدفينة،وقد ابرز فيها الفنان ظاهرة التامل المسؤول ، والتبصر العميق، وهى ظاهرة ترافق عادة الشيخوخة وتأتي بنتيجة الخبرة الطويلة .

عزيزي القارئ

يخرج هذا العدد من « العربي » في اول فبراير ، اى قبل ٤ أيام من فترة وقف اطلاق النار . ونحن نقدر الموقف الحاضر ، ساعة تكتب هذه الكلمة ، ونلخص ذلك فيما يلي :

● المفروض ان الجمهورية العربية المتحدة لا تجدد هذه الفترة الا اذا كان هناك امل حقيقي في مفاوضات جادّة تهدف الى سلام صادق .

● اسرائيل ، على ما يبدو ، تمارس كسب الوقت . فهي تقبل اليوم ما تنوى رفضه غدا . ومن ذلك الرضا بالمفاوضة عن طريق الدكتور جونار يارنج ، وسوف تقيم دونها العقبات .

● تصريحات اسرائيل تناقض الحل السلمي الذى اقترحه مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بالقدر الذى ينفيه نفيا تاما .

● من الجائز جدا امام كل هذا استئناف الحرب عبر القنال وغير القنال .

● ولقد حرصت اسرائيل على الحصول على وعد من الولايات المتحدة باستخدام النقض لوقف اى قرار يرى مجلس الأمن في المستقبل ان يصدره ضد اسرائيل . وظننا اكبر الظن ان اسرائيل لابد انها تنوى ان تأتي أمرا جللا ، هو استخدام الاسلحة الكيماوية والبيولوجية ضد القوات العربية ، وهذه ، كما ذكرنا في مقالنا عن هذه الاسلحة بهذا العدد ــ ص ٤٢ ــ فرصة العمر لمن يملك هذه الأسلحة ضد من لا يملكها .

من اجل هذا اردنا ان ننبه الى ما كان من مثل هذا الأمر ، عندما استخدمت ايطاليا الاسلحة الكيماوية ضد الحبشة في عام ١٩٣٦ ، وعندما استخدمتها اليابان ضد الصين في عام ١٩٣٧ ــ ١٩٤٢ . وعندما استخدمت الولايات المتحدة غازات الأعصاب ضد الفيتناميين في الحرب القائمة اليوم .

٦ يناير ١٩٧١

المحرر

● بعد خمسين الف نسخة ارسلناها الى القاهرة ، من ربع مليون نسخة طبعناها من عدد يناير (الممتاز) ... عادت القاهرة تلح طالبة المزيد ، فدبرنا لها بصعوبة عشرة آلاف نسخة اخرى ... بيعت بمجرد ظهورها في الأسواق .

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 148 February 1971 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



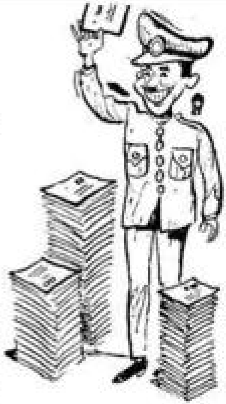
صورة الغلاف

● هذا الرجل الجالس متكئا ، منتفخ الشدق ، ما قصته .. ؟ وما قصة الاوراق الخضراء التى بيده ؟ .. انه احد أبناء اليمن الشقيق في « مجلس للقات » .. وهو مجلس ينعقد بعد ظهر كل يوم في منازل اليمن ، يمضغ فيه الجالسون اوراق شجرة القات الرطبة ويخزنونها الساعات في اشداقهم .. انها مأساة اجتماعية ، تطالع تفاصيلها ابتداء من صفحة ١٠٠ من هذا العدد .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القراء



نجران : فى السعودية لا فى اليمن

● اطلعت على استطلاع العربي لمدينة تعز (العدد رقم ١٤٥) ووجدت ان نجران وهى المنطقة السعودية المعروفة قد ادخلت ضمن أراضي جمهورية اليمن فى الخريطة المنشورة على الصفحة ٩٥ . وهذا خطأ كما لا يخفى وقد اقتضى التصويب .

مناحى التنامى ــ الطائف

الفكاهة فى الشعر العربي

● اننا نتقدم بالشكر الى السيد طاهر ابوفاشا كاتب مقال ــ الفكاهة فى الشعر العربي ــ (بالعدد ١٣٤) اذ انه نقلنا فعلا الى جو الفكاهة والضحك . ولقد كان لهذا الموضوع أهمية لم تخطر على بال احد من قبل . نرجو أن نلتقي بهذا الكاتب مرة اخرى فى مقالات جديدة على صفحات العربي .

صالح خالد الحايك   المفرق / الاردن

دواء .. فاشل

● نشرت المجلة في عددها ١٤٣ الصادر في شهر تشرين الاول عام ١٩٧٠ ، ضمن الدراسة التى عرضتها عن مدينة المنصورة ، ان طبيبا اسمه محمد محمود الزيادى ، قد اخترع دواء لعلاج مرض الصدفية ، وان شركة النيل للادوية تقوم بانتاجه .. وتصحيحا للوضع نفيد سيادتكم ان المذكور ، وهو طالب بكلية طب المنصورة ، تقدم منذ أكثر من سنة للشركة باكتشافه . واتفقت معه الشركة على عمل التجارب اللازمة للتأكد من فعالية المستحضر المقترح . ولقد قامت الشركة باجراء العديد من التجارب تحت اشراف كبار الاخصائيين وثبت بصورة قاطعة فشل هذا المستحضر فى علاج مرض الصدفية .

ولقد تلقيت العديد من الرسائل من شتى الدول العربية على اثر نشر مجلتكم لهذا الموضوع ، يطلبون فيها الدواء ، وحرصا منا على محاربة الاوهام ، او اى امل كاذب يتعلق به المرضي ــ لذلك نرسل لسيادتكم طي هذا الخطاب التقرير النهائي عن التجارب موقعا من الاستاذ محمد الظواهرى استاذ الامراض الجلدية . ونامل ان تتكرموا بنشر ما ترونه كافيا لتوضيح الرؤية للسادة قراء مجلتكم القراء .

رئيس مجلس الادارة
(دكتور احمد على ابو العينين)
شركة النيل للادوية والصناعات الكيماوية القاهرة

النسر

● بعد التحية : لقد حدث خطأ مطبعي في آخر بيت من المقطع الثاني من قصيدتي « النسر » في العدد الماضي ، فاسم الاشارة هذه ورد مذكرا ورسمت كسرة تحت الضاد من لفظة الأرض والصواب .

هذه الأرضُ أرضنا وبنوها
هم بنو قومنا الأباة الأسود

كما ان التشديد في لفظة « مبرّ » يجب أن يكون على الراء بينما ورد الى الباء اقرب ولا شك ان كل هذا لا يغيب عن فهم قراء هذه المجلة ، ولكن التنويه احسن .

احمد السقاف

ترجمة حياة

الدكتور مصطفى جواد كانت بقلمه هو

● نشرتم في العدد رقم ١٤٤ مقالا عنوانه الدكتور مصطفى جواد بقلم عبد الكريم جواد المحامي ، واني انبهكم بان كل ما جاء في هذا المقال انما هو مأخوذ نصا من مقال كتبه المرحوم مصطفى جواد قبل وفاته ونشر في كتاب « شعراء العراق » للدكتور يوسف عز الدين امين المجمع العلمي العراقي ، ولم يزد جهد كاتب المقال المذكور عبد الكريم جواد المحامي في هذا المجال ، ان كان هناك جهد ، على تحويل ضمير المتكلم الى ضمير الغائب !

حسين العلاق

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

العربي : جاءنا غير هذا الخطاب ينبهنا الى ان الكاتب الذي ارسل هذا المقال انما نقله عن تاريخ مختصر ارخ به المرحوم الدكتور مصطفى جواد حياته . ونحن نأسف لما وقع .

اللغة العربية
شقت الوطن العربي شقين
تعليق من المغرب

● في الوقت الذى يعيش فيه المغرب محنةالتعريب ، طلعت جريدة « العلم » المغربية بمقال قيم ، أخذ عن مجلة « العربي » في عدد لها وصلنابعد ذلك . والمقال لرئيس التحرير ، وعنوانه : « من وحي رحلة في المغرب العربي بصيف عام ١٩٧٠ » : « اللغة العربية » .

ولا داعي للتنويه بصاحب المقال ، فالدكتوراحمد زكي غني عن كل تعريف .

وعلى كل فالجدير بالذكر أن المقال استُقيَ من صميم الأزمة الخانقة التي يعاني منها العرب المغاربة هنا ، وهم بإزاء جيل متفرنس لا يمت الى حضارته المغربية العربية بصلة .

والقارىء العربي لدى تتبعه للكلمات النابعة من قلب مؤمن ، لا يلبث من خلال هذا المقال الرائع ـ ان يدرك ان احمد زكي رجل يحتضن في حناياه مشاعر كلها اخلاص وصدق نحو امته العربية وبالتالي نحو اخوته في العروبة . بل انه لا يلبث ان يدرك أن أحمد زكي وان كان حاضرا في الكويت البلد الشقيق ، فانه في المغرب أيضا . وفي كل بقعة من بقاع هذا الوطن العربي حاضر بفكره وقلبه .

اقول : انني كمغربي أعرف ان لهجتي المحلية تحتوى في صلبها على كلمات عربية صميمة .. بل انني ، ومن خلال مخالطتي لأهل الريف أقف على الكثير من الكلمات التي انحدرت من أصل عربي . وفضلا عن هذا كله هناك الموسيقى الاندلسية التي لا زالت تنشد بعربية فصحى .. وانه لمن الغريب حقا ان المنشدين وهم من عامة الشعب لا يزالون ينشدون موشحات هذه الموسيقى كما كان ينشدها الأجداد خلال عصرهم الذهبي في الأندلس بعربية فصحى .

وهكذا يتضح أن المغرب عريق في عروبته ، وان ما دهاه ليس الا مرضا نابعا من التهالك على مغلطيات الحضارة الغربية المعاصرة دون مراجعة او نقد ذاتي .

تلكم كانت انطباعاتي حول ما ورد في مقال الدكتور أحمد زكي ، وكل ما يمكن أن أقوله بصدد هذه الفقرة التي وردت في المقال المذكور : « فان رضي المغرب العربي باللغة العربية له لغة ، فأهلا وسهلا ، وان رضي غيرها فهذا قضاء الله » .. لبيك ايها المفكر الفذ ، سنظل اوفياء للعربية ما دام فينا عرق ينبض ، وما دام لنا في هذه الأرض الطيبة تاريخ عريق عراقة هذه اللغة المجيدة .

عمر الخطيب

طنجة / المملكة المغربية

(البقية على صفحة ١٦٢)

حَديثُ الشّهْر

والحديث ذو شجون

١

التَّربيَةُ كيْفَ تُمارَسُ

بقلم رئيس التحرير

■ جاءني والد يسألني في امر ولد له ، هو طالب في جامعة عربية .

قال : اين تقع هذه الجامعة بين الجامعات ؟

ابحثُ عن مقياس

فلما تمهلت في الجواب ، عاد يوضح ما خاله انه انبهم .

قال : في الحق اريد ان اسأل اين تقع جامعاتنا العربية عامة بين ما عرفنا او سمعنا عنه من الجامعات الاوروبية .

قلت : فهمت ما اليه قصدت ، ولكني كنت ابحث عن مقياس . مقياس اقيس به جامعاتنا العربية . ثم اقيس به الجامعات الاوروبية الغربية ، ومن ارقام القياسات الناتجة استطيع ان اجيبك الى سؤالك .

انتاج وانتاج

وفي بحثي عن مقياس اقيس به ، او عن ميزان ازن به ، لأقول هذا اطول وهذا اقصر ، او هذا اخف وهذا اثقل ، ذكرت ان الجامعات انما تنتج الرجال صنوفا اشتاتا ، تماما كما تنتج المصانع البضائع اجناسا والوانا .

ورحت اقارن انتاجنا من الحديد والاسمنت ، ومن اقمشة الحرير والقطن ، ومن اللبن والجبن ، بانتاجنا من شتى هذه المصانع البشرية التي تخرج لنا المدرسين والاطباء والمهندسين والعلماء ، ورجال الشرطة ، واهل القضاء ، فوجدت ان لدينا لانتاج اللبن مثلا مواصفات تمتحن وفقا لها اللبن ، فنقول انه صالح او غير صالح ، ونمتحن وفقها الحديد فنجيزه للغرض المطلوب او لا نجيز . اما انتاج المهندس ، واما انتاج الطبيب والمدرس ، فنخرجه الى الاسواق بدون مواصفات ، ونملكه من شئوننا ما نملك من غير قياسات .

وستقول ان الامتحانات الجامعية ،

السِّلعةُ البشريّةُ
كالسّلعةِ الصّناعيّةِ
الحُكمُ فيها للأسواق

علَى التّخلّفِ والفقرْ

وان الامتحانات المدرسية عامة ، هي المواصفات . والرد على ذلك حاضر : ذلك ان المدرس الصانع هو الذي يمتحن . وهذا كان تأتي مؤسسة للبناء في الدولة الى مصنع الحديد او مصنع الاسمنت وتقول له ارجوك ان تمتحن لي انتاجك هذا ، من اسمنت او حديد ، وان تخبرنا ايجوز في الوفاء باغراضنا في البناء او لا يجوز .

وهو اذا جاز وفقا للمواصفات، فبها . ولكنه اذا لم يجز بالاغراض فالمصنع لا بد نازل بمواصفاته بحيث تجوز ، وعذره في ذلك ان هذا غاية امكانه وامكان ما عنده من آلة ، وما عند رجاله من خبرة ، وما عنده من مال .

كذلك يفعل المدرس او الاستاذ عند امتحان الطلبة ، فهم ان جازوا الامتحان وفقا للمستويات المعترف بها ، فبها ، والا فهو ينزل بالمواصفات الى الحد الذي خبره عند طلابه من قدرة . وان انت سألته في ذلك اعتذر بان التلاميذ والطلاب تسلسلوا اليه في السلم التعليمي من اسفل الى اعلى ، وهو لم يكن مسئولا عن مستوياتهم في اسفل الدرج، والدرج الاسفل هو الذي يحدّد الاعلى .

والخلاصة : ان البضاعة البشرية تخرج من المدارس ، ومن الجامعات والمعاهد ، بلا مواصفات يمكن للجمهور ان يأخذ بها . والبضاعة قد تجود ، او لا تجود ، وليس عند الجمهور دليل على هذا او على ذاك .

ان المقياس الذي طلبته ، ياسائلي ، لاقيس به واقارن لم اعثر عليه . وعثرت على مقياس ، مسطرة من خشب ، استطعت ان اقيس بها الشهادة الدراسية التي تعطى في ختام دراسة ، فاعرف طولها ، واعرف عرضها ، اما ما تضمنته هذه الشهادة من قيمة دراسية فقد عجزت مسطرة الخشب عن تقديرها .

البضاعة البشرية في اسواق العمل

واذن يبقى السوق هو الحكم .

وكما يحكم السوق على البيض والخبز واللحم الذى سو"قه منتجوه ، كذلك يحكم على خريج الجامعة عندما ينزل الى السوق يبيع فيه مهنة ، ويتقبل عنها اجرا .

انه البيع والشراء . وانه الاقبال والادبار . وانه الرواج والكساد .

وليس هذا القول مقصورا على الجامعات ، ولكنه يمتد ليشمل سائر المدارس ، وسائر المعاهد ، وكل مصنع من مصانع الرجال .

وتشيع فى الناس المقالة بالخير ، وتشيع بالشر . وتأخذ الجامعات والمدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية جميعا مراتبها فى اذهان الناس .

انه الوفاء بما امله الناس منها او انه العجز .

الجامعات فى بيئاتها تهبط معها وتعلو

والجامعات والمدارس والمعاهد ليست الا مؤسسات حية ، لها رؤوس تفكر ، وقلوب تدق ، واعصاب ترخو وتتوتر . وما رؤوسها الا مجموعة ما تضمّ من رؤوس العاملين فيها ، وما قلوبها الا ما تضم من قلوبهم ، وما الأعصاب الا ما تضم من اعصابهم . وهي انما تحيا بمقدار ما فى البيئة من موارد حياة .

وهي تموت بمقدار ما فى البيئة من اسباب موت .

فالذى يسأل اين تقع جامعاتنا بين جامعات الغرب ، واين تقع مدارسنا والمعاهد ، فانما يسأل عن بيئتنا اين تقع من سائر هذه البيئات .

وبيئات الغرب بيئات سامقة الشجر ، كثيرة العشب ، فى رؤوس جبالها العمائم البيضاء ، وفى وديانها الأبسطة وهى من سندس خضراء ، ولكنها بيئات خير ما فيها الانسان ، وخير ما فى هذا الانسان حضارة الانسان .

فجامعاتنا الشرقية ، وكذلك مدارسنا ومعاهدنا ، اذا نسبناها الى مثيلاتها الغربية ، فانما ننسب بيئة شرقية الى بيئة غربية . ننسب حضارة هنا قائمة الى حضارة هناك قائمة .

رأى أهل الغرب فى جامعات الغرب

ومع هذا فانت لا تكاد تذكر جامعات الغرب ، وانت فى الغرب ، لاهل الغرب ، الا وجدت فى الناس الشكوى . او الأصح فى العارفين من بينهم .

كل يقول انها لا تفي بحاجة هاتيك المجتمعات .

وانت تعلم صدق هذه الشكوى اذا علمت ان هذه المجتمعات تتطور . وان المجتمعات فى عصور العلم الحديث دائمة التطور . وزادتها التكنية القائمة سرعة تطور .

ان شكوى العارفين من اهل الغرب ، من جامعات الغرب ، ومن غير الجامعات، هى انها لا تتطور بالسرعة التى بها يتطور المجتمع هناك .

ومن الطبيعي ان يسبق المجتمع ، وان يسبق العلم ومع العلم التكنية ، وان تسبق الصناعة الى ما تنتج من جديد ، ثم تلحق بها المدارس وتلحق الجامعات .

ذلك لأن الجامعة ابنية ومختبرات ، ومكاتب ، ورجال ، لها حظ من الثبات

السلعة البشرية ، الحكم عليها فى الأسواق



الذاتي كبير . وكدت اقول من القصور الذاتـــي . والمـدرس ، والاســتـاذ ، لا نستطيع ان نصنعه فى عام . والمدرس والاستاذ الذى نصنع لا بد أن نستهلك الى ان يتقاعد . فالجديد فى الجامعات لا بد ان يصحبه جديد يدخلها ، مـن شباب جديد ، ورجال جدد وبحاث جدد ، ومختبرات واجهزة وادوات . وكل هذا يحتاج الى دراسة ، والـى تجهيز ، والى زمان .

التخطيط للمستقبل

ومن اجل هذا عمـدت الجامعات ، والمسئولون عن التربية كافة ، فى بـلاد اوروبا ، الى التخطيط ، كما تحتـاج سائر مرافق الدولة والخـدمات الـى تخطيط . وهم لسنوات خمس وعشر يخططون .

نجد هـذا اليـوم فى فرنسا ، وفى السويد ، وفى هولندة ، وعند الأمريكان، وقامت انجلترا بالتخطيط لما ترجـو من علماء وما ترجو من مهندسين خاصة . وقد قام مجلس التنميـة الاقتصـادية القومية فى بريطانيا باصدار نشرة بمـا سوف تحتاجه البـلاد ، دلت على ان البلاد تفتقد مهارات صناعية كثيرة . وهذا الافتقاد قائم فعلا . فكيف بافتقاد يتكشف لها فى السنوات القادمة بسبب حاجـات تتكشف فى الصناعـة وغـير الصناعة جديدة .

ان التخطيط ملىء بالظنون ، فيمـا يختص بالغد . ولكن التخطيط لسـد نقص قائم فعلا ، عمل تحتمه الضرورات القائمـة .

ويقول هذا التقرير ان صنوف الخبرة التي سوف يحتاجـون اليها اكثـرها المعقد . وفوق هذا فهى صنوف لا تلبث مع التغير السريع فى الفن والتكنية ان تتغـير .

ولهذا هم يطلبون اليوم من المرابي التربوية ان تنشىء للمستقبل شبابا فى التربيـة عامة ذا اصالة ، وذا مكنـة وقدرة وذا ثقافة واسعة . فاقتصادهم اليوم ليس فى حاجة الى تدريب خاص لمهنة خاصة بقدر ما هو فى حاجة الـى رجال ذوى ذكاء وذوى فطنة ، وذوى مرتبة فى العلم والمعرفة عالية تمكنهم من تفهم طرق فى الفنون التكنية جديدة قد تصادفهم فى عملهم بعد سنوات .

حتى الذكاء البالغ هم لا يطلبونه ان يكون فى كل من يريدون ، فعندهم ان صنوف الخبرة المطلوبة متعددة ومتغيرة، وكثير منها لا يستدعي ذلك القدر مـن الذكاء الذي يقيسه علماء التربية بالمقياس المعروف عنـدهم بمقيـاس الذكـاء . فعندهم ، كذكاء الراس ، ذكاء اليد ، وذكاء العين وذكاء الأذن ، وذكاء العصب فى ساعد وفى قدم . حتى ذوو العاهات لهم فى التخطيط اماكن .

هذا ما عندهـم
فماذا عندنا ؟

هذا ما عند اهل الغرب ، فماذا عندنا نحن اهل الشرق .

عندنا مثل ما عندهم . عندنا المدارس والمعاهد والجامعات . وعنـدنا الثورة نثور بها على التربية عـلى فترات مـن السنين . وعندنا فوق ذلك المؤتمرات ، تجمع فيها رؤساء المدارس والمعاهد ، ونجمع حتى وزراء التربية ، ونأتمر ، وندرس ، ونخرج بقرار متين . وآخر اكثر متانة . ويأتي دور الثورة التالية او المؤتمر التالي وتحصـي كم غيـرنا ، فنجد اننا غيرنا القليل .

ولكنّ لهذا التغيير القليل اسباب ، بعضها هو بعض طبيعة الأشياء ، وبعضٌ لا ينتسب الى طبيعة الأشياء فى قليل او كثير . واليك البيان .

لا بد من استهلاك ابنية ، واستهلاك مدرسـين

لقد سبق ان قلنا ان اداة التعليم لا



التخطيط التربوى ، مهد لهذا الصبى العبقرى ، وسنه ١٢ عاما ، ان يلتحق باكديمية الرياضيات الميكانيكية بمدينة كييف

يمكن تحولها وتغييرها فى يوم وليلة . الأبنية المدرسية لا بد ان تستهلك . والمدرسون ، بحسبان انهم ادوات فى التعليم ، وانهم مصنوعون ، لا بد من استهلاكهم على السنين . وانت تهيىء المدرس لبرنامج قائم ، وهو يتطور كلما تطور البرنامج ، ولا يتطور كلاهما الا بالقدر اليسير . ولكن سرعة تطور المجتمع فى هذا القرن ، فاقت ما كان منها فى ماضي القرون . وليس كل مدرس بمستطيع ان يتطور وان يلاحق الزمان ، فكرا وعملا . ومن اجل هذا يتسم التعليم بشيء من الحفاظ على كل قديم .

ومن الأمم من يدرك هذا ، ولا تريد لمدرسها ان يأسن حيث هو قابع ، فهى تخليه من واجباته ، حينا بعد حين . ليتحرر من جمود ، وليطلب المزيد من كل جديد ، فيعود الى الدرس فى جامعة .

او يرسل للمران فى بعثة . ولكن ليس كل بلد بقادر على ذلك .

وكتب الدراسة عندنا ، واجهزة المختبرات كلها مستوردة

ومع ضرورة مسايرة الزمان لاستهلاك مبنى ، واستهلاك مدرس ، هناك الكتب ، وهناك الادوات . وفى اوروبا لا تكاد الكتب تستقر على حال ، ولا تكاد الادوات واجهزة المختبرات . ونحن فى الشرق ليست الكتب فى الأصيل الأصل ، من ابداعنا . وليست ادوات المختبرات من صنعنا .

مدرسونا لا يزالون الى اليوم فى عهد الترجمة لما تصح ترجمته ، فهو الاقتباس . ونحن لانزال فى عهد استيراد مالا نستطيع صنعه . وانظر لبضائع التعليم كلها ، ما يحتاجه الطفل فى الروضة ، الى ما يحتاجه الشباب الناهض فى مختبرات علم او ورش هندسة ، تأجد ان كلها مستورد ، او هو مقلد وساء تقليدا .

الورق نستورده . المطابع نستوردها . الميزان الحساس . الترمومتر المئوى وغير المئوى . السحاحة والماصة . الكيماويات من عضوية وغير عضوية . كل الاجهزة الكهربائية . كل العدسات الضوئية والالكترونية . ومالي أعدد ولا انتهي ، فى حين استطيع ان اشير الى الساعة التى تحملها ارساغنا ، واقول انها ليست من صنعنا . حتى الابرة التى نخيط بها ليست من انتاجنا .



حتى ذوو العاهات لهم فى التخطيط اماكن

ادوات التعليم
نشتريها شراء

معنى هذا ان ادوات التعليم جميعا ، باوسع معانيه ، ويدخل فى ذلك التعليم العلمي ، والتعليم الطبي ، والتعليم التكني ، كلها نشتريها ونشترى كتبها ، وكنا نشتريها بعملاتنا ، وهي تمشي فى الاسواق مرفوعة الراس . فاذا بنا نشتريها بعملة اسميناها بالصعبة ، لصعوبة الحصول عليها ، هي عملة غيرنا من البلاد .

التربية لا بد ان نشتريها .

ونقول اننا نغير فى البرامج ، وندبر فى شتى الشئون ، ومع هذا نظل على اكثر حالنا عاما بعد عام ، وننسب هذا الى عجز فى الهمم ، وخطأ فى التقدير .

وقد يصح هذا او بعض هذا .

ولكن اصح من هذا الصحيح اننا نحن ، معشر العرب ، فقراء .

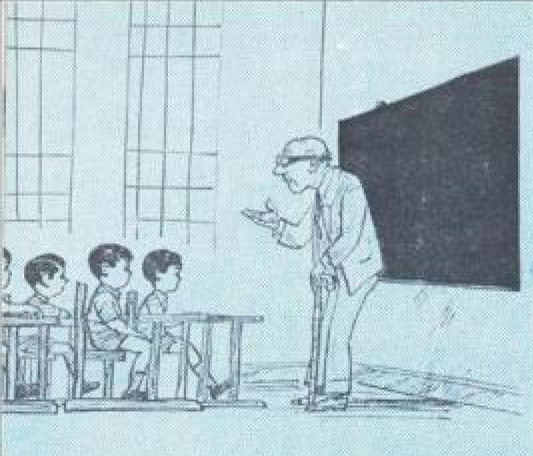
الفقر ! الفقر !

الفقر هو علة تخلفنا الكبرى فى كل جبهة . وليس هو العلة الواحدة ، ولكنها العلة الأخفى بين العلل جميعا .

ان الفقر يتراءى فى كل منشط علمي ، وفى كل اقتراح نتقدم به التقدم التكني . ولكنه يتراءى خفيا فى ايسر الأمور التربوية واظهرها .

واضرب مثلا بالفصل بالمدرسة الابتدائية الذى نحشر فيه ، على الفقر ، خمسين طالبا وستين . اننا لا نحتاج الى عبقرى فى التربية ليقول لنا ان قواعد التربية الصحيحة تقضى بان لا يزيد عدد الفصل على الثلاثين . ولكنا نحتاج الى عبقرية تدبر لنا المال . تدبر ما ستؤول اليه عند ذاك النفقة . انها تتضاعف ، طلبة ، ومدرسين ، وابنية .

ومثل آخر . مرتبات المعلمين . الكل


والمدرسون ، باقون معنا ،
ولا بد من استهلاكهم على السنين

يعلم انها اخس المرتبات ، واقل المعاشات . والرجل الذى يصنع الرجال لا يمكن الا ان يصنعهم على مثاله . فالمصنوع الجديد من النشء ، نشء صنعه الضيق وصنعه الحرمان ، وصنعه الفقر ، تلك الصفات المتمثلة فى المدرس الصانع . والحس بالجميل لا يتحقق على البذلة المرقوعة . والنصيحة بالصبر لا تخرج من فم رجل قد فنى صبره وصبر عياله . وكل هذا يحتاج الى مال .

فالفقر ! الفقر ! فليذكره الذاكرون عندما يجتمعون فى مؤتمرات التربية ، اجتمع فيها وزراء ام خبراء او مدرسون عاديون .

والثقافة
جعلوا لها المكان الأدنى

ويوجد فى البلاد العربية من لا يعطى العلم وزنا كافيا . ومنهم من يمدح العلم ليعلو هو بمدحه . ومنهم من يمدح العلم لان ضرورة القيادة تحتم ذكره . فاذا قسموا الشعب مراتب وضعوا اهل الثقافة فى الموضع الأخير . وينتج من هذا ان لا يكون

للتعليم من نفقات الدولة الا النصيب الصغير .

هذا بعد ان صار الثقافة فى هذه العصور الحديثة الخطر الاكبر . الشعب يتثقف اولا ، ثم يكون من بعد ذلك صانع وزارع ومدرس وطبيب وغير ذلك . حتى فى الصناعة الحديثة ، كما فى الجيوش الحديثة ، لا بد ان نبدأ بالشباب المثقف، ثم نعلمه بعد ذلك ما المبرد ،وما المنشار، او ما القذيفة وما المدفع . وقد صار لا يكفي فى تقدير سكان الأمم ان نذكر ان هذا البلد به ثلاثون مليونا او ان بهذا البلد اربعين . هذا لا يعني شيئا فى هذه الأيام . فخمسة ملايين فى اوروبا قد تكون ، من حيث الحضارة والتحضر ، والوفاء بحاجات الحياة ، خيرا من ثلاثين مليونا .

وقد عرف العرب ، فى مرارة كبيرة،

٢ المَادِّيَّة والرُوحِيَّة عِنْدَ الفَلاسِفَة

■ وسائل يسألني عن المادة والروح ، وعن الجسم والعقل ، هل هما حقيقتان مختلفتان ، ام لا شيء الا المادة ، وان الفكر ليس الا مظهرا من مظاهرها ؟

واجيب سائلي بأن هذا التساؤل الفكرى بدأ مع الانسان فى قديم الزمان . نظر الانسان فى الكون ، ورأى السماء ورأى الأرض ، ورأى ما على الأرض من احياء واشياء ، فضلٌ بينها . غمره زحامها ، والفكر يأبى الزحام يضل فيه ، فراح يقسّم ما يرى الى اقسام ، ويجمع بين الاشياء ما تشابه ويباعد بين ما اختلف .

وانتهى من الحيوان فعمد الى النبات، فوجد ان النبات قد خفت فيه الحركة ، وخف غيرها من سمات الحياة . ووجد ان النبات مع هذا ظل يحيا . حتى الحركة ظل يتحركها ، ولو حركة بطيئة لا تحَس ، دليلها النمو الحاصل .

وينتقل الانسان من النبات الى الجوامد ، فيجد ان كل مظاهر الحياة قد تعطلت . انه السكون اصابها ، الا ان يحرّكها محرك . وانه الموت الأبدى السرمدى .

الأشياء ، اشياء هذه الدنيا ، اذن شيئان : احياء وجوامد .

ويجمع بين الأحياء والجوامد ما بها من مواد أشباه ، فهي كلها مادة .

وتجمع الأحياء الروحَ الى ما بها من مادة . والروح حركة ، والروح نمو ، وسوائل تجرى ، ودم يدور ، وغذاء ينهضم ويتمثل ، وارحام تلد ، او هي براعم تزهم ثم تثمر .

كيف يتصدى المليونان او الثلاثة الملايين، للثمانين ، ومع هذا يصمدون .

ونقول العيب فينا ، ونحن كذا وكذا . والعيب الأول فقدان الثقافة ، فقدان العلم ، فقدان النور . ان الرجل منا ، مع الجهل ، يمشي فى دنياه وهاديه ضوء ضئيل يخرج من شمعة . اما مع العلم فهو يمشي فى دنياه وهاديه ضوء الشمس وهي فى ضحاها تسطع عليه من علاها .



قالوا الفلاح والعامل ، لم المثقف
وهل ينفع اليومَ الفلاحُ
وهل ينفع العاملُ
الآن مثقفا ؟

قال الفلاسفة : إنها المادة وإنها الروح.
وقال آخرون : بل هما سيان.
وقليلا ما اهتدوا

وتتمخض الروح عن الفكر

والفكر فى بني الناس قوى واضح . والفكر فى الحيوان قصير عاجز .

من هذا تبين للناس والفلاسفة ان هناك المادة وهناك الروح .

ومن هذا تبيّن الناس والفلاسفة : ان هناك الاجسام ومع الاجسام العقول .

واذا قلنا الاجسام عنينا المادة ، واذا قلنا العقول عنينا ما هو غير مادى . وما يكون من مادة او غير مادة فهو عند الفلاسفة حقيقة من صفتها الوجود .

مذهب الثنائيـة

تلك هي صورة من الثنائية التى عرفها الفلاسفة قديما Dualism .

وهي ثنائية جرت فى الأقدمين من الناس ، والقدامى من ارباب الأديان . جمعوا بين اثنين : النور والظلام .

وجمعوا بين اثنين : الحر والبرد .

وجمعوا بين اثنين : الجفاف والرطوبة .

وجمعوا بين اثنين : الخير والشر .

الثنائية عند اهل الصين

وجمع الصينيون القدماء الأطراف النافعة فى هذه الثنائيات ، واسموها ينج Yang ، وجمعوا مقابلاتها ، اطراف السوء ، واسموها ين Yin . والاولى للخير ، والثانية للشر . ودخل هذا دينهم . فقد زعموا ان الحياة معركة قائمة بين اصول متعارضة ، هي تلك التى سبق ذكرها .

الثنائية عند اهل الفرس

وثنّى قدماء الفرس، فقال زرادشت: ان الكون صراع بين اصلين كبيرين ، بين

اهريمان ، رب الشر والظلام ، واهورا مزدا ، رب الخير والنور ، وعبد الفرس الأخير ، وجعلوا رمزه النار ، فهم كانوا عبّاد نار .

واذن هم فعلوا ،كما فعل الصينيون. بنوا ثنائيتهم على اصول تتصل بالخير والشر .

الثنائية عند الاغريق

حتى اذا جاء الاغريق كانوا اول من بَعَدَ بالثنائية عن غلبة معنى الخير والشر عليها ، وبنوها اساسا على الفكر النظرى الفلسفى ، فقالوا مادة وغير مادة .

قال فيلسوفهم هيرقليطس (٥٤٠ — ٤٧٥ ق ٠ م) Heraclitus انه يوجد اصل هو حكمة عامة ، سماها لوجس Logos ، هي اشبه شيء بشعلة خفية لا نهائية تشيع فى كل ما يجرى من حركة دافقة دائبة من هذا الكون الخالد .

وارتأى فيلسوفهم الآخر انكساجورس (٥٠٠ — ٤٢٨ ق٠م) Anaxagoras ان هناك عقلا كونيا قائما باقيا دائما ، يخرج اشياء هذه الدنيا من الفوضى الى النظام ، ويفارق بين الأصناف والأنواع ، ويرتبها على ما نعرف من مراتب .

حتى اذا اتينا الى افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق٠م) وجدناه يرد الأحياء والأشياء الى اصول لا مادية ، هي الأصل ، وهي الحقيقة ، وهي الخالدة ، والى اشكال لها تتقمّصها مادية ، هى التى نراها ، وهي التى يعتريها النقص ، ويعتريها العجز ، وهي لا تبقى الا الى حين .

فافلاطون فى ثنائيته هذه ، يضع الأصل اللامادى فوق المادى .

واذا نحن انتقلنا الىالعصور الأحدث، نزلنا الى الفيلسوف الفرنسي الكبير ديكارت Decartes (١٥٩٦ — ١٦٥٠) فوجدناه يبدأ فلسفته بالتحقق من نفسه اولا باعتبار ان تلك هي الحقيقة الاولى لكل باحث « انى أفكر فاذن أنا موجود » ، وبذلك فصل ما بين الجسم وما بين النفس من اول خطوة فى تفكيره .

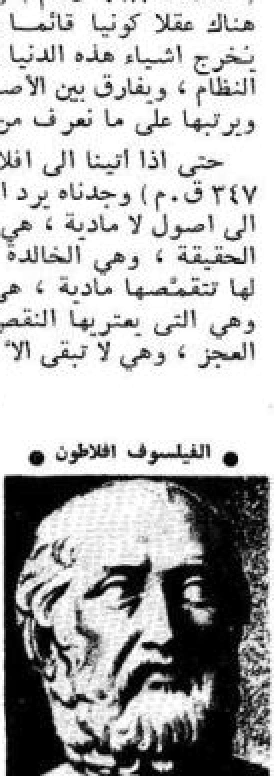
وجاء الفيلسوف الالماني كنط Kant (١٧٢٤ — ١٨٠٤) يزيد احساسا بالعقل وبحصته فى هذا الوجود .

مذهب الواحدية
ليس هناك غير المادة

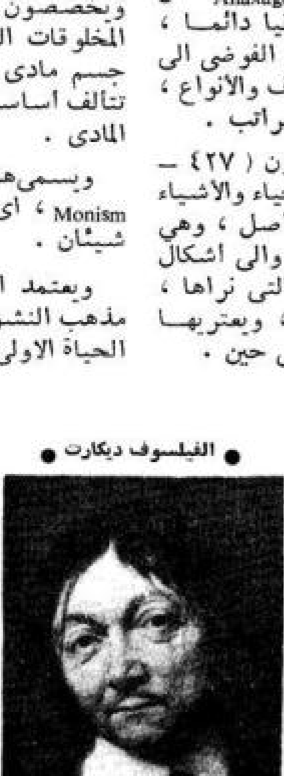
والى جانب النظرية الثنائية التى ذكرنا ، تلك الاخرى المعارضة لها ، وهي تقضي بانه لا يوجد فى الكون غير حقيقة واحدة لا اثنتين ، وتلك هي المادة . ويخصصون هذا التعميم فيقولون ان المخلوقات الحية لا تتألف من شيئين جسم مادي وروح خالدة ؛ وانما هي تتألف اساسا من شيء واحد هو الجسم المادى .

ويسمىهذا المذهب بالمذهبالواحدي Monism ، اى ان الاحياء شيء واحد لا شيئان .

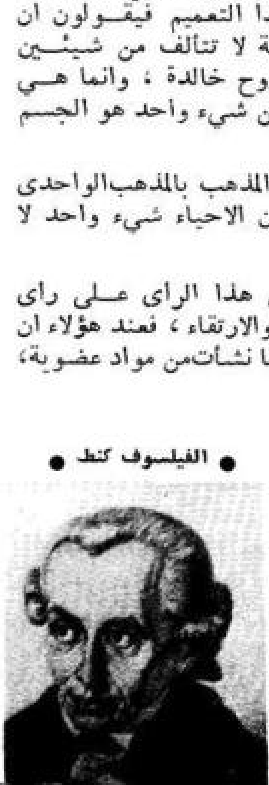
ويعتمد اهل هذا الراى على راى مذهب النشوء والارتقاء ، فعند هؤلاء ان الحياة الاولىانما نشأتمن مواد عضوية،



● الفيلسوف افلاطون ●



● الفيلسوف ديكارت ●



● الفيلسوف كنط ●

لا حياة فيها . ثم تدرجت بالحياة فى شتى مراتبها .

ويعتمدون كذلك على ما يعرفه علماء الحيوان وعلماء النفس من ان الحياة العقلية تزداد فى الاحياء كلما زاد حجم المخ . اى ان العقل مرتبط بازدياد مادة المخ .

واذا لم يكن فى الانسان غير المادة ، فأين موضع الفكر وموضع العقل من هذه المادة ؟

قال الفيلسوف فوجت (١٨١٧ ـ ١٨٩٥) vogt ، ان صلة العقل بالمادة كصلة المرارة بالكبد ، او صلة البول بالكليتين . اى ان الفكر شيء تفرزه المادة .

وجاء بشنر (١٨٢٤–١٨٦١) Büchner فقال ان الفكر لا تفرزه المادة ، ولكنه ينتج منها بواسطة عمليات جثمانية طبيعية .

ويأتي الماديون الجدليون ، ومن اشهرهم انجلز (١٨٢٠ ـ ١٨٩٥) Engels وصاحبه كارل ماركس فيقولون ان العقل يعتمد على المادة ، فاذا تحدثوا عن العقل ابهموا . عندهم ان العقل غير المادة ، وانه لا يمكن تحويله الى مادة . وقال آخرون : ان العقل وجود ثان يتميز بذاته خرج من المادة .

اذن هي المادة اصلا وأولا .

المادية
بين المذهبين
الثنائي والواحدي

نرى مما تقدم ان البحوث فى المادة وغير المادة ، او فى الابدان والعقول ، لم تكن موفقة ، بمعنى ان الانسان لا يكاد يخرج منها برأى حاسم .

اما الذين يقولون بالمادة وحدها ، فهم لا ينكرون وجود ما ليس بمادي . والذين يقولون بالاجسام المادية ، لا ينكرون وجود العقول . وانما هم ينكرون وجودا لها مستقلا عن المادة ، او جواز وجود .



● انجلز ●

ومنهم من ينظر الى العقل والى الفكر على انه شيء حتمي ، هو بعض خواص المادة ، لا اكثر .

والواحديون ، فيما عرفوا من الدنيا ، يرون الاجسام والعقول ، او المادة والروح ، اذا وجدا معا ، فهما متلازمان، لا يفصل شيء بينهما قط . ولا هما يستجيبان لهذا الفصل ، وعبثا قامت البحوث بفصلهما . فانت حينما ذهبت ، فانما تذهب ومعك جسمك والعقل . كلاهما معك ، ومعا ، غصبا عنك .

وعرف الباحثون منهم ان المخ هو وعاء العقل ، واتجهوا الى علماء وظائف الاعضاء ، الى الفسلجيين ، لعلهم يجدون فى بحوثهم ان المخ يظهر فيه بعمل العقل آثار ، فما وجدوا . فاختفت بذلك الصلة التى كان يرجوها الماديون ، بين الفكر والمخ ، تلك التى لو صحت ، لقالوا انظروا : هذا الفكر من هذا المخ ، من مادة ، فهو اشبه شيء بعصارتها .

خفاء الفكر هذا ، خفاء هذا العقل ، هو الذي سدّ على الماديين ابحاثهم . كما سدّ على العلماء الأحدثين .

كأني ارى الفرق بين الاثنين ، ان الاولين ، اعنى الماديين يبحثون فلا يهتدون ، فيحكمون بالنفي القاطع . عجزوا عن اثبات ان العقل شيء قائم وحده ، فقالوا : اذن لا وجود للعقل شيئا قائما وحده . عجزوا فنفوا . وكان جديرا بهم اذ عجزوا ان لا يقولوا بنفي او اثبات .

اما العلماء فهم فى مثل هذا الوضع لا ينفون ، ولكنهم كذلك لا يقطعون . هم يقولون ان العلم الحديث لا دخل له فى

امثال هذه الأبحاث . انه لا يبحث الا فيما يوزن ويقاس . وهذه الامور لا وزن فيها ولا قياس . اذن لسنا فى هـذه القضايا من ذوى الاختصاص .

الثنائيون كانوا فى بحوثهم أهدى

على انه لا يفوتني ان اذكر ان الذين يقولون بالمادة والروح ، شيئين متفاصلين ، او بالجسم والعقل ، هؤلاء كانوا اهدى سبيلا ، واكثر اقناعا من الماديين الذين رفضوا الروح او ارتابوا فيها .

ومن امثلة ذلك ان الماديين ذكروا الجسم ، وشبهوه فى عمله ، وفى حياته ، وفى غدوته ورواحه ، بالمكنة تجرى بفعل طاقتها .

وذكر الثنائيون المكنة الانسانية ، وبينوا الفروق التى تقوم بينها وبين المكنة المعدنية .

تساءلوا : ما الذى تستطيع ان تصنعه المكنة الانسانية بالذى فيها من مادة وروح ، او من جسم وعقل ، لاتستطيعه المكنة التى يجريها البخار او الكهرباء ؟

وقالوا :

ان المكنة الآلية لا تبدا نفسها . لا بد من احد يبدا عملها . فى حين ان المكنة الانسانية تبدا نفسها ، وتقف نفسها كذلك ، عندما تريد .

وان المكنة الآلية تتحرك فى خطوط مرسومة ، اما المكنة الانسانية فمرنة ، تغير من حركتها ما تشاء قدر ما تشاء .

فالمكنة الآلية تستهدف غرضا ، هي لا تعيه ، ولكن يعيه صاحبها . والمكنة الانسانية تستهدف غرضا تعيه .

والاولى اذا عاقها عن الهدف عائق توقفت دونه ، اما الثانية ، فان عاقها عائق ، تحولت تطلب طريقا اليه غير الذى فات . انه الابتداع والاختراع .

والمكنة الانسانية قد لا تتم عملا ، وتتوقف عنه ، ثم تبدا ، من حيث وقفت . حتى اجسام بعض الحيوانات قد يقتطع منها جزء ، فيعمل الحيوان على خلق مثله تماما فى غيبة النموذج الذى يحتذيه .

والفهم ! المكنة الانسانية تفهم المعاني ، فتفرح او تحزن ، وتتحرك بالفرح او الحزن . والنظرة العابثة قد تحرك الصبي الى البكاء . وما عرفنا ان مكنة آلية عرفت معنى العتب ولا جادت عيون لها بدموع .

والحجة الأقوى

والحجة الأقوى عندى هي ما يجده كل انسان فى دخيلة نفسه . لكاني والله بنفسي نفسان لا نفس واحدة . وتحدث احداهما الاخرى وتجادلها . فكيف لا يكون لهذه النفس وجود واقع هو بعض وجودى .

لم يبق بعد ذلك

لم يبق بعد ذلك الا الرجوع الى الأديان .

واختلفت الأديان فى الأمر كما اختلف اهل الفلسفة .

واتفق اهل الكتاب جميعا ، لا على وجود الروح ، وان الفكر مظهر من مظاهر الروح ، بل اتفقوا ايضا على بقائها ، واتفقوا على خلودها .

اما عن كنهها فقد جاء فى القرآن الكريم : « ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي » .

واذ عجز اهل الفكر ، واهل الفلسفة عن اثبات وجود ، واذ رفض العلم الحديث ان يبحث فى هذا الامر بعد ان دفع بعدم الاختصاص ، لم يبق لنا الا الرجوع الى المصادر التى نهرع اليها دائما عندما تتعطل مصادر العقول . ●●

والله الموفق ،

أحمد زكي

أيها أفعل في ...

حياة الإنسان

ماضيه

أم حاضره

أم مستقبله

لو كان الإنسان أسير ماضيه كل الأسر.

لكانت الحياة البشرية هي اليأس بعينه.

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ اعتاد الناس أن يقسموا « الزمان » الى ثلاثة أقسام : « ماض » قد انقضى فلم يعد له وجود ، و « حاضر » يتحقق فهو فى طريقه الى الانقضاء، و «مستقبل» لم يتحقق بعد فهو ما يزال يفتقر الى الوجود ! وبين « الماضى » الذى لم يعد له وجود ، و « المستقبل » الذى لم يوجد بعد ، يبدو « الحاضر » كما لو كان نقطة هندسية لا وجود لها ، لأنها مجرد ملتقى خطين : خط الماضي وخط المستقبل .

لا حقيقة للزمان واقعة

ولهذا فقد أنكر البعض على « الزمان » كل حقيقة واقعية ، ما دام « الحاضر » نفسه لا يملك أية كثافة وجودية ، بينما يفتقر كل من « الماضي » و «المستقبل» الى الطابع العيني.. Concrete المميز لكل « موجود » واقعي .

رد كل من الماضي والمستقبل الى الحاضر

وراق لآخرين – على العكس من ذلك – أن يردوا أقسام الزمان جميعا الى « الحاضر » ،

فاعلن القديس أوغسطين (مثلا) أن هناك « حاضر الماضي » الذى يستند الى ملكة « التذكر » ، و « حاضر الحاضر » الذى يرتكز على ملكة « الانتباه » ، و « حاضر المستقبل » الذى يقوم على ملكة « الامل » أو « التوقع » أو « الاستباق » . وكانت حجة أصحاب هذا الرأى أن الاحساس بالزمان وظيفة نفسانية بحتة ، فنحن نستبقى من « الماضي » ما نحبه ونتعلق به ، وننتزع من « الحاضر » ما يروقنا ويستأثر باتباهنا ، ونستشف فى « المستقبل » ما نريده وما نتطلع اليه . وبهذا المعنى تكون الصدارة للحاضر على باقي أقسام الزمان : لأن وجود « الماضي » رهن بمدى قدرته على البقاء فى « الحاضر » ، ووجود « المستقبل » رهن بمدى قدرته على استباق الزمان ، وفرض نفسه على « الحاضر » ! وسواء اتجهنا بأبصارنا نحو المستقبل ، أم عدنا بذاكرتنا نحو الماضي ، فاننا فى كلتا الحالتين لا نستمد من «المستقبل » أو من « الماضي » ، الا ما من شأنه أن ينشط سلوكنا فى « الحاضر » ، أو أن يعبىء قوانا فى صميم حياتنا الراهنة .

واختلف الفلاسفة فى أيها أول : الماضي ، أو الحاضر أو المستقبل

بيد أن الفلاسفة يختلفون فيما بينهم حول أولوية هذا القسم أو ذاك من أقسام الزمان : فهناك من يرون أن الصدارة للحاضر على كل من الماضي والمستقبل ، بينما يذهب آخرون الى أن « المستقبل » يتمتع بصدارة مطلقة بالنسبة الى كل من الماضي والحاضر . والذين يقدمون « الحاضر » على كل من « الماضي » و «المستقبل» هم أولئك الذين يرون في«الزمان» صورة من صور « الأزلية » ، فهم ينظرون الى « الزمان » على أنه « حاضر مستمر » يتمتع بالاتصال والدوام والصيرورة الدائبة . وأما الذين يخلعون على « الماضي » ضربا من الاولوية أو الصدارة ، فهم أولئك الذين يرون أن « اليوم » مجرد ثمرة لـ « أمس » ، وان تراث « الماضي » هو وحده الذى يحدد طبيعة كل من « الحاضر » و « المستقبل » . ثم يجيء آخرون فينسبون الى « المستقبل » أولوية مطلقة ، لأنهم يرون أن الانسان لا يحيا الا من أجل ما لم يوجد بعد ، وكأن كل وجوده انما ينحصر في العمل على تحقيق مستقبله ! .

الانسان هو الموجود الزماني

صحيح ان الانسان يحاول دائما ــ عن طريق فعله ــ أن يصحح الماضي ويغير الحاضر ، ولكن هذا كله ــ فى رأى هؤلاء ــ تمهيد لذلك المستقبل القريب الذى يرجوه ويتطلع اليه . ومهما يكن من شيء ، فان الانسان هو الموجود الزماني (بمعنى الكلمة) : لان « الحيوان » لا يحيا الا فى الحاضر المباشر ، دون أن يكون للماضي بالنسبة اليه أى تراث ، ودون أن يكون للمستقبل بالقياس اليه أى معنى من معاني الأمل أو الرجاء ، فى حين أن الانسان ــ والانسان وحده ــ هو الموجود الذى يستخرج من الحاضر خير ما فيه ، وينتزع من « الماضي » أجمل ما انطوى عليه ، لكى يعمل من اجل ذلك « المستقبل » الذى يريده دائما خيرا من الماضي والحاضر على السواء . والحق أن الانسان لا يحيا الا من أجل « المستقبل » : اعنى من أجل ما لم يوجد بعد ، أو ما لا بد له من ان يوجد ، أو ما يريده هو على أن يوجد ! وحين يقول بعض الفلاسفة ان الانسان فى جوهره « مستقبل » ، فانهم يعنون بذلك انه يتحرك دائما صوب الأمام ، محققا ما لديه من امكانات آخذا على عاتقه باستمرار أن يوسع من دائرة وجوده فى المستقبل . واذا كان « الموت » هو العدو الاكبر للموجود البشرى ، فذلك لأن من شأن « الموت » أن يحيل الوجود الانساني بأسره الى « ماض بحت » .

هل يكون الانسان أسير ماضيه ؟

وهنا قد يقول قائل : «ان ما نسميه بالمستقبل هو مجرد امتداد للحاضر والماضي » . فالذات تركة أو حصيلة أو تراث ، والوجود الشخصي الراهن هو ثمرة لخبرات الماضي ، وتجاربه ، واخطائه ، وعثراته ، وشتى احداثه .

ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني الكبير هيجل Hegel حين كتب يقول : « ان الكون هو ما قد كان » : يعنى بذلك أن ما هو متحقق الآن فى الحاضر ، ليس الا نتيجة لمجموعة العوامل والمؤثرات التي وجدت فى الماضي ، ولا شك أن الزمان الحي؛ ديمومة متصلة ، واستمرار دائب ، وحركة غير منقطعة ، فلا يمكن تصور الكائن الحي الا على أنه ثمرة لما اختلف عليه من أحداث ، وما



هيجـل
الكون هو ما قد كان
كتب يقول : ان



برجسون
لا يقتصر على القول بأن من
شأن « الماضي » أن يظل حيا .

مر به من تجارب ، وما اجتازه من مراحـل فى تطوره المستمر .

وبالمثل ، يمكننا أن نقول عن الكائن البشرى انه حصيلة معقدة لسائر الخبرات والتجارب والذكريات والميول والدوافع والبواعث التي يجرها وراء ظهره ، أو يحملها خلفه ، سواء أكان ذلك بعلمه او على غير علم منه .

وفى هذا يقول برجسون : « ماذا عسانا أن نكون فى الواقع ، أو ماذا عسى أن يكون طبعنا ، ان لم يكن تلك الحصيلة المركزة التي تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولا وراثية أو استعدادات سابقة على الولادة ؟ » ثم يستطرد صاحب كتاب « التطور الخالق » ، فيقـول : « صحيح اننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله ، مع ما ينطوى عليه من اتجاه أصلى قد اتخذته نفوسنا منذ البداية . واذن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا بأكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل او اتجاه ، ولو أن جانبا ضئيلا منه فقط هو الذى يستحيل الى تصور عقلي » .

ولكن برجسون لا يقتصر على القـول بأن من شأن «الماضي» أن يظل « حيا » باقيا فى الحاضر ، بل هو يقرر أيضا أن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، وذلك لأنه مهما تكن الظروف متشابهة ، أو مهما تكن الملابسات واحدة، فانها لا تؤثر مطلقا على شخصية واحدة بعينها ، ما دامت تعرض لها فى لحظة جديدة من لحظات تاريخها . ولما كانت شخصيتها فى تكون مستمر ، لأنها تبنى ذاتها فى كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديها من تجارب ، فان شخصيتنا فى تغير دائم دون أدنى توقف أو انقطاع . وهذا هو السبب فى أنه لا يمكن أن تتكرر فى أعماق شعورنا حالة نفسية واحدة ، حتى ولو بدا لنا ــ لاول وهلة ــ أننا بازاء ظاهرة واحدة بعينها .

وحين يقول برجسون ان حياتنا الزمانيـة متجددة لا تقبل الاعادة فهو يعني بذلك أنه ليس فى استطاعتنا أن نعيش من جديد أدنى جزء من أجزاء حياتنا ! ولكن « استحالة الاعادة » ــ فى رأى برجسون ــ ليست الا نتيجة لبقاء الذكريات حية فى باطن الشعور : اذ تتوالى الحالات النفسية فى مجرى الشعور ، مكتسبة فى كل مرة صبغة جديدة ، نتيجة لذكرى الحالات السابقة المختزنة من ذى قبل فى صميم الوعى ، وبذلك نجد أنفسنا دائما بازاء لحظة جديدة أصيلة من لحظات تاريخ حي متجدد الشخصية متطورة نامية !.

ويبقى أن نتساءل : هل يكون معنى هذا ان « الماضي » ــ فى رأى برجسون ــ هل العامل الفيصل في تكوين الشخصية ؟ هذا ما يرد عليه برجسون نفسه بقوله : « ان ماضينا بأكمله يظل يتعقبنا فى كل لحظة من لحظات حياتنا : لأن ما شعرنا به ، وما ذكرنا فيـه ، وما اردناه منذ طفولتنا المبكرة ، ما يزال عالقا بنفوسنا ، متجها نحو الحاضر كما لو كان يوشك أن يتصل به ، ضاغطا بشدة على باب الشعور الذى يريد أن يدعه خارجا » . ولكن برجسون يعترف بأن جانبا غير قليل من هذا الماضي يظل مكبوتا فى اللاشعور ، حتى اذا ما ظهر موقف يستدعى احياء بعض ذكريات الماضي ، لم يلبث باب الشعور أن يتفتح أمام تلك الذكريات حتى تلقى بعض الأضواء على الموقف الراهن ، أو حتى تقدم شيئا من العون للفعل الذى هو بصدد التكوين . واذن فان برجسون يسلم بأن ماضينا يظل حاضرا بالنسبة الينا ، وان كان جزء ضئيل منه فقط هو الذى يسهم بالفعل فى تكوين سلوكنا الحاضر . وتبعا لذلك فان الانسان ــ فى رأى الفيلسوف الفرنسي الكبير ــ لا يمكن أن يكون مجرد أسير مستعبد تماما لماضيه .

ولكن ، هل يستطيع الانسان أن يتحرر تماما من ماضيه ؟

... ان الماضي ــ فيما يقول بعض الفلاسفة ــ لا يمكن أن يموت تماما : فان شيئا لا يمحى على الاطلاق في حياتنا النفسية ، خصوصا وان لدى الانسان ذاكرة تسجل الأحداث وتختزن التجارب ! وحتى لو سلمنا بأن بعض الذكريات قد تندس في طوايا اللاشعور ، فلا بد لنا من التسليم بأن مثل هذه الذكريات قد تجد الفرصة للظهور على مسرح الشعور ، أو هي قد تظل تعمل عملها حتى من خلف الستار ! وقد يستحيل « الماضي » الى جزء متصلب أو قطعة متحجرة من كياننا ، حينما تثور عليه الذات أو تتنكر له . ولكن الذات حين تعمد الى الانفصال عن ماضيها ــ فيما يقول بعض علماء النفس ــ فانها قلما تنجح تماما في اقتطاع ذلك الماضي من حياتنا ، بل كل ما قد تستطيع عمله هو استئصال شوكته أو تنحيته جانبا ، دون التمكن من القضاء عليه بصفة نهائية . وآية ذلك أن هذا « الماضي » الذي قد تبدو الذات أبعد ما تكون عنه ، قد تدب فيه الحياة من جديد ، فلا يلبث أن يزحف الى أعماق تلك الذات ، لكي يعود فيؤثر عليها ، ويخضعها لسطوته .

بيد أن الماضي ــ مع ذلك ــ ليس قوة غريبة عنا ، وكأننا مجرد نتيجة طبيعية له ، بل ينبغي أن تقرر ــ على العكس من ذلك ــ ان قوة الماضي رهن بما نخلع عليه ــ نحن ــ من قيمـــة ، وما نضفي عليه من معنى . هـذا الى أن السبيل الحقيقي للتحرر من الماضي لا يكون بتجاهلنا له ، بل يكون بمعرفتنا له . ومن هنا كانت أهميـة « التاريخ » : فانه يسلط الأضواء على الماضي ، لكي يضع بين أيدينا الكثير من الدروس التي قد تعيننا على مواجهة كل من الحاضر والمستقبل . وربما كان الانسان هو المخلوق الأوحد الذي لا يكاد يكف عن تشكيل ماضيه بنفسه ، على ضـوء ما يتصوره عن المستقبل ! فالمســتقبل هو وحده الكفيل بخلع المعنى الذي نريده على ذلك الماضي الذي لا سبيل الى اعادته . صحيح أن كل حدث وقع لنا في الماضي هو واقعة قد انقضت الى غير ما رجعة ، فلا مجال لالغائه أو جعله وكأن لم يكن ، ولكن في وسعنا مع ذلك أن نقبله أو أن نرفضه ، وبالتالي فان في استطاعتنا ان نغير من معناه ، أو أن نفصل في قيمته . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن موقفنا من ذلك « الماضي » رهن بالمستقبل الذي ننزع اليه وتتجه نحوه . وحين يزعم بعض الفلاسفة أن الماضي هو صنيعة المستقبل . فانهم يعنون بذلك ان هذا المستقبل نفسه هو الذي سيحدد معنى ذلك الماضي الذي قد يبدو لنا حملا ثقيلا نتوء به ! وهذا هو معنى قول بعضـــهم : « ان الماضي هو مستقبل المستقبل » !!

هل يكون « التاريخ » نفسه شاهدا على « أولوية » المستقبل على الماضي ؟

... والواقع أن « المستقبل » لا يصـدر عن « الماضي » ، بل ان « الماضي » هو الذي يصدر عن « المستقبل » واذا كان من شأن « العلم » أن يقف عند « الظواهر » ، وأن يطبق عليها بالضرورة مبدأه في « الحتمية » ، فما ذلك الا لأن « العلم » يمضي دائما من « الماضي » الى « المستقبل » ، وبالتالي فانه ينظر الى كل ما سوف يحدث على أنه نتيجة ضرورية لما قد حدث . وأما الانسان الحر الذي يفصل في مصيره بما لديه من قدرة على الاختيار ، فانه يمضي من « المســتقبل » الى « الماضـي » . وما أصـدق أوسـكار وايلد Oscar Wilde حين يقول : « ان ذلك الذي يتجه نحو ماضـيـه ، لا يسـتحق أن يكون له مستقبل » ! ولا غرو ، فان الانسان لا يمكن أن يحرز أي تقدم ، اللهم الا اذا انفصل ــ بوجه ما من الوجوه ــ عن ماضيه . صحيح ان الانسان موجود تاريخي ، ومن ثم فانه لا يمكن أن يضرب صفحا عن ماضيه ، ولكن من المؤكد ان التاريخ ليس مرتبطا بالماضي كما قد يبدو لنا لأول وهلة ، بل هو أوثق اتصالا بالحاضر والمستقبل منه بالماضي . وآية ذلك أن ذلك الماضي الروحي الحقيقي ــ كما يقول لافل Lavelle ــ هو ذلـك الذي تعيد الذات خلقه في صميم الحاضر ، فهو ليس بمثابة مجموعة من الذكريات التي يختزنها الوعي بقدر ما هو مقدرة على الاحتفاظ بتلك الذكريات والعمل على اسـتثارتها عند اللزوم ، بمقتضى فاعلية حاضرة تملك باستمرار بعث تلك الذكريات أو استحضارها . حقا ان التاريخ يمثل منظورا نطل منه على « الماضي » ، ولكن النقطة المركزية التي يسـتند اليها هذا المنظور هي باستمرار « الحاضر » نفسه . ولما كان من شأن مركز هذا المنظور أن يتغير باستمرار ، فان من واجبنا دائما

ان نعمل على اعادة النظر الى التاريخ ، ان لم نقل ان نصنعه من جديد ! وبهذا المعنى ، قد يصح لنا ان نقول ان التاريخ نفسه شاهد على ان للمستقبل مركز الصدارة أو الأولوية بالنسبة الى الماضي . ولعل هذا ما عبر عنه هيجل حين كتب يقول : « ان المقولة الأولى من مقولات الوعى التاريخي لا يمكن أن تكون هي الذاكرة أو التذكر ، بل هي الترقب أو الانتظار ، والرجاء أو الاستباق » .

وهنا يظهر الفارق الكبير بين « الندم » و « التوبة » : فان « الندم » متجه بتمامه نحو « الماضي » في حين أن « التوبة » متجهة بتمامها نحو « المستقبل » . والانسان النادم هو انسان يائس ، لأنه أسير لماضيه ، لا يملك منه فرارا ، ولا يكاد يقوى على النظر الى شيء آخر سواه . فالندم وثيق الصلة باليأس : لان الانسان النادم يتجه بكل بصره نحو ماضيه الأليم ، دون أن يكون في وسعه تجاوزه أو العمل على تخطيه . وأما التوبة فهي شعور ميتافيزيقي بامكان تعديل معنى الماضي ، وتغيير دلالة الزمن ، وكان الانسان التائب يعلم منذ البداية ان الماضي ليس شيئا متحققا مكتملا ، بل هو شيء يقبل الاعادة أو الصياغة من جديد ! ومن هنا فان الانسان التائب يعلو على ماضيه ، واثقا من ان مشاركته في « الأبدية » Eternite ستكون هي الكفيلة بتعديل معنى « أفعاله » المتحققة في « الزمان » ! .

ليس في العالم البشرى « وقائع » بل « أفعال » !

بيد أن البعض قد يعترض ـ مرة أخرى ـ بقوله : « ان من الماضي ما مضى ، ولكنه ما انقضى » ! وآية ذلك أن هناك ذكريات اليمة تظل تلاحقنا باستمرار ، دون أن يكون في امكاننا التخلص منها أو العمل على استبعادها نهائيا . وليس في وسعنا أن نشهد آلامنا الماضية ، وكأنما هي وقائع غريبة عنا ، لا تكاد تمت الينا بأدنى صلة ، بل نحن مضطرون الى الاعتراف بأن ذلك الوجه الكالح البغيض هو وجهنا نحن ، وان تلك الأفعال الشائنة القبيحة هي افعالنا نحن ! وربما كانت شناعة « الخطيئة » في انها لا يمكن أن تنفصل عنا تماما ، بل هي تبقى حاضرة فينا ، دون أن تكون منا تماما ! .. انها شيء يعترف به المرء ولكنه لا يتعرف فيه على ذاته الماضية ، أو هي ـ على الأصح ـ شيء يحاول أن ينأى بنفسه عنه ، ولكنه مع ذلك يظل يلاحقه ، وكأنه يريد أن يلازمه ملازمة الظل لصاحبه ! .

ولكن ، هل يكون معنى هذا ان ماهية الانسان تنحصر بتمامها في ذلك « الماضي » الذى يلاحقه ويَرين عليه ؟ السنا نلاحظ ان الله قد زود الانسان بنعمة كبرى هي نعمة « النسيان » ، التي كثيرا ما تجيء فتطمس معالم ماضيه بخيره وشره ، أو تحيله الى مجرد « ذكريات » باهتة قد خبت حدة آلامها ولذاتها ؟ بل الا تدلنا التجربة البشرية على أن آلام « الماضي » نفسها قد تتحول الى ذكريات سعيدة ، لمجرد أنها قد اصبحت أصداء خافتة بعيدة تذكرنا بعالم الشباب الذى انقضى ، أو بفترة الصبا التي اصبحت في خبر كان ؟ واذن ، فلماذا يأبى بعض الباحثين الا أن ينظروا الى «الماضي» ، وكأنه سجل خالد لا يغفل شيئا ولا يغيب عنه شيء ؟ الا تكذّب « الخبرة » مثل هذه النظرة الصارمة الى « الماضي » بسعده ونحسه ؟ .

... انهم ليقولون ان « الارادة قد تستطيع الكثير ، واما ان تمحو من الوجود ما أوجدته ، فهذا ما لا قبل لها به على الاطلاق » ! ونحن نقول ان اصحاب هذا الرأى على حق حين يقولون انه ليس في وسع الحرية البشرية ان تجعل ما كان وكأنه لم يكن (في يوم ما من الأيام) : فان ما كان قد كان ، ولا سبيل لأية قوة في الوجود ان تلغيه تماما ، او ان تزيله اصلا من الوجود ! ولكن من المؤكد ان الماضي البشرى ليس سلسلة من « الوقائع » بل هو مجموعة من « الأفعال » . وعلى حين أن « الوقائع » ظواهر متحققة قد تمت او اكتملت في العالم الطبيعي ، نجد أن « الافعال » أحداث روحية تكتسب دلالتها في صميم الواقع البشري . وحين اقام الفلاسفة المدرسيون ـ في العصور الوسطى ـ تفرقة واضحة بين « الافعال البشرية » ... ... Actus Hominis ، و « الأفعال الانسانية » Actus Humani ، فانهم كانوا يعنون بذلك أن من بين أنشطة الموجود البشرى أنشطة فسيولوجية تنتمي الى عالم الطبيعة ،

واخرى روحية تعبر عن فاعلية الروح والحرية وليس من شك فى أن ما يميز النشاط الانساني (بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة) انه نشاط تاريخي يتوقف على الدلالة الروحية التي ينسبها الانسان نفسه ـ فى كل لحظة ـ للواقع . وقد لا تستطيع التوبة أن تغير من واقع الأحداث ، ولكنها تستطيع ـ على الاقل ـ أن تغير من دلالة الأحداث . ومن هنا فقد يحق لنا أن نقول انه ليس في حياة الانسان شيء نهائي حاسم ، لأنه ليس فى وسع الموجود البشرى (طالما كان حيا) أن يضع كلمة الختام ، او أن يعتبر حياته ماضيا بحتا ! ومعنى هذا أن كل ما قد تحقق ، قابل فى اية لحظة لاكتساب دلالة جديدة ، بشرط أن تأخذ الارادة على عاتقها « اعادة تقييمه » ! ولو اننا تصورنا « الحاضر » على أنه صورة من صور « حضرة الأزلية في الزمان » ، لكان في وسعنا أن نقول ان « الحاضر » هو الذى يخلع معناه على كل من « الماضي » و «المستقبل » على حد سواء ! واذن فنحن الذين نصنع « ماضينا » فى كل لحظة ، وليس « ماضينا » هو الذى يصنعنا مرة واحدة والى الأبد ! .

هل يكون من مصلحتنا أن ننفخ فى الرماد المنطفىء ؟!

هذا ، وقد لاحظ بعض الفلاسفة أن هناك صورتين مختلفتين من صور التعبد للماضي : فهناك اولا صورة مادية بحتة تتجلى في النظر الى الماضي على انه « شيء متحقق » قد اكتسب ضربا من الوجود الضروري ، وكأن الماضي نفسه قد أصبح هو « العلة الكافية » التي تفسر كلا من الحاضر والمستقبل ، ثم هناك ثانيا صورة أخرى اكثر روحانية ، وتلك هي التي تبحث فى الماضي عن احلام جميلة ، وتهاويل براقة ، وكان من شأن ذكريات الماضي أن تعزى الذات عن نقص الحاضر وغموض المستقبل ! والصورة الأولى من صور « عبادة الماضي » تمثل اتجاها حتميا او جبريا لا يرى فى « الماضي » سوى مجموعة العلل التي تتسبب فى حدوث الظواهر الحالية أو المواقف الراهنة . ولا ريب ، فان المستقبل هو عالم « الامكان » ، فى حين أن « الماضي » هو عالم « الضرورة » . ولما كان تفسير اى شيء من الاشياء يستلزم الكشف عما فيه من ضرورة ، فان من طبيعة التفسير أن يتجه نحو « الماضي » ، ما دام الاصل فيه أن نربط الشيء بعلته (اى بما قد تم حدوثه بالفعل) . ومن هنا فان « الماضي » ـ فى نظر أصحاب هذا الاتجاه ـ هو عالم « الوجود » و « المعرفة » على السواء . واما « الحاضر » فهو عالم « الفعل » و « النشاط » ، فى حين أن « المستقبل » هو عالم « الامكان » و« الآمال » . ولكن دعاة هذه النزعة يتناسون أن « الحاضر » و « المستقبل » ليسا ماثلين منذ البداية في صميم « الماضي » والا لما كان في العالم اية جدة او اى ابداع . والحق ان « الماضي » لا يرين علينا بالقدر الذى يتصور هؤلاء ، بل هو حقيقة مرنة تقبل التشكل باستمرار ، دون ان يكون في وسعنا اعتبار الانسان مجرد أسير مستعبد تماما لماضيه . وما دامت حياتنا في تطور مستمر وتغير متصل،فان كل ما حققناه في الماضي،وكل ما انجزناه فى حياتنا السابقة ، لا بد من أن يكتسب طابعا جديدا ، وفقا لما يطرأ على اهدافنا من تغير ، وما يستجد على مشروعاتنا من تعديل . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان الماضي لا يمكن أن يعني شيئا الا بالنسبة الى ذلك الانسان الذى يأخذ على عاتقه أن يستخدمه ، وأن يخلع عليه باستمرار حياة جديدة .

واما الصورة الثانية من صور « عبادة الماضي » فهى تلك التى تنصرف فيها الذات عن الفعل أو النشاط أو بذل الجهد في صميم الحاضر ، من اجل الاقتصار على تأمل أشباح الماضي ، واجترار ذكرياته ، وتذوق حلاوة أحلامه السعيدة ! وليس من شك في أننا حينما نستعيض عن الحياة بالحلم، فاننا قد نجد فى صور الذاكرة المختزنة ما قد يعوضنا عن آلام الحاضر ومصاعبه . ولكننا كثيرا ما نتناسى أن هذه التهاويل البراقة التى قد تعمد الذات الى بعثها من مرقدها ، لتعوض نفسها عن اجداب حاضرها واقفار حياتها الراهنة ، انما هى أحلام كاذبة تسيء الى « الماضي » نفسه،أو بالاحرى تحول بيننا وبين تفسير الماضي على حقيقته . صحيح أن « الماضي » ذخيرة حية نرتد اليها في كل حين ، حتى نستند اليها في مواجهة حاضرنا ومستقبلنا ، ولكنه ليس قيدا يأسرنا ويحد من حركتنا في كل من الحاضر والمستقبل ، كما انه في الوقت نفسه ليس مرآة نرتد اليها في كل لحظة

لكى نتملى جمال صبانا الراحل أو شبابنا الذابل ! وكثير من الأحداث التى وقعت لنا في الماضي هي مجرد عوارض عابرة قد قدر لها الزوال ، فليس من حقنا ــ ولا من واجبنا ــ أن ننفخ من جديد في مثل هذا الرماد ! أجل ، فان من الماضي ما مضى وانقضى ، ولا بد لنا من ان ندعه يذهب مع الريح! وقد يكون من الحكمة ــ في بعض الأحيان ــ أن يدير المرء ظهره لماضيه ، أو ان يتنكر له تماما ، لكى يتجه ببصره ــ في ثقة وامل ــ نحو الحياة المليئة الوفيرة التى تتجدد دائما يوما بعد يوم .

وجودنا البشرى : أهو تحرر من الماضي، وانطلاق نحو المستقبل ؟

وهنا قد يقال :« كيف للانسان ان يتنكر لماضيه، وما وجوده نفسه الا ماضيه ؟ ألسنا نلاحظ ان الطفل الصغير يولد مزودا بماض طويل ؟ أليس بدن الوليد الجديد تراثا يحمل آثار الماضي البعيد؟. والا ، فماذا عسى ان تكون تلك الوراثة الثقيلة العمياء التى تجىء فترين على كاهل الطفل الصغير، وتجعل منه مجرد نهاية مؤقتة لسلسلة طويلة من الانساب ، والاستعدادات الوراثية ، والصفات الخلقية ، والسمات العرقية ؟ »

وردنا على هذا الاعتراض أن الطفل يولد ــ بالفعل ــ شيخا طاعنا في السن لأنه يحمل تراث اجداده وآبائه ، ولكنه لا يظهر الى الوجود حقيقة مكتملة قد تحددت معالمها من ذى قبل ، بل هو يظهر على صورة شخصية مرنة تقبل التشكل ! وليست الحياة الروحية للموجود البشرى سوى هذا الجهد المستمر الذى يقوم به الطفل من أجل تجديد حياته واستعادة شبابه ! فنحن لا نكف عن طرد عبوديات الماضي ، واستبعاد احماله الثقيلة ، وكان كل حياتنا هى مجرد سعى مستمر نحو الارتداد الى الينبوع الاصلى لكل نشاط ابداعى ! ومن هنا فان وجودنا هو فى صميمه تحرر من الماضي، من أجل الانطلاق نحو المستقبل.وكثيرا ما يستحيل الماضي نفسه ــ في نظرنا ــ الى مجرد « فكرة » نخلقها لأنفسنا ، ونخلع عليها ما نشاء من المعانى والدلالات ! وحين تعمد الذاكرة الى تخليص الصور المختزنة من شوائب الظروف العرضية التى أحاطت بنشأتها ، فانها قد لا تنظر الى الذكريات على أنها موضوعات ، بل على أنها « قيم » أو « دلالات » . وهنا تتحول ذكريات الماضي من موضوعات نقتصر على تأملها ، الى وقائع حية تحرك الارادة وتنشط مقدرتنا على الحكم او التفضيل . وليس يكفى أن نقول ان معرفتنا لماضينا تتغير يوما بعد يوم ، بل يجب أن نضيف الى ذلك ايضا أن هذه المعرفة لا تلبث ان تنفصل عما اقترن بها من أعراض ، لكى تستحيل الى نشاط روحى أنقى وأعمق ، فلا يكون على الذات من بعد سوى أن تستخدم تلك المعرفة في توجيه حاضرها ومستقبلها على نحو افضل وافضل .

.. فاذا ما تساءلنا ــ بعد هذا كله ــ « هل يملك ماضينا أن يسعدنا أو يشقينا؟» كان الجواب الصحيح على هذا التساؤل : « لا ، ونعم » ! .. لا ، لأن الماضي نفسه قد اصبح أثرا بعد عين ، فهو لم يعد يملك ــ بمقتضى قوته الذاتية ــ أن يسعدنا أو يشقينا ! ونعم ، لأن فكرتنا عن الماضي تظل تؤثر على سلوكنا ، ما دمنا نجد أنفسنا مضطرين ــ بين الحين والآخر ــ الى معاودة تأويل ماضينا من أجل المضي في طريقنا نحو المستقبل . ولما كان الماضي يمثل التحقق ، والامتلاك ،فستظل الارادة البشرية في حاجة ماسة الى « الماضي » ما دام « الماضي » يمثل ــ بالنسبة لنا ــ عالم الوجود والمعرفة . والحق أنه لولا الماضي ، لما توافر لدينا أى وعى بما حققنا ، أو أى امتلاك لما انجزنا . فنحن كائنات تحمل وراء ظهرها « ماضيا » : لأننا موجودات تحقق ذواتها عبر التاريخ،وتتراكم افعالها على شكل « مكاسب » . ولكننا في الوقت نفسه ذوات واعية تدرك أن ما قد « تحقق » ، لا يرسم مرة واحدة والى الأبد صورة«ما ينبغى أن يتحقق»! فالماضي يدفع كلا من الحاضر والمستقبل ، ولكنه لا يحددهما تحديدا دقيقا صارما ، أو هو لا يشكلهما مرة واحدة والى الأبد ! ولو كان الانسان أسير ماضيه الى الحد الذى يتصوره البعض،لكانت الحياة البشرية هى اليأس بعينه : اذ ما «اليأس» الا « عبودية الماضي » ! وأخيرا ، ألا ترى معى ــ يا قارئى ــ أننا نحيا في المستقبل ، وللمستقبل، أكثر مما نحيا في الماضي والحاضر ، أو للماضي والحاضر ؟ ألا تشعر معى بأننا نوجد من أجل « ما لا يمكن التنبؤ به » أكثر مما نوجد من أجل « ما لا يمكن استرجاعه » . ■■

زكريا ابراهيم

الوهابية وزعيمها

بقلم: حسن عبد الله آل الشيخ

وزير المعارف السعودية

مستهل :

■ أود قبل أن أتحدث عن الوهابية وزعيمهم الامام محمد بن عبد الوهاب أن أوضح ما يلي : ــ

١ ــ أن لقب الوهابية لم يختاروه لأنفسهم ، ولم يقبلوا اطلاقه عليهم ، لكنه قد أطلق من قبل خصومهم ؛ تنفيرا للناس منهم ، وايهاما للسامع أنهم جاءوا بمذهب خامس يخالف المذاهب الاسلامية الاربعة الكبرى ، واللقب الذي يرضونه ويتسمون به هو (السلفيون) أو المحمديون ، نسبة الى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ انهم لا يدعون الى مذهب خاص بهم ، أو يكفرون غيرهم كما يشيع عنهم أعداؤهم ، بل هم يؤمنون بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

محمد بن عبد الوهاب :

نشأته

هو الامام الداعية الكبير محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن على بن محمد وينتهى نسبه الى نزار بن معد بن عدنان .

ولد في بلدة العيينة من بلدان العارض بنجد سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣م) ونشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم وحفظه وأتقنه قبل بلوغه العاشرة من عمره . ثم اشتغل بطلب العلم ، فقرأ مبادىء العلوم والفقه الحنبلى على والده الشيخ عبدالوهاب ابن سليمان . وكان حاد الذكاء ، سريع الحفظ والفهم ، قال عنه أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب (كان أبوه يعجب من فهمه ، ويعترف بالاستفادة منه رغم صغر سنه) . ووالده هو الشيخ عبد الوهاب مفتى العيينة وقاضيها ، وجده الشيخ سليمان بن على هو مفتى جميع الديار النجدية .

فى مكة والمدينة

لما بلغ الشيخ محمد سن الرشد قدمه والده فى امامة الصلاة ، فأخذ يصلى بالناس اماما . ثم طلب من والده أن يسمح له بأداء فريضة الحج ، فوافقه ، وأدى الفريضة ، واعتمر عمرة الاسلام ، ثم بعد فراغه من ذلك سافر الى المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وأقام بها قريبا من شهر ، ثم عاد الى العيينة ، وتزوج بها ، وشرع فى القراءة على والده الفقه على مذهب الامام

الإمام
محمد بن عبد الوهاب

احمد بن حنبل .

ثم سافر الى الحجاز ليزداد من طلب العلم وبدأ يتردد ويقرأ على بعض علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واقام بالمدينة مدة يقرأ خلالها على الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى ثم المدنى ، وعلى العالم الكبير محمد حياة السندى المدنى صاحب الحاشية المشهورة على صحيح البخارى .

فى البصرة

ثم رجع مرة اخرى الى وطنه ، ومكث به سنة ، ثم سافر الى البصرة (بالعراق) وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والنحو وكان يلازم هناك أحد علماء البصرة الكبار . وهو الشيخ محمد المجموعى البصرى، وكان خلال اقامته بالبصرة يدعو الناس الى توحيد الله جل وعلا ، ونبذ الاشراك به ، وهجر البدع ، وأخذ يصرح بذلك لكثير من جلسائه بالبصرة قائلا لهم : (أن العبادة كلها لله ، ولا يجوز صرف شيءمنها لسواه) . وقد استحسن شيخه المجموعى ذلك منه ، فاخذ الشيخ محمد يقرر لاستاذه توحيد العبادة ، ويوضح له معنى (لا اله الا الله) ، فقبل منه شيخه وانتفع به .

ثم ــ كما يحدث دائما للدعاة الصادقين من اعدائهم الذين يخالفونهم ويعملون ما ينهون عنه ــ عمل اعداؤه من مخالفيه على اخراجه من البصرة ، فخرج منها في يوم شديد الحر ، ماشيا على قدميه، فلما وصل منتصف الطريق بين البصرة والزبير اشتد به العطش حتى كاد يموت ، فلقيه رجل يدعى (أبا حميدان) من أهل الزبير ، وكان يركب حماره ، فوجد على الشيخ امارات الهيبة والوقار، فسقاه ماء وحمله معه على حماره حتى وصلا بلدة (الزبير) من أعمال العراق ، فمكث الشيخ بهـا اياما ، ثم رغب السفر الى الشام ، لكنه لم يكن يملك النفقة التى تكفيه لتلك الرحلة .

رجوعه الى نجد

فرجع الى وطنه (نجد) ، مارا في طريقه ببلدة الاحساء ، وحل بها ضيفا على الشيخ عبد الله ابن محمد الشافعى الاحسائى ، ثم رجع الى وطنه، حاملا زادا كثيرا من العلم،وسلاحا قويا من المعرفة، وقصد (حريملاء) من قرى نجد ، حيث قد انتقل والده اليها ، فجلس اليه يقرأ ويتعلم منه . ثم بدأ يخلو بنفسه، وعكف على دراسة القرآن الكريم، وكتب السنة ، وتفاسير علماء السلف وشروحهم ، بامعان وتدبير ، فاستفاد من ذلك فائدة قصوى . ثم عكف على مطالعة كتب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وكتب تلميذه الشيخ محمد بن قيم الجوزية، فازداد بها علما وتحقيقا وفهما ، وقد كتب الشيخ بخط يده كثيرا من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية لا يزال بعضها حتى الآن موجودا بالمتحف البريطانى بلندن وغيره . وكان خلال اقامته بحريملاء ينهى الناس عن الاشراك بالله ، وينكر البدع التى كانت منتشرة في ذلك العهد وكان قويا في انكاره فطلب اليه أبوه ان يتمهل في الدعوة ، خوفا عليه .

يصدع بالدعوة بعد وفاة والده

وبعد وفاة والده عام ١١٥٣ هـ الموافق ١٧٤٠م بدأ يصدع بالدعوة ويعلنها ، واخذ يبعث برسائله الى بلدان نجد ، يدعو الناس من خلالها لعبادة الله وحده ، وينهاهم عن التعلق دونه بغيره من الأنبياء والصالحين والأشجار والاصنام ، واجتهد في الامر ، وانضم اليه اناس من اهل حريملاء استجابوا لدعوته ، وانطلقوا يدعون الناس معه ، فاشتهر امره في قرى نجد ، ووفد اليه أناس من تلك القرى ، للتلمذة على يديه وطلب العلم عن طريقه . والف كتابه (التوحيد) الذى هو حق الله على العبيد . وانتشر هذا الكتاب في نجد كلها .

انتقاله الى العيينة

ثم اضطر الشيخ الى الرحيل من (حريملاء) ،

بعدما حاول بعض الجهلة والموالي أن يتسلقوا عليه داره ليقتلوه ، لما هو عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانتقل الى (العيينة) ، واستقبله أميرها (عثمان بن حمد بن مُعَمّر) بالترحيب ، وأمر الناس أن يمتثلوا أمره ،ويقبلوا قوله . وكان بالعيينة كغيرها من قرى نجد الكثير من القباب والأوثان التي يعظمها الجهال،وينسبون اليها الكثير من الاكاذيب . فقام الشيخ ببيان حقيقة التوحيد لأمير العيينة (عثمان بن معمر) وطلب منه أن يزيل تلك الأوثان والقباب ،لمخالفتها لعقيدة التوحيد الصافية. فاستجاب الأمير لذلك، وخرج الشيخ ومعه الأمير عثمان ورجال كثيرون ، وهدموا ما هنالك من القباب والأوثان ، وتولى الشيخ بنفسه هدم قبة زيد بن الخطاب بيده .

ثم جاءت امرأة الى الشيخ واعترفت لديه بالزنا، وتكرر اعترافها واقرارها ، وسأل عنها فوجدها سليمة العقل جائزة التصرف ، فأقام عليها حد الزنا وهو الرجم ، فانتشر بذلك خبره ، وخشي (علماء) الضلال على واقعهم من هذه الدعوة الجديدة، التي بدأت تنطلق وتجمع الأنصار حولها، فشكوا الشيخ الى (سليمان بن محمد بن عريعر) حاكم الاحساء والقطيف آنذاك . فاستجاب لهم ، وكتب الى الامير عثمان بن معمر كتابا يطلب فيه اخراج الشيخ من بلدته وقطع مرتبه فانصاع ابن معمر لذلك ، وطلب من الشيخ مغادرة العيينة .

مغادرته العيينة والتقاؤه بابن سعود

فغادرها متوجها الى الدرعية قرب الرياض ، وحل بها ضيفا على أحد تلامذته ، وهو الشيخ (أحمد بن سويلم العريني) وذلك في عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م. فلما علم بمقدمه أمير الدرعية (الامام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن) أسرع بالمسير اليه في دار الشيخ أحمد ، وقابله بالحفاوة والبشر ، وقال للشيخ : أبشر أيها الشيخ بالنصر والمنعة . فقال الشيخ : وأنا أبشرك ان شاء الله بالاجر والعز ، والتمكين والغلبة ، وهذه كلمة لا اله الا الله ، من تمسك بها ونصرها غنم في الدنيا ، وربح في الآخرة ، وهي كلمة التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأنزلت به الكتب ، وأقام الشيخ يدعو الى دين الله ، ويعلن بطلان ما فيه اكثر اهل زمانه من اشراك بالله ، وتعلق بغيره من الأوثان والأحجار والاولياء والصالحين ، والامام محمد بن سعود يؤيده وينصره .

وكان (العهد التاريخي) بينهما عندما قال الامام محمد بن سعود للشيخ : لا شك عندي أن مادعوت اليه أنه دين الله الذي أرسل به رسله ، وانزل به كتبه ، وأن ما عليه اليوم أهل نجد من هذه العبادات الباطلة هو كما ذكرت ، نفس ما كان عليه المشركون الأولون من الكفر بالله ، فأبشر بنصرتك وحمايتك ، والقيام بدعوتك،ولكن أريد ان اشترط عليك شرطين :

الأول : نحن اذا قمنا بنصرتك ، وجاهدنا معك، ودان اهل نجد للاسلام ، وقبلوا دعوة التوحيد ، أخاف ان ترتحل عنا ، وتستبدل بنا غيرنا .

والثاني : ان لي على أهل الدرعية قانونا آخذه منهم وقت حصاد الثمار ، واخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا .

فقال الشيخ : (أما الشرط الأول فابسط يدك أعاهدك ، الدم بالدم ، والهدم بالهدم) .

وأما الثاني :فلعل الله أن يفتح عليك الفتوحات فيعوضك عن الغنائم والزكوات ما هو خير منهما.

وتم العهد بينهما في ذلك المجلس . على اظهار دين الله ، والجهاد في سبيله ، ومحاربة الشرك في كل صوره ، واخلاص العبادة لله .

ثم لما تكالب أعداء الدعوة عليها ، وبدأوا يضيقون الخناق ويهاجمونها ، انتقلت الدعوة الى مرحلة الدفاع عن النفس ، ودامت الاشتباكات طوال واحد وعشرين عاما ، انتشرت بعدها الدعوة الى الله ، واطمأن الناس الى واقعهم الجديد ، وتوحدت قرى نجد جميعها — بعد عهد طويل من الفرقة والاختلاف — تحت لواء واحد ، هو لواء العقيدة الصحيحة ، وفي عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩١م. انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى رحمة الله عن عمر يناهز التسعين عاما قضاها داعيا الى الله ومجاهدا في سبيله .

ما هي حقيقة دعوتهم : —

هم في أصول الدين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم في اثبات صفات الله هي طريقة السلف الصالح ، التي هي الأسلم والأعلم والاحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم ، وذلك بان يقروا بآيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكلوا علمها الى الله،مع اعتقاد حقائقها، فالامام مالك ، وهو من أجل علماء السلف ، لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى : (الرحمن على

العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة.

ويعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله ، ولا يكون في ملكه الا ما أراد ، فان العبد لا يقدر على خلق أفعاله ، بل له كسبٌ ، ورَتّبَ الله عليه الثوابَ فضلاً ، والعقابَ عدلاً ، وان المؤمنين يرون الله في الآخرة بلا كيف ولا احاطة .

وهم في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل، ولا ينكرون على من قلّد أحدا من الائمة الأربعة دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب غيرهم ، ولا يستحقون مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا يدعيها منهم أحد" .

الا انهم في بعض المسائل اذا صح لهم نص جلي من كتاب أو سنة أخذوا به وتركوا المذهب ، ولايفتشون على احد في مذهبه ، ولا يتعرضون عليه .

وعلى العموم فدعوتهم هي الدعوة الى ما كان عليه السلف الصالح ، من اخلاص العبادة لله وحده ، ومعنى (لا اله الا الله) هو اخلاص العبادة لله وحده ونفيها عن سواه بأي نوع من انواع العبادة . ومعنى شهادة أن (محمدا رسول الله) طاعته فيما امر ، وتصديقه فيما اخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر . ويعتقدون أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي اعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق ، وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء ، اذ هو افضل منهم بلا ريب ، وانه يسمع سلام المسلم عليه .

وتُسنُّ زيارته . الا انه لا يجوز شد الرِّحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه ولا باس ان يقصد مع ذلك زيارته ، ومن انفق نفيس وقته بالاشتغال بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين .

من افترى عليهم كذبا

وفي احد مؤلفاتهم يقولون : (اما من يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، باننا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق افهامنا من دون مراجعة شرح ، ولا مُعوّل على شيخ ، وأننا نضع من رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه،وليس له شفاعة ، وزيارته غير مندوبة ، وأنه كان لايعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه : (فاعلم انه لا اله الا الله) ، مع كون الآية مدنية ، وأننا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وأننا مُجَسِّمة ، وأننا نكفّر الناس على الاطلاق ، أهلَ زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ، وأننا لا نقبل بيعة احد . الا بعد اخذ اقراره انه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الشرك بالله ، وأننا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا، وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ، وأننا لا نرى حق اهل البيت رضوان الله عليهم، وأننا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ، وأننا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا .. نقول عن كل ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم . مَن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب وافترى ، وظلم نفسه . ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، تنفيرا للناس عن قبول التوحيد لله وحده بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بان الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لأننا نعتقد أن من فعل انواعا من الكبائر ، كقتل المسلم بغير حق ، والزنا،وشرب الخمر ، وتكرر ذلك منه أنه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في النار اذا مات موحدا بجميع أنواع العبادة) . انتهى .

والخلاصة : أن أتباع محمد بن عبد الوهاب هم سلفيون يعملون لنشر الاسلام الصحيح ، كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ، وأن ما يقال عنهم خلاف ذلك هو كذب وافتراء، وجدا بسبب الصراع الديني والسياسي الذي كان مسيطرا على الجزيرة العربية خلال فترة انطلاق الدعوة الجديدة . وقد تحدث الكثير من مفكري الشرق والغرب عن هذه الدعوة ، ووصفوها بما هي عليه ، مما لا يتسع له هذا المجال . وان واجب المنصف المحقق أن يتعرف على الحقيقة من مصادرها ، وقبل أن تتأثر بالأهواء والأغراض ، ثم يحكم فيها عقله ، بدلا من أن يأخذ بأقوال فريق في فريق آخر . ولولا خشية الاطالة لتحدثت كثيرا عن مؤلفات علماء الدعوة ، وردودهم على ما ووجهوا به من اكاذيب ، لكنني اثق بان فيما سبق ما يلقي بعض الأضواء على هذه الدعوة التي قيل عنها الكثير ، وافترق الناس حولها بين مؤيد ومعارض . ■■

حسن عبد الله آل الشيخ



التعليم في البلاد العربية

تقويمه في شتى مستوياته كماً وكيفاً

بقلم : جميل صليبا

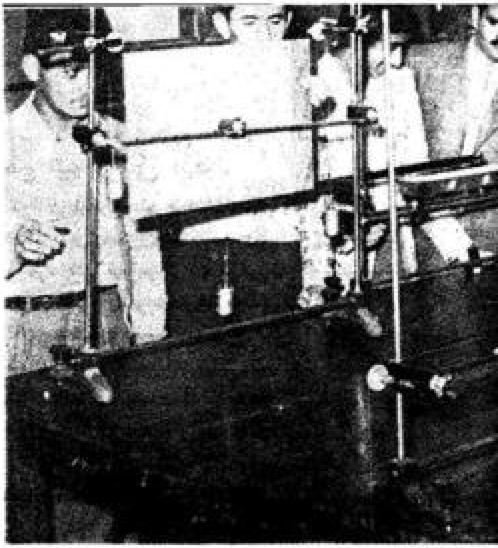
١ ـ مقدمة عامة :

اذا اردنا ان نحدد مستويات التعليم في البلاد العربية وجب علينا بناء هذا التحديد على استقراء احوال التعليم في كل بلد عربي على حدته ، حتى اذا اجتمعت لدينا نتائج هذا الاستقراء امكننا بعد مقارنتها بعضها ببعض ان نستخرج منها بعض الاحكام التي تصدق على العالم العربي كله .

ولما كان هذا الاستقراء لم يتم بعد كان لابد لنا في تحديد مستويات التعليم من الاعتماد على تجاربنا ومشاهداتنا الخاصة . هذا ما نريد ان ننبه عليه في بداية هذا المقال ، فان الحقائق العامة التي جمعناها فيه مستخرجة من مشاهداتنا ، وهي قد تصدق على العالم العربي كله او لاتصدق عليه . الا انها على كل حال تعبر عن بعض ظواهره الثقافية أحسن تعبير .

ولعل احسن وسيلة للكشف عن حقيقة هذه الظواهر قسمة البحث فيها قسمين : احدهما يتناول جانب الكم ، والاخر جانب الكيف . والمقصود بجانب الكم كل ما يمكن التعبير عنه بالاعداد او النسب الرياضية ، كنسبة عدد التلاميذ الى مجموع السكان ، الخ .. اما المقصود بجانب الكيف فهو صفة التعليم وجوهره، ماهي مناهجه وطرقه ووسائله ، وماهي طبيعة الاثر الذى يتركه في نفس المتعلمين ؟

وها هنا حقيقة اولى لابد من التصريح بها ، وهي أن بين جانب الكم وجانب الكيف علاقة



وثيقة ، لان كل زيادة فى الكم مصحوبة بتغير فى الكيف ، كما أن كل تحسين فى نوع التعليم يؤثر فى جانبه الكمي ، دع ان كل جانب من هذين الجانبين يتأثر بما يختلج فى صدور الناس من الميول والنزعات ، وبما يتصوره المجتمع من الأهداف القومية والانسانية .

ولنتكلم الآن عن كل جانب من هذين الجانبين على حدته :

٢ ـ جانب الكم :

تدل الاحصاءات التي بين ايدينا على أن مجموع السكان فى العالم العربي ارتفع بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٦ من (٩٢) مليونا الى (١٠٥) ملايين، وان عدد تلاميذ المسجلين فى مختلف مراحل التعليم ارتفع خلال الفترة نفسها من (٨) ملايين الى (١٢) مليونا .

وتدل هذه الاحصاءات ايضا على أن نسبة الزيادة فى عدد التلاميذ مختلفة باختلاف مراحل التعليم ، والدليل على ذلك :

١ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الابتدائي ارتفع من (٦ر٣٠٠ر٠٠٠) الى (٩ر٧٠٠ر٠٠٠) اى بنسبة مئوية سنوية قدرها ٩٪ (٨ر٥٪ للبنين و ١٠٪ للبنات) .

٢ ـ وان عدد تلاميذ التعليم الثانوى فى عشر دول (وهي العراق، والاردن ، والكويت ولبنان ، وليبيا ، والمغرب ، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان وسورية وتونس) ارتفع من (١ر١٢٤ر٠٠٠) الى (١ر٩٤١ر٠٠٠) اى بنسبة مئوية سنوية قدرها ١١ر٦٪ (١١ر١٪ للبنين و ١٢ر٩٪ للبنات) .

٣ ـ وان عدد طلاب التعليم العالي ارتفع من (١٤٥ر٠٠٠) الى (٢٤١ر٠٠٠) اى بنسبة مئوية سنوية قدرها ١٣ر٥٪ (١٣٪ للطلاب و ١٥ر٨٪ للطالبات) .

ويكفي أن يطلع المرء على هذه الاحصاءات حتى يعلم ان كل مرحلة من مراحل التعليم حققت زيادة فى عدد تلاميذها ، الا ان نسبة الزيادة فى عدد طلاب التعليم العالي أعلى مما هي عليه فى عدد تلاميذ التعليم الابتدائي او الثانوى ، كما ان نسبة الزيادة فى عدد البنات أعلى مما هي عليه فى عدد البنين .

واذا علمنا ان توزيع السكان فى العالم العربي بين فئات السن المختلفة يدل على أن ٥٠٪منهم لايتجاوزون العشرين من سنهم ، وان ١٧٪ تترجح اعمارهم بين السادسة والحادية عشرة ، علمنا ان عدد الاطفال الذين لم يكتب لهم دخول المدارس الابتدائية يبلغ (٨ر٥٠٠ر٠٠٠) . فما بالك اذا كان عدد السكان يزداد كل عام بنسبة مئوية لاتقل عن ٢ر٧٥٪ وكانت الجهود التي تبذلها الدول العربية لنشر التعليم الابتدائي لاتتناسب مع زيادة عدد الاطفال .

مقارنات عامة

لاشك أن عدد التلاميذ فى كل مرحلة من مراحل التعليم يختلف باختلاف مدتها ، ولايمكننا ان نقايس بين عدد تلاميذ التعليم الابتدائي فى بلد وعددهم فى آخر الا اذا كانت مدته فيهما واحدة . ولكننا اذا ادخلنا فى حسابنا هذه الاختلافات امكننا ان نستخرج منها بعض المقارنات العامة وهي :

١ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الابتدائي فى العالم العربي لايزيد على ٥٢ر٣٠٪ من مجموع الاطفال الذين تترجح اعمارهم بين السادسة والحادية عشرة ، على حين ان نسبتهم فى بعض البلدان الراقية (كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية) تبلغ ١٠٠٪ تقريبا .

٢ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الثانوى فى البلاد العربية يعادل ٢٠ر٥٪ من مجموع التلاميذ على حين أن متوسط هذا العدد يبلغ فى مختلف بلدان

العالم ٢٢٫٥٪ وفي الولايات المتحدة الامريكية ٣٥٫٧٪ .

٣ – ان نسبة طلاب التعليم العالي الى مجموع التلاميذ تبلغ في البلاد العربية ٢٫٦٪ على حين ان متوسط هذه النسبة في مختلف بلدان العالم ٣٫٧٪ وفي الولايات المتحدة الامريكية ١٢٫٩٪ .

ونحن اذا قايسنا بين عدد المعلمين وعدد التلاميذ نستطيع ان نستخرج من ذلك بعض الحقائق فمتوسط عدد التلاميذ في صفوف التعليم الابتدائي يبلغ في العالم العربي ٤٠ تلميذا ، وهو في المدن اعلى منه في الارياف ، حتى ان بعض مدارس المدن الغاصة بالسكان تشتمل على صفوف يزيد عدد تلاميذها على الستين . اما عدد المعلمين المؤهلين تربويا فانه لايزيد في مجموع البلاد العربية على ٢٢٪ من مجموع المعلمين . اضف الى ذلك ان التعليم الفني اقل نموا من التعليم الثانوى العام ، لان تلاميذه وتلاميذ دور المعلمين لايزيدون على ١٦٪ من مجموع تلاميذ المرحلة الثانية في حين ان تلاميذ التعليم الثانوى العام يبلغون ٨٤٪ .

ومع أن التعليم العالي قد تطور في البلاد العربية تطورا كبيرا فان ٨٠٪ من طلابه (كما في الاردن) يتابعون دراستهم في البلاد الاجنبية ، كما ان ٨٥٪ منهم (كما في سورية والمملكة العربية السعودية) لايزالون ينتسبون الى الكليات النظرية والادبية .

ونتيجة ذلك كله واضحة جدا . وهي ان التعليم في البلاد العربية خال من التوازن ، ويظهر هذا الخلل في التوازن : (١) بين نمو التعليم الابتدائي والتعليم الثانوى والتعليم العالي (٢) وبين نمو التعليم الفنى ونمو التعليم العام . (٣) وبين نمو تعليم البنين ونمو تعليم البنات (٤) وبين التعليم في المدن والتعليم في الارياف الخ .. ولعل اعظم خلل في التوازن هو الخلل الذى نشاهده بين جانب الكم وجانب الكيف ، لان الزيادة في عدد المدارس والتلاميذ والمعلمين لم تكن مصحوبة بتحسن حقيقي في مستويات التعليم .

٣ – جانب الكيف :

قلنا سابقا ان المقصود بجانب الكيف نوع التعليم وجوهره والأثر الذى يتركه في نفوس المتعلمين ، فما هي صفة التعليم العربي الحديث . وماهو جوهره ، هل يعد الشخصية الانسانية الكاملة ، ويزود المجتمع بالطاقات البشرية التي يحتاج اليها في بلوغ غايته ؟

لابد في الحكم على قيمة التعليم الذى نزود به اطفالنا من نسبة مناهجنا وطرقنا ووسائلنا الحاضرة الى ما يجب ان تكون عليه بحسب الصورة الغائية المرتسمة على صفحات اذهاننا . فاذا وجدنا في هذا التعليم صفة منافرة لهذه الصورة الغائية سميناها عيبا ، واذا وجدنا فيه صفة متفقة مع هذه الصورة الغائية سميناها كمالا .

لاشك أن هذه الصورة الغائية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فما كان كمالا بالنسبة الى زمان ، قد يكون عيبا بالنسبة الى آخر ، وما كان حقا عند مجتمع قد يكون باطلا عند غيره . ونحن وان كنا نعتقد أن هناك قيما انسانية مشتركة بين جميع الناس ، الاسود منهم والابيض ، الا اننا نرى مع ذلك ان لكل شعب احوالا تخصه ، وان التربية ، وهي وسيلة لتحقيق الكمال الانساني ، لاتستطيع ان تكون منافرة لاحوال المجتمع ، ولا لشروط الزمان المقارن له . فماهي الصورة الغائية للتربية في المجتمع العربي الحديث ؟

ميثاق الوحدة الثقافية العربية

لقد كفانا ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذى اقره مؤتمر وزراء التربية والتعليم المنعقد في بغداد سنة ١٩٦٤ مؤونة تحديد هذه الصورة الغائية فقد جاء فيه « ان هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربي ، واع مستنير ، مؤمن بالله ، مخلص للوطن العربي ، يثق بنفسه وبأمته ، ويدرك رسالته القومية والانسانية في السلوك الفردي والاجتماعي ، جيل يهيىء لافراده أن ينتموا شخصياتهم بجوانبها كافة ، ويملكوا ارادة النضال المشترك ، واسباب القوة والعمل الايجابي متسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي ، والسير به قدما في معارج التطور والرقي ، وفي تثبيت مكانة الامة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة » ، وجميع الاتفاقات الثقافية والمؤتمرات ، والحلقات التربوية ، التي انعقدت قبل مؤتمر بغداد وبعده حاولت ان تحدد للعالم العربي اهدافا تربوية موافقة لأحواله النفسية والاجتماعية والانتروبولوجية والاقتصادية والانسانية .

آمال لم تتحقق

ولكن هذه الاهداف المشتملة على الكثير من الآمال لم تترجم حتى الان الى مناهج وطرق عملية صالحة ، وهبها ترجمت في بعض البلدان العربية ، فان ترجمتها المبنية على الارتجال لم تقترن بارتقاء مستوى التعليم لاسباب كثيرة : منها اضطراب المناهج ، وضعف المدرسين ، وفساد طرقهم ووسائلهم ، واضطراب النظام المدرسي ، والتساهل في الامتحانات ، وانصراف التلاميذ عن العمل المدرسي الى العمل السياسي ، واعراضهم عن الجهد والداب والمشقة وميلهم الى الاستمتاع بمفاتن الحضارة الحديثة دون وقاية انفسهم من مخاطرها .

المعايير تختلف مع الزمان

ولايخفى ان المعايير التي نطبقها اليوم على مستوى التعليم تختلف عن تلك التي كنا نطبقها في الماضي ، لأن لكل زمان مستويات تتناسب مع حاجاته ، ولذلك وجب علينا عند الحكم على مستوى التعليم ان نقدر قيمته بالنسبة الى حاجات زماننا لا بالنسبة الى حاجات الزمان السابق . فاذا طبقنا هذا المعيار قلنا ان الطالب الذى يتقن العلوم النقلية ، ولا يتقن شيئا من العلوم العقلية والتجريبية لايستحق الحياة في زماننا ، وكذلك الطالب الذى يتقن العلوم الحديثة ولايحسن التعبير عن أفكاره بلغة عربية صحيحة فهو عربى بنسبه أجنبي بثقافته .

مستوى التعليم منخفض

وسواء أنسبنا مستوى التعليم في مدارسنا الى شروط الزمان الحاضر امنسبناه الى شروط الزمان الماضي ، فهو في كلا الحالين منخفض : منخفض بالنسبة الى حاجاتنا الحاضرة ، لانه لم يستوف حتى الآن شروط التقدم الحضاري في العلم والتكنولوجيا ، ومنخفض بالنسبة الى الماضي لانه فقد خصائصه القديمة دون الاستعاضة عنها بخصائص جديدة موافقة لروح العصر ، فما بالك اذا كان المتخرجون في مدارسنا لا يتقنون الرياضيات الحديثة ولا يعرفون ما طرأ على علم الفيزياء من تطور عجيب .

مظاهر انخفاض التعليم وأسبابه

ومهما يكن من أمر فان لانخفاض مستوى التعليم في مدارسنا عدة مظاهر منها جهل الطلاب بكثير من الحقائق العلمية لان ثقافتهم العامة أشبه شيء بارخبيل من الجزر المتفرقة التي لا سبيل الى وصل اطرافها بعضها ببعض ، فالبارع منهم في التاريخ والأدب يجهل الحقائق العلمية البسيطة ، والبارع في النظريات العلمية يجهل قواعد اللغة العربية . دع أن اتقان الطالب لاحدى المواد العلمية مشتمل على الكثير من الفجوات لأنه يرتقي من صف الى صف من دون أن يحيط بجميع مقرراته ، ونتيجة ذلك أن أكثر الطلاب الذين نوفدهم الى الجامعات الاوربية يضيعون سنة أو سنتين في استكمال ما ينقصهم ، لا لجهلهم باللغات الأجنبية فحسب ، بل لضعف مستواهم العلمي ، وليس الطلاب الذين يتابعون دراستهم في الجامعات العربية أحسن حالا من الطلاب الذين نوفدهم الى الغرب ، انهم لا يتقنون اللغة العربية ولا اللغات الأجنبية ، ولا يطالعون الا الكتب والامالي المقررة . وجميع الأساتذة الذين مارسوا التعليم في جامعاتنا يعلمون أن طلابهم يضيقون عن مراجعة المصادر العلمية ، فكم طالب مال الى الاقتصاد في الاجتهاد ، فاقتصر على مطالعة المحاضرات المطبوعة التي لا تحيط بجميع جوانب المنهج ، يحفظ ما فيها عن ظهر قلبه استعدادا للنجاح في الامتحان ، وكم طالب تخرج في كليات الهندسة وهو لا يلم بشيء من العلوم الانسانية ، وكم طالب برع في النظريات العامية وعجز عن اصلاح جهاز كهربائي بسيط موجود في داره ، ماذا أصف من حال طلابنا الذين لا يحبون أن يرتووا من العلم الا بمقدار . هل أذكر ضيق أفقهم العلمي ، وضعف تفكيرهم المنطقي وجهلهم بطرق البحث ، أم أذكر ما تعودوه من الاخلاد الى الراحة والميل الى اللين والسهولة ، حتى اذا نجحوا في الامتحان أغلقوا كتبهم ، وانفوا من مطالعة المجلات والكتب الجديدة ، فاذا هم بعد مدة من الزمان ينسون ما تعلموه على مقاعد الدرس ، ويعودون الى حالة من الجهل المقنع ، مع أن المثل الأعلى للتربية تعليم الطفل كيف يتعلم بنفسه .

لقد جاء في المثل الصيني :

« اذا أعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة ، ولكنك اذا علمته صيد السمك بنفسه تغذى كل أيام حياته » .

فعلنا اذا تذكرنا هذه الحقيقة نستطيع أن نقول ان اعراض طلابنا عن متابعة التعليم بأنفسهم وانصرافهم الى الحفظ ، وتلقن المعلومات ، دون

تنمية قواهم العقلية،واكتفاءهم من العلم بما يضمن لهم النجاح في الامتحان كل ذلك يحول دون تحسين مستواهم الثقافي ، وتنمية قدرتهم على الاختراع والابداع .

المستوى الأخلاقي ينخفض مع المستوى العلمي ، ومعه يرتفع

ونحن نعتقد ان للمستوى العلمي علاقة بالمستوى الأخلاقي ، فاذا رأيت طالبا يفضل الحياة السهلة الرخيصة على الحياة المثالية الشريفة ، يشك في نفسه وفي جدوى علمه ، وينقاد لعواطفه وأهوائه وغرائزه ويضيق عن بذل الجهد في نظام،ويستحقر القيم العقلية والأخلاقية ،ويتعصب لارائه فلا يذعن للحقيقة ، ولا يعترف لغيره بالفضل ، ولا يتحلى بالصبر والثبات والاخلاص والتواضع والتسامح والشجاعة الأدبية ، فاحكم عليه بالاخفاق في علمه وعمله . ان الشجاعة الأدبية توجب البحث عن الحقيقة ، والاعتراف بالحقيقة ، والعمل بالحقيقة فاذا فقد الطالب هذه الشجاعة مال الى تصديق كل ما يقال له دون تمحيصه ونقده ، وغلب عليه التعصب ، وتشتت الفكر ، والاقتناع بالقليل من العلم ، وكان له في سلوكه حالتان أحداهما الرغبة في النجاح بأقل عدة ،وثانيتهما الاخلاد الى الراحة والسكينة ، والاعراض عن مواصلة التعليم .

ثورة الجيل الجديد وأسبابها

لا شك ان الجيل الجديد يمتاز عن الجيل القديم بشدة وعيه القومي والسياسي، وميله الى الحرية والاستقلال الذاتي . ولكن هذا الوعي المصحوب بتشتت الفكر ، وضعف الارادة ، وفقدان الاتزان النفسي ، ونقص التنظيم العملي لا يزيد صاحبه الا بعدا . فما بالك اذا كان الميل الى الحرية والاستقلال يسوق الجيل الجديد الى الثورة على كل شيء ، يثور على التقاليد القديمة ، ويتهم الجيل السابق بالتقصير ، وينحو باللائمة على أوضاع اجتماعية وسياسية لم توفر له سبل السعادة . وهذه ظاهرة عالمية امتد شرارها من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب ، حتى شملت معظم بلدان العالم ، ففي كل بلد روح ثورية تأججت في نفوس الطلاب ، وفي نفس كل طالب قلق على مصيره ، وخوف على مستقبله ، وشك في قيمة الاصلاحات التي تقوم بها الدول لتوفير العمل لجميع أصحاب الشهادات .

وهذه الروح الثورية لا ترجع الى سرعة تغير العالم الحديث بتأثير التقدم العلمي والتكنولوجي ، ولا الى فقدان التوازن بين الكفايات البشرية التي تمدها الجامعات وامكانات العمل التي يهيئها المجتمع لابنائه ، ولا الى تقصير الدول في استغلال مواردها الطبيعية ، وتنظيم حياتها الاقتصادية فحسب ، بل ترجع في نظرنا الى أسباب فكرية وسياسية وتربوية : منها التوتر الذي عم العالم الحديث بتأثير الاختلافات الأيديولوجية ، ومنها عجز الدول عن تطبيق المبادىء الديمقراطية تطبيقا صحيحا ، ومنها تفنن التربية الحديثة في اثارة اهتمام الأطفال ومراعاة ميولهم وتيسير كل شيء لهم حتى يحصلوا عليه دون جهد ومشقة ، فكأن العالم الحديث بركان ثائر ، أو مريض الحت عليه العلل حتى أمضته ، وكأن الطفل اله معبود في الأسرة والمدرسة ، لا هم لأبويه أو معلميه الا ملاحظته بعين عنايتهم ، وكأن الآباء والمعلمون لا يجبنون عن مقاومة غرائز الطفل الا لأشفاقهم على أنفسهم منه ! .

ثورة الشباب العربي لأي أسباب أخرى

وربما كان لهذه الثورة في البلدان العربية أسباب أخرى غير هذه ، فان هذه البلدان الحديثة العهد باستقلالها لم تستطع حتى الآن أن تقضي على الفقر والمرض والجهل ، ولا على العصبيات الاقليمية والطائفية والقبلية ، ولا على الفوضى الادارية والتبذير المالي . نعم انها حققت كثيرا من الاصلاحات في ميدان الصناعة والزراعة ، والصحة ، والتربية ، والادارة ، ولكن هذه الاصلاحات لم تؤت بعد أكلها ، فظل المجتمع العربي من جراء ذلك مجتمعا قلقا تحيط به الأخطار من كل جانب ، وتتوزعه المخاوف الاستعمارية والاختلافات السياسية . وهو بالاضافة الى ذلك مجتمع حائر بين القديم والحديث ، يعتز بماضيه ويفاخر الأمم بحضارته القديمة ، ثم يجد نفسه أمام حضارة أوربية تستهويه عجائبها وتفتنه مظاهرها . فلا غرو اذا شعر الجيل الجديد بالقلق والاضطراب ومال الى الثورة على القديم تارة وعلى الحديث أخرى . ونتيجة ذلك كله ان الشعور بالقلق والخوف من المستقبل المظلم ، واضطراب القيم الاجتماعية والسياسية ، واشتداد الميل الى الأيديولوجيات المستوردة من الخارج كل ذلك من شأنه ان يمنع الجيل الجديد من التمتع بنعمة الاستقرار .

سوء في التخطيط ورسم المناهج

لقد حاولت بعض البلدان العربية أن تتغلب على هذه العلل باتباع سياسة التخطيط ، فوضعت كثيرا من المشروعات لتنمية اقتصادها القومي ، وعدلت مناهجها التربوية عدة مرات للوفاء بحاجات التنمية . ولكن هذه التعديلات لم تبن على دراسة الواقع دراسة نفسية واجتماعية ، بل بنيت على الارتجال أو التقليد . فلا غرو اذا أدى تطبيق هذه المناهج الى الاخلال بالتوازن بين حاجات المجتمع الحديث ووسائله ، مثال ذلك ان الساعات الخاصة بالمواد الادبية في مناهج التعليم الابتدائي تزيد على ٤٥٪ على حين أن الساعات الخاصة بالمواد العلمية كلها لا تزيد على ٢٤٪ ، وهذا وحده كاف للدلالة على أن مناهج التعليم الابتدائي لا تزال حتى الآن مناهج نظرية لا تنفع في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية الا في حدود ضيقة . فما بالك اذا كانت نسبة الأمية في البلدان العربية تترجح بين حد أدنى قدره ٣٥٪ وحد أعلى وقدره ٩٠٪ ، ولا نغالي اذا قلنا ان البلاد العربية لم تستطع حتى الآن أن تفصل التعليم على أبعاد التركيب المهني ، ولا أن تعمل على تحقيق التوازن بين عدد الاختصاصيين وحاجات العمالة في القطاعات الاقتصادية المختلفة ، ولا أن تجعل المتخرجين في المدارس في مأمن من التعطل عن العمل . وليس ينجي البلاد العربية أن يزعم الزاعمون ان لها في بلدان البحر الأبيض المتوسط اشباها ونظائر وانما ينبغي لها أن تضاعف جهودها وتستغل ثرواتها الهائلة حتى تبلغ أعلى المستويات .

٤ ـ النتيجة :

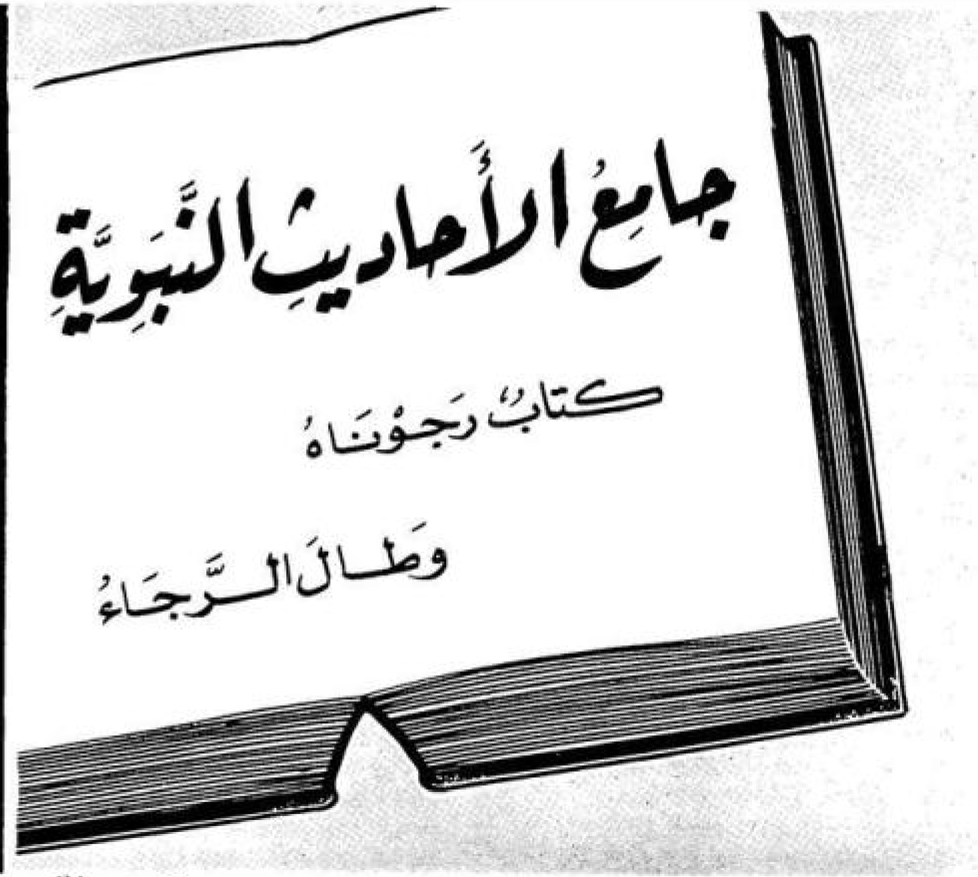
وجملة القول أن لانخفاض مستويات التعليم في البلدان العربية أسبابا كثيرة ، ذكرنا منها على سبيل المثال اضطراب مناهج التعليم ، ونقص المعلمين الاكفياء ،وفساد طرق التعليم ،واضطراب النظام الاداري ، وانتشار القلق السياسي ، وفقدان التخطيط التربوي ، واشتداد القلق والاضطراب والشك في نفوس الشبان ، والخلل في التوازن بين جانبي الكم والكيف .

لقد عنينا حتى الآن بنشر التعليم في جميع طبقات الشعب عملا بالمبادىء الديمقراطية ، فاكثرنا من عدد المدارس وعدد المعلمين والمتعلمين ، ولكننا لم نعن حتى الآن بصفة التعليم وجوهره عناية كافية . واذا كانت جملة المعرفة التي لدينا محدودة فان توزيعها بين هذه الكثرة من التلاميذ يشبه صب كمية محدودة من الماء في عدد كبير من القدور ، كلما زاد عدد القدور خف عمق الماء المصبوب في كل كل واحد منها . وقد نشأ عن هذا التباين بين الكم والكيف أزمة ثقافية شبيهة بالازمات التي يمر بها الطفل في بعض مراحل نموه ، اذ يزداد نموه الجسمي، ويتاخر نموه العقلي فيقع في الاضطراب. وهذا يصدق على كل مجتمع نمت قواه المادية وتضخم عدد سكانه ،وانتشرت فيه آلات الحضارة الحديثة ، وازدادت فيه أسباب الرخاء المادى بسرعة هائلة وبقيت قواه الروحية على ما هي عليه من الركود الزمن . فاذا أراد هذا المجتمع ان يتغلب على تخلفه التربوى وجب عليه أن يوفق بين الكم والكيف اى ان يحسن جوهر التعليم ويرفع مستواه حتى ينمي المدارك العقلية ويجعل ابعادها متفقة مع الأبعاد المادية الظاهرة .

ولست أريد ان اصف دواء تستشفى به كل دولة عربية ، فان أدوية الشفاء مختلفة باختلاف الداء ، ولكنني اريد ان اقول ان اصلاح المناهج دون تزويد المدارس بالمعلمين الاكفياء لا ينفع غلة ولا يشفي علة . فان المجتمع العربي الحديث لا يبلغ غايته الا اذا توافرت لديه العقول المبدعة القادرة على استثمار موارد الطبيعة ، وتنظيم الحياة الاجتماعية . ولا يكفينا في ذلك ان ننشىء الطلاب على اتقان المواد العلمية بل ينبغي ان نعودهم حب النظام والاضطلاع بالمسؤولية والاعتماد على النفس والميل الى بذل الجهد ، والشعور بضرورة استعمال كل ساعة من ساعات حياتهم في تجديد انفسهم وتحسين عملهم .

اقول هذا ولا يزال في نفسي اشياء اخرى كثيرة أريد أن أقولها الا ان مجال هذا البحث لا يتسع لذلك فلاقتصر اذن على القول أن انحطاط مستوى التعليم عند طلابنا لا يرجع الى اضطراب مناهجنا وضعف معلمينا وفساد طرقنا ووسائلنا فحسب ، بل يرجع الى اضطراب قيمنا العقلية والاخلاقية والى اعراضنا عن المبادىء المثالية . ان الانسان كما قيل هو الحيوان الذى ينظر الى فوق فاذا رضي بالواقع المحدود ، ولم يعود نفسه الداب وبذل الجهد ، ولم يعمل على تفجير طاقاته المبدعة لم يكن سيد نفسه ولا سيد الطبيعة . ■■

جميل صليبا



بقلم : عبد الستار فراج

■ عنى السابقون من علمائنا بالحديث النبوى ورواياته وأسانيده . والاشارة الى مواضعه فى كتب الحديث المشهورة ،كصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، ومسند أحمد ، وموطأ مالك ، وغيرها .

وكانت مراجعهم فى كل ذلك كتبا مخطوطة صعبة التناول ، وحفظا قويا وتلقيا من شيوخهم فى أمانة واخلاص .

والحديث الواحد يتكرر كله أو بعضه فى المؤلف الواحد . فى باب أو أبواب مختلفة ، مع اتفاق فى أسانيده أو اختلاف . هذا الى جانب اتفاقه أو اختلافه فى المؤلفات الأُخَر .

وبين أيدينا اليوم كثير من مطبوعات الكتب الصحيحة في الاحاديث ، قد نقرأ نصا في بعضها ، فنجد أحد الشراح مثلا يقول : رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي .. الى آخر ما يذكره من المؤلفات . فنقف حائرين ، متسائلين : فى أى جزء من أجزاء هذه الكتب ورد ذلك النص ، وفى أى صفحة من صفحاتها ؟ وهل تتفق روايته أو تختلف ؟ وهل هو جزء من نص طويل،اونص قائم بذاته وهل تسبقه أسباب لوروده ؟ وما هى تلك الاسباب ؟

لو أننا استطعنا أن نصل الى الأجوبة عن تلك الأسئلة وغيرها لأصبنا من فهم النص والاهتداء بهديه خيرا كثيرا .

ولكن ، من أين لنا ذلك ، والفهرسة الدقيقة معدومة ، والاحالة الكثيرة الوافية على مواطن النص غير موجودة .

> المستشرقون خدموا، بتبويبهم وفهارسهم، الأحاديث خدمة كبرى، كما خدموا بذلك القرآن الكريم. ونحن على كثير من جهودهم اعتمدنا.

واذا التمسنا العذر للسابقين ، لقلة امكاناتهم ، مع حرصهم الشديد على أن يفيدونا ما استطاعوا ، فلا مبرر لالتماس العذر لنا ، وفي امكاننا ان نفعل الكثير لافادة جيلنا والأجيال المتعاقبة . فالأحاديث لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، وهي بلغتنا العربية ، وليست بلغة أجنبية عنا . ونحن الذين ندرس شريعة الرسول في معاهدنا وجامعاتنا ، ونستفيد من الفاظ أحاديثه في معاجمنا وأساليبنا ، وقدرتنا الآن ، وتفتح اذهاننا ، واهتمامنا بتراثنا ، تحتم كلها علينا ان ننهض بحمل هذه الأمانة غير مقصرين ولا متخلفين .

تقدير للمستشرقين

واننا اذ نتطلع الى عمل مجيد تقوم به فئة عربية مسلمة ، ذات قدرة على الفهم ، وخبرة في البحث ، ومعرفة بالتنظيم الدقيق . لنتذكر بكل تقدير واعجاب ـ مع شعور بالخجل والتقصير ـ ما قام به المستشرقون من خدمة لمصادر تشريعنا بقطع النظر عما يكون وراء هذه الخدمة من أغراض حقيقية أو محتملة أو متوهمة .

خدمة لألفاظ القرآن ومباحثه

ولئن كنا في معرض الكلام عن الاحاديث وطريقة تيسير الوصول الى نصوصها المختلفة والمتفقة في مؤلفاتها المتعددة فلا يفوتنا التنويه بأن المستشرق الألماني « فلوجل » Gustav Flügel (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠م) كان له الفضل في فهرسة الفاظ القرآن منذ أكثر من قرن في كتابه المسمى « نجوم الفرقان » .

على أن المسلمين كان لهم فضل السبق في هذا ، فهناك كتاب اسمه « ترتيب زيبا » أي الترتيب الجميل . وضعه حافظ محمود الورداري ، من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٤ هجرية وطبع في الآستانة سنة ١٢٨٤هـ ، وهو رتب فيه كلمات القرآن من حيث أوائلها . وليس من المستبعد أن يكون سبقته محاولات أخرى . لكن كتاب « نجوم الفرقان » للمستشرق الألماني « فلوجل » كان أدق منه وأوفى بكثير وقد فتح لبعض المؤلفين المسلمين أن يفهرسوا ألفاظ القرآن فهرسة وافية ، ومع ما ألفوه تركوا كثيرا من الحروف وأسماء الاشارة وأسماء الاستفهام ..

ومن كتاب « فلوجل » استمد الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » وهو في الحق كان له بذلك أعظم الأيادي على الناس .

كما لا يفوتنا التنويه بفضل المستشرق الفرنسي « جول لابوم » في فهرسته لبعض مباحث القرآن الكريم في كتابه « تفصيل آيات القرآن الكريم » والذي طبعه معربا أرقامه وذاكرا آياته الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أيضا .

أعظم الخدمات للحديث

واذا كان كتاب « مفتاح كنوز السنة » الذي ألفه المستشرق الانجليزي ى . ونسنك J. A. Wensinck المولود سنة ١٨٨١ والمتوفي سنة ١٩٣٩ ، والذي قام بنقله الى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية في حوالي أربعة عشر مؤلفا فان « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » يعد في قمة الأعمال التي

قام بها المستشرقون وعلى راسهم « أ . ى . ونسنك » فخدموا كل باحث او طالب للحديث في الكتب التسعة الآتية : (١) صحيح البخارى (٢) صحيح مسلم (٣) سنن الترمذى (٤) سنن النسائى (٥) سنن ابى داود (٦) سنن ابن ماجة (٧) موطأ مالك (٨) مسند أحمد ابن حنبل (٩) مسند الدارمي .

نظام المعجم المفهرس لالفاظ الحديث

ومن عنوان الكتاب نعرف انه يستخلص الالفاظ اللغوية من كل حديث ، في كل مؤلف من هذه المؤلفات ، ثم يرتبها ترتيبا هجائيا ، ثم ترتيبا لغويا ، كأنه معجم في اللغة مراعيا البدء بالهمزة ، تماما كما ترتب المعاجم اللغوية الحديثة في المادة من المجرد والمزيد والافعال والاسماء الا انه لا يشرح لك المعاني ، بل كل همه أن يوصلك الى نص الحديث بجميع رواياته في الآلاف من صفحات هذه المؤلفات التسعة .

لم يذكروا الصفحات لكثرة الطبعات

ولما كانت مؤلفات الحديث لها عدة طبعات ، كالبخارى ومسلم . واغلب المؤلفات في الحديث تسمى كل موضوع باسم « كتاب » مثل « كتاب الصلاة » « كتاب الصوم » « كتاب الحج » « كتاب الزكاة » وهذه الكتب : ككتاب الصلاة وكتاب الصوم .. تشتمل على أبواب قد تتجاوز المائة بل المائتين ، وقد تقل عن ذلك كثيرا ، فان فهرسة الكلمات في «المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » لا تذكر جزءا ولا صفحة مما هو مطبوع ، وانما تذكر اسم الكتاب ، ورقم الباب الذى جاء فيه ، بعد أن تذكر رمز المؤلف من هذه التسعة ، ما عدا مسند الامام احمد بن حنبل فانها تذكر رقم الجزء ورقم الصفحة منه .

فعليك اذن أن تعرف أسماء الكتب وترتيبها في كل مؤلف من هذه الثمانية ، ثم المطلوب منك أن تعد الابواب الى ان تصل الى ما تريد ، وفي هذا عناء كثير ، ولكنه كان بالنسبة لعملهم وما قدموه تيسيرا كبيرا لمن يعنيه البحث والاستقصاء ،حقيقة انهم ذكروا كتب كل مؤلف وترتيبها فيه ، وعدد ما فيها من ابواب ، لكن الطبعات المتعددة ، وكثرة الابواب ، وكثرة الاجزاء ، لا تجعل الامر سهلا ، ولا في متناول كل من يبغيه .

وهذا نموذج من هذا المعجم في مادة (دنــو) « دنيا يريدها .. » خ ــ اى البخارى ــ بـدء الوحي ١ ايمان ٤١ مناقب الانصار ٥ عتق ٦ نكاح ٥ أيمان ٢٣ حيل ١ .

م ــ اى مسلم ــ امارة ١٥٥ .

د ــ أى ابو داود ــ طلاق ١١ .

ن ــ أى النسائي ...

المعجم والعاملون فيه والمنفقون عليه

وقد ظهر الجزء الاول من هذا العمل الضخم في سنة ١٩٣٦ وكتب عليه ما يأتي :

« الاتحاد الاممي للمجامع العلمية

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى

عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل

رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين

ونشره

الدكتور أ . ى . ونسنك

استاذ العربية بجامعة ليدن

الجزء الاول (١ ــ ح)

مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦ م

ولما كان العمل في غاية الدقة والمشقة فان الجزء الثاني ظهر في سنة ١٩٤٣م وكان الدكتور « أ .ى . ونسنك » قد توفى سنة ١٩٣٩ ، فاضيف من الاسماء التى نشرته :

الدكتور ى . ب . مَنْسِنْج

محاضر العربية بجامعة ليدن

وكان هذا الجزء من مادة (حب) الى مادة (سنر)

وظهر الجزء الثالث وهو من مادة (سنم) الى مادة (طعم) في سنة ١٩٥٥ وكتب عليه :

« ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره

أ . ى . ونسنك

أتبع نشره

ى . ب منسنج و و . ب . دى هاس

و ى . ب . فَنْ لون

مع مشاركة

محمد فؤاد عبد الباقي

والمساعدات المالية هي من

المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية والهولندية والأنيسكو ، والك.ف.س والهيئة الهولندية للبحث العلمي البحت ، والاتحاد الأممي للمجامع العلمية »

ونلاحظ هنا أن أحد علماء المسلمين وهو محمد فؤاد عبد الباقي كتب اسمه مشاركا لهم ، والذى أعلمه انه كانت تأتيه الملازم من ليدن فيراجعها ويستدرك عليها ، أو يصحح ما قد يكون فيها من خطأ ، وذلك بعد أن أرسل لهم مبديا ملاحظاته على ما سبق طبعه . وكان ، كما في المقدمة ، من الهيئة الاستشارية .

كما نلاحظ أن المجامع العربية والهيئات الاسلامية لا ذكر لها في هذا العمل ، لا من الناحية العلمية ولا من ناحية المساعدات المالية . اللهم الا اذا كانت جملة : « الاتحاد الأممي للمجامع العلمية » تشمل بعض المجامع العربية . وانه لرجاء لا يرتفع الى درجة الذكر والتقدير .

وتوالت بعد ذلك قطع من الأجزاء ، كل قطعة في ثمانين صفحة ، الا انه اضيف الى مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي مشاركة :

ى . ت ، ب دى بروين

وحين وصل العمل الى الجزء الخامس الذى طبع سنة ١٩٦٥ والمنتهى الى مادة (كرم) كتب عليه ما يأتي :

« ابتدا ترتيبه وتنظيمه ونشره
أ . ى . ونسنك ، و ى . ب منسنج
اتبع نشره
ى . بروخمان »

ونلاحظان اسم الأستاذ محمدفؤاد عبد الباقي قد حذف من الكتاب . واذكر أن ذلك يرجع الى كبر سنه وانه أصيب بضعف شديد في بصره ، وذلك قبل وفاته رحمه الله .

وقد وصل المستشرقون الى قرب نهاية العمل في سنة ١٩٦٦ اذ انهم وصلوا الى مادة (نذر) في الجزء السابع .

على ان القيمة المادية لهذا المعجم على الرغم من ارتفاعها اذ تتجاوز مائتي دينار هي قليلة بجانب الخدمة العلمية لكتب الحديث المذكورة ، ولعلهم اوشكوا على الانتهاء منه .

وكل عمل قابل للنقد

واذا كنت قد بينت ما في هذا العمل من مجهود ومثابرة ، وتقدير لكل مشاركة بالعلم أو المال ، فانني اذكر أن الكمال لله وحده ، وأن الخطأ قد يغلب الانسان على أمره .

فلقد يخيل الى من يرجع الى هذا « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » أنه استوفى كل ما جاء في الكتب التي فهرسوها ، لكن المتتبع لها قد يخيب ظنه بعض الشيء ، حين يلمس فيها نقصا ونسيانا .

فالحديث الأول في صحيح البخاري « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه » فيه عدة روايات وزيادات في الفاظ منها : « العمل ، الأعمال » «النيةالنيات» «هجرة» «دنيا يصيبها» «امرأة» « ينكحها » « يتزوجها » ...نجدهم في مادة (دنو) تحت عنوان « فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها » نسوا مسند احمد بن حنبل في موضعين ونسوا الترمذى .

وفي مادة (زوج) نسوا ابن ماجه ، وموضعا في النسائي ، وموضعا في مسند ابن حنبل .

وفي مادة (عمل) « العمل بالنية » نسوا موضعا في مسند أحمد . وفي مادة (عمل) أيضا « الاعمال بالنيات » نسوا الترمذى ، وموضعا في مسند احمد ، وفي مادة (صوب) نسوا الترمذى وابن ماجه ، وموضعين في مسند أحمد .

هذا من ناحية النسيان ، اما من ناحية الوهم فقد اضافوا موضعين في النسائي في مادة (دنو) تحت عنوان « فمن كانت هجرته الى دنيا .. » وليس فيهما هذا الحديث وانما فيهما لفظ « دنيا » وأحدها « ان كنتن تردن الحياة الدنيا » والآخر « ان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة » كما أضيف الى النسائي في مادة (صوب) « لدنيا يصيبها » موضع ليس فيه الحديث وانما فيه لفظ فاصابها وهو « تظاهر رجل من امرأته « فاصابها قبل ان يكفر .. »

قد تكون هذه الملاحظات في حديث واحد مثيرة للشك في الاستقصاء والاستيعاب ولكن العمل الضخم الجديد والمجهود الشاق يوقع في مثل هذا النقص والوهم وبخاصة من لم تكن ثقافته العربية والاسلامية وافية ، ولم تكن مراجعته دقيقة ، ويكفي أننا ننتظر منهم ما ينفعنا ، دون أن نبدى جهودا صادقة او مساهمة فعالة .

ماعذرنا

ولنا العذر اذا قلنا ان الاجانب لديهم أسرار المخترعات الحديثة ، وفيهم التقدم الآلى الذى

سبقونا فيه بمراحل مذهلة ، ولكن اي عذر يلتمس في ان يتناولوا كتبنا ومصادر تشريعنا ، ويجعلونا عالة عليهم ، وليس هناك ما يقدم في هذا الا الصبر والجلد وحسن التنظيم في خدمة ما يريدون وليس الا السخاء والبذل لتحقيق ما يرمون اليه وما يطلبون .

نحن اليوم لاتنقصنا الثقافة والخبرة ،ولاينقصنا المال ، ولكن ينقصنا الشعور بالواجب ، والاسهام في العمل النافع ، والبذل في سبيل خلود الذكر وحسن الثناء ، فيما يستحق ان يبذل او يقدم له دون منّ ولا استكثار .

ولئن كان في العرب والمسلمين علماء وخبراء فان عصب العمل وسنده وهو المال بايدى قوم لا يذكرون من هذه الخدمات شيئا، في حين اننا نعرف ان في « كندا » مثلا معهدا للشئون الاسلامية هو معهد « مونتريال » وان في انجلترا « لجنة جب التذكارية » لنشر مخطوطات عربية . وفي امريكا « مؤسسة روكفلر »و«مؤسسة فرنكلين» أسهمتا كثيرا في نشر كثير من المنشورات العربية والاسلامية، وفي فرنسا ، وفي روسيا ، وفي المانيا .. وغيرها ، من ينشر ومن يسهم ، وكل ما نصيح به حول هذه المؤسسات والخدمات أنها تهدف الى الاساءة الى ديننا والى لغتنا لكن الصياح لا يجدى فتيلا والاتهام لا يغنى شيئا ، فليس الا العمل الجاد ، ولعلها صيحة في واد .

قلة تبذل

ولئن تفضل بعض العرب والمسلمين بالبذل والنشر ، ممن سبق أن ذكرتهم في مقالات سابقة ونوهت بجليل مآثرهم ، فان الذين يلون اعمالهم ويحيطون بهم ، ممن لهم مصلحة خاصة ونفع مرتقب قد يحولون دون وصول الكلمة الداعية الى الخير ، والحاثة على اكتساب المحامد ، وليست دنياهم من الفراغ بحيث يتنبهون لكل مايكتب او يقال ، فلبعضهم العذر وعلى كثير يقع اللوم والتقريع .

خدمة الحديث بجامع للأحاديث

ان خدمة الحديث النبوى تكون بجمعه وترتيبه ترتيبا دقيقا في مؤلف واحد ، مهما تبلغ اجزاؤه ، تسميه مثلا «الجامع الاحاديث النبوية» تنقل فيه كل نص للحديث الواحد من كل مؤلف من المؤلفات التسعة ويضاف اليها ما يرد في الكتب الاخر .

ولست هنا بصدد تفصيل الطريقة وذكر أنموذج مفصل من الكتاب المقترح ويكفى ان اذكر بعض الثمارالتي نجنيها من مشروع « جامع الاحاديث » :

١) التيسير على الباحثين بالوصول الى المراد في وقت وجيز .

٢) معرفة طرق الحديث وقوته وضعفه .

٣) تكملة نقص الحديث وتدارك ما فات في بعض رواياته أو كتبه .

٤) تصحيح أسماء رجال الحديث . وتوضيح المراد بأصحاب الكنى والذين اختصرت أسماؤهم .

٥) معرفة الفاظ الأحاديث وذلك بحصرها وفهرستها والاستفادة منها في معاجمنا وأساليبنا .

٦) الاستدلال على الشريعة وما استنبط من احكام .

٧) تروى في كتب التاريخ والادب وغيرها احاديث متصلة السند او منقطعة . وهذا الكتاب الجامع يكون محكا وكاشفا لقوتها وضعفها .

هذا الى كثير من الدراسات التى يتيحها التنظيم الدقيق .

مثل من بعض ما نستفيد

فالحديث الأول في البخارى « مثلا » اذا رتبناه ماخوذا من المؤلفات التسعة التى سبق ذكرها نجده قد ورد في سبعة منها هي : ١) البخارى وقد جاء فيه في تسعة مواضع سبعة منها بسندها وهى في الجزء الاول صفحة ٢ وصفحة ١٦ والجزء الثالث صفحة ١٤٥ والجزء الخامس صفحة ٥٦ والجزء السابع صفحة ٣ والجزء الثامن صفحة ١٤. والجزء التاسع صفحة ٢٢ وجاء بعضه ترجمة للباب بدون سند في الجزء السابع صفحة ٤٧ والجزء التاسع صفحة ١٩ . وجاء في صحيح مسلم بشرح النووى في الجزء ١٢ صفحة ٥٣ – ٥٤ وصفحة ٥٥ وجاء في النسائى في الجزء الاول صفحة ٥٨ – ٦٠ والجزء السادس صفحة ١٥٨ والجزء السابع صفحة ١٣ وجاء في ابى داود في الجزء الاول صفحة ٢١٨ وفي ابن ماجة ١٤١٣ وفي الترمذى الجز السابع ص ١٥١ ، وفي مسند أحمد في موضعين ٢٥/١ و ٤٣ .

ولعلنا أيضا حين ننجز الكتاب نجده في أكثر مما ذكر وبتتبع سند الحديث نجده متفقا في سنده من يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن علقمة

بن وقاص عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله يقول .

ونجد أن الذين رووه عن يحيى بن سعيد من رجال الكتب الصحيحة التسعة هم : حفص بن غياث ، وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينه ، وسليمان بن حيان ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الوهاب الثقفى ، والليث بن سعد ، ومالك بن انس ، ويزيد بن هارون .

يقول الحافظ بن حجر معلقا عليه فى كتابه « فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى الجزء الاول صفحة ٩ ما يأتي :

« ثم ان هذا الحديث متفق على صحته ، اخرجه الائمة المشهورون الا الموطا ، ووهم من زعم انه في الموطأ، مغترا بتخريج الشيخين له« البخارى ومسلم » والنسائى ، عن طريق مالك .. » .

واذكر أن الاستاذ الجليل عبد الله كنون من كبار علماء المغرب ، وعضو مجمع اللغة العربية ، اخبرنى أن احدى نسخ الموطأ بالمغرب ـ أظنها مخطوطة ـ فيها الحديث المذكور . فلعل هذه النسخة التى ذكرها الاستاذ كنون لم تقع للحافظ ابن حجر يوم أن كتب تعليقه فى كتابه « فتح البارى » . وللموطأ عدة رواة .

وفي الحديث الثانى الوارد فى البخارى « أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ .. » الحديث .

نجده ورد فى البخارى فى موضعين باسنادين وفى مسلم باربعة أسانيد وفى الترمذى باسناد واحد وفي النسائى بثلاثة أسانيد وفى الموطأ باسناد واحد وفى مسند أحمد في ستة مواضع بستة أسانيد ، كما نجده فى طبقات ابن سعد باسنادين أحدهما مقطوع ، وفي مجمع الزوائد باسناد مقطوع وذكر أن الطبرانى رواه باسنادين ورجال أحدهما ثقات .

ونرى أن السند يتفق من هشام بن عروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا الاسناد المقطوع في طبقات ابن سعد ومجمع الزوائد

كما نرى أنه رواه عن هشام فى هذه الاسانيد (١) مالك بن أنس ، (٢) محمد بن بشر (٣) عامر بن صالح (٤) سفيان بن عيينة (٥) حماد بن أسامة أبو أسامة (٦) معمر بن راشد (٧) على بن مسهر

ويضاف الى هذا نص معناه مقارب رواه « عبد الله بن عمرو » فى مسند أحمد .

علماء أخيار يدعون اليه

الحق ان مثل هذا الكتاب يفتح أبوابا للدراسات كبيرة ، اقل ما فيها المقارنة والوصول الى كل مواطن الحديث ، مما يريح النفس ويبث الطمأنينة .

واذكر أن الدكتور « تشو هيكو أوزتسو » المستشرق اليابانى والاستاذ بجامعات اليابان ، وهو من أجل العلماء المتخصصين في اللغة العربية والدراسات الاسلامية . وله في ذلك مؤلفات ، كان حضر الى القاهرة على حساب مؤسسة « روكفلر » الامريكية في طريقه الى أوربا والولايات المتحدة وكندا واقام في القاهرة سنة ، دارسته فيها بعض الكتب العربية ، منها شرح الحماسة ، وعلم العروض . وكان ذلك بطلب منه ، واختيار لى من استاذنا الدكتور ابراهيم مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية . فلما عرف الدكتور « تشو هيكو » فكرة هذا الكتاب أكبرها وابدى استعداده أن يقترح على مؤسسة « روكفلر » أن تسهم فى هذا العمل أو تتولاه . ولكنى افهمته أن هذا عمل ضخم ، ولا يستطيع القيام به فرد واحد الا من ناحية الاشراف ، وأن يختار عشرات العلماء الواعين المخلصين القادرين الخبيرين ليكفل له الدقة والاستيفاء وسرعة الانجاز .

كما اذكر ان الأستاذ ابراهيم اللبان عميد دار العلوم الأسبق وعضو مجمع اللغة العربية وعضو مجمع البحوث الاسلامية قال : ان هذا خير ما يخدم به التراث الاسلامى .

ولقد زرت الاستاذ احمد حسن الباقورى ، عضو مجمع اللغة العربية ، حين كان مديرا لجامعة الأزهر ، وذكرت له مشروع « جامع الأحاديث » فابدى نحو هذا العمل حماسة شديدة ، وأيد أن يكون ذلك الكتاب الجامع أول ما يحتاج اليه المحدثون والمشرعون واللغويون ، كما شاركه فى هذه الحماسة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد ، الذى كان عنده في ذلك الوقت .

وانى اذ اذكر آراء بعض الأخيار من الرجالات فى مختلف الثقافات ، أهيب على صفحات «العربى» بالافراد والجماعات قبل الحكومات أن يفكروا في هذا المشروع الجليل ، والله الموفق الى ما فيه الخير والسداد . ■■

عبد الستار أحمد فراج

في سبيل موسوعة علمية

الأسلحة الكيماوية والأسلحة المكروبية

في الحرب العالمية الثالثة

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ ونبدأ بالتعريف .

اما الأسلحة الكيماوية فهى مركبات كيماوية ، اذ اصابت الانسان ، اصابته بالأذى ، وبالمرض ومع المرض العجز ، وقد يكون مع العجز والمرض ، الموت . والانسان هنا هو الجندى من جنود العدو الذى يراد قهره .

اما الأسلحة المكروبية ، فهى مكروبات مرضية ، بكتير ، او ڤيروس Virus او فطر Fungus يصاب به الجنود ، فيحدث فيهم مثل ما يحدث السلاح الكيماوى من عجز ومرض وموت ، ومع ذلك احتمال القهر للأعداء .

الأسلحة الكيماوية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨

كانت هذه الحرب اول فرصة لاستخدام الكيماويات اسلحة للحرب بالمعنى الحاضر الحديث . فقد بدأت الحرب بين الالمان وحلفائهم ، وبين فرنسا وحلفائها ، وقبع الجند فى خنادقهم لا يتحولون عنها ، عند هؤلاء وهؤلاء ،

أَسْلِحَةٌ ضِدَّ العَسْكَرِيِّين ،
وَأَسْلِحَةٌ ضِدَّ المَدَنِيِّين ،
لَابُدَّ أَنْ يَقْرَأَ عَنْهَا كُلُّ عَرَبِي ،
وَأَنْ يَتَجَهَّزَ بِعِلْمِهَا ، فَمَنْ يَدْرِي ؟!

فلما ثبتت الحال على ذلك راى الالمان ان يخرجوا جند الحلفاء من خنادقهم بالغازات الخانقة والسامة يطلقونها عليهم .

وبهذا بدأ الصراع بالسلاح الكيماوى .

وبداوا بغاز الكلور Chlorine يطلقونه من انابيبه ، معتمدين فى حملة الى الاعداء ، على ريح موافقة تهب ناحيتهم ، وكان اثر هذا اول الامر بالغا ، فلم يكن عند جند الحلفاء توقع لمثل هذا السلاح ، ولا كان عندهم منه وقاية .

ولكن سرعان ما جاءتهم الوقاية بعد ايام قليلة ، خرقة يبلها الجندى فى محاليل كيماوية ويرفعها على فمه وانفه فتتلقى هى الكلور فتحبسه ان يدخل مع انفاسه الى رئته .

وغير الالمان الغاز ، فغير الحلفاء الوقاية . وعملوا على انتاج انواع من هذه الغازات السامة . وانتهت الحرب العالمية الاولى وكاد الطرفان ان يتعادلا فى امر هذه الكيماويات وامر الوقاية منها .

وكانت وسيلة الوقاية الاولى الكمامات المعروفة المشهورة عرفها كل من حضر سنوات هذه الحرب وما بعدها .

الغازات الخانقة

اما الغازات المستخدمة فكان اهمها تلك التى تفعل فعلها فى مسارب الهواء الى الرئة ، وقد ينتهى امرها بصاحبها الى الموت اختناقا .

ومن هذه ، غير غاز الكلور ، الفسجين Phosgen ، واسمه الكيماوى كلوريد الكربونيل (ك ا . كل ٢) ، اى Carbonyl Chloride ($CO.Cl_2$) ، والكلور والفسجين كانا يرسلان الى جبهة العدو محمولين على الريح التى تهب نحوه ، فيصلان ، وكانهما قطع من السحاب تسير .

وباعضاء التنفس وغير ذلك . وهى صنوف . واليها تنسب اكثر اصابات الحرب العالمية الاولى .

واشهر هذه المواد ما عرف باسم غاز الخردل Mustard Gas . وسماه الجند بغاز لانهم ما عرفوه الا آتيا اليهم مع الهواء . وما هو بغاز ، فهو سائل له شكل الزيت ، يغلي عند درجة ٢١٧ مئوية . وسمي بهذا الاسم لأنه ، وهو متركز في الهواء ، يعطي الأنف رائحة كرائحة الخردل ، ولكنها تزول بالتخفيف .

وتركيب هذه المادة هو عند الكيماويين Bis - (2 - Chloroethyl) Sulphide وهذه المواد المنفطة كانت ترسل الى الاعداء فى قنابل تنفجر فيهم فتنتشر هذه السوائل فى الجو نثرا ، واجزاء مبعثرة دقيقة .

الغازات المعطسة

ونعود نقول انها لم تكن غازات ، ولكن هكذا تراءت للجند ، وهكذا جرى هذا الاسم عليها ، أسم الغازات المعطسة .

والحق ان هذه المواد مواد صلبة متبلورة .

وهما اثنتان اشتهرتا فى الحرب العالمية الاولى ، صنعهما الالمان اولا . وتذهب القنبلة مليئة بهما الى الاعداء فتنفجر فيهم ، فتاتا دقيقا ، يدخل الى منافس الجند فيغصبهم على العطس غصبا .



صورة لجندى وعلى وجهه كمامة ضد الغاز حديثة، فيها شيئان جديدان ، اولهما انه يستطيع ان يشرب ماء غير ملوث من قارورته دون أن يرفع عن وجهه الكمامة .. وثانيهما انه يستطيع ان يتحدث من داخل الكمامة ويسمعه رفيقه الجندى.

الغازات المنفطة

ومن هذه الغازات « الغازات المنفطة » Blister Gases ، وهي فى الحقيقة سوائل تمس الجسم فتنفطه ، أى تقرحه ، وتجعل بين الجلد واللحم سائلا . وهى تضر بالانسجة ، وتصيب الاوعية الدموية . وتفعل بالعين ،



ان الغاز السام ، أحد فظائع الحروب الحديثة ، اعمى هؤلاء الرجال ورجالا كثيرين غيرهم . وتراهم في الصورة يقود بعضهم بعضا، بالأذرع تمسك بالأكتاف .

واذن يخلعون الكمامات، واذن يتعرضون اثناء ذلك لغاز الخردل أو نحوه .

الاسلحة الكيماوية ما بين الحربين العالميتين حرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩

بين الحربين جرت مناقشات بين الدول رجاء الحد من استخدام الاسلحة الكيماوية وذلك تحت راية عصبة الأمم فى مدينة جنيف ، ولكنها لم تسفر عن اتفاق حاسم .

ولهذا حافظت الدول الكبرى على ما كانت تجرى من ابحاث فى هذا السبيل خشية أن تؤخذ على غرة .

ومع هذا ، فالاغراء باستخدام السلاح الكيماوى يظل كبيراً لدى دولة متقدمة فى الصناعة ، اذا هى خاصمت دولة متخلفة ، فوجب ان تقوم الحرب بينهما .

حدث هذا بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، فى ايطاليا ، وفى اليابان.

اما ايطاليا فحاربت اثيوبيا (او الحبشة عندما كنا نسميها عندئذ) ، وما لبثت ان رات الفرصة لها سانحة ان تنثر على الجيش الأثيوبي من الهواء غازا منفطا ،وكان هذا الغاز غاز الخردل Mustard Gas . ولم يكن عند الجيش الاثيوبي وقاية منه ولا رادع عنه . وما هي الا ايام قليلة حتى فقد الجيش الأثيوبي قدرته على القتال . كان هذا فى يناير عام ١٩٣٦ .

وهنا هل استطيع ان اقف لأحذر العرب من مثل هذه النكبة . ان غاز الخردل يخضع اى جيش كان ما كان مادام ليس لديه كمائم تحميه .

وكما فعل الطليان ، فعلت اليابان فى حربها مع الصين (١٩٣٧ ـ ١٩٤٢) القت اليابان على جند الصين قنابل من الغاز ، غاز الخردل ، لتفك نطاقا صنعه الصينيون حول طائفة من جند اليابان .

سبب الاغراء واحد : ان العدو المتخلف ليس عنده اقنعة واقية . انها فرصة العمر .

الاسلحة الكيماوية فى الحرب العالمية الثانية

كل الدول التي شاركت فى هذه الحرب استعدت بكيماوياتها ، ولكنها لم تنزل بها الى الميدان . ان الحرب العالمية الثانية حرب بداها الالمان متحركة خاطفة Blitz ، فهي غير الحرب العالمية الاولى التي بدات حربَ خنادق، فكان لابد من تحريكها باخراج الجند من خنادقهم ، بالغاز .

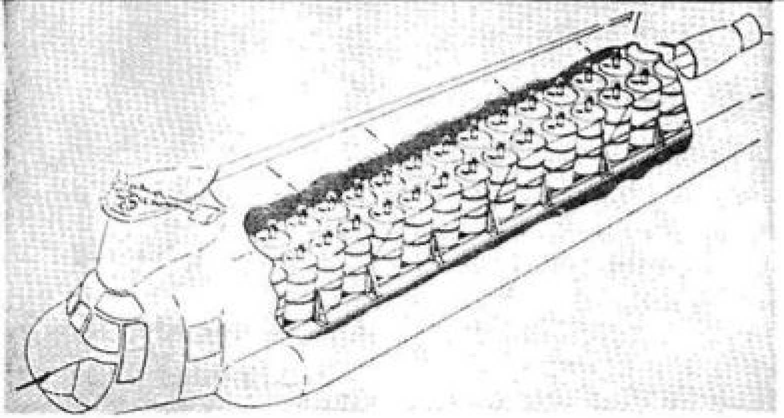
ولا شك انه كان من العوامل فى الكف عن استخدام الكيماويات فى تلك الحرب استعداد الجانبين ، كيماويا ووقائيا ، لمثل هذه الحرب . فهذا تعفف لم يكن عن عفة .

غازات الأعصاب : اسلحة كيماوية ابتدعها الالمان اثناء الحرب العالمية الثانية

وان تكن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ١٩٤٥) قد خلت من استخدام الاسلحة الكيماوية ، فقد كان من اخطر ما حدث فى اثنائها ما ابتدعه الالمان من مركبات كيماوية جديدة أسموها بغازات الأعصاب ، كانت اشد سما من أى غاز سبق به علم ، واشد سما من غازات عرفتها الحرب العالمية الأولى .

ولم تستخدمها المانيا فى هذه الحرب. ولعلها لم تفعل لأن تهيؤها لاستخدامها زامن ضياع سطوتها فى الهواء .

ومع هذا ، فلا يزال أهل الرأى يرون فى المفعول القوى لهذه الغازات ما سوف يغرى باستخدامها فى الحرب القادمة . حتى لقد قيل انه لو قامت حرب ذرية ، وقبع الجند فى مخابئهم ، فلن يخرجهم منها الا هذه الغازات .



هكذا كانت تصف القنابل المملوءة بالكيماوى ، الفاعل في الأعصاب ، في الطائرات العمودية ، طائرات الكبْتر الامريكية ، لتلقى على الاعداء . وفي كل قنبلة ٨٠ رطلا من هذا الكيماوى السائل . وفي وسط كل قنبلة مفرقع يتفرقع عند وصوله الى الارض وينشر الكيماوى الذى فيها في الأعداء .

وهي سوائل سريعة التفوّز ، من الكيماويات العضوية ، معقدة التركيب.

من اشهرها مادة اسموها تابون Tabun ، وتركيبها الكيماوى Cyano- Dimethyl- Amino-etho - Xyphosphine Oxide .

وشبيه بها مادة أخرى اسمها سارين Sarin . وأخرى اسمها سومان Soman.

غازات الأعصاب عند الولايات المتحدة مخزونة حاضرة

والولايات المتحدة عندها اليوم مخزون حاضر من مادتين من هذه الفاعلات فى الأعصاب .

اولاهما ، وتعرف عندهم ، بالرمز GB وما هي الا المادة الالمانية التى ذكرنا باسم سارين ، وتركيبها الكيماوى Isopropyl - Methyl - Phosphoro - Fluoridate وهي سائل يتفوّز فى درجة الحرارة العادية فيصبح غازا لا لون له ولا رائحة. وهذا يزيد فى خبثه .

وينشرونه فى العدو عندما يريدون رشاشا ، يتحول الى غاز : خطره عظيم عندما يستنشقه رجال لا تحميهم كمامات تمنع منه .

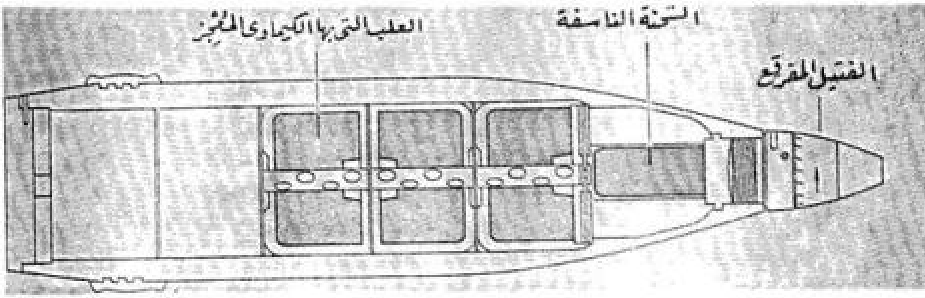
والتركز الهوائي المطلوب من هذا الغاز ليكون قاتلا للانسان يكفي أن يبلغ ١٠٠ مليجرام منه فى كل متر مكعب فى الهواء ، تدخله كل دقيقة . ومعنى هذا أن بقاء انسان عشر دقائق فى هواء بكل متر مكعب منه ١٠٠ مليجرام من الغاز تكفي لهلاكه .

اما المادة الثانية ، الفاعلةفى الأعصاب، التي عند الولايات المتحدة مخزون حاضر منها اليوم ، فهي مادة يرمز اليها بالرمز VX . ولا يزال تركيبها الكيماوى سرا مخبوءا . وهم كشفوها فى السنوات الخمسينية الماضية من هذا القرن عندما كانوا يبحثون عن مبيدات حشرية جديدة.

وهذه المادة سائل، مثل مادة سارين، الا انها ابطأ تفوزا منها . وهي اقتل منها بضع مرات .

وهي تقتل عند استنشاقها ، أو عند سقوطها على الجلد . وتقتل فى بضع دقائق . ويكفي لذلك أن يصيب الجلد منها ١,٠ مليجرامات فقط . وهي لا تكفي فيها الوقاية بلبس الكمامة الخاصة ، فلا بد من لباس واق كامل يستر الجسم . وهذا فيه من تعطيل لحركة الجند ما فيه .

وكما عند الامريكان من غازات



قذيفة امريكية ترسلها المدفعية الى الاعداء . والصورة واضحة . فالفتيل يشتعل فيسبب اشتعال الشحنة الناسفة ، وذلك عندما ترتطم القذيفة بالارض . وهذا النسف ينشر الكيماوي الفاعل في الاعصاب بين جند العدو . اما القذيفة فتزن ٤٤ كيلوجراما ، واما مداها الذى اليه ترسل فنحو ١٥ كيلومترا .

أعصاب ، يوجد لا شك عند الروس وغيرهم .

من اجل هذا ليس من صالح الأمم الصناعية المتقدمة أن تبدأ بالحرب الكيماوية ، لأعصاب كانت أو غير اعصاب . فالانتقام حاضر ، والتجهيز واحد ، والقدرة متقاربة . وانما تصلح الحرب الكيماوية وغير الكيماوية بين بلد متقدم وآخر متخلف .

وهنا لا بد أن أعود الى العرب فأحذر من الفد المجهول .

فعل غازات الأعصاب في الانسان

بقي أن نذكر كيف تفعل هذه المواد في الانسان .

انها تتدخل في انتقال النبضات العصبية من خلية من خلايا الأعصاب الى اخرى . وهي تتدخل بأن تبطل عمل الأنزيم المعروف باسم Choline - Esteraise فهو الذي يحدد ختام نقلة نبضة من خلية عصبية الى اخرى ، فهو يضبطها . وغازات الأعصاب تدع هذه النبضات تجرى بدون ضابط ، وينتج عن هذا ارتطام التنفس ووظائف اخرى . والموت الذى يحدث من جراء ذلك يسبقه عادة تغبش في البصر ، وسيلان ريق شديد ، وتشنجات جثمانية .

اسلحة كيماوية معجزة ، غير قاتلة

الحق أن التفرقة بين الكيماويات القاتلة وغير القاتلة عمل صعب ، فأثر هذه الكيماويات يختلف اختلافا كثيرا للظروف القائمة .

وكثير من الكيماويات التى عدّت خطيرة ، من كيماويات الحرب العالمية الأولى ، دلّت الاحصاءات التي صحبتها على أن نسبة الوفيات فيها الى الاصابات بها ، كانت ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ في المائة .

اما انها معجزة* ، فحق . تعجز الجندى عن القيام بعمل الجندى .

اما انها قاتلة ، فهي قاتلة بمقدار هذه النسبة ، وكذلك بمقدار ما عند الجندى من وقاية أو لا وقاية .

على أن من الكيماويات ما تأذن بسهولة أن نسميها معجزة غير قاتلة ، كتلك التي تثير الدموع ، (مثل Chloroacetophenone) ، أو تلك التي سبق ذكرها وهي تثير العطس .

وهذه الكيماويات قيل انها اصلح في البيئة المدنية لتفريق المظاهرات ونحوها ،



لا تزال الذخائر الناسفة هي أسلحة الحرب ، وهذا مصنع بريطاني للذخيرة في الحرب العالمية الماضية . واحتاج الى المجهودالبشرى الهائل ، ففتحوا له الباب واسعا ، فدخل منه عدد من النساء لم يسبق له مثيل . ولهذا المصنع أمثال كثيرة .

وانها لاتنفع فى حرب . وقال آخرون بل تنفع ، لأنها تعجز وتشل عن عمل الحرب . وقد سبق أن ضربنا مثلا للغاز الخانق يخرج المختبئين من الجند من مخابئهم ليتعرضوا على الفور لرصاص البنادق او قنابل المدافع .

والأسلحة المعجزة،تعجز لمدة قصيرة، او لمدة طويلة .

واشهر المواد المعجزة ، القصيرة الاعجاز ، التي تستخدم اليوم فى حرب ، هي المادة التي يرمز اليها بالحرفين C.S وهما مأخوذان من اسمي رجلين صنعاها او حسّنا صنعها ، وهما انجليزيان . اما تركيبها الكيماوي فهو - Orthochloro Robenzal - Malonitrile .

اما أثرها فى الجسم فألم شديد فى العين ، وفى مسالك الأنفاس الى اقصى اعماقها،محدثة احساسا أشبه باختناق، وقلقا فى النفس شديدا . وفى الجو الرطب تحدث فى جلد الانسان تنفطا يحتاج ليبرأ الانسان منه الى أيام عديدة .

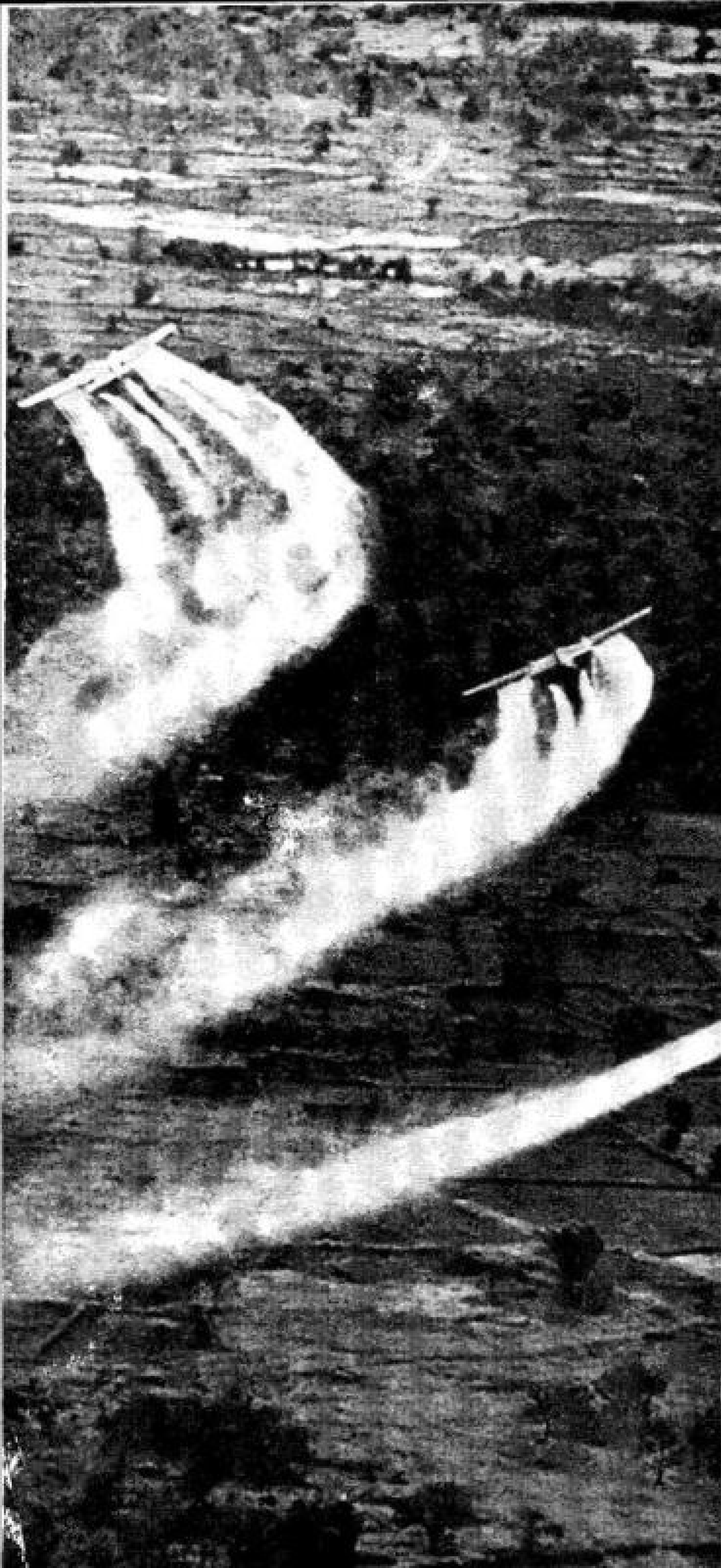
والتعرض العادى لهذه المادة لم يثبت انه أحدث موتا .

وقد استخدمتها الولايات المتحدة بكثرة فى حرب فتنام ، فقد استهلكت فيها من هذه المادة ١٤ مليون رطل .

الأسلحة الكيماوية قاتلات الأعشاب والمحاصيل والنباتات عامة

هذا نوع جديد من الحروب ، ان تحرم العدو من غذائه، أو تحرم ماشيته من عشبها لتموت ، وتبدل بذلك فى صور الأرض تبديلا .

انها مواد اكتشفت أثناء الحرب العالمية الثانية لأغراض حربية ، ولم تستخدم فيها ، ولكنها استخدمت بعد ذلك لازالة العشب الضار بالأرض .



هكذا قامت الولايات المتحدة بتدمير اغذية الفتناميين الشماليين بواسطةمبيدات النباتات تنشرها عليهم بواسطة الطائرات . ومن عام ١٩٦٢ الى شهر مايو عام ١٩٧٠ بلغت الغارات التى خرجوا بها لهذه الغابات ١٩٠٠٠ غارة . وكانت الطائرة الواحدة ترش في الخرجة الواحدة مساحة عرضها ٣٠٠قدم وطولها ١٠ أميال . ومع اهلاك الغذاء في الحقول عرّوا الأشجار من أوراقها في الغابات .

حتى اذا جاءت الحرب الفتنامية وجدت الفرصة متاحة لاستخدامها فى اغراض شتى .

اولها : اعدام المحاصيل حتى يجوع العدو .

وثانيها : ازالة الأوراق من فوق الأشجار فى الغابات حتى لا تقف عقبة دون الرؤية .

ولم ينتصف عام ١٩٦٩ حتى كانت الولايات المتحدة رشت فى فتنام ، بقصد هذه الأغراض ، نحو ٥ مليون فدان .

واحد هذه المواد تركيبه الكيماوى هو 2,4 - Dichloro - Phenoxy - Acetic Acid والمواد الاخرى شبيهة بهذه .

وترش هذه المواد بغير تخفيف على نباتات الغابات ، فلا تلبث ان تتعرى الأشجار من اوراقها ، وذلك بعد اسبوع او يزيد قليلا .

ومادة أخرى ، تركيبها الكيماوى Sodium Dimethyarsinate ، تستخدم لاتلاف الأرز فى مزارعه .

الأسلحة المكروبية

ولعل أخبث الأسلحة هي الأسلحة البيولوجية ، الأسلحة المكروبية .

ولنضرب مثلا بمرض الجمرة الخبيث Anthrax ، وهو مرض يصيب الماشية عادة ، وقد ينتقل الى الانسان . وله بكتير له شكل العصية .

فهذا البكتير لو رشته طائرة فى السماء فوق بلد ، فانتشر فيها ، كانت له نتائج بالغة الخطر . ان جزءا من مليون جزء من الجرام من هذه الجراثيم ، يستنشقه انسان ، يصيبه بالجمرة الصدرية . واعراضها تشتبه اولا بأعراض البرد .

غابة بالقرب من مدينة ابر Ypres ببلجيكا ، صنعت بها المدفعية الثقيلة ، في الحرب العالمية الاولى ، ما ترى . جردت اشجارها تجريدا . واليوم ابتدعوا من المواد الكيماوية ما يجعل الشجر يسقط اوراقه ويصبح هكذا عاريا .



وهي قاتلة اذا لم تجد العلاج السريع العاجل . وهيهات أن تكون سرعة ، والمرض غير معروف ، والمرضى الوف الوف . ان هدف السلاح البيولوجي قتل الرجال . وفي المدن قتل الأحياء من الناس ، رجالا ونساء واطفالا ، وهو يبقي على المنازل والعقارات . فهو اكثر اغراء للعدو الغازي، لا سيما الاسرائيلي، الذي يطلب ارضا وعقارا واثاثا بغير ناس .

وكمرض الجمرة مرض الحمى الصفراء ، والطاعون ، والكليرة ، وغيرها .

ونعلم ان لكثير من هذه الأمراض لقاحات مضادة ومبيدات حيوية تشفي منها ، ولكن فجاءة الغزو قد تعجز اهل الوقاء عن الوقاء .

ومن الأسلحة البيولوجية اسلحة ، لا للقتل ، ولكن للتعجيز . ثم يسترد العاجز قدرته بعد حين . ومن امثلة هذه حمى دماغ الخيل الفنزويلية .

فهذه لها فيروس يجرى في الناس وباء ، ويبلغ موتاه نحو ٥ في المائة من المصابين .

وهذا يقودنا الى القول ان التفرقة بين السلاح البيولوجي القاتل والمعجز تفرقة غير حاسمة . ففي السلاح المعجز ما يميت .

السموم

بقي نوع من المواد ، لا هو حي بيولوجي كالمكروب يتكاثر بالتناسل ، ولا هو كيماوي مخلّق تخليقا كالغازات الخانقة في الصدر والأخرى المنفّطة للجلد .

وانما هي مواد كسم العقرب او سم الثعبان .

انه من اصل حيوى بيولوجي ، هو العقرب . ولكنه لا يتكاثر كالبكتير .

وهو مع هذا ليس بمادة كيماوية تخلق في المختبرات .

ومن هذه السموم سموم تخرجها صنوف من البكتير تختلط بالطعام ، فتحدث عنها حوادث التسمم التي تقع في المدارس والحفلات .

ومن امثال هذا السم المعروف بالبتيولين Botulin ويصنعه البكتير Clostriduim Cotulenum وهو سام جدا .

وهو اذا استخدم يكون على هيئة قنابل تحشى به ، ثم تسقط في الجند من طائرة او نحوها ، وتتفرقع فينتشر منها السم . وهو لا ينفذ في الجلد ، واذن تكفي للوقاية منه الكمامة . وقد يحصن الجند باللقاحات المضادة حيثما أمكن ذلك .

على أن هذه السموم قد يستخدمها الرجال المدنيون اذ يتسللون في بلاد العدو فيلوثون بها مصادر الماء والطعام في المدن ، فتكون اذن للتخريب واشاعة الفوضى بين السكان اكثر منها للحرب السافرة .

احتمال قيام حرب كيماوية او حرب بيولوجية

انه احتمال بعيد أن تقوم هذه الحروب بين دولة ذات حضارة متقدمة وأخرى مثلها . فكل اعد العدّة لها ، هجوما ودفاعا .

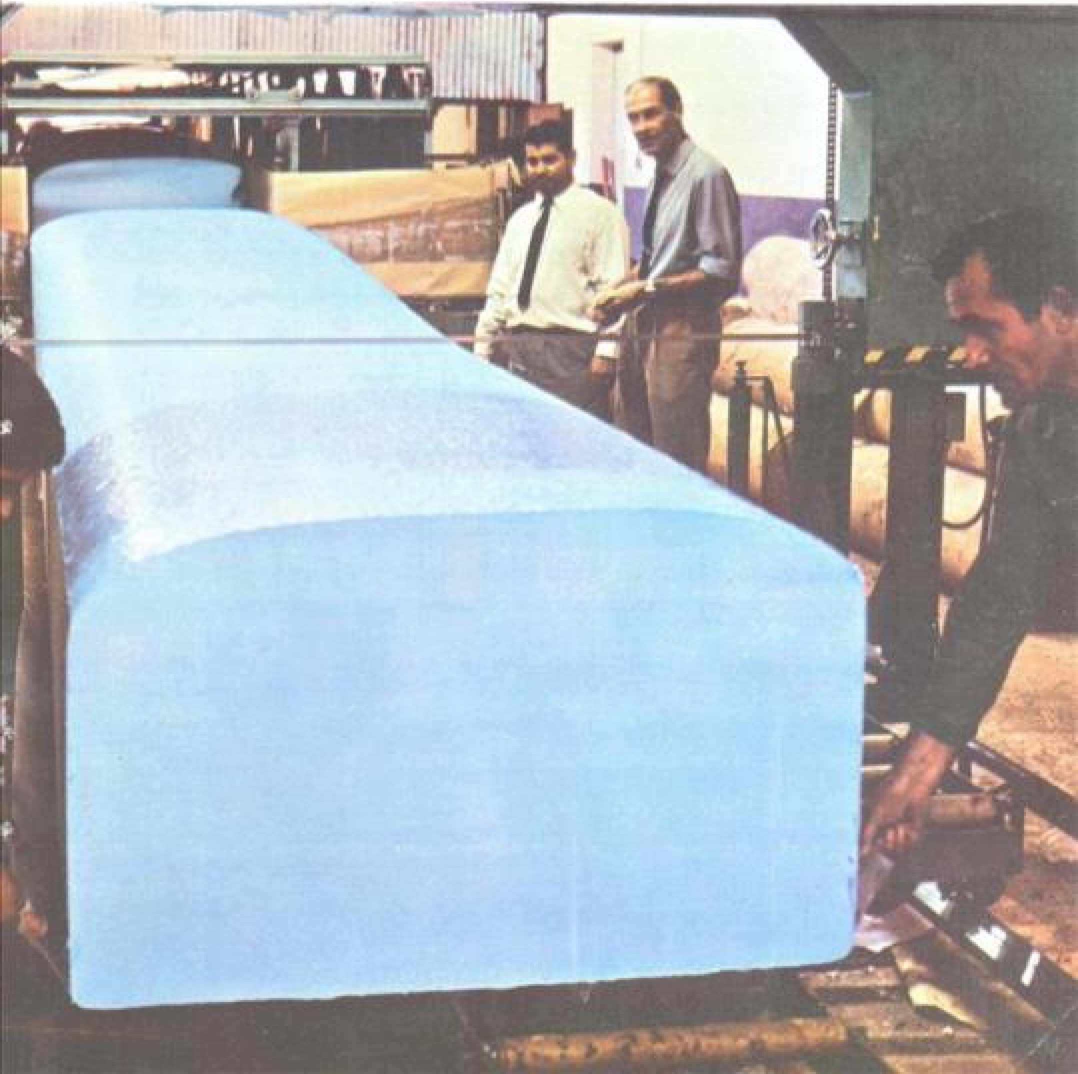
ولكن احتمال قيامها كبير اذا كان أحد الطرفين من التخلف بحيث لا يستطيع دفاعا . أو اذا كان الطرف الآخر المتحضّر لا يعرف من قيم الحياة الا الغلبة يركب اليها كل مطية ، ويرتكب في سبيلها كل الآثام . ●●

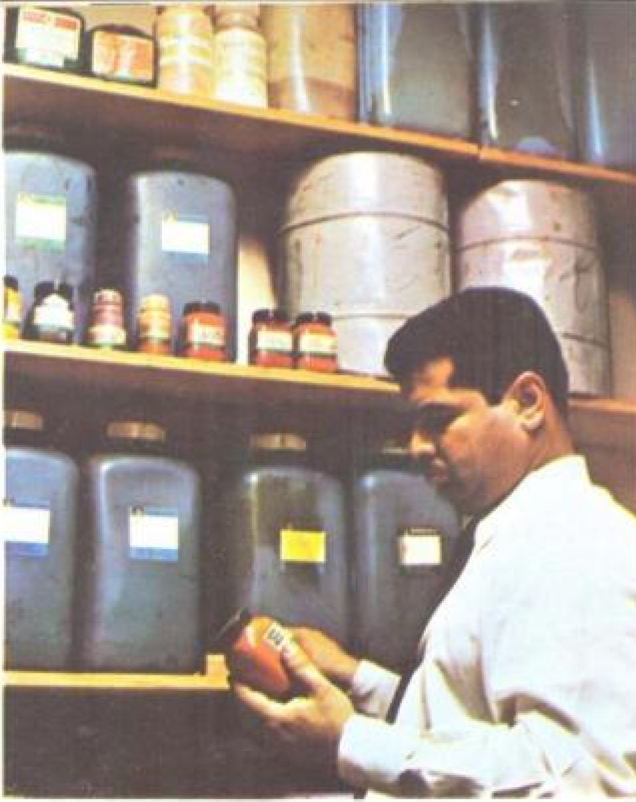
أحمد زكي

الاسفنج الاصطناعي

صناعة وليدة في الكويت

حلّ محل الأسفنج الطبيعي في أكثر استعمالاته
ومحل القطن في بعض الأفرشة والحشايا





تضاف الى المواد الكيماوية التي يصنع منها الاسفنج مادة ملونة للتمييز بين الانواع المختلفة للاسفنج الاصطناعي

الى أسفل : هكذا يتحول السائل الى كتلة ضخمة هائلة من الاسفنج يقطعها المنشار الكهربائي الى كتل طول كل منها متران .



الى اسفل : هذه هي بداية صنع الاسفنج الاصطناعي .. السائل يتدفق .. ويبدا في الانتفاخ ..



■ هذا الاسفنج الاصطناعي الذي حل كثيرا محل الاسفنج الطبيعي ، وبدأ يتسلل بحذر ليحتل مكانة القطن في العديد من الحشايا في المنزل .. هذا الاسفنج بدأت الكويت تنتجه في مصنعين كبيرين ، كل مستقل عن الآخر ، وباستطاعة انتاجهما معا الوفاء باحتياجات الكويت وشبه الجزيرة العربية كلها !

سائل يصبح اسفنجا !

وأمام الآلة الكبيرة التي تصنع هذا الاسفنج ، وقفنا نتطلع الى سائل ملون يتدفق من انبوبة تتحرك ذات اليمين وذات اليسار .. وينصب على شريط عريض من الورق يحمله حزام متحرك بعيدا .. وما يكاد السائل يبتعد عن الانبوبة بمقدار متر واحد حتى يبدأ ينتفخ ، ويأخذ في الارتفاع تدريجيا وهو لايزال يتحرك ، وبعد فترة يهبط عليه منشار كهربائي دوار يقطعه كتلا طول كل منها متران وعرضها (وهو عرض الورق) ١٥٠ سنتيمترا وارتفاعها ٧٠ سنتيمترا .. وكل هذا واضح في الصور .

محاولة فاشلة !

اما هذا السائل الذي يتحول الى اسفنج ، فقد ظننت انني قد فهمت الطريقة الكيماوية التي يعالجونه بها .. وعرضت ـ ما تصورت انه تبسيط للعلم ـ على الدكتور رئيس التحرير .. فكانت النتيجة قهقهة مدوية ، اقلعت بعدها عن هذا الظن .. لانه اتضح ان التركيبة الكيماوية التي تصورتها ، هي في الحقيقة اقرب الى صنع قالب كيك حقيقي ، منها الى صنع قالب الاسفنج !!

لهذا كانت النبذة المنشورة مع هذا المقال وفيها يشرح الدكتور رئيس التحرير التركيب الكيماوي للاسفنج الاصطناعي .

تجارب صعبة !

لقد بدأ العمل في اول مصنع للاسفنج الاصطناعي بالكويت في اكتوبر عام ١٩٦٨ وكانت مغامرة متعبة يروي مدير المصنع تفاصيلها بقوله :

ـ لقد قمنا بعمل دراسة كاملة لحاجة السوق ، فوجدنا ان انشاء مصنع محلي للاسفنج الاصطناعي أمر ضروري في الكويت . وفعلا استوردنا الآلات .. وجلبنا معها اثنين من الخبراء الاجانب في هذه الصناعة ، لانها صناعة جديدة ليس لنا فيها اية دراية ، وكان واحد من الخبيرين لادارة الماكنات والثاني لتحضير المواد الكيماوية .

وبدأنا التجارب .. وبدأت الصعوبات تظهر في الطريق .. حرارة الكويت الزائدة في الصيف تزيد من تفاعل المواد الكيماوية بسرعة غير مطلوبة ، مما يفقدها مزاياها .. لهذا اضطررنا الى عمل اقسام باكملها مكيفة الهواء ، وخاصة المخزن الذي نحفظ فيه المواد الكيماوية الخام ..

« اضف الى ذلك تأمين اليد العاملة الخبيرة .. لقد استغرق تدريب العمال وقتا طويلا حتى اصبحوا ذوي خبرة في هذه الصناعة المعقدة ، فهي تعتمد على درجة الحرارة والرطوبة وصفاء الجو .. وفي حالة تبدل درجات الحرارة ، لا بد من ادخال تعديل في تركيبة المواد الكيماوية ، حتى نحصل على النوع المطلوب تماما من الاسفنج » ..

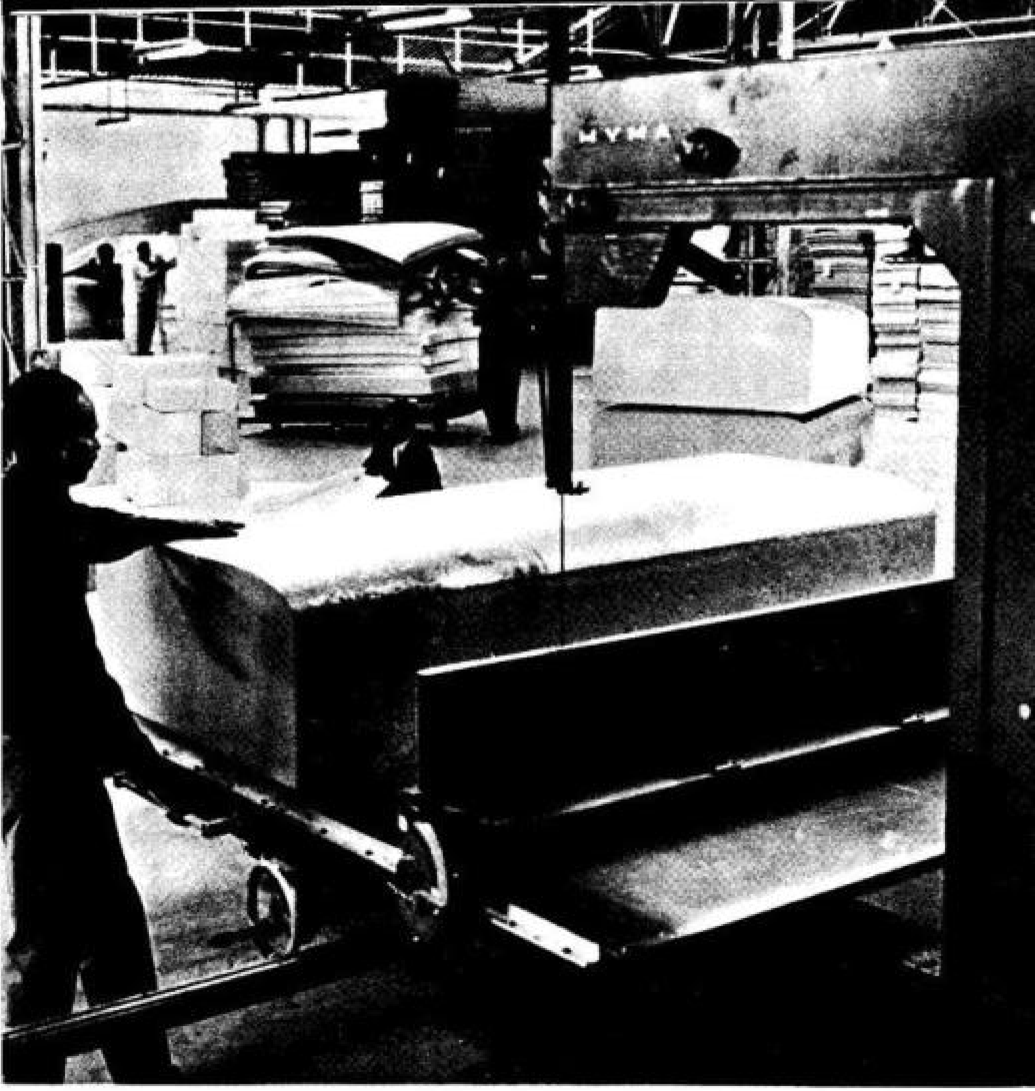
التاجر والصانع ، والمعركة التقليدية

وعندما بدأ انتاج مصنع الاسفنج الاصطناعي في النزول الى اسواق الكويت ، وجد منافسة شديدة من تجار الاسفنج المستورد من الخارج ، فالبضاعة موجودة عندهم استوردوها من فترة طويلة وكدسوها في مخازنهم ..

والتجار في الكويت لهم قوتهم وثقلهم وكان الاقتصاد الكويتي دائما اقتصادا حرا ، والتجارة تجارة حرة .. كان هذا عندما لم تكن في الكويت صناعة من اي نوع .. اما اليوم وقد بدأت المصانع تتكاثر في الكويت ، فان المعركة التقليدية بين التاجر والصانع ، في هذه الفترة الانتقالية ، بلغت مرحلة حاسمة ، ستأخذ طابعا وشكلا نهائيا في فترة قريبة ..

الانتاج المحلي يفوق الانتاج المستورد !

ونزل الاسفنج الاصطناعي الاسواق المحلية . وسرعان ما بدأ يحتل مكانا مرموقا ، اذ اتضح ان الاصناف المستوردة تستعمل خامات اولية رخيصة . وكان هذا حافزا لاصحاب المصنع ان يحسنوا انتاجهم فاصبحوا لا يستعملون الا احسن المواد



بعد أن يجف قالب الاسفنج يوضع على هذا المنشار الكهربائى لقصه الى المقاسات المطلوبة ..

الخام فى العالم ، يجلبونها باسعار مرتفعة ، ومعها احدث الماكنات . فجاء الانتاج الكويتى افضل من اى انتاج عالمى آخر موجود فى الاسواق .. وكانت النتيجة انه بعد مضى سنتين فقط من العمل ، اصبح ٤٠٪ من استهلاك الكويت يغطيه انتاج مصنع الاسفنج الاصطناعى المحلى .

التصدير للخارج

ان المائة والعشرين طنا التى يبيعها المصنع الاول فى اسواق الكويت سنويا لا تمثل الا عشرة فى المائة من قوة انتاج المصنع ، الذى يمكن ان يصل انتاجه الى الف طن سنويا .. لهذا اتجه اصحاب المصنع الى الاسواق الخارجية يصدرون اليها انتاجهم الذى اصبح معروفا فى اسواق البحرين وعدن وابو ظبى..وهناك طلبات للتصدير الى السودان ومصر وتانزانيا ، حتى هونج كونج طلبت استيراد الاسفنج الاصطناعى الذى تنتجه الكويت ..

الاسفنج فى حياتنا اليومية

ان الاسفنج الاصطناعى لم يعد من الكماليات ، بل من الضروريات .. وخاصة فى صناعة الاثاث كالمقاعد فبدلا من تعقيدات وضع الزنبرك الحديدى والقش والقطن ، اصبحت قطعة من الاسفنج



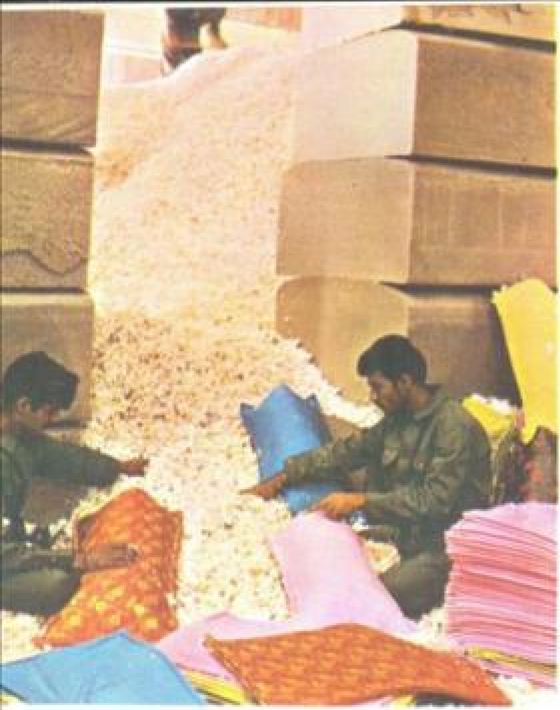


كتلة من الاسفنج جاهزة للتصنيع .. ان وزنها نحو ٣٠ كيلو غرام .. وحجمها متر مكعب تقريبا ..

وهذا المقص يقوم بقص كتل الاسفنج الى قطع مستطيلة يتراوح سمكها بين ٣ و ٢٠ سنتيمترا .

الى اسفل : بعد قطع الاسفنج الى قطع مسطحة تدخل الى ماكنة خاصة تحولها الى قطع مموجة وتوضع بين كل قطعتين من هذه القطع المموجة ، قطعة مسطحة كاملة .. والغرض من هذا هو ان يتخلل الهواء المرتبة الاسفنجية .. ويكثر استعمال هذا النوع في المستشفيات ، حيث يضطر المرضى الى النوم لفترات طويلة . فمن مزايا هذه المراتب انها لاتسبب العرق ، كما انها تعطي للمرضى ، مزيدا من الطراوة والراحة





الى اليسار : بعد ان تتم عملية طحن وتقطيع زوائد الاسفنج الى قطع صغيرة يجلس العمال لملء الحشايا والمخدات الملونة بها .. وبعدها تنقل المخدات الى ماكنات الخياطة لقفل اطراف المخدات .. (الصورة السفلى) ومما يذكر أن المصنع يقوم بعمل ٥٠٠ مخدة يوميا تباع في اسواق الكويت والخليج..



الاصطناعي كافية لتادية نفس الغرض الذى تؤديه المواد الثلاث .. وبهذه الوسيلةخف الضغط على العامل فى المصنع فتضاعف انتاجه .

وكذلك فى الحشايا وافرشة النوم .. كنا نملؤها سابقا بالقطن ، اما اليوم فقد حل الاسفنج محل القطن .. واصبح بمقدورنا استعمال القطن الذى كنا نضعه فى المرتبة ، فى النسيج لننتج ٥٠ مترا على الاقل من القماش .. يضاف الى هذا ان مرتبة الاسفنج صحية ومريحة وتعمر طويلا ولا تحتاج الى ندف وصيانة ، واخف وزنا من القطن بمقدار النصف تقريبا ..

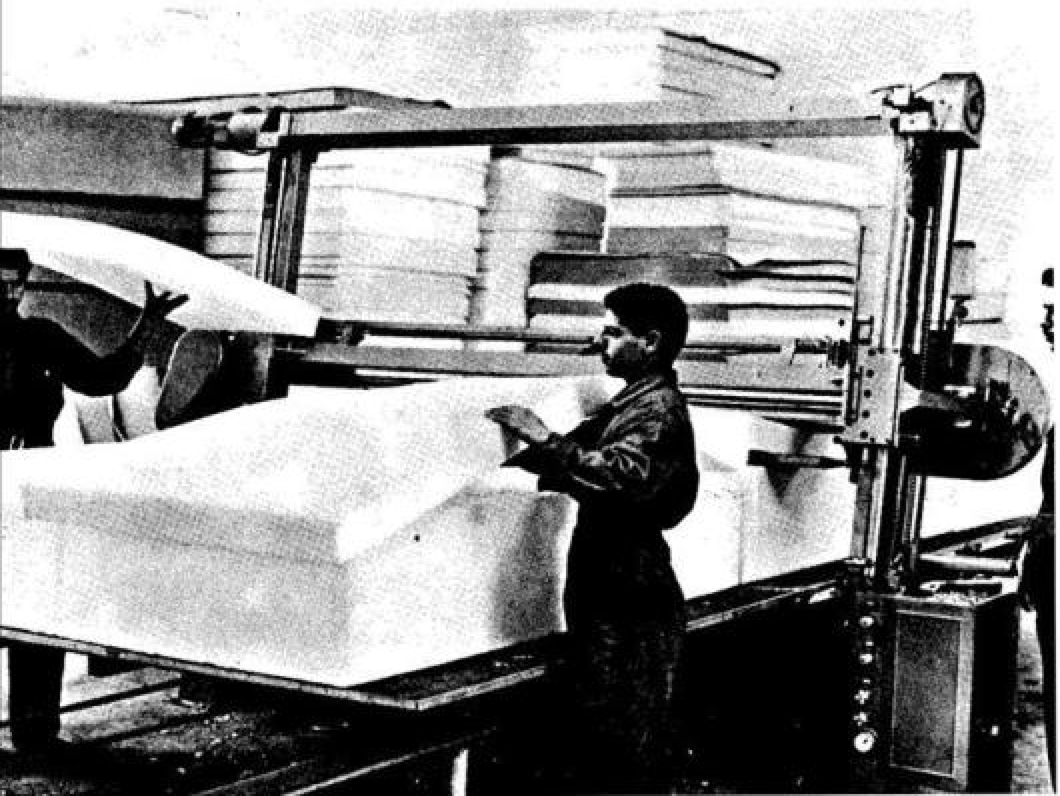
وقد تشعبت مجالات استخدام الاسفنج الاصطناعي فدخل فى ملابسنا بطانة لبعض الملابس الخارجية بدلا من الشعر والقطن .. ودخل الى المطبخ والحمام لتنظيف الاجسام والاوانى .. وتسرب تحت السجاد والابسطة بوضع تحتها ليمنع عنها الرطوبة والحرارة ، ويضفى شعورا بالطراوة الزائدة عند السير على السجادة .. حتى فى تجليد الكتب ، وديكور المنازل اصبح الاسفنج الاصطناعي يؤدى فيه دورا هاما رائعا ..

المصانع المحلية تخفف متاعب التاجر والعامل

ان وجود مصنعين للاسفنج الاصطناعي فى الكويت قد خفف الكثير من الاعباء على التجار والصناع ، فالتاجر لم يعد فى حاجة الى فتح اعتمادات مالية، ولا الى استئجار مخازن لحفظ الاسفنج المستورد، لان بامكانه طلب الكمية التى يريدها ، وفى الوقت الذى يريده ، فتصله مباشرة من المصنع الى باب متجره مباشرة خلال فترة يومين ، دون ارهاق او تعب له !

وكذلك الصانع ، ما يكاد يطلب اللون الذى يريده ، وحجم قطعة الاسفنج التى يريدها ، حتى تصله الى باب مصنعه حسب طلبه تماما ،دون حاجة الى قص او تقطيع .

تقوم هذه الماكنة بقص كتل الاسفنج الى شرائح كبيرة يتراوح سمكها بين ٣ و٢٠ سنتيمترا حسب الطلب





بعد انتهاء عملية قطع كتل الاسفنج الكبيرة تتجمع بعض الزوائد ، وهذه تدخل الى ماكنة خاصة تقوم بطحنها وتقطيعها الى قطع صغيرة لاستعمالها في حشو المخدات ..

نطالب بالحماية الجمركية

وبالرغم من هذا النجاح النسبي الذى حققته صناعة الاسفنج الاصطناعي بالكويت ، فلا يزال اصحاب المصنعين يطمعون في اشياء كثيرة ، قالوا :

« اننا نطالب الحكومة بحماية هذه الصناعة الناشئة ، اننا نبذل جهدا كبيرا من اجل تطوير صناعة هذا الاسفنج .. وننظر بعيدا من اجل ازالة الفكرة العالقة باذهان الناس والتى تقول : « ان كل فرنجي برنجي » انها فكرة لا يمكن ازالتها الا اذا ساعدتنا السلطات المسئولة مساعدة جدية.

« ان الحكومات المجاورة للكويت تعطى اعانة تصدير لمصانعها تبلغ ٤٠٪ من قيمة البضاعة ، حتى تشجع المصانع وتساعدها على تخفيض اسعارها الخارجية .. كما انها تفرض ضرائب مرتفعة جدا على الاسفنج الاصطناعي المستورد من الخارج .. وتعطى القروض الصناعية بدون فائدة لاصحاب المصانع .. هذا ما تقوم به الدول المجاورة لنا لتشجيع صناعتها..وهذا ما نطالب به حكومتنا..»

لجنة تنمية الصناعة ترد على الصناع

واتجهنا الى وزارة التجارة والصناعة وقابلنا المسئولين في لجنة تنمية الصناعة ، وعرضنا عليهم حديث الصناع فقالوا : « ما من شك ان تغييرات كبيرة حدثت على الشكل التكنولوجي للصناعة في الكويت .. فقبل عام ١٩٥٦ كانت الصناعة تعتمد على عملية او عمليتين بسيطتين .. لحام قضيب حديد بالآخر ، او احضار رمل واسمنت وضغطهما .

اما اليوم فقد تبدلت هذه الصورة واصبح عدد العاملين في الصناعة بالكويت ١٥ الفا و ٦٠٧ اشخاص ، وراس مال المصانع العاملة بلغ ٦٢ مليون دينار .. لقد انتقل الصانع الى مرحلة جديدة .. مرحلة الدخول في عمليات صناعية معقدة نسبيا .

تشجيع الصناعة وحماية المستهلك في آن واحد

ويستطرد المسئولون في لجنة تنمية الصناعة قائلين :

ورغبة من الوزارة في تشجيع هذه الصناعات الناشئة قامت بتقديم اعفاءات جمركية على المواد الاولية التى تستعملها المصانع وعلى الماكنات وقطع الغيار .. كما اننا عملنا على ترسية المناقصات الحكومية على المصنوعات المحلية حتى لو كان سعرها يزيد ١٠٪ على سعر مثيلتها من البضائع المستوردة .. وهذا في حد ذاته يعتبر تشجيعا للصناعات المحلية ، وتحبيذا للاجهزة الحكومية لاستخدام المنتجات المحلية .. ان هدف الدولة هو الا يكون تشجيع الصناعات المحلية على حساب المستهلك .. وان تجعل من الكويت سوقا حرة لكل منافسة مشروعة ، والنهوض بنوعية المنتجات المحلية بما ينافس المنتجات المستوردة من حيث النوعية وليس من ناحية السعر فقط .

لا نوافق على منع الاستيراد

ولجنة تنمية الصناعة لا تحبذ اعتماد الصناعة المحلية على منع الاستيراد ، الا في الحالات التى ترى فيها المنافسة الاجنبية منافسة غير مشروعة تهدف الى اغراق الاسواق للقضاء على الصناعات المحلية .. كما حدث بالنسبة لصناعة الانابيب المعدنية والاسبست والطحين .

الا ان الحكومة من جانبها تدرس حاليا الانظمة التى تعمل بها الدول الصناعية الاخرى بالنسبة لاعانات التصدير والرسوم الجمركية حتى يمكن تطبيقها على المنتجات المحلية ، مع ضمان تطور الصناعة المحلية الى الافضل من حيث الجودة .

قروض صناعية .. وبنك صناعي

اما بالنسبة للقروض الصناعية ، فقد حددت الدولة الفائدة على القروض التي تقدمها البنوك التجارية بحد اقصى مقداره ٧٪ فقط ، وتعتبر هذه النسبة اقل نسبة تتقاضاها البنوك التجارية ..

والى جانب هذا يقوم بنك التسليف والادخار بمنح القروض الصناعية للمصانع المحلية بفائدة ٢٪ فقط .. وقد استهلك الصناع مجموع المبالغ المخصصة لاقراضهم ، والتي بلغت ثلاثة ملايين من الدنانير الكويتية. وتجري حاليا الدراسات من اجل انشاء بنك صناعي مع الاجهزة الدولية ، وما من شك ان هذا البنك سوف يوفر الخدمات الصناعية للمصانع المحلية الى جانب منح القروض الصناعية بفوائد بسيطة ومدة ائتمانية طويلة ..

٣ ١/٢٪ من الدخل القومي

ويتابع رجال لجنة تنمية الصناعة كلامهم بقولهم :

« ان الصناعة في الكويت لا تساهم حاليا باكثر من نسبة ٥ر٣ من الدخل القومي للبلاد وهدفنا العمل على تنشيط القطاع الصناعي حتى يمكن له مضاعفة مساهمته في هذا الدخل ، وذلك عن طريق ادخال بعض الصناعات التي تعتمد جزئيا على تغطية احتياجات السوق المحلية ، وصناعات تعتمد كليا على التصدير » .

تجاوزت مرحلة الحضانة

وهنا انتهى حديث المسئولين في لجنة تنمية الصناعة وتبقى كلمة لا بد منها ، وهي ان بعض الصناعات في الكويت ومنها صناعة الاسفنج قد اجتازت مرحلة الحضانة ، وكان لا بد لها ان تسير ، وحتى يمكن ان تنطلق فلا بد للصناع ان يعملوا جاهدين على تسويق منتجاتهم وبذل كل نشاطهم للحصول على اكبر نسبة من احتياجات السوق المحلية بالتعاون مع التجار المحليين على الاسس التي تتم بها مستورداتهم ..

ان نهضة الامم وحضاراتها في هذا القرن تقوم اساسا على الفكر الصناعي والنتائج الصناعية التي تحققها .. فما من دولة ملأ اسمها الآفاق الا وكانت الصناعة اساسا لها .. وتقف الكويت اليوم في بداية الطريق ، وعلى الصناع ان يتابعوا السير على هذا الدرب . ■■

س . ز

الإسفنج الاصطناعي

فكرة عابرة عن تركيبه وصنعه

■ ويسميه صانعوه من الافرنج بالمطاط الرغوي أي ذي الرغوة Foam Rubber ، وذلك لما يتخلل مادته من خلايا ومسام مملوءة بالهواء ، وهو لذلك كالاسفنج ، وهو طري يلين كالاسفنج ، ويمتص الماء مثله ، ومن اجل هذا سميناه بالاسفنج الاصطناعي ، وجاز ان نسميه ايضا المطاط الرغوي كما سماه صانعوه .

التكاثف السلسلي في صناعة المطاط الاصطناعي

وتسميته بالمطاط تسمية نافعة ، لأنها تربط في الذهن بينه وبين المطاط الاصطناعي Synthetic Rubber من حيث تركيبه .

وقد ذكرناه ، أعني المطاط الاصطناعي ، في مقال الكيماويات البترولية في « العربي » بعدد ديسمبر ١٩٧٠ صفحة ٤٣ ، وذكرنا انه يصنع بعملية التكاثف السلسلي ، أو البلْمرة Polymerisation نبدأ فيها بمركب عضوي ، مثل ايسوبْرين isoprene ، ورمزه الكيماوي

$$CH_2 = C(CH_3) - CH = CH_2$$

فنهيئها للنشاط والتفاعل الكيماوي بان يبدل في روابطه الكيماوية ليصبح

$$- CH-C(CH_3) = CH - CH_2 -$$

وهاتان الرابطتان الحرتان المتطرفتان مستعدتان

لربط هذا الجزيء بآخ له من على اليمين ، وبآخر من على اليسار . ومن هذا الربط تخرج سلسلة من ثلاث جزيئات من الايسوبرين ، يخرج من طرفيها رابطتان حرّتان أخريان تطلبان اتحادا بجزيئات أخرى من الايسوبرين . وهكذا حتى تتالف من ذلك سلاسل طويلة هي جزيئات المطاط الاصطناعي الجديد .

ويجوز ان تكثف بين مركبين بسيطين مختلفين ، مثل الايسوبرين Isoprene والنيوبرين Neoprene لينتج من ذلك نوع من المطاط آخر .

التكاثف السلسلي في صناعة الاسفنج الاصطناعي

اما الاسفنج الاصطناعي او المطاط الرغوى الذى نحن بصدده فبداوا في صنعه بالمركبين البسيطين ، الاول Tolylene diisocyanate ، والاخر مركب ادركسيلي في تركيبه كثير من المجموعة الادركسيلية O H (Polyol) او هو على الاصح أثيره O me (Polyether) ، ويتكاثف المركبان بالتسلسل فينتجان مادة الاسفنج المطلوب . والدخول في تفاصيل ذلك يبعد بنا عن القصد الذى نريد .

ثم غاز ينفش مادة الاسفنج

وهذا المركب البسيط الاول الذى شارك في التكثف السابق ، أى Tolylene Di - isocyanate يتفاعل فائض منه مع الماء ، فيخرج من هذا التفاعل غاز ثاني اكسيد الكربون ، وهو الذى ينفش مادة الاسفنج ، ويملأ مسامها وخلاياها ، الى أن تتجمد وتثبت على حال ، فيحل الهواء محل ثاني اكسيد الكربون .

ويخرج مع ثاني اكسيد الكربون مع هذا التفاعل المذكور « امين » عضوى عطرى Aromatic amine لا يلبث أن يتفاعل مع فائض من ذلك المركب البسيط الاول Tolylene Di - isocyanate لينتج مادة لا تلبث أن تتفاعل مع فائض جديد من هذا المركب لتزيد تفاعلا مؤداه زيادة الروابط المتصالبة التي تزيد الاسفنج متانة .

تفاعلات كيماوية عدة ، نذكر منها ما نذكر ، ونقف على الأبواب لا ندخل ، لأن تفصيلها طويل ، وليس هذا موضعه . فالقصد اعطاء فكرة عامة للقارىء غير العارف بالكيمياء او العارف بالقليل منها . وفي العلوم ، بعض فهم خير من لا فهم أصلا .

عوامل مساعدة

وغير ذلك يوجد لهذه التفاعلات مواد تعرف بالمواد المساعدة Catalytic agents تنشطها . ونضرب مثلا بالامينات العضوية هذا الأمين المسمى Trimethy - amine ، وبمركبات القصدير العضوية مثل Stannous Oleate .

وعوامل تبقي الاسفنج جامدا على أشكاله من بعد انتفاخ

وتستخدم لهذا الغرض زيوت من السلكون Silicone ، وهي تساعد على اعطاء الفقاعات التي يكونها غاز ثاني اكسيد الكربون في مادة الاسفنج ، شيئا من المرونة ، تساعد المادة اجمالا على الاحتفاظ بشكلها الاسفنجي من بعد انتفاخ ، فيحول دون انهياره .

والسلكونات مواد تشبه المواد الكيماوية العضوية ، وانما حلت ذرات السلسيوم فيها محل ذرات الكربون .

وغاز آخر يساعد على نفخ الاسفنج

وهو غاز الميثان CH_4 حلت ذرة فلورين محل ذرة الأدروجين منه ، وحلت ثلاث ذرات من الكلورين محل ٣ ذرات ادروجين . فرمزه الكيماوى $CFCl_3$ وهو يساعد غاز ثاني اكسيد الكربون في نفخ الاسفنج الناتج . وهو يضبط كذلك كثافة الاسفنج الناتج ، وهو يزيد الاسفنج الناتج ليونة . وهو اشبه بغاز الفريون Freon الذى يستخدم في الثلاجات الكهربائية للتثليج .

من هذا يرى القارىء ان الصناعة علم كثير ، وتكنية كثيرة . وكذلك اسرار كثيرة . والشركة التى تقوم بصناعة المطاط الاصطناعى هذا في الكويت ، بل الشركات التى تقوم بصناعته في شتى الامم ، بهذه الطريقة التى هي طريقة الشركة الكيماوية الامريكية الكبرى Unoin Carbide ، انما تعتمد ، للحصول على كيماويات هذه الصناعة ، اى خاماتها الاولى ، على هذه الشركة الام ، يحصلون عليها منها شراء ، او وفق ترتيب ما . ●●



السلطة

بقلم : الدكتور محمد جواد رضا

استاذ التربية المقارنة في جامعة الكويت

■ هذا وجه ثالث من تجربتي التي بادر « العربي » الزاهر الى نشر وجهين سابقين منها (النظام الاجتماعي العدد ١٢٩) و (حرية الفرد ـ العدد ١٣٩) ، وهي كما المحت في اولى الحلقتين محاولة للغوص في ضمير الشباب الجامعي العربي وتلمس تقويمه للمفاهيم العامة التي افترض انها تقود حياته العملية اجتماعيا وسياسيا واخلاقيا .

ويتناول فصل اليوم بالتحليل موقف الشباب الجامعي من « السلطة Authority » وهو يتميز باهمية خاصة . فلقد عرف الانسان عبر مسيرته الطويلة الوانا من « السلطة » في مجال التنظيم السياسي أو الديني او الاجتماعي كما الفها في الاخلاق والمعرفة حتى ليمكن القول بان « مبدا اخضاع الفرد للسلطة Authoritarianism » ظل مهيمنا على فكر الانسان وسلوكه الى الماضي القريب . حتى اليوم يوجد الكثير من الناس الذين ما يزالون يرون أن السلوك الصحيح يعني الطاعة لبعض التفسيرات او الاجتهادات والتسليم بصوابها سواء كانت تلك التفسيرات والاجتهادات تقاليد واعرافا او قوانين اخلاقية ، او نصوصا عقائدية او بشرية Dogmas ، او قوانين علمية او اوامر الاجهزة السياسية ونواهيها .

ان اخطر ما في السلوك انه يمنح اصحابه احساسا من الضمان بصواب افعالهم ، خصوصا عندما يسبغون على الجهات التي يقلدونها او يأتمون بها او يروون عنها او يقيسون اعمالهم عليها ، صفة العصمة من الخطأ Infallitil.ty والنهائية في الاحكام « Finality » . ليس هذا فحسب ، بل ان هناك خطورة حقيقية اخرى في السلوك تتجسد في تأثيراته الجانبية المتمثلة في احتمال انقلاب الاحترام للسلطة ـ اخلاقية كانت ام معرفية ، ام سياسية ـ الى نزعة ثابتة غير قابلة للانفتاح على حقائق لم تكن داخلة في حسابات الماضي . ان هذا المبدأ ، مبدأ الخضوع للسلطة Authoritarianism ، هو بطبيعة الحال شيء اكثر من مجرد القبول بالسلطة . انه الاعتقاد بان التفسيرات المتنزلة عن السلطة ، والاجتهادات المنسوبة اليها ، والمعارف المروية عنها ، مضمونة الصواب بمحض انحدارها عن الجهة التي انحدرت عنها . وعندما يسلّم الانسان تسليما غير ناقد



ومفهومها فى تفكير الشباب الجامعى

بمصدر من مصادر الاخلاق او المعرفة او الاحكام الاجتماعية فانه بذلك يُبطل فعل جهوده الخاصة لمعرفة الحقيقة ، ويتنازل عن استعمال ذكائه في التمييز بين ما هو حق وما هو باطل ، او في التفريق بين الخطأ والصواب . ومن ههنا كانت اهمية حديث اليوم .

(٢)

استقطب المشاركون في التجربة حول موقفين اساسيين من السلطة : ـ

الموقف الاول : يفسر السلطة بالتسلط ، وانه لا يفهم منها غير اجراء قسرى يرمى الى اخذ الاكثرية من الناس باجتهادات فئة قليلة منهم ، تملك من القوة والتدبير ما تستطيع معه أن تنفذ تصميماتها .

الموقف الثاني : يذهب في الاتجاه المعاكس فيرى في السلطة ـ وخاصة السلطة الاجتماعية ـ جهدا مشتركا يقوم به اعضاء الهيئة الاجتماعية ، كلها او اكثرها ، لتحقيق النفع العام ، فهي اذن تكليف يتحمل جمع من افراد الجماعة ـ لميزة خاصة فيهم ـ مسؤولية تحقيقه بتفويض من الجماعة نفسها وليس خارجا عنها .

واذا كان السكوت عن القول برأى موقفا ، فان نسبة كبيرة ، نوعا ما ، من المشاركين كانت غير جازمة في تفسيرها لمفهوم السلطة . ويصور الجدول التالي درجة انحياز المشاركين في التجربة الى كل من المواقف الثلاثة .

المواقف الاساسية من السلطة ٭

الموقف	عدد القائلين ونسبتهم المئوية فى					
	المحاولة الاولى		المحاولة الثانية		المحاولة الثالثة	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الموقف الاول ـ السلطة تسلط ..	٢٩	٤٨ر٦٪	٢٤	٤٠٪	١١	١٨ر٣٪
الموقف الثاني ـ السلطة تكليف مصدره التفويض الاجتماعي	١٨	٣٠٪	٢٣	٣٨ر٣٪	٣٩	٦٥٪
الموقف الثالث ـ غير جازم	١٣	٢١ر٧٪	١٣	٢١ر٧٪	١٠	١٦ر٧٪
المجموع	٦٠	١٠٠٪	٦٠	١٠٠٪	٦٠	١٠٠٪

٭ الفقرات التالية تتناول المواقف الاساسية عن السلطة بالتحليل : ـ

الموقف الاول :
السلطة تسلط

المحاولة الاولى : كانت نسبة الآخذين بهذا الموقف فيها ٤٨٫٦٪ ، وكان ربطهم السلطة الى القوة القاهرة صارخا . فالسلطة هي « القوة التي بواسطتها يقاد الناس » ، او هي « القوة الحاكمة » التي « يتمتع بها افراد معينون من ذوى المكانة في المجتمع » ولهذا فهي « تفرض على الفرد » و « يجب ان تطاع والا عوقب العاصي » لانها بعد كل شيء مشتقة من « الجماعة الحاكمة في كل دولة والتي بيدها زمام الامور والتي تأمر وتنهي وتعمل كل ما تريد وما على الافراد الا ان يطيعوها » . وهي بهذا المعنى « امتلاك القوة المعنوية او المادية التي تمكن شخصا ما او اشخاصا من السيطرة على الآخرين او حكمهم » وذلك عن طريق « مجموعة القوانين التى تقيد حرية الانسان » . وهؤلاء الاشخاص هم الذين « لهم حق الاخذ والفرض والعطاء » ، ويتمتعون بميزات خاصة انفردوا بها بحيث جعلوا من انفسهم « الهيئة الحاكمة للمجتمع » ، وهم الذين « يجعلون تحت سيطرتهم ضعفاء الناس ويخضعونهم لهم بالقوة » . و « كثيرا ما تكون السلطة غير انسانية وفي بعض الاحيان انسانية رحيمة » . وعلى العموم فان السلطة هي « مظهر من مظاهر القوة لدى الانسان » .

في المحاولة الثانية : انخفضت نسبة القائلين بهذا الموقف الى ٤٠٪ واصبح معنى السلطة عندهم قرينا لـ « القدرة » او « الملك » ، وتبين لهم ان السلطة قد تكون « الاهية أو بشرية » ولا يمكن مخالفتها مهما كان مصدرها لانها تتمثل فيها « الشدة » التي تجعل الفرد « يطيع ما يفرض عليه » . وهنا « تظهر الفروق الاجتماعية بين متسلط وخاضع » . والانسان غالبا ما يسيء استعمال السلطة « لانها اضخم مما يتصور » . والافراد يصلون الى السلطة « اما عن طريق القوة او طريق الانتخاب » ، وفي كلتا الحالتين هم يكتسبون حق « سن القوانين ومعاقبة الناس على مخالفتها » لانهم هم « الجماعة المتنفذة التي تملك مقاليد الحكم » والتي « تهيمن وتسيطر على فعاليات الناس ولها مطلق الحرية في ان تفعل ما تشاء » .

اما في المحاولة الثالثة : فقد هبطت نسبة الاخذين بهذا الموقف الى ١٨٫٣٪ وان لم يطرأ تبدل جوهري على مجرى تفكيرهم . فالسلطة ما تزال عندهم « القوة التى يمارسها الفرد او تمارسها جماعة من الجماعات لفرض السيطرة وابراز الذات » . وهي تتجسد في تلك النظم او الترتيبات التي « يحكمون بها غيرهم من الناس وخاصة الذين هم اقل منهم منزلة » . وعلى هذا يمكن القول بان السلطة « هي كل ما له القابلية على التحكم واصدار الاحكام » ويظهر فيها « عامل الخوف » لانها « تفرض قوانينها وانظمتها على الآخرين بالقوة ودون نقاش اذا كانت مطلقة ، وبارائهم اذا كانت سلطة ديمقراطية » . ان السلطة على العموم « تكون مسيطرة وفعالة » ويكون الافراد « تحتها سلبيين كالالة تحركها السلطة الحاكمة كما تشاء » وهي « غريزة في الانسان والحيوان » .

الموقف الثاني :
السلطة تكليف مصدره التفويض الاجتماعي

يتميز هذا الموقف بأمرين : ـ الاول هو ثبات ظاهرة التصاعد النسبي في حجم الاخذين به (٣٠٪ ، ٣٨٫٣٪ ، ٦٥٪) عبر المحاولات الثلاث . والثاني انه يلتمس للسلطة تفسيرا بعيدا عن مفاهيم القسر والقهر والقوة . وقد كان الاتجاه العام في المحاولة الاولى يؤكد ان « السلطة هي مجموعة افراد يرسمون القوانين ويعملون على تطبيقها » وهي ـ اى السلطة ـ قد تكون « ديمقراطية تخدم الشعب وقد تكون بالعكس » ، وهي بهذا المعنى يمكن ان تنصرف الى « النظام السياسي القائم في مكان معين وربما كان هذا النظام دينيا ـ الكنيسة او المؤسسات الدينية الاخرى ـ او دنيويا ـ الدولة » . واذن فالسلطة هي مجموعة افراد « تنظم » حياة مجموعة اخرى ، اى انها « القوة المدبرة التى يمكن بواسطتها ادارة الامور » . بل هي قد تكون اضيق من

ذلك فتعني « القوانين والانظمة التى تمنح فردا من الناس حق محاسبة غيره اذا شذ عما هو مدون او ماخوذ به عرفا في المجتمع » . والسلطة قد تكون ذات طبيعة علمية « كالسيطرة على جهاز التلفزيون مثلا » فهي نوع من السلطة . وهي قد تنقلب بهذا المعنى الى مسؤولية قانونية بدل ان تكون امتيازا او تسلطا فلا تعدو كونها « هيئة عليا تتمتع بصلاحيات اقوى من صلاحيات الافراد ، مسؤولة عن حماية الافراد والنظام الاجتماعي والديني » .

في المحاولة الثانية : ازدادت معالم هذا الموقف وضوحا وصارت السلطةتعني « مجموعة الافراد » الذين يتولون ادارة شؤون دولة معينة او جماعة معينة مستندين الى القوانين والعرف السائد آخذين بنظر الاعتبار التقاليد والعادات الاجتماعية » وهم لهذا يتمتعون بمجموعة من « الحقوق والامتيازات التى تخولهم حق تنظيم شؤون مجموعة من الافراد الآخرين واعمالهم وسلوكهم وادارتهم » . وعلى هذا يمكن النظر الى السلطة على انها « صفة » تمنح « الى فئة معينة تحاول هي الاخرى عن طريقها قيادة الهيئات الاجتماعية وتوجيهها » و « كلما كانت السلطة منتخبة من بين الافراد انفسهم زادت ثقتهم بها » .

اما المحاولة الثالثة : فقد كشفت عن اتجاه قوى لـ « فلسفة » النظر الى السلطة . وكان الرأى المهيمن هنا هو القول بان السلطة هي « ما تمنحه الهيئة الاجتماعية للفرد من صلاحيات حتى ان نشاط الفرد الادارى ليحدد قصد المجتمع واهدافه » . على ان هناك من يرى ان الفرد لا يستمد سلطته من تفويض الجماعة له بل من « قانون اخلاقي اساسي مستقل يتحكم في كل من الفرد والمجتمع وهو خارج عن العلاقة بينهما وهو ما يمكن الادارى من ان يحكم وفق ما يعتقد انه الحق والعدل ، اتفق ذلك مع رغبات المجتمع ام لم يتفق » .

هذا هو التفسير الفلسفي للسلطة كما تكشفه المحاولة الثالثة وهناك تفسير نفساني لها في هذه المحاولة ، تفسير يفهم السلطة على انها « سلطة الفرد عن كوامن نفسه وحاجاتها » خضوعا للقيم والاعراف التى يحترمها ولكنه « يميل الى الخروج عليها احيانا » . وللسلطة كذلك معنى الضمان الاخلاقي الذى نفيء اليه ونقيس اعمالنا عليه للتأكد من اخلاقيتها . وقد تتعدد السلطة وتتعدى معنى الحكم فتكون الهية مصدرها الله ، او دينية مصدرها الاديان ، او حكومية مصدرها الدولة ، او سلطة في حدود ضيقة تمثل مجتمعا صغيرا هو البيت الذى تبرز فيه سلطة الاب . وهي بهذا المعنى ليس من الضرورى ان تكون مقرونة الى التسلط بل يمكننا ان ننظر اليها على انها « القوة التى يؤمن الفرد بانها مسيطرة على حياته او لها سلطان عليه . فالناس الحكماء هم سلطة لانهم يؤثرون في حياة الفرد ، والأبوان سلطة لانهما يمارسان نفوذا كبيرا على حياة الفرد منذ صغره ، والقوانين سلطة لانها تحد من حرية الفرد » وهذا هو ما يجعل من السلطة ضرورة حياتية « للمحافظة على تقاليد معينة او تراث ثقافي او قانوني » .

ان هذا ـ بالمقارنة ـ يوجه افكارنا الى ضيق المفهوم الذى يحصر معنى السلطة بالحكم « فهناك سلطات ثقافية وعلمية ـ العلماء والمفكرون الذين يعملون في الحقل الثقافي والفكرى ـ وهناك ادارة المدرسة وهي سلطة ، كذلك يمثل الدين جانبا من السلطة لانه يقوم بتنظيم اوجه الحياة » للانسان . وفي اركان السلطة « الاتفاق الاجتماعي » الذى « يخول الادارى حق الاشراف على شؤون المجتمع العامة وتنسيقها وفق مصلحة الافراد الداخلين فيه » وفي هذه الحال لن يكون « المقصود بالسلطة القوة » بل « ضرورة اجتماعية اساسية » بدونها « ينعدم النظام وتعم الفوضى خصوصا اذا كانت تستمد قوتها من المجتمع » . وذلك « يجعل النظام الاجتماعي يسير حسب منهج مقرر » ويديره اناس منتقون لتمثيل مجتمعهم وتحقيق حاجاته فيقومون « بفرض القوانين ومعاقبة المخالفين » .

نتـــائج

(١) ان امتناع ١٦٫٧٪ ـ ٢١٫٧٪ من مجموع المشاركين في التجربة عن الافصاح عن مفهوم معين عن السلطة لهو ظاهرة غير يسيرة الخطر . هل كان ذلك عجزا ناجما عن فقدان الرؤية الواضحة ؟ ام

كان افتقارا الى اى تفكير مسبق في الموضوع ؟ ام كان قصورا عن التعبير ؟ أيا كان السبب فهو امر يثير الاهتمام بالقياس الى طلبة جامعيين لايفصل بينهم وبين حمل مسؤولياتهم الاجتماعية الا اشهر قصيرة ، معدودة .

(٢) ان تفسير السلطة بالتسلط يمثل حقيقة مهمة في تفكير شبابنا الجامعي تستحق ان تدرس بتعمق من حيث مصادر تكوينها ، ومن حيث نتائجها في سلوكهم الاجتماعي وملاءمة هذا السلوك لروح العصر الذى يحيون فيه . ولقد كانت هناك درجة عالية من الثبات ـ خصوصا في الموقف الاول ـ في وصف السلطة بانها « هيئة عليا » او « هيئة متنفذة » او « جماعة حاكمة » او « قيادة » او « مجموعة قيود » او « يد كبرى » توجه الناس حيث تريد او « برج عال يطل على ميدان الناس يرفعون عيونهم يتطلعون اليه كي يحصلوا على ما يريدون » .

(٣) ان الربط بين السلطة والحكم بهذا الشكل يلغي من افكار الشباب امكانية وجود سلطة دينية او اخلاقية او علمية تستطيع ان تؤثر في سلوك الجماعة تأثير الحكم او اقوى منه .

(٤) ورد ذكر الدين كنوع من انواع السلطة المؤثرة في السلوك الانساني ثلاث مرات في المحاولة الاولى من الموقف الثاني ، ومرة واحدة في المحاولة الثانية ، وثماني مرات في المحاولة الثالثة منه ، وفي كل مرة من هذه المرات كان ينظر الى الدين على انه نوع اساسي من انواع السلطة .

(٥) تكشف المحاولة الثالثة في الموقف الثاني عن تحولات جذرية في افكار المشاركين نحو السلطة فقد ظهر هنا ميل الى التسليم بتعدد السلطة وتنوعها كما ظهرت فكرة التفويض الاجتماعي قوية واضحة .

(٦) كذلك ظهرت في هذا المجال فكرة الربط بين السلطة وحقوق الافراد ومنافعهم واضحة هي الاخرى ، فالسلطة « هي مجموعة القوانين التى تسيطر على الفرد لما لها من اهمية في تنظيم حياته » .

(٧) ان التحولات الاكيدة في افكار المشاركين في التجربة والتى برزت في المحاولة الثالثة ، من الموقف الثاني تترجم عن امكانات التربية في احداث تحول اصيل في افكار الشباب اذا ما توفر لها التخطيط الجيد والمتابعة الدقيقة . ■■

محمد جواد رضا

تواضع عند الكرم

أتى رجل الحسن بن على رضى الله عنهما يسأله فقال الحسن : ان المسألة لا تصلح الا فى غرم فادح ، أو فقر مدقع ، او حمالة مفظعة . فقال الرجل : ما جئت الا فى احداهن . فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجل الحسين بن على فسأله فقال : كم اعطاك ؟ قال : مائة دينار . فنقص دينارا . كره ان يساوى أخاه .

ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر رضى الله عنه فسأله فأعطاه سبعة دنانير . فقال له الرجل انى اتيت الحسن والحسين وقص عليه كلامهما وفعلهما به فقال عبد الله بن عمر : وانى تجعلنى مثلهما انهما غرّتا العلم غرّتا المال .

مسلمات خالدات



لؤلؤة الطائية

بقلم : سنية قراعة

■ ظلام مدلهم .. كان يغمر الصحراء بالرهبة والخوف .. ويأبى أن ينجاب لحظة من اللحظات رغم كر الليل والنهار .

ولقد كان عجيبا أن تظل بنود هذه الظلمة الداكنة عالية ترفرف فوق الرءوس وكأنها غاصب يأبى الا ان يفرض وجوده البغيض على من كرهوا طول بقائه ، وظلوا يتململون فى ضيق وتبرم .. ولكن العجز والضعف ، يقعدهم عن المسير نحو طريق الخلاص .. فبقوا فى رَهَبوت الظلمة الحالكة ، تهفو قلوبهم الى نور الخلاص !

انها ظلمات الجهالة العمياء .. والضلالة التى ما بعدها ضلالة !

وكانت هناك طوائف من الهداة والمبشرين أصحاب الرأى ، يتحدثون عن البشير القادم ، ويؤكدون ان القوة الخفية التى تحكم الدنيا والتى اوجدت هؤلاء الناس في عالمهم لن تتركهم هكذا يضيعون سدى .

واخذ النور يتقدم مع الداعية الذى أنزل عليه من لدن حكيم خبير ، ليكون هدى للناس وتبيانا لكل شيء .

وبالرغم من أن نور الله قد شمل الصحراء وبدد ظلم الجهالات التى كانت تتغشاها ، فانه ظلت هنالوفي أغوار سحيقة من عالم التيه هذا ، اقوام قليلة وقبائل محدودة كانت تعيش في ظلمة الجهل ، وكانما ابى سادتها أن يسمحوا للنور بأن تتقدم مواكبه ، فاغمضوا عيونهم عن رؤيته ، واغلقوا دونه آذانهم وقلوبهم !

هنالك حيث كانت تعيش قبائل « طيء » قام معبد صغير يتصدره صنم اصم ، كان يرعاه « عدي بن حاتم الطائي » وكان دائم الاتجاه اليه بتضرعاته وتوسلاته .. وكانت له في قدرة هذا الصنم ثقة كبيرة ، حتى لقد كان يعتقد انه سر عز القبيلة وسببسعادة أهليها ،لانه يرعاهم ويحرسهم بقوته من عاديات الزمان ! !

وكانت الايام كلما مرت ازداد ايمان عدي بن حاتم الطائي بصنمه ، ذاك الذى كانوا يسمونه « فلسا » .. وكان يتحدث كثيرا الى شقيقته « سفانة » الملقبة باسم « لؤلؤة الطائية » عن قوة هذا الصنم وجلاله ، ويدعوها الى أن تتجه اليه بمشاعرها وعواطفها ، ليهبها العافية ويحميها من الشرور .

واعتادت « سفانة » أن تستمع الى أخيها في اعجاب وقد أخذت منها حماسة الايمان بمعبودها « فلس » كل مأخذ ، فهي ترى فيهالحصن والجدار والحمى ، لا لقومها ومن حولهم من القبائل فحسب ، بل لها هي بصفة خاصة ، اذ طالما هرعت الى ساحته ، وطالما أسرت اليه بالنجوى ، تسأله مزيدا من العطاء والرعاية لها ولأموالها ، التي كانت تهبها عن سخاء ، وتعطى منها عن كرم ، ولا ترد لطالب طلبه ولا لمحتاج حاجة مهما كانت قيمة هذه الحاجة وقيمة ما تطلبه من التضحية بالمال . .

وسفانة الكريمة .. المضيافة السخية اليد ، لم تكن دخيلة على هذه الصفات ، فلقد ورثتها عن أبيها « حاتم الطائى » أشهر من عرف بالسخاء في تاريخ العرب !

وقضى حاتم .. وبقيت بعده ذكراه الطيبة ، وأحاديث كرمه ..

وبقيت سفانة لتظل وهي أشد الناس حفاظا على التقاليد التى اشتهر بها أبوها الكريم الجواد ، فكانت تعطى وتعطى .. وكانت تؤمن في قرارة نفسها أن العطاء يزكي المال ويربيه ، وان الكريم الجواد لن يلحق به الفقر في يوم من الايام !

بقيت سفانة في قومها في مكان الصدارة منهم .. وبقي بيت حاتم الطائي وله نفس المكانة السامية في نفوس الناس أجمعين مقصدا لذوى الحاجات وموئلا للمعوزين . .

واخذت الايام بعد ذلك تمضى في مواكبها الرتيبة دون أن تعتورها سنة التبديل ، أو تخضع لشرعة التعديل .

وفي العام السابع الهجري كانت جيوش المسلمين تجوب الصحراء تؤيد الحق وتدعو عن طريق الدعوة الكبرى الى اتباع طريق الهداية والبعد عن الضلالات .

وذات يوم من أيام العام السابع الهجرى اسرع أحد الرعاة الى عدى بن حاتم ليقرع أذنيه بأغرب نبأ ذهل له وقد قال : ان جيوش المسلمين تتقدم ، وان هناك سرية يقودها علي بن أبى طالب ، تتقدم من قبائل طيء لتدخلها في دين الله في جملة من آمنوا بالله ورسوله !

وتلفت عدى حواليه في دهشة ، فماذا كان بوسعه ان يفعل وقد أخذ على غرة ، أحس معها انه غير قادر على جمع رجاله ، ليقف امام السرية القادمة ولواؤها لعلي بن أبي طالب ! وكبر في نفسه أن يعلن الخضوع للقادمين ولو كان الحق في يدهم ، فهو يأبى أن يسلم للقوة ويذعن للاجبار ، ووجد نفسه يفر هاربا وهو لا يرجو الا أن يبتعد من مثار النقع ومجال الموقعة القادمة لينتظر فيرى بعدها ماذا يحدث وماذا سيحل بقومه وأهليه من بني طيء ؟ ! .

وظلت السرية التي يقودها على بن أبي طالب تتقدم وتتقدم حتى وصلت الى قبائل طيء فاقتحم « علي » معبد « فلس » وحطم الصنم ! وكسر ما حوله من حجارة ونُصُب وتماثيل ، وقد علا صوته مجلجلا يدوى « الله اكبر ! ! الله اكبر !! لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وان محمدا عبده ورسوله .. » وعاد علي من هذه الغزوة يسوق أمامه الاسارى والسبايا والغنائم وفيئا عظيما أفاءه الله على المسلمين .

وسيق الأسرى كما هي العادة امام رسول الله، ليرى فيهم رأيه .. فلما فرغ منهم اتوا بالسبايا فتقدمن من حضرته ، وكانت « سفانة بنت حاتم الطائي » بينهم رائعة رافعة الرأس شامخة الأنف ، ترفل في ثياب العز ، وعليها مظاهر النعمة ومخايل الجاه والسؤدد ، وفيها كل ما ينطق بعالى مكانتها وسامى مقامها وسط أهلها ..

تقدمت سفانة بين السبايا وراحت تدفعهن أمامها لتتقدمهن ، وقد أحبت أن ترى رسول الله من قرب تحاول معرفته معرفة الكريمة للكريم ، وصاحبة الجاه للرجل الذى لم يغره الجاه ولم يعبث بتواضعه الظفر والسلطان !

اتجهت أنظار المسلمين الى تلك الجارية المشوقة القد الشامخة الرأس البادية مظاهر النعمة عليها وهي تتقدم في جراة من مجلس رسول الله ، وقد راحوا يتساءلون عن السر الذى دفعها الى أن تتقدم الجميع .

وقبل أن يفيق المسلمون من دهشتهم وصل الى أسماعهم صوت سفانة وقد ارتفع عاليا يقول :
« يا محمد » !

واتجه صلى الله عليه وسلم بسمعه الى الجارية التي وقفت أمامه .. وكذلك اتجهت اليها مسامع الحاضرين من المسلمين .. واذا بها تقول : « هلك الوالد وغاب الرافد » !

فسألها الرسول عمن يكون رافدها ؟ واذا بها تقول : انه « عدى بن حاتم الطائي » .. فاربد وجه النبي وظهرت عليه مخايل الغضب وقد سمع اسم عدي وقال :

« عدى ! الفار من الله ورسوله » !

وعجزت سفانة عن الجواب ، فقد كان ما نطق به الرسول هو الحق الذى تعجز عن مجادلته أو مجابهته ، فأخوها فار اعتصم بكفره ، وظن انه نجا يوم فر بنفسه من الله ورسوله ! ولم تستطع الا أن تلوذ بالصمت وان تنكس رأسها ، وكأنها كانت في حيرتها تبحث عن كلمات قادرة معبرة تخرج بها من هذا الصمت لتعود الى عرض شكايتها على رسول الله ، وهي تقصد من وراء ذلك أن تتعرف عليه ، وتقف على الكثير من دقائق ما سمعت من حلمه وكرمه واذا بها أخيرا تقول :

« يا محمد !! ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بي أحياء العرب ، فافعل ذلك كرما منك وسماحة ! فقد كان أبي يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرّج عن المكروب .. ويُطعم الطعام ، ويُفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط » !

وسكت رسول الله لحظة أسرع يقول بعدها لسفانة :

« يا جارية ! ! هذه والله صفات المؤمن ! ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه !! »

ثم التفت الى أصحابه وقال لهم : « خلوا عنها ، فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق . والله يحب مكارم الاخلاق » .

ووجف قلب سفانة وقد هزتها الأريحية النبوية ، وأحست بوجدانها أنها أمام الداعية الأعظم والدليل الهادى الى سبيل الله .. واذا بها تؤمن عن صدق أمام رسول يجب أن يطاع .. وتشعر أنها تنطلق موحدة بكل جوارحها .

وماذا كانت تريد سفانة أن تكون أكثر من أنها كانت ضالة فاهتدت .. وراغبة في معرفة الحقيقة فلمستها بوجدانها وأحست بحلاوتها تغمر مشاعرها ؟

لقد كانت سفانة كريمة النفس عظيمة المطالب، لم تكتف بالاقرار بالتوحيد .. بل أحبت أن تكون مجاهدة من المجاهدات في سبيل الله ، تدعو اليه وتهدى العاصين من قومها بهدى الاسلام ، واذا بصوتها ينطلق قائلة :

« يا رسول الله .. أتأذن لى أن أدعو لك بين أهلي وقومي .. »

وتبسم رسول الله وأذن لها ..

ونزلت كلماته بردا وسلاما على قلب سفانة .. حتى كادت الدنيا تضيق بها من فرط سعادتها ، وتمنت لفورها لو تنطلق الى مجال الجهاد وميدان الدعوة فتهدى العصاة وتجعل الكافرين يؤمنون بدين الله ويدخلون فيه عن رضى وحب .. واذا بها تقول :

« يا رسول الله .. أصاب الله ببرك مواقعه .. ولا جعل لك الى لئيم حاجة .. ولا سلب نعمة من كريم قوم الا وجعلك سبب ردها عليه » .

وران الصمت على الجميع .. ورجعت سفانة وقد أحبت أن تستأذن رسول الله في العودة الى قومها ، فطلب منها أن تنتظر حتى تجد الثقة الذى يصحبها في رحلتها لتصل آمنة معززة مكرمة الى حيث تريد ، ثم أمر بأن يصحبها ركب ليصل بها الى مأمنها ، وأبى جوده الا أن يغمرها ببره وكرمه ، فأمر لها برحل وكسوة ونفقة تستعين بها على بلوغ مأمنها .. ودعا لها بالتوفيق والهداية..

وخرجت سفانة الملقبة بـ « لؤلؤة الطائية » وقد ازداد اعجابها بالرسول الكريم ، كما ازداد ايمانها بدعوته وتفتح قلبها لنور الاسلام .

خرجت ومعها الركب الذى أمر رسول الله أن يصحبها لتبلغ مأمنها سالمة ، فاذا بها تطلب منهم أن يذهبوا الى « دومة الجندل » حيث كان يعتصم أخوها « عدى » هناك في حصن يشرف على الصحراء ، راح من أعلاه يرقب الفضاء أمامه وكأنه ينتظر عودة عزيز غاب عنه ليرد عليه لهفته، وينقذه من حيرته ، ويحدثه بما كان من أمر أسارى بنى طيىء وسباياهم .

وتلاقى الشقيقان أخيرا ، وراحت سفانة في حرارة وحماسة تحدثه بما كان ، وتصف له ما أثار اعجابها وعجبها من صفات محمد الكريم المعوان ، الذى أقال عثرتها ، وأحاطها ببره وكرمه ، وشملها برعايته ، ولم يبخل على أبيها بأن كرّم ذكراه وقال فيه أحسن ما يمكن أن يقال عن رجل كريم لم يلحقه الاسلام ولم يدخل فيه ..

وظل عدى يستمع الى سفانة أخته وهو في ذهول ودهشة ، وقد بدأ يحس أن وجدانه يتفتح لنور غامض بدأ يشع عليه من نواح متعددة ، طاردا أمامه ظلمة الشك والحيرة ، حتى لقد راح يسائل نفسه :

ترى هل وصل الى الحقيقة ؟ وهل استطاعت الحادثات التى مرت به وقومه أن تكشف وجه هذه الحقيقة له فيراها ناصعة جلية تشع بالطهر والعزة والاباء ؟

وأحب بكل مشاعره أن يستجيب لدعوة شقيقته الحارة .. ولكنه وجد أن الحكمة توحى اليه بالتريث ليعاود سؤال سفانة لتزيده معرفة بذلك الداعية الكريم وتصارحه برأيها فيه .. وفي دعوته ؟

وراحت سفانة تتحدث عن محمد رسول الله ..

وظل عدى يستمع ويستمع وكأنما كان يروى ظما روحه بكلمات أخته ، وكأنما وجد الغذاء الشهى لوجدانه في أوصاف سفانة ونعوتها للرسول الكريم .

واذا به يسرع الى راحلته لتحمله الى محمد في مدينته حتى يعاينه جهارا ، ويعرفه عن حقيقة، كما عرفته أخته سفانة ، وينطق أمامه بالايمان ، ويعلن براءته من ماضيه ويتوب عنه ، فهو العائد.. العائد بدين الله ، وهو المستظل برحمته ورضوانه، ولن يكون بعد اليوم الهارب من الله ورسوله أبدا ! !

ودخل عدى المسجد وألقى بالسلام على رسول الله ، فسأله عمن يكون ؟ ! واذا به يقول انه « عدى بن حاتم الطائي » ، فتهلل وجه النبي بالبشر ، وعرف أن سفانة قد صدقته وعدها وانها كانت داعية مؤمنة صادقة ، وأن دعوتها أفلحت في رد أخيها الى جادة الحق ..

تهلل وجه الرسول بالبشر وقد أسعده أن تصدق داعيته سفانة ، وأن تبر بوعدها ، ووجد نفسه يقوم من مكانه مادا يده مرحبا بعدى بن حاتم الطائي ، ثم أخذه من يده وخرج به من المسجد سائرا الى حجراته ، فدخلها ومعه ضيفه الكريم فأجلسه على حشية ، وجلس الرسول على أرض الحجرة ، وراح يحدثه عن الدين وعن نصر الله الذى أيده ، ثم راح يبشره بالخير العميم الذى سيعم المسلمين جميعا « سيفتح الله علينا الدنيا ..ولعلك يا عدى انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن

أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف .. ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم .. وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .. »

وامتلأ قلب « عدي » بالنور ، وأحس أن شقيقته سفانة وان كانت قد فتحت له الطريق بحديثها عن كرم محمد رسول الله ، فانها لم تقل مثل هذا الذي سمعه منه ، ووجد نفسه وبوحي من وجدانه ينطق بالتوحيد علانية ويسأل رسول الله الدعاء ..

وأسرع عدي بن حاتم الطائي عائدا الى دومة الجندل ، وكله شوق الى أخته ليرد اليها جميلها ويحدثها عن النبي بأكثر مما حدثته هي عنه ، واذا به يجدها وقد استحالت الى داعية هادية ، تجمع القوم حولها ، وراحوا يصغون اليها وهي تأخذ بيدهم من طريق . وتسير بهم من درب الى درب ، وتحدثهم عن رعاية الله التي سيؤيد بها المسلمين .

وتلاقت العيون .. وابتسمت سفانة وابتسم لها عدي ، واذا بها تقول له : كيف رأيت الرجل ؟ فقال : انه لا يستطيع أن يفيه حقه من الوصف ، فالتفتت الى قومها تطالبهم بأن يزدادوا ايمانا بالاسلام ، وأن يشهدوا بأن محمدا هو داعية الحق ، وهو البشير النذير ، وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين ..

وانضم عدي الى شقيقته في الدعوة الصادقة للايمان بدين الحق ، فالتف حولهما الناس ، وعظم شأنهما بأعز وأعظم مما كانا في الجاهلية ، وعرفا أنهما اليوم في رعاية من لا تغفل له عين .. ومن يغفر ويعطي وهو الوهاب العظيم .. فسجدا لله شكرا ، وازدادا ايمانا فوق ايمان .

وكما خلد حاتم الطائي اسمه في عداد أهل الكرم والجود والسخاء ، كذلك سبقته سفانة ابنته في طريق الخير ، فلم تكن الكريمة المعطية فحسب ، بل كانت المؤمنة الصالحة ، التي زادها الله قبولا ورضى ، وأعز مكانتها ، فنالت شرف الكرامة والقبول والرضى ، وأصبحت من المسلمات الخالدات ! .

■■

سنية قراعة

وقف الامام علي بن ابى طالب كرم الله وجهه على المقابر ثم قال : اعتبروا يا أهل الديار التى نطق بالخراب فناؤها ، وشيد فى التراب بناؤها فمحلها مقترب . وساكنها مغترب ، لا يتزاورون تزاور الاخوان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران : قد طحنهم بكلكله البلى ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، ثم قال يا أهل الثروة والعز ، ان الازواج بعدكم قد نكحت ، والاموال قد قسمت ، والدور قد سكنت ، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ماعندكم ؟ ثم التفت الى اصحابه فقال : أما والله لو أذن لهم لقالوا : ان خير الزاد التقوى .

لغويات

بقلم : الدكتور احمد عمار

النزف والنزيف

■ من أخطاء التسمية الشائعة ، ولا سيما في المحيط الطبى ، استخدام كلمة « نزيف » بمعنى انسكاب الدم خارج أوعيته . والصحيح في التعبير عن هذه الحالة المرضية هو كلمة « نزف » ، أما النزيف فانما تشير الى المريض المصاب بالنزف ، قياسا على فعيل بمعنى مفعول ، مثل جريح وقتيل وصريع وما جرى مجراها .

وجاء في المعجمات : نَزَفَ دمَه نزفا فهو منزوف ونزيف : استخرجه . ونزف فلان دمه ينزفه نزفا اذا استخرجه بحجامة أو فصد . والمنزوف والنزيف أيضا السكران اذا ذهب عقله. وانزف الرجل اذا فنيت خمره أو ذهب عقله . ويقول امرؤ القيس :

واذ هي تمشي كمشي النزيـ
ـف يصرعه بالكثيب البهر

يريد أن يشبه مشيتها الوئيدة المتهافتة بمشية من أضعفه السكر وتساوخت قدماه في الرمل ، وبه بُهْر اى دوار .

فالنزف للمرَض ، والنزيف من أصيب به . ولست أعلم في الانجليزية لفظا مفردا يقابل النزيف ، اى المصاب بالنزف ، فهذا امتياز للعربية عليها .

اللسع واللدغ وما اليهما

من أراد التعبير عما يصيب الانسان من أذى الحيوان والهوام والحشرات فليلتزم :

اللسع : لكل ذى ابرة كالعقرب والزنبور .

واللدغ : للهوام والحشرات التى تستعمل أجزاء فمها للعض ، كالقمل والنمل .

والعض : للحيوان والسمك .

والنقر : للطير .

والنهش : للزواحف .

والنكز : للحية .

الغصص والشرق وما اليهما

ومن أراد الدقة في التعبيرعما يصيب الانسان في حلقه عند البلع فليقل :

غَصَّ الرجل يَغَصّ غَصَصا بالطعام . والغُصّة ما اعترض في الحلق من الطعام ، ويقول الشاعر :

من غَصَّ داوى بشرب الماء غصته
فكيف حال الذى قد غَصَّ بالماء

وشَرِق الرجل يشرق شرقا بالماء . والشرق بالماء كالغصص بالطعام . ويقول أبو الحسن الحصرى في قصيدته المشهورة « ياليل الصب متى غده » :

يا اهل الشوق لنا شَرَقٌ
بالدمع يفيض مُورِده

وشَجِى الرجل يشجَى شجا بالعظم اذا نشب العظم في حلقه ، والشاعر يقول :

ويرانى كالشجا في حلقه
عَسِرا مَخرَجُه ما يُنتزع

وجَرِضَ الرجلبجرض جريضا بريقه اذا ابتلع ريقه على الجهد عند الحزن والهم . وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، ويضرب للأمر اذا عاق دونه عائق .

طبيب

فليكن قولك : غَصَّ بالطعام ، وشرِقَ بالماء وشَجِيَ بالعظم وجَرِض بالريق .

الية واحدة أم أليتان ؟

والآلية بالفتح العجيزة ، للناس وغيرهم . آلية الانسان والية الشاة ، ولا تقل لِيّة ولا الية بالكسر فانهما خطأ .

والآلية الابهام اللحمة التى في أصلها . والية الساق اللحمة المنتبرة في باطنها وهى عضلة الساق .

وهنا يقوم السؤال : اللرجل الية واحدة ام اليتان فيما يقابل Buttocks فى الانجليزية ؟ الأشهر في اللغة أنها ألية واحدة ذات جانبين أيمن وأيسر . وجاء على قلة : هما أليان وأليتان .قال الشاعر :

ترتجُّ الياه ارتجاج الوطْب
كانما عطية بن كعب ظعينة واقفة في ركب

قال عنترة :

متى ما تلقنى فـردين ترجفْ
روانف أليتيـك وتستطارا

اما الألِيّة بالفتح وتشديد الياء فهى اليمين والقسم والحلف .

والالية بالكسر (واصلها ولِيَة) فهى القِبَل والتلقاء ، وجاء في الحديث الشريف :

« لا يقام الرجل من مجلسه حتى يقوم من الية نفسه » . اى من قبل نفسه من غير أن يزعج او يقام . وفعلتُ ذلك من الية نفسى أى من تلقاء نفسي .

الوَمَد والرطوبة

من ادار لسانه بالكلمة الأجنبية Humid ـ في نطقها الفرنسي على الاخص ـ ثم عاد فاداره بكلمة «ومد» ، وتدبر بعدئذ معنى الكلمة العربية، لم يسعه الا ان يعتقد ان الكلمة الأجنبية منتحلة من هذا الاصل العربى ، أو أن الكلمتين منتحلتان من اصل واحد .

فالومد في المعجمات : ندًى يجيء في صميم الحر من قبل البحر ، ويقال : يوم وَمِد وليلة ومدة وومد .

وقال البحترى : خرجت من منزل ابى الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار في تموز فقلت : ليس بقربى منزل أقرب من منزل المبرِّد ، وكان منزلى بعيدا بباب الشام . فجئته فادخلنى الى حوشه له ، وجاء بمائدة فاكلت معه لونين طيبين ، وسقانى ماء باردا ، وقال لى : أحدثك الى أن تنام ، فجعل يحدثنى أحسن حديث . فحضرنى لشؤمى وقلة شكرى بيتان فسألته أن انشدهما ، فقال : ذلك اليك ، وهو يظن انى مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحرِّ الشوق في صدر عاشق
على أنه منه احرُّ واومَدُ
ظللت به عند المبرِّد قائلا
فما زلت في ألفاظه أتبرَّد

فقال : قد كان يسعك اذا لم تحمد الا تذم ، ومالك عندى جزاء الا أن أخرجك !

فلتنشر هذه الكلمة نشورا ونشرا ـ ردًا لحقها المسلوب .

اما كلمة « رطوبة » فلندعها في مكانها الصحيح، وصفا للشيء الندى المبتل مقابلا لليابس ، تقول : نبات رطب اى غض طرى ، وعود رطب: غير يابس. ولكنك تقول : هذا يوم وَمِد وهذه ليلة وَمِدة .

■■

القاهرة أحمد عمار

أمراض شائعة

النزلات الشعبية و الالتهابات الرئوية

بقلم : الدكتور مصطفى الهجان

■ قبل أن نذكر شيئاً عن هذه الامراض التى تشيع في فصل الشتاء .. يجب علينا أن نشير بسرعة الى تركيب الجهاز التنفسي .

فالجهاز التنفسي يتركب من قسمين :

الاول : الجهاز التنفسي العلوى ويتكون من :

١ ـ الانف .

٢ ـ الجيوب الانفية .

٣ ـ الحنجرة .

٤ ـ القصبة الهوائية .

٥ ـ الشعب الهوائية : تنقسم القصبة الهوائية شعبتين يمنى ويسرى وكل منهما تنقسم الى شعب اصغر .

ثانيا : الجهاز التنفسي السفلى :

تنقسم الشعب الصغيرة الى شعب ثانوية ثم شعيبات تصغر تدريجيا الى ان تفقد غضاريفها عند اقترابها من انسجة الرئة .

وتتكون انسجة الرئتين من حويصلات هوائيـة يحيطها نسيج من الشعيرات الدموية .

والشعيرات الدموية هذه قسمين .

القسم الاول نتيجة انقسامات الشريان الرئوى ويحمل الى الرئة الدم الفاسد من الجهة اليمنى من القلب حيث يفقد ثانى اكسيد الكربون ويمتص الاكسجين من الهواء الذى يملأالحويصلات الهوائية وبذلك يذهب فساده ، وهنا يبدأ القسم الثاني الذى يحمل الدم النقى بطريق الوريد الرئوى الى الناحية اليسرى من القلب ومن حيث يوزع هذا الدم النقى الى جميع اجزاء الجسم .

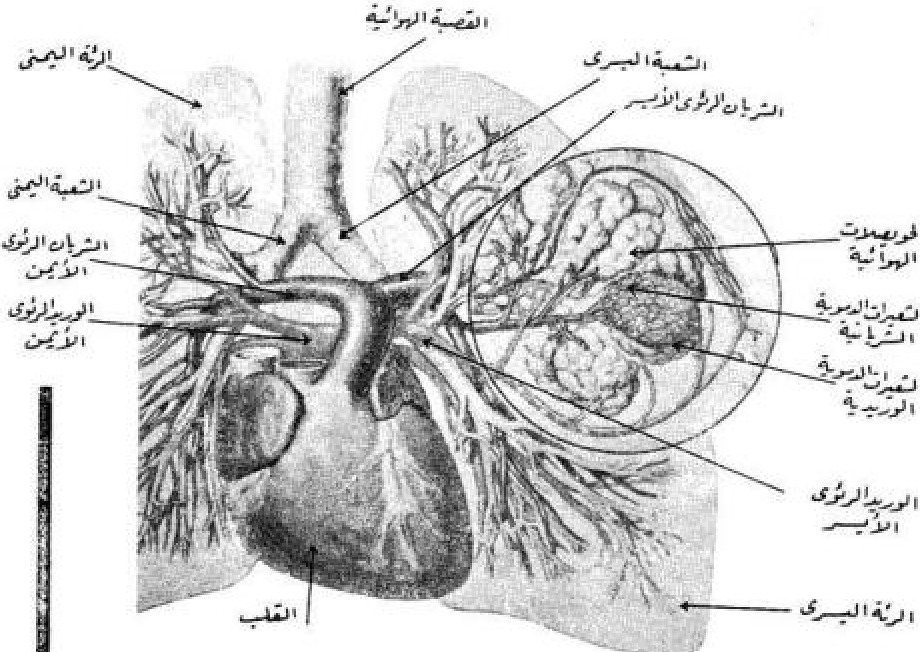
وكل رئة تغطى بغشاء يحيط بها يسمى الغشاء البلـورى ، والرئتـان موجودتان داخل القفص الصدرى ويفصلهما عن تجويف البطن الحجاب الحاجز .

وكلا قسمى الجهاز التنفسي العلوى والسفلى عرضة للالتهاب نتيجة عوامل عدة ـ ويكون الجهاز التنفسي اكثر عرضة للالتهابات فى فصل الشتاء .

ومن هذه الامراض والالتهابات التى تصيب الجهاز التنفسي سنركز فيهذه المجالةعلى النزلات الشعبية والالتهابات الرئوية .

النزلات الشعبية Bronchitis

وتنقسم الى قسمين رئيسين :



١ ـ الالتهاب الشعبى الحاد .
٢ ـ الالتهاب الشعبى المزمن .

الالتهاب الشعبى الحاد

العوامل المساعدة لحدوثه :

١ ـ الطقس : فهو يكثر في الجو البارد الرطب ـ والتعرض للبرد يساعد على حدوث المرض .

٢ ـ السن : كل الاعمار معرضة للاصابة به ولو انه يكثر في سن الطفولة والشيخوخة .

٣ ـ الارهاق والتعب والضعف العام .

٤ ـ بعض الامراض المزمنة كامراض القلب والكلى وكذلك امراض الانف والحنجرة التى تسبب انسدادا فى هذه الاعضاء فيضطر الشخص الى التنفس عن طريق الفم .

السبب : يرجح أن يكون السبب نوعا من الفيروسات وبعض المجموعات المختلفة من الميكروبات الموجودة فى الجهاز التنفسي العلوى فيمتد منها الالتهاب الى الشعب الهوائية .

الاعراض : تبدأ فجائية . يشعر المريض بارهاق وآلام بالاطراف مع احساس بالضيق في الصدر وارتفاع في درجة الحرارة التى تصل عادة الى ٩٩ ـ ١٠٠ درجة فهرنهيت (حوال ٣٨° مئوية) وفي بعض الحالات الشديدة قد تصل الى ١٠٣ درجة ، (حوال ٣٩° م) وتزداد سرعة التنفس .

السعال : يكون أولا غير مصحوب ببلغم ثم بعد عدة ساعات تزداد كمية البلغم . والبلغم يكون اولا قليلا وسميكا ويخرج بصعوبة ثم يزداد ويصبح اكثر سيولة ـ وعند ازدياد البلغم وسيولته تقل الاعراض الاخرى . في بعض الاحيان يكون البلغم به عروق من الدم .

وتستمر الحرارة من ٢ ـ ٤ أيام ولكن السعال قد يستمر ١٠ أيام او أكثر وفي بعض الاحيان قد تطول مدة السعال الى اسابيع ، وهنا يجب ان ننبه انه في هذه الحالة يجب ان يفحص المريض بدقة اذ قد تكون النزلة الشعبية نتيجة تدرن أو امراض اخرى .

والمرض في حد ذاته قابل للشفاء في اغلب الاحيان ونادرا ما يؤدى الى الوفاة الا فى صغار السن أو كبار السن أو في حالات امراض القلب والكلى .

المضاعفات

١ ـ الالتهابات الرئوية الشعبيه .

٢ ـ الالتهاب الرئوي .
٣ ـ الالتهاب الشعبي المزمن .
٤ ـ بعض انواع الامفيزيما .

الوقاية :

١ ـ عدم التعرض للبرد .

٢ ـ تهوية الغرف .

٣ ـ الامتناع عن ارتياد الاماكن المغلقة غير الجيدة التهوية والمزدحمة في المواسم التى تكثر بها النزلات البردية .

٤ ـ معالجة الحالات التى بها عيوب في الانف وتؤدى الى التنفس من الفم .

٥ ـ الاحتياط الكافي للاقلال أو منع الغبار في بعض الصناعات ذات الغبار .

٦ ـ الاحتياط الكافي للتهوية في بعض الصناعات التى ينشأ منها غازات ضارة او لبس الاقنعة الواقية للوقاية منها .

العلاج :

يجب ان يكون بواسطة الطبيب .

١ ـ الراحة التامة في الفراش خاصة في الفترة الاولى من المرض وعدم العودة للعمل الا بعد فترة نقاهة كافية .

٢ ـ الغذاء الخفيف مع الاكثار من السوائل الدافئة .

٣ ـ تهوية الغرفة التى بها المريض مع عدم تعريضه للتيارات الهوائية او البرد .

٤ ـ اعطاء الادوية التى تساعد على الاكثار من البلغم .

٥ ـ المضادات الحيوية اذا لزم الامر حسب الحالة ونوع الميكروب .

الالتهاب الشعبى المزمن

الاسباب : اذا تكررت النزلات الشعبية الحادة قد ينتج عنها التهاب شعبى مزمن . والعوامل المساعدة لحدوثها شبيهة بالعوامل المسببة للنزلات الشعبية الاخرى وكذلك أمراضها .

المضاعفات :

١ ـ تليفات بالرئة Peribronchial Fibrosis
٢ ـ تمدد شعبى Bronchicetasis
٣ ـ انتفاخ حويصلات الرئة Emphysema
٤ ـ هبوط بالناحية اليمنى من القلب .

العلاج :

١ـ الانتقال الى جو دافيء مناسب اذا كان ذلك ممكنا .

٢ ـ عدم التعرض للبرد الشديد .

٣ ـ تغيير العمل اذا كان مما يعرض المريض للضرر .

٤ ـ البقاء فترات مناسبة في الهواء الطلق .

٥ ـ الامتناع عن التدخين .

٦ـ الغذاء المناسب الجيد .

٧ ـ الادوية : حسب الحالة .

(أ) أدوية السعال التى تساعد على سهولة واخراج البلغم أو التى تساعد على ايقاف السعال الجاف .

(ب) المضادات الحيوية حسب نوع الميكروب الموجود .

(جـ) علاج المضاعفات .

الالتهابات الرئوية

توجد انواع كثيرة من الالتهابات الرئوية سنكتفى باهمها وهى نوعان :

١ ـ التهاب فصوص الرئة Lobar Pneumonia
٢ ـ الالتهاب الشعبى الرئوى Broncho Pneumonia .

الالتهاب الرئوى الفصى

الاسباب : ميكروب خاص يسبب هذا النوع Pneumococcus ، وهى تحدث في اى سن ولكن يكثر حدوثها في الاطفال وفى السن ما بين ١٥ ـ ٤٠ سنة ويزداد حدوثها في فصل الشتاء ومدة الحضانة من ٢ ـ ٧ أيام .

العوامل المساعدة لحدوثها :

التعرض للبرد ـ التعب والارهاق ـ بعض الامراض المزمنة التى تضعف المقاومة العامة للجسم مثل أمراض الكلى والسكر وادمان الخمر.

الاعـراض :

تحدث فجائية وتبدأ بقشعريرة وارتفاع مفاجيء

في درجة الحرارة ١٠٢ ـ ١٠٤ درجة فهرنهيت (٤٠ ـ ٥ر٤٠°) مع سعال جاف وألم بالصدر في الجانب الذى به المرض ويكون التنفس سريعا مع عدم عمقه .

وخلال يومين تقريبا يقل الألم ويزداد خروج البلغم ، مع الكحة ، الذى يكون مخاطيا وقد يكون به دم في بعض الاحيان .

تزول الاعراض فجاة بعد حوالى سبعة أيام فتنخفض درجة الحرارة وقد تصل الى اقل من الطبيعى وتتحسن حالة المريض مع عودة سرعة التنفس والنبض الى الوضع الطبيعى ويبدا المريض ينام نوما طبيعيا .

في الحالات الخطرة تحدث الوفاة في الفترة من ٤ ـ ١٠ أيام .

المضاعفات :

١ ـ تاخر زوال الالتهاب Delayed Resolution
٢ ـ خراج الرئة
٣ ـ التهاب الغشاء البلورى .
٤ ـ التهاب غشاء القلب Pericarditis
٥ ـ التهاب الغشاء البريتونى Peritonitis
٦ ـ التهاب الكلى
٧ ـ التهاب الكبد
٨ ـ التهاب اغشية المخ Pneumococcal Meningitis
٩ ـ التهاب الاذن الوسطى
١٠ ـ التهاب الغدة النكفية
١١ ـ تجلط في الوريد الفخذى اثناء فترة النقاهة .

وقد قلت هذه المضاعفات كثيرا بعد اكتشاف المضادات الحيوية .

العلاج :

يجب أن يكون بواسطة الطبيب .

١ ـ الراحة التامة في الفراش .

٢ ـ تهوية الغرفة مع عدم تعرض المريض للتيارات الهوائية أو البرد .

٣ ـ الغذاء في أول المرض يكون سوائل فقط ثم يعاد تدريجيا الى الطبيعى .

٣ ـ الأدوية التى تساعد على تخفيف السعال .

٥ ـ المضادات الحيوية المناسبة وأهمها البنسلين .

٦ ـ استنشاق الاكسجين في حالة الازرقاق Cyanosis

٧ ـ علاج المضاعفات اذا حدثت .

الالتهاب الشعبى الرئوى

يكون الالتهاب في الشعيبات والحويصلات الهوائية التى تكون نسيج الرئة .

الاسباب :

تكثر الاصابة بهذا المرض في كبار السن والسن الصغيرة جدا .

١ ـ مضاعفات لبعض الامراض كالحصبة والسعال الديكى والانفلونزا والنزلات الشعبية .

٢ ـ التهاب نهائي Terminal Infection ، لبعض الامراض المزمنة كامراض القلب وفي كبار السن نتيجة للضعف العام .

وهناك عدة أسباب اخرى قد تكون ثانوية لها . سببها انواع مختلفة من الميكروبات أو مجموعة منها خاصة تلك التى تسبب التهابات الجهاز التنفسي العلوى .

الأعراض :

تكون خفيفة وتبدا بارتفاع بسيط في درجة الحرارة مع شعور بالضعف العام وكحة وبلغم .

وعندما يمتد الالتهاب الى انسجة الرئة ترتفع الحرارة اكثر مع ازدياد السعال الجاف وهبوط عام في حالة المريض مع زرقان Cyanosis ، وسرعة التنفس وقد تنتهى هذه الاعراض بهبوط في مركز التنفس Failure of Respiratory Centre

وهذا النوع من الالتهاب خطر خاصة في كبار السن والأطفال الضعاف .

المضاعفات :

١ ـ التهاب الغشاء البلوري
٢ ـ خراج الرئة .
٣ ـ التهاب غشاء القلب أو المخ .
٤ ـ التهاب الكلى . Bronchiectasis
٥ ـ تمدد الشعب

العلاج :

مثل الالتهاب الرئوى ويتوقف نوع المضاد الحيوى المناسب على نوع الميكروب ودرجة حساسيته لهذه الأدوية . ■■

مصطفى الهجان

تعدُّد الزَّوجات

■ عرف الانسان للزواج اكثر من نمط . ففضلا عن الزواج الذى يقتصر فيه الرجل على المرأة الواحدة وتقتصر فيه المرأة على الرجل الواحد ، عرف الانسان تعدد الزوجات كما عرف تعدد الأزواج. ففى اقل المجتمعات تطورا وهى المجتمعات التى تعيش على الجمع والقنص يشيع الزواج المبنى على وحدة الزوج والزوجة ، ولا نكاد نجد للزواج عندهم نمطا غيره . أما فى المجتمعات القبلية وهي المجتمعات الرعوية والزراعية فنجد الىجانب الزواج الوحدوى وتبعا للقبائل زواجا يتوحد فيه الزوج وتتعدد الزوجات ، وآخر تتوحد فيه الزوجة ويتعدد الازواج .

وفى المجتمعات المدنية القديمة يأخذ تعدد الأزواج طريقه نحو الاختفاء ، اما تعدد الزوجات فيبقى قائما فى كثير منها وان وُضعت له بعض القيود . وفى المجتمعات المدنية الحديثة يسير تعدد الزوجات بدوره الى الاختفاء . ولا يبقى للزواج من نمط سوى ذلك القائم على وحدةالزوج والزوجة .

وفيما يلى نفصّل القول فيما أجملنا قاصرين الحديث على تعدد الزوجات .

تعدد الزوجات فى المجتمعات القبلية

يشيع ، فى المجتمعات القبلية ، اتخاذ الرجل اكثر من زوجة : وليس هناك حد أقصى لعدد الزوجات اللاتى يمكن للرجل الجمع بينهن . لكن هنالا بعض اعتبارات عملية تحول دون أن يكون تعدد الزوجات فى متناول الجميع . منها ضرورة دفع مهر من اجل كل زوجة جديدة . ومنها القدرة على اعالة زوجات متعددات . وأيا كان الحال فليس من الممكن فى مجتمع معين أن يكون كلالرجال المتزوجين او حتى معظمهم متعددى الزوجات . فلا بد ، لتحقق ذلك ، من أن يكون عدد الاناثاضعاف عدد الذكور وهو أمر بعيد الحدوث . ولهذا يقتصر تعدد الزوجات على دائرة ، تضيق أو تتسع ، من الرجال ذوى الثروة والنفوذ .

ويقبل الرجال ، فى المجتمعات القبلية ، على اتخاذ اكثر من زوجة رغبة فى تحقيق اغراض متنوعة . فالرجل يطمح الى الحصول على ذرية كثيرة لما لها ، فى المجتمع القبلى ، من اهمية اقتصادية وسياسية واجتماعية. ولكىيكثر الرجل من أولاده لا بد من أن يعدد من مصادرهم . ويستتبع الزواج انشاء علاقات متبادلة بينالرجل وأقارب زوجته من شأنها توطيد مركزه . ومن الطبيعى أن يسعى الرجل الى الاستزادة من هذه العلاقات . وللمرأة فى المجتمع القبلى اهمية اقتصادية(١) . ولكى يزيد الرجل من موارده وامكاناته الاقتصادية يعمل على الاكثار من زوجاته.

المساواة بين الزوجات فى المجتمعات القبلية

ويتطلب العرف القبلى المساواة بين الزوجات. فعلى الزوج أن يوزع وقته وخدماته وهداياه على زوجاته المتعددات بالعدل والقسطاس . ومع

---

(١) ليس أدل على أهمية العامل الاقتصادى كباعث على تعدد الزوجات فى المجتمعات القبلية من الحادثتين التاليتين : فقد روى أن زعيم احدى القبائل الافريقية لم يملك ، عندما شاهد المحراث الميكانيكي لاول مرة فى حياته ، أن صاح قائلا « ان هذا الشيء الذى أتى به البيض الى البلاد ليقوم مقام عشر زوجات » . كذلك روى أنه عندما وجدت بعض قبائل الهنود الحمر Blackfot فى تجارة الفراء الكندية سوقا مربحة للجلود المدبوغة وصارت النساء بوصفهن العاملات فى دباغة الجلود مصدر قوة اقتصادية ، انتشر تعدد الزوجات الى حد لم يكن معهودا من قبل .

عبر التاريخ ...

والى يومنا هذا

بقلم : الدكتور
محمود سلام زناتي

ذلك فان من الملامح البارزة في نظام تعدد الزوجات القبلى وجود زوجة ينظر اليها بوصفها الزوجة العظيمة أو الكبيرة وتتمتع في علاقتها بزوجها وأحيانا في علاقتها بالزوجات الأخريات ببعض الامتيازات . ومن أهم امتيازات الزوجة الرئيسية ان ابنها البكر يعتبر وارث رب الاسرة وخلفه في رئاستها . والغالب في الزوجة الرئيسية أن تكون الزوجة الأقدم من حيث تاريخ زواجها .

المجتمعات المدنية القديمة تقيد تعدد الزوجات

ويبقى تعدد الزوجات قائما في كثير من المجتمعات المدنية القديمة . لكنه يفقد في هذه المجتمعات الكثير من اهميته لأن ظروف الحياة المدنية لا تبقى تلائمه . ولهذا فان الاتجاه العام عندئذ هو تقييد حرية الرجل في الالتجاء اليه . ويتخذ الاتجاه نحو التقييد مظاهر متعددة . فقد وضع حد أقصى لعدد الزوجات اللاتى يجوز للرجل الجمع بينهن ولا يسمح له بتجاوزه . وقد يحرم الرجل من اتخاذ زوجة ثانية الا اذا توافر أحد أسباب معينة ينص عليها القانون . وقد تعطى الزوجة الأولى الحق في الانفصال عن زوجها اذا اتخذ زوجة ثانية ضد رغبتها . وقد يخول القانون نفسه الزوجة هذا الحق . وقد تكتسبه من شرط بهذا المعنى يتضمن عقد الزواج . وقد ينتهي الأمر . في بعض المجتمعات ، الى تحريم الجمع بين زوجتين تحريما مطلقا .

نماذج من الشرائع

وفيما يلى نستعرض نماذج من الشرائع القديمة لنتعرف على موقفها من تعدد الزوجات وما صار اليه من تقييد .

عند الهندوس

فمن الشرائع ما لجأ الى وضع حد أقصى لعدد الزوجات اللاتى يجوز للرجل الجمع بينهن . ومن الشرائع التى لجأت الى هذا الاسلوب في الحد من حرية الرجل شريعة الهندوس . فقد كان من رأى الفقيه فاشطا أن من المسموح به للبرهمي ان يتخذ ثلاث زوجات وللكشتريا زوجتين وللفيشيا واحدة . ووصف البيرونى ما تجرى به عادة الهندوس فى هذا الخصوص بقوله : « وللرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة الى أربع وما فوق الأربع محرم عليه الا أن تموت احدى من تحت يده منهن فيتمم العدد بغيرها لا يتجوزه . ومنهم من يرى عدة النساء بحسب الطبقات حتى يكون للبرهمي أربعا وللشتر ثلاثا وللبيش اثنين وللشودر واحدة »(٢) .

---

(٢) مقولات الهند ص ٢٧٨ .

عند اليهود

ولدى اليهود تبيح التوراة تعدد الزوجات دونما قيد . وقد كانت لسليمان سبعمائة امراة وثلاثمائة حظية ، كما كانت لريحو بوعم ثماني عشرة زوجة وستون حظية . ويقر التلمود للرجل ان يتخذ من الزوجات ما يقدر على اعالته . لكنه يذكر ان الحكماء نصحوا بانه لا ينبغي للرجل ان يتزوج باكثر من اربع زوجات . وكان انبياء بنى اسرائيل يستعملون وحدة الزوجة بوصفها رمزا على الاتحاد بين الرب واسرائيل،بينما كانوا يرون تعدد الزوجات كرمز للشرك وعبادة الاوثان . (٣)

فى الجاهلية

وكان العرب ، زمن الجاهلية ، يتخذون من الزوجات ما يشتهون . فقد روى ان غيلان الثقفي اسلم وتحته عشر من النسوة . ووضع القرآن الكريم حدا اقصى لعدد الزوجات وهو اربع . ورغب في الاكتفاء بواحدة اذا خشى الرجل عدم القدرة على تحقيق العدل بين زوجاته ، بل بالاستعاضة ـ عند خوف الجور ـ بملك اليمين . قال تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » .

ومن مظاهر الحد من حرية الرجل فى اتخاذ الزوجات ، الاعتراف للمراة بالحق في الانفصال عن زوجها اذا اتخذ زوجة ثانية . وفي بعض الشرائع يعتبر هذا حقا للزوجة بحكم القانون . وفي بعضها الآخر للزوجة ، اذا شاءت ، ان تضمن عقد زواجها شرطا على هذا النحو . فاذا اغفلت ذلك لم يكن من حقها . كذلك قد يجرى العرف ، في بعض المجتمعات ، بتضمين عقد الزواج شرطا جزائيا لصالح الزوجة يخولها الحق في مطالبة زوجها بتعويض اذا هو اقدم على اتخاذ زوجة ثانية .

فى قانون حمورابى

ففى قانون حمورابى للزوج ان يتخذ ثانية اذا مرضت زوجته الاولى مرضا مزمنا ، وليس للزوج في هذه الحالة ان يطلق زوجته المريضة بل يلتزم باعالتها طيلة حياتها . لكن للزوجة المريضة ، اذا شاءت ، ان تنفصل عن زوجها . فقانون حمورابى يخير الزوجة المريضة ، عند اتخاذ زوجها امراة ثانية ، بين الاستمرار في الحياة معه وبين الانفصال عنه . (٤)

وفى الارامية

وينص احد عقود الزواج الارامية ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد على ما يلي « .... وتعهد (الزوج) كذلك بان لا يتزوج من امراة ثانية طيلة حياتها وبالا يحتفظ في بيته بامراة خادمة تكرهها . واذا اتخذ زوجة ثانية او احتفظ بمثل هذه الخادمة في بيته فانه يتعهد بان يدفع لها نصيب الزواج Morriage Portion كاملا.(٥)

واشتراط الزوجة عند بعض فقهاء المسلمين

واجاز بعض فقهاء المسلمين للمراة ان تشترط على زوجها الا يتزوج عليها . فقد جاء فى المغنى لابن قدامة ان الشروط في الزواج تنقسم اقساما ثلاثة ، احدها ما يلزم الوفاء به وهو ما يعود اليها (الزوجة) نفعه وفائدته مثل ان يشترط لها الا يخرجها من دارها او بلدها او لا يسافر بها او لا يتزوج عليها ولا يتسرى عليها . فهذا يلزمه الوفاء لها به فان لم يفعل فلها فسخ النكاح . (٦) . ولم يجز البعض الآخر من الفقهاء مثل هذه الشروط . وفي ذلك يقول ابن حزم مثلا «واشتراط المراة ان لا يتزوج او ان لا يتسرى او ان لا يغيب عنها او ان لا يرحلها عن دارها كل ذلك تحريم حلال » . (٧)

---

(٣) Wester marck. Histoire du mariage, T. 5 , Paric 1943, P. 47.

(٤) أنظر المادتين ١٤٨ ، ١٤٩ من قانون حمورابى .

(٥) Folk, Jewish matrimonial law in the Middle Ages, O.U.P. 1966, P. 10

(٦) أنظر المغنى جـ ٧ ، ص ١٤ .

(٧) المحلى جـ ٩ ، ص ٦٣١ .

واشتراط الزوجة عند بعض اليهود

كذلك كانت عادة اليهود المقيمين في البلاد الاسلامية تجرى بتضمين عقود زواجهم شروطا من هذا القبيل . ففى احدى الوثائق التى عثر عليها في المعبد اليهودى بالقاهرة ، والتى تتضمن عقد زواج يرجع الى سنة ١١٠٧ م يعد رجل من طائفة الربانيين زوجته التى من طائفة القرائين بانه لن يتخذ لنفسه زوجة ثانية اثناء حياتها ، ولن ياتى بسرية الى بيته » . (٨)

حمورابى يأذن بالتعدد اذا توافر له سبب يبرره

ومن مظاهر التقييد عدم الاعتراف للرجل بالحق في اتخاذ زوجة ثانية الا اذا توافر سبب يبرره .

فقانون حمورابى مثلا لم يكن يسمح للزوج باتخاذ ثانية الا في حالات استثنائية . اولها داب الزوجة على الخروج للعمل مهملة بذلك شئون بيتها . فللزوج اذا لم يرد تطليقها الاحتفاظ بها كزوجة تابعة واتخاذ زوجة ثانية . ثانيها عقم الزوجة . فللزوج اذا كانت زوجته عاقرا ان يتخذ زوجة ثانية ، لكن الزوجة الجديدة لا ترتقى الى مرتبة الزوجة القديمة . واذا اعطت الزوجة العاقر احدى جواريها لزوجها وانجب منها اولادا فليس له الزواج من امراة اخرى . ثالثها مرض الزوجة مرضا مزمنا وهى التى سبق ان تحدثنا عنها . (٩)

والهندوس يسمحون بالتعدد في ظروف خاصة

وينص فقهاء الهندوس على اسباب معينة يسمحون من اجلها للرجل باتخاذ زوجة اخرى . فيقرر الفقيه اباسطمبا مثلا ان ليس للزوج ان يتخذ زوجة اخرى اذا كانت زوجته راغبة وقادرة على القيام بنصيبها في الواجبات الدينية وكانت تلد ابناء . اما اذا كانت تنقصها احدى هاتين الصفتين فله ان يتخذ اخرى . ويحدد كوتيليا الاسباب التى من اجلها يسمح للرجل باتخاذ زوجة او زوجات اخريات على النحو التالى « اذا كانت الزوجة عاقرا فعلى الزوج ان ينتظر ثمانى سنين . واذا كانت تلد سقطا فقط فعليه ان ينتظر عشر سنين . واذا كانت تلد اناثا فحسب فعليه ان ينتظر اثنتى عشرة سنة . وعندئذ اذا كان راغبا في الحصول على ابناء فله ان يتزوج من اخرى » واذا خالف الرجل هذه الاحكام فلم يكن يلزم بان يدفع اليها مهرها واموالها وتعويضا نقديا فحسب ، وانما كان يلزم ايضا بدفع غرامة من اربع وعشرين بنسا (Panas) للملك . (١٠)

وبلغ تقييد حرية الرجل مداه في بعض المجتمعات حيث يحرم القانون الجمع بين زوجتين .

فى الصين القديمة

ففى الصين القديمة لم يكن من الجائز للرجل ان يتخذ اكثر من زوجة واحدة وان جاز له ان يتخذ من السرارى ما يشاء . واذا اتخذ الرجل زوجة ثانية ، في الوقت الذى لا يزال يعيش فيه مع زوجة سابقة ، عد مرتكبا لجريمة الزواج من اثنتين . فلم يكن يعترف بزواجه الثانى . وكان يعاقب هو وزوجته الجديدة . كما كان يعاقب كل اولئك الذين عاونوا في اتمام الزواج . وكانت عقوبة الزوج ، في عهدى تانج وسونج ، الحبس مدة سنة . وكانت عقوبة من زوج الفتاة (وليها) اقل من ذلك درجة. وكانت الفتاة ترد الى اهلها . واذا كان الرجل قد اخفى واقعة كونه متزوجا من قبل ولم تكن اسرة الفتاة على علم بذلك زيدت مدة حبس الزوج ستة شهور واعفى اهل الفتاة من العقاب . وفي عهدى منج وشنج كان الرجل يجلد تسعين جلدة ، وكانت المرأة تعاد الى والديها ، ويلغى الزواج . (١١)

عند الاثينيين والروم

كذلك كانت شريعة الاثينيين والروم تحظر الجمع بين زوجتين . فلم يكن يسمح للرجل باتخاذ

---

(٨) فولك ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٩) أنظر المواد ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ من قانون حمورابى .

(١٠) Shostri, Woman in the sacred laws, Bomhay 1959, P. 33,62.

(١١) T'ung - Tsu, Law and society in traditional china, Paris 1961, P. 124.

زوجة ثانية طالما ظل مرتبطا بامرأة برابطة زوجية . واذا تم مثل هذا الزواج كان باطلا . ومع ذلك فقد اعتبر فقهاء الروم عقد الزواج الثاني متضمنا فصما للزواج الاول . فقد ساد لدى الروم ، في عصرهم الذهبي ، مبدأ حرية الطلاق . ولهذا كانوا يعدون اتخاذ الرجل زوجة ثانية بمثابة تطليق منه لزوجته السابقة . ففي ذات الوقت الذي ينعقد فيه الزواج الثاني ينحل الاول . وعندما منحت صفة المواطن الروماني لكل سكان الدولة الرومية صار قانون الاسرة الخاص بالروم واجب التطبيق على الجميع . واصبحت الشعوب التي تمارس تعدد الزوجات مطالبة بالتخلي عنه . وقد اضطر اباطرة الروم الى اصدار تشريعات تنص على تحريمه صراحة . فقد حرم الامبراطور دقلديانوس في ٢٨٥ م على كل شعوب الاقاليم ممارسة تعدد الزوجات . ويبدو ان اليهود ظلوا ، رغم هذا الحظر ، يمارسونه . الامر الذي اضطر الامبراطور تيودوزيوس في ٣٩٣ م الى ان يعلن صراحة اعتراضه على ممارستهم اياه .

ورغم ان تعاليم السيد المسيح تخلو من كل اشارة صريحة الى تحريم تعدد الزوجات فان المبادىء المسيحية كانت تتضمن بذور هذا التحريم . وفي تعاليم بولس الرسول نجد الاتجاه واضحا نحو تحبيذ اقتصار الرجل على المرأة الواحدة واقتصار المرأة على الرجل الواحد . فقد جاء في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس « من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا » . وجاء في رسالته الى اهل كورنثوس « واما من جهة الامور التي كتبتم عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة . ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها » . وفيما بعد اصدر مجمع ترنت (Trente) قراره بتحريم تعدد الزوجات وتكفير كل من يقول بغير ذلك . ولا شك ان تحريم المسيحية تعدد الزوجات قد جاء نتيجة لعاملين ، اولهما تأثر الحضارة الاغريقية والرومية وكلتاهما اخذت بمبدأ وحدة الزوج والزوجة . ثانيهما ان المسيحية تنظر الى الزواج ، وبصفة خاصة الى العلاقات الجنسية ، باعتبارها شرا لا بد منه . ولما كان الباعث على اتخاذ الرجل اكثر من زوجة هو ارضاء الشهوة الجنسية فان من الطبيعي ان يقف رجال الكنيسة من تعدد الزوجات موقف المعارض .

واختلف موقف اليهود باختلاف أوطانهم

كذلك حرمت المجتمعات اليهودية التي كانت تعيش في المانيا وفرنسا تعدد الزوجات خلال القرن الثاني عشر . وحرمه يهود اسبانيا في القرن السابع عشر . بينما لا يزال اليهود المقيمون في البلاد الاسلامية يسمحون به ويمارسونه . ومن الطبيعي ان يتأثر موقف اليهود من تعدد الزوجات بالبيئة المحيطة بهم . ومن الطبيعي ان يكون تحريم تعدد الزوجات لدى اليهود المقيمين في بيئة مسيحية اسرع منه لدى اولئك المقيمين في بيئة اسلامية . ومن الطبيعي ايضا ان يختلف موقف المجتمعات اليهودية من تعدد الزوجات تبعا لمدى تقدمها الاقتصادي والاجتماعي . (١٢)

المجتمعات المدنية الحديثة

يسود في المجتمعات الحديثة الاتجاه نحو تحريم تعدد الزوجات .

ففي الدول المسيحية ما زال تعدد الزوجات محرما تحت تأثير المسيحية من ناحية ، والتقاليد المتوارثة عبر مئات السنين من ناحية اخرى . ويظهر ذلك بوضوح في البلاد التي يصطبغ فيها قانون الاسرة بصبغة مسيحية ظاهرة . كما هو الحال مثلا في ايطاليا واسبانيا . لكن هذا التحريم قائم ايضا حتى في تلك البلاد التي خرجت في تنظيمها للاسرة على التعاليم المسيحية في هذا الوجه او ذاك . كما هو الحال مثلا في الدول الاسكندنافية وانجلترة وفرنسا . ذلك ان تحريم تعدد الزوجات في هذه البلاد لم يعد يستند الى مجرد كونه منافيا للتعاليم المسيحية ، وانما لانه في ذات الوقت يتعارض مع مفهوم الزواج الحديث ويناقض الاتجاه نحو المساواة بين الرجال والنساء عندهم .

والدول الاشتراكية تحرم ايضا تعدد الزوجات سواء منها تلك التي كانت قوانينها تحرمه من قبل ام تلك التي كانت قوانينها تسمح به . ذلك ان تحريم تعدد الزوجات في البلاد الاشتراكية يستند اولا وقبل كل شيء الى مبدأ المساواة بين الجنسين . فاذا لم يكن للمرأة ان تتخذ اكثر من

---

(١٢) فولك ، المصدر السابق ، ص ١٣ وما بعدها .

زوج فكذلك لا ينبغي للرجل ان يتخذ اكثر من زوجة . وترى الدول الاشتراكية في تعدد الزوجات نظاما استغلاليا حيث ان احد الاعتبارات التي تدفع الرجل الى اتخاذ زوجات متعددات ، على الاقل في بعض الجهات ، هو الاستفادة من نشاطهن الاقتصادي .

ففي روسيا ، قبل ثورة اكتوبر ، لم يكن القانون يسمح بتعدد الزوجات . فقد كان الزواج وما يتصل به خاضعا لسلطة الكنيسة . وما كانت الكنيسة لتسمح للرجل باتخاذ زوجة ثانية . لكن تعدد الزوجات كان شائعا في الجهات الاسلامية والمناطق القبلية لا سيما في وسط وشرق آسيا . وعندما قامت الثورة الاشتراكية اتجهت سياسة الاتحاد السوفيتي الى تحرير المرأة في هذه الجهات . وكان من مظاهر هذه الحركة التحريرية محاربة تعدد الزوجات . فصدرت قوانين تحظر على الرجل اتخاذ زوجة ثانية . لكن هذه القوانين لم تطبق على الرجال الذين كانت لهم اكثر من زوجة وقت صدورها . فلم يفرض عليهم التخلي عما جاوز الواحدة وذلك لاعتبارات اجتماعية وانسانية ظاهرة .

ولا يقتصر تحريم تعدد الزوجات على البلاد المسيحية والاشتراكية بل امتد الى بلاد آسيوية كانت شرائعها تسمح به من قبل . كما هو الحال مثلا بالنسبة لجمهورية الهند . فالديانة الهندوسية ، كما رأينا ، تسمح للرجل باتخاذ اكثر من زوجة . كذلك تسمح تقاليد كثير من القبائل التي تقطن شبه القارة الهندية للرجل بان تكون له زوجات متعددات . لكن المشروع الهندي اضطر ، تحت وطأة التغيرات الاجتماعية الحديثة ونمو الحركة التحررية النسائية ، الى الغاء تعدد الزوجات وقد تم ذلك في سنة ١٩٤٨ . وعندما صدر قانون الزواج الجديد في سنة ١٩٥٥ اعيد النص فيه على تحريم اتخاذ اكثر من زوج او اكثر من زوجة . وقد نص على جزاء لمن يخالف هذا التحريم يتمثل في الحبس مدة اقصاها سبع سنين والغرامة . وجعل من اخفاء احد الطرفين واقعة كونه متزوجا من قبل ظرفا مشددا للعقوبة . وينطبق هذا القانون على الهنود بجميع فئاتهم واديانهم فيما عدا المسلمين منهم ، فقد سمح لهؤلاء بالاستمرار في تطبيق احكامهم الخاصة . (١٣)

وفي الدول الاسلامية يتسم موقف المشرع من تعدد الزوجات ، كقاعدة عامة ، بالتردد والحذر . والملاحظ ان هناك اتجاهين في المجتمعات الاسلامية المعاصرة . احدهما يطالب بالحد من حرية الرجل في اتخاذ اكثر من زوجة ، ان لم يكن بتحريم تعدد الزوجات على الاطلاق . بينما يعارض الثاني كل تدخل في هذا المجال على اساس ان مثل هذا التدخل يعتبر اعتداء على حق قد كفله المشرع الاسلامي للرجل . وحتى وقتنا الحاضر مازال الاتجاه الاخير هو الاتجاه الغالب . ومع ذلك فان بعض البلاد الاسلامية ، استجابة لضرورات الحياة الحديثة ، قد اصدرت تشريعات تحرم تعدد الزوجات او على الاقل تحد من حرية الرجل في الاتجاه اليه .

ففي تونس حرم قانون الاحوال الشخصية الجديد ، الذي صدر في سنة ١٩٥٥ واصبح نافذا ابتداء من اول يناير ١٩٥٦ ، تعدد الزوجات تحريما تاما . وهي ، الى حد علمنا ، البلد العربي الذي خطا هذه الخطوة الجريئة . وفي باكستان لم تبلغ الجرأة بالمشرع هذا الحد . ومع ذلك فقد صدر في سنة ١٩٦١ القانون المسمى بالتشريع الخاص بقوانين الاسرة مقررا بعض القيود على حرية الرجل في اتخاذ زوجة ثانية . وقد صدر هذا القانون ليضع موضع التنفيذ بعض توصيات اصدرتها «لجنة قوانين الزواج والاسرة» . وقد نصت المادة السادسة من هذا القانون على انه لا يجوز للرجل ان يتخذ زوجة ثانية بالاضافة الى زوجته القائمة قبل الحصول على اذن من مجلس التحكيم (Arbitration Council) الذي يتكون من رئيس مجلس الاتحاد (Union Council) وممثل لكل من الطرفين المعنيين . واذا عقد رجل زواجا بدون هذا الاذن وجب عليه ان يدفع في الحال كل مبلغ المهر المستحق لزوجته القائمة او زوجاته . وفضلا عن ذلك فان من الممكن معاقبته بالحبس مدة اقصاها سنة او دفع غرامة بحد اقصى خمسة الاف روبية (أي حوالي ٣٧٥ جنيه استرليني) او بالعقوبتين معا . (١٤) ■■

محمود سلام زناتي

---

(١٣) Women of India P. 4L, 80

(١٤) Rosenthal, Islam in the modern national state, Cabridge 1965, P. 333.

مسابقة العربي

١٠ أسـئلة و .. جوائـز ١٠٠ دينـار

مسابقة هذا العدد تشتمل على ١٦ سؤالا مختلفا عن وطننا العربى الكبير .. والمطلوب منك أن تجيب على ١٠ أسئلة ـ على الأقل ـ لتفوز باحدى الجوائز التى مجموع قيمتها ١٠٠ دينار .

١ ـ دمشق: عاصمة الجمهورية العربية السورية .. يطلقون عليها واحدا من هذه الالقاب :

الشهباء ـ الفيحاء ـ دار السلام .

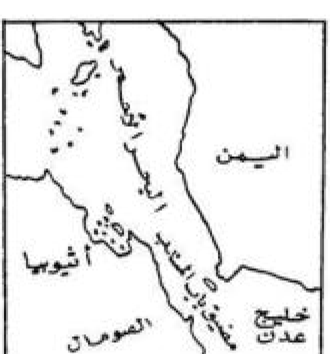
فأى هذه الالقاب الصحيح ؟

٢ ـ في بغداد انشأ المستنصر بالله الخليفة العباسي السابع والثلاثون، جامعة ذاع صيتها وانتشر ، اذ كانوا يدرسون في رحابها : العلوم القرآنية ، والدين ، واللغة ، والطب ، والرياضيات ، وذلك منذ أكثر من ٧٥٠ عاما. فما اسم هذه الجامعة ؟

الاعظمية ـ المستنصرية ـ الناصرية .

٣ ـ ما اسم المنطقة التى تغرقها مياه فيضانات دجلة والفرات في جنوب العراق :

بابل ـ الاحساء ـ الاهوار .



جزيرة .... ؟؟ تتوسط باب المندب

٤ ـ في وسط مدينة اشبيلية Seville ترتفع مئذنة تعتبر من أروع ما تركه العرب من آثار في الاندلس . بناها يوسف بن عبد المؤمن عام ١١٨٠ م. لتكون صومعة لمسجده الذى اندثر، أما اليوم فهى من الآثار الهامة التى يزورها السياح يصعدون الى قمتها المرتفعة الى ٧٠ مترا .. وقد تغير اسم هذه المئذنة ، فما اسمها اليوم :

صومعة حسان ـ الجيرالدا ـ مئذنة ابن طولون ؟

٥ ـ ما اسم سلسلة الجبال التى تصل بين تونس والجزائر والمغرب :

ارارات ـ البرانس ـ أطلس ؟

٦ ـ ما اسم الجزيرة التى تتوسط مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وتغلق البحر الأحمر منها لو شاءت :

قمران ـ كوريا موريا ـ بريم ؟

٧ ـ ما اسم عاصمة جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية :

المكلا ـ تعز ـ عدن ؟

٨ ـ ما هو الاسم الشعبى الذى يطلقه اهل الكويت على الرياح المحملة بالاتربة التى تهب على بلادهم :

الهَبوب ـ الخماسين ـ الطوز ؟

٩ ـ بغداد عاصمة الرشيد تقع على نهر :

الفرات ـ دجلة ـ شط العرب ؟



مئذنة .... ؟؟ في اشبيلية

١٠ـ هل توجد حدود مشتركة بين السـودان وليبيا :
نعم ـ لا ؟

١١ـ هل يوجد بلد عربي ليس له ميناء يطل منه على البحر :
نعم ـ لا ؟

١٢ـ في بلادنا العربية واحات عديدة ، فهل يمكنك ان تبين لنا في أي بلد تقع هذه الواحات الأربع:
الفرافرة ـ البحرية ـ الداخلة ـ الخارجة؟

١٣ـ الجبل الاخضر .. اسم مشترك يطلق علـى جبلين يقعان في بلدين عربيين متباعدين :
عمان ـ وليبيا ـ سوريا والمغرب ـ مصر والسودان ؟
فاى البلدين هذان ؟

١٤ـ سهل البقاع في لبنان .. يسير في وسطه :
نهر الكلب ـ نهر الليطاني ـ نهر الاردن.
فايها الصحيح ؟

١٥ـ سبتة ومليلة مدينتان مغربيتان ما زالتـا تحت وطأة الاحتلال ؟
الفرنسي ـ البرتغالي ـ الاسـباني .
فايها الصحيح ؟

١٦ـ جدة والسويس ، ميناءان عربيان يطلان على مياه البحر الاحمر ، والمطلوب ان تذكر أيًا من الموانىء الثلاثة التالية يطل على نفس البحر :
الحديدة ـ بورسودان ـ سواكن .

شروط المسـابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٧ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧١ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي: الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة



الحب بين الرجل والمرأة

متى ولماذا تسأل الزوجة رجلها «هل تحبني» ؟

بقلم : منير نصيف

■ كثيرا ما تسأل الزوجة : « هل تحبني» ، او لعلها تسأل : «كم تحبني » . ولكن قلما يسأل الرجل زوجته عن حبها له .

فلماذا توجه المرأة وحدها لرجلها مثل هذا السؤال ؟

هل هي فى حاجة حقا لأن تسمع منه انه يحبها ؟ يقول العلماء انه ليس فى العالم كله امرأة واحدة تجهل مشاعر زوجها نحوها ، دون ما حاجة لأن يفصح لها عنها . .

فالمرأة التى تسأل زوجها هل هو يحبها أو لا يحبها ، هى تلك التى بدأت الشكوك تساورها نتيجة لتصرفات معينة من جانب زوجها ،لايستطيع احد غيرها أن يراها أو يحس بها . .

وقد يصدق احساس الزوجة في بعض الأحيان بأن زوجها حقا لم يعد يحبها ، وقد لا يصدق ، فاذا تغير الرجل حقا ، فكثيرا ما يكون سبب ذلك تعرضه لعوامل نفسية مختلفة تتصل بعمله أو حالته المالية ، أو المشاكل التى تصادفه في حياته اليومية ، أما شعوره نحو زوجته وحبه لها فلم يفتر أو يتغير ، كما صوّر لها احساسها !

ماذا يفعل الرجل ؟

فماذا يفعل مثل هذا الرجل ؟ ماذا يقول لامرأته وهى لا تفتأ توجه اليه هذا السؤال ، وتصر على أن تسمع رده عليه ؟!

هل يقسم لها في كل مرة ، بأغلظ الايمان انه يحبها وانه يعبدها ، وانه لا يطيق الحياة يوما واحدا بعيدا عنها !

انها قد تصدقه مرة ، ولكنها سوف تتشكك حتما في قسمه هذا في بقية المرات . .

فماذا يفعل الرجل لكى يؤكد لزوجته حبه لها ، واخلاصه لحياتهما اذا كان حقيقة يحبها ؟ !

من اعماق قلبي

تقول عالمة النفس اجنس سلاى ترنبول Agnes Sligh Turnbull في كتابها « من اعماق قلبى Out of my Heart » : ان تصرفات الرجل مع زوجته ومسلكه فى حياته وطريقة معاملته لامرأته هى التى تثير في نفسها الشعور بالشك دائما في حقيقة مشاعره نحوها .. وهى التى تدفعها الى توجيه هذا السؤال من حين الى حين ، وكأنها تريد بهذه العبارة الجوفاء التى تتوقع سماعها من زوجها أن تمحو صورا ارتسمت في

المرأة تبحث عن الرجل العطوف الرقيق ، الذى يستطيع أن يقول لها انه يحبها بألف طريقة وطريقة .



مخيلتها فهزت كيانها هزا وحسبت أنها تهـدد حياتها بالخطر .

الرجل الصامت الشارد !

« وقد تكون الزوجة صادقة في تصورها ، وقد لا تكون ، ولكن الشيء الثابت ، كما قدمنا ، هو تصرفات الرجل نفسه حيال زوجته .. فالرجل الصامت دائما الذى لا يتكلم الا بالقدر الذى يتطلبه الكلام .. والرجل الشارد دائما ، الذى يسرح بفكره وعقله في أمور لا تهم أحدا غيره هو ، والرجل الأنانى الذى يهتم بنفسه أولا قبل بيته وزوجته واطفاله ، والرجل المسيطر الذى لا يريد أن يسمع كلمة اعتراض واحدة لأى رأى يبديه أو رغبة يظهرها ..

وأخيرا الرجل الذى يجد صعوبة في التخلص من أسلوب حياته الخاصة قبل الزواج ، ويرفض أن يعترف بأن صفحة قد طويت وصفحة جديدة قد بدأت في حياته منذ ذلك اليوم الذى اختار فيه شريكة له في هذه الحياة .. مثل هذا الرجل يثير الشكوك والمخاوف في رأس امرأته ، فلا تجد أمامها سوى هذا السؤال التقليدى توجهه الى زوجها من آن لآخر ، « هل تحبنى ؟ هل فتر حبك لى بعد الزواج ؟ لماذا تغيرت .. اننى أراك رجلا آخر غير الذى عرفته قبل الزواج ؟ ماذا حدث .. هل أتيت أمرا يغضبك ؟ » الى آخر ما هناك من أسئلة تدور كلها حول كلمة الحب .. تلك التى قالت عنها مارى كوريللى Marie Creelli ، كاتبة الانجليز المعروفة (١٨٥٥ ـ ١٩٢٤) : « ليس هناك ثروة في الدنيا تعادل الحب ، فهو الحياة نفسها ! » .

عبارة جوفاء

ونعود الى السؤال الذى طرحناه ، ماذا يفعل الرجل ليؤكد لزوجته انه يحبها ؟

هل تكفى تلك العبارة الجوفاء : « نعم أحبك؟ » لازالة ما يمكن أن يكون قد علق برأسها من شكوك ؟

الرجل الذى تريده المرأة

تقول الكاتبة الانجليزية كوريللي : « ان غباء الرجل هو المسئول الاول عن ترسيب هذه الشكوك في راس امرأته .. فهي لا تريد أن تسمع هـــذه العبارة ، بقدر ما تريد ان تلمس حبه لها في طريقة حديثه اليها ، وفي معاملته لها ، وفي مسلكه ازاءها .. فالمرأة تبحث عن الرجل العطوف ، الرجـــل الرقيق ، الرجل الذى يستطيع أن يقول لها انه يحبها بالف طريقة وطريقة دون أن يضطر مرة واحدة لان يقسم لها بحقيقة مشاعره نحوها .. هذا هو ما تبحث عنه المرأة ، وهو شيء لن يستطيع مال الرجل كله ولا ما يمكن ان يشتريه لها بهذا المال من مجوهرات وملابس فاخرة ، أن يعوّضها عنـه !

الرجل الحنون

« الرجل الذى يصحو من نومه في الصباح فيكتشف ان امرأته متعبة ، ولكنها مع ذلك تتحامل على نفسها لتعد له طعام الافطار ، فيعيدها الى فراشها ، ويرجوها ان تستريح ، ثم يعد لهـا هو بيديه طعام الافطار ثم لا ينسى بعد هذا ان يودعها بقبلة رقيقة ويعدها بالعودة مـن عمله في ساعة مبكرة ليساعـدها في شئون البيت ، وفي العناية بها .. مثل هذا الرجل استطاع ان يؤكد لزوجته حبه لها دون حاجة الى ترديد هذه العبارة التي لا تعني شيئا » ..

ديمقراطية الزوج

« والرجل الذى يشرك زوجته في الحديث عن مشاكل العمل ومشاكل الحياة نفسها ، ويأخـذ رأيها في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يسفّه آراءهـا ولا يحاول ان يشعرها بضعف تفكيرها ، بل يأخذ برأيها في بعض الاحيان ، ما دام يجد ان ذلك لن يضيرهما في شيء ، لمجرد ان يعاونها على استعادة الثقة بنفسها ، مثل هذا الرجل اكد مرة اخرى حبه واحترامه لزوجته .

ملكة لا خادمة

« والرجل الذى يعتبر امرأته ملكة تجلس فوق عرش هذه المملكة الصغيرة التى ساهم الاثنان في بنائها ، فلا يتدخل فى شئون البيت الا بقدر ما يتطلبه دوره كسيد لهذا البيت ، فلا ينظر الى زوجته كما لو كانت مجرد « ربة بيت » وظيفتها الاولى والاخيرة اعداد الطعام وانجاب الاطفـال وتربيتهم .. حقيقة هذا هو دور المرأة الرئيسي ، وهي تؤدى هذه الوظيفة على أية حال .. ولكن هناك فرق كبير بين ان تؤديها وهي راضية سعيدة، وبين ان تؤديها لانها مجرد واجب يفرضه عليهـا هذا الرباط الذى جمع بينها وبين رجلها .. مثل هذا الرجل استطاع ان يؤكد لزوجته انه يعبدها ، دون ان يقولها لها بأية لغة !

اعياد الميلاد والزواج

« والرجل الذى لا ينسى تاريخ ميلاد زوجته ، ثم تاريخ احتفاله بزواجه منها .. فيفاجئها بهدية صغيرة كانت تتوق لاقتنائها ، او يدعوها لسهرة يقضيانها وحدهما في تلك الاماكن التى يحتفظان لها باطيب الذكريات ، ثم لا ينسى بعد ذلك ان يعيـد الى اذنيها اغنيـة سمعاها معا في فتـرة الخطوبة ، او يقوما بنزهة الى مكان قضيا فيـه جانبا من شهر العسل ، مثل هذا الرجل استطاع ان يحمل وحده ذلك المفتاح الصغير الذى يفتح به قلب امرأته ، متى شاء ، وكلما شاء ! » .

خيبة الامل واثرها فى المرأة

« والرجل الذى لا يقطع على نفسه الوعـود التى يعرف انه غير قادر على تنفيذها ، فلا يبنى لها القصور في الهواء ، ولا يعدها بنزهة على ظهر جواد طائر .. وانما يعد بالقدر الذى يثق انـه قادر على ان ينفذه ، حتى اذا جاء الوقت الـذى حدده للوفاء بوعده ، وجدت ما كان يمنيها به .

فليس هناك شيء يقتل حب المـرأة لرجلهـا واحترامها له ، مثل خيبة الامل ..

والرجل الذى يضحى براحته وسعادته مـن اجل بيته وزوجته واطفاله ، فيتجرد من انانيته ، ويحرم نفسه ليسعد ابناءه ، وبيته ، مثل هذا الرجل يسعد امرأته ، كما لم يسعدها انسان من قبل حتى والداها » .

الزواج فن وعلم

يقول جون ديوى John Dewey ، الفيلسوف واستاذ علم النفس الكبير (١٨٥٩ – ١٩٥٢) :

« ان الزواج ليس مجرد رباط يجمع بين رجل وامرأة ، وانما هو فن وهو علم ثم هو بعد ذلك

اعظم تجربة يمر بها الانسان منذ ان عرف المجتمع الاسرة » .

ثم يقول البروفسور ديوى في تحليله لنفسية المراة والرجل : « المراة مخلوق رقيق من السهل طعنه ، ولكن ليس من السهل تضميد جراحه .. بعكس الرجل الذى لا يحس بالطعنة الا اذا كانت نافذة ، ويستطيع ابسط دواء ان يزيل ما تركه الجرح في نفسه من آثار .. تكفي كلمة او ايماءة او ابتسامة لتنسيه كل ما حدث » ..

« الا ان المراة تنعم بميزة يفتقر اليها الرجل ، فهي تستطيع ان تبكى في حزنها والمها ، بينما الرجل لاتطاوعه دموعه .. ولكن هذه الدموع التى تنساب من عيني المراة ، فتساهم في التخفيف من كربها وحزنها ، تدمر رجولة الزوج وتشعره بضعفه امام اخطر سلاح تمتلكه المراة ، فنراه يفقد اعصابه او ينطوى على نفسه تاركا الحبل لتاملات وافكار شتى .. وربما انتهى به الامر الى الابتعاد عن امراته وعن الناس مكتفيا بالصمت الذى اصبح يحتوى حياته كلها .. » .

السبب الاساسى للخلافات الزوجية

ويقول ديوى بعد هذا في سرد الاسباب الاساسية للخلافات التى تنشا بين الزوجين : « ليس هناك شيء يجرح المراة ويطعن كبرياءها ، مثل نظرات الاشتهاء التى تراها فى عينى زوجها عندما يرى امراة جميلة او يبدى اعجابه بقوام فتاة عابرة » .

« ان كل رجل حر في ان يعجب بكل وجه جميل ، ولكن بينه وبين نفسه ، فليست هناك امراة واحدة مهما اوتيت من عقل وحكمة ، تحتمل ان ترى انثى غيرها قد استطاعت ان تنتزع اهتمام زوجها منها » !

قصة زوجة

« روت لى زوجة احد اصدقائى ، قصة حدثت لها ، ثم طلبت الىّ بعد ذلك ان اكون حكما بينهما .. قالت : « كان اليوم هو يوم عيد زواجنا ، ولم ينسه زوجى ، فقد اتصل بى تلفونيا من مكتبه ليدعونى لتناول العشاء في الخارج . واسرعت الى صالون التجميل ازين شعرى واجمل وجهى ، ثم ارتديت أجمل ملابسي ، وذهبت الى حيث تواعدنا على اللقاء ، فوجدته يقف هناك فى انتظارى .

« واختار لنا صاحب المطعم ركنا هادئا فقد كان صديقا لنا وكان يعلم بالمناسبة التى جئنا نحتفل بها .. وجلسنا ورحنا نتبادل النكات والهمسات .. وفجاة وبلا مقدمات نظرت الى وجه زوجي ، فوجدته يحدق بعينيه في المائدة المجاورة لنا مباشرة ..

« واذا به يقول : هل تربين ما أرى .. ساضاعف هبتى للرجل الذى اختار لنا هذه المائدة !! »

« ونظرت الى حيث كان ينظر زوجى ، فوجدت فتاة شقراء جميلة فعلا ، تجلس مع زوجها ولا تكف عن الضحك وتوزيع الابتسامات من حولها ..

كذبة بيضاء

« ولم اشعر الا والدم يغلى في راسي ، وما لبثت ان احسست بريح باردة تهب على دفء السعادة التى كنت أنعم بها حتى لحظات قصيرة مضت .. لقد انهار كل ما كنت أحلم به لقضاء ليلة سعيدة مع زوجي في ذكرى زواجنا » .

« ويقول البروفسور ديوى:ولم أنتظر لتسالنى زوجة صديقى رأيى ، فقد نظرت الى زوجها ، وقلت على الفور : « لقد اخطات ، فقد جرحت زوجتك فى أثمن شيء تعتز به .. في أنوثتها !! » .

قال الزوج يسالنى : « وماذا كنت تفعل انت لو كنت في مكانى ؟ » .

قلت : « كنت انظر الى هذه الفتاة الشقراء خلسة ، ولا باس من اقول لنفسي حقا انها فتاة جميلة ! ثم أترك بعد ذلك مهمة ابداء الاعجاب بصاحبة الوجه الجميل لامراتى ، فالمراة لماحة كما تعلم ، وهى ستراها حتما،وربما قالت لى هى: « انها حقا فتاة جميلة تلك التى تجلس على المائدة المجاورة لنا ! » .

« اما انا فكنت أقول : « لا شك انها جميلة فعلا يا حبيبتي ولكننى اميل الى ان اصدق الفرنسيين عندما يقولون ان المراة تبلغ قمة الانوثة والجمال في منتصف العمر .. ثم امسك بيدها في رفق واطبع عليها قبلة هادئة مطمئنة . كنت أفعل هذا ، حتى لو كنت أعلم أننى كاذب ومنافق ! » .

وكم من زيجات تحطمت بسبب تلك الصنوف من الغيرات التى لا تمتد لها في الارض جذور .

■■

منير نصيف

طرائف

التقوى

● قيل لرجل صف لنا التقوى ، فقال : اذا دخلت ارضا فيها شوك كثير كيف كنت تعمل ؟ فقال أتوقى وأتحرز ، قال فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى .

نقد

● دخل احد الشعراء على ملك فاستأذنه في الكلام ، فقال له الملك لي شروط . فقال : وما هي ؟ فقال : ان لاتمدحني في وجهي فاني أعرف منك بنفسي ، فان قلت فيّ حق فقد تقدمت فيه معرفتي . وان قلت فيّ كذبا ، كنت

عرف عددهم

● روى ابن الجوزي قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، وجد المسلمون بالقرب من الماء رجلين ، الاول من قريش ، والآخر مولى لعقبة بن ابي معيط . فاما القرشي فافلت من يد المسلمين وهرب . واما مولى عقبة فامسكوا به وجعلوا يسألونه عن عدد القوم فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديد باسهم . فجعل المسلمون اذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير عددهم شديد باسهم ، فاجتهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبره فابى . ثم ان النبي ساله كم ينحرون من الجزر ؟ فقال عشرا لكل يوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جزر لمائة رجل .

حيلة طريفة

● قال الاصمعي . دخلت البادية ومعي كيس فيه دنانير فاودعته عند اعرابية ، فلما طلبته انكرته ، فقدمتها الى شيخ منهم فاصرت على انكارها . فقال الشيخ : قد علمت انه ليس عليها الا اليمين . فقلت ايها الشيخ كانك ما سمعت قوله تعالى .

ولا تقبل لسارقة يمينا ولو حلفت برب العالمينا

فقال : صدقت ايها الرجل ، وهددها فاقرت وردت الي مالي ، ثم التفت الشيخ الي وقال : في اى سورة تلك الآية فقلت في قوله تعالى .

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

فقال الشيخ: ياسبحان الله لقد كنت اظن انها في : أنا فتحنا لك فتحا مبينا .

عربية

عليه السبل

ساخرا مني . وعلى ان لاتكذبني على ضميرك ، فانه لا راى لكذوب . وعلى ان لاتغتاب عندى احدا ؛ فان الاغتياب لايرضى به لنفسه الا ذو النقص والامتهان . فقال الرجل للملك : افانصرف ؟ قال : اذا شئت .

الايام

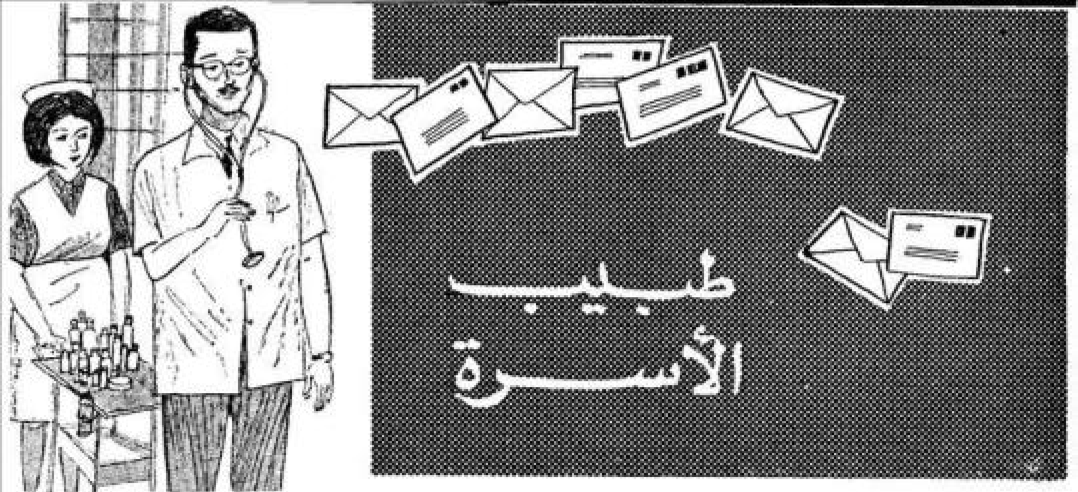
● الايام خمسة ،يوم مفقود وهو امس ، ويوم مشهود وهو يومك الذى انت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ، ويوم موعود وهو آخرايامك من الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامة .

أخذ باخلاق اربعة

● قيل ان عبد الملك بن مروان استأذن بالدخول على معاوية بن ابى سفيان فاذن له . فدخل وسلم وجلس، وبعد أن فرغ من حديثه قام وانصرف فقال معاوية : ما اكمل ادب هذا الفتى. فقال بعض الحاضرين .نعم يا امير المؤمنين اخذ باخلاق اربعة ، وترك اخلاقا اربعة. اخذ باحسن البشر اذا لقى ، واحسن الحديث اذا حدث ، وباحسن الاستماع الى حديث ، واحسن الوفاء اذا وعد . وترك مزح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى الحق . وترك مخالطة من لا ادب عنده. وترك من القول والعمل كل ما يعتذر منه .

اخلاط ستة

● سخط الحجاج على احد رؤساء القبائل فحبسه فى بيت مظلم ، وامر ان يقيد بالحديد ، فبقي اياما على تلك الحالة ، فارسل اليه من يسأله عن حاله فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس . فقالوا له : انت فى هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال . فقال : اصطنعت ستة اخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي ابقتني على ما ترون فقالوا : صف لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى . فقال : اما الخلط الاول فالثقة بالله ، واما الثاني فكل مقدر كائن ، واما الثالث فالصبرخير ما يستعمله الممتحن ، واما الرابع فاذا لم اصبر فماذا اصنع ، واما الخامس فقد يكون اشد مما انا فيه ، واما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج ، فبلغ الحجاج ما قاله فاطلقه واعزه .



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

طنين الاذن .. يسبب دوارا شديدا

● في الخمسين من عمره يشعر بطنين في اذنيه ، وتعتريه نوبات دوار شديد ، مع عدم القدرة على التوازن ،وربما يسقط على الارض ، ما المرض وما علاجه ؟ .

ـ من وصفك للحالة ـ ولو انالوصف غير كامل ـ احس بانك تعاني من مرض يسمى مانيير Méniere:s Disease باسم اول من وصفه ، وهو عبارة عن نوبات تعترى المصاب من آن لآخر على شكل دوخة شديدة، وربما تسبب قيئا، واجهادا شديدا ، مصحوبا بطنين فى اذن واحدة او الأذنين ، مع ازدياد ثقل او ضعف السمع ، وكلما ازداد هذا الضعف فى السمع الى ان يصل الى عدم السمع ، قلت نوبات الدوخة أو الدوار . ويلاحظ المريض أثناء النوبة ، ان الأشياء تدور من حوله ، والقىء يستمر طالما استمر الدوار ، وفى بعض الحالات يرى المريض الشىء شيئين ، واذا حاول الوقوف رغم الاعياء الشديد الذى يعانيه منه ، فانه يترنح ، وربما سقط على الارض .

وتستمر النوبة لمدة نصف ساعة ، وربما امتدت الى ساعات ثم تتلاشى تدريجيا .

وبين النوبات من الممكن ان تحدث « الدوخة » عندما يحرك المصاب راسه فجاة . ويصحب هذا اختلال فى توازن الجسم .

والسبب فى هذا المرض يرجع الى اضطراب فى الأذن الداخلية مع اضطراب فى عصب السمع ، والجهاز المختص فى داخل الاذن الذى يحفظ توازن الجسم .

والعلاج في هذه الحالة :

فى حالة النوبة،يلازم المريض الفراش، ويعطى مهدئا ، وكذلك لوحظ ان الحالة تتحسن باعطاء المريض اقراص درامامين Dramamine او افومين Avomine وفى حالة القىء يعطى اللومينال او اللارجاكتيل بواسطة الحقن .

وفى الحالات التى لا تستجيب للعلاج بالدواء يحول المريض الى اخصائي للأنف والأذن والحنجرة ، للتدخل الجراحي وازالة الجزء المريض من الأذن الداخلية وهذا ينتهى بالصمم لهذه الأذن .



الصداع النصفي .. أسبابه مجهولة ..

● اعانى من صداع نصفى ينتابنى على فترات ـ والاحظ فى هذه الايام ان الفترة ما بين النوبه والاخرى قد قصرت والحالة تشتد ـ فما سبب هذا الصداع ؟ وما علاجه ؟ .

ـ هذا الصداع النصفي الذى تعانى منه يعرف بمرض الشقيقة « Migrain » وهو مرض معروف من زمن بعيد يعترى الانسان فى كثير من الأحيان فى سن مبكرة، بعد البلوغ مباشرة ، او فى بعض الحالات بعد سن الاربعين ، ويعترى النساء مثل الرجال ، وفى بعض الحالات يعتريهن بعد سن اليأس .

وسبب المرض المباشر ما زال مجهولا، وما زالت الأبحاث تجرى للتوصل الى ذلك ، لانه اذا توصلنا اليه امكننا التغلب على هذا المرض .

ولكن لعامل الوراثة دخل كبير ـ فالمرض يتوارثه الابن عن الأب او الأم ـ وهو يسرى فى العائلات .

ويساعد على حدوث النوبة عوامل مختلفة ، ربما لو دقق المريض فى حالته لوجد ان بعض هذه العوامل لها دخل فى ذلك . فعليه أن يحذرها ، هذه العوامل هى : الاضطرابات النفسية،تناول بعض الأطعمة ، مثل الأكلات الدسمة الغنية بالدهنيات ، أو بعض الاكلات الغنية كالسمك أو البيض .

وعلى المريض ملاحظة نوع الأطعمة التى تسبب له ذلك ، ثم المشروبات الكحولية ، والجلوس امام التلفاز أو فى السينما لمدة طويلة ، القراءة واجهاد العين ، قبل حدوث الطمث (العادة الشهرية) ، أو فى أيامها عند الاناث . وربما يلاحظ المريض انه قبل بدء النوبة يحس باضطراب فى عينه ، فيلاحظ انه لا يرى جيدا فى جهة او اخرى ، ويظهر امام العينين اطياف مختلفة ، ذات الوان مختلفة ، وتكون هذه مصحوبة بتنميل فى الشفتين واللسان وفى بعض الحالات فى اليد ، وفى الحالات النادرة تحدث صعوبة فى الكلام، وحتى ضعف فى الحركة ويستمر كل هذا لفترة تتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ دقيقة ثم يعقب ذلك الصداع فى نصف الراس ، وربما ينتقل من نصف الراس الى النصف الآخر ، ويمكث هذا الصداع ساعات وربما أياما ، ولا يرحم المصاب الا غفوة نوم ، يفيق بعدها ويكون الالم قد ذهب الى أن تعتريه نوبة اخرى . وفى بعض الحالات يصحب هذا الألم غثيان ثم قيء يتحسن الصداع بعده .

وتستمر هذه النوبات على فترات تطول ، وتطول ، وتقل حدة الصداع الى ان ينقطع تماما بعد سنوات حتى لو لم يعالج . والواقع أن العلاج يتلخص فى الابتعاد قدر الامكان عن الأسباب التى تساعد على حدوث النوبة ، ثم العلاج يجب ان يكون عند بدء النوبة اى عندما يحس الانسان بالعلامات التى تسبقها وهنا يعطى الدواء على شكل حقنة Dihydroergotamine او اقراص Genergen أو Migril او Cafergot اذا اعطيت فى الوقت المحدد فانه من الممكن التغلب على النوبة وعدم حدوثها .

ويساعد على عدم حدوث النوبات اعطاء مهدئات مثل اقراص اللومينال ، واقراص Stemetil ، واقراص الاسبرين ، او الكافيين وغيرها .

والملاحظ ان كل مريض يستجيب لعلاج مختلف عن المريض الآخر ،ويجب عليه ان يجرب الأدوية المختلفة ، الى ان يوفق الى النوع الذى يلائمه .

شعر الجسد

● أنا فتاة في الثامنة عشرة من عمري متزوجة بشاب احبه ويحبني ، نحيا حياة هادئة مطمئنة ولكن لاحظت ظهور بعض الشعر في وجهي وفي بعض اجزاء من جسمي مؤخرا مما سبب لزوجي بعض النفور مني وقد حاولت ازالته والتخلص منه بكافة الطرق التي لم تزد الامر الا سوءا. فما هي اسباب هذه الحالة وما هو علاجها ؟

ــ ان ما تشكين منه له أسباب عديدة ومتنوعة منها :

١ ــ اسباب وراثية : فقد لاحظ الأطباء ان هذه الحالة تتكرر في العائلة الواحدة وتنتقل من جيل الى جيل . كما انها تختلف من بيئة الى اخرى فما يعتبر شاذا لدى بنات الشمال قد يعتبر طبيعيا عند نساء حوض البحر الابيض مثلا .

٢ ــ نقص هرمون الأنوثة Ostrogen الاسترجين .

٣ ــ ازدياد افراز هرمون الذكورة Androgens وذلك للاسباب الآتية :



* تعاطى هذا الهرمون كعلاج من بعض الحالات .

* اورام المبيض المفرزة للهرمون الذكرى .

* بعض الأمراض التى تصيب الغدة الكظرية او المخ الاوسط Mid Brain او قاع الجمجمة .

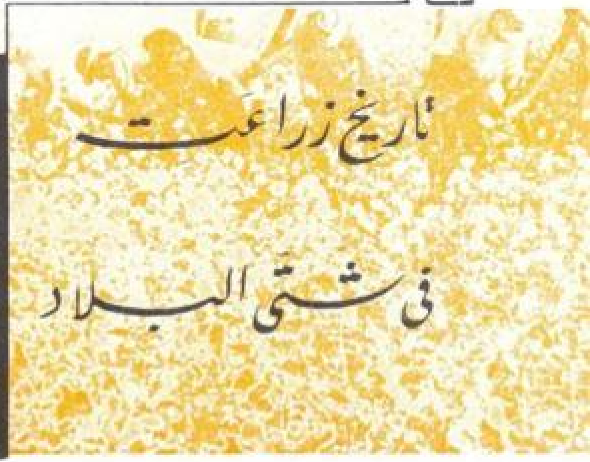
التشخيص : بالفحص الاكلينيكى الدقيق وقياس كمية الهرمونات المفرزة فى الدم وفى البول ، صورة شعاعية للجمجمة ، أبحاث وظائف الكلية ، صور شعاعية خاصة للغدة الدرقية . وغيرها من الابحاث والتحليلات .

العلاج : ازالة الأورام جراحيا، العلاج الهرمونى بواسطة الاسترجين ، العلاج بواسطة الكورتيزون . وخلاصة الغدة الدقية . وفى حالة عدم وجود سبب جوهرى يزال الشعر بالطرق المعروفة او يدهن بمحلول مزيل للون .

■■

القطن

تاريخ زراعته في شتى البلاد على مر العصور



بقلم : ابراهيم بولس ابراهيم

■ يعتبر القطن ، « الذهب الابيض » ، العمادالثاني لاقتصاديات الدول العربية بعد « الذهب الاسود » الذى يحتل مكان الصدارة فى اقتصادياتالدول العربية . ويحتل محصول القطن المركز الثانى في الانتاج العالمي بعد محاصيل الحبوب ،وهو المحصول الرئيسي بين محاصيل الالياف فى العالم .

فمتى بدات زراعة هذا المحصول واين ؟

استعمل الانسان الاول ما حوله من انواع النباتات ولا سيما القابل منها للثنى فى صنع ادوات الحصاد وفخاخ الصيد والسلال وغيرها كما صنع لنفسه ما يلزم لكسائه ليقى نفسه شر البرد القارس والحر اللافح من جلود الحيوانات وفرائها ـ خاصة التى كان يقتنصها لغذائه ـ ثم حاول ضم اجزاء من هذه الجلود ، بعضا الى بعض ، مستعينا بالاشواك النباتية او بعض عظام الاسماك ، ثم تدرج بعد ذلك بآلاف السنين الى استخدام انسجة بدائية من الالياف النباتية .

اقدم الالياف استعمالا

ومن الصعب معرفة اقدم الالياف النباتية استعمالا . ولكن المرجح أن الانسان الاول اشتغل خلال ازمنة العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الجديد برعى الاغنام والماعز . ومن المرجح انه بدأ باستخدام صوف هذه الحيوانات فى صنع ملابسه . لذا كانت صناعة المنسوجات الصوفية حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م . خاصة فى مناطق الشرق الاوسط حيث كثرت المراعى .

ومن المرجح تاريخيا أن المقايضة في التجارة فى

الازمنة القديمة كانت تشمل الصوف من العراق والشام ، والكتان من مصر ، والحرير الطبيعي من الصين ، والقطن من الهند .

فى الهنـد

ويرجع تاريخ القطن فى الهند الى أزمنة ما قبل التاريخ . وذكر تيرنروجولات Turner & Gulat انه عثر فى بعض الحفريات الحديثة فى منطقة ماهنجو دارو Mohengo-Daru فى وادى اندس Indus فى شمال غرب الهند ، على اثار لا تزال سليمة من نسيج وخيوط القطن ويدل البحث التاريخي للمكان الذى عثر عليها فيه ، على ان هذه الاثار ترجع الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

واول مرجع مسجل حتى الآن جاء فيه ذكر القطن بالهند هو انشودة هندية اسمها « هندو ـ ريج ـ فيدا » Hindo - Rig - Veda وهذه الانشودة مكتوبة منذ خمسة عشر قرنا قبل الميلاد . وجاء فيها « كخيوط القطن فى انوالها » مما يدل على أن القطن كان يستعمل فى تلك العهود .

وكذلك ورد فى كتب القواعد الدينية الهندية ذكر استعمال القطن عام ٨٠٠ ق.م فقد جاء ضمن هذه القواعد الدينية أن ملابس المعبود براهمان Brahman يجب أن تكون مصنوعة من القطن .

وذكر هيرودوتس Herodutus (٤٨٤ ـ ٤٢٥ قبل الميلاد) ما يأتي :

« يوجد فى الهند اشجار تنمو برية ثمارها عبارة عن صوف يفوق جمالا وجودة صوف الغنم ويصنع منه الهنود ملابسهم » .

اما ما ذكره ثيوفراستوس Theophrastus (٣٧٢ ـ ٢٨٧ قبل الميلاد) فيعطى ضوءا علىتاريخ زراعة القطن في الهند فى ذلك العهد حين يقول :

« ان الاشجار التى يصنع منها الهنود ثيابهم ذات اوراق تشبه اوراق التوت الاسود ، ولكن النبات نفسه يشبه ورد الكلاب Dog-Rose ويزرعونه فى السهول على هيئة صفوف تشبه كرمة العنب » .

وقد ذكر فيركوس Fearchus احد قواد الاسكندر الاكبر الذى قاد جيشا على سواحل جنوب شرقي آسيا عام ٣٢٧ قبل الميلاد ما يأتى :

« قد وجدت أشجارا فى الهند تحمل حزما من الصوف ينسج منها المواطنون أنسجة يصنعون منها قمصانا لهم تصل الى اسفل الركبة، ووشاحا يلف حول الكتفين ، وعمامة تلف حول الراس ، والاقمشة التى ينسجونها من هذه المادة ناعمة وانصع بياضا من الانسجة المصنوعة من المواد الاخرى .. » .

من كل ذلك يتضح ان الهند لم تكن تعرف زراعة القطن من قديم الزمان فحسب بل كانت مركزا لصناعة القطن منذ ٣٠٠٠ سنة ، وبعض انواعالانسجة المصنوعة بمغازلهم وانوالهم البدائية تفوق نعومة ومتانة مثيلاتها المصنوعة فى البلاد الاخرى .

فقد ذكر الرحالة (ماركوبولو) من مدينة (البندقية) الذى طاف فى آسيا في القرن الثالث عشر ، عن الاقمشة التى تصنع فى منطقة مدراس فى الهند « انها انعم وأجمل نسيج فى العالم » . كما وصف آخرون هذه الانسجة فقالوا : انها من النعومة بحيث لا تشعر بحملها على يديك وخيوطها من الدقة بحيث يصعب رؤيتها . وعندما يوضع هذا النسيج على العشب ويتساقط عليه الندى تتعذر رؤيته لشفافيته ورقته « ووصفه شعراء الهند القدماء انه « نسيج من الهواء » .

أقاصيص العصور الوسطى

وفي القرون الوسطى كانت معظم المعلومات عن الدول النائية تصل عن طريق الرواد الذين يقومون بجولات فى هذه الاقطار ، وكان هدف هؤلاء الرواد كسب تشويق سامعيهم دون مراعاة للحقائق العلمية ، فكانت تتردد فى ذلك الحين كثير من الخرافات العجيبة . ولعل مرجعه الى حالة أهالى القرون الوسطى . اذ لم تكن حالة العلم فى أوروبا وقتئذ متقدمة للدرجة التى تسمح بمناقشة اقوال هؤلاء الرواد وتفنيد مزاعمهم كما لم تكن الاتصالات بين الاقطار المختلفة من السهولة واليسر بحيث تسمح بالتأكد من حقيقة اقوالهم ، وكان للشرق الغامض المملوء بالأسرار والذى اشتهر بسحره وفتنته ، النصيب الاوفر من قصص هؤلاء الرواد .

القطن ينتجه حيوان !

ان شعر القطن يشبه الصوف الناعم واولئك الذين لم يسبق لهم رؤية نبات ينتج مثل هذه المادة كانوا يظنون أنها انتاج حيواني ، لذلك وجد هؤلاء الرواد من يصدق قصصهم الخيالية بسهولة لذلك شاعت فى أوروبا خرافة « الحمل النباتى » وهو كائن حى قيل ان نصفه حيواني وينتج القطن.

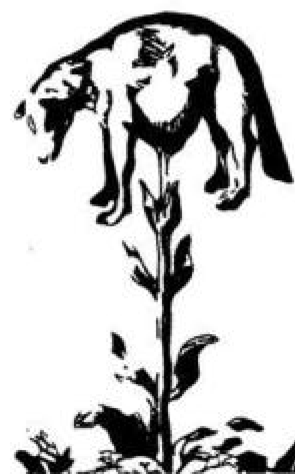
وقد وصف احد هؤلاء الرحالة المدعو شير

Scherer نبات القطن عقب احدى جولاته فى الشرق الاوسط فقال :

« كان على هيئة حمل ، ومن صرته ينمو ساق أو جذر يتصل بواسطته بالأرض . ويتغذى هذا الحيوان بالعشب المحيط به على قدر ما يسمح به طول الساق التى تربطه بالارض . ويصعب على الصيادين اقتناص هذا المخلوق النباتى حيا ولا يمكن صيده ما لم يتمكنوا من قطع ساق اتصاله بالارض بالأسهم بمعرفة رُماة مَهَرة ، فيسقط هذا المخلوق فورا على الارض ويفقد الحياة . ان عظام هذا الحمل اذا وضعت طبقا لمراسيم سحرية خاصة في فم احد الراغبين في التنبؤ تقمصته روح العرافة في الحال واصبح قادرا على التنبؤ بالغيب » .

ولم تكن تلك الخرافة هى الوحيدة عن القطن ، فقد شاعت خرافات اخرى قيل فيها ان في كل جوزة من جوزات القطن حملا صغيرا مغطى بالصوف . وقد ذكر الرحالة الانجليزى سير « جون ماندفيل » Mandeville الذى كان يعيش في عهد الملك ادوارد الثالث حيث غادر انكلترا ١٣٢٢ وقام بسياحة استغرقت ٣٠ عاما زار خلالها اهم بلاد آسيا وعاد يقول « وهناك شىء آخر أسرده عليكم واني وان لم اكن رأيته بنفسي ولكن سمعته من مصادر موثوق بها . فعندما تنضج جوزات القطن تنفجر ويبدو فى كل جوزة حيوان صغير يشبه الحمل وهكذا يتمكن المزارعون من الحصول من هذا النبات على القطن للباسهم واللحم لغذائهم

(شكل ١) الحمل القطنى كما وصفه شيرر وكما تخيله احد الرسامين الالمان فى ذلك الوقت



وان كان ذلك يبدو صعب التصديق انما يحتمل ان يكون الحقيقة الواقعة » .

ولعل موضع الغرابة فى هذه الاسطورة لا يقتصر على موضوعها فقط . بل شمل كذلك السهولة التى آمن مستمعوها بصدقها فقد عرف الاوربيون القطن ونباته فى أثناء الحروب الصليبية حيث شاهدوه بسورية وغيرها من بلاد الشرق التى دارت بها بعض المعارك .

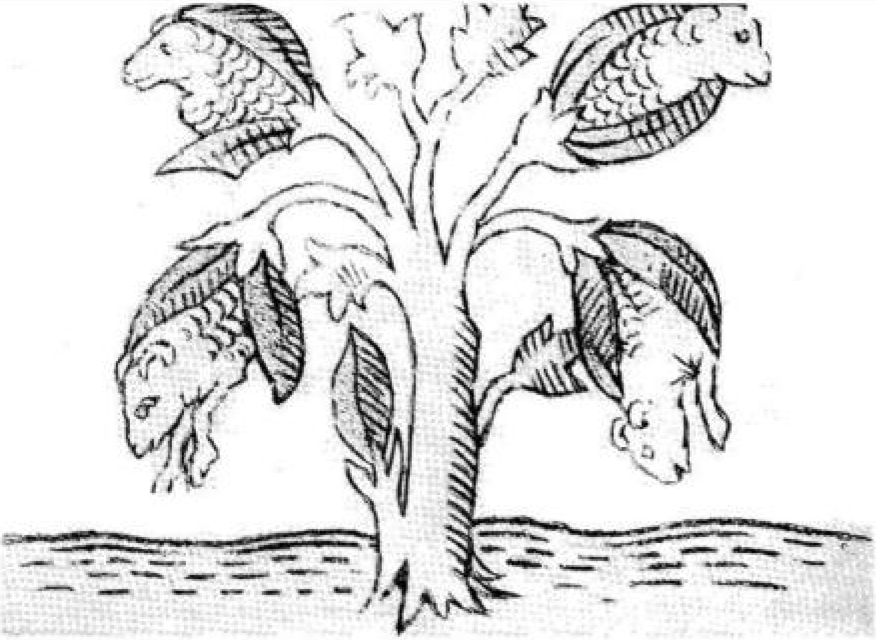
وفي سنة ١٦٤١ اذاع كيرشرا دافنيون وصفا لنبات القطن مبينا انه نبات عادى كغيره من النباتات، ولكنه لم يجد من يصدقه حتى اثبت برين سنة ١٧٢٥ ان قصة الحمل القطنى هى خرافة لا نصيب لها من الصحة ، وان القطن لا يعدو ان يكون نباتا عاديا كما ذكر كيرشر من قبل وهكذا تم القضاء نهائيا على هذه الأسطورة .

بدء انتشار زراعة القطن فى العالم

بدأت زراعة القطن فى الهند ومنها اخذت تنتشر فى باقى انحاء العالم . فقد كان التبادل التجارى بين الهند والصين وثيقا ، سواء بواسطة القوافل البرية أو بالسفن البحرية التى تنتقل على طول الساحل بين الدولتين . وبواسطة هذه القوافل وجدت بذور القطن طريقها الى الصين . لكن الشعب الصينى شعب متحفظ ضد كل جديد . لذلك ظلت زراعة القطن اجيالا مقتصرة على استعماله كنبات للزينة ، فلم يستعملوه فى نسج ملابسهم رغم جودته ورخصه بل فضلوا عليه لباس آبائهم واجدادهم . وظلوا كذلك حتى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد . حتى بدأت زراعته وغزله فى الانتشار فى هذه البقاع .

وكذلك انتقلت زراعة القطن من الهند الى غرب آسيا ، فقد شاهد بليني Pliny (سنة ٢٣ ـ ٧٩ بعد الميلاد) القطن مزروعا فى جزيرة تيلوس Tylos فى الخليج العربى كما شاهده تيوفراستوس فى الجزيرة العربية ، ولكن تفضيل سكان هذه البلاد لزراعة المحاصيل الغذائية لحاجتهم الماسة اليها عاق توسيع زراعة القطن فى هذه المناطق .

ولو ان العرب لم يتوسعوا في زراعة القطن فى بلادهم الا انهم عملوا على انتشار زراعته فى مختلف بقاع العالم ، فلم تدخل زراعة القطن الى اوروبا الا بفضل العرب ، فادخلوه فى جزيرة صقلية فى القرن التاسع الميلادى ،وفي اسبانيا في اوائل القرن العاشر . ثم لم يلبث ان امتدت زراعته الى جنوب



(شكل) ٢ نبات القطن الحيواني كما وصفه ماندفيل
وكما تخيله احد الرسامين الالمان في القرن الرابع عشر .

ايطاليا وما جاورها . ثم انتقل الى اليونان فى القرن الثانى عشر . ويذكر وات Watt وهو عالم لغوى انكليزى عند بحثه عن مصدر كلمة Cotton ومشتقاتها باللغات الافرنجية انها ماخوذة من كلمة قطن العربية .

تاريخ القطن فى الدنيا الجديدة

من العجيب ان القطن كان مستوطنا فى بعض مناطق امريكا الجنوبية . فقبل اكتشافها كان القطن ينمو بريا فى البرازيل وبيرو من عهد ماقبل التاريخ رغم انفصالها انفصالا تاما عن الدنيا القديمة . مما قد يؤيد نظرية الدكتور تور هايردال The Hyrdall الذى حاول هذا العام العبور من افريقيا الى امريكا الجنوبية بقارب البردى « رع » ليثبت وجود اتصال قديم بين الدنيا القديمة والدنيا الجديدة سابق لاكتشاف الامريكتين .

وقد لاحظ ماجلان Magellan وبحارته عند اكتشافهم البرازيل عام ١٥١٩ ان المواطنين يستعملون انسجة قطنية ويبدو ان هؤلاء الوطنيين كانوا يقطفون اقطان هذه النباتات البرية لغزلها واستعمالها .

ومع ان بيزاروا الاسبانى Pyzaro الذى غزا « بيرو » عام ١٥٢٢ وجد ان سكانها الوطنيين يلبسون قمصانا طويلة من الانسجة القطنية كما عثر فى مقابرهم على ما يثبت ان الانسجة القطنية استعملت لديهم من اقدم العهود قبل اكتشاف امريكا ، لم تبدأ زراعة القطن فى الانتشار فى هذه المناطق الا بعد مضى نحو قرن على اكتشاف هذه البلاد .

تاريخ القطن فى الجمهورية العربية المتحدة

مما يلفت النظر أن مصر ذات الحضارة العريقة التى ترجع الى نحو خمسة الاف عام والتى عرفت فى عصور التاريخ القديم بنشاطها التجارى وفتوحاتها وغزواتها العديدة لم تستعمل القطن فى النسيج حتى عام ٤٠٠ ق . م. وان جميع مخلفات النسيج التى عثر عليها فى مقابر قدماء المصريين حتى ذلك التاريخ كانت مصنوعة من الكتان .

والمأثور عن الملكة كليوباترا ــ وهى آخر ملوك البطالسة فى مصر ــ انها لم تجد هدية تقدمها الى يوليوس قيصر فى روما انفس من قميص حاكته بأناملها وانامل وصيفاتها من خيوط القطن فى ثلاثة ايام .

واشتهرت مصر ايضا فى عصر الرومان (من سنة ٣٠ قبل الميلاد حتى سنة ٦٤١ بعد الميلاد) بزراعة

القطن وتجارته وصناعته غير ان انتشار الظلم في اواخر عهدهم واختلال الامن ادى الى اندثار زراعة القطن وصناعته .

وفي سنة ١٩٤٧ م كشف الاستاذ بشتلى بحفائر جمعية الآثار القبطية بدير « انبا فويبامون » في الصحراء بجوار مدينة أرمنت على مخلفات من الانسجة وحبال وسلال وآثار يرجع تاريخها الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد كما تدل عليه النصوص والآثار التى وجدت في الحفائر ، وقد تبين من الفحص الميكروسكوبى ان بعض الانسجة مصنوعة من القطن ويعتبر هذا اول اكتشاف قطنى في مصر في العهود القديمة .

كما عثر على منسوجات اخرى من نفس العصر في بلدة عنيبة جنوبى مصر واعتقد مكتشفوها انها من الكتان ولكن باعادة فحصها اتضح انها من القطن .

وكان القطن معروفا لدى العرب قبل فتحهم مصر ، واتسعت زراعته في مصر بعد الفتح العربى حتى انه في القرن الثامن للميلاد كان بمدينة الفسطاط مخازن كبيرة للقطن .

وقد تكلم بعض الكتاب العرب والمصريين عن زراعة وصناعة القطن في مصر منهم الشريف محمد ابن محمد الادريسى الصقلى وهو من علماء الجغرافيا المشهورين في القرن الثانى عشر ، وابن البيطار ، في القرن الثالث عشر ، وداود الانطاكى الذى عاش في القاهرة في أواخر القرن السادس عشر . وقد قال :

« ان القطن نبات حولى يزرع في شهر برمودة (ابريل ـ نيسان) ويخرج على ساق ثم يتفرع ويزهر ويحمل جوزا بشكل التفاح ويتفتح عن شعر القطن وانه في مصر يقلع كل عام بخلاف العراق فانه يترك حتى يصير شجرا » .

وفي عهد العثمانين اضمحلت زراعة القطن بسبب استبداد الولاة ولم تنل زراعة القطن وصناعته في عهدهم اى عناية .

تاريخ القطن في سوريا

من المرجح أن تكون بذور القطن قد انتقلت الى سوريا قبيل الميلاد بواسطة القوافل البرية التجارية بين الهند وبلاد غرب آسيا ، ولكن قد عاق انتشار زراعة القطن في الاقليم السورى وما جاوره في بلاد غرب آسيا ما كانت تعانيه بلاد غرب آسيا من نير الاستعمار الرومانى وحاجة المستعمر الى زراعة المحاصيل الزراعية ووفرة الصوف في هذه البلاد .

ولم تنتشر زراعة القطن في سوريا الا عن طريق العرب ، لان العرب ـ ولو أنهم لم يزرعوا القطن في بلادهم ـ عملوا على انتشار زراعته في مختلف بقاع العالم فنشروا زراعته في سوريا عقب الفتح الاسلامى لهذه البلاد .

ويذكر مؤرخو العرب انتشار صناعة غزل القطن في مناطق سوريا ولا سيما مناطق حلب وعلى ضفاف الخابور ، كما ذكروا انتشار صناعة غزل القطن ونسجه في كثير من المدن العربية في تلك العهود . فقد ذكر الاصطخرى الذى الف كتاب المسالك والممالك سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) و « رأس العين على مستوى ارضها الغالب فيها القطن ويخرج زيادة على ثلاثمائة عين كلها صافية » .

ومنها قول ابن حوقل البغدادى الذى تجول بالبلاد سنة ٣٣١هـ (٩٣٢م) و « نهر الخابور عليه مدائن كبيرة قد سكنتها ووصفها ، كمدينة عربان وهي مدينة لطيفة كثيرة الاقطان ونبات القطن يحمل منها الى الشام وغيرها » .

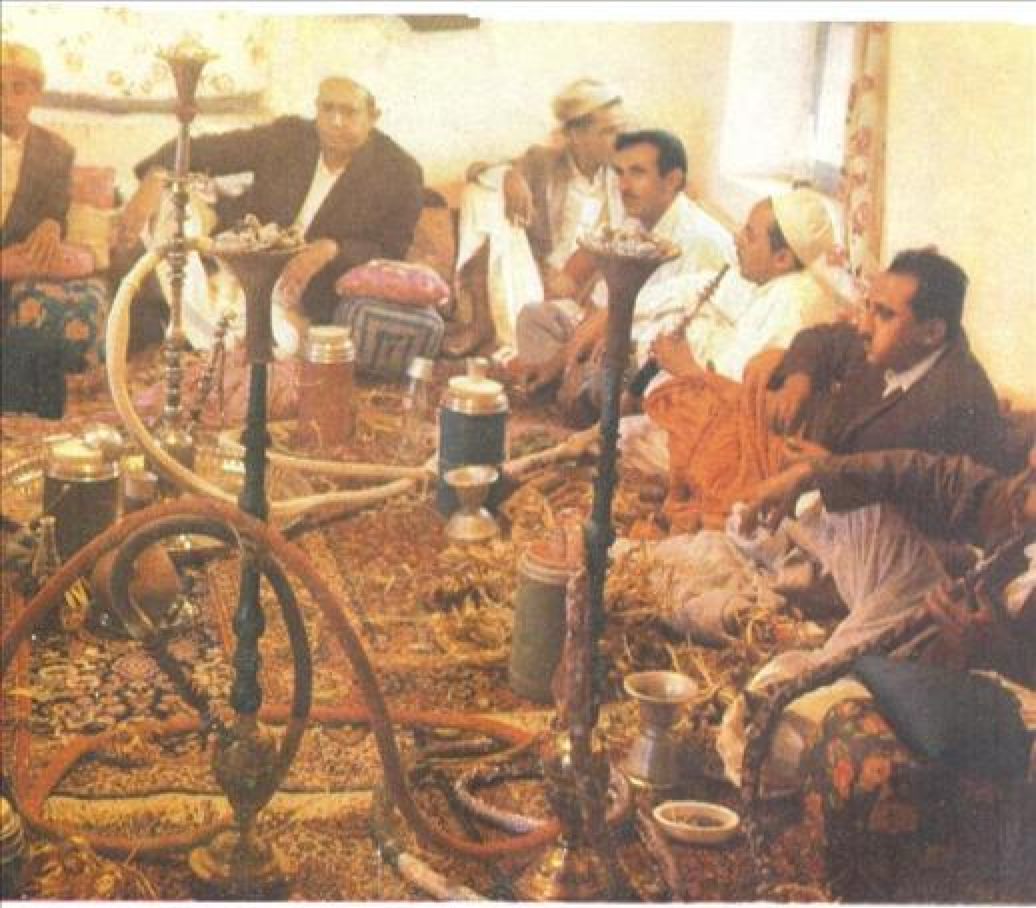
وذكر ياقوت الحموى الذى كانت رحلاته بين أعوام ١١٧٩ و ١٢٢٩م في معجمه المعروف « ان الله خص حلب بالبركة وفضلها على جميع البلاد ، وانه يزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذيًا لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصا » .

وهكذا فان زراعة القطن لم تكن مزدهرة بسوريا فحسب بل ان صناعة غزله ونسجه ازدهرت في البلاد أيضا . ولكن لما غزا المغول هذه المناطق صحب غزوهم اضطرابات وقلاقل كانت عاملا لاضمحلال زراعة القطن فيها . وبقيت زراعته مركزة على نطاق ضيق في بعض مناطق غرب حلب .

وقد ذكر الرحالة الدكتور رسل الذى قام برحلة في الشرق الاوسط عام ١٧٥٤ في كتابه ان القطن يزرع في بعض حدائق حلب للزينة كما يزرع كمحصول في مناطق غرب حلب .

هذه نبذة عن تاريخ زراعة القطن . ومنه يتضح انه من اقدم المحاصيل التى زرعها الانسان في الدنيا القديمة والدنيا الحديثة . ■■

ابراهيم بولس ابراهيم
مدير عام محطات البحوث الزراعية
وزارة الزراعة ـ القاهرة



هكذا يجلسون في كل بيت في اليمن .. ساعات طويلة يقضونها في أوهام .. ويحلقون في آفاق بعيدة لا تمت الى عالمهم الذى يعيشون فيه بصلة ..

اعرف وطنك أيها العربي

القَاتُ

- شجرة تتحكم في اقتصاد اليمن.
- اقتلعوا أشجار البن ليزرعوا القات مكانها.
- ٣٥٠٠ مليون ساعة عمل تضيع سنويا بسبب إدمان شعب اليمن على تعاطي القات.
- حزمة القات قبل رغيف العيش!!

استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار متري

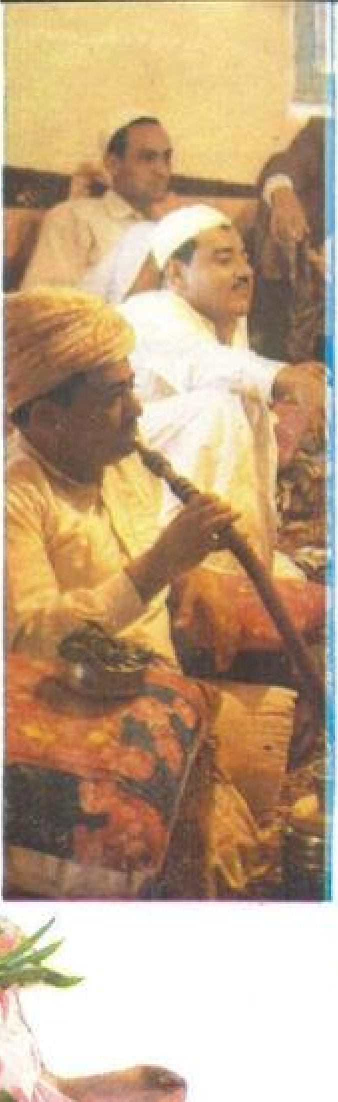
انها مأساة اجتماعية .. بل هى مشكلة اقتصادية من اعقد المشاكل التى تواجه هذا الجزء من وطننا العربى .. اليمن ..

حاولوا علاجها .. ولكن استعصى العلاج .. وصفوا للمرضى الدواء، فلما ذاقوا مرارته أعرضوا عنه وولوا هاربين !

وقال القائلون : « مالكم بنا ، هذه حياتنا، عشناها ونعيشها منذ مئات السنين ؟ » .

فما اسم هذه المشكلة .. وما هو شكل هـــذه المأساة ؟

الجواب على هذا السؤال يتلخص فى كلمة واحدة .. انها القات ..





■ مشاكل ومآس تشدنا الى الوراء وتعوق مسيرتنا نحو حياة أفضل كريمة ..
وفي كل مرة يسعى الساعون لعلاج احدى المآسي يصطدمون بجدار من الاستنكار ، بحجة انها مشاكل تحولت مع الزمان الى مقدسات من المحرم على الناس أن يتناولوها بالنقد .. لانها غسيلنا القذر فكيف ننشره على العالم ؟! .

انها مشاكل موجودة في كل مكان ، وفي كل جزء من وطننا الكبير .. ولكنها في اليمن ــ موضوع استطلاعنا اليوم ــ تاخذ طابعا فريدا غريبا .. القات .. ويلعنون اليوم الذى عرفوا فيه هذا السم المقيت القات ! .

يمضغ ويلعن !

والقات هو شجرة دائمة الخضرة ، أصبح المواطن اليمني أسير أوراقها اللامعة ، يملأ بها فمه ، ويسير بها يمضغها في كل مكان .. في المنزل والمتجر .. في السينما والمقهى .. وفي الحقل والمكتب .. في السيارة وعلى الدراجة .. لا فرق بين رجل وامراة .. ولا عامل وفلاح .. حتى الوزير في مكتبه .. والمحافظ في مركزه .. والعالم حيثما كان .. كلهم يمضغون القات .. ويلعنون القات .. ويلعنون اليوم الذى عرفوا فيه هذا السم المقيت القات ! .

خسارة ٣ آلاف مليون ساعة !

وكان لا بد أن نحضر جلسة قات .. وانتهت الجلسة وثارت ثائرتنا على ما شهدنا .. وتوجهنا مباشرة الى مكتب رئيس وزراء اليمن دولة محسن العيني نسأله ــ بكل بساطة ــ : « لماذا لا تمنعون القات بجرة قلم ، وتريحوا البلاد من مآسيه ومشاكله ؟ » .

ونظر الينا رئيس الوزراء وقال بألم ومرارة : « ما من شك أن في سؤالكم الكثير من الغيرة ، ولكن مشكلة القات لا يمكن حلها بجرة قلم ..

وكم بودى أن أوقع في هذه اللحظة قرارا يمنع زراعة القات ، اذا كان هذا يقضي على هذه المشكلة ولكني أعلم أنها سوف تخلق لليمن مائة مشكلة أكثر تعقيدا من مشكلة القات نفسه .

ويتابع رئيس وزراء اليمن كلامه بقوله : « يكفي أن أذكر لكم أن اليمن تخسر سنويا ما يزيد على ثلاثة آلاف مليون و ٥٠٠ مليون ساعة عمل ! ان هذا الوقت الهائل هو الذى يقضيه أبناء اليمن في مضغ القات وتخزينه كل سنة ... انه وقت ثمين للغاية ، بلادنا في أشد الحاجة اليه ، يضيع هكذا دون اى فائدة او مكسب للبلاد ، فيصيب اقتصادنا القومي بخسائر فادحة ..

« تصوروا أننا حاولنا دعوة موظفي الحكومة للعمل في الدواوين بعد الظهر لنسرع في حل بعض مشاكل اليمن المستعجلة ، ولكن مواعيد «التخزين» القات اى خزنه في أشداقهم ، وقفت حائلا بيننا وبين تحقيق امنيتنا .. انها مأساتنا ومشكلتنا الكبرى !! »

القات قبل رغيف الخبز

وانطلقنا من مكتب رئيس وزراء اليمن نبحث عن القات .. زرنا مزارعه على قمم الجبال ، واشتركنا في مجالس مضغه وتخزينه في القرى والمدن .. وتحدثنا مع المدمنين ، والمزارعين ، والمسئولين .. لنخرج بهذا الاستطلاع الجديد الذى نقدمه لك في هذا العدد .

تبدأ القصة مع اشراقة كل صباح .. ما يكاد الناس يعملون عملهم العادى وتتجمع لديهم بضعة ريالات حتى يسرع ــ كل منهم ــ الخطى الى السوق .. سوق القات ليشترى ربطة قات ، قبل شرائه رغيف الخبز اللازم له ولأطفاله .

ويتضاعف الرثاء لحالة هذا اليمنى الطيب ، عندما تعلم أن زوجته وأولاده ــ فوق سن السابعة ــ كلهم يمضغون القات ويخزنونه في أشداقهم !

متى عرفت اليمن القات ؟

ان هذه العادة السيئة بدأت منذ عام ٥٢٥م . اى قبل الاسلام بتسعين عاما عندما دخلت شجرة القات الى اليمن مع الفتح الحبشي لها ..

ولكن أبناء الشعب يروون عن دخول القات الى اليمن قصة لطيفة تقول : ان الذى أدخل القات الى اليمن متصوف حضرمى اسمه ابراهيم أبو زربين ..

سافر الى بلاد الأحباش ، وفي أثنا تجوله هناك شاهد قطيعا من الماعز مستسلما لنوم عميق ، وفي فم كل شاة بقايا ورق أخضر انتزعته من أشجار مجاورة ..

وجرب الشيخ ابراهيم هذا النبات ــ وكان

هو القات ـ فاستعذبه وقرر نقله الى بلاده ، وفي هذا يقول الشاعر :

أمسى يجمع منه ... حتى تملى الجراب
مشى يحدث عنه ... وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوا ... من مثله واستطابوا

حديث مع مزارع قات

واتجهنا الى تعز ، ومنها امتطينا ظهور البغال للصعود الى جبل صبر ، اذ لا يوجد طريق ممهد يوصل الى قرى هذا الجبل ، والسبب هو مزارع القات .. ان ٩٩٪ من مزروعات هذا الجبل الخصب هى القات . والفلاح لا يريد التنازل عن شبر واحد من أرضه لشق طريق ممهد !!

واستقبلنا صاحب احدى المزارع ، وقد انفرج فمه فظهرت أسنانه سوداء ملونة باللون الأخضر .. انه يمضغ القات منذ الصباح الباكر .. وقدم لنا رزمة من القات ، فقلنا :

ـ ولكننا ما زلنا فى الصباح ولم يحن موعد تخزين القات ؟

فأجابنا قائلا : « اننا هنا نمضغ القات فى جبل صبر مدة ٢٤ ساعة متواصلة .. لا فرق عندنا بين صباح أو مساء .. »

قلنا : ولكنكم سمعتم دون شك عن الأمراض العديدة التى تنتج من مضغ القات ؟

فقال بسرعة وبحضور بديهة : يقول المثل عندنا داو الاجساد بما تعتاد .. والقات هو علاجنا ، لأننا تعودنا عليه !

قلنا : ما رأيك لو منعت الحكومة زراعة القات ؟

فقهقه طويلا وقال : « مستحيل أن يحدث هذا .. لأن اليمن هو القات ، والقات هو اليمن ، والحكومة تعيش على القات ! .. فاذا ما فكرت فى منع القات ، فانها تقتل نفسها واليمن معها .. »

ويعتقد أهل صبر أن زرع القات يحمى المنطقة من الأوبئة ، وأن من يحمل غصن قات على صدره ، يكون بمنأى عن عدوى الأوبئة !!

شجرة القات

ودخلنا احدى مزارع القات .. فوجدنا الارض مقسمة الى مدرجات يعلو بعضها بعضا ..

ويزرع القات بغرسه شجيرات متباعدة ، بين كل منها خمس أقدام على الأقل ، وتؤخذ الشجيرة من الشجرة الأصلية التى تعطى فى المعتاد ٩ شجيرات كل موسم ..

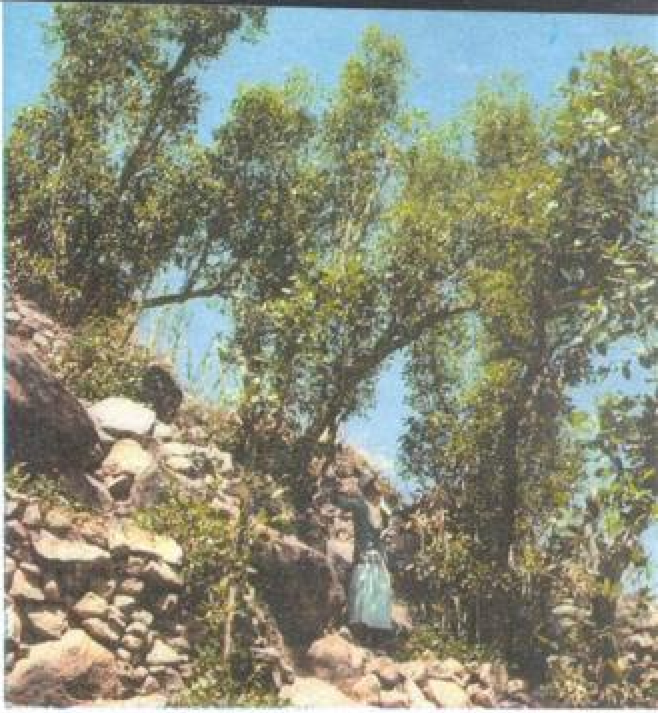


يلعب العود دورا هاما في جلسات القات بصنعاء فهو ينتقل من يد الى يد .. وهذا هو الأستاذ عبد الكريم تقي يبدأ بتقاسيم طويلة ، يعقبها بغناء هادىء ، وبجانبه جلس الشاعر الدكتور محمد غانم يسجل هذه الاغاني ويجمعها على أشرطة .

وشجرة القات خشبية دائمة الخضرة ، لا بذر لها ولا زهر .. يزرع النوع الجيد منها ابتداء من ارتفاع ١٠٠٠ متر اما النوع الردىء فهو المزروع فى السهول والمناطق الواطئة ..

ويصل طول شجرة القات الى ارتفاع ٢٠ قدما فى بعض الأحيان ، ولكنها تقطع رؤوسها عندما تصل الى هذا الارتفاع حتى تنمو من جديد على ارتفاع منخفض فيسهل قطف أوراقها .. وتعمر هذه الأشجار ٢٠ عاما ، وتورق أوراقا جديدة على مدار أيام السنة ، لهذا يكون القات متوافرا دائما لا ينقطع سواء فى الصيف أو الشتاء ..

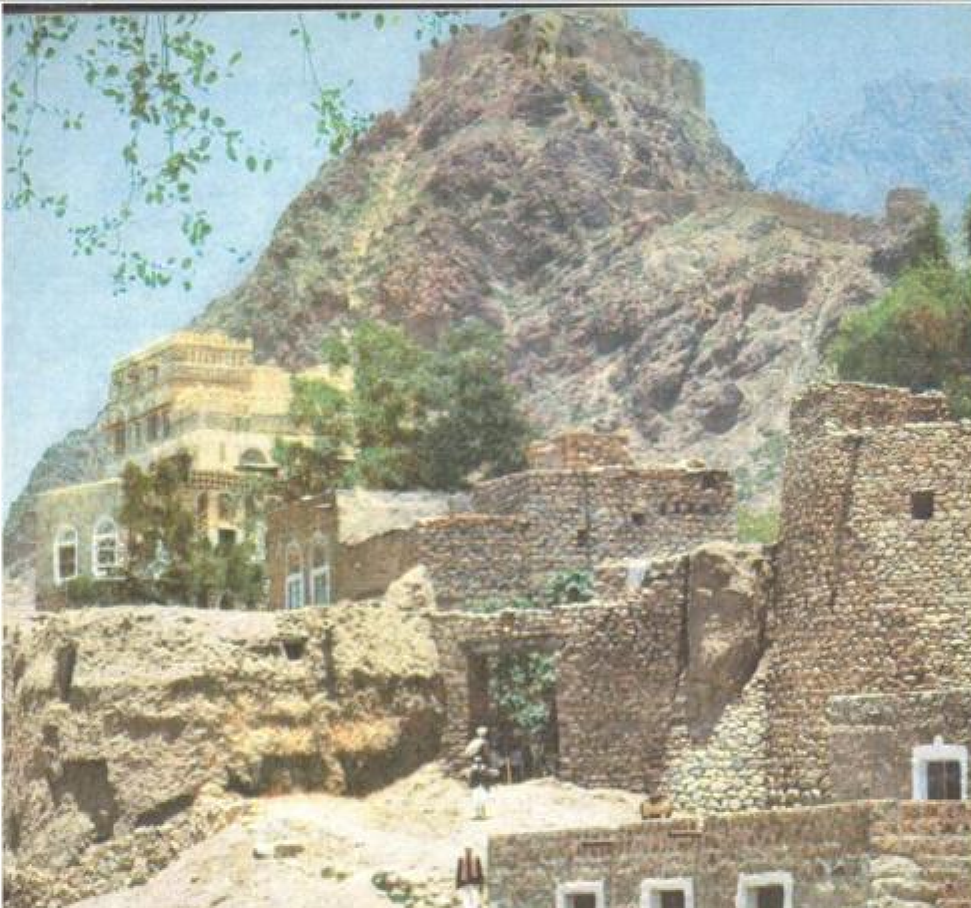
وفى ضواحى صنعاء يقوم الرجال بقطف أوراق شجرة القات ، أما فى جبل صبر ، فتقوم النساء بقطف الأوراق الصغيرة الخضراء الرطبة من أعلى الشجرة وبربطنها بقشر الشجر والحشيش على هيئة رزمة أو ربطة بها نحو ٢٥ غصنا ، ويضعن هذه الرزم فى سلة كبيرة يضعنها فوق رؤوسهن



الى اليمين : مجموعة من أشجار القات المرتفعة ... لاحظ طولها بالنسبة للرجل الواقف امامها .. انها أشجار تعمر أحيانا ٢٠ عاما ، وتزرع شجيرات صغيرة تؤخذ من الشجرة الكبيرة .. والورق الذي يقطف هو الورق الرطب الصغير .



الى اليسار : حاملات القات .. يضعنه في السلال الكبيرة وينزلن به من فوق الجبل الى المدينة .. ان بنات جبل صبر والريف اليمني يسرن سافرات ، بعكس نساء المدن المحجبات .. والمرأة في جبل صبر تتحلى بعقود الذهب الملتفة حول رقبتها ، انها تجوع وتأكل الخبز الجاف من اجل توفير المال اللازم لشراء هذا العقد !!



يتجه رجال مدينة تعز الى سفح جبل صبر المطل على مدينتهم ، وينتظرون نزول حاملات القات من على قمة الجبل لشرائه طازجا منهن ، وبأسعار أقل من أسعار سوق القات ..

وتعتبر اليمن والحبشة من أكثر المناطق التي تزرع القات وهما يصدرانه بالسيارات وبالطائرات الى عدن التي تستهلك كميات كبيرة جدا منه .. بالرغم من أنه يزرع في مناطقها الجبلية حول منطقة ردفان . ولكن أهل عدن يعتقدون أن أفضل أنواع القات هو القات الصبري الوارد من جبل صبر في تعز .. الذي يعيش فوقه أكثر من ١٠٠ ألف نسمة ، لا يكترثون لأي شيء الا القات .. أما تحسين جبلهم أو شق طريق فيه ، أو عمل صيدلية صغيرة فلا أحد عنده الوقت الكافي للتفكير في هذا .. فالقات يأخذ كل وقتهم .. يمضغونه ويخزنونه من الصباح الى المساء دون توقف أو انقطاع .. انه مأساة اجتماعية توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ..

ويقفزن بها فوق صخور الجبل ، متوجهات الى سوق تعز باقصى سرعة ، لان القات الطازج هو المرغوب .

لماذا أخذ القات مكانة البن ؟

ويملك الفلاح الواحد في جبل صبر نحو ٥٠ شجرة قات في المتوسط ، ولكن هناك من يملك اعدادا لا حصر لها تزيد عن الفي شجرة ، وهذا معناه ثروة كبيرة كما اتضح لنا عندما قلنا لصاحب مزرعة جديدة :

ـ لماذا لا تقطع شجرة القات وتزرع بدلا منها شجرة البن ؟!

فاجابنا متعجبا مبتسما : « هذا ما فعلته فيما مضى ، ولكن عكست .. فقد قلعت شجرة البن لأزرع مكانها شجرة القات ؟! »

قلنا مستائين : « ولكن هذه جريمة .. »

فاجابنا محتدا : « تقولون جريمة ، دون محاولة تفهم وضعنا كمزارعين .. لقد تدهورت أسعار البن في الأسواق العالمية تدهورا كبيرا ابتداء من عام ١٩٦١ أضف الى ذلك أن الشركات المحلية الاحتكارية التي كانت تشتريه منا وتبيعه للعالم ، كانت تفرض علينا السعر الذى يناسبها دون أن يكون لنا حق معارضتها .

ان شجرة البن كانت تعطيني ايرادا سنويا لا يزيد عن ٦٠ ريالا ، في حين أن شجرة القات اقطف منها على مدار السنة ، فتدر علي كل شجرة ربحا لا يقل عن ألف ريال سنويا .. ان ربحى من زراعة القات يفوق ربحي من زرع أى زراعة اخرى .. فلماذا تلومونني على قطع شجرة البن وزراعة شجرة القات محلها ؟ .. ثم اننا أصبحنا نصدر القات الى عدن بكميات تصل الى ٨٠ الف جنيه استرليني شهريا .. »

MOCHA من مخا !

وهكذا تدهورت ثروة اليمن ، تدهور بنها العالمى المسمى « مخا » نسبة لميناء المخا الذى كانت تصدر منه .. ومن اللطيف أن العالم اشتق اسم البن من كلمة مخا اذ قلبها الى Mocha أما الغريب فهو أن أهل اليمن يستهلكون قشرة البن فقط ، أما الحبة نفسها فلا يستعملونها .. ولذلك يطلقون اسم سوق القشر على سوق البن !

لقد كانت اليمن تصدر ١٦ الف طن من البن سنويا ، أما اليوم فقد انخفض الرقم الى ٣ آلاف طن فقط ..

وينافس البن شجرة القات حتى ارتفاع ٢٢٥٠ مترا وبعدها يسيطر القات تماما على مدرجات الجبال الخصبة ، لان القات يتحمل البرد والرياح ، بعكس البن الذى يحتاج الى مصدّات للهواء ، حتى لا تسقط زهرته التي تزهر في الصيف ، ثم تتحول الى حبة صغيرة خضراء لا تلبث أن تحمر قبل أن تقلى فتاخذ لونها البني الأسود اللطيف..

وشجرة القات لا تحتاج لأى مجهود من أجل زراعتها .. التربة السيئة تصلح لها ، بعكس البن الذى يتطلب تربة خصبة .. والجراد لا يأكل ورق شجرة القات ، ولكنه يعرى تماما شجرة البن من كل اوراقها .. وشجرة البن تحتاج الى سقى وتبخير ومكافحة حشرات ، بعكس شجرة القات التى لا تحتاج الى ماء كثير ، ولا الى أى مكافحة للحشرات ، واذا اضفنا الى كل هذا ، الاجراءات التعسفية التي كانت مفروضة على الفلاح من أخذ عشر المحصول ضريبة حكومية ، ثم الثلثين لصاحب الارض، وما تبقى يأخذه هو فيبيعه بسعر مفروض عليه لا برضاه .. ازاء كل هذا نجد أن قلع الفلاح لشجرة البن هو تصرف معقول من ناحيته ..

ضرر على اقتصاد البلاد

وترتفع أصوات الاحتجاج وترد على هذا الرأى بقولها : « بالرغم من أن القات يعتبر أحسن مورد مالى للمزارعين الا انه لا يعتبر سلعة صالحة للتصدير بكميات كبيرة للخارج .. وفى هذا ضرر بالغ على الاقتصاد القومى ، وعلى الميزان التجارى ، ودخل البلاد من العملة الصعبة التي هي في أشد الحاجة اليها ..

وتجرى حاليا محاولة جادة من قبل مكتب الأمم المتحدة لزرع ٢٥٠ هكتارا بشجيرات البن ، مع دفع اعانة للفلاحين خلال فترة الخمس سنوات اللازمة حتى تعطى شجرة البن ثمارها الأولى ..

أين تقرير الأمم المتحدة ؟

ان مشكلة القات تفتقر الى دراسة جدية .. والشعب اليمنى يجهل كل شيء عن هذا العدو الخفى الذى يصيبه بأفدح الأضرار .. وقالوا لنا : « لقد قامت الأمم المتحدة بعمل دراسة شاملة عن القات ، ولكن هذه الدراسة ما زالت طي الكتمان ، لم يعلن عنها رغم مضي ٦ سنوات على اتمامها ..

والجهنا الى مكتب الامم المتحدة في صنعاء ، انه ما زال ينفض عنه غبار اهمال عشر سنوات ، فشل خلالها في عمل اى شيء صالح لليمن ، حتى اضطرت الادارة العامة في نيويورك الى تغيير كل الاداريين والفنيين العاملين بمكتبها باليمن .

وسألنا المدير الجديد النشيط عن التقرير الذى اعدته المنظمة الدولية ، وفوجيء الرجل ، وضغط على الازرار التى أمامه وسأل معاونيه عن هذا التقرير ، فوعدوا بالبحث عنه .

ولم تكن هناك الا صورة فوتوغرافية عن النسخة الاصلية ، اضطررنا الى دفع أجر اضافي للسكرتيرة التى قامت بنسخ صورة خاصة من هذا التقرير المكون من ١٩ صفحة فولسكاب ..

عصبة الأمم تهتم بالقات

ويرى هذا التقرير في احد فصوله مدى اهتمام الامم المتحدة بالقات فيقول :

يرجع الاهتمام الدولي بالقات الى ما قبل انشاء الامم المتحدة .. ففى عام ١٩٢٥ بدأت اللجنة الاستشارية لعصبة الامم باول دراسة عن القات .. ولكنها لم تسفر عن اى نتيجة .. وظلت مشكلة القات تعانى من التأجيلات حتى اوصت اللجنة الخاصة بمكافحة المخدرات ، هيئة الصحة العالمية بالقيام بدراسة طبية عن التأثير الطبى لعادة ادمان مضغ أوراق القات ..

وقامت هيئة الصحة العالمية بعد ذلك مباشرة بالعمل ، وقد اتضح لها ان عزل العنصر الفعال يجب القيام به قبل اجراء اى بحوث مخبرية أو بحوث معملية على الخواص الطبية الاقرباذينية لهذا المخدر ، وقد تبين أن عملية التحليل والفصل الكيميائي عملية صعبة للغاية استهلكت وقتا اكثر بكثير مما كان مقدرا لها .

دول تحارب القات .. ودول تسمح به

وظلت الاتصالات الطويلة المملة تدور في الأمم المتحدة ، وجاءت التقارير تفيد أن عدن والصومال البريطاني رفعا الحظر على استيراد القات ، وأن المملكة العربية السعودية أصدرت قرارا سنة ١٩٥٨ يقضى بمنع زراعة أو استعمال القات . كما قامت حكومة الحبشة بتقديم تقرير تقول فيه ان تأثير القات لا يدخل تحت المواصفات التى يمكن أن يطلق عليها لفظ ادمان المخدرات .. وأنه نتيجة لهذا لا يوجد سبب لمنع أو تحديد زراعة القات في الحبشة .

وقدمت حكومة اليمن تقريرا في ذلك الوقت (١٩٥٨) قالت فيه ان القات ليس مخدرا !! .

حتى من اسرائيل تلقت اللجنة تقريرا يفيد أن القات يزرع في كل القرى الفلسطينية المحتلة ، التي توجد بها اغلبية من المهاجرين اليمنيين اليهود !! .

اما السودان فعندما بدأ القات يرد اليه عام ١٩٥٧ قامت الحكومة باصدار القوانين لمنع زراعته او استعماله . وفي المغرب اضيفت اوراق القات ومستحضراته على جدول العقاقير المخدرة ..

وفي عام ١٩٥٨ اضافت مصر القات على لائحة النباتات الممنوع زراعتها بالبلاد .

مشكلة في عدن والسبب : القات !

من هذه النظرة السريعة على تقرير الأمم المتحدة يتضح لنا ان مشكلة القات ليست مشكلة اليمن بمفردها ، وانما هناك دول اخرى مرتبطة معها .. وخاصة منطقة عدن وامارات الجنوب العربي في ذلك الوقت .. ففي عدن يقبل الناس على مضغ وتخزين القات بشراهة زائدة ، وعندما الغت السلطات البريطانية بجرة قلم ، استيراد القات الى عدن ، انطلق الناس من عدن هاربين الى لحج ودار سعد لشراء القات ومضغه هناك .. وحدثت أزمة في اليد العاملة في عدن ، مما اضطر سلطات الاحتلال الى الغاء قانون منع استيراد القات بعد سنة واحدة من صدوره !! .

في سوق القات

وبيع القات الطازج في المدن لا يبدأ قبل الساعة ١٢ ظهرا .. وعند حلول هذه الساعة يهرب الموظف من مقر عمله الحكومي ، ويتجه الى سوق القات تاركا شاله الطويل الاحمر على المكتب للتأكيد بانه عائد ! وفي سوق القات المكتظ بالناس ، تبدأ عملية الاختيار ، لان القات انواع عديدة تختلف من بلدة الى اخرى ، ففي تعز نجد العوارض والنشر والجدة والبرح والمثنى والصبرى .. وفي صنعاء نجد القرية والضلاعي والهمداني والحرازى والسوطى وهو النوع الرديء . ويبدأ متعاطى القات في اختيار النوع المناسب ، يمسك بالربطة وينظر الى اوراقها .. هذه طيبة ، وتلك يابسة .. هذه من قرية حابل وتلك من وادى ظهر .. وبعد أن تتم عملية الاختيار تبدأ المساومة مع البائع ،



الى اليسار : احدى بنات جبل صبر تقوم بقطف الاوراق الطرية من شجرة القات الكبيرة .. انها شجرة تجدد أوراقها طوال ايام السنة ، لهذا لا يتوقف تخزين القات أبدا ..

الى أسفل : يختلف شكل جلسات القات من منطقة الى أخرى ففي المدن يجلسون على المراتب والبسط المفروشة على الارض، بينما في القرى يجلسون على المقاعد الخشبية العالية .. وترى في الصورة القائم على خدمة مخزني القات ، يقدم للضيوف حزم أوراق القات ، وقد امتلأت أفواه بعضهم بها ، بينما انهمك آخرون في تدخين « المداعة » أو النارجيلة ..





احد ابناء اليمن وقد حمل بيديه ربطتين من القات الطازج ثمن الواحدة منها ٩ ريالات يمنية، وهي تساوي دولارا ونصف دولار،انه يشترى القات قبل رغيف الخبز الخاص به ، وباطفاله.. والمطالب التي يطلبها المُخَزّن من القات هي مطالب نفسية .. وجربنا مضغ وتخزين القات، فوجدناه مرّ المذاق ، وانتظرنا أن ينبه الفكرولكن شيئا من هذا لم يحدث .. وقالوا لنا : « ان تأثيره على الشخص المبتدىء يختلف تماما عن تأثيره على الشخص المدمن عليه فهو يشحذ فكرنا،ويضاعف قدرتنا على العمل،ويجعلنا نحلق في أجواء عالم اخر غير عالمنا الذى نعيش فيه».

ويشترك جميع الموجودين في الحديث ، فهذه الربطة بستة ريالات (أى دولار امريكي تقريبا) وتلك باربعة ، ويصل ثمن بعض الأنواع الممتازة الى ١٠ ريالات في الصيف ، ترتفع الى ١٥ ريالا في الشتاء .. ويكتفي احدهم بربطة واحدة بينما يشتري آخر خمس ربطات .. كل على حساب مقدرته ..

لتحريك الدورة الدموية !

وبعد أن يشتري المدمن ربطة القات يحملها الى منزله ويتركها هناك ، ثم يمر على مكتبه ليأخذ شاله الأحمر الذى تركه على مكتبه ويتوكل على الله ويبدأ بالسير على قدميه مسافة بضعة كيلومترات طويلة حتى يتصبب العرق منه .. اما في الشتاء فيذهب الى الحمام التركي ليأخذ حماما بخاريا ساخنا ويلف جسمه بالملابس الصوفية .. وعندما سألناهم عن سبب هذا ، أجابنا أحدهم باسلوب علمي : « هذه الحركة لا بد منها لتحريك الدورة الدموية حتى تصل الى غايتها ، وهدفنا من هذا هو الاقلال من المياه المخزونة داخل جسمنا ، حتى نلتذ بشرب المياه الباردة مع القات .. » .

« المنظر » و « المفرج »

وأثناء قيام الرجل بهذا المجهود الشاق تقوم المرأة باعداد الغرفة الخاصة بتخزين القات ..

لقد استطاع القات أن يؤثر على هندسة البناء في اليمن ، اذ يضم كل منزل في اعلاه غرفة خاصة مستطيلة الشكل ذات نوافذ كبيرة .. وفي الحائط نوافذ صغيرة مقفلة زجاجها ملون ، وتطل هذه النوافذ على منظر الوديان والجبال المحيطة بالمنزل. ويطلقون عليها : « المنظر » ..

وفي بعض الأحيان تكون هذه الغرفة في الطابق السفلي وتدعى «المفرج» ، وتطل نافذتها الزجاجية على مزروعات خضراء في وسطها نافورة مياه (شاذروان) .. كل هذا متعة لانظار الجالسين..

المداعة والكعدة !

وتفرش أرض هاتين الغرفتين بسجاد ملون ثمين ، وعلى جوانبها الاربعة توضع المراتب والفرش المتقابلة ، والمساند والمتكآت الوثيرة وعلى الجدران تعلق المرايا الجميلة والادوات النحاسية ..

وفوق السجاد توضع صوان نحاسية كبيرة في وسطها « المداعة » التي تختلف عن الشيشة والنارجيلة العادية ، بارتفاعها وطول قصبتها الحمراء الذى يصل الى اربعة امتار ..

وامام كل جالس توضع « الكعدة » وهي آنية من الفخار تبخر بالبخور ثم توضع فيها المياه الباردة فيكون طعم الماء شهيا مقبولا .. وقد بدأت هذه « الكعدة » تندثر من الجلسات ، ويستعاض عنها بالثلاجات الصغيرة (الترموس) لحفظ الماء .

جلسة القات

وما تكاد الساعة تدق الثانية بعد الظهر ، حتى يبدأ الرجال في التوافد على الغرفة .. وفي كل حارة يجتمع أهل المنطقة عند الشخص الذى تتوافر لديه امكانيات جلسة التخزين .. وكذلك النساء يجتمعن عند احدى الصديقات لمضغ القات .. ويدخل كل رجل متأبطا ربطة القات والتبغ اللازم لنارجيلته .. وعندما يكتمل العدد تغلق الأبواب والنوافذ .. « لان القات لا يأتلف مع الهواء أو البرد » .. والويل لمن يفتح الباب ، فان اللعنات تنصب عليه ..

ويجلس الرجال متلاصقين دون فراغ بين الواحد والآخر خشية البرد .. وتبدأ جلسة التخزين بفك ربطة القات ورمي أربطتها الجافة على الأرض ، ثم يمسك الواحد بغصن القات ، ينتقي وريقاته الصغيرة ، واحدة بعد الأخرى ، انها هي التي تستعمل فقط ، يضعها في فمه ويلوكها ويمضغها تدريجيا بحركة رحوية ، ولكنه لا يبلعها ، وانما يخزنها في أحد شدقيه ..

وتظل الأوراق تدخل في الفم حتى تصبح كرة بحجم الجوزة ، تستقر داخل الشدق لا تتحرك ، وانما يرتشف المدمن الماء من الكعدة المبخرة امامه بلذة زائدة ، تظهر من الأصوات التى ترافق ابتلاعه لها .. والماء ضروري لانه يمر على الأوراق المخزونة في الفم ، فيأخذ عصارتها المرة القلوية معه الى المعدة .. وعندما تذوب الكرة المخزونة وتصبح اليافا يلفظها المدمن في « المدفل » النحاسي الموجود أمام كل منهم .. ثم يعاودون مضغ أوراق جديدة رطبة طرية ، حتى تنتهي جلسة القات ..

ربع كيلو سكر ونعناع

وبدلا من الماء أصبح بعضهم يشرب الكولا .. انها طراز جديد جاء من جنوب اليمن .. والكولا الداكنة السوداء هي المطلوبة فقط ، اما الشراب

في العدد القادم سننشر كلمة فيما يوجد في القات من عناصر فعالة وكذلك اثارها الطبية في الجسم .

البرتقالي فغير مرغوب فيه بالمرة ..

ويتندر أهل قرى اليمن على أهل المدن بقولهم : « هؤلاء ما عندهم ذوق في تخزين القات » والسبب ان القروي يتناول ربع كيلو سكر ، ويشرب النعناع الساخن اثناء تخزينه للقات من الصباح الى المساء ..

حالة المدن

وطلبنا من احد كبار المواطنين أن يصف لنا شعوره اثناء تخزينه للقات ، فقال :

« عندما اتناول القات اشعر بانسجام نفسي واسترخاء عصبي وبلورة فكرية ، ونشاط في جسمي ، فبعد ان كنت اتثاءب والخمول يسيطر على جسمي وفكري ، اتحول الى شخص كله انتعاش وصفاء ذهن فاتذكر ما كنت قد نسيته سابقا فانشد الشعر واتبادل النكات وتستمر هذه النشوة طيلة الوقت الذي اخزن فيه القات في فمي .. وقبل انتهاء جلسة القات اي قرب السابعة مساء ، اشعر بقلق نفساني ينتابني وينتاب جميع الجالسين معي في المجلس فيخيم علينا صمت وشرود ذهني ووجوم ، فنشرب القشر (اي القهوة المصنوعة من قشر البن) لتزيل هذا القلق الذي انتابنا . واحاول تحليل هذا الخوف هل هو رد فعل النشوة التي عشتها ؟ أم الحزن على انفضاض هذا المجتمع اللطيف الذي احبه ؟ واخرج من الجلسة والنشاط يدب في جسمي ، ولكني لا استطيع تناول العشاء اذ اشعر دائما بالشبع وبانقباض في معدتي .. ويطير النوم من عيني واسرح بفكري وحواسي ، وتنتابني الافكار السوداء ، فاضطر لتعاطي الخمر حتى « اقطع » تأثير القات ، واستطيع النوم .. وفي صباح اليوم الثاني استيقظ بكل تعب ولا اجد في نفسي قابلية للعمل ، احيانا اصاب بامساك واحيانا اسهال شديد .. لهذا اعاود شراء القات لاتخلص من هذه المتاعب !! .

وزارات بعمر الدخان !

وتتحول جلسة القات الى ندوة أدبية أو سياسية أو دينية ، تختلط فيها اصوات المخزنين بكركرة مياه المداعة (النارجيلة) التي ينطلق منها دخان كثيف يملأ جو الغرفة ..

ويتحدث الجالسون في مختلف الموضوعات اذ يبدو أن تخزين القات يشحذ افكارهم بشكل يجعل الواحد منهم يعتقد انه هو الذي صعد الى القمر بالصاروخ . وكم من مرة الف المخزنون الوزارات تلو الوزارات .. وما يكاد ينقشع دخان المداعة حتى ينتهي عمر الوزارة !! ؟

نقد ذاتي قاس

ويحظى الحديث عن القات ، باهتمام المخزنين » وفي احدى الجلسات رأينا احدهم وقد امتلأ فمه باوراق القات يقول : « ما من شك انه يجب علينا ايجاد وسيلة للقضاء على هذا القات اللعين ! » ويقهقه الحاضرون .. ويقول ثان : « هل سمعتم بهذه الابيات التي تذم القات وتسب متعاطيه :

انما القات حشيش أخضر
ليس يحتاج اليه البشر
فاذا مالت اليه فئة
فاعذروهم انما هم بقر

ويضحك المجتمعون طويلا .. ثم يتابع احدهم الكلام بقوله : « هل طالعتم ما ذكرته جريدتنا الاخبار عن القات » .. ويفتح الجريدة على صفحة تحمل عنوانا كبيرا يقول : « القات مشكلة اليمن الكبرى » ، ويبدأ بقراءة هذه الفقرة :

« القات هو العامل الاول في تأخر الشعب اليمني وتخلفه المخجل المشين ، كيف لا وقد خدر القات اعصابنا فتصلبت .. وأفكارنا فتبلدت ، حتى اصبحنا دون العالمين ، أحياء امواتا نسمع ونبصر ونتكلم ، ولكن لا نحس ولا نتألم .. ولا نثار ولا ننتقم .. ولا نفكر ولا نشعر .. تزلزل الدنيا ونحن نيام .. ويتغير وجه الكرة الارضية ونحن نعيش على هامش الحياة ، لا نتحرك ولا نشارك ولا نتجاوب مع احد ، كاننا من فصيلة اخرى غير فصيلة الانسان .. » .

لا تقارنوه بالحشيش والافيون

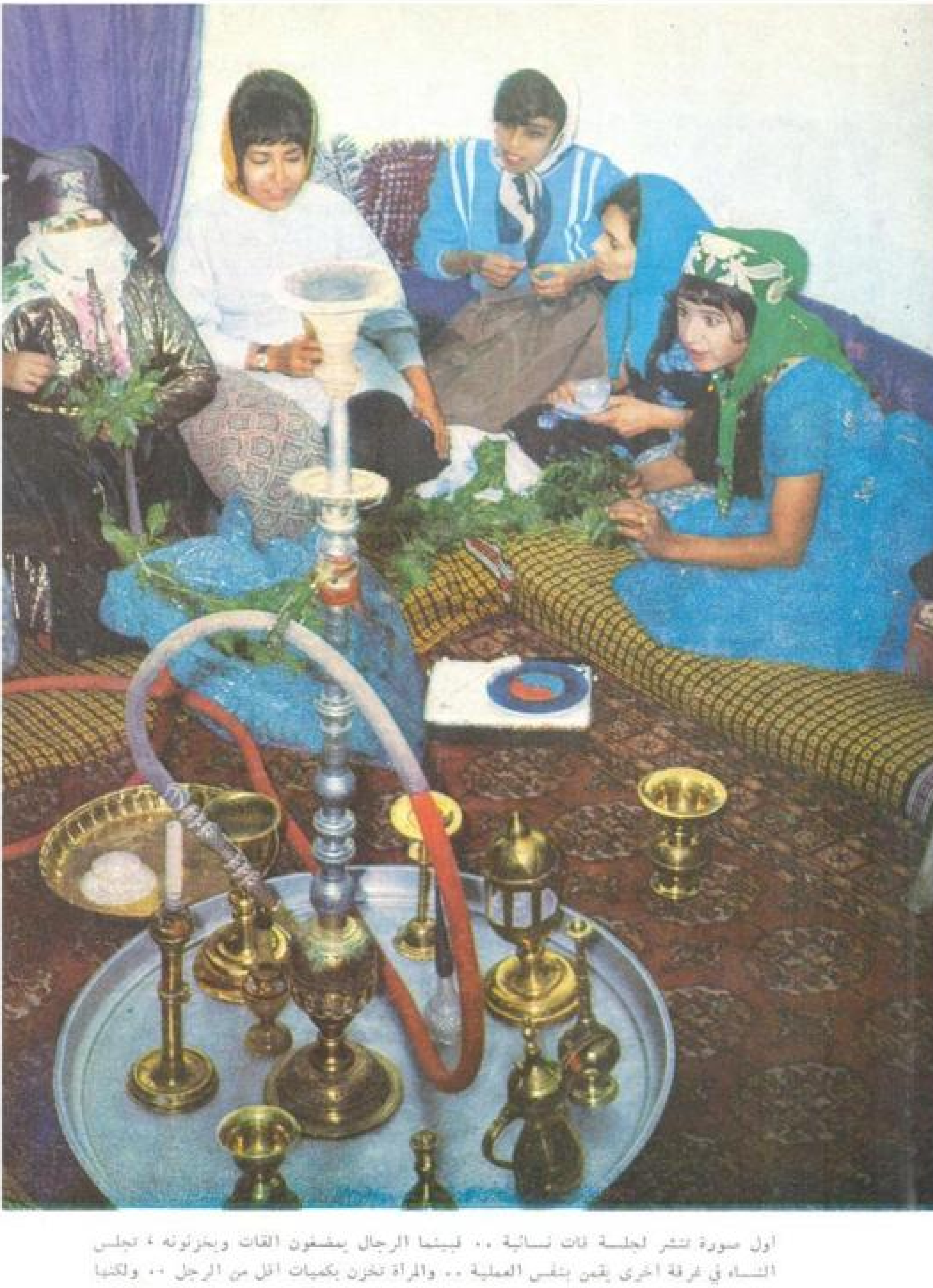
هذا النقد الذاتي القاسي ، ردده امامنا عدد كبير من مدمني القات ..



الى اليمين : رجلان يرقصان سويا في جلسة بعد أن انتشيا بالطرب والقات .. انهما لا يرقصان تصنعا ، وانما بأصالة وعراقة . وقد قالوا لنا ان ٩٨٪ من رجال صنعاء يجيدون الرقص الشعبي .

الى اسفل : لحظة الوجوم والتراخي بعد انتهاء مضغ القات ، وقد تناثرت على ارض الحجرة بقايا أغصان القات واللفائف الجافة التي يلف بها ..





اول صورة تنشر لجلسة قات نسائية .. فبينما الرجال يمضغون القات ويخزنونه ، تجلس النساء في غرفة أخرى يقمن بنفس العملية .. والمرأة تخزن بكميات اقل من الرجل .. ولكنها تستعمل المداعة مثله تماما . وتتزوج الفتاة بين ١٣ و ١٥ سنة ، وبعدها يحق لها الذهاب الى جلسات القات ، فتجلس الساعات الطوال مهملة منزلها واطفالها ، الذين بلغت نسبة الوفيات بينهم الى ٥٠٪ من فرط الاهمال الزائد لهؤلاء الوالد الجدد .. انه احدى لعنات القات !

وفى آخر جلسة قات سالونا عن رأينا فى حل مشكلة القات ، بعد ان عشنا معهم ١٥ يوما قلنا :

ـ ظلمنا القات عندما ظننا انه فى مرتبة الحشيش والافيون ، لأنه كما وصفته هيئة الصحة العالمية : « يثير ـ على ما يظهر ـ شعورا بالصداقة ، فلا هو بالذى يعزل المدمن عليه عن الناس ، كما يفعل الأفيون ، ولا هو بالذى يدفعه الى عالم زاخر بتهاويل الخيال كما يفعل الحشيش » .

والواقع أن مشكلة القات ما هى الا واحدة من مجموعة مشاكل مجتمع ظل يعيش منغلقا منعزلا عن العالم مئات السنين .. ولهذا لا يمكننا ان نفصل أو نحل مشكلة القات بمفردها ، ما لم نحل ـ ولو جزئيا ـ بعض المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية التي يعانيها اليمن ..

« ان الحياة الاجتماعية التي يحياها اليمن حياة قاسية ، والأدب الجم الذى تفرضه عليه التقاليد كثيرا ما يخفى وراءه أخطر العواصف والشكوك ، لهذا نرى أن القات يساعده على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الناس ، وهذه العلاقات جمة النفع له ، فى بلاد ما أكثر ما تنعقد فيها الصفقات على أساس من شخصيات المتعاقدين ، وتحطم فيها العلاقات الشخصية قيود الرسميات .. » .

انقاذ الجيل الجديد

والذى لاحظناه ان تعود الرجل اليمني على تخزين القات ، بلغ درجة من الادمان،لم يعد يجدى معها اى نصح فى سبيل الاصلاح ، لهذا لا بد من توجيه الجهد ـ كل الجهد ـ لتوعية الجيل الجديد وترك الجيل القديم على حالته .. لا بد من ايجاد وسيلة لابعاد النشء الجديد عن مجالس القات بانشاء الاندية وفتح المعاهد واقامة المباريات والمسابقات ، لشغل وقت فراغه الطويل الممل .

والى جانب توعية الشباب يجب تنمية وتشجيع زراعات جديدة مربحة مثل البن والفواكه، لتزاحم زراعة القات على المدى البعيد ..

رجل بخيل

والمشكل فى القات ان كل الطبقات تمضغه وتخزنه ـ كما قلنا ـ وهذا يجعل علاجه صعبا ، لانه حتى المهاجرون العائدون الى بلادهم بعد هجرة طويلة ، يرتعبون من تدهور مجتمع بلادهم ، فيحاولون الاصلاح ، ولكن سرعان ما تجدهم قد اشتركوا فى جلسات القات ! .

والسبب هو أن أهل اليمن يعتقدون أن الذى لا يخزن القات هو رجل بخيل وغير مكتمل الرجولة !! .

وعندما يحاول احدهم اصلاح هذا الوضع الشاذ يتعرض لهجوم صاعق ، ويردد القوم قول شاعرهم :

يا عاذلي عن حصول القات مت كمدا
لا نترك القات أحياء واموانا

تحايل على قانون السماء

حتى الناحية الدينية استطاع القات ان يؤثر عليها ، وفى هذا يقول القاضي والمفكر اليمني الكبير المرحوم محمد محمود الزبيرى :

« لقد وجد اليمنيون ماربهم فى المذهب الزيدى الذى يسود المناطق الجبلية العليا ، وهذا المذهب يجيز بعض أئمته الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ، فيقدمونهما قبل جلسة القات ، أما المغرب والعشاء فيؤخرونهما الى اى ساعة يشاءون ! .

وهكذا يتحايل اليمنيون على قانون السماء ، كما تحايلوا على قانون الأرض ، اذعانا لسلطان الشجرة الشيطانية العاتية ! .. »

مطلوب اسلوب جديد فى معالجة المشكلة

ان القضاء على القات يحتاج الى جهود كبيرة مشتركة لمعالجته باسلوب حديث ، وتحت اضواء ساطعة وعقليات متفهمة متفتحة . تنقص كثيرا فى اليمن .. لأن مجتمعهم البشرى تنعدم فيه مسئولية الفرد .. فالجميع يجلسون يتطلعون ويتفرجون دون أن يتحركوا .. انه مجتمع مرتكز على العصبيات العائلية والتكتلات القبلية الى جانب النعرات الطائفية والعنصرية ..

انها تركة مثقلة بالمتاعب ورثها العهد الحاضر من العهود السابقة ، ولهذا اطلق القاضي الفاضل عبد الرحمن الايرياني رئيس المجلس الجمهورى اليمني شعارا جديدا فى اليمن .. « الاعتماد على النفس ، والصدق مع النفس » .. انه الخطوة الأولى فى الطريق الطويل للقضاء على مشاكل اليمن .. وفى مقدمتها مشكلة القات .. ■■

سليم زبال



رفض فساد اللغة
والاسفاف في اللفظ



نظم الشعر على
الطريقة الحديثة ،
فما استساغه .

بعد تحرره من الوزن والقافية

نزار قباني

بقلم الدكتور محمد محمود الدش

■ « اذا كان الكاتب الناقد الانجليزي هازلت William Hazlitt الذى عاش بين سنتى ١٧٧٨ و ١٨٣٠ قد ترك بصمات واضحة على حركة التجديد التى طرأت على الشعر العربى فى أوليات هذا القرن العشرين ، وتنادى بها العقاد والزهاوى والمازنى وعبد الرحمن شكرى وغيرهم ، فان الشاعر الانجليزى المعاصر اليوت Thomas Stearns Iliot (١٨٨٨ ــ ١٩٦٥) لا يقل عن زميله الناقد المذكور أثرا فى صيحة التجديد التى نراها من حولنا هذه الأيام ، ويرى متأثروها المؤرخون لبدايتها انها برزت الى الوجود تدق بالحاح فى الأربعينيات من هذا القرن .

الكاتب الناقد الانجليزى هازلت والشعراء العرب

ونحن لا نزعم في ذلك زعما ، او نظن فيه ظنا ، وانما نجد الأستاذ عباس العقاد ــ رحمه الله ــ يقرر ذلك عن الحركة الاولى فيقول :

« ولا اخطىء اذا قلت ان هازلت هو امام هذه المدرسة (الادبية بعد شوقى) كلها في النقد ، لأنه هو الذى هداها الى معانى الشعر والفنون واغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد . وقد كان الأدباء المصريون الذين ظهروا اوائل القرن العشرين يعجبون بهازلت ويشيدون بذكره ، ويقراونه ويعيدون قراءته ، يوم كان هازلت مهملا في وطنه مكروها من عامة قومه » .

الشاعر اليوت والشعراء العرب

كما نجد احد الرواد الذين يعلو صوتهم في

الصيحة الاخيرة ، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور،يقرر ان الذى اخرجه ـ هو وناشئة الشعراء ـ من اسار التقليد الشعرى الذى يؤثر أن تكون للشعرلغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، البعيدة عنها في بعض الأحيان ، وأخرجهم من عباءة المدرسةالرومانتيكية العربية بموسيقاها الرقيقة وقاموسها اللغوى المنتقى ، الذى تتناثر فيه الالفاظ ذوات الدلالات المجنحة والايقاع الناعم ـ انما هو توقفه عند الشاعر ت . س . اليوت ، ولا سيما جسارته اللغوية . .

يقول : « كانت السليقة العربية التى انبتتنا تنكر ابياتا كهذه الأبيات من قصيدة الأرض الخراب The Waste Land :

في الساعة البنفسجية ، ساعة المساء التى تقود
الى البيوت ، وتعيد البحّار الى بيته من البحر ،
والتايبست (الكاتبة على الآلة) الى بيتها في موعد الشاى لتنظيف المائدة من بقايا
الافطار ، ولتشعل الموقد ، وتخرج الطعام من علبه الصفيح .
لقد تدلت من النافذة ، منشورةً خوف السقوط ،
أطقمها الداخلية ، وهى تجف ، اذ لمستها أشعة الشمس الغاربة
وتكوّمت على الاريكة ـ التى تتخذها سريرا في الليل ـ
جواربها ، وشبشبها ، وقمصانها ، ومشداتها . « ١ »

لقد اختار شاعرنا الشاب ـ الذى يحب قصائد اليوت حبا يجعلهـا معلقات عصرنا ـ هذه السطور ليدل على ان قاموس العصر الحديث أرحب وأوسع كثيرا من القاموس الشعرى الضيق الخـاص ، ولهذا ينبغى أن تتكسر الحواجز وأن ينفسح المجال للتعبير عن الوجدان الحديث وعن ضمير الانسان العصرى ، في حرية وأمانة وصدق .

ونحن لا نقف بطبيعة الحال موقف التخصيص من أثر هذين الأديبين الغربيين في حركات التجديد الشعرى ، مهما كانت منزلتهما العالميـة ، فقد قرأ ادباؤنا وشعراؤنا غيرهما من ذوى المكانـة والذكـر في الأدب الانجليـزى والفرنسي والالمانى والايطالى ، بل الروسى واللاتينى ، وانما يحق لأثر هذين العلَمين في الأدب الانجليزى أن يتقدم غيرَه بما يقرره أصحـاب القضيـة ، قضيـة التجديد ، أنفسهم .

تمرد على الوزن والقافية

وبينما نجد أثر الحركة المجددة الاولى لا يتجاوز المضمون والوحدة الفنية الى الاصرار على تحطيم الأطر والأصول الموسيقية العربية ، فان الصيحة الاخيرة فتحت باب الاصرار بمصراعيه على ذلـك التحطيم ، لكلٍّ من سولت له نفسه أن يقتحم حلبة الشعر أو يتسورها أو يتسلل اليها .

ونقول الاصرار على التحطيـم ، لأن حركـة (الديوان) ومن دار في مسارها أرادت في بعض ما نزعت اليه أن تحدث لونا جديدا من الشعر ، متمردا على الحاجز الايقاعي أو القافية ، محتفظة في نفس الوقت بالصورة الموسيقية الداخلية في القصيدة ، ولكنها لم تصر على هذا اللون مـن التمرد أو الرفض .

شعراء منا حاولوا التحرر من القافية ، ثم تركوا

ونحن نعرف أن توفيق البكرى نظـم قصيدة أسماها « ذات القوافي » تحرر فيها من القافية وكذلك فعل جميل صدقى الزهاوى في عدد مـن القصائد ، قال انه اطلقها من « قيد القوافي ، ذلك القيد الثقيل الذى تبرم به الشاعر ، وحببته الألفة الى السمع » ، ونظم عبد الرحمن شكـرى قصيدته التى أسماها « كلمات العواطف » وغيرها. ويذكر العقاد نفسه انه نظم كثيرا من الشعـر المتحرر من القافية ، ولكنه لم يستسغه ولـم يطق تلاوته بصوت مسموع فطواه وأهمله ، فلما عاد بعد ثلاثين سنة الى هذا اللون من الشعر أحس بذات النفور والانقباض عند قراءته أو سماعه .

وفي نفس الوقت الذى ظهرت فيه هذه الحركة في الوطن الأم ـ أو بعده بقليل ـ كانت هنالك دعوة،

(١) هكذا رأى الشاعر أن ينقلها الى العربية

الرابطة القلمية التى أنشئت من الأدباء العرب في نيويورك سنة ١٩١٤ ـ ومن المهم ميخائيل نعيمة وجبران وابو ماضى ، دعوة" الى عدم التقيد بالقوافي ، وكان اقوى الأصوات واعلاها صوت نعيمة الذى حمل على العروض ونبذ" القواق « فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق موسيقية الرنة كان فيها من الشعر اكثر مما في قصيدة من مائة بيت بمائة قافية » .

جماعة (ابولو) حافظت على طابع الشعر القومي

واحسب ان هذه المحاولات جميعا لم تكلل بالنجاح الذى يمكنها من الاستمرار ومواصلة التجارب الشعرية التى قاموا بها في درجات متفاوتة ، او بداوها ثم صرفوا النظر عنها ـ لأن الظروف الاجتماعية والفكرية والفنية لم تكن مهياة لاستقبال مثل هذا اللون من الثورة على الحاجز الايقاعى ، ولأسباب اخرى مهمة ، نشير منها الى ان القمم الشعرية المشهورة في تلك الفترة من امثال شوقى وحافظ ومطران والشابى وغيرهم كانوا يمسكون بناصية الشعر ، ويعضون على اصوله الموسيقية بالنواجذ ، فارضين من هيبتهم الفنية سلطانا على دولة الشعر ، ملتزمين وملزمين بقواعده وقوانينه .

واحسب أيضا ان تجمع الشعر العربي تحت لواء (ابولو) ، الذى ضم من المحافظين والمجددين في مصر والعراق والسودان وتونس والمهجر ، وصدور مجلتهم المتخصصة في الشعر ونقده بعددها الاول في سبتمبر ١٩٣٢ ، واستمرارها نحو ثلاث سنوات ـ قد قوى الاتجاه الرومانسى الذى يعتمد على التجربة الذاتية والاندماج مع الطبيعة والايغال في الغنائية ورنين الصياغة . وساعد على ذلك صوت قادم من بعيد ، من المهجر الجنوبى ، حيث تكونت جماعة العصبة الاندلسية سنة ١٩٣٣ ، واستمرت قوية نحو عشرين عاما ، ومن المع ادبائها الشاعر القروى ، والياس فرحات ، وفوزى المعلوف ، وهى الجماعة التى عنيت بالصياغة الرصينة واختيار الألفاظ ، والحفاظ على الطابع القومى العربي .

نقول : ان هذه العوامل كانت ذات اثر كبير في ايقاف التمرد على الاصول الموسيقية ورفض الالتزام بالحاجز الايقاعى ، بحيث استمر التيار



أحمد شوقى ..

كان ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر ، ومن قافية الى قافية .

المحافظ متمثلا في نفر من الذين شاعت اغانيهم الشعرية وترددت على الالسنة وقرعت الآذان وهزت النفوس تطريبا ، من امثال ابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل، والتيجانى، والرصافى .

موقف شوقى من التجديد

وقد زعموا ان احمد شوقى تاثر بحركة التجديد التى جاءت في صرخة (الديوان) فبدا ينظم مسرحياته الشعرية الشهيرة استجابة لنداء هذه الصرخة وقوتها . والذى نعرفه في هذا الشأن هو ان شاعرنا الكبير بدأ عمله الشعرى المسرحى أيام كان طالبا في فرنسا ، حين الف مسرحية (على بك الكبير) سنة ١٨٩٢ ، وان كان عاد فعدلها في اخريات حياته .. ثم ظهر (الديوان) بقلم العقاد والمازنى بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة ، أى في سنة ١٩٢٢ . واحسب ان شوقيا لم يكن في حاجة الى من يحثه على ايجاد الشعر المسرحى بعد أن عاش بين مسارح باريس وقرا المسرح الشعرى الفرنسي واليونانى وغيرهما . ومن عجب أن يتاثر شاعر بدعوة لا تملك ادواتها في المسرح الشعرى فيكون المدعو تابعا للداعى في هذا المجال .

بل اننا نستطيع ان نقول في غير حرج ان شوقيا هو الذى فتح أبواب التجديد في الشعر العربى الحديث ، لا باعتباره شاعرا فذا ناضج الشاعرية مستكملا ادواتها التى أمكنته من ايجاد هذا اللون الجديد لأول مرة في تاريخ الشعر العربى كله فحسب، وانما بسلوكه ومواقفه في طرائق الصياغة الشعرية حين اعتبر السطر لا البيت، في المواقف والانتقالات النفسية والحوارية ، وسيلة من وسائل النظم وأداة من أدوات الصياغة معتمدا على الوحدة الموسيقية المعروفة في الشعر بالتفعيلة . ففتح بذلك التصرف الذكى بابا واسعا الى الصياغة

الشعرية أمام شعراء التجديد المعاصرين الذين ثاروا ـ في وضوح ـ شوقيا من حيث لا يشعرون ، ودعوا الى اعتبار التفعيلة ، لا البحر ، هي الوحدة الايقاعية كما دعوا الى اعتبار السطر ، لا البيت ولا المقطوعة ، وسيلة للصياغة .

كان شوقي ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر ، ومن قافية الى قافية ، واستغل هـذه البحور في صورها المختلفة ، مشطورها ومجزوئها ، تامها وناقصها ، قصيرها وطويلها ، شائعها ومهملها، بل صاغ أوزانا جديدة لم يسبقه اليها غيره ، تمكنا من أدواته الموسيقية وقدراته الفنيـة والصوتية ، التي جعلت في خدمته جميع الرخص الايقاعية المعروفة في موسيقى الشعر العربي . واقتضت الضرورات الفنية والنفسية والحوارية في صياغة المسرحية كلّ ذلك التنويع والتنقل ، كما اقتضت أن يكون السطر الحواري أو الغنائي على تفعيلة واحدة . وهذا يصلنا بالدعوة الجديدة التي تلغي بحور الشعر الخمسة عشر، ومتدارك الأخفش، لتقيم الأساس الموسيقي على التفعيلات الثماني : فعولن ـ مفاعيلن ـ مفاعلتن ـ فاعلن ـ فاعلاتن ـ متفاعلن ـ مستفعلن ـ مفعولات. ويمكن اختصارها والاقتصار منها على خمس تفعيلات منها أو ست : فعولن ـ فاعلن ـ مفاعيلن ـ مستفعلن ـ فاعلاتـ (مفعولات) ، لأسباب فنية معروفة .

أزمة يعيشها الشعر العربي منذ ٢٠ عاما

ومهما تكن مصادر التجديد وأهدافه ، بواعثه وغاياته ، فان أمرا يشبه الأزمة ، يعيش الشعر العربي تحت وطأته منذ عشرين سنة أو نحو ذلك ، وهي مدة من الزمن قد تعين على تحسس الطريق ، وقد يساعد ما جرى ابانها على النظر الى الأمام خطوة أو خطوات . ولسنا نريد أن نتعرض للمعارك التي دارت بين(المحافظين) و(المجددين)، فالصراع بين القديم والجديد سُنّة الحياة ودينها، والبقاء فيها للأصلح « أما الزبد فيذهب جفاء » بقدر ما نريد ان نضع هذه الحركة في مكانها الصحيح أو نحاول ذلك .

محاور الدعوة الجديدة

وهذه الدعوة تدور أساسا حول محاور تركز عليها وتضغط بعنف ، أهمها : المضمون العصري ، والتراث الانساني ، والوحدة العضوية ، واللغة الواسعة أو العامة . ويربطون ربطا قويا بين هـذه المحاور والاطار الموسيقى التقليدى الذى لم يعـد متحملا حرية الحركة والانفعال والتعبير ، ويرون أن البادرة الجديدة لا بد أن تكسر الاطار أو القشرة لتتنسم الهواء وتتاح لها حرية الحياة بين أنماط الشعر العالمي . وهم من أجل ذلك يوجهون طرقاتهم الشديدة الى هذه القشرة حتى تنمو البـادرة وتشرق أزهارها ، فيتسع المصطلح الشعري لثمار جديدة الى جانب التراث القديم ، ويحيا الصنفان تحت سماء واحدة في سلام .

الدعوة أنتجت غناء لا شعرا

بيد أن ما حدث في ظل هذه الدعوة الى الحرية وكسر الأطر والأطواق ، كان شيئا رهيبا . اذ وجدنا سيلا هادرا من الكلام تدور به المطابع كل يوم ليخرج مسوّدا صحائف ، وكتبا ودواوين ومجلات ، وهو أقرب الى الغثاء منه الى الكلام المعقول ، بله الشعر الموزون . وهذا صوت واحدة من رواد الحركة ورائداتها هي الشاعرة نازك الملائكة، يقول « ستتقدم في السنين القادمة ـ حركة الشعر الحر ـ حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، فهي اليوم في اتساع سريع صاعق ، ولا احد مسئول عن أن شعراء تزْرِي المواهب ، ضَحْلِي الثقافـة سيكتبون شعرا غثا بهذه الأوزان الحرة » . كما أنها تتنبأ بان هذه الحركة ستصل الى نقطة الجزر في السنين القادمة، فيرتد عنها أكثر الذين استجابوا لها « على أن ذلك لا يعني أنها ستموت » .

ويعتبر هذا أقوى الأسباب التي دفعت الى الوقوف في وجه الحركة ومحاربتها ، في خشية وخوف من ان يضيع المعيار الفني ويذوب المصطلح الشعري في هذا الغثاء ، الذي خلط خلطا فاضحا بين النثر والشعر ، بل بين الهذيان والحكمة . وتحضرني هنا عبارة فاليري P. Valery : ان علاقة النثر بالشعر تشبه تماما صلة المشي بالرقص ، فالمشي له غاية محددة تتحكم في ايقاع الخطو ، وتنظم شكل الخطو المتتابع الذي ينتهي بتمـام الغاية منه ، أما الرقص فعكس ذلك اذ على الرغم من استخدامه نفس أجزاء الجسم وأعضائه التي تستخدم في المشي فان له نظام حركات هي غاية في ذاتها .

محاولة ايجاد سبيل وسط

وليت الذين تسللت زحمتهم الى الحلبة مشوا

فيها ، وانما اضطرب سعيهم واختلط جريهم ، فاذا حركتهم مجلبة للضحك والرثاء على سواء . ودفعا لهذا وذاك قامت حركة تحاول أن تجد سبيلا وسطا يقف هذه الأزمة أو الورطة ، بالملاءمة بين المضمون والصورة، قام فيها الدكتور يوسف خليف عمليا باخراج ديوانه « نداء القمم » معتمدا على مقومات ينادى بها التجديد فى الرمز والقصة . وهى محاولة مخلصة لا شك فى هذا لانها جادة فى سبيل التوفيق بين المتطرفين من الطرفين ، ولعله بمثابة (النداء) للصلح بين الفريقين ، ولكن تظل مشكلة اللغة التى يصر الدكتور الشاعر على أن تكون خاصة بينما يصر الآخرون على أن تكون عامة ، تظل قائمة الى جانب مشكلة الحاجز الايقاعى أو القافية .

رأى الدكتور طه حسين

وكان أستاذنا الدكتور طه حسين أكثر سماحة من اقرانه فى نظرته الى حركة التجديد والحكم عليها حين قال : « فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ، ولينشئوا لنا شعرا حرا أو مقيدا جديدا أو حديثا ولكن ليكن هذا الشعر شائقا رائقا ، ويومئذ لن يروا منا الا تشجيعا أى تشجيع وترحيبا أى ترحيب ، ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفاع » . ولكن الأستاذ الكبير رفض فساد اللغة والاسفاف فى اللفظ والتفريط فى التصوير .

رأى نازك ونزار

ولقد احس شعراء التجديد أنفسهم بالورطة ، وثقل وطأتها ، فحذرت الشاعرة نازك الملائكة من طغيان الحركة الجديدة لانها لا تصلح لجميع الموضوعات ، كما حذرت من الاستسلام المطلق للتحرر من اللغة الخاصة لأن هناك خطرا جديدا يكمن فى الانزلاق الى الابتذال والعامية ، وكذلك أكد الشاعر نزار قبانى أن التحرر من القافية العربية مغامرة قد تودى بطابع القصيدة العربية « وما سر استعصاء القافية علينا ودلالها الا لأنها مرتبطة بسر النغم . ولما كان النغم هو سر القصيدة فلك أن تتصور أى مغامرة مجنونة يقدم عليها من يحاول فك وتر العود عن العود ، لن يبق من القصيدة العربية حينئذ سوى وعاء من الخشب كل ناقر عليه يستطيع أن يحدث صوتا » .

مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج

وبعد ، فهل آن لنا أن نتبين الطريق أمام هذه الحركة ، وهى اشبه بالجنين فى حالة ولادة عسرة؟ ان الطرق لا يزال يشتد على الاطار الموسيقى التقليدى ، وقد قدحت المطرقة شرارا يوشك أن يكون نارا تفيء ، منذ برزت الى الوجود الشعرى مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج وتكللت بالنجاح ، نشير منها بخاصة الى مسرحيتين رائدتين فى نظرنا هما : مأساة الحلاج للشاعر صلاح عبد الصبور ، والفتى مهران للشاعر عبد الرحمن الشرقاوى ، ومن خلال هذه التجارب الناجحة فى الدراما الشعرية نستطيع أن نقول ان الحركة عرفت طريقها .. وليكن الشعر الغنائى غنائيا باللفظ والمعنى جميعا ، فما عرفت البشرية غناء بغير موسيقا ، وما كانت الموسيقا بغير ايقاع ونغم وضابط واطار .

ولئن كان الطرق قد اصاب بشراره شاعرا غنائيا ، رافضا ما تدعو اليه حركة التجديد ، هو محمود حسن اسماعيل ، حين طلع علينا بقصيدته الرائعة (وجئت أصلى) التى جاءت اشبه بملحمة غنائية حزينة يقف فيها الشاعر على باب المسجد الأقصى بعد حريقه الأثم فى ذكرى الاسراء والمعراج ، فان ما وفره الشاعر من مقومات فنية فى القصيدة، واحاطها به ووقعه فى ثناياها من مقومات موسيقية، لا يتوافر عند كثير من الشعراء بنفس القدر الذى تملكه شاعرية طبعية موهوبة عتيدة فى محمود حسن اسماعيل ، الذى أراد أن يدل ــ فيما أرى ــ على انه قادر على توفير القيم الشعرية ، والايقاعية منها بخاصة ، برغم الخروج على عمودية الشعر أو تقليديته .

اننا نستطيع أن نحصى القصائد الممتازة فى حركة التجديد عدا ، وذلك لأن الشعراء الموهوبين الذين صاغوها ملكوا ناصية القدرة الشعرية ، لغة وفكرا وايقاعا وتصويرا ، ولأنهم قبل ذلك تعاطوا الشعر بكفاءة قبل أن يقودوا ثورة على الاطار ويكثروا الطرق على السوار ، فكانت بذلك لهم خلفية ايقاعية شعرية تهديهم فوق طريق بدا لهم مفتوحا وان كان فى حقيقة الأمر امام الكثرة الكاثرة مسدودا . ■■

محمد محمود الدش

المركبة الروسية بلا رجال ، صنعت ما صنعته المركبة الامريكية برجال ، وهبطت بالكلفة عشرين مرة !!

■ من المعروف ان الروس ارسلوا فى اواخر شهر سبتمبر ١٩٧٠ مركبة الى الفضاء اسموها لونا ١٦ . وارسلوها من غير رجال ، وقامت من ذات نفسها ، وباوامر ارسلت اليها باللاسلكي من الارض ، بحفر ارض القمر واخذ عينات من صخوره وتربته . كما وضعت هذه الصخور فى كبسولة صممت خصيصا لكي تتحمل الضغط الهائل الذى تتعرض له خلال رحلة عودة الكبسولة ، بما فيها من صخور القمر ، الى الارض .

وقال الروس عن هذه الرحلة انها تكلفت ما بين ١ : ٢٠ الى ١ : ٥٠ من تكاليف اى رحلة من رحلات « ابوللو » الامريكية .

وقد ادى هذا الى ظهور ضخامة تكاليف برنامج « ابوللو » الامريكي علاوة على ما فيه من مخاطر قد تعرض حياة رواد الفضاء الى الهلاك .

وبالرغم من ان العالم لم يسمع بعد عن الكميات التي احضرتها لونا ١٦ الى الارض من صخور القمر ، او عن حالة هذه الصخور عند وصولها الى ايدى العلماء السوفييت ، الا ان هذا لا يؤثر بأى حال من الاحوال فى اهمية رحلة لونا ١٦ . ويقول المعلقون ان اهمية رحلات الفضاء السوفييتية بغير رجال للقمر كانت من الممكن ان تظهر اكثر لو نجحت رحلة لونا ١٥ فى العام الماضي ، والتي يبدو الآن واضحا انها كانت تهدف الى القيام بنفس ما قامت به لونا ١٦ . وقد كانت لونا ١٥ تدور حول القمر فى نفس الوقت الذى كان رائدا الفضاء ارمسترونج والدرين يخطوان خطواتهما الاولى على سطح القمر . ولو نجحت لونا ١٥ فى اداء مهمتها فى ذلك الوقت لكانت هذه اول منافسة مباشرة بين الآلة والانسان ، ولكان لها اثر كبير على المنافسة القائمة بين الاتحاد السوفييتي وامريكا فى سباق الفضاء .

ان هناك اعمالا قد يستطيع الرجل ان يؤديها على الكواكب افضل مما قد تقوم به الآلات . ولكن ما هي هذه الاعمال ؟ !

ان وكالة الفضاء الأمريكية NASA قد فشلت فى ذكر اى عمل من هذا النوع قد يبرر الجهد الكبير والنفقات الهائلة التى تنفق على رحلات « أبولو » وذلك علاوة على النقد الذى يوجه اليها فى اعتمادها على رواد فضاء ذوى تخصصات محددة مما يحد كثيرا من نوعية الاعمال التي يرحبون بها او يستطيعون القيام بها على سطح القمر . ان الاختيار الدقيق للاعمال التي يستطيع ان يقوم بها الانسان وحده على سطح القمر اختيار صعب ونادر حتى الآن ، واتجاه رواد الفضاء الامريكيين هو اختيار عالم جيولوجي اذا كان المطلوب هو اداء عمل جيولوجي . وقد انتقد رواد الفضاء واجباتهم المنوطة بهم ، كما انتقد العلماء على الارض طريقة قيامهم بها .

والآن .. هل ستقوم وكالة الفضاء الأمريكية بمحاولة لرفع قيمة تجاربها وتطويرها لتجابه تحدى لونا ١٦ وما قامت به ، ام تظل كما هي الآن تستخدم روادها كرجال آليين على سطح القمر .. ؟ !

مسألة لا تزال موضوع الدراسة .

المانيا
تشيد مفاعلا ذريا للارجنتين
هو الأول في امريكا الجنوبية

■ الآن يقام المفاعل الذرى الاول الذى يدخل امريكا الجنوبية ، وهو يبنى على بعد ١٠٠ كيلو متر من العاصمة ، عاصمة الارجنتين ، في الشمال الغربي منها .

والمفاعل تقيمه شركة سيمنز Siemens الالمانية الغربية ، وانتاجه ٣١٩ مليون وط . وهو يستخدم اليورنيوم الطبيعي ، ويستخدم الماء الثقيل معدلا Moderator ومبردا Cooler .

وقد اختارت حكومة الارجنتين مفاعل اليورنيوم الطبيعي ، لا مفاعل الماء الخفيف الذى هو اقل كلفة ، لان هذا يعفيها من شراء اجهزة غالية الثمن كانت تحتاج اليها اذا هي استخدمت اليورنيوم بعد اغنائه بالتنقية . ومعلوم ان في الارجنتين رواسب كثيرة من اليورنيوم ، وهي بهذا سوف تكون في مفاعلها هذا مستقلة تمام الاستقلال عن الولايات المتحدة ، وعن كل دولة اخرى تصدر اليورنيوم الى المحتاجين اليه . على ان استخراج هذا اليورنيوم الطبيعى من محاجره في الارجنتين سوف لا يبدأ في المستقبل القريب . ولكن في اى زمن بالضبط ؟ لا يدرى احد .

ولقد حظيت المانيا الغربية بصفقة اقامة هذا المفاعل ، وعدت هذا كسبا عظيما ومفخرة كبيرة . ولكن يجب ان لا ننسى ان مفاعلا يطرح في السوق ، ويكون من شروطه استخدام اليورنيوم الطبيعي ، لا يجد من يتقدم من الدول لاقامته ، الى جانب المانيا الغربية ، غير كندا ، فالمنافس لها واحد . ومع هذا فالالمان يعدون كسب هذه الصفقة ايذانا بدخولهم السوق العالمية للفنون النووية .

قال رئيس شركة سيمنز الالمانية في ذلك : « اننا ننتظر الآن ان نتلقى طلبا لاقامة مفاعل نووى في امريكا الجنوبية كل سنتين » .

وقد اقرضت المانيا حكومة الارجنتين ، فيما يتصل بهذه الصفقة ، مقدارا من المال كبيرا ، وعقدت معها اتفاقا على ان تتعاون معها في البحوث الخاصة بالذرة وكل ما يتصل بها .

ان ثلث سكان الارجنتين يعيشون في منطقة العاصمة بيونس ايرس Buenos Aires ، وفي هذه المنطقة يستهلك المستهلكون نحو ٧٠ في المائة من كهرباء البلاد . فاذا نجح مشروع هذا المفاعل الحاضر ، فسوف ترفع قدرته من ٣١٩ مليون وط الى ٦٠٠ مليون في غضون العشرين القادمة من السنين .

كذلك سوف تستغل الارجنتين الطاقة الموجودة لديها في مياهها . وهي تنظر اليوم الى اقامة محطة كهربائية مائية عند الشوكون El Chocon قدرتها ١٦٥٠ مليون وط ، في موضع في الجنوب الغربي من العاصمة على بعد ١٠٠٠ كيلومتر منها.

انها الطاقة يطلبها اليوم كل بلد صناعي .

ومصادر الطاقة هي التي تتنافس اليوم الدول في استغلالها .

ومن ليس عنده فحم ، ومن ليس عنده زيت ، ومن ليس عنده ماء ساقط ، فقد يكون من حظه ان وهب الله ارضه اليورنيوم ، او غيره من العناصر المشعة التي تستمد منها القوة ، كهرباء تدور بها عجلات هذه الحضارة الحاضرة . ●●

الحسن البصري (١)

فقيه البصرة في العهد الأول من الإسلام

بقلم : عبد القادر باش اعيان العباسي

■ شخصية اسلامية كبيرة وهو من التابعين وبلغ في العلم درجة قل ان يطمح اليها طامح ، وله في العلوم العربية عامة والاسلامية بصورة اخص مجال واسع لبحث الباحثين وتتبع ادباء الدنيا اجمعين .

ولد الحسن البصري في المدينة المنورة سنة ٢١ هـ ٦٤١ م – وهو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري وابوه يسار من سبي (ميسان) البلد الواقع شمال القرنة في العراق . سباه المغيرة بن شعبة ثم صار مولى لزيد بن ثابت الانصاري . وام الحسن (خيرة) وهي مولاة لام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي بيت ام سلمة ولد الحسن البصري لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحنكه عمر بيده وكان ربما غابت امه لشغل وهو يبكي فترضعه ام سلمة . ولما ظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء عين كاتبا للربيع بن زياد الحارثي والي خراسان واحد فاتحيها وقد ادرك الحسن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهو يخطب .. وحين كان بالمدينة المنورة حدثت وقعة صفين ولم يبلغ الحلم بعد .

نشأته وتربيته

عاشت عائلة الحسن الصغيرة في وادي القرى ، فكان الاب يعمل في الزراعة ، وتتردد الام على المدينة تخدم ام سلمة . واخذ الطفل يصحب امه ويدخل معها البيوت التي تسكنها زوجات الرسول امهات المؤمنين ويحدثنا الحسن انه كان يتناول سقف تلك البيوت بيده . وكان لاتصال امه في البيئة العربية في سن مبكرة اثر ساعدها على فصاحة لغتها العربية ، وان تكون قادرة على ضبط الحديث اخذا ورواية . وبذلك كانت ابعد اثرا في تنشئة الحسن من أبيه فهي صاحبة الاثر الاول في ذلك الاتجاه الديني الذي سار فيه الحسن . وكان لديها ميول قصصية فاخذ عنها الحسن ذلك الميل الى الوعظ والقصص . وكان للحسن نصيب وافر في معرفة السنة ومن سماع اقوال الصحابة ورؤية اشخاصهم وتم له في يفاعته (في الرابعة عشرة من عمره) ان يحفظ القرآن، وتعلم الكتابة وضبط الحساب . ورسخت في نفسه صورة رائعة لعهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك العهد الذي كان يشير اليه الناس دائما ، وروى الاحاديث عن الخليفتين عثمان وعلي (رضي الله عنهما) .

صفاته

كان الحسن البصري طويل القامة ، عريض ما بين المنكبين . وان زنده كان بعرض شبر ، وكان وجهه جميلا ووسيما متناسب التقاطيع . قال

---

(١) انظر أيضا ما سبق نشره عنه في العدد ٦٢ في يناير سنة ١٩٦٦ صفحة ٤٨ .

ساله الحجاج يوما :
ما تقول في عثمان وعلي ؟

فقال البصرى :
« قولي هو ما قال من هو خير مني عند من هو شر منك ، موسى وفرعون » .

الشعبي لرجل كوفي مسافر الى البصرة :

اقرىء الحسن السلام ، فلما قال له اني لا اعرفه . قال له انظر الى اجمل وجه رجل تراه عينك فذاك الحسن .

الا ان الحسن اصيب بعدئذ في انفه عندما سقط عن دابته .

وكانت عيناه زرقاوين وصوته جهوريا . كان يرسل لحيته ولا يحف شاربه كما يحفه بعض الناس في عصره . ولما ابيضت لحيته اخذ يصبغها بالصفرة . وكان يحلق راسه في كل سنة مرة واحدة (وهو في يوم النحر) . ويلبس العمامة الحرقانية السوداء المرخاة من ورائه فكان يسميه الحجاج ذا العمامة السوداء . كان الحسن لا يتقيد بلباس واحد فهو يلبس الطيلسانات والجباب والخمائص الكثيرة . وكان برده من الابراد السعدية نسبة الى سعد بن ابي وقاص الذى كساه الرسول جبة . وكان يفضل اللون الاسود فيما يشترى من ثياب . وكان لا يطيل ثيابه لان الاطالة لم تكن سنة الزهاد . ويمكننا ان نضيف الى مظهره العام حمله العصا فقد خرج حاملها (اعني الحسن) يوم غرقت البصرة وانه قال فيها (العصا) ستة خصال : سنّة للانبياء ، وزينة للصالحين ، وسلاح على الاعداء ، وعون للضعفاء ، وغمّ للمنافقين ، وزيادة في الطاعة .

وكان لا يحرم نفسه من الطيبات ولم تخل داره يوما من اللحم وكان يحب الفالوذج حتى قال لمن عابه مرة : فتات البرّ بلعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم . وفي بيته ياكل الخبيص والسويق واعلن عن كرهه للصحناة وهي نوع من السمك الصغير . وكان من دعائه في آخر الوليمة : « مد الله لكم في العافية واوسع عليكم في الرزق واستعملكم للشكر » .

انتقاله الى البصرة
سنة ٣٦هـ ٦٥٦م

وحين ضعف نشاط المدينة بعد ان انتقل مركز الخلافة منها دخل الحسن في جيش الامام سيدنا علي كرم الله وجهه ، ولم يشترك في الحرب التي دارت بين الامام سيدنا علي ومعاوية بن ابي سفيان وادرك الحسن الحرب دون ان يخوض غمارها .

وفي مسجد البصرة تعرف الى حطان الرّقاشي فتعلم منه القراءات ، وكان اذا غادر حلقته ذهب الى مؤخرة المسجد حيث الاسود بن سريع التميمي يقص للناس ويقرا لهم الشعر في الثناء على الله تعالى واستمع الى التفسير عن ابن عباس ، رضي الله عنه .

ووقعت عين الحسن في المسجد وفي الحي الذى عاش فيه على الزهاد والناس يحتفون بهم ويتبركون فانعكس ذلك كله في عقلية الحسن نظريا وعمليا ، سيرة وحديثا ، الامر الذى كون جانبا مهما من شخصية الحسن البصرى .. وقد عاصر كلا من ابن سيرين وسعيد من المسيّب ، وقد غزا مع عبد الرحمن بن سمرة (كابل ، والانيرفان ، والاندغان ، وزابلستان) ، وذلك لمدة ثلاث سنين . وكان في هذه الاثناء ماينفك يستمع الى الفقهاء والمحدثين الذين يرافقون الحملات الاسلامية . وكان ذكيا نابها ، وله قوة ذاكرة ووعي فحفظ الفقه وظهر فضله وتناقل الناس ورعه ونبله وزهده فتقلب في الاعمال والولايات ، ثم اقتعد بحلقة في مسجد البصرة الكبير يحدث الناس ويعظهم ويفقههم امور الدين ، فاختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز لقضاء البصرة سنة ٩٩ هـ ـ ٧١٧ م ، وقال لقد وليت قضاءً البصرة سيد التابعين ، وكانوا اذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن استغنى عما في ايدى الناس من دنياهم فاحتاجوا الى ما في يده من امر دينهم .

مكانته العلمية

كان الحسن البصرى عالما جامعا فقيها ثقة مامونا فصيحا وسيما واياه عنى الحريرى بقوله في مقامته البصرية : « وزاهدكم أورع الخليفة واحسنهم طريقة على الحقيقة » .

قدم مكة فأجلس على سريرها واجتمع اليه

الناس فحدثهم فقال بعضهم لم نر مثل هذا قط . وقد حج مرتين ، الاولى في اول عمره والثانية في آخره .

وحكي ان رجلا قال للحسن: فلان اغتابك ، فبعث الحسن الى ذلك الرجل طبقا من الحلوى وقال بلغني انك نقلت حسناتك الى ديواني فكافاتك بهذا .

جاء في كتاب (آثار البلاد واخبار العباد) ان الحجاج ساله ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال : « ما قال من هو خير مني عند من هو شر منك » . فقال الحجاج ومن هو ؟ قال الحسن : « موسى عليه السلام حين سأله فرعون : « فما بال القرون الاولى.قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ... علم عثمان وعلي عند الله » . فقال الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد .

الحسن البصرى والحجاج

كانت هناك روايات كثيرة تناقلها المؤرخون عن العلاقة التي ربطت بين عهد الحجاج المعروف بالظلم والقسوة وبين شخصية الحسن وما عرف به من العلم والورع وقوة الحجة ، فالبون بينهما شاسع من هذه الناحية . ولو ان الحسن اراد الفتوى صراحة ضد الحجاج لشبت ثورة عارمة في البصرة ، ولكن الحسن بحكمته كان يسلك طريقا حكيما بين ذلك ، فكان يرمز الى المخرج من هذه المحنة التي خلقها الحجاج ، او خلقها الظرف السياسي يوم ذاك على الاصح ، فكان يندد بنوازع النفوس ويكشف عن الاعمال التي انحط اليها الناس وكأنه يريد ان يوضح لهم ان العلة انما هي في انفسهم وان الله تعالى ابتلاهم بسوء اعمالهم . وكان صريحا في حديثه ووعظه حين يجلس اليه الحجاج ويستمع اليه فلا يجامل في حق الله . وكان الحجاج يهابه . ومثل هذا الموقف الذى اتخذه الحسن فى سياسته الوعظية ، الموقف الذى جرى له مع ابن الاشعث حيث قد بلغت المحنة اشدها فى العراق عامة وفي البصرة خاصة . فهذا الاشعث بجيوشه يتمرد على حكم الأمويين ويخرج على الحجاج ، فاجتمع اليه كثير من الناس وابتعد عنه آخرون . فهم ينظرون الى القضية من جانبها ـ الحجاج وابن الاشعث فايهما يتبعون ، والناس فى كل زمان اتباع القوي . ويقع الحسن البصرى في الامر فيستفتيه الناس فيصمت ، ويلحون وما كان يحب ان يخوض في الموضوع .

وكان الحسن جالسا في المسجد ينهى الناس عن الخروج على الدولة فقال له بعض هؤلاء : يا ابا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية (يعني الحجاج) الذى سفك الدم واخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل ... فقال الحسن ارى ان لا تقاتلوه ، فانها اما ان تكون عقوبة من الله فما انتم برادي عقوبته . ثم قال كلمته المشهورة : « يا ايها الناس والله ما سلط الله عليكم الحجاج الا عقوبة ، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ، ولكن عليكم بالسكينة والتضرع » .

الحسن وثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠١ هـ ٧١٦ م

بعد رجوع الحسن من الحج توفي صديقه التقي الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اخذت البصرة تغلي وتفور باستقبالها ثورة جديدة تشبه ثورة ابن الاشعث في عنفها . وكان قد هرب يزيد بن المهلب من السجن الذى كان قد وضعه فيه الخليفة الراحل . وكان هروب يزيد تخلصا من قسوة الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك .. ووصل المهلب الى البصرة والتجأ عند قومه الأزد واعلن الثورة على الدولة الاموية . وعندها أرسل الحسن في وفد برئاسة عدى ابن ارطاة الى المهالبة لاقناعهم بالعدول عن الثورة ، وتكلم الحسن معهم كلاما معجبا حتى قال احد رجال الوفد : ما تمنيت كلاما قط أحفظه الا كلام الحسن يومئذ .

قال عبد الملك بن المهلب انكم واطاتم عديا على هلاكنا ، وليست طاعته بواجبة علينا . فقال له الحسن كذبت وعندئذ غضب ابن المهلب وقال له اتكذبني يا ابن اللخناء ، واخذ بقائم سيفه وقال والله لولا ان أعير بقتلك في منزلي لضربت عنقك فانك عبد غررت اهل المصر بتخاشعك ، وقد حمقت نفسك ، وعدوت طورك وقدرك . ومضى في ثورته لولا ان هداه المفضل بن المهلب والحسن ساكت .

الحلقات العلمية فى جامع البصرة

كان كبار العلماء من الصحابة والتابعين يعقدون في الجامع (مسجد البصرة الكبير) حلقات للدرس والافتاء والحديث فيجتمع اليهم الناس يستمعون ويناقشون ويتلقون اسرار دينهم ، ولعل اول حلقة اتخذت في هذا المسجد واقرىء فيها القرآن هي حلقة جعفر بن أبي الحسن ، ثم تبعه فيها الاعلام

من العلماء فكانت كل اسطوانة في الجامع يجلس اليها عالم من فحول العرب فيلتف حوله الطلاب . ومن هذه الحلقات التي يشار اليها بالبنان حلقة الحسن البصري . وكان واصل بن عطاء احد الطلاب النابهين في حلقة الحسن وكان يقربه لفرط ذكائه ، ولكنه نفّره بعدئذ لخروجه على (المبادىء الكلامية) وقال له الحسن: « اعتزل عنا » ، فاعتزل وكون له حلقة جنب احدى السواري . وقال الحسن : « اعتزل عنا واصل بن عطاء » فسميت من يومئذ فرقة « المعتزلة » .

مجالسه العلمية ـ ورعه وتقواه

للحسن مجلسان مجلس عام في جامع الامير ومجلس خاص في بيته . اما في الاول فكان يعقده في أصل منبر ابن الاشعث واحيانا اخرى على المئذنة العتيقة في آخر المسجد ، والارجح انه في المكان الثاني اتخذ لمجلس القضاء لا حلقة التدريس . وبدات جلساته في المسجد بعد عودته النهائية من الغزو .

حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق القز وقال له : يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة ، فقال له الحسن : عافاك الله تعالى : ضمّ اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ـ انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له » .

وفي بيته المتواضع والمسجد الجامع قضى الحسن اكثر عمره ، وقلما كان يخرج الى البرّية او يرتاد السوق . وكان من عادته ان يخرج لاستقبال الحجاج بعد عودتهم وربما زار بعض جيرانه واصحابه او حضر عند الوالي في امر من الامور او كلفه احدهم بحاجة فخرج لقضائها .

حياته العائلية وآخر ايام العمر

تزوج الحسن في البصرة ولعل زوجته من اصل غير عربي ، وقد كان العرب لايزوجون بناتهم من الموالي في ذلك العصر ، ورزق الحسن بولدين اكبرهما سعيد ، وبه كان يكنّى والثاني عبد الله ، واما من الاناث فالمصادر التاريخية تتحدث عن تزويجه لابنته بمن لايشق عليه في المهر ، وكان يكفيه من الزوج حسن الخلق وكفاء المؤونة وستر العورة .

كانت السنوات العشر الاخيرة من حياة الحسن سنوات ضعف وشيخوخة اخذت تسير به الى الفناء . وفيها كان مناوئا لابن المهلب . وكانت هذه قد ارهقته . ومما زاد في الطين بلة وفاة اخيه سعيد الذي كان يحبه فحزن عليه حزنا مبرّحا ، كما فقد اصحابه الواحد بعد الآخر وزاد ثقل السنين على كتفيه .

خرج الحسن مرة لتشييع جنازة ابي رجاء العطاردي التميمي ، خرج على حمار ، فصلى عليها وابنه يسنده لما كان يحس من ضعف ، وقبل ان يسلم الحسن روحه اغمي عليه ثم افاق . وتقول الرواية انه التفت الى من كان حوله وقال لهم نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم . واشتد به النزع حتى عجز لسانه عن الكلام بعد ان كانت الفصاحة اظهر صفاته ولم يتمكن اصدقاؤه أن يفهموا عنه ما يقول حتى اسلم الروح راضيا مطمئنا . وصلّى عليه عقب صلاة الجمعة وازدحم الناس من حوله حتى ان صلاة العصر لم تقم في جامع البصرة .

وكانت وفاته عام ١١٠ هـ ٧٢٨ م عن ثمان وثمانين سنة في يوم الجمعة من شهر رجب . واليه ترجع طرائق الزهاد وما تفرع منها . ويظهر انه كان يرى رأي القدرية واصحاب العدل كاكثر اصحاب المعتزلة . وكان حينما يقرأ القرآن يبكي حتى يتحدر الدمع على لحيته غير هياب من الامراء . وكان قد توفي قبل ابن سيرين بمائة يوم وهو يكبر ابن سيرين بعشر سنين ، ودفن في الموقع المعروف اليوم والذي يدفن فيه البصريون موتاهم . ولم يبدأ الدفن في جوار ضريح الحسن الا قبل (مائتين وخمسين سنة من اليوم) ، وكان الناس من قبل يدفنون بجوار سيدنا الزبير بن العوام . ولما اتسعت المقبرة انحدروا جانب سيدنا طلحة ثم اتخذوا بعدُ الساحة المجاورة للحسن البصري كما هو معلوم اليوم وكانت هذه الساحة من قبل من مربد البصرة . ■■

البصرة ـ عبد القادر باش اعيان العباسي

ملاحظة : هذه الترجمة مقتبسة من موسوعة تاريخ البصرة الكبير (المخطوط) لمؤلفه الشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الثورة الخضراء
محصول القمح للفدان
يتضاعف اضعافا
وكذا الذرة
وكذا الارز

● انها قصة رجل ، وقصة امم . اما الرجل فهو الدكتور نرمان بورلنج Norman Borlang، وهو مدير البرنامج الدولي لتحسين انتاج القمح ، ذلك البرنامج الذى تنفق عليه مؤسسة روكفلر Rockefeller ، ومكانه المكسيك. هذا الرجل هو الذى قاد الثورة الى غايتها ونال فى شهر اكتوبر الماضي من اجل ذلك جائزة نوبل للسلام ، ومعنى السلام هنا ان احلال الشبع محل المجاعات فى العالم يؤدى الى الرخاء فالى الرضا فالى السلام .

وأما الامم فهى كل امة متخلفة لا يكفيها الغذاء ، فتهددها المجاعة من عام لعام . ونضرب مثلا لذلك بالهند وباكستان فى عام ١٩٦٨ – ١٩٦٩ . ففي هذا العام جاء موسم الرياح والامطار المعروف بالمنسون Monsoons ، فكان اقصر طولا من عادته ، وامطار الشتاء قلت حتى انعدمت او كادت ، ودرجة حرارة الأجواء فى شهر مارس ، وهو الشهر الذى يمتلىء فيه حب القمح ، هذه الدرجة زادت ما بين ٥ الى ٨ درجة عن معدلها . وكل هذا جعل الحاسبين يقدرون ان العام لا شك عام مجاعة .

ولكن لم تقع مجاعة . وعلى العكس من ذلك كان محصول القمح بباكستان ١٤ فى المائة اعلى من محصول العام السابق ، وكان فى الهند اعلى كذلك وبنحو ٨ فى المائة .

وفى المكسيك ، وفى تركيا ، وفى افغانستان ، كانت محاصيل القمح تتزايد من عام لعام ، جاء مطر او لم يجىء ، وارتفعت حرارة او لم ترتفع .

وتبدا القصة من يوم تراءى للدكتور بورلنج، منذ سنوات مضت، عدم رضائه عن الزراعة التى كانت قائمة فى البلاد المتخلفة ، ولا عن الجهود التى كانت تبذل لتحسين الانتاج تحسينا لم يكن الا بطيئا لا يساير الحاجة الشديدة الملحة بتزايد السكان . تراءى له ان المطلوب ثورة عارمة فى الانتاج . وبدا يخطط لها ، وكان من نتيجة ذلك اليوم ان كلا من الباكستان والمكسيك ، صارتا دولتين مستكفيتين من حيث ما تنتجان من قمح بعد ان كانتا دولتين لاتستكفيان . وكذلك الهند فهي سائرة فى هذا الطريق.



وباطراد هذا الحال سينتهي العالم بأن يكون ، لا عالما يكفيه قمحه فحسب ، ولكنْ عالما فائضاً قمحه عن حاجته فتصبح مشكلته مشكلة زيادة بعد ان كانت مشكلة نقص وجوع .

اما القصة العلمية فتبدأ من عام ١٩٤٣ ، حيث بدأ الدكتور بورلنج ، وهو من مواليد ولاية ايووا بالولايات المتحدة، حين بدأ يجرب في صنوف عدة من القمح . لقد علم ان كل هذه الصنوف التقليدية بها مشاكل عدة ، تختلف من صنف الى صنف . علم ان منها ما يتعرض للاصابة بالفطر Fungus ، مثل صدأ الجذع الاسود . وعلم ان مقدار البروتين الذي بحبها ليس بالقدر الذي يرجى ، وعلم ان منها ما يتأهل للزرع في فصل قصير من الزمن معين لو خرجوا به عنه فسد ، وعلم ان صنفا قد تزرعه في مكان فينجح ، ثم تزرعه في مكان آخر اختلف عنه أوانَ زراعة، فلا يصح. وعلم ان من هذه الاصناف ما لم يستجب للتسميد ، وتزيد سماده فتتناقص زيادة نموه حتى تتوقف ، ثم يميل النبات بعنقه ويتدلى .

جمع الدكتور بورلنج صنوفا للقمح من كل الدنيا ، وبدأ يزاوج بينها تهجينا، واخذ ينتج منها في المختبرات طفرات Mutation اصطناعا . وكان اهم هذه الصنوف الصنوف اليابانية القزمة Japanese Norin Dwarfs تلك التي اكتشفها الدكتور سلمون Salmon بوزارة الزراعة بالولايات المتحدة .

ومن بحوث الدكتور بورلنج خرجت الاصناف الجديدة المسماة اليوم بالأقماح الأقزام او القصيرة Dwarf Wheats، وهي عماد هذه الثورة الزراعية الكبرى .

والاقماح الاقزام ثنائية الجينات او ثلاثيتها Two & Three Gene Dwarfs تحتوى جينين أو ثلاثة جينات Yenes للقصَر ولصلابة الجذع ـ لا تتدلى اعناقها بزيادة السماد، وهي تحتمل زيادة السماد حتى ١٢٠ رطلا من السماد الآزوتي لكل فدان ، بدل المائة رطل التي كانت .

وهذه الصنوف تقاوم الأمراض ، وتقبل الزرع في فصول مديدة ، ونسبة البروتين في حبها كبيرة .

اما المحصول في الهند وباكستان ، فقد ارتفع ارتفاعا باغتا ، من المتوسط المعتاد الذي هو نحو ١١ بوشيل للفدان الواحد الى ٥٠ بوشيل . ودلت التقارير على انه في بعض البقاع ارتفع المحصول الى ١٥٠ بوشيل .

والأردب يساوي ٥٫٩١٦ بوشيل .

واقبل الفلاحون على الزراعة الجديدة .

ففي الهند زاد المزروع قمحا جديدا من ١٥ فدانا فقط في عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ الى ١١ مليونا في عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ، وفي باكستان زاد في نفس تلك الفترة من ١٠ فدادين الى ٦٫٥ مليون فدان .

وكثورة في القمح ، ثورة أخرى عالمية في الذرة والأرز ، ولكن لهذه قصة اخرى .



التدخين نكبة هكذا يقــول علماء بريطانيا

● من بين كل تسعة مدخنين يزيد استهلاك ما يدخنونه على ٢٤ سيجارة فى اليوم ، يتعرض واحد منهم على الأقل للاصابة بسرطان الرئة .. !

هذه هي احدى النتائج التى توصلت اليها كلية الأطباء الملكية ، وهي اكبر هيئة طبية فى انجلترا ، بعد سلسلة من الأبحاث والدراسات الجديدة التى قاموا بها حول علاقة التدخين بسرطان الرئة .

وقد وضع الأطباء الذين قاموا بهذه الأبحاث تقريرا اكدوا فيه ان التدخين لا يسبب سرطان الرئة فحسب ، بل يؤدى ايضا الى الاصابة بعدة امراض خطرة مثل سدّة الشريان التاجي للقلب Coronary Thrombosis وارتفاع ضغط الدم ، وسرطان المثانة ، وكذلك قرحة المعدة Gastric Ulcer .

وقال التقرير ايضا ان الأبحاث قد اثبتت ان المدخنين اكثر عرضة للاصابة بالالتهابات الرئوية وغيرها من امراض الجهاز التنفسي .

وفند التقرير لأول مرة المزاعم القائلة بأن مدخني السيجار والغليون اقل عرضة للاصابة بهذه الامراض عن مدخني السجائر .. فقد اكد الباحثون أن المدخنين سواء كانوا من مدخني السجائر او السيجار أوالغليون يستوون جميعا فى التعرض للاصابة بهذه الامراض الخطرة .

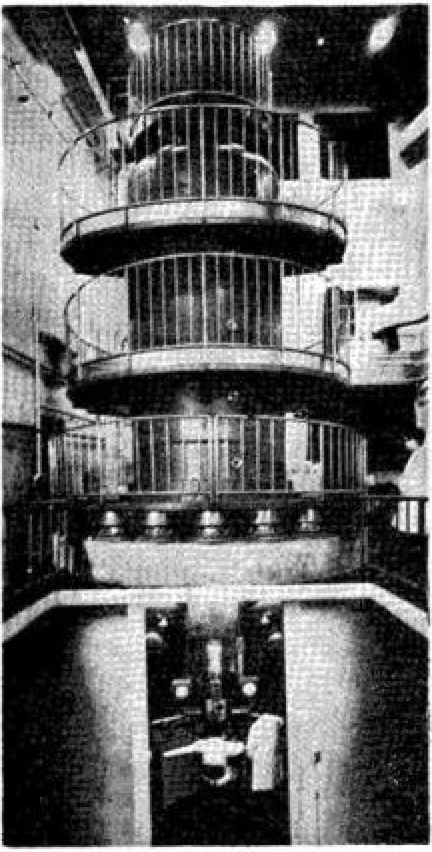
ودعا التقرير بعد هذا الى فرض حظر شامل على الاعلانات التى تنشرها شركات السجائر والتبغ فى مختلف الصحف والمجلات ، كما طالب الباحثون فى الوقت نفسه كخطوة للحد من استهلاك هذه السموم ، تحريم التدخين فى الشوارع والطرقات والأماكن العامة ودور اللهو والسينما ، حتى تقلل من فرص التدخين عند الناس .

ويقول التقرير ان الباحثين اولوا اهتماما خاصا بمنع الدعاية للسجائر والتبغ التى تمتلىء بها الصحف والمجلات وبقية اجهزة الاعلام ، لما لهذه الاعلانات من اثر فى زيادة الاقبال على التدخين .. فقد ثبت ان اكثر من ١٤ مليون جنيه استرليني ، قد انفقت فى بريطانيا وحدها فى العام الماضى ، على الدعاية لمختلف انواع السجائر والتبغ ، وكان من نتيجة ذلك ان ارتفع استهلاك السيجار مثلا من ٣٩٦ مليون سيجار فى عام ١٩٦٢ الى ١١٣٣ مليونا فى العام الماضى .

اضخم ميكروسكوب الكتروني في العالم تصنعه اليابان

● انتهى فريق من المهندسين اليابانيين في جامعة اوساكا من صنع اضخم ميكرسكوب الكتروني في العالم . ويبلغ ارتفاع هذا الميكرسكوب ١٢ مترا ووزنه ٦٧ طنا ويستطيع ان يكبر الى ١٠٠ الف مرة ، وهذا الميكرسكوب الالكتروني يعمل بفولت كهربي تبلغ قوته ٣ مليون فولت وهو اعلى فولت في العالم يستخدم في ميكرسكوب الكتروني . وقد انتهى العمل في هذا الميكرسكوب في الوقت الذي تستعد فيه اليابان للاشتراك في المؤتمر الدولي السابع للميكرسكوبات الالكترونية والذي عقد في جرينوبل Grenoble .

وقد بدأ الاتجاه الى انتاج ميكرسكوبات الكترونية ذات فولت كهربي عال نتيجة الرغبة في الحصول على ميكرسكوبات تستطيع تكبير عينات سميكة .. وبواسطة استعمال مولدات ضغطها مليون فولت تستطيع بهما الالكترونات اختراق العينات السميكة التي لم تكن الميكرسكوبات الالكترونية العادية تستطيع اختراقها ، وبذلك تبقى الشريحة على ما هي .



الميكرسكوب الالكتروني الضخم الذي صنعه المهندسون اليابانيون في جامعة اوساكا ويعتبر اضخم ميكرسكوب من نوعه في العالم .

ماتصنعه اليابان للعقيمات من النساء

● عندما اعلن العالمان ستبتو P.C. Steptoe وأدواردز R.G. Edwards عن نجاح تجربتهما في تلقيح بويضة بشرية داخل المعمل .. استقبل بعض العلماء هذا الاعلان بكثير من التحفظ والشك وذلك لعلمهم بأن كثيرا من التجارب التي اجريت في المختبرات على بويضات حيوانات ثديية قد اثبتت ان هذه البويضات يمكنها ان تنقسم نتيجة اية هزة تحدث في انبوبة الاختبار ودون ان

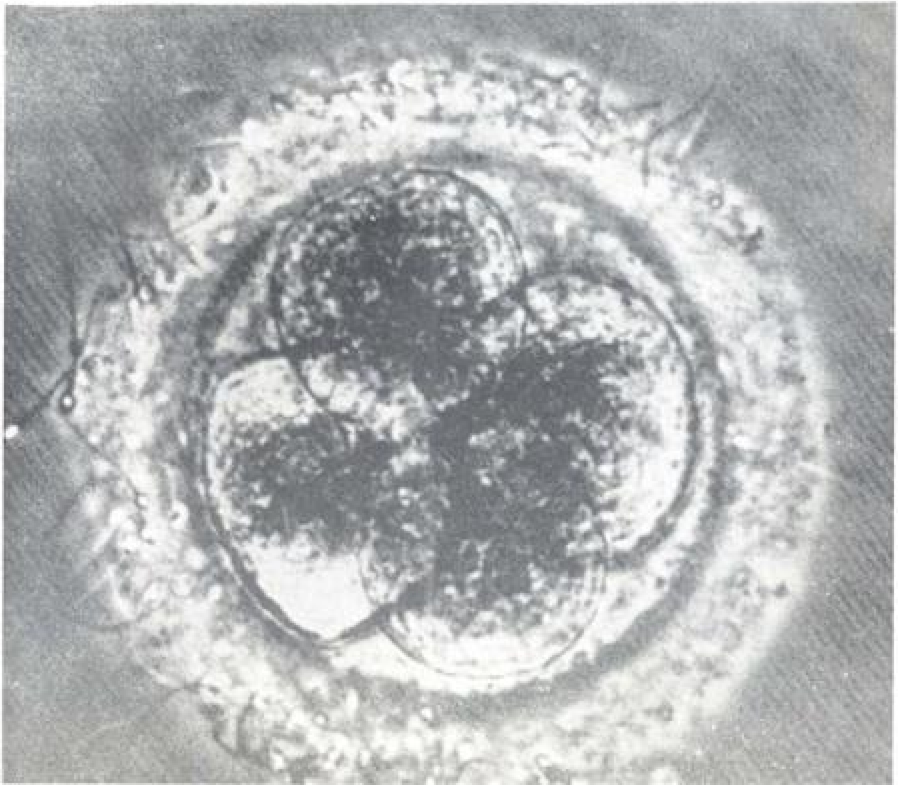
يتصل بها الحيوان المنوى الذكر . واخيرا خرج ستبتو وادواردز على هؤلاء المتشككين والمتحفظين بدليل جديد مقنع، فقد استطاعا رؤية الحيوان المنوى بنواته وذيله داخل البويضة البشرية . . وقد استطاع العالمان فى تجاربهما الاخيرة ان يريا ايضا نمو هذه البويضات الملقحة وتقسمها حتى وصلت الى ٦٤ خلية .

وفى خلال سنوات قليلة سوف تكون هناك وسائل علمية لزراعة البويضات ونقلها من امراة الى اخرى ، على ما يرجو العلماء ، وهى مسالة لا تحتاج الا لصبر وعناية ، لتحسين الوسائل التى تتبع الآن فى التجارب الجارية على الحيوانات . وعندما يتم هذا ، فان عددا من النساء اللواتي أصبن بالعقم بسبب انسداد قنوات فالوب Fallopian Tubes التي تصل بين المبايض والارحام ، سيستطعن ان يحققن آمالهن وان يحملن ويلدن اولادا من صلب ازواجهن ، وذلك عن طريق اتمام عملية التلقيح داخل انبوبة الاختبار .

وقد تستطيع هذه الطريقة ايضا مساعدة الرجال الذين يعانون من نقص انتاجهم للحيوانات المنوية التي تكفي لحدوث الحمل .

ولكن هناك ايضا عدة احتمالات فى ان يؤدى هذا النوع من التلقيح الصناعي الى التاثير على خواص الوراثة الطبيعية والنمو . ويحرص العلماء الذين يقومون بهذه التجارب على التزام الصمت فى مناقشة التعقيدات التى قد تنتج عن تجاربهم هذه . ومن المعروف علميا ان اى تأثير او تلف فى البويضة الانسانية قد ينتج عنه تشويهات للطفل الذى يولد لا يمكن اكتشافها الا بعد الوضع . وهذه أمور متروك امرها للمستقبل القريب او البعيد . ●●

بويضة انسانية ملقحة ... لقد اصبح التلقيح داخل انبوبة الاختبار امرا علميا محققا .



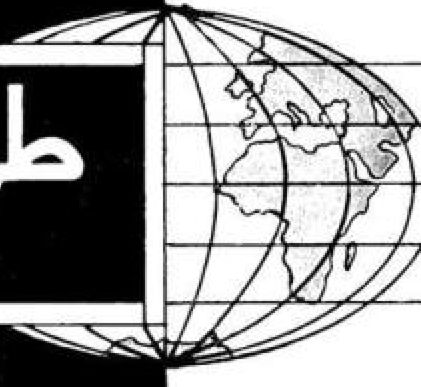


نَجْوَى..

إن كُنْتُ أذكر هنداً — أو كنت أشدو بدَعْدِ
أو حَنَّ قلبي لسَلْمى — وبَرَّحَ القَلْبَ وَجْدي
فإنما أنتِ أعني — يا أجملَ الناس عندي
إن كان وَعْدُكِ مَطْلاً — إني وَفَيْتُ بوَعْدي
أشكو لنفسي وتشكو — نفسي الهُمومَ وتُبْدي
وأكتمُ الشوقَ حيناً — ويَغْمُرُ الليلَ سُهْدي
رَنَّقْتِ عيشي فعودي — فإن وَصْلَكِ رَغْدي
مَنَّيْتُ نفسي بوَرْدٍ — من الشِّفاهِ وشهْدِ
برشفةٍ من مُدامٍ — من كأسِ جيدٍ وخَدِّ
يا مُنْيَةَ النَّفْس جُودي — بالوَصْلِ يوماً وجِدِّي
رسالةٌ منك تَكْفِي — قلْبي وتُطْفِئُ حِقْدي
رأيتُ ظُلْمَكِ عدْلاً — فاستَعْبِدي واستَبِدّي

الحسكة / سوريا ـ **بندر عبد الحميد**

طرائف غربية



سيكولوجية الشيخوخة

● فيكتور كوزان Victor Cousin (١٧٩٢ – ١٨٦٧) الفيلسوف الفرنسي الشهير ، كتب في سيكولوجية الشيخوخة يقول : « انالمواقف التى تساعد على الاحتفاظ بشباب الفكر والعقل ، يمكن تلخيصها فى كلمة واحدة هـذهالكلمة هى الالتزام Commitment .

فالحياة لا تكون الا مع التزام ، والالتزام لايكونالا اذا سبقه احساس باستعداد لتحمل المسئولية التى يرتبط بها المرء بهذا الشيء او ذاك ، وكلماتمسك الرجل بالتزاماته وحرص على تنفيذها ، تضاءلت فرص تعرضه للغرق في خضم هـذاالبحر الواسع من الحياة الذى تتقاذفنا امواجه !

واضرب لذلك مثلا ، المراة التى بقيت بلازواج،فهى بقيت بلا التزام فصارت اكثر تعرضا للشعور باقتراب الشيخوخة ، من اختها المتزوجة ...فالأولى غير ملتزمة الا بالقدر الذى تفرضه عليها طبيعة الحياة التى تعيشها .. اما الثانية فهىتلتزم بامر نفسها من اجل نفسها وزوجها واطفالها، فهى اذن ملتزمة ، وهى اذن مسئولة عن رعايةهذه الأسرة والمحافظة عليها » .

روسو ... ورسائل الحب !

● جان جاك روسو uean - Jaccu's Rousseau ، الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي الكبير(١٧١٢–١٧٧٨) كتب أروع رسائل الحب لامرأتين:الأولى امه ، وكان يبثها آلامه ، وهو يعيش فىالمنفى فى لندن ، هربا من الطغيان ، اما الثانية فكانت عشيقته مدام دي وارن Mme De Warens وكان قد تركها وراءه فى جنيف ، حيث ولد وعاش سنىشبابه ، قبل عودته الى باريس .

قالوا يسألونه يوما : يـف تكتبخطاباتك ، وما سر جمالها وروعةالمعانى التى تحملها رسائل حبك ؟ .

واجاب الكاتب الفيلسوف فى تواضعشديد : « عندما كنت اجلس لاكتب خطاب حب ، كنت ابداه دون ان اعرف ماذا اريد ان اقول ، فاذا وصلت الى نهايته ، نسيت ما كتبت .. انني لا اذكر انني اعددت يوما خطابا واحدا قبل ان اشرع فى كتابته » !





دوجلاس هيوم



جومو كينياتا

مرض .. ومرض!

● اصيب اليك دوجلاس هيوم Alec Douglas Hume ، وزير خارجية بريطانيا بسل في عموده الفقرى ، منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما مضت ، واضطره المرض الى ملازمة الفراش شهورا طويلة ، وفي احد الايام ، تلقى هيوم رسالة قصيرة، حملها اليه رسول خاص في غرفته بالمستشفى في لندن .

وفض السياسي البريطاني الرسالة ، فاذا بها تحمل توقيع الزعيم الافريقى الكبير جومو كينياتا Jomo Kenyatta ، الذى صار من بعد ذلك رئيسا لجمهورية كينيا ، وكان يقوم بجولة في أوروبا في ذلك الوقت ، يدعو فيها الى تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني ، وعلم بمرض هيوم فكتب اليه يقول :

« صدمني نبأ مرضك .. انني ارجو لك الشفاء ، وامل ان تبرأ من علتك ، وان تكون قد وعيت الدرس .. لقد كنتم تقولون دائما ان صيحة الحرية التى تطلقها الشعوب المستعمرة ما هى الا صرخة عن مرض وجب القضاء عليه ... ولكننى اراك اليوم تنحنى أمام مرض أشد خطورة، فهو يتهدد حياة واحد من هؤلاء « الأطباء »الذين زعموا انهم شخصوا الداء ووصفوا العنف والقمع له دواء ! رحمة بالمرضى امثالنا ، فنحن لا نبغى سوى الحياة .. نفس الحياة التى تنشدها انت في مرضك هذا » .



مع جوتيه

● الشاعر الالماني الكبير جوتيه Goethe (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) سالوه يوما ، من هو الرجل الذى أثر في حياتك اكثر من غيره ! »

قال : « ابى .. ولم يكن ابى شاعرا ..ولكنه كان رجلا عظيما .. كان اقسى ناقد لكل ما أكتب .. كان يصحح لى أخطائى ، وكان يلومنى ، اذا احس ان الخطأ اكبر من ان يسكت عليه ، ولكنه لم يكن ابدا ينسى ان يشجعنى بعد كل لوم يوجهه الى .. وكنت اشعر بالدفء يسرى في أوصالى بعد كل مرة يلومنى فيها .. ثم يشجعنى بعد لومه . تماما كما لو كنت اجلس تحت اشعة الشمس بعد حمام بارد !! » .

الشجرة ... وقلم الكاتب

● المؤلفة الانجليزية الكبيرة جين أوستن Jane Austin (١٨٦٦ ـ ١٩٤١) : صاحبة قصة ايما Emma ، التى اكسبتها شهرة واسعة، قالوا لها يوما : « ان المرء ليحس من خلال قراءاته لمؤلفاتك انك تتقمصين شخصية جديدة في كل مرة تقدمين لنا فيه قصة جديدة » .

فقالت جين : « ان قلم الكاتب كالشجرة ، انها تبدأ صغيرة هشة رقيقة العود ، ثم تكبر مع الزمن فيشتد عودها وتتشعب جذورها وتنمو فروعها ثم لا تلبث أن تثمر ويجنى الناس ثمارها .. ولكننا هل نجد الثمار دائما ناضجة ؟ وهل تبقى الشجرة دائما نضرة ؟

« والجواب : لا ، فهى تتغير بتغير فصول السنة، وهكذا قلم الكاتب ، غير ان عوامل التغيير هنا تختلف ، فالقلم يتغير بتغير المناخ السياسي ، والمزاج الشخصي ، والحياة نفسها .. ولكن اليست هذه هى حال كل الناس .. ان هناك شيئا جديدا تراه فيهم في كل مرة تلتقى بهم ! ».

أنت تسأل .. ونحن نجيب

محاولة الانقلاب الفاشلة في غينيا

● قرأنا في الصحف أنه كانت هناك مؤامرة ضد استقلال غينيا . فهل لكم أن تقدموا لنا شيئا عن أهداف هذه المؤامرة وأبعادها، وتعرفونا بهذه الدولة الافريقية ؟ فقد كنا قرأنا كثيرا عن احمد سيكوتوري في الجرائد العربية مما زادنا تعلقا به .

علي طه ـ دمشق

ـ غينيا دولة افريقية مستقلة كانت مستعمرة فرنسية حتى عام ١٩٥٨ ، وهي أول مستعمرة حصلت على استقلالها في ذلك العام في عداد المستعمرات الفرنسية السابقة بافريقيا الاستوائية .

وتقع هذه الدولة التي تعرضت في الآونة الأخيرة لتلك المؤامرة الاستعمارية ، التي نذكر فيما يلي أسبابها ودوافعها ، على ساحل المحيط الاطلنطي في افريقيا الغربية ، وتبلغ مساحتها نحو ٢٤٦ الف كيلو متر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على أربعة ملايين نسمة ، وعاصمتها كوناكري وهي تقع ايضا على ساحل المحيط ، وهي بلاد غنية بمناجم الذهب والماس والحديد كما تشتهر بكثرة الانهار فيها ، ففي أرضها تقع منابع نهر النيجر ونهر السنغال ونهر جامبيا ، عدا الانهار الاخرى الصغيرة التي تجري فيها وتصب في مياه المحيط ..

هذه لمحة سريعة عن غينيا الدولة الاسلامية الصغيرة التي يرأسها احمد سيكوتوري ، الزعيم الوطني ، الذي تولى رئاسة الجمهورية منذ حصولها على الاستقلال ، والذي كان أول زعيم افريقي بين زعماء دول افريقيا السوداء المرتبطة بفرنسا ، يقول لديجول « لا » ، عندما اقترح الرئيس الفرنسي الراحل انضمام هذه الدولة المستقلة الى المجموعة الفرنسية في افريقيا . ولم يكن سيكوتوري وحده هو الذي قالها ، وانما شاركه فيها غالبية افراد الشعب الغيني الذي رفض الارتباط بفرنسا ، في الاستفتاء العام الذي أجراه الزعيم الافريقي في نفس العام الذي حصلت فيه بلاده على استقلالها . وهكذا كانت غينيا هي الدولة الوحيدة بين المستعمرات الفرنسية السابقة التي اختارت أن تسير وحدها في طريق الاستقلال ..

وكان طريقا شاقا مليئا بالصعاب ، فقد ترك المستعمر البلاد ، وهي أحوج ما تكون الى الخبرات في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والفنية .. كما ساهم النظام الاشتراكي الذي اختاره الرئيس سيكوتوري لبلاده ، في خلق جو من السخط بين بعض الفئات الغينية المنتفعة في ظل الاستعمار الفرنسي تلك التي فقدت الامتيازات التي كانت تتمتع بها قبل الاستقلال ، وقبل اعلان السياسة الاشتراكية في البلاد ..

وقد كان هؤلاء هم انفسهم الذين وقفوا وراء محاولة الانقلاب الاخيرة في غينيا ، بعد أن شكلوا من انفسهم جماعة اطلقت على نفسها اسم « المنفيين الغينيين » ويقيم افرادها خارج غينيا ، ولم يكن الهدف من وراء محاولتهم هذه سوى قلب نظام الحكم الذي اقامه الرئيس الغيني ، واقامة نظام سياسي بديل ترضى عنه جماعة المنفيين هذه ، وكذلك القوى الأجنبية التي ساندت المحاولة الفاشلة وفي مقدمتها البرتغال ..

وقد استعانت هذه القوى المناهضة لحكم



سيكوتورى ، وهى تضم عناصر سياسية وعسكرية، بأعداد من المرتزقة البيض الذين هاجموا كوناكرى العاصمة بمجموعة من السفن الحربية على طريقة قراصنة البحار ، وتدل التقارير التى أصدرتها لجنة التحقيق التى أرسلها مجلس الأمن الى مسرح الاحداث في غينيا على أن المتآمرين استخدموا اراضي بعض البلاد الافريقية المجاورة للاعداد لهجومهم المسلح ، وفي مقدمتها غينيا البرتغالية .

ولكن المؤامرة ما لبثت أن فشلت نتيجة للمقاومة العنيفة من جانب الجيش والشعب الغينى ، مما يؤكد الشعبية التى يتمتع بها نظام الحكم الحالى في غينيا .

وليست هذه هى المرة الأولى التى ينتصر فيها حكم سيكوتورى على المؤامرات التى حيكت ضده، فقد تعرض نظام حكمه منذ عام ١٩٥٨ (عام الاستقلال) لخمس مؤامرات اخرى ، وكان بعضها يدبر في الخارج ، والبعض الآخر في الداخل ، وقد كشفتها أجهزة الدولة والحزب الديمقراطى الغينى، وهو الحزب الحاكم الذى يتزعمه سيكوتورى .

وفيما جرى ويجرى في غينيا عبرة للمعتبرين. (م. ن)

حقوق النشر ـ هل يرثها الأبناء بعد وفاة الآباء ؟

● والدى مؤلف وله نحو ٦ كتب وقد توفي رحمة الله عليه منذ عامين . وقد استشرت في حقوق المؤلف كم تبقى من بعده فلم أجد جوابا شافيا ، فهل تتكرمون باعطائى ما يكفى من معلومات تفصل بهذا الموضوع وكذلك بحق الورثة ، أن تكن لهم حقوق في ميراث حقوق النشر عن آبائهم .

٣٠٤ – ج٠٤٠٣

ـ تختلف حقوق النشر من بلد الى بلد ونضرب لك الأمثال الخاصة بقوانين حقوق النشر داخل البلد الناشر لا خارجه :

في الولايات المتحدة الامريكية يحدد قانون حقوق النشر الأمريكى مدة تمتع المؤلف بحقوق النشر ب ٢٨ عاما تبدأ من تاريخ تسجيل مؤلفه في مكتب حقوق النشر ويمكن تجديد هذه المدة ٢٨ عاما اخرى فقط . واذا مات المؤلف خلال هذه المدة فان لورثته حق الاستفادة من حقوق النشر .

وفي هندوراس بأمريكا الوسطى فان حقوق النشر تتراوح مدتها بين ١٠ سنوات الى مدة أقصاها ٢٠ سنة .

وفي بريطانيا يحدد القانون الخاص بها حقوق النشر بحياة المؤلف يضاف اليها ٥٠ عاما يتمتع

فيها ورثته بهذه الحقوق . وقد أخذت الدول العربية ومن بينها مصر ولبنان وسوريا بهذا النظام ايضا .

وفي بنما بأمريكا الوسطى تمتد حقوق النشر ٨٠ عاما بعد وفاة المؤلف وهي أطول مدة يسمح بها قانون لحقوق النشر في العالم .

وفي بلغاريا ينص القانون على أن حقوق النشر تبقى للمؤلف طوال حياته ثم تنتقل هذه الحقوق الى والديه اذا كانا على قيد الحياة وذلك طوال حياتهما ، والى الزوجة طوال حياتها أو الى أن تتزوج مرة أخرى ، ويرث الأبناء ايضا في حقوق النشر حتى سن البلوغ .

وبما انك من رعايا الجمهورية العربية المتحدة فانك تستطيع ان تتمتع انت وبقية الورثة الشرعيين بحقوق النشر الخاصة بمؤلفات والدك لمدة خمسين عاما منذ وفاته .

(م. ط)

قِسْمَة و نَصِيب

● نسمع ونردد عبارة « كل شيء قسمة ونصيب » ويكثر ترديد هذه العبارة عندما يحصل زواج ، فهل صحيح أن كل واحد يولد يكتب له أن يأخذ واحدة معينة اى عينها له الله سبحانه وتعالى .

لمياء عمار ــ البصرة



ــ ان ما قدره الله على خلقه لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى . ولا ينبغي لاحد أن يتكل ويتوقف عن السعي في الخير والعمل على ادراك المطالب السليمة والرغبات الحميدة . وكل شيء خلقه الله يسير على نظام صحيح وبأسباب مقدرة . وان القعود عن السعي والسكوت عن الأخذ بالأسباب من علامات عدم التوفيق ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال له بعض الصحابة .

« ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا،اعملوا فكل ميسر » وفي رواية في صحيح مسلم ، « اعملوا فكل ميسر لما خلق له»وفي رواية مطولة للحديث : « من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر .. ».

وفي حديث آخر « لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ، فانما لها ما قدر لها».

وفي هذا نهى عن سعي بعض النساء الى أن تطلق بعض النساء لتحل محلها ، أو أن يخلو لها الجو، ويختم الرسول ذلك بقوله . « فانما لها ما قدر لها ».

واذن فمن الذي يقرر للانسان أن هذه كتب عليها في الأزل أنها من نصيب فلان أو أن تلك قسمت لفلان ؟ على المرء أن يختار من اتجهت اليها رغبته ، ويأخذ في الأسباب ، فان ذلك من علامات الوصول للمراد ، ثم اذا كان ما قدر غير ذلك لأمر اراده الله ــ ونحن نجهل ما في الغيب ــ فان الأسباب كثيرة التي تحول دون ما يريد المرء ، اما انتقال عن المكان أو الحياة ، واما عروض ما هو في الرأى أحسن ، واما ظهور ما لم يكن متوقعا ، ولله عاقبة الأمور .

ع. ف.

السيارات العالمية أيها أكثر إنتاجاً وشيوعاً

● أي الشركتين تنتج من السيارات أكثر من الأخرى .. شركة فيات الايطالية أم شركة فولكس فاجن الالمانية؟

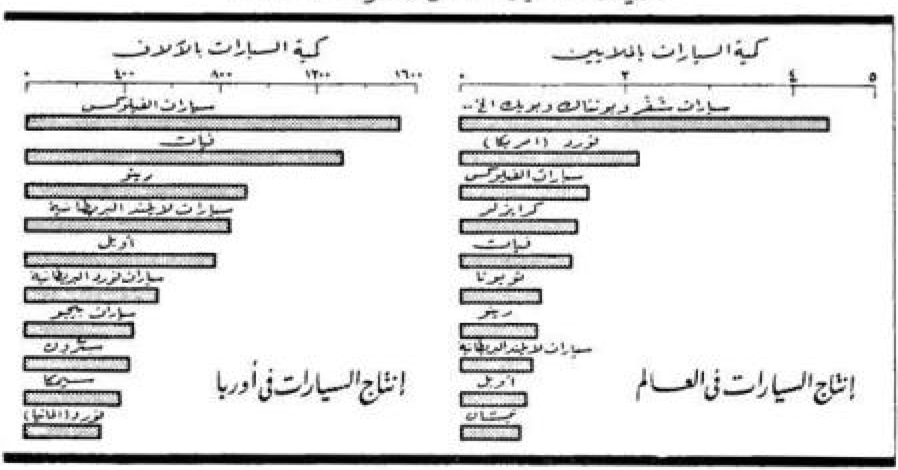
نبيل حازم ـ لبنان

ـ كانت شركة فولكس فاجن الالمانية هي المتفوقة على شركة فيات الايطالية من حيث كمية السيارات التى صنعتها في سنة ١٩٦٩ . فقد بلغ ما أنتجته الشركة الالمانية في السنة المذكورة ٥٢٠ر١ ٠٠٠ر٠ سيارة،وبلغ ما أنتجته الشركة الايطالية فى السنة نفسها ٣٢٠ر١ ٠٠٠ر٠ سيارة . أى أن الزيادة لم تكن كبيرة ، وقد بلغت نحو ٢٠٠ ٠٠٠ر٠ سيارة .

على أن شركة فولكس فاجن لم تقف عند التفوق المذكور . فقد سجلت في السنة التى ذكرنا(١٩٦٩) تفوقا لافتا للنظر على سائر مصانع السيارات في أوربا كلها ، بما فيها المصانع الالمانية والايطالية وكذلك المصانع الفرنسية والبريطانية بلا استثناء. اضف الى ذلك انها احتلت المرتبة الثالثة بين مصانع السيارات في العالم أجمع ، بما فيها المصانع الامريكية واليابانية ، من حيث كمية السيارات التى انتجتها مصانعها عام ١٩٦٩ .

واليك فيما يلى رسما لطيفا يبين لك ذلك كله .. نشرته مجلة الايكونومست في الايام الاخيرة .

كميات السيارات التى صنعوها سنة ١٩٦٩



كتبنا بدلا من الأسماء الافرنجية للسيارات مايقابلها من الأسماء العربية ، بعد أن تعربت على السنة الأخوة الكويتيين، لنشير بذلك الى حاجة اللغة الى التعريب لتتخذ الأسماء الجرس الذى يسوغ للاذن العربية

الاقتراع على دخول الصين في الأمم المتحدة كان هزيمة لأمريكا

● لو تمتم في العام الماضي وقبل موعد انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة انتهاء مهزلة رفض قبول الصين عضوا في هذه المنظمة الدولية ، ولكن نتيجة الاقتراع على هذه المشكلة التي طال عليها الأمد ، جاءت مرة أخرى مخيبة للآمال . هل ما زلتم تعتقدون في حتمية قبول هذه الدولة الكبرى رغم أنف أمريكا !!

محمد شاكر ـ عمان

ـ اذا نظرنا الى نتيجة الاقتراع على مشروع القرار الذى قدمته البانيا والجزائر ، والذى ينادي بانضمام الصين الشعبية وطرد الصين الوطنية أو حكومة « فرموزا » ، تلك التي ما تزال تمثل في رأى الامريكان على الاقل ، دولة الصين الكبرى التي تضم ٧٨٠ مليون نسمة ، لوجدنا انه كان هناك تحول ملموس عن موقف الاصرار على رفض انضمام الصين الى هذه المنظمة العالمية التي احتفلت في العام الماضي بمرور ربع قرن على انشائها .

فقد جاءت نتيجة الاقتراع كالآتي :

٥١ دولة قالت نعم

٤٩ دولة قالت لا

٢٥ دولة امتنعت عن التصويت .

والمعروف انه لا بد من موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة لدخول الصين الامم المتحدة .

حقيقة لم يكن الفارق كبيرا بين نتيجة الاقتراع في العام الماضي ، عام ١٩٧٠ ، وفي العام الذى سبقه ١٩٦٩ اذ أن عدد الدول التي غيرت موقفها من لا الى نعم لم يزد على سبع دول فقط ، ولكن المراقبين السياسيين يرون أن هذا العدد على صغره كان بمثابة لطمة قوية لامريكا التي ضاعفت ضغوطها بصورة لم يسبق لها مثيل قبل الاقتراع مباشرة لضمان استمرار ابعاد الصين عن الامم المتحدة .

فقد نشط الدبلوماسيون الامريكيون قبل التصويت وقبل انعقاد الجمعية العامة ، باستخدام كل ما يملكونه من وسائل الضغط والتأثير في عواصم عديدة من العالم ، حتى ترفض الدول الاعضاء في الامم المتحدة مشروع القرار الالباني ـ الجزائرى .

ويبدو أن الولايات المتحدة نفسها قد أحست بهزيمتها ، اذ يقول المراقبون انها سوف تفكر كثيرا خلال المستقبل القريب ، في تغيير موقفها التقليدى من معارضة انضمام حكومة بكين للامم المتحدة ، ومسايرة الاتجاه الواقعي ، خاصة وهي ترى ان اصدقاءها وحلفاءها وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا وكندا وايطاليا ، قد تخلوا عن السير في الطريق المسدود الذى سلكته حليفتهم الكبرى ، وأن هذه الدول قد بدأت تعترف بأن الصين حقيقة واقعة لا يمكن الاستمرار في تجاهلها ، وخاصة بعد أن اصبحت هذه الدولة تملك قنابل الدمار الذرية والهيدروجينية وبعد أن اصبحت كما ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية ، في سبيل اطلاق نوعين من الصواريخ عابرة القارات التي يبلغ مدى كل منهما ٥ آلاف ميل ، كما انها ستنتهي قريبا من بناء محطة مراقبة في زنزبار ، لتتبع تجارب اطلاق الصواريخ فوق المحيط الهادى .. ويؤكد مراسل المجلة الامريكية بعد هذا أن الولايات المتحدة ، قد شرعت بعد الشعور بهزيمتها الاخيرة في الجمعية العامة ، في تدارك موقفها قبل أن تسبقها الحوادث وتصبح الصين عضوا في المنظمة رغما عنها .

(م. ن)

نتيجة مسابقة العدد ١٤٥

الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة

■ كانت « الامم المتحدة » المادة التي استقينامنها اسئلة مسابقة العدد ١٤٥ من العربي . حيث تعرفنا على هذه المنظمة الكبيرة وهيئاتها المختلفةمن سياسية وثقافية واقتصادية والدول التي ساهمت في تأسيس هذه المنظمة ، وقد حالفالتوفيق معظم المشتركين بهذه المسابقة مما يدل على وعي يبشر بالخير . واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ **٢٤ أكتوبر** : هو يوم الامم المتحدة .

٢ ـ **الابيض والازرق** : هما لونا علم هيئة الامم المتحدة .

٣ ـ **السيدة بانديت نهرو** : هي أول امرأة انتخبت رئيسة للجمعية العامة للامم المتحدة .

٤ ـ **جزر فيجي** : هي آخر دولة انضمت للامم المتحدة .

٥ ـ **نيويورك** : بها مقر منظمة الامم المتحدة .

٦ ـ **كل سنة** : ينعقد اجتماع الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة .

٧ ـ **خمسة** : عدد الاعضاء الدائمين الذين لهم حق الاعتراض « الفيتو » من مجموع عدد اعضاء المجلس وهم ١٥ عضوا .

٨ ـ **فينا** : هي مقر اللجنة الدولية للطاقة الذرية .

٩ ـ **روسيا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ بريطانيا ـ الصين** : هي الدول الاربع التي وضعت أول مسودة لانشاء الامم المتحدة في عام ١٩٤٤ .

١٠ ـ **همرشلد** : هو سكرتير الامم المتحدة الذى نال جائزة نوبل للسلام بعد وفاته .

١١ ـ **رالف بانش** : هو الشخص الذى عين وسيطا دوليا في فلسطين عام ١٩٤٨ بعد اغتيال الكونت برنادوت .

١٢ ـ **واشنطن** : هي مقر البنك الدولى التابع للامم المتحدة .

١٣ ـ **يوثانت** : هو الشخص الذى انتخب سكرتيرا عاما للامم المتحدة عام ١٩٦١ .

١٤ ـ **وكالة غوث اللاجئين** : هي الوكالة التي نالت جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٤ .

١٥ ـ **لاهاى** : هي المقر الدائم لمحكمة العدل الدولية التابعة للامم المتحدة .

١٦ ـ **جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية** : هي آخر دولة عربية انضمت للامم المتحدة .

١٧ ـ **كوريا** : هي المكان الذى استعملت الامم المتحدة فيه القوة العسكرية لاول مرة من اجل وقف الاشتباكات المسلحة بناء على قرار مجلس الامن .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **حسين امين مرعشلي** ـ دمشق / سوريا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **نزار حسن الجبور** ـ الموصل / العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **مصطفى شملال** ـ بئر خادم / الجزائر .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسةدنانير فاز بها كل من :

١ ـ **كمال الدين احمد مصطفى** ـ القاهرة / ج.ع.م

٢ ـ **احمد محمد الفطرى** ـ الكويت .

٣ ـ **احمد توفيق الدجاني** ـ جدة / السعودية .

٤ ـ **خلدون فؤاد بزارى** ـ عمان / الاردن

٥ ـ **فردوس تثير** ـ بيروت / لبنان

٦ ـ **مصطفى احمد عمر** ـ ام درمان ـ السودان .

٧ ـ **عبد المجيد عبده عرماس** ـ اليمن الجنوبي .

٨ ـ **خالد حسن** ـ ايطاليا .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريدالمسجل . ■■

فَنَّان هولندة الشهير رَمْبرِنْد

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ قد لا تكون اللوحة التى تراها على الصفحة الثانية من هذا العدد اللوحة العظمى بين لوحات رَمبرَنْد ، رسام هولندة الشهير في القرن السابع عشر . الا انها من اعظم تلك اللوحات بلا نزاع . وهى ، وان كانت تحدثنا بالكثير عن فن رمبرَنْد ، فانها لا تحدثنا بالكثير ولا القليل عن حياة رمبرَنْد الرجل الانسان .

ولد رمبرَنْد واسمه الكامل Rembrandt Harmens Van Rijni في بلدة ليدن سنة ١٦٠٦ تلك البلدة الهولندية الشهيرة بمنشوراتها العربية للمستشرقين، والتى منها دائرة المعارف الاسلامية، قديمها والحديثة . وكان أبو رسامنا طحانا ، وقد رغب فى تعليم ابنه الرابع مهنة من المهن آنذاك . لا عجب اذن ان يكون رمبرَنْد الفتى قد درس اللاتينية ، عماد الثقافة في تلك الايام ، وأن يكون قد انتسب الى جامعة ليدن سنة ١٦٢٠ .

غير أن موهبة رمبرَنْد الفنية ما لبثت ان ظهرت واجتاحت كل ما سواها فى حياته ، بحيث انصرف الفتى عن طلب العلم الى طلب الفن ، والتحق باحد اساتذة الفن المعروفين في ليدن في ذلك الزمن ، واسمه سوانبورج Swanenburck ويذكر عن هذا الأستاذ انه كان من المتخصصين في فن الرسم المعمارى Architectural Painting وانه قضى فترة من الزمن في ايطاليا . وجدير بالذكر أن ايطاليا كانت رائدة الفن في أوروبا في تلك الايام ، ايام كان كرافجيو Cravaggio متربعا على عرش فن الرسم عامة وعلى النمط المعروف بالباروك Baroque بصفة خاصة .

ودام تدرب رمبرَنْد على يد أستاذه الاول ثلاث سنوات ، توجه بعدها الى امستردام حيث تتلمذ الاستاذ بيتر لاستمان Peter Lastman أحد مشاهير أساتذة الفن في هولندة حينذاك . الا أن رمبرَنْد لم يبق مع أستاذه الثاني سوى ستة اشهر انهى بانتهائها عهد التلمذة وبدأ حياته العملية الفنية.

وقضى فناننا المرحلة الأولى من حياته تلك ، اى من سنة ١٦٢٦–١٦٣٢ ، في ليدن مسقط رأسه. ولما اشتهر وذاع صيته انتقل الى امستردام نزولا عند الحاح هواة الفن والمعجبين بلوحاته ، وقد شاهدوا بعضها ولمسوا ما تجلى فيها من ابداع . وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حياة رمبرند سنة ١٦٣١ بمباشرته العيش والعمل في العاصمة الهولندية .

وشهدت هذه المرحلة الثانية النجاح والشهرة البالغين اللذين تحققا لرمبرَنْد ولمّا يمض على وجوده في امستردام سوى سنة أو اقل . اذ ما لبث ان أصبح رمبرند في طليعة فنانى الرسم



الهولنديين وزعيمهم الذى لا يبارى فيما يتصل برسم وجه الانسان . وتوافد عليه الرسامون الناشئون وغير الناشئين من شتى الجهات وراحوا يتلمسون السر الذى رفع رمبرند الى تلك المرتبة الرفيعة .

وشهدت تلك المرحلة الثانية من حياة رمبرند ايضا زواجه السعيد من ساسكيا فان اويلنبورش Saskia Uylenburch سنة ١٦٣٤ . اما السعادة فمردها اولا الى المال الوفير الذى جاءت به العروس الى بيت الزوجية . وهى تعزى ثانيا وبقدر أكبر الى حب الزوجة العميق لزوجها، وتقديرها الكبير لفنه ، ناهيك باستعدادها للتضحية في سبيل راحته . ولقد تركت هذه الزوجة الصالحة ، التى أصبحت مع السنين أمّا لأربعة أطفال ، أثرا كبيرا في حياة رمبرند ، بدليل ما تعرضت له حياته من هزات عنيفة عقب وفاتها سنة ١٦٤٢ .

ولقد جرى له بعض المشاكل مع الكنيسة بسبب علاقته بالآنسة ستوفل ، كما حلّ به الافلاس فبيعت أملاكه في المزاد سنة ١٦٥٧ و ١٦٥٨ .

والغريب أن فقدان تلك الزوجة المحبة الوفية لم يحد من انتاج رمبرند الفنى ولا نزل بمستواه .

ولعل اللوحات التى رسمها فناننا بعد وفاة زوجته بعدة سنوات هى في طليعة ما جاد به الفنان من لوحات . ويصدق ذلك على لوحة درس علم التشريح ولوحة الصقار Falconer ، وعلى لوحات أخرى عديدة . ولكنه يصدق أيضا على لوحة الصفحة الثانية من هذا العدد من العربى: « لوحة الشيخ الجالس على مقعده » . فهذه اللوحة التى رسمها رمبرند سنة ١٦٥٢ ، تعتبر بحق باكورة عهد النضوج الفنى في حياته. وهى تبرز فوق ذلك أهم خصائص رمبرنت وميزاته الفنية .

ونكتفى بالاشارة هنا الى اثنتين من تلك الميزات. الأولى ميل رمبرنت الى الألوان القاتمة ، وقد غلبت هذه الالوان على أعماق لوحاته ، حتى بدت وكأن الظلمة تلفها وتحيط بها . ولم يحل ذلك طبعا دون ظهور بعض الضوء هنا وهناك في اللوحة .

أما الميزة الثانية ، وهى الأهم ، فقد تجلت في حرص رمبرنت وقدرته الفائقة على الكشف عن خفايا النفس البشرية وطواياها الدفينة ، وكأنه احد كبار كتاب القصة العالمية . ولو أنت أنعمت النظر في لوحة الصفحة الثانية لاتضح لك أن ما يمثله هذا الرجل المسن ليس حالة الجلوس والاسترخاء أو الرداء الاحمر الفضفاض الذى ينسب طرازه الى البندقية ، وانما حالة التأمل العميق في أحوال هذه الدنيا وقد بدا الشيخ غارقا في التفكير فيها بعد أن بلغ من العمر عتيًا .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى أن رمبرنت هو أول من وضع رسوما ايضاحية للكتاب المقدس في العصور الحديثة ، ومن بعد اكتشاف الطباعة .

وتوفى فناننا سنة ١٦٦٩ ودفن في امستردام . ■■

من غرائب القضايا ..

جان لوريت

ذات الشعر الأشقر الطويل

بقلم : حسن الجداوى

■ هذه قضية يمكن ان نسميها قضية الابيض والاصفر كما سمينا سابقتها الابيض والاسود . وموضوعها يذكرنى ببيتين من الشعر العربي القديم لا ادرى من هو قائلهما .

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها … فى مهمه فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر الزمان بوجهها … فارتنى القمرين فى وقت معا

بفارق بسيط هو ان شعر بطلة هذه القضية كان اشقر وانه لعب دورا كبيرا في قضيتها وفي افساد سير العدالة وذبذبة ميزانها .

في مارس عام ١٨٨٢ وصل الى بروكسل دبلوماسي ياباني اسمه ناكاى تيكاسكى ساكورادا بوصفه وزيرا مفوضا معتمدا لدى حكومتي بلجيكا وهولندا .

ولان المامه باللغة الفرنسية ـ وهى اللغة الدبلوماسية المعتمدة في تلك الايام ـ كان محدودا فقد رغب في تلقى دروس فيها على يد مدرسة اختارها له بعض الاصدقاء وامتدحوا اخلاقها وكانت فتاة في الثامنة عشرة تدرس البيانو واللغة اسمها جان لوريت .

كانت فتاة جميلة ذات انوثة طاغية لها شعر



طويل مرسل ينساب على كتفيها فى تموج ساحر هى تتاجب به ، والناس بها وبشعرها معجبون . ويقال انها لم تكن تمانع فى حل شعرها او كما يقول التعبير العامى كانت «ماشية على حل شعرها» فقد كانت لها علاقة باحد تلاميذها ـ رجل فى الخمسين ـ حملت منه طفلا ولد ميتا . وقد اثبت تحقيق القضية ـ فيما بعد ـ ان هذا الرجل لم يكن اول عشاقها ولا آخرهم ... ذلك انها سرعان ما القت حبائلها على تلميذها الجديد الوزير اليابانى فصادته .

وبينما الطالب والمدرسة يتابعان دروس اللغة ، ودروس الحب ، اذا بوزارة الخارجية اليابانية تعكر صفو الحياة بتعيين وزير مساعد جعلت مقره بروكسل وحددت اقامة ساكورادا فى هولندا . ولم يرق هذا الاجراء فى نظر صاحبنا واعتبره نفيا له لانه يبعده عن مدرسته التى لم تعد مدرسة فحسب .

وحار فى امره وعرض على جان شروطا سخية اذا هى قبلت ان تنتقل معه الى لاهاى . وترددت بادىء الامر ولكن والدها وهو حداد فى قرية صغيرة دفعها الى القبول فقبلت واستاجر لها ساكورادا شقة صغيرة فى لاهاى حيث كانا يتقابلان، فلا يحس بهما سكان المدينة الكبيرة ، ولكنها بعد بضعة اشهر فضلت الانتقال الى قرية صغيرة بجوار العاصمة لتنعم فيها بالهدوء .

ولكن « تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن »

فقد كان سكان تلك القرية ـ شأن الريفيين في جميع بلاد العالم ـ متزمتين فسرعان ما ادركوا ما بين جارتهم الجديدة والوزير المفوض من علاقة لم يقرها مأذون ـ حتى امطروها وامطروه برسائل الاستياء والكتابة على الجدران ....

★ ★ ★

طلبت الى الوزير ان يتزوجها فراوغ ولكنها الحت فلم يسعه الا ان يعترف لها بانه متزوج وله اولاد . ثم اخذ يقلل من زيارتها بينما كرهت هي من جانبها هذه العلاقة غير المستقرة فاظهرت استعدادها لوضع حد لها مقابل تعويض معقول . وتوسط بعض الاصدقاء وتم تحديد مبلغ التعويض بثلاثة آلاف فرنك .. دفعها الوزير واعتقد ان متاعبه قد انتهت واسدل عليها الستار .

★ ★ ★

ولكن جان كما قالت فيما بعد ـ اعتقدت ـ صادقة او كاذبة ـ انها شعرت باعراض الحمل وان عليها ان تدافع عن مصلحة جنينها المنتظر . فبعد ستة اشهر من قبضها التعويض وانقطاع كل علاقة بينها وبين عشيقها السابق عاد صاحبنا الى منزله في لاهاي فوجدها في غرفة نومه تأبى ان تبارحها مع انه كان قد اصدر تعليمات مشددة لرجاله بعدم السماح لها بدخول الدار . ولكنها سخرت من اوامره وسخرت جمالها ومعسول حديثها لتنتصر على رجال الوزير ثم لم تلبث ان انتصرت عليه نفسه فلم يقاوم دموعها وشعرها المرسل وانوثتها الطاغية ففتح لها ذراعيه وافسح لها مكانا في مضجعه .

فلما طلع النهار راحت السكرة وجاءت الفكرة وتقلب العقل وقال لها الوزير انه لا يصدق ما ادعته من حمل وان القانون ـ حتى لو كان ما ادعته صحيحا في جانبه ولا يعتبره مسئولا عن ذلك الحمل بعد مضى ستة اشهر على انقطاع صلته بها .

وذهبت محاولات جان عبثا . لم تنفع سبل الاغراء . فتركته . واتجه تفكيرها الى قتل الرجل الذى خانها كما تقول . وحين نبتت في راسها تلك الفكرة اتخذت جميع الاحتياطات لتحقيق عزمها . كان عشيقها قد اهداها مسدسا فاخرجته من مخبئه ونظفته وحشته بالرصاص . ثم اشترت خنجرا . واخذت تذيع عن عزمها على الانتقام وبلغت اخبار ذلك الى الرجل ولكنه سخر من ذلك التهديد الذى اعتقد انه اجوف وقال لمبلغه « لقد دفعت لها التعويض الذى طلبته وانتهى الامر ولم يعد لها اى حق قبلى » .

★ ★ ★

وكان عليه مع ذلك ان يبتعد عنها . ولكنهما ـ هي وهو ـ كانا اسيرى جسديهما . فظلا يتقابلان تجمع بينهما الشهوة الجنسية ـ وفي ضمير احدهما انه يستمتع بدون معقبات وفي ضميرها هي انها تدبر للانتقام منه . ثم حددا يوم ١٤ مارس ليقصدا روتردام لقضاء ليلة ليقطعا علاقتهما ويودع احدهما الآخر . فاستأجرا في احد فنادقها غرفة بسريرين .

وفي ذلك اليوم ارسلت جان الى ابيها في قريته ببلجيكا حوالة بريدية بمبلغ الفين من الفرنكات وارفقتها بخطاب قالت فيه « انني ابعث اليك بكل تركتي فان ابنتك قد انتهت . احضر الى منزلي هنا وخذ ملابسي . ووداعا » .

فان كانت الجريمة التى ارتكبت في نفس الليلة في حاجة الى دليل على نسبة القتل والاصرار عليها فهذا هو الدليل .

★ ★ ★

وتناولا طعام العشاء في المطعم معا . وقبل ان يصعدا الى غرفتهما كتبت هي خطابا اخيرا بينما جلس هو يقتل الوقت بلعبة الورق ـ باسيانس ـ ليعرف حظه وقالت هي ـ اثناء التحقيق ـ ان جميع العابه نجحت . بينما كتبت هي في خطابها الذى اعتزمت ان تتركه على طاولة غرفتها « سأقتل نفسي بعد ان اقتل هذا الرجل الاناني الحقير الذى يريد الاستمتاع بنا ـ نحن الاوروبيات ـ بوصفنا عشيقات ، اننا متعلمات مثقفات متمدنات لن يحقرنا انسان من غير ان يلقى عقابه . فليحذر اليابانيون الجبناء المنافقون » .

ثم صعدت معه الى غرفة النوم واباحت له من نفسها ما اباحت وكان شيئا لم يكن واعترفت فيما بعد انها استمتعت به واستمتع بها ـ ولا غرابة فتلك ليلة الوداع .

وفي الساعة الثانية صباحا انتقلت من سريرهما الى السرير الاخر . وفي الفجر اخرجت المسدس الذى كانت قد اخفته تحت وسادتها وتسحبت الى قرب الرجل المستغرق في النوم مطمئنا ووضعت فوهة المسدس بجوار صدغه وترددت مرتين في الضغط على الزناد ولكنها – كما تدعى – رأته يبتسم وهو نائم واعتقدت انه يحلم بامراة غيرها فغلى الدم في رأسها وضغطت على زناد المسدس وانفجر الدم من رأسه ومات دون ان يتألم او يتكلم .

ثم – حسب دعواها – وجهت المسدس الى قلبها وضغطت على زناده خمس مرات ولكنه لم ينطلق مع وجود خمس رصاصات في مخزنه فتناولت الخنجر واخذت تطعن نفسها في ثورة جامحة .... ربما جامحة .. ولكن بحذر فانها لم تصب نفسها الا بجروح سطحية .

وقالت وهى تقص فعلتها على المحققين وعلى القضاة بعد ذلك ان الله لم يرد لها ان تموت وانه بارك عملها .

★ ★ ★

ولم تفقدها اشهر الحبس الاحتياطى فتنتها . فقد بدت امام محكمة الجنايات بجمالها الرائع وشعرها الفاتن . وترافع عنها الاستاذ هاس اكبر محامي الجنايات في هولندا . واخذت تروى قصتها والدموع تنهمر على وجنتيها مثل ذوب اللجين وختمتها بقولة مسرحية .

« لقد كان حبى له اكبر من ان يحتمل ان اتركه ليحب غيرى » .

ولما عرض عليها المسدس – سلاح الجريمة – صرخت واغمى عليها فسقطت قبعتها من فوق رأسها وانحدر شعرها امواجا حريرية على كتفيها ..

★ ★ ★

ودفع محاميها بحالتها العقلية ومهد لذلك باستدعاء طبيب نفسانى شهد بان امها ماتت بمرض الصرع وقال ردا على سؤال من المحامى ان مرض الصرع وراثى وانه يثير في المرضى فكرة الانتحار وهو نوع من جنون الشهوة او الجنون الشهوانى .

ثم بين المحامى ان المتهمة حين كانت طفلة في السابعة اعتدى احد عمال ابيها عليها وسأله المحامي عن تأثير مثل ذلك الاعتداء الوحشى في مستقبل حياة الطفلة فقال الطبيب ان ذلك يخلق عندها عقدة طوال حياتها .

ثم اخذ رئيس المحكمة في استجواب المتهمة .

س – اين تعرفت بالقتيل ؟

ج – في اسرة لا اريد ان اقول اسمها حتى لا احرجها .

س – الم يكن ذلك في احد بيوت الدعارة ؟

ج – لا

س – ولكنك مع ذلك بقيت تترددين على ذلك البيت بعد اتصالك ؟

ج – ....

س – وسافرت مع القتيل الى لاهاى مع انك لم تكوني تحبينه لانك كتبت له انك في اول الامر كنت تشعرين نحوه باشمئزاز ؟

ج – ...

س – لقد باعك له ابوك متناسيا انواجبه بعد فقد امك ان يسهر عليك ويحل محلها ؟

ج – ...

واستدعى الشاهد الاول وهو ملحق بالمفوضية اليابانية ابى ان يحلف اليمين لان دينه لا يبيح القسم ولكنه وعد بان يقول الحق وقال .

« لقد جئت الى اوروبا عام ١٨٨٢ مع السيد ساكورادا وبقيت معه حتى قتل . وكان متزوجا وابا لعدة ابناء . وقد احضر معه احد اولاده وادخله مدرسة داخلية في هولندا ولكنه اعاده الى اليابان حين بدأت علاقته بجان . لقد كان يعامل المتهمة – التى اراد ان يدرس على يديها اللغة الفرنسية – معاملة كلها عطف وحنان . وكان رجلا هادئا وظريفا .

وفي فبراير الماضى ابلغني انه قطع علاقته بجان وانها تطلب تعويضا كبيرا وتهدده باحداث فضيحة في السفارة وانها اخيرا قبلت مبلغ ثلاثة الاف فرنك ووعدت بمغادرة لاهاى ولكنها لم تفعل .

واؤكد بقدر علمي ان القتيل لم يعدها بالزواج وان كان قد طلب منا ان لا نقول لها انه متزوج .

س ـ هل من حق الياباني المتزوج أن يتزوج بزوجة ثانية ؟

ج ـ لا

س ـ هل له ان يتخذ عشيقة ؟

ج ـ نعم ولكن العشيقة تفقد مركزها الاجتماعي ولا ينظر لها باحترام .

س ـ وهل يفقد الرجل مركزه الاجتماعي ؟

ج ـ لا . ولكن ذلك تصرف مناف للاخلاق .

وشهد موظف بلجيكي من اصدقاء المتهمة بانها قدمت القتيل لهم على انه خطيبها وانه هز رأسه مؤيدا قولها ولكنها بعد فترة من الزمن ظهرت عليها الكآبة واخذت تتحدث عن عزمها على الانتحار .

ثم استدعى المسيو دومان الذي توسط في تسوية الخلاف على التعويض بناء على طلب القتيل فقال انه تحدث الى المتهمة في امر التعويض فاعترفت له بانها لم تعد تطيق البقاء في لاهاي وكرهت العيش مع اليابانيين وبدأت تطالب بعشرة الاف فرنك ولكنها قبلت مبلغ ثلاثة الاف .

وقالت المتهمة : لقد طلبت عشرة الاف لعلمي ان ساكورادا لا يملكها وبذلك يضطر الى الابقاء على علاقتنا ...

واستشهد الدفاع بطبيب امراض عقلية شهد بان الصرع نوع من الجنون قد يدفع المصاب به الى القتل .. قتل نفسه او قتل غيره .. وانه ينتقل بالوراثة .

وساله احد القضاة « لو انك الذى ستحكم في هذه القضية تقرر انها مسئولة او غير مسئولة ؟ فكان جوابه بعد طول تردد : لا استطيع الجزم ولكن الشك يفسر لصلحة المتهمة » (كذا) .

★★★

وترافع النائب العام مرافعة هادئة معتدلة لم يحمل فيها على المتهمة الا بقدر وتلا خطابا ارسلته له المتهمة قبل المحاكمة تتوسل اليه ان لا يثير ماضيها خلال مرافعته تقول فيه :

« انى ارتعد من ماضى . لقد بالغوا في وصف اعمال صبيانية . ان واقعة ترددى على منزل العاهرة مارتنز سيجعلهم يعتبرونني مخلوقا فاسدا مثلها . فاتوسل اليك ان تمر مرافعتي بدون ذكر ماضي حياتي من اجل خاطر اخوتي الصغار المحتاجين لبناء مستقبلهم . ان اضافة فضيحة ماضي الى فضيحة جريمتي ستجعل الناس ينظرون اليهم بعين الاحتقار ويحتقرونني . ارجو ان تقبل رجائي لأستجمع .اطراف شجاعتي اثناء المحاكمة . لقد حاولت ان اقضي على نفسي فان قبلت رجائي فاني اتقبل كل ما يحل بي « السجن والفضيحة وحتى الموت ان لزم الأمر . »

ولفت النائب العام نظر المحكمة الى ان الاعتداء على المتهمة اثناء طفولتها كان بغير عنف .. يريد ان ينفي ما قاله الطبيب من وجود عقدة لازمتها طوال حياتها . .

وترافع محاميها طويلا مستغلا فارق السن بين المتهمة والقتيل ناسبا اليه انه خدعها وانها احبته لتتزوجه ..

ثم سالها رئيس المحكمة ان كان لديها ما تضيفه للدفاع عن نفسها فقالت « انى اترك نفسي بين يديكم وارجو ان تذكروا ان وراء المذنبة امرأة تعسة هي الماثلة امامكم . »

ولم تخلف المحكمة ظنها ولم تحكم عليها الا بالحبس ثلاث سنوات ..

ليس هذا فحسب . فان القاتلة كتبت من سجنها الى ملكة هولندا التماسا قالت فيه :

« انى مجرمة يا صاحبة الجلالة ولكننى امرأة. انى التمس نظرة عطف منك لكى لا يجتزون شعرى . فليس عندى في السجن مرآة ولا ادوات زينة تذكرنى بشبابى سوى شعرى الاشقر الذى يذكرنى في ظلام السجن باننى لا ازال جميلة فيحفظ لى بعض الامل في الحياة .. »

واستجابت الملكة لهذا الطلب وطلبت ان يبقى لها شعرها الطويل .

وخرجت من السجن بشعرها الطويل المرسل على كتفيها فاحبها احد رجال الصناعة الهولنديين وانجبت له ولدين ■■

حسن الجداوي

هُوَ الحُبُّ ..



■ شُغِلْنَا بِكُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتُمُ … «كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وَصْلُ»

فِدًى لَكُمُ بَعْضِي وَكُلِّي وَإِنَّنِي … بِكُمْ لَيْسَ لِي بَعْدٌ وَمَا كَانَ لِي قَبْلُ

أَرَانِي بِكُمْ بُلِّغْتُ سُؤْلِي فَحَبَّذَا … حَيَاتِيَ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا ذَلِكَ السُّؤْلُ

وَعَيْنَاكَ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا … فَلَمْ يَبْقَ لَا لُبٌّ لَدَيْنَا وَلَا عَقْلُ

وَعَيْنَاكَ سِحْرٌ فِي فُؤَادِي وَلَا رُقًى … وَعَيْنَاكَ سَهْمٌ فِي حَشَايَ وَلَا نَبْلُ

وَصَوْتُكَ فِي رُوحِي صَدَاهُ وَخَاطِرِي … وَلَفْظُكَ عِنْدِي دُونَ لَفْظِ الوَرَى يَحْلُو

وَوَجْهُكَ أَنَّى لَاحَ يَمَّمْتُ نَاظِرِي … فَمَا بَيْنَنَا حَدٌّ وَلَا دُونَنَا سُبْلُ

أُحِبُّكَ كَيْ أَفْنَى بِحُبِّكَ فَالهَوَى … بِدَايَتُهُ سُقْمٌ وَغَايَتُهُ قَتْلُ

وَمَوْتِي بِكُمْ فِيهِ الحَيَاةُ وَإِنَّنِي … جَمِيعِي لَكُمْ بَعْضٌ وَبَعْضُكُمُ الكُلُّ

«جَرَى حُبُّكُمْ مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي … فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِكُمْ شُغْلُ»

■■

عاتكة الخزرجي

جامعة البصرة

منارة للعلم وليدة
تحيي منارة للعلم طمسها الزمان

قامت جامعة البصرة في عام ١٩٤٦ ، وبذا اعادت الجامعة الوليدة لهذه المدينة التاريخية مجدها للعروبة والاسلام . وفي الصورة مجموعة من طالبات الجامعة وطلابها في فناء الجامعة التي تضم



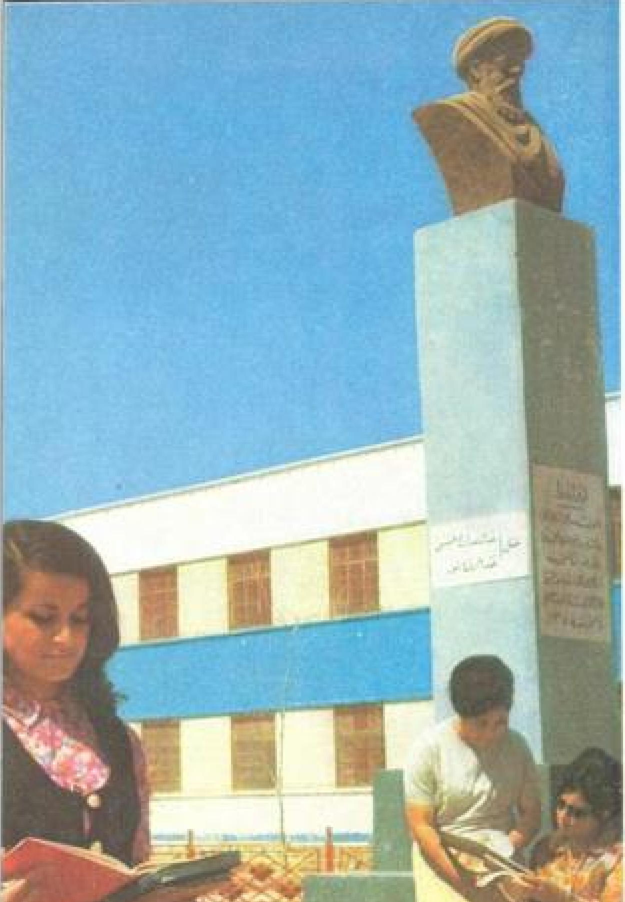
استطلاع

منير نصيف

تصوير

عبد الناصر شقرة

العلمي ، وما خلفته من تراث خالد
اليوم ما يزيد عن ٣ آلاف طالب وطالبة .



تحت تمثال تصفي الجاحظ ، وقفت
هؤلاء الطالبات يراجعن المحاضرات ،
وكأنهن يستلهمن الوحي من فكر هذا
العالم العربي الكبير الذي يطالعك
تمثاله عند مدخل الجامعة .



■ لم يكن غريبا ان تقوم جامعة في مدينة البصرة ، ولكن الغريب أن يتأخر قيام الجامعة في هذه المدينة حتى اليوم ..

فالبصرة ، وان تميزت بموقعها الجغرافي على ضفاف شط العرب ، وبما حباها الله من خير تحمله اليها مياه نهرى دجلة والفرات بعد اتصالهما معا بالقرب منها ، وبما منحه لأرضها من خصوبة ورزق ، الا أن أبرز ما يميزها هو مجدها العلمي، وما خلفته من تراث خالد للعروبة والاسلام .

ولسنا بصدد تعديد تراث الأقدمين ، ولكننا نريد فقط أن ندلل على ما كانت تتمتع به البصرة من مكانة علمية وثقافية في صدر الاسلام .. ولا بأس اذن من أن نورد بعض الأمثلة على ذلك .

فقد وضع أبى الاسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٧ هجرية اسس النحو العربى وقواعده في البصرة .

ووضع الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفي سنة ١٧٠ هجرية كتاب « العين » الذى يعتبر أول معجم في اللغة العربية ، في البصرة ..

ووضع الجاحظ المتوفي سنة ٢٢٥ هجرية كتابي الحيوان والبخلاء وغيرها من مؤلفاته وكتبه في البصرة ..

ونبغ الحسن بن الهيثم المتوفي سنة ٤٣٠ هجرية في علم الرياضيات والبصريات في البصرة ..

وألف اخوان الصفا رسائلهم المعروفة في الفلسفة وانواع العلوم في البصرة ..

لا نريد أن نطيل الحديث عن فضل هذه البلدة على العلم ، وفضل أبنائها عليها ، ولكنها مقدمة عن تاريخ البصرة القديم ، كان لا بد لنا ان نعود اليها ونحن بصدد الحديث عن هذه المنارة الجديدة للعلم التى قامت فوق ارض العلم .

قصة قيام الجامعة

ترى كيف قامت الجامعة ومتى قامت ، وما هى قصة مولدها ؟

لقد ظلت فكرة تأسيس جامعة البصرة أملا يراود اذهان المسئولين في العراق ، وفي جامعة بغداد بصفة خاصة ، منذ سنوات بعيدة مضت ،

المعدية التى تنقل طلبة الجامعة بالمجان من الضفة الغربية لشط العرب ، الى ضفته الشرقية وبالعكس . وقد أقامت ادارة الجامعة رصيفا لرسو المعدية أو المعبر ، حيث اصطفت سيارات الاوتوبيس لنقل الطلبة الى المباني الجامعية التى تبعد عن الشاطىء بحوالى ثلاثة كيلو مترات على الجانب الأيسر من الطريق الذى يربط البصرة بعربستان في ايران





في احدى الغرف الخاصة بسكن الطالبات ، انهمكت طالبتان بمراجعة دروسهما ، بينما جلست ثلاث من زميلاتهن يتبادلن حديثا خاصا عن المباراة القادمة في كرة السلة بين الفرق الجامعية .

اذ لم يكن طبيعيا أن يستمر التعليم العالي مقتصرا على العاصمة ، ووافقا على عاتق جامعة بغداد وحدها ، وأن يبقى جنوب العراق ، وخاصة مدينة البصرة ، بما لها من تاريخ أدبي وعلمي زاهر خلوا تماما من الدراسات العليا ..

ونتيجة لذلك ، فقد بدا المسئولون يقومون بسلسلة من الدراسات ، ما لبثت أن أسفرت عن انشاء جامعة ثانية في الموصل .. ولكن ما كادت الدراسة تستقر وتتسع في هذه الجامعة الجديدة حتى بدأ التفكير في انشاء الجامعة الثالثة في مدينة البصرة ، وراح المسئولون يتحينون الفرص لانجاز هذا المشروع الجديد ..

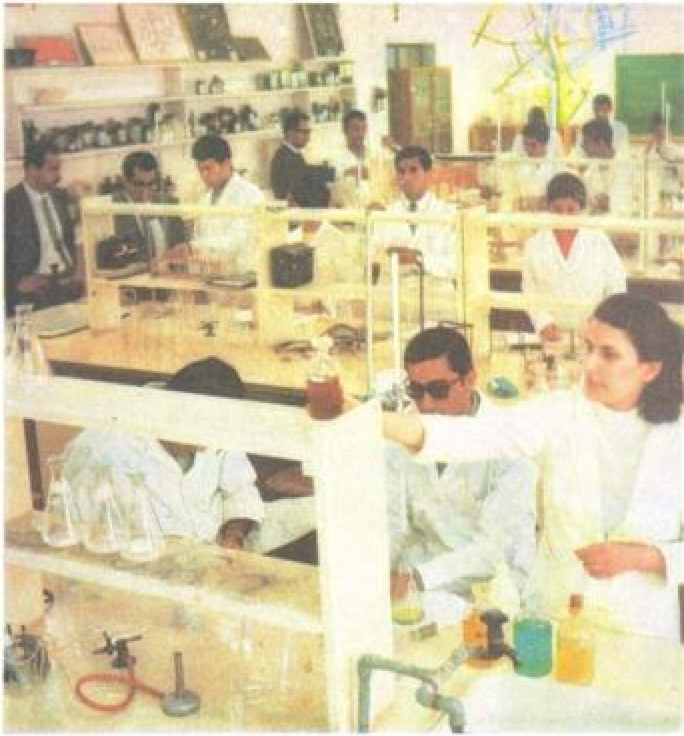
النواة الأولى

وقد لاحت الفرصة اخيرا عندما أعلنت جمعية الاقتصاديين فرع البصرة رغبتها في انشاء كلية مسائية للتجارة .. وما أن تقدمت الجمعية بطلبها هذا الى رئاسة جامعة بغداد ، حتى وجدت منهم كل تأييد وتشجيع ومساندة ..

وفي خلال أسابيع قليلة كانت الكلية الجديدة قد خرجت الى حيز الوجود ، وكان ذلك في عام ١٩٦٣ ..

وهكذا كانت هذه الكلية هي النواة الأولى لجامعة البصرة .. فقد أعقب قيامها

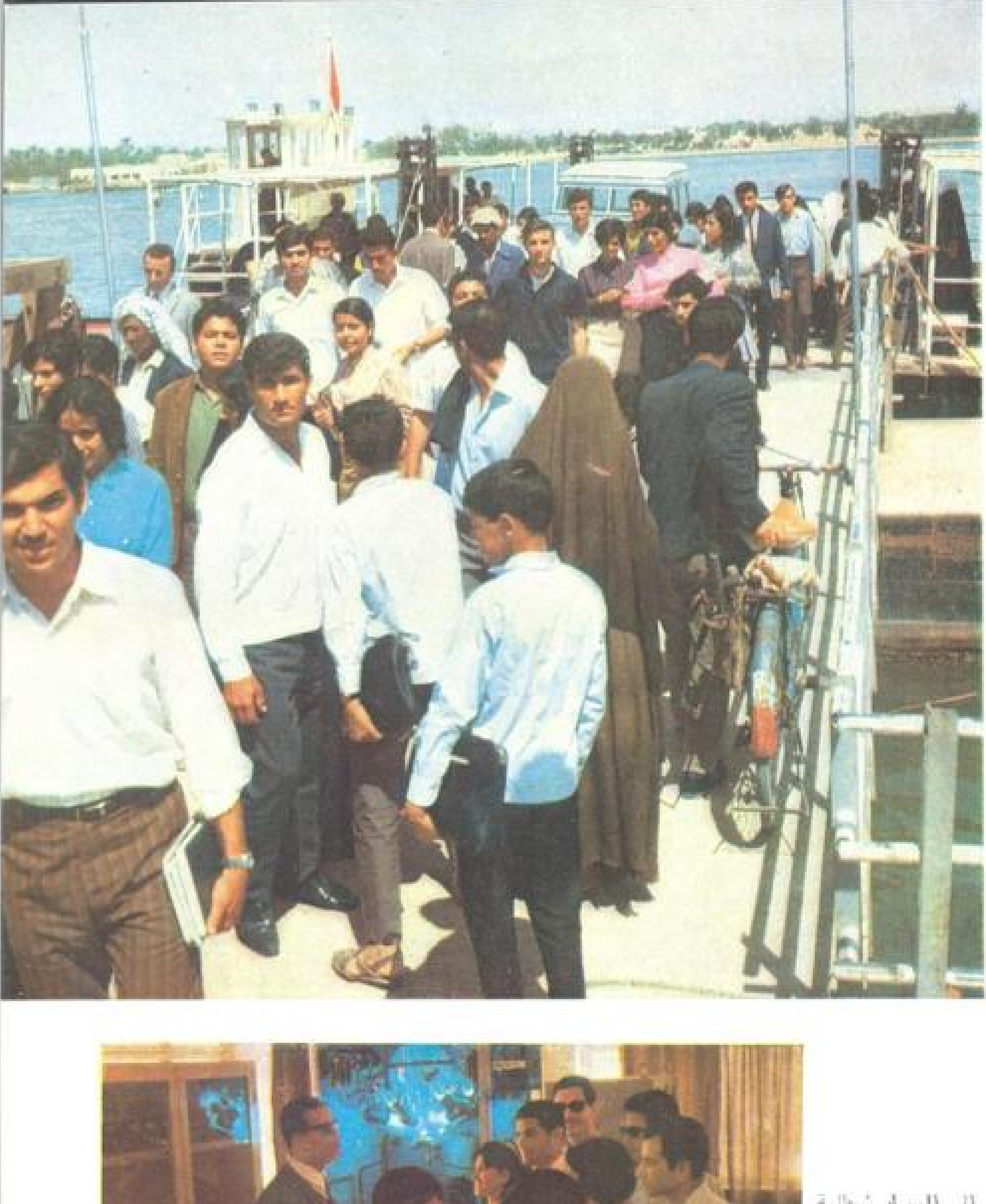
الى اليسار : المعبر أو المعدية ، وهي وسيلة الانتقال من الضفة الغربية لنهر شط العرب ، حيث تقع مدينة البصرة ، الى الضفة الشرقية حيث قامت الجامعة ، وهناك معبران يسيران بين شفتي النهر طوال ساعات الليل والنهار ، ويستخدمهما طلبة الجامعة في ذهابهم الى كلياتهم والعودة منها الى بيوتهم .



مع انابيب الاختبار والاواني الزجاجية والرسوم والاحماض ، وتقف الطلبة في المعمل يدور عليهم استاذ الكيمياء الحيوية ، بينما ظهرت في مقدمة الصورة احدى المعيدات تعاون طالبا في شرح ما غمض عليه من معلومات .

طلبة كلية الهندسة امام ماكينات الخراطة الحديثة في الورش التابعة لقسم الهندسة الميكانيكية بجامعة البصرة ... وتضم كلية الهندسة ثلاثة اقسام ، الهندسة المدنية ، والهندسة الميكانيكية ، والهندسة الكهربائية .





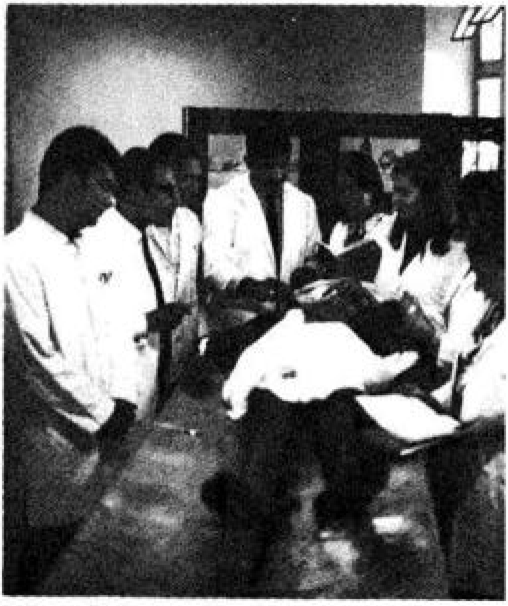


الى اليسار : طلبة وطالبات قسم الهندسة الكهربائية يستمعون الى محاضرة عملية يلقيها عليهم احد الاساتذة المصريين المعارين لجامعة البصرة .

مباشرة انشاء كلية أخرى مسائية أيضا للحقوق ، على اثر طلب تقدمت به جمعية الخريجين للدراسات العليا في البصرة ، بعد ما رأوا من أمر انشاء كلية التجارة واقبال العديد من الموظفين والطلبة الحاصلين على الشهادة الثانوية ، على الانضمام اليها والانتظام في دراساتها .

مشروع جامعة البصرة

الى أن كان صيف عام ١٩٦٤ ، عندما أشار المغفور له عبد السلام محمد عارف ، رئيس الجمهورية العراقية الراحل، بوضع مشروع جامعة البصرة موضع التنفيذ . وعلى الاثر بدأت مرحلة التنفيذ ، حيث قام رئيس جامعة بغداد الدكتور عبد العزيز الدوري ، وبعض أساتذة الجامعة بعدة زيارات للبصرة تفقدوا فيها الامكانيات المتوفرة



طلبة وطالبات كلية الطب بجامعة البصرة أثناء محاضرة عملية في علم التشريح وقد وقفوا حول جثة رجل حديث الوفاة ، يراقبون أستاذهم وهو يعمل فيها بمشرطه .

لاقامة الجامعة ، ثم ما لبثوا بعد ذلك أن عادوا الى بغداد ليحولوا الامل الى حقيقة واقعة ..

وقبل أن ينتهي صيف عام ١٩٦٤ ، جاء الى البصرة بعض موظفي جامعة بغداد ، لاتمام اعداد المباني والمنشآت التي وقع عليها الاختيار وتوفير الاحتياجات للعام الدراسي الجديد ..

وهكذا قامت جامعة البصرة في ثلاثة مبان خصص أحدها للدراسات النظرية والثاني للدراسات العلمية بينما خصص المبنى الاخير لسكنى الطلبة ، واقيمت ثماني دور صغيرة في الحرم الجامعي لسكن أعضاء هيئة التدريس .

٣ آلاف طالب

وتحققت الأمنية أخيرا ، وظل الاقبال على كليات الجامعة في تزايد مستمر ، حتى أصبحت تضم اليوم ما يزيد على الثلاثة آلاف طالب وطالبة موزعين على كلياتها أو هيئاتها الست كما يسمونها هناك ، وهي هيئة الانسانيات وهيئة العلوم وهيئة القانون والاقتصاد وهيئة الطب وهيئة الهندسة وكلية التربية .

قصدنا اليها لنرى ما حققته هذه الجامعة الوليدة خلال سنوات عمرها التي لا تزيد على الست سنوات ..

المباني الجامعية

وعلى الضفة الغربية لشط العرب ، وقفنا ننتظر وصول المعدية أو المعبر التي ستقلنا الى الضفة الشرقية للنهر حيث تقع الجامعة .. فقد شيدت المنشآت الجامعية على الجانب الايسر من الطريق الذي يربط مدينة البصرة بعربستان في ايران على الضفة الشرقية المواجهة لمنطقة العشار (انظر استطلاع البصرة العدد رقم ١٤٠) وتبعد المباني الجامعية بحوالي ثلاثة كيلومترات عن النهر ، الذي أقامت الجامعة عليه رصيفا يرسو عنده معبران كبيران أطلقت عليهما اسم البحارين العربيين الشهيرين ابن فضل



بعض طلبة الجامعة أمام قسم الاعارة باحدى المكتبات العامة ، يقومون باستعارة بعض الكتب والمراجع . وما على المستعير الا أن يبرز بطاقة تحقيق شخصيته فيحصل على ما يريد من كتب . أما المكتبة المركزية التابعة للجامعة ، فهى تشغل حاليا الطابق الارضى باحدى البنايات الكبيرة بالجامعة ، وهو مقر مؤقت الى أن يعد لها بناؤها المستقل القريب . كما يوجد بالجامعة أيضا مكتبة أخرى خاصة بكلية القانون والاقتصاد تحوى أكثر من ثلاثة آلاف كتاب في العلوم القانونية والاقتصادية . وتتبع هذه المكتبات كلها النظام العشرى في تصنيف الكتب وتحديد موضوعاتها .

النجدى وابن ماجد،ويستخدمهما الطلبة والطالبات في عبور النهر جيئة وذهابا بالمجان .

وقد خصصت ادارة الجامعة بعد ذلك سيارات خاصة بها لنقل الطلبة من رصيف المعير الى الجامعة .. وتعمل هذه السيارات على الطريق الممتد من الشاطىء الى المبانى الجامعية وبالعكس، طوال ساعات الدوام .

وتقدر مساحة الحرم الجامعى حاليا بما في ذلك دور الأساتذة وأبنية الهيئات العلمية بحوالى ٢٠٠ الف متر مربع من أصل مليون وعشرة آلاف متر مربع خصصت للمشاريع الانشائية طبقـــا للحاجة اليها في المستقبل .

مبانى الادارة العامة

وقد وقع الاختيار بالفعل على منطقة اخرى في « الكرمة » ، لاقامة مبانى الادارة العامة ومعظم الهيئات والمرافق الاخرى التابعة لهـــا . وبدأ المسئولون في القيام بالاعمال التمهيدية ورسم التصميمات للمدينة الجامعيـــة الجديدة التى سيتكلف بناؤها حوالى ١٥ مليون دينار عراقى ؛ تصرف على مراحل ، وسيبلغ عدد الطلبة الذين ستستوعبهم الجامعة الجديدة عشرة آلاف طالب وطالبة .

اما المبانى الحالية للجامعة ، فســـوف تؤلف



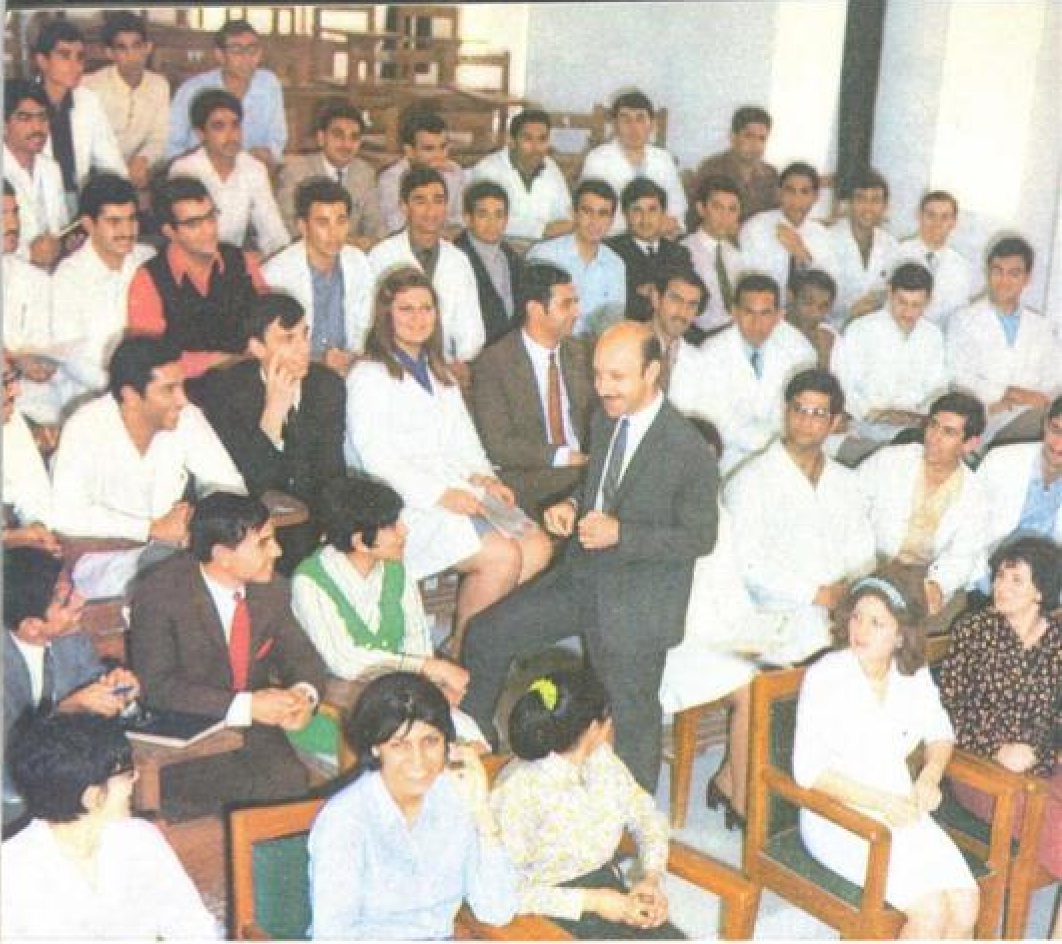


معيد بكلية الطب ، بجامعة البصرة ، يشرح لمجموعة من الطلبة والطالبات مراحل نمو الجنين على نماذج من الجبس **(الى اليمين)** ، وقد تأسست كلية الطب في عام ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ في المستشفى الجمهوري بالبصرة ، لرفع المستوى الصحي والوقائي للمواطنين . ويقع المستشفى الجامعي على الضفة الغربية لشط العرب . ويجري العمل الآن لانشاء مستشفى حديث ستنتقل اليه هيئة الطب بعد سنوات ثلاث .

وفي الصورة **(الى اليسار)** طلبة كلية الطب وطالباتها يناقشون استاذهم في محاضرة نظرية يلقيها عليهم في احدى القاعات المخصصة للمحاضرات.

تحت : سامي المظفر ، استاذ الكيمياء الحيوية بكلية العلوم مع زوجته وطفله الصغير في البيت .. ان زوجته ايضا تعمل مشرفة اجتماعية في مساكن الطالبات المغتربات بعد تخرجها من الجامعة وهي تمثل المرأة البصرية الحديثة التي خرجت لتعمل وتعاون زوجها في تحمل اعباء الحياة





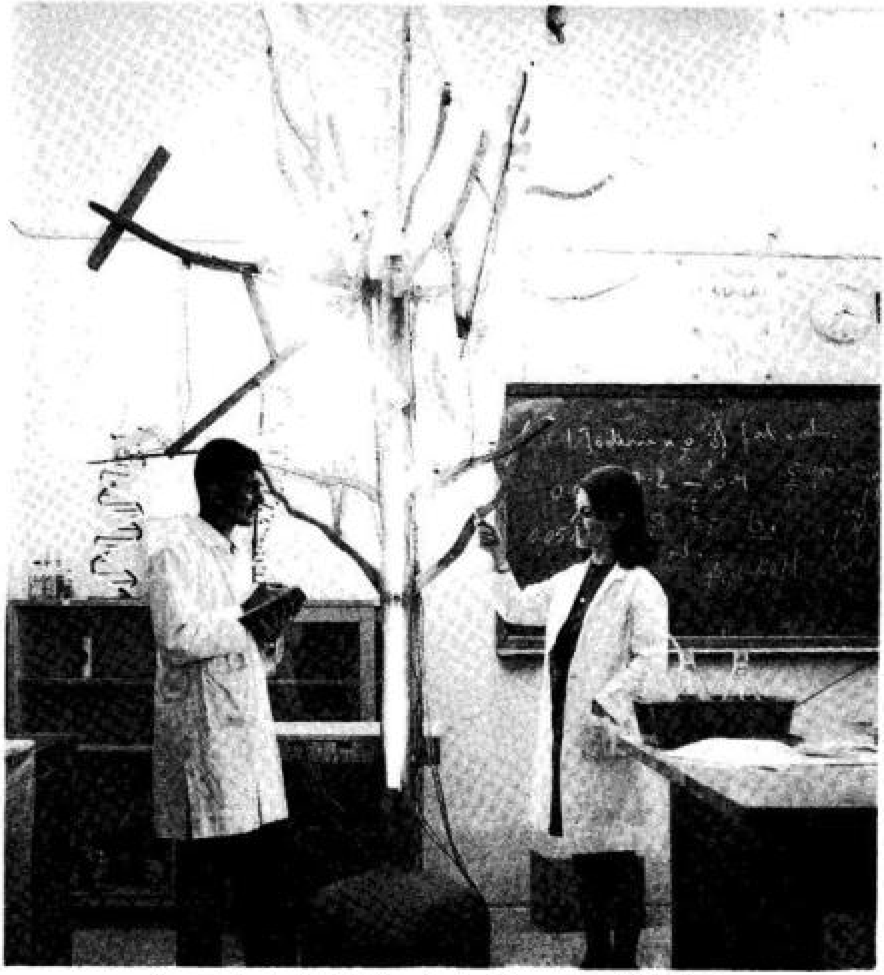


في النادى الخاص باعضاء هيئة التدريس بالجامعة وهو ناد اجتماعي ورياضي معا جلس الاساتذة مع افراد اسرهم يقضون الأمسيات الهادئة في مشاهدة برامج التلفاز ، وتناول طعام العشاء .. والحديث في مشاكل الطلبة والتدريس .

احدى المجموعات الثلاث لمشروع مباني جامعة البصرة الجديدة .

اما المجموعة الثانية فستكون لهيئة الطب بجوار المستشفى التعليمي في الشرازبة او «الخور» بمدينة البصرة نفسها وقد خصصت لها مساحة من الارض تزيد على ٢٨ الف متر مربع ، وسوف تتسع لالف طالب وطالبة . وقد تم التعاقد بالفعل مع شركة النصر للمقاولات في الجمهورية العربية المتحدة على بناء المستشفى التعليمي الجديد على مقربة من المستشفى الجمهوري القديم الذى تشغله هيئة الطب في الوقت الحاضر .. ويبلغ تكاليف هذا المشروع ثلاثة ملايين دينار عراقي .

وتضم هيئة الطب في الوقت الحاضر ٢٢٠ طالبا وطالبة ، بينهم ٧٠ طالبة ، و٢٥٪ من مجموع



معيدة بكلية العلوم (قسم الكيمياء الحيوية) امام نموذج كهربي يوضح العمليات الكيماوية التى تتم في هيموجلوبين الدم Haemoglobin تشرح لاحد الطلبة هذه العملية الكيماوية في المعمل الخاص بكلية العلوم .



منظر خارجي لاحدى المكتبات العامة في البصرة ، تلك التى قامت لتعاون طلبة الجامعة على البحث والدرس والتحصيل ، حتى يتم بناء المكتبة الجامعية .

عدد الطلبة والطالبات ينتمون الى الدول العربية الشقيقة ..

الطلبة غير العراقيين

اما بالنسبة لقبول الطلبة غير العراقيين ، فلا يشترط للمتقدم الى جامعة البصرة ، الا أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة (الثانوية) (وهم يسمونها الاعدادية) أو ما يعادلها بتصديق من وزارة التربية العراقية ، على أن يكون مستوى الطالب العلمى يؤهله للدراسة الجامعية ..

ويطبق على الطلبة العراقيين ما يطبق على الطلبة غير العراقيين من شروط القبول وأسس المفاضلة ، مع مراعاة عدد المقاعد المحددة لكل قطر من الاقطار في هيئات الجامعة وكلياتها . ولو أن الافضلية دائما للطلبة القادمين من أقطار الجنوب والخليج العربى باعتبار انه ليس عندهم جامعة خاصة بهم .

مساكن الطلبة المغتربين

ولهؤلاء الطلبة والطالبات المغتربين مساكن خاصة يقيمون فيها بالمجان ، ويمنح كل واحد منهم مبلغ سبعة دنانير عراقية ونصف دينار ، مقابل طعامه طوال الشهر ، أو بمعدل ربع دينار للوجبات الثلاث يوميا ، وهو ما يدفعه الطالب بالفعل ثمنا للافطار والغداء والعشاء الذى يقدمه المطبخ الخاص بهم في مساكنهم الجامعية .

هذه لمحة سريعة عن جامعة البصرة الوليدة تلك التى حاولت منذ قيامها أن تلتقى بشقيقاتها الجامعات العربية الاخرى في معظم المناهج التعليمية ولو انها لم تنس في الوقت نفسه أن تجعل للدراسة فيها طابعا خاصا يتمشى مع البيئة والمجتمع الذى وجدت فيه .

عصر العلم والتكنية

قال لنا الأستاذ الدكتور سامى المظفر أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية العلوم : « لقد نشأت جامعة البصرة في منطقة احوج ما تكون الى المزيد من الدراسات الجيولوجية للتنقيب عن المعادن الكامنة في طبقات أرضها ، والى المزيد من البحوث



لاحيائها المائية في انهار دجلة والفرات وشـط العرب ، ثم الاهوار والخليج العربي ، واخيرا الى المزيد من الدراسات للنخيل سيد الشجر ، والاساليب العلمية الحديثة لانمائه وتصنيع ثماره وتسويقها ..

« ومن اجل ذلك اهتمت الجامعة بالبحوث والدراسات التى تتصل اتصالا مباشرا بتنمية الثروات الكامنة في بطن الارض وفي مياهها » .

واختتم الدكتور المظفر حديثه بقوله :

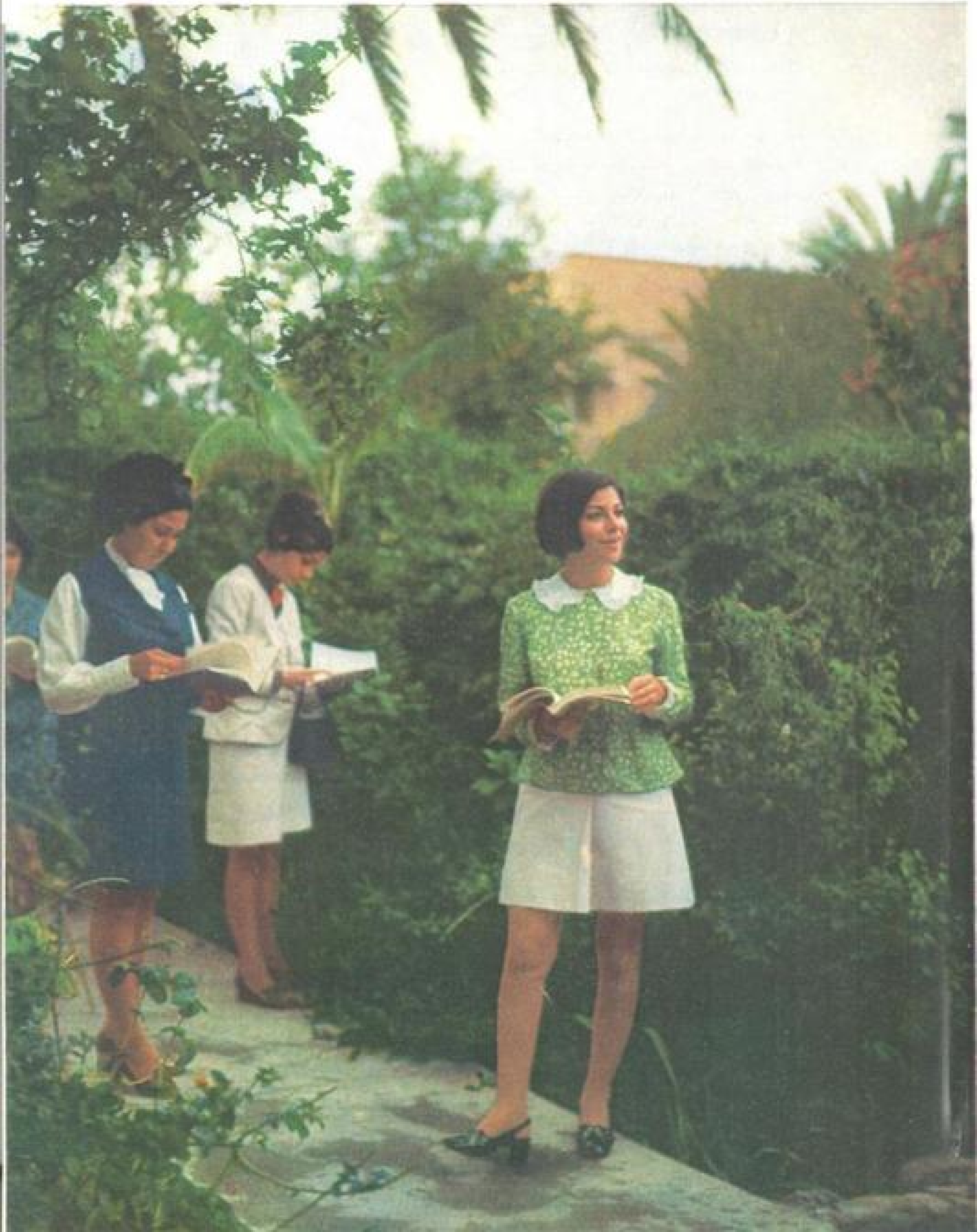
« اننا نعيش في عصر العلم والتكنية ، وكل دولة تريد أن تاخذ بأسباب التقدم ، لا بد لها من أن تواكب هذا العصر الذى سجل فيه الانسان أعظم نصر عرفته البشرية .. الا وهو غزو الفضاء وسبر أغواره اللانهائية ! »

م . ن

صورة من صور الانجازات التى حققها العمل الشعبي والتى يساهم فيها الشعب بكل فئاته .. وهى الطريق يبلغ طوله اربعة كيلو مترات ، ساهم طلبة الجامعة في رصفه في أوقات فراغهم مع بقية اخوانهم من ابناء البصرة .. ولم يستغرق تمهيد الطريق ورصفه اكثر من ثلاثة أشهر .



مجموعة من الطالبات المغتربات اللواتي يسكن في المساكن الجامعية المخصصة لهن ، وقد جئن من بعض امارات الخليج والاردن وسوريا ومدن اخرى في العراق ، وقد التقفن حول المشرفة الاجتماعية **(الى اليمين)** وتقيم الطالبات في هذا المسكن بالمجان ، وتمنح كل واحدة منهن سبعة دنانير ونصف دينار شهريا مقابل طعامها طوال الشهر . وهناك مساكن خاصة بالطلبة المغتربين ايضا . اما الصورة التي **الى اسفل** ، فهي لمجموعة من الطالبات يستذكرن دروسهن في حديقة السكن الخاص بهن .



بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الحديث
حديث رسول الله

● في العدد ١٤٢ وفي باب طرائف عربية (ص ١٧٠) اوردتم حديثا نبويا ونسبتم ذلك الحديث الى على بن ابي طالب رضي الله عنه . والحديث المذكور من الاحاديث النبوية الثابتة وقد ورد في صحيح مسلم (وغيره) وهذا نصه :

« حدثنا قتيبة بن سعيد وابو كامل الجحدرى كلاهما عن ابى عوانة ، قال قتيبة حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن انس عن ابى موسى الاشعرى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

يراجع في ذلك الجزء السادس صفحة ٨٣ من كتاب صحيح مسلم بشرح النودى طبعه المطبعة المصرية سنة ١٩٢٩ .

لذا نرجو التصحيح ..

ابراهيم على سالم — القاهرة

تنويه

● اشكركم على نشر مقالي « الكلمة القرآنية وسر الاعجاز فيها » والعناية في اخراجه ، ويبدو انني اخطات او نسيت أن أستقبل في آخر المقال بيان لقبي العلمي الى جانب اسمي ، وعملي مدرسا في كلية الشريعة والآداب من جامعة دمشق .. اكون شاكرا لو تفضلتم بالتنويه الى ذلك .

د. محمد سعيد رمضان البوطي

((الكاهنة)) ..
لها تاريخ معروف

● جاء في مقال « الكاهنة » لسنية قراعة ان اسم هذه الكاهنة لم يعرف ابدا وان التاريخ لم يتعرض لهذه الشخصية الغامضة الا في سطور قلائل .. الخ .

والحقيقة خلاف ذلك . واكتفى هنا بالاشارة الى ما طالعته في كتاب وضعته الحكومة في تونس لتعليم الكهول، وبالضبط في الجزء الثانى من ذاك الكتاب ، وفي الصفحة (١٥) ، ان الكاهنة المشار اليها امرأة بربرية من جبال أوراس تزعمت البربر في عهد الفتح الاسلامى وان اسمها الحقيقى هو داهية بنت ماتى ، وقد اطلق العرب عليها اسم الكاهنة لانها كانت على جانب من الدهاء والفطنة .

ولما جاء العرب لفتح البلاد لم تعترض الكاهنة طريقهم ، وأرادت أن تضرب عصفورين بحجر ، وتخلص البلاد من الرومان والعرب في آن واحد.

تركت الكاهنة العرب يتقدمون بقيادة حسان ابن النعمان حتى لقوا الرومان قرب مدينة قرطاجنة ، ودارت بينهما حرب كان النصر فيها للمسلمين .

عند ذلك هجمت الكاهنة على حسان ، وشددت على جنده ، وقتلت منهم العدد الكبير فاضطروا الى الرجوع الى طرابلس .

ظنت الكاهنة أن العرب قدموا طمعا في خيرات البلاد ورغبة في استغلالها ، فخربت البلاد وأحرقت الأشجار ودمرت الآبار والصهاريج وافسدت كل شيء حتى لا يعود العرب ولكى تبقى البلاد حرة . ولكن عاد حسان مرة اخرى بجيش قوى لفتح البلاد، وانضم الى جنده عدد كبير من البربر بعد ان اسلموا .

لم تستسلم الكاهنة للعرب ، وتصدت لهم بمن بقى معها من البربر لمقاومتهم ، ولكنها لم تستطع الصمود طويلا ، فامرت ولديها بالدخول في الدين الاسلامى ، واخذت تتراجع الى ان قتلت سنة ٨٤ هجرية .

محمد الطرابلسي — قرطاج الياسمينة
تونس



اليهود في البلدان العربية

• اليهود في ظل الحكم العربي القديم

• اليهود اليوم عيون إسرائيل بين العرب

تأليف : الدكتور يعقوب خوري

وعرض له بقلم : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب صدر عن « دار النهار » ببيروت خلال العام الفائت ١٩٧٠ ، ومؤلفه الدكتور يعقوب خورى ، فلسطينى مقيم فى القاهرة ، وهو احد كبار موظفى جامعة الدول العربية . والفكـــرة الرئيسية التى يسعى المؤلف الى بلورتها في كتابه، هى : الكشف عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هجرة اليهود من البلاد العربية الى اسرائيل ، وفضح الدعاية الصهيونية التى تسيء الى العرب باتهامهم بانهم يضطهدون اليهود في بلادهم. والمؤلف لا يلقى الكلام القاء دون تحديد ، ولكنه يدعمه بالوثائق والارقام .

والكتاب في : تمهيد ، واربعة فصول هي : اسرائيل والمجتمع اليهودى في البلدان العربية ، دوافع هجرة اليهود من البلدان العربية ، ربط قضية اللاجئين بيهود البلدان العربية ، اضواء على الموقف . وفي الكتاب ايضا تسعة عشر ملحقا ، كلها هام ومفيد ، منها : قرار مجلس الامن بتاريخ ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ بشان التحقيق في المعاملة السيئة التى يلقاها العرب في الارض المحتلة، ورسالة الرئيس جون كنيدى الى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١١ مايو (ايار) ١٩٦١ ، ورد الرئيس جمال عبد الناصر عليها ، ووثيقة اعلان استقلال دولة اسرائيل في ١٤ مايو (ايار)

١٩٤٨ ، وقانون الصورة الاسرائيلى لسنة ١٩٥٠ وقانون الجنسية الاسرائيلية لسنة ١٩٥٢ .

اسرائيل والمجتمع اليهودى فى البلدان العربية

عندما صدر قرار مجلس الأمن في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ الذى يطلب فيه من السكرتير العام للأمم المتحدة ايفاد مندوب عنه للتحقيق في المعاملة السيئة التى يلقاها سكان المناطق العربية التى احتلتها اسرائيل فى حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، رفضت اسرائيل السماح لمندوب السكرتير العام بالدخول الى الاراضى العربية التى تحتلها الا اذا ارسل السكرتير العام مندوبا آخر للتحقيق في أوضاع اليهود في البلاد العربية . ثم أخذت اسرائيل ، والأجهزة الصهيونية ، في تضليل العالم بشنها حملة مسعورة تدعى فيها أن البلاد العربية تضطهد اليهود فيها . وموقف اسرائيل هذا مرفوض ، في رأيى دوليا وقانونيا ، لان اليهود في البلاد العربية مواطنون في هذه البلاد كغيرهم من المواطنين الذين يعتنقون ديانات أخرى ، أما العرب في المناطق المحتلة فهم ليسوا مواطنين اسرائيليين ، وانما هم عرب يعيشون في وطنهم ، في ظل ظروف شاذة . وقد أصبح من المعروف أن اسرائيل تلجأ دوما للادعاء بأن اليهود مضطهدون في البلاد العربية والدول الاشتراكية ، وهدفها من هذا تشويه سمعة هذه البلاد فى نظر العالم ، والضغط على اليهود من أجل أن يهاجروا الى اسرائيل .

ونحن نستطيع أن نرد هذا الادعاء الصهيونى من ناحيتين : تاريخيا ، وحاليا . وبهذا نثبت أن العرب لم يضطهدوا اليهود ، لا في الماضى ولا في الحاضر ، بل عكس هذا هو الصحيح ، اذ نعم اليهود فى البلاد العربية بالأمان ، والاستقرار ، وتسنم المناصب الرفيعة .

اليهود في ظل الحكم العربى فى الماضى

وهذا موضوع يمكن أن تؤلف فيه الاسفار ، لبيان المكانة الممتازة التى حظى بها اليهود فى ظل العرب ، ولكن يكفى هنا أن نشير اشارة سريعة ، ولكنها كافية ، للتدليل على هذه الحقيقة . ومثال ذلك أن اليهود تقلدوا المناصب العالية في الاندلس ، ومارسوا التجارة بحرية ، وشاركوا في الحياة الثقافية : فاستوزر عبد الرحمن الناصر والحكم الثانى الطبيب حسداى بن شبروط (٩٤٥ - ٩٧٠م) ، واستوزر الأمير حبوس في غرناطة الاديب صموئيل بن نجد له (١٠٢٤ م) . وكان اليهود مضطهدين تحت حكم القوط . ومعاملة العرب الممتازة لليهود جعلتهم يقبلون على دراسة اللغة العربية والتراث العربى ، وهذه المعاملة الممتازة هى التى جعلتهم ينبغون في ميادين العلم والمعرفة من امثال : ابن جبيرول (١٠٢١ - ١٠٥٨ م) ، وموسى بن ميمون (١٢٠٤ م) ، ويوسف بن حسداى واضع الشرح على كتاب ابقراط بعنوان « شرح الفصول » ، ويوسف قمحى مترجم « الرشد الى واجبات القلب » وابراهيم بن حسداى مترجم « كتاب التفاحة » ، ويهوذا الحريرى مترجم « كتاب السياسة » لارسطو ..

وعندما خرج العرب من الأندلس ، تعرض اليهود لاضطهاد شديد ، ثم طردوا منها ، فالتجأوا الى العرب في شمال افريقية وشرق البحر المتوسط ..

وهكذا نرى ان العرب لم يكونوا في يوم من الايام يفرقون بين المواطنين بسبب جنس او دين ، كما انهم كانوا يفتحون صدورهم للوافدين عليهم ، والمحتمين بهم .

اليهود فى البلاد العربية

ولا يختلف الأمر فى الحاضر عنه في الماضي : فقد عمل اليهود في البلاد العربية في جميع ميادين الحياة ، وفتحت أمامهم الابواب على مصاريعها ، وجمعوا الثروات الضخمة ، وكان منهم الوزراء أيضا مثل يوسف قطاوى في مصر ، والدكتور بنزاكين في المغرب ، واندريه بسيس واندريه باروخ في تونس . وكان منهم ثلاثة في المجلس التأسيسي بعد الحكم الذاتى في الجمهورية التونسية . ولا يختلف الحال في البلاد العربية الأخرى ، بالنسبة لليهود ، عنه في مصر والمغرب وتونس .

ولكن اليهود ، رغم هذه المعاملة الممتازة ، سخروا انفسهم لخدمة أطماع الصهيونية التى تعمل ضد مصلحة البلاد التى فتحت لهم صدرها . ويذكر الصحفى اليهودى الامريكى حاييم شونكى في محاضرة نقلتها جريدة «عال همشمار» الاسرائيلية

(تاريخ ١٩٦٣/٥/١٢) انه زار البلاد العربية،وقابل في بيروت مدرسا يهوديا ، فسأله : هل يتعلم الطلبة اليهود في مدرستهفي بيروت نشيد الهاتكفاه، نشيد اسرائيل الرسمي ؟ فاجابه المدرس : «انهم لا يتعلمونه كشعر او نشيد فحسب ، بل نحن نلقنه لهم كصلاة يرددونها كل صباح » !!

ويأخذ مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده مصر كمثال لبيان كيف ان اليهود فيها قابلوا احسانها بالتآمر ضدها ، وما يصدق عليها يصدق على غيرها من البلاد العربية . لقد عاش اليهود في مصر الحديثة عصرا ذهبيا نعموا فيه بالحرية ، والرعاية ، والثراء . ولكنهم اساؤوا الى الشعب الذى احتضنهم حين شاركوا في نشاط الصهيونية، وسلكوا السبل الملتوية لانعاش مشروعاتهم ، وللسيطرة على اقتصاد البلاد . وقد اشار الى هذا الاقتصادى المصرى الكبير طلعت حرب ، مؤسس بنك مصر في كتابه «علاج مصر الاقتصادى» (١٩١١) ، فهو يقول : « ان الاهالي (المصريين) كانوا على حالة من البساطة في المعاملة لا يدخل بينهم اجنبي ، يقرضون بعضهم بلا كمبيالات او صكوك ، وكانت حياتهم قانعة لا بذخ فيها ولا اسراف . وقد فكر بعض الماليين الاجانب ، في عام ١٨٨٠ ، في تأسيس بنوك رهون عقارية منظمة ، وقام بالفعل بنكان من هذا النوع ، الاول برأسمال فرنسي وخاضع للقوانين المصرية وهو « البنك العقارى المصرى » ، اسسه ثلاثة من كبار المرابين اليهود المقيمين في مصر ، وهم : سوارس ، ورولو ، وقطاوى ، بالاتفاق مع ثلاثة من اكبر بنوك فرنسا هي : بنوك الكريدى ليونيه ، وسوسيتيه جنرال ، والكونتوار ناسيونال دي سكولت . وقد امتد نشاط هذا البنك الى الاهالي بشكل مخيف ، فبلغت قيمة السلفيات التى اجراها منذ انشائه حتى شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٠ نحوا من ٢٥ر٥ مليون جنيه تحت رهن ٢٣٤ر١٥١ر١ فدانا ، اى يرتهن حوالي ثلث المساحة المزروعة في مصر كلها . وبلغت ارباح هذا البنك عام ١٩١٠ فقط ، مبلغ ٣٣١ر٦٥٥ر١ جنيها ، منها ٥٩٢ر١٥٥ر١ من حصيلة فوائد السلفيات وحدها » .

ويذكر طلعت حرب ان عدد الملاك الوطنيين في عام ١٩١٠ كان ٣٨٦ر٢٨٤ر١ مالكا يمتلكون ٥٥٩ر٢٤٣ر٤ فدانا ، منهم ٨٧٩ر٧٨٠ مالكا لاقل من فدان ، و ٣٦٨ ر٤٦٢ يمتلكون اقل من خمسة افدنة . وكان عدد الملاك الاجانب ٧٥٧٨ يمتلكون ٢٣٠ر٧٢٠فدانا ، منهم ١٦٥١ يمتلكون ٩١٧ر٦٧٥ فدانا بمتوسط قدره ٤٣٣ فدانا . وبلغت قيمة الدين العام بفوائده المختلفة في آخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٠ . ٢٠٠ر٧٧٢ر٩٤ .

وقد انشا اليهود العديد من المدارس ، والمؤسسات ، والجمعيات ، والهيئات . واصدروا الصحف والمجلات التي كانت تدعو لآراء الحركة الصهيونية ، ومنها : صحيفة « الرسول الصهيونية » ومجلة « مصر الاسرائيلية » ومجلة « الشمس والمنبر اليهودى » . وقد اثبت مصرع اللورد ولتر موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة بتاريخ ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ ، مدى تعاون يهود مصر مع غلاة الصهيونية وعصابة شتيرن الارهابية .

وعلى الرغم من كل هذا فان عدوان عام ١٩٤٨ ، واعلان قيام دولة اسرائيل ، واحتلال الاراضي العربية ، لم تؤثر على اوضاع اليهود في مصر . كما كفلت ثورة عام ١٩٥٢ المساواة لجميع المواطنين دون تمييز بينهم على اساس الجنس ، او الدين . ولكن يهود مصر ردوا على المعاملة الممتازة بالاساءة البالغة : فاكتشفت خلايا التجسس الخطرة ، حيث كان يهود من مصر يسافرون الى اوروبا ، ومنها الى الارض المحتلة ، وهناك يدربون على التجسس على الدولة التى رعتهم . ويكفي ان نشير هنا الى تلك القضية التى عرفت في تاريخ التجسس باسم قضية لافون .

قضية لافون

ولافون هو اسم وزير الدفاع الاسرائيلي في وزارة شاريت ، وهذه القضية تكشف عن الاساليب الاجرامية التي تلجا اليها المخابرات الاسرائيلية من اجل تحقيق اهدافها ، وتفضح ايضا ادعاء اسرائيل بان الدول العربية تضطهد اليهود فيها ، اذ الواقع ان اليهود في البلاد العربية عيون لاسرائيل ، ويعكفون فيها على القيام باعمال ضارة بمصالح البلاد التى اتاحت لهم الحياة الرخية ، والاثراء الفاحش .

ان قضية لافون ، كما اوردها المؤلف ، لاتكشف عن الدور الذى قام به يهود مصر . ولذلك فنحن نحيل القارىء على كتاب جديد بعنوان « عين تل

ابيب » ، صدر عن دار العودة ببيروت ، ومؤلفه هو ستيف اتيان . وقد ترجمه مطاع صفدى ، والترجمة سيئة سوءاً ليس من بعده سوء .

وتمتد جذور هذه القضية الى عام ١٩٥٤ ، وهو عام وجدت اسرائيل نفسها فيه في وضع سيء : فقد تزايدت هجمات الفدائيين على قوات الاحتلال ، حتى انهم وصلوا الى مشارف تل ابيب ، وكان مركزهم قطاع غزة . وكانت الجيوش البريطانية على وشك ان تخلي قواعدها في منطقة القناة ، وهي جيوش كانت ترى اسرائيل في بقائها حماية لها .

هنا نشطت المخابرات الاسرائيلية ، وخططت من اجل القيام بعمليات نسف وتدمير في المنشآت والمؤسسات البريطانية والامريكية في مصر ، بقصد اساءة العلاقات بين مصر ، وبريطانيا وامريكا . وكان اربعة من يهود مصر هم اداة المخابرات الاسرائيلية في تنفيذ هذه الجرائم : وهم فيكتورين نينو وهي فتاة جميلة في الواحدة والعشرين وكانت تعمل موظفة في شركة انجليزية في مصر الجديدة واسمها في الشفرة مارسيل . والدكتور موسى ليتو مرزوق وهو طبيب في المستشفى الاسرائيلي في القاهرة . وفيليب ناتا تسون ، مستخدم في التجارة . وماير زعفران وهو مهندس . وقد عرفت هذه المجموعة في المخابرات الاسرائيلية باسم « الوحدة ١٣١ » . وكانت هذه الشبكة تعمل مجموعتين في كل من القاهرة والاسكندرية . وكانت فيكتورين نينو هي ضابط الاتصال بين المجموعتين. وقد سافر كل افراد الشبكة الى اسرائيل ، عن طريق اوروبا ، حيث تلقوا تدريبا في حيفا اولا ثم في منزل مهجور في الحي القديم بيافا . وانضم الى الشبكة رجل مخابرات اسرائيلي ، كان يزور مصر تحت ستار انه ممثل لشركة تجارية انجليزية، اسمه جون دارلنج ، ورجل مخابرات اسرائيلي آخر اسمه ماكس بنيت اتخذ لنفسه صفة انه ممثل شركة تجارية بريطانية تصنع ادوات لمساعدة المقعدين . وقد عمل هذا الرجل الثاني قبل ذلك في العراق ، بالاسم نفسه ، والصفة نفسها .

وكانت الشبكة في مصر تتلقى التعليمات بالشفرة عن طريق برنامج « ربات البيوت » المذاع من الاذاعة الاسرائيلية ، حيث كان لاسماء الخضار والتوابل معان خاصة في الشفرة . وقد تلقى البرنامج احتجاجات كثيرة وشديدةمن عدد من ربات البيوت الاسرائيليات اللواتي حاولن تطبيق وصفات الطعام المذاعة . فاذا بهن يحصلن على خليط عجيب من مواد لايمكن اكلها .وكان افراد الشبكة يضعون المتفجرات في علب نظارات ، كما كان زعيمهم بنيت يتصل بتل ابيب بواسطة اذاعة لاسلكية صغيرة ، مخبأة في كتاب .

ولكن المخابرات المصرية كشفت هذه الشبكة ، وكانت فضيحةالمخابرات الاسرائيلية فضيحة مدوية تردد صداها في اسرائيل نفسها ، وفي العالم ، لانها كشفت عن طبيعة اسرائيل الاجرامية .

شهادة الكاتب اليهودى الفريد ليلينتال

وعلى الرغم من كل هذا فان اجهزة الاعلام الدائرة في فلك الصهيونية لم تكف عن ترديد ان اليهود مضطهدون في البلاد العربية ، وخاصة في مصر . وهنا تصدى للرد على هذه الحملةالمسعورة الكاتب اليهودى المعروف الفريد ليلينتال . فقد زار مصر ، وقابل المسؤولين فيها ، واستجوب كثيرين من اليهود . وبعد هذا عقد مؤتمرا صحفيا في ١٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٧ ، ومما قاله في هذا المؤتمر : ان المعلومات التى نشرتها مجلة « تايم » الامريكيةبتاريخ ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٦ من ان مصر قد أجبرت ٢٠,٠٠٠ يهودى فيها على مغادرتها ، غير صحيحة وما قامت به مصر من اجراءات انما قامت به لاسباب تتعلق بالامن ، وهى اجراءات تشبه ما تم اتخاذه في الولايات المتحدة الامريكية عندما هوجم ميناء بيرل هاربر ، حينما لم تكتف الحكومة باعتقال اليابانيين ، بل اعتقلت ايضا كل من كان من اصل يابانى .

وختم تصريحه بقوله : « انيمقتنع بانه لا يوجد اضطهاد عنصرى ضد السامية في مصر » .

شهادة حاخام مصر الاكبر

وادلى حاخام مصر الاكبر،حاييم ناحوم افندى، بتصريح قال فيه : انه لا صحة لادعاءات اسرائيل بان مصر تضطهد اليهود واكد انه لا يحق لقادة الصهيونية ان يتحدثوا باسم يهود مصر .

وما زال منالتقاليد المتبعة فيالجمهورية العربية المتحدة ان يحضر ممثل عنرئيس الجمهوريةاحتفال عيد الفصح الذى يقام في الكنيست اليهودى .

تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر

وقال الرئيس جمال عبد الناصر في حديث ادلى به الى سولز برجر ، مراسل صحيفة نيويورك تايمز ، في شهر مارس (آذار) ١٩٦٩ : ان في مصر حوالى خمسة آلاف يهودى ، منهم نحو مائة محتجزين لانهم صهيونيون ، ولهم صلة باسرائيل ، وهؤلاء اعتقلوا بعد حرب الخامس من يونيه (حزيران) ١٩٦٧ . اما اليهود الآخرون فانهم يستطيعون مغادرة البلاد اذا ارادوا ، وهم يعيشون في مصر كمصريين ، لهم كل الحقوق التى يتمتع بها المصريون . واشار الرئيس الى ان اسرائيل تعتقل آلافا من العرب في الاراضي المحتلة ، وينسى العالم هذا ، ثم يتحدث عن القلة القليلة التى اعتقلت من يهود مصر ، مع انها اعتقلت لاسباب تمس امن البلاد .

وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٩ ادلى الرئيس الراحل بحديث للتلفزيون الفرنسي قال فيه : « نحن لم نفرق في يوم من الايام بين العربى المسلم، والعربى المسيحى ، والعربى اليهودى ، بل ان المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنبا الى جنب في هذه المنطقة من العالم قرونا طويلة دون اى خلافات ، حتى اتت الخلافات الاخيرة بين اليهود من جانب ، والمسلمين والمسيحيين من جانب آخر ، في فلسطين ، بسبب انشاء وطن قومى لاسرائيل . لقد ظهرت حركات اضطهاد في كثير من انحاء العالم، وفي عصور مختلفة ، لكن احدا من اليهود لا يستطيع ان يقدم الدليل على قيام مثل هذه الحركات في البلاد العربية » .

وهكذا نجد ان من الواضح ان العرب لم يضطهدوا اليهود لا في الماضى ولا في الحاضر ، واذا كانت قد اتخذت اجراءات ضد بعضهم ، فذلك لانهم كانو يعملون ضد مصلحة البلاد التي يعيشون فيها ، ويخدمون مخططات اسرائيل وقادة المنظمة الصهيونية .

دوافع هجرة اليهود من البلاد العربية

كان اليهود ، في ظل الاحتلال الاجنبي للبلاد العربية ، مشمولين برعاية دول الاحتلال ، وتبعا لهذا فانهم كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة مكنتهم من جمع الثروات بطرق غير مشروعة . وعندما زال الاحتلال البغيض عن بلادنا ، لم يرض اليهود ان يعيشوا فيها متساوين مع غيرهم من المواطنين ، فكان هذا سببا من الاسباب التى دفعتهم الى الهجرة منها . ويروى المستشرق الفرنسي المعروف جاك بيرك وقائع عاشها شخصيا في المغرب العربي عام ١٩٤٠ : فقد حاولت حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة لالمانيا الهتلرية ان تضطهد يهود المغرب ، والمغرب تابع لها ، ولكن الملك محمد الخامس حماهم لانهم مواطنون مغربيون . ومع هذا فانهم انقادوا لتحريضات قادة الصهيونية ، وهاجروا الى اسرائيل ، بعد قيامها .

وهذا القول يصدق على البلاد العربية الاخرى : فالجزائر بعد استقلالها ، حاولت الابقاء على اليهود فيها ، رغم انهم كانوا في جانب قوات الاحتلال الفرنسية ضدها . ولكنهم آثروا الهجرة لخدمة مخططات الصهيونية ، على البقاء في الجزائر مواطنين لهم ما للجزائريين . وكانت هجرة اليهود من العراق نتيجة لنشاط صهيوني ضخم داخل العراق ...

وقد استخدم قادة الصهيونية كل وسائل الترغيب والترهيب من اجل حمل يهود العالم على الهجرة الى ارض فلسطين المحتلة ، ونتيجة لهذا هاجرت اعداد من اليهود من كل بقاع العالم ، دون ان تكون واقعة تحت اضطهاد ، او معرضة للتنكيل .

ربط قضية اللاجئين بيهود البلدان العربية

ان اللاجئين الفلسطينيين المنتشرين في انحاء العالم العربي ، هم الشاهد على جريمة الصهيونية ونصيرها الاستعمار الغربي . ولهذا فان اسرائيل تحاول دوما ان تقلل من شان هذه المشكلة ، وذهب زعماؤها الى ان نوعا من تبادل السكان قد حدث : فاللاجئون الفلسطينيون الذين اخرجوا من ديارهم ، يقابلهم يهود هاجروا من البلاد العربية الى اسرائيل . وقد حدث مثل هذا ، في رايهم ، بين تركيا واليونان ، وبين الهند والباكستان . وهم يقولون ان اية تسوية لهذه المشكلة ، يجب ان تاخذ بعين الاعتبار املاك اليهود في البلاد العربية . ويزيدون فيقولون ان عدد اللاجئين الفلسطينيين ، وعدد اليهود الذين تركوا البلاد العربية الى اسرائيل ، متساو ، وان عدد اللاجئين الفلسطينيين لا يزيد عن نصف مليون .

ان هذه ادعاءات لايصدقها الا السذج والجاهلون .

فالعرب الذين تركوا وطنهم فلسطين ، انما تركوه بسبب الاعتداءات المسلحة التي كانت تشنها القوات الاسرائيلية عليهم ، بينما من ترك البلاد العربية من اليهود ، انما تركها راغبا في تركها من اجل خدمة مخططات الصهيونية العدوانية، وليقيم في وطن ليس له ، وفي دار لم يعمرها .

واللاجئون الفلسطينيون اخرجوا من ديارهم بالقوة والاكراه ، ولهذا يستحيل مقابلة ما جرى بما تم من عملية تبادل السكان بين تركيا واليونان، والهند وباكستان ، لان عملية التبادل تمت برضى الفريقين ، حيث اخذت كل دولة مواطنيها .

واما تساوى عدد اللاجئين الفلسطينيين ، وعدد اليهود المهاجرين من البلاد العربية ، فيرد على هذا الادعاء ما ورد في خطاب جون فوستر دالاس الذى القاه امام مجلس الشؤون الخارجية بتاريخ ١٩٥٥/٨/٢٩ ، حيث قال : ان عدد اللاجئين الذين شردوا من بلادهم لايقل عن ٩٠٠ر٠٠٠ لاجيء. ويرد على هذا الادعاء ايضا ماورد في تقرير المدير العام لوكالة غوث اللاجئين وتشغيلهم من ان عدد اللاجئين الفلسطينيين بلغ في عام ١٩٦٠ ١ر١٢١ر٠٠٠ ، وبلغ في عام ١٩٦١ نحو ١ر١٥١ر٠٠٠ .

★ ★ ★

ان هذا العرض لهذا الكتاب ، رغم ايجازه ، كاف للرد على ادعاء اسرائيل وزعماء الصهيونية ، بان اليهود في البلاد العربية مضطهدون ، وهو يكشف عن الغاية الحقيقية الكامنة وراء هذا الادعاء . والحقيقة هي ان عرب فلسطين ، والوطن العربي بكامله ، قد اصابهما ضرر بالغ من جراء الغزوة الصهيونية الاستعمارية التي اغتصبت جزءا من وطنهم ، وهي ما زالت تهددهم في وجودهم . ■■

محمود السمره



الاسلام والتقاليد القبلية في افريقيا

تاليف : الدكتور محمد سلام زناتي
الناشر : دار النهضة العربية . بيروت/لبنان.

● كيف تقبل الافريقيون الذين اعتنقوا الاسلام العقائد والنظم الاسلامية وكيف كان الصراع بين القيم والتقاليد القبلية الافريقية ، والقيم والنظم الاسلامية ، ثم كيف قام هذا التفاعل بين الثقافة الافريقية الموروثة والثقافة الاسلامية الجديدة .

ثم ان هذه الدراسة دراسة انثروبولوجية فيما تنطوي عليه من بحث آثار الاحتكاك بين الثقافة الافريقية الموروثة والثقافة الاسلامية التي هي ثقافة جديدة طارئة بالنسبة للمجتمعات الافريقية التي اعتنقت الاسلام ثم كيف تأثرت التقاليد القبلية بمبادىء الشريعة الاسلامية .

تدريس الرياضيات الحديثة في المدارس الابتدائية

تاليف : جاسم الحسون .
الناشر : مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد العراق

● كتاب يدرس الطرق العلمية الحديثة لتدريس الرياضيات وتطورها ، وذلك بدراسة مناهجها بما يكفل للاجيال تفهم الروح العلمية للعصر الحديث، كما ان الرياضيات الحديثة تهتم بضرورة وضع مناهج جديدة تكفل للفرد عند انتهاء المرحلة الثانوية ممارسة شؤون حياة العصر وفهم بعض نواحي تطورها كي تؤهله بشكل أفضل للدراسة العالية او الاختصاص .

كما ان الرياضيات الحديثة تهتم بالبنية والعلاقة والاكتشاف والفهم لان ادراك الطفل العلاقات بين الاعداد ومعرفة خواصها وبنيتها يجعل الطفل قادرا على استعمالها استعمالا صحيحا . كما زين الكتاب بمجموعة لا بأس بها من صور ورسوم توضيحية .

ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم له : احمد البشر الرومي

راجعه ورتبه : عبد الستار احمد فراج

الناشر : مكتبة الامل ـ الكويت

■ ديوان شعر لاحد شعراء الكويت البارزين المجددين .. عاش في بداية هذا القرن . وقد قسم مؤلف الكتاب شعر صقر الشبيب الى مرحلتين : المرحلة الاولى ذكر فيها ما نظمه الشاعر في صباه وفي بدء تمرسه بالنظم ، ومن الطبيعي ان يشوب شعره في هذه الفترة شيء من الضعف ككل شاعر في بدء محاولته الاولى للنظم ، فقصائد هذه الفترة ليست قوية البناء جزلة السبك .

اما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته وما نشرته له المجلات العراقية واللبنانية كمجلة السجل ، ومجلة اليقين ومجلة المراة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت ، ثم مجلة الكويت للشيخ عبد العزيز الرشيد .ويمتاز شعر صقر الشبيب بانه ثورة على المعممين الذين وقفوا في سبيل الاصلاح ووقفوا ضد تعليم المراة وحاربوه حربا شعواء واثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين .

والشاعر لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة ولم يتلق معلومات منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم ، وذلك لفقدانه نعمة البصر منذ صغره . لذلك عكف على المطالعة وحفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء البارزين حتى قيل انه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين الف بيت من الشعر الجيد ..

والصفحات الاولى من الديوان دراسة وافية سجلها المؤلف لحياة الشاعر صقر الشبيب ، فهو كان من أصدق أصدقاء الشاعر اما الديوان فقد رتب حسب المواضيع وذلك لسهولة الرجوع اليه .

مشاهير الفكر الاحيائي

تاليف : عادل محمد علي الشيخ حسين .

الناشر : مطبعة الناصرية ـ الناصرية ـ العراق .

● تراجم ودراسات مقتضبة عن مشاهير علماء الاحياء العرب والغربيين الذين أثروا في الحضارة الانسانية ومخترعاتهم العديدة .

تاريخ القرآن

تاليف : ابو عبد الله الزنجاني .

الناشر : مؤسسة الاعلى للمطبوعات . بيروت

● كتاب في تاريخ القرآن وعن ادواره التي مرت عليه زمن النبي الى القرون الاولى الاسلامية والكتاب ينقسم الى ثلاثة ابواب يدرس الباب الاول حدوث الخط في الحجاز وانتشاره فيه والخط الذي كتب به القرآن ، اما الباب الثاني فيدرس القرآن في عصور الخلافة الراشدة وترتيب سوره في المصاحف المختلفة اما الباب الثالث والاخير فيدرس الافرنج والقرآن ثم ترجمة القرآن الى اللغات الغربية .

العمل الفدائي بين الستراتيجية والتكيف

تاليف : جواد الزبيدي .

الناشر : مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف ـ العراق

● دراسة مقتضبة عن العمل الفدائي الفلسطيني والطريق الصحيح لاستعادة ما اغتصبه الأعداء من أجزاء من الارض العربية . والمؤلف يؤكد أن العمل الفدائي هو الطريق الموصل لاسترداد الاجزاء السليبة ، لذلك يجب ان تكون العقيدة الاسلامية سر القوة والعظمة وهي العقيدة الفعالة المؤثرة لو استلمت قيادة الجماهير . كما يجب أن يكون استرجاع الاراضي هو أهم قضية تدفعهم الى تجميع قواهم وتعضيدها حتى يأتي النصر وكذلك محاولة ربط القضية الفلسطينية بالقضية الانسانية ككل .

ظهور وتطور الادب العربي في المهجر الامريكي

تاليف : وديع رشيد الخوري .

الناشر : دار الريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت

● يبحث هذا الكتاب في بدايات النهضة العربية في المهجر الامريكي ويشتمل على مباحث في أدب جمهرة الادباء الذين عاشوا في المهجر امثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وامين الريحاني ويصور مؤلف هذا الكتاب حركة الرابطة القلمية واخبار اعضائها في نيويورك فينقل اوصاف هؤلاء النخبة بلسان احد اعضائها يصور فيها طريقة كتابتهم وافكارهم . ■■

العربي

العدد ١٤٨
محرم ١٣٩١
مارس
(آذار) ١٩٧١



عُمان تتفتح على العالم ، بعد انغلاق دام ٣٨ عاما

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٣،٥ شلن	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن العالمي

● لوحة رائعة للرسام الهولندى المعروف فرمير . رسمها سنة ١٦٦٠وسماها النقاد من بعده « درس الموسيقى » . وهى تصورة كما لا يخفى ، استاذ الموسيقى وتلميذته . الا ان الفتاة لا تنظر الى درس الموسيقى التى بين يديها ، وانما الينا . ولعلها حركة انعكاسية كشفت لنا عن وجهها الطاهر الجميل . واللوحة توجد حاليا فى نيويورك ويبلغ حجمها ٥ر٤٤ x ٤ر٣٩ بوصة .

عزيزي القارئ

● **ليس فى الدنيا جديد**

واقصد بالدنيا دنيا الناس

اما الدنيا ، بلا ناس ، وهي الدنيا الاعظم ، والدنيا الاوسع ، والدنيا الاخطر ، والدنيا الاخلد على الزمان ، فشانها الكائن اليوم ، هو شانها فى كل يوم كان ، وفى كل شهر كان ، وفى كل عام وقرن كان . شمس تطلع وشمس تغيب . ونجوم كالشمس تظهر ونجوم تختفى. ووجه السماء كانه ما تبدل منذ عهد نوح. وهو وجه يوحى بالرتابة ، ومع الرتابة السلام والراحة .

وغير ذلك دنيا الناس

ان وجد خلط" فى دنيا الناس فهو من الناس

وان وجد تخريب وتدمير فى دنيا الناس فهو بأيدى الناس

وان يكن هم" فى دنيا الناس ، فهو بسبب ذلك ، وهو فى قلوب الناس .

لقد خلت ُ والله ان لو كان هناك معاهد للتدريب على العيش ، قبل ان يحطُ الناس بارجلهم على هذه الارض ، لكان من ذلك خير كثير ، ولـمّا تعلمَ الناسُ الحكمة ، بالطريقة الاقسى ، طريقة الحديد والنار ، ثم تفرغَ الحياة قبل ان يتعلم الناس درساً من دروس الحكمة واحداً . وهم لو اتسع لهم العمر ليتعلموا ، ما اتسع لهم ليعلّموا . والحكمة اعصى الاشياء تعلّما . انها لا تخضع لقوانين ، ولا تخضع لمنطق . انها فهمُ الجبلّة ، فهمُ الطبع .

★★★

وسوف تمضى الايام الثلاثون التى ارجأنا اليها موعدَ المخاصمة . تمضى . وعندئذ ننظرُ فى الساعة فنجدها قد توقفت . وقفت لانها رفضت ان تجرى لغير جديد من الامر ياتي .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

دين :

ادب ولغة :

استطلاعات مصورة :

عروبة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

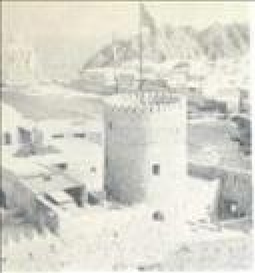
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No, 148 March 1971 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ ــ تلغرافيا «العربي»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● يقدم لك « العربي » في هذا العدد استطلاعا عن مدينة مسقط عاصمة سلطنة عمان .. انها اول مرة يسمح فيها بعمل استطلاع في هذا البلد العربي العريق الذي ظل متعزلا عن العالم حقبة طويلة من الزمن .. وصورة الغلاف تبين علم عمان يرفرف فوق قلعة الموراني المشرفة على مدينة مسقط .. (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

طب .. وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

كتب :

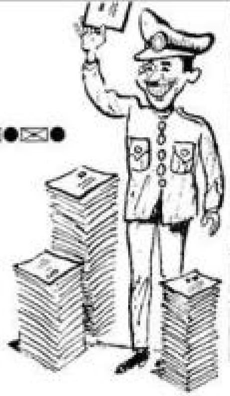
قصص :

فن :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

« لونا خود ١ »

● في الاعداد الأخيرة لفت نظري واثار تساؤلاتي مع الكثير من الاصدقاء ذلك الذى جئت اكتب من أجله . فبعد نجاح رحلة ابولو ١٢ الامريكية بالوصول الى القمر اجريتم تحقيقا علميا زاد عن العشرين صفحة وكان ذلك خطوة عظيمة منكم لاطلاع جماهير الأمة العربية على آخر منجزات التقدم التكنى العلمي في بحر الفضاء ، الى جانب الأبحاث والمواضيع التي تنشر تحت اشرافكم ، ولكن الشيء الذى اثار انتباهي هو أننا لم نجد شيئا في العربي بعد نجاح رحلة لونا ١٦ ورحلة لونا ١٧ ولونا خود ١ ، هل لكم أن تكتبوا عن هذين الحدثين الهامين في عالم الفضاء والتقدم العلمي . وبما أنكم عودتم قراء مجلتنا على تقديم كل شيء علمي جديد .. فنرجو أن تقدموا لنا شيئا عن هذا الحدث الروسي الهام .

زهير بربر — ج.ع.س

العربي : لا نستطيع أن نستجيب الى هذا الرجاء لان الروس لا ينشرون الشيء الكافي عما يصنعون . فليس هناك ما نجده للنشر فوق مايجيء في الصحف اليومية .

حول حياة ابن طفيل

● قرأت في عدد « العربي » الصادر في ديسمبر سنة ١٩٧٠ ، مقالا عن « ابن طفيل وفلسفته كما تراها في كتابه الوحيد حي بن يقظان » للدكتور محمد احمد المليجي الأستاذ بجامعة محمد الخامس بمدينة فاس .

ولقد لفت نظري في الشق الأول من المقال ، وهو الذى يتضمن بعض معلومات عن حياة ابن طفيل ، بعض اخطاء جغرافية وتاريخية مؤسفة ، اود ان اضعها تحت نظر القارىء فيما يلي :

ان ابن طفيل ، اسمه الكامل الصحيح هو « محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي ، ابو بكر » (لا عبد المالك) .

انه ولد بمدينة (وادى آش) الأندلسية وليس (كواديش) Guadix ، كما ذكر الكاتب محرفا عن اسمها الاسباني . ومن المعروف في الجغرافية الأندلسية ، أن كلمة Guadi هي تحريف لكلمة « وادى » العربية كما هو الشان في اعلام جغرافية اندلسية كثيرة مثل الوادى الكبير Guadalquivir ، ووادى يانه Gnadiana ووادى الحجارة Guadaljara وغيرها .

ان الذى سار في جنازة ابن طفيل عند وفاته بمراكش في أواخر سنة ٥٨١ هـ (١١٨٤ م) ، هو الخليفة يعقوب المنصور الموحدى ولد صديقه وحاميه الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. ومن الخطأ ان يعبر عنه بالملك المغربي ، حسبما ذكر الكاتب ، لأن الدولة الموحدية كانت تقوم على رسم الخلافة لا رسم الملوكية .

ان ما ذكره الكاتب عن حياة ابن طفيل ، وهو أننا لا نعرف عنها سوى القليل ، لا يطابق الواقع ، وهو أن لدينا عن حياة ابن طفيل مادة غزيرة . وقد كتب عنه كثير من المؤرخين روايات وافية ، مثل ابن الخطيب فقد ترجم له في كتابه «الاحاطة» (مخطوط الاسكوريال ١٦٧٣ ديرنبور لوحة ٥٣) . وكتب عنه ابن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين في

مزيد من المقالات العلمية

● مجلة العربي ، ليست مجرد مجلة ، وانماهي مدرسة كبرى ، يستطيع كل مواطن عربي ان يتعلم فيها مقابل مبلغ زهيد من « الفلوس » .. فقد تعلمنا في « مدرسة العربي » العلوم، والتاريخ والفلسفة والاجتماع .. هل لنا في مزيد من هذاالزاد الذى لا يشبع المرء منه ابدا .. وبصفة خاصة المقالات العلمية ، تلك التي تقدمونها لنابهذا الاسلوب الادبي الجميل المبسط .. فقد أخذنا العلوم مادة لتخصصنا في مدرستكم .

أحمد فاضل ــ عمان

الذرة وفوائدها

● عرفنا الذرة ، وقرأنا عن فوائدها ، ومن بينها استخدامها في تسيير الالات والغواصات والسفن الحربية ، كما تستخدم في علاج الامراض التى عجز الطب عن علاجها ، وفي كثير من نواحي الحياة الاخرى ، لماذا لا تقدمون لنا موضوعا شاملا جامعا عن استخدام الذرة في الاغراض السلمية .

علاء ــ الكويت

كتابه « المن بالامامة » نبذا كثيرة . وأورد لنا عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب ، عنه نبذا ضافية ، كما أورد لنا شيئا من شعره ، وأورد له كاتب هذه السطور ترجمة وافية في كتابه « تراجم اسلامية شرقية واندلسية » (القاهرة ١٩٧٠) ص ٣١٥ ــ ٣٢٧ .

ان ما ذكره الكاتب من أن رسالة « حي بن يقظان » هي الكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفات ابن طفيل ، غير صحيح . فقد انتهى الينا على الاقل مؤلف آخر من كتب ابن طفيل هو « الارجوزة الطبية المجهولة » . وتوجد من هذا المؤلف الشعرى نسخة خطية بخزانة القرويين الكبرى بفاس عنوانها « رجز ابن طفيل » ، وتقع في نحو سبعة آلاف بيت ، وهي عبارة عن دراسة لعلل الانسان وطرق معالجتها .

محمد عبد الله عنان

الباعة المستغلون

من المؤسف حقا ان توضع مجلة العربي في ايدى البعض من الباعة الجشعين الذين لا يتورعون عن اللجوء الى مختلف الحيل في سبيل تحقيق كسب أكبر من وراء بيع هذه المجلة العلمية الثقافية لهؤلاء الذين يتلهفون على اقتنائها .. فقد أخذوا يتحكمون في بيعها على طلاب العلم والمعرفة الذين يترقبون صدورها بقلوب تتوق لهذا اللقاء الجديد في أول كل شهر ..

هل تعرفون ماذا فعل هؤلاء المستغلون ؟ .

لقد باعوا لنا العدد الممتاز بدون الهدية . فلما سألنا عنها ، قالوا لنا : « انها ليست هدية واذا كنا نريد ان نقتنيها فلا بد لنا من ان ندفع ثمنا اضافيا لها ! .

احمونا من هؤلاء ، واحموا العربي من استغلال هذه الفئة من المتنفعين وجامعي المال الحرام .

عبد العزيز سليمان الحازمي
المدينة المنورة

أين يلتقى الرافدان اليوم

● جاء في العدد ١٢٩ من العربي وفي نبذة عن شط العرب تضمنها باب انت تسأل ونحن نجيب ، بأن النهر يتكون من التقاء الرافدين : دجلة والفرات في مدينة القرنة . واود ان ابين ان النهرين يلتقيان اليوم عند (كرمة على) التى تتفرع عن شط العرب وتبعد عن البصرة مسافة ١٠ كيلو مترات الى الشمال وعن مدينة القرنة ٤٨ كيلو مترا الى الجنوب .

جبار صاحب المعمار : كربلاء ــ العراق

(البقية على صفحة ١٧٠)

حديث الشهر

هلموا.. إلى.. الإصلاح

بقلم رئيس التحرير

■ ما أكثر ما نذكر التخلف .

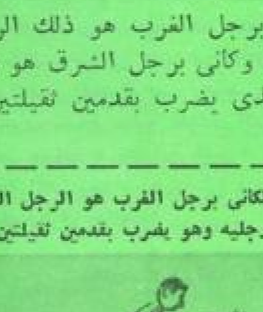
ولكن كذلك ما أكثر ما نتساءل عن التخلف ، ما هو ، وهل هو جنس واحد ، أم هو اجناس . وهل هو مرض تشفى منه الأمم او مرض مزمن لا شفاء منه . ام هو امراض .

والتخلف لا بد ان يكون تخلفا عن شيء . فحيثما تصف تخلفا ، تجد الى جانبه تقدما . رجل يسير فيتقدم ، وآخر يسير فلا يلحق به . حال نسبي اذن هو هذا التخلف .

والرجل السابق ان مشى على رجليه، امكن للمتخلف ان يلحق به بأن يجرى . ولكن السابق ، ان كان قد امتطى فرسا، فكيف يلحق به رجل ليس له فرس يركبه .

لكانى برجل الغرب هو ذلك الرجل الفارس ، وكانى برجل الشرق هو ذلك الرجل الذى يضرب بقدمين ثقيلتين فى

لكانى برجل الغرب هو الرجل الفارس، وكانى رجليه وهو يضرب بقدمين ثقيلتين فى الوحل .



ابدأوه سريعاً من الأعالى ..
ومعه البناء والعمار
قبل أن يبدأوه من الأسافل ..
ومعه الخراب والدمار

الأرض . وقد يضرب بهما فى الوحل فيعز عليه ان يتقدم فى الطرقات الوحِلة .

على المتخلفين اذن ، من اهل الشرق ، ومن غير أهل الشرق ، أن لا يذكروا التخلف الا ذكروا ما هو . والا عدّدوه فهو أنواع عشر والف . والا وصفوا الدابة التى يركبونها ، ان لم تكن الملاحقة ، فلا اقل من السير قدما . ولا اقل من الخروج من الطرقات الوحلة الى الأرض الصلبة التى يجوز عليها ، حتى مع الاقدام وحدها ، الجرى السريع .

ونقول الطرقات الوحِلة ، والوحل عرفناه صنفا واحدا . ولكن الأوحال التى تتردى فيها الخلائق ، على اختلاف دولهم ، واختلاف نحلهم ، واختلاف عهودهم بصور المدنية ، حداثة وقدما ، وطولا وقصرا ، اوحال هى صنوف عدة . منها وحل الفهم وهو صنوف . ومنها وحل الفكر وهو صنوف . ومنها وحل

رجل الشرق هو الرجل الذى يمشى على ذلك يزداد تقدّما ، وهذا يزداد تخلفا .



العاطفة وهو صنوف . ومنها المزاج الوَحِل وهو صنوف . وشر الأوحال وحل الجهل لا سيما عند من يستعذب ملاسته وزلاقته فيحلو له التريث والبقاء فيه، وقد لا يجد فراشا انعمَ من وحَل.

أولادنا وأولادهم

واخلو لنفسي واتساءل : ماذا يا ترى يفرق بيننا ، نحن اهل الشرق ، واولئك الناس أهل الغرب ، فيجعل منهم رجال حضارة ، كائنة هذه ما كانت ، ويجعل منا رجالا ونساء ، أرباع حضارة ، واخماس حضارة، واعشارا من حضارة. الولد منا يولد سليما كما يولد ولدهم ، سليما بنيةً ، سليما عقلا، متأهلا كأخيه الغربي ، مخلوق الله الآخر ، ليكون في الحياة ما يكون ذلك ، وليسبق كما يسبق ذلك ، وليرتقي كما يرتقي . ثم



المولود منا يولد سليما كما يولد مولودهم. ثم تجري السنون ، فاذا ولدنا يتقاصر خطوه ، ثم يتقاصر.

تجري السنون ، فاذا ولدنا يتقاصر خطوهُ ، ثم يتقاصر . واذا اخوه الغربي يتسارع خطوه ، ثم يتسارع . وينتهي الامر بان اولاد الغرب يكونون آخر الأمر رجالا ذوي سيادة، واولاد الشرق يكونون رجالا تؤمر فتطيع .

اهي البيئة فرقت بيننا وبينهم ؟

ولكن البيئة بيئة أرض وسماء . وهذا نصفها ، ونصفها الآخر انها بيئة حياة واحياء .

بيئة الأرض والسماء

وننظر في بيئة الأرض والسماء فلا نجد خيرا من بيئتنا ، خصوبة تربة ، وتفجر ماء (ولننسَ ما فيها من مناطق شاسعة من صحراء خلقت لغير الحياة النابضة والأحياء) وصفاء سماء. وننظر في بيئتهم فلا نجد الا خصوبة اقل ، ومعها ماء منفرق اغزر ، ومع كثرة الماء قلة ضياء السماء .

بيئة وجب معها ان نكون اوفى مدنية.

فما الذي خلّفنا ، فتخلفنا عن ركب مدنية ؟

لا بد انه النصف الثاني من البيئة ، بيئة الرجال والأحياء .

بيئة الرجال والأحياء

الخطأ اذن في رجالنا والأحياء .

ومع هذا ، فنحن نرسل شبابنا الى بلاد الغرب ، فيتعلم ، ويتدرب ، وهو هناك يسبق . ولقد بقي كثير منهم هناك ، اساتذة في الجامعات لهم ذكر ، ورجالا في دوائر الأعمال ، في أوروبا ، ولا سيما امريكا ، لهم وزن وخطر . وشاعت لهم في الطب هناك اسماء عربية صميمة . وشاعت في غير الطب



لا تجد خيرا من بيئتنا ، خصوبة ً تربة ، وتفجّر ً ماء ، وصفاء ً سماء .

فالجوهر العربى لا يزال فيه الجوهر .. الشجرة العربية لا تزال جديرة بأن تحمل الثمر ، ولكن فى البيئة التى تحفظ لها شروط النماء .

انها بيئة الرجال والاحياء .

واذا نحن قلنا ان الخطأ فى رجالنا والأحياء ، عنينا بالطبع ما تحمل قلوب هذه الرجال من أمزجة نفسانية ، وما تحمل رؤوسهم من آراء .

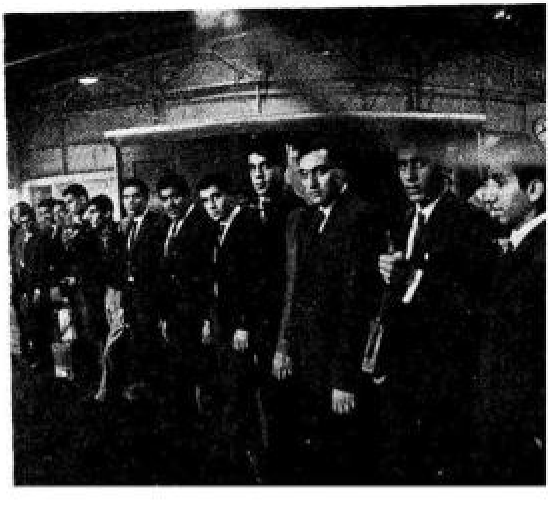
لا بد انها امزجة لا تتفق مع السبق .

ولا بد انها آراء تتعارض والتقدم .

اليس هذا هو المنطق الصريح ؟

التخلف
تقع تبعته
على الشعب كله

ونلقي التبعة على الرجال . ولكن من هم الرجال ؟



شبابنا فى دور العلم والصناعة فى الغرب . كان منهم هنالك رجال ، وكان علماء ابطال .

انهم القادة ، وانهم غير القادة ، وانهم الشعب بحذافيره،الا من أفقدته التعاسة القدرة على الفكر فالقدرة على الكلام .

اقول هذا في غير خصومة لقادة ، او غير قادة،او لشعب . حتى المنحرفون لا اخاصمهم لأنهم نبتوا في البيئة السبخة نبتا شاذا طبيعيا . انما الذي اخاصم هو الذي جعل من بيئته ، من مجتمعه ، ارضا سبخة ، يعلوها الماء والملح والطحالب .

تبعة التخلف موزعة هكذا على المشاع، شملت قادة ومقودين ، لا يدري الانسان معها اي طرف من الأطراف يدين . فان ترك التبعة ، وطلب الاصلاح ، لم يدر اي الأطراف بالاصلاح قمين .

وأبدأ بالطرف الأقل احساسا بتخلف، وهو هذا السواد الذي تتألف منه اكثر جماهير الشعوب المتخلفة . ذلك السواد الذي يألف من العيش ما عرف منه ، فهو لا يتطلع غالبا الى اكثر مما هو فيه، وان طلب تقدما فبمقدار ما كان تقدم جدّه من قبل او تقدم ابوه . وان عضه شيء شكا ، وهو يشكو قلة طعام وسوء لباس ، والحاجة الى المال بالقدر الذي يرتفع به الى ما تعوّد .

وهو السواد الذي ليس عنده راي في الأمور لأنه ، في اغلب الظن ، لا يقرا ولا يكتب . حتى اذا كان عرف من ذلك شيئا فقد انسته الأيام قراءة . وهو ما اتصلت به القراءة عادة ، فهو عن

السواد الذي ليس عنده راي في الامور ، لأنه ،اغلب الظن ، لا يقرا ولا يكتب .



معاني الرفـه والطمـوح التى تثيرهـا القراءة بعيد .

فئة تروّج للصبر على المكاره

وفى هذا السواد تقوم دائما فئـة ، هى قديمة فى التاريخ العربى، ترفه عنه بمعان للصبر جميلة . تقول له ان للصبر على المكاره أجرا ، وان الرزق مقسوم ، وان الشكر واجب .

ولهذه الفئة التى تروج للصبر وظيفة اجتماعية لا يستهان بها . انها كالأثقال توضـع فى السفينة اذا خفت وبـدات تتلقفها الرياح . فهى تؤمّن السفينة ، ومن بالسفينة ، من غرق .

وهى فئة تعرف الصبر نصيحةً ، ولكن لا تعرفه محنةً . لأنها وظيفة لها اجر معلوم ، ورقم مرقوم .

الاصلاح
من احتمله تبعته ؟

وانظر فى تبعة التخلف ، ومن يقوم بجبر عثرتنا فيه ، بالاصلاح ، فأبعُدُ بها كل البعد عن هذا السواد من الأمة . ذلك لأنه الجانب الجريح لا الجارح .

واعود انظر فى أطراف الأمة ، ايها يبدأ النهوض من قعود ، والتقدم من تخلف ، فأعود أبعد كل البعد عن ذلك السـواد من الأمة ، لأنه فى تحريكه على الجهل محنة .

واذا نحن ذكرنا ان الاصلاح الـذى تطلبه الأمة، لا بد هو ذاهب الى الأعماق، كان مع هذا الاصلاح خشية ، ان يمتزج فيه الصلاح بالفساد ، وتشتبك الأمور وتحتر ، فيكون مع الاحترار اشتعال لا يبقى ولا يذر . انها الثورة الطائشة ، تتقدم بها العاطفة ويتأخر عنها العقل .



انت ، ايها الانسان ، أوثق قدما ، وأثبت موضعا ، وأنت من ناطحات السحاب في دورها السفلي .

وتنطفىء النار فيها آخر الأمر عن رماد بارد لا حياة فيه لأحد .

الاصلاح من الأعالى يبدأ

الاصلاح عندى لا يبدأ من اسفل . انه لا يبدأ من اسفل الناس الى اعاليهم، ولكن يبدأ من الأعالى الى الأسافل . او هكذا هو يجب ان يكون .

يجب ان يبدأ هكذا ، وتوفيق الله حاضر .

اقول هذا ، واعلم ان توفيق الله غير كثير الحضور فى الأعالى . وهذا من بعض طبع الانسان ، لا سنة من سنن يحبها الله .

انت ، ايها الانسان ، اوثق قدما ، واثبت موضعا ، وانت من ناطحات السحاب فى دورها السفلى . فاذا انت علوت ، ثم علوت ، ثم علوت ، حتى بلغت الدور الأربعين او الخمسين من البناء ، ونظرت الى اسفل ، هالك المنظر ، وضاعت عند ذلك وثاقة القدم، وذهب ثبات الموضع . وانت ان بقيت هناك طويلا نسيت ما العيش ، مع سواد الناس ، على الأرض الجامدة .

ومع هذا اقول لا بد ان يبدأ الاصلاح، الاصلاح الذى نحن العرب فى حاجة ماسة اليه مساس المصير ، الاصلاح الضارب الى الأعماق ، اقول لا بد ان يبدأ من الأعالى .

ومع الأعالى رجاء بتوفيق الله .

ما الأعالى ؟

والسؤال ـ وما الأعالى ؟

واول جواب يحضر الانسان هو : الحكومات .

ولكن الحكومات فى شغل دائب . وهى تعمل للحاضر . وهى مليئة بالماضى . وهى تلونت بلون هذا الماضى القريب ولون هذا الحاضر الواقع . وما فرغت حكومات ابدا لاصلاح او للتفكير فى اصلاح . ولسنا ننكر على حكومات عربية ما قامت به من بعض اصلاح لشعوبها ، ولكن الذى نطلبه انما هو الاصلاح الاكثر والاشمل ، والأسرع ، والذى يكون احتمال الخطأ فيه اقل لبنائه على قاعدة من اهل الفكر فى الشعوب اوسع. واذن فالتبعة فيه ، عند نجاح او اخفاق تكون واضحة . انها تبعة الشعب .

لجان اقترحها دراسة تخطط للاصلاح

عادة الحكومات فى البلاد الديمقراطية اذا حزبها امر ان تقيم له لجنة تنصرف الى الدرس ، درس هذا الأمر ، وذاك ، وذلك من كل وجه ، وعلى كل صعيد . وهو درس لا يتلون بأى لون، او هو يضم كل الالوان .

لجان اقترحها للاصلاح ، تقوم فى كل دولة عربية ، لا تلتزم بخط معلوم من خطوط السياسة ولا غير السياسة ، تنظر فى نهضة الأمة العاجلة كيف تكون. نهضة تبدأ فى السنوات السبعينيات هذه القائمة، تدور دورتها ربع قرن ، وتنتهى فى عام الفين . ثم تبدأ فترة ثانية بلجنة للدراسة ثانية ، فى القرن الحادى والعشرين لربع قرن آخر ، فربع قرن .

لجنة دراسية تمتد دراستها سنتين او ثلاثا او اربعا .

لجنة اعضاؤها من رجال العلم ، ورجال العمل ، ورجال الفقه السياسى، والفقه الاجتماعى ، والفقه الاقتصادى ، وكل فقه فى المعرفة له فى الحضارة ركن ركين .

لجنة لا تدين لأحد بولاء .

لجنة تتمثل فيها كل المذاهب وكل الآراء .

لجنة تنظر فى الخطوط العريضة للحياة ، الأصيلة،التى لا تأتى بالاصلاح فقط ، ولكن بالاصلاح السريع . ومع الاصلاح القوة الضاربة التى بدونها لا عزة فى الدنيا لأحد ولا كرامة .

ثم ينشر كتابها آخر الأمر،دراسات، لا قرارات . فالقرارات هى اشبه شىء بالشعارات. ونحن نريد التثقف والفهم. ونريد الآراء مجتمعة،ونريدها مختلفة. ونأبى الرأى يفرض على الناس ، من اقصى اليمين أو اقصى اليسار .

ثم تعرض هذه الدراسة علىالامة.*

وفى ظلها تنتخبالأمة ممثليها فىالعهد الجديد .

العهد الجديد

وبالعهد الجديد نعنى عهد ما بعد الحرب الاسرائيلية ، بقيت اسرائيل أو لم تبق .

ولا بد من حسم لهذه الحرب ، لنتفرغ للسلم ، لنحصل ما غفلنا عن تحصيله فى سلم مضى .

ان اسرائيل لن تختفى من حياة العرب هكذا اختفاء سهلا . ولكن يجب علينا أن لا نواصل موقفنا هذا معها ، فهو موقف عقم ، ونحن انما نريد اخصابا . ان الدنيا كلها تخصب ، فلن تأذن لفئة كائنة ما كانت ، ومن كانت ، ان تقف بنا عن ان نجارى الامم فى اخصابها .

ولادة العهد الجديد لها مخاض شديد

ونقول العهد الجديد ، ونعلم انه اذا حضر ، صحبه مخاض شديد .

ان الصهاينة بثوا فى الهواء ضبابا كثيفا حجب الرؤية عن ابصار العرب . ان العرب ابصر اليوم بمشاكل تأتيهم من جانب الصهاينة ، منهم بمشاكل هى فى جانبهم ، قائمة فى عقر دارهم ، وفى الصميم من حياتهم .

عشرات من السنين مضت والمسألة الصهيونية تملأ اكثر خيال الرجل العربى ، وقد آن بصفحة الخيال هذه أن تصفو وتصفو الرؤية .

ولست اريد بكلمتى هذه ان اجنح الى جانب الافزاع بغير حق ، ولكن أسباب الفزع لا شك قائمة . وهىقائمة فى اكثر البلاد العربية لا كلها . ومع هذا فالفزع الذى يقوم فى دولة عربية لا بد أن تتردد صرخاته فى سائر بلاد العرب . ومهما قلنا ان الوحدة العربية اليوم عزّت ، فهى على الرغم منا قائمة اشكالا والوانا .

واذا انا ذكرت اصلاحا ، وذكرت

---

* سلكت بريطانيا مثل هذا الطريق لما رأت ان تقلب نظام التعليم بها راسا على عقب ، وبعد دراسة امتدت اكثر من ٣ سنوات ، واشترك فيها مائة من الهيئات والاشخاص من رجالات القوم ، بحثا ونشرا ، وافق البرلمان الانجليزى ، وكان من كل الاحزاب مجتمعة ، على الوصايا التى تقدم بها الدارسون ، واصدرتها الحكومة فى مرسوم عرف بمرسوم عام ١٩٤٤ ، وهى فى محنة من حربها العالمية الثانية وقد ظل هذا المرسوم الى اليوم هو الوثيقة الوطنية التى تردّ اليها كل الامور ، طوال ربع القرن من الزمان هذا الذى مضى .

وكما صنعوا فى التعليم كذلك صنعوا فى الاقتصاد ، فى انجلترا وغير انجلترا ، والامثلة كثيرة .

الاصلاح الذى يذهب الى الأعماق، فانما اعنى ما اقــول . والاعمــاقَ اعنــى ، وما وراء الأعماق .

وانا اذكر ما اذكر ، وكانما انا انذر .

وفى الطب يؤخـذ عقّـار للتوقى ، ويؤخذ عقّار اذا حل المرض . والتوقى خير من التربص بالمرض حتى يكون .

والامراض تبدا غالبا فى عقر الجماهير .

والوقاية انما تأتى من جهابذة فى الطب مستنيرين .

ومن أجل هذا رايت ان الاصلاح يبدا من عل ، ثم هـو يفـور ويذهب الى الأعماق .

وان تكن لجنة ، أو لجان لكل بلد عربى ، أنا مقترحها ، تفنى ، فيها . وان حالت دونها عقبات ، فما عرفنا العقبات الا قائمة فى كل سبيل . وعرفنا كذلك ان العقبات لا تقف دون اهل الدراية المهرة من السبّاقين، الهواة والمحترفين . بل هى توضع فى سبيلهم لتوكيد سبقهم .

وان ضاقت اللجنة الواحدة فى البلد الواحد ، بأعمالها ، فهى تتسع فروعـا اخرى ولجانا .

واللجان على كل حال لجان دراسة متركزة ، بينا ان كل ما يقراه القارىء المواطـن فى الصحف والكتب ليس الا دراسات هادفة لاغراض مرسومة سابقة وهى على كل حال آراء مشتتة ، ونحن نبغى الآراء المجتمعة الكيان التى تأتلف والقيام بكيان امة .

وان لم تكن لجان ، فماذا عند الناس من وسائل غيرها ؟

•

أم تظل الحكومات العربية تضرب فى مجاهل من الحكم ، فى رعايا متأرجحة بين الرفض والرضا ، وهى ترفض بغير علم ، الا ما تجرى به الشائعات .

والشباب .. الشباب !

ذلك الذى وُلد فى النصف الثانى من هذا القرن ، اين يقع من كل هذا ؟ وهو هو المقصود بالاصلاح يوم يكون اكثر القائمين بامورنا اليوم تحت التراب عظاما نخِرة .

سـألت شـابا يدرس الأدب ، مَن احسنُ الشعراء ؟ قال المتنبى . قلت : وماذا قال ؟ قال :

انى الزمانَ بنـوه فى شبيبته
فسرّهم ، وأتيناه على الهرَم



الزمـان

قلت لـه : لا يا بنى . ان الزمـان لا يشيب ابدا . انما الناس هى التى تشيب ، والأمم هى التى تشيب ، وانتم الشبان فى استطاعتكم ان تجددوا شباب زمانكم حتى لو تراءى لكم انه قد شاب، وتراءت الأمة .

••

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٤٦

■ استقينا مادة مسابقة العدد ١٤٦ مما نشرناه في اعداد مجلة «العربي» خلال عام ١٩٧٠ والملاحظ ان القراء سهلت عليهم الاجابة على الاسئلة ذات الطابع النظرى ، اما الاسئلة التي تتناول الجانب العلمي ، فقد صعبت عليهم بعض الشيء ، وهذا مما يؤسف له حقا ، في وقت اصبح العلم مقياس تقدم الشعوب .

واليك ايها القارىء الاجابات الصحيحة ،وقائمة باسماء الفائزين بالمسابقة :

١ — اعلنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الانسان في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

٢ — اللؤلؤ : عضوى — الياقوت : غير عضوى — الزمرد : غير عضوى — الفيروز : غير عضوى — المرجان : غير عضوى — الكهرمان : عضوى .

٣ — اسم الرسالة التي الفها ابو حيان التوحيدى : الصداقة والصديق .

٤ — الاسم العلمي العربي الذى يعرف به داء الملوك هو : النقرس .

٥ — الخشبين هو الضام ، والسليولوز هو المضموم .

٦ — اللفظ العربي لمادة النبات الخضراء المسماة « الكلوروفيل » هو اليخضور .

٧ — يصنع الصابون من القلويات مثل الصودا الكاوية ، ومن الدهون مثل : زيت القطن والزيتون .

٨ — قائل هذه الجملة : « لئن حكمت الاقدار بخراب اغادير فان بناءها موكول الى ارادتنا وايماننا » هو المغفور له الملك محمد الخامس .

٩ — اسم الشجرة التي استبدلتها اليمن بشجرة البن هي : شجرة القات .

١٠ — اقرب ثاني جرم سماوى متقد فى قربه من الأرض هو : « القنطورس » (الفا)

١١ — مؤلف كتاب « العقد الفريد » هو : ابن عبد ربه .

١٢ — العملاقان اللذان احييا في الهند الثقافة الروحية ، هما : غاندى وابو الكلام آزاد .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :احمد ابراهيم علي حمد/عمان/الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :عبد المنعم السيد ابو السعد/الاسكندرية/ج.ع.م.

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :حسين مهدى الحكيم/بغداد/العراق .

٨ — جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير :

١ — محمد قاسم ابو ذهن/حاصبيا/لبنان

٢ — هالة محمد رفيق المهايني/دمشق/سوريا

٣ — يوسف العبد الرحمن القنيبط/عنيزة/السعودية

٤ — احمد طارق الفجيري/الكويت

٥ — عياد سعد زميط/طرابلس/ليبيا

٦ — محمد زين الهادى/السودان

٧ — عبد الكريم الحناشي/تونس

٨ — محفوظ بن حمود المشرقي/مسقط/سلطنة عمان

وسوف ترسل الجوائز للفائزين بالبريد. ■■



اشتال من اشجار القات في احدى مزارع القات في اليمن .. ان عمرها سنة واحدة فقط.

الأَصــلُ الفَعَّــالُ في وَرَقِ القات

■ فى كل عقار ، اصـل فعـال ، أواصول فعالة ، يحرص الكيماويون دائما على استخلاصها ، مادة نقية او مواد . ثم تجربتها ، وهي على هذا النقاء ، فى اجسام الحيوان ، وجسم الانسـان . فيتعرفون على حقيقة عملها فى الجسم . وان كان لها فعل نافع ، او شاف مـن مرض ، راحوا يبحثون عن تركيبها ، اى عن ما بها من ذرات ، وكيف تترابط ،اى يبحثـون عـن بنائهـا ، عساهم يستطيعون ان يخلقوها من مـواد فى الطبيعة ارخص وايسر .

الكاثـين Cathine

وقد خرج الكيماويون بعد بحوثهم عـلى أن الأصل الفعال في القات مادة تنتسب الى طائفـة المركبات العضوية المسماة باشباه القلـويات او الشبقليات Alkaloids ، وهي مواد توجد في بعض النباتات ، ولها صفات المواد القلوية ، فهي تحول لون ورق عباد الشمس الأحمر الى الأزرق .

وهي تتحد مع الأحماض فتكون الاملاح ، وعناصرها الكربون والادروجين والآزوت ، وعادة الاكسجين كذلك .

ويمكن اعتبارها جزيئا من النشادر ، وهـو يتألف من ذرة آزوت وثلاث ذرات ادروجين ، حل محل الادروجين به مجموعات عضوية اخرى .

والشبقليات قليلة الـذوبان في الماء ، ولكـن املاحها تذوب . ومحـلول الكثير منها شـديد المرارة .

وكثير من الشبقليات يستخدم عقارا ، ومن امثلها المرفين Morphine والاتروبين Atropine والكوينين Quinine . ولها فعل في الجسم الانساني بيّن .

اما المادة الشبقلية التى كشف عنها العلماء في القات فاسموها الكاثين ، وهو اسم اشتقوه من اسم شجرة القات العلمي Catha . وقد فحصها العلماء فوجدوا انها قريبة النسب بالعقار الشبقلي المعروف في الطب باسم افدرين Ephedrine ، ووجدوا ان آثاره في الجسم اشبه بآثار هذا ، ومن اهمها ازدياد خفقان القلب Tachycardia ، وقد يصحب ذلك سبق في انقباض القلب Extrasystoles ، وكذلك ازدياد في ضغط الدم .

ويوجد عند الشبان الذين يتعاطون القات ارتفاع في ضغط الدم ، يرى العلماء ان سببه القات ، لانه يزول بزوال تعاطيه .

وللقات مضاعفات قد تحدث عند الكبار من متعاطي القات كنزيف فمي او سيدة قلبية او استسقاء رئوى . وهذه الآثار القلبية مثلها ما يحدث بسبب تعاطي الأفدرين .

ومن الآثار التى تظهر على متعاطي القات زيادة في التنفس .

وارتفاع في حرارة الجسم Hyperthermia ، ومع ارتفاعها العرق عقب التعاطي مباشرة ، يزيده تدفقا ما في الحجرة من دفء مصطنع .

واتساع في حدقة العين .

وكذلك التهاب في الفم وفي غشاء المعدة ، عند المدمنين .

والامساك ، ويحدث بسبب ما في القات من قدر غير صغير من التنئين Tannins وهي مادة قابضة . وكذلك من فعل المادة الفعالة في القات . ومن ادلة ان القات هو سبب الامساك ، انه ، عندما حرّم استيراد القات في عدن ، في عام ١٩٥٧، هبطت المبيعات من العقاقير المليّنة والمسهلة نحو ٩٠ في المائة .

التأثير النفسي للقات

للقات ـ كما راينا ـ اصول فعالة منها الكاثين وهو يدخل تحت ما يسمى المواد الامفيتامينية .. ولهذه الأصول تأثيرات نفسية تتم بالتأثير في الجهاز العصبي لكل من يتعاطى القات .. ومن اهم هذه التأثيرات « التنشيط العام » .. فالقات له مفعول يشابه المفعول المنبه للكافيين (المادة الفعالة في البن والشاى) .

ويظهر مفعول القات النفسي على عدة اشكال منها :

١ ـ زيادة التوتر العصبي .

٢ ـ زيادة استعداد الشخص لتقبل الاشخاص الجدد وتعرفه عليهم بسهولة .

٣ ـ زيادة في الحركة والنشاط .

٤ ـ زيادة في الاثارة .

٥ ـ الاتجاه الى العنف .

٦ ـ الاضطراب .

٧ ـ تصرفات لا ارادية .

يلي ذلك كله السهر والأرق .

وقد يؤدى استعمال القات بكميات كبيرة ، في بعض الحالات النادرة ، الى ظهور اعراض التسمم التى تؤدى الى الهلوسة ، وجنون العظمة ، والهيجان العصبي . ولكن يبدو ان طريقة استعمال القات وشرب كميات كثيرة من السوائل اثناء مضغه (او تخزينه كما يقولون) تخفف نسبة المواد الامفيتامينية التى تدخل دم المتعاطى وبذلك تقلل من تعرضه للاصابة بالتسمم الامفيتاميني .

وقد لوحظ ان الامتناع عن تناول القات لا يؤثر من الناحية النفسية او العضوية على الشخص المدمن بنفس الدرجة التى يتأثر بها مدمنو المخدرات الاخرى عند تركهم لهذه المخدرات .

هذا من الوجهة الطبية والنفسية عامة .

اما من الوجهة الاجتماعية ، وافساده للحياة على سائر جبهاتها فقد عولج في استطلاع القات في العدد الماضي ●●



الكِتابُ العَرَبِىُّ

فى هَـذا العَصْـرِ الحَـدِيث

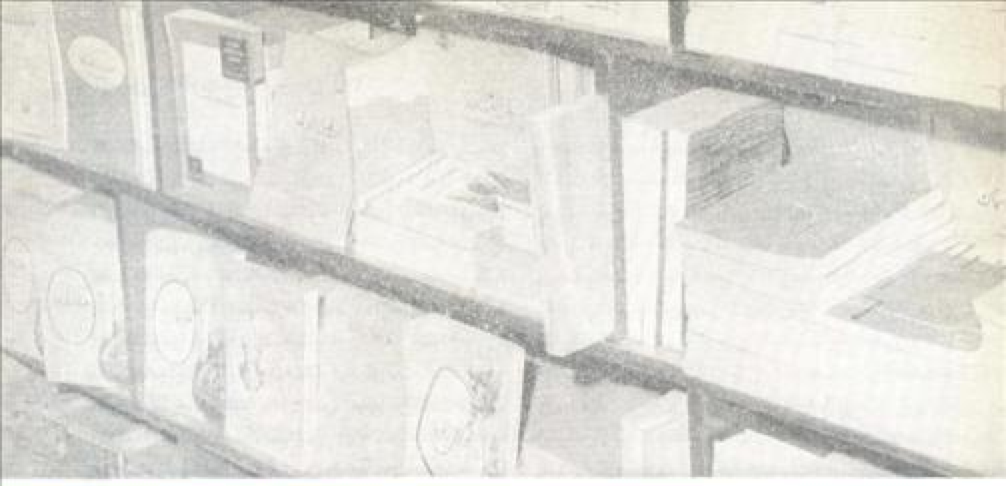
بقلم : الدكتور السيد أبو النجا

رئيس مجلس ادارة دار المعارف ــ القاهرة

■ من الاقوال المأثورة ان اول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العقل ، وخامس مراتبه النشر . واذا نظرنا الى الصمت كشرط لازم للاستماع صح القول بان اول العلم الاستماع .

وقد كان الاستماع وسيلة العلم الوحيدة قبل التاريخ ، ثم جاء الكتاب حدا فاصلا بين التاريخ وما قبل التاريخ . بين الحضارة وما قبل الحضارة . ولو لم يحرق حكام العرب كتب ابن رشد ، بل لو قام من بيننا من تابع ابحاث الخوارزمى وابن هيثم وجابر بن حيان وابن خلدون وغيرهم ، لكان للعرب فى العلوم شان آخر .

ولقد نزل القرآن بفعل امر هو « اقرأ » ، فكانت هذه الكلمة اول ما خوطب به النبى الكريم والناس . والقراءة تتمثل افقيا فى الصحافة ، وتتمثل راسيا فى الكتاب ، فالصحافة تعالج



الكِتَابُ يُعلِّمُ بِالجُملَة ، والمُدرِّسُ يُعلِّمُ بالمُفرَق !

● صِناعةُ الطِّباعَةِ فِي الوَطَنِ العَرَبِيِّ مُهدَّدَةٌ إذا لَمْ تُجَدِّدْ آلاتِها ، وتَدْخُل التِّكنِيَةُ الحَدِيثَةُ إلى كُلِّ مَجَالٍ طِباعِيٍّ فِيهَا .

● قَراصِنَةُ الكُتُبِ يُهَدِّدُونَ صِناعَةَ النَّشْرِ كُلَّهَا ..

موضوعات كثيرة في عدد واحد ، على حين يتعمق الكتاب موضوعا واحدا فيستوفيه بحثا . وفي الكتاب قال العقاد قوله المشهور :

ـ اني أحب الكتاب لأن حياة واحدة لا تكفيني . ومهما يأكل الانسان فانه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة . ومهما يلبس فانه لن يلبس على غير جسد واحد . ومهما يتنقل في البلاد فانه لن يستطيع أن يحل في مكانين . ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات في عمر واحد .

اقتناء الكتاب استثمار

القراءة تنمي الفرد ، والفرد ينمي المجتمع . ولن تكون قراءة معلّمة بغير كتاب . فالكتاب هو جهاز الاستقبال الذي يفتحه القارىء على الدنيا فيغترف بعينيه ما فيها من جديد . والفرد الذي لا يقرأ يوقف التيار الفكري الذي يربطه بالعالم ، ويحكم على نفسه بالعزلة ، وعلى عقله بالجمود ، وعلى ملكاته بالتحجر .

ان القراءة هي التي علمت الناس كيف يحلقون ذقونهم بالشفرات ، وينظفون أسنانهم بالمعجون والفرشة ، ويقطرون الدواء في أعينهم اذا أصابها التهاب او ألم بها غبار . وهي أيضا التي نشرت بينهم عادات التدخين وشرب الخمر وسباق الخيل وغشيان الملاهي . لقد أصبحت القراءة معلم الجمهور الأول ، حتى ليتعذر تصور الحياة بدونها . ان الحكومات لا تستطيع ان تحصل من شعوبها على التلبية المطلوبة اذا لم تكن هذه الشعوب قارئة ، حتى ليصح القول بأن تكوين الدول صعب التصور بغير قراءة .

والذي يقرأ الكتاب يقوم بعملية لازمة لزيادة كفايته الشخصية على حل مشاكل الحياة . وهو يضفي من كفايته على تحسين عمله من التقدير ما يفتح له أبواب الحياة .

ان الكتاب يمتاز في هذا على مدرس الفصل .

فالكتاب يعلم بالجملة ، والمدرس يعلم بالمفرق . والكتاب لا يفرض نفسه على قارئه وانما يضع نفسه في خدمته كلما اشتاقت نفسه اليه ، في حين يحدد المدرس موضوع الدرس ووقته ومكانه ، ثم يصبه على طريقته الخاصة في آذان التلاميذ ، ويفرض عليهم الانصات ساعة من الزمان أو أكثر ، وهم جلوس على مقاعد خشبية .

وكما يكون البيع بالجملة أرخص منه بالمفرق ، تكون المعرفة بالكتاب أرخص منها بالتدريس . واذا كانت المدرسة لاتستغني عن الكتاب فان الكتاب قد يستغني عنها . وكبار المفكرين من أمثال العقاد وكامل الشناوي لم يستمدوا من المدرسة الا أقل القليل ، ثم بقي الكتاب في أيديهم يؤاخيهم ويشترك في افراحهم ومآسيهم ، بل يدخل معهم الى بيوتهم ومخادعهم ، وبالصداقة التي نشأت بينه وبينهم وترعرعت على طول الزمان تغلغل الكتاب برسالته في أعماق نفوسهم فسار في خباياها وغير في مكنونها .

أصبح الكتاب الى جانب قيمته الثقافية ، له قيم عملية : منه نتعلم كيف نسعف المريض ، ونصلح السيارة ، ونربي الطفل ، وننظم المصنع . ان الكتاب هو الذي يأخذ بأيدينا اليوم الى انتاج أكبر وحياة أفضل .

المراحل الاربع لقراءة الكتاب

اظهرت الأبحاث أن تحصيلات التلاميذ من القراءة تختلف اختلافا كبيرا ، فبعضهم يصل في المرحلة الأولى الى ما لا يصل اليه سواه الا في المرحلة الثانية أو التي بعدها .

والمرحلة الأولى هي التي يبدأ فيها الطفل في تكوين ملكاته العقلية والاجتماعية والعاطفية واللغوية ، حتى اذا وصل في عمره الى ست سنوات بدأ يهتم بالكتاب والكلمة المطبوعة فيدخل المرحلة الثانية .

وفي هذه المرحلة يتعرف بنظره على نحو ثلاثمائة كلمة ، ويزداد اهتمامه بالقراءة لأنه يبدأ يفكر فيما يقرأ ، ومع تزايد سنه يتعلم كيف يستقل بنفسه في القراءة فيدخل المرحلة الثالثة .

وفي هذه المرحلة تزداد سرعته في القراءة الصامتة ، وفي فهم ما يقرأ . ويزداد عدد الكلمات التي سيتعرف عليها بنظره الى الف وخمسمائة أو الفي كلمة ، ثم يتعلم القراءة بصوت مسموع ويكتسب المهارات اللازمة للتحدث بما يجمعه من قراءاته ، كما يستخدم القراءة لاشباع حب الاستطلاع في نفسه ، ولجني المعلومات من العلوم المختلفة. بقيت المرحلة الرابعة ومن خصائصها أن تكون القراءة باهتمام أكبر وتذوق أحسن . وخلال هذه المرحلة تتلقى القدرات السابقة وترهف ، ويتسع مدى التعرف على الكلمات والمعاني ،وتنمو القدرة على التفسير . وبزيادة الحصيلة من المعرفة تتأكد القدرة على التقييم الصحيح وعلى الاستفادة من القراءة في تكييف الاتجاهات والسلوك . ان القراءة في هذه المرحلة تزداد اتساعا وعمقا فيصبح القارىء ناضجا Mature كما يقول William Gray .

الكتاب واهتمام الاطفال والبالغين به

اثبتت الدراسة أن الأطفال يظهرون في مدارجهم الاولى اهتماما بالحيوانات وميلا الى الحكايات عن الأطفال الآخرين الذين هم في سنهم . وقبيل المراهقة يظهر الاولاد ميلا الى قراءة المغامرات وطرق القيام بها والهوايات وعبادة الأبطال . اما البنات فيظهرن اهتماما بالبيت والحياة المنزلية. وبعضهن يملن الى قراءة المغامرات . وقد لوحظ أن البنات يحببن كتب الأولاد على حين أن الاولاد لا يحبون كتب البنات .

وفي سن المراهقة يبدي الأولاد اهتماما بالمجهول وبالالعاب ونواحي الترفيه ، في حين يقبل البنات على الروايات الغرامية والقصص التي تعالج مشاكلهن في سن المراهقة .

اما ميول البالغين فهي متنوعة ومعقدة . وقد ذكر Douglas Waples and Ralf Tyler أنهما بحثا الميول للقراءة عند البالغين - على مستوى دولي - فوجدا انها تختلف باختلاف السن والبيئة والوظيفة وعدد سنوات الدراسة . ولم تتفق الميول الا في اتجاهين اثنين هما الاتجاهات الدولية والثقافة الشخصية . كما لاحظا أن الوصول الى المواد المقروءة في سهولة ويسر من أهم دوافع الاقبال عليها ، ولذلك تقرأ الجرائد والمجلات أكثر مما تقرأ الكتب .

التأليف والترجمة

يميل المؤلفون العرب الى الكتابة في الدين والتاريخ وتراث الاقدمين وسير الخالدين والمسرحيات والسياسة والشعر والقصص .ومنهم من يكتب في علم النفس والعلوم الاجتماعية والفلسفة . أما العلوم الطبيعية والفنون الجميلة

والموسيقى والموسوعات والمراجع والهوايات والحرف فلم يصدر فيها الا قليل .

وبعد القرآن الكريم وكتب التفسير ، من حيث الشيوع ، تجيء مؤلفات الطبرى ، والشريف الرضى ، وابن المقفع ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن خلدون ، والغزالي ، وابن قتيبة والف ليلة وليلة ، وقصص عنترة ، والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذى يزن ، والزير سالم ، وأبى زيد الهلالي ..... الخ .

ثم يجيء من آثار المحدثين كتب الجبرتى والمويلحى ورفاعة الطهطاوى وجمال الافغاني ومحمد عبده وفرح أنطون والمنفلوطي وقاسم أمين ومحمد حسين هيكل والعقاد وايليا أبو ماضي والزهاوى والشابى ... الخ . وتجيء آثار الأدباء الأحياء وهم أغنياء عن التعريف .

ولعل منشأ اقبال الناشرين على كتب التراث أنهم لا يدفعون عنها حقوق تاليف بعد أن مضى على تاليفها أكثر من خمسين عاما ، كما أن القراء يحبون القراءة فى هذه الكتب واقتناءها فى مكتباتهم.

هذا عن الكتب المؤلفة ، اما الكتب المترجمة فهى للأسف قليلة جدا فضلا عن أن الذى ترجم منها لا يخضع لتخطيط منهجى . واذا عرفنا أن الولايات المتحدة وحدها تصدر فى كل عام أكثر من عشرين ألف كتاب جديد . وأكثر من خمسمائة مليون نسخة من الطبعات الشعبية ، تصورنا كم يصدر فى العالم المتحضر من مئات الألوف من الأبحاث الجديدة وقد كان علينا أن نستفيد منها بالترجمة لنلاحق ركب الحضارة والتقدم .

ان كبار الكتاب العرب لا يزالون يعتقدون أن الترجمة دون التاليف مكانة . فالفضل يرجع للمؤلف مرتين : مرة عند التاليف ومرة عند الترجمة . أما المترجم فهو ظل المؤلف ، والجزاء الذى يلقاه قليل بالقياس اليه .

انى أدعو الى تشجيع القادرين على ترجمة الانتاج العالمي المعاصر والتراث الكلاسيكي منذ عصر النهضة . ادعو الى ترجمة بعض المعاجم المنتقاة والموسوعات والأطالس ، والى ترجمة الكتب التى تساعد على اتقان الحِرَف وتحسين الانتاج ، وتلك صرخة أوجهها الى دور النشر الكبرى والى الحكومات العربية .

حقوق التاليف

لم تكن حقوق المؤلفين والمترجمين فى العالم العربي منظمة بقوانين الى عهد قريب ، ولذلك كانت الأحكام فى الملكية الأدبية تصدر استنادا الى قواعد العدل ، مع أن الأمم المتحدة أصدرت الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ ونصت فى مادته السابعة والعشرين على ان لكل فرد الحق فى حماية المصالح الادبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني . ومعاهدة برن الدولية لحماية حقوق المؤلف أبرمت عام ١٨٨٦ ثم عدلت عدة مرات كان آخرها فى استكهولم عام ١٩٦٧ . وهيئة اليونسكو نظمت عقد اتفاق دولي فى جنيف فى ٦ سبتمبر ١٩٥٢ عن حقوق التاليف .

وقد ظهر فى يوليو ١٩٦٧ اتجاه معارض لهذه الاتجاهات جميعا حين وضع المؤتمر الدبلوماسي الذى عقد فى استكهولم بروتوكولا يحد من حقوق النشر لصالح الدول النامية فيجيز انقاص مدة حماية حق المؤلف ، ويتوسع فى الحالات التى يجوز فيها لهذه الدول أن تترجم وتنشر المصنفات الأجنبية مراعاة لاحتياجات التعليم والثقافة دون اذن المؤلف والناشر .

ومهما يكن من شيء فان القوانين الحالية تكفل للمؤلف مبادىء ثلاثة :

اولها — أن يكون حرا فى التعبير عن رايه فى حدود القانون ، فلا يملى الناشر عليه فكرة معينة أو يطلب منه نتيجة محددة . ولو عهد الناشر الى مؤلف بوضع كتاب معين ثم وجده دون المستوى الذى كان يتوقعه ، فلا يجوز له أن يرجع فى اتفاقه معه .

ثانيها — أن للمؤلف وحده الحق فى تقرير نشر مصنفه وفى تعيين طريقة هذا النشر .

ثالثها — ان انقضاء حق المؤلف فى الاستغلال المادى بعد مرور خمسين عاما لا يعنى انقضاء حقه الأدبى وهو نسبة مؤلفه اليه .

مهنة الناشر

درجت دور النشر على أن تتعامل مع المؤلفين على أحد الأسس الآتية :

١ — تعطيه مبلغا محددا عن الطبعة الأولى ومبلغا آخر عن كل طبعة تالية .

٢ — تعطيه نسبة من الثمن المنشور على غلاف الكتاب مضروبة فى عدد النسخ المطبوعة .

٣ — تعطيه نسبة أكبر من ثمن الغلاف مضروبة فى عدد النسخ المبيعة فى كل سنة .

٤ ـ تقسم معه فائض الكتاب بعد نفاد النسخ مع تحديد البنود التي تتألف منها المصاريف .

ويقع الخلاف عادة بين المؤلف والناشر بسبب ان الأول يقدر كتابه بمقدار ما فيه من مادة علمية، على حين يقدره الثاني بمقدار ما ينتظر له من رواج . وقد يكون للمؤلف قيمة ذاتية كبيرة ، ولكن قيمته السوقية موضع نظر !

والناشرون في أوربا وامريكا يتجهون الى التخصص . فمنهم من يقتصر على كتب الأطفال ، ومنهم من ينتج الكتب المدرسية ، ومنهم من لا يعمل الا في الكتب الفنية والجامعية . اما الناشرون العرب فلم يصلوا بعد الى هذا المستوى . وقد تنشر دار في القاهرة كتابا من كتب التراث . او تترجم مؤلفا اجنبيا ، ثم يتبين أن نفس الكتاب قد صدر في نفس السنة عن دار في بيروت . وذلك لانعدام مرجع ينشر الكتب الصادرة في العالم العربي بعد تصنيفها بحسب موضوعاتها .

وكذلك تتخصص دور النشر العالمية في تحديد الفراغات العلمية والثقافية وفي فحص الموضوعات المعروضة واختيار الأصلح من بينها والتعاقد مع مؤلفيها ، ثم ترسل المخطوطات والصور والرسوم الى مطابع متخصصة ، فاذا صدر الكتاب تسلمته شركات مستقلة للتوزيع . أما دور النشر العربية فلا يزال معظمها يتولى كل شيء بل ان من صغارها ما قد يتولى التأليف !

ومن أسف أن دور النشر لا تقبل على كتب العلوم الطبيعية وهي معذورة في ذلك فقد ثبت ان القراء العرب يفضلون الاطلاع على هذه العلوم بلغاتها الأصلية .

انتاج الكتاب

الكتاب شكل وموضوع . والشكل فيه لا يقل اليوم اهمية عن الموضوع . واذا كان الكتاب رسالة فقد اصبح صناعة تحمل هذه الرسالة. انه لا يؤدي رسالته الا حين تمر عين القارىء على سطوره . فعلى الناشر أن ينتجه في شكل مشوق يجذب اليه أكبر عدد من القراء والا فانه يخرج من ساحة المطابع الى ظلمات المخازن !

الكتاب ورق ينتقى ليناسب عملية الطباعة بالتيبو اى بالحرف المجموع Letter - Press او بالاوفست، وحبر يختار ليجف بسرعة أو على مهل .. والوان تصمم ليتم فصلها في التصوير واعادة تركيبها عند الطبع .. وبنط يتناسب مع القطع والهوامش وعمر القارىء وثقافته .. وغلاف يتمشى مع ثمن الكتاب وعدد صفحاته .

لقد كانت كتب الأطفال تجري على وتيرة واحدة Static فاصبح كثير منها دائب الحركة Dynamic ومنها ما يخرج قطعا موسيقية او أصواتا للطيور . وقد أصبحت الكتب الطبية التي تدخل المشرحة على القماش او اللدائن او على الورق بعد معالجته معالجة خاصة لا تتأثر بالرطوبة او الأحماض . والكتب التعليمية اليوم ذات جيوب فيها اسطوانات يديرها القارىء وهو يطالع فيتلقى الثقافة بعينيه وأذنيه ليعمق الأثر في نفسه . وقد انتشرت هذه الطريقة في تعليم اللغات بصفة خاصة .

وصف الحروف للطبع كان باليد فاصبح آليا حرفيا بالمونوتيب، وسطريا باللينوتيت والانترتيب ودخل العقل الالكتروني في الصف ، فارتفعت سرعة الآلة في الساعة من مائة الى تسعمائة سطر .

والواح الزنك أو الالومنيوم تأتي اليوم من المصنع محسسة جاهزة لطباعة الأفست ، فيتم نقل الصور عليها في بضع دقائق بعد أن كان يستغرق ساعات . وفصل الالوان يتم اليوم تلقائيا في آلة التصوير بعد أن كان يتم بالعين المجردة .

ومن الآلات الالكترونية ما يتسلم الصورة الملونة من ناحية فيفصل الوانها ويخرج لها أربعة كليشهات من الناحية الأخرى . وهناك من الات الطرق والثقب والورنشة والتشكيل ما يجعل الطباعة صناعة من صناعات التجميل .

وفي التغليف بالورق والتجليد بالقماش او الريكسين تذهيب" وحفر وابراز واحاطة الكعب باللوالب . كل ذلك في تسلسل آلي يحيل اللفة من الورق المطبوع الى نسخ معدودة ومرصوصة في الصناديق .

وهكذا اصبح ما يكتبه المؤلف مجرد مادة أولية يصنعها الرسامون والخطاطون والمهندسون والكيمائيون والطابعون ، فيجعلون منها سلعة ثقافية يتوافر فيها ما يتوافر في سائر السلع من جودة وجمال .

وقد دعا تقدم الطباعة في اليابان وايطاليا ويوغوسلافيا الى أن يفضل بعض الناشرين العرب

طبع كتب الأطفال وهي كثيرة الألوان في هذه البلاد . والغريب ان هذه الكتب تصل على ورق صقيل بالوان انيقة وبثمن بخس . ان هذا الحال يهدد صناعة الطباعة في العالم العربي ولا عاصم منه الا ان تجدد بلادنا آلاتها وتدخل التكنية الحديثة في كل مجال للطباعة .

دراسة السوق

الكتاب - كما قدمت - لا يؤدي مهمته الثقافية الا اذا تمت اللقيا بينه وبين القارىء ، فالذين ينشرون الكتب لقيمتها العلمية فقط دون استيثاق من ان لها حدا ادنى من القراء المرتقبين ،ينفقون اموالهم وجهودهم في غير طائل . انهم يستعلون على الجمهور فيتجاهلهم ،وتكون النتيجة وبالا على المؤلفين والناشرين جميعا . ومن الناحية الأخرى فان بعض المؤلفين ينزلون بمادتهم الى مستوى غير لائق فيتملقون غرائز الجنس وينشرون باسم الدين خرافات قد تكون طريفة ولكنها ليست منه.

وأول خطوة في التسويق هي دراسة السوق للاجابة عن مثل هذه الأسئلة :

كم من الناس في كل سوق عربي أميون وكم منهم القبائليون ؟

كم منهم يحملون شهادات متوسطة وكم منهم يحملون مؤهلات عالية ؟

كم منهم يقع في كل شريحة من شرائح الدخل ؟

كم منهم رجال وكم منهم نساء ؟

كم منهم في سن الطفولة وكم في سن الشباب وكم في سن الشيوخ ؟

كم منهم في كل مهنة من المهن والحرف ؟

الى غير ذلك من الخصائص التي تساعد على تقدير القراء المرتقبين لكل كتاب بالذات .

بحث ميداني عن الكتب والصحف

وقد اجرى المركز العربي للبحوث والادارة بالتعاون مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة في سنة ١٩٦٦ بحثا ميدانيا عن الكتب والصحف كما يراها المشترون ظهرت منه النتائج الآتية :

١ - أن أكثر الموضوعات انتشارا هي الموضوعات الدينية وتليها الجنسية . وأقل الموضوعات انتشارا هي العلمية .

٢ - أن أكثر الطبقات اقبالا على القراءة هي المتوسطة التي يروح دخلها بين ٣٥ ، ٦٠ جنيها في الشهر .

٣ - أن أكثر الناس قراءة هم مدرسو التعليم الثانوي ويليهم طلاب الجامعات . أما المتخصصون من الأطباء والمهندسين والكيمائيين وغيرهم فهم يتوفرون على ما تخصصوا فيه ولذلك تقل قراءاتهم لكتب الثقافة العامة .

٤ - أن الأعزبين يقرءون أكثر من المتزوجين على خلاف ما كان متوقعا .

٥ - أن سن القراءة الغالبة هي ما بين العشرين والخمسين

تسويق الكتاب

اذا أردنا ترويج الكتاب في كل بلد عربي فلا بد أن نعمل على زيادة منافذ التوزيع فيباع الكتاب في المكتبات والأكشاك والقطارات والاسواق المركزية Super Markets والمخازن الكبرى Department Stores ، مع باعة الصحف .

ولا بد أن ينتقل الى القارىء فيعرض نفسه عليه في القرى والعساكر وقرب الملاهي والمطاعم والمحطات . ولا بد أن تقوم له معارض سنوية في كل عاصمة ، ومعارض متنقلة بين المدن لتنقل الى الناس أحدث ما صدر في كل ميدان من ميادين المعرفة .

أما بائع الكتاب فلا بد من اعطائه اياه على سبيل الأمانة فلا يدفع للناشر ثمن ما يأخذ من كتب ، وانما يدفع له ثمن ما يبيع منها . ولابد من اعطاء البائع خصما مجزيا وتوصيل الكتب التي يطلبها الى بابه وتبديلها له كلما وجد منها ما لا يروج .

بقي على البلاد العربية ان تتبادل ثقافاتها . ولن يكون ذلك الا بتيسير تصدير الكتاب واستيراده وتخفيف قيود العملة والرقابة على المطبوعات ، وتخفيض ثمن الاعلان عن الكتب في الصحف وفي وسائل الاعلام الأخرى .

قراصنة الكتب يهددون صناعة النشر كلها

وقد اجتاحت العالم العربي في المدة الاخيرة موجة من التقليد تهدد صناعة النشر كلها . فبعد انتشار طباعة الأفست أصبح من السهل على أي مطبعة أن تصور الكتاب ، الذي لاتملكه بالكمرة

ثم تنقله على الزنك المحسس لتبدأ فى طبعه على الفور بسرعة عشرة آلاف نسخة في الساعة للذى حمله الطابعة . والمقلد يمتاز هكذا على الناشر الاصلي بما يلي :

١ ــ ينتقى أحسن الكتب الرائجة فهو يقامر دائما على جواد رابح .

٢ ــ لا يدفع للمؤلف حق التأليف وهو يدور عادة حول ٢٠٪ من ثمن الغلاف .

٣ ــ يوفر تكاليف الصف والرسم والتصوير والتنفيذ والتصحيح والاخراج .

٤ ــ يستفيد من السمعة القائمة للكتاب المقلد وما أنفق عليه من اعلانات .

٥ ــ يبيع الكتاب بسعر أقل ــ للأسباب المتقدمة ــ ويمنح أصحاب المكتبات هامشا أعلى من الربح فيضمن توزيعا أكبر .

وقد بلغ من جراة المقلدين انهم تقدموا بالكتب المدرسيه فى المناقصات الحكومية دون أن يكون لهم حق نشرها ، فاذا رست عليهم طبعوها فى اى مكان ووردوها . ولذلك لجأت الحكومة السعودية الى اشتراط ان يتقدم المتزايد بما يثبت ملكيته للكتاب، اما اغلب الحكومات الأخرى فترى ان هذا ليس من عملها ، فترسى العطاء على من يقدم ارخص الأسعار وتترك لصاحب الحق أن يقاضيه .

هل يكون الحل أن تنضم الدول العربية جميعا الى معاهدة برن ؟

ان اثنتين فقط من الدول العربية قد انضمتا الى هذه المعاهدة وهما لبنان وتونس . ولا شك ان انضمام باقي الدول يعزز مكانة المؤلفين العرب ويساعدهم على حفظ حقوقهم فى الخارج . ولكن القوانين المحلية فى كل بلد عربى تكفى على الأغلب لمحاربة التقليد لولا أن الاثبات صعب . فليست العلة فى عدم الانضمام لمعاهدة برن ، وانما العلة فى تقاعس الحكومات العربية عن مكافحة هذه القرصنة . ولعل الجامعة العربية تستطيع ان تفعل شيئا جديا فى هذا الصدد بعد ان عقدت حلقة دراسية فى سنة ١٩٦١ وحلقة أخرى فى سنة ١٩٦٩ ولم يترتب عليهما اى تحسن فى الموقف .

الكتاب الميسّر والخاص

هل الكتاب سلعة ميسرة Convenience Goods او هو سلعة خاصة Special Good ؟

الواقع أن موضوعه هو الذى يحدد نوعه . فان كان عاما كالمصاحف ،والكتب الدينية ،والمدرسية، والقصصية ، وكتب الأطفال فهو من السلع الميسرة . وان كان علميا أو فنيا ، او ثقافيا ، او من كتب التراث ، أو الموسوعات والأطالس والقواميس ، فهو من السلع الخاصة .

والكتب الميسرة يلعب السعر والاخراج فيها دورا كبيرا فى تكييف الطلب عليها . ثم انها تباع فى المكتبات ويعلن عنها عادة فى الجرائد والمجلات . أما الكتب الخاصة فالمهم فيها موضوعاتها وأسماء مؤلفيها وناشريها . والاتجاه فى بيعها يكون لدور الكتب Libraries والمعاهد العلميه والى الصفوة من القراء . ولذلك يحسن الاعلان عنها برسائل بالبريد Direct Mail وفى الصحف المهنية Trade Papers .

ومهما يكن نوع الكتاب فهو يتميز فى انتاجه بانه منجم ذهب أو بئر افلاس . ان معظم نفقات انتاج الكتاب لا تتأثر كثيرا بعدد النسخ المطبوعة فالصف والتنفيذ والتصوير والتصحيح والمصاريف الادارية كل ذلك يكاد يكون ثابتا بقطع النظر عن التوزيع . وحقوق التأليف لا تقل على كل حال عن حد معين ولا تزيد حتما بنسبة زيادة التوزيع.ومن هنا كانت اهمية التوزيع والتسويق فى تحقيق الأرباح . ان الكتاب كلما زاد توزيعه ارتفعت ارباحه بنسب متزايدة ، واذا قلت مبيعاته عن مستوى معين أصبحت خسارته محققة.

وأغلب دور النشر تحقق أرباحها حتى الآن من الكتب المدرسية وكتب الأطفال . أما الكتب الثقافية فقلما توزع فى العام أكثر من ثلاثة آلاف نسخة .

وماذا بعد ؟

اما بعد فاني لا اجد ترفيها عن القراء بعد هذا البحث خيرا من هذين البيتين لشوقي :

تجدُ الكُتْبَ على النقدِ كما
تجدُ الاخوانَ صِدْقاً وكِذابا
فتخيَّرْها كما تختارهم
وادَّخِرْ في الصَّحْبِ والكُتْبِ اللبابا

السيد ابو النجا

مسابقة العربي

عشرة أسئلة .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في عشرة أسئلة عن وطننا العربي .. ذكرنا في نهاية بعضها ثلاث اجابات لتختار الاجابة الصحيحة منها .. وقد تبدو لك بعض الاسئلة صعبة ، ولكنك برجوعك الى الخريطة التي وزعناها مع العدد الماضي الممتاز ستجد الاجابة الصحيحة على بعض الاسئلة ..

الاسئلة :

١ ـ ولد ابو العلاء المعرى عام ٩٧٩ ميلادية في قرية بشمال سوريا .. وبعد ان سافر الى حلب وبغداد وطرابلس وانطاكية عاد الى بلدته ليعيش فيها معتزلا متزهدا ، فاى هذه الاسماء هو اسم قريته :

دير الزور ـ تدمر ـ معرة النعمان

٢ ـ القائد القرطاجنى هنيبعل Hannibal انطلق من مدينة قرطاجنة الى روما ، فحقق عدة انتصارات حربية ، قبل ان يعود اضطرارا الى قرطاجنة ، حيث انتحر هناك .. حدث هذا منذ ٢١٧٠ سنة تقريبا .. واليوم لم يبق من قرطاجنة سوى اطلال .. ففى اى الدول العربية تقع هذه الاطلال التاريخية .

الجزائر ـ ليبيا ـ تونس

٣ ـ اصبح الدينار والجنيه هما العملة المستعملة في اغلب بلادنا العربية .. ولكن ما زال هناك بلدان يستعملان الليرة . فما اسم هذين البلدين :

المغرب والجزائر ـ اليمن وعمان ـ سوريا ولبنان .

٤ ـ احمد شوقي امير الشعراء الذى توفي عام ١٩٣٢ تعلم الى جانب ثقافته العربية . في جامعة فرنسية ، فاى جامعة هى :

مونبلييه ـ السوربون ـ ليون

٥ ـ مدينتان .. حفرت مساكنهما ومعابدها في صخور الجبال .. واحدة منهما في الاردن والاخرى في المملكة العربية السعودية ، فما اسماهما :

جرش ـ حائل ـ تبوك ـ البتراء .

٦ ـ ما اسم الدولة العربية التى يخترقها خط الاستواء :

موريتانيا ـ السودان ـ اليمن

٧ ـ مدينة الفيوم تقع قرب بحيرة :

البرلس ـ قارون ـ التمساح

٨ ـ اذكر اسماء ٥ دول عربية تقع سواحلها على مياه البحر الاحمر وخلجانه ؟

٩ ـ بلد عربي واحد خلد في علمه شجرة تنمو على أراضيه .. فما اسم البلد وما اسم الشجرة ؟

١٠ ـ ثلاث بلاد عربية تستعمل الهلال والنجمة في اعلامها ، ما اسم هذه الدول الثلاث ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٨ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧١ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

... وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

وَحْدَةُ اللهِ
تَتَرَاءَى
فِي وَحْدَةِ خَلْقِهِ

المَمْلَكَةُ الحَيَوانِيَّة والمَمْلَكَةُ النَّبَاتِيَّة

قَسَمُوهُمَا إِلَى أَقْسَامٍ مِنْ بَعْدِ أَقْسَامٍ،

كَشَفَتْ عَنْ وَحْدَةٍ بَيْنَ الأَحْيَاءِ وَاخْتِلَافٍ،

ظَلَّتْ وَرَاءَهُمَا أُصُولُ الحَيَاةِ وَاحِدَةً، أَجْهِزَةً وَأَهْدَافًا

■ الأحياء، منتشرة فى الارض اليابسة، وفى الماء وفى الهواء.

وهي انواع.

وقد اسالك ان تذكر لي بعض انواع حيوان، فى الأرض اليابسة، مما عرفتَ وألفت، فقد تذكر لي العشرة والعشرة والعشرة ثم تكفُّ.

وقد اسالك عن انواع الحيوان فى الماء، مما عرفتَ وألفتَ، فقد تذكر لي العشرة والعشرة وتكف.

وقد اسالك عن انواع الحيوان فى الهواء، فقد تذكر لي العشرة ثم تكفُّ.

واسالك عن انواع النبات، حيثما وُجدتْ، فتعد لي ما تستطيع من ذلك.

ولو انك فى كل عدِّك هذا بلغت المائة من الانواع والمائتين، او ان شئت فالثلاثمائة، لحسب الناس انك بعض الجهابذة العارفين.



الحيوانات بها أكثر من ١,٠٠٠,٠٠٠ نوع

والنباتات بها أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ نوع

والجديد المكتشف كل عام من الحيوان نحو ١٠,٠٠٠ نوع

والجديد المكتشف كل عام من النبات نحو ٥٠٠٠ نوع

بقلم الدكتور أحمد زكى

عدد الأحياء

وغير ذلك اذا انت سألت عالما فى الحيوان ، او عالما فى النبات .

ان علماء الأحياء هؤلاء ، ظلوا فى القرون هذه الماضية يجمعون من انواع الأحياء ما يجمعون ، وهم بعد جمع يصفون ويسجلون ، حتى احتوت سجلاتهم اليوم اكثر من مليون نوع مختلف من الحيوان ، ونحو ٣٥٠٠٠٠ نوع مختلف من النبات . هذا غير حصيلة دائمة يحصلون عليها كل عام ، هي نحو ١٠٠٠٠ نوع من الحيوان جديد ، ونحو ٥٠٠٠ نوع من النبات ما عرفوه من قبل .

وجوه الاختلاف بين الأحياء كثيرة

وهذه الأعداد الهائلة ، من الحيوان او من النبات ، بينها وجوه من الاختلاف كثيرة ، فهي تختلف فى حجم ، وتختلف فى شكل ، وفى بناء كيان ، ووظيفة جسم ، وفى طول عمر ، وفى اسلوب تكاثر .

ففي كبر الحجم وضخامته نذكر الحوت الأزرق ، وهو اكبر حيّ فى الماء ، فطوله يبلغ نحو مائة قدم ، ووزنه يبلغ نحو مائة طن . ونذكر الفيل ، وهو اكبر حيوان ثديي على سطح الأرض .

ثم شجرة الجبّارة Redwoods وهى صنف من الاشجار يعلو فى الهواء الى نحو ٣٠٠ قدم ، ومنه ما عاش الآلاف من السنين ، ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ سنة . فبعضه بدأ حياته قبل ان يبدأ التاريخ الانساني هذا المكتوب .

وكما ان هناك الحيوان الكبير ، فهناك المتوسط والصغير .

وكما ان هناك النبات الكبير ، فهناك كذلك المتوسط والصغير .

وننزل في الحيوان الى الحشرات فنجد الأعداد الغفيرة ، ذات الأشكال والألوان والتراكيب العجيبة . ويقابلها في النباتات الأعشاب كثرة واختلافا .

حتى اذا بلغنا ما دون حدود البصر الانساني ، فاستخدمنا المجهر الضوئي العادي ، او المجهر الالكتروني ، نزلنا في الصغر الى الاعماق ، ووجدنا الحياة هناك فيها كثرة وتنوع وتشعب ، من حيوان ونبات . حتى اذا نزلنا الى اصغر حيوان ، وهو طفيلي صغير يعرف باسم مكروسبوريديان Microsporidian ، وجدناه يصغر اكبر الحيوانات ، اعني الحوت الأزرق ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مرة .

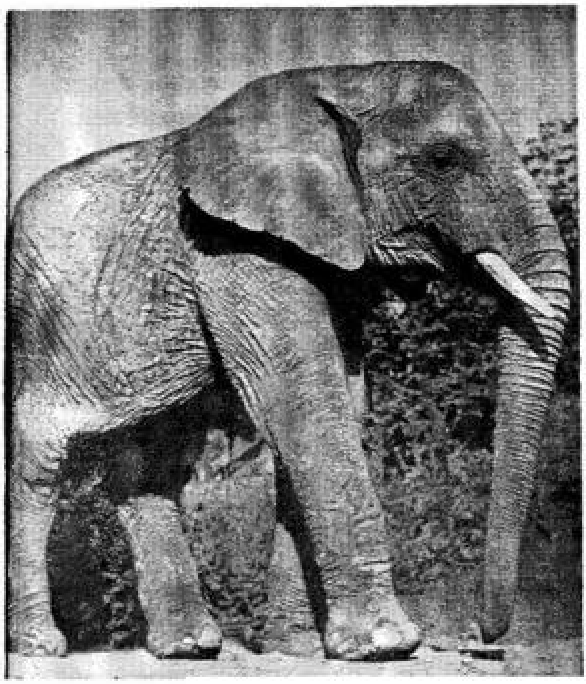
وجوه الشبه بين الأحياء كثيرة

ومع ما بين الأحياء من اختلاف ، يوجد بينها الكثير من التشابه ، في حيوانات او نباتات . وهذا امره واضح .

الخلائق على الأرض كالنجوم كثرة

ذكرنا احياء هذه الدنيا ، عدد اصناف ، وسكتنا عما يوجد في الدنيا من اعداد للصنف الواحد . نقول في الدنيا نوعان Species من الفيلة ، ولكن كم في الدنيا من هذه الفيلة ؟ ونقول في الدنيا من العقارب ٥٠٠ نوع ، ولا نذكركم عقارب الدنيا . ونقول الثعابين ، والثعابين كثيرة الأنواع ، ونسكت عن الأعداد الموجودة من كل نوع في الدنيا . ونقول الانسان ، وهو نوع واحد ، وتكاد تنسى ان عدد هذا النوع في سبيله الى الثلاثة الآلاف من الملايين . والحشرات ، كم نوع هي ؟ وكم يوجد في الدنيا من كل نوع ؟ ان البعض يقول ان الحشرات من الكثرة ، ومن القدرة على صراع الحياة بحيث انها قد تكون وارثة الأرض من بعد الانسان .

انواع الحيوانات الاكثر من مليون نوع ، تلك التي سبق ان ذكرناها ،



الفيل

هذه صورة للفيل الافريقي ، وهو احد «النوعين» الباقيين من الحيوانات الثديية ذات الخرطوم . «والنوع» الآخر هو الفيل الهندي . والذي كان من الفيلة قديما قد انقرض . والفيل اكبر الحيوانات ، لا يفوقه في الحجم الا بعض الحيتان في البحر . وقد ادى ثقل جسمه الى ان تكون اطرافه من السمك والقوة بحيث اشبهت الاعمدة وهي من بناء . والفيل لا ياكل الا النبات .



اللبؤة

وهي انثى الاسد . وهما من فصيلة القطط Feledae ، وتحتوي على النمر والفهد والجوار او النمر الامريكي الاستوائي المرقط ، والقط الوحشي ، والقط المستانس . وهذه الحيوانات ، وتعرف بالقطط ، Cats تختلف في الظاهر ، ولكن تتشابه في الباطن شبها قريبا ، ومن امثلة ذلك انه ليس من السهل التفرقة بين جمجمة اسد وجمجمة نمر .

وانواع النباتات الاكثر من ٣٥٠٠٠٠ نوع ، اذا استبدلنا بها اعداد النسخ الموجودة من كل نوع منها على ظهر هذه الأرض ، في يابسة وماء ، لبلغنا بها اعدادا كأعداد النجوم كثرة .

الانسان في زحام هذه الطبيعة

والانسان ، يقف في اوسط هذه الانواع جميعا ، في اوسط هذا الزحام ، وينظر ، وتشوقه المعرفة فيبحث ، فيزداد علما .

ولكنه يظل في هذه المتاهات الواسعة بعيدا عن استيعاب .

حتى يتوسل بوسيلة العقل الأولى في التحليل والتنظيم والتوضيح ، واولها التقسيم .. للفهم ، ثم للحكم ان كان حكم .

ان الكثير من الناس يحكم قبل ان يفهم ، والعالم يفهم أولا ، وهو ليفهم يجب عليه ان يحلل ويقسم ، ثم هو يحكم .

تقسيم المملكة الحيوانية والمملكة النباتية

واسموها مملكة لضخامتها . ان المملكة الواحدة من ممالك بني الناس يعدون فيها العشرة الملايين والعشرات ، وكل افرادها من نوع من الحيوان واحد ، هو الانسان . فكيف لا نسمي مملكة الحيوان مملكة وبها اكثر من المليون نوع ، عدا ما يوجد بها لكل نوع من نسخ كثيرة ؟

وكيف لا نسمي مملكة النبات مملكة ؟

واذ نبدأ التقسيم نحسُّ على الفور ان الذي نريد ان نقسمه لا بد ان يكون فيه صفات تجمّع ، وصفات تفرّق .

الشعب الحيوانية

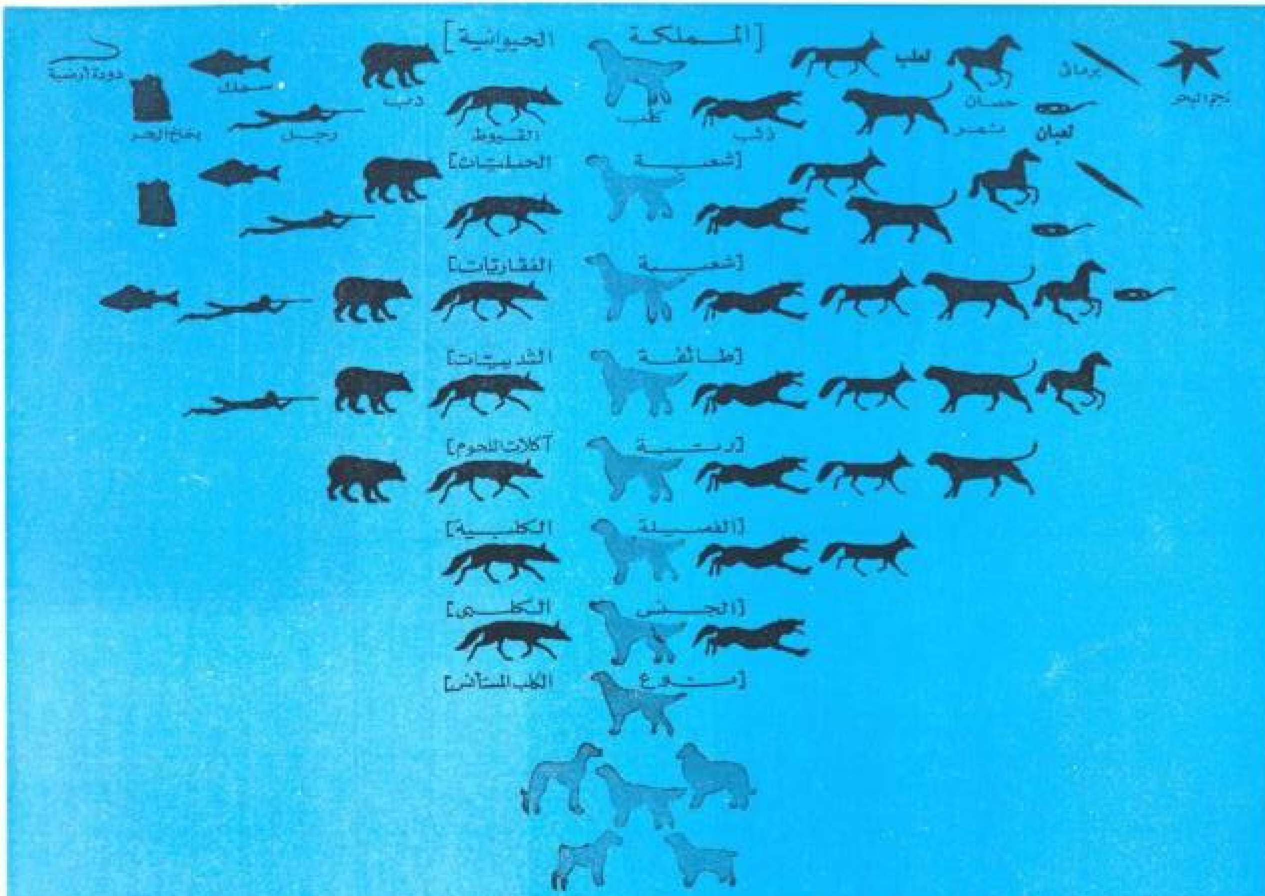
وبدأنا بالحيوانات جملة .

ولاحظنا ان بها صنوفا يجري في طول اجسامها قضيب صلب اسميناه بالحبل Notochord يتحول احيانا الى سلسلة عظمية من فقار هي التي نسميها سلسلة الظهر Vertebrate Column ، ففصلنا كل هذه الحيوانات معا ، لهذا الشبه الذي بينها ، واسميناها كلها بالحبْليات Chordates ، واسمينا ما تحول من ظهورها الى سلاسل ظهرية بالفقاريات Vertebrates للذي بها من فقار . ومنها كان القط والأرنب والماشية والخيل والضفدع والثعبان والانسان .

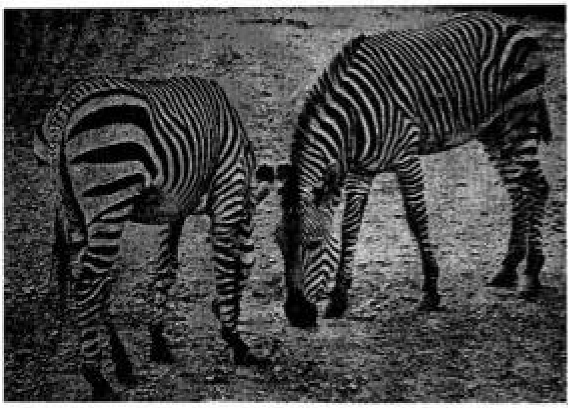
واسمينا هذا القسم الكبير الاول من المملكة الحيوانية بالشعبة Phylum .

ونظرنا فيما تبقى من الحيوانات ، وبحثنا عما فيها من اشباه ، فوجدنا مثلا جماعة ، جمع بينها رخاوة الجسم ، وهو جسم ضمته عباءة بها غدد تفرز عادة صدفة جيرية للجسم حامية .

وجمعنا هذه الحيوانات معا ، في



الملكة الحيوانية : كيف تنزل فيها الى الشعبة ، فالشعيبة فالطائفة فالرتبة فالفصيلة فالجنس فالنوع الى الكلب المستأنس



الحمار المخطط

لا يكاد الانسان يجد فرقا بينه وبين الحصان والحمار ، وتجمعهما «فصيلة» واحدة هي « فردية الحافر » .

شعبة واحدة ، وسميناها الرخويات . ومنها كانت الحيوانات الصدفية والقوقع .

ونظرنا فيما تبقى بعد ذلك . وكررنا فيه هذا الاجراء حتى خرجنا على ما قارب ثلاثين شعبة ، منها المفصليات ، والديدان الحلقية ، والديدان المفرطحة ، والاسفنجيات وهلم جرا ، نذكرها في غير ترتيب .

الطائفة الحيوانية

ثم رحنا ننظر فى كل من احياء هذه الشعب نقسمها بناء على اشباه نراها فى بعضها جديدة .

ونضرب لذلك مثلا من الشعبة الاولى، شعبة الحبليات ومنها الفقاريات .

وقسمنا هذه الفقاريات الى أسماك ، وبرمائيات (تعيش فى البر والماء) وزواحف ، وطيور ، وثدييات لها ثدي ترضع بها اولادها . وأسمينا كل قسم من هذه بالطائفة Class .

ورحنا نقسم كل طائفة الى رتب Orders بناء على ما نتبين بين افراد كل رتبة من اشباه .

ولنضرب مثلا بالطائفة الثديية اى الحيوانات ذات الاثداء Mammals ، فهذه قسمناها ، بناء على اشباه فيها ، الى عدة مراتب Orders ، منها القردة ، ومنها القوارض من الحيوانات مثل الفأر ، ومنها آكلات اللحوم وهلم جرا .

الفصائل الحيوانية

بعد ذلك رحنا نقسم كلا من هذه الرتب الى اقسام .

مثال ذلك اننا قسمنا رتبة آكلات اللحوم الى فصائل Families فكانت منها فصيلة القطط ، وفصيلة الكلبيات. وفصيلة عجول البحر Seals ، وفصيلة الحيتان وهلم جرا .

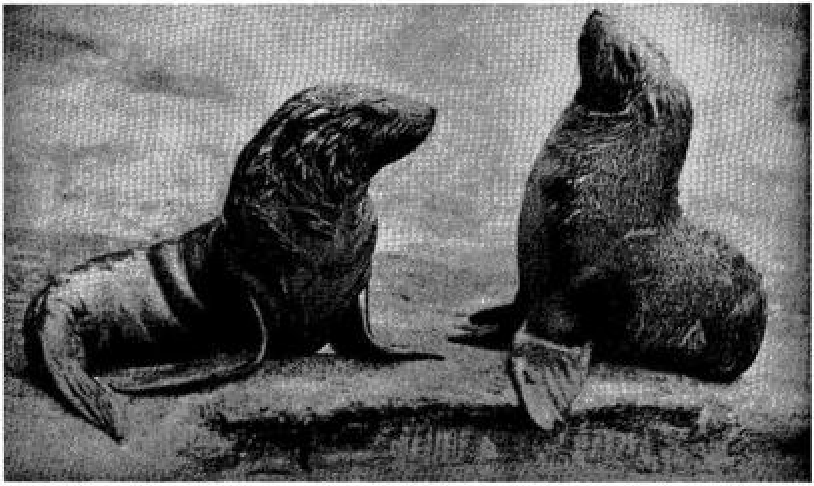
هدفنا كلب لدينا

والحق اننا هدفنا بهذا التقسيم الى الوصول الى كلب لدينا . لنعرف اين يقع هذا الكلب من المملكة الحيوانية ، وقد اقتربنا .

ففصيلة الكلبيات Family Canidae ، هذه التي ذكرناها تشمل فيما تشمل عليه ، الكلاب والذئاب وبنات آوى . وقد جمعها العلماء فى فصيلة واحدة لما بينها من اشباه . وتقسم هذه الفصيلة الى اجناس Genus ثم تقسم كل جنس الى انواع Family Species ، يكون منها نوع الكلب المستأنس Canis Familiaris الذى هو كلبنا .

لقد رحلنا هذه الرحلة الطويلة فى عالم الحيوان ، واقسامه ، حتى وجدنا المحل الذى يجب ان يحتله هذا الكلب من المملكة الحيوانية .

ونعلم أن الكلاب المستأنسة تختلف اشكالها ، ولكن كما يختلف البقر . كلها



عجل البحر

وهو من رتبة زعنفيكة Pinnipedia ، اى ان اقدامه كالزعانف . وهى ثدييات مائية ، لواحم وتضم الى عجل البحر Seal ، اسد البحر Sea Lion ، والفظ Walrus وله نابان طويلان ظاهران فى فكه الاعلى .

تلك التغذية الشاملة لكل حيٍّ . علينا ان نوضح انها تغذية واحدة ، هدفها واحد ، وعلينا أن نوضح أن الجهاز انما اختلف لاختلاف الطعام واختلاف البيئة ، واختلاف جسم الحي . والغاية واحدة . وعلينا ان نبين أن الجهاز انما اختلف للمناسقة والملاءمة ، وان الهدف ظل واحدا .

وعلينا ان نبين ان هذه الاجهزة التى اختلفت ، انما قامت واساسها تصميم واحد ، عم الخلائق فتبسط حينا ، وتعقد حينا ، ولكن اصول الرسم الهندسى فيه واحدة ، تدل على ان الرسام واحد .

اختلاف يكشف عن حنكة

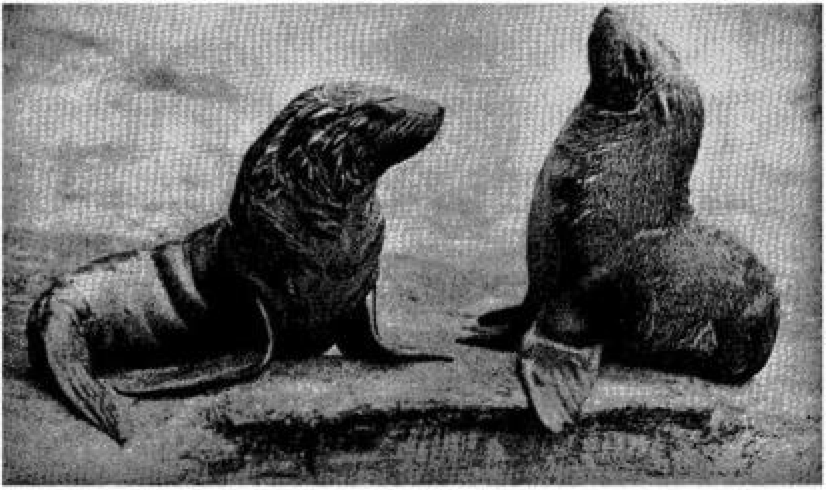
علينا ان نبين ، وسوف نفعل ، انهذا الخلاف الذى ظهر فى اشكال المخلوقات الحية ، فحجب عن النظرة السريعة العابرة ، حجابا مؤقتا ، ما يخفي تحته من وظائف حياة هي كلها واحدة ، انما يكشف عن حكمة وحنكة في الصانع الراسم عظيمة : تلك ملاءمة الاعضاء التى يستدعيها لكل بيئة .

فى صدر الانسان رئة تمتلىء بالهواء . والانسان يعيش فى الهواء . فماذا يكون من امر السمك وهو يعيش فى الماء ؟ وليس بالماء الا الذائب فيه من هواء ؟ والسمك فى حاجة الى هذا الهواء ؟ الى اكسجينه اذن قد استبدلت بالرئة الخياشيم يجرى فيها الماء بهوائه فيمتص الدم الذى بالخياشيم ما بالماء من اكسجين . ان السمك بذلك يتنفس كالانسان . اصل من أصول الحياة كان لا بد ان يبقى . ولكن اختلف جهازه لاختلاف بيئته .

وحدة الكون هي فى الحى سارية جارية . واختلاف كذلك جرى فيه ، دليل حكمة وحنكة كذلك سارية جارية .

وهو اختلاف ، ان كان كسف الوحدة كما يكسف القمر الشمس ، فما ضرها ، وما عطلها . ان الوحدة هناك قائمة فى أصول الحياة ، قيام الشمس عند الكسوف مختفيا قرصها وراء قرص القمر . ●●

احمد زكى



عجل البحر

وهو من رُتبة زعنفيئة Pinnipedia ، اى ان اقدامه كالزعانف . وهى ثدييات مائية ، لواحم وتضم الى عجل البحر Seal ، اسد البحر Sea Lion ، والفظ Walrus وله نابان طويلان ظاهران فى فكه الاعلى .

تلك التغذية الشاملة لكل حيّ . علينا ان نوضح انها تغذية واحدة ، هدفها واحد ، وعلينا ان نوضح ان الجهاز انما اختلف لاختلاف الطعام واختلاف البيئة ، واختلاف جسم الحي . والغاية واحدة . وعلينا ان نبين ان الجهاز انما اختلف للمناسقة والملاءمة ، وان الهدف ظل واحدا .

وعلينا ان نبين ان هذه الاجهزة التى اختلفت ، انما قامت واساسها تصميم واحد ، عم الخلائق فتبسط حينا ، وتعقد حينا ، ولكن اصول الرسم الهندسى فيه واحدة ، تدل على ان الرسام واحد .

اختلاف يكشف عن حنكة

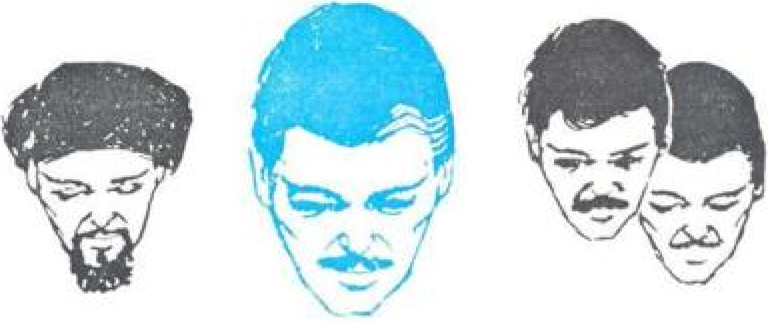
علينا ان نبين ، وسوف نفعل ، ان هذا الخلاف الذى ظهر فى اشكال المخلوقات الحية ، فحجب عن النظرة السريعة العابرة ، حجابا مؤقتا ، ما يخفي تحته من وظائف حياة هي كلها واحدة ، انما يكشف عن حكمة وحنكة فى الصانع الرسام عظيمة : تلك ملاءمة الاعضاء التى يبتدعها لكل بيئة .

فى صدر الانسان رئة تمتلىء بالهواء . والانسان يعيش فى الهواء . فماذا يكون من امر السمك وهو يعيش فى الماء ؟ وليس بالماء الا الذائب فيه من هواء ؟ والسمك فى حاجة الى هذا الهواء ؟ الى اكسجينه اذن قد استبدلت بالرئة الخياشيم يجرى فيها الماء بهوائه فيمتص الدم الذى بالخياشيم ما بالماء من اكسجين . ان السمك بذلك يتنفس كالانسان . اصل من اصول الحياة كان لا بد ان يبقى . ولكن اختلف جهازه لاختلاف بيئته .

وحدة الكون هي فى الحي سارية جارية . واختلاف كذلك جرى فيه ، دليل حكمة وحنكة كذلك سارية جارية .

وهو اختلاف ، ان كان كسف الوحدة كما يكسف القمر الشمس ، فما ضرها ، وما عطلها . ان الوحدة هناك قائمة فى اصول الحياة ، قيام الشمس عند الكسوف مختفيا قرصها وراء قرص القمر . ●●

احمد زكى



تقبل الانسان منا لنفسه ..

وتقبله للآخرين

■ اظهر العاملون في ميدان علم النفس ، خلال السنوات الثلاثين الماضية ، اهتماما خاصا بالعلاقة بين موقف الانسان من نفسه وموقفه من الآخرين . وبعبارة اخرى ، أخذ علماء النفس يتساءلون : هل هنالك علاقة بين قبول الذات وقبول الآخرين ؟ واذا كانت هنالك علاقة فهل هي موجبة أم سالبة ؟ واذا كانت هذه العلاقة موجبة فكيف يمكن استغلالها وخاصة في تغيير مواقف الانسان من نفسه ومن الآخرين ، وجعلها مواقف سوية ؟ .

ابحاث اجريت في المجتمعات الغربية

لقد أجريت ابحاث نفسية في المجتمعات الغربية ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية ، دلت نتائجها على وجود علاقة ايجابية بين مواقف الانسان تجاه نفسه ومواقفه تجاه الآخرين ، بين تقبل الفرد لذاته وتقبله للآخرين ، بين رفض الفرد لنفسه ورفضه للآخرين . فمن كان راضيا عن نفسه وجد راضيا عن غيره من الناس ، ومن اظهر رفضا لذاته رافق ذلك رفضه للناس الآخرين .

وعلى المستوى النظرى قال علماء النفس

وعلى المستوى النظرى يعتقد عدد من علماء النفس بوجود علاقة ايجابية بين قبول الذات وقبول الغير من الناس ، فعالم النفس « وليم مكدوجال » William McDougall ، مثلا ، يعتقد ان الفرد اذا اعتبر الآخرون انه ذكي او نشيط او ماهر او اديب ... كان ذلك مدعاة لان يعتبر نفسه كذلك . وفي رأيه ان العطف الفعّال من الآخرين على الفرد يجبر الفرد على جعل عواطفه منسجمة مع عواطفهم . ثم جاء عالم النفس « جاردنر مرفي » Gardner Murphy فأكد هذه العلاقة الايجابية بين موقف الانسان من ذاته وموقفه من الآخرين . وكان عالم النفس « الفرد ادلر » Alfred Adler قد سبقه في الاشارة الى مثل هذه العلاقة . فالعالم « الفرد ادلر » يرى أن من كان يشعر بالنقص يدفعه



بقلم

فرح موسى الربضي

وما بينهما من علاقة

شعوره هذا تجاه نفسه الى اعتبار ان الآخرين بهم نقص كذلك . واما «كارن هورني» Kern Horney فيؤكد ان من كان غير قادر على حب ذاته صعب عليه ان يحب غيره من الناس . ثم جاء « هاري ستاك سيليفان » Harry Sullivan ليؤكد بنظريته ان الفرد لا يجد في الآخرين ما لا يجده في ذاته ، وانه ، بشكل عام ، يحكم على غيره من الناس بنفس الطريقة التي يحكم بها على نفسه .

غير ان هذه الآراء ما هي الا مجرد آراء نظرية . ومن هنا نجد انفسنا مضطرين للاستماع للعاملين في الحقول التجريبية وفي العيادات النفسية والى نتائج الابحاث النفسية .

لقد أدت الطريقة الحديثة المستعملة في العلاج النفسي الى نتائج تؤكد أن هناك علاقة جوهرية بين الطريقة التي ينظر بها الانسان لنفسه وطريقته في النظر الى غيره من الناس . فملاحظات « كارل روجرز » Ca gers مثلا ، تؤكد ان الانسان الذي يتقبل ذاته يجد نفسه بالضرورة متقبلا للاخرين .

وفي عام ١٩٤٧ قامت « دوروثي ستوك » Dorothy Stock بدراسة هذه العلاقة ووجدت ان معامل الارتباط بين موقف الانسان من ذاته وموقفه من الآخرين كان (+ ٩٥و.) بين صفوف المرضى النفسيين . ومن ناحية احصائية فان معامل الارتباط (+ ٩٥ و .) يدل على علاقة ايجابية جوهرية بين راى الفرد في نفسه ورايه في غيره من الناس .

واما « اليزابيث شيرر » Elizabeth Sheerer فقد قامت بتفحص عشرة من المرضى النفسيين ، ووجدت ان ادراك الآخرين والشعور تجاههم وتقبلهم مرتبط ارتباطا وثيقا بادراك الذات والشعور تجاه الذات وتقبلها .

غير ان ملاحظات العاملين في العيادات النفسية هذه ، أي بين المرضى قد لا تدل على حقيقة العلاقة بين موقف الانسان من نفسه وموقفه من الآخرين بين صفوف الافراد الاسوياء .

ابحاث نفسية اجريت على اسوياء

ومن هنا وجب ان نلتفت الآن الى نتائج الابحاث النفسية التي اجريت على اشخاص اسوياء فيما يخص العلاقة بين موقف الشخص من نفسه وموقفه من الآخرين .

هنالك دراسات عديدة على افراد اسوياء ليسوا في عداد المرضى النفسيين . ولقد اجريت هذه الدراسات بقصد تفحص العلاقة القائمة بين الموقف من الذات والموقف من الآخرين . ومن هذه الابحاث النفسية تلك الدراسة التي قام بها عالم النفس « فيليبس » E. L. Phillps انه وضع استبيانا لقياس تلك العلاقة ، ثم وزع استبيانه على (٨) طالبا جامعيا يدرسون في جامعة « جورج واشنطن » في الولايات المتحدة الامريكية ، وبعد ذلك وزعه على (٧٧) طالبا في المدارس الثانوية . ووجد ان معامل الارتباط بين تقبل الذات وتقبل الآخرين كان (+ ٧٤و.) بين صفوف الطلبة الجامعيين ، بينما كان (+ ٥٤و.) بين صفوف طلبة المدارس الثانوية . ومن هنا قرر « فيليبس » ان احدنا يحترم الآخرين للمدى الذي يحترم فيه نفسه فقط . كما دلت نتائج دراسته على ان العلاقة الايجابية بين تقبل الذات

وتقبل الآخرين تزداد وتعظم كلما كبر عمر الافراد .

ثم جاء « بيرجر » E.M. Burger فحسّن ذلك الاستبيان الذي استخدمه « فيليبس » ووزعه على طلبة نهاريّين وطلبة داخليّين يدرسون في جامعة (مينيسوتا) في الولايات المتحدةالامريكية . ووجد « بيرجر » أن معامل الارتباط بين تقبل الذات وتقبل الآخرين كان (+ ٦٥و.) في صفوف الطلبة الداخليين ، بينما كان (+ ٣٦و.) في صفوف الطلبة النهاريين .

ثم قامت « روث ولي » Ruth Wylie بدراسة هذه العلاقة فجاءت نتائج دراستها مؤكدة ان الناس يميلون للحكم على الآخرين وتقديرهم تماما كما يحكمون على انفسهم ويقدرونها .

كذلك قامت « كاترين امواك » Katherine Omwake بدراسة (١١٢) طالبا يدرسون بكلية « اجنس سكوت » في الولايات المتحدة الامريكية ووجدت أن هنالك علاقة وثيقة بين الطريقة التي يصور الانسان فيها ذاته والطريقة التي يصور فيها غيره من الناس .

غير ان « زيلين » S. L. Zelen الذي قام بدراسة (١٤٥) طفلا في الصفوف الابتدائية وجد انه ليست هنالك أية علاقة ايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين . أي أن نتائج دراسته جاءت مغايرة ومعاكسة لنتائج الابحاث التي سبقت دراسته . ويمكن تفسير هذه النتائج المغايرة على أساسين ، الأول : هو أن الادوات التي استعملها « زيلين » في دراسته كانت تختلف عن تلك التي استعملها غيره من الباحثين ، والثاني : هو أن الافراد الذين اجريت دراسته عليهم كانوا اطفالا صغار السن .

خلاصة ما تقدم من آراء

نستخلص من كل ما تقدم من الآراء النظرية والمعلومات العيادية ونتائج الابحاث النواحي التالية :

١ ــ هنالك علاقة ايجابية وثيقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين .

٢ ــ يصحب تغير موقف الانسان من ذاته تغير في موقفه من الآخرين وفي نفس الاتجاه الذي تم فيه ذلك التغير .

٣ ــ كلما كبرت السن كبرت العلاقة الايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين الذين يتم الاتصال بهم .

٤ ــ كلما ازداد التفاعل الاجتماعي بين الافراد ازدادت العلاقة الايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين بين صفوف هؤلاء الافراد .

٥ ــ يظهر ان العوامل والمتغيرات التي تؤثر في العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لم يتفحصها العاملون في هذا الميدان تفحصا جيدا وكافيا .

دراسة في العالم العربي

ان الدراسات والابحاث السالفة الذكر قد اجريت في مجتمعات غربية وعلى الاخص في الولايات المتحدة الامريكية . ثم ان تلك الدراسات قد أدت الى نتائج فيها بعض التعارض والتناقض مما يدعو للقول بأن العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين قد لا تكون ايجابية وقد لا تكون عامة بين الناس في المجتمعات المختلفة . ومن هنا دعت الضرورة للقيام بدراسة هذه العلاقة في مجتمعات العالم المختلفة لايجاد امكان تعميم تلك العلاقة . ومن هنا بالذات وجدت لدى رغبة ملحة للقيام بدراسة تلك العلاقة في المجتمع الاردني باعتباره بلدا عربيا ، وباعتبار أن ما ينطبق على الاردن قد ينطبق على بقية الاقطار العربية . وهكذا اعددت رسالة للماجستير وجعلت عنوانها : « العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين » .

دراسة ١٦٠ طالبا وطالبة

ولقد اجريت دراستي على (١٦٠) طالبا وطالبة ممن تراوحت اعمارهم بين (١٦) و (١٩) سنة. وكان هؤلاء الطلاب والطالبات ممن يتلقون دراستهم في المدارس الاردنية الحكومية . وكان عدد الطلاب (٨٢) وأما عدد الطالبات فكان (٧٨) . وقد راعيت في هؤلاء أن يكونوا ممثلين لنواحي الدين

والجنس واصل السكن ، كما راعيت في هذه العينة أن تكون ممثلة لمختلف المحافظات الاردنية .

واما طريقة البحث والدراسة فيدات باعداد استبيان مؤلف من (٥٢) عبارة ، منها (٢٦) عبارة تعالج موقف الطالب من ذاته ، و (٢٦) عبارة أخرى تعالج موقفه من الآخرين . وقد مزجت العبارات الاثنتين والخمسين بعضها مع بعضها بطريقة عشوائية . وكان على كل من الطلبة المدروسين أن يستجيبوا لكل عبارة من تلك العبارات بأن يضعوا اشارة ضمن حقل من حقول خمسة تمثل سلما تقديريا ليدلوا على حقيقة شعورهم تجاه ما تمثله كل عبارة من تلك العبارات. واما الاساس الذى بنيت عليه تلك العبارات فهو ما يقدمه علماء النفس من تعاريف لتقبل الذات وتقبل الآخرين . كما رُوعي فيها أن تكون ممثلة لجميع مجالات تقبل الذات وتقبل الآخرين . كذلك وُضعت العبارات بلغة يسهل على المستجيبين فهمها . ولكي تكون استجاباتهم اقرب الى الحقيقة طلب اليهم عدم ذكر اسمائهم او اية اشارة تدل على هويتهم . كما اعطى لهم الوقت الكافي للاجابة على الاستبيان .

وبعد ان تم تجميع الاستبيان بدا تدريج علامات كل طالب وطالبة ، حيث حصل كل طالب وطالبة على تقديرين عامين ، الاول : تقدير لتقبل الذات ، والثاني : تقدير لتقبل الآخرين . ثم استخرج معامل الارتباط بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لجميع الطالبات والطلاب فوجد انه (+ ٠.٥٨٣) . ويدل هذا المعامل من ناحية احصائية على علاقة ايجابية جوهرية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لدى هؤلاء الطلاب والطالبات .

وهكذا، فالنتيجة الرئيسية لدراستنا هذه هي: ان هنالك علاقة ايجابية وثيقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين . فمن احترم ذاته كان بالضرورة محترما للآخرين . ومن احب نفسه وجد محبا للآخرين . ومن وجد رافضا لغيره من الناس كان رافضا لنفسه في نفس الوقت . ومن كان يعتقد انه ذكي رافق ذلك اعتقاده بان الآخرين اذكياء ايضا .

نتيجة تنطوى على فائدة

تلك نتيجة تنطوى على فائدة عظيمة للآباء والمربين في مجتمعنا العربي . فالآباء والمعلمون يفيدون منها كثيرا في تغيير مواقف ابنائهم وتلاميذهم تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين . ولكي يصل الآباء والمعلمون الى هذه الغاية يمكنهم ان يسلكوا احدى الطريقتين التاليتين او كليهما معا :

١ ـ على الآباء والمعلمين أن يجعلوا مواقفهم من ابنائهم وتلاميذهم محببة دائما لهم ، وهذا يساعد الابناء والتلاميذ على تقبل آبائهم ومعلميهم ، وتكون النتيجة بالتالي أن يتقبل الابناء والتلاميذ انفسهم .

٢ ـ على الآباء والمعلمين ان يشجعوا دوما ابنائهم وتلاميذهم على تقبل انفسهم . واذا ما حصل ذلك تكون النتيجة ان يتقبل الابناء والتلاميذ غيرهم من الناس نتيجة تقبلهم لانفسهم .

يجب على الآباء والمعلمين أن يظهروا تقبلهم لابنائهم وتلاميذهم حتى بنبرات اصواتهم وملامح وجوههم . كما يجب عليهم أن يظهروا دوما ان ابناءهم وتلاميذهم اشخاص مهمون في المجتمع . فالتلميذ الذى يشعر بان الآخرين يتقبلونه ميال عادة للتعاون والتفاعل معهم . وعلى العكس من ذلك فان التلميذ الذى يشعر برفض الآخرين له ميال في الغالب لمشاكسة الآخرين وعدم مشاركتهم والتعاون معهم . ذلك ان الافراد يكونون مفاهيم معينة عن انفسهم من خلال تقييم الناس لهم . وهذه المفاهيم عن الذات تؤثر في السلوك حتما .

ومن هنا دعت الضرورة لان يتحكم الآباء والمعلمون بالبيئة المنزلية والمدرسية ويقرروا نوع الخبرة التي يجب على الابناء والتلاميذ أن يحصلوا عليها . واذا كان المعلم ، مثلا ، يعتقد بان الحقائق التي يدرسها للتلميذ مهمة بحد ذاتها فان طريقته التي يقدم فيها تلك الحقائق والمعلومات ليست اقل اهمية منها . ■■

فرح الريضي
وزارة التربية والتعليم
عمان ـ الاردن

خواطر في بعض مشاكل العروبة

مؤتمرات الأدب تدعو الضرورة إلى تجديدها.

■ مهرجانات الشعر يجب أن تكون للشعر وحده.

لماذا ازداد شكي فيما تورده كتب السير والتراجم.

بقلم: احمد السقاف

■ في ربيع عام ١٩٦٨ عقد مؤتمر للأدب واقيم مهرجان للشعر في القاهرة. وكان المؤتمر في جملته اقل من المؤتمرات التي سبقته من كافة الوجوه، ولم يكن حظ الشعر في ذلك المهرجان الذي اقيم بأفضل من حظ الأدب، واعتقدنا في ذلك الحين أن المؤتمر عقد في بلد جريح لا تهمه مؤتمرات الأدب ولا مهرجانات الشعر بقدر ما يهمه الرشاش والمدفع والصاروخ. واخذ العراق على عاتقه دعوة الأدباء والشعراء للسنة التي تلت ذلك المؤتمر، ووجهت دعوة العراق الى اتحادات الكتاب في البلاد العربية، وحضرنا في ربيع ١٩٦٩ الى بغداد، وكانت النتيجة هي هي ذاتها مع سرعة في سلق الموضوعات المقدمة، وايجاز شديد في تلخيصها ولم يكن مهرجان الشعر هناك بافضل من مؤتمر الادب ولم تكسبه كثرة الشعراء المتنافسين على منبر الانشاد القوة والنجاح.

وعدنا نفكر في طريقة تؤدي الى النهوض بهذه المؤتمرات والمهرجانات.

وفي أواخر السنة نفسها ١٩٦٩ أقيمت ببيروت حفلة تابينية لشاعر العروبة الكبير بشارة الخوري واقتصرت الحفلة على بعض شعراء العروبة، وكانت بحق مثالا رائعا للتنظيم ونالت من النجاح شيئاً مذكورا، ووددنا من صميم قلوبنا أن تحظى جميع المهرجانات الشعرية بمثل ما حظيت به تلك الحفلة من التوفيق.

انني شخصيا من المؤمنين بعمق بضرورة استمرار تلاقي ادباء العروبة سواء أكانوا شعراء ام كانوا كتابا، ولكني في الوقت نفسه أؤمن بنفس الحماس والعمق بضرورة البحث بجد عن طريقة تؤدي الى نجاح هذه المؤتمرات وهذه المهرجانات، فمن الظلم لأية دولة عربية ان تتحمل ما تتحمل، اعدادا وضيافة واعلاما، ثم تكون النتيجة تكرارا مملا لما قيل، مع زيادة في الارتجال ورداءة في العرض. والأسوا من كل هذا ان يسارع احد المفرمين بالتاليف والنشر الى طبع ما قدمه الشعراء او الكتاب من قصائد او بحوث دون استئذان او

استئناس ، ويزداد السوء سوءا حين يطلع الشاعر على قصيدته مطبوعة في كراس مع قصائد الآخرين وهي مشوهة بترجمة غريبة عجيبة مختلقة من الفها الى يائها كقصة من قصص الف ليلة وليلة . ولقد حدث هذا بكل يسر وبساطة عقب مؤتمر بغداد .

وحين كتبت مستغربا جاء الرد غريبا عجيبا . ولقد ازداد شكي بعد الترجمة التى قارنت قصيدتي فيما نقرأ من تراجم وسير واخبار . واذا كان هـذا قد حدث للاحياء القادرين على التكذيب ، فكيف تكون تراجم الاموات وكيف تكتب سيرهم واخبارهم ! ؟ .

احاديث ملؤها التحريف والتخريف

وعلى اية حال فاننا في هذا الوطن الكبير ما زلنا نعلن عن عدم حرمتنا لحقوق الادباء والشعراء وأرباب الفن بصورة عامة ، وما زالت الجـرأة المتوحشة ترافق تصرفنا تجاه ما يقدمه هؤلاء من عصارة القلب والفكر والاعصاب . ولقد اعتدنا ان نقرأ في صحف يومية او اسبوعيـة احاديث ملؤها التحريف والتخريف ولكن الناس لا يجعلون من احاديث هذه الصحف مصادر علمية أو تاريخية أو سياسية يحتجون بها حين يحاضرون أو يكتبون، والا؟ فان أى قارىء من قراء صحيفة المصـور القاهرية يستطيع أن يقول ان هيفاء السقاف فتاة فلسطينية ثار والدها في وجه اليهود لاغتصابهم فلسطين فارداه اليهود قتيلا ، وقد نشر هذا الكلام في الصحيفة المذكورة في العـدد ٢٤١٢ بتـاريخ ١ يناير ١٩٧١ في حديث طويل للمطرب عبد الحليم حافظ عن قصيدة لنزار قباني بعنوان « راشيل ». وحقيقة الامر ان عبد الحليم سمع من ابنتـي هيفاء السقاف في احدى زياراته لمنزلي في الكويت قصيدة نزار قباني ، فاعجب بالقصيدة ، وحين دافع عن نزار تذكر – وهو على فراش المرض – القصيدة ، ولا بد انه اتى على ذكر هيفاء السقاف التى قرأت له القصيدة وطلبت منه أن يغني بعض مقاطعها ، ولكن الصحفى الهمام الذى أعد الحديث اختلط عليه الامر فزعم أن هيفاء هذه فتـاة فلسطينية قتل أبوها في فلسطين .

وعلى أية حال بعد ذلك كله فان مؤتمرات الادب ومهرجانات الشعر ستبقى ويجب ان تبقى حافزا للفئات المؤثرة في الجماهير على تبادل الاراء في مثل هذه الظروف ، فالامة العربية محتاجة الى الشعراء والادباء الذين يملأون صدور ابنائهـا تفاؤلا بالمستقبل ، ويشحذون في الوقت نفسـه عزائمهم للنضال من اجل غد افضل ، ولن يأتى هذا الغد الأفضل الا؟ بعد انقاذ الارض العربية من اطماع الصهيونية العالمية . ولست ادرى كيف يبيح الأديب لنفسه ان يغمد خنجره في مشاعر هذه الأمة وهو – شاء أو أبى – واحد من ابنائها . يجب عليه أن يضمد جراحها ويخفف من آلامهـا واحزانها ، والامة لا تكون اكثر حاجة الى اللامعين من ابنائها الا في الشدائد .

اديب ضلَّ سواء السبيل

وانه لمن المؤلم حقا أن نقرأ لاديب مقروء مسموع، أيام محنة الاردن في أيلول الماضي ، مقطعا من مقال يقول فيه :

« كان العرب يتقاتلون وهم يمتطون الدواب وهاهم اليوم يتقاتلون وهـم يمتطـون الدبابات والسيارات المصفحة فمتى تلغي ادب الصحراء من مدارسنا !! » .

فاذا كان هذا الأديب قد ساءه ما حدث في الاردن فان ما حدث قد هز كيان الامة العربية بأسرها . ولكن ما حدث على بشاعته وهوله لا يجيز لاديب محسوب على هذه الامة او غير محسوب عليها أن يقول ما قال . ويبدو لي أن هذا الاديب لم يسمع عن الحرب الطائفية في ايرلندا الشمالية ، ولم يعرف شيئا عن المعارك الدامية بين البيض والسود في الولايات المتحدة الامريكية . وكلنا يعلم أن فتنة رهيبة قد هبت في بلد هذا الاديب منذ اكثر من عشر سنوات ولم يعلق احد على تلك الفتنة بمثل هذا التعليق ، ويقيني أن مثل هذه التعليقات الحاقدة انما تصدر عن عقد طائفية مغلفة بالنعرة الاقليمية ومهما انس فلن انسى ذلك الحوار الذى دار بيني وبين هذا الاديب في أواخر عام ١٩٦٩ حول اللغة والقومية ، والحرف العربي والتشكيل . ويعتقد هذا الاديب الذى يكتب

بالعربية ، وينظم الشعر بالعربية ، ويحاضر بالعربية ان رسالته في الحياة تقوم على ثلاث شعب الاولى هدم القومية العربية ، والثانية هدم اللغة العربية ، والثالثة القضاء على الحرف العربي ليحل محله الحرف اللاتيني ، وكلنا يعلم ان دعوة كهذه خير هدية تقدم الى أعداء الامة العربيه في مثل هذه الظروف .

ان الامة العربية في صراعها الجبار تعتمد على قوميتها في هذه المعركة المصيرية ، ولولا الشعور القومي الذى يشد أواصر الامة العربية من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي لاكتسحت الصهيونية العالمية بمؤازرة الاستعمار سورية ولبنان وضربت ضربتها في العراق وامتدت غربا الى دلتا النيل وهبطت جنوبا الى مكة .

ولولا اللغة العربية

ولولا اللغة العربية التى توحد شعور ومشاعر ابناء الشعب العربي لما شعر المصرى بما يعانيه الفلسطيني ولما فهم المغربي ما يدور في مشرقه العربي من أحداث .

اما الحرف العربي فانه برشاقته وبساطته افضل مائة مرة ومرة من الحرف اللاتيني ، والدعوة الى هجره واحلال الحرف اللاتيني محله كانت محاولة من نفر يعد على اصابع اليد او هم اقل في زمن كانت فيه البلاد العربية تنوء باغلال الاستعمار . أما اليوم فقد شب عمرو عن الطوق كما يقول المثل ، وهيهات ثم هيهات أن تعود عقارب الساعة الى الوراء ، فلقد تخلصت الامة العربية من ذلك الهراء الرخيص وكشفت هذه الامة باصالتها المعهودة المقاصد الحقيقية لأولئك الدعاة . ولا أنكر بعد هذا ان اللغة العربية تواجه تحديا عنيفا في هذا العصر بسبب كثرة الاختراعات العلمية وما يصاحب هذه الاختراعات من أسماء جديدة يصعب على اللغة العربية بوضعها الراهن اللحاق بها ، ولكني على ثقة من ان اللغة العربية تستطيع ان تقرب المسافة بينها وبين هذه الوثبة العلمية الجبارة ان تنبه أولو الشان الى ما يجب أن يكون .

مشروعان جليلان

ولقد سررت ذات يوم لخبر قرأته في احدى صحف الكويت عن تصريح لرئيس الوزراء يقول فيه انه يفكر في طريقة لعودة الأدمغة العلمية العربية من مهاجرها الغربية ليكون علمها وجهدها لخير الامة العربية، ولاشك ان الكويت تستطيع كما تستطيع ليبيا وبعض بلدان الخليج العربي ان تتبنى مثل هذا المشروع ، وتضيف عليه مشروعا آخر هو انشاء مركز ذى شان لتعريب كافة الاسماء العلمية وما يجود به عصر التكنولوجيا من مصطلحات ، ولا أنكر ان هذين المشروعين الجليلين ــ مشروع اعادة الادمغة العلمية العربية الى الوطن العربي ومشروع مركز لتعريب ما يجود به العلم الحديث من اسماء جديدة لمخترعات علمية جديدة كل يوم ، يحتاجان الى تضافر الجهود العربية مجتمعة .

والوحدة العربية ان كنا من دعاتها حقا لن تتحقق بالسحر والشعوذة والتنويم المغناطيسي وانما يجب ان يبذل في سبيل تحقيقها جهد ضخم متواصل يشمل كافة المجالات الهامة وفي مقدمة هذه المجالات ، المجالات العلمية كتوحيد مناهج التعليم ، وتبادل الخبرات العلمية بين الاقطار العربية والمشاركة في المشاريع الكبيرة ذات النفع المشترك .

الصهيونية العالمية في حركة دائبة لا تفتر ابدا

ان الصهيونية العالمية قد حزمت امرها منذ امد بعيد ، واستطاعت ان تشد الى مخططات جشعها اكثر من ثلاثة عشر مليونا من اليهود ، ونحن نراهم راى العين يتحركون كالدمى المشدودة في كل اتجاه تريدهم الصهيونية ان يتحركوا اليه ، ففي الولايات المتحدة الامريكية نسف وتدمير لسفارات بعض الدول المناصرة للقضية العربية ، وآخر هجوم صلف احمق لهذه العصابات وقع في ١٧ يناير على مقر وفد الجمهورية العربية المتحدة بهيئة الامم المتحدة في نيويورك ، وفي استراليا هجوم بالقنابل على بعض السفارات التى ترفض حكوماتها الاذعان لمطالب الصهيونية ، وفي باريس والمانيا الغربية وفي ايطاليا وفي لندن نشاط صهيوني

تتجلى مظاهره في وسائل الاعلام وفي المظاهرات واعمال الشغب والعنف، ولم تنج الدول الافريقية من هذا النشاط الهستيري المحموم . وعلى سبيل المثال نسمع عن يهودي اسمه « لويس زكس » بمدينة « بورت اليزابث » بجنوب افريقية يوجه نداء ليهود المدينة يقول لهم فيه « تبرعوا الى ان يؤلمكم التبرع الى ان تشعروا بالم حقيقي » وفي باريس يوجه الثري اليهودي البارون « روتشلد » نداء الى اليهود الفرنسيين البالغ عددهم نصف مليون يطالبهم بان يتبرع كل واحد منهم بعشر دخله للمساهمة في بناء الدولة اليهودية .

ويعتقد اليهود ان الدولة اليهودية التي خلقتها الصهيونية والاستعمار في فلسطين ليست للمقيمين فيها اليوم وانما هي ليهود العالم كافة وهم لذلك لا يتاخرون في مدها بالاموال والرجال ، ومن هنا يتضح الخطر الرهيب الذي يتهدد الوطن العربي باسره ، ولدى الصهيونية العالمية مراكز في شتى انحاء العالم لنشر الدعوة لدولة الظلم والاغتصاب ولجباية الاموال ولتشجيع المتطوعين من اليهود على السفر الى فلسطين ، ولاشك ان اقوى جالية يهودية في العالم هي الجالية المقيمة في الولايات المتحدة الامريكية وعددها لا يقل عن ستة ملايين نسمة ، ولديها اكثر من ثلاثمائة مركز في المدن الامريكية ترتبط بالمركز الرئيسي المعروف باسم « النداء اليهودي المتحد » بنيويورك . وهذه المراكز تقوم بعمل جبار في ميادين الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وحينما يقومون بجمع التبرعات فان لديهم من الاساليب ما يمكنهم من جمع المبالغ المطلوبة ، ولقد قدر المتتبعون لنشاط هذه المراكز عدد الحفلات السنوية التي تقيمها لجمع التبرعات لدولة الاغتصاب فوجدوا ان هذه الحفلات لا تقل عن عشرين الف حفلة في السنة الواحدة ، عدا الحفلات الخاصة التي يقيمها الاثرياء في منازلهم لمؤازرة الحركة الصهيونية .

نهيب بابناء الامة العربية

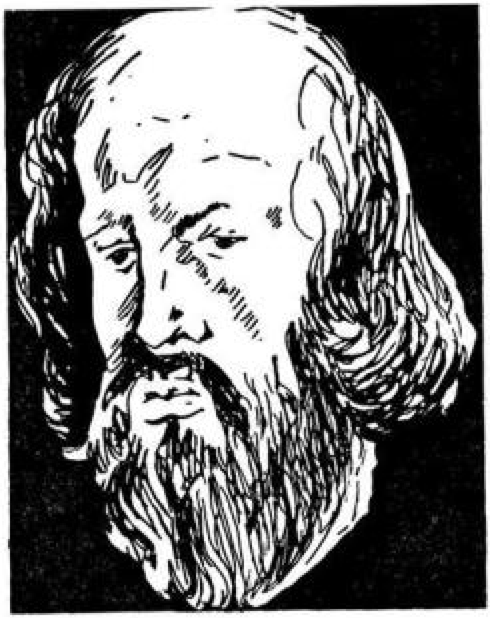
اننا هنا لا نريد أن نحصي ما تقوم به المنظمات الصهيونية في شتى انحاء العالم فهذا امر يطول شرحه كثيرا كثيرا ، ولكننا نود ان نهيب بابناء الامة العربية ان يكونوا اكثر وعيا لهذه المرحلة الخطيرة من حياتهم وان يصمدوا ويقاتلوا بنفس طويل فالصراع مع الصهيونية طويل ولقد آن الاوان لنبذ الاحقاد وتناسي المنازعات وليعلم العرب كافة ان الخطر الصهيوني لا يتهدد حياة فريق منهم دون فريق، وعلى الحكومات العربية الوطنية مهما اختلفت نظم الحكم فيها ، ان تدرك أنها في امتحان عسير ، فاما ان تبرهن عن صدق ايمانها بقومية هذا الصراع ، واما ان تستسلم لما تخبئه لها الاقدار . ■■

الكويت ـ أحمد السقاف

هكذا تسوس العامة

● جلس المهدي يوما للناس ، فدخل عليه رجل وفي يده نعل ملفوفة بمنديل ، فقال يا امير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهديتها لك . فقال المهدي : هاتها فدفعها اليه فقبلها ، وامر للرجل بعشرة آلاف درهم . فلما اخذها وانصرف قال المهدي لجلسائه : اترون اني لم اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون لبسها ، ولو كذبناه قال للناس اتيت امير المؤمنين بنعل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي ، وكان من يصدقه اكثر ممن يدفع خبره ، اذ كان من شأن العامة ميلها الى اشكالها والنصر للضعيف على القوي وان كان ظالما . فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلناه انجح وارجح .

الإمام الغ



بقلم : نقولا زيادة

■ ولد الامام الغزالى فى طوس سنة ٤٥٠ للهجرة (١٠٥٨ للميلاد) وتوفى فيها سنة ٥٠٥ (١١١١م) . وبين هذين التاريخين عاش الامام الغزالى حياة مليئة بطلب العلم والتامل فيه ، والمشاركة العقلية ، ودرس الفلسفة والعناية بالفقه واتباع التصوف . وهذه التجارب الروحية والعقلية والفكرية التى مرت به من اغنى ما عرف الفكر الاسلامي قاطبة . وقد كانت نتيجتها عددا كبيرا من المؤلفات يتفاوت فى الحجم بين المنقذ من الضلال وايها الولد فى الجهة الواحدة ، واحياء علوم الدين فى الجهة الاخرى .

عصر الغزالى

والسنون التى عاشها الغزالي تتوسط تماما فترة تمتد من اول القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) الى اواسط القرن السابع (الثالث عشر) . وهي فترة عرفت فيها الخلافة العباسية وسلطات بغداد تقلبا في السياسة وتنوعا في الحكم وارتفاعا وانخفاضا فى السلطة المركزية . بدات الفترة بتغلب الجنود الاتراك على عاصمة الخلافة وتلا ذلك (اواسط القرن الرابع) قيام البويهيين وتسلطهم على الخلفاء . وجاء السلاجقة قبيل مولد الغزالي الى بغداد حيث تولوا الحكم اذ لقب الخليفة القائم زعيمهم طغرل بك بـ « السلطان » ومنحه سلطات معينة . ومع ان السلاجقة ظلوا اصحاب الحل والربط في اجزاء مختلفة من الامبراطورية ، فان الخلافات دبت بينهم منذ اواسط القرن السادس (الثاني عشر) .

وتتفق حياة الغزالى مع ثلاثة من مشاهير السلاجقة وهم السلاطين طغرل بك ٤٢٩ – ٤٥٥ (١٠٣٨ – ١٠٦٣) والب ارسلان ٤٥٥ – ٤٦٥ (١٠٦٣ – ١٠٧٢) وملكشاه ٤٦٥ – ٤٨٥ (١٠٧٢ – ١٠٩٢) . الا ان السنوات الاخيرة من عمره اتفقت مع عهد بركيارق ٤٨٧ – ٤٩٨ (١٠٩٤ – ١١٠٥) ومحمد ٤٩٨ – ٥١١ (١١٠٥

الغزالي في كتابه المنقذ من .. الضلال

– ١١١٨) ، اللذين لم يكونا في مستوى الاولين . ومعنى كل ذلك ان القسم الاكبر من حياة الغزالي مر في عهد منظم نسبيا . ولا شك ان للوزير السلجوقى نظام الملك ، الذى وزر لكل من الب ارسلان وملكشاه ، فضلا كبيرا على سير امور الدين والدنيا في ذلك الوقت .

عصر ازدهار التصوف

على انه جدير بنا ان نذكر امورا اخرى كان لها اثر في حياة الغزالي بالاضافة الى الوضع السياسي . في ايامه كانت آثار الاتصال بين الفكر الاسلامي والفكر الفلسفي اليوناني قد بدت واضحة ، والتاثر والتاثير كانا قد عرفا تماما . والعصر الذى عاش فيه الغزالي كان عصر ازدهار التصوف ، بعد ان انتظمته طرق وفلسفات وانظمة معروفة بينة . الى هذا يجب ان نضيف نضج علم الكلام والتقليد في امور الفقه والشريعة . كل هذه الامور عاشها الغزالي بعقله وقلبه وكان لها في تجاربه الروحية والفكرية اثر كبير ، ولذلك كانت منزلة الغزالي في توضيح معالم التفكير الاسلامي كبيرة . وليس بالغريب ان يسمى حجة الاسلام .

حياة الغزالي

ولد الغزالي بطوس سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) كما سبق ان ذكرنا وتلقى علومه الاولى هناك ، ثم انتقل الى نيسابور حيث لازم الامام الجويني امام الحرمين ، حتى وفاة هذا الاخير سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) . وعندها انتقل الى صحبة الوزير نظام الملك حيث انضم الى نصاحه ومستشاريه . وعهد اليه الوزير ان يقوم بالتدريس في المدرسة النظامية التي كان قد انشاها نظام الملك ببغداد ، فقام بذلك بدءا من سنة ٤٨٤ (١٠٩١) واستمر في عمله الى سنة ٤٨٨ (١٠٩٥) ، مع ان نظام الملك قتلته الاسماعيلية سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) . وقد ظهرت له في التدريس شهرة ، فاقبل الطلاب عليه من كل حدب وصوب ، حتى بلغ عددهم نحو ثلاثمئة طالب .

ازمات نفسية

الا ان الغزالي كانت تعتوره ازمات نفسية اشتدت عليه في ذلك الوقت حتى انه اعتزل التدريس في النظامية وخرج من بغداد فاقام سنتين بين دمشق وبيت المقدس وادى فريضة الحج ٤٨٩ - ٤٩٠ (١٠٩٦ - ١٠٩٧) ، وعاد الى بلاده ، لكنه لم يشتغل بالحياة العامة حتى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) حيث التحق بنظامية نيسابور بناء على الحاح فخر الملك بن نظام الملك ، ولكنه لم يلبث في عمله سوى سنة وبعض السنة . ذلك بانه بعد ان اغتال الاسماعيلية فخر الملك سنة ٥٠٠ (١١٠٦) ، ترك الامام الغزالي نيسابور وعاد الى مسقط راسه طوس حيث عاش حياة تأمل وتعليم الى الاشراف على خانقاه (زاوية) للصوفية ، حتى تغمده الله برحمته سنة ٥٠٥ (١١١١) .

كتابه المنقذ من الضلال

لسنا نقصد في هذا المقال الى التحدث عن الامام الغزالي ومنزلته في عالم الفكر الاسلامي ، فذلك امر يحتاج الى اكثر من مقال واحد . ولسنا ننوى حتى التحدث عن مؤلفاته الكثيرة ولو عرضا . ولكننا نود ان نقف عند هذا الكتاب الصغير من كتبه الذى سماه « المنقذ من الضلال » ، وتتمة الاسم هى « والموصل الى ذى العزة والجلال » .

فما هو هذا الكتاب ؟

يقرر الامام الغزالي في فاتحة كتابه ان اخا في الدين سأله ان يبث اليه « غاية العلوم واسرارها وغائلة المذاهب واغوارها » وان يحكى له ما قاساه « في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق » . والسائل المجهول ، على ما يبدو من فاتحة المنقذ ، كان يعرف ان الامام الغزالي قد مرت به ازمات نفسية حادة ، فقد طلب اليه ان يوضحها . او لعل الغزالي نفسه وجد انه لا يستطيع ان يوضح غاية العلوم واسرارها ومقاساته في استخلاص الحق دون ان يبين ، ولو بشكل مختصر ، ما مر به من ازمات فتحدث عنها . ومع ان الغزالي لم يفصل الدقائق ، فالواقع ان في الذى كتبه الكثير الكثير من النظرة العميقة الثاقبة بحيث ان قراءة هذا الكتاب الصغير بعناية تضع بين ايدينا سيرة ذاتية عقلية روحية لهذا العقل النفاذ . ولنقرر قبل كل شيء بضعة امور توضح لنا مراحل تفكير الغزالي على ما تبدو في المنقذ .

امور توضح مراحل تفكير الغزالى

١ - ارتفع الغزالي عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار ، وكان هذا في وقت مبكر في حياته .

٢ - انصرف عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ثم عاوده بنيسابور بعد عشر سنوات ونيف .

٣ - لم يزل منذ عنفوان شبابه وريعان عمره قبل بلوغ العشرين وهو يقتحم لجة هذا البحر (اى اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة والمذاهب ، على كثرة الفرق وتباين الطرق) ويخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور .

٤ - ان هذا استمر الى ان نيف على الخمسين من عمره اى لما وَضع كتاب المنقذ من الضلال وهو يدرّس في نيسابور . ولعله في ذلك الوقت كان قد توصل الى حقائق الايمان ، واطمأن نفسيا الى ذلك .

٥ - ان التعطش الى درك حقائق الامور كان دأبه وديدنه غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلته لا باختياره وحيلته .

٦ - انه تفكر في نيته في التدريس (في بغداد) فوجدها انها غير صالحة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت .

٧ - هنا تردد ستة شهور في ترك التدريس والانقطاع عن الدنيا . وفي ذلك يقول :

« فلم ازل اتفكر فيه مدة ، وانا بعدُ على مقام الاختيار ، أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما ، واحل العزم يوما ، واقدم فيه رجلا واؤخر عنه اخرى . لا تصدق لي رغبة في طلب الاخرة بكرة ، الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية . فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادى الايمان ينادى : الرحيل ! الرحيل ! فلم يبق من العمر الا قليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ! فان لم تستعدّ الان للاخرة فمتى تستعد ؟ وان لم تقطع الان (هذه العلائق) فمتى

تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار .

ثم يعود الشيطان ويقول : « هذه حال عارضة ، اياك أن تطاوعها ، فانها سريعة الزوال ، فان اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص ، والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ، ولا يتيسر لك المعاودة . »

فلم ازل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ، ودواعي الاخرة ، قريبا من ستة اشهر ، اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربع مائة . وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار ، اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطيبا لقلوب المختلفة (الى) ، فكان لا ينطق لساني بكلمة (واحدة) ولا استطيعها البتة ، حتى اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب : فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم (لي) لقمة ، وتعدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا : « هذا امر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج ، فلا سبيل اليه بالعلاج ، الا بان يتروح السر عن الهم الملم » .

٨ ـ فلما استقر رايه وصدق عزمه فارق بغداد وفرق ما معه من المال ، ولم يدخر الا قدر الكفاف وقوت الاطفال .

٩ ـ عندما دخل الشام واقام قريبا من سنتين لا شغل له الا العزلة والخلوة والرياضةوالمجاهدة. فكان يعتكف مدة في مسجد دمشق ، يصعد منارة المسجد طول النهار ويغلق بابها على نفسه .

١٠ ـ وتحركت فيه داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله بعد الفراغ من زيارة الخليل فسار الى الحجاز .

١١ ـ ثم جذبته الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاوده بعد ان كان ابعد الخلق عن الرجوع اليه ، فاثر العزلة به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر .

١٢ ـ دام على ذلك عشر سنين ويزيد .

١٣ ـ ثم راى اصناف الخلق قد ضعف ايمانهم، وجاء طلب داعية سلطان الوقت ، اى فخر الملك ، بالذهاب الى نيسابور ، فشاور فى ذلك جماعة فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة فخرج من بغداد سنة ٤٨٨ (١٠٩٥) ، بعد عزلة استمرت احدى عشرة سنة ، الى نيسابور . وهناك اخذ يدعو « الى العلم الذى به يترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه » . ويقول الغزالي عن فترة التعليم بنيسابور « هذا هو الان نيتي وقصدي وامنيتي . وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري . ولست ادرى أأصل الى مرادى ام اخترم دون غرضي ؟ ولكني أومن ايمان يقين ومشاهدة انه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واني لم اتحرك لكنه حركني ، واني لم اعمل لكنه استعملني، فاسأله ان يصلحني اولا ثم يصلح بي ، ويهديني ثم يهدى بي ، وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه ، ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه .»

ما الذى انتهى اليه الغزالى بعد رحلته الروحية الطويلة

والسؤال الذى يدور في خلد كل منا الآن ـ ما الذى انتهى اليه الغزالي بعد هذه الرحلة الروحية الطويلة التى دامت نيفا وثلاثين سنة ؟

وقبل الاجابة عن هذا السؤال يتحتم علينا ان نسير مع الغزالي في المنقذ متابعين تفاصيل رحلته في مجالات العلم والمعرفة كما جربها واختبرها حتى خلص منها الى النتيجة الحقيقة ـ الايمان .

اصناف الطالبين للمعرفة عند الغزالي

يلخص الغزالي اصناف الطالبين للمعرفة عنده في اربع فرق وهم .

(١) المتكلمون الذين يدعون انهم اهل الراى والنظر .

(٢) الباطنية الذين يزعمون بانهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم .

(٣) الفلاسفة الذين يزعمون انهم اهل المنطق والبرهان .

(٤) الصوفية الذين يدعون انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة .

واخذ الغزالي نفسه بسلوك هذه الطرق ليتعرف الى اصولها واسسها ونظرتها ووجهتها . فما الذى وجده عند كل منها ؟

ما كان من علم الكلام عند الغزالي

وهذا الترتيب هو الترتيب الذى سار عليه الغزالي في محاولاته الفكرية . فقد كان من الطبيعي ان يبدأ بعلم الكلام ، وهو اول ما عني بتناوله على ايدى امام الحرمين ومن اليه . وعلم الكلام بما فيه من فقه وتقليد كان اول ما استخدمه الغزالي في السنوات التى اتصل فيها بنظام الملك قبل ذهابه للتدريس في نظامية بغداد . وقد وصف الغزالي علم الكلام بقوله :

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته ، وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت فيه ما اردت ان اصنف ، فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي .... لما نشأت صنعة الكلام ، وكثر الخوض فيه وطالت المدة ، تشوق المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور (لا بقبول التقليد او الاجماع فحسب) ، وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض واحكامها . ولكن لما لم يكن ذلك (اى البحث عن الحقائق والجواهر) مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق .

ما كان من امر الفلسفة عند الغزالي

في الوقت الذى كان فيه الغزالي يدرس العلوم الشرعية ويصنف فيها كان يختلس الاوقات في تحصيل الفلسفة من الكتب بدون استاذ ، وصرف في ذلك ثلاث سنوات وقف خلالها على ما في الفلسفة من ضعف . ولسنا نزعم ، ولا نحسب أن هناك من يزعم ، أن الغزالي طوى صفحة الفلسفة بعد ذلك الى غير رجعة . فما كان لرجل له عقل الغزالي الديناميكي اليقظ الفعال ان يقفل على ناحية من نواحي الحياة الفكرية الباب نهائيا .

والغزالي يعدد في المنقذ اصناف الفلاسفة واقسام علومهم . ويرى ان الفلاسفة « على كثرة اصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد ، وان كان بين القدماء منهم والاقدمين ، وبين الاواخر منهم والاوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه » .

الغزالي بحث في الفلسفة بما يبعد الشك عن نفسه

فما هي الزاوية التى نظر منها الغزالي الى الفلاسفة والفلسفة حتى قال عنهم ما قال ؟ الغزالي كان يجتاز ازمة فكرية روحية . لذلك كان يبحث عما يبعد الشك والتشكيك عن نفسه ، ويزيل غشاوته عن عينيه وينير قلبه . وقد نظر الى الفلاسفة من زاوية مطابقتها للعقيدة والايمان . فقد وجد .

(١) ان الفلاسفة (او بعضهم على الاقل) قد امنوا بالله وصفاته ولكنهم جحدوا اليوم الآخر .

(٢) وانهم لم يقبلوا (في الامور الالهية) بحشر الاجساد وقالوا بان المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة ، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية .

(٣) وانهم قالوا ان الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات .

(٤) وقالوا بقدم العالم وازليته وفي هذا تسوية بين الخالق والمخلوق .

وهذه الامور المجملة هنا فصلها الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » .

والذى وصل اليه الغزالي من درس الفلسفة والفلاسفة هو « ان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات » .

ما كان من الجماعة الباطنية والاسماعيلية عند الغزالي

بعد الفراغ من علم الفلسفة عنّ له ان يبحث عن مقالات التعليمية اى الجماعة الباطنية وخاصة الاسماعيلية . وقد اتفقت هذه الرغبة مع ورود « امر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ... فصار ذلك مستحثا من خارج وضميمة للباعث الاصلي من الباطن » . ويبدو ان الغزالي شغل بالباطنية زمنا . فهم لم يكونوا كالفلاسفة اصحاب راى فحسب ، بل كانوا كثرة من الناس لهم تعاليم وعقائد ومنظمات، وكان لهم ايام البويهيين والحمدانيين شان ، كما انه في الوقت الذى كان فيه الغزالي يقارعهم الحجة كانت لهم في القاهرة خلافة قائمة . وقد صنف الغزالي في الرد على الباطنية ومقارعتهم

الحجة خمسة كتب على الاقل هي : «المستظهري» و « حجة الحق » و « مفصل الخلاف » و « الدرج المرقوم بالجداول » و « القسطاس المستقيم » . واذا نحن اخذنا بما جاء في المنقذ ، وهو الآن موضع اهتمامنا ، فالنقطة الرئيسية التي حاج فيها الغزالي اهل التعليم هي موقفهم من نظرية الامام المعصوم . وهو لا يقبل الا بمعلم معصوم واحد هو محمد رسول الله . وانتهى الامر بالغزالي ، على حد تعبيره ، الى ان نفض اليد عنهم .

في كتبه المتعددة ، سواء اكان يبني نظرية او يقيم هيكلا او يحاج فئة من الناس ، كان الغزالي يضع بين ايدي قرائه المخطط والبينات ويعرض التفاصيل ويبني ويشعر القارىء بذلك كله فيتعلم منه القارىء . لكن في المنقذ لم يكن الغزالي معلما للتفاصيل ، لذلك فانه كان يتناول القضايا الاساسية لارائه والقواعد التي تنبني عليها نظريات الاخرين التي نقضها . ونلاحظ ان موقفه من علم الكلام والفلسفة والباطنية كان موقفا سلبيا .

موقف الغزالي من الصوفية

فماذا كان موقفه من الصوفية ، كما عرضه في المنقذ ؟

يختلف الامر مع الصوفية بالنسبة للغزالي . فهو لم يتعرف اليهم ليبين اخطاءهم او يرفض امورهم . ذلك بان الغزالي ، على ما يقرر في المنقذ ، لما هم بالتعرف الى طرق الصوفية ، وقرأ ما كتبوا ، رأى ان الامر الاهم بالنسبة لهم هو العمل الذي يكتسب بالذوق والسلوك . واتجه الى هذا يتعرف اليه واقعا . ثانيا انه كان قد حصل معه من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعيه والعقلية « ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الاخر » . ويؤكد الغزالي ان هذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسه لا بدليل معين محرر ، بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . ثالثا انه كان يجتاز ازمته النفسية العنيفة التي مر بنا ذكرها .

وقد دخل التجربة الصوفية وهو في هذه الحالة . وافاد من التجربة كثيرا . فقد صفت تجاربه واختباراته ، وصفت معها حياته ، واتضحت اهدافه وغاياته . ويذكر ، توضيحا لموقفه بعد الخلوة التي دامت نيفا وعشر سنين ، امورا عن الصوفية يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى ، « فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به . »

(٢) « ان طريقتهم هي استغراق القلب بالكليه بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله . »

(٣) الخطا في بعض الصوفية انهم قد ينتهي بهم الامر بحيث يكادون يتخيلون الحلول والاتحاد والوصول . وهذه الطوائف على خطا ، وقد ابان الغزالي اخطاءها في كتاب « المقصد الاسنى » .

(٤) بان للغزالي بالضرورة من ممارسة طرق الصوفية حقيقة النبوة وخاصيتها .

وحري بالذكر ان الغزالي ، بعد ان عرف هذه الصوفية الصحيحة ثابر على التمسك بها حتى آخر حياته . وكان اثره في رد التصوف الى حظيرة النبوة كبيرا .

ونعود الى السؤال : ما الذى انتهى اليه الغزالى ؟

ونعود الآن الى السؤال الذى سالناه قبلا وهو « ما الذى انتهى اليه الغزالي بعد هذه الرحله الروحية الطويلة التى دامت نيفا وثلاثين سنة » ؟

والغزالي يجيب على هذا في المنقذ .

(١) « ان جوهر الانسان في اصل الفطرة ، خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله (تعالى) ، والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك الا هو » وانما خبره من العوالم بواسطة الادراك ، وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ، ونعني بالعوالم ، اجناس الموجودات » .

(٢) « ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل ، وامورا آخر ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز » .

(٣) ان الناس ضلوا السبيل واختلطت عليهم الامور ، وحتى جماعة من المتصوفة جرفهم التيار .

(٤) بانتهاء الازمة النفسية وعودة الغزالي

الى الهدوء النسبي بسبب الايمان الذى ملأ قلبه ونفسه ، اخذ يفكر بالخروج من العزلة للتعليم والاصلاح . وفي ذلك يقول :

« فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي جديرة بكشف هذه الشبهة ، حتى كان افضاح هؤلاء أيسر عندى من شربة ماء ، لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم — أعني طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء — ، انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت ، محتوم . فماذا تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ومرض الاطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك ، ثم قلت في نفسي : « متى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة ، والزمان زمان الفترة ، والدأور دور الباطل ، لو اشتغلت بدعوة الخلق ، عن طرقهم الى الحق ، لعاداك اهل الزمان باجمعهم ، وأنى تقاومهم فكيف تعايشهم ، ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر ؟ »

« فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة . فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج . فامر آمرٌ الزام بالنهوض الى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة . وبلغ الالزام حدا كان ينتهي ، لو أصررت على الخلاف ، الى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص لنفسك عسر معاناة الخلق ، والله سبحانه وتعالى يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم : الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية . ويقول عز وجل لرسوله وهو اعز خلقه : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا ، حتى اتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين » . ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن الرحيم : يس . والقرآن الحكيم » الى قوله : « انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب » . فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية » .

(٥) يصف الغزالي العالم الحقيقي ، وكأنه يصف نفسه ، بالعبارات التالية :

« أن العالم الحقيقي ، لا يفارق معصية الا على سبيل الهفوة ، ولا يكون مصرا على المعاصي أصلا . اذ العلم الحقيقي ما يعرف أن المعصية سم مهلك ، وان الآخرة خير من الدنيا . ومن عرف ذلك ، لا يبيع الخير بما هو أدنى منه » .

وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر الناس . فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جراة على معصية الله تعالى . واما العلم الحقيقي ، فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء ، وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات ، وذلك لا يدل على ضعف الايمان . فالمؤمن مفتن تواب ، وهو بعيد عن الاصرار والاكباب .

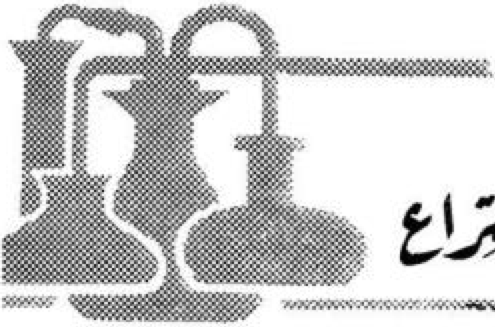
نسأل الله العظيم ان يجعلنا ممن آثره واجتباه، وارشده الى الحق وهداه ، والهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه . »

★ ★ ★

للامام الغزالي عدد كبير من الكتب ، بعضهما لا يزال مخطوطا لا يعرفه الناس ، والمنشور منها كثير . وهذا وحده تراث ضخم . وكتب الغزالي ترمي في اكثرها اما الى بناء نظرية او توضيح خطأ . لكن كتاب « احياء علوم الدين » هو كتاب الغزالي الذى يمكن اعتباره نظاما فكريا تاما . والباحثون على ان نواة هذا الكتاب وضعت في اثناء اعتكاف الامام الغزالي في دمشق وبيت المقدس . الا ان الكتاب يمثل عملا ضخما متواصلا استمر سنوات طويلة .

اما « المنقذ من الضلال » فهو فريد في نوعه بين كتب الغزالي . انه سيرة ذاتية عقلية روحية وسياحة داخلية في اعماق نفس الرجل اراد منها ان يبين كيف انتهى الى ما انتهى اليه بعد معاناة شاقة في آفاق التفكير والايمان . وصفة الكتاب الاصلية في نظرنا هي الاخلاص . فالرجل لبى دعوة وجهت اليه واجاب عن سؤال طرح عليه . ولما كتب المنقذ كان يضع وفكره وقلبه وعقله على المشرحة ويصف خلجات نفسه وخطوات فكره وصفا صادقا امينا . على هذا يجب أن يقرأ المنقذ ، وبمثل هذا يجب ان يفهم ، والا فقد الكتاب قيمته الاصيلة الاصلية . ■■

نقولا زيادة



أنباء الطب والعلم والاختراع

٣ بويضات لقحت في كندا
نقلوها الى انجلترا ..
أضيافا فى أرحام جـديدة
فأنتجت ٣ حيوانات حية كاملة

● العلماء فى معركة ضارية مع الآفات الزراعية والأمراض الحيوانية التى تفتك بالزرع والضرع وتترك الانسان جائعا حائرا . وقد اشتدت هذه المعركة اخيرا نتيجة الزيادة الكبيرة فى الأفواه المفتوحة التى تولد كل يوم تطلب الغذاء .. ومن المعارك التى يخوضها العلماء معـركة تحسين الانتاج الحيوانى وخاصـة تلك الحيوانات التى يعيش الانسان علـى لحومها .

وقد سجل علماء انجلترا نصرا كبيرا فى هذا الميدان .. فبعد أن كان أصحاب المزارع الحيوانية يتكلفون الكثير من الأموال والجهد لنقـل الحيوانات ذات السلالات الممتازة ، والتى تتمتع بمناعة ضد الأمراض الحيوانية ، من بلد بعيد الى بلادهم وذلك لتهجينها مع الحيوانات المحلية لتحسين السلالة ، خرج البحث العلمى بامكانية نقل البويضات الملقحة لهذه الحيوانات ثم زرعها فى أرحـام الحيوانات المحلية ، التى تتم عملية تنمية هذه البويضات .

وقد تم اخيرا فى مقاطعة سـارى Surrey فى انجلترا أول تجربة ناجحة من هذا النوع اذ تمت ولادة ٣ خنازير ، كانت بويضاتهم قد زرعت فى رحـم خنزيرة فى مزرعة للمعمل البيطرى التابع لوزارة الزراعة البريطانية . وقد كانت هذه البويضات قد أحضرت بعد تلقيحها من مقاطعة كويبك فى كندا وتم نقلهـا بنجاح عبر الأطلنطى .

وبالرغم من ان هذه التجارب كانت قد

أول خنازير ولدت من بويضات عبرت المحيـط الأطلسـي



بدأت منذ ٢٠ عاما فى الاتحاد السوفييتى الا أنها لم تتكلل بالنجاح مثل هذه التجربة الاخيرة التى تمت فى بريطانيا .

وسوف يؤدى هذا النجاح الى انقاص تكاليف التهجين الحيوانى الى العشر تقريبا ، فعملية نقل البويضات أقل تكلفة من عملية نقل الحيوانات الحية بالطبع . وتعتبر الخنازير أنسب الحيوانات لهذه العملية ، وذلك لأن بويضاتها تستطيع ان تبقى حية دون حاضن لمدة ٤٨ ساعة تحت ظروف موالية معينة ، اما بويضات الأغنام فهى تحتاج الى حاضن خلال وقت قصير .

وتجرى الآن التجارب لتحسين الطريقة الجديدة وتعميمها على بقية الحيوانات ، وذلك كمحاولة لتحسين سلالات هذه الحيوانات التى يعتمد عليها الانسان كمصدر من مصادر الغذاء .

[redacted]

● بلغت النفقات التى انفقتها الامم ، عام ١٩٦٩ ، فى سبيل الحصول على سلاحها ، وكذلك على اعاشة وتموين جيوشها ، مبلغ ٢٠٠ بليون دولار ، بزيادة نحو ٤٠ فى المائة على مثل هذه النفقات لعام ١٩٦٤ .

ومعنى هذا انه فى السنوات الست الماضية بلغت هذه النفقات مجتمعة اكثر من ترليون دولار ، أى مليون مليون دولار ، وهذا المبلغ يساوى بالتقريب ما انفقته الحكومات جميعا على التعليم فيها ورعاية صحة الناس .

وبالطبع أكثر هذه النفقات تنفقها البلاد المتقدمة صناعيا .

ولكن أكثر الدول نسبة انفاق ، اذا نسبنا هذه النفقة الى مجمل الانتاج القومى ، هى الدول الفقيرة .

ومعنى هذا ظاهر . ذلك ان زيادة هذه البلاد من القوة الحربية ، يقابلها نقص هذه البلاد فى القوة الاقتصادية .

والوكالة التى تأتينا بهذه الاحصاءات وهى وكالة غربية ، لها مكانتها ، تصمت عند هذا ، فلا تذكر من الذى يدفع الامم الفقيرة الى هذه النفقات التى لا تتصل بطعام او كساء او مساكن . انه الامن القومى يدفعها الى كل هذا .

والسؤال : فمن اين يأتيها الخوف ، وتأتيها الزلزلة فى امنها ؟ انها مطامع الامم الكبرى التى تجمع السلاح ، وتتخذ من قوة السلاح حكما فى كل قضية من قضايا الدنيا .



مرض السكر وتليف الكبد
بينهما علاقة وثيقة

● قبل الحرب العالمية الثانية كانت الاصابات بمرض السكر بين الذين يشكون من تليف الكبد قليلة جدا فى أوربا . ولكن اثبتت الدراسات الطبية الحديثة فى المانيا وسويسرا والنمسا وجود مرض السكر فى ٣٠٪ من مرضى تليف الكبد . وقد زادت نسبة المرضى الذين يعانون من تليف الكبد فى هذه البلدان الثلاثة بالذات نتيجة زيادة تناول المشروبات الكحولية .

وفى احصاء طبى نشر فى هامبورج اخيرا ثبت ان عدد مرضى تليف الكبد قد زاد فى الفترة ما بين ١٩٥٨ الى ١٩٦٧ الى الضعف . وزاد عدد مرضى السكرى ايضا الى الضعف فى نفس الفترة ، بينما ازداد عدد المرضى الذين يعانون من السكرى وتليف الكبد فى وقت واحد ثمانية اضعاف !! وقد لاحظ الأطباء ان الاصابة بمرض السكر تأتى بعد اصابة المريض بتليف الكبد ، واستنتجوا من ذلك ان هناك ثلاثة عوامل تؤدى الى زيادة الاصابة بهذين المرضين فى وقت واحد . وهذه العوامل الثلاثة هى :

١ ــ اختلال عمليات تنظيم نسبة سكر الدم فى الكبد المتليف .

٢ ــ ظهور تصلب فى شرايين البنكرياس أو تليف فيه يلى مرض تليف الكبد .

٣ ــ ابطال مفعول الانسولين Insulin داخل الكبد المصاب نتيجة وجود مواد مضادة للانسولين . ونتيجة لهذه الابحاث فان الأطباء الآن يحذرون مرضاهم من ان تناول المشروبات الكحولية لا يؤدى فقط الى التاثير على الكبد والدورة الدموية والقلب . ولكنه قد يتسبب ايضا فى اصابتهم بمرض السكر .

ليس صحيحا دائما
كل ما يقوله صانعُ عقَار طبى عن مزايا عقَاره

● اصدرت الادارة الفيدرالية للاغذية والعقاقير الطبية بالولايات المتحدة قائمة تحوى اكثر من ٣٦٠ اسما لمستحضرات طبية ومستحضرات للتجميل مؤكدة ان هذه المستحضرات ليس لها اية قيمة فعالة ، بل ان بعضها قد يعرض حياة الناس للخطر . .

ومن بين هذه المستحضرات ، اصناف مشهورة لمعاجين الاسنان مثل معجون كولجيت الذى تدخل مادة الكولورفيل فى تركيبه ومضمضة جونسون وجونسون للفم والاسنان وغيرهما كثير .

وقد اهتمت الادارة الفيدرالية الطبية بالقيام ببحوثها الاخيرة بسبب التأكيدات التى امتلأت بها اعلانات الشركات المنتجة لهذه المستحضرات والعقاقير للفوائد والمزايا التى تعود على المشترين من جراء استخدامها ، كأن تقول عن معجون اسنان انه يمنع التسوس ، فقد حملت هذه التأكيدات الادارة المذكورة على التاكد من صحة هذه الدعاوى بالبحث والتحليل ، حماية منها لجماهير المستهلكين .

وقد أدت البحوث التى قامت بها هذه الادارة العلمية ايضا الى عدم جدوى كثير من العقاقير المركبة من البنسلين والسلفا ، فقد ثبت ان العقاقير التى تضم اثنين او اكثر من هذه المركبات لا

تفيد المرضى، كما تؤكد الشركات المنتجة لها
ومن الغريب أن هذه القائمة التي اصدرتها الادارة الفيدرالية العلمية باسماء هذه العقاقير والمستحضرات، كانت قد اعدتها منذ شهور طويلة مضت، ولكنها لم تعلن عنها الا اخيرا، وجاء هذا التأجيل نتيجة للجهود التي كانت تبذلها الشركات الطبية المنتجة لها، لمنع نشرها على الناس، وقد باءت هذه المجهودات اخيرا بالفشل.

سكان الولايات المتحدة لعام ١٩٧٠

● دلت النتائج الأولية لتعداد السكان لعام ١٩٧٠ على ان عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بلغ ٢٠٠٢٦٣٧٢١ نسمة. والمنتظر ان يرتفع هذا الرقم الى ٢٠٤ مليون عندما يضاف اليه عدد الجنود الذين هم في الخارج، وعدد المسافرين والراجعين الى اوطانهم من بعد سفر. وينتظر ان يزيد هذا الرقم بذلك الى ٢٠٤ر٨ مليونا، وهذا هو العدد الذي سبق ان قدره الخبراء.

ولقد كان عدد السكان في عام ١٩٦٠ قد بلغ ١٧٩٣٢٣١٧٥ نسمة، واذن تكون الزيادة في عدد سكان الولايات في العشر من السنوات الماضية قد بلغت ١٤ر٢ في المائة. ولقد كانت زيادة سكان عام ١٩٦٠ على سكان عام ١٩٥٠ قد بلغت ١٨ر٥ في المائة.

والظاهرة الاخرى الجديرة بالذكر ان السكان مالوا بالنزوح الى خارج ضواحي المدن. ونضرب مثلا لذلك بواشنجطن. فسكان واشنجطن المدينة لم يكن يزيد شيئا بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠، ولكن واشنجطن الكبرى، اى المنطقة كلها وتتضمن المدينة وضواحيها فقد زاد عدد سكانها ٨٠٠ر٠٠٠ نسمة، اى بنسبة ٣٨ في المائة مما كانت عليه عام ١٩٦٠.

وتبدلت مراتب الولايات في عدد السكان وقد زاد عدد السكان في غرب الولايات وجنوبها الغربي. ومن ذلك ان ولاية كلفورنية حلت محل ولاية نيويورك بحسبانها اكثر الولايات سكانا. ولكن ظلت نيويورك المدينة هي اكبر مدن الولايات المتحدة بعدد سكانها الحالي البالغ ٧ر٧٧١ر٧٢٠ نسمة، وهذا العدد هو ضعف سكان مدينة شيكاجو.

وظلت مراتب المدن الكبرى في عام ١٩٦٠ هي هي في عام ١٩٧٠، نيويورك، فشيكاغو، فلوس انجليس، ففلادلفيا، فدترويت.

وسيؤثر اختلاف عدد السكان في بعض الولايات في الشئون التي تتصل بهذه الأعداد، ومنها عدد من يمثل الولايات في مجلس نوابها. مثال ذلك ان كلفورنية ستجني ٥ مقاعد جديدة.





على التدخين
كم يأمل الرجل أن يعيش

● نضرب مثلا للعمر الذى يرجو الفرد منا ان يصل اليه قبل ان يموت ، نذكر بعض التقديرات التى انتهى اليها الحاسبون فى بعض امم الغرب .

فمثلا الطفل عند الميلاد ، خرج الحساب بانه يرجو ان يعيش فى متوسط الأحوال الى ان يبلغ ٦٧ر٥ عاما .

وان الشاب فى العشرين يرجو ان يعيش ، فى المتوسط ، ٥٠ر١ عاما، فوق العشرين . اى انه يبلغ عامه الـ ٧٠ر١ . وذلك لأن احتمال قصر العمر قد قل ببلوغه العشرين عاما .

واما الرجل الذى بلغ عامه الـ ٤٨ يرجو ان يعيش ٢٤ر٧ عاما فوق ذلك لتبلغ به عامه الـ ٧٢ر٧ .

والرجل الذى بلغ عامه الـ ٦٥ يرجو ان يعيش فوق ذلك ١٢ر٨ عاما ليبلغ عامه الـ ٧٧ر٨ .

فهذا هو معنى الحياة المتطورة فى الأعمار هذه المذكورة .

وقد وجد الباحثون الأحدثون ان الحياة المنظورة للطفل المولود فى الولايات المتحدة زادت ١١ر٢ من الأعوام ، وذلك منذ عام ١٩٢٠ . ومع هذا فالعمر المنظور للرجل الأمريكي لم يزد فى هذه الفترة عن غيرها دون السنتين .

ووجدوا كذلك ان رجالا فى سن الثلاثين يعيشون فى بلاد فقيرة مثل البانيا ، وبورت ريكا ، والبرتغال ، لهم من الحياة المنظورة سنوات أكثر مما لدى امثالهم ممن هم فى مثل اعمارهم من الأمريكيين .

وقد حاول الأطباء ، تفسير ذلك ، فقالوا : ان التوقف عند الرجال الأمريكان وفى انجلترا دون كسب مزيد من الحياة المنتظرة سببه السمنة ، وزيادة المألوف من الدسم وقلة الحركة والرياضة ، يضاف الى ذلك التوتر الذى يحس به ساكن المدن .

وقام الاستاذ صمويل برستن Preston بجامعة كالفورنيا ببركلى يدرس سجل الموتى فى ١٧ دولة ، وانتهى من دراسته الى ان السبب الكبير الاكبر فى نقص زيادة الأعمار انما هو تدخين السجائر . ونشر ما وجد فى كتاب Monograph سماه : سبق الرجال الأسن الى الموت والتدخين . تحليل ديمغرافي .

وذكر برستن فى مؤلفه هذا ان الرجل الأمريكي كان يدخن عام ١٩١٠ فى المتوسط ٢٢٠ سيجارة فى العام ، زادها الى ١٣٧٠ عام ١٩٣٠ ، زادها الى ٣٨١٠ عام ١٩٦٠ .

ولاحظ ان الحياة المنظورة للنساء لم تتأثر كما تأثرت حياة الرجال ، وعزا ذلك الى ان النساء يدخن اقل مما يدخن الرجال . مثال ذلك انه فى عام ١٩٣٥ لم يدخن بانتظام من نساء امريكا الا نحو ١ر٧ فى المائة منهن ، فى حين ان الذين كانوا يدخنون من الرجال بلغوا بانتظام ٢٨ر١ فى المائة .

وقد وجد برستون ان النساء المدخنات بين سن ٤٠ وسن ٦٩ تزيد نسبة الوفيات فيهن ٢٨ فى المائة عنها فيمن لا يدخن .

وقارن مثل هذا فى الرجال فوجد النسبة بلغت ، لا ٢٨ فى المائة ، وانما ٨٨ فى المائة .

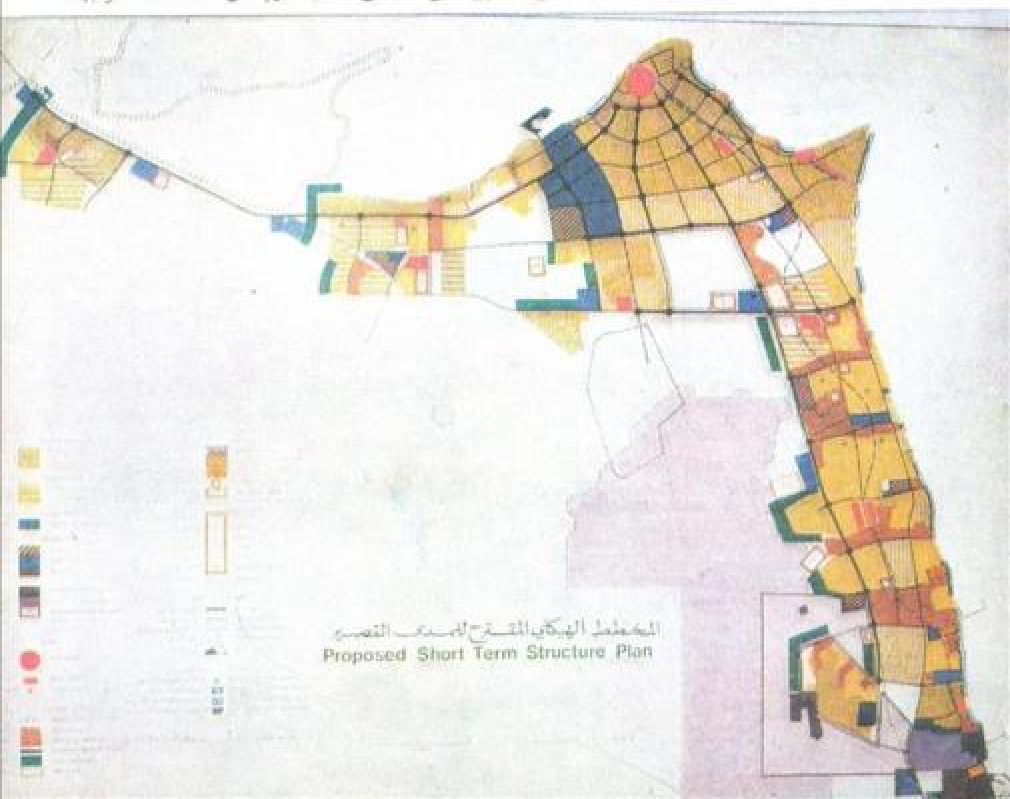
وقارن برستون امة بأمة فوجد ان عدد الموتى يتزايد بازدياد التدخين . وسبب الموت فى هذه الأحوال يرجع الى السرطان ، والى امراض القلب والدورة، والى امراض الشعب الرئوية . ●●

استطلاع
الكويت

المخطط الهيكلي لدولة الكويت

مليون وربع مليون نسمة تعداد الكويت بعد ١٠ سنوات من الكويتيين وغير الكويتيين

رسم يبين المخطط الهيكلي لدولة الكويت ، ويظهر فيه توزيع الاراضي التي يتطلبها التوسع في مختلف القطاعات لسنوات العشر القادمة ، وكذلك وسائل المواصلات المقترحة للربط بين مختلف انحاء الكويت . ويرمز اللون الاصفر في الرسم للمناطق المخصصة للتوسع السكني ، اما اللون الازرق فيرمز للتوسع الصناعي ، واللون الاحمر للمناطق المخصصة للتوسع التجاري ، واللون البني المناطق الترفيهية والسياحية ، بينما يرمز اللون الاخضر لمناطق التشجير التي ستحمي سكان الكويت من العواصف الترابية.





ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد يرأس اجتماعا للجنة المخطط الهيكلي ، ويرى معه في الصورة على جانبيه أعضاء اللجنة ويتضمنون غير الوزراء مستشاري اللجنة وهم الدكتور عمر عزام والاستاذ سيرلزلي مارتين (استاذ العمارة بجامعة كمبريدج) والاستاذ فرانكو البيني (استاذ العمارة بجامعة ميلانو) والاستاذ بوكانون (مدير المكتب الاستشاري المكلف بوضع المخطط) ثم أعضاء اللجنة من المهندسين الكويتيين

بقلم : المهندس حامد عبد السلام شعيب

المدير المساعد ـ بلدية الكويت

■ لا بد لنا من كلمة موجزة لتعريف التخطيط قبل الدخول في هذا الموضوع .

فالتخطيط القومي الشامل بالنسبة لاية دولة ، يشمل التخطيط الاقتصادى والاجتماعي والعمراني والتربوى الى آخر مجالات التخطيط .

ومجال حديثنا اليوم ، هو مجال التخطيط العمراني لدولة الكويت ، وعلى الاخص للكويت العاصمة ، وهذا التخطيط هو محاولة للتنبؤ باحتياجات المجتمع ، خلال فترة زمنية معينة ، من مساكن ، ومناطق تجارية ، ومناطق صناعية ، ومناطق سياحية وترفيهية ، ومراكز لدور الحكومة الى غير ذلك ، ثم التخطيط لتوزيعها على الارض المتاحة ، مناطق مناطق ، مع مراعاة المكان الانسب لكل من هذه المرافق ولما بينها من علائق .

الكويت قبل ظهور النفط

ولنبدأ بوصف الكويت ، كيف كانت بالامس ، لتدرك بمقارنتها بالماضى والحاضر ، كيف تصير في الغد .

لقد كانت الكويت في أوائل الخمسينات ، اى

قبل ظهور النفط تركز في مكان واحد تقريبا ، هو مدينة الكويت والى جانبها قامت بعض القرى الصغيرة التى انتشرت فى بطن الصحراء او على شاطىء الخليج ، أهمها قريتا الجهراء والفحاحيل .. وكانت مدينة الكويت تقوم عند ميناء صغير تبحر منه وترسو فيه السفن التجارية ، وسفن صيد اللؤلؤ تلك السفن التي كان سكان الكويت يعتمدون في رزقهم عليها .

والى جانب الميناء الرئيسي انتشرت المرافىء الصغيرة التي كانت تستخدم لصناعة السفن وصياناتها وانتشرت بالقرب من هذه ، اماكن بيع وتخزين المواد اللازمة لذلك . وحول هذه المرافىء امتدت الاحياء السكنية والبيوت المتلاصقة والمبنية من الطين .

اما ساحة الصفاة فكانت ما يشبه الميناء البرى لمدينة الكويت يصل بينها وبين الميناء البحرى الاسواق حيث كان تجار البادية يلتقون بتجار البحر ويتبادلون السلع المختلفة .

هكذا كانت الحياة في الكويت قديما .. حياة بدائية بسيطة ، لم تكن مستها بعد اساليب الحضارة بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان .. كالمرافق الحيوية ، والطرق والمستشفيات والمدارس ، الى آخر ما هنالك من متطلبات الحياة العصرية ..

هذه صورة سريعة لما كانت عليه الكويت منذ سنوات قليلة خلت .

الكويت بعد ظهور النفط

وبعد اكتشاف النفط والبدء فى تصديره بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجدت حكومة الكويت انه قد اصبح لديها من الدخل مايكفي للبدء فى توفير المساكن الصحية والمرافق والخدمات التعليمية والصحية الضرورية للمجتمع .

ولكي يتحقق ذلك ، كان لا بد من اجراء دراسات لوضع خطة شاملة لتنفيذ المشروعات المقترحة .

وبدأت الدراسات بالفعل في عام ١٩٤٩ ، وكان تعداد سكان الكويت في ذلك الوقت يقدر بحوالي ١٥٠ الف نسمة يقيم معظمهم في مدينة الكويت .

وقام خبراء التخطيط الذين دعتهم الحكومة من الخارج ، بوضع خطة ، قدمت للجهات المسئولة في الحكومة فى عام ١٩٥١ . وعلى اثر ذلك قامت حكومة الكويت بدورها باجراء دراسات لهذه المقترحات التى تضمنتها الخطة ، وادخلت عليها بعض التعديلات ، ثم تم اعتمادها في شكلها النهائي في عام ١٩٥٢ .

اول تخطيط للكويت

وتلخصت هذه الخطة باختصار فيما يلي :

١ ــ التوسع السكنى حول مدينة الكويت باتخاذ المدينة مركزا لذلك التوسع .

٢ ــ مد الطرق مستقيمة من مدينة الكويت الى الصحراء ، ثم انشاء طرق دائرية حولها . وتتقاطع هذه الطرق المستقيمة والدائرة فتشكل مستطيلات من الارض للتوسع السكنى فى مراحل الخطة .

٣ ــ تخصيص المناطق الصناعية اللازمة للتوسع الصناعي ، وتحديد مناطق التخزين قريبا من الميناء الجديد فى الشويخ وتهيئة الميناء لاستقبال البواخر التجارية الحديثة . عملا بسياسة تنويع مصادر الدخل القومي . وهي السياسة التى خطت الحكومة في سبيل تحقيقها بعد ذلك خطوات واسعة .

٤ ــ تخصيص مناطق للمرافق الصحية والمرافق التعليمية .

٥ ــ تخصيص مناطق مفتوحة للسياحة والترفيه ، أهمها الاطار الاخضر الذى يفصل مدينة الكويت القديمة عن التوسع المقترح .

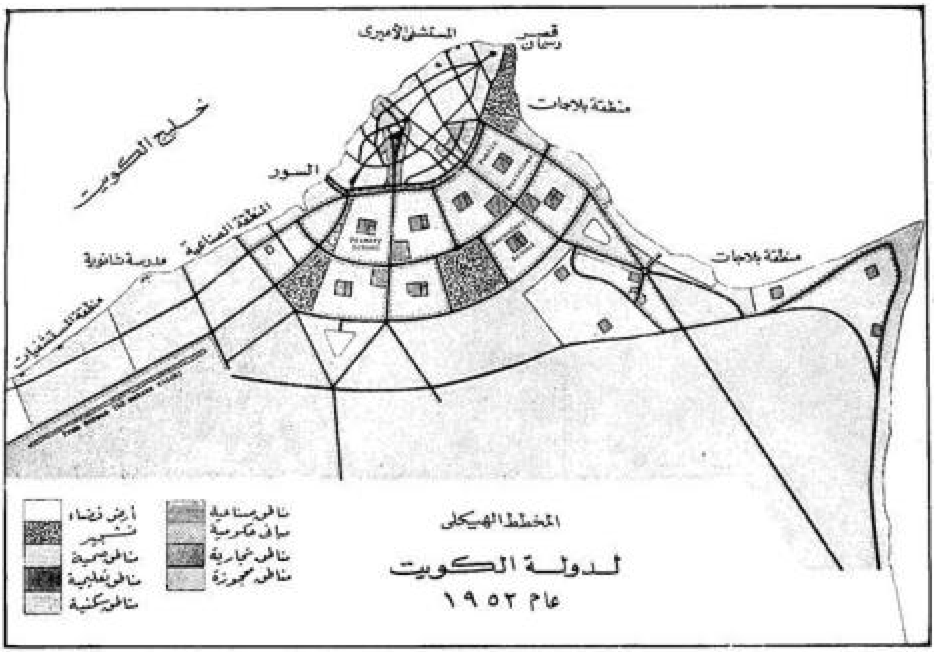
٦ ــ انشاء الطرق الرئيسية المؤدية من الكويت الى الاحمدى جنوبا وهي (المدينة الثانية في الكويت ومركز تصدير النفط الان) . وكذلك الطرق المؤدية شمالا الى قرية الجهراء ومنها الى العراق.

وقام هذا التخطيط على اساس تقسيم العاصمة الى مناطق ، يقوم كل منها على حدة وتوفير المرافق الضرورية لكل منطقة ، من مدارس ، ومراكز صحية وتجارية ، ومركز للامن ، والحدائق والساحات المفتوحة التى يستطيع الشباب ان يمارسوا فيها هواياتهم .

وطبقا للتقديرات التى كانت قائمة في ذلك الوقت ، قدرت الزيادة في عدد السكان من (١٥٠ الف نسمة الى ٢٥٠ الفا) خلال العشرين سنة من بدء هذه الخطة (١٩٥٠ ــ ١٩٧٠) ، وعلى هذا الاساس كان الامتداد ينتهي عندما يسمى حاليا بالطريق الدائرى الثالث .

الزيادة فى تعداد السكان

كان هذا هو المتوقع .. ولكن الذى حدث بعد ذلك ، قلب كل هذه التقديرات راسا على عقب .



المخطط الهيكلي لدولة الكويت عام ١٩٥٢

فقد مضت الزيادة في عدد سكان الكويت بنسبة اكبر بكثير مما كان متوقعا ، وخاصة في الستينيات، وللتدليل على ذلك نورد فيما يلي جدولا قصيرا بالزيادة التى طرات على تعداد سكان الكويت في هذه السنوات الماضية .

في عام ١٩٥٠	١٥٠ الف نسمة
في عام ١٩٥٧	٢٠٦ الف نسمة
في عام ١٩٦١	٣٢١ الف نسمة
في عام ١٩٦٥	٤٦٧ الف نسمة
في عام ١٩٧٠	٧٣٣ الف نسمة

اى ان سكان الكويت قد تضاعفوا خمس مرات تقريبا خلال فترة العشرين عاما الماضية ، وهذه الارقام تتضمن من جاء الى الكويت بعد ظهور النفط من غير الكويتيين ، وكان لا بد والحالة هذه من وضع مخطط هيكلي جديد لدولة الكويت ، لاستيعاب هذه الزيادة الكبيرة ، ولمواجهة الزيادة المتوقعة فى المستقبل القريب والبعيد .

وبناء على ذلك ، بدأت الدراسات لوضع مخطط جديد ، وتنفيذه بعد اعتماده من كافة الهيئات المعنية في الكويت .

ولي العهد يتبنى المخطط الجديد

ولما كان لهذا الموضوع من أهمية قصوى بالنسبة لمستقبل التنمية في الكويت ، فقد تبنى رئيس مجلس الوزراء وولي العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح شخصيا مهمة توجيه الدعوة الى فريق من المستشارين والخبراء في مجال التخطيط من خارج البلاد ، وكان ذلك فى منتصف عام ١٩٦٨ . كما حرص رئيس الوزراء على ان يرأس بنفسه اجتماعات اللجنة التى تالفت لدراسة ومتابعة المخطط الهيكلى الجديد ، وهي تضم وزير الاشغال السيد خالد العيسى الصالح ، ووزير الدولة ورئيس بلدية الكويت السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي ، ومدير مجلس التخطيط السيد احمد الدعيج ، وجهاز فني يضم خمسة من المهندسين الكويتيين العاملين في مجال التخطيط .

لجنة التخطيط عمل متصل لمدة عامين

وبدأت اللجنة اعمالها على الفور ، وظلت تعمل زهاء عامين كاملين تقريبا بالاشتراك مع المستشارين ومع الاجهزة الفنية في الوزارات والهيئات الرسمية المتخصصة .

وتم وضع المخطط الهيكلي العام للعشرين عاما القادمة ، وتم اعتماده . وهو يوفر احتياجات الدولة من التوسع في مختلف المرافق ، كالاسكان ، والصحة ، والتعليم ، والصناعة ، والتجارة ، والسياحة وغير ذلك من مرافق حيوية اخرى . على ان يتم تنفيذ ذلك كله خلال مرحلتين ،



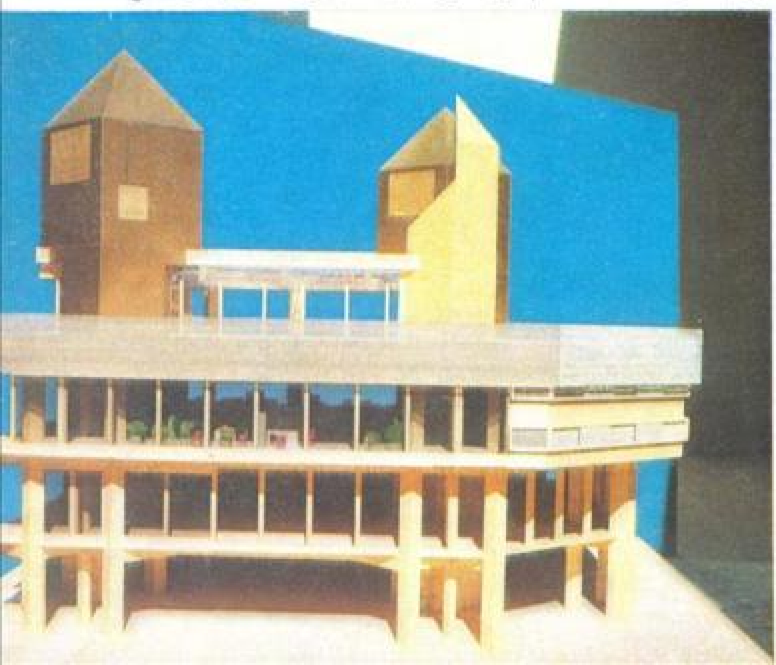




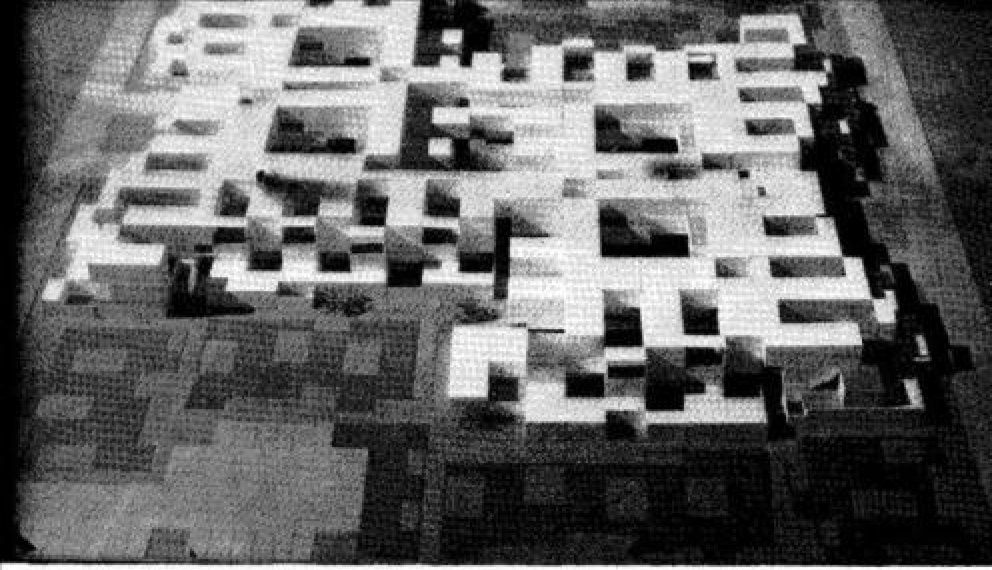
ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وقد ظهر الى يمينه وزير البرق والبريد والهاتف السيد عبد العزيز الصرعاوي بوصفه رئيسا للبلدية بالنيابة ، ووزير الاشغال السيد خالد عيسى الصالح وهما عضوان في لجنة التخطيط . وذلك في احد الاجتماعات التي كان يحرص رئيس الوزراء دائما على رئاستها لمتابعة اعمالها .

ان تنفيذ المخطط الهيكلي لدولة الكويت يعتمد اساسا على التعاون بين القطاعين الحكومي والخاص ، وبناء عليه ، فقد رئي اشراك ذوى الشأن في الاطلاع على تفاصيل المخطط وابداء الرأى فيه .. وفي الصورة رئيس واعضاء غرفة تجارة وصناعة الكويت مع بعض المسئولين ملتفين حول نموذج لمخطط الكويت الهيكلي ، للاطلاع على المناطق المخصصة للتوسع الصناعي والتجارى والسكني .

واجهة نموذج لمجمع من المجمعات المقترح بناؤها لسكنى الوزارات في منطقة المرقاب ، وقد صممت لتلائم جو الكويت وبيئته وبطريقة تأذن بالتوسع



المهندس حامد عبد السلام شعيب (الى اليسار) مع اثنين من زملائه المهندسين الكويتيين اعضاء اللجنة الفنية للمخطط الهيكلي لدولة الكويت ، يتباحثون امام خريطة ملونة للمخطط في بعض المناطق المخصصة للتوسع في مختلف القطاعات ، وذلك اثناء المحاضرات التي القيت لشرح التوسع على ابناء الشعب الكويتي بمختلف فئاته .



المرحلة الاولى للسنوات العشر القادمة ، والتى تجرى دراستها تفصيليا في الوقت الحاضر ، على اساس الزيادة المتوقعة في تعداد سكان الكويت ، وقد قدر تعداد الكويت من السكان بعد عشر سنوات بحوالي مليون وربع مليون نسمة من كويتيين وغير كويتيين . بينما قدر تعداد السكان بعد عشرين سنة اى خلال فترة تنفيذ المخطط بحوالي مليوني نسمة . هذا اذا استمرت الزيادة بمعدلها الحالي .

خطة توسيع قطاع الاسكان

ونعود الى المشروعات الهامة التى سيجرى تنفيذها خلال النصف الاول من الخطة ، اى في السنوات العشر المقبلة .

ونبدأ بقطاع الاسكان والسكان .

قد اخذت الخطة بعين الاعتبار في المقام الاول اعداد المناطق الملائمة لبناء المزيد من المساكن للكويتيين وغير الكويتيين ، والخطة تقضى بان تملأ المناطق السكنية الجديدة الفراغ الموجود الآن بين مدينة الكويت ومدينة الاحمدى جنوبا ، وذلك حتى يتم الاتصال بينهما .

كذلك شملت الخطة التوسع السكنى غربا في منطقتى الصليبيخات وقرية الجهراء .

كما عنيت الخطة بدراسة وسائل الانتقال اللازمة لكل هذه المناطق فلا بد من مد طرق جديدة تصل هذه المناطق بعضها ببعض ولا بد من حجز المساحات اللازمة لتسيير خط نقل سريع ليربط بين اطراف المدينة التى ستتباعد كثيرا .

خطة توطين أهل البادية

واخذت الخطة بين الاعتبار انشاء مشاريع اسكان لتوطين سكان البادية الرحل ، ورفع مستواهم الاجتماعي والثقافي ، وكذلك بناء المساكن الصحية وكل ما يحتاجون اليه لتوفير البيئة الملائمة لحياتهم الجديدة .

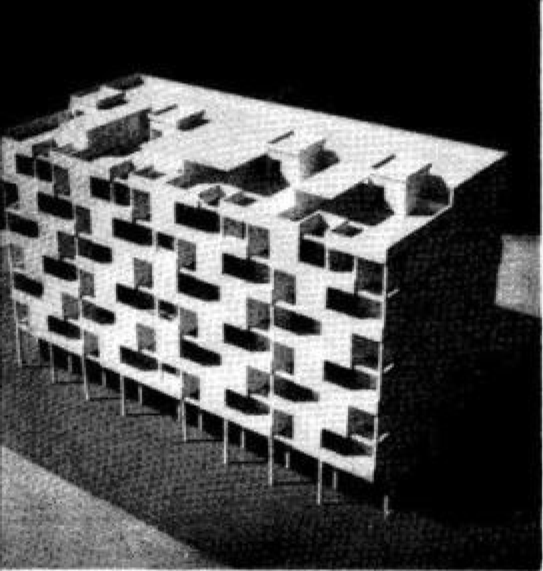
وقطاع التجارة

وننتقل بعد هذا الى قطاع التجارة ، وقد اهتمت الخطة بانشاء مراكز تجارية جديدة على عدة مستويات أهمها ، المركز التجارى الرئيسي بالعاصمة الكويت ، وذلك عن طريق اضافة مبان جديدة الى المركز الحالي ، ورفع مستواها ، وتسهيل الوصول اليها من خارج الكويت . وسوف يتطلب هذا مد طرق جديدة فوق الارض وتحتها ، وتحسين الطرق الموجودة حاليا ، وربطها بشبكة الطرق الرئيسية حول المدينة ، وتوفير الأماكن اللازمة لمواقف السيارات .

والى جانب الاهتمام بالمركز التجارى الرئيسي ، فقد اقترحت الخطة انشاء مركز ثان غربي قرية الفنطاس لخدمة المنطقة الساحلية جنوبي الكويت، الممتدة من المسيلة الى الفحاحيل .

الحركة التجارية ومشاكل المرور

وكذلك رات الخطة انشاء عدة مراكز تجارية صغيرة تنتشر في عدد من مناطق التوسع التى شملتها الخطة ، كالجهراء ، والفحاحيل ، والصليبيخات، والفروانية ، والسالمية، وحولي،



الصورة اليمنى : مجمع سكنى للفلات (أو البيوت العربية التى تتألف من دورين) وهو يضم عددا من الوحدات السكنية وملحقاتها من حدائق وساحات وطرق فرعية ومواقف للسيارات . **اما الصورة التى الى اليسار فهي** عبارة عن عمارة سكنية تتألف من عدة ادوار ، وعدد كبير من الشقق يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ شقة لذوى الدخل المحدود ، والمقترح انشاؤها وسط المدينة فى نفس المنطقة التى ستشيد فيها الفلات ، أو البيوت العربية .

والمسيلة .. وهي اكثر المناطق ازدحاما بالسكان في الكويت ، حتى يسهل على سكان هذه المناطق الحصول على احتياجاتهم من اقرب مركز تجاري . وسيكون من نتيجة ذلك تخفيف الضغط على وسائل المواصلات وتخفيف حركة مرور السيارات في الطرق الرئيسية الهامة .. وهي احدى المشاكل الرئيسية التى يعاني منها المسئولون عن المرور في الوقت الحاضر ، هذا بالطبع بالاضافة الى المراكز التجارية المحلية على مستوى الضاحية السكنية وفروعها .

قطاع الصناعة

وننتقل بعد ذلك الى القطاع الصناعي ، والمعروف ان هناك الآن منطقتين صناعيتين رئيسيتين فى الكويت ، وهما منطقة الشويخ للتخزين والصناعات الخفيفة ومنطقة الشعيبة جنوبي الاحمدي للصناعات الثقيلة .

وقد اقترحت الخطة عدم التوسع في منطقة الشويخ حاليا ، وتوزيع المناطق الصناعية الجديدة اللازمة لتحقيق التكامل في الاقتصاد الكويتي ، على عدة مناطق فرعية قريبة من المناطق السكنية ، لنفس الاسباب التى سبق ذكرها عند الحديث عن المناطق التجارية .

اما بالنسبة للصناعات الثقيلة ، فقد وجد الخبراء ، ان المناطق المخصصة حاليا للتوسع ، تفي بالحاجة الى بناء مراكز صناعية جديدة خلال السنوات العشر القادمة ، مثل صناعة الكيماويات البترولية والألمنيوم وغيرهما .

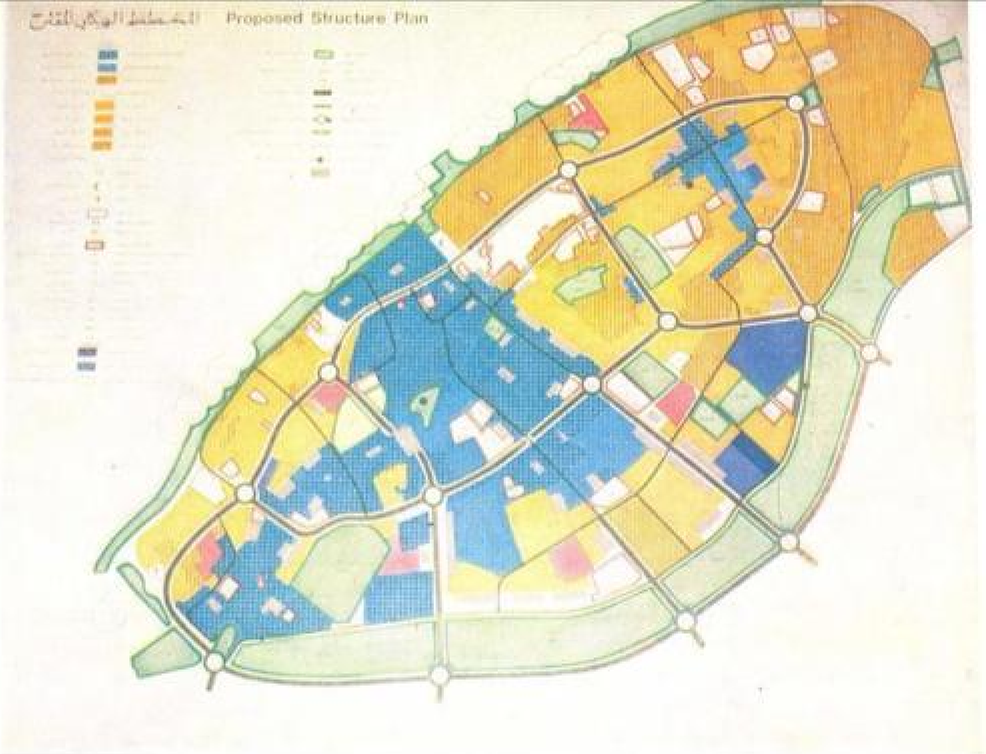
المطارات والموانىء

ولا بد لنا هنا من الحديث عن وسائل المواصلات التى تربط الكويت بالخارج والطرق الدولية ونعني بها المطارات والموانىء .. وقد اثبتت الدراسات ان المطار الدولي يكفي للتوسع في المستقبل ، بعد اتمام انشاء المباني الحديثة الخاصة بالركاب القادمين والمسافرين ، ومراكز المراقبة الصحية والجمركية وتسهيل اجراءات السفر .. ولقد كان هذا المطار من المشروعات الحساسة التى كان من المقرر تنفيذها منذ مدة ..

اما الموانىء ، فقد اتضح من الدراسات ، ان التوسعة التى تجرى حاليا في ميناء الشويخ (انظر استطلاع العربي العدد رقم ١٤٣) تكفي لتحقيق التوسع في التصدير والاستيراد للسنوات العشر المقبلة ، الا انه وجد ايضا ان هناك حاجة الى توسعة ميناء الشعيبة ليساهم في تخفيف الضغط عن ميناء الشويخ التجاري .

... وتقترح الخطة عدة مرافىء وموانىء صغيرة لسفن الصيد والمواصلات بين جزيرة فيلكا وراس السالمية .

اما بالنسبة للطرق الدولية فسيبدأ العمل قريبا لمد الطريق البرى بين الكويت والمملكة العربية السعودية ليتصل بطريق التابلاين والذى يؤدى بدوره الى الاردن وساحل الشام ـ هذا الى جانب تحسين الطرق الحالية التي تصل



رسم يبين المخطط التنظيمي الجديد لمدينة الكويت العاصمة ويرمز اللون الاصفر للمناطق المخصصة للتوسع السكني كما يرمز اللون الازرق للتوسع التجاري ، واللون الاحمر للمرافق العامة والمدارس ، والاخضر للحدائق والساحات ومناطق الترفيه . وقد ظهرت الطرق الرئيسية خطوطا سميكة سوداء .

نموذج للمنازل المقترح بناؤها لابناء الكويت في قلب المدينة ، وقد روعي في تصميمها توفير الطابع العربي الذى يلائم الحياة في المجتمع الكويتي ، بعد أن لوحظ أن معظم أبناء البلد قد هجروا وسط المدينة الى الضواحي .. انها محاولة لاعادتهم الى قلب العاصمة .





نموذج مجسم لمدينة الكويت كما هي اليوم قبل البدء بتنفيذ المخطط الهيكلي المقترح . وقد كلفت اربعة مكاتب استشارية عالمية بتصميم بعض المناطق الهامة بما فيها تصميم تفصيلي للمجمعات الحكومية ، والسكنية والتجارية . وسيتم تنفيذ هذه المشروعات على عدة مراحل تنتهي بانتهاء الخطة خلال السنوات العشر القادمة

الكويت بالعراق شمالا والمملكة العربية السعودية (الطريق الساحلي) جنوبا .

السياحة والاصطياف

وقد اهتمت الخطة ، اهتماما خاصا بتوفير المناطق السياحية والترفيهية ، واهم هذه المناطق التى شملتها الخطة ، هي المناطق الساحلية ووسائل توفير الخدمات السياحية فيها ، حتى يجد الزائرون لهذه المناطق كل ما يتطلع اليه السائح من وسائل الترفيه والتسلية التى تناسب طقس الكويت باعتبار ان السياحة من أهم الصناعات التى تعنى بها الدول الحديثة الناهضة .

ومما يساعد على تنفيذ هذا المقترحات وجود مناطق ساحلية رملية جميلة على طول الشاطيء حتى المنطقة المقسومة ، او المحايدة ، وكذلك في جزيرة فيلكه ، وبعض الجزر الصغيرة المنتشرة بالقرب من شاطيء الكويت .

ولا شك ان تنفيذ مثل هذه المشاريع الحيوية سيشجع سكان الكويت، من كويتيين وغير كويتيين، وكذلك سكان الخليج ، على قضاء الصيف او بعض منه على شواطيء الكويت ، وبذلك يمكن الحد من تلك « الهجرة الجماعية » التى تتم في صيف كل عام هربا من حر الكويت ، وتوفير المبالغ الطائلة التى تنفق حاليا في الخارج .

وقد اهتمت الخطة ايضا باختيار المناطق الفنية بمناظرها الطبيعية الجميلة ، ومد وسائل الانتقال اليها ، وتوفير الخدمات الضرورية لروادها ..

وأهم هذه المناطق تلال قضى والدوحة وعشيرج والساحل الجنوبي والمناطق الصحراوية التى تتكاثر فيها الأعشاب والزهور الموسمية في فصل الربيع.

الزراعــة

اما بالنسبة للزراعة فقد اعدت دراسات تفصيلية لانواع التربة ومصادر المياه بالتعاون مع الوزارات الاخرى . ويتضح من ذلك ان هناك امكانيات للتوسع بهذا النشاط الحيوى بالنسبة



كان لابد من عقد ندوات يحضرها أكبر عدد ممكن من المواطنين الكويتيين والخبراء والفنيين ، للاطلاع على تفاصيل المخطط الهيكلي للكويت ومناقشته وابداء الرأى فيه . وقد تولى المهندسون الكويتيون أعضاء لجنة المخطط عملية الشرح والتفسير للمخطط ، وكذلك الاجابة على كل الاسئلة التى وجهت اليهم في تلك الندوات التى استغرق عقدها اسبوعا .

للكويت . وتتركز امكانيات التوسع فى ثلاث مناطق هي منطقة العبدلي شمال الكويت ومنطقة الصليبية غرب مدينة الكويت وفى جزيرة بوبيان .

تخطيط جديد للمدينة العاصمة

ومن بين المرافق الحيوية التى تجرى دراستها حاليا داخل نطاق الخطة ، تخطيط جديد لمدينة الكويت بحسبانها العاصمة ومركز الادارة والحكم. ومن ذلك بناء مجمعات حكومية لمختلف الوزارات والهيئات ، تقام فى منطقة المرقاب ، وتتم خلال ١٠ سنوات . واربعة مشروعات اخرى هي قيد الدرس ، اولها توسيع قصر السيف ، وهو المقر الرسمي لامير الكويت ، وفي جواره الآن متسع لهذا . وكذلك اقامة مبنى جديد لمجلس الوزراء . ومبنى لوزارة الخارجية هذا بالاضافة الى انشاء مسجد يبدا العمل في بنائه قريبا ، وسيسمى مسجد الدولة .

تعمير بطن المدينة

اما في المنطقة الثالثة فقد رات الخطة انشاء مساكن حديثة ملائمة لبيئة الكويت ، داخل المدينة ، لتشجيع ابناء الكويت على الاقامة فيها، بعد ان لاحظت ان الاغلبية قد انتقلت للحياة فى مساكن شيدوها بضواحي الكويت .

المنطقة التجارية والسوق القديمة

وقد عنيت الخطة بدراسة هذه المنطقة على اساس انها جزء من تاريخ الكويت القديم والعمل على صيانتها وتحسينها ، وتوفير الخدمات الضرورية للتجار فيها .. وتسهيل مهمة الوصول اليها ، ووقوف السيارات بالقرب من متاجرها فهي مقصد المشترين من الزوار والسائحين الذين يبحثون عن التاريخ بين اسوار المدن القديمة اينما حلوا .

لمحة سريعة

هذه لمحة سريعة للمخطط الهيكلي لدولة الكويت للسنوات العشر المقبلة ولاشك ان لدى حكومة الكويت الرغبة والتصميم والقدرة على القيام بمهمة تنفيذه كما قامت بكل جدية بتنفيذ الخطة الاولى التى تمثل الكويت كما نراها الان .

حامد عبد السلام شعيب ■■

شبلة أو شبل

أن انثى الاسد هي لبؤة وولده الذكر يسمى « شبلاً » فهل هناك من تسمية لشقيقة الشبل؟ وان كان الجواب بالاجابة فما هو اسمها ؟

على حسين ــ بيروت لبنان

في اللغة اسماء يفرق بين مذكرها ومؤنثها بتاء التأنيث مثل « المرء والمرأة » ، والطفل والطفلة » وهذا هو الأعم الأغلب في الفرق بين المذكر والمؤنث . فيما اتفق لفظه .

وبعض الأسماء تطلق شاملة للمذكر والمؤنث معا . مثل « فرس » فانها تدل على الأنثى من الخيل . وعلى الحصان . ونصوا على أنه لا يقال للانثى « فرسة » . بل ان بعض الاسماء بدون تاء التأنيث وتطلق على الأنثى ، مثل « الضبع » فهي الأنثى من الضباع وقالوا لا تقل « ضبعة » ، اما الذكر فاسمه « ضبعان » والأنثى ايضا « ضبعانة » .

« والثعلب » قالوا انها الأنثى ، وقيل الأنثى « ثعلبة والذكر ثعلب ، وثعلبان » .

وبعض الالفاظ يطلق دالاً على المذكر والمؤنث ، مفردا او جمعا ، مثل « وَلَد » فانه يقال للأنثى كما يقال للذكر ، ويقال ايضا للجماعة « ولد » وفي القرآن « ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد » يشمل ان يكون لها ابن او بنت او اكثر من ذلك .

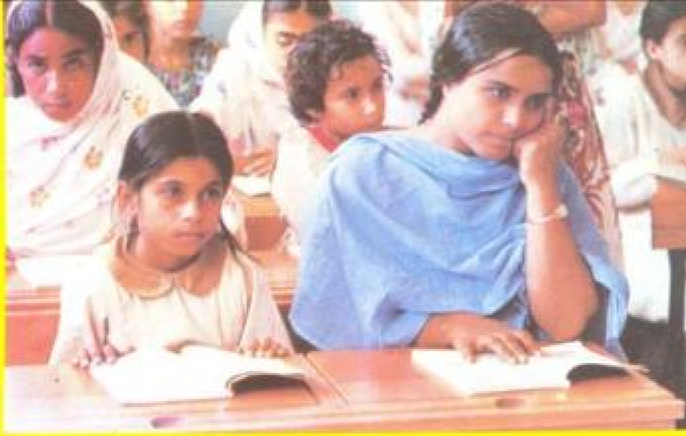
هذا كله من حيث ما ورد في الكتب ولنرجع الى لفظ شبل . فنجد انهم لم يقولوا بالنص انه مقصور على المذكر . ولم يرد فيما وجدناه بين كتب اللغة ، كاللسان والصحاح وتاج العروس والمخصص لابن سيده انه قيل شبلة . وكل ما نظفر به في هذه الكتب قولهم : الشبل ولد الاسد وذلك حين يصير قادرا على الصيد .

ويبدو أن تفسيرهم للشبل بانه « ولد الأسد » يدل على أن لفظ الشبل يشمل المذكر والمؤنث كما ان الولد يشمل المذكر والمؤنث ، هذا اذا سلمنا ان ما وجد في كتب اللغة كان استقراء تاماً ، وانه لم يرد في نثرهم ولا شعرهم لفظ « شبلة » ، على اننا اذا رجعنا الى اكثر اسماء الحيوانات نجد الفرق بين المذكر والمؤنث بتاء التأنيث ، يقال اسد واسدة ، وسبع وسبعة ، ولَبُؤ ولَبُؤَة ، ونمر ونمرة وفهد وفهدة ، وكلب وكلبة وذئب وذئبة ، ومهر ومهرة ، وحمار وحمارة ، وفلو وفلوة ، وجحش وجحشة ، وثور وثورة . .

حتى في الانسان يقال فيه : رجل ورجلة ، وغلام وغلامة ، وفتى وفتاة ، ومرء ومراة ، ورووا أيضا : انسان وانسانة .

ومعنى هذا أن التأنيث بالتاء شبه مطرد ، فاما أن الاستقراء في القليل غير وافٍ ، وهذا ما ارجحه بالنسبة الى «الشبلة» فليست باغرب من الأسدة ولا من السبعة ، ولا من الثورة ولا من الرجلة والغلامة ولا تخرج عن تذكير اللبؤة بلفظ اللبؤ ، واضف الى ذلك الشك في نصهم أنه لا يقال « فرسة » وانه لا يقال «ضبعة» وان الضبع مقصورة على الأنثى . ومما يؤيد ذلك اختلافهم في الثعلب والثعلبة .

وان كنت بالغ التزمت فقل ان « الشبل » يشمل الذكر والأنثى ، كما أن « الولد » يشمل الذكر والأنثى ، غاية ما في الأمر أن الولد يمتاز بدلالته على اكثر من الواحد ، فوق دلالته على الواحد والواحدة . (ع . ف)



اقبال على التعليم لم نشهد له مثيلا في وطننا العربي .. دون اي اعتبار للسن ، فالحرمان كان قاسيا شنيعا .

اعرف وطنك أيها العربي

عُمَان

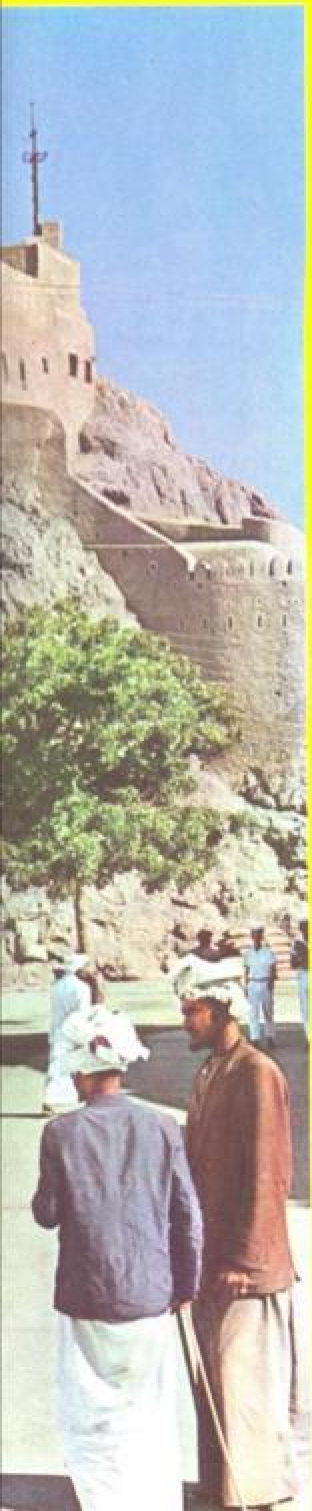
تنفتح على العالم

بعد انغلاق دام ٣٨ عامًا

مسقط العاصمة ، ومطرح توأمها ..

٤٠ ألف من العمانيين المثقفين أخذوا يعودون إلى بلادهم

مساحة عُمان توازي مساحة سوريا ولبنان.

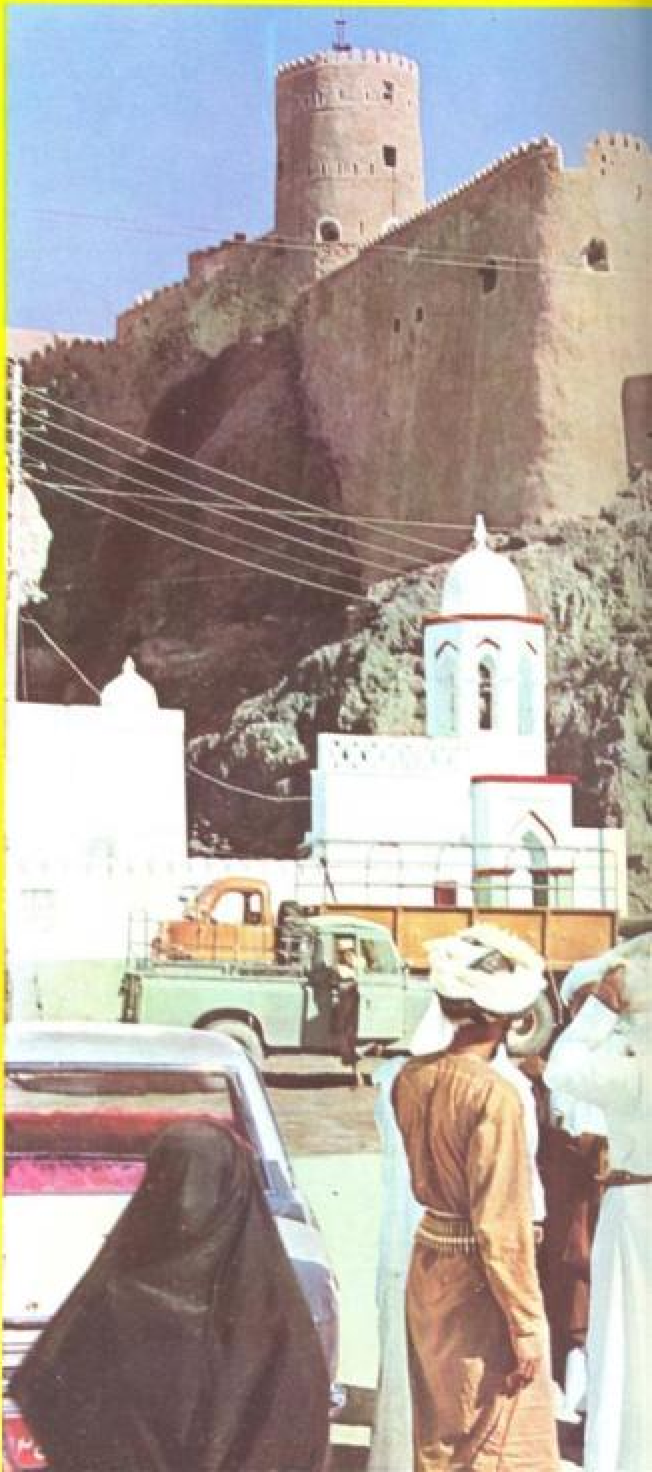


استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار مترى



السلطان قابوس بن سعيد
.. بداية عهد جديد ..
انه يقدم قطع الحلوى
والشاي لضيوفه ، بدلا
من الخراف والارز ..



الى اليمين : منذ ثلاثة
قرون وهذه القلعة
البرتغالية تشرف على
الجزء الغربي من مسقط
.. انها قلعة الميراني التي
استشهد فوق جبلها خمسة
الاف شهيد عماني قبل
تحريرها من قبضة
البرتغاليين . لهذا اقاموا
مسجد الشهداء في المكان
الذي سقط فيه الابطال .

■ ٣٨ عاما امضاها شعب بأكملهـ سجينا بعيدا عن العالم .

٣٨ عامـا خيم الظلام خلالهـا على عمان ، فتوقفت عقارب الساعة ، وعم فيهـا الدجـل والترهـات ، والجهل والخزعبلات ..

.. كان هناك فيما مضى من قريب الزمان ، سلطان حكم عمان اسمه سعيد بن تيمور ، حكمها كل هذه المدة الطويلة .. كان غريب الافكار ، متقلب الاطوار ، يخاف ان يخلعه قومه عن عرشه ، لهذا حول بلاده الواسعة الى سجن كبير حبس فيه الشعب والاهل والاولاد ، حتى هو نفسه كان حبيس سجنه !

وفرض على عمان حكما ارهابيا غريبا ..

منع الشعب من سماع الموسيقى ، وفتح دور للسينما !

ومنعه من ارتداء الملابس الاوربية والاحذية ، ومن التدخين ! ومنعه من التنقل بين اجزاء بلاده المترامية ومن استيراد السيارات ! وفي مساء كل يوم ، وبعد غروب الشمس بثلاث ساعات ، كان يحبس اهل العاصمة مسقط داخل مدينتهم ، يغلق عليهم بوابات السور القديم الثلاث ، ويمنعهم من الدخول او الخروج .. ولا يسمح لهم بالسير او التجول في الشوارع الا وهم يحملون مصابيح الجاز ، لا سواها .. ليتعرف عليهم في ضوئها الحراس والجنود .. !

وفرض الجهل على ابناء الشعب .. فلم يفتتح الا مدرستين ابتدائيتين لتعليم مليون نسمة !

وعندما قرر معالجة اسنان الشعب جلب لهم احد ادعياء الطب من الهند ، الذى تعلم مهنته بعد تجاربه على اسنان مليون مسكين من ابناء عمان .. !

ولعلاج امراض الملاريا والتراخوما والسل والبلهارسيا التى تفتك بالشعب ، احضر تسعة اطباء من الهند والباكستان ، وبمعنى آخر جعل لكل مائة الف نسمة طبيبا واحدا .. !

يحكم البلاد بالتليفون !

وبسبب هذا الكبت ، وعلى الرغم من الفقر والجهل ، قامت ثورتان فى عهده : احداهما في عمان الداخل ، والاخرى في ظفار بالجنوب . واعتصم الثوار برؤوس الجبال يطلقون النار ، ويزرعون الالغام في طريق قوات السلطان ، وكان قد جندهم من الاجانب من المرتزقة ، لانه لم يكن يثق حتى بجنده !

كان الشعب يكره سلطانه ويخافه .. فقد كان متفننا في ارهابه .. ظل يحكم عمان حكما فرديا مطلقا لفترة ٣٨ عاما كما ذكرنا ، منها ١٥ عاما حكم خلالها البلاد عن طريق التليفون .. نعم عن طريق التليفون يأمر وينهى عبر الاسلاك ، دون مجابهة انسان ، وانما كان يجلس في قلعته بمدينة « صلاله » على مسافة ٩٦٠ كيلو مترا من العاصمة مسقط ، يعين الحكام ويرفع الولاة .. والويل لهم من جواسيس السلطان اذا حاولوا تبديل اى نظام ، أو عمل اى شيء مخالف لراى السلطان ..

كان داهية لا يشق له غبار في الدهاء .. وهو مثقف مطلع يجيد الانجليزية والهندية ، الى جانب العربية ، يحلق ذقنه وشعر راسه بيده .. ويبهر ندماءه عندمـا يكتب والقلم بين اصابع قدمه !؟ ..

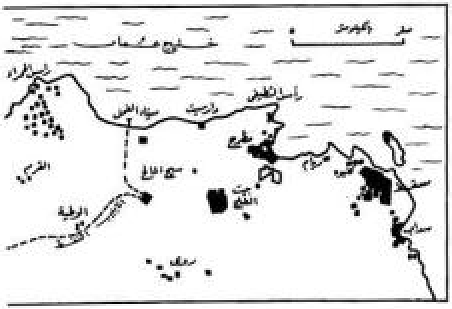
يدخل عليه الانسان فيتخيل انه نال مآربه وحقق مطلبه ، وعندما يخرج يدرك ان يديه خاويتان تماما ، وانه لم يأخذ شيئا من السلطان !!

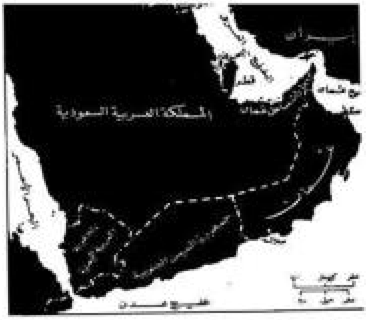
ثورة الابن ..

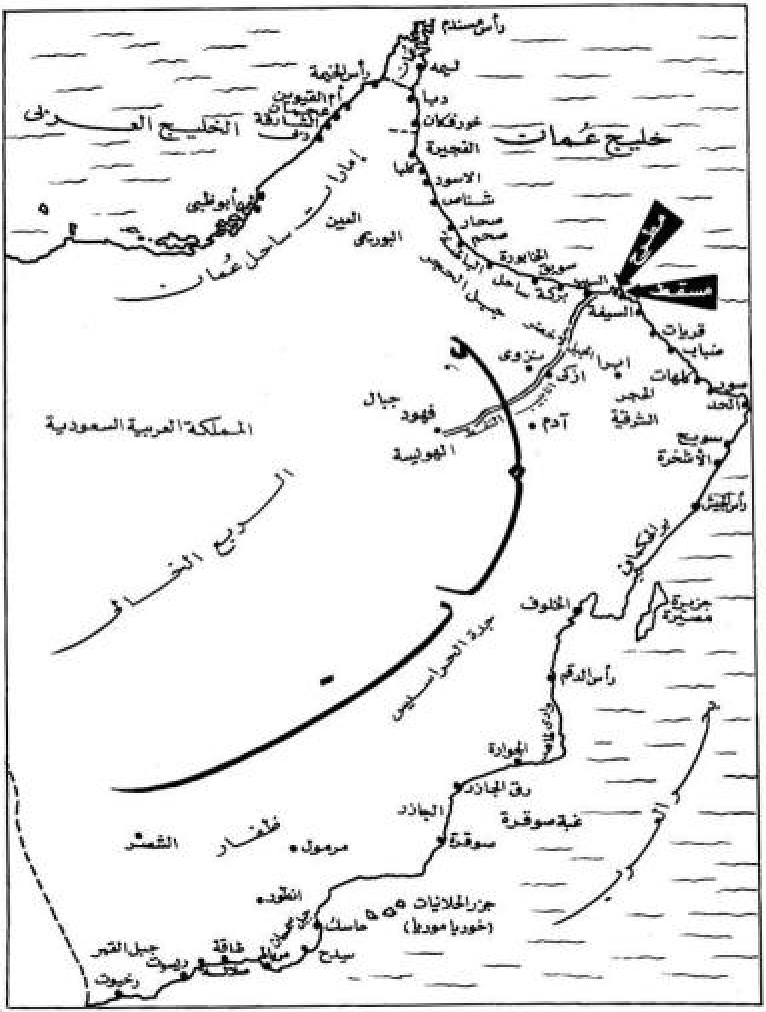
وتمادى سعيد بن تيمور في غيه وطغيانه حتى

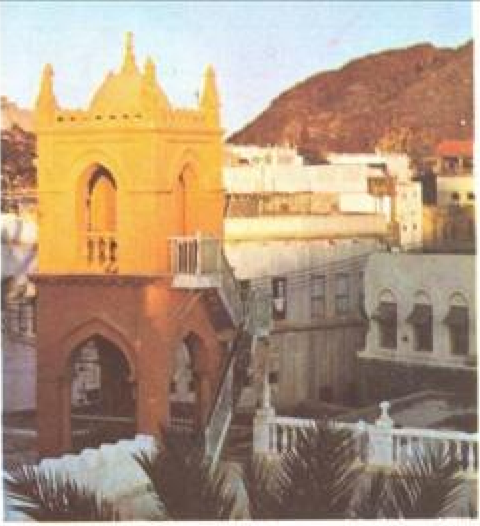
←

الى اليسار : يعرف العرب عَمّان عاصمة للاردن ، اما عُمان (بضم العين) فهي بلد مجهول تماما لكل العرب .. وعلى الصفحة اليسرى يجد القارىء ثلاث خرائط : الاولى توضح موقع عمان بالنسبة لبقية البلاد العربية .. والخريطة الثانية العليا هي تكبير للجزء المحيط بمدينة مسقط ، عاصمة عمان .. اما الخريطة الثالثة فهي خريطة تقريبية لعمان ، اذ لا توجد خريطة رسمية الى الآن .. وعمان الطبيعية تشمل ساحل عمان بامارته السبع حتى حدود جمهورية اليمن الجنوبية (حضرموت سابقا) ويقدر بعضهم مساحة عمان بـ ٨٢ الف ميل مربع، في حين يقول آخرون انها ١١٢ الف ميل مربع.


خليج عمان

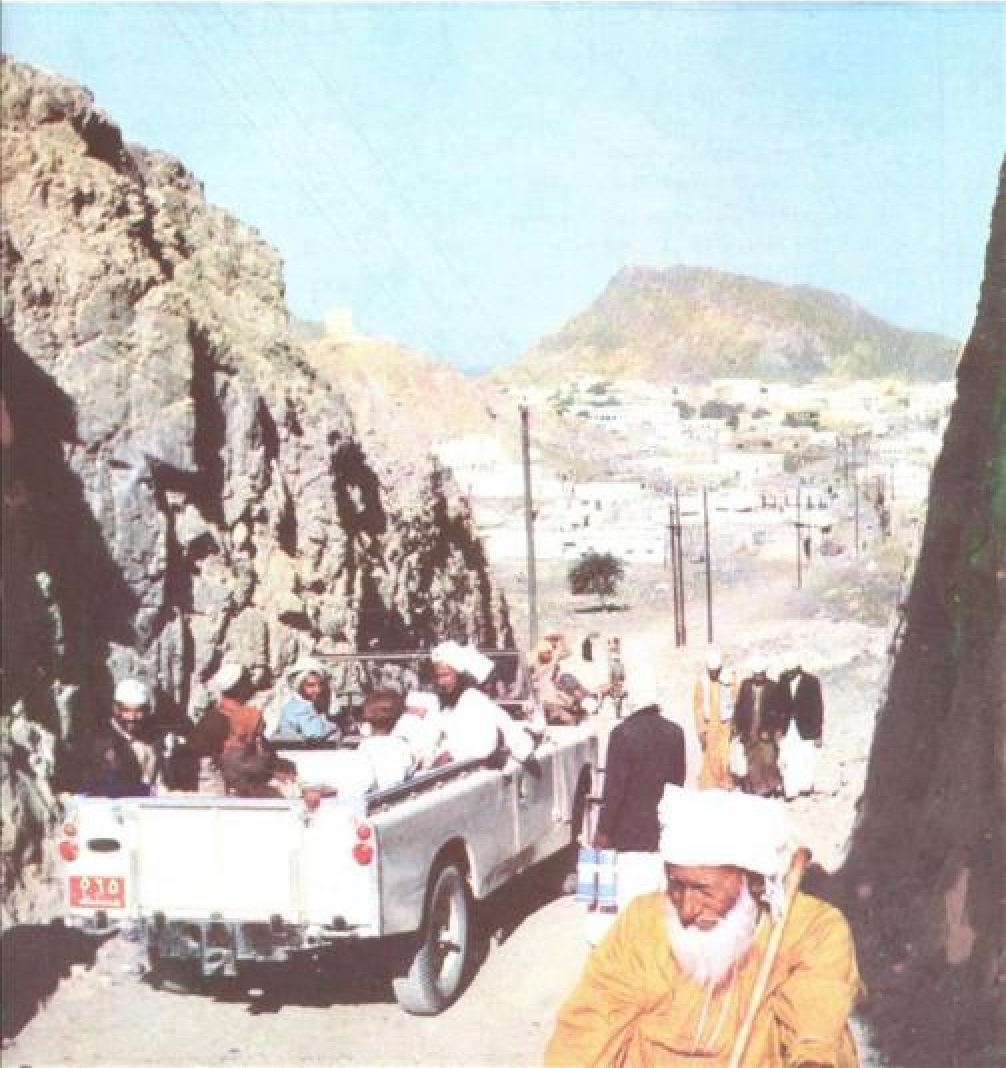

إيران
المملكة العربية السعودية
خليج عدن


رأس مسندم
ليمه
دبا
خورفكان
الفجيرة
كلبا
الاسود
شناص
صحار
صحم
الخابورة
سويق
بركة
السيب
مسقط
السيفة
قريات
ضباب
قلهات
صور
الحد
سويح
الأشخرة
رأس الحد
رأس الخيمة
أم القيوين
عجمان
الشارقة
دبي
أبوظبي
الخليج العربي
خليج عمان
إمارات ساحل عمان
العين
البوريمي
جبل الخضر
نزوى
أزكي
أدم
الحجر الشرقية
فهود
جبال
الهوليسة
المملكة العربية السعودية
الربع الخالي
الحلوف
جزيرة مصيرة
جدة الحراسيس
رأس الدقم
الجوازة
رق الجازر
الجازر
غبة سوقرة
سوقرة
مرموك
ظفار
الشصر
جزر الحلانيات
(خوريا موريا)
حاسك
سدح
مرباط
طاقة
ريسوت
جبل القمر
رخيوت

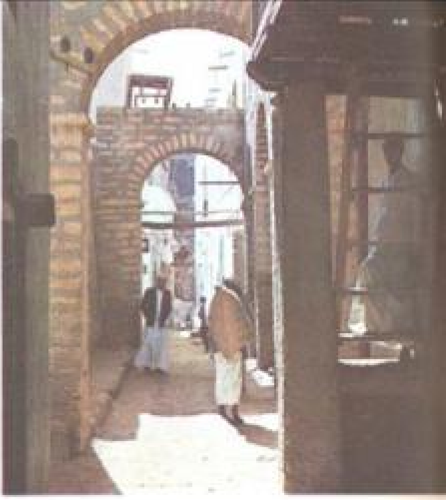


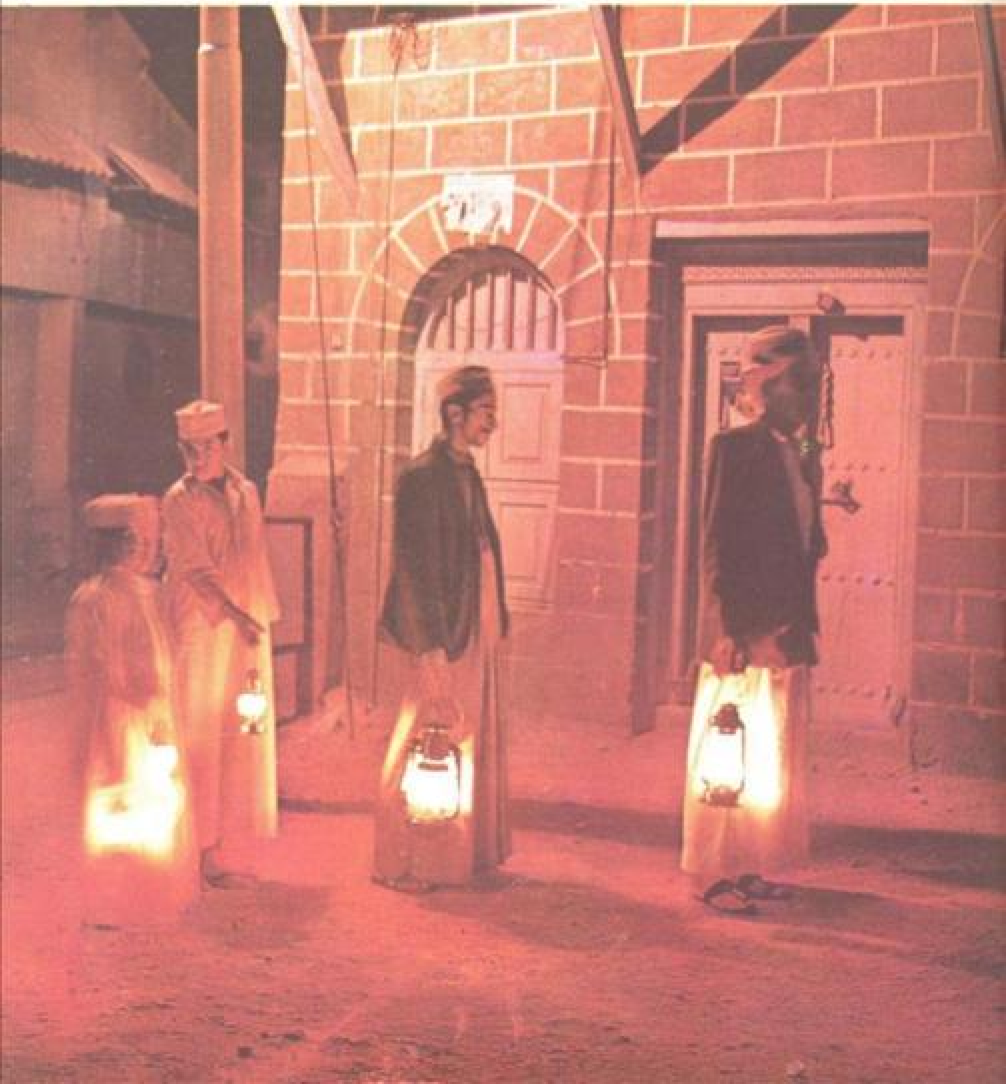
الى اليمين : مئذنة مسجد الزواوى، واحد من ٢٥ مسجداً في مسقط و ٤٥ مسجداً في مطرح .. ومعظمها مساجد بلا مآذن ، ويقول أئمة المساجد ان الاصل في مكان المؤذن عند باب المسجد .. اما استعمال مكبرات الصوت فمحرم في مساجد عمان.

الى اسفل : هذا الممر الضيق هو الطريق الوحيد المؤدى الى قرية سداب جنوب مسقط .. وقديما كان وقوف قوة عسكرية هنا ، كفيلا بوقف زحف جيش



في عام ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م . كان يعيش في مدينة مسقط تاجر صيني يصطاد الاخطبوط من البحر ويجففه ويصدره للصين . وفي احد الايام وجدوه مقتولا في منزله فجلبوا قصاصي الاثر من داخل عمان . وبدا سكان مسقط جميعهم يمرون في طوابير طويلة من امامهم ، حتى استطاعوا العثور على القاتل ، وكان خادما عند السلطان تيمور والد سعيد .. ومن يومها تقرر عدم سير الاهالي في شوارع وطرقات مسقط ، الا اذا كانوا حاملين فانوسا به مصباح وقوده الجاز (**الصورة السفلى**) .. وتعنت الجنود في رقابتهم فمنعوا استعمال البطاريات بدلا من الجاز ، رغم دخول الكهرباء ! حتى كان يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ فالغى هذا النظام . واصبح الجميع يسيرون دون فوانيس في شوارع مسقط التي توحي لك بجو مدينة القدس كما ترى في الصورة التي الى يمين هذا الكلام .





كرهه ابناؤه .. وفي صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ارسل ابنه الاكبر قابوس ، عشرة من رجاله الى قصر صلالة ، فتبادلوا اطلاق النيران مع الحراس، ودخلوا الى القاعة التى يجلس فيها السلطان ، فاخرج مسدسه من جرابه فانطلقت منه رصاصة طائشة اصابته في رجله .. وقدموا له وثيقة التنازل عن عرش السلطنة فوقعها وانتهى كل شيء .. طار سعيد بن تيمور الى لندن دون رجعة .. وبدأ عهد قابوس .. عهد مختلف تماما عن عهد ابيه ، فقد فتح ابواب عمان على مصاريعها ..

وزراء من أبناء الشعب

كان اول عمل قام به السلطان قابوس هو طرده للمستشارين الانجليز الثلاثة الذين كانوا حول والده .. كانوا اصدقاء لسعيد ولم يكونوا خبراء « .. لم يعد لهم مجال في حكومتنا الجديدة .. كان من واجبهم النصح لا تحريك الامور لمصلحتهم الشخصية ، اذ كانوا يخبرونه بالانباء التى تسره فقط. .. كانوا اناسا متقدمين في السن اصغرهم تجاوز الخامسة والستين .. وحتى لو كانوا خبراء



« كان عدد القادمين الى مسقط لا يزيد على ٢٥ شخصا في الشهر ، اما اليوم فارتفع العدد الى نحو ٥٠٠ شخص .. ولدخول البلاد يجب الحصول على تأشيرة ، او ان يرسل لك احد المواطنين في عمان هذه التأشيرة .. وسبب ذلك يعود الى استحالة العثور على اماكن للنوم ، لانعدام الفنادق » هكذا قال لنا السيد اسماعيل خليل الرصاصي مدير وزارة الداخلية .

فنحن لسنا في حاجة اليهم ، لاننا نريد حكومة وزراؤها من ابناء هذا الشعب وليسوا من الاجانب .. »

معلوماتنا تاريخية !

وجئنا اليهم بعد ستة شهور من الانقلاب ، فوجدناهم ما زالوا في مهرجانات وافراح متصلة .. فهم لا يكادون يصدقون ما حدث في بلادهم .. فالمحكوم عليه بالحبس مدى الحياة يمكث ٢٥ عاما في السجن .. اما هم فقد استطاعوا الحياة رغم ٣٨ عاما قضوها داخل السجن الرهيب ..

مكثنا في عمان ١٥ يوما نستطلعها ، بعد ان منعونا سنوات وسنوات من دخولها .. كنا نتحرق شوقا لرؤيتها ، اذ كانت معلوماتنا عنها تاريخية فقط .. كنا نعرف ان البرتغاليين احرقوا العاصمة مسقط ودمروها منذ ٤٠٠ سنة لتجاسرها على الوقوف امام قواتهم الغازية .. وعاقبوا اهلها بقطع آذانهم وجدع انوفهم.. ورغم وحشية القائد البرتغالي البوكيرك عاد العمانيون ، وجمعوا قواتهم وهجموا على البرتغاليين بشجاعة نادرة ، فاجلوهم عن مدينتهم بعد ١٥٠ عاما من الاحتلال..

كنا نعرف ان نزوى هي العاصمة الدينية التاريخية .. كنا نقرأ عن صحار الميناء العماني الكبير الذى امتد صيته حتى الصين .. زرنا كل هذه المدن وغيرها من القرى والبقاع .. ورأينا من المآسي والتخلف ما يشيب له الولدان !

وسمعنا من القصص والروايات ما يكاد يصل الى مرتبة الكذب ، لاستحالة تصديقه ، بينما لمسناه حقيقة واقعة مؤلمة !

ناخذ العبرة من الماضى ونتطلع للمستقبل

والحديث عن مآسي حكم سعيد بن تيمور وغيره من الحكام الذين عاصروه ، حديث طويل .. اذا استرسلنا فيه فقد لا تكفيه صفحات هذا العدد كله .. وما احرانا ان ناخذ العبرة من هذا الماضي الاليم ، مختصرين الكلام فيه ، عاملين على عدم تكراره من جديد ، مع تضميد للجراح التى خلفها ، متطلعين الى واقع البلاد الحالى وآمالها في مستقبل زاهر سعيد .

مساحة لبنان وسوريا معا !

كان اول ما فعله السلطان قابوس هو تغييره



الحلاوة المسقطية هي الصناعة الوحيدة الموجودة في مدينتي مسقط ومطرح وتصنع هذه الحلاوة المشهورة من سكر ونشاء وسمن وهيل (حبهان) وماء الورد وماء اللوز ، كلها تخلط مع بعضها على النار ، وتصب في اوان صغيرة يباع الواحد منها بنصف ريال سعيدي .

اسم البلاد : من سلطنة مسقط وعمان ، الى سلطنة عمان فقط ، معيدا للبلاد اسمها الاول الذى اشتهرت به قبل ان تنقسم الى سلطنة وامامة عام ١٩١٣ .

انها بلاد واسعة مترامية تزيد مساحتها على ٨٢ الف ميل مربع ، اى ما يوازى مساحة سوريا ولبنان معا ، والبعض يقول ان مساحتها اكبر من ذلك بكثير .. !

وفوق هذه الارض الطيبة الشاسعة يعيش مليون نسمة فقط .. انه رقم تقديرى اذ لا توجد احصاءات رسمية في البلاد .. و ٩٥ في المائة من هؤلاء السكان اميون ، ينتسبون الى قبائل مختلفة تعيش في المنطقة ، وعملهم الاساسي هو الزراعة .. وخاصة زراعة النخيل والليمون الحامض والموز ، باسلوب بدائي لم يتطور منذ اجيال عديدة ..

اما الصناعة فلم تعرف طريقها بعد الى عمان .. فتراهم يستوردون كل شيء من الخارج .. من كل بلاد العالم .. ما عدا العالم العربي !! لان العرب كانوا ممنوعين من دخول مسقط وعمان ، اللهم الا سبعة من ابناء فلسطين يعملون مدرسين في المدرستين اليتيمتين في البلاد ..

الجيلالى والمورانى !

وعمان هو اسم السلطنة باكملها ، ولا توجد مدينة بهذا الاسم .. وعاصمة عمان هي مدينة مسقط منذ عام ١٧٨٤ ميلادى فقط .. اما قبل





احتفلت عُمان بعيد مولد
سلطانها احتفالا شعبيا لم
تشهد له مثيلا .. وانطلقت
فرقة موسيقى الجيش ، لأول
مرة ، تعزف في شوارع مسقط
.. بينما جماهير الشعب حول
منزل السلطان يهتفون : « يا..
يعيش قابوس » **(الصورة السفلى)**

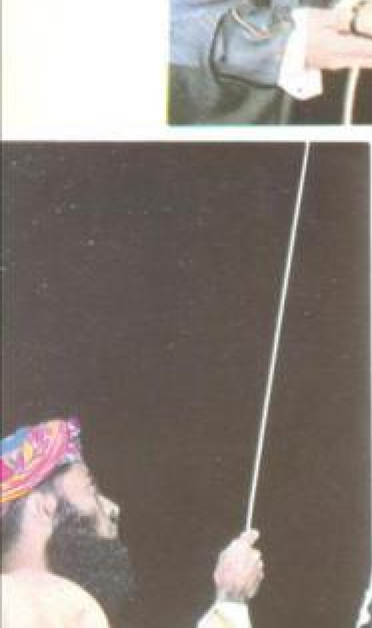


الى اليسار : في فجر يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠ قام السلطان قابوس بانزال العلم العماني القديم ، ثم تبديل العلم الجديد الذي قدمه له رئيس وزرائه ، ورفعه على السارية معلنا انتهاء صفحة قديمة من تاريخ عمان ، وبداية عهد جديد .











هذا التاريخ فكانت العواصم العمانية تتنقل بين مدن صُحار ونزوى ، والرُستاق .

ومدينة مسقط ـ التى يدور حولها هذا الاستطلاع، على ان ننشر مستقبلا استطلاعنا الثاني عن داخل عمان ـ مسقط عده ـ هى الواجهة الجميلة التى تخفى بشاعة الحياة في داخل عُمان .. ومسقط مدينة ساحلية تحيط بها سلسلة جبال عمان الجرداء، من الشمال والجنوب والغرب .. وهى لا تكتفى باحاطتها من ثلاث جهات وانما تندفع الجبال وسط البحر على شكل فكين صخريين هائلين ، اقام البرتغاليون عليهما قلعتين ضخمتين ، ما زالتا تستعملان الى الآن رغم مضي نحو ٥٠٠ سنة على بنائهما .. القلعة الاولى واسمها « الجّيلالى » حولوها الى سجن رهيب .. والقلعة الثانية « الموراني » اصبحت ثكنة لقوات الجيش العماني .. وعلى صخور هذين الفكين حفر قباطنة السفن المارة بمسقط اسماء سفنهم للذكرى منذ مئات السنين .. انها سجل التشريفات لمسقط !

وبين هذين الفكين الكبيرين تمتد مباني مدينة مسقط .. مبان بيضاء ، تنظر اليها من بعيد فيبهرك جمالها .. ولكن ما تكاد تقترب منها حتى تشهدها مائلة متهدمة، يسندونها بالاعمدة والاقواس.

القلاع فقط على الجبال !

وما من شك ان منظر مسقط وخليجها من اروع المناظر واكثرها سحرا .. ولكنها مدينة بدون مستقبل عمراني .. مبانيها متلاصقة ، والجبال تحدها فتمنع اتساعها الا رأسيا ، اى ببناء العمارات العالية وناطحات السحاب ..

اما البناء على الجبال فلم يفكر احد فيه الا العسكريون ، شيدوا على القمم والجوانب قلاعا مستديرة عديدة ..

قصص بطولة مجهولة !

ولا يوجد في مسقط شارع رئيسي ، وانما هناك طرق ملتوية تؤدى جميعها الى باحة واسعة تحت ظلال قلعة الموراني التاريخية التى حوصرت في داخلها منذ ٤٠٠ عام آخر قوة برتغالية عسكرية . راحت تطلق نيرانها على المحاربين العمانيين فكانوا يتساقطون شهداء ابرارا ، ومع ذلك استمر الهجوم على القلعة .. واتخذ اخوانهم من جثثهم المتركمة سلما صعدوا به الى القلعة ، واستولوا عليها بعد ان استشهد منهم نحو خمسة آلاف شهيد ..

انها احدى المعارك المشهودة في تاريخ البلاد ، وما اكثر قصص البطولة المجهولة في هذا الجزء الحبيب من وطننا العربي الكبير ..

مهرجان الحياة

وعندما تسير في شوارع مسقط تشهد الوانا مختلفة من الناس .. هؤلاء طائفة من الرجال جاءوا من داخل عمان لتهنئة السلطان ، يضعون على رءوسهم العمامة العمانية الصوفية دون عقال ، ويحملون البندقية ذات الماسورة الحديدية ، ويتمنطقون باحزمة جلدية فيها الرصاص، وفي وسط الحزام وضعوا خنجرهم الفضي المعقوف المعروف .. انه ثروة ثمنها نحو ستين جنيها استرلينيا ، الخنجر عندهم ضرورة يستوفونها قبل استيفائهم حاجة الغذاء والكساء ..

والى جانب هؤلاء القادمين من داخل عمان ترى بعض الهنود بسروالهم الواسع وسترتهم البيضاء .. انهم من البانيان ، اى القادمين من بومباى في الهند ، وهم يعملون تجارا في المدن العمانية ،



الطريق بين مسقط ومطرح .. شقوه وسط صخور الجبال منذ عشر سنوات فقط .. والمسافة بين المدينتين ميلان ونصف ميل .



صورة من الجو ، تبين وعورة الارض حول مدينة مسقط .. وهذه الجبال الظاهرة في الصورة هي جزء من سلسلة جبال الحجر التى تعتبر اكثر جبال شبه الجزيرة العربية ارتفاعا .. والجبل الاخضر هو اعلى قمة في هذه السلسلة الجبلية ، اذ يبلغ ارتفاعه ٣٥٠٠ متر من سطح البحر .

بجانب اخوانهم الحيدربادين اتباع اغا خان ، الذين يختلفون عن البانيان لانهم انصهروا مع ابناء البلاد ، فاصبحوا عربا يتحدثون العربية بطلاقة ، ويرتدون الجلباب الابيض النظيف والسترة الانيقة والكمة اى الطاقية ، المصنوعة بايدى النسوة فى المنازل .

البوى بوى !

اما النساء فى مسقط فيسرن مرتديات خليطا عجيبا من الملابس .. هؤلاء النسوة من بنات البلد يسرن سافرات ، ولكنهن يضعن العباءة السوداء فوق اكتافهن ، ومعظمهن يرتدين السروال الطويل .. والى جانبهن تسير المراة البلوشية القادمة من بلوخستان ، ترتدى الملابس الزاهية الالوان ، ومن انفها يتدلى حلق ذهبى ..

وبعكس هذا المنظر تتحرك كتل بشرية يغطيها السواد تغطية تامة .. انهن النساء العائدات مع اسرهن من جزيرة زنجبار بعد المذابح الرهيبة التى حدثت هناك .. وقد جلبن معهن زيهن الخاص المسمى « بوى بوى » منديل اسود سميك يخيطونه بالملاءة السوداء فيغطى الجسم كله !!

وبجانب هذه الكتلة السوداء تسير العائلة الانجليزية وقد ارتدت المراة الماكسي الاخضر ، والفتاة البنطلون الاحمر .. وهكذا بحر متلاطم من الاجناس يعيش فى مسقط ، حتى وصفوها بانها بلد نصفه عربى ونصفه هندى !!

اللهجة المسقطية !

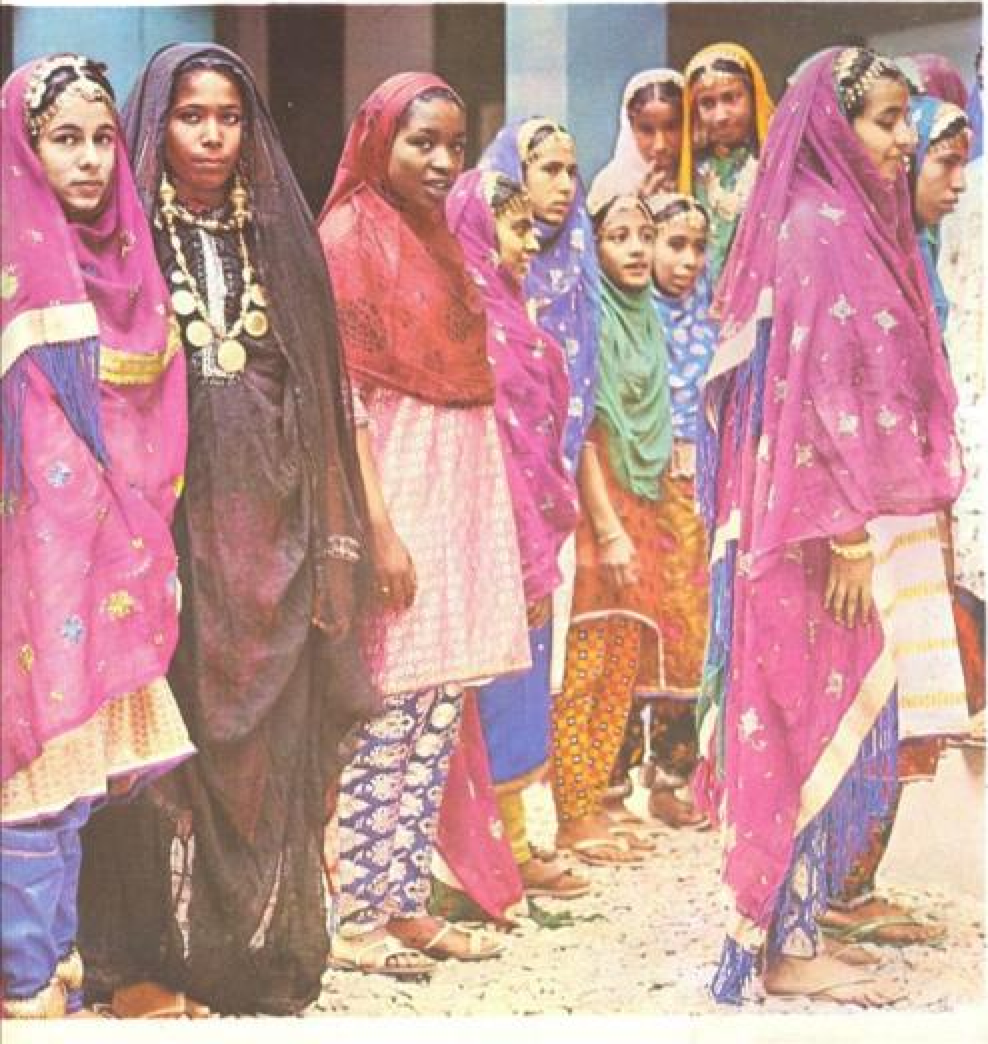
ولغة سكان مسقط فريدة فى نوعها .. يبدأون معك الحديث بالعربية الفصحى ، وعندما يمر احدهم يتحدثون معه بالبلوشي ، ثم الهندى ثم الانجليزى ، ونتيجة لهذا اختلطت كلمات كثيرة اجنبية مع لغة اهل البلاد ، فاعطتهم لهجة خاصة فريدة هى اللهجة المسقطية !

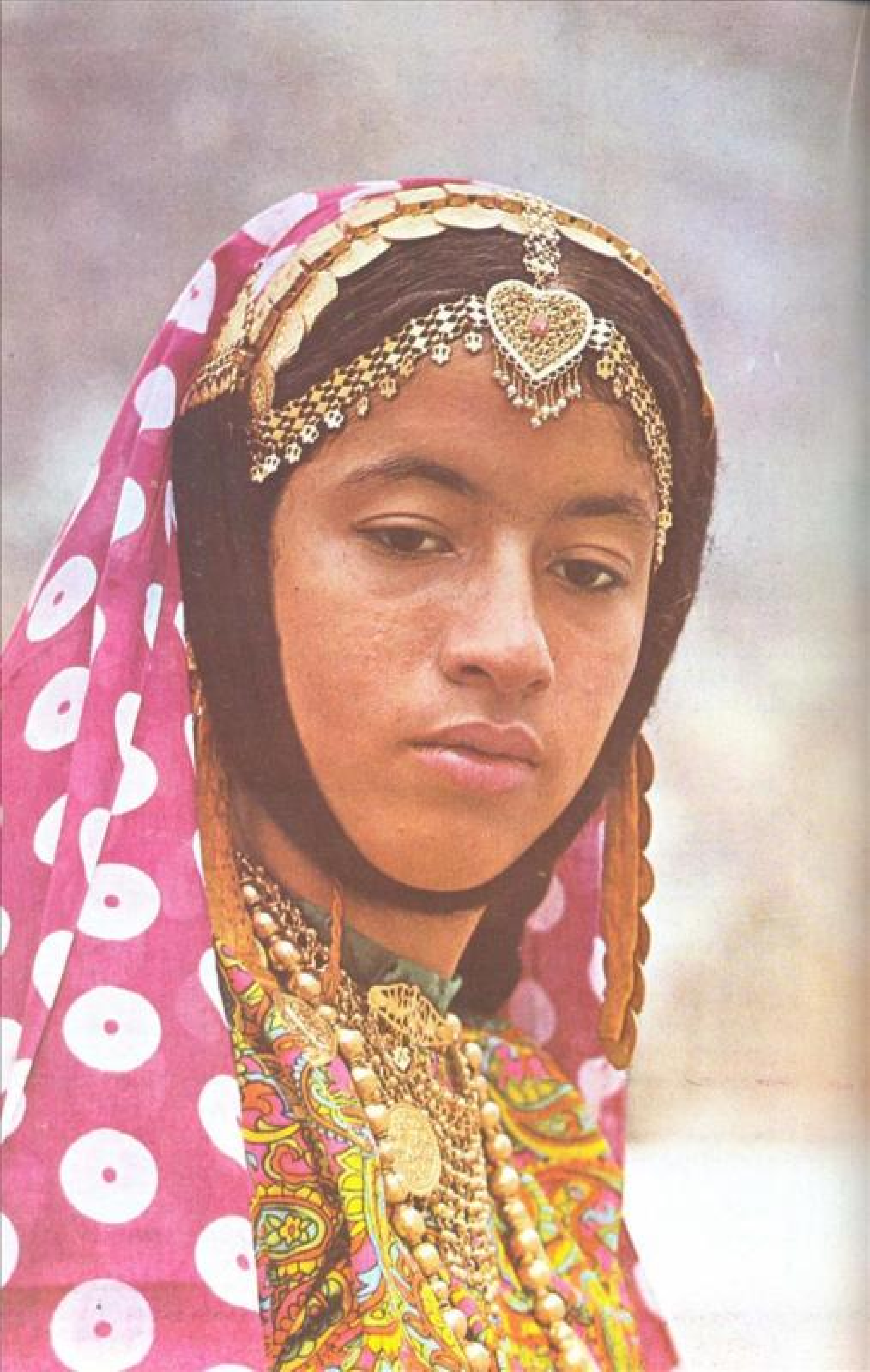
ستصدق الامال

وبجوار الباب الكبير لسور مسقط يجلس الرجل العمانى العجوز متكئا على عصاه يشهد هذه الامواج المتدفقة من البشر ويتساءل فى داخلية نفسه : « ترى ماذا يخبئه لى الغد ؟! »

لا يبدو غريبا تغلغل الطابع الهندي في مختلف صور الحياة في عُمان ، فالعلاقة بين الهند وعُمان ترجع الى القرن السابع عشر ، وكانت مسقط مركزا لشبكة توزيع بضائع الهند في مختلف ارجاء المنطقة . وهكذا جاءت ملابس المرأة العمانية من انتاج الهند . الوان زاهية مزركشة .. **والصورة السفلى** لبعض الطالبات بالزي الوطني العماني توضح مدى هذا الارتباط الوثيق .. **والصورة الى اليسار** تبين احدى الفتيات مرتدية حليها الذهبية العديدة.. **اما الصورة اليمنى** فتبين عمل المرأة في المنزل .. انها الآنسة مفيدة بمكي تعمل في تطريز « الكمة » اى الطاقية الأنيقة التي يضعها الرجال والصبية على رؤوسهم .. ويستغرق صنعها نحو ثلاثة أشهر ، لانها تتطلب دقة ، وصبرا طويلا .. وتباع « الكمة » الواحدة بنحو اربعة جنيهات استرلينية .











رجال القبائل .. جاءوا من داخل عمان الى مسقط لتحية السلطان الجديد ، حاملين بنادقهم وطبولهم .. ومما يذكر ان ٩٥٪ من السكان يتكونون من قبائل مختلفة .. انها الحياة القبلية ، ما زالت سائدة في عمان ، ولكل قبيلة منها عاداتها

٢٠ معلمة من العمانيات وبنا طالبة عمانية في مدرس المدرسة الوحيدة في البلاد لبنات المرحلة الابتدائية

.. لقد عاش سجينا في داخل عمان ، حرموه من كل شيء.. حرموه من العلاج والتعليم والكهرباء وحتى الماء العذب .. وكان الله اراد تعويضه عن هذا الانغلاق فساق له هذا الملك الشاب ، الذى لم يتعد الثامنة والعشرين من عمره ، والذى ان صدقت فيه الآمال ، سيظل متفتحا ، كما بدا متفتحا ، ترتبط به آمال هذا الشعب ، الذى عانى في سنواته هذه الماضية الطويلة ما عانى ..

ان ماضي السلطان قابوس يؤذن بذلك ، فهو قد قضى ٦ سنوات يتعلم بعد انتهاء دراسته الابتدائية ، وانخرط في كلية ساند هيرست العسكرية البريطانية ، وقام بجولة طويلة حول العالم .. وما كاد يعود الى بلاده حتى حبسه ابوه ، وعزله عن احوال البلاد الجارية شر عزلة ..

وهو شاب هادىء المظهر ، ولكنه في حقيقته كتلة نشاط وتفتح .. سئم حكم الانغلاق والمظاهر ، وفي حفلة عيد ميلاده ، لم ينحر الخراف ويقدمها على اطباق من الفضة والذهب ، بل اكتفى بتقديم فناجين الشاي وقطع الحلوى لضيوفه .. وقال : « ان ثمن الخراف اولى به الشعب .. » قولة لا شك سوف نسمعها منه غدا وبعد غد ..

التعليم هو المشكلة الاولى فى عمان !

وسألنا السلطان الشاب قابوس بن سعيد عن اهم المشاكل التى تعانيها عمان حاليا .. فأجابنا قائلا :

ــ ما من شك ان التعليم هو مشكلتنا الاولى في عمان .. لان الادارة والتخطيط يحتاجان الى مخططين ومديرين .. نحتاج الى موظفين مثقفين .. ونحن نريدهم من ابناء الشعب نفسه .. ولا يمكن ان يتم ذلك الا اذا انتشر التعليم .. ان الخبراء الاجانب يكلفوننا مصاريف باهظة من سكن ومرتب كبير ، مع مصاريف اضافية من مواصلات وتذاكر طائرات له ولعائلته ..

وانا لا اقلل من خطورة المشاكل الاخرى .. فالناحية الصحية لها اهميتها القصوى ..





فلسطين يعمن بتدريس ١١٠٠ الزهراء بمسقط .. انها لهذا جعلوها في الصباح وبعد الظهر للتعليم الاولى ..

مجلس الوزراء العماني وهم من اليسار السادة : طارق بن تيمور رئيس الوزراء ، وبدر بن سعود وزير الداخلية ، ومحمد بن احمد وزير العدل ، وعبد الله الطائي وزير الاعلام والشئون الاجتماعية والعمل ، والدكتور عاصم على محمد الجمالى وزير الصحة .

.. والمواصلات والطرق .. كلها مشاكل نواجهها .. ولكن الاولوية طبعا دائما للتعليم ..

٤٠ الف عمانى خارج البلاد

قلنا : هل في نيتكم الاستعانة بالخبرات العربية .. ؟

فاجابنا السلطان : قبل الاجابة على هذا السؤال ، اود ان اشير الى ان هناك نحو ٤٠ الف عماني مثقف يعيشون خارج بلادهم .. وهؤلاء يجب ان نعطيهم الاولوية .. لقد بداوا يعودون،وليست هناك اية عقبات امام اى منهم .. ومن البديهى انه لا يمكننا ايجاد وظائف لاربعين الف شخص مرة واحدة .. ولكن مجال العمل في عمان يتسع ويكبر كل شهر .. مما سيتيح لنا امكانية استيعاب هذا العدد في فترة قصيرة نسبيا .. وانا على ثقة ان ابناءنا في الخارج يدركون ذلك جيدا ..

اما المواطن العربى فدوره ياتى مباشرة بعد المواطن العمانى ، بمعنى انه عندما نفشل في ايجاد الكفايات اللازمة بين ابنائنا ، سنتوجه الى المواطن العربي الذى يستطيع ان يقدم لنا خدمات احسن من خدمات الاجنبى الذى لا يرتبط معنا باية تقاليد او عادات ..

وقد قابلت فعلا بعض السفراء العرب الذين اعربوا عن استعداد بلادهم لتقديم المدرسين والاطباء .. ونحن ندرس حاليا هذه العروض دراسة جدية ..

تعليم المرأة

قلنا : ما رأى جلالتكم في المرأة ؟ ، وهل توافقون على تعليمها ؟

فاجابنا السلطان الشاب ببيت من الشعر هو :

الام مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق ..

اصلاحات في ظفار

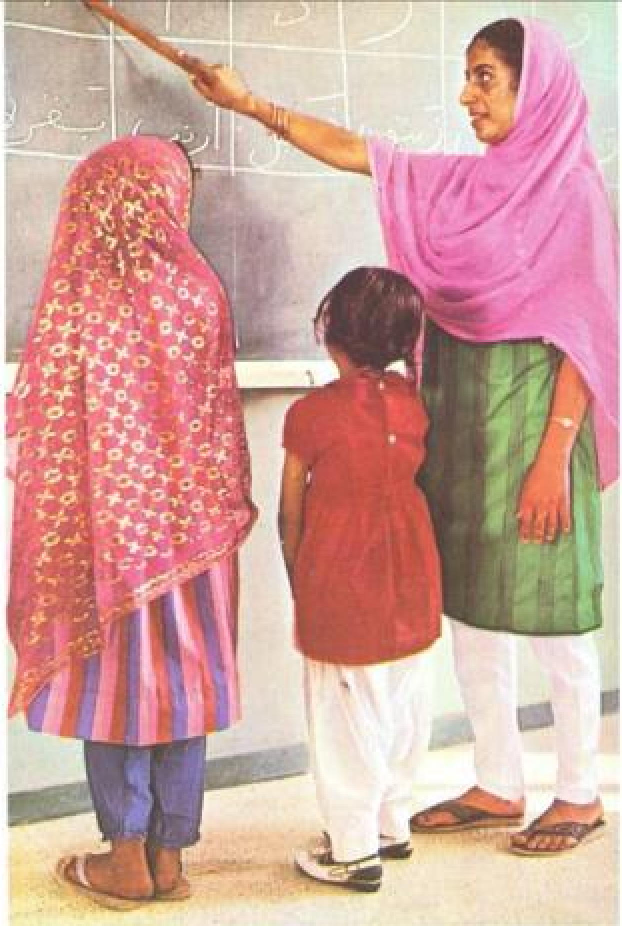
قلنا : هل سيمتد الاصلاح الى منطقة ظفار ؟

« التعليم .. التعليم .. سنعلمهم حتى تحت ظل الشجرة .. نهضتنا لن تحقق اغراضها الا اذا صحبتها نهضةتعليمية..»

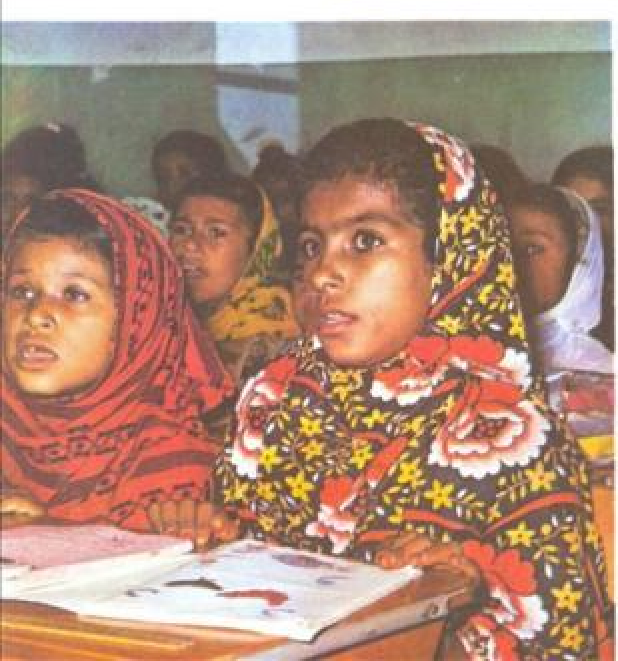
كلمات سمعناها من جميع المسئولين .. وزرنا المدارس فشهدنا نهضة رائعة..ففي خلال ستة أشهر فقط ارتفع عدد الطلبة من ٦٠٠ طالب الى ٨٠٠٠ طالب !! والى جانب هؤلاء الطلبة توجد مشكلة مئات الالوف من الكبار الذين يريدون ان يتعلموا انها العدوى انتقلت اليهم من طلبة مدرسة السعيدية **(الصورة اليمنى)** ، ومن طالبات مدرسة الزهراء **(الصورة السفلى)**







الى اليمين : أ .. ارنب .. بدّ .. بقرة .. عَ .. عصفور .. أن للنساء ــ كما للرجال ــ عقلا يجب تثقيفه .. ورجال الغد يجب أن تقوم امهات متقفات بتربيتهم .. والزوج المتفتح لم يعد يكتفي باخلاص زوجته ومودتها ، بل يريد فوق ذلك أن يثق بفطنتها وحسن ادراكها ، فلا يدعها غريبة عن اعماله ومشاغله ، وانما يسترشد بآرائها عند الحاجة لانها ستكون معه اكثر اخلاصا وصدقا من غيرها .. ومن اجل كل هذا ، لا بد للمرأة أن تتعلم !!



الى اليسار : ٥٤٠ تلميذة يتعلمن في الصباح تعليما ابتدائيا ، و ٥٦٠ تلميذة يتعلمن في المساء تعليما تمهيديا . لقد بدأت الفتيات يتعلمن وهن جالسات على الحصير فوق الارض حتى تم صنع المكاتب اللازمة لهن .. وحتى ملابسهن ، لم تستطع ادارة المدرسة توحيد الزي لعدم وجود الخياطات اللازمات لحياكة الملابس ، فجاءت الطالبات وعلى رؤوسهن اللحاف الملون ..

فقال : « في خلال هذا الشهر (مارس) نامل ان نفتتح ابواب المستشفى الذى اقمناه في صلالة، اهم مدينة في ظفار ، اما محطة الكهرباء فسنفتتحها هناك قبل ان تنتهوا من طبع عددكم هذا .. كما بدانا في عمل ميناء في ريسوت على مسافة عشرة اميال غرب صلالة .. وكذلك انتهت عملية مسح الطرق وسيبدا التنفيذ في الحال ..

« ان منطقة ظفار ستشهد مشاريع كثيرة في القريب العاجل . »

مجلس الشورى

قلنا : هل في نيتكم انشاء برلمان او مجلس للشورى من ابناء الشعب ليساعدكم في حكم البلاد ؟

فاجابنا السلطان قابوس قائلا : « ما من شك ان راى الجماعة والشورى احسن من راى الفرد .. لهذا قمنا بعمل مجلس الوزراء واعطيناه كل الصلاحيات .. اما بالنسبة لسؤالكم فاجيبكم ان التعليم هو اساس كل شيء .. لقد طلبنا من كل قبيلة كبيرة أن ترشح شخصا من طرفها ليشترك معنا في الاجتماعات التى نجريها لتخطيط البلاد من جديد .. ونحن ما زلنا ننتظر نتيجة اختيارهم لهؤلاء الاشخاص ..

ان مسالة عمل مجلس برلمانى بين ليلة وضحاها، في بلادنا فيه استحالة ، ولكننا نامل تكوين مجلس للشورى في خلال السنوات القليلة القادمة .

ليس عندنا شيئا نخفيه

وكنا قد اخذنا اكثر من ساعتين من وقت السلطان فاحسسنا بالحرج، خاصة وان سكرتيره كان يدخل علينا بين الفينة والاخرى ، فاعتذرنا ولكنه قال : « اسالوا كما يحلو لكم فانا اقدر رسالة العربى ، فضلا عن انه لم يعد عندنا شيء نخفيه عن اخوتنا في البلاد العربية .. اننا نبنى بلادنا من جديد ، وهدفنا ان نصبح في مركز يمكننا من مساعدة الآخرين في المنطقة .. اننا شعب ذو حضارة واصالة .. ودخل بلادنا حاليا يأتينا من البترول، ومقداره ٤٢ مليون جنيه استرلينى .. ونامل ان يتضاعف الدخل في السنوات القادمة ..

شركات وطنية

قلنا : يقولون ان ايراد البلاد يذهب للشركات الاجنبية ..

فقاطعنا السلطان الشاب قائلا : « يجب ان يفهم العرب ان تغييرا اساسيا يجرى حاليا في القطر العمانى .. ولكن يحلو للبعض الصيد في الماء العكر .. ماذا يريدوننا ان نفعل بشركات النفط ؟ هل يطالبوننا بتاميم الزيت ؟ اين الخبرة واين الادارة اللازمة لهذا العمل .. لكنى اقول ان الذى نامل في تحقيقه هو قيام شركات وطنية بجانب الشركات الاجنبية .. وبنوك وطنية .. وشركة طيران وطنية .. وشركة ملاحة وطنية .. ومصانع وطنية .. اننا نعمل على تشجيع المواطن .. فالثروات في بلادنا عديدة وفيرة والحمد لله .. واليد العاملة موجودة تعيش على ارض مساحتها ١١٢٠٠٠ ميل مربع ، وساحل طوله الف ميل .. كما عندنا ٢٠ مدينة يتراوح سكان كل منها بين ٩ الاف و ٢٠ الف نسمة .. ان كل الذى نريده هو بعض الوقت .. لنعيد الى أرض عمان امجادها وتصبح عضوا فعالا في الاسرة العربية الكبيرة » ..

المدينة التوأم

وخرجنا من عند السلطان نتجول في شوارع مسقط .. انها مدينة صغيرة يمكنك ان تتجول



المشكلة الرئيسية في العاصمة مسقط هي عدم وجود فندق واحد فيها .. ويجرى العمل حاليا بسرعة مذهلة للانتهاء من بناء اول فندق ، استوردت جدرانه وابوابه وكل شيء فيه من استراليا .. انه فندق جاهز البناء سيضم ٢٥ غرفة ، مكيفة الهواء .



جاء العمانيون من كل مكان ، على ظهور السيارات ، والدراجات والحيوانات ، للاستماع الى اول فرقة موسيقية تعزف في عمان .. لقد كان الغناء والطرب ممنوعين في تلك البلاد حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠

فيها على قدميك . وهذا يتيح لك فرصة الاحساس بشعور غريب .. الشعور بانك تسير في شوارع القدس الحبيبة ..

ولكن مسقط تختلف بانها مدينة لا مستقبل لها ، وقد بدا اهلها انفسهم يتحدثون عن قرب انتقال العاصمة الى نزوى او الرستاق .. ولكنه حديث سابق لاوانه ، فهناك العديد من المشاكل الهامة التى يجب معالجتها ، قبل معالجة مشكلة نقل العاصمة من مكانها ..

حقيقة ان عدد سكان مدينة مسقط لا يزيد على ٦ الاف نسمة ، ولكن لمسقط شقيقة توام هي مطرح .. فعندما ازدحمت مسقط بالسكان ، اتجه الكثيرون الى خليج قريب من العاصمة ، واقاموا على ساحله مدينة مَطْرَح ..

انها مدينة التجارة والمال ، ظلت تتسع وتكبر دون اى تخطيط حتى ارتفع عدد سكانها الى اكثر من ثلاثة اضعاف عدد سكان مسقط ، اى حوالي ٢١ الف نسمة .. لكل هذا نمت مطرح نموا سريعا خاليا من كل مظاهر الثقافة والجمال العمراني .. واهلها لا يكترثون كثيرا لجمال او ثقافة ، فقد اشتهروا ببخلهم الزائد ، وعدم مساهمتهم في اقامة اى مشروع صناعي او اقتصادى في البلاد ، رغم ثرائهم الفاحش ..

استيراد من الخارج للبيع الى الداخل !

ويعمل معظم اهالي مطرح في التجارة .. لقد

موكب السلطان قابوس ، يشق طريقه وسط طلبة المدارس ، الذين اصطفوا على الجانبين لتحيته ، دون وجود حراس او جنود





حول مائدة الشاى جلس السلطان قابوس يتحدث الى ضيوفه قائلا : « **ان الحكومة والشعب كالجسد الواحد ، اذا اختل عضو فيه ، اختل الجسد كله . لذلك ادعوكم الى العمل معنا لمستقبل بلادنا ، وبعون الله سننجح .. ان نيتنا هى العمل جنبا الى جنب مع جميع اخواننا العرب لمستقبل الامة العربية كلها ..** » ان المشاكل والمتاعب امام الحكومة الحالية اكثر من أن تحصى .. ومن أهم مشاكلها نقص الموظفين المحليين ، وكثرة الموظفين والخبراء الاجانب .



الانفتاح على العالم . لم يعد الباب الكبير في سور مسقط يقفل بالليل على السكان (**الصورة العليا**) .. ولم يعد العرب ممنوعين من دخول البلاد ، بل جاء سفراؤهم الى مسقط لتهنئة السلطان الجديد ، كما ترى في الصورة اليمنى ، وهي للسفير الاردني في الكويت محمد نزال العرموطي يستعرض حرس الشرف ، وبجواره لويتي بن شهاب مستشار السلطان.



استوردوا في العام الماضي ما بلغ وزنه ٦٣ الف طن من البضائع قيمتها ٦ ملايين جنيه استرليني.. استوردوا الرز من بورما ، والدهن من استراليا ، والسكر من تشكوسلوفاكيا ، والسجاير من امريكا والثلاجات والمكيفات من انجلترا والمنسوجات من اليابان .. والبصل من الهند وايران ، حتى البطاطا استوردوها من الباكستان وهولندا ، والمانجو من الهند .. كل هذا استوردوه من الخارج ليبيعوه لاهل عمان الداخل ..

اما صادرات البلاد فهزيلة لا تستحق الذكر ، اذ لا تتعدى السمك المجفف والتمر المجفف .. والليمون المجفف والرمان المجفف .. وكلها تجفف بطريقة بدائية تحت اشعة الشمس !!

مشروع خطير

وتجري حاليا في مدينة مطرح عملية نسف جبلين كبيرين ، لاستعمال ٨٠٠ الف طن من صخورها ، في تنفيذ المرحلة الاولى من الميناء الكبير الذي سيتكلف مليوني جنيه استرليني ، وسينتهي العمل فيه خلال شهر سبتمبر من هذا العام ١٩٧١ .

ان انشاء هذا الميناء الكبير أمر بالغ الاهمية والخطورة ، وخاصة اذا تم شق الطرق الموصلة بين مسقط ودبي وابو ظبي حتى الكويت شمالا .. وهناك مشروع قدمته شركة بريطانية لاقامة خط سكة حديد ، وانابيب للنفط ، تمتد من الكويت حتى مسقط لنقل بضائع ونفط الخليج مباشرة الى السفن الراسية في خليج عمان ، دون حاجة الى دخول السفن في مياه الخليج العربي ، مما يوفر اموالا طائلة لانه يختصر المسافة بنحو ٨٠٠ ميل ، ويبدل وضع المنطقة تبديلا جذريا شاملا..

عقدة الخوف

وتعتمد عمان في نهضتها على شبابها ، وكم من مرة استقبل السلطان الشاب شباب الاندية الرياضية وتبرع لهم بالمساعدات المادية ، ولكن المشكل هو ان هذا الشباب اصيب بعقدة الخوف .. فهو ما زال يتخيل نفسه يعيش تحت ظل ارهاب فكرى ، فضعفت قوة الابداع عنده ، ولم يعد يتحرك الا باذن ، ولا يعمل الا بأمر !

اضف الى هذا ضعف المؤهل العلمي لهؤلاء الشباب والذى لا يتعدى الإبتدائية .. لان السلطان السابق لم يكن يسمح بالتعليم ، لاكثر من المرحلة الابتدائية !

« لقد بدانا العمل في حقل التعليم من خلف



الشباب يتناقش في الدور الجديد الذي يجب ان يلعبه ، بعد انفتاح بلاده على العالم .. والناديان الكبيران فى مسقط ومطرح هما : عمان والاهلى .. والمشاكل التى امامهما تحتاج الى مزيد من العمل والحركة من الشباب .. كما تحتاج الى توجيه كبير من المسؤولين لتوعية هؤلاء الشباب حتى يؤدوا دورهم على اكمل وجه

نقطة الصفر .. فالسلطان السابق لم يبن الا مدرستين ابتدائيتين ، واحدة في مسقط والاخرى في مطرح لتعليم ٦٠٠ طالب فقط .. اما اليوم وبعد مرور سبعة شهور فقط ، ارتفع عدد التلاميذ الى اكثر من ٨٥٠٠ تلميذ وتلميذة .. اننا نفتح المدارس في كل مكان ، نأخذ المساجد القديمة ونحولها الى مدارس » ..

هذا ما قاله لنا وزير التربية والتعليم الشيخ سعود بن علي الخليلي ، الذي تابع كلامه بقوله : « والمدرسون وجدناهم بسهولة من بين العمانيين الذين عادوا الى بلادهم من الخارج ..

« اما تعليم الفتاة ، فقد حدث عندما بدانا التسجيل للفتيان ان جاءت الفتيات في شبه مظاهرة الى اماكن التسجيل وقلن : (من حقنا ان نتعلم مثل الفتيان تماما .. وليس من حقكم حرماننا من التعليم ..) لهذا قررنا افتتاح مدرسة لهن في مسقط ، تضم الآن الفا ومائة تلميذة .. ونأمل في افتتاح مدارس للبنات قريبا . في داخل عمان » ..

٣٢ الف طالب في السنة القادمة

وعن مشاريع المستقبل حدثنا الاستاذ فيصل ابن علي مدير التعليم بالوكالة فقال : « اننا نعمل منذ الآن على افتتاح اعدادية وثانوية في العام القادم ، لتستطيعا استقبال ابناء العائدين من خارج البلاد ، وتعليم ابناء البلاد الذين انهوا المرحلة الابتدائية .

« ونحن نأمل ان نتمكن من افتتاح ٤٢ مدرسة جديدة في العام القادم لتعليم ٣٢ الف تلميذ وتلميذة ، واذا وجدنا نقصا في عدد المدرسين العمانيين فسوف نستعين بابناء البحرين ، لقربها من بلادنا ، وتشابه عاداتهم مع عاداتنا » ..

ما هي الاباضيـــة ؟

ويقول البعض ، ان المذهب الاباضي الذي يتبعه اهل عمان ـ حرم تعليم الفتاة .. ولكن الشيخ محمد بن احمد وزير العدل لا يوافق على هذا الرأي ، اذ قال لنا خلال حديث طويل : « المذهب الاباضي هو مذهب قديم نشأ بعد الفرقة بين الامام علي ومعاوية .. والاباضية قوم متمسكون بنصوص الشريعة الاسلامية في جميع معاملاتهم .. وهذا المذهب منتشر في داخل عمان ، ولا يوجد غيره هناك ..



بدأت اذاعة مسقط تبث برامجها بعد خلع سعيد ابن تيمور مباشرة ، وقوتها الاذاعية كيلو وات واحد ، وتذيع) ساعات في اليوم .. ونرى هنا المذيع دياب العامري ، يسجل برنامجه « على الناصية » مع الجمهور .

« والاباضية هو المذهب الرسمي للدولة ، وجميع الاحكام تجري وفق هذا المذهب ..

« ولكن عندنا كذلك المذاهب الاخرى من سنة وشيعة ، وفي مجلس وزرائنا وزير شيعي ، واغلب كتابنا من السنيين .. ولا توجد تفرقة بين اي من هذه المذاهب ، فالاباضية تنظر الى بقية الفرق الاسلامية ، نظرتها الى احد ابنائها الاباضيين من المسلمين » ..

نظرة الاباضية للمرأة والحجاب

قلنا : « وما هي نظرة المذهب الاباضي للزواج والمرأة ؟ » .

قال : « المذهب الاباضي يبيح الزواج في سن صغيرة جدا للصبي والصبية ، لكن لهما الحق ، بعد ان يبلغا ، ان يفسخا الزواج او يقراه .. كما ان زواج الرجل الكبير بفتاة صغيرة مسموح به شرعا » .

ويتحدث الوزير الشيخ عن المرأة وحجابها فيقول : « الشرع يبيح سفور الوجه واليدين والرجلين للمرأة ، وما عدا هذا ممنوع .. والمحاكم عندنا لا تقبل توكيل المرأة او اقرارها الشرعي الا



الى اليسار : بعد سبعة أشهر ، اى في شهر سبتمبر ١٩٧٠ سينتهى العمل في بناء ميناء قابوس بمدينة مطرح ، وسيكون بامكان السفن التى حمولتها الف طن ، ان ترسو بجانب الارصفة . اما المرحلة الثانية ، فسوف تسمح لعابرات المحيطات بأن ترسو على الارصفة .

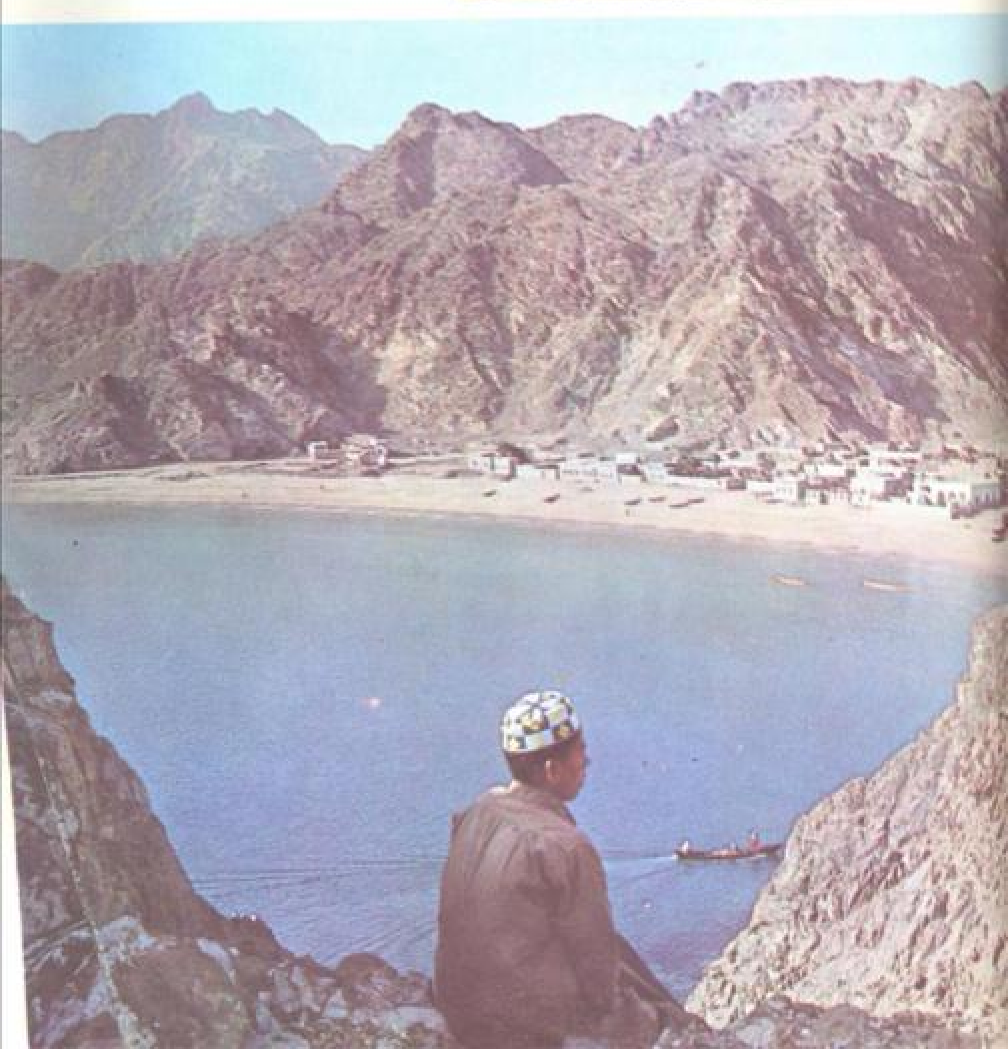


الى اليسار : في قلعة الميراني ، العلم العماني الجديد يرفرف عاليا فوق المدافع القديمة التى يعود تاريخها الى عام ١٨٩٢ ميلادي .

الى اليمين : ميناء مسقط الحالى ، لم يعد بامكانه مواجهة الحركة الزائدة التى تمر بها البلاد .. والسفن الشراعية الصغيرة ـ التى تراها فى الصورة ـ هى التى تنقل البضائع من البواخر الراسية على مسافة ميل من الشاطئ .



الى اسفل : اروع منظر لاروع خليج عمانى ، يقع على مسافة خمس دقائق بالسيارة من مسقط .. انها سداب .. قرية الصيادين



وهي سافرة عن وجهها .. على اساس ان الوجه ليس بعورة ..

« اما البرقع فموجود في المناطق المحيطة بعُمان الداخلية ، ورحم الله الشاعر الذى قال :

اذا بارك الله فى ملبس
فلا بارك الله في البُرقع
يُريك عيون المها غرة
ويكشف عن منظر اشنع »

لم يرسل نقودا !

وسالنا وزير العدل عن حالات الطلاق في عمان فقال : « لم تحدث سوى حالة طلاق واحدة فقط في جميع ارجاء عمان طوال الشهور الستة الماضية، وسبب هذا الطلاق هو تغيب الزوج ٧ سنوات عن زوجته دون ان يرسل لها اية نقود او خطابات » !

اللحية هي الاصل !!

وعندما سالنا الوزير : « هل المذهب الاباضى يحتم اطلاق اللحية ؟ » .

امسك وزير العدل بلحيته واجابنا ضاحكا : « يجب ان اقول لكم اولا ان الاصل في وجه الانسان هي اللحية ، اما حلاقتها فتقليد حديث نسبيا .. وارسال اللحية عادة عربية قديمة ايدها الدين الاسلامي ، والاصل هو عدم لمسها او تهذيبها ، ولكن المتقدمين بداوا يهذبونها ويصلحونها بالمقص !! » .

نداء عن المراة العمانية

والمراة العمانية المتعلمة انتهزت فرصة انقلاب ٢٣ يوليو وحققت لنفسها انتصارا كبيرا عندما وافق المسئولون على افتتاح جمعية المراة العمانية في٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ اثر ٩٠ خطابا ارسلتها الآنسة زمزم مكى الى ٩٠ امراة عمانية،ومما جاء في خطابها قولها : « .. من الضرورى ان تبدا المراة العمانية مسيرة الى مستقبل اكثر ابتساما ، ولاحداث هذا التغيير يجب ان يشترك المجتمع في ذلك ، امراة ورجلا ، لهذا وجدت باننا يجب ان تجتمع لنسير معا » ..

وفعلا بدات المراة العمانية مسيرتها ، واصبح عدد العضوات حاليا ٩٩ عضوة .. انها الجمعية النسائية الوحيدةالنشيطة في عمان وساحل عمان .. قدم لها شباب النادى الاهلي كل معونة ممكنة، بعكس شباب نادى عمان الذين قاطعوا الجمعية ورفضوا مساعدتها .. وتمر الجمعية حاليا

هذا الرسم المجسم – يبين الامتداد الجديد المقترح لمدينة مطرح .. ان المدينة الجديدة سوف تبعد عشرة كيلو مترات عن مطرح الحالية



بمرحلة دقيقة حرجة ، فهي في حاجة الى ٣ الاف جنيه استرليني لتبني مقرا تستطيع منه ان تنطلق لتحقق المشاريع الكبيرة التى تحتاجها المراة العمانيـة ..

ياليت هذا كان صحيحا !

وعندما سالنا اعضاء مجلس ادارة جمعية المراة العمانية : « هل حقيقة ان الفتاة تتزوج وعمرها ٢ سنوات ؟ » - اجابت بعضهن بسرعة : « ياليت هذا كان صحيحا .. لقد جاوزنا سن العشرين دون ان نتزوج !! » .

ومشكلة الزواج تنحصر في نقص المال في يد الشباب .. وهذا يجعله عاجزا عن دفع المهر المخصص للفتاة .. وقد حددوا المهور على اساس ٥٠٠ ريال ملكة تيريزا للفتاة الحرة القبائلية .. و ٢٠٠ ريال للفتاة المقيمة في المدينة !

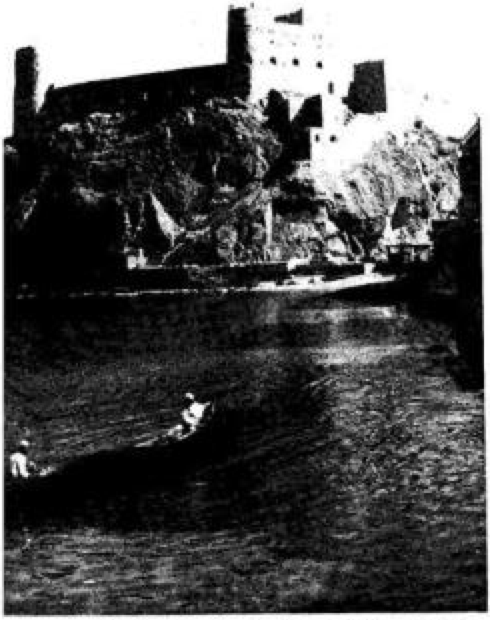
الريال السعيدى والملكـة تيريزا

ومما يذكر ان ريال الملكة تيريزا الفضى ، وثمنه في مسقط يعادل نصف جنيه استرليني ، مازال مستعملا في المهور فقط .. اما النقود المستعملة في الاسواق فكانت الروبيـة الهنـدية حتى تاريخ تدهورها عام ١٩٦٦ وبعدها بدا التفكير في اصدار عملة جديدة .. وفي السنة الماضية صدر الريال السعيدى ، الذى يعادل في قيمته قيمة الجنيـه الاسترليني ، ولكن الريال السـعيدى ينقسم الى الف بيسه ، مثل المليم والفلس وهو يرتكز على الذهب وليس على الاسترليني ، واوراق العملـة العمانية اوراق انيقة ، ومجموع القيمة المتداولة في الاسواق كانت اربعة ملايين ريال سعيدى حتى بداية هذا العام ١٩٧١ .

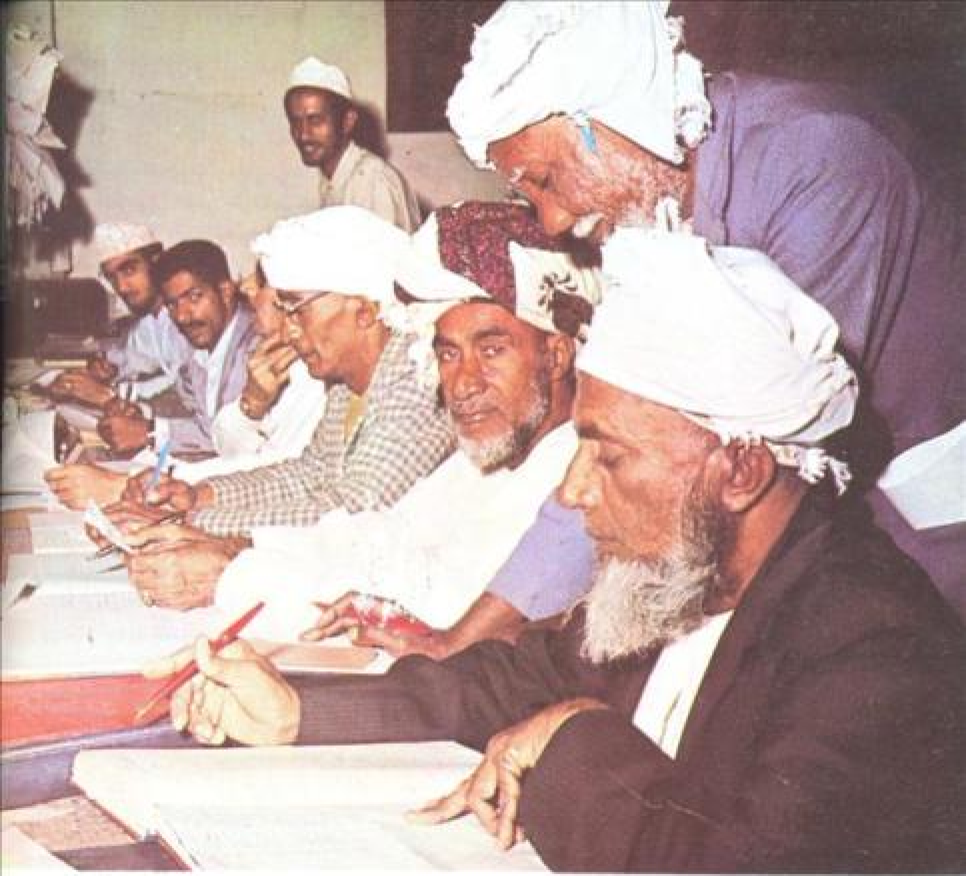
متى يعود السلام الى عمان ؟

ان دخل البـلاد حاليا هـو ٤٣ مليون جنيه استرليني ،وهذا المبلغ يمكن أن يساعد كثيرا في نهضة عمان ، ولكن التركة المثقلة التى ورثهـا هذا العهد تضم في طياتها ثورة يقوم بها بعـض سكان الجنوب في منطقة ظفار .. لقد ثاروا ضـد ظلم السلطان السابق الذى اهمل منطقتهم اهمالا شنيعا .. وسالنا رئيس الوزراء طارق بن تيمور ، عن هذا الموضوع الحساس فاجابنا : « عمان مفتقرة الى كل شيء .. والصرف في هذا الوقت على الجيش والقوات المسلحة يعتبر جرما على الحكومة .. وقد حاولنا الاتصال بالثائرين ، ووزعنا المناشير على كل منطقة ظفار ، معلنين فيها عن رغبتنا في حقن الدماء ، مع وعـود بالاصلاح انتهينا من بعضها فعلا ، ولكن زعمـاء الثائريـن رفضوا اى تفاهم ..

« وهنا يجب ان نفرق بين اهل ظفار ، ورجال العصابات ، فالاهالى يريدون السلام ، ولكن رجال العصابات المسلحين بالاسلحة والافكار الهدامـة الخارجة يمنعونهم من نزول الجبال لمقابلتنا ، وقد وصل بهم الامر الى حد اعدام النساء .. وهذا شيء فريد لم يسبق له مثيل في تاريخ عمان .. ومن المؤسف ان اقل من نصف دخلنا ننفقه على الجيش والقوات المسلحة » ..

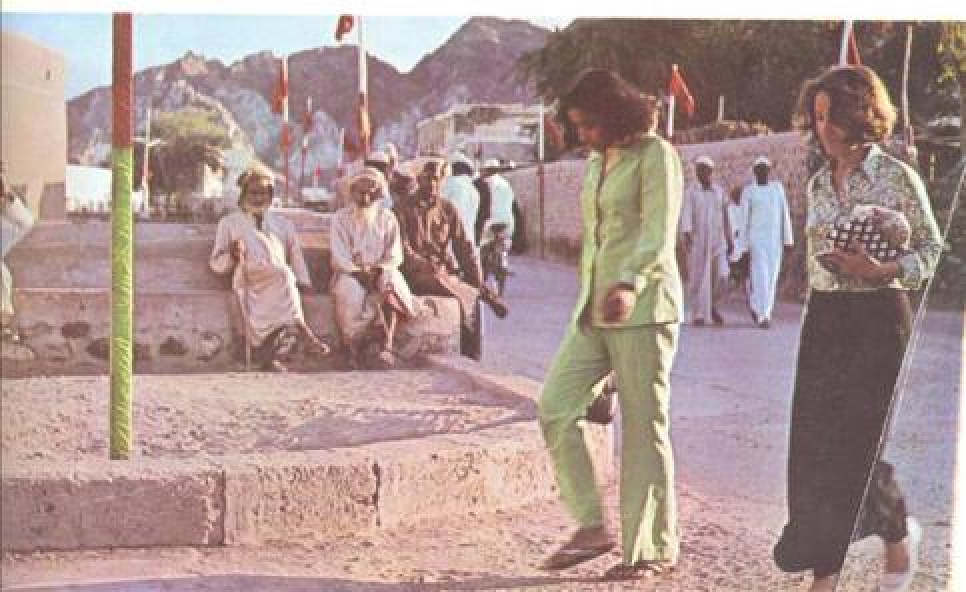


هذا المبنى الرابض فوق الصخور على ارتفاع ١٥٠ قدما فوق سطح البحر ، هو قلعة شيدها البرتغاليون عام ١٥٨٩ ميلادية واطلقوا عليهـا اسم سان جوا Sanjoao وعندما احتل الايرانيون مسقط اطلقوا اسم احد قوادهم « جلال » على القلعة ، فاصبحت تعرف باسم قلعة جلالى .. ثم تحولت هذه القلعة الى سجن رهيب ، ويجرى التفكير لتحويله الى متحف بعد بناء سجن جديد

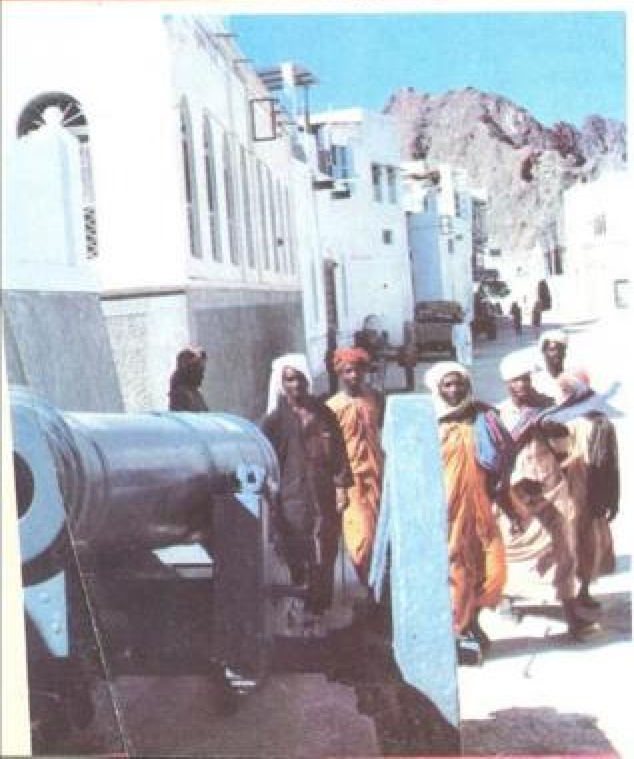


بعد ظهور النفط الغيت الرسوم على المواد الغذائية.. ولكنها بقيت على المواد الاخرى بنسب ترتفع الى ٢٥٪ ويشرف على تحصيل هذه الرسوم موظفون عملوا منذ زمن طويل في هذا المضمار .

العمامة العمانية والماكسي والبنطلون في شوارع مسقط اما الميني جوب فلم تتجاسر واحدة على السير به !







« كنا نعيش سجناء في منازلنا .. كان الرجال يعاملوننا كأننا متاع في المنزل ، يبيعوننا ويشتروننا ، دون أن يكون لنا حق الاعتراض ، وفي ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ ظهرت لاول مرة في تاريخ عمان ، جمعية المرأة العمانية .. هدفنا من تأسيسها رفع شأن المرأة العمانية وخدمة المجتمع العماني .. هكذا قالت لنا عضوات مجلس ادارة جمعية المرأة ، اللواتي تراهن مجتمعات في الصورة تحت حماية العلم العماني الجديد .

الى اليسار : اينما ذهبت في مدينة مسقط ، تشهد المدافع القديمة في شوارعها ، وكأنها تذكرك بالحروب التي شهدتها المدينة .

تغيير كبير في عمان

وينهي رئيس الوزراء حديثه بقوله : « ان شيئا جديدا يحدث في بلادنا ، لقد كانت كل كبيرة وصغيرة في يد السلطان السابق .. اما اليوم فقد توزعت المسئوليات .. واصبح كل وزير مسئولا عن اعمال وزارته مسئولية تامة .. ان هذا التغيير هو الذى نريد ان يعلم به العالم ، حتى لاتبقى عمان دولة عربية مجهولة » ..

نكره كلمة الانفصال

وخرجنا من عند رئيس الوزراء لنقابل الشاب الوطني عبد الله الطائي الذى عاد الى بلاده ليشترك في بناء بلده بعد حياة في المنفى استمرت ٢٥ عاما ، عاد الى عمان ليصبح وزيرا للاعلام والشئون الاجتماعية والعمل قال لنا : « كنتم تظنوننا نكذب عليكم عندما كنا نروى الحالة المتردية المؤسفة التي كانت عليها بلادنا ، والحمد لله انكم شاهدتم بأعينكم اننا ماكنا مغالين في قولنا، وان الحالة اسوأ مما ذكرناها لكم عشرات المرات.. ان النية متوفرة عندنا للعمل من اجل رفع شان هذا البلد ، والحمد لله اننا ما عرضنا اقتراحا او مشروعا اصلاحيا على السلطان او رئيس الوزراء الا ووافقا على التنفيذ .

« اننا نؤمن بوطن عماني واحد ، ونكره كلمة الانفصال .. لقد كنا جميعا ضد سعيد بن تيمور حتى شقيقه .. واليوم نحن جميعا نعمل من اجل تحقيق حياة افضل لشعبنا العربي في عمان ، فلماذا الفرقة والانفصال ؟! » .



بدات عملية تعريب للجيش العماني ، بعد ان كانت اللغة المستخدمة فيه هي اللغة الاردية .. ومدربو الجيش جميعهم من الضباط الانجليز .. اذ كان السلطان السابق لا يسمح بترقية جندى عماني الى اعلى من درجة « لفتنانت » !

النقلة من القديم الى الحديث ليست سهلة

واجمل ما تشهده في مسقط وعمان هو شبابها ورجالها الذين عادوا الى بلادهم بعد حياة طويلة قضوها بعيدا عن بلادهم .. عادوا ليتولوا المراكز الرئيسية في بلادهم ويحققوا العدل والانصاف والازدهار الذى كانوا يطالبون به السلطان السابق .. ، وخبرتهم الخارجية تعطيهم قوة هائلة للنهوض ببلادهم التي تعيش في القرن العشرين ولكن تتمسك بحضارة القرن السادس عشر !

انه شعب ظل دهرا طويلا حبيسا .. وقد تفتح على ما ذكرنا ، واستبدل سلطانا بسلطان .. وقد عرفنا ما السلطان القديم ، ورأينا بشائر من السلطان الجديد يجب ان يفتح لها كل عربي صدره ، وأن لا ينسى احد ، ان النقلة من القديم الى الحديث ليست من الامور السهلة ، وانها عادات ، وانها تقاليد ، وانها امور انطبعت في انفس الناس ، كما تنطبع الصور في الحجر .. لابد من مثابرة الزمان لتغييرها ..

وليس من احد لا يود ان يبدل من هذه الامور بين عشية وضحاها ، ولو قد امكن ذلك لكان هذا خيرا كثيرا ، ولكن طبائع هي ما هي ، لابد من الصبر والتصابر ، لعل الله يجعل من كل امور العرب المتازمة فرجا سريعا حاسما ان شاء الله . ■■

سليم زبال

دَوْرُ المَدْرَسَة العَرَبِيَّة في تغيير المُجْتَمَع العَرَبيّ

- المُجْتَمع الّذي لا يتغيَّر محكومٌ عليه بالفناء
- المجتمع العربيّ متخلِّفٌ فلا بُدَّ من المسارعة في تغْييره
- دَوْرُ المدرسة أكبر الأدوار في تغيير المجتمع العربيّ

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ كثيرا ما يطرح المعنيون بأمور التربية السؤال التالي : هل من واجب المدرسة أن تهيىء الطالب ليناسب المجتمع القائم أم ليغيره ؟

والسؤال كما ترى هام وخطير ، وعلى جوابه تتوقف الفلسفة التربوية التى نتبناها وتتوقف بالتالي مواقفك من العملية التربوية ووظيفتها ووسائلها وغير ذلك مما يتصل بها .

ولنبدأ منذ البداية لنلاحظ ان الانسان حيوان اجتماعي . وسواء أكان الميل الى التجمع غريزة في الانسان وفطرة ـ كما يقول بعض العلماء ـ او كان امرا اكتسبه من حياته الاجتماعية وولادته في مجتمع، وقصوره عن العناية بذاته وإيكال ذلك الى المجتمع ـ كما ترى جمهرة علماء النفس اليوم ـ نقول سواء أكان هذا أو ذاك فان الميل الى التجمع هام وقوى وأساسي لدرجة أن الحياة البشرية مستحيلة الا في المجتمع وعن طريقه .

وسواء أسمينا هذا الميل الى التجمع بغريزة القطيع كما يسميه بعض العلماء ، أم سميناه ميلا الى الاجتماع بالأشباه كما يسميه علماء آخرون ، أم سميناه أسماء أخرى أطلقت عليه ، فان لهذا الميل من الاصالة والأهمية ما يجعل منه قطب الرحى في الحياة البشرية خاصة وفي الحياة الحيوانية عامة .

والحق أن الطفل البشرى الذى يولد عاجزا

عن العناية بذاته من جهة ، ومزودا بقدرة هائلة على التعلم من جهة اخرى ، لا يستطيع أن يعيش ويبقى الا في المجتمع . وبدهي ان المجتمع الاول هو المجتمع العائلي المكون من الام والاب والاخوة والاخوات .

ولا تحرص العائلة ، والمجتمع بكافة هيئاته ومنظماته من ورائها ، على الحفاظ على بقاء الطفل فحسب ، فتوفر له الغذاء والكساء والعناية الصحية بل تضيف الى ذلك الافادة من قدرته الكبيرة على التعلم فتنقل اليه معارفها وخبراتها وطرائقها في الحياة ووسائلها في مواجهة الطبيعة ومفاهيمها وقيمها ومثلها محاولة ان تهيئه لحياته المقبلة من جهة وان تخلد المجتمع عن طريقه وبواسطته .

المدرسة من بعد العائلة

ولقد وجد المجتمع ان العائلة لا تكفي في النهوض باعباء هذه المهمة فاصطنع وسائل اخرى للتربية واهمها المدرسة بانواعها المختلفة ودرجاتها المتباينة وطرائقها المتنوعة ووسائلها المبتكرة .

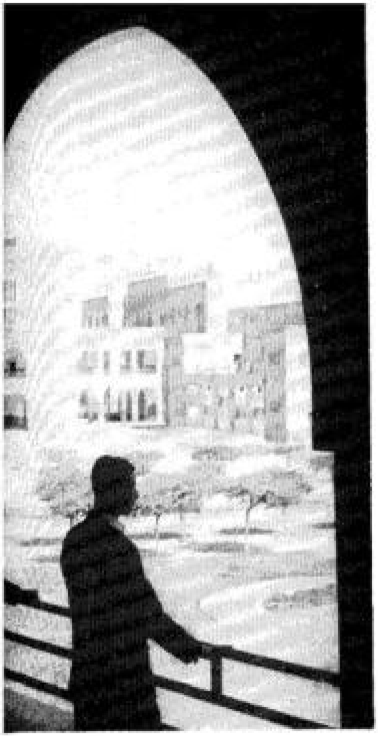
واذا كان صحيحا أن المدرسة الحديثة لا تقصر مهمتها على تهيئة الطفل للحياة ، بل تتجاوزها الى العمل على ان يحيا فيها الطفل حياته الخاصة ، ويحقق ذاته ويفتح مواهبه وقابلياته ، فانه يبقى صحيحا ان التهيئة للحياة هي المهمة الكبرى للمدرسة ـ اي مدرسة ـ وان الوظيفة الاجتماعية للمدرسة وظيفة اساسية كبرى .

وها هنا لا بد من ملاحظة هامة وهي ان المجتمعات ـ كالافراد ـ ميالة الى حفظ بقائها والمحافظة على مفاهيمها وقيمها ومثلها .

وهكذا فالمجتمع الذى يهيىء الفرد للحفاظ على بقائه الخاص يتهيأ من خلاله للحفاظ على بقاء المجتمع وبقاء قيمه ومثله ومفاهيمه .

حياة المجتمع

واذا كانت حياة الفرد كلا متصلا يمتد فيه الحاضر بين الماضي والمستقبل ، فان حياة المجتمع هي ايضا كل متصل يتصل فيه الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل وكل مجتمع لا يحرص على هذا الاتصال محكوم عليه بالفناء والاضمحلال .



وهكذا فاذا كان الفرد يتغير محافظا على هويته فان المجتمع يتغير ايضا محافظا على هويته ، واصلا ماضيه ، وما في هذا الماضي من تراث بحاضره وما في هذا الحاضر من مفاهيم وقيم ومثل ، وواصلاً حاضره بمستقبله وما لهذا المستقبل من امال وآمال وتطلعات واهداف .

المجتمع الذى لا يتغير محكوم عليه بالفناء

واذن فالمجتمع يتغير شانه في ذلك شان كل كائن حي ، والمجتمع الذى لا يتغير محكوم عليه بالفناء ذلك بان التغير صفة اساسية من صفات الاحياء . والسؤال ، كل السؤال ، من الذى يغير المجتمع ؟ وكيف يتغير المجتمع ؟ وفي اى اتجاه يتغير المجتمع ؟

وقبل أن نحاول الاجابة عن هذين السؤالين نحب ان نلاحظ الفرق بين تغير المجتمعات المتخلفة (والتي يسميها البعض تأدبا بالنامية) وتغير المجتمعات المتقدمة .

على اننا نحب قبل ذلك ان نلاحظ ان المجتمع ،

كل مجتمع ، يجب ان يتغير نحو الافضل والاحسن، واذا صح ان (الافضل) و (الاحسن) يختلفان، من حيث المفهوم ، من مجتمع الى آخر ، فان حضارة اليوم قربت بين المفاهيم ووحدتها .

في الماضي كانت المجتمعات متباعدة ، بل ان بعضها كان معزولا . وفي السابق كان من الممكن لبعض المجتمعات ان تستمر في عزلتها وان تعيش لذاتها وبذاتها . اما اليوم فان وسائل الاتصال قد ضيقت العالم وجعلت من المستحيل على اى مجتمع ان يعيش معزولا عن باقي المجتمعات .

غزوة المجتمعات المتقدمة

وفي القرن الماضي غزت المجتمعات المتقدمة المجتمعات المتخلفة واستعمرتها وحملت اليها حضارتها ـ بخيرها وشرها ـ وما في هذه الحضارة من مفاهيم وقيم ومثل . صحيح انها استغلتها واستثمرت خيراتها لاغراضها ، ولكنها في الوقت نفسه اشبعتها بخمائر الثورة وحملت اليها بذور الانتفاض والتحرر مما آتى أكله في قرننا الحاضر فهبت رياح الحرية على كل المجتمعات المتخلفة ودفعتها الى النضال من اجل تحررها من ربقة الاستعمار ونبهتها الى اهمية الاستقلال والحفاظ على طابعها القومي ضمن المجتمع الانساني الواسع .

ومعلوم ان معظم البلاد المستعمرة قد حصلت اليوم على استقلالها السياسي وانها تناضل جاهدة من أجل التحرر الاقتصادى والاجتماعي والحضارى .

ومن هنا كان الفرق بين اتجاه تغير المجتمع المتخلف واتجاه تغير المجتمع المتقدم .

اما المجتمع المتقدم فله من امكاناته وقدراته وتقدمه ما يسمح به بان يعتمد على تطوره الطبيعي وتقدمه السوي في السير الى اهدافه سيرا وئيدا متزنا للوصول الى اهدافه العاجلة والتحضير لاهدافه الآجلة .

واما المجتمع المتخلف وما يستشعره من قصور وتخلف ، وما يحس به من اتساع مسافة الخلف بينه وبين المجتمع المتقدم ، فانه لا يستطيع الاكتفاء بالتطور البطيء والتقدم الوئيد لكي يصل الى ما يصبو اليه من اللحاق بركب المتقدمين .

ثورة التغير لدى المتقدمين والمتخلفين

ولا يفوتنا هنا ان نلاحظ ان عصرنا الحديث عصر ثورات : ثورة علمية وثورة اجتماعية وثورة صحية وثورة اقتصادية وثورة تعليمية وغير ذلك من الثورات .

والحق ان الناظر في المجتمعات المتقدمة نفسها يلاحظ ان هذه الثورات على اشدها فيها . فالعلم يسير بخطوات متسارعة متلاحقة . والتعليم يقفز قفزات كبيرة هائلة ، والاقتصاد يشهد ثورات عارمة تتناول اسسه واساليبه . والصحة تسير الى امام بخطى جبارة . والمجتمع تتغير فيه العلاقات والمفاهيم والمثل تغيرا جذريا .

كل هذا في المجتمعات المتقدمة ، اما المجتمعات المتخلفة ، فتنظر الى هذا التقدم الهائل فتروعها المسافة التى تفصلها عن المجتمعات المتقدمة ، ويروعها اكثر ان هذه المسافات تتزايد باستمرار وانها ما لم تحث الخطى للحاق بالمجتمعات المتقدمة فانها لن تبقى متخلفة فحسب بل ان تخلفها سوف يزداد .

المجتمعات المتخلفة بين صراع المذاهب

وفي ابان الصراع الضاري بين المذاهب الاجتماعية والسياسية ، بين الغرب والشرق ، بين (الديمقراطية) والاشتراكية ، تقف المجتمعات المتخلفة لتسأل نفسها عن الطريق الاقصر ، عن الطريق الامثل ، عن الطريق الانسب لايصالها الى مصاف الامم المتقدمة .

والمجتمع العربي ، وهو مجتمع نام (لئلا نقول متخلفا) لا يشذ عن المجتمعات النامية في هذا كله، انه يريد اللحاق بالمجتمعات المتقدمة ويجهد في سبيل ذلك ، ولكنه لا يجد بدا من السؤال عن الطريق الانسب والاقصر والامثل .

واذا كان قد اتضح حتى الآن ان المجتمع العربي مجتمع نام فان من واجب كل عربي ان يتساءل عن الهدف العاجل لأمته العربية في نهضتها الحاضرة وتطلعها الى الخروج من حاضرها المتخلف الى مستقبل متقدم ؟

والجواب بسيط بساطة الحقيقة واضح وضوح النور وهو : التقدم : التقدم العلمي ، والتقدم الاقتصادى ، والتقدم الاجتماعي ، والتقدم التعليمي ، والتقدم الصحي والتقدم بكافة معانيه.

والوسيلة هي التخطيط الذكي الواعي لهذا التقدم بانواعه المختلفة والعمل الدائب الصابر المتسارع من اجل هذا التقدم .

الاستعمار والصهيونية يعرقلان تقدم الدول العربية

واذا كان الاستعمار يقف بالمرصاد لتقدم الامم المتخلفة محاولا تاخيره وعرقلته فان الاستعمار والصهيونية يعترضان سبيل الامة العربية في محاولتها التقدم والقضاء على التخلف .

واذا كانت بعض الدول العربية قد اعتمدت الاشتراكية طريقها لهذا التقدم وبعضها الاخر قد اعتمدت (الديمقراطية) والبرلمانية طريقا آخر لمثل هذا التقدم فان الاستعمار والصهيونية لا يفرقان بين الاثنين بل يحاربانهما جميعا ويقفان لهما بالمرصاد محاولين وقف هذا التقدم او عرقلته (وهما لن يستطيعا ذلك في المدى البعيد ولكنهما قادران على الكثير من التاخير والازعاج .) وهذا هو معنى هذه المعارك التي فرضها الاستعمار والصهيونية على امتنا العربية ، تلك المعارك التي تستنزف الكثير من القوى والمال والجهد والوقت .

من يغير المجتمع ؟

وبعد هذا الاستطراد البسيط نعود الى موضوعنا الاصلي لنتساءل : من الذى يغير المجتمع ؟

هل يغيره افراد ؟ قادة ؟ زعماء ؟

هل تغيره جماعات ؟ احزاب ؟ منظمات ؟ مؤسسات ؟

دور الزعماء في تغيير المجتمع

وفي الجواب عن هذه الاسئلة يرى البعض ان الافراد المتميزين ، القادة الزعماء هم الذين يغيرون المجتمع .

ولسنا ننكر أن القادة والزعماء والافراد يلعبون دورهم الكبير في تغيير المجتمع فالمجتمع مكون من افراد وما لم يتغير الافراد فان المجتمع لا يتغير .

ولكن السؤال الهام في هذا الصدد هو : مَن يوجد مَن ؟ هل يوجد الافراد المجتمع ؟ أم ينتج المجتمع الافراد ؟

وبتعبير آخر هل من الممكن أن يظهر القائد أو الزعيم اذا لم يوجد الشعب الذى ينتج هذا القائد ويفهمه ويستجيب له ويسير واياه ؟

ثم ، وهذا هو الأهم ، ألم ينقض الزمان الذى كانت فيه الأمة تدور في فلك الزعيم أو القائد وتسير وراءه معصوبة العينين .

قارن بين زعيم كهتلر كان يجعل من نفسه سيدا للجماهير ومعبودا لها فساقها الى الخراب والدمار . وبين زعيم كتشرشل كان يستمد قوته من الجماهير التى قادها الى النصر ، فما لبثت أن عزلته بعد ربحه الحرب لتستبدل بزعامته زعامة اخرى .

انظر الى زعيم كستالين اله نفسه والهته الجماهير فطغى وبغى وارتكب من الاخطاء ما ارتكب مما حمل حزبه وشعبه،بعد موته،على اقامة قيادة جماعية ديموقراطية .

انظر الى عشرات الزعماء ، الديموقراطيين منهم والدكتاتوريين ، واحكم لنفسك وبنفسك ما اذا كان من الممكن ان تعتمد الزعماء وسيلة وحيدة للتغيير الاجتماعي .

مرة أخرى للزعماء دورهم الكبير في تقدم الامم ولكنهم لن يستطيعوا أن يلعبوا دورهم الا اذا كانت اممهم مهيأة للتقدم متحفزة له حريصة عليه .

دور الأحزاب والمنظمات في تغيير المجتمع

والجماعات ؟ والأحزاب؟والمنظمات ؟ والمؤسسات ما دورها في التقدم الاجتماعي ؟

مرة أخرى ان دورها عظيم ورئيسي ، ومرة أخرى فانها لا تستطيع ان تلعب دورها الا فيشعوب ذكية واعية عارفة بحقوقها وواجباتها ، متحفزة للتقدم راغبة في التغيير .

لقد لاحظ علماء التربية مثلا ان اذكى المجندين الاميركان يأتون من الولايات التى تتمتع بخير نظام تربوى (والنظام التربوى يختلف بعض الشيء من ولاية أميركية الى ولاية أخرى)وحينئذ تساءلوا: هل يخلق النظام التربوى الجيد مواطنين أذكياء ؟ ام يخلق المواطنون الأذكياء نظاما تربويا جيدا ؟

والسؤال نفسه يطرح على مستوى الأمم : هل تخلق الأمم الذكية الواعية المتقدمة احزاباومنظمات ومؤسسات جيدة ؟ أم تخلق الاحزاب والمنظمات والمؤسسات الجيدة مواطنين اذكياء وأمما واعية ؟

والجواب ان التفاعل بين الاثنين حقيقة واقعة ولكن الجماهير الذكية الواعية المتفتحة هى التى تخلق الأحزاب والمنظمات والمؤسسات الجيدة .

الايمان بالجماهير ، الايمان بالانسان العادى ، الايمان بالمواطن هو أساس عمل المؤسسات والاحزاب والمنظمات الخيرة وهو سر نجاحها وقدرتها على تحقيق اهداف الأمة في التقدم والرفعة .

المجتمع لا يتغير الا بوعى المواطن العادى

وهكذا اذن يتقرر أن المجتمع انما يتغير بافراده

وزعمائه وقادته واحزابه ومنظماته ومؤسساته ولكنه لا يتغير نحو الافضل والاحسن الا اذا كان المواطن العادى ذكيا واعيا عارفا بحقوقه التى يحافظ عليها ويستميت في سبيلها مدركا لواجباته التى يؤديها عن اندفاع وطيبة خاطر .

الانسان ، الانسان العادى ، المواطن ، المواطن البسيط ، الجماهير ، الجماهير الواعية هى التى تغير المجتمع خالقة قياداتها وزعاماتها ، مكونة مؤسساتها ومنظماتها واحزابها .

دور المدرسة

وهنا نعود الى السؤال الذى افتتحنا به مقالنا هذا هل من واجب المدرسة أن تهيىء الطالب ليناسب المجتمع القائم ام ليغيره ؟

ولكننا قبل أن نفصل الجواب نحب ان نلاحظ أن الاختيار الذى يطرحه هذا السؤال غير قائم . ان المجتمعات ـ كل المجتمعات ـ تتغير ، وسواء اردنا أم لم نرد ، ولذلك فلا خيار للمدرسة في أن تهيىء الطالب ليناسب المجتمع القائم . ولان يغيره .

ان من عملها أن تهيئه لان يناسب المجتمع القائم وان يغيره في نفس الوقت .

المجتمع القائم حقيقة واقعة وكل تنكر له خطأ وخطل ، وكل تغيير له مستحيل اذا لم يبدأ بفهمه وتقصيه ومعرفة نقاط الضعف ونقاط القوة فيه . ولكن المجتمع القائم لايستطيع ـ اذا اراد الحياة ـ أن يبقى على ما هو عليه ولا بد من تغيره .

فى أى اتجاه يتغير المجتمع

والمسالة الهامة هى : في اى اتجاه يجب ان يتغير المجتمع ؟

والمسالة الاهم ـ في حديثنا هذا ـ هل من عمل المعلم أن يجد الجواب عن هذا السؤال ؟

ان بعض علماء التربية يرون أن عمل المعلم أن يساعد الطلاب على تفتيح نفوسهم وعلى ان ينالوا الخبرة التى ينطلقون منها في الوقت المناسب ليجدوا اجوبتهم الخاصة . وعندنا أن هذه النظرة اقرب الى حاجة البلاد المتقدمة منها الى حاجة البلاد النامية .

وليس معنى هذا الذى نقول اننا نتنكر للحرية الشخصية ونقول بصب الافراد في قوالب موحدة بحيث نحرمهم من الاختيار وتقرير المصير الذاتى . ولكن معناه ان الامم النامية العاملة على اختصار الزمن واللحاق بركب الامم المتقدمة تعلق على المدرسة اهمية خاصة وذلك بسبب من تخلف البيت ، ولذلك فان واجب المدرسة مضاعف وعمل المعلم ان يعوض نقص البيت وتخلف العائلة .

المعلم مواطن ذكى واع يشارك في صياغة اهداف امته ويساهم في رسم طريقها الى التقدم ،والمدرسة مؤسسة اجتماعية هامة واجبها العمل على تقدم المجتمع وتطويره . والطالب امانة في عنق المعلم وبد المدرسة التى لا بد لها من تهيئته ، لتغيير مجتمعه ودفع هذا المجتمع نحو التقدم .

وبدهى أن المعلم الذكى المخلص ليس المعلم الذى يفرض مفاهيمه ومثله وقيمه على الطالب ، وانما هو المعلم الذى ينمى قابليات طلابه وقدراتهم ومواهبهم ، ويعينهم على تكوين قيمهم الخاصة ومثلهم الذاتية ثم يترك لهم أن يعملوا على التقدم. بأمتهم من خلال ذكائهم واخلاصهم واندفاعهم .

ولكن دور المدرسة في هذه العملية حاسم ومهمة المعلم اساسية ومن واجب المعلم أن يؤمن باهداف امته في التقدم ايمانا عميقا وان ينقل هذا الايمان الى طلابه الواعين الاذكياء ، كما أن من واجبه أن يتبين الطرق والوسائل التى توصل امته الى اهدافها وأن يبينها لطلابه ، كما أن من واجبه أن يتعرف على قدرات طلابه وامكاناتهم وان يفتح هذه القدرات وينمى هذه الامكانات ثم يحملهم الامانة لينطلقوا بأمتهم نحو اهدافها فى التقدم والرفعة .

دور الحكومات

وهنا لا بد من ملاحظة أخيرة وهى عن دور الحكومات في هذه العملية . ان الحكومة الصحيحة تنبثق عن الشعب وتعمل لخدمة الشعب وتمثل اهداف الشعب في التقدم والمنعة ، ومن واجب مثل هذه الحكومة ان تهيىء المدرسة الصالحة والمعلم الصالح وان ترعاهما وأن تيسر عملهما وأن تعتمد عليهما في تحقيق اهداف الامة .

ولسنا نشك في أن الحكومات العربية قد اخذت تدرك أهمية المدرسة والمعلم وبدات تهيىء لهما اسباب النجاح في اداء المهمة . ولكننا نقرر ـ آسفين ـ انه ما زال امام هذه الحكومات الكثير الذى تعمله في سبيل تقدم المدرسة العربية واصلاح شان المعلم العربى ، فالى مزيد من الجهد والعناية ندعو الحكومات العربية . ■■

فاخر عاقل



سقراط
كان يهرب من شر زوجته !

● الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط يروون عنه انه كان رجلا تعسا في حياته الخاصة ، فقد كانت له زوجة ثرثارة دائمة الشكوى ، تستخدم لسانها بنفس الطريقة التي يستخدم بها سائق العربة كرباجه الطويل في الهاب ظهور جياده !

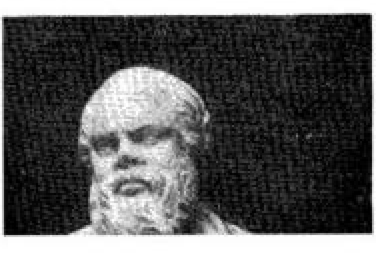
وكان الفيلسوف الكبير ، يحاول دائما ان يتفاداها ويهرب من شرها ، فيصحو في ساعة مبكرة من الصباح ، قبل ان تشرق الشمس ، ثم يسرع بتناول طعام الافطار الذى يتألف عادة من قطع الخبز الجاف المغموس في النبيذ ، ثم يرتدي ملابسه ، ويسرع بالخروج من البيت ثم لا يعود اليه قبل حلول المساء .

سألوه يوما : « اين كنت تقضى تلك الساعات الطويلة بعيدا عن بيتك وزوجتك وابنائك الثلاثة؟ »

قال : « كنت اذهب الى معبد من المعابد الصغيرة في اثينا ، واجلس في ركن منه لافكر واتامل ، فاذا مللت الجلوس وحدى خرجت ابحث عن حمام عام اغتسل فيه ، ثم ابحث بعد ذلك عن الناس لاجلس اليهم واحدثهم ، واستمع الى ما يقولون! »

قالوا له : « لماذا اختاروك احكم الحكماء في اليونان ؟ »

فقال في هدوء وهو يمسح لحيته الطويلة بكلتا يديه : « ربما لانني الرجل الوحيد الذى يعرف انه لا يعرف شيئا على الاطلاق ! ! »



قالوا :



* الحياة اقصر من ان نقضيها في تسجيل الاخطاء التي ارتكبها غيرنا في حقنا ، وفي تغذية روح العداء بين الناس .

برتراند راسل

* نخطيء عندما نحاول ان نكتشف كل مساويء هؤلاء الذين سنقضي معهم كل ايام حياتنا .. افضل لنا بكثير ان نعرف اقل ما يمكن معرفته من هذه المساويء حتى لا نحيل حياتنا الى جحيم !

هـ . ج . ولز



* انني في صراع مستمر مع الوقت .. ان الوقت اقصر من ان يتسع لانجاز ما اريد من عمل ، وهو اطول من ان اقضيه لا اعمل شيئا .

« شكسبير »

تولستوى والسلحفاء !

كان ليو تولستوى Leo Tolstoy (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) كاتب روسيا الشهير ، قليل الانتاج ، بطيء القراءة والكتابة ، قال يوما يشرح طبيعة نفسه فى اجتماع عقده ادباء روسيا . « اننى لا اقرا ، وانما انا ادرس وابحث واتأمل فى كل سطر اقراه . . لقد استغرقت اكثر من ثلاثة اشهر كاملة فى قراءة كتاب لاحد فلاسفة الهند !

« أما عندما اجلس لاكتب ، فانني احرص دائما على ان اكتب الفقرة الواحدة اربع مرات ، فى المرة الاولى اضع المعنى الذى اقصده ، وفى المرة الثانية اضيف اليه ما كنت قد استبعدته عن فكرى . وفى المرة الثالثة استبعد ما قد اراه غير ملائم وغير ضرورى ، وفى المرة الرابعة والاخيرة ، اضع العبارة فى صيغتها النهائية وكانني قد كتبتها لتوى ! »

وصفوه يوما بالسلحفاء !

فقال وهو يبتسم : « ربما كنت مثلها حقا » ، ولكن اياكم ان تنسوا سباقها مع الارنب ، لقد سخر منها فى غرور ، فاذا بها تصل قبله الى نهاية الشوط !

اي النساء أقدر على الفوز بقلب الرجل

شكسبير عملاق الادب الانجليزى (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) قال يوما عن المراة :

« ان المراة العظيمة تلهم الرجل ، اما المراة الذكية فتثير اهتمامه ، بينما نجد أن المراة الجميلة لاتحرك فى الرجل اكثر من مجرد الشعور بالاعجاب ، ولكن المراة العطوفة . . المراة الحنون وحدها ، هى التى تفوز به فى النهاية ! » .

بين هوجو وقطته !



فيكتور هوجو

فيكتور هوجو Victor Hugo (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) كاتب فرنسا الكبير ، ومؤلف قصة البؤساء الخالدة Les Miserables ، فوجيء يوما بخادمته العجوز تقتحم غرفة نومه ، وقد استبد بها ذعر هائل ، وهي تقول له فى هلع : « هل انت بخير يا سيدى ؟ »

ـ كل الخير ، ولكن ما الذى دفعك الى الظن باننى لست بخير هل جننت ايتها المراة ؟

ـ ارجوك ان تصفح عنى يا سيدى .

ـ ولكن ماذا حدث ؟

ـ لقد اخطات ووضعت لك طبق اللحم المسلوق والحساء الذى اعددته للقطة ، بينما وضعت طبقك انت لهذه القطة اللعينة ، سامحنى يا سيدى ؟

ـ وماذا كان الفرق بين الطبقين ؟

ـ لا شيء اكثر من اننى وضعت قطع اللحم فى طبقك الذى اكلته القطة ، بينما ملأت طبقها الذى اكلته انت بالشحم والجلد !

وهنا قال الكاتب الكبير وقد ارتسمت على وجهه ابتسامه عريضة : « تستطيعين ان ترتاحي بالا يا سيدتي ، فقد كان طبق الحساء الذى تناولته بالامس ، الذ طبق اكله فى حياتي ! » .

أمراض شائعة

بين الإنسان

أمراضٌ

يجب أن يحذر



■ هناك علاقة دائمة بين الانسان والحيوان منذ بدء الخليقة والى يومنا هذا .

فالانسان يتخذ من بعضها طعاما كالابقار والخراف والماعز والجمال ويستفيد من مستخرجاتها كاللبن ومشتقاته ، ويتخذ من بعضها راحلة له في حله وترحاله .

فالحصان مثلا تاريخه يحكي تاريخ وامجاد بعض الامم فقد استخدموه في تنقلهم وسفرهم وفي قنصهم وحربهم واتخذوه رمزا للقوة والباس ، ركبه الملوك في مواكبهم الرسمية محلى بالذهب والفضة وهو يجاريهم خيلاء وابهة واعتدادا بالنفس ولكنه مع ذلك لم يسلم من المصير المحتوم اذ ان بعض الامم استطابت لحمه ! وامم اخرى مجدته وقدسته ووضعته في مصاف الآلهة، فقل ان نجده غائبا عن تصاويرهم التي افتنوا فيها ايما افتنان واستعاروا لها من مخيلاتهم صوراً ذات بهجة والوان ، فكم من مرة نراه بغير الصورة المالوفة ، كاله الطب البيطري .

والحيوانات المنزلية تحظى بمكانة سامية في نفوس من يقتنيها ، فلا نكاد نجد منزلا يخلو من قط او كلب او عصفور في قفص ، وهناك حيوانات اخرى يحتفظون بها لينتفعوا بالبانها واصوافها كالماعز الذى ما زال محتفظا بصداقته مع كثير من الاسر في بعض البلدان حتى يومنا هذا .

ولكن هناك اضرار من هذه العلاقة ان لم تتبع

والحيــوان:
مشتركة
الانسان منها

بقلم : الدكتور
سليمان محمد السنوسي

ارشادات معينة فى طريقة معايشة الانسان للحيوان، اذ ان هناك عدة امراض تنتقل من الحيوان الى الانسان وهى ما نسميها بالامراض المشتركة بين الحيوان والانسان Zoonotic Diseases وقد عرف منها حتى الآن حوالى المائتين من الامراض.

والنـاس ينقسمون الى ثلاثة انواع حسب احتكاكهم بالحيوان او مستخرجاته .

النوع الاول من الناس هم الرعاة الذين تتطلب طريقة حياتهم ملازمتهم للقطعان ليلا ونهارا ـ فهم يعيشون معها ، يطعمونها ويسقونها ويحرسونها ـ ويحتكون بالمريض منها ولذلك ونتيجة لهذا الاحتكاك صاروا عرضة لعدة امراض تنتقل اليهم من حيواناتهم .

والاطباء عامة والبيطريون خاصة بحكم ملامستهم للحيوانات المريضـة وحيوانات المختبرات Laboratory Animals التي تحقن بميكروبات خطرة صاروا من اكثر الناس تعرضا للاصابـة بالامراض المشتركة .

والنوع الثانى من الناس هم العاملون بالمذابح ومصانع اللحوم والالبان ومشتقاتها ، وكذلـك العاملون بالدباغة ـ والاحتمال هنا كبير لنفاذ الميكروب اليهم بملامسة جزء مصاب من الحيوان لخدش في جسمهم او باستنشاقهم للميكروب كما يحدث للعاملين فى مصانع فرز الصوف عندما يكون الصوف حاملا حويصلات باكتير الحمى الفحميـة Spores of Bacillus anthracis فيصابون بمرض (فارزى الصوف) Wool Sorter Disease وهو نوع من الالتهابات الرئوية .

والنوع الثالث من الناس هم سكان المدن والعواصم الكبيرة وطريقة العدوى الى هؤلاء تاتي عن طريق اكل المنتجات ومستخرجات الحيوان ، كاللحوم والالبان والجبن والزبد ـ واكل الخضراوات التي تاتي من الريف والتي تكون قد تلوثت بافرازات بعض الحيوانات المريضة .

واحتمال العدوى كذلك ياتيهم مما يحفظون في منازلهم من قطط وكلاب وطيور فالكلب والقطة المسعوران شديدا الخطورة على جميع افراد المنزل ، والاطفال اكثر تعرضا لهذه الامراض من غيرهم لكثرة حملهم لتلك الحيوانات ومداعبتهم لها .

فكثيرا ما تنتقل بعض الطفيليات اليهم كالديدان الاسطوانية واخص منها دودة الاسكارس Ascarsis وربما يبتلع البعض منهم بعض البراغيث امثال البرغوث الذى يدعى Pulex Irritans وهو يحمل في كثير من الاحيان بويضات دودة اسطوانية تدعى بـ Toxocaracanis فى حالة الكلب و ـ Toxocara Cati فى حالة القطة ومن الامراض الخطرة التي تنتقل من طيور الزينة الى الانسان مرض « الاورنيثوسس » ـ Ornithosis وهو مرض يسببه فيروس قاتل ان اصاب الانسان ، وعلامة هذا المرض عند الطيور فقدان الحيويـة وفقدان الشهية مع اسهال وسيلان بالانف والفم .

انواع الامراض المشتركة بين الانسـان والحيوان :

تنقسم الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان الى ثلاثة اقسام حسب تضرر الانسان على حدة والحيوان على حدة او كليهما معا .

والقسم الاول من هذه الامراض هو ما يضر الانسان والحيوان على السواء . وخير مثال لذلك هو مرض السعر او داء الكلب Rabies او الخوف من الماء Hydrophobia وميكروب هذا الداء العضال فيروس حلزوني الشكل Helical ينتقل

من الحيوان المسعور الى الانسان عن طريق العض او الخدش بالاظافر وحقن بعض اللعاب الذى يكون به كثير من الميكروب في جسم الانسان ويسافر الفيروس عن طريق الاعصاب الى المخ حيث الموت المحتوم .

وخطورة داء الكلب تكمن فى عدم وجود اى علاج له حالة ظهور أعراض المرض ، واعراض داء الكلب تظهر بوضوح آكثر عند الكلب اذ انه يصاب بنوعين من السعار ـ النوع الهادىء ـ Dumby والنوع الشرس ـ Furious .

والنوع الهادىء تبتدىء الاعراض فيه برفضه للطعام والشراب والانزواء فى الاماكن المظلمة ويصيبه هزال شديد مع سيلان اللعاب باستمرار من الفم والانف وقذى بالعين يستحيل الى قشور صلبة Crusts فى نهاية تطورات المرض يعقب ذلك تشنج بالفكين واغماءة يعقبها الموت .

والنوع الشرس نجد الكلب المدلل قد صار شرس الطباع ينبح كل شيء يتحرك امامه حتى سيده الذى يطعمه . ويقضم باسنانه كل شيء يمد له حتى ولو كان ذلك الشيء عصاة محترقة ويصير يعوى عواء غريبا مزيجا بين النباح والعواء ـ Howl فى اشياء لا وجود لها وكأنه يدرى أن ثمة شيئا غريبا لا طاقة له باحتماله يسيطر على اعصابه وكيانه وكأنه فى حلم غريب ، ويضرب بالفلاة ويزهد فى معاشرة الانسان ـ ويسيل اللعاب بكثرة والقذى يبتدىء بالظهور فى العينين ثم تشنج بالفكين يتبعه بقية الجسم ثم الاغماء والموت .

وكثيرا ما يوجد الكلب المسعور ميتا وبين فكيه حجارة وقطع من اسلاك نال منها اثناء جنونـه وقبل موتـه .

والعوارض عند الانسان المسعور تبتدىء بحالة نفسية طابعها الخوف من شيء مجهول ثم صـداع حاد وفقدان للشهية والرغبة فى التقيىء مـع تحشرج بالحلق ويصحب ذلك عادة ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة وذلك بين درجة الى ثـلاث درجات فهرنهايت .

ومن العوارض التى تساعد على التشخيص وجود حساسية مفرطة لمكان العضة Site of Bite واعراض أخرى تتماشى مع اثارة العصـب السمبثاوى Sympathetic ومنها سيلان اللعاب وسرعة التنفس ، ثم يجد المريض بعد ذلك صعوبة بالغة فى البلع ولعل ظاهرة الخوف من المـاء Hydrophobia مكتسبة من الصوت الذى يحدثه الماء عند مروره بالحلق لينزل الى البلعوم ، يعقب ذلك حركات هستيرية يعقبها ارتخاء فى عضلات المريض ، ونظرة القلق الملازمة للمريض تتحول الى نظرة بلا معنى تميل الى الغباء ـ ثم الاغماء الذى ينتهى بالموت .

ومرض آخر مشترك بين الانسان والحيـوان ويحدث اضرارا بليغة بكليهما مرض الحمى الفحمية Anthrax عند الحيوان وهو ما يسمى بالجمرة الخبيثة عند الانسان Malignant Pustules وميكروب هذا المرض باكتير باسلى الشكل ذو حويصلات مقاومة للمناخات غير الصالحة .

وباستطاعة هذه الحويصلات أن تعيش عشرين سنة فى التربة ومن هنا كان خطرها عظيما فى المراعى على الحيوانات منتجعة الكلا .

والحمى الفحمية تتميز بارتفاع شديد فى حرارة الحيوان يعقبها موت مفاجىء مع نزيف دم اسود كالفحم من كل الفتحات الطبيعية فى الجسم ونتيجة للون الدم اكتسب المرض اسمه « الحمى الفحمية » وكلمة Anthrax معناها فحـم باللاتينى .

ويصاب الانسان بالجمرة الخبيثة هذه عند احتكاك بعض أجزاء جسمه المخدوشة Abraded بحيوان مريض أو استعماله لشيء من حيـوان مريض كفرشاة الحلاقة أو سرج من جلد حيوان مات بهذا المرض .

والسل Tuberculosis مثال ثالث للامراض التى تفتك بالانسان والحيوان على الســواء ، وينتقل الى الانسان عادة عن طريق استنشـاق الميكروب او لشرب لبن بقرة مصابة بسل فى ضرعها أو لاكل جزء مصاب بالسل من حيوان دون اجادة طهوه .

والقسم الثانى من هذه الامراض هو ما يتفرد منه الانسان دون الحيوان مثال الحمى الراجعة Undulant Fever والتى يسببها بكتـير بيضاوى الشكل بين الباسلى والعنبى Coccobacill يسمى بالبروسيلا Brucila Abortus .

وينتقل هذا الميكروب الى الانسان بملامسته لافرازات حيوان مصاب أو شرب لبنه ، والعجيب فى هذا الميكروب قدرته على اختراق الجسـم الصحيح غير المخدوش Non Abraded Skin كما انه يستطيع النفاذ للجسم عن طريق الاغشية

المخاطية للعين Conjunctiva وعوارض هـذا المرض عند الانسان نوبات من الحمى تعـاوده بين الفينة والاخرى .

وطريقة للعدوى بهذا المرض أخرى هى اكـل الخضراوات التى تاتى من الريف والتى سالت عليها بعض افرازات الأبقار المصابة .

وثمة فصيلة بكتير آخر من نفس المجمـوعة Species from some Genus يحدث الاجهاض عند الماعز ويسبب هذا الميكروب الحمى المالطية للانسان Malta Fever والنوع الثالث والأخير من سلسلة الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان والذى يتضرر منه الحيوان دون الانسان فمرض النيوكاسل Newcastle مرض وبائى قاتل بالنسبة للدواجن يسببه فيروس ـ والمزارع العاملة في هذا المضمار تخشى اكثر ما تخشى هـذا المرض اذ انه ريح لا تبقى ولا تذر غير أكوام من الطيور بين محتضرة وميتة ـ ويسبق هذا المرض انخفاض شديد في انتاج البيض هو نفير الخطـر واذان بالكارثة .

ومع ضراوة هذا المرض بالنسبة للدواجن فانه غير ذى بال بالنسبة للانسان ما عدا في بعض الحالات النادرة فانه يحدث تقيحات دموية طفيفة في اغشية العين،وذلك بالنسبة للعاملين بتلك المزارع لكثرة تعرضهم للفيروس المسبب لهذا المرض عند حدوث الوباء .

طرق الوقاية

بعد هذا السرد الموجز للعلاقة بين الانسـان والحيوان وانواع الناس المعرضين لهذه الامراض وكيفية انتقال العدوى اليهم وتقسيم انـواع الأمراض المشتركة نفسها ، بعد ذلك نأتى الى الطرق المثلى والتى يجب اتباعها للتقليل من حدة الاصابة بهذه الأمراض ـ فبالنسبة للنوع الأول من الناس وهم ـ كما ذكرنا سالفا ـ ما تحتم عليهم ظروف عملهم معايشة الحيوان ـ عليهم اتباع الارشادات الصحية في عملهم والتبليغ الفـورى عند حدوث أى من هذه الأمراض أو حتى مجرد الشك فيها للسلطات الطبية .

والتخلص من الجثث المصابة بهذه الأمـراض ، اما بحرقها أو بدفنها ورش أماكن موتها بالمطهرات Disinfectants القوية كالصودا الكاويـة Causticsoda والفورمالين Formalin .

ثم التطعيم المنتظم لبعض الأمـراض كالحمى الفحمية ، وانشاء المحاجر الصحية Qurantine وحجز المصاب من الحيوان فيها واعدام الميئوس من شفائه .

واجراءات الفحوص الاختبارية للحيوان لمعرفة اذا كان الحيوان يحمل المرض دون ابداء اى اعراض ومثل هذا الحيوان يسمى بالحيوان الحامل للميكروب Carrier ومثال هذه الاختبارات ، اختبار التيوبركلين في حالة مرض السل Tuberculin والبروسيلا .

وطريقة أخرى لمنع مثل هذه الأمراض هـى القضاء على الميكروب المسبب للمرض بعـلاج المصاب من الحيوان واعدام غير الصالح وحـرقه وبسترة الألبان Pasteurization أو غليها وطبخ الطعام طبخا جيدا لضمان قتل الميكروب ، والخضراوات والفواكه يجب أن تغسل غسلا جيدا قبل تناولها لا سيما تلك التى تؤكل طازجة بغير طبخ .

وبالنسبة للحيوانات المنزلية الأليفة كالكلاب والقطط والعصافير ، بالنسبة لتلك يجب أن تكون من النظافة بمكان ، وذلك يتسنى بالاستحمام المنتظم مع رشها بالمبيدات الحشرية غير الضـارة بالحيوان كالجامتوكس Gamatox وهو من مشتقات الجامكسين Gamexene وذلك لقتل ما يتعلق بها من قراد Tick وبراغيث Fleas .

والتطعيم المنتظم بالنسبة للكلاب والقطط ضد السعر ، وعرضها على الطبيب البيطرى في حالة حدوث أى مرض أو حتى مجرد الشك في هـذه الأمراض .

والصغار تفاديا لبعض هذه الامراض ، وجب علينا تعليمهم غسل أيديهم جيدا بالماء والصابون بعد مداعبتهم أو حملهم لكلابهم وقططهم ولا سيما مباشرة بعد الأكل .

وعلى الوالدين تنظيم حفظ هذه الحيـوانات بطريقة صحيحة وذلك بتطعيمها ضد الأمـراض الخطرة وعرضها على الطبيب البيطرى المختص بين الفينة والأخرى . ■■

سليمان محمد السنوسى
معمل الابحاث البيطرية
الخرطوم ـ السودان

السياحة في العالم العربي

بقلم : محمد طنطاوى

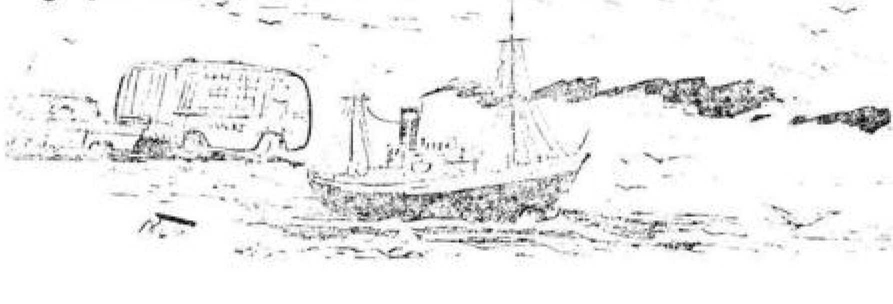
■ اصبحت السياحة من اهم الصناعات التى تهتم بها دول العالم كله . وبنظرة بسيطة على الاحصائيات السياحية تتضح أهمية السياحة بالنسبة للاقتصاد العالمي . ففي عام١٩٦٩ بلغ مجموع ما انفقه ١٥٣ مليون سائح سجلتهم الاحصائيات فى مختلف بلاد العالم ١٥ر٣٠٠ مليون دولار وذلك خلاف ما انفقوه فى وسائل النقل الدولية .

وقد بلغ نصيب دولة اوربية واحدة ، هي اسبانيا ، من هذا المبلغ ما يزيد على ٢٠٠٠ مليون دولار اذ بلغ عدد السياح الذين زاروها في عام ١٩٦٩ اكثر من ٢٠ مليون سائح . اما في الشرق الاوسط (وهو يضم اغلب البلدان العربية) فقد بلغ الدخل السياحي للمنطقة كلها ٢٠٠ مليون دولار في عام ١٩٦٨ اى اقل من عشر دخل اسبانيا وحدها في عام ١٩٦٩ وبلغ الدخل السياحى لدول اوربا كلها ٩١٠٠ مليون دولار في عام ١٩٦٩ .

وقبل ان نحاول ان نتعرف الى الاسباب المباشرة التى تعوق التطوير السياحي فى البلاد العربية .. يجب ان نذكر شيئا من اهمية السياحة بالنسبة لدول العالم ككل وبالنسبة للدول العربية على وجه التحديد ..

الاهمية الاقتصادية للسياحة الدولية

في مايو ١٩٦٩ انعقد مؤتمر الاتحاد الدولي للهيئات السياحية الرسمية Iuoto في صوفيا عاصمة بلغاريا .. وقد اعترف المؤتمر بالاهمية المتزايدة للدور الذى تلعبه السياحة في التقدم الاقتصادى والثقافي والاجتماعي والسياسي والتربوى بالنسبة للجنس البشرى .. واهميتها بالنسبة لتدعيم اواصر السلام الدولى . ودعا المؤتمر المجلس الاقتصادى والاجتماعي التابع لهيئة الامم المتحدة الى العمل على تاسيس هيئة دولية للسياحة العالمية تتبع هيئة الامم المتحدة وبذلك يمكن مساعدة الدول وخاصة النامية على



● ٢٠٠٠ مليون دولار دخل اسبانيا السياحي فى عام واحد، و ٢٠٠ مليون دولار دخل دول الشرق الاوسط كلها فى العام !!

● لماذا لم تستطع الدول العربية استغلال مقدراتها السياحية ؟!

تطوير صناعة السياحة فيها وهذا ينهض بها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

والسياحة بالرغم من كونها صناعة بلا دخان .. كما يحلو للكثيرين وصفها .. الا انها صناعة ضخمة ، ولها تاثير على البيئة قد يشمل نواحي اكثر من تاثير الصناعات الاخرى التى ترتفع مداخنها فى سماوات الدول الصناعية الكبرى ..

والسياحة لها تاثير اقتصادى مباشر ويتلخص هذا التاثير فى :

١ – خلق فرص للعمل لم تكن موجودة ، وبذلك تقضى على البطالة المكشوفة او المقنعة وخاصة فى البلدان النامية (المتخلفة) . ولنضرب مثلا :

عندما يتدفق السياح على بلد من البلاد .. فان هذا البلد يقوم بانشاء فنادق تتسع لهؤلاء القادمين .. وبذلك تنشط حركة البناء .. ولا يقتصر العمل على البناء بل يتعداه الى انشاء الطرق وتعبيدها .. ثم انتعاش الاماكن الترفيهية وانشاء الجديد منها .. وكذلك المطاعم .. ثم يتطلب ايضا انتاج محلات تبيع المنتجات التقليدية اليدوية التى يشتهر بها هـذا البلد .. وهذه الاعمال تستطيع استيعاب الكثير من الايدى العاملة .. وترفع من مستوى الاجور الذى يرفع الاقتصاد العام للبلد كله نتيجة لزيادة الانفاق المحلى .

٢ – تؤدى السياحة الى انتعاش الفنون الشعبية والفنون المسرحية والمهرجانات .. والمحافظة على الآثار التاريخيةالتى تعتبر منعوامل جذب السياح . وبذلك تصبح عملية الانفاق على هذه الوجوه التاريخية والثقافية عملية استثمار .

٣ – تقوم صناعة السياحة بجذب العملات الصعبة والعملات الاجنبيةالى اسواق البلاد وذلك يحافظ على ميزان المدفوعات ويكون له تاثيره



الاقتصادي على عملة البلاد خصوصا في الدول النامية التي يكون ميزان المدفوعات فيها على الاغلب مائلا الى غير صالحها .

أهمية السياحة الثقافية والاجتماعية

لقد اصبح العالم الذي تعيش فيه عالما صغيرا .. فالطائرات النفاثة والاسرع من الصوت تستطيع ان تقرب المسافات البعيدة .. وان تحمل الانسان من اقصى الشمال في العالم الى اقصى الجنوب في فترة زمنية لاتزيد عن ساعات .

وعندما يتدفق السياح على بلد ما فانهم يحملون معهم الى هذا البلد عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم .. ويحتك بالسياح فئة غير قليلة من اهل البلد احتكاكا مباشرا .. فخادم الفندق .. وسائق التاكسي .. وعمال المطار .. وبائع التحف ونادل المطعم كل هؤلاء لهم صلة مباشرة بالسائح .. ويكتسب هؤلاء جميعا خبرة باحتكاكهم بالسياح القادمين من مختلف انحاء العالم .

وفي نفس الوقت فان السائح نفسه يكتسب خبرة وثقافة عندما ينتقل من بلد الى بلد .. فهو يرى بنفسه على الطبيعة بلدا جديدا لم يكن يعلم عنه سوى ما قراه في كتاب او مجلة او نشرة سياحية .. يرى تقاليد جديدة .. يراها بعينيه ويلمسها عن قرب ، يرى شعبا لم يكن يعلم عنه شيئا .. سوى القليل او المشوه .. كل هذا يحمل في طياته التاثير الثقافي والاجتماعي والسياسي والنفسي للسياحة . فالسياحة لم تعد وسيلة من وسائل المتعة فقط ... بل اصبحت وسيلة من وسائل اتصال الشعوب بعضها ببعض ووسيلة من وسائل التثقيف والتاثير الاجتماعي والسياسي . وعندما ياتي السائح الى بلد اجنبي فانه يستطيع ان يتفهم احوال هذا البلد ومشاكله على الطبيعة .. ويرى ما لم يكن يراه من قبل .

والسائح عادة يرى ويلاحظ اشياء صغيرة قد لا يلاحظها ابناء البلد انفسهم .. وقد تؤثر هذه الاشياء الصغيرة ، والتي قد تبدو تافهة بالنسبة لابناء البلد ، تاثيرا حسنا او سيئا في نفسية السائح . وتترك لديه انطباعات تنعكس عندما يعود الى بلده ويتحدث عن رحلته وعن البلادالتي زارها الى اصدقائه ومواطنيه .

السياحة والوطن العربي

يحتل الوطن العربي ، مغربه ومشرقه ، موقعا سياحيا ممتازا فهو قريب من الدول الاوربية المصدرة للسياح ، وهو ايضا يقع على مفترق الطرق بين الشرق والغرب .. ويمتاز ايضا بمناخه المعتدل في الشتاء وسمائه المشرقة دائما ، كما ان لمعظم الدول العربية شواطيء تمتد الى مساحات طويلة على البحر المتوسط وعلى البحر الاحمر والخليج العربي .. وهي مميزات قلما تتوفر في بلد من البلدان .. ولا يقتصر الامر على هذا فقط .. بل توجد في الوطن العربي بمختلف بلدانه آثار مدنيات تاريخية عريقة يتردد ذكرها في كل كتب التاريخ في مختلف انحاء العالم . آثار الفراعنة واهرامات الجيزة في الجمهورية العربية المتحدة ، آثار بابل وآشور في العراق ، آثار الفنيقيين في لبنان ، آثار الكنعانيين والنبطيين في سوريا والاردن ، آثار الرومان في ليبيا ، آثار عصور ما قبل التاريخ في السودان .. ذلك علاوة على الآثار العربية والاسلامية الموجودة في كل انحاء الوطن العربي .

وعدا الآثار والجو والموقع الجغرافي وهي عوامل من اهم عوامل جذب السياح ، تتميز البلدان العربية بالمناظر الطبيعية الرائعة .. جبال لبنان تنافس في جمالها جبال سويسرا والالب ، نهر النيل في اعاليه في السودان وفي قرب مصبه بالجمهورية العربية المتحدة وما يحيط به من وديان وغابات ومناظر طبيعية ساحرة خلابة ، جبال شمال العراق والتي تنافس بجمالها المصايف الجبلية في اي بلد من بلاد العالم ، مصايف سوريا ، جزيرة جربة في تونس وبلدان المغرب العربي بجمالها وجوها الشرقي المثير لخيال السياح ..

كل هذا موجود في الوطن العربي .. فهو مشتى ومصيف في وقت واحد لما حباه الله به من موقع جغرافي فريد ..

ولكن هل استطاع العرب ان يستغلوا هذه المميزات ، التي حباهم بها الله والتاريخ ، الاستغلال السياحي والاقتصادي الصحيح ؟!

ان الاجابة على هذا السؤال هي ببساطة مؤلمة .. لا .

والدليل على هذا هو الاحصائيات السياحية

التي تقول ان دخل البلاد العربية كلها (بما فيها دول شمال افريقيا) من السياحة لا يكاد يصل الى ٤٠٠ مليون دولار في حين ان دخل دول اوربا من السياحة في عام ١٩٦٨ وصل الى ٨٦٢٠ مليون دولار .

لماذا لم تستطع الدول العربية استغلال مقدراتها السياحية ؟!

ويدعونا هذا الى التساؤل مرة اخرى عن الاسباب التي جعلت دول الوطن العربي لا تستطيع استغلال مقدراتها السياحية .. والاجابة على هذا السؤال ، اذا نحينا المشاكل السياسية التي تواجه المنطقة جانبا ، تتلخص في المشاكل التي تواجه الدول العربية في برامج التطوير السياحي وهي :

١ ـ الفنادق الرخيصة النظيفة

تعاني الدول العربية من نقص الاعتمادات المالية للانشاءات السياحية من فنادق الى طرق مواصلات الى مرافق سياحية اخرى كمعسكرات للخيام مثلا ، وبذلك تخلفت هذه الدول عن ملاحقة التطور العالمي في ميدان الانشاءات السياحية الذي لم يقف عند حد انشاء الفنادق الجديدة الرخيصة والنظيفة في نفس الوقت ، بل شمل الخدمات السياحية الاخرى المكملة لعملية انشاء الفنادق والموتيلات . وفي اكثر البلاد العربية لا يستطيع السائح من الطبقة المتوسطة (وهم اكثرية السياح في عصرنا هذا طبقا للاحصائيات) ان يجد فندقا رخيصا ونظيفا في نفس الوقت ، في حين ان بلاد اوربا كلها تتميز بوجود الفنادق الصغيرة النظيفة والتي يتمتع فيها السائح برخص الاسعار ونظافة الحجرات وهذا الامر على بساطته لم تعمل البلاد العربية على حله .

٢ ـ مستوى الخدمات الصحية

وصل مستوى الخدمات الصحية لكثير من الدول المصدرة للسياح الى مستويات اعلى من المستويات الموجودة في كثير من بلدان الوطن العربي . ودائما ما يتطلب السائح وجود خدمات صحية تماثل الخدمات التي يحصل عليها في بلاده ان لم تكن احسن منها . وهو يتردد كثيرا في السفر الى بلد يعلم ان الخدمات الصحية فيه غير متوفرة او اقل من المستوى الذي يرجوه . ويستغل اعداء العالم العربي هذا العامل بالذات لاخافة السياح من زيارة بعض البلاد العربية . وقد لمست هذا بنفسي عندما كنت في الولايات المتحدة الامريكية وسئلت اكثر من مرة عن صلاحية مياه النيل للشرب..او هل توجد في الجمهورية العربية مياه غير ملوثة ولا تؤدي للاصابة بالبلهارسيا ؟

٣ ـ نقص وسائل الاعلام السياحي

تتنافس دول العالم الآن على جذب السياح اليها باعتبارهم مصدرا من اهم مصادر تدعيم الاقتصاد القومي . ومن أهم وسائل جذب السياح الاعلام السياحي . وتقوم الدول المختلفة بفتح مكاتب اعلامية سياحية في اهم عواصم البلدان المصدرة للسياح . وهي تهتم بتزويد هذه المكاتب الاعلامية بالكتيبات السياحية الملونة المكتوبة بلغة البلد المصدر للسياح ، وتبين المميزات السياحية للبلد المعلن عنه ، واسعار الفنادق ومختلف المعلومات التي يهتم السائح بالحصول عليها قبل ان يقرر بدء رحلته .

وتعاني اغلب الدول العربية من نقص الدعاية السياحية ، وفي كثير من الاحيان من نقص كفاءة من يقومون بالاعلام السياحي لها في الخارج فكثير من الدول العربية لا ترسل للخارج من يمثلها من الفنيين ولكن من الاقارب او الاحباء الذين يريدون الاقامة في الخارج غرضا اول . وتعاني ايضا من الدعاية المضادة التي ينشرها اعداء الوطن العربي في الاسواق السياحية .

ومن أهم وسائل الاعلام السياحي الاعلام الذي يقوم السائح نفسه بعمله بعد انتهاء زيارته لبلد ما ، فهو يتحدث عن انطباعاته خلال رحلته الى اصدقائه واقاربه وزملائه في العمل .. فهو عامل من اهم عوامل الدعاية ولذلك يجب الاهتمام بكل سائح والعمل على ان يكون متمتعا باقامته في اراضينا وان نجنبه كل انواع المضايقات حتى يصبح هو نفسه معلنا عن بلادنا .

٤ ـ نقص الفنيين بين العاملين في ميدان السياحة

السياحة هي صناعة القرن العشرين . وكل صناعة تتطلب فنيين مدربين أحسن تدريب . والسياحة كصناعة تشمل كل ميادين الحياة ..

فهي تشمل سائق التاكسي ومدير الفندق ، وموظف الدولة في اي مرفق من المرافق التي لها اختصاص بالسياحة كموظفي الجوازات والجمارك والشرطة السياحية ، وشرطة المرور ، وغيرهم .

وتعاني الدول العربية عموما من عدم توفر الفنيين السياحيين المختصين سواء في اجهزة الدولة الرسمية او في القطاع الاهلي . وقد بدأت بعض الدول العربية في انشاء معاهد عليا للسياحة تقوم بتخريج جيل جديد مدرب على اساليب هذه الصناعة الحديثة ..

كما قامت ايضا بعض الدول العربية بحملات توعية سياحية لسائقي التاكسي والحمالين وموظفي الفنادق تبين فيها وسائل معاملة السائحين ..

٥ ــ نقص الطرق السياحية والمرافق

لم تعد عملية انشاء الفنادق الفخمة هي الوسيلة الوحيدة لجذب السياح . بل دخلت السياحة طورا جديدا في بداية الستينيات من هذا القرن اذ بدأ كثير من السياح يقومون برحلاتهم بالسيارات المجهزة للنوم Campers ، أو يبيتون في مخيمات انشئت في اماكن جميلة او على شواطيء البحر يتمتعون بالشمس والهدوء والاستجمام بأرخص التكاليف . وينقص البلاد العربية هذا النوع من المخيمات التي تستقبل هذا الجيل الجديد من السياح . كما ينقص البلاد العربية شبكة من الطرق السياحية التي تتوافر فيها الموتيلات الحديثة ، ومناطق التخييم .. وتربط ايضا بين البلاد العربية بعضها وبعض مما يجعلها وحدة سياحية واحدة ، وتسهل على السائح ان يرى اكثر من بلد عربي واحد في رحلة واحدة .

٦ ــ نقص وسائل الترفيه السياحي

السائح يبحث دائما عن الترفيه .. والدول السياحية تهتم بالترفيه عن السائح كل الاهتمام .. فهناك مهرجانات تقام في مواسم معينة من السنة في العديد من بلدان العالم.. ويهرع السياح الى هذه البلدان ليقضوا اياما ممتعة مع هذه المهرجانات..ولا يوجد في العالم العربي مهرجانات سياحية شعبية اللهم الا مهرجان بعلبك في لبنان وهو الوحيد من نوعه في الوطن العربي ، وله تأثير كبير على نشاط السياحة في لبنان . وكما يبحث السائح عن الترفيه فهو يريد الابتعاد عن كل المضايقات .. والسائح قد يتعرض لبعض المضايقات في بعض البلاد العربية .. مضايقات تفرضها بعض التقاليد القديمة والتي لم تتطور بعد . ومضايقات اخرى تفرضها بعض اللوائح والقوانين والروتين البالي ولا سيما عند مداخل البلاد. كلها مضايقات صغيرة ولكنها تؤثر تأثيرا كبيرا على نفسية السائح وتنفره من البلد الذي قد يتعرض فيه لمثل هذه المضايقات .

ومن الوسائل الترفيهية التي يمكن للبلاد العربية تقديمها للسياح هي تلك الوسائل التي تقوم على استغلال تاريخ العرب الحافل وتذكير السياح باجواء ليالي الف ليلة وليلة .. وكذلك المأكولات الشرقية والاجواء الصحراوية وهي اشياء تجذب السائح وتبهره .

ما هو المطلوب من الدول العربية لتنشيط السياحة ؟!

ان آلاف الملايين من الدولارات .. اقتصادنا النامي في اشد الحاجة اليها .. ودعاية لا تقدر بملايين ، سمعتنا الدولية وكياننا الدولي في حاجة ماسة اليها .. ملقاة تحت اقدامنا .. ولن يكلفنا الحصول عليها سوى ان نبذل قليلا من الجهد في ميدان السياحة الدولي . علينا ان ننفق بعض الملايين القليلة في انشاءات سياحية تساير متطلبات العصر الذي نعيش فيه ، وهذه ليست مشكلة امام امكانيات الدول العربية ورأس المال العربي . وعلينا ان نخلق وعيا سياحيا بين الشعوب العربية وبين كل العاملين في قطاعات السياحة المختلفة .. وذلك حتى نستطيع ان نجعل من كل سائح يأتي الى بلادنا خير داعية لنا . علينا ان نسهل للسائح دخوله وخروجه من اراضينا وان ننهي التعقيدات الروتينية التي قد تنفره من زيارة بلادنا ، علينا ان نوفر له خدمة نظيفة لائقة بأرخص الاسعار ، وطرقا مريحة لزيارة الآثار ، ومدنا سياحية على شواطئنا ، وعلى قمم جبالنا الشماء ، وأن نجعل بلادنا ملتقى انظار السياح صيفا وشتاء .

وبعدها سيفيض خير السياحة العميم على كل عربي في هذا الوطن الكبير . ■■

محمد طنطاوي





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

نزيف من الأنف !

● يعتريني من آن الى آخر نزول دم من انفي « رعاف » ، فما اسباب ذلك ؟ وما العلاج ؟ .

ــ أن للرعاف اسبابا عدة أهمها ضعف الغشاء المخاطي المبطن للأنف ، والذى يغطى الشعيرات الدموية ، ففي الأطفال كثيرا ما يحدث ذلك نتيجة لكثرة العبث فى الأنف ، وكثيرا ما يحدث ذلك اثناء الليل ، ويرى الدم وقد لوث الوسادة . وفى الكبار كثيرا ما تكون عندهم العادة السيئة فى العبث بالاصبع داخل الأنف ، مما يسبب تقرحات بالأنف والنزيف من الشعيرات الدموية من آن لآخر . والعلاج فى مثل هذه الحالات هو الابتعاد عن العبث فى الأنف ــ واذا كانت هناك منطقة ضعيفة بالأنف تنزف كثيرا، فمن الممكن مشاهدتها ، وتعمل عملية « كى » عليها فيمتنع النزف . وفى نوبة حدوث النزف فى الأنف يعالج المريض جالسا خوفا من نزول الدم فى البلعوم ومنه الى الرئتين . ويضغط على الأنف باصبعين الى ان يقف النزيف ، واذا لم يتوقف من الممكن وضع شريط من الشاش داخل فتحة الأنف على أن تمتلىء فتحة الأنف به ، ويترك بعض الوقت ، وفى بعض الحالات الشديدة والتي لا تتوقف بهذه الطرق السهلة ، يجب ذهاب المريض الى المستشفى حيث يعمل له حشو بشاش مع وضع محلول أدرنالين ١/١٠٠٠ ليوقف النزيف .



وهناك اسباب اخرى للنزيف تحتاج الى فحص شامل والتوصل للعلاج تبعا لكل حالة ، وهذه الاسباب هى : ــ

ا ــ ارتفاع ضغط الدم .

ب ــ فقر الدم الشديد .

جـ ــ بعض الحميات تكون مصحوبة بنزيف من الأنف مثل الحمى الروماتيزمية وحمى التيفويد .

د ــ بعض امراض الكبد ــ خصوصا تليف الكبد مع الهبوط فى عمل الكبد .

هـ ــ سرطان الدم الابيض . وبعض امراض الدم الاخرى .

ز ــ هبوط عمل الكلى .

من هذا يتضح انه من اللازم فحص حالات النزيف من الانف بكل عناية للتوصل الى المرض الذى يسبب ذلك ، وعلاج هذا السبب .

مضاعفات البول السكرى

● ما هى المضاعفات التي من الممكن ان تحدث من مرض البول السكرى ؟

ــ ان مريض البول السكرى معرض لمضاعفات كثيرة ــ وهذه تحدث اذا أهمل فى علاجه ، ولم يسمع لنصائح طبيبه ــ مما يجعل نسبة السكر فى الدم فى ارتفاع، وهبوط وهذا يساعد على حدوث المضاعفات .

وكذلك تحدث المضاعفات اذا استمر المريض لفترة طويلة دون علاج ــ لذا كان من الواجب على مريض البول السكرى مراجعة طبيبه والتقيد بنصائحه، لما فيها من فوائد جمة تعود عليه بالخير واهم هذه المضاعفات هي : ــ

اولا : تأثر الجهاز الدورى ــ بما فى ذلك القلب والشرايين . اذ ان نسبة دهنيات الدم بما فى ذلك الكوليسترول تزداد فى مرضى البول السكرى مما يجعلها تترسب فى الاوعية الدموية مسببة تصلب الشرايين . واذا حدث هذا كان

شلل عصب الوجه

● اصبت بتوقف الحركة فى الجهة اليمنى من الوجه ــ وقالوا لى ان هذا هو شلل عصب الوجه ــ فما هو هذا المرض وما العلاج ؟.

ــ هذا المرض هو المعروف بشلل عصب الوجه « شلل ربل » يحدث هذا المرض فى اى سن فى الصغار والكبار ، ولكن فى معظم الحالات يحدث عند البلوغ . والسبب المباشر غير معروف لكن هناك احتمال التهاب العصب بواسطة فيروس ، ويحدث المرض فجائيا ــ فيستيقظ المريض من نومه ويحس بالم شديد خلف الاذن ــ وبعد ذلك يحس بأن هناك تيبسا بعضلات الجهة المصابة من الوجه ، ولا يمكنه ان يغلق عينه ، ولا يحرك شفته ويتجمع الأكل فى الناحية المصابة من الوجه ، وتدمع العين المصابة، وفى بعض الحالات لا يحدث الالم ولكن يلاحظ المريض او يلفت انتباهه احد بأن وجهه به التواء ، واذا حاول الصفير لا يمكنه ذلك .

وفى معظم الحالات تبدأ الحركة فى الجهة المصابة بعد ثلاثة أو اربعة اسابيع، ويكون الشفاء تاما ، ويعود الوجه الى حالته الطبيعية فى ظرف ٤ ــ ٦ شهور .

فى الحالات الشديدة التي يتأثر فيها العصب تأثرا بالغا يأخذ العصب مدة اطول ربما تمتد الى سنتين ــ وفى هذه الحالة لا يكون الشفاء تاما بل يترك وراءه اثرا بسيطا فى الوجه ، وفى حالات نادرة لا ينمو العصب مرة ثانية ، ويبقى الوجه على حالة الالتواء ناحية الجهة السليمة تظهر واضحة عند القيام بحركة فى الوجه، وعند الابتسامة ، واحب ان الفت نظر السائل انه ليس معنى انه اصيب بشلل عصب الوجه ان ذلك بداية الشلل النصفي (الفالج) كما يعتقد البعض لان هذا ليس له علاقة بالشلل النصفى .

العلاج : يجب ان لا يتعرض المصاب للبرد ، ويلف غطاء حول الوجه ،ويلبس نظارة ليقي عينيه من الاتربة خصوصا

انسداد الشرايين فى اجزاء عديدة من الجسم خطرا يهدد مرضى البول السكرى ـ فاذا انسد الشريان التاجى اثر على القلب واذا انسد شريان فى المخ كان الفالج ـ واذا انسد شريان فى الاطراف كانت الفرغرينات .

ثانيا : تاثر الجهاز التنفسى : يكون مريض البول السكرى عرضة لالتهاباتفى الرئتين ـ وهذه تزيد من حدة المرض بالتالي ، وقد لوحظ ان نسبة حدوث الدرن الرئوى (السل الرئوى) تزيد



وانه لا يمكنه ان يغلقها فى بادىء الأمر ، ويعطى المسكنات كالاسبرين ، ووجد أن فيتامين ب يساعد على نمو العصب فيعطى على شكل حبوب او حقن . وفى بعض الحالات تعطى مركبات الكورتيزون ـ وعنوما يزول الألم ينصح المريض بتدليك الجهة المصابة من الوجه. وعندما تبدأ الحركة فى العضلات ، يجب على المريض ان يقوم بتحريكها عدة مرات امام المرآة ، حتى ينشط جميع حركات العضلات فتعود الى حالتها الطبيعية ـ وفى الحالات الشديدة التى لا تستجيب للعلاج بهذه الطريقة ـ تنبه العضلات بالتيار الكهربائي بجهاز خاص ، وفى الحالات التى لا تتحسن بعد مرور فترة طويلة ، ربما يستعان بعملية جراحية للتجميل ، ليرجع الى الوجه شكله الطبيعي قدر الامكان .

فى مرضى البول السكرى اذا لم يتقيدوا بالعلاج .

ثالثا : تاثر الكلى : كثيرا ما يحدث التهاب فى المجارى البولية ، وهذا يساعد على زيادة حدة المرض ـ وفى بعض الحالات المزمنة تتاثر الكلى كثيرا مما يجعلها تفقد زلال الدم ويحدث ورم فى الجسم مع ارتفاع فى ضغط الدم وظهور زلال فى البول بكميات كبيرة .

رابعا : تاثر الجلد : فيحدث به التهابات عدة خصوصا حول الاعضاء التناسلية ـ وفى بعض الحالات الشديدة تحدث الحمرة وهي التهاب شديد فى الجلد يؤول التهابه الى خراج كبير ذو فتحات عدة يخرج منها صديد .

خامسا : التهاب الاعصاب الطرفية مما يجعل المريض يحس بضعف شديد فى اطرافه ـ مع تنميل وتخدير بها وفقدانه الاحساس فى الطرف المصاب .

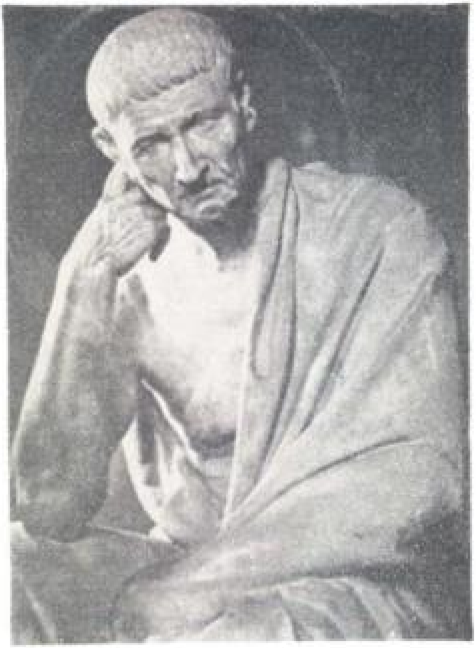
سادسا : تاثر العينين وهذه تظهر فى تاثر عدستى العينين ـ وفى الحالات الشديدة غامات فى العدستين ـ ثم تحدث داخل العينين مما يؤثر على حاسة الابصار .

سابعا : تاثر الحوامل بالمرض . فنسبة الاجهاض فيهن عالية ـ ونسبة وفيات المواليد عالية .

ثامنا : نوبات غيبوبة السكر ـ يحدث أن ترتفع نسبة السكر فى الدم الى درجة عالية مع وجود مواد كيتونية Ketones تساعد على حدوث الغيبوبة ـ فيحدث القىء الشديد وفقدان سوائل الجسم ثم يذهب المريض فى غيبوبة لا يفيق منها الا اذا انخفضت نسبة السكر فى الدم وقلت المواد الكيتونية . ■■

ارسطو ورأيه

بقلم : على ادهم



■ من الكتب التي كان لها تاثير بعيد المدى فى النقد الادبي عند نقاد الغرب كتاب ارسطو عن الشعر ، فما هو أصل الفن عند ارسطو ، وما غايته ؟ وهل يرمى الفن الى خلق الاحساس بالجمال الحسن الوقع فى النفس فحسب ؟ واذا لم يكن هذا هو هدفه فما هدفه اذن ؟ وماهو جوهر الفن ، وماذا يفعل الشاعر حينما يصور فى شعر غنائي آلام الحب ومسراته ولواعج الشوق وتبريحاته ؟ وماذا يصنع المصور الذى يقدم لنا صور المناظر الطبيعية الرائعة ؟

الفن عند الاغريق كان قائما على المحاكاة

الغالب على تفكير العصر الحديث ان جوهر الفن هو خلق المثل العليا لأن الانسان فى حاجة ماسة الى مطالعة ما يسمو على الواقع الحائل اللون الذى مللنا رتوبه ، ولكن الاغريق القدامى كان لهم رأى آخر ، فالفن كان عندهم قائما على محاكاة ما نراه فى واقع الحياة ، فالتصوير والشعر والمسرحيات والقصص والروايات ليست سوى صور مطابقة للاصل الذى يقدمه لنا الواقع ، والفنان يستملى وحيه من هذا الواقع ، ويرجع اليه فى تصويره ، ويعمل على ان يكون امينا فى محاكاته .

واساس الفن فى راى ارسطو هو المحاكاة ، ولكن مذهب المحاكاة كان معروفا عند الاغريق قبل أن يقول به ارسطو ، وقد عرفه قبله سقراط ، وايده وبنى عليه احكامه افلاطون ، وقد استخلص منه

افلاطون نتائج حملته على ان يهاجم الشعر ، ويتنكر للفن ، ويوحي باخراج الشعراء من جمهوريته .

الفن عند افلاطون ملهاة كبيرة الثمن

ولم يكن افلاطون رجلا حالما ، وانما كان يرى ان الفرد يجب ان يكون قبل كل شيء نافعا للدولة وان يعمل على ان يعيش عيشة نبيلة مجيدة ، ويسهم فيما يعود على الناس بالخير ، وكان ينظر الى العلم والفن لا من الوجهة العلمية الخاصة ، او من الوجهة الفنية المحضة ، وانما من الوجهة الاجتماعية الاخلاقية ، وعنده ان الانسان لم يوجد للعلم والفن ، وانما العلم والفن وجدا من اجل الانسان ، وان على العلم والفن ان يكونا في خدمة الانسان ، وكان له من اتجاه اهل عصره الى الاسراف في التعلق بالفن شفيع وعذير فيما قد يبدو في كتاباته من تحامل على الفن بوجه عام ، وعلى الشعر بوجه خاص . والفن عند افلاطون ملهاة ثمينة باهظة التكاليف ، تستلزم وقتا طويلا ممن لا عمل لهم غير معاناته ، والتفاني في الاستجابة لرغباته .

عند افلاطون الفن فنان فن عمل نافع وفن جميل قليل النفع

وكان افلاطون يرى أن هناك نوعين من الفنون ، فن منتج وفن محاكاة ، او حسب المصطلح الحديث فن عملي تكني وفن جميل ، فالاول ينتج الاشياء اللازمة للحياة والنافعة للناس ، مثل الالات اللازمة للزراعة والصناعة ، والالات اللازمة للرياضة التي تمنح مباشرتها القوة ، ومثل تحضير الادوية والعقاقير الطبية التي تساعدنا في الاحتفاظ بالصحة الحسنة وتذود عنا غوائل الامراض والعلل ، وكل هذه الصناعات جديرة بالتقدير ، وخليقة بالعناية والاهتمام ، اما فنون المحاكاة ، ولنسمها الفنون الجميلة ، فاى غرض تخدم ؟ انها تسر النفس ، وتشرح الصدر ، ولكنها قليلة النفع ، فهي من قبيل الالعاب ووجوه التسلية والترفيه عن النفس ، وليس لها كبير قيمة في راى الناس الجادين ، وقد يرد على ذلك بان الاستمتاع بطرائف الفن له فائدة عظيمة للانسان ، لانه يسمو بنفسه ، ويصقل ذوقه ، والارتياح الذى يبعثه الفن في نفس الانسان يجعله اكثر قابلية للعطف على اخوانه البشر ،

في الشعر

الفن عند أفلاطون ملهاة ثمينة باهظة التكاليف .

والانسان بعد خروجه من أحد متاحف الفن ، او بعد مشاهدته تمثيل احدى المسرحيات يشعر بان آفاق نفسه قد اتسعت ، وبانه اكثر ميلا الى معاونة اخوانه البشر من الرجل المنحرف المزاج . والفنان لايعنى بالمحتوى الداخلى وانما يشغل نفسه بالظواهر الخارجية ، وهو يكتفي بالمعرفة السطحية للاشياء ، لانه لايحاكي سوى المظهر الخارجي . والطبيب يعرف بناء جسم الانسان ولكن الفنان يجهل ذلك ، والشاعر مثله لايعرف الحياة الانسانية معرفة صحيحة ، ولاتتيسر هذه المعرفة الا بعد دراسة عميقة مستوعبة ، اذ لا تكفي اللاحظات

السريعة والخواطر العارضة . والمصور والشاعر لايعرفان شيئا عن طبيعة ما يحاولان محاكاته ،فهما يخبطان في الظلام ويسيران بدافع الغريزة ،ويزعمان انهما يتبعان ما يلهمهما به الوحي الخفي ،والهاتف الداخلي .

ويشتد افلاطون في حملته على الفن لانه يراه قليل النفع للانسان .

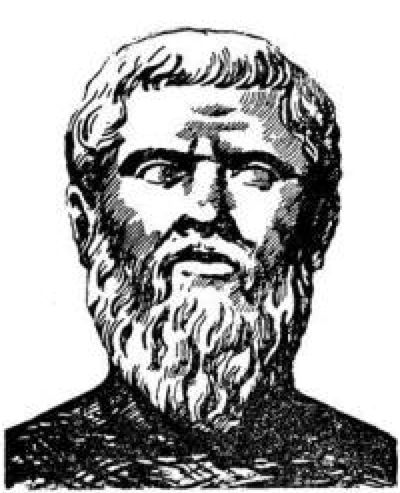
والعلم هو مستودع تجارب الانسان ، ولكن الكشوف العلمية لا يفيد منها الناس الا اذا انتشرت وعم نفعها ، والحقائق العلمية تستلزم معرفة سابقة ،وتفكيرا جديا قد لايستطيعه الكثيرون، ولتمكينهم من استساغتها يقتضي الامر ان نعرض عليهم تلك الحقائق في صور مبسطة ، وقراءة القصص والروايات تتكفل بهذه المهمة ، لا لان كتابها تعمدوا القيام بهذه المهمة بل لانهم اسمى ثقافة ، واقرب الى ادراك قيمة الحقائق العلمية من جمهرة القراء ، ويستطيع عدد كبير من الناس ان يزيدوا معلوماتهم ، ويوسعوا نطاق ثقافتهم من طريق الاستمتاع بقراءة القصص والروايات ، والاشعار والمسرحيات وهذا يبين ان لفنون الادب قيمة تعليمية برغم انتقاص افلاطون للشعر والفنون قاطبة .

ارسطو ربط بين محاكاة الفن والظمأ الى المعرفة

والمحاكاة التي عدها افلاطون اول ما يعيب الفن ويزرى بقيمته في رأى ارسطو هي اول ميزاته ، واجل خصائصه ، فالميل الى المحاكاة له علاقة مباشرة بالظمأ الى المعرفة ، والرغبة القوية في المعرفة تحثنا على الموازنة بين الاصل والصورة . وتستدعى هذه الموازنة دراسة الموضوع والاحاطة به ، وهذا هو سر المتعة التي نجدها في الفن في رأى ارسطو ، فالفن اذن قوى الصلة باسمى تطلعات النفس الانسانية ، والمعرفة عند ارسطو اسمى من الحياة ذاتها ، والتفكير النظرى اسمى من الممارسة العلمية . ومثل هذا اللون من التفكير يتجه اليه الذين يرون ان المعرفة اهم اغراض الحياة ، وهذا التفسير لاصل الفن يمنحه مكانا ساميا بين مجاهدات الروح الانسانية . ويخالف بعض النقاد المحدثين ارسطو في ربطه الميل الى المحاكاة بطلب المعرفة،ويرى هؤلاء النقاد اننا نحاول المحاكاة لا لاننا نريد ان نتعلم شيئا ، وانما نحاولها لاننا نريد ان نصنع شيئا ، فالمحاكاة نشاط عملى ، وليست محاولة فكرية ، وحقيقة اننا في بعض الاحايين نقرأ الاشعار لنتعلم منها اشياء عن الطبيعة البشرية ، وخفايا النفس الانسانية ، ولكن ليس هذا هو الدافع لقراءة الاشعار في معظم الاوقات ، والشاعر لم يقرض الشعر لانه يريد ان يوضح لنفسه مشكلة ، او ان يعالج قضية من قضايا الفكر ، وانما نظم القصيدة بدافع الرغبة في المحاكاة كما كان يقول القدماء او الرغبة في الخلق كما يقول النقاد المحدثون ، والاعجاب بهذه الموهبة الخلاقة هو منبع الارتياح الذى تبعثه في نفوسنا الطرف الفنية .

ارسطو يفاضل بين الشعر بحسبانه فنا ، والتاريخ

والشعر في رأى ارسطو يصور الحياة البشرية من وجهة نظر عامة ولايمثل تفاصيلها القليلة الاهمية ، وانما يقتصر على توضيح ماهو جوهرى. وعناية الشعر بتصوير خصائص الحياة الجوهرية واغفال ماليس له قيمة ولا دلالة تجعل له قيمة فلسفية ذات شأن ، وهو من هذه الناحية اسمى من التاريخ في رأى ارسطو ، والتاريخ يصف الخصائص الجوهرية والاشياء غير الجوهرية والتي ليست لها اهمية داخلية ، والشعر اسمى من التاريخ كذلك من ناحية انه يمثل الاحداث في ترابطها الداخلي ، في حين ان التاريخ يعرض الاحداث دون ان يكون بينها اتصال وثيق ،ويحتوى التاريخ على تفاصيل كثيرة خالية من الدلالة والاهمية ويقول ارسطو في ذلك « ليست وظيفة الشاعر ان يروى لنا ماحدث ، وانما وظيفته ان يروى لنا ما يمكن حدوثه تبعا لقانون الاحتمال او الضرورة . وليس الفرق بين المؤرخ والشاعر ان الشاعر يستعمل الوزن والمؤرخ لايستعمله ، فكتاب هيرودوت يمكن ان ينظم ولكنه يظل مع ذلك تاريخا، والفرق بين التاريخ والشعر ، ان التاريخ يروى ماحدث ، في حين ان الشعر يروى ما كان يمكن ان يحدث ، وكذلك كان الشعر اعمق واكثر دلالة



ارسطو
فضل الشعر على التاريخ

من التاريخ ، والشعر يروى العام والكلى فى حين ان التاريخ يهتم بالخاص والجزئي ، والعام هو ما يمكن ان يقوله انسان معين أو ما يمكن ان يفعله تبعا لقانون الاحتمال او قانون الضرورة » .

ارسطو فضل الشعر على التاريخ الذى كان قائما فى عصره

ويبدو لي ان راى ارسطو في المفاضلة بين الشعر والتاريخ وترجيح الشعر على التاريخ كان قائما على صورة الكتابة التاريخية التي كانت موجودة فى عصره ، وكانت اقرب الى الحوليات منها الى الكتابة التاريخية الحقة وكتاب هيرودوت فى التاريخ ينقصه الترابط والتماسك ، وهو حافل بطرائف الاخبار ، وقد حاول هيرودوت ان يكتب تاريخ حرب الفرس والاغريق ، ولكنه لم يبدأ قصة تلك الحرب الا فى الجزء السادس من الكتاب ، وقد حدثنا عما عرفه عن تاريخ الاقوام الذين عرفهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وقد اعلن الفرس الحرب على المصريين ، ويغتنم هيرودوت هذه الفرصة ليفيض فى الحديث عن المصريين ،كما اعلن الفرس الحرب على السكوتيين Scythians ويتيح له ذلك الفرصة للتحدث عن السكوتيين وتاريخهم ، ويتخلل ذلك روايات شتى سمعها من القساوسة والرهبان ، فهو راوى قصص مسلية ، وطرائف شائقة ، ولكن كتابه ينقض البناء المحكم ، والتماسك المنطقي . والمؤرخ اليوناني ثوسيديدز Thucydides كاتب حوليات تدل على سعة المعرفة وعمق التفكير ، ولكن مايرويه كذلك ينقض الترابط المنطقى ،واتباع هذه الطريقة فى كتابة التاريخ يجعل المؤرخ عرضة لان يوجه اهتمامه الى تفصيلات قد لايكون لها اهمية تستحق الذكر . ولم يكتسب التاريخ الصبغة العلمية الا فى العصر الحديث ، وكتابة المؤرخين المحدثين تمتاز بالتسلسل المنظم ،والترابط المنطقى ، وهي خالية من التفصيلات التي لا اهمية لها ، وتحوى الحقائق الهامة التى لها دلالة عامة ، كالحقائق التى كان يريدها ارسطو . وهي الحقائق التى توضح خصائص العصر ومميزاته . ولا احسب ان راى ارسطو فى التاريخ يصدق على مثل طريقة جيبون Gibbon فى كتابه عن سقوط الامبراطورية الرومانية ، او غيره من المؤلفات التاريخية الممتازة التى ظهرت في العصور الحديثة مثل مؤلفات مومسن وكارلايل وميشليه ورينان وغيرهم من كبار المؤرخين المحدثين .

ارسطو عنده الشعر اربعة انواع

وقد قصر ارسطو الشعر على اربعة انواع،وهذه الانواع الاربعة تتألف منها مجموعتان بينهما روابط تاريخية وفنية ، وقد ابتدا الشعر فى نوعين ، كما ان البواعث عليه تسير فى اتجاهين ، فهو يبدأ اما شعرا حماسيا وهو الذى يتمثل فى الملاحم ، ومن شعر الملاحم تنشأ المأساة . واما شعرا هجائيا ، ومن الشعر الهجائي نشأت الملهاة . والملاحم من الناحية التاريخية اقدم من المآسى ، كما ان شعر الهجاء كان اسبق من الملهاة ، ولذلك رأى ارسطو ان ظهور المأساة والملهاة يمثل تطورا هاما فيالشعر جديرا بان يسلط عليه الضوء ،ويركز عليه البحث،

وقد اغفل ارسطو الحديث عن الشعر الغنائي ، ويعلل الناقد ابركرومبي Abercrombie ذلك بان شعر الغناء كان مرتبطا بالوسيقى ، وارسطو ينص على ان اداة الشعر الكلام .

مفهوم المحاكاة عند افلاطون

ويختلف مفهوم المحاكاة عند ارسطو عن مفهومها عند افلاطون ، ومفهوم المحاكاة عند افلاطون متصل برأيه المشهور في نظرية المثل ، وهو يضرب مثلا لذلك بالسرير الذى يصنعه النجار ، فهذا السرير محاكاة لفكرة السرير الموجودة في المثل ، فاذا جاء المصور ورسم صورة لهذا السرير فانهذه الصورة تعد منقولة عنالصورة التيصنعها النجار ، وعلى هذا النمط سار افلاطون في تفكيره عن الشعر ، فالشعر في رأيه قائم على محاكاة المحاكاة ، فهو من ثم شيء لا لزوم ، ولا فائدة ترجى منه ، والعمل الجدير بالرجل العاقل هو ان يعنى بالحقائق التى تكتسب مزيتها من الافكار التى تمثلها .

مفهوم المحاكاة عند ارسطو

والمحاكاة عند ارسطو ليست محاكاة خالصة او تقليدا اعمى ، والهدف الذى يرمى اليه التقليد الشعرى هو اعمال الناس ، والمقصود بذلك الحوادث التى لها صلة بالانسان وحياته ، اى القصة في اوسع معانيها ، وابرز العناصر في كل قصة هو بطبيعة الحال العنصر البشرى ، وبذلك اصبح من الميسور تقسيم المحاكاة الادبية بحسب طبيعة العنصر البشرى ،والناس في العادة يوصفون بانهم اشرار او اخيار ، والشعر يتناول تصوير الناس بصورة خير مما هم عليه ، او بصورة شر مما هم عليه ، او مطابقة لما هم عليه . وارسطو لايحفل بهذا الاحتمال ويتجاهله ، ويقصر بحثه على الحالة الاولى والحالة الثانية ، فالشعر الذى عنى به هو الذى يحاول تصوير الناس في صورة خير مما في الحياة ، او بصورة شر مما في الحياة ، والصورة الاولى هي الشعر الجدى ، والصورة الثانية هي الشعر الهزلي ، وهذا هو اساس تقسيمه الشعر الى شعر الماساة وشعر الملهاة ، واتباعا لهذه الاعتبارات قد يكون الشخص في الماساة خيرا منه في الحياة العادية ، وقد يكون الشخص في الملهاة شرا مما نراه في مالوف الحياة .

وليس معنى هذا ان اشخاص الماساة يكونون دائما من الناحية الاخلاقية اسمى من سائر البشر، وانما المقصود انهم اقوى تاثيرا في النفس .ويمكن ان نستخلص من ذلك ان المحاكاة الشعرية ليست محاكاة خالصة ، لانها اذا كانت كذلك لما استطاع الشعر ان يقدم لنا صورة خيرا من الاصل او شرا منه ، وواضح من ذلك ان الشعر لايحاكي الطبيعة، وانما يصور ما يتمثل في خيال الشاعر ، ولاحاجة بالشاعر الىاعطاء صورة مماثلة للطبيعةكل المماثلة، لان الطبيعة ماثلة امامنا في كل حين ، فالشعر اذن في رأى ارسطو ليس من قبيلالمحاكاة التي تصورها افلاطون ، وانما هو يقدم لنا عالما خياليا يمثل احتمالات لما يمكن ان يوجد في الطبيعة ، والشعر يصور الحياة كما يمكن ان تكون ، وهذا مما يفسح المجال للخيال ، ويمكنه من ان يمارس وظيفته . ولو اقتصر عمل الخيال على استبعاد النواحي التافهة التى لا دلالة لها في الواقع لكان هذا كافيا في توضيح ان الشعر لايقدم صورة منقولة نقلا حرفيا عن واقع الحياة ، وهو الامر الذى جعل افلاطون يحمل حملتهالمعروفةعلىالشعر والشعراء. والحقيقة ان ما يسميه ارسطو المحاكاة في الشعر هو لون من الوان البراعة الفنية والقدرة على الصياغة والتاليف او الخلق كما يعبر عنهالمصطلح الحديث .

افلاطون يعيب الماساة وارسطو يراها جد نافعة

وقد اتهم افلاطون شعر الماساة بانه يشجي الشاعر ، ويستدر الدموع ، وعد ذلك من عيوبه ، وقد استطاع ارسطو ان يفند هذا الراى بنظرية التطهير التى اوضحها في كتابه عن الشعر . وعند افلاطون ان بطل الماساة حينما يندب سوء حظه ، ويشكو ماحل به من الكوارث ، يضرب للناس مثلا سيئا في انحلال عقدة الصبر ، واظهار الضعف تلقاء الحوادث ، والانسان في الحياة العادية لايعجب بالرجل الذى يسرف في الشكوى ،ولايكف عن عرض احزانه على جيرانه واخوانه ، ويكبر

الرجل الجلد الصبور الذى يثبت للاحداث ويناى بنفسه عن ان يكون موضعا للرثاء واستدرار العطف . واذا سمحنا لانفسنا بالاسترسال فى مشاركة ابطال المأساة احزانهم فقدنا السيطرة على مشاعرنا ، وضعفت عزيمتنا ، وعجزنا عن احتمال ما يصيبنا من الالام ، وبذلك تصبح المأساة سيئة الاثر في النفس ، وموهنة لسيطرة العقل . ويسلم ارسطو بما تثيره المأساة من الانفعالات فى النفس ، ولكنه يرى ان هذه الاثارة جد نافعة ، لانها بمثابة التطهير للنفس . والمأساة في راى ارسطو تثير انفعالين ، وهما شعور الرافة والخوف ، وهما انفعالان موجودان فى جميع افئدة البشر ،بينهما رابطة قوية ، فقد يستتر الخوف وراء الرافة .

ويرى بعض شراح نظرية ارسطو انه ربما كان يشير بذلك الى نظرية من نظريات الطب كانت معروفة فى عصره ، كما راى بعض هؤلاء الشراح ان ارسطو ربما يكون قد اتجه الى هذه الفكرة لما لاحظه من تاثير الموسيقى فى شفاء بعض الاضطرابات العصبية ، وكانت هناك انواع خاصة من الموسيقى تجدى فى تهدئة الاضطرابات العصبية ، وقد كشف علماء النفس المحدثون ان بعض العقد النفسية المستعصية تخف حدتها وتعالج عن طريق الاستهداف للانفعالات العنيفة التى تثيرها الضجة المدوية او الموسيقى الصاخبة ، وقديما قال ابو نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

وقد استهل الشريف الرضى احدى قصائده الرائعة بقوله .

اسل بدمعك وادى الحي ان بانوا
ان الدموع على الاحزان اعوان

وكان فى الطب اليونانى راى يقول ان كل جسم يجوز استخراج ما به من مادة غريبة بان يعطى مادة تشابهها بمقادير خاصة كما يقول الناقد ابركرومبى Abercrombie ، وعنده ان هذا يشبه التطعيم ضد الامراض فى الطب الحديث ، والمأساة ـ مجاراة لهذا الراى ـ تبرىء النفس من شعور الخوف والرافة ، لانها تثير فى النفس هاتين العاطفتين ، وهذا يعد من أهم مزاياها ،وهو مصدر الارتياح الذى نستشعره بعد حضور تمثيل المآسى ، او بعد قراءة الشعر الذى تغلب عليه النغمة الحزينة بوجه عام ، مثل رباعيات عمر الخيام ، ولزوميات ابى العلاء ، وشعر الغزل الذى يصف ما يعانيه المحبون من روعات الفراق ولواعج الاشتياق ، وقصائد الرثاء الذى تصف مايصيب النفس من الالام المبرحة حينما تفجع فيمن يعز عليها فقدهم من الاقارب الاعزاء والاصدقاء الاوفياء ، ويقول ابركرومبى (١) لعل ملتن Milton اول كاتب انجليزى قام بشرح هذه النظرية وايضاحها ، فقد ذكر فى مقدمته لمنظومته المعروفة عن شمشون الجبار « ان المأساة هي اكثر انواع الشعر نفعا » ويستدل على هذا الرأى بكلام ارسطو فيقول « ولهذا قال ارسطو عنها بانها حين تثير شعور الرافة او الخوف والرعب فانها تطهر الروح من هذه العواطف اى تعدل منها، وتنقصها الى القدر اللازم مع ارتياح النفس عند مطالعة او مشاهدة هذه العواطف مقلدة تقليدا متقنا . والطبيعة تثبت صحة ما ذهب اليه ، ففي الطب تستخدم الاشياء ذات الصفة اللمفاوية لمعالجة الامراض اللمفاوية ، ويستخدم الحامض ضد الحموضة ، والمالح لاستبعاد الملوحة وهنا نرى الاراء التي كانت سائدة فى القرون الوسطى عند الطب اليوناني ، ولكن لاشك فى ان ما ذهب اليه ملتن صحيح فى ان ارسطو كان يرى انوظيفة المأساة شيء يشبه الطب ، والذى تتضمنه المأساة من الرافة والخوف هو العلاج الذى يستطيع به شاعر المآسى ان ينظف نفوس سامعيه ، ويعيدهم الى العاطفة الصحيحة بطريق التطعيم »

وبرغم ما وجه الى آراء ارسطو فى كتابه عن الشعر من نقد ، فانه لايزال من المراجع المأثورة فى النقد الادبي والفلسفة الجمالية .

■■

علي أدهم

---

(١) راجع صفحة ١٢٣ وصفحة ١٢٤ من كتاب« قواعد النقد الادبي تأليف لاسل ابركرومبى Lascelles Abercrombie وترجمة الدكتور محمد عوض محمد .

طرائف

أمن العقوبة

● روى ان امير المؤمنين على بن ابى طالب دعا غلامه قمبر فلم يجبه ، فدعاه ثانية وثالثة فلم يجبه . فقام اليه فرآه مضطجعا فقال : اما تسمع ندائى ياقمبر ؟ فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابى ؟ فقال : امنت عقوبتك فتكاسلت فقال : امض فانت حر لوجه الله .

اتيتك مستنجد

● اعترض رجل عمر بن هبيرة يوما فى الطريق فقال : يا امير العرب انى طالب الحج . فقال : دونك الطريق سهّل الله لك . قال : انى عاجز عن المشى . قال : اعتقب يوما وامش يوما .

فى الحرب والسلام

● قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدى كرب : اخبرنى عن السلاح قال : سل عما شئت . قال : الرمح . قال : اخوك وربما خانك . قال : النبل . قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : الترس . قال : ذلك المِجَنّ وعليه تدور الدوائر قال : الدرع . قال : مشغلة للراجل متعبة للفارس ، وانها لحصن حصين ، قال : السيف : قال : قارعتك امك على الثكل . قال عمر : بل امك . قال : اخبرني عن الحرب ، قال مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلِف . وهي كما قال الشاعر :

الحرب اول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضِرامها ... عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزّت راسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيل

دعه فى النار

● مات احد المجوس وكان عليه دين كبير فقال بعض غرمائه لولده : لو بعت دارك ووفيت بها دين والدك ؟ فقال الولد : اذا انا بعت داري وقضيت بها عن ابي دينه فهل يدخل الجنة ؟ فقالوا له : لا . قال : فدعه فى النار وانا فى الدار .

عربية

مستفتيا

قال: لست أملك ما اشترى به ولا ما اكترى
قال: فقد سقط عنك فرض الحج لفقرك.
قال: يا امير العرب اني اتيتك مستنجدا لا مستفتيا، فضحك وامر له بخمسة آلاف درهم.

كف لسانك الا من خير

● جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال: اطعم الجائع، واسق الظمآن، وامر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر. فقال الاعرابي لا استطيع ذلك فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم كفَّ لسانك الا من خير فانك بذلك تتغلب على الاهواء.

مواعيد عرقوب

● كان عرقوب رجلا من العمالقة، فأتاه اخ له يسأله شيئا يعطيه من ثمار نخله. فقال له عرقوب: اذا طلع نخلي. فلما طلع اتاه فقال له: اذا ابلح. فلما ابلح اتاه. فقال اذا زها، فلما زها اتاه فقال: اذا ارطب. فلما ارطب اتاه فقال: اذا اتمر، فلما اتمر جزه ليلا ولم يعطه شيئا. فضربت به العرب المثل في خلف الوعد.

دهاء

● خلا المنصور يوما مع يزيد بن اسيد فقال يا يزيد: ما ترى في قتل ابي مسلم، فقال: ارى ان تقتله، فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي.

فنفر منه المنصور ثم قال: قطع الله لسانك اتشير علي بقتل انصر الناس واثقلهم على عدونا، اما والله لولا حفظي لما سلف منك لضربت عنقك.

فقام من مجلس المنصور وقد ضاقت الدنيا به وتمنى ان تسيخ الارض به.

فلما قتل المنصور ابا مسلم الخرساني قال لي: يا يزيد اتذكر يوم شاورتك؟ قال: نعم. قال: فوالله لقد كان رايك صوابا لاشك فيه. ولكن خشيت ان يظهر منك فتفسد مكيدتي.

انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى

الملايو
جزر الهند الشرقية
الفليبين

بقلم الدكتور : جمال زكريا قاسم

أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعتي عين شمس والكويت

■ تشتمل هذه المنطقة على عدة آلاف من الجزر أهمها شبه جزيرة الملايو وسومطرة وجاوة وسيليبس وبورنيو ومولوكاس ، هذا بالاضافة الى جزر الفيلبين التى تشتمل وحدها على الفومائتى جزيرة أشهرها لوزون فى الشمال ، وميندناو فى الجنوب .

وكان التجار من جنوب الجزيرة العربية ، وبخاصة الحضارمة ، أقدم من وطىء هذه المنطقة ، وكان قدومهم للتجارة حينا وللاستيطان حينا آخر اذ كانت طبيعة اراضيهم القاحلة تدفعهم الى خوض عباب المحيط الهندى والبحث عن أبواب جديدة للرزق . وعلى الرغم من انهم كانوا قلة من الناس يأتون فى فترات محدودة الا انه بمضى الزمن بدأ اختلاطهم يشتد بالسكان .

العوامل الجغرافية ساعدت على نشاط الحركة الملاحية

وظل الاتصال التجارى ينمو ويتسع قبل ظهور الاسلام بين الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الاقصى اذ ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة ، لان الرياح الموسمية التى تهب على المحيط الهندى كانت تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة باقل مجهود ، ففي الربيع تدفعها في اتجاه شمالي شرقي فتخرج من خليج عمان وساحل حضرموت الى المحيط الهندى ، وفي فصل الخريف تدفعها في اتجاه معاكس يمكن السفن من العودة الى قواعدها في شبه الجزيرة العربية . وفي خلال دورتي الرياح هذه كان يتم التعامل التجارى . وقد عرف العرب الايام التى تهب فيها تلك الرياح ، وحددوا بها الاوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندى . ونظرا لطبيعة الاتصال الموسمى بين العرب ومنطقة الشرق الاقصى فقد حرص الكثيرون من التجار على الاستقرار مؤقتا في مراكز تجارية وبناء مستودعات لحفظ تجارتهم انتظارا لدورة الرياح ، كما عمد الكثيرون منهم في مرحلة تالية من بعد ظهور الاسلام الى الاقامة الدائمة والتعايش والتزاوج مع السكان المحليين .



وقد ظلت الرياح الموسمية تعد سرا من الاسرار التى احتفظ بها العرب والهنود لانفسهم الى ان تمكن ملاح اغريقى فى القرن الاول الميلادى (٤٥م) من كشف اتجاه هذه الرياح وكان من نتيجة ذلك ظهور بعض المرشدات الملاحية باللغتين اليونانية واللاتينية عن المحيط الهندى وحركة التجارة فيه ودور العرب فى هذه التجارة . وعلى الرغم من المنافسة التى تعرض لها العرب من الرومان ، ومن بعدهم الفرس، منذ نهاية القرن الخامس الى القرن السابع الا أن العرب تمكنوا من ان يصبحوا سادة التجارة دون منازع بين مصر وايران والهند من جهة ، وبين الهند وشرق وجنوب شرقى آسيا من جهة أخرى ، وذلك منذ القرن التاسع حتى قدوم البرتغاليين فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى. وكانت موانىء سيراف (على الخليج العربي) وعمان من أكبر الموانىء الاسلامية ، كما كانت عدن على وجه خاص نقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر حتى لقد اطلق عليها بعض جغرافيى العرب « دهليز الصين » .

التجار المسلمون حملوا الاسلام الى الصين

وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نحدد تاريخ دخول الاسلام الى تلك المناطق تحديدا قاطعا الا ان الامر الذى لاشك فيه ان الاسلام وصل الى هذه المناطق على أيدى التجار العرب منذ القرن الثامن الميلادى على الارجح . وتدل المصادر التاريخية على ازدياد ملحوظ فى التجارة العربية مع الصين عن طريق سيلان فى القرنين التاليين لظهور الاسلام حتى أنه وجد تجار عديدون بل جاليات عربية كبيرة العدد فى كانتون ، والى تلك الجاليات الاسلامية الاولى يرجع الفضل فى تحويل الكثير من الوثنيين الى الاسلام . وتتحدث الكثير من الروايات المحلية المدونة او المتناقلة وكتب التواريخ الصينية عن ظهور تلك الجاليات العربية فى زمن اقدم من الاشارات التي وردت عنها فى المصنفات العربية العامة . وكان للتجار المسلمين من الشان فى بلاد الصين ما اتاح لهم أن يظفروا من امبراطورها بحق احالة منازعاتهم على قاض منهم . ففي « سلسلة التواريخ » نجد أنه فى أوائل القرن التاسع الميلادى كان على رأس الجالية الاسلامية فى كانتون رئيس مسلم يعينه امبراطور الصين ، وكان هذا الرئيس « يقضي بين أفراد الجالية بأحكام الشريعة . واذا كانت الجمعة او العيد خطب فى المسلمين ودعا فى خطبته لسلطان المسلمين » .

كتاب لاحد تجار العرب ، ويدعى سليمان

وفي خلال ذلك القرن ايضا نقرأ في المصنفات العربية العامة من كتب الرحالة والجغرافيين عن معرفة العرب بشعوب ماليزيا وغيرها من شعوب الشرق الاقصى اذ احتوت تلك المصنفات على معلومات قيمة عن موانىء المحيط الهندي وسواحله الى جانب وصف بلاد المسلمين وما وراءها . ولعل من اهم المصادر العربية التي سجلت حالة الملاحة في المحيط الهندي كتاب وضعه أحد التجار العرب ويدعى سليمان (٨٥١م) وينطوي في مجموعة عن طائفة من الاخبار المثيرة التي رواها التجار المسلمون عن الطريق البحري من سيراف الى كانتون ، وعن عادات اهل الصين والهند وغيرهما من شعوب تلك الجهات كما ترك وصفا شيقا للسواحل والجزر والموانيء وسكانها وسلعها ومنتجاتها .

وكتاب أبي زيد السيرافي

ثم تبدأ معلوماتنا تتضح بصورة اكبر حينما نطالع ما كتبه ابو زيد السيرافي (٨٧٧ - ٩١٥م) الذي يعتبر أول من قدم معلومات متصلة عن المنطقة ، وان كان قد اقتصر على جمع وتدوين قصص التاجر سليمان ولكنه اضاف اليها ما عرفه من روايات نقلها عن التجار الذين جابوا البحار الشرقية بعد أن غير وبدل من كيانها ولذلك تبدو كتاباته كأنها نوع من أدب المغامرات او القصص البحري . والواقع ان جانبا كبيرا من هذه المعلومات كان مادة طيبة لمغامرات السندباد البحري ولقصص الف ليلة وليلة التي كانت تتجمع في ذلك الحين ، اذ من المؤكد أن تكون بعض هذه القصص قد استوحيت من رحلات العرب البعيدة الى تلك المناطق . وقد لاقت روايات السيرافي عناية متزايدة من كثير من المستشرقين وبخاصة العلامة رينود Reinaud ، في منتصف القرن التاسع عشر، كما اخرج سوفاجيه دراسة قيمة لها في السنوات الاخيرة .

والمسعودي في كتابه ((مروج الذهب))

وفي القرن العاشر يطالعنا ابو الحسن المسعودي في سفره الخالد ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) ونجد في هذا المصنف معلومات مفيدة عن المحيط الهندي ، وقد ذكر المسعودي ان مدينة كيدا في ملقا ، وهي موضع سنغافوره اليوم ، هي النصف من طريق الهند او نحو ذلك ، واليها تنتهي مراكب أهل الاسلام من السرافيين والعمانيين ، كما اشار الى بلاد الجاوي والى السلطنة الهندوكية ، التي كانت تحكم بعض اجزائها فقال بصدد ذلك ((انه لا يمكن معرفة حدود مهراج الجاوي، وجيوشه لا تحصى، وينبغي للانسان مسير سنتين حتى يأتي على جميع ممالكه)) .

الجغرافي العربي الادريسي ، واسم الماليز

وفي القرن الثاني عشر ازدادت معرفة العرب بتلك البلاد . وكان الجغرافي العربي الادريسي اول من سمى باسم الماليز احد الشعوب الساكنة في جاوى ، كما نلمح في كتابات ابي الفدا وابن خرداذبة تزايدا ملحوظا في معرفة العرب بتلك البلاد، بممالكها ومسالكها وبراكينها وجبالها النارية .

سقوط الدولة العباسية على ايدى المغول زاد انتشار الاسلام في المشرق الاقصى

ولم يؤثر التمزق السياسي الذي تعرض له العالم الاسلامي بعد سقوط الدولة العباسية على ايدي المغول في عام ١٢٥٨م على نشاط المسلمين اذ استمر التجار المسلمون يتحكمون في الوساطة التجارية بين اوربا والشرق الاقصى ، كما ظهرت ردود فعل قوية تمثلت في الحماس الزائد لنشر الدعوة الاسلامية درءا للتصدع السياسي الذي اصاب العالم الاسلامي ، ظهر ذلك في اعتناق بعض مقاطعات الهند للاسلام ، وانتعاش في المراكز التجارية الاسلامية التي قامت في اجزاء من سواحل الملبار والكوروماندل ، وشمال سومطرة التي كانت محطا هاما للتجار المسلمين .

ما قال ((ماركو بولو)) عن الاسلام في رحلته

وقد كتب ماركو بولو Marco - Polo في رحلته الى الشرق الاقصى (١٢٩٢م) عن سومطرة التي قضى في شاطئها الشمالي قرابة خمسة اشهر أن غالبية سكانها من الوثنيين والمجوس عدا سكان المناطق الموجودة في الشمال الشرقي لانهم اعتنقوا الاسلام بواسطة التجار العرب الذين كانوا يخالطونهم . ويبدو ان الاسلام كان قد رسخ في سومطرة اذ لم تكد تمضي سنوات قليلة على رحلة ماركو بولو حتى اصبح حاكم مقاطعة باساى مسلما

وتلقب بالملك الصالح ، ولم يظل الامر بالمقاطعات المجاورة حتى دخلت بدورها في الاسلام .

وقد حفلت الروايات التقليدية في الملايو وسومطرة بقصص دخول الاسلام الى تلك المناطق ومن اهم هذه الروايات المدونة حكايات راجا راجا باساى وسيجاراه ملايو Malayu « الحوليات التاريخية للملايو » ، وبهذه الروايات الكثير من الاحداث التي تروى جوانب من الشجاعة الخارقة على نحو يذكرنا بأساطير الالياذة والاوديسة .

وما قال ابن بطوطة عن الاسلام في رحلته في تلك الديار

وفي خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر زار الرحالة العربي « ابن بطوطة » سلطنة جاوة ويفهم من كتاباته ان الاسلام قد توطد فيها اذ كتب يقول ان سلطانها « الملك الظاهر من فضلاء الملوك شافعي المذهب محب في الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الجهاد والغزو ، ومتواضع يأتي الى صلاة الجمعه ، ماشيا على قدميــه واهل بلاده شافعية محبون في الجهــاد يخرجون معه طوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح » . وعلى الرغم مما يوحى به حديث ابن بطوطة ان الحكام المحليين اتبعوا الشدة في نشر الاسلام الا انه من الثابت ان تلك كانت حالات قليلة لا تجعلنا نتراجع عن التأكيد ان الاسلام دخل هذه المناطق دخولا سلميا بصفة عامة وانه لاقى استجابة سريعة من شعوبها . وقد اشار ابن بطوطة انه تلاقى مع بعض علماء الشيعة من شيراز واصفهان وان هؤلاء العلماء كانوا مقربين الى السلطان ، وهذه الملاحظة تفسر لنا دخول الشيعة التي لا تزال بقاياها في سومطرة وجاوة حتى الوقت الحاضر .

وفي القرن الثالث عشر

الواقع أن المجتمعات الاسلاميــة بمساجدهــا ومؤسساتها الحضارية والثقافية بدأت تظهر منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، وظهور تلك المجتمعات يوضح تزايدا في اعداد المسلمين كما يوضح ايضا اسهام عناصر اخرى في ابراز هــذه المجتمعات . وعلى الرغم من ان التجار العرب استمروا يكونون عنصــرا فعــالا في نشر العقيدة الاسلامية بالاضافة الى سبقهم في نشر تلك الدعوة الا ان اسلام بعض مقاطعات الهند خاصة في سواحل ملبار وكروماندل ثم منطقة الكجرات في الشــمال الغربي ، التى كانت بمثابة باب التجارة الغربية للهند ومنفذها الى آسيا وافريقيا ، والتى قامت بها امارة اسلامية كانت تعد ثاني امارة اسلامية بعد دهلى ، كان لها اثرها الواضح في دفع الدعوة الاسلامية الى تلك الشعوب ، ويتضح تأثير مسلمى الهند من اتخاذ شعوب جاوة وسومطرة الشافعية مذهبا لهم ، وهو المذهب السائد في جنوب الهند ، غير ان ذلك لا يبعد تأثير مسلمى الكجرات مــن الاحناف بدورهم في نشر الدعوة الاسلامية وتثبيت اركانها بفضل من توافد منهم من دعاة ، كما لا يمنع ايضا ان يكون الاسلام قد انتشر من الهند عن طريق التجار العرب الذين كانوا موجودين هناك باعداد كبيرة ولعبوا دورا هاما في اسلام الشعوب الماليزية ، كما لاينبغي ان نغفل عنصرا اخر وهو من اسلم من تلك الشعوب ذاتها وتأثيرهم على اسلام غيرهم من بني جلدتهم ، كما يحتمــل أن الكثيرين من اولئك قد اعتنقوا الاسلام في اماكــن بعيدة عن اراضيهم وعادوا بالاسلام الى بلادهم ، ونفهم من روايات ابن بطوطة انه شاهد بنفسه بعض سكان الملايو في شواطىء ملبار وكذلك في سواحل زنجبار .

كيف نشر التجار الاسلام

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو الى اى حد نجح التجار في نشر الاسلام في تلك المناطق ؟

هناك من يقول ان العمل التجارى ومصلحة التجار كانت الهدف الأساسي ، أما عملية نشــر الاسلام ذاتها فقد كانت عملا ثانويا . ولكنّ هناك نفر من الباحثين لا يجد ثمة تعارضا بين العمل التجارى ونشــر الاســلام اذ ان بساطة التعــاليم الاسلامية وحث القرآن على نشر الاسلام ــ « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ــ كانت تشجع المسلمين على الدعوة الى الدين خاصة وأن الدعوة الى الاسلام لا تشترط وجود كهانة خاصة مثلما تشترط المسيحية ، وفي هذا الصدد يذكر السير « توماس أرنولد » في كتابه الدعــوة الى الاسلام Preaching of Islam ان المسلمين على جميع مستوياتهم عملوا على نشر الدعوة اينما وجدوا ، وان المسلم المتفقه في شئون دينه كان لا يجد ثمة تعارضا بين عمله في سبيل العيش المادى وحثه على الدعوة . ولما كان هناك كثير من المتفقهين

في شئون الدين يعملون في التجارة فان ذلك جعل الاسلام ينتشر عن طريق اتقياء التجار مع التسليم في نفس الوقت أن هناك بعضا من التجار لم يهمهم امر العقيدة الا بدرجة ثانوية . ويشير توماس ارنولد بصدد ذلك الى تجار الرقيق في شرق افريقيا الذين كان من مصلحتهم في كثير من الاحيان عدم التوسع في نشر الاسلام بين الشعوب الوثنية الزنجية حتى يمكنهم من الاحتفاظ بها كمورد من موارد الرقيق .

ونجح التجار العرب في الاحتفاظ بمركزهم المتميز عن غيرهم من العناصر الاخرى الوافدة، وقد وجدوا احتراما شديدا من السكان والحكام بفضل ما كان يدعيه أولئك التجار من الانتساب الى البيت النبوى، اذ تباهى الأهالى بالتقرب اليهم بمصاهرتهم وتزويج بناتهم منهم ، وكانوا يتفاخرون اذا ما ولدن منهم سادة واشرافا ، وتحفل الروايات المحلية باخبار المصاهرات الكثيرة التى حدثت بين التجار العرب والحكام الوطنيين خاصة بعد أن تضاعفت الاتصالات التجارية بين العرب وشعوب تلك المنطقة وادت هذه الاتصالات بدورها الى ازدياد في التقارب ووحدة المصالح . وتشير تلك الروايات على أن معظم السلطنات الاسلامية استهاجماعات من الاشراف . ففي سولو في جنوب الفيليبين تشير المدونات التاريخية الى السيد ابى بكر ، ويقال انه وفد من شبه الجزيرة العربية وله يرجع الفضل في تثبيت دعائم السلطنة وذلك بادخال الشريعة الاسلامية فيها ونشر اللغة العربية بها . ويقدر بعض الباحثين وصوله الى الحكم في عام ١٤٥٠ م بعد أن تزوج ابنة الراجا « على » أو من ارملته على الأرجح . وفي جزيرة ميندناو تاسست سلطنة اسلامية أخرى على يد أحد اشراف الحضارمة واسمه الشريف زين العابدين تزوج من ابنة السلطان المحلى وتمكن ابنه الشريف «محمد كابونج سوان » ان يوطد دعائم تلك السلطنة التى تحولت كليا الى الاسلام في منتصف القرن السادس عشر الميلادى .

بعض المستشرقين قال بزيف بعض الانساب

والجدير بالذكر أن بعض المستشرقين يضعون تاكيدات قوية على أن التجار العرب ومن توافد بعدهم من دعاة كانوا يدعون النسب بمراجع دينية مزيفة حتى يكتسبوا من وراء ذلك احترام السكان البسطاء . ولكن ينبغى علينا الا ناخذ تماما بهذه الاقوال التى تنم في حقيقتها عن محاولة اولئك اتهام العرب باستغلالهم سذاجة الشعوب التى دخلوا اراضيها. حقيقة اننا لا نستطيع أن ننكر ان هناك الكثيرين من المغامرين ادعوا نسبا غير حقيقى ولكننا في نفس الوقت نؤكد على وجود عائلات من الاشراف وصلت بالفعل الى تلك المناطق. ثم شاعت فكرة الانتساب بعد ذلك . وقد لاحظ المستشرق الفرنسي جبريل فيران Ferrand صاحب الدراسات الشهيرة عن تلك المناطق ان كثيرا من اهالى البلاد يحتفظون بكتب خطية عربية متناهية في القدم يحاولون بها اثبات انتسابهم ليس الى مكة المكرمة فحسب وانما الى بيت النبوة أيضا .

انتشر الاسلام فى هذه الشعوب بغير عنف

والظاهرة التى استرعت انتباه الدارسين هى انتشار الاسلام في تلك الشعوب بغير عنف وبغير اجتهاد في الدعوة فى اكثر الاحيان . والواقع أن الاسلام لاقى انتشارا سلميا وهذا أمر طبيعي لأنه لم يكن لدى التجار المسلمين ولا الدعاة الذين تبعوهم قوة مسلحة ازاء الممالك الهندوكية التى تغلغلوا فيها ولكنهم كانوا بلا شك أعلى درجة في المدنية من الأهالى ، هذا بالاضافة الى المزايا الاخرى التى اكتسبوها من الاغتراب وطول الاسفار، وكانت هذه الخبرات اساس نجاح العرب — وغيرهم من المسلمين — في نشر عاداتهم وعقائدهم حيثما نشروا تجارتهم . فقد أتى العرب بمعلومات ومعارف كانت مجهولة لدى تلك الشعوب ، مثل التقويم ، وعلم الهيئة ، والجغرافية ومقاييس العروض والأطوال وتحديد الاقاليم ، كما تعلم الماليزيون من العرب اصول المعاملات التجارية وطرق البيع والمساومة وبناء المستودعات . ويعلق بعض الباحثين على أن الانتشار السلمى للاسلام بين الشعوب الماليزية يدحض حجة من يدعون أن الدين الاسلامى ينشر بالسيف ولا يبشر بغيره ، ويؤكد ان القدوة الحسنة كانت كفيلة وحدها بنشر الاسلام ، وحيثما وجد التجار والدعاة العرب على شواطىء هذه الجزر فهناك مسلمون على المذهب الذى يأتمون به ، وعلى الرغم من أن عدد العرب في القرن التاسع عشر لم يزد على ثلاثين الفا في جميع الجزر الا ان المسلمين بلغوا في ذلك الوقت اكثر من سبعين مليونا من ابناء البلاد وهذا يوضح

سرعة تقبل الحكام المحليين وشعوبهم للعقيدة الاسلامية .

الاسلام انتشر هناك بين الامراء والقادة اولا

وتكاد الروايات المدونة عن اخبار الاسلام في الشعوب الماليزية أن تجمع على ابتداء الاسلام بين الأمراء والقادة ثم شيوعه بأمرهم وهدايتهم بين رعاياهم الوثنيين ، ومثل هذه الروايات التقليدية تضع تأكيدات قوية على قوة جاذبية العقيدة الاسلامية وهو امر لا يستطيع أى باحث منصف أن يتجاهله . ومع ذلك فقد وضع الكثير من الباحثين تفسيرات عديدة لتعليل أسباب انتشار الاسلام بين تلك الشعوب . وهذه التفسيرات تتعلق بمصلحة الحكام ومصلحة شعوبهم في التحول الى العقيدة الاسلامية هذا بالاضافة الى المؤثرات الخاصة التى ساعدت على الاندفاع بالدعوة الاسلامية .

النشاط الصوفى فى الدعوة الاسلامية

ويرتبط ذلك بالنشاط الصوفي ووصول الدعاة المسلمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى ابتداء من النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى مما أدى الى انتشار الطرق الصوفية والفكر التصوفي . وقد صادفت هذه الأفكار نجاحا كبيرا اذ انها في قليل او كثير لم تكن ببعيدة عن معتقدات السكان القديمة الأمر الذى اتاح سهولة تغلغل الدعوة الاسلامية خاصة حينما نجح الدعاة بفضل استخدامهم لبعض العناصر الثقافية المحلية القديمة ـ بعد وضعها في اطار اسلامى ـ أن يحفظوا الماضي الماليزى . ولعل من أهم الطرق الصوفية التى انتشرت هى الشاطرية والقادرية والنقشبندية والشاذلية والسمانية وغيرها . والملاحظ أن الدعاة الصوفيين احتلوا مركزا هاما في الحياة الاجتماعية وكثير منهم وصل الى السلطة الساسية ويكفى أن ندلل على مدى المركز الذى وصل اليه بعض أولئك الدعاة بان نشير الى أن رفض السلطان محمود شاه ـ وهو آخر حاكم مسلم لملقا ـ التسليم للبرتغاليين كان راجعا في الدرجة الأولى لتوجيهات الدعاة الذين حثوا المسلمين على جهاد البرتغاليين وانه ينبغى على ملقا الا تواجه المصير الذى واجهته الهند . ولا تزال اضرحة الدعاة الاول تعد الى الآن من المزارات الدينية المقدسة ، كما لا يزال الاحترام العميق لذكراهم قائما لدى تلك الشعوب .

فى سومطرة كانت اولى السلطنات

واذا تتبعنا وصول الاسلام ثم انتشاره وظهوره كقوة سياسية في تلك المناطق تطالعنا في بداية الأمر سومطرة التى تأسست بها اولى السلطنات الاسلامية وهى سلطنة باساى (في القرن الثالث عشر الميلادى)، وكما الحنا، ان قيام هذه السلطنة لا يشكل بداية وصول الاسلام وانما يسجل على الاحرى القوة التى وصل اليها المسلمون بالدرجة التى أتاحت لهم تأسيس سلطنة حاكمة ، ومن باساى انتقل الاسلام الى ملقا حيث ظهرت بها هى الاخرى سلطنة اسلامية بعد زواج حاكمها من ابنة حاكم باساى المسلمة وتحوله الى الاسلام في حوالى السنوات الاولى من القرن الخامس عشر (١٤١٤م) وقد اصبحت ملقا بعد اسلامها موئلا للعلماء والفقهاء كما زادت الصلات الاقتصادية والودية بينها وبين باساى ، حينما تعهد حكام باساى رعاية ميناء ملقا واصبحت كل من السلطنتين ـ ملقا وباساى ـ مركزين هامين من مراكز الدعوة الاسلامية الى مختلف جزر الهند الشرقية .

انتقال الاسلام الى جاوة

ومن ملقا وباساى ، انتقل الاسلام الى جاوة التي كان وضعها شاذا بالنظر لوجود دول هندوكية قوية اصطدم بها الاسلام برزت من بينها سلطنة الماجاباهيت Madjapahit . ولما كانت هذه السلطنة تشمل امارات عديدة فقد أخذ الامراء والمهراجات الطامحون الى الاستقلال عن السلطة المركزية للماجاباهيت يولون وجوههم شطر الاسلام فكان كلما كسب بلدا انتقل الى الذى بجانبه حتى شمل معظم سلطنة الماجاباهيت كما دخل الى شعوب السوند والمالانج الى الشرق ، واخذ الاسلام يزداد قوة ويزداد عدد المسلمين تبعا لذلك ، أولئك الذين كانت ثروتهم تنمو وهم دائما في علاقات مع التجار العرب الذين كثر عددهم بدرجة مكنتهم من تأسيس سلطنة اسلامية عرفت بسلطنة الدماك Demak التى اعتبرت أول فتح عربى في جاوة ، وكان قيام هذه السلطنة دفعة قوية للاسلام .

ومنذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر

دارت رحى الحرب بين الامراء المحليين وبين سلطنة الماجاباهيت المركزية وقد وجد هؤلاء تأييدا من سلطنة دماك وبالفعل نجح السلطان حسين حليف سلطنة دماك من اسقاط سلطنة الماجاباهيت (حوالي عام ١٤٧٥ م) وبسقوط هذه السلطنة تدهورت البوذية في جاوة واحرز الاسلام انتشارا كبيرا بين الامراء والسكان .

انتقال الاسلام الى بورنيو

وبعد اسلام جاوة والقضاء على الماجاباهيت انتقل الاسلام الى بورنيو وتشير الروايات التقليدية الى استقرار الدين الاسلامي فيها على عهد السلطان بركات احد اشراف الطائف الذي تزوج من ابنة السلطان أحمد ثاني حاكم مسلم للجزيرة وهو الذي فرض الشريعة الاسلامية وشيد جامع بروني الشهير . كذلك انتشر الاسلام في ميندناو وسيليبس ومولوكاس ومنها انتقل الى الساحل الغربي لغينيا الجديدة حيث اعتنقته بعض القبائل ولا سيما قبيلة البيوان وقد حدث ذلك على أيدى التجار المسلمين وأصحاب الدعوة في فترة متأخرة في حوالي السنوات الاولى من القرن السابع عشر الميلادى .

التحول الى الاسلام لم يقوض سلطة الحكام المحليين

وثمة ملاحظة جديرة بالذكر وهى أن عملية التحول الى الاسلام لم تقوض سلطة الحكام المحليين ، بل كان الاسلام غالبا ما يدخل بلادهم برضاهم وحمايتهم، ومن هنا تساءل بعض الباحثين عما اذا كان للحكام ولشعوبهم الذين أسلموا معهم مصلحة في ذلك ؟ ونحن اذا ما استثنينا قوة اجتذاب العقيدة الاسلامية وتأثيرها في النفوس فان هناك دوافع اقتصادية وسياسية أدت الى الى اسلام الكثيرين من الحكام . وقد سبق أن عرضنا للدوافع السياسية التي دفعت الحكام للتحول الى الدين الجديد اذ وجدوا فيه وسيلة لتدعيم حكمهم المستقل والتخلص من السلطة الهندوكية ، أما الدوافع الاقتصادية فتتمثل في رغبة أولئك الحكام في الحصول على تأييد التجار المسلمين الذين كان في امكانهم — قبل الغزو البرتغالي — انعاش أو خنق أى ميناء بحرى ، هذا ما كان من أمر الحكام أما ما كان من أمر عامة الناس فالملاحظ أن الدعوة الاسلامية لاقت رواجا كبيرا بينهم وأخذت غالبيتهم تتحول عن الديانتين البوذية والهندوكية مما يوحى أن الاسلام أتى لتلك الشعوب بآمال جديدة ، ويوحى أيضا أن البوذية والهندوكية فشلتا في أن تستمرا في تلبية المتطلبات المتزايدة للسكان ، اذ أن الاسلام أعطى الفرد العادى احساسا بقيمة ذاته كعضو في المجتمع بينما كان هذا الفرد في مفهوم العقائد الهندوكية أقل قيمة من ابناء الطبقات العليا . كما ارتفع المسلمون بفضل الدين الجديد فوق مستوى الولاءات المحلية والقبلية .

وصول البرتغاليين الى تلك الاصقاع، وما كان من امرهم

ما كاد المسلمون يتخلصون من سلطنة الماجاباهيت حتى جوبهوا بخطر آخر حينما وصل البرتغاليون الى تلك المناطق في أعقاب نهضتهم الملاحية الكبرى التى استهلها الامير هنرى الملاح ، وما تبع ذلك من اكتشاف بارتلميودياز رأس الرجاء الصالح (١٤٩٢ م) . والمعروف أن البرتغاليين استفادوا فائدة كبيرة من الرسوم والخرائط والمرشدات الملاحية التى وضعها الملاحون المسلمون عن المحيط الهندى وينبغى أن نشير بصدد ذلك الى الملاح العربى أحمد بن ماجد الذى قاد سفينة فاسكو دى جاما Vason d. Gama ، في طريقها الى الهند ، وكان من دواعى الغرابة حقا أن ملاحا عربيا كبيرا ساعد — دون أن يدرى — في القضاء على الملاحة العربية والاسلامية في المحيط الهندى، وتحويل تجارة الشرق الى أوربا ، عبر الطريق البحرى المباشر . ذلك أن البرتغاليين ما كادوا يسيطرون على طريق الهند حتى وضحت سياستهم الاحتكارية العنيفة بما تضمنته من حرق السفن والتنكيل ببحارتها ومنازعة المسلمين سيادتهم التجارية ، وقد وضعت هزيمة القوى الاسلامية في معركة ديو البحرية الشهيرة (١٥٠٩ م) نهاية للسيطرة الملاحية الاسلامية في المحيط الهندى والتى استمرت عدة قرون .

وحينما وصل البرتغاليون الى الشعوب الماليزية وجدوا بها مجتمعات اسلامية قوية ومتماسكة

كما وجدوا التجار المسلمين من عرب وهنود وغيرهم في كل زاوية من بلاط الحكام وكان لهم نفوذ كبير استخدموه للضغط على الحكام اذا ما تهاون احد منهم عن تأييد موقفهم المعادي للبرتغاليين . ومع ذلك فقد نجح البرتغاليون في استغلال الخلافات القائمة بين الأمراء المسلمين والهندوكيين للتغلغل الى تلك المناطق ، وفي عام ١٥١١ اى بعد سنتين من معركة ديو نجح القائد البرتغالي الفونسو دى البوكرك De Albuquerque في اسقاط سلطنة ملقا الاسلامية . ولكن سقوط هذه السلطنة لم يؤثر على السلطنات الاسلامية المجاورة ، وانما ظهر تحد وردود فعل عنيفة ضد القوى الصليبية الوافدة ، اذ نقل التجار المسلمون مركزهم من ملقا الى اتجيه في القسم الشمالي من سومطرة وغدت تلك السلطنة مركزا للدعوة الاسلامية وللتجار المسلمين وازدهرت بالدرجة التي أتيح لها فيها ان تتحدى ملقا المواجهة لها والتي جعلها البرتغاليون مركزا هاما من مراكزهم وبنوا فيها واحدة من اقوى قلاعهم . وهذا يفسر لنا التحدى الكبير الذى قام به المسلمون ضد المسيحيين ، ويتضح ذلك في ظهور المحالفات الكثيرة بين السلطنات الاسلامية المختلفة ، ووضع تجار المسلمين اموالهم في خدمة الحكام المسلمين ، وذلك بعد أن جعل البرتغاليون المنطقة ميدانا لصراعهم ضد التجارة الاسلامية . وقد حفلت كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين للغزو البرتغالي بأعمال القسوة والعنف التي ارتكبها البرتغاليون في بحار الشرق ، وفي كتاب « تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين » للشيخ زين الدين احد مسلمى الملبار توضيح للحمية الدينية البالغة والعداء الذى استحكم بين المسلمين والمسيحيين الأمر الذى يؤكد لنا ان الحروب البرتغالية في الشرق اثارت الروح الدينية الكامنة التي عرفناها في العصور الوسطى . والحقيقة ان الغزو البرتغالي للشرق الاسلامى كان يحمل معه تلك الروح الصليبية ، التي كانت امتدادا للحروب الدينية بين المسلمين والمسيحيين في الاندلس وبين المسيحيين والعثمانيين في شرقى ووسط أوربا ويكفى لتوضيح ذلك ان نقول ان انتصار البرتغاليين على المسلمين في ملقا تبعه اقامة قداس شكر في روما وتفاؤل من جانب الكنيسة الكاثوليكية بهذه الغزوة التي قدر للمسيحية فيها ان تصل الى مناطق نائية .

الاسلام في الفيلبين

ومن بورنيو اخذ الاسلام ينتشر في الفيلبين حينما تزوج سلطان بورنيو المسلم بابنة السلطان ميندناو ونجح في الامتداد بسلطنته الى جنوب الفيلبين ، وقد اخذ الاسلام يتغلغل في تلك الجزر لولا أن ووجه هذه المرة بتحد جديد كان سببه الاسبان الذين استولوا على تلك الجزر ، بعد أن نجح الملاح البرتغالي « ماجلان » في اكتشافها وسميت باسم الفيلبين نسبة الى فيليب الثاني حاكم اسبانيا التي اكتشفت في عهده (١٥٦٨ م) وبذلك انحصر النفوذ الاسلامى في ارخبيل سولو وجزء من جزيرة ميندناو ، وانقسمت جزر الفيلبين بدورها الى ثلاثة اقسام قسم مسيحى في الشمال يعيش فيه الماليزيون الكاثوليك من قبائل التاجال ، والماليزيون الوثنيون الذين وقفوا حاجزا بين الاسلام والنصرانية ثم المسلمون في الجنوب الذين اطلق عليهم الاسبان لفظ المورس Los Moros ، ولا شك أن هذه التسمية تعود بأصلها الى الشعوب الاسلامية التي اصطدم بها الاسبان في الاندلس وشمال غرب افريقيا وقد عمم البرتغاليون والاسبانيون هذا الاسم على جميع من صادفوه من شعوب اسلامية في كل من سواحل آسيا وافريقيا .

ومنذ استيلاء الاسبان على جزر الفيلبين وعملياتهم التبشيرية تتوالى ونجحوا بالفعل في تنصير القسم الشمالي بينما عجزوا عن تنصير المقاطعات الجنوبية ، في سولو وميندناو التي استمرت محتفظة بطابعها الاسلامى نتيجة استمرار الهجرة الاسلامية اليها ولنشاط الدعاة الذين تدفقوا من اتجيه حتى لقد اقترح الحاكم الاسبانى للفيلبين دى سندى De Sande في عام ١٥٧٦ على حكومته أن تعمل على اخضاع اتجيه لأن اخضاعها قد يساعد على ايقاف وصول الدعاة المسلمين . ولا شك أن نجاح الاسبان في تنصير القسم الشمالي وعجزهم بالنسبة للقسم الجنوبى يوضح أن الوعى الاسلامى كان هاما في تيقظ الشعور القومى ومقاومة المسلمين للغزو الاستعمارى الصليبى . ومن ناحية اخرى كان أسلوب الحكم الاسبانى والمساوىء التي تميزه عاملا مساعدا للاسلام في توسعه في القسم الشمالي من تلك

الجزر حتى وصل الى مانيلا التى اتخذهـا الاسبانيون مركزا لحكمهم ، ولولا عمليات القمع الشديدة لتحقق للاسلام في الفيلبين اكثر مما اصبح له .

وقد اتصفت الحروب بين المسلمين والاسبانيين في الفيلبين مثلما اتصفت به مع البرتغاليين بالروح الصليبية وبالعداء والكراهية الشديدة التي تملكت الطرفين . وفي عام ١٥٧٧م تزعم السلطان عبد القادر سلطان سولو حلفا من الأمراء المسلمين معلنا بداية حرب دينية استمرت أكثر من ثلاثة قرون عدها الاسبان من ناحيتهم حربا صليبية وعدها المسلمون من ناحيتهم جهادا في سبيل الله . وكان سلاطين سولو اشد امراء المسلمين مقاومة حتى اضطر الاسبان الى الاعتراف باستقلالهم الذاتى . والجدير بالذكر انه منذ أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٦) تدخلت الولايات المتحدة الامريكية وذلك بتشجيعها الثوار المسلمين ضد الحكم الاسباني وكان من اثر ذلك خضوع الفيلبين للولايات المتحدة الامريكية التى لم تنسحب منها الا في عام ١٩٣٢ .

دخول هولندة في المعارك الاستعمارية

ولم يقتصر اصطدام السلطنات والقوى الاسلامية باسبانيا والبرتغال وانما دخلت هولندا دائرة الصراع منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، حينما نجح تجار امستردام في انشاء شركة الهند الشرقية الهولندية (١٥٩٤ م) ووجه الهولنديون نشاطهم لطرد القوى البرتغالية من جزر الهند الشرقية ، والحلول محلها ، وفي عام ١٦١٩م تأسست مدينة بتافيا التى اعتبرت عاصمة للحكم الهولندى في تلك الجزر . وكان من الطبيعى أن تصطدم هولندا بالقوى الاسلامية في جاوة وبورنيو واتجيه وقد نجحت في التغلب عليهم جميعا وكان آخرهم سلطان اتجيه الذى ادخلته تحت حمايتها في عام ١٩٠٣ . وعلى الرغم من الاجراءات التى فرضتها السلطات الهولندية على المسلمين تحت ضغط الجمعيات التبشيرية الهولندية ، الا أن الاسلام كانت قد قويت جذوره ، وكان من اهم القيود التى فرضتها السلطات الهولندية الاستعاضة بحكام مسيحيين بدلا من الحكام المسلمين في حكومة الجزر والمقاطعات بالاضافة الى منع هجرة الحضارمة الى جزر الهند الشرقية . ولكن نشاط الحضارمة ظل قائما ـ رغم تلك القيود ـ حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حينما بدأ نجمهم الملاحى يأفل بعد استخدام الملاحة البخارية منذ النصف الاول من ذلك القرن .

جذور الاسلام لم تقتلع رغم تعاقب المستعمرين

ومع تعاقب الاستعمار الغربى منذ نهاية القرن الخامس عشر ـ البرتغاليون ، والاسبانيون ، والهولنديون والانجليز ، والامريكيون ـ على هذه المنطقة فان جذور الاسلام لم تقتلع وانما ازدادت قوة بظهور اجيال عديدة من الفقهاء والدعاة المحليين ، وبزيادة الاتصال بالمراكز الاسلامية الكبرى التى ساعدت تلك الشعوب على ان تستقر على عقيدتها وكان من نتيجة ذلك وجود أكثر من مائة مليون مسلم في الوقت الحاضر . ولم تنفصل تلك الجموع الاسلامية الكبيرة عن المراكز الاسلامية ، وانما كانت دوما تتفاعل معها وتتأثر بما يقع في قلب العالم الاسلامى من احداث فكرية أو سياسية . ففى أوائل القرن التاسع عشر تأثر الحجاج الوافدون من تلك المناطق الى مكة بالدعوة الوهابية .

كذلك تأثر المسلمون في أندونيسيا والفيلبين وغيرهما بحركة الجامعة الاسلامية التى ظهرت في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين مما جعل المستعمرين يتوجسون خيفة من هذه الحركة على مستقبل نفوذهم خاصة حينما ظهر اهتمام الدولة العثمانية ـ باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ـ بمسلمي تلك الجهات . وليس من شك في أن الحركات الاستقلالية التى ظهرت في اندونيسيا والملايو والفيلبين منذ الثلاثينيات من هذا القرن كانت في حقيقتها متأثرة الى حد كبير بالعقيدة الاسلامية ، التى كانت في تقديرنا ـ عاملا رئيسيا في تعميق مفاهيم تلك الشعوب لوعيها القومى وزيادة احساسها بوحدتها . ■■

جمال زكريا قاسم

الاسراء برسول الله

متى وقع ؟

تعقيبا على مقال الاصول العربية للكوميديا الالهية لدانتي الليجيرى للدكتور حسين مؤنس الذى نشره العربى في العدد ١٤٢ (سبتمبر ١٩٧٠) كتب الينا بعض القراء يقولون ان التاريخ الشائع للاسراء هو ٢٧ رجب في حين ان المقال جعله ١٧ رمضان،وطلبوا منا انتفسر ذلك التناقض فعرضنا الموضوع على كاتب المقال ، فتلقينا منه الرد التالى :

■ **لا نجد اتفاقا بين المؤرخين علىالتاريخالدقيق الذى وقع فيه الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المسجد الاقصى .**

فابن اسحاق يقول : « وكان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت لسبععشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد اتت عليه احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر » .

وهذه هى رواية النويرى في نهاية الارب (١٦/ ١٨٣) لان ابن هشام في صياغته لسيرة ابن اسحاق اسقط التاريخ ، قال : « ثم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وهو بيت المقدس من ايلياء ، وقد فشا الاسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها » .. (٢٦٩/٢ من طبعة محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٣) . **غير انه جعل الاسراء والمعراج قبل وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها .**

وقال ابن سعد في الطبقات (قسم ١ ج ١ ص ١٤٣) عن عائشة وام هانيء وابن عباس قالوا : « أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة من شعب أبى طالب الى بيت المقدس ، والله اعلم » .

وجاء في كتاب امتاع الاسماع لتقى الدين المقريزى : « وكان الاسراء في قول محمد بن شهاب الزهرى قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل لسنة واحدة . وقيل : وله من العمر احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر . وقيل كان الاسراء بعد بيعة الانصار في العقبة ، وقيل كان بعد البعث بخمسة اشهر ، وقال الحربى : كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة » .

وقد اورد المقريزى في نفس الموضوع من « امتاع الاسماع » نص كلام ابن اسحاق الذى اختصره بل شوهه ابن هشام ، وهو : « أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل ، ويقال كان لليلة السبتلسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية وعشرين شهرا . وهو صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهرا .

وقيل كان ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة من شعب ابى طالب،وكانت سنه صلىالله عليه وسلم حين الاسراء اثنتين وخمسين سنة » .

وهذا قليل من كثير من اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ الاسراء والمعراج ، فلا هم متفقون على اليوم او الشهر او السنة ، بل هم مختلفون في الموضع الذى كان فيه الرسول عند الاسراء به ، وبعضهم يقعون في اخطاء يتعجب الانسان من عدم تنبههم اليها ، وقد رأينا ان من الاقوال ما يذهب الى ان ذلك كان بعد البعثة بخمسة اشهر ، مع انه لا ذكر في الخبر الى السيدة خديجة ، والمفروض ان الرسول صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك وهو في بيته وخديجة ، وكان المفروض ان تكون هى راوية الخبر لا ام هانيء او عائشة .

بل اننا عندما نقرأ تفسيرا كتفسير الطبرى نجده يشككنا في كل شيء حتى حينما نريد ان نتاكد من ان المسجد الاقصى هو الذى ي بيت المقدس .

وفي كل هذه الاخبار لا ذكر التاريخ الذى تعتمده التقاليد الشعبية لهذا الحادث وهو ٢٧ رجب ، ففى مصر ايضا يحتفلون بالاسراء في ذلك التاريخ ، ولا بد ان هناك تفسيرا لذلك .

وقد اعتمدت في كلامي تاريخ ١٧ رمضان لانه مذكور في معظم المراجع ، ومن المؤكد على اى حال ان الاسراء والمعراج كانا بعد موت السيدة خديجة وابى طالب وبعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف وعودته منها . ■■

حسين مؤنس

أنت تسأل .. ونحن نجيب

آخر احصائية عن عدد الطلبة في الأمة العربية

■ اقوم بعمل رسالة ماجستير عن التعليم في العالم العربي.. وقد أعياني الحصول على ارقام تبين عدد الطلبة في مختلف مراحل التعليم في البلاد العربية.. فهل تتكرمون بنشر احصائية عن اعداد هؤلاء الطلبة .. ؟

عبد المقصود أحمد
الجمهورية العربية المتحدة

ـ بعد البحث عن اعداد الطلبة في العالم العربي استطعنا الحصول على احصائية منشورة في الكتاب السنوي للموسوعة البريطانية لعام ١٩٧٠ وهي تعتبر آخر احصائية عن الطلبة في العالم كله . وهذه هي الاحصائية كما وردت في الكتاب السنوي :

اسم الدولـة	عدد طلبة المرحلة الاولـى	المرحلة الثانوية العامة	المرحلة الثانوية الفنية	المرحلة العالية
الجزائـر	١ر٥٨٥ر٦٨٢	١٣٠ر٩٦٠	٤٦ر٤٥٣	١٠ر٦٨١
العـراق	١ر٠١٧ر٠٥٠	٢٨٥ر٧٢١	١٢ر٤٦١	٤١ر١٨٩
الكويت	٦٥ر٤٩٥	٥١ر٤٢٤	٤ر٨٢٨	١ر٤٦٨
المملكة العربية السعودية	٣٦٤ر٤٢٦	٥٨ر٦٧٤	٧ر٨٤٧	٥ر٣٥٢
الجمهورية العربية المتحدة	٣ر٤٩٢ر٩٣٥	٩٥٩ر٣٦٦	١٨٠ر٧٣٢	١٧٧ر٨٩١
المملكة الاردنية الهاشمية	٢٢٩ر٦٩١	٧٥ر١٣٩	٢ر٤٩١	٤ر٠٦٣
السـودان	٤٩٦ر٦٣٢	١٣٠ر٠٠١	٥ر٨١٣	١٠ر٣٨٧
لبنـان	٥٤٤ر٤٧٥	١١٥ر٥٤١	١٥ر٥٢٠	٣٦ر١١٠
تونـس	٨٤٤ر٩٩٤	٩٥ر٥٦٤	٣٧ر٣٥٣	٧ر٧٢٣
المغـرب	١ر١٣٥ر٨٦٥	٢٧٤ر١٠٢	١٣ر٣٣٦	١٠ر٦٩٨
سـوريا	ـ	ـ		٣١ر٧٠٧
ليبيـا	ـ	ـ		٢ر٤٨٩
اليمـن	ـ	ـ		
جمهورية اليمن الديمقراطية	ـ	ـ		

هذه هي آخر احصائية نشرت في العالم عن عدد الطلاب العرب الذين يدرسون في مختلف مراحل التعليم في دول الأمة العربية . ويلاحظ اختفاء الأرقام الخاصة بكل من سوريا وليبيا واليمن وجمهورية اليمن الديمقراطية .

(م . ط)

القاهرة

كم عدد سكانها اليوم ؟

● ما هو عدد سكان القاهرة وماهي المرتبة التي تحتلها من حيث عدد السكان بين مدن الشرق الاوسط ؟ .

عبد الرحمن عويضة ـ السعودية

ـ يبلغ عدد سكان القاهرة ٠٠٠ر٩٦١ر٤ نسمة. (سنة ١٩٧٠) وهي بلا ريب تحتل المكانة الاولى في هذا الصدد لا بين المدن العربية فحسب ولكن بين مدن الشرق الاوسط ايضا .

ولعل طهران هي المدينة التي تأتي في المرتبة الثانية في المنطقة التي ذكرنا وقد بلغ عدد سكانها ٠٠٠ر٨٠٠ر٣ نسمة .

وتأتي الاسكندرية وبغداد واستنبول في المرتبة الثالثة . وقد بلغ عدد سكانها كالآتي :

الاسكندرية	٠٠٠ر٨٠٠ر١ نسمة
بغداد	٠٠٠ر٧٥٠ر١ نسمة
استنبول	٠٠٠ر٧٥٠ر١ نسمة

ونعطيك فيما يلي قائمة بست عشرة مدينة من مدن العالم ، هي الكبرى من حيث عدد السكان . وقد رتبنا لك هذه المدن بحسب عدد سكانها ، نزولا من الاكثر الى الاقل سكانا . وانت تلاحظ ان القاهرة تأتي في المرتبة الثانية عشرة بين هذه المدن.

١ ـ طوكيو	١٤ ٧٧٠ ٧٢٧
٢ ـ نيويورك (وضواحيها)	١٤ ١١٤ ٩٢٧
٣ ـ لندن	٧ ٩٤٨ ٢٧٠
٤ ـ اوزاكا	٧ ٧٨١ ٠٠٠
٥ ـ باريس	٧ ٣٦٩ ٢٨٧
٦ ـ شنغاي	٦ ٩٧٧ ٠٠٠
٧ ـ بوينوس ايرس	٦ ٧٦٢ ٦٢٩
٨ ـ موسكو	٦ ٥٦٧ ٠٠٠
٩ ـ لوس انجيلس	٦ ٤٨٨ ٧٩١
١٠ـ شيكاجو	٥ ٩٥٩ ٢١٣
١١ـ سان باولو	٥ ٢٨٣ ٠٠٠
١٢ ـ القاهرة	٤ ٩٦١ ٠٠٠
١٣ ـ بومباي	٤ ٧٨٤ ١٣٦
١٤ ـ كلكتا	٤ ٧٠٣ ٣٩٨
١٥ ـ المكسيك المدينة	٤ ٦٣٩ ٦٩١
١٦ ـ اسن (المانيا الغربية)	٤ ٢٥٩ ٢٣٠

ومن يدري ، فقد تقفز القاهرة الى مرتبة أعلى في مستقبل غير بعيد نظرا لان نسبة التكاثر فيها ، بل في الجمهورية العربية المتحدة جميعا تساوي ٥ر٢٪ سنويا . فقد لا يحل عام ٢٠٠٠ حتى يصبح عدد سكان الجمهورية العربية المتحدة ٥٠ ـ ٦٠ مليون نسمة . فلتذكر ذلك اسرائيل .. !

(ي . ز)

إن الله جميل يحب الجمال

■ كلما اعجبنا منظر واخذ بألبابنا قلنا «ان الله جميل يحب الجمال» فهل هذا حديث أو هو من المأثورات المجهولة القائل ؟

عنبر مال الله / الكويت

ـ قبل كل شيء نطمئنك ان هذا النص جزء من حديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . روي في صحيح مسلم في كتاب الايمان ١٤٧ في باب تحريم الكبر ، كما روي في سنن ابن ماجه

ومسند الامام احمد . ونص الحديث في مسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . قال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال ان الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

تحدث الرسول عن الكبر ، ففهم أحد الجالسين – وهو مالك بن مرارة الرهاوي او غيره – أن التجمل وحسن الملبس من الكبر ، فافهمه الرسول ان ذلك لا شيء فيه بل هو حسن محبوب « ان الله جميل يحب الجمال » . وبين له أن الكبر المنهى عنه هو (١) « بطر الحق » أي دفعه وانكاره ترفعا وتجبرا . (٢) وانه « غمط الناس » اي احتقارهم .. والجمال فسروه بقولهم ، ان كل أمر الله سبحانهوتعالىحسن جميل ،وله صفاتالجمال والكمال ، وقيل الله جميل بمعنى مُجْمِل ، كريم بمعنى مُكرِم وسميع بمعنى مُسمِع أوهو جميل الافعال بكم ، باللطف والنظر اليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه .. وقالوا أيضا . الجمال : الحسن الكثير ، وهو نوعان : جمال يختص الانسان به في نفسه ، تقول : خَلْقه جميل ، أو في بدنه فتقول : وَجْهه جميل ومنظره جميل . أو في فِعْله . تقول : فِعْله جميل . والنوع الثاني ما يصل من الانسان الى غيره اي ما يصدر منه من جميل الى سواه قالوا : وعلى هذا الوجه يُحمل ما يُروى « ان الله جميل يحب الجمال » تنبيها أن الله منه تفيض الخيرات الكثيرة ، فيحب من يَختص بذلك ، اي من تبدو منه الأفعال الحسنة ، وتظهر عليه نعم الله الجميلة . ويؤيد ذلك قول الله تعالى « قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

وقد سُرَّ العشاق والمتحببون ببعض نص الحديث ، واقتبسوه في شعرهم ، ونقلوه الى ما يرضي نزعاتهم . فقد قال من لا اذكره الآن ، وكنت أظن الشعر لشوقي أو لحافظ ، فلم أجده في ديوانيهما .

خَلَقْتَ الجمالَ لنا آيةً — وقلت ألا ياعبادي اتَّقون
وأنت جميلٌ تحبُّ الجمالَ — فكيف عبادُك لا يعشقون

ويقرب من بعض هذا ما ورد في العِقد الفريدان يزيد بن عثمان قال :

أيارَبِّ تَخلق ما تَخلق — وتَنْهى عبادَك أن يَعشقوا
إلهي خلقْتَ حِسانَ الوُجوهِ — فأيُّ عِبادِك لا يَعشقُ

وفي كتاب الاشباه والنظائر للخالديين البيتالاول منهما ، ثم اوردا اربعة أبيات لشاعر آخر

أيارب تخلق أقمار ليل — وقضبان بانٍ وكُثْبانَ رَمْلِ
وخَشْفَان إنسٍ تَصيدُ القلوبَ — بألفاظِ سِحْرٍ وألحاظِ قَتْلِ
وتُبْدع في كلِّ خدٍّ بورْدٍ — وفي كُلِّ قدٍّ بِشَكْلٍ ودَلِّ

ورابعها بيت أساء الشاعر فيه الأدب في جانب عدل الله فاغفلناه ولقب لذلك بالشرك .
وهذا الشاعر اسمه الحسن الموصلي . (ع . ف)

أعماق آبار النفط ؟

■ للكشف عن البترول يحفر الفنيون الآبار ؟ فهل هي آبار بالمعنى الشائع ، من حيث أعماقها واتساعها .. وان لم تكن ، فالى اي عمق وصلوا بالحفر بحثا عن البترول ؟

أحمد السيد – الكويت

– في عام ١٨٥٩م . تم حفر اول بئر للبحث عن النفط ، كان عمقها ٦٩ قدما فقط ، وقد حالف

الحقل المنقبون فعثروا على النفط عند هذا العمق البسيط .. وكانت طريقة الحفر تعتمد على الدق، مثل دق مسمار في قطعة خشب. اما اليوم فقد تبدل الحال ، واصبح حفر البئر لا يتم الا بعد عمليات طويلة متعددة ، ليس هذا مجال شرحها .. وتختلف اعماق الابار من منطقة الى اخرى ، فمثلا في الكويت حفروا اول بئر في شمال البلاد الى عمق ٧٩٥٠ قدما ولكنهم لم يعثروا فيها على نفط .. واتجهوا جنوبا وبدأوا الحفر ، فعثروا على النفط على عمق اقل لايزيد على ٣٦٧٢ قدما .. ثم اتجهوا مرة اخرى الى الشمال وحفروا الى عمق ١٠٠٠٠ آلاف قدم فعثروا على النفط ..

واعمق بئر في الكويت عمقها ١٥٦١٠ اقدام .. واقلها عمقا ٤٢٢٥ قدما .

اما قطر البئر ، فيختلف من عمق الى آخر ومن منطقة الى اخرى ، ولو انه من المتفق عليه ان يكون كالاتي :

١ ـ من الفوهة الى عمق ٣٥٠ قدما تغلف جدران البئر بانابيب فولاذية قطرها ١٣ بوصة .

٢ ـ ومن عمق ٣٥٠ قدما حتى ٣٨٠٠ قدم توضع انابيب قطرها ٩ بوصات ونصف .

٣ ـ أما انابيب المرحلة الثالثة الاخيرة فيكون قطرها ٧ بوصات فقط وهي التي يبدأ النفط الخام بالتدفق منها . (س . ز)

قانون الطلاق في إيطاليا أصبح نافذاً فتقدم للطلاق مليون شخص

■ تعلم ان المذهب الكاثوليكي عند المسيحيين لايجيز الطلاق بين الزوجين مهما كانت الاسباب ، ثم طالعتنا الصحف اخيرا بخبر صدور قانون اباحة الطلاق في ايطاليا معقل الكاثوليكية ، فما الذي حدث ؟ وهل يعتبر صدور مثل هذا القانون تحديا للكنيسة ؟

ميشيل أسحاق ـ القاهرة

ـ لقد اثار الاتجاه الى اصدار قانون يبيح الطلاق في ايطاليا معارك مريرة طويلة استمرت لاكثر من خمس سنوات كاملة ، وادت الى حدوث انقسامات داخل الحكومات الإيطالية المتعاقبة من ناحية ، والى خلاف خطير بين الفاتيكان ممثلا في بابا الكاثوليك وبين الحكومات في روما العاصمة، وكانت وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية دائما هي أن الزواج رباط مقدس ، وأن ما جمعه الله لا يفرقه انسان ..

وقد بقيت الكنيسة الكاثوليكية الغربية هي السلطة العليا التى تملك الكلمة الاولى والأخيرة في شتى الخلافات والمنازعات التى تنشأ بين الأزواج الكاثوليك ، مستمدة قوتها من عصر النهضة في ايطاليا ، عندما احكمت الكنيسه قبضتها على الشعوب الغربية التى تدين بالمذهب الكاثوليكى ، وأخضعت لسلطانها الملوك والأباطرة .

ولكن سلطة الكنيسة ما لبثت أن ضعفت مع توالي الأجيال ، وتطور ظروف الحياة ، وكان لا بد أن يصطدم قرار الكنيسة بتحريم الطلاق ، بواقع الحياة العملى عندما تستحيل الحياة الزوجية بين الزوجين .. لأى سبب من الاسباب ، كالخيانة الزوجية أو عدم الانجاب ، أو الحكم على أحد الزوجين بالسجن ، أو غير ذلك من أسباب أخرى، وعندئذ رأت الكنيسة الكاثوليكية أن تستعيض عن الطلاق ببطلان الزواج ، بمعنى ، انه اذا كان الزواج قد تم بالفعل ، ووجدت الكنيسة أن هنالك أسبابا تراها المحكمة الكنسية كافية ومقنعة بحيث يستحيل معها استمرار الحياة الزوجية ، حكمت ببطلان الزواج، ومن ثم تحيله الى البابا للتصديق عليه ، أى لا طلاق .

ولكن الذى حدث في أوائل شهر ديسمبر من العام الماضي ، كان في واقع الأمر تحديا لسلطة الكنيسة ، فقد نقل القانون الجديد الذى أقره مجلس النواب الايطالى باغلبية ٣١٩ صوتا ضد ٢٨٦ صوتا ، بعد موافقة مجلس الشيوخ عليه ، نقل سلطة الكنيسة الى المحاكم المدنية .

وقد جاءت موافقة مجلس النواب على مشروع القانون الجديد بعد مناقشات حامية بين المؤيدين له والمعارضين من النواب ، واستغرقت اجتماعات المجلس أسبوعا كاملا ، حتى ادى هذا الى اصابة الكثير منهم بانهيار عصبى ، نقلوا بسببه الى المستشفيات للعلاج .

ويبيح القانون الجديد النافذ الطلاق في حالة انفصال الزوجين فترة من الزمن ، أو عند الحكم بالسجن على الزوج او الزوجة ، وفي حـــالات الجرائم والخيانات الزوجية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن أقطاب الفاتيكان وزعماء المعارضة من الكاثوليك ، كانوا قد نجحوا خلال قرن كامل من الزمان ، في أن يحولوا دون الموافقة على أكثر من اثنى عشر مشروعا بقانـون لاباحة الطلاق امام المحاكم المدنية . ثم قدم مشروع القانون الثالث عشر واقره البرلمان .

وتتوقع الدوائر السياسية والدينية في روما والفاتيكان أن يؤدى هذا القانون الجديد الى نشوب نزاع حاد بين البابا بولس السادس، بابا الفاتيكان، وبين الحكومة الايطالية الحاضرة ، وخاصة بعد أن بلغ عدد الطلبات التى قدمت للطلاق أكثر من مليون طلب فور تصديق البرلمان على القانون الجديد .

ولن تهدأ هذه الأزمة ، الا اذا جاءت حكـومة جديدة في ايطاليا ، ونجحت في الغاء القانون امام برلمان منتخب جديد !!

(م . ن)

جونار يارنج

■ الوسيط الدولي جونار يارنج الذي يقوم بدور حمامة السلام في النزاع القائم بين العرب واسرائيل ،كل ما اعرفه عنه انه دبلوماسي سويدي، فهل تتكرمون بأن تعطوني فكرة عن تاريخ حياته .. ؟

هشام عبد العظيم ــ ج.ع.م

ــ جونار يارنج Gunnar Jarring ولـد في مقاطعة سكين Skane بجنوب السويد في عام ١٩٠٨ والغريب ان اسمه الحقيقى ليس يارنج ولكن جونسون .

ويارنج او جـونسون درس اللغات الشـرقية وخاصة التركمانية في جامعة لوند Lund .. وحصل على بكالوريوس اللغات ثم سافر الى مقاطعة تركستان الصينية حيث امضى هناك عاما يجول فيها فوق ظهور الجمال يجمع المعلومات الخاصة برسالة دكتوراه عن اللهجات التركمانية .

وحصل يارنج (جونسون في ذلك الوقت) على درجة الدكتوراه وعين مدرسا في معهد اللغات التابع لجامعة لوند .. وتزوج المدرس الجامعي من تلميذة في المعهد كانت تدرس اللغات السلافية .

وبعد الزواج قام جونسون بتغيير اسمه الى يارنج ويقال ان السبب في هذا ان اسم جونسون من الاسماء الشائعة جدا في السويد ، مما سبب له الكثير من المشاكل بسبب تشابه الاسماء .

وكان نشـوب الحـرب العالمية الثانيـة سببا رئيسيا في تغيير مستقبل يارنج .. فقد اختارته حكومـة السـويد للعمل كضابط مخـابرات في سفارتها بانقرة نظرا لاجادته اللغة التركية علاوة على انه يجيد ١٢ لغة اخرى .

ونجح يارنج في عمله الجديد وكان نجاحه سببا في ان يشق طريقه بسرعة في السلك الدبلوماسي .. ولم يعد يارنج الى التدريس الجامعي منذ ذلك التاريخ . وفي عام ١٩٥٦ عين يارنج سفيرا للسويد في الامم المتحـدة وبعدهـا بعامين اصبح سفيرا لبلاده في واشنطن ، وبقي هناك حتى نقل الى موسكو في عام ١٩٦٤ وهو لايزال يحتل هـذا المنصب حتى الان .

ويمتاز يارنج بانه حريص على البعد عن الاضواء كما انه يمتاز بالصمت التام والخجل .

(م . ط)



R. E. MACPHERSON, M.A.
Registrary
F. WILD, M.A., Ph.D.
Deputy Registrary
F. W. DAVEY, M.A.
D. J. R. MURPHY, M.A.
Assistant Registraries

UNIVERSITY REGISTRY
THE OLD SCHOOLS
CAMBRIDGE
CB2 1TN

When replying please quote the reference

1? December 1970

Dr Ahmad Zaki,
Editor, Al Araby Magazine,
Kuwait,
Arabia.
P.O.Box 748

Dear Sir,

Thank you for your letter. There is no course in Spiritualism either at this or any other University in the United Kingdom.

Yours faithfully,

R.E.Barlow-Poole.

تحضير الأرواح

● أنا لا أومن بمسألة تحضير الارواح وقد عايشت الاستاذ أحمد فهمي ابو الخير ، المتحمس الاول لفكرة تحضير الارواح والمدارس لها ، وكان دائما في حججه يذكر أن الجامعات الغربية تعالج هذا الامر ، ونسأله في ذلك فيذكر دائما جامعة كمبردج .. فهل تقوم جامعة كمبردج حقيقة بدراسة الارواح وتحضيرها .. ! أفيدونا افادكم الله ..

علي محسن ــ البصرة

ــ ارسلنا الى جامعة كمبردج نسألها في هذا الموضوع فجاء منها الخطاب التالي ننشر صورة منه بالانجليزية ونتبعها ترجمة عربية له .

جامعة كمبردج
مكتب مسجل الجامعة

عزيزي الفاضل
نشكركم على خطابكم .. ان موضوع الارواح واستحضارها لا يدرّس في هذه الجامعة ولا في اية جامعة اخرى في المملكة المتحدة .
وتفضلوا ..

شعرة معاوية

● ما هي شعرة معاوية التي تذكرني أقوال بعض المتحدثين في السياسة وفنونها .

محمود عبد الله ــ دمشق

ــ معاوية هو ابن أبي سفيان الذى تولى امارة المؤمنين من بعد سنة أربعين للهجرة وكان قبل ذلك واليا على الشام من ايام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب .

ويروون عن معاوية أنه كان سياسيا داهية يعرف كيف يجمع حوله الناس وأنه كان حليما ، ويذكرون من أقواله « لقد كنت الفى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعه حلما ، فارجع وهو لى صديق ان استنجدته انجدنى ، وأثور به فيثور معي ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ،ولا زاده الا كرما ».

وشعرة معاوية هى الحكمة التى ذكرها ليبين سياسته في معاملة الناس اذ قال : « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت . فسأله بعضهم : وكيف ذلك ؟ فقال : كنت اذا شدوها أرخيتها ، واذا أرخوها شددتها » .

وتوضيح هذه السياسة تبدو في قول آخر له وهو « انه لا ينبغى أن يَسوس الناسَ سياسة واحدة : باللين فيمرحوا ، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك » .

ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه جرى بين رجل يقال له ابو الجهم وبين معاوية كلام . فتكلم ابو الجهم بكلام فيه غَمْزٌ لمعاوية ــ اى تنقيص ــ فاطرق معاوية ثم رفع راسه فقال : يا أبا الجهم اياك والسلطان ، فانه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ أخذ الأسد . وان قليله يغلب كثير الناس . ثم أمر معاوية لابى الجهم بمال . فقال ابو الجهم في ذلك يمدح معاوية :

نَميل على جوانبــه كأنّا
نميــل اذا نميــل على ابينــا

(ع . ف)



فرمير

الرسام الذى تركز على الألوان والضياء

بقى قرنين مجهولا ثم اكتشفه محام للفن هاو

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ من طريف ما يروى عن فرميرولوحاته ، وهى تتميز بألوانها الاخاذة وانوارها الوضاءة الفياضة ، ان احدرواد المتاحف وقف مرة يتامل احدى تلك اللوحات . وفجاة التف حولها وكانه يبحث عن شيء فقده . أما ذلك الشيء فلم يكن سوى الضوء الذى تالقت بـه اللوحة . فقد بدا وكانه منصب عليها من خارجها ، فراح الزائر يبحث عن مصدرهذا الضوء خارج تلك اللوحة .

ان مقدرة فرمير على ابتكار الالوان النضرة المنعشة وتصوير الانوار الناصعة، وكفايته فى استغلال هـذه وتلك اروع استغلال،هى الميزة الكبرى التىاشتهرت بها لوحاته ، ومن بينها لوحة « درس الموسيقى » ، لوحة الصفحة الثانية من هذا العدد . وقد تذكر له ميزة اخرى تمثلت فى اتقانه المبدع للمشاهد المنزلية والمناظر العائلية المألوفة التى يراها المرء عـادة داخل البيـوت ، فى حجراتها او مطابخها او ما الى ذلك . فهذا النوع من الرسم ويعرف باسم Genre Painting ، انما بلغ ذروته فى فن فرمير ولوحاته ، وقد شاع فى بلد رسامنا ، هولندة ، وفى ايامه من القرن السابع عشر .

ويستغرب المرء بعد ذلك ان يكون فرمير هـو الفنان المنسى الـذى طـوى ذكره التاريخ طوال مائتين من السنين . فقد نسيه مؤرخو الفن والنقاد واغفلوا ذكره فيما كتبوا . ويصدق هذا على الذين عاصروا فرمير والذين جاءوا من بعده . ولا يعرف لهذا النسيان سبب ، وهـو يبعث على مزيد من الاستغراب اذا ذكرنا أن لوحاته كانت موجودة ومعروفة طول الوقت . الا انها لم تنسب اليه ، وانمـا نسبت الى رسامين آخرين من معاصريه. ثم أن لوحات فرمير هذه لم تحظ بالتقدير الذى تستحق طوال تلك الفترة الطويلة التى اغفله التاريخ فيها .

وقد يأسف المرء لشيء واحـد على الاقل مما ترتب على ذلك النسيان . ذلك هو انطماس سيرة فرمير ، بحيث لا تكاد تجد عن حياته فى أى من المراجع المعروفة ، بما فيها الموسوعة البريطانية، اكثر من سطور معدودة . ولعلنا لا نعلم عن حياة هذا الفنان المبدع اكثر ممـا نوجزه فى هذه الكلمة .

عاش جان فان درمير Jan Van Der Meer

احدى لوحات فرمير الشهيرة ، الموجودة في لهاى اسمها « منظر من مناظر مدينة دلفت » ، وهي اللوحة التى استحوذت على اهتمام المحامى الفرنسي تورى ، واستأثرت بجانب كبير من مقالاته الثلاث التى كشف بها النقاب عن الفنان المنسي .. وتظهر في اللوحة الوان فرمير وهى الاصفر والاحمر وتظهر فيها كذلك الضياء منعكسة في الماء وغير منعكسة . ولو لاحظنا « الاثر البصرى » الذى تتركه الصورة فنيا ، وخاصة لدى النظر الى الغيوم التى بدت ممطرة فيها ، لادركنا المقصود بقول بعضهم بان هذه اللوحة هى اللوحة الرائدة الاولى بين اللوحات الانطباعية في التاريخ .

او فرمير اختصارا ؛ ثلاثة واربعين عاما، اى من سنة ١٦٣٢ ــ ١٦٧٥ . وقد قضاها كلها او اكثرها في مدينة دلفت ، في هولندة ، حيث ولد وتتلمذ على كارل فابريشوس Fabritius ، احد كبار اساتذة الفن الرسامين في هولندة آنذاك. وتزوج فرمير سنة ١٦٥٣ ثم انتخب لعضوية نقابة الرسامين مرتين ، الاولى سنة ١٦٦٢ والثانية سنة ١٦٧٠ .

ولعل اكثر ما يلفت النظر في حياة فرمير ، او ان شئت في شخصيته ، هو احجامه ، بل ترفعه عن بيع لوحاته . وقد يستثنى من ذلك حالات الضيق المادي والازمات الخانقة التى اضطرته احيانا الى عرض لوحاته في الاسواق بقصد بيعها وسداد ذمة اودين بثمنها .

هذا بالرغم من ان فرمير زاول تجارة بيع اللوحات الفنية وشراءها واعتمد على دخلها اعتمادا كاد ان يكون كاملا .

ومما يذكر في هذا الصدد ان التركة التى خلفها فرمير لورثته لم تكن مالا ولا عقارا وانما كانت طائفة من اللوحات الفنية بلغ عددها ٢٦ لوحة . وبالرغم من قيمة تلك اللوحات فانها لم تعد على ارملة فرمير باى مال قليل او كثير . ذلك ان السلطات لم تلبث ان وضعت يدها على تلك اللوحات . فقد تبين لدى وفاة رسامنا انه كان مفلسا . على ان فرمير ترك لارملته شيئا آخر غير اللوحات والافلاس .. فقد خلف لها ١١ طفلا ..

ولعل أهم ما يروى عن فرمير لم يحدث في حياته وانما بعد وفاته بنحو ٢٠٠ سنة. ذلك هو اكتشافه في سنة ١٨٦٦ . وقد جاء ذلك على يد محام فرنسي كان يعيش في هولندة في تلك الاثناء . وكان هذا المحامى سياسيا ، بل ثوريا ، ساهم في الثورة الفرنسية سنة ١٨٤٨، فحكم عليه بالنفي وغادر فرنسا سنة ١٨٤٩ . وراح المسيو تورى Tnore يتنقل بين بريطانيا وبلجيكا وغيرهما حتى طاب له المقام في هولندة فاستقر فيها .

الا ان هذا المحامى كان ، فوق ذلك، ناقدا فنيا وكاتبا صحفيا . . وقد نشرت له مجلة الفنون الجميلة الهولندية، بتوقيعه المستعار ، برجر Burger ، ثلاث مقالات طويلة عن رسامنا فرمير . وظهرت تلك المقالات ، التى بلغ عدد صفحاتها ٥٨ صفحة ، تباعا في سنة ١٨٦٦ . ولم يمض على ظهورها وقت طويل حتى خرجت حقيقة فرمير من الظلمات الى النور وراح الناس يقدرون من جديد الفنان المغمور رسام اللون والضوء .

وجدير بالذكر ان اكتشاف فرمير هذا قد تم في الوقت الذى بدات تظهر فيه مدرسة الانطباعيين من الرسامين من امثال موني Monet ورنوار Renoir وسيزان Cezanne وديجاس Degas وغيرهم . ويرى النقاد ان فرمير كان الرسام الانطباعي الاول بلا نزاع، وقد حرص على احداث الانطباع او الاثر البصرى Optical Effect في الناظرين الى لوحاته ، ولو على حساب الاثر الفكرى ، وأبدع في استغلال الضوء والالوان ، كما ذكرنا ، الى ابعد الحدود . ■■



ركن الأسرة والمرأة

الخوف

بقلم: منير نصيف

■ هل صحيح ان المراة تعيش حياتهافى خوف دائم ؟ وان يكن ذلك حقا فمن اي شيء تخاف ؟ ثم هل لهذا الشعورعلاقة بتكوينها البيولوجي ؟وهل الخوف مقصور عليها وحدها دون الرجل ؟
واخيرا كيف تتخلص المراة من مخاوفها وكيف تستعيد ثقتها بنفسها ؟

تقول نانسى استور Nancy Astor ، (١٨٧٩ ـ ١٩٦٤) ، وقد كانت اول امراة تنتخب عضوا فى البرلمان البريطاني ، وتجلس وسط الرجال فى مجلس العموم ، او مجلس النواب تقول : « لقد عشت حياتي كلها فى خوف .. كنت اخاف الناس ، واخاف من الفشل ، اخاف من المستقبل ، ولكن اعظم مخاوفى كانت تلك التي كنت احس بها كلما مضت السنون ، ووجدت نفسي أقترب من الشيخوخة ! فقد كنت اكره دائما ان ارى اليوم الذى اشعر فيه بأن أحدا لم يعد يحتاج الىّ ، او يرغب فى وجودى ! » .

مخاوف الرجل

ويقول العلماء ان الخوف ليس مقصورا على المراة وحدها ، فكثيرا ما ينتاب الخوف الرجل ايضا ، فهو يخاف على مركزه ، وعلى مستقبل ابنائه ، الا ان هذا الشعور أقوى عند المراة واكبر اثرا عليها فى حياتها ، منه عند الرجل ، ثم هو يلازمها فى شتى اطوار حياتها منذ طفولتها ، حتى آخر يوم فى حياتها ..

ومما لا شك فيه ان طبيعة المراة وتكوينها البيولوجي يلعبان دورا رئيسيا فى المخاوف التي تصيبها ، فهي تعرف مثلا انها مخلوق ضعيف .. اضعف من الرجل الذى تحتاج الى حمايته،وتخافه فى الوقت نفسه ..

مسئولية بناء الاسرة

وهي تعرف ايضا انها هي التي تحمل جنينها بين احشائها ، وهي التي تلد وترضع وتربي ، لتقدم جيلا جديدا من النشء الذى يقع على عاتقها مسئولية رعايته وتوجيهه توجيها صحيا سليما .. ثم هي تعرف اخيرا انها مسئولة عن بناء هذا البيت الصغير الذى يجمعها هي وزوجها واولادها ، وعن سعادة هذه الاسرة .. حقيقة ان للرجل نصيبا من هذه المسئولية ، ولكن العبء الواقع عليها هي ، اكبر بكثير من نصيب رجلها

شيمة المرأة أكثر منه شيمة الرجل

منه ، فهي الارض الطيبة التي تحتضن بذور الحياة فتنمو فيها وتثمر وتكبر وتزدهر وتتفرع .

على ان اعباء المرأة تتضاعف ، اذا كانت هي الاخرى تعمل وتعاون زوجها في تحمل اعباء الحياة ، فمهمتها في هذه الحالة مهمتان .. الاولى ازاء بيتها واسرتها ، والثانية ازاء عملها او مهنتها ، اذا كانت صاحبة مهنة ..

الخوف في الطفولة

والخوف يبدأ عند المرأة مع طفولتها ، كما ذكرنا ، وهو يكبر ويتزايد كلما كبرت الطفلة ونمت .. فهي تخاف منذ تلك اللحظة التي تخطو فيها خطواتها الاولى نحو الحياة .. تخاف الظلام وتخاف الوحدة وتتعلق بامها ، فهي لا تحتمل الافتراق عنها ابدا .. ثم هي تخاف بعد ذلك من اللعب مع الاطفال الذكور .. لانها تدرك انها لا تستطيع مثلا ان تقفز الحواجز التي يقيمونها ويتبارون في اجتيازها ، وتعرف انها لا تستطيع ان تدخل في سباق في الجري معهم ، او مشاركتهم في لعب كرة القدم ، او الذهاب في رحلات تستغرق ساعات طويلة بعيداً عن بيتها وعن امها ..

شعور غريزي

وهذا الشعور الذي تحس به الطفلة في تلك السنوات المبكرة من عمرها ، كثيرا ما يكون غريزيا ، وقلما احتاجت الأم الى تنبيهها اليه .. فالطفلة تعرف ان لها لعباتها الخاصة ، وهي تختلف عن اسلوب الاولاد في لعبهم وتسليتهم ، ان لها عرائسها الصغيرة التي تلهو بها وتداعبها وتخاطبها ، وتحملها بين ذراعيها وتضعها في فراشها لتنام ، تماما ، كما تفعل معها امها ..

في سن النضوج

وتمر سنوات الطفولة بمتاعبها وتعقيداتها .. اعوام قصيرة تعيشها الفتاة بين الطفوله والمراهقة ، وهي ترى وتسال وتتعلم ، حتى اذا ما بلغت سن النضوج ، احتواها ذلك الشعور بالخوف والقلق معا .. فهذا التحول الغريب الذي طرا على جسمها الصغير يثير قلقها ، وهذه الانوثة التي تراها في نفسها وتحسها ، تملأ قلبها باحساس غريب هو مزيج من الخوف والخجل .. وما اكثر العقد التي تصيب الفتيات في هذه السن الخطرة ، اذا لم يجدن اليد الحكيمة ، التي تمتد اليهن لتعاونهن على اجتياز هذا الجسر الذي ينقلهن من دنيا الطفولة الى عالم النساء ..

بين امس واليوم

تمضي سنوات المراهقة .. وبالامس لم تكن مشكلة الفتاة في هذه السن تطول كثيرا ، اذ سرعان ما كانت تزف لعريسها عند بلوغها سن السادسة عشرة او ما بعدها ، وربما قبل ذلك بمجرد بلوغها ..

أما اليوم ، فقد تغير الحال ، وخرجت الفتاة لتتعلم وتكمل تعليمها الجامعي ، وتنافس الرجل في مختلف المهن ، وهي مازالت فتاة ، لم تتزوج بعد .

ومن هنا تبدأ مخاوف المرأة .. لقد اصبحت تشعر بشيء من الاستقلال بعد ان عرفت طريقها الى العلم والعمل والكسب ولكنها في قرارة نفسها مازالت تحس بحاجتها الى الرجل .. الرجل الذي تستطيع أن تستند الى ذراعه القوية ، وهي تجتاز امواج الحياة .. الرجل الذي تحتاج الى حمايته ورعايته والذي ستبني معه اسرتها الصغيرة .

ولاتلبث الفتاة في هذه المرحلة من عمرها [illegible] تشعر بالخوف يعاودها ، كلما تقدم بها العمر [illegible] واحست ان قطار الزواج قد فاتها او كاد [illegible]

الخوف من الزواج

ثم تتزوج هذه الفتاة ، ولكن هل انتهت مخاوفها بالزواج ؟

لا ! فهي قد بدات لتوها .. وهي مخاوف [illegible] تهز كيانها هزا ..



ان الشعور بالامومة يتحرك في داخلها ، وهي تحن الى هذا اليوم الذي ستصبح فيه اما ، ولكن ما تكاد امنيتها تقترب وتتحقق ، حتى يسيطر عليها خوف هائل من هذه التجربة الجديدة .. وتظل الزوجة ترقب الحادث السعيد ، يتنازعها عاملان .. عامل الفرح الذي يغمر قلبها باقتراب موعد وصول مولودها ، وعامل الخوف الذي يسيطر عليها من آلام الوضع التي سمعت وقرأت عنها الكثير ، وربما كانت تجربة امها مع اخوتها الصغار مازالت عالقة بذهنها !

متاعب الامومة

ويصل الطفل اخيرا .. وتبدأ متاعبها ويتضاعف خوفها وهي تشعر بمسئوليتها ازاء هذا المولود الجديد .. فهي ترضعه وتعنى به وترعاه ، وتخاف عليه من النسيم .. اذا مرض سارعت تحمله الى الطبيب ، وتسهر الليل بجوار فراشه الصغير ، حتى يبرأ ، واذا تألم ، احست بالدنيا كلها تدور بها من حولها ، وهي لاتدرى ماذا تفعل لكي تخفف عنه آلامه ، وتعيد الابتسامة الى هذا الوجه البريء .. انه بالنسبة لها حياتها ودنياها وكل شيء في هذا الوجود ..

وتتكرر المتاعب والمخاوف مع وصول كل مولود جديد ، حقيقة يخف اثر التجربة على نفس الام، ولكن مسئولياتها تتضاعف . فالعناية بطفلين تتطلب جهدا اكبر من العناية بطفل واحد .. وهكذا ..

المشاكل تكبر

ويكبر الاطفال ويذهبون الى المدرسة ، ولكن مخاوف المرأة الام لاتنتهي .. انها تحمل في صدرها هما كبيرا .. فهي دائمة القلق عليهم .. انها تعدهم للذهاب الى المدرسة في الصباح ، ثم تقضي نهارها كله في انتظار عودتهم الى البيت ، واذا تأخر احدهم عن موعده ، استبدت بها الهواجس والافكار المظلمة ، وتصورت أن سوءا قد حل به ..

وكلما كبر الابناء ، كبرت مشاكلهم .. وأكبر هم تحمله الام عندما يجتاز ابناؤها طفولتهم ويخطون الى سني المراهقة والشباب ، هو خوفها من الفشل .. الفشل في الدراسة وما يترتب عليه من فشل اكبر في الحياة .. حقيقة انها مسئولية يشترك فيها الرجل مع امرأته ، ولكنه قلما اعترف بنصيبه منها ، فاللوم كله واقع على الام ، وخاصة اذا كان عمل الاب لا يسمح له بقضاء وقت كاف مع ابنائه يستمع فيه الى مشاكلهم ، ويبحث معهم متاعبهم ، ويوجه اليهم نصائحه وارشاداته ..

الخوف من الشيخوخة

وتنظر المرأة حولها ، بعد ان يكبر الابناء ، فاذا بها قد وصلت الى منتصف العمر او تجاوزته !

وفي هذه المرحلة من حياة المرأة تلك التي تخطو فيها خطوات حثيثة الى سن اليأس ، نجد ان خوفها قد تضاعف ، لقد افاقت فجأة بعد أن أدت رسالتها ، او كادت ، فوجدت انها قد اضاعت اجمل سني عمرها في تربية ابنائها وتنشئتهم ..

ان خوفها اليوم هو خوف من الشيخوخة .. انها لا تريد ان تهرم ، انها تخاف هذا الذبول الذي بدأ يصيبها ، لكي تعيش لزوجها الذي بدأت تشعر به وتحس بوجوده الى جوارها بعد ان تقدم به العمر هو الآخر ..

تقول جين اوستن (١٧٧٥ – ١٨١٧) كاتبة بريطانيا الشهيرة : « ان اقسى المخاوف التي تصيب المرأة هي تلك التي تشعر بها عندما تحس باقترابها من الشيخوخة ! » .

وقد ماتت جين قبل ان تكمل عامها الثاني والاربعين ! فهي لم تبلغ الشيخوخة التي كانت تخافها وتخشاها !

مخاوف ومخاوف

كتبت جين أوستن يوما رسالة ترد فيها على احدى صديقاتها ، وكانت تشكو لها من مخاوفها في وحدتها بعد ان تزوج ابناؤها ، ومات زوجها ، تقول : « ان خوفك هو اهون المخاوف ياعزيزتي .. اعرف امرأة عظيمة تعيش سعيدة بين زوجها واولادها ، فهل تصدقين ان الطمأنينة لم تعرف طريقها لحظة واحدة الى قلبها القلق » .

« لقد جلست صديقتي هذه تحدثني يوما من عن مخاوفها ، قالت انني اعيش حياتي كلها في خوف دائم ، انني أخاف السمنة ، اخاف الشيخوخة ، اخاف ان يفتر حب زوجي لي ، اخاف ان اجرح مشاعر الناس ، اخاف كل شيء غريب يدخل بيتي وحياتي » ..

ماذا تفعل المرأة لكي تخلص نفسها من هذه المخاوف ؟

كيف تخلص المراة نفسها من الخوف

يقول العلماء : « ان اول شيء يجب ان تلجأ اليه المراة لتخلص حياتها من مخاوفها ، هو ان تعترف بينها وبين نفسها بهذه المخاوف . فالجهد الذي تبذله المراة لاخفاء مخاوفها عن زوجها وعن الناس يضاعف من حدة هذه المخاوف ويعرض صاحبته لمتاعب واضطرابات نفسية شديدة .

فالخوف ، كما يؤكد العلماء ، يتبدد وينقشع، عندما نتقبل حقيقة احساسنا به ، فتقول المراة لنفسها : « أنا خائفة ، هذه حقيقة ثابتة ، ولكن أليس هناك غيري كثيرون يشعرون بالخوف مثلي .. ولكن لماذا اخاف .. هل استطاع خوفي ان يساعدني على التخلص منه هل افادني القلق في علاج الازمات التى مرت وتمر بي في حياتي .. لماذا لا اترك الامور تجرى على اعنتها ، وليفعل الله بي ما يشاء ، فهذه ارادته ! » ..

وليس الخوف مقصورا على المراة وحدها كما ذكرنا ، فهذا الشعور يصيب الرجل أيضا وفي وقت او في آخر ، ولكن أسبابه اضيق نطاقا منها عند المراة ، فمخاوف الرجل كما قدمنا تتركز غالبا في محيط عمله ، وفيما هو متعلق برزقه !

الخوف من الغد والمستقبل

اما عند المراة فالخوف يساورها دائما من الغد .. وما الذى يمكن ان يأتي به اليها من مفاجئات .. فهي تخاف اذن من المستقبل ماذا ستصنع الايام بجمالها ، هل ستنجح في الاحتفاظ برجلها ؟ كيف ستكون حياتها في العام المقبل ، ثم في العام الذى يليه ، وبعد خمس سنوات !

ولكن اذا توقفت المراة قليلا ، وسالت نفسها ، ماذا صنع بها الخوف ، هل ساعدها القلق في حل مشاكلها ، ولماذا تقضي حياتها كلها في التفكير وانتظار ما سيأتي به الغد ؟!

لو فعلت هذا لادركت على الفور انها قد هدمت اعصابها ، وافسدت حياتها بتفكيرها المستمر في مشاكلها ومشاكل اسرتها .. تلك التي حدثت والتي تتوقع لها الحدوث ..

حياة بلا خوف

ان كثيرا من الكوارث التى نتوقع حدوثها قد لا تأتي ابدا .. واذا عدنا قليلا الى الوراء ، لوجدنا اننا كنا اقوياء في كثير من المواقف الحرجة الصعبة التي واجهتنا ، وانه لا الخوف ولا القلق قد ساعدنا على تجنب الوقوع في هذه المشاكل .. لقد جاءت رغم كل شيء .. ثم مضت في حال سبيلها . يحتمل ان تكون قد تركت اثرا هنا او هناك ، ولكن التجربة مرت بنا على اية حال ، ونحن اليوم نعيش ونحيا ، ولا بد لنا ان ننعم بهذه الحياة ..

الانوثة هبة

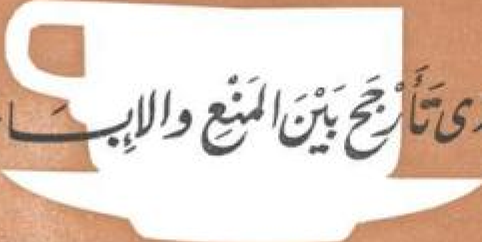
قالت الزا ماكسويل (١٨٨٣ — ١٩٦٣) ، الصحفية والكاتبة الشهيرة التي وصفها برناردشو يوما بقوله : « انها اعجوبة العالم الثامنة ! » فلم تكن هذه المراة تخاف احدا او تخشى شيئا .. ولم يسلم من لسانها وقلمها انسان ، قالت : « لقد اردت ان اثبت للرجل خرافة القول بان المراة مخلوق ضعيف .. ولا سبيل للمراة للتخلص من مخاوفها الا اذا آمنت بنفسها كامراة .. فالانوثة هبة ، وهي هبة جميلة ، اذا عرفت المراة كيف تستغلها .. اننا لسنا في حاجة الى اية موهبة من تلك المواهب التى تنسب عادة للرجل دون المراة ! ان المراة هي المراة ، بشرط ان تعرف كيف تبدو وتتصرف وتعيش كامراة ! » . ■■

منير نصيف

> « المراة تصبح مخلوقا كاملا عندما تعرف انها امراة ، وعندما تدرك انها لم تخلق الا لتكون امراة اولا وقبل اى شيء آخر » .
>
> « كوليت » كاتبة فرنسا الشهيرة



القهوة



المشروب الذى تأرجح بين المنع والإباحة

بقلم : عبد الرزاق الهلالى

■ لقد كان السؤال الذى وجهه (السيد حمد مرزوق الحارثى) الى مجلة « العربى » القراء حول (الزمن الذى عرف به اهل البادية مشروب القهوة وممن اقتبسوه) والجواب الذى نشرته المجلة فى عددها الصادر فى شهر تموز عام ١٩٧٠ ، أقول لقد كان السؤال ذاك وجواب المجلة عليه ، الدافع الذى دفعنى الى كتابة هذا البحث عن هذا المشروب الذى سجل له التاريخ صفحات مليئة بالاحداث الطريفة والوقائع اللطيفة ، فرايت ان شيئا من هذا يستحق ان يجد له مكانا فى مجلة العربى الزاهرة ، مادامت منذ صدورها حتى اليوم تقدم لقرائها كل نافع وطريف .

ان تاريخ هذا النبات المسمى بـ (البن) وكيفية معرفة خواص ثمره ، ملىء بالاساطير الغريبة والروايات العجيبة ، وقد ظل الناس يتناقلونها ردحا من الزمن على انها مسلمات دون ان يكون لهم فى ذلك من التاريخ سند او دليل .

فما نقل عنهم : ان النبى داود ، هو اول من وقف على خواص ثمر هذه الشجرة ، وذهب بعضهم الى القول بان رئيس احد الاديرة بالجزيرة العربية هو الذى استدل على قوة ثمرة البن ، ذلك انه خرج يوما الى الصحراء فرأى قطيعا من المعزى كان يرعى بعضها اغصان شجرة فتنشط بأكلها وتمرح وكانت هذه الشجرة (شجرة البن) فاستدل بذلك على ما لحبوبها من القوة .

وتروى بعض المصادر الاجنبيه حول هذا الموضوع قصة تقول فيها « ان راعيا اسمه كلدى قد لاحظ (اتفاقا) تاثير هذا النبات فى سائمته فكان ان افضى ذلك الى تجفيف حب البن واستحضار شراب منه » مع كل هذا فلا ندرى ما الصحيح .

استعمال حب البن

يحدثنا التاريخ الذى عنى بهذا الحب وشرابه ، بان الاحباش كانوا ياكلون حب البن نيئا غير مطبوخ فى الوقت الذى لم يكن اهل عدن واليمن



يعرفون غير منقوع (الكفته) اى منقوع (ورق القات) .

ولقد تطور الامر عند الاحباش فباتوا يشربون منقوع (حب البن) وقشره دون أن يصل ذلك الى أهل عدن واليمن وظل الامر كذلك حتى اواسط القرن التاسع للهجرة ، اذ ظهر شرب المنقوع وشاع فى اليمن على يد الشيخ الامام جمال الدين ابى عبد الله بن سعيد الذبحانى المتوفى سنة ٨٧٥هـ أما كيف كان ذلك فيرويه الشيخ محمد بن عبد القادر الجزيرى الحنبلى في مقالته المعروفة بـ (عمدة الصفوة فى حل القهوة) حيث قال « انه لما تولى وظيفة تصحيح الفتاوى فى عدن ، عرض له امر اقتضى خروجه من عدن الى برعجم (بر افريقية) فاقام به مدة فوجد اهله يستعملون القهوة ولم يعلم بخاصيتها . ثم عرض له لما رجع الى عدن ، مرض ، فذكرها فشربها فنفعته ، فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفه ونشاطا » فلما سلك الشيخ الذبحانى طريق التصوف صارهو وغيره من الصوفية يستعينون بشربها على السهر ، ثم تتابع الناس والفقهاء والعلماء هناك على شربها !

أما (الفزى) مؤلف كتاب (الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة) فانه يجعل الكشف عن هذا الحب واستعماله متاخرا اى فى اوائل القرن العاشر . ففى ترجمة (ابى بكر الشاذلى العيدروس المتوفى فى أوائل القرن العاشر) قال انه هو « مبتكر القهوة المتخذة من البن فى اليمن . وكان اصل اتخاذه لها انه مر فى سياحته بشجر البن على عادة الصالحين فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته ، فوجد فيه تخفيفا للدماغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة ، فاتخذه قوتا وطعاما وشرابا . وأرشد أتباعه الى ذلك ، ثم انتشر فى اليمن ثم انتقل الى بلاد الحجاز ثم الشام ومصر وسائر البلاد » .

القهوة واعداد مشروبها

ولقد سمى (منقوع البن) هذا باسم (القهوة) الذى هو اسم من أسماء الخمرة ، لا سيما بعدما وجدوا فيها بعض خواص الخمرة ، قال (العلامة الفخر أبو بكر بن ابى يزيد) فى كتابه (النخوة فى حل القهوة) فى اشتقاق اسم القهوة ما نصه « ان القهوة ، من الاقهاء وهو الاجتواء ، اى الكراهة ، أو من (الاقهاء) بمعنى الاقعاد ، من اقهى الرجل عن الشىء اى اقعد عنه ... ومنه سميت الخمرة (قهوة) لانها تقهى اى تكره الطعام وتقعد عنه ، حسبما نقل عمن يعرف أحوالها » .

ومن طريف ما روى فى هذا الخصوص ان بعض الفقهاء الذين حللوا شرب القهوة ، قالو : « ان منقوع (البن) هو (القهوة) (بكسر القاف) وليس (القهوة)(المفتوحة القاف) التى هى الخمرة »!!

وبعد هذا لابد لنا من الوقوف على الصورة التى كانوا يعدون بها مشروب القهوة في أوائل معرفتهم لها قال صاحب (عمدة الصفوة فى حل القهوة) « اعلم أن القهوة هى النوع المتخذ من قشر البن او منه مع حبه المجحم (بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة المفتوحة ايضا) اى المقلى .

وصفتها هو ان يوضع القشر اما وحده ، وهى (القشرية)،او مع البن المجحم المدقوق،وهى(البنية)، فى ماء ثم يغلى عليه ، حتى يخرج خاصيته . وتسمى عندهم باصطلاح ذوى المعرفة المحكمة الاستواء (بتشديد الكاف ثم تركه) . ثم تشرب » .

وقد وجد المتصوفة فى هذا المشروب ، كما رأينا ، ضالتهم لانه يساعدهم على السهر ، ولذلك شاع استعماله عندهم ، كما أن أصحاب الأذكار والمديح كانوا يتعاطون شربه على طريقتهم الخاصة .

وذكر ان أصحاب الأذكار في مصر (فى أوائل القرن العاشر) كانوا يشربون القهوة كل ليلة اثنين وجمعة ، اذ كانوا يضعونها فى ماعون كبير من الفخار الأحمر ، ويغترف منها (نقيبهم) بسكرجة صغيرة ويسقيهم ، الايمن فالايمن ، مع ذكرهم المعتاد وهو (لا اله الا الله الملك الحق المبين) .

وقد قال العلامة الشيخ عبد الغفار « وكنا ممن يحضر معهم وشربناها فوجدناها فى اذهاب النعاس والكسل كما قالوا ، بحيث انها تسهرنا معهم ليالى لا نحصيها الى ان نصلى الصبح مع الجماعة من غير تكلف . وشربت فى حارة الجامع الازهر وبيعت بها دهرا فى عدة مواضع لم يتعرض احد طول المدة لشاربيها ، ولا انكر شربها لذاتها ، ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها فى نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكر او مولد الا بحضورها » .

القهوة والطب

ونظرا لما فى مشروب القهوة من خواص فقد دخلت فى الطب العربى كدواء شاف لبعض الأمراض ، وقد ذكر (لوكلار) Leclerc ، فى كتابه (تاريخ الطب العربى) ان اول من ذكر قهوة البن هو داود الانطاكى من أطباء القرن السادس عشر الميلادى فوصفها وصفا دقيقا حيث قال :

« البن ثمر شجر باليمن يغرس حبه فى آذار وينمو ويقطف فى آب ، ويطول نحو ثلاثة اذرع على ساق فى غلظ الابهام ويزهر ابيض يخلف حبا كالبندق وربما تفرطح كالباقلاء ، واذا قشر انقسم نصفين ، وأجوده الرزين الأصفر ، واردؤه الاسود، وهو حار فى الاولى يابس فى الثانية ، وقد شاع برده ويبسه ، وليس كذلك لانه مر ، وكل مر حار ويمكن ان القشر حار ، ونفس البن اما معتدل او بارد ، والذى يعضد برده عفوصته . وبالجملة فقد جرب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمى والنزلات وفتح السدد ، وادرار البول .

وقد شاع الآن اسمه (بالقهوة) اذا حمص وطبخ بالغا . وهو يسكن غليان الدم وينفع الجدرى والحصبة والشرى الدموى ، لكنه يجلب الصداع الدورى ، ويهزل جدا ، ويورث السهر ، ويولد البواسير ، ويقطع شهوة الباه ، وربما افضى الى (الماليخوليا) فمن اراد شربه للنشاط ودفع الكسل وما ذكرناه فليكثر معه من اكل الحلو ودهن الفستق والسمن ، وقوم يشربونه باللبن وهو خطأ يخشى منه البرص » .

وقد وصف بروسبير البين Prospir Alpin فى كتاب نشره عام ١٥٩١ عن (طب المصريين) وصف البن وصفا ذكر فيه انه « عندما كان فى مصر راى فى حديقة احد الاتراك الذى اسمه (حالى بك) شجرة لا تعرف صورتها تنبت حبوبها يدعونها فى مصر (بنا) Bon ou Ban ويستحضر المصريون منها شرابا معروفا يسمى (قهوة) ويشربونه بدلا من الخمر ، واصل هذه الحبوب من اليمن» ثم قال «وان اهل مصر يطبخون القهوة ويشربونها صباحا قبل الطعام كما ان نساءهم يتخذنها لاستدرار الحيض » .

هذا ما كان يراه الطب القديم فيها فماذا يقول الطب الحديث ؟

يرى الطب اليوم ان أبرز صفات القهوة ، الزيوت العطرة التى تكسب القهوة نكهتها الخاصة ، تليها الأملاح المعدنية والاحماض العضوية والفيتامينات وبخاصة العناصر الصيدلانية الديناميكية ومن ابرزها (الكافئين) وهذه المادة ذات خصائص منشطة مفيدة لبعض الناس ضارة للاخرين .

وبالنظر لما فى بعض انواع القهوة من مادة الكافئين فان الطب يوصى بتحاشى شرب القهوة من قبل مرضى القلب والنقرس والقصور الكبدى. بينما يرى انها مفيدة للذين يعانون من انخفاض

الضغط والوهن . ويامل علماء الصحة ان تكون القهوة الخالية من الكافئين مادة مهضمة جيدة بعد تخليصها من العناصر الضارة فيها .

بيوت القهوة بين المنع والاباحة

ولما شاع شرب (منقوع البن) اى (القهوة) وولع الناس بها ولعا كبيرا زاد الطلب عليها واصبحت الحاجة ملحة لوجود مكان يخصص لها ، كى يستطيع عامة الناس شربها فيه ، ولذلك رأى بعض الافراد اشباع هذه الحاجة عن طريق فتح محل خاص باعدادها وبيعها للناس شرابا منعشا، فكانت هذه المحلات التى اطلقوا عليها اسم (بيوت القهوة) وقد شاء بعض المترددين على هذه البيوت أن يطلقوا عليها اسم (دور المعرفة) او (دور الحكمة) وهكذا بتوالى الايام اخذ عدد هذه البيوت يتزايد واتجه الناس اليها لاسيما فى مكة والمدينة اتجاها عاما ، ومن باب المنافسة لكسب (الشراب) من الزبائن عمد بعض اصحاب هذه البيوت بادىء الأمر الى ادخال بعض وسائل اللهو والطرب لجذب الزبائن وقضاء فترة اطول فى (بيته) حتى اذا شاع هذا الاجراء فى معظم (بيوت القهوة) وغفلت السلطات عما كان يجرى فيها من مفاسد اصبحت هذه البيوت اشبه (بالخمارات) يجتمع فيها بعض الناس من (رجال ونساء) بدف ورباب وغير ذلك من الات الملاهى كما يجتمع فيها من يلعب الشطرنج والمنقلة وغير ذلك مما هو ممنوع فى الشريعة المطهرة .

وهكذا اصبحت هذه البيوت أشبه بالخمارات ، وباتت سمعتها متدنية لدى الفضلاء والعلماء ، فلم يرق وجودها لرجلين اعجميين كانا يلقبان بالحكيمين فى (مكة المشرفة) ولذلك أخذا يتشددان فى مهاجمة هذه البيوت وما يجرى فيها من مفاسد وقد أيدهما فى هذا التشديد والرغبة فى اغلاقها ومنع شرب القهوة فيها الشيخ شمس الدين الخطيب نقيب قاضى القضاة فى مكة ، الذى استطاع اخيرا اقناع (الامير خاميربك)محتسب مكة المكرمة على منعها .

وبعد ان وقف هذا الامير بنفسه ذات ليلة على ماكان يفعله شراب القهوة فى زاوية من زوايا المسجد الحرام ، لم يشا ان يصدر امره بمنع تعاطى شرب القهوة مباشرة ، فما الذى فعله اذن ؟

لقد جمع عددا من كبار العلماء ورجال القضاء واحضر (القهوة) فى مركن كبير والكاس معه ، وبحث معهم فى امر القهوة وما ظهر من اجتماع الناس فى بيوتها على تلك الهيئة . فاجاب العلماء مجمعين على « ان اجتماع الناس على هذه الهيئة حرام اتفاقا ، واما الحب المسمى بـ (البن) فحكمه حكم النباتات ، والاصل فيه الاباحة ... فان كان يحصل من مطبوخ قشره ضرر فى البدن او فى العقل امر يحصل به نشوة ولذة وطرب فانه حرام ولو استعمله الانسان بمفرده فى داخل بيته .. والمرجع فى ذلك الى الأطباء » .

واستنادا الى هذا الحكم استدعى الأمير بعد ذلك طبيبين كبيرين من اطباء مكة وناقشهما فى امر القهوة وضررها فقررا ان شراب القهوة « بارد يابس مفسد للبدن المعتدل » .

وبعد ان ثبت للامير هذا الامر كتب الى السلطان فى القاهرة كى يصدر امره السلطانى بمنع شرب القهوة ، ثم لما جاء الأمر منع شرب القهوة واغلقت بيوتها وتشدد المحتسب بمعاقبة من يخالف امره هذا ، ولكن هل استجاب الناس لذلك ؟ !

كلا ، لقد اخذوا يشربونها فى بيوتهم ، لا سيما بعد ما علموا ان شرب القهوة وبيوتها لم تمنع فى القاهرة نفسها !!

هذا ولما كان الشيخ شمس الدين الخطيب هو المسبب فى هذا المنع فقد اصبح هدفا لهجوم انصار القهوة وعشاقها وفى ذلك يقول الشيخ ابو الفتح المالكي :

قهوة البنّ حُرِّمتْ
فاشربوا قهوة الزَّبيبْ
ثم طيبوا وعَرْبِدوا
وانزلوا في قفا الخطيبْ

وقال آخر :

قهوة البن حُرِّمتْ
فاحتسوا قهوة العنَبْ
واشربوها وعَرْبِدوا
والْعنوا مَن هو السببْ !

ومهما يكن من شيء فان هذا المنع لم يدم طويلا اذ حدث تراخ فى تنفيذ الامر حتى ازداد الحال فتورا والقهوة ظهورا وعاد الناس يشربونها فى بيوتها وعادت حليمة (فى هذه البيوت) الى عادتها القديمة !!

وزاد اصحاب هذه البيوت في تشويقهم للرواد من شراب القهوة حتى اصبح حالها مدعاة تساؤل من جديد ، فلما قدم مكة المشرفة الشيخ العارف بالله (سيدى بن عراق سنة ٩٣٢هـ) وبلغه ماكان يحدث في بيوت القهوة من بعض المنكرات والمفاسد، اشار على الحكام بابطال (بيوت القهوة) مع تصريحه بحل القهوة في حد ذاتها .

ويحفظ لنا ديوان الشعر العربي الاسلامي بصدد هذه (الفتوى) السؤال الاتى الذى رفعه احد الفقهاء الى العلامة (ابن عراق) حيث قال :

أيها السامى لكِلتا الذروتَيْنْ
بجوار المصطفى والمَرْوَتَيْنْ
أفْتِنى في قهوة قد ظُلِمتْ
حيثما شِئْتَ تَعاطيها بشَيْنْ
مِن تَلَهٍّ هالَنَا مَهْيَعُهُ
واقتراف للأقاويل ومَيْنْ
ومُراعاةِ أمورٍ شهِدتْ
في (زوايا) الحَانِ كِلتا المُقْلتينْ
وَحَكى شُرّابُها أهلَ الطِّلاَ
فالتّواني بين تَيْنِ (الفرقتَيْنْ)
أوْدَعُوا ذا الطِّرسَ مايرجوالغنى
أوْدَعُوافاليأسَ إحدى الراحتَيْنْ

فاجاب رحمه الله قائلا :

أيها السامى سُمُوَّ الفرقدَيْنْ
وإمام العِلْمِ ، مُفْتِى الفِرْقتَيْنْ
جاءَنى منكم نِظامٌ قد حَكَى
فِي نُصوعِ اللفظِ مَسْبُوكَ اللُّجَيْنْ
قلْتَ فيه إن ذا القَهْوة قد
خَلَطوها بتَلَهٍّ وبِمَيْنْ
وبِمطعُومٍ حَرامٍ وغِنَا
وبِرَقْصٍ وبصَفْقِ الراحتَيْنْ
وطلبْتَ الحُكْمَ فيها بعدما
قد رأيتمْ ماذكرتُمْ رأْيَ عَيْنْ
فعلى ذا الأمرِ إنكارُ الذى
شابَها حتى يُصَفَّى دُونَ رَيْنْ
فاذا لم يستطعه دون أن
يَمنع الأصل ففِعْل منه زَيْنْ
والتّدانِى من حِماها وهْى في
وَصْفِها المذكورِ شَيْنٌ أىُّ شَيْنْ
والصَّفَا في شُرْبِها مَعْ فِئَةٍ
أخلصوا التقوىوشَدُّوا المِئْزرينْ
ثم ناجَوْا رَبَّهم جنْحَ الدُّجَى
بخشوعٍ ودُموعِ المُقلتَيْنْ
فابتداءُ الأمرِ فيها هكذا
قد حَكوه عن وَلِيٍّ دون مَيْنْ
ذا جوابى واعتقادى إنه
في اعتدال كاعتدال الكفَّتَيْنْ

ولم تكد الحال تهدأ في الحرمين الشريفين ، اذا بها تثار في رحاب الازهر الشريف عام ٩٣٩هـ ،فقد رفع احدهم للشيخ العلامة شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى الشافعى ، سؤالا هذا نصه :

« ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة ، يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون انه مباح مع انه بترتيب عليه مفاسد كثيرة ، فهل ذلك جائز ام حرام ؟؟ افتونا !! » . الجواب : انها حرام لانها مسكرة !! والذى يبدو ان هذا الشيخ الكبير كان على رأس المحرمين لها لانه لما سئل مرة ثانية في مجلس وعظه عام ٩٤١هـ ، افتى بحرمتها وصمم على ذلك ، فتعصب جماعة من العوام لما سمعوا رأيه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء انفسهم وكسروا اوانيها وضربوا جماعة ممن كانوا هناك فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصبات بين من يقول بالحل ومن يقول بالحرمة ..

وفي هذا المنع وعدم القناعة بفتوى هذا الشيخ الكبير قال احد الشعراء هازئا ..

إنّ أقوامـًـا تعَـدّوْا
والبَلا منهـم تَأتّـى
حَرّمـوا القهـوةَ عَمْـدًا
قد رَوَوْا إفكاً وبَهْتـَا
إن سألتَ النّصَّ قالـوا
إن عبدَ الحق أفْتـى
يا أولي الفضْلِ اشْربوهـا
واتْركوا ما قال بَهْتـَا
ودَعُوا العُذّال فيهـا
يَشْربـون المـاءَ حَتّى

ودفعا لهذه الفوضى رأى حكام القاهرة آنذاك ضرورةوضعحد لهذه الفتنةفاودعوا الامر الىقاضى مصر الشيخ محمد بنالياسالحنفى ليتخذ ما يراه، فما الذى فعله هذا الشيخ قبل اصدار فتواه ؟! لقد قام بالخطوات الآتية :

١ ـ سأل عددا من العلماء الذين افتوا بحلها.

٢ ـ اعتمد على آراء غيرهم من العلماء فى مكة وغيرها .

٣ ـ انه طبخها فى منزله وسقى منها جماعة بحضرته وجلس يتحدث معهم طول النهار ليختبر حالهم . فلما لم يجد فيهم تغيرا ولا تنكرا اقرها على حالها .

ومهما يكن من شىء فان تاريخ هذا المشروب قد اخذ من وقت العلماء والفقهاء الشىء الكثير ،حتى كانت بينهم معارك كلامية هذا يحلها لانها (الشراب الطهور ، المباركة على اربابها،الموجبة للنشاط على الاعانة على ذكر الله وفعل العبادة) . وذاك يحرمها ويفرط فى ذمها والتشنيع على شرابها ، لانها من الخمر ، وحدث بسبب ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية (الى الجدال والفتن وحصول ما أدى الى قتل نفوس ومحن) بمكة ومصرالقاهرة.

وقد نقل الشيخ نعمة الله الجزائرى فى كتابه (زهر الربيع) أن بعض علماء العراق قد افتوا بتحريم القهوة لا لانها خمرة أو شبيهة بذلك بل « ان بعض العلماء حرمها لان القهوة حين تحميصها تحترق فى الغالب حتى يصير اكثرها فحما ،والفحم من الخبائث) .

وختاما لهذا الصراع ندرج فيما يلي رأىالشيخ الجزيرى الحنبلى صاحب مقالة (عمدة الصفوة فى حل القهوة) اذ يقول « والذى اقوله ان الحق الذى لا مرية فيه ولا شبهة تعارضه أو تنافيه ، انها فى حد ذاتها حلال وبها من نشاط على العبادة ما لا يشوبه نقص ولا اختلال،واما الامور المستجدة من هيئة بيوت باعتها ، واجتماع اهل المحظور فيها مع ذويها وجماعتها واضافة مالا يباح الى ذاتها او معها بالاوصاف التى اشتهرت بين البرية فلا يبيحها من له ادنى المام بمعرفة الاحكام الشرعية.. والخمر انما حرم بعد حل قطافه لاشتماله بعد ذلك على قبيح أوصافه التى يحدث منها ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكرالله وعنالصلاة والتساهل فيهما والاغضاء ، فقبح الاوصاف يحرم ما كان مباحا بلا خلاف » .

واخيرا اسدل الستار علىقضيةمنعشرب القهوة بحد ذاتها ولم تعد الحكومات او رجال الدين الى التعرض لها او لبيوتها وما ان تم ذاك حتى قال بعض الشعراء فى القهوة هذه الابيات :

ياقهوة تذهـب هَمّ الفتى
أنت لحاوي العِلْمِ نِعمَ المرادْ
شَرابُ أهل الله فيهـا الشفـا
لطالبِ الحكمـة بين العبادْ
نَطْبخها قِشْرًا فتأتِي لنـا
في نَكْهَةِ المِسْكِ ولَوْنِ المِدادْ
ماعرف الحقّ سوى عاقـلٍ
يَشْربُ من وسط الزّبادى الزّبادْ
حرّمها الله على جاهـلٍ
يقول في حُرْمَتِها بالعِنـادْ
فيها لنا تِبْرٌ وفي حانِهـا
صُحْبَةُ أبناءِ الكِرامِ الجيادْ
كاللّبَنِ الخالِصِ في حِلّـه
ما خَرَجَتْ عنه سِوَى بالسّوادْ

(بيوت القهوة) والمقاهي والغلمان

ومنذ ان سكت المفتون بالحل والمنع عادت

(بيوت القهوة) الى الظهور بكثرة في شتى العواصم العربية ، ولكن الذى حدث فيها خلال مجرى الأيام ان (بيوت القهوة) قد غدت تسمى باسم (القهوة) او (المقهى) وبات لفظ (القهوة) يدل على المحل الذى تشرب فيه القهوة ، فهل كانت هذه التسمية صحيحة ؟

يرى المرحوم العلامة الكرملي ان هذه التسمية فصيحة لا غبار عليها وهى من (باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليه) ومثلها في ذلك مثل (واسال القرية) - اى اهل القرية - ومع هذا فان هناك من يقول بان (القهوة) للمكان (عامية) والصواب ان يقال (المقهى) والجمع مقاه .

والذى يبدو بعد هذا التطور ان اصحاب هذه المقاهى ارادوا ان تكون محلاتهم هذه محلات متعة وراحة وانشراح ، ولهذا عمدوا الى ان يستخدموا الغلمان الجميلى الوجوه والاجسام واحضار بعض المغنين والموسيقيين ليطربوا رواد المقهى ، وفي ذلك يقول شيخ العروبة المرحوم احمد زكى باشا بانه « كان يطوف بالقهوة الغلمان في حللهم المزركشة وهم يحملون الصوانى المنقوشة وقد علتها السكارج والاباريق ، وحولها الطاسات والفناجين ، بين عبيق الند والازاهير الى غير ذلك من مجالى الانس فى مجالس الطرب » .

ولهذا قال الشعراء :

عَرِّجْ على القهوةِ في حانِهـا
فاللُّطْفُ قد حَفَّ بندْمانِها
وقَهْوة لا غمَّ تُبْقِـي إذا
قابَلَكَ الساقِي بِفنْجانِهـا
قَرِيبةُ العهـدِ بعَدْن فـإن
شككْتَ فانظُرْ حُسْنَ وِلدَانِها
شَرَاب أهْلِ الله فيه الشفا
جَوابُ مَن يسألُ عن شانِها
بمائِهـا نَغْسِـلُ أكبادَنـا
ونُحْـرِقُ الهَـمَّ بنيرانِهـا
يقول مِن أبصرَ كانُونَهَا
أفٌ على الخمْرِ وأدْنانِها

فهْيَ رَحيقٌ لَوْنُها خَتْمَها
قد شَهِدَ العَقْـلُ ببُرْهانِها
فاشرَبْ ولا تَسمعْ كلامَ الذى
بِجَهْلِـه يُفتِي بِحرْمانِها

فى استانبول

وتشير دائرة المعارف الاسلاميه الى ان انتشار القهوة في استانبول والروم ايلى ، كان في عهد السلطان سليمان ، وان اول مقهى اسس في استانبول كان لرجلين ، احدهما حلبى والثانى دمشقى وذلك في سنة ٩٦٢ هـ ، وقد كان يجتمع في هذا المقهى الأعيان والادباء لشرب القهوة حتى دعى هذا المكان باسم (مدرسة العلماء) .

ولما راج شرب القهوة فى استانبول واخذت المقاهى تنتشر هنا وهناك في المدن الكبرى أصبحت هذه المقاهى محلات يتحدث الناس فيها بالسياسة فينتقدون الحكومة ويعارضون اعمالها ، ولذلك اتفقت كلمة المسؤولين مع رجال الدين على أن في (القهوة) ضررا ، وان هذا الضرر ابلغ من ضرر الخمرة ، وان القهوة المحمصة تعتبر كالفحم فهى حرام ، ولذلك وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٦٠٣ - ١٦١٧) صدرت المراسيم القاضية بمنعها ، ولكن الظاهر من متابعة تاريخ هذا المنع ، انه لم يكن قويا وفعالا ، ولذلك لم يطبق واخذت القهوة تشرب (والقهاوى) تنتشر ، ثم نسي الأمر وسكت المفتون او المعارضون ، ولم يبق من امتنع عن شربها من العلماء والوزراء والأعيان ، بل على العكس من ذلك اخذ الوزراء والولاة يحدثون مبانى خاصة بها .

القهوة فى اوربا

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وصول القهوة الى اوربا ، ولكن الراجح انها وصلت في اوائل القرن السابع عشر الى هولاندا ، ومنها تفرقت الى اوربا ، وفي عام ١٧١٧ انتقلت الى اميركا .

وقد لاقت القهوة على مر الأيام رواجا كبيرا ، فاصبحت من السلع التجارية المهمة التي تستوردها اوربا آنذاك ، وبات اسمها يعرف ب Coffee او Cafee وهو اسمها العربى طبعا .

ومن الجدير بالاشارة هنا أن (فردريك الكبير) ملك المانيا كان قد منع استيراد القهوة الى بلاده منعا باتا ، وحث الناس على احتساء البيرة بدلا منها ، الا أنه بعد حين قرر أن تحتكر الحكومة استيراد البن والاشراف على طحنه .

ومن طريف ما روى لنا المرحوم الأستاذ يوسف غنيمة عن تاريخ شرب القهوة لاول مرة في باريس قوله : « ان السلطان محمد الرابع انفذ سفيرا من قبله سنة ١٦٦٩ الى لويس الرابععشر ملك فرنسة وعهد بهذه المهمة الى مصطفى اغا ـ ليمان راجي باشا ، فبعد أن القى عصا ترحاله في عاصمة الفرنسيين أحب أن يقيم في المدينة الاوربية حفلة على النمط الشرقي ، ففرش محلا في أحد نواديها في الشارع الذي يقطنه العثمانيون ، وما كنت تجد في تلك الغرفة الا الاثاث الشرقي من طنافسفارسية واوسدة وطراحاتوغير ذلكفما ان طرقذلكمسامع الاوربيين حتى دفعتهم الرغبة واخذتهم الدهشة ، وشرعوا يتقاطرون الى هناك افواجا من جميع الصنوف والطبقات ويسرحون طائر بصرهم في ذلك الرسم،وزاد تعجبهم وعظم انذهالهم عندما شاهدوا عبيد السفير داخلين ، وعلى عاتق كل واحد منهم منشفة تطلق انوارا من حواشيها المطرزة بالخيوط الذهبية وبأيديهم صواني صغيرة ، وشرعوا يقدمون للحاضرين مشروبا أسود اللون مر المذاق ،يتصاعد منه (الدخاخين) فاخذ المدعوون يتهامسون ويتناشدون عما يكون هذا المشروب . فعرفوا اخيرا انها القهوة . وبعد مدة من الزمن انشا احد المهاجرين الشرقيين في باريس في ربض (القديس جرمان) (قهوة) ثم وسع دائرة شغله فشاع منذذاك شرب « القهوة في سائر الاقطار الأوربية » .

القهوة العربية والتركية والافرنجية

عرفنا أن العرب كانوا يشربون منقوع قشر البن او البن نفسه ثم تطور امر اعدادها ، الا انها ظلت عربية مرة المذاق لم يضيفوا اليها الا شيئا من الزنجبيل والقرفة وحب (الهال) او الهيل كما يسميه العراقيون ، ولقد أوجد الاتراك في شرب القهوة طريقة خاصة بهم ، بعد ان يضيفوا اليها شيئا من السكر ، وباتت تدعى (بالقهوة التركية) وعنها اخذ المصريون قهوة (سكر زيادة) او (مضبوط) او (عالريحة) في حين اخذ الاوربيون والامركان يشربون القهوة مغلية بالماء ويشربونها كما يشرب الشاي عندنا ، وهي ما تسمى (بالقهوة الفرنجية) .

الشعر والقهوة

وللقهوة في دواوين الشعر العربي ، فصيحه وعاميه ، كثير من الصور الشعرية الجميلة يحفظها عشاقها ويتغنون بها ومن طريف ما روى (ابن معصوم) في كتابه (سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر) قول بعض المتاخرين وهو :

هاتِ اسقِني قَهوةً قِشْرِيَّةً فَضَحَتْ
بِكَرِّ المُدَامِ وَشَنِّفْ لي الفناجينا
تدعو إلى نحو مافيه البقاءُ ولو
دعَتْ إلى نحو ما فيه الفَنَاجِينا
لوأن ألفاً أحاطوا حول ساحتها
قَصْدَ النجاةِ رأيتَ الألفَ ناجينا

فلما قرأ هذه الابيات الشيخ الامام عبد القادر محيي الدين الشافعي المكي ذيلها بقوله :

يا ربّةَ الأُنْسِ حلّينا حِماكِ فإن
نطْلُبْ فجُودِي وإن نَسْأَلْ فَنَاجِينا

وقال المولى احمد بن شاهين الشامي :

وقهوةٍ كالعنبرِ السَّحيقِ
سَوْداءَ مثلِ مُقلَةِ المعشوقِ
أنتْ كمِسْكٍ فائحٍ فتيقِ
شَبَّهتُها في الطَّعمِ كالرَّحيقِ
تُدْنِي الصديقَ منْ هَوَى الصديقِ
وتَربِطُ الوُدَّ مع الرَّفيقِ
فلا عَدِمتُ مَزْجَها بِريقي

وبعد : فاكتفى بهذا القدر مما توافر لدى من المعلومات عسى ان يجد فيها (السيد حمد مرزوق الحارثي) وغيره من قراء العربي الجواب الشافي على سؤاله ، والذي يتسق ومرارة القهوة الحلوة!

بغداد عبد الرزاق الهلالي

حَذارِ مِنَ العَدْوى

قصة بقلم : فاضل السباعي

■ ما كادت « خالدة » تتحدث في البيت عما لاحظته في زميلة المدرسة « زينب » .. حتى رأت أمها تستزيدها تفسيرا ، ثم تقوم الى جهاز الهاتف ، تطلب مديرة المدرسة ! واشفقت خالدة بينها وبين نفسها ، ما تنوى امي ان تفعل ؟ اتشكو صديقتي الى المديرة ؟! ولكن .. أي ذنب ارتكبت حتى تستحق الشكوى ؟ انها تحك جسدها ، ما تفتأ تحك جسدها ، وحسب !

ولكن أمها .. ها هي ذي نقلت الى المديرة حديثها بتمامه ، غير مُغفِلة منه شيئا . بل لقد سمعتها تتزيّد فيه مضيفة اليه وصفا لم يكن ليخطر في بالها حين اخذت تتحدث عما لاحظته في زميلة المدرسة التي تشاركها المقعد في قاعة الدرس ! رباه ، ماذا تفعل أمي ؟!

– حتى لا تدخل بيتنا هذا .. « بلية » نحن في غنى عنها ! !

★★★

في تلك الليلة ، هجعت خالدة في سريرها ، وهي تحس أسفا لا مزيد عليه . لماذا باحت لأمها بما رأت في صديقتها زينب ؟ انهما معا ، في مقعد واحد ، منذ مطلع العام الدراسي . وانها لتكنّ لها الود والمحبة . لطيفة وناعمة . أبوها يبيع البطيخ الحلبي ، في الساحة تحت ، والعنب والتين في الصيف ، وفي الشتاء يبيع البرتقال واليوسفي والكرمنتينا ! لطالما اشترى ابي من « دكانته » تلك المؤلفة من اعمدة خشبية اربعة قائمة ، تصل ما بينها عوارض قد غطاها قلع كبير مهترىء ومرقع . ان ابي ليداعبه ، احيانا ، وهو يحاسبه : « راعِنا ، يا أبا علي . لا تغلِّ عليّ . نحن اصحاب ! » فيجيب الرجل : « ولو يا استاذ .. انت زبون قديم ! » ، يردّ ابي : « بل .. ان بيننا « صداقة عائلية » ، نسيت ؟ بنتك زينب صديقة في المدرسة لبنتي خالدة ، تجلسان في مقعد واحد ! » . وينطلق الرجل بضحكة تبدو من خلالها نواجذه المصفرّة ، وهو يمد الى ابي يدا تنطوي على الباقي من المبلغ غير مزيد عليه قرش واحد . ويعاتبني أبي ، مازحا – كعادته – الهزل



بالجد : « لاأراني مستفيداً من علاقاتك الشخصية شيئا ، يا خالدة ! أبو زميلتك زينب لا يراعيني بقيراط ! » ..

نعم ، تشتركان معا في مقعد واحد . عادت خالدة تتمثل في خاطرها موقف أمها على الهاتف . لشدّ ما يؤلمها أن تعلم زينب ، غدا ، بأنها قد نقلت حديثا عنها الى أمها ، وأن أمها تنقله الى المديرة ، والمديرة .. ترى ما تفعله المديرة غدا ؟ أمها أوصتها بأن تتكتم ، بألا تشيع أن الحديث عن « الحكّة » صدر عنها ! ولكن لتلميذة من تلميذات الصف لم تلحظ ما في صديقتي زينب عداي . لقد استرعى انتباهي أنها تكثر من حك صدرها ، وابطيها ، وساعديها . .

.. وقامت أمها الى جهاز الهاتف، تطلب مديرة المدرسة : واشفقت خالدة بينها وبين نفسها ، ما تنوي أمي أن تفعل ؟ أي ذنب ارتكبت حتى تستحق الشكوى ؟ أتشكو صديقتي الى المديرة ؟! ولكن ..



ـ وتحكّ كفيها ، أيضا ؟

ـ أجل ، يا أمي .

ـ هل دققت النظر في ما بين أصابعهـــــا ، فوجدت حبوبا ، بثورا ؟

ـ وانها لتخلّلت القلم من يمناها ، أحيانا ، وتلوي على ظاهر كفها اليسرى .. تحكّ ، تهرش ، وهي تصرّف بأسنانها أسألهـــا : « ما بالك تحكين ، يا زينب ؟ » ، تجيبني : « لا شيء ، لا شيء ! » .. وتكف !

فكرت : أنا التي نقلتُ الوصف الدقيق الى أمي . مسكينة زينب ! ما ذنبها ؟ وأمي قد هتفت الى المديرة ! هل تعاقب زينب غدا ؟!

ـ حذار أن تلمسي زينب ، يا خالدة ! نحن في غنى عن بلية تدخل بيتنا ! انهدت عافيتي ، وأنا اركض هنا وهنا ، وأتعب ، وأشقى .. فهمت ؟ لا تقربي زينب !

★★★

في الصباح .. لمحت خالدة ، في باحة المدرسة صديقتها زينب . فأسرعت تدير ناظريها عنها الى حيث بنات يتراكضن . وما هي الا لحظة ، حتى كانت يدٌ تربّت كتفها :

ـ صباح الخير ، خالدة !

انها زينب .

اضطرت خالدة الى أن تلتفت :

ـ صباح الخير .

ـ كتبت واجباتي ، ليلة أمس . ولكن مسألة من مسائل الحساب عسرت عليّ . ألا تطلعينني على دفترك ؟ هل تشرحينها لي ؟

احتوت خالدة، بنظرة شفوق ، وجه زميلتهـا : لقد أسأت اليها ، دسست عليها دسيسة ، في بيتي ، مساء أمس .. وهي لا تدرى !

ـ أية مسألة ؟

ـ تلك التي أولها ..

أخرجت خالدة دفتر الحساب من محفظتهـا ، وناولته زينب . تلقفته هذه بكلتا يديها ، وقد وضعت محفظتها ما بين قدميها . أمعنت خالدة النظر في الكفين ، وهما تقلبان الدفتر ، لتتوقفا عند آخر المسائل المحلولة : الأصابع ! ما بين

الاصابع ! وتلك هي البثور ! آه ، انه ذاك المرض الذي يُعدي ! ما تراها ، المديرة ، تفعله لها ؟ اتعاقبها ؟ يا حرام ! ما ذنبها ؟ أبوها ،ابو على بائع البطيخ والبرتقال ، لا يُعنى بها ! وامها تهملها ..

ــ هكذا « الحل » ، اذن ! كيف غاب عني ؟

طوت الدفتر وردته اليها :

ــ شكرا ، خالدة .

اليد ممتدة نحو خالدة . انها تنقل ناظريها من وجه زميلتها ، الى يدها . وتتفرس في الكف ، في الاصابع ، في تلك الحُبَيْبات الصغيرة !

ــ لم لا تاخذين دفترك ، يا خالدة ؟ لماذا تحملقين في يدي هكذا ؟!

اسرعت خالدة تسترد دفترها وتقول كالمعتذرة :

ــ عفوا . لقد شرد ذهني !

★ ★ ★

قرع باب قاعة الدرس ، فجأة .

توقفت المعلمة ، لتعلى من صوتها :

ــ تفضلي .

فاطلت « المحافظة » براسها من وراء الباب :

ــ زينب .. تطلبها المديرة خانم !

مس خالدة صاعق من خوف . حين استدارت المعلمة الى البنات :

زينب .. الى المديرة !

بدت زينب وقد فوجئت هي الاخرى ، بهذا الاستدعاء.وتجسدت لخالدة ، هنا ، مسئوليتها عما يمكن ان يلحق بصديقتها من اذى : انا التي وشيت بها الى المديرة ، وليست أمي ! آه ، يا ربي : اي خاطر شيطاني دفع بي الى ان ابوح لامي بالذي رايت ؟ اي ضرر يحمله جهاز الهاتف للاخرين ؟ زينب صديقة طيبة ، لم تؤذ عمرها احدا ، لطيفة وطيبة . اي احتقار ستضمره لي اذا هي علمت اني انا الواشية الدساسة ؟ واي ازدراء سالقى من زميلات الصف ؟ نمامة دساسة! ولكن .. من اين لزينب ان تعلم ؟ اخطات ، مرة ، اذ بحت لامي بما رايت في زميلتي . ولكني لن اخطىء ، ثانية ، فافصح لهن عما نقلت الى امي فمن اين لهن ان يعلمن ؟

قرعت المحافظة الباب ، ثانية :

ــ المديرة خانم تطلبك الى الادارة !

ازدادت خالدة احساسا بمسئوليتها عن كل هذه الحوادث التي تتعاقب اليوم . ان الامور تتعقد سريعا .

علا ضجيج البنات :

ــ اي ذنب ارتكبت زينب ، يا ترى ؟

بعضهن اعلن :

ــ ولكن زينب بنت طيبة !

وخالدة تهتف في ذات نفسها : انها لاطيب منك، يا خالدة ! لانها ، على الاقل ، لم تش باحدانا الى .. امها ، او الى المديرة !

واحست انها باتت « محاصرة » بقوة ما .

★ ★ ★

فتح الباب على مصراعيه .

تطلعت خالدة مذعورة : بدت لها المحافظة ــ الآن اشبه ببومة ــ وهي تحمل مقعدا منفردا ابيض اللون ، عبرت به الباب في جلبة ، ووضعته هناك ، هناك .. في تلك الزاوية ، على مبعدة من مقاعد البنات !

ــ يا حرام ! .. سيعزلونها عنا .. ما بها ! .. ياه ! .. ياه ! ..

والحصار ، حول خالدة ، يشتد : انا الدساسة ، التي كان يجب أن تُعزَل !

عادت المعلمة الى القاعة ، مقطبة الجبين ، فصمتت البنات ، رانيات اليها مستطلعات . وفي اثرها دخلت زينب ، تجر خطواتها جرا ، منكسة الراس . انها المراقة الخزى : حزرت خالدة ! ولكن .. حسَنٌ ان زميلاتها لا يعرفن هذه الحقيقة !

ــ اجلسي هنا ، يا زينب .

اشارت المعلمة باصبعها الى المقعد الابيض .

رفعت زينب ، بصعوبة ، عينيها عن الارض . فبدا وجهها وقد فرت منه الدماء ، فهو شاحب اشبه بليمونة .

ــ آنسة .. والله ما فيّ شيء !

أمرتها المعلمة :

ــ اجلسي هنا .

وعينا زينب مُفْعَمتان بالتوسل :

ــ آنسة .. انها « حساسية » !

– هاتي كتبك من درجك ، وضعيها في هـذا المقعد .

– آنسة ، والله حساسية ، يا آنسة .. انا .. لست « جرباء » !

زجرتها المعلمة :

– اسكتي . لا تفضحي !

وتعالت اصوات البنات ، فزعات يتمتمن .

صرخت المعلمة :

– سكوت .

وزينب تتوسّل :

– ما فيَّ شيء . انها حساسية .. غدا أشفى !

– الى المقعد الابيض ، زينب ، لا تجادلي . وائتينا ، غدا ، بامك او بابيك .

أمسكت زينب عن الكلام . كانت الدموع قد انهلت من عينيها ، وها هي تغسل وجهها . وانها لتقول بصوت يرتعش :

– الله .. يجا .. زيها !

فيما هي تدير عينيها البليلتين نحو .. خالدة!

وخالدة .. احست ، الآن ، وهي تتلقى هذه النظرة ، انها قد رُشِقَت بخمسين سهما ، مائة ، الف !

اقتربت زينب من مقعدها « القديم » . فازدادت السهام تطايرا نحو خالدة . وخالدة قد شـملت صديقتها الطيبة بنظرة حنون مستغفرة .

زينب ترعف حزنا والما . قالت وهي تخلي درجها :

كله منك ، يا .. خالدة !

بدر من خالدة استنكار :

– انا ؟!!

حين تعالت صرخات البنات من كل جانب :

– ياه ! .. خالدة ، اذن ! انها خالدة التي فتنت ! صديقتها خالدةهي التي نقلتالي المدبرة ! زينب ليست جرباء ! كذب ! حساسية .. انها حساسية !

نقرت المعلمة بطرف المسطرة على المنبر ،غاضبة:

– أقول لكنَّ : سكوت !

اندفعت خالدة تبكي :

– أنا .. لم اقل .. للمديرة شيئا ! والله .. لم اقل لها اي شيء !

رنَّ ، ههنا ، الجرس ، ايذانا بانتهاء الدرس الاول .

والتفت البنات حول خالدة :

– لماذا فتنت لدى المديرة ، يا خالدة ؟! زينب، صديقتك ، ليست جرباء ! انها حساسية !

وخالدة تكفكف دموعها :

– زينب صديقتي . وانا احبها .. احبها أكثر منكنَّ . اسالنها .

توجهن الى زينب :

– من ابلغك أن خالدة هي التي وشت بك الى المديرة ؟

أجابت زينب :

– حزرت !

استجمعت خالدة شجاعتها :

– أنا .. لا يمكن أن افتن ، أو ادس عليك ، عند المديرة يا زينب !

– فمن قالت لها اني جرباء ، اذن ؟

راغت خالدة من الجواب :

انا اعلم أنها حساسية . ألم تقولي لي ذلك ؟ ليس الذي فيك جربا . وغدا تشفين . والآن .. هيّا نلعب معا في باحة المدرسة ، يا زينب !

وخرجت واياها من القاعة ، وهي تعانقها بيد ، وتمسح بالاخرى بقية دموعها .

★ ★ ★

بعد أن فرغت خالدة من الاستحمام ، تناولت أمها « فطنَّة » مبلولة بذاك المحلول الاصفر الذي يكوى ! .. واخذت تمر بها على جسدها ، وتقول في حنق عظيم :

– من أين لنا بهذا الوباء القذر ؟ أريد أن افهم: البنت زينب وعُزِلَت عنك ! كيف انتقلت اليك العدوى ؟! كم حذّرتك !

وأبوها الذي ينتظر خروجها من الحمام دامعة العينَ يقول لها ، مازحا ــ كعادته ــ الهزل بالجد :

– صديقتك زينب العجيبة .. لا أبوها يراعيني في بيع البطيخ ! ولا هي تراعيك في عدوى الجرب ! قطع الله دابر تلك العيلة ! ■■

دمشق : فاضل السباعي



فَهْدُ العَسْكَر
حَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ

عرض : عبد الستار فراج

■ النغم الخلاب ، واللفظ الجذاب ،والتمازج المنسجم المطرب ، مع الشعور الرقيق . والاحساس اللماح ، كل ذلك يتمثل في اغلب شعر فهد العسكر الذى جمع في الكتاب الذى الفه الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى . ونشره بعنوان « فهد العسكر ،حياته وشعره» . حتى الاسلوب الذى صيغ به هذا الكتاب فيه براعة الاديب . وقدرة المتمكن ، مع حرارة الوفاء للصداقة ، وعطفة الاشفاق على سوء المصير الذى لقيه فهد العسكر حين انحرف عن سواء السبيل .

وفهد العسكر ، الذى لم تكن في عهد طفولته وصباه في بلده جامعات بل مدارس ثانوية ، تفتحت ورود شعره مبكرة ، وتضوعت" عطرة" ،ثم ذوى وهو في عمر الزهور .

ظهرت مواهبه الناضجة ولم يكد يبلغ العشرين من عمره فكان من الرموقين ، ما ذلك الا للملكة الاصيلة التي ساعدها حفظه لكثير من شعر الفحول ، واطلاعه على ما ابدعته القرائح ، فكان له اسلوب فصيح بليغ .

بدء حياته واهله

بين العام ١٩١٣ و العام ١٩١٧ ولد « فهد بن صالح بن محمد » في مدينة الكويت ذلك أن تاريخ مولده مختلف فيه مع انه من أهل القرن العشرين .وجده « محمد » اصله من الرياض ، كانت تجارته في الابل والغنم ، ثم استوطن الكويت .

و « صالح » والد « فهد » نشأ في الكويت ،وصار اماما لمسجد بها ، كما افتتح مدرسة يحفظ فيها التلاميذ القرآن الكريم ثم عمل لدى الشيخ مبارك الصباح موظفا في الجمارك . وقد خلف من الاولاد تسعة ، اربعة من زوجه الاولى، وخمسة من الثانية ، احد الخمسة هو الشاعر فهد ، وقد عاش هذا الوالد التقى حوالى تسعين عاما وتوفي سنة ١٩٤٧ .

ومن خلال الفصول الكثيرة في الكتاب عن « فهد العسكر » يبسط لنا الاستاذ عبد الله زكريا

مـــا للأحبَّـــــة فــي الوصـــــا ل وللتزَمُّــتِ والوَقَـــارِ
مـــا جَـنَّـحَ الأرواحَ فانطلقـــــــــتْ سِــوى خلَــعِ العـذارِ

ان اهله في اول الامر كانوا اشد المعجبين به ،وحتى في آخر امره ، بعد ان اضناه المرض وافقده العمى ، وجد العاطفين عليه ، على الرغم من سخطه عليهم ، وعلى الرغم مما رموه بـه ونفروا منه بسببه . يقول الاستاذ عبد الله زكريا في صفحة ٨٧« وقد حدثني شقيقه خالد بأنه عندما ساءت صحة فهد ، رآه في حالة اليمة قاسية ، واصبح من المتعذر بقاؤه في هذه الغرفة الضيقة المظلمة . أخذه عنده في بيته ، حيث أقام مدة ثلاثة أشهر تقريبا ، وعندما اشتد به الألم اتصل أخوه خالد بالمرحوم نصف يوسف النصف، وكان مديرا لادارة الصحة العامة في ذلك الوقت ، وأخبره عن سوء صحة أخيه « فهد » ، وخطورة حالته، وان الطبيب ينصح بضرورة بقائه في المستشفى . قام المرحوم نصف حالا بحجز غرفة خاصة له بالمستشفى الاميرى ، وتم ادخاله في هذا المستشفى ، وقد نفي في المستشفى مدة تتراوح بين الشهرين والشهرين والنصف ، وبعدها فاضت روحه، وكان ذلك يوم الأربعاء الموافق ١٣ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هجرية الموافق ١٥ من أغسطس سنة ١٩٥١ » .

ومما يذكر أن موته كان اثر اصابته بالتدرن الرئوى . ولم يكد يبلغ من العمر ٢٧ عاما في اكثر تقدير .

بين اتجاهين

لقد ظفر فهد العسكر في عهد استقامته باعظم التقدير من الحاكمين ، فالملك عبد العزيز آل سعود يدعوه لزيارته في الرياض « وسافر فهد عن طريق البحرين أولا ، ثم الاحساء ومن الاحساء الى الرياض ، وكان السفر في ذلك الوقت بواسطة الجمال . وفي البحرين حل ضيفا على آل خليفة حكام البحرين . وفي الأحساء حل ضيفا على حاكمها الأمير عبد الله بن جلوى . ومن الأحساء سافر الى الرياض وحل ضيفا على الملك عبد العزيز آل سعود » . ص ٤٧ ــ ٥١ كل هذا كان وهو غض الاهاب في أول درجات الشباب . ولن ننسى حفل التكريم الذى اقيم له بمناسبة فوزه بجائزة في الشعر .

لقد وُجِد في الكويت قبله ، وفي ايامه ، ومن بعده ، شعراء ، فلماذا يحل عليه الغضب من دونهم بعد أن كان موضع التقدير والتكريم ، لولا أنه شذ شذوذا واضحا . وهل يقضي حرمانه مثلا ممن يحب ، أو صدمته من بعض افراد المجتمع ، أن يضل السبيل ويستحسن ما لا يرضاه الدين ولا الغيرة العربية لولا ما فيه من اندفاع موروث لا يبالى بالنتائج والعواقب .

ان المجتمعات لا تنبذ شعراءها المجيدين الا اذا تخلى عنهم الظرف والكياسة ، وعدموا اللباقة ، وجانبوا التلطف والتودد .

لقد كان للشاعر فهد العسكر جانبان : جانب الشعر العذب السلس القوى ، وهذا لقى تقديرا واعجابا على البعد والقرب ، حينما لم يشذ عن المجتمع ، ثم اعجابا بالشعر متمثلا في اسلوبه دون نظر الى قائله ، وجانب آخر هو التحرر المتطرف ،وهذا لقى جزاءه نبذا واهمالا ، وشماتة وعداء . انه لم يجن عليه احد ، ولكنه على نفسه كان الجاني .

وعلى الرغم من دعوة الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى الى الحرية في كتابه عن فهد العسكر فلا اعتقد انه يرضى ان تكون كحرية فهد العسكر في تحلله من قيود الاخلاق والدين . ولئن قبل الاستاذ عبد الله الدعوة الى الثورة على التقاليد البالية والعرف الضار ، فلا احسب انه يشجع الثورة على التمسك بمحاسن الشيم الموروثة عن الآباء والأجداد ، والغيرة المحمودة التى اتصف بها العرب من قديم ، ذلك ان الذين خبروا الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى، وعرفوا فضله ، ولمسوا جوانب اخلاقه ، يظفرون منه برجل ذى خلق كريم . يحرص على أن يكون حرا في حدود ما لا يسيء الى اهله وذويه ، ويجدون فيه شجاعا ينطق بما لا يصدم نفوس مخالطيه ومواطنيه .

لو أن دعوة ، اى دعوة ، كانت الى عمل جاد، وانتاج مثمر ، وافكار نيرة ترفع شان الناس، لجاز ان يكون التمادي في سبيلها ، والتحدي لمعارضيها مجدا وشرفا ، ويستعذب من اجلها الجهاد والاستشهاد، والكفاح والخصام . او الانعزال والانطواء ، ولكن دعوة فهد العسكر لم تكن من هذا القبيل .

مهما يكن لون الأدب فوحده لا يكون منفرا

ان الادب ، حتى الماجن منه ، يجد سبيله الى الناس ، يسمرون بروايته ، ويتندرون بتلاوته وانشاده، مع مخالفته لما يعتقدون وما به يتمسكون، اذا احسوا انه ادب لأجل الادب، وانه لم يقصد به النيل من الاعراض واثارة الشبهات . ولندَعْ مثلاً ما يُروى من شعر ابى نواس، ذلك الذي اشتهر وخف على الألسنة والأسماع ، ولنذكر من الشعر لغيره ما زال يروى في اعجاب . لان القائلين لم يكونوا معلنين باللوم لمن خالفوهم ، وانما كان همهم ان يطرفوهم بما برعوا فيه من حسن الاداء ولطيف التشبيه والتصوير .

يقول ديك الجن عبد السلام بن رغبان :

بها غيرَ مَعْذولٍ فداوِ خُمارَها ... وصِلْ بِحبالاتِ الغَبُوقِ ابتكارَها
ونَلْ من عظيمِ الوِزْرِ كلَّ عظيمةٍ ... إذا ذُكِرتْ خافَ الحَفيظانِ نارَها
وقمْ أنتَ فاحثُثْ كأسَها غيرَ صاغرٍ ... ولا تَسْقِ إلاّ خمرَها وعُقارَها
فقامَ تكاد الكأسُ تَخرِقُ كفَّه ، ... مِن الشمسِ أو مِن وَجنتَيْه استعارَها
ظَلِلْنا بأيدينا نُتَعْتِعُ رُوحَنا ... فتأخُذ من أقدامِنا الراحُ ثارَها
مورَّدةً من كفِّ ظَبْيٍ كأنّما ... تناولَها مِن خدِّه فأدارَها

ويقول عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك :

وأغيدَ معسولِ الشمائلِ زارني ... على فَرَقٍ والنجمُ حيرانُ طالعُ
فلما جلا صِبغَ الدُّجى قلتُ حاجبٌ ... من الصُّبحِ أو قرْنٌ من الشمسِ لامعُ
إلى أن دنا والسِّحرُ رائدُ طَرْفِه ... كما ريعَ ظَبْيٌ بالصَّريمةِ راتعُ
فنازعتُه الصهباءَ والليلُ دامسٌ ... رَقيقُ حواشي البُرْدِ والنَّسْرُ واقعُ
عُقارٌ عليها من دمِ الصَّبِّ نُقْطَةٌ ... ومن عَبراتِ المُستهامِ فَواقعُ
تُديرُ إذا شُجَّتْ عُيونًا كأنها ... عيونُ العَذارى شُقَّ عنها البَراقعُ
مُعوَّدةٌ غَصْبَ العُقولِ كأنما ... لها عند ألبابِ الرجالِ ودائعُ
فبِتْنا وظِلُّ الوَصْلِ دانٍ وسِرُّنا ... مَصونٌ ومكتومُ الصَّبابةِ ذائعُ
إلى أن سلا عن وِرْدِه فارطُ القَطا ... ولاذتْ بأطرافِ الغُصونِ السواجعُ
فولَّى أسيرَ السُّكْرِ يكبو لسانُه ... فتَنْطِقُ عنه بالوَداعِ الأصابعُ

هذا الشعر لا يخرج ما كان يقوله فهد العسكر عن مضمونه ولا معانيه ، ولكن الفرق بين تصرفه وتصرف القائلين مختلف، فهما وامثالهما قد سلكوا مسلك الظرف ، وفهد خيل اليه انه يسلك مسلك

الدعاة المحاربين . ان الشاعر المبدع يعيش بين قومه معززا مكرما ، يتغنى بما يعتمل في نفسه من احاسيس ، ويقدم للسامعين والقارئين صوراخلابة . وانغاما عذبة ، تشوق وتطرب ، وتخلب وتجذب،ما دام الروح مشرقا . والنفس صافية ،اما حين يحس الناس ان الشاعر يضع نفسه موضع الدعاة ، ويحارب محاربة الخصوم ، ثم ينزوي في معاداة وكراهية . فحينئذ تكون كرته خاسرة ، ونهايته المحزنة لا تثير الرثاء . فلا نلوم معاصريه فيما فعلوه معه ، ونشكر من حفظوا رقيق اشعاره حيث نقرأ انغاما ، ونتناول صورا ، دون ان نربط بماض تسيء اليه وتثير حوله الغبار .

واخيرا اخشى ان يكون الشاعر « فهد » قد كان مصابا بداء السخرية من الناس ، وانه كان لا يحس في نفسه قوة الشخصية ، او هكذا وجد انه ــ على الرغم من ادبه ــ لا يستطيع ان يساوي من تتطلع اليهم انظاره ، فراح اولا يهزأ بضعاف العقول ،ثم القى بنفسه اخيرا في حجرة مظلمة ، ينتظر ان يمر عليه فيها العاطفون والمشفقون . وهذا الاستنتاج استخلصه مما ذكره الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري في صفحة ٥٦ اذ يقول مستدلا على انه كان يحب النكتة الجميلة والدعابة الحلوة :

« ولهذا فقد كان يحب مداعبة ضعاف العقول ، يتصل بهم ، يتحدث معهم ويحنو عليهم ، ويتبادل معهم بعض النكات ويأنس لأحاديثهم المضحكة . ويضحك على ما يبدر منهم من كلمات او عبارات تثير الضحك » .

ليس كله شكوى

وشعر فهد العسكر لم يكن كله شكوى ونواحا وغزلا وخمريات ، بل فيه اغراض اخر صنفها الاستاذ عبد الله زكريا في الكتاب ، من ذلك قصيدته ، الجندي في ميدان القتال :

وَدعَ الأهلَ والحِمَى والمَغاني ... مُذْ نَفَتْ شَفَّهُ هَوى الأوطانِ
سَمِعَ الحَقَّ حينَ نادى ، ألَمْ يَأْنِ ، فلبَّاه غيرَ ما مُتوانِي
وهَفَتْ رُوحُه إلى مَذْبَحِ الحَقِّ وزفَّ القُرْبانَ للمَيْدان
حيثُ إخوانُه وكم جَمَّعَ المَيْدانُ شَمْلَ الإخوانِ بالإخوان

وفيها بيته الرائع مع ما في القصيدة كلها من روعة وهو :

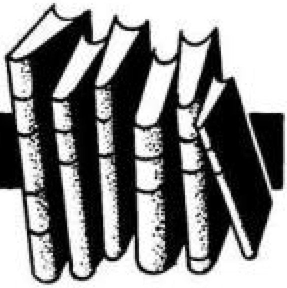
كلَّما صَفَّقَ العُلاَ لِشهيدٍ ... هتَفَ المَجْدُ للشهيد الثاني

واختم ببعض الاسلوب الجميل الذي اورده الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري في صفحة ٥ :

« شاعر طالما غنى فاطرب ، وناح فابكى ، وانشد فاعجب .. غنى فترة من الزمن لم تكن طويلة وانما كانت قصيرة خاطفة ، مرت كالطيف وانقضت كما ينقضي الحلم .. » ■■

عبد الستار فراج

«العربي» انحى الكاتب باللائمة الشديدة على فهد العسكر لثورته على ما عرف الناس من ادب ومن تحفظ ومن ستر ، ولكنه لما جاء الى ديك الجن تلطف وكان قد ذكر في شعره واقعة ليس لها الا الرجم في الاسلام جوابا . يرحمك الله! لِمَ لَمْ تقل ان العسكر كان كالبخور ، نالته النار ،فاحترق فتضوع ، فشمل انوف الناس باطيب العطور فامتعها



من الكتب التي وصلتنا

الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

تاليف : الدكتور محمد البهي
الناشر : دار الفكر ـ بيروت

● **الطبعة الخامسة للكتاب منقحة ، وقد ذيلت بملاحق خاصة تلقى مزيدا من الضوء على حركة الاستشراق لما لها من خطر على كياننا الروحي والفكري في هذه المرحلة من تاريخنا التي تحاول فيها النهوض والتقدم .**

ويرصد الكتاب الفكر الاسلامي الحديث تاريخيا وموضوعيا . فيميز التجديد الذي هو تقليد للفكر الغرب في القرن التاسع عشر عن «الاصلاح الديني» الرشيد . ويتناول آراء بعض المجددين من كتاب المسلمين ومفكريهم ويدمغهم بانهم في تجديدهم لم يخرجوا عن دائرة التبعية للفكر المستورد .

وهو كتاب كان لابد منه لموازنة الكتب الاخرى العنيفة التي تدعو الى غير ما يدعو اليه هـذا الكتاب .

البراهين الحسية

على تقارض اللغتين السريانية والعربية

بقلم : اغناطيوس يعقوب الثالث
مطابع الكريم الحديثة / جونية / لبنان

● اتحف المؤلف المكتبة العربية بهذا الكتاب القيم ، ضمنه بحثا وافيا وكافيا عن الصلات الجوهرية ما بين اللغتين الشقيقتين العربية والسريانيـة .

وهو كتاب شيق في محتوياته ، مبتكر في اسلوبه وطريقة بحثه ، سد حاجة ملحة عند اللغويين الباحثين في اللغات السامية ، اذ وفر عليهم عناء البحث والتنقيب . ذلك ان المؤلف بـذل جهدا كبيرا ، وعملا شاقا في مختلف المصادر والمراجع حتى تمكن من ابراز كتابه هذا .

تاريخ الفلسفة العربية

تاليف : الدكتور جميل صليبا .
الناشر : دار الكتاب اللبناني / بيروت

● يشتمل هذا الكتاب على البحث في تاريخ الفلسفة العربية من اصولها اليونانية الى اعلامها البارزين في المشرق والمغرب ، وقد انقسم الكتاب الى قسمين كبيرين ، الاول : عن الأصول اليونانية للفلسفة العربية وفيه اشارة الى افلاطون وارسطو ، ونقل آثارهما الى العربية ، واهم كتبهما المنقولة .

ويضم القسم الثاني اعلام الفلسفة العربية في المشرق والمغرب وهم في المشرق : الفارابي ـ ابن سينا ـ المعري ـ الغزالي . وفي المغرب : ابن رشد ـ ابن خلدون .

ويمتاز الكتاب بشرح مطول لأهم اعمال هؤلاء الفلاسفة .

الاسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر

تاليف : الدكتور محمد البهي
الناشر : دار الفكر ـ بيروت

● **يقدم هذا الكتاب موقف الاسلام في مواجهته لتحديات الايديولوجيات التي يتعرض لهجومهـا الاسلام ، وهي ايديولوجيات مستقدمة يزيد هجومها عنفا تبعا لاستكانة المسلمين . ويذكر الكتاب ان هذا الجيل الحاضر من ابناء المسلمين ان لم يمهد امامه الطريق لفهم الاسلام في مواجهة التحديات التي تقتحم عليه حياته سيسلم امر نفسه الى تبعية اجنبية خبيثة لا يدري مداها ، او ينحدر الى وضع في سلوكه ينسى فيه كرامته الانسانية ولا يذكر من ذاته الا جانبه الحيواني .**

المدخل لدراسة القانون

تاليف / الدكتور علي محمد بدير .
الناشر : دار الطباعة الحديثة / البصرة

● كتاب مقسم الى اربعة ابواب : الباب الاول للتعريف بالقانون ، والبـاب الثاني في مصـادر

القانون ، والباب الثالث في تطبيق القانون ، والباب الرابع في تفسير القانون . وقد تتبع المؤلف بتوسع فكرة القانون الطبيعي والادوار التي مرت بها والمعاني المتنوعة التي اتخذتها هذه الفكرة . وفي معرض بحثه عن تطور هذه الفكرة نجد ان المؤلف يوضح لنا كيف أن فكرة القانون الطبيعي امتزجت بالفلسفة عند اليونان وبالقانون عند الرومان ، وكانت مظهرا من مظاهر الوحي الالهي عند رجال الكنيسة في العصور الوسطى حتى ظهرت في العصور الحديثة فكرة تنادي بأن القانون الطبيعي ، هو القانون الذي يوحيه العقل المستقيم ويستنبطه من طبيعة الاشياء فيميز بين العدل والظلم .

الاستراتيجية الطبقية للثورة

تاليف : جورج طرابيشي

الناشر : دار الطليعة ــ بيروت

● **استعراض للنظريات الماركسية ، من ماركس وانجلز، الى لينين وتروتسكي ، ثم ماوتسي تونج وفرانز فانون وماركوز . ثم يقوم بشرح المداخل النظرية الأساسية لتحديدمايسميه «بالاستراتيجية الطبقية للثورة » . ويتناول الكتاب الموضوعات الآتية : رسالة البروليتاريا التاريخية ، تحالف العمال والفلاحين،الثورة الدائمة ، ثورة الفلاحين، هجاء البورجوازية الوطنية .**

وهذا كتاب من الكتب الكثيرة التي درجت على مناصرة ما استجد في العالم الحديث من آراء جديدة، وقفت التجارب منها موقف التردد الكثير.

اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم

تاليف : الدكتور عبد الرحمن حميدة

الناشر / دار الفكر

● دراسة عن تطور الأنماط الجغرافية عند العرب ثم ترجمة لحياة كل من هؤلاء الجغرافيين واهم اعمالهم مدعمة بنصوص مختارة من آثارهم تبرز اهم نواحي اتجاهاتهم الجغرافية . وتشمل هذه الدراسة قرابة ٤٠ مؤلفا من اعلام الجغرافيين العرب . ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب من نوعه تصدر لمؤلف عربي . ولقد كان المستشرق الهولندي دي جويه De Goeje اول من اصدر كتابا يشتمل على صفحات مختارة من الجغرافيين العرب واسماه « المختارات من الأدب الجغرافي العربي » ، وذلك في عام ١٩٠٧ . وجاء بعده المستشرقان الفرنسيان درمون وبلاشير فأخرجا « منتخبات من آثار الجغرافيين العرب في القرون الوسطى » . وذلك في عام ١٩٣٢ ، وترجما في هذا الكتاب حياة قرابة عشرين جغرافيا عربيا شهيرا .

ولعل اهم ما قام به المستشرقون في هذا المجال هو العمل الذي قام به المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في كتابه « تاريخ الادب الجغرافي عند العرب » .

الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

المستدرك الثاني

تأليف : خير الدين الزركلي

مجموعة استدراكات واصلاحات كشفتها للمؤلف مصادر من المخطوطات لم يكن قد تهيأت له الظروف للرجوع اليها من قبل . كما وقعت له خطوط مغربية وشرقية لاعلام سبقت لهم تراجم في الكتاب، فصورها ورقمها متصلة التسلسل بما قبلها في نهاية الجزء العاشر ، والحادي عشر المستحدث بقسميه للخطوط والصور . وتألف من مجموع هذه الاشياء ، هذا الجزء المسمى بالمستدرك الثاني وقد اقتصر المؤلف فيه على ما يتصل بالترجم لهم من الاجزاء السابقة ، غير متجاوزهم الى الآخرين .

ويلاحظ ان المؤلف كثيرا ما يغفل ، عند ذكر احد المخطوطات ، عن مكان وجوده .

اعلام الفكر السياسي

تاليف : موريس كرانستون Maurice Cranston ومجموعة من الكتاب .

نشر وترجمة : دار النهار للنشر /بيروت

● مجموعة دراسات موجزة عن احد عشر فيلسوفا من ابرز فلاسفة الغرب السياسيين ، وهم افلاطون ، أرسطو ، الاكويني ، ماكيافيللي ، هوبز، لوك ، روسو ، بورك ، هيجل ، ماركس ، وميل . وقد قام باختيار هذه الاسماء محرر الكتاب موريس كرانستون ، واختار ايضا الكتاب الذين شاركوه في كتابة هذه الدراسات عن كل شخصية من الشخصيات .

■■

بريد القــراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الآلة والعربي الصغير

● اطلعت على بعض اعداد من مجلة انجليزية للاطفال اسمها النسر Eagle ، ورحت اتصفحها فوجدت في كل عدد منهـا آلـة من آلات العصر الحديث ، كالطائرة او السفينة او الصواريخ ، وقد رسمت بطريقـة تبين جميع ما بداخلها من أجزاء دقيقة ، مع شرح مبسط ولكنه شامل لوظيفة كل جزء من هذه الاجزاء واسمه وطريقة تركيبه ، فلماذا لا تطور العربي الصغير ، وتنشر صورا لمثل هذه الآلات ومعلومات عنها، مساهمة منها في تنشئة جيل جديد من الشباب الذي يقبل على دراسة العلوم والمخترعات العلمية الحديثة .

ابراهيم سلطان ـ القاهرة

العربي : طالب الغرب نشأ في جو كله مكننات ،وهو عالم بكثير من المصطلحات الشائعة فأين منه الطالب العربي .

افتتاحية عن الشباب

● كان للمقابلة التي اجراها معكم تلفاز الكويت في برنامجـه الاسبوعي « تحت الاضواء » اثر عميق في نفوسنا ، وقد تأثرنا بخاصة للكلمة الاخيرة التي وجهتموها الى الشباب وشعرنا بدسمها وقيمتهـا بالرغم من قصرها .

واليوم جئتكم راجيا أن تفردوا لنا نحن الشباب احدى افتتاحياتكم تخاطبوننا فيها بالتنفس الذي شعرنا به في كلمتكم .

احمد بغدادي
جامعة البصرة

العربية بين العامية والفصحى

● ان موضوع « اللغة العربية بين العاميـةوالفصحى » الذي نشر في العدد رقم ١٢٧ بقلم الاستاذ باعزيز بن عمر ، موضوع طالما تشوق اليه ابناء الامة العربية ، فهو قد القم الكثير من ابناء العرب ، الذين يدعون الى التحول الى العامية ،حجرا .. اننا بتمسكنا بلغتنا الفصحى ، نحمي عروبتنا ونصون تراثنا .

عطا الله ابراهيم ـ مكة المكرمة

استطلاع خارج الوطن العربي

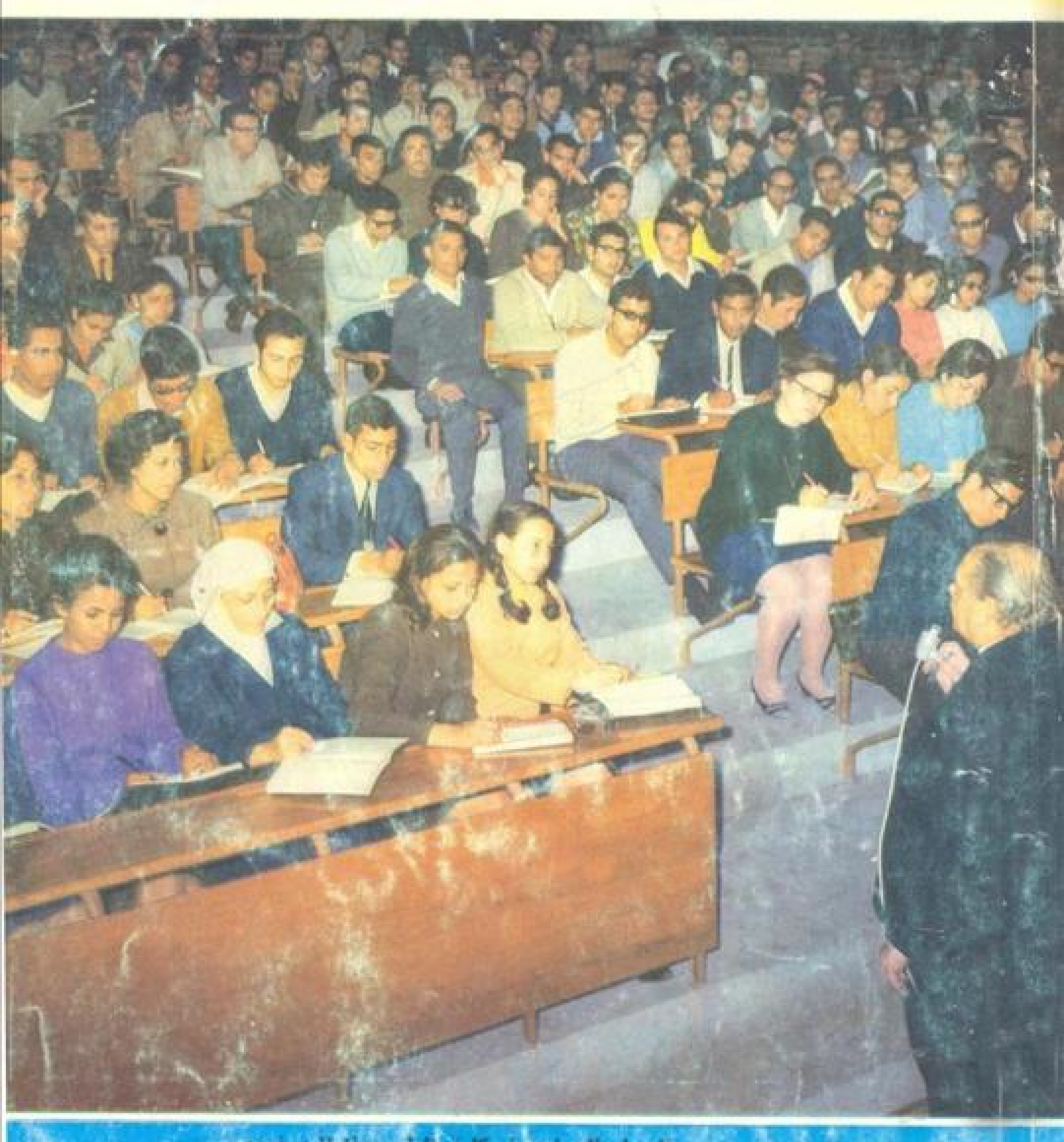
● تحية للقائمين على اصدار مجلة العربي ،التي هي زادنا في اول كل شهر ، لم اسأل ، لماذا لا يقوم قسم الاستطلاعات بالمجلة ، باستطلاع بعض مدن الدول الصديقة للعرب ، خارج الوطن العربي ، كالهند مثلا او باكستان او يوغوسلافيا الى اخره .. وذلك لتعريفنا بهذه الدول .

اسعد ياسين
بيروت

العربي : هذا خاطر ليس بجديد ، ولكن الدخول فيه لا يأمن الانسان معه من الغرق ، فباكستان تكاد تكون هي والهند قارة ، وعلى كل حال فان كل استطلاع جديد من هذا النوع ، سيثني الاستطلاع العربي وانت بلا شك لا تريد هذا . ولو جمعنا بين الاستطلاع العربي وغير العربي لصار أكثر من ثلث صفحات المجلة استطلاعات والاستطلاعات فيها من التسلية أكثر مما فيها من الرأي . لا سيما الرأي الذي نحن أحوج ما نكون اليه في عصور التخلف هذه .

العربي

العدد ١٥٠
ربيع الأول ١٣٩١
مايو
(ايار) ١٩٧١



الجيل الصاعد في كلية الطب بطنطا ، في مصر

جوائز ١٣٠٠

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الخليج العربي	٢ ريال	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا		
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم		
				الجزائر	[illegible]		



من روائع الفن العالمى

● لوحة « الربيع » للفنان الفرنسي ، ادوار مانيه (١٨٣٢ — ١٨٨٣) هى خير ما تقدم على هذه الصفحة ، في عدد شهر مايو هذا ، شهر الربيع . رسمها مانيه سنة ١٨٨٢ وجعل محورها الفتاة جين دى مارسي Jeanne de Marsy ، الممثلة الشابة التى اشتهرت بجمالها في باريس آنذاك . ومن طريف ما يذكر هنا ان القبعة التى تراها على راس جين هى القبعة التى اختارها مانيه بنفسه واشتراها لجين وللوحة الربيع بماله .

(انظر صفحة ٥٢)

عزيزي القارئ

■ لا شك أن الموقف العربي هو أول ما تسأل عنه . والموقف العربي له ظاهر ، وله باطن .

والظاهر يستطيع أي متحدث عربي أن يتحدث عنه ، ولا يجد فى ذلك عسرا . ولكن يتعسر معه القول حين ينظر فى التبعة الناشئة عن ذلك .

أما الباطن فيتحدث فيه الأعمى والبصير على السواء ، وقد يخطىء فيه البصير ، ويصيب الأعمى ، لأن الحديث فى هذا الباطن كالرجم بالغيب .

لهذا نكتفي بالحديث فى ظواهر الأمور ، لا لنكشف خطيرا ، ولكن لنجمع متفرقا يعرفه كل من تابع الأحداث :

● وأول حديث الظاهر حديث الفرقة القائمة بين بعض الدول العربية وبعض ، وهي سمة قد أصبحت من سمات العصر . فان تكن فرقة أرادها الله فلن يكون للعرب منها غير الخير . والحياة جمع وطرح . وزواج وطلاق . والله يقول : وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته .

● وثاني حديث الظاهر ، موقف الولايات المتحدة : معكم وعليكم معا . نرضى العرب بالموافقة على تحرير الارض المغتصبة . ولكن اسرائيل لها أن تخالف رأينا ، ولا يكون لها منا غير الزيادة من السلاح والعون من المال ، وترجيح كفتها دائما أبدا فى الحروب .

أساليب جديدة فى السياسة ، ومنطق يفتح ارسطو له فاهه مبهوتا حائـرا .

● وثالث حديث الظاهر ، حديث الروس ، حديث الدولة التي تخطب ود الدول ، ودفعت فى ارساء الحال عند القتال مهرا كبيرا . حقائق لا يمارى فيها الا ذو خشية .

● ورابع حديث الظاهر ، موقف الخصمين من ضفتي القناة . بل هو الى حديث الباطن فى الاعماق اقـرب . ولعله يخفى حتى على العارفين فى الاعماق . ورحم الله امرءا يقال له تقدم وهو من الليل فى ظلام حالك .

● بقي حديث الفدائيين . ونذكره حتى لا يقال نسوه . ونلتزم الصمت فيه ، الى ان تنطلق الألسنة فيه . فاكثر الألسنة اليوم مقيدة حبيسة ، قيدها اصحابها طوعا .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما تنشر فيها من آراء

ALARABY — No. 150 May 1971 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ازدادت اهمية مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية بمصر بعد افتتاح كلية الطب في عام ١٩٦٢ ، وقد تخرج فيها حتى الآن ثلاث دفعات .. والصورة للأستاذ الدكتور محمد لطفي بيومي ، عميد كلية طب طنطا وأستاذ مادة الباثولوجي ، أو علم الامراض ، وهو يلقي احدى محاضراته على طلبته في مدرج الكلية .. ان الدكتور بيومي من احب الشخصيات الى ابنائه الطلبة .
(انظر الاستطلاع صفحة ١٠٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

تصويبات

● اشير الى مقال الاستاذ عبد القادر باش اعيان العباسي عن فقيه البصرة « الحسن البصري » المنشور في العدد (١٤٧) من مجلة العربي الغراء الصادر في شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٧١ .

١ ـ لقد جاء في المقال ان الحسن البصري ولد سنة ٢١ هـ ، ٦٤١ م وانه عاش ثمانيا وثمانين سنة،وعليه فان وفاته تصادف عام ١٠٩ هـ وليس ١٩٠ هـ كما ذكر خطأ في الصفحة ١٢٥ من العدد المذكور ، وان عام ١٠٩ هـ يصادف ٧٢٧ م وليس ٧٣٨ م كما جاء في الصفحة المذكورة .

٢ ـ جاء في الصفحة ١٢٤ من العدد المذكور ان ثورة يزيد بن المهلب هي سنة ١٠١ هـ ، ٧١٦ م وارى ان سنة ١٠١ هـ تصادف ٧١٩ م وليس ٧١٦ م كما ذكره الاستاذ الفاضل .

ولعل هذه الاخطاء هي اخطاء مطبعية .

محمد خير عبد المجيد

العربي : وهذا صحيح ، فهي اخطاء مطبعية .

اصدروا العربي بكل اللغات !

● « كنت امسك بعدد من مجلة العربي ، واسير في احد شوارع مليلة الواقعة تحت الاحتلال الاسباني بالمغرب عندما سمعت صوت سيدة اسبانية تشير اليّ من النافذة ، فلما اقتربت منها ، مدت يدها طالبة رؤية المجلة التى احملها ، وما كادت المجلة تستقر في يدها حتى اعترتها الدهشة عندما علمت انها مجلة عربية وان اسمها العربي ، كما ترجمته لها .

« وراحت السيدة الاسبانية تقلب المجلة وتتصفحها في اعجاب شديد ، وهي لا تدرى شيئا عن محتوياتها بطبيعة الحال ، فهيّ لا تعرف العربية، ثم ما لبثت ان اعادتها الى وهي تقول « أللعرب مجلة كهذه ، والعالم الغريب من حولكم لا يدرى من امرها شيئا ؟ لماذا لاتصدرونها بالاسبانية وبكل لغة اخرى يفهمها اهل الغرب ؟

قلت وانا امد يدى واستعيد العربي منها : « ليتهم يفعلون ! »

الطالبي احمد ـ المغرب

عدد فبراير ..

● اهنىء العربي بعد صدور العدد ١٤٨ ،الفني بموضوعات طريفة وهادفة ، فمن حديث الشهر الصادق ، الى كشف حقيقة « القات »الى طرح مشكلة الكتاب العربي ، وهكذا .. وجدنا موضوعات جديدة ـ كعادة « العربي » ، وهيبجانب جدتها ليست بالقليلة ولا السطحية .

هل هذا التغير السريع في نهج « العربي » جاءمواكبة لعام ١٩٧١ ؟ ام انه وفق تخطيط مدروس لتنمية عقول القراء ؟

مهما يكن من أمر فان هذا العدد يمتاز علىغيره ، مما يجعل قارىء « العربي » اكثر حرصا على صحبته .

سليم سليمان الانصارى
جامعة بغداد

حول مقال الكاهنة

● جاء في بريد القراء العدد ١٤٧ الصادر في شهر فبراير ١٩٧١ صفحة ١٦٢ ان القارىء التونسي السيد محمد الطرابلسي عقب على مقال السيدة سنية قراعة عن الكاهنة قال : ان اسمها « داهية بنت ماتى » وانها امراة بربرية من جبال أوراس تزعمت البربر في عهد الفتح الاسلامى .

وقد جاءنا من السيدة سنية قراعة كاتبة المقال رد مطول نقتبس منه ما يأتى :

« المصدر الذى اعتمد عليه السيد محمد الطرابلسي هو كتاب وضعته الحكومة في تونس لتعليم الكهول وهو الجزء الثانى من ذلك الكتاب في الصفحة ١٥ .

وتعقيبي على ذلك المصدر وان كنت لم أتشرف بعد بالاطلاع عليه ، ويبدو لى انه مصدر رسمى تعليمى من المغامرة أن نعتمد به تاريخيا .

وفي اسم « داهية » ما يعنى وصف المراة بالدهاء وسعة الحليلة ، وانه لا يمكن أن يكون هواسمها الحقيقى الذى لم يذكره كتاب السير والمؤرخون الاوائل .

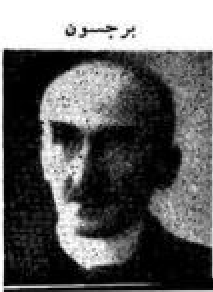
لقد أصدرت حكومات كثير من الدول ذات الثقافات كراريس لتعليم الاطفال والشيوخ ممن فاتتهم فرصة تلقى العلم . وجاء في هذه النشرات اساطير واسماء لا تمت الى الحقيقة بأية صلة ، فهل يكون في الايراد المقصود به تبسيط الفهم ، وتثبيت المعلومات ما يجبرنى على أن اعتبره حقيقة ، فاقرر مثلا أن السندباد البحرى ، كان عاش في بغداد ، وأن حقيقة اسمه « العطاء بن وائل » .

اسم الكاهنة ملكة البربر ، أيها القارىء الكريم محمد الطرابلسي ، لا يهمنا في شيء ، وسواء كان اسمها « داهية بنت ماتى » أو ماكرة بنت فطلان مثلا ، أو اى اسم من الاسماء المتخيلة ، فان هذا لن يغير من واقع تاريخها ومغامراتها ونضالها شيئا ، ويكفى أن نتفق جميعا على انه كان لهذه المراة وجود في تاريخ الفتح الاسلامى للشمال الافريقى العربي .

هيجل وبرجسون

● تحت باب تربية وعلم نفس ، في العدد ١٤٧ من العربي ، وفي مقال بعنوان ايهما افضل في حياة الانسان ، ماضيه ام حاضره ام مستقبله ، وقع خطأ في الاسمين اللذين وضعا تحت الصورتين اللتين ظهرتا مع المقال ، فقد وضعتم اسم الفيلسوف برجسون تحت صورة الفيلسوف هيجل ، واسم هيجل تحت صورة برجسون . والعكس هو الصحيح ، كما بينت ، وذلك استنادا الى ما جاء في مقال للدكتور زكريا ابراهيم عن الفيلسوف الالماني هيجل في عدد سابق هو رقم ٧٨ من مجلتنا العربي الغراء . لذا وجب التنويه .

عارف رؤوف خليل
الموصل / العراق .



برجسون



هيجل

هدية الوعي الاسلامي من مصورها ؟

● وقعت في يدى هدية مجلة الوعي الاسلامي ، وهى عبارة عن نتيجة حائط تحوى ١٢ صورة لاثنى عشر مسجدا وجامعا ، اذكر انى سبق ان رايت معظمها منشورا في مجلة العربي ، فلم ادر اهى صور صورها الوعي الاسلامي ام صورتها مجلة العربي ، ام اشتريت من مكان للتصوير ؟

اسأل هذا لانني بحثت ، فلم اجد مع الصور اية اشارة لمصدرها . فان كانت اشتريت فارجو اخبارى بمصدر شرائها ، فاني في حاجة اليها .

محمد سعيد / القاهرة .

العربي : رجعنا الى الهدية التى تذكر ، فوجدنا ان تسعا من الصور المنشورة هي من تصوير مجلة العربي ، وقد كنا أهديناها الى الوعي الاسلامي ، بعد أن وعد مندوبها بذكر مصدرها عند النشر ، ولكنه لم يفعل ، فلعل « الوعي الاسلامي » قد خذله !

(البقية على صفحة ١٧٠)

حَديثُ الشَّهْر

مَا وُجِدَت..

الحُكُومَات

إلَّا لِتَحْمِي..

الحُرِّيَات

بقلم رئيس التحرير

الشُّرْطَةُ

إِذا ضَيَّقْتَ عليكَ ، فَلِأَجْلِ أَنْ تُوَسِّعَ عَلَى صَاحِبِكَ ، لِيَكُونَ لَكُمَا مِنَ الحُرِّيَّةِ أَنْصِبَةٌ سَوَاءٌ .



الانسان
حر ، مقيد
يتحرك في حرية محدودة

ابيه ، من النظرة الحانية ومن عين امه الساهرة ، ويبدا دور المراهقة ، ويخطو في سبل الحياة ، بعيدا عن حماية اب او عم او جد ، حتى يجد انه يسير في مسالك من الحياة واسعة الأرجاء ، كثيرة الافناء ، في السماء زرقة ، وفي الارض اخضرار . والناس رائحون غادون في انس ظاهر ، كانما هم في شئون الحياة في افراح .

ولكن ما اسرع ما يقف عند مسالك كتب عليها « ممنوع الدخول » ، وابواب كتب على جدرانها « دق الجرس حتى ياتيك الحارس » .

انه المجتمع

انه المجتمع .

ترك صاحبنا عيشة اكثرها عيشة الفرد الواحد ، ليعيش بين الافراد عيشة الافراد مجتمعين .

عيشة الفرد كان فيها الهواء له وحده ، والأرض له وحده وماء النهر له كله وحده ، وله الدنيا تكاد تكون ملكا خالصا ، فاذا به يكتشف رويدا رويدا ان له فيها ، وفي امتلاكها ، الف الف شريك .

وتزيد سنه ، ويزداد خبرة بالحياة ، ويزداد حملا لواجباتها ، فيجد ان الطرقات ، التي كانت سهلة في اول الأمر واسعة مديدة ، اخذت تتراءى له فيها عقبات من صنوف شتى . ويجد ان اكثر هذه الطرقات المسدود .

ويتعلم ان هناك رجالا تعرف برجال الشرطة ، وان هناك في الطرق مصادمات ، وهناك منازعات ، وان هناك محاكم تقضي في هذه المنازعات ، وان هناك حكومة ، وهناك تشريعا ومشاريع ، دنيا ، لو رسمنا مسالكها على خريطة ما وسعها السطح الواحد ، وكان لا بد لها من خرائط ، سطوحا بعضها فوق بعض ، لكل لون ، يمثل صنفا من حاجات الناس . وتضيق الوان الطيف عن أن تستوعب كل هذه الحاجات .

قوانين ، ولوائح ، واوامر ونواه .

يتعلمها المراهق رويدا رويدا ويمضغها الواحدة بعد الاخرى ، على فترات ، خشية ان يسوء هضمه . وينتهي الأمر بأن يحسب انه فقد الحريات جميعا . وانه ولد ليسيّره الدنيا لا ليسيّرها .

واقول ينتهي بأن « يحسب » انه فقد الحريات جميعا .

اما انه فقد الحريات ، بعضها ، فلا شك في هذا .

في المستشفى

انت تمرض ، وتحتاج ان تبقى في

المستشفى . واول ما تطلب، او ما تتمنى وفقا للاحوال ، ان تطلب ان تكون فى حجرة مستقلة وحدك . ذلك لأن هناك الحرية كاملة . ولكنك قد لا تجد ، فيدخل معك الى الحجرة رجل ، فيصبح فيها رجلان . الحرية تنصّفت . انت لا تستطيع ان تصنع الآن مع وجود هذا الرجل الغريب ما كنت تصنعه وحدك . ولو كنتم ثلاثة فى الحجرة ، لتثلثت الحرية . فكيف وانتم خمسون فى جناح من المستشفى واحد . تريد ان تنام ، وكيف وجارك يئن من وجع . وتحتر الدنيا ، وتريد أن تتعرّى ، والاجسام فى عرف الناس عورات . وتضطرك الضرورات الى أن تقوم فتخشى الازعاج، فتصبر على الحال النكد .

حرية المريض في حجرة خاصة ، اضعاف حريته في عنبر بمستشفى وكذا هي في المجتمع



فى المجتمع فقد الانسان حتى حريته فيما يلبس

وكذا المجتمع ، وبه الف والف والف من الناس .

فقد فيه الانسان كثيرا من حرياته ، حتى حريته فيما يلبس ، فهو اذا خرج اليه ، الى المجتمع من بيته ، وجب أن يتزيّا زيّاً خاصا ، هو زيٌ فرضه المجتمع . وجعل لكل طبقة زيا . للرجل العادى زى . وتختلف الطبقات فتختلف الأزياء . ولرجال الدين زى . ولرجال الجيش زى . ولسعاة البريد زى . وللساعي بالشراب فى المقهى البلدى زى. وللساعي بالطعام فى المطعم الافرنكى زى . والبدلة الافرنجية فرض على لابسيها ، وكذا الجلباب الأبيض أو الأزرق فرض على لابسه . ويا ويل من خرج الى الطريق بنصف زى من هذا ، ونصف زى من ذاك .

تقليد فى الملابس، كتقليد فى العادات ، كتقليد فى الفكر الجارى بين بني الناس .

كلها مكابس تكبَس فيها صيَغ الحياة كبسا ، وتَحتفظ بأشكالها ، لتصبح عملةَ التعامل واحدة ، كما تكون عملة النقود واحدة .

وهي كلها لتسهيل عملية الحياة .

وفروض اخرى يفرضها المجتمع تنتهي بالشرطة والحكومة

وفى المجتمع الزائط ، وكل مجتمع زائط ، لا بد من قواعد ترتب حركات الناس فى طرق الحياة ، ملموسة محسوسة ، او معنوية مجرّدة .

ومن ابسط القواعد قواعد السير . السير فى الطرقات الى اليمين ، والسير الى جانب الطريق على الرصيف لا فى اوسطه ، ولاوسط الطريق ، السيارات والعربات، ولها فى السير قواعد ، وعندما

تخرج من شارع الي شارع . ولها سرعة محدودة ، قليلة في هذا الطريق ، كثيرة في ذلك الطريق .

فهذه قواعد تنظم السير ما اكثرها .

ولكن لا بد لها من رجال تقوم على رقابتها . الا تذكر يوما ان الطريق ازدحم بك والناس ، وطال التوقف ، ثم ذهبت تبحث ما العقبة ، فاذا العقبة غيبة رجل الشرطة المختص بالسير في الطرقات . في غيبة الشرطة استبد كل صاحب سيارة بأن يسير اولا ، واختصما ، واصطدما ، فلم يعد هناك مكان لمرور .

قواعد السير واجبة .

وكذلك رجال قوامون عليها لا بد منهم .

وهذا في ابسط امور المجتمع . السير بالأقدام ، او بالسيارات والعجلات في الطريق . انه نوع من السير في الحياة ، في المجتمعات الانسانية ، واحد . الى جانبه الف نوع من السير . سير بغير اقدام وبغير سيارات . سير لا تختصم فيه الناس في طريق ، ولكن تختصم وتصطدم ارادتهم في مسالك للعيش شتى .

اذاً وجب ان يكون قانون .

وان يكون لكل مسلك من مسالك العيش قانون .

واذن وجب ان يكون على القوانين قوامون . فتلك هي الحكومات ، من شرطة وادارات .

ونجمع كل هذه المسالك ، وكل هذه القوانين والقوامين عليها ، واشتاتا اخرى من مرافق الحياة في المجتمع ، ورجالا ذوى مناصب صغيرة وكبيرة عديدة ، فذلك هو الكيان الضخم الذى تسميه بالدولة .

والشرطة والحكومة والدولة لا تكون الا لتوزيع الحريات في المجتمع انصبة متساوية

ظاهر مما قلنا ان الذى دعا الى وجود شرطة وحكومة ، انما هو حاجة المجتمع الى تنظيم . وهو تنظيم يفرض على الناس الفروض ، فهو بذلك يزيد في عدد القيود . ولكنها قيود تقيد سلوك الفرد حتى لا يعتدى على حرية الغير . اني لو اطلقت لنفسي حريتي ، وكنت انا القوى ، وانت الضعيف ، لمددت سلطاني في هذه الأرض حتى لا يكون لك رقعة تعيش فيها . فالقانون يتدخل ليحدُّ من حريتي ، لا شك في هذا ، او بعبارة اخرى هو يقيدني ، ولكن في حدود نصيبي من الحرية ، حتى يحفظ لك ، انت الضعيف ، نصيبك منها .

الحكومة ترجي وتخشى في آن

القوانين اذن ، والرجال القائمون عليها ، كل هؤلاء انما قاموا ليحفظوا

رجل الشرطة
هو في الأصل
يد الحكومة لتنظيم الحرية لا لكبحها



حرية الافراد بتقنين ما يجب أن يفعل ، وعلى الأخص ما يجب أن لا يفعل .

ويقال بعد ذلك ان الناس احرار فيما لم يتعرض له بالذكر قانون .

ولكن الحكومة ، حامية القانون ، لا تقوم بغير قوة ، ولهذا كان لا بد لها من قوة شرطة ، وكان لا بد لها من قوة جيش . والجيش اصلا ليحمي الحدود ، ولكنه كذلك ليدعم الشرطة اذا عجزت عن حماية القانون والقائمين على حماية القانون .

وتسأل : وممن يحمون القانون ؟ .

ونجيب : من تلك الطوائف من الشعب التي لا ترضى من الحريات الا بالقسمة الجائرة ، الكثير لهم ، والقليل لغيرهم . انه طبع في الناس قديم . قال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ففي الدفاع عن الحريات ترجى الحكومات .

ولكن الحكومة ، هؤلاء الرجال القوامون على القانون ، أليسوا هم بعض الناس ، فيهم العفة تكثر وتقل ؟ وفيهم الذي يطمح ويطمع ، والذي يقنع ، والقوة التي لهم انما تزيد الطامعين بينهم طمعا ؟ .

واذن ، فمن يحمي الشعوب من حكوماتها ، من احتمال كهذا ؟ .

من يحمي الشعوب من ان يكون حاميها حراميها .

لغز الالغاز
ان هذا هو لغز الالغاز في السياسة ، وبين الساسة ، من قديم الزمان

الحكومات قديمة . والشعوب قديمة . وقامت حكومات من قديم رضيت عنها الشعوب . وحكومات لم ترض عنها الشعوب . وحكومات قامت على رغم الشعوب . وانحل ما بين الشعوب وحكوماتها من رابطة فانفرط النظام كما تنفرط حبات العقد تدوسه في الزحمة الصاخبة الأقدام .

وفي سبيل حل هذا اللغز ، وفي سبيل دعم الحكم حينا ، او دعم الشعب حينا ، قامت الخصومات واندلعت نيران الثورات ، وقد تعد منها ان شئت في التاريخ الفا .

ولكن اذا قصرنا النظر على القرون الحديثة ، تلك التي اتسمت بالكثير من الاستقرار السياسي ، والتقدم العلمي ، والاطراد التكني ، لا سيما في المواطن التي نشأت فيها للديمقراطية معانيها الحديثة ، لوجدناها ثورات ثلاث كبرى ، قامت في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، هي التي اقرت معنى الحكم نوعا ما ، على أن الحكومة انما تقوم به وكيلة عن الشعب . الحكومة تحمي الشعب وتحمي حرياته في الحياة ، والشعب يحمي الحكومة ، بجيش منه . حتى لا تأخذ بضبعها فتنزل بها عن منصة الحكم يد فحل من فحول بني الناس ، طامع جبار .

الثورة الانجليزية عام ١٦٨٨

اما الثورة الأولى التي نذكرها فهي الحرب الأهلية التي قامت في انجلترا ، في القرن السابع عشر ، حرب عام ١٦٨٨ . ولم تكن حربا واحدة بل حروبا بدأت في عام ١٦٤٢ ، سفكت فيها دماء من دماء الشعب كثيرة ، وطاح فيها راس ملك ، ليخلفه على الرغم من ذلك آخر الامر ملك آخر بل ملوك توالت . ثورة عارمة ، تملص فيها الفكر الانساني من ضوابطه العادية ، حتى لكان في الثائرين اشتراكيون بلغوا في الاشتراكية ، في ذلك العهد الباكر ، مثل ما بلغ اهل الشيوع في عصرنا هذا ، وزادوا . تمثل ذلك في



الجيش ،
لحماية الحرية ،
حتى لا يسطو عليها من
خارج البلاد ساطٍ

طائفة الحفارين Diggers ، وطائفة المسوّين Leveller أولئك الذين ارادوا ان ينزلوا بمستويات الناس جميعا حتى يبلغوا بهم مستوى واحدا ، واطئا . ثورة اصطرعت فيها المذاهب الدينية ، ورقت الأحاسيس المذهبية ، حتى استحل المسيحي سفك دم اخيه المسيحي تقربا الى الله . ومنهم من كان آمن بالله ثم كفر .

الفيلسوفان : هَبْز ولُك

وكان لا بد لهذا الخبال الانساني من العون الفكرى ، فكان مما رصده التاريخ لهذا الزمان ، رجلان كبيران ، احدهما حضر الزلازل الأولى التي انذرت بالثورة ، هو الفيلسوف الشهير « توماس هَبْز » Thomas Hobbes (١٥٨٨ – ١٦٧٩) ، والثاني عاصر الثورة ، هو الفيلسوف الشهير « جون لُك » John Lock ، (١٦٣٢ – ١٧٠٤) . وكلاهما كان له في السياسة فلسفة حفظتها له العصور .

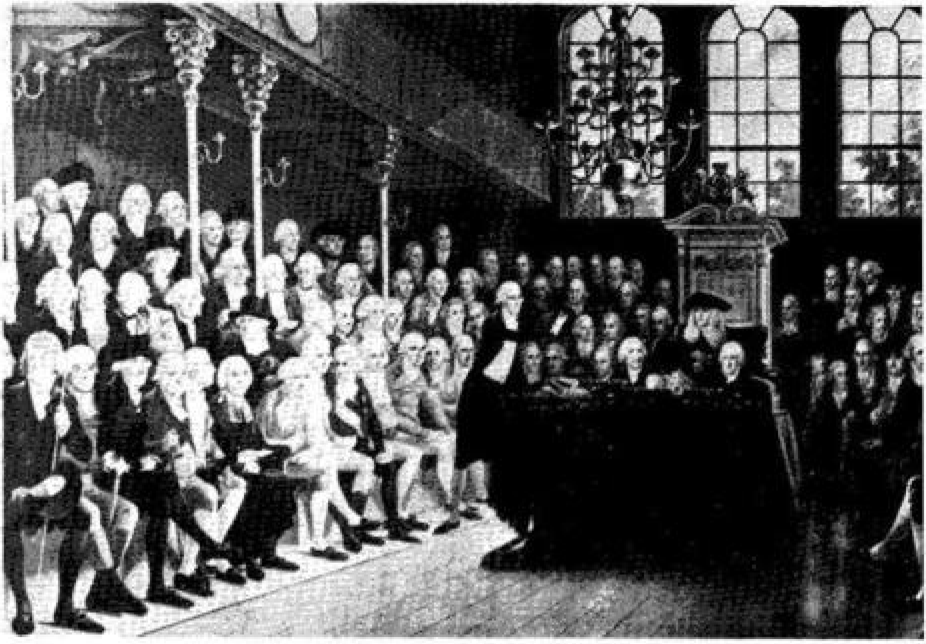
أما « هَبز » فكان يرى الأمن والاستقرار في قيام الدولة على مَلِك ذى قوة ، وذى بأس شديد ، يكون هو الواقي من الثورات غير المسئولة والحافظ للحريات .

أما « لك » فكان يرى الخشية كل الخشية من الحكومة القائمة كانت ما كانت . أما البرلمان ، صانع القوانين ، فلم يكن ليخشاه . وعنده انه اذا ساء حال البرلمان كان في استطاعة الشعب أن يبرحه ليأتي ببرلمان غيره . وعنده انه ما امكن فصل الحكومة القائمة عن البرلمان ، بحيث تعمل الحكومة في حدود ضيقة ، طبقا لما يصنعه البرلمان من قوانين ، وبحيث لا يكون من الجائز للحكومة أن تصنع القوانين ، ان امكن هذا ، فقد امكن استقرار الحكم واطراد الأمن في الناس والسلام .

الفيلسوف الكاتب الفرنسي : منتسكيو

والمعروف بالطبع أن الفيلسوف الفرنسي منتسكيو Montesquieu (١٦٦٩ – ١٧٥٥) هو صاحب القول بفصل السلطات في الدولة . وقد لحق « بلُك » وعاصره . والمعروف انه زاد على ما ارتأى « لك » من فصل جهاز الحكم عن البرلمان ، فصل القضاء عن كليهما . وكان فصل القضاء من الخطورة بمكان ، وهو متمم لضمان الحريات في الدولة . فالى القضاء يرجع الناس لرد الحقوق ولوقف كل جائر ، حتى السياسي ، عند حدّه .

ومن أجل هذا اكتسب القضاة الانجليز في عام ١٧٠١ ، بحكم الوثيقة الشهيرة الصادرة في ذلك العام (Act of Settlement of 1701) حق البقاء في وظائفهم ، لا يعكر صفوهم فيها احد ، ونالوا بذلك من الأمان والضمان ما لم يكونوا قد عرفوه من قبل . وكان من أثر هذه الوثيقة في دستور القوم انها جعلت كلمة القانون هي العليا .



البرلمان الانجليزى
كان فصل الحكومات عن البرلمانات اول الخطوات لاستقرار الحكم في البلاد

الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩

ووقعت الثورة الفرنسية ، فى سبيل نيل الحرية ، بعد الثورة الانجليزية ، بقرن من الزمان ، فكأنما كانت مع القوم على ميعاد .

والثورة الفرنسية اشهر من ان تذكر ، رؤوس كثيرة أطيح بها ، اختلط فيها الخطأ بالصواب ، وكيلت فيها التهم بغير تحقيق ، الا الظن ، والا الكيد ، والا الغضب من الظلم الفادح الذى كان . والظلم يبلغ حدا ينسى معه الانسان الصبر ، وينبهم عنده الفهم ، وتختلط معه ثورة الحقد بالثورة للعدل . وكان من اشنع الخطأ قتل العالم الذى كشف سرّ الهواء للانسان لأول مرة . قتلوا لافوازيه بالمقصلة لغير ذنب جناه .

ومع هذا ، فالثورة الفرنسية كانت شيئا لا بد منه . والدليل على ذلك انها كانت ، ويبررها ما خرجت به من دعوة صارخة عمت اصداؤها الأرض :

اخوة . حرية . مساوة

ثورة اخرى برجوازية لحماية الحريات .

وهي كسائر الثورات مهد لها الفكر الانساني ، بتلك الفئة من الرجال ، فئة القرن الثامن عشر ، التي اسموها بالانسيكلوبيديين Encyclopedists : تلك التي قامت بتأليف الانسيكلوبيدية (دائرة المعارف) الفرنسية الضخمة (١٧٥١ ــ ١٧٧٢) . وقد خرجت في ٢٨ مجلدا .

وضم هؤلاء « المعارفيون » العلماء



فلتير
فحل من فحول الفكر الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية

والفلاسفة والخبراء وذوى الاختصاص فى المعرفة عامة . وكان منهم فلتير Voltaire ، وكان منهم منتسكيو Montesquieu ، وديدرو Diderot وجان جاك روسو Rousseau .

وروسو صاحب العقد الاجتماعي Le Contrat Social ، وله أثر فى الفكر السياسى الذى كان ، وهو كائن ، كبير .

الثورة الأمريكية
أو ثورة الاستقلال

وسبق الثورة الفرنسية الثورة الأمريكية ، ثورة الاستقلال (١٧٧٥ ــ ١٧٨١) وهي الثورة التي استقلت بها الولايات المتحدة عن انجلترا ، وصنعوا من بلادهم ،بعد استعمار ، أمة وحدها .

والذى يهمنا ذكره هنا ، أنهم عندما صنعوا دستور الحكم ، خشوا أيضا من الحكومات التي تقوم فيهم ، ومنهم ، فعمدوا الى حماية الحريات بفصل السلطات ، ولكن على أسلوب آخر .

وذلك بأن فصلوا بين رئيس الجمهوريةورجالالكنجرس Congress (البرلمان) فى الانتخابات ، كل ينتخبه الشعب وحده ، وكل يبقى على استقلال عن صاحبه طول مدة قيامه بواجباته وفقا للدستور .

فاذا جئنا للقضاء وجدنا أن رئيس الجمهورية يعين قضاة المحكمة العليا بشرط موافقة الكنجرس . فاذا احتل هؤلاء القضاة اماكنهم من القضاء ، فلا يمسهم احد . ويجب أن نذكر أن مجلس القضاء الأعلى هو الذى يقضى فى الاساءات الدستورية اذا وقعت .

ثلاث ثورات
حلت معضلة الحكم بعض الشىء

ثلاث ثورات عالمية ، كان لها فى ارجاء



جان جاك روسو
صاحب « العقد الاجتماعي » ومن اصحاب الفكر الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية



جيفرسن
رجل من رجال الولايات المتحدة
الذين صاغوا لها الحرية في دستورها

العالم اصداء شديدة ، حلت معضلة الحكم بعض الشيء ، بأن جعلت الدولة سلطات ثلاثا ، سلطة التنفيذ وعلى راسها الوزراء ، وسلطة التشريع وتشمل نواب الأمة ، وسلطة القضاء . وفصلت هذه السلطات بعضها عن بعض .

وفضلا عن هذا ، فقد جاءت هذه الثورات ، وكان لها بين أهلها ، وبين شعوب الارض ، دوي كبير . جاءت كما يجيء الانسان مرض خطير ، يكاد ان يودي بحياته ، ثم يجد الدواء الشافي ، ويشفى من مرضه ليتمتع بالصحة الى حين .

ويبقى يذكر ما كان من مرض ، وما كان من الم ، وما كان في الثورة من نكبة من بعد نكبة . وكلها ذكريات تجعل صاحبها يتمسك بما اهتدى اليه من دواء حتى لا يأتيه المرض من جديد .

وان يكن فصل السلطات كان له في استقرار الحكم شأن كبير ، فان فيما استخلصته هذه الثورات الثلاث من حقوق للانسان صاغتها ، واعلنتها ، كذلك كان شأن كبير .

وميزة اخرى لهذه الثورات الثلاث : انها فرّقت بين الفرد والمجتمع . ولكنها لم تكن لتضحي بالفرد في سبيل المجتمع . وساد مبدأ التركز على الحرية الفردية Individualism دهرا طويلا ، لا سيما في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وما نطلق عليهم أهل الغرب من أوروبا .

ومهدت هذه الحرية الفردية لما وقع في القرن الذي تلا ، القرن التاسع عشر ، من تقدم في الغرب صناعي ، خطا بالحضارة الأوروبية المادية خطوات رائعة .

وبالصناعات الجديدة ، والتجارات الواسعة ، والاستعمار الذي عم الأرض ، واثر كل ذلك في المجتمعات الحديثة ، وتحت راية الحرية الفردية المطلقة ، تعود مسألة الحكم الى تأزمها القديم .

وكان لذلك أسباب عدة ، من أظهرها :

١ ــ ان الحرية الفردية ادت بعد اطلاقها ، وفي العصر الصناعي المكني الحديث ، الى استعباد الفرد للفرد .

٢ ــ ان المجتمع الانساني ، في العصر الصناعي المكني الحديث ، تبدّل وتغيّر ، او صار لا بد من تغييره وتبديله ليستقيم مع العصر الحديث .

٣ ــ ان حقوق الانسان ، تلك التي صنعتها الثورة الفرنسية ، ومن قبلها صنعتها ثورة الاستقلال الأمريكية ، وحتى تلك التي صاغها الافراد ومن اشهرهم Thomas Paine ، كانت تغلب عليها السلبية دون الايجابية . ووجدت للمجتمعات الحديثة مطالب ايجابية ، وحقوق ما كانت لتفي بها تلك الحقوق الانسانية العتيقة .

وبهذا يعود أمر الحكم ، في القرن الذي تلاه ، القرن التاسع عشر ، فيصير لغزا صعب الحل ، بين الغاز الدنيا ، جديدا . ●●

احمد زكي

مسابقة العربي

١٢ سؤالا و ١٠٠ دينار جوائز

مسابقة هذا العدد تتكون من ١٢ سؤالا من مختلف ميادين المعرفة .. والمطلوب منك الاجابة على ١٠ اسئلة اجابة صحيحة . وهذه هي الاسئلة :

■ قناة السويس اشترك في بنائها مئات الالوف من المصريين مسخرين .. وفقد الالوف حياتهم في شق هذا الشريان الحيوى الذى ربط بين البحر المتوسط والمحيط الهندى عبر البحر الاحمر . فكم استغرق شق القناة :

١٠ سنوات ـ ٤ سنوات ـ ١٥ سنة .

■ في أى عام من الاعوام حصلت سوريا ولبنان على استقلالهما ؟

■ **كيركجارد ـ هيجل ـ ايراسموس ...** رجال في تاريخ العلم والفكر خالدون .. هل تستطيع ان تذكر جنسية كل واحد منهم . ؟

■ كارل ماركس شخصية اثرت في التاريخ المعاصر وقد مات بعيدا عن بلده .. فهل تعرف فى اى بلد هو الآن مدفون ؟

■ الديانة الرسمية في اليابان هي :

الشنتو ـ البوذية ـ المسيحية ـ الاسلام .

■ حجر رشيد الذى اكتشف اثناء الحملة الفرنسية على مصر في القرن التاسع عشر وتمكن علماء الآثار بواسطته من فك رموز اللغة الهيروغليفية القديمة اين يوجد هذا الحجر الآن ؟

المتحف البريطاني في لندن ـ اللوفر في باريس ـ متحف القاهرة .

■ شلالات فيكتوريا وشلالات ستانلى فيأفريقيا على أى نهرين يقعان :

زامبيزى ـ كونغو ـ النيل الازرق ـ النيل الابيض ؟

■ **« الوطواط هو صنف من أصناف الطيور .. يطير في الظلام الدامس فلا يصدم شيئا ولا يصدمه شيء ، وهو يطير ويهتدى ولو قلعت عيناه اقتلاعا »** في هذه العبارة خطأ علمي اذكر ما هو الخطأ .

■ المسك كلمة عربية هى اسم لطيب من الاطياب القليلة التى مصادرها حيوانية .. والمسك الجيد مادة جافة قاتمة اللون ، ارجوانية ملساء مرة المذاق . والمسك المركز له رائحة لا تحمد ، ولكنه اذا خفف طاب وامتع وهو يستخدم في الروائح العطرية . ويستخرج المسك من حيوان معين هو :

ذكور أيل المسك او اناث أيل المسك فمن ايهما يخرج ؟ !

■ يعيش ثلث سكان العالم اساسا على احد هذه الحبوب :

القمح ـ الذرة ـ الارز ـ .. فما هو هذا الحب!

■ في عام ١٩٦٠ فقد ١٢ الف شخص حياتهم في زلزال ضخم فى شمال افريقيا .. في اى بلد وقع هذا الزلزال **اغادير ـ نواكشوط ـ الرباط ـ**

■ العشاء الاخير الذى تناوله المسيح عيسى بن مريم مع حوارييه قبل الغدر به ، حضره كم شخص بما فيهم السيد المسيح : **١٢ ـ ١٤ ـ ١٦ ١٣**

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فيذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

«مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٠ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة

الاجتهاد بين الحظر والإباحة

الاجتهاد

في استنباط الأحكام الشرعية

بقلم: بدر متولى عبد الباسط

عميد كلية الشريعة بالأزهر سابقا

والاستاذ بجامعة الكويت

■ بين الفينة والفينة يثور غبار الجدل حول هذا الموضوع ، فقوم ينادون بفتح ابوابه ، وقوم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ان فتح هذا الباب ، وهؤلاء واولئك مغالون او متعنتون .

والاجتهاد الصحيح الذي توفرت شروطه، وتهيأت وسائله مباح ومشروع، بل واجب على الامة الاسلامية ان تهيىء المجتهدين وتيسر لهم كل الوسائل ليجابهوا تطور الحياة فى اطار من الشريعة الغراء من غير انحراف ولا جمود ، وحتى لا يكون المسلمون ــ بتخلفهم وجمودهم ــ حجة على دينهم .

ومن فوق منبر مجلة « العربى » ، وهي مجلة الثقافة العربية العالية ، اود ان اضع بين يدى القراء صورة ، اود ان تكون كاملة وواضحة للاجتهاد . معناه ، شروطه ، وسائله ، اطواره . مع ذكر نماذج من اجتهاد المجتهدين فى كل عصر . ثم الحديث عن القول باغلاق باب الاجتهاد . وساحاول جاهدا ان اقرب المصطلحات العلمية قدر الامكان مع الحفاظ على معانيها ومدلولاتها ليستطيع كل ذى ثقافة عربية متوسطة ان يتابع البحث من غير تعثر ولا تعذر .

وقبل الدخول فى صلب البحث يحسن ان نقدم بكلمة اجمالية عن مصادر الاحكام الشرعية، وعن الاحكام الشرعية، ليعرف القارىء مواطن الاجتهاد ومزالقه، وليكون على بيّنة من هذا الموضوع الخطير الذى يدعيه بعض من لا يحسن تلاوة آية من كتاب الله من المصحف ، ويتزمت قوم فيقولون بحظره ومنعه .

من مصادرها الإسلامية

مصادر الاحكام الشرعية ـ اجمالا

ان كل حكم شرعي لا بد أن يكون مصدره ودليله من الشارع . والمشرّع ـ عند اصحاب الاديان السماوية كلها ـ هو الله تعالى، وهذا الدليل قد يكون من الله سبحانه مباشرة ، وهو عندنا القرآن الكريم . وقد يكون منه جل شانه بطريق غير مباشر ! وهي السنة والاجماع . ثم القياس .

فهذه هي الاصول الاساسية الاربعة . وهناك مصادر اخرى ترجع الى ما ذكرنا ، كالعرف ، والمصلحة المرسلة ، وحكم العقل الخاضع لقواعد الشريعة العامة .

وهذه الادلة من حيث القوة متفاوتة ، فمنها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني . والقطعي منه ما هو قطعي في ثبوته عن الشارع بحيث لا يتطرق الشك في نفس المسلم ان هذا الدليل ثابت يقينا انه منه جل شانه وهو مع هذا قطعي في دلالته على المعنى المراد للشارع ، بمعنى ان الدليل لا يحتمل اى معنى سوى المعنى الواضح منه .

وذلك كآيات القرآن الكريم الواضحة الدلالة على معناها وضوحا لا يحتمل اللبس كقوله تعالى: « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا »(١) . وكقوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف . انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا »(٢) . وكقوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم »(٣) .

الى عشرات الآيات القرآنية التى لا مجال فيها لتأويل ، اللهم الا ان يكون تعسفا وحملا لكلام الله على غير محمله افتراء وبهتانا .

وفي السنة العملية من ذلك الشيء الكثير ، كتحديد أعداد الركعات ، ومواقيت الصلوات ـ في الجملة ـ وكتحديد انصبة الزكوات ومواقيت الحج الزمانية والمكانية وكيفية الحج .

فكل ذلك نقل عن الرسول الاكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلا متواترا يفيد اليقين القاطع من صدوره منه ولما كان مبلغا عن ربه كان ذلك ثابتا عن الله تعالى يقينا .

واما السنة القولية فهذا اللون ـ منها ـ نادر، كقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فان هذا الحديث نقل عن صاحب الشرع ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقلا متواترا وهو ـ يقينا ـ يفيد حرمة الكذب على رسول الله لما احتواه من تهديد ووعيد شديدين .

وهناك ادلة شرعية ظنية في ثبوتها عن صاحب الشرع ، بمعنى ان العقل يرجح ثبوتها ، ولكنه لايقطع بهذا الثبوت ، كآلاف الأحاديث التى صحت عن الرسول الاكرم ، وترجع عند الثقاة انها صدرت منه ـ كقوله « البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا » ، « من قتل قتيلا فله سلبه » اى في الحرب ، وكقوله : « لاتنكح المرأة على عمتها او خالتها » .

فان هذه الاخبار نقلها العدول الضابطون الثقاة

(١) سورة الاسراء الآية ٢٣ . (٢) سورة النساء الآية ٢٢ . (٣) سورة البقرة الآية ٢٢١ .

عن امثالهم الى صاحب الشرع ، مما يرجح جانب الصدق على جانب الكذب ، ولكن هؤلاء النقلة آحاد لم يصلوا الى حد التواتر المفيد لليقين ، فيبقى احتمال الكذب اما نسيانا او خطأ او اشتباها ، ولكن هــذا الاحتمال احتمال ضعيف لا يرقى الى درجة الشك ، لان العــدل الضابط يتحرى الصدق قدر الطاقة فيكون احتمال الكذب مرجوحا .

وقد يكون الدليل الشرعي قطعيا في ثبوته عن صاحب الشرع الا ان دلالته على المعنى المـراد للشارع ظنية كقوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (٤) فان لفظ « قروء » جمع لقرء ، وهو في اللغة لفظ مشترك اى وضـع لمعنيين متضادين ــ وهذا امر مألوف في اللغــة العربية ــ وهما الطهر والحيض ، فعلى المعنى الاول يكون معنى الآية والمطلقات ذوات الحيض يتربصن او ينتظرن ثلاثة اطهار ، وعلى المعنى الثاني يتربصن ثلاث حيض ، وعلى المجتهـد ان يعمل فكره ــ مستعينا بالقرائن والادلة الاخرى ــ ليرجح احد المعنيين على الآخر ، وكقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » (٥) . فان الواو في قوله : « وانه لفسق » يحتمل ان تكون واو حال ، فيكون المعنى ــ حينئذ ــ النهي عن اكل متروك التسمية اذا كان الترك اثما ، وهو لا يكون اثما الا اذا ترك اسم اللــه وذكر اسم غيره .

ويحتمل ان تكون الواو للاستئناف او للعطف ، فيكون المعنى النهي عن اكل متروك التسميــة . والاخبار ان الترك ــ في حد ذاته ــ اثم .

واكثر آيات الاحكام ظنية الدلالة .

وقد تكون الآية الواحدة قطعية الدلالة في ناحية، ظنية في ناحية اخرى . فمثلا الاية الاولى قطعية في وجوب العدة على المطلقات ، في الجملة ، ظنية في تحديد العدة بم تكون ؟

والامثلة فيذلك كثيرة ، سواء ما يتصل بالعبادات او المعاملات او أحكام الاسرة .

على ان بعض الآيات قطعية ــ يقينا ــ في ثبوتها ودلالتها : ومن الادلة الظنية في ثبوتها ودلالتهـا القياس ، فان كونه دليلا شرعيا فيه خلاف بـين الفقهاء ، وعلى فرض كونه دليلا ــ وهو الارجح ــ فان معرفة العلة ــ وهي مدار القياس ــ امـر ظني تختلف فيه الأنظار .

هذه كلمة مجملة عن الادلة الشرعية ، وهـي مصادر الاحكام الشرعية .

كلمة مجملة عن الاحكام الشرعية

الاحكام الشرعية منها ما يرجع الى العقيدة ، وهذه الاحكام لابد لها من دليل قطعي في ثبوته ، قطعي في دلالته : كوجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وكوجود عالم يعرف بعالم الجن وكوجوب الايمان بان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ صادق كل الصدق فيمـا يبلغه عن ربه .

نعم ــ هناك ــ مسائل تعرض لها علماء التوحيد (علم الكلام) تعتمد على ادلة ظنية ، ونظرا لأنهـا تتصل بالعقيدة ، ألحقت بالعقائد ، كالكلام على رؤية الله ــ تعالى ــ في الاخرة ، وكالكلام عـلى اختيار العبد او عدم اختياره في اعماله غـير الاضطرارية ، وكالكلام على الحسن والقبح في الافعال الى غير ذلك ، فهذه المسائل لهـا اتصال بالعقيدة ، وان كانت الادلة فيها ظنية ــ تارة في ثبوتها ، وتارة في دلالتها ، وبهذا قد يخطىء فيهـا المخالف ، ولكن لا يكفر ، لانه لم ينكـر دليـلا قطعيا ، وانما تأول هذا الدليل او لم يصح عنده .

ومن الاحكام الشرعية ما تتعلق بافعال العباد ، وتسمى احكاما فرعية ، ومردها الى وصف اعمـال العباد بالحل او الحرمة او الكراهة او الوجوب ، وكذا وصفها بالصحة أو الفساد الى غير ذلك مما يعرض له العلماء من بيان صفات الافعال الصادرة من العباد ، فان من المقرر ــ شرعا ــ انه ما من فعل يصدر من العباد الا ولله فيه حكم شرعي .

والاحكام الشرعية التى من هذا القبيل تعتمد على ادلة شرعية قد تكون قطعية في ثبوتها ودلالتها . كوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحـج عـلى المستطيع ، وكحرمة الزنى والربا وشرب الخمر والميسر ، ومثل هذه الاحكام تلتحق بالعقائد ، لانها معلومة من الدين بالضرورة ، فان اى مسلم نشأ في بلاد الاسلام يعلم هذه الاحكام ، لا فرق في ذلك بين عامة المسلمين وخاصتهم .

وقد يكون مصدر هذه الاحكام ظنيا في دلالته او

---

٤ ــ سورة البقرة : الآية ٢٢٨

٥ ــ سورة الانعام : الآية ١٢١

ثبوته او فيهما معا ، وهذا هو الغالب في الاحكام الفرعية .

واذ قد تبين لنا ـ بصورة اجمالية ـ انـواع الادلة والاحكام الشرعية فان الاجتهاد لا يكون الا في الاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة مـن الادلة الظنيـة .

ومن هنا ـ تختلف الانظار ، وتتفاوت الاراء قوة وضعفا ، ويتضح مجال الترجيح ، وتنطلق العقول من عقالها .

دفع شبهة تتصل بهذا الموضوع

يثير بعض الناس شبهة حول هذا الموضوع ، فيقولون : أما كان الاجدر أن تأتي نصوص الشريعة كلها قطعية حتى لا يفتح على الامة باب الخلاف والجدل المفضي الى القطيعة والشقاق ، كما نشاهد الآن ، فهذا سني وهذا شيعي ، وهذا شافعي وهذا حنفي ، وهذا مالكي وهذا حنبلي ، وقد كان لهذه الفرقة اثرها في المجتمع الاسلامي قديما وحديثا » .

قلت : ان الاجتهاد في الدليل الشرعي ـ اثباتا وفهما ـ اذا كان على الوجه الصحيح كان رحمـة ونعمة ، وكان توسعة على الامة ، فان المصيب في رايه له أجران ، والمخطىء له اجر ، كما نطقت بذلك السنّة الصحيحة ، واختلاف الاراء ـ على هذا الوجه ـ لا يوجب فرقـة ولا فتنـة ، ولا قتالا ، ولا أدلّ على ذلك من الصحابة ، رضوان الله عليهم ـ فانهم اختلفوا بينهم في فهم كثير من النصوص ، وفي استنباط كثير من الاحكام للحوادث الجديدة عليهم ولم يبح بعضهم دم الاخر .

ولكن لما نجمت الفتنة ، واصبح للهوى سلطان على النفوس كان ما كان مما وعاه التاريخ من المآسي ، وليس هذا من ظنية النصوص ولكن من تحكم الاهواء والشهوات ، ومن المعروف ان كل خير يشوبه بعض من الشر ، على ان الذي يقارن مقارنة صحيحة بين ما وقع وبين مالو كانت ادلة الشريعة كلها قطعية في ثبوتها وفي دلالتها لعلم ان الخير كل الخير فيما وقع ، فان الحجر على العقول وجمودها بلاء ليس بعده من بلاء ، وشر دونه كل شر .

والتاريخ يشهد بصدق هذا القول ، فان الآراء المنحرفة التابعة من الاهواء اندثرت ، ولم يبق لها وجود الا في بطون الكتب ، نقلها الناقلون للتشهد لهذه الامة بسعة الصدر وحرية الرأى ، ولكـن هذه الاراء ، ذهبت كغثاء السيل وانطفأت كوميض البرق .

« فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » على أن هؤلاء الشاكين أو المشككين لو جاءت ادلة الشريعة كلها قطعية في ثبوتها ودلالتها لقالوا : هلا فتح المشرع لنا باب الاجتهاد بدلا من هذا الجمود الذى لا مجال معه لرأى .

ولقد عبر القرآن الكريم عن طبيعة الانسان في التمرد وحبه الاعتراض على الله مع وضوح كامل حكمته في خلقه وتشريعه .

يقول جلّ شانه ـ تصـويرا لهذا العناد : « ولولا ان تصيبهم مصـيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا : ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين .. فلما جاءهم الحـق من عندنا قالوا : لولا أوتي مثل ما أوتي موسى او لم يكفروا بما أوتي موسي من قبل » الآيتـان ٤٧ ، ٤٨ من سورة القصص .

الاجتهاد المقبول والاجتهاد المردود

اذا حددنا معنى الاجتهاد الصحيح تبين لنا ان سواه مردود ، وان اطلاق لفظ الاجتهاد عليـه مغالطة .

ويحسن ـ قبل ان نبين معنى الاجتهاد عنـد الفقهاء ـ ان نبين معناه في لغة العرب ، لان بين المعاني اللغوية الاصيلة وبين المعاني الاصطلاحية العلمية ارتباطا وثيقا .

والاجتهاد ـ لغة ـ ماخوذ من المشقة او الوسع او الطاقة ، قال في القاموس الجهد : الطاقة ، ويضم والمشقة ، الى ان قال : والتجاهد بذل الجهد كالاجتهاد .

وسواء كان ذلك في معرفة حكم شرعي اعتقادى او عملي او معرفة حكم لغوى او مسألة عقلية ، او كان في امر محسوس كحمل شيء ولا يقال : اجتهد في حمل وردة .

واما الاجتهاد ـ عند علماء الفقه او الاصول فقد عرّفوه بتعاريف متقاربة في الفاظها ومعانيها ، واذا كان قد أورد على بعض هـذه التعاريف اعتراضات ترجع الى الصناعة اللفظية .

وكلها تدور حول بذل الجهد والطاقة لمعرفة

الحكم الشرعي من دليله . وادق ما قيل - في تعريفه هو - ما ذهب اليه صاحب مسلم الثبوت(٦) فقد عرفه بانه بذل الطاقة من الفقيه لتحصيل حكم ظني شرعي . وبذل الطاقة من الفقيه يراد به ان تصل الفقيه ويطمئن قلبه ان ما وصل اليه من استنباط هو حكم الله تعالى ، وذلك يكون - اولا - في البحث عن الادلة، ثم - ثانيا - في النظر في هذه الادلة على مقتضى النظر الصحيح .

والفقيه ليس هو الذى يعرف الاحكام الشرعية وادلتها ، كما قرره الاولون - كما هو شائع اليوم في اطلاق هذا اللقب على هؤلاء - وانما الفقيه هو من عنده ملكة يقتدر بها على معرفة نطاق الادلة الشرعية فيما يعرض له من حوادث ، كما يقتدر على استنباط الحكم من الدليل بعد معرفة ، ويقدر كذلك على دفع التعارض بين الادلة ان وجد ، او ترجيح بعضها على بعض .

ولا يصل الانسان الى هذه المرتبة الا باستعداد فطري ، ثم ممارسة طويلة لمسائل الفقه ومدارك الفقهاء .

ولعلنا نستطيع ان نبين الشروط المؤهلة للاجتهاد ، حتى لا يدعيه من ليس اهلا له ، وليكون المسلمون على بينة ممن يفتونهم في امور دينهم .

ونظرة الى التعريف المذكور يتبين لنا ان الاجتهاد لا يكون في معرفة حكم قطعي ، اذ ، معرفة هذا الحكم عادة لا تحتاج الى بذل جهد او طاقة لمعرفته ، وذلك لمن نشأ في بيئة اسلامية ، اذ المفروض ان مثل هذه الاحكام تكون معلومة لجميع المسلمين ، ويتلقاها الخلف عن السلف .

وهذه الاحكام القطعية لا تكون مستنبطة الا من ادلة قطعية في ثبوتها وفي دلالتها فلا تختلف فيها الانظار والاراء ، وفتح باب الاجتهاد في مثل هذه الاحكام لا يكون خاضعا لمنطق الاجتهاد الصحيح وانما هو اتباع للهوى .

ومهما بذل الشخص من جهد وتكلف من مشقة في صرف دليل شرعي قطعي في ثبوته ودلالته عن معناه الموضوع له لغة وشرعا لا يكون اجتهادا لانه اجتهاد في مقابلة النص القاطع ، بل هو تشكيك وتضليل ، ومثل هذا الشخص يكون - عادة - حكمه سابقا على نظره في الدليل ، ثم بعد ذلك يتلمس الاسباب والحيثيات ، ويتتبع الشبهات من هنا ومن هنا ليؤيد ما ذهب اليه، وانصافا للحق مثل هذه الاحكام لا يجوز ان يقال : انها حكم شرعي ، لان الحكم الشرعي لا بد له من دليل شرعي وان صح ان ينسب هذا الحكم فلينسب الى قائله .

فهؤلاء الذين يرون اباحة الربا اجهدوا انفسهم - حقا - في محاولة يائسة لتبرير رأيهم - من ناحية الشرع - فقالوا : ان كان الافتراض ان كان يراد به الاستغلال فالربا حرام وان كان يراد به الاستهلاك فهو حلال .

فهذا تقسيم لم يقم عليه دليل من كتاب او سنة ، بل هو مصادم لنص قطعي في ثبوته قطعي في دلالته، وهو قوله - تعالى - « يايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (٧) .

لست ادرى ولا المنجم يدرى من اين جاءهم هذا التقسيم فقالوا هذا حلال وهذا حرام .

الا وان في الادلة الظنية والاحكام الظنية مجالا لاعمال الرأى واشباع الفضول في النظر والاستدلال في اطار ما تمليه الادلة وتؤيده قواعد الشريعة الغراء .

★ ★ ★

الا وان للاجتهاد شروطه وضوابطه ، فمن تأهل له فهو المجتهد الذى يجوز لعامة المسلمين ان يتبعوه او لا يتبعوه ، فليس - هناك - من يجب علينا من البشر طاعته الا الرسول الاكرم .

واما ولى الامر فيجب علينا طاعته اذا كان حكمه موافقا للشريعة وله شاهد يشهد له من ادلتها وقواعدها . والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ■■

بدر المتولى عبد الباسط

---

(٦) وهو محب الله بن عبد الشكور البهارى من علماء الهند المتوفى سنة ١١١٩ هـ سنة ١٧٠٧ م ويعتبر هذا الكتاب خاتمة ما كتب - قديما - في علم اصول الفقه وقد جمع بين الطريقتين المشهورتين في تدوين هذا العلم وهما طريقة المتكلمين وطريقة الحنفية .

(٧) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

نتيجة مسابقة العدد ١٤٨

شوقي تعلم بجامعة مونبليه

■ على الرغم من سهولة مسابقة العدد ١٤٨ من « العربي » فان الغالبية العظمى من القراء على كثرتهم لم يوفقوا للاجابة الصحيحة ، وذلك لأنهم اعتمدوا على الذاكرة وحدها والذاكرة قد تخون وقد تخطىء ، ومثال ذلك ان معظم القراء قال ان امير الشعراء شوقي تعلم فى السوربون ، اما المصادر الموثوقة ودوائر المعارف المعتمدة فتقول ان شوقي تعلم فى جامعة مونبيليه .
واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة واسماء الفائزين بالمسابقة :

١ ـ اسم القرية التي ولد فيها ابو العلاء المعرى، هي قرية **معرة النعمان**

٢ ـ اطلال مدينة قرطاجنة تقع في **الجمهورية التونسية**

٣ ـ البلدان العربيان اللذان يستعملان الليرة هما **سوريا ولبنان**

٤ ـ احمد شوقي امير الشعراء ، تعلم بجانب ثقافته العربية في جامعة **مونبيليه** الفرنسية

٥ ـ المدينتان اللتان حفرت مساكنهما ومعابدها في صخور الجبال هما **البتراء** في الاردن **وتبوك** في السعودية

٦ ـ **لا** توجد دولة عربية يخترقها **خط الاستواء**

٧ ـ مدينة الفيوم تقع قرب بحيرة **قارون**

٨ ـ الدول العربية التي تقع سواحلها على مياه البحر الاحمر وخلجانه هي :
- **ا ـ الجمهورية العربية المتحدة**
- **ب ـ الجمهورية السودانية**
- **ج ـ المملكة العربية السعودية**
- **د ـ الجمهورية العربية اليمنية**
- **هـ ـ المملكة الاردنية الهاشمية**

٩ ـ لبنان هو البلد العربي الذى خلد فى علمه **شجرة الأرز** التى تنمو على اراضيه

١٠ ـ البلاد العربية التى تجمع الهلال والنجمة في اعلامها هي :
- **ا ـ الجمهورية التونسية**
- **ب ـ الجمهورية الجزائرية**
- **ج ـ جمهورية موريتانيا**

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :
ليث مال الله عبد العزيز / الموصل / العراق

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :
عبد العزيز بن عبد الله الجماز/الوشم/السعودية

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :
خديجة عواضة / بيروت / لبنان

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير

١ ـ **محمد عبد الله العمودى** / الشحر / اليمن الجنوبية .

٢ ـ **ميشيل شحادة يازجي** / دمشق / سوريا

٣ ـ **محمد محمد عامر ابو النعاس** / محافظة الغربية / ج٠ع٠م٠

٤ ـ **عوض صالح الحربي** / الكويت

٥ ـ **عمر وعبد الرزاق احمد** / درنه / ليبيا

٦ ـ **علي مبارك عبد الله الهزيمي** / ابو ظبي

٧ ـ **ميسون يوسف ذهني** / عمان / الاردن

٨ ـ **ازهرى عبد الرحمن محمد علي** / السوكي / السودان .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريدالمسجل .

الحَضَارَةُ

صفحة في اللغة

■ جاء في اللغة

ان الحَضَر خلاف البدو . والحاضر خلاف البادي .

ومعنى الحاضر هو المقيم في المدن والقرى . والقرية تطلق على المساكن والابنية والضياع وقد تطلق على المدن .

ومعنى البادي المقيم في البادية

ويقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية . وفلان حَضَرِيٌّ وفلان بَدَوِيٌّ .

والحاضرة ايضا هي المدن والقرى والريف . والريف في معناه اللغوي ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها ، وحيث يكون الحَضَر والمياه ، وحيث الزرع والخِصْب . وفي الأثر « كنا أهل ضَرْعٍ ولم نكن اهل رِيفٍ » اي اننا من أهل البادية . لا من أهل المدن .

والحضارة هي الاقامة في الحضر ، قال القطامي :

فمَن تكن الحضارة أعجبتْـــــه ... فأيَّ رجال باديــةٍ تَرانـــــا

وقال المتنبي :

حُسْنُ الحضارة مَجلوب بتطريــة ... وفي البداوة حُسْنٌ غير مجلــوبِ

وواضح ان الحَضَر فيه استقرار ، وفيه عِمران ويصحب الاستقرارَ وكثرةَ العمرانِ وَضْعُ النظم ، والاحتكاكُ والتجربةُ الطويلة التي تولد ثقافاتٍ ، ورقيا في المآكل والمشرب ، وفي الملبس والمسكن ، وفي التعلم والتعليم ، وفي الرقة وعدم الخشونة ، لهذا كان لفظ الحضارة دالاً على ما تقدم ، وهذا هو المعروف في اللغة العربية .

اما المدنية فانها اصطلاح يؤدي ما كان يؤديه لفظ الحضارة اذ ان لفظ الحضارة يؤدي أكثر ما يؤديه مصطلح المدنية الآن . فالعهود الحديثة فرقت بين المدينة والقرية والريف ، فالمدينة هي البلد الكبير في حجمه وعدد سكانه ، وهي التي فيها الرقي والتثقيف ، والتي تكون مقراً للحكام والولاة . اما القرية والريف فلا يصلان الى المستوى الراقي الذى تتجه اليه اذهاننا . وما زال وصف « قروي » او « ريفي » يدل على بعض الخشونة وبعض التأخر بالنسبة الى الوصف « مدني » المنسوب الى المدينة .

وفي اللغات الاوروبية ، كالانجليزية ، نرى ان اسم المدينة فيها هو City ومنها اشتقوا لفظ Civil ومعناها متمدن ، ومنها جاءوا باللفظ Civilisation وهو اللفظ الاوروبي للفظ الحضارة . وترجمناه فكان المدنية احتفاظا لمصدر اشتقاقه الاول الذى هو المدينة .

واطرف ما وصف به الحضر والبدو هو ما اجراه المرحوم احمد شوقي على لسان هند وابنة خالها ليلى محبوبة قيس ، وذلك في مسرحيته المعروفة باسم « مجنون ليلى » . ان ليلى تتباهى بالبادية، اما هند فقد ضاقت بما فيها .

والمدنية

قالت ليلى تخاطب قيس بن ذَريح عاشق « لبنى » وهو غير قيسها المجنون بها :

أتيتَ لنا اليوم من يثرب ... فكيف ترى عالمَ الباديهْ
أكنْتَ من الدور أو في القصور ... ترى هذه القبة الصافيهْ
كأنّ النجوم على صدرها ... قلائدُ ماس على غانيهْ

فتقول هند :

كفى يا ابنة الخال ، هذا الحرير ... كثير على الرِّمّة البالِيهْ
تأمَّلْ تر البيد يا ابن ذَريحٍ ... كمقبرة وحشة خاويهْ
سئمْنا من البيد يا ابن ذَريحٍ ... ومن هذه العيشةِ الجافيهْ
ومن مُوقِد النار في موضع ... ومن حالب الشاة في ناحيهْ
وراغيةٍ من وراء الخيام ... تجيب من الكلأ الثاغيهْ
وأنتم بيثرب أو بالعراق ... أو الشام في الغُرف العاليهْ
مُغنيكمُ « مَعْبَد » و« الغَرِيض » ... وقَيْنَتُنا الضَّبُعُ العاويهْ
وقد تأكلون فنونَ الطُّهاةِ ... ونأكل ما طهت الماشيهْ

فترد ليلى عشيقة المجنون قائلة :

قد اعتسفَتْ هندُ يا ابن ذَريحٍ ... وكانت على مهدها قاسيهْ
فما البيد إلا ديارُ الكرامِ ... ومنزلة الذِّمم الوافِيهْ
لها قُبلْة الشمسِ عند الشروق ... وللحَضَر القُبْلة الثانيهْ
ونحن الرياحينُ مِلْءَ الفضاءِ ... وهن الرياحين في الآنيهْ
ويقتلنا العشق والحاضراتُ ... يقمن من العشق في عافيهْ
ولم نصطدم بهموم الحياةِ ... ولم ندرِ لولا الهوى ماهيهْ
وآنًا نخف لصيْد الظباءِ ... وآنًا إلى الأُسْدِ الضاريهْ

فتقول هند ساخرة :

وفي كلّ ناحية شاعر ... يغني بليلاه أو راويَهْ ■■



التكامل الاقتصادي

"لو تدبَّرت كل دَولة عَربيَّة أمرها، لوجَدت التكامل مَبدأ حِسَابيًّا، قَبلَ أن يكونَ مَطلبًا قَومِيًّا"

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

رئيس مجلس ادارة المركز العربي للبحوث والادارة في القاهرة

■ مازلت أذكر يوما حضرت فيه حفلا اقتصاديا كبيرا فى نادى بنك مصر بالقاهرة منذ أكثر من عشرين عاما قام فيه المرحوم الدكتور « منصور فهمي » داعيا الى الوحدة العربية فقال : « انها تتمثل فى وحدة السماء ، فى وحدة الغبراء ، فى وحدة اللغة والدين والتاريخ ... » .

ولم يكن مفروضا أن أكون من بين المتحدثين فى الحفل ، ولكنني شعرت بدافع مفاجيء يلح على فى ان استأذن السيد / عبد المقصود أحمد ، رئيس مجلس ادارة بنك مصر وقتذاك ــ وكان رئيس الحفل ــ فى التعقيب على كلام الخطيب .

وقلت ان التوافق بين البلاد العربية لاشك أساس متين لقيام وحدة عربية ، ولكن بناء الوحدة فوق هذا الاساس لا يقاوم الرياح الهوج اذا كان من القش ، وصلابته تأتي من توافق المصالح قبل توافق العواطف . فكثيرا ما رأينا ولدا يتنكر لابيه لانه حرمه ميراثه ، وزوجا يطلق زوجته المحبوبة لانها غير أمينة على ماله . وفي سورة التغابن « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » . لقد كنا نقول « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » ثم عرفنا أن هذا القول من قبيل التمني ، وان الطريق الصحيح لتحقيقه هو ان نجنبها الزلل بتوفير

والسوق العربية المشتركة



«إنّ في الوطن العربي كثيرًا من الرزق وقليلًا من التوفيق»

العيش الحلال لها . وكنا نقول « النظافة من الايمان » فوجدنا ان هذا الشعار لا يمكن تطبيقه الا بتوفير الصابون والماء الجارى . وقد كانت التجارة تتبع العَلَم (Trade Follows The Flag) فاصبحت السياسة في خدمة الاقتصاد ، بل تغير شكل الاستعمار فاصبح استعمارا اقتصاديا بالسلع والاموال ، بعد أن كان احتلالا بالحروب والجيوش .

واذكر انني سمعت « سعد زغلول » في سنة ١٩٢٥ يقول في بيت الامة وهو يشكك في امكان قيام وحدة عربية : « ان كل بلد مشدود الى مستعمر ، فكيف يستطيع أن يضع يده في يد زميله ؟ » .

حشد الموارد العربية

وقد رأينا أن اختلاف المصالح كثيرا ما باعد بين الدول العربية ، ودعا لتنازعها مع تركيا وايران والباكستان مع انها بلاد اسلامية ، على حين تجلى الود مع الهند واليونان وفرنسا وأسبانيا ـ وهي ليست كذلك ـ لانها وقفت موقف التأييد من مصالح العرب .

يخلص من هذا أن على البلاد العربية أن تستمد ما يكون بينها من علاقات من وحي واقعها ، وأن تنظر امامها بدل أن تتلفت خلفها ، وأن ترفع شعارات المستقبل قبل أن تردد أمجاد الماضى ، وان تفصل في تعاملها بين المذهب الديني والمذهب السياسي والمصلحة الاقتصادية . ان حضارة العرب تنبعث اولا من مستوى معيشتهم . وهذا المستوى لا يرتفع الا بحشد الموارد العربية ، والحشد لابد فيه من تحقيق التناسق والتكامل.

ان العالم العربي مؤلف من دويلات صغيرة . وهذا مظهر من مظاهر الضعف لا القوة . بل هو نقص في الحيوية السياسية والاقتصادية جميعا . فلا بد من تقليل الشعارات التقليدية للسيادة ، لانها وحدها لا تستطيع أن تحافظ على مضمون القوة والنفوذ . لم يعد يليق أن يفاخر المصرى او الكويتي او اللبنانى بانه مصرى او كويتي أو لبناني ، بل يجب ان يكون عربيا قبل كل شيء . وليست هذه دعوة الى نبذ الوطنية المحلية،ولكنها

دعوة الى تغليب العروبة عند التعامل .

ان في العالم اليوم كتلة امريكية ، واخرى سوفيتية . وقد قامت كتلة ثالثة في غرب اوروبا هي السوق الاوربية المشتركة . وقامت سوق مشتركة في امريكا الوسطى ، ومنظمة تجارة حرة في امريكا اللاتينية . وها هي دول افريقيا تبحث في انشاء سوق مشتركة او منطقة تجارة حرة ، كما تبحث الدول في جنوب شرق آسيا في عمل تكتلات مماثلة ، فلتكن لنا عبرة من سلوك سوانا .

ولكن كيف تتكامل الدول العربية ؟

ان العالم العربي ينقسم اليوم أساسا الى منطقتين كبيرتين : احداهما زراعية تتألف من : مصر وسوريا والسودان وتونس والمغرب والاردن واليمن ، والاخرى بترولية تتألف من : العراق والسعودية والكويت وبلاد الخليج وليبيا والجزائر . وهذا لا يمنع من وجود البترول في المنطقة الزراعية ، ووجود الزراعة في المنطقة البترولية ، ولكن الصفة الغالبة تبقى كما قدمت.

وكثافة السكان في البلاد الزراعية اكبر منها في البلاد البترولية ، على عكس مستوى الدخل فانه في الاولى اقل منه في الثانية . ويلاحظ ان الاراضي الخصبة القريبة من الانهار او التي تروى بماء الامطار في العراق وسوريا والسودان متسعة وغير مستغلة ، على حين يوجد ضيق في الارض وفائض في الايدي العاملة في الجمهورية العربية المتحدة .

ولذلك فلو ابيحت الهجرة بين البلاد العربية لامكن ان ينتج العالم العربي من القمح والقطن والزهور والخضراوات والفواكه والماشية والطيور ما يكفي اهله ويفيض عنهم الى الاسواق الاوربية. ومع انتعاش الزراعة ووفرة اللحوم تنتعش صناعات المعلبات والالبان والعطور .

ولو تعاونت البلاد العربية في البترول لزاد دخلها منه زيادة كبرى . ويكفي لابراز هذه الحقيقة ان منظمة الدول المصدرة للنفط « أوبيك » المكونة من : فنزويلا والجزائر وليبيا والعراق والكويت والسعودية وقطر وأبو ظبي وايران وأندونيسيا بعد مؤتمرها الثاني والعشرين الذى عقد في طهران في الخامس من فبراير (شباط) الماضي ١٩٧١ قد حصلت من الشركات المحتكرة على نحو ٧ الاف مليون دولار في السنوات الخمس القادمة للدول المنتجة في منطقة الخليج العربي .

ولو تعاونت بلاد البترول لانشاء أسطولا من ناقلات البترول ، واقامت كثيرا من مصانع الكيماويات البترولية بما تنتجه من صناعات كثيرة فرعية ، وما تعود به من دخل كبير . ان العرب حين يحصلون على عوائد عادلة لنفطهم ، ويصنعونه ، يستطيعون بشكل فعال تقوية جهودهم لحل مشكلة فلسطين ، وحين يسيطرون على مصير نفطهم يملكون سلاحا يرهب أعداءهم وينفع أصدقاءهم .

ولو تعاونت البلاد العربية في التسويق والتسوق الزراعي لامكنها ان تفرج ازمة تسويق التفاح في لبنان وسوريا ، وازمة تسويق العنب في الجزائر ، وازمة تسويق البلح في العراق ، ولأمكنها ان تحصل على الماشية من سوريا وليبيا والسودان ، وعلى القمح من تونس والجزائر والمغرب ، وعلى الفواكه والدواجن من لبنان .

عندنا .. وعندهم

ان الفدان يغل في الدنيمارك وهولندا من المحاصيل الزراعية ما يساوي ألف جنيه استرليني في العام ، وذلك لان في هذه البلاد من الجمعيات التعاونية المركزية ما يقوم بجمع المنتجات وتنظيمها وتصنيعها وتسويقها علبا وزجاجات ، بينما يبيع العالم العربي مواده الاولية على حالها بالطن او بالامتار المكعبة فلا يحصل منها الا على اقل القليل .

وقد اتجهت الجمهورية العربية المتحدة الى صناعات الحديد والمنسوجات والسيارات والاسلحة والاسمنت والسماد والورق والسكر والادوية بينما اتجهت بلاد شقيقة الى الصناعات الخفيفة كالثلاجات ، والسخانات والخزف والصيني وتشكيل الالومنيوم . وبين الاتجاهين تكامل يمكن تنظيمه عن الماضي وتنسيقه للمستقبل كي ينفسح المجال امام كل بلد عربي ليبلغ مرحلة الرشد في مصنوعاته فيطاول مستواها في البلاد المتقدمة .

هذا عن الانتاج . أما عن الخدمات فان من البلاد العربية ما تقدمت فيه السياحة والفندقة والطيران كلبنان وتونس . وما تقدمت فيه صناعة النشر كالجمهورية العربية المتحدة ولبنان والكويت . وما تقدم فيه التعليم والفقه كمصر ولبنان ، وما تطورت فيه قوانين الاحوال الشخصية كتونس ، وما استقرت فيه الاعمال المالية كالكويت . والتكامل يقضي بأن يعترف لكل ناحية من هذه النواحي بدولة « أم » تشرف على تنميتها في الدول الاخرى .

وفي العالم العربي مناطق حرة يمكن الانتفاع بها في التكامل التجارى هي بيروت وبورسعيد وعدن والكويت وطنجة ، ولو نظمت وترابطت لكان للعرب منها منافذ على تجارة العالم واسطول بحرى موحد ، وآخر جوى يكونان مصدرين للدخل ، وأداتين لا بد منهما لانعاش التجارة والسياحة ونقل البترول .

بقي التمويل . وهو ليس بعزيز على بلاد تودع مئات الملايين بل الافها في بنوك انجلترا وسويسرا وغيرهما بينما امكانيات الاستثمار في العالم العربي كثيرة . ان على الدول المحتاجة ان تقدم الضمانات اللازمة وعلى الدول المولة أن تقدر مصلحتها في التعامل مع أخواتها . وليس يكفى أن تنشيء بنكا زراعيا وآخر صناعيا ، وشركة لاعادة التأمين واخرى للطيران ، وانما المهم أن تدعم هذه المنشآت بالأموال لتتمكن من مزاولة نشاطها على نطاق كبير .

قدوة حسنة

ان السوق الاوربية كانت قدوة حسنة للعرب وان كانت قد أضرت بصادراتهم الزراعية حتى لقد انقصت ما تستورده منها بنحو ٢٥٪ . ان هذه السوق بسكانها الذين يزيدون على ١٧٠ مليون نسمة وبمستواهم الحضارى المتقارب ، وتجاورهم في المكان ، وتماثلهم في النظم السياسية – وثرواتهم الصناعية والتجارية الهائلة – هذه السوق قد أصبح لها وزن كبير في الاقتصاد العالمي زاد من قيمته أنها ربطت بعض الدول الافريقية النامية معها ، فقد نصّت المواد من ١٣١ الى ١٣٦ من ميثاقها على الاجراءات التى تؤدى الى أن تنتسب للسوق الدول التى كانت في الاصل تابعة لبلجيكا وفرنسا وهولندة .

وقد تكونت هذه السوق من ست دول هى : فرنسا والمانيا الغربية وبلجيكا وايطاليا وهولنده ولكسمبورج لتحقيق « التقدم المتناسق في النشاط الاقتصادى مع التوسع المتوازن في هذا النشاط ، فضلا عن زيادة الاستقرار الاقتصادى وتحسين مستوى المعيشة ، وتوثيق الروابط بين الدول الاعضاء » .

وعلى الاعضاء أن يتقيدوا بالمبادىء الآتية : –

١ – ازالة التعريفات الجمركية وحصص الصادرات والواردات بين الدول الاعضاء .

٢ – اقامة تعريفة جمركية وسياسة جمركية موحدة مع الدول الاخرى غير المنضمة الى منظمة السوق .

٣ – الغاء القيود والحواجز التي تحد من حرية انتقال الأفراد والخدمات ورؤوس الاموال داخل حدود المنظمة .

٤ – رسم سياسة مشتركة للزراعة والمواصلات .

٥ – اقامة تنظيم اقتصادى لقيام المنافسة .

٦ – اتباع الاجراءات التى تعمل على تنسيق السياسات الداخلية ومعالجة الاختلالات في موازين المدفوعات .

٧ – ازالة الاختلافات والتباين بين القوانين الداخلية في الدول الاعضاء تيسيرا لعمل السوق .

٨ – انشاء صندوق اوروبي للخدمة الاجتماعية يهدف الى تعليم وتدريب العمال العاطلين ورفع مستوى معيشتهم .

٩ – انشاء بنك للاستثمارات الأوربية لتسهيل التوسع الاقتصادى .

١٠ – ربط المناطق التابعة فيما وراء البحار مع منظمة السوق (١) .

---

(١) السوق الاوروبية المشتركة تأليف وارين نيستروم وبيتر مالوف ترجمة الدكتور صلاح نامق .

ولقد كانت السوق الأوربية منوالا لتوقيع اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في سنة ١٩٦٤ من خمسة اعضاءهم : المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العراقيةوالجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة ودولة الكويت . وسرعان ما انضم الى الاتفاقية الجمهورية اليمنية وجمهورية السودان الديمقراطية فاصبح عدد الاعضاء سبعة ، والعضوية مفتوحة دائما لباقي الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية .

اهداف السوق العربية المشتركة

وتهدف هذه الاتفاقية الى ايجاد سوق عربية مشتركة تكفل ما يلي : ـ

١ ـ تحرير التجارة بين البلاد الاعضاء توطئة لانشاء اتحاد جمركي بينها .

٢ ـ حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال .

٣ ـ حرية التملك والايصاء والارث .

٤ ـ توحيد أو تنسيق مختلف التشريعات الاقتصادية والاجتماعية اللازمة للتكامل الاقتصادى .

٥ ـ تنسيق الخطط الاقتصادية بما يكفل استثمار الموارد استثمارا أوفى ، وبما ينهض بالصناعة والزراعة وشئون المواصلات .

وقد راعت الاتفاقية التدرج الواجب فجعلت تنفيذ الاهداف السابقة على مراحل عملية حتى يمكن امتصاص الآثار الاقتصادية لكل مرحلة قبل الانتقال الى المرحلة التالية .

كما راعت الاتفاقية الظروف المحلية للدول الاعضاء ، فاباحت الاستثناء في فترة انتقال يحددها مجلس الوحدة حماية لصناعة ناشئة ، او ضمانا لحصيلة جمركية هامة ، أو حفاظا على صالح اقتصادى اعلى .

ان هدف هذه الاتفاقية هو التنمية الاقتصادية للبلاد العربية على أساس من التكامل الاقتصادى ، ولذلك تبيح لعضوين أو أكثر أن يعقدوا اتفاقية تجارية بما يمثل مرحلة اقوى من المرحلة الجارية طبقا لبرنامج مجلس الوحدة .

انجازات الاتفاقية :

١ ـ قرر مجلس الوحدة تخفيض الرسوم الجمركية على السلع المحلية المنتجة في البلاد الاعضاء ابتداء من سنة ١٩٦٥ بنسبة ٢٠٪ على السلع الزراعية والثروات الطبيعية والمعدنية والحيوانية ، وبنسبة ١٠٪ على السلع المصنوعة، وذلك علاوة على التخفيضات التي وردت في اتفاقية تسهيل التبادل التجاري المعقودة بين دول الجامعة العربية ، ثم زاد التخفيض على السلع الصناعية الى ٢٠٪ ابتداء من سنة ١٩٦٩ وابتداء من هذه السنة ايضا اعفيت السلع الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية والمعدنية اعفاء تاما من الرسوم الجمركية . وابتداء من أول يناير سنة ١٩٧٠ تمتعت بعض السلع المصنوعة بالاعفاء الكامل وتمتعت السلع الصناعية الباقية بتخفيض جمركي قدره ٨٠٪ . وكان المفروض أن تلغى جميع الرسوم والقيود ابتداء من أول يناير سنة ١٩٧١ .

٢ ـ زاد حجم التجارة بين أعضاء المجلس فيما بين ١٩٦٥ وسنة ١٩٦٨ ـ وهي آخر سنة قدمت احصاءاتها ـ بنسبة ٦٠٪ والاحصاءات الأولية لسنة ١٩٦٩ تشير الى ازدياد هذه النسبة .

٣ ـ أقر مجلس الوحدة مبدأ المعاملةالتفضيلية استيرادا وتصديرا بين الاعضاء ، ويعقد اجتماع دورى بين ممثلي المؤسسات التجارية والغرف التجارية لعقد الصفقات على ضوء الاحتياجات المتبادلة وفوائض التصدير .

٤ ـ وضع المجلس مشروعا لاتحاد مدفوعات للمقاصة المتعددة الأطراف وللاقراض المصرفي القصيرالاجل. وقام محافظو البنوك المركزية بوضع القواعد والترتيبات اللازمة لقيام الاتحاد على أن يوكل الى البنك المركزى الأردني القيام بالأعمال الادارية في فترة الانتقال .

٥ ـ وافق المجلس على تطبيق مبدأ الدولة الأكثر رعاية على الاستثمارات العربية ، وقيام كل عضو بتسهيل انتقال رؤوس الأموال العربية من بلد الى آخر وفقا لبرامج التنمية المقررة ، والعمل على تشجيع استثمار راس المال العربي في المشروعات الاقتصادية المشتركة ، ومعاملة

الاستثمارات الوطنية مع كفالة البلد المستثمر ضد التاميم والمصادرة ونزع الملكية .

٦ - وافق المجلس على مشروع المؤسسة العربية لضمان الاستثمار الذى قدمه صندوق التنمية الكويتى والهدف منه هو التامين ضد المخاطر غير التجارية تشجيعا لانتقال رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء وحدد رأسمال المؤسسة بعشر ملايين دينار كويتى .

٧ - أعطى المجلس أولوية للصناعات الرئيسية كالبتروكيماويات والغزل والنسيج والسكر والورق والجرارات والأدوية والنقل الجوى .

٨ - اقر المجلس بطاقة شخصية وعائلية موحدة لانتقال الاشخاص بين الدول الاعضاء، الا أن ظروف عدوان يونيه ١٩٦٧ أجلت التنفيذ الى أن تزول آثاره .

٩ - قرر المجلس ارساء علاقات تجارية واقتصادية مع التكتلات الاخرى كالسوق الاوربية المشتركة ومنظمة السوق الاقتصادى المتبادل (الكوميكون) ومع التكتلات النامية .

١٠ - اعترفت الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) بمجلس الوحدة ، فترتب على هذا الاعتراف اتاحة الفرصة للدول الاعضاء بالمجلس أن تنضم الى عضوية الجات وتتمتع بالمزايا التى تمنحها (٢) .

ثم ماذا ؟

ثم ان الجامعة العربية تضم الآن من الهيئات الاستشارية مجلس التنمية الصناعية ومنظمة العلوم الادارية ، ومنظمة العمل العربية ، ومنظمة الاغذية والزراعة ، ومنظمة الطيران المدنى ، وصندوق الانماء العربى ، والاتحاد العربى للنقل الجوى ، ومعنى هذا أنها قطعت شوطا كبيرا في جعل التكامل الاقتصادى على أساس من البحث العلمى والتكنولوجى . فماذا ينقصها ؟ ينقصها ان نصف العالم العربى لم يشترك بعد في اتفاقية الوحدة الاقتصادية . ان لبنان وولايات الخليج والسعودية وليبيا وتونس والجزائر والمغرب لا تزال كلها خارج الاتفاقية ، ومعنى ذلك أن الاتفاقية نصف ينتظر نصفه الآخر !

ان النصف الذى تتالف منه الاتفاقية بعضه ينتمى الى النظام الملكى ، وبعضه الى النظام الجمهورى ، ومنه دول يمينية واخرى اشتراكية. وما ينطبق على هذا النصف ينطبق على النصف الآخر ، فليست السياسة اذن هى الحائل دون الاتفاق . ولا يبقى الا أن تبذل محاولة جادة للتوفيق بين المصالح .

الم اقل لك في مستهل هذا البحث أن المصالح - اردنا أو لم نرد - هى التى تسير الافراد والجماعات والدول ، وهى التى تعلن الحروب وتوقع الاتفاقيات ؟

التكامل مبدأ حسابى

لبنان ومصر والاردن والسعودية تستورد القمح من أوروبا وأمريكا على حين يفيض في المغرب فيصدره الى اوروبا . ان المتوسط السنوى لانتاج الوطن العربى من القمح يبلغ سبعة ملايين طن ، وهذا يعادل ٣٥٪ من الانتاج العالمى بينما لا يزيد سكان الوطن العربى على ٣٪ من مجموع سكان العالم !

ومصر تستطيع أن تمد الوطن العربى بحاجته من الارز وهى لا تزيد على مليون طن في السنة ، ولكن هذا الأرز يذهب الى أوروبا !

ومصر تستورد التبغ من أوروبا وأمريكا مع انه موجود في الجزائر وسوريا والعراق ويمكن التوسع في انتاجه وتجويده هناك .

ثروات الوطن العربى

والوطن العربى ينتج أكثر من خمسة ملايين طن من الكروم والحمضيات ، وما لا يقل عن ٨٥٪

---

(٢) تقرير عن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية وانجازاته مقدم من الامانة العامة .

من انتاج العالم للتمور ، ومع ذلك فان التفاح الامريكى لا يزال في الاسواق العربية ، والبلح المصنع يأتى من انجلترا ومن فرنسا !

والجمهورية العربية المتحدة في مقدمة دول العالم المنتجة للقطن الطويل التيلة ، والصناعات المصرية لا تستوعب منه أكثر من ٣٠٪ ثم يذهب الباقى الى أوروبا . وتفكر الجمهورية العربية في استيراد الاقطان القصيرة التيلة من الهند لانتاج المنسوجات الشعبية مع أن هذه الاقطان موجودة في سوريا .

وتستورد معظم الصناعات العربية اصوافها من الخارج مع أن الوطن العربى غنى بثروته الحيوانية .

وبلاد البترول يقدر احتياطها منه بنحو ٦٠٪ من احتياطى العالم ، ولكن انتاجها منه لا يزيد على ربع الانتاج العالمى ، ولا يستهلك العرب الا ١٠٪ من هذا الربع ثم يذهب الباقى خاما ليصنع في غرب أوروبا .

والوطن العربى غنى بالحديد والمنجنيز والفوسفات ومع ذلك فانه لا يصنع من هذه المعادن الا اقل القليل ثم يصدر الباقى الى أوروبا .

وتنتج تونس والجزائر سنويا نحو ١٢٠ الف طن من الرصاص ولا تزال الصناعة العربية عاجزة عن تصنيعه .

مشاكل .. وحلول

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان العراق محرومة من واجهة عريضة بحرية ، فليس لها الا أن تسلك بتجارتها عبر سوريا ولبنان . وبترولها لا بد أن يتجه من أنابيب الى بانياس بسورية وطرابلس بلبنان .

وسوريا تحاول توجيه تجارتها نحو ميناء اللاذقية وطرطوس ولكنها لا تستغنى مع ذلك عن ميناء بيروت .

والاردن لا يملك منفذا بحريا الا ميناء العقبة فمنافذها الطبيعية هى موانيء شرق البحر المتوسط .

والسعودية تعانى مشكلة نقل بترولها الى الاسواق الخارجية ، فلا مفر من أن يمر ببلاد عربية اخرى سواء سلك الطريق البحرى أو دفع بالانابيب .

ودولة الكويت في حاجة الى مورد مياه عذب وهو بجوارها في العراق .

والسودان تضم ٤٠ مليونا من الهكتارات القابلة للزراعة ، ولكنها تفتقر الى الايدى العاملة وهى موجودة على مقربة منها فى الشمال (٣).

ان في الوطن العربى كثيرا من الرزق وقليلا من التوفيق . كثيرا من التعاطف وقليلا من التعاون . كثيرا من الشعارات وقليلا من الافعال . ولو تدبرت كل دولة عربية امرها لوجدت التكامل مبدأ حسابيا قبل ان يكون مطلبا قوميا .

خبراؤنا من العرب المغتربين

بقى ان في الوطن العربى خبرات كثيرة . وله في أوروبا وأمريكا مئات الالوف من العرب الخبراء يسعدهم أن يمدوا أيديهم الى أهلهم . لماذا لا نجرى لهم حصرا وننظم لهم رحلات سياحية يسترجعون فيها صلاتهم بذوى قرباهم ؟ ولماذا لا نعين منهم مستشارين فنيين للحكومات العربية كل في تخصصه ؟

ان العرب متكاملون في الموارد والرجال ، ولكن الاستعمار وجههم سنوات طوالا نحو التنافس لا نحو التكامل ، فسار الانتاج في خطوط متوازية غير مترابطة . وكان هذا الوطن جسد قطعت اوصاله ثم الصقت بأجساد أخرى ! ■■

السيد أبو النجا

---

٣ ـ الموارد الاقتصادية في الوطن العربي لدكتور محمد صبحي عبد الحكيم وآخرين .

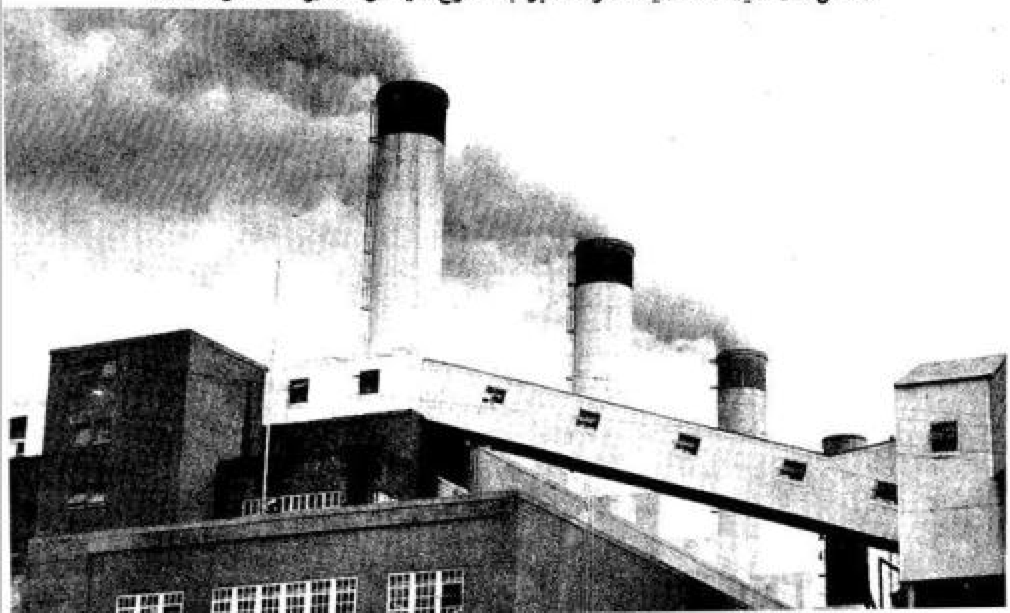
هواء الاجواء
لا يبلغ النقاء المطلوب الا بقانون!

● مما يشغل بال الناس اليوم ، فى بلاد الحضارة ، مسالة نقاء البيئة مما يضر بها . والبيئة تتضمن الارض وما فيها من زرع ، وتتضمن الانهار والبحار وما فيها من احياء ، وتتضمن كذلك الهواء ، فمنه يأخذ الانسان ويأخذ الحيوان انفاسه ،واذن وجب ان يأخذها انفاسا نظيفة .

ولقد سمعنا عن اهل الصناعة كيف يرمون ما فرغوا منه من احماض وكيماويات فى ماء النهر ، وماء البحر ، فيقضون على حياة ما فيهما من اسماك . وقامت الصحف تصرخ وتنذر فى تلك الامم .

ولقد سمعنا كذلك عن المطهرات الزراعية ، مطهرات الخضر والفواكه وغيرها ، التى تطهرها مما يعتريها من حشرات وطحالب تعدو عليها ، وعلمنا بأن هذه المطهرات تصل الى الناس ، فتدخل فى طعامهم ، فتؤذى وتمرض ، وقامت الصحف وقام الناس مرة اخرى يصرخون وينذرون ويدعون أولى الامر

المداخن ، لا سيما الصناعية ، تلوث الجو بما تخرج اليه من مقادير هائلة من الدخان



بوقف استخدامات هذه المواد المطهرة التي تتسرب الى البيوت على غير علم من اهلها ، وكان من نتيجة ذلك ان استمع اولو الامر الى الشكوى ، وامروا بوقف استخدام هذه المواد ، فاوقفت . ومن اشهرها المادة المطهرة الشهيرة المعروفة بالحروف الثلاثة د . د . ت أو D.D.T.

واليوم جاء دور الهواء .

دور انفاسنا . او على الأخص دور هؤلاء الناس الذين يعيشون فى بلاد من الابنية العالية ، والشوارع الضيقة ، والسيارات العديدة التي تكاد من كثرتها ان يقطر بعضها بعضا فى الطرقات ، طرقات المدينة الكبيرة .

ان هذه السيارات تجرى . ويحترق فيها البنزين لتجرى . والبنزين الذى يحترق ينتج اصلا ، مع اكسجين الهواء ، ثاني اكسيد الكربون ، تماما كما يحترق الطعام فى جسم الانسان بهواء التنفس تدخله اليه الرئتان . غير ان السيارة ، اذ هكذا تتنفس ، يخرج من احتراقها غازات اخرى تنتشر فى الجو ، فيستنشقها الناس ، فتضر بهم ، على المدى الطويل ، ابلغ الاضرار .

ومن اضر هذه الغازات اول اكسيد الكربون .

ثاني اكسيد الكربون لا ضرر منه فى هذا الصدد الذى نحن فيه . وهو غاز يتألف جزيئه من ذرة كربون متحدة بذرتين من الاكسجين .

اما اول اكسيد الكربون فيتألف جزيئه من ذرة كربون متحدة بذرة واحدة فقط من الاكسجين . وهنا الطامة الكبرى . انه بسبب ذلك سام ، وبه ينتحر المنتحرون فى بلاد اوروبا حيث تسخن افران مطابخهم بغاز يأتي من تقطير الفحم الحجرى وبه هذا الاكسيد . وهو لا يوجد بالغاز الاتى من زيت البترول او مع زيت البترول . ومن الماسورة التى تخرج منها الفازات بعد احتراق البنزين فى السيارة ، يخرج اول اكسيد الكربون هذا وينتشر فى جو الطريق . ويخرج معه غازات اخرى ضارة لا حاجة الآن الى الاطالة بذكرها .

اهتمت الامم حيث هذه الاحوال قائمة بالنظر فى نقاء اجوائها .

وبالطبع لم تكن السيارة وحدها هي التى تنفث السم فى الهواء .

انها المصانع ، لاسيما حيث المصانع كثيرة . مداخن ترتفع فى السماء ضخمة هائلة ، تخرج منها سحب سوداء او بيضاء ، او ما بين ذلك ، تنتشر فى جو المدينة العكر الذى يجعل الهواء للتنفس غير صالح . ومن المدن ما تحجب هذه السحبُ الشمسَ عنها . والشمس صحة وحياة .

وتحركت الدول منذ تنبهت لهذا الحال ، واشتد اهتمامها لان الايام لم تكن تزيدها الا سوءا .

وحدث منذ اسابيع ان رابطة التقدم العلمي الامريكية اجتمعت بمدينة شيكاجو ، وكان اسبوعا بلغ فيه تلوث الهواء ، هواء المدينة الكبيرة ، الغاية : انفاسا بنزينية ، وشهقات مدخنية سوداء صناعية .

وقام أولو الامر فى المدينة ينادون فى الناس عن طريق الاذاعة وغير الاذاعة ان يقللوا من استخدام السيارات وهذا الحال قائم حتى ينجلى ، ويهيبون بالمصانع ان تتوقف بالانتاج بعض الوقت حتى يزول الكرب . وتمضى الساعات ، ويمضي اليوم بعد اليوم ، وما زالت السيارات تتنفس وسعها ، وما زالت المصانع تتجشأ الى السماء بدخانها فيمتد كالبساط الاسود ويلتقى اسوده بأبيضه بالاعالي ، ومن الاعالي يأخذ



السيارات ، من كل نوع ، تلوث الجو ، بما تخرج اليه من الغازات الفاقدة التى هى نتيجة احتراق الوقود ، بنزينا كان ، او زيت ديزل او غـيـر ذلـك .

يهبط ، الى الناس فى منازلهم ومشاغلهم ومدارسهم ، وحيث يمارسون العيش ايقاظا او نياما .

وفى نفس ذلك الاسبوع أمضى رئيس الولايات المتحدة قانون نقاء الهواء لعام ١٩٧٠ ، واسمه 1970 Clean air act اى مرسوم نقاء الهواء لعام ١٩٧٠ .

واذ امضى رئيس الولايات القانـون ، استقامت ظهور اصحاب السيارات ، واستقامت ظهور اصحاب المصانع . ان الامر صار جدا لا هزل فيه .

ويطول الحديث فى هذا القانـون . ولكنـه يقضـى على الذين يصنعـون السيارات بأن يتخذوا فى سياراتهم الجديدة كل وسيلة فنية للنزول بمقدار ما بأنفاس السيارات من مواد ضارة ، الى مقادير لا تضر بالنـاس . ويقضى بمثل ذلك على اهل المصانـع ، الفن والتكنية عندهم واسعة .

والحق ان هذا القانون لم يكن لصانعي السيارات ولا اهـل المصانـع بالامـر المفاجيء . فقد كانوا نظروا فى هذا الامر منذ سنين ، وابتدعوا البدع الكثيرة . ومنها الكثير الذى نفع ولكنه لم يكف .

وصانعو السيارات يستطيعـون ان يقللوا الاضرار بمعالجة البنزين المحترق . ان البنزين المحترق ، الجيد الاحتراق ، يضعون فيه مركبات الرصاص . وهي تخرج فى انفاس السيارات وتضر . فهذا طريق للاصلاح واحد وقد وصـلوا او كادوا ان يصلوا الى نوع من البنزين ، طيب الاحتراق ، ولكن لا رصاص فيه .

وضرب أولو الأمر لصانعي السيارات موعدا اقصاه عام ١٩٧٥ ينظمون فيـه امرهم ، ويحلون مشاكلهم . وخمسـة اعوام طويلة فى حياة الفرد ، ولكنها قد تتراءى قصـيرة لا تتسع لحل هـذه المعضلات .

ولكن القوم الذين حلوا مشاكل القنبلة الذرية قمينون بحل أعقد منها ، ومـا مشكلة اليوم بأعقد .

مهنة الحياة
لم اختارها اصحابها وماذا صنعت بهم ؟

● جرى الباحثون ، عندما يبحثون مسالة علمية ، على ان يتخذوا من الحيوانات وسيلة لتجاربهم ، فيتخذوا منها الكلب والفار والأرنب والخنزير الهندى ، وغير ذلك من الحيوانات ، صغيرها وكبيرها ، ويغلب الصغير . وحتى فى البحوث النفسانية يتخذون من الفئران سببا اليها .

وهم فى كل هذه البحوث يعزفون عن ان يتخذوا من الانسان وسيلة حتى فيما يختص بالانسان ، وبالانسان وحده . لاستحالة ذلك احيانا ، ولتعذره احيانا : واحيانا تسهل وتيسر .

ومما يتساءل فيه الناس ويتساءل العلماء : أمر اختيار الناس عمل حياتهم للحصول على ارزاقهم . هذا طبيب ، وهذا مهندس ، وهذا عالم ارض ، وهذا عالم سماء ، وهذا عالم نفس ، وهذا وهذا . . ترى ما الذى هداهم الى اختيار ما اختاروا لانفسهم من مهنة حياة .

ويتصل هذا الامر ، لا شك فى هذا ، بعوامل كثيرة ، ولكن من تلك العوامل صفات فى أنفس هؤلاء الناس هى التى حفزتهم الى اختيار هذه المهنة ، وترك هذه .

ومنذ قريب اتجه الباحثون الى هذه البحوث . بداوا فيها ولم ينتهوا . وخرجوا منها على نتائج اولية ، ولكنها مع هذا نتائج طريفة يشتاق الى معرفتها كل ذى حرفة وذى مهنة حياة ، ومن لم يختر مهنته بعد .

واتخذ هؤلاء الباحثون من العلماء ومن الفنانين مواضيع بحث .

نظروا فى تاريخهم اطفالا ، وفى نشأتهم صبية ، وفى اسرهم ، وما كان لهم فيها من كراهة وحب . وسالوهم فى حاضرهم ووصلوا حاضرهم بماضيهم ، وخرجوا من كل ذلك باشياء كثيرة طريفة .

وممن اتخذوا موضوعا لبحوثهم العلماء . رجال علم الفزياء ، ورجال علم الحياة . ووجدوا ان الكثير منهم لم تكن له طفولة سعيدة يذكرها فيحمدها . بعضهم فقد امه صغيرا . وبعض فقد اباه . وبعض عمد الى الطلاق ابواه . وعلى العموم حدث لهم فى صغرهم ما مال بهم عن حب الناس ، فانصرفوا الى الاهتمام بالاشياء . فكانت الطبيعة لهم آخر الامر غاية ، وكان النبات ، وكان الحيوان .

ووجد الباحثون ان هذا النفر من العلماء ، علماء الفزياء وعلماء علم الحياة ، ضعف ما بينهم وبين الناس من علاقات ، فعزفوا عنهم ، وغلب عليهم الحياء والخشية فاستكانوا الى انفسهم . وغلب عليهم الخجل فى حضرة النساء ، وكان من ذلك ان تأخر زواجهم . وعد احد البحاث الاعمار التى فيها تزوجت زمرة منهم فكان متوسطها سن الثامنة والعشرين .

ووجد البحاث ان اكثر الفزيائيين والحيويين متزوجون ، ولكن غلب على اكثرهم سطوة العمل ، وتخلفت سطوة البيت .



الفنان من اكثر الناس اهتماما بالناس





خـراب في غابات فتنام

● استخدم الامريكان في حرب فتنام صنوفا جديدة من مبيدات الاعشاب كان من نتيجتها ان تعرّت اشجار الغابات من اوراقها . ومعنى هذا موتها . وبفتنام الجنوبية ٢٠٠٠٠٠ر١ فدان من شجرة المنجروف Mangrove تعرّى نحو خمسها من اوراقها ، بناء على تقارير من الولايات المتحدة .

وشجرة المنجروف شجرة استوائية يتخذ من قشرها العقاقير الطبية والمواد الدابغة للجلود .

وقد اصبحت هذه المناطق وامل عودة الاخضرار اليها بعيد .

وترى في الصورة العليا الغابة قبل معالجتها بما ذهبعنها بورقها والصورة السفلى هي صورتها بعد تعريها .

وغير ذلك كان علماء النفس ورجال علم الانسان المعروفون بالانتروبولوجيين.

فهؤلاء لم يتحرجوا فيما يختص بأمور الجنس . وكانوا فى الحياة اكثر اقداما واشد لها اقتحاما .

واهل الفن درسوهم :

فقد قامت باحثة بامتحان ١٦٢ فنانا، كانوا فى ظل رعاية طبية بسبب اضطراب اعصابهم ، والى جانبهم مثلهم عددا ، لم يكونوا كذلك ، ثم ١٤٢ رجلا فى ظل رعاية طبية ، ولكنهم لم يكونوا فنانين .

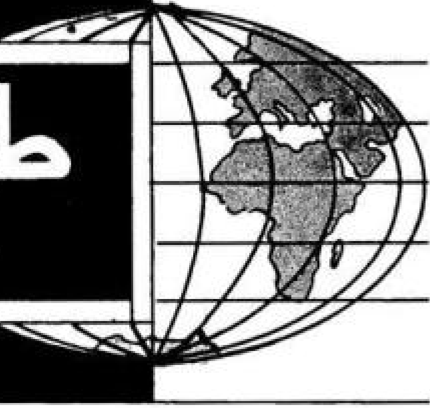
وخرجت هذه الباحثة من فحصهم باشياء كثيرة ، من اعجبها انه كان لهم نظام فى ضبط حياتهم لم يكن فى الحسبان . وان الفكرة السائدة عن الفنان ، من حيث انه بوهيمي لا نظام له ولا ترتيب ولا ميعاد ولا ضابط ولا رابط ، فكرة لم تصح فى هؤلاء الفنانين ، وقد كان من بينهم الرسام والنحات والموسيقى .

وو بد البحث ان الفنانين لهم بغيرهم من الناس اهتمام كبير . ولا ريب ف هذا ، فهم انما يصنعون ما يصنعون للناس . والممثل ، وهو فنان ، انما يمثل صورا اخرى من حياة غيره من الناس . وهو اسعد ما يكون عندما يمثل الدور الذى يصب فيه كل ما ود ان يكون له هو فى الحياة .

وهكذا تنتقل البحوث ، وهي جديدة، من قوم ذوى مهنة لقوم .

ان الحاجة الى هذه البحوث قائمة ، وهي من البحوث الاشد اتصالا بحياة الناس ، ولكن يؤخر منها انها بحوث لا يستطيع ان يقوم بها غير علماء النفس، وهم يؤجلونها . ويتساءل الناس عن سر هذا التأجيل . ويجيب الخبثاء بأن هذه البحوث ، لو بدأ بها علماء النفس بأنفسهم ، فربما خرجوا منها بصور لا تروق ، واذن تهتز ثقة الناس بالذى يقولونه عندما يقومون بعد ذلك بفحص احوال الناس . ●●

طرائف غريبة

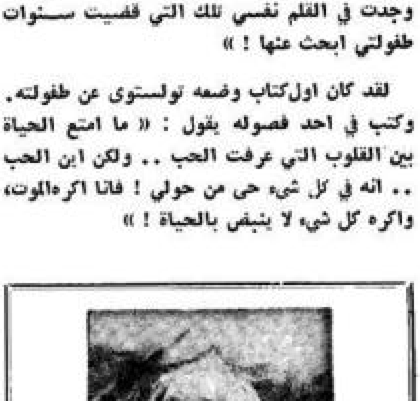


السيف .. والقلم

● تولستوى Tolstoy ، كاتب روسيا الشهير (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) ، ترك السيف ، وهجر الجندية ليعيش بعيدا عن الناس ، يكتب عنهم ، ويصف آلامهم وآمالهم ! قالوا يوما : « وماذا وجدت في القلم ؟ »

وقال تولستوى : « وجدت فيه قلبا ينبض ، وجرحا يلتئم ، وروحا تهيم وسط السحب .. وجدت في القلم نفسي تلك التي قضيت سنوات طفولتي ابحث عنها ! »

لقد كان اول كتاب وضعه تولستوى عن طفولته. وكتب في احد فصوله يقول : « ما امتع الحياة بين القلوب التي عرفت الحب .. ولكن اين الحب .. انه في كل شيء حي من حولي ! فانا اكره الموت، واكره كل شيء لا ينبض بالحياة ! »



رسالة من جومولكا

● قال فلاديسلاف جومولكا السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى البولندى بعد استقالته من منصبه ، عقب احداث بولندا الدامية الاخيرة :

« اننى اترك منصبي ، واترك مكانى فى الجهاز الحاكم في بولندا لاننى فشلت فى تحقيق امانى الشعب !

« لقد جئت الى الحكم على اكتاف العمال والطلبة الذين خرجوا يعبرون عن احتجاجهم على الاوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة فى بولندا فى عام ١٩٥٦ ، عندما سارت المظاهرات فى بوزنان Boznan ، تهتف من اجل الخبز ومن اجل المزيد من الحرية . وجئت الى حيث ارادوا منى ان اكون ، وحاولت ان اوفر الخبز واقضي على الجوع ، فقد كنت فقيرا مثلهم .. لقد تركت المدرسة فى الرابعة عشرة من عمرى ، لاعمل حدادا ، بعد ان عجز والدى عن دفع نفقات تعليمي .

« ثم حاولت ان اعيد للشعب حريته .. ومرت اربعة عشر عاما ، واذا بالشعب يثور مرة اخرى .. لقد عاد جائعا فقيرا كما كان ، وعاد يفتقر الى الحرية التى كان ينشدها .. نفس الاسباب التى قامت من اجلها ثورة بوزنان ، تلك التى جاءت بى الى الحكم ، ولم يكن امامى الا ان أتنحى ! »

الخلود في بطون الكتب

● كتب وليام جيمس William James (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) الفيلسوف واحد مشاهير علماء النفس الامريكيين ، فى معرض حديثه عن الخلود ، يقول : ان عالم الكتب ، هو اعظم خلق حققه الانسان ، هذا المخلوق العظيم الفاني ، فلم يبق شيء خلد الانسان مثلما خلدته كتبه .. فالاثار تتهاوى ، والامم تنمو وتزدهر ولكنها لا تلبثان تشيخ وتموت، وعصور النور ، تختفي وراء عصور الظلام ، والاجناس تنقرض ، وتقوم فوق قبورها اجناس اخرى جديدة ، كل هذا يحدث بينما نجد ان عالم الكتب ، تلك المجلدات الضخمة التى تحوى فى بطونها كل هذه الاحداث التي مرت وتمر بالبشرية ، باقية بعد ذلك حية شابة لا تهرم ، ولا يتقدم بها العمر ، وكأنها ولدت اليوم لتنقل لقلوب الاجيال الحاضرة ،ما كان يدور فى قلوب ورؤوس الملايين الذين سبقوهم منذ قرون بعيدة مضت ! !



يو ثانت
وحبه رؤية المصارعة

● سالوا يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة : « يقولون انك مولع بمراقبة المصارعة الحرة على شاشة التلفاز ، فى اوقات فراغك . فما الذى تجده في هذه الرياضة التى تتسم بالوحشية ! » .

وقال السكرتير العام على الفور : «انني اشعر بارتياح كبير عندما ارى مباراة في المصارعة .. فهذا هو اللون الوحيد من الصراع الذى لا اقف فيه حكما ! » .

ربيع العلم .. وربيع الحياة

● جورج سانتايانا George Santayana ، استاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد الامريكية (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) قرر ان يعتزل التدريس فى الجامعة عندما تقدم به العمر ، ولكنه كان فى كل مرة ينوى ان ينفذ رغبته ، يعدل عن قراره ، لانه لم يكن يتصور انه يستطيع ان يفترق عن تلاميذه ابدا .

الى ان جاء يوم من ايام شهر ابريل عام ١٩٣٣ وكان الاستاذ يلقى فيه احدى محاضراته علىطلبته بكلية الآداب،وفجأة جاء زائر غريب،وقف وراء نافذة الغرفة وراح يدق بمنقاره الزجاجفى حركة رتيبة مستمرة !

ونظر الاستاذ الى النافذة ، فاذا بالزائر طائر « الهدهد » الجميل ، وقد وقف يرفرف بجناحيه ويطلق صفيرا هادئا متصلا !

وتوقف الاستاذ عن الشرح ، وراح يتأمل الطائر فى هدوء ، وطال تأمله ثم لم يلبث ان اتجه الى طلبته ، وقال : لقد اقبل الربيع ، وقد جاء هذا الطائر الصغير ليذكرني بقدومه، اليوم سافترق عنكم ، سأحاول انانعم برائحة الزهور، ولو انني اعلم انني لن اجد رائحة اجمل واعطر من رائحة العلم تلك التى لمتفارق انفى لحظة واحدة منذ اكثر من خمسين عاما !

ثم اخرج سانتايانا منديله ليمسح دمعة كبيرة ترقرقت فى عينيه ، وقال وهو يودع طلبته الذين التفوا حوله يبكون « سيكون ربيعا طويلا مملا .. فهو أول ربيع اقضيه بعيدا عن الحديقة التى ازرعها بيدى عاما من بعد عام ! »

وَحدةُ اللهِ
تتراءى في وحدةِ خلقِه
وقدرةُ اللهِ
تتمثّل في بديعِ صُنعِه

التغذيةُ.. والهضمُ..

ظاهرة

من ظواهر الحياة الكبرى ، يجمعها العلماء احيانا تحت عنوان الاغذية والتغذية ، ويجمعونها احيانا تحت الهضم والأجهزة الهضمية . والحق انها ظاهرة متعددة الأطراف ، متسلسلة الخطوات .

تبدأ بالطعام ، ما مصادره ، وما تركيبه .

يأتي بعده دخول الطعام الى الجسم ، كيف يكون ، وكيف يتجهز عند مداخله.

يأتي بعده الهضم ما معناه ، ويتضح للقارىء ان الهضم تغيرات متتابعة تحدث في الطعام كلما مرّ بجزء من اجزاء الجهاز الهضمي ، الى ان يحين خروجه من الجسم .

وفي اثناء ذلك تمتص جدران هذا الجهاز الهضمي ما انهضم من الطعام ، ثم ذهاب الطعام المهضوم الى الدم ، فالى اعضاء الجسم وخلاياه لتنتفع به ، احيانا طاقةً دفءٍ وحركةٍ وفكرٍ ، واحيانا بناءً لما كان تهدم من خلايا الجسم .

وهكذا دواليك . طعام، وهضم طعام، وامتصاص طعام . ثم استهلاك طعام .

من دراسة الانسان الى دراسة الحيوان

ويدرس العلماء كل هذا في الانسان ، لأنه ، وهو على راس الخلائق ، قد اكتملت فيه كل ظاهرة من هذه الظواهر.

وَالموادّ الغِذائيَّة
وَالأجهزةُ الهَضْمِيَّة

بقلم الدكتور أحمد زكى

وبالنزول من الانسان ، متتبعين هذه الظواهر ، فى سائر الحيوانات ، تتراءى لنا الوحدة الجارية فى الأحياء جميعا ، مع تناقص مطرد كلما نزلنا فى سلم الحيوانات درجة . او بلفظ آخر كلما ازدادت اجسام الحيوانات بساطة ، تفى بمطالبها اجهزة ابسط . وقد يكون مع التناقص شيء من التغيير فى الخلق ، او تحوير فى بعض الأعضاء ، اعضاء الجسم ،استجابة للبيئة الجديدة وطوعا للعيش فى جوها الجديد .

ونضم الى الحيوان النبات ،فنجد ان اختلافا وقع بالضرورة ، ومع هذا ظلت الحياة الأولى باقية قابعة فى النبات تحت ظاهرة من هذه الاختلافات ، تدل على ان الأسس العميقة الأولى بنيت بناء واحدا لتحقيق اهداف واحدة .

بين الابداع والوحدة

وانت عندما تدرس المضم وتوابعه فى الانسان،تقف على وجه من وجوه الابداع فى الخلق ، قل أن تجد مثله فى غير جسم الانسان . وتنتقل من جسم الانسان الى اجسام الحيوانات ، فتجد الابداع هو هو ، ولكنه اخذ يقل اكتمالا .

ولقد نظر قوم الى الكون ، وبدائع الكون ، بحسبانها انتجة فن ، هو فن

الخلق ، فلم يجدوا مثلا للفن اعلى مما تمثل فى جسم الانسان .

ولقد صنع الانسان فى دنياه من الآلات ما صنع ، وضبط من اجهزة الصناعات ما ضبط ، حتى وصل الى الصناعات التى تدور بدءا وانتهاء من ذات نفسها ، تلقائية ، لا يتدخل فيها متدخل الا ان تعجز . وسموها بالتلقائية الصناعية . وسموها Automation ، وان شئت قلت الأطمطة .

ومع هذا هم لا يبلغون فى تلقائيتهم الآلية هذه عشر معشار ما بلغ اليه جسم الانسان من تلقائية .

انت تلقى اليه بالطعام فى الفم ، فيمضغه ، ثم يبلعه . ثم انت تتركه وشأنه فى الجسم ،غير مختار ، ولا تدرى عنه من بعد ذلك شيئا . كل ما يحدث للطعام من هضم ، فامتصاص ، فتمثل من بعد ذلك ، انت لا تعلمه . ان جسمك يفعل بطعامك ما يفعل،فى عقر جسمك، ومع هذا انت لا تدرى ما صنع ، والى اى حد بلغ . وقد يتألب عليك طعام ، او يسوء شراب ، وكل ما تفعله ان تحس الم ذلك فتشكو . وقد تكون انت اسأت الى الجسم بطعام ، فراى جسمك ان يتخلص منه فيقيء . وتقول انت انك تقيأت . وما تقيأت ، ولكن تقيأ الجسم . انه هو الذى نظر فى الأمر ، وقدر ما فيه من خطر ، وحكم بالضرر ، وعرف ما الخلاص،وصح عزمه على التقيؤ فتقيأ .

والهضم لم يفهم منه الانسان شيئا الى عهد قريب ، ثم عرف الانسان منه شيئا ، وخفيت عنه الى اليوم اشياء . اما الجسم ففهم من قديم كل شيء ، والا ما جرى بالهضم هكذا من اوله الى آخره منذ كان انسان .

وجرى هكذا الهضم ، بالذى احتواه من قوانين علم ، وقواعد تتصل بالنظام والضبط ، على ما سوف نصف .

فهذا هو الابداع الذى فيه تتمثل لنا قدرة الله ، وعلمه . وتكنية اين منها تكنية الانسان .

اما الوحدة التى فيها تتراءى لنا وحدة الله، فتأتى بدراسة الهضم وتوابع الهضم فى الانسان،ثم اتباع ذلك بدراسة الهضم فى سائر الحيوان ، وحتى فى النبات .

انها وحدة جارية من اول الشوط الى آخره .

الأغذية

الأغذية والأطعمة شيء واحد .

والأغذية اصناف كثيرة شتى . وانت فى الوجبة الواحدة قد تأكل الخبز والزبد ، واللحم والقرع ، والأرز والتفاح ، ثم تعود فى وجبة اخرى فيكون لك على المائدة الحساء والدجاج ، ومع الدجاج البطاطس،والطماطم والسبانخ، ثم الفالوذج او الموز . وهلم جرا .

وانت تلوك كل هذا فى فمك ، من بعد مضغ ، وتبلعه فيهبط عن طريق المرىء الى المعدة ، وفى المعدة يبدأ الهضم . .

والمعدة وسائر اجهزة الهضم ، من اثنى عشرى ، ومعا دقيق ، ومعا غليظ، كل هذه لا تعرف الاطعمة اسماء كما نحن عرفناها . فهى لا تعرف ما الخبز ، وما الأرز ، وما الفالوذج واللحم . وهذه الاطعمة ، بعد مضغها وهرسها فى الفم ، لا تتقدم للهضم بصفاتها هذه ، فقد زالت عنها ، انما هي تتقدم بصفة ما احتوته من اصول غذاء .

والاغذية التي نعرف ، وما اكثرها ، ليست الا اخلاطا من اصول ثلاثة كبرى، هى :

(ا) البروتين (او مادة اللحم) .

(ب) والكربونات المائية ، وهى النشا والسكر وما اليهما ، وهى من حيث كيميائيتها من اصل واحد .

(جـ) ثم الشحوم، كدهن اللبن ودهن البقر ، وهى من حيث كيميائيتها اصل واحد ، وسنفصل كلا منها .

فأنت اذا بلعت قطعة من خبز ،

فوصلت الى المعدة ، لم تدر المعدة الا ان هذا الذى وصل اليها كثير من النشا ومعه الأقل كثيرا من البروتين . والهضم يجرى فيهما بهذا الوصف . هضم بروتين وهضم نشا،ولا غير ذلك . وعند الجهاز الهضمى انه ، سواء جاءه بروتين من خبز او مكرونة ام من فطير او لحم او دجاج او سمك ، انه لا يعرفه الا بروتينا . وعنده كيف يعالج بالهضم البروتين . وليس فى المذكرات المكتوبة المحفوظة فى اجهزة الهضم لفظ الخبز أو المكرونة او اللحم أو الدجاج . هناك فقط البروتين .

وكذا فى الكربونات المائية ، اى النشويات والسكاكر .

وكذا فى الشحوم او الدهون .

يضاف الى هذه الأصول الثلاثة الكبرى للمواد الغذائية الفيتامينات ، وبعض الأملاح اللاعضوية ، وبالطبع الماء . والفيتامينات تدخل مع الأطعمة قليلة المقدار ، وكذا الأملاح . وليس فى هذه الثلاثة ما يحتاج الى هضم ، ذلك لأنها تدخل الى الجهاز الهضمي،فتذوب فى الماء ، فتمتص كما هى بدون هضم .

الكربونات المائية أو النشويات والسكريات وما اليها

اسماء مختلفة ، ولكنها تدل على مواد لها اصول فى الطعام ، من حيث التركيب والبناء ، واحدة .

وننظر فى ابسط هذه المواد فيما يأكل الناس عادة فنجد السكر ابسطها . سكر القصب . ولكن سكر القصب معه ما هو ابسط ، ذلك سكر العنب . ويجمعون لفظ السكر فيقولون سكاكر، كما يجمعون دُمّل فيقولون دمامل .

سكر العنب أو الجلوكوز

وهو السكر المعروف بين الناس بسكر العنب ، واسمه الكيماوى ، والشائع فى العلوم والطب ، جلوكوز Glucose .

وسمى بسكر العنب لأنه يوجد فى العنب والتين وشتيت من فواكه اخرى، وكذلك فى عسل النحل .

والجلوكوز يعتبر المادة الاولى التى تخطو اليها الطبيعة خطوتها الاولى ، (فى اوراق الشجر الخضراء) ، لتصنع غذاء النبات والحيوان ، ومنه تشتق سائر الأغذية وتتفرع . وسوف نصف من ذلك طرفا .

والجلوكوز حاضر دائما فى دم الانسان، وهو من مصادر الطاقة الاولى فى جسمه، بل هو عادة ابسط المصادر .

وتركيبه الكيماوى فى السكاكر التى نحن بصددها ، سكاكر الاغذية ، ابسط تركيب . فجزيئه به ٦ ذرات كربون ، ١٢ ذرة ادروجين ، ٦ ذرات اكسجين . واذا استخدمنا رموز الذرات الكيماوية، كان رمز جزىء الجلوكوز هو ك٦ يد١٢ أ٦ .

واذا نظرت الى هذا الرمز وجدت ان ذرات الادروجين به ضعف ذرات الاكسجين ، وهى هكذا فى الماء (رمز الماء يد٢ أ) ، فهى فى رمز الجلوكوز تعطى ، لو انفصلت ، ٦ جزيئات من الماء . ويبقى بعد ذلك ٦ ذرات من الكربون .

من اجل هذا جاء الاسم : كربون مائي . فالجلوكوز كربون مائي والجمع كربونات مائية . وهى بالافرنجية Carbohyrate والجمع Carbohydrates وقد جرى الكثيرون على ترجمتها حرفيا، فقالوا كربوايدراتات .

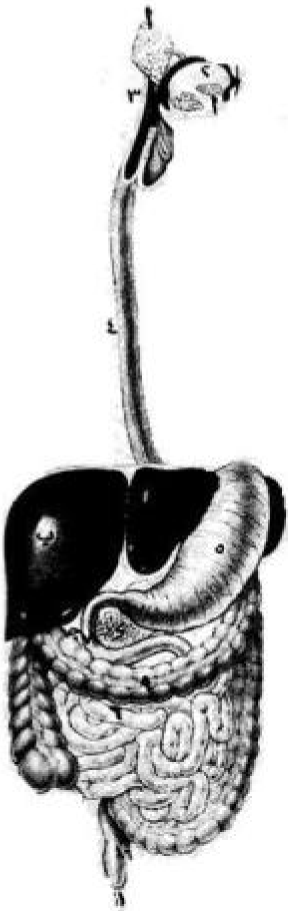
سكر القصب

وهو احلى من سكر العنب ، من الجلوكوز .

وجزيئه رمزه الكيماوى ك١٢ يد٢٢ أ١١ .

اى به ١٢ ذرة كربون، و ٢٢ ادروجين، و ١١ اكسجين .

والادروجين ضعف الاكسجين . اذن



صورة ايضاحية
للجهاز الهضمي للانسان

(أ) غدد لعابية (ب) الكبد (جـ) حويصلة الصفراء (د) البنكرياس (١) الفم (٢) اللسان (٣) الحلق (٤) البلعوم (٥) المعدة (٦) المعا الدقيق (٧) الاثنا عشرى (٨) الزائدة الدودية (٩) المعا الغليظ (١٠) المستقيم (١١) الأست .

فسكر القصب هذا لا يزال كربونا مائيا، او كربوادراتا .

ثم ماذا يحدث لو انك اضفت الى هذه الذرات جزىء ماء (يد$_{٢}$ أ) . ان الحساب يجعلها ك$_{١٢}$ يد$_{٢٤}$ أ$_{١٢}$.

ثم ماذا يحدث اذا انت قسمتها نصفين ؟ .

انها تصبح ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$ و ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$.

وهذا رمز الجلوكوز .

وانت تستطيع أن تصنع هذا فى المختبر الكيماوى (تضيف الى محلول سكر القصب قليلا من حامض وتسخنه) فينحل الى هاتين الوحدتين ذات الستة الذرات من الكربون .

فهل هما جلوكوز ؟

الحق ان احدهما جلوكوز او سكر العنب . والآخر شبيه به ، وسريع التحول اليه ، ويعرف بالفركتوز او سكر الفاكهة .

ولأن الجلوكوز والفركتوز واضرابهما هى اصغر السكاكر التى تستخدم عادة فى الغذاء ، اعتبرت وحدات السكاكر الأولى . وتعرف بالسكاكر الواحدية Monosaccharides .

وتجمع بين جزيئين منها ، بطرح جزىء ماء واحد (يد$_{٢}$ أ) ، فتتضاعف ذرات جزىء السكر الجديد الناتج (لولا طرح ذرات الماء) .

فالجلوكوز ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$ ، بينا سكر القصب (او السكروز Sucrose ، هذا اسمه العلمى) ك$_{١٢}$ يد$_{٢٢}$ أ$_{١١}$.

ويعرف سكر القصب واضراب له (كسكر اللبن Lactose و سكر الشعير Maltose) بالسكاكر الاثنائية Disaccharides .

ونلاحظ هنا اننا حولنا جزىء السكر الاثنائى (سكر القصب) الى جزيئين من السكر الواحدى (الجلوكوز والفركتوز) باضافة الماء . ويعرف هذا بالتحليل أو الحل او الانحلال المائى Hydrolysis .

• وكذلك نركب السكر الاثنائى من

جزيئين من سكر واحدى بطرح جزيء ماء منهما (يد ٢ أ) وهذا هو التكثيف بطرح الماء Cordensation .

عمليتان متضادتان ، الاولى لتبسيط المركب ، والثانية لتركيب البسيط .

النشا

النشا ، من حيث تركيبه ، كاد ان نسميه سكر الاثنائية ايضا في لغتنا الجارية . وذلك لأنه ينحل في المختبر الى سكر العنب باضافة الماء والحامض، تماما كما تنحل السكاكر الاثنائية الى سكاكر واحدية . اى بالانحلال المائي Hydrolysis .

وانت تأكل الارز ، وهو من نشا ، وتلوكه ، فلا تلبث ان تحس له في فمك بالحلاوة . والنشا لا طعم له . ولكنه يتحول في الفم ، بأول خطوة في الهضم ، الى سكر .

وجزيء النشا يتألف من عدد كبير من جزيئات الجلوكوز ، التحم طرف منها بطرف ، بعد طرح ذرات الماء منهما (يد أ من طرف،ثم يد من طرف الجزيء الآخر المجاور)ولهذا كان النشا الكيماوى (ك يد ١٠ أ ٥) م . اما ميم فعدد جزيئات الجلوكوز التى كونت جزيء النشا . وهو عدد كبير ، ولكن لم يعرف بعدُ على التحقيق .

وللنشا ، من حيث انه غذاء ، مخزن هائل للجلوكوز ، ذلك السكر الواحدى الذي تبدأ منه في اوراق النبات الخضراء صناعة كل صنوف الاغذية .

الجليكوجين
او
تشا الحيوان

هو في الحيوان ، كالنشا في النبات . كلاهما مخزن للجلوكوز ، عملة الغذاء الاولى الجارية في حيوان او نبات .

والجليكوجين Glycogen ينحل بفعل ا حوامض او الخمائر الى جلوكوز . ويختزن في الكبد . ويوجد كذلك في العضلات . ومعنى هذا ان له في عمليات التغذية مكانا .

ورمزه الكيماوى كرمز النشا ، الا ان عدد جزيئات الجلوكوز الذي استطاع ان يحتويها جزيئه الواحد اقل منها في النشا العادي .

ولفظ جليكوجين يتألف من مقطعين : Glyco ومعناها الحلو ، و Gen التوليد . او المولد ، واذن فجليكوجين معناها مولد الحلو . ونسي الناس هذا الاصل الاغريقي ، فهذا الاسم عندهم اسم شيء ، ولا شيء غير هذا .

السليولوز
Cellulose

يجمع السليولوز والنشا ، ان كليهما ينحل بالماء (مع وجود حامض) الى الجلوكوز . فكلاهما اذن لا يطلق عليه اسم السكر الواحدى ، ولا اسم السكر الاثنائى ، ولكن السكر المتعدد ، اى المتعددة وحداته Polysaccharides .

وجزئيات الجلوكوز فيه ملتحم بعضها ببعض ، بحذف جزيء ما ، من كليهما . كما سبق ان وصفنا .

وجزيء السليولوز يحتوى من جزيئات الجلوكوز ، الف جزيء ، والفين وثلاثة آلاف .

والسليولوز تصنع منه جدران الخلايا في النباتات ، وهو ليس بغذاء للانسان لأنه اعصى من أن تهضمه عصارات هضمه . ومن الحيوانات حيوانات تهضمه على نحو قد نتعرض له . ومنها المواشي .

البروتينات
Proteins

ونقربها للذهن بوصفها مادة اللحم ، ولكنها كذلك مادة الجبن ، وتوجد في كثير من الاغذية . ودقيق القمح الابيض به نحو ١٠ الى ١٢ في المائة من البروتين، والأرز الجاف الصقيل به نحو ٦ في المائة من البروتين .

والبروتوبلزمة ، التى هى حشو خلايا الاجسام ، اكثر مادتها من البروتينات. وان يكن نشاط الاجسام ، وكل عملياته، مؤسسا على الكيمياء ، والكيمياء تحتاج الى مختبرات ، فهذه الخلايا هي المختبرات ، والبروتينات التى بها هي التى تقوم بما يقوم به الكيماوى الحاذق فى مختبره .

ويعرف تركيب البروتينات بحلها الى وحداتها التى تتالف منها ، كما عرفنا تركيب النشا مثلا بمثل ذلك .

والحل هنا هو الحل بالماء Hydrolysis ، كما كان هناك (باستخدام الحوامض وغيرها) ، وناتج التحليل هو العديد من الحوامض الدهنية الأمينية .

ان من ابسط الحوامض المسماة بالدهنية حامض الخل Acetic Acid ، ورمزه الكيماوى ك يد ٣ . ك ١ ا يد . والمقطع الاخير الذى هو ك ١ ا يد ، هو مقطع الحامض من الجزيء، وهو رمزه. اما المقطع الاول ك يد ٣ ، فقد يطول كأن يكون ك يد ٣ . يد ٢ ، ويكون ك يد ٣ . ك يد ٢ . ك يد ٢ . . . الى ١٦ و ١٨ ذرة كربون واكثر من ذلك . فهذه هي الأحماض الدهنية .

اما الأمينية منها ، فمثل الحامض الذى رمزه ك يد ٢ (ن يد ٢) . ك ١ ا يد، وهو مشتق من حامض الخل باحلال المجموعة الأمينية ن يد ٢ (نشادر ناقص ذرة ادروجين) محل ادروجين بالمقطع الاول .

وهذا ابسط الحوامض التى تنتج من حل البروتينات ، ويسمى جليسين Glycine .

ومن بعده قد يأتى ك يد ٣ . ك يد (ن يد ٢) . ك ١ ا يد . وهو حامض آخر من الحوامض الأمينية التى ينحل اليها البروتين ، ويعرف بالالانين Alanine .

وهلم جرا .

والذى يخرج من هذه الحوامض ، من حل البروتينات ، نحو من ٢٤ حامضا .

وبما ان الأوزان الجزيئية للبروتينات كبيرة جدا (الببسين الذى بالمعدة وزنه الجزيئى نحو ٣٥٥٠٠ ، والهيموجلوبين نحو ٦٨٠٠٠) ، فهذه الحوامض المختلفة التى تدخل فى تركيب الجزيئى الواحد من البروتين لا بد انها تدخل بأعداد كبيرة .

اما طريقة التحامها ، فالتحام يقع بين المجموعة الأمينية ن يد ٢ ، والمجموعة الحامضة ك ١ ا يد ، وذلك باتحاد ذرة ادروجين من المجموعة ن يد ٢ ، بذرة ادروجين وذرة اكسجين معا من المجموعة ك ١ ا يد ، ليتكون من ذلك ماء ، ويلتحم ما تبقى من الحامض الأمينى الاول بما يبقى من الحامض الأمينى الثانى التحاما يتمثل فى ــ ك ا ــ ن يد ــ . وعند حل البروتين بالماء Hydrolysis ينفك هذا الالتحام باعادة جزىء الماء اليه .

وليست كل الأحماض الأمينية ، التى هى نحو ٢٤ حامضا ، تدخل فى تكوين كل البروتينات . ان لكل بروتين شخصية ، وهي تعتمد على احماضه التى تألف منها ، وهي تعتمد ايضا على ترتيب وورود هذه الأحماض فى التسلسل الخاص القائم فى جزىء كل بروتين .

اشياء نذكرها ، فلا نكاد ندرك منها الا صعوبتها وتعقدها . ولكن الخلايا تؤلف من هذه البروتينات ما تؤلف ، على اختلافها ، ولا تخطىء ابدا .

الدهون
كدهن اللحم ، وزبد اللبن

فهذه ثالثة الثلاثة من الاصول الكبرى للاغذية .

ونوجز فنقول انها ايضا تنحل الى وحداتها باضافة الماء Hydrolysis مع وجود (الحوامض او القلويات والحرارة) ويخرج منها احماض عضوية كالتى سبق ان مثلنا لها فى الكلام عن البروتينات ، ومع هذه الاحماض الجلسرين .

والأحماض التى تخرج عادة ، طويلة

الجزيئات . فحامض البلميتيك Palmitic Acid مثلا جزيئه : ك يد$_{٣}$. ك يد$_{٢}$. ك يد$_{٢}$ . . . . ك يد$_{٢}$. ك ا ا يد اى سلسلة دهنية بها ١٥ كربونا غير كربون المجموعة الحامضية الاخير .

اما الجلسرين فكالكحولات ، بجزيئه ٣ مجاميع من ا يد ، تتحد كل منها بذرة ادروجين من المجموعة الحامضية للحامض ، لتكوين ماء . فهى اذن تحتاج الى ٣ جزيئات من الحامض ، تخرج ٣ جزيئات من الماء . والناتج غير الماء ، الدهن .

والزيوت والشحوم ، اخلاط ، يبقى فيها الجلسرين واحدا ، ولكن تختلف عليه الأحماض ، من حامض البلميتيك Palmitic Acid ، الى حامض الاستياريك Stearic Acid ، الى حامض الزيتيك Oleic Acid الى غير ذلك من الاحماض الأخف جزيئا ، لا سيما فى الزبد .

والشحوم والزيوت هي على العموم صور من صور التخزين الذى تتخذه الأغذية حتى تحتاج الاجسام اليها .

ولا يستفيد منها الرجل بسرعة . ومن اجل هذا قد تجد الرجل السمين يجوع ، وهو يحمل ارطالا من الدهن ، لا تنفعه ، لأنها لا تتبدل سريعا لتغنيه من جوع .

الوحدة
تسايرنا حيثما سرنا

ذكرنا النشا والسكاكر ، وكيف ان الكثير التركب منها كالنشا ينحل الى الجلوكوز بالحل المائي ، باضافة الماء ، وكذا سكر القصب ينحل الى الجلوكوز والفركتوز بالحل المائي ، اى باضافة الماء Hydrolysis .

وعكس ذلك يجرى عند تركيب المركب من البسيط . يجرى هذا بضم وحدتين بسيطتين او اكثر ، بعضها الى بعض ، ووصلهما من اطرافهما بحذف الماء . ويسمى هذا بالتكثيف (بنزع الماء) Condensation .

وكالذى وقع فى النشا والسكاكر ، وقع فى البروتينات .

وكالذى وقع فى النشا والبروتينات ، وقع فى الدهون .

لفك المعقد ، حلٌ بالماء .

ولربط البسيط ، نزعُ الماء .

ظاهرة شاملة فى الانسان والحيوان ، وفى النبات .

صورة من صور الوحدة ، نلقاها على غير عمد فى الطريق ، نضمها الى سائر الوحدات .

تخطيط فى التركيب والتبسيط ، سبيله الكيماوى واحد ، فى كل حيوان فى الكون ، وكل نبات .

هضم الغذاء
لماذا كان ضروريا ؟

وصفنا لك من الأغذية ما وصفنا .

ووصفناها لك اصولا اصيلة من الاغذية اولى ، هي الكربونات المائية (النشا والسكاكر وما اليها) ، والبروتينات ، والدهون .

وشغلناك بحلها الى وحدات اصغر منها ، فالنشا الى جلوكوز ، والبروتين الى حوامض عضوية امينية ، والدهون الى حوامض عضوية وجلسرين .

وكل ما انحل اليه الشيء فهو اصغر منه .

والجهاز الهضمي ، هذه الأنبوبة المارّة بباطن الجسم ، وتبدأ بالفم ، وتنتهى بالاست ، وتقوم فيما بينهما المعدة والامعاء ، هذا الجهاز الهضمي تقوم جدرانه كالحاجز يحمي الجسم من ان يدخله ما يضر به . ان هذه الجدران تأذن بدخول الطعام الى ما وراءها من الدم الجارى فى باطن الجسم بشرط ان يكون الطعام من الصغر بحيث يجتاز هذه الحدود .

والأطعمة كما هي ، نشا وبروتينا ودهنا ، وحتى وهي ممضوغة ،

لا تستطيع اجتياز هذه الجدران ، بسبب ضخامتها النسبية وظروف أخرى . وهى لتجتاز لا بد من حلها بالهضم الى وحداتها الصغرى مما ذكرنا وعددنا .

وهذه الوحدات ، من جلوكوز ، الى احماض امينية وغير امينية ، الى

صورة جسم الانسان

ويخترق هذا الجسم القناة الهضمية ، من الفم الى الاست ، وسطوحها تبطن الجسم من الداخل . وتعتبر هذه السطوح خارج الجسم ، كسطح الفم الداخلي،وكجلد الانسان من الخارج.



جلسرين ، تدخل الى الاوعية الدموية او الاوعية اللمفاوية القائمة وراء جدران الجهاز الهضمي ، وذلك بان تمتصها هذه الجدران . وهى توزّع بعد ذلك فى داخل الجسم على الاعضاء المنوطة بها .

وقد تحسب ان الامر قد انتهى عند ذلك ، وتيسّر .

ولكن لا ، فالغريب ان خلايا الجسم ، بداخله ، عندما تصلها هذه الوحدات ، ترى نفسها مضطرة الى اعادة تركيبها لتكون دهونا من جديد ،ولتكون بروتينا، ولتكون نشا ، نشا حيوان (جليكوجين Glycogen) .

اما الجلوكوز، فبعض تحرقه الخلايا، بالاكسجين الواصل اليها بالتنفس ، وتخرج من ذلك طاقة يستخدمها الجسم وخلاياه فى كل ما يقوم به وتقوم من اعمال . وقد يكون عملا حركيا ، وقد يكون عملا كيماويا او عملا فزيائيا . وقد يكون عملا فكريا او عاطفيا . كل هذه تحتاج الى الطاقة . والجلوكوز كفيل بها . والفائض منه يختزن فى الكبد او فى عضلات الاطراف وللرجوع اليه عند الحاجة .

والدهون للحريق كذلك مع التنفس. ولخزن الزائد من الطاقة .

والبروتين لبناء ما استهلك من بروتينات الجسم فى عمل الحياة .

وقلنا ان الخلايا مختبرات كيماوية تحتاج الى كيماويات والى كيماويين . وقلنا ان الكيماوى فى الخلايا هو اساسا البروتين .

والخلية ، واكثرها البروتين ، تصنع الكثير من حاجات الجسم ، وكثير منها من بروتين ، كرات الدم الحمراء من بروتين . وكرات الدم البيضاء من بروتين . والأنزيمات وهي من بروتين (ولنا حديث عنها) ، والانزيمات او الخمائر ، وهى كالكيماويين الجوالين فى شتى مختبرات الجسم اى خلاياه ، هذه الانزيمات نفسها تصنعها الخلايا ، وهي بروتين . ولكن من اى شيء

تصنعها ؟ من الاحماض الأمينية التى وصلتها ، تلك التى كانت حصيلة هضم البروتينات فى المعدة والامعاء .

ظاهرتان
جديرتان بلفت النظر

الظاهرة الاولى ان الاغذيه التى جاءت الانسان (وتجيء الحيوانات) اغذية ليست بالبسيطة . جزيئاتها جميعا كبيرة ، وبها الطاقات كبيرة كذلك ، مخزونة .

فالجلوكوز الذى يأتى الانسان فى العنب غذاء مكتمل ، به طاقته . وهو يحترق فى خلايا الجسم باكسجين التنفس ، ويعطي الجسم من طاقته . ولكن سكر القصب اكبر منه طاقة . والنشا اكبر طاقة من السكر .

والبروتين جاء الحيوان ، طعاما ، وهو مكتمل الطاقة ، اى به من الطاقة اكثر مما لوحداته التى ينحل اليها . وكذا الدهون .

هذه الأغذية تأتي الجسم بطاقاتها الكبيرة ، فتجد جدران الجهاز الهضمي مانعا لها من دخول الجسم ، واذن لا بد من حلها ، فاضعاف طاقتها . ثم يعود الجسم ، بعد دخولها اليه ، الى بذل طاقة من عنده لردها الى مثل اصولها . انه لا يردها الى أصولها بعينها . فالجسم يصنع بروتينه على هواه هو ، وخاصا به هو . المهم انه يبذل فى تخليق كل مادة جديدة طاقة جديدة من عنده .

ان رجل الاقتصاد يقف يتأمل هذه الظاهرة طويلا ، ولا يفعل اكثر من ان يرفع ظفره الى جلدة راسه يحكها به . ان ظاهر هذه الظاهرة لا يتفق وقواعد الاقتصاد . ويطلب الاقتصادى حلا اقتصاديا اوفق . وعندئذ تراه يعود الى حك راسه .

اما الظاهرة الثانية ، فهي ان هذه الأغذية جميعا اغذية جاءت الانسان والحيوان مكتملة الطاقة .

فمن صنعها هكذا مكتملة ؟

صنعتها تلك العملية الكونية الكبرى التى اسميناها بالتخليق الشمسي Photosynthesis

وصنعها من مواد قليلة الطاقة : من ثاني اكسيد الكربون والماء ، بمساعدة المادة الخضراء المعروفة بالكلوروفل Chlorophyll أو اليخضور، واتسبها ، عن طريق هذه المادة ، ما شاء من طاقة استمدها من اشعة الشمس .

انه صنع منها ، من ثانى اكسيد الكربون والماء،وطاقة الشمس،الجلوكوز اولا ، وبهذا رفع هذه المواد الاولية فى الطاقة درجة . ومن هنا ، من هذا الجلوكوز ، بدأ يصنع المواد الاكثر طاقة ، من نشا ودهون . وامدته املاح الارض بأملاح الآزوت (او النتروجين)، فراح النبات (نعم النبات ، هذا الجامد الذى نقول انه لا عقل له) راح يخلق البروتينات على شتى اشكالها. ولا يخلط بين هذه الاصول . ثم هو يختزن فى بذوره ، وفى ثمره ، للانسان (وللحيوان) اطعمة جمعت من اصول الطعام الثلاثة الكبرى مثنى وثلاث .

فالطاقات الانسانية (والحيوانية) ، هي من غذاء ، صنعه نبات الارض . وكان هذا الغذاء فى حاجة الى طاقة ، فاستمدها النبات من طاقة الشمس . فطاقة الانسان ، بل طاقاته ، من تلك الطاقة الاولى ، طاقة الشمس . حتى الفكر من طاقة الشمس . حتى الحب والبغض من طاقة الشمس .

والنبات لم ينس نفسه بعد كل هذا .

انه ليس لديه جهاز للهضم ، وما به حاجة اليه . انه هو هو صانع المواد الابسط ، فهو منها يتغذى كمثل تغذية الانسان ، وهو منها يتنفس كما يتنفس الانسان ، وهو منها ينمو ، تماما كما وصفنا ونصف من امر الانسان .

وحدة مع ابداع .
وابداع مع وحدة

●●

احمد زكي

من روائع الفن العالمي

إِدْوارْ مانيه

سَيِّدُ الانْطِباعِيِّين لَمْ يَكُنْ انْطِباعِيّاً

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ لا عجب ان كانت مشاعر البهجة والاستبشار هي المشاعر التى تغلب على من ينظر الى صورة الصفحة الثانية . ففي لوحة « الربيع » للفنان الفرنسي ادوارد مانيه Edourd Manet (١٨٣٢ ـ ١٨٨٣) ، وقد تجلى فيها الربيع بنضارته وشبابه وجماله . ولعله تجلى في الاغصان والاوراق الخضراء بقدر ما تمثل في وجه الفتاة الحسناء .

ويذكر هنا ان لوحة الربيع هذه كانت احدى لوحات اربع ، لفصول السنة الاربعة ، رغب مانيه في رسمها . وقد اخذ فناننا فكرة هذا المشروع عن الرسام البلجيكي ، الفرد ستيفنس Alfred Stevens الذى كان رسم مثل تلك اللوحات سنة ١٨٧٦ بتكليف من ملك بلجيكا آنذاك . واعجب مانيه بالفكرة واقبل على تنفيذ المشروع ، مشروع لوحات الفصول الأربعة ، بدافع من نفسه لا بتكليف من ملك او غيره . الا انه لم يمض في تنفيذه حتى النهاية ، ولم يرسم الا لوحتين ، لوحة الخريف ولوحة الربيع التى ذكرنا ، وذلك سنة ١٨٨٢ . ولو علمنا المكان المرموق الذى تحتله هاتان اللوحتان ، ليس فقط بين لوحات مانيه ولكن ايضا بين لوحات الثمانينات من القرن الماضي كافة ، لشعرنا ببعض ما يشعر به النقاد من اسف لعدم تنفيذ مانيه لمشروعه بكامله .

ولعل أهمّ ما يذكر عن هاتين اللوحتين هو انهما كانتا من لوحات مانيه القليلة التى حظيت بتقدير « الصالون » ، او ان شئت ، محكمة الفن في باريس ، آنذاك . فقد قام في العاصمة الفرنسية في القرن التاسع عشر هيئة فنية ، رسمية او شبه رسمية . وكان من اعمال تلك الهيئة اقامة معارض سنوية تعرض فيها اللوحات التى كان يتقدم بها راسموها اليها . وقد درجوا على تسمية هذه المعارض ، وكذلك الهيئة المشرفة عليها ، بالصالون . الا ان أهم اعمال تلك الهيئة كان التحكيم . فقد كانت هيئة محكمة ، تصدر آراءها في اللوحات المعروضة ، وتقرر ما اذا كانت ذات قيمة فنية ، فتمنحها الجوائز التقديرية ، او كانت بلا قيمة ، فتعلنها « مرفوضة » .

وقد كان لقرارات الصالون تلك اكبر الاثر في سمعة اصحاب اللوحات ، فضلا عن نفسيّتهم . ولطالما رفعت تلك القرارات رسامين مبتدئين الى مصاف اشهر الفنانين ، ولطالما اعاقت بعض كبار الفنانين عن بلوغ الشهرة التى استحقوها ، ولو الى حين . وقد نجد خير مثل لهذه الفئة الاخيرة في رسامنا ادوارد مانيه .

ذلك ان الصالون رفض لمانيه اكثر اللوحات التى عرضها له في معارضه السنويه . وقد شمل الرفض بعض لوحات فناننا الهامة ، كلوحة « السكير المدمن » ولوحة « اولمبيا » ، وهما تعتبران من اروع لوحات الفنان .

كان ذلك سنة ١٨٦٣ ، وقد بلغ مجموع عدد اللوحات المرفوضة لمختلف الفنانين في تلك السنة وحدها نحو ٤٠٠٠ لوحة . لا عجب اذن ان تكون قد عمت باريس اثر ذلك موجة من التذمر والاحتجاج ، ما لبثت ان بلغت مسامع الامبراطور نابليون الثالث . وقد تصرف هذا الامبراطور بحكمة ولباقة ، فامر باقامة معرض خاص باللوحات المرفوضة . واتفق ان تكرر عقد هذا المعرض ، حتى اصبح يعرف بصالون المرفوضات Salon des Refuses للتمييز بينه وبين الصالون الاول .

● اقرأ عن حياة مانيه في العدد ١٠٩ في العربي صفحة ١٥١ .

على ان الصالون الاول هذا قبل لمانيه عددا من اللوحات ، غير لوحة الربيع ولوحة الخريف التي ذكرنا . ونذكر من تلك اللوحات المقبولة اللوحة التي رسم فيها الفنان والديه ، ولوحة « عازف الجيتار » . ويرى النقاد في هذه اللوحة الاخيرة نقطة تحول ، بل ثورة فنية احدثها ادوارد مانيه واثر بها على سائر الفنانين الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده .

ولا تتصل ثورة مانيه هذه بموضوع لوحاته ، وقد كان الفنان فيه واقعيا Realist الى ابعد الحدود ، ولكنها تتصل بالاسلوب الذي انتهجه في رسم تلك اللوحات . فبينما اقتضت القواعد الاكاديمية المسلّم بها الانتقال من لون الى لون آخر على اللوحة بالتدرّج ، وذلك باستعمال مايسمونه انصاف الالوان Half Tones ، دعا مانيه الى التخلص من انصاف الالوان هذه ، وهي ، كما قال ، قليلة بل نادرة في الطبيعة ، ولا حاجة اليها على كل حال . اى ان فناننا دعا الى تحرر الرسام من قيود تقليدية لا قيمة لها ، وحضّ على انطلاقه في اختيار الالوان التي يشاء ، ووضعها على اللوحة ، مركّزة او مخففة ، كما يشاء . ولم يكن مانيه بحاجة الى اقناع النقاد والفنانين بسلامة فكرته وقد جاءت لوحته « عازف الجيتار » الدليل العملي القاطع على ذلك .

وما اسرع ما التف حول مانيه بعد ذلك المريدون من الفنانين الناشئين والناضجين . وكان في طليعة هؤلاء الرسامون الانطباعيون Impressionists وبخاصة ديجا Degas ورنوار Renoir وموريسو Morisot وسيزان Sezanne وبيسارو Pissaro وكلودمونيه Claude Monet .

وقد بلغ من تعلق هؤلاء الانطباعيين بمانيه ومن تمسكهم بثورته التي ذكرنا ان اعتبره الكثيرون في عداد الرسامين الانطباعيين، بل زعيمهم ومؤسس مدرستهم . وما ابعد هذه النظرة عن الحقيقة .

فالمدرسة الانطباعية ابتعدت كثيرا عن الواقعية Realism وراحت تقلص مفهوم الطبيعة والواقع حتى انعدم وجودهما خارج العين البشرية بالنسبة الى هذه المدرسة . اى ان الانعكاسات التي ترتسم على شبكية العين هي كل ما هنالك من الواقع في نظر الانطباعيين . ولما كان الضوء هو قوام الصور البصرية التي ترتسم على العين لكل ما في الطبيعة من اشياء ، كان من الطبيعي ان يقبل الانطباعيون على دراسة الضوء واثره دراسة علمية وافية . ويحضرنا في هذه المناسبة ملاحظة معبّرة لكلود مونيه ، مؤسس المدرسة الانطباعية الحقيقي ، اذ قال : « ليتني ولدت ضريرا ، ثم رزقت البصر فجاة .. وتمكنت من الرسم اثر ذلك مباشرة .. فلو امكن ذلك لكان في وسعي ان ارسم الاشياء كما تبدو لعيني ، مجردة عن كل معرفة سابقة .. »

اما رسامنا ادوارد مانيه ، صديق الكاتب اميل زولا والشاعر بودلير فكان بريئا من هذا الغلو ، وقد اتسم فنه بالواقعية كما ذكرنا ، واستلهم في صميم نزعاته واتجاهاته ، الفنانين الاسبان ، وخاصة جويا وفيلاسكيز ، والفنانين الطليان ولا سيما جورجيوني وتيتيان ، وكذلك المحفورات الخشبية التي اشتهر بها فنانو اليابان .

■■



لوحة « عازف الجيتار » التي تعتبر نقطة تحول في أسلوب مانيه الفني.

ندوات لها تاريخ



شيخ العروبة أحمد زكي باشا في ندواته

بقلم : انور الجندى

كانت النـدوات فى العصـر الماضى محافل فكرية بعيدة الاثـر فى نهضـة الادب والتاريخ ، وذات اثر بعيد عـلى الانتاج الادبى كله مما حفلت به الدوريات والكتب ، وكان اعلام الفكر من امثـال احمد تيمـور باشا واحمـد زكى باشا وآل عبد الـرازق والبكـرى وغـيرهم يحرصـون عـلى اسـتقبال النوابـغ والمفكرين ، حيث تجـرى مساجـلات واسعة واحاديث صافية حول مختلف قضـايا التـاريخ والادب ، ويتشقـق الحـديث وتثـار المسـائل وتطـرح المعضـلات .

ندوة يومية مسائية

اما « ندوة شيخ العروبة » فقد كانت ندوة يومية مسائية لا تتخلف ما دام احمد زكي باشا فى القاهرة ، يرد اليها الرواد من كل انحاء العالم الاسلامي وبلاد الامة العربية ، ويقصدها العلماء والباحثون كل مساء ، فيجدون عند احمد زكي باشا كل جديد وكل غريب ، ولقد حفلت الصحف باحاديث هذه الندوة وتحدث الينا كثيرون من روادها ، فى مقدمتهم المرحوم كامل كيلانى والاستاذ سيد ابراهيم الخطاط العربي اطال الله بقاءه وكان من روادها غيرهم ، الدكتور احمد عيسى ، وفريد ابو حديد ، وزكي المهندس ، وبشر فارس، ومحمد عبد الغنى حسن .

دار العروبة

وكان احمد زكي باشا يسمى داره : دار العروبة ، ويسمى ندوته (مصطبة دار العروبة) ، فمنذ الغروب تفد الشخصيات المختلفة لتسمر

وتتحدث وتسأل ، حتى اذا تطاول الليل واتسع الحديث انتقل رجال الندوة الى سماط عربي يذخر بالارز والثريد والفاكهة فيتناولون ما يشاءون منه دون ان يقطعوا حديثهم .

وقد ظلت دار شيخ العروبة مفتوحة لكل من يرد القاهرة من رجالات العرب والاسلام ، سنوات طويلة منذ ان ترك احمد زكى باشا منصب سكرتير مجلس النظار (الوزراء) عام ١٩٢٢ الى وفاته عام ١٩٣٤ . وكان قد اتجه منذ ترك خدمة الحكومة الى العمل في قضايا العروبة بالاضافة الى تحقيقاته الواسعة في التراث والمخطوطات .

وكان ثمرة هذه الندوات تلك المقالات الضافية ، والمساجلات الضخمة التى كان يثير فيها شيخ العروبة موضوعات خطيرة مما يصل اليه البحث ، ومما يلقى الى الندوة من اسئلة كانت ترد اليه بالبريد او يتقدم بها بعض رواد الندوة او زوارها.

خزانات حافلة بالجذاذات

وكانت لاحمد زكى باشا في صالونه عدة خزانات حافلة بالجذاذات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها حسب الفن او الباب الذى يرجع اليه ، فاذا ما جدّ الجد ، وتشعبت وجوه النظر والقول ، سارع في خفة عجيبة الى خزانته فاستخرج منها ما يؤكد رايه في مثل رجْع الطرف ولكنه كان حفيا بالحق يرجع اليه اذا ما تبين .

اخطأ وتشبث ، ثم عاد يصحح خطاه

ولقد طال النقاش ذات ليلة وكان من روادها زكى المهندس وبشر فارس واحمد عيسى وكامل كيلانى حول استعمال حرف (لا) مع كلمة (كاد)

وقال احمد زكى : العرب تقول (يكاد لا يفعل)

وقال زكى المهندس : بل تقول (لا يكاد يفعل)

وتشبث شيخ العروبة برايه وانفضت الندوة .

وفي الساعة الخامسة صباحا دق جرس التلفون في منزل بشر فارس :: واذا زكى باشا على الطرف الاخر يقول : ان الاستاذ زكى المهندس على صواب ، (١)ولكنى اجهل عنوانه ، واخبره انت لساعتك انى قضيت الليل كله في التنقيب والتصفح حتى اصبت الدليل في قوله تعالى في القرآن (في سورة الزخرف) :

« أم انا خير من هـذا الذى هـو مهين ولا يكاد يبين » .

مكتبة حافلة

وكان بشر فارس قد ذهب الى باريس لاعداد (اطروحة) لنيل اجازة الدكتوراه عن (المروض عند العرب في الجاهلية) ثم عاد الى القاهرة بحثا عن نصوص ووثائق ، ولم يجد الا ندوة احمد زكى باشا ، وامضى الصيف كله يراجع كتبا مطبوعة ومنسوخات كان يجلبها له شيخ العروبة مما لايجده في غير مكتبته الحافلة التى بلغت سبعة عشر الف مجلد منها خمسة الاف مخطوط .

وكانت تشغله الكلمة الواحدة اياما وليالى يبحث ويراجع ويزور دار الكتب ويسأل زواره حتى يهتدى اليها .

يقول الدكتور طه حسين : « اذكر أن جملة عرضت له وهو يحقق كتاب (التاج) المنسوب الى الجاحظ فصادفته جملة تقرأ هكذا (السر والتغافل) وكان احمد زكى باشا يريد ان يعرف معنى كلمة السر هذه فلا يجد سبيلا ، ويريد ان

---

(١) العربي : المرحوم احمد زكي باشا لم يكن مخطئا حين قال ان العرب تقول « يكاد لا يفعل » الا اذا كان يريد أنها تقصر تعبيرها على تأخير حرف النفي . والاستاذ زكي المهندس اذا كان يريد القطع بانها لا تقول الا بتقديم حرف النفي يكون غير مصيب . فلقد جاء عن العرب تأخير النفى عن « كاد » في شعر جاهلى قاله الجموح الظفرى :

تكاد لا تثلمُ البطحاءَ وَطأتها كأنها ثملٌ يمشي على رُودِ

انظر اللسان والتاج مادة (رود) وكذلك أساس البلاغة . وانظر ايضا شروح سقط الزند الصفحات ٢٨٦ و ٦١٧ و ٩٧٥ .

ومن هذا ما جاء في شعر آخر متأخر عنه ، اذكر منه « يكاد لا يتجزأ » والحق انك تستطيع ان تقول : لا اظنك تفعل كذا ، ولا احسبك تفعل كذا ولا تكاد تفعل كذا ، كما تستطيع أن تقول : اظنك لا تفعل كذا ، واحسبك لا تفعل كذا ، وتكاد لا تفعل كذا . ولو تتبعنا دواوين الشعر ومجاميعه لوجدنا الفاظا ، وجموعا ، ومصادر ، واستعمالات لغوية . لم تحصرها المعاجم الموجودة بين ايدينا .

يقلب الكلمة على وجوهها الممكنة لعله يردها الى أصل مفهوم فلا يجد الى ذلك سبيلا ، وكان يلقانا في اول المساء (طه وزنانى) فيسأل : هل وفقتما الى فهم لهذه الجملة (السر والتفاقل) وكان يودعنا آخر المساء ويقول : اياكما الا تبحثا عن السر والتفاقل .

واتفق في ذلك اسبوعا او اكثر من اسبوع » .

تحقيقه عن شجرة الموز

ولم يكن يمر شيء على سمع (احمد زكي باشا) أو بصره دون أن يغفل عن تحقيقه . ومن ذلك ما اثاره بعض زوار ندوته على مائدة العشاء وهو يقدم لهم فاكهة الموز . وسرعان ما انطلق زكي باشا يتحدث عن الموز وتاريخه وكيف رآه في الاندلس ويقول : « والموز لفظ عربي صحيح ولا اوافق المفسرين الذين قالوا بأن الطلح المنضود المذكور في القرآن هو الموز . وقد ورد ذكر الموز في مفردات ابن البيطار وتذكرة داود ورحلة عبد اللطيف البغدادى » .

وقد اسماه الهنود (موچا) بجيم تحتها ثلاث نقط . والعرب هم الذين ادخلوا هذا النبات المبارك الى اوربا في اواخر القرن الاول وذلك عند تحهم الاندلس ، ولا يزال نباته وثمرته معروفين في جزيرة صقلية باسم (موزا) . وكذلك الحال في الاندلس والبرتقال (لا البرتغال) ثم عدلوا عنها الى كلمة (بنان) .

ولا جدال ان الافرنج اخذوا اسمه من اللفظ العربي . وقد اشار العلامة قرنر سكال الذي رتب النبات الى اجناس وفصائل الى ذلك فوضع نقطة : Musacées (موزاسي) للدلالة على فصيلة الاعشاب المتشابهة لحشيش الموز » .

تصحيحات لرب الندوة

وكان ابرز ما يشغل زكي باشا في ندواته هو اظهار فضل العرب ودورهم في الحضارة ، وكانت اغلب مناقشاته مع سيد ابراهيم وكامل كيلاني والدكتور احمد عيسى وفريد ابو حديد وغيرهم من رواد ندوته تجرى حول الرد على كل ما يرد في الصحف والمجلات من انتقاص للعرب والاسلام او تجن عليهما ، او تحريف في اسماء البلاد الاسلامية وخاصة بلاد الاندلس التى زارها قبل مفتح القرن العشرين وأولاها اهتماما كبيرا في دراساته . وكانت مساجلاته لا تتوقف مع محمد مسعود وجرجس فلتاؤوس عوض وزكي مبارك وطه حسين ، وكذلك مناقشة ما يرد في الخطابات اليه والى الصحف (الاهرام والمقطم) من اسئلة حول بعض الآثار الاسلامية والمواقع والاضرحة .

ولم يكن احمد زكي يأخذ الامور في هوادة ، ولكنه كان مليئا بالحماسة حتى انه كان يردد دائما قوله :

ــ ان الذى يغيظنى ويغضبنى ويكيدنى هو أن ينقل احدنا عن الافرنج ما نقلوه هم عنا وان تجاربهم او نزيد عليهم في تحريف اعلامنا المغربة او المصرية من أسماء الرجال والمواضع بعد ان اخذوها عنا وشوهوها (محتارين او مختارين) متابعة لحلوقهم التى تضيق عن نطق الصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف ، واضيف الى ذلك الثاء والذال لغير الانجليز والخاء لغير الاسبانيين والالمان على نوع ما .

ان علينا أن نكتب (الاعلام) بالحروف الافرنكية التى اصطلح الاسبان والانكليز والفرنسيون عليها، ثم نضع امامها الاسم العربي الصحيح الوارد في الكتب الاندلسية خاصة والعربية عامة فيما يتعلق بالتاريخ والجغرافيا .

ويقول : « انني فيما يختص بالاندلس قد جمعت كل الاسماء التى تناولها الافرنج بالتصحيف الخفيف او بالتحريف الشديد ، وكذلك الاسماء التى عرّبها العرب ، وادخلوها في كنوز أدبهم ثم تناولها الافرنج عنهم فاعادوا بعضها الى اصلها او ابقوا على أكثرها بالصيغة التى اخذوها عن العرب ، جمعتها في جذاذات هنا بدار العروبة تحت طلب من يريد الفائدة المعجلة » .

ويقول الاستاذ سيد ابراهيم وهو من أركان ندوة شيخ العروبة ، ان احمد زكي باشا صحح كثيرا من الاسماء العربية المحرفة ونشرها في الصحف منها :

Razés **(الرازى) ، و** Avicenne **(ابن سينا) ،** Abalcasis **وهو ابو القسيس وصحته (ابو القاسم) . وقد قال في ذلك ان الغربيين ابدلوا الميم فجعلوها سينا لتكون اقرب الى اللغة اللاتينية .**

وصحح قولَ الكتاب (المحيط الاطلسي) عن المحيط الغربي الكبير ، وقال انه خطأ لا يغتفر ، وان الجغرافين من الفرنجة قد تطابقوا على تسمية

هذا المحيط الى قارة (ادلنت) او اطلنط (Atlante) التى انخسفت في قعره من زمان بعيد ، وهى الفاجعة التى وصل بيانها عن ارسطو ، وما تزال لهذه القارة بقايا بارزة وهى جزائر (اموره ، وماديره وكناريا) وهى ما يسميه العرب (الجزائر الخالدات) اما الذين ينسبون هذا المحيط الى (اطلس) فليس في قولهم اى صواب ، انما هم قد تابعوا الافرنج متابعة عمياء بلا تمحيص ولا مراجعة ، ولفظ (اطلس) قد اخذه اليونان عن كلمة (ادرار) التى يستعملها المغاربة الى يومنا هذا للدلالة على اى جبل كان .

وجاء المترجمون فى عهد (محمد علي) فاخذوا عن الترك عن الافرنج هذا الجبل في ثوبه الاعجمى المحرف فقالوا (اطلس) ثم جاروا في تسمية المحيط الغربي الكبير انه (اطلنطيقى) نقلا للفظة الافرنجية (Atlantique) ثم جاء من ترفعوا عن هذا التفرنج فقالوا : المحيط الاطلسي متوهمين ان اطلنطا هى نفس اطلس .

كان كبير الاعتداد بكشوفه اللغوية والادبية

وكان احمد زكي باشا كبير الاعتداد بما يصل اليه من كشوف لغوية او ادبية او تاريخية ، حتى لقد كان يقول لرواد ندوته ليلة :

عنى ، وعنى وحدى ، خذوا النبأ الصادق ، فعندى ، وعندى وحدى، الحجة الصادقة والبرهان الناطق .

ودع كل صوت غير صوتى فاننى
انا الطائر المحكى وغيرى هو الصدى

ويروى انه كان في احدى ليالى الندوة متهللا ، ولما ساله (كامل كيلانى) عن ذلك قال :

روى امين الريحانى اليوم في الصحف انه كان على مائدة بعض الاجانب فسألوه عن اللفظ العربي الذى يطلق على الحيوان المعروف في اللغة الانجليزية باسم (Badger) وذلك في اثناء تناول الطعام على مائدة الملك فيصل الاول وفيها امين الريحاني ، فساح السؤال حول المائدة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وعاد الى سائله خائب الامل . وأنا اقول : لو اننى كنت حاضرا معهم لكنت هديتهم الى الصواب ، فهذا الحيوان قد أكثر كتاب العرب من ذكره ومن التعريف به هو (عناق الارض) واسمه عند الفرنسيين (Blaireau) .

وأخطاء شائعة صححها

وقد صحح احمد زكي كلمات كثيرة كانت تتردد على الالسنة والاقلام خطأ ووضع لها الاصول الصحيحة :

ففي المدن : مدينة (اثيره) بدلا من عطبرة
« جمهورية (البرتقال) بدلا من البرتغال .
« الجزيرة القريبة من اسوان التى يطلق عليها (جزيرة فيلة) اسمها بلاق وبيلاق .
« القناة بدلا من القنال .

وفي اسماء الافراد : (ارز اشبيل) وصحتها الزرقالة الفلكى الاندلسي المشهور : افرويس وهو ابن رشد ـ فنباسا وهو ابن باجة ـ افنزور وهو ابن زهر الاشبيلى ـ البوكرك وهو ابو كرش الملاح البرتغالى .

والشفرة استعملها العرب

ويروى (الاستاذان) سيد ابراهيم وبشر فارس : « ان احمد زكي باشا لم يكن يدع جلسة من جلساته الخاصة بندوته الليلية المستمرة دون ان يفاجىء زواره بشىء جديد وغريب ، وانه كانت له اشياء يستخرجها من محفوظاته او من جذاذاته ومفكراته ويتحف بها اصدقاءه » .

ومما حدث عنه ذات ليلة : مجموعته الكاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن باسم (الشفرة) وكيفيتها عند العرب وكيف كان هذا الفن مستعملا عند الدول الاسلامية في ايام المأمون الى الحروب الصليبية ، فأخذه الافرنج عن المسلمين ، ثم رده الافرنج الينا « ولجهلنا بمعارف أهلنا اخذناه باسمه الجديد عن الافرنج وهو (الشفرة) ، وهى الكلمة التى نقلها الغربيون من كلمة (صفر) العربية واستعملوها بمعنى الارقام لانهم استخدموا الارقام بدلا من الحروف في الكتابة السرية . ثم اننا جعلنا بدل (الشفر) لفظ (الجفر) لتقارب

المخرجين خصوصا وان كان الجفر يستعمل في الالغاز بالحوادث المستقبلة » . (١)

ومجالس الندابات جمع مراثيهن

ومن ابرع ما تحدث عنه احمد زكي باشا في ندوته واثار نقاشا طويلا :

« وصف مجالس الندابات » وقد جمع اكثر من الفي بحث من مراثيهن . وقد سئل لماذا الاهتمام بمثل هذا الموضوع فقال :

الذى دعانى الى ذلك ما رأيته من عناية اهل البحث والتدقيق من الافرنج بكل ماله صلة باحوال المشرق ، فحرصت على ان لا يقع بعض الناس في الخطأ ويجعل للامور عللا واسبابا لينسبها الى الاسلام عن قصور فهم ، فاحببت ان استوفي كل ما وصل اليه علمى من بعض عادات قومى . وكذلك للمحافظة على الاشعار التى تنوح بها المعدادات والندابات في اثناء الرثاء ، فان في كثير منها معانى دقيقة وانظارا حكيمة قد لا يجدها الباحث في المراثى الشهيرة التى يعمل الشعراء فيها فكرتهم .

حروف الطباعة وحروف الترقيم

ومن الاعمال التى كانت تزدهى ندوة شيخ العروبة بالحديث عنها هى اختصار احمد زكي لحروف الطباعةالى ٢٧٤ شكلا بدلا من ٩٠٥ اشكال شاملة قواعدها في الرقعة والثلث وقد اجهده هذا بالتردد على المطبعة الاميرية طويلا حتى استطاع ان يحقق هذا العمل . وكذلك عمله الجليل في وضع حروف الترقيم والفواصل وقد سئل في ذلك فقال :

ـ كانت خطتى التى درجت عليها منذ دخلت الدواوين (عام ١٨٨٥) ان أعمل بكل ما فى مقدورى على محو ما استطيع محوه من الكلمات الدخيلة الغريبة ، وان احل محلها في العبارات الديوانية والاصطلاحات الرسمية ما ارتضيه من الالفاظ العربية بعد التحرى والتنقيب ، ولم يكن في قدرتى طبعا ، ولا في قدرة سواى ، أن يمحو الالفاظ الغريبة دفعة واحدة بعد ان طال استعمالها حتى رسخت في اذهان العامة والخاصة وجرت بها اقلام الكتاب والمنشئين وكتبة الدواوين .

ومن ذلك كلمة (البراءة) بدلا من كلمة (البيورلدى) وانا المجدد لكلمة (مرسوم) والواضع كلمة (رصيمة) حتى انتقلت الى نفس الأزهر الشريف فأطلقها أهله على ما كان اسلافهم يسمونه (الاجازة) وكان قد مضى على الدواوين ثلاثة قرون وهى تستعمل لفظ (بيورلدى) في التعبير عن الامر المؤذن بالانعام بالرتب .

لفظ السيارة عن ابتداعه

واهتم احمد زكي باشا باستبدال كلمة (اوتوميبيل) بكلمة (سيارة) واعلن ذلك عام ١٩٠١ وقال : « ان اللفظ الذى اقترحه لتعريب كلمة (اوتومبيل) ومعناها (المتحركة بنفسها) او الجارية من نفسها هو (السيارة) وقد تجمعت فيها كل المعانى التى يشملها اللفظ الافرنكى وكافة الدلالات المقصودة » .

واولى احمد زكي باشا اهتمامه وشغله في التعريف بفضل العرب على الحضارة ، وكان يردد في ندواته ان العرب هم الذين عرفوا مرض النوم قبل ان يعرفه « الافرنج » بخمسة قرون ، وان العرب سبقوا الافرنج الى اختراع كتابة العميان (٢) والى التفكير في حل مسألة الطيران وان العرب سبقوا الافرنج الى التفكير في كشف امريكا ، وانهم حاولوا الوصول اليها مرتين بالفعل ، اولاهما في لشبونة عاصمة البرتغال ، وثانيهما من مدينة غانة بالسودان العربى على ساحل المحيط الاطلنطى ، وان العرب سبقوا الافرنج الى اكتشاف منابع النيل ووصفوها وصف شاهد العيان وان العرب سبقوا الى التفكير في جاذبية الارض ، وان الكندى رصد نجما من ذوات الاذناب . (٣)

وبعد فهكذا كان يدور الحديث في ندوة شيخ العروبة احمد زكي في الثلاثينات من هذا القرن (رحمه الله) . ■■

القاهرة ــ أنور الجندى

---

(١) هذه هى عبارة احمد زكي باشا بالنص من مذكرات الاستاذ ابرهيم

(٢) ما يطلق عليها (طريقة بريل) حديثا .

(٣) العربى كنا نود ايراد المراجع والنصوص التى تثبت كل هذه الامور ولا يكفى القول بدون بيان .

أخطاءُ الأَبنَاءِ مِن أَخطاءِ الآبَاءِ!

ماذا يفعل الآباء وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الالم والندم والدموع ؟

■ ماذا يفعل الآباء وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الالم والندم والدموع ؟

نحن نلوم ابناءنا لانهم يخطئون ..

ولكن هل اخطاؤا حقيقة .. ؟ ومن ذا الذى لا يخطىء حتى بين الكبار ؟

وهل حقيقة خطأ هذا الذى وقعت فيه الابنة التى فشلت في دراستها ، او الابن الذى ضل الطريق ؟

ما هى اسباب هذه الاخطاء ، وما دوافعها ، وكيف نجنب ابناءنا خطر الوقوع فيها ؟

كانت هذه الاسئلة هى موضوع دراسة قام بها مجموعة من علماء النفس وضعوها في كتاب وقد خرجوا من دراستهم هذه بآراء جديدة او لعلها ليست بجديدة ، بقدر ما فيها من نظرة واقعية لحقائق الامور وفلسفة الحياة .

اخطاء الشباب

قالوا ان ما يقع فيه الشاب او الفتاة من اخطاء ، هو في واقع الامر ليس باخطاء ، كما نتصورها او يصورها لنا تفكيرنا ، وانما هو نتائج لاعمال وتصرفات معينة جاءت تبعاً لتفكير سريع متهور بعيد عن النضج والعمق والتروى .

وقد يتساءل البعض : « واين كان الآباء ، وهم يرون ابناءهم يقدمون على هذه التصرفات التى لا يمكن ان توصف الا بالحماقة والتهور ؟ الم يكن في مقدورهم ان يتدخلوا في الوقت المناسب ليحولوا دون الخطأ قبل وقوعه ؟ »

امام الخطب وجها لوجه

ولكى نجيب على هذا السؤال ، لا بد لنا ان ندرك حقيقة هامة ، وهى اننا يجب الا نتوقع ان ياتى الينا ابناؤنا بمتاعبهم ، فقليلون هم هؤلاء الابناء الذين يلجاون الى الآباء سائلين النصح ساعين وراء التوجيه والارشاد ! وتكون النتيجة



ان يجد الآباء انفسهم امام الخطب وجها لوجه ، وقد اذهلهم المفاجأة ، وهم يرون ابناءهم يسيرون امامهم في طريق الالم والدموع والندم !

ولكن حتى في هذه المحنة ، يجب الا نفقد الامل في الشفاء .. فالتسليم بالامر الواقع والخضوع للهزيمة ، والاستسلام لليأس ، يقتل فينا الامل ، ويقضي على كل رغبة لنا في الاستمرار في الحياة .. وكم من ابناء ضلوا الطريق في صباهم ، ثم رأيناهم بعد ذلك مصلحين وعظماء سجل التاريخ اسماءهم .

ماذا يفعل الآباء

ماذا يفعل الآباء اذن ليجنبوا ابناءهم مخاطر السير في طريق الضلال ، حتى يمنعوا عنهم شر الانحراف والفشل والهزيمة ؟

يقول العلماء ، ان الوقاية لا تأتي الا عن طريق العلم ! وعلى عاتق الآباء وحدهم تقع مسئولية تبصير ابنائهم بحقائق الحياة وامورها ، وتحذيرهم من عواقب الانحراف والسقوط . ولكن كيف ؟

ان اخطر مرحلة يمر بها الشاب او الفتاة هي مرحلة المراهقة . وفي هذه السن ، وحتى قبل بلوغها يبدأ دور الابوين . ولكن حذار من تقمص هذه الشخصية المقيتة التي يشعر الابناء تجاهها بكراهية ومقت شديدين .. شخصية الواعظ المرشد الناصح الموجه !

ليس هذا هو دور الآباء في هذه المرحلة من حياة ابنائهم .. فهذا آخر شيء ينصح الباحثون باتباعه .

شعور الشباب في المراهقة

ان دور الآباء اكبر من هذا واعقد بكثير .. فالشاب في هذه السن يريد أن يشعر انه اصبح رجلا .. وكذلك الفتاة ، فهي الاخرى تحتاج الى من يؤكد لها انها قد اصبحت امرأة مكتملة النضج والانوثة ..

ومن هنا يبدأ دور الابوين ، يجب ألا يقدما على اى عمل من شأنه ان يشعر الابناء بأنهم يعيشون في عالم آخر صغير غير العالم الذى يعيش فيه آباؤهم . يجب أن نساعد الابناء على الاحساس بان مشاكل الحياة واحدة ، وكما ان لهم مشاكلهم ، فللآباء ايضا مشاكل لا تقل اهمية ، ولا تقل خطورة عن مشاكل الشباب . المهم هو ان ينمي الآباء في نفوس ابنائهم الثقة بانفسهم ، ان يعاملوهم كما يعامل الكبار .. ان يشجعوهم على ان يفكروا تفكيرا سليما ناضجا . يجب ان نشرح للشباب ان العقل المهزوم لا يستطيع ان يجلب النجاح لصاحبه .

مشاكل الحياة واحدة

وهل استطاع الكبار ان يخلصوا انفسهم من مشاكل الحياة . واذا كان الشباب يخطىء ، فهو خطأ ناتج عن قصور في التفكير ، وافتقار الى النضوج في معالجة مشاكلهم كما ذكرنا . وهو أمر يختلف اختلافا تاما عن خطأ الكبار ، واسباب الاخطاء التي يقع فيها الآباء ودوافعها !

يقول ايمرسون Emerson الكاتب الامريكي الشهير : « الحياة مجموعة من العقد والمشاكل والازمات . ولكن يجب أن نذكر دائما ان بعض المتاعب التي تواجه ابناءنا ، وكل المتاعب التي تواجهنا نحن الكبار ، هي من صنعنا نحن ! »

مظاهر الوجود

ويحدثنا عالم النفس بيتر كرانفورد Peter Cranford ، عن مشاكل الحياة فيقول :

« لا يمكن ان تكون هناك حياة بدون مشاكل .. فمتاعب الانسان ، هي اول مظهر من مظاهر وجوده ، وانفعالاته هي اكبر دليل على انه حي . فالالم والفرح ، الدموع والضحك ، الشعور بالسعادة والشقاء ، هي علامات الحياة ..

« وكل فرد بين اسرته ، ووسط المجتمع الذى ينتمى اليه ويعيش فيه ، ينفعل بما يحدث من حوله .. الام في بيتها مع اطفالها ، والاب في عمله بين زملائه ، والشاب او الفتاة في المدرسة او الجامعة .. كل فرد من هؤلاء يشقى ويسعد ، يفشل وينجح ثم هو يبكي ويفرح ، لما يمر به من احداث وما يراه من صور للحياة بكل ما فيها من الوان » .

قوة النفس

يقول نورمان فنسنت بيل Norman Vincent Peale ، « اننا لكى نعيش في هذا العالم المضطرب المتصارع الامواج ، لا بد لنا من أن نكون اقوياء ، فالقوة وحدها هي التى تستطيع ان تصمد في وجه العواصف والانواء .. ولا نعني بهذا قوة الجسد ، وانما قوة النفس ..

« فالحياة ليست دائما سهلة ، وليست دائما ميسورة ، وليست دائما تسير كما نأمل ونشتهي، ان كل فرد منا على هذه الارض ، معرض لان يصاب بشيء .. اى شيء .. »

الاحداث الطارئة !

ولندع الاخطاء جانبا .. فهي نتائج لاعمال وتصرفات نقدم عليها بلا ترو ، كما ذكرنا.ولنتحدث عن الظروف الطارئة التي تلم بنا .. ماذا لو تعرضنا لمرض او حادث او فشل ..

ان السبيل الوحيد لمواجهة مثل هذه الظروف الطارئة ، هو القوة التي يجب ان تملأ نفوسنا ، فاذا لم نكن اقوياء ، احسسنا بالانهيار ، واذا انهار الانسان ، اختل تفكيره ، وفقد القدرة على معالجة مشاكله ، وبالتالي كل رغبة في الاستمرار في الحياة .

الواقعية في الحياة

يقول كرانفورد : « لقد وجد العالم هكذا ، مليئا بالمشاكل والصعاب ، ان كل ما فيه يقف ماثلا في تحد لطبيعة النفس البشرية ، وليس هناك من وسيلة لتخليص انفسنا من مشاكل الحياة ، الا عن طريق نظرتنا الواقعية للامور ..

« فاذا استطعنا ان نكون واقعيين في تفكيرنا ، واقعيين في تصرفاتنا ، واقعيين في تقبل ما يحدث لنا وما يحل بنا وبابنائنا من مكاره ، استطعنا ان نصمد ، وان نعيش وان نتقبل صور الحياة بمختلف الوانها ، حلوة أو مرة ، بيضاء أو سوداء ..

قدراتنا داخل نفوسنا

« المهم في الامر ان نبدأ من جديد ، وان نسعى الى تصحيح الاخطاء التي وقعنا فيها ..

« فالقدرة على مواجهة اى موقف عصيب ، موجودة في داخلنا ، كامنة في نفوسنا ، لقد وضعها الخالق فينا ، وما علينا الا ان نعمل على اخراجها في الوقت المناسب ، وفي اللحظة التي نشعر فيها باننا في حاجة الى كل قدراتنا .. فاذا بدت الحياة يوما اكثر صعوبة واشد ظلمة ، فما علينا الا ان نتوقف قليلا ونسائل انفسنا في هدوء عن مصدر متاعبنا .. فاذا عرفناه واكتشفناه ، سهل علينا معالجة اى حادث طارىء يلم بنا او بابنائنا .. »

اللوم .. والقدر

والشباب يميل بطبيعته الى القاء اللوم على الاخرين ، ولا باس من ان نسمع كلمة لوم من ابنائنا على ما حل بهم من متاعب وما صادفهم من مشاكل .. ويجب ان نتقبل هذا اللوم ، فاخطاء الابناء من اخطاء الاباء .. وفي تقبلنا لاخطاء ابنائنا تخفيف من وقع الخطأ الذى ارتكبوه ، على انفسهم ..

ولكننا في بعض الاحيان ، نلوم الظروف ونلوم القدر الذى لم يكن لنا يد فيما فعله بنا او اصاب ابناءنا .

وقد نكون على حق في تصورنا ، وقد لا نكون ، فمشاكلنا من صنعنا نحن ، قد يكون لسوء الحظ نصيب فيما حدث لنا ، ولكن الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء ما تعرضنا له من متاعب ومشاكل ترجع اولا وقبل كل شيء الى هذا القصور الذى اصاب تفكيرنا او الى تسرعنا وتهورنا وقصر نظرنا..

عقل الانسان

تقول الشاعرة الشهيرة « ايلا هويلر ويلكوكس Ella Wheeler Wilcox **(١٨٥٥ – ١٩١٩)**

« ان العقل هو كل شيء ... انه الطاقة الكبرى التي اذا استخدمت كما يجب ، تولد عنها التفكير السليم الذى يعاوننا على الخروج من اى مشكل او مأزق ، يصادفنا في حياتنا وحياة ابنائنا .. ان هذا العقل في رؤوسنا نحن ، لا في رؤوس ابنائنا ..

« فالانسان هو ما يفكر ، وليس ما يقول او ما يقرأ او يسمع . وبالتفكير الدائب السليم يستطيع اى فرد منا ، ان يواجه اية مشكلة تعترض حياته او حياة ابنائه ، يستطيع ان يحرر نفسه من اغلال الفقر او المرض او الخطيئة او الخوف .. »

الضوء وسط الظلام

لا تلوموا ابناءكم عندما يخطئون..ولا تتخلوا عنهم في فشلهم..بل قفوا بجوارهم وساعدوهم على ان يحولوا فشلهم الى نجاح .. عاونوهم على ان يروا دائما هذا الشريط من الضوء ، في اية ظلمة تحيط بهم، مهما اشتد الظلام ومهما ازدادت حلكته . ■■

(م . ن)

نوادى العلوم..

تلعب دورًا أساسيًا في إعداد الشباب للمجتمع التكنى الحديث

بقلم : صلاح جلال

رئيس القسم العلمى بجريدة الاهرام

■ تختلف الثورة العلمية المعاصرة عن الثورة العلمية والصناعية الاولى التى بدأت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لان الثورة العلمية الاولى اعتمدت اساسا على الجهود العلمية الفردية ، ولم يكن لمعاهد العلم سواء كانت مدارس او جامعات دور كبير فيها ، وحتى التطور الصناعى المصاحب لهذه الثورة تم داخل المصانع معتمدا على جهود فردية دون ربط واضح بين البحث العلمى وهذا التطور . بل ان هذه الثورة هي التى فرضت تدريس العلوم على معاهد التعليم . أما الثورة العلمية والتكنية الحديثة ، فهى تعتمد اساسا على البحث العلمى الذى تقوم به المؤسسات العلمية وفي مقدمتها الجامعات ومراكز البحث ، ويقوم التعليم باجهزته المختلفة بالدور الاساسي في النهضة العلمية والتكنية المعاصرة ، ولم يعد هناك فاصل بين العلم والتكنية والتفرقة بين العلم النظرى والعلم التطبيقى لم يعد لها وجود .

وسائل الاعلام لها اثر خطير

وهكذا اصبح لوسائل الاعلام اثر خطير في مجال التثقيف وتوجيه الطلاب في شتى الميادين ، وبمكنتها ان تقوم بدور هام في الاعداد العلمى للطلاب اذا احسن استخدامها ، وتم التنسيق بين جهودها وجهود الهيئات التعليمية . ومن واجب المدرسة توجيه طلابها نحو الاستفادة من هذه الوسائل بالتعرف على اخبار الاكتشافات العلمية ونواحى التقدم العلمى ، كما يمكنها أن تستخدم هذه الوسائل كعناصر لاثارة وتشويق الطلاب للتعمق في الدراسات العلمية .

حركة جديدة : نوادى العلوم

وقد انتشرت في العالم حركة جديدة اسمها نوادى العلوم لتشجيع الشباب على دخول عصر العلم والتكنية . ويوجد الان اكثر من ١٥٠٠٠ ناد للعلوم في الولايات المتحدة بمختلف ولاياتها . يبلغ عدد أعضاء النادى ٢٢ عضوا في المتوسط، وبعضها عدد أعضائه ٣ فقط ، وبعضها يضم ٧٥٠ عضوا . والنوادى الكبيرة تضم تقسيمات أصغر تتناول موضوعات متخصصة .

ومعظم النوادى لها علاقة بالمدرسة ، وتجتمع بعد مواعيد الدراسة ، ولكن كثير منها يجتمع أثناء ساعات الدراسة العادية او في الحصص الخالية . وفي بعض المناطق تخصص ساعات محددة لنشاط النادى الذى ينتخب المسئولين عنه : الرئيس ونائب الرئيس والسكرتير وامين الصندوق وامين المكتبة والمسجل . وقد تجتمع بعض هذه الوظائف في شخص واحد في النوادى الصغيرة ، وهناك



اقامت نوادى العلوم فى الجمهورية العربية المتحدة معرضا كبيرا لها استعرضت فيه مختلف نواحي النشاط العلمى الذى قام به أعضاؤها خلال العام الماضى . وقد بينت مدى اقبال شباب اليوم على العلم .

نوادى العلوم فى الجمهورية العربية

وايمانا بشباب هذا الجيل ، وما سيتحمله من مسئولية تطبيق العلم والتكنولوجيا فى الدولة العصرية التى تعتمد عليها بعد الديمقراطية ، واقتناعا بالدور الكبير الذى يؤديه النشاط العلمى الحر للشباب ، بدأ تنفيذ مشروع « نوادى العلوم بالاهرام » فى الجمهورية العربية المتحدة وهو يهدف الى :

١ - انماء المعرفة والمهارات العلميه ، عن طريق نشاط علمى تكنى حر بجانب المناهج الدراسية المقررة ، وتكوين ورش ومعامل منزلية .

٢ - تعميق ادراك الشباب بالعالم العصرى الدائم التطور ، والحصول على نظرة شاملة لما يتطلبه المستقبل والاعداد لممارسة العمل العلمى والتكنى كمهنة او كهواية .

٣ - كشف المهارات والمواهب العلمية القادرة على الابتكار ، وتشجيعها وتعهد تنميتها .

٤ - اتاحة فرص لقاء وتبادل الرأى بين الشباب فى مسائل العلم والتكنولوجيا واعداد الموهوبين علميا لتمثيل الوطن فى الندوات والمسابقات الدولية .

نوادى العلوم فى الخارج

وتهتم دول كثيرة باقامة نوادى العلوم لشبابها وتتبنى دور الصحف الكبيرة اكثرها .

ومن هذه الدول : اسبانيا، الاتحاد السوفيتي، الفلبين ، المانيا الاتحادية (مجلة شترن) ، المانيا الديمقراطية ، انجلترا (جريدة التايمز) ، الولايات المتحدة الامريكية (جريدة ذى نيوز ومجلة سينس نيوز وجريدة شيكاجو تريبيون) ، اليابان (مجلة يومبورى) ، وبورتوريكو ، وتشكوسلوفاكيا ، كندا ، البرازيل وهولندا - فرنسا ، وتونس .

الندوات والمعارض والمسابقات الدولية

وللوصول بالشباب العربى الى المستوى العالمى المتقدم ، يقوم مشروع « نوادى العلوم بالاهرام » بالاتصال المستمر بالهيئات المشرفة على المشروعات المماثلة فى العالم أجمع ، وأغلبها دور صحفية كبرى مما يسهل لغة التفاهم وتبادل الميزات .

وتنظم « نوادى العلوم بالاهرام » من خلال هذه الاتصالات ، اشتراك الشباب العربى فى الندوات والمعارض والمسابقات العلمية الدولية فى الخارج واقامة مثيل لها فى داخل الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد هذا عرض سريع لأهمية العلم والتكنية فى حياتنا والطرق التى نستطيع ان نزرع بها حب العلم فى قلوب أبنائنا الصغار حتى يصبحوا علماء يسبقون على بلادهم من افضال علمهم هذا ويحققون لها التقدم المرجو . ■■

صلاح جلال

صِنَاعَة الفَنْدَقَة في الكُوَيْت

- في عام ١٩٤٧ لم يكن في الكويت سوى فُنْدُق وَاحِد. وفي عام ١٩٧١ أصبح هُناكَ ١٧ فُنْدُقًا.
- أثر الفَنادِق في مجتمع الكويتِ وَاقتِصادِيّاتِهِ.

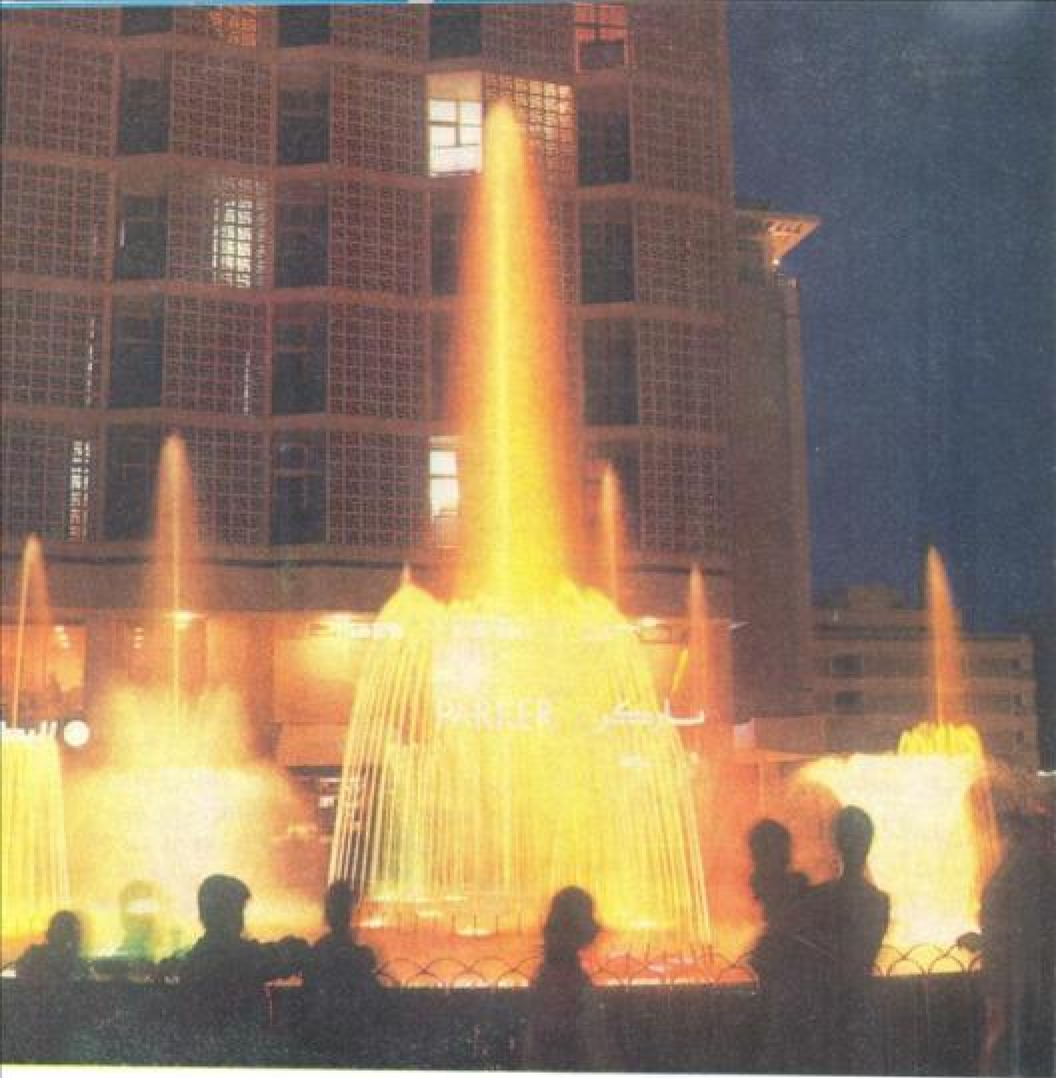
بقلم : محمد طنطاوى



عرض للازياء في احد الفنادق الكبرى ، وهو واحد من عدة عروض عالمية تمت مؤخرا بالكويت .

حمام للسباحة ملحق بأحد الفنادق ويقصده زبائن الفندق وسكان الكويت للترفيه عن انفسهم .





ادى بناء الفنادق الحديثة الى تجميل مدينة الكويت ، وقد انشئت هذه النافورة الجديدة امام احد الفنادق الكبرى .



عشاء على نغمات الموسيقى في احد فنادق الكويت شيء لم يكن موجودا من قبل انشاء الفنادق الحديثة .

■ الفنادق هي بعض وجوه العمران والحركة التجارية لاى بلد كان . كذلك تقوم الفنادق بوظيفة أخرى وهى اعطاء النازلين فيها من الغرباء فكرة طيبة أو غير طيبة عن البلد الذى ينزلون فيه .

وتعتبر صناعة الفندقة من اهم الصناعات الحديثة فى العالم كله لما لها من تأثيرات اقتصادية واجتماعية واسعة.

وصناعة الفندقة فى الكويت صناعة حديثة جدا .. ولكنها فى نفس الوقت صناعة استطاعت ان تطور نفسها بسرعة كبيرة لتتفق مع النهضة الشاملة التي عمت جميع ميادين الحياة فى هذا البلد الناهض . وكأى صناعة حديثة نجد ان الفندقة لها مشاكلها .. ولها متاعبها .. كما أن لها فوائدها التي تعود على البلاد بالدعاية الحسنة والنشاط الاقتصادى.

اول فندق فى الكويت

وعندما نتحدث عن الفندقة وحداثة الفنادق في الكويت .. لابد لنا من العودة قليلا الى الماضي .. ثم نلقى بنظرة الى الحاضر .. وعندما نعود الى الماضي القريب لا البعيد نجد انه لم يكن في الكويت الا فندق واحد انشيء في عام ١٩٤٧ .. وان هذا الفندق كان متواضعا جدا .. ولعل احسن وصف لهذا الفندق الاول في الكويت هو ما ورد في كتاب « من هنا بدأت الكويت » على لسان مؤلفه وهو أحد المواطنين المعاصرين لهذه الحقبة : « ان اول فندق تاسس في الكويت هو فندق « شيرين » وذلك في عام ١٩٤٧ ويقع في ساحة الصفاة قرب وزارة الدفاع . فيموقع سوق الحريم القديم . وبالرغم من كونه الفندق الوحيد في البلد وانه يقع في أهم بقعة من البلدة فانه لم يكن له حظ من الرعاية والعناية .. اذ انه كان خاليا من كل اسباب الراحة التي يتمتع بشيء منها اقل الفنادق شانا واحقرها .. وقد دخلت هذا الفندق ذات ليلة بصحبة احد الاصدقاء لأجد له مناما فيه فوجدت الأسرة الخشبية خالية من الفرش ..

وذهبت الى مدير الفندق واذا هو رجل متقدم فى السن وجدته جالسا على ارض الفندق عند مدخله وهو متكىء على فراشه وبجانبه ابريق ماء وقد ارتخت اجفانه من النعاس فسالته عن السبب في وجود اسرة بلا فرش فاجابني قائلا : « بعد تبينا (تريد منا) نحط لهم فرش » ! ..

وظاهر أن سبب ذلك أنه لم تكن بالكويت في هذا الزمان حاجة للفنادق ، فلعلها جرت على عادة الريف في استضافة الضيوف في بيوت الأهلين ، سخاء وكرما .

فنادق الكويت فى عام ١٩٧١

بعد ان بدأت النهضة العمرانية في الكويت .. وبدأ عدد كبير من رجال الاعمال والفنيين من مختلف بلاد العالم يتدفقون على هذا البلد الناهض اشتدت الحاجة الى انشاء فنادق جديدة على احدث النظم الفندقية لتسد الحاجة المتزايدة الى هذا المرفق الهام .. وبدأت الفنادق تنشأ وتفتح واحدا من

احد الفنادق القديمة في حي المباركية .. وهو يعتبر من فنادق الدرجة الثالثة .



وراء واحد .. وتكونت شركة الفنادق الكويتية . ولم يات عام ١٩٧١ الا وفي الكويت عدد كبير من الفنادق من بينها فندقان تزيد عدد الحجرات في كل واحد منهما عن ٢٠٠ حجرة .. وكلها مكيفة الهواء ، وبهما احدث تطورات الصناعة الفندقية في العالم ويشرف على تشغيلهما شركتان عالميتان .. واذا هي قورنت بذلك الفندق القديم الاول الذى ذكرناه كانت المقارنة غير ذات موضوع .

والفنادق الموجودة الان في الكويت هي حسب ترتيب درجتها من الناحية الفندقية :

فنادق درجة اولى ممتازة وهي :

شيراتون الكويت وهيلتون الكويت .

وتتراوح اجرة مبيت الفرد الواحد في هذين الفندقين ما بين ٥ و ٨ دينار كويتي في الليلة الواحدة مع وجبة الافطار . اما فنادق الدرجة الاولى وعددها ٥ فهي :

فينيفيا ، كارلتون ، بريستول ، يونيفرسال ، وصحارى .

وتتراوح اجرة مبيت الفرد الواحد في هذه الفنادق ما بين ٥ر٤ الى ٥ دنانير عن الليلة الواحدة مع وجبة الافطار .

وفنادق الدرجة الثانية يبلغ عددها ٦ فنادق ، ويتراوح اجر المبيت فيها للفرد الواحد ما بين دينارين الى ٥ر٣ دينار ومن بينها امباسادور ، وسميراميس ، وانترناشيونال .

وهناك أربعة فنادق من الدرجة الثالثة يختلف ايجار المبيت فيها والذى يتراوح ما بين ٥ر١ دينار الى ٢ دينار تبعا لوجود تكييف هواء في الحجرة أو عدم وجوده .. فمثلا اذا كانت الحجرة غير مكيفة الهواء فقد يصل اجر المبيت بها الى ٧٥٠ فلسا فقط ، بينما يرتفع الى الضعف اذا كان هناك جهاز تكييف فيها .

ويلاحظ من هذه الارقام تقارب اسعار الفنادق الاولى الممتازة وفنادق الدرجة الاولى . وان اسعار فنادق الدرجة الثانية لا تتناسب مع الخدمات التى تقدمها لزبائنها اذ انها ايضا مرتفعة . اما اسعار فنادق الدرجة الثالثة فهي وان كانت رخيصة نسبيا الا انها تعتبر مرتفعة



أحد فنادق الدرجة الاولى في شارع فهد السالم وهو من أهم الشوارع التجارية في مدينة الكويت .

بالنسبة ايضا للخدمات التى تقدمها وبالنسبة لدخول الطبقة التى تنزل بها . ولا يوجد في الكويت فندق سياحي رخيص للطبقات الشعبية التى ظهرت في العصر الحديث بين من يطوفون في العالم سائحين مستطلعين .

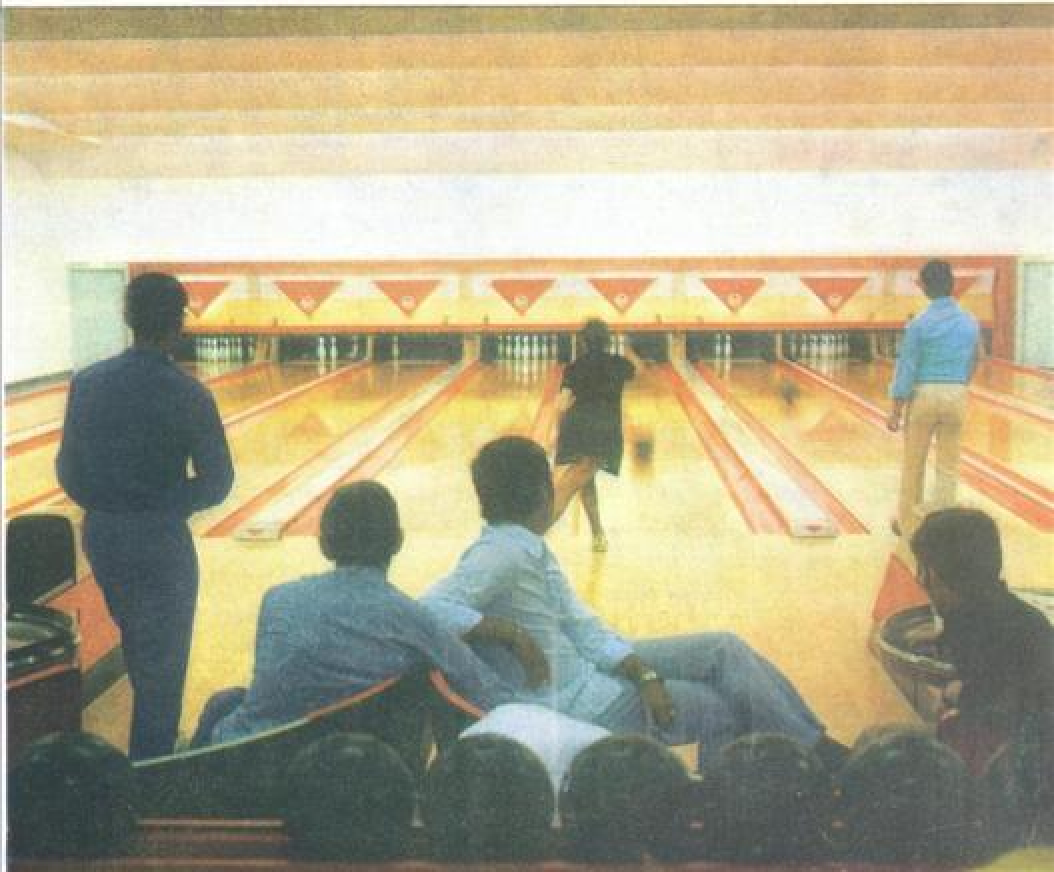
الفنادق والمجتمع

لم تعد الفنادق في بلاد العالم مجرد اماكن يبيت فيها زوار البلاد والغرباء عنها .. ولكنها اصبحت مركزا لنشاط اجتماعي كبير يشمل ابناء البلد انفسهم ، فهناك حفلات عشاء .. وعروض ازياء وحمامات سباحة وقاعات للسونا للمحافظة على رشاقة الجسم وصحته وصالونات للتجميل ومحلات للتحف وبقية المنتجات . وقاعات للاحتفالات تؤجر لاقامة الافراح .. او تعقد فيها المؤتمرات الدولية او المحلية .. وملاعب للتنس وقاعة للعبة البولنج ومطاعم متنوعة للوجبات الخفيفة السريعة او الوجبات العادية . وينعكس هذا النشاط الاجتماعي للفنادق على المجتمع نفسه .. فبعد ان كانت التسلية الوحيدة هى الذهاب الى السينما او الزيارات المنزلية اصبح هناك اماكن يستطيع سكان الكويت الذهاب اليها لتمضية امسيات جميلة بعيدا عن الجو الروتيني الذى تعودوا عليه من قبل .

الى اليمين : لم تعد الفنادق مجرد اماكن للنوم بل اصبحت ايضا مركزا اقتصاديا هاما ، وتمثل الصورة الى اليمين احد المعارض الدولية التي اقيمت اخيرا في احد الفنادق الكويتية .



الرياضة تحظى هي الاخرى بقسط كبير من النشاط الفندقي ، ومن الرياضات المحببة في الفنادق رياضة البولينج التي توجد لها قاعة حديثة في احد الفنادق بالكويت ، وتلقى اقبالا كبيرا من الشباب الكويتي .

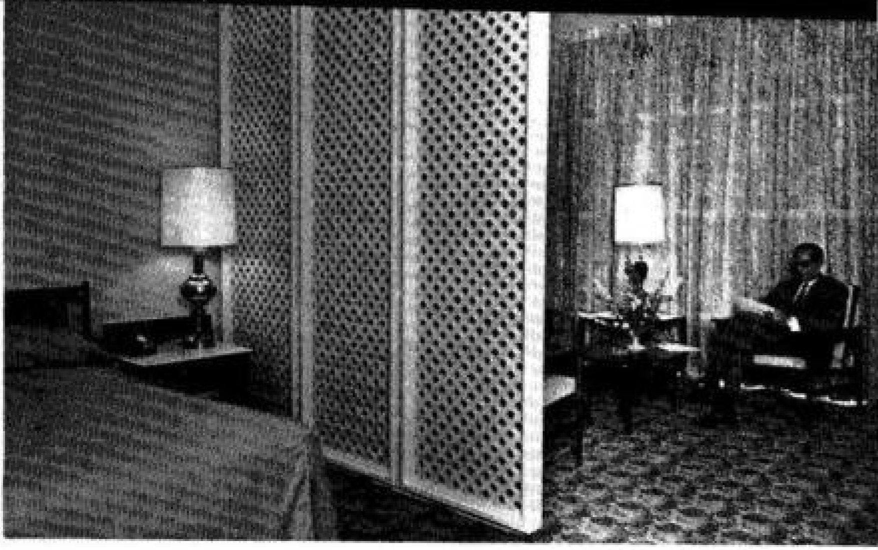




قاعات الطعام في فنادق الكويت الكبرى ، أصبحت تضارع مثيلاتها في فنادق العالم الكبرى ، وهي تعطي صورة مشرقة لنهضة الكويت في كل المجالات ..



الى اليسار : الكرم العربي التقليدي لم تنسه فنادق الكويت ، ويراه رواد احد الفنادق الكبرى في صالة الاستقبال ممثلا في ساقية القهوة التي تقدم لرواد الفندق القهوة مجانا اثناء انتظارهم في الصالة.



غرف النوم في الفنادق الكبرى في الكويت مصممة على احدث طراز عالمي ، وتضارع مثيلاتها في فنادق العالم الكبرى وهي بذلك تكفل الراحة لزوار الكويت . وترى الحجرة وقد قسمها حاجز جعل من نصفها مكانا للنوم ومن نصفها الآخر مكانا للجلوس .

المنافع الاقتصادية

اصبحت الفندقة صناعة كبرى في العالم .. ويكفي ان نعلم ان دخل الفنادق في امريكا وحدها وصل الى حوالى ٥ ملايين دولار في منتصف الستينيات من هذا القرن .. وكأي صناعة فان لها تاثيرها الاقتصادي .. وينحصر هذا التاثير في :

اولا : الاعمال الجديدة التي يخلقها انتعاش الفنادق في بلد ما وما تستوعبه هذه الفنادق من عمال وموظفين ..

والفنادق الكبيرة بالذات تحتاج الى اعداد كبيرة من العمال والموظفين فهي في حد ذاتها اشبه بالمدينة المتكاملة من هذه الناحية بالذات .

فالفندق يستوعب عمالا للنظافة ، وعمالا للخدمة ، وفنيين يشرفون على اعمال الكهرباء والسباكة والتكييف وغيرها من الآلات المحتاجة لصيانة واصلاح . ويحتاج ايضا الى طباخين مهرة



في الصالة الرئيسية لاحد فنادق الكويت نموذج مصغر لسفينة « البوم » التي تمثل فترة من فترات تاريخ الكويت : تلك الفترة التي اعتمد فيها اهل الكويت على البحر في كسب رزقهم .. وحققوا الكثير من وراء تجارتهم البحرية وصيد اللؤلؤ .



توجد في فنادق الدرجة الاولى الممتازة اجنحة فخمة يقبل عليها كبار النزلاء ورجال الاعمال الذين يريدون صالونا لاستقبال ضيوفهم . وتتميز هذه الاجنحة بالفخامة وبانها توفر لساكنيها جوا شبيها بجو المنزل .

والى موظفى استقبال يجيدون عدة لغات وعلى درجة معينة من الثقافة ، لم يحتاج الى ادارة ملمة باسرار صناعة الفندقة،والى ادارة حجز وتسويق ودعاية .. واخيرا وليس آخرا الى ادارة امن خاصة تحافظ على اموال النزلاء ، وتمنع السرقات او اى احداث قد تخل بالامن او الاخلاق داخل الفندق .. وهو في حاجة ايضا الى فرقة موسيقية ، ومدربين رياضيين يشرفون على الملاعب الملحقة به . وغير ذلك من الاعمال المترتبة على انشطة الفندق المختلفة . من هذا نرى كيف ان انشاء الفنادق الكبرى يخلق اعمالا كثيرة ويخلق فرصا للعمل لم تكن موجودة من قبل .

ثانيا : يتطلب انشاء الفنادق الكبرى مواصفات عالمية معينة وهذا يؤدى الى تنشيط الحركة المعمارية في المنطقة التي يقام فيها مثل هذا الفندق ويؤدى ايضا الى تشغيل اعداد كبيرة من عمال البناء والمهندسين والمقاولين مما ينشط الحركة الاقتصادية في البلاد .. ويؤدى في نفس الوقت الى تجميل البلاد .

ثالثا : يساعد وجود الفنادق ذات المواصفات العالمية على جذب السياح ، والكويت بلد يجذب



ملعب للتنس ملحق باحد الفنادق الكبرى في الكويت .. ويقبل عليه نزلاء الفندق واهالي الكويت .

الكثيرين من رجال الاعمال الذين يأتون من جميع انحاء العالم بوصفها سوقا مفتوحا .. وقد بلغ عدد الذين زاروا الكويت في رحلات تجارية ٣٢٫٩٩١ زائرا في عام ١٩٦٧ بينما بلغ عدد من زاروها في نفس العام من اجل حضور مؤتمرات دولية ١٥٫٩١٧ شخصا وبلغ مجموع عدد زوار الكويت لمختلف الاغراض في نفس العام ٢٠٤٫٧٧٤ زائرا .

وهذه الارقام ان دلت على شيء فانما تدل على اهمية الفنادق في مثل هذا البلد الذى يتردد عليه عدد كبير من الزائرين كل عام .

المشاكل التى تعاني منها صناعة الفندقة فى الكويت

وكأى صناعة حديثة فى اى بلد من البلدان ، فان صناعة الفندقة في الكويت تعانى من عدة مشاكل من اهمها عدم توفر اليد العاملة المدربة خير تدريب والتى تتوفر فيها الشروط التى يجب ان يتميز بها كل من يعمل في هذه الصناعة . وقد ادى هذا النقص الى الاستعانة ببعض من لم يعملوا في الفندقة من قبل وهذا يؤثر بالتالى على مستوى الخدمات التى تقدمها الفنادق لزبائنها .

وهناك مشكلة اقتصادية ، فان نسبة الزوار في هذه الفنادق تنخفض انخفاضا كبيرا في فصل الصيف نتيجة للحر الشديد الذى تتعرض له البلاد .

وتشكو بعض الفنادق من أن القوانين التى تحد من حريتها في تقديم المشروبات الروحية وخاصة لزبائنهم من الاجانب ، تجعل تحقيق ارباح من فنادقهم امرا صعبا للغاية ان لم يكن مستحيلا . فربح الفندق من المشروبات الروحية اكثر بكثير من ربحه من تقديم المأكولات او مبيت النزلاء .

★★★

وبعد فهذه صورة سريعة لصناعة الفندقة في الكويت .. والنهضة الكبيرة التى حققتها في زمن قصير جدا .. تلك النهضة التى تسير بخطوات واسعة نحو الامام . ■■

محمد طنطاوى



تتعاقد الفنادق في الكويت مع طهاة من بلاد مختلفة وذلك لكي توفر لنزلائها اشهر انواع الطعام الذي يتكون من اطباق مختلفة من جميع مطابخ العالم .

صفة الإنسان الكامل في تراثنا العربي

كما يتحدث عنه من أسلافنا: ابن مسكويه، والغزالي، والرازي، والجاحظ

بقلم: الدكتور زكي نجيب محمود

■ الكاتب الصادق مع نفسه ، المدرك للامانة التي يحملها ، اصالة" عن نفسه ونيابة" عن سواه ، لا يكتب للتسرية ، ولا لملء الفراغ الورقى في صحائف الكتب والمجلات ، وانما يكتب لأمر كان يكشف عن الحق في الموضوع الذى تصدى للكتابة عنه ، وعندئذ تجيء كتابته ـ في الاغلب الاعم ـ كالمرآة الكاشفة لما يتبلج في نفوس الناس ، وما تعج به حياتهم في عصره ، فكانما هو يكتب لمعاصريه وللاجيال القادمة وثيقة يرجعون اليها لينظروا كيف كانت الحياة في ذلك العصر وقد ضاقت بما تراه الاعين وبما تسمعه الآذان ، فيترك هذا كله ، لا يمسه بكلمة واحدة ، ويأخذ في بناء حياة مثلى ليقوم فيها مجتمع امثل ، فهو ـ بما يكتبه ـ يضع أمام الناس القدوة والنموذج ، تاركا لهم أن يقارنوا ما هم فيه بما كان ينبغى أن يكونوا عليه ، لعل الهوة العميقة بين الواقع والمثال ، تهولهم فتحفزهم الى أن يبدلوا من حياتهم حالا بحال .

بل ان الامر كثيرا ما يختلط علينا اذ نقرأ لاسلافنا ما كتبوا ، فنسأل : ترى هل كانوا يرسمون باقلامهم صورة معاصريهم ، او انها صورة رسمت لتصلح في المعاصرين فسادا ؟ ترى هل حاكوا الواقع او تصوروا المثال ؟ وايا ما كان شان الأسلاف الكاتبين ، حينما كتبوا عن الانسان كيف كان او كيف ينبغى له أن يكون ، فهانذا امام تحليلات هبطت منهم الينا،ولو نشرت امام أبصارنا نحن أبناء هذا العصر ، لوجدنا فيها ـ يقينا ـ صورة الكمال الانسانى ، التى تصلح معيارا نقيس اليه واقع الانسان المعاصر . لنرى كم بلغت في سلوكه زاوية الانحراف ، نعم ان هذه التحليلات التى أعنيها ، تفوح برائحة اليونان الاقدمين . كأنما تلك ـ في مواضع كثيرة ـ تلخيص لهذه ، لكن القبول نصف الابتكار ، فيكفينا في هذا الصدد اننا قد قبلنا الصورة الكاملة معيارا لنا ، قبلناها عن اعتقاد ورضي ، واجريناها على اقلامنا جزءا من تراثنا ، وليس يحد من كمال الكامل أين يكون مصدره .

حكم العقل واحد ، وحكم الهوى يتعدد

المدار في نموذج الانسان الكامل عندهم هو أن يكون « عاقلا » بالتعريف الفلسفى الدقيق لكلمة « عقل » ، فهى كلمة ما أيسر أن نقولها فى سياق الحديث ، ولكن ما أعسر أن تجد لها التحديد المحكم ، ولئن كانت الفكرة كثيرا ما يوضحها نقيضها ، فنقيض العقل هو « الهوى » ، فماذا

يميز أحكام «العقل» من أحكام «الهوى» ؟ يميزها أن الحكم من النوع الاول هو في كل حالة معينة واحد لا يتعدد بتعدد الاشخاص، او بتعدد النزوات عند الشخص الواحد ،على حين أن الحكم من النوع الثاني يقبل التعدد بكلتا الصورتين ، فاذا قال قائل ان العشرة نصفها خمسة ، لم يكن ثمة مجال امام غيره ، ولا أمام نفسه أن يتنكر لهذا القول ، مهما تكن ظروفه ومزاجه ، وأما اذا قال قائل ان شروق الشمس أجمل من غروبها ، كان هنالك احتمال أن يختلف معه سواه ، بل أن يختلف هو نفسه مع نفسه اذا تغيرت حالته، والعلة في وحدانية الحكم العقلي ، وفي تعدد أحكام الهوى ، هي أن حكم العقل نقيضه مستحيل على الذهن أن يتصور حدوثه ، وأما حكم الهوى فيمكن أن نتصور حدوث نقيضه .

الكمال التزام بالفعل عند المفكرين من اسلافنا

ذلك استطراد أردت به أن أوضح للقارىء ماذا يراد حين يقال ان أساس الحكم لانسان بالكمال عند المفكرين من أسلافنا، هو أن يكون مقيدا بعقله ازاء الأشخاص والأشياء والمواقف ، وقد كان من الأفكار المألوفة عند هؤلاء المفكرين جميعا ، فكرة جاءتهم من اليونان الاقدمين مع الترجمة التي نقلوا بها تراث أولئك اليونان، وهي أن يقاس كمال الشيء بادائه للفعل الذي خلق من اجله، فشجرة البرتقال كمالها ليس هو نفسه الكمال بالنسبة الى شجرة الورد، وكمال النمر أن يكون نمرا وكمال القط أن يكون قطا ، ولا يجوز أن يحاسب نوع بكمال نوع آخر ، وعلى هذا الاساس نفسه يكون كمال الانسان مرهونا بجوهره ، وجوهره هو العقل ، فأفضل الناس هو أقدرهم على التزام أحكام العقل فيما يفعل وما يجتنب « من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت » كما يقول ابن مسكويه في كتابه « تهذيب الاخلاق » .

النفس الانسانية ثلاث قوى منها العقل وهو أفضلها

ويجرى ابن مسكويه — وغيره من مفكري العرب أجمعين — على نسق اليونان ، فيحلل النفس الانسانية تحليلا يردها الى قوى ثلاث : ففيها الشهوة الى اشباع حاجات البدن ، وفيها الغضب الذي يستثار دفاعا عن النفس ، وفيها العقل ، ولكل من هذه القوى فضيلته ورذيلته ، فالفضيلة في الاشتهاء هي العفة وضدها هو الشره، والفضيلة في الغضب هي الشجاعة وضدها هو الجبن ، والفضيلة في العقل هي الحكمة وضدها هو الجهل، واذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث كان من اجتماعها فضيلة رابعة هي العدل ، على أن القوى الثلاث التي ذكرناها ، ليست كلها على درجة واحدة ، بل فيها ما هو أعلى وما هو أدنى ، والعقل أعلاها ، وهو الذي من شأنه أن يلجم الغضب وأن يحد من الشهوة ، ليقف كلا منهما عند الدرجة التي ترضاها الحكمة ، كأنه هو القائد في مركبة يجرها جوادان — اذا استخدمنا التشبيه المعروف الذي صور به أفلاطون حقيقة الانسان في حالة كماله — فهو يسوس الجوادين بالزمام في يده ليضمن للعربة اعتدال السير .

الانسان وحده ، يعد فيه الف بواحد

وان الناس ليتفاوتون في الطرق التي يسوسون بها حياتهم وفق حكمة العقل ، تفاوتا ليس له نظير في أفراد نوع آخر لأن سائر ضروب الكائنات الحية تسير على قوانين طبائعها ، ليس لها في ذلك اختيار، فلا فرق يذكر بين نمر ونمر ولا بين قط وقط اذا ترك وطبيعته ، أما الانسان ففي فطرته أن يختار ولذا فمن واجبه أن يكون مسئولا عن اختياره ، ومن هنا جاء التفاوت الفسيح بين انسان وانسان في مقدار احتكامه للعقل حين يختار ، ويذكر لنا ابن مسكويه في هذا السياق حديثا شريفا : « ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان » ، كما يذكر كذلك هذا البيت من الشعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا
الى المجد ، حتى عد الف بواحد

عند اسلافنا : حكمة العقل تكتمل بالعمل

على أنني أحب الا أمضي بالحديث عند هذه النقطة ، دون أن أنبه القارىء الى فكرة هامة ، لو أفلتت من أيدينا فقد أفلت ركن ركين في بنية الفكر العربي ، الا وهي أنهم — أعني أسلافنا من مفكري العرب — لم يتصوروا قط أن يقتصر الانسان على حكمة العقل دون أن يمدها الى فعل يؤديه بناء عليها ، فلا يكون العلم علما عندهم الا اذا أعقبه العمل على أساسه .

وفي ظني أن هذه الاضافة جاءت لتميز المفكر العربي من سلفه اليوناني ، برغم اشتراكهما في

الطريقة التى حللوا بها النفس الانسانية ، « فالقوة العاملة » ـ على تعبيرهم ـ التى تتمثل فيما نحصله من معارف وعلوم ، تكملها « القوة العاملة » التى تتمثل في تنظيم أمور الحياة وترتيبها .

وعلى هذا الضوء نستطيع ان نفهم ابن مسكويه حين يقول : « ان ما يختص به الانسان من حيث هو انسان ، وبه تتم انسانيته وفضائله هو الأمور الارادية » كما نفهمه كذلك حين يحدد الخير بانه « فعل » ما قصد به من وجود الانسان ، ويحدد الشر بانه هو ما يعوق ذلك الفعل ، وتطبيقا لهذه القاعدة لا يكون الخير ابدا فيمن « يتأمل » وهو ساكن ، بل لا يكون الخير ابدا فيمن يملأ رأسه بثقافات الأولين والآخرين ، ثم لا فعل بعد ذلك يؤديه على ضوء ما قد عرف .

الغزالي ، كابن مسكويه يقول بالعقل والعمل

وننتقل الى علم آخر من اعلام الفكر العربى ـ هو الامام الغزالي ـ لنجده يشارك في الأسس نفسها وفى الروح نفسها ، فاول ما يلفت انظارنا في هذا الصدد عنده ، أن له كتابين ، اراد بكل منهما أن يكون قسيما للآخر كانما أراد أن يعلن بالا حياة على أى درجة من الكمال الا اذا اجتمع فيها قسط من ذينك القسيمين : واما الكتابان اللذان اعنيهما فهما « معيار العلم » و « ميزان العمل » ، ففى الكتاب الاول يضع للعلم حدوده ويقيم له الاسس التى تضمن له الصواب ، وفى الكتاب الثاني يبين كيف يجىء العمل وفق ذلك العلم .

ويرى الغزالي ـ كغيره من المفكرين العرب ـ ان صورة الانسان الكامل لا تتحقق لنا الا اذا حللنا النفس الانسانية اولا ، فتراه يهيب بالباحث أن يعرف نفسه كانه في ذلك سقراط ، فيقول : اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك ، كما يروى في هذا السياق حديثا شريفا : « اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » ، ثم يقرر لنا في السياق نفسه أن معرفة النفس ومعرفة الله امران متلازمان : « ومن رحمة الله على عباده ان جمع في شخص الانسان على صغر حجمه من العجائب ما يكاد بوصفه يوازى عجائب كل العالم ، حتى كانه نسخة مختصرة من هيئة العالم ، ليتوصل الانسان بالتفكير فيها الى العلم بالله » .

لكنه اذ يحلل النفس الى قواها،يأخذ بالتحليل نفسه الذى نقل اليهم عن اليونان ، وهو أن يجعل فيها شهوة تطلب اللذة ، وغضبا يطلب الغلبة ، ثم عقلا يسوس السير ويضبط الخطى ، فاذا اراد ذكر الفضائل ، جعلها اربعة : فالحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، ومن توافر هذه الفضائل الثلاث ، تنشأ الفضيلة الرابعة وهى العدالة .. هذا ، ولم يدع الغزالى موضعا في كتابه الا واعاد فيه القول بضرورة أن يجىء « العمل » لاحقا ضروريا « للعلم » الذى تدركه القوة المفكرة ، وان يكن يجعل لهذين اللفظين معنى خاصا ، فالعلم ـ عنده ـ هو علم بالالهيات ، والعمل ـ عنده ـ هو العبادة وفق ذلك العلم ، لكن تحديده لهذه المعانى لا ينفى بنية الاطار الفكرى الذى نتحدث عنه ، وهو تصور الموقف مرتكزا على قطبين ، هما العلم من ناحية وتطبيقه من ناحية أخرى ، كائنا ما كان المعنى الذى يعطيه المفكر للعلم ، والمعنى الذى يحدد به نوع العمل .

الرازى في كتابه « الطب الروحى » يفصل كيف يكون العمل

تلك ـ اذن ـ هى الاسس النظرية لنموذج الانسان الكامل عند المفكر العربى القديم : تحليل للنفس على نحو ما حللها به اليونان الاقدمون ، وهو تحليل مؤداه أن تكون القيادة للعقل ، هو الذى ينظم الرغبة والانفعال ، دون ان تطمس رغبة او ان يطفأ انفعال ، لكن الفكر العربى لم يترك الامر عند هذا الحد النظرى المجرد ، بل تناوله بصورة تفصيلية تصلح لهداية الناس في سلوكهم الفعلى،ونسوق مثلا لهذا التناول المفصل، ما كتبه ابو بكر محمد بن زكريا الرازى فيما أطلق عليه اسم « الطب الروحى » أو « طب النفوس »، والذى أوحى له بهذا العنوان ، هو كتابه الذى كان قد الفه في الطب الجسمانى ، فما لبث أن رأى ان الصورة لا تكمل الا بكتاب آخر يؤلفه في طب النفوس ليصح الانسان بالكتابين جسدا وروحا .

والذى قصد اليه الرازى بطب النفوس هذا ، هو أن يتعقب مصادر النقص الخلقى عند الانسان، ليبين لقارئه كيف يكون اسعد حالا واهنأ حياة اذا هو ملك زمام فطرته ووجهها على النحو الذى يهيىء له حياة متزنة معتدلة مأمونة العواقب ، وهو يصف كتابه هذا فى فاتحته بقوله : « هذه مقالة عملتها في اصلاح الاخلاق » ـ قاصدا

« بالاخلاق » ذلك السلوك السوى السليم ، وهو باتجاهه هذا انما يذكرنا بجانب هام من جوانب الطب النفسي الذى شاع في عصرنا هذا وذاع واصبحت له « عيادات » وتصدر عنه مئات المؤلفات ، مع اختلاف في طريقة التناول تتناسب مع اختلاف العصرين .

فصل للرازى فى فضل العقل

ولقد فصّل الرازى كتابه عشرين فصلا ، كان أولها فصل في فضل « العقل » ومدحه ، وها هنا نضع أصابعنا على مفتاح رئيسي من مفاتيح الشخصية العربية كما صورها تراثنا ، الا تكن هى الشخصية العربية كما وقعت بالفعل في مجرى التاريخ ، فهى الشخصية التى تعلق بها النموذج والمثال ، فنموذج الانسان كما رسموه هو الانسان الذى كان محكوما بعقله ، لا بشهوته وغريزته بل ولا بوجدانه وعاطفته ، ولماذا تركوا الزمام للعقل لا للهوى ؟ الاجابة عند الرازى - وغيره - أن ذلك أجلب « للمنافع » آخر الامر ، فقد تعود علينا الاهواء باشباع لرغباتنا سريع ، لا يلبث أن ينقلب علينا هما وغما ،وأما فعل" نبنيه على وزن نتائجه القريبة والبعيدة - وهذا هو نفسه العقل ومعناه - فالارجح أن يكون مأمون العاقبة ، فالعقل - كما يقول الرازى - هو : « الشيء الذى لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال والمجانين » ، « وبالفعل نتصور افعالنا العقلية قبل ظهورها للحس ، فنراها كان قد احسسناها » . وما دام أمره كذلك فقد « حق علينا الا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه ، ولا وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعا ، بل نرجع في الامور اليه .. ولا نسلط عليه الهوى الذى هو آفته » - وانا أترك للقارىء العربى المعاصر أن ينظر لنفسه ويحكم : الى أى حد يكون زمامنا في أيدى عقلانا ، والى أى حد نترك هذا الزمام لاصحاب النزوة والهوى ؟

والفصل الثانى للرازى فى الهوى

واذا كان الاحتكام الى العقل هو أحد وجهى العملة - كما يقال - فلابد أن يكون الوجه الآخر هو في قمع الهوى وردعه ، لان هذا مكمل ضروري لذلك ، ومن ثم جعله الرازي موضوعا للفصل الثانى من كتابه ، فلئن كان الانسان بعقله مدركا للامور ادراكا صحيحا ، فهو بقمعه لهواه صاحب « ارادة » ، والعقل من جهة ، والارادة من جهة أخرى،هما - كما نعلم - جانبانمتلازمان: أحدهما له النظر والآخر عليه التنفيذ ، وليس الامر بالهين اليسير الا على من تناول ارادته بالتدريب المتصل الدءوب ، وذلك لان ما سوف يقاومه الانسان بارادته تلك ، انما هو طبع مغروز في جبلته ، فانظر كم هو عسير على الكائن الحى أن يسير ضد طبيعته ، فلعل هذه أن تكون هى « الامانة » التى عرضت على الجبال فأبين أن يحملنها ، وحملها الانسان (والكلام هنا من عندي لا من عند الرازي) فلقد آثرت الجبال ، ومعها سائر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان أن تترك نفسها لقوانين ليست من صنعها ،فهى تسير ولكنها لا تعرف : لماذا ؟ ولا الى اين ؟ الا الانسان ! يقول الرازي : البهائم واقفة عند ما يدعوها اليه الطباع ، على خلاف الانسان الذي يسلك السلوك بعد روية عقلية فيخالف به ما يدعو اليه الطباع ، « فانك لا تجد بهيمة تمسك عن أن ترُوث أو تتناول ما تغتذى به ، مع حضوره وحاجتها اليه ، كما تجد الانسان يترك ذلك ويقهر طباعه عليه ، لمعان عقلية تدعوه الى ذلك » .

العشق عند الرازى بلية

بعد أن يفرغ الرازى من كلام طويل يوازن فيه بين لذة عاجلة يرضاها الهوى ولذة آجلة يفضلها العقل ، تقرؤه فتحسب أنك انما تطالع فصلا عند « بنتام » Bentham أو عند «جون سيتوارت مل» Stewart Mill (من مفكرى القرن الماضي في انجلترا) ينتقل بك الى أولى الصفات النوعية الخاصة التى لا تكون أبدا من صفات الرجال ذوى الهمم الشماء ، الا العشق ، أو الحب - بلغة يومنا - لانه بلية يكفى فيها أنها تدعو العاشق الى تذلل وخشوع ، « فأما الخنثيون من الرجال والغزلون ، والفرّاغ ، والمترفون ، والمؤثرون للشهوات ... فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية » وكأنهم بهايرتدُّون الى حالة الطبيعة العمياء ، فاقرأ هذا وامام عينيك صورة" لشباب « الهيبز » في عصرنا !

العجب عند الرازى

ولا نطيل الوقوف هنا لننتقل الى نقيصة نفسية لا نبرأ منها الا بتسليط العقل على الهوى ، وتلك هى « العُجْب » ، فكل انسان هو بطبيعته محب لنفسه ، وذلك يدعوه الى « استحسان الحَسَن

منها فوق حقه ، واستقباح القبيح منها دون حقه ... فاذا كانت للانسان ادنى فضيلة ، عظمت عند نفسه ، واحبّ أن يُمْدَحَ عليها فوق استحقاقه ، واذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عُجْبًا ، ولا سيما ان وجد قوما يساعدونه على ذلك » ...

ومن بلايا « العجب » ـ كما يقول الرازى ـ انه يؤدى الى النقص فى الأمر الذى يقع به العجب ، لان المعجب لا يروم التزيد فى الباب الذى منه يعجب بنفسه ... فالمعجب بعمله لا يتزيد منه ، لانه لا يرى أن فيه مزيدا ، ومن لم يستزد من شيء ما ، نقص لا محالة، وتخلف عن رتبة نظرائه .

والفصل السابع من كتاب الرازى فى الحسد

ومن العُجب ينتقل المؤلف الى الفصل السابع من كتابه فى الحسد ، ويحلل الحسد الى عنصرين يجتمعان ، هما : البخل والشره ، فالحسد أعم وأوسع من البخل على حدة ، ومن الشره على حدة ، اذ البخيل لا يحب أن ينال أحد مما يملكه شيئا ، لكن الحسود يضيف الى ذلك جانبا آخر ، هو الا ينال أحد خيرا ، حتى ولو لم يكن ذلك مما يملكه هو .

ومحال على « عاقل » أن يكون « حسودا » لان الحسد والعقل ضدان ،ذلك لأن الحسود لا يحسد البعيدين عنه ، فهو لا يحسد من بالهند والصين ـ على حد تعبير الرازى ـ وانما ينصبّ حسده على الاقربين منه ، فاذا احتكمنا هنا الى العقل ، قلنا : انه اذا كان حمقا او جنونا ان يحزن الحاسد لخير ناله البعيدون عنه ، فان حمقا مثله أن ينال الخير من هو بحضرته وقريب منه ، اذ الاقربون هنا ـ كالابعدين ـ فى أنهم لم يسلبوه شيئا مما فى يديه ، ولا منعوه بلوغ شيء كان يقدر عليه .

واقرأ هذه العبارة النافذة من كلام الرازى فى الحسد : « انا نرى الرجل الغريب يملك أهل بلدٍ ما ، ولا يكادون يجدون فى انفسهم كراهة لذلك ، ثم يملكهم رجل من بلدهم ، فلا يكاد ان يتخلص ولا واحدٌ منهم من كراهته لذلك ، هذا على انه ربما كان هذا الرجل المالك ـ أعني البلديّ ـ أرأف بهم ، وأنْظَرَ اليهم من المالك الغريب ، وانما يؤتى الناش فى هذا الباب من فرط محبتهم لأنفسهم ، وذلك أن كل واحد منهم ـ من أجل حبه لنفسه ـ يحب أن يكون سابقا الى المراتب المرغوب فيها ، غير مسبوق اليها ، فاذا هم رأوا من كان بالامس معهم ، اليوم سابقا لهم مقدَّما عليهم ، اغتموا لذلك ، وصعب ، واشتد عليهم سبقه اياهم اليها ، ولم يرضهم منه تعطفه عليهم ، ولا احسانه اليهم ، لان انفسهم متعلقة بالغاية مما صار اليه هذا السابق ، لا غير ، لا يرضيهم سواه ، ولا يستريحون دونه ، واما المالك الغريب ، فمن أجل انهم لم يشاهدوا حالته الاولى ، لا يتصورون كمال سبقه لهم ، وفضله عليهم ، فيكون ذلك أقل لغمهم وأسفهم ، وقد ينبغى أن يرجع فى مثل هذا الى العقل » .

ومما يمحو الحسد عن النفس ـ هكذا يمضى الرازى فى قوله ـ أن يتامل العاقل أحوال الناس ، فانه سيجد ان حالة المحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد ، فلا يزال الانسان يستعظم الحالة ، ويتمنى بلوغها ، حتى اذا بلغها لم يُسَرَّ بها الا مديدة يسيرة ، بقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها ويتعرَّف بهاه ثم تسمو نفسهالىما هو فوقها...انه عندئذ يصير بين همٍّ وخوف : خوف من النزول عن الدرجة التى بلغها ، وهمٍّ لما يتمنى بلوغه.

الرازى والغضب والكذب

وينتقل المؤلف الى حالة الغضب ووجوب دفعه، لان الغضب اذا اشتد وافقد الغاضب عقله ، « فربما كانت نكايته فى الغاضب وابلاغه اليه المضرة ، أشد وأكثر منها فى المغضوب عليه » والحق انه « ليس بين من فقد الفكر والروية فى حال غضبه وبين المجنون كبير فرق » .

ثم يتناول الكاتب حالة الكذب وكيف يقضى العقل عند العاقل بوجوب اطراحه ، لان الكذب يدعو اليه الهوى ، اذ كثيرا ما يكون الدافع الى الكذب هو رغبة الانسان فى « التكبر والترؤس » ـ هذه عبارة الرازى ـ فيقول القول الكاذب اذا رآه مما يهييء له الرفعة على سامعه ، « وقد قلنا انه ينبغى للعاقل أن لا يطلق هواه فيما يخاف ان يجلب عليه من بَعْدُ هما وألما وندامة ـ ونجد الكذب يجلب على صاحبه ذلك » .

انني لالفت نظر القارىء الى طريقة الرازى فى التفرقة بين ما يجوز فعله وما لا يجوز ، اذ هو يجعل المدار كله على « المنفعة » فى المدى البعيد ، لا على تطبيق المبادىء أيا كانت نتائجها فى حياة

الانسان ، ولما كان الفعل الواحد كثيرا ما يختلط نفعه بضرره ، كان دور العقل هنا هو أن يوازن بين النفع والضرر ، وأيهما يكون له الرجحان يحدد للانسان طريق سلوكه اقبالا على الفعل المعين او ادبارا عنه ، وبعد هذه الملاحظة منا ، اقرأ هذه الموازنة الطريفة في حالة الكذب : « ليس يصيب الكذابُ من الالتذاذ والاستمتاع بكذبه ــ ولو كذب عمره كله ــ ما يقارب ، فضلا عما يوازي ، ما يندفع اليه ــ ولو مرة واحدة في عمره كله ــ من همّ الخجل والاستحياء عند افتضاحه ، واحتقار الناس » ...

الرازى والبخل

ويجيء بعدئذ حديث المؤلف عن البخل ، وها هنا نجد تفرقة غاية في اللطافة والدقة ، وذلك أن البخل ليس دائما من فعل الهوى ، بل منه ما قد يكون نتيجة روية عقلية وبعد نظر الى المستقبل البعيد ، ولما كان « العقل » هو مدار احكامنا ، كان البخل الذى نحاربه هو ذلك الجانب منه المبنى عند البخيل على مجرد خوف من الفقر خوفا لا يقوم على أساس معقول ، لأن ذلك من قبيل الهوى ، وأما ما ينبنى على تدبر العقل فهو مقبول .

الرازى يتحدث عن الغم والشره والسكر وشهـوة الجنس

ويمضى الرازى في تطبيق معيار العقل على ضروب النقص التى تفقد الانسان صحته النفسية ، فيتحدث عن حالة « الغم » ووجوب دفعها ، وما الوسيلة لهذا الدفع الا أن يحدّ الانسان من رغباته وشهواته ومواضع حبه ، اذ الغم هو في صحيحه خوف عند المغموم من أن يفتقد ما يملك ، فلو درب نفسه على الاستقلال عن الاشياء ، بحيث اذا ضاع منها ما ضاع لم يحس مرارة ضياعه ، كان بذلك قد ابرأ نفسه من علة الغموم .

وعلى هذا الاساس نفسه يحدثنا المؤلف عن حالات « الشره » و « السكر » و « شهوة الجنس » وما اليها من رغبات الجسد ، التى لا تبلغ ابدا حد الاشباع ، واذن فالعلاج هو الوقوف منها جميعا موقف القصد والتوسط ، فلا نندها ولا نندفع وراءها الى آخر المدى .

الموت لاخشية منه

ويختم الرازى مقالته هذه عن طب النفوس ، بحديث عن الخوف من الموت وكيف يجب التخلص منه بتحكيم العقل ، « فالانسان ليس يناله من بعد الموت شيء من الأذى بتّة ، اذ الاذى حسٌ ، والحس ليس الا للحى وهو في حالة حياته ... فاذا قيل : ليس في الموت لذائذ الحياة : قلنا : ليس بالميت حاجة اليها ، ولا له اليها نزوع » .

ويلخص الرازى السيرة الفاضلة ــ أى صحة النفس ــ في سطرين ، فيقول : « ان الانسان اذا لزم العدل والعفة ، واقلّ من مماحكة الناس ومجاذبتهم ، سلم منهم ، واذا ضم الى ذلك الافضالَ عليهم ، أُوليَ منهم المحبة ، وهاتان الخلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة » .

نموذج للانسان الامير او الوزير ، عند الجاحظ

هانحن أولاء قد رسمنا خطوطا تصور نموذج الانسان كما تمناه ثلاثة من أعلام الفكر العربى القديم ، من الناحيتين النظرية والعملية ، هم : ابن مسكويه ، والغزالى ، والرازى ، ونريد أن نضيف الى نموذج الانسان في عمومه ، نموذجا رسمه مفكر رابع ، هو الجاحظ ، للانسان وهو أمير أو وزير ، ففي رسالة « المعاش والمعاد » التى وجهها الى الوزير محمد عبد الملك الزيات (وقيل : الى محمد بن ابى دواد ، الذى تولى على قضاء بغداد في عهد المتوكل) ، ومن ذا يسمه ان يقرأ رسالة كهذه فيها نصح للوزير ، دون أن يذكر رسالة مكيافلي التى ينصح بها الأمير The Prince فبينما المثل الأعلى للامير في تصور مكيافلي هو أن يبلغ غايته بغض النظر عن الوسائل المؤدية اليها ، من ظلم وغدر وكذب وخداع وما شئت من رذيلة ، ترى الجاحظ يوصى وزيره بأن الحكم لا يستقيم الا مع طائفة من فضائل ، اذا جاوزها فقد ضل السبيل ، لا بالنسبة الى الاخلاق النظرية وحدها ، بل كذلك بالنسبة الى المنفعة المرجوة ، سواء كانت منفعة في دنياه أو في آخرته ، لا فرق بين الحالتين .

والمبدأ الاساسي عند الجاحظ في رسالته هذه ــ كما هو عند ابن مسكويه والغزالى والرازى جميعا ــ هو احتكام المرء الى عقله دون الميل والهوى ، على أن يفهم « العقل » بمعنى الطريق المؤدية

آخر الأمر الى نفع يرجع الفرد : « اعلم ان الله جل ثناؤه خلق خلقه ، ثم طبعهم على حب اجترار المنافع ودفع المضار ، وبغض ما كان بخلاف ذلك، هذا فيهم طبع مركب ، وجبلة مفطورة ، لا خلاف بين الخلق فيه ، موجود في الانس والحيوان » .

ويعقب الجاحظ على ذلك بعبارة كأنما اراد بها أن يشرح للوزير ما يقصد اليه حين يؤسس السلوك على « العقل » ، وحين يترجم مثل هذا السلوك العاقل بأنه هو الذى ينشد أكبر النفع في نهاية الامر ، فيقول ما معناه ان العبرة هى في قدرة الانسان على رؤية النتائج الأخيرة منذ أوائل الأمور ، «واستشفافه بعقله ما تجيء بهالعواقب» وبقدر تفاوت الناس في هذه القدرة يكون تفاوتهم في الفضائل ، وأما اذا انتظر المرء حتى يقع ما يقع فيراه حين يقع « فذاك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول ، والعالمون والجاهلون » ، ثم ينصح الجاحظ وزيره بأن يحكتم وكيل الله عنده ــ ويعنى بذلك عقله ــ على هواه ، ويلقى الى عقله بزمام أمره .

وكذلك يوصى الوزير بالعدل ، قائلا له : « اعلم أن الحكم في الآخرة هو الحكم في الدنيا : ميزان" قسط" ، وحكم عدل » ، ولعل من اركان العدل أن يحفظ للناس أقدارهم اذا قام بينه وبينهم معاملة ، على أن تقاس هذه الأقدار على قدر البلاء والاستحقاق ، محذرا اياه ان يركن في تقديره للناس الى الهوى .

وينصح الوزير أن « اجلس في المحافل دون الموضع الذى تستحقه حتى يرفعك أهلها ، فاذا تنافس القوم في حديث وعندك منه مثل ما عندهم فامسك حتى يحتكموا اليك ، لانك ان نافستهم كنت واحدا منهم » .

وهو اذ يذكر له الفضائل الاساسية ، يتفق فيها مع غيره ممن ذكرنا أو لم نذكر ، وكذلك الامر حين يحذره من الرذائل المذمومة التى من شانها أن تزيل عنه السلطان ، ومن أهمها الكذب والغضب والجزع والحسد ، وله في هذه الرذائل كلام بلغ غاية الجودة ونفاذ البصر ، ثم هو يفرق له بين طريقة يعامل بها عدوه وأخرى يعامل بها صديقه ، فعليه مع العدو أن يحصن عنه اسراره ، وأن ينتهز له الفرصة فيظهر حجته عليه ، وان يظهر له الاستهانة به ، لكن يستبطن الحذر منه والاستعداد له ، أما مع الصديق فيوصيه قائلا : « .. لا تكونن لشيء مما في يدك أشد ضنا ، ولا عليه أشد حدبا ، منك بالاخ الذى قد بلوته في السراء والضراء ... فانما هو شقيق روحك .. ومُسْتَمَدُّ رأيك ، وتوام عقلك ، ولست منتفعا بعيش مع الوحدة ، ولا بد من المؤانسة ... ثم لا يزهدنك في الصديق أن ترى منه خلقا أو خلقين تكرههما ، فان نفسك التى هى أخص النفوس بك لا تعطيك القيادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ؟ »

واقرا هذه الارشادات المتوالية التى يوجهها الجاحظ لوزيره ، واجعل صورة مكيافلي ماثلة أمامك في كل ما تقرؤه للجاحظ هنا ، لتعلم مدى البون بين ناصح وناصح ، فبينما يقول مكيافلي لأميره : ان الأمير الذى يريد حفظ كيان دولته ، لا بد له في كثير من الاحيان ان يخالف الذمة والمروءة والانسانية والدين . يقول الجاحظ لوزيره أن يحذر الافتئات على حق انسان لضعفه ، بل ان سمو الحكم هو في أن يغلب الحاكم نفسه ليكون في نصرة الضعيف ــ فالحلم ــ مثلا ــ كما يقول الجاحظ ، حلمان ، أشرفهما حلمك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، أعظمهما صدقك فيما يضرك ، والوفاء وفاءان ، أسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه ، تلك هى ــ كما يقول ــ أركان الدين ، وهى كذلك أركان الدنيا ، ويستطرد الجاحظ مرشدا للوزير : احذر المفاخرة بالأنساب .. اقتصد في مزاحك، فان الافراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرىء عليك أهل الدناءة ، وان التقصير فيه يقبض عنك المؤانسين ، «وانا أوصيك بخلق قلَّ من رأيته يتخلق به ... الا يُحدث لك انحطاطُ من حطت الدنيا من اخوانك استهانةً به ... ولا يُحدث لك ارتفاعُ من رفعت الدنيا منهم تذللا وايثارا على نظرائه في الحفظ والاكرام » ...

★ ★ ★

تلك صور للانسان الأكمل صورها السالفون، فان يكن عسيرا على الطبع أن يجريها في معاملات الحياة الواقعة ، فلا أقل من أن نرفعها أمام الابصار نموذجا ، وان القوم ليعرفون بمثلهم العليا كما يعرفون بتاريخهم الواقع ، قد يعابون بهذا ويمدحون بذاك ، لكن الجانبين معا يكونان الصورة الحق ، اذا أردنا الانصاف . ■■

زكي نجيب محمود



جورج صيدح

شاعر القومية والإنسانية

وصاحب كتاب "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية"

■ عندما اردت ان اقف على تاريخ الحركة الفكرية في المهجر ، لم يكن امامي سوى كتاب « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » الذى وضعه الشاعر الناثر المؤرخ « جورج صيدح » .

ولم يكن هذا شاني وحدي .. بل كان شان العديد ممن أرادوا ان يتعرفوا على الأدب المهجرى من خلال تطوراته ومذاهبه ومدارسه ، شعرية كانت أم نثرية .

وكتاب « ادبنا وادباؤنا » يعتبر بحق « دائرة المعارف » الأدبية للحركة الفكرية في المهجر ، وقد عكف عليه « جورج صيدح » وسجله بمنتهى الأمانة التاريخية مبرزا تلك الشعلة الوهاجة التى ارتفعت في المهجر الأمريكي وراحت تبث نورها واشعاعها عبر القارات واصلا الى الشرق العربي ، ناقلا أروع النبضات الفكرية في تاريخنا الحديث .

ومنذ أمد بعيد تراودني فكرة الكتابة الى الشاعر « جورج صيدح » فقد كان له الفضل الاول في اهدائي مؤلفه النفيس هذا دون سابق معرفة بيننا .. ولم تسنح الفرص للكتابة اليه الا في عام ١٩٦٧ ، عام الحزن والأسى العربي ..

فقد كنا نقيم في حمص حفل تابين للاديب الراحل « نظير زيتون » ووجدت ان اكتب لصيدح ليشارك في هذا المهرجان لا سيما وانه كان على علاقة بالاديب « زيتون » ..

وسارع الشاعر « جورج صيدح » في الكتابة الى ، وكانما كان ينتظر هذه الفرصة ليقول ما في نفسه .. فكتب الى هذه الرسالة :

« فيشى ـ فرنسا في ١٩٦٧/٨/٢٢

بعد السلام والاكرام .

لقد تبعتني رسالتك الكريمة الى منزلي الصيفي ، فطال طريقها وتاخر وصولها ، اما مضمونها فقد



بقلم : عدنان الداعوق

طيب نفسي بعطر وفائكم لذكرى اخ احبه واجله ، وأديب نابه عم فضله ، اجركم المولى على مسعاكم النبيل .

اما اشتراكى معكم ، فواجب على ومحبب لدى .. ولولا نكبة الأمة التى قصمت ظهرى وشلت فكرى منذ الخامس من حزيران لسمعتم صوتى نائحا عليه قبل حفلة التابين .. انى اليوم لا أصلح للتفكير والتحرير أو لقول الشعر ، ولن أعود بشرا سويا واعيا الا متى عادت فلسطين الى أهلها والكرامة الى العرب .

ورغم ذلك ، جلست الى مكتبى ساعة استوحى عواطفى الحزينة واجمع النثرات الخاطفة من خاطرى الكسير في وريقة ارسلها اليك طى كتابى ، طامعا فيك عن قصورى بشفاعة ظروفى .. ان القليل الهزيل من الكلام خير من الصمت أو الغياب عن هذا المقام ..

جورج صيدح . ــ »

واحتوت هذه الرسالة قصيدة « صيدح » ، « نحن قلبان توأمان » أثبتها ــ بعد أن القيتها بالذات في حفل التابين ــ في كتاب « نظير زيتون .. الانسان » الذى جمعت فيه كل الكلمات التى القيت فى الحفل الذى كان عبارة عن مظاهرة فكرية جمعت الأقلام من كافة المشرق العربى والمهجر لتقول الكلمة الصادقة في « نظير زيتون » .

وهذه الرسالة ، كانت أول لقاء يتم بينى وبين الشاعر « جورج صيدح » ، وبعدها لم أتجرأ أن أقطع الصلة بينى وبينه ربما لأعوض على نفسي ما فاتنى من كسب عظيم عن الصلة والتعاطف المباشر مع الاديب الكبير .

بكاء الغربة

ورجعت الى ذكرياتى وأوراقى القديمة ، لأبحث في ثناياها عن تلك الصلات القديمة الحميمة التى جمعت أدباء المهجر بعضهم الى جانب بعض ــ فوق ارض غريبة بعيدين كل البعد عن الوطن .. لكنهم ما لبثوا هناك أن انشأوا وطنا ورفعوا علما ، وبنوا صرحا عظيما من الفكر والحضارة ، وأغنوا اللغة العربية بالروائع والآثار التى ما زالت خالدة .

لكنهم ، على الرغم من طيب الموارد ــ وجفوتها في كثير الأحيان ــ ، كانوا يبكون العودة ويرتجون الرجوع من الهجرة والاغتراب .. ولعل هذا هو الدافع الاساسى والمباشر لتكتل أدباء المهجر جميعا .. فمنهم من عاد من الغربة محققا آخر الأحلام ومنتهى الغايات ، ومنهم من ظل يبكى الغربة ويعصر القلب توجعا وحسرة على العودة .. لكن الموت كان أقرب من كل الآمال والأحلام ..

فبكى « نسيب عريضة » بكاء كل المهاجرين المغتربين العرب ، وعبر عن كل حزن مقيم ، والم ممض ، وتوجع لا يستكين فقال :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي الى حمص ولو حشو الكفن
واهتف أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود

الوردة التى بعثرتها الاقدار !

والشاعر « جورج صيدح » كما يقول الاستاذ

« محمد عبد الغنى حسن » في كتابه « الشعر العربى في المهجر » ، يمثل المغترب الحنون أصدق تمثيل ، فهو على طول اقامته بدار الغربة واحتمال الاندماج بها والتأقلم فيها، لا يزال يحن الى مغانيه الأولى ومدارج طفولته ..

فهو « وتر ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى أرض الوطن ، فيهفو اليها في شعره الرقيق الجميل . »

ويشبه « صيدح » المغترب بالوردة التى نثرتها الرياح وبعثرتها الاقدار ، والقت بها في مستنقع الغربة الكئيب ، انه واحد من أولئك النازحين المغتربين الذين عادوا ـ لفترة وجيزة جدا من الزمن ـ على كبرة من السن وفي ايديهم ندوب الجراح ، وعلى وجوههم آثار الكفاح :

رجعوا كالجند من معركة
باد فيها جيشهم الا بقايا
تركوا الجرحى الأسارى خلفهم
والضحايا .. رحم الله الضحايا
ما سمات النصر في جبهتهم
غير آثار حراب وشظايا
كل ما نالوه من غاراتهم
لا يوازى ما أضاعوا من مزايا
رب كهل عاد منهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا

العروبة والقومية

اما فكرة العروبة والقومية ـ ولعلها أروع الافكار والأحاسيس التى نمت عند المغتربين العرب في مهاجرهم ـ فقد تجلت عند شعراء وكتاب المهجر ، وبرزت بروزا واضحا في آثارهم الأدبية والفكرية التى سطروها .. وجاءت هذه الفكرة ظاهرة ـ هى وحدها ـ من أهم ما يمكن الدارس من تتبع فكرة القومية والعروبة عند هؤلاء .

والسؤال الذى لا بد أن يطرح هو :

كيف تمكن هؤلاء الأدباء والشعراء من الاحساس ـ على الرغم من البعد عن الوطن ـ بمصائب الأمة والنكبات التى حلت بكافة الأوطان .. ؟

لا شك أن الاغتراب والبعد عن الوطن قد أشعل نار الشوق في قلوب المغتربين ، واجج في نفوسهم حب الوطن على طول الأيام وعرضها ، كما أن الاغتراب زادهم تحسسا لكل ما يصيب الوطن من جرح هو جرح لا يلتئم في قلوبهم .. فحب الوطن لا فكاك منه على من اغترب .. تزيده الايام عمقا ويشتد مع الأعوام صفاء وتولها يكاد يصل الى حدود التصوف .

ففى أشد أيام الأسى عام ١٩٤٨ يوم النكبة الأولى التى حلت بفلسطين والعروبة يرتفع صوت « جورج صيدح » في (بونس أيرس) قائلا :

وطنى ، مطلع أنوار الهدى
بلدى ، ما أنت للذل بلد
أو تغدو وتدا المعتدى
أين شأن العرب من شأن الوتد . ؟
لا تطل عمرى الى يوم به
تحكم الجرذان في غاب الاسد

★ ★ ★

لكن العمر يطول .. وتحل بالأمة العربية نكسة هى أشد وأمر من الأولى فاذا هو ـ وقد عاد الى الاغتراب من جديد وسكن باريس هذه المرة ـ لا يستطيع أن يتصور ما حل بالأمة العربية ولا ما أصابها فاصابه في قلبه .. طعنة هى أشد من طعنة الرمح ، وضربة هي أقسى ، فضيعت وعيه وافقدته رشده ، فراح يضرب كفا بكف ، يطوى الحزن في أعماق أعماقه .. لكن الجرح ينز ألما لا يطاق ..

فبعث الى برسالة من (فيشى) بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٦ يقول فيها :

« ...

انى عائد اليوم من جنيف الموبوءة بانفاس اليهود .. المدلهة بحب اسرائيل ، ولولا اضطرارى لتسفير حفيدى من مطارها ما وطأت أرضها .. »

أما في رسالته المؤرخة في ١٩٦٧/١٠/٥ ، فكتب يقول :

هزتنى رسالتك الاخيرة ، كانما هى مكتوبة بالهام من البارى تعالى لمواساة الحزانى والأشقياء .. أو أن احساسك الأدبى المرهف ادرك وحشة الغربة التى أقاسيها ، فجاءتنى رسالتك بكلمات هى البلاسم للجراح والأزاهر للأرواح .. آجرك الله على احسانك الى كأجره على وفائك لنظير زيتون .

.. أنا منذ أسبوع في غمرة من المشكلات

والواجبات ، تجعلني أهمل المراسلات ، فعذرا ان جاءت رسالتي متأخرة .. ضيوف عابرون ... ومناقشات جامعية حول الوضع العربي الحاضر - بعد الخامس من حزيران - وتقارير للصحافة ، فاعذرني ان جاء ردي في كلمات لا في صفحات .. »

في المستشفى

وتمضي الأيام ثقيلة كئيبة وترخي بكافة حزنها فوق قلب الأمة العربية ، وتمضي اسرائيل المعتدية في تسطير صفحات أخرى من الخيانات والاعتداءات، فيشتكي القلب المخلص ويتوجع ، ويبكي « جورج صيدح » من هول هذه الفجيعة في كل يوم وهو في الغربة بعيدا عن الوطن والارض .. وتنخر المأساة في قلبه فلا يعود يقوى على الاحتمال فيمرض ويدخل المستشفى للعلاج .. ولكن اى علاج هذا الذى يشفى النفس ويبرىء جرح القلوب ؟!

واعلم بالنبأ ، واستخلص في سرى الاصابة ، فابعث اليه ببعض كتبي لتكون تسلية له وهو في اسر المرض .. فيكتب الى من المستشفى يوم ١٩٦٧/١١/١٢ يقول :

« ...

الى المستشفى تبعتني أياديك الثلاث . لم اكن متزودا بكتب للمطالعة . فجاءت رزمتك في أحسن وقت ، قرأت الكتب الثلاثة في ٢٤ساعة وخرجت منها بفكرة واحدة هي أنك أديب قصاص بالطبع لا بالتطبع .. »

ويورد « جورج صيدح » في رسالتي هذه آراءه الادبية النقدية في نتاجي القصصي بصورة عامة ، الى أن يقول في ختام الرسالة :

« ...

لا املك هنا مؤلفا واحدا اهديه اليك ..ولكنني وجدت في محفظتي نسخة من آخر قصيدة باكية كتبتها - وربما كانت سبب مرضي وبلوتي- أرسلها اليك للذكر ، لا للنشر .. »

وان كانت الأمانة الادبية قد أمسكتني عن نشر القصيدة طوال هذه الأيام-حسبما جاء في رجائه- الا انني أجد نفسي في حل من هذه الأمانة بعدما نشرت القصيدة ذاتها في ديوانه الأخير (شظايا حزيران) في مطلع القصائد كلها ..

متى نلتقي !

والقصيدة بعنوان (متى نلتقي) كان قد كتبها الشاعر في باريس يوم السادس عشر من حزيران عام ١٩٦٧ وجرح النكسة ما يزال ينز دما وحزنا وكمدا .. وان كان قد أحجم « صيدح » طوال هذه الأيام عن نشر القصيدة فله الحق كل الحق .. لان القصيدة بحد ذاتها جرح آخر في قلب وجدان الشعر العربي لما استطاعت أن تحمله من جراح والام وقسوة ومرارة وعنف .. وما قصيدة (متى نلتقي) سوى نقد ذاتي لواقع الأمة العربية هذا الواقع الاليم الذى كان السبب المباشر لنكسة الخامس من حزيران يوم الشؤم العربي الحزين .

متى نلتقي لا بدّ للطير من وكر
ولا بد للاحرار من منزل حر
بعيد عن الاوطان ، مقبرة المنى
بعيدا عن السكان ، مهزلة العصر
ديار العبيد البيض ليست ديارنا
ولا قومنا من قامة الحمر والصفر
تعال معي ، فالغرب يستر عارنا
اما عجز الشر المهيض عن الستر ؟
تعال ، فجلاد العروبة سامحٌ
بان تلفظ الانفاس في جوه الشعري .

الى أن يقول في نهاية هذه القصيدة الطويلة الرائعة :

اقول لنفسي ، والدياجير أطبقت
على أمتي ، قد يسفر الليل عن فجر
فاحلم بالثارات تؤخذ عَنوةً
واحلم بالغارات والفتكة البكر
وازعم ان الحق ينبو سلاحه
ويغرى سلاح البطل في آخر الامر
ولؤم على اسرائيلَ شؤم يهودها
ولؤم مُربّيها المدجج (بالذر)
تعود - كما قال الكتاب - فلولها
مشردةً ، ملعونة ، أبد الدهر

كتبت الى «جورج صيدح» جواب الرسالة التى حملت قصيدة « متى نلتقي » وقد جاهدت أن تنقل اليه بعض الأمنيات والسلوى - وكم يصف الطبيب من دواء هو في أمس الحاجة اليه !! - فرد برسالة مؤرخة ١٩٦٧/١٢/٢٧ يقول :

« ...

حمدت الله الذي لا يحمد على مكروه سواه انك عرفت بمرضي وعذرت سكوتي ، فارسلت الى رسالة وبطاقة تهنئة بالعيد ..

اني أبادلك العواطف الأخوية والتمنيات القلبية رغم أني لا أعيد ولا أعايد هذا العام حدادا على ما فقدنا من حقوق وكرامة واحساس وآمال ..

ان أزمتي الصحية على وشك الزوال .. اما الأزمة النفسية فلم تزل حادة تؤرقني وتعذبني .. وانكى ما فيها خلوها الآن من باب فرج الى مستقبل افضل .. »

شكوى وأنين

كانت قصيدة « جورج صيدح » الموجعة هذه مثار حديث طويل بيني وبينه عبر الرسائل التي كانت تطول الى عدد كثير من الصفحات ، وكنت قد اخذت عليه مسحة التشاؤم وجانب اليأس .

فكتبت اليه رسالة طويلة عرضت فيها كيف ان تاريخ الأمة العربية مليء بالنكسات .. والهزات .. لكن كل هذا لم يزعزع في النفس العربية الأبية. فقامت الامة بعد كل نكسة اقوى مما كانت، وعادت تجابه العدو وتحاربه وتحطم آماله وعزائمه .

لكن الشاعر المغترب كان يرى في الغرب ما لا اراه في الشرق .. كان يرى عطف الغرب على الصهيونية .. المال السخي .. والتبرع المتناهي .. والحب العظيم .. والسلاح الهائل .. والتخطيط المشترك ..

ولهذا كله ، كان « جورج صيدح » كثير التوجع والأنين ، يغالب الشكوى ويمتص في الغربة حرقة المصير ، فكتب الي يقول :

« ...

اصطحبت رسالتك الثمينة عند مغادرتي باريس منذ اسبوعين الى المشتى الجبلي حيث اطارد شمس الألب عروس الشتاء ، بغية الاستجمام والاستشفاء .

لنقف عند تفاؤلك في مجرى الاحداث وفي مصير الأوطان .. انا لا ارى مبررا لهذا التفاؤل ولا مخرجا من المأزق الحالي ..

وكأننا لم نتعلم شيئا من مصائب تتوالى على امتنا تهدد بانهيار الاوطان وزوال الكيان ..

على أن اسعد يوم في حياتي هو يوم يتضح فيه ضلالي وغبائي ويرجح فيه رأى المتفائلين الراسخين في العلم .

سيكون ذلك اليوم عيدي الاخير قبل عبور الجسر الخطر الى الضفة الثانية التي أدنو منها وأتبين ملامحها بخيالي ..

وانا اروض شيخوختي على الخوض في الثلوج، وعلى النهوض الى المرتفعات ، لعلي أشرف على المقام الذي ينتظرني عن كثب .. أو لعلي اتقرب من عرش الله العظيم متى بلغت القمة ونزعت عنه حجاب الغيوم .. فقد تسمع اذن الرحمن الرحيم دعوتي ، بان ينقذ أمتي ويقيل عثرتي .. انه السميع المجيب ، عليه اعتمد واليه أنيب ..

وكل ما أخشاه ان تضيع الجهود في ندوات تعقد هناك وهناك في عواصم الوطن الحبيب حول دور المثقفين في قضية فلسطين ، العدو في الباب يتربص بسكان البيت ونحن نبحث في الذهنيات والشكليات ومبادىء الدراسات .. مما ذكرني بالمناقشات البيزنطية في التاريخ ، حين دخل الفاتحون العرب القسطنطينية ، فوجدوا أولياء أمرها في جدل عنيف آخذ بالبابهم ، موضوعه : « جنس الملائكة في السماء : هم ذكور أم اناث .. ؟ »

آمل أن أسمع منك أطيب الأخبار وان تكون على خير حال من الرضى فيما تكتب وفي العافية .

ودمت لجورج صيدح .. »

★ ★ ★

ويبقى «جورج صيدح» علما من أعلام القومية والوطنية ، وعاشقا متيما للارض وتراب الوطن ، ومنارة في الغرب يهدي النفوس الظامئة لحب الوطن ويسعى على الرغم من الشيخوخة التي يسخر منها ، شبابا في القلب .. وبسمة تشع املا وتشرق حنينا وقلما لا يتوقف عن الدفاع عن حق الأمة العربية في الحياة والمجد والخلود ..

واذا كنا اليوم نفخر ونعتز بان امتنا العربية استطاعت أن تنهض جبارة صامدة بعد النكسة الأليمة ، فانما نفخر كذلك بأن يكون الشاعر المبدع الانسان « جورج صيدح » سفير هذه الأمة في الغرب ، يدافع عن الحق ويحيا للعروبة والقومية دونما توقف أو تقاعس أو ملل . ■

حمص ـ سورية — **عدنان الداعوق**

أمراض شائعة

الحَصَوَاتُ البُولِيَّة

شُرب السَّوائل بكثرة في الأجواء الحارَّة يَحميكَ من ترسُّبِ الحصَواتِ أو "ارتجاعها"

بقلم : الدكتور علي راضي

زميل كلية الجراحين الملكية بلندن
جراح مستشفى الصباح

■ عرفت الحصوات البولية من قديم الزمن ، وعرف عن المغص الكلوى الذى كان يعالجه الفراعنة والكهنة باقامة الطقوس الدينية والصلوات ، ولشد ما يدهش المرء أن يرى حصاة أو صخرة صلبة من صنع ذلك الجسم الادمي الدقيق ،فكيف له أن يكونها ؟

ان عنصر الكالسيوم يدخل ضمن المواد التي تكون الحصوات البولية ، ويندر من الحصوات ما يخلو من ذلك العنصر ، ويبدو ان الكالسيوم يلعب دورا كبيرا في تكوين تلك الحصوات ويتم ترسبه من البول بشكل واضح اذ اخرجه الجسم بكمية وفيرة ، وهذا ما لاحظه الباحثون من ان بعض من تكونت بهم الحصوات ارتفعت عندهم نسبة الكالسيوم البولى Hypercalcuria ، بينما البعض الآخر رغم بقاء هذه النسبة طبيعية او أدنى من ذلك ، تكونت عندهم الحصوات التي عزى تكونها الى عدم بقاء الكالسيوم ذائبا في البول اما لزيادة مرسبات الكالسيوم أو لنقص مذيباته Ca Solvents .

وقد كشف العلم الحديث عن مذيبات الكالسيوم المختلفة مثل حامض الاستياريك Stearic Acid والأحماض العضوية والامينية ، وان اى نقص في تلك الاحماض أو بعضها يساعد على ترسب الكالسيوم وتكون الحصوات ، وقد لوحظ ان تعاطى الاسبرين يرفع نسبة الاحماض العضوية بالبول Glucouronic Acid ومن ذلك دخل الاسبرين التجربة في منع رجوع الحصوات التي عولجت طبيا او جراحيا ، واتت التجربة بنتائج تباينت في درجات نجاحها .

كذلك كشف البحث عن مرسبات الكالسيوم ومنها ميوكوبروتين Mucoproteins التي ترتفع نسبتها بالبول الذى وجدت به الحصوات ، واليها يرجع سبب الاختلال .

وقد لوحظ ان ارتفاع نسبة الكالسيوم البولي تحدث في الحالات التالية :

١) عند نشاط الغدة الدرقية
Hyperpara thyrodism
بتزايد هورمونها الذى يصل الى العظام ويذهب بصلابتها اذ يذيب مابها من املاح الكالسيوم التى يحملها الدم وتفرزها الكليتان مع البول .

وبذلك يرتفع الكالسيوم البولي . ويجب التحقق من نشاط الغدد ان تعددت الحصوات او رجعت بعد العلاج .

٢ ـ في الحالات التى يلازم فيها المريض فراشه لمدة طويلة كان يكون مسنا لا يقدر على الحركة أو أن يكون مصابا بالشلل النصفى Paraplegia أو يعالج من سل العظام .

وتحت ما سبق من ظروف تركد الحركة الدموية ، ويتدافع جزء من الدم غير قليل نحو العظام ينخرها ويحمل ما بها من املاح الكالسيوم لتفرزه الكليتان ، فان عجزت هذه عن التخلص من تلك الاملاح ترسبت داخل المسالك البولية وبدأت المضاعفات .

على أن هناك عوامل تساعد على تكوين الحصوات ذات دور غير مباشر نذكر منها :

١ ـ تركز البول : بالمناطق الحارة تزداد كمية العرق الذى يخرج من الجلد لتلطيف درجة حرارة الجسم ، وكلما ازدادت كمية الماء والاملاح التى يفقدها الجسم من الجلد ، قل البول حجما وزاد تركيزا ، وفي المناطق ذات المناخ المعتدل ، دلت الاحصاءات أن نسبة وجود الحصوات منخفضة ، وعند الضرورة ـ ينصح بعض المرضى بهجرة البيئات الحارة التى لا تلائم أجهزتهم البولية .

٢ ـ تفاعل البول : البول الطبيعي حامضي التفاعل ، وعند الذين يتعاطون القلويات لعلاج قرحة المعدة مثلا ، يتغير تفاعل البول لديهم فيميل الى القلوية ، والتفاعل القلوى يسهل ترسيب املاح الفوسفات .

وفي بعض حالات الالتهاب البولى U. Infection تتحول البولينا الموجودة بالبول وهي مادة متعادلة الى مركب الامونيا المعروف برائحته النفاذة وقلويته العالية ، ويتم ذلك التحول بواسطة الميكروبات التى تغزو الجهاز البولى Urea Splitting Organisms

والرأى السائد مؤخرا ان الالتهاب البولي يلعب دورا هاما في ارتجاع الحصوات . بينما تختفى اهميته جزئيا عند نشأة الحصوات أول مرة ، ولقد لوحظ انه اذا استمر الحفاظ على خلو البول من التلوث الميكروبي ، امتنع رجوع الحصوات .

٣ ـ الركود البولى Urinary Stasis وهو سبب مباشر في تكوين حصوات المثانة ، في حين انه عديم الاثر في حصوات الكلية .

٤ ـ التلوث الميكروبي للبول : يسبب التلوث عادة تكوين الحصوات بالمثانة ولكنه يؤثر على وظيفة الكليتين وما يتبع ذلك من ارتفاع بضغط الدم ، ويمكن اعتبار التلوث البولي نتيجة للحصوات الكلوية وسببا للحصوات المثانية .

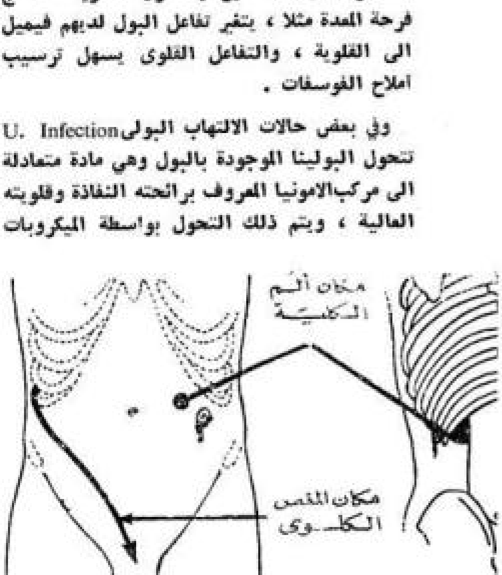
٥ ـ دور الطعام : وجد الباحثون ان نقص فيتامين أ في الغذاء سبب عند الفيران تغييرات بالكلية ثم ظهرت الحصوات ، ولم يشاهد مثل ذلك بالانسان . لكن بعض الاطعمة مثل الكبد والكلاوى واللحوم بكثرة والطماطم والسبانخ والباذنجان والمانجو والفراولة . كل ذلك ظل موضع اتهام في تولد الحصوات ونصح بعض المرضى بعدم تناولها .

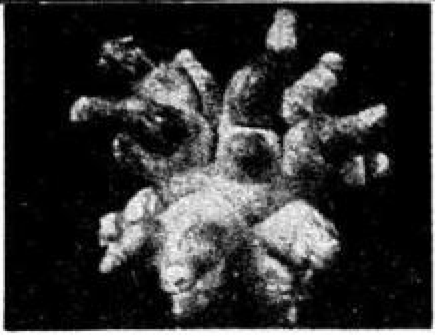
وفي رأيى أن دور الطعام على العموم آخذة اهميته في الاختفاء اذ يستهلك الاصحاء ما تقدم من طعام دون أدنى المضاعفات ، وتظل الحكمة دائما ماثلة في عدم الافراط ولكن يجب الاعتدال وليس بالامساك عن نوع معين من الطعام .

أنواع الحصوات وأعراضها :

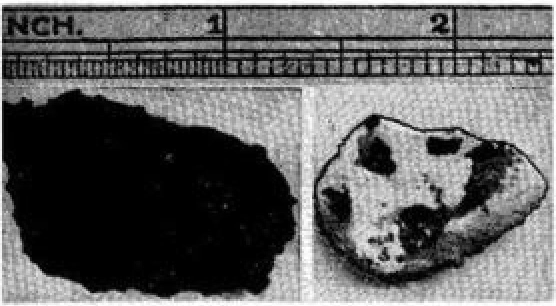
والحصوات البولية تتكون في اشكال واحجام مختلفة ، وتتباين من حيث التركيب الكيماوى فمنها ما هو فوسفات هش جيري أبيض ومنها ما هو لين أو متفتت كاملاح حامض البوليك ، ومنها ما هو صلب صخرى متعرج السطح كاملاح حامض الاوكساليك الا أن جميعها يحدث نفس الاعراض التى نفصلها فيما يلي : ـ

١ ـ الالم : تتميز حصوة الكلية بانها تسبب ألما بالقطن يزداد مع انسداد البول واختزانه داخل الكلية وذلك الالم اقل حدة من المغص الكلوى الذى





حصوة مثانة مستخرجة
من المثانة مع عملية استئصال البروستاتا



حصوة اكسالات استخرجت من الكلية

يحدث عندما تتحرك الحصاة داخل الحالب . والمغص الكلوى شديد اليم يتلوى منه من يبتلى به وينتابه شحوب الوجه والابتئاس ، والحصاة المثانية يزيد المها نهاية التبول عندما تنقبض المثانة على الحصاة ويصحب ذلك احساس بثقل بالحوض ورغبة للتبول دون مرور البول .

٢ ــ النزف : ان لحركة الحصاة خصوصا ما كان سطحها خشنا اثر على الغشاء المبطن للمسالك البولية ، اذ تحدث به جروحا تقطر دما ، يختلط بالبول ويظهر للعين المجردة ، وقد لا يظهر الا بالفحص المجهرى . وان ازدياد كرات الدم الحمراء في البول لهو دليل كاف على علة ذلك الجهاز البولي .

٣ ــ الاحتباس البولي : ان حصوة الكلية تختزن وراءها البول وتسبب تضخم الكلية وتدهور كفاءتها . وحصوة الحالب المنحشرة لها نفس المضاعفات ، والحصوة التي تسد عنق المثانة تسبب الاحتباس البولي الذى يستوجب العلاج العاجل .

٤ ــ الالتهاب البولي : وهو سبب او نتيجة ان وجدت الحصوات كما اسلفنا .

التشخيص :

تظهر حصوات الجهاز البولي بعد الفحص بالاشعة، على ان قليلا منها لا يظهر الا بعد اجراء اشعة خاصة وتلك كذلك تكشف عن وظيفة الكليتين واثر الدمار الذى حدث وانه ليجب فحص الجهاز البولي بالاشعة والمختبر لمجرد حدوث نوبة مغص كلوى او تدمم البول او اذا احتبس او تلوث ، وهناك فحوص خاصة تجرى عند الضرورة مثل استطلاع داخل المثانة او مد انابيب خاصة داخل الحالب او تخطيط الاوعية الدموية للكلية ، والقرار في اجراء تلك الفحوص وغيرها متروك للطبيب المعالج وحده .

العلاج :

وهل من سبيل لعلاج الحصوات ؟

نعم هناك اكثر من سبيل للعلاج

فالعلاج الطبي يتلخص في تعاطي مدرات البول ومطهراته مع ما يوسع المجارى البولية ، وهناك مجموعة غير محدودة من تلك العقاقير بالاضافة الى الاعشاب النباتية المعروفة من قديم الزمان ، وقد جربت واتت بنتائج تباينت مع اختلاف الظروف . على انه في حالات معينة يدركها المعالج لا يجدى العلاج بالتداوى ، ولا سبيل اذ ذاك غير الجراحة.

والعمليات الجراحية تستهدف استخراج الحصوات او في بعض الاحيان استئصال الكلية بما حوته ، ولا تستأصل الكلية الا في ظروف معينة وبعد التأكد من وجود الكلية الاخرى في حالة سليمة يمكنها ان تتحمل الحياة .

وهناك بعض حصوات بالحالب تستخرج بواسطة انابيب تمتد داخل الحالب لتقبض عليها وبعض حصوات مثانية تفتت باجهزة خاصة ثم يشفط فتاتها .

والنصيحة التي نقدمها بعد هذا كله ، هو عدم اهمال شرب الماء والسوائل بكثرة خصوصا في الجو الحار بعد اجراء العمليات ، فذلك يغسل المسالك البولية ويمنع ترسب الاملاح وارتجاع الحصوات .. وأعظم ما يقدم للمريض الذى خاض العملية الجراحية ، هو ما كان بجوفه من حصوات، وهو عندما يراها او يلمسها يشعر بفرح الانتصار على عدو كان يضمر له الموت والهلاك وكاد يحرمه لذة الدنيا والحياة . ■■

علي راضي

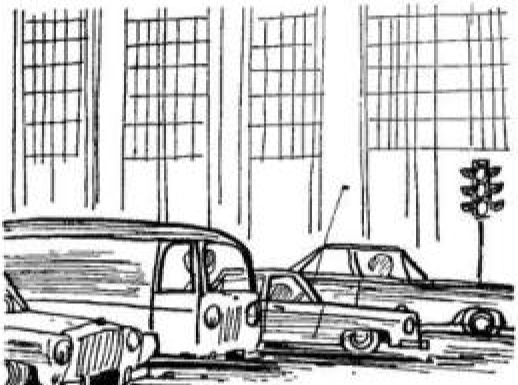
علم النفس وشرطة المرور

■ لا مراء فى أن معرفة النفس البشرية وسبر أغوارها وادراك شتى نوازعها ودوافعها ، من أهم المقومات التى ينبغى ان تتوافر فى القائمين على تنظيم المرور والسيطرة على حركته فى المدن الكبيرة ولا سيما تلك التى تتميز بالكثافة السكانية العالية وكثرة مركبات النقل وتعدد أنواعها . فالاحاطة بمبادىء علم النفس وتطبيقاته فى مقدمة العوامل المؤدية الى نجاح الخبراء والمتخصصين فى المرور . وهى لاتقل اهمية ـ فى هذا الصدد ـ عن الالمام بالعلوم والفنون الاخرى التى تستخدم نتائجها فى خدمة المرور مثل الصناعة والتعليم والتوعية والعلاقات العامة .

وقد اتفق الباحثون على ان استخدام علم النفس في مجال تنظيم المرور كفيل بحل كثير من المشكلات التى تواجه رجل الشرطة او المهندس المسئول عن تخطيط المرور ومراقبة حركته . وتتبين صحة ذلك اذا لاحظنا ان تنفيذ خطة من خطط المرور ومشروعاته انما يتم ـ بالضرورة ـ في مواجهة مجموعة من سكان المدينة او الحى تقطن في البقعة التى وقع عليها الاختيار لوضع تلك الخطة موضع التطبيق العملى بها . ومن ثم كان التعامل مع هؤلاء الناس امرا لا معدى عنه ، لأن تجاهلهم يعد بمثابة حكم مسبق على المشروع بالاخفاق .

فمن الحقائق البينة في هذا المجال ـ كما في سائر مجالات الشرطة والأمن وغيرها من اجهزة الدولة ـ ان تعاون الناس مع السلطات هو الضمان الأكيد لتحقيق اهدافها في اقصر وقت ممكن ، وباقل قدر من النفقات ، وعلى افضل مستوى .

وعلى هدى من هذه الحقيقة تبدو الاهمية المتزايدة لدراسة الطبيعة البشرية ، واستكناه اتجاهات الافراد في سلوكهم . ذلك ان العاملين فى مجال المرور ـ اذ يباشرون المهام الملقاة على عاتقهم ـ انما يواجهون نفوسا بشرية زاخرة بالعواطف والانفعالات والافكار والانطباعات وردود الفعل ، قبل أن يواجهوا احتياجات مادية وفنية . بل ان العناصر المادية لا يمكن التعامل معها بمعزل عن الناس الذين سخر الله لهم تلك العناصر .



فى المدن والطرقات

بقلم : العقيد حسن فتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية
دبلوم في ادارة الشرطة من واشنطن

أثر الانفعالات فى السلوك

ان انفعالات الفرد ذات تأثير ملحوظ – في أغلب الاحوال – فيما يصدره من احكام او يتخذه من مواقف . وقد يخفى هذا التأثير وجه الحقيقة في بعض الاحيان . وما يبدو معقولا في نظر شخص ما ربما لا يبدو كذلك في عين الآخر . لذلك ، فان سكان الحى الذى تزمع السلطة الحاكمة اقامة مشروع للمرور به يختلفون بعضهم عن بعض في قبولهم او رفضهم هذا المشروع . كما أن سائقى السيارات يتفاوتون كذلك في مدى استجابتهم لقواعد المرور وتوجيهات المشرفين عليه . فاذا كانت هذه القواعد تستوجب وقوف السيارة عند خروجها من طريق فرعى الى طريق رئيسي ، فاننا نلمس تباينا في سلوك السائقين وموقفهم ازاء تلك التعليمات . فمنهم من يرضخ طواعية للامر الصادر اليه ، فيوقف سيارته . ومنهم من يبطيء من سيرها الى اقل قدر ثم يستأنف السير بمعدل السرعة التى تعودها . على حين أن بعضهم يكتفى بالسير بسرعة محدودة ، وبعضهم الآخر يتجاهل الامر كأنما لا يعنيه في شىء .

عوامل اختلاف سلوك السائقين

وهذا الاختلاف البيّن في مواقف السائقين تجاه



نظم المرور وقواعده مرده الى اختلافهم في الميول والاتجاهات النفسية والتجارب الشخصية . فلم يخلق الله اثنين من البشر متماثلين في جميع السمات النفسية ولو كانا توامين . واذا كان سبحانه قد ميّز كل فرد عن الآخر في بصمته التي لا يعدو سطحها سنتيمترا (١) ، والتي هي جزء ضئيل في جسم الانسان ، فلا غرو ان يختلف الناس بعضهم عن بعض في سائر الملامح الجسدية والنفسية . بل ان السائق الواحد تختلف انفعالاته ، وبالتالي أحكامه وسلوكه ، باختلاف مراحل عمره ، وهو يتغير في هذه الانفعالات من يوم الى آخر . والثابت في ذلك انه كلما تقدم العمر بسائق السيارة ، أصبح اقل يقظة وابطأ استجابة للظروف الطارئة وأكثر اعتيادا على الضوء الساطع ، مما قد يعرضه هو وركاب سيارته للخطر . ولكنه من ناحية اخرى يصبح أكثر حذرا وسيطرة على انفعالاته مع تزايد ميله الى نبذ العجلة « الاسراع » ، ودقته في التقدير ، مما يمثل عنصر امان له وللركاب .

حاجة شرطة المرور الى دراسة علم النفس

وان هذا الاختلاف في الانفعالات بين الناس هو الذي يفسر اختلاف انماط السلوك التي تصدر من الافراد والجماعات ازاء رجال المرور وما يزاولونه من اعمال . ومن هناك تبدو حاجة هؤلاء الرجال ماسة الى استيعاب النظريات العامة للسلوك كما وضعها علماء النفس والاجتماع ، والى معرفة ما ينطبق منها على الناس بصفة عامة ، ثم الوصول الى معرفة العوامل والدوافع الكامنة وراء ما يبدو منهم من تصرفات حيال القواعد المنظمة للمرور ، ثم تطبيق النظريات المنوه عنها في حل المشاكل التي تنشأ في هذا الميدان نتيجة اعراض بعض الناس عن تلك القواعد او انتهاكهم لها .

فوائد الدراسة

فالهدف من دراسة المعنيين بالمرور علم النفس هو تفهم الناس ، وما يصدر عنهم من سلوك ، ومزاولة نوع من السيطرة على هذا السلوك بما يكفل توجيهه لصالح الفرد والمجتمع والدولة . بيد ان فهم شرطة المرور طبائع المشاة والراكبين من طريق هذه الدراسة لا يمثل الفائدة الوحيدة لها ، بل ان هناك فائدتين اخريين على جانب كبير من الاهمية ، اولاهما : فهم الشرطي ذاته بمعنى معرفته نفسه وادراكه طبيعتها ونوازعها . فذلك أمر ضروري تحققه الدراسات النفسية لمن يرغب من حفظة النظام والقائمين على المرور في الالمام باسباب اختلاف جمهور السابلة وسائقي السيارات او اتفاقهم معه . وقل من الناس من يستطيع بلوغ هذا الهدف الصعب المنال ، وهو تحقيق المبدأ القائل « اعرف نفسك » ، ذلك أن معرفة الذات هي أولى درجات الحكمة ، وبالتالي مفتاح النجاح . فهذه المعرفة تضع يد المرء على حقيقته ، فلا يغالي في تقدير ذاته لأنه يعرف مساوئها كما يعرف محاسنها ، وينعكس هذا الادراك السليم على سلوكه ، فينهج طريقا مستقيما ، ومن ثم يصبح مرضيا عنه من الخلق وقد يرضى عنه الخالق ، وتلك عليا مراتب النجاح .

اما الفائدة الثانية التي يجنيها رجل المرور من الدراسات النفسية ، فهي القدرة على انشاء علاقات افضل بين الشرطة والجمهور ، الامر الذي يتم عن طريق معرفة الشخص نفسه ومعرفته غيره . فليس ثمة شك في أن هذه المعرفة من شأنها أن تجعل كلا من الجانبين اكثر قدرة على التعايش في توافق وانسجام مع الآخر . كما ان مقدرة الشرطة على اقامة روابط حميدة مع الآخرين تساعدها على الحيلولة بينهم وبين ارتكاب حماقات ضد المجتمع كالخروج على قوانين المرور ، وتمكنها من الاخذ بيد من زلت قدمه في طريق الجريمة او الخطأ والعودة به الى سواء السبيل . (٢)

اهمية التفريق بين الناس في أسلوب المعاملة

فاذا استوعب رجل المرور الحقيقة التي تتمثل

---

(١) « بلى قادرين على أن نسوّيَ بنانه » قرآن كريم

(٢) ما هو علم النفس لجورج دوديتشا استاذ علم النفس بجامعة ويتنبرج ـ سبرنج فيلد ـ أوهايو ترجمة لواء حسن عبد الوهاب ومراجعة دكتور مختار حمزه . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦

في اختلاف كل فرد عن الآخر في طبائعه وأحواله النفسية وبالتالي في اتجاهاته وتصرفاته ، أدرك أهمية التفريق بين الناس في أسلوب المعاملة . ولا يعني هذا التفريق الخروج على مبدأ الحياد بين أفراد الجمهور ، وسواسية الناس أمام القانون ، وجعله الفيصل في الحكم بينهم . ولكن المقصود هو التفريق بين الناس في الخطاب ، بمعنى مخاطبة كل منهم بما يتفق مع تركيبه العقلي والنفسي ، التزاما بالقول المأثور : خاطب الناس على قدر عقولهم . فالأسلوب الذي يخاطب به من اقترف جريمة من جرائم المرور ، فالقى عليه القبض ، فتماسك وتجلد ولم يفقد رباطة جأشه ؛ ينبغي أن يختلف عن الأسلوب الذي يعامل به المخالف المتسم بحدة الطبع والنزوع الى مقاومة السلطة .

ويجب أن يتوافق أسلوب المحقق في استجواب المتهمين أو المشتبه فيهم أو الشهود مع طبيعة شخصياتهم وتفاوتها في التكوين الجسماني وفي القدرة والمهارة والذكاء ، فيعامل كلا من أولئك وهؤلاء بحسب شخصيته كيما يحقق هدفه من استجوابه وهو الوصول الى الحقيقة . ولا يعني هذا استعمال الشدة والقسوة مع متهم وأخذ الآخر باللين والهوادة . ذلك أن استعمال القسوة في التحقيق أمر معاقب عليه قانونا في التشريعات السماوية والوضعية مهما كان الجرم المنسوب الى المتهم أو المشتبه فيه .

نتائج الاختلافات الفردية والاجتماعية

ولكي يستطيع رجل المرور أن يعامل كل فرد بما يوائم طبيعته ، فان عليه أن يلم بعوامل الاختلافات الفردية وهي الوراثة والبيئة ، وبتأثير الحالات الفسيولوجية المتغيرة في سلوك الناس . فالآلام الجسمانية تجعلنا – في الأغلب الأعم – عاجزين عن ادخال السرور في قلوب أصدقائنا بله في قلوب الآخرين . كما تجعلنا نبدو منفترين في أعين الناس ، أو تجعل قيادتنا للسيارات غير مأمونة العواقب . ومن ثم يجب على رجل المرور أن يضع في حسابه حين يعامل الناس تلك الحالات وتأثيرها على سلوكهم .

وشرطي المرور الناجح هو الذي يدرك أيضا أن الجوانب الاجتماعية والحضارية للبيئة لها تأثيرها – مثل العوامل الشخصية – على سلوكنا . فمن يختلف مع رئيسه أو أسرته قبل أن يغادر داره صباحا ، يغدو في حالة نفسية قد تعرضه لتجاوز السرعة القانونية في أثناء قيادته سيارته ولما قد ينجم عن ذلك من حوادث أو كوارث . ومن ينشأ ويعوّد على الاستجابة – بطريقة اجتماعية سوية – للاشارات أو الرموز ، يقف بسيارته في الساعات الأولى من الصباح احتراما لاشارة المرور ولو كان الطريق خاليا أمامه عبر قرية صغيرة .

دراسة انحراف الأحداث والشباب

كذلك ، فان شرطي المرور الحق هو الذي يلم بدراسات جناح الأحداث وانحراف الشباب . ذلك أن عدم توافق الحدث أو الشاب مع المجتمع في السلوك من شأنه أن يؤدي الى الخروج على القانون وعدم احترام حقوق الآخرين أو صيانة مصالحهم . فالفتى الجانح يضرب بقوانين المرور ولوائحه عرض الحائط ، وتتسم قيادته بالرعونة والطيش والشطط ، وتنعدم استجابته للنظم التي يضعها رجال المرور غير مقدر النتائج الوخيمة التي تترتب على اندفاعه وتهوره أو ما يعبر عنه بجنون السرعة . ومثل هذه الفئة من الجانحين تتطلب فهما خاصا ومعاملة خاصة من جانب القوامين على أمر المرور . ومن شأن المام رجل المرور بدراسات انحراف الأحداث والشباب أن يكون قادرا على التمييز بين تصرف خاطيء مرجعه الانحراف ، وآخر مرجعه عرض غير مرضي كما هو الشأن في قيادة السيارات بسرعة جنونية ، فقد يكون مرده الى رغبة الفتى في البحث عن الاثارة في كل جديد ، كاندفاع بعض الشباب الى الرقص الماجن وتدخين لفافة التبغ الأولى ولعب ورق الميسر . فقد تكون الحاجة للتجديد ملحة جارفة ، كما قد يتعارض اشباعها مع القانون والقيم الاجتماعية . ولكن هذا لا يعني أن اشباع هذه الحاجة هو دائما مخالف للسلوك الاجتماعي السليم ، اذ أن الرحلات والدراسات الجديدة هي أيضا من وسائل اشباعها . (١)

١ – مواطن انحراف الأحداث للدكتور سيد عويس مجلة الأمن العام العدد الأول ١٩٥٨ .

استخدام مبادىء علم النفس

واذا كنا ننادى بضرورة فهم رجل المرور لسلوك الافراد وما يكمن وراء هذا السلوك من طريـق الالمام بميول الناس ورغباتهم وحاجاتهم وظروف تنشئتهم الاجتماعية ، فان هذا الفهم لا يكفـى وحده للنجاح ، بل يجب ان يعرف شرطي المرور كيف يستخدم ما استوعبه من دراسة الدوافـع الانسانية للسيطرة على تصرفات الناس بما يحقق النتائج المرجوة وان لم يكن هذا بالامـر الهـين الميسور في جميع الأحوال .

السيطرة بالايحاء

ومن اهم السبل المؤدية الى السيطرة علـى تصرفات المارة أو السائقين ، طريـق الايحـاء . والايحاء هو استخدام العوامل النفسية التى تدفع الفرد نحو تحقيق هدف معين بوسيلة مباشرة دون الالتجاء الى القسر والارغام . ومثل ذلك ان يتقدم الشرطي لقائد السيارة الذى يقف بسيارته فيمكان لا يسمح فيه بالوقوف ، وبدلا من أن يخاطبه بقوله « لا تقف هنا » ، يقول له : « معـذرة يا سيدى ، فانك لا تستطيع البقاء هنا الا لفترة قصيرة ولكن في الشارع المجاور او التالى له مكانا معدا للانتظار الطويل » . فهنا لجا الشرطي الى الايحاء باقتراح الحل المناسب دون ان يدرك قائد السيارة ان امرا قد صدر اليه .

والنجاح في السيطرة عن طريق الايحاء يستلزم دراية بالناس وميولهم والاهداف التى ينشرونها . كما يستلـزم فهم مشاعـر الاحبـاط والصراع . والشعور بالاحباط أو الصراع بين الاستجابات ينشا نتيجة المواقف الطارئة والمشاكل التيتتطلب البحث لها عن حل ، ويصعب على الفرد الوصول الى ذلك الحل فيصاب بهذا الشعور المصاعب لعدم استقرار المزاج النفسى ، وضعف الاحتمال والقدرة . وبعبارة اخرى ، فان الاحباط هـو الشعور الذى يتملكنا عندما يواجهنا ما يحـول دون تحقيق احدى رغباتنا الجارفة . اما الصراع النفسي وهو الصراع بين الاستجابات أو صعوبه التوافق فيحدث عندما تتعدد مطالب الشخص المتشابهة ، وتتعادل الرغبة لديه في تحقيق كل مطلب على حدة من حيث القوة ، ويصبح ملزمـا بان يختار من بينها الطريق الذى يجب اتباعه .

الاحباط والصراع

ومن حسن الحظ ان هناك من يستطيعـون التوافق مع مواقف الاحباط والصراع النفسى بأن يجدوا لمشاكلهم حلولا عن طريقمواهبهمالشخصية، او بالتماس المعونة لدى الاخرين . ولكن يبقى عدد كبير من الناس ممن يحققون قدرا اقل من النجاح في مواجهة مشاكل الحياة . والوسائل التى يلجا اليها هذا الفريق للتوافق تأتي دراستها بالنسبة لرجال الامن ــ وفي طليعتهم شرطة المرور ــ في المقام الاول من الاهمية ، واهم هذه الوسائل :

١ ــ التبرير : Rationalization

وهو اكثر انواع التوافق شيوعا ، ويقوم على اساس انتحال الشخص اعذارا تتعارض مع المنطق السليم ليبدو سلوكه مقبولا في نظر الآخرين . ومثل ذلك أن يبرر قائد السيارة خطاه الذى ادى الى التصادم بأن « فرامل » السيارة لم تسعفه في الوقت المناسب .

٢ ــ الارتداد :

وهو ان يلجا الشخص الى تصرفات طفولية كانت تؤتى نتائجها عندما كان طفلا ، ولكنهـا لا تناسب الراشدين ، كأن يصيح المقبوض عليه ويصرخ ويضرب الارض بقدميه .

٣ ــ الكبت : Repression

وهو مواجهة الصعاب بتجاهلها ونسيانها او انكار وجودها ، وهو ما يشبه اخفاء النعامة راسها في الرمال فرارا من مطاردة صائدها . ويقابل رجل الشرطة صورة لهذا النوع من التوافق في فاقدى الذاكرة ، فانهم لم ينسوا فقط متاعبهم ومشاكلهم المحزنة ، ولكنهم نسوا اسماءهم والظروف التى احاطت بتجاربهم حديثة العهد .

٤ ــ الاسقاط : Projection

وهو ان يقـرا الشـخص سلوكـه ودوافعـه الشخصية في سلوك الآخرين . فالمتهم بارتكاب مخالفة من مخالفات المرور الذى يوجه الاتهام ــ عامدا ــ الى آخر ، قد يصل به الحال الى الاعتقاد بأن مـن يتهمه هو المذنب الحقيقى . كـما ان

الشخص الذى يشكو بلا مبرر من تعسف رجل الشرطة معه ، قد يكون مسقطا لرغبة شخصية في التعسف . وليس من اليسير كشف دوافع هذا النوع من التوافق ، اذ أنها ماكرة وذات مظهر برىء خداع .

٥ ـ التعويض : Compensation

وهذا النوع من التوافق هو اقلها أهمية من وجهة نظر الشرطة . ومثله الانتساب الى ذوى النفوذ ، والتقليل من منجزات الآخرين ،واحلام اليقظة . فالمخالف الذى يحاول التنصل من مسئولية خطئه بان يذكر للشرطى انه صديق شخصى لقائد المرور ، والشخص الذى يقلل من اقدار الآخرين او يستهين باعمالهم ، انما يحاولان التضخيم من شأنهما على حساب غيرهما . (١)

تلك هى مبادىء علم النفس التى ينبغى أن يستوعبها رجل المرور لكى ينجح في عمله . ويعوّل في هذا النجاح على قدرة الشرطى على الاستفادة من المبادىء المشار اليها في تطوير شخصيته حتى يصبح رجل علاقات عامة بمعنى الكلمة ، وذلك بحكم الصلة الوثيقة بين العلاقات العامة وعلم النفس . اذ انه لا يتسنى كسب مودة الاشخاص والحصول على رضاهم واقتناعهم بالقوانين الا اذا كان رجل المرور على علم بطبيعة النفس البشرية كيما يكون قادرا على التأثير والاقناع وتغيير اتجاهات من يعاملهم الى الاتجاهات المنشودة .

صلة العلاقات العامة في المرور بعلم النفس

وتبدو أهمية العلاقات العامة في مجال التخطيط للمرور وتنظيمه اذا لاحظنا ان هذا التخطيط قد يقتضي انشاء طرق عامة ، وهذا الانشاء من شأنه أن تخترق هذه الطرق أراضي بعض الناس . فواجب المخطط والمنظم أن يحاول اقناع هؤلاء بضرورة التضحية في سبيل الصالح العام بل مصلحتهم ذاتها ، وأن يرضيهم خلال مراحل العمل المختلفة ، الامر الذى يتطلب درجة عالية من القدرة على اقامة علاقات عامة حميدة ، وهو ما يمكن تحقيقه بالتطبيق الحكيم لمبادىء علم النفس . (٢)

واستخدام العاطفة هى السبيل المؤدى الى تجاوب الجمهور الذى يتعامل معه المسئولون عن المرور ورضاهم عن المشروعات التى يجرى تنفيذها . أما استخدام المنطق فهو لا يفيد في تحقيق هذا الهدف بل قد يؤدى الى تعذر تسوية المشاكل الناجمة عن الاختلاف في الآراء والرغبات بين رجال المرور والجمهور . ومن ذلك ان يقترح متحدث باسم سكان المدينة وضع علامة مرور على تقاطع أحد الشوارع ، فيرفض مهندس المرور ذلك بلهجة تتسم بالجفوة ، لأنه لا يرى ثمة ضرورة لذلك . فيؤدى هذا الرفض الجاف الى خلق جو من العداء واصرار الجانب الآخر على التوسع في اثارة المشكلة . ولو أن المهندس أوضح أن وضع العلامة في هذا المكان يعنى وضعها في جميع الاماكن المماثلة ، مما يرهق خزانة المدينة ، لانتهى الموضوع بهدوء . ومن جهة أخرى، فاناعادة دراسة الموقف بدقة قد تظهر أن الجمهور على حق وهنا يجب الا يتردد المهندس في العدول عن رأيه ، ولن ينقص ذلك من قدره . فالانصاف والفكر المفتوح هما حجر الزاوية في التعامل الناجح مع الناس .

كما يجب على مهندسى وشرطة المرور اتقاء اثارة المشاكل ما أمكن ، وتوخى تلبية الرغبات الجماعية للسكان . فقد حدث أن واجه المهندسون مشكلة ازالة الاشجار منشارع في مدينة تقرر ان يخترقها طريق عام ، لاعتراض السكان على ذلك . ورغم هذه المعارضة فقد صدر الامر باجتثاث الاشجار . وعندما بدأ الجرار في اقتلاعها ، ألقت سيدة بنفسها امام الجرار ، فتوقف العمل ، وساد شعور مرير . وخذل المهندسون أخيرا اذا اضطروا الى الرضوخ لرغبة السكان ، وبقيت

---

(١) جورج دوديتشا المرجع السابق ، مطالعاتفي علم النفس للدكتور مصطفى سويف مكتبة الانجلو بالقاهرة ١٩٦٢ .

(٢) شرطة المرور بقلم أ.و. ويلسون مجلة الامنالعام العدد ٦ ابريل ١٩٥٩ .

الاشجار . وترجع هذه المشكلة التى ثارت الى ضعف العلاقات العامة بين السكان والقائمين على المشروع ، وعدم مواجهة المشكلة بالفهم الواعى ، والتقدير الصحيح لنفسية الناس ، والاعلام السليم ، والمناقشة الموضوعية (١) .

وقد كان القول السائد لسنوات خلت أن نجاح رجل الشرطة رهن بخشونته ، وقد يصدق ذلك ـ حتى في الوقت الحاضر ـ في ظروف الشغب والفوضى الجماهيرية . ولكن من المؤكد ان مثل هذه الصفة غير مرغوبة بين رجال شرطة المرور ، ولا تؤدى الى تحقيق النتائج المنشودة .

ضرورة الالتزام بحسن المعاملة

فقائد السيارة ليس بالضرورة مجرما . كما ان غالبية المخالفين ليسوا بمتمردين على قواعد المرور ، ولكنهم يرتكبون المخالفات سهوا بسبب توزع انتباههم او انشغالهم بشىء آخر . وواجب رجل الشرطة ان يذكر المخالف بالقانون ، ويحاول أن يصلح في أدب افكاره أو عاداته الضارة . اذ ان لتنفيذ القانون جوانب تعليمية ، كما ان له جوانب ضابطة ومنظمة . والتعليم هو خير السبل للاقلال من الحوادث . فعلى رجل الشرطة أن يعتبر نفسه معلما معظم الوقت ، وان يدرس أساليب المعلمين ، وهى تعتمد بالضرورة على علم النفس .

ويمكن القول أن الكثرة الغالبة من الناس تستجيب للمعاملة الطيبة . فاذا عومل قائد السيارة معاملة طيبة ، وأعطاه رجال المرور الاعتبار الكاف ، واشعروه بانهم يعملون على مساعدته لا اصطياده ، تحسن سلوكه ، وعمل من جانبه على الابتعاد عن الظروف التى تنتج عنها الحوادث أو خرق قواعد المرور . ان المعاملة الطيبة تأسر حتى أولئك الذين يجنحون بطبعهم الى الخشونة . أما من تخفق هذه الوسائل في تقويمه ، فان من الواجب أخذه بما يكفل عدم اساءته استعمال حقه في قيادة السيارات .

حسن المعاملة مبدأ اسلامى انسانى

ولقد ارسى القرآن الكريم مبدأ حسن معاملة الناس . فأمر رسله وأنبياءه بالمعاملة بالحسنى . وفي حسن معاملة الناس نزلت الآيات البينات على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن » .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

« فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فواجب رجل الشرطة المختص بتنظيم المرور ان يحسن معاملة أفراد الجمهور ، وان يكون قدوة صالحة في لون الطبع وسماحة النفس . فيتخذ أحسن السبل لتنفيذ القانون ، ولا يهدر انسانية أى من الناس ولو كان مخالفا . ذلك اخرى ان يؤدى به الى تحقيق هدفه . أما اذا اتصف عمله بالتعسف والاساءة والقهر ، فانه يرتكب بذلك جريمة لا يدفعها كونه يعمل على منع أخرى كبرت او قلت عنها درجة أو درجات ، فالجرم لا يعالج بالجرم . والقضاء هو الجهة المسئولة بالفصل في الاتهام الذى توجهه الشرطة . ولا يتم العقاب الا بمقتضى احكام القضاء . وله وسائله المحددة المشروعة .

الحالة النفسية ومخالفات المرور

يعانى بعض سائقى السيارات من آلام أو متاعب جسمانية ، على حين يعانى البعض الآخر من متاعب نفسية ترجع الى حالة عقلية معينة أو دافع معين . وينجم عن هذه المتاعب التعرض للخطر أو الرغبة في درء مسئولية الخطأ . ومن شأن الحالة النفسية السيئة أن تجعل صاحبها جاهلا بالموقف او غير منتبه للخطر الماثل ، فيقود سيارته بسرعة ٩٠ كيلو متر في الساعة دون أن

---

(١) تنظيم المرور بقلم أ.و. لوير . ترجمة لواءحسن عبد الوهاب ـ الدار القومية ١٩٦٦ .

يدرك انه تجاوز الحد المسموح به ، أو تتغلب دوافعه على رغبته في الانصياع للقانون ، فيستبدل بالسرعة المأمونة سرعة مجنونة للتنفيس عن احساسه بالضيق من رتابة الحياة وبطئها ، وليس لاى سبب آخر . ومن السائقين ذوى المتاعب النفسية من يستشعر الفخر والسعادة في خرق قوانين المرور والخروج على القواعد الاجتماعية .

الحالة العقلية والقدرة على القيادة

يستطيع رجال المرور الملمون بالدراسات النفسية والقادرون على تفسير الحالات العقلية أن يدركوا أثر حالات السائقين العقلية في حركة المرور . فمن الثابت لدى علماء النفس وخبراء المرور أن حالة السائق العقلية تؤثر في استعداده وقدرته على القيادة السليمة . فالثائر او المتعجل يتجاوز السرعة الامنة او يتخطى علامة الوقوف ، والمهموم قد يخرج على آداب المرور .

وهنالك ظروف عقلية يمكن وصفها بانها غياب العقل لفترات محددة ، كمن تأخذه سنة من النوم في أثناء قيادته السيارة ، فيقال بأن كفاءته العقلية قد هبطت بسبب الملل . ومن المعروف أن السائق الواقع في غيبوبة الانسولين الزائد الذى يتعاطاه المريض بالبول السكرى أو الذى يصاب بنوبة من نوبات الصرع ، عرضة في كثير من الحالات لارتكاب مخالفات المرور التى قد يؤدى بعضها الى فواجع في النفس والمال . وثمة حالات أخرى تتفاوت في درجات الحدة ولكنها تحدث النتيجة ذاتها ابتداء من الغضب الوقتى الى فقدان الذاكرة ثم الى الدرجات المختلفة للجنون . كما يشبه هذه الحالات تعاطى الخمور والمخدرات على اختلاف أنواعها مما يسبب الاضطرابات العقلية . وقد دلت الدراسات المتعلقة بأثر تعاطى الخمور على حسن التقدير ــ وهو العامل اللازم لسلامة القيادة ــ انه يهبط الى ٤٠٪ من دقته الاصلية بعد تناول سبعة كئوس من « الجن » .

كما ثبت ان تأثر حسن التقدير بالخمر يسبق ظهور أى عوارض للسكر على الجهاز العضلى (١) .

اختلاف معدل الحوادث باختلاف السن والجنس

ثمة علاقة قوية بين السن والجنس وبين ظاهرة ارتكاب حوادث المرور . بيد ان تأثير السن في تلك الظاهرة أقل ظهورا في سجلات القيادة الخاصة بالنساء . وقد اثبتت البحوث انه ليس ثمة فارق كبير بين سلوك الجنسين في القيادة فيما بين سن الخامسة عشرة والثلاثين ، وان كان قد لوحظ ان حالة القيادة تسوء بالنسبة للرجل وتتحسن بالنسبة للمرأة خلال الست سنوات الاولى لتعلم القيادة .

وبعد سن الثلاثين يتساوى الجنسان في معدل حوادث المرور عدا ما يطرأ عليه من ارتفاع طفيف بالنسبة للسيدات في سن الخامسة والثلاثين . وقد يرجع ذلك للمتاعب العائلية او لوجود الاطفال بالسيارة . ثم تزداد قابلية النساء لارتكاب الحوادث بعد سن الخامسة والخمسين . ولا يصح اعتبار هذه النتائج ثابتة وحاسمة ، اذ قد تؤدى الدراسات المقبلة الى نتائج مختلفة تبعا للتغيرات البيئية والاقتصادية والاجتماعية .

واخيرا ، فانه لتحقيق افضل النتائج عن طريق تطبيق علم النفس في التخطيط للمرور وتنظيمه ، لا مناص من فهم المبادىء الاساسية لهذا العلم جيدا ، والتسليم بها ، والعمل على أن تبقى دائما ماثلة في أذهان المخططين والمنظمين . ومن هذه المبادىء ان الرائى لا يدرك كل ما يقع في نطاق الرؤية . ومنها ضرورة وجود منبهات بصرية على مسافات مناسبة على طول الطريق . ومنها ايضا اختلاف الافراد فيما بينهم في القدرات ، وضرورة اخذ ذلكبعين الاعتبار عند وضعخطط المرور،فذلك ومثيله كفيل بالاقلال من حوادث المرور الى ادنى حد ممكن . ■■

حسن فتح الباب

---

(١) ظاهرة تعاطى الحشيش ، التقرير الاول والثانىنتائج المسح الاستطلاعى في مدينة القاهرة من منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعيةوالجنائية القاهرة دار المعارف ١٩٦٠ .

احمد بن ابي دُؤاد

بقلم : عبد الستار فراج

■ كـان لما ترجـم مـن كتب قبل المأمون وتضاعف فى عهده ، جانب حسن يتمثل فى النهضة الثقافية الواسـعة ،التـي تفتحت أمـام العقـول الواعيـة والنفوس المتطلعة الى التزود بكل نافع مفيد . وكان لما ترجم ايضا جانب كالح ، بدا فى اطلاق العنان للعناد الفكرى الذى يسبك الحجج الزائفة فى قالب خلاب لدحر الخصوم ، فى عهود لم يكن يحد السلطان فيها مجالس للشورى ، ولا يمنع عدوانه راى عام فعال . وفى وقت لم تنمح منـه العصبيات البغيضـة ، والطائفية التى لا يهمها أن يسود الامن والاستقرار .

ويحدثنا التاريخ عن اشخاص جدُّوا فتقدموا ، ودابوا فارتفعوا . نالوا بعلمهم وأدبهم أعظم الحظوة ، وبلغوا بفضلهم واعمالهم قمة المجد الرفيع ، فصاروا اعلاما مرموقين ، تلهج السنة الناس بمديحهم ، وتنظر اليهم الابصار فى اكبار .

على ان من بين هؤلاء الاعلام افرادا اثاروا فتنا كقطع الليل المظلم ، اذ تعصبوا لافكار ارادوا أن يرغموا على اعتناقها ائمة المسلمين ، فشغلوهم عن السعى فيما ينفع ، ثم تكشفت الفتن عن بلاء شديد ، اصاب بعض من خالفوهم بالمحن والأرزاء .

واحمد بن ابي دُؤاد من اولئك الذين دابوا وجدُّوا . ونالوا وبلغوا . ثم كـان فى مقدمة من جنوا على مخالفيهم في الرأى جناية كبرى . ولو انه صرف نفسه عن ذلك لكان في عهده وفي كل العهود فذًا منقطع النظير ، فاحواله وأعماله الأخرى التي لـم تتصل بالعناد الفكرى ، وعزةُ نفسه وسموُّ مداركه ، جعلت السنة الغالبية من معاصريه ، بل حتى منافسيه يذكرون له غرد آثاره ، وروائع امجاده .

«ودُوَاد» نطقها الصواب دال مضمومة بعدها واو مفتوحة بدون همزة ، وهي في اللغة من مادة (دود) لا من مادة (داد) ، وأحببت التنبيه عليها لكثرة ما يقع في الكتب خطأ رسمها بالهمزة، ولكثرة ما يتلفظ بها الناطقون ، وكذلك يقال في الشاعر ابي دُواد الايادى . فهو بالواو لا بالهمزة

□ أول من بدأ الحديث مع الخلفاء.

□ تصدق الخليفة على يديه ووهب ما قيمته مائة مليون درهم.

□ وما سأل حاجة لنفسه قط.

□ لولا مناصرته لفكرة خلق القرآن لاجتمعت القلوب على محبته.

وكلا الشخصين وان تباعد بينهما الزمان ينتمي الى القبيلة العربية اياد .

بدء ظهوره وارتفاعه

لقد كان بدء ظهور احمد بن أبي دؤاد في أيام المأمون حين قدم بغداد سنة ٢٠٤ هجرية وعمره حوالي أربعة واربعين عاما . ذلك أن يحيى ابن أكثم التميمي قدم قاضيا على البصرة في سنة ٢٠٢ هـ بتولية من الخليفة المأمون الذي كان بخراسان ويحيى بن أكثم شاب مليء ذكاء وعلما وحسن اختيار ، فاستصحب جماعة من أهل العلم والمروءات ، منهم احمد بن أبي دواد . فلما قدم المأمون بغداد سنة ٢٠٤ واجتمع به يحيى بن أكثم قال له : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسونني ويكثرون الدخول الي . فاختار يحيى منهم عشرين فيهم أحمد بن أبي دواد ، فكثروا على المأمون فقال له : اختر منهم ، فاختار منهم عشرة ، منهم احمد ابن أبي دواد . ثم قال له : اختر منهم . فاختار خمسة ، فيهم أحمد بن أبي دواد . وهكذا اتصل امره بالخلفاء .

وظلت منزلة أحمد ترتفع لدى المأمون حتى صار عنده من المخلصين ، وفي الخبر التالي مايبين بعض دواعي هذه المنزلة من الايثار والتقريب .

« قال أحدُ مجالسي المأمون : كنا عند المأمون ، فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة ، فاختلفوا في ذلك . ودخل ابن أبي دواد ، فعدَّهم واحداً واحداً باسمائهم وكناهم وانسابهم . فقال المأمون : اذا استجلس الناس فاضلا فمثل أحمد . فقال احمد ، بل اذا جالس العالِم خليفةً فمثل أمير المؤمنين الذي يَفهم عنه ويكون أعلم بما يقوله منه » .

لقد جمع احمد بين علم يفوق به أقرانه ، وتلطف في القول ، وتحبب يرضي ما في الخليفة من كبرياء .

ومع تحببه وتلطفه لم يكن ضعيف الشخصية ، بل كان على ثقة من نفسه لاتتزعزع . وجراءة في الابتداء بالقول ، مكنتها له حسنُ ما يبديه من الرأي وما يلقيه من القول ، والمؤرخون يذكرون من فضائله قولهم عنه « هو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء . وكانوا لا يبدؤهم أحد حتى يبدءوه » . وحسبنا هذا برهانا على قوة شخصيته في تجاوزه للمألوف فيما عهد من مجالسة الخلفاء .

والخليفة المأمون كان عالما ، وكان فصيحا .

وكان ذكيا ، وميله الى العلم والأدب اشد من ميله الى الجوانب الأخرى من مهامه . ويبدو انه انحرف الى مذهب المعتزلة الذى كان منحرفا اليه احمد بن ابي دواد ، ولانستطيع القطع بأن ذلك من تأثيره عليه.ويمكن القول انه مالأه على التعصب له ، والمبالغة في التشدد على من يخالفونه .

المعتزلة

ونشأة المعتزلة كانت في اواخر عهد بني امية حينما طرد الحسنُ البصري من مجلسه واصلَ ابنَ عطاء ، للخلاف حول المؤمن الذى يرتكب الكبيرة من الذنوب ، فقد قال اهل السنة ، انه فاسق بارتكابها ولكنه مؤمن وليس بكافر . وقال الخوارج ان مرتكبها كافر .وقال واصل بن عطاء : ان الفاسق من امة محمد لا هو مؤمن ولا هو كافر، وانما هو منزلة بين المنزلتين .

وبعد طرد الحسن لواصل ، جلس واصل في ناحية من المسجد ، وجلس اليه عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٣ هـ) فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون ، وبين اتباعهم بعض الخلاف، كل جماعة فيها مفكرون، ومن اهم خلاف المعتزلة مع اهل السنة ان اهل السنة يقولون ان لله تعالى علما حقيقيا لا مجازا وان علمه تعالى غير مخلوق ، لم يَزَلْ . والمعتزلة يقولون ان علم الله مَجاز لا حقيقة . وبعضهم قال ان علمه مُحدَث مخلوق . والخلاف الثاني الذى يهمنا هو ان اهل السنة يقولون ان كلام الله تعالى قديم ، لم يَزَلْ ، وغير مخلوق . والمعتزلة يقولون ان كلام الله ِصفَة ِفعل ٍ مخلوق . ومن هذا الرأى نشأت فتنة خلق القرآن كلام الله ، هل هو مخلوق او غير مخلوق ، نشأت او بدت ظاهرة ضارية في عهد المأمون. اذ كان الأمر قبله نقاشا في المساجد ومجالس العلماء ، كلٌ يحاول اثبات صحة رأيه بما أوتي من فصاحة وقوة في الجدال ، فنقله المأمون الى مذهب حكومى يتدخل فيه الخليفة ويكره الناس على التسليم بما يذهب اليه مما استحدث في شئون الدين .

وقد ارتُكِبَ بسبب هذه الفتنة من الظلم والتنكيل بالعلماء ما يحمل المأمون وِزْرَه ووزر من اتى بعده ومن شاركه في بدعته التي شغل بها هو ومن حكم بعده .

في أيام المعتصم

وحينما دنا أجل المأمون كان العهد بالخلافة بعده الى اخيه المعتصم ، فكتب المأمون وصيته اليه وقال فيها .

« وابو عبد الله احمد بن ابي دواد لايفارقك الشركة في المشورة وفي كل أمرك ، فانه موضع ذلك » .

ويلاحظ أن الخليفة ومَن بعده من الخلفاء كانوا يخاطبون او يذكرون احمد بن أبي دواد بكنيته ، وهي ابو عبد الله « وهذا في عرف أزمانهم يُعدُّ من اعظم المحبّة والتقريب والتكريم » .

فلما تولى المأمون أسند المعتصم منصب قاضي القضاة الى أحمد بن أبي دواد وعزل يحيى بن اكثم . على ان يحيى بن اكثم كان شأنه قد ضعف في أيام المأمون ، لما تناثر حوله من شائعات اغلبها كان من تأثير ما اتصف به من دُعابة وحبه للهزل حتى مع خصومه ، وميله لقول الشعر العابث وروايته ، بخلاف أحمد بن أبي دواد ، الذى قيل عنه انه كان مولعا بالجِد حتى مع جاريته وابنته .

والخليفة المأمون المعدود من العلماء كان معجبا باحمد بن أبي دواد ، ومقدرا له ، فما بالنا بالمعتصم الذى لا يُذكَر عنه ان له في العلم نصيبا يذكر ، فلا عجب أن يكون تأثير ابن ابي دواد عليه أكبر . لذلك سار المعتصم في فتنة خلق القرآن ، وترك أحمد بن ابي دواد يتولى مناظرة المخالفين ويتهجم عليهم ويتهمهم بالمروق عن الدين ، فقُتِلَ من قُتِلَ وضُرِبَ الامام احمد بن حنبل من اجل ذلك بالسياط ، وحماه الله من أن يكون من المقتولين وكان ذلك في سنة ٢٢٠ هجرية بعد تولى المعتصم الخلافة بسنتين .

وقوى تأثير أحمد بن ابي دواد على المعتصم ، حتى كان لا يفعل فعلا ظاهرا ولا باطنا الا برأيه . بل ان فترة حكم المعتصم تجلت فيها عظمة ابن أبي دواد وأمجاده التى خلدته عَلَمًا لا يطاوله الا القليلون .

ولم يكن تقدير المعتصم له اعتباطا . ولا ايثاره اياه بالحب بدون سبب قوى ، فلقد رأى منه على رغم مذهبه الكلامى حبًا للخير ، وسعيا لنفع الناس وبلاغة رائعة .

وتتفق الروايات على استجابة المعتصم لكل ما يطلبه احمد بن ابى دواد ، وهذا احد الرواة

يقول : ما رأيت احدا قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دواد . كان المعتصم يُسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ، ثم يدخل ابن أبي دواد فيكلمه في أهله وفي أهل الثغور وفي الحرمين، وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب ، فيجيبه الى كل ما يريد ، ولقد كلمه يوما في مقدار الف الف درهم ـ مليون درهم ـ ليحتفر بها نهرٌ في اقاصي خراسان ، فقال له المعتصم : وما عليَّ من هذا النهر ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، ان الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أدناها . ولم يزل يرفق به حتى أطلقها . (١)

ولا ينسى أحمد في سبيل تحقيق رغبات الشعب في كل مكان أن يتحبب للخلفاء بمعسول القول ، ليرضى كبرياءهم ، ويقوم مقام الشكر على جميل ما يصنعون . قال علي بن الحسن الاسكافي كاتب « بُغا » أحد قواد المعتصم « اعتلَّ أحمد بن أبي دواد ـ أى مرض ـ فعاده المعتصم ، وكان معه « بغا » وكنت معهما . فقام فتلقاه ، وقال له : قد شفاني الله بالنظر الى أمير المؤمنين ، فدعا المعتصم له بالعافية . فقال أحمد : قد تمم الله شفائي ومحق دائي بدعاء أمير المؤمنين ، فقال له المعتصم : انى نذرت أن عافاك الله أن أتصدق بعشرةآلاف دينار. فقال له : يا أمير المؤمنين فاجعلها لأهل الحرَمين ، فقد لقوا من غلاء الأسعار عَنَتاً . فقال : نويت أن أتصدق بها هاهنا ، وانا أُطلِق لأهل الحرمين مثلها ، ثم نهض . فقال له : امتع الله الاسلام وأهله ببقائك يا أمير المؤمنين .

ثم قيل للمعتصم في ذلك ، لأنه عاده وليس يعود اخوته وأجلاء أهله . فقال المعتصم : وكيف لا أعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط الاّ ساق اليَّ أجرا ، أو أوجب لي شكرا ، أو أفادني فائدة تنفعني في ديني ودنياى . وما سألنى حاجة لنفسه قط » .

هذا وفي الجملة الاخيرة يكمن أكبر السر في التقدير « وما سألني حاجة لنفسه قط » . فهو اذن كان يتلطف ويتحبب ، ويبذل جاهه للنفع العام .

وفي البذل من الجاه صدقة ، كما في البذل من المال .

علم الكلام والمتكلمون

والحديث عن أحمد بن أبي دواد طيب يشوق اذا كان بمعزل عن الخوض في علم الكلام .

وعلم الكلام هو علم أصول الدين ، أو الفقه الاكبر ، ويسمى أيضا علم النظر والاستدلال ، كما يسمى علم التوحيد والصفات .

فالعلم المتعلق بالاحكام الفرعية ، أى العملية ، يسمى علم الشرائع ، والمتعلق بالاحكام الاصلية ، أى الاعتقادية ، يسمى علم التوحيد والصفات . وعلم الكلام يُقتدَر به على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ، ودفع الشُبَه عنها ، وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته . وعليه تبتنى العلوم الشرعية ، لأنه أساسها ، واليه يؤول أخذها واقتباسها ، فانه ما لم يثبت وجود صانعٍ عالمٍ قادرٍ مكلِّفٍ مرْسِلٍ للرُسُل منزِّلٍ للكُتب ، لم يتصوَّر علمُ تفسيرٍ ولا علمُ فقه : ودلائله يقينية يَحكم بها صريحُ العقل ، وقد تأيدَت بالنقل ، وشهادة العقل مع تأيُدها بالنقل هي الغاية في الوثاقة اذ لا تبقى حينئذ شبهة في صحة الدليل ، وسُمِّى عِلْمَ الكلام ـ كما يقول ابن خلكان نقلا عن السمعاني ـ لأن أوَّل خلافٍ وقع فى الدين كان فى كلام الله عزَّ وجلَّ : أمخلوق هو أم غير مخلوق . فتكلم الناس فيه ، فسُمِّى هذا النوع من العِلم كلاماً اختُصَّ به ، وان كانت العلوم جميعها تُنشَر بالكلام .. وقال غيره ان وَجْهَ تسميته بالكلام انه يورث قدرةً على الكلام في الشرعيات أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه . وأما تسميته بأصول الدين فلكونه أصل العلوم الشرعية ، لأنها تبنى عليه .

عـود الـى احمـد

ونعود الى ما يذكر عن أحمد بن أبي دواد بعيدا عن آرائه ، متصلين بباهر افعاله .

غضب الخليفة المعتصم على خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشيباني ، واستدعاه من ولايته التى كان ولاه اياها ، فجلس المعتصم لعقوبته ، وكان خالد قد لجأ الى القاضي أحمد بن أبي دواد مستشفعا ، فتكلم فيه عند المعتصم فلم يجبه ولم يقبل شفاعته فيه . فلما جلس المعتصم لعقوبة

---

(١) أى حتى وافق على اعتماد المبلغ المطلوب.

خالد بن يزيد بن مزيد حضر القاضي أحمد فجلس دون مجلسه . فقال له المعتصم : يا أبا عبد الله ، جلستَ في غير مجلسك . فقال : ما ينبغي لي أن أجلس الا دون مجلسي هذا . فقال له : وكيف ؟ قال : لأن الناس يزعمون انه ليس موضعي موضع من يَشفع في رجل فيُشفّع . قال : فارجع الى مجلسك . قال : مُشفّعاً أو غير مُشفّع ؟ قال : بل مشفعا . فارتفع الى مجلسه ثم قال : ان الناس لا يعلمون رضا أمير المؤمنين عنه ان لم يخلع عليه ، فأمر المعتصم بالخلع عليه . فقال احمد : يا أمير المؤمنين ، قد استحقّ خالد وأصحابه رزقَ ستة أشهر لا بد أن يقبضوها ـ يعني بذلك ما لم يُصرَف من مرتباتهم المقررة لهم شهريا ـ وان امرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة . فقال المعتصم : قد أمرت بها . فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه . وان الناس في الطرق ينتظرون الايقاع به . فصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك ياسيد العرب ، فقال له : اسكت ، سيدُ العرب واللهِ احمدُ بن ابي دواد .

هذا وخالد بن يزيد بن مزيد كان من الولاة من ايام المأمون ، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ ومدحه أبو تمام كثيرا ، وله فيه قصائد حسنة . وأبوه يزيد ابن مزيد من القادة السادة ، مدحه الشعراء ولا سيما مسلم بن الوليد . وأخوه محمد بن مزيد كان موصوفا بالكرم ، وانه لا يردُ طالبا ، ومدحه شعراء عصره أيضا ، وكلهم من بيت كريم ، فان معن بن زائدة الشيباني المشهور هو عم يزيد ابن مزيد ، وقبيلتهم بنو شيبان لها في المواقع الحربية ما يعد ويحمد .

وكثرت حوائج الناس ، وأكثر أحمد بن أبي دواد من طلبها من المعتصم ببذل جاهه في سبيل قضاء مصالح الناس ، فقال له المعتصم يوما : حدّثنا يا أحمد ، قد اختلّت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك ، والمتوسلين اليك . فقال : يا أمير المؤمنين : نتائج شكرها متصلة بك . وذخائر أجرها مكتوبة لك ومالي من ذلك الاّ عشق اتصال الألسن بحلو المدح فيك . فقال : يا أبا عبد الله ، لامنعناك ما يَزيد في عشقك ، ويَقوّي من همتك ، فتناوَلْنا بما أحببت .

وقال عون بن محمد الكندي : لعَهْدي بالكرْخ ببغداد وانّ رجلا لو قال : ابنُ أبي دواد مسلم لقُتل في مكانه ـ كراهية له حتى بلغت درجة تكفيره وانكار اسلامه ، وقتل من يقول به ـ ثم وقع حريق في الكرخ أتى على أكثر مال الناس فيه ، فكلم ابنُ أبي دوادٍ المعتصمَ وقال : يا أمير المؤمنين ، رعيّتك نزل بهم هذا الامر فاعطف عليهم بشيء يُفرّق فيهم ، يمسك أرماقهم ، ويبنون به ما انهدم عليهم ، ويصلحون به أحوالهم . فلم يزل به حتى اطلق لهم خمسة الآف ألف درهم « خمسة ملايين » فقال : يا أمير المؤمنين ان فرّقتَها عليهم غيرى خِفْت ان لا يقسم بالسويّة ، فائذنْ لي في تولّي أمرها ، ليكون الأجر أوفر ، والثناء أكثر . قال : ذلك اليك . فقسمها على مقادير الناس وما ذهب منهم ، بنهاية ما يقدر عليه من الاحتياط . واحتاج الى زيادة فازدادها من المعتصم ، وغرم هو من ماله في ذلك غرما كثيرا . فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها ، قال عون بن محمد الكندي راوي الخبر : فلَعهدي بالكرخ بعد ذلك وان انسانا لو قال : زرْ ابن أبي دُواد وسِخ لقُتِل .

ومما يروى عنه قوله : « تصدّق المعتصم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم » أي مائة مليون .

وخصمه يشهد له بالفضل

وحدّث محمد بن عبدالملك الزيات ـ وهو الذي كان بينه وبين أحمد بن أبي دواد تنافس وخصومة ـ فقال . كان رجل من نسل عمر بن الخطاب لا يلقى ابن أبي دواد في محفل ولا وحْدَه الا لعَنه ودعا عليه ، وابن أبي دواد لا يرد عليه شيئا .

ثم عرضت لذلك الرجل حاجة الى المعتصم ، فسأل محمد بن عبد الملك ان يرفع شكواه الى الخليفة فمطله وأخّر رفعها خشية من ابن أبي دواد ، ثم ألحّ الرجل على محمد بن عبد الملك الزيات ، فدخل الى المعتصم منتهزا فرصة غياب أحمد بن أبي دواد ، وقدّم شكوى الرجل ، واخذ المعتصم في قراءتها ودخل ابن أبي دواد والشكوى في يد المعتصم يقرؤها ، فلما قرأها دفعها الى ابن أبي دواد . فلما نظر اليها واسمُ الرجل في أولها قال ، يا أمير المؤمنين ، عمر بن

الخطاب ، عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب ، ينبغي أن تقضي لولده كلّ حاجة له . فوقّع له أميرُ المؤمنين بقضاء ما طلب . قال محمد بن عبد الملك ، فخرجت والرجل جالس . فدفعت اليه شكواه موقعاً عليها بقضائها وقلت تشكّرْ لأبي عبد الله القاضي . فهو الذي اعتق شكواك وسأل امير المؤمنين في قضاء حاجتك . فوقف ذلك الرجل حتى خرج ابن ابي دواد ، فجعل يدعو له ويتشكّر له . فقال له : اذهب عافاك الله ، فاني انما فعلت ذلك لعمر بن الخطاب لا لك .

حيـاة قائـد شجـاع

وهذا الأفشين حيدر بن كاوس أكبر القواد الاتراك للمعتصم ، كان يحسد أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي ، وهو من القادة العرب ، مدحه الشعراء لفضله وكرمه فاكثروا . فاحتال الأفشين على أبي دلف ، حتى دَسّ عليه من شهد بجناية ، وكانت للافشين دَالّة على المعتصم وجراءة في ان يفصل في بعض الامور دون الرجوع اليه فيغتفرها له . فارسل الأفشين الى أبي دلف بعض أتباعه ، فقبضوا عليه وذهبوا به الى دار الأفشين . وبلغ الخبرُ احمد بن ابي دواد ، فركب مسرعا الى دار الأفشين ومعه بعض الشهود، ولما دخل وجد أبا دلف موقوفا للقتل ، والأفشين في حاشيته جالس ، والسّيّاف مستعد ليقتل أبا دلف . فبدأ احمد بن ابي دواد في رجاء الأفشين ان يطلق أبا دلف ، فأبى ولم يقبل ، فتضرع اليه أن يطلقه ، فأصر واستكبر ، فتذلل اليه أن يحقق على العرب أحد قادتهم فلا يقتله ظلما ويجعلها يداً بيضاء على من أحسن اليهم أبو دلف ، ومكافاة له على ما قام به من فتوح ، وما له من مواقف محمودة . فلم يزد الأفشين الا طغيانا وتجبرا وعتُوا ، وحينئذ انتصب احمد بن أبي دواد شامخا في كبرياء وانفة وقال : اما اذ ابيت ان تستجيب للرجاء ، وامتنعت عن الاحسان فاعلم أني آمرك بأن لا تمسَّ منه شعرة ، واني رسول امير المؤمنين اليك ، وقد امرك ألاّ تُحْدِث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه اليه دون أن يمسه أذى ، ثم التفت الى من معه من الشهود ، والى من حضر دار الأفشين وقال : الاّ فاشهدوا أني أديت الرسالة اليه عن أمير المؤمنين والقاسمُ بن عيسى حيّ معافىً . فقالوا شهدنا . وخرج احمد بن أبي دواد مرفوع الرأس وذُهِل الأفشين ، وتوقف عن قتل أبي دلف . واسرع احمد بن أبي دواد بعد خروجه الى دار الخليفة المعتصم ودخل اليه في داره وقال : يا امير المؤمنين ، قد أدّيت عنك رسالة لم تقلْها لي ، ما أعتدّ بعمل خيرٍ خيراً منها ، وانى لأرجو لك الجنة بها .

ثم أخبره الخبر فصوّب رأيه ، ووصلَ الأفشينُ ليتأكد من صحة ما قاله له احمد بن أبي دواد ، فصدقه الخليفة ، وَوجّه من أطلق أبا دلف من بيتـه .

وما ذكرته عن تخليصه لمن كادت تطيح برءوسهم السيوف هو بعض مما يروى ، وله في ذلك المجال وفي بذل المال مواقف مشهودة .

اقوال ومبادىء

وتروى عنه أقوال كانت من مبادئه التي تمسك بها ، من ذلك قوله « ليس بكاملٍ من لم يَحمِل وَليّه على منبر ولو انه حارس . وعدوّه على جِذْعٍ ولو انه وزير » يريد يحمل عدوه على جذع ان يقتل ويصلب .

بين ابن أبي دواد
ومحمد عبد الملك الزيات

ومحمد بن عبد الملك الزيات من الشخصيات البارزة في عهد العباسيين أيام المعتصم وابنيه الواثق والمتوكل . وارتفع الى مرتبة الوزارة ، وبلغ من تقدير الواثق له انه امر بأن لا يُرى احدٌ من الناس محمدَ بن عبد الملك الزيات الوزيرَ الا قام له .. لم يستثن من رعيته احدا ، وكانت بين احمد بن ابي دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات عداوة ، او لم يكن بينهما وُدّ ، فكان احمد اذا رأى ابنَ الزيات مقبلا قام واستقبل القبلة يصلى ، حتى لا يؤخذ عليه انه لم يمتثل لأمر الخليفة ، وحتى لا يظهر الاحترام لخصمه ، وكان ابن الزيات من كبار الكتاب والشعراء ، فقال :

صَلَتِى الضحى لما استفاد عداوتي
وأراه يَنْسُك بعدها ويَصوم
لا تعدمَنَّ عداوةً مسمومةً
تركتك تقعد تارةً وتقوم

ومرّة اضطر أحمد بن أبي دواد الى أن يدخل على خصمه ابن الزيات لقضاء حاجة لغيره ، ومع ذلك قال لابن الزيات في ذلك اللقاء : « والله ما أجيئك متكثراً بك من قِلّة ، ولا متعززاً بك من ذِلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتّبك مرتبةً أوجبت لقاءك ، فان لقيناك فله ، وان تأخرنا عنك فلك » .

ولم تكن هذه العداوة بينهما تخفى على الواثق، ولكنه لم يحاول ازالتها ، كما لم يتمكن لأحدهما من الآخر ، فكل منهما له عمله ، وله منفعته ، ويذكر أن الواثق قال مرة لابن أبي دواد حينما دخل اليه : كان عندى الساعةَ محمد بن عبد الملك الزيات ، فذكرك بكل قبيح ، فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى أحوجه الى الكذب عن قول الصدق عنى ، ورغّبنى عنه .

ومن أقواله : « ثلاثة ينبغي أن يُبجّلوا وتعرف أقدارهم : العلماء ، وولاة العدل ، والاخوان . فمن استخف بالعلماء أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالاخوان أهلك مروءته » .

أدب ورعاية

وهناك آداب في حسن المعاملة يحرص عليها بعض من رُزقوا دقة الحس وقوة الملاحظة ، وعرفوا ما يكون لها في النفوس من وقع محمود . يروى لنا أبو العيناء ، وكان كفيفا ومن كبار الأدباء والشعراء في عهد العباسيين ، فيقول :

« ما رأيت في الدنيا أحداً أحرص على أدب من ابن أبي دواد ، ولا أقوم على أدب منه ، وذلك أنى ما خرجت من عنده يوما قط فقال يا غلام خذْ بيده ، بل كان يقول : يا غلام اخرج معه . وكنت افتقد هذه الكلمة عليه فلايخلّ بها ولا أسمعها من غيره » .

ويقولون عنه انه « كان مألفا لأهل الأدب من اى بلد كانوا ، وكان قد ضم اليه جماعة يعولهم ويمونهم » ومع مدائح ابى تمام له في شعره ، يقول له مرة : احسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال له : انما يُعتَب على واحد ، وأنت الناس جميعا، فكيف يُعتب عليك » .

ويقول عنه صاحب تاريخ بغداد : « كان موصوفا بالجود والسخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب ، غير أنه اعلن مذهب الجهمية وحمل السلطانَ على الامتحان بخلق القرآن » وقال عنه أيضا : « كان يقال : اكرم من كان في دولة بنى العباس البرامكة ، ثم ابن أبى دواد ، ولولا ما وَضعَ به نفسه من محبة المِحنة لاجتمعت الألسن عليه ، ولم يُضَف الى كرمه كرمُ أحد » وينقل الينا أيضا في كتابه تاريخ بغداد قوله « انه لم يكن لقاضي القضاة أحمد بن أبي دواد أخ من الاخوان الا بنَى له داراً على قدر كفايته . ثم وقف على ولد الاخوان ما يُغنيهم أبداً ، ولم يكن لأحد من اخوانه ولدٌ الا من جارية هو وَهبها له » .

فليس عجبا أن يقول أبو عبد الرحمن العطوى الشاعر في رثاء أحمد بن أبي دواد ، كما يروى الزجاجي في أماليه :

وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس نسيم المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناءُ المُخلَّف

وذكر ابن خلكان أن هذا الشعر قيل فيه ، ولكنه لم ينسبه الى قائل .

اما القالى في أماليه فذكر الشعر ولم يذكر اسم القائل ولا اسم من قيل فيه ، لكن الزجاجى الى أحمد بن أبي دواد أقرب عهداً ومكانا ، وشيخه المبرد من الذين أدركوا من عهد ابن أبي دواد أعواما كثيرة .

حياة ونهاية

وأحمد بن أبي دواد ولد في البصرة سنة ١٦٠ هجرية كما يقول عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان أصلهم من قرية بقنسرين ، واتجر أبوه الى الشام ، واخرجه معه وهو حدث ، فنشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ ، وصحب هيّاج بن العلاء السلمى ، وكان

من أصحاب واصل بن عطاء ، فصار الى الاعتزال. قال ابو العيناء : ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا انطق من ابن ابي دواد. وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : سمعت ابن ابي دواد في مجلس المعتصم وهو يقول : اني لامتنع من تكليم الخلفاء بحضرة محمد بن عبد الملك الزيات الوزير في حاجةٍ كراهةً ان أُعلمه ذلك ومخافة أن أُعلّمه التأتّي لها . وروى أيضا انه كان شاعرا مجيدا ، ومن قول أبي تمام فيه :

لقد أنستْ مساويءَ كلّ دهرٍ
محاسنُ أحمدَ بن أبي دُوادِ
وما سافرْتُ في الآفاق الا
ومن جَدْواكَ راحلتي وزادي

ومن مدحه فيه قصيدته التى يقول فيها :

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ
طُويتْ اتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ
ما كان يعرفُ طيبُ عرْفِ العود

وابلغ ما قيل فيه ما ذكر ابن خلكان عنه « كان فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف » .

سخط المتوكل عليه وعلى ابنه

ظل احمد بن ابي دواد في منصب قاضي القضاة ، الى ان اصابه الفالج في جمادى الآخرة سنة ٢٣٦ ، بعد موت عدوه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات بحوالى شهرين أو ثلاثة ، ولما حدث له الفالج ولى مكانه ولدُه محمد بن احمد ابن ابي دواد ، ولم تكن طريقته مرضية ، وكثر ذاموه ، وقلَّ شاكروه ، وفي سنة ٢٣٧ سخط المتوكل على احمد بن ابي دواد وعلى ولده محمد ، فامر بالتوكيل على ضياعه ، وصرفه عن المظالم ، ثم صرفه عن القضاء ، واخذ من ولده مائة الف وعشرين الف دينار ، وجوهرا باربعين الف دينار ، وسيره الى بغداد من سر من رأى ، وفوّض القضاء الى القاضي يحيى بن اكثم .

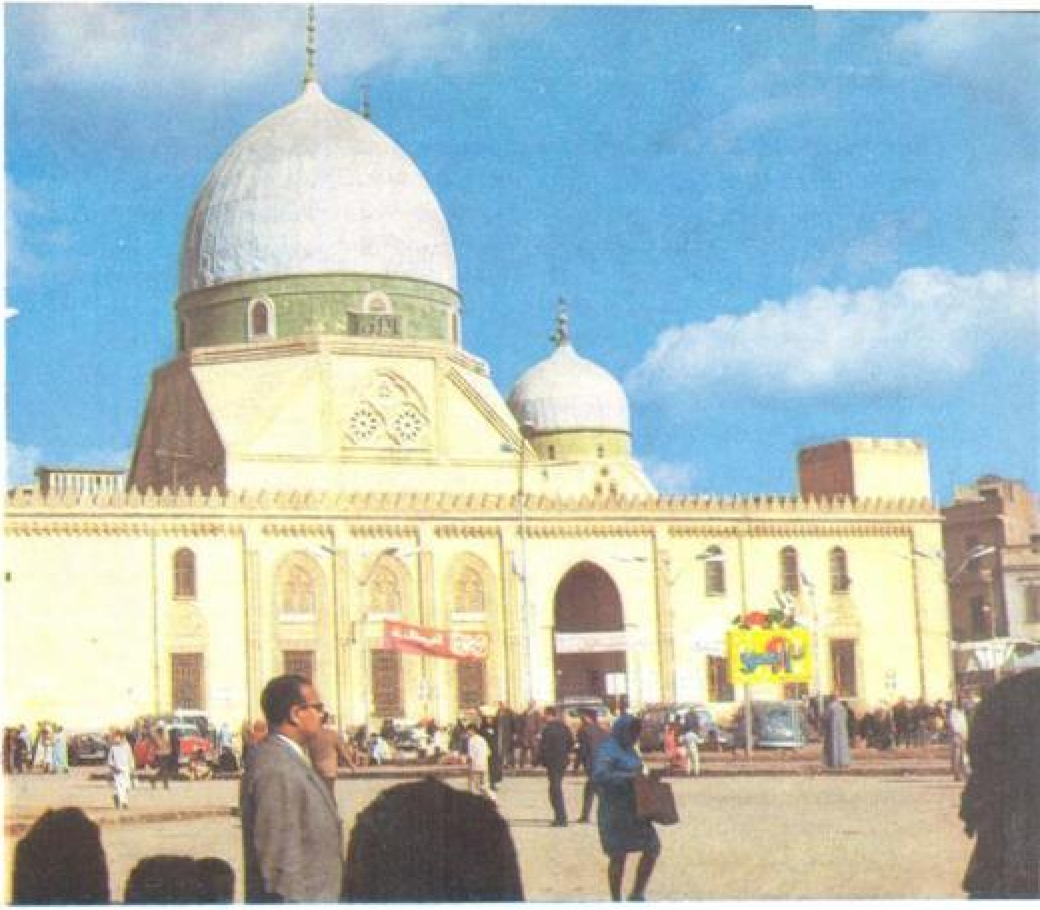
وحتى في محنته لم ينسَ تعاليه وانفته ، ذلك انه لما شَهِد عليه حين غضب عليه الخليفة ، حضرَ المجلسَ خلقٌ كثير من الشهود وغيرهم ، فقام رجل من الشهود ، وكان ابن ابي دواد منحرفا عنه في ايامه ، فقال الرجل : نشهدنا عليك بما في هذا الكتاب ؟ فقال : لا ، لا ، لست هناك ، وقال للباقين : اشهدوا عليَّ ، فجلس الرجل بخزْيٍ . وتعجَّب الناس من ثبوته وقوة قلبه في تلك الحال . ــ ذلك انه في موقف لا يحسد عليه ، ويحاول كل من كان في مثل موضعه أن يتجنب اثارة الشاهدين .

وفاته

وتوفي ابن ابي دواد ــ في أغلب الأقوال في المحرم من سنة ٢٤٠. هجرية ، وتوفي ولده محمد قبله بعشرين يوما ، أما الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه فقد توفي بعدهما بعام وبضعة أشهر .

ويقال ان فتنة الجدال حول خلق القرآن انجلت في ايام الواثق ، حينما جُوبه بحجة دامغة ردعت ابن ابي دواد ، واعادت للخليفة صوابه ، وصرفته عن متابعة الأذى بسببها ، ذلك انه جيء بشيخ الى الواثق ، فقال لابن أبي دواد : ناظِرْه فقال للشيخ : ما تقول ياشيخ في القرآن ، أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألة لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذى تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن ابي دواد : لم يعلموه . قال : فانت علمت ما لم يعلموا ؟ فخجل وسكت ثم قال : اقِلْني ، بل علموه ، قال : فلِمَ لا دَعَوا الناسَ اليه كما دعوتهم انت ؟ اما يسعك ما وَسِعَهم ؟ فخجل وسكت . فدخل الواثق المنزل ، فاستلقى على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : اما يسعك ما وسعهم ؟ ثم اطلق الشيخ واعطاه اربعمائة دينار ، ورده الى بلاده ، وقيل انه لم يقبل ما وهبه له ، كما يُروى ان هذا الشيخ كان هو الامام احمد بن حنبل ، واذن فلا تكون المسألة امام الواثق الذى تولى الخلافة سنة ٢٢٧ لأن الامام احمد امتحن بخلق القرآن في سنة ٢٢٠. هجرية . ■■

عبد الستار احمد فراج



ف وطنك أيها العز

طنطا

مدينة العلم

والصناعة

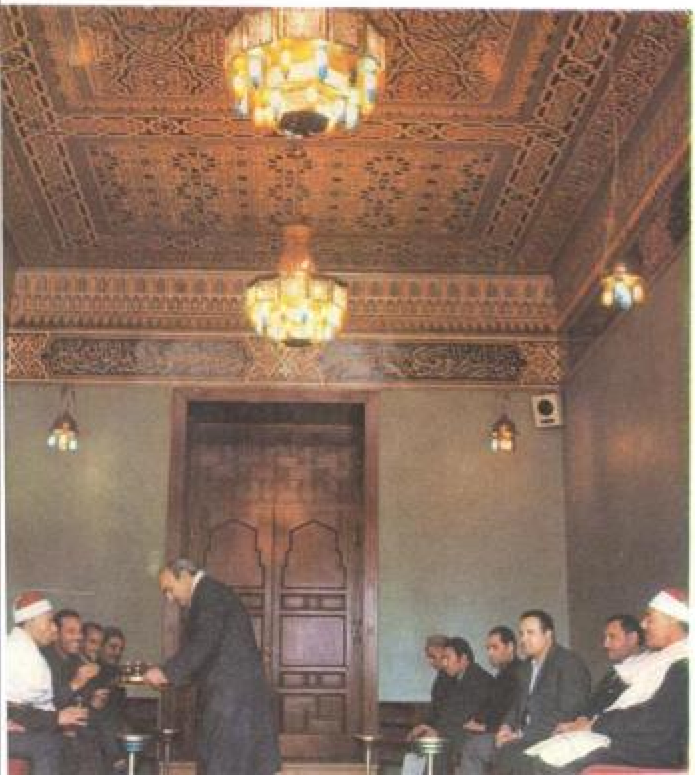
والسيد البدوى

ثالثة كبرى مدن الجمهورية العربية المتحدة

استطلاع : منير نصيف   تصوير : أوسكار مترى







الى اعلى : مسجد السيد البدوى الذى اضفى على مدينة طنطا طابعا دينيا خاصا .. **والصورة العليا (الى اليسار)** لفضيلة الشيخ عبد الفتاح جوهر، امين مخلفات السيد البدوى وهو يقرأ في كتاب الله الكريم،اما الصورة السفلى الى اليسار ، فهى لقاعة الاستقبال في المسجد تلك التى تميزت بالزخرف والاثاث العربى الاصيل والنقوش والآيات القرآنية، حيث جلسنا نشرب القرفة ونستمع الى قصة مجىء السيد البدوى رضي الله عنه الى مدينة طنطا .





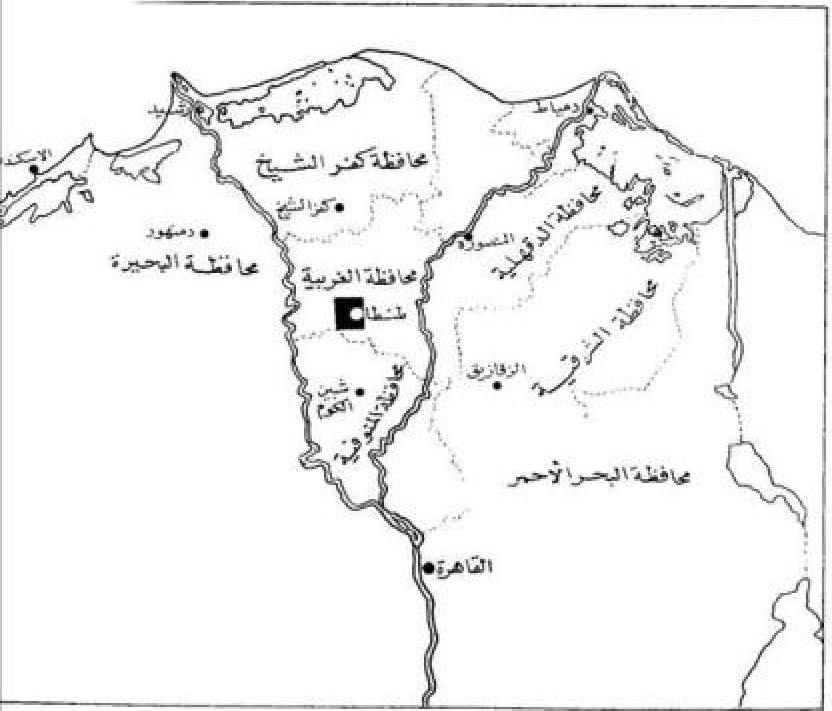
مبنى محافظة الغربية في طنطا وهو مبنى حديث يتألف من أربعة طوابق ، ويقع في شارع جمال عبد الناصر ، وفي الصورة الاخرى (الى اليسار) ، جانب من حديقةنادى طنطا الرياضي الذى تكلف بناؤه حوالى ٣٥ الف جنيه ، وقد احاطت بالحديقة اشجار النخيل والعمارات السكنية الحديثة . وفي النادى حمام للسباحة وملاعب للتنس وكرة السلة .

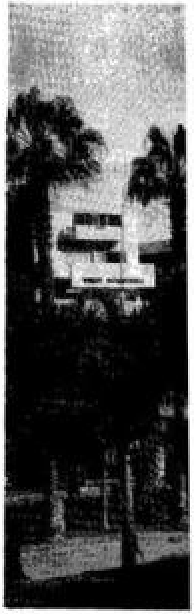
■ وسرنا .. وساروا معنا ، وكأننا كنا نسير في موكب .. في المقدمة شيخ وقور ناهز السبعين من عمره ، ومن ورائه بعثة مجلة « العربي » ، ثم حشد من الاهالى الذين عرفوا مقصدنا ، فراحوا يتسابقون للمجيء معنا .. لقد كنا على موعد في صباح ذلك اليوم من ايام الشتاء ، لزيارة اهم معالم مدينة طنطا ، ضريح الامام المهتدى بالله الداعي الى الخير ، السيد احمد البدوى ، ومسجده الكبير .

وعلى جانبي الشارع الممتد من محطة السكة الحديد التي تتركز فيها شبكة من الخطوط الحديدية التي تمتد الى مختلف انحاء دلتا نهر النيل حتى الاسكندرية شمالا واسوان جنوبا ، على جانبي هذا الشارع الذى يعتبر من اقدم شوارع هذه المدينة التاريخية ، انتشرت محال بيع الحلوى التي اشتهرت بها طنطا .. الحمصية والسمسمية والفولية والحلوى المصنوعة بجوز الهند وغيرها من اصناف والوان اخرى عديدة .. وقد تفنن اصحابها في رصها في اشكال هندسية جميلة داخل خزانات زجاجية ، بينما ارتفعت اهرامات الحمص امام واجهات المحال التي تبيعه للزائرين والسائحين وتقدمه كرامة في كثير من الاحايين .

الطريق الى المسجد

واردنا ان نتوقف لنسمع قصة حلوى طنطا الشهيرة ، وحمصها الوفير ، ولكن حديث مرافقنا عن السيد البدوى ما لبث ان شدنا شدا الى ذلك المسجد الكبير بقبته ومآذنه الثلاث ، وقد طالعتنا صورته منذ اللحظة الاولى التى بدانا فيها سيرنا من ميدان محطة السكة الحديد .. فهو اول شيء تقع عليه عين القادم الى طنطا بعد ان ينزل من القطار ، ويجتاز مبنى محطة المدينة الحديث .. وحتى اذا ابتعدت عنه ، فقد يختفى المسجد ،





خريطة تبين موقع مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية احدى محافظات الوجه البحرى بالجمهورية العربية المتحدة

ولكن تبقى مآذنه عالية شامخة ، تروى قصة هذا الامام المتصوف المؤمن الزاهد ..

ووصلنا الى المسجد اخيرا ، فوقفنا برهة حتى ننتهي من خلع نعالنـا ، ثم دخلنـا مع الداخلين الساعين للتبرك والغفران .. واستضافونا في قاعة الزائرين ، وقالوا لنا : « لابد ان تشربوا القرفة وتستمعوا الى قصة السيد احمد البدوى ، قبل ان تزوروا صحن المسجد وضريح الامام رضي الله عنه » .

وقبلنا الدعوة، وجلسنا في قاعة جميلة زخرفوها واثثوها بالزخرف والاثاث العربي الاصيل. وقدموا لنا اقداح القرفـة ، وجلسنا نشربهـا ساخنـة ونستمع الى القصة من اولها ، قالوا :

السيد البدوى

« انه الامام السيد احمد بن علي بن ابراهيم ابن محمد بن ابى البكر البدوى ، المتوفى في طنطا في عام ٦٧٥ هجرية » .

عرفه اهل الشرق والغرب علما من اعلام الخير والهداية ، ومنارا هاديا الى طريق الزهد في متع الحياة والتصوف والايمان .

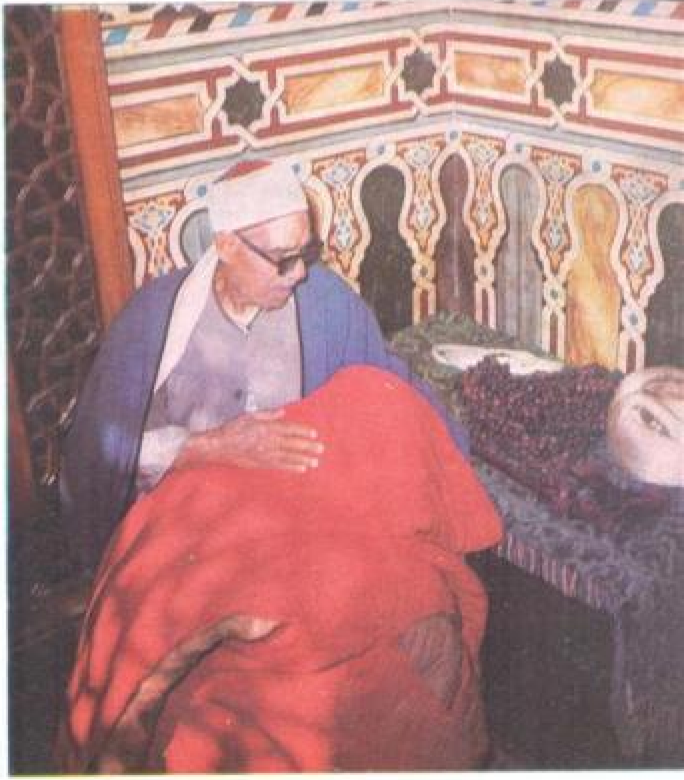
« كان يوم مولده في آخر ايام شهر ذى الحجة من عام ٥٩٦ بمدينة فاس باقليم مراكش بالمغرب . اما نسبه فيرجع الى أسرة متدينة امتدت جذورها الى مدينة مكة المكرمة بالحجاز .. ولكن هذه الاسرة التي يرجع نسبها الى الامام الحسين بن علي كرم الله وجهه ، ما لبثت ان رحلت عن الحجاز الى بلاد المغرب ، لاسباب اجتماعية وسياسية ، حيث استقر بها المقام في نهاية القرن الثالث الهجرى .. وبقيت اسرة السيد البدوى في المغرب ، حتى الى ما بعد مولده في اواخر القرن السادس الهجرى عندما قررت العودة مرة اخرى الى موطنها الاصلي في مكة ، واقامت بها الى حين ..

أسرة متدينة

« وهناك نشأ السيد احمد البدوى ، نشأة

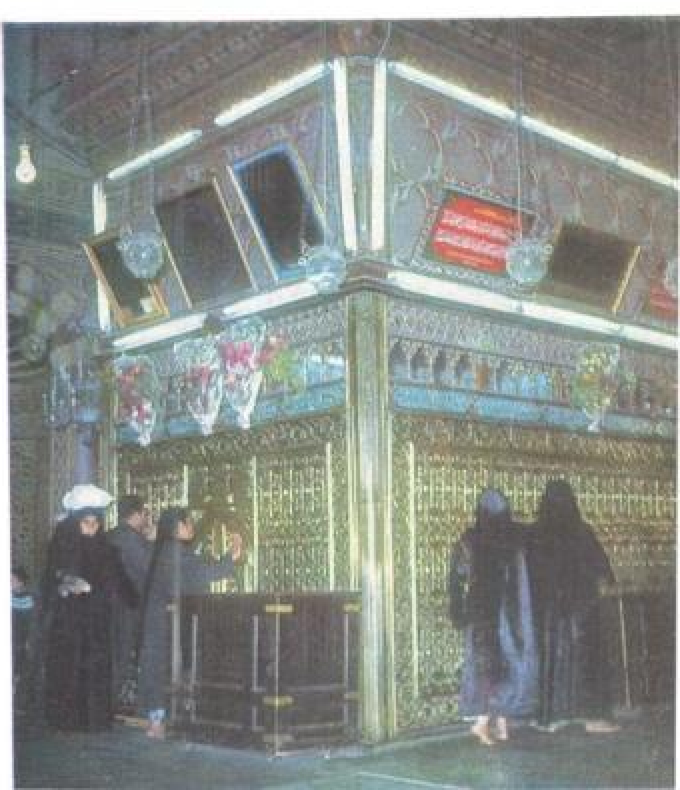
الى اليمين : الشيخ عبد الفتاح جوهر يحمل ملابس السيد البدوي، وقد ظهرت الى جواره مسبحته التي تحوى الفحبة، والعمامة التي كان يضعها الامام على رأسه ، والامشاط والاحجبة .. ان المحافظة على هذه المخلفات ، هي امانة في عنق الشيخ الفاضل امين مخلفات السيد البدوي .

الى اليسار : الحمص الذي تمتلىء به المتاجر على طول الطريق الى مسجد السيد البدوي .. وهو يزرع نباتا اخضر في محافظة اسيوط ويسمونه (الملانة) ، ويسافر التجار لشرائه ثم يعودون الى طنطا به ، حيث يتركونه تحت الشمس ليجف ، ثم يحمصوه ويبيعوه للناس ، وهو رمز لميلاد السيد البدوي .

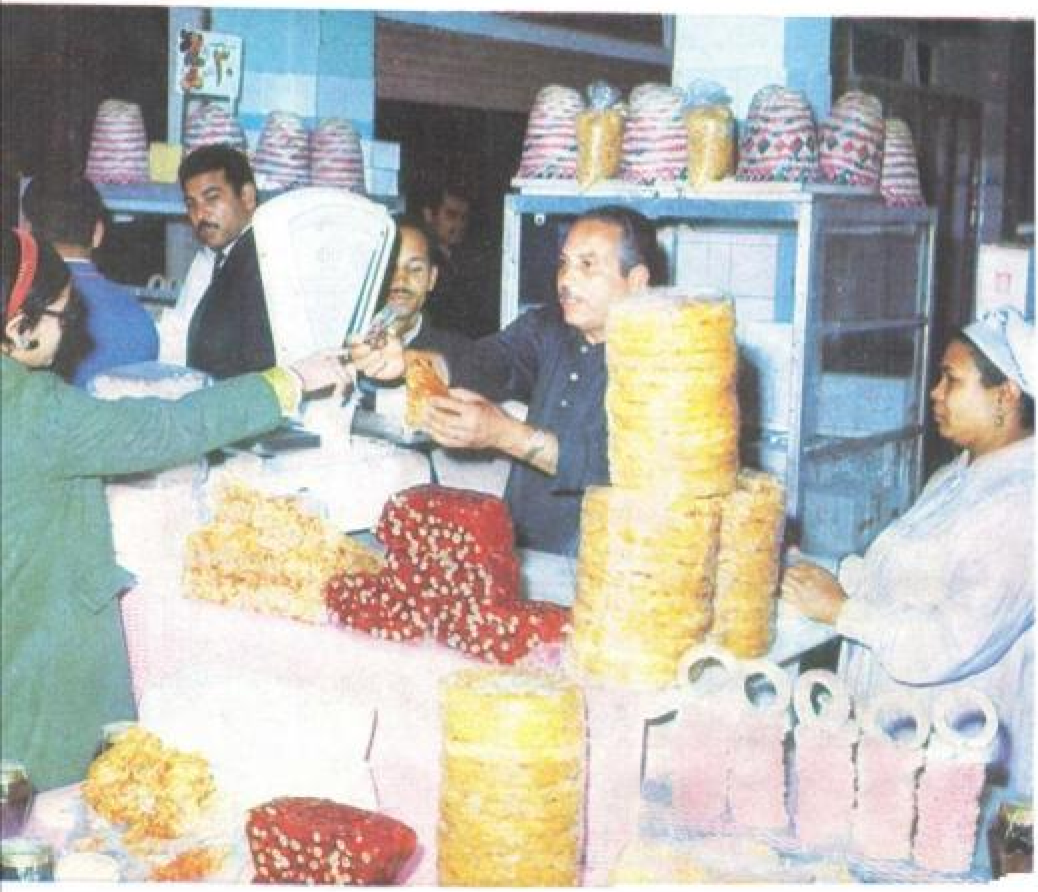


الى اليمين : ضريح السيد البدوي والناس يسعون حوله للتبرك .. الرجال والنساء ، والشباب منذ صلاة الفجر حتى العشاء .. ان اكثر من مليون ونصف مليون زائر يأتون الى طنطا من جميع انحاء مصر ومن الخارج للاحتفال بمولد السيد البدوي في شهر اكتوبر ، بعد الانتهاء من جني محصول القطن .

الى اليسار : الحاج عرفه ، من اشهر بائعي حلوى السيد البدوي .. الحمصية والسمسمية والفولية وغيرها ، يقف امام متجره ويبيع الحلوى للناس .. لقد ورث هذه التجارة عن ابيه وجده ..







دينية وعلمية صالحة في كنف اسرته المتدينة ، ثم حفظ القرآن الكريم وتعلم اصول الشريعة والفقه مستلهما آراء الامام مالك رضي الله عنه ، متفقها في الحديث النبوى الشريف .

« ثم رأى السيد البدوى بعد هذا بثاقب فكره ونور بصيرته أن يدرس مذهب الامام الشافعى ، رضي الله عنه ، فاستوعبه وتعمق فيه والم بآرائه في الفقه والتشريع ..

« ومن اعماقه ألحت عليه الرغبة في دراسة التصوف والاخذ بتعاليم الصوفية ، تلك التي تعمقت جذورها في مشاعره ، فاخذ يبحث عن اعلام التصوف ، ويأخذ عنهم ويناقشهم ويسلك سبيلهم ، حتى تمكنت الصوفية منه ، وامتزجت بمشاعره .. وفي تلك المرحلة الصوفية من حياته، اتخذ السيد احمد البدوي لنفسه خلوة في جبل ابى قبيس فيمكة يتعبد فيها الىالله ذاكرا فضله، بعيدا عن كل رياء ، ولم يكن ليترك خلوته هذه الا ليذهب الى «البيت الحرام» لأداء الفرائض . وكان اذا لقى الناس ، استقبلهم بوجه بشوش سمح ، داعيا الى الحق والى الخير والمعروف ناهيا اياهم بقوة وايمان عن كل ما يغضب الله من منكر او بدعة او ضلال ..

« وتعلم السيد البدوي بين ما تعلم ، ان الثقافة والمعرفة هما امران متلازمان في المذهب الصوفي ، فما كان منه الا ان ترك مكة ساعيا الى العراق ، حيث التقى على ارضها باعلام التصوف من تلاميذ الامامين الجيلاني والرفاعي .. » وفي العراق راح يرتشف من مناهل الثقافة وينابيع المعرفة واصول علوم الشريعة الاسلامية السمحاء ، ثم لم يلبث ان عاد الى مكة مرة اخرى متزودا بابواب جديدة من المعرفة التي حصلها ، وامضى بمكة فترة من حياته الصوفية سابحا بافكاره هائما بتأملاته ، الى ان جاء اليوم الذى هتف به هاتف من اعماقه يدعوه الىالرحيل الى ارض مصر .. الى مدينة طنطا .. فلبى النداء ..

.. وجاء الى طنطا

وفي طنطا ، نزل ضيفا على احد تجارها الذى استقبله بالبشر والترحاب ، واكرم وفادته ، ولم تكد تمضي فترة وجيزة على وصوله الىهذهالمدينة



آلة تغليف قطع الصابون ،بعد صبها في القوالب وتجفيفها ، ولتنتج شركة طنطا للزيوت والصابون ، عدة انواع من صابون الحمام وصابون الغسيل ، وتتم عملية التغليف آلياً،وتقوم الشركة الآن بتركيب مجموعة من الآلات الحديثة التى تم استيرادها بعد توسعة مصانع الشركة واقامة العديد من المنشآت الحديثة بها .

والكليات الجامعية والمركز الثقافي والمكتبة العامة.

الصناعات فى طنطا

ومن أهم الصناعات التى قامت في طنطا ، صناعة الزيوت والصابون ، وصناعة غزل القطن ونسجه ، وقد ساعد على قيام هذه الصناعة الاخيرة ، ما تتميز به محافظة الغربية من اتساع رقعة الارض ، وبعدها عن تأثير البحر ، حيث تنخفض درجة الحرارة شتاء ، وترتفع صيفا مما يضاعف من زيادة نسبةالرطوبة في الجو .. واخيرا محطات تعبئة وتجهيز الموالح للتصدير .

ثم محطة تربية الدواجن التى انشئت في عام ١٩٦٢ فوق مساحة تقدر بحوالى ٢٤ فدانا ، وقد زودت بآلات التفريخ الحديثة والحظائر ، وتكلف انشاؤها حوالى ربع مليون جنيه .

فى مصانع الزيوت والصابون

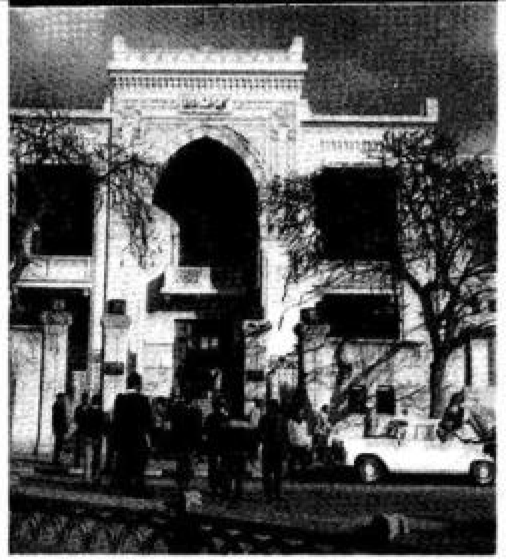
قصدنا لزيارة شركة طنطا والصابون ، فوجدنا العمل يجرى على قدم وساق لاتمام التوسعات الجديدة ، وتركيب الآلات والمعدات الحديثة التى تم شراؤها اخيرا .

ان العمل كله في هذا المصنع يعتمد على بذرة القطن .. فتصل المحالج ، وتخزن في صهريج كبير يسمونه « البقلة » ، ثم تنتقل بعد ذلك الى آلة الغربلة ، لتنظيفها ،وازاله ما علق بها منشوائب، واخيرا الى آلة الدش « Crusher » وبعدها الى اوانى الطبخ Cookers .

وعندما تتم هذه العمليات،تبدأ عمليةاستخلاص الزيوت من البذرة بواسطة مذيب عضوى يعرف باسم هكسان « Hexan » وعلى اثر ذلك تتم عملية نقل الزيت الى اقسام التكرير المختلفة لاعداده للاستهلاك المحلى ، بعد ازالة الحموضة منه ، وكذلك اللون والرائحة ، فيصبح صالحا للطعام .

قال لنا المهندس المختص انمخلفاتبذرة القطن تعتبر من اجود انواع العلف للحيوانات ، طبقا للمواصفات العلمية ، وهى تسمى الكسب ، وتنقل هذهالالياف بواسطة جهاز خاص اسموه Cyclone الى مصانع علف الحيوان .

ومن زيت بذرة القطن، يتماتتاج انواع الصابون المختلفة بعد خلط الزيت بالشحم الحيوانى والصودا الكاوية ، وتركه يغلى في اوان ضخمة ،

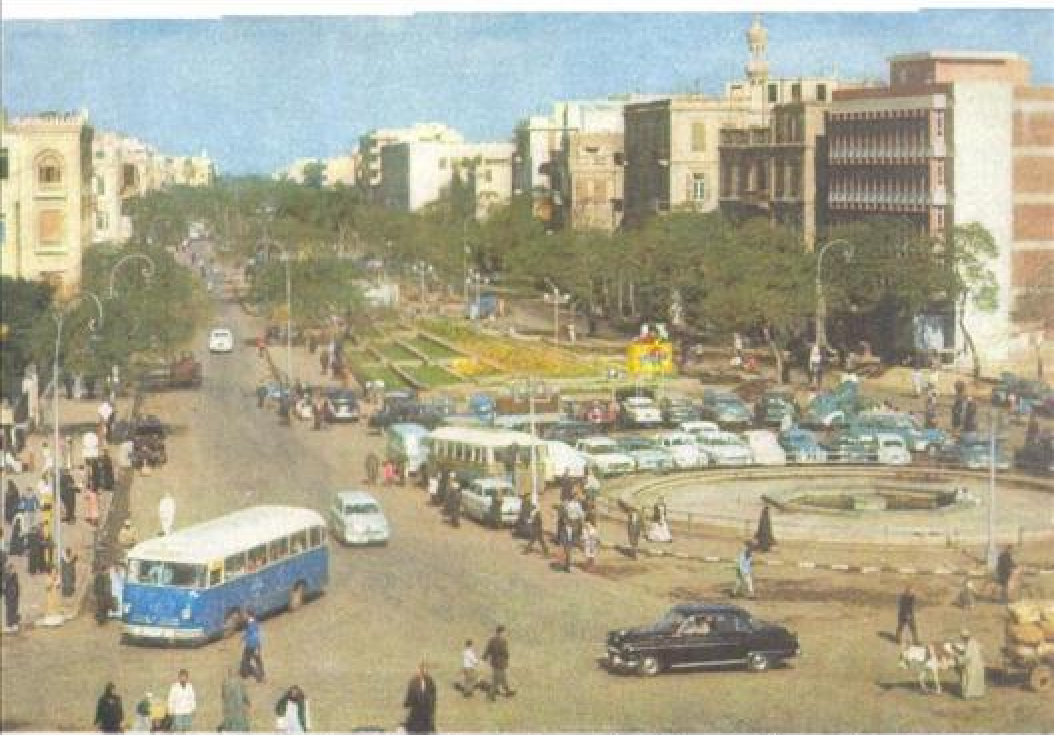


مبنى كلية طب طنطا من الخارج .. قال لنا الاستاذ الدكتور محمد لطفى بيومى : « لقد اضفنا الى مباني الكلية الحالية ، مبنى حديثا يضم الاقسام الاكاديمية ، وقاعة المحاضرات الكبرى والمكتبة ، وتكلف هذا المبنى وحده حوالى ١٣٠ الف جنيه . اننا نرجو عندما تأتون الى طنطا في زيارة قادمة ، ان تروا مبانى الجامعة الجديدة ، كاملة متكاملة » .

★ ★ ★

المهندس حسنى طنطاوى رئيس مجلس ادارة شركة الزيوت والصابون في جولة تفتيشية مع مهندسي الشركة المسئولين ، يتفقدون سير العمل فيالمصانع .. ان جميع الآلات والاجهزة الموجودة في المصانع يتم تشغيلها بالقوة البخارية .





ميدان جمال عبد الناصر ، والطريق الذى يحمل اسم الزعيم العربى الراحل ، وكانا يحملان اسم طريق الجيش قبل ذلك ، ثم تقرر اطلاق اسم عبد الناصر عليهما بعد وفاته ، ويعتبر هذا الطريق ، الشارع الرئيسى في طنطا والمركز التجارى في المدينة وتقع فيه الكليات الجامعية والمرافق الرئيسية الهامة . **والصورة (الى اسفل)** لمحطة سكة حديد طنطا ، وتعتبر من احدث واكبر المحطات في الوجه البحرى ، وقد ظهر الى جوارها **(الى اليسار في نفس الصورة)** مبنى مركز البريد الآلى حيث يجرى الآن تركيب الآلات التى تقوم بفرز الخطابات آليا .







جانب من المبانى الحديثة فى طنطا ، ويتميز الحى الجديد في المدينة بمبانيه الجميلة والفيلات والحدائق والشوارع الفسيحة ، التى تجرى فيها سيارات أوتوبيس لنقل الجماهير، كما دخلت السيارات التاكسي الى طنطا اخيرا، فساهمت في الربط بين اطراف المدينة، اما **الصورة السفلى** فهى لحديقة الاستراحة التى شيدتها المحافظة في مدخل طنطا على الطريق الزراعى بين القاهرة والاسكندرية ، ويجد فيها المسافر بالسيارة كل ما يحتاج اليه من طعام وشراب .



قبل صبه في القوالب . وتتم هذه الخطوات كلها آليا ، وتعمل جميع الاجهزة الموجودة في المصنع بالقوة البخارية .

١٠ مليون جنيه

قال لنا المهندس حسنى طنطاوى رئيس مجلس ادارة الشركة : « لقد بلغت قيمة انتاج مصانع الشركة من الزيت والمسلى الصناعي والصابون ، خلال عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ حوالى عشرة ملايين من الجنيهات » .

« ويعمل في مصانع شركة طنطا وحدها ، حوالى ثلاثة الاف عامل ومهندس دائمين .. »

قلنا : « ما هى الخدمات التى تقدمها الشركة لعمالها وموظفيها ؟ » .

قال : « تقوم الشركة حاليا ، ببناء مجمع عمالي لتقديم الخدمات للعمال ، وسوف يحتوى المجمع على مطعم يقدم الوجبات الرئيسية باسعار رمزية، وعيادة طبية لعلاج المرضى منهم ، وصيدلية ، ثم جمعية تعاونية استهلاكية ، يجد فيها العامل كل ما تحتاج اليه أسرته ، ونادٍ اجتماعيورياضي، وحمامات ، واماكن لخلع الملابس، ومسجديستطيع فيه العمال ان يؤدوا فرائض الصلاة . وتحصل الشركة حاليا على مساكن لعمالها في العمارات السكنية التى يقوم مجلس مدينة طنطا ببنائها » .

وعدنا نسأل : « هل تصدر الشركة من انتاجها للخارج ؟ » .

وقال : « ان الشركة تقوم بتصدير ما قيمته ربع مليون جنيه استرلينى سنويا من كسبالكتان والجلسرين الصناعى الى مختلف دول اوربا » .

ان فرع مصانع طنطاهو واحد من خمسة فروع تتالف منها الشركة ، وهى بنها ، والمحلة والمنوفية ثم مصر الاهلية بطنطا أيضا .

تعبئة الموالح للتصدير

وفي المحطة النموذجية لتعبئة وتجهيز الموالح للتصدير شاهدنا كل مراحل التعبئة منذ وصول الثمار الخام من البساتين حتى تغليفها وصفها في الصناديق وتتم اوتوماتيكيا ، دون ان تمتد اليها يـد .

وتصل الموالح الى مركز التجميع من مديرية التحرير ، ومن مختلف المدن والقرى الواقعة في المحافظات الاخرى ، وتمر الثمار بعدة مراحل ، تبدأ بفرزها وتصنيفها ، ثم تنظيفها بواسطة جهاز خاص يقوم بشفط الاتربة وتجميعها في خزان كبير، ثم عملية الغسل الاولى بالماء ، يعقبها مباشرة عملية التطهير ، حيث يمر البرتقال لمدة ٩٠ ثانية على مواد كيماوية مطهرة حافظة لجدتها وهى تحوىمادة مطهرةفعالةاسمها Sodium Orthofinil في درجة حرارة تراوح بين ١٠٠و١٠٦ فهرنهايت. وهى عملية كفيلة بقتل جميع الطفيليات العالقة بالثمرة .

وبعد التطهير ، تجرى عملية غسيل ثانية بالماء العادى لازالة آثار المادة الكيماوية من الثمار . ثم تبدأ عملية تجفيف اولى ، ثم تجفيف ثان ، واخيرا عملية فرز ، ثم عملية تغطية الثمرة برذاذ من الشمع يضفى عليها لمعانا خاصا ويساعد على حفظ الثمرة مدة أطول .

فاذا تمت كل هذه الخطوات اصبحت الثمار معدة للتغليف بالورق الحريرى المغطى بمادة Difinil ومن خواصها انها تساعد على حفظ الثمرة من التعفن ، ثم يعبأ البرتقال في صناديق من الورق المقوى او الخشب ، طبقا لرغبة المستورد .

تصدير البرتقال لاوربا

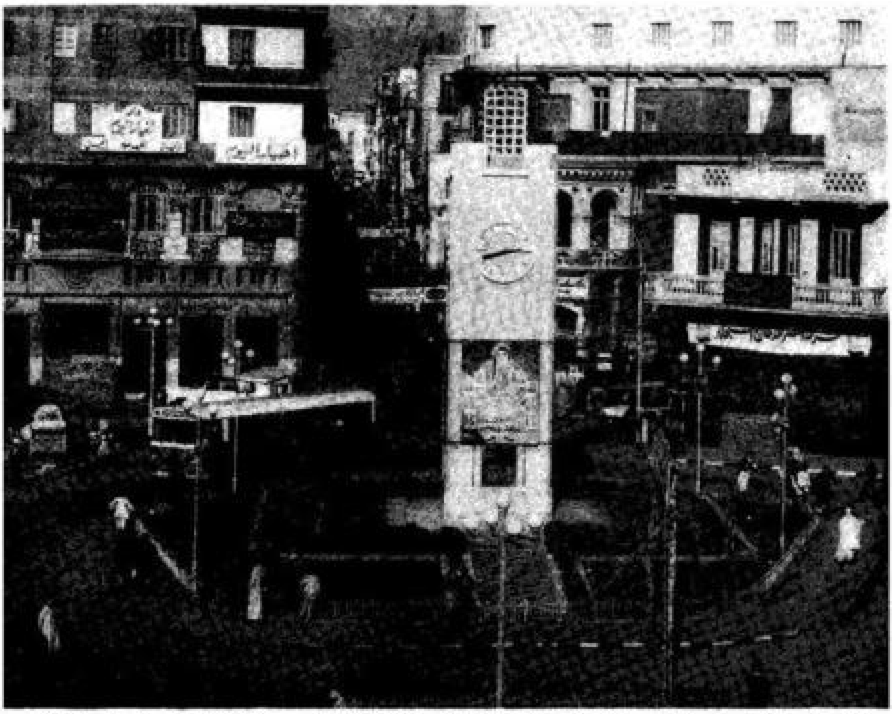
قال لنا مدير المحطة ، أو مصنع التعبئة ، المهندس الزراعى محمد بهى الدين هيكل : « ان المصنع يعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بصفة متصلة ، ويبلغ عدد العاملين فيه حوالي ٦٠٠ عامل وموظف تتراوح اجور الفرد منهم اليومية بين ٣٨ قرشا و ٦٠ قرشا .

« ونحن نصدر الموالح الى المانيا الغربية وسويسرا وانجلترا والدانيمرك والسويد وبلجيكا وهولندا والنمسا والكويت والاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية في اوربا ، وقد بلغت قيمة الصادرات من الموالح خلال عام ٦٩ - ١٩٧٠ اربعة ملايين جنيه استرليني ! »

وقال المهندس هيكل : « وهذه المحطة واحدة من سبع محطات في الوجهين القبلى والبحرى ، وهناك ثلاث محطات اخرى يجرى بناؤها في الوجه البحري ، وستعمل في الموسم القادم . »

كلية الطب

وقد ازدادت اهمية طنطا بعد افتتاح كلية الطب



ميدان الساعة ، وهو اقدم ميدان في طنطا ، اما الساعة القائمة في وسط الميدان فيبلغ عمرها اكثر من خمسين عاما ، وتحيط بها العمارات السكنية والبعض منها حديث ، والبعض الآخر قديم ، قدم الساعة نفسها .. اما الشارع الضيق المؤدى الى الميدان ، فهو شارع احمد « باشا » ماهر .

في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، قصدنا لمقابلة عميدها الدكتور محمد لطفي بيومي ، انه ايضا استاذ ورئيس قسم الباثولوجي Pathology او علم الامراض ، وقالوا لنا : « ان عميد الكلية مشغول بالقاء احدى محاضراته في مدرج الكلية ! »

ولكننا فوجئنا بالاستاذ بيومي ، يفتح باب غرفة المحاضرات ، ويدعونا للدخول ، ويرحب بنا ثم وقفنا برهة ننتظر حتى يأذن لنا بالتصوير .

وعاد الدكتور بيومي الى مقعده وبدأ يتحدث ، امام الميكرفون وكانت المفاجأة ، فقد تصورنا انه سيمضي في القاء المحاضرة على طلبته ، وكان موضوعها « بلهارسيا الجهاز البولى ! » . ولكن الدكتور الاستاذ جلس يتحدث عن مجلة العربي ، حديث الخبير بها ، العالم بكل دقائق تلك الرسالة التي حملت المجلة لواءها منذ صدورها ..

محاضرة عن مجلة العربي

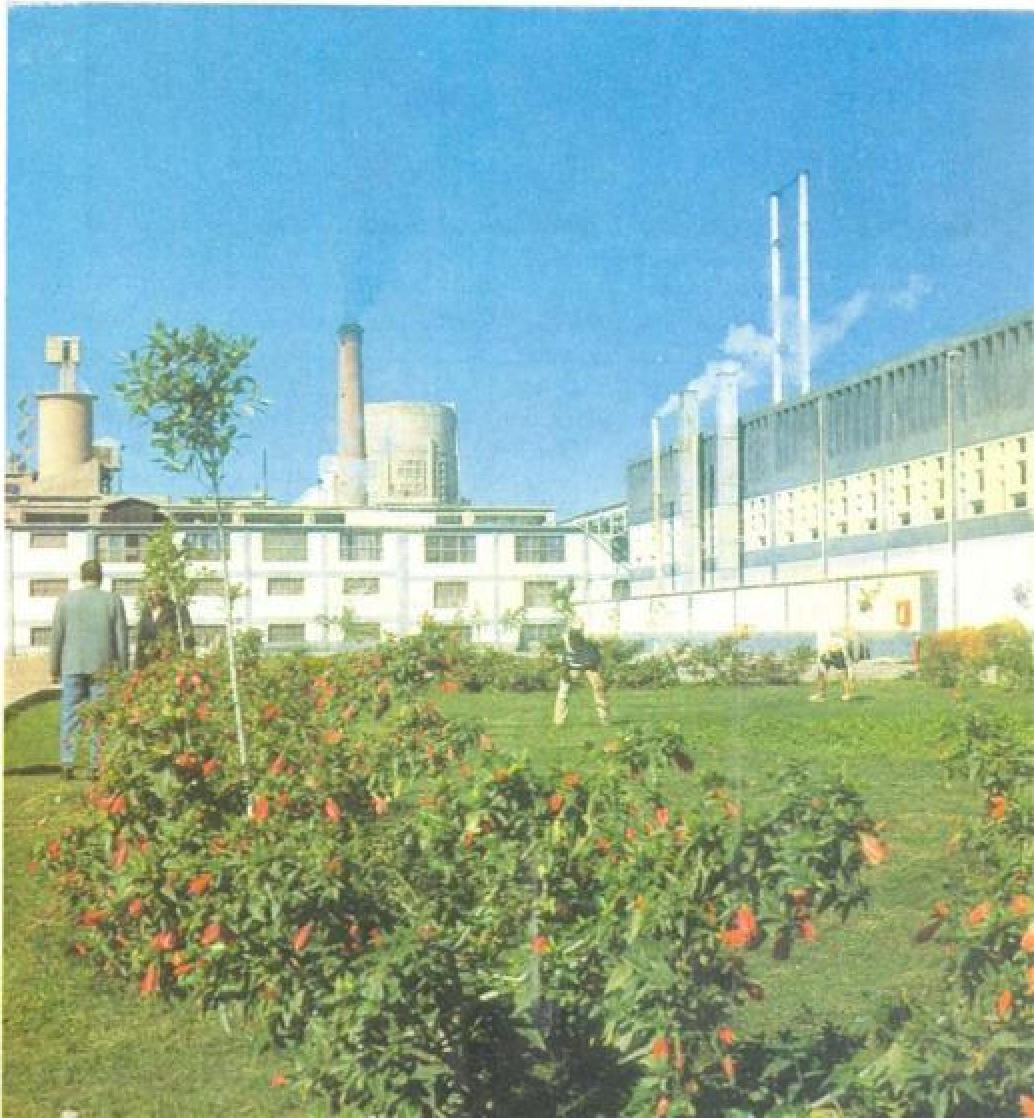
قال الدكتور بيومي لطلبته : « معنا الان بعثة مجلة العربي ، تلك المجلة العربية العلمية الثقافية التي احرص ويحرص ابنائي معى على قراءة كل عدد جديد يصدر منها .. هل تعلمون من هو رئيس تحرير هذه المجلة ؟ انه استاذى الدكتور احمد زكي ، العالم الجليل الذى افخر بانني كنت بين تلاميذه في كلية العلوم في عام ١٩٢٩ ، اى قبل ان تصلوا انتم الى هذه الدنيا .. انني انصحكم كوالد واستاذ لكم ، ان تقرأوا هذه المجلة ، فهي خير مجلة تفخر بها امتنا وتعتز » .

ولم يكد الدكتور ينتهي من حديثه حتى صاح الطلبة والطالبات في صوت واحد : « نحن من قراء العربي يا استاذ ! »

رسالة الى رئيس التحرير

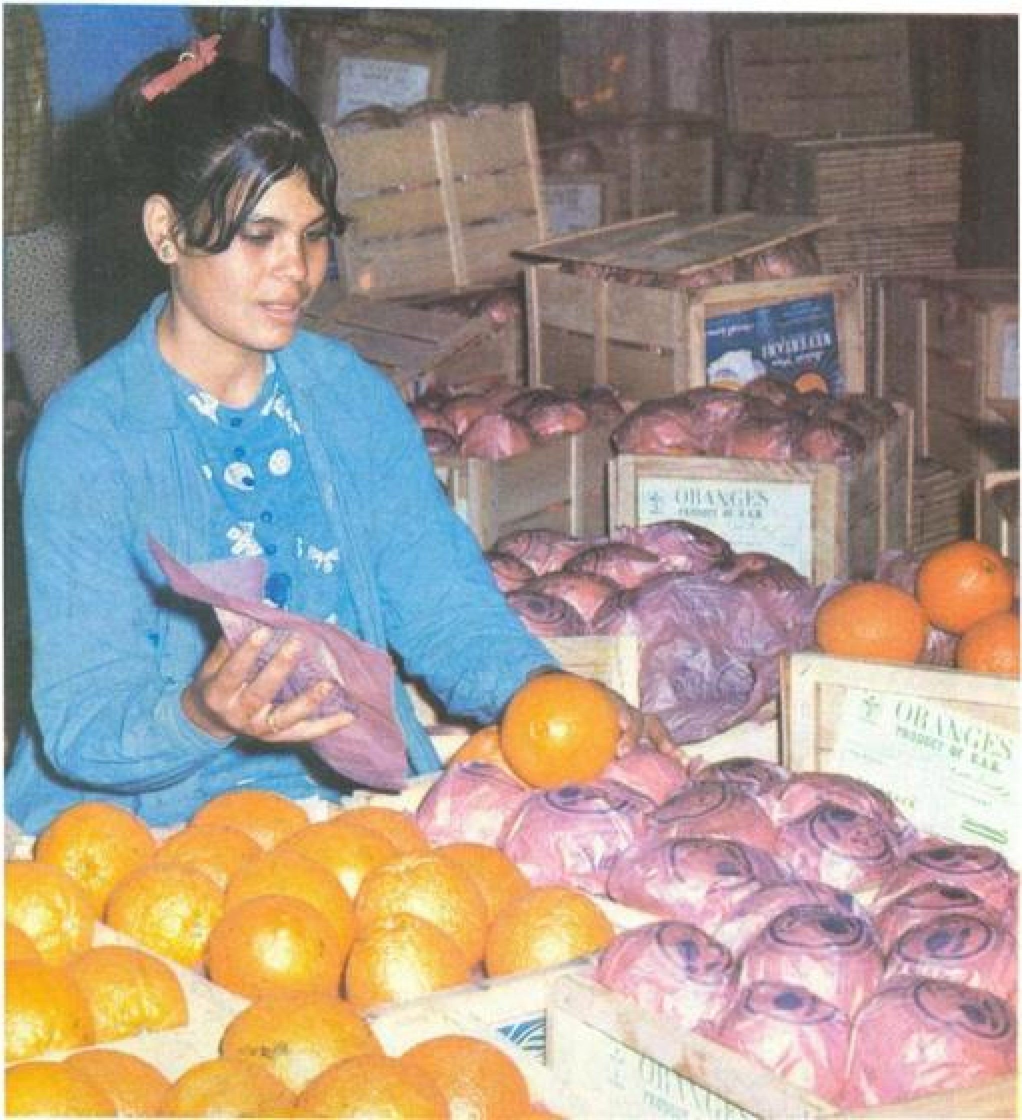
وهنا نظر الينا عميد كلية الطب وقال : «قولوا للدكتور الاستاذ احمد زكي ان العربي كانتسلواى في وحدتي ، اثناء مرضي في لندن .. وكنت انزل

لقد اصبحت مدينة طنطا اليوم من اكبر المدن الصناعية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومن بين الصناعات التى قامت فيها صناعة غزل القطن ونسجه ، وتعبئة وتجهيز الموالح للتصدير ، وصناعة الزيوت والصابون ، **وفي الصورة الى اسفل** ، منظر خارجي لجانب من مصانع شركة طنطا للزيوت والصابون ، التي يبلغ رأسمالها حوالى اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات بعد اضافة المنشآت الجديدة اليها ، ويبلغ انتاج الشركة (مصانع طنطا) وحدها حوالى عشرة ملايين جنيه من المسلى الصناعي وزيت الطعام والصابون ، ويعمل فيها ثلاثة الاف عامل ومهندس دائمين ..





منظر عام لجانب من محطة تعبئة البرتقال للتصدير ، وينقل البرتقال آليا فوق سيور متحركة ، حيث تتم عملية غسله وتنظيفه وتطهيره وفرزه ، اما **الصورة السفلى** فهي لفتاة عاملة ، تقوم بتغليف البرتقال بالورق الحريري المغطى بمادة Difinil ، التى تحفظ الثمرة مدة اطول ، وهي آخر مرحلة من عملية اعداد الموالح للتصدير ، قبل تعبئتها في الصناديق ٠



الى شارع اكسفورد لابحث عنها بين الكتب ، ولا اهدأ حتى اجدها، لاعود بها الى فراشي وغرفتي !»

١٨٠٠ طالب وطالبة

وانتهت المحاضرة عن العربي وجلس الدكتور بيومي يحدثنا عن كلية الطب . قال : « لقد بدأت الدراسة فيها بتسعين طالبا عندما افتتحت في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، اما اليوم فهي تضم اكثر من ١٨٠٠ طالب وطالبة . وقريبا سوف نشرع في اقامة المباني الجديدة لكلية الطب ، بعد ان اهدتنا المحافظة مساحة تزيد على الخمسمائة فدان من الارض ، وقد بدأ العمل بالفعل في وضع حجر الاساس ، وقدرت تكاليف البناء الجديد بمعداته الحديثة ، بما يزيد على الثلاثة ملايين جنيه مصرى » .

وتركنا الاستاذ الدكتور بيومي ، فقد كان عليه ان يستعد للاشتراك في مناقشة رسالة دكتوراه ! قلنا نسأله : « هل نستطيع ان نحضر جانبا من المناقشة ؟ »

قال : « مرحبا بكم ، فالمناقشة مفتوحة ، ثم ارجو ان اضيف ان هذه ليست اول رسالة دكتوراه تناقش في كلية طب طنطا ، فهي الثامنة من نوعها ! »

والتقينا بصاحبة الرسالة ، انها معيدة قسم الصحة بكلية الطب ، وهي بعد هذا زوجة وام ، وتنتظر حادثا سعيدا ، واسمها هند عبد الفتاح ، واما موضوع رسالتها ، فقد كان « اصابات العمل في مصانع الغربية » .

كلية العلوم

ان احدث كلية قامت في طنطا ، هي كلية العلوم، فقد انشئت في عام ١٩٧٠/١٩٦٩، وبدأت الدراسة فيها يوم ١١ اكتوبر سنة ١٩٦٩، ويبلغ عدد الطلبة فيها اليوم حوالي ٣٦٨ طالبا وطالبة ، وسوف تتخرج الدفعة الاولى من الكلية الجديدة بعد عامين .

قال لنا عميد الكلية الاستاذ الدكتور محمد كمال العقاد :

المعرض الذى تقيمه المدرسة الثانوية الزخرفية بطنطا سنويا ، لعرض وبيع انتاج الطلبة خلال العام الدراسي وينتج الطلبة الاثاث المعدنية والخشبية ومصابيح الاضاءة والتماثيل المعدنية وغير ذلك ، ويبلغ قيمة انتاجهم في المتوسط حوالى اربعة آلاف جنيه سنويا .



لقد حرصنا منذ اليوم الاول لانشاء كلية العلوم ان تكون الكلية مكتملة باقسامها الستة ، وهي الكيمياء والفيزياء (الطبيعية) وعلم الحيوان وعلم النبات ، والجيولوجيا والرياضيات البحتة والتطبيقية .

اقدم معاهد طنطا العليا

واما اقدم معاهد طنطا العليا ، فهو المعهد العالي التجاري الذي سيحول الى كلية للتجارة في العام الدراسي المقبل . وقد انشيء هذا المعهد الذي يضم اليوم ٢٥٠٠ طالب وطالبة في عام ١٩٥٧ .

وتتجه النية الى انشاء كليتين اخريين في العام الدراسي المقبل ، للاداب والحقوق ، وستكون هذه هي الخطوة الاخيرة في سبيل استقلال جامعة طنطا على اساس نظام الاقسام الموحدة ، وهو نفس النظام الذي اتبع عند انشاء جامعة اسيوط في صعيد مصر . وما زالت الكليات الجامعية في طنطا حتى اليوم ، تابعة لجامعة الاسكندرية .

وما دمنا في صدد الحديث عن العلم والتعليم ، فلا بأس من ان نشير اشارة سريعة الى المدارس الثانوية والاعدادية او المتوسطة وكذلك الدراسة الابتدائية في طنطا ، وفي عاصمة الغربية وحدها اليوم اربع مدارس ثانوية ومدرستان ثانويتان للزراعة ومدرستان ثانويتان للصناعة ، ومعهد للمعلمين ، ومعهد للمعلمات ثم مدرسة طنطا الزخرفية الثانوية واكثر من ١٥ مدرسة اعدادية للبنين والبنات ، و ٤٠ مدرسة ابتدائية غير المدارس الالزامية المنتشرة في مختلف القرى التابعة لمدينة طنطا ، وعددها ٥٠ قرية .

اعداد العامل الفني

زرنا مدرسة طنطا الزخرفية التي تكلف بناؤها وتجهيزها بالمعدات والآلات مبلغا يزيد على المائة وخمسين الف جنيه . لقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٦٤ ، واقيمت المباني فوق مساحة شاسعة من الارض تزيد على الاثنى عشر فدانا ، وكانت الفكرة الاساسية من انشائها اعداد العامل الفني الماهر في مختلف فروع التجارة ، سواء كانت نجارة اثاث ام نجارة عمارة ، والمعادن الدقيقة ، والاثاثات المعدنية ، والحديد واللحام ، والبناء والاعمال الصحية والحفر على الخشب والزخرفة



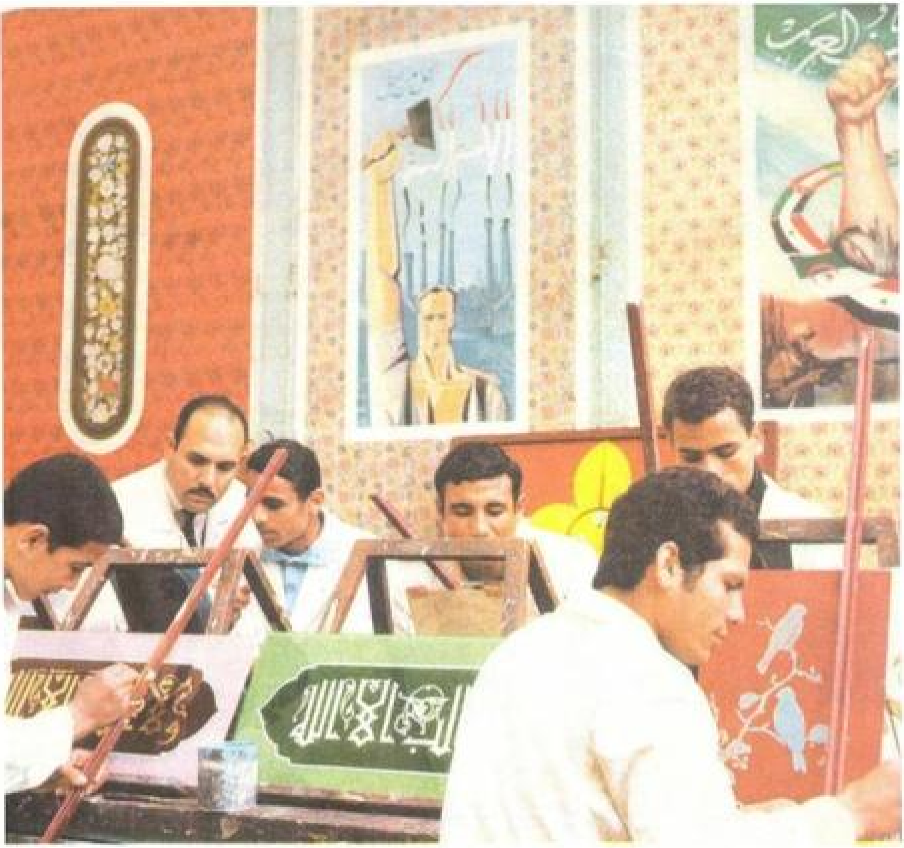
احد العمال يقوم باخراج الكتاكيت من المفقس الاصطناعي في محطة تربية الدواجن في طنطا ، وتتكون ماكينة التفريخ من جزئين ، الجزء الاول ويسمى « حضانا Incubator » ، ويبقى فيه البيض لمدة ١٧ يوما في درجة حرارة ٣٧٫٨ مئوية ، ثم ينقل بعد ذلك الى المفقس « Hatcher » ، حيث يوضع البيض لمدة اربعة ايام في درجة حرارة ٣٧٫٦ ، وبعد هذه المدة تخرج الكتاكيت !

والاعلان ، والغزل والنسج اليدوي والآلي على السواء .. الى آخر ما هناك من حرف اخرى .

ومدة الدراسة في هذه المدرسة ثلاث سنوات بعد الاعدادية او المتوسطة ، يمنح الطالب بعدها دبلوم المدارس الثانوية الصناعية ، وتؤهله هذه الشهادة للالتحاق بالمعاهد الصناعية العليا ، او معاهد الفنون التطبيقية اذا شاء ان يكمل دراسته وتضم هذه المدرسة حاليا ١٣٥٠ طالبا ، وقد تخرجت فيها دفعتان حتى اليوم .

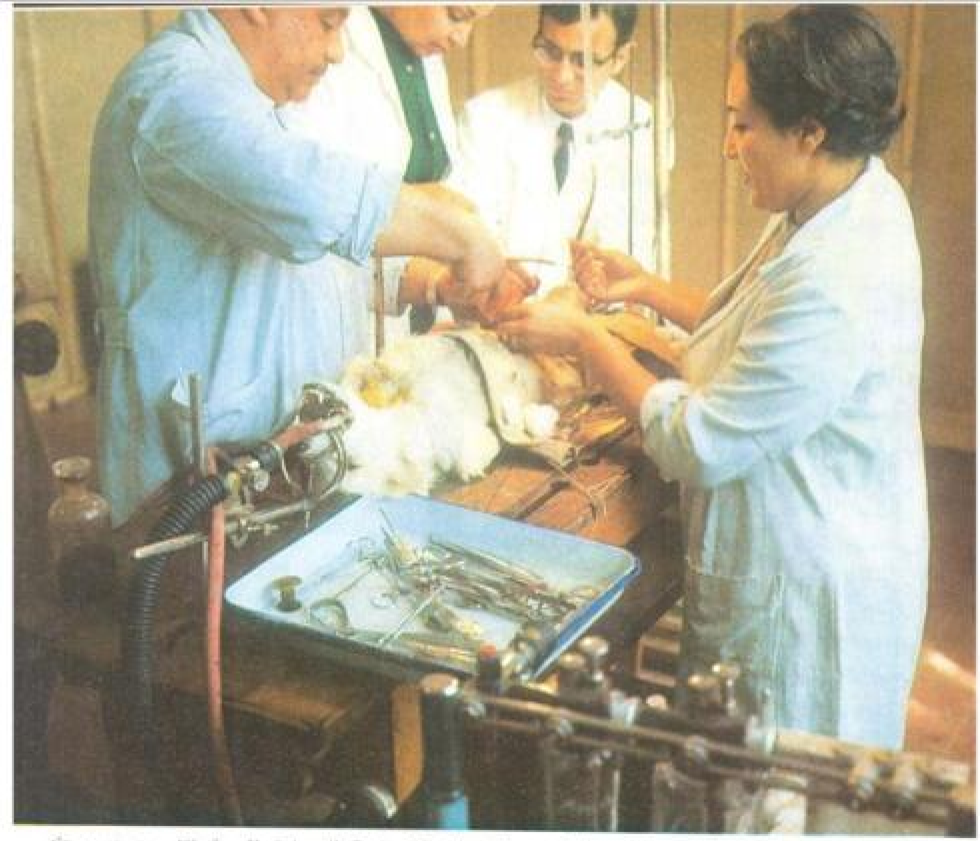
دور بطولي

هذه جولة سريعة في مدينة طنطا ، ذكرنا فيها اشهر معالمها . انها مدينة يسجل لها التاريخ



طلبة قسم الزخرفة والخط والاعلان بمدرسة طنطا الزخرفية الثانوية اثناء قيامهم باعداد بعض اللوحات الدينية والزخارف العربية .. وتضم هذه المدرسة اكثر من ١٣٠٠ طالب ، وهي تقوم باعداد العامل الفني ، ويشرف على الدراسة فيها ٢٥٠ مدرسا نظريا وعمليا .

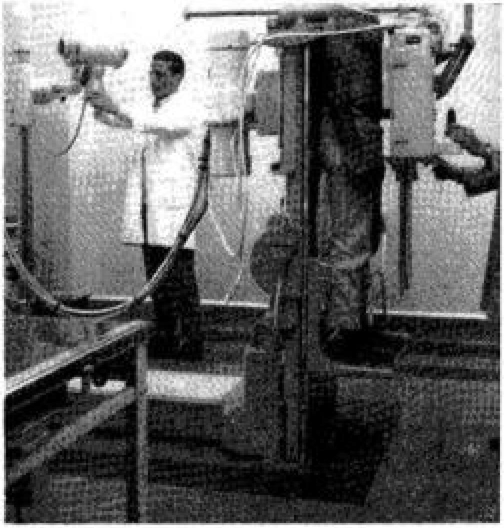




طبيبان بكلية طب طنطا تعدان دراسة عن التغيرات الكيماوية للعصارة المعوية الكلب ، تحت تأثير عقاقير معينة ، وذلك تحت اشراف الدكتور محمود السروجي استاذ مادة الفسيولوجيا بالكلية .



تضم كلية طب طنطا مكتبة تحوى ما يزيد على العشرة الاف كتاب ومجلد في فروع الطب المختلفة ، غير المجلات الطبية والعلمية الحديثة التي تصدر في الخارج ، وتصل اليها بانتظام ، **والصورة اليمنى** لمجموعة من طلبة وطالبات الكلية اثناء القراءة والاطلاع في المكتبة ، بينما انهمكت الطالبة التي **(الى اليسار)** مع زميلها في قراءة بعض المراجع الحديثة التي اضيفت اخيرا الى المكتبة .



اقيم في طنطا اخيرا مستشفى جديد ، يعتبر من احدث المستشفيات التى انشئت في محافظات الوجه البحرى ، وهو مستشفى الهلال الاحمر ، وتكلف بناؤه واعداده بالاجهزة الحديثة حوالى ١٢٠ الف جنيه ، والصورة لجهاز اشعة يعمل اليا ، بحيث يرقد المريض، ويتولى الجهاز نفسه تعديل وضع المريض حسب رغبة الطبيب ، وهو من احدث الاجهزة في مستشفيات الجمهورية العربية المتحدة .

دورا بطوليا في مقاومة الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر في عام ١٧٩٨ ، فقد حدث ان كلف نابليون القائد الفرنسيالجنرال فوجيير ، باخضاع الغربية بعد ان تم له احتلال القاهرة ، وأمره بتجريد اهلها من السلاح ، ومصادرة الخيول ، واعتقال الاعيان كرهائن ، واشاعة الذعر بين المواطنين .

ولكن ما كادت الحملة تصل الى طنطا ، حتى وجد قائدها ان الاهالى في حالة ثورة ، فبعث الى نابليون برسالة يوم ٦ اكتوبر من عام ١٧٩٨ ، يصف له فيها حالة المدينة ، قال : « لقد امتنع الاهالى عن دفع اية ضريبة او غرامة ، وهم يؤوونبعض زعماء المماليك ويحرضونهم علىالتمرد والثورة » .

وكان لمدينة طنطا رهبة في نظر الفرنسيين ، لسمعتها الدينية وشهرتها كمزار مقدس لضريح السيد البدوى .

ولكن عندما ازدادت روح المقاومة عنفا وضراوة ، لم يجد الجنرال فوجيير الا ان يجرد كتيبة بقيادة الجنرال لوفيفر الى طنطا يوم ٧ اكتوبر سنة ١٧٩٨ لاخضاع المدينة ، واعتقال زعمائها واخذهم كرهائن .

وما كادت الكتيبة تصل الى اطراف طنطا ، حتى بعث الجنرال لوفيفر برسول يطلب الى حاكم المدينة سليم الشوربجي ان يوفد اربعة من كبار مشايخ طنطا ليعطوا القائد الفرنسي عهدا بالمحافظة على الامن .

ولكن طلب الجنرال قوبل بالرفض ، وقام رجال الدين بدور كبير في تحريض الاهالى من الطلبة والمدرسين وجماهير الشعب من العمال والفلاحين على القيام بالثورة . وكان الاحتفال بمولد السيد البدوى قائما ، فتجمع الثوار يحملون الحراب والبنادق واطبقوا على الجنرال لوفيفر ، وكان قد تمكن من اخذ رهائنه ، ليودعهم في القوارب ايذانا بالسفر الى القاهرة من طريق النيل (فرع رشيد) .

معركة طنطا ضد الاستعمار

وهجوم الاهالى على الكتيبة ، ودارت معركة رهيبة ، وقفت فيها القوات الفرنسية عاجزة تماما عن الصمود ، ولم تجد امامها الا ان تتقهقر وتتراجع ، فما ان اقبل الليل حتى ولت الادبار على ظهر السفينة التي جاءت بهم عائدين الى القاهرة عن طريق النيل (فرع رشيد) .

ولما علم بونابرت بمصير حملته الاولى اراد ان يجرد حملة ثانية لتأديب اهالى طنطا بقيادة الجنرال لانوس ، ولكنها لقيت نفس المصير الذى لقيته الحملة الأولى ، في المدينة الباسلة .

وظلت قوات نابليون تواجه الهزائم ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تم جلاء القوات الفرنسية عن مصر كلية في عام ١٨٠١ ، بعد صراع فاشل دام ثلاث سنوات كاملة ..

هذه هي قصة كفاح اهل طنطا ضد الاستعمار تلك المدينة التى اتخذت من اليوم السابع من شهر اكتوبر من كل عام وهو يوم هزيمة الفرنسيين فيها ، عيدا قوميا لها يذكر ابناء اجيالها الحاضرة والقادمة ببطولات اجدادهم . ■■

منير نصيف

عَلَّمَتْنِي الحَيَاةُ

البسمة نور :

عَلَّمَتْنِي الحياةُ أنَّ مِنَ البَسْـ مَةِ ما يَمْلأُ الدَّياجيرَ نُـوراً
فابْتَسِمْ تُشْرِقِ السَّمواتُ والأرْ ضُ وتَفْتَرَّ بَهْجَةً وحُبُوراً
إنما النَّفْسُ دمعةٌ وابتسـام فامْحُ سَطْرَ الأسَى وخَلِّ السُّرُورا
وابْتَهِجْ فالوجودُ يومٌ ويَمْضِي ليسَ يُرْجَى لِطَيْفِهِ أنْ يَزُورا

***

الأزاهير :

عَلَّمَتْنِي أنَّ الأزاهيرَ سَلْـوا ىَ إذا عَقَّنِي الزَّمانُ اللَّاحِي
أرْشُفُ الطَّلَّ إنْ ظَمِئْتُ مِنَ الوَرْ دِ وأحيا بِنَشْرِهِ الفَـوَّاحِ
في رِياضٍ أشْهَى السُّلافِ وأصْفَى ما احْتَوَتْهُ أقْداحُها مِنْ راحِ
ألْمَسُ العَطْفَ في البَنَفْسَجِ لَمْساً وأرَى الحُبَّ في عُيُونِ الأقاحِي

***

الألحان :

عَلَّمَتْنِي الحَيَاةُ أنَّ مِنَ الألْـ حانِ ما يَنْزِعُ الوُجُودَ صَفاءَ
ويُعِيدُ الأحْلامَ أفْتَنَ ألْوا ناً وأحْلَى وَشْياً وأبْقَى رُواءَ
ويَزِينُ الوُجُودَ بالنَّغَمِ البِكْـ رِ فيَفْنَى في سِحْرِهِ إصْغاءَ
كُلُّ شَيْءٍ في الكائناتِ يُغَنِّي فكأنَّ الوَرَى اسْتَحالَ غِناءَ

***

الأيام :

عَلَّمَتْنِي الحَيَاةُ أنَّ مِنَ الأيْـ امِ ما يُسْعِدُ النفوسَ ويُرْضِي
ويَصُبُّ النَّعِيمَ صَبّاً ، ومنهـا ما يُثِيرُ الأسَى ويُضْنِي ويُنْضِي
كُلَّما مَرَّتِ اللَّيالِي عِجالاً خِلْتُ أنِّي أمُرُّ وَحْدِي وأمْضِي
آذنَتْنا بِبَيْنِها مُتَعُ العَيْـ شِ وهَمَّتْ أحْلامُها بالتَّقَضِّي

***

الحنين الى الدار :

عَلَّمَتْنِي أنَّ الحَنِينَ إلى الدَّا رِ حَنِينٌ مُوَجَّعٌ في ضُلُوعِي
إنْ أطافَتْ بالفِكْرِ بَلْبَلَتِ الفِكْـ ـرَ فيا دارُ أنْتِ سِرُّ وَلُوعِي
إنَّها الأهْلُ والأحِبَّةُ والصَّحْـ بُ ومَسْرَى تَلَفُّتِي ونُزُوعِي
هاجَتِ النفسَ فاسْتَفاضَتْ أنِيناً وتَراءَتْ في واكِفاتِ الدُّمُوعِ ■■

دمشق ـ **أنور العطار**

أنت تسأل .. ونحن نجيب

اعمل لدنياك .. واعمل لآخرتك ..

● اختلفنا في الاثر الكريم « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » ياترى اهو حديث لرسول الله او من كلام غيره ؟

صادق عبد الكريم ـ مصر القديمة

ـ ليس في فهارس كتب الحديث التسعة المشهورة ما يدل على ان هذا النص هو حديث لرسول الله .

وقد اختلفت روايته واختلفت الكتب الاخرى ايضا في نسبته للرسول . والذى ذكر أنه حديث رسول الله هو صاحب لسان العرب في مادة (حرث) اذ قال : الحرث : العمل للدنيا والآخرة ، وفي الحديث « احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » اى اعمل لدنياك ، فخالف بين اللفظين .. الى آخر ماشرحه . وهو في شرحه ينسب القول الى الرسول ، اذ يقول في سياقه « .. لانه عليه السلام .. وهو الغالب على اوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم .. فقال عليه السلام » ..

وصاحب لسان العرب نقل هذه النصوص تقريبا عن النهاية لابن الاثير ، وابن الاثير نقل نص الحديث عن الهروى احمد بن محمد صاحب الازهرى مؤلف التهذيب . وقد وقع ابن الاثير في نسبته للرسول ، مع ان كلمة حديث قد تقال في حديث غيره .

وممن رواه في مادة (حرث) الازهرى في التهذيب ولكنه قال : وفي حديث ابن عمر انه قال « احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واحرث لآخرتك كانك تموت غدا » .. ويلاحظ ان الازهرى والهروى متعاصران ومتصاحبان .

اما ابن قتيبة في عيون الاخبار فقد نسبه الى عبد الله بن عمرو « احرث لدنياك ... » وابن قتيبة اقدم من الازهرى لانه من علماء القرن الثالث .

وابن عبد ربه في العقد الفريد نسبه الى عمرو ابن العاص ، ورواه « اعمل لدنياك عمل من يعيش ابدا واعمل لاخرتك عمل من يموت غدا » ، وروى حديثا نسبه للرسول بمعناه « خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته » وهذا الاخير الذى نسبه للرسول لم اجده ايضا في فهارس كتب الحديث النبوى التسعة . ومما يذكر ان بعض الحافظين للنص « اعمل لدنياك .. » نسب قوله الى سيدنا الامام علي كرم الله وجهه . ولم اظفر بالكتاب الذى فيه هذه النسبة حين كتابة هذه الكلمة .

(ع . ف)

المسلمون

● سمعت ان هناك عددا من أهالى تايلاند الذين يعتنقون الدين الاسلامى . وان الحكومة التايلاندية تقوم باضطهادهم ، فما عدد هؤلاء المسلمين . وهل صحيح انهم مضطهدون هناك ؟

محمد عبد الله السعودى ـ السعودية

ـ يبلغ تعداد سكان تايلاند ٣٤٫٧٣٨٫٠٠٠ نسمة (احصائيات ١٩٦٩) ٩٣٫٧٪ منهم يعتنقون الديانة البوذية .. وتقول الاحصائيات الرسمية ان عدد المسلمين لا يزيد عن ٣٫٩٪ من تعداد السكان اى حوالى ١٫٣٨٠٫٠٠٠ نسمة ويقطن اغلب المسلمين جنوب تايلاند على حدود بلادهم مع ماليزيا .. ونسبة التعليم بينهم ضئيلة جدا ويعملون في

الاساطيل الروسية
بعد الاساطيل الامريكية فى بحار الارض

● نرجو أن تعطونا فكرة عن قوة الاساطيل السوفياتية ولا سيما المرابطة في البحر الابيض المتوسط وفي المحيط ؟

صلاح الواسطى ـ لبنان

ـ لا جدال في أن قوة الاتحاد السوفياتي البحرية قد كبرت وتعاظم شأنها في السنوات الاخيرة . ويصدق هذا على منطقة المحيط الهندى وقد بلغت قوة روسيا البحرية فيها ، سنة ١٩٧٠ ، ٢١ قطعة بما في ذلك السفن والغواصات . ولكنه يصدق بخاصة على منطقة البحر الابيض المتوسط وقد كان اقصى ما بلغته القوة الروسية فيها ، في السنة التى ذكرنا نفسها ٢٤ سفينة حربية و ١٢ غواصة .

وتكتسب هذه الارقام مزيدا من خطورة اذا ذكرنا ان الوجود العسكرى السوفياتي حديث عهد بكلتا المنطقتين . فالسفن الروسية الحربية لم تظهر في مياه البحر المتوسط بصورة ملحوظة قبل منتصف عام ١٩٦٤ . اما في المحيط الهندى فقد تأخر ظهورها حتى منتصف سنة ١٩٦٨ .

على ان قوة روسيا البحرية في اى من المنطقتين المذكورتين ليست ثابتة ، ولا تعتبر اسطولا بالمعنى الدقيق . فهي عرضة للتغير السريع والزيادة أو النقصان بحيث لا تدخل فى عداد الاساطيل السوفياتية .

واساطيل الاتحاد السوفيتي ثلاثة ، اسطول البحر الاسود وقوامه ٤٠ غواصة و ٦٢ سفينة حربية ، واسطول المنطقة القطبية الشمالية وقوامه ٤٥ سفينة حربية و ١٥٠ غواصة منها ٤٥ غواصة نووية. وثالث تلك الاساطيل هو اسطول الشرق الاقصى ، وهو اكبرها ، وقد بلغ عدد قطعه ١٩١ قطعة ، منها ٨٦ سفينة حربية و ١٠٥ غواصات . وجدير بالذكر ان ٢٥ من هذه الغواصات تسير بالطاقة النووية ..

تلك هي الاساطيل السوفياتية الثابتة التى تتمثل فيها قوة روسيا البحرية اجمالا ، والتى تعتمد عليها قوتها في البحر المتوسط وقوتها في في المحيط الهندى . فهاتان القوتان غير الثابتتين تتالفان من سفن وغواصات تابعة لتلك الاساطيل الثابتة ، وتعود اليها في الغالب ان آجلا أو عاجلا.

ونورد فيما يلي تعدادا اجماليا لمجموع قطع الاساطيل السوفياتية عامة وقد أصبحت هذه الاساطيل تنافس الاساطيل الامريكية ، كما هو معروف ، لا من حيث عدد القطع وحسب ولكن من حيث الطراز أيضا :

٢٥٧	سفينة حربية
١٧٠	حاملات صواريخ موجهة
٣٠٠	غواصة عادية
٧٠	غواصة نووية

(٧٩٧) قطعة مجموع قطع الاساطيل السوفياتية اجمالا .

(ى . ز)

في تايلاند

المهن اليدوية والزراعة .. وقد حدثت عدة اضطرابات سياسية فى السنوات الاخيرة في تايلاند .. واتهمت السلطات الحكومية المسلمين هناك بمساعدتهم معارضي الحكومة من اليساريين وحدثت بعض الحوادث الدامية في اواخر عام ١٩٦٧ واوائل عام ١٩٦٨ وقتل بسببها مئات المسلمين وعدد من قوات البوليس والجيش الحكومية .

ونتيجة لسوء الاحوال المعيشية للمسلمين في تايلاند فان هناك دائما شكوى من انهم مضطهدون من الحكومة .. وفي الحقيقة ان هناك اضطهادا تمارسه الحكومة التايلاندية ضد هؤلاء المسلمين الذين يكونون اقلية في البلاد .

(م.ط)

نعم .. تعمل منظمات المانية غربية لاقامة الثورات الدينية في افريقيا الاستوائية وخاصة في السودان

● اتهم الرئيس احمـد سيكوتـورى رئيس جمهورية غينيا المانيا الغربية بالتدخل في بلاده والقيام بعمليات غزو المرتزقة التي فشلت بفضل تماسك الشعب الغيني .. وقد تم القاء القبض على عدد كبير من المتآمرين ومحاكمتهم .. وقـدعلمت من بعض الاخوان السـودانيين ان للالمان نشاطا كهذا في جنوب السـودان . فهل هذا صحيح أوهل هو بلغ من الخطورة حدا مذكورا ؟

حمد السيد ــ ج.ع.م.

ــ تقوم المانيا الغربية الان بدور كبير في امداد المتمردين في جنوب السودان بالاموال والسلاح . وهي ايضا مركز كبير للنشاط الدعائي لهؤلاء المتمردين ضد حكومة السودان . وقد كشفت حكومة السودان اخيرا النقاب عن عدد كبير من الجمعيات التى تمارس نشاطها في المانيا الغربية وتحظى بتأييد الحكومة الالمانية .. ومن اهم هذه الجمعيات :

١ ــ اتحاد الطلبة المسيحيين البرتستانت بجامعة بون .. وتقوم هذه الجمعية بجمع تبرعات من المواطنين لارسالها للمتمردين في جنـوب السودان مستقلة في ذلك العامل الدينى .

٢ ــ جمعية الخدمات الالمانية German Voluntary Service وهـي تقـوم بارسـال مواد غذائية واسلحة للمتمردين عن طريق كينيا .

٣ ــ جمعية ميديكو Action Medico وتقوم بنشاط واسع في معسكرات المتمردين في اوغندا وقد قدمت لهم ما يزيد على ٢٥٠ الف مارك في عام واحد .

٤ ــ جمعية مساعدة افريقيا Society for the support of Africa . وقد تأسست في عام ٦٤ ومركزها الرئيسي فى فرانكفورت ولها فروع في كل من بون ــ وميونخ ، وهامبورج وكولون .

٥ ــ لجنة العمل لبيافرا السودان وهي احدى المنظمات الكاثوليكية في المانيا ، ويقوم البوليس الالماني بحماية اعضاء لجانها وتلقى تأييدا كبيرا من الحكومة .

٦ ــ منظمة المساعدات الالمانية والكنيسـة الكاثوليكية وقـد جندت هذه المنظمـة المرتزق رودلف شتينر والذى قبض عليه اخيرا ، وسيحاكم في السودان .

وقد اعترف شتينر بانهم قالوا له ان منظمـة المساعدات الالمانية ستبدأ في تقديم مساعداتهـا لجنوب السودان لذلك فهم يطلبون الحصول على معلومات عن حالة المسيحيين هناك ومد الكنيسة بهذه المعلومات . وقد اشترك شتينر في العمليات العسكرية التى يقوم بها المتمردون ، وفر الى اوغندا ولكن الحكومة الاوغندية سلمته بعد ذلك الى حكومة السودان .

وهناك ايضا جمعيات اخرى تمتد فروعها في كل اوربا ولكن مركزها الرئيسي في المانيا الغربية .. وهي تقوم بنشاط واسع لجمع الامـوال للمتمردين وكذلك لنشر الدعايات المضادة ضد السودان واتهامه بانه يضطهد المسيحيين الجنوبيين ، وكذلك فان الاسلحة تشترى في المانيا ثم ترسل الى المتمردين عن طريق بعض دول افريقيا التى تقع على حدود السودان .

(م. ط)

كتب الأطفال
ماذا صنعنا بها ؟

● نشرتم مقالا عن المشاكل التي تواجه الكتاب العربي في عدد « العربي » لاول مارس ، ولكنكم لم تذكروا شيئا عن كتب الاطفال . ترى اى نوع من هذه الكتب اعددناه لاجيالنا الصاعدة ؟

محمود احمد /القاهرة

— الواقع ان الاهتمام بكتب الاطفال لم يصل في العالم العربي ، الى الدرجة التى يجب ان يكون عليها . فما زالت موضوعات الكتب التى تصدر في الاسواق ، تدور كلها او معظمها حول القصص التاريخية والاسطورية والبطولية وما زال الكتاب العلمي المبسط ، هو آخر ما يخطر ببال المسئولين عن اصدار مثل هذه الكتب . وفي العام الاخير مثلا ، صدر ما يزيد على الالفي كتاب للاطفال في اسواق مصر وحدها وقد دلت الدراسات التي اجريت ان نسبة الكتب العلمية بينها ، لم تزد على ٥٪ من مجموع هذه الكتب الصغيرة .



يحدث هذا في الوقت الذى ينادى فيه المسئولون عن التربية بضرورة ربط الطفل بعصر العلم الذى يعيش فيه ، فالتعريف العلمي للطفل المرتبط بعصره ومستقبله ، يعتمد في المقام الاول على الكتاب العلمي المبسط الذى يشرح له بالصورة كل شيء يتصل بحياته على هذه الارض ويتصل بكل ما يدور في رأسه كلما شاهد آلة تعمل او مكنة تدور من حوله .

ولو ان المشكلة كانت تتعلق بقلة الكتب العلمية وحدها ، لهان الامر ، ولكن هناك جانب آخر لها ، وهو ان الكثير من هذه الكتب العلمية النادرة لا يقبل عليه الاطفال لاسباب فنية ، في مقدمتها ان الكتاب العلمي لا يصدر فى صورة جذابة تثير اهتمام الطفل وتشد انتباهه ، سواء من ناحية الشكل او الموضوع ، فالالوان الجذابة تكاد تكون معدومة ، كما ان الموضوعات التي يحويها مثل هذا الكتاب ، ان وجدت موضوعات مملة ، اضف الى ذلك افتقار المعلومات والرسومات التوضيحية الى الدقة والبساطة ، وهما امران على جانب كبير من الاهمية . اذا كنا نحرص على تحقيق الفائدة المرجوة من وراء اصدار مثل هذه الكتب .

كل هذه العوامل مجتمعة تدفع الطفل ، الى العزوف عن شراء الكتاب العلمي ، والاقبال على الكتب التي تمتليء بالقصص الخرافية ، وقصص البطولة التي يركب فيها الفارس حصانه ويطير به حول العالم ، وكلها بطبيعة الحال ، قصص من شانها ان تبعد الطفل عن واقع الحياة العلمية التي يعيشها .

(م . ن)

الخط العربي من أهم الفنون العربية الاسلامية

● تعلمنا في المدارس صورا من الخط العربي هي النسخ والرقعة والثلث ولكن قيل ان هناك صورا أخرى لهذا الخط أكثر جمالا وقد اطلعت على الخط الكوفي فوجدته أكثر ابهاما ، فهل هناك صور أخرى من الخط العربي وما أشكالها ان أمكن ؟

رعد محمد الكاتب ـ الموصل/العراق

ـ الخط العربي من الفنون العربية الاسلامية التى سخرت في خدمة الدين الاسلامي ومما يذكر ان الخط المسمارى كان هو اول خط كتبت بـه العربية ومنه استحدث الخط الكوفي وهناك أنواع مختلفة من الخطوط كان اساسها الزخرفة الهندسية الممتزجة بالخط . وقد دعت العناية بكتابة القرآن الى اجادة الخطوط العربية وتطويرها . وكان القرن الثالث الهجرى من أهم القرون بالنسبة لتطور الخط العربي وخاصة عندما قام ابن مقلة برسم حروف الخط الكوفي بنسب محددة لا يحيد عنها الكاتب . ثم جاء بعده ياقوت الذى جمّل الخط العربى ووصل به الى حد كبير من الاتقان والروعة . وبعدهما جاءت خطوط كثيرة سميت باسماء القلم المستعمل في كتابتها وتعددت انواعها ومنها خط الثلث والثلثين وخط المصاحف المحقق والنسخ والرقعة . أما الخط الكوفي فتبلغ انواعه ٧٠ نوعا او اكثر . ثم قام الفرس والاتراك بالتأثير في الخطوط العربية تأثيرا كبيرا وليس هنا مجال تفصيل هـذه المؤثرات .

وأخيرا في القرن التاسع عشر استحدث الخط الديوانى . اما انواع الخطوط الموجودة حاليا فهي :

الثلث : من اهم الخطوط وأصعبها . وضع قواعده ابن مقلة . ويستعمل فى كتابة اسماء الكتب ، وكذلك الآيات القرآنية كزخارف في المساجد الكبيرة .

خط النسخ : وهو يلي الثلث وكان يسمى

السفن المحتجزة في قناة السويس ما مصيرها ؟

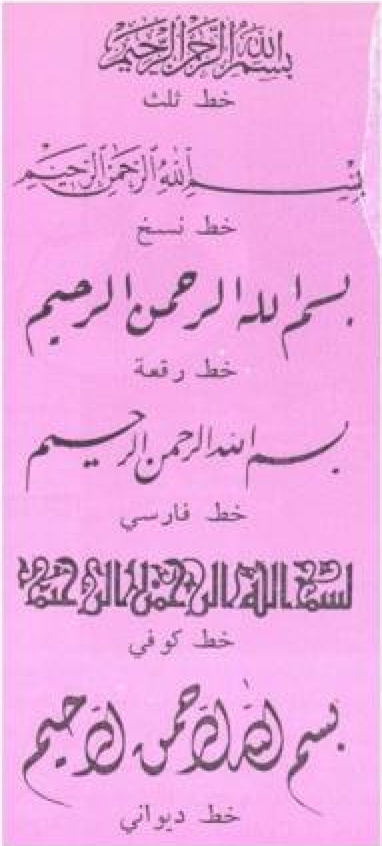
● قرأنا ان العالم يتهيأ لاعادة فتح قناةالسويس ، ولكنا نعلم ان بها عدة سفن محتجزة فيها منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، فهل لا تزال هذه السفن هناك ، وهل هي لا تزال صالحة للعمل بعد فوات هذه المدة ، والخروج من القناة ؟

فواز محمد / عمان

ـ ما زالت السفن المحتجزة باقية حيث هي ، وعدد هذه السفن خمس عشرة ، اربع عشرة منها في مياه البحيرات المرة ، وواحدة في بحيرة التمساح . وقد اوشكت فترة احتجازها تقترب من اربع سنوات ، بعد ان فشلت كل المحاولات وكل العروض التي تقدمت بها حكومة الجمهورية العربية المتحدة لاطلاق سراحها وتأمين عودتها الى بلادها ، بسبب تعنت اسرائيل . وقد كانت آخر محاولة قامت بها مصر في شهر يونيو عام ١٩٦٩ ، ولما فشلت هذه البادرة ايضا ، بدأت الشركات صاحبة السفن في تغيير نظرتها الى الموقف ، واصبحت الاعتبارات الاقتصادية وحدها هي محور تفكيرها ، فلم يكن من المعقول ان تظل هذه السفن بلا عمل طوال هذه السنوات ، اضف الى هذا النفقات التي تتكبدها الشركات المالكة لها وهي تتلخص فيما يلي :

ـ ثمن استهلاك ٥٠ طنا من المازوت يوميا لتسيير محركات كل سفينة من هذه السفن والاتها حتى لا تصاب بعطب كامل نتيجة توقفها المستمر .

ـ ثمن ٢٥٠ طنا من المياه العذبة يوميا لحاجة



● انت تسال .. ونحن نجيب

قديما « بالبديع » وسمى بالنسخ لان الكتاب كانوا ينسخون به المصاحف والمخطوطات .

الرقعة : وهو من اسهل الخطوط ويستعمل في جميع الاعمال وبين عامة الناس .

الفارسي : خط جميل المنظر ونشا في فارس ويستعمله كذلك اهل الافغان والهند في كتابتهم .

الكوفي : وهو من اقدم الخطوط وقد بلغ منزلة رفيعة في العصر العباسي ، ويعتبر اصل الخطوط كلها .

خط الاجازة والتوقيع : خليط بين الثلث والنسخ .

الديواني : وهو خاص بدواوين الملوك فكانت تكتب به الاوامر الملكية وهو قسمان « ديواني رقعة » و « ديواني حلبي » ونشا في عهد الامبراطورية العثمانية .

الريحاني : هو شبيه بالديواني ولكن حروفه متداخلة بعضها في بعض .

التاج : وهو آخر ما استحدث من الخطوط ونشا في مصر بامر من الملك فؤاد وهو يكتب بالرقعة والنسخ .

وترى مع هذه الكلمة بعض نماذج من صور الكتابات العربية .

(م . ط)

السفينة وعمالها .

ــ أجر الجهاز البشرى الذى وجب ان يعمل على كل سفينة لصيانتها ويتراوح ما يتقاضاه اقل العاملين فيه بين عشرة دولارات وخمسة عشر دولارا يوميا ، الى جانب نفقات الاعاشة الكاملة .

هذا الى جانب الحقيقة الماثلة ، وهي ان هذه السفن اصبحت غير عاملة وغير منتجة ، فهي راس مال مجمد ، بل ان توقفها يضاعف الخسارة بسبب ما قد يصيب الاتها ومعداتها من الصدأ ، وما قد يحدث لهيكلها الخارجي من تآكل نتيجة بقائها في المياه المالحة الراسية فوقها ، والاعشاب والقواقع البحرية التي تلتصق بها .

ونتيجة لذلك ، بدأ اصحاب السفن يعملون على التقليل من خسائرهم المادية بقدر الامكان ، فبدأوا بتوزيع سفنهم على ثلاث مجموعات ، وخفض القوة العاملة عليها الى الحد الأدنى ، فاصبح عدد بحارة السفن كلها خمسين عاملا بدلا من ٣٢٨ عاملا ، واصبحت مهمة هؤلاء العاملين اليوم لا تتعدى مجرد حراسة السفن وصيانة الاتها وتنظيفها بقدر ما تسمح به خبراتهم .

ان المشكلة الرئيسية التي تواجه اصحاب هذه السفن اليوم ، هي مشكلة البحث عن بحارة يقبلون العمل ، فوق هذه السفن ، ولو لمدة شهر او شهرين بالتناوب ، فالحياة على هذه الحال المنعزلة عن العالم ، حياة صعبة شاقة ، تثير الشعور بالملل ان البحار او الحارس يقضي يومه كله ينتظر ما سيأتي به الغد من احداث .

ثم مشكلة اخرى ، وهي مشكلة المحافظة على البضائع والسلع التي تحملها هذه السفن التي احتجزتها الحرب ، وهي في منتصف الطريق الى غايتها ، فاخشى ما يخشاه المسئولون ان يصيب التلف هذه السلع ايضا ، وتكون الخسارة مزدوجة.

وقد ثبت ان كل سفينة تحتاج اليوم الى اصلاحات تصل تكاليفها الى اكثر من ربع مليون جنيه لكي تصبح صالحة للاستعمال مرة اخرى . ■■

(م . ن)

الفنان

والمجتمع الذى يعيش فيه

بقلم : محمود محمود

■ فى بحث عن « جريات العقل » للاديب الانجليزى المعاصر تشارلز مورجان يتعرض الكاتب لموقف الفنان ازاء المجتمع الذى يعيش فيه ، لان التصدى للكلام عن حرية الفكر لا بد ان يؤدى بطبيعته الى تحديد وضع الفنان فى المجتمع المتحرر . ما واجبه تجاه هذا المجتمع ، وما واجب اية جماعة حرة نحو الفنانين من ابنائها ؟

وفي مستهل الحديث يذكر الكاتب بصراحة ان العالم اليوم تسوده موجات من الاستبداد في الحكم والتسلط فى الراى ، حتى ان الفرد ليكاد يفقد حريته في التصرف وفي التعبير . وما اكثر مذاهب الفكر والسياسة ، وانتشار وسائل الدعوة لها ، كثرة وانتشارا يرغمان المرء الى متاهات يضل فيها ولا يجد لنفسه منها مخرجا ، حتى ليفقد قدرته على التفكير المستقل ، ويؤثر آخر الامر ان ينضم الى صف من الصفوف او راى من آراء نقد او تمحيص .

والفن ـ في نظر الكاتب ـ هو الوسيلة التى تمكن الناس من ان يفكروا لانفسهم هم ، وان يتخيلوا او يتصوروا حلولا ذاتية لمشكلاتهم هم . وليس من شك في ان الانسان الفرد قد سبق في وجوده المجتمع ، وان الفن كان موجودا قبل ان تكون له مذاهب ومدارس . وكان الفنان القديم يصدر عن نفسه ، لاينتمي الى فئة او طائفة ، يشكل القطعة الفنية ، او يؤلف الاغنية ، او يرسم الصورة على جدار كهفه لكى يعبر عن احساسه بالسعادة ، او بالخوف ، او عن احساسه الخاص باشكال الطبيعة ، او مناظرها التى يصفها او يصورها . ونستطيع ان نقول ان فنه نبع من باطنه ، ولم يقصد به ان يطبع في غيره اثرا يرمي اليه .

قصة فنان

ويروى مورجان قصة خيالية عن فنان بدائي يوضح بها ما يريد . هذا الفنان اخذ ذات يوم يحلى جدار بيته برسم للماموث ، واذ هو يلهو بالتعبير عن نفسه ويحس في عمله غبطة وسعادة ، فاجأته زوجته قائلة له : « ما هذا يا عزيزى ، اتصور الماموث ؟ فهذا حيوان له ذيل اطول مما رسمت . » وفي هذا التعليق الساذج البسيط تتبين ملامح العلاقة بين الفنان والمجتمع ، وتظهر بعض المشكلات الجمالية . احس هذا الفنان البدائي من هذه العبارة بالسعادة والغضب في آن واحد . اما السعادة فلان زوجته ادركت بالفعل ان ما يصوره هو حيوان الماموث . واما الغضب فلانها تصورت الماموث على شكل واحد يختلف عن رسم زوجها . في حين ان للماموث اشكالا مختلفة ، وهو يعيش بين الصخور والجبال ، ويمكن رسمه

الفن سبق وجود المجتمع

الفنان لا يعطيك من علمه ، ولكن من أحاسيسه

الفنان وحده يرى جوانب الحق كلها

ليس مع الفن آراء سياسية أو معايير وطنية

في عديد من الاوضاع ، وليس المهم هو نقل الطبيعة كما هي وانما المهم هو « الانطباع » الذى يتركه حيوان كهذا في خيال الفنان . ومن ثم فلا ينبغي ان يهمنا في شيء ان جاء الذيل بطوله الواقعي في الطبيعة او لم يجيء . ومن اجل هذا رد الفنان على زوجته قائلا لها : « ليس هذا يا عزيزتي بالماموث . انما هو احساسي به » . فاجابت : « مهما يكن من الامر ، فليس هذا هو احساسي انا به . ولنسأل ابنتنا عن رأيها فيه » .

ولما عرض الرسم على الفتاة ظنت انه اله ، فسجدت له ، وتمتمت بكلمات العبادة ، فقال لها ابوها معنفا اياها : «كفي عما تؤدين» . والواقع ان الوالد الرجل هنا يختلف عن الوالد الفنان . فهو كرجل كان شديدا على ابنته ، وكفنان كان معجبا بفنه . ثم قال : « مهما يكن من شيء فلقد رسمت الاله كما تتصوره ابنتي . وربما كان ذلك هو الفن » !

والحق ان الرجل عندئذ قد اهتدى الى جانب من جوانب الحقيقة ، وذلك حينما ادرك العلاقة بين الفن وابنته . غير ان للحقيقة جانبا آخر ، وهو العلاقة بين الفن ونفسه . وقد خطر له ذلك وهو يحاول ان يرسم بقطعة من الحجر شكلا آخر على الجدار المقابل لذلك الذى رسم فوقه الماموث. لقد سأل نفسه : هل كان يحاول أن يصور الماموث على حقيقته ؟ أم هل كان يحاول ــ كما فعل سيزان ــ ان يصوره كما يريده أن يكون ؟ هل كان يسعى الى أن يعرف الناس بالماموث ، حجمه وطول ذيله وصفاته الاخرى ؟ أم هل كان في تصويره له كما يريده أن يكون ، انما يعرفنا بنفسه ؟ أم هل لم يقصد البتة الى التعريف بشيء ما ؟ وهل كان يهمه حقا رأى زوجته او رأى ابنته ؟

لقد فكر وتدبر في كل ذلك وهو يرسم صورة اخرى . فاهتدى الى انه لم يكن في الواقع يأبه بتاتا بأثر رسمه في غيره ، أو بمقدار ما بين رسمه والماموث الحي ــ او الاله في تصور ابنته ــ من شبه . انه وهو يرسم لا يكترث بحقائق علم الحيوان ، أو بالعقائد والديانات . انه عندما يرسم يكون انسانا فردا لا علاقة له بالمجتمع ، ولا يهمه أن ينقل اليه احساسا شعر به ، بل ولا يهمه أن يعبر عن نفسه لنفسه . وانما هو يستجيب لدافع طبيعي في طويته ، ونداء باطني يلح عليه لغير ما سبب يعرفه ، بان « يرسم » وحسب ، فيرسم ، لا لنفسه ، ولا من اجل المجتمع، او من اجل عقيدة دينية ، أو حتى من اجل الفن، ولكن لكي يستجيب لحافز خفي في باطنه لا يفتأ يناديه ان « ارسم » ، ارسم » . ذلك هو لغز الفن الذى حير النقاد والكتاب ، وفيه تنكشف سر العلاقة بين الفنان والمجتمع ان تكن .

الفن للفن ، كالحب للحب

هذا هو اللغز الذى يسميه النقاد احيانا « الفن للفن » واحيانا اخرى « الفن من اجل الجمال المطلق » او غير ذلك من التعابير التي تحولت فيما بعد الى مذاهب وفلسفات غامضة لا تهدى الى شيء . لان دافع التعبير الفني شبيه بدافع الحب ، ليس من السهل تعليله أو رده الى اسبابه الاولى ، وان يكن هو الاساس لكثير من العلاقات الاجتماعية .

وفي قصة الفنان البدائي التي رويناها اشارة خفيفة الى طبيعة هذه العلاقة ، وذلك عندما اوحى الوالد الفنان الى ابنته بصورته التي رسم بعظمة الكون ومجد الاله . اما حينما ذكرت الزوجة ان ذيل الحيوان قصير فقد كان الرجل فاشلا كفنان، لان الرسم لم يوح الى الزوجة بشيء ، ولم يثر في نفسها سوى رغبة تافهة في أن يصور لها زوجها ما وقعت عليه عيناها بالفعل ، لقد ارادت تكرارا للطبيعة ، لا خلقا جديدا يرفع من الروح ويسمو بالنفس ، لم يستطع الفنان مع زوجته ان يحرك خيالها نحو شيء جديد. اما مع ابنته فقد استطاع ان يحملها على أن تجاوز عمله الفنى ، وكان العمل الفنى قد حطم في الفتاة جمود عقلها ، والهب فيها نارا خامدة ، فاطلقت على النار المشتعلة في نفسها اسم الاله . ولو كانت الفتاة اصغر سنا فلربما اسمت ما تخيلته عروسا من السماء ، ولو كانت اكبر سنا فلربما رات في خيالها عاشقا هبط اليها من السماء . وايا كان ما تتخيله فهو خيالها وليس خيال أبيها ، نبت في ذهنها كما تنبت الزهرة في البذرة .

ما ارادته زوجة الفنان

أما ما ارادته الزوجة فهو ما يريده المجتمع الساذج الذى لم ينضج بعد من الفنان في اغلب الاحيان . فهو يريد ان يرى شيئا بذاته ، شيئا مألوفا يتفق مع مشاهداته السابقة . يريد ان يشاهد صورة لا تتطلب منه نموا في الروح او سموا في الخيال . يريد أن يرى الماموث بكل ملامحه المعروفة من رأسه الى ذيله ، وذلك لان عقله جامد ، متسلط على خياله . ومن ثم كان فشل الفنان مع زوجته ونجاحه مع ابنته .

وفكر الفنان بينه وبين نفسه وقال : « لقد استطعت ان اجعل ابنتي تتخيل لنفسها » ثم اضاف الى ذلك قوله : « ومن اجل هذا كانت الفنون » اما ما هو الفن في حد ذاته فذلك امر آخر . أحسه في نفسي ــ ولكنني اعرف لاى الاغراض تهدف الفنون . انها ترمي الى ان تمكن للناس من ان يتخيلوا لانفسهم .

وامعن الرجل فيما فكر فيه فلم يقنع بهذا التفسير ، وتساءل : « ولكن ما هذا الذى اريد ان امكنهم من تخيله ؟ وباى الوسائل استطيع ان اجعل الناس يتخيلون لانفسهم ؟ » .

ووجد الجواب عن هذا السؤال . يجب ان يتخيل الناس ما فيه مصلحة الفرد والمجموع ، او بعبارة اخرى « يجب ان نحمل الناس على ان يتخيلوا الحق » . ولا يمكن ان نترك هذا الامر الى اصحاب السلطان ، لان هؤلاء يرون جانبا واحدا من الحق ، ولا يرون الحق كله ، ثم يريدون ان يفرضوا على الناس الايمان بهذا الوجه الواحد الذى يرونه .

جوانب الحق كلها

والفنان وحده هو الذى يريد ان يمكن الناس من رؤية جوانب الحق كلها ، وذلك بتصوير رؤياه . وهو حين ينظر الى الشمال يدرك ان هناك الجنوب والشرق والغرب ، وليس الشمال وحده هو وجهة الانسان . والفنان يصور تجاربه كما يراها ، ويقول لك : « انظر ! هذا ما رأيت بعيني ، فماذا ترى انت بعينيك ؟ » فتنظر وقد ترى ما يرى ولكنك ترى ما لم تره من قبل ، وربما ما كنت لتراه لولا رؤياه .

ولتوضيح ذلك بمثال محسوس يذكر لنا الكاتب تجربته عندما وقع في صباه لاول مرة تحت تأثير سحر كتاب وقع بين يديه فطالعه . انه يذكر جيدا كيف ان شيئا اشبه بالدائرة التى تحصره قد احاطت به اثناء القراءة وحرمت عليه ان يفكر في غير ما اوحى اليه به موضوع الكتاب الذى انغمس فيه بكليته واستسلم له وكانه ولج عالما آخر غير العالم الذى يضطرب فيه . هكذا كان سحر الكتاب . غير ان العالم الجديد لم يكن البتة عالم مؤلف الكتاب ، وان يكن قد الم به الماما كاملا . ولا يفقد الصبي القارىء شخصيته الا بمقدار ما يفقد الحالم شخصيته . غير ان الشخصية قد تطهرت من كل الاوشاب ولم يبق منها الا جوهرها. ان ما كان يتحرك في العالم الذى تخيله لم يكن « انا » ــ كما قال ــ بكل ما يعوق هذه « الانا » من احساس المرء بنفسه ، وانما كان جوهر « الانا » خالصا من علمه مثلا بانه يبلغ من العمر ثمانية اعوام ، او ان له اختا او اخوين ، او انه اهمل واجب مذاكرته للدروس ، او انه يستطيع ان يبلغ الحديقة عن هذا الطريق او ذاك . اى انه تخلص من علاقته بعمره ، وشخصه وواجبه ، ومكانه ، مما يرتبط به في حياته العادية. تحرر من قيوده الاجتماعية والزمنية . ولكنه تحول بطريقة لم تجعله عدوا للمجتمع ، لانه تحرر كذلك من انانيته . هكذا كان التأثير الاول لسحر

الكتاب ـ تحررا ، وتركيزا ، وصفاء نفس ، وكانه اخترق القلم الذى يصور شخصيته ، والـذى يتعلق به اسمه وظروف حياته . او كانه نفـذ خلال المرآة التى تعكس صورته .

ولم تكن صلته بما وراء المرآة فرارا من الحياة كما قد يتبادر الى الذهن ، وانما كانت دافعـا جديدا وحيوية جديدة . فالمرء امام المرآة يحس نوعا من العلاقات المورِّدة ، والفوارق الواضحة ، ويفكر في الزمن كانه تقويم مسطور في « نتيجة » معلقة على الحائط ، تسقط منها الاوراق يوما بعد يوم ، ولا يتداخـل فيها الماضي بالحاضـر بالمستقبل . وليس هذا من الحق في شيء مـن الناحية الروحانية . فالوقت كله وحدة متصلة ، في النهاية والبداية . وامام المرآة يحس المـرء كانه فرد قد مغلق على نفسه ، منفصل عن غيره . ليس هناك امتزاج في النفوس برغم جهاد الانسان المتصل لتحقيق هذا الامتزاج بالحب ، وصلاة الجماعة ، وتكوين الاحزاب ومذاهب الرأى .

اما فيما وراء المرآة ـ وتحت تأثير سحر الفنون ـ فاننا نتجاوز هذا الانفصال ، ونحطم جدران السجون الذاتية ، فتتداخل الشخصيات المنفردة ، وتزول حواجز الزمان والمكان .

فى حصار طروادة

يقول الكاتب : « انني اذكر جيدا كيف كنت احس ايام الطفولة وانا تحت تأثير قصة مـن القصص . لقد كنت ماثلا بشخصي في حصـار طروادة ، وان كنت ادرك تمام الادراك ان حوادث الرواية وقعت في الماضي السحيق ، ولم ار في الامر تناقضا . كنت كاني ادى بنفسي دورا في الالياذة والاودسي ، وان الملحمة تدور في بلدى وتمس حياتي . وكنت كذلك احس وانا اقـرأ تاريخ المسيح كانه يعيش في عصرى وكاني اعيش معه ، وكان البئر التى القى اخوة يوسف فيها اخاهم في الملعب المجاور لبيتي . ولم اكن في ذلك شاذا او متجنيا على الصدق والحق » .

« وهذا التحطيم لحصار العقل وعزلته الذى يقوم به الفن لايقتصر على الطفولة ، فكل ما قرات من ادب او شعر في شبابي كنت احسه في حياتي الخاصة . هذا هو سحر الفن : انه يحطم حدود الزمن وابعاد المكان ، وفوارق الظروف ، ويطلق الروح تجوس هنا وهناك خلال الزمان والمكان . ان اعظم تقدير من القارىء للكاتب لا يكون بالانكباب على صفحات الكتاب ، متناسيا كل شيء ما عدا ذلك . وانما يكون التقدير الحق عندما يلقـى القارىء بالكتاب جانبا ، ويكف عن القراءة دون ان يدرى ، ويتجاوز ببصر جديد وبصيرة اخرى ما وراء الكتـاب ، متمعنا فى اى شيء الا في سطوره ، وكان آفاق السماء تتفتح له ، يحلق فيها ، متحررا من سلاسل احكامه الجزئية ومن العمى الذى يصيبه من النظر الـى المشاهـد القريبة . وما اشبهه عندئذ بالطائر يتخلص من حبس القفص ويطير الى اعلى ، ويرى الحقيقة في اوجه اخرى » .

وقد يزول تأثير سحر الفن ويعود القارىء الى نفسه ، او الطائر الى قفصه ، ولكن بعدما يتطهر من اهوائه وتحيزه ، روحه طليقه وان يكن جسده حبيسا ، فقد اتحد مع الكائنات الاخرى ، ودخلت الرحمة والتسامح الى قلبه .

الكتاب الجيد

ويتبين لنا صدق هذه النظرة الى وظيفة الفن اذا نحن سالنا انفسنا عن الفرق بين كتاب جيد له في عصره اهمية ، وكتاب خالد له حياة متصلة تنتقل الى جيل بعد جيل . عندما يقرا احدنا اليوم اثرا من آثار شكسبير فانه يشعر بمتعة واثارة حسية قد تختلف عن المتعة وعن الاثارة التى كان يبعثها في نفوس الناس المعاصرين هذا الاثر القيم بعينه ، وانسان اليوم غير انسان الامس ، يختلف عنه في خياله وفي تصوره ـ ولكن الكتاب الجيد يجدد حياة كاتبه في القراء الذين يستعيدون تصوره مهما باعدت ما بينه وبينهم السنون . واذن فسر عبقرية الكاتب تكمن في قدرته على تمكين القراء من ذلك ـ اى في قدرته على الاخصاب . ليس ما يصدر عن الاديب كالزهـور الجميلـة نحفظها ، وانما هو كالقاء البذور ، قد تمـوت زهورها فى جيل من الاجيال ، ولكنها تزهر في جيل آخر . فبالرغم مما بين كيتس وبوكاشيو مـن فارق زمني ، بحيث لم ير الاول ما تراءى للثاني ، الا ان قصة من قصص بوكاشيو هي التي اوحت الى كيتس ان يكتب « ايزابلا » ، ونحن حـين نقرأ « ايزابلا » نتلقى شحنة جديدة من خيـال هذا الشاعر ، بالرغم من اننا لا نشهد ما شهد ، ويكون لنا تصور جديد .

ولما كانت مهمة الفنان هي الاخصاب ، بحيث يستطيع القارىء في كل عصر وكل جيل ان يستعيد

رؤيا الفنان في حيوية دائمة وطرافة متجددة ، لم تعد لموضوع العمل الفني الاهمية الاولى كما يتراءى لبعض النقاد المحدثين ، وبخاصة الجامدين منهم من اصحاب الكلمة والنفوذ .

العمل الفني

ان موضوع القصة او القصيدة - وانا اتكلم في المجال الادبي ، وان كان كل ما اقوله ينطبق على كل مجال فني آخر - له من غير شك اهميته ، لان القصة او القصيدة لا يمكن ان توجد بغير موضوع. غير ان ما ازعمه هو ان الموضوع ليس هو الجوهر او صفة الاخصاب الخالدة في العمل الفني ، وانما هو "قيد" عليها . لا احسب ان احدا - مالم يكن مؤرخا باحثا عن مادته - يقرأ اليوم الكاتب الانجليزي دكنز لانه كتب عن اصلاح السجون . او يقرأ الكاتب الروسي ترجنيف لانه كتب عن اللبرالية في روسيا ، او فيكتور هوجو لانه هاجم نابليون الثالث . ولا احسب ان احدا في المستقبل سوف يقرأ هـ . ج . ولز لانه اختار مرة موضوعا لادبه بعض مبادىء الجمعية الفابية « الاشتراكية » . او ربما قرأ بعض الناس هؤلاء الكتاب لانهم يهتمون بامور تتعلق بهذه الموضوعات. غير انهم لن يخصبوا خيالهم اذا هم قصروا انفسهم على موضوع الكتاب . اذ لو كان الامر كذلك لكفتهم فيه اية عجالة قصيرة . وانما تخصب خيالهم الاثارة التي يبثها المؤلف في موضوعه . ان قوة الاخصاب لا تكمن في الموضوع ، وانما تكمن في الاحساس الجمالي الذي صبه المؤلف فيه . وهذا الاحساس الجمالي لايعبر عنه في الموضوع فحسب ، او في طريقة المعالجة وحدها ، وانما يعبر عنه بالانسجام الذي يتم بينهما . ومن اجل هذا فانه لايجدر بنا ان نقول : هذا الموضوع مقبول او غير مقبول ، او ان نقول : هذه المعالجة تدعو الى الاعجاب . وهذه مرفوضة ، وهو خطأ وقع فيه كثير من النقاد الجامدين ، قديمهم وحديثهم .

المذاهب والفنون

لاينبغي قط ان تتسلط علينا المذاهب في الاحكام ، فنقول هذا رومانتيكي مقبول ، او واقعي ، او غير ذلك مما يقبله ذوق العصر او لايقبله . ولا يصح ان نملي على الفنان الموضوع او طريقة علاجه - فلسنا اساتذة فصول دراسية ، او رقباء على النشر . وكل ما ينبغي لنا ان ناخذه في اعتبارنا ان يكون الموضوع مما يحرك الاحساس بالجمال ، وان يكون الانسجام بين الموضوع والمعالجة مما يسحر اللب .

وفي الكون كثير من المتناقضات ، والفن وحده هو الذي يستطيع ان ينفذ خلال هذه المتناقضات ، فيرى فيها وجها من وجوه النظام في فوضى الحياة، ووجها من وجوه الجمال في هذا النظام ، ووجها من وجوه الحق في هذا الجمال . وان يستقطر التجربة بحيث يمكننا من ان ننهل من جوهرها ، وان نستعيد تصورها ، وان نجدد انفسنا . فامتياز العمل الفني يكمن كما يقول الشاعر الانجليزي كيتس في « غزارته » ولا يكون في موضوعه او في معالجته بل ان يكون في حسه الاجتماعي ، او في دفاعه عن نظام خلقي خاص ، او في معاصرته ، ويستطرد كيتس فيقول ان القطعة الفنية الممتازة قمينة بان تبدد كل ممجوج (ولا يعنى بالممجوج ما لا يسرنا ، وانما يعنى تلك الاشياء التي تتقادم في خبراتنا المباشرة ، ولكنها تنسجم اذا شوهدت في المجال الكوني الفسيح) بحيث يبقى وجه الحق والجمال خالصا .

الفنان والسياسة والوطنية

وهذه الرغبة في ان يكون الفنان رجلا يلهب ارواحنا لها اهميتها الخاصة في وقت يتحول فيه المجتمع تحولا اساسيا وبسرعة فائقة « ان الوقت الذي نعيش فيه يميل الى تجميد الفكر في قوالب ثابتة ، وربما كان ذلك ذعرا من سرعة التغير ، ومن الانحلال البادي في المجتمع . وكان من اثر ذلك ان ظهرت الدعوة الى التمسك بالاتجاه القديم ، والتخلي عن كل مذهب عالمي جديد ، كما نادى الكثيرون بالقواعد الخلقية المتزمتة ، ووصمنا الجديد بانه « هروب من المجتمع » ، لاننا نزعم ان الوعي الاجتماعي هو معيار صحة الفنون او السلوك . وكان من اثر هذا ايضا اننا طالبنا الفنان بان يكون مواطنا صالحا قبل ان يكون فنانا صالحا - والواقع ان الفنان يجب ان يكون مواطنا صالحا ، يطيع القانون ، ويحارب خصوم الوطن ، ويسعى الى سعادة الناس ، وليس من شك في اننا نؤثر في الفنان هذه الصفات ، الا انها صفات ليست لها علاقة به



شكسبير



ترجنيف

كفنان، ولا ينبغي لنا ان نحكم على هذه وفقا لارائه السياسية او الوطنية، فان للفن معايير اخرى ومقاييس غير هذه . هل ندين الكاتب الشهير توماس مان Thomas Mann لانه بمعيار النازية لم يكن مواطنا صالحا في المانيا ؟ وهل نلفظ شلي Shelley لان سلوكه كمواطن كان غاية في الشذوذ ! كلا . وليس من حقنا ان نفرض على الفنان آراءنا ومذاهبنا . وعليه بدوره ان يدرك انه وان يكن حرا في التعبير عن آرائه ، الا انه لا يملك الحق في ان يصدّع المجتمع ، كما ان المجتمع ليس له الحق في ان يصدّع فيه صفة الفنان . للفنان الحق في ان يعبر عن آرائه اذا كان موضوع هذه الاراء هو ما يثير في لحظة الخلق احساسه بالجمال . ولكن الفنان يفقد كل قيمته اذا كان لا يتجاوز رغبته في بث آرائه ، واذا كان فنه لا يحمله فوق هذه الاراء وبعيدا عنها . ان الدعاية للراى لا تكفل لصاحبها الخلود ، والشعوب لا يمكن ان تثبت على مذهب واحد او مدرسة واحدة .
علاقة الفنان بالمجتمع كعلاقة الاستاذ بالطالب . ليس الاستاذ الناجح هو الذي يملي الحقائق مجردة على تلاميذه وانما هو ذلك الذي يحفزهم الى التفكير المستقل والى تدبر خلق الله والكون ، كلٌّ منا بعينيه لا بعين الاستاذ المعلم – هذه هي التربية الصحيحة ، اطلاق الروح ، وهذا هو الفن الصحيح .

نعم نحن مواطنون ، وافراد في مجتمع ، ولكنا رجال ونساء قبل ان نكون مواطنين ، بل نحن ارواح قبل ان نكون اجسادا تسكنها الرجال والنساء ، نعيش بالروح ، وان كنا نتعلم عن طريق العقل ، او كما عبر عن هذا المعنى احد الشعراء الانجليز :

النفس محيط فسيح
كل خاطرة تمر بها
تنضم الى اشباهها من الخواطر
ليخلق المرء منها اخيرا
– متجاوزا هذه الخواطر –
عوالم اخرى ، وآفاقا جديدة .

شلي وكيتس

وعندما كتب شلي قصيدته الشهيرة عن « القبّرة » كان على علم بذلك . انه لم يحاول ان يمدنا بالمعرفة ، وانما اراد ان يشد انظارنا الى شيء غير هذا الطائر – شيء يتجاوز القبرة .

وعندما كتب الشاعر كيتس قصيدته عن « البلبل » لم يحاول البتة ان يكون معلما ، ولعله نسى البلبل عندما تمثلت له رؤياه . وكان الكاتب هاردى كذلك يدرك هذه الحقيقة عندما انشد قصيدته عن الحب ، واراد ان يقول ان الحب ليس شيئا عظيما في حد ذاته ، وانما هو عظيم لقدرته على الايحاء .

واذن فانه ليست بنا حاجة الى ان نفكر في العلاقة بين الفنان والمجتمع تفكيرا اجتماعيا اكثر مما ينبغي . ولا يجوز لنا ان نرسم للفنان الاهداف ونسن له القوانين ، فلنوفر له حريته حتى يكشف كشفه الجديد ، ولنوفر لانفسنا الحرية كي نتقبل هذا الكشف منه ، ثم نعيده خلقا جديدا . الفنان الحق لاينتمي الى حزب ، ولا يدعو الى مذهب .

انه الرجل الذي يصاحب الطير والنسور
ليدرك منها سر الغرائز
يسمع الليث وهو يزار
فيعبر عن معنى زئيره
وصراخ النمر في اذنه كلام فصيح
يطرق اذنه كانه حديث الامهات

هذا هو الفنان عند تشارلز مورجان ، والمستمع او المشاهد هو المجتمع . كل ما في الطبيعة ، كل ما تغنى به الادباء والفنانون . ليثا ، او نمرا ، قبرة او بلبلا ؟ نسرا او طيرا ، الحب ونشوته – كل ذلك موضوعات للفن ، وكلها بين ايدينا ، نستوعبها كي نعيد خلقها بخيال جديد . يعبر عنها الفنان حرا لكي نقرأها احرارا . لا نجعل منها واجبا او درسا ، لا نصنفها ولا نبوبها ، فان نحن فعلنا قتلنا ما فيها من حياة وروح . ■■

محمود محمود

كتاب الشهر

المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى

للدكتور إبراهيم طرخان

عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب فيه حديث عن ماضينا. والحديث عن ماضينا وثيق الصلة بحاضرنا ، فهو في رأيي له فائدتان : **اولاهما** تمثل الصفحات المجيدة فيه لتكون حافزا لنا ، **وثانيتهما** استيعاب مآسيه لنتجنب الوقوع فيها . وما الاسباب التي ادت الى افول مجد العرب في الماضي ، الا هي بعينها التي تعاني منها امتنا اليوم .

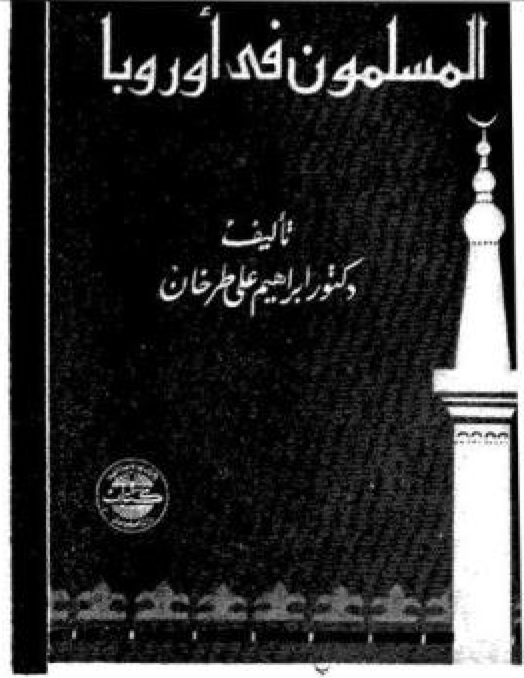
وهذا الكتاب الذي نقدمه : « المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى » ، **هو بقلم الدكتور ابراهيم علي طرخان ، وقد صدر في سلسلة « الالف كتاب » عن « الادارة العامة للثقافة » بوزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة . وهو في اكثر من ثلاثمائة صفحة موزعة على تسعة فصول واربعة ملاحق .**

وفصوله هي : المسلمون والاجانب ، عالم البحر المتوسط حتى اصطدامه بالفتوح الاسلامية ، الفتوح الاسلامية والبحرية الاسلامية ، النفوذ الاسلامي في جزر البحر المتوسط ، السيادة الاسلامية في اسبانيا ، كيف بسط المسلمون نفوذهم في فرنسا ، النفوذ الاسلامي في ايطاليا ، امتداد الغزو الاسلامي الى سويسرة واعالي الراين ، نهاية النفوذ الاسلامي في اوروبا الجنوبية .

ورغم ان هذا الكتاب لا يكشف عن وثائق جديدة ، وكل ما فيه مفرق في كتب منشورة ، عربية واجنبية ، الا انه يمتاز في انه يعرض هذه المادة عرضا واضحا متسلسلا . ومن اشهر الكتب المعروفة بالعربية في هذا الموضوع كتاب « تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط » **للامير شكيب ارسلان . وهذا الكتاب في حقيقته ، ترجمة لكتاب (رينو Reiaud المشهور ، مع تعليقات للامير شكيب ، وفي آخره ترجمة** « كتاب غارة العرب على سويسرة في اواسط القرن العاشر » **للدكتور فرديناند كلر Keller . وهذا الخلط جعل كتاب الامير شكيب ارسلان مضطرب المادة والعرض .**

اسباب سرعة الفتح الاسلامي

وقف المؤرخون مندهشين امام سرعة الفتح الاسلامي ، وهي ظاهرة مثيرة حقا . ونحن نستطيع



ان نجد الاسباب في الاسلام وتعاليمه التي اذكت الحماسة الدينية في نفوس المسلمين ، وجعلتهم يستهينون بالمخاطر ويستعذبون الاستشهاد ، في سبيله : فهذا عقبة بن نافع ، البطل المشهور ، وقف على ساحل المحيط الاطلسي ممتطيا جواده ، ثم شهر سيفه وقال : « اللهم فاشهد ، انى لو كنت اعلم ان وراء هذا البحر ارضا لخضته غازيا في سبيلك . »

وهذا ابو مِحْجن الثقفي يشتد به الحزن لانه مقيد لا يستطيع ان يشارك في الجهاد ، فينشد مرتجلا :

كفى حزَناً ان تَرْدِيَ الخيلُ بالقنا
واتركَ مشدوداً عليَّ وثاقيا (١)
اذا قمت عناني الحديد واغلقت
مصارع من دوني تصم المناديا

ويجاهد زهير بن ابي قيس البلوى ، والي افريقية زمن عبد الملك بن مروان ، وينتصر في معاركه ، ثم يصمم على مغادرة افريقية خوف الفتنة ، قائلا : « تدمت للجهاد ، فاخاف ان اميل الى الدنيا ، فأهلك . » !!

هذه هي الروح التي كانت وراء انتصار المسلمين .

ومن اسباب سرعة انتصار المسلمين تعاليم الاسلام القائمة على التسامح ، وهو امر لم يكن مألوفا في تلك الفترة من تاريخ البشرية ، وهذا التسامح الذى اظهره المسلمون هو الذى جعل الشعوب المظلومة ترحب بهم : فتقرر مصير بلاد الشام في معركة واحدة هي معركة اليرموك ١٥ هـ/٦٢٦ م ، كما تقرر مصير مصر في وقعة حصن بابليون ٢٠هـ/٦٤١ م ، ومصير اسبانية في وقعة وادى لكو Lakko ٩٢هـ/٧١١م . ولا ننس ان الدول التي حاربها المسلمون ،وهم في عنفوانهم، كانت دولا مجهَدة ، متفسخة داخليا .

العرب يبنون الاساطيل

والمعروف ان الجيش العربي كان جيشا بريا ، لا يعرف ركوب البحر ، ولكن مجابهته لاوروبة اجبرته على ان يفكر في بناء الاساطيل للعبور اليها. وكان معاوية بن ابي سفيان اول من نظم اسطولا في الاسلام ، واول من ارسل حملة عربية اسلامية للغزو في البحر المتوسط ، فكان الانتصار الساحق على البحرية البيزنطية في المعركة المشهورة باسم « غزوة ذات الصوارى » عام ٣١هـ/٦٥١م ، رغم ان الاسطول الاسلامي كان يتكون من مائتي سفينة بحارتها من المصريين والسوريين ، بينما كانت سفن الاسطول البيزنطي تتراوح بين سبعمائة والف سفينة .

وقد اعتمد معاوية على بناة السفن المصريين الذين قاموا ببناء اسطول في عكا ، التي غدت اهم قاعدة بحرية في بلاد الشام ، ونقل عبد الملك ابن مروان الف صانع مصرى من بناة السفن ، مع اسرهم ، لانشاء قاعدة بحرية في قرطاجنة .وكانت السفن تبنى ايضا في الاسكندرية والفسطاط .

اما في حوض البحر الابيض المتوسط الغربي ، فقد تم تنظيم البحرية في الاندلس زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر ،وكانت اكثر القواعد البحرية في اسبانية على طول الساحل الشمالي الشرقي بين طرطوشة وبلنسية . وكانت مدينة المرية ، في الجنوب الشرقي من اسبانية ، هي القاعدة الرئيسية للبحرية الاندلسية . وكانت لشبونة هي قاعدة الاسطول الاندلسي على المحيط الاطلسي .

وعندما تم للمسلمين السيطرة على نحو ثلثي

(١) ردى الفرس يردى ردْيا ورديانا : رجم الارض بحوافره في سيره وعدوه

البحر المتوسط وجزره ، اصبحت لهم قواعد بحرية ممتدة من شرقه الى غربه . وهكذا تحولت الدولة الاسلامية ، منذ أواخر القرن السابع الميلادى ، الى دولة بحرية ، وغدا البحر الابيض المتوسط بحيرة اسلامية ، وظل كذلك حتى حوالي منتصف القرن الحادى عشر الميلادى .

بداية النفوذ العربي فى فرنسة

كان موسى بن نصير اول من فكر في غزو فرنسا بعبور جبال البرانس . وكانت خطته ان يسيطر على فرنسة ، ثم يتجه شرقا حتى يصل الى القسطنطينية ، وبذلك يحقق حلما من احلام العرب في الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين . ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعاه اليه قبل ان يبدأ بتنفيذ خطته .

وظلت فكرة عبور البرانس الى فرنسة تراود قادة المسلمين في الاندلس ، حتى كانت ولاية السمح بن مالك عام ١٠٠هـ/٧١٩م ، وهو من افاضل عرب افريقية ، ومن خيرة الولاة الذين تولوا امر الاندلس . وقد قام السمح بتحقيق الحلم الذى راود موسى بن نصير ، فاحتل اقليم سبتمانيا Septemania ، وهو منطقة تمتد من البرانس غربا الى مصب نهر الرون شرقا ، وتتصل بما يعرف اليوم باسم الريفيرا الايطالية ، وعاصمتها أربونة Narbonne . وقد استولى السمح على العاصمة بعد حصار دام شهرا ، ومما ساعد المسلمين على احتلالها ان طريقهم الى البحر كانت مفتوحة ، ولهذا كانت الامدادات تصلهم من الاندلس باستمرار . وقد اتخذ السمح من اربونة قاعدة لعملياته الحربية داخل فرنسة . ويقول الامير شكيب ارسلان انه عندما زارها وجد فيها شارعا يسمى باسم السمح .

وتتبع السمح مجرى نهر الجارون ، وفتح ما صادفه في طريقه من مدن وحصون ، حتى وصل الى طولوشة Toulouse ، عاصمة اكويتانيا ، ولكن هذه المدينة قاومته . ولم يرض ان يرتد عنها رغم ان الفرنجة وجهوا ضده جيشا ضخما ، الى ان سقط شهيدا في أواخر عام ١٠٢هـ/٧٢١م . وكانت وقعة طولوشة اول نكسة للعرب في اوروبا. وبسبب قيادة عبد الرحمن الغافقي ، الذى تولى قيادة الجيش بعد استشهاد السمح عاد الجيش العربي الى اربونة سالما .

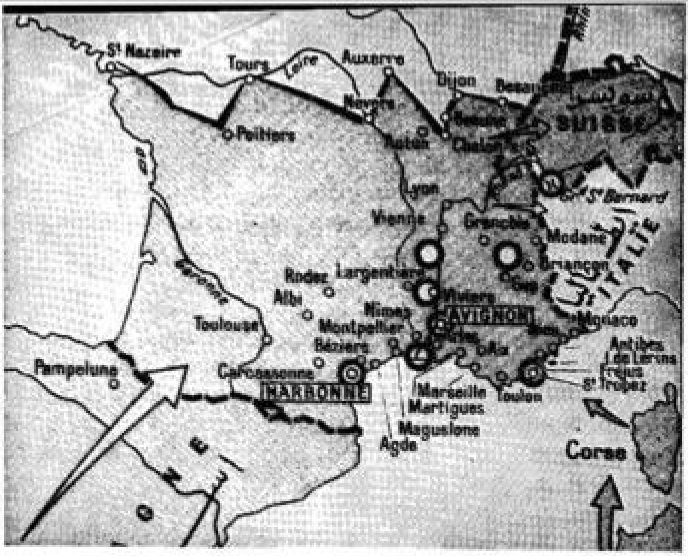
المسلمون يصلون الى بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبي باريس

وخلف عنبسة بن سحيم الكلبي السمح بن مالك على امارة الاندلس ، فواصل الغزو في فرنسة الجنوبية حتى وصل الى مدينة ليون التى كان العرب يسمونها « حصن لودون » . ولم يجد في طريقة مقاومة تذكر الا عند مدينة سانس Sens الواقعة على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبي باريس . وقد جعلته هذه المقاومة التى لقيها يعيد النظر فى خطته الحربية : فهو قد توغل داخل فرنسة ، واصبح يخشى الا يستطيع تامين خطوط عودته ، ولهذا قرر العودة الى قواعده . وقد اجبره على التراجع ايضا وقوع خلاف بين العرب والبربر ، وانبعاث العصبية ، في الاندلس . هذه هي الاسباب التي دفعت هذا القائد العظيم الى ان يتوقف عن الاستمرار فى فتوحاته حتى يكمل السيطرة على فرنسة .

ولم يكن عنبسة حذرا في طريق عودته ، مما سهل على الفرنجة مداهمته بجموع غفيرة ، واصابته بجراح بالغة توفي على اثرها في عام ١٠٧هـ/٧٢٥م ، وعاد الجيش العربى من حيث انطلق الى قاعدته اربونة .

عبد الرحمن الغافقي ومعركة بلاط الشهداء

بين عامي ١١٢ ـ ١١٤هـ / ٧٣٠ ـ ٧٣٢ م تولى امارة الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، وهو في رأى كثير من المؤرخين اقدر قائد عسكرى عرفته الاندلس في عصر الولاة ، ولكن الظروف التى احاطت به لم تكن لتسمح لعبقريته الحربية ان تظهر على حقيقتها . وكان عبد الرحمن الغافقي ـ كما ذكرت ـ هو الذى انقذ الجيش الاسلامي بعد هزيمته في معركة طولوشة . ولهذا فقد كان فيه توق الى ان ينتقم لهذه الهزيمة . وما ان ولي امارة الاندلس حتى اعلن الدعوة للجهاد في سبيل الله ، في الاندلس وافريقية ، فتدفق عليه المتطوعون من كل ناحية ، وتجمع عنده جيش ضخم قيل انه بلغ بين سبعين الفا ومائة الف . وفى اوائل عام ١١٤هـ/٧٣٢م بدأ عبد الرحمن الغافقي تحركه ، فعبر جبال البرانس من ممرات رونسفال، واتجه شرقا ليضلل الاعداء عن وجهته الحقيقية وسار مكتسحا ما في طريقه من معاقل وحصون



خارطة تبين امتداد الفتح الاسلامي لفرنسا في القرن الثامن الميحي : وقد شمل ثلثي فرنسا ، وسويسرا وجزر البحر الابيض المتوسط (الحوض الغربي) . ووجدنا من العبث ترجمة أسماء المدن الفرنسية .

ومدن ، متتبعا مجرى نهر الجارون ، متوجها شمالا في السهل الواسع الذى يحده نهر اللوار وجنوبا نهر الجارون ، حتى وصل الى مدينة تور ، فاستولى عليها على مراى من جيش شارل مارتل ، ثم تقدم الى بواتييه ، فالتقى بجيش شارل مارتل في المسافة بين المدينتين ، على بعد سبعين كيلو مترا من باريس جنوبا . واستمرت المعركة ثلاثة ايام ، وفي رواية اخرى سبعة ايام .

واذا كان جيش شارل مارتل أكثر عددا من جيش المسلمين ، فان الروح المعنوية في الجيش الاسلامي كانت تفوقها عند الفرنجة . الا انالجيش الاسلامي كانت فيه نقطة عيب خطيرة ، لم تكن خافية على قائده ، تلك هي تكالبه وشدة حرصه على الاحتفاظ بالغنائم التى ظفر بها . ولم يكن باستطاعة عبد الرحمن الغافقي ان يجعل جيشه يترك غنائمه ، ليتفرغ للمعركة ، خوفا من تمرد الجيش . وقد ادرك الفرنجة نقطة الضعف هذه ، واستغلوها احسن استغلال ، اذ ارسلوا – في اثناء القتال – جماعة منهم قامت بحركة التفاف سريعة ، وهاجمت مؤخرة الجيش الاسلامي ،حيث كانت توجد الغنائم . وقد ادت هذه الحركة الى اختلال نظام الجيش الاسلامي ، حيث ترك جانب منه المعركة وسارع لحماية الغنائم ، بينما بقي الجانب الاخر مع عبد الرحمن الغافقي يقاتل الاعداء .. ولكن الفرنجة تكاثروا عليهم ، وسقط البطل شهيدا بعد ان ابلى خير البلاء في القتال ، وكان ذلك في رمضان ١١٤هـ/أكتوبر ٧٣٢م . وعادت فلول الجيش الاسلامي مستترة تحت جنح الظلام .

هذه هي معركة بلاط الشهداء ، التي سميت بهذا الاسم لكثرة من سقط فيها من شهداء المسلمين . ولفظة « بلاط » تعني القصر او الحصن المحاط بحدائق ، في مصطلح الاندلسيين ، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية Palatum . وتعتبر هذه المعركة ، في نظر المؤرخين الاوروبيين ، من المعارك الفاصلة ومثال ذلك ان المؤرخ المشهور جيبون Gibbonيقول : « لو انتصر العرب في تور بواتييه لتلى القرآن وفسر في اكسفورد وكمبردج . » اما قيمتها بالنسبة للعرب فهيانهم لم يفكروا بعدها في محاولة احتلال فرنسا كلها ، رغم الانتصارات الكثيرة التى احرزوها ، بعد ذلك ، في فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية .

الدعوة العباسية وانقسام العالم الاسلامي

وبينما كانت هذه الاحداث تشغل المسلمين في غربي البحر المتوسط ، كانت الدعوة العباسية تقلق الامويين في الشرق ، بحيث لم يستطيعوا ان يقدموا المساعدة الكافية للمسلمين في الاندلس. وانتهت الاحداث بقيام الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٥٠م ، وانتقال العاصمة الاسلامية من دمشق الى بغداد . وشغلت الاندلس ايضا بدخول عبد الرحمن الداخل الاموي ، وتأسيسه الدولة الاموية فيها ، وحاول الخليفة المنصور ان يهزم صقر قريش ولكنه فشل .

وهكذا انقسم العالم الاسلامي الى قسمين

متنافسين متنازعين : العباسيون في بغداد ، والامويون في قرطبة .

العرب يحالفون اعداءهم في حرب بعضهم بعضا

وقد بلغت العداوة بين العباسيين والامويين درجة محالفة الاجانب في حرب بعضهم بعضا : فحالف العباسيون ملوك الفرنجة ، وحالف الامويون الاباطرة البيزنطيين . ومن ابرز مظاهر هذا التحالف تلك السفارات التي كانوا يتبادلونها .

ومن هذه السفارات التي تمت بين العباسيين وملوك الفرنجة : سفارة ارسلها الملك بيبن القصير الى بغداد عام ١٤٨هـ/٧٦٥م ، وقد مكثت هذه في بغداد مدة ثلاث سنوات ، عادت بعدها محملة بالهدايا ، ومعها رسل الخليفة المنصور . وقد بالغ بيبن في اكرام رسل الخليفة العباسي .

وكانت علاقة شارلمان بن بيبن بالعباسيين استمرارا لعلاقة الود التي عقدها والده معهم . وقد كان شارلمان ملكا طموحا ، يحلم بتكوين امبراطورية مترامية الاطراف كالامبراطورية الرومانية ، ومن اجل تحقيق حلمه حاول ان يستغل صلته بالعباسيين ، ولهذا اتصل بالخليفة العباسي عارضا عليه ان يتدخل في الاندلس ، ويقضي على حكم عبد الرحمن الداخل الاموي ، وان يقوم بهذا باسم العباسيين بحجة انهم هم اصحاب الحق الشرعي في حكم الاندلس ، لانهم ورثة الامبراطورية الاسلامية . وقد وافق الخليفة العباسي على هذه الخطة . وانتهز شارلمان الفرصة حين هرب بعض الموتورين من صقر قريش ، واتصلوا بالخليفة المنصور عارضين عليه ان يكونوا صلة الوصل بينه وبين شارلمان . وقد لقي هذا العرض هوى من نفس المنصور .

وهكذا حشد شارلمان جيشا جرارا في ربيع عام ٧٧٨ م ، وتقدم لملاقاة الجيش الاموي بقيادة عبد الرحمن الداخل ــ وفي ممرات رونسفال هزم جيش شارلمان هزيمة شنعاء ، بددت حلمه في ازالة السيادة الاموية من الاندلس . وقد قتل في هذه المعركة الكونت رولاند ، اقدر ابطال شارلمان ، واقربهم اليه ، بعد ان ابدى شجاعة فائقة . ورولاند هذا هو الذي تدور حول مقتله الملحمة المشهورة المعروفة باسم « اغنية رولاند » .

وقد رفع انتصار المسلمين على شارلمان من معنوياتهم ، وجعلهم يجددون غزواتهم .

وتوفي عبد الرحمن الداخل في عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨م ، فخلفه ابنه هشام ، وكان شابا كفوا ، متحمسا للدين ، وهو بين خلفاء الاندلس بمنزلة عمر بن عبد العزيز بين خلفاء بني امية في دمشق ، ويروى عنه انه لما بنى القنطرة العظمى بقرطبة ، علق الناس قائلين : « انما بناها لنزهته » . فلما بلغه ذلك اقسم الا يجوز عليها الا لغزو في سبيل الله او لقضاء مصلحة .

وكما جرى تبادل السفارات بين بلاط العباسيين وبلاط الفرنجة جرى تبادلها ايضا بين الاندلسيين والبيزنطيين . ومن هذه السفارات : سفارة تيوفلس الى عبد الرحمن الاوسط . ويذكر المقرى في « نفح الطيب » ان رسول الامبراطور حمل الى الخليفة الاموي رسالة « يرغبه فيما بملك سلفه بالمشرق » . وقد اجاب عبد الرحمن الاوسط على هذه السفارة بسفارة اخرى كان على راسها الشاعر يحيى الغزال . وقد حظيت هذه السفارة باهتمام كتابنا القدامى والمعاصرين ، ودارت مناقشات حولها ، وهل كانت الى القسطنطينية أو الى ملك النورمان ، او الفيكن ، في ايرلنده (١) . ومن اشهر هذه السفارات ايضا السفارة التي اوفدها الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ورد عليها الخليفة بسفارة مثلها .

وفي الوقت الذي كان فيه خلفاء الاندلس يتبادلون السفارات مع اباطرة بيزنطة ، كانت جيوشهم لا تكف عن الاغارة على اوروبا ، حتى انها احتلت جنوبي فرنسة حتى جنوه ، وكل مقاطعة بروفانس .

النفوذ الاسلامي في ايطالية

ولم تسلم ايطالية من الغزوات الاسلامية القادمة من الاندلس . وقد اشتدت هذه الغزوات خلال

---

(١) احب ان اشير هنا الى دراستين صدرتا حديثا هما :
W.E.D. Allen, The Poet And The Space - Wife .

وقد قدمنا هذا الكتاب في «العربي» (العدد ٥١)
A.A. El-Hajji, Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe .

غزو صقلية وبعد فتحها ، لان الجزيرة اصبحت قاعدة منها يثبون الى ايطالية . وقد تمكن المسلمون من اجتياح ايطالية الجنوبية بسرعة ، كما غزوا شواطئها المطلة على البحر الادرياتيكي ، والبحر التيراني .

وفي عام ٢٢٢هـ/٨٣٦م احتل عرب كريت ، بمساعدة عرب صقلية، مدينة برنديزي، واستمرت سيادتهم عليها مدة ثلاثين سنة . واستولى المسلمون على (باري Bari) وما حولها عام ٢٢٧هـ/٨٤١م واقاموا فيها امارة اسلامية دامت ثلاثين سنة ايضا . وغزوا روما عدة مرات : ففي عام ١٩٤هـ/٨٠٩م غزوها واحسنوا معاملة البابا ليو الثالث لكبر سنه ، وفي عام ٢٢٢هـ/٨٤١م حاصروها . وحاصرتها قوات من الاندلس وافريقية في عام ٢٥٧هـ/٨٧٠م مما اضطر البابا حنا الثامن الى ان يفاوضهم في الصلح والجلاء ، مقابل دفع جزية سنوية مقدارها مائة الف مثقال ذهب .

وكانت السيطرة الاسلامية على جنوب ايطاليا ووسطها تهدد تجارة البندقية ، في الدرجة الاولى، ولهذا جهزت البندقية اسطولا مؤلفا من ستين سفينة لمحاربة المسلمين ، ولكنه هزم هزيمةساحقة امام الاسطول الاسلامي .

وقد تعرض شمالي ايطالية لغزوات المسلمين ايضا ، فعلى اثر معركة بلاط الشهداء توجه عقبة ابن الحجاج السلولي على راس جيش ودخل بيدمونت ، ولكنها كانت غزوة سريعة . وفي عام ٢١٩هـ/٨٣٤م غزوا جنوه. ومنذ عام ٢٢٦هـ/٨٤٠م تعرضت سواحل البحر الادرياتيكي لغزواتهم ، ولم تسلم البندقية نفسها من غزوهم . وتحكموا في ممرات جبال الالب، ولم يكن يستطيع المسافرون قطعها الا بعد دفع رسم لهم نظير مرورهم منها .

امتداد الغزو الاسلامي الى سويسرة واعالي الراين

كانت قلعة المسلمين الحصينة في فراكسينيتوم Fraxinattum بجنوبي فرنسا ، هي مركزهم الذى منه يقومون بغزواتهم في البلاد والاقاليم المجاورة حتى اصبحوا سادة منطقة جبال الالب ، والحدود بين فرنسا وايطالية وسويسرة ومن ممرات الالب هاجموا سويسرة ، فوصلوا الى شواطىء بحيرة جنيف حوالي عام ٣٢٥هـ/٩٤٦م ، وكذلك الى مناطق اعالي نهر الراين .

وعندما سقطت قلعة فراكسينيتوم حوالي عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م بيد الفرنجة ، سقط سلطان المسلمين في سويسرة ومناطق الالب ، لان هذه القلعة كانت عاصمة الممتلكات الاسلامية في فرنسة وشمالي ايطالية وسويسرة ، تحت رعاية خليفة قرطبة .

ثم غربت الشمس

ولم تلبث شمس المسلمين ان غربت في اوروبا والاندلس . وابرز اسباب افول شمسهم : تفكك وحدة العالم الاسلامي بانقسامه الى ثلاث خلافات، هي : الخلافة العباسية في بغداد ، وخلافة بني امية في الاندلس ، وخلافة الفاطميين في المغرب ثم في مصر وما حولها . وبلغ التمزق اقصاه في غرب العالم الاسلامي زمن ملوك الطوائف ، وهو عصر استمر نحو قرنين وسبع سنوات ، حيث كون الزعماء العرب احدى عشرة دويلة ، وكون البربر عشر دويلات ، وكان للصقالبة خمس دويلات .

وبالاضافة الى هذا الانقسام السياسي ، كان هناك انقسام ديني بين السنة والشيعة ادى هو ايضا الى تمزيق وحده العالم الاسلامي .

وهناك ايضا العصبية التي اكملت تمزيق اجزاء العالم الاسلامي : فالعرب الفاتحون نقلوا معهم الى اوروبة عصبياتهم القبلية ، وكان اخطر مظهر من مظاهر هذه العصبية الخلاف بين عرب الحجاز وعرب الشام . ثم كان الصراع الرهيب بين العرب والبربر .

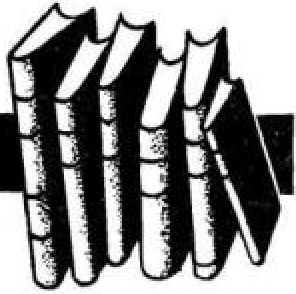
ولم تغب هذه الظاهرة عن عيني شارل مارتل ، ولذلك رد على قومه الذين ادهشتهم سرعة الفتوح الاسلامية وهي في مطلعها ، قائلا : « الرأي عندى الا تعترضوهم في خرجتهم هذه، ولكن امهلوهم حتى تمتلىء ايديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرياسة ، ويستعين بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر امر » .

ويعلق المقرى على هذا فيقول : « فكان والله كذلك ، بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب ، والمضرية واليمنية ، وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الاعداء » .

* * *

وما اشبه الليلة بالبارحة !! ■■

عمان ـ محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

القضاء والقضاة

دراسة علمية ادبية

تأليف : محمد شهير ارسلان .

الناشر : دار الارشاد / بيروت / لبنان .

● كتاب يدرس القضاء والقضاة واهمية القضاء ، حيث ان مهمة القضاء مهمة خطرة ، ومقدسة ولأن الخصومة من لوازم الطبيعة البشرية ، فلو لم يكن هناك وازع للقوى على الضعيف لاختل النظام وعمت الفوضى .

والسلطة القضائية هي احدى الدعائم الثلاث التي يقوم عليها الحكم في اى مجتمع ، وهذه السلطة اكثر السلطات رسوخا ، واقواها صمودا امام التيارات الجارفة التي قد تزعزع اركان الحكم والحكومات .

والكتاب بالتالي ، وان كانت مواضيعه كلها متعلقة بالقضاء والقضاة ، الا انه كتاب تاريخ بما يحويه من حوادث تاريخية واخبار سياسية كما هو كتاب أدب بما يحويه من شعر ونثر ، كما انه كتاب فلسفة بما يحويه من فلسفة وآراء اجتماعية ونفسية ، واخيرا كتاب قانون بما يحويه من قواعد ونظريات ومبادىء .

العرب وتراثهم

تأليف : الدكتور يوسف سليم شويحات المزيرات .

الناشر : مطبعة القوات المسلحة الاردنية ـ عمان ـ الاردن .

● يدرس هذا الكتاب اصل العرب ودورهم في تطور العالم القديم والحديث واصل اليهود ودياناتهم . ثم دراسة عن الانطلاقة العربية الراهنة كما تناول الكتاب بالدراسة العادات العربية الاصيلة في الريف الاردني .

سلام غير مرغوب فيه

ترجمة : العقيد الركن محمد سميح السيد

الناشر : ادارة الشؤون العمة والتوجيه المعنوى وزارة الدفاع الجمهورية العربية السورية .

● تقرير يدور حول اعتبار الحرب ضرورة من ضرورات المحافظة على البنيان الاجتماعي ، ودراسة موضوعية دقيقة للدور الاجتماعي للحرب مستندة على العلوم الاجتماعية والحديثة والوسائط التكنية الجديدة كالآلات الحاسبة وغيرها . وقد كانت نتيجة هذه الدراسة أن الحرب تقدم الوسيلة الوحيدة القادرة على تأمين استقرار الاقتصاد الوطني والتحكم به . كذلك فهي ضرورة اجتماعية لتأمين السيطرة على الاضطرابات الاجتماعية الخطرة والميول التخريبية المضادة للمجتمع كما تحول دون التضخم الاقتصادى وتدفع عملية التقدم العلمى والتكني الى الأمام .

الرى والحضارة في وادى الرافدين الجزء الاول

تأليف : الدكتور احمد سوسه .

الناشر : مطبعة الاديب البغدادية . بغداد ـ العراق .

● يبحث هذا الكتاب الفترة الحضارية في العراق القديم التى تبدا بالعصور الحجرية وتنتهي في اواخر العصور السومرية ، كما يتناول البحث العصور الاولى من حضارة وادى الرافدين بقدر ما تتصل هذه العصور بموضوع الرى والزراعة كما يشتمل على منشأ الحضارة العراقية وتطورها مع نبذة عن محتوياته ، كما زود الكتاب بمجموعة قيمة من الصور والخرائط للتوضيح .

الشوق والرصاص

تأليف : زياد نجيب ذبيان ـ بيروت ـ لبنان .

● مجموعة قصائد متنوعة .

مسلم الغد

تاليف : الدكتور احسان حقي

الناشر : دار العربية ـ بيروت / لبنان .

● مجموعة مقالات متنوعة تتسم بطابعها الديني والمؤلف في هذه المقالات يحاول الخروج بالانسان من ميدان القول الى ميدان العمل وأن يحث الخطى حتى يلحق بالقافلة التي سبقته . كما يحاول ان يبرز الامراض التي يعانيها المسلمون ويحاول ان يذكر هذه الامراض وان يصف الدواء ، وهي محاولة للخروج من مجال الكلام والاماني الى مجال العمل البناء ، لان المسلمين عندهم مقومات للحياة لم تتوفر لامة من امم الارض . فهناك نظام الهي لايدانيه نظام ، هذا النظام الذي يساعد على النهوض والعمل والتطور . كما انهم امة كثيرة العدد وهي تسيطر على مساحات واسعة شاسعة وبلادهم مليئة بالكنوز التي تحوى جميع المواد الخام . ثم انهم بالتالي امة تدين بكتاب واحد يُقرأ بلغة واحدة وهذه الميزات ما اجتمعت لغير الاسلام والمسلمين قط .

المطالعات في مختلف المؤلفات / الجزء الثالث

تاليف : محمد علي الموسوى الحمامي .

الناشر : مطبعة النعمان / النجف الاشرف / العراق .

● يدون هذا الكتاب بعض القصائد التي جاهر بها اربابها من اجل الدعوة الى خلافة اهل البيت كما يثبت جملة من الآيات النازلة والأحاديث الواردة في كرامة اهل البيت ، واختصاصها بهم مما شهدها الصحابة والتابعون ودونها كبار العلماء الاعلام ، كما يستعرض الكتاب صورة لحياة سبعة من شعراء اهل البيت وبعض الاعلام ممن كان لهم اليد البيضاء في احياء المآثر العلمية او الدينية او الاجتماعية .

شمخي

تاليف : عبد الودود العيسى .

الناشر : شركة الطبع والنشر الاهلية ـ بغداد ـ العراق .

● قصة طويلة .

كتاب سيبويه
الجزء الاول

الناشر : مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بيروت / لبنان .

● اشهر كتاب وضع في النحو العربي صنف في نحو الف ورقة ، والكتاب ليس له مقدمة ولا خاتمة وهذا يدل على ان مؤلفه كان على نية العود اليه لانه كان لديه منه بقية ولا يزال في نفسه شيء لذلك لم يسمه ولم يقراه عليه احد ومن ثم صار (الكتاب) على كتاب سيبويه .

سنن ابي داود
الجزء الاول

تاليف : الامام الحافظ ابى داود السجستانى .

اعداد وتحقيق : عزت عبيد الدعاس .

الناشر : محمد علي السيد حمص / سوريا .

● كتاب في الحديث قيم يلى صحيحى البخارى ومسلم يجمع احاديث الاحكام التى هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم . يستطيع بها المسلم فهم قرآنه وان يتعرف على احكام دينه ويمتاز هذا الكتاب بتخريج احاديثه وترقيمها وفهرس عام لجميع الاحاديث مرتب على الحروف الهجائية .

اللب واللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب

تاليف : الشيخ محمد رضا المزاوى/**تحقيق :** السيد احمد الحسيني / الناشر : مطبعة الاداب في النجف الاشرف / العراق .

● كتاب في اللغة ، يدرس الأسماء والنعوت ويبدأها باسماء الله جل جلاله وصفاته ثم اسماء الانبياء والملائكة ثم اسماء الظواهر الطبيعية ، ولم يكتف المؤلف بالموضوع اللغوى فحسب بل ادرج فيه معلومات منوعة من كلام وتفسير وحديث ومنطق وفلسفة .

وقد سار المؤلف في منهجه للكتاب على الطريقة الحديثة حيث نسق كتابه ـ حسب الحروف الاولى كما هو الحال في كتاب المصباح المنير وذلك لسهولة هذه الطريقة .

■■



مسلمات خالدات

الشيماءُ أُختُ محمدٍ

بقلم : سنية قراعة

■ كانت القافلة الصغيرة القليلة العدد توشك أن تتحرك ، وقد ملأت ضجة من كانوا فيها الصحراء بجلجلة صاخبة اختلطت فيها الأصوات هنا وهناك ، هذا ينادى ، وهذه تتعجل صاحبة لها ، وتلك تصيح أو تذكر رابعة أو خامسة بأن لا تهمل قضاء حاجة كانت ترجوها ، وهي تبالغ في توصيتها بعدم التقصير او الاهمال ليكمل لديها ما كانت ترجو أن يكون لها من متاع أو حلي النساء . .

وارتفع صوت الحارث بن عبد العزى وسط الضجيج الشامل ينادى زوجته حليمة بنت ذؤيب السعدية لتخرج من الخباء ، فالركب يكاد يتحرك فى طريقه الى مكة ، ولم تعد هناك فسحة من الوقت تستوجب التباطؤ أو تدعو الى مزيد من الانتظار

ووصل الى اذنى الحارث صوت زوجته حليمة تخبره انها انما كانت تكمل ارضاع وليدها الصغير قبل أن ترحل لتتركه في رعاية احدى جاراتها ، وهو شبع بعض الشيء .. فعاد الحارث فى ضيق يتعجلها . ولم تمض سوى لحظات خاطفة حتى كانت حليمة تسرع الى الخارج وقد تركت وراءها الرضيع وطفلة أخرى ، هي « الشيماء » ابنتها ، وهي تلاحقها صائحة فى لهفة ، وهي توصيها أن لا تبطىء هناك فى مكة ، وأن تعود اليها والى شقيقها الرضيع ، ومعها الطفل المنتظر الذى ستتولى ارضاعه لأهله ، فتصبح اختا لاثنين بدلا من واحد ، فيملأ عليها وحدتها ويبعدا عنها ما تحسه من رهبة الصمت وكآبة السكينة ووحشة هذه الصحراء ...



ولم تنس الشيماء أن توصي أمها مرة ومرات بأن تجتهد ما أمكن أن يكون الرضيع من أبناء أشراف مكة الموسرين ، ليغدقوا عليها وعلى أمها ما تطمع أن يكون لها من الهدايا والهبات التي تفرّج الضائقة وتجعل الصغار من ساكنات البيد أمثالها يتخيلن أنهن بدورهن هانئات قريرات العين سعيدات ...

ونظرت حليمة السعدية الى ابنتها الشيماء نظرة حنان وعطف ، ورفعت راسها مبتهلة الى الأرباب أن تحقق رجاء الطفلة ، ثم التفتت اليها تعدها خيرا ، واسرعت الى زوجها المنتظر مع الركب لتاخذ مكانها فيه ...

وتحركت القافلة الصغيرة القليلة العدد .. ومرة أخرى ساد الضجيج الصحراء .. ثم تعالى رنين الأجراس الصغيرة المدلاة من أعناق الابل واخذ يطن طنينه مالوف النغمات ، وتجاوب معه ترنيم الحداة ، وارتفعت وسط الصخب همسات النساء بالتوسل والرجاء والابتهال لتجد كل منهن الطفل الذى ترجوه من أبناء أشراف العرب وسادات قريش الذين كان من ادق تقاليدهم الموروثة من قديم الأجيال أن يدفعوا بمواليدهم الى مراضع

بني سعد بن بكر ليشبوا هناك في قلب البادية فتمتلىء صدورهم بهوائها النقي ويدرجوا في جو جاف صحي ، ويشبوا على الشجاعة والفروسية والاقدام ، والجـراة ، ويتخلقوا بطابع مكان الصحراء من كرم وايثار وحب للنجدة ، وفوق هذا كله تستقيم السنتهم ، ويخلص نطقهم بالعربية السليمة المنقاة من كل الشوائب ..

ووصل ركب مراضع بني سعد الى مكـة في النهايـة ، وانتهى به المطاف عند السـادات من اشراف قريش ... وأسـرعت المراضع يعرضن انفسهن ، ويتسلمن فلذات الأكباد .. وظفرت كل واحدة منهن بما كانت تبغي وتريد الا حليمـة السعدية .. لقد وقفت حليمة امام وليد قرشي ، اهله في السنام الأعلى من العرب جميعا .. شريف ابن شريف .. وسيد ابن سادات .. وحسـيب لا يتطاول قرشي مهما سما وتعالى الى حَسَبِه ، ولكنه يتيم .. وليته كان يتيما موسرا أو على شيء من الثراء ، بل هو يتيم يكفله جده ، سـيد مكة ، ورأس قريش ، عبد المطلب بن هاشـم بن عبد مناف ..

ولم يكن من عادة مراضع بني سعد أن يتقربن من يتيم مُعدم أو يَقبلن ارضاعه ، فلا غناء فيه ولا تعويض .. ولهذا انصرفت المراضع جميعـا عن اليتيم الهاشمي وقد تحقق لكل منهن أملها ، وفازت بالطفل الذى كانت تتمناه ، الا حليمـة فلم يُعرَض عليها غير الهاشمي اليتيم الذى تولت « ثويبة » جارية عمه أبى طالب ارضـاعه منذ مولده حتى مقدم حليمة ...

وردت حليمة الطفل الى أمه آمنة بنت وهب .. ردته مرة بعد مرة ، وكلما ردته ورفضت قبول العودة به الى مضارب بني سـعد في الصحراء ، لارضاعه هناك كالعادة ، اسرعت تمد يديها فتحمله مرة بعد مرة ، ثم تعيده الى امه ...

انها تريد طفلا موسرا غير يتيم يحقق امانيها ، وتجد فيه ابنتها الشيماء الصـغيرة الأخ الذى ترجوه ويشرف قدرها به في قادم السنين ، حين تأتيه زائرة ، فيغدق عليها الاعطيات ، ويكون لها الأخ المعوان الكريم السخي لا يبخل ولا يتردد في البذل ...

ردت حليمة الطفل مرة بعد مرة ، بالرغم من أنه لم يعد باقيا غيرها من مراضع بني سعد دون طفل تعود به .. ثم عادت تسترجعه وتعيده بعد المرة مرات وهي تعجب لأمرها وأمره ، ولشـعورها الغامض بالحنان نحوه . ولم تجد في النهاية غير ان تغالب عاطفتها فتسرع مبتعدة ، وليكن ما يكون حتى لو عادت دون ما كانت تبغيـه وما خرجت من ديارها من اجله ، ولتنتظر مرة قادمة تجرب فيها حظها عساها أن تجد الطفل الذى تتمناه ...

ابتعدت حليمة السعدية ، وتركت الطفل الوليد الى آمنة أمه والى مرضعته « ثويبة » ثم أسرعت الى حيث كان ينتظرها زوجهـا الحارث بن عبد العزى ، فقصت عليه كل ما حدث ولم تكتمـه شيئا على الأطلاق مما يجول في سريرتها ..

ومرت اللحظات بطيئة ثقيلة ، وساد السكوت بين الزوجين ، ولم يكن يعنيها أو يعني زوجها شيء بقدر ما يعنيهما الا يعودا صفر اليدين ، بلا رضيع ، وقد يكون في هذا موضـع للتندر او الخوض في حديث ، واحاديث قد تخلقها مناسبة الفشل الذى منيت به حليمة ..

وهمس الحارث في اذن زوجته ، يسألها لماذا لا تقبل الهاشمي الوليد بالـرغم من أنه يتيم ، فعادت في ضيق تقول انه يعرف السبب وليس في حاجة الى شرح أو بيان . فيعود يسألها ، واذا كانت المراضع من بني سعد يرفضن كل يتيم شبه معدم ، فمن يرضع الوليد ، وهو لن يكون عالة على حليمة أو على زوجها ما دام هناك اهلوه ، وهؤلاء سوف يتولون الاتفاق عليه ، ويعملون على ارضاء مرضعته !! .

وتعود حليمة مرة اخرى وتقول ان الشيماء الصغيرة ترجو أن تعود أبيها برضيع من الموسرين لعلها تنال عن طريقه بر أهله وما يقدمونه لها من منح وعطاء ، وامام ذلك لم يجد الحارث ما يقوله وان ابدى ضيقه البالغ من أن تعود زوجته دون رضيع ...

والواقع أن حليمة بنت ذؤيب نفسها كانت في حيرة من أمر الرفض الذى اصرت عليه ، بل من أمر اصرار القدر على أن يعرض عليها هذا الرضيع اليتيم بالذات حتى لقد جعلت تسأل نفسها مرة بعد أخرى وهي في كل مرة تتهرب من الجواب :

لماذا عادت الى الرضيع بعد أن ردته ورفضت ارضاعه ، ثم لماذا عادت تحركه وتحدق فيه النظر

فى حدب وعطف وحنان ، تتفرس ملامحه الدقيقة ، ووجهه الملائكي و ... هدوءه الغريب وصمته العميق وما اتسم به من ابتسامة رضية وضاءة زادته سماحة واشراقا ...

لماذا اهتمت به ؟ ... لماذا احدقت فى وجهه عشرات بل مئات المرات ؟ .

لقد وجدت فيه ما لم تجده فى طفل رضيع من قبل ... لقد أرضعت من قبل الكثيرين من أشراف العرب .. ورأت .. وسمعت .. وعرفت .. ولكن .. هذا الطفل الهاشمي .. ان فيه ما لم يكن فى غيره ، وانها لتحس ذلك ، ومن أجل هذا ، ورغم انصرافها عنه تقاوم عاطفة الرجوع اليه .

واستطاعت عينا الحارث بن عبد العزى ان تصلا الى اعماق قلب حليمة بنت ذؤيب زوجته .. انها حائرة .. لا تريد اليتيم مرة ، وتريده مرات .. تهرب منه مرة .. وتشعر بالحنين الى العودة اليه وحمله بين يديها مرات ومرات .. انها ولا شك تحس نحوه بعاطفة حنان واشفاق .

ومال الحارث على اذن زوجتـه يقول لها ان العودة بيتيم من بنى هاشم وان لم يكن موسرا خير من العودة بدون أحد ..

ولقد انس الحارث فى حليمة زوجته الرغبة فى الانصات اليه كمن ارتاحت الى ما كان يقول ... ثم الرغبة بعد ذلك فى النزول على رأيه ، فعاد يصل فى سرعة ما انقطع من الحديث وهو لا يفتأ يقول ان العودة بطفل خير من العودة صفر اليدين.

واسرع الرجل يلمس ما تحس به من عاطفة تجاه هذا الوليد ، فاخذ يؤكد لها أن الأحداث نفسـها قد تخلف الظنون ، وان ما انعقدت الامال على ثرائه وندى أهليه وعريض غناه قد يبدله القدر ويغيره الدهر فينقلب به من حال الى حال فى الوقت الذى يقبل فيه الحظ بوجهه الضاحك على المعدم اليتيم .. وانه هو نفسه بعد هذا كله يحس أن حليمة تغالب رغبتها فى قبول ارضاع الهاشمي اليتيم ، لكنه يستبشر به وينصحها أن تستجيب لدواعي الحنان والعطف وتقبله ...

وهكذا عادت حليمة بنت ذؤيب الى مضارب بنى سعد بأسعد الايتام وأذكى مواليد الله فى أرض الله ، واكثرهم يمنا على العالمين .. عادت حليمة الى مضارب قومها تحمل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وقد ضمته الى صدرها فى حدب ورعاية ، وكأنها تضم اليها كنزا مليئا بالسعادة والحظ والثـراء ...

هللت الشيماء فرحا بمحمد ، واقبلت عليه اقبالا جعلها تنسى رعاية أخيها الشقيق ، فلم تحمل غير محمد ، ولم تلاعب الا محمدا ، ولم تكف طوال ساعات اليوم عن نداء محمد باسم الحبيب الذى هدأ له قلبها وارتاحت اليه نفسها ...

ويعم الأسرة فرح عريض ، ويعود الحارث ليرقب ما حواليه وما كان يحوطه ويملكه .. لقد درت النعاج اللبن باضعاف ما كانت تعطى .. وزكت النوق واخضر الكلا القليل .

وسأل الحارث نفسه .. أهي ابتسامة الحظ .. أم بركات المعدم اليتيم تعم بنى سعد جميعا وتغمرهم بالخيرات .. واقبل على حليمة يهمس لها بما دار ، فاذا بافكارها هي الاخرى تدور فى ذات المدار الرحيب ، وتحوم حول نفس الشيء ، وترى فى محمد ما كشفت عنه بصيرة الحارث ، وتلمح آيات بركته ويمنه وحظه الوفير ..

ومرت الأيام .. وتخلفت حليمة بمحمد الى مكة مرة أو مرتين ، كانت تعود به بعدها سريعا الـى مضارب بني سعد فتتلقفه الشيماء فى لهفة وتسارع به الى المراعي ، تلاعبه وترفه عنه ..

كان محمد نسيج وحده بين الأطفال ... أبدا ما سمعته حليمة باكيا ، أو مسولا أو متبرما بنفسـه شأن أمثاله ومن فى سنه من المواليد .. كان هادئا دائما .. باسم الوجه مشرق القسمات .

واعتادت الشيماء أن تصـحبه معها دائما فى الغدو والرواح ومعها شقيقها الذى يقربه سنا ، فكـان ثلاثتهم يختلفـون الى المراعـي والمروج .. ومحمد يومها ابن ثلاث أو اربع سنوات ، ليرعى مع الشيماء واخيها الشـــقيق أغنام الحارث وحليمة ، ولتتم بذلك السنة التقليدية التي تميز الرسل الكرام من بدء حياتهم فى الرعاية والحراسة ليتدربوا على رعاية العالمين وحراستهم فيما بعد ...

لقد عاش اليتيم فى الصحراء فى كنف حليمة ، ورعايتها ، ودرج مع ابنها الذى فى مثل سنه وابنتها الشيماء التي كانت تكبره بسنوات قلائل جدا .

وبقي في مضارب بني سعد بن بكر حتى بلغ الخامسة او السادسة ثم عاد الى اهله في مكة ليعيش في كنف جده ثم في رعاية عمه ابي طالب بعد ذلك ...

جاء محمد الى الدنيا يتيما مات أبوه .. ثم ماتت امه آمنة بنت وهب .. ثم شب في رعاية جده ومن بعد جده عمه . لم تذله الأحداث .. لم يتعرض لهزات ضياع اليتامى بين الأهل .. وذلك لان الله كان يرعاه .. وكان يريد له هذه النشأة الأولى لحكمة جلت على الافهام ...

« ألم يَجِدك يتيما فآوى،ووجدك ضالاً فهدىٰ، ووجدك عائلا فأغنىٰ .. » !!

وتزوج محمد خديجة بنت خويلد .. وما نسي الصحراء ولا مضارب بني سعد .. وان حليمة نفسها على اجماع الروايات لتأتيه ذات مرة تطلب نداه ، وتساله جوده ، وقد اجدبت الصحراء عامها ذلك ، وكانت مجاعة اذلت القوم ، واضطرت الى استمطار ندى أهل النجدة والجود .. واسرع محمد يصل امه حليمة ومن مال خديجة زوجته ، حتى عادت الى قومها ، وقد برها اليتيم الذى خشيت يتمه ذات يوم ، واغناها الله به عن الناس في ذلك العام .

ثم مرت بعد ذلك أعوام .. وجدت أحداث بعد أحداث .. وبعث محمد بدين الحق ، وخرج على العالم برسالة الله .. ثم هاجر وترك مكة .. واستقر وعاش في المدينة .. ثم ها هو ذا يعود الى مكة فيحل له الله البلد الحرام دون حرب أو قتال ، ويفتحها فتحا مبينا ، ويدخل الناس في دين الله افواجا .

ولقد طرق اسم محمد أسماع بني سعد وبقية اهليهم وعشائرهم من هوازن وثقيف .. وتحدثبه من ظلوا على كفرهم ، وعبادة اصنامهم التى حطمها محمد يوم أتم الله عليه نعمة الفتح الأعظم .. تحدثت عنه هوازن وثقيف والطائف كلها .. ولا بد ان اخته الشيماء قد تحدثت هي الاخرى عنه ، وتخيلته في امجاد فتوحه وانتصاراته الدينية ..

ثم وقف بها الفكر عند هذا الحد ، فبقيت حيث هي على دين قومها ، وملتهم ، وان حدثت الناس هناك عن أخيها الذى عظم امره وانتشر باذن الله دينه ، ومن يدرى .. لعلها لولا ثقل السنين على منكبيها لسارت اليه ان لم تكن لتؤمن أو تعلن دخولها في دينه فعلى الأقل لتراه وتعود ببعض آيات بره وعطاياه ، وقد نبه ذكره كما تصورت وعظم أمره ، ولا بد أصبح في تصورها من ذوى المال ...

ربما فكرت الشيماء في هذا كله .. وربما طوفت بخيالها هذه الصور والأمنيات جمعاء ، ولكنها بقيت حيث هي في هوازن لتسمع ذات يوم ان محمدا .. أخاها القرشي .. قد اتجه الى هوازن بجيش لم تشهد الصحراء ولا الجزيرة كلها له مثيلا او شبيها قبل ذلك اليوم ، وأنه ورجاله يتقدمون لمباغتة هوازن وثقيف ، وقد أجمع من فيهما على حربه ثم خرجت جموعهم اللجبة الزاخرة لقتاله .

وكان مالك بن عوف النصرى هو صاحب فكرة الخروج .. واتخذ مالك بن عوف النصرى والخارجون معه اماكنهم ، وانحازوا الى حنين ، وتحصنوا بمضيق عند الوادى .. واستعدوا لتوجيه الضربة للمسلمين الذين كانوا يتقدمون ، تملأ الخيلاء نفوسهم ، ويملؤها الاعجاب بالكثرة العظيمة ، حتى لقد استيقنوا ان النصر ملك ايمانهم وأن الهزيمة لا بد واقعة بمالك بن عوف ومن تبعوه .

ووصل المسلمون في عتمة الليل الى مشارف حنين وانتظروا حتى الصباح ثم تنادوا بالهجوم ودوت صيحة الحرب .. وصاح مالك بن عوف في رجاله وقد رأى المسلمين يهبطون الوادى ليمطروهم من حيث هم بالنبال ..

يالها كانت من لحظات قاسية رهيبة ، وموقف بالغ الحرج والضيق .. نبال وسهام تترى ولا ملاذ ولا حمى ولا دروع تقى من الهلاك .

واضطرب المسلمون .. واهتزت تحتهم الأرض .. وشعروا بحرج مواقفهم وضعف مراكزهم الدفاعية ، ووجدوا انفسهم وبرغمهم قد وقعوا في كمين لم يحسبوا حسابه أبدا .. فولى اغلبهم منهزمين .

يالجلال الايمان ..وعظمة القائد .. تفر الجموع اللجبة وهو ثابت كالطود ، لا يتحرك ولا يميل ، بل زاد ايمانه بنصر الله وتأييده في أحلك ساعات الموقعة .. !!

رسول الله مكانه في الميدان ، وحـــوله قلة لا تغني ، ولكنها قوة مؤمنة ثابتة القلوب عظيمة الثقة في الله وفي قدرتها !! .

وصاح صائح أن عودوا يا انصار الله والرسول .. عــودا أيها المهاجـرون الاوائل .. عــودوا ياأصحاب بيعة العقبة والرضوان .. عودوا جميعا يا من بعتم انفسكم في سبيل مرضاة الله واشتريتم جنات عرضها السموات والارض .. عودوا فهذا أوان الشد .. وقت التضحية والبطولة والاستشهاد ولقد تفتحت أبواب الجنة التي كنتم بها توعدون!!.

وتقدمت جموع هـــوازن وثقيف المنتصرة وقد انتشت بفرحة الظفر .. تقدم أعداء الله من حيث كان يقف محمد وحوله جند الله وهم ساعتها قلة استهانت بالكثرة المتقدمة وسخرت من خيلائها ، واصرت على احراز النصر بمضاء العزيمة وقــوة الايمان . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة .

واسترد الفارون ثقتهم وتسارعوا في قوة الى الصف لياخذوا أماكنهم فيـه .. واخذت القلة تتكاثر وتتجمع .. ومست القلوب حرارة الايمان وحلاوة الاســتشهاد وانطلقت الحناجر تهتف في عنفوان واعتزاز .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا اله الا الـلـه وحده نصره عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .. لا اله الا الله محمد رسول الله ..

ودوى التكبير .. ورنت الاصداء وجعلت ترددها في حرارة وغضب قمم الجبال .

وظل القائد مكانه ثابتا كجبل اشم .. واستطاع المسلمون وقد عاودتهم نفوسهم ، وتطهرت من الخيلاء وشرور الاعجاب قلوبهم أن يتقدموا ، وان يلقوا العدو وجها لوجه والله في جانبهم .. وذعرت هوازن .. وامتلات بالمخاوف قلوب ثقيف واحس بالندم والحسرة كل من خرجوا معهم من القبائل الأخرى وقد بدات الدائرة تدور عليهم واستيقنوا انهم امام قوة غلابة ، لا تقيم وزنا للحياة ، بل تسعى الى النصر ولا شيء غير النصر واعلاء كلمة الله الذي يقول « ولينصرن الله من ينصره » .

ووجد أعداء الله أن الاصرار على مواجهة القوة الاسلامية العاصفة جنون واستهانة بالحياة الغالية وما أسرع ما بدات هوازن تولى الدبر ، وفي أثرها ثقيف ومـن معهـم من الحلفاء ... لقـد هزمت هوازن وثقيف .. وفر مالك بن عوف صــاحب فكرة تجمعهم والخروج بهم للقضاء على محمد .. فر مالك الى أسوار الطائف وهو يرجو أن يحتمي بها من فتح الله ونصره ..

هزموا .. وخلفوا وراءهم الولد والمال والنساء .. وسيقت النساء سبايا ينتظرن قضاء الله وكلمة محمد عليه الصلاة والسلام ..

وعلا بين سبايا هوازن وثقيف صــوت عجوز تصخب وتزمجر وتصيح في غضب وضيق ، طالبة من المسلمين ان يخلوا ســبيلها ويطلقوا سراحها ، ويتركوها وشانها ، فهي اخت صاحبهم ، وما كان لهم أن يسوقوا الى الأسر أخت محمد .. !!

اخت محمد ..

يا له من ادعاء ابى أن يصدقه المسلمون وكلهم يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست له اخت ولا اخ شقيق او غير شقيق !! .

وانصرف المسلمون عن العجوز المدعيةساخرين، وتركوها تصخب ما شاء لها الصياح والغضب وقد سدوا جميعا اذانهم دون الاستماع اليها ، ولكنها ما كفت ابدا عن الصياح ولا عن الادعاء الذى سرى بين المسلمين مسرى النار في الهشيم الجاف وانتشر في سرعة حتى اصبح حديث الناس جميعا ..

وعادت العجوز تصيح وتصيح ، حتى لقد ظن المسلمون أن بالعجوز لوثة ، فاقبلوا عليها مواسين يهدئون من ثائرتها ويطلبون منها ان تنتظر حيث هي صامتة راضية حتى يعود محمد فيرى فيها رايه وينظر في ادعائها القريب .

وسكتت « الشــيماء بنت الحارث بن عبد العزى » فقد كانت تطمع ان يصل صوتها الى اذني محمد .. اما ومحمد بعيد اليوم عنها في شواغل حربه فليس لها الا ان تنتظر حتى يعود ..

وعاد رسول الله صلى الله عليه وســلم الى « الجعرانة » واســتقر بها بين الظافرين المنتصرين من رجال الله وجنده الغلاب المنتصر .. عاد يجني والمسلمون ثمار النصر المبين غنائم لا حصر لها ، انها اثنان وعشرون الفا من الابل ، وأربعون

الفا من الأغنام ، واربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف سبية وأسير !! .

نظر محمد الى كل هذا ، ثم رفع رأسه بالشكر والحمد الى الله .

واخذ رسول الله يقسم الغنائم ويوزع الفيء بين المسلمين .. وفي هذه الأثناء حضرت وفود « هوازن » وقد أعلنوا اسلامهم وشهدوا انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، بعد أن تبين لهم جميعا انهم كانوا في ضلال .. عادوا ليذكروا محمدا بصلاته القديمة بهم وانهم هم اهله ، وهم خؤولته وهم أخوته ، وفيهم درج وعلى أرضهم نشأ ...

عادوا ليطالبوا محمدا الابن والاخ وابن الاخت برد أموالهم وأولادهم ونسائهم عليهم ، يقولون له انه ليس في الأسر سبايا من هوازن بل في الأسر اهله وعشيرته .. في الأسر عماته وخالاته .

واطرق عليه الصلاة والسلام طويلا ، في حين استمر قائل القوم في مقاله ، وقد عرف انه مس الوتر الحساس من قلب الرسول الوفي الكريم ..

اليوم غير الأمس الذي تولى وذهب وقد تقارب الابعدون ، وتلاقى الأهل والأحبة ، وتجمع الشمل كل الشمل وقد لفه كله رباط الاخاء الاسلامي،ولا ضير بعد ذلك ، فهوازن قد دخلوا في دين الله ، واقروا بوحدانيته ، وبأن محمدا عبده ورسوله ـ لا ضير عليهم اليوم وهم فعلا أخوة محمد .. ونساؤهم عماته وخالاته وحاضناته اللاتي كفلنه ـ أن يطالبوا برد أموالهم ، فاموالهم ودماؤهم من اليوم حرام على اخوانهم في الله ..

واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رضا ما طلبه منه أهل هوازن .. وبالها من لحظات كانت هي قمة النصر الأكبر الذي أحرزه دين الله وحققه محمد رسول الله ..

وجاء رجال محمد يقولون ان بين السبايا عجوزا تدعي أنها أخته ..

وتقدمت الشيماء في بطء وهدوء !! بالله !! لقد غامت عينا محمد تحت قطرات من دموع خفيفة .. وغلبه الحنين .. وجه حليمة بنت ذؤيب السعدية يهل عليه من وراء الحجب مشرقا بالأمل .. بل يعود اليه الآن ويراه رأى العين .. حليمة الطيبة .. حليمة البرة العطوف الحانية .. الوجه الذي طالما أطل عليه في مهده ، واشرق عليه بالحب والرعاية يتقدم منه في صورة الشيماء ..

انه صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكرها .. يذكر هذا الوجه ، ويتناسى امام حرارة الذكرى السنين والغضون وشتى التجاعيد .. يتناسى العجوز المهدمة التي كانت تتقدم ويرى الشيماء .. الطفلة التي كانت تكبره ببضع سنين ، والتي طالما حملته وصحبته لما اشتد عوده قليلا ، وخرجت به الى المراعي ، وراحا معا يرعيان الاغنام ..

الشيماء أخته .. أجل أخته وانه أخوها ..

وهتف محمد ينطق باسم الشيماء .. وتهلل الوجه المتغضن ونطقت ملامحه بالسعادة ، ووقفت صاحبته تقول في انفعال .. انا الشيماء يا اخي محمد الصغير .. ايها القرشي الطيب الذي لم تستطع الأعوام أن تأتي على ذاكرته ، وابت مكانته المتسامية الا ان تزيده قربا من أهليه ولو تبدل بهم وجه الدنيا ، وتغيرت الأحوال ..

وقام رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم من مكانه يرحب باخته الشيماء ، ويضرب أروع المثل في الحدب والرعاية عند رؤية الأهل وذوي القربى .. قام محمد يرحب بالشيماء واعد لها مجلسا الى جانبه اجلسها فيه ، واقبل عليها يحبوها بالبر والحدب والحنان ، وبالغ في اكرامها والترحيب بها ، ثم خيرها بين أن تبقى معه وفي رعايته ، أو تعود فتلحق باهلها مسلمي هوازن الذين دخلوا في دين الله ..

لم تكن الشيماء تعدل بجوار محمد شيئا في الوجود ، وما كان أسعدها حين طلب اليها البقاء في جيرته وحماه ، ولكن .. كان لها في قومها الأهل والولد .. وكان لها في ارض هوازن الحنين والذكريات .. واذا هي بعد تفكير تقول انه يسعدها ان تكون في جوار محمد .. ولكن لا بأس أن تعود الى اهلها فهي في سن لا تسمح لها بالاغتراب والابتعاد ..

واكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدها ، ووصلها بصلات عديدة ، وتمنى لها العافية وتركها تعود مع وفد هوازن وسائر من كن في الأسر من النساء والاولاد .. ■■

سنية قراعة



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

مرض البول السكرى يؤثر على النظر

● والدتي مصابة بمرض البول السكرى ، ونلاحظ ان قوة ابصارها تقل . وقد قيل لي ان ذلك بسبب مرض السكر . فهل هذا صحيح ؟

ـ تأثر قوة الابصار عند المصابين بمرض البول السكرى يرجع الى سببين، الاول : هو التغيرات التي تحدث فى عدسة العين . والثانى : هو التغيرات التي تحدث بالشبكية . والتغيرات التي تحدث بالعدسة يمكن التغلب عليها فى اول المرض بالعلاج . اما اذا كانت قد حدثت منذ زمن طويل فلا يمكن لعلاج السكر ان يقلل من حدتها ، وعادة تنتهي بحدوث السدة السكرية Diabetic Cataract والعلاج الممكن فى هذه الحالة هو اجراء عملية لاستخراج السدة ثم وضع نظارات طبية .

وفى الحالة الثانية ،وهي التغييرات التي تحدث بالشبكية فانها تتكون ببطء شديد دون أن يلاحظها المريض سواء كان المريض تحت العلاج او بدون علاج ، وسواء كان المرض شديدا او خفيفا ، ويستغرق ظهور هذا عادة حوالي عشرة اعوام الى عشرين عاما ، واغلب المصابين هم المرضى فوق سن الخمسين ، ونظرا لان هؤلاء معرضين ايضا لامراض ضغط الدم وتصلب الشرايين ، فان التغيرات التي تحدث بالشبكية تؤثر تأثيرا مباشرا على الشبكية مما يؤدى الى ضعف قوة الابصار تدريجيا عادة ، ما لم يحدث نزيف شديد بالشبكية والجسم الزجاجي الذى يؤدى الى فقد البصر الفجائي ، وحتى لو تحسنت الحالة تدريجيا بامتصاص هذا الدم ، فهؤلاء المرضى معرضون بعد ذلك للاصابة بانفصال الشبكية Retinal Detachment وفقد الابصار ، ولا يوجد حتى الآن علاج فعال لمثل هذه الحالات مع الأسف الشديد ،ولا نجد ما ننصح به سوى عرض الوالدة المريضة على طبيب اخصائي فى امراض العيون لاستشارته ، ونأمل ان تكون حالتها ناشئة من مرض السدة السكرية الذى يعالج بنجاح بالجراحة .

البكتريا في البول

● ماهي الامراض والالتهابات التى تؤدى الى ظهورالبكتريا في البول، وما هي أنواعها وما هو علاجها ؟

ــ توجد الجراثيم أو « البكتريا » فى البول فى كثير من الأمراض والالتهابات التى تصيب الجهاز البولى التناسلى ومن اهمها الآتى :

(أ) التهابات خاصة نوعية مثل درن الجهاز البولى والسيلان

(ب) التهابات عامة وهى تصيب :

١ ــ الكلية :الالتهاب الحوضى الكلوى الحاد والمزمن ، الالتهاب الكلوى المنتشر الحاد والالتهاب الكلوى المزمن ــ دمل الكلية Renal Carbuncle.

٢ ــ الحالب : التهاب الحالب الحاد والمزمن المصاحب لالتهابات الكلية .

٣ ــ المثانة : التهاب نادرا ما يكون أوليا وعادة يتبع التهاب الكلية او البروستاتا أو قناة مجرى البول كذلك وجود جسم غريب أو حصو بالمثانة يسبب التهابها .

٤ ــ التهاب قناة مجرى البول وغالبا ما يكون مصحوبا بالتهاب البروستاتا .

وتختلف الجراثيم باختلاف السبب وتشخص الحالة بواسطة تحليل البول وفحصه ميكروسكوبيا وزراعته ،وأحيانا بحقنه فى فئران التجارب بحثا عن عصيات الدرن . كذلك بواسطة تحليل الدم .

والعلاج يكون بزراعة البول واختبار حساسية الميكروب لطائفة من المضادات الحيوية ومضادات الجراثيم .

هذا بالاضافة الى الراحة العامة ورفع مقاومة الجسم وازالة كل الانسدادات فى مجرى البول كالضيق والحصو والاجسام الغريبة ومعالجة البؤر الفاسدة فى الجسم .

الاغماء وأسبابه

● كثيرا ما نسمع عن ان شخصا اغمى عليه ــ فما هو الاغماء ؟ وما أسبابه ؟ .

ــ الاغماء هو أن يفقد الشخص الوعى لمدة وجيزة ، وذلك لنقص حاد فى كمية الدم الذاهبة الى المخ .

واسباب ذلك عديدة منها : ــ

امراض بالقلب ــ عندما يحدث ان تعترى القلب نوبات فجائية فى سرعة دقاته او قلة عدد دقاته ، وهذا يحدث عادة فى الاضطرابات النفسية . وكذلك يحدث الاغماء فى بعض الاحيان لسبب مرض ضيق صمام الأبهر او الميترالى، والذى يحدث عادة من روماتيزم القلب ــ ويحدث الاغماء فى مثل هذه الحالات عند القيام باى مجهود عضلى ــ

كثيرا ما نسمع حدوث الاغماء فى الاضطرابات النفسية ، عند الفزع ، كسماع خبر مفاجىء ،أو مشاهدة حادثة رهيبة وشدة الجوع ــ او التواجد فى اماكن مزدحمة خانقة تساعد على حدوث الاغماء .

ــ هبوط مفاجىء فى ضغط الدم عند الوقوف الباغت ويحدث هذا فى المرضى الناقهين ، واصحاب الاجسام الهزيلة بعد مرض ، او فى حالة تعاطى الاقراص التى تسبب هبوطا فى ضغط الدم كما هو الحال فى علاج ارتفاع ضغط الدم .

ــ فى المرضى الذين يعانون من التهاب مزمن بالشعب الهوائية ، وتنتابهم نوبات شديدة من السعال تكون مصحوبة باغماء الى أن تنتهي النوبة الشديدة .

واذا حدث الاغماء ، احس المريض

الصداع النصفي
أو مرض الشقيقة

● من آن لآخر اصاب بصداع يشمل نصف راسي مع زغللة « عدم وضوح المرئيات » في النظر ، وقد جربت علاجات كثيرة ولم استفد شيئا، فارجو النصيحة والمشورة ؟

ــ رسالتك لم توضح بالضبط الاعراض التى تعانى منها ولذا فاننى انصحك باستشارة احد الاطباء الاخصائيين ، اذان هذه الحالة قد تكون المرض المسمى بالشقيقة او الصداع النصفى Migraine او قد تكون عرضا لمرض الجلوكوما «الماء الازرق » فى العين Glaucoma وهذا المرض الاخير فيه خطورة شديدة على قوة الابصار واذا لم يعالج فقد ينتهى بالعمى .

الصداع النصفي Migraine يصيب البالغين والشباب وعادة يشفى المصاب به فى سن الخامسة والاربعين او فوقها ونوباته تحدث على فترات متقطعة، وقد تستغرق النوبة الواحدة دقائق « حوالى ثلث او نصف ساعة » او تستمر لعدة ايام « يومين او ثلاثة » وتبدأ النوبة فجأة باختلال فى النظر مع عمى مؤقت فى المتجانس لميدان النظر . او قصور فى النظر يوصف بأنه كالضباب واحيانا تبدو فى هذا الجزء الوان كألوان الطيف ذات حدود متعرجة تتحرك ببطء خلال خمس عشرة دقيقة الى ثلاثين دقيقة من منتصف ميدان النظر الى طرفه او حده الخارجى، ومع هذا التحرك تعود الرؤية بوضوح فى الجزء الاوسط مع غشاوة للبصر فى الجزء الخارجى . يصاحب هذه الاعراض او يليها تنميل فى الشفتين واللسان واليد واحيانا ثقل فى الكلام او شلل نصفى . يبدأ الصداع بعد انتهاء غشاوة البصر عادة فى منطقة الصدغ ثم ينتشر ليشمل الرأس والوجه وقد يستمر لدقائق او عدة ساعات او اياما، ويختفى بعد نوم عميق او بتعاطى مسكن للصداع كالاسبيرين او مركبات الارجوت او المضادات للحساسية او باصلاح عيب فى النظر بوضع نظارات طبية .

لا يتسع المجال هنا لوصف الجلوكوما « الماء الازرق »(١) ، وكما نصحت فى اول هذه الاجابة ارجو عرض نفسك على طبيب عيون حالا للاستشارة الطبية. ■■



بغثيان مع الاحساس بهبوط فى منطقة المعدة ــ يلى ذلك فقدان للوعي مدة ثوان او دقائق ، مع شحوب فى الوجه ، ويكون الجسم مغطى بعرق والنبض ضعيفا ــ وربما يسقط المريض على الارض ويفيق عندما يكون فى وضع افقى او نرفع ارجله، لتتمكن كمية أكثر من الدم من الذهاب الى المخ . ويجب ان ينقل المريض الى مكان هاو بعيدا عن الزحام ، وتفك اربطة العنق ــ ويساعد المريض على الافاقة باستنشاقه كولونيا او نشادر او حتى بصب ماء بارد على وجهه .

ويجب ان يعرض نفسه على طبيبه ليعرف سبب هذا الاغماء ، وعلاج السبب .

---

(١) انظر عدد « العربي » رقم ١٠٩ بتاريخ ديسمبر ١٩٦٧ .

طرائف

الاحسان والاساءة

● شكا يزيد بن أسيد الى المنصور ما اصابه من العباس اخ المنصور فقال له المنصور: اجمع احساني اليك مع اساءة اخي فانهما يتعادلان . فقال : اذا كان احسانكم الينا جزاء لاساءتكم كانت الطاعة منا لكم تفضلا .

هو

● جاء رجل الى ابن عقيل فقال : اني كلما انغمس فى النهر غمستين وثلاثا لا اتيقن ان الماء قد غمسني ولا اني قد تطهرت فكيف اصنع ؟ قال له : لا تصلّ . فقيل له كيف قلت هذا ؟ قال :

البلاغة انجتهم

● حكى ان الحجاج امر صاحب حرسه ان يضرب كل من يلقاه يمشي فى الكوفة بعد العشاء ، فطاف ليلةً فوجد ثلاثة شبان يمشون وعليهم اثر الشراب، فقال لهم صاحب الحرس من انتم ؟ خالفتم الامير وخرجتم فى هذا الوقت ، فقال احدهم :

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخدومها وخادمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... ياخذ من مالها ومن دمها

فسكت عنه ، وقال لعله من اقارب الخليفة .

وقال الثاني :

انا ابن الذى لا ينزلُ الدهرَ قِدرُه ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء داره ... قيامٌ لها من حولها وقعود

فسكت عنه ، وقال لعله من اشراف العرب .

ثم سأل الثالث فانشأ يقول :

انا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه ... وقومها بالسيف حتى استقامتِ
ركاباه لا تنفكُ رجلاه منهما ... اذا الخيل فى يوم الكريهة ولّت

فسكت عنه وقال : لعله ابن اشجع العرب . فلما جاء الصباح جاء بهم الى الحجاج فكشف عن امرهم فاذا الاول ابن حجام ، والثاني ابن طباخ ، والثالث ابن حائك ، فاعجب الحجاج ببلاغتهم فاطلقهم وقال لجلسائه : علموا اولادكم الادب ، فوالله لولا بلاغتهم لضربت اعناقهم .

عربية

في العدل

سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي . قال : صف لي العدل يا ابن كعب . قال : بخ بخ سالت عن امر عظيم . كن لصغير الناس ابا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثيل منهم اخا، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين.

مجنون

لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى ينتبه ، وعن المجنون حتى يفيق » ، ومن يغمس نفسه فى النهر مرة أو مرتين أو ثلاثا ويحس انه ما اغتسل فهو مجنون .

تنبا بالمطر

● قال رجل من الاعراب ضرير البصر لابنته وهي تقوده فى المرعى : يا بنيّة انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كانها قرون المعزى . قال : ارعَيْ . فرعت ساعة : فقال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دهم تجرْ جلالها . قال : ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ، قالت : كأن السحاب نعامٍ تعلق بالارجاء من السماء ، قال : ارعى. ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : ابيضت واسودت ودنت ، فكانها عين نفسٍ تطرف . قال : انج ولا اراك ناجية .

● ● ● ● ●

ناخذُ ما أُعطينا

● كان لابي حمزة الاعرابي زوجتان، فولدت احداهما ابنة فعز عليه ذلك ، واجتنبها مدة وصار فى بيت ضرتها الي جنبها ، فاحست به يوما فى بيت صاحبتها ، فجعلت ترقص ابنتها الطفلة وتقول :

ما لابي حمزة لا يأتينا — يظل فى البيت الذى يلينا
غضبانَ الاّ نلد البنينا — تا الله ما ذلك فى ايدينا
بل نحن كالارض لزارعينا — تنبت ما قد زرَعوه فينا
وانما ناخذ ما أُعطينا

فعرف ابو حمزة ما فعل وراجع امراته .

قصـــة

وتقدرون، فتضحك الأقدار

بقلم : عصام قدوره

■ لم يكن احد غيره في حياتها ، كما كانت هي كل شيء في دنياه . فبالاضافة الى رابطه القرابة بين عائلتيهما ، فقد تجاورا في السكن ، كانت الصلة بينهما دائمة ، ولم تعرف الفرقة طريقا اليهما في اي فترة من الزمن ، سواء خلال ايام الدراسة او في الاجازات التي كانا يقضيانها في اوجه من النشاط برئة مختلفة .

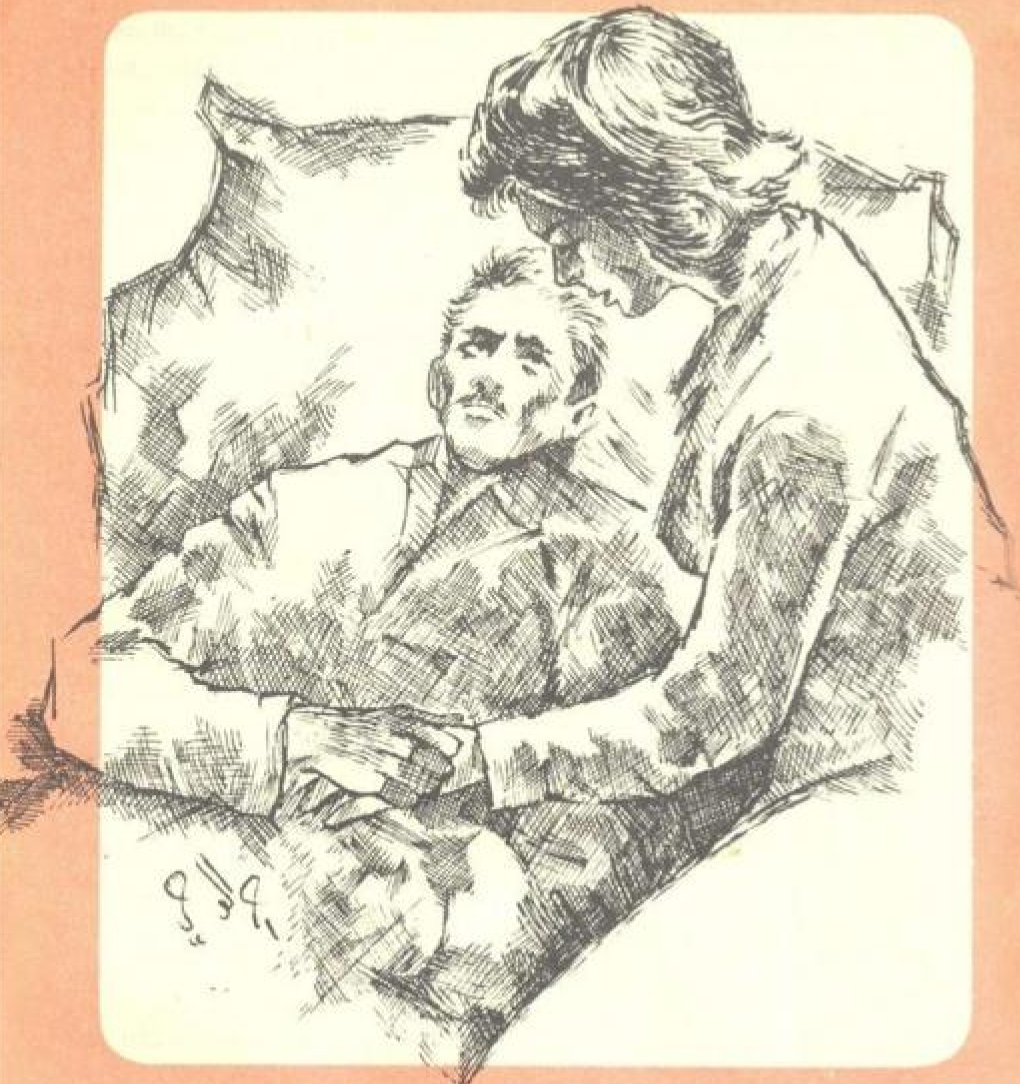
وحتى بعد ان انهيا الدراسة الثانوية دام اتصالهما .. التحقت غادة بمعهد لتدريس السكرتارية ـ اما وحيد فقد اخذ يدرس الصيدلة ويعمل في نفس الوقت في احدى الشركات المنتجة للادوية .. وقد اعتاد ان ياتي الى بيتها بعد انتهائه من عمله في كل مساء ليطلعها على كل شيء يجرى له خلال النهار .. وكانت غادة تجلس الى النافذة المطلة على منعطف الشارع تنتظره . وما ان تلمحه وهو مقبل حتى تزيد نبضات قلبها سرعة وخفقانا .

كان وحيد فارع الطول ، جميل المحيا ، برونزي البشرة .. ومع مرور كل يوم كان يزيد حلاوة وجمالا في نظر غادة . اما هي فلم تهبها الطبيعة قسطا وافرا من الجمال . فقد كان جمالها من النوع العادى الذى بالكاد يجذب الانتباه .. ولهذا السبب كانت عندما تقف احيانا امام المرآة تظهر مخاوفها خشية ان يميل وحيد الى فتاة غيرها .. وعندما كانت تفضي بهذه المخاوف اليه يجيبها ضاحكا :

« ايتها العزيزة ! انك الاولى والاخيرة في حياتي .. لا بل انت كل شيء في دنياى » .

لم تكن غادة تتصور مستقبلها بغير وحيد .. ولقد تاقت نفسها لليوم الذى يصبحان فيه معا كأى زوجين تملأ حياتهما البهجة والسعادة .. ولم يكن لديها اى شك في ان ذلك اليوم لا بد ات ..

وقبل ان يحين عيد ميلادها الثامن عشر بايام معدودة جاء وحيد الى والدها ليقول : « لقد كنت افكر بعيد ميلاد غادة الحالي يا عمي . فهلا وافقت لو انني احضرت لها هدية هي عبارة عن خاتم خطبة ؟ » ! نظر والدها الى زوجته والغبطة



بادية على وجهه ثم قال : « انه ليسعدني ذلك .. ولكني اشترط ان تنهيا دراستكما قبل ان تفكرا في الزواج . » ..

كانت نشوة غادة عارمة . فاندفعت الى ابويها تقبلهما وقالت بفرح بالغ : « معنى هذا اننا سنزف في الحادية والعشرين » .. واكمل وحيد قائلا :

« وسنسكن بيتا صغيرا نملؤه بالاولاد والبنات » .

احبت غادة سماع ذلك منه وغمرتها سعادة لا توصف ..

وعاشا مع هذا الحلم طيلة سنتين اعقبتا الخطبة ـ فكانتا من اعذب سنوات حياتهما .. اشتغلت غادة في غضون ذلك سكرتيرة في احدى

الشركات الكبيرة ، وتابع وحيد دراسته وعمله واخذ كل منهما يعمل وقتا اضافيا في سبيل توفير مبلغ من المال يدفعانه قسطا اول من ثمن بيت المستقبل .. ومع مرور الايام كان حبهما يزداد وتعمق جذوره وامانيهما تهفو الى ذلك اليوم الذى يتوجان فيه حبهما بالاقتران معا فيصبحان زوجا وزوجة ..

واطلت عليهما شمس العشرين تحمل اليهما اشعة مكسوفة جعلت عالمهما الحالم داكناً .

اخذت مسؤوليات وحيد في عمله تتضاعف . وانعدمت أوقات فراغه او كادت . وعندما كان ياتي الى غادة في المساء كانت تراه مجهداً كانما يحمل ثقل الدنيا على كتفيه . فحديثه اصبح مقتضبا كان كلماته كانت محسوبة عليه،وابتسامته اصبحت باهتة ..وحارت غادة في تاويل موقفه هذا الجديد ..

وبلغت المشكلة ذروتها في احدى الامسيات عندما كانا يزمعان الخروج معاً لمشاهدة احدى المسرحيات الشهيرة التى كانا يتطلعان لمشاهدتها منذ فترة طويلة . اتصل وحيد هاتفيا بغادة ليقول بصوت اجش : « يؤسفني جداً يا غادة عدم تمكني من الذهاب . فالواقع لا ادرى ما أصابني . غير اني اشعر بتعب شديد لا استطيع معه الذهاب الى المسرح » ..احست غادة كان يداً باردة قد امسكت بقلبها تعصره عصرا . وانتابتها هواجس شتى في تلك اللحظة ، وانباها شعور مبهم ان هناك خطباً جللاً قد حدث .. ولم تدر كيف وصلت الى بيت وحيد . وعندما دخلت وجدت امه في حالة من القلق الشديد . وعلمت منها ان وحيدا نائم في الفراش . وقالت لغادة : « انني لا اعرف ما الم به . وعلى كل حال اذا لم يتحسن في الغد استدعينا الطبيب » ..

في اليوم التالى اخذت غادة تتخبط في عملها .. وما كانت تخرج من خطأ الا لتقع في آخر . كان تفكيرها منصبا طيلة الوقت حول وحيد وما الم به في الامس . وشعرت ان عملها في ذلك اليوم ثقيل ممل .. وما ازفت لحظة الانتهاء من العمل حتى اسرعت الى بيت وحيد وهي مشدودة الاعصاب مرهقة .. وعندما نظرت الى وجه امه ادركت ان مخاوفها كانت في محلها ..

ومع ظهور صباح اليوم الثاني نقل وحيد الى المستشفى .. وبدأت سلسلة الحوادث الرهيبة . لقد كانت اشبه بكابوس بالنسبة لغادة .. لم تكن تعرف ما يدور حولها او ما يشكو منه وحيد .فلم يخبرها احد . واخفى والده عنها كل شيء .. كانا يتهربان في كل مرة تطرح غادة الاسئلة للاستفسار عن حقيقة ما يشكو منه وحيد ..

واصبحت تعيش في دوامة من الوساوس والشكوك حتى كادت تفقد عقلها .. ولم تعد اعصابها تحتمل ..

وفي يوم ، ذهبت الى بيت وحيد لتسأل والديه عن اخباره وهي تجهش بالبكاء . نظر والد وحيد الى زوجته والتعب باد على وجهه ، ثم وضع ذراعه على كتفها قائلا : « اعتقد أن من حقك ان تعرفي يا غادة . لقد كان علينا أن نخبرك قبل الآن ، الا اننا اخفينا الامر عنك على امل ان يكون الاطباء مخطئين . اما الان فلا بد من القول ان علينا ان نواجه الحقيقة ، ولو انها مُرّة . اعلمي يا بنيتى ان وحيدا سوف لن يتحسن » .. وما ان انهى كلامه حتى انهار وراح يبكى كالاطفال ..

لم تر غادة رجلاً يبكى من قبل . وجلست تحدق به غير مصدقة ما سمعت اذناها ومتسائلة اى نوع من الجنون اصابه وجعله ينطق بتلك الكلمات ويتصرف بمثل هذه الطريقة .. واخذت والدة وحيد تتحدث الى غادة وهي لا تفهم كلمة مما تسمع . كان هناك طنين غريب في اذنيها . وكل ما وعته هو حركات شفتيها . ثم نظرت غادة الى عينيها ورأت الحقيقة فيهما ، وراحت في غيبوبة تامة ..

ولما رجعت الى وعيها ثانية وجدت نفسها راقدة على سرير . كانت تستطيع سماع صوت السيارات في الخارج . فالحياة كانت تسير كعادتها خارج البيت . لم يكن بامكانها ان تصدق ما سمعت قبل قليل .. ان كل شيء كان يسير طبيعيا في حين تحيط بها ماساة مفجعة . كيف يمكن ان يحدث هذا .. ونظرت حولها فوجدت

بجانبها والدة وحيد تبكي قائلة : « ان مرضه في الدم .. وهو من النوع النادر الذى لا شفاء منه .. ويقول الاطباء انه قد يعيش سنتين اخريين مع الفتاية الفائقة » . .ثم اردفت تقول برجاء « فلنجعل هاتين السنتين من عمره سعيدتين » ..

ـ « سافعل اى شيء ، اى شيء في سبيل ذلك » . اجابت غادة وهي تغص بالبكاء ..وراحت افكارها تتصارع بغير هوادة وتدور حول شيء رهيب ـ وحيد سيقضي نحبه ويتركها .. لم تستطع حتى ان تتصور الحياة بدونه ..

وانقضى شهر خرج بعده وحيد من المستشفى.. كان يستطيع الحركة والقيام بالأشياء التى لا تتطلب جهدا كبيرا .. وكان لابد من اخباره بالحقيقة . فقد اصر على معرفة علته وهو في المستشفى .. وتوجه راسا الى غادة ليكون معها مرة اخرى بعد فترة طويلة .. واجتمعا ثانية دونما كلمة من كليهما ..

وقطع وحيد الصمت يسالها : « هل تقبلين بي الآن زوجا يا غادة ؟ .. انني اريد ان نبقى معا بقدر ما نستطيع ، ونستمتع بالوقت الذى بقي لنا » .. ولم تجب ، بل طوقت راسه بذراعيها وقبلته والدموع تتراقص في عينيها ..

ساعدتهما عائلتاهما في ايجاد بيت صغير واعداده ،وترتيبه .وانتقلا اليه بعد حفلة زفاف هادئة ..وامضيا معا سنة بديعة ملؤها الحب والسعادة .. كانت غادة في اواخر كل ليلة تتوجه الى خالق الكون بالشكر على ما أولاها من وقت حلو ـ مرّ ، معا . وتبتهل اليه بالدعاء لعل معجزة تحدث .. ثم توالت الايام التي كثر فيها تغيب وحيد عن عمله ليقعد طريح الفراش . واصبح لكل دقيقة عندهما ثمنها الذى لا يقاس بشيء في الوجود ..

واخذت حالته تسوء اكثر فاكثر . وكان لا بد من اعادته الى المستشفى ... ولكنه عندما رجع الى البيت هذه المرة لم يمش على قدميه بل نُقل على حمالة الى غرفة النوم راسا ... وعرفت غادة عندها انها بداية النهاية ...

احضرت له غادة مذياعا وآلة تسجيل ليستمتع بسماع اغنياته المفضلة وهو في سريره . وقضت معه الساعات محاولة ما وسعها ان تجعل كل شيء يبدو من حوله بهيجا ...

كانت عائلتاهما تترددان عليهما بين الحين والآخر للاطمئنان على وحيد وتقديم المساعدة اليهما حيثما لزمت . وفي لحظات انفرادها مع امها كانت غادة تجهش في بكاء مر كأنما تجد عند امها ملاذا من اللوعة والاسى اللذين اتخذا من نفسها مرتعا خصبا . فكانت تشكو اليها ظلم القدر الغاشم وما اصابها في شريك عمرها وهو في اول طريقه معها .... ولم تكن الام لتجد تعزية لابنتها خيرا من مشاركتها البكاء والاستزادة فيه . ثم ترفع يديها نحو السماء داعية : « الهي ارحمهما وخذ بيدهما في هذه المحنة وفرج عنهما كربتهما».

ومع ان غادة كانت تشعر بشيء من الراحة لزيارات عائلتها وعائلة وحيد ، الا انها كانت تريد ان تستغل كل دقيقة بل كل ثانية لتظل مع « وحيدها » دون ان يشاركها في وقتهما احد ...

اخذ وحيد الآن يشكو من آلام مضنية معظم الوقت . لكنه كان يجاهد بشكل رائع محاولا ما امكنه ان لا يجعل غادة تقاسي معه ... وكان الليل هو اكثر ما كرهت غادة وقاست منه . فكان ممضا طويلا يحمل معه الالم والعذاب لوحيد.

ولم تعد الحبوب المنومة التي يتعاطاها وحيد تفعل فعلها ، وذهب عنها ذلك التاثير الذى كان لها في بادىء الامر .. وبعد يأس من وجود طريقة تساعد «وحيد» على النوم بعض ساعات يجد فيها الهدوء والسكينة ، اتصلت غادة بالطبيب تساله ان كان باستطاعتها مضاعفة الحبوب المنومة . فلم ينصح الطبيب بذلك . ووصف له نوعا من الحبوب اقوى تاثيرا ، لكنه حذرها من عدم تجاوز الجرعة عن حبة واحدة كل ليلة باى شكل من الاشكال ، قائلا : « اذا تجاوز مقدار الجرعة فقد يكون الخطر ، كل الخطر في ذلك » ...

وفي يوم عاصف من ايام الشتاء ، اشتدت الام وحيد واخذت تعذبه الى درجة البكاء .... ومع حلول ظلام الليل البغيض على نفسه زادت

آلامه فجعل يستغيث كالطفل بغادة ان تعمل له شيئا ، اى شيء لتخفف عنه آلام المبرحة .. فاعدت له فنجانا من الشاي واحضرته اليه ليشربه مع حبة من المنوم الجديد .. وعندما فتحت الزجاجة الصغيرة التى تحوى الحبوب المنومة مد كلها وحيد يده قائلا وفي عينيه الدموع : « اقتربى منى يا حبيبتي ارجوك » ...

جلست غادة بجانبه فأمسك يدها برفق ، ويدها الاخرى لا تزال ممسكة بالزجاجة . ثم انحنت لتقبل وجهه الشاحب .. وسألها بصوت يكاد يكون همسا : « ما مقدار حبك لي يا غادة » ؟ ! فاجابت وهى تغالب نفسها لتحبس دموعا في عينيها : « حبذا لو كانت هناك كلمات تكفى لاعبر بها عن حبى لك يا وحيد » ...

ـ « اذا ساعديني ارجوك » . قالها بتوسل ..

ـ « ان مساعدتك واجب مقدس على يا احب احبائي .. انك تعرف انني سأعمل المستحيل في سبيل مساعدتك » ...

ـ « حسنا ، اعطني الحبوب المنومة يا غادة ، اعطنيها » ..

لم تفهم غادة في البداية مارمى اليه . ثم شهقت في فزع : « لكن . لا استطيع يا وحيد . لا يمكنني ذلك . لاتطلب منى ان افعل ذلك ... اى شيء غير هذا يا وحيد » ..

ـ « الا تحبينني ياغادة ؟! » قالها همسا ، مشيحا بوجهه عنها .

ـ « ابتى ذلك اذا ... اعطني الحبوب . فلا طاقة لى على احتمال الالم اللعين بعد الآن » ..

وشدد من قبضته على يدها رغم ما به من وهن ، كانما يريد ان يؤكد لها ان ذلك هو السبيل الوحيد لكى تبرهن له على صدق احساسها نحوه وحبها له . وبحركة لا شعورية ضغطت هي على زجاجة الحبوب التى في يدها الثانية . وابعدت يدها قائلة : « اتوسل اليك يا وحيد ان تطلب اى شيء منى غير هذا » ....

ـ « بل هو الشئ الوحيد الذى اطلبه . ولن اطلب شيئا بعد ابدا ... خلصيني من الجحيم الذى اعانيه . « انقذيني ياغادة من هذا الالم الذى يعذبني » ..

قال ذلك بانفعال بالغ ينطوى على تصميم واضح جعل غادة تدرك خطر الموقف الذى هي فيه ... وتزاحمت في راسها افكار مشوشة شتى في احرج لحظات حياتها هذه...وطفى على هذه الافكار تساؤل رهيب ملح : (هل تعطيه جرعة مميتة من الدواء الذى في يدها لتخلصه من آلامه ؟ ام ترفض اعطاءه وتدعه في عذاب من الالم ليعيش على امل كاذب في حدوث معجزة بالعثور على علاج شاف لمرضه ؟!) ....

واجتاحتها قشعريرة ، واخذت اطرافها تهتز في رجفة قوية . وحاولت ان تنطق بكلمات جديدة علها تثنى وحيدا عما اعتزم . فاستعصت عليها الكلمات وخانها اللسان . وشعرت بجفاف مطبق في حلقها . ولم تجد امامها سبيلا الا ان تبتعد عن وحيد مستجيبة لنداء قلبها الصارخ ان لا تلبى طلب حبيبها فاخذ وحيد يشدها اليه محاولا في ياس ان ينقض على زجاجة الحبوب ليغنم بها . فراحت تمد يدها الممسكة بالزجاجة بعيدا ... واخذ كلاهما يلهث في صراع وراء مبتغاه ... ولاحظت غادة الجهد المستميت الذى كان يبذله وحيد في صراعه معها عن ياس مروع . فادركت ان الغلبة ستكون له ... ولمعت في راسها فكرة ما لبثت ان عملت على تنفيذها .. وبسرعة البرق وجهت يدها الطليقة الى فمها وافرغت محتويات الزجاجة في جوفها ..... واستسلمت اليه بهدوء وارخت راسها على صدره وهى تردد في همس :

« حبك طاغ يا اعز حبيب ... احبك يا وحيد .. احبك .. احبك .. احبك .. »

وبردت يدها في يد وحيد . وكان لايزال فاغرا فاهه من المفاجأة ... ■■

عصام قدوره



بحثاً عن الذات

■ تَمَنَّيْتُ هذا التَّعَرّي طَويلاً   وَتُقْتُ سِنينَ إلى رُؤْيَتِهْ
وَلَمَّا أُزيحَ النِّقابْ
وَشَفَّ دُجَى السَّحابْ
تَخَيَّلْتُ أنّي أحِنُّ إلى ما   يَزالُ يُرَفْرِفُ في جَنَّتِهْ
فَلَوْ لَمْ تُزيحي النِّقابْ
وَلَوْ لَمْ تُريقي الشَّبابْ
لَظَلَّ التَّأَمُّلُ حَيّاً بِقَلْبي   وكُنْتُ أفيءُ إلى دَوْحَتِهْ
أكُلُّ اشْتِهاءٍ سَرابْ؟
وَكُلُّ انْكِشافٍ يَبابْ؟
وكُلُّ احْتِماءٍ وراءَ السُّجوفِ   عُقارُ الشَّقِيَّيْنَ في ظُلْمَتِهْ؟
دَعيني، أفَلْسِفُ حُبّي
لأرْضي، لِجِنْسي، لِرَبّي
ولا تفرضي سَطْوَةَ المغرياتِ   على مَنْ تَمَزَّقَ في غُرْبَتِهْ
وُلِدْتُ بِأرْضِ عَذابْ
وَتُهْتُ بِلَيْلِ الشِّعابْ
وعالَمُ حبي بعيدٌ. بَعيدٌ   وقلبي يَحِنُّ إلى رِفْعَتِهْ ■■

خالد محيي الدين البرادعي

(بقية المنشور على صفحة ٧)

تعداد سكان نيجريا

● نشرتم في العدد ١٤٥ من العربي ان تعدادسكان نيجريا يبلغ ٦١ مليون نسمة . بينما صحة هذا الرقم هو ٤١ مليون نسمة ، وهو الرقم الذى ذكرته في اجابتى على المسابقة . ويمكنكم التاكد من صحة هذه الارقام عن طريق الرجوع الى الاطلس العربي (طبعة ١٩٦٧) حيث يذكر ان عدد سكان نيجريا هو ٣٨٬٦٣٠٬٠٠٠ نسمة (تقدير ١٩٦٥) كما ذكر الاطلس Goode's World Atlas ان عدد سكان نيجريا هو ٣٧٬٦٠٠٬٠٠٠ في يناير ١٩٦٤ .

وعلى هذا يكون تعدادهم اليوم نحو ٤١ مليون نسمة كما ذكرت في اجابتى على المسابقة ، وليس ٦١ مليونا كما ذكرتم في الاجابة .

ابراهيم علي الجارتي

المحلة الكبرى/ج٠ع٠م

العربي : نأسف لان الارقام التى ذكرتها غير صحيحة فالاحصاء الرسمي لسكان نيجريا عام ١٩٦٣ كان ٥٥٬٦٧٠٬٠٥٢ نسمة ، كما جاء في كتاب Stateman's Year Book لعام ١٩٧٠ و١٩٧١ بينما يقول الكتاب السنوى لدائرة المعارف البريطانية طبعة عام ١٩٧٠ ان عدد السكان طبقا لاحصائية رسمية اجريت فى عام ١٩٦٩ هو ٦٤٬٦٠٠٬٠٠٠ نسمة .

★ ★ ★

ما رايكم في الحظ ؟

● سالنى احدهم : « اتؤمن بالحظ ؟ »

قلت : « اومن ، فقد قال الامام على كرم الله وجهه : « الرزق ، رزقان ، رزق تطلبه ، ورزق يطلبك » ولكن احد الحاضرين هب واقفا ، وقال : « انا شخصيا لا اومن بالحظ ؟ » .

وطالت المناقشة ، فقررنا ان نكتب لك ، لنقرأ رايك في حديثك الممتع .. حديث الشهر ، الذى تطالعنا به في اول كل شهر .

ثم ما رايكم في اصدار كتاب او عدد خاص من العربى يجمع كل احاديثكم ومقالاتكم الافتتاحية فى العربى .

محمد نديم الشيخ

طرطوس ـ سوريا

++++++++++++++ تحية للعربي مشكورة ++++++++++++++

● ان مجموعة مجلة العربي تكون دائرة معارف عربية لدى ولدى كل مثقف حريص على تنمية ثقافته بروافد الفكر الاصيل .

لذلك استميحكم العذر في ان اسجل بحق خالص اعجابي ، وعميق تقديرى للاثر الكبير الذى تحققه لقارئي العربية في العالم اجمع ، وذلك لارتيادها ابعد الافاق ، مع دقة فنية ، وامانة علمية ، وبساطة عرض ، ورشاقة اسلوب ، وتواضع ثمن .... (وسرعة نفاد) .

وكم يطيب لي بين الحين والحين ان ارجع الى اعدادها الثمينة : بعيدة وقريبة فارشف منها قدر ما استطيع ، واتنقل بينها كما يتنقل النحل بين الازهار والرياحين ذات الجمال والاريج .

شكرا للعربي ، ورسالته الجليلة ، واياديه البيضاء علينا نحن ابناء العرب .. خير امة اخرجت للناس .

■■

وزير سعيد وزير

بنا ـ ج ٠ ع ٠م

العربي

العدد ١٥١
ربيع الثاني ١٣٩١
يونيو
(حزيران) ١٩٧١



اطلب
لعربي الصغير
مع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

أمل ودعاء ..
من عمان الداخل

الثمن

لكويت	١١٠	فلوس
لخليج العربي	٢	ريال ق
لسعودية	٢	ريال
لبحرين	٢٠٠	فلس ب
ليمن	٣٫٥	شلن
لعراق	١٢٠	فلسا
بنان	١٠٠	قرش
لأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
لسودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
[illegible]	٢٠٠	[illegible]



من روائع الفن العالمي

● لوحة باخوس Bacchus للرسام الايطالي الشهير ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci (١٤٥٢ – ١٥١٩) وهي موجودة حاليا في متحف اللوفر بباريس . وباخوس ، او ديونزوس Dionysus كما سماه الاغريق ، كان اله الحيوية والنشوة عند اولئك وهؤلاء . وقد احتل ديونزوس هذا مكانة مرموقة في الاساطير اليونانية . نظرا لان اباه كان زيوس Zeus نفسه . ومن طريف ما يذكر هنا ان ام ديونزوس كانت امراة فينيقية اسمها سملي Semele . انها ابنة قدموس ابن الملك الفينيقي اجنور Agenor ، ملك صور ايام الفينيقيين .

عزيـزى القـــارئ

- ليس فى السياسة جديد يستحق الذكر .
فترة الترقب تمتد كل يوم بعلة .

- هيئة الأمم تراجعت وتراجع جـونار ، وحلت محلهما الولايات المتحدة ووزير خارجيتها .
وقال قوم أن هذا من حيث المبدأ خلط وافتئات. واحسب أن الحديث عن المبادىء ، فى عهد أهدرت فيه المبادىء ، فكاهة" ثقيلة لا يحتملها المزاج الحاضر .

- وطلب روجرز الى اسرائيل ، فى جولته ، أن تتزحزح عن القناة ، لتصلح مصر من أمر القناة ما تصلح ، وتفتحها من بعد ذلك لسفن الدنيا ، فطلبت اسرائيل لهذا ثمنا : ٥٠٠ مليون دولار ، فى نفس الليلة التي دهى فيها الدولار فى المصارف العالمية ما دُهِىَ . انه الخلق العتيق الشهير . كلُ ميـــل من تراجع فى ســـيناء بعشرات الملايين من الدولارات . أخشى أن تفلس الولايات عند بلوغ اليهود العريش . ولكن أمريكا لا تبالي أن تدفع . انه الحب . ومن الحب ما قتل .

- وهناك روسيا واقفة تنظر : ليتني استطيـع أن أقـرأ ما يجرى فى هذا الرأس الكبير وراء هذه الجبهة العريضة .

المحرر

١٩٧١/٥/٩

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 151 June 1971 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ ــ تلغرافيا «العربي»

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● تنقلك العربي في هذا العدد الى سلطنة عمان مرة ثانية . لتقدم لك استطلاعا عن المنطقة الداخلية في عمان ، حيث مازال الناس يعيشون حياة تعود الى قرون سحيقة مضت ..

وهذه هي احدى فتيات قرية سمايل ، وقد صبغت جبهتها بالحناء ، ووضعت « الخزام » في انفها ، وجلست تحفظ القرآن الكريم في احد الكتاتيب الموجودة هناك . (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٠٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

الحيدراباديون اصلهم عرب

● لقد سررت جدا عندما رأيت استطلاعالبلادى عمان في العدد (١٤٨) من مجلة العربي فقد كانت هذه أول مرة يشاهد فيها العالم العربياستطلاعا من عمان ولكنى احب ان اصحح ما جاء فيه عن الحيدراباديين . فاولا تسميتهمبالحيدراباديين ليست صحيحة ، بل يقال لهم (اللواتية) ، والاصح اللواتية نسبة الى (لؤىابن هاشل) الذى عاش في عمان منذ قديم الزمان. ثم هاجر اللواتية الى بلاد الشام واعتنقواالاسلام ، ثم المذهب الاسماعيلى وبعد ذلك هاجروا الى باكستان والهند كدعاة لنشر الاسماعيليةهناك . اما سبب تسميتهم بالحيدراباديين فلان معظم اللواتية سكنوا حيدراباد ، ولكنهم تفرقواالى بعض اجزاء الهند (كجرات) كج و (البنجاب) وتاثروا بعادات الهنود ، ثم رجعوا بعد ذلك الىوطنهم الاصلي (عمان) وذلك بعدما احسوا بانهم غرباء في الهند . وهم الآن يسكنون مدينة (مطرح)منذ خمسة قرون ويعتنقون مذهب الشيعة (الجعفرية) . وليست لهم اية علاقة بالبانيان ،الذين يحملون جواز سفر هندى . اما اللواتية فانهم تابعون لحكومة عمان ويحملون جواز سفرعمانى وهم عرب خلّص عبادتهم وخطبهم الدينية كلها بالعربية منذ مئات السنين ولهم معاركخاضوها جنبا الى جنب مع اخوانهم العمانيين ضد الاستعمار البرتغالي والانجليز .

عبد الله احمد علي ــ ابو ظبي

مزيدا من العلم

● أنا من قراء مجلة « العربي » القراء ، ورغم الموضوعات العلمية التى تقدمها .. لكننا نريد المزيد .. والاكثر .. والاكثر .. اكتبوا لنا المزيد في الكيمياء .. والفيزياء .. والفضاء والذرة والالكترونات وفي الطب .. وسائر العلوم .. فنحن ــ العرب ــ في حاجة ماسة للعلم والمعرفة .. وخاصة في الظروف الحاضرة التى تمر بها امتنا العربية ..

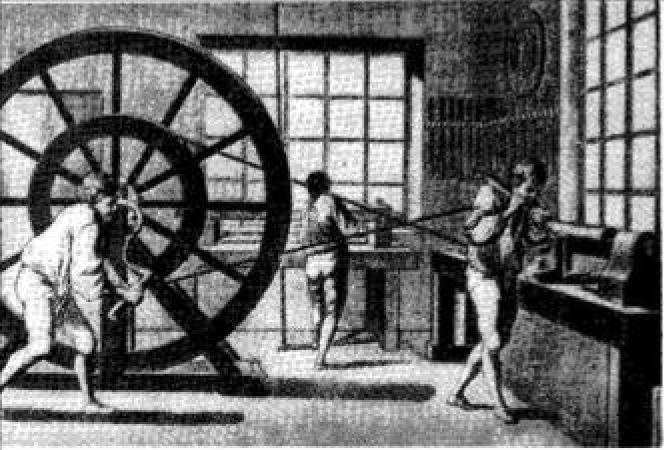
حسن احمد محمد شحاته
جامعة الازهر ــ القاهرة

المهرجانات السياحية

● بالنسبة للمقال الذى ورد في مجلتكم العربي العدد ١٤٨ آذار ١٩٧١ بعنوان « السياحة في العالم العربي » بقلم السيد محمد طنطاوى فقد كان على جانب كبير من الأهمية وله فائدة سياحية عظيمة وتوعية نحن بحاجة اليها .

ولكن الاخ طنطاوى ذكر في مقاله ان في العالم العربيمهرجانا وحيدا يقام في لبنان باسم «مهرجان بعلبك » وفاته ان يذكر المهرجان الذى يقام منذ ثلاث سنوات في مدينة الموصل باسممهرجان الربيع وفترته من ١٠ ــ ١٨ نيسان من كل عام . وهذا المهرجان يقام ضمن نهضة سياحية للنهوض بالسياحة في العراق وهو في تطور مستمر .

عبد السلام محمد القزاز
جامعة الموصل ــ العراق



بدات الثورة الصناعة باختراع المكنات تديرها العضلات وحدها، كما ترى في الصورة . ثم دخلت قوة البخار ، ومن بعدها قوة الكهرباء تحمل عن الانسان مشقة العمل . وتزيد الانتاج كثرة وتزيده سرعة .

اتساع التجارة

واتسعت تجارة اوروبا ، بينها وبين الشرق بعدما كان من اتصال وتواصل عقب الحروب الصليبية ، وبينها وبين امريكا ، القارة الجديدة ، بعد اكتشافها وتأهلها بالناس، وهم من اصل أوروبي .

خروج التجار بالصناعات الى القرى

وباتساع التجارة عجزت المدن ، وبالأخص مدن انجلترا ، وكانت الدولة الرائدة فى التجارة ، والسابقة الى الثورة الصناعية ، والزاحفة بجموعها اليها ، وتبعها من دول اوروبا ، لا سيما الغربية ، بعد ذلك ، فى تلك الدروب الصناعية من تبع . نقول باتساع التجارة وكثرة مطالبها ، عجزت المدن ، وما فيها من رجال يصنعون البضائع ، عن الوفاء بتلك المطالب التجارية الواسعة ، فراى التجار الخروج من المدن الانجليزية الى الريف . ومن دكاكين ، صغيرة وكبيرة ، كانت تصنع بها المصنوعات باليد غالبا ، فى شوارع المدينة ، الى مساكن القرية . ففي الأصواف مثلا ، وكانت من صناعات انجلترا الشهيرة ، تحول التجار بان راحوا يشترون الصوف من اصحاب الماشية ، ويعهدون به الى رجال فى القرية ، ينظفونه ، وآخرين يغزلونه ، وآخرين ينسجونه ، وآخرين يهذبونه ويصبغونه . وتقوم الأسرة القروية ، الى جانب زراعتها ، بكل هذا فى مساكنها ، تملأ به زمنا لها فارغا ، وجيبا كذلك فى حاجة الى امتلاء . وتعمل الأسر على حريتها .

زادت بذلك البضائع ، ورخص ثمن التصنيع ، وربح التجار .

واسموا هذا العهد بالعهد الصناعي القروى .

دخول العهد الصناعي بمكناته ومحركات الآته

ولكن ، ما كان لنشاط انساني مندفع ان يقف عند هذا .

ثلاثة اشياء آذنت بدخول الثورة الصناعية .

(ا) اختراع المكنات التى يسهل بها الانتاج ويكثر .

(ب) ابتداع القوى التى تقوم مقام عضلات الانسان فى تحريك المكنات بعد ان كانت تحركها الأيدى .

(ج) الانتقال (فى انجلترا خاصة) بالصناعة القروية الى الصناعة فى بيوتات الصناعة الحديثة : تلك التى اسميناها فى الشرق بالفبريكات اولا ، وفى الزمان الاحدث بالمصانع .

وبدات المكنات الخطيرة تظهر وتعلن بدء الثورة الصناعية فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ، بعد حرب الاستقلال وكان اكثرها فى النسيج . وخاصة فى انجلترا ، ثم تحولت . وهي احتاجت الى الفحم ، وهي احتاجت الى الحديد . فكان لا بد من التوجه الى الفحم والحديد ليبلغ القوم بهما غاية .

بدأ العلم التطبيقي يعمل عمله في اكثر من ناحية

والخطوة الكبرى التى كانت بعد ذلك هي الانتقال الى المصانع . قوة البخار لايمكن ان ينتفع بها منتفع وهو قائم وحده في دكان بمدينة ، او مسكن بقرية . بدأ اذن عصر المصانع والقوى البخارية الهائلة.

وكل هذا شب وترعرع واشتد في القرن التاسع عشر ، بعد عام ١٨٠٠ ، وبعده بأعوام . وكل عام مر من هذا القرن، القرن الماضي، زاد الصناعة امتدادا واشتدادا ، وزاد أهل الصناعة عددا .

ووفت الصناعة الجديدة بحاجة التجارة ، وزادت . ونزلت بسعر التكلفة . ذلك لأن مكنة بها ١٠٠ مغزل ، عليها عامل واحد ، كانت تستطيع ان تغزل مائة خيط من القطن بسرعة اكثر من سرعة مائة من الرجال تعمل على عجلات الغزل القديمة .

زادت المدن كثرة سكان

وبتغير الاسلوب الصناعي تغيرت احوال الناس ، في انجلترا ، رائدة الثورة ، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا على نحو ما سوف نرى . وتحول الكثير من العمال الى الصناعة الجديدة ، فكانوا عمالا صناعيين . وزاد تعداد السكان بالمدن ، وقل سكان الريف .

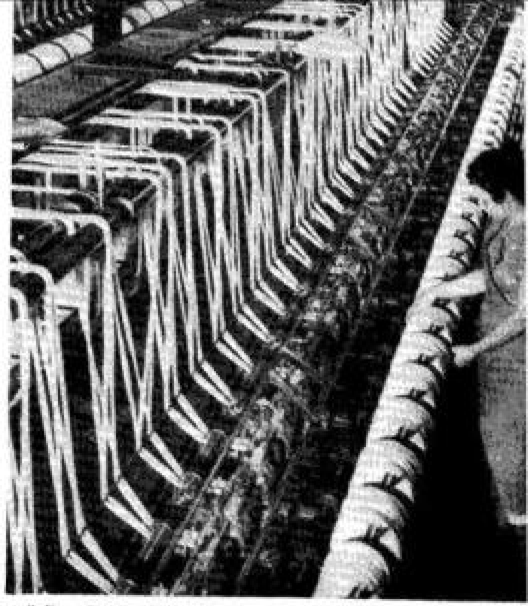
واخذ عدد السكان في انجلترا اجمالا يزيد ، حتى منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وقل الاطفال الذين ماتوا في طفولتهم لتحسن العلم الطبي . فالصناعة لم تسر الى الامام الا ومعها سائر حاجات البشر تسير الى الامام ، والعلم صاحبها .

راس مال وراسماليون

وبالرواج ، هذا الصناعي التجاري السريع الهائل ، تكون راس المال الصناعي ، ونشأ الراسماليون . المكنات والمحركات كانت غالية الثمن لا يستطيعها الا ذو مال . وكثر المتوفر من المال فاستغله اصحابه في انشاء المصانع ، فزادوا غنى على غنى . واحتاجت التجارة الى طرق في الأرض ، واحتاجت التجارة الخارجية الى سفن في الماء ، واستخدمت الاموال الطائلة في ذلك ، فكان الثراء ، وكان الأثرياء . ولم يكونوا في ذلك الزمان عالة . لقد حملوا عبء الصناعة كلها . وبذلوا الجهود ليحققوا المشاريع الجديدة ، وصنعوا ما صنعوا



اسرة قائمة في الريف الانجليزي ، في المهد الصناعي القروي ، بصناعة الجوارب من الصوف .
الأم وابنتها تغزلان الصوف ، والأب ينسج الجورب على المنسج .



مصنع حديث للصوف يدار بالقوة الكهربائية ، وفيه امراة شابة واحدة تقوم مقام مئات من النساء اللاتي كن يعملن بايديهن . وبالطبع لا نجد كل خطوات العمل لصناعة جورب مثلا تعمل كلها تحت سقف واحد ، فالتخصص فرق بين الخطوات، بين المكنات ومن يقوم عليها .

لادارة الصناعات واقامتها على أسس وثيقة صحيحة غير معروفة ، فى معارك من المنافسات شديدة من داخل البلاد ومن خارجها .

وبحكم موضعهم هذا ، وخطورة اعمالهم هذه ، وخطورة تبعاتهم ، تميزوا فى انجلترا فى طبقة عرفت بالراسماليين الصناعيين .

حالة العمال عند قيام الثورة الصناعية

ان اليوم ، كل يوم ، له وجهان ، وجه ابيض مشرق اسميناه النهار ، ووجه آخر مظلم اسميناه الليل .

وكذا الثورة الصناعية . كانت لانجلترا ، ومن بعد لأوروبا ، ثم لسائر اهل الأرض ، وجها من وجوه الانسانية المتوثبة الطامحة مشرقا . ولكن كان الى جانبه وجه اسود مظلم يتمثل فيما عاناه العمال ، رجالا ونساء واطفالا ، فى هذه الفترة من بؤس وشقاء .

شقاء من حيث ساعات العمل ، فكانت طويلة ، شقاء من حيث السكن ، فكان يحشر فيها العمال حشرا ، وهي ضيقة قذرة ، كما تحشر البهائم . وكان الرجل يعمل قبل المصانع ، وهو سيد نفسه ، فجاء يعمل فى المصنع ، بأجر العامل الذى لا مهارة له ، ولا حذق ولا ذوق . والعمل نفسه صار لا لذة فيه . رجل قائم ليصل خيطا اذا هو انقطع . وشغل اكثر المصانع النساء والاطفال ، فكانوا بأعمالهم اشقى . واطفال عمل منهم ، على طراوة سن ، الاثنتى عشرة ساعة فما فوقها . والاجر اجر صبي .

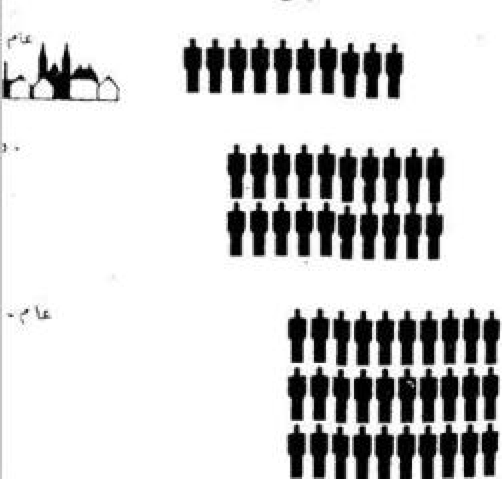
الحرية التى طفت

نشانا جميعا ونشأ العالم على تمجيد الحرية .

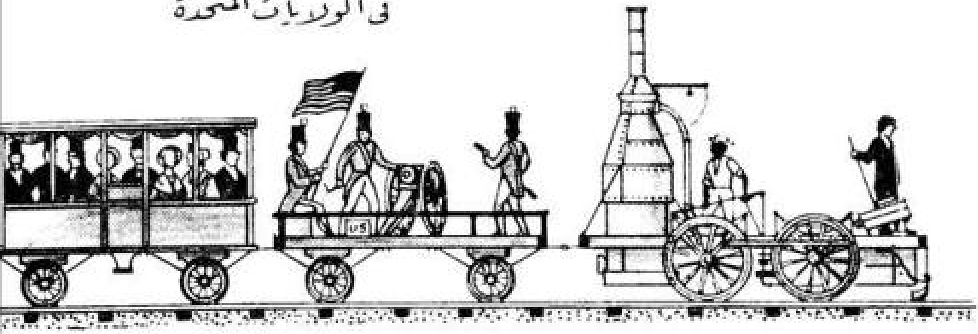
ولكن الحرية كالسيف ، تحمله فى يمناك ، فتعلم حين تقطع به اين تقطع . ولكنك تحمله فى يسراك فتضرب به فقد يصيب رقبة ابنك .

وهكذا فعلت الحرية فى طليعة الثورة الصناعية .

سكان انجلترا وويلز أثناء الثورة الصناعية
(كل شخص يمثل مليون نفس)



هكذا كانت القطارات البخارية الأولى في الولايات المتحدة



جاءت الثورة الفرنسية فمجدت الحرية . من قبل ذلك مجدت الحرية ثورة الاستقلال الأمريكية . وقبل ذلك رات انجلترا فى الحرية ما رات . وفى ختام ثورتها ، ثورة عام ١٦٨٨ قال حكيمها (لك Locke) بالحرية ، اطلقها اطلاقا .

وجاءت الثورة الصناعية وقد شاعت فى انجلترا الكلمة الفرنسية Laisser Faire ومعناها دعوا الأمور وحدها تجرى فى اعنتها . أو اتركوا الصناعة وحبلها على غاربها تجري ما شاء لها الجرى ، والى اي ناحية تجرى .

وبذلك صار لأصحاب المصانع أن ينظموا مصانعهم على هواهم . ونشأت بينهم وبين العمال مشاكل تختص بالأجر ، وساعات العمل ، وبحوادث العمل ، وسوء مساكن العمل ، وكان اصحاب الأعمال لهم الكلمة الحاسمة فيها . وعمل الصبية مثل عمل الرجل البالغ ، ونالوا الأجر الأوطأ . وناموا فى شر المنامات ، وساء طعامهم ، وساء لباسهم ، وكثيرا ما سيقوا الى العمل على ضرب السياط . وزادت نسبة الموت فيهم ، فلم يستطع البرلمان آخر الأمر ، الا أن يتدخل فيحدد ساعات العمل للصبية .

لا نريد انٍنمضي طويلا فى هذا الحديث وقد طال .

ولكن حسبنا أن نقول انه كان من الطبيعي ان رجلا مثل كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) ما كان ليولد فيعلن اعلانهالشيوعي Communist Manifesto (١٨٤٧) ولا ليكتب كتابه « رأس المال » (وكلاهما بمعونة صاحبه انجلز Engls) الا فى قرن ، مثل هذا القرن ، القرن التاسع عشر ، وفى احوال ما كانت لتتمخض الا عن مثله ، ومثل مذهبه .

والحريات ؟

ووجب أن نسأل عن الحريات ، موضوع كلمتنا الأصلي ، ما جرى لها مع كل هذه الأحداث .

أما القرنالثامن عشر (١٧٠٠—١٨٠٠) فقد انتهى بتدشين حقوق الانسان السياسية Political Rights أو ان شئت فحقوق الانسان المدنية Civil Rights .

أما القرنالتاسععشر (١٨٠٠—١٩٠٠) فقد انتهى بتدشين حقوق للانسان جديدة ، أسموها بحقوق الانسان الاجتماعية ، مثل حق التعلم ، وحق العمل ، وحق النفقة عند العجز عن العمل بسبب البطالة او المرض ، وتأمين الشيخوخة ضد العوز ، الى اشياء كثيرة لم يبق فى الناس من لا يؤمن بها ، وان اختلفت قدرتهم على الوفاء بها .

واذن فهي حريات صنفان : حريات للانسان سياسية ، تضاف اليها ولا تنقص منها حريات اجتماعية .

والسؤال الآن : ماذا صنع القرن العشرون بهذه الحريات ؟ . ●●

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤٩

الأبنوس خشب أسود قاس ..

■ قامت مسابقة العدد ١٤٩ من العربي على المعلومات العامة فى شتى مجالات المعرفة الانسانية حيث انتقلنا بالقارىء من سؤال فى جغرافية العالم الى آخر عن الشعر والشعراء الى ثالث فى العلم بحت ، الى آخر فى علوم انسانية وهدفنا من ذلك هو قدح زناد الفكر وسبر اغواره واحاطة القارىء بانماط شتى من المعرفة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة وقائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ عجز البيت .

لا اختيالا على رفات العباد . واسم الشاعر هو : **ابو العلاء المعرى .**

٢ ـ أكبر شبه جزيرة في العالم هي : **شبه جزيرة العرب .**

٣ ـ التعابين السامة تسم الانسان **وخزا بالانياب.**

٤ ـ **حفصة ابنة عمر بن الخطاب . عائشة ابنة ابي بكر الصديق .**

٥ ـ اسم الطرف الجنوبي من امريكا الجنوبية : **راس هورن .**

٦ ـ اسم العالم الجغرافي الذى عاش في بالرمو برعاية ملك صقلية هو : **الادريسى**

٧ ـ **الابنوس خشب اسود قاس .**

٨ ـ الدول الثلاث الاعضاء فى هيئة الامم هي : **روسيا البيضاء واكرانيا واليابان**

اما الدول الثلاث التى ليست أعضاء في هيئة الامم هي **المانيا الشرقيةوالمانيا الغربية وفيتنام الجنوبية .**

٩ ـ المدينة التي يميل الانسان الىافرادها وحدها هي **مدينة القيروان .**

١٠ ـ الطائر الذى يبيض أكبر بيضة في العالم هو : **النعامة .**

أسماء الفائزين

● **الجائزة الأولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **أحمد قرني محمد عبد الصالحين** ـ اسيوط ـ ج٠ع٠م٠

● **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **خالد زهدى خواجه** ـ دمشق ـ سوريا .

● **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عبد الله محمود علاونه** ـ اربد ـ الاردن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عمر سليمان اسماعيل** ـ الخرطوم / السودان

٢ ـ **محمد عوض حسان** ـ عدن / اليمن الجنوبي

٣ ـ **سمير شوفاني** ـ بيروت / لبنان

٤ ـ **سالم فرج القرياني** / طرابلس ـ ليبيا

٥ ـ **محمد رياض عبد الفتاح الكرمي** ـ الرياض ـ السعودية .

٦ ـ **بدر عبد الله العصيمي** ـ الروضة ـ الكويت

٧ ـ **عبد الرحمن سلطان الشرهان** ـ راس الخيمة ـ الخليج العربي .

٨ ـ **لطف حسن الزقار** ـ صنعاء ـ اليمن الشمالي

■■

المغول والإسلام

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الكويت

■ فى اوائل القرن الثالث عشر الميلادى اقتحم المغول حدود دار الاسلام . كان العالم الاسلامى متعبا مجهدا بعد ١٢٥ سنة من حرب صليبية طاحنة مخربة . فى السنة التى انقضت فيها جحافل جنكيزخان على بلاد ما وراء النهر كان الصليبيون يحاصرون دمياط . خطر محيق من غرب وآخر أشد منه من الشرق . كيف نجا الاسلام وعالمه من الدمار على ايدى المغول ؟ ما الذى اوقف الطوفان المدمر ؟

الأيوبيون بعد صلاح الدين شر خلف لخير سلف

كسب البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ – ١١٩٣) انتصاراته الكبرى – وخاصة حطين (يوليو ١١٨٧) واستعادة القدس (٢ اكتوبر ١١٨٧) بفضل حشود المقاتلين المسلمين من كل جنس ، فقد كان جيشه مكونا من عرب واتراك واكراد وتركمان، والوف المجاهدين المتطوعين ما بين صوفية وغير صوفية ، وبفضل هؤلاء جميعا كسر الخطر الصليبي ، وانشا امبراطورية واسعة تشمل الشام ومصر والموصل والجزيرة الفراتية والحجاز واليمن .

ولكنه عندما جلس يكتب وصيته قسم الامبراطورية ممالك بين اولاده واخوته وابناء اخوته ، كأنها ضيعة يملكها لا وطنا عربيا اسلاميا ضخما يملكه مواطنوه ، وهكذا اثبت صلاح الدين انه رغم مواهبه النادرة وعبقريته – كزعيم وقائد تصدى لمهمة جليلة ، وقام بها – لم يتخط عصره فيما يتصل بمفهوم الدولة والوطن ، فان صلته بابناء اخوته مثلا – ولم يكن يحبه منهم احد – كانت عنده اعظم من صلته بمواطنيه ، وكلهم كانوا يحبونه ويفدونه بالدماء ، وقد فعلوا .

صلاح الدين الأيوبى





جنكيزخان

وقد كادت هذه العاطفة العائلية ان تقضي على العمل الجليل الذى حققه ، فقد ظن الرجل العظيم ان تقسيم الدولة بين اقاربه سيحفظ على الامبراطورية وحدتها بفضل ما بينهم من تعاطف القرابة ، ولكنه نسي ان السلطان والجاه والمال قواطع لأواصر المحبة وعواطف القربى ، وكم من وارث عرش قتل اباه ليتعجل الجلوس على الكرسي الخداع ، وبالفعل اوقع الشيطان بين خلفاء صلاح الدين من الكراهة والبغض والحسد ما مزق الامبراطورية اربا ، وهبط بسمعة البيت الأيوبي الى درك سحيق .

ولكن شيئا لم يهبط بسمعة رجال البيت الأيوبي قدر نسيانهم الخطر الصليبي وقعودهم عن مواصلة العمل الجليل الذى قام به منشىء بيتهم الخالد ، بل عملوا ـ اثناء تنافسهم بعضهم مع بعض ـ على منح بقايا الصليبيين في انطاكية وطرابلس وعكا امتيازات جديدة ، فتنازل لهم السلطان « العادل » عن يافا والناصرة ، وكانت بقية من اهل مملكة بيت المقدس الزائلة قد اقامت في عكا واستمسكت بلقب ملوك بيت المقدس فاعترف لهم به هذا « العادل » في ثلاث معاهدات. وحاول الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب ان يتحالف مع الصليبيين على عمه العادل . وعندما نزلت الحملة الصليبية الخامسة شاطىء دمياط يقودها الفارس الفرنسي جان دى برين Jean de Brienne واستولى على دمياط سنة ١٢١٨ استنجد العادل باقاربه ملوك الشام والجزيرة فلم يسعفه منهم احد . ولو لم ينهض المتطوعون من نواحي الدلتا ويتصدوا للصليبيين ويكسروا سدود النيل لما امكن الانتصار على المغيرين عند المنصورة .

وعندما اقبل الامبراطور فردريك الثاني يقود الحملة الصليبية السادسة ، ونزل عكا سنة ١٢٢٧ اسرع الملك الكامل سلطان مصر وتنازل له عن بيت المقدس ويافا وجزء من ارض فلسطين يمتد من الساحل الى البلد المقدس ، فأضاع هذا الوارث السفيه ما انفق مؤسس اسرته العمر في بنائه ، وذلك لكي يظل ـ حرسه الله ـ سلطانا على عرش القاهرة ، ووقع معاهدة بذلك في ١٨ فبراير ١٢٢٩ مدتها عشر سنوات . وفي سنة ١٢٤٤ تقدم ايوبي آخر هو الصالح اسماعيل صاحب دمشق فجعل للصليبيين الملكية الكاملة لبيت المقدس وسلم لهم قبة الصخرة ، فعدنا الى اسوا ما كنا فيه قبل نور الدين وصلاح الدين ، لأن الصليبيين كانوا يحتلون القدس اذذاك دون اعتراف منا ، اما في سنة ١٢٤٤ فقد اصبحوا اصحابه بعهود كتبها لهم ملوك وامراء نحن منهم ابرياء .

وما نقول هذه العبارة الاخيرة استطرادا مع عاطفة ، وانما هو الواقع، لأن امة العروبة والاسلام ما اعترفت قط للصليبيين بحق في القدس او شبر من ارض فلسطين ، واذا كان صلاح الدين قد وسع لنفسه مكانا في قلب كل عربي ومسلم ، فان احدا لم يوسع لأيوبي مكانا لا في قلبه ولا في طرف ردائه ، وعربيا ومسلما ظل القدس ، ومُسْلِمة" مطهرة ظلت قبة الصخرة رغم الكامل

والعادل والصالح وسلاطين هم اسوأ من هم في الزمان كما سترى .

ثم انقض على عالم الاسلام طوفان المغول

في ذلك الحين ، وامم العروبة والاسلام من العراق الى تونس تعاني من عقابيل العدوان الصليبي الذى انهك قواها واستنزف دماءها من قرن ونيف ، انهال على بلادها طوفان المغول من المشرق ، وكان طوفانا هائلا مخربا دمويا اربى على العدوان الصليبي في قسوته ودماره . وفي السنة التى استولى فيها الصليبيون على دمياط اول مرة وهي ١٢١٨ طرقت جحافل المغول ابواب العالم الاسلامي ، وسقطت في يدهم سمرقند اولى الضحايا من بلاد الاسلام ، فقتلوا اهلها عن آخرهم واشعلوا النيران في دورها واحالوها في اقصر وقت حطاما .

ولقد رجت هذه الحادثة العالم الاسلامي رجا عنيفا ، وصرح الكثيرون بأن سد يأجوج ومأجوج قد انكسر واتثال الزبانية على الخلق طوفانا ، وما قالوا ذلك تشبيها ولا تصويرا ، وانما صدق الناس انه الحق ، والا فمن يكونون اولئك الرجال الصغار الاجسام العراة الصدور ذوو العيون المائلة والرؤوس المحلوقة .. الا من خصلة تتدلى الى الوراء من وسط الرأس ؟ الذين يمتطون خيولا عفية دون سُرُج وينقضون على الناس يضربونهم بسيوف حامية ولا يكفون عن الضرب حتى اثناء الاكل حتى لقد اكد ياقوت الحموى ـ وقد حضر مأساتهم ـ ان المغولي او التترى يمسك طعامه بيده اليسرى ويقضم منه بينما يده اليمنى تضرب بالسيف يمنة ويسرة ؟ نعم ، من يكونون ، ومن اين خرجوا على الناس ؟

من هم المغول ، ومن أين أتوا ؟

الى الشرق من نهر سرداريا Sirdarya الذى يصب في بحيرة آرال والذى نسميه نحن بسيحون كانت تعيش منذ الأزل شعوب شتى يعمل بعضها في الصيد وبعضها الآخر في رعي الماشية ، وكانت كلها شعوبا بدائية بدوية تسمى الغربية منها بالترك او الأتراك ، وتسمى الشرقية بالمغول ، وكانت مجالات اولئك المغول تصل الى اقليم السهوب الواسع الذى يعرف اليوم بمنغوليا ويمتد شمالا بشرق فيشمل جزءا كبيرا من شرق سيبيريا . وكانت كتلتهم تعيش جنوبي بحيرة بايكال Biakal (في سيبيريا) على ضفاف نهر صغير يسمى تولا Tula . والى جنوب ذلك النهر كانت تقوم قرية صغيرة تسمى قراقورم Karakoram .

وهذه المنطقة الواسعة منطقة حشائش عالية تعرف بالسهوب او الاستبس وعلى هذه الحشائش ترعى قطعان من اصناف شتى من الماعز والغزلان والتيوس ، ولهذا فقد كان غذاء اهلها غنيا ، وكانت اجسامهم على صغرها عفية سليمة وعضلاتهم مفتولة .

في هذه المناطق ظهر الحصان على وجه الأرض اول ما ظهر منذ الوف كثيرة من السنين ، وحفريات الخيل الأولى التى عثرنا عليها تدل على ان الحصان كان في اول خلقته صغير الحجم لا يعدو الجحش المتوسط ، ولكن هياكله التى عثر عليها بعد تدل على انه نما في الحجم وصلابة العظام . وفي العصر الذى نتحدث عنه وهو القرون المسيحية الاولى ، كان الحصان قد بلغ حجمه الحالي .

ولكن تاريخ الحصان وتطوره الى حيوان مستأنس يصلح اداة ممتازة للحرب يرجع الى عشرات القرون وراء عصر المغول الذين نؤرخ لهم الآن ، اى يرجع الى عصور حضارات الشرق الاولى قبل خمسة وثلاثين قرنا قبل الميلاد . لقد نقلته شعوب آسيوية كثيرة الى غربي آسيا ثم الى مصر حيث نجده مصورا على جدران الآثار ، ومن غرب آسيا انتقل الى حوض الفولجا ، ومن هناك الى سهول المجر ، ومن هناك كان اليونان والرومان يحصلون على احسن خيولهم . المهم ان اولئك المغول في مواطنهم الاولى كانت لديهم خيل ممتازة عفية تحمل الرجل على ظهرها وتنطلق كالسهوم المارقة .

والى غربي منازل المغول التي ذكرناها كانت تعيش قبائل التتار ، واصلها فرع من المغول ، ولكنهم اختلفوا عنهم بمرور الزمن . وكانت منازلهم تمتد حتى حدود ما وراء النهر ، اى حوض نهر سرداريا . اما بلاد ما وراء النهر (وهي تعرف الآن بالتركستان) وشمالى ايران وشرقها فقد كانت مواطن الأتراك .

اى ان الجماعات البشرية التى كانت تعيش مجاورة بعضها لبعض في القرون الاسلامية الاولى هي على الترتيب من الغرب الى الشمال الشرقي: العرب فالايرانيون فالأتراك فالتتار فالمغول .

وتتشابه ملامح التتار والمغول وخصائصهم البشرية والاجتماعية ، وكان لذلك اثره في امتزاج الشعبين بعضهما ببعض واختلاط مفهوم التتار ومفهوم المغول على كثير من المؤرخين .

ولقد شق الاسلام طريقه في ايران وبلاد الأتراك وكان العرب يسمون بلاد هؤلاء الاخيرين ببلاد هيطل ويسمون الأتراك بالهياطلة .

وخلال القرن الهجرى الرابع / العاشر الميلادى / أخذ الاسلام يشق طريقه بين شعوب التتار التي سماها العرب بالخِطا وهي تسمية خاطئة ، لأن الخِطا او الخطاى في الحق هم أهل الصين .

جنكيزخان ، سوط عذاب على ظهور البشر اجمعين

في سنة ١١٥٥ أو ١١٦٧ ولد لزعيم من زعماء المغول يسمى ايسوكاى غلام سماه تيموجين ، وكان هذا الاسم لزعيم تترى انتصر عليه ايسوكاى وقتله قبل مولد ابنه بايام ، فسمى به ابنه تخليدا لانتصاره .

وقد قاسى تيموجين بؤسا شديدا في صبوته ، وعندما شب عن الطوق تجلى عن فارس باسل وزعيم رجال ، فلم يلبث امره أن اشتهر ، وتجمع حوله المقاتلون المغول من كل مكان .

وفي حوالي الرابعة والعشرين من عمره انتخبه نفر من امراء المغول خانا اي ملكا عليهم ، وسموه جنكيز وهو لفظ مغولي يقول رشيد الدين فضل الله مؤرخ المغول ان معناه القوى ، ولكن هذا التفسير غير ثابت .

اصبح جنكيزخان رئيسا لفريق كبير من المغول .

ولأول ولايته دل الشاب على ملكة تنظيمية كبيرة ، فاخترع وظائف رئيسية أقام فيها المقربين اليه ، فواحد لتدريب الرماة ورياستهم ، وآخر للخيل والفرسان ، وثالث للتموين ورابع لنقل أوامره الى اتباعه وهكذا .

وأحيا مجلس الرؤساء المغولي القديم المسمى بالقوريلتاى وجعله القوة الكبرى الموجهة لنشاط اتباعه .

وبعد ذلك شرع جنكيزخان في تجربة سياسته الحربية وتتلخص في الهجوم على العدو باضخم قوة من الخيل يمكن جمعها ، فتنقض عليه كالسيل وتزلزل صفوفه ، وبعد ذلك تبدأ مذبحة شاملة ، ويستوى الأمر اذا سلم العدو أم ظل يقاوم ، فما دام لم يستسلم من البداية فلا بد من قتل كل رجاله واطفاله واسترقاق نسائه واحراق معسكره أو مدينته وترك الأرض بعد ذلك خرابا .

الهدف من ذلك هو القاء الرعب في النفوس .
وبالرعب اقام جنكيزخان في سنوات قلائل امبراطورية لم يسمع بما يماثلها اتساعا في التاريخ .

وكلما كسب نصرا انضمت الى جموعه جماعات جديدة من المقاتلين ، لأن الصيحة في كل آسيا خلال العقدين الأخيرين من القرن الثاني عشر كانت : كن قاتلا قبل أن تكون مقتولا . اذا أردت حماية بلدك من الدمار وشعبك من الزوال، فانضم الى ركب جنكيزخان وكن مع المدمرين ، والا فلا امل لك في الحياة .

قبل سنة ١٢٠٥ كانت جموع جنكيزخان قد ازالت امبراطوريتي كين وسونج في شرق الصين ووصلت الى المحيط الهادى .

وفي سنة ١٢٠٦ عقد جنكيزخان القوريلتاى وبايعه امراء المغول امبراطورا على العالم ! وهذا هو التفسير المجازى للفظ جنكيزخان .

رجل لايستهويه الا متاع واحد : سيادة العالم

ووضع جنكيزخان النظام العام لدولته ، فهو الخان الأعظم على قمة الهرم وتحيط به قوة من الف فارس ، كل واحد منهم بالف فارس يسمى الواحد منهم بِهادُر ، اي الشجاع . هؤلاء هم حرسه الخاص ، يحيطون به احاطة السوار بالمعصم في البيت والنوم والميدان .

وعلى رأس الدولة يقوم الأمراء من آل جنكيزخان ويسمى الواحد منهم نوين أو نويان .

ويلي ذلك رؤساء العسكر أي قواد الجيش ، ويسمى الواحد منهم طرخان .

وكان جيش المغول مكونا من وحدات صغيرة هي العشرات ، ويرأس كل عشرة منها أمير مائة ، وعلى كل عشرة من هذه أمير الف .

وامراء الالوف مكلفون بالخروج للحرب بمن معهم في نفس اللحظة التي يصدر اليهم الأمر فيها ليباغتوا العدو .

وكان لجنكيزخان الوف من الجواسيس يأتونه

بالأخبار فيسرع بمهاجمة العدو قبل أن تكتمل عدته .

وكان يفرض على قادته وجنده نظاما ودقة رهيبين . خطأ واحد او تأخر في تنفيذ عملية كان كافيا للحكم بالموت على قائد كبير .

وسر قوة جنكيزخان هو انه كان يعرف ما يريد : سيادة العالم . في سبيل ذلك كان مستعدا لكل شيء . كانت السيادة في ذاتها لذته الكبرى . لم يكن يستمتع بمال أو نعيم أو نساء . كان يهب الأموال بكلتا يديه ويوزع على امرائه وقادته بلادا شاسعة هي في ذاتها ممالك وامبراطوريات ، وكان يندر أن يأخذ امراة من الأسيرات .

بل كان قنوعا في الطعام ، يصيب القليل منه ثم يقوم .

ولكن لذته الكبرى كانت تخريب بلاد امير رفض الطاعة له او احراق بلد رفض التسليم ، وقتل كل رجاله واطفاله .

وكان يقول انه يريد السلام .

والسلام الذى كان يريده هو سلام القبور وصمت الأموات . هكذا كان اقرب المقربين اليه يقولون .

بعد ان ساد آسيا كلها ـ عدا الهند واليابان ـ التفت الى الغرب وانقض على عالم الاسلام

بهذا التصميم المخيف وتلك القوة طرق جنكيزخان ومغوله أبواب عالم الاسلام ابتداء من سنة ١٢١٥ .

وكان يحكم بلاد الترك في ذلك الحين زعيم يسمى محمد خوارزم شاه يعتبر من أعاجيب الملوك الذين عرفناهم في تاريخ الاسلام .

كان قد ورث من ابيه السلطان تِكِش حكم اقليم خوارزم ، وهو الجزء الشمالي الشرقي من هضبة ايران مضافا اليه جزء من بلاد التركستان.

وكانت بلاد ما وراء النهر خاضعة لفريق من التتار يسمون بالتتار السود او القرا ـ خيطاى ، كانوا قد فروا غربا أمام زحف المغول . وقد استطاع خوارزمشاه التغلب على اولئك القراخيطاى او الخيطا وضم بلاد ما وراء النهر الى ملكه .

والى الشرق من بلاد خوارزمشاه ، اى جنوبي بحيرة آرال عاشت في ذلك الحين جماعة من التتار السود أي القراخيطاى يحكمهم أمير تركي ممن هربوا امام جنكيزخان يسمى كُجْلُك .

كان كجلك قد اعتنق المسيحية على مذهب النسطورية . وترامى الخبر الى الصليبيين الذين كانت بقاياهم لا تزال في بلاد الشام ، فسعوا للاتصال بهذا الأمير النصراني . وسمته الأساطير بالبْرِسْبِيتِر يوحنا . Presbitor John وقد تحرف الاسم الى برستر جون Prester John وسعى العشرات من رهبان النصرانية للبحث عن بلاده في قلب آسيا ، وكان من الباحثين عنه فيما بعد ماركو بولو .

ولم يعثر احد على البرستر جون ، لأن كجلك ارتدّ عن المسيحية ، وصار بوذيا شامانيا ، وتبعه قومه . والشامانية مذهب من مذاهب الديانة البوذية .

وبعد بحث طويل اهتدى المسيحيون الى ان مملكة برِسْتر جون هي الحبشة وان النجاشي هو حامي ذلك الأسقف الأسطورى .

هكذا دمر التتار عواصم الاسلام في التركستان وايران

ونعود الى محمد خوارزمشاه فنقول انه وسّع ملكه وازال بقايا سلاجقة ايران وضم بلاد القراخيطاى واصبح يحكم امبراطورية شاسعة .

وكان من الممكن ان يقوم حائلا بين بلاد الاسلام وقوة المغول . ولكنه كان رجلا طائشا . فبدلا من ان يوجه قواه نحو جنكيزخان ومن معه من التتر والمغول اعلن الحرب على الخليفة العباسي الناصر .

ومن السهل جدا ان تعلن الحرب على خليفة اعزل مثل الناصر ، ولكن ليس من السهل أن تواجه جنكيزخان .

ومن الحق ان نقول ان ذلك الخليفة الناصر كان رجلا بعيدا عن الحكمة ، فما طلبه منه محمد خوارزمشاه هو ما كان يتمتع به طغرل الثالث آخر سلاطين سلاجقة ايران ، فقد كان الخليفة قد اعطاه تفويضا بالحكم في بلاده .

ومن سمرقند عاصمته منذ سنة ١٢١٢ اعلن محمد خوارزمشاه عزل الخليفة العباسي ، ويقال ان الخليفة الناصر ارسل الى جنكيزخان يستعين به على محمد خوارزمشاه ، ولكن هذا هو كلام رشيد الدين فضل الله مؤرخ سلاطين المغول الذين حكموا ايران بعد تفكك الامبراطورية المغولية

خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادى ويعرفون بايلخانات ايران .

ونصب محمد خوارزمشاه نفسه نصيرا للاسلام امام زحف التتار .

وكان يمكنه أن يوفق ، فقد كانت امبراطوريته تعدل امبراطوريتهم في المساحة ، ولكنه كان رجلا مغرورا سيىء التدبير ، فاضاع هذه القوة العظيمة القيمة عبثا .

هجم جنكيزخان بكل قواته على تركستان ، وكان معه ابناؤه وهم في نفس الوقت قواده الثلاثة الكبار ، وهم جغتاى ، وجوجى ، وتولى .

فاما سمرقند فقد استسلم لهم صاحبها سنة ١٢١٩ ولكنهم مع ذلك دمروها ودمروا كذلك بخارى (١٢٢٠) لأن البلد - كمازعموا - قاومهم مقاومة عنيفة ، وهب المسلمون في كل مكان في التركستان للدفاع عن بلادهم ، فاذا كان المغول قد انتصروا عليهم فلهم عذرهم،فقد ادوا واجبهم.

ولكن خوارزمشاه ورجاله لم يقاتلوا الا دفاعا عن انفسهم ، وظل هو وخيرة رجاله يتراجعون حتى قضي على معظمهم وتوفي هو في ديسمبر ١٢٢٠ ، وقام مكانه ابنه جلال الدين ، فزعم انه سيوقف سير المغول ولكنه لم يفعل وسقطت ترمذ وقتل المغول كل اهلها .

ودافع أهل جرجانية عاصمة اقليم خوارزم عن بلدهم دفاعا مجيدا ، وقتل رجالها من المغول الوفا قبل ان يستولوا على المدينة في ابريل ١٢٢١ ويدمروها تدميرا .

ودافع اهل مرو دفاعا مجيدا اضطر تولى بن جنكيزخان الى ان يعد قادة البلد بالأمان الكامل اذا سلموا ، وسلموا فقتلوا اجمعين خلا قليلا منهم ..

ومن هؤلاء القليلين كان ياقوت صاحب مُعجَم البلدان ومُعجَم الأدباء ، فرّ بحشاشة نفسه من البلد ، تاركا كتبه وأوراقه .

وهكذا دمرت عواصم الاسلام في التركستان وايران واحدة واحدة ، وصاحبنا السلطان المعظم جلال الدين خوارزم شاه يجرى شرقا وغربا كانه كلب مضروب .

وبعد ذلك عاد جنكيزخان نحو الشرق ، واراد أن يقيم ابنه جوجي حاكما على التركستان وايران ، ولكنه اختلف معه فقتله بالسم ، وكان أكبر ابنائه .

وفي ١٨ اغسطس ١٢٢٧ توفي جنكيزخان بعد أن تجاوز السبعين عاما من عمره .

وفي تقدير جنكيزخان يقول مؤرخ عربي معاصر : « اتصف جنكيزخان بروح العدالة ، وبالادراك السليم ، وبالاتزان الشديد ، والمحبة الاكيدة وبالسخاء والمودة ... ! » .

فاين والله العدل او المحبة الاكيدة والسخاء والمودة ؟ .

كلام ينقلونه من كتب اوروبية يستوى عند مؤلفيها ان يقتل جنكيزخان الوفا او مئات الألوف من المسلمين .. بل من يدرى لعل ذلك يسرهم... وتنقل عنهم دون تفكير أو احساس .

وخلف جنكيزخان اوكيتاى أو اقطاى (١٢٢٧ - ١٢٤١) . ثم جاء كيوك خان (١٢٤٦-١٢٤٨).

هكذا قضى المغول على الدولة العباسية

وفي آخر أيام كيوك خان جاء لويس التاسع الى قبرص (١٢٤٨) ليستعد فيها للابحار الى مصر لغزوها .

وتقدم الى بلاطه راهبان نسطوريان يسميان مرقص وداود ، وقالا انهما رسولان من خان المغول لعقد اتفاق للتعاون بين الصليبيين والمغول للقضاء على الاسلام واهله نهائيا .

ورد لويس التاسع بالايجاب ، وارسل وفدا من بين رجاله الراهب اندريه لونجيمو Longimaux ممثلا للبابوية .

وبعث هيثوم الأول ملك الأرمن وفدا الى خان المغول يعرض استعداده للانضمام الى القوات المهاجمة للاسلام .

وتعطل التحالف بعض الوقت بسبب وفاة كيوك خان ، وخلفه باطو الذى سارع بترشيح منكو بن تولى بن جنكيزخان ليكون خانا أعظم للمغول . وتم ذلك سنة ١٢٥١ . ومنكو هذا هو الذى ارسل هولاكو للقضاء على الخلافة العباسية في بغداد .

ونشطت السفارات بين لويس التاسع ومنكو خان .

فقد ارسل منكو سفارة الى لويس التاسع ، واستقبلها هذا في اجتماع كبير ضم كل الراغبين في القضاء على الاسلام . وكان ذلك في يناير ١٢٥٤ ، وكان يحكم بلاد فارس قائد مغولي كبير خاضع لسلطان الخان الأعظم منكو ، ومن سنة

١٢٥١ كان حاكم فارس هو هولاكو اخوه الأصغر .

وفي يناير ١٢٥٦ سار هولاكو بجحافله نحو العراق ليفرغ من أمر الخلافة العباسية .

وكان الخليفة اذ ذاك هو المستعصم ، وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وقد تولى سنة ١٢٤٢ . وكان المستعصم رجلا طيب القلب قليل الملكات ، وكان يدبر له الأمر وزير شيعي هو مؤيد الدين بن العلقمي ، وكاتب سني هو مجاهد الدين ايبك الداوادار .

وكانت بغداد مدينة حصينة ، ولكن اسوارها كانت من اللبن ، ولم تكن لدى الخليفة قوة عسكرية تذكر ، وكان الأمل أن يسرع امراء بني أيوب المتزاحمون على السلطان بارسال قوات لانقاذ بغداد عاصمة الاسلام .

ولكن احدا لم يرسل الى بغداد جنديا واحدا .

وكان العداء بين الوزير ابن العلقمي والكاتب مجاهد الدين بن الداوادار شديدا ، ولا شك في ان الوزير ابن العلقمي كاتبَ هولاكو سرا وتآمر على الخليفة ظنا منه أن المغول يشكرون له هذا الصنيع .

وقد تقدمت قوات هولاكو نحو بغداد يملأ صدور رجالها طمع شديد في خيرات مدينة الرشيد وكنوزها التي طالما سمعوا بها .

وكان هولاكو رجلا حقيرا يتلذذ بتعذيب الناس ، والادلال بقوته . فقد كان يعرف تماما أن الخليفة المستعصم لا يؤيده جيش له قيمة ، ومع ذلك نجد هولاكو يسخر به ويلعب معه لعبا سخيفا .

وفي نوفمبر ١٢٥٧ نزلت قوات المغول حول بغداد . وكان في صفوفهم رجال كثيرون يمثلون كل جماعات المسيحية الغربية .

ومن الحق أن نقرر أن المستعصم رفض أن يتنازل عن سلطانه على رعاياه لملك غير مسلم هو هولاكو . وهذه حسنة تذكر له ، لأنه اذا لم يكن من الموت بد فليمت الانسان بكرامته ، وكرامة المستعصم كانت سلطته الروحية .

وفي ٩ صفر ٥٦٨/ ١٥ فبراير ١٢٥٨ سقطت بغداد .

لم يسر لانقاذها ايوبي واحد .

ودمر المغول عاصمة الاسلام تدميرا ، وقتلوا الخليفة ، وأهل بيته اجمعين ، ووقفت بقية بلاد الاسلام مكشوفة امام التتار .

وتولى اجتياحَ بلاد الشام قائد مغولي نصراني : كتبغا

وكان لويس التاسع قد عاد الى فرنسا بعد أن خلص من الأسر عقب هزيمته في المنصورة ، فاخذ يعد العدة للسير الى بلاد الاسلام للتعاون مع التتار على الاجهاز عليها .

وتمهيدا لذلك كان قد عقد هدنة مع الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق ، وفي سبتمبر ١٢٥٩ تحركت قوات المغول نحو الشام يقودها كتبغا الذى سار في الطليعة ، وتولى هولاكو قيادة قلب الجيش ، واصطحب معه زوجته المسيحية طقزَ خاتون .

وكان كتبغا مسيحيا نسطوريا ، وتجمع المصادر على أن كتبغا وطقزْ خاتون اعتبرا الحملة على الشام حملة صليبية مغولية .

واستولى التتار على نصيبين وحرّان وسَروج والرّها ومَنبِج .

وتجمعت قوات المغول كلها على حلب واقتحمتها في فبراير ١٢٦٠ ودمروها تدميرا .

واقترب المغول من انطاكية وكانت لا تزال مسيحية .

ورأى اصحابها الصليبيون ما ينزله المغول من خراب فادركهم الخوف ، ورفضوا التعاون معهم على غزو بلاد الاسلام لأن الأذى كان يشمل مَن فيها من المسيحيين ايضا .

وسار المغول الى دمشق ، وتخلى عنها صاحبها الأيوبي الناصر يوسف ولم يسع المدينة الا الاستسلام .

واقام كتبغا عليها حاكما مغوليا يساعده ثلاثة من الايرانيين .

وتعلل كتبغا بان قلعة المدينة قاومت ، فامر بنهبها فنهبت في مارس ١٢٦٠ .

وكان في صحبة كتبغا ملك ارمينية وأمير انطاكية المسيحيان .

ثم استعدوا للمسير على مصر والقضاء على ما بقي من مراكز الشرق الاسلامي

وبدأ كتبغا وحلفاؤه في الاستعداد للسير الى مصر .

وهنا هب المسلمون من كل مكان . الوف بعد الوف من العبّاد والزهاد والصوفية هرعوا الى ميدان الجهاد ، وبدأ القتال مع المغول في كل مكان على أرض الشام وفلسطين .




● الشياه ، والمعيز ، والظباء ، والوَعَل ، والأبقار ، كلها « أجناس » من الحيوان تضمها « فصيلة » من الحيوانات واحدة ، هي : فصيلة البقريات

● الشياه تعطي الانسان اللحم والصوف ، اساسا ، واللبن احيانا ، ثم الفرو والجلد ، الى منافع اخرى . وبالعالم منها نحو الف مليون راس

وذيول الشياه عادة قصيرة .

وفرو الشياه من صوف ناعم ، تعلوه وهى مستوحشة طبقة من شعر .

والشياه منها الصغير ومنها الكبير ، ووزنها يتراوح بين مائة رطل وعدة مئات .

ومن طريف ما يذكر أن فى كثير من انواع الشياه توجد بين الاصبعين الأوسطين فى اقدام الشاة كيس يسكن عميقا تحت الجلد ، هو عبارة عن غدة تفرز مادة زيتية ذات رائحة ، وتدهن الحشيش الذى تمشي عليه الشياه ، فتكون دليلا لمن يجيء بعدها من الشياه ، يَشم ، فيتبع .

والشياه المستأنسة لا حامي لها غير الانسان . وهي ليست من الذكاء بمكان . وهى سريعة الخوف ، تذعرها الريح القوية اذا هبت فجاة ، ويذعرها كذلك الرعد والبرق . واذا اسكنها صاحبها بناء ، ثم شبت فى هذا البناء النار ، بلغ الذعر من الشياه أن يحتمي بعضها ببعض ، ولا تغادر المكان حتى تأتى عليها النار .

والشياه تعيش فى قطعان ، ولكل قطيع زعيم يتبعه . وهي من الغباء بحيث تتبع زعيمها حتى وهو يقودها الى حتفها . ولا عتب عليها ولا ملامة . افليس كذلك يفعل الانسان ، يتبع احيانا وهو لا يدرى اين يساق ؟!! .

الشياه البرية المستوحشة

هى اصل الشياه التي استأنسها الانسان فى قديم الزمان . وهى لم تنقرض بعد ، فهي الى اليوم موجودة فى بقاع كثيرة من آسيا ، فى براريها . وتتنوع فى آسيا حتى ليكاد يكون لكل سلسلة جبال فى تلك القارة نوع من الشياه تعرف

به . ومن أمثالها الشاة المعروفة في العلم باسم Ovis poli ، وأسموها باسم الرحالة الطلياني المعروف ماركو بولو الذي ساح في أرجاء آسيا في القرن الثالث عشر . ومن امثالها الشاة المعروفة باسم Ovis ammen ، وتسكن في منغوليا الشرقية .

وتوجد الشاة المستوحشة في أوروبا وافريقية وشمال أمريكا . وهي لا توجد في امريكا الجنوبية او استراليا ، والذى هناك منها كله مستأنس .

الشياه المستأنسة

الشياه المستأنسة اصلها لا شك الشياه البرية المستوحشة ، اشتقها الانسان منها عن طريق الاستئناس،وعن طريق المزاوجة بينها ، والحصول من ذلك على انسال مختلطة . وهو عمل يعرف بالتهجين .

والشاة البرية لها قرون ، واكثر المستأنس من الشياه ضعفت قرونها واحيانا فقدتها . وهذا لحكمة ظاهرة ، انها بعد الاستئناس لم تصبح في حاجة اليها ، فبقيت رمزا الى ما كان .

والشياه البرية سطح فروتها من شعر ، تحته طبقة الصوف. وقد فقدت الشاة المستأنسة طبقة الشعر هذه ، وبقيت طبقة الصوف .

واستئناس الشاة لا بد وقع منذ زمن بعيد . واتخاذ الشاة فدية في الأديان حادث قديم . ويرجح ان يكون الانسان بدأ في استئناس الشاة بعد ان استقر ، وبدأ الزرع ، وبذر الأرض .

ولا بد أن الانسان بدأ يستولد الشياه استيلادا موجهًا منذ قديم الزمان ، لتحسين انسالها ، ولا بد أن ذلك كان ، فيما كان ، بالمزاوجة بين الأنواع ذات الصفات الممتازة .

على أن تربية الشياه واستيلادها بالتهجين ، على أسس علمية او نحو ذلك ، لم يبدأ قبل القرن التاسع عشر . وطلبوا الأنسال الجديدة لغاية .

فهم طلبوها لتحتمل البرد الشديد ، او لتحتمل العيش في الأعالي حيث الجبال ، أو في الأواطيء حيث الوديان . اعني طلبوا من الذرّيات ما يتفق مع البيئة التي الناس فيها .

وطلبوا الأنسال الجديدة المهجنة لغايات أخرى .

كان تكون كثيرة الصوف ، ناعمته ، او غير ناعمته ، تنفع لنسج الملابس او عمل السجاجيد أو للفرو ، وطلبوها لتكون كثيرة اللحم .

او تكون كثيرة الادرار للبن .

وقد ينسلونها للجمع بين أكثر من غاية .

وقد احصوا الأنسال Breeds المستحدثة نتيجة لذلك في العالم، فعدوا اكثر من ٢٠٠ صنف ، الأكثر منها كان له منافع محلية لم تخرج به الى العالم ليكون صنفا مستنتجا عالميا .

والقليل منها هو الذى بلغ خطرا خرج به الى غير موطنه الأصلي ، ومنها ما صار غاية تطلبها كل الأمم ، من استطاع منها .

والذين انسلوا، وزاوجوا بين الاخلاط وهجنوا ، هم الأمم المتقدمة ، اما الأمم المتخلفة فكل شيء عندها الى اليوم خروف ، ما دام له قرنان وعليه صوف .

الشاة المرينو

ومن اشهر أصناف الشياه صنف المرينو Merino ، وهو صنف عرف أول ما عرف في اسبانيا ، وعرف باكرا في القرن الثاني عشر . ويرجح أن يكون جلب اول الأمر من المغرب . وهو يطيب في الأماكن التى هي بين القاحلة والمعشبة. وهو ينتج الصوف الناعم ، وهو صوف ذو لون أبيض بعد غسله .

والشاة المرينو تحمل ذكورها قرونا

قوية تدور كاللولب ، أما اناثها فلا قرون لها . وصوفها يغطي راسها حتى ليخفي عينيهـا . وجلدها ينطوي على لحمهـا طيات عند الصدر والأكتاف .

والشاة المرينو تمتاز عن سائر الشياه بصوفها ، ولكن نتاجها من اللحم ليس باحسن نتاج .

وهذه الشاة اتخذت في تهجين سائر اصناف الشـياه في بقاع كثـيرة من الأرض . واحتفظوا للشـياه الناتجة باسم المرينو ، كما يحتفظ للولد باسم أبيـه النابه . فقيل المرينو الأمريكي ، والمرينو الروسي ، والمرينو الارجنتيني والمرينو الاسترالي ، وهلم جرا .

ودخـل المرينـو الولايات المتحدة في أوائل القرن التاسع عشر . وكانت هذه الشياه في حاجة الى المراعي الواسـعة الطليقـة . ويزدحم الناس في الشرق من امريكا ، وترتفع اسـعار الأراضي ، فتصبح اعلى مما تحتمل تربية الشياه . فنرى هذه التربية تنزاح نحو الغـرب رويدا رويدا ، حيث الأرض ارحب ، وارخص ، حتى تبلغ اقصى الغـرب ، واليوم اصبحت مرابي الشياه لا توجد غالبا الا غرب نهر المسيسيبي .



شاة مرينو : وتلاحظ في هذا الذكر قرونه القوية المنخفضة ، وطيات جلده عند الصدر والأكتاف ، وان الصوف يغطي راسه كله .

الشاه الرامبوييه

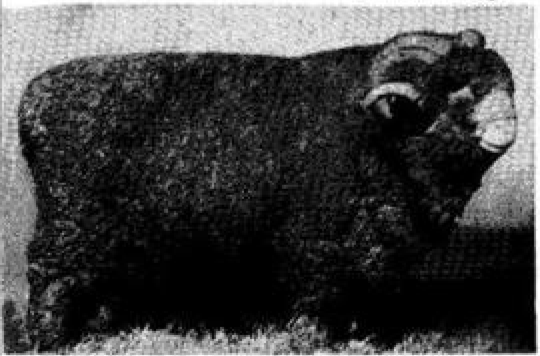
هي شاة اخرى نالت من الشـهرة شيئا كثيرا ، وهي شاة فرنسـية مشهورة بنعومة صوفها ، وهي مهجنة من الشاة المرينو ، ومن احسن انواعها . وقصة ذلك ان الحكومة الفرنسية قامت في عام ١٧٨٦ ، وكذلك في عام ١٧٩٩ باختيار مئات قليلة من شياه المرينو ، باسبانيا ، وجلبتها الى فرنســا ، واودعتهـا في في رامبوييـة Rambouillet في الجنوب الغربي من باريس ، لتكون ذخيرة يرجع اليها في التهجين . وخرج الهجين منهـا اكبر من الاصل، والصوف اكثر ، واللحم اوفـر .

وما اسرع ما اتخذ هذا الصنف طريقه الى الولايات المتحدة ، دخلها عام ١٨٤٠ وانتشر في الغرب من الولايات .

والشاة المرينو تعطي من صـوفها في العام ، من حيث القيمة ، اكثر مما تعطي ذراريها من حملان تساق في حينها الى المجازر طلبا للحم .

● ● ●

الشاة المعروفة باسم رامبوبية ، وهي تعطي صوفا من احسن اصواف العالم . وقد انتجها الفرنسيون بفرنسا من الشاة الاسبانية ، شاة المرينو . وقد صارت اليوم شاة منتشرة في غرب الولايات المتحدة .



شياه اللحم

وطلبوا فى تربية الشياه ، مع الوفاء بالصوف ، الوفاء باللحم .

وهنا وجدت الشياه الانجليزية الأصيلة مكانا لها فى التهجين . وخرج من هذا التهجين شياه ، مرضية من ناحية اللحم ، ولكن صوفها خشن . ولكنه ينفع فى عمل السجاجيد ونحوها .

ومن هذه الأصناف ، الأصناف المسماة شياه « دَوْن » اشارة الى أصلها ، وهي تلال انجلترا English Downs . ومن خيرها التي تجمع بين اللحم الجيد والصوف المتوسط الطول ، وهي المسماة Suffolks, Hamshires, Shropshires, South Downs, Cheriots, Oxford, Dorsets ولا حاجة لنقل هذه الأسماء الى الحروف العربية، واكثرها اسماء الجهات الاولى التى أخذت منها الآباء الأولى أو الامهات الاولى للتهجين . وانما نذكرها لما قد يكون له لقارىء فيها من غاية .

ولا يفوتنا أن نذكر الشياه التونسية.

• • •

الشاه المرينو ، الشهيرة بصوفها ، كما وكيفا ، وقد جمعوا بينها وبين الشاة الانجليزية المعروفة بالدَّوْن Downs (ومعناها تلال انجلترا) ، وذلك بالتهجين ، فاخرجوا منها انسالا كثيرة اللحم والصوف .



وهي صنف ذيله سمين يتجمع فيه الدهن الكثير ، ومنشأه بقاع كثيرة فى افريقيا وآسيا ، ويبلغ من ضخامة الذيل انه يزن أحيانا ما بين ٥٠ الى ٨٠ رطلا ، ودهنه يستخدم فى الطبخ وغيره . والشياه ذوات الذيل السمين مالوفة فى الشرق العربي . والعامة تسميها اللِّيَّة ولعلها تحريف ألْيَة وهي العجيزة أو ما ركب العجز وتدلّى من شحم ولحم .

تربية الشياه

تربية الشياه تعتمد اولا على الظروف التي تحيطها . والشياه تربى عادة قطعانا تبلغ الف راس او بضعة آلاف ، وذلك فى مناطق من الريف مفتوحة ، هي مروج معشبة خضراء ، ترعى فيها الشياه من الحشيش ما ترعى ، وتنتقل وراء العشب الرخص من واد الى جبل ، ثم تعود الى واديها والى مرابطها . وتأكل مع الحشيش كل ما تجد ، أو ما يزرع لها فى العشب هنا وهناك من الخضر . كاللفت مثلا .

والشياه لا تربى على الحَبّ طعاما ، لغلاء الحَبّ ، ولكن يستخدم الحب لتسمين الشياه الصغيرة فى محابسها قبل أن ترسل للأسواق والمجازر .

والمتتبع لتكثير نتاج الشياه فى العالم، من الناحية التاريخية ، يجد ان اسبق الأمم الى ذلك ، كانت تلك الأمم ذات المروج الخضراء الواسعة التي تنفع للكلأ، مثل انجلترا ، استراليا ، أمريكا ، روسيا .

كذلك من الظروف الملائمة لتربية الشياه الطقس الجاف المعتدل، والشياه لا تجود فى الأقاليم الحارة ، لا سيما البليلة .

والى جانب تربية الشياه بتلك الأعداد الكبيرة ، توجد تربيتها بأعداد صغيرة ، قد تكون عشر شياه أو مائة شاة أو ما بينهما . وعندئذ تكون التربية هي بعض

عمل المزرعة يعطي لها المزارع بعض وقته لا كله . والناتج عن امثال هذه التربية يكون غالبا ذا أثر محلي لا يخرج عن نطاق القرية او الاقليم او الدولة .



توجد في الولايات المتحدة وغيرها نواد تجري فيها مسابقات بين الشباب في شتى الامور لا سيما العلمية . وهذه فتاة ربت هذه النعجة ، وهي من صنف اكسفورد الذي اصله انجلترا . ونالت بها الجائزة الاولى في المسابقة التي عرضت في ولاية انديانا بالولايات المتحدة .

• • •

تربية الشياه فن وخبرة

وتربية الشياه ، سواء في المزرعة ، او في المروج الواسعة ، فن وخبرة .

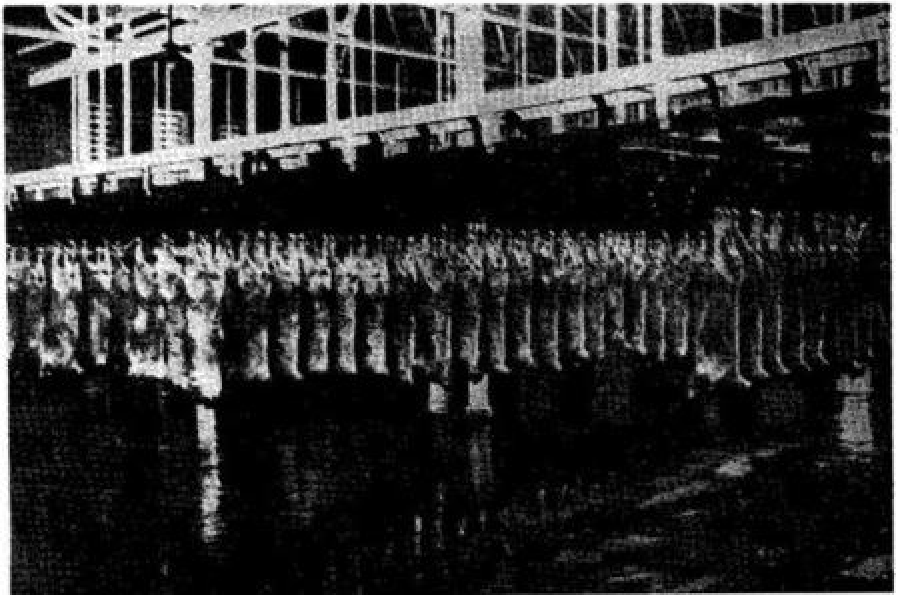
مثال ذلك ان الشاة عندما تلد الحَمَل ، لا بد من وجود من يرعاها . فالحمل قد يحتاج الى التدفئة والبرد قارس . وتعرُّفُ الأم على ولدها لا بد ان يتم في حينه حتى تقبله رضيعا .

والشاة قد تلد في المرة الواحدة اثنين او ثلاثا ، وعندئذ يجب ان يستيقظ المربي حتى لا يدعها تترك واحدا منها يموت .

والشاة تذبح من اجل لحمها ، وهي بين ٣ اشهر وخمسة من العمر . والشياه التي لا تذبح تبعد عن امهاتها بعد نحو الشهر الرابع حتى تستريح الأم قبل ان تعود الى حمل . ومن الأمهات ما يعيش ليلد خمس مرات او ستا .

والشياه تحتاج الى الملح ، ملح الطعام .

مسلخة : وترى الأعداد الكثيرة من المواشي بعد سلخها وتطهيرها ، وهي الآن في حجرة التبريد لتدخل بعدها حجرة التجميد بالبرودة ، ثم تنقل الى الأسواق البعيدة .



وهي تحتاج الى الكلسيوم اذا لم يكن دخل الى طعامها عن طريق الخضر . وكذلك الى الفسفور . ومن الفيتامينات تحتاج الى فيتامين أ في احوال من الطعام خاصة .

ان الشاة كائن حيّ . والانسان كائن حيّ ، وصحة الاثنين مرتبطة في علم الحياة بأشياء اشباه .

والشياه في حاجة الى الماء ، تماما كحاجة الانسان ، وقد تشرب الواحدة ٦ التار من الماء في اليوم .

والقطيع لا يستطيع ان يمشي المسافات الواسعة في اليوم . فهو ، كالانسان ، يتعب . انه يتعب ، ويتألم ولكنه لا يعرف كيف يشكو . ويقول الخبراء ان الشاة يجب أن لا تسير في الجو الحار اكثر من ميلين بين مرعاها ومصدر مائها .

والشياه في حاجة الى حماية الانسان، من ذئاب الأرض ، وجوارح السماء .

والشياه تربى للحمها ، ولكنها في هذه الدنيا الواسعة تربى على الأكثر ، لصوفها ، ومع الصوف اللحم . ويُجَزّ الصوف والجو جاف مستقر ،وتستخدم لذلك جزّازات تعمل بالكهرباء .
والصوف قصير ، ومتوسط الطول ، وطويل ، تبعا لنوع الشياه .

والقطيع من الشياه يضم عادة خروفا واحدا لكل نحو ٣٠ او ٣٥ نعجة .

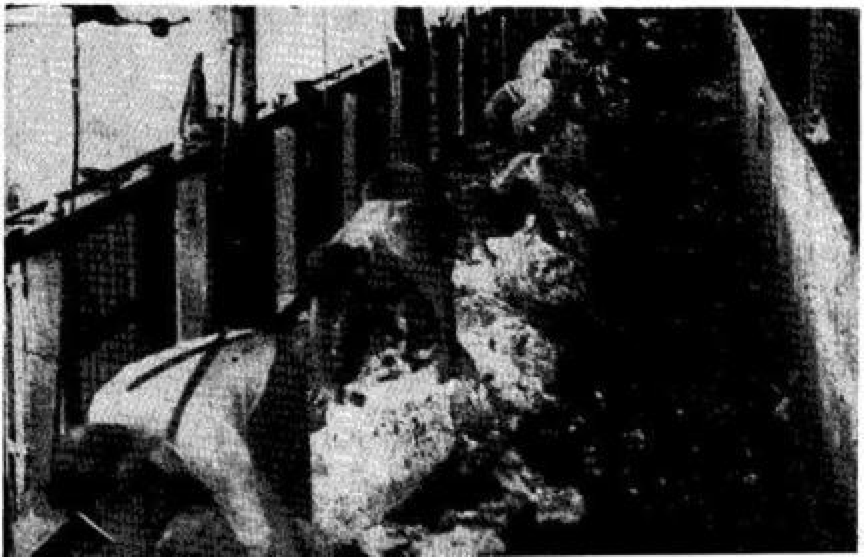
منافع الشياه

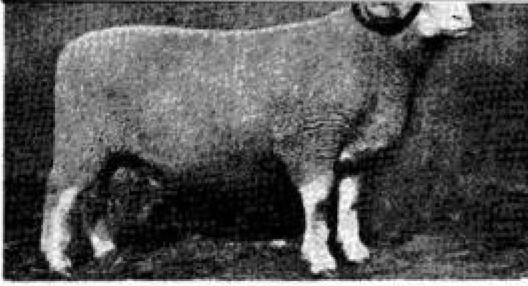
ونجمل منافع الشياه هنا فنقول : ان من منافعها الصوف ، واللحم ، وكذا البانها يحتلبها اقوام فتدر عليهم صنوف مدرارة منها اللبن الكثير ، ومنه يصنعون الجبن اطيب ما يكون .

ومن الصوف يصنع الناس الملابس اذا كان صوفا رخيا ناعما،أو السجاجيد ان كان خشنا .

والفرو من نتاج الشياه القيم . ويبقى عليه صوفه فيستخدم ملابس للتدفئة لا سيما في البلاد الباردة . او يجز من الفرو الصوف ، ثم يدبغ الجلد من بعد ذلك ، فيكون منه منافع شتى : في صناعة الأحذية ، والأثاث ، والثياب ، وتجليد الكتب ، والقفازات .

مظلة يجرى تحتها جز الصوف للشياه بالمقصات الكهربائية .





الدورست : شاة انجليزية ، صوفها متوسط ، والذكر والأنثى يحملان القرون .



صورة للحمل الكركولي ، وهو الى جانب أمه . ويذبح الحمل وهو دون الأسبوع عمرا ، ليصنع من فروه فرو ناعم لامع ، معقوف الوبر ، اسود ، جميل .

● ● ●

حمل مهجّن من خروف كركولي ، منشاه بخارى، ونعجة امريكية . وهذه الشياه قيمتها فيما تنتج من حملان ، لأنها تذبح عندما يبلغ عمرها أقل من اسبوع ، وعندئذ يتخذ من فروها فرو معقوف الوبر لامع ناعم الملمس أسود .



ومن أحشاء الشياه تتخذ منافع .

فالمعَا يستصنع لعمل السجق ، ويستخدم أيضا لصناعة الأوتار التي تستخدم في الجراحة لربط الجروح او في الآلات الموسيقية لاعطاء الأنغام .

ولا ننسى أن الصوف به دهن Lanoline له فوائد في عمل المراهم وأدوات التجميل .

الدول المنتجة للشياه في العالم

ليس لدينا احصاء أجد من احصاء عام ١٩٥٦ .

ومنه يتضح ، فيما يختص بالقارات ، ان انتاج القارات من الشياه في ذلك العام هو :

آسيا :	١٨٤٦٠٠	الف رأس
أوروبا :	١٢٢٥٠٠	الف رأس
امريكا الجنوبية :	١٣٠٠٠٠	الف رأس
افريقية :	١٢٨٥٠٠	الف رأس
امريكا الشمالية :	٣٩٠٠٠	الف رأس
استراليا ونيوزيلندة	١٧٧٠٠٠	الف رأس
العالم :	٩٠٩٦٠٠	الف رأس

أما من حيث الدول فأشهرها :

استراليا :	١٢٧٠٠٠	الف رأس
نيوزيلندة :	٤٠٠٠٠	الف رأس
المملكة المتحدة :	٢٣٠٠٠	الف رأس
اوراجوى :	٢٦٨٥٠	الف رأس
الولايات المتحدة :	٣١١٠٩	الف رأس

من ذلك نرى أن استراليا اكبر دولة منتجة للشياه ، وهي من أجل ذلك اكبر دولة منتجة للصوف ، وهي الآن تنتج ٢٩٪ من صوف العالم ، والذي تجزه من شياهها يبلغ في العام الواحد ١٤٠٠ مليون رطل من الصوف .

●●

أحمد زكي

الحرفان ج و ق ونطقهما

■ تختلف البلاد العربيةفي نطق القاف والجيم. فالجيم التي نقرأ بها القرآن والتي ينطقها أكثر البلاد العربية الآن هي الأصيلة في النطقالعربي ، والتي كانت سائدة في القبائل العربية من القديم ما عدا بعض القبائل اليمنية .

اما الجيم التي ينطق بها الآن أهل القاهرةوبعض بلاد الوجه البحرى ، والتي يقلدهم فيها بعض المخالطين . وهي التي تشبه نطق الحرف G في الانجليزية في مثل Go . King فانها كانت تنطق هكذا في بلاد اليمن ، وممن نصعلى ذلك أحمد بن فارس في كتابه « الصاحبى » وقد وصف هذا الحرف بانه « بين القاف والكافوالجيم » وذكر انهم يقولون في مثل « جمل » « كمل » .

وهذا الحرف موجود في سائر اللغات العالمية على ما نعلم وفي اللغة الفارسية واختاروا لرسمه حرفا هو الكاف وفوقها خط صغير .

وهذه الجيم اليمنية كان انتشارها في مصر من قديم ، لأن أكثر القبائل التي فتحت مصر مع عمرو ابن العاص كانت يمنية ، وسكنت في المنطقة التي تشمل القاهرة والجيزة الآن وما قاربهما .

اما صعيد مصر وأكثر البلاد العربية فالجيم لديهم بعيدة عن هذا التأثر بالحرف الذى بين القاف والكاف والجيم .

لكن هؤلاء عموما ما عدا أهل القاهرة وما قاربها ، وما عدا بعض القلة من البلاد العربية ينطقون القاف في جميع اوضاعها في الكلمة مثل ما ينطق الحرف G فى مثل Go. King أي ان قافهم شبيهة بالجيم القاهرية . وهذه القاف هي التي كانت سائدة في قبائل العرب ما عدا قريشا وبعض الحجازيين من أيام الجاهلية ، وأحمد بن فارس يذكر ان نطق هذه القاف مثل الكاف من لوجة تميم ، لكننا نجد في اصطلاحهم ان تميما كان يقابل بهم أهل الحجاز عند استعمال اللهجات ، لكثرة بني تميم وانتشارهم . اما قريش ومن جاورهم فينطقون القاف الفصيحة التى نقرأ بها القرآن وتستعملها في الأحاديث والمحاضرات والخطب .

وهناك القاف التي تقلب همزة ، وهي التي يستعملها أهل القاهرة وبعض الوجه البحرى في مصر ومن يقلدهم فيها ، تبعا للترقيق الحضارى ، وهذه لا يعرف لها أصل في لهجات القبائل العربية القديمة . ولا يعرف متى بدأت في القاهرة . لكننا نستنتج من نص في أحد الكتب انها كانت شائعة في القاهرة منذ تسعمائة سنة على الأقل . ففي كتاب الرحلة المغربية للعبدرى في صفحة ١٢٧ يقول عن أهل القاهرة « وجمهورهم : يجعل القاف والكاف همزة » والعبدرى من أهل القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى ، وكتابه مؤلف حوالي سنة ٦٨٨ هجرية ، أي قبل زمننا بحوالي سبعمائة سنة . على أننا لا نعرف في القاهريين الآن ولا فى من يقلدونهم أحدا ينطق الكاف همزة ، والسائد بينهم الآن هو نطق القاف همزة. وبالطبع لا تكون ظاهرة قلب القاف همزة سائدة منذ سبعمائة سنة ويلحظها غيرهم ويقول عنها ان جمهورهم يجعلها همزة الا اذا كانت منتشرة قبل ذلك بقرنين على الأقل حيث تعودت عليها الألسنة وتوارثها الأبناء فصارت ظاهرة لسانية . ■■

اعْمَلْ

فَالعَمَلُ نَشَاطٌ إِبْدَاعِىٌّ

وَخَلْقٌ لِلذَّاتِ بِالذَّاتِ !

- العَمَلُ الفَنِّى أَعلَى صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ العَمَلِ البَشَرِىِّ ؟
- الالْتِزام بَيْنَ الفِكْرِ وَالعَمَل
- نَحنُ نَعْمَلُ لِذَواتِنَا وِلِلآخَرِين
- العَمَلُ وَمَسارُ التَّارِيخِ الكُلِّىِّ الشَّامِل

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ فلسفة الاخلاق بجامعة القاهرة

■ من منا لم يثقل كاهله العمل يوما ، فتمني لو خلت حياته تماما من كل جهد شاق ؟ من منا لم يضق ذرعا ــ فى لحظة ما من لحظات حياته ــ باعباء الحياة وتكاليفها ، فودلو تمكن يوما من الاستغناء عن كل عمل مضن ؟ . . . لقد روت لنا التوراة ان الله حين طرد آدم من الجنة صرخ فى وجهه قائلا : « بعرق جبينك تاكل خبزك » ! ومنذ ذلك الحين ، اصبح « العمل » ضريبة فادحة تثقل كاهل الانسان ، ونقمة بغيضة ينوء باعبائها نسل آدم ! وما يزال الكثيرون ــ حتى يومنا هذا ــ يجدون فى « العمل » شرالابد منه ، وينظرون اليه على انه عبء يودون لو استطاعوا التحرر منه ! . . . انهم يبغضون « العمل » ، لانهم يبذلون فى ادائه جهدا ، ويلقون اثناء القيام به نصبا .

وكم من اناس يسخطون على الحياة ، لا لشيء الا لأنها مشروطة بالعمل ، متوقفة على الجهد واذا كان من الحماقة البالغة ـ كما قال كارلايل Carly ـ أن نلعن الشمس لانها لا تشعل لنا لفائف التبغ حين نريد منها ذلك ، فقد يكون من السخافة بمكان أيضا أن نتمرد على الحياة لمجرد انها لا تنزل دائما عند رغباتنا ، ولا تحقق لنا باستمرار كل احلامنا ! ومع ذلك ، فلنتصور حياتنا وقد خلت تماما من كل المشكلات التي تتطلب الحل ، وامحت منها شتى الصعوبات التي تستلزم المواجهة ، وارتفعت عنها سائر المعضلات التي تحتاج الى المعالجة ، وانعدمت فيها كل المخاطر التي تحفزنا الى المجاهدة ... لنتصور حياتنا على هذا النحو ، ولنتساءل بعد ذلك عن نوع السعادة التي يمكن ان تتوافر للانسان في مثل هذه الظروف : هل تكون مثل هذه الحياة حياة سعيدة ترتاح اليها نفس الانسان ، ويقنع بها عقله ، ويطمئن اليها قلبه ؟ الن تكون هذه الحياة ـ على وجه التحديد ـ مجرد حياة رتيبة مملة ، تخلو تماما من كل قيمة ، ولا تحقق لصاحبها ادني سعادة ؟

الدلالة الميتافيزيقية للعمل البشري ..

لقد اهتم بعض الروائيين بوصف « الآلام » التي تقترن بالكثير من « الحرف » ، فوضع بين أيدينا الروائي الفرنسي المعاصر بيير هامب Pierre Hamp ، صورة صادقة مؤثرة للمشقات الكثيرة التي يعانيها بعض أصحاب الحرف اليدوية ، في روايته المسماة باسم « آلام البشر » La Peine Des Hommes ، وليس في وسع احد ان ينكر ما في حياة « اهل الطبقة الكادحة » من أعمال شاقة ، وجهود مضنية ، وارهاق بالغ ، حتى لقد اصبح « العمل » عندهم علما على الاعصاب المكدودة ، والاوصال المنهكة ، والنفوس المتعبة . ولعل هذا ما حدا ببعض المصلحين الاجتماعيين الى المناداة بتحسين حال العمال ، وتقليل ساعات العمل ، ورفع مستوى حياة الطبقة العاملة . وبالغ بعضهم في وصف « مساوىء العمل » ، فقام رسل Russell يدعو الى تمجيد الكسل ، وراح ينادي بتوفير المزيد من اوقات الفراغ للانسان المعاصر ، بينما ذهب آخرون الى ضرورة التخفيف من حدة متاعب الانسان ، بأحلال « الآلة » محل « العامل » ، واستخدام « القوى الذرية » او « الالكترونية » بدلا من « الطاقات البشرية » أو « الايدي العاملة » . وهذه كلها صيحات اجتماعية عادلة ، ودعوات اصلاحية سليمة ، ولكنها تستند في الحقيقة الى نظرات فلسفية قاصرة ، واحكام عقلية ناقصة . وآية ذلك انه ليس ثمة « عمل » يمكن أن يعد « شرا خالصا » : مادام من شأن كل عمل أن يقترن بنشاط ايجابي نغير فيه من انفسنا ، ونخلع فيه طابعنا على العالم الخارجي ، فنشعر بشيء من « اللذة » او « المتعة » او « الغبطة الروحية » . وان الاعمال لتختلف من حيث درجة « الخلق » او « الابداع » التي تجيء معها ، ولكن من المؤكد انها جميعا مظاهر حية لسيطرة الانسان على العالم ، وقدرته على صبغه بالصبغة الانسانية . وقد درجت الاسطورة اليونانية على تصوير سيزيف Sisyphe بصورة « الانسان التعس » ، وتصوير بروميثيوس Prometheus بصورة « الانسان المتمرد » ولكن ليس ما يمنعنا من ان نتخيل الواحد منهما والآخر على قدر من السعادة في صميم جهده العابث ، او تمرده الساخط !

والحق أن في استطاعتنا أن نعرف الانسان بقولنا : « انه الموجود القادر على العمل » . واذا كانت « القدرة على العمل » هي « القدرة على خلق اثر متحقق يكون صنيعة يد الانسان » ، فليس بدعا ان تقترن هذه القدرة بشيء من الغبطة او السعادة . والعمل يفترض ان كلا من الانسان والعالم ، أو الذات والموضوع ، ليس حقيقة مكتملة ، او شيئا جاهزا معدا من ذى قبل ، بل هو حقيقة مرنة تلتمس التحقق ، او شيئا ناقصا لابد من العمل على استكماله . وقد كان فلاسفة العصور الوسطى يقولون ان للعمل مهمة مزدوجة : لانه لابد للعامل من أن يحقق شيئا من جهة ، كما انه لا بد له من أن يصنع ذاته (حين يعمل) من جهة اخرى . فالعمل ينصب على الطبيعة ويتجه نحو العالم الخارجي من جهة ، ولكنه يرتد الى الانسان وينعكس على الفرد نفسه من جهة اخرى . ولا بد للعامل من أن يجد نفسه مضطرا الى الخضوع لشريعة العمل ، او النزول على حكم

الشيء المصنوع او الاثر المتحقق نفسه . والسبب في ذلك ان « العمل » يلزمنا بالموضوعية ، ويضطرنا الى « نسيان الذات » مادام المهم في « الانتاج » هو « الناتج » نفسه ، لا نية الفاعل ، او اخلاقياته . ومن هنا فاننا نستشير الطبيب الماهر ، ونتعامل مع الصانع الممتاز ، ونرقى الموظف الكفء ، بغض النظر عن ميوله السياسية ، او اتجاهاته الحزبية ، او مذهبه الديني ، اعنى لمجرد انه يتقن عمله ، ويجيد حرفته ، ويقوم باداء واجبه على الوجه الاكمل . ولعل هذا ما حدا بالفنان الفرنسي الكبير رودان Rodin ، الى تمجيد « العمل الجيد » او « الصناعة المتقنة » باعتبارها صورة من صور « الفن » .

هل يكون « العمل الفني » أعلى صورة من صور « العمل » البشري ؟

ونحن حين نتحدث عن « الفن » فاننا نتحدث عن ثالوث موحد يضم الفكر ، واليد ، والادارة . وقد كان ليوناردو دافنشى Leonardo de Vinci يقول عن « التصوير » انه « شيء ذهنى » Cosa Mentale ، ولكنه لم يكن يعني بذلك أن الفن صورة من صور الفكر المحض ، او انه لاينطوى على اى نشاط يدوى ، بل كان يشير الى اختلاف عمل الفنان عن الجهد الحرفي المحض ، وكان يفرق بين « الفنان المبدع » و « الصانع المقلد » . وقد يبدو لنا ــ بادىء ذى بدء ــ أن الفنانين عقول هائلة تكشف عن اسرار الطبيعة ، او قلوب كبيرة عامرة باعمق المشاعر الانسانية ، ولكن الفنانين في الحقيقة هم اولا وقبل كل شيء اناس يملكون « ايديا » ، ويعرفون كيف يفكرون بايديهم ! ولما كان من شان الخيال أن يتبدد سريعا ، كما ان من شان حركات الفكر والوجدان ان تكون عابرة سريعة الزوال ، فليس بدعا أن تكون اليد هي وسيلة الفنان الى استبقاء تلك الاطياف الشاردة ، وتزويدها بالصورة التى تضمن لها البقاء . وقد يستطيع الانسان الذى يسترسل في احلامه أن يشهد الملايين من الرؤى الجميلة والاشكال الرائعة ولكنه لو اقتصر على « الحلم » وحده ، لما استطاع ان يستبقي تلك الصور ، او أن يخلع عليها اى ثبات . ولا غرو ، فان الفارق بين « الحلم » و « الحقيقة » ، ان الانسان الحالم لايستطيع ان يستحدث اى فن ، نظرا لان يديه غارقتان في وسن عميق ، في حين ان الانسان الفنان هو ذلك الذى يعرف كيف يستخدم يديه في تجسيد هذه الاحلام ، وتثبيت تلك الرؤى!

والواقع أن يد الفنان ليست مجرد اداة خلق وابداع ، بل هي ايضا اداة مخاطرة ومعرفة . وكما كان الانسان الاول يشق طريقه عبر الاشياء في تعثر وتردد ، فان الفنان ايضا لايكاد يكف عن رؤية الاشياء ولمسها في تساؤل وتعجب . ولكن الفنان لا يسائل المادة الا باستعمال يديه : لانه يلمس الاشياء ويتحسسها ، ويستطلع اشكالها ، ويستكشف مدى مرونتها ، ويتعرف على طبيعة تكوينها ، ويستعير من لغة اللمس لغته البصرية التي يستخدمها في تصوير تلك الاشياء . ومن هنا فان موقف اليد من الفكر لايمكن ان يكون موقف العبودية السلبية ، بل لا بد للاثنين من أن يتعاونا سويا على تصور « العمل الفنى » وتنفيذه، دون أن يكون « الفكر » هو الذى « يأمر » ، و « اليد » هي التي « تأمر » . وهذا ما يعنيه بعض علماء الجمال حينما يقولون ان اليد نفسها ذكاء ، واحساس ، والهام ، او هي على الاصح اداة عاقلة ، حساسة ، ملهمة ! وكثيرا ما يقال عن بعض الفنانين الممتازين ، او بعض الصناع المهرة ، انهم يملكون ذكاء في اطراف اصابعهم ! ومعنى هذا ان الفنان انسان موهوب يفكر بيديه ، وكانه يحمل « عقلا » في اطراف اصابعه . ونحن نعرف قيمة اللمسات الاخيرة في اى عمل فنى ، ولكننا قد لا نتصور ان يكون لليد بيانها وفصاحتها ، ان لم نقل شعرها وسحرها ! وحسبنا أن نمعن النظر الى آلاعيب الفكر واليد لدى فنان مثل بيكاسو : Picasso ، (على نحو ما قدمها لنا مخرج الفيلم الذى صوره لنا اثناء قيامه بعمله)، لكى نتحقق من أن هناك تآزرا عجيبا يتم بين « اليد » و « الفكر » ، لدى كبار الفنانين ، فيجعل من « العمل الفنى » ابداعا حقيقيا يشهد بسيطرة الانسان على الطبيعة . وكثيرا ما تجيء « الاداة » ، فتزيد من سيطرة « اليد » على المادة ، وتساعد « الفكر » على خلق « العمل الجيد » ، وبذلك يجيء الفن مصداقا لتضافر « الفكر » ، و « اليد » و « الاداة » ، على تحقيق « الانتاج المتقن » او « الصناعة الجيدة » .

دور « الالتزام » بين « الفكر » و « العمل » ..

وهنا قد يقول قائل : « اننا لسنا جميعا فنانين، فلا يمكن ان يكون للعمل عندنا ــ في جميع الحالات ــ مثل هذا الطابع الابداعي » . ونحن نوافق اصحاب هذا الرأى على ان العمل البشري لا يتسم دائما بهذه الصبغة الجمالية ، ولكننا نميل الى الظن بان من شان كل عمل بشري ــ كائنا ما كان ــ ان يضيف شيئا من الجدة الى الواقع الماثل من ذى قبل ، أو ان يضفي طابعا انسانيا على شيء ناقص غير مكتمل . وكثيرا ما يعمل الانسان من اجل الناتج الذى يحققه ، او المشروع الذى ينفذه ، لا من اجل ذاته او وجوده الخاص . صحيح ان الذات الانسانية اسمى بكثير من كل ما تبدعه ، او كل ما تصنعه ، ولكنها لا يمكن ان توجد ، اللهم الا اذا تجسدت ، وتحققت ، واندمجت في واقع مادى ، بحيث تضع في مقابل وجودها الروحى (او الذهنى) حقيقة عينية تكون هي « العمل » الذى تتعرف على نفسها فيه . واذا كان من شان « الفكر » ان يظل ضمنيا أو مضمرا ، الى ان تجيء « اللغة » فتسمح له بالتحقق او التجسد ، وبذلك يدرك « الفكر » ذاته من خلال تلك الواسطة اللغوية ، فان من شان « النفس » ايضا ان تتخذ من « البدن » واسطة تضمن لنفسها التحقق من خلالها ، وكأن « العمل » الذى ينهض بادائه الانسان هو الواسطة التى تسمح للروح بان تنسى ذاتها . ولا غرو ، فان الذات التى تعمل تنسى نفسها ، وتندمج في عملها ، وتخضع بسخاء لهذا النشاط العملى الذى تقوم به .

ومن هنا فقد يكون في وسعنا ان نفهم السر في ارتباط العمل بالالتزام : Engagement ، وماذا عسى ان يكون « الالتزام » ان لم يكن تعبيرا عن هذه الحقيقة البشرية الهامة ، الا وهي : انه لا بد للنشاط الذهني للانسان من ان يستحيل الى نشاط عملى (هادف) ، والا لاصبح حلما واهيا ، او سرابا خداعا ، او صورة من صور « الهروب » Evasion ، فالمعيار الاوحد الذى نستطيع عن طريقه ان نحكم على « الحقيقة » التي يؤمن بها اى مفكر ، انما هو مدى قدرة هذه على تغيير العالم واصلاح الانسان ، خصوصا وان الفكر الصادق هو بلا شك ذلك الذى يرتد الى نفسه فيغير من طبيعة صاحبه ، ويلزم بالانصياع لمبادئه . والحق ان العمل هو التزام الانسان في الطبيعة والمجتمع : لان كل من وهب نفسه لخدمة فكرة او لنشر مبدأ ، لابد من ان يجد نفسه ملزما بالعمل على تحقيق هذه الفكرة ،او تنفيذ ذلك المبدأ . ولما كان الانسان موجودا متجسدا (اعنى نفسا تملك جسدا) ، فليس في امكان فكره ان يتحقق الا عن طريق الالتزام (اعني عن طريق الانخراط في مواقف عينية) . ومهما يكن من سمو اية فكرة ، فانها لاتصبح حقيقة انسانيةاللهم الا اذا وجدت « الذات » التى تتخذ منها هدفا تسعى اليه ، وتعمل بالتالي في سبيل تحقيقها . ونحن حين نعمل ، فاننا ناخذ على عاتقنا ربط الفكر بالواقع العملى ، والوفاء بالتزاماتنا الفكرية امام الكون من جهة ، وامام المجتمع من جهة اخرى . واما حين نركن الى الخمول والخمود ، او حين نعمد الى التكاسل والتواكل ، فهناك يضعف في نفوسنا معني الالتزام ، ونشعر باننا قد اصبحنا كائنات حالمة ، او واهمة ، او واهية ، لاننا لم نعد نملك اهدافا نسعى الى بلوغها ، او غايات نعمل في سبيل الوصول اليها . وربما كان من بعض افضال « العمل » على الوجود البشرى انه يزيد من احساسه بالحرية ، وشعوره بالمسئولية ، فيجعله يدرك الدلالة الميتافيزيقية للالتزام باعتباره تعبيرا عن ارتباط الذات بالكون من جهة ، وارتباطها بالاخرين من جهة اخرى . وقد يستطيع المرء ــ عن طريق الفكر ــ ان يقبع في ذاته ، او ان ينطوى على نفسه ، ولكن لن يملك ــ حين يقوم باى نشاط عملى ــ ان يبقى وحيدا لا تربطه بالعالم او بالاخرين اية صلة . فالعمل هو الاداة التي تقذف بنا الى العالم الخارجي ، وهو الجسر الذى تعبره الذات لتصل الى دنيا الناس . وهذا هو السبب في ان اصداء اعمالنا لابد بالضرورة من ان تتردد في العالم ، والمجتمع ، والتاريخ ...

نحن لا نعمل « لذواتنا » فقط ، بل نحن نعمل أيضا « للآخرين » !

...ان الانسان لينتشر فيما حوله ــ بتاثير

افعاله — وكان من شان كل عمل يقوم بـه ان يخرجه من ذاته ، لكي ينتقل به الى عالم الاخرين . وليس في وسع المرء ان يتنفس ، او يتحرك ، او يفكر ، او يحيا ، دون ان يسجل طابعه الشخصي في العالم الخارجي . ونحن نشعر بان جو الفردية — بطبيعته — جو محدود ، خانق ، ضيق الرقعة ، فليس في استطاعة واحد منا ان يكتفي بنفسه ، وانما لا بد له من أن يعمل للاخريـن ، ومـع الاخرين ، وبالاخرين . صحيح ان كل فرد منا قد يحاول ان ينظم امور حياتـه بنفسـه ولنفسـه فقط ، ولكنه سرعان ما يتحقق من ان حياة الافراد هي من الترابط بحيث قد يستحيل ان نتصور عملا واحدا لا يتسع في دوائر كبيرة لا تحصى ، بحيث يصل الى ابعد من الهدف الذى كان يرمي اليـه صاحبه . وهناك افعال قد تبـدو لنـا تافهـة عديمة الشان ، ولكن تاثيرها قد يكون اعمق وابعد مدى من كل ما نتوهم : اذ قد تبعث الاضطراب والفوضى في حياة يائسة مظلمة ، او قد تنتـزع مجهولا من انانيته ونرجسيته ، او هي قد تسبب اخطاء وعثرات لدى البعض ، بينما قـد تولـد تضحيات عظيمة لدى البعض الاخر . ومن هـذه الافعال واصدائها تتالف ماساة الحياة الانسانية بكل ما فيها من شرور وخيرات ! .

ولئن كنا قد ذكرنا فيما سلف ان في « العمل » موضوعية ونسيانا للذات ، الا اننا نستطيع ان نضيف الى ذلك ان « مجموع اعمالنا » لابد من ان يجيء فيطبع صورتنا في الوسط الذى نعيش فيه . ومعنى هذا أن الذات تتحقق في العالـم الخارجي من خلال الاعمال التى تنجزها ، والافعال التى تؤديها ، بحيث انها لتصبح مركـز اشعاع ذاتي في العالم الذى تعيش فيه . ولوانـنا نظرنا الى افعالنا الخلقية ، لوجدنا انها ليست مجرد حركات تصدر عنا ، او استجابات نقوم بها ، بـل هي مظاهر لنيات خاصة نريد ان نحققها ، او هـي تعبير عن مثل عليا نحاول ان نجسدها في سلوكنا العملي . واذا كان للفعل الخلقي حقيقته النوعية التي تميزه عن كل ما عداه من افعال ، فذلك لانه مظهر لحياة فردية خاصة ، وتعبير عن طابع شخصي معين . ولكن كلا منا حين يعمل (عملا اخلاقيا) فانه يحقق فعله للاخرين وبالاخرين . وهناك سمة عامة تميز كل نشاط اخلاقي ، وتلك هي الرغبـة الملحة التي تفرض على الناس ان يتواصلـوا ، ويتفاهموا ، ويتقاسموا عواطفهـم ومشاعرهـم وافكارهم ، بحيث يمتد كـل منهم بذاتـه الى الاخرين ، آملا من وراء ذلك ان يطبع صورته في نفوس الاخرين ، حتى يكونوا له شهودا ومعاونين ، ان لم نقل شركاء ومقلدين !

والواقع ان « الفعل » الذى يقوم به الفرد ليس مجرد « عمل خاص » يهم صاحبه وحده دون سواه ، بل هو « عمل اجتماعي » يتسم بطابع كلي عام : لانه يخرج الى الوسط الجمعى الذى يتحقق فيه ، فيحدث تاثيره في عقول الاخرين وافئدتهم وشتى جوانب حياتهم . ولو أننا ضربنا صفحا عن تلك الاعمال التي يقوم بها البشر بحكم الغريزة أو العادة أو « الروتين » ، لكان في وسعنا أن نقول ان معظم الأفعال الانسانية هي بمثابة نيات متحققة ، وقيم اخلاقية متجسدة ، ومثل عليا متجسدة : فهي ظواهر اجتماعية هامة لهـا دلالتها الخاصة في صميم الوسط الخارجي الذى تتحقق فيه . واذن فان العمل الذى يقوم به الفرد — وان بدا له أحيانا عملا فرديا يعنيه هو وحده — عمل اجتماعي يقوم بدور المحرك الفعال او المؤثر القوى في وسط خارجي يضم افرادا آخرين هم على استعداد لتفهم دلالة ذلك العمل ، ان لم نقل بانهم قد يقعون تحت تاثيره ، ويعملون —بدورهم— مترسمين خطاه (١) .

ان كل فعل هو نقطة تحول في مسار التاريخ الكلي الشامل !

... حقا ان نتائج اعمالنا قد لا تجيء دائما مطابقة لمقاصـدنا : فان الفعل المتحقق يختلف بالضرورة عن الفعل المتصور ، ولكن من المؤكد اننا مسئولون دائما عن كل ما قد يترتب على افعالنا من آثار . فليس في اسـتطاعتنا ان نحول دون امتداد نتائج أفعالنا الى الآخرين ، او أن نغسل ايدينا تماما من كل آثار قد تنجم عن اعمالنا في عالم الآخرين ، وانما لا بد لنا من أن نعترف بانه يستحيل علينا أن نخطيء دون أن نسيء الى الآخرين ،

(1) Maurice Blandel: " L' Action ", Vol, LL, Paris, 1937, P. 235-6 •

كما انه ليس في وسعنا أن ننفذ الى الوسط المحيط بنا ، أو أن نخرج منه ، كيفما نشاء وفي اي وقت نشاء . والحق اننا لا نملك من الحرية ما نستطيع معه أن نمنع الآخرين من التأثر بافكارنا ، وأفعالنا ، وعواطفنا لأنه بمجرد ما نتمكن من التعبير عن افكارنا ، أو الاتيان بافعالنا ، أو الترجمة عن عواطفنا ، فاننا نكون عندئذ قد طبعنا صورتنا الخاصة في الوسط الاجتماعي المحيط بنا . وحين يتحقق « الفعل » ، فانه يصبح عندئذ بمثابة « رسالة » نوجهها الى كل من يستطيع الفهم ، والمعرفة ، والارادة . ولا غرو ، فان « الانتشار » و « الاستمرار » سمتان اساسيتان من سمات « الفعل » ، حتى لقد قال بعض الفلاسفة ان الفعل ـ كالطفل ـ يحيا ، وينمو ، ويترقى ، فضلا عن انه يحمل في طياته « شعلة روحية » تلتمس الفهم ، والاستجابة ، ورد الفعل . وليس امعن في الخطأ مما توهمه بعض انصار « المثالية الذاتية » حينما زعموا أن « الذات مغلقة ليس لها أبواب ولا نوافذ تطل منها على العالم الخارجي » ، وكأن الذات عالم قائم بذاته ، أو قوقعة مغلقة على نفسها ، أو كأن في استطاعة الذات أن تتوقف عن الفعل ، أو أن تكف تماما عن تحقيق ذاتها في العالم الخارجي ! .

والحق أننا موجودات عاملة تحيا في الخارج أكثر مما تحيا في الداخل ، وتدرك ذوات الآخرين قبل أن يتوافر لها وعي حقيقي بذاتها الخاصة . وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا : اننا ننفذ ـ جميعا ـ بعضنا الى البعض الآخر ، وكأن ثمة « تناسلا روحيا » يتم بين أفكارنا ، أو « ولادة روحية » تتم بين افعالنا . وهذا التلاقح الروحي الذي يشهده عالم الانسان في كل لحظة ، انما هو الدليل القاطع على أن أحدا لا يفكر بذاته ولذاته ، بل هو يفكر للآخرين وبالآخرين ، كما أن أحدا لا يعمل بذاته ولذاته ، بل هو يعمل للآخرين وبالآخرين . وحين يقول الفيلسوف الفرنسي الراحل موريس بلوندل Maurice Blondel : « ان كل فعل هو نقطة تحول في مسار التاريخ الشامل » ، فانه يعني بذلك أن أصداء الفعل قد تتسع حتى تشمل مجرى الأحداث الكونية والبشرية في كل مكان . ولا بد للانسان ـ والحالة هذه ـ من أن يعمل ، وكأنما هو يحكم العالم بأسره : فان الآخرين قد يتقبلون أدنى منحة تقدم لهم ، وهم قد يكونون على استعداد لأن يستخرجوا منها كل ما تنطوي عليه من معان كامنة أو قيم دفينة . وليس من الضروري أن يتوافر لدى المرء وعي واضح بكل النتائج التي تترتب على فعله : فقد يحدث في بعض الأحيان أن تكون هناك بواعث خفية تحول دون فهمه للمضمون الحقيقي لهذا الفعل ، وان كانت هذه البواعث قد لا تمنع من تحقق تلك النتائج بمقتضى المنطق الضروري الكامن في صميم « الفعل » نفسه . ومهما يكن من شيء ، فان « العمل » الذي نقوم به لا بد من أن يترك أثره في حياتنا الخاصة من جهة ، وحياة الآخرين من جهة أخرى . وحين تحدث مونييه Mounier (زعيم النزعة الشخصانية في فرنسا) عن أبعاد الفعل الأربعة ، فانه كان يعني أن الفعل يعدل من الواقع الخارجي ، ويصنع ذواتنا ، ويقربنا من الناس ، ويثري عالم القيم ... (٢) .

في البدء كان الفعل !

ونحن نلاحظ أن هناك عناصر أربعة تدخل في تكوين كل فعل :

(١) الفرد الذي يحققه . (٢) المادة التي يحاول أن يمارس فيها فعله . (٣) المقاومة التي يجب أن يتغلب عليها . (٤) الجهد الذي يتمثل في النشاط المبذول من أجل الفعل . ـ وقد بقي «العمل» موضوعا يستأثر باهتمام علماء الاقتصاد ، ورجال السياسة ، وعلماء الاجتماع ، وأهل الأخلاق ، بينما ظل الفلاسفة يوجهون معظم انتباههم الى دراسة « الفكر » ، دون العناية بالخوض في بحث « الفعل » ولم يلبث أهل الفكر المعاصر ان فطنوا الى هذا النقص في دراستهم للموقف البشري ، فاتجهوا بأبصارهم نحو معنى النشاط العملي ، وراحوا يدرسون الدلالة الميتافيزيقية للعمل البشري . وجاء برجسون

(٢) E. Mouier: " Le Personnalisme ", Paris, P. 105.

Bergson فاعلن أن ما نعمله رهن بما نحن اياه ، بمعنى أن فعلنا متوقف على نوع وجودنا ، أو أننا عين ما نعمل (ان صح هذا التعبير) (٣) . وانتشرت فلسفة الفعل في أجواء الفكر المعاصر ، فقام فلاسفة كثيرون بتحليل طبيعة العمل ، ومعنى الالتزام ، ودور الحرية في الفعل البشرى... الخ . وارتبط معنى الفعل - في اذهان الكثيرين - بمعنى خلق الذات بالذات فلم يعد « العمل » مجرد مظهر « لاغتراب الذات عن نفسها » Alienation بل أصبح أيضـــا علما على « ارتداد الذات الى نفسها » (ما دام من شانه ان يحيل الشيء الهجين الغريب الى شيء عادى مالوف ، وان يخلع على الشيء المختلط عديم الصـــورة طابعا بشريا او صورة انسانية) ... وهكذا أدرك الانسان المعاصر انه أولا : لا يوجد الا بقدر ما يعمل : لأن الفعل وحده هو الذى يجعله يوجد (بمعنى الكلمة) ، وانه ثانيا : يفرض بعمله دائما ضربا من التغيير او التعديل على العالم المادى : لأن الفعل الذى يقـــوم به لا بد من أن يحدث آثاره في العالم الخارجي ، وانه ثالثا : يخلق عن طريق فعله نوعا من الاتصال بينه وبين الآخرين : لأنه يخلق بالتزامه امام نفسه وامام الآخرين « عالما روحيا » يقوم على التأثير والتأثر ، وانه رابعا : يعمل على تدعيم عالم القيم البشرية : لأنه يحرر الذوات الأخرى ويوقظها من سباتها حين يجســـم مثله العليا في الوسط الاجتماعي ، فيعمل ، على تقريب شـــقة الخلاف بين الواقع والمثل الأعلى ! (٤) .

تلك هي الخطوط العريضة لفلســـفة الفعل ، على نحو ما يفهمها الفيلسوف المعاصر . ولقد كان معنى « اللوغوس » Logos في الفكر القديم هو « الحقيقة » ، فاصبح معناه في الفكر المعاصر هو « الحياة » وكان الأقدمون يقولون : « في البدء كان الفعـــل » . واذن أفليس من واجب المفكر العربي - اليوم - أن يعلى من قيمة « العمل » ، وان يبرز أهمية « الالتزام » حتى يسهم في خلق مجتمع جديد يقوم على فضائل الجهد ، والايجابية والانتاج ؟ أليس من حقنا عليك - أيها القارىء العربي الكريم - أن ندعوك الى الخروج من عالم الذاتية ، والأنانية ، والاستغراق في أحلام اليقظة ، من أجـــل الاندماج في عالم الايثار ، والغيرية ، والعمل من أجل الآخرين ؟ ... ان « العمل » هو الألف والياء في دراما الوجود البشرى ، فلا بد لنا من أن نعمل حتى نفصـــل في مصيرنا لأنفســـنا وبأنفسنا ، (وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) . ■■

زكريا ابراهيم

---

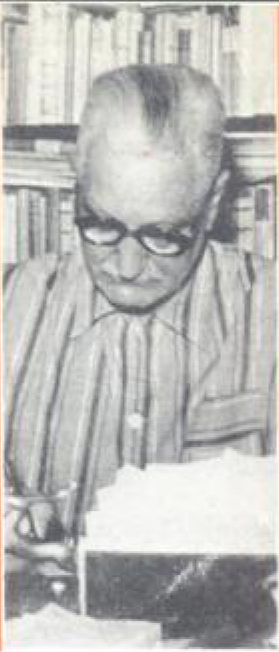
(٣) Bergson: " L' Evolution Creatrice. ,, P. 7

(٤) Lavelle: " De L'Act " P. 182 .

لماذا زال ملكهم

● سأل المنصور احد بني أمية عن سبب زوال ملكهم ، فقال : تسأل اول شيء كيف كان بدء زوال ملكنا . فقال : اجل . فقال : سألت فاسمع .

تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعنا ، وابرموا امورا أسروها عنا ، فظلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجدب معاشنا ، فخلت بيوت اموالنا ، فقل جندنا ، فزالت هيبتنا ، واستدعاهم اعداؤنا فظاهروهم علينا ، وكان اكثر الاسباب في ذلك استتار الاخبار عنا .



في بيتي

كتاب أودع فيه العقاد الكثير من آرائه

في ذكرى أستاذنا العقاد ـ أجد أن خير ما أذكره به هو كتابه الذي أسماه "في بيتي"

بقلم : عمر ابراهيم الراكشي

كانت جوانب العقاد ثرية متعددة ، وظهرت هذه الجوانب جلية فى كتابه المذكور حيث أودعه آراءه فى الحياة والفن والفكر والأدب والاقتصاد .وهى آراؤه التى بقى وفيا لها الى يوم مماته .

ومن هنا فرض ذلك الكتاب نفسه .

■ كتب العقاد كتابه هذا عام ١٩٤٥ فى شكل حوار مع صاحب له ، ويستهله بالتنويه عن حبه لمدينة الشمس ويقصد بها هليوبوليس ، اى مصر الجديدة ، حيث كان يسكن منذ نحو من اربعين عاما ، لأنه يحب النور ، يحب النور صافيا ومزيجا ، يحبه مجتمعا وموزعا ، يحبه مخزونا فى الجواهر ومباحا على الازاهر ، يحبه فى العيون ، ومن العيون، والى العيون .. يحبه لا لأنه وسيلة الرؤية واداتها ، وانما يحبه لذاته ، ليراه وحده ولو لم ير شيئا من الاشياء سواه، لأن هذا الضياء الذى يملأ الفضاء هو النور الالهى الذى كتب لابن الفناء ان يراه ، يحب النور لأن الله .. نور السموات والارض .

وليس بغريب عندما يتحدث العقاد فى بيته وعن بيته ، ان يدور الكلام عن مكتبته ، وعن العقول المجففة وهى الكتب .. الكتب التى وسعت كل شيء، لذلك نراه يتحدث الى صاحبه عن القصة ، والشعر ، ورايه فى ابن الرومى، والتشاؤم والتفاؤل ، والشيوعية وراس المال والتعاون ، والرسم والموسيقى والاغنية ، والمطبخ والغداء .

فعندما يبدى صاحبه دهشته من صغر نصيب القصة من رفوف مكتبه ، نسمعه يجيبه بأن ذلك نقص لا يحس به، لانه لايقرأ قصة حيث يسعه قراءة كتاب او ابيات من الشعر ، ذلك لانه يعتمد فى

ترتيب الآداب على مقياسين :
اولهما : الاداة بالقياس الى المحصول .
وثانيهما : الطبقة التى يشيع بينها اى فن من الفنون .

فكلما قلت الاداة وزاد المحصول ، ارتفعت طبقة الفن والادب ، وكلما زادت الاداة وقل المحصول ، مال الى الاسفاف والنزول ، فخمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيك اياه بيت كهذا :

كان فؤادى فى مخالب طائر
اذا ذُكرت ليلى يَشُدّ به قبضا

فالقصة فى رايه مثل « الخروب » الذى يقول عنه « المثل » التركى انه **« قنطار خشب ودرهم حلاوة »** .

ويستطرد المؤلف فيقول انه رغم العبقريات القصصية التى شهدها العالم ، فلا خلاف فى مستوى الطبقة التى تروج بينها القصة سواء نظرنا الى مستوى الفكر او الذوق او السن أو الاخلاق ، فليس اشيع من ذوق القصة ، ولا اندر من ذوق الشعر ، وليس اسهل من تحصيل ذوق القصة ، وليس اصعب من تحصيل الذوق الشعرى حتى بين النخبة من المثقفين .

ابن الرومى

ويصعد حديث العقاد الى « ابن الرومى » فيرفعه الى ذروة الشاعرية لانه عنده : وحيد شعراء العالم كله منذ حمل الانسان القلم ، فى ملكة الوعي والتصوير ، وهى أنفس الملكات التى يرزق بها الفنان ، فلا يضارع ابن الرومى شاعر عربى او أجنبى يجرى فى غباره او ينسج على غراره ، وهو فى وعيه وتصويره يفعل ذلك غير متعمد ولا متنبه ، وضرب العقاد لذلك مثلا ببيتين يصف فيهما ابن الرومى حقلا من الكتان يتضح منهما عمق البصر والبصيرة ، لانه لمح اخضرار لون الكتان ونعومة ملمسه ، وحدد وقت الصورة بوقت الوسن ، وحدد جو المكان بسحاب منخفض يؤذن بالمطر ، واحاط بحركة الكتان تمر فوقه ريح الشمال فاذا رؤوسه تتماوج كأنها الغدير كل ذلك جمعه ابن الرومى فى بيتين عندما قال :

وجلس من الكتان اخضر ناعم
توسّنَهُ دانى الرَّباب مطيرُ
اذا اطردت فيه الشمال تتابعت
ذوائبه حتى يُقال غدير

التشاؤم والتفاؤل

ويذكر العقاد بمناسبة كتابه عن ابن الرومى، ان خوّفه صحبُهُ من شؤم هذا الرجل فلم يلتفت اليهم لانه لا يعترف بتشاؤم او تفاؤل ، ويؤكد ان السنه التى انجز فيها كتابه هذا كانت من اسعد سنى حياته وابرزها ، وسلك الكتاب سبيله بين مراجع الأدب .

وتحدى العقاد الشؤم والتشاؤم فاختار بيته برقم ١٣ ، ووضع التلفون ورقمه يومئذ مبدوء ب ١٣ ولايزال يضع على مكتبه تمثالين لبومتين ولم يكتف ببومة واحدة .. ويصفها بأنها المظلومة .. فانها أوق الطيور فى عشرة الأليف منها للأليف ، تلك التى تغنى لنور القمر، ولعزلة الليل ، ولا تقحم صوتها على من يأباه ، والتفاؤل والتشاؤم فى رايه مصادفات سيئة ، فلا يجوز ان نركن الى هذه او تلك على انفراد .

راس المال والشيوعية

ثم يحدث العقاد صاحبه عن رأس المال والشيوعية ، وطريق اى مجتمع الى الصلاح فيقول : ان راس المال محنة للاخلاق ، وسياتى يوم يزدرى فيه الناس المستغلين كما كانوا يزدرون قطاع الطريق ، والشيوعية ان زعمت انها منعت السرقة ، فذلك لأن الناس عاجزون عن الانتفاع بالمال اذا سرقوه ، فلا يشترون به ارضا ، ولا يودعونه فى بنك ولا يورثونه ، وهى فضيلة المسجون او المضطر الى العفاف .

التعاون

ويؤكد العقاد ان كلمة واحدة هى

سبيل الصلاح وهي كلمة التعاون . فلا خلاص للعالم كلما اعترضته مشكلة فى السياسة او فى المعيشة الا بالتعاون الذي يجب ان يسود الأمم كبارها وصغارها ،وبين الطبقات غنيها وفقيرها، فتؤخذ الضرائب من الاغنياء وتزيد اجور العاملين ، واذا بفرض الشيوعية تحقق ولم تمسخ الطبيعة الانسانية المبنية على الحافز الفردي وحده .

ويضيف المؤلف قوله بانه لا يزعم أن هذا التعاون سيبطل كل شكاية ويوفر كل مطلب ، فان نظاما من النظم لن يكفل هذا الفردوس لبنى الانسان الى آخر الزمان ، وان كفله لكان وبالا ، لأن الأمان من كل قلق مدعاة للتواكل والقنوع ، ولكان السجناء على هذا القياس اسعد حالا من الطلقاء !

السريالزم

ويقود حديث الكتب العقاد وصاحبه الى الكلام عن فن الرسم وبدعة السريالزم وما شابهه من مذاهب ، فيقول المؤلف ان هذه البقع والخطوط والاصباغ التى تحمل اسم الرسم وليست من الرسم فى شيء : هراء يشبه هذيان المجانين لانها فى استطاعة من يتناول الريشة ويغمسها فى الالوان ، وليست هذه المذاهب بالفن الذى تعرف له اصول وتدرس له مبادىء، ويمتاز به الفنان بين سائر الناس . وقد كانت الفنون لغة انسانية عامة يفهمها على البداهة من لا يتفاهمون باللغات ، فاصبحت على ايدى هؤلاء المجان خرافة سرية فى ذهن رجل واحد لا يمثلها مرتين على نمط معروف .

الموسيقى والاغنية

ويكاد العقاد يتنبأ منذ خمس وعشرين سنة بما ستكون عليه بعض اغنياتنا العاطفية من أسفاف وانحراف ، فيحدد واجب المؤلف والملحن بأن تكون اغنيتهما سليمة من مرض الترهل والغواية . ويحدد واجب المستمعين بالا يقاطعوا المغنى بالتصفيق والتهليل والزعيق : لان السامع المصغى الى الغناء الذى يصيح تلك الصيحات المزعجة : حيوان تلدعته الغريزة فجمح وليس بانسان يملكه جمال النغم ويستهويه متابعة الموسيقى فى نظام وحب لها واحترام . وليس فى وسع الاذن ان تكون اذنا موسيقية ثم تنتقل من الفوضى الى النسق ، ومن النسق الى الفوضى فى لمحة عين . وليس فى وسعها ان تسيغ الفن ونقيضه فى انة واحدة ، فكل منهما مقبول على حدة، اما ان يجتمعا فهو غير المقبول ، وهو ذنب المسمعين ومن يستمعون ، او قل هو ذنب من لا يسمعون ومن لا يستمعون .

وقد شاء القدر أن نرى ، بتهوفن اعظم الموسيقيين ، مقفل الاذنين لا يسمع ما يؤلفه ، لانه يتلقاه من عالم النسب المحض التى لم تترجمها الاصوات . وصعب هذا كثيرا على اصحاب العود والقانون وربع المقام ، لانهم كالمرأة التى تنظر الى مرآتها ولا تفارقها ، فان فاتهم ان يسمعوا أنفسهم فقرة بعد فقرة لم يحسنوا اسماع الآخرين .

ثم يحبو الحديث بينهما الى المطبخ المثالي ، فيصفه العقاد بانه المطبخ الذى يستخدم للغذاء ، وليس الذى يستخدم للذة الطعام او لذة النوم ، وقد يكون الطعام وافر التغذية وهو قليل اللذة او لا لذة فيه . والواقع اننا برعنا فى مطبخ اللذة ، فكتب علينا سوء التغذية ، وربما كان الفنى المستمتع بهذا المطبخ اكثر ضررا من الفقير المحروم .

ويختم العقاد كتابه بقوله (وهذا المسكن قد صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ، ثم صعدتها اثنتين اثنتين ، ثم اصعده فى غير عجلة ولا اكتراث ، هذا المسكن قد نزلت به والشعرات البيض يتوارين فى السواد ومازلت انزل به والشعرات السود يتوارين فى البياض) .

رحم الله العقاد ، ورحمنا من بعده .

■■

عمر ابراهيم الراكشى المحامي
الاسكندرية

مسابقة العربي

اختبر معلوماتك وامتحن ذاكرتك

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة متنوعة تشمل التاريخ والجغرافيا والعلوم والدين . والمطلوب منك الاجابة على ٨ أسئلة اجابة صحيحة لكي تفوز باحدى الجوائز وهذه الاسئلة هي :

١ ـ من هو أول رجل قتل رجلا آخر على ظهر هذه الأرض .. ومن قتل ؟

٢ ـ حركة اصلاح ديني قامت في الجزيرة العربية للاصلاح الديني وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وسمي اتباعها بالموحدين وهم يتبعون مذهب ابن حنبل في الفقه فمن صاحب هذه الحركة ؟

٣ ـ القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة سميت بهذا الاسم نسبة الى « قاهر الفلك » وهو كوكب صادف طلوعه بدء بناء المدينة بامر احد القادة الفاطميين في ٩ يوليو ٩٦٩ م . وهذا القائد هو :

جوهر الصقلي ـ عمرو بن العاص ـ موسى بن نصير .

٤ ـ هزم الامبراطور نابليون هزيمة ساحقة جاءت على نهايته في معركة « واترلو » عام ١٨١٥ .. وتقع واترلو في :

فرنسا ـ بلجيكا ـ هولندا .

٥ ـ جزيرة صقلية فتحها العرب في القرن الثامن على يد :

أسد بن الفرات بن سنان ـ طارق بن زياد ـ هشام بن الحكم .

٦ ـ المضيق الذي يربط البحر الاسود ببحر مرمرة يسمى بالبوسفور فما اسم المضيق الذي يربط بحر مرمرة ببحر ايجة ؟!

٧ ـ « اني ارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها » كلمات شهيرة القاها حاكم عربي في مجال التهديد لكل من يعارض حكمه .. وهذا الحاكم هو :

مروان بن محمد ـ الحجاج الثقفي ـ سحبان وائل .

٨ ـ تتناسل الحيوانات التي نعرفها بالتقاء الذكر بالانثى ، وحين يتم التلقيح بين الجنسين تتم الولادة ، فهل هناك طريقة اخرى للانسال غير هذه وما اسمها ؟

٩ ـ هناك معدن واحد يكون في حالة سيولة في درجات الحرارة العادية فما هو هذا المعدن ؟

١٠ ـ بنو العباس او الخلفاء العباسيون دامت دولتهم من ٧٥٠ م الى ١٢٥٨ وبلغ عدد الذين تولوا الحكم منهم ٣٧ خليفة .. وانتهت الدولة العباسية بمقتل آخر خليفة لهم على يد هولاكو .. وهذا الخليفة العباسي الأخير هو :

المستظهر ـ المستنجد ـ المستعصم .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥١ »

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة

جمعية "العربية الفتاة"

كان لها في الحركة العربية من أول هذا القرن خطر كبير

بقلم : سليمان موسى

■ تعتبر هذه الجمعية أعظم الجمعيات السرية التى انشأها القوميون العرب فى التاريخ الحديث ، وارفعها شأنا وابعدها اثرا ، لان اعضاءها رغم قلة عددهم استطاعوا ان يؤثروا فى مجرى الاحداث السياسية تأثيرا حاسما ، سواء فى تحريض الشريف حسين على اعلان الثورة العربية ضد الاتراك العثمانيين او فى توجيه الحكومة السورية فى عهد فيصل بن الحسين الوجهة النضالية التى اتخذتها ضد الفرنسيين . وكان مدار قوة هذه الجمعية ان اكثر اعضائها كانوا من الشبان المثاليين الذين احرزوا ثقافة عالية وجعلوا هدفهم الاسمى العمل من أجل تحرير بلادهم ورفع شأن قومهم .

كيف انشئت الجمعية

يختلف الباحثون حول تاريخ انشاء هذه الجمعية ، فبعضهم يقول انها انشئت في استانبول عام ١٩٠٩ وبعضهم يقول انها انشئت في باريس عام ١٩١١ . والارجح ان التفكير بانشائها بدأ في استانبول ثم تم تطبيق الفكرة الاولية تطبيقا عمليا في باريس ، فتألفت الجمعية هناك واختارت هيئة ادارية لها .

ويروى لنا الدكتور احمد قدرى احد المؤسسين الاوائل للجمعية قصة نشوء الفكرة (١) فيقول انه وزميل الدراسة عوني عبد الهادى كانا يسيران في احد شوارع استانبول بعيد اعلان الدستور العثماني (٢٣ تموز ١٩٠٨) فشاهدا ضابطا تركيا يخطب في جمهور غفير عن حسنات الدستور والعهد الجديد وعن مساوىء العهد البائد ، ويتحامل اثناء ذلك على اثنين من كبار خاصة السلطان عبد الحميد ، وهما عزت باشا العابد ، والشيخ ابو الهدى الصيادى ، فينعتهما بقوله « الخائن

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق ، ١٩٥٦ ؛ الصفحات ٦ ــ ١٣ .

■ كان فيصل بن الحسين من أعضائها.

■ مِنْ أعضائها الكثير من قادةِ العرب.

■ مِنْ جماجمها حصد جمال باشا حصدًا بالمشانق.



الملك فيصل



السلطان عبد الحميد



عزيز المصري

عرب عزة » و « الخان عرب ابو الهدى » ، وقد عجب كلا الشابين لان ذلك الضابط لم يذكر تركيا واحدا من خاصة عبد الحميد بكلمة سوء ، ولانه لم يقتصر في تنديده على شخصي العابد والصيادي بل اضاف قوميتهما العربية الى اسم كل منهما . هذه الواقعة هزت الشعور القومي في الشابين العربيين فعادا الى المسكن الذى كانا يقيمان فيه مع زميلهما الثالث رستم حيدر واخذ ثلاثتهم يقلبون وجوه الرأى حتى استقروا على انشاء جمعية « العربية الفتاة » . وكان ذلك بعيد اعلان الدستور ببضعة ايام .

رواية أخرى عن منشأ الجمعية

نفهم من هذا ان الدافع على انشاء الجمعية يعود الى (١) احتذاء خطى جمعية تركيا الفتاة التى ظل اعضاؤها يعملون في السر حتى هبوا ذات يوم في وجه السلطان عبد الحميد وارغموه على اعادة العمل بالدستور (٢) ان الاتراك الذين قاموا بالانقلاب اظهروا تعصبا شديدا لقوميتهم وعنصرهم ، مما اوجد رد فعل طبيعيا عند الشبان العرب فاخذوا يفكرون بالعمل من اجل قومهم وبلادهم .

واذا كان احمد قدرى يقرر ان مبدا تاليف الجمعية كان بعد اعلان الدستور العثماني «باربعة ايام لا اكثر » ، فهناك مصدر اخر يحدد ذلك التاريخ بيوم ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٩ وفي استانبول ذاتها . ففي عام ١٩١٩ اعد عضوا الجمعية محب الدين الخطيب ومحمد الشريقي قائمة باسماء

الاعضاء الذين قاموا بتأسيس الجمعية والاعضاء الذين انضموا اليهم فيما بعد حتى نهاية الحرب العالمية . وكان محب الدين يحرر يومذاك جريدة (العاصمة) وهي الجريدة الرسمية للحكومة السورية ، بينما كان الشريقي عضوا في المؤتمر السوري العام . ولا يتجاوز عدد اولئك الاعضاء الذين شملتهم تلك القائمة الستين شخصا . وليس من الواضح اذا كان الخطيب والشريقي قد حرصا عند اعداد القائمة على تسجيل الاسماء بحسب تسلسل تواريخ الانضمام الى الجمعية ، ولكن يبدو انهما تقيدا بذلك الى حد ما . (٢)

ولكن على الرغم مما تقدم فان أحمد قدري نفسه يقرر ان الهيئة الادارية الاولى للجمعية تألفت عام ١٩١١ في باريس ، وكانت تضم سبعة اشخاص هم : عوني عبد الهادي ، رفيق التميمي ، محمد رستم حيدر ، محمد المحمصاني ، عبدالغني العريسي ، صبرى الخوجة ، توفيق الناطور ، احمد قدرى ، وجميعهم كانوا يواصلون دراساتهم العالية في العاصمة الفرنسية .

شروط العضوية

اما الهدف من انشاء الجمعية فهو « النهضة بالعرب وايصالهم الى مصاف الامم الحية » . وقد لجأت الجمعية الى العمل في السر واللياذ بالتستر الشديد ، حتى لا يقع أعضاؤها تحت طائلة الملاحقة . وتحاشت الجمعية ذكر كلمة الاستقلال في برنامجها ولكنها كانت تعمل ضمنا من أجله . وكان من شروط الانتساب الى الجمعية ان يكون العضو كتوما مخلصا مؤمنا بعقيدة القومية العربية مطيعا لقرارات الاكثرية بدون قيد او شرط . وكان العضو الذى ينتسب الى الجمعية يخضع الى تدقيق شديد قبل قبول انتسابه ، حتى لم يكن يعرف في بادىء الامر سوى اثنين من الاعضاء هما اللذان أوصيا الهيئة الادارية بقبوله. وكان العضو عند قبوله يؤدى قسما يتلخص في الطاعة لقرارات الجمعية والحرص على الكتمان الشديد ، وبذل النفس والنفيس في سبيل اعلاء شأن الامة العربية . وقد رفضت الهيئة الادارية طلب انتماء عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي في استانبول ، الى عضويتها « نظرا لنزعته في حب الظهور » .

مبدأ الجمعية

وبين أوراق محب الدين الخطيب (القاهرة) رسالة مؤرخه في ٢ كانون الثاني ١٩١٣ بعث بها اليه عبد الغني العريسي من باريس وقال فيها ان قانون الجمعية لا يسمح للعضو الحديث بالاطلاع على القانون الاساسي الا بعد فترة اختبار مدتها ثلاثة اشهر ، ولا يكون الاطلاع على القانون الا بعد حلف اليمين الرسمية . وقال العريسي في رسالته ان مبدأ الجمعية هو « تحرير الامة العربية حسب الاحوال والظروف خطوة فخطوة بكل الوسائط الشرعية وغير الشرعية .. »

الجمعية في بيروت

وفي صيف ١٩١٣ انهى اكثر أعضاء الهيئة

---

(٢) فيما يلي مجموعة من الاسماء التي اشتملت عليها القائمة :

(١) توفيق الناطور (٢) محمد رستم حيدر (٣) مصطفى الكيلاني (٤) عوني عبد الهادى (٥) حسين صبرى الخوجة (٦) محمد المحمصاني (٧) رفيق التميمي (٨) احمد قدري (٩) بشير القصار (١٠) رشيد الحسامي (١١) توفيق فايد (١٢) ابراهيم حيدر (١٣) جميل مردم (١٤) رفيق بيضون (١٥) رشدى سلهب (١٦) عبد الغنى العريسي (١٧) يوسف سليمان (١٨) مخيبر حيدر (١٩) توفيق البساط (٢٠) رفيق رزق سلوم (٢١) سيف الدين الخطيب (٢٢) فؤاد حنتس (٢٣) عبد الحفيظ العريسي (٢٤) زكى التميمى (٢٥) محمد حيدر (٢٦) مصطفى الشهابى (٢٧) محب الدين الخطيب (٢٨) عمر حمد (٢٩) توفيق السويدى (٣٠) شكرى القوتلى (٣١) فائز الشهابى (٣٢) عارف الشهابى (٣٣) معين الماضي (٣٤) على رضا الركابي (٣٥) محمد الشريقي (٣٦) شريف الشريف (٣٧) رشدى الشوا (٣٨) فائز الغصين (٣٩) عمر الاتاسي (٤٠) بشير النقاش (٤١) فيصل بن الحسين (٤٢) كامل القصاب (٤٣) محمود المحمصاني (٤٤) طاهر الجزائرى (٤٥) صبحى الحسيبى .

الادارية للجمعية دراستهم في باريس فعادوا الى بلدانهم . ولما كان اكثرهم من بيروت فقد أعيد تاليف الهيئة الادارية فيها . وانشأ عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس جريدة (المفيد) في بيروت لتكون أداة علنية تبث افكار الجمعية ومبادئها . وأخذت الهيئة الادارية تعقد اجتماعات اسبوعية وتسجل وقائع الجلسات في دفاتر خاصة كان محمد المحمصاني واخوه محمود يحتفظان بها .

شعار الجمعية

وانشأت الجمعية ، بالصفة الشخصية لاعضائها ، صلات وطيدة مع المنتدى الادبي في استانبول ومع جمعية اللامركزية في القاهرة ، بقصد توحيد المساعي والاراء ، ودفع الحركة القومية في اتجاه واحد بموافقة جميع الاطراف المعنية . وفي ربيع سنة ١٩١٤ عقدت هيئة ادارة الفتاة اجتماعا في مكتب جريدة المفيد قررت فيه الوان الشعار العربي . وقد جاء تفصيل ذلك في رسالة خاصة بعث بها محمد المحمصاني الى محب الدين الخطيب السكرتير الثاني لجمعية اللامركزية والذى كان قد انتسب يومذاك الى الفتاة . وفي هذه الرسالة المؤرخة في ١٨ آذار ١٩١٤ نرى انهم كانوا يرمزون الى جمعية الفتاة بكلمة (اتاه) . وورد في الرسالة نص المادة الثالثة من القانون الاساسي للجمعية كما يلي « على كل عضو أن يأتمر بقرارات اللجنة العليا ولو كانت عليه وخلافا لارادته » . وجاء في الرسالة ان الجمعية قررت « ان يكون شعارها الالوان الثلاثة التى تمثل الدول العربية الثلاث : اخضر فابيض فاسود » . وهذه هي الالوان التى نقل اعضاء الجمعية خبرها فيما بعد الى الشريف حسين فقرر أن يصنع منها راية الثورة العربية مضيفا اليها اللون الاحمر العنابي شعار الاسرة الهاشمية . (٣)

بين بيروت والقاهرة

كانت المراسلات بين الهيئة الادارية في بيروت وبين جمعية اللامركزية في مصر ، تتم عن طريق البريد الفرنسى الذى كان من جملة امتيازات الدول الاوروبية في بلاد السلطان . فقد كانت للفرنسيين مكاتب بريد في بعض الثغور العثمانية ومن جملتها بيروت ويافا والاسكندرية ، وكانت هذه المكاتب تتسلم البريد من الاهلين وتسلمهم ما يأتي اليهم من بريد ، دون أن يكون للسلطات العثمانية حق المراقبة . وعندما اعلنت الدولة العثمانية النفير العام (التعبئة العامة) عند نشوب الحرب العالمية في اوروبا ، بعثت الجمعية محمد المحمصاني احد اعضائها الى مصر كي يجتمع بزعماء اللامركزية ويستنير بآرائهم في الخطط التي يجدر بالسوريين اتباعها ، قبل ان تنقطع المواصلات بين مصر وسورية . ثم أوفدت بعده عضوا آخر هو كامل كريم القصاب للغاية ذاتها .

الجمعية في دمشق والحرب العالمية الاولى قائمة

وعندما اشتركت الدولة العثمانية في الحرب (١ تشرين الثاني ١٩١٤) اصبحت دمشق مقر قيادة الجيش الرابع ومركز الثقل في سورية ، فانتقلت الهيئة الادارية لجمعية الفتاة من بيروت الى دمشق ، وأخذت تواصل عملها السرى من هناك .

وبعد انتقال مركز الجمعية الى دمشق أخذت توسع نشاطاتها . فقد كانت عضويتها حتى ذلك الحين مقصورة على نخبة المثقفين ممن نالوا تعليما عاليا في استانبول وباريس وتأثروا بالثقافة الفرنسية . وقد وجد قادتها المجال مفتوحا امامهم لتوسيع نطاق العضوية ، فاتصلوا بامير اللواء المتقاعد علي رضا الركابي وبعدد من شيوخ القبائل، ومن جملتهم نورى الشعلان وابنه نواف وهما

---

(٣) ظلت الفكرة سائدة في بعض الاوساط العربية بان مارك سايكس هو الذى اختار ألوان العلم العربي ، حتى عثر كاتب هذه المقالة بين اوراق محب الدين الخطيب على هذه الرسالة المهمة التى تعطى البرهان القاطع على أن جمعية الفتاة هي التى قررت تلك الالوان قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . راجع مقالة (العلم العربي) المنشورة في العدد ١٣٨ (ايار) من مجلة العربي الغراء .

زعيما قبيلة الرولة الكبيرة ، والشيخ محمد اللحم شيخ قبيلة الحسنة ، وفواز الفايز زعيم قبيلة بنى صخر ، كما اتصلوا بعدد من زعماء الدروز ، وقبلوا هؤلاء اعضاء في الجمعية .ولكن يكاد يكون من المؤكد ان هؤلاء الشيوخ والزعماء لم يطلعوا على أسرار الجمعية ودخائلها ولم يصل احد منهم الى هيئتها الادارية .

برجوازيون !

وفي هذه الايام نلاحظ بعض الباحثين ينعون على اعضاء الجمعيات العربية الاولى انهم كانوا من ابناء الطبقة البورجوازية . وينسى هؤلاء ان طبيعة المرحلة الاجتماعية يومذاك كانت تضع هؤلاء البورجوازيين في مقام القيادة ، اذ لم تكن فرص التعليم والرياسة متاحة الا لابناء الطبقات الاقطاعية او التى تملك موارد مالية تمكنها من الانفاق على تعليم ابنائها . ولم تمنع اولئك الشبان والزعماء بورجوازيتهم من ان يتزعموا الحركة القومية ويتحملوا مسؤولية القيادة ويقدموا اعناقهم على أعواد المشانق فداء لاوطانهم.

بين جمعية الفتاة وجمعية العهد

وحدث في أواخر سنة ١٩١٤ اتصال بين (الفتاة) و (العهد) . والجمعية الاخيرة تماثل جمعية الفتاة في نشأتها واهدافها ، الا انها كانت خاصة بالضباط العرب في الجيش العثماني ،وقد انشأها عزيز علي المصرى وكان من أبرز اعضائها سليم الجزائرى وأمين لطفى الحافظ وياسين الهاشمي ونورى السعيد وجعفر العسكرى ومحمد شريف الفاروقى وعلى جودت . وقد تم ذلك الاتصال عن طريق ياسين الهاشمى رئيس اركان الفيلق الثاني عشر المرابط فى سورية .

وكان لاتصال الجمعيتين اهمية بالغة من حيث تولد الشعور عند زعمائهما بانه أصبح في مقدورهم القيام بعمل ملموس اذا اقتضت الحاجة . وكان ذلك الشعور ناشئا عن وجود بضع كتائب في سورية جميع أفرادها من العرب ، بحيث اعتقد الضباط العرب الكبار انهم يستطيعون الاعتماد على تلك الكتائب في القيام بعمل ما اذا اضطروا لذلك . والحقيقة ان زعماء الجمعيتين لم يكونوا حتى ذلك الحين قد اتخذوا قرارا بمعاداة الاتراك او عرقلة مجهودهم الحربى ، بل انهم قرروا العمل معهم جنبا الى جنب فيالدفاع عن الاقطار العربية. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يريدون تجميع قواهم وتوحيد كلمتهم استعدادا للاحتمالات التى قد تتمخض عنها الحرب .

الشريف حسين زعيم لقيادة الحركة

اعقب اتصال الجمعيتين خطوة اخرى أعظم اهمية وابعد اثرا . ذلك ان زعماءهما شعروا بالحاجة الى زعيم كبير يلتف الرأى العام حول اسمه ، اذا ما استقر الرأى على القيام بحركة معينة . وبعد البحث الدقيق اتفق هؤلاء على ان الشريف حسين امير الحجاز هو الزعيم الامثل لقيادة الحركة ، فاوفدوا اليه فوزى البكرى احد أعضاء الفتاة يعرض عليه ان يتولى زعامة الحركة التي جعلت هدفها في نهاية الامر الحصول على الاستقلال .

وسرعان ما تبين ان ايفاد هذا الرسول الى مكة المكرمة ، كان خطوة حاسمة ، اذ ان الشريف كان بدوره طامحا الى الاستقلال ، وكان أعضاء حزب الاتحاد والترقى أصحاب الامر والنهي في الدولة قد اخذوا يضايقونه ويضيقون عليه . وأوفد الشريف ابنه الثالث فيصل الى دمشق (آذار ـ نيسان ١٩١٥) حيث اجتمع بزعماء الفتاة والعهد ووقف على مطامحهم وتطلعاتهم ، وشاهد من ثقة العسكريين بانفسهم ما ملأ نفسه بالاعجاب، حتى ان ياسين الهاشمي أكد له ان الكتائب العربية قادرة على طرد الاتراك من سورية ، وانهم لا يحتاجون الا الى زعيم كبير يلتف الناس حول رايته .

فيصل بن الحسين عضوا فى الفتاه

ودخل فيصل عضوا في الفتاة وأقسم يمين الاخلاص لمبادئها ، وبادل زعماءها ثقة بثقة فاطلعهم على عرض اللورد كتشنر الذى قدمه لابيه في خريف ١٩١٤ والذى تضمن القول انه اذا هب

العرب للمطالبة بحريتهمفان بريطانيا علىاستعداد لمؤازرتهم . وبناء على هذا اعد زعماء الفتاة والعهد ميثاقا يمكن للشريف ان يتفاوض مع بريطانيا باسم العرب على اساسه . وخلاصة ذلك الميثاق ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الاسيوية على ان يمنحها العرب الافضلية في المشروعات الاقتصادية . ومن المهم القول ان الشريف لم يبعث بمذكرته الاولى الى الانجليز (١٤ تموز ١٩١٥ ، الا بعد عودة فيصل من دمشق، وانه التزم في مراسلاته الشهيرة مع مكماهون بميثاق جمعيتى الفتاة والعهد .

جمال باشا يخفق في عبور قناة السويس

وفي هذه الاثناء حدث تطور مهم آخر فرض على قادة الجمعيتين تبديل خططهم . ذلك ان احمد جمال باشا وزير البحرية والقائد العام في سورية والحجاز ، اخفق في محاولته عبور قناة السويس في شباط ١٩١٥ وعاد الى سورية يجرّ اذيال الهزيمة . وكما يفعل كثيرون من الطغاة ، عمد الى التنفيس عن غيظه والتغطية على اخفاقه باضطهاد المواطنين المدنيين ، لذلك بدأ باعتقال عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي وعدد من الشبان العرب بحجة انهم كانوا يتآمرون ضد الحكومة ، واحال هؤلاء الى محكمة عسكرية . بدأ جمال اجراءاته في شهر نيسان . وكان لهذه الخطوة أثر حاسم فياقناع القوميين العرب انه لابد منالصدام بين العرب والاتراك . ومن هنا كان وضع الميثاق المرسل للشريف ، ومن هنا ايضا كان بدء المراسلة بين الشريف ومكماهون .

جمال باشا يذهب بالعرب الى المشانق وينقل الكتائب العربية الىالقوقاز والدردنيل

وهكذا نرى ان جمعية العربية الفتاة كانت ذات أثر بعيد في اعلان الثورة العربية . وقد اوفد الشريف ابنه فيصل مرة اخرى الى سورية في كانون الثاني ١٩١٦ لكي يعمل على البدء بالثورة فيها في آن واحد مع الحجاز . ولكن فيصل وجد عند وصوله الى دمشق ان الوضع قد تغير كثيرا عما كان عليه قبل سبعة أشهر . فقد عمد جمال باشا الى نقل جميع الكتائب العربية من سورية الى ميادين القوقاس والدردنيل . وكان قد بعث في ٢١ آب ١٩١٥ بأحد عشر شابا من احرار العرب الى المشانق بينهم رئيس المنتدى الادبي وبعض اعضاء العربية الفتاة .

وفي الوقت ذاته عمد الى اعتقال عدد آخر ممن اشتبه بهم وبعث بهم الى المحكمة العسكرية ، بينما اخذ يرسل الى منافي الأناضول كثيرين من زعماء البلاد واعيانها ممن يخشى ان يقوموا بنشاط ضد الحكومة .

وفي آذار ١٩١٦ عمد الشريف الى نوع من التهديد العلني فطالب بمنح العراق وسورية والحجاز الحكم اللامركزي والعفو عن المعتقلين السياسيين ، فردّ عليه انور باشا وزير الحربية ردا عنيفا بأن الدولة ماضية في اجراءاتها وانها لن تتوانى عن معاقبة كل من تسوّل له نفسه اعاقة المجهود الحربي . وبذل فيصل كل ما في وسعه لانقاذ اصدقائه المعتقلين ، ولكن الطاغية عمد يوم ٦ ايار ١٩١٦ فبعث بواحد وعشرين عربيا الى حبال المشانق في دمشق وبيروت . فكان ذلك فصل الخطاب ، اذ ان الجرح العميق الذى احدثه اعدام هؤلاء في نفوس العرب ، جعل من المحتم على العرب ان يقابلوا الشر بالشر . وعندئذ صاح فيصل وهو يرمي بكوفيته وعقاله الى الارض « طاب الموت يا عرب » . وكانت تلك صيحة كل عربي قومي .

اعضاء الفتاة الذين شنقهم جمال باشا

اما اعضاء الفتاة الذين شنقوا فهم : محمد المحمصاني ، محمود المحمصاني ، صالح حيدر عبد الغنى العريّسي ، عارف الشهابي ، عمر حمد ، رفيق رزق سلوم ، سيف الدين الخطيب ، جلال البخاري ، توفيق البساط ، محمد الملحم (شيخ قبيلة الحسنة) .

اعضاء حوكموا

ومن المهم القول ان الاتراك لم يستطيعوا كشف

سرّ الجمعية ، ولا سر اختها (العهد) على الرغم من التعذيب الذى أنزلوه باعضائهما ، ولم يكشف النقاب علنا عن وجود الجمعيتين الا بعد انتهاء الحرب العالمية . وقد حوكم بعض اعضاء الفتاة على أساس الشبهة فقط ، ومنهم احمد قدرى الذى برّأته المحكمة لعدم وجود اية بيّنة ضده ، وفائز الغصين الذى حكم عليه بالنفي (ولكنه فرّ من المنفى وسار ماشيا حتى البصرة) ، وشكرى القوتلي الذى حاول الانتحار فقطع شريان يده خوفا من ان يضعف امام التعذيب فيبوح باسماء زملائه في الجمعية (ولكن الطبيب اكتشف الامر فسارع الى اسعافه) ، ومحمد الشريقي الذى حكم عليه بالاعدام ولكن لصغر سنه خفّض الحكم وبقي في السجن ثلاث سنوات .

وقيل ان عبد الغني العريسي أدلى باعترافات خطيرة ، ولكن هذا القول لا يسنده دليل مقنع ، لان كثيرين من زعماء الجمعية لم يتعرضوا للاتهام اطلاقا . وكان تعذيب العريسي ناشئا عن القاء القبض عليه مع ثلاثة من رفاقه (عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد) وهم في طريقهم الى الحجاز .

نجاح الجمعية واخفاقها

لقد نجحت الجمعية في المجال السياسي نجاحا باهرا اذ حرضت الشريف حسين وكان تحريضها من أهم الأسباب وراء اعلان الثورة العربية . ولكن ذلك النجاح قابلة اخفاق في المجال الفعلي اذ انها عجزت تماما عن المساهمة في الثورة باي جهد عسكري . حتى الزعماء البدو من اعضائها لم يقوموا باي جهد على الرغم من ان طبيعة وجود قبائلهم في البادية كانت تتيح لهم فرصا طيبة للقيام بعمل ما .

وقد التحق بالشريف عدد من اعضاء الجمعية وهم كامل القصاب ومحب الدين الخطيب وفائز الغصين وابناء البكرى نسيب وفوزى وسامى . بينما بقي آخرون في خدمة الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب لان فرص الفرار لم تتح لهم على الأرجح .

دخل جيش الثورة العربية دمشق

ودخل جيش الثورة العربية الى دمشق مع فجر ١ تشرين الاول ١٩١٨ ، فعمل اعضاء الفتاة على عزل الامير سعيد الجزائري الذى كان في اليوم السابق قد وضع نفسه في منصب المسؤولية ، ورفعوا واحدا منهم - على رضا الركابي - الى ذلك المنصب . وقد بقي الركابي يتولى المسؤولية في سورية اثناء الجزء الاعظم من فترة الدولة الفيصلية .

العربية الفتاة والحكومة السورية المستقلة

كان انشاء الحكومة السورية المستقلة في سورية بمثابة بداية عهد جديد لجمعية (العربية الفتاة) ولاختها جمعية (العهد) . فقد عادت الفتاة الى نشاطها القديم ولكن بصورة علنية ، وكثر عدد الراغبين في الانتساب اليها .

وكان فيصل حريصا على استشارة زملائه في الجمعية باعتباره واحدا منهم . لذلك نراه في رحلته الاولى الى لندن وباريس لعرض القضية العربية امام مؤتمر السلم ، يصطحب معه رستم حيدر وفائز الغصين واحمد قدرى ونوري السعيد وتحسين قدرى ، وفي باريس ضم اليه عوني عبد الهادي ، وجميع هؤلاء من أعضاء الفتاة والعهد . وكان فيصل في مباحثاته السياسية في لندن وباريس لا يعمل عملا الا بالتشاور معهم . ومن الواضح ان رستم حيدر كان اقربهم اليه وآثرهم لديه ، لما امتاز به من رجاحة فكر واصالة رأى وسعة اطلاع . وقد اختاره فيصل ليكون الممثل العربي الثاني في مؤتمر السلم ، وبعد عودته الى سورية أصبح رستم الممثل الاول وعوني عبد الهادي الممثل الثاني وقد اطلعت على عدد من الرسائل والتقارير التي كان رستم حيدر يكتبها باسم فيصل ، فتبين لي انه كان حقا من افذاذ الرجال .

تخلي بريطانيا عن سورية ، ودخول فرنسا الميدان

وعندما تخلى البريطانيون عن العرب في ايلول

١٩١٩ وعقدوا اتفاقهم المعروف مع الفرنسيين ، عرض رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو على فيصل مشروع اتفاق يحفظ لسورية استقلالاً نوعياً ويعطي لفرنسا حقوقاً معينة . ولكن فيصل لم يشأ قبول ذلك الاتفاق الا بعد مشاورة اعضاء الوفد المرافق له . ويقول احمد قدرى ان جميع اعضاء الوفد وافقوا على قبول المشروع الفرنسي باستثنائه هو ــ احمد قدرى . وكان من احترام فيصل لآراء جميع اعضاء الفتاة انه لم يشأ توقيع الاتفاق دون أخذ الموافقة الجماعية عليه ، فعاد الى سورية في كانون الثاني ١٩٢٠ حتى يرى رأى الزعماء السوريين .

انقسام الجمعية الى جناحين

وفي تلك الفترة انقسمت جمعية الفتاة الى جناحين : الجناح المعتدل ويتزعمه الركابي وابناء البكرى ، والجناح المتطرف وفيه كامل القصاب واحمد قدري واحمد مريود . وقد شكا الركابي لفيصل من تطرف المتطرفين من اعضاء الفتاة وتدخلهم في شؤون الحكومة ، حتى لقد قال في مذكرة خطية « اني لا اقدر ان ارى حكومة غير مسؤولة تسيطر على حكومة مسؤولة ... وأعتقد ان الحكومة التي تسير على رغائب الاشخاص او الاحزاب غير المسؤولة ، فمصيرها ومصير الوطن معها الى الخراب .. » .

ولكن كان من ثقة فيصل بصدق وطنية اعضاء الفتاة المتطرفين انه ابى ان يهمل آراءهم ويبعدهم عنه كما نصحه كثيرون من زعماء البلاد ، بل انه رجح العمل باسلوب الحوار السياسي ، فعقد اجتماعا مع الهيئة الادارية للجمعية وكانت تتالف يومذاك من : احمد قدرى وشكرى القوتلي ورفيق التميمي واحمد مريود وسعيد حيدر وتوفيق الناطور وعزة دروزة . ولم توافق هيئة الفتاة على مشروع الاتفاق مع فرنسا ، فاحترم فيصل رأيها ورجّحه على رأي الزعماء المعتدلين الذين كانوا يرون انه ما دامت بريطانيا قد تخلت عن السوريين، وما دام السوريون لا يستطيعون محاربة فرنسا ، فمن الخير لهم الاتفاق معها واتباع سياسة « خذ وطالب » . (٤)

ولكن معارضي المتطرفين من اعضاء الفتاة عمدوا الى جمع اعضاء الهيئة العامة للجمعية وأجروا انتخابات جديدة تمخضت عنها هيئة ادارية جديدة قوامها : علي رضا الركابي ونسيب البكري وخالد الحكيم واسعد الحكيم وسعيد حيدر وجميل مردم ومحمد الشريقي . وليس بين ايدينا ما يدل على ان هذه الهيئة الجديدة وافقت على قبول مشروع الاتفاق مع فرنسا . (٥)

ظلت العربية الفتاة قائمة حتى فرقتها معركة ميسلون

وهكذا ظلت آراء جمعية العربية الفتاة تؤثر في سياسة الحكومة السورية واتجاهاتها التأثير الفعال حتى كانت معركة ميسلون واستيلاء الفرنسيين على سورية الداخلية . وبعد هذا تفرق اعضاء الفتاة ، ولكن فكرتهم ظلت حية نامية لانها كانت نابعة من صميم الضمير العربي ولانها كانت تستهدف « النهضة بالعرب وايصالهم الى مصاف الامم الحية » ، وهو هدف يطمح اليه كل عربي .

■■

عمان ــ الاردن / سليمان موسى

---

(٤) يروى ان فيصل قال لاعضاء الهيئة الادارية في ذلك الاجتماع « ان رفض المشروع معناه اعلان حرب على فرنسا ، فقالوا اننا مستعدون لاعلان الحرب على فرنسا وانكلترا معا ... » .

امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، صفحة ١٢٥

(٥) اكد لي المرحوم محمد الشريقي ان الهيئة الادارية التي كان عضواً فيها لم توافق على قبول مشروع الاتفاق مع فرنسا ، ولكنها لم تعلن رفضها له .

البريد في عون الأمم

■ الى الاخوة الذين كتبوا لنا في أمر اضراب عمال بريد بريطانيا وخطورة ذلك ، وخطورة البريد في الحياة المدنية عامة ، نقول :

لا ريب في أن البريد يلعب دورا خطيرا في حياة الشعوب عامة والشعوب المتقدمة بصفة خاصة . وقد تجلى ذلك في اضراب عمال البريد في بريطانيا، وقد قام به ٢٣٠٠٠٠ عامل في مطلع السنة الحالية، وطال أمده سبعة اسابيع ، كانت كافية لالحاق الاضرار البالغة ببعض جوانب حياة الانجليز الاقتصادية . على اننا لسنا بحاجة الى الازمات والاضرابات لاستجلاء خطورة ذلك الدور ، دور البريد في حياة الشعوب في الوقت الحاضر . فنحن نستطيع تلمس تلك الخطورة في سير الخدمات البريدية في الحياة اليومية ، ونستطيع تحسس دور البريد الحيوى في مدى انتشاره وشموله في مختلف الدول ، وفي علاقته بالتنمية الاقتصادية ، وكذلك في صلته بالتوعية والثقافة العامة .

وحسبنا ان نسوق الاحصائية التالية لتكون فكرة واضحة عن اتساع نطاق الخدمات البريدية في عدد من الدول . فهي تبين نسبة عدد رجال البريد الى مجموع السكان ، وتظهر عدد الناس الذين يقوم بخدمتهم موظف البريد الواحد .

وقد بلغ ذلك العدد ٣٦٧ نسمة في ايطاليا وهبط الى ١٩٠ نسمة في سويسرا و ١٧٠ نسمة في السويد . وتختلف الاوضاع في هذه الدول الثلاث ، وهي دول متقدمة كما لا يخفى ، عما هي عليه في الدول المتخلفة . اذ بلغ عدد الذين يقوم بخدمتهم رجل البريد الواحد في الباكستان ٢٢٠٠ نسمة .

أما فيما يتصل بالتنمية الاقتصادية وعلاقة البريد بها فنكتفي بالاشارة الى نصيب الايرادات البريدية من مجمل الدخل القومي ، وقد بلغ ذلك النصيب ٥ر٠٪ في هولنده و ٧ر٠٪ في ايطاليا و ١٪ في سويسرا . وهذه النسب الضئيلة ظاهرا تنطوي على مبالغ ضخمة ، تستطيع تقديرها اذا عرفت مقدار الدخل القومي في كل من الدول الثلاث ، وقد بلغ في سنة ١٩٦٨ :

هولنده	٠٠ر٢٠٤٠٠ مليون دولار .
سويسره	٠٠ر١٤٠٠٠ مليون دولار .
ايطاليا	٠٠ر٦٠٦٠٠ مليون دولار .

ونأتي الآن الى صلة الخدمات البريدية بالتوعية والثقافة العامة .

ونذكر ان عدد ما تم توزيعه بواسطة البريد من مواد الاعلام في سنة ١٩٦٨ قد بلغ ١٤٦ مليون صحيفة في بريطانيا و ٩٥٤ مليون صحيفة ومجلة في سويسرا . ويأتي الاتحاد السوفياتي في الطليعة في هذا الصدد وقد بلغ ما وزعه البريد فيه سنة ١٩٦٦ نحو ٢٥ الف مليون صحيفة ومجلة .. اما في الباكستان ، وهو البلد الذى سبقت الاشارة اليه ، فقد بلغ مجموع ما وزعته ادارة البريد فيه سنة ١٩٦٨ نحو اربعة ملايين وربع المليون صحيفة ومجلة .

ولا ننسى الدراسة بالمراسلة وقد راجت كثيرا في المدة الأخيرة . ونذكر الولايات المتحدة على سبيل المثال . فقد بلغ عدد الذين يعتمدون على البريد في استكمال دراستهم الجامعية وغير الجامعية في تلك البلاد نحو ٥ ملايين نسمة .

ويجدر بنا بعد هذا ان نلم ولو باختصار بالهيئة الدولية التي تنظم وتشرف على شتى الخدمات البريدية التي كانت موضع حديثنا حتى الآن . انها الاتحاد البريدى العالمي Universal Postal Union والذى تم تأسيسه سنة ١٨٧٥ في مدينة برن السويسرية ، حيث يقوم مقره .

والاتحاد البريدى العالمي هو أحد الوكالات التابعة لهيئة الامم المتحدة . شأنه في ذلك كشأن منظمة اليونسكو . وتشمل عضوية الاتحاد البريدى اكثر دول العالم واقطاره بما فيها الدول العربية .

أما الاهداف التي يسعى الى تحقيقها الاتحاد البريدى العالمي ، والتي يسهل استشفافها مما سبق ذكره ، فيمكن تلخيصها في بضع كلمات : الاشراف على تنظيم الخدمات البريدية في شتى الدول والعمل على السير بها قدما نحو الكمال ، ما أمكن . ويقيم الاتحاد في سبيل ذلك المؤتمرات البريدية الدولية Corgresses مرة كل خمس سنوات ، وقد انعقد آخر تلك المؤتمرات في طوكيو سنة ١٩٦٨ . ويصدر الاتحاد البريدى في سبيل تحقيق اهدافه أيضا المجلات والنشرات والمذكرات. وتجدر الاشارة الى ان ما تضمنته هذه الكلمة من معلومات واحصاءات انما اقتبس من احدى تلك المذكرات . ■■

الفيلسوف الألماني الداعية



فِشْتَه

دعا قومه الى قرن العِلم بالعَمل ، وضمّ الصُّفوف حتى يتوحّد الوطن الضَّعيف المجزأ !

بقلم : الدكتوره
فوقية حسين محمود

الاستاذة المساعدة للفلسفة
بكلية البنات بجامعة عين شمس

■ ان فِشته أو « فخته » ـ كما اشتهر بين قراء العربية Fichte ، فيلسوف الماني عاش فيما بين عامي ١٧٦٢م ، ١٨١٤ م

وقد ذاع صيته بين أهله وبنى جلدته كمفكر عميق له اصالة فكرية واضحة ، وكمرشد أو موجه لكن من يود أن يعيد بناء نفسه من جديد ، من أجل تحقيق آمال أناس درجوا على ترك الامور تسير وفق عوامل لا تخضع لارادة الفرد .

وقد تبينت معالم اتجاهه هذا في كتاباته ، سواء ما كان منها في المسائل الفلسفية ، أو فيما كتبه من أجل ايقاظ النفوس من سباتها العميق لتنبيه الذات الى ضرورة العمل والبناء ... بناء الفرد .. وبناء الوطن ..

فمصنفاته تنقسم الى ما هو في الفلسفة النظرية والأخلاق وفلسفة الدين ، وما هو في الفلسفة الشعبية أو الجماهيرية (١) ومن أبرز ما صنفه

---

١ ـ انظر « فشته ، غاية الانسان » دراسة وترجمة كاتبة (المقال) من ص ٢٣٨ الى ص ٢٤٠ .

في القسم الاول كتاباه « أسس نظرية المعرفة » (١٧٩٤م) وغاية الانسان (١٨٠٠) ومن أهم ما يمثل القسم الثاني « النداءات الى الامة الالمانية » (١٨٠٨م) .

فترة قاسية في اول حياته

ولن نفصل القول في سيرة هذا الفيلسوف واحوال بيئته الخاصة والعامة (٢) وان كانت اراؤه ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف التي احاطت به ، وانما نكتفي بان نقول ان « فيشته » قد مر بفترة قاسية في مستهل حياته ، عقب وفاة كفيله « البارون مليتز Miltitz » الذى كان قد اعجب بذكاء الطفل الخارق فالحقه بمدرسة « بفورتا » Pforta وبجامعة « ويتنبرج » Wittenberg وكان لهذه الفترة القاسية اثر في توجيه حياة « فيشته » الفكرية ، التي تميزت في مختلف مراحل تعليمه برغبة جامحة في الالمام بكل ما هو جديد في دنيا الانتاج الفكرى ، فقد اضطر في هذه الفترة الى ايقاف دراسته والعمل بالتدريس في بيوتات النبلاء من أجل لقمة العيش.

بالتنقل في محنته عرف حقيقة الشعب الالماني

واتاحت له هذه الضرورة فرصة التنقل بين مختلف بلدان المناطق ، وقطع البلاد طولا وعرضا فوقع على حقيقة الشعب الالماني . وكان وقوعه على هذه الحقيقة سببا في ان حصل على صورة ثرية لواقع مرير ، كان يعيشه هذا الشعب ،واقع تميز بالفقر المدقع والمهانة الصارخة وافتقاد روح التجمع والتآلف في رحاب الشعور بالوطن الواحد « المانيا » .

وطن مجزأ

فلقد كانت المانيا في ذلك الحين ـ كما نعلم ـ مجزأة الى ولايات تختلف قوة وضعفا . كان أبناء هذه الولايات يعانون من روح التجزئة Particularism ، وكانت هذه الروح محل دراسة وبحث من قبل عدد غير قليل من كتاب ذلك العصر من امثال . بيلاند (١٧٣٣م ـ ١٨١٣م) وهردر Herder (١٧٤٤م ـ ١٨٠٣م) وفورستر Forster (١٧٥٤ ـ ١٧٩٤م) ولسنج Lessing (١٧٢٩م ـ ١٧٨١م) وبستالوتزى Pestalozzi (١٧٤٦م ـ ١٨٢٧م) . هؤلاء جميعا اشاروا في كتاباتهم الى وقائع اجتماعية اليمة ، نتجت عن سيادة نظام التمييز بين الطبقات ، وانعدام الروح الجماعية ، حتى ان بعض البروسيين كانوا يعلنون انهم لا يعرفون وطنا اسمه « المانيا » ـ وكان الشعور بالاستياء من افتقاد روح التكتل والاحساس بالقومية الالمانية يسود أفراد جميع الطبقات وبالذات الطبقات الدنيا منها التي تمثل سواد الشعب ...

غير انه رغم انتشار الشعور بالاستياء من هذا الواقع المرير لم تظهر أية محاولة من اجل القضاء على هذا الواقع البغيض .

عجز الشعب الالماني عن القيام بتغير سريع

ويصح ان نقف عند بعض العوامل التي أدت الى تفشي روح التجزئة وبالذات تلك التى تتعلق بطبيعته وجبلة افراد الشعب البروسي في ذلك الحين . تلك الطبيعة التى تجلت في كتابات مصنفيهم وتصريحاتهم ... لقد اشتهر عن الالمان في ذلك الحين عزوفهم عن المبادرة الى فعل عنيف يؤدى الى تحقيق تغيير خارجي محسوس في الواقع الاجتماعي ، ذلك انهم كانوا يؤمنون بأن التغيير ، سياسيا كان أم اجتماعيا ، لا بد وأن يتم ببطء ، وبصفة تلقائية ، دون أن يكون للافراد حق احداثه او افتعاله عن طريق فعل يصدر عنهم عن قصد ، ويتقرر من قبلهم ... وهذا التكوين الداخلي لهذا الشعب في ذلك الحين كان نتيجة مباشرة لما صدر عن فلاسفتهم من آراء تقوم في كثير من جوانبها علي سلبية في الاداء الخارجي « فليبنتز » Leibnitz

٢ ـ نفس المرجع من ص ٧ الى ص ٥٠

الغافلة وتنبيهها الى ضرورة العمل من أجل البناء فنجده مثلا في « نداءات الى الامة الالمانية » يستهل حديثه بتحديد من يخاطبهم ويعنيه أمرهم، وهم الالمان فقط ، الالمان بأجمعهم دون تفرقة بين طبقة واخرى ، فحقق بذلك ـ بعد أن حدد مجاله ـ القضاء على مفهوم التفرقة الطبقية الخاطئة وهو يتشدد في تقدير هذا التعيين أو التحديد ، فيصرح بانه احد شروط ثلاثة ، لا بد من قبولها ، من أجل تحقيق الفائدة المرجوة .

ثم ينتقل الى شرط ثان ، حيث يفترض انه في مواجهة افراد يقدرون قيمة الثبات أمام الاحداث لا يتركون للتخاذل فرصة التسرب الى نفوسهم . وبتحليل واقعي لنفسية الأفراد الذين يواجههم ، يحدد عيوب نفوسهم ، فيشير الى ما بها من سلبيات .

فهناك من يعيش ليومه، ولا يعبأ الا بما لذ وطاب له من الطعام دون تفكير في صيانة شرف قوميته ، وكرامة وكيان وطنه ...

وهناك من يفتقد الشعور بالغير وضرورة تحقيق التعاون ، وتسيطر على نفسه الانانية ـ وهؤلاء كثيرون جدا .. فقد نجحت الاحداث في مضاعفة اعدادهم يوما بعد يوم ، لأنهم يتركون أنفسهم للاحداث تسيرهم . وللاطماع الشخصية تسيطر عليهم .

حديثه عن الانانية

وحديثه عن الانانية في هذا المصنف يستحق من القارىء نظرة تقييم وتقدير . اذ انه يكشف عما لهذه الصفة « الانانية » من بريق اخاذ يبهر اعين الغافلين ، ويجذبهم الى حيث ينتهون . ذلك أن هذه الصفة ، تتميز في بداية تحكمها ، من الذات أو النفس ، بسمة اثبات وجود هذه الذات ، لأنها نابعة منها واليها ، فتبدو وكأنها تؤكدها ، ولكنها في الحقيقة ، تقضي عليها ، لأن الانانية تقوم على عزل الذات عن الغير ، وفي هذا فناؤها . فتوكيدها للذات اذن توكيد يماثل السراب ، انها تهدم نفسها بنفسها . ان الانانية تؤدى الى الزوال والعدم ، زوال كيان الفرد وفنائهفيما يريده له عدوه.زوال وفناء الامة اذا ما عجز افرادها عن التخلص من هذه الصفة تفاديا لتفشي المفاسد وتفكك اوصال الدولة ..

الولاة هم أعين الأمة الواعية

ويبين « فشته » أن خلاص الامة من مفاسد الانانية يكون دائما على أيدى حكام راشدين يعملون بايجابية واضحة ، على تخليص الشعب من مزالقها ، والولاة هم أعين الامة الواعية ، الذين يسيرون قدما بجموع الافراد ، وان كان الفرد هو اللبنة الاولى التى تحقق كيان الجميع .

النظر للواقع بنظرة نابعة من البيئة

أما شرطه الثالث من أجل اصلاح الامة فهو الايمان بضرورة مواجهة الواقع مواجهة صريحة تكشف عن نقائصه من اجل العمل على تفاديها ، فهو يرى أن من أهم دعائم البناء ، النظر الى الواقع بنظرة نابعة من البيئة ، فالنظرات المستوردة لا تصور الواقع تصويرا يسمح باصلاحه ، لغفلتها عن الكثير من نواحيه الدقيقة ، المتمثلة في نفسية افراده ـ وهذه محجوبة ـ مهما كانت المهارة ـ عن الباحث الاجنبي .

فالفرد نفسه هو الأمين على نفسه ، لقدرته على سبر اغوارها والتعرف عليها ، من أجل تقويمها في ضوء الصالح العام وصالح أمة تود أن تعيش احداثها بنفسها ، دون ان يكون لغيرها يد في تشكيل تاريخها ...

هذا بعض ما استطاع « فشته » أن يقدمه لابناء جلدته من اسس تستند الى بعض الدعائم الايجابية لفكره الفلسفى ...

وقد استطاع أن يوقظ من لم تمس نفسه الصحوة بعد ، ويخلق جيلا من النساء والرجال، وفي مقدمته الشبيبة الالمانية ، جيلا يؤمن بالمستقبل ، وبانه هو صانع نفسه وصانع تاريخه . ■■

فوقية حسين محمود

كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر

بقلم : عبد الستار فراج

■ في اللغة ، ندر الشيء ندورا : قل وجوده او شذ عن غيره . والكلام النادر هو الغريب الخارج عن المعتاد ، والفصيح الجيد . واذن فالنادرة اصلها الكلام الغريب القليل الوجود .

النادرة الفكهة

ولما كانت الفكاهات والأخبار المضحكة التي تصدر عن اصحابها فيها غرابة ، وفيها مخالفة للسلوك المعتاد ، اطلق عليها من القديم اسم « النوادر » . وصار يوضع في المؤلفات الكبيرة عناوين كالآتي : « نوادر المعلمين » « نوادر القضاة » نوادر مزَبّد المديني « نوادر أشعب » « نوادر جحا » .. نجد ذلك مثلا في « نثر الدرر » للآبى كما نجده في نهاية الأرب وغيرهما .

والمليح : الحسن . والملحة وجمعها مُلَح هي الكلمة المليحة اى الحسنة . ولا شك أنها تكون فيها طرافة وندرة .

ثلاثون نادرةً بدرهم

وهذا « الفرّاء » يَحْيى بنْ زياد يَرْوِى عنه في كتاب التطفيل انه قال : كنت فاطمْتُ ابن دراج الطفيلى على أن يملي عليّ ثلاثين نادرة بدرهم ، فكان اذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له . فقال : ان اردت النفاوة فعشرةٌ بدرهم .

الجاحظ ورواية النادرة

ويبدو ان الجاحظ كان اكثر من يروى النوادر المضحكة ، بل لعله كان يؤلف بعضها بخياله الخصب وروحه المرح . واننا لنجد كل كتاب يتعرض لذكر المغفلين والحمقى واصحاب المرح والفكاهة لا يخلو من أن يقال فيه « روى الجاحظ » « وقال الجاحظ » .

فمثلا كتاب « اخبار الحمقى » لابن الجوزى نجد فيه حوالي مائة نادرة اُسندت روايتها للجاحظ . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ نفسه طرائف وظرائف تتخلل ما يحويه من أدب . حتى كتابه « الحيوان » نجد فيه نوادر يروح بها عن قارئيه . وكتابه البخلاء ما هو الا لون من الأدب المرح البارع .

التغفل والبله أكثر ما يتنادر به الناس

وقد قلت في كتاب « أخبار جحا » : ان التغفل والبله في عمومهما هما أكثر ما يتنادر به الناس ويستجلبون به الضحك ، وتؤلف له النوادر وتلصق بالآخرين على سبيل السخرية بهم أو التكثير على من اشتهروا بالغفلة والحمق ، ومن المفارقات أن تكون مصائب الآخرين في مظهرهم او عقولهم مدعاة للضحك في حين أنها تستوجب الرثاء ، لكن الناس دأبوا على أن يضحكوا من

لِلْحُصْرِي

كل شيء ، ألا تراهم لا يكادون يحبسون القهقهة اذا شاهدوا انسانا ينزلق في الوحل ، فتتلطخ ملابسه ، وقد تتسلخ يداه ورجلاه ، ويصير وجهه خليطا بين الاسود والابيض والاحمر ، ويبدو ان بعض السابقين كان له نصيب كبير من الاصابة حينما عرفوا الانسان بأنه حيوان ضاحك » .

النادرة باقية فى الناس ، ما بقي الناس

« وكانت النادرة ولا تزال وستبقى اداة للتسلية والتسرية عن الناس ، سواء زحمتهم هموم الحياة وكربة العيش ، أو ضيقت عليهم حدود الاحكام وسدود القوانين . وقد تجرى النوادر وتصنع وتطلب حبًا لها ، من غير ضيق بشيء ، بل رغبة فى الجانب المشرق الباسم في مسرح الحياة ، فالحياة — كما يقولون — هي المسرح الاكبر تجرى عليه الاحداث ، والناس هم أبطال الفن فيه ، يروحون ويجيء غيرهم ، وأنوار المسرح لا تنطفيء والحركة فوقه دائبة . وسلطة القدر تبرز كل واحد في دوره ، ومع ذلك فالناس أيضا هم في الوقت نفسه متفرجون » .

كتاب
« جمع الجواهر فى الملَح والنوادر »

وما قرأ احد كتاب « ذيل زهر الآداب » المسمى ايضا « جمع الجواهر في الملح والنوادر » الا غالبه الضحك فلم يستطع ان يحبسه . سواء أكان خاليا او في جماعة . وكانت تصادفني بعض طرائفه وانا في معزل عن الناس فيغلبني الضحك لما يسوقه ويعرضه من صور مثيرة ، فكنت اضحك في وحدتي وأخشى أن يظن أحد القريبين منى أني مسنى بعض الخبال .

ولا يقتصر ما فيه من اثارة للضحك على طائفة دون طائفة ، بل فيه ما يناسب كل ذوق ، ويرضى كل نفس ، فهو كما يقول مؤلفه عنه « من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجانين ، وغرائب السقّاط والفضلاء ، وعجائب الاجواد والبخلاء ، وطرف الجهال والعلماء ، وتحف المغفلين والفهماء ، وتتف الفلاسفة والحكماء ، وبدائع السؤّال والقصّاص ، وروائع العوام والخواص ، وفواكه الاشراف والسفلة ، ومنازه الطفيليين والأكله ، واخبار المخانيث والخصيان، وآثار النساء والصبيان . وأتيت به على سبيل الاختصار ، وطريق الاختيار ، وجعلته بتنويع الكلام ، كالمائدة الجامعة لفنون الطعام ، اذ هِمَمُ الناس مفترقة ، وأغراضهم غير متفقة ، ولا أعلم حقيقة ما تستنيره ، ولا مَحَصّ ما تؤثره ، اذ لا يحيط بذلك الا علام الغيوب ، المطلع على ما في القلوب » .

مؤلف واسع العلم والاطلاع

والحصْرى مؤلف الكتاب كما قيل عنه في مقدمة الطبعة الاولى سنة ١٣٧٢ رجل واسع العلم عظيم الاطلاع نافذ الذوق ، بديع الاختيار ، يتبع الملحة الطريفة بالقصيدة البارعة ، ويلحق النادرة الظريفة بالخطاب القاطع ، فيتحول بقارئه من فن الى فن ، ويستدرجه من حديث الى حديث ، دون أن يتداخله الملل أو يحس انطواء الزمن ..

طبعتا الكتاب بهما عيوب

وقد طبع هذا الكتاب لاول مرة في سنة ١٣٥٣، وفيه مقدمة بقلم محمد امين الخانجي ، ومقدمة بقلم عبد العزيز البشرى .

وطبع مرة أخرى في دار أولاد عيسى الحلبي (١٣٧٢ — ١٩٥٣) .

وكلتا الطبعتين لا تخلو من اخطاء وان كانت الثانية فيها بعض التحقيق غير الدقيق ، والطبعة الاولى خالية من الفهارس المفيدة .

وفي الطبعة الثانية التي نشرتها دار اولاد عيسى الحلبي فهارس قيل في المقدمة انها امتازت بها ، ولكن مما يؤسف له أن هذه الفهرسة قاصرة كل القصور وتعتبر خادعة لمبتغي الكتاب على اعتبار انها وافية . ويكفي أن اذكر أن الاعلام التي في الكتاب أضعاف ما هو في الفهرس حتى الاشخاص المهمون أو من تريد أن تصل الى معرفتهم لا تجدهم فيما زُعِم انه فهرس ، وهذا مثال على ذلك :

« كانت سليمة المشاوبية عاشقة لافلح مولى الزهريين ، فأتاها أبو السائب المخزومي فقال : حدثيني ، هل اتاك من حبيبك رسول ؟ فقالت : لا . قال : فهل قلت في ذلك شعرا ، قالت : نعم ، ثم انشدته :

ألا ليت لي نحو الحبيب مُبلّغاً
يُبلّغه التسليمَ ثم يقولُ
سُلَيْمَةُ نِضْوٌ ما تُرَجّى حياتها
من الشوقِ والشوقُ الشديد قتولُ
تُعالج أحزاناً وتبكي صبابةً
وأنت لما نلقاه فيك جهولُ

فقال أبو السائب : انا والله رسولك . فحفظ الشعر وتوجه نحو افلح في يوم صائف شديد حره ، فلقيه رجل من الانصار فقال : يا أبا السائب ، من أين اقبلت ؟ قال : من عند سليمة المشاوبية ، قال : والى اين تريد ؟ قال : اريد افلح مولى الزهريين ابلغه رسالتها ، قال : أفي مثل هذا الوقت ؟ قال : اليك يابن أخي فان الجنة حفّت بالمكاره ، وما عند الله الا بالصبر على ما ترى » .

ان اسم سليمة المشاوبية واسم افلح واسم الزهريين لم يذكر منها شيء في الفهرس . وحتى في فهرس القوافي لم يذكر عند هذا الشعر اسم قائله كما فعل مع غيره .

ومثل آخر هو : أن « جحا » صاحب النوادر المشهورة قد ورد في الكتاب ، ولكنه لم يذكر في الفهرس . وجالينوس الطبيب ، وبرذعة الموسوس وبنان وغيرهم كثيرون لم يذكروا . ويبدو ان المفهرس كان ملولا أو كسولا ، ولا اقول انه كان غير أمين ، ذلك أن تقدير الفهرسة للكتب لا وزن له لدى بعض المحققين ، وذلك مما يسيء الى الكتب القديمة التي تستطرد وتاتي بنوادر مهمة في أثناء السياق ، ويخفى على الباحثين كثير مما يكمن فيها من معلومات هم أحوج ما يكونون اليها ، وقد يكون بعض نصوصها ذا فائدة في تكملة بحث ، او اكمال نقص ، أو تصديق واقعة مهمة . وتقدير هذا كله لمن لا يحسنه هو الذي يدعو الى الاساءة

وما كل انسان يستطيع أن يسجل للكتاب فهرسا جديدا . هذا الى جانب ما وقع في هذه الطبعة الأخيرة من خطأ كثير ، فالكتاب بحاجة ماسة الى تحقيق جديد دقيق ، وفهرسة تستوفي ما فيه .

الحصري القيرواني

والحصري القيرواني ، صاحب زهر الآداب ، وذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر ، هو أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم .

ولد بين سنة ٣٧٠ و ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٥٣ . كان شباب القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وسارت تآليفه ، وتقبلها الناس بقبول حسن فاتته الصلات من جميع الجهات .

وفي كتابه زهر الآداب أغفل المجون ، الا النزر القليل أما في ذيل زهر الآداب فقد عرض صورا مختلفة من أنواعه . وهو لم يقتصر على ايراد النوادر والطرائف ، بل تكلم عن دواعي الاضحاك وشروط المسامر والمنادر ، وقواعد اختيار المداعبات ، ومتى تحسن ، وكيف تساق . وانه ليقول : « وكم ظريفة في الخطاب ، ومليحة من الجواب ، خلّصت من الهلاك ، من تصبت له الأشراك ، وسلّمت من الحتوف ، من أصليت(1) له السيوف .. وكم صرفت الملح من مخوف ، وانقذت من ملهوف ، وكم أفادت من الرغائب ، وبلغت من المطالب ، ورفعت من لا قدّم ليومه ولا أمس ليومه » .

وهو في أثناء ما يعرضه على القراء يأتي بالحكمة البليغة ، والمثل الرائع ، والتشبيه البديع ويقول : « ولاختيار المطايبات والمداعبات وما انخرط في سلكها من الملح والمزح أصول لا يخرج فيها منها ، وفصول لا يخرج بها منها .. وهذا حين أبتدىء منصرفا بك من بلاغة خطاب ، الى براعة جواب ، وصريح منادرة الى مليح مهاترة ، وغريب مراجعة ، الى عجيب منازعة . وتشبيه واقع الى مثل صادع ، وغير ذلك مما يحيي موات القلوب ويشفى نجيّ المكروب (2) ، مما تجذل له الخواطر ، وترتاح له السرائر ، وتتفتح به الاسماع ، وتنشرح له الطباع .. وهل يستغني أهل الأدب وأولو الأرب ، عن معرفة طريف

---

(١) أصلتت : سلته .

(٢) النجي : من معانيها السر ، أي يشفى مايخفيه المكروب من أسرار .

المضحكات ، وشريف المفاكهات ، اذا لاقوا ظريفا ، او مازجوا شريفا ، فقد قال الاصمعي : بالعِلم وَصَلْنا ، وبالملح نِلْنا » .

هذا ولا يَخلى كتابه من تعريفٍ بأديب أو ظريف، ونجد مما يسوقه لنا ما جُبلت عليه النفوس من تطلب الاسترواح ، وميل الى البهجة والانشراح ، مهما تكن المنزلة عالية ، والبيئة مختلفة . انه خير انيس . وأملح جليس .

وللحصري بعض الشعر الرائق كقوله :

يا هَلْ بَكَيْتَ كما بَكَتْ
وُرْقُ الحمائمِ في الغُصُونْ
هَتَفتْ سُحَيرًا والرُّبا
للقَطْرِ رافعةُ الجفونْ
فكأنّها صاغَتْ علَى
شَجْوِي شَجَى تِلْكَ اللُّحُونْ

وكان من عادات أهل الأندلس لبس البياض في حالة الحزن ، فقال الحصري :

إذا كان البياض لِباسَ حُزْنٍ
لأندلسٍ فذاك من الصوابِ
ألم تَرني لَبِستُ بياضَ شَيْبي
لأني قد حزِنْتُ على شَبابي

وهناك حُصْرِيّ قيروانيّ آخر ، هو ابن خالة هذا المؤلف ، واسمه علي بن عبد الغني ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

ياليلُ الصبَّ متى غدُهُ
أقيام الساعة موعده
رقد السُّمّارُ فأرّقه
أسف للبين يُردّده
فبكاه النجم ورَقّ له
مما يرعاه ويرصده

وقد عارضها كثير من الشعراء ، وممن فعل ذلك المرحوم احمد شوقي امير الشعراء ، في قصيدته التي مطلعها :

مضناك جَفاه مَرقده
وبكاه ورَحّمَ عُوّده

حَيْرانُ القلب مُعَذَّبُه
مقروحُ الجَفْنِ مُسهَّده

لون مما عرضه من الطرائف

غاضبت مصعبَ بن الزبير زوجه عائشةُ بنت طلحة ، فاشتدّ ذلك عليه ، وشكا أمره الى خاصته . فقال له أشعب : فمالي اذا هي كلمتك ؟ قال : عشرة آلاف درهم. فاتى اليها فقال : يا ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تفضلى بكلام الامير فقد استشفع بي عندك ، واجزل لي العطية ان أنت كلمته . قالت : لا سبيل الى ذلك يا اشعب ، وانتهرته ، فقال : جُعِلْتُ فِداك ، كلميه حتى اقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعي الى ما عوّدك الله من سوء الخلق . فضحكت ، فقامت فصالحته .

طريفة اخرى

وقد جرت اليها في الكتاب الطريفة السابقة .

كان عبد الملك بن مروان محبًا لزوجه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فغاضبته يوما وسدّت الباب الذي بينها وبينه ، فساءه ذلك وتعاظمه ، وشكا الى من يأنس به من خاصته ، فقال له عمر بن بلال الأسدي : ان أنا ارضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حكمُك . فاتى الى بابها وقد مزق ثوبه وسوّده ، فاستأذن عليها وقال : أعلموها أن الأمر الذي جئت فيه عظيم . فأذنت له ، فلما دخل رمى بنفسه وبكى ، فقالت : مالك يا عم ؟ قال : لي ولدان هما من الاحسان اليّ في الغاية ، وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله ، وفجعني فيه فاحتسبته وقلت يبقى لي ولدٌ أتسلى به . فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القود ، والا فالناس يجترئون على القتل . وهو قاتله الا ان يُغيثني الله بك . ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك ، واكبّت على البساط تقبله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضل عمر بن بلال ، وقد عزمتَ على قتل ابنه، فشفّعني فيه . فقال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل . فأخذت في التضرع والخضوع حتى وعدها العفو عنه ، وصلح ما بينهما . فوفى لعمر بما وعده به.

وظيفة ثالثة

على ذكر عاتكة بنت يزيد قال المدائني : لما حج ابو جعفر المنصور قال للربيع : ابغني من اهل المدينة أديبا ظريفا عالما بقديم ديارها ، ورسوم آثارها ، بَعُدَ عهدي بديار قومي ، واريد الوقوف عليها . فالتمس له الربيع فتىً من أعلم الناس بالمدينة واعرفهم بظريف الاخبار وشريف الأشعار . فعجب المنصور منه ، وكان يسايره أحسن مسايرة ، ويحاضره أزين محاضرة . ولا يبتدئه بخطاب الا على وجه الجواب ، فاذا سأله أتى باوضح دلالة وافصح مقالة . فأعجب به المنصور غاية الاعجاب وقال للربيع : ادفع اليه عشرة آلاف درهم . وكان الفتى مُمْلِقاً — أي فقيرا — مضطراً . فتشاغل الربيع عنه . واضطرته الحاجة الى الاقتضاء . فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة بنت يزيد ابن معاوية الذى يقول فيه الأحوص بن محمد :

يابَيْتَ عاتكةَ الذى أتعزَّلُ
حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موَكَّلُ (٣)

فقال المنصور : ما هاج منه ما ليس هو طبعه من أن يخبر بما لم يستخبر عنه ، ويجيب بما لم يسأل عنه ؟ ثم اقبل يردد ابيات القصيدة في نفسه ، الى أن بلغ الى آخرها وهو :

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضهم
مَذِقُ اللسان يقول مالا يَفعلُ

فدعا بالربيع وقال له : هل دفعت للمدنيّ ما امرنا له به ؟ فقال : أخّرتُه عِلَّةً كذا يا أمير المؤمنين . قال اضعِفْها له وعجِّلها .

وهذا أحسن افهام من الفتى ، وادق فهم من المنصور ، ولم أسمع في التعريض بالطف منه .

ولقول الأحوص هذا سبب ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر قال : ... » .

وهذا لون آخر من الاستطراد فى ذكر النوادر القصيرة حيث يقول

نادرة

قال المدائنى ، جاء رجل الى جار له من الأشراف فقال له : جارك فلان توفي ولا كفن له ، فتامر له بكفن . فقال : والله الآنما عندى شيء ، ولكن تعاودنا بعد أيام . قال : فنملحه أصلحك الله الى أن يتيسر الكفن .

نادرة

ووجدت امرأة أشعب دينارا فاتته به فقال : ادفعيه اليّ حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين ، فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه ، فقال لها : مات في النفاس ، فقالت : ويلي عليك ، كيف يموت الدينار ؟ فقال لها : الويل لك على اهلك ، كيف تصدّقين بولادته وتنكرين موته في نِفاسه .

ونادرة

سقط احدبٌ في بئر فذهبت حَدَبَتُه وصار آدَرَ ، فدخل اليه جيرانه يهنئونه ، فقال : لا تفعلوا ، فالذى جاء شرٌ من الأول ..

وقصة من قصص الكتاب بديعة

ان في التراث العربي آثارا تجلب الى قراءتها لو احسنّا عرضها في وضوح،ووضعنا لها الفهارس اللائقة ، ونبهنا اليها طالبي الأدب والراغبين فيه . وسنجد في كثير من تراثنا قصصا بديعة ، وحكايات طريفة ، فيها عظة ومفارقات تثير العجب . وهذه القصة التالية دليل على ذلك :

بينا ابن أبى ليلى في مجلس القضاء اذ تقدم اليه امرأتان : عجوز وشابة . فقالت الشابة : أنا أصلح الله القاضي امرأة مبدنة وقد بهرني التنفس ، فان رأى القاضي أن يأذن لي فاحْسِر عن وجهي فليفعل . فقالت العجوز : أصلح الله القاضي . انها من أحسن الناس وجها ، وانما تريد أن تخدع القاضي ، لا امتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابن أبي ليلى : اذا انت شددت قناعك فشأنَكِ ووجهَكِ . فحسرت الفتاة عن وجه جميل ثم قالت : أصلح الله القاضي . ان هذه عمتي وأنا أسميها أمي لكبر سنها ، وان أبي مات وخلف مالاً ، وخلفني في حجرها ، فجعلت تمونني وتحسن التدبير في المال وتوفيره عليَّ الى أن بلغتُ مبلغَ النساء ، فخطبني ابنُ عمٍّ لي فزوجتني منه ، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على صفته . ثم ان ابنةً لعمتي ادركتْ ، فجعلت هذه ترغّب زوجي فيها ، فتاقت نفسُه اليها

(٣) اتعزل : اتجنب واعتزل .

فخطبها . فقالت له : لستُ أزوجها حتى تجعل امر بنت اخي في يدى . فقال لها : قد فعلت ، فلم أشعر حتى أتاني رسولها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك ان زوجك خطب ابنتي واني ابيت أن ازوجها منه حتى يجعل امرك في يدى ففعل ذلك ، فانت طالق . فحمدت الله تعالى على ما بُليت به . وان زوج عمتي هذه قدم من سفر ، فسألني عن قصتي ، فاخبرته فقال : تزوجين نفسك ؟ فقلت : نعم على أن تجعل امر عمتي في يدى . قال لي : فما تصنعين اذا ، قلت : ذلك اليَّ اما أن اعفو واما اناقتص ، قال : قد فعلت. فارسلت الى عمتي : ان زوجك خطبني واني ابيت عليه حتى يجعل امرك في يدى ، ففعل فانت طالق.

فضحك ابن أبي ليلى . فقالت العجوز : لا تضحك أيها القاضي ، فالذى بقي اكثر واعظم . فقالت الشابة : ثم ان زوج عمتي مات ، فجعلتْ تخاصمني في ميراثه ، فقلت لها هو زوجي ، وانا احق بميراثه . فاغترت ابنَ عمي ووكلته بخصومتي ، ففعل . فقلت : يا ابن العم ، ان الحق لا يُستحَى منه ، وقد صلُحتْ لك اذ نكحتُ زوجاً غيرك ، فهل لك في مراجعتي ؟ فقال : كان ما كان ، ولا ذنب لي فيه ، بل كنا على اشد رغبة واعظم محبة ، ثم قال : أو تفعلين ؟ قلت : على ان تجعل امر بنت عمتي بيدى . قال قد فعلت ، فارسلتُ الى بنت عمتي ، ان زوجك قد خطبني ، واني أبيتُ عليه حتى يجعل امرك في يدى ، ففعل ، فانت طالق .

فقالت العجوز : أصلح الله القاضي . ايحلُّ هذا ؟ أطلق انا وابنتي . فقال ابن ابي ليلى : نعم ، التعسُ والنكس لك .

ثم ركب الى المنصور فاخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال ابعدَ الله العجوز ولا فرّج عنها .

انها في الحق قصة تدل على مأساة ، بدأتها العمة العجوز ، واكملتها الفتاة ، وراحت ضحيتها بنت عمتها بجريرةأمها التي فرقت أولا بين محبين، ورضيت البنت بما كان من امها ، فشاركتها في سوء فعلها ، ولذلك لم تجدا رحمة من القاضي ، ولا من ابي جعفر المنصور . وفي الحديث الصحيح « لا يحل لامراة ان تسال طلاق اختها لتستفرغ صحفتها ، فانما لها ما قدر لها » .

لم يخل الكتاب من تحريف

ان كتاب جمع الجواهر (أو ذيل زهر الاداب)، من الكتب الجديرة بالقراءة للاستفادة الأدبية ، والتسلية البريئة ، والمعلومات المنتقاة ، على الرغم مما في طبعتيه من خطا وبُعْد عن الصواب .

من ذلك مثلا ، قال بشار :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنـــم
ونفَى عنى الكرَى طيفٌ ألـــمْ
رَفّهى يا عبدَ عنّى واعلمـــى
أننى يا عبد من لحـــمٍ ودَمْ
إن لى جسما ضعيفا ناحـــلاً
لو توكّأت عليه لانهـــدمْ
ختَمَ الحب لها في عُنقـــى
موضع الخاتَـمِ من أهل الذّمَمْ
وإذا قلت لها جُـودى لنـــا
خرَجَتْ بالصمت من لا ونعـــم

قال مروان بن ابي حفصة : « انشدني بشار هذه القصيدة ، فلما بلغ هذا البيت ، قلت له : جعلني الله فداك يا أبا معاذ . هلا قلت : خرست بالصمت .. » قال لي : فتش الله فاك : « اني اذا لفي عقلك اطنز عليّ من أن أجيب بالخرس » وهذه الجملة الأخيرة كلها تحريف ، ولا تتفق وصحة الكلام والنصّ انى اذا لفي عقلك . التطيُّر علي مَنْ أُجيبُ بالخرس .

« فليس هنا سخرية حتى يقول له « أطنز » وتشرح بالهامش وليس هنا معنى لكلمة « أن أجيب بالخرس » .

ومن ذلك أيضا « لما دخل هلال بن أجود البصرة بعد ايقاعه ببني المهلب » وصحة اسمه « هلال بن أحوز » ومع ذلك لا يوجد اسمه في الفهرس الخادع الموجود بآخر الكتاب .

ولست بصدد تصحيح ما في الكتاب من عشرات ، ما كان ينبغي أن تكون فيه ، لو بذلت فيه العناية، وتعلقت به الهمة . ونرجو أن نراه مطبوعا مرة اخرى خاليا من العيوب . ■■

عبد الستار احمد فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

المطارات

تسبب للمواطنين الساكنين حولها

ازعاجا بدأ يأخذ طريقه الى المحاكم

● المطارات مهابط ضرورية للطائرات.

والطائرات اليوم هي جزء لا يتجزأ من المواصلات.

وتحمَّل الناسُ كل ما يخرج من المطارات، ومن فوقها، وعند اقتراب الطائرات منها، وعند الاقلاع، تحمّلوا كل مزعج من الأصوات بحسبان ان هذا شرٌ لا بد منه.

ولكن بتقدم الزمن عظمت الطائرات، واشتدت أصوات لها، واهتزت باصواتها المنازل القريبة، واصطك زجاجها، ومنه ما تحطم. ثم زادت المطارات اتساعا، ومع اتساعها ازداد عدد الطائرات الداخلة اليها والخارجة منها، زيادة جعلت حياة الناس في الاصقاع القريبة من المطار لا تكاد تطاق.

عندئذ تنبه الناس الى حق المواطن في الحياة الهادئة، والى حق الطائرات والمطارات في احداث مثل هذا القلق لفئات من أهل البلاد.

والمطارات غير الطائرات.

المطارات لها اصحابها، وهي البلاد التي هي فيها.

والطائرات، وهي من كل بلد من بلاد الدنيا، لها اصحابها متفرقين في اشتات الأرض.

والطيارات واصحابها غير مسئولين عن مواضع المطارات، وليس لهم فيها راى، والحكم الذى يناله المواطن اذا هو اشتكى الى المحاكم، وهو عادة تعويض مالي، لا تدفعه الطائرات، لأنه لا سبيل الى ربط طائرة بذاتها باحداث اصوات معينة بذاتها.

انما الغرم تدفعه المطارات.

والمطارات تسترد هذا الغرم بأن تزيد في اجر نزول الطائرات ومدة ايوائها في المطار. وهذا بدوره يزيد في ثمن التذكرة للمسافرين. وهذا بدوره يؤثر في تواصل الأمم وفي مبادلاتهم من تجارية وغير تجارية في زمان هدف العالم الى أن يكون وحدة واحدة.

ولقد بدأ مطار لندن الشهير، هيثرو، يساعد أهل المنطقة التي هو بها، بانشاء عازلات للصوت في منازلهم، تمنع عنهم هدير الطائرة لا سيما عندما تقلع.

والظاهر ان الحل الجذرى مكانه الطائرة وتصميمها.

ان انجلترا وفرنسا ينشئان معا طائرة ضخمة اسموها الكنكورد Concord سرعتها فوق سرعة الصوت، لعلها



مطار وتظهر الصورة شدة ازدحامه بالطائرات والناس

مرتين . والولايات المتحدة أخذت تبني لنفسها طائرة مثلها ، وسارت فى هذا الطريق خطوات . ثم اذا بالكنجرس الأمريكي فى الأسابيع الماضية يرفض ان يستمر العمل فى انتاج هذه الطائرة .

وكان لهذا رجة فى العالم كبرى .

ولقد قيل ان من اسباب هذا الرفض هو هذا الامر الذى اثرناه هنا ، هو ما تحدثه هذه الطائرات الجبارة من ازعاج لا يعرف الانسان اليوم ما مداه .

ولاعطاء فكرة عما تدفع الطائرات للمطارات من فئات ، نقول ان طائرة ركاب كبيرة مثل Super-Vc 10 تدفع للهبوط فى مطار لندن (هيث رو) ٢٥٠ جنيها ، وفى منتريال ١٦٠ جنيها ، وذلك وفقا لخطورة المطار وازدحامه .

حبوب منع الحمل يتعاطاها الرجال

● ضبط النسل ، أو بالصراحة الحد من النسل حتى لا تفيض الأرض بالناس، اصبح اليوم هدفا من اهداف اهل هذه الأرض ، أعني بني الناس .

وصار فى حكم الشيء الشائع اليوم استخدام الحبة المانعة للحمل ، يستخدمها فى الامم المتقدمة اكثرية كبرى من النساء ويحاول ان يقتدى بهم فى الامم المتخلفة من يفهم من أمر هذه الحبوب القدر الكافي الذي يأتلف (أو لا يأتلف) وصالح هؤلاء النساء فى سائر بقاع الأرض .

ليس فى هذا من شيء جديد ، انما الجديد أن تكون هناك حبة لمنع الحمل يتناولها الزوج فتمنع زوجته من ان تحمل . وحتى هذا الخبر ليس بالجديد كل الجدة ، فالمجهودات سبقت فى محاولة لابتداع حبة كهذه للذكور ، بمثل ما كانت وسبقت حبة للاناث . والحق ان العلماء وجدوا أكثر من حبة تمنع الحمل ، يتعاطاها الرجال ، ولكن اكثر ما وجدوا من ذلك له عند استخدامه عواقب وخيمة ، وأكثره السام .

ونذكر هنا ان آخر محاولة بذلت فى هذا السبيل هي المحاولة التي قام بها الاستاذ دنيس لاسي Denis Lacy بالكلية الطبية بمستشفى القديس بارثولوميو Bartholomew بلندن . وهي تقوم على أصول طبية ليست كالأصول المتبعة المعروفة تماما .

ولتفسير ذلك نقول ان الحيوانات المنوية للرجل تنتج فى القنوات الصغيرة التي فى الخصيتين . وهي تنتج هناك بسبب تنشيط انسجة الخصية بواسطة هرمونات تأتيها من الغدة

النخامية الموجودة بقاع المخ . وبالحيلولة دون ورود الهرمونات المذكورة ينقطع انتاج الحيوانات المنوية بالمرأة .

ولكن الخصى تنتج كذلك هرمونات جنسية هي التي تعطى للرجل كل صفات الذكورة . فمنع ورود الهرمونات الى الخصي يكون له تأثير سيىء فى اعضاء التناسل الثانوية ، تلك الاعضاء التي تنتج البلزمة Plasma التي منها يتألف ٩٩ فى المائة من منيّ الرجل .

وحل هذا المعضل ، يكون باعطاء الرجل حبة تحتوى من هذه الهرمونات مقدارا كافيا فقط لازالة هذا الأثر ، لا اكثر منه .

اما الحبة الجديدة فاسمها مسترلون Mesterelone ،وهى تتألف من مسترلون Mesterelone ومركبآخر هو بروجستاجن Progeotagen (وهو يوجد ايضا فى حبة الأنثى) فعال حين يعطى بالفم .

وهذان المركبان كلاهما هرمون .

هذه هي الفكرة التي راودت الاستاذ Lacy عدة سنين . وهو الآن يجمع لأول مرة بين هذين الهرمونين .

والسؤال الأول : هل تنجح هذه الحبة ؟ .

الظاهر انه ليس هناك ما يمنع من نجاحها . ولكن بالطبع لا ينتظر فيمن يبدأ بتعاطي الحبة من الذكور ان يمتنع عن انتاج الاطفال على الفور ، ذلك لأن الحيوانات المنوية القديمة المخزونة ستظل باقية حيث هي بعض الوقت بعد تناول الحبة ، والى أن تخرج من المنيّ بالقذف .

والسؤال الثاني ، هل يتقبل الرجال بسهولة هذه الحبة ، حتى بعد اقتناعهم بانه لا ضرر منها ، وانها يعتمد عليها من حيث النتيجة ؟ .

قد يقول قوم ان الرجال سوف يرفضونها ، لأن الفكرة الشائعة هي ان منع الحمل مسئوليةالنساء لا الرجال . ولكن اذا علمنا ان الكثير من الرجال يتقدمون الى الاطباء ليجروا لهم جراحة منع الحمل ، بقطع قناتهم الدافقة Vasectomy تلك التى تتدفق بالحيوانات المنوية من الخُصَى Vas Deferens عرفنا أن أمر توقف الرجال عن انتاج الاطفال بتعاطى الحبة انما هو توقف موقوت .

وللعلم نقول انهم قدّروا أن فى الولايات المتحدة مليونا ونصف مليون يجرون هذه العملية الجراحية ، جراحة قطع القناة الدافقة ، فى العام الواحد .

الاعاصير .. مثل رائع

● كان كلّ ما عرف الانسان العربي المعاصر ، عن الاعصار Hurricane ، حتى زمن غير بعيد ، هو انه ريح من أشد الرياح قوة ، له تخريب وتدمير . حتى اذا كان الاعصار الذى وقع منذ اشهر فى باكستان الشرقية ، ذلك الذى هلك فيه من بني الناس من هلك ، وانتثرت به فى الوَحل من الارض والفحل من ماء البحر جثث الموتى ، آلافا مؤلفة ، وتهدمت به على تلك السواحل المترامية قرى وتخربت أصقاع كانت بالحياة عامرة زاخرة .... حتى اذا كان هذا الاعصار ، عرف اهل الارض كم تقصُر الكلمات عن أداء المعاني ، وكم تعجز اسماء النكبات عن تصوير ما يحمل واقعها من صور بشعة ما كان يدور فى خلد انسان انها تكون من نصيب بني الانسان على هذه الارض .

ان الاعاصير ، بعض ظواهر الطبيعة ، وهي والزلازل ، تتبارى فى التدمير والتخريب .

والعلم والعلماء يقفون دائما متهيئين



صورة الاعصار وهو يدور بسحابته في اعالي الهواء

من غضب الطبيعة على ساكنى الارض

لفحص ظواهر الطبيعة ، نافعها والضار ، وحتى ما ليس له نفع ظاهر ولا ضرر ظاهر .

وهم قاموا ، وقائمون ببحث الزلازل ، ليعلموا كيف يتنبأون بها قبل ان تقع ، حتى يتمكن الناس من أن يحذروها قبل وقوعها .

والعلماء كذلك قاموا وقائمون ببحث الاعاصير ، ما هي ، وكيف يتقونها .

وابحاث كأبحاث الاعاصير ، لها نطاق واسع يمتد في ارض وفي سماء . لهذا كانت من الابحاث التى تقوم بها الحكومات . واجدر الحكومات بهذه الابحاث حكومات امم كالولايات المتحدة الامريكية ، جمعت الى العلم الثروة ، وزادها حفزا الى البحث ان الاعاصير من بعض ما دهاها . وهكذا كانت الولايات المتحدة اول الامم التى قامت تبحث فى امر هذه الاعاصير .

خسائر الولايات المتحدة من الاعاصير

ان الاعاصير التى وقعت فى الولايات المتحدة ، بين عام ١٩١٥ وعام ١٩٢٤ ، سببت لها من الاضرار ما قدروه بمعدل ١٣ مليون دولار فى العام الواحد . وسببت لها من الاضرار ما بين عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٩ ما قدروه بمعدل ٤٣٢ مليون دولار فى العام الواحد . وسوف تزداد هذه الاضرار على السنين بسبب ازدياد العمران وغلاء الاثمان .

الفرض تخفيف سرعة الريح

والفرض من الابحاث القائمة ليس قتل الاعصار حيث هو ، وليس ازاحته عن مكانه الى مكان آخر ، وانما هو تقليل سرعة الريح فتهدئة الاعصار نتيجة ذلك .

واجرى المختصون من العلماء والفنيين على ما قام فى الولايات المتحدة من اعاصير تجارب سريعة متفرقة ، كان من اواخرها محاولات جرت فى عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، افادوا منها فوائد كثيرة . ولكنها مع الاسف انتهت بنتائج غير حاسمة .

نقاط خمس افترضوها

وصاغ هؤلاء البحاث نقاطا خمسة بنوا عليها طريقة يحاولون بها التخفيف من عنف هذه الاعاصير .

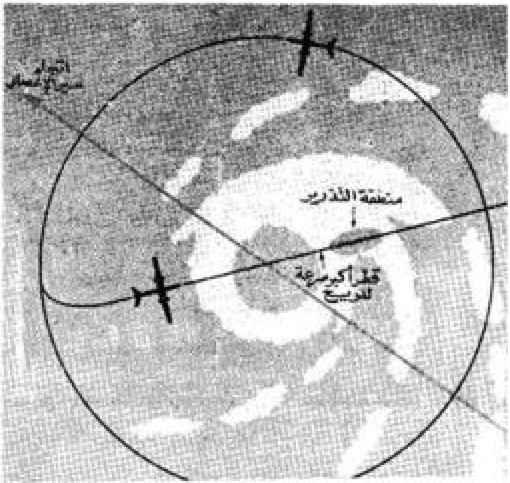
النقطة الاولى انهم افترضوا انه بكل سحابة اعصار ، فى اوسطها ، منطقة فيها الماء ماء غير متجمد على الرغم من ان درجة الحرارة هناك تقع بين ٤ و ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر ، او دون ذلك درجات .

النقطة الثانية ان هذا الماء لا يتجمد لانه ليس فيه بلورات من ثلج تعمل كنواة يتجمد الماء عليها .

النقطة الثالثة انه بالقاء بلورات من ملح يوديد الفضة فى هذه المنطقة الوسطى من الماء يجعل هذا الماء يتجمد ويصبح ثلجا ، متخذا من بلورات الفضة نويات يخرج عليها من حالة السيولة الى حالة الثلوجة .

النقطة الرابعة ان هذا التحول يخرج

[illegible]



من الحرارة قدرا كالذى يحتاج اليه مثل هذا المقدار من الثلج الناتج ليتحول الى ماء .

النقطة الخامسة ان هذه الحرارة تزيد فى رفع الهواء الى اعلى فى اوسط السحاب ، وهذا يجر من السحاب ما هو قائم بالاطراف ليحل محله ويرتفع ، ويخرج حرارة ، وهلم جرا . والنتيجة المفروضة ان هذا ينزل بالسرعة القصوى لريح الاعصار .

تذرير الملح فوق السحاب

وبحث العلماء فى كيف يذررون ملح يوديد الفضة . وعمدوا فى ذلك لطرائق يستخدمونها فى الالعاب النارية . وفى احدى التجارب حملت الطائرات الى اعلى السحب ، على ارتفاع يزيد على ١٠ كيلومترات ، ٤ كيلوجرامات من يوديد الفضة . وذرّروها هناك ، وقدروا انها انتجت من بلورات هذا الملح نحو اثنين ونصف الف مليون مليون بلورة انتشرت هناك ، ففقد الاعصار بذلك نحو عشر سرعته .

وفى تجربة اخرى بعد تلك ، فقد الاعصار نحو ١٤ فى المائة من سرعته .

العلماء يترددون

كل هذا حسن . ولكن لا يزال العلماء حتى فى هذه النتيجة يترددون . انهم يتساءلون ، هذا الهبوط فى السرعة كان بسبب تذرير ملح اليوديد ، ام هو هبوط حدث طبيعيا فى سرعة الاعصار لاسباب طبيعية اخرى .

لا بد من المزيد من البحوث ، لحسم هذا الشك ، وللسير بهذه الابحاث الى غايتها .

ان الذى يذكر مآسي باكستان عام ١٩٧٠ ، ويذكر منظر الجثث العائمة فوق الماء بالعشرات والمئات ، وهي لا تجد لها دافنا ، تلك التي رآها على شاشة التلفاز يتمنى لهذا البحث النجاح كل النجاح . ●●



المُرَاهَقَة
بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاء

بقلم : منير نصيف

■ فى حياة الاسرة ، كل اسرة مرحلة يشعر فيها الابوان بفشل كل محاولة يقومان بها من اجل اسعاد ابنائهما .. وهي مرحلة حرجة يحتاج فيها الآباء الى خبرة واسعة والى علم ومعرفة بطبيعة النفس البشرية فى نموها وفى مختلف اطوارها .. انها المراهقة ، تلك المرحلة الخطرة التى كرس لها العلماء والاخصائيون جزءا كبيرا من وقتهم ومن ابحاثهم .

ان احدا لا يستطيع ان يتشكك ولو للحظة واحدة فى صدق نوايا الأبوين تجاه ابنائهما .. فكل اب يعمل من اجل اسعاد ابنائه ، من اجل توفير المال الذى يحتاجون اليه لاتمام تعليمهم وتوفير حياة كريمة لهم .. فهو الشخص الوحيد الذى يتمنى ان يرى غيره احسن منه واكثر منه حظا فى الحياة ..

رسالة الأبوين

وكذلك الأم ، تلك التى تفنى شبابها وصحتها وحياتها من اجل خدمة ابنائها والسهر على راحتهم ، وتربيتهم واعدادهم لمستقبل افضل واكثر اشراقا .. فهذه هى رسالة الأبوين فى الحياة .

ولكن هل تنبه الأبناء لهذه الرسالة ؟ . هل شعروا يوما بهذا الدور يقوم به الآباء تجاه الأبناء ؟ هل قدروا تلك الجهود التى يبذلها آباؤهم من اجل توفير السعادة والصحة والأمن والطمأنينة التى يحتاج اليها كل شاب وكل فتاة وهما يخطوان فى قلق على الطريق الى هذه الدنيا الجديدة من حولهما ؟

سن التمرد والثورة

والجواب لا .. ففى هذه السن الخطرة الحرجة التى تبدأ من الحادية عشرة وتستمر حتى التاسعة

عشرة ، وربما تجاوزتها في بعض الحالات .. في هذه السن ، نجد ان الابناء هم آخر من يقدر ويشعر بدور الآباء وبرسالتهم نحو ابنائهم .. فهي سن التمرد .. سن الثورة على البيت وعلى المجتمع ، وعلى كل ما يتصل بالعرف والتقاليد من قريب او من بعيد ..

ما الذى يحدث بين الآباء والابناء في مرحلة المراهقة .. ولكى تتضح الصورة ، لا بد لنا من ان نقدم بعض النماذج لمشاعر الآباء واسلوب تفكيرهم، ونظرتهم لامور ابنائهم ، ثم رد الفعل الذى يتركه هذا كله في نفوس الابناء . وموقفهم منه وتصرفهم حياله ..

أمهات .. وأبناء

تقول الام : « ليس لى من امنية في هذه الحياة، الا أن ارى ابنى سعيدا ناجحا موفقا في حياته ومستقبله ! » .

ويرد الابن الذى لم يبلغ بعد عامه الخامس عشر : « كم تمنيت لو انها كفت عن الحديث عن سعادتى . انها هى وحدها التى تسبب لى التعاسة والشقاء .. ان قلقها على مستقبلى ، يدفعنى الى الجنون ! » .

وتقول الام التى انهت ابنتها تعليمها الثانوى ، وسافرت للالتحاق بالجامعة في بلد آخر .. « ان فراقها يقتلنى ، انها ما زالت صغيرة لم تكمل بعد عامها الثامن عشر . سوف افتقدها ، فهى كل شيء في حياتى ! » .

وترد الابنة : « ان امى تريد ان تعيش هى حياتى، انها تريد ان تأكل من اجلى ، وتتنفس لى ، ان استطاعت ، انها تظن اننى قطعة من السكر ، سوف اذوب تحت مياه المطر ، اذا لم تكن قريبة منى تحمل لى المظلة فوق رأسي .. كم اتمنى لو انها تركتنى اعيش حياتى انا كما اريد واشتهى !؟ » .

بين الآباء والأبناء

ويقول الاب الذى ما زال ابنه يتلقى علومه في المدرسة الثانوية : « انني على استعداد لأن افعل اى شيء لكى أراه رجلا ناجحا في الحياة ! » .

ويرد الابن الذى لم يبلغ بعد عامه السادس عشر : « لقد مللت الاستماع الى نصائح والدى .. لم يعد من موضوع يتحدث فيه الا موضوع مستقبلى ، وهو لا يدرى انه يحطم بحديثه هذا حاضرى .. لقد جعلنى افتقد الثقة في نفسي .. انني احس بالهزيمة والفشل ! » .

ويقول الأب لابنته ، بعد ان ذهب الرجل الذى قدمه لها ورشحه ليكون شريكا لحياتها : « انه شاب مثقف يا ابنتى ، وهو يشغل منصبا لا بأس به ، وينتمى الى اسرة طيبة . لقد كان والده صديقا لى ، وهو خير شاب يستطيع أن يوفر لك السعادة التى تنشدها كل فتاة في حياتها بعد الزواج ! » .

وترد الابنة : « اننى لا احبه يا ابى .. لم اشعر بأى ميل نحوه ، وانا لا استطيع ان اربط حياتى ومستقبلى برجل لا أحس نحوه بأية عاطفة .. أرجوك الا تنسى اننى انا التى سنتزوج ! » .

الاستسلام لرغبات الأبناء

ولكن الاب لا ييأس ،فيعاود محاولته من جديد ، لعله يستطيع أن يقنع ابنته بوجهة نظره : « انت ما زلت صغيرة يا ابنتى ، انك تفتقرين الى تجارب الحياة .. ان الحب الذى تتحدثين عنه ، لا يأتى قبل الزواج ، وانما بعد الزواج .. انه حصاد طبيعى للصحبة الهادئة ، والرابطة القوية القائمة على اساس من التفاهم والاحترام المتبادل .. لا تنسى ان امك لم تكن تعرفنى ، ولم تلتق بى مرة واحدة قبل زواجها منى ، ونحن الآن نعيش سعداء بعد خمسة وعشرين عاما من زواجنا !! » .

وترفض الابنة هذا المنطق، وتذهب الى غرفتها، لتحبس نفسها بين جدرانها ، وتغرق نفسها في البكاء حتى يذهب « العريس » الى غير عودة !

لقد أشفق الاب على ابنته ، ولم يجد من وسيلة

يعيد بها الابتسامة الى وجهها الا ان ينزل عند رغبتها !

شكوى أم

يروى الدكتور توماس بيل ، استاذ علم النفس، انه جلس يوما يستمع الى شكوى حملتها اليه ام شابة لم تتجاوز بعد عامها الخامس والثلاثين ، جاءت اليه في عيادته مع ابنها الذى لم يكمل بعد عامه الرابع عشر . يقول الدكتور توماس : « لقد كانت الام قلقة متوترة الاعصاب .. كانت تتحدث في عصبية ظاهرة ، وهي تشكو لى سوء تصرفات ابنها ومعاملته لها .. فهو لا يريد ان يستمع الى نصائحها .. انه يهرب منها ، ويهرب من نفسه ومن الناس ! انها في حيرة من امرها لا تعرف ماذا حل بهذا الصبى الذى يبدو وكانه يريد ان يتحدى العالم كله ! » .

ويكمل الطبيب النفسانى روايته فيقول : « ونظرت الى الابن فوجدته جالسا في هدوء وكان شيئا مما تقوله امه لا يعنيه في قليل او كثير ، ولكن ما حدث في الدقائق القليلة التالية ، كان كافيا لان يفسر لى سر المشكلة القائمة بين الام وابنها .. فقد عطس الصبى ، عطسة قوية .. وهبت الام من مقعدها واقفة ، ومدت يدها تربت على كتفه في رقة وحنان : « هل اصبت ببرد .. دعنى أرى وجهك وعينيك .. يجب ان نعود حالا الى البيت ، لا بد لك ان تستريح في الفراش ! » .

اتركيني وشأني !

وسكت الابن ، ولم ينطق بكلمة واحدة .. كل ما فعله ، هو ان مد يده في هدوء ليبعد امه عنه ، ويقول : « لست مريضا يا امى .. ولست في حاجة الى الراحة كما تتصورين .. ارجوك ان تتركينى وشأنى » ..

يقول الدكتور توماس : « ولم اكن في حاجة بعد ذلك لادرك الاسباب الحقيقية التى تكمن وراء تصرفات الابن ومعاملته لامه ، تلك التى جاءت تحملها الى وتشكو منها !

ان لهفتها عليه هي السبب .. انه يكره ان يرى امه تعامله ، كما كانت تفعل وهو طفل صغير .. لقد كبر الآن ، وهو يريد ان يشعر بشيء من الاستقلال ، يريد ان يعطس دون ان يضطر الى ان يقدم لامه تفسيرا لما فعل .. ولكنها ترفض ان تتركه يغيب عن عينيها لحظة واحدة .. انها تريد ان تعرف اين يذهب ، وماذا يفعل ، وكيف يقضي اوقات فراغه .. انها ترقب كل حركاته وسكناته منذ اللحظة التى يصحو فيها من نومه في الصباح ، حتى يذهب الى فراشه بالليل لينام .. فهى امه وهى مربيته ومعلمته وطبيبه الخاص .. » .

تغير جذرى

ولا يمكن لاحد ان يلوم الام على مشاعرها نحو ابنائها ولهفتها عليهم ولكن الذى يجب ان تعرفه كل ام هو انها تستطيع ان تفعل كل هذا ، دون ان تجعل ابناءها يشعرون بانها تتدخل في حياتهم .. فالابناء في هذه السن المضطربة الحرجة يتغيرون تغيرا جذريا .. يتغيرون ذهنيا وعاطفيا وسيكولوجيا .. انهم يتحولون الى نماذج اخرى من البشر ، لا تمت الى تلك النماذج الصغيرة التى عرفها آباؤهم في طفولتهم بصلة .. وهم في قفزتهم هذه ، الى سن المراهقة ، لا يكفون عن محاولاتهم للتخلص من تلك الصورة الماثلة امامهم .. صورة طفولتهم بين احضان آبائهم وامهاتهم .. لقد اصبحوا الآن يكرهون النصيحة التى توجه اليهم بمناسبة وغير مناسبة .. انهم لا يريدون ان يروا هذا الاهتمام الزائد بشئون حياتهم الخاصة سواء في البيت او المدرسة ..

معركة الشباب

انهم يخوضون معركة مريرة مع انفسهم ومع الآخرين ، لكى يظهروا بمظهر الكبار الذين يعرفون كل شيء . ان اهم ما يشغل تفكيرهم في هذه المرحلة

من حياتهم ، هو ان يشعروا بانهم يحيون حياة مستقلة بعيدا عن سيطرة الاباء ، يريدون أن يشعروا بانهم يستطيعون ان يجدوا طريقهم في الحياة دون ان يضطروا الى الالتجاء الى نصائح آبائهم وارشاداتهم .. انهم في هذه الحالة ، اشبه ما يكونون برجل مفلس في حاجة الى قرض يعاونه على مواجهة متطلبات الحياة ، ولكنه يشعر بخجل من ان يمد يده للناس ، حتى لو كانوا والديه .

ان الابناء في مراهقتهم يعتبرون المساعدة تدخلا في شئونهم ، وينظرون الى اهتمام آبائهم بهم وبحياتهم على انه عودة الى سني الطفولة ، اما النصيحة ، مهما كان نوعها ، ومهما كانت المناسبة التي تقدم فيها ، فهي ليست في رايهم ، سوى محاولة من جانب الاباء لفرض سيطرتهم عليهم !

مازق ولكن

وهكذا يجد الآباء انفسهم يواجهون مازقا .. كيف يمدون يد المساعدة لابنائهم ، وهم يرونهم يرفضونهذه اليد الممتدة اليهم ؟ كيف يرشدونهم ويوجهونهم الى الطريق السليم،وهم يشعرون بان محاولاتهم هذه تثير السخط والاستياء في نفوس ابنائهم ؟ كيف يتحدثون اليهم ويخاطبون عقولهم ، وهم يدركون ان وسائل الاتصال بينهم وبينابنائهم قد تعطلت ؟

يقول الدكتور توماس : « ان علاقة الآباء بابنائهم في هذه المرحلة هي سلسلة من الاخطاء المتصلة . فالاب مثلا يريد ان يكون صديقا لابنه بينما يرى الابن في ابيه عدوا له .. والام تريد ان تصبح شقيقة كبرى لابنتها ، بينما الابنة تنظر الى امها نظرة ملؤها الريبة والشك ، وربما تصورت في بعض الاحيان ان امها تغار منها !

« واخيرا ان الابوين يسعيان الى كسب حب ابنائهما واحترامهما .. ولكن الذي يحدث انهما لا يلقيان منهم سوى الجفاء،وربما الازدراء والتحقير في بعض الاحيان ؟ » .

التعايش السلمي

هل يمكن بعد هذا ان يقوم نوع من التعايش السلمي بين الآباء والابناء ؟

والجواب على هذا السؤال يتطلب القدر الكثير من الدراسة والبحث والمعرفة كما قدمنا في طبيعة الشباب في سنوات اضطرابهم وقلقهم .. فاذا كنا حقيقة نريد ان نكون اصدقاء لابنائنا ، فلا بد لنا من ان نعاملهم كما يعامل الصديق صديقه .. اننا نستطيع ان نفعل معهم كل ما نريد ان نفعله دون ان ندعهم يشعرون ولو للحظة واحدة اننا نفرض آراءنا عليهم .. تماما كما يفعل الطبيب الذي يقدم لمريضه حبة الدواء المر في غلاف من السكر !

تقبل الخطأ .. والاستسلام

فلنعوّد انفسنا اذن على تحمل ثوراتهم وغضباتهم ، حتى اذا هدأوا عدنا اليهم ، ولكن لا لنذكرهم باخطائهم ، وانما لندعوهم للخروج في رحلة او نزهة بعيدا عن جو البيت والدرس والعمل .

يجب ان نفرق بين تقبل الخطأ والاستسلام .. فنحن نستطيع ان نبتلع الاساءات وان نتغاضى عنها ، ولكن الى حين .. فلا بد لنا من ان نظهر استياءنا اذا وجدنا ان هناك ميلا من الشاب او الفتاة الى التمادي في هذا المسلك ولكن في هدوء وبدون ان نظهر لهم اي شعور بالعداء او التهجم او الاعتداء عليهم ..

واخيرا لا بد لنا ان نعاملهم كما نعامل الكبار .. فليس هناك شيء يرضي غرور الشباب في هذه السن اكثر من ان يشعروا انهم كبروا وبلغوا مبلغ الرجال والنساء ..

اذا نجحنا في ان نجعلهم يستعيدون ثقتهم بانفسهم ، فقد نجحنا في ان نجعل منهم اصدقاء لنا .. ■■

منير نصيف



بَيْنَ خَلِيفَةٍ وَ شَاعِرٍ

بقلم : ظافر القاسمي

استاذ اللغة العربية بالجامعة اللبنانية

■ الخليفة هو عمر بن عبد العزيز ، الأموى القرشي ، المترف الذى كان يرفل بمطارف الخز والحرير ، والذى كانت عقود الجوهر النفيس تملأ بيته ، يتحلى بها أهله وبناته ، فلما وُلّي الخلافة عزف عن الدنيا وما فيها ، ولم يكتف بهذا ، بل حمل زوجته على أن تسلك مسلكه ، بعد أن خيرها بين دنياها التي تنعم فيها ، وبين أن تصحبه على التقوى والزهد وشظف العيش ، فاختارته مع الحرمان ، ولم تشأ أن تبقى على النعيم . انه خامس الخلفاء الراشدين الذى لم يعرف الا الحق المطلق ، ولم يتبع في سياسته الا أحكام الشريعة وحدها ، فما عرفه منها قضى به وامضاه وما غاب عنه ، أو اشتبه فيه ، عهد به الى الفقهاء والقضاة. هذا الذى كانت التقوى عنده فوق السياسة ، وخوف الله قبل الغنيمة والفتح ، والذى كان يرى أن مصالح الأمة مرتبطة باوامر الله ونواهيه ، لا بتصرفات الجند والقواد ، ولا برغبات الأمراء والولاة .

انه عمر بن عبد العزيز ، الذى انصف اهل سمرقند ، فأمر عامله « سليمان بن أبي السرى » بأن يجلس لهم القاضي ، لينظر في امرهم، فاجلس لهم سليمان « جُمَيْع بن حاضر » القاضي الناجي ، فقضى بأن يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم ، وثبتت دعوى أهل سمرقند بان جيش المسلمين قد احتلتها خلافا لأحكام الشريعة (الطبرى — ٥٦٧/٦ — ٥٦٨) .

هذا الخليفة العظيم ، نظر الى ما في بيت المال

على انه للمسلمين كلهم ، فلا يخرج منه دانق الا بحقه ، وليس لأمير المؤمنين فيه أكثر مما لغيره من المسلمين ، وان كان الله قد ولاه على هذا المال ، فما الا هو امين عليه .

جاءه شاعر كما كان يجيء الى من سبقه ، فمن هو هذا الشاعر ؟ .

اما الشاعر فهو « جرير بن عطية الخَطَفي » ، أحد الثلاثة المقدّمين في العصر الأموي ، منافساه هما الفرزدق والأخطل ، وهم الذين جرت بينهم المناقضات ، وهم الذين اذا قالوا افحموا ، واذا نصروا بلغوا .

اولئك الذين اختلف فيهم جمهور الأدباء والنقاد ، منذ العصر الذي نبغوا فيه حتى اليوم ، فتعصب اناس لجرير ، وانحاز فريق للفرزدق ، وانتصر آخرون للاخطل .

وتاريخ الأدب العربي يشهد أنه ما تعرض لهم احد من شعراء عصرهم الا افتضح وسقط ، وبقوا يتصاولون حينا ، ويتحابون دائما . ولقد عرفوا بهذا الفن الخاص ، الذي سمي «النقائض» الذي يكشف المثالب ، ويضخمها ويستر المحاسن، او يقلل من شأنها .

جريــر هذا ، الذي وفد على أمير المؤمنين ، وخامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، سئل عنه وعن الفرزدق ، بشارُ بن برد امام المحدَثين ، فقال :

ـ كانت لجرير ضروب من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار (زوجة الفرزدق) ، فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير . (الأغاني ٨/١٠) .

ولقد شهد الثلاثة المخلدون ، بعض لبعض ، فكانوا أقرب الى الانصاف ، لأنه لا يعرف الفضل الا ذووه . شهد الفرزدق لجرير في قصة طويلة رواها ابو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٨/١١) ؛ عن اليشكري ، فقال :

امترى اهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما اشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال : يا نوار ! هل ادركت برنيتك (نوع من الطعام) ؟ .

ـ فقالت نوار : قد فعلت او كادت . فقال الفرزدق : فابعثي بدرهم فاشــتري لحما. ففعلت ، وجعلت تشرّحه وتلقيه على النــار ، ويأكل . ثم قال : هاتي برنيتك . فشرب قدحا ، ثم ناولني ، وشرب آخر ، ثم ناولني ثم قال لي : هات حاجتك يا ابن أخي ! .

قال اليشكري : فاخبرته عن خلاف أهل المجلس في جرير والفرزدق ايهما اشعر ؟ فقال : أعن ابن الخطفي تسالني ؟ ثم تنفس حتى قلت انشقت حيازيمه ، ثم قال : قاتله الله ! فما أخشــن ناحيته ، وأشرد قافيته . والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشــابة على احبابها ، ولكنهم هرّوه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجراء (١) قارحا . وقد قال بيتا ، لأنْ أكون قلته أحبُّ اليَّ مما طلعت عليه الشمس :

اذا غضبتْ عليـك بنو تميـم
حسبتَ الناس كلهم غضــابا

جرير هذا ، يشهد له الفرزدق هذه الشهادة الصادقة ، وهو منافسه ، وهو مناقضــه ، هجا الشاعر الراعي في قصيدة طويلة ، يقول فيها :

فغُضَّ الطرف انك من نُمَيـر
فـلا كعبا بلغـتَ ولا كـلابا

فما أفلح نُميريٌّ بعدها أبدا .

انه جرير ، من عـرفتَ ، يفد على عمر بن عبد العزيز يطلب منه صلة ، فاستمع الى هذا الحوار الذي دار بين الخليفة العظيـم ، وبين الشاعر العظيم ، كما رواه أبو الفرج الأصفهاني (٨/٧) قال :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء ، فجعلوا لا يصلون اليه ، فجاء عون بن عبد الله ، وعليه عمامة قد ارخى طرفيها ، فدخل . فصاح به جرير :

يا أيها القارىء المرخِي عمامتــه
هذا زمانك اني قد مضى زمـني
ابلغْ خليفتنا ان كنتَ لاقيَــه
اني لدى الباب كالمصفود في قرَن

فدخل عون على عمر ، فاستأذن لجرير ، فادخله عليه ، وقد كان هيأ له شعرا ، فلما دخل عليه غيّره وقال :

(١) جاراه مجاراة وجراء : جرى معه وسابقه .

انا لنرجو اذا ما الغيثُ اخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة اذ كانت له قدَرا
كما اتى ربّه موسى على قدَر
الذكر الجهدَ والبلوى التي نزلت
ام تكتفي بالذي بلّغت من خبري؟
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادينا
ولا يجود بنا بادٍ على حَضَر
كم بالمواسم من شعثاءَ ارملةٍ
ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به
خَبْلا من الجن او مسّاً من النُشَر (٢)
ممن يعدّك تكفي فقد والده
كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

اصغى الخليفة القرشي الى الشاعر ، فبلغ التأثر سويداء قلبه ، وما كاد جرير ينهي انشاده حتى كانت لحية امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد ابتلت بالدمع .

فقال الخليفة : يا ابن الخطفي ، امن ابناء المهاجرين انت ، فنعرف لك حقهم ، ام من ابناء الانصار ، فيجب لك ما يجب لهم ، ام من فقراء المسلمين ، فنامر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟ .

قال جرير : يا امير المؤمنين ما انا بواحد من هؤلاء ، واني لمن اكثر قومي مالا ، واحسنهم حالا ، ولكني اسالك ما عودتنيه الخلفاء ، اربعة آلاف درهم ، وما يتبعها من كسوة وحملان .

قال عمر : كل امرىء يلقى فعله . اما انا فما ارى لك في مال الله حقا ، ولكن انتظر يخرج عطائي ، فانظر ما يكفي عيالي سنة منه ، فأدّخره لهم ، ثم ان فَضَل فَضْلٌ صرفناه اليك .

جرير : لا ، بل يوفّر اميرُ المؤمنين ، ويُحمَد ، واخرج راضيا .

عمر : فذلك احبُّ اليَّ .

فلما خرج جرير ، ذكر الخليفة القرشي العربي ما لجرير من خطر ، اذا هو خرج راضيا في الظاهر ، غاضبا في الباطن ، ومر في خاطره ما للسانه من اثر ، وما لشعره من انتشار ، فرأى ان يرده ، لا ليعطيه من بيت المال ، ولكن ليقدم اليه عرضا آخر ، فقال الخليفة لجلسائه :

ـ ان شر هذا ليتقى ، ردوه الي ! .

فلما ردوه قال له :

ـ ان عندي اربعين دينارا وخلعتين ، اذا غسلتُ احداهما لبست الاخرى ، وانا مقاسمك ذلك . على ان الله عز وجل ، يعلم ان عمر أحوج الى ذلك منك .

ـ جرير : قد وفرك الله يا امير المؤمنين ، وانا والله راض ! .

ـ عمر : اما وقد حلفت ، فان ما وفرته علي ، ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح ، فامض مصاحبا .

فلما خرج قال له اصحابه الشعراء المنتظرون بالباب ، وفيهم الفرزدق : ما صنع بك امير المؤمنين يا ابا حزرة ؟ فقال :

ـ جرير : خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ، ويباعد الشعراء ، وانا مع ذلك عنه راض .

ثم وضع رجله في ركاب راحلته ، واتى قومه ، فقالوا له : ما صنع بك امير المؤمنين يا ابا حزرة ؟ فقال :

تركت لكم بالشام حبل جماعة
امين القوى مُستحصِد (٣) العَقْد باقيا
وجدتُ رُقى الشيطان لا تستفزُّه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

★ ★ ★

لقد امتلأت بطون كتب التاريخ والأدب بمآثر عمر بن عبد العزيز ، وخوفه من الله ، وعدله في الرعية ، وسيرته الطاهرة النقية ، وما أشاع في الناس من عدل ، وما ادى من حقوق ، وما منع من مظالم ، وما اتبع من أوامر الدين ، وما امتنع عن نواهيه ، ولكن احدا لم يبلغ اكثر مما بلغ ابو الفرج صاحب الأغاني ، وهو علويٌّ ، في هذه اللوحة الخاشعة ، من وصف للخليفة الزاهد .

■■

ظافر القاسمي

(٢) النشر : جمع نشرة ، وهي رقية يعالج بها المريض والمجنون .
(٣) المستحصد : المستحكم .

المرأة الكويتية
في ميدان العمل

بقلم : محمد طنطاوى

نسيمة الخالد مديرة البنك الوطنى فرع السيدات تقوم بالرد على استفسارات واحدة من عميلات البنك





اقتحمت المراة الكويتية اغلب ميادين العمل ، وفي الصورة صيدلية كويتية تعمل في مصنع الادوية التابع لوزارة الصحة وقد لبست الكمامة التى تقى مما قد يحتمل من التلوث .

منيره القطامي اخصائية العلاج الطبيعي تشرف على علاج الاطفال المصابين بشلل الاطفال .





■ تلعب المرأة دورا كبيرا فى المجتمع .. فهي عماد الاسرة .. وهي التي يتوقف عليها الكثير فى تربية جيل جديد صالح .. ولا يتوقف دور المرأة ،منذ القدم، على كونها اما وزوجة ولكنه يتعداه الى المساهمة فى توفير الغذاء والكساء لافراد اسرتها ..

وفي الماضي كان اهل الكويت يعتمدون في حياتهم على صيد اللؤلؤ والاشتغال بالتجارة . وكانت هذه الحياة تتطلب من الرجال ان يتغيبوا عن بيوتهم اسابيع او شهورا طويلة ، ويتركون شئون البيت والاسرة لزوجاتهم .. واثناء فترة غياب الرجل كانت معظم الزوجات الكويتيات يقمن بتحمل عبء الانفاق على الاسرة واعالتها بما يتحصلن عليه من أجر نظير القيام بطحن القمح او بعض الاعمال اليدوية الاخرى ، وخاصة اذا كن من الطبقة التي تحصل على قوت يومها بشق الانفس .

وفى ذلك الزمان لم تكن هناك مدارس للبنات .. وكانت الامية هي القاعدة بين المرأة الكويتية .

بداية الطريق

ومرت الاعوام .. وبدأت عجلة التطور والنهضة تقوم بدورها في الكويت . وفي عام ١٩٣٦/١٩٣٧ تم انشاء اول مدرسة نظامية للبنين فى الكويت .. ولم يمض عام على انشاء هذه المدرسة حتى كانت الاصوات التي تعالت تطالب بانشاء مدرسة للبنات قد حققت اول خطوة عملية للنهوض بالمرأة الكويتية وتم افتتاح اول مدرسة ابتدائية للبنات فى عام ١٩٣٧/١٩٣٨ .. ومن يومها بدأت المرأة الكويتية تخطو خطواتها الاولى على طريق مشاركة الرجل الكويتي في بناء اقتصاد بلدهما الناهض .

اول مدرسة كويتية

فى عام ١٩٣٨ وبعد افتتاح اول مدرسة نظامية للبنات شهدت الكويت اول فتاة كويتية تعمل فى مهنة التدريس .. وكانت هذه الفتاة هي السيدة مريم عبد الملك الصالح وكانت قد تلقت علومها على يد والدها ولما افتتحت المدرسة قام والدها بتسجيلها لتقوم بالدراسة فيها ولكن المسئولين عن المدرسة لم يجدوا الفصل الذى يتناسب مع معلومات هذه الفتاة التي تريد ان تنهل من مناهل العلم ، بل وجدوا ان معلوماتها وثقافتها تؤهلها لكي تكون معلمة لا طالبة .. وقد استمرت اول مدرسة كويتية فى مهنة التدريس ٢٤ عاما متصلة . وهي الان تشغل منصبا اداريا فى وزارة التربية .

نهضة التعليم تفتح ابواب العمل امام المرأة الكويتية

بعد ظهور النفط تغير وجه الحياة فى الكويت وبعد ان كانت هناك مدرسة واحدة للبنات فى عام ١٩٣٨ اصبح عدد هذه المدارس ٨٢ مدرسة بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية بالاضافة الى ٤٣ روضة اطفال . وبعد ان كان عدد الطالبات فى عام ١٩٣٨ لايزيد عن ١٤٠ طالبة اصبح عددهن الان اكثر من ٦٤ الف طالبة في مختلف مراحل التعليم باستثناء التعليم الجامعي . ومع نهضة تعليم البنات ازداد عدد الكويتيات المثقفات وابتدأت الفتاة الكويتية تقتحم ميدان العمل وهي مزودة بسلاح من العلم والثقافة لم يكن متاحا لها من قبل ، وفى عام ١٩٥٩ كان عدد العاملات من الكويتيات فى مختلف مجالات العمل لا يزيد عن ٥٠ وتضاعف هذا العدد الى اكثر من عشرة اضعاف فى عام ١٩٦٦ ليصبح عدد الفتيات الكويتيات الموظفات حوالي ٥٦٩ موظفة .

واليوم ازداد اقبال الفتاة الكويتية على اقتحام ميادين العمل المتعددة فهي الان مدرسة ، وطبيبة، وسكرتيرة ، ومذيعة،وصحفية ، وممثلة ، وممرضة وعاملة تليفون ، ومهندسة زراعية ، وكيماوية . ومعيدة في الجامعة ، وغير ذلك من المهن التي كانت مقصورة على الرجال فى الكويت .

اول مديرة بنك

بالرغم من أن الطريق امام المرأة الكويتية الى ميدان العمل لم يكن خاليا من العقبات الا انها استطاعت ان تتخطى الكثير من هذه الصعوبات لكي تحقق آمالها بالمشاركة فى بناء نهضة بلادها . وقد قامت مجلة « العربي » بعدة لقاءات مع عدد من الكويتيات العاملات فى مختلف الميادين . وكان اول لقاء مع السيدة نسيمة الخالد وهي مديرة البنك الوطني الكويتي فرع السيدات .. وهي اول سيدة فى الشرق الاوسط تتولى منصب مديرة



احتفل في أوائل عام ١٩٧١ بيوم المرأة الكويتية، وقد قام الشيخ عبد الله الجابر الصباح بتسليم رائدات العمل جوائز تقديرية لهن ، ويرى في الصورة وهو يسلم واحدة من أوائل الفتيات الكويتيات جائزتها .

بنك .. وقد بدأت السيدة نسيمة عملها في البنك منذ عام ١٩٦٤ .. وهي تؤمن بدور المرأة الفعال في مشاركة الرجل في تدعيم نهضة الكويت . وقد استطاعت هذه السيدة أن تحقق نجاحا كبيرا في عملها فهي تستقبل يوميا حوالى ١٠٠ عميلة وتقوم باسداء نصائحها لعميلاتها عن احسن طرق التوفير واستغلال اموالهن المدخرة .

وعندما سئلت عن الحكمة في انشاء فرع للبنك خاص بالسيدات ، وهل هو من باب احياء التقاليد التي تنادي بمنع الاختلاط .. سارعت مديرة البنك بالرد قائلة :

« ان الغرض من افتتاح فرع خاص للسيدات ليس عزل المرأة عن الرجل ، وانما هو من اجل خدمة المرأة نفسها ، فمن الناحية النفسية تستطيع المرأة ان تسأل وتستفسر عن كل ما تشاء اذا وجدت امرأة مثلها تقوم بالرد على اسئلتها .. بينما قد تخجل من الاستطراد في اسئلتها اذا كان الموظف رجلا . ومن هنا نشأت فكرة انشاء فرع خاص للسيدات » .

ومن رأى السيدة نسيمة ان المرأة تصلح لكل انواع العمل ما عدا تلك الأعمال اليدوية الصعبة التي لا يستطيع سوى الرجل اداءها. وأول مديرة بنك هي ارملة المرحوم احمد الخالد احد مؤسسي البنك الوطني .. وهي تعتقد ان عمل المرأة في نفس مهنة زوجها قد يجعل التفاهم بينهما على مختلف امور الحياة سهلا بل ويقارب بين تفكيرهما في مواجهة اى مشكلة .

معيدة في الجامعة

وكان اللقاء الثاني مع شيخة القطامي المعيدة في قسم الكيمياء بجامعة الكويت .. وشيخة خريجة كلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦٨ ، وقد انتهت من اعداد رسالة الماجستير عن غاز الكيروسين وتستعد الان للسفر الى لندن للحصول على درجة الدكتوراه في الكيماويات البترولية .

وفي مجال الحديث عن المرأة والعمل قالت المعيدة الشابة : « ان من واجب المرأة ان تعمل وان تشارك في بناء نهضة وطنها ولكن يجب ان يكون دخول المرأة ميدان العمل ليس على حساب واجباتها المنزلية ، وعلى كل امرأة عاملة ان توفق بين واجباتها المنزلية وعملها » .

وعن التقاليد التي تقف في وجه المرأة ودخولها ميدان العمل قالت :

« ان بعض التقاليد التي تحارب عمل المرأة لاتزال موجودة حتى الآن ، ولكن المرأة الكويتية استطاعت ان تثبت وجودها وان تتخطى كل العقبات واثبتت كفاءتها في مختلف الاعمال التي قامت بها وهذا وحده ادى الى القضاء على الكثير من العراقيل التي كانت تعوق تقدم المرأة الكويتية .. » .

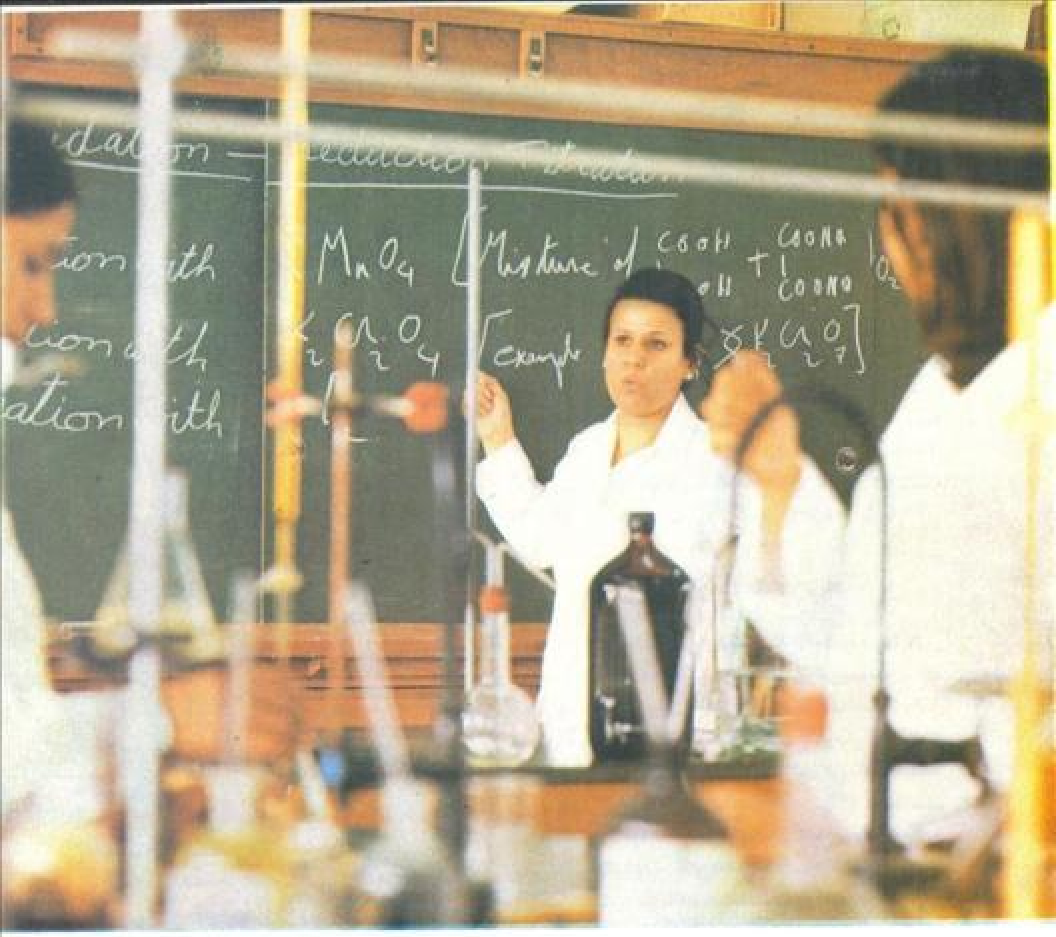
وتقول شيخة القطامي ان المرأة الكويتية بعد ان اثبتت جدارتها في ميدان العمل يحق لها الان ان تمنح حق الادلاء برأيها في انتخابات مجلس الامة

الى اليمين: سعاد عبد الله تعمل في قسم المونتاج بالتليفزيون الكويتي الى جانب عملها كممثلة من ممثلات الكويت اللامعات.

الى اليسار: شيخه القطامي معيدة الكيمياء في كلية البنات بجامعة الكويت تشرح لطالباتها درسا في المعمل.









في المركز الالكتروني التابع لقسم الاحصاء بمجلس التخطيط تلعب المرأة الكويتية دورا كبيرا على هذه الآلات الالكترونية الحديثة وتمثل الصورة التي الى اليمين عددا من الفتيات الكويتيات امام احدى الحسابات الالكترونية والصورة الثانية الى اليسار مجموعة من الفتيات يعملن في تفريغ المعلومات المطلوب تخزينها في الحسابات الالكترونية على بطاقات مخرمة

وذلك كخطوة اولى يليها منح المراة الكويتية حق التمثيل النيابي .

واضافت معيدة الكيمياء فى جامعة الكويت ان فى الجامعة الكويتية الان حوالي ٩٠٠ طالبة عدا حوالي ٢٥٠ طالبة يدرسن على المستوى الجامعي فى الخارج وان هذا الجيل الجديد من الفتيات الكويتيات سيخرج قريبا الى ميدان العمل .

ممثلة .. وخبيرة مونتاج

لعل التمثيل كان من اصعب ميادين العمل على الفتاة الكويتية بالنسبة للتقاليد ، ولكنها اقتحمته ايضا ايمانا منها بان العمل شرف وان التقاليد يمكن الانتصار عليها ما دامت الفتاة لم تخرج على الاخلاق وعلى تعاليم المجتمع القديمة . وكانت مريم الصالح ومريم الغضبان هما اول فتاتين كويتيتين تعملان على خشبة المسرح والاذاعة والتلفزيون كممثلتين ، وتبعهما بعد ذلك عدد قليل من الفتيات الكويتيات ، وان هناك حتى الان بعض الرجال الذين يقومون باداء ادوار النساء على خشبة المسرح وذلك لسد النقص فى هذا الميدان .

ومن بين الممثلات الكويتيات سعاد عبد الله وهي تجمع بين التمثيل والعمل فى قسم المونتاج بالتلفزيون . وقد بدات سعاد التمثيل منذ ٨ سنوات .. وبدات عملها فى قسم المونتاج منذ حوالي ٤ سنوات .. وسعاد زوجة وتجمع بين عملها فى التمثيل وفى التلفزيون وواجباتها المنزلية دون اى صعوبة .. وهي تؤمن ان مهنة التمثيل لا تتنافى مع التقاليد او الاخلاق ، وان الممثلة تؤدى رسالة ثقافية وترويحية سامية .

فى ميدان الالكترونيات

وكما اقتحمت المراة الكويتية العديد من ميادين العمل اقتحمت ايضا مجال العمل على الحسابات الالكترونية . وفى قسم الاحصاء التابع لمجلس التخطيط توجد ٨ فتيات كويتيات يعملن على هذه الالات الدقيقة ويقمن بترقيم البطاقات الخاصة بهذه الاجهزة وذلك تحت اشراف الفنيين المختصين . وقد اثبتت التجربة نجاح المراة فى هذه الاعمال الدقيقة التي قد يكلف الخطأ البسيط فيها الكثير من الجهد الضائع .

وبالرغم مما يحتاجه هذا العمل فى ترقيم المعلومات على بطاقات بواسطة آلة شبيهة بالالة الكاتبة من جهد مستمر ودقة بالغة فان « موضى الدعيج » وهي كويتية تعمل فى هذا الميدان منذ ٧ سنوات تشعر بان عملها هذا لا يؤثر على قيامها بواجباتها المنزلية كزوجة . وكذلك « نجاة الحزقاوى » وهي زوجة ايضا وهي تعتقد ان المراة الكويتية قد استطاعت ان تثبت وجودها وكيانها عن طريق خروجها الى ميدان العمل ومشاركة الرجل فى اعباء الحياة .. واغلب العاملات فى هذا القسم من خريجات معاهد السكرتارية وتلقين تدريبا خاصا بعد تعيينهن .

فى مجال الطب والعلاج

من أوائل الطبيبات الكويتيات الدكتورة نجيبة الملا وهي حاصلة على شهادة M.R.C.P. فى الطب من انجلترا فى عام ١٩٦٦ وهي الان تقوم

امينة الشراح واحدة من أشهر نجوم الشاشة الصغيرة في الكويت ، وهي تعمل كمذيعة ومقدمة برامج .



بدراسات عليا اخرى فى مستشفيات بريطانيا .
وكذلك منيرة القطامي وهي اخصائية فى العلاج الطبيعي بمستشفى شلل الاطفال ومنيرة تقوم برعاية الاطفال بحنان زائد وذلك حتى يشعر كل طفل اصابه هذا المرض ان باب الامل مفتوح امامه ، وهي فى الواقع تخصص وقتها كله لرعاية هؤلاء الاطفال وعلاجهم .

وهناك عدد آخر من الطبيبات الكويتيات واغلبهن الان فى بعثات للخارج . وعند عودتهن سيقمن بالمساهمة فى خدمة بلادهن الى جانب الاطباء والطبيبات العرب وغير العرب الذين يقومون حاليا بالعمل فى مستشفيات الكويت .

نجوم الشاشة الصغيرة

وكما حققت المرأة الكويتية نجاحا كبيرا فى مختلف ميادين العمل استطاعت ايضا ان تحقق نجاحا على الشاشة الصغيرة للتليفزيون .. واصبحت صورة المذيعات الكويتيات تدخل كل بيت تحمل صورة النهضة التي حققتها المرأة الكويتية فى زمن وجيز .. وقد كانت باسمة سليمان السمعان هي اول مذيعة كويتية بالتليفزيون بعد افتتاحه بين عامي ٦٢ و ٦٣ . وكانت اول مخرجة تليفزيونية كويتية هي نورية صالح السداني وتلاهما بعد ذلك عدد آخر كبير من المذيعات الكويتيات ومقدمات البرامج والمخرجات الى جانب عدد من المذيعات العرب .



مريم الصالح واحدة من أوائل الفتيات الكويتيات اللواتي اقتحمن ميدان التمثيل . وفي الصورة مريم أثناء مشهد تمثيلي في احدى المسرحيات .

متاعب المرأة العاملة

بعد ان استعرضنا بعض نماذج من السيدات والفتيات الكويتيات العاملات ، لابد لنا من التعرض لذكر المتاعب التي قد تلاقيها المرأة العاملة فى الكويت ولا سيما المتزوجات منهن . فعلى المرأة ان تقوم بالتوفيق بين عملها وواجباتها المنزلية .. وعليها ان لا تنسى دورها الهام فى تنشئة ابنائها ورعايتهم . وليس هناك عدد كاف من دور الحضانة التي تقوم بالاشراف على اطفال الزوجات العاملات اثناء تواجدهن فى اعمالهن . وهناك ايضا بعض رواسب الماضي والتي تقلل من قيمة عمل المرأة وتتجاهل قيمة اشتراك المرأة ، وهي نصف المجتمع تقريبا ، فى مجالات الانتاج والعمل . لذلك يجب العمل على توعية بعض الفئات التي لا تزال تنظر الى المرأة على انها لا تصلح الا للبيت فقط ، توعية كاملة بأهمية الدور الذى قد تلعبه المرأة فى المجتمع الجديد بحيث يسهل عليها القيام بواجباتها الجديدة دون مشاكل قد تثبط من همتها وتجعلها تنصرف عن العمل والانتاج .

ان دور المرأة فى الكويت دور هام .. فالى جانب القيام بواجباتها كزوجة وام فهي تسهم الان فى بناء نهضة بلادها . والمرأة الكويتية قد بدأت تقوم بدورها الفعال فى المجتمع وفى ميادين العمل على حد سواء .

■■

محمد طنطاوى

محكمة المياه ببلنسية

أثر من آثار الأندلس الباقية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كان من حسن حظى اثناء وجودي بمدينة بلنسيه Valencia فى شهر مارس سنة ١٩٧٠ ، أن أشهد جلسة « محكمة المياه » « El Tribunal De Las Aguas »

ولهذه المحكمة الشهيرة ، تاريخ حافل ، يتصل أوثق صلة ، بنظم الرى الأندلسية ، والقضاء الاندلسى .

انها هيئة من أغرب الهيئات القضائية واقدمها ، تنحصر مهمتها فى معالجة مشاكل الرى ، فى منطقة اندلسية بذاتها ، هى منطقة الحدائق والحقول البلنسية اليانعة ، وهى من اخصب بقاع شرقى الاندلس ، واغزرها انتاجا للفاكهة .

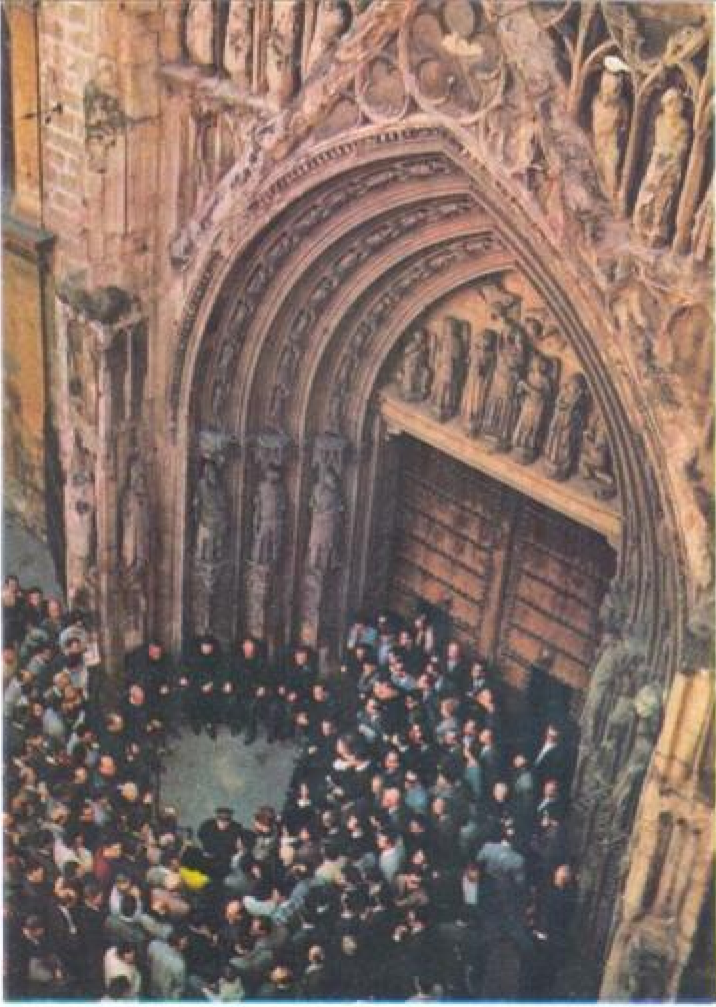
محكمة المياه ترجع الى العصر الرومانى

وبالرغم من ان محكمة المياه ، ترجع من الناحية الزمنية ، الى العصر الرومانى ، فانها قد اتخذت على يد مسلمى الاندلس ، منذ نحو الف عام ، نظمها الحالية ، وشكلها الحالى ، وكانت خلال العهد الاسلامى ، مثلا فريدا من امثلة العدالة الاسلامية .

واذا لم تكن لدينا وثائق تاريخية ، او قضائية ، تتعلق بمحكمة المياه ، فانه يوجد لدينا مع ذلك ، ما يدل على وجودها ضمن النظم القضائية

خريطة تبين موقع مدينة بلنسية





محكمة المياه في بلنسيه انها هيئة من اغرب الهيئات القضائية واقدمها ، وتنحصر مهمتها في معالجة مشاكل الرى .

الاندلسية ، فقد ذكر لنا كل من ابن حيان ، وابن الخطيب ، عند استعراض تاريخ بلنسيه، ايام الطوائف، ان الفتيين العامريين ، مظفر ومبارك كانا قبل توليهما امارة بلنسية ، في بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) يتوليان وكالة الساقية بالمدينه ، او بعبارة اخرى كانا يتوليان شئون الرى . وهو ما يدل على اهمية مسائل الرى في

منطقة بلنسية في ذلك العصر ، وعلى انه كانت توجد لتنظيمها ، نظم ادارية او قضائية ، كانت محكمة المياه بلاريب احد عناصرها. ومن جهة اخرى فان التواريخ الاسبانية ذاتها، تقول لنا ان الملك خايمى الاول ملك ارجوان، حينما افتتح بلنسية سنة ١٢٣٨م ، واصدر لها نظمها وقوانينها الجديدة ، اعجب بمحكمة المياه العربية ، وقرر الابقاء عليها ،

بسائر نظامها وامتيازاتها ، التي كانت لها ايام الحكم الاسلامي . وقد استمرت محكمة المياه من ذلك التاريخ الى يومنا هذا بنفس أوضاعها ونظمها القديمة .

ومما هو جدير بالذكر ، ان كثيرا من البقاع الزراعية الخصبة ، في منطقة بلنسية ، مازالت تقوم على طرق الري والصرف التي كانت لها ايام المسلمين . ومن المعروف الذي لاريب فيه ، انالامة الاندلسية كانت من ابرع الامم ، في استغلال الارض وفنون الزراعة ، وقد حول العرب الاندلس من جدبها ايام القوط Goths ، الى حديقة يانعة، بما احدثوه في وديانها من نظم الري والصرف المبتكرة . ومازالت آثار هذه المنشئات العربية ، توجد في مناطق كثيرة ، من شبه الجزيرة الاندلسية ، مثل بلنسية ومرية في الشرق ، ولاردة في الشمال ، وقرطبة في الوسط ، وغرناطة في الجنوب .

الاستاذ ريبرا يخالف ان نظام الري غربي

ومن الغريب ان العلامة الاستاذ خوليان ريبرا ، يحاول في فصل من كتابه Disertaciones Yopusculos (١) ان ينكر فضل العرب في وضع خطط الري والصرف البلنسية ، ويقول لنا انه لايوجد مايؤيد هذا الراي ، كما انه لايوجد مايؤيد ان محكمة المياه البلنسية، ترجع الى أصل عربي ، ومع ذلك فانه يقول لنا انه عند فتح بلنسية ، امكن اقناع النصارى بأن السكان العرب في هذه المنطقة هم زراع مهرة ، وانهم وضعوا خطط الري المدهشة ، ونظموا توزيع المياه ، كما انهم وضعوا الاجراءات الكفيلة بحسم اى نزاع ، ومعاقبة كل مخالف . يقول الاستاذ ريبرا « لقد بالغ المؤرخون المسلمون في تقدير مزايا هذا النظام . بيد انه لا يوجد مؤرخ عربي واحد لبلنسية يقول كلمة عن انشاء العرب للمساقي ، ولهذا السكوت ذاته معنى واضح ، كما انه لايوجد بين النظم المشرقية مثيل لنظام محكمة المياه ، ومن ثم فانه لايوجد ما يبرر نسبة هذا النظام الى العرب . وارجح الظن ان النصارى الفاتحين حينما دخلوا بلنسية ، طبقوا نفس النظم والاجراءات القائمة في شئون الري والمساقي » .

دحض رأى الاستاذ ريبرا

هذا ما يقوله الاستاذ ريبرا . وقد رأينا فيما تقدم ، ان هناك من النصوص العربية ، بل والاسبانية ، ما يدحض هذا الراى الذى يشوبه التحامل . واليك من جهة اخرى ما يقوله ابن بلنسية قاضي محكمة المياه،الاستاذ خنير بورا، عن اصل هذه المحكمة ، في البحث الذى كتبه عنها :

« ان المحكمة بشكلها الذى وصل الينا ، انما هي ميراث من الشعب العربي ، ووفقا لأوثق الروايات فان ذلك كان ايام خلفاء قرطبة العظام ، عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، حتى سنة ٩٦٠م حين اتخذت نظامها الذى وصل الينا ولم يتغير » .

هذا ومما يؤيد اصل المحكمة العربي ايضا ، بعض أوضاعها ونظمها الحالية ، فهي مثلا تنعقد كل يوم خميس عند الظهر ، وفي بهو صغير مستدير يقع وراء باب الرسل ، وهو الباب الخلفي لكنيسة بلنسية العظمى . وهذا شأنها منذ سقوط بلنسية ، في ايدى النصارى في سنة ١٢٣٨م اى منذ سبعة قرون ونصف . وتفسير ذلك ان محكمة المياه كانت تنعقد ايام الحكم الاسلامي بالمسجد الجامع ، كباقي الهيئات القضائية الاخرى . فلما سقطتبلنسية، وحول المسجد الجامع الى كنيسة ، تعذر على الخصوم المسلمين الوصول الى المحكمة ، لتعذر دخولهم الكنيسة . ومن ثم فقد تقرر عقدها خارج الجامع

---

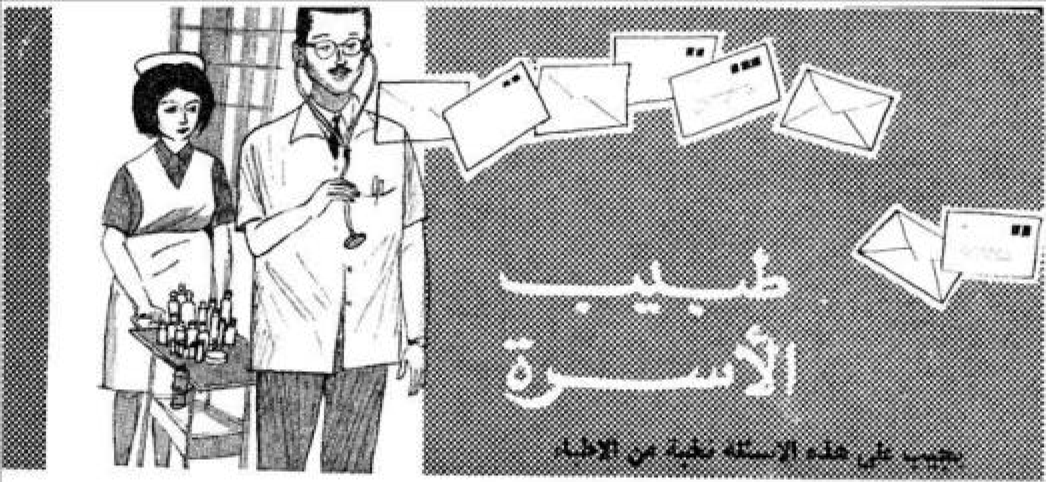
(١) « محاضرات ومقالات »

المتحول ، ليتمكن المسلمون من شهودها الى جانب زملائهم النصارى .
وكون المحكمة لاتعقد الا يوم الخميس، هو دليل آخر ، لأن يوم الخميس هو نهاية اسبوع العمل عند المسلمين ، مثل يوم السبت عند النصارى ، وهو فى نفس الوقت محترم من النصارى .

هيئة المحكمة كما رايناها

ولنقدم الآن الى القارىء صورة حية، من هيئة المحكمة ، وطريقة عملها ، وذلك حسبما شهدناه بانفسنا .
كان يوم الخميس الثالث من مارس ، ففى الساعة الثانية عشرة بالضبط ، تقدم اعضاء المحكمة الثمانية فاحتلوا كراسيهم التي صفت فى البهو الصغير المكشوف الواقع وراء باب الرسل Pmerta De Apostoles وهو الباب الخلفى لكنيسة بلنسية العظمى ، الواقع بميدان العذراء Plaza De Pa Virgen ويراس الهيئة اكبر الاعضاء سنا ، ويمثل الاعضاء الثمانية مناطق الترع والمساقى الثمانية التي تتكون منها شبكة الرى لحقول وحدائق بلنسية . وقد كتب فوق كل كرسى اسم المسقى الذى يمثله العضو على النحو الآتى : ترعة مسلاتة ـ ترعة كوارت ـ ترعة بناشير أى فتنال ـ ترعة فابارا ـ ترعة روبيلا ـ وهذه الخمسة تقع فى الجهة اليمنى من نهر توريا . وترع تورمس ، ومستالا ، وراسكانيا وتقع فى الجهة اليسرى من النهر . ويقف المحضر امام المحكمة Alguacil ، وهو يحمل عصا طويلة او حربة لها راس مزدوج ، ويرتدى القضاة الثمانية فوق ثيابهم القاتمة ، فوق النصف الاعلى ، قمصانا سودا ، دائرة حول الجسم ، ومغلقة على نحو ما يرتدي القسس ، كما يلبسون ياقات بيضاء مقواة .
وقبل انعقاد المحكمة يخرج القسيس من باب الرسل ، ويلقى كلمة يبارك فيها المحكمة ، ويتمنى لها ان تحكم بالعدل والقسطاس،ثم يرش المكان بالماء المقدس، ثم يبدأ المحضر بالنداء على اصحاب الشكاوى Quejas ، فتبحث بسرعة،ويقضي فى كل منها وفق ظروفها.
ويعرض على المحكمة مختلف جرائم الرى ، التي ترتكب فى المنطقة ، مثل سرقة المياه وقت انخفاض المساقى ، وهدم الترع والجسور ، وتحويل المياه الى حقل قريب سبق ريه ، او اخذ المياه فى غير الدور المقرر ، او رفع بوابة المياه ، حينما يكون الحق قائما للآخرين فى الرى، وامثال ذلك . ولكل مالك او منتفع ان يشكو مما يقع من المخالفات ؛ ولخفير الترعة ان يبلغ السلطات عند وقوع اية مخالفة ، ويدعى المشكو فى حقه الى المثول امام المحكمة فورا،فى يوم الخميس التالى ، فاذا لم يحضر دعى بعد ذلك مرتين اخريين . واذا تخلف عن الحضور، يعتبر مرتكبا للذنب المنسوب اليه ، بسائر تفاصيله،وقضى عليه وفقا لذلك .
وللمتهم ان يدافع عن نفسه . والمرافعات كلها شفوية ، غير مدونة ، وللمحكمة فضلا عن اصدار الاحكام ، وعمل التسويات اللازمة ، ان تقضى بالغرامات على المتنازعين من ذوى النية السيئة . ولهذه المحكمة سلطة واحترام عميق فى نفوس المزارعين .
يقول الاستاذ خنير قاضي المحكمة ما ملخصه « لقد كان الرى فى منطقة الحدائق البلنسية ، يجرى وفقا لقواعد قديمة غير مدونة ، وضعها العرب ، واستمرت سارية مدى عصور . ثم رئى بعد ذلك تدوينها ، لتكسب مزيدا من الاستقرار والضبط ، فدونت فى القرن الثانى عشر ايام الملك فيليب الخامس . وهذه اللوائح نموذج مؤثر ، للبساطة والواقع العملى » .
والخلاصة ان محكمة المياه البلنسية، انما هى اثر من الآثار المعنوية الباقية للامة الاندلسية المجيدة ، يذكرنا بما كان لهذه الامة الذكية البارعة ، من قدم راسخ فى مختلف الميادين الحضارية. ■■

محمد عبد الله عنان



رجفة في اليد وعمره لم يتجاوز الاربعين !

● انا في حوالى الاربعين من عمرى الاحظ اثناء امساكى بشيء باليدين ، كفنجان القهوة مثلا ، ان يدى ترتجف ،فما سبب ذلك ؟ وهل من علاج ؟ .



ـ ان لرجفة اليدين اسبابا عدة فى مثل هذه السن :ـ

١ ـ اضطرابات وزيادة افراز الغـدة الدرقية .

٢ ـ مـن تأثـير تعاطـى المشروبات الروحية .

٣ ـ ربما كان هذا وراثيا ويلاحظ فى افراد عدة فى الأسرة .

٤ ـ مرض الرعاش Parkinsonism .

٥ ـ مرض فى المخيخ .

٦ ـ اضطرابات نفسية وعصبية ؛ ويلاحظ فى هذه الحالة أن الرجفة تزداد عندما يضطرب الانسان أو يتعرض لموقف لا يستريح اليه ، او تتوتر أعصابه .

٧ ـ نوع هستيرى يصيب صـغار السن اثر اصابتهم بنوبة هستيرية نتيجة لعدم توازن فى انفعالاتهم عندما يصابون بحزن شديد أو خبر مفاجىء أو فشل فى عمل .

لذا كان من الواجب على كل مـريض يشكو من رجفة ظاهرة تزداد سوءا على مر الأيام أن يعرض نفسه على طبيبـه ليقرر السبب ، وكما يتضح للقارىء فانها عديدة ، وكل واحدة منها تحتاج الى فحوصات خاصة وعلاج خاص .

لماذا تنساب الدموع بغزارة من العين .. ؟!

● ابني الصغير عمره ستة شهور ،وقد لاحظت منذ شهرين ان الدموع تنساب بغزارة من عينه اليمنى وصحبته الى طبيب غير اخصائي فعالجه بقطرات ومرهم ، ولا تزال الحالة كما هي .
فما هو السبب يا ترى ، وكيف يكون العلاج ؟

ـ الدموع تفرز من غدد دمعية رئيسية واضافية ، والسائل الدمعي ينقل بواسطة قنوات الى الجزء الخارجي للطية العلوية للملتحمة Supero - lateral Fornix والجزء الخارجي للطية السفلى للملتحمة Lower Fornix ويجرى السائل الدمعي الى الداخل بواسطة حركة الجفون ، وذلك بأن « تطرف العين » Blinking ، خارجا من العين بواسطة مجار دمعية Lacrimal Passages حيث يصب في الانف، وجزء آخر من السائل الدمعي يفقد بواسطة عملية التبخر من على سطح العين . هذه العملية تتم يوميا وبانتظام ودون ان نشعر بها ولكننا مثلا نلاحظ غزارة الدمع حينما نبكي او نغرق في الضحك او نشم رائحة نفاذة مثل رائحة عصير البصل .

ومما سبق يتضح لنا ان انسكاب الدموع على الوجه انما يتأتى من نشوء احدى حالتين ،الاولى : هي زيادة افراز الدمع بواسطة الغدد الدمعية Lacrimation



والثانية : هي ناشئة عن انسداد المجارى الدمعية المؤدية للانف في حين يكون افراز الغدد الدمعية طبيعيا .واذ لا يجد السائل الدمعي طريقه للانف فانه ينسكب خارجا على الوجه ، وتسمى هذه الحالة بالركودة الدمعية Epiphora .

وكأمثلة على تدميع العين Lacrimation فانها تحدث من اسباب متعددة مثل التهابات الملتحمة او وجود جسم غريب بها كرمش « هدب » ساقط او حبة رمل الخ . او عند التعرض لضوء شديد او اثناء التقيؤ ، او البكاء او الضحك الشديد او بواسطة بعض القطرات والادوية والروائح النفاذة .اما حالة الركود الدمعية فتنشأ من اسباب متعددة مثل ازاحة او انسداد النقطة الدمعية Lacrimal Punctum او انسداد القنية الدمعية Lacrimal Canaliculus . او الكيس الدمعي Lacrimal Sac او القناة الدمعية الانفية Naso-Lacrimal Duct وهذا الانسداد يكون لاسباب متعددة مثل تأخر فتح المجارى الدمعية او التهابات المجارى الدمعية ، او انسدادها بواسطة الياف تشدها من الخارج او اورام تضغط عليها الخ ..

ولذا ننصحك بعرض طفلك على طبيب مختص ،ليقوم بالتشخيص اللازم حيث ان العلاج يختلف في كل حالة .

عرق النسا (بفتح النون)

● **كثيرا ما نسمع عن مرض « عرق النسا » (بفتح النون) فما هو هذا المرض ؟ وما علاجه ؟ .**

ـ عرق النسا Siatica هو مرض يصيب العصب الرئيسي للساق السفلي ، الذى يخرج من اسفل العمود الفقرى من الفقرات القطنية ،واول فقرة عجزية ـ وأهم سبب هو الانزلاق الغضروفي من بين هذه الفقرات وضغطه على العصب ـ وهذا يحدث عادة اثر التواء شديد فى العمود الفقرى ـ أو رفع حمل ثقيل من على الارض ـ او أثناء الوضع عند الاناث ، ويشكو المريض فى باديء الامر من الم فى اسفل الظهر لمدة طويلة ومتباعدة ، ثم يحدث الم مفاجيء فى أسفل الظهر سرعان ما ينزل خلف الفخذ الى اصابع الرجل ـ ويزداد هذا الألم بالسعال أو العطس ، وبعد وقت يحس المريض بتنميل في القدم ـ وفى بعض الحالات المتقدمة يحدث ضعف فى عضلات الساق المصابة وضمور فى العضلات .

والعلاج فى مثل هذه الحالة ، هو الراحة التامة على الظهر على فراش مستو ، دون تقوسات بأن يوضع الفراش على الارض مثلا أو لوح من الخشب ، وتعطى المسكنات مثل اقراص الاسبرين ـ ويستمر العلاج لمدة ثلاثة او اربعة اسابيع ـ وفى الحالات التى لا تستجيب لمثل هذا العلاج ـ تعمل جاكيت جبس لتسند الظهر مدة ثلاثة اشهر ـ وبعد ان يزال الجبس يعطي المريض حزاما للظهر ليلبسه لسند ظهره مع تمرينات للظهر ـ حتى لا تساعد على حدوث الانزلاق مرة اخرى بعد أن يعود الى وضعه الأول .

فى بعض الحالات يعمل شد على الساق السفلى لابعاد الفقرات عن بعضها ، وبذلك يعود الغضروف الى وضعه الطبيعى ، أما الحالات التى لا تستجيب لكل هذا العلاج فتعمل عملية جراحية لازالة الغضروف الضاغط على العصب .

الذبابة الطائرة لا تسبب اى ضرر للعين

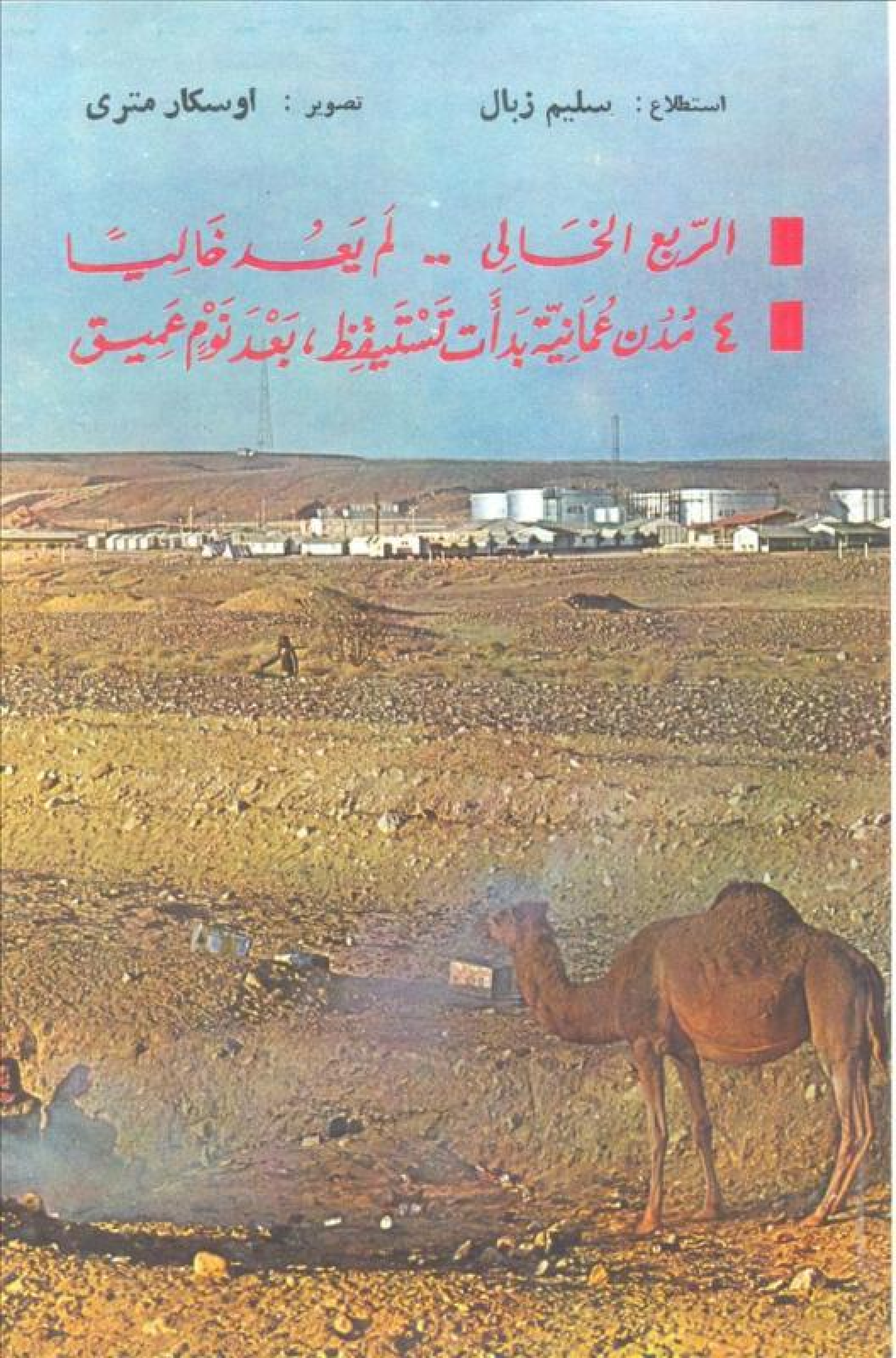
● **ارى اجساما تتحرك امام عيني وسألت احد الاصدقاء فقال لي انها ظاهرة يسميها الاطباء بالذبابة الطائرة ، فما هي ؟ وما علاجها ؟**

ـ الذبابة الطائرة هي اصطلاح يطلق على اجسام صغيرة متحركة تظهر امام العين بدون ان يصاحبها اختلاف واضح فى تركيب المادة التي تملأ كرة العين وتسمى **بالجسم الزجاجي** Vetreous Humour أو الرطوبة المائية « Aqueous Humour) السائل الذى يملأ الغرفة الامامية » . وسببها غير معروف حتى الان ، وتظهر كثيرا فى حالات عيوب النظر خصوصا مع قصر النظر كما يلاحظ حدوثها مع اضطرابات الجهاز الهضمي او بعد دلك العين . . وهي تبدو كاجسام رمادية اللون مثل الظلام ذات اشكال مختلفة ، فهي احيانا نقطا او حلقات مستديرة واحيانا اخرى كخيوط رفيعة مستقيمة ومتعرجة ، وهي تتحرك فى كل اتجاه ، وهي لا تسبب اى مضار للعين . والعلاج يكون بلبس نظارة طبية فى حالات عيوب النظر ، وتنظيم الجهاز الهضمي وان ينصح المريض بعدم الاهتمام بهذه الظاهرة ، ومع الوقت ينساها ولا تسبب له اية مضايقات .

استطلاع : سليم زبال   تصوير : اوسكار مترى

الرّبع الخالي .. لم يعُد خاليًا

٤ مُدن عُمانيّة بدأت تستيقظ، بعد نوم عميق



■ **الناس مرضى في عمان** .. لانه لا يوجد الا طبيب واحد لكل مائة الف مواطن ..

الناس جياع فقراء في عمان .. لانهم يجهلون شق الارض ، واخراج الغذاء والطعام .

الناس جهلاء في عمان .. لانه لم تفتح مدرسة يتعلمون فيها ..

دجل وترهات وخزعبلات .. وظلام فوق ظلام .. واناس طيبون يروحون ويغدون .. ولكن عقارب الزمان في مكانها لا تتحرك .. وكأنها قد توقفت منذ أربعة اجيال ..

وتوغلنا في عمان الداخل ، فخلناها قطعة من التاريخ القديم تعيش في عصر غزو الفضاء ! .

نبدأ من لا شيء

ولم نسكت .. لقد نقلنا هذا الذي لمسناه وسجلناه الى وزير الاعلام العماني عبد الله الطائي فقال لنا : « الم نقل لكم هذا ! لقد حاولنا أن نقدم صورة للمأساة التي كنا نعيشها في هذا الجزء من الارض العربية ، ولكنكم رحتم تشككون فيما نقول ، لم رأيتم كل شيء بأعينكم .. ان مشكلتنا اكبر واضخم مما رأيتم ومما تتصورون .. اننا نبدأ الآن من لا شيء . ومن اجل هذا ثرنا على كل شيء كان قائما في هذا البلد .. ان الطريق طويل ، وهو مليء بالصعاب والاشواك ، ولكننا على ثقة من اننا سوف نصل في النهاية .. تعالوا الينا مرة اخرى بعد خمس سنوات ، وسوف ترون صورة اخرى لما يمكن أن يحققه العمل الجاد المثمر » ..

كانت الشمس ما تزال تغط في مهدها تحت افقها ، عندما تخطت سيارتنا الصحراوية « اللاندروفر » بوابة مدينة مسقط متجهة صوب الغرب .. صوب مدينة « نزوى » التي طالما سمعنا وقرأنا عنها : « عاصمة عمان التاريخية ، وقلبه النابض مأوى الصالحين الاخيار والفضلاء الاحرار ، ومجتمع العلماء ومحط الافاضل الاصفياء بغير نكران .. وهي اعرف من ان تعرف ، واشهر من ان تذكر » **كما يقول صاحب كتاب « العنوان عن تاريخ عمان »** .

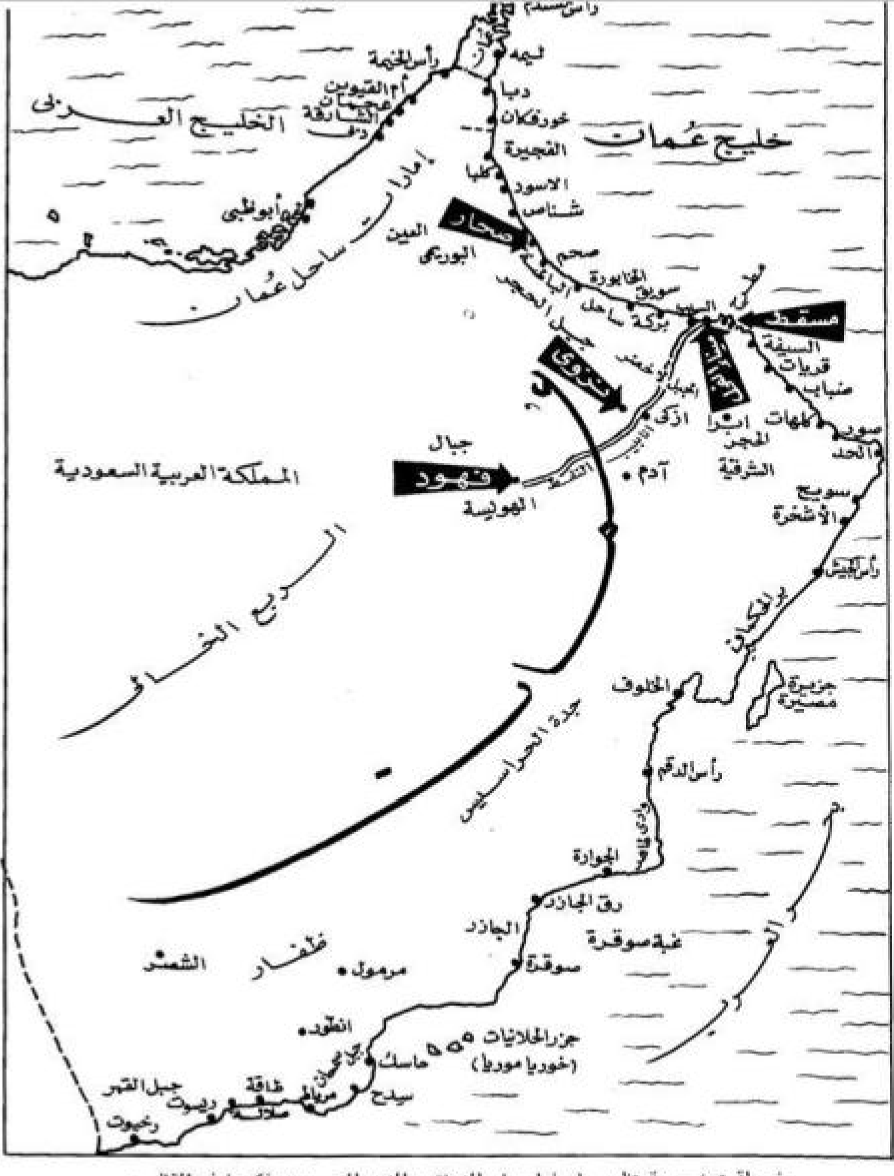
والواقع ان قولهم بانها « اعرف من أن تعرف » يقضي تماما على استطلاعنا هذا .. وهذا ما سنحاول تلافيه ..

ابن بطوطة يأكل لحم الحمار !

انها مدينة ترجع الى عصور الجاهلية الاولى سبقنا اليها ابن بطوطة فوصفها بقوله :

« مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والانهار ، وعادة اهلها انهم يأكلون في صحون المساجد ، يأتي كل انسان بما عنده ويجتمعون للاكل في صحن المسجد ، ويأكل معهم الوارد والصادر . ولهم نجدة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم ابدا ، وهم اباضية المذهب ، وسلطانها عربي من قبيلة الازد بن الغوث . وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلس هنالك ولا حاجب له ، ولا وزير ، ولا يمنع احدا من الدخول اليه من غريب أو غير غريب . ويكرم الضيف على عادة العرب . ويؤكل على مائدته لحم الحمار الانسي ، ويباع بالسوق ، لانهم قائلون بتحليله » ..

الصورة التي على الصفحتين السابقتين :
في عام ١٩٦٤ تفجر النفط غزيرا من تحت رمال الربع الخالي في سلطنة عمان .. وفوق الرمال الحارقة اقاموا منشآت ومستودعات النفط .. واخلوا سبيل الجمال ، فلم يعد لهم حاجة بها ، لان السيارة الصحراوية اللاندروفر حلت مكان « سفينة الصحراء » !!



خريطة توضيحية تظهر عليها اسماء المناطق والمدن التي ورد ذكرها في المقال .

٠٠ وياقوت الحموي يشكوى غلاء الاسعار !

هذا بعض ما ذكره ابن بطوطة ، في رحلته الى نزوى عام ١٣٢٥ م . تقريبا .. اما رحالتنا العربي الثاني ياقوت الحموي ، فقد جاء الى نزوى قبل ابن بطوطة بنحو مائة سنة ، وحلل اسم نزوى بمعنى وثبة ، ولكنه اشتكى من المبالغة في اثمان الاقمشة المتقنة بالحرير التي لا يصنع شيء مثلها في بقية بلاد العرب ..

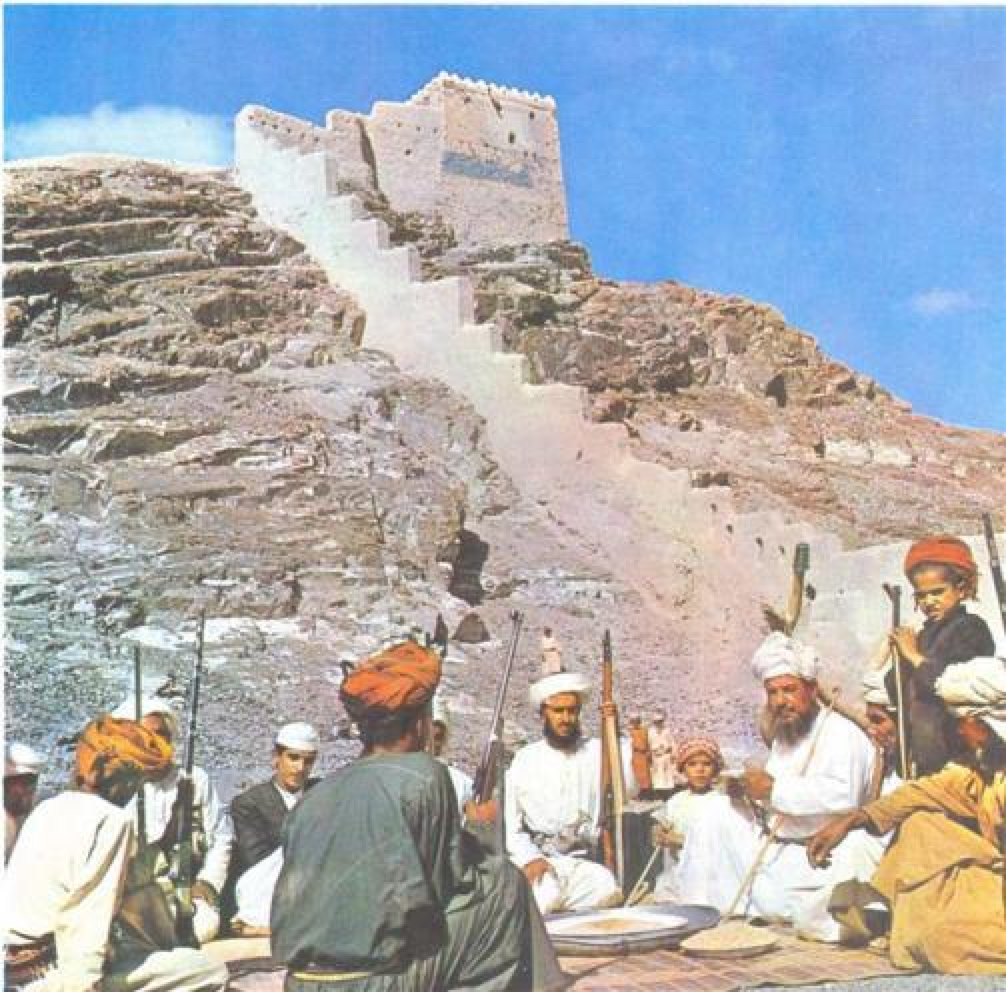
الطبيعة تزرع الارض

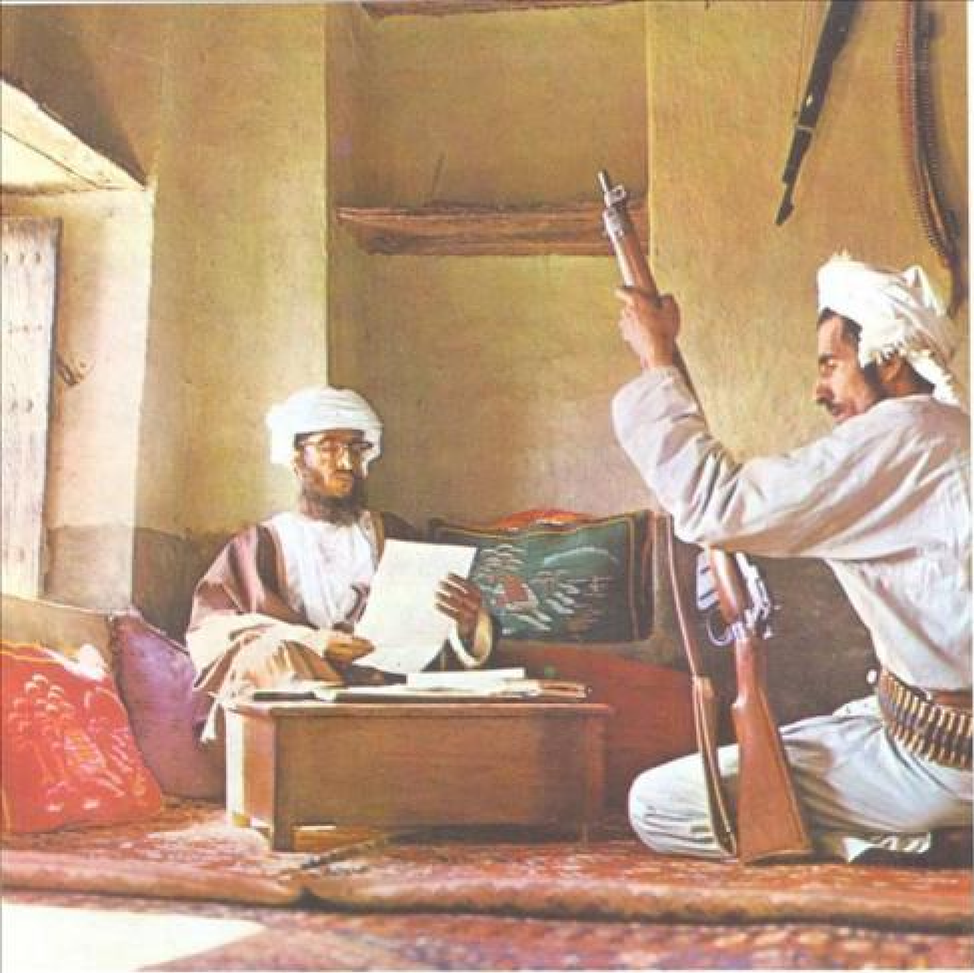
هكذا وصف الرحالة مدينة نزوى منذ اكثر من ٦٠٠ عام مضت .. فكيف حالها اليوم ؟ وكيف يعيش اهلها ؟

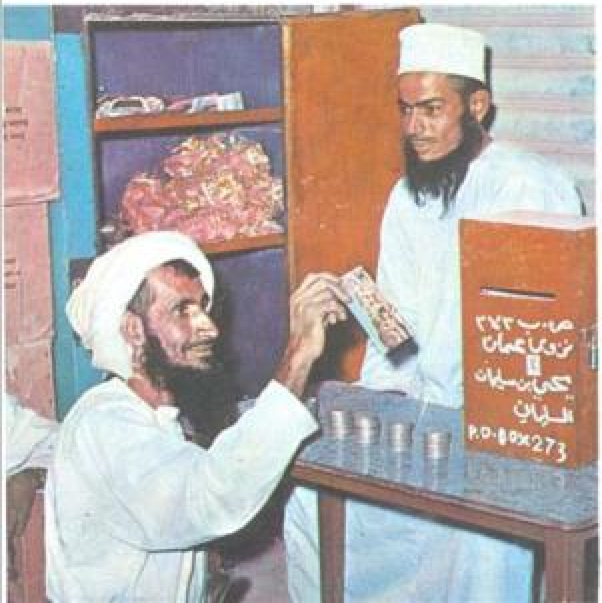
الى اليمين : تم تحويل خمسة مساجد مهجورة الى اول خمس مدارس تفتح في مدينة نزوى .. وفي يوم الافتتاح ، تم تسجيل اسماء ٥٠٠ طالب تراوحت اعمارهم بين ٧و١٨ سنة ، ولم يرفض اي طالب يريد التعليم .. وفي العام الدراسي القادم سوف تفتح ٤٢ مدرسة في جميع انحاء عمان منها ١٠ مدارس للبنات .

الى اسفل : في ساحة القلعة ببلدة سمايل ، جلس الوالي محمد بن زاهر بن غصن الهنائي ، مع بعض رجاله حول اطباق الفواكه الشهية









الى أعلى : والي مدينة نزوى الشيخ هلال بن حمد السمار ، جالس الى مكتبه في قلعة نزوى التاريخية يقرأ التماسا تقدم به احد المواطنين ..

الى اليسار : اذا اردت الكتابة لصديق في نزوى ، فارسل خطابك الى يحيى بن سلمان السليماني ، وهو يتولى تسليمه الى صاحبه !! وسألناه اذا كانت عنده طوابع ، فاجاب انها نفدت .. والى جانب عمله في البريد يقوم ببيع ريال الملكة تريزا الفضي ، واكياس المكرونة والشعرية !!

تعالوا معنا نبدا الرحلة من اولها ، فنسير على الطريق الطويل الموصل الى نزوى ، انه يمتد ٢٧٥ كيلو مترا غرب مدينة مسقط،ولكن السيارة لا يمكنها ان تتجه بك مباشرة نحو الغرب ،فالجبال تقف حاجزا منيعا يجبرك على التوجه ٥٠ ميلا شمالا على الشريط الساحلى ، قبل ان تنحرف غربا وتسير في وادى سمايل اشهر اودية سلسلة هذه الجبال ..

وتنطلق السيارة في ارض طيبة ، ولكنها ارض مهجورة .. هجرها اهلها هربا من التحكم والدكتاتورية .. فزرعتها الطبيعة باشجار السمر والغاف والسدر .. فنمت الاشجار في هدوء وبطء زائدين في غفلة من الزمان والانسان .. وسرنا اميالا واميالا دون ان نشهد اثرا لانسان ، وانما قرى متناثرة هنا وهناك .. منازل كلها من سعف النخيل او الطين .. ان ارض عمان تتسع لسكنى اكثر من عشرين مليون نسمة ، ولكن الذين يعيشون عليها حاليا لا يتجاوزون المليون نسمة .

الوقت هو ارخص السلع

وفي الطريق انفجر اطار سيارتنا ووقفنا نستبدل اطارا باطار ، ومرت بنا سيارة مكتظة بالناس توقفت ونزلوا كلهم .. ووقفوا معنا يشهدون عملية تبديل الاطار ، ويتحدثون معنا في لا شيء.. البعض يسميها شهامة ، بينما هى فى الواقع فراغ هائل يعيش فيه هؤلاء الرجال الطيبون .. ان الوقت لا اهمية له ، انه ما زال ارخص السلع واقلها قيمة عندهم !

وعند قرية فِنْجا ، شاهدنا ثلاثة رجال يزرعون .. انه الفلاح العمانى الذى يفخر بخبرته .. خبرة توارثها عن الاجداد عبر القرون الماضية .. ولكنها خبرة لم يعمل احد على تبديلها او تطويرها، فبقيت جامدة على حالها .. الفلاح ما زال يستعمل نفس الادوات ونفس اسلوب الاجداد .. يضرب الاحجار بالعصي ليفتتها،ويستعمل اصابعه لينبش تربة الارض ويمهدها ، ويستخرج منها طعاما هزيلا لا يسد جوعا ..

خلع الاسنان بالدوبارة

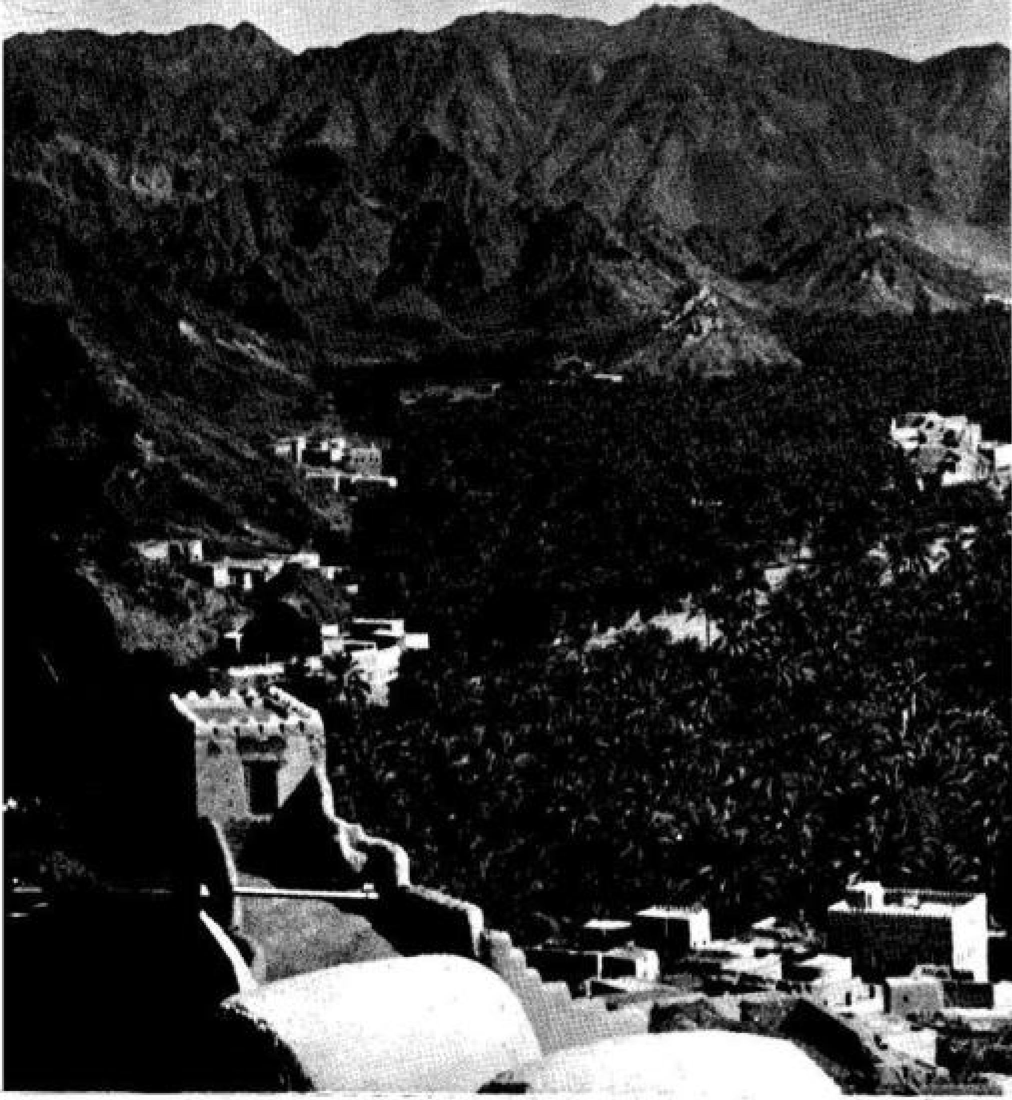
ويعمل الفلاح العمانى اجيرا عند صاحب الارض، الذى يعطيه ربع ريال سعيدى يوميا (الريال السعيدى يساوى جنيها استرلينيا) .. ويا حسرتاه على هذا الفلاح لو اصابه مرض.. فالقرية خالية من مستوصف او طبيب ، لهذا يضطر لركوب سيارة اجرة يدفع لصاحبها نصف ريال حتى ينقله الى مستشفى مطرح ، حيث يعالج مرضه او يخلع ضرسه بسبعمائة فلس ، ثم يعود الى قريته بعد ان يدفع نصف ريال آخر ..

والسؤال هنا : من اين له هذا المال ، وهو لا يتقاضى اكثر من ربع ريال يوميا ؟

انه لا يستطيع توفير هذا المبلغ ، لهذا نراه يكتفى بوضع الاحجبة فوق صدره لتحميه من عدوى الامراض وعين الشيطان .. اما اذا آلمته اسنانه او اضراسه ، فانه يربط السن التى تؤلمه بحبل او دوبارة ، ويشده بيده حتى يخلعه ! .

الى اسفل : تحت الاراضي العمانية تكمن كميات هائلة من المياه الجوفية التى لم تستغل حتى الآن وتتدفع المياه العذبة من جوف الارض على هيئة ينابيع كبيرة يسمونها « افلاجا » ، تسقى النخيل وبقية المزروعات .





«جنة البلاد العمانية الوحيدة ، ودوحتها الفريدة» .. انها وادى سمايل ، حيث النخيل على امتداد البصر .. وثمار هذا النخيل ، يرسل الرطب منه الى مسقط ، والتمر يباع في سمايل ، ويحتفظ المزارع بكمية كبيرة لاستهلاكه الخاص ..

فيريح نفسه من السن التى توجعه ، ويوفر الريال الذى لا يملكه !

سمايل .. جنة عمان

وتابعت سيارتنا سيرها الى نزوى مخترقة وادى سمايل .. وسمايل اسم يطرب له ابن عمان وينتشي ، ولنسمع وصف احد كتابهم لها يقول :

« هى حلقوم عمان الداخلية وواسطة عقده ، هى الفيحاء الوارفة الظلال ، البهجة الرياض الحسنة المنظر ، الجميلة الهيئة .. هى بالنسبة الى البلاد العمانية جنتها الوحيدة ، ودوحتها الفريدة ، وتاجها الموقر ، انهارها جارية ، والدارها دانية ، واشجارها وارفة ، ومياهها متدفقة ، ورياضها فناء مورقة .. لها شأن سجله الدهر بعلماء افاضل ، وزعماء عباهل ، وامراء اكابر ،

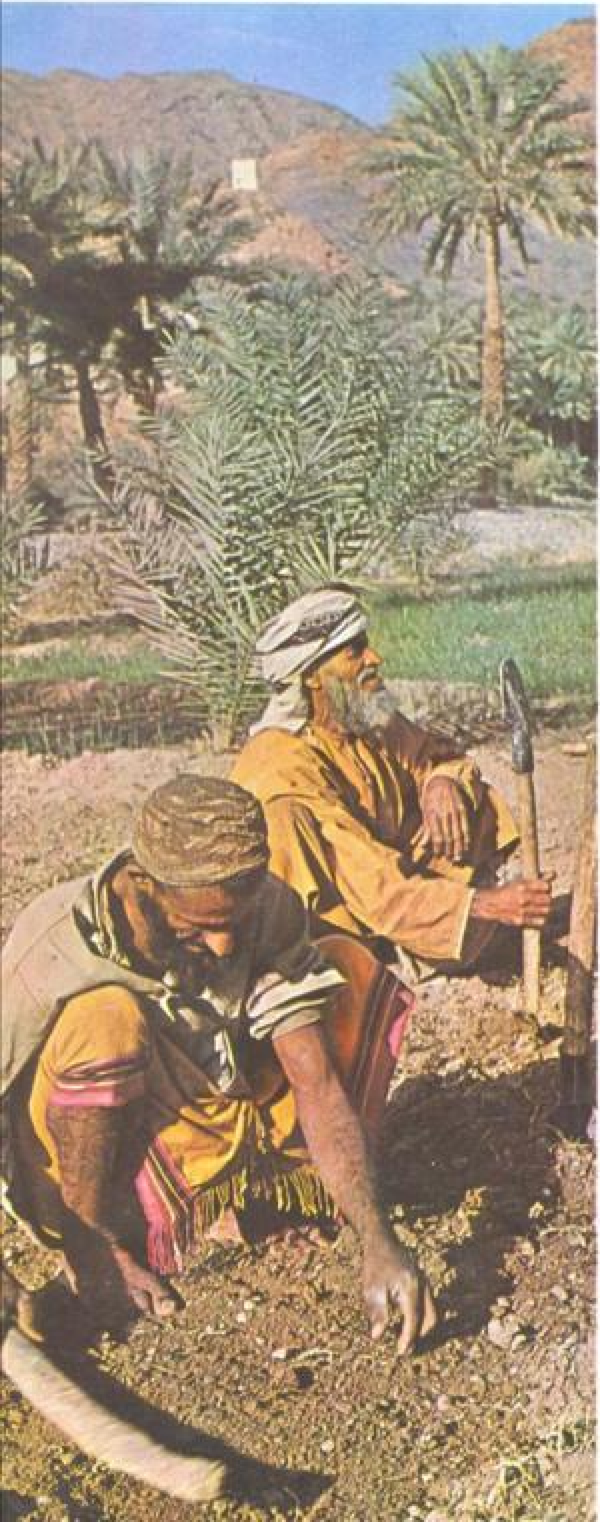


الى اسفل : سعيد محمد ، فلاح من قرية فنجا ، ورث خبرة الاجداد في الزراعة ، دون ان تبديل او تعديل فيها .. فهو يجهل علاج امراض الزرع ، ويجهل المخصبات الكيماوية ، ويجهل استعمال الجرارات ، انه في حاجة الى مخطط يخطط له من جديد ..



مازالت النخلة في داخل عمان هي الشجرة المفضلة ، انه المال الاخضر .. ويقدر عدد النخيل في عمان بنحو خمسة ملايين نخلة ، اى ان لكل شخص في عمان خمس نخلات في المتوسط .. وبين النخيل يزرع الفلاح اشجار الموز والامبا **(كما ترى في الصورة العليا)** فيأتي محصولها صغيرا ضعيفا ..

واحسن انواع التمور هي الزبد ، والخلاص ، واصبع العروس والمنزف .. والبهلاني .. وهناك عشرات الانواع غيرها ..





الى اليسار : فلاحان عمانيان يعملان في الارض بنفس اسلوب الاجداد ، احدهما يضرب الاحجار بالعصى ليفتتها ، والثاني يمسك « بالمقلتين » الصغير يحفر به الارض .. وهكذا يجيء العائد من الزراعة ضعيفا هزيلا ، فيهجر الشباب القرية الى المدينة ، ويبقى الشيوخ .. !

واعيان لم ينس الدهر فضلهم ، واخبار ما زالت الايام تتلو شرفهم ومجدهم » ..

ودخلنا جنة سمايل .. وسارت السيارة على طرقات لم تمتد اليها يد الانسان ، وانما حولتها الطبيعة الى وهاد ونجاد ، وعلى الجانبين اشجار خضراء متلاحمة متنوعة ، موز وامبا (المانجو) وسط غابات من النخيل لا حدود لها ..

طول السلالم يطيل العمر

وتحت الظلال للنخيل المتعالي شهدنا مجموعة من الاطفال الصغار يدرسون القرآن على يد شيخ جليل ، ما كاد يلمحنا حتى بدأ السلام ، فرددنا عليه التحية ولكن مرافقنا في الرحلة السيد على ابراهيم شنون ـ مدير الاعلام بالوكالة ـ استمر يحييه بهذا الاسلوب اللطيف :

ـ كيف حالكم ؟ .. **الحمد لله**

ـ واشحال عيالكم ؟ .. **الحمد لله**

ـ واشحال الجماعة ؟ ..**كلهم بخير**

ـ ماشي علوم (اى لا توجد اخبار) ؟ .. **ماشي اخبار .**



البسر .. او البلح الذى لم ينضج بعد .. يغلونه مع الماء ، ثم يتركونه ٩ أيام على الارض ليجف تحت اشعة الشمس ، قبل ان يصدروه الى الهند بكميات كبيرة ، وهناك يدقونه ويخلطونه مع الحليب ، ويشربونه في الاعراس !

ـ وصلتوا (اى قدمتم) ..**اهلا**

ـ في الدار **(اى انكم الآن في ديارنا فاهلا بكم).**

وهذا الذى ذكرناه مختصر للتحية ، اذ كان نفس السؤال والجواب يتكرران عدة مرات !!

مكرونة بالسكر !

وتابعنا سيرنا الى قلعة سمايل لمقابلة الوالى ، فكل الولاة يسكنون قلاعا تاريخية قديمة..وجلسنا نستمع الى والى سمايل الشيخ محمد بن غصن الهنائي ، الذى بدأ حديثه بمداعبات شعرية ، وبعدها جاء الشاى ، الذى رحنا نرتشفه جلوسا في ساحة القلعة الواسعة ، وحولنا رهط كبير من الناس ، كل منهم يحمل بندقية وخنجرا .. ومع الشاى احضروا الفوالة ، اى صينية عليها فاكهة الاناناس ، وصحن كبير مليء بالمكرونة ، يسمونها « البلاليط » لانها مطبوخة بالسمن والسكر ..

اطيب ماء

وبدأ والى سمايل يتحدث عن بلدته قائلا :

« اول شخص اسلم من أهل عمان كان من سمايل، واسمه مازن بن غضوبة السعدى الطائي ، فقد سار الى المدينة واسلم قبل ان يدعو النبى صلى الله عليه وسلم ، اهل عمان للاسلام ..

اما البلاد فالحمد لله بخير .. فيها مدرسة للعلوم العصرية ، ومدرسة للعلوم الدينية .. وفيها مساجد تصلى فيها الصلوات الخمس جماعة .. والصحة طيبة ، اذ عندنا مستوصف للرجال والنساء .. وماؤنا طيب ، وهو احسن ماء على وجه الارض ..

« اما عدد سكان سمايل فعشرة آلاف نسمة تقريبا » ..

قلنا : « هل يعملون كلهم في الزراعة ؟ » .

قال الوالى : « لا ليسوا كلهم .. وانما في فلك الله كلهم يسبحون .. واكثر من ثلث سكان سمايل يسيرون للخارج ، للكويت والسعودية والبحرين وزنجبار وعدن ، طلبا للعيش » ..

اسعار فاحشة .. لطعام ردىء

وسرنا في طرقات سمايل .. ودخلنا سوقها

وحاولنا شراء بعض الفواكه ، فراعنا الغلاء الرهيب الذى يسيطر على السوق .. ان الغذاء الطيب ، مثل الماء والهواء ، لهذا الشعب المسكين، ولكن اين له دفع عشرة قروش ثمنا لحبة رمان جافة ! .. او ما يساوى ٣٠ فلسا لحبة البرتقال المهترئة .. او ٩٠ فلسا ثمنا للكيلوجرام من البصل .. او خمسة فلوس ثمنا لليمونة صغيرة لا تغنى ؟ .. وهكذا اسعار فاحشة لانواع رديئة من الطعام .. ينتج عنها سوء تغذية ومرض ، ونسل ضعيف ، يتمسك بماضيه اكثر من حاضره، ويفخر باصوله ، غير عابىء بكهرباء تدخل بلاده، او بمخصبات تزيد انتاج ارضه وتخفف من حدة غلاء مأكله !

ولكن من هذه البلدة (سمايل) اختير الشيخ سعود الخليلى ليكون المسئول الاول عن التعليم في كل ارجاء عُمان .. وليمثل عُمان على رئاسة وفد الصداقة الذىزار مختلف العواصم العربية.

وتركنا سمايل متجهين الى مدينة نزوى .. وعند مشارف المدينة التاريخية اصبح الطريق وعرا للغاية وتكاثرت الرمال والحصى والاحجار .. تنساب فوقها المياه فتحيلها الى منطقة طينية موحلة ، وبركا من المياه الآسنة الخضراء ..

واتجهنا مباشرة ـ كالمعتاد ـ الى قلعة نزوى ، ويسمونها الشهباء .. قلعة تاريخية من اعظم قلاع المدن العمانية شهرة ، وصعدنا درجات سلمها « العملاقة » ، قاصدين غرفة الوالى عند قمة البرج المستدير . .واستمر الصعود وعشرات العيون ترقبنا .. شباب يحملون البنادق القديمة ذات المواسير الحديدية ، ويرتدون الجلباب الملون والكوفية الحمراء ، ويقيمون فى القلعة الكبيرةذات الدهاليز والاقبية .

والٍ وقاضٍ و ١٤ الف نسمة

ووصلنا غرفة الوالى ونحن نلهث من السلم العالى ، وخلعنا النعال وجلسنا على السجاد ، مستندين الى وسائد تعلوها رسوم يابانية ، وكان الوالى هلال بن حمد السمار يجلس امام مكتب صغير ويتحدث بصوت خافت عن مختلف الامور ، فسألناه عن الجهاز الحكومى المسئول عن نزوى



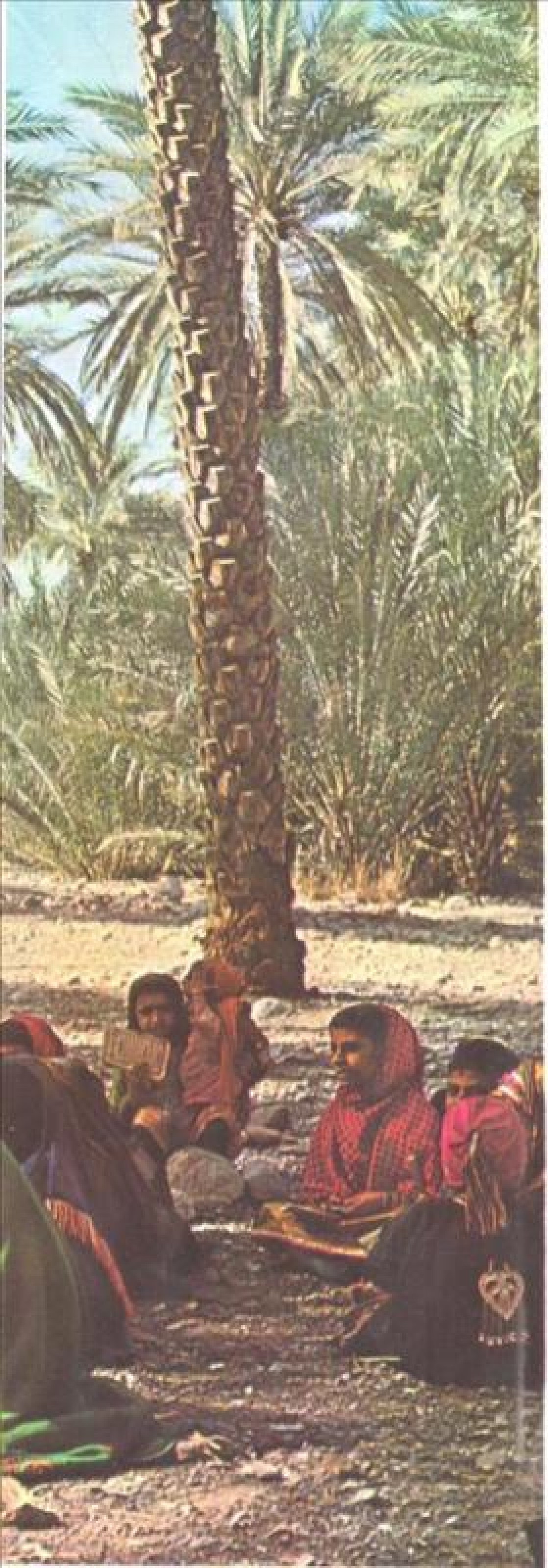
مسعود عبد الله مسعود بن سليمان السليماني .. ان طول اسمه يوازى طول باعه في صناعة الخناجر العربية المعقوفة « الجنبية » .. مستعملا الفضة للجراب ، وقرن وحيد القرن النادر ، ليد الخنجر .. ومعتمدا في عمله على آلات صنعها هو بنفسه ، من علب صفيح قديمة !

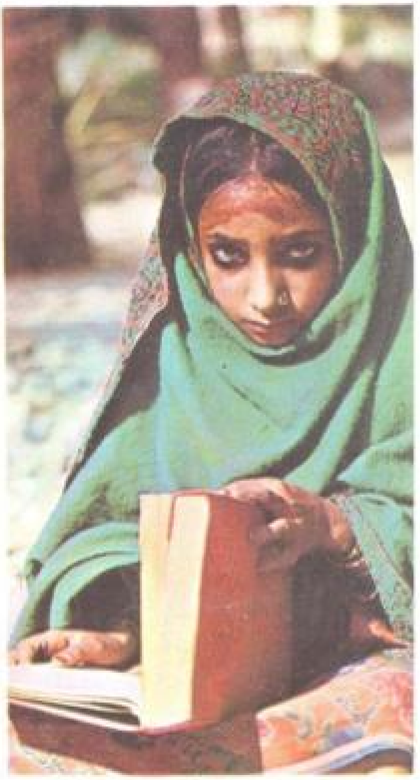
فقال : « يتألف هذا الجهاز من الوالي والقاضي ، واربعة كتاب لكتابة الصكوك والدعاوى » ..

وسألنا : « وكم يبلغ عدد سكان نزوى ، ومن يهتم بنظافة مدينتهم ، وفض مشاكلهم ؟ »

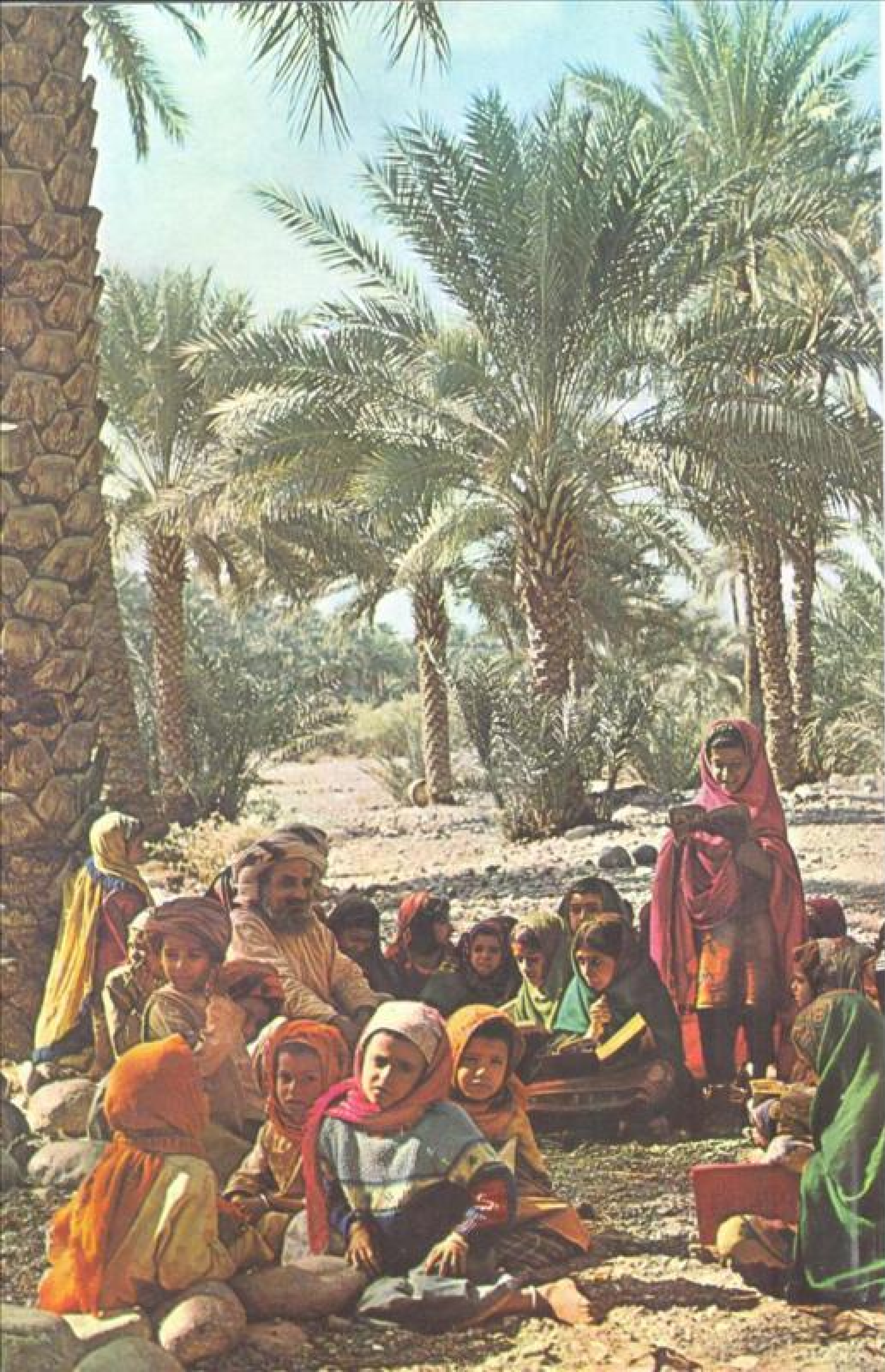
فاجابنا والى نزوى : « في الحقيقة لا يوجد احصاء رسمي ، لكن ربما كان عدد السكان ١٤ الف نسمة .. اما عن النظافة فعمليات التنظيف تجرى لمناطق محددة فقط ، ينفق عليها من اوقاف خاصة .

« وبخصوص القضايا فنحن نرجع الى الشرع للحكم فيها .. يسمع القاضي كلام المدعى والمدعى عليه ويحل مشكلتهم .. وفي حالة القضايا الكبيرة،





منذ ٢٥ عاما والشيخ « محمد منصور سمايل علاية الشمس » يُدَرِّس القرآن لأبناء وبنات سمايل تحت ظلال النخيل في الهواء الطلق .. ومما يذكر أن الشيخ منصور لايتقاضى راتبا ، وانما اوقف احد المحسنين ٢٥ نخلة على هذه المدرسة ، استلمها الشيخ منصور بعد وفاة الشيخ الذى سبقه منذ ٢٥ عاما .. ويقوم الشيخ منصور حاليا بالعناية بهذا النخيل ، من تقليم وسقى ، وقطف للتمر .. وبيع للمحصول الذى يأتيه بايراد يوازى ٢٠ جنيها استرلينيا سنويا .. ويشكو الشيخ منصور الينا ويقول : « وحتى هذا الراتب البسيط غير ثابت فكم من مرة تعصف الريح فيضيع التمر ومعه الراتب الذى اعيش عليه .. » والصورة العليا لاحدى الطالبات تقرأ في القرآن الكريم . بينما الصورة اليسرى تمثل « المدرسة » بكامل تلاميذها من الجنسين ، واستاذهم !



يطلب القاضي حملة العلم في المدينة ويتشاور معهم .. واذا رأى احد الخصمين حيفا في الحكم استأنف الحكم الى وزارة العدل بمسقط .. وهذا قليل الحدوث .. والقضايا كلها حقوقية .. اي لاحدهم حق او دين على آخر » ..

الذباب .. الذباب

وتركنا الوالي في القلعة التاريخية ، ونزلنا مع نجله الى اسواق وشوارع نزوى .. كنا نسير على ارض غريبة ، وكأنها ارض متحركة ، ونظرنا الى اسفل .. فوجدنا ارضا معبدة ببقايا عظام ارجل الاغنام وعلب العصير، وورق علب السكاير، وبقايا النعال الجلدية واوراق الاشجار .

وفي احد اركان السوق جلس بائع السمك المستورد من مسقط ، يبيع اسماكه : شرائح صغيرة يربطها المشترى بحبل مصنوع من سعف النخيل ويحملها في يده .. ونظرنا الى قطعة السمك فلم نستطع ان نراها من فرط ما تراكم عليها من ذباب .. وتطلعنا الى عيون الاطفال فوجدناها هي الاخرى مغطاة بالذباب .. حتى الحمار المسكين ، كان يحرك ذيله واذنيه وراسه في محاولة يائسة للتخلص من الذباب !! ذباب في كل مكان ، كان يحيط بنا ويلاحقنا اينما سرنا .. وعندها تذكرنا هذه القصة التي رواها احد الكتاب عن ذباب نزوى قال :

« مر احد الظرفاء في سوق نزوى ليشترى تمرا ، فوجد عددا من الذباب يفوق عدد التمر ، فسأل البائع ساخرا : « يا هذا لماذا لا تطرد التمر عن الذباب !! » .

اسلوب حياة الناس هو السبب

ولم نضحك لهذا الذى سمعناه ورأيناه ، بل اتجهنا نسأل كل شخص في نزوى عن الذباب ومشكلته ، فقال لنا احدهم : « ان مدينتنا هي التى تصدر الذباب الى العالم كله .. ونحن لا يمكن ان نفعل شيئا لانه لا توجد عندنا شركة « مال الذباب » ؟ !!

وقال آخر : « ان الذباب في بلدة ازكى المجاورة اكثر منه في نزوى .. ونحن كلما قتلنا ذبابة توالدت الوف مكانها ، انها مسألة ميئوس منها » ..

وتوصلنا اخيرا الى معرفة سر الذباب الذى يغزو نزوى .. ان السر يكمن في اسلوب وطريقة حياة الناس في المدينة .. فالابقار والاغنام والماعز تعيش داخل المنازل مع الاهالى .. وحتى هنا تبدو القصة عادية ، فهذه العادة السيئة موجودة في قرى بلادنا العربية .. ولكنها في نزوى تختلف عن بقية البلاد اذ يجمعون روث البقر والحيوانات في منازلهم ، ولا يكتفون بما يجمعونه من حيواناتهم، بل يبتاعون ما يجدونه في السوق ، ويضيفونه الى روث حيواناتهم ، ويتركون هذا السماد الطبيعى يتخمر لمدة عامين كاملين ، لان سعره يرتفع في الاسواق كلما اختمر لفترة اطول .. واهل نزوى مشهورون بحبهم لتجميع المال ، حتى انهم ينافسون اهل صفاقس التونسيين في حرصهم على جمع المال !! ..

كل انواع الامراض في نزوى

وكانت جولتنا في اسواق نزوى لتصوير الصناع والتجار ، هي جولة عذاب ، اختصرناها واسرعنا الخطى الى مستوصف نزوى ، نسأل طبيبه عن صحة اهل البلاد .. فوجدناه طبيبا هنديا يدعى محمد عوض ، يعيش في منزل تاريخي مصنوع من الطين .

لقد مضى على الطبيب عام واحد في نزوى ، وهو يعمل ليلا ونهارا لمعالجة آلاف الحالات في ظروف غير معقولة لا يحتملها بشر : فهو يخلع الاسنان ، ويعالج العيون ويولد النساء ويداوى السل !!

وتحدثنا الى هذا الطبيب الهندى المكافح فقال لنا : « كل انواع الامراض موجودة عندنا في منطقة نزوى ، وخاصة مرض التراخوما المنتشر بصورة وباء يعمى عيون الناس .. والسل والملاريا وفقر الدم (الانيميا) والاسهال الحاد والدود المعوى كلها امراض شائعة عندنا .. وانا اقوم يوميا بخلع عشرة ضروس واسنان على الاقل » ..

ويتابع الطبيب الهندى حديثه بمرارة فيقول :

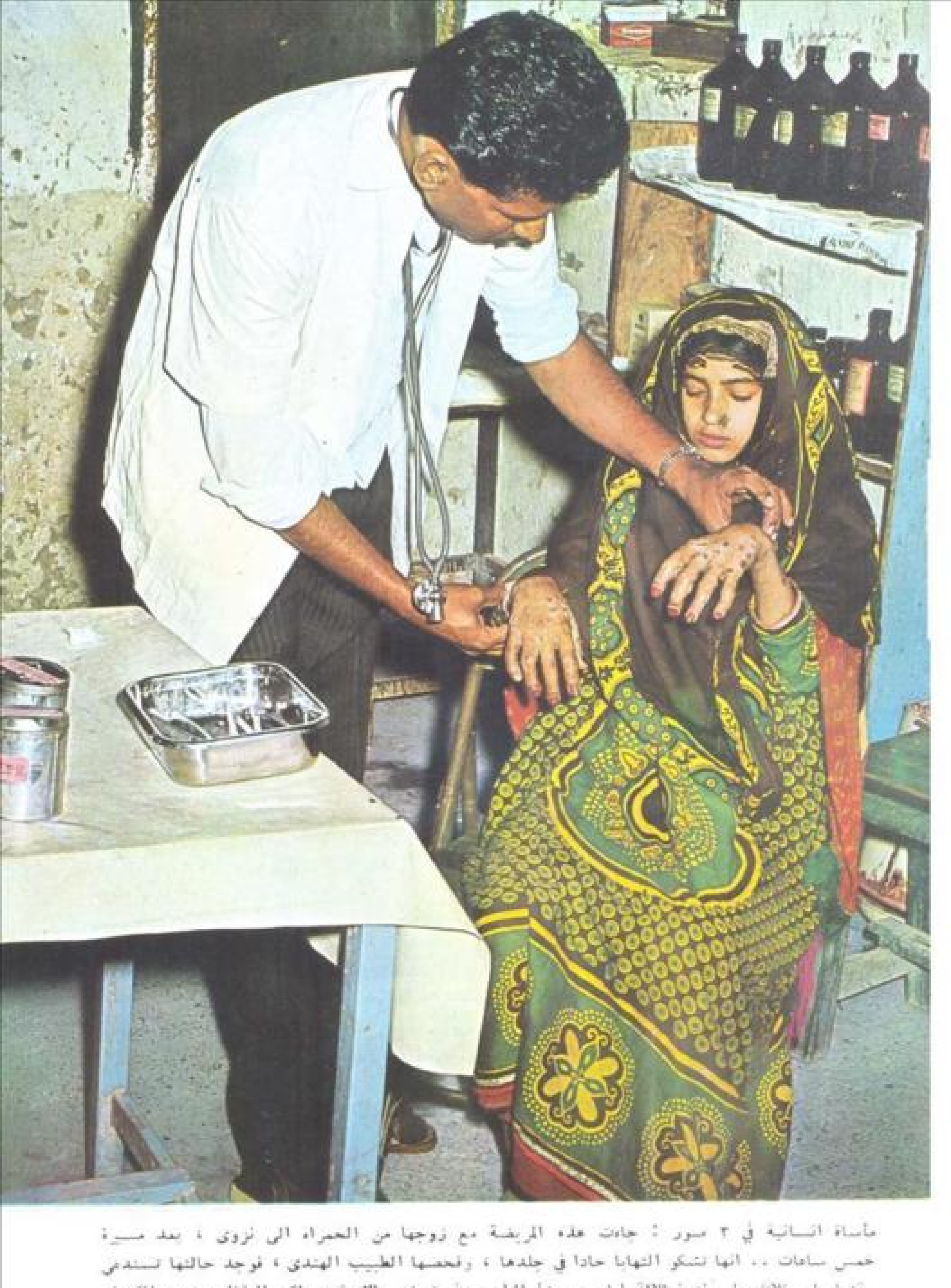
« عندما وصلت الى نزوى ورأيت انه يجب ان اعالج ٦٠ الف نسمة دون ان افهم لغتهم ، او حتى تكون عندى اية وسيلة للمواصلات اذهب بها اليهم ، قررت العودة الى الهند .. ولكن عندما



مدخل سوق نزوى : بالرغم من ازدهار عمليات البيع والشراء في سوق نزوى ، بفضل مركزها الممتاز وسط عمان ، وبالرغم من الثراء الذى يرفل فيه تجارها ، الا انه لم يفكر واحد منهم في تنظيف مدينتهم ، او حتى شارع السوق الذى يعملون فيه !!

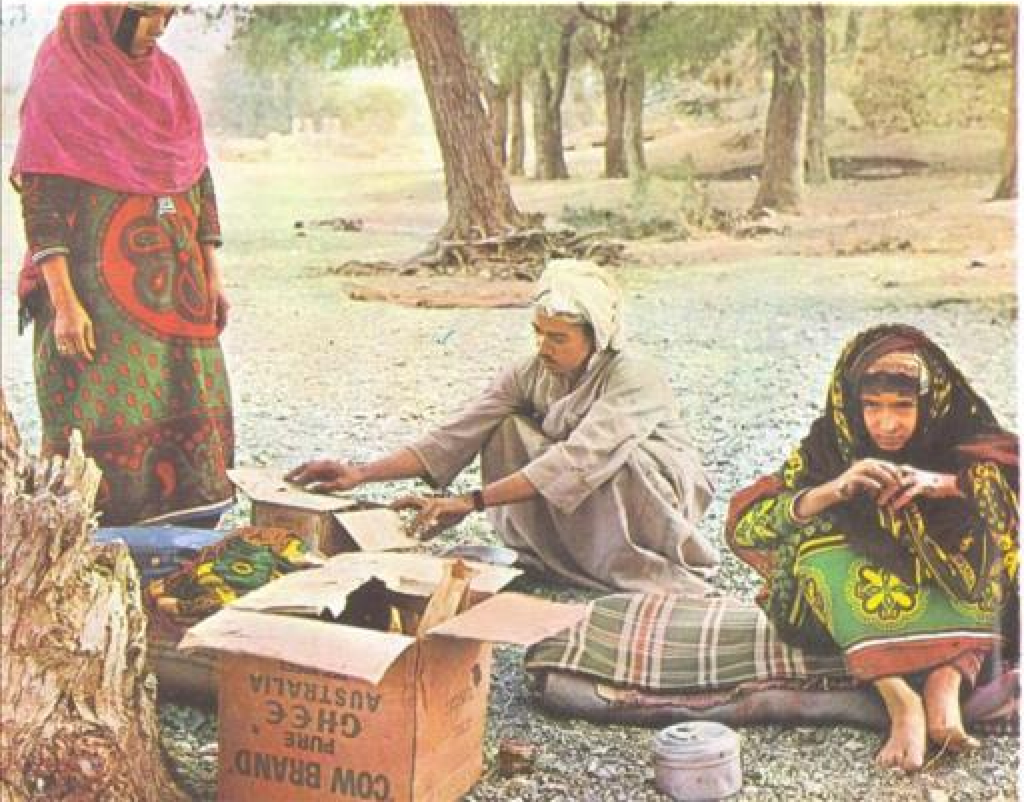
ازيح السلطان سعيد بن تيمور عن الحكم ، وجاء العهد الجديد ، وزارنا وزير الصحة ورأى المأساة التى نعيشها ، رفع راتبنا من ١٢٠٠ روبية الى ٢١٠٠ روبية .. واستبدل الحمار الذى كنت اركبه بسيارة جيب ، واستأجروا منزلا جديدا مبنيا بالاسمنت ليصبح مستشفى للمنطقة ، كل هذا التشجيع جعلنى اعدل عن قرارى بالعودة الى بلدى فتعلمت لغة اهل البلاد ، واصبحت اعرف الناس ، واذهب اليهم في منازلهم لعلاجهم ، وقمت اخيرا باعطاء سبعة آلاف حقنة كوليرا لاول مرة ، لاهالى ١٥ قرية تحيط بنزوى ..

« ولكن مكافحة المرض في نزوى تحتاج الى عشرات الاطباء والمساعدين ، فهى مركز التقاء مختلف الطرق وسط عمان .. فضلا عن طريقة حياة الناس ، والجهل المنتشر ، مما يجعل الوعى الصحى معدوما بين الناس » ..



مأساة انسانية في ٣ صور : جاءت هذه المريضة مع زوجها من الحمراء الى نزوى ، بعد مسيرة خمس ساعات .. انها تشكو التهابا حادا في جلدها ، وفحصها الطبيب الهندي ، فوجد حالتها تستدعي حقنها بابر ثلاث على فترة ثلاثة ايام . وبدأ الطبيب في تحضير الابرة ، ولكن التقاليد تمنع الكشف عن الذراع ، ولم يكن هناك من حل سوى قطع قماش ثوب المريضة من عند الكتف حتى يستطيع الطبيب حقنها بالابرة !! **(الصورة العليا الى اليسار)** .. وبعد الابرة الاولى قرر الزوج ان يقيم مع زوجته في الوادي الكبير تحت ظل شجرة لمدة ثلاثة ايام ، حتى تستطيع زوجته اخذ بقية الابر .. لانه من المحال عليهما السفر كل يوم عشر ساعات .. انها واحدة من صور المأساة التي ورثها العهد الجديد في عمان ..




COW BRAND
PURE
GHEE
AUSTRALIA

لو تكلم الجبل الأخضر ..

ولقد حلت نزوى محل صُحار كعاصمة لعمان في قديم الزمان ، حتى تأمن شر الاغارات البرية والبحرية التى كانت تتوالى على صُحار ، وذاع صيت نزوى فجعلها العمانيون عرش مملكتهم ، ومقر سلطانهم ومأمن امامتهم .. ولكن الدهر تقلب باهلها واصابها ما اصابها في اواخر ايام اليعاربة ، وظلت المصائب تتوالى عليها ، وتعرضت للقصف الشديد في عام ١٩٥٤ ووقع لنزوى من الخطوب ما تذهل له القلوب .. وراحت نزوى تعيش منزوية مبعثرة قابعة تحت ظلال الجبل الاخضر ، ذلك الجبل الذى لو تكلم لروى قصص بطولة خارقة خاضها الشعب ضد الانجليز وقواتهم وطائراتهم ..

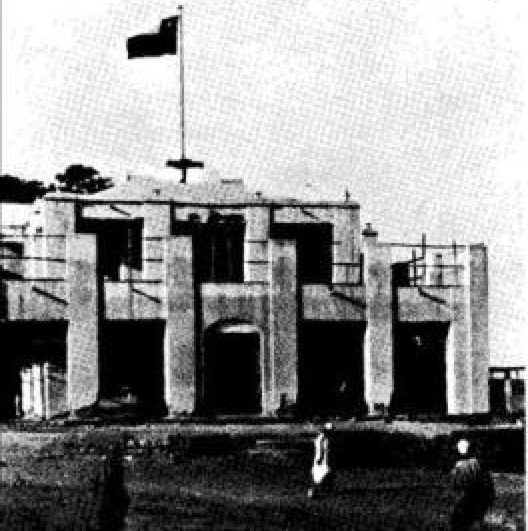
وتركنا نزوى وفي قلوبنا حسرة وفي عيوننا ذبابة!! .. واتجهنا في طريق طويل يؤدى الى رمال الربع الخالى الرهيب ..

لقد ظل هذا الربع الخالى خاليا من كل اثر للحياة ، حتى كان شهر يونيو ١٩٥٤ عندما حلقت طائرة تحمل مجموعة من الجيولوجيين راحوا يتفحصون ويستطلعون رمال الربع الخالى عند منطقة فهود ، وتكرر طيرانهم فوق المنطقة ، حتى استطاعوا ملاحظة تركيب جيولوجى يبشر بالخير .

وفي شهر اكتوبر من نفس السنة (١٩٥٤) قام الفنيون بعملهم الاول في منطقة فهود ، وبدأوا في حفر الآبار ومسح المنطقة زلزاليا وجاذبيا في ظروف صعبة للغاية .. وبعد ست سنوات من



قاضي مدينة صحار .. مالك بن محمد ابن حمد العبرى ، جالسا في غرفة الضيافة بمنزله ، وقد وضع امامه صحنا به «حلوة نزوى» ، ذات الشهرة العربية الواسعة .



الى اليسار : صورة لمدرسة الامام احمد بن سعيد الابتدائية في مدينة صُحار .. لقد بدأ التعليم في مبنى الجمارك والموانىء القديم ، ولكن هذا المبنى المتداعى لم يستطع تحمل حركة ٦٠٠ تلميذ ، فكاد ان ينهار عليهم .. لهذا اقيمت على الفور عدة مبان من سعف النخيل ، لتصبح مقرا مؤقتا للمدرسة ، حتى يتم انشاء بناء جديد ..

العمل المرهق بلغ بهم اليأس مبلغه ، اذ كانوا قد حفروا أربع آبار وانفقوا ١٢ مليون جنيه استرليني دون اكتشاف النفط ، فاجتمع الشركاء الخمسة وقرر ثلاثة منهم الانسحاب من الشركة (شركة نفط عمان) .. وكان المنسحبون ، شركة النفط البريطانية (بى بى) وشركة البترول الفرنسية ، وشركة سوكونى موبيل وستاندرد نيوجرسي .. وبقيت شركة شل تحمل ٨٥٪ من الاسهم ، ومعها شركة بارتيكس تحمل ١٥٪ تزاولان اعمال الحفر والتنقيب في عمان .

نجاح بعد فشل

وتم اعداد خطط جديدة .. وبدأ الحفر ثانية .. حفروا بئرا جديدة على مسافة ..٤ ياردة فقط من البئر السابقة التى حفروها دون نتيجة .. وكم كانت دهشتهم وسرورهم عندما عثروا على النفط في ٥ فبراير (شباط) ١٩٦٤ بكميات تجارية كبيرة افلتت من ايدى اولئك الذين قاموا بالمحاولة الاولى .

وفي الحال بدأ مد خط انابيب طوله اكثر من ٣٠٠ كيلو متر يمتد من رمال الربع الخالى حتى شاطىء البحر عند منطقة سيح المالح الذى استبدل السلطان سعيد بن تيمور اسمه « الحلو » باسم سيح المالح في الكلمة السلطانية التى قال فيها :

« ما دام فيض النفط يتدفق غزيرا فنحن بعون الله سنواكبه في جريانه ، بحيث يكون نشاط الحكومة في اقامة المشاريع التى تعود على البلاد بالخير العميم متواصلا ومعادلا لقوة جريان النفط في تدفقه » ..

ولكن السلطان سعيد لم يخطر بباله ان النفط الذى تدفق عام ١٩٦٧ بقوة ١٤٠ الف برميل يوميا سيتزايد ويتضاعف حتى يصل الى ٣٣٠ الف برميل في اليوم في نهاية عام ١٩٧٠

وسبقته الاحداث . وهكذا لم يستطع السلطان سعيد ان يحقق وعده ، ببناء المستشفيات والمدارس وشق الطرق والاهتمام بالثروات السمكية والحيوانية والزراعية ، وامام جمود السلطان سعيد ، وتضاعف الدخل ، لم يكن هناك من حل الا خلعه عن عرشه ، وتولى نجله قابوس مقاليد الحكم مكان والده في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .

وميناء النفط في عمان هو ميناء الفحل ـ يبعد ٢٥ كيلو مترا شمالى مسقط .. وكان هناك ميناء « دقم » للنفط في جنوب البلاد ، ولكنهم اغلقوه بحجة وجود التيارات البحرية والانواء والعواصف الجوية التي تهب على المنطقة ..

اما البواخر التي تتوقف في ميناء الفحل شهريا فيقرب عددها من ٣١ باخرة تنقل اكثر من عشرة ملايين برميل شهريا ..

صحار .. اعمر مدينة بعمان

وميناء الفحل يقع عند بداية ساحل الباطنة : ساحل كله مزارع وبساتين ، يطل على مياه خليج عمان التي بدأت فيها ـ هي الاخرى ـ عمليات التنقيب بحثا عن النفط تحت قاع البحر ..

ويتميز ساحل الباطنة بوجود مدينة صحار في وسطه .. انها الميناء التاريخي الذى كانت تنطلق منه السفن الى الصين حتى اطلقوا عليها لقب خزانة الشرق .. وقد وصفها عالم الجغرافيا العربي ، ابو اسحاق الاصطخرى في كتابه المسالك والممالك ، في منتصف القرن العاشر الميلادى بقوله: « صحار قصبة عمان ، وهي على البحر ، وبها متاجر البحر ، وهي أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا ، ولا تكاد تعرف على شاطىء بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار » .. وعلى نفس الاسلوب تحدث المؤرخون والجغرافيون .. اما ياقوت الحموى فيقول عن اسم صحار : يجوز أن يكون من الصُّحْرَة وهى جَوْبة تنجاب وسط الحرة او من الصُّحْرَة وهو لون الاحمر ثم يقول في موضع آخر : « اسم مشتق من الصحراء .. وقيل انما سميت بصحار ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو رباب وطسم وجديس » .

اياك وسوء الظن

وجئنا الى صحار ، واخذونا الى مقر قاضى صحار مالك بن محمد بن حمد العبرى ، الذى استقبلنا هاشا باشا ، وقدم لنا الفواكه والقهوة فسألناه عن حالة سكان صحار ، فاجابنا :

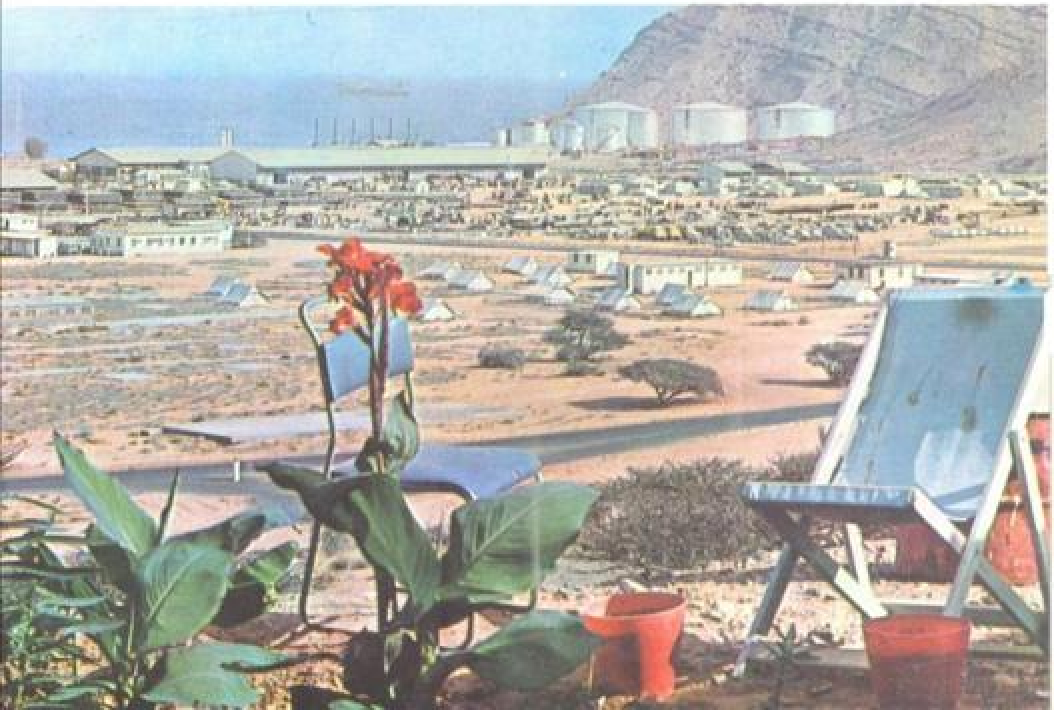
ـ طيبون ..

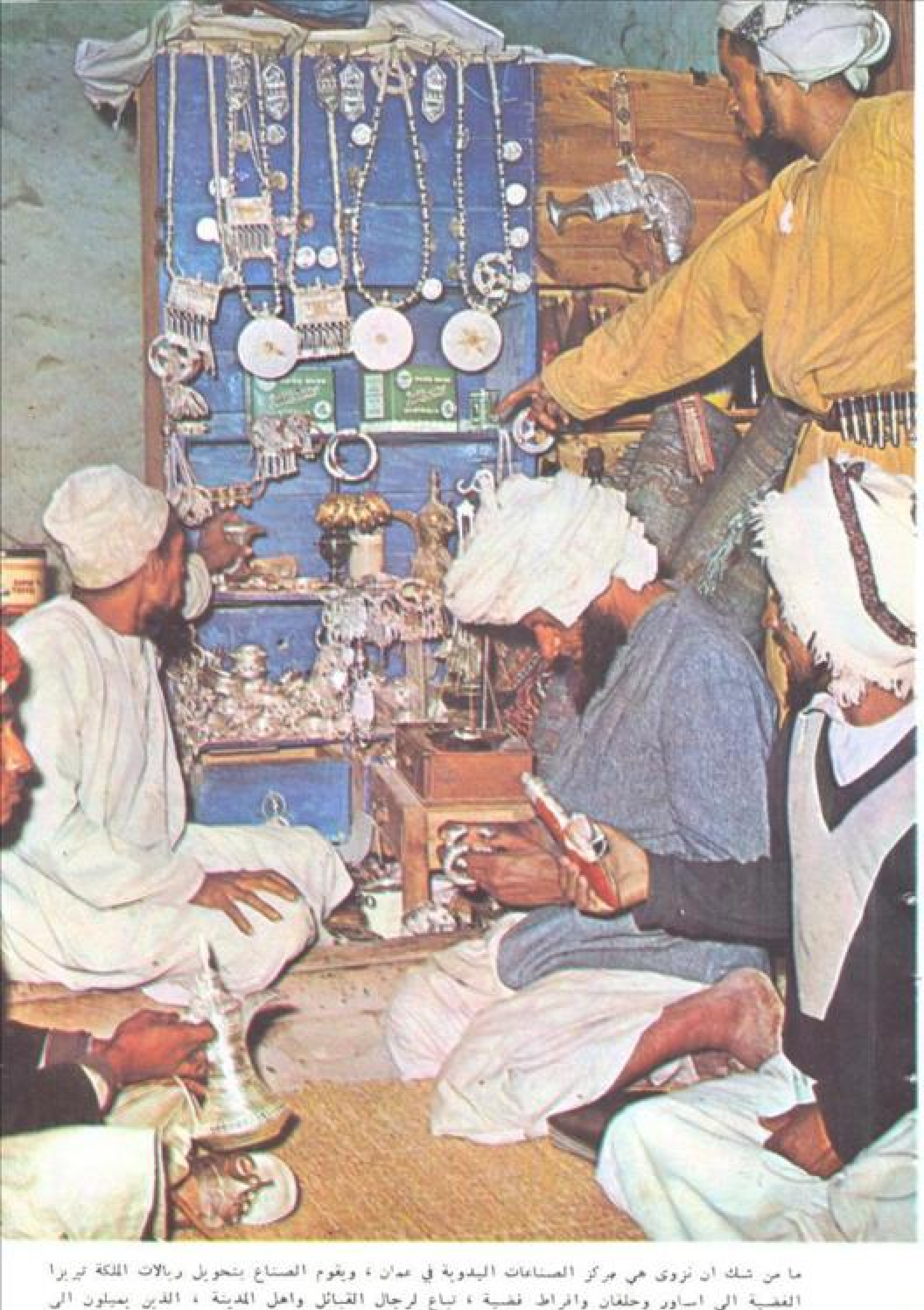
ـ وماذا ايضا ؟



هكذا يمكن ان تنمو المحاصيل الزراعية في عُمان .. غنية بثمارها وانتاجها ، فالارض طيبة والماء متوفر بكثرة .. وهذه الصورة التقطناها في محطة التجارب بمدينة صُحار .

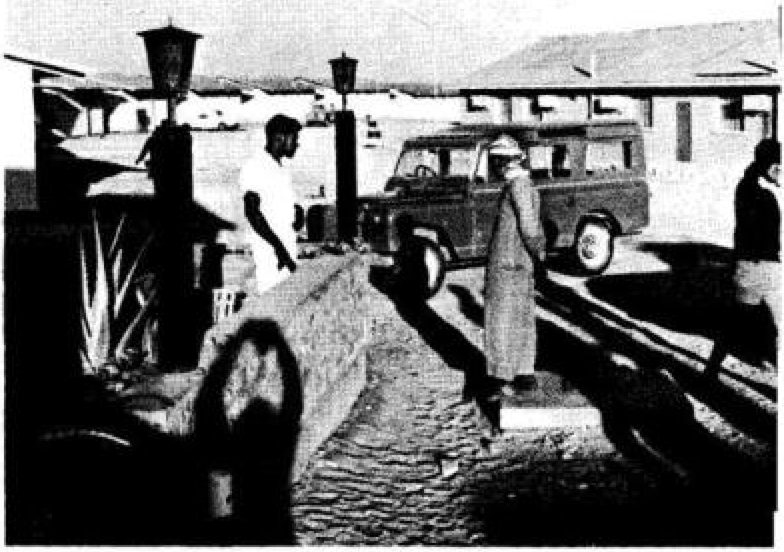
الى اسفل : ميناء الفحل على شاطىء خليج عُمان .. كان ارضا قاحلة فتحول الى مدينة صغيرة مكيفة الهواء ، يعيش فيها الخبراء الاوربيون العاملون في صناعة النفط مع اسرهم .





ما من شك ان نزوى هي مركز الصناعات اليدوية في عمان ، ويقوم الصناع بتحويل ريالات الملكة تيريزا الفضية الى اساور وحلقان واقراط فضية ، تباع لرجال القبائل واهل المدينة ، الذين يميلون الى الفضة اكثر من الذهب .. بعكس سكان مسقط ومطرح الذين يقبلون على شراء الذهب .





ـ ممتازون ..

ـ وماذا ايضا ؟؟

فاجابنا معاتبا : « اياك وسوء الظن يا بني، فهو اكبر الكبائر .. »

فعدنا نساله : « كم عدد سكان المدينة اليوم ؟ » فقال : « عدد السكان واجد (اى كثير) .. الناس كثيرون .. امة على البحر .. »

وقلنا : « وماهي اكثر القضايا التي تحكمون فيها ؟ »

فاجابنا قاضي صحار : « اكثر القضايا عندنا هي هجر الزوج لزوجته ، وتغربه عنها ، فاذا غاب عنها ولم يرسل لها مالا ، نرسل له خطابا حتى يرسل النفقة ، واذا كان للزوج مال في البلاد حجزنا على ماله .. هذا اذا طلبت الزوجة النفقة فقط اما اذا طالبت بضرورة وجوده بجانبها ، فاننا نرسل له خطابا آخر ، فاذا لم يرد في خلال ثلاثة شهور ، حكمنا بالطلاق .. وهذا يحدث مرتين او ثلاثا في السنة » ..

الذبابة السوداء ، والمتق

وشكرنا القاضي على مازودنا به من معلومات !! وبدأنا جولتنا في المدينة .. فخلناها مدينة الاشباح، لا احد يسير فيها ، لقد هجرها اهلها .. هجروها الى بلاد النفط في الخليج العربي ، بعد ان بدأ نجمها في الافول ، ولكن ارضها الطيبة ومياهها العذبة ، تصلح مرتكزا طيبا لعودة الحياة والاهل اليها ..

ولكن الزراعة التي تنمو على تلك الارض الطيبة، تشكو امراضا ..

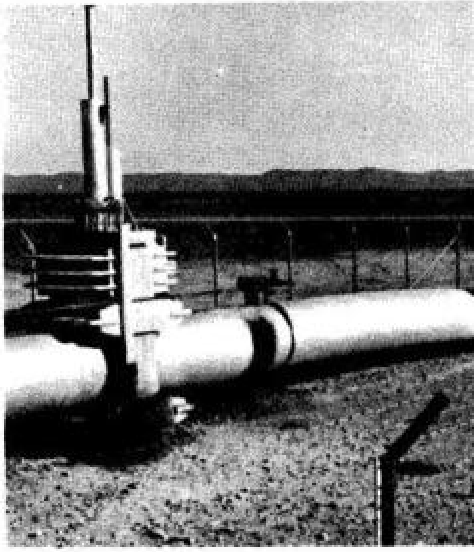
الذبابة السوداء تكاد تقضي على نصف مليون شجرة لومي (الليمون الحامض الصغير) الذى اشتهر به ساحل الباطنة .. حتى النخلة .. عشرات الالوف من النخيل اصابها المرض فاصبحت تنزف المتق ..

اما الموز والامبا (المانجو) فقد وجدنا حباتهما صغيرة باحجام لم نشهد لها مثيلا .. ان الجهل بتطوير الزراعة وهجرة اليد العاملة هما اللذان القيا بالزراعة الى هذا الحضيض الاسفل ..

عمرنا ٦ شهور

وقالوا لنا : « لطفا .. لاتحكموا علينا بقسوة وقدروا ظروف الانغلاق والاستبداد التي عشنا تحت ظلها .. ان اول مدرسة في صحار فتحت ابوابها منذ ٧ شهور فقط .. اى نعم لقد بدأ التعليم عندنا في ١١ نوفمبر ١٩٧٠ ونحن نكررها لكم في عام ١٩٧٠ بدأ التعليم فى صحار ذلك الميناء الذى كانت ترنو اليه العيون وتلتفت اليه الانظار في قديم الزمان .. فاين نحن اليوم من ماضينا ؟؟؟ ان الذى نستطيع قوله هو ان عمرنا اليوم ستة شهور فقط .. ولا عبرة بماض مجيد ،

مدينة فهود .. اول مدينة فوق رمال الربع الخالي .. بدأت معسكرا يعيش تحت خيامه رجال البترول ، وتحولت الخيام الى بيوت متحركة ، ما لبثت ان اصبحت منازل مشيدة بالاسمنت والطوب ومكيفة الهواء يعيش فيها ٦٠٠ رجل ، اما المرأة فلم يسمح لها – حتى الآن – بدخول « فهود » .. ومن « فهود » يمتد خط للانابيب طوله اكثر من ٣٠٠ كيلو متر ، يندفع فيه النفط بمعدل ٣٣٠ الف برميل يوميا ، تنساب بطريقة آلية ، من آبار الحقول الاربعة حتى ميناء الفحل ، حيث تعبأ السفن وتسجل حمولتها آليا على جهاز خاص !



لم يبق منه اى أثر .. حتى ميناء صنحار الرائع لم يعد له وجود .. ولكن اذا اردتم مشاهدة صورة بهيجة فما عليكم الا مشاهدة مزرعتنا التجريبية النموذجية ، انها صورة لما يمكن ان تصبح عليه الزراعة في منطقتنا » .

والحق يقال ان نتائج الزرع في هذه المحطة تبعث الامل قويا في النفوس .. الامل في ان تعم فائدتها وتجاربها .. وقد بدأ رجال الزرعة فعلا بتوزيع المبيدات الحشرية على الفلاحين ، ولكن العمل المطلوب منهم اكثر بكثير من قدرتهم ، فالمطلوب ان تعمم تجاربها الناجحة ، وتساعد الفلاح مساعدة اكثر فعالية ، حتى تتضاعف كميات الخضراوات والفواكه التي تصدر يوميا الى دبي وبقية امارات ساحل عمان ، رغم متاعب ومشاكل الزراعة في المنطقة ..

لقد ظلت امور الاقتصاد والزراعة في سلطنة عمان مبعثرة دون وجود جهاز يخطط لها او يطورها ، حتى كان يوم اول مارس (آذار) ١٩٧١ وفيه تم مولد اول وزارة اقتصاد في سلطنة عمان ، اسندت الى السيد فيصل بن علي بن فيصل ، الشاب الذى قضى معظم حياته بعيدا عن بلده ، وعندما ازيح السلطان سعيد كان من اوائل العائدين ، ورأيناه يعمل في وزارة المعارف ، كتلة لا تهدأ من النشاط والحركة وانكار الذات وحسن التدبير .. لهذا تعقد الامال الكبار عليه بعد ان اسندت له مسئولية الاقتصاد والمال والزراعة والصناعة والثروة السمكية ..

انفتاح بعد انغلاق

ان تعيين الشاب فيصل بن علي بن فيصل ، وزيرا للاقتصاد العماني هو خير دليل على التحول الجذرى الذى بدأت تشهده البلاد ..

فكل يوم يمر يأتينا بجديد من عمان ، حتى اصبح من العسير ملاحقة مختلف اوجه الانفتاح في تلك البلاد : العائدون المثقفون يرجعون الى مسقط رأسهم ..

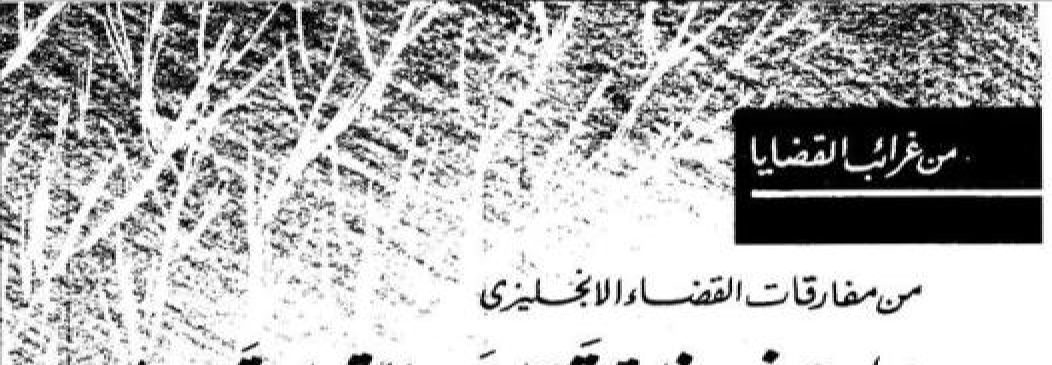
الوطن وعمان اول جريدتين ظهرتا في عمان تكتبان وتنقدان ..

فندق دولى يفتح ابوابه لاول مرة في مسقط .. زيارات عربية على اعلى المستويات تصل البلاد ..

وفد صداقة عماني يزور البلاد العربية لتعريف بلاده وشرح احوالها وسط روح من التفهم والترحيب ..

ولكن هذا الانفتاح الكبير .. بعد انغلاق مظلم طويل .. لايعني ان البلاد قد تحولت الى جنة للعباد .. لا .. هناك من التأخر ما يشيب له الوجدان .. واول خطوة للاصلاح لا بد ان تبدأ بتعيين مستشارين مثقفين كفاة الى جانب الولاة والقضاة في مختلف ارجاء البلاد .. لان هذا هو بيت الداء .. فان عز العلاج ، فقل على الناس السلام .. ! ■■

سليم زبال



من مفارقات القضاء الانجليزى

براءة فى جناية قتل مصحوبة بسرقة وإعدام فى سرقة حصان !

بقلم : حسن الجداوى

■ أحد ابطال هذه القضية ــ وان لم يكن بطلها الأول ــ احد ضباط جيش ولنجتون واسمه جون ثورتيل ، سرح من الجيش بعد الانتصار فى معركة واترلو اذ لم يعد لانجلترا حاجة اليه والى امثاله . وقد وجد نفسه بين ليلة وضحاها عاطلا لا عمل له ولا مورد رزق . وقد فقد الرغبة فى العمل بعد ان طال احترافه للجندية . خاصة وانه لم يكن له عمل قبل التحاقه بالجيش .

كان ابوه نائب عمدة قرية صغيرة من قرى نورفيتش ، وكان يستطيع ان يذهب اليها ويعمل بها مزارعا او صانعا ، ولكنه اراد ان يجمع بين البطالة وحياة البذخ . وكلاهما غير متوفر فى القرية الصغيرة . والعاصمة (لندن) وحدها هى التي تستطيع أن تحقق له رغباته . فماذا يفعل ؟ حياة البذخ تحتاج لمال والمال لا يأتي الا عن طريق العمل وصاحبنا لا يحب العمل الشريف . لذلك فكر فى وسيلة تأتيه بالمال بغير جهد .

ألقى شباكه على فتاة ريفية جميلة من قريته ، ثم اغراها بأن تفر معه الى لندن ــ واى فتاة ريفية لا تتوق لحياة العاصمة ــ فجمعت كل ما اقتصدته من مال ومتاع ــ وفرت معه ذات ليلة مظلمة دون ان تودع اهلها . واستأجرا فى لندن حانة صغيرة تجلس هى على المكتب تحصل الايراد وتجذب بابتساماتها ونظراتها الزبائن ، بينما يتردد زوجها على نوادى سباق الخيل والملاكمة والمصارعة فيتعرف على روادها ويدعوهم الى حانته بعد السباق يحتسون الخمر : الرابحون احتفالا بربحهم والخاسرون ليغرقوا احزانهم . ويبدأ الجميع في مناقشات حامية يتهم بعضهم البعض بالخداع والغش . فلم تكن المباريات في ذلك الوقت ــ وقد لا تزال ــ تخلو من الغش ويكثر الرواد من الشراب ، والزوجة تجمع الايراد . وتنقلب المناقشات الى غناء وضجيج من اثر الخمر . وكانت هذه حال يمكن أن تدوم لولا ان الجيران اشتكوا من الضجيج والعربدة التى كانت تمتد الى ما بعد منتصف الليل فتدخل البوليس واغلق الحانة .

★ ★ ★

كان جون قد صادق اثنين من المترددين على حانته ممن على شاكلته . والطيور على اشكالها تقع . جوزف هانت مطرب حانات ــ من أسرة طيبة كريمة ولكنه انحرف ــ يغنى للسكارى فيزدادون اقبالا





.. وكان لا مفر لثورتيل من أن يجهز عليه فهجم عليه ودافع عن نفسه دفاع اليائس وبرغم جرحه كاد أن يتغلب عليه

على الخمر ، ثم يلاعبهم الورق بعد أن اتقن طريقة توزيعه لصالحه وهم فى سكرتهم لا يدركون فيكسب منهم . والثانى بروبير احد عشاق الخيل والسباق جمع ثروته عن طريق تغليسة بالتدليس واستاجر منزلا تحيط به ارض للصيد فى ضاحية مهجورة من العاصمة يدعو اليه محبى القمار .

اتفق الاصدقاء الثلاثة على ان يتخذوا من اللعب سبيلا للارتزاق ، ومن منزل بروبير وكرا . وتفاهموا على طريقة يحولون بها مخاطر المقامرة الى ربح مضمون . ولكن هذا المصدر بدأ ينضب لأن المقامر الذى يربح دائما يثير الشك فياخذ اللاعبون حذرهم ولا يلعبون الا بمبالغ صغيرة او يمتنعون عن اللعب معه ..

فكروا في طريقة اخرى يتغلبون بها على حذر الحذرين فيستولون على ما في جيوبهم ويخمدون انفاسهم ، وهكذا انزلقوا الى جريمة السرقة والقتل . ووقع اختيارهم باديء الأمر على خطيب شقيقة زوجة بروبير فاغروه بالحضور الى منزل بروبير ليلعب معهم البوكر ، ولكنه ما كاد يتخطى عتبة المنزل حتى احس بنية الغدر فاطلق ساقيه للريح ونجا بحياته وبما في جيوبه من نقود .

وكان احد المترددين على البار شخص اسمه وليام ويـر ، رجل حديث الثراء من غواة الصيد وغواة المقامرة بمبالغ ضخمة ، جيوبه دائما محشوة باوراق النقد يخرجها من جيبه بمناسبة وبغير مناسبة . فاوهموه ان الغابة المحيطة بمنزل بروبير غنية بالارانب البرية والغزلان وان لبروبير جارا مغرما بلعب البوكر بمبالغ كبيرة . واغروه بان يحضر معهم حفلة صيد وبعدها يجلسون حول المائدة الخضراء .

ودخلت الخديعة على وير ، واعتقد انه سيشبع هوايتيه الصيد طوال النهار واللعب طول الليل . وحددوا للقاء يوم ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٢٣ . وفي ذلك اليوم مر ثورتيل بعربته (دوكار بعجلتين) فركب وير الى جانبه بينما ركب هانت عربة بروبير وسارت العربتان في الطريق المؤدي للغابة تتسابقان وتتلاحقان كلما عن لاحدهم أن يتوقف في الطريق ليتناول كأسا من الجعة ..

وفي الطريق اشترى بروبير خنزيرا صغيرا مذبوحا استعدادا للوليمة التي سيعدها لضيوفه ... لأن الصيد يفتح الشهية ... وصادفت الفكرة هوى لدى وير الذي لم يكن يدري انه الفريسة المقصودة . وعندما وصلت العربة التي تحمل ثورتيل ووير الى الطريق الجانبي انحرفت فوجد وير انه في مكان مظلم موحش حتى انه قال مازحا « ياله من مكان موحش يصلح لقطع رقبة اي انسان دون ان يشعربه احد » .

وقد كان هذا ما حدث ولكن تفاصيل ما حدث سيأتي ذكرها فيما بعد .

في صباح يوم ٢٥ اكتوبر بكر اثنان من العمال الزراعيين لعملهما وسارا في الطريق الذي اعتادا ان يجداه خاليا في مثل تلك الساعة المبكرة فلفت نظرهما ان لمحا ـ على بعد ـ اثنين من سكان المدينة يتجهان صوبهما مشغولين في البحث بجانب الطريق عن شيء فقداه فما كادا يحسان بوجود العاملين حتى تركا البحث وسارا في طريقهما كأنهما يعبران الطريق . فلما التقوا سالهما العاملان ـ كعادة رجال الريف عما يكونان قد فقداه . ولم يكن الرجلان ـ وهما كما سيظهر ـ ثورتيل وهانت ـ قد توقعا هذا السؤال . ولم يعدا له ردا معقولا ـ فأخذا على غرة واجابا « شيء .. لاشيء .. لقد سقطت منا سكين في هذا المكان ولكن الامر ليس له اهمية . » وانصرفا .

ولم يكن هذا راى المزارعين . فقد شكا في الامر .وذهبا يبحثان عن السكين المفقودة للاستفادة بها على الاقل . فلما عثرا عليها ووجدا بجوارها مسدسا ، واكتشفا ان السكين ملوثة بالدماء ، وان على المسدس مادة لزجة تشبه مخ الانسان ، لعب في عبهما الفار ، وبدا يفكران فيما يفعلان ازاء هذا الاكتشاف الخطير . واثناء ذلك اقبل نحوهما شخص ثالث من رجال المدينة ممن لم يعتادوا الخروج مبكرا ولكنه شخص معروف لهما . انه المسيو بروبير ساكن المنزل الريفي حيث تقام الاحتفالات الصاخبة ويكثر الضجيج . وحين وقع نظره عليهما ثقلت خطواته ثم استمر في سيره كان شيئا لم يكن . فلما حاذاهما تبادل معهما حديثا تافها عن الجو ولم يفاتحاه هما بما عثرا عليه لما ساورهما من شكوك . وبعد انصراف بروبير قصد العاملان نقطة البوليس وافضيا لضابطها بما رايا وسلماه ما عثرا عليه وافضيا له بشكوكهما . وانصرفا .

وجاء احد جيران بروبير يبلغ ضابط نقطة البوليس انه اثناء عودته ليلة امس بعربته التي يجرها حمار ومعه زوجته وطفله في نحو الساعة التاسعة سمع صوت عجلات عربة على مسافة ثلاثمائة ياردة وانين جريح . وانه ـ فيما قال ـ اراد ان يخف لنجدة الجريح ولكن زوجته خافت وتشبثت به ومنعته فراى ان يبلغ البوليس .

وبدات معالم الجريمة تتضح . فهناك انسان قتل في الساعة التاسعة من الليلة السابعة في ذلك المكان الموحش . وقاتلوه هم الاشخاص الثلاثة الذين استيقظوا على غير عادتهم في تلك الساعة المبكرة .. ليخفوا اثار الجريمة ، واحد الثلاثة معروف للبوليس وهو بروبير الذي له ملف بالبوليس لسوء سمعته ولأن منزله يؤوي في ايام الاحاد محترفي الملاكمة والجوكيز ولاعبي البلياردو والمراهنين والمقامرين من احط الطبقات يلعبون ويسكرون ويغنون باصوات منكرة ويصخبون

ويطلقون الاعيرة النارية الى ساعة متاخرة من الليل .

واصبح بين يدى البوليس الدليل على ان جريمة قتل قد ارتكبت ولكن عنصرها الاساسى (جثة القتيل) غير موجود . فلم يبق امامه الا ان يستعين بالمركز الرئيسي لبوليس العاصمة (اسكوتلاند يارد) حيث تتجمع المعلومات عن الجرائم والمفقودين والغائبين فبعث بما لديه من معلومات .

وتقدم الى بوليس العاصمة احد اصحاب محلات البلياردو ليبلغ ان احد المترددين على محله ـ واسمه وليام وير ـ لم يظهر منذ يوم ٢٤ اكتوبر ، وكان قد قال له انه مدعو فى ضيافة صديق له اسمه جون ثورتيل ليمارس هواية الصيد ولعب الورق .

جون ثورتيل ؟؟؟ انه شخص معروف للبوليس وله ملف عنده . فقد كانت له حانة اغلقها البوليس .وله علاقة ببروبير وهكذا القى البوليس القبض على الاصدقاء الثلاثة . مقدرا ان لهم يدا فى اختفاء وليام وير . ولكن اختفاء وير ليس دليلا على انه قتل . وما لم يعثر على جثته فان البوليس يقف مكتوف الايدى . لان القانون الانجليزى لا يسمح باستجواب المتهم الذى يعتبر بريئا حتى تثبت ادانته مهما حامت حوله من شكوك . انهم لا يستجوبون المتهم ولا يستعملون معه ـ فيما يدعون ـ وسائل الارهاب التى يستعملها بوليس البلاد الاخرى لاستخلاص الحقيقة من فمه ... ولكنهم يستعملون سلاحا اقوى وافتك ... سلاح «الفتنة» اى الوشاية او سلاح « شاهد الملك »

انهم لا يطالبون من تحيط به الشبهات ان يعترف بالجريمة .. فذلك امر لا يليق ولايتفق مع الخلق القويم . ولكنهم يطلبون منه ان يشى بزملائه ... ويعدونه فى مقابل ذلك بان يخرجوه من الاتهام . ويعتبرونه « شاهد ملك » . ولكن ليس شاهد ملك كل من يريد . اذ لا يعقل ان يتحول المتهمون الى شهود ملك . فممثل الاتهام حر فى اختيار الشخص الذى يضفى عليه تلك الصفة ... وهو بطبيعة الحال من قدم للبوليس اكثر المعلومات التى تدين الاخرين .

وهكذا بدأ هانت وبروبير يتباريان فى الافضاء بما عندهما من معلومات ليقع على ايهما الاختيار ليكون هو « شاهد الملك » وينجو برقبته وبحريته . وظهرت جميع تفاصيل تلك الجريمة الوحشية تطبيقا للقاعدة المعروفة « اذا اختلف اللصان ظهر المسروق » .

وكانت الطريقة التى دبروها ان تسبق عربة بروبير عربة ثورتيل وعندما تصل الى الممر الضيق الذى اختير لارتكاب الجريمة يقفز منها هانت ويختبىء لحين وصول عربة ثورتيل ووير . وبعد ان يقفز هانت يستمر بروبير فى سيره حتى منزله ليمنع كل مفاجاة وينتظر شريكيه بمنزله بعد ان تكون زوجته قد اعدت لهما الطعام الشهى .

ولكن العملية لم تتم حسب الخطة الموضوعة . ذلك ان بروبير الذى لا يقاوم الخمر تاخر كثيرا فى الطريق ولم يتبين ان عربة ثورتيل ووير قد سبقته فوصل ثورتيل الى مكان الجريمة ولم يجد هانت ينتظره . وكان المفروض ان يجد وير نفسه محاصرا من ثورتيل وهانت ، يقتلانه ويستوليان على ما معه من نقود واشياء ثمينة ، ثم يضعان جثته فى كيس من القلع اعداه لذلك ويلقيان بها فى المستنقع المجاور .

وتظاهر ثورتيل بانه فقد الطريق وكان الظلام قد حل . واخذ يتبادل الحديث مع وير الذى لم يخامره اى شك برغم وحشة المكان الذى يبعد اقل من ميل من كنيسة سان بول والذى قال هو نفسه ان من اراد ذبح اى شخص فيه يستطيع ذلك ولا من راى ولا من سمع .

وطال الانتظار وازف الوقت وخشى ثورتيل ان تفشل العملية وراى انه قادر على أن يتمها بمفرده فتظاهر بأن احدى عجلتى العربة بحاجة الى ان تعدل ، وبينما وير يعاونه فى ذلك ، اخرج ثورتيل مسدسه واطلقه على وير فاصابه بجرح غير مميت.

فجرى وير واخذ يستعطفه ويستحلفه ان يأخذ كل ما معه من نقود ويعده بأكثر منها اذا هو ابقى على حياته .. وكان لا مفر لثورتيل من ان يجهز عليه فهجم عليه ودافع وير عن نفسه دفاع اليائس، وبرغم جرحه كاد ان يتغلب عليه ؛ فالقاه ارضا وجثم فوقه ، فطعنه ثورتيل بالخنجر فى رقبته فانفجر الدم منها بغزارة وملأ فم القاتل،وتراخت قوى القتيل ، فضربه القاتل بمسدسه حتى كسر جمجمته ثم قام من تحته وربط عنقه بمنديله ليوقف نزيف الدم ولم يستطع أن يبقى بجوار الجثة فاتجه الى منزل بروبير الذى لم يكن بعيدا .

وجاءت عربة بروبير بعد ذلك وقفز منها هانت فوجد الجثة ولم يجد ثورتيل واستولى على ما فى جيوب القتيل من نقود وساعة . وبينما هو فى

طريقه لمنزل بروبير كان هذا الاخير قد استبطأ وصول شريكيه فعاد غاضبا الى المكان المتفق عليه واجتمع الثلاثة وكل واحد منهما يعتقد ان شريكيه قد سرقاه . هانت يدعي انه لم يجد بجيوب القتيل الا جنيهات معدودة . ولكن هذه الشكوك لم تمنع ان مصلحتهم مشتركة في ضرورة اخفاء معالم الجريمة . فاتجهوا الى منزل بروبير حيث اعدت لهم زوجته الوليمة الموعودة وكانوا قد احسوا بالجوع فجلسوا ياكلون بشهية متفتحة ثم طلبوا من هانت ان يغني ورافقوه في الغناء واكثروا من الشراب والرقص . ووضع هانت حول عنق مدام بروبير سلسلة ساعة وير باعتبارها عقدا من الذهب . وانتصف الليل فانصرف الخدم واوت مدام بروبير الى فراشها وسلسلة ساعة القتيل في عنقها ولو انها علمت انها منزوعة من جثة قتيل فلعلها لم تكن تذوق للنوم طعما .

اما الشركاء الثلاثة فقد وجهوا اهتمامهم لاخفاء الجثة قبل ان يجيء الصباح وتكتشف .فاخرجوا حصانا من الاسطبل ثم وضعوا الجثة في الكيس المعد ومعها بضعة احجار ثم القوا بها في المستنقع القريب وعادوا الى المنزل يستريحون وينامون آمنين مطمئنين .

ولكن اطمئنانهم لم يطل . فما كادت تبزغ الشمس حتى اتجه ثورتيل وهانت يبحثان عن الخنجر والمسدس ليخفيا اثر الجريمة وكان ما كان من رؤية العاملين لهما وبرغم ذلك بقيا على اطمئنانهما وذهبا الى العاصمة حيث ارتدى هانت احدى بدلات وير فبدا فيها انيقا مما جعل ثورتيل يلفت نظر مدام بروبير الى تلك الاناقة .

ولكن بروبير جاء في المساء متجهم الوجه غير مطمئن فقد قابله احد الجيران وسأله عن الضجة التي كانت عنده بالامس وقال له ان الناس يقولون انهم سمعوا طلقة عيار ناري وتأوهات جريح ... ولم يحر بروبير جوابا ولا عرف كيف يبدد شكوك جاره ولكنه قال لشريكيه « لقد وقعنا » .

وقدروا ان بقاء الجثة في المستنقع القريب الضحل يعرضها للظهور فنقلوها الى مستنقع آخر غزير المياه موحلها لا يتصور ان تطفو فيه .

ولكن جميع تلك الاحتياطات لم تفد . فقبض عليهم جميعا بما فيهم مدام بروبير التي لم يكن لها يد في الجريمة ولا عرفت من امرها شيئا .... فلما انطلقت الالسنة الصامتة وتنافس الشركاء في اكتساب صفة « شاهد الملك » وانحصر الاختيار بين بروبير وهانت وقع اختيار ممثل الاتهام على بروبير لانه كان اكثر الاثنين افضاء بالمعلومات وليس له سوابق .

وعرضت القضية على محكمة الجنايات وتنازل ممثل الاتهام عن محاكمة بروبير فقضى المحلفون ببراءته وانتقل من قفص المتهمين الى كرسي الشهود .

اما هانت فقد اقر بانه مذنب بناء على نصيحة محاميه وتفاهمه مع ممثل الاتهام فقضى عليه بالاعدام ثم خففت العقوبة الى النفي الى المستعمرة الانجليزية الجديدة اوستراليا حيث انهى حياته ساعيا للبريد .

واما ثورتيل فقد قرر انه غير مذنب والقى خطبة مسرحية وحفظها عن ظهر قلب . القاها بلهجة درامية وعدد فيها الاخطاء القضائية المشهورة عن ابرياء حكم عليهم بالاعدام ثم ظهرت براءتهم وختمها بقوله « انني بريء واشهد الله على ذلك » . ثم جاء بشهود يقررون انهم عرفوه رجلا فاضلا شريفا فلما سأل القاضي احدهم كيف عرف ذلك قال لانه يملك عربة . فضجت القاعة بالضحك ونشرت الصحف تلك الاجابة الطريفة وتناولها الكاتب الكبير كارليل في مقال بعنوان «الاحترام الواجب للعربة».

وحكم على ثورتيل بالاعدام . وامام المشنقة طلبوا منه ان يعترف فقال « لقد نلت ما استحقه». ولم يكن هذا اول اعتراف له فقد سمع يقول معاتبا هانت « لو انك لم ترشد عن مكان الجثة لما استطاعوا ادانتنا » .

ولم يطل استمتاع بروبير بالحرية التي نالها . وخيل له ان من نجا من جريمة قتل مصحوب بسرقة لا يخشى عليه من الجرائم الصغيرة .وكان لحبه للخيل يتملكها ولو عن طريق السرقة . فسرق حصانا . وكان القانون الانجليزي — في تلك الايام — يعاقب على السرقة التي تتجاوز قيمتها شلنا واحدا بالاعدام . وكان قد مضى اكثر من نصف قرن لا يحكم على السارق بتلك العقوبة التي لا تناسب الجرم لان المحلفين — وهم غير خاضعين في قراراتهم لاية قيود يقدرون ثمن المسروق مهما عظم باقل من شلن — ولكنهم في هذه القضية بالذات اصدروا حكما بالاعدام ليقتصوا من السارق من جريمة القتل التي افلت منها ..

■■

حسن الجداوي

قلبُ أمّ

مراب

من واقع الحياة :

■ كان الظلام قد بدأ يلف المدينة ، وكانت تجلس وحدها فى تلك الليلة من ليالي الشتاء البارد ، تحاول ان تملأ الفراغ الذى يحتويها بمراقبة برامج التلفاز ، حتى اذا احست بالملل يتطرق الى نفسها ، تحولت عنه الى كتاب تفرق تفكيرها فى قراءة بعض صفحاته .. وفجأة قفزت واقفة من مقعدها ، واسرعت تتطلع الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط .

انه موعد عودة ولديها اللذين تعيش معهما فى هذا البيت الصغير .. لقد حانت ساعة العودة من عملها ! واسرعت الى المطبخ تعد لهما طعام العشاء ، وما كادت تنتهى من اعداده حتى عادت الى كرسيها تجلس عليه من جديد ، وتحاول ان تكمل ما كانت قد بدأت تقرأه ..

وانقضت ساعة كاملة ولم يعد ابناؤها .. وبدأ القلق يساورها ، فالقت بالكتاب جانبا ، واتجهت الى النافذة تتطلع من وراء زجاجها الى الشارع الطويل ، وتمنت لو أنها استطاعت ان تناديهما فقد يسمعاتها فلعلهما يقفان فى ركن من الشارع ، يتحدثان مع صديق .. ولكنها مالبثت ان سخرت من نفسها .. فهي تعرف انهما لم يتعودا شيئا من هذا .. فقد ظلا يحرصان على مواعيد ذهابهما الى عملهما والعودة منه ، طوال السنوات الاربع الماضية ، منذ ان تركها زوجها ووالد ابنيها ورحل . بعد مرض طويل انفقا فيه موفور العمر كله ..

وانقضت ساعة اخرى ، وبدأت المخاوف تساورها .. ان قلبها يحدثها ان مكروها قد حل بهما ..

ولم يطل بها الانتظار ، اذ سرعان ما سمعت جرس التلفون يرن رنينا عاليا متصلا ، وتلقفت السماعة ، فاذا به صوت ولدها الصغير .. قال الابن والدموع تكاد تخنقه : « لا تجزعي يا امي .. ولكن لا بد من حضورك حالا الى المستشفى .. لقد اصيب اخي اصابة خطرة فى حادث سيارة » !

واسرعت الام ترتدى ملابسها ، ونزلت الى الشارع لتقفز فى اول سيارة اجرة اقلتها الى المستشفى .

ودخلت الام تبحث بعينين زائغتين بين الوجوه التى امتلأت بها قاعة الاستقبال .. ولمحت وجه ابنها الاصغر فارتمت بين ذراعيه وهي تنتحب ثم قالت تسأله فى لهفة :

« اين هو .. خذوني اليه » !

واخذوها ، ودخلت الغرفة فوجدت نفسها امام حطام انسان لفوه لفا بالجبس والشاش ، فلم يعد يظهر منه سوى عينين اغمضهما الالم ..

وارتمت الام على ابنها وراحت تجهش بالبكاء .. وعلى مقعد صغير بجوار الفراش الذى يحوى فلذة كبدها ، جلست الام ، ثم مدت يدها ببطء تبحث عن يد ابنها فلم تجد غير اطراف اصابع تركها الطبيب بلا غطاء فتشبثت بها ، وضمتها الى صدرها ثم رفعتها الى شفتيها وراحت تقبلها ، وتمسح بها دموعها ، وهي تصلي وتبتهل الى الله وتتمتم بكلمات تتوسل فيها الى ربها ان ينقذ حياته ويبقيه لها ..

وعلى هذا المقعد الصغير القابع بجوار فراش الشاب المصاب ، قضت الام الليل الطويل البارد ، وهي لا تفتأ تتحسس جبينه بين لحظة واخرى ، وتنتظر وصول الطبيب الذى ظل يتردد على



غرفة المصاب مرة كل ساعة او ساعتين متتبعا متفحصا لنبضات قلبه وضغط دمه .. ولا ينسى قبل ان يغادر الغرفة ان يربت على كتفى الام المسكينة ويحاول ان يطمئنها على حياة ابنها ، وهو يعلم ان معركته من اجل الحياة قد اوشكت على نهايتها ..

واشرق الصباح بنوره ، فاذا الام تقفز من كرسيها مذعورة ، وهى تصرخ .. لقد اكتست اصابع ابنها المصاب ببرودة الموت ، واحست برعشة تسرى فى جسدها .. وجاء الطبيب مهرولا ، وكشف على مصابه للمرة الاخيرة ، ثم قال لها فى حزن مواسيا .. لقد استراح ابنك ياسيدتي ..

وسقطت الام على الارض مغشيا عليها .. واسرع الطبيب لاسعافها .. وما كادت تفيق من الصدمة ، حتى حدثت المفاجاة .. سمعت الام طرقا خفيفا على باب الغرفة ، وفتح الباب .. ولم يكن الطارق سوى ابنها الصغير ، وقد وقف بجانبه شقيقه الاكبر .. الابن الذى ظنت الام انها فقدته الى الابد منذ لحظات قصيرة مضت .. والقت بنفسها عليه ، فضمها بين ذراعيه ، وراحت الام المسكينة تقبله وتغسل وجهه بدموعها ، وهي لا تصدق ما ترى ! ماذا حدث ؟ لقد اخطأ الابن الاصغر عندما استدعى للتعرف على المصاب الميت الذى تطابق اوصافه اوصاف شقيقه ، حتى الوشم الذى يظهر على ذراعه اليمنى ..

وبكت الام ، كما لم تبك من قبل فى حياتها .. قالت وهي تعود الى جثة الشاب المسكين المسجاة امامها ، والذى قضت الليل كله تبتهل الى الله ان ينقذ حياته : « ان حزني لموت هذا الشاب الذى لا اعرفه لا يقل عن فرحي بعودة ابني الي .. سأظل اذكر هذه الاصابع التى قضيت الليل كلها معها اصلى لها ومن اجلها .. لن اندم ابدا على تلك الساعات الطويلة التى قضيتها بجانبه كأنها دهر .. مسكين هذا الشاب ، ليتني استطعت ان افعل شيئا لاهب له الحياة » ! *

■■

* وقعت حوادث هذه القصة في لندن .

أمراضٌ شائعة

مرض .. السكر

بقلم : الدكتور محمد أبو شوك

■ لاشك ان كثيرا من الناس يعرف الكثير عن هذا المرض ، وما اكثر ما يتحدثون عنه فى مجالسهم ، وخصوصا بعد ان اخذت نسبة هذا المرض تزداد عاما بعد عام ، وكان لهذا المرض من الأهمية ما حدا بمنظمة الصحة العالمية الى ان تجعل شعارها هذا العام « حياة طبيعية لمرضى السكر » . وهي ترمي من وراء ذلك الى التوعية الصحيحة لهذا المرض وما يكتنفه من اسباب حدوثه، والوقاية منه ، وطرق العلاج الصحيحة ، وبذلك يمكن لمريض السكر ان يعيش حياة سعيدة كلها نشاط لا يختلف عن سواه من انشطة سائر بني البشر الأصحاء .

وقد ذهبت المنظمة الى توكيد ان بالعالم زيادة متواصلة في مرضى السكر ، والتحدث فيما يتبع هذه الزيادة من خلق مشاكل عدة لمرضى السكر . وقد لفتت المنظمة انظار الناس الى ان هذا العام هو عام الذكرى الخمسين لاكتشاف « الانسيولين » ذلك العقار الذى كشفه العالمان بانتنج وبست Banting and Bast فافادا به الالوف المؤلفة من مرضى السكر فى هذا النصف قرن الماضي من الزمان .

تاريخ المرض

ومرض السكر معروف منذ القدم . فقد وجد وصف للمرض على صفحة من صفحات البردى منذ (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد عند قدماء المصريين، وعرفه الاغريق واعطوه اسم Diabetes ومعناه الانسياب فى الانابيب ، واكتشفه الصينيون عن طريق تذوقهم للبول . ووصفه الطبيب الهندى سشرونا عام (٥٠٠) قبل الميلاد بانه افراز البول المعسل مع اعراض الظما ، والتنفس الكريه والشهية النهمة والوهن والاعياء .

ثم تعرض له الرازى ، وابن سينا ووصفاه خير وصف ، وتوالت الابحاث فى هذا المرض الى ان اكتشف الانسيولين عام ١٩٢١ . ثم فى سنة ١٩٥٣ اكتشفت العقاقير التي تؤخذ عن طريق الفم للنزول بنسبة السكر فى الدم الى النسبة الطبيعية .

الأسباب

المعروف حتى الآن ، ان المرض ينتج من نقص فى افراز مادة الانسيولين التي تساعد على تمثيل السكر الناتج ، فاذا نقص الانسيولين فان تحول

هذه المواد يقل ، وبالتالي ترتفع نسبة سكر الجلوكوز في الدم عن حده الطبيعي ، والمستوى الذي يبقى في الدم دون تسربه الى البول ، فلا يجد بدا من ان ينزل في البول ، مسببا البول السكرى .

واحب أن أنوه هنا عن السكرى الكاذب ، اذ انه في هذه الحالة تكون قدرة الكليتين على ابقاء سكر الدم أقل من المستوى ، فينزل سكر الجلوكوز في البول — مع أن نسبة جلوكوز الدم طبيعية — وهذا لا يعني أن الشخص مصاب بالسكرى — ولو ان مثل هذا الشخص يجب أن يبقى تحت الملاحظة، اذ وجد أن عددا من هؤلاء ربما يصاب بمرض السكرى الحقيقي .

عامل الوراثة

وهو من العوامل المهمة في حدوث مرض السكر خصوصا عند صغار السن — فاذا تزوج مريض مصاب بالسكرى بسيدة مصابة بهذا المرض ، فان نسبة كبيرة من اولادهما تصاب بالسكرى .

لذا كان من الواجب أن يتأكد كل من يتزوج من خلو من يتزوجها من مرض السكرى ، أو من أن هناك تاريخا لهذا المرض في اسرتها — ويا حبذا لو قل عدد التزاوج في العائلة المصابة بمرض السكر، لان التقيد بهذا يقلل من عدد المصابين بهذا المرض — ولعل هذا التوارث هو ما سبب زيادة في نسبة المصابين في هذه الأيام .

السمنة

والسمنة التي يعتقد البعض أنها دليل الصحة — تكون في معظم الحالات سببا لمضاعفات عدة منها مرض السكرى — ولقد وجد أن كمية انسيولين الدم طبيعية في باديء حدوث مرض السكرى عند ذوى السمنة المفرطة — اذ أن الخلايا التي تفرز الأنسيولين تكبر ويزداد افرازها — ويزداد تبعا لذلك خزن المواد الدهنية ، فاذا امتلأت مخازن الجسم بالدهن فاض ما يزيد عن السكر في الدم ونزل في البول . فاذا طال أجل صاحب السمنة المفرطة ولم يحاول أن ينقص من وزنه الى الوزن الطبيعي فان الخلايا التي تفرز الأنسيولين يصيبها الارهاق ويحدث بها ضمور ، وبالتالى تقل نسبة الأنسيولين في الدم ويظهر مرض السكرى الحقيقي.

حتى ولو حاول عندئذ صاحب السمنة المفرطة أن ينقص من وزنه ، فاننا نراه يحتاج الى الأنسيولين أو ما شابهه ليعوض النقص الذى حدث له — من هنا تتضح اهمية السمنة في حدوث مرض السكرى، وكيف أنه بتلافيها في أول الأمر نقي انفسنا هذا المرض .

الالتهابات الحادة

يلاحظ انه في حالة احتمال حدوث مرض السكرى عند شخص — اى في حالات الاستعداد — أو حالات ما يسمى بالسكرى الخفي ، أنه اذا حدث التهاب شديد للشخص او عدوى مكروبية ، ظهرت عليه علامات المرض — وظهر السكر في البول — وهذا هو ما نسمع عنه من آن لآخر أن فلانا أصيب بالسكرى وشفي منه — لعل ذلك يكون راجعا لأنه عولج من الالتهاب الذى حل به،فاختفى السكر من البول الى حين — ثم يظهر ثانية عند اصابته بأى التهاب آخر ، أو يظهر في سن معينة — اى بعد الخمسين او الستين . اذ أن ٨٠٪ من حالات المرض تظهر بعد سن الخمسين ، وأن أعلى نسبة لحدوث حالات جديدة تلاحظ بين سن الستين والسبعين .

الأضطرابات النفسية — والصدمات النفسية

كلها تسبب ظهور مرض السكرى في الأشخاص الذين عندهم استعداد للمرض او المصابين بمرض السكرى الحقيقي ، ولعل ذلك يرجع الى اضطرابات في الغدد الصم الأخرى — فتفرز هرموناتها — أى افرازاتها المضادة للانسولين ، فتعاكس عمله وترتفع نسبة السكر في الدم — واذا زالت مثل هذه الاضطرابات فان السكر يختفى من الدم والبول ، ليظهر مرة أخرى بعد سنين عدة ، أو عندما يتعرض الشخص لنوبة عصبية اخرى ، كما أن مثل هؤلاء لو تعرضوا الى اجراء عملية جراحية ، فان المرض يظهر عليهم وقد يختفي بعد العملية .

الحمل

ويمكن وضع الحمل تحت عنوان الاضطرابات السابق ذكرها .



مرض السكر قد يؤدى الى العمى . والمداومة على العلاج تنقذ المريض من هذا المصير المؤلم .
(صورة خاصة من منظمة هيئة الصحة العالمية)

فقد يحدث مرض البول السكرى الخفى (أى الذى لا تبدو مظاهره الا فى ظروف خاصة) اذ اننا نلاحظ فى بعض الحوامل ظهور المرض ، الذى يختفي بعد الوضع ، او الاجهاض المتكرر .

أمراض الغدد الصماء الأخرى

مثل امراض الغدة النخامية والغدة الكظرية والعلاج بمستحضرات الكورتيزون كلها تسبب ارتفاعا فى سكر الدم وظهور سكر الجلوكوز فى البول ـ واذا زالت هذه المسببات زال المرض شريطة أن لا يكون المرض قد استمر لمدة طويلة ، مما يكون أثر على الخلايا التي تفرز الأنسيولين وسبب ضمورها. ففي هذه الحالة يتحول الشخص الى مريض بالسكرى من النوع الحقيقي .

على انه يجب أن نراقب باهتمام هؤلاء الذين عندهم استعداد للمرض ـ لعلنا نقيهم شر حدوثه ـ او على الأقل نكتشفه مبكرا ، ونعالجه مبكرا ، ولا نتركهم الى أن يحضروا الينا بمضاعفات المرض التى تكون خطرة في بعض الاحيان .

ومن هؤلاء : أصحاب السمنة المفرطة ، أو من ولد من أبوين مصابين بالمرض أو من أب مصاب بالمرض وأم لها تاريخ المرض فى عائلتها ، او سيدة تلد أطفالا باوزان عالية تفوق ٤ ١/٢ كيلوجرامات ، أو أشخاص يظهر عليهم المرض بعد تعرضهم لصدمات نفسية او بعد العلاج بمركبات الكورتيزون او مدرات للبول ـ أو السيدات اللاتى يظهر سكر الجلوكوز فى بولهن أثناء الحمل . أو كل من يظهر سكر في بوله في أى مرحلة من مراحل حياته .

الى كل هؤلاء نسدى النصح ليكونوا على صلة دائمة بأطبائهم ويفحصوا البول أو الدم من آن الى آخر ، ليكشف عن المرض فيهم مبكرا ـ فيسهل علاجهم ، ولا يتعرضوا لأى مضاعفات ويعيشوا عيشة عادية كبقية افراد المجتمع ، ويمارسوا أعمالهم بكل جد ونشاط لا فرق بينهم وبين الأصحاء .

الأعراض

مما يسترعى انتباه الأطباء أنه فى معظم الحالات لا تظهر أعراض على المريض لكى يشكو منها فى بادىء المرض ، وربما اكتشف المرض ـ اذا آن له أن يكتشف مبكرا عند فحص المريض بسبب مرض آخر ـ او عندما يذهب للكشف عندما يعين فى وظيفة أو عمل ـ أو عند دخوله المستشفي بسبب مرض آخر ، أو لاجراء عملية أو عندما يؤمن على حياته ـ وكثيرا ما تحدث الطرائف عندما يحضر شخص لمصاحبة مريض ثم يطلب أن يفحص بوله هو الآخر فيتضح أنه هو الذى يعاني من مرض السكرى ، حتى انه فى بعض الحالات لو ظهرت أعراض على المريض فانه يؤجل ذهابه الى الطبيب لأنه يؤول تلك الأعراض الى أسباب أخرى .

والاعراض التي تحدث هى كثرة التبول ـ عددا وكمية ـ والقيام فى الليل للتبول . ويتبع ذلك زيادة رغبة المريض للشرب بكميات كبيرة ـ واذا تاخر عن ذلك احس بالعطش الشديد ـ مع جفاف في الحلق ـ يحضرني في ذلك مريضة جاءت تشكو من ثقل فى لسانها ومن كثرة الجفاف فى حلقها ،

وخافت ان تفقد القدرة على الكلام ، فاكتشف مرض السكرى فيها .

ثم فى بعض الحالات يحدث نقص فى الوزن رغم زيادة الكمية التي يتناولها المريض من اطعمة ، ويحس المريض بارهاق شديد عند قيامه بأى مجهود عضلى كان لا يؤثر عليه قبل ذلك .

على انه فى بعض الحالات الاخرى ربما اهمل المريض هذه الاعراض ،واولها الى اسباب اخرى ـ كما قلت وما أسهل ما يهون الشخص اى عرض خصوصا اذا كان بجواره من يزيد فى اهماله واستهانته ـ وما أكثر ما يسمع المريض من شخص آخر ، ويحضر الى الطبيب بمضاعفات المرض .

واذا كان الاهمال رائد مريض السكرى ولم يعر نفسه أى اهتمام فانه يحضر الى طبيبه أو الى المستشفى بمضاعفات المرض ، وهى اما ان تكون هينة ، ويكون ذلك من حظه ويكتشف مرضه ، او تكون خطرة ربما ادت الى عواقب وخيمة . ولعلنى اكون منصفا لو وضعت الحقيقة سافرة حتى لا يقال انني أخيف مرضى السكر او اهون من الامر عليهم ـ وكل ما أرجوه من ذلك هو ان يفطن كل مريض بالسكرى ليعرف متى يكون المرض سهلا طوع العلاج ، ومتى يكون صعبا يودى بصاحبه .

المضاعفات

التهابات بالجلد خصوصا تلك الالتهابات التى تؤثر على الاعضاء التناسلية وتحت الابطين والثديين ، أى فى الأماكن التي تتعرض للعرق الشديد وتكون مسرحا خصبا للميكروبات ..

وكذلك الالتهابات الميكروبية التى تصيب الرئتين مثل التهاب القصبات الهوائية المزمن أو السل الرئوى .

ولعل السبب الرئيسي لحدوث مثل هذه الالتهابات بكثرة عند مرضى السكرى هو ضعف مقاومة الجسم لهذه الميكروبات .

تأثر الاعصاب

ومريض السكرى يحضر الى طبيبه يشكو من تأثر الأعصاب بهذا المرض خصوصا وأن يكون قد مضى وقت عليه دون أن يعرف ذلك ويعالجه ـ ويكون ذلك عبارة عن تنميل ، والشعور بخدور فى الأطراف والأصابع ـ أو حرقة فى القدمين ـ ويحس المريض وكأنه يمشى على قطن وربما ازداد هذا التأثر الى الشعور بألم وتقلص فى العضلات ويصحب ذلك ضعف فى العضلات وعدم القدرة على الحركة . وربما احتاج المريض الى من يساعده ويتكيء عليه فى المشى . وكثيرا ما يصاحب هذه الآلام العضلية ارق فى الليل فيزيد من اجهاد المريض .

واذا تأثرت الأعصاب السمبثاوية والباراسمبثاوية فينتج عن ذلك الضعف الجنسى الذى يشاهد فى الرجال والبرود الجنسى فى النساء ـ ومع تمدد المثانة وسلس بالبول . ثم تأثر الامعاء وما يصحب ذلك من اسهال خصوصا فى الليل . وكثيرا ما نشاهد فى هؤلاء المرضى تقرحات ، خصوصا فى القدمين تتعمق كثيرا لفقدان الحس بها وعدم التئامها بسرعة .

وفى بعض الحالات تتأثر أعصاب العينين فتتأثر تبعا لذلك عضلاتها ، ويحدث بها شلل مؤقت بسبب الرؤية المزدوجة عند هؤلاء المرضى .

تأثر الشرايين

بمرور الوقت على مرضى السكرى الذين لا يتعالجون أو الذين يهملون فى العلاج ، يكون تأثر الشرايين المختلفة في الجسم ـ فتتأثر شرايين الأطراف مما يؤدى الى انسدادها مسببة فى باديء الامر الآلام الشديدة التي تحدث عند السير خصوصا فى بطن الرجلين ، والتى تزول بالراحة وتعاود المريض عند المشي . ثم انسداد شرايين المخ ـ مسببة بذلك الفالج المعروف ـ أو ضيق شريان تاجي القلب ، وما يصحبه من نوبات ذبحة صدرية ، أو انسداد تام به مسببا مرض الجلطة القلبية المعروفة التى تودى بحياة المريض في بعض الأحيان .

البصر

وكلنا يعرف أهميته ـ كثيرا ما يتأثر بمرض السكرى ، ففي باديء الأمر تتأثر العدسة تبعا

لارتفاع وانخفاض السكر في الدم فيضطرب بذلك البصر وتتغير قوة البصر من آن الى آخر ـ وفي الحالات المتقدمة ربما تحدث عتامات بالعدسة ـ وعندما تكتمل هذه العتامة فانها تؤثر على البصر ويحتاج المريض لازالتها لكي يرى ـ وفي بعض الحالات يزداد ارتفاع ضغط العين مسببا الماء الازرق المعروف . أو تأثر الاوعية الدموية وربما يحدث نزف داخل العين او تنفصل الشبكية ويفقد المريض بصره .

تأثر الكلى

كثيرا ما يحدث ـ نتيجة لالتهاب مجرى البول بالميكروبات والتي طالما تتكرر ويكون نتيجة لذلك التهاب الكلى المزمن وما يصحبه من زلال في البول، وتورم الجسم وارتفاع في ضغط الدم والمضاعفات التي تتبع ذلك .

وكثيرا ما نقابل في المستشفى لاول مرة مريضا لا يعرف ان عنده سكرا ويحضر بغيبوبة سكرية نتيجة لارتفاع سكر الدم وما يتبع ذلك من ارتفاع في المواد الكيتونية الناتجة من نقص في تمثيل المواد الدهنية ، وظهورها على هيئة استون في البول ويسبق هذه الغيبوبة اعراض الأمراض التي تزيد من سكر الدم كالالتهابات في جهاز البول او الصدر مع كثرة التبول،والاحساس بدوخة وغثيان وصداع وقيء شديد ويتبع فقدان السوائل جفاف في الجلد واللسان والتلهف على التنفس ، وآلام شديدة في البطن ، والهياج وعدم الاستقرار ثم في النهاية تكون الغيبوبة مصحوبة بجفاف في جميع اجزاء الجسم ـ وعمق في التنفس مع رائحة خاصة تخرج في التنفس من الفم .

وبتحليل البول نراه يحتوى على كمية عالية من السكر مع الخلون او الاستون مع ارتفاع شديد في نسبة سكر الدم ربما تصل الى ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مليجم او اكثر .

المشاكل التي تواجه مريض السكر

والمشاكل هذه أصبحت تواجه كل مصاب بالسكر سواء كان رجلا أم طفلا أم امرأة .



في اقليم بافاريا بألمانيا الغربية انشأوا مصحا لعلاج الأطفال المصابين بالسكرى وتعليمهم كيف يعيشون حياة طبيعية مع مرضهم بالسكر .. وبالرغم من صغر سن هؤلاء الأطفال الا أنهم أصبحوا الآن يقومون بتحليل بولهم بأنفسهم لمعرفة نسبة السكر في البول،وذلك كجزء من تعايشهم مع المرض . (صورة خاصة من منظمة الصحة العالمية)

ففي حالة الطفل الذى يصاب بمرض السكرى فان اصابته هذه تكون ناتجة عن سبب وراثي ـ ويلاحظ المرض في هؤلاء الأطفال عندما يكثر تبولهم خصوصا بالليل مع كثرة شرب الماء ، أو نقص في الوزن مع هزال وضعف شديدين ثم كثرة الاكل دون زيادة في الوزن.هذه اعراض تستدعى التدقيق في الحالة وتشخيصها مبكرا خوف حدوث المضاعفات . كثيرا ما تحدث في الاطفال غيبوبة السكر ـ والتي تأتي على شكل حاد ـ آلام شديدة في البطن مع قيء وجفاف شديد بالجسم ، ثم

غيبوبة ووجود سكر مرتفع بالدم والاستون في البول وكذلك تكون مشكلة العلاج ، فهناك صعوبة في تقيد الطفل بالنظام الغذائي الخاص ومحاولة الطبيب وأهل الطفل المريض على أن يحيا الطفل حياة طبيعية لينمو جسميا وعقليا ـ مع الحرص على عدم الافراط في تعاطي المواد السكرية والنشوية ـ ثم تعليمه كيف يحقن نفسه ـ وتوعيته التوعيـة الكاملة عن مرض السكرى ـ من ناحية كنه المرض ـ مضاعفاته ـ والعناية الفائقة بصحته والذهاب الى طبيبه عند ظهور أعراض لأى مرض مهما كانت طفيفة . ليمكن لطبيبه دره اى خطر من الممكن أن يحدق به .

ونصيحتي لآباء هؤلاء الاطفال المرضى أن يجعلوا منهم رجالا غير معقدين بسبب مرضهم مع الحرص الشديد على أن لا يلقوا لهم الحبل على الغارب ، فياكلوا ما يشاءون بل الحذر في تناول الأطعمة النشوية والسكرية مع اخذ العلاج بدقة ،والسماع لنصح الطبيب ـ ويا حبذا لو حمل كل طفل مصاب بمرض السكر بطاقة في جيبه تشير الى ذلك والمكان الذى يعالج فيه،فالمرء لايسلم من الحوادث، وتكون مثل هذه البطاقة عونا كبيرا للطبيب المعالج في تشخيص المرض وعلاجه .

مريض السكر في حاجة الى أن يتعلم كيف يحقن نفسه بالانسيولين . وفي الصورة ممرضة هندية تقوم بتعليم أحد مرضى السكر عملية الحقن .
(صورة خاصة من منظمة الصحة العالمية)



وعند الرجال فالعنة

الضعف الجنسي ـ مشكلة يواجههـا مريض السكر ـ خصوصا اذا اهمل علاجه ـ وكثيرا ما تكون سببا في فصم عرى الاسرة . ويجب على مريض السكر ان يصارح طبيبه بذلك ـ لا ان يتمادى في تعنته ويضع اللوم على زوجته من انه أصبح لايميل اليها ولا تميل اليه ـ ويهجرها أو يطلقها فتزداد المشاكل ويطفح الكيل وتنفصم عرى الاسرة ويتبدد شملها .

وأما المشاكل التي تواجه الرجل عندما تحدث له المضاعفات فتقعده عن العمل أو تفقد العائلة من يعولها فهذه الاسرة اذن تحتاج الى معونة ـ ومن هنا كان الواجب نشر الوعى بين مرضى السكر لينشئوا لهم جمعية خاصة كما هو متبع في بعض البلاد الاوربية والعربية ، وينشأ نادٍ لهم ، وذلك مقابل اشتراك سنوى وتقدم هذه الجمعية المساعدة الى الاعضاء الذين لا يمكنهم أن يعولوا أسرهم ، ونشر الوعى الصحى والثقافي بينهم بما في ذلك عدم التزاوج بين الأسر التى يعرف أنها مصـابة بالسكرى . بذلك تقل هذه المشاكل الاجتماعية ولا يكون مريض السكرى عالة على المجتمع الذى يعيش فيه .

العـلاج

لقد سبق أن اخذت هذه النقطة بعين الاعتبار وبتوسع كبير من الاطباء والاخصائيين في أعـداد العربي السابقة ، ولكن أرى من الواجب أن اذكر القراء بالقواعد الثابتة في العلاج .

فالعلاج يرتكز على ثلاث دعائم ، الدعامة الاولى

الحمية . والدعامة الثانية العلاج بالانسيولين والمركبات التي تستعمل بالفم ، والدعامة الثالثة هي علاج المضاعفات .

الدعامة الاولى الحمية

فمريض السكرى له غذاؤه الخاص ـ وكل مريض سكرى يختلف عن أخيه ولا داعي مطلقا لأن يقول هذا المريض لماذا أنا آكل هذا وذاك يأكل الطعام الاخر علما بأننا نعاني من نفس المرض ـ فهذا بدين وذاك متوسط الوزن والاخر نحيف كل يريد غذاءه الخاص ـ فالبدين يحتاج الى غذاء يقلل من وزنه ، والنحيف على الجانب الاخر يحتاج الى غذاء يزيد من وزنه .

ولا داعي مطلقا لأن يأخذ مريض السكرى جانبا بعيدا من المائدة ويكلف عائلته مالا تطيق او يكون طعامه مختلفا كل الاختلاف . أو يحس بأنه مختلف عن باقي الأسرة .

بل يختار من الطعام ما يلائمه وما هو موصوف له محددا كمية النشويات والسكريات حسب حالته .

وأحسن نظام للأكل يتبعه مريض السكر أن يعرف قيمة السعرات فى كل ما هو متداول للأكل ثم كمية النشويات أو السكريات فيها ويختار لنفسه طعاما يلائمه ـ كم سعرا يريد فى اليوم ـ وكمية النشويات ويحدد لنفسه الوجبات بالتقريب ثم يغير فيها حسب ما يشتهى بحيث لا يكلف نفسه مالا تطيق ، ولا تكون وجباته على وتيرة وحيدة يسأمها ويسأم الحياة معها .

واذا ما اعتاد الانسان على تقدير الاطعمة رأى أن الطريقة تصبح سهلة عليه وسرعان ما يتعود عليها .

الدعامة الثانية

هو علاج نقص الانسيولين بتعويض الجسم بهذا الهرمون ـ وهو على اشكال عدة ويظهر في السوق من آن الى آخر أنواع مختلفة منه ـ ويعطى بالحقن ـ وتعتمد الكمية على تقدير الطبيب .

والحبوب كذلك على أنواع عدة وشتى وتظهر أصناف منها من آن الى آخر ، وأمرها أيضا متروك للطبيب المعالج .

الدعامة الثالثة

هى علاج المضاعفات عند حدوثها وهو أمر هام للغاية اذ أنه اذا تركت لفترة طويلة عسر علاجها بل كانت عواقبها وخيمة وهى كما اوضحت عديدة وتحتاج لتغيير نوع العلاج ـ ففى معظم الاحوال يحتاج المريض الى أن يعود مرة ثانية الى الانسيولين المائى على ثلاث دفعات يوميا . مع اعطائه المضادات الحيوية ـ وعلاج الاسباب التي أدت الى هذه المضاعفات ولا يتأخر مريض في عرض نفسه على طبيبه لو أحس بأى مرض فان ذلك يسهل عليه حدة مرضه ويسهل أمر علاجه وبالطبع الوقاية من هذه المضاعفات خير من علاجها وتأتي الوقاية من اتباع العلاج السليم دون السماع الى من يدعون الطب ، وترك نصائح الأطباء ـ ثم اتباع الحمية الخاصة ، والعرض على الطبيب من آن الى آخر .

ولما كانت الأقدام تتعرض كثيرا لمثل هذه المضاعفات فيجب على مريض السكرى العناية بها أشد العناية ، فينظفها بالماء والصابون ويمسحها بالكحول او الكولونيا ـ ولا يعرضها للمخاطر ـ مثل لبس الأحذية الضيقة أو الواسعة او قص الاظافر وجرح موضعها أو لبس الاربطة المطاطة التي تضغط على أوعية القدمين أو تعرضها للحرق دون شعور المريض لقلة الحساسية فيها ، وما يتبع ذلك من مضاعفات شديدة .

ومن هذا يتضح لنا جميعا أن قصة السكر قصة طويلة ، وما زالت الابحاث تجرى فى انحاء العالم للوصول الى حقيقة هذا المرض الذى تتغير معالمه، ولعل الايام تخفى بين طياتها الكثير عن هذا المرض، ولعل الاكتشافات توصلنا يوما الى سببه المباشر وعلاجه العلاج القاطع ، حتى يهنأ مريض السكرى ويعيش عيشة سعيدة كغيره من الاصحاء . ■■

محمد محمد أبو شوك

رئيس قسم الامراض الباطنية

بالمستشفى الاميرى ـ الكويت

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الدراسات العلمية في

الجامعات العربية

● قرات عن أن الجامعات البريطانية تعاني من نقص في الاساتذة والمدرسين للمواد العلمية والتكنية بها وقد قدرت الصحف التي نشرت الخبر هذا النقص بحوالي ١٧٠٠ مدرس واستاذ ، ونسبت هذا النقص الى زيادة اقبال الطلبة في الجامعات على دراسة المواد النظرية وعدم اقبالهم على دراسة المواد العلمية ، فهل هناك احصائيات عن العالم العربي بالنسبة لهذه المشكلة .

ملك عربيني ـ دمشق

ـ يعاني العالم العربي بمختلف بلاده من نفس هذه المشكلة التي تعاني منها الآن الدول المتقدمة ومنها بريطانيا كما ذكرت في سؤالك . ولعل أبلغ دليل على ما يعانيه العالم العربي من زيادة اقبال الطلبة على دراسة المواد النظرية وعدم اقبالهم على الدراسات العلمية هو الارقام والاحصائيات التي تبين عدد الطلبة في كل كلية من كليات الجامعات العربية المختلفة ونذكر لك هنا بعض الامثلة من الارقام التي توفرت لدينا وهي ارقام تعود الى عام ١٩٦٨ . ففي العراق مثلا يوجد في جامعة بغداد ٢٠,٦٦ طالب من بينهم حوالي ٦ آلاف طالب فقط يدرسون الطب والهندسة والطب البيطري وطب الاسنان والعلوم والصيدلة . بينما الباقي يدرسون في كليات نظرية .

وفي ليبيا هناك ٩٤٠ طالبا في كلية الآداب ، و ٣٠٣ في كلية الحقوق و ٣٨٧ في كلية التجارة بينما لا يزيد عدد طلبة كلية العلوم عن ٢٩٧ وعدد طلبة كلية الزراعة عن ٩٨ .

وفي تونس يبلغ عدد طلبة الجامعة بها ٧٨٢٨ طالب اغلبهم يدرسون دراسات نظرية ودينية في الزيتونة (كلية الشريعة) .

وفي جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ويبلغ عدد الطلبة بها ١٣٥٢ فان نسبة من يدرسون المواد العلمية لا تتعدى ١٥٪ من عدد الطلبة ، وفي جامعة الكويت بلغ عدد الطلبة بها ١٩٨٨ من بينهم ٣١٢ فقط يدرسون المواد العلمية في كلية العلوم بينما الباقون موزعون على بقية الكليات النظرية ،



اى ان نسبة من يدرسون العلوم لا تزيد عن ١٥٪ من مجموع عدد الطلبة .

وفي الجمهورية العربية المتحدة كان عدد طلبة الكليات النظرية في مختلف الجامعات يبلغ عام ٦١/٦٠ ٥٨٢٧٥ طالبا مقارنا ب ٣٤٠١٧ طالبا في الكليات العلمية عن نفس العام . وفي عام ٦٧/٦٦ اصبح مجموع طلبة الكليات النظرية في مصر ٧٢٩٢٨ طالبا ومجموع طلبة الكليات العملية ٦٦٩٤٩ طالبا .

اي أن نسبة عدد الطلبة الذين يدرسون في الكليات العملية قد تضاعفت تقريبا في عام ٦٧/٦٦ عنها في عام ٦١/٦٠ .

ومن هذه الارقام نستخلص ان العالم العربي يعاني من مشكلة عدم توفر الطلبة الذين يطلبون الدراسة العلمية والتكنية في حين يعاني من فائض في طلبة العلوم النظرية وان بعض البلاد العربية قد بدات في تشجيع دراسة المواد العلمية بها ولكن لم تصل بعد الى درجة كافية للقضاء على المشكلة .

(م . ط)

التضخم المالي في امريكا

يهدد بتخفيض قيمة

الدولار الأمريكي

● قرات بحثا اقتصاديا قيما في عدد ابريل من مجلة « العربي » عن ظاهرة التضخم في الدول المتقدمة والنامية على السواء ، كتبه الدكتور القيسوني ، والان تتحدث الصحف عن احتمال تخفيض قيمة الدولار الامريكي . فهل عجزت الولايات المتحدة ، وهي الدولة الغنية الكبرى عن حماية عملتها حتى تضطر اضطرارا الى ان تتساوى في الذلة ببريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول ، التي اذا قيست بها ، عدها الامريكيون اقزاما .

محمد حسن/العراق

ـ الواقع ان ظاهرة التضخم في امريكا اصبحت اليوم تشكل خطرا كبيرا على اقتصاد الولايات المتحدة ، فقد ظلت امريكا تعاني من تضخم مستمر ، اى ارتفاع دائم في اسعار السلع ، وبالتالى هبوط في القيمة الشرائية للدولار ، طوال الثلاثين عاما الماضية .

وقد ادى استفحال هذا الخطر الى دراسة الاوضاع الاقتصادية في تلك البلاد دراسة دقيقة لمعرفة الاسباب المباشرة لهذه الظاهرة . وفي تقرير اعده الخبير الاقتصادى الامريكي الكبير هارى براون Harry Brown منذ بضعة اشهر مضت ، جاء ان امريكا سوف تواجه كارثة اقتصادية كبرى تفوق في خطورتها الانهيار الاقتصادى الذى حدث في عام ١٩٢٩ .

وقد دعا براون المواطنين الامريكيين الى الحد من الانفاق ، والاقتصاد ، واستثمار اموالهم ، وكلها اجراءات تهدف الى وقف الارتفاع المخيف في الاسعار طبقا لنظرية العرض والطلب ، بل انه ذهب الى أبعد من هذا فنصح المواطنين بتحويل ثرواتهم الى سبائك من الفضة واسهم في مناجم الذهب .

وفي الوقت نفسه اعلن مدير مصرف فيرست ناشيونال سيتي بانك First National City Bank في مدينة شيكاجو الامريكية أن خفض قيمة الدولار اصبح امرا لا مفر منه ، وقال ان هناك

٤٤ الف مليون دولار محتجزة في الخارج ، من بينها ١٦ الف مليون دولار لدى البنوك المركزية للدول الاخرى ، التي تستطيع اذا شاءت ان تطالب وزارة الخزانة الامريكية بمبادلتها بالذهب في اية لحظة ، بينما لا تزيد سوق الذهب او السوق النقدية في الولايات المتحدة عن ١١ الف مليون دولار ، بينما كانت ١٨ الف مليون دولار منذ عشر سنوات .

وختم مدير البنك حديثه بقوله ، انه لن ينقذ امريكا من مذلة تخفيض قيمة الدولار ، الا النوايا الطيبة لشركائها ، ويعني بذلك دول اوربا ، بامتناعهم عن تقديم ارصدتهم من الدولارات الى الخزائن الامريكية لاخذ قيمتها ذهبا .

ولكن بعض الدول الاوروبية قد صارحت الحكومة الامريكية بانها سوف تضطر حتما الى زيادة مطالبها من الذهب ، اذا لم يتوقف التضخم المالي في امريكا ، بل لقد قامت الحكومة السويسرية بالفعل باستبدال ما يعادل ٧٠ مليون دولار بالذهب الامريكي خلال الاربعة أشهر الاخيرة من العام الماضي ، مما ادى الى تدعيم مركز الفرنك السويسري .

ولم تجد الحكومة الامريكية ازاء هذا الموقف العصيب الا ان تتخذ عدة اجراءات تستهدف الحد من الانفاق ، وخروج الدولار بكميات من شأنها ان تقلب ميزان المدفوعات ، ففرضت قيودا على العديد من السلع المستوردة ، وفي الوقت نفسه حددت مقادير المبالغ التي يسمح بتحويلها للسائحين الامريكيين الذين يرغبون في قضاء عطلاتهم خارج البلاد ، وكانت في الماضي لا حدود لها .

(م . ن)

قبر الامام الحسين

● أين استشهد سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب وأين دفن ؟ .

علي صالح عبد الرحمن الفلسطيني ـ جدة

ـ كان استشهاد الامام الحسين يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١ من الهجرة ، على اصح الأقوال ، وكان ذلك بمكان من الطّفّ يقال له كربلاء من أرض العراق ، اما جثمانه الطاهر فبمكان من الطّفّ عند نهر كربلاء ، وذكر الطبري أن موضع قتله عَفَى أثرُه حتى لم يَطّلع أحدٌ على تعيينه بخَبَر .

أما رأسه الشريف فحمل الى عبيد الله بن زياد بالكوفة، ثم اختلف العلماء بعد ذلك : هل سَيَّره الى يزيد بن معاوية بالشام أو لم يُسيِّره . وأشهر القولين أنه سيَّره اليه مع النساء والاطفال . ثم قيل ان يزيد بعث به الى عمرو بن سعيدٍ نائبِ المدينة ، فدُفن عند أمّه فاطمة الزهراء بالبقيع . وهناك رواية أخرى تذكر ان يزيد بن معاوية وضع الراس في خزانة له ، وما زال فيها حتى توفي يزيد ، فأُخِذ من خزانته فكُفّن ودفن داخلَ باب الفراديس بمدينة دمشق، وصار يعرف مكانه بمسجد الراس .

كما قيل ان يزيد نصبه بدمشق ثلاثة ايام ، ثم وُضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان ابن عبد الملك ، فجيء بالراس اليه ، فكفنه وطيّبه وصلىّ عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاء العباسيون نبشوه وأخذوه معهم ، ولم يعين ابن كثير في روايته لهذا الخبر عن ابن عساكر أين دفنوه ..

ثم قال ابن كثير « وادّعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية أن رأس الحسين وصل الى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر .. وقد نصّ غير واحد من ائمة اهل العلم على انه لا أصل لذلك ، وانما ارادوا أن يروجوا بذلك ادعاءهم النسب الشريف ، قال ابن كثير : قلت : والناس اكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فانهم جاءوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا هذا راس الحسين فرَاجَ ذلك عليهم واعتقدوا ذلك ، والله أعلم » .

فأنت ترى أن الخلاف في موضع رأسه الشريف قديم وكلٌّ يدعي شرف الظفر ببركة وجوده عنده .

(ع . ف)

بنــامــا

قناتها القديمة والحديثة

● قرأنا منذ زمن عن عزم الولايات المتحدة على شق قناة جديدة في البرزخ الذي يصل بين امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية يسهّل على امريكاأن يتصل نصفها الشرقي على المحيط الاطلسي بنصفها الغربي على المحيط الهادي .. ثم لم نسمع عن القناة بعد ذلك شيئا .. فما الذي حدث ؟ .

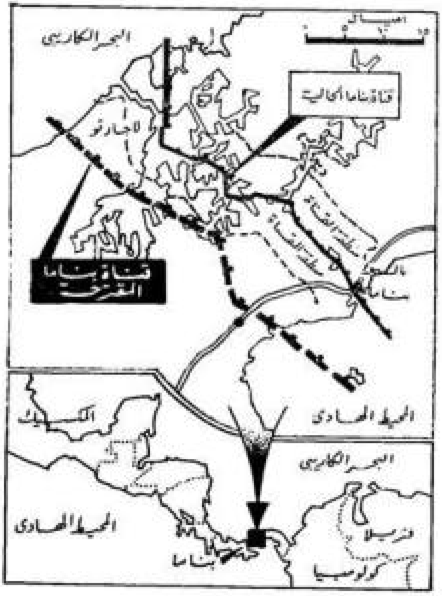
سامي محمود ـ طرابلس

ـ الولايات المتحدة الامريكية لم تقرر بعد انشاء قناة بناما الثانية . وكل ما رددته الاذاعات ووكالات الانباء في أواخر السنة الماضية في هذا الصدد هو أن التقرير الخاص بهذه القناة الثانية قد اكملت اعداده اللجنة المختصة ، وهو الآن موضع دراسة حكومة واشنطن .

وقد كانت اللجنة المختصة قد سبق ان باشرت اعمالها في عهد الرئيس الامريكي السابق جونسون . فقد ثار اهل بناما انذاك على النفوذ الامريكي القائم في بلادهم . ودخل الرئيس جونسون في مفاوضات مع اصحاب البلاد ، في سبيل تعديل المعاهدة الخاصة بقناة بناما . الا انه لم يقف عند ذلك ، بل ذهب الى التفكير في امكانية انشاء هذه القناة الثانية ، في بناما أو في بلد آخر مجاور . وهكذا أمر الرئيس بتشكيل اللجنة التي سبقت الاشارة اليها والتي أوصت في تقريرها بانشاء قناة ثانية في بناما نفسها .

وجدير بالذكر ان قناة بناما الأولى هذه يبلغ طولها ٥٠ ميلا ونيفه ويتراوح عمقها بين ٤١ ـ ٥٨ قدما ، وقد باشروا العمل في انشائها في السنوات الاولى من القرن العشرين ، وكانت جاهزة للاستعمال في صيف عام ١٩١٤ . ومما يسترعي الانتباه المنطقة المحيطة بهذه القناة والمترامية مسافة ٥ أميال على كل من ضفتيها . فهذه المنطقة البنامية المعروفة باسم Panama Canal Zone والتي تبلغ مساحتها ٥٥٣ ميلا مربعا ،انما تخضع للنفوذ الامريكي على نحو مباشر ، وذلك وفق المعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وبناما سنة ١٩٠٣ .

على ان ثمة شيئا آخر ينبغي ذكره عن هذه القناة الاولى. فهي أعلى من مستوى سطح البحر، وتعتمد بالتالي على أهوسة القناة Locks التي ترفع السفن او تخفضها من مستوى الى آخر . ولعل هذا هو العامل الأول الذى حمل



الرئيس جونسون على التفكير في شق قناة ثانية تكون في مستوى سطح البحر ، فلا تعيق السفن التي تعبرها .

ونوجز فيما يلي بعضما تضمنهالتقرير الخاص بهذه القناة الثانية المقترحة ، والذى تعكف على دراسته حاليا حكومة الرئيس نكسون .

١ ـ طول القناة ٣٦ ميلا ، وستستغرق اعمال انشاء هذه القناة ١٤ سنة . هذا على أساس العمل بالطرق العادية . فقد استبعدت اللجنة الاعتماد على التفجيرات النووية في هذا الصدد ، وذلك لاعتبارات اقتصادية واخرى تتصل بالأمن .

٢ ـ اما تكاليف انشاء هذه القناة الثانية ، فستبلغ نحو ٢٨٨٠ مليون دلاور .

(ى . ز)

الشهور ، شباط وآذار وما اليها ، ما أصلها ؟ ..

● يسمي بعضنا شهور السنة : يناير ، فبراير ، الى آخر ما هنالك ، ويطلق آخرون على تلك الشهور ذاتها اسماء اخرى ، كانون الثاني ، شباط ، آذار ، الخ .. وقد قرأنا في اعداد سابقة من العربي عن أصل الفئة الأولى من أسماء الشهور هذه ، فهل تتكرمون باعطائنا فكرة عن أصل الفئة الثانية .. ! .

خليل سلمان ـ لواء الاسكندرون

ـ اسماء الشهور التي تذكر ، شباط ، آذار ، الى آخر ما هنالك ، ليست عربية ، ولا نستطيع ردها الى أصولها الأولى ، بابلية كانت ام كنعانية ام غير ذلك .

على أن اسماء الشهور التي تذكر هي الاسماء التي اطلقها اليهود وما زالوا يطلقونها على شهور تقويمهم ، أو بالاقل ، على تسعة من تلك الشهور كما يتضح لك من جدول تلك الشهور الكامل الذى نقدمه لك فيما يلي :

الشهور العبرية

١ ـ تشرى	Tishri
٢ ـ هشفان	Heshvan
٣ ـ كيسلف	Kislev
٤ ـ تبت	Tebet
٥ ـ شباط	Shebat
٦ ـ آذار	Ader
٧ ـ آذار الثاني	
٨ ـ نيسان	Nisan
٩ ـ آيار	Iyar
١٠ ـ سيفان	Sivan
١١ ـ تموز	Tammuz
١٢ ـ آب	Ab
١٣ ـ ايلول	Elul

وتجدر الاشارة الى أن هذا التقويم العبرى قديم جدا . اذ تعود بدايته الى حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد .

(ى . ذ)

الفسفات اكبر الثروات المعدنية في الدول العربية بعد البترول

● اشتهرت دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا وخاصة الدول العربية منها بثرواتها الهائلة من البترول .. ونسمع ان هناك ثروات معدنية اخرى في البلاد العربية ، فهل لكم ان تذكروا لنا شيئا من هذه الثروات ..

صبيحة أبو الحسن ـ جنيف

ـ في الدول العربية ، مشرقها ومغربها ، ثروات معدنية كثيرة غير البترول .. ولكن بالرغم من البحوث الجيولوجية التى اثبتت وجود عدة خامات في كثير من البلدان العربية . الا ان عملية استغلال هذه الثروات لا تزال في خطواتها الاولى بالنسبة لهذه الدول .

ومن الاحصائيات المتوفرة لا توجد اية ارقام عن الانتاج بالنسبة للثروات المعدنية في الوطن العربي

سوى في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والمغرب وتونس !

وبين الجدول التالى انخامات المعدنية الناتجة في البلدان الأربعة المذكورة وكمية الانتاج الحالي من كل منها اما الاردن فهى مشهورة بانتاج الفسفات ويبلغ انتاجها ٠٠٠ر٠٣٦ر١ طن سنويا .

المادة الخام	الجزائر	المغرب	تونس	ج.ع.م
انتيمون	٦٥٧ طن مترى	١٣٤٣ طن مترى	—	—
الباريت (كبريتات الباريوم) وهو مصدر معدن الباريوم .	٠٧٠ر٧٥ طن مترى	٣٠٠ر١٠٦ طن مترى	—	٠٠٠ر١٥ طن
نحاس	١٠٠٠ طن	٧٠٠ر٢ طن	—	—
الجبس (سلفات الكالسيوم)	١٧٥ الف طن	٠٠٠ر٨٠ طن	٨٠٠ر١ طن	٦٠٠ر٤٨٥ طن
خام الحديد	٠٠٠ر٧٠٠ر١ طن	٠٠٠ر١٧٠ر١ طن	٠٠٠ر٢٦٨ر١ طن	٠٠٠ر٥٤٢ طن
خام الرصاص	٢٠٠ر٤ طن	٦٠٠ر٧٧ طن	٩٠٠ر١٥ طن	—
فسفات	٠٠٠ر٨٠ طن	٠٠٠ر٣٩٦ر٩ طن	٠٠٠ر٢٠٠ر٣ طن	٠٠٠ر٦٦١ طن
البيريت Pyrite	٠٠٠ر٥٠ طن	٩٠٠ر١٤ طن	—	—
فضة	٣٣٥ الف اونس	٧٠٧ الف اونس	٠٠٠ر٢٨ اونس	—
زنك	٩٠٠ر٢٦ طن	٣٠٠ر٥٧ طن	٨٠٠ر٥ طن	—
فحم	٠٠٠ر٥٠ طن	٠٠٠ر٤٥٠ طن	—	—
فلورسبار (فلوريد الكالسيوم)	—	٣٠٠٠	٠٠٠ر٦	٥٠٠ر٣ طن
زئبق	—	—	٢٥٤ طن	—
منجانيز	—	٤٠٠ر٣٦٢ طن	—	٠٠٠ر٢٤ طن
المنيت	—	—	—	٦٠٠ طن
الحرير الصخرى (اسبست)	—	—	—	٩٠٠ر١ طن
كبريت	—	—	—	٧٠٠ر١١ طن
طلق	—	—	—	٠٠٠ر٤٠ طن
نيكل	—	٤٠٠ طن	—	—
كوبالت	—	١٩٩٤	—	—
قصدير	—	٠٠٠ر١٢ طن	—	—

وتبين هذه الارقام الانتاج لا المخزون في المناجم والذى لم يستغل بعد . وتبين ايضا ان الدول العربية تعتبر من أهم الدول المنتجة للفسفات في العالم .

وفي الحقيقة فان الثروات المعدنية الموجودة تحت تربة الوطن العربي لم يكتشف منها سوى القليل وهناك دراسات جادة في بعض البلدان العربية للكشف عن هذه الثروات واستغلالها الاستغلال الصحيح .

(م . ط)

طرائف

لها خال

● قال الجاحظ : رايت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها ، وعلى خدها خال اسود ، فاقتربت منها واخذت اتفحصها ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : مكة . فقلت : الله اكبر ، قرُب الحج ، اتاذنين لي ان اقبل الحجر الاسود ؟ فقالت له : اليك عنى ، الم تسمع قول الله تعالى « لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس »

الخليفة

● يقال للخليفة المعتصم العباسى « الخليفة المثمن » لأنه ولد سنة ثمانين ومائة فى ثامن شهر فيها . وهو ثامن خليفة وفتح ثمانية فتوح وهي عمورية ، ومدينة بابك ، ومدينة

غرنا فسكبناه

● دخل عمر بن عبد العزيز المسجد فراى بلال بن ابى بردة منزويا يصلى ويحسن الركوع والخشوع فقال : ان يكن سر هذا كعلانيته ، فهو افضل اهل العراق ، فقال العلاء بن المغيرة وكان خصيصا بعمر : انا آتيك بخبره ، فاقترب منه وقال : اشفع صلاتك فان لي حاجة . فلما سلم قال له العلاء تعرف منزلتي عند امير المؤمنين فاني اشرت عليه ان يوليك العراق ، فما تجعل لي ؟ قال : عمالتي سنة . قال : فاكتب بذلك خطا ، فقام من وقته وكتب . فحمل العلاء الخطاب الى عمر بن عبد العزيز ، فلما قرأ كتب الى واليه فى العراق : اما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر به ، ثم سكبناه فوجدناه خبيثا كله .

● ● ● ● ● ● ● ●

أخوة حقة

● حكى انه جرى بين الحسين بن علي بن ابي طالب وبين اخيه محمد بن الحنفية كلام فانصرفا متغاضبين .

فلما وصل ابن الحنفية الى منزله اخذ رقعة وكتب فيها : من محمد بن علي بن ابي طالب الى اخيه الحسين اما بعد فان لك شرفا لا ابلغه ، وفضلا لا ادركه ، فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ، وسر الى وترضني ، واياك ان اكون سابقك الى الفضل الذى انت اولى به مني . فلما قرأ الحسين الكتاب لبس رداءه ثم جاء الى اخيه فترضاه .

عربية

وثيق ومنيع

● وقف اعرابي على قوم فسالهم عن اسمائهم فقال احدهم : اسمي وثيق ، وقال الاخر اسمي منيع ، وقال الثالث : اسمي ثابت . وقال الرابع : اسمي شديد . فقال الاعرابي : ما اظن الاقفال عملت الا من اسمائكم .

الثمن

الرط ، وقلعة الاحزان ، ومصر ، واذربيجان، وديار ربيعة ، وارمينية. واستخلف ثماني سنين وثمانية اشهر . وخلف ثمانية بنين وثماني بنات .

تهنئة وتعزية

● كان عبد الملك بن صالح اميرا من بني العباس ، وقد ولي عدة مناصب ، وكان من افصح الناس واخطبهم وكان ان دخل دار الرشيد ، فلقيه اسماعيل ابن صبيح الحاجب ، فقال له : اعلم انه ولد لامير المؤمنين ابنان عاش احدهما ومات الآخر ، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرفتك .

فلما صار بين يديه قال : سرك الله يا امير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعلها واحدة بواحدة ، تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين .

● ● ● ● ● ● ● ●

حيلة لطفيلي

● حدث احمد بن الحسن المقرى قال : مر احد الطفيلين بعرس فاراد الدخول ، فلم يقدر ، فذهب الى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة اقداح عسلا ، وجاء الى باب العرس فقال يا بواب ! افتح لي . فقال له البواب : من انت ؟ قال : اراك لست تعرفني ، انا الذى بعثوني اشترى لهم اقداح العسل ، ففتح له الباب ودخل فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ اخذ الاقداح فقال : يا بواب افتح لي ، يريدون عسلا خالصا حتى ارد هذه فخرج فردها على البقال واخذ خاتمه .

كتاب الشهر

محمد روحي الخالدي

رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين

تأليف : الدكتور ناصر الدين الأسد

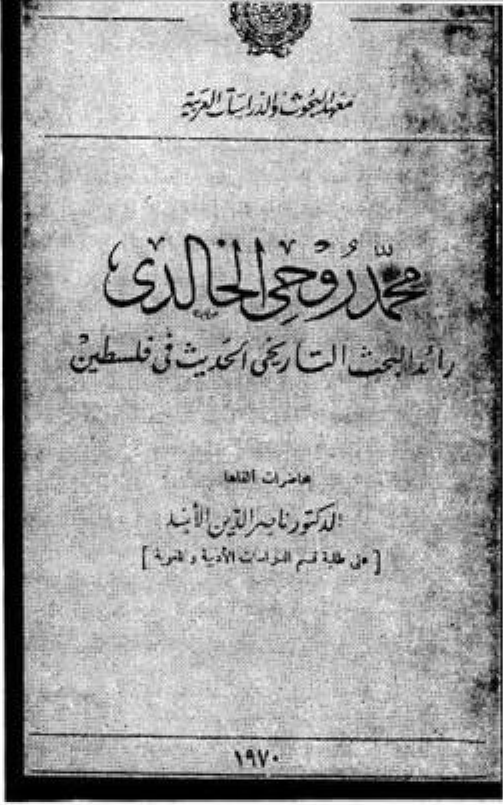
وعرض له بقلم : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب جديد عن علم من أبرز ابناء فلسطين في القرن الماضي ، هو محمد روحي الخالدي . والكتاب في أصله محاضرات القاها الدكتور ناصر الدين الاسد على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في « معهد البحوث والدراسات العربية » بجامعة الدول العربية . ويمتاز الكتاب بالاسلوب الرشيق الانيق ، والتحقيق المستقصي الدقيق ، والبناء المنطقي .

والكتابة عن محمد روحي الخالدي تتطلب من الباحث جهدا كبيرا وجيدا متواصلا ، لان آثاره موزعة مفرقة وما كتب عنه في صحف تلك الايام قد مرت عليه يد النسيان ، حتى ان ابناء اليوم لا يكادون يعرفون شيئا عن هذا الرجل الفذ .

والكتاب في مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين ، وخمسة ملاحق . وهو يتحدث في المقدمة عن البيئة الثقافية في فلسطين في القرن الماضي . ويتناول في القسم الاول : الاسرة الخالدية ، وسيرة روحي الخالدي وآثاره ، وشخصيته الثقافية . وهو في القسم الثاني يحلل كتب الخالدي ، وهي : كتاب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ، وفيكتور هوكو ، وكتاب رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي وفي اقسام العالم الاسلامي ، وكتاب المقدمة في المسالة الشرقية منذ نشأتها الاولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر ، وكتاب الانقلاب العثماني ، وكتاب الكيمياء عند العرب .

ونحن هنا سنحاول ان نقدم للقارىء صورة عن حياة الخالدي وشخصيته وآثاره ، متجاوزين الوقوف عند التحقيقات الدقيقة .



سيرة محمد روحى الخالدى

ولد روحي الخالدى فى مدينة القدس سنة ١٨٦٤ م فى بيت عريق من بيوتات العلم ، ومن اهم مصادرنا عنه تلك الترجمة التي كتبها لنفسه ونشرها سنة ١٩٠٨ فى مجلة « الاصمعي » التي كانت تصدر في يافا .ومن سوء الحظ ان هذه المجلة ليست بين ايدينا اليوم ، ولكن من حسن الحظ ايضا أن جرجي زيدان لخص تلك الترجمة ونشرها فى مجلة « الهلال » (نوفمبر ١٩١٣ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣) . وهناك سيرة مفصلة للخالدى نشرت فى مجلة « المنادى » التي كانت تصدر فى القدس سنة ١٩٠٨ ، وقد نقل ناشر كتابه « المقدمة فى المسألة الشرقية » هذه السيرة وصدر بها الكتاب .

وقد كان والده ، ياسين الخالدى ، نائب القدس في المجلس العمومي في بيروت ، ثم قاضيا شرعيا فى نابلس ، ومنها نقل الى طرابلس الشام. وفى سنة ١٨٨٠ رافق روحي عمه فى رحلة الى الاستانة ، وحين عاد الى القدس اخذ يحضر الدروس فى الفقه والتوحيد والحديث والنحو والصرف والمنطق والبيان والبديع . وكان في الوقت نفسه يتردد على مدرسة الاليانس ، وهي مدرسة اسرائيلية ، وعلى مدرسة لاهوتية لاعداد كهنة لطائفة الروم الكاثوليك ، وذلك من اجل ان يتقن اللغة الفرنسية . والتحق مدة بالمدرسة السلطانية فى بيروت ، ثم عاد الى القدس والى حلقات الدرس فى المسجد الاقصى .

وعين روحي الخالدى موظفا فى العدلية ، ثم رئيسا لكتاب محكمة بداية غزة . ولكنه لم يرض عن الوظيفة ابدا ،وكان يحلم بالسفر الى الاستانة ليلتحق باحدى مدارسها العالية . وقد تحقق حلمه حين سافر اليها سنة ١٨٨٧ ليلتحق بالمكتب الملكي الشاهاني ، الذى بقي فيه ست سنوات حيث نال فى نهايتها شهادته .

وصفه لجانب من حياته فى المكتب الملكى الشاهانى

ونحن نجد فى كتابه « المقدمة فى المسألة الشرقية » وصفا طريفا لجانب من حياته فى المكتب الملكي الشاهاني ، وذلك حين يقول : سنة ١٨٨٩ كنت فى الاستانة العلية تلميذا فى المكتب الملكي الشاهاني . وكان لي رفيق هو عندى بمنزلة الصديق ، بل والشقيق . فناولني يوما من الايام كتابا عنوانه « اس انقلاب » تاليف صاحب العطوفة احمد مدحت افندى مدير جريدة « ترجمان حقيقت » التركية التي تصدر فى مركز الخلافة الاسلامية . واوصانى بالحرص عليه ، وتلاوته سرا ، لانه لم يكن يسمح لنا بقراءة الكتب التي ليست غير رسمية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمسائل الحاضرة السياسية . فحفظته على صدرى بين القميصين ، وصرت اطالعه كلما جنّ الليل ،ورقدت العيون ، وانقطعت الحركة ، واستتب السكون . وكان سريرى فى (القاووش) نمرة ٣ مرقما بعدد ٧٣ ، وقريبا من فانوس الزيت المعلق وسط الغرفة المشتملة على نيف وثلاثين سريرا . فبينما كنت ذات ليلة اتصفح الكتاب ، سمع رئيس البصرين ـ وهو

يتجسس احوال الطلبة ـ صوت تقليب الورق ، ولعل حركته الخفيفة في تلك الليلة الظلماء اخلت بالسكون المستولي على ذلك البناء ، فجاء على اثر الصدى ، وعثر على الكتاب ، وضبطه مني . وفي الصباح جازاني على ما اقترفته يدى ، وتوبني عن العود الى فعلتي . »

في مجلس جمال الدين الافغاني

وفي الاستانة اخذ يتردد على مجلس جمال الدين الافغاني . ونجد وصفا للقاء بينهما في مجلة الهلال (١٧ ديسمبر ١٩٠٨ ، ص ١٩٦٣) . يقول الخالدى : « دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني ، وهو في قصر لطيف على بابه الخدم ، وتأتيه سفرة من (المطبخ العامر) ، فقال : وما فائدتي بهذا القصر والخدم والسفرة ، وانا اذا اشتهيت اكلة (بفتك) او نشر فكر في جريدة ، او التنزه في ناحية من المدينـــة ، لا استطيع ؟ ! أيهنأ عيش الانسان بغير الحرية ؟ ! »

ولكن تردد الخالدى على مجلس الافغاني جلب له المشاكل ، اذ حضر احد هذه المجالس مراسل جريدة « التايمس » اللندنية ، ونقل على لسانه حديثا ماسا بالسلطان ، ونقل الجواسيس هـذا الحديث الى السلطان ، فوضع من كانوا حاضرين في المجلس تحت المراقبة ، مما اضطر الخالدى الى الهرب الى فرنسا ، حيث التحق بمدرسة العلوم السياسية في باريس ، ودرس فيها مدة ثلاث سنوات نال في نهايتها شهادتها . وبعدها التحق بالسوربون ، وفيها درس الفلســـفة الاسلامية والاداب الشرقية .

في باريس

وبعد تخرجه عين مدرسا في جمعية نشر اللغات الاجنبية في باريس ، وعرف فضله المستشرقون ودعي الى الاشتراك في المؤتمـرات ، والقـاء المحاضرات . ومن اشهر المحاضرات التي القاها ، محاضرتان طويلتان القاهما في « دار الجمعيات العلمية » : اولاهما سنة ١٨٩٦ عن « الاسلام في هذه الايام » وقـد نشرتها كاملة او ملخصـة الصحف العربية في تلك الايام ، ثم طبعت في كتاب مستقل بعنوان « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدى ، وفي اقسام العالم الاســلامي » .

والقيت المحاضرة الثانية سـنة ١٨٩٧ عـن « المسألة الشرقية » ، وهي التي طبعت ، فيما بعد ، بعنوان « المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الاولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر » .

الخالدى قنصل عام

وتحسنت صلة الخالدى بالاستانة ، واذا به يعين سنة ١٨٩٨ قنصلا عاما للدولة العثمانية في بوردو وتوابعها . وقد منحته الحكومة الفرنسية وسام نخلة المعارف الذهبية، ووسام فرقة الشرف (لجيون دونور) تقديرا منها له . وبقي في هذا المنصب الى ان اعلن الدستور سـنة ١٩٠٨ . وخلال هذه المدة كان ينشر مقالاته في الصحف العربية دون توقيع ، او يوقعها احيانا باسم « المقدسي » .

في مجلس النواب العثماني (المبعوثان)

بعد اعلان الدستور ، عاد محمـد روحي الخالدى الى القدس ، ورشح نفسه لانتخابات مجلس « المبعوثان » ، ففاز في الانتخابات ، وكان ذلك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٨ . وقد نشرت جريدة « المؤيد » وصفا لهذه الانتخابات بقلم مراسلها في القدس الشيخ علي الريماوي وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٠٨، وقد جاء فيه : « نال اكثرية الاصوات عندنا في انتخابات مجلس المبعوثان ثلاثة متفق على انهم افضل الموجودين ، وهم اصحاب السعادة والعزة : روحي افندى الخالدى قنصل الدولة الجنرال في بوردو ، وسعيد افنـدى الحسيني رئيس بلدية القدس السابق ، وحافظ بك السعيد من اعيان يافا .. »

وورد في كتاب يوسف الحكيم « سورية والعهد العثماني » ، ما يلي : « كـان نائبا القـدس في مجلس المبعوثين : سعيـد بـك الحسيني وروحي بك الخالـدى ، يتمتعان بثقـة جميع المواطنين على اختلاف طبقاتهم ومن عالي مزاياهما التي يرددها الناس انه لم يبدر منهما في وقت ما اى تدخل في شؤون القضاء » .

وكتب جرجي زيدان مقالة بعنوان « نوابنا في مجلس المبعوثان » نشرها في مجلة « الهلال »

(١ ديسمبر ١٩٠٨) : وقد عرفنا ايضا من نوابنا ارباب القلم فى مجلس المبعوثان صديقنا روحي بك الخالدى ، صاحب مقالة « الانقلاب العثماني » فى هذا « الهلال » . ويكفى الاطلاع عليها لمعرفة سعة علمه فى احوال الدولة ودخائل سياستها . وقد عرفه القراء من قبل باسم « المقدسي » كذلك سمى نفسه فى كتابه « تاريخ علم الادب » الذى نشر على حدة . غير مقالاته العديدة فى المواضيع المختلفة ، وكلها ابحاث جليلة تدل على علم واسع ، ونظر صحيح مع اخلاص فى البحث . وكان القراء قبل ان عرفوا اسمه ، يعجبون بفضله وعلمه ، ويسالوننا عن حقيقة اسمه ، ولم يكن يأذن لنا باذاعة ذلك لانه كان قنصلا جنراللدولة العلية فى بوردو بفرنسا .. »

وقد أعاد أهل القدس انتخاب روحي الخالدى مرة ثانية وثالثة ، كما انتخبه مجلس المبعوثان نائبا للرئيس . وتوفى فى الاستانة سنة ١٩١٣ وقد بلغ من العمر خمسين عاما .

ابنه يحيى رئيس بلدية بوردو

وقد تزوج روحي الخالدى ، وهو فى بوردو ، سيدة فرنسية ومنها رزق ولدا اسمياه يحيى . وقد درس هذا الابن الهندسة الكهربائية . وزار فلسطين واقام فيها مدة ثلاث سنوات ، ثم عاد الى بوردو . وفى بوردو عين رئيسا لبلديتها . وفيها توفى فى اوائل الحرب العالمية الثانية .

شخصية روحي الخالدى الثقافية

وفى الفصل الثالث من القسم الاول ، نجد الدكتور الاسد يقدم لنا تحليلا جيدا للعوامل التي كونت الخالدى فكريا ، كما يتحدث عن خصائصه الفنية . والواضح ان روحي الخالدى كان محبا للمعرفة ، حريصا على الاستزادة من العلم ، كما بينا عند حديثنا عن حياته . وهو مثقف يجمع بين الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ، وكان يتقن من اللغات الاجنبية التركية والفرنسية . وهذا المزج بين الثقافتين عن وعي وفهم ، واضح تمام الوضوح فى مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته . وهو لا يكتفي فى اكتساب المعرفة بالقراءة ، بل يسعى الى لقاء العلماء ، وعقد الصداقات معهم ، ومن ذلك تردده على مجلس السيد جمال الدين الافغاني ، ومجالس كبار الاساتذة فى السوربون ، وكان صديقا للمستشرق جولدتسيهر Goldsieher .

والخالدى فى كتاباته ، يهيم بالحرية ، ويدعو اليها ، ولا يمل الكتابة عنها ، سواء اكانت حرية فكرية ، ام سياسية ، ام اجتماعية ، ام دينية حتى لقد وصفه جرجي زيدان بانه « احد كبار الاحرار العثمانيين » وانه « من جملة الذين جاهدوا فى سبيل الحرية . » وعندما اعلن دستور ١٩٠٨ كان الخالدى من اعظم اركانه .

والصفة الغالبة على كتاباته هي الصفة التاريخية ، ولكنه لا يكتفي من التاريخ بالسرد، بل يتوقف ليستخرج من الاحداث مدلولاتها الاجتماعية ، او النفسية ، او الاقتصادية . واستنتاجاته تدل على انه كان يدرك ادراكا واضحا التفاعل القائم بين الاحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية ، وبين اخلاق الناس ولغتهم وادبهم ، ومن اقواله : « اننا اليوم احوج الى تعيين معاني الكلمات ، والى سكب قوالب الالفاظ على قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شانه ان يحدث انقلابا فى اللغة والادب ، فضلا عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار » .

وهو ، فى رأى المؤلف ، « أول من كتب كتابا فى اللغة العربية عن « المسالة الشرقية » ، وهو أول من استقصى احوال العالم الاسلامي ، وجمع مادة احصائية مستوفاة عن اقطاره ، رتبها وابرزها فى كتاب ، وهو من اوائل الادباء العرب الذين كتبوا فى « الادب المقارن » ان لم يكن اول من الف منهم كتابا كاملا فى الموضوع ، ومن اوائل الذين كتبوا فى « النقد الادبي » ، واستعملوا هذا المصطلح ليقابل المصطلح الاجنبي . ومن اوائل كتاب العربية الذين عنوا باظهار فضل العرب على الحضارة الاوروبية وعلى النهضة الادبية والعلمية الحديثة ، بل اول من الف كتابا بالعربية عن فضل العرب فى ميدان مهم من ميادين العلم هو الكيمياء » .

كتاب تاريخ الادب عند الافرنج والعرب

ونحب ان نقف هنا ، بعد هذا عند كتابيه : كتاب تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب ، وكتاب الانقلاب العثمانى .

ويتناول الخالدى في كتابه الأول ثلاثة موضوعات رئيسية هي : النقد الأدبي ، ومقارنة بين ما عند الافرنج وما عند العرب من فنون القول وانواع الموضوعات والمعاني ، وما اقتبسه الافرنج من آداب العرب وعلومهم . ولعل خير ما نفعله في التعريف بهذا الكتاب أن ننقل للقارىء ما قاله فيه جرجي زيدان (مجلة الهلال مارس ١٩١٢ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧) : « صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٤ ، والمؤلف يومئذ قنصل جنرال الدولة العثمانية في بوردو ، وقد نال الاستبداد من نفوس العثمانيين ، وقيد اقلام احرارهم ، فلم تعد نسمع غير أصوات المتزلفين والمتملقين ، واذا تكلم الحر تكلم همسا ، واذا كتب أخفى اسمه ، ولا سيما اذا كان من موظفي الحكومة ، ولو كان موضوعه في الأدب والطب ، لأن الجواسيس يحولون كل معنى الى المكايد والدسائس. وابت نفس صديقنا الخالدى ، مؤلف هذا الكتاب، الا ان ينشر ثمار درسه وبحثه ، فعهد بذلك الى « الهلال » ، على أن تنشر بلا توقيع ، فنشرناها مقالات متوالية ، والقراء يسألوننا عن اسم كاتبها، ويتشوقون لمعرفته . فلما طبعناها في كتاب على حدة تقدمنا اليه أن يأذن بنشر اسمه في صدر الكتاب ، فاكتفى بالاشارة الى موطنه ، فوضعنا بدل اسمه لفظ « المقدسي » نسبة الى القدس الشريف مسقط رأسه . فاحرز هذا الكتاب اعجاب القراء والأدباء في العالم العربي وغيره ، فحملنا ذلك على اعادة طبعه رغبة في نشر علم الأدب بين قراء العربية ، ونحن في أشد الاحتياج اليه ، ولا سيما على الأسلوب الذى توخاه المؤلف من المقابلة بين الآداب العربية والافرنجية ، وبيان ما اقتبسه الافرنج من آدابنا واساليبنا مما لم يتصد للبحث فيه أحد قبله ، ولم نر أحدا تصدى له بعده . فضلا عما يتخلل ذلك من الفوائد التاريخية ، والقواعد الاجتماعية ، من الأدب العربي وتاريخه، وما تقلب عليه من الأطوار تبعا للسياسة والاجتماع وتاريخ الأدب الفرنساوى من أول عهده الى زمن فيكتور هوكو وما ادخله فيه هذا النابغة من التعديل نقلا عن الأسلوب العربي في الشعر والأدب وحمل اليه عن طريق اسبانيا . ناهيك بسهولة عبارة الكاتب وتناسقها مما يرتاح اليه القارىء ويجد فيه لذة وشوقا للمطالعة ، غير ما عنى بتلخيصه ووصفه من مؤلفات هوكو ، وبسط ما حوته من الفوائد الفلسفية والأدبية ومقابلة ذلك بما عند ادباء العرب .

والخلاصة أن هذا الكتاب من الذخائر النفيسة التى لا يستغنى عنها اديب . فلما نفدت نسخ الطبعة الأولى ، استأذنا حضرة المؤلف في اعادة الطبع فاذن لنا خدمة للأدب العربي . وقد اعلن الدستور ، وصار المؤلف من اعظم اركانه ، فلم يبق ثمة باعث على التكتم ، فطبعناه وصدرناه باسمه ، وزيناه برسمه ، ليتم التعارف بينه وبين القراء والمعجبين بأدبه وفضله » .

وآخر عبارة جاءت في نهاية الكتاب قول الخالدى : « حررت هذا الكتاب في بوردو سنة ١٩٠٢ ، وقدمته لأمي أيضا ببعض ما لها على من الحقوق ، ورجائى بأن لا تحسب اغترابى عنها من العقوق » .

كتاب الانقلاب العثماني

وهذا الكتاب في تسعة وعشرين فصلا ، وهى فصول قصيرة . والملحق الثالث في الكتاب هو صورة فهرست الكتاب بخط محمد روحي الخالدى. وقد عالج الفصل الأول موضوع المصطلحات ، واستعمال الفاظ محدودة لتدل على معان واضحة، وبين الفرق بين « الثورة » و « الانقلاب » ، وان كنا لا نقره اليوم على المعنى الذى حدد به هذين المصطلحين .

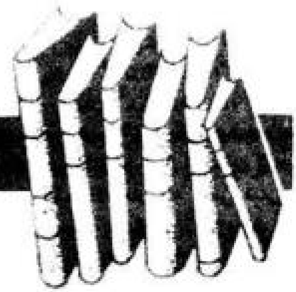
وتحدث بعد هذا عن الاستبداد ، وانتهى الى أن الانقلاب يتولد من الاستبداد ، وأن « الاستبداد آسيوى ، وليس اسلاميا » . وقد ندد بشدة بالاستبداد ، وبرأ الاسلام منه ، وأكد أن الاسلام هو دين الحرية والمساواة والديمقراطية ، وجهد في اثبات هذا .

يقول روحي الخالدى : « فالذى يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية ، لا من قواعد الدين الاسلامي ، كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوروبيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية ، اى انها جامعة بين الديانة والسياسة .. فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط . وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن اكاسرة الفرس ،وقياصرة الرومان ، وعن نماردة بابل وفراعنة مصر ، وعن جنكيز خان وتيمورلنك . والاسلام هو أول شريعة

اعترضت على الاستبداد ، وقاومته أشد المقاومة، وساوت بين أفراد الأمة ، وحافظت على الحقوق والحرية الشخصية ، وأمنت الاجانب المعاهدين ــ فضلا عن أفراد الأمة ــ على أموالهم ودمائهم وأعراضهم،ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية، ووضعت حق الحاكمية في الأمة ، ولم تكتف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل أفرادها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق فيالحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم ولا أولي الأمر منهم .. ولذا حكمت القضاة على غير واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزلتهم عن المنصة ، واقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم .. فكان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى اثرهم كعمر بن عبد العزيز من بنيأمية، ثم تغلب الاستبداد الاسيوى على حكام الدين الاسلامى ، وانقلبت الخلافة الى سلطنة ،واصبح خليفة الاسلام مقدسا وغير مسؤول كملوك الافرنج ليومنا هذا » .

وهذا الكلام ، عندي ، يذكر بما ورد في كتاب « طبائع الاستبداد » للسيد عبد الرحمن الكواكبي، فالشبه بينهما كبير في المعانى والالفاظ . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الموسيقى وعلم النفس

تاليف : الدكتور ضياء الدين ابو الحب .
الناشر : مطبعة التضامن ــ بغداد / العراق .

● مادة هذا البحث اداة سيكولوجية جديدة ابتكرها المؤلف وتوقع ان تصبح وسيلة تشخيصية تفيد في التمييز بين الاسوياء وغير الاسوياء من الناس . وقد اتجه المؤلف في بحثه عن اداة تشخيصية مبتكرة الى غزو دنيا جديدة هي دنيا الموسيقى التي دار بعض علماء النفس حولها دون ان يحاولوا الاقتراب منها ، كما ان الكتاب ، بالتالي يقوم على التامل الفلسفي وقراءات المؤلف الشخصية وحسه الاكلينيكي .

زكي مبارك في العراق

تأليف : عبد الرزاق الهلالي
الناشر : منشورات المكتبةالعصرية ـبيروت/لبنان.

● دراسة وافية عن الدكتور زكي مبارك حينما انتدب لتدريس الادب العربي فى دار المعلمينالعالية في بغداد ، ثم نتاجه الادبي في هذا القطر ،والحركة الادبية التي اوجدها في العراق ، حيث تعكس آراءه في شتى المواقف الثقافية والادبية وكيفية النهوض بالحركة الادبية في العراق . بالاضافة الى سلسلة احاديثه القيمة منها « ليلى المريضة في العراق » وذكرياته التي ضمنها كتاب « وحي بغداد » « وملامح المجتمع العراقي » .

ثم علل المؤلف الذى كان من اشد محبى ادب زكي مبارك كيفاستطاع زكي مبارك ان يشد اليه ادباء العراق لشخصيته المحببة ، وعلمه الغزير ، وادبه المتدفق، وكيف جعل ادباء العراق يشاركونه في الجو الادبي الذى اوجده في العراق وفي خارج العراق ، ثم كيف اصبحت محاضراته ومقالاته واحاديثه المعين الذى تستقى منه الصحف والمجلات كي تطفيء ظما قرائها بافانين من العلم والثقافة .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عدة فصول تناول في الفصل الاول حياة زكي مبارك ونشأته الاولى الى ان دخل فى رحاب الجامعة ، ثم في فصل آخر تحدث المؤلف عن الدكتور زكي مبارك حينما كان في العراق . ثم فصول اخرى طويلة عن نشاط الدكتور زكي مبارك مع ادباء العراق أمثال انستاس الكرملي والدكتور مصطفى جواد ومحمد رضا الشبيبي وطه الراوى وساطع الحصرى .

تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث

تاليف : عبد العزيز بن عبد الله

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة .

● محاضرة درس فيها المؤلف تاريخ الحقبتين الحديثة والمعاصرة في المغرب العربي ، وهما يتارجحان بين منتصف القرن الخامس عشر الى التاسع الميلادى والعصر الحاضر ، وتنطبق هذه الفترة بالمغرب على عصر السعديين والعلويين وقد وصف عصرهم بالعصر العربي استنادا الى محتد ملوك هاتين الدولتين بينما اطلق المؤلف اسم العصر البربرى على عهد امراء المرابطين والموحدين وبنى مرين وبنى وطاس المنتمين الى قبائل صنهاجه ومصموده وزناته من البربر .

فهذه الدراسة لتطور الفكر واللغة في المغرب تواكب انبثاق العصر العربي وهو العصر الذى بدا فيه الزحف الصليبي على سواحل المغرب الاقصى اثر سقوط الاندلس وانتشار العثمانيين في الشرق والمغربين الادنى والاوسط وهي الفترة التى ركز حولها المؤلف دراسته ، وهي محاولة لكشف الجوانب الغامضة من مقوماتها الحضارية واصول التراث الفكرى في هذا الجزء من الوطن العربي .

طريق الايمان

تاليف : سميح عاطف الزين

الناشر : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

● يقول المؤلف في كتابه : ان الطريق الذى يسلكه الناس للايمان بالله سبحانه وتعالى ليس سليما في كل الأحيان ، لان الايمان بالله لهطريق سليم ليس غير ، وهو ملاحظة الكون والانسان والحياة عن طريق الفكر المستنير .

ولكن مع الأسف ان معظم الناس في الوقت الحاضر يؤمنون بالله عن طريق الوجدان ، او عن طريق التقليد والتبعية ، وهذا ما نهى القرآن الكريم عنه ، ويحذر من سوء عاقبته ، لان هذا الايمان عرضة للهزات والتشكيك والانحرافات ، وقابل للضلالات والأوهام والخرافات .

والعقيدة في الاسلام لا يجوز أن تؤخذ عن طريق التقليد بل يجب على الناس أن يسيروا على الطريقة العقلية للوصول الى العقيدة الاسلامية .

كميل بن زياد النخفى

تاليف : على بن الحسين الهاشمى الخطيب .

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد .

● دراسة تاريخية عن كميل بن زياد النخعى احد الصحابة الذين ساهموا في نشر الدعوة الاسلامية . تتناول نشاته وقبيلته وما أسدت الى الاسلام من اعلام وخدمات وما كان منهم من قراء وابدال ثم صحبته لعلى ابن ابى طالب ، والادعية المروية عنه .

تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم

تاليف : محمد عزة دروزة

الناشر : المكتبة العصرية ـ بيروت . لبنان

● توضح هذه الدراسةما يزعمه ويدعيه اليهود من امجادهم التاريخية في فلسطين لأنه يستبين من نصوص هذه الأسفار انه ليس لبنى اسرائيل في فلسطين امجاد تاريخية تتحمل فخرا واعتزازا . الا اذا اعتبرنا الكذب والاحتيال والغدر والفجور وسفك الدماء والانحرافات الدينية يمكن أن يعد امجادا .

كما أن الأسفار التى ذكرت انتصاراتهم في شرق الاردن بقيادة موسى ويشوع امتلات بالمبالغات والتهويلات ومع ذلك فانها تقرر انهذه الانتصارات لم يحرزها بنو اسرائيل بشجاعتهم ومزاياهم وانما كانت معجزات ربانية . بالاضافة الى ذلك فانهم حينما طراوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة عاشوا عيشة البدو وأنهم لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ما كان من عمران ضخم كنعانى وآمورى ، بل ان الغالبية العظمى اندمجوا في النصرانية والاسلام ،واختلطت دماؤهم بدماء الاقوام التى عاشوا بينها ، بحيث يصح أن يقال بان الدم الاسرائيلى القديم قد باد او كاد ، وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء .

والكتاب بالتالى يتناول تاريخ اليهود بنسق تاريخى متسلسل منذ بدا تاريخ بنى اسرائيل في فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الاخير في عهد الحكم الرومانى في القرن الثانى الميلادى وهو بذلك ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ اليهود الى البعثة النبوية مستلهما ذلك من الاسفار .

اما القسم الثاني فيدرس أحوالهم واخلاقهم ومواقفهم ومصيرهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته وابان حياته مستلهما في الدرجة الاولى القرآن الكريم .

مختبر اللغة

تاليف : علي القاسمي

الناشر : دار القلم ـ الكويت .

● دراسة تتناول مختبرات اللغة كوسيلة تعليمية الكترونية غير ان الالكترونات لا تقوم بالتدريس وانما تقوم به المادة اللغوية الحية ، لا المعدات الجامدة .

والكتاب مقدمة في موضوع مختبرات اللغة وفائدتها في تعليم ابنائنا اللغات الاجنبية بصورة فعالة وفي تعليم اللغة العربية للاجانب ، ثم ان الكتاب مفيد بخاصة للاداريين ومدرسي اللغات الاجنبية والمشرفين على مختبرات اللغة في العالم العربي .

وقد اعتذر المؤلف للصعوبات التي تواجه الكتابة في ميدان مختبرات اللغة من حيث حداثة عهد مختبرات اللغة ، حيث انها ما زالت في دور التطور ولم تصل الى الكمال النسبي الذي بلغته كثير من التصميمات التقنية الاخرى ، ثم قلة المصادر المكتوبة عنه ، اذ لم يظهر في موضوعه باللغة العربية اى كتاب والكتب التي درست هذا الموضوع قليلة محدودة .

اما المصادر التي استقى منها المؤلف كتابه فكانت اولاها خبرته العلمية في دراسة وتدريس اللغات الاجنبية وادارة مختبرات اللغة ، وثانيها ما الف عن مختبرات اللغة من كتب في اللغتين الانجليزية والفرنسية ثم ما نشر من مقالات وبحوث .

الاسلام والمرأة

تاليف : سعيد الافغاني

الناشر : دار الفكر ـ بيروت

● دراسة عن المرأة العربية بين جاهليتها واسلامها ، وهي دراسة تستند الى النصوص المجمع عليها والوقائع المتواترة . وقد اقتصر المؤلف على الحديث عن المرأة العربية في عصور الاسلام الاولى . وهو عصر المرأة الذهبي ، اذ فيه رفع الاسلام من النساء طبقة رفيعة مختارة ، جعل لها من السمو والاحترام منزلة تلي منزلة الانبياء وفوق الخلفاء . والكتاب من بابين الأول عن المرأة العربية في نشأة الاسلام ، والثاني : عن امهات المؤمنين ، وهن الطبقة المختارة من النساء .

الاسلام .. والغرب والمستقبل

تاليف : أرنولد توينبي .

تعريب : الدكتور نبيل صبحي .

الناشر : دار العربية للطباعة ، والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

● ترجمة لمحاضرتين القاهما ارنولد توينبي في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٥٢ يبحث توينبي مواجهة الحضارة الاسلامية للحضارة الغربية على مر العصور ، ويسرد وقائع مرة في ماضي الغرب ومرة جدا في حاضر الشرق ومن الطبيعي ان لا تكون اكثر استنتاجات توينبي وآرائه منسجمة مع ما نستخلصه .. نحن الشرقيين من الاحداث .

فتوينبي غربي ويجب ان يكون كذلك ومن ثم فهو ينظر الى الامور بهذا المنظار ويكشف عن عواطفه المتحيزة حين يحذر الغرب من احتمال يقظة اسلامية بعد سبات عميق ، ويرجو بكل صراحة ان لا يتحقق ذلك .

وفي سياق محاضرتيه حقائق وآراء هامة يجدر بالقارىء العربي الواعي ان يقف عندها مفكرا ليدرك عمق تأثيرها بمجتمعه وابعادها وانعكاساتها على حاضره ومستقبله الحضاري .

الفسيولوجي / علم وظائف الأعضاء

تاليف : الدكتور عبد الرحمن محمود الرحيم .

الناشر : مطبعة الزهراء ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة علمية في علم وظائف الاعضاء. والكتاب ينقسم الى اربعة فصول كبيرة يدرس الفصل الأول الدم ومحتوياته التركيبية وبلازما الدم وكريات الدم الحمراء ثم كريات الدم البيضاء ووظائفها ثم تخثر الدم والعوامل الغذائية في تكوين الدم .

اما الفصل الثاني فيدرس التنفس والحركات التنفسية وحجم الهواء التنفسي والسيطرة العصبية المركزية على التنفس ، اما الفصل الثالث فيدرس السوائل الجسمية والاليكترولايت اما الفصل الاخير فيدرس العضلات .

المهاتما غاندى



بمناسبة اكتساح أنديرا غاندي، انتخابات الهند، على مبادئ غاندي، مبادئ حزب المؤتمر.

بقلم : علي ادهم

■ حياة غاندى وسيرته من الأمثلة الواضحة التي ترينا مدى تأثير الشخصية الانسانية فى الحركة التاريخية، ودراسة حركة الهند الاستقلالية وسائر حركات التحرير التي عرفها العالم خلال النصف الأول من القرن الراهن تكشف لنا نواحي عظمة هذا الرجل الفذ النادر الذى اطلق عليه قومه بحق لقب « المهاتما » اي الروح العظيم ، ورأى العالم فى مواقفه المشرقة ، وكلماته الحكيمة ، وتوجيهاته الانسانية ما يجعله جديرا بهذا اللقب ، وبأن يدرج اسمه فى سجل العظماء الذين احسنوا الى الانسانية ، وافادوا الحضارة ، وقدموا اروع الأمثلة للبذل والتضحية .

لم يكن غاندى من البراهمة

وكان قومه يعدونه قديسا ، وقد ظفر من تقديرهم لمكانته ، وتبجيلهم لشخصه، بما لم يظفر به غيره من الأعيان والمشاهير . ولم يكن غاندى من البراهمة ، وهم اسمى الطبقات في الهند ، وبرغم ذلك كان البراهمة ينحنون في حضرته احتراما له ، واجلالا لشانه ، قال شاعر الهند الكبير رابندرانات

لمحاتٌ عن : حياتِهِ وسيرتِهِ وقبساتٌ من كلماتِهِ وحكمتِهِ

طاغور « الامة كلها تتبعه ، وتضمر له الطاعة ، لسبب واحد ، وهو اعتقادها بانه قديس . وان نرى امة برمتها مختلفة الاجناس ، متباينة الطبائع والمثل العليا تعقد الخناصر على اتباع قديس معجزة حديثة لا يمكن حدوثها الا في الهند. وتكفي قولتك (المهاتما غاندى ينهى عن ذلك) لتلطيف حدة الاحقاد العميقة المتغلغلة . وانى اخالف غاندى في اشياء كثيرة ، ولكنى اقدم له اسمى آيات الاحترام والاعجاب . وما هو اعظم رجل في الهند فحسب ، وانما هو أعظم رجل في العالم اليوم » .

ولم تكن جماهير الشعب وحدها هي التى وقعت تحت تأثير شخصيته الساحرة ، فقد كان المثقفون جميعا في الهند يعجبون به ، ويقدرون مكانته ، وذلك برغم أن سكان الهند مكونون من سلالات مختلفة الارومة ، ويتحدثون بلغات مختلفة تتجاوز عشر لغات ، وتدين بنحل متباينة ، وتنتسب الى شيع متعارضة ، وقد عاش المسلمون وعددهم يتجاوز السبعين مليونا في نزاع دائم ،وخلاف مستمر ، مع الهندوس .

طبقات لا تتزاوج ولا تتآكل وحد بينها غاندى

ويقول البحاثة الالماني رينيه فيلوب ميلر* Rene Fülop Miller : ينقسم سكان الهند حسب تقاليد النظام القديم الطبقي الى اربع وثمانين طبقة رئيسية ، ونحو آلاف من الطبقات الثانوية ، وهذه الطبقات جميعها لا تزاوج بينها ، ولا يؤاكل فرد من احدى الطبقات اى فرد من الطبقة الاخرى ، وخمس السكان من طبقة المنبوذين ، وهم يعاملون كأنهم من طريدى المجتمع ، ولمسهم بل مجرد نظرتهم او خيالهم ينجس الهندوسي المحافظ » .

وقد استطاعت شخصية غاندى الفذة أن توحد صفوف هذه الطبقات المتعادية ، وبذلك احدث ثورة على التقاليد غير مسبوقة في التاريخ ، وقد اجتذب قلوب المجوس ، وهم تجار كلكوتا الاثرياء ، كما ضم الى صفوفه الاتحادات التجارية المنظمة على الأسس الاشتراكية ، وقرب بذلك ما بين البراهمة والمنبوذين ، وما بين الهندوس والمسلمين، وما بين المجوس وعمال المصانع الفقراء .

ويمرض غاندى فتقام لشفائه فى البلاد الصلوات

وحينما كانت تعتل صحته ، وتسوء حالته ، ويخشى على حياته ، كانت تقام الصلوات في المعابد ليمنحه الله الصحة والعافية . وحينما اطلق سراحه من السجن عم السرور المدن والقرى، وتوجه الهندوس في معابدهم ، والمسلمون في مساجدهم ، بالشكر لله ، ونظمت المواكب احتفالا بذلك من مختلف الطبقات ومتباين الاجناس، وخطب الكثيرون فقالوا ان غاندى رسول ارسله الله الى الارض للقضاء على الشر ، واقفلت المتاجر ، وعطلت المصانع ، واقام الاغنياء ولائم للفقراء .

وحينما كان غاندى راقدا بالمستشفى بمدينة بونا كتب صديقه الانجليزى اندروز : « هنا يرقد حاكم الهند الذى فاق تأثيره النفوذ الامبراطورى، وبعد أن تنسى اسماء الحكام الذين يقيمون الآن في قصور دلهى سيظل اسمه يذكر مقترنا بالتشريف بين الناس ، وستنتقل ذكرى المهاتما غاندى من الأمهات الهنديات الى اطفالهن بوصفها ذكرى أحد عظماء القديسين والمخلصين » .

ملاحظة : غاندى ، في اسم أنديرا غاندى ، لا علاقة له بالمهاتما غاندى . صادف أن كان هذا هو اسم زوجها الراحل . أما هى فابنة زعيم الهند الكبير البنديت نهرو .

مذنب
ومع هذا تقوم له المحكمة احتراما

وحتى خصوم غاندي والذين ناصبوه العداء تأثروا بشخصيته ، والسياسيون الذين قاوموه وحاربوه أبدوا اعجابهم به ، وحينما ظهر غاندي امام القضاة الانجليز متهما بالتحريض على مقاومة السلطات شعروا بقوة تأثيره ، وسحر شخصيته . وتقول تلميذته المخلصة الشاعرة ساروجيني نيدى Sarojini Naidu « كان غاندي في نظر القانون مذنبا وخارجا على القانون ، ولكنه حينما دخل الى ساحة المحكمة ، وقفت المحكمة اجلالا له ، وقدم له القاضي اسمى آيات الاحترام.وفي النهاية بعد أن أصدر القاضي حكمه قال « لا أستطيع أن أمسك عن القول بأنك من طراز مختلف عن أي انسان بحثت قضيته أو من عسى أن أتناول قضيته » .

كان لغاندي أحباب خلصاء ، وأعداء الداء

وكان لغاندي خصوم الداء كما لسائر الزعماء السياسيين البارزين ، وكان العنف الذي يقابلونه به من الدلالة على عظمته مثل اجلال اتباعه له . وقد حاول أحد الانجليز المقيمين في الهند أن يجمع آراء الطبقات المختلفة عن غاندي ، فقال له أحد الحكام الانجليز : « ان هذا الرجل يذكرني ببولس الرسول » . وقال له آخرون « انه ثوري خطير » ، وبعضهم وصفه بأنه : « رجل أوهام وخيالات » . ووصفه فريق بأنه : « سياسي بارع أو مهيج غير متردد » . وقال له آخر : « انه مهما يكن من أمر هذا الرجل فانه ليس رجلا عاديا ، وانه يجتذب الانظار ، ويختلب الالباب ، ويفرض عليك أن تستمع اليه » .

وأقلع سكان الجبال عن الصيد لما سمعوا غاندي يقول دعوا الغابة في سلام

وذاعت صفات غاندي المقدسة في القرى النائية في الهند ، ونشأت أساطير حول سيرته ، وقد روى عالم النبات الهندي المشهور بوز Sir I. C. Bose أن بعض سكان الجبال قالوا له انهم أقلعوا عن الصيد ، وحاولوا أن يعيشوا من الزراعة ، وكان تفسيرهم لهذا السلوك أنهم استمعوا الى قول غاندي : « دعوا الغابة في أمن وسلام » . ولم يكن أحد منهم قد رأى غاندي ، وانما أثر في نفوسهم ما تناقله الناس عن طيبة نفسه،وصلاحه وحكمته، وأخذه بمذهب « الأهِمْسا » Ahimsa القائم على ضبط النفس ، ومقاومة العنف بالحسنى ، وكان هذا كافيا لاطاعة أوامره، واتباع تعاليمه . ولم يكتفوا بترك الصيد بل أخذوا على أنفسهم عهدا بأن لا يذبحوا الحيوانات في المستقبل، وحاولوا في أول الأمر أن يبيعوا ما عندهم من الماشية ، ولكنهم لما لم يوفقوا في ذلك ضحوا بثروتهم جميعها ، وذلك بتسريح الحيوانات التي عندهم ، وتركها حرة .

كان غاندي اذا خطب اعتلى كرسيا

وكان هذا الرجل الذي عده أنصاره من القديسين قصير القامة نحيلا هزيلا ، ذا أذنين كبيرتين منفرجتين ، وعينين سوداوين واسعتين ، ولذلك كان اذا أراد أن يلقي خطبة على جمع من الانصار يرتقي كرسيا ليتمكن الجمع الحاشد من رؤيته ، وكان القاؤه هادئا متزنا خاليا من الانفعال. وينقصه الاشارات الخطابية العادية، بل كان يندر أن يحرك ذراعا أو يرفع أصبعا في أثناء الخطابة ، ويتحاشى في حديثه الزخارف البلاغية والاثارة العاطفية ، ويعمل على أن يخاطب عقول سامعيه ، ولا يترك الموضوع الذي يتناوله الا بعد أن يجلو غوامضه ويوضح خوافيه .

كان غاندي ذا احساس ديني عميق ولكنه لم يدع القداسة يوما

وكان غاندي عميق التدين ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقبل أي فكرة دينية الا اذا رضيها عقله ، وكان يرفض أي تفسير للمشكلات الدينية اذا كان يناقض العقل ، ويعارض الحاسة الاخلاقية ، وكان لا يدعي القداسة ، ولا يزعم أنه ممن يوحى اليهم، ويقول عن نفسه انه ليس سوى خادم متواضع للهند والانسانية ، وانه لا يطمع في أن يكون له شيعة واتباع ، وانه يحاول أن يتبع الحق الذي يتراءى له ويمثله ، وكان لا يتردد في الاعتراف بالخطأ ، ويقول انه لا يزعم انه أوتي ملكات فوق قدرة البشر ، وانه عرضة للخطأ مثل أضعف المخلوقات البشرية .

ويعتقلونه فيرجو ان يكون اختفاؤه خيرا للناس

وكتب قبل اعتقاله يقول : « انه يأمل أن يكون اختفاؤه وحبسه خيرا للناس وبركة لهم ، لأن ذلك يبدد خرافة الاعتقاد بأنه يملك مواهب فوق المواهب البشرية ، كما يقضي على الاعتقاد بأن برنامج عدم التعاون لم يقبل الا تحت تأثيره ، وعلى فكرة أن الأمة الهندية ليس لها ايمان مستقل عنه ، وكان أكبر أسباب نجاحه في تزعم الحركة التي قام بها تحرره المطلق من الطموح ، وتجرده من المطامع ، واعراضه عن طلب الشهرة » .

قال عنه صديقه البريطاني اندروز : « خلو المهاتما التام من الأثرة مكنه من أن يرى الأمور بصدق ووضوح أكثر من سائر الناس » .

وقال عنه استاذه جوكهيل Gokhaale : « انه من المعدن الذى تصنعمنه الابطال والشهداء ، بل الأكثر من ذلك انهيملك القوةالروحية العجيبة التي تجعل من الناس العاديين الذين يلتفون حوله ابطالا وشهداء » .

وجعل من آلة الفزل رمزا لوحدة الأمة ، غنيها وفقيرها

ومحتوى خطبه خال من التأكيد والمبالغة ، وهو يتحدث في هدوء ، ويقدم نصائحه العملية في كلمات بسيطة واضحة . من امثلة ذلك الحجج التي عرضها في حديثه عن آلة الغزل وطريقة استعمالها الصحيحة والخيوط المناسبة ، وامكان الاستغناء بها عن اجتلاب البضائع . وقد كان لهذه النصائح والتوجيهات الحكيمة من النتائج والآثار ما تعجز عن احداثه الخطب الحماسية ، فقد استجاب له مئات الألوف من الرجال والنساء من جميع الطبقات ، وعدوا من الزم واجباتهم اليومية واسماها أن يقضوا كل يوم بضع ساعات يغزلون أو يقبلون على النول ، واصبح استعمال آلة الغزل في القصور الفاخرة والأكواخ المتواضعة رمزا لاتحاد الهنود من مختلف الطبقات والعقائد والأجناس .

وحرم غاندى الاقمشة الاجنبية ، فقام الناس باحراقها فى الميادين الهندية

وحينما اعلن غاندى أن ارتداء الملابس المصنوعة من أقمشة أجنبية الصنع يعد اثما ، وطلب من أفراد الشعب أن يتخلصوا منها ، ويعملوا على ابادتها تحمس القوم لدعوته ، وبادروا الى النزول على كلمته ، واحرقت في المدن الهندية الكبرى اطنان من الأقمشة البريطانية ، واشترك فى ذلك الرجال والنساء والأغنياء والفقراء .

لا تعصب ولا تجهم ، وانما هو الرفق يشع من عينيه والحنان

ولم يكن هذا الزعيم الشعبي الجليل الشان من هؤلاء المتعصبين الذين يغلب عليهم التجهم والعبوس ، ويصعب الاقتراب منهم ، وانما كان رجلا تشع عيناه الرفق والحنان ، والشعور بالطمانينة والوداعة والحبور ، ولم يكن فى وسع الأحداث الخارجية أن تسلبه هدوء النفس او تعكر صفاءه ، وتفيض من نفسه نبع السرور ، قال عنه الشاعر الكبير طاغور « كانت خفة الروح طبيعة ملازمة له ، ولم تتخل عنه حتى في اشد الأزمات » وحينما عرف اصدقاؤه أن الأمر باعتقاله علىوشك الصدور جاءوا اليه جازعين ليودعوه ، وكان يتلقاهم ببشاشته المعهودة ، ويهون عليهم بكلماته المرحة ، وامتلاكه زمامنفسه ، ويوجه اليكل واحد من اصحابه كلمة حب وتقدير أو عبارة فكهة مستلمحة .

وكان من غذائه الأرز والتمر ولبن الماعز

وكان غاندى يلقى كل انسان لقاء وديا ، ولذلك كان يضطر اعداءه وخصومته الى ملاينته والترفق به ، وكان اسلوب حياته غاية في البساطة ، فغذاؤه الرئيسي الموز والليمون والتمر والقليل من الأرز ولبن الماعز ، وكان لا يتعاطى المشروبات الروحية ، ولا يشرب القهوة ولا الشاى ، وقد حاول في أثناء سنوات دراسته في انجلترا أن يتبع أسلوب الحياة الأوروبية ما وسعه امكانه ، ولكنه اخفق في ذلك ، وكان يعتريه الخجل حينما يظهر في المجتمعات ، وقدم له في اجتماع لحم فتذكر العهد الديني الذى قطعه على نفسه بان يكون نباتيا متشددا فقام وترك المائدة وغادر الاجتماع ، ومن تلك اللحظة اعرض عن كل محاولة لجعل نفسه جنتلمانا انجليزيا .

وفى جنوب افريقية جهاد

وقضى بعد ذلك سنوات عدة فى جنوب افريقية يجاهد من أجل حرية أبناء وطنه الذين كانـــوا يعاملون اســوأ معاملة ، ويعانــون ضروبا من الاضطهاد والطغيان ، وقد عاش بها عيشــة زهد وتقشف ، وجعله تأثره بآراء رسـكن Ruskin وتولستوى يحاول انشاء مـستعمرة من رجال يؤثرون أن يعيشوا عيشة بسيطة ، وقد اشترى قطعة أرض ، واقام عليها منازل ، وجعلها مقـرا للهنود المهاجرين يستطيعون أن يعيشوا بها في أمن وسلام ، وقد كلفه انشاء هذه المستعمرة تضحيات شخصية مادية كثيرة .

مستعمرة أسسها فى الهند ارتضى اصحابه فيها الزهد هدف الحياة

ولما عاد الى الهند أنشأ مستعمرة شبيهة بها ، ولكنها كانت مقصورة على اقاربه الادنين وتلامذته الذين ارتضوا حياة الفقر والزهادة ليصلوا الى معرفة الحق ، وكانت حجرات هذه المستعمرة لا تحوى سوى الضرورى من الاثاث البدائي ، ولأن الذين يقيمون بها كانوا قد عاهدوا انفسهم على الاستغناء عـن كل شيء لا تستوجبه المحافظـة الضرورية على الحياة ، وكانوا جميعهم يشعرون بأنهم مضطرون الى نبذ كل ما يزيد عن حاجتهم من المقتنيات ، وكان غاندى يقول لاصـحابه :

« من رأيي أننا جميعا نكون لصوصا بطريقة من الطرق اذا قبلنا شيئا لسنا في حاجـة اليـه للاستعمال المباشر ، ومن قوانين الطبيعة الاساسية أنها توافينا بما يكفي لحاجاتنا من يوم ليوم ، ولو اكتفى كل انسان بأخذ ما يكفيه ولم يزد على ذلك لما كان في الدنيا فقر ، ولمَا كان هناك من يموت جوعا ، وقد تحريت في حياتي أن لا أملك شيئا لست في حاجة اليه ، وما دام هناك ثلاثة ملايين من الناس يكتفون بوجبة واحدة في اليوم فليس من حقنا أن نطمع في أكثر من ذلك، ويقتضينا الواجب أن نعاني باختيارنا المسغبة اذا استلزم الأمر لكي نعول الفقراء ونطعمهم ونكسوهم » .

والى جانب غاندىوقفت زوجته وولداه

وكانت حياة غاندى واسرته تتبع هذه التعاليم، فكانت حيطان داره عارية غير مزينة بالصور ، ولم يكن في الحجرة التي كان يستقبل فيهـا زائريه سوى رف كتب ومكتب صغير ، وقد اعطى هـو وزوجته كل ما كانا يمتلكانه للفقراء ، وقد شاركته زوجتـه « كاستورباى » فى جهـاده ، وقد كان تزوجها وهو في الثانية عشرة من عمره ، ووقفت في شجاعة واصرار الى جانب زوجها في جهـاده حينما كان في جنوب افريقية ، وحينما سُـجن ولداها لمشاركتهما في الحركة الوطنية . ولما جاءتها رسائل من جميع انحاء الامبراطورية البريطانية تتضمن العطف اذاعت رسالة شكر قالت فيها :

« ليس هناك سوى اثنين من أولادى في السجن ، في حين ان به الوفا من الشبان قد انتزعوا من امهاتهم الحبيبات » .

وكان أولاد غاندى يقتدون به ، ويتبعون منهجه، وحينما وجهت اليه تهمة المشاركة فى الحركة ضد الحكم البريطاني صاح قائلا « اني مذنب ، وان التهمة الموجهة اليَّ صحيحة ، وما قلته وما صنعته قد قلته وصنعته عامدا متعمدا ، وكنت أدرك تمام الادراك تبعتي،واطالب بأقصى العقوبة القانونية» .

رأى غاندى فى العفة والشهوة الجنسية

وكانت تعاليم غاندى في مراعاة التقشف والزهد تلزم مريديه واسرته في المستعمرة بمراعاة العفة في العلاقات الجنسية ، فلا يسمح للمتزوجين بالاقامة في جواره الا اذا وعدوا وعدا صادقا بالتنازل عن علاقاتهم السـابقة ، وبأن يعيشـوا مع زوجاتهم معيشة الأخ مع اخته ، وكان من رأى غاندى أن العفة التامة في الفكر والكلام والعمل لازمة لبلوغ الكمال الروحي ، وأن الرجل الذى يكبح جماح شهواته الجنسية يفقد الخوف من الموت ، ويترك الحياة والابتسامة تعلو شـفتيه . وهذه الآراء تذكرنا برأى الروائي تولستوى في روايته المشهورة « كريتزر سوناتا » فقد ذهب تولـستوى في هذه الرواية الى أنه ليس هناك خطيئـة تجر الى عواقب سيئة رهيبةمثلالحب القائم على الشهوة، وقد حاول أن يثبت فى هذهالرواية أن مصدر الشر جميعه يأتي من اتخاذ الرجل والمـرأة كل منهما الآخر وسيلـة للمتعة وابتغاء اللـذة . والزواج القائم على الحب الشهوى في رأى تولستوى اثم ، ولذلك عده تولستوى من علامات انحطاط النوع البشرى . وكان غاندى كذلك يدعو الى الامتناع عن ممارسة الشهوات الحسية ، وان نحول القوة

التي منحها لنا الله الى الجهود العقلية والروحية، وهو يعترف بانه في مطالع حياته خالف ذلك ، ولذلك عرف الخطر المادى والأدبي الذى نجم عن هذه المخالفة .

درس فى انجلترا ٣ سنوات

وقد نال غاندى اجازة الحقوق بعد ان امضى في انجلترا ثلاث سنوات ، ولما رجع الى وطنه زاول مهنة المحاماة زهاء سنتين ، وذهب الى جنوب افريقيـة للدفاع عن قضيـة باحدى الشركات الهندية ، وهناك وجد نفسه مضطرا الى أن يخوض غمار السياسة دفاعا عن حرية مواطنيه من الهنود الذين كانوا يعملون بها .

وقرأ فى السجن الكثير

وقد وجد غاندى أن الميل الى الترف والانغماس في الشهوات الجنسية سائد في الهند ، فاراد أن يقدم لقومه مثلا من نفســه في تحرى الـزهد ، والتزام العفة ، ليثبت لهم انه في استطاعة كل انسان أن يسيطر على نفســه ، ويكبح جماح شهواته ، ومن كلماته حينما ادخل الســجن : « كيف يكون فى الحياة بالسجن حرمان في حين ان الحياة به ليست أقل بساطة من الحيـاة التي احياها في خارجه ، ولا الطعام به اقل من الطعام الذى تعودت تناوله » .

والواقع ان الانتقال من داره الى السجن لم يكن فيه أى تغيير يذكر في أسلوب حياته ، وكان يستغل أوقاته في السجن في اكمال ثقافته الأدبية ويملأ أوقات فراغه بالمطالعة ، وقد حدثنا انه قرأ في السجن مؤلفات كارلايل ، وبن جونسن ، ووولتر سكوت ، وكتب تولستوى ، وتورو ورسكن مـع الكتب الهندية المقدسة مثل البجافادجيتا . ومن أقواله : « قرأت في السجن الكثير من هذه الكتب لأول مرة ، وكنت في العادة أبدأ في الصباح بقراءة الجيتا ، وأخص منتصف النهار لقراءة القرآن ، وفي المساء كنت اقرأ الكتـاب المقدس مع أحد الصينيين المسيحيين » .

وبرغم شدة ميله الى المسيحية منذ شبابه ، واعتباره السيد المسيح من أعظم معلمي الانسانية في كل العصور ، فانه ظل يدخر أعظم جانب من اهتمامه للاطلاع على كتب الديانة الهندوسـية ، وفي اثناء اعتقاله في برودا قضى معظم وقتــه في قراءة المهابهاراتا Maha Bharata في نصـها الأصلي ، كما شغل نفســـه بالاطلاع على كتب الديانة الاسلامية ، وبخاصة الســيرة النبويـة واخبار الصحابة ، كما قرأ كتب المتصوف الالماني جاكوب بهم ، وقد أعجب بها وأشار اليها مرات في محاضراته ، واستشهد بمقتبسات من كتبه ، وهكذا كان له الاعتقال فرصة الاطلاع على الكتب التي كانت حياته السياسية الحافلة بالعواصف تحول بينه وبين التفرغ لقراءتها . قال عن نفسه « كنت أجلس ، وأخلو الى كتبي ، وقد خالجني سرور كسرور شاب في الرابعة بعد العشرين من عمره ، وانسى أنني في الرابعة بعد الخمسين ، وصحتي معتلة » .

وقد ظل غاندى يتابع البحث في كل ما يقرأ ، ويتناول الأديان جميعها ويدرس تعاليمها ومبادئها، وقد كان وضع أساس هذا البحث في ابان نشأته ، وتبعا لتقاليد اسرته .

نشأة غاندى واسرته

وقد ولد مهانداس كاراماشاند غاندى Moh في بوربانذر سنة ١٨٦٩ بمقاطعة جوجيرات،وكانت اسرتـه تدين بالجينية Jaine ، وقد عرفت الاسرة بعمق شعورها الديني ، وميلها الشديد الى تحرى الحق . وقد تعرض جده لأبيه ـ وكان من كبار الموظفين ـ لغضب الأمير الحاكم ، واضطر الى ترك بلاط بوربانذر ، ولما تلقاه حاكم ياناجاد مرحبا به مد اليه يده اليسرى مصافحا سيده الجديد ، قائلا في شجاعة وثبات : « انه برغم ما وقع عليــه من الظلم فان يده اليمنى لا تزال في خدمة أمير بوربانذر » .

واقتفى والده آثار أبيه ، فكان وزيرا للمالية ، وتعرض لغضب الأمير مثل أبيه فذهب الى راج كوت ، وحظي فيها بثقة الحاكم .

غاندى يضل ثم يهتدى

ومن الافكار الاساسية فى النحلة الجينية وصية « الاهمسا » التي تنهي عن القتل . وقد تعرض غاندى وهو طالب للتأثر بآراء أضرابه من الطلبة في الالحاد ، وبدأ يتنكر لعادات قومه وتقاليدهم ، وهو يروى أنه في ذات ليلة اصابه كابوس لأنه أكل اللحم لأول مرة ، فاعرض عن ذلك كله ، وطوى ما بينه وبين زملائه المستنيرين ! ووقـع في الدين

لشرائه سرا لفافات من التبغ ، واضطر الى سرقة قطعة من النقود الذهبية من اخيه الأصغر ليسد ما عليه من الدين ، وندم في اعقاب ذلك ندما شديدا على ما اجترح من اثم . ولم يقو على تحمل وزر الكذب وفقدان الامانة ، وصمم في النهاية على أن يكتب اعترافا بذنبه ، وقدمه لأبيه وهو على فراش المرض ، فالقى عليه نظرة ، ومزق الورقة وقد دمعت عيناه ، وقد جعل هذا المنظر غاندى يكره الكذب والسرقة طوال حياته ، وهو يحدثنا بان هذا النوع من الصفح الذى ابداه والده هو « الاهمسا » الخالصة النقية .

في انجلترا

واتم غاندى دراسته الثانوية سنة ١٨٨٧ وبعد أن حضر بعض محاضرات في جامعة هندية نصحه احد البراهمة من اصدقاء اسرته بالذهاب الى لندن لدراسة القانون ، ولم توافق والدته على سفره الا بعد أن قطع على نفسه عهدا بالامتناع عن تناول النبيذ واللحم والمباشرة الجنسية ، وكان غاندى نفسه يؤثر دراسة الطب ، ولكن أخاه الاكبر بغض اليه تشريح جثث الموتى ، وترك غاندى زوجته وطفله الحديث الولادة ، وابحر على احدى البواخر الى انجلترا وشعر بوحشة الاغتراب في المدينة الضخمة ، ولكنه صمم على البقاء بها ثلاث سنوات حتى يتم دراسته ، وفي اثناء وجوده بلندن عرف مدام بلافتسكي ومسز بيزانت ، وهما من شهيرات المتصوفات ، وعاد الى بومباى سنة ١٨٩١ بعد اتمامه دراسته ، ونجاحه في الحصول على الاجازة المطلوبة .

اشتغاله بالمحاماة

وفي اثناء اشتغاله بالمحاماة كان يحتفظ بحقه في ترك القضايا التي يعهد بها اليه اذا وجد أن بعض الحقائق قد اخفيت عنه .

الحب سلاح قاوم به غاندى الشر

وحينما اعتدى عليه أحد المسلمين المتعصبين في سنة ١٩٠٨ رفض تقديم المعتدى الى المحاكمة ، وفي اليوم نفسه الذى وقع فيه الاعتداء عليه حذر انصاره من اتخاذ اي خطوة ضد المعتدى وهو يرقد دامي الجراح وقال : « ان الرجل لم يكن يدرى ما هو صانع ، فقد ظن أني مخطىء فيما أصنع ، وقد حاول أصلاح ذلك بالطريقة الوحيدة التي يعرفها ، ولذلك اطلب أن لا تتخذ أي اجراءات ضده ، واني أصدقه وسأحبه واكسبه الى صفي بالحب » .

وكان هذا ما حدث ، ففي السنة التالية ارسل هذا المعتدى الى غاندى رسالة يؤكد له فيها مشاركته الوجدانية واحترامه العميق ، وانه سيبذل اقصى جهده لانتصار افكار غاندى. وهكذا كان غاندى يعتقد دائما أن الحب هو السلاح الوحيد الذى يقاوم به الشر ، وقد هوجم واعتدى عليه من الغوغاء ثلاث مرات ، وكاد يقضي نحبه في احدى هذه المرات ، ولكنه كان لا يغضب على المعتدين ، وقد سجن اربع مرات ، وكان يهش لساجنيه ، ولا يبدى أي لون من الوان الامتعاض او الكراهة ، وكان يوصي زملاءه من المسجونين بأن لا يعتبروا حراس السجن اعداء لهم ، بل ينظروا اليهم كأنهم اخوة ويقول : « ان حسن معاملتنا لحراس السجن ينتزع من نفوسهم سوء الظن والصرامة » .

غاندى والمنبوذين

وبرغم شدة تمسك غاندى بالديانة الهندوسية فانه كان ينفر دائما من فكرة تجنب المنبوذين ، ويعتبرها عيبا في الديانة الهندوسية لايستطيع استساغته ، وقد اداه بحثه الى ان مسألة عدم لمس المنبوذين ليست ناحية هامة في الديانة الهندوسية الصادقة ، وقد صرح بانه لا يتردد في عدم طاعة الكتب المقدسة اذا كانت تناصر نظاما ظالما وانه لايخضع لسلطة عقيدة تنافر العقل ، وتخالف ما يمليه القلب ، وقد اقتنع بان اقصاء المنبوذين لا سند له من الدين ، وانما هو من المسائل الدخيلة ، وان الكتب الدينية لاتستطيع ان تتجاوز حدود العقل ، وان المقصود بها تنوير العقل ، واظهار الحق ، وكان غاندى يصارح قومه بان معاملة المنبوذين من اقوى اسباب النكبات التى حلت بالهند ، ويقول لهم : « اذا كنا قد عوملنا في جميع أنحاء العالم معاملة المصابين بالجذام فماذاك الا لاننا قد عاملنا خمس ابناء جنسنا هذه المعاملة نفسها ، لقد أبعدنا عنا المنبوذين فصرنا منبوذى الامبراطورية البريطانية » .

وكان يعلن مرارا ان تحرير الهند من الاستبداد

الاجنبي لا يكون ممكنا الا اذا منح الهنود انفسهم المساواة في الحقوق للطبقات المضطهدة ، وانه لا فائدة من الحديث عن تحرير الهند ما دام الهنود لا يحمون الضعيف ، ولا يساعدون العاجز ، وطلب من جماهير الشعب وهو في السجن ان يسمحوا للمنبوذين بان يشربوا الماء من آبارهـم ، وبان يلحقوا ابناءهم بمدارسهم ، وكان جانب كبير من جهود غاندى السياسية وقفا على مساعدة المنبوذين ، واكد لاخوانه الهنود ان حركة عدم التعاون مع الانجليز لاتتوج بالنجاح الا اذا اشركوا معهم المنبوذين ، وشدة عطف غاندى على المضطهدين والمظلومين هي التى دفعته الى مقاومة الحكومة البريطانية ، وافكار غاندى السياسية جميعها مصدرها وباعثها فرط انسانيته .

غاندى والفن

وقد اخذ على غاندى انه لم يترك مكانا للفن في حركة الاحياء الهندى ، ولما وجه اليه اللوم من اجل ذلك قال انه لا يجهل قيمة الفن ، ولكنه لا يرى جمالا يعلو على جمال الطبيعة غير المحدود ، وان الفن الانساني لايستطيع أن يصل الى مستوى جمال الطبيعة ، ولا ان يبارى روعة السماء المرصعة بالنجوم ، وكان ينظر الى الفن باعتباره عاملا اجتماعيا واخلاقيا مناسبا . وهو في ذلك يقترب من آراء تولستوى عن الفن ، ومن كلماته « الحياة اعظم من الفن ، ويجب ان تكون اعظم من كل الفنون ، بل انى لاذهب ابعد من ذلك ، واعلن ان الرجل الذى تقترب حياته من الكمال هو اعظم الفنانين ، وما قيمة الفن اذا لم يكن له اساس متين من الحياة النبيلة ؟ » .

وكل ما هو حق جميل في راى غاندى ، والرجل التقى كذلك فنان ، فالسيد المسيح الذى عرف الحق فنان عظيم ، وكذلك النبي محمد والقرآن اعظم الاعمال الفنية في الادب العربي جميعه ، وغاندى يقدر الفن من ناحية اسهامه في التمهيد للوصول الى الكمال الاخلاقي ، والفن الذى يكتفى باخراج الطرف الفنية الجميلة فحسب لا حق له في الوجود لان الصورة الخارجية قوام اهميتها في التعبير عن الروح الكامنة ، ويضرب غاندى مثلا لما يعده من الفن العديم الفائدة كتابات اوسكار وايلد Oscar Wild ، ويقول انه لا ينصب نفسه ناقدا فنيا ، فهو يعرف حدود معرفته في ذلك ، ولكنه يرى ان من حقه نقد اوسكار وايلد لما شاهده بنفسه من تاثيره السيىء اثناء وجوده في انجلترا ، ويقول غاندى ان اعظم فن في راى اوسكار وايلد يقوم على كمال الصورة ، ولذلك لم يتردد في اعلاء شأن الخروج على الآداب ، ويرد على القائلين بان الكثير من الطرف الفنية الجميلة اخرجها رجال خلت حياتهم من سمات الكمال بقوله « لا يدل هذا الا على ان الحق والباطل والخير والشر يمكن ان تتجاور ، والفنان قد يعرف الحق مرة ، ويتورط في الباطل مرة اخرى ، ولكن الجمال التام لا يوجد الا اذا كان موجده قد امتلأت نفسه بانقى معرفة للحق » .

وغاندى في اخضاعه الفن للمعايير الاخلاقية يتفق مع آراء تولستوى التى وضحها في كتابه « ما هو الفن » والواقع ان غاندى كان ينظر الى الفن والثقافة بوجه عام من ناحية تاثيرهما على الحياة الاجتماعية ، ولم يكن ينقص غاندى رهافة الحس واتساع الفهم ، ولكن معرفته بما تعانيه الطبقات الفقيرة من البؤس والحرمان كانت توجه تفكيره هذا التوجيه ، فاطعام الجائعين ، ومواساة البائسين لهما المكانة الاولى في اهتمامه .

وقد ادرك غاندى ان سبب فقر الهند هو انتهاب ثروتها القومية ، وذلك بتصدير محصولاتها الزراعية الخام ثم استيرادها بعد ذلك مصنوعة من الخارج ، ولذلك راى ان احياء الصناعات والمهن الهندية القديمة هو الذى يرد على الهند رخاءها السابق ، وينقذها من مخالب الفقر المدقع ، وكان هذا هو سبب دعوته الى مقاطعة البضائع الاجنبية والعودة الى استعمال المغزل .

عند غاندى : ان الحضارة الغربية قائمة على الالحاد ، والهندية على الايمان بالله

وكان غاندى من اعرف الناس بما في الهند من عيوب وآفات ، وقد قاومها اشد مقاومة ، ولكنه كان في الوقت نفسه يرى ان الحضارة الغربية قائمة على الالحاد ، في حين ان الحضارة الهندية قائمة على الايمان بالله ، وعنده ان الذى يحب الهند ويخلص لها يلزم ان يتعلق بثقافتها تعلق الطفل بصدر امه ، ولم يكن ذلك عنده عن تعصب او ضيق في الفكر ، فان « الاهمسا » الصادقة التى كان يتبعها توصى بحب المخلوقات جميعها وتتضمن« الاهمسا »الانتصار علىالدنيا عن طريق الحب والعطف وانتزاع السلاح من الشرّ بأن نقابله بفعل الخير . ويشمل عطف غاندى حتى

الثعابين والوحوش الضارية ، ومن اقواله في هذا الصدد : « لنذكر دائما ان الثعابين قد خلقها الله الذي خلقنا ، وخلق جميع المخلوقات الاخرى ، وطرائق الله لانستطيع اكتناه سرها ، ولكن علينا ان نكون واثقين من انه لم يخلق الحيوانات مثل السبع والثعبان والعقرب لكي تبيد الجنس البشري » .

« والاهمسا » في راى غاندي علاج ناجع لكل الشرور والنقائص والمساوىء .

بين غاندي وتولستوى

وقد اشار رومان رولان Roman Rolland الى التشابه بين غاندي وتولستوى في كتابه القيم عن غاندي ، وهو يرى ان غاندي كان مسيحيا بطبيعته ، اما تولستوى فكان مسيحيا بقوة ارادته لا بطبيعته وقد راسل غاندي تولستوى في سنة ١٩٠٩ أثناء اقامته في لندن، وابدى تولستوى عطفا واهتماما بتلميذه الهندي، وقال في رده على رسالته « تلقيت رسالتك الجد شائقة ، وقد سررت بها سرورا عظيما ، وارجو الله ان يعين اخواننا الاعزاء في الترانسفال ، وعندنا الآن تدور المعركة نفسها بين اللين والقسوة ، وبين الوداعة والحب ضد الكبرياء والعنف التي يزداد الشعور بها عاما بعد عام ، وبخاصة في الصراع الحادبين القوانين الدينية والقوانين الدنيوية لرفض الخدمة الحربية ، ومثل هذا الرفض يتزايد من يوم ليوم ، واحييك تحية الاخاء ، ويسرني دوام الاتصال بيني وبينك » .

ثورة على الحكم البريطاني قليلة المثال

والثورة التي قام بها غاندي ضد الحكم البريطاني معتمدا على قوة الخير والصلاح والامتناع عن العنف ومقابلة الاساءة بالاحسان قليلة المثال في التاريخ ، وحقيقة انه في العصور السالفة دعا المصلحون والقديسون وموجدو الاديان الى المقاومة السلبية في مواجهة الشر ، ولكن الذى تمتاز به حركة غاندي الثورية عن الحركات السالفة هو ان غاندي كان لا يعد الامتناع عن العنف من التعاليم والوصايا الدينية والاخلاقية للافراد او للمجتمعات الصغيرة وحدها ، وانما كان يراه اساسا للحركة السياسية ، وهو بذلك قد احال التصور الاخلاقي الى نظام سياسي عملي لاول مرة في التاريخ ، ويقول غاندي : « ان الاهمسا في اعتقادى اسمى كثيرا من العنف ، والصفح اكثر رجولة من العقوبة ، والقوى هو الذى يستطيع الصفح عن الضعيف ، والقوة لا تأتى من الكفاية البدنية ، وانما تأتى من الارادة التى لا تقهر » .

وكان يؤكد دائما ان الامتناع عن العنف ليس حالة سلبية ، وانما هو في الواقع مواجهة اسمى للضغط والاضطهاد .

وكان يرى ان فصل السياسة عن الاخلاق من اسباب انحطاط الامم السياسي ، ويشير الى ان موجدى الاديان العظماء كانوا كذلك من الساسة الكبار ، ويذكر في ذلك السيد المسيح والنبي محمدا . ولا تسمو السياسة وتشرف الا اذا امتزجت بالعناصر الدينية .

حب الوطن وحب الحق

وقد التقى مرة بالزعيم الوطني الهندى المتطرف « طيلاق » Tilak وكان من كبار زعماء الهند السياسيين واصحاب السابقة والماضي الناصع في الجهاد القومي ، وكان طيلاق رجلا قوى الشكيمة، ماضي العزيمة ، عظيم الاعتداد بنفسه ، وكان اجتماعه بغاندي من قبيل المصادفة في منزل احد اصدقاء غاندي على غير ترتيب سابق ، فلما تلاقى الزعيمان وجها لوجه ، اخذ كل منهما يتأمل الآخر وهو صامت لا يتكلم ، وامضيا على هذه الحالة بعض الوقت ، وخرج الزعيم طيلاق من صمته ، ووجه هذا السؤال الى غاندي « انت تحب الهند حب الابن ، ولكنك تحب الحق كذلك ، فاذا خيرت بينهما فايهما تختار ؟ » .

فصمت غاندي مدة دقائق ، ثم قال في تؤدة « في رايي ان الهند والحق مترادفان ، ولكن اذا كان علي ان اقوم بالاختيار بينهما فانى اكون في جانب الحق » فانصرف طيلاق ، ولم يتلاق الزعيمان بعد ذلك .

فالوطنية عند غاندي لاتعلو على النزعة الانسانية ، وآفة عصرنا الحاضر ان الامم ، وبخاصة الامم القوية البعيدة النفوذ العظيمة التأثير تمعن في الوطنية الضيقة الحمقاء ، وتمزق الروابط الانسانية ، وتغلب المصلحة الخاصة جميعها ، وقد ذهب هذا الرجل الفذ العظيم ضحية اعتداء اثيم من احد المتعصبين المتهوسين يوم الجمعة الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ . ■■

علي أدهم



الصدى والطيف

■ ياحبيبى كدت أفنى من حنيني
طول هذا الليل لم تغمض جفوني
بين أطياف وذكرى وأنين
وشكوك جاثمات كالمنون

لستُ أنسى قصةَ الحب الحبيبه
ولياليها البواكيرَ الطروبه
لم تزل منى على البعد قريبه
هى في القلب صفاء وعذوبه

لستُ أنساها أحاديثَ المساء
ولقانا خلسة وسط الخلاء
وتناجينا إذا غاب الضياء
واستراح البدرُ في حضن السماء

كلُ ما في الكون معشوق وعاشق
فهزيم الرعد بالأشواق ناطق
وجمال الحب تحكيه الحدائق
إنما العشق مذابٌ في الخلائق

ياحبيباً عشتُ في دنياه عمرا
لم أذق منك سوى الآمالِ خمرا
لم تخن حبي ولم أكتمك سرا
أنت تغرَى بى وإنى بك أغرَى

الصدى والطيفُ هاجا ذكرياتى
والرؤى والدمعُ أرّقنَ حياتى
آه ماذا خبأت لى أمسياتى
بعد سهدى وشرودى وشكاتى

يا لمسجونٍ ولكنْ لا قيود
غير حبٍ ووفاءٍ ووعود
وأمانٍ كأعماق الوجود
غامضات مثل أحلامِ الوليد

قلتُ أنساكَ لتنسانى الجروح
وتعودَ الروحُ للقلب الذبيح
فإذا بى في عذابى مستريح
أستحسُ البردَ من لفح القروح

■■

محمد عبد الحافظ

الفنان الفلورانسي الشهير

ليوناردو دافنشي



هكذا رسم ليوناردو نفسه بيده اليسرى بعد شلل يمناه ... وان هو بدا أكبر سنا مما كان حين رسم هذا الرسم (سنة ١٥١٢) فما ذلك الا لميله الى الشيخوخة .

رسام ونحات ومعماري شهير ومخترع وعالم في آن .

بقلم : يوسف زعبلاوي

■ قد لا يجد المرء في كتب التاريخ جميعها ذكرا لرجل تعددت مواهبه ، وكثرت كفاياته كليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci . اعتبره البعض مثال الرجل العالمي الجامع ، وقد استوعب اكثر نتاج عصره ، عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، من فنون وفلسفة وعلوم .. ورأى فيه آخرون قمة عليا من قمم العبقرية الانسانية ، وقد تسنى له من الاكتشافات والابتكارات الشيء الكثير ..

ولعل اغرب ما يذكر في هذا الصدد اهتمام ليوناردو وخبرته بالشؤون العسكرية ، وقد ترك بين مذكراته عددا من الرسوم والمخططات لآلات صممها للهجوم والدفاع في الحروب . ثم انه عمل في خدمة سيزار بورجيا بصفته مهندسا عسكريا . كذلك عرض ليوناردو خدماته وخبرته هذه في الرسالة التي وجهها الى دوق ميلانو ، لودوفيشو ال" مورو Lodovico il Moro ، وقد قال في تلك الرسالة : « استطيع أن أصنع من أسلحة الهجوم والدفاع في الحروب ما لا سبيل الى حصره .. » واشار صاحبنا في تلك الرسالة الى المنجنيق والمدفع وغيرهما الى ان قال : « هذا الى جانب الاسلحة الآلية الاخرى التي استطيع صنعها والتي تمتاز بكفاية عجيبة .. » .

لا عجب اذن ان كان ليوناردو دافنشي شغوفا بالرياضيات التي تفترضها الهندسة العسكرية ، كما لا يخفى ، وقد انشغل بها في وقت من الأوقات الى حد زهد معه في بيع لوحاته الفنية ، بل رفض استقبال الراغبين في شرائها ..

اضف الى ذلك اهتمام ليوناردو في عدد من الصناعات ، نذكر منها صناعة المرايا ، وقد ذكر مترجموه الكثير عن التجارب التي اجراها في تلك الصناعة اثناء وجوده ضيف شرف في الفاتيكان، وكان ذلك في العقد الثاني من القرن السادس عشر . ومن طريف ما يذكر هنا ان العمال الالمان الذين ساعدوه في تجاربه تلك لم يتقنوا عملهم بالقدر الكافي ، ولم ينفذوا تعليماته بالدقة المطلوبة .. وانه كثيرا ما غضب عليهم بسبب ذلك .

ولم يقف ليوناردو دافنشي عند ذلك الحد من اهتماماته . فقد قام بعدد كبير من البحوث ووضع عددا اكبر من الرسوم والمخططات في شؤون التشريح . اضف الى ذلك انه عكف على دراسة الصوت الانساني والم" بالكثير من المعلومات عن طبقات الارض . اما الميكانيكا واعمال الري وتجفيف المستنقعات فقد استأثرت بالكثير من عنايته وظفرت بالكثير من مكتشفاته . وقد اثارت



ليوناردو كما رسمه رفائيل في لوحة جدار له شهيرة .



ليوناردو كما رسمه رفائيل في لوحة ، مدرسة ليثنا.



ليوناردو دافنشي كما رسمه ميخائيل انجلو سنة ١٥٠٣ .

تلك الاهتمامات العلمية مشاعر الاعجاب والدهشة في جموع الفرنسيين الذين زاروه وهو في بلدة كلو Cloux الفرنسية ، التي قدم اليها بدعوة من الملك فرنسوا الاول ، والتي امضى فيها السنوات الاخيرة من حياته .

ولا يفوتنا ان نشير في هذا الصدد الى الوصية التي كتبها ليوناردو واوصى فيها بممتلكات لصديقه وتلميذه فرانسسكو ميلزي Francesco Melzi فقد عدد ليوناردو تلك الممتلكات ، فذكر منها اول ما ذكر ، الكتب والمذكرات ، ثم اتبعها بالآلات والأدوات .. اما اللوحات وسائر موجودات مرسمه فلم يشر ليوناردو اليها الا بعد ذلك .

ومع ذلك فقد كان ليوناردو رساما ونحاتا في الدرجة الاولى وبحاثا مكتشفا في الدرجة الثانية . هكذا كان ليوناردو في نظر معاصريه ، وفي نظر الاجيال التي جاءت بعده . وهكذا كان بدليل ما تنطق به رسومه ولوحاته .

يصدق ذلك على لوحة باخوس التي تراها على الصفحة الثانية ، ويصدق بخاصة على لوحة الموناليزا (١) ، اشهر لوحات ليوناردو دافنشي ، وعلى لوحة العشاء الاخير ، اكثر تلك اللوحات قيمة واتقانا . فالشخصيات التي نراها في هذه اللوحات وامثالها، شخصيات مبتكرة بكل ما يعنيه الابتكار . لقد ابدعها الفنان كما لم يفعل احد غيره من الرسامين جميعا . وحسبك أن تتامل ابتسامة الموناليزا وتلاحظ ما تخفيه او تنم عنه تلك الابتسامة من رقة وغموض ، لتدرك ما اجمع عليه اكثر النقاد من ان ليوناردو هو سيد الابداع بين الرسامين جميعا . وقد لا يقترب منه في ذلك سوى عملاقي النهضة الحديثة الآخرين ، رفائيل ومايكل انجلو . وجدير بالذكر هنا ان هذين الرسامين الفلورانسيين قد قرآ الكثير مما كتب ليوناردو ، زعيم مدرسة فلورانسا ، واخذا الكثير عن لوحاته وتاثرا باسلوبه .

ومما يؤسف له حقا ان عدد ما رسمه ليوناردو من لوحات كان قليلا. ويعللون ذلك بحرص الرسام على تحقيق الكمال، ما امكنه ذلك. كذلك يشعر الكثيرون بالاسف لان ليوناردو لم يراع الجودة في اختيار اصباغه وسائر المواد التي استعملها في رسم لوحاته . ولو كان احتاط لذلك لما كان التلف قد اصاب الكثير من تلك اللوحات ، بما فيها لوحة العشاء الاخير التي اضطروا لترميمها مرارا .

ويجدر بنا الا نختم هذه الكلمة قبل الاشارة الى حقيقتين قلما يذكرهما الناس عن ليوناردو دافنشي . الاولى هي ان رسامنا العبقرى هذا كان الابن غير الشرعي للمدعو سير بييرو دى انطونيو Ser Piero di Antonio وقد ولد في بلدة فينشي ، في منتصف شهر ابريل من سنة ١٤٥٢ . الا ان جده ، ابا ابيه الذى ذكرنا ، ما لبث ان عمّده في الكنيسة ، وادخله في عداد اسرته رسميًا . اما الحقيقة الثانية فمتصلة بيد ليوناردو اليمنى ، وهي اليد التي كان يرسم بها ويكتب . اذ اصيبت يده هذه بالشلل في السنوات الاخيرة من حياته ، شانه في ذلك شان بتهوفن الموسيقي الذى فقد سمعه في اواخر ايامه. وتجدر الاشارة الى ان ليوناردو ما لبث ان اتقن الرسم والكتابة بيده اليسرى ، بعد تعطل يمناه ! ولم يعش ليوناردو طويلا بعد ذلك وقد توفي سنة ١٥١٩ عن عمر يناهز ٦٧ عاما .

(١) انظر صفحة ٤٠ من عدد مارس ١٩٦١ من العربي .

٩ مدارس

المدارس النظامية

بقلم

زاهيه راغب الدجانى

■ ابتدا سعي المسلم لنيل المعرفة منذ ظهور الاسلام . فانتشرت حلقات للتعليم في عدة اماكن من البلاد الاسلامية تهدف جميعها لتحقيق غاية واحدة ، نشر العلم ، فمن هذه الحلقات الدراسية ما كان يعقد في الكتّاب ، او في قصـــور الملوك والامراء ودور الاغنياء ، او في دكاكين بيع الورق ، او في المسجد . ولكن مثل هذه الحلقات لم تكن لتتبع نظاما دراسيا منظما مبنيا على اسس قائمة . ومن هنا فقد نبعت الحاجة لوجود مدارس خاصة بالتعليم ، تتّبع فيها الاصول التربوية الصحيحة، ويتوفر للطالب فيها دراسة شتى المواضيع العلمية والادبية ، وقد تحققت هذه الغاية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، عندما شهد العالم الاسلامي افتتاح مجموعة من المدارس المخصصة للتعليم العالي في العصر السلجوقي سميت بالمدارس النظامية . وهي اسست في غمرة ازدهار حركة فكرية في ميادين الادب والعلم .

وموضوع بحثنا هو هذه المدارس النظامية عامة ونظامية بغداد خاصة .

المدارس النظامية وتاسيسها

المدارس النظامية هي تسع مدارس اسسها الوزير السلجوقي نظام الملك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وسميت بالنظاميات نسبة الى اسمه . وقد اسست هذه المدارس في المدن الاسلامية الآتية : بغداد ، الموصل ، البصرة ، اصبهان ، مرو ، نيسابور ، هرات ، وبلخ . وبالنسبة لمفهومنا الحديث يمكننا ان نطلق اسم « كليات » او « جامعات » على هذه المدارس لكونها معاهد للدراسات العليا ، ومراكز هامة لنشر الثقافة الرفيعة ، ولكونها تضم نخبة علماء واساتذة العصر السلجوقي . واشهر هذه المدارس نظامية بغداد التى بدأ العمل بها عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م والتى تم بناؤها عام ٤٥٩ هـ ، وتقع على نهر دجلة . اما شهرة هذه المدرسة فيعود الى منزلة بغداد السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية. فبغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وملتقى المفكرين

أسسها نظام الملك

في القرن الخامس الهجري

والادباء والعلماء ، ومركز للقضاء . وعليه فلا غرو ان تنال نظامية بغداد مثل هذه الشهرة .

سبب تاسيس هذه المدارس

لقد اختلف المؤرخون والنقاد على الاسباب التى دعت نظام الملك الى تاسيس مدارسه النظامية . فمن قائل بان الغاية من انشائها هو توطيد الامن والاستقرار في البلاد السلجوقية التى كانت تقع تحت تأثير موجة عارمة من الاختلافات المذهبية . ومن قائل بانها وجدت لتدعيم الشافعية كسلاح قوى ضد المعتزلة ، بل وانها تمثل انتصار الاشعرية (١) على المعتزلة . ومن قائل بان الغاية منها هو محاربة الشيعة الباطنية . فالى اى مدى نستطيع اثبات صحة هذه الاراء او عدم صحتها ؟

اذا القينا نظرة على المجتمع في بغداد في العصر السلجوقي ، نجد ان هذا المجتمع كان يضم عددا من الجنسيات المختلفة كالعرب ، والاتراك ، والاكراد ، والفرس وغيرهم . انما بالنسبة للاديان فقد كان المسلمون يمثلون الاكثرية كما كان هنالك عدد من النصارى واليهود . اما فيما يتعلق بالمسلمين فقد كانوا يقسمون الى فئتين شيعة وسنة . فأهل السنة كانت لهم مذاهب اربعة الشافعية،الحنبلية،الحنفية،والمالكية. وكان هنالك صراع متازم بين اصحاب هذه المذاهب ، يزيده تاججا واشتعالا تعصب بعض الحكام لمذهب دون آخر فهذا الكندرى وزير طغرل بك الحاكم السلجوقي كان شيعيا معتزليا شديد الحقد على الاشعرية . وقد دفعه حقده الى الطعن بهم لدى طغرل بك فاعلن الاخير غضبه على الاشعرية ، واصدر اوامر ترمي الى لعنهم على المنابر ، واتهامهم بالكفر ، وحرمانهم من القاء الخطب والقيام بالوعظ في المساجد . كما ان الكندرى استطاع ان يكسب الحنفية الى جانبه ضد الاشعرية . كل ذلك ادى الى استياء شديد من بعض مفكرى وعلماء الاشعرية امثال شيخ الحرمين ابو المعالي الجويني ، وابو قاسم القشيرى ، فرحلا عن بغداد . كما شرع عدد آخر من علماء الاشعرية بالدفاع عن انفسهم كابى اسحق الشيرازى وغيره معلنين ان هدفهم الاسمى هو الدفاع عن الاسلام وعليه فمن يلعنهم فكانما يلعن جميع اهل السنة . ومن هنا تازمت الاوضاع ، وظلت الامور تزداد تعقيدا حتى تولى نظام الملك الوزارة ، واصبح وزيرا للكشاه السلجوقي . فكان اول ما عزم على تنفيذه هو توطيد الامن في البلاد ، والحد من الصراع الناشب بين اصحاب هذه المذاهب ، وعليه فقد اسس نظامياته ، وصبغها بالصبغة الشافعية ، وتمكن بواسطة ما زودها به من امدادات هائلة ان يجلب لها عددا من المفكرين والعلماء للتدريس بها ، وعددا وفيرا من الطلاب للاستفادة من علومها . ومن هنا يمكننا ان نستنتج بان نظام الملك استطاع توجيه اهتمام الناس الى المدارس النظامية بدل اضاعة الوقت في محاربة بعضهم البعض ، فسيطر بذلك على الموقف المتدهور في البلاد السلجوقية .

نظام الملك
صاحب السلطة الاولى في نظامياته

كان نظام الملك هو المسئول الاول عن هذه المدارس عامة . فهو بما يتميز به من علم وقدرة

---

١ ـ يذكر السبكي احد مؤرخي المسلمين ، والمتبع للمذهب الشافعي انه لا يمكننا ان نفصل ما بين الاشعرية والشافعية بدليل ان الامام الشافعي كان ملما بعلم الكلام ، بينما كان الاشعرى امام المتكلمين شافعيا .

وذكاه يعين المسؤول عن ادارة كل مدرسة من مدارسه . وكثيرا ما كان يبني المدرسة من اجل مدرس ، بل ويعين هذا المدرس قبل بناء المدرسة احيانا . فقد اسس نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد مثلا للشيخ ابي اسحق الشيرازى كمسئول عن هذه المدرسة ، وذلك لما كان يعرف عنه من علم ، ومعرفة ، وتفوق على جميع علماء عصره . وقد اشار كثرة من المؤرخين الى ان الشيرازى لم يحضر الحفلة الافتتاحية لنظامية بغداد والتي افتتحت لأجله . فقد روى ابن الاثير تفاصيل ذلك في كتابه الكامل في التاريخ حيث يقول : « وفي ذى القعدة من سنة تسع واربعين واربعمائة فرغت عمارة المدرسة النظامية في بغداد ، وتقرر التدريس بها للشيخ ابي اسحق الشيرازى، فلما اجتمع الناس لحضور الدرس ، وانتظروا مجيئه ، تاخر ، فطلب فلم يوجد ، وكان سبب تاخره ان لقيه شخص فقال له : كيف تدرّس في مكان مغصوب ؟ فتغيرت نيته عن التدريس بها ، فلما ارتفع النهار ويئس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور بن يوسف بابي الصباغ صاحب كتاب الشامل . وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ، فجلس ابو نصر ، ولما علم نظام الملك الخبر لم يزل يرفق بالشيخ ابى اسحق ويزيل شكوكه حتى درّس بالمدرسة وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما » .

والجدير بالذكر ان السبب الذى يمكن ان يكون قد ادى الى تغيير راى الشيرازى الخاص بالتدريس بالنظامية ، هو استياء بعض طلبته من تصرفه هذا ، بل وتهديدهم له بالانسحاب من المسجد الذى كان يدرس فيه في هذه الاثناء ، والالتحاق بالنظامية . وتهديدهم هذا عائد حتما للامور المادية المتوفرة للطلاب في النظامية غير المتوفرة في المسجد . وعليه ، فقد وافق الشيرازى على طلب نظام الملك العودة للقيام بادارة المدرسة النظامية في بغداد .

الاساتذة والمعيدون

تكوّن اعضاء الهيئة التدريسية من مدرس للفقه واصول الفقه ، ومن مدرس للقرآن ولقواعد اللغة العربية ، ومن واعظ ومسئول عن المكتبة من التابعين للمذهب الشافعي في هذه المدارس . وكان نظام الملك هو الذى يختار هؤلاء الاساتذة ويعين كل من يرى فيه كفاءة وقدرة وخبرة للتدريس في مدارسه . ثم يرتب له معاشا كافيا يعينه لكي يوجه المدرس كل طاقته لنشر العلم . وعليه ، فان تعيين الاساتذة واقالتهم كان تابعا عن ارادة نظام الملك المحضة ، وهذا يؤكد ان الضمان الكفيل ببقاء الاساتذة في مراكزهم التعليمية لمدة معينة من الزمن لم يكن متوفرا .وعدم توفر مثل هذا الضمان للاساتذة كان يؤدى احيانا الى بعض الاضطراب والاختلال في نظام التدريس .

هذا من ناحية ، اما من الناحية الاخرى، فبالرغم من ان الضمان لم يتوفر للاساتذة ، فان نظام الملك لم يغفل عن تقديره للاكفاء منهم ،وتقديره هذا كان ممثلا باعادة تعيين هؤلاء الاساتذة مرتين او ثلاث مرات في المدرسة ، وخلال فترات متقطعة من الزمن . وقد درّس في هذه المدارس عدد كبير من الاساتذة الذين كانوا يتمتعون بشهرة عظيمة وصيت رفيع بين علماء المسلمين ، فمن هؤلاء ابو اسحق الشيرازى ، ابو المعالي الجويني ، ابو بكر الشاسي ، ابو عبد الله الطبرى ، ابو زكريا يحيى الخطيب التبريزى ، ابو حامد الغزالي ، موهوب ابن احمد الجواليقي ، البغدادى ، رضى الدين القزويني ، وابو بكر الانبارى وغيرهم .

وبالاضافة الى الاساتذة ، فقد كان يُعيّن مساعدان او ثلاثة لكل مدرس يعرفون بالمعيدين . وعمل المعيد هو اعادة المحاضرة التي يلقيها الاستاذ . ويضم عمله ايضا شرح النقاط الصعبة من الدرس للطلبة ذوى الذكاء المحدود منهم ما استعصى عليهم خلال الجولة الاولى ومن هؤلاء المعيدين شرف الدين الشهرستاني والفيروز ابادى وغيرهم .

طريقة التدريس المتبعة في هذه المدارس

كان الاستاذ يعين فقرات للطلاب لقراءتها بتمعن. ثم يطلب طرح اسئلة كتابية له لكي يشرحها لهم . ويجيب الاستاذ على جميع هذه الاسئلة الموجهة اليه من قبل الطلاب . ويعطى فرصة لاجراء مناقشة وجدال في الصحف ، حيث يتسنى لكل

طالب التعبير عن رأيه في الدرس المقرر . وهذا يظهر ان الاساتذة كانت تقدر مواهب الطلبة وكان هذا يؤدي الى تفوق كثير من هؤلاء الطلاب في عدة ميادين .

الامكانات التي كانت توفر لطلبة المدارس النظامية

لقد وضع نظام الملك جميع التسهيلات التي من شأنها ان تجلب أكبر عدد من الطلاب لاكمال دراستهم العليا في هذه المدارس . فجعل العلم مشاعا وحقا للجميع ، الغني والفقير . وشرع باعطاء منح للطلاب المعوزين تشمل ملابسهم ونومهم وطعامهم . فبنى امكنة خاصة للقسم الداخلي حيث كان يعيش عدد من الطلاب والمدرسين ، كما جعل امكنة خاصة للدراسة ، الى غير ذلك من الملحقات . كل هذه التسهيلات كانت تحتاج الى ميزانية كبيرة ، وقد ذكروا ان ما كان ينفقه نظام الملك على هذه المدارس يزيد على ٦٠٠,٠٠٠ دينار في السنة . ويذكر ان الريع الذي خصص لنظامية بغداد من الاذونات بلغ ١٥,٠٠٠ دينار في السنة . ومن الجدير بالذكر ان ريع هذه الميزانية مستمد من الاوقاف والعقارات .

المواضيع التي كانت تدرس بالنظامية

لقد تميزت المدارس النظامية باشتمالها على برنامج دراسي رفيع يضم معظم المواد واهمها الفقه واصول الفقه للمذهب الشافعي ، الحديث ، الادب ، التاريخ ، علم الفلك ، والطب ، بالاضافة الى بعض المواضيع الاخرى التي اضيفت الى البرنامج الدراسي في وقت متاخر من تأسيسها .

هذا ، وكان طلاب النظامية يستعينون بالمكتبات القيمة التي زود نظام الملك مدارسه بها . اذ كانت هذه المكتبات تحتوي على كثير من الكتب والمخطوطات النفيسة . واوقف عدد" من نوابغ وعلماء وحكام ذلك العصر كتبا قيمة للنظاميات . ويذكر ان نظامية بغداد زُوِّدت بمكتبة مشتملة على فهرس دقيق يحتوي على اكثر من ستة آلاف مجلد .

الاثر الذي خلفته هذه المدارس

من جميع ما تقدم نستنتج ان المدارس النظامية ساهمت في اعداد عدد ضخم من الادباء والشعراء ، والنحاة ، والمؤرخين وغيرهم . وقد نبغ هؤلاء في عدة مجالات كالتاريخ والادب والشعر وعلم النحو والى غير ذلك . فمن هؤلاء الشاعر سعدي الفارسي صاحب المؤلفات الشهيرة في الادب والشعر . والمؤرخ الاديب عماد الدين المعروف بالكاتب الاصفهاني الذي سطر الحوادث التاريخية التي حدثت في عهد صلاح الدين الايوبي . ثم حميد بن يونس المعروف (بعماد الدين) الذي بذل جهدا في تحويل مذهب حاكم الموصل لانور الدين ارسلان من الحنفية الى الشافعية . وهذا دليل على الدور الفعال الذي قامت به المدارس النظامية لتدعيم ونشر المذهب الشافعي .

الخاتمة :

ان المدارس النظامية بما وهبته للطلاب من منح دراسية ، وبما وفرته لهم من امكانيات هائلة ، وبما جلبته من مفكري وعلماء العصر السلجوقي ، جعلت منها محطة لانظار الجميع ، وعليه فقد اقبل اليها الطلاب من شتى الامصار الاسلامية ليحظوا بنيل دراساتهم العالية في مدارس تحمل اسما عظيما وشهرة عالية . وان هذا ليذكرنا بالطلاب في عصرنا الحاضر . فالطالب الذي يذهب الى جامعة السوربون او اكسفورد او هارفرد ليتلقى علومه لدى اساتذة مشهورين كالاستاذ Gibb مثلا ، نرى مثله من كان يذهب لنظامية بغداد ليتلقى علومه لدى العالم والمفكر الاسلامي الكبير الامام الغزالي . كما ان ما نراه اليوم من سعي بعض الطلاب للدراسة بجامعة توفر لهم منحا مالية تكفيهم لتحصيل علمهم ومعيشتهم .. كان مثلهم طلاب يذهبون للمدارس النظامية لتحقيق مثل هذا الغرض .

ان ما نعرفه اليوم من دراسات جامعية كان يعرف بالامس ، وما يسمع به اليوم من تقدير للدراسات الجامعية ما هو الا امتداد لدراسات مثلها كانت بالامس . ■■

زاهية راغب الدجاني

طرائف غريبة

عندما يقع المخترع فى شر اعماله !

● سير روبرت واتسون وات Sir Robert Watson-Watt العالم البريطاني المعروف الذى ساهم فى تطوير اجهزة الرادار خلال الحرب العالمية الثانية ، كان يقود سيارته بسرعة جنونية فى احد الطرق الرئيسية التى تربط لندن بالريف ليلحق بموعد هام مع المهندسين الذين كانوا يعملون تحت اشرافه فى اقامة محطة للرادار فى احدى البقاع القريبة من العاصمة .

ونجح سير روبرت فى الوصول فى موعده ، ثم عاد الى بيته فى لندن بعد ان انهى عمله فى المساء . ثم مرت بضعة ايام فوجىء بعدها باحد ضباط شرطة المرور يطلب اليه المثول امام القضاء بسبب قيادته لسيارته بسرعة .

واستبدت الدهشة بالعالم الكبير ، وقال على الفور محاولا ان ينفي التهمة عن نفسه : « هذا افتراء . انا لم اقد سيارتي بسرعة ، ثم اين هذا الشرطى الذى حرر لي هذه المخالفة ، الم يكن يجدر به ان يلحق بي ، اننى لم ار على الطريق شرطيا واحدا من رجال المرور ! » .

وهنا قال الضابط فى هدوء وهو يبتسم : « لم تكن فى حاجة هذه المرة الى شرطى يكشف عن سرعتك فقد كشفناها بشبكة الرادار التى سبق ان اقمتها لنا ياسيدى ، وهذه اول مخالفة نحررها بعد تجربتنا لجهازك الجديد بنجاح !! » .

كيندى بين امه وابنته !



● سالوا الرئيس الامريكي الراحل جون كيندى ، اى الناس احب الى قلبك ؟ فقال : « امي الكبرى امريكا ، كما اريدها قوية ، مسالمة ، تحمى الضعيف ، وتدافع عن الحق ، وتقدس الحرية . ثم ابنتي الصغرى كارولين التي اتمنى ان اعيش لاراها عروسا واما تحمل اطفالها !! » .

يقول والتر ليبمان المعلق السياسي الامريكي : « مسكين كيندى ، انه لم يعش ليرى امه الكبرى كما تمنى لها ، ولا ابنته الصغرى كما اراد لها » .

عودة الغائب !

● كتب جون مورلي John Morley (١٨٣٨ ــ ١٩٢٣) المؤلف والسياسي البريطاني الذى كان وزيرا لشئون ايرلندا فى الحكومة البريطانية عام ١٨٨٦ ، كتب صلاة خاصة عندما اعاد اليه احد اصدقائه كتابا كان قد استعاره منه لفترة طال امدها ، حتى تصور صاحب الكتاب انه فقده الى الأبد .

قال : « اشكر الله على عودتك ، فقد كنت رفيقا لي في وحدتي : ونعم الرفيق.

« عندما افترقت عني ، كنت اشعر انني قد فقدتك الى الأبد ..

« لقد اسلمت نفسي لمرارة الفراق بعد طول عشرة لا تنسى ..

« وها قد عدت لي اليوم ، انني اشعر بسعادة تغمرني ، فسوف اعود اليك انا بدوري .. شكرا وحمدا لله .

« ولكن هل نسيت انا شيئا ؟ . نعم نسيت .. ان عودتك لي تذكرني بهؤلاء « الاصدقاء الغرباء » الذين استضفتهم في مكتبتي .. اليوم ساعيد الكتب التي استعرتها انا الى اصحابها .

« لا اريد ان احرمهم من متعة هذا اللقاء من بعد فراق ! » .

بين اللمس والبصر !

اختلفوا ، فقال البعض : « اللمس اصدق من البصر .. وقال الآخرون ، لا شيء يعادل رؤية الشيء بالعينين ! » .

وجاءوا بالمثل الهندى الشهير ليحكم بينهم ! .

يقول المثل ان فيلسوفا هنديا احضر فيلاً كبيرا ووضعه في حظيرة مظلمة ثم دعا خمسة رجال الى دخول الحظيرة بعد ان غطى عيونهم ، وقال : « في هذه الحظيرة شيء ما ، وعليكم ان تكتشفوا ما هو هذا الشيء باللمس دون ان ترفعوا العصابة السوداء من على عيونكم ! .

ودخلوا ولمسوا ، وقال احدهم : انه انبوب كبير . بعد ان تحسس باصابعه خرطوم الفيل ! .

وقال الثاني : هراء ، بل هو جذع شجرة ضخمة ، وكانت اصابعه قد لامست ساق الفيل .

وقال الثالث : « خطأ في خطأ .. انها ورقة شجرة هائلة ! » وكان قد تحسس اذن الفيل ! .

وقال الرابع محتدا : ما هذا الذى تقولون ؟ انه حائط صلب عال ! وكان قد لامس بيديه جسد الفيل من احد جانبيه ..

وصرخ الخامس : « كفى تخريفا .. انه ليس الا حبلاً سميكا .. » وكان قد امسك بذيل الفيل !! .

لقد تصور كل واحد من الرجال الخمسة انه هو الوحيد الذى اكتشف حقيقة هذا الشيء في الظلام ! ونسوا جميعا ان الحقيقة الكاملة كانت ستكون امامهم ، لو ان بصيصا خافتا من الضوء تسلل الى اعينهم ليكشف لهم صورة الفيل كاملة !! .



المنزل

قصة للكاتب الروسي : أنطون تشيكوف

■ كان « بريكوفتش » ـ وهو شاب أصلع تماما ـ يشغل في وقت ما وظيفة في احدى دوائر القضاء : ولكنه ترك عمله بعد حين واصبحت تعوله زوجته الثرية صاحبة المنزل المفروش المعد للايجار ، الذى يحمل لافتة عليها كلمة « تونس » .

وذات ليلة وفي وقت متأخر اندفع خارج شقته الى الدهليز واغلق الباب خلفه بكل قواه واخذ يتمتم :

ـ اوه ... هذه المخلوقة الشريرة ، البلهاء ، الغبية ، لقد جمع الشيطان بيني وبينها ... هذه الشمطاء ذات الفم الواسع ... ليس شيء يستطيع ان يزمجر بصوت اعنف منها الا المدفع .

كان بريكوفتش يختنق حنقا وغضبا ، ولو انه كان التقى عند ذاك مصادفة بشيء هش : او خادم نائم من خدم المنزل ، لاسعده ان يكيل له الضربات كي ينفس عن غضبه .

وكان القدر على علم بمعانيه ، راغب في ان يقدم له بعض العزاء فوضع في طريقه «كلايفكين» وهو موسيقي يشغل الغرفة رقم ٣١ ، وقد تعود ان يتاخر في دفع الايجار ، وكان كلايفكين يقف امام باب غرفته وهو يترنح بطريقة ملحوظة يحاول فتح الباب بمفتاحه ، وكان يتاوه ويسب شخصا ما طالبا له الذهاب الى الجحيم ، ولكن المفتاح ابى ان يطيعه ويمضي الى حيث كان مفروضا فيه ان يمضي ، وكان كلايفكين يتارجح وهو يضرب ثقب الباب بيد ويمسك باليد الاخرى صندوق الكمان، وقد انقض عليه بريكوفتش مثل الصقر وصاح في غضب :

ـ آه ... انه انت . اسمع ... لقد تاخرت اسبوعين . سوف اقطع راسك ، سوف اطردك يا سيدى العزيز ... لياخذك الشيطان .

وقال الموسيقي في بطء هادىء :

ـ انك تعترض طريقي ... وداعا .

وتابع بريكوفتش كلامه قائلا :

ـ عار عليك يا سيد كلايفكين ، انك تحصل على مائة وعشرين روبلا كل شهر ، وفي امكانك ان تدفع في الموعد ، ولكنك لا تتصرف بطريقة لائقة يا سيدى العزيز ، عار عليك ان تفعل ذلك .

واخيرا سمع صرير القفل وفتح الباب .

واستمر بريكوفتش وهو يتبع الموسيقى الى غرفته :

ـ نعم يا سيدى ، ان ذلك ليس من الامانة في شيء انني احذرك ، اذا لم تدفع غدا فسوف اسوقك الى المحكمة ، سوف أريك .. كما ارجو الا تلقى باعواد الثقاب المشتعلة على الارض ، انك سوف تسبب حريقا هنا . انني لن استبقى هنا نزلاء من مدمني الخمر .

ونظر كلايفكين الى بريكوفتش بعينيه الطروبتين الثملتين وابتسم ابتسامة عريضة ساخرة ، وتمتم وهو يشعل سيجاره ويصيب اصابعه باللهب :

ـ انني لا افهم مطلقا ما الذى يستفزك .. انني لا افهم ، ولتقل انني لا اد .. ادفع ولكن كيف يهمك هذا ؟ قل لي من فضلك ، اى دخل لك في هذا ؟ انت ايضا لا تدفع الايجار ولكنني لا اكدر صفوك ؟ هل افعل ذلك ؟ انت لا تدفع ، حسنا



انني احذرك ،
اذا لم تدفع
غداً فسوف
اسوقك الى
المحكمة ..

... ليباركك الله ... انت لست مضطرا ان تدفع ..

ـ لست اه ... اعنى الا ما قلت ، انك لست السيد هنا .. ولكن زو .. زوجتك الموقرة جدا

هي صاحبة الكلمة ... انك مستاجر ، مثل بقية المستاجرين تماما . ان هذا المنزل ليس ملكا لك فلماذا تزعج نفسك اذا ؟ اتخذني مثالا ، انني لا ازعج نفسي ، اتراني افعل ؟ انك لا تدفع قرشا

واحدا في مقابل مسكنك ، حسنا . لا تدفع ... انك غير مضطر الدفع ، انني لا ازعج نفسي ولو قليلا ...

ـ انني لا افهمك يا سيدى العزيز .

تمتم بريكوفتش بهذه الكلمات واتخذ هيئة الرجل الذى أهين واصبح على استعداد لان يدافع عن شرفه لدى اقل بادرة .

وعندئذ قال الموسيقار :

ـ ومع ذلك فانا اعتذر لك . لقد نسيت انك حصلت على المنزل كمهر لزواجك ... اعتذر مرة أخرى .

وتابع كلايفكين حديثه وهو يترنح في وقفته :

ـ ومع ذلك لو نظرت الى الامر من وجهة نظر اخلاقية فلن تجد ما يدعوك الى التهيج ... لقد حصلت على المنزل بلا مقابل ... في مقابل شيء تافه ، ولو نظرت الى الامر نظرة شاملة لوجدت ان المنزل ملك لي بقدر ما هو ملك لك . لماذا امتد ... كنه انت ؟ لانك تشغل وظيفة زوج ، اى فضل في هذا ؟ لا توجد اى صعوبة في أن تكون زوجا ... هات لي رزمة من الزوجات وسوف اكون زوجا لهن جميعا ، مجانا وبلا مقابل . سوف تسدى لي معروفا لو فعلت .

ويبدو أن ثرثرة الموسيقار المخمور قد جرحت مشاعره جرحا بليغا فقد احمر وجهه وقضى وقتا طويلا وهو في حيرة ماذا يقول ، ثم وثب في وجه كلايفكين وخبط المنضدة بقبضة يده في عنف وقال في صوت يشبه فحيح الحيات :

ـ كيف تجسر على ان تقول لي هذا الكلام ؟ كيف تجسر ؟ .

وتمتم كلايفكين وهو يتراجع !

ـ اسمح لي ... اقول هذا بأعلى صوتي ... انا لا اعرف سببا لاستيائك ، انا ... انا لم اقصد اهانتك بل قصدت ان امدحك ، فانا اذا ما صادفني في حياتي سيدة تمتلك مثل هذا المنزل المفروش فسوف ارحب بالامر .

وصرخ بريكوفتش مرة اخرى وهو يدق المنضدة ثانية بقبضة يده :

ـ ولكن ... ولكن كيف تجرؤ على اهانتي ؟ .

وهز كلايفكين كتفيه وكف عن الابتسام وهو يقول :

ـ لست ادرى كيف اشرح الموضوع ... انني سكران طبعا ... وربما اهنتك فعلا ، وفي هذه الحالة ارجو أن تعفو عني ... انا آسف ... ايها الاخ العزيز ، اغفر لعازف الكمان الأول ... اؤكد لك انني لم اقصد اهانتك .

وقال بريكوفتش ، وقد لطف من حدته لهجة كلايفكين المعتذرة :

ـ لقد كنت تتهكم بي ، هذه اشياء لا يتحدث الناس عنها هكذا .

ـ حسنا حسنا ... لن يحدث ذلك ثانية ابدا ... لن يتكرر ابدا ايها الاخ العزيز .. اعطني يدك .

واستمر بريكوفتش يتحدث ، وان كانت نفسه قد هدأت تماما ولكنه لم يمد يده لمصافحة الموسيقار ، قال :

ـ يزيد من سوء ذلك انه لم يبدر مني ما تتخذه سببا لذلك ، انني لم افعل مطلقا ما يسيء اليك .

ـ كان يجدر بي حقا الا اشير الى ذلك الموضوع الدقيق ، لقد اندفعت في هذا الحديث لانني ثمل واحمق . اغفر لي ايها الاخ العزيز ... انني حيوان حقا . سوف اغمر رأسي في الماء البارد حتى افيق .

وقال بريكوفتش وهو يذرع ارض الغرفة في اضطراب :

ـ ان الحياة كما نحياها كريهة وممجوجة والآن تأتي انت باهاناتك . ما من انسان يرى الحقيقة ، وكل انسان لديه افكاره الحمقاء التي يعلنها دون اى خشية من ضمير . انني استطيع أن أتصور ما يقال في هذه الدار عن الناس من وراء ظهورهم ... استطيع أن أتصور ذلك ... صحيح ... انا مخطيء .. ولكن يجدر بالانسان ان يكون صبورا ... ضع نفسك في مكاني ، ولكن انت ... انت تتفوه بتلميحات بذيئة في مواجهتي .

ـ ولكنني سكران ... يا حبيبي . انني اشعر بالندم ، وذلك ما يؤذى مشاعرى ، ولسوف ادفع لك الايجار يا اخي العزيز بمجرد أن احصل على مرتبي ، وسوف يكون ذلك في اليوم الأول من الشهر ... سوف أدفع لك ... اترى يؤدى هذا الى أن يحل بيننا السلام والنوايا الطيبة ؟ حسنا . آه ... أيها العزيز ، انني احب المتعلمين من الناس ... انا درست في الكونسرفا ... فليقطعه الشيطان ... ان لساني لا يستطيع ان ينطق بالكلمة كلها ...

واغرورقت عينا الموسيقار بالدموع وأمسك

بيريكوفتش من كمه وهو يذرع ارض الغرفة وطبع على خده قبلة .

آه يا عزيزى ... انني سكران الى ابعد حدود طاقتي ، ولكنني ارى كل شيء بوضـوح كاف . ايها الأخ العزيز ، دع خادم الدار يحضر ابريقا من الشاى من اجل عازف الكمان الأول ، يوجد قانون هنا مؤداه ان بعد الحادية عشرة لا يحق لأى انسان ان يبقي في الدهليز او يرسل في طلب ابريق من الشاى ، لكنني بعد انتهـاء العمل في المسرح اكاد اموت رغبة في قدح من الشـاى .

ودق بريكوفتش الجرس مسـتدعيا الخادم وعندما قدم قال له :

ـ تيموق ... احضر ابريقا للسيد كلايفكين .

وهدر تيموق في صوت خافت :

ـ غير مسموح يا سيدى ... ان ربة الدار قد اصدرت امرا بعدم تقديم الشاى بعد السـاعة الحادية عشرة .

ـ انا اعطيك امرا .

ـ لا فائدة من اعطاء الأوامر ما دام غير مسموح لنا ... ما دام الشيء غير مسموح فلا يمكن ان يحدث ... ما الفائدة ؟ .

وعض بريكوفتش شفته واتجه ناحية النافذة وتنهد كلايفكين وقال :

ـ يا له من حال ... اقول ... طبعا ، لا فائدة من الكلام ... حسنا ، لا لزوم لأن تشعر بالخجل امامي ، انني ارى كل شيء بوضوح، انني اكتشفت ما يحجبه المرء عن الآخرين ... اعرف اساسه النفسي ... حسنا . اذا لم يكن من سـبيل للحصول على الشاى فلنشرب بعض الفودكا ؟ اليس كذلك ؟ .

وتناول كلايفكين زجاجة من الفودكا من فوق قاعدة النافذة ، ، وبعض قطع السجق ايضـا ، وجلس جلسـة مريحة فوق الاريكة وتهيأ للطعام والشراب . ونظر بريكوفتش الى الرجل المخمور واستمع الى ثرثرته التي لا تنتهي واكتسى وجهه تعبيرا اكثر اسى واحس فجأة بالرغبة في الشراب ، وربما كان هذا لأن منظر الموسيقار براسه الأشعث وزجاجة الفودكا والسجق الرخيص قد اعاد الى ذاكرته ماضيه القريب عندما كان رجلا فقيرا ولكنه متمتع بحريته . وتقدم الى المنضدة وجرع كاسا من الشراب وتنحنح وقال وهو يهز راسه :

ـ انها حياة الكلاب ... شيء تعافه النفس ، انت اهنتني منذ قليل ، وخادم المنزل اهانني ، وهكذا تمضى الحياة دون نهاية . ولماذا ؟ انهـا كذلك في جوهر امرها ودون سبب .

وبعد الكاس الثالثـة جلس بريكوفتش على الاريكة وهو منهمك في التفكير وراسه بين يديه ، ثم تنهد في حزن وقال :

ـ لقد ارتكبت خطا ... آه ... يا لـه من خطا . لقد بعت شبابي ومستقبلي ومبادئي، والآن تنتقم الحياة مني ، ويا له من انتقام قاس .

وتحت تاثير الفودكا والأفكار الحزينة شحب وجهه وبدا كما لو كان جسمه قد تضاءل فعلا ، وقد امسك براسه عدة مرات في حالة من الياس ، وقال وهو يئن :

آه يا لها من حياة... لو كنتفقط تعرف ...

وقال وهو يتفرس يتمعن في وجه كلايفكين :

ـ اعترف بصراحة ... قل لي بشرفك ... قل لى بشرفك ، اى راى يراه الناس في امرى هنا ؟ ماذا يقول الطلبة الذين يسكنون هذه الدار ؟ لا بد انك سمعتهم يتحدثون ... انا واثق .

ـ نعم لقد سمعتهم .

ـ حسنا ؟ .

ـ انهم لا يقولون شيئا .. انهم فقـط ... يحتقرونك .

ولم يتحدث الصديقان الجديدان بعد ذلك ، ولم يفترقا الا في الفجر عندما بدأ الخدم يشعلون المواقد .

وتمتم بريكوفتش وهو ينصرف :

ـ لا تدفع لها اى شيء ... لا تدفع لها مليما واحدا ... اتركها وشانها .

وتهاوى كلايفكين فوق الاريكه ووضع راسـه فوق صندوق كمانه ، وبدا يغطء في النوم .

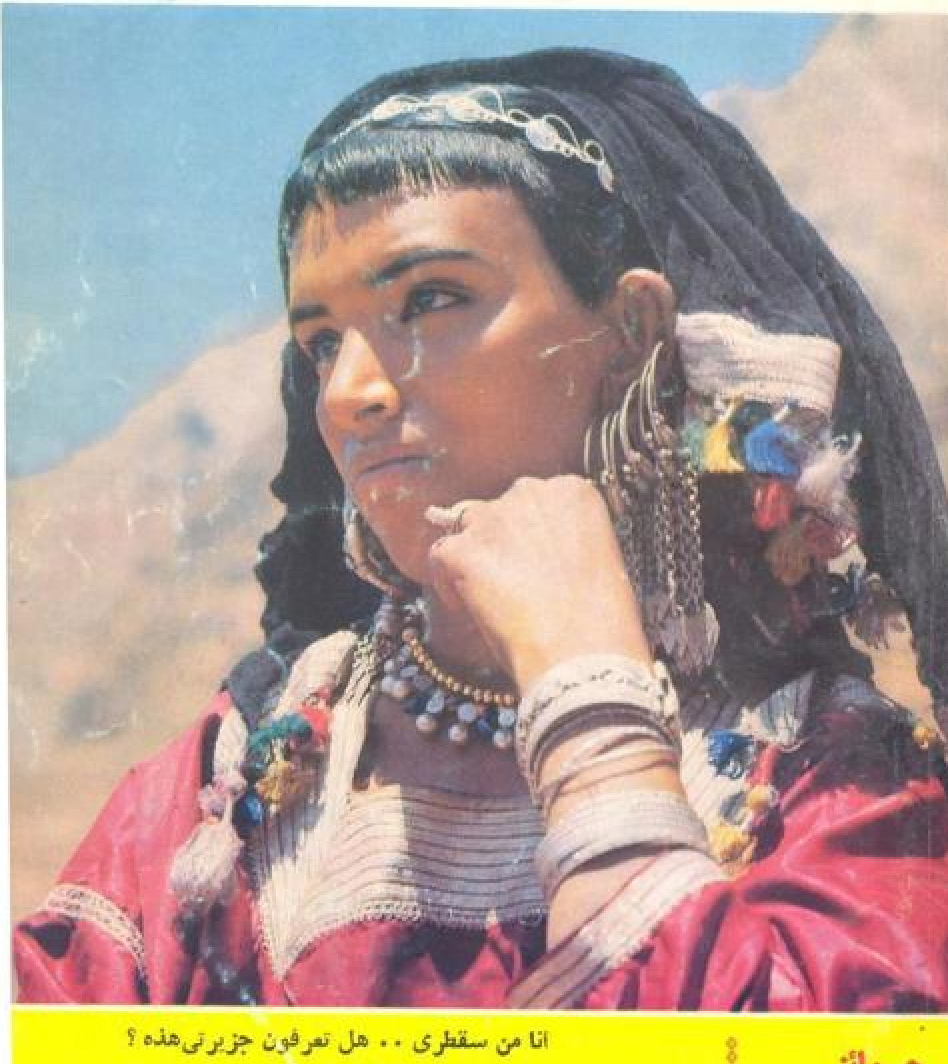
وفي منتصف الليلة التقيا مرة اخرى .

وبعد أن ذاق بريكوفتش حلاوة ما يقدم له من الخمر على سبيل التحية الودية ، لم يعد يترك ليلة واحدة تمر بدونها . واذا لم يجد كلايفكين في مسكنه كان يهبط على نزيل آخر ، يشكو اليه حظه في الحياة ، ويشرب ويشرب ويعاود الشكوى. وهكذا مضت الحياة ليلة بعد ليلة . ■■

ترجمة : نصرى عطا الله

العربي

العدد ١٥٢
جمادى الاولى ١٣٩١
يوليو
(تموز) ١٩٧١

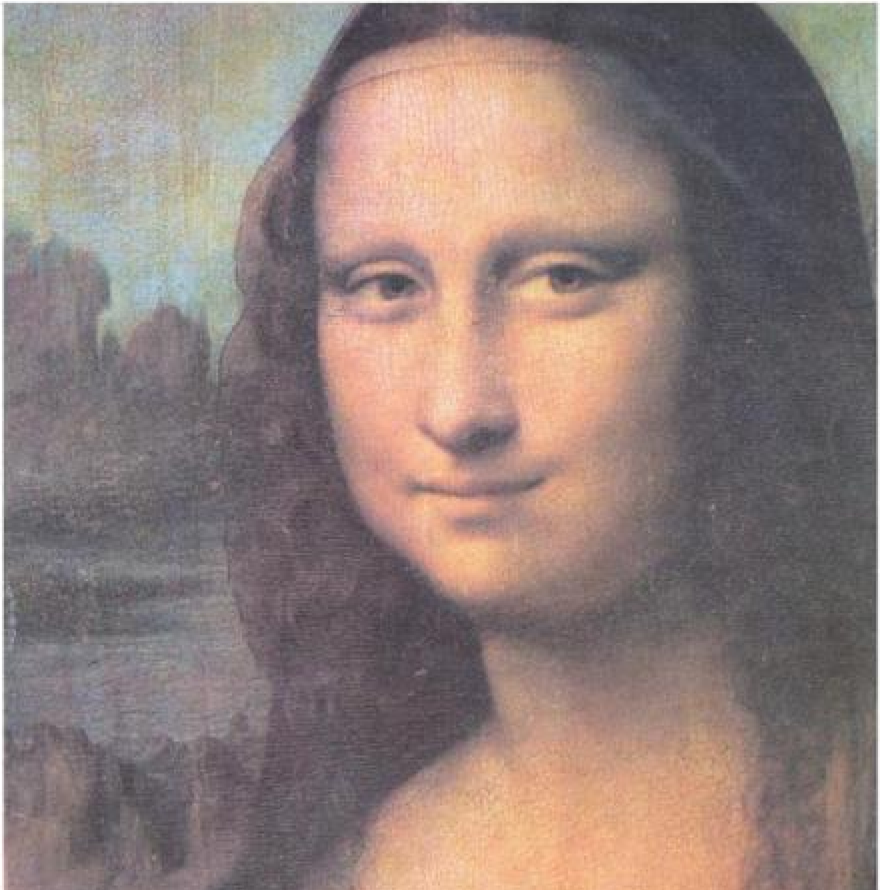


انا من سقطرى .. هل تعرفون جزيرتي هذه ؟

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



من روائع الفن العالمى

الموناليزا ، اشهر لوحة رسمها ليوناردو دافنشي ، بل قل اشهر لوحة رسمها فنان ، اي فنان ، لوجه انسان .

و « مونا » الباسمة هذه ، كانت زوجة فرنسيسكو جيوكوندو . وقد بدا ليوناردو في الاعداد للوحة وهو في فلورنسا ، ثم رسمها وامضى ٤ سنوات في رسمها وهو في فرنسا . وتوجد اللوحة حاليا في متحف اللوفر بباريس وهي بمقاس ٧٧ × ٥٣ بوصة .

راجع العدد ١٥١ يونيو ١٩٧١ من العربي

عزيزى القارئ

« شرم الشيخ »

يا له من شرم

● قالت الأخبار ان اسرائيل بدأت تبني فى « شرم الشيخ » فندقا وتبنى هناك مدينة ، ومَراحا للسائحين . وان اسرائيل سوف تبني أو بنت بين « شرم الشيخ » وايلات ، على طول الساحل ، طريقا ممهدا . فان صح هذا يستطيع اى قارىء أن يتخيل ما سوف يأتى بعد ذلك :

■ شرم الشيخ المدينة ستكون مدينة وميناء معا ، وهى عند مدخل خليج العقبة تتحكم فيه .

■ سيصبح شرم الشيخ ميناءً حصيناً ، يتحكم فى الداخل الى الخليج والخارج منه .

■ يصبح الخليج العربى ، خليج العقبة ، اذن خليجا اسرائيليا، يكون هو مقر الاسطول الاسرائيلى الذى سوف يتحكم فى البحر الاحمر كله ، وكل ما وقع عليه من موانىء ودول .

■ واذا صح أن اصبح شاطىء الخليج الغربي اسرائيليا ، وجب أن يكون شاطئه الشرقى كذلك . وسوف يكون كذلك ولو بحكم الواقع .

■ وشرم الشيخ المدينة ، سيصبح قاعدة للطيران عظيمة ، اقرب نيلا لقنا واسوان ووادى النيل من غرب ، ولجدة والمدينة ومكة من شرق .

هذه بعض النتائج المستخرجة من قول الاسرائيليين : لا نخرج من شرم الشيخ . وقول اهل مصر : بل تخرجون .

المحرر

مرحبا

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

أدب .. ولغة :

استطلاعات مصورة :

تربية وعلم نفس :

طب .. وعلوم :

ركن الاسرة والمرأة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 152 July 1971 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ ــ تلغرافيا «العربي»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



● شيخة بنت طنتجق .. احدى نساء جزيرة سقطرى ، مرتدية اجمل حللها وكامل زينتها .. والمرأة السقطرية جميلة تعشق الالوان الزاهية ، وخاصة الحمراء منها .. تتحلى بالاساور والخواتم الفضية .. ومن اذنها تتدلى تسعة حلقان، لها تسعة ثقوب في الاذن !! اما مساحيق الوجه فهي الكركم الاصفر ، ودم الاخوين الاحمر !! انها حياة عجيبة في تلك الجزيرة العربية المجهولة ، تقرأ تفاصيلها ابتداء من صفحة ٨٤ من هذا العدد .

اقتصاد :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

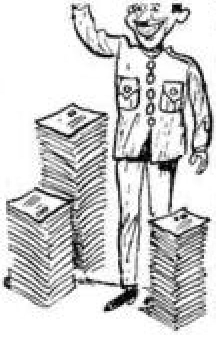
ب :

ـصص :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

يدعو لمناقشة الامور السياسية

● لا يخفى على قارىء العربى ما تبذلون من جهد في سبيل دفع مستوى العربى شهرا بعد شهر . ان مجلة العربى في هيكلها العام تعتبر مجلة علمية ثقافية اجتماعية، ولو انكم افردتم فيها بابا لمناقشة الامور السياسية العالمية وحركات التحرر في العالم لاستطعتم بذلك ان تزيدوا العربى عصرية وتتيحوا الفرصة امام آلاف الشبان العرب من قراء « العربي » للاطلاع على ما يهمهم في حياة العصر هذا . آملا ان يكون لاقتراحى هذا حسن القبول عندكم لما فيه فائدة للجميع .

سالم محمود على الدوحة ـ قطر

ـ **العربى** : هذا كلام طيب ، ولكنه لا ينفع والاجواء العربية الحاضرة من الحرية هي ما هي ، ومن التناقض هي ما هي ، والذى يقترح هذا سهل عليه اقتراحه واقتراح غيره ، وهو اقتراح سهل عندما تقترحه في صحراء . اما عندما يقترح مناقشة المسائل العالمية فقد ترضي هذا الراى دولة عربية ، وقد لا ترضاه اخرى والنتيجة ، سد الابواب حتى لا يدخل العربى الى تلك الدول غير الراضية . وهذه خسارة كبرى للشعوب، والعربي يعالج المشاكل السياسية باسلوب يتجنب فيه تلك الحساسية الزائدة . وكثيرا ما يتخذ الاحداث التاريخية ليعرضها ويناقشها من وجهة الحرية والاستبداد لينتفع بها القراء في حاضرهم . فنحن كمن يقول : « اياك اعنى واسمعى يا جارة! »

ابن رشد فى قاموس المنجد

● استرعى انتباهي في العدد (١٤٩) من مجلتكم الغراء لوحة الصفحة الثانية التى ذكرتم انها تمثل اقليدس منهمكا في تدريس طلابه اصول الهندسة . ولقد وقعت على نفس اللوحة في فهرس الاعلام الملحق بالمنجد صفحة (٢١٧) وقد كتب في اسفلها « ابن رشد بريشة الفنان رفائيل عن الرسم المعروف بمدرسة اثينا » .

فالرجاء تنبيه القراء الى هذا الخطأ الذى وقع فيه فهرس الاعلام ...

ماجد عز الدين / الحسكة ـ سوريا

العربي : وردتنا عدة رسائل تنوه بما نوهت به رسالتك . ونحن اذ نقدر للقراء انتباههم لنأسف اشد الاسف لوقوع فهرس الاعلام في مثل هذا الخطأ . فقد يتسامح المرء قليلا او كثيرا بصدد الاخطاء التى ارتكبها الفهرس المذكور بحق التاريخ العربي ، قديمه وحديثه ، وقد جاء العربي على ذكر بعضها في اعداد يناير ومايو واغسطس سنة ١٩٧٠ . اما ان يخطىء الاب فردينان توتال ، مؤلف الفهرس ، في تفسير لوحة « مدرسة اثينا » الشهيرة التى ازدان بها احد جدران الفاتيكان ، وان يخلط بين اقليدس وابن رشد ، بالرغم من ان ابن رشد هذا هو الشخص الوحيد المسلم بين اشخاص اللوحة المذكورة جميعا .. فهذا ما لم نكن نتوقعه على الاطلاق .. نرجو ان يبادر المسؤولون عن تنقيح فهرس الاعلام الى تصحيح هذا الخطأ ، كما نرجو ان ننشر على الصفحة الثانية من عدد مقبل من العربي الجزء الذى يظهر فيه ابن رشد من لوحة « مدرسة اثينا » .

زيارة القبور في الاسلام

● قرانا استطلاع مدينة طنطا في عدد شهرمايو من مجلتنا العزيزة العربى ، وقرانا ما جاء فيه عن السيد البدوى وعن زيارة المسلمين لضريحه . فهل يعتبر مشركا بالله ذلك الذى يزور قبور الاولياء والصالحين ؟

لقد فسر بعض رجال الدين هذه الزيارات بانهاحرام ، مستندين في ذلك الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء فيه : « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)ومسجد الاقصى » ، فهل لكم ان توضحوا لنا هذا الموضوع ؟

احمد طالب الكثيرى الدمام ـ السعودية

العربى : سألنا احد المعروفين برأيهم في الدين الاسلامى ، فقال انك على حق فيما تقول ، ولكن هى عادة جرت في الجمهور ، من الصعب اقتلاعها، والرأى عندنا ان هناك فرقا بين زيارة وزيارة ، فالرجل قد يزور قبر والده وقبر صديق له ، او قبر عالم او رجل تقى ، او قبر بطل للترحم والتأسى ، ولا نرى في ذلك بأسا ، أما ان يزور ليجعل من صاحب القبر شفيعا عند الله ، فلنا في هذه الزيارة رأى آخر . ففي الاسلام ليس هناك ما يقوم بين عبد وربه .

الباء بعد الاستبدال

● في العدد الاخير من العربى رقم ١٥٠ ،قرات في بحث عن « احمد زكي باشا » بقلم انور الجندى، العبارة التالية : « وقد اهتم احمد زكى باشا باستبدال كلمة « اوتومبيل » بكلمة « سيارة » وهذا تعبير غير دقيق ، ولعله خطأ شائع. فالصحيح ان تقول : « واهتم زكى باشا باستبدال كلمة « سيارة » بكلمة اوتومبيل لان الباء بعد الاستبدال تدخل على المتروك ، بدليل قوله تعالى مخاطبا بنى اسرائيل : « أتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير ؟ » .

وانا اذ انوه الى مثل هذه الهنات ، لا يفوتنى ان اذكر ان فعلتى هذه ليست الا من قبيل طلب الكمال لهذه المجلة العزيزة ، محتجا بقول الشاعر :

كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

رياض مراد دمشق ـ سوريا

تصويب في نتيجة المسابقة

● اطلعت على نتيجة مسابقة العربى المنشورة في العدد ١٥٠ وفيها ذكر ان مدينة تبوك محفورة بيوتها في الجبل . ولكن الصحيح هو ان مدائن صالح « الحجر » هى التى بيوتها محفورة في الجبل ، اما تبوك فهى ليست قريبة من جبال او صخور ، وانما هى تقع في سهل وواحة كبيرة .

محمود عبد الله مصطفى

تبوك ـ المملكة العربية السعودية

ادفع بالتي هي أحسن

● ان مقالة الدكتور حسين مؤنس عن الفاطميين « لا تمثل الا وجهة نظر كاتب حاقد او موتور ...... » .

اسماعيل ابو اسماعيل ـ سوريا

العربي : نشرنا هذه النبذة القصيرة من رد طويل ليتعلم الجيل الجديد من شبابنا ادب المناقشة ، فليس من المناقشة السب ، وانما المناقشة يجب دائما ان يكون اساسها الادب مهما اختلف الخصمان . « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم (سورة فصلت الآية ٣٤) . فهذا ادب الاسلام (انظر ص ١٧٢)

وادى الرافدين

● في وادى الرافدين الكثير الكثير من الاماكن الاثرية التى تحمل في طياتها روائع الحضارة الانسانية التى انطلقت منه لتغزو العالم ولتؤثر في كل ضرب من ضروب حضارته . فبابل . واشور . ونينوى وغيرها جديرة بان تفوز باحدى استطلاعاتكم المصورة ..

انه رجاء يلتمسه عربى من مجلته الكبرى العربى .

العراق ـ بابل

هادي محمد امين الصالحى

(البقية صفحة ١٧٣)

حديث الشهر

معركة الفقر

بقلم رئيس التحرير

- المدنية الاوروبية عالجت الفقر فنجحت فيما فشلت فيه سائر المدنيات

- المدنية الاوروبية عصور ، تلا بعضها بعضا ، انتهت بمعركة قامت صريحة بين الفقر والغنى

- من عصر النهضة ، الى عصر الاصلاح الدينى ، الى عصر التنور ، الى الثورة السياسية ، فالثورة الصناعية ، فكانت المصانع معاقل الفقراء من العمال .

- احتشدوا فى المصانع لاول مرة فى التاريخ ، فكان من ذلك القوة من بعد ضعف ، والاصاخة لهم من بعد ازدراء .

- وطلبوا السلاح ، فكان السلب . يضربون عن العمل حتى تجاب المطالب .

- ارتفعت قيمة العمل والعمال . وكل من يعمل فى الدولة صار عاملا حتى رئيس الدولة . واختلفت الاقدار والكرامة واحدة .



وحاولت الاديان
اصلاحا من فقر

تفتق الجديد اللازم لهذه العصور الجديدة ، وذلك بكل ما تضمنته من حب للخير عظيم ، ومن ديمقراطية هي فى اصول حياتها وثيقة وفيرة . ولكن فاتها ما لم يفت اهل اوروبا من ضرورة تحرير الفكر قبل التفكير فى التخطيط والتدبير .

لقد اعطى الله العرب والمسلمين دينا سمحا ، وآفاقا للراى واسعة ، وسعت الدنيا والآخرة . واعطاهم من الرجال المتحررين ، من مثل خليفة يقول لعامل له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » ، ولكن قوما صار لهم الدين صناعة ، وما جاز الدين الاسلامي ان يكون صناعة لاحد ، عمدوا بحكم الصنعة الى تضييق السبل وتعسير السير فيها ، والى المبالغة فى الحذر حتى سدوا على الناس ابواب الفكر ، وجعلوا الفلسفة بابا كتبوا عليه : « ممنوع الدخول » ، زيادة فى الخشية حينا ، وجهلا بالفلسفة احيانا ، ولو علموا ان الفلسفة كالفكر ، قد تؤدى الى الايمان كما قد تؤدى الى الكفر ، لما الحّوا وثابروا على تحريمها ، الى اليوم . هذا فى حين انك لن تجد دينا كرّم الفكر ومجّد العقل ، كما كرمه ومجده الاسلام . والجدل فى الاسلام اساس الايمان .

على كل حال سار العرب والمسلمون مسيرة على نحو افقدهم فرصة من فرص الحياة كبرى ، تلك ابداع حضارة جديدة باهرة كالتى نشهدها اليوم ، سَداها العلم ، ولحمتها التكنية ، وهدفت آخر الامر او تريد ان تهدف ، لا الى افقار الغنى ، ولكن الى اغناء الفقير ، والى مقاربة ما بين الحظوظ حتى لا يقف العملاق الى جانب القزم ، ولا تقف ناطحة السحاب الى جانب الكوخ ، ولا يختلط صوت المتعة المرحة الزائدة بصوت الالم الزائد فى الناس .

مدنية ذات عصور

ان معركة الفقر والغنى ، سبقتها فى امم الغرب معركة الحياة نفسها ، معركة النشاة الاليمة التى تصاحب كل نمو مهما كان نوعه . انها معركة المدنية من يوم بدات .

والمدنية الاوروبية بدات دون ان يعرف اهلها انها بدات .

ان قصة هذه المدنية بدات من نحو القرن الرابع عشر ، ولا تزال مستمرة فى عصرنا هذا ، ولكن بخطى اسرع ، وهى اتخذت ، من حيث التشكل والتطور ، اطوارا عدة ، سميناها عصورا ، ذلك لان كل عصر تميز بشىء فيه ، وبه سُمّي .

وهى بدات بعصر النهضة ، ثم بعصر الاصلاح الدينى ، فعصر التنوّر ، ثم

بعصر الثورة الفرنسية ، ثم بعصر الثورة الصناعية وقد اختمرت اختمارا فى القرن التاسع عشر . وفى احضان هذه اكتملت الاستراتيجية التى التقى عليها الطرفان ، الطرف الذى له الكثير وعنده الكثير ، والطرف الذى لا يملك شيئا ، وبدات الواقعة التى استمرت قرنا وبعض قرن ، وانتهت الى خير كثير ، ولكنه خير غير حاسم ، ولا نزال نحن فى القرن العشرين نمارسها قضية من قضايا العيش لا يمكن ان تهدأ ابدا .

فان نحن قصصنا قصةهذه العصور، فانما نقص قصة المدنية الحاضرة، او ان شئت فقصة معركة العيش الاولى ، كيف وقعت ، وهذه العصور كيف لها مهّدت ، وكيف وكم كان ما كان فيها من نصر ومن خذلان .

عصر النهضة

جاءت على اوروبا عصور اسموها بالعصور المتوسطة ، بدات من يوم سقوط الامبراطورية الرومانية الغربيةفى عام ٤٧٦ ميلادى،وانتهت على ما يقدرون فى نحو القرن الرابع عشر ، حين بدا عصر النهضة فى الظهور .

والعصور المتوسطة كانت عصور تأخر فى اوروبا ، وهى زامنت على التقريب تلكالعصور التىازدهرت فيها الحضارة الاسلامية . نامت اوروبا فى تلك العصور العتيقة ما نامت ، ثم استيقظت حين بدأ العرب والمسلمون فى النعاس . فكأنما الدهر ما احتمل ان يستوعب حضارتين مزدهرتين فى آن .

وعصر النهضة يسمونه ايضا عصر اليقظة ، وهو بلغتهم عصر الميلاد الجديد Renaissance . وفيه بدأ أهل اوروبا يحسون ان فى الدنيا علوما وفنونا ذات بال . واتجهوا خاصة الى كشف ادب اليونان وعلمهم ، وكذا ثقافة الرومان ، كما انتفعوا بصلات لهم بالعرب كثيرة . وبالأدب الجديد والعلم الجديد والفن الجديد تغير مزاج الناس ، فانصرفوا عن حياة القرون الوسطى، الحياة الكنسيئة، والحياة الاقطاعية ، ومالوا عن العيش فى الحقول الى العيش فى المدن . ومن هذه المدن مدن ازدهرت ، وكانت دولا ذاتسيادة : فلورنسا والبندقيةوميلان.

والفن ظهر من رجاله فى هذا العصر ، ميكل انجلو ، ورفائيل ، واتجه اهل الفن الى الحجر ينحتونه عاريا كما فعل الاغريق .

ومن ايطاليا امتد هذا العصر الىسائر اوروبا ، وكان ابطأ وصولا .

وامتد هذا العصر الى نحو القرن السادس عشر .

وعام فى تاريخ عصر النهضة لا ينسى ، ذلك عام ١٤٥٣ ، العام التى فتح فيه الترك القسطنطينية. فبسبب هذا الفتح هاجر كثير من رجال الدولة البيزنطية الى الغرب ، الى اوروبا ، وحملوا معهم من علم اليونان والرومان ما حملوا .

عصر الانشقاق الدينى

وتلا عصر النهضة العصر الذى سموه عصر الاصلاح Reformation وهو بعصر الانشقاق الدينى اولى . وفيه انشقت المسيحية ، فكان من انشقاقها البروتستانتية والكاثوليكية . وهو بدأ اعلانا بالقسمارتنلوثر Martin Luther ذلكالذى نشر ٩٥ نقطة عارضبها ما كان يجرى فى البابوية من اعمال لا يقرها ، فى زعمه ، وزعم الكثيرين ، الدين . بل هى فى زعمه وزعمهم الفساد كلالفساد. واصدر المجلس الكنسى قرارا يبطل به كل اصلاح زعمه لوثر ، فاحتج على ذلك امراء الكنيسة الرومانية فى عام ١٩٢٩ ، وكاناسم الاحتجاج Protestatio ومنه جاءت البروتستانتية .

وقام الى جانب لوثر قسيس آخر فرنسى ، هو كلفن Calvin ، ودعا الى شبيه بما دعا اليه لوثر وتبعه من الفرنسيين من تبع Hugenots ، ومن الهولنديين والاسكتلنديين كثيرون .



فى عصر النهضة ، احبت اوروبا ، مع الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية ، الفن اليوناني ، والنحت خاصة .

وفى انجلترا اختصم الملك مع كنيسة روما فى امر زوجة اراد ان يطلقها فرفضت الكنيسة ، فانشق عليها ، واستقل بكنيسة لانجلترا وحدها ، جعل نفسه رئيسها ، فكان رئيس الشئون الدينية والشئون الدنيوية فى آن .

وبقى مع الكنيسة القديمة من الكاثوليك فى اوروبا ، لا سيما جنوبها ، وانحاء العالم ، من بقى .

وكان من نتيجة هذه الثورة ان قامت كل امة بترجمة الانجيل بلغتها . وكان امرا سهلا . فالانجيل لمؤلفين اربعة من المسيحيين جاءوا بعد المسيح بزمن . فالنص نصهم ، واللغة لغتهم ، والذين ترجموا انما ترجموا ناسا لناس .

المهم فى هذا ان هيمنة الكنيسة المسيحية ، تلك الهيمنة المطلقة، اهتزت، فى عصر بلغ فيه رجالها درجة من تقدير الناس لم تكن بأعلى الدرجات . وكانت هيمنتها على الفكر مطاقة جائرة ، فى دين وغير دين ، تعاقب من شذ بفكره عما ارتآت الكنيسة بالطرد وبالتعذيب وبالحريق . وما أقاصيص محاكم التفتيش عن الناس ببعيدة . وامتد هذا بعد الاصلاح .

ونقول الكنيسة المسيحية . وقد نذكرها بغير الخير الكثير فى عهد من عهودها، لا فى كل العهود . ولكنا نفرق بينها دائما وبين الدين المسيحى ، فالدين شيء ، ورجاله اشياء . وقد عرفنا من رجال الدين رجالا كثيرين اطهارا ، كما عرفنا من رجال الدين ، من امثال رسبوتين فى بلاط قيصر روسيا ، من وسمته الدنيا بشر ما يوسم به شيطان .

وفى الاسلام الدين غير رجاله

والذى نقوله عن النصرانية نقوله عن الاسلام . فالاسلام غير فقهائه ، وما اعطى الاسلام لفقهائه من السلطة شيئا الا النصيحة ، والا الراى ينشرونه .

وقد كان منهم رجال عظام ذوو عقول رواجح ، ومع هذا لم يفرضوا على امتهم رايا ، وجزعوا ان يصنع الناس من آرائهم مذهبا . وكان منهم الى جانب ذلك رجال ، لا سيما فى عهود الاسلام المتخلفة الاخيرة ، لم يرتفعوا الى القمة ، بنفاذ الراى ، وحدة الفكر ، وبالحرية التى يكتسبها المرء من الثقة بنفسه، ورجاحة عقله ، فارادوا ان يرتفعوا بغير ذلك ، فضلوا وضلَّ معهم قوم كثيرون . ومنهم من فعل ذلك عن وعى ومنهم من فعل ذلك عن غير وعى ، وانما هى التقوى الجاهلة ، تتشبث عادة بالنفوس . والتقوى الجاهلة توجد الى جانبها تقوى الله الواعية ، وبها تتطهر النفوس .

هل يكون فى الاسلام اصلاح دينى ؟

لقد كان فى المسيحية اصلاح دينى .

فهل يكون فى الاسلام اصلاح ديني كذلك. ان جاز هذا ، فلن يكون هذا مثل ذاك .

لقد سبق بين المسلمين للاصلاح مصلحون كثيرون ، من أحدثهم واشهرهم محمد عبده والافغاني ومحمد عبد الوهاب ، وسبق هؤلاء آخرون غير قليلين ، فليس فى الاصلاح بدعة فى دين او غير دين بعد مضى العديد من القرون .

الاصلاح الدينى فى الاسلام هو الرجوع الى الدين يوم كان محمد ، صلوات الله عليه ، قائما فيه ، والاكتفاء ، على الاقل فى اول الامر ، بما كان فيه من اسلام . فان صح اسلام مسلم فى عهد الرسول اكتفاء بما كان من دين فى عهده ، والى وفاته ، فلماذا ندعى بأن اسلامنا اليوم لا يصح ، فى كل امر ، الا اذا عدنا الى المؤلفات الكثيرة ، والمذاهب العديدة ، التى صنعتها القرون من بعد ذلك. وهى قرون اختلفت والقرن الذى عاشه النبى (ص) واختلفت وقرونا نعيش فيها اليوم .

وغير هذا ، فهذه القرون ، بأحداثها البشرية ، ومآسيها المحزنة المخزية ، وعصبياتها الضالة ، قد احدثت الى جانب الدين الذى جاء به الرسول ، صلوات الله عليه ، دينا آخر غريبا عنه، بل اديانا ، اذا تتبعتها لم تستطع ردها الى مصدر الاسلام الاوثق والاعظم ،ذلك كتاب الله ، وتردها ردا اسهل وايسر الى ما صنع التاريخ بالناس ، وما صنع الناس بالتاريخ .

وانا اذا تحدثت عن الاسلام، لا اتحدث عن الاسلام العربى وحده ، من الخليج الى المحيط ، ولكن عن الاسلام كله ، من



صورة القس كلفن الى اليمين
والقس لوثر بجواره الى اليسار



القس مارتن لوثر
وهو يعلق احتجاجه على باب الكنيسة ليقرأه الناس

المحيط الى المحيط . وعندي انه يبدأ من المحيط الهادىء حيث جزائر الفلبين، تليها اندونيسيا وما بعدها غربا .

لا حياة لقوم بغير دين

انه لا حياة لقوم بغير دين . والدين الاسلامي سمح . والدين السمح هو الذى يقول نعم ، اكثر مما يقول لا . و « لا » لا بد منها ، ولكن لا نقول « لا » الا بعد فكر كثير ، وحذر شديد ، واخذا بما نؤمل للعرب والمسلمين فى مستقبل ايامهم ، لا من نعمة رخيصة هازلة ، ولكن من طيب حال وطيد ، ومن عزة وقوة ومَنَعة لا تطيب بغيرها حياة ابدا. ولنعش الدنيا طلبا للدنيا كأحسن ما تكون ، واطهر ما تكون . ولا نقول للناس دعوا الدنيا ، ففى الآخرة عنها عوض . ان الله اوجدنا فى الدنيا لا لنبتئس بها ، وليكون اجر بؤسها فى الآخرة !! « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

عصر التنوُّر

ومن بعد عصر النهضة فى اوروبا ، وعصر الاصلاح الديني الذى تلاه ، نأتي على عصر التنوُّر ، ذلك الذى اسماه الانجليز Enlightenment ، واسماه الالمان Aufklarung ، وهذا اللفظ الاخير معناه الايضاح والتفسير والاستنارة .

وآخرون اسموه عصر التعقل Age of Reason .

وكان من الطبيعي، بعد عصر النهضة، عصر التثقف ، ان يتبعه عصر الاصلاح الديني ، وهو لم يترك الناس اقل دينا . وان يأتي بعد ذلك دور العقل ليكتمل النضج :

ويختلفون فى تقدير زمان هذا العصر .

ومنهم من يبداه بالثورة الانجليزية ، تلك الثورة التى بدات فى الاربعينيات من القرن السابع عشر ، وبلغت غايتها عام ١٦٦٨ ، ثم هم يختمون هذا العصر بالثورة الفرنسية ثورة عام ١٧٨٩ .

وهو عصر العقول الجبارة حقا .

فهو فى انجلترا هو عصر هبز Hobbes ولك Locke ونيوتن Newton .

وهو فى اسكتلندة عصر هيوم Hume وعصر آدم سمث Adam Smith .

وهو فى فرنسا عصر منتسكيو Montesquieu وعصر فلتير Voltaire وعصر ددروه Diderot وعصر روسو Rousseau (صانعو الثورة الفرنسية) .

وهو فى المانيا عصر كنط Kant ولسنج Lessing وهردر Herder .

وهذا العصر امتاز باعادة النظر فى كل شيء ، والبدء بالشك قبل اليقين ، فى كل سلطة قائمة ، سياسية كانت ، او اجتماعية ، او دينية ، وفى التقاليد ، ما كان منها نافعا وما كان ضارا . والعقل هاديهم فى كل هذا .

عصر التنور عاصر عصر العلم الحديث

وصادف ان عاصر عصر التنور ، عصر نشأة العلوم فى اوروبا كذلك . وممن بدأ من رجال العلم ، جاليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) Grlileo . وليس من لا يذكر موقفه من دوران الارض حول الشمس. وموقف الكنيسة من ذلك . ومنه بسبب ذلك . هو يقول تدور ، وهم ينكرون . وانذروه بالعذاب وهو شيخ ، اذ حسبوا انه انما قال كفرا . فما كان من الرجل الا ان فزعت شيخوخته من العذاب ، فرضخ . وجاليليو مات عام ١٦٤٢ .

والحق ان عصر العلوم بدأ اوله قبل عصر التنور . ومنه ما بدأ حتى قبل عصر الاصلاح الديني ، ولقى رجاله من اجل ذلك عنتا كبيرا .

ومن ذلك ان كوبرنك Copernicus

الذى يسمونه اب علم الفلك الحديث لما ارتآه من دوران الارض والكواكب جميعا حول الشمس ، ولد عام ١٤٧٣ ومات عام ١٥٤٣ ، واتم مؤلفه الكبير فى هذا الشأن عام ١٥٣٠ ، وخشى الكنيسة فلم يطبعه عند ذاك . وطبع الكتاب ، وبلغته أول نسخة منه ، وهو على فراش الموت.

الثورة السياسية والثورة الصناعية

بعد عصر التثقف .
وبعد عصر التحرر .
وبعد عصر التنور .

وجد اهل اوروبا ، لا سيما اهل الغرب والوسط منها، انهم تأهلوا لخوض صراع مشكلتى الحياة الاثنتين القديمتين العويصتين ، مشكلة الحكم الذى ظل الدهور الطويلة مستبدا ، ومشكلة لقمة العيش التى ظلت طوال الايام والليالى الماضية لا تتيسر ولا تتسهل . فقامت من اجل ذلك الثورات السياسية، وتبعتها تلك الاخرى الصناعية .

ثورات ثلاث تحل مشاكل الحكم

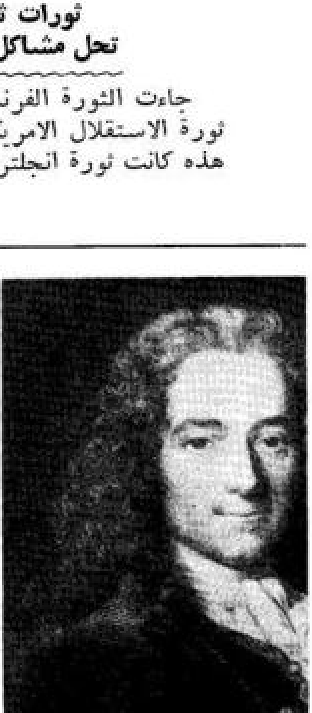
جاءت الثورة الفرنسية ، ومن قبلها ثورة الاستقلال الامريكية ، ومن قبل هذه كانت ثورة انجلترا الملكية ، وكلها ثورات كبيرة ، صاحبتها وسبقتها ثورات صغيرة ، هدفت جميعا الى حل مشاكل الحكم بما يتفق وما خطت الشعوب من خطوات نحو التقدم، والتنور وارادة الحياة للخروج من ماض شديد الظلمة الى حاضر ومستقبل تسطع فيهما الانوار .

معركة الفقر يدخل جنودها فى الميدان

ثم جاءت معركة لقمة العيش ، معركة الفقر وما امكن للفقر ان يكون له جنود ، ولا للمعركة ان يكون لها ميدان ، الا فى العهد الصناعى . عهد الثورة الصناعية التى حكينا من امرها ما حكينا فى الكلمة السابقة .

انها الثورة الصناعية التى جاءت بعد الثورة بل الثورات السياسية ، وملأت البلاد عسلا وسمنا ، وزادت الفقراء العاملين فيها تعاسة وفقرا .

انها الثورة الصناعية التى جاءت وتجارة اوروبا مع اهل الشرق متواصلة متزايدة ، ومع اهل الغرب ، اهل القارة الجديدة ، مزدهرة متصاعدة، لا يزيدها تصاعدا الا المصانع تزيد مما تصنع من اشياء جديدة ، على انماط من الممكنات سريعة عجيبة ، فى اجواء تسودها الآمال المتصاعدة . الا آمال الرجال القائمين



فلتير
الكاتب الفرنسي الكبير
ممن اشعلوا نار الثورة الفرنسية

كوبرنك
ابُ علم الفلك
الحديث



قاعدة العمل

حجة في مذهب مالك

بقلم : عبد الله كنون

■ عرف مذهب الامام مالك بالوسطية بين الحرفيين المتمسكين بظاهر النصوص ، وأصحاب الرأى الذين لم يكن للنقل ولا للنص عندهم أهمية كبيرة . وهذا المنحى في التفقه والاجتهاد يدل على حصافة فكر وبعد نظر ، عرفهما المتقدمون للامام مالك واقروا له بهما ، ويعرفهما المتأخرون له ويقرون له بهما ، حتى اننا لنجد أتباع المذاهب الاخرى في فجر النهضة ومطلع هذا القرن ، عند تدوين الفقه ووضع مجلات الاحكام يفزعون الى الأخذ بمذهبه في عدة مسائل يعتبرونها المخرج من الضيق والحل للمشكل ، بحكم ما فرضه التطور من أقضية وأوضاع . بل اننا لنجد رجال القانون والمشترعين حتى من غير المسلمين ينوهون باصالة المدرك الاجتهادى في الفقه المالكي ويعتمدونه في كثير من الاحكام .

وهناك كلمة اشتهرت بين فقهائنا وكثيرا ما يرددونها في سياق الحديث عن سماحةهذا المذهب ويسره ، وهي قولهم : « مذهب مالك أوسع من مصر والشام والعراق ، الا في النكاح والعتق والطلاق » . واذا كان لنا أن نفسر هذه الكلمة بحسب ما تدل عليه من مقارنة بين المذاهب ، فاننا نرى أنها تومىء – فيما يبدو الى مذهب الامام الشافعي (مصر) الأوزاعي (الشام) ومذهب ابي حنيفة (العراق) . ثم هي فيما استثنته من الأبواب الثلاثة ، لا تعنى ضيق المذهب المالكي بقدر ما تعني أخذه بالاحتياط في هذه الابواب وتحريه للسداد فيما يتعلق بقضايا الزوجية وحرية الرقيق . فهو على كل حال ، وفي هذه الابواب أيضا ، أوفق المذاهب واكثرها اعتبارا لمصلحة الجماعات والافراد .

مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن ، وهم كانوا يتأسون عملا برسول الله وهو بين ظهرانيهم .

ولا نشك في أنه مدين بذلك لمرونة قواعده ، وعدم تقيده الا بما يحقق مقصد الشريعة الغراء ، من درء المفاسد وجلب المصالح ، فهو اذا اشتبه الامر يُحكّم العقل في النقل ليصل الى مراد الشارع ، وربما خالف النقل اذا كان هناك ما يعارضه من واقع لا يصح تجاهله ، والنقل غير متواتر .

ومن هنا جاءت قاعدة العمل المُحكّمة في المذهب على نطاق الاجتهاد المطلق والاجتهاد المذهبي كما سنرى فيما بعد ، وعلى ما نُقل عن ابي محمد صالح عالم فاس الشهير ، فان هذه القاعدة تأتي بعد القياس مباشرة في ترتيب الادلة التي بنى عليها الامام مالك مذهبه . ولكن ذلك فيما اذا لم تكن السنة من خبر الآحاد ، والعمل على خلافها ، فانه حينئذ يقدمه على دليل السنة ، ويأتي بعد دليل الكتاب في الترتيب ، أي انه يُقارضها ويحل محلها . والمقصود بالعمل هنا عمل أهل المدينة كما لا يخفى .

رأى ابن تيمية في قاعدة العمل

ولالقاء الأضواء على هذه القاعدة ، والتعريف بعمل أهل المدينة ، ننقل ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته صحة أصول مذهب أهل المدينة ، قال رحمه الله :

« مذهب أهل المدينة النبوية ، دار السنة ، ودار الهجرة ، ودار النصرة ، اذ فيها سن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم سنن الاسلام وشرائعه ، واليهـا هاجر المهاجرون الى الله ورسوله ، وبها كان الأنصار (الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم) ... مذهبهم زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهـل المدائن الاسلامية شرقا وغربا ، في الأصول والفروع .

« وهذه الأعصار الثلاثة هي أعصار القـرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من وجـوه : « خير القرون الذى بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » .

وبعد أن تبسط في الكلام على هذا الحديث من حيث الرواية والدراية قال :

« وفي القرون التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن ، فانهم كانوا يتأسون بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار ، وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم في العلم بالسـنة النبوية واتباعها ، حتى انهم لا يفتقرون الى نوع من سياسة الملوك ، وان افتقار العلماء ومقاصد العباد أكثر من افتقار أهل المدينة، حيث كانوا أغنى من غيرهم عن ذلك كله بما كان عندهم من الآثار النبوية التي يفتقر الى العلم بها واتباعها كل أحد .

« ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين الى أن اجماع أهل مدينـة من المدائن حجـة يجب اتباعها ، غير المدينة ، لا في تلك الأعصار ولا فيما بعدها ، لا اجماع أهل مكة ولا الشام ولا العراق ، ولا غير ذلك من أمصار المسلمين . وأما المدينة فقد تكلم الناس في اجماع أهلها ، واشتهر عن مالك وأصحابه أن اجماع أهلها حجة ، وان كان بقية الائمة ينازعونهم في ذلك . والكلام انما هـو في اجماعهم في تلك الأعصار المفضلة ، واما بعد ذلك ، فقد اتفق الناس على أن اجماع أهلها ليس بحجة اذ كان في غيرها من العلماء ما لم يكن فيها » .

عودة الى قول ابن تيمية

وبعد كلام طويل عاد الى أصل المسألة فقال :

« والتحقيق في مسألة اجماع أهل المدينة انمنه ما هو متفق عليه بين المسلمين ، ومنه ما لا يقول به الا بعضهم . وذلك أن اجماع أهل المدينة على أربع مراتب :

الأولى : ما يجري مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد وكترك صدقة الخضراوات ، والأحباس ، فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء . أما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلا نزاع ، كما هـو حجة عند مالك . وذلـك مذهب أبي حنيفـة وأصحابه . قال أبو يوسف – وهو أجل أصحاب أبي حنيفة ، وأول من لقب قاضي القضاة – لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل ، وأجابه مالك بنقل أهل المدينة المتواتر ، فرجع أبو يوسف الى قوله ، وقال : لو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت .

المرتبة الثانية : العمل القديم بالمدينةقبل مقتل عثمان بن عفان . فهذا حجة في مذهب مالك وهـو المنصوص عن الشافعي . قال في رواية يونس بن عبد الأعلى : اذا رأيت قدماء أهل المدينة على شيء فلا تتوقف في قلبك ريباً أنه الحق ، وكذا ظاهر مذهب أحمد أن ما سنه الخلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها ... والمحكي عن أبي حنيفة يقتضي أن قول الخلفاء الراشدين حجة ، وما يعلم بأهل المدينة عمل قديم على عهد الخلفاء الراشدين مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الثالثة : اذا تعارض في المسألة دليلان كحديثين وقياسين ، جهل ايهما أرجح ، وأحدهما يعمل به أهل المدينة ، ففيه نزاع ، فمذهب مالك والشافعي انه يرجح بعمل أهل المدينة ، ومذهب أبي حنيفة لا يرجح بعمل أهل المدينة . ولأصحاب أحمد وجهان أحدهما – وهو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل – انه لا يرجح . والثاني وهو قـول أبي الخطاب وغيره ، أنه يرجح به . قيل : هذا هو المنصوص عن أحمد . ومن كلامه قال : اذا رأى أهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية . وكان يفتي على مذهب أهل المدينة ويقدمه على مذهب أهل العراق ... وكان يكره أن يرد على أهـل المدينة كما يرد على أهل الرأى ، ويقول انهم اتبعوا الآثار .

فهذه مذاهب جمهور الائمة ، توافق مذهب مالك في الترجيح لأقوال أهل المدينة .

وأما المرتبة الرابعة : فهي العمل المتاخر بالمدينة ، فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعه ام لا ؟ ، فالذى عليه ائمة الناس انه ليس بحجة شرعية . هذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم . وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، كما ذكر ذلك القاضي عبد الوهاب في كتابه أصول الفقه ، وغيره . ذكر ان هذا ليس اجماعا ولا حجة عند المحققين من اصحاب مالك ، وربما جعله حجة بعض اهل المغرب من اصحابه .

« قلت : ولم أر في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجة ، وهو في الموطأ انما يذكر المجمع عليه عندهم ، فهو يحكي مذهبهم ، وتارة يقول الذى لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا يصير الى الاجماع القديم ، وتارة لا يذكر شيئا ، ولو كان مالك يعتقد ان العمل المتاخر حجة يجب على جميع الامة اتباعها وان خالفت النصوص ، لوجب عليه ان يلزم الناس بذلك حد الامكان ، كما يجب عليه ان يلزمهم اتباع الحديث والسنة الثابتة التي لا تعارض فيها وبالاجماع . وقد عرض عليه الرشيد أو غيره ان يحمل الناس على موطئه فامتنع من ذلك وقال : ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وانما جمعت علم أهل بلدي او كما قال » .

« واذا تبين ان اجماع اهل المدينة تفاوت فيه مذاهب جمهور الائمة علم بذلك ان قولهم أصح أقوال أهل الامصار رواية ورأيا ، وانه تارة يكون حجة قوية ، وتارة مرجحا للدليل ، اذ ليست هذه الخاصية لشيء من امصار المسلمين (١) » .

ما يستنتج من رأى ابن تيمية

انتهى كلام شيخ الاسلام باختصار كثير اعتبارا بما هو من صميم الموضوع لا غير . ومن غير العسير ان نستخرج منه الحقائق التالية :

١ ـ ان مذهب أهل المدينة على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم هو أصح مذاهب أهل الامصار الاسلامية في الأصول والفروع .

٢ ـ انه لم يقل احد بحجية مذهب أهل مصر من الامصار ، كما قال جمهور الائمة بحجية مذهب أهل المدينة وان اختلفوا في بعضه .

٣ ـ ان مذهب اهل المدينة على اربع مراتب ، حجة باتفاق،وحجة قوية،وحجة مرجحة للدليل ، والرابعة حجة عند بعض أهل المغرب من اصحابه .

ونبادر فنسجل ما يتضمنه هذا الكلام من أن الأخذ بعمل اهل المدينة ليس خاصا بالامام مالك ، بل ان غيره من الائمة قد أخذ به ايضا او بما ثبت عنده منه على الاقل . ثم نلفت النظر الى أن ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مذهب أهل المدينة على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من أنه أصح مذاهب أهل الامصار باطلاق ، يستلزم ان مذهب مالك أصح المذاهب ، ونعني ما قال به هو لا أصحابه الذين أتوا من بعده . وذلك لأنه رحمه الله كان من هذا الجيل ، جيل تابع التابعين ، باتفاق ، وان قيل بانه من التابعين ولكنه لا يصح . وعلى كل حال فما أخذ به من عمل اهل المدينة انما كان من مذهب الجيل الذى حكم شيخ الاسلام بانه أصح مذاهب أهل الامصار . وبعد هذا نلاحظ على شيخ الاسلام انه يعبر كثيرا باجماع أهل المدينة ، والمقصود هو مذهبهم وعملهم ... ولعله تاثر باقوال اهل المذاهب المعارضة لمالك في أخذه بعمل أهل المدينة ، فان كثيرا منهم زعموا ان مالكا يعتبره اجماعا ، بل ان بعضهم نسب اليه انه يرى اتفاق الفقهاء السبعة بالمدينة اجماعا ، وهذا تقول باطل وزعم غير صحيح ، فان الاجماع عنده كالاجماع عند غيره ، وهو دليل مستقل يأتي بعد دليلي الكتاب والسنة ، فيجب التنبيه لذلك وحمل كلام الشيخ ابن تيمية كلما عبر باجماع أهل المدينة على مذهبهم وعملهم لا اقل ولا اكثر .

هذا والذى تقرر عند المالكية أن عمل أهل المدينة اما ان يكون أمرا لا يخالفهم فيه أحد ، فهذا حجة عند الجميع وهو المرتبة الأولى في كلام ابن تيمية ، ويتعين أن يحمل على ما ثبت من طريق النقل ، وهو الذى رجع اليه ابو يوسف لما ناظره مالك ، وقال لو رأى هذا صاحبي ـ يعني أبا حنيفة ـ لرجع اليه . واما أن يكون مما أجمعوا عليه ولكن يوجد من يخالفهم فيه ، فهذا حجة عندهم يقدم على خبر الواحد لانه اقوى منه بحكم انه كالمتواتر ، وقد قال ربيعة : رواية الف خير من رواية واحد ، وقد نقل مالك في موطئه اجماع

---

(١) رسالة أصول مذهب أهل السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية . طبعة مصر . صفحات : ١٧ ـ ٢٠ ـ ٢٣ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ .

اهل المدينة على نيف واربعين مسالة (١) . واما ان يكون اجتهادا منهم واستدلالا ، فهذا اختلفت فيه كلمة فقهائهم ومعظمهم على انه ليس بحجة ، وينبغي أن يحمل عليه كلام ابن تيمية في المرتبة الرابعة.

مالك قدم قاعدة العمل على الخبر الصحيح من رواية الآحاد

ونلمح هنا الى رأى لنا في تقديم مالك لعمل اهل المدينة على الخبر الصحيح الذى يروى من طريق الآحاد ، فانا نرى انه ذهاب منه الى وجوب النظر في متن الحديث كما تنظر في السند ، وان متن الحديث اذا وجد ما يعارضه من أصول وحقائق ثابتة مسلمة ، وكان من رواية الآحاد ، اى مما لم يتواتر ويعلم بالضرورة أنه من الدين وعمل السلف فانه يمكن أن يوضع موضع البحث ويتوقف العمل به الى ان يثبت فيه من طرف أهل العلم ، لا سيما مع اجماع علماء الحديث على أن الحكم بالصحة أو الضعف على حديث ما انما هو بحسب غلبة الظن وما تعطيه القواعد ، والا فقد يكون الصحيح هو الضعيف والعكس بالعكس ، ومما يستأنس به لهذا الرأى ما روى عن ابن المعذل انه قال سمعت انسانا سأل ابن الماجشون : لم رويتم الحديث ثم تركتموه ؟ ، فقال : ليعلم انا على علم تركناه ، ولا يخفى أن كثيرا من الباحثين المعاصرين مستشرقين وغيرهم ، قد لاحظوا على علماء الحديث انهم لم يتناولوا متون الأحاديث بالنقد والتصحيح كما تناولوا أسانيدها ، فاذا كان ما رأيناه في قاعدة العمل هذه وتقديم مالك لها على الخبر الصحيح من رواية الآحاد بموجبه ، صحيحا ، فانه يكون محاولة أولى وسابقة هامة في هذا الباب يمكن الرجوع اليها والاعتماد عليها .

عمل اهل الامصار الاخرى

ونكتفي بهذا القدر في الكلام على عمل أهل المدينة الذى كان حجة وقاعدة محكمة عند الامام مالك ، من جملة الحجج والقواعد التي بنى عليها مذهبه واجتهاده ، وهو اجتهاد مطلق كما لا نحتاج ان نقول ، منتقلين الى الكلام على عمل غيرهم من أهل الامصار التي تأثر اهلها من أتباع مذهب مالك بنظريته هذه ، فجعلوا من العمل عندهم أصلا من أصول الفقه وقاعدة يرجع اليها عند الاجتهاد ، ولكن على صعيد المذهب، وهذه الامصار هي افريقيا والمغرب والأندلس . فهو غير معروف في الشرق أو غير معمول به عند فقهاء المالكية من أهله.

وأصله ان يحكم احد القضاة ، أو يفتي احد المفتين ممن ثبتت عدالته ونزاهته مع العلم والمعرفة، بقول من أقوال علماء المذهب وان كان ضعيفا او مهجورا ، لأن هذا المفتي او ذاك القاضي ما اختار هذا القول الا لاعتبار خاص كاعتبار ظروف القضية وأحوال المتداعين والمستفتين وما يرجع الى عوائدهم وأعرافهم ، فوجد ان ذلك القول أكثر انطباقا واشد ملاءمة للمسالة مما عداه وان كان غير قوى ولا مشهور . وحجة الفقهاء في هذا الباب قول عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور ، مع ما انضاف الى ذلك من فائدة رفع الخلاف في المسالة التي جرى بها العمل والتي يكون فيها قولان او اقوال متعددة في المذهب، اذ أن حكم الحاكم يرفع الخلاف على ما هو معروف .

العمل ، لا بد يتوفر له شروط

ولكن لا بد للعمل من ان تتوفر فيه شروط جمعها العلامة سيدى محمد كنون بقوله :

والشرط في عملنا بالعمل
ثبوته عن قدوة مؤهل
معرفة الزمان والمكان
وجود موجب الى الأوان

فالشرط الأول أن يعرف من حكم أو أفتى به هل هو من أهل العلم وقضاة العدل أم لا ؟ والشرط الثاني أن يعرف الزمان والمكان اللذان عمل به فيهما ، ولذلك يقال هذا من عمل أهل قرطبة مثلا أو عمل افريقية أي القيروان ونحوها . والشرط الثالث ان يتقرر موجبه ، فاذا انتفى فلا عمل عليه ، لأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما .

وعلى كل حال فهو فسحة من فسح الشريعة الاسلامية التي تدل على مزيد استعدادها للتطور وصلاحيتها لكل زمان ومكان وقابليتها للتجديد والاجتهاد ، ولكن مع مراعاة الشروط المذكورة ، فاذا شذ عنها فاصطبغ بصبغة الغرض والشهوة ، فان العلماء يردونه ولا يقبلونه ويكونون جميعا إلبا عليه .

---

(١) الفكر السامى ، ج٢ طبع تونس ، ص١٦٦ .

ثم هل هذا العمل قسمان : عمل عام وهو الذى لا يتقيد ببلد دون آخر ، وانما تواطأ عليه فقهاء الامصار في افريقية والمغرب والاندلس، ويعرف من كتبهم وفتاويهم ، وهذا قد اعتنى بجمعه ونظمه العلامة ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الفيلالى ، ثم شرح ذلك النظم بشرح مفيد . وهو مشهور مطبوع طبع حجر بفاس ، ويعرف بين الطلبة بالعمل المطلق .

وعمل خاص مقيد باقليم معين أو مدينة معروفة كعمل اهل فاس ، وهو الذى ذكره العلامة ابو الحسن علي بن قاسم الزقاق في لاميته بقوله :

وفي البَلْدة الغراء فاس ، وربّنا
يقي أهلَها من كل بأس تفضّلا
جرى عمل باللائي تاتي ، كما جرى
بأندلس بالبعض منها فأصّلا
لما قد فشا من قبح حال وحيلة
فيَخشا الذى للغي يبغي توصّلا

فاشار الى أن العلة في الحكم بالعمل هو تفادى احتيال المتداعين وما يتخذونه من وسائل للوصول الى أغراضهم وان كانت باطلة . وذلك كما في عدة المطلقة التي هي ثلاثة قروء فجرى العمل بجعلها ثلاثة أشهر ، لأن كثيرا من المطلقات يستعجلن الزواج ، فيدعين انقضاء القروء الثلاثة ، فعوملن بنقيض قصدهن ولم يحكم لهن بانقضاء العدة الا بعد مرور ثلاثة أشهر على طلاقهن ، اذ كان الغالب على أكثر النساء ان يحضن مرة في الشهر فجمع بين أصل العدة والاحتياط لمراد الشرع في هذا العمل .

والزقاق وان كان اول من جمع مسائل عمل اهل فاس ، الا انه لم يذكر منها الا ثماني عشرة مسألة ، وقد تصدى بعده لجمعها العلامة سيدى عبد الرحمن الفاسي ونظمها في رجز يعرف بالعمل الفاسي ، وانهاها الى نحو من ثلاثمائة مسألة ،

عندما يكون مستند العمل ضعيفا

وقد شرح نظمه هذا بشرح هام ، كما شرحه العلامة أبو القاسم العميري،والعلامة سيدى المهدى الوزاني ، ووالدنا سيدى عبد الصمد رحمهم الله جميعا ، وشرحا الوزاني والوالد مطبوعان ، الاول بفاس والثاني بمصر .

وللعلماء على بعض مسائل العمل اعتراض لضعف مستندها ، فقد كتب في ذلك العلامة ابو العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي في شرحه على المختصر فذلكة جامعة يحسن الاطلاع عليها . ولكن ذلك لم يمنع ان يستمر العمل والحكم بهذه المسائل حتى صار من التقاليد المعروفة ان ظهير السلطان التي يتولى القاضي بموجبه ويسند اليه الفصل بين الخصوم ، ينص على وجوب الحكم بما هو المشهور في مذهب مالك أو ما جرى به العمل . ومدونة الأحوال الشخصية التي صدرت في العهد الحديث تأخذ بهذه المسائل ولا تخالفها الا في القليل منها .

علماء المالكية طرّدوا قاعدة العمل

وخلاصة القول ان العمل في مذهب الامام مالك قاعدة" أصيلة محكمة في كثير من الاحوال والنوازل، وعلماء المذاهب الاخرى ان كانوا لم يعرفوا منها الا عمل اهل المدينة ، فان علماء المالكية قد طرّدوا قاعدة العمل ، وخصوصا في بلاد المغرب فطبقوها كما رأينا في الكثير من مسائل القضاء والفتوى ، حتى صارت عندهم تكوّن جانبا من فقه المعاملات خصصوه بالتاليف . ولقد كنتُ مرة أتذاكر مع البروفسور (ميلو) وكان قد رجع من مؤتمر القانون الدولي الذى عقد بهولاندا ، فقال لي : أتدرى أننا قررنا في المؤتمر اعتبار الفقه الاسلامي مصدرا أوليا من مصادر القانون الدولي ؟ وقال لي أيضا : ان الفقه المالكي ، ولا سيما في المغرب، قد بلغ الى الذروة من الأصالة والشمول . وانكم في المغرب بمسائل العمل قد برهنتم على تفتحكم وحللتم مسائل عويصة كما في مسالة بيع الصفقة التي نعاني منها في أوربا ما نعاني ، فكم من قصور شاهقة اصبحت عرضة للتلف ، او يستبد بها أحد الشركاء ولا يمكن للباقي من ملاكها ان يفعلوا شيئا .. ولا بد اننا سناخذ بمسالة بيع الصفقة في يوم ما . فهذه نظرة رجل من رجال القانون الأجانب الى مسالة العمل تدل على قيمتها التشريعية العظيمة ، والحق ما شهدت به ... !

وقبل ختم هذه الكلمة احب أن اشير الى ما سبق لي ذكره قبل سطور ، وهو أن علماءنا طبقوا قاعدة العمل في مسائل القضاء والفتوى ، وصارت عندهم تكوّن جانبا من فقه المعاملات ، وانا أؤكد هذا الكلام واقصد انهم لم يتجاوزوا بها هذه الدائرة الى دائرة فقه العبادات ، كما في قاعدة عمل أهل المدينة عند الامام مالك ، فهو فرق لا بد ان يلاحظ بين العَمَلَيْن ، وبالله التوفيق . ■■

طنجة ـ عبد الله كنّون

أَبُو الهُدَى الصَّيَّادى

بقلم : سامي الكيالي

■ ... اما السلطان الأحمر فهوالسلطان عبد الحميد الثاني ـ سلطان البحرين ، وخاقان البرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، والذي ظل في دست السلطنة خليفة للمسلمين مدة ثلاثة وثلاثين عاما (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) وقد اطلق عليه لقب « السلطان الأحمر » لسياسة البطش التي اتخذها اثناء حكمه والتي أدت الى واد الدستور وتعطيل الحريات ومطاردة الأحرار .
ولا نعرض لسيرته ، وقد كتب عنها المجلدات ، واصبحت سيئاته وحسناته، ان كانت له حسنات بيد التاريخ المنصف العادل ، وكثيراً لا ينصف ! .

اما شيخه فهو الشيخ ابو الهدى الصيادى (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) .

وحياته قصة من قصص المغامرة .

نشأته

قروى من قرى حلب ـ من « خان شيخون » ، القرية التى تقع بين معرة النعمان وحماه ، عاش فى كنف ابيه يحفظ القرآن الكريم ويلم بمبادىء القراءة والكتابة . وكان ابوه الشيخ حسن وارى الذى يتصل نسبه بالامام الرفاعي ـ من مشايخ الطرق ، من الذين يقيمون الاذكار ، ويستعطفون اهل الجود والكرم .

ونشا الفتى نشاة ابيه ، فلم يكد يشب عن الطوق ، وتظهر عليه علائم النجابة والذكاء حتى ترك خان شيخون الى حلب . جاءها كطالب علم فانتسب الى احدى مدارسها الدينية . وتتلمذ على مشايخها ياخذ عنهم الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب وكل ما يمكنه من الفهم والمعرفة .

واذ كان من المنتسبين الى السيد الرفاعي ، فقد اجازه والده بطريقة اسلافه . والبسه « الخرقة الشريفة » باذن ابن عمه الشيخ علي الصيادى شيخ مشايخ حلب ، ثم اتم السلوك على يد شيخه الاجل السيد بهاء الدين الصيادى الشهير بالرواس (١) .

وعرف ابو الهدى بعد ان لبس جلباب التصوف بانه « شيخ طريقة » و « دقاق مزهر » ، واذ كان للوظائف الدينية مقامها ، فقد طمحت نفسه للتولية على « خان شيخون » ـ مسقط راسه ـ وسعى الى ذلك حتى وجهت اليه توجيها شرعيا وعمره تسعة عشر عاما ، وقد نصت حجة التولية على نسبه الشريف الى الامام الصيادى ، والى الصحابي خالد بن الوليد (٢) .

ولكن ماتوليته خان شيخون هذه ؟ ان نفسه طامحه الى اعظم من هذا ...

---

(١) الدر المنتظم ـ مختصر براهين الحكم ص٢٩٩ . (٢) نفس المصدر .

قروي بسيط من قرى حلب، يبلغ بذكائه وطموحه وسوء احتياله أول مكان في الدولة العثمانية بعد السلطان. ويلقى الاثنان في آخر الدهر مصيراً واحداً، هو بئس المصير

كانت بيوتات حلب ورجالاتها ينظرون اليه نظرة الهزء والسخرية، ولا يعتبرونه اكثر من « شيخ طريقة » و « دقاق مزهر » و « شاعر مداح » يستجدي اهل الجود والكرم !

وكان يرى نفسه في القمة نسبا وحسبا .. وكان له من فرط ذكائه هذه الطمحات الواسعة، فمدينة حلب لن تضمن له هذه الطمحات، لذلك فكر بالسفر الى استانبول، ولم يكن السفر في ذلك العهد من اليسر والسهولة كما هو اليوم ..



السلطان عبد الحميد

ولكن ما مشاق السفر ازاء ما كان يحلم به من السيطرة والطموح والمجد .

في استانبول

شخص الى استانبول ونزل في احدى خاناتها، ويصفه محمد كرد علي في مذكراته نقلا عن ابيه بقوله :

« .. كنا بضعة تجار من الشاميين في استانبول في خان من خاناتها، ولم تكن الفنادق يومئذ معروفة وكنا نتآلف ونشترك في النفقة والسمر، وكان يزورنا درويش شاب، اسمر اللون، جهوري الصوت، تبدو امارات الذكاء عليه، وله جدائل يرخيها على ظهره يعتم بمئزر، ويكتسي عباءة وقفطانا، ويضرب بالدف، وينشد اشعارا على طريقة القوم، وما كان يشاركنا في النفقة، ومهمته ان يسلينا باناشيده كل ليلة، وهذا الفتى هو محمد بن حسن وارى المعروف بابي الهدى الصيادي (٢) .

وصل استانبول وهذه حاله، واخذ يتصل بمن عرفهم من المرموقين من كبار الرجال، فراوا فيه فتى المعي الذكاء، يفيض قلبه بالشعر والاوراد، وينطق لسانه بنفحات التصوف، فما كان منهم الا ان لبوا بعض رغباته، فوجهوا اليه « نقابة اشراف » قضاء جسر الشغور، كما نال رتبة « مولوية ازمير » وسنه يومئذ ثلاث وعشرون

---

(٢) المذكرات ص ٢٤٢

سنة ، ثم وُلّي قاضيا على جسر الشغور مع احتفاظه بنقابة اشرافها ، وفي سنة ١٢٩١ هـ عين نقيب اشراف عموم ولاية حلب وكان في الخامسة والعشرين من عمره .

بعد أن حظي بعطف الدولة بدأت وجهات النظر تتبدل نحوه ، وأخذ الناس يتقربون اليه . ويهنئونه ويلتمسون منه العطف والرعاية ، ولا سيما بعد ان خصه الخليفة براتب خاص وفوضه نقيب اشراف السلطنة ـ النظر بامور نقباء ولاية سورية وديار بكر وبغداد والبصرة ، بل فوضه ان يعطي هو منشور النقابة لجميع النقباء في ولاية حلب .

وفي سنة ١٢٩٤ هـ وجهت اليه بابة الحرمين الشريفين بالارادة السنية من لدن السلطان عبد الحميد (٤) .

لقد بلغ في هذه الفترة السريعة بعض امنياته ، ولكن مطامحه كانت اجل من هذا بكثير ..

ابو الهدى شاعرا

بدأ ابو الهدى حياته الادبية بنظم الشعر ، وشعره بالنسبة لاتجاهات الشعر في القرن التاسع عشر ، على جانب من الرقة والجزالة ، فمن قصيدة طويلة قوله :

ما هبَّ نشرُ الصَّبا
الا فؤادي صَبَا
والتفتت همتي
لريم ذاك الخبا
ياساكنا مهجتي
صيرتها كالهبا
رفقا بذي لوعة
راى الهوى مذهبا
لاجل خديك قد
يعشق ورد الرُّبى

وقصائده الوجدية ومدائحه النبوية التى حذا فيها حذو ابن الفارض كثيرة .. فمن ذلك قوله :

سهرنا على ذكر الاحبة ياهند
لما انكشف المعنى ولا أنجز الوعد
نعد نجوم الليل من فرط وجدنا
ويعبث فينا الليل والوجد والعدُّ
ونبكي اذا الحادى حدا بنعوتهم
فيعجب اذ نبكي ونعجب اذ يحدو
وتأخذنا الاشواق من كل جانب
فلا طوقنا طوق ولا جهدنا جهد
عسى نفحات الغيب تمسح باللقا
ويطوى بساط القرب ما مده البعد

واتخذ الصوفية وسيلة لطامحه الكبرى

وكما اتخذ الشعر وسيلة للظهور ، اتخذ « الصوفية » او « الدروشة » والصبر سيرة الاولياء الصالحين وسيلة لمطامحه الكبرى .

ولكن كيف نوائم بين « الصوفية » ولحمتها الزهد والتقشف ، وبين هذه الطمحات التى تلتمسها نفسية شاعر يريد ان يبلغ سريعا ارفع المناصب واعلى المراتب ؟

ان الطموح كثيرا ما يوقع الانسان في التناقض .. على ان الشيء الراهن ان نزعة الظهور والسيطرة عنده اقوى من نزعة التقشف . فقد استغل هذه الظاهرة للوصول الى ارفع مرتبة في الامبراطورية العثمانية .

كان السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين فلم لا يكون شيخَه ووصيفه ؟ فهو ذو نسب ، وهو من الاشراف . وقد لبس « الخرقة الشريفة » وهو شاعر ذلق اللسان ، ونبيه من اذكياء البشر ..

كيف الوصول الى الاعتاب السلطانية ؟

لقد اعد قصائد المديح ليهنيء السلطان بعد ان وجهت اليه « بابة الحرمين الشريفين » ولكن السلطان قد اعتاد سماع هذه النغمات من كثيرين، وثمنها اعطيات واوسمة ، وقد قبض الثمن ، وكان المفروض ان يرجع الى حلب وان يستقر .. ولكن امنياته ومطامحه اوسع من كل هذا .

فما السبيل الى بلوغ هذه الامنيات ؟

لقد تحققت امنياته عن طريق المراة .. والحادثة التالية تكشف هذا السر ..

« فقد اصيبت امراة ناظر الضبيطة بمرض اعجز الاطباء وكان يحبها حبا جما ، فتذرع بكل ما في وسعه لشفائها ، ولما كاد ييأس من عافيتها وصفوا له ابا الهدى الصيادى وما يكتب من حجب وتمائم . وما يقرأ من ادعية وعزائم ، فاستدعاه لطب حبيبته بما عنده من بضاعة المشايخ ، بعد أن عجز الطب الحديث عن برئها .

« والغالب ان الشيخ لم يقطع ترتيب الطبيب ، وترك السيدة تتناول ما وصف لها من ادوية

(٤) التاريخ الاوحد للغوث الرفاعي الامجدص ١٤١ .

وعقاقير . فبرئت بعد أيام ، فعظم مقام الشيخ في عين سيدها ، وشاع بذلك ذكره في دار الملك ، وكثر قصاده والمعتقدون به . وجمهور الترك يحسنون ظنهم بمن يأتيهم عن طريق الدين بما يلائم عقليتهم ، ويسارعون الى تصديق من يعتقدون فيه الخير ، ولم تمض ايام حتى اصيبت احدى حظايا السلطان عبد الحميد الثاني بعارض يشبه عارض امراة الناظر ، فعلم الوزير بالامر ، وعرض على مولاه ما كان من الشيخ ابي الهدى مع زوجه ، وقال فيه كل خير حببه الى السلطان ، فاستدعاه لمداواة حظيته بأدعيته ، فجاء يداويها بما داوى به امراة الناظر ، فشفيت الجارية بعد ايام ، واعقب ذلك اتصال أبي الهدى بالسلطان عبد الحميد (٥) .

وبعد هذه الحادثة ، وبعد قصائد المديح التي رفعها الى اعتاب السلطان ، دعي لشرف الحضور الاقدس السلطاني بواسطة نافذ باشا المشير - السرقرناء يومئذ - وهي اول مرة فاز بها بشرف المثول بين يدي جلالته وسنه يومئذ ثمان وعشرون سنة ، وقضى حوائجه ، وتعطف عليه ، وامره بملازمة خدمة اعتابه مرة او مرتين كل اسبوع ، واغدق عليه نعمه ، وبعد ان اقام مدة يسيرة استأذن جلالته في السفر ، فمنعه ونصّبه « رئيس مجلس المشايخ » في دار الخلافة ، وبموجب الارادة حررت له التذكرة الرسمية من شيخ الاسلام خليل افندي (٦) .

من الهاوية الى القمة

كانت سياسة السلطان عبد الحميد ترمي الى اجتذاب الشخصيات الدينية الكبيرة الى حظيرته ، لتكون عماده في السيطرة وبسط النفوذ : وبعد ان تحقق له ما يتمتع به ابو الهوى من صفات ومزايا فتح له الباب على مصراعيه وسرعان ما تحققت امنيته وولج الباب بزهو واطمئنان .

من قرية من قرى حلب الى عاصمة السلطنة العثمانية .

من الهاوية الى القمة .. ومن التمرغ على الاعتاب الى التربع في دست القصور والتمتع بنعيم الملك والسلطان .. وهنا انشد قصيدته الشهيرة التي يفتخر بها :

كيف لا ترتدي بنا العلياء
ولنا المجد طينة ورداء

وعاد الناس يتساءلون ، ولا سيما في موطنه ، عن السر في بلوغ الرجل هذه المكانة السامية . لقد تخطى كبار الشخصيات من العلماء والوزراء . واصبح من اقرب المقربين الى السلطان ، وبعد أن كان في نظرهم من « الحواة المشعوذين » اصبح من « الدهاة المرموقين » .. وهنا ، اى بعد ان صدرت الارادة السنية بتقليده منصب « مشيخة المشايخ » خرست الالسنة عن ذكر نشاته وماضيه، واصبحت لاتذكره الا بالتكريم والتبجيل والتعظيم، الا ان شاعرا شذ عن هذا التبجيل فهجاه بقوله :

هذا الذى قد كان قبل دخوله
« دار السعادة » مفرقا شحاذا
واليوم صورته تبين بانه
اضحى بأكبر حيلة استاذا

وقضى ثلاثين سنة الى جانب السلطان فكان من اكبر ثقاته . وكان خلال هذه المدة ملجا القاصدين . وكان قصره في « بشكطاش » بغية الرواد من مختلف الاقطار والامصار ، وكلمة منه في المملكة العثمانية كانت تجرى في نفوس الحكام مجرى السحر .. وما من رجل قصده الا حقق له امنيته وأناله مبتغاه .

واذ وصل الى هذه المكانة السامقة كثر حاسدوه وكثر شانئوه ، وكثر خصومه والمنتقدون لقدره ، وبينا كان يسمع أماديح الشعراء بحقه كانت الدسائس تحاك له من وراء ستار .. فكان يبتسم لهؤلاء وأولئك ولا يظهر الحقد لأحد ، حتى اذا تمكن من الفرصة ضرب ضربته القاصمة .. كان خصومه من كبار الرجال ومن اهل الحظوة عند السلطان فما زال بهم حتى بزهم واحدا واحدا ، وبقي مكانه كالطود الراسخ لا تزعزع قواعده الصروف ، ولا ترقى اليه الهمم (٧) .

وقد خصه شعراء البلاد العربية ، من ذوى الحاجات ، بالكثير من المديح واستعانوا بمدحه على تحقيق امنياتهمو بلوغ مآربهم « فاخذ يناصرهم وأكرم وفادتهم وأدنى منه مجلسهم ، فكان منهم من يؤلفون الاسفار ويعزونها اليه ، ومنهم من ينظمون

---

(٥) مذكرات محمد كرد على ص ١٤١ .
(٦) تاريخ الاوحد ص ١٤١ .
(٧) المعلوم والمجهول لولى الدين يكن ج ١ ص ٩١ .

الأشعار ويروونها عنه ، فتثاقلت الألسن ما بدا من فضله المتزود وسهت الأفكار عن نقصه الكمين فيـه (٨) » .

بينه وبين جمال الدين الأفغاني

هذه المكانة التي بلغها عند السلطان والتي كانت تزداد يوما بعد يوم أوغرت عليه صدور الكثيرين من أصحاب المقامات الرفيعة والشخصيات الكبيرة فكثر حاسـدوه ، كما أشرنا ، وعظم مناوئوه . وليست الخصومات الشخصية مما يجدر الالماع اليها فهذه أمور طبيعية مع أي انسان يرتفع قدره وينبه ذكره . ولكن هناك تيارات تمر في حيـاة المرموقين لا يمكن للمؤرخ ان يغفلها كالخصـومة العنيفة التي وقعت بينه وبين حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني . ففي الفترة التي لمع فيها نجم أبي الهدى كان الحكيم جمال الدين قد ظهر في المجتمع الاسـلامي كسياسي كبير ومصلح ديني عظيم . والمتتبعون لسيرة جمال الدين يعلمون انه قام بأكثر من ثورة قومية واجتماعيـة في العالم الاسلامي ، وكان يرمي من ثوراته الى النهوض بالعالم الاسلامي من جهـة ، وتخليصه من ربقة الاستعمار من جهة أخرى ، وكان لصوته الداوي أثره القوي ورجته العنيفة في الشرق وفي الغرب . وحين دعاه السلطان عبد الحميد لزيارة الاستانة ، وكان في لندن ، استجاب للدعوة ، وجاء عاصمة الخلافـة فاسـتقبل بالحفاوة البالغة وأعد له السلطان قصرا منيفا . وأجرى له راتبا ضخما بغية كسبه وجعله من خواص رجاله،ثم استخدامه كأبي الهدى في توطيد نفوذه وسلطانه .

ولكن هل كانت أهداف الشيخين واحدة ؟ لا .. فأهداف جمال الدين غير أهداف أبي الهدى ، ولم تكن المظاهر المادية وبدر المال وعظمة المنصب لتغرى جمال الدين ليستكين لها ..

فمنذ وصوله الى الاسـتانة بدأت اتصالاته بالسلطان فرأى فيه رجلا يختلف كل الاختلاف عمن عرفهم من الرجال ، فقد رغب السـلطان في أن يستخدم جمال الدين في دعوة المسـلمين الى الاعتصام بعروة الخلافة ، أي أن ينضووا جميعهم تحت رايته ، وان يسبحوا بحمده وسلطانه ، وما كان جمال الدين ليقبل أن يكون بوقا واداة يكيل المدح للسلطان في سبيل مآرب خسيسـة ، بل كانت مقاصده النهوض بالأوطان الاسلامية كلهـا وتحريرها من العبوديتين : عبوديـة السـلطان الجائر ، وعبودية الأجنبي المتحكم . وخلال هذه الفترة التي نزل فيها السيد جمال الدين ضيفا على السلطان توثقت الصلات بين الداهيتين .. ثم ما لبثت أن توترت ، فقد أعتقد أبو الهدى انه جاء ليزاحمه على مقامه الديني الخطير ، ولا سيما بعد أن عرض السلطان على جمال الدين مشـيخة الاسلام ، وهنا انقلب أبو الهدى على جمال الدين واخذ يتهمه بالكفر والزندقة والالحاد ، وانه جاء ليفسد عقائد المسلمين ..

ورسالة كتبها أبو الهدى الى الشيخ رشـيد رضا صاحب مجلة « المنار » جاء فيها :

« انى أرى جريدتك طافحة بشقاشق المنافق جمـال الدين الملفقـة ، وقد تدرجت بـه الى « الحسينية » التى كان يزعمها زورا . وقد ثبت في دوائر الدولة رسميا انه « مازندراني » من أجلاف الشيعة ، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية » .

دسيسة

على أن أبرز هذه الدسائس التي حيكت على جمال الدين ما نقل للسـلطان انه كان يجتمع بالخديـوى عبـاس سرا ـ وكان الخديـوى في الاستانة ـ لتأسيس دولة عباسية ، وان جمال الدين قد مهد للخديوى بضم سورية الى مصر لأنها مفتاح العراقين ، واشترط عليه أن لا تكون عاقبته كعاقبة أبي مسلم الخرساني مع العباسيين.

وقد كان لهذا الخبر الذى يعزوه المؤرخون الى ابي الهدى فعل السم في نفس السلطان . فانقلب على جمال الدين الذى شعر بالضيق من هذا الجو الموبوء الذى يعج بالدسائس فترك استانبول وفي نفسه من الثورة على أوضاعها ما جعل الكلام ينطلق من فمه كالبراكين .. وأوجز كلماته : « ان هذا السلطان سل في رئة الدولة العثمانية » .

وبسفره انجابت عن أبي الهدى غاشية رانت على صدره فترة غير قليلة فتنفس الصعداء .

عزة باشا العابد خصم جديد

ولم يكد أبو الهدى يتخلص من نفوذ الأفغاني حتى ظهر له خصم له قوته وسيطرته ، اريد به

(٨) نفس المصدر .

عزة باشا العابد ، أحد دهاقنة العرب في عصره ــ هذا الرجل الذى تقرب الى السلطان فجعله قرينه وكاتبه الثاني في المابين ، وظل خادمه الأمين نحو ثلاث عشرة سنة ، فضاق به أبو الهدى ، كما ضاق عزة العابد بنفوذ الشيخ . وأخذ كل واحد يكيد لصاحبه .. وكان عبد الحميد وهــو من الدهاة يستغل نفوذ الاثنين وذكاءهم في سبيل توطيد سلطانه ، بل كانا في سيطرتهما ونفوذهما ككفتي ميزان اذا رجح أحدهما خف ثانيهما ..

وقد اشــتدت وطأة كل منهما على الآخــر ، وضاعت بينهما مصالح الأمة والدولة ، وانقسم عامة الناس الى حــزبين : احدهما « هُدائي » وثانيهما « عزّتي » ، فما يبرم هذا امرا الا ينقضه ذاك ، ولا يفتح ذاك بابا الا ويغلقه هذا . ولما رأى الناس من العابد ثبات قدمه في مواصلة أبي الهدى جنحوا اليه بآمالهم ولاذوا بركته عند فزعهم ، وسر بذلك عبد الحميد ، فاتخذ كلا من المتفاضلين رقيبا على مفاضله ، ورأى سائر اعداء أبي الهدى أن لا يختلفوا في محاربته ، فاتحدوا ورضوا بعزة العابد زعيما فساروا تحت رايته ، وعملوا برأيه حتى كادوا يغلبون الصيادى ويزيحونه عن طريقهم .. وبالرغم من كل ذلك ظل عبد الحميد يعتمد على أبي الهدى في الملمات،وقد اتخذه مستشاره الأمين، وسلاح أبي الهدى في مناواة خصومه قداســة الدين ، وكان الشيخ يزود مولاه كل يوم بعجيبة من العجائب ، فآونة بتبليغه ــ ســلام النبي ــ وحينا يقص عليه رؤيا يزعم انه رآها ويفسرها على ما يلائم هواه ورضاه . ثم يدعي لأبيه ولنفسه كرامات لا وجود لها . وكان عبد الحميد محبا لهذه الأشياء ، ويظن انها من أقرب الوسائل لاستدامة حكمه (٩) .

كان ثقة السلطان به لا حد لها

بهذه الوسائل قويت سيطرة أبي الهدى على عبد الحميد ، وتمكنت بينهما الألفة الروحية حتى أن خصوم الصيادى لما صارحوا السلطان بان هذه البضاعة التي يبيعها له ليست الا من الخزعبلات. قال لهم : « عجيب لهؤلاء الخونــة يحســدون شيخي وليس فيهم من يليق به ان يكــون من خدامه ، يكتب الي الواحد منهم كتابا يطلب بدرة من المال أو رتبة لا تكاد تذكر ــ وهو مع ذلــك يتعسف الحيل ، ولا يهتدى اليها سبيلا . أما أبو الهدى فان سالني ، سالني عن ثقة وظرف ، ولا يتدنى بعذره الى طلب ما يكون مشاعا يمكن ان ينازعه فيه غيره ، بل يطلب مني ما يفتخر الشريف بنيله فهو الأمير وهم الصعاليك » .

ويدل هذا القول على الثقة الكبرى التي يتمتع بها أبو الهدى عند الســلطان . وظلت الالفة الروحية بالرغم من كل الدسائس التي حيكت له حتى دسيسة طموح أبي الهدى ليكون خليفة ! .

فقد جاء في تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ان ابا الهدى لم يكن يقنع بما بلغه من مقام سام عند السلطان بل كان يطمح الى الخلافة (١٠) .

وسواء اصحّت هذه الرواية أم لم تصح ، او هي شائعة أطلقها المرحوم ولي الدين يكن ليوغر صدر السلطان عليه ــ فان من يتتبع تاريخ حياته ويقارن بين نشأته الأولى وبلوغه ما بلغه من المقام الكبير في الدولة ، واخضاعه عبد الحميد لوحي سلطانه ، لا يستبعد أن تطمح نفسه الى الخلافة ، ما دامت الخلافة في قريش ، وقد نسب نفسه الى آل البيت ! .

★ ★ ★

ووقع الانقلاب ، فكان مصير ابي الهدى مصير سيده

وبعد فقد ظل أبو الهدى ، بالرغم من جميع الدسائس التي حيكت حــوله من المقربين الى السلطان وظل نفوذه يمتد في كل بقعة من بقاع الامبراطورية المترامية الاطــراف الى ان وقع الانقلاب فكان مصيره كمصير سيده ..

ففي اللحظة التي هجم فيها « الاتحاديون » على السلطان في قصر يلدز ، هجموا على قصر شيخه أبي الهدى ، وكان في سريره يعاني آلام المرض ، فهلع وجزع واضطرب ، وكاد يقضي ، فأشفقوا على شيخوخته ، وحملوه في سريره الى جزيرة الأمراء ــ برانكيبو ــ فظل فيها عدة أشهر يعاني الألم وعنت الأيام ، وما زال في هم وكمد ، يشكو وقد استسلم لتصاريف القدر الى أن تلاشى وقضى نحبه . . ■■

حلب ــ سامي الكيالي

---

(٩) المعلوم والمجهول ج ١ ص ٩٣ .

(١٠) تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ٩١٢ .

نظام الإقطاع ★

في مصر

عبر القرون

بقلم : عباس محمود العقاد

■ عرفت مصر نظام الاقطاع فى عهد الأسرة الفرعونية وتجدد هذا النظام مع بعض الاختلاف فى عهد البطالسة ، ثم انحدر الى أسوا حالاته فى عهد الدولة الرومانية ، لأنه جمع بين الاستغلال المحلى والخارجي ، وكانت غلات مصر فى هذا العهد نهباً لأصحاب الاقطاع المقيمين فى مصر ، وموردا مستباحاً لتموين بلاد الدولة الرومانية مقدماً على مطالب أبناء الديار المصرية .

وفتح العرب مصر

ولما افتتح العرب مصر بقى نظام الاقطاع وتغيرت المعاملة تبعاً لما استجد عليها من آداب الاسلام وشرائعه ، وتبعاً ـ في الوقت نفسه ـ لسياسة الخليفة عمر بن الخطاب وسياسة الوالي عمرو بن العاص .

فالاسلام يسوى بين الغنى والفقير ولا يطلب من الزارع والعامل ضريبة غير الجزية المحدودة ، وكان مقدارها فى أيام الفتح دينارين . أما الضريبة التى كانت تختلف باختلاف الفيضان والمحصول وضرورات الاصلاح فقد كانت تصيب أصحاب الضياع أو كبار الملاك ولا يقع عبؤها على الأيدى العاملة فى الزراعة .

وقد كانت سياسة الخليفة أن يمنع اشتغال الجند المقاتلين بالزراعة والاستيلاء على الارض فحال ذلك دون التسلط على الأيدى العاملة فى القرية ، وكانت سياسة الوالى عمرو بن العاص أن « تشبع الفصال من لبن البقرة » قبل احتلابها . فكان الفتح الاسلامي من أجل ذلك كله عهداً جديداً فى المعاملة وان بقى نظام الاقطاع على ماكان عليه .

النظم الاقطاعية بمصر ارتبطت بحالة الطبقة الحاكمة

ويمكن أن يقال عن جميع النظم الاقطاعية بمصر وغيرها ، أنها ترتبط على الدوام بحالة الطبقة الحاكمة ووسيلة تحصيل الضرائب ، وقد اختلفت الطبقة الحاكمة فى مصر بعد الفتح الاسلامى باختلاف الدول والحكومات ، وكانت لكل منها وسائلها فى تحصيل الضرائب الزراعية وغير الزراعية ، ولكن الذى يعنينا منها فى هذا البحث نظام الاقطاع الذى كان له اتصال باطوار الاقطاع الاخيرة كما بقيت الى القرن العشرين ـ ومن المحقق ان نظام الاقطاع الذى اتصل هذا الاتصال

★ مقال للمرحوم العقاد لم ينشر في اثناء حياته .

- في عهد الفراعنة
- في عهد الرومان
- بعد فتح العرب مصر
- في عهد صلاح الدين
- في عهد المماليك
- في أسرة محمد علي

مباشرة ، أو متسلسلا من حالة الى حالة ، انما هو النظام الذى قام فى أيام الحروب الصليبية على عهد صلاح الدين .

الاقطاع فى عهد صلاح الدين

كان صلاح الدين يؤسس دولة جديدة على انقاض الدولة الفاطمية ، فعمل على اقصاء أعوان تلك الدولة من جنود السواد والبربر وبعض قبائل العربان ، وأقام فى أماكنهم جنوداً من الكرد والمماليك الذين حضروا معه الى الديار المصرية ، وكان عليه أن يدبر الموارد التى ينفق منها على الجيوش المجندة لصد غارات الصليبيين ، ولم تكن موارد الخزانة العامة وافية بهذه النفقات من جراء القحط وسوء الادارة وهجمات المغول على طريق الخان فى أواخر أيام الدولة الفاطمية ، فجعل لأمراء الجند أرزاقاً من الاقطاعات على حسب أقدارهم وعدد أتباعهم وقيمة دفاعهم . وكانت خطته فى توزيع الاقطاعات أن تكون للادارة والحراسة ، ولا تكون للملك والحيازة الدائمة . فاقطع أخاه توران شاه اقليم عيذاب وقوص وأسوان ثم مدينة الاسكندرية لينفق من غلاتها على حماية التخوم الجنوبية من غارات النوبة وحماية التخوم الغربية من غارات البحر والصحراء . وهكذا كانت خطته فى توزيع الأرض على سائر الأمراء لتدبير أرزاقهم وقيامهم على استعداد لتلبية الدعوة الى ميدان القتال .

بعد صلاح الدين : الفلاح القرار

ثم تبدلت الاحوال وخلف صلاح الدين ولاة يستغلون الأرض لمنافعهم ويسخرون زراعها فى خدمتهم ، وظهر اسم « الفلاح القرار » فى أيام هؤلاء الولاة كما جاء فى خطط المقريزى اذ يقول « ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحاً قراراً فيصير عبداً قناً لمن أقطع تلك الناحية ، الا انه لا يرجو أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقى ومن ولد له » .

وكانت حالة « الفلاح القرار » محتملة بعض الشيء مع ازدهار الصناعة فى المدن ووفرة الأرباح من طريق التجارة الهندية والآسيوية التى كانت تمر بالديار المصرية ، فلما اختل الأمن فى هذه الطرق وكشف البرتغاليون طريق الرجاء الصالح ضاقت الموارد وانحصرت مطامع الاقطاعيين فى محاصيل الأرض فلم يبق منها للفلاح العامل عليها ما يكفيه لقوته وقوت أولاده ، وهان عليه — مع حبه المشهور لوطنه — أن يهجر الأرض ويهرب منها الى حيث استطاع .

لجأ الاقطاعيون الى الاوقاف استيفاء للاقطاع

ولما اضطربت الأحوال وانتفى الأمن على الأنفس والأموال لجأ الاقطاعيون الى حيلة يستبقون بها الأرض فى حوزتهم فوقفوا منها جزءاً على الخيرات كبناء السبل والتكايا ومكاتب التعليم ومعونة الحجاج المنقطعين وخدمة الحرمين الشريفين وضيافة أبناء السبيل وجعلوا لهم ولأبنائهم حق ادارتها بحصة معلومة من غلاتها واشركوا معهم فى بعض هذه الأوقاف نظاراً من العلماء ورجال الدين يختصون بتدبير المسائل الدينية ، فنشأت الى جانب ملكية الاقطاع ملكية اقطاعية أخرى هى هذه الأوقاف التى كانت تسمى أحياناً بالأحباس وأحياناً باسم الارزاق . ولم يكن الباعث عليها جميعاً حب الخير بل كان من بواعثها الكبرى طلب الأمن واستبقاء المنفعة فى جزء من الأرض لا يجوز التصرف فيه على غير شروط الواقفين . وقد نبه ابن خلدون الى ذلك حيث قال : « وقع لهذه العصور بمصر منذ

مائتين من السنين فى دولة الترك فى أيام صلاح الدين بن أيوب .. وهلم جرا ، وذلك أن أمراء الترك فى دولتهم كانوا يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفون من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء ، ولما يُخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة ، يجعلون فيها شركاء لولدهم ، بنظر عليها ، أو نصيب فيها مع ما فيهم غالباً من الجنوح الى الخير والتماس الأجور فى المقاصد » .

وتغلب سليم الاول على مماليك مصر وبقى الاقطاع فيهم

ثم تغلب سليم الأول العثمانى على سلطان المماليك فلم يُزَل من الحكم غير السلطان الذى كان المماليك يختارونه لقوته وكثرة جنده ، وبقى المماليك على اقطاعاتهم يتقاضون الأجور والضرائب من الفلاح على حسب تقديرهم . ولم يزد على نظام التحصيل غير انهم كانوا يقسمون المال الذى يجمعونه الى قسمين : قسم يسمونه « الميرى » ويجمعون منه الاتاوة السنوية التى فرضها السلطان العثمانى على الديار المصرية ، وقسم يستولون عليه ويسمونه « الفائظ » أو الفائض ويستوفون من الفلاح مانقص منه لحساب الاتاوة العثمانية .

الاقطاع : قبل مذبحة القلعة وبعدها

وبقى نظام الاقطاع فى مصر على ذلك مع بقاء المماليك ، ثم انقرضوا ، أو انقرض معظمهم – بعد مذبحة القلعة المشهورة فى عهد محمد علي الكبير رأس الأسرة العلوية ، ودخل نظام الاقطاع بعد هذه المذبحة فى دور جديد .

كانت الملكية الزراعية قبل هذه المذبحة موزعة بين المماليك الملتزمين ، وبين نظام الأوقاف الخيرية والاهلية .

فالمماليك يؤجرون ارضهم ولا يؤدون عليها ضريبة للحكومة .

والملتزمون هم الطبقة التى كانت تتعهد للحكومة بسداد الضرائب وتتولى فى مقابلة ذلك تأجير الارض وتعويض مادفعته للحكومة وزيادة عليه يقدرها الملتزم كما يشاء ، ويستطيع من اجل ذلك اكراه الفلاح على البقاء فى الارض وتسخيره فى الخدمات العامة اللازمة للزراعة كتنظيف الترع واقامة الجسور ودرء أخطار الفيضان ، ولا أجر له على عمله فى هذه الاعمال .

وكان الالتزام « أولا » يتفق عليه لمدة اربع سنوات على الأغلب ، ثم اصبح حقا عرفيا لاصحابه مدى الحياة ، ويجوز لهم ان يورثوه ابناءهم بالشروط التى يرضاها الولاة .

ولهؤلاء الملتزمين الى جانب الارض العامة ارض خاصة تسمى « الوسية » يزرعونها لانفسهم ويسخرون الفلاحين فى اعمالها فوق اعمالهم ، وليس على هذه الوسايا ضريبة كانها معدودة من الاوقاف أو الارزاق .

فلما قضى محمد على على المماليك صادر أملاكهم ومنها الاقطاعات ، أما اقطاعات الملتزمين فقد كان منها قسم فى الوجه القبلى وقسم فى الوجه البحرى ، وكان قسم الوجه البحري محدودا معلوم الحصص لأن الفيضان لا يغمره كل سنة ، وكان قسم الوجه القبلى محتاجا الى تصحيح الحدود بعد كل فيضان ، وقيد الالتزام فيه للقبائل او لرؤسائها باعتبارهم وكلاء عنها ، فاصدر محمد علي امره بالغاء الالتزام فى الوجه القبلى ، وتعلل لذلك بثورة القبائل عليه ، والتجاء المماليك الى قراها للتربص بها . وابقى الملتزمين فى الوجه البحرى وكلاء عنه بمرتبات وجعول تختلف باختلاف المواسم والغلات ، ثم استولى على ارض الأوقاف بدعوى انه ولى أمر المسلمين المسئول عن معاهد العبادة والخيرات ، وقرر لنظارها الاقدمين معاشات تتفاوت بتفاوت المواقع واحوال النظار ، ومُسِحت الارض كلها من جديد ، وتقررت للفدان مساحة واحدة فى القطر كله ٣٣٣ ١/٣ قصبة بعد ان كانت مساحته تتراوح بين ٢٠٠ قصبة و ٤٠٠ قصبة ، ولا يتساوى طول القصبة بين الاقاليم .

الفلاحون فى عهد محمد علي

اما الفلاحون الذين كانوا يزرعون لحساب الملتزم فقد أوجب عليهم زراعتها لحساب الخزانة العامة ووزعت على كل منهم حصة من ثلاثة افدنة الى خمسة ، واحتكرت الحكومة جميع المحصولات وفرضت على كل جهة محصولا خاصا تزرعه ولا تزرع غيره ، فاذا كان أوان الحصاد جمعه حكام الاقاليم فى المخازن العامة وأخذوا منه قيمة الضرائب واشتروا ما يبقى منه لحساب الحكومة بالثمن الذى ترتضيه .



جاءت الحرب العالمية الثانية وفي مصر ١ر٧٥١ر٥٨٧ فلاحا لا يملك الواحد منهم اكثر من فدان واحد

وقد شق هذا النظام على الفلاحين مع ثقل الضرائب فهجروا ارضهم ، بل هجروا القطر كله « فارسل محمد علي يطالبهم من والى غزة » وكان الخلاف على ردهم الى بلادهم من أسباب النزاع بين محمد على وولاة الشام ، ويقال انها كانت من اسباب تعجيل الحملة على بلاد الدولة العثمانية لمنع الهجرة من مصر الى تلك البلاد بعد ضمها الى الديار المصرية .

محمد على يعيد توزيع الاقطاعات في اهله وأعوانه

وقد الغى محمد علي اقطاعات المماليك وانشا في مكانها اقطاعات اخرى من قبيلها موزعة على أمراء بيته وأصهاره وأعوانه في حكمه ، واعفاهم جميعا من الضرائب والالتزامات .

وكان محمد علي كبير المطامع يرمى من اللحظة الاولى لا الى تثبيت ملكه في مصر له ولابنائه من بعده فحسب ، بل يتطلع الى ميراث الدولة العثمانية املا في مقام الخلافة ، ويعلم أن هذه المطامع لا تتحقق بغير مال وسلاح ، فمضى من ثم يستكثر من موارد الزراعة بتحسين وسائل الرى واستجلاب أصناف المزروعات من الخارج ، كما مضى يستكثر من موارد التجارة باحتكار الحاصلات وعرضها بالأثمان التى تمكنه من المزاحمة في الاسواق الاجنبية ، وساعده على الكسب اقبال أوربة على الحاصلات المصرية لانقطاع حاصلات القارة الجديدة في ابان الحرب الاهلية واشتغال الدول في أوربة بحروب نابليون وفتن العروش ، فكان لهذا الاقبال اثره في تخفيف وطأة الاقطاع والاحتكار الى حين .

اطلاق حرية الملك ، والبيع والشراء ، في عهد الخديو سعيد باشا

الا انها كانت حالة موقوتة لم تلبث ان تبدلت بعد زوال الاسباب التى كانت تدعو الى الاقبال على الحاصلات المصرية وحاقت بالثروة الوطنية جرائر الكساد ومغارم الحروب التي اقتحمها محمد علي وابراهيم ، فأحجم الزراع عن الزراعة وحبطت تجارة الدولة ولم يبق في البلاد من يشتغل بالتجارة في نطاقها الواسع مع اشتغال الدولة بها ، فوجبت اعادة النظر في سياسة الاحتكار بشقيها ، من احتكار الزراعة واحتكار التجارة . وتقرر على عهد محمد سعيد اطلاق حرية الملك وحرية البيع والشراء ، والتصدير والتوريد ، وكان للعوامل الخارجية فعلها في انتهاج هذه السياسة لأن الحكومة الانجليزية عقدت مع الدولة العثمانية في سنة ١٨٣٠ معاهدة تنص على تحريم الاحتكار والسخرة في بلاد هذه الدولة ، ولم تكن هذه المعاهدة خالصة لوجه الحرية والمبادىء الحرة ، بل كان الباعث المهم عليها اتقاء المزاحمة في الاسواق لرخص الاسعار التى تعرض بها الحاصلات في الاسواق الاوربية مع قلة أجور العمل وسيطرة الحكومات المحتكرة على الاسعار .

ولم يكد الفلاح الصغير يشعر بنعمة الحرية في حيازة الارض وتأجيرها حتى دهمته الضرائب الثقيلة على عهد الخديو اسماعيل ، وجعلت حكومته المرهقة بالديون تلاحق الفلاح الصغير والمتوسط بطلب الضريبة السنوية أكثر من مرة في السنة الواحدة ، وابتدعت في أساليب ابتزاز المال أسلوباً يسمى بالمقابلة : يعفى الفلاح من نصف الضريبة اذا أدى للخزانة العامة ضرائب ست سنوات دفعة واحدة ، فبلغ ما جمعته الحكومة من هذه الضرائب طوعاً أو كرها نحو سبعة عشر

مليونا من الجنيهات ، ثم صدر الامر في سنة ١٨٨٠ بالغاء هذا الامتياز فكانت هذه الصدمة العنيفة من أسباب الثورة العرابية .

في عهد الاحتلال البريطاني

وجاء الاحتلال البريطاني بعد الثورة العرابية ففتح الابواب للشركات والمصارف التى تثمر اموالها وتضمن ديونها ، وعملت هذه المصارف من مبدأ الامر على التشدد في ضمانات الديون فكان البنك العقاري مثلا يجعل الحد الادنى للاقراض ثلاثمائة جنيه ويشترط له ضمانات تتيسر للمتوسطين ولا تتيسر لصغار الملاك ، فاقبل المتوسطون على الاستدانة من المصارف واضطر صغار الفلاحين الى معاملة المرابين الذين يرهقونهم بالفوائد المضاعفة ، ولم ينقض زمن طويل حتى ناءت كواهل الفلاحين جميعا بأعباء الديون ، وعالجت الحكومة أن تحل المشكلة بعض الحل فسمحت عند البنك العقاري حتى قبل النزول بالحد الادنى في القروض الى مائة جنيه (١٨٩٩) مع بعض التيسير في قيود الضمانات .

وانطبقت على مصر كما انطبقت على غيرها تلك الأزمة المالية التى قال الاقتصاديون العالميون في حينها انها كانت بمثابة النوبة الدورية في تقلبات الصعود والهبوط ، فلم يزل أصحاب الارض يرزحون بأثقالها ومعقباتها الى ما بعد الحرب العالمية ، اذ ارتفعت أسعار القطن والحاصلات الزراعية واستطاع الفلاح أن يسدد كثيرا من ديونه ويتصرف بمشيئته في زرع الاصناف وبيع الحاصلات بضع سنوات .

الخديو اسماعيل باشا
على عهده دهمت الفلاح الضرائب الثقيلة



ومع هذا جاءت الحرب العالمية الثانية وفي مصر (١ر٧٥١ر٥٨٧) فلاحا لا يملكون أكثر من فدان واحد ، وفيها (٢ر٣٢٤) يملكون أكثر من مائتي فدان ، هذا عدا العاملين في الارض وليس لهم فيها حصة من الملك كثرت او قلت ، وانما يعتمدون على الاستئجار او العمل عند المستأجرين.

وقد اصيبت الزراعة المصرية بالآفة المعهودة التى تلازم ارتفاع أثمان المحصولات سنة او بضع سنوات متوالية ، فان أجرة الفدان ترتفع وتبقى على ارتفاعها، ولا يضمن المستأجر مثل هذا الارتفاع في أثمان المحصولات .

★ ★ ★

في هذه الاثناء كان المجتمع المصري ، يتطور في تكوينه أكبر تطور عرفته مصر في القرون الاخيرة ، فمنذ الحرب العالمية الاولى شعر المصريون في معيشتهم اليومية بالحاجة الى الصناعة الوطنية كما شعروا بقدرتهم على النهوض بها على الاقل في مراحلها الاولى ، وزاد عدد المتعلمين ونشأت في المدن والقرى طبقة من أبناء الفلاحين والحضريين ترشح نفسها لولاية الاعمال العامة والمشروعات القومية .

ويكفي لقياس هذا التقدم ان تقارن بين موقف المصريين من ولاية وظائف الدولة في أيام الحملة الفرنسية وموقفهم من الولاية الحكومية والاجتماعية في أواخر أيام الاحتلال البريطاني . فقد عرض نابليون بعض الوظائف العامة على فئة من المصريين المتعلمين فتهيبوها وصارحوه بأنهم عاجزون عن ولايتها لان ابن البلد في مصر لا يذعن الا اذا خاف ، ولا يخاف الا من الحكام الاتراك اما في القرن العشرين فقد كان المصريون يتقدمون للاستقلال بمناصب الحكم في بلادهم والاستقلال بالمشروعات الاقتصادية التى كانت حكرا في الايدى الاجنبية وتدربوا على التعاون في أعمال الصناعة والزراعة بعد فقدان الثقة بأنفسهم في الاعمال المشتركة ولا يخامرهم الشك في قدرتهم عليها ، وهذا التفاوت العظيم في الحالة النفسية كاف وحده لتلخيص الفوارق الفكرية والخلقية والاجتماعية التى اقترن بها التطور العام من اواخر القرن الثامن عشر الى أوائل القرن العشرين .

وقد كانت ظروف الاحتلال وسيطرة المحتلين على مناصب الرئاسة توجه النهضة الى مكافحة

نتيجة مسابقة العدد ١٥٠

أَخْطاءٌ بالجُمْلَة..!

■ قامت مسابقة العدد (١٥٠) من « العربي »على المعلومات العامة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية ، والملاحظ ان القراء لا يحبذون الاسئلةالتى تحتاج الى بحث وتمحيص ، وعناء الرجوع الى امهات الكتب ، لذلك اخفق الكثير منهم فيمعرفة الاجابة الصحيحة ، وجاءت الاجابات بعيدة كل البعد عن الصواب ، مخيبة للآمال .

واليك ايها القارىء نموجا للاجابة الصحيحةثم اسماء القراء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ قناةالسويساستغرق شقها عشر سنوات.

٢ ـ حصلت سوريا ولبنان على استقلالهما عام ١٩٤٦ .

٣ ـ كيركجارد دنمركى ، هيجل المانى ، ايراسموس هولندى .

٤ ـ كارل ماركس توفي بمدينة لندن ودفن فيها .

٥ ـ الشنتو هى الديانة الرسمية في اليابان .

٦ ـ حجر رشيد يوجد الآنفي المتحف البريطانى بلندن .

٧ ـ شلالات فكتوريا تقع على نهر زامبيزى . وشلالات ستانلى تقع على نهر الكونغو .

٨ ـ الخطأ العلمى هو ان الوطواط صنف من اصناف الطيور ، وفي الحقيقة ان الوطواط حيوان من فصيلة الثدييات .

٩ ـ المسك يستخرج من ذكور ايل المسك .

١٠ ـ يعيش ثلث سكان العالم اساسا على حب الارز .

١١ ـ الزلزال الذى وقع في شمال افريقيا عام ١٩٦٠ حدث في مدينة اغادير بالمغرب .

١٢ ـ العشاء الاخير الذى تناوله السيد المسيح مع حوارييه قبل الغدر به حضره ١٣ شخصا بما فيهم السيد المسيح .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها :طارق فريع ابو محفوظ ـ طرابلس ـ ليبيا .

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها :عبد الله محمد بصعر ـ الحديدة ـ اليمن .

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها :العروصي محمد ـ مكناس ـ المغرب .

(٨) جوائز مجموع قيمتها (٤٠) دينارا قيمةكل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ تريز حاكمة ـ عكار ـ القبيات ـ لبنان .

٢ ـ حسن مهدى ـ جدة ـ السعودية .

٣ ـ ماجدة درويش ـ الكويت .

٤ ـ محمد زكى بحر العلوم ـ محافظةالقادسية ـ العراق .

٥ ـ صلاح محمد على بكار ـ الخرطوم ـ السودان .

٦ ـ محمود محمد عبد الفتاح ـ سوهاج ـ ج ٠ ع ٠ م ٠

٧ ـ موسى رشيد ارحيل حتاملة ـ الحصن ـ الاردن .

٨ ـ محمد قوصرة ـ ادلب ـ سوريا .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد المسجل . ■■

وَحدةُ اللهِ تتراءى فى وَحْدةِ خلقِهِ
وَقُدرةُ اللهِ تتمثّل فى بَديعِ صُنعِهِ

الخمائر

إنَّها خُبَراء الجِسْم، تَبْنِي فِيهِ الحَيَاة وَتَهْدِم

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ للحضارة الحاضرة صناعة هائلة تصنع من المكنات أعقدها . وتبلغ التكنية (التكنولوجيا) الحديثة فيها حدا يقف امامه العالِم العارف حائرا ، حائرا بين استيعاب ما تجرى به التكنية فى هذا الفولاذ القائم ، وبين الاعجاب بمبلغ ما قدَر عليه الفكر الانسانى من الابداع .

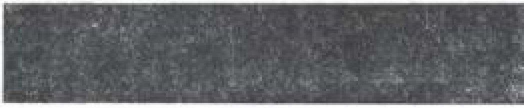
ونبلغ بالصناعات مستويات رفيعة تسكنها الالكترونيات ، وتتوجها التلقائيات Automations من مكنات متعددة الخطى ، تجرى او تكاد تجرى الزمن الطويل وحدها دون قائم عليها او رقيب .

اقول نبلغ بالصناعات الحديثة هذا الحد ، فتبلغ بنا الروعة اقصاها .

تكنيتان : هندسية وكيماوية

والصناعات الحديثة الرائعة بها تكنيتان ، تكنية هندسية ، كالتى تكون فى الساعات التى نحملها على ظهر ارساغنا ، او تكنية كيماوية كالتى ننتج بها ، بالتخليق الكيماوى ، من بسائط الكيماويات واكثرها تركُبا ، وبالتحليل

**المختبر الكيماوي به عشرة من الرجال،
قائمون على حل عشرة من المواد أو تركيبها،
وبالجسم الحي ألف من الخمائر،
قائمة تبني ألفا من المواد وتحل ألفا.**



الكيماوي ، من اعقد المركبات ابسطها بناء .

الصناعة الاقدم

ومن صناعات الحضارة هذه الحديثة انتقل الى الصناعة الاقدم ، والحضارة الاقدم ، تلك التى كسبت وجودها قبل ان تكون حضارات ، وكدت اقول ، وقبل ان تكون أزمنة محسوبة وقرون معدودة . واعنى بتلك الصناعة تلك التى تتمثل امامنا وفينا كل يوم ، وكل ساعة ، وكل دقيقة ، وكل ثانية ، فى تلك المكنات التى هى من دم ولحم ، ونسميها الأجسام . انها اجسامنا .

الاجسام كسائر المصانع والصناعات

والاجسام كسائر المصانع والصناعات ، بها تكنية هندسية ، وتكنية كيماوية معا .

اما التكنية الهندسية فتتمثل فى كل حركة يتحركها الجسم كلا ، وفى كل خطوة على اى ارض يخطوها ، وفى كل تنفس من الهواء فى الهواء يطلقه . وهى تتمثل ايضا فى كل حركة تتحركها الاعضاء ظاهرا ، وكل حركة تتحركها الاحشاء ، باطنا . والقلب ودورته يمثلان تكنية هندسية رائعة .

ومع هذا تظل علاقة ما بين الوقود والحركة فى الجسم ، اى ما بين المحرك الاول والمتحرك ، شيئا من خصائص الاجسام ظل الى اليوم غامضا . وما هو فى المكنات الصناعية بغامض .

اما التكنية الكيماوية فيا لها من تكنية !

نلقى بالطعام فى قناة الهضم ، تلك التى أولها الفم ونهايتها الاست ، بعد تحطيمه بالمضغ وتجهيزه باللعاب ، ونقول انه الخبز ، وانه اللحم ، وانه البيض ، وانه الفاكهة والحلوى ، فتتلقاه العصارات الهاضمة فى هذه القناة ، لا بأنه خبز او لحم او بيض الى آخر ما هناك ، ولكن بأنه احد ثلاثة : البروتين ، الكربونات المائية (النشا والسكر) او الدهن كما سبق ان ذكرنا وكررنا . فتأخذ العصارات الهضمية تصنع من كل هذه الاطعمة ، كيماويا ، اجساما تركيبها اصغر ، وذوبانها فى الماء ايسر ، ليأذن ذلك بدخولها فى الجسم ، امتصاصا عبر جدران الامعاء ، ثم هى لا تلبث ان تدخل فى الجسم حتى تتحول الى عديد من الاشياء ، بالكيمياء . وتتحول الى مصادر للطاقات من كل نوع . طاقة حركة . طاقة حرارة . طاقة كهرباء . طاقة احاسيس ومشاعر . طاقة فكر . وتتحول كذلك بالتخليق والتركيب الى

كل ما يحتاجه الجسم من مواد غير التى دخلت الى الجسم . تتحول الى لحم للانسان وشحم ، والى دم وما يتألف منه الدم ، والى الجلد ، وما يتألف منه الجلد ، والى شعر ، والى عين ترى ، وانف يَشم ولسان يذوق ، والى قلب يدق ، والى مخ تتجمع فيه كل مفاهيم العقل والنفس .

ان الجسم على صغره ، هو مخلوق الله الامثل فيما عرفنا من مخلوقات .

والكيمياء عليها العمل الاكبر فى صنعه .

كيمياء المختبرات وكيمياء الاجسام

ونقارن بين ما عرفنا من كيمياء المختبرات وما عرفنا وما لم نعرف من كيمياء الاجسام ، فانما نقارن بين العلم ، وهو فى مستواه فى حجم النملة ، والعلم ، وهو فى مستواه ، فى حجم الفيل .

وبالامس استطعنا ان نصنع فى المختبرات الانسولين ، من بسيط المواد ، وصنعنا منه القليل ، فرحنا ننشر هذا الخبر فى زهو كثير ، فكأنما فتحنا به القسطنطينية ، بينما الاجسام الحيّة ، اى الاجسام ، واضعف الاجسام ، تصنع منه كل يوم ، وكل ساعة ، للجسم كفايته من الانسولين ، فى صمت ، بلا زهو ولا صراخ ولا نباح .

وانت تدخل المختبر الكيماوى ، او المختبرات ، وتنظر فى وسائل الكيمياء فى تحويل المواد من بسيطها الى المركب ، او من مركبها للبسيط ، فتجدها وسائل تتصف بالعنف عموما ، اداتها الضغط الهائل او النار ذات الدرجات العالية .

وفى الجسم الحىّ تجرى التفاعلات الكيماوية كلها بغير نار ، وفى غير ضغط ، وبغير عنف ، وصاحب الجسم لا يحس بالذى يجرى فيه من تحوّل شيئا ، فكأنما الذى يجرى بجسمه انما يجرى بجسم جاره . واضرب مثلا من ابسط الامثال . شعرُ راسك يطول ، وهو دائم الطول ، وهو شعر جديد يتخلق ، وانت لا تشعر به الا بعد اسبوعين او اكثر ، عندما تنبهك زوجتك ان كنت كبيرا ، او امك ان كنت صغيرا ، الى انه وجب عليك ان تذهب الى الحلاق .

الخمائر

هى تلك المواد المسئولة عن كل هذه التغيرات الكيماوية التى تجرى بالجسم ، فهى المواد المسئولة عن مجرى الحياة ، فالحياة كيمياء .

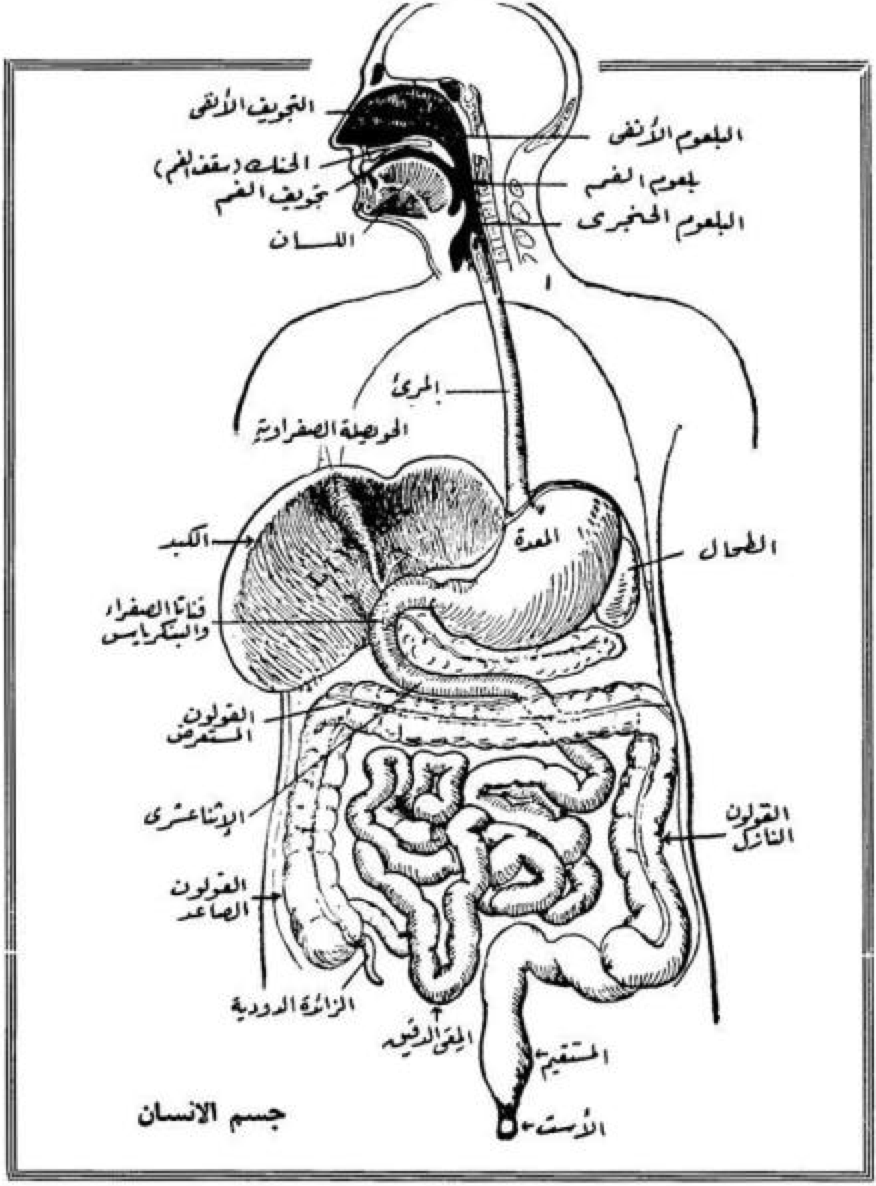
المختبرات الكيماوية تحتاج الى كيماويين ، والخمائر هى كيماويو الاجسام ، فى جسم حيوان او جسم نبات .

ان الاعداد الهائلة من التفاعلات الكيماوية التى تجرى فى هذه الاجسام ، فتنتج الحياة ، انما تقوم عليها هذه الخمائر .

وكما ان الكيماوى فىمختبره لا يدخل جزءا من التحوّل الذى هو قائم فى صنعه ، فكذلك الخميرة القائمة على انجاز تحول كيماوى فى الجسم لا تتدخل هى جزءا فى التحول القائم . ان التحول القائم يجرى بحضورها . ولعلها تمس الاجسام وتشكل اوضاعها ليتم تفاعلها . ويجرى التفاعل الكيماوى ويتم ، والخميرة باقية هى كما هى لم تزد ، فى العموم ، ولم تنقص . والقليل منها يساعد على تفاعل الكثير من المقادير .

اما بالضبط ، وبالتفصيل ، كيف تقوم بهذه المساعدة ، فللعلماء فى هذا الامر آراء غير حاسمة . انه سر الحياة . والاسرار تتكشف ، ولكن يبقى منها اخفاها واعسرها .

وهذه الصفات التى نصف بها عمل



جسم الانسان

الخمائر ، سبق للعلماء ان وجدوا امثالا لها ، لا سيما فى الكيمياء غير العضوية ، كيمياء المواد التى لا حياة فيها، واسموها بالعوامل المساعدة Catalytic Agents والخمائر اذن عوامل مساعدة . ولنقف عند هذا .

الخمائر
أين تصنع فى الجسم الحىّ

نقول ان الخمائر هى القائمة على التحولات الكيماوية فى الاجسام ، من حيوانات ونباتات ، فهى القيمة على الحياة .

والسؤال الذى يطـرأ : فأين تصنع هذه الخمائر ، وما الذى يقوم بصنعها فى الجسم الحى ؟

والجواب : خلايـا الجسـم . وهى ملايين بل الوفها .

كل خلية تصنع خمائرها .

والخلايا صنفان :

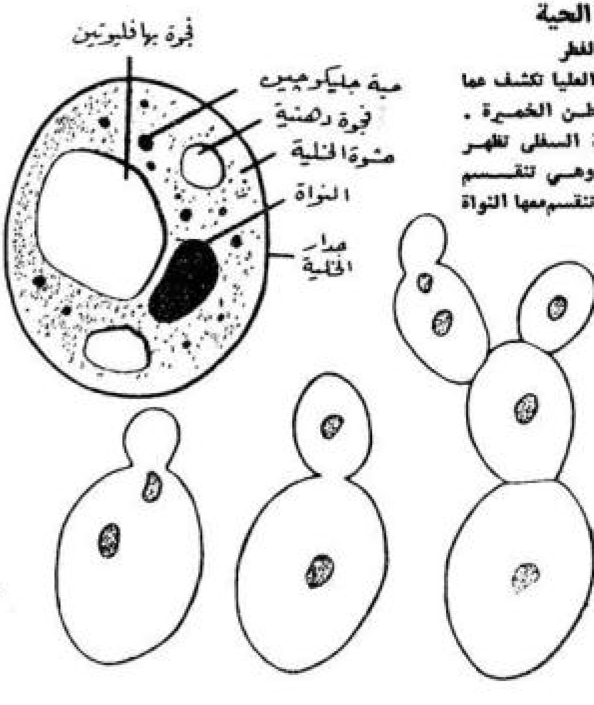
صنف يصنع الخمـائر ويطلقهـا فى الجسم لتقوم بوظائفها فى شتى ارجائه . ونسميها بالخمائر الطليقة ، ويسميهـا اهل العلم Extracellular . ومن امثالها الخمائر التى تطلق فى الجهاز الهضمى ، فى معدة ومِعاً ، فتقوم فى القناة الهضمية بهضم الطعـام وتجهيزه لان يُمتص فى الامعاء ويدخل الجسم . وسنصف من ذلك طرفا .

وصنف الخمائر الآخر نسميه نحن هنا بالخمائر الحبيسة ، ويسميه العلماء Intracellular ، وهى التى لا تفارق خلاياها ، اى مواطنها ، حيث صنعت . وهى تقوم فى هذه الخلايا بالعمل الجبار الذى من اخطره عمل التخليق والتركيب والخلق . وسنصف من ذلك طرفا .

الخمائر والانزيمات

وقبل ان نمضي فيما وراء ذلك لا بد من التنبيه الى اننا هنا نستخدم لفظ الخمائر تسهيلا للقارىء ، وقد تتطلب الدقة العلمية ان نسميها بالانزيمات . فهذا هو اللفظ الذى جرى به العلماء .

وذلك لاننا اذا نظرنا الى الخميرة التى يختمر بها عجين الخبز ، لوجدنا انها تتراءى تحت المجهر خلايا قائمة بنفسها ، تنتسب الى الفصيلة المعروفة فى تقسيم مملكة الحيوانات بالفطر والواحدة فُطرة Fungus . وهذه الخميرة اى الخلية الحية ، المستقلة وحدها ، هى



الخميرة الحية

وهي من الفطر

والصورة العليا تكشف عما يحتويه باطن الخميرة . والصورة السفلى تظهر الخميرة وهي تنقسم بالتبرعم وتنقسم معها النواة

التى تقوم بالتخمير ، ولكن بواسطة مادة فى داخلها اسماها عالم ، لاول مرة ، عام ١٨٧٨ ، باسم انزيم Enzyme . و En معناها «فى» و Zyme معناها «الخميرة» واذن فالانزيم معناه « ما فى الخميرة » .

كذلك تفعل الخميرة التى تحول السكر الى كحول فتنتج الخمر . الخلية تمتص السكر الى داخلها ، وتغير منه ، واذ يتحول الى كحول وغاز ثانى اكسيد الكربون ، تفرزهما فى المحلول . فالخلية الحية بالذى بها خميرة Yeast . والذى بها انزيم Enzyme .

ولكن ايهما الذى يقوم بالتخمير ؟

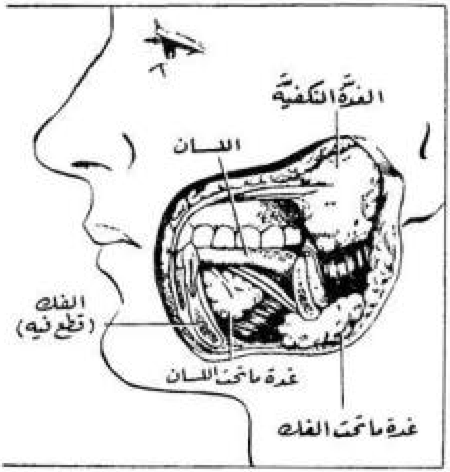
بالطبع الانزيم الذى بداخل الخميرة . اذ ان هذا ما اثبته العالم الالمانى بخنر ادوارد Buchner فى عام ١٩٠٧ ، ونال عليه جائزة نوبل .

والى الآن ، فى هذه الكلمة ، سمينا الانزيم بالخميرة ، لانه لفظ افهم فى اذن القارىء . واذ عرفنا الفرق وجب ان نستبدل بالخميرة لفظ الانزيم ، لا سيما ، ونحن نحكى عن الاشياء الحية ، وجسم الانسان خاصة ، لا نحكى عن خمائر فى باطنها انزيمات . بل انزيمات مطلقة او حبيسة ومع هذا فبعض المتحدثين يتجوز فيقول خمائر Yeasts اذا هو لم يتحدث فى صميم العلم .

الجهاز الهضمى وما فيه من انزيمات

الهضم هو تكسير جزيئات الطعام الكبيرة (وبالجزيئات نعنى الجزيئات الكيماوية) ، لتكون صغيرة ، ولتمتصها الامعاء ، بعد ذوبانها فى الماء . وعمليات الهضم جميعا لا تحتاج الى طاقة . ان الذهاب من المعقد الى الابسط من المركبات لا يحتاج الى الطاقة وانما هو يعطيها .

ونذكر هنا ذكرا سريعا ما بالجهاز الهضمى للانسان من انزيمات (خمائر



الوجه : وظهرت فيه الغدد اللعابية

ان شئت تبسيط لفظ ، او مواد خميرية ، او انزيمات) .

الفم : وبه يبدأ الجهاز الهضمى ، وبه الغدد اللعابية . والانزيم هو اللعابين . وهو بالافرنجية Ptyalin (تيالين) . وهو يساعد على حل النشويات مثل الارز المطبوخ . فينحل الى سكر ابسط ثنائي هو سكر الشعير Maltose . وانت عندما تمضغ الارز فى فمك ، وتمضغ ، لا تلبث ان تحس بحلاوة هى نتيجة لهذا التحول من النشا الى السكر .

المعدة : وبها الانزيم المسمى (ببسين) Pepsin ويحل البروتينات الى بروتينات ابسط كثيرا (بروتيوزات Proteoses وبتونات Peptones) .

والانزيم المسمى (رينين) Rennin وهى الانفحة وتجبن اللبن . ولا بد من هضم الحليب المتجبن بعد ذلك بواسطة البيسين ليتحول الى بروتيوزات وبتونات والمعدة لا تمتص من هذه المواد شيئا .

والمعاء الدقيق: وتصب فيه عصارتان ، عصارة البنكرياس Pancreas ، وعصارة من غدد المعاء الدقيق نفسه ، اى التى فى جدرانه .

اما عصارة البنكرياس فبها ثلاثة انزيمات تفعل فى البروتينات ، احدها

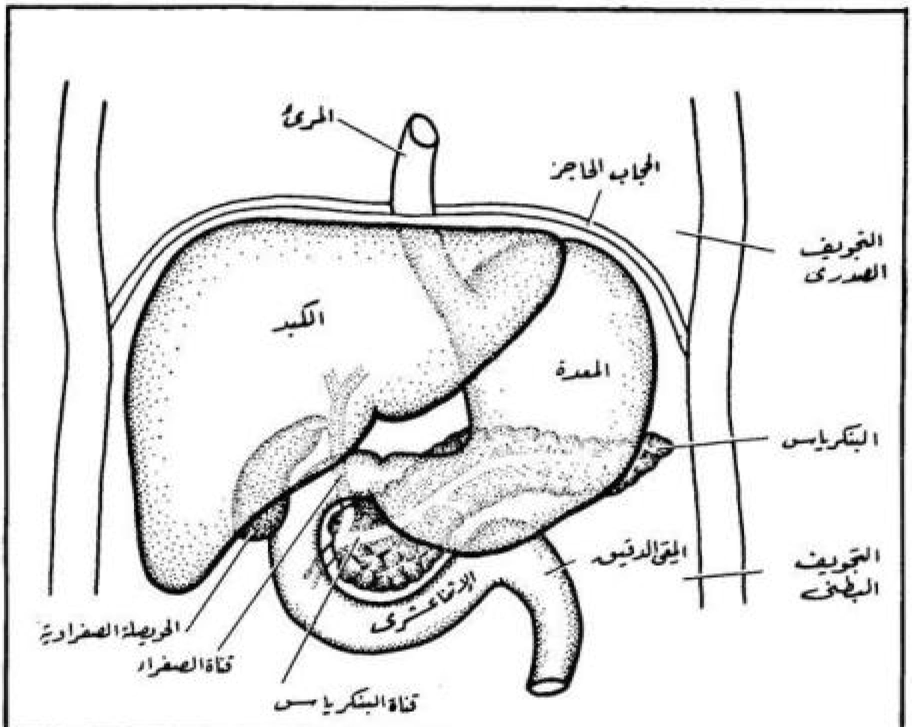
اسمه (تربسين Trypsin) وهو يفعل فى البروتين او ما سبق ان انحل اليه مما هو ابسط ، وانزيم اسمه (ليباز Lipase) يفعل فى الدهن فيحلله الى جلسرين وحوامض عضوية ، وانزيم يفعل فى النشويات او السكريات او ما سبق ان انحلت اليه مما هو ابسط .

اما العصارة التى تخرج من الغدد التى فى جدران المعاء الدقيق ، ففيها من الانزيمات ما يحل البروتينات ، او النشويات والسكريات ، او الدهون ، او ما كان انحل منها . وذلك حتى لايكاد يفلت من الطعام مفلت بدون هضم ، اى بدون حل الى ما هو ابسط ذائب ليدخل الى الجسم امتصاصا عن طريق جدران المعاء الدقيق .

وما عليك ان تحفظ كل هذه الاسماء، فما هذا بدرس فى كيمياء الحياة ، ولو انه كان لتوقفنا عند كل خطوة ، خطوناها سريعة ، وقتا طويلا . انما المراد اعطاء القارىء غير العالم صورة من هذا الذى يجرى بجسمه . انه شيء عظيم ، ووراءه العلم الكثير ، والفن الدقيق ، والبصر الواعى لم يترك نافذة فى القاعة تحتاج الى سد الا سدها ، ولا حاجة الى نافذة فيها الا فتحها . ونحكى واكثر الذى

جسم الانسان :

بعض الأحشاء المتصلة بالهضم
وفيه تظهر المعدة والمعا الاثنا عشرى ، والبنكرياس.
والبنكرياس يصب انزيماته في الاثنى عشرى ، والكبد تصب فيه المرارة



تحكيه لا يزال غامضا عازبا عن افهام العلماء .

الانزيمات ، ما كنهها ؟

حار العلماء فى اول الامر فى كنهها ، ثم زادوها بحثا ، وفصلوها فصلا من سوائلها فى الاجسام ، ونقوها ، وبلغوا بها من النقاء ان استطاعوا ان يبلوروا الكثير منها (والبلورة دليل النقاء والصفاء) ، وحللوها تحليلا كيماويا ليعرفوا ما بها من عناصر ، فوجدوها تتألف من العناصر التى تتألف منها البروتينات ، وبالنسب المعروفة لا سيما ما بها من ازوت اى نتروجين .

وحللوها تحليلا كيماويا ليعرفوا ما بها من عناصر ، فوجدوها تتألف من العناصر التى تتألف منها البروتينات ، وبالنسب المعروفة لا سيما ما بها من أزوت اى نتروجين .

وكان بعضها قديما لا يعطى نتائج الكشوف التى تستجيب لها البروتينات ، ثم ظهر ان الذى لا يستجيب حمل على ظهره جرما آخر ، جسما غير بروتينى كان هو سبب الفشل .

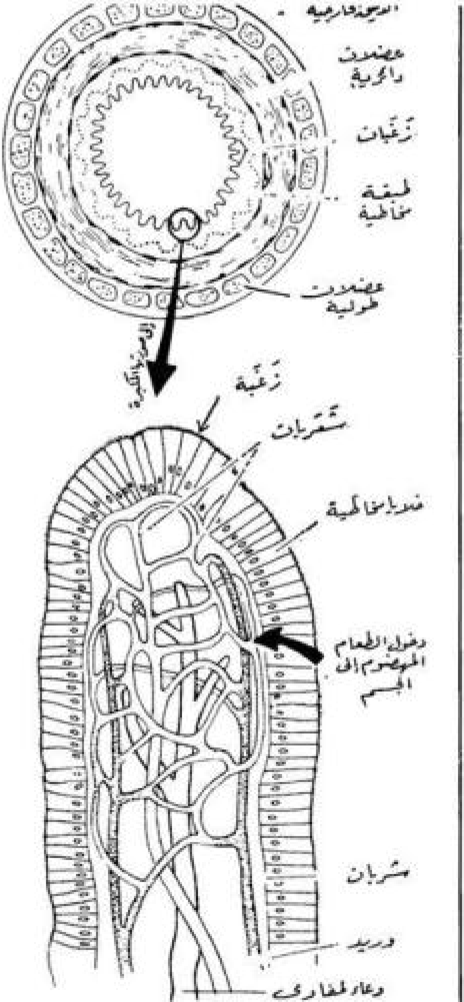
والخلاصة ان الانزيمات هى اليوم بروتينات .

وان التى تصنعها خلايا الاجسام الحية ، وما اشقها صناعة !

أسماء الانزيمات

كانت قديما تسمى أسماء لمناسبات قائمة شتى . فقلنا فى الهضم مثلا اللعابين للانزيم الذى يوجد فى اللعاب . وقلنا الببسين لانزيم المعدة الذى يهضم اللحم ، وهو من لفظ معناه الطبخ او الهضم . وهلم جرا .

اما الآن ، فنحن نسمى الانزيم باسم المادة التى يساعد على تغيير تركيبها ، ثم نضيف اليها المقطع (آز) فاللعابين نسميه الاميل آز ، والأميل معناه النشا . والببسين نسميه بروتين آز ، لانه يساعد



القسم الأعلى من الصورة
مقطع بالعرض من المعاء الدقيق
القسم الادنى من الصورة
رسم مكبر للزغبة الواحدة من الزغبات الالف الموجودة في جدار المعاء الدقيق والتى تمتص الطعام المهضوم ، فيصل داخل الزغبة الى الاوعية الدموية او الأوعية الليمفاوية (للدهن المهضوم وحده) .

على تغيير البروتين فى اللحم وغيره .

وقلنا (السكر آز) Sucrase للانزيم الذى يعمل على حل سكر القصب Sucrose الى جلوكوز وفركتوز .

وقلنا لكتاز Lactase للانزيم الذى يعمل فى اللكتوز Lactose الذى هو سكر اللبن فيحله الى جلوكوز والسكر البسيط الآخر الجلكتوز Galactose .

انزيمات للحل والتبسيط واخرى للتركيب والتعقيد

ما اظن ان القارىء غفل عن ان الانزيمات التى ذكرناها فى الجهاز الهضمى ، لاتمام عملية الهضم ، انما كانت كلها انزيمات للتكسير والحل والتبسيط Breaking Up Enzymes . والنشا ينحل الى جلوكوز ، والدهون الى حوامض عضوية وجلسرين . والبروتينات الى وحداتها الاولى ، الى حوامض عضوية امينية .

ولكن الى جانب التكسير والتبسيط والهدم ، يوجد التركيب والتخليق والبناء Synthesis . من الابسط نذهب الى الاعقد .

يظهر هذا جليا اذا ذكرنا ان خلايا الجسم لا تبقى فيه الى الابد . انها تبلى بعد حين . الاغشية وما بها من انسجة . البروتوبلازم الذى هو حشو الخلايا وهو صنوف . كرات الدم الحمراء ، الجلد وهو يفقد بشرته على الايام ويحتاج الى بشرة . كل هذه مواد معقدة التركيب ، كبيرة الجزيئات . ولكن ليس للجسم خامات يصنع منها هذه الاشياء غير ما دخل اليه من مهضوم الطعام ، وكله بسيط التركيب . جلوكوز . جلسرين . حوامض عضوية ، حوامض امينية . فمن هذه يصنع الجسم ما يريد . يخلق Synthesize ما يريد . من البسيط الى الاعقد . ويكون لهذه التركيبات انزيمات تقوم على احداثها .

انها انزيمات للتركيب والتخليق Synthesis .

التخصص فيما تعمل الانزيمات

فى القرية الصغيرة ، لا سيما فى العصور الغابرة ، كنا نجد الرجل يقوم بالحلاقة ، ويقوم فى نفس الوقت بالحجامة ، ويقوم بالختان ، ويقوم بكثير من عمل الاطباء فى غيبة الاطباء . وكذا كان الحال فى سائر شئون الحياة . الرجل يفعل الكثير المختلف من كل شيء ، ولكنه لا يعلم الا القليل من كل شيء . لم يكن هناك تخصص فى علم او مهنة او فن .

وجاءت الحضارة بالتخصص البالغ . وكلما تقدمت الحضارة زاد التخصص اتساعا ، وزاد عمقا ، وانظر للطب كم يوجد اليوم فيه من انواع الاطباء. للقلب طبيب . وللعين طبيب . وللغدد طبيب . وللاسنان طبيب . وللجلد طبيب . وقد يزيد التخصص فتزيد هذه الفروع تفرعا .

والجسم ، وهو آية الله الكبرى ، بلغ فيه التخصص درجة ان الانزيمات ، وهى القيمة على ما يجرى فيه من تغيرات وتبديلات كيماوية هى مظاهر الحياة بل هى الحياة ، هذه الانزيمات بلغت من التخصص فى عملها مبلغا عظيما .

فكل تغير حيوى ، لا يقوم عليه الا انزيم مختص به .

ولنضرب مثلا مما مضى .

النشا ينحل فى اللعاب الى سكر الشعير . والنشا يحتاج لذلك الى الانزيم اميل آز (نشا آز) . وسكر الشعير واسمه بالافرنجية ملتوز Maltose يحله الى جلوكوز انزيم آخر اسمه ملت آز Maltase .

ولكن سكر اللبن Lactose ، وهو قريب من سكر الشعير (Maltose) ، لا يحله الا الانزيم الخاص به . انه اللكتاز Lactase .

فانظر كم فى الجسم من مئات التغييرات الكيماوية . وكم اذن فيه من الانزيمات .

وصنوف من المواد قد يعينها على التغير انزيم واحد ، وذلك لان الروابط التى تربط الذرات ، التى هى معنية

بالحل او الربط ، هي فيها جميعا من الناحية الكيماوية سواء .

ونحن نقول البروتين . ونريد ان نحله . ولكن حله يقع على خطوات . فمن بروتين الى برتيوز الى بيتون الى بولى بتيد الى احماض امينية . وليس يقع هذا الحل فى الجسم فى خطوة واحدة بانزيم واحد . لهذا راينا البسين Pepsin يوجد فى المعدة . وكذا الرينين Rennin والتربسين Trypsin فى المعاء الدقيق (يفرزه البنكرياس) . وهلم جرا . حتى يتم فى النهاية حل البروتين الى الاحماض الامينية ، اى الى وحدات البروتين الاولى .

عدد الانزيمات

ولكثرة انواع التفاعلات قد يبلغ عدد الانزيمات المختلفة فى الخلية الواحدة Cell العدد الهائل من الانزيمات .

اذن ، فالجسم الحي ، حتى فى سكونه وهدوئه ، مصنع لا يقاربه اى مصنع من المصانع الكيماوية التى يقيمها الانسان ، اذا ما اعتبرنا عدد العمليات الكيماوية التى تجرى فيه .

الجسم الحي صغير ضئيل مكروني ، اذا ما نسبناه الى مصنع كيماوى قائم فى العراء واحد يصنع مادة واحدة كيماوية او بضع مواد قليلة .

والمصنع الكيماوى به رجال كيماويون يقومون على اجراء التفاعلات ، وهذا الجسم الحيْ ، بحسبانه مصنعا ، به هذا العدد الهائل من الانزيمات التى تقوم على اجراء التفاعلات ، كانما هى الرجال سرعةَ تلبية ، وحسن تلبية ، وربما كانت التلبية اسرع واحسن .

المقارنة واضحة .

وان اختلفا ، فذلك انما يكون لاننا نفهم ما يجرى فى المصنع الكيماوى كله من تفاعلات ، فاذا اتينا الى المصنع الانسانى ، او المصنع الحيوانى ، نجد اننا لا نفهم مما يجرى فيه من تفاعلات كيماوية الا القليل .

بقي التوقيت

وفى المصنع الكيماوى ، مصنع العراء، يقوم الرجال على التحوز الكيماوى يرقبونه ليعلموا كم بلغ ، لينتقلوا به من خطوة الى اخرى .

فكيف يصنع الكيماويون ، اعنى الانزيمات ، فى الجسم الحيّ ، لتوقيت اعمالهم لتتناسق الخطوات وتتلاقى فى الوقت المرسوم .

الادارة الادارة ! وضبط العمل وربطه! ودق الاجراس ، واشياء اخرى للتنبيه والايقاظ فى المصنع الكيماوى ، مصنع العراء .

اما فى المصنع الحيوانى ، مصنعي ومصنعك ، فالذى يقوم بالدعوة وبالتوقيت :

(أ) الهرمونات

(ب) والاعصاب

ولكنْ لهذا حديث آخر .

ابداع ووحدة

ونحن نطلب بهذه الاحاديث اظهار ما فى الخلق من روعة ، ومن ابداع فى صنعه ، احسب اننا قد وفّينا هذا فيما قلنا .

بقي الوحدة التى تتراءى فى الخلق . فهذه ، بعد الذى قلناه ، ايسر . اذ كل هذا الذى وصفناه ، كان المفروض فيه انه جسم الانسان نتحدث عنه . ولكن هذا الذى قلناه صح ان نقوله عن الثور ، والشاة ، والضفدعة والثعبان ، وبشيء من التبسيط الواجب ونحن ننزل الى البسيط من الخلق ، صح ان نقوله ايضا حتى الخلية الواحدة التى تعيش فى الماء، كالاميبة. فحتى الاميبة لها طعامها ، ولها ان تصنع منه نفسها ، وانسالا لها ، فلها الانزيمات تقوم على هذه التغيرات .

والى هذا وامثاله قد نعود . ●●

أحمد زكى

صِيغَةُ فَعُولٍ .. وَبعضُ معَانِيهَا

فعول بمعنى فاعل مع المبالغة فى معنى الفعل

■ (١) من أسماء الله وصفاته التي وردت في القران. الغَفور. الوَدود. العَفُوّ. الشَّكور ومن صفات الانسان التي وردت: شكور . وفخور . ويئوس وكفور. ومن صفات أخرى «طَهور» و « عَبُوس» وفي الأثر سَوْآء وَلُود خير من حسناء عقيم ».

وفي الشعر : « قَؤُول » و « فَعولُ » و «جهول » إلى غير ذلك من الألفاظ الكثيرة التي جاءت في القرآن وغيره .

وهذه الصيغة « فَعُول » تدلُ على المبالغة فيما تقدم وكذلك فى مثل ما ياتى :

تقول : رجل صَبور وحَصور وخَجول وهَيوب وتَفور وصَدوق وكَتوم ورَحوم بمعنى رَحيم ، كما تقول امراة نَثور ، وهمّة طَموح وعين دموع ، ونفس عَزوف وشاة دَرور ، وامراة عَرُوب ، اى متحببة الى زوجها . وعقبة كَؤُود ، ودَجاجة بَيوض . وقافية شرود ، وظَبية بغوم وحَرب زَبون ، ورَحَى طَحون .

ونلاحظ فى صيغة « فَعول » هذه التى هي بمعنى فاعل انها يوصف بها المذكر، كما يوصف بها المؤنث دون الحاق تاء التأنيث فى آخرها ، مادام الموصوف مذكوراً قبلها او مدلولا عليه من السياق ، وفى القرآن « قالت عَجوز عقيم » وفيه « االد وأنا عجوز » اما اذا لم يكن الموصوف موجودا ، او لا يدل عليه الكلام السابق ، فلك ان تلحق تاء التأنيث للدلالة على ان المقصود بذلك انثى ، تقول : رأيت عجوزة .

فعول بمعنى مفعول

(٢) الرَّسول من معانيها المُرْسَل ، فهو فَعُول بمعنى مفعول . والرسول أيضاً قيل إن معناه في اللغة : الذى يُتابع أخبارَ الذى بَعثه ، أخْذاً من قولهم : جاءت الإبل رَسَلاً ، أي متتابعة .

والرَّسول أيضًا بمعنى الرِّسالة نفسها ، ومن ذلك قول كُثَيِّر عَزَّة :

لقد كَذَبَ الواشون ما بُحْت عندهم بِشَرٍ ولا أرسلتهم برَسولِ

أى ولا أرسلت الواشين برِسالة .

ودَابَّة ذَلول ، قد تكون بمعنى المُذَلَّلة التي رَاضها صاحبُها ، وحينئذ تكون « فَعُول » بمعنى مفعول . وقد تكون بمعنى التي ذَلَّت وخَضَعت . والأرض الذَّلول

الموطوءة المُعَبَّدة . وفي القرآن « هو الذى جعل لكم الأرض ذَلولا » يحتمل أنها المُمَهَّدة ، ويحتمل أنها خاضعة لكم .

والرَّكوب : الدابَّة التى تُركَب ، فهى « فعول » بمعنى مَفعول . وفي القرآن وذَلّلناها لهم فمنها رَكُوبهم » . وصيغة « رَكُوب » قد تأتى بمعنى الرَّجل الكثير الرُّكوب ، وذلك حسب الجملة التى تريد أن تصف بها فيها .

ولفظ امرأة ذَعُور ، قالوا إنها التى تُذْعَر من كل شيء . والتَّوبة النَّصُوح ، قالوا هى المَنصوح لله فيها . وإذن تكون كلمة « ذَعور » وكلمة « نَصوح » من صيغة فَعُول بمعنى مفعول .

فعول بمعنى المصدر

(٣) قَبِلَ الأمرَ قَبُولاً وَولِعَ به وَلُوعاً . « القَبُول » و « الوَلُوع » كل منهما مصدر . وقالوا : وَقَدَت النارُ وُقُوداً ووَقُوداً . وفرَّق بعضهم بين الوُقُود والوَقُود . فقال : الوُقُود بضم الواو هو المصدر . والوَقُود بفتح الواو هو ما ترَى من لهبها أو هو الحَطَب . وفي القرآن « النار ذات الوَقُود » ذات التَّوَقُّد ، وعقبوا على ذلك وقالوا : يكون مَصدراً بمعنى التَّوَقُّد أحسنُ من أن يكون الوَقُود الحَطَبَ .

وقال سيبويه في كتابه ج ٢ ص ٢٢٨ « هذا باب ما جاء من المصادر على « فَعول » تَوضَّأت وَضُوءاً حَسَناً ، وتَطَهَّرت طَهوراً حَسنا . وأولِعت به وَلُوعاً . وسمعنا من العرب من يقول : وَقَدَتِ النارُ وَقوداً غالِياً . وقَبِلَه قَبُولاً والوَقُود أكثرُ . والوَقودُ الحَطَب . وتقول إن على فُلانٍ لَقَبُولاً ، فهذا مفتوح » .

وتقدم في القسم الأول أن لفظة « طَهُور » جاءت صيغة مبالغة أيضًا .

« فعول » بمعنى الشىء الذى يقع عليه الفعل

(٤) النَّشوق : ما يُنْشَق في الأنف . والذَّرور ما يُذَرُّ على القَرْح . والغَسُول ، الماءُ الذى يُغْتَسل به ، والوَجُور ما يُوجَر في الفم ، أى يوضع في الفم من الدواء . وكذلك النَّشوغ والنَّشوع هما ما يوضع من دواء في الأنف أو الفم . والحَنُوط : طِيبٌ يُخْلط للميت خاصة : والبَلُوع ، والسَّفوف ، والصَّبوح ، والغَبُوق ، والفَطُور ، والسَّحور ، والسَّعُوط ، والصَّعوط .

هذه كلها ألفاظ على صيغة « فَعُول » وهى أسماء للشيء الذى يقع عليه الفعل . أصلها ، فيما يبدو لنا من معانيها ، أنها دالّة على معنَى اسم المَفعول . فَعُول بمعنى مفعول ، ثم صارت بعد ذلك بمنزلة الأسماء للأشياء التى تُفْعَل .

■■

مسابقة العربي

اختبر معلوماتك

أجب عن ١٠ أسئلة واربح إحدى الجوائز

■ الغاية من هذه المسابقة، كالغاية من المسابقةالماضية : امتاعك، وزيادة معلوماتك، ومكافأتك بجائزة اذا سمحت بذلك اجوبتك . والمطلوب منك هو ان تجيب على عشرة اسئلة فقط من الاسئلة الاثنتي عشرة التالية .. وكما قلنا لك بصدد المسابقة الماضية، لك ان تتحرى الأجوبة كما تشاء، وحيثما تشاء ... فالذى يعنينا هو ان تكون اجوبتك صحيحة .

١ ـ عقبه بن نافع وقتيبه بن مسلم، قائدان من ابرز القواد العرب الذين قامت على اكتافهم الفتوحات الاسلامية . ترى اين كانت فتوحات كل منهما : في مغرب العالم العربي، او في مشرقه ؟ ..

٢ ـ اللغة العربية مليئة بالتشبيهات .. منها قولهم :

١ ـ احذر من غراب .

٢ ـ اسمع من فرس .

٣ ـ احقد من جمل .

٤ ـ أسخى من ديك .

٥ ـ ... من ثعلب .

والمطلوب ان تملأ الفراغ الذى تجده في اول العبارة الخامسة ...

٣ ـ من هو الرحالة العربي المغربي الذى عاش في القرن الرابع عشر ميلادى، وطاف في اكثر بلاد العالم المعروف في زمنه، وتولى منصب القضاء في بلاد الهند، وضمن اخبار رحلته كتابا ترجم الى عدة لغات، واسم كتابه هذا :

« تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » .

٤ ـ سومطره وسوقطره .. الاولى جزيرة كبيرة تقع في جنوب شرق آسيا، الى الجنوب من شبه جزيرة الملايو، وهي جزء من اندونيسيا . فما هي الثانية، واين تقع وأي بلاد تتبع .. !

٥ ـ قائد عظيم، من اشهر قواد التاريخ القديم، عاش (٢٤٧ ـ ١٨٣ ق.م)، وخاض حروبا طويلة مع الرومان، وزحف على روما عبر جبال الالب، وقد استخدم الفيلة في حملته الشهيرة هذه .. الا ان النصر لم يكن حليفه في النهاية .. فما اسم هذا القائد ؟

٦ ـ الولايات المتحدة الامريكية تضم بين ولاياتها ولاية هي اكبر تلك الولايات مساحة، واقلها سكانا، وقد اشترتها حكومة واشنطون من روسيا القيصرية بمبلغ ٧٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار، فكان

ثمنا بخسا بالنظر الى البترول الذى اكتشفوه مؤخرا في تلك الولاية بكميات ضخمة .. فما هي تلك الولاية .

١ ـ تكساس ٢ ـ الاسكا ٣ ـ هواى

٧ ـ الدانمرك ، السويد ، فنلنده ، النروج ، احدى هذه الدول جمهورية والثلاث الاخرى ملكيات .. فايها هي الجمهورية ..

٨ ـ توماس اديسون عالم امريكي عرف بكثرة مكتشفاته العلمية . عاش ٨٤ سنة اى من ١٨٤٧ ـ ١٩٣١ . واشتهر اديسون هذا باحد الاختراعات التالية :

١ ـ التلفاز

٢ ـ الجرامفون (الحاكي)

٣ ـ المحرك البخاري

٩ ـ ديك يعرف في المشرق العربي باسم الديك الرومي . ويعرف في انجلترا باسم الديك التركي ويعرف في بلاد اخرى بالديك الحبشي ، فاى هذه البلاد موطنه ، او ان موطنه كموطن البطاطا والطماطم هو امريكا القارة الجديدة ، علما بانه لم يكن معروفا في اوروبا وبلاد المشرق العربي قبل القرن السادس عشر .



توماس اديسون

١٠ ـ كائن حي يطير وهو ليس بصنف من الطيور ، وكائن حي آخر لا يطير وهو صنف من الطيور ، فاضرب مثلا واحدا لكل منهما ..

١١ ـ في سنة ١٩٦٣ ارتادت الفضاء ودارت حول الارض امراة للمرة الاولى في التاريخ : فما اسم هذه الرائدة الاولى وما جنسيتها ...

١٢ ـ الليرة هي عملة لبنان وعملة سوريا ولكن يوجد في اوربا دولة اخرى تسمى عملتها الليرة .. فما هي هذه الدولة ..

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اغسطس (آب) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة

الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي

خطا خطوات موفقة كثيرة

بين البلدان المتطورة

بقلم : اسماعيل العربي

■ كان غزو الدول الاستعمارية لآسيا وافريقية مظهرا من مظاهر ما كان يسمى في القرن التاسع عشر بتوازن القوى ، ولذلك كانت الدول التي تبحث عن اسواق المواد الخام والنفوذ السياسي لا تجد عائقا لفرض سيطرتها سوى جشع الدول الأخرى التي تضاهيها قوة وتنافسها في السيطرة . وكذلك كان من سوء طالع كثير من المناطق في القارتين أن تجد نفسها وقد قسمت على الورق بين عشية وضحاها الى مناطق نفوذ ، والى بلاد لا يقوم كيانها الا على اعتبارات التبعية السياسية دون مراعاة للطبيعة الجغرافية والاوضاع الاقتصادية أو العلاقات البشرية .

ومن هذا التعسف والانانية ورثت بلدان القارتين خريطة غريبة سيظل طلبة المدارس فيها اجيالا طويلة يعانون صعوبة في فهمها . اذ كيف يمكن تفسير وجود بلدين احيانا على هذه الخريطة يحملان اسما واحدا وينحدران من اصل واحد وتحيط بهما ظروف اجتماعية واقتصادية متشابهة مثل الكونغو وغينيا وكوريا الخ . ؟ بل كيف يمكن تفسير خريطة الشرق الاوسط نفسها ، حيث لم يكتف الاستعمار بتفتيت هذه المنطقة التي كانت دهورا طويلة تشكل وحدة سياسية واقتصادية متكاملة ، الى دويلات عديدة ، بل عمد ، زيادة على ذلك ، الى تمزيق المنطقة بوضع دويلة صهيونية مصطنعة وسطها اورثها الاستعمار كل خصائصه المميزة .

ففي اطار هذا التقسيم الاستعماري ، تبلورت معظم البلدان المتطورة في القارتين الى قوميات ضيقة ارتبطت مصالحها الثقافية والاقتصادية مع مرور الزمن بمصالح المستعمر السابق الذي يهمه في المكان الاول ضمان استمرار تبعية هذه البلدان بعد الاستقلال . وكذلك اصبحنا الان نرى بلدانا متجاورة يجمعها اطار جغرافي واحد وتسود فيها ظروف اجتماعية واقتصادية متشابهة ولكنه تفصل بينها حواجز وحدود لاسبيل الى التغلب عليها . فمنتجات هذه البلدان تتجه الى اسواق المستعمر السابق ، لانها لاتجد طرقا معبدة الى الاسواق المجاورة ان قدر لها الرواج فيها ، ولان بنوكها ومؤسساتها المالية وشركات التامين فيها لاتربطها صلة بمثيلاتها في البلدان المجاورة .

وهذه الاعتبارات السياسية هي التي تفسر لنا ما نشاهده الان من ان التبادل التجاري بين بلدان

الاندماج الاقتصادي :

- يمكن من إقامة صناعات
- يرفع مستوى المعيشة في الريف
- يمنع استغلال دول الاستعمار

القارة الافريقية ، مثلا ، لا يشكل سوى ١٠٪ من مجموع تجارة هذه البلدان (١) .

وهذا الخطا في الاوضاع انما يمكن تصحيحه بجهود صادقة من البلدان المتطورة للتكتل في نطاق اقليمي باخذ الى الاعتبار جميع العوامل الطبيعية والتاريخية ، بل والسياسية ايضا الى حدما . وذلك لان خلق الاعتماد الاقتصادى المتبادل يفترض حدا ادنى من التفاهم السياسي ليكون اساسا للتعامل مع الخارج ، وليكون خصوصا مصدرا للثقة لدى شعوب البلدان المتكتلة بان ما تبنيه في المجال الاقتصادي لن تعصف به الاعاصير السياسية في المستقبل .

ما هو التكتل الاقليمي ؟

أصبح التعاون على المستوى الاقليمي للتنمية الاقتصادية من اهم مميزات النشاط الدولى في العصر الحاضر . وقد كانت النتائج الايجابية التى حققها التكتل الاقليمى والشبه الاقليمى في اوروبا الغربية ، ولاسيما في نطاق دول البانيلوكس والسوق الاروبية المشتركة، حافزا مشجعا للبلدان المتطورة لكى تتكتل وتجمع امكانياتها للتنمية على مستوى اقليمي شبه اقليمي(٢) .

ومن الحقائق التي برزت بوضوح في غضون العقد الماضى ، انه اذا كان التعاون والتكتل او الاندماج الاقتصادى نشاطا كماليا مفيدا للبلدان المتقدمة ، فهو بالنسبة الى البلدان المتطورة ضرورة حيوية لدعم تقدمها وتنميتها الاقتصادية . فان ٩١ بلدا من البلدان المتطورة لايزيد عدد سكان كل منها على ١٥ مليون نسمة (اى مستهلك) . واقامة صناعة قومية في اى من هذه البلدان على اساس الاسواق المحلية امر باهظ التكاليف ، بل ويكاد يكون مستحيل التحقيق . ولذلك يتحتم أن تعتمد كل صناعة تقوم في بلد من هذه البلدان اما على اسواق البلدان المتقدمة حيث تقوم في وجهها حواجز منيعة وحيث المنافسة حادة ، واما على اسواق البلدان المتطورة الاخرى التي قد تكون

---

(١) وأما التبادل التجارى بين البلدان المتطورة بصفة عامة ، فهو لا يتجاوز خمس مجموع صادرات هذه البلدان ـ حوالي ثلث هذه النسبة يتكون من النفط (خصوصا من الشرق الاوسط) الى بقية البلدان المتطورة . للتفاصيل راجع :

. World Economic Survey ,I. 1968. (E/4687/Add.3.) PP. 49 - 53.

(٢) للمقارنة بين التكتل الاقليمي في البلدان الصناعية والبلدان المتطورة، يمكن مراجعة كتاب .

. Soltovsky T., : Economic Theory and Westren Integration, London. 1965.

بدورها بصدد انشاء صناعات خاصة بها تضطر الى احاطتها بسياج من الحماية الجمركية .

فالحل الذي تفرضه الضرورة اذا ، هو اقامة صناعات مشتركة بين عدد من البلدان المتجاورة على مستوى اقليمي أو شبه اقليمي تدعمها أسواق واسعة تجعلها قادرة على مواجهة المنافسة الخارجية ، فتوفر بذلك اساسا لتنمية شاملة متكاملة . ومتى تم ذلك تصبح الاقاليم المتكتلة لامجرد وحدات جغرافية ترتبط بمصالح مؤقتة ، بل كيانات اقتصادية تحسب الدول المتقدمة حسابها في المفاوضات التجارية وغيرها .

والتكتل لتحقيق التنمية على مستوى اقليمي عملية تتم تدريجيا وبواسطة اتفاقات تحدد للتعاون اهدافا قريبة واهدافا بعيدة المدى .

واهم الخطوات في طريق التكتل الاقليمي الاقتصادي ، هو تحرير التبادل التجاري تدريجيا ، وتنسيق التشريعات القومية ، خصوصا في مجال النقد وجباية الضرائب ، بين البلدان المتكتلة تنسيقا ياخذ الى الاعتبار حاجات البلدان الاقل تطورا ويكون اساسا لسياسة جمركية وتجارية مع الخارج . وكذلك يتحتم ان تعالج الاتفاقيات التي تعقد بهذا الشان ، مشاكل جوهرية اخرى في عملية التنمية وذلك مثل حرية تنقل رؤوس الاموال والاستثمارات واليد العاملة وجميع وسائل الانتاج .

والافضل ان يبدأ الاندماج على مستوى شبه اقليمي وفي اطار جغرافي تتوفر فيه العوامل السيكولوجية والاجتماعية الاساسية مثل اللغة وتقارب المشارب الثقافية ووجود تراث تاريخي مشترك بين البلدان المندمجة . وبعد ذلك تندمج الكيانات الشبه الاقليمية في تكتل اقليمي واسع ليصبح هو بدوره ، في الوقت الملائم ، طرفا في حوار أو تكتل على مستوى القارات .

ولكن يمكن لاجراءات التصنيع وتحرير التبادل التجاري على المستوى الاقليمي ان تاتي بثمرتها ، يقتضي الامر أن تشتمل الاتفاقيات التي تعقد بشأنها على الخطوط الاساسية لسياسة تستهدف تنمية القطاع الزراعي، الى جانب القطاع الصناعي (والقطاعان، كما هو معلوم ، يكمل احدهما الاخر). وذلك لان العناية بالقطاع الزراعي امر من شانه ان يؤدي الى رفع مستوى المعيشة بين سكان الارياف والى زيادة مقدرة الفلاحين الشرائية ـ الامر الذي سيكون له اثر فعال في تشجيع الصناعة والتبادل التجاري في نطاق التكتل الاقليمي .

الفوائد والعقبات

ربما كانت اهم مزايا الاندماج الاقليمي هي ان هذا الاندماج من شانه ان يزيل الحدود القومية والحواجز الاقتصادية ويوفر للبلدان المنخرطة فيه أسواقا واسعة للصناعات القائمة وفرصا لاقامة صناعات جديدة . ومن المعلوم ان اتساع نطاق الاسواق يؤدي الى اتساع نطاق الصناعات ، بحيث تتمكن من استخدام الآلات الكبيرة ومن شراء كميات كبيرة من المواد الخام ، وبعبارة اخرى الى نقص تكاليف الانتاج وزيادة القدرة على المنافسة .

ونحن نعرف ان من العوامل الرئيسية في ضآلة حجم الاستثمارات ، وبالتالي ، في نمو الصناعات خصوصا في افريقية وآسيا ، صغر اسواق بلدان القارتين . وتاثير حجم الاسواق في نمو الصناعات حقيقة اقتصادية سبق أن لاحظها القدماء واعترفوا باهميتها . فمنذ نحو قرنين ، كان آدم سميث قد قرر ان حجم الاسواق هو المقياس النهائي لتحقيق مستوى عال من الانتاج . وهذه الحقيقة تنعكس في عصرنا في مقدرة الصناعات على استيعاب التكنولوجية .

وكذلك يمكن القول ، كما لاحظ الاستاذ تيبور سيتوفسكي بان بلدا ما يعتبر صغيرا طالما كان صغيرا من الناحية التكنولوجية وبحيث لايمكنه ايجاد منفذ ملائم لانتاج مصانعه حينما تعمل بكامل طاقتها .

ومن جهة اخرى ، فان الاندماج الاقليمي يساعد على توسيع نطاق الانتاج ، لابسبب ما ينجم عنه من اتساع الاسواق فحسب ، بل وايضا بسبب التحسن الذي يطرأ على مستوى المعيشة في المناطق التي يشملها الاندماج وزيادة الطلب للمنتجات الصناعية . واهمية العامل الاخير تتضح لدينا خصوصا اذا ادركنا ان المقدرة الشرائية في البلدان المتطورة ، حيث لايزال الطلب يدور حول ضروريات الحياة ، ضعيفة جدا . واتساع حاجات الجماهير بحيث تشمل الكماليات والمنتجات المصنوعة امر من شانه ان يؤدي الى تشجيع الانتاج وازدهار الصناعة .

والصناعات التي تقوم في نطاق قومي تتمتع

بالحماية الجمركية والمساعدة الحكومية . وتبعا لذلك ، فان انتاجها لا يجد مزاحمة اجنبية في السوق المحلية من حيث النوع والسعر . وبالتالى فان الصناعات القومية كثيرا ما تتحول الى مصلحة ادارية تميل تدريجيا الى الركود وقلة الاكتراث بالتجديد والتحسين ، حيث انفرص النجاح مضمونة لها . وعلى العكس ، فان الصناعة التى تقوم على مستوى اقليمي ، تجد في المنافسة الخارجية والداخلية حافزا منشطا للعمل لتدعيم نفسها . وبعبارة اخرى ، فكلما كان المجال فسيحا لمنتجات البلدان المتطورة للتنافس فيما بينها ، كان مركز صناعتها لمنافسة منتجات البلدان الصناعية اقوى واضمن .

وخلاصة القول ، ان البلدان المتطورة قد ادركت ان سرعة التقدم في الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي ، من شانها ان تزيد من دخلها وتساعدها على المتاجرة بشكل فعال مع بقية بلدان العالم . وهذه هي النقطة التي يلتقي عندها الاقتصاد الدولي والتكتل الاقتصادي على المستوى الاقليمي .

ولكن الاندماج الاقليمي لايخلو من عقبات ومضايقات بالنسبة لبعض البلدان التي تشترك فيه . وربما كانت اهم المشاكل التي تنطوى عليها التنمية فى نطاق الاندماج الاقليمي ، هي مشكلة توزيع الفوائد بصورة عادلة بين البلدان المتكتلة . وقد دلت التجربة على ان البلدان الاقل تطورا تواجه صعوبات خطيرة اذا لم تحصل على ضمانات خاصة تكفل مصالحها بين جيرانها . وليس اقل هذه الصعوبات شانا ان تلك البلدان التي لاتزال فى المراحل الاولى من تنميتها، ستصبح عاجزة عن حماية صناعتها الناشئة ضد صناعات جيرانها المتقدمة عنها . هذا فضلا عن انها ستضطر الى دفع اسعار اعلى للبضائع التي تستوردها من جيرانها الاكثر تطورا بالقياس الى الاسعار التي تدفعها لشراء نفس البضائع حينما تستوردها من البلدان المتقدمة . وكذلك ثبت ان عملية توزيع الفوائد توزيعا عادلا فى نطاق التكتل الاقليمي ، عملية اصعب فى البلدان المتطورة منها فى البلدان المتقدمة .

والواقع ان سد الثغرة التي تفصل بين البلدان الاقل تطورا والبلدان المتطورة التي سجلت تقدما فى التنمية ، هدف لايقل اهمية عن الهدف العام الذى تسعى التنظيمات الاقليمية للتنمية الى تحقيقه ، الا وهو تقريب الشقة التي تفصل بين البلدان المتطورة والبلدان المتقدمة .

نماذج للتنمية الاقليمية

لعبت اللجان الاقليمية التابعة للامم المتحدة دورا هاما فى تشجيع التعاون والاندماج الاقتصادى الاقليمي ، وذلك بتقديم الاطارات والمشورة التكنية ووضع الدراسات والمخططات والتعاون مع الحكومات فى مختلف الميادين . وانه لمن سوء الحظ ان منطقة الشرق الاوسط ليس لديها لجنة اقتصادية خاصة بها لتقوم بهذا الدور (١) . وقد كان من نتائج اعمال هذه اللجنة تنسيق عملية التنمية بين مختلف المناطق والقارات وزيادة التفهم للمشاكل التى تواجهها البلدان المتطورة . وفى السطور التالية نستعرض الخطوط الرئيسية لمختلف التنظيمات الاقليمية فى القارات الثلاث .

أمريكا اللاتينية

اتيح لبلدان امريكا اللاتينية من التراث الادبى المشترك ومن تقارب الاوضاع الاقتصادية ما لم يتح لغيرها من بلدان القارتين الافريقية والاسيوية . وهذه عوامل ذات اهمية فى التنمية الاقليمية . وكذلك بذلت هذه البلدان جهودا كبيرة فى غضون العقد الاخير لرفع الحواجز الجمركية ولتعزيز التعاون الاقتصادى على مستوى الحكومات . وقد قام كل واحد من هذه البلدان بمحاولات تذكر للتصنيع ، كل فى نطاق حدوده . ولكنها شرعت منذ بداية العقد الماضى ، وخصوصا فى نطاق « التحالف من اجل التقدم » الذى يضم الولايات المتحدة ايضا ، تتجه الى العمل لادماج اقتصادها على مستوى اقليمي . وقد وجدت مشروعات الاستثمار المتعددة القوميات تشجيعا خاصا من بنك التنمية الامريكى المشترك الذى ساهم مساهمة فعالة فى التمويل المتوسط الاجل وفى

---

(١) تعرض مندوب دولة الكويت لهذا النقص فىتدخل له اثناء انعقاد الدورة الخامسة والاربعين للمجلس الاقتصادي والاجتماعي التي عقدت فىجنيف ، وكان من نتائج هذا التدخل منح مكتب بيروت للامم المتحدة وضعا يشبه وضع اللجان الاقتصادية الاقليمية .



البقعة السوداء في هذه الخريطة هي دول السوق المشتركة لامريكا الوسطى ، اما الدول التي عليها نجوم ، فهي الدول الاعضاء في جمعية التبادل التجاري الحر ، في جنوب امريكا .

التجهيز الصناعي في البلدان التي يشملها الاندماج الاقليمي .

وكذلك اصبحت جميع بلدان امريكا اللاتينية الان ، فيما عدا منطقة جزر الانتيل ، اعضاء اما في جمعية التبادل التجاري الحر ، او في السوق المشتركة لامريكا الوسطى . وكلتا المنظمتين كانت ثمرة لجهود اللجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية (التابعة للامم المتحدة) التي كانت سكرتيريتها صاحبة الفكرة في انشائها .

السوق المشتركة لأمريكا الوسطى

تضم كوستاريكا والسالفادور وجواتمالا وهاندوراس ونيكاراجوا (عدد سكانها ١٢ مليون نسمة) وهي تعتبر انجح مجهود للتنمية الاقليمية في البلدان المتطورة للاندماج الاقليمي . وقد بدأ التعاون بين هذه البلدان في اوائل العقد الخامس ولكنه لم يتبلور الى المعاهدة التي تقوم عليها هذه السوق الا في سنة ١٩٦٠ . وتقضي نصوص هذه المعاهدة التي انضمت اليها كوستاريكا فيما بعد ، بالغاء الحواجز الجمركية بين البلدان الاعضاء ، فيما عدا ما يتصل ببعض المنتوجات الزراعية ، وباعتماد تعرفة جمركية مشتركة مع الخارج تشمل ٩٨٪ من الواردات . وكذلك قامت بلدان السوق بتنسيق سياساتها المالية وبانشاء عدة مؤسسات مالية مشتركة، مثل بنك الاندماج لامريكا الوسطى. وفي غضون السنوات الخمس الاولى من حياة هذه السوق ، زاد التبادل التجاري بين اعضائها من ٨ر٣ مليون دولار الى ١٣٦ مليون دولار .

جمعية التجارة الحرة

تضم ١١ بلدا وهي الارجنتين وبوليفيا والشيلي وكلومبيا والاكوادور والمكسيك والباراجواي والبيرو والاروجواي والبرازيل وفنزويلا . وقد شكلت عقب مفاوضات قدمت خلالها الدول الاعضاء ترضيات متبادلة واسعة النطاق وعلى اساس اتفاقية دخلت في حيز التنفيذ في غضون الفترة التي تمتد بين ٦٢ ــ ١٩٦٦ . والاتفاقية تستهدف اقامة سوق مشتركة لبلدان امريكا اللاتينية برمتها .

افريقية

يوجد في القارة الافريقية اكثر من ٢٠ بلدا لايتجاوز عدد سكان كل منها مليونين ونصف مليون نسمة ، ولايزيد دخل كل منها السنوي على ٢٥٠ مليون دولار . وصغر حجم البلد وضآلة موارده الاقتصادية ، من العوامل التي تجعل التكتل

والاندماج الاقليمى ضرورة حيوية لنجاح التنمية فى هذا البلد . ومن جهة اخرى ، فنحن نعرف ان افريقية قد عانت من « التفتيت » الاستعمارى اكثر مما عانت آسيا . ونظرا لصغر رقعة معظم هذه البلدان ولفقرها ، فقد استمر كثير منها على علاقاته الاقتصادية مع المستعمر السابق بعد زوال التبعية السياسية . وهذه العلاقات التي تشمل التجارة والعملة والمواصلات ، كانت ولاتزال عائقا خطيرا فى طريق التكتل والاندماج الاقليمي بين بلدان متجاورة . ومع ذلك ، فان اتفاقيات عديدة عقدت على مستوى شبه اقليمي بين عدد من البلدان كانت اساسا لقيام بعض المؤسسات المشتركة ، مثل البنك الافريقى للتنمية .

السوق المشتركة بين بلدان افريقية الشرقية

تضم كينيا واوغاندا وتانزانيا ويبلغ عدد سكان هذه المجموعة من الدول ٢٥ مليون نسمة وهذه السوق قائمة منذ سنة ١٩٢٥ ، حينما كانت هذه البلدان تشكل وحدة جمركية ونقدية . ولما نالت استقلالها ، اصبح التبادل التجارى فيما بينها حرا تماما ، فيما عدا بعض المنتوجات الزراعية . وكل واحد من هذه البلدان يطبق مع الخارج نفس التعرفة التي تطبقها البلدان الاخرى الاعضاء .

على ان عقبات سياسية اعترضت طريق هذا التعاون فاصبحت الجهود التي تبذل فى الاونة الاخيرة تنحصر فى محاولة انقاذ السوق .

الاتحاد الجمركى لافريقية الوسطى

شكل هذا الاتحاد الذى يضم التشاد والكامرون وجمهورية افريقية الوسطى والكونغو (برازفيل) فى يناير سنة ١٩٦٦ . ولهذه البلدان التي يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة ، تعرفة جمركية



توضح هذه الخريطة التكتلات الاقتصادية ، والاسواق المشتركة فى القارة الافريقية .

مشتركة وسياسة موحدة للاستثمار وبنك مركزي مشترك . والبلدان الاعضاء في الاتحاد تلتزم بالقيام باجراء مشاورات فيما بينها قبل البدء في انشاء صناعات قومية تنتج للتصدير الى منطقة السوق الاقليمية .

الاتحاد الجمركي لافريقية الغربية

يضم هذا الاتحاد ساحل العاج ودهومي والفولتا العليا ومالي وموريطانيا والنيجر والسينغال . وكان الهدف الاساسي من تشكيله في سنة ١٩٥٩ ، هو المحافظة على الوحدة الجمركية التي كانت قائمة بين هذه البلدان في عهد الاستعمار . والتبادل التجاري بين الدول الاعضاء في الاتحاد معفى تماما من الضرائب الجمركية .

المنظمة الافريقية المدغشقرية

تضم هذه المنظمة ١٤ دولة من الدول الناطقة باللغة الفرنسية . ومن اهم الاعمال التي انجزتها المنظمة انشاء سوق مشتركة بين بلدان هذه المنطقة للسكر . وقد وقعت الاتفاقية التي تكونت المنظمة بمقتضاها في سنة ١٩٦٦ .

اللجنة الاستشارية الدائمة المغربية

تضم المملكة المغربية تونس وليبيا . ومهمة هذه اللجنةالتي‌تتلقى‌مساعدة فعالة من برنامج التنمية التابع للامم المتحدة ، هي تنفيذ خطة اقليمية للتنمية ووضع سياسة مشتركة للتصنيع ولتصدير المنتجات المغربية التقليدية ، والبحث عن الطرق والوسائل التي تسمح لهذه البلدان بخفض‌التعرفة الجمركية فيما بينها .

منطقة الشرق الاوسط

تجمع بين بلدان هذه‌المنطقة روابط اللغةوالدين والتقاليد والثقافة في نطاق حضارة مشتركة . ولكن هذه الصلات التي تنطوي على امكانيات خصبة للتعاون والاندماج الاقتصادي‌على المستوى الاقليمي لاتزال تحت ضغط التوتر السياسي الذي يسود هذه المنطقة خلال العقدين الماضيين نتيجة خصوصا للعدوان الاسرائيلي المتكرر ـ الامر الذي يضطر هذه البلدان الى تكريس كثير من مواردها لاغراض الدفاع والاكتفاء بالحد الادنى من التكتل والاندماج الاقليمي الاقتصادي . وعلى كل حال ، فان الجهود التي بذلت لهذه الغاية اسفرت عن اتفاق انشئت بمقتضاه السوق العربية المشتركة في سنة ١٩٦٤ . وهذه السوق ستتحقق في غضون الفترة التي تمتد حتى سنة ١٩٧٤ .

والدول الاعضاء في السوق هي الجمهورية العربية المتحدة والاردن والعراق وسورية واليمن. واما السودان الذي صدق على اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، فينتظر ان يصبح العضو السادس بعدما تكمل الترتيبات الضرورية لتنفيذ نصوص الاتفاقية .

وقد اصبحت الاجراءات التي وضعت لخفض التعرفة الجمركية بين البلدان الاعضاء نافذة المفعول ابتداء من سنة ١٩٦٥ . وكذلك الغيت الآن جميع القيود الجمركيةعلى المنتوجات الزراعية والحيوانية المتبادلة بين بلدان السوق .

وكذلك اصبح عدد من المنتجات الصناعية معفى من الضرائب الجمركية ، بينما يتمتع الباقي بالاعفاء بنسبة ٨٠٪ ، والمنتظر أن تتمتع المنتجات الصناعية بالاعفاء التام في اول يناير ١٩٧١ (١) .

والى جانب هذه الاجراءات وضعت الصيغة النهائية لخطة لانشاء اتحاد عربي للمدفوعات ، كما وضع مشروع لمنظمة عربية للجمارك ستكون مهمتها الاشراف على تنفيذ نظام التعرفة الجمركية الموحد (٢) .

آسيا الجنوبية والشرق الاقصى

ان الجهود التي تبذل في مجال التنمية على المستوى الاقليمي في هذه المنطقة بطيئة جدا . ومرجع ذلك الاختلاف الكبير بين سكانها من حيث الجنس واللغة والثقافة والدين والاتجاه السياسي العام ، وخصوصا ظروف الحرب المدمرة التي تجتاح هذه المنطقة منذ نيف وربع قرن من الزمن . ولهذه الاعتبارات كلها نجد ان العلاقات بين البلدان الواقعة في هذه المنطقة ضعيفة ، بل وفي بعض الاحيان معدومة تماما ، هذا اذا استثنينا

---

(١) تقرير السوق العربية السنوي الى الجات ،لسنة ١٩٧٠ ، رقم L / 3340 .

(٢) نفس المصدر

الدول التي ترتبط بعلاقات في نطاق الكومنويلث البريطاني . وبالتالي ، فان هذه البلدان لم تتمكن حتى الان من استنباط نماذج فعالة للتعاون الاقتصادي الاقليمي . وما حققته بعض البلدان في هذا المجال ينحصر في التعاون الثقافي والتقني . ولكن محاولتين او ثلاثا ، جديرة مع ذلك بالاشارة، وهي تجرى على مستوى شبه اقليمي .

جمعية آسيا الجنوبية الشرقية

تضم هذه الجمعية الفليبين وتايلاند وماليزيا ، وهي تستهدف اقامة تعاون بين هذه البلدان في المجال الاقتصادي والعلمي والتربوي ، كما تسعى الى تكوين منطقة حرة للتجارة بين البلدان الثلاث.

مشروع دلتا الميكونج

يسعى هذا المشروع الذي يجرى تنفيذه بمساعدة فعالة من الامم المتحدة والذي يضم كمبوديا وتايلاند وفيتنام الجنوبية ، خصوصا الى تسخير مياه النهر لانتاج الطاقة الكهربائية لفائدة حوالي ٥٥ مليون نسمة ، كما يعمل أيضا لتحسين ظروف الملاحة في نهر الميكونج ولتوفير وسائل الري الخ .

اتفاقية التعاون الاقليمي

وهي تضم باكستان وايران وتركيا ، وقد انشئت في سنة ١٩٦٤ . وهذه الاتفاقية تعتبر اهم خطوة في طريق التعاون بين البلدان الاسيوية . وهي قد سجلت تقدما ملحوظا في التطبيق ولا سيما فيما يتعلق بالخدمات البحرية والمواصلات بصفة عامة.والاتفاقية لاتنص على رفع الحواجز الجمركية ولكن البلدان الثلاثة ترتبط باتفاقيات ثنائية لشئون الجمارك تنطوي على ترضيات متبادلة معتبرة .

مؤتمر دلهي والتنمية الاقليمية

كان مجلس مؤتمر التجارة والتنمية قد بحث باستفاضة خلال الدورة الخامسة التي عقدها في جنيف مسالة التنمية الاقليمية في نطاق بحثه لجدول اعمال مؤتمر دلهي . وقد جرى هذا البحث على ضوء الدراسات العديدة التي قدمتها السكرتيرية وعلى ضوء تقارير مختلف اللجان والمنظمات الاقليمية الى المجلس .

وكذلك وضع امام مؤتمر دلهي من الدراسات والبيانات ما سمح له ببحث مختلف جوانب مسالة التنمية الاقليمية وباصدار تصريح هام بشانها (١).

جاء في هذا التصريح ان المؤتمر « يؤكد القول بان زيادة التبادل التجاري والتعاون والاندماج الاقتصادي بين البلدان المتطورة ، امور تعتبر عنصرا هاما في استراتيجية دولية شاملة للتنمية ومن شانها ان تسهم اسهاما جوهريا في تقدم تلك البلدان اقتصاديا » .

ومن جهة اخرى ، يعترف القرار بان مهمة تنظيم الاندماج الاقتصادي الاقليمي تقع على عاتق البلدان المتطورة نفسها ، ويشيد بالتقدم الذي سجلته اجهزة التنمية الاقليمية الموجودة حاليا .

ولتشجيع التنمية على المستوى الاقليمي ، يوصى القرار البلدان والمؤسسات الدولية المتخصصة بان تتخذ اجراءات لمنح المساعدة المالية والتقنية الملائمة التي تسمح للبلدان المتطورة بتحقيق تقدم سريع في طريق الاندماج الاقتصادي. ويختتم القرار بتسجيل تصريحات الوفود بشان ما انجز في مضمار التنمية الاقليمية في القارات الثلاث .

وخلاصة القول ان تضامن العالم الثالث الذي ارسيت قواعده السياسية في باندونج ، يمكن ان يجد في التكتل الاقتصادي الاقليمي والشبه الاقليمي اساسا جديدا لدعم وجوده بحيث يمكنه ان يقف في وجه التكتل الاقتصادي والسياسي الشرقي والغربي وحينئذ يصبح لمبدأ « الحياد الايجابي » مضمون ايجابي حقيقي . ■■

اسماعيل العربي
مستشار اقتصادي بجنيف

(١) القرار رقم ٢٣ (٢) .

العربي : حدث بعد أن جمع هذا المقال وأعد للنشر أن جاءت الأخبار تقول ان الحواجز الجمركية قد أزيلت ما بين ليبيا والسودان ومصر وسوريا .



زِيـــارَة لِبَيْتِ آل بُرونتي !

الاخوات الثلاث من آل برونتي . الصورة بريشة اخيهم باتريك برانويل ، وهن (من اليمين الى اليسار) شارلوت وأميلي وآن.

بقلم : الزائر
الدكتور صفاء خلوصي

■ أرهقني العمل بين جدران مكتبات انكلترة ومتاحفها بحثا عن المخطوطات العتيقة ، فقلت لزوجتي ذات صباح : **« اريد ان اسرّي عن نفسي بزيارة لآل برونتي ، فقد حلمت ليلة امس بابنتهم الكبرى شارلوت وهي تقدم لي بطاقة دعوة ، ولا بد ان البّيها اليوم »** .

فضحكت وقالت : **« ولكن آل برونتي ماتوا قبل اكثر من مائة عام ، وشارلوت التى تتحدث عنها ماتت سنة ١٨٥٥ ، على ما اذكر ، أليست هي مؤلفة قصة جين اير** Jane Eyre **؟ »** .

قلت : **« بلى ، ولكني سأزور آثارهم ! »**

على نغمة هذا الحديث الطلي الشيق شددنا الرحال الى مدينة الاخوات الثلاث : « هاورث » Haworth .

كان النهار أحد ايام الاحاد المشمسة الضاحكة ، وهو من الايام النادرة في بلاد الانكليز .. بلاد المطر والضباب .

ركبنا السيارة العامة ذات الطابقين ، وجلسنا في مقدمة الطابق العلوى ، وهي من زجاج ، ليكون المنظر فسيحا امام انظارنا ، فرأينا المروج الخضر الزاهية التى يشتهر بها الريف الانجليزى ، واخذنا نصعد هضابا وننحدر الى وديان ، متجهين صوب سلسلة جبال الابنين « The Penines » في طريقنا الى مدينة كيكلي Keighley وفيها تناولنا الاكلة الشعبية المعروفة بالـ Fish &Chips وهي من بطاطس وسمك ، وكلاهما مقلي ، واستأنفنا السفرة بسيارة عامة ثانية الى مدينة هاورث .

كان الطريق الان جبليا ، وقد ذكرني ببعض مناظر لبنان ، ولكنه كان اوسع وآمن . والسواق اكثر

آل برونتي عائلة انجليزية اشتهرت في عالم الادب في القرن التاسع عشر . فقد انجبت ثلاث شقيقات موهوبات عشن معا في البيت الذي يتحدث عنه كاتب هذا المقال : فكان لهن في كتابة القصة باع طويل .

وشارلوت هي اكبر الشقيقات (١٨١٦ – ١٨٥٥) الكاتبات . وقصة جين آير Jane Eyre هي اشهر القصص التي كتبت : وقد حظيت باعجاب وتقدير عالميين لدى نشرها سنة ١٨٤٧ .

واملي Emily هي الثانية بين الشقيقات (١٨١٨ – ١٨٤٨) وهي صاحبة القصة الشهيرة « مرتفعات وذرنج Wuthering heights التي رآها الكثيرون على شاشة السينما ، فازدادت بذلك القصة وكاتبتها شهرة » .

اما الشقيقة الثالثة فكانت آن Anne (١٨٢٠ – ١٨٤٩) .

حذرا ، وعندما وصلنا الى القنطرة وقفت بنا السيارة في آخر مطافها ، وشرعنا نتسلق سفح الجبل ، حتى اذا ما بلغنا الحديقة العامة ، ذات البيوت الزجاجية المليئة بالازهار النادرة ،والغنية باشجارها واحواضها وملاعبها لتسلية الاطفال ، كان الطريق المبلط بالحجارة قد اخذ يضيق ويرتفع ، مع ذلك كانت ثمة سيارات خاصة صاعدة هابطة ، دون ان تكون هناك ارصفة واضحة للسابلة ، لقد ابقوا كل شيء على ما كان عليه في اوائل القرن التاسع عشر .

ان البيت الذي في اعلى الجبل احال هذا الطريق الجبلي الى سوق او مهرجان ، كان كمعرض من المعارض القديمة فعلى جانبيه قامت حوانيت لبيع التحف ، ومكتبات تحمل اسماء آل برونتي ، وحوت صورهم وقصصهم ودواوينهم وما الف عنهم من كتب .. وما حوت من سوى ذلك الا القليل النادر . وزاد من روعة هذا « المهرجان البرونتي » ان موسم عيد الميلاد كان قد اقترب .

وقبل أن نتعطف يسارا في اعلى الجبل لمحنا مخزنا صغيرا لبيع التحف التذكارية ، علق على جانب منه لوحة تقول :« كان هذا المكان في ايام آل برونتي صيدلية ، منها ابتاع باتربك برانويل Patrick Branwell ، الاخ السكير المدمن للاخوات الثلاث ، آخر جرعة قاتلة من المورفين ، ومات سنة ١٨٤٨ وهو بعد في سن الحادية والثلاثين !

والتفت الى زوجتي احدثها قائلا : « اعرفين من هو هذا الاخ السكير المدمن ؟ انه نفس الشخص الذي ينسب اليه بعض النقاد قصة « مرتفعات وذرنج » Wuthering Heights ان في هذه القصة لهجما عليه بالذات ، فلا يعقل – والحال هذه – ان يكون هو المؤلف ، انه لابد ان يكون من تأليف اخته املي جين Emily Jane ، التي تصغره بعام ، حقا وصدقا .

اخذنا سمتنا الان الى المنعطف الايسر لنطوي الخطوات الاخيرة الى البيت الحجري المستطيل الذي عاش ومات فيه « آل برونتي » اعظم اسرة ادبية في تاريخ الادب الانجليزي .

لم تكن ثمة اشجار كثيفة ولا بساتين تحمي البيت من الريح الباردة . انهما شجرتان فقط من اشجار السرو زرعتهما شارلوت بيدها ، فهو بيت بسيط –كما يقول ستانلي B.E. Stanley – بساطة صور الاطفال .

ان للبيت بابا يتوسطه ، على جانبيه نافذتان ، وخمس نوافذ اخرى رتبت بانتظام منسق في الطابق العلوي ، وكلها تقابل باحة الكنيسة بمقابرها المتزايدة صفا بعد صف ، وقد اعتاد الاطفال منذ نعومة اظفارهم على مشهد الموتى الذين يدفنون هناك .

دخلنا الدار فاذا بحجرة على اليمين تقابلها اخرى في مثل حجمها على اليسار ، كانت الاولى غرفة والد الاخوات الموهوبات . كان فيها ياكل ويشرب ويدرس ، وكان فيها يعد مواعظه الدينية التي يلقيها من فوق منبر الكنيسة .. وفي هذه الغرفة بالذات قرأ الاب ببهجة لا تعدلها بهجة قصة ابنته شارلوت الموسومة بـ« جين اير » ،

وفيها ايضا حطم سعادتها بمعارضته العنيدة لزواجها من اى . بى . نيكولز A. B. Nicholls عامين كاملين .

وخلف هذه الغرفة وجدنا المطبخ حيث كان اطفال الاسرة في ليالي الشتاء الباردة يجتمعون حول الموقد .

وكانت قبالة غرفة الاب غرفة الاخوات ، ويبدو ان اباهن لم يكن ليلتقي بهن في هذه الغرفة ، فقد اختار لنفسه حياة منعزلة عنهن بعض الشيء ، ولا سيما بعد وفاة والدتهن بداء السرطان .

لقد كان وفاة الام ضربة مفجعة . وكانت خالتهن قد جاءت تمرضها فلما قضت نحبها مكثت العمة معهن تعنى بشؤونهن وتدربهن على اعمال البيت وادارته ، الى ان قوى عود شارلوت ، فكانت هي التى تحافظ على نظام المنزل وترتيبه وتقوم بكي الملابس ، ولو انها في اول محاولة لها اغضبت خالتها ايما غضب لاحراقها الملابس التى حاولت كيها .

ولا يزال السلم الحجرى بدربزينه الانيق على حاله كما كان يومذاك ، وفيما كنت احاول وانا خارج المنزل ، اذا بصوت اميلي Emely يرن في اذنى بصوفيته الدافئة :

« البيت عتيق .. الاشجار جرداء ،
وبدون قمر تنحنى القبة المضيئة
ولكن اى شيء عزيز على وجه الارض
يثير اللهفة والشوق كموقد بيت دافيء ! »

اجل ، لقد كان بيتك دافئا يا املي ، لا بالنار الموقدة في مدافيء غرفه فحسب ، بل بعواطفه المتاججة في اشعار ساكنيه وقصصهن .

وارتقيت السلالم بخطى دانية لادخل غرفة شارلوت ـ الاخت الكبرى ـ وارى ثياب عرسها والخرزات التى كانت تحلي جيدها ، فسمعت صوتها الذى لا يقل دفئا عن صوت اختها املي يقول :

« ولكن ثمة ساعات من التأمل المنفرد الوحيد
على نحو ما نرى في صمت السماء
عندما تتجمع احسن مشاعر القلب عائدة لمستقرها
ناعمة نعومة الريش الذى يتلفع به الطائر لينام »

وكان الاخوات الثلاث كن في منافسة شعرية فما لبثت ان سمعت من غرفة اخرى صوت الاخت الوسطى آن Anne تنشد برقة وعذوبة :

« اظل بسحرك الحالم الى الابد
حول نجمة الجبل وناقوس البرج
ولا تبتعد عن الزهر الابيض المتلالىء
او الثلج المضفور كالاكليل ،
واهمس عندما تزار الريح المتوحشة
او تبدا المياه المتلاطمة بالعبث »

فحكمت لاملي بالاولوية في الشعر وبتفوقها على اختيها .. فتناهى الي صوتها من الصالة الاخرى يقول :

« تساقطى ، ايتها الاوراق ، تساقطى ،
وموتى ايتها الزهور ،
واستطل يا ليل ، وتقاصر يا نهار !
فكل ورقة تباركني في حديثها الي ،
وهي ترفرف متساقطة من شجرة الخريف .
سوف ابتسم عندما تزدهر أكاليل الثلج
حيث ينبغى للورد ان يزدهر ،
وسوف اغنى عندما يؤذن انهيار الليل
بحلول نهار اكثر عبوسا وتجهما ! »

هذه نغمة جديرة بفتاة ماتت وهي لا تعترف بانها مريضة ، ورفضت مقابلة اى طبيب حتى النهاية . ولم تمت في فراشها بل على مصطبة الطعام عند مدخل البيت حيث كانت الاسرة اعتادت تناول وجبات طعامها ، باستثناء الاب باتريك برونتى الذى استقل عن سائر افراد الاسرة في الغرفة المقابلة ، وما كانت الاخوات لتدخلها الا بدعوة منه ولامر هام ، وان المشاهد ليلحظ على الجدران صورا بالالوان المائية بريشة بناته .

وانت حين ترى الكتاب المقدس المفتوح على الطاولة ، والنظارات والغليون وعلبة التبغ ، والقبعة والعصا والصحيفة اليومية التى تحمل تاريخ ١٨٦١ (السنة التى توفي فيها باتريك برونتى) لا تشك لحظة في ان ساكن الغرفة قد تركها لتوه وهو لا محالة عائد اليها بعد لحظات .

والغرفة الاخرى التي تثير الاهتمام بعد غرفة الاب باتريك ، هي غرفة الابنة شارلوت ، في الطابق العلوى ، ومنها نستطيع رؤية شجرتي السرو اللتين زرعتهما صبيحة زواجها من آرثر بيل نكلز سنة ١٨٥٤ .

وفي هذا الطابق غرفة برانويل Branwell الاخ الوحيد للاديبات الثلاث ، وكان فنانا بالفطرة ولم يتلق غير دروس قليلة من صديقه الرسام



بيت آل برونتي من الخارج وقد بدا جزء من المقبرة وشجرتا السرو اللتان زرعتهما شارلوت صبيحة يوم زواجها .

وليم روبنسن احد رسامي مدينة ليدز . وقد اشتهر برانويل بمقدرته على ابراز شخصية من يصوره ، وابرز آثاره صورة اخواته الثلاث : شارلوت واملي وآن ، والصورة الجانبية لاخته املي بمفردها وهي محفوظة اليوم في « متحف الصور » National Portrait Gallery بلندن .

وتمتاز غرفة نوم املي في هذا الطابق بانها كانت تعرف بغرفة نوم الاطفال ، وهي غرفة صغيرة اشبه بصندوق ينفتح بابه باتجاه السلالم ، وفي هذه الغرفة كتبت الاخوات اولى مؤلفاتهن الطفولية ، ولا تزال الى اليوم آثار رسومهن لرؤوس واجسام آدمية ، ماثلة على الجص ، وفيها ايضا بعض اللعب والصور المرسومة بقلم الرصاص ... ومهد خشبي !

لم تاتِ الموهبة الفنية والادبية، للاخوات الثلاث ، بطريق المران والدراسة فحسب، بل لعبت الوراثة دورها كذلك ، فقد كان الاب باتريك برونتي نفسه رجلا ذا مواهب ادبية . فقد نشر في مقتبل عمره ، في سنتي ١٨١١ و ١٨١٣ مجموعتين شعريتين : قصائد الكوخ Cottage Poems والمغني الريفي، وقصتين هما : كوخ الغابة ، وفتاة كيلارني أو البيون وفلورا The Maid of Killarney or Albion and Flora . فالاخوات الثلاث اعتدن رؤية اسم « برونتي » مطبوعا على اغلفة بعض الدواوين الشعرية والقصص، منذ نعومة اظفارهن، فاخذن يطمحن الى ان يكن مؤلفات كاتبيه . وتفتحت قرائح الطفلات الثلاث للادب يوم ابتاع لهن والدهن من مدينة ليدز صندوقا يحوي اثنى عشر فارسا خشبيا ، وكانت الهدية في الاصل لاخيهن برانويل ، وكانت شارلوت يومها في العاشرة من عمرها وسائر الاطفال دون ذلك سنا .

في اليوم التالي عرض برانويل الهدية امام اخواته الثلاث بكل اعتزاز وبهجة ، ثم سمح لكل واحدة منهن ان تختار لنفسها فارسا تشمله برعايتها ، فاختارت شارلوت اجملهم واطلقت عليه اسم بطلها المفضل : الدوق ويلنجتون ، وراحت الطفلات الثلاث تحوك القصص والاساطير حول فرسانهن بلغة ادبية ، ويرويتها بعضهن لبعض . ثم بدا لهن فتخيلن الفرسان الاثنى عشر وقد ذهبوا الى ساحل افريقية الغربية ليؤلفوا مجموعة من الممالك اطلقن عليها اسم « الاتحاد الاعظم للمدن الزجاجية » تحت حكم الدوق الخشبي ويلنجتون . وكان لكل فارس مملكته الخاصة . وفي سنة ١٨٢٩ كانت طفلات برونتي الثلاث يكتبن «مغامرات الاثنى عشر» في دفاتر جد صغيرة صنعنها لانفسهن لم تكن لتتجاوز في الغالب البوصتين ونصف البوصة طولا ، والبوصة ونصف البوصة عرضا ، واخذن يكتبن بحروف ميكروسكوبية ، اذا صح التعبير . وقد رأيت ما لا يقل عن مائة نسخة من هذه المؤلفات الطفولية في صناديق زجاجية ، وهي مما لم يطبع بعد ، وتنتظر من يحققها ويقوم بطبعها من هواة الادب الانكليزي في القرن التاسع عشر .

لقد نمت وتطورت احلام اليقظة المحاكة حول هذه الممالك الزجاجية بحيث غدت عالما خاصا يحوى كل ما يمكن أن يحويه العالم الحقيقي من شعراء وساسة وجيوش وبرلمانات وصحافة وحوادث غرام تعالج باسلوب رومانتيكي رائع ، ويظهر ابن لويلنجتون الخيالي يتلقب بلقب



مقعد شارلوت برونتي الحجرى في بطن الوادى حيث كانت تجلس وتنظم الشعر ..
كـان المشهـد كلـه هـادئـا مفعمـا بالسـلام
وقـد بسـط الصمت سلطانـه حـوالى ،
مـا خـلا موسـيقى جـدول يدمدم
ملأ الوادى الظليل حيث كنت أجلس : بصوته الرتيق
(شـارلوت)

« دوق زامورنا » ويتغلب على مملكة اخرى فيصبح ملك انجريا Angria ، وفي هذه الاثناء قررت املي وآن ترك « الممالك الزجاجية » وتاسيس مملكـة خاصة بهما اسمتاها مملكة الجندال Gondal وهي جزيرة خيالية في المحيط الهادى تحكمها ملكة ذات سطوة وسلطان ، ولكن للاسف ان ما كتبتاه نثرا في هذا الموضوع قدفقد ولم يبق منه غيربعض العناوين التي تشير اليها الاختان في ملاحظات لهما عن اعياد ميلادهما ، وقد نظمت املي العديد من قصائدها عن « الجندال » ولدينا اليوم من كتابات شارلوت وبرانويـل عن « مملكـة انجريا » ما يعادل كل ما نشره آل برونتي من كتب ، وقد استمرت الاخوات في الكتابة في هذا الموضوع حتى بعد اجتيازهن مرحلة الطفولة ، مع اختلاف بسيط : هو ان الصفحات اصبحت اكبر ولو ان الحروف بقيت صغيرة وهيما اتسم به خط آل برونتي، واستمرت املي في عالمها الخيالى هذا فلم تتـرك احـلام اليقظة قط ، اما شارلوت فكانت اول من انتقل من المنطقة ، الحارة الخيالية الى المنطقة الباردة الواقعية التى كانت تحيا وسطها فكتبت اول رواية طويلة لها عن العالم الحقيقي بعنوان : « الاستاذ » The Professor ، وكانت مصممة على ان تجعلها بسيطة ، وواقعية ، مع ذلك فان الفصول الستة الاولى بقيت محلقة في اجـواء الخيـال .

في هذا الكتاب بالذات تبدا شارلوت الموضوع الرئيسي الذى طالما عالجته في كثير من قصصها وهو علاقة الطالبة باستاذها ، وهو في الحـق والواقع انعكاس لجانب من قصة حياتها عندما رحلت الى بروكسل لتحصل على قسط مـن العلم يؤهلها لفتح مدرسة تديرها هي واختاها في هاورث، فاحبت استاذها المسيو هيجر Heger الذى لم يبادلها الحب بحب وانما كان يعطف عليها بترفع ، ذلك لان الرجل كان يحترم مقامه كاستاذ من جهة وكان متزوجا ورب اسرة من جهة اخرى .

والعجيب في اسرة برونتي غـرام افـرادها بالمتزوجين والمتزوجات ، فقد احبت شارلوت ـ

كما ذكرنا توا ـ استاذها المتزوج واخذت تراسله بعد عودتها الى انكلترة الى ان اخبرها بان لاتبعث برسائلها الى المدرسة التى يدرس فيها هو وزوجته بل الى عنوان آخر ، فاعتبرت ذلك اشارة خفيفة الى ضرورة التوقف عن مكاتبته .

واغرم اخوها باتريك برانويل بزوجة الرجل الذى عينه معلما لاولاده فلما انكشف الامر طرده من خدمته ، وتشاء الاقدار ان يموت الرجل بعد فترة قصيرة فيتقدم خاطبا لارملته فترفضه بعناد واصرار ، فيعكف على الخمرة والمورفين الى ان يلقى فيهما حتفه .

وقد رفضت دور النشر طبع قصة « الاستاذ » تسع مرات الى ان قيض الله لها من يطبعها سنة ١٨٥٧ ، اى بعد وفاة مؤلفتها بعامين .

لقد كانت شارلوت بقصتها هذه اول من عالج شؤون المدارس والمعلمين على الصعيد القصصي باهتمام وعاطفة لايقلان عما نجده في قصصها عن الامراء وقصورهم .

وبلغت شارلوت ذروة عبقريتها القصصية في « جين اير » التى ظهرت سنة ١٨٤٧ ، وفيها تمتزج الواقعية بالخيال بشكل معتدل مقبول .

اما في قصة « شيرلي » Shirley فينحسر ظل الرومانتيكية وتطغى الواقعية بشكل خاص وهو ما تشير اليه المؤلفة في المقدمة .

وفي « فيليت » Villette التي ظهرت سنة ١٨٥٣ تعود شارلوت الى فكرة الحب بين الاستاذ والطالبة وبقدر ما كانت الفكرة في قصتها السابقة : « الأستاذ » مزاجا من الرومانتيكية والواقعية فهى الآن واقعية صرفة . انها قصة غرام شارلوت باستاذها في بروكسل معادة اوضح واكثر جراة من ذى قبل ، فقد ابانت هنا وجهة نظرها في الموضوع ، والحق ان الاخوات الثلاث كن خجولات حييات منكمشات على انفسهن في واقع حياتهن ولم يجدن منطلقا من هذا الكبت الا في قصصهن واشعارهن حيث يجرؤن على البوح بمكنون صدورهن بما لايتناسب وواقع حياتهن .

وآخر قصة دونتها شارلوت هي قصة « ايما » Emma وقد ماتت عنها قبل ان تنجزها ، وان الانسان ليأسف لموتها المبكر قبل انجاز هذه القصة التى تبلغ فيها ذروة جديدة في اتجاه جديد ، فوالد « ايما » ياخذ طفلته الى مدرسة من المدارس الداخلية ويختفي تاركا الطفلة بدون اجور مدرسية ، او نفقات ، وحتى عنوان مسكنه الذى يقدمه للادارة يتضح فيما بعد انه مزيف لا اساس له .. فتاخذ مديرة المدرسة باساءة معاملة الطفلة المسكينة التي تتعذب بصمت دون ان تصدق خدعة ابيها « ... هنا تقف القاصة عن الكلام المباح الى الابد ... » لتتركنا في حيرة من امرنا فننسج في خيالنا العديد من النهايات المحتملة لها ، وقد لا تكون جميعا شيئا مما دار في مخيلتها مطلقا .

والقصة الوحيدة التى نشرتها املى هى قصة « مرتفعات وذرنج » وذلك سنة ١٨٤٧ ، ومع انها لم تلق تقديرا كافيا في حياة مؤلفتها فانها اليوم تعد من عيون القصص الانكليزى .

وعقدة القصة بسيطة وواضحة غير ان تركيب الرواية يبدو معقدا وتبدا بالقرب من النهاية عندما يقوم المستر لوكوود Mr. Lockweed بزيارة مرتفعات وذرنج فيجد هيثكليف Heathcliff وكاتي Cathy وهيرتون Hareton هناك لا تربطهم سوى علاقة كراهية عجيبة ، وتاخذ اصول هذه العلاقة وتطورها بالتفتح والانكشاف امام اعيننا : الماضي على لسان نيلي Nelly والحاضر على لسان المستر لوكوود .

وتركت لنا الاخت الوسطى : آن برونتي ، روايتين : « اجنس جراى » Agnes Grey ، و « مستاجر قاعة وايلد فيل » The Tenant of Wildfell Hall وقد امتدحت الاولى على لسان الكاتب الانكليزى جورج مور George Moore ، اذ شبهها بثوب ابيض شفاف ابدع خياطه في انسجام اجزائه .

اما الثانية فقد تناولتها اختها شارلوت بنقد لاذع اذ قالت : « ان موضوع القصة مغلوط من اساسه » وهكذا كانت الاخوات تستعرض قصص بعضهن البعض بالتقريظ والنقد ، ثناء وثلبا . ويحار المرء احيانا فلا يدرى الى اى حد تداخلت جهود الواحدة في نتاج الاخرى ، فقد كانت العادة الجارية في القرن التاسع عشر ان لا ينشر الناشر رواية يقل عدد اجزائها عن الثلاثة .. فلما كتبت احدى

الاخوات رواية بجزأين اردفتها الاخرى بجزء ثالث لتغدو صالحة للنشر ، مع ذلك يحسن بنا هنا ان نقول « اننا لانتفق مع شارلوت في نقدها لاختها ، فموضوع الرواية جيد اذ يدور في الحقيقة حول شخصية اخيها المنكود الحظ برانويل السكير الذي تصوره القاصة رمزا لتحذير الآخرين ، وتركيب الرواية طريف اذ يقع في ثلاثة اقسام يروى كل منها الشخص الذي يتعذب اكثر من سواه اثناء الفترة التي يتحدث عنها » .

واجمالا نقول : « ان قصص بنات برونتي وشخوصهن ووجهات نظرهن الواردة على السنة ابطالهن مبتكرة اصيلة ، وتتجلى الاصالة في هذا المزج البديع بين الشاعرية « الكلتية » Celtic والواقعية الانكليزية ، وهو ما لا نجده في اى نمط آخر من انماط الروايات الغربية ، ويمكن التأكد من صحة ما نقول بمجرد استعراض المسرحيات والكتب والافلام وبرامج الاذاعة والتلفزيون التي ظهرت ولا تزال تظهر عن حياة بنات آل برونتي ومدى الحماسة التي تقابل بها من لدن الجمهور .. ولسنا نغالي اذا ما قلنا : ان اروج قصة خلال الستين سنة الاخيرة هي قصة « جين اير » ، ولقد قامت جمعيات ادبية عديدة في انكلترة وغير انكلترة لم يقيض لها من طول العمر ما قيض « لجمعية آل برونتي » فهي سيدة الجمعيات الادبية في بريطانيا في الوقت الحاضر .

فقد تأسست ١٨٩٣ ولايقاربها في طول العمر والحيوية غير « جمعية دكنز » التي تأسست سنة ١٩٠٢ ومن اهم هذه الجمعيات التي ظهرت واختفت « جمعية شوسر » Chauser التي دامت حوالي الثلاثين سنة ، ولم يطل عمر « جمعية وردزورث » أكثر من ست سنوات وماتت « جمعية براوننغ » Browning في سن الثالثة عشرة ، رغم وجود فروع محلية لها في مختلف انحاء المملكة المتحدة ، فقد ظهرت سنة ١٨٨١ وانتهت اعمالها سنة ١٨٩٢ .

اما جمعية برونتي فتبلغ من العمر ٧٧ سنة ولا تزال قائمة بقوة وحيوية ولها اعضاء في مختلف انحاء العالم ولا سيما في الولايات المتحدة الاميركية، وهم من الولايات الثماني والاربعين السابقة جميعا ، وقد انخرط في عضويتها اشهر مكتبات العالم . وكان اول من اقترح تأسيس هذه الجمعية هو الصحفي دبليو . يتيز . W.W. Yates. في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر ١٨٩٣) . وقد حاولت الجمعية منذ تأسيسها الابتعاد عن فكرة التقديس والتأليه الادبي واستطاعت بجهودها المثمرة سنة ١٩٤٤ ان تضيف الى زاوية الشعراء في « ويستمنستر ابي » نصبا لآل برونتي . وكان نتيجة لطبع مؤلفات الاخوات الثلاث ان استطاع بعض المؤرخين الاجتماعيين من امثال الاستاذ اسابريجز Professor Asa Briggs ، وباربارة ورد Barbara Ward دراسة الحياةالاجتماعية في عصر آل برونتي في ضوء ما جاء في مؤلفات الاخوات الثلاث .

وعندما انتهينا من استعراض تراث آل برونتي رأينا صورة كبيرة بالالوان المائية للاخوات الثلاث لفتت نظر زوجتي فقالت : « الا ترى فجوة غير طبيعية بين شارلوت واختيها ، انني اكاد اصدق قول من يقول ان باتريك برونتي الذي رسم الصورة كان قد صور نفسه الى يسار شارلوت ثم بدا له فحذف صورته بتغطيتها بالاصباغ ! » .

قلت : « هو كذلك .. كل الظواهر تدل على ذلك ! » .

ولما اردنا الخروج من المنزل التفت فرأيت الاخوات الثلاث في وداعنا ... فقد وقفت املي ، ذات القامة الفارعة والرقبة الطويلة كرقبة الاوزة ، في الوسط ، والى يمينها شارلوت بقامتها القصيرة ، والى يسارها آن ذات القامة المعتدلة .

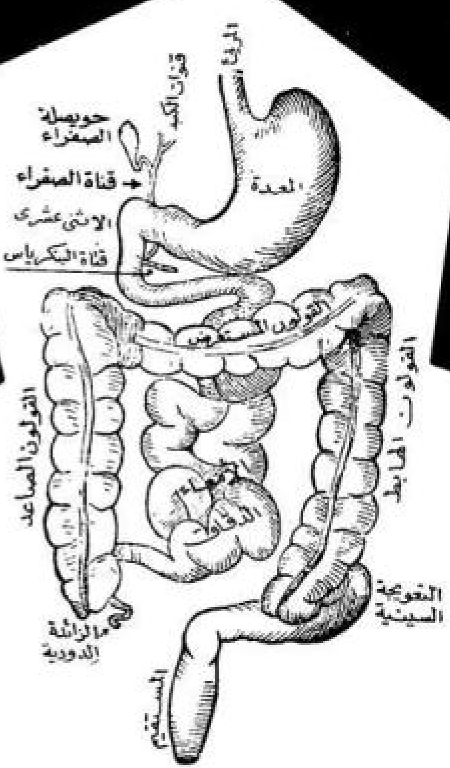
انه التمثال البرونزي الذي صنعته الآنسة جوسليني هورنر Jocelyn Horner للاخوات الثلاث سنة ١٩٥١ .

ولما التقت نظراتي بنظرات شارلوت قلت لزوجتي : « هذا تفسير حلمي .. انظري الى سيدة المنزل التي دعتني لزيارتها .. لقد خرجت لوداعنا عند عتبة الباب .. كأجمل وارق ما يكون الوداع ! » ... ■■

ليدز ـ انكلترا ـ صفاء خلوصي

أمراض
شائعة

القُولُون المتهيِّج



بقلم : الدكتور سالم نجم

رئيس قسم الابحاث الطبية
بمستشفى الصباح ـ الكويت

القولون المتهيج فى سطور

■ فى هذه الكلمة نتحدث عن مرض شائع ذى أهمية كبيرة . ذلك المرض هو القولون المتهيج . اما كونه ذو اهمية خاصة فان ذلك يرجع الى الاسباب التالية :

(١) ان تهيج القولون يصيب عددا كبيرا من الرجال والنساء من كل الاعمار وتزداد نسبته في مجتمع ما بقدر ما يتمتع به هذا المجتمع من ارتفاع في المستوى الاقتصادى والحضارى .

(٢) يطلق عليه اسماء كثيرة منها . ـ القولون الحساس / المصران الغليظ / الامعاء القلقة / القولون المتقلص / او الدوسنتاريا الكاذبة ، وسميت كاذبة لان المرض لا يتسبب عن جراثيم او طفيليات أو سرطان الامعاء ولكنه ينتج بسبب اختلال في وظيفة الجهاز الهضمي وخاصة في الامعاء الغليظة .

(٣) ٢٠٪ من المرضى بالقولون المتهيج تجرى عليهم عمليات جراحية لاستئصال الزائدة الدودية او المرارة أو عمليات فتح بطن استكشافية ثم يظلون يعانون من نفس الاعراض شهورا وأعواما .

(٤) وان ما يزيد عن الـ ٥٠٪ من المرضى يتعاطون علاجا لداء الدوسنتاريا المزمنة لفترات طويلة وبكميات كبيرة دون جدوى . ويحرمون انفسهم من الكثير من شهي الطعام ولذيذ الشراب دون سبب علمي مقبول .

(٥) كثيرا ما تتشابه بعض اعراض هذا المرض مع امراض اخرى كامراض القلب أو جهاز التنفس مما يسبب قلقا نفسيا للمريض بغير داع.

نسبة حدوثه

يصيب هذا الداء الرجال والنساء في الكويت بنسبة متعادلة تقريبا ولكنه في البلاد الاوروبية يصيب النساء بنسبة تقارب ضعفين اصابته للرجال . ويختار مرضاه اكثر ما يختار من هم في العقد الثالث الى الخامس (أي هؤلاء الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والخمسين عاما) ولكنه يوجد في الاطفال بنسبة ضئيلة وكذلك الحال بالنسبة للشيوخ العجائز فالمرض بينهم نادر الحدوث . والقولون المتهيج لا يميز بين جنس وجنس ولا بين عنصر وعنصر فهو يصيب كل الاجناس وكل الالوان ، ولكن يتوقف انتشاره وتزداد نسبته او تنقص في هذا البلد او ذاك طبقا لما يتمتع به من تقدم علمي وتطور اقتصادي، وبتعبير آخر فانه من امراض المدنية والتشبع المادي . فالمرض ينتعش في المجتمعات المتطورة والمحاطة بسياج من الانفعالات والاضطرابات النفسية مع الخواء الروحي والتضارب الفكري .

أعراض المرض

الشخص المصاب بالقولون المتهيج تتفاوت شكواه وتختلف اعراضه ، الا ان الغالبية العظمى من المرضى تظهر فيهم الاعراض التالية اما منفصلة أو مجتمعة وتتلخص هذه الاعراض فيما يلي : ـ

(١) آلام بطنية

ان اكثر المرضى يشكون من آلام في الجهة اليسرى من البطن وخاصة تحت الضلوع اليسرى وقد يظن المريض أن مصدرها من القلب أو الرئتين وتأتي هذه الالام في صورة تقلص شبيه بالتقلص الذى يصيب عضلة الساق أو القدم عند بعض السباحين بعد اجهاد طويل . وقد يستمر الاحساس بالآلام عدة ساعات او أيام بصورة متفاوتة وقد يزول بعد نصف ساعة أو أقل . وهناك نوع آخر من الالام يحس بها المريض ويصفها بانها حارقة نوعا ما او ذات وخز متقطع وكثيرا ما تظهر هذه الالام في الصباح وقت الاستيقاظ من النوم ويزول الالم أو تخف حدته بعد أن يذهب المريض الى بيت الخلاء مرة أو مرتين وربما ثلاث مرات بين كل مرة وأخرى أقل من نصف ساعة .

أماكن اخرى للآلام

وربما يشعر المريض بالالم حول السرة وبالصورة الى ذكرتها سابقا أو قد يشعر بها في الجهة اليمنى من البطن وقد يظن ان هذه الالام مصدرها التهاب في الزائدة الدودية . والحق يقال ان نسبة من المرضى لا تقل عن ٣٠٪ قد اجريت لهم عمليات جراحية استؤصلت فيها الزائدة الدودية أو المرارة أو حتى عمليات فتح بطن للاستكشاف ثم بعد ذلك ظلوا يعانون من نفس المرض بعد اجراء هذه العمليات وبنفس الحدة ان لم يكن اكثر من ذى قبل . بمعنى ان السبب الاصلى لهذه الاوجاع كان في الحقيقة القولون المتهيج وليس الزائدة الدودية أو التهاب في المرارة أو في المبايض لدى النساء .

نوع آخر من الاوجاع

قد لا يستطيع المريض أن يحدد مكانا معينا لموضع الالم ولكنه يقول ان كل جزء من اجزاء بطنه يطوف به الالم والمريض لا يستطيع كذلك ان يصف ماهية الالم وهذا ما نسميه بالالام المتداخلة او المتماوجة . وباختصار فانه من الممكن القول بان الاوجاع التى تنتج عن القولون المتهيج قد يشعر بها المريض في اية بقعة من بطنه دون تحديد محكم لمكان او نوعية الالم .

٢ ـ اسهال أو امساك

من الملاحظ ان نسبة كبيرة من المرضى يشكون من تغير في عادة التبرز تصاحب اصابتهم بالقولون

المتهيج فهم يدعون اصابتهم بالاسهال وبعدالسؤال والتدقيق نلاحظ ان المريض انما يقصد بلفظ الاسهال بانه يذهب الى بيت الخلاء عقب الاستيقاظ صباحا مرتين او ثلاثا خلال ساعة واحدة وقد تتكرر عملية التردد على الحمام في المساء او عند التعرض للغضب او الاضطرابات النفسية او العاطفية او الخوف او بعد اصابته ببرد او عقب تناوله طعاما لا يوافقه .

خواص البراز

اذا ما لاحظ المريض برازه فانه يجده يرسب تحت الماء في قاع مكان التبرز ولا يطفو على السطح وان رائحته كريهة بعض الشيء اما لونه فانه يميل الى البني القاتم وشكله اما اشرطة مستطيلة او قطع صغيرة مبططة وقد يلاحظ المريض ان بالبراز مواد غير مهضومة من الطعام الذي تناوله منذ يوم او يومين .

نوبات اسهال تتخللها نوبات امساك

احيانا ما يصف المريض بانه يعاني خلال فترة بما أسماه بالاسهال والذى سبق وصفه – لعدة أيام – يعقبه امساك وبتحليل شكواه من الامساك وما يعنيه هذا اللفظ في مفهوم المريض نلاحظ ان ما يقصده فعلا هو التفاوت الملحوظ بين عدد مرات التبرز كل يوم فحينما يقول المريض انه مصاب بالامساك فانه حينئذ يتبرز مرة واحدة في اليوم بالمقارنة الى عدة مرات يلاحظها في حالة الاسهال والتي قد تصل الى اربع او خمس مرات يوميا . ولربما اعقب يوم الاسهال يوم امساك او يومان وقد تستمر هذه النوبات عدة اسابيع او عدة شهور وقد تمتد الشكوى الى عدة سنوات مضت .

٣ – خروج مادة بيضاء مخاطية من فتحة الشرج

غالبا ما يشكو المريض من رؤيته لمادة بيضاء مخاطية يجدها على ملابسه الداخلية او تحيط بالبراز من بعض جوانبه . هو احيانا يصفها بانها مثل افرازات الانف او مثل البلغم . ومن خصائص هذه المادة انها لزجة رقيقة القوام غير مختلطة بالبراز ولكنها تسبق خروج البراز او تأتي في نهايته . واحيانا حينما يذهب المريض الى بيت الخلاء لكي يتبرز تخرج هذه المادة فقط دون براز وخاصة اذا طالت مدة بقائه في بيت الخلاء والذى كثيرا ما تتعدى الساعة .

٤ – احساس المريض بالم في فتحة الشرج

ونسبة هذه الشكوى قليلة بين المصابين ، الا ان خصائص هذا الالم تكون من الوضوح بحيث يصفها المريض بكل دقة ، فالالم يتحدد بفتحة الشرج واسفل المستقيم ويأتى عقب التبرز وهو يشبه الالم الذى يصاحب الدمل المتقيح في اصبع اليد او القدم فهو الم نقاح ويظل عدة ساعات ويزول تدريجيا ومن علاماته انه يزول حينما يضغط المريض على فتحة الشرج بقبضة يده او يجلس في ماء حار لفترة كافية بعد الحمام .بهذه الوسائل يخف الالم او يزول في وقت قصير . ولكنه لا يلبث أن يعاود المريض ولكن على فترات غير منتظمة بل ربما اختفت الام الشرج لفترة قد تصل الى عدة شهور ثم تعود مرة ثانية دون سبب واضح .

٥ – اعراض تشير الى سوء الهضم

احيانا يشكو المريض بالاضافة الى شكواه السابقة من انتفاخ في البطن وغازات وتحجر في منطقة المعدة مع حرقة في أسفل القفص الصدرى من الامام أو من ضيق في التنفس وخفقان بالقلب بل ربما أحس المريض بالغثيان ورغبة في التقيؤ وخاصة قبل الافطار ، وهناك فئة من المرضى يشعرون بتحركات كبيرة في امعائهم ويسمعون اصواتا تقرقع في بطونهم قد يسمعها من يجالسهم في نفس الغرفة او على بعد عدة امتار . وقد يحس المريض في الجهة اليمنى أو اليسرى من اسفل البطن بتورم وانتفاخ على شكل مستطيل يشبه الخيارة ولكن هذا الورم يأتي ويزول ولا يستمر في مكان واحد وغالبا ما يصاحب ظهور الورم احساس المريض بالالام واحيانا بالغثيان .

بعض هذه الاعراض قد تتشابه مع اعراض قرحة المعدة والاثنى عشر او التهابات المرارة ولكنها

ليست كذلك وانما هي من الارتباك الوظيفي للجهاز الهضمي كما سبق ان أوضحنا .

٦ ـ أعراض بولية

في حالات النساء المريضات بالقولون تتكرر الشكوى من كثرة التردد على الحمام للتبول أثناء النهار فقط ويصاحب ذلك بعض الحرقان الخفيف وخاصة اذا كان البول مركزا كما يحدث غالبا في فصل الصيف وكثيرا ما تشكو السيدات من الام مبرحة مع نزول الدورة الشهرية .

٧ ـ الخوف من مرض السرطان

من الملاحظ أن هناك نسبة عالية بين أصحاب القولون المتهيج وخاصة النساء منهم ، يعتقدون انهم مصابون بأمراض خبيثة وعلى وجه التحديد يعتقدون بوجود سرطان الامعاء . ولربما كان ذلك نتيجة طول معاناتهم من آلام القولون واعراضه وعدم التوصل الى نتيجة ايجابية رغم كثرة الفحوصات التى تجرى عليهم وأؤكد لهؤلاء جميعا أن هذه الاعراض انما تشير الى مرض بسيط ولا علاقة له البتة بالامراض الخبيثة أو السرطان .

اسباب ظهور القولون المتهيج

هناك عوامل كثيرة قد تساهم في ظهور المرض نذكر منها :

١ ـ حياة العصر والمدنية المعقدة

كثيرا ما نسمع أن التقدم العلمى ومدنية القرن العشرين سلاح ذو حدين ـ وهذا حق ـ على الاقل فيما نحن بصدده الآن . ان تعقيد الحياة المعاصرة تؤثر على الانسان بصورة عامة من زاويتين مختلفتين ، الاولى : القلق والاضطراب الفكرى والتطاحن على الاستزادة من الماديات بالاضافة الى ما يقابل ذلك من اهمال بل وانكار القيم الروحية والخلقية ، ينشأ عن ذلك تصادم نفسي داخلي تظهر آثاره على اجهزة الجسم المختلفة بفعل ما يحدث من اضطراب في وظائف الجهاز العصبي المركزى . فبعض الناس يصابون بالربو وضيق التنفس وغيرهم يصابون بقرحة الاثنى عشر او تقرح في الامعاء الغليظة وآخرون بارتفاع في ضغط الدم أو الذبحة الصدرية ومنهم من يصاب بحساسية في القولون وانقباضات عضلية وحركية وافرازية تسبب اعراض القولون المتهيج .

والثانية : ان التقدم العلمى المعاصر قدم للانسان العديد من الكيماويات المختلطة بالطعام والشراب والكثير من الادوية والمركبات التى يجهل الانسان مفعولها على المدى البعيد ، ولسنا في حاجة الى سرد المزيد من قصص مبيدات الحشرات والاسمدة الصناعية والمواد الكيماوية الحافظة للماكولات وأثر ذلك كله على صحة الانسان وكفاءة أجهزته الحيوية .

٢ ـ الاستعداد الفطرى والخلقي للمريض

ليس كل الناس سواء في استجابتهم لعوامل البيئة فمنهم من يتفاعل بصورة جزئية أو كلية ومنهم من لا يتأثر اطلاقا ، وذلك يتوقف على الاستعداد الخلقي والفطرى للفرد . ولذلك نجد أن مجموعة من الناس ممن يتعرضون الى بيئة واحدة يتفاوتون تفاوتا كبيرا في التأثر بتلك البيئة ، وخير شاهد على ما نقول ما نراه من اختلاف في امراض الحساسية .

٣ ـ الاصابة السابقة بامراض فى الجهاز الهضمي

مما لا شك فيه أن نسبة كبيرة من اصحاب القولون كانوا قد اصيبوا في فترة سابقة بالتهاب في الامعاء الغليظة على صورة دوسنتاريا عضوية متكررة او دوسنتاريا اميبية أو طفيليات معوية مثل البلهارسيا ، ولعل ذلك هو السبب في أن المريض يعزو مرضه الى سنين مضت أيام أصيب بالزحار العصوى او الأميبى . وفي ذلك يكمن السر وراء تعاطيه كميات كبيرة من الادوية المضادة للدوسنتاريا وعلى مدى سنين عديدة دون أن تتغير حالته المرضية أو يتماثل للشفاء .

٤ ـ حساسية المريض لبعض الماكولات والاشربة

من المعروف أن كثيرا من الناس يفضلون طعاما

على طعام ويرجع السبب الظاهري الى أن الشخص يرتاح ويطمئن الى ذلك الطعام دون غيره ، ولكن الحقيقة ان الجهاز الهضمي بالتعاون مع الاجهزة الاخرى له شفافية الاختيار والتفضيل لاطعمة معينة فيما يتعلق بهضمها وامتصاصها وتمثيلها دون اطعمة اخرى ، ومن ثم ينعكس هذا التخصيص على ذوق الفرد ورغبته في تعاطي هذا النوع من الماكولات وكراهيته للنوع الآخر . وليس بالضروري أن ما يحبه الانسان من الطعام يظل هكذا طول حياته ، فلربما ارتاح الى ذلك النوع اليوم ولقد كان بالامس القريب لا يرغبه والعكس صحيح .

طرق العلاج

قبل أن أتحدث عن وسائل العلاج لا بد من التأكيد على ضرورة استكمال الفحوصات السريرية والمختبرية والشعاعية للمريض بواسطة الطبيب المتخصص حتى نطمئن تماما الى سلامة وصحة التشخيص ومن ثم تتحدد نوعية العلاج والتي تتلخص فيما يلي :

أولا : أن يتفهم المصاب حالته المرضية وكيفية عمل الجهاز الهضمي وما يطرأ عليه من خلل وظيفي وأساس ذلك ان يثق المريض بطبيبه ولا يتعجل الامور . فمن طبيعة هذا المرض انه مزمن يلازم الانسان فترة طويلة قد تمتد الى سنين . وأهم ما في الامر أن يطمئن المريض الى أن مرضه لا علاقة له بالامراض الخبيثة وخاصة الامراض السرطانية ، كما انه يستوجب على المريض أن يتعلم كيف يؤقلم حياته ويقبل الاعراض التي يشكو منها كشيء لا مندوحة عنه .

ثانيا : لكي تخف وطأة المرض على الانسان ان يتجنب الآتي :

١ – الغضب والانفعالات النفسية والعاطفية والقلق والاضطرابات الفكرية .

٢ – أن لا يعرض نفسه الى نوبات البرد أو التيارات الهوائية الباردة من اجهزة كالمكيف والمراوح .

٣ – أن يميز بين أنواع الماكولات والاشربة التي قد تهيج القولون مثل الخضراوات المحتوية على مادة الكبريت كالقرنبيط والكرنب (الزهرة والملفوف) أو الحبوب (العدس ، الحمص ، الفول) وعليه كذلك ان يتجنب المشروبات الكحولية وأن تكون أطعمته دائما طازجة وطريقة الطبخ غير معقدة .

وعموما فالمريض أدرى الناس بالطعام الذي يتجنبه ، علما بأن بعض الناس تتحسن احوالهم الصحية بعد تجنبهم للحليب ومركباته لعدة اشهر .

ثالثا : عقاقير طبية . وتشتمل بصفة عامة على تلك التي تنظم حركة المعدة والامعاء وافرازاتهما عن طريق الاطراف العصبية للجهاز الهضمي ، ولربما احتاج المريض الى بعض المهدئات المعوية لازالة التقلصات التي تصيب جزءا أو أجزاء من القناة الهضمية . كما أن بعض المرضى يحتاجون الى تعاطي عقار نباتي لا يهضم ولا يمتص وظيفته ميكانيكية بحتة بحيث تنظم عملية التبرز وبذلك ينجو من نوبات الاسهال والامساك التي تصيب نسبة عالية من مرضى القولون . وهناك حالات نادرة يحتاج فيها الانسان الى عقاقير مزيلة للالام ولكن هذه يجب أن يأخذها المريض باحتراس . وان يعطيها الطبيب بتحفظ .

رابعا . – عناية المريض بتنظيم حياته على أسس هادئة رتيبة من الامور المرغوب فيها والتي كثيرا ما تساعد على زوال هذه الاعراض أو على اقل تقدير تساعد على تخفيفها بدرجة كبيرة .

كلمة أخيرة

هذه الحالة لا تنشأ عن مرض خبيث ومن صفاتها أنها تلازم الانسان مدة طويلة فعليه أن يتفهم ذلك ولكن من المستحسن أن يزور طبيبه بين فترة واخرى دون اثارة او اضطراب ، وان يقنع بما هو فيه من صحة وعافية . ان فعل ذلك أبعد عن مخيلته اشباح القلق والتشاؤم واستمتع بحياة سعيدة هو ومن حوله من أهل وولد . ■■

سالم نجم

رياض الأطفال

الروضة هي مرحلة تهيئة ، لتسهيل نمو الطفل وتفتح شخصيته .

أهم المراحل التربوية

رياض الاطفال لها اهمية تربوية ، نفسية ، صحية ، اجتماعية .

معالم شخصية الطفل تتحدد فى السنوات الخمس الاولى

بقلم : الدكتور سبع أبو لبدة

■ يرى معظم علماء التحليل النفسي وعلى راسهم فرويد أن معالم شخصية الطفل تتحدد في السنوات الخمس الأولى ، كما ان فروبل وغيره من رواد التربية الحديثة يرون أن حياة الانسان ، صافية او مضطربة ، منتجة او مجدبة، تنبع من عهد الطفولة ، وان مستقبله يتجلى كذلك لعين المربي الذكي من خلال العاب هذا العهد . ومن القول المأثور ايضا ان « الطفل ابو الرجل » وان « من شب على شيء شاب عليه » فان دلت هذه الامثال على شيء فانما تدل على اهمية السنوات الأولى من حياة الطفل .

ومن هنا ينبع اهتمام الدول المتقدمة برياض الاطفال ، واعتبارها من أهم المراحل التربوية ان لم تكن اهمها على الاطلاق . وقد جعلتها بعض الدول الحريصة على مستقبلها مرحلة الزامية لخلق شعب واع يتفوق على غيره من



تظهر الشموع في عالم الاطفال في الاعياد وعند انقطاع التيار الكهربائي وهم في هذه الصورة يتعلمون كل شيء عن الشمعة : كيفية اعدادها للاحتراق وايقادها والاحتياطات الواجب اتخاذها لمنع نشوب الحريق . وقد ظهر في الصورة اهتمام الاطفال ، وخوف الطفل البعيد . لقد اكتشفت المربية أن والدته تخوفه من النار ، وهنا يبدأ عملها كخبيرة نفسية لتخليصه من هذه العقدة وغرس الثقة في نفسه .

الشعوب ويضمن لنفسه البقاء ، اما بريطانيا وسيلان فقد جعلتا سن الخامسة بداية مرحلة التعليم الالزامي . وتنتشر الرياض انتشارا واسعا في العالم الاشتراكي اذ انه يرى ان التعليم وسيلة لخلق انسان جديد مطهر من ادران ورذائل الرأسمالية ، ولئن كانت هذه المرحلة اختيارية في معظم البلدان المتقدمة فذلك نظرا لكون البيت على مستوى رفيع من الثقافة ويستطيع ان يقدم للاطفال الخبرات التي تقدمها لهم الروضة .

الغرض من الروضة

ان الغرض من الروضة ليس تلقي العلم او التعليم بمعناه الاكاديمي ، وهي ليست جزءاً من المدرسة الابتدائية ولا تُعدّ لها . بل ان الروضة غاية في حد ذاتها ، وهي مرحلة تهيئة ، همها تسهيل نمو الطفل وتفتح شخصيته وشحذ قواه ليكون على استعداد تام لبداية تسلق السلم التعليمي بداية طيبة .

واذا شئنا التفصيل قلنا ان الغرض من الروضة نفسي تربوي كما هو الحال في امريكا واستراليا ، فتقوم الروضة باكتشاف الموهوبين ، وتشخيص الضعف العقلي وهو في بدايته ، وتعالج الأمراض النفسية المختلفة كالخجل والانطواء والعدوانية ، كما تعود الاطفال على آداب السلوك والعادات الحسنة ، وفي المكسيك وهي بلد نام ، يكون الاهتمام بالطفل والام معا ، فيزود الطفل بمحيط انسب ، وفرص افضل مما في بيته ، كما تدرب الام على تربية الطفل واغناء خبرته .

وقد يكون الغرض صحيا فتقتصر على الاطفال المعوقين بدنيا كما هو الحال في رومانيا واوكرانيا ، او ترعى الاطفال الذين وصلوا سن التعليم الالزامي ، ولكنهم لما ينضجوا بعد النضج اللازم لبداية مرحلة الدراسة الابتدائية كما في المانيا الاتحادية وليبريا .

وهناك رياض ذات غرض اجتماعي ، تقوم برعاية اطفال الأسر المفككة ، او توفر الجو المناسب لاطفال المدن المحرومين من الملاعب اذ ان تنظيم المدن يعرض الطفل للاخطار ويحد من حريته في اللعب .

وقد يكون الغرض من الروضة اقتصاديا ، فتنشيء الدولة رياضا لأطفال الامهات العاملات ، وقد تكون هذه الرياض ملحقة بالمصانع ، او موسمية تقوم فقط ابان موسم الحصاد .

ومن الممكن ان تؤخذ جميع هذه الأغراض بعين الاعتبار فيكون الغرض من انشاء الروضة تربويا، نفسيا ، صحيا ، اجتماعيا واقتصاديا .

ساعات العمل

وطبيعي ان ترتبط ساعات العمل في الروضة بالغرض من انشائها وبمستوى المجتمع الذي تخدمه ، فاذا كان الغرض تربويا وكان المجتمع على درجة عالية من الرقي شغل العمل نصف نهار ، ولا ضير في ان يكون قصيرا ، اذا كانت الأسر ترعى الطفل رعاية ممتازة ، اما اذا كانت البيئة متخلفة، كان واجب الروضة العمل ساعات اطول ، شريطة ان تقدم له ما ينقصه من رعاية وخبرات لا تستطيع الأسرة ان توفرها له .

وقد تعمل الرياض ليلا نهارا اثناء موسم الحصاد او تبقى مفتوحة بصورة مستمرة لتستقبل اطفال عمال الطرائح Shifts كما هو الحال في المانيا ، اذا كان العامل يعمل نهارا ، او مساء ، او ليلا .

بناء الروضة

ولكي تؤدي الروضة غرضها يجب ان تتوفر الشروط التالية في البناء والادوات :

١ ـ يجب ان يؤدي البناء الغرض المقصود منه ، وان يسهل تكييفه او تعديله حسب حاجة الاطفال وطبيعة نشاطهم ، فاذا قلنا ان جو الروضة هو امتداد لجو البيت فذلك يعني ان تكون الروضة بيتا وليس مدرسة مقسمة الى فصول وحجرات تخضع لنظام صارم ، واجراس تعلن بدء المتاعب او نهاية الملذات .

٢ ـ يجب ان يكون الاثاث والمرافق الصحية ملائمة لسن الاطفال ، اي ان ارتفاع المقاعد والمشارب يكون مناسبا لقاماتهم ، وان يسهل عليهم نقل وتحريك وتنظيف الاثاث ، وان يكون كذلك مؤتلفا مع سلامة الطفل فلا تكون به اجزاء حادة تؤذيه .

٣ ـ يجب ان يتالف البناء من طابق واحد وان يكون موقعه بعيدا عن طرق السيارات المزدحمة ، وفي مكان صحي بعيد عن ضجيج المصانع واماكن المجون واللهو .

٤ ـ يجب ان يتوفر في البناء مكان للنشاط والالعاب الحرة سواء كان مسقوفا او غير مسقوف كما يجب ان يكون للروضة حديقة يلعب الاطفال بها ويعبثون برملها ومائها ، ينبتون فيها النبات ويستعينون بها على فهم ظواهر الطبيعة المختلفة كتحول وتبدل الفصول الاربعة كذلك يجب ان تكون هناك حظيرة حيوانات ملحقة بالروضة تساعدهم على فهم محيطهم وظواهر الحياة المختلفة .

اعداد المعلمين

ومن حيث اختيار العاملين بالرياض فتشترط فيهم اللياقة الصحية والعقلية ، والطلاقة في التعبير قراءة وكتابة وعن طريق الموسيقى والرسم، وبالنسبة للمؤهل الاكاديمي تشترط معظم البلدان الحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، وفي المانيا الاتحادية يشترط الالمام بالاقتصاد المنزلي ، اما السويد فتشترط ايضا الحصول على دبلوم في رعاية الطفولة والتدرب على التعليم نحو نصف عام .

وفي ٨٣٪ من ثلاث وستين بلدا شملتها دراسة قام بها مكتب التربية الدولي في جنيف ، يعد معلمو الرياض في جامعات ومعاهد خاصة بهم ،

وقد تكون الدراسة مسائية ، او على شكل دورات منتظمة تهدف الى تحسين مستوى العاملين بالرياض.

وفي الولايات المتحدة تعد مربيات الرياض اعدادا جامعيا عاليا قد يصل مداه الى الماجستير او الدكتوراه . وقد يكون هناك ايضا تدريب عملي كما يشترط الحصول على ترخيص من ادارة تعليم الولاية لمزاولة العمل في الرياض .

الادارة

الرياض اما ان تكون عامة تديرها الدولة ، او خاصة تديرها مؤسسات او جمعيات خيرية ، وبالرغم من ان هذه الاخيرة حرة مستقلة الا انها تتقيد بالشروط الصحية التي تضعها الدولة.وقد تراعي المستويات التي ترى الدولة انها مناسبة ، سيما اذا كانت تتلقى مساعدة مادية منها . ومرحلة الرياض مجانية في ٧٥٪ من البلدان التي شملتها الدراسة المذكورة ، اما في البقية فهناك رسم مالي ضئيل يتحصل لتغطية نفقات الطعام علما بان هذه الرسوم تلغى او تخفض بالنسبة للاطفال المعوزين او اطفال الاسر الكبيرة العدد .

وتعتبر سن القبول الرابعة الا ان هناك بلدانا جعلتها الثالثة . اما عدد الاطفال بالنسبة لكل مربية فيتراوح بين ١٠ – ١٥ طفلا في البلدان المتقدمة كالمانيا وسويسرا وامريكا ، وذلك حتى تتمكن من العناية بهم . وبعض البلدان كالصين الشعبية والدانمارك جعلت الحد الأعلى عشرين طفلا لكل مربية ، او مربيتين لكل ستة وثلاثين طفلا كما في البرازيل ، ويقل العدد عن ذلك في روضات الاطفال ذوي العاهات كما في المانيا الاتحادية وغيرها.

وتتعاون الروضة مع البيت تعاونا منتظما فيصطحب الآباء اطفالهم اليها ، ويجتمعون مع الهيئة التدريسية لدراسة مشاكل اطفالهم ، وتتطوع الامهات احيانا لتادية بعض الخدمات للروضة ، فيعملن كمساعدات للمربيات ، كما ان الروضة تحاول ان ترفع من مستوى الامهات وذلك بتدريبهن على رعاية اطفالهن وشئون المنزل .

المواصلات

تقع مسئولية نقل الطفل الى الروضة ومنها على عاتق الابوين، وذلك حرصا على سلامة الطفل، فيقوم أحد أفراد الأسرة من البالغين بمرافقته اليها وتبنى الروضة عادة في نفس الحي الذى تخدمه حتى تقل الحاجة الى المواصلات التي تعرض الطفل للخطر، كما يدرب الاطفال على قواعد السير وقوانينه عن طريق الألعاب . وفي الولايات المتحدة تقوم سيدات يرتدين لباس الشرطة بمراقبة الاطفال ومساعدتهم على عبور الطرق اثناء حضورهم او انصرافهم .

الرعاية الصحية

يوجد في الرياض في البلدان المتقدمة جيش من الاخصائيين يعمل على تسهيل نمو الاطفال وتوفير البيئة المثالية لتساعدهم على التفتح الى ابعد حدود امكاناتهم ، ومن ضمن هؤلاء الاخصائيين الاطباء ، ويهتمُ هؤلاء بالصحة الوقائية في الدرجة الاولى فيقومون باجراء الفحوص الجسمية الدورية ، والتأكد من سلامة اسنان الاطفال ، وتطعيمهم ضد مختلف الأمراض ، وتوقيت فترات الراحة والنشاط والاستحمام ، ورسم برنامج التغذية ، وتوزيع الحليب والفيتامينات . كما تُعد عيادة الروضة السجلات الشاملة والرسومات البيانية الدالة على تطور اوزان واطوال الاطفال وسلامة نموهم .

المنهاج

من الصعب التفريق بين المنهاج والنشاط في هذه المرحلة ، فالمنهاج هو النشاط مكتوبا او مدونا ، والنشاط هو المنهاج منفذا ، وهو ايضا وسيلة لتحقيق مختلف أغراض الروضة ، وهناك بالطبع وسائل مادية كالصلصال واللعب التربوية والدمى وغير ذلك،مما يساعد على تحقيق اهداف الرياض . ومشكلة المشاكل هي ما يجب ان يتعلم في الرياض ، فالبعض يرى أنه يجب ان يلم الطفل فيها بمبادىء المهارات الثلاثة وهي الحساب والقراءة والكتابة ، وهؤلاء هم اتباع المدرسة القديمة الذين يجهلون الاسس الجسدية والنفسية لتطور نمو الطفل .

ونحن مع جمهرة المربين الذين يرون ان الروضة تربي وترعى ولا تعلم بالمعنى الأكديمي . وانه اذا كان هناك تعليم او تعلم ، فهو تعلم اجتماعي Social Learning وان الروضة تساعد على اتمام عملية التطبع والتنشئة الاجتماعية Socialization فيمتص الطفل الصالح من العادات والتقاليد ويتدرب على رعاية شئونه ، فيلبس بمفرده ويغسل يديه قبل الاكل ، ويتدرب

على التعامل مع محيطه بنجاح فيعرف متى يجب أن يقطع الطريق وما يجلب لنفسه الأذى والضرر .

ومجمل القول ان منهاج الرياض او برنامجها هو انواع النشاط والخبرات المناسبة للطفل وليس حقائق يحفظها ويتقيأها كلما شاء البالغون ، اى ان منهاج الروضة يدور حول الطفل وليس حول المواد الدراسية ، ويقوم هذا المنهاج او النشاط على الاسس التالية : ـ

١ ـ احترام الفروق الفردية بين الاطفال .

٢ ـ احترام رغبات وميول وحاجات الاطفال .

٣ ـ مراعاة مقدار نضج Malurtion الطفل واستعداده .

٤ ـ ان تكون الوان النشاط في الروضة متناسبة مع مدارك الطفل ، تبتعد عما يهم الكبار ولا يتفق مع ميول الاطفال ، ومنتزعة من بيئة الطفل وحياته اليومية .

٥ ـ أن يرمى هذا المنهاج الى تحقيق اغراض الروضة كتسهيل نمو الطفل ، وتفتح شخصيته ، وشحذ قواه ، اى تهيئته لبداية المرحلة الابتدائية .

٦ ـ أن يكون المنهاج متمما لعملية التنشئة الاجتماعية او التطبع الاجتماعى التى تقوم بها الأسرة ، فيعوّد الطفل العادات الصحية وآداب السلوك ، والسلوك الاجتماعى المقبول والاعتماد على نفسه فى تصريف شئونه .

٧ ـ ان يعرّف المنهاج الطفل ببيئته الطبيعية ويساعده على فهمها وتجنب ما بها من اخطار ، وذلك عن طريق الملاحظة والمشاهدة .

رياض الاطفال ليست جزءا من المدرسة الابتدائية ولا تمد لها ، بل هي مرحلة تهيئة مهما تفتح شخصية الطفل وشحذ قواه العقلية بمختلف الوسائل .



٨ ـ تسمح بعض مناهج الرياض بالتدرب على القراءة والكتابة والحساب ، الا اننا نرى ان مكان ذلك هو الصف الاول الابتدائي سيما وان الطفل يكون قد نضج النضج اللازم ، بيد انه لا مانع من تقديم بعض الخبرات اللغوية والحسابية فى نهاية مرحلة الرياض ولمن لديهم الاستعداد لذلك فقط .

المنهاج والمربية

تهتم البلدان المتقدمة عموما باعداد المربية اعدادا جيدا وتحدد لها فلسفة واهداف مرحلة الرياض ، ثم تترك لها الحرية فى رسم المنهاج الذى يحقق هذه الاهداف ، وتفصيله حسب حاجة كل طفل ، وتزودها بهيئة استشارية مؤهلة تأهيلا عاليا ترجع اليها عند الحاجة وبتعليمات وتوجيهات كما فى السويد وفنلندا .

وفى استراليا وبريطانيا ونيوزيلندة توجد مبادىء للعمل فى الرياض توصلوا اليها بحكم الخبرة والعادة .

وفى النمسا تعقد دورات توجيهية للمربيات يزودن فيها بما يلزم من توجيهات وباحدث ما فى ميادين التربية وعلم النفس لتطبيقه فى الرياض .

التعليم وطرقه

تسير الرياض على مبادىء روسو Rouseau وفروبل Froebel ومدام منتسورى Montessori وغيرهم من الرواد الأوائل للتربية الحديثة ، والطريقة المثلى فى التعليم ، هى التعليم عن طريق اللعب والنشاط .

التعلم اللغوى

تهتم الروضة بتنمية لغة الطفل فتعلمه كيف يعبر عن نفسه بطريق الممارسة ، فيحكى للمربية وزملائه عن اسرته ، وماذا افطر ، وماذا فعل امس ، او فى عطلة نهاية الاسبوع ، او يكلمنا عن اى شىء يريده ، ويستمع لقصص واحاديث مماثلة من أترابه . كما يصغى لما ترويه المربية من اقاصيص معبرة عن دنياه ، وينمي ايضا محصوله اللغوى عن طريق الاناشيد والالعاب والتمثيليات القصيرة ومبادلة الحديث مع اقرانه .

تعلم العد

يجب ان نفرق بين تعليم العد وتعليم الحساب فالطفل فى هذه المرحلة بحاجة الى ان يتعلم العد كى يعبر عن نفسه ، ويتعامل بنجاح مع من يحيط به ،ولكنه ليس بحاجة الى تحليل العدد وكتابته. والقاعدة المثلى فى هذا المجال هى ان نعلم الطفل الاعداد التى هو بحاجة اليها ، وان نعلمه اياها عن طريق المحسوسات والمشخصات ، وبطريق غير مباشر ، فيعرف مثلا أن له راسا واحدا وانفا واحدا ، وعينين اثنتين ، واذنين واربعة اطراف ، وخمسة اصابع فى اليد الواحدة ، وهكذا . ومن الممكن ان نجعله يتعرف على رموز الاعداد فى نهاية مرحلة الرياض اذا اظهر استعدادا لذلك .

التعامل الاجتماعى

الروضة وسيلة لاخراج الطفل تدريجيا من عالمه الضيق المحدود وانفتاحه على العالم الكبير ، فهى مرحلة انتقال من البيت الى المدرسة . وهى ايضا مرحلة فطام نفسى واجتماعى يوسع فيها الطفل دائرته الاجتماعية ، ففيها يتعلق باشخاص جدد من خارج الأسرة ، ويتخذ اصدقاء له على شاكلته ومن نفس حجمه ، ويدرك أن ليس لـه حقوق فقط بل ان عليه واجبات ايضا ، كما يتعلم الايثار والتضحية والتعاون وعدم الغش والصدق وغير ذلك من الفضائل عن طريق الالعاب ، ففى الالعاب الجماعية مثلا يتعلم التعاون والنظام واحترام حقوق الغير وآداب السلوك وغير ذلك .

معرفة البيئة

يتعلم الطفل عن طريق الملاحظة والمشاهدة ما فى بيئته وما هو على اتصال بـه فاذا كان هنـاك سيارات ومراكب فى محيط الطفل ، فيجب ان نعرفه بها وان نعلمه كيف يتقى اخطارها ، اما اذا كان من الريف فستستأثر الحيوانات والنباتات باهتمامنا ، وبمساعدة حظيرة الروضة ومتحفها وغرفة العابها نلهب خيال الطفل ونزيد من ولعه فى بيئته الطبيعية .

ويتعرف الطفل على بيئته الاجتماعية عن طريق التحدث الى الشرطى والطبيب والخباز وساعى البريد وغيرهم ، والقيام بادوارهم فى التمثيليات. والتحدث عن مهنة آبائهم ايضا .

التربية الجمالية

ينمى ذوق الطفل بالمقارنة بين الحسن والقبيح، والنظافة والقذارة ، وبمقارنة اصوات موسيقى ناعمة مع اصوات ضجيج او اخرى ذات نشاز ، ومقارنة صور ملونة بنفسها وهى من غير تلوين ، ومن الممكن ان يربى الاطفـال ازهارا بالاصص يجملون بها غرفتهم ، وتبذل المربية ايضا جهدها فى تزيين جدران الفصل بالرسومات واللوحات والاشكال البديعة .

الجدول المدرسى

يجب الا يوجد جدول وحصص ، واجراس او فواصل زمنية فى الروضة،كل ما هنالك جو اسروى ونشاط ، وتعلم عن طريق النشاط ، ونشاط يوجهه ويوقته ميول ورغبات الطفـل ، ومربية تتدخل بحذر وحكمة ، فهى كالماء للنبتة ، يقوم باروائها ويبقى النمو والتفتح والتزهير من صنع النبتة وحدها .

واذا جزأنا منهاج الروضة فذلك من قبيـل التسهيل ، انما يجب ان يعتبر المنهاج وحدة واحدة ، لا يصح تجزئته الى تربية عقلية وجمالية واخلاقية .. فمن الممكن ان يكون درس العلوم عبارة عن مشاهدة وملاحظة حيوانات الحظيرة ، فيتعرف الطفل على الدجاجة ، ويعد الاطفال كم دجاجة رأوا ، وهذا حساب ، ومن الممكن ان يطلب اليهم ان يحكموا هل الحظيرة نظيفة ام قذرة ، وهذا تربية جمالية وعقلية فى آن واحد ، فالحكم يتطلب القدرة على التمييز والفهم والمقارنة ، وقد يتدافع الاطفال لرؤية الحيوانات او يحجب بعضهم الرؤية عن البعض الآخر فتذكرهم المربية بالنظام واحترام حقوق الآخرين وهـذه تربية خلقيـة وديموقراطية .

والخلاصة :

يمكن التأثير تأثيرا ناجحا فى شخصية الانسان فى السنوات الخمس الاولى من عمره ، فاذا اردنا تنمية الشخصية السليمة علينا الاهتمام بمراحل الحضانة والرياض كى نؤثـر فى الطفل التأثير المرغوب ، وذلك عن طريق ايجاد بيئة سليمة تسهل نموه وتخلو من العوامل الضارة المسببة للانحراف والمعيقة لهذا النمو . ■■

سبع أبو لبدة

طرائف

في الولاية

● قال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أولهم حكم الأمصار ؟ فقال له : القرّاء ضربان : ضرب يعملون للآخرة ويطلبون الأمر لله ، وقد زهدوا في مباهج هذه الحياة ، واولئك لا حاجة لهم في لقائك ... وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم اذا مكنتهم منها ؟ قال : وما أصنع ؟ فقال : عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولّهم .

طاعة الله

● لما حضرت اسماعيل بن جعفر الصادق الوفاة ، نظر الناس الى الصادق جزعا يدخل مرة ويخرج مرة ، ويقوم مرة ، ويقعد أخرى . فلما توفي اسماعيل ، دخل الصادق الى بيته فلبس انظف ثيابه ، وسرح شعره ، وجاء الى

أوصيك خيرا

● حضر اعرابي مائدة اعدها الحجاج في يوم عيد ، فلما اخذ الناس في الاكل اراد الحجاج أن يتلاطف مع ذلك الاعرابي ، فوقف ، وقال : من اكل من هذا شيئا ضربت عنقه ، فامتنع الناس كلهم وعرتهم الدهشة الا الاعرابي فانه اخذ ينظر الى الحجاج مرة وينظر الى الحلوى مرة ، ثم قال : يا امير ، أوصيك بأولادي خيرا . وشرع يأكل سريعا ، فضحك الحجاج حتى استلقى ، وامر له بصلة .

حكمة على لسان الحيوان

● قال الشعبي : اخبرت أن رجلا صاد قنبرة ، فلما صارت في يده ، قالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : اذبحك وآكلك . قال : ما أشفى من مرض ولا أشبع من جوع ، ولكن اعلمك ثلاث خصال خير لك من اكلي . اما الأولى : فاعلمك اياها وانا في يدك ، والثانية وانا على الشجر ، والثالثة وانا على الجبل . فقال : هات الأولى : قالت : لا تتلهفن على ما فاتك . قال : فلما صارت على الشجر قال لها : هات الثانية : قالت له : لا تصدق ان ما لا يكون يكون ، فلما صارت على الجبل قالت له : يا شقي لو ذبحتني اخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا . قال فعض على شفتيه وتلهف ، ثم قال لها : هات الثالثة . قالت : انت قد نسيت اثنتين فكيف احدثك بالثالثة، الم اقل لك لا تتهلفن على ما فاتك . ولا تصدق ان ما لا يكون يكون . وانا وريشي ولحمي لا ازن عشرين مثقالا .

عربية

مبتغانا

مجلس ، فجلس ساكتا عن المصيبة ، كانه لم يصب بمصيبة . فقيل له ف ذلك . فقال : انا اهل البيت نطيع الله فيما احب ، ونسأله ما تحب ، واذا فعل بنا ما تحب شكرنا ، واذا فعل بنا ما نكره رضينا .

حط على قدره

● دخل احد الاعراب على الخليفة هارون الرشيد ، فسأله الرشيد عن حاجته . فقال الاعرابي : مائة الف درهم . فقال له الرشيد : اسرفت يا اخا العرب ، فاحطِطنا منها (اى انقصنا) . قال الاعرابي : حططتك الفا . فقال له الرشيد : ما اعجب ما سالت ، وما حططت . قال الاعرابي : لا يعجب امير المؤمنين ، سألته على قدره ، وحططت على قدري ..

بُجَيلة البخيلة

● كانت قبيلة بجيلة مشهورة بالبخل بين قبائل العرب ، فاتفق جماعة من اكابرهم على أن يرفعوا هذا العار عنهم . فقالوا : هذه قافلة الحاج مجتمعة من اطراف البلد فهلموا نصنع الى الحاج احسانا يشيع خبره فى جميع البلدان ، فاتفق رايهم ان يحمل كل واحد منهم قربة من لبن ، واذا نزل الحاج الى الماء اتوا اليهم بذلك اللبن .

فحضر الحجاج ونادوا الا هلموا الى شرب اللبن ؟ فاخذ كل واحد منهم يقول لصاحبه اسقهم أنت اولا ، فامتنع الكل من التقدم بحل قربته . ثم ان الحاج عمدوا الى قربة فحلوها فكانت ماء ، وكذلك كانت كل القرب ماء ، فقال واحد منهم اني قلت فى نفسي اذا كانت القبيلة كل قربهم لبنا فقربتي تضيع بين القرب فلا تضرني أن تكون ماء ، فملأتها ماء . وقال الآخر مثل قوله حتى اتفق الكل على ذلك الخيال الفاسد ، فزاد عليهم العار ، وانتشر خبرهم فى جميع البلاد .

كيف نواجه الصعاب

سئل احد الأبطال عن سر قدرته على مواجهته الصعاب ، فأجاب : هل شاهدت حجّارا وهو يكسر الأحجار ؟ انه يظل يضرب الصخر بمطرقته ، ربما مائة مرة ، دون أن يبدو فيها أدنى اثر يبشر بكسر او فلق .. وفجأة فى المرة الواحدة بعد المائة ينشطر الصخر الى شطرين . سنقول ان الضربة الأخيرة هي التي حققت شطر الصخر . والحقيقة انها هي التي شطرتها . ولكن بعد ان مهدت لذلك المائة التي سبقت .

المعركة بين الآباء والأبناء
معركة فكرية بين جيل وجيل

بقلم : منير نصيف

■ كيف نحدد مواقفنا من ابنائنا ؟
ماذا نفعل ازاء تصرفاتهم الغريبة الشاذة التي يكتنفها الغموض ؟
ثم كيف يكون ردنا على ثوراتهم وغضباتهم ومظاهر التمرد التي تبدو في الكثير من تصرفاتهم ، على التقاليد والمجتمع ، وعلى انفسهم في بعض الاحيان ؟

ان مرحلة النمو والتغيير عند الشباب مشكلة .. ولكنها ليست مشكلة بلا حل .. فهي وان كانت من اعقد المشاكل التي يواجهها الآباء في حياتهم مع اطفالهم الذين كبروا فجأة وبدأت اذهانهم تتفتح على حقائق الحياة .. الا انها يمكن ان تصبح من ابسط المشاكل التي لاتحتاج الى جهد كبير ، بقدر ما تحتاج الى ترو وتفكير وصبر طويل ، في سبيل حلها والتغلب عليها وازالة اسبابها ..

موقف الآباء

فكل شيء يتوقف اولا واخيرا على موقف الآباء ، وطريقة تفكيرهم، واسلوب معالجتهم لامور ابنائهم ..

يقول علماء التربية ان الصراع يشتد بين الآباء والأبناء في هذه السن التي يخطو فيها الشباب سريعا من الطفولة الى المراهقة .. وهو صراع حقيقي يتركز حول احتياجات الآباء من ناحية ، واحتياجات الأبناء من الناحية الاخرى .. الآباء يريدون ان يشعروا بان ابنائهم في حاجة اليهم ، والى نصائحهم وارشاداتهم .. انهم يريدون ان يمسكوا بايدي ابنائهم ليضعوهم على بداية الطريق الصحيح في الحياة ..

ولكن الأبناء لايريدون هذه المساعدة ، انهم لا يشعرون بحاجتهم لاحد .. انهم يريدون أن يعيشوا حياتهم كما يشتهون، ان يسيروا في الطريق الذي اختاروه هم لانفسهم ، وقلما ساروا ، فهم ما يكادون يخطون على الدرب بضع خطوات ، حتى تزل اقدامهم فيسقطوا ، وقد تكون السقطة خطرة وقد لا تكون !.

البحث عن الدفء

وهنا فقط يلجأ الأبناء الى آبائهم ، بحثا عن الدفء والحنان ، فهم يريدون ان يشعروا في محنتهم هذه ان هناك من يحبهم ويعطف عليهم وينفعل لالامهم .. وهم في هذا اشبه بالسفينة التي تتلاطمها الامواج في عرض البحر ، بعد ان ضل قائدها طريقه الى الشاطيء ، ويستبد الذعر بركابها في صراعهم المستمر مع الموت ، الى ان يلوح في الافق ، بر الامان ، فتطمئن نفوسهم ،



فقد وجدوا في رماله الناعمة الحياة التى تصوروا في لحظة يأس انهم اوشكوا ان يفقدوها الى الابد .

ولكن هل يجب ان ننتظر حتى يضل ابناؤنا الطريق ؟ لماذا لانعمل على تجنيبهم آلام السقوط ونتائجه ؟

ان نسبة كبيرة من المشاكل التى يتعرض لها الأبناء في حياتهم في هذه السن المبكرة ، ترجع اساسا الى سوء تصرف الآباء ، وجهلهم بنفسية الشباب او اهمالهم لشئون ابنائهم ، وانشغالهم عنهم بشئون الحياة ، وكان وجود الأبناء قد جاء صدفة ، ولم يكن هدفا اساسيا من اهداف الحياة وبناء الاسرة والمجتمع .

تصرفات خاطئة

هذا الطراز من الآباء ، الذين يتصفون بالانانية، قلما وجد الأبناء في كنفهم الاستقرار والطمانينة التى ينشدونها في حياتهم في هذه السن المضطربة الحرجة ..

وقبل أن نمضي في حديثنا نسوق لذلك مثلا من التصرفات الخاطئة التى تصدر عن الآباء تجاه ابنائهم .. وهي وان كانت في حد ذاتها تبدو صغيرة لا قيمة لها ، الا ان اثرها في نفوس الأبناء ، كثيرا ما يترك اخاديد وفجوات لا تلبث الايام ان تزيدها عمقا على عمق ، فتمتلىء برواسب الحقد والكراهية للبيت والاسرة والمدرسة ، وربما المجتمع كله ، ذلك الذى يتوقع منهم ان يكونوا فيه افرادا عاملين. يحمل كل واحد منهم نصيبه في بنائه وتطويره والمضي به قدما نحو حياة ومستقبل افضل ..

مع طبق الحساء

تعود الفتاة من مدرستها وتجلس امام مائدة الطعام لتتناول وجبة الغداء بسرعة ،حتى تستطيع ان تلحق بدراستها بعد الظهر .

وتأتي لها أمها بطبق الحساء .. انه حساء لذيذ جيد ، لا شك في ذلك . فقد اعدته الام بيديها ، وحرصت على ان تضيف اليه كل العناصر الغذائية التى تحبها ابنتها ، وتبدأ الابنة تأكل .. ولكنها لا تكاد تتذوق الحساء بطرف لسانها ، حتى تصيح : « ليس هذا بالحساء الذى عودتنا عليه يا أمي . ان رائحته لا تعجبني والملح فيه كثير ! » . وتثور الام ، وتنهر ابنتها قائلة : « كفى عن شكواك هذه . ان الحساء لذيذ ، ولم اضف اليه من الملح الا قليلا . كلي في هدوء ، ارجوك ! » وتغيظ كلمات الام الابنة التى تحدث نفسها ، « ما معنى هذا ؟ انني لم اعد صغيرة ، لقد بلغت السادسة عشرة الآن ، ومن حقى ان اقول رأيي في الطعام الذى آكله » .

وتثور الابنة بدورها في وجه امها قائلة : « اسمعى يا أمي ، مادمت تصرين على ان هذا الحساء لذيذ ، فانا اقترح ان تأكليه انت بدلا مني ما رأيك ؟ ! » .

ثورة وغضب

وتقول الام ، وقد استبد بها الغضب : « انت فتاة متمردة افسدك تدليل والديك لك .

ان ملايين الاطفال في اوربا وآسيا يتمنون طبقا من هذا الحساء الذى ترفضين ان تأكليه ! » .

وتترك الفتاة مقعدها في ثورة عارمة ، وتهرول الى الخارج عائدة الى مدرستها ، دون ان تتناول شيئا من الطعام ، وهى تصيح قائلة : « لا تنسي ان ترسلى الحساء لواحد من هذه الملايين الذين يتمنونه !! »

هذا الحوار ما كان يجب ان يسير على ما سار عليه ، ثم هذه النهاية التى انتهى اليها قد صنعت بالابنة ما صنعت .. لقد توقفت ان تسمع من امها اى شيء الا هذا الذى سمعته .. ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان الام كانت صادقة في كل كلمة قالتها عن الحساء اللذيذ الذى اعدته بيديها ، والابنة لا شك مخطئة في تصورها عندما راحت تعدد لامها مساوىء الطعام الذى قدمته اليها ، ولكن الخطأ الذى وقعت فيه الام كان يكمن في طريقة معالجتها للموقف .

الحكم الذاتي

يقول علماء التربية ان افضل وسيلة للتعامل مع الابناء في هذه السن ، هي أن نتركهم يتدبرون امور الحياة بانفسهم ، وخاصة في مثل هذه المشاكل الصغيرة .. فقد كان في مقدور الام ان تستمع الى ملاحظات ابنتها في هدوء وبلا تعليق ثم تترك لها بعد هذا حرية التصرف فى ان تأكل اى شيء آخر يعجبها ، بدلا من ان تحاول ان تفرض عليها طبقا معينا من الطعام ! فالاعتراف بمتاعب الابناء ، مهما كانت صغيرة وتافهة ، يرضي نزعتهم الى الشعور بالاستقلال . وانتظار ما يتقدمون به هم بعد ذلك من اقتراحات لعلاج هذه المتاعب ، يفسح لهم الفرصة لتأكيد ارادتهم ، وممارسة الحق الذى يدعونه لانفسهم في « الحكم الذاتي » ..

وليس معنى هذا ان نحجب عنهم نصائحنا ولكن معناه ان نقدم لهم هذه النصائح ولكن بصورة اخف وقعا على نفوسهم ، فلا بد لنا ان ننصت الى ما لديهم من اقتراحات وحلول اولا ، ثم نسألهم بعد هذا عن رأيهم فيما لو حاولنا ان نحل المشكلة بطريقة اخرى .. فالشباب في هذه السن يقدر الرأى الجديد الصائب الذى حاول عبثا ان يصل اليه هو ، ثم وجده أخيرا يخرج من بين شفتي والده او استاذه او اى صديق آخر كبير يحبه ويحترمه !

وحديث فى السياسة

مثل ذلك ما حدث لشاب جاوز السادسة عشرة من عمره ، وكان الابن يهتم بالسياسة ويهوى دراسة العلوم السياسية . وكان يجلس مع والده في كثير من المناسبات ويدور النقاش بينهما حول تطورات الموقف الدولى .. جلس يقول لوالده يوما : « ان الخطر الصينى يهدد العالم بأسره . ان الصين سوف تصبح قريبا اقوى دولة في العالم، فهى تملك الان الاسلحة النووية ، الى جانب القوة البشرية الهائلة التى تنفرد بها دون سائر الدول الكبرى . انني ارى ان الوقت قد حان لتعلن دول العالم مجتمعة الحرب على الصين ، لتقضي على هذا الخطر الذى يتهددها قبل ان يستفحل ! »

موقف .. وموقف

ويستمع الاب في هدوء الى آراء ابنه ، انه قطعا لا يؤيد هذا الرأى السخيف الذى يجاهر به الابن ، وربما شعر بالغضب وهو يستمع الى هذا الشعور العدائى الذى يملأ نفس هذا الشاب الصغير الذى مازال يقف على عتبة الدنيا . وقد كان في مقدور الاب ان يقول لابنه مثلا : ما هذا الهراء الذى تقول ؟ او ما الذى تعرفه انت عن مثل هذه المسائل الدولية المعقدة . او انك ولد ابله لا تدرى من امور الدنيا شيئا . دعنى احدثك انا عن هذه الدولة التى تريد ان تقضى عليها في حرب عالمية !

وتستطيع ان تتصور بعد ذلك ، الاثر الذى كان يمكن ان تتركه سخرية الاب من ابنه ، على نفسية الشاب الصغير الذى يتطلع الى دراسة العلوم السياسية ، لو انه تعرض الى هذا التجريح من والده .

عطف وتفهم

ولكن الاب العاقل ، لم يفعل شيئا من هذا ، لقد جلس بدوره يستمع الى حديث ابنه في اهتمام شديد ، حتى اذا ما انتهى منه ، واتجه الابن الى والده يبحث فى وجهه وعينيه عن اثر هذا الكلام ، وجده متفهما تماما لوجهة نظره .

وتكلم الاب اخيرا ، قال : « ربما كنت على صواب يابنى في ان هذه الدولة تشكل اليوم خطرا على العالم ، ولكن الا ترى معى ان في نشوب حرب عالمية جديدة خطرا اشد واعظم على البشرية كلها .

ادرى ، ماذا كنت افعل انا لو كان الامر بيدى ، كنت ادعو هذه الدولة الذرية الكبرى الى مائدة المفاوضات ، وامد يدى الى زعمائها لنوقع معا معاهدة سلام دائم ، يحمى العالم من اخطار الحرب واهوالها ! » .

وقد يقتنع الابن بوجهة نظر ابيه ، وقد لايقتنع ، ولكن المهم ان الاب عرف كيف ينقل رايه الى ابنه دون ان يعاديه ودون ان يسفه اراءه او يشعره بتفاهة تفكيره .

الرغبة فى الانتقام !

انه لم يفعل ما فعله الاب الذى اصطحب ابنه الذى جاوز السابعة عشرة من عمره الى معرض للوحات الزيتية ...

وما كادت عينا الابن تقع على اول لوحة تصادفه، وكانت من اللون التجريدى ، حتى قال لوالده في استياء شديد ! « اني امقت هذا اللون من الرسم يا والدى ، فانا لا افهم منه شيئا ! » .

وعندما وصلت كلمات الابن الى اذن الأب ، نهره بعنف ، وصاح في غضب : « ما الذى تعرفه انت عن هذا اللون من الرسم ؟ هل قرات عنه قبل ان تدلى برأيك فيه ؟ » .

ويثور الابن ، وينظر الى أبيه نظرة عتاب شديد ، ويصر على رايه ويتمسك به في عناد ، ولا يجد من رد يجيب على أبيه الا ان يقول : « ما زلت اعتقد أن منظر هذه اللوحات يثير الاشمئزاز فيالنفس،فهي لا تعنيشيئابالنسبةلي!»،

مثل هذه المناقشة لم تزد من اهتمام الشاب بالفن ، كما انها قطعا لم تساهم في تنمية شعور الابن نحو ابيه بالاحترام ، او بالحب . فقد احس الشاب بان كبرياءه قد جرحت ، وان والده قد تعمد اهانته وتحقيره امام الناس ! وربما قاده هذا الشعور الى الرغبة في الانتقام . وقد تحينالفرصة للابن اذا ما تجدد الحديث عن المعرض بعد عودتهما الى البيت ، وربما قبل ذلك ، وهما في الطريق اليه . وقد يفاجأ الأب بابنه يقول له : « ولكن قل لي يا ابي ، متى قرات انت عن الفن ، وماذا تعرف عن هذا النوع من الرسم الحديث ؛ وقد امضيت حياتك كلها تدرس الطب وتعالج المرضى من الناس !؟ » .

الحديث الهادىء

هل كانت هذه المعركة ضرورية ؟ .

والجواب ، قطعا لا ! فقد كان في وسع الأب ان يقول لابنه ، حتى لو كان يخالفه الرأى : « ربما فضلت عليه الرسم الكلاسيكي يا بني . اليس كذلك ؟ اتدرى انني ايضا لا اميل كثيرا الى هذه المدرسة الحديثة . انني أحب أن أرى الأشياء في صورها الحقيقية ، ولكنها مدرسة حديثة يا بنى ، ونحن لا نستطيع دائما أن نقف في وجه التطور ، اليس كذلك ؟ » .

شيء من هذا الحديث الهادىء ، يصنع المعجزات .. فليس أقسى على نفس الشاب من أن يشعر أن أحدا يتهمه بالغباء . وهو يتوقع من والديه خاصة أن يكونا اكثر الناس تفهما لآرائه ومشاعره.

الفتاة اكثر حساسية

والفتاة اكثر حساسية من الشاب في سن المراهقة .. وكما يريد الشاب ان يثبت رجولته عن طريق تصرفاته ومناقشاته في شتى أمور الحياة، كذلك الفتاة ، فهي تريد أن تؤكد انوثتها ، تريد أن تشعر هي ، وأن تشعر كل من حولها بانها قد كبرت وأصبحت امرأة .

وواجب الأم ان تحاول بشتى الطرق أن ترضي هذه النزعة الطبيعية عند الفتاة فلا تنتقد طريقة اختيارها لملابسها ، أو تزين وجهها وشعرها ، الا اذا احست أنها قد جاوزت حدود الحشمة والوقار ، بشرط الا تشعرها أنها تريد أن تفرض عليها ارادتها فرضا ! .

معركة بين جيل وجيل

ان المعركة بين الآباء والأبناء ، معركة حقيقية ، وهي معركة فكرية في المقام الأول .. معركة بين جيل قديم ، وجيل حديث .. جيل ناضج ، وجيل لم ينضج بعد فاذا استطاع الآباء أن يسدوا الفجوة وان يهبطوا بمستواهم الفكرى الى مستوى ابنائهم الذين يبحثون عن العلم والمعرفة في كل ما يحيط بهم ، وكل ما تصل اليه ايديهم من ينابيع المعرفة ، فهم قد نجحوا في أن يرفعوا من مستوى ابنائهم الفكرى ، ونجحوا في تقريبهم اليهم ، ونجحوا أخيرا في أن يجعلوا منهم أصدقاء لهم ..

واذا توطدت الصداقة بين الآباء والأبناء زالت الحواجز المصطنعة بينهم ، وتلاشت احتمالات السقوط والانحراف .. ■■

منير نصيف .

اعرف وطنك أيها العربي

سُقُطَرَى

تحسبها جزيرة أهل الكهف !

- قوم من العصر الحجري يعيشون في القرن العشرين
- سقطرى ليست لأحد بقاعدة حربية
- جزيرة الصبر وسمك القرش تحاول أن تستيقظ من نوم طال



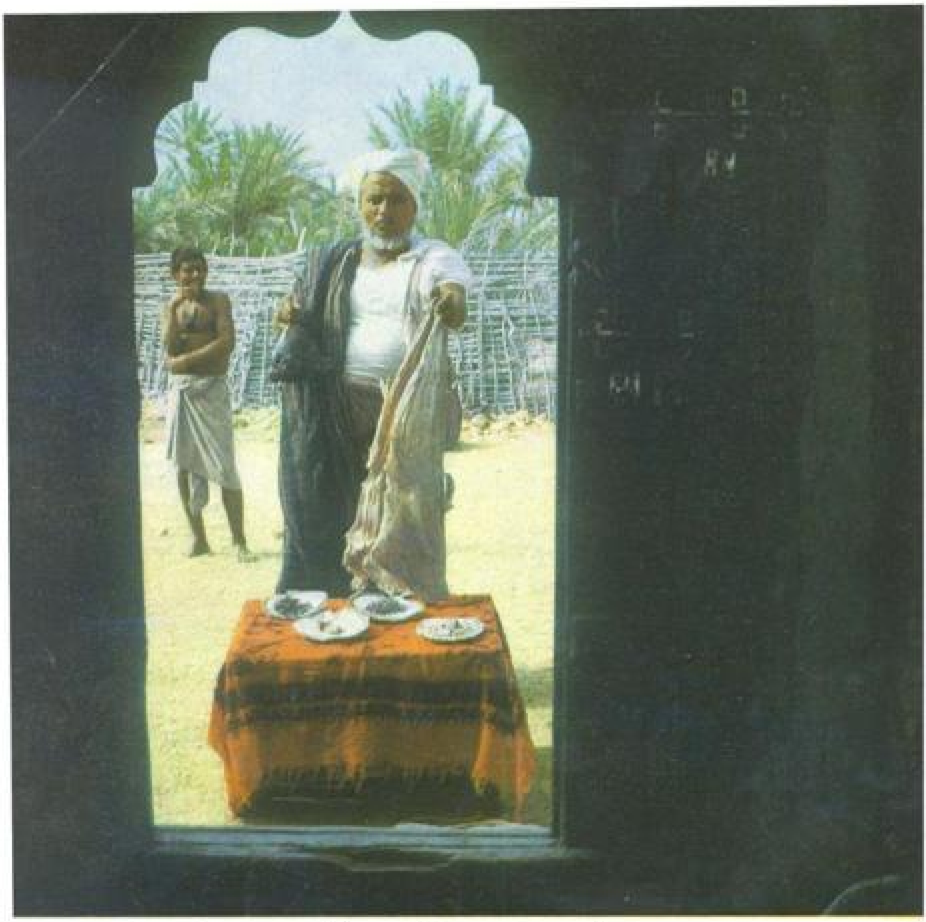
تنقسم الحياة في سقطرى الى قسمين : حياة في وسط الجبال على مستوى بدائي .. وحياة اكثر تقدما على السواحل .. والمرأة في كلا الحالتي تميل الى استعمال الالوان الصارخة في ملبسها ..

استطلاع

سليم زبال

تصوير

اوسكار متري



اصداف .. وبخور .. وصنبر .. ودم الاخوين .. وسمك قرش مجفف .. وسمن طبيعي .. وشملة ـ اي سجادة منزلية .. هذه هي منتوجات سقطرى .. **والى اسفل** خريطة توضح موقع الجزيرة .



■ عندما انطلقت بنا الطائرة هذه المرة ، اندفعت في رحلة غريبة .. رحلة الى الوراء .. الى الماضي السحيق .. !

كانت رحلتنا هذه ، هي « رحلة الرحلات » انتقلنا خلالها الى اكبر جزر وطننا العربي التي تنام منسية مهملة ، وسط مياه المحيط الهندي الدافئة ..

لقد بقيت جزيرة سُقُطرى على ما كانت عليه لم تتبدل او تتغير ، رغم تبدل العالم من حولها ..!

وكأنها هي التي عناها احمد شوقي بقوله :

تكاد لاغراقها في الجمود
اذا الارض دارت بها لم تدر

بعض اهلها مازال يعيش في كهوف سحيقة حفرتها الطبيعة في بطون جبالها .. وعلى سواحلها ترتفع اكواخ صنعوها من الاصداف وقواقع البحر وسعف النخيل !

حياتهم قاسية مؤلمة ..
اذا مرضوا كووا اجسادهم بالنار ..
واذا اقتحمت الذبابة الاستوائية افواههم ، سارعوا بابتلاع كمية من الجاز اقتل بويضات هذه الذبابة !

واذا رمدت عيونهم قطروا من سائل لزج ينساب من احدى الاشجار الغريبة التي تعج بها الجزيرة !

ما هذا .. ؟ .. واي حياة تلك .. واي نوع من البشر هؤلاء الذين يعيشون اليوم في القرن العشرين على هذا الاسلوب القديم ؟ اين هم .. ومن هم ؟

انهم عرب مثلنا .. ومع هذا مازالوا يعيشون باسلوب وتفكير اجدادهم .. هم .. هم .. لم يتبدلوا منذ آلاف السنين ..

ولكن مهلا .. ولنبدأ القصة من اولها ..

طائرة حربية خاصة

حاولنا مرارا سابقة الوصول الى جزيرة سُقُطرى ولكن انعدام المواصلات اليها ، كان يقف دائما عقبة في سبيل تحقيق امنيتنا ..

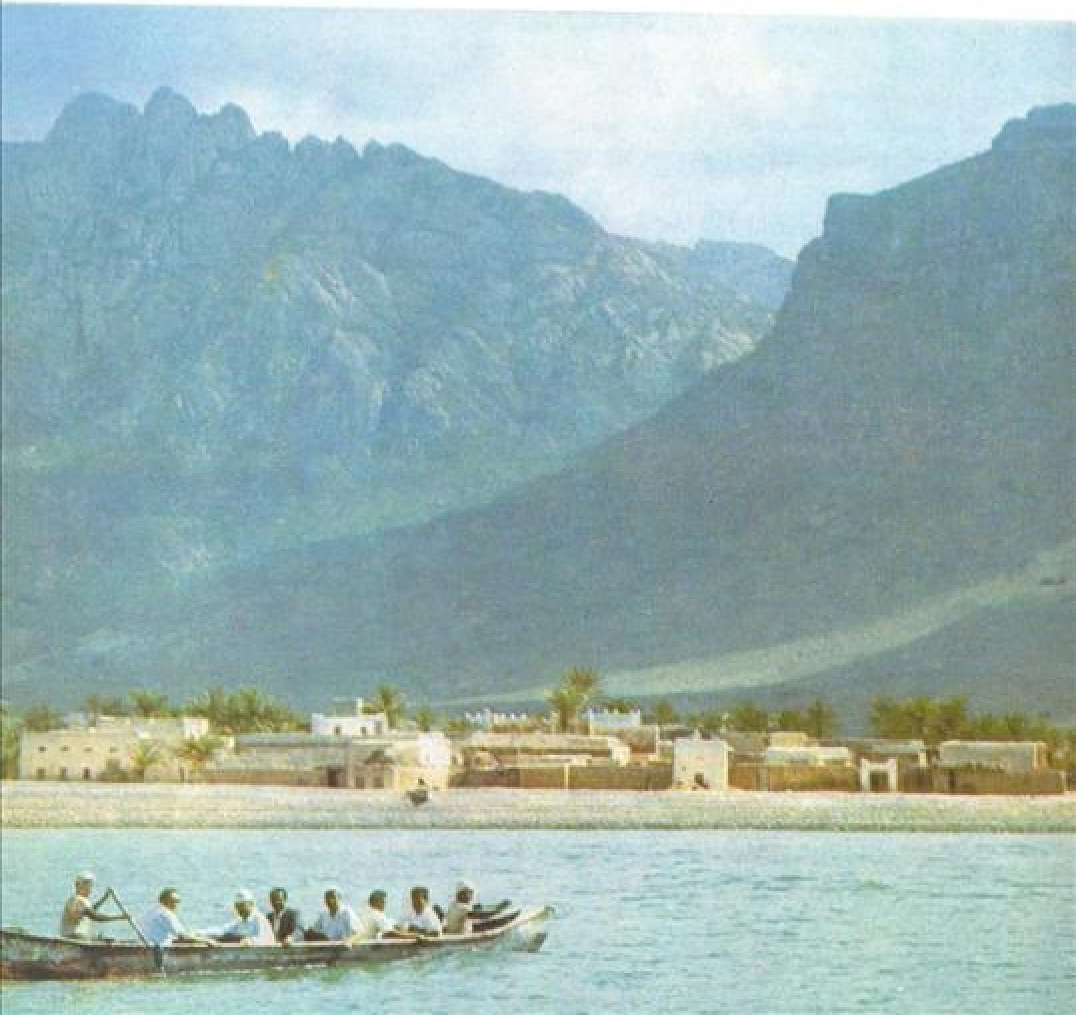
لا توجد خطوط بحرية .. ولا خطوط جوية

ساحل قلنسية..روعة ما بعدها روعة .. تظللها جبال لَبِنَا وسمهر .. ولكن هذا الهدوء ينقلب الى عواصف وامواج هائلة، ابتداء من شهر مايو حتى اكتوبر من كل عام.. فتختفي المراكب وتتوقف الحياة في الميناء الذي يعد اكبر موانىء الجزيرة



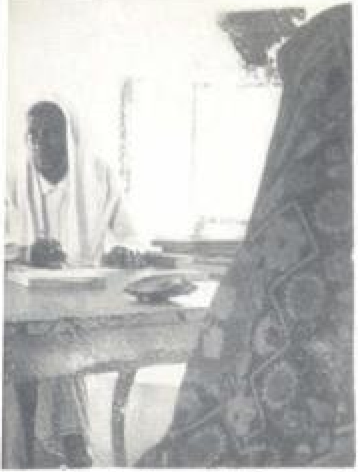


الى اليسار : في كل ليلة تدق الطبول ، ويتلاعب الزمّار بأنغام مزماره .. وتجمع امواج من البشر يرقصون ويرمتون.. بينما نفس اللحن والكلمات تتكرر وكلها حنين وشوق لرؤية عدن .. ان أهل سقطرى يهربون من واقعهم الأليم الى عالم خيالي سعيد ، كله غناء وطرب ورقص !





الشارع الرئيسي في حديبو العاصمة .. واغلب منازلها من طابق واحد ، ليس بها شبابيك وانما ثقوب في الحائط .. لاحظ زى الاهالى : فوطة وفوقها قميص،اما البنطلون فيرتديه القادمون من عدن.



اشتهرت سقطرى بجمال نسائها ودلالهن اطفال ، كما ان زواج الكهول من الفتيات والرجل السقطرى رجل مزواج ، يتزوج مرة حتى الان .. اما الزواج من ١٥ الى الغريب ان السبب في هذا الزواج الكثير التى تأتى الى القاضي وتطلب منه ان يطلقها لا اريده » ونرى هنا كاتب المحكمة الشرعية قبل ان يحكم بالطلاق ..

وعند مصب اودية الجبال على الساحل الضيق ترتفع المدن الصغيرة ، انها قرى ومراكز .. اكبرها : حديبو عاصمة الجزيرة .. تليها قلنسية وقاضيب ..

اختلاف فى العدد وفى الاسم !

ويقدرون عدد سكان الجزيرة بنحو ٣٥ الف نسمة ، ولكن الاهالى يحتجون على هذا التقدير ويقولون : « ان عددنا اكثر من ٦٠ الف نسمة » ..

ولا يمكننا تحديد الرقم الصحيح ، لانه لا يوجد احصاء رسمي لعدد السكان ..

وكما احتار الكتاب والمؤرخون في تقدير عدد سكان الجزيرة ، كذلك اختلفوا في طريقة كتابة اسمها ، كل منهم يكتبه بصورة مختلفة عن الاخر .. فالزبيدى صاحب تاج العروس ذكر اربعة اشكال لكتابة الاسم مرة : سُقُطْرَى (بضم اوله وثانيه وسكون طائه وفتح رائه والف مقصورة) .. ومرة اضاف لها الالف المضمومة فجعلها : (اُسقُطرى) .. وثالثة كتبها كما يكتبها اهلها : (سكوترة) .. ومرة رابعة كما يكتبها العامة : (سقوطرة) ولكن « الهمدانى » صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وياقوت الحموى صاحب « معجم البلدان » ، اتفقا على كتابتها : سُقُطرَى ..

واختلف ابو الفداء صاحب تقويم البلدان عنهما ، فكتبها : سقوطرة .. كما قال الزبيدى في احدى رواياته .

اما دائرة المعارف الاسلامية فقد افردت عدة صفحات تحدثت فيها عن الاسماء القديمة للجزيرة ، فذكرت ان اليونانيين عرفوها قديما باسم جزيرة ديوسقوريدس ، وجزيرة ملك بلاد البان .. وذكرت « ان اسم سقطرى مشتق من كلمتين باللغة السنسكريتية ، هما : « دفيبا سخترا » اى الجزيرة السعيدة » ..

ولكن هناك تعليلا آخر يقول ان الاسم مشتق من كلمتين عربيتين هما « سوق القطرة » .. والقطرة هنا هي السوائل التى تنساب من الاشجار الكثيرة المتناثرة في الجبال ..

مطلوب يد ساحرة مخلصة

والحديث عن اصول الاسم واختلاف طريقة كتابته ، حديث طويل ليس هنا مجال الافاضة

اميال من العذاب

ولم تطل فرحتنا كثيرا فقد تركتنا الطائرة كاليتامى في الصحراء .. يحيط بنا مجموعة من اهل البلاد يرتدون الفوطة الملونة ، وصدرهم عار لفحته الشمس .. ومعهم حماران صغيران ..

وكان علينا مواجهة « المرحلة الثانية » بعد وصولنا الى « مطار كورى » .. كان علينا ان نصل الى حديبو العاصمة .. وقالوا لنا : « انها على مسافة ٧ اميال من المطار .. » ولكنها سبعة اميال من العذاب : جبال وعرة ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم ليس فيها اى ممر او طريق .. عليك ان تتسلقها لتصل الى العاصمة ، ومن خلفك قافلة الجمال التى تحمل امتعتك .. وكم من مرة تدحرجت الجمال المسكينة بين صخور هذه الجبال : جبال الحيباق ، فماتت من الآلام لاستحالة انقاذها ..

وهذا الطريق الجبلى لا بد لك ان تتسلقه اذا قصدت الجزيرة ابتداء من شهر مايو حتى نهاية سبتمبر .. انه موسم الاعاصير والانواء التى تجعل مياه المحيط متلاطمة متعالية .. اما اذا قصدت الجزيرة في غير هذه الشهور فيمكنك الاتجاه من المطار الى البحر لمدة ساعتين سيرا على الاقدام ، حتى تصل الى شاطىء راس كرما ، وتستقل من هناك مركبا يكون في انتظارك بعد اتفاق مسبق .

اهل سقطرى فى فيينا !

وشاهدنا المركب الخشبي الكبير الذى سينقلنا الى حديبو العاصمة ، يقف على مسافة ٢٠٠ متر من الشاطىء ، فاستعنا بقوارب الاهالى الصغيرة « الهورى » تحمل امتعتنا الى المركب الكبير ، ثم تعود لتحملنا بدورنا الى المركب .. الذى انطلق يقطع مسافة السبعة اميال التى تفصلنا من العاصمة ..

وحاولنا التحدث الى البحارة ، فوجدناهم يتحدثون العربية بصعوبة ، ولكنهم يتحدثون فيما بينهم بلهجة غريبة هى اللهجة السقطرية ، المشتقة من اللغة المهرية .

وكم من كتاب صدر عن اللغات واللهجات المَهرية والشِحْرية والسُقطْرية .. ولكنها كلها كتب لكتاب اجانب ، اصدروها من باريس وفيينا وليبزج وموسكو .. وقد وصل الامر باكاديمية العلوم بفيينا ، عاصمة النمسا . ان ارسلت بعثة علمية الى اليمن لجمع النصوص عن اللهجات اليمنية .. ولم تكتف بهذا بل عمدت الى نقل



جميع اهالى سقطرى مسلمون شافعيون .. ومساجدها منتشرة في المدن والداخل ، ولكن مسجدين فقط لهما مآذن : واحد في حديبو والثاني في قلنسية (وهو الظاهر في الصورة) .

بعض اهل البلد نفسها الى فيينا لدراسة لهجتهم عن قرب !! .. فاين نحن من كل هذا ؟

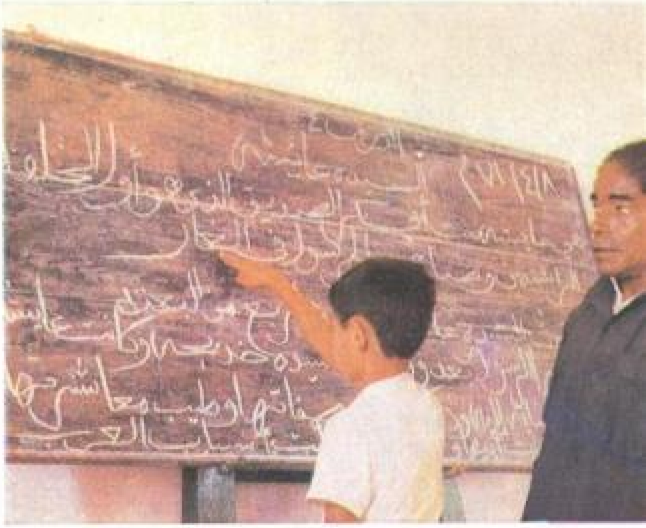
لغة فى طريقها للفناء

وقد حاولنا ان نجمع بعض النماذج من اللغة السقطرية ، فهالنا الاختلاف الكبير في نطقها ، والتضارب في الفاظها . انها لغة في طريقها الى الموت ، لانها لا تكتب ولا تقرأ ، فهى لغة تخاطب فقط .

فمثلا سألنا احدهم ان يذكر لنا الارقام بالسقطرية ، فقال : طاد .. تِرْ٢ .. ثلاثة .. اربعة والباقى مثل الارقام العربية ..

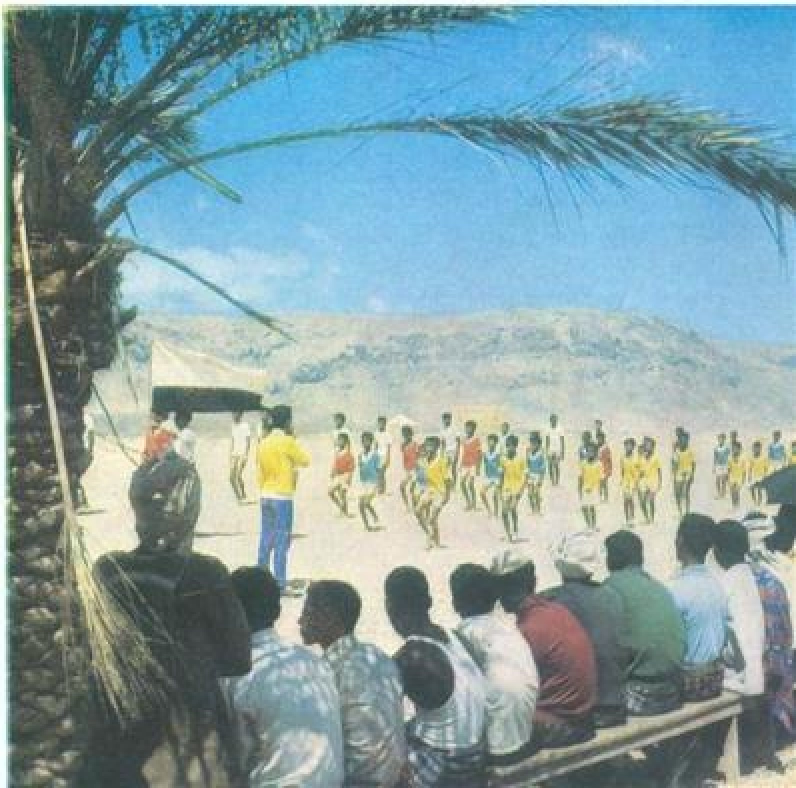
وسألنا مدرسا محليا ان يذكر لنا الارقام بالسقطرية فقال : طاط ـ تِراه ـ ثِلِيه ـ اوربع



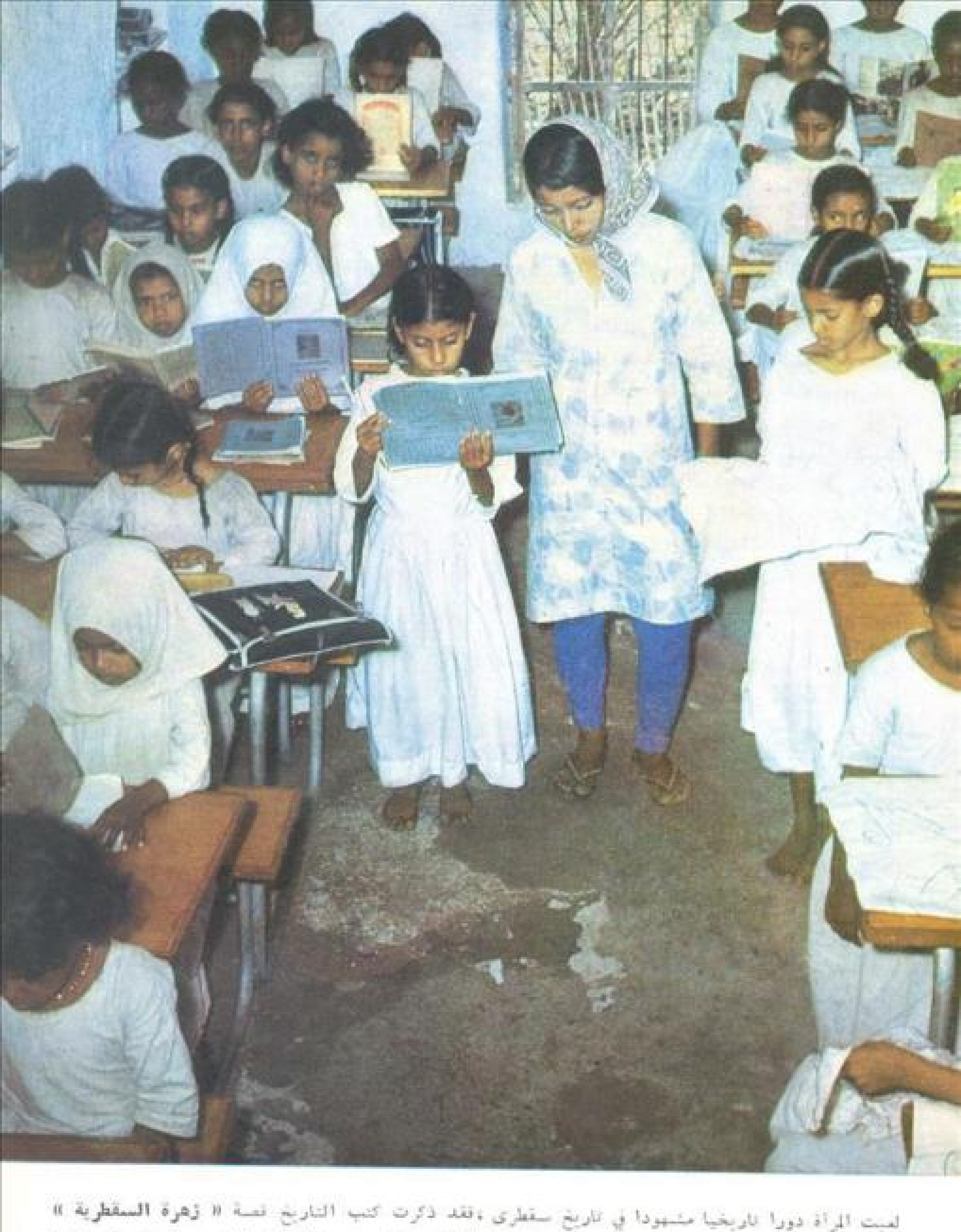


درس ديني عن السيدة عائشة ، كتبه الأستاذ « صلاح » على السبورة ، حتى يحفظه التلاميذ .. لأنه لا توجد في مدرسة حديبو كتب دين او جغرافيا او طبيعة او تاريخ او حساب !!

الى اسفل : اهالي قلنسية يشهدون استعراضا رياضيا رائعا يقوم به ابناؤهم الطلبة ، تحت اشراف استاذهم المثقاني احمد عيسى غانم المتخرج من ثانوية الشويخ بالكويت .



صفقوا معنا لهذه المعلمة



لعبت المرأة دورا تاريخيا مشهودا في تاريخ سقطرى ،فقد ذكرت كتب التاريخ قصة **« زهرة السقطرية »** تلك المرأة التى استغاثت في قصيدة طويلة بامام عثمان لانقاذ سقطرى من الاحتلال الاجنبى فهزت بقصيدتها مشاعر الامام وبعلته يحرك جيوشه الى الجزيرة .. اما اليوم فان حفيدات « زهرة السقطرية » الشاعرة اصبحن جاهلات اميات يؤمن بالخرافات والخزعبلات .. حتى كان عام ١٩٦٩ عندما افتتحت الحكومة اول مدرسة لتعليم البنات .. ومر عام وزاد عدد الفصول فاصبح فصلين ، ولكن عدد المعلمات ظل واحدة فقط هى : مريم على سالم حديث من عدن .. واسقط في يد المعلمة فلم تجد مخرجا الا وضع الفصلين — ٤١ تلميذة — في غرفة واحدة ، تحاول قدر الامكان تقسيم وقتها بينهما .. ونراها هنا تقف حائرة : عن يمينها طالبات الفصل الثانى ومن يسارها طالبات الفصل الاول .. ان الجزيرة تنتظر وصول المعلمة الثانية على احر من الجمر .. علما بانه لا توجد الا هذه المدرسة لتعليم البنات في الجزيرة كلها .



قبل وصولنا الى سقطرى بتسعة ايام فقط ، وصلت اول ممرضة الى الجزيرة .. سميرة على من عدن جاءت لمعالجة نساء القرية .. ولكنها ليست مولدة ، والمشكل الاول امام المرأة السقطرية هو لعسر الولادة .. فهى تتزوج صغيرة ، وتموت صغيرة .. لعدم وجود طبيب في الجزيرة ! .

- حيمى - ستة - سبعة ثمانية - تسعة - عاثر - عاثر وطاط - عاثر وتراه - الخ ..
وانت تلحظ الفرق الكبير بين كلام الشخصين ..

هذه هي حديبو ..

ووصلت السفينة الى خليج حديبو .. وشاهدنا امامنا خطا رفيعا من المنازل البيضاء وسط مزارع النخيل .. ولم يستطع المركب الاقتراب من الساحل لضحالة مياهه ، فتكررت نفس القصة التي سبقت في رأس الكرما ، ونزلنا الى حديبو مع امتعتنا في « الهورى » الصغير ..

.. الشمس عمودية ، والحرارة زائدة .. وعلى الشاطىء وقفت مجموعة كبيرة من الاهالى لتحية القادمين الجدد والسلام عليهم فردا فردا باليد ..

وسرنا بين منازل حديبو ذات الطابق الواحد اليتيم ، لقد بناها اصحابها حسب مزاجهم على ما يبدو ، اذ ليس فيها اى جمال هندسي او فني ، ثم اضافوا لها حدائق صغيرة احاطوها بسعف النخيل ، فزادت من بشاعة منظر المدينة ..

ومررنا بجامع حديبو الكبير ، الذى شيدوه في القرن الخامس عشر الميلادى ، انه في حالة يرثى لها من الاهمال .. وعلى مسافة قريبة من الجامع ساحة كبيرة واسعة هي المقبرة الوحيدة في المدينة يرتفع حولها مبنى قيادة الشرطة والمدرسة والمستوصف ..

واسترحنا في مبنى القيادة ١٩ شخصا جلسنا في غرفة واحدة ، وتناولنا طعاما شهيا على مائدة عبد الكريم محسن مأمور الجزيرة ، مكونا من خروف صغير مع تل من الارز !

رمثة حتى الصباح !

وبدات الشمس تميل للغروب فرحنا في سبات عميق ، كل منا يريح راسه على جسد زميله .. وبعد اغفاءة قصيرة استيقظنا على صوت الدفوف والطبول .. انها رقصة الرمثة الشعبية تنعقد كل ليلة في الجزيرة : غناء وتصفيق وطبل ومزمار وعرق وغبار .. وعندما يتعب الطبال يأتي شخص جديد مكانه .. وهكذا تركناهم يرمثون الى ما بعد منتصف الليل .. ورحنا في سبات عميق غير عابئين بالطبول او الدفوف ..

الخبز والكيك !

وحديبو ليس فيها شيء يستحق المشاهدة او الزيارة .. لا يوجد فيها كهرباء ، وبالتالى ليس فيها نقطة ماء بارد ، واهلها لا يعرفون الى الان ما هو الثلج ! .. وليس فيها حلاق للشعر ، ولا خياط ولا حداد .. حتى المتاجر معدومة الا تاجر واحد يبيع بالمقايضة للاهالى : يأخذ منهم الاصداف ودم الاخوين ، والصبر ، والبخور ، والزباد ، والسمن البلدى .. ويعطيهم الشاى والسكر وقصتقص (الارز المكسور) والهندى (الذرة الرفيعة) والسمن الصناعى .

وليس في سقطرى مخبز لصنع الخبز ، واهلها لا يعرفون كيفية صناعته ، ولا كيفية طبخ الطعام ، لهذا كان الطعام يأتينا من منازل الاستاذ صلاح وبقية المدرسين يرسلونه لنا مشكورين .. ولكن الخبز كان اشبه بقالب الكيك منه بالرغيف !

من المقايضة الى النقود

وقديما كان اهل الجزيرة ينتظرون السفن المارة بسواحلهم ليزوجوا فتياتهم الى البحارة ، مقابل كيس من الاكل والطعام ..

كان كل شيء يتم بالمقايضة ، حتى وصل الموظفون الحكوميون من عدن بعد الاستقلال ، فانتقلت معهم العملة النقدية والورقية .. ولكن تداولهما ما زال محدودا جدا .. ومن المحال ان تجد في الجزيرة كلها قطعا معدنية كافية لصرف دينار واحد !

وميزانية الجزيرة المعتمدة لهذه السنة هي ٢٥ الف دينار يمنى جنوبى (الدينار يساوى جنيها استرلينيا) منها ٢٣ الف دينار مرتبات لـ ١١٦ موظفا وجنديا .. اى ان المبلغ المتبقى للنهوض بالجزيرة وتنفيذ مشاريع الاصلاح فيها لا يتعدى الفى دينار في السنة !!؟

مهنة في اليد خير من شهادة على الشجر !

ومن مدرسة حديبو الابتدائية ، بدأت تنطلق بعض الاضواء على الجزيرة .. كانت كتابا صغيرا لتحفيظ القرآن عام ١٩٦٣ فاصبحت اليوم مدرسة ابتدائية تضم ٥ مدرسين و ١٢٠ طالبا .. رقم ضئيل بالنسبة لعدد السكان ، ولكن ما زال الرجل السقطرى يرى ان مهنة في اليد خير من شهادة على الشجر ! .. لهذا تراه لا يحبذ كثيرا جلوس ابنه في حجرة قذرة مقفلة ليأخذ شهادة بعد سنوات .. ماذا سيفعل بها في سقطرى ؟ .. لا شيء..ان الرجولة هنا تكمن في الغوص العميق، واستخراج الصدف الكبير واللؤلؤ الثمين ،وصيد الاسماك ، وخاصة سمك القرش المفترس !!

صاحبة بالين

واتجهنا الى اول مدرسة لتعليم البنات .. فتحت ابوابها منذ عامين ، فزاد عدد فصولها من واحد الى اثنين .. ولكن المعلمات لم يزدن بنفس النسبة ، بل بقى العدد : معلمة واحدة .. تقوم بتعليم الفصل الثانى فقط ، وعندما يكون عندها فراغ تعلم الفصل الاول !!

لا يعرف القطار ولا اللمبة !

والواقع ان التعليم في سقطرى هو المخرج الوحيد لهذه الجزيرة من الظلام الذى يكتنفها .. ولكن يبدو ان وزارة التربية في عدن فتحت هذه المدارس ونسيتها ! نسيت ان ترسل لها الكتب ، فشهدنا الاستاذ يكتب الدرس على السبورة السوداء حتى ينقله الطالب ويحفظه وهو جالس على شط البحر .. اما وسائل الايضاح فهى معدومة .. رغم اهميتها القصوى .. فالطفل لا يعرف ما هو القطار او البطة ، وما هى اللمبة وما هو التلفاز !!

ورغم ان هناك اعتمادا في الميزانية لشق



ظلت هذه السيارة الوحيدة تعمل بكل اخلاص حتى ساعة وصولنا الجزيرة ، وكأنها كانت تنتظر تسجيل صورتها قبل احالتها الى التقاعد .. ووسيلة المواصلات الشائعة في الجزيرة هى السير على الاقدام وفوق الجمال والحمير .. وكان الجنود البريطانيون قد بدأوا بشق بعض الطرق اثناء وجودهم في الجزيرة ، ما زالت آثارها باقية، مثل الطريق من المطار الى قلنسية .. كما وعدت هيئة الامم بالمساعدة في مد طريق من المطار الى حديبو ، ولكن لم يتم شيء بعد .. وفي عهد المأمور السابق شكيب محمد اسماعيل شقوا طريقا من حديبو حتى منطقة ريدا شرقا ، والامل كبير في تكملته، حتى منطقة نوجد في الجنوب (انظر الخريطة)

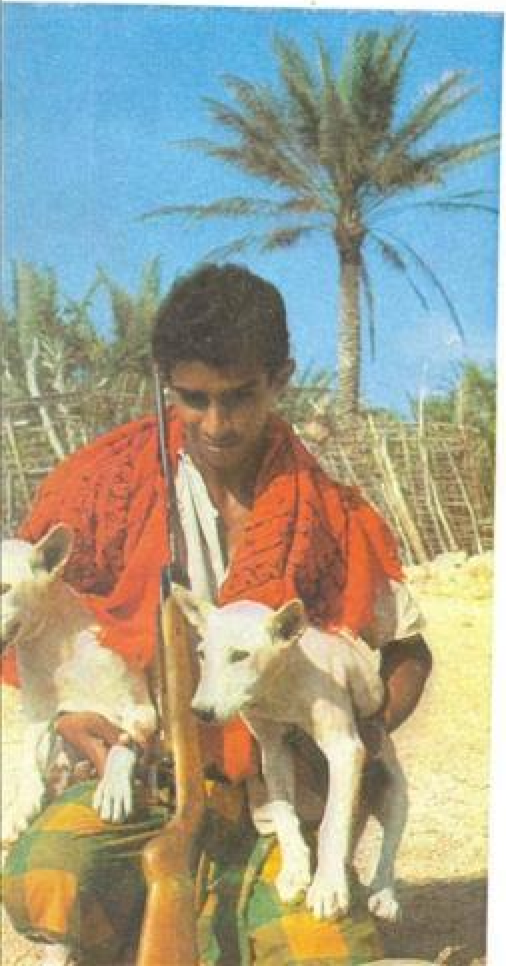




اكبر مقبرة لسمك القرش (اللخم) تجدها في بلدة قلنسية . يصطادونه في الليل بطرق بدائية ، وينقلونه الى الشاطىء .. يقطعون راسه وزعانفه ، ويخرجون أحشاءه ، ويملحون لحمه ويتركونه عشرة ايام على الساحل تحت الشمس حتى يجف. ويصدرون منه سنويا ٥٠ الف قطعة الى افريقيا والهند .



الى اليمين : يستخرج الغواصون الاصداف الكبيرة من مياه حديبو ، وينقلونها الى « عم بوحماد » التاجر الذي يقايضهم رطل الصدف بقصعة من الارز او التمر أو السمن الصناعي ، لا يتجاوز ثمنها شلنا واحدا !! **والى اسفل :** اول كلبين جاء بهما « بو حماد » الى الجزيرة .. وطعامهما هو التمر ، كما ترى !





قط الزباد .. قط متوحش ، يأكل التمر ويمتص دم الدجاج ولا يأكل لحمها ؛ يصطادونه داخل اقفاص بها تمر ، ويستخرجون الزباد بالضغط الشديد على غدة عند استه، او باستعمال المشرط لجرح غدته حتى يتدفق منها الزباد ، وهو مادة سوداء اللون زفرة الرائحة ، يخالطها طيب كطيب المسك تستعمله المرأة عطرا ، وعلاجا لحالات العقم ، وبعد استخراج الزباد يطلق سراح القطة المتوحشة، فتهرب الى مزارع النخيل حيث تمر فترة يصطادونها بعدها مرة اخرى لاستخراج الزباد ثانية .. وهكذا .

وظائف ١٤ مدرسا ومدرسة ، الا انه لا يوجد الا ١٢ منهم فقط في كل الجزيرة !

اما مباني المدارس ، فهي تكاد تشبه حظائر الحيوانات ، وخاصة مبنى مدرسة مدينةقلنسية، ثانية مدن سقطرى ..

سقطرى هبة من الله للمهريين

لقد ظلت الجزيرة تعاني الامرين من الاهمال والفوضى .. اهمال سلطان ضعيف هزيل جاهل حكم البلاد باسلوب بدائي فلم يطورها ولم يتطور .. فطار من مقعده ، واصبح مواطنا عاديا ..

اما جده السلطان عمرو بن سعد سلطان قشن، الذي جاءه الكابتن هينس البريطاني عام ١٨٣٥ حاملا معه مبلغ عشرة آلاف ريال نمساوي يريد بها شراء جزيرة سقطرى ، لتحويلها الى محطة ضخمة لتموين السفن ، فكان موقفه اكثر عنادا ، اذ اجاب غاضبا على عرض الكابتن بقوله : « وحق ايماني الراسخ بان هناك الها واحدا موجودا في الجنة ، كذلك لن اتخلى عن ذرة من ارض سقطرى » ورفع يده مؤكدا قوله بطرف اصبعه .. وتابع السلطان كلامه قائلا : « ان سقطرى هبة من الله للمهريين اورثها الاجداد الى الابناء الذين انا سلطانهم .. وداعا .. » ..

لعنة سقطرى ..

ولكن الوداع كان على عودة .. فقد عاد الانجليز على رأس قوات هندية احتلت الجزيرة عام ١٨٣٥ فحلت عليهم لعنة سقطرى ، اذ هبت عواصف هوجاء على الجزيرة ، اغرقت الزوارق بما تحمل من جنود ، وانتشرت الحمى بين القوات الباقية ، فافنت معظمهم حتى انه لم يكن هناك من يملك القوة الكافيةليحفر قبرا لنفسه او لزملائه .

ولم يبق لبريطانيا الا ان تهجر الجزيرة ،مكتفية بمعاهدة معالسلطان .. اذ كان كل همها الا تخضع الجزيرة لطرف آخر .. فتركتها مغلقة مهملة متاخرة ، وكأنها قطعة من العصر الحجري تعيش في القرن العشرين !!

ولكنها فتحتها امامعلماء النبات والطيور وطبقات الارض ، فجاءوا يجرون دراستهم علىحياة الجماد قبل حياة الانسان !!

نوجد ستصبح قلب سقطرى

وقررنا مغادرة حديبو الى المنطقة الجنوبية .. منطقة نوجد .. المسافة ٢٢ ميلا قطعناها في اربعة ايام مع لياليها متسلقين الجبال ونائمين في العراء .. انها رحلة عبر بادية سقطرى التي سنعود اليها في استطلاع قادم مستقل ان شاء الله .

ووصلنا نوجد (انظر الخريطة) انها ارض صحراوية على مدى البصر ، مساحتها ٢٠ الف فدان .. دخان الحرائق يرتفع من كل مكان فيها .. انها النيران تلتهم الاعشاب البرية ، لتبدأ مكانها الزراعةعلى نطاقواسعلاول مرة في تاريخالجزيرة..

وجلسنا في استراحة الزراعة بنوجد نتبادل الحديث مع السيد محمد عوض باعامر مدير وزارة الزراعة، الذي قال : « بعد سنتين سينتقل مركز الثقل من شمال الجزيرة الى جنوبها .. الى نوجد التي ستصبح قلب سقطرى النابض .. هنا سنزرع الطعام : الذرة والدخن في الاول ، لان السكان يفضلونهما على غيرهما .. ولكننا سنزرع

اشترى احد تجار قلنسية هذا الجرار لزراعة ارضه ونقلته السفينة الكبيرة من عدن الى قلنسية .. وبقيت مسافة المائة متر التي تفصل بين مكان وقوف الباخرة والساحل .. واجتمع الناس للمساهمة في انزال الجرار .. ولكن ثقله جعله يغرق في « شبر ماء » وسحبوه الى الساحل ، ولكن الماء المالح اعطب الآلة .. وحاول صاحبها اصلاحها بنفسه ففشل..وبقيت الجرارة كالتمثال في وسط المدينة ، تتساءل متى يكون لسقطرى مرسى صغير تقف عليه السفن .. متى ؟!



لهم كل شيء مستقبلا .. سنحاول ان نمنع المجاعة من سقطرى .. لا بد ان يأخذ السكان اكلهم من ارض جزيرتهم .. ان السماد متوافر محليا بكثرة .. والماء متوافر بغزارة .. والارض صالحة للزراعة .. وتوجد محمية من الاعاصير والانواء لهذا لا يوجد اي سبب يمنع زراعتها ..

« اما تدريب ابناء سقطرى على الزراعة ، فقد بدأنا بنقل مجموعة منهم الى عدن لتدريبهم في مزارعنا هناك .. » ..

وتركنا نوجد وعدنا الى حديبو عبر الوديان من الجهة الشرقية ، حيث احتمالات وجود النفط كبيرة ، كما قال الخبراء الصينيون ..

مع احفاد ابن ماجد !

كان الارهاق قد اخذ منا ماخذه ، فلم نحفل بقرع الطبول بل رحنا في سبات عميق حتى صباح اليوم التالي ..

واتجهنا مباشرة الى سفينة البوم الخشبية لتنقلنا الى قلنسية ، المدينة الثانية .. وكانت الرحلة البحرية من اطرف الرحلات واغربها ، قضينا ست ساعات فوق ذلك العالم العائم على سطح البحر .. النوخذا (القبطان) حليق الرأس يدير دفة المركب بقدمه ، ويعطي اوامره لصاحب المركب حتى يدير الموتور .. انه من احفاد ابن ماجد بارع مثله ، يعرف شواطىء ورياح الخليج العربي وخليج عُمان وجنوب الجزيرة العربية وموانىء افريقيا،مثلما تعرف انت شوارع بلدتك!.

سمك .. وتمر

والقى احد البحارة بالسنارة في الماء ، وما هي الا بضع دقائق حتى كانت سمكة كبيرة هائلة ترفع بالخطاطيف الى داخل المركب بين ارجلنا .. وفي الحال نزل عليها البحار بالسكين يذبحها ويبقر بطنها لاخراج احشائها .. والقى بالسنارة مرة ثانية ، وما هي الا دقائق حتى اخرجوا سمكة اكبر من الاولى ، عالجوها بنفس الطريقة ..

وفي ركن خاص في وسط المركب بدأوا في اشعال الحطب ووضعوا فوقه قدرا مملوءا بماء البحر ، وعندما بدأ الماء يغلي القوا بقطع السمك داخله ..

وتذكرت حالنا في المنزل عندما نطبخ السمكة الطازجة ، نضع معها العديد من قطع الليمون وعيدان القرفة وحب الهال والبصل .. وبعدها نبخر المنزل لتزيل رائحة السمك !



اقدم الانوال وجدناها في منازل حديبو .. ويصنعونها من جذوع شجرة العلق ، وتقوم المرأة بنسج « الشَمْلة » السجادة الرفيعة . طولها ٦ اقدام وعرضها قدم ، من صوف الغنم والماعز الابيض والاسود ، ولكنها تزركشها باللون الاحمر في الوسط .. ويقبل اهل عدن وبقية مدن اليمن على شراء الشملة بمتوسط ٣٠٠٠ قطعة سنويا ، مما يجعل سوقها دائما مزدهرة .. وترى هنا « قافلة بنت عبد الله » تنسج الشَمْلة .. وقد علقت وراءها الجَرْفة .. انها ثلاجة سقطرى ! .

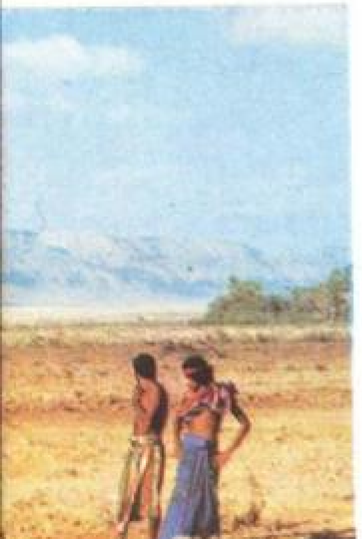
اما هنا فلم يكن احد عنده الوقت الكافي لهذا الكلام الفارغ .. وبعد ان نضج السمك اخرجه البحار من الماء المغلي ، ووضعه في صينية كبيرة .. ومن قاع المركب جلب كمية من التمر ، وضعها بجانب السمك المسلوق وقدمه لنا .. فاكلنا سمكا وتمرا حتى شبعنا ، وكانت وجبة طيبة وسمكا لم نذق اشهى منه .. !

اسمها اكبر من مساحتها !

واخيرا وصلنا قلنسية .. المدينة الثانية .. اسمها اكبر من مساحتها ! .. فعدد « منازلها »



الى اسفل : منذ عام ١٨٣٤ والدراسات العلمية تتوالى على جزيرة سقطرى ، ولكن نتائج هذه الدراسات ظلت دائما محبوءة سرية ، لهذا كان على وزارة الزراعة في عدن بعد الاستقلال ، ان تعيد الكرة وتبدأ من الصفر ثانية ، مستعينة بخبراء عرب وروس والمان شرقيين وصينيين ، لمسح الجزيرة كما ترى في الصورتين أسفل هذا الكلام .







يقول تقرير بعثة ادارة الزراعة اليمنية :
كلها زراعة ذات شان .. » واعتمادا على
بالذرة الشامية والدخن .. وعدا
ساعة في اليوم ، يخلع الاعشاب ويدفعها

الى اليمن : هنا فوق هذه المنطقة الصحراوية ستقوم سقطرى الغد .. انها منطقة نوجد ، الممتدة تقريبا على طول الساحل الجنوبي للجزيرة ، وتقدر مساحتها بحوالى ٣٠ الف فدان ، وتتميز المنطقة بعدم تعرضها للانواء والاعاصير الموسمية التى تهب على شمال الجزيرة ، والمياه الجوفية متوفرة فيها ، مما يجعلها ارضا صالحة تماما للزراعة والحياة .





« نستطيع القول دون مبالغة ، ان اهالى سقطرى يعيشون في عصر ما قبل الزراعة .. اذ لا توجد في الجزيرة
على هذا التقرير بدأت « **عملية نوجد** » التى تهدف في المرحلة الاولى الى استصلاح وزراعة ٣٠٠ فدان
التراكتور ـ الذى أنزلوه على منصة موضوعة فوق ١٦ برميل لعدم وجود مرسى في الميناء ـ يعمل ١٢
للمحرقة .. انه عهد جديد تدخله الجزيرة .. عهد الزراعة للقضاء على المجاعة !!

لا يزيد عن ٢٠٠ منزل .. ليس فيها كهرباء ولا طرقات .. ولكنها مع ذلك اكثر تقدما من حديبو ، لانها تقع في طرف الجزيرة الغربى ، وهذا يجعلها محطة للمراكب المتجهة من الخليج الى افريقيا ..

وتشتهر قلنسية بانها مقبرة سمك القرش .. رائحته تغلف المدينة من اقصاها الى اقصاها .. يخرجون في منتصف الليل على ظهر « الهورى » في كل مركب شخصان ، ينطلق المركب الى المياه العميقة ، ويرمى الصياد خيطا طويلا تتدلى منه ٢٠ سنارة كبيرة ويربط الخيط بالمركب وينام .. وعندما يشعر الصياد بالهورى يتحرك يعلم ان السنارة قد امسكت بسمك القرش .. فيطعنه بالحربة حتى يموت ، وينقله للمركب اذا كان صغيرا ، واذا كان كبيرا ربطه بالهورى وعاد به الى الشاطىء ثانى يوم ظهرا ..

الزعانف اغلى من اللحم

وينقل الصيادان صيدهما الى « المشرحة » يفصلان رأسه عن جسمه ، ينزعان الزعنفة من ظهره .. ان ثمن الزعنفة والذيل اغلى من ثمن اللحم نفسه !! وينزع الكبد والاحشاء .. ويغسل اللحم ويضع فيه ملحا ويتركه تحت اشعة الشمس على الشاطىء لفترة ١٠ ايام حتى يجف ..

اما الكبد فيغلونه في الماء مستخرجين منه الدهن يجمعونه ويبيعونه لصناع السفن الخشبية الذين يستعملونه طلاء لسفنهم .. وقديما كان الذى تقطع يده يضعون بقيتها في هذا الزيت لوقف النزيف !

ومما يذكر ان قلنسية تصدر سنويا ما يقرب من خمسين الف قطعة « لخم » مجففة للدول الافريقية والهند .. تصدرها ولا تأخذ ثمنها مالا .. وانما مقايضة بالارز (القصقص) والهندى (اى الذرة الرفيعة) وغيرهما من ضرورات الحياة ..

سقطرى لم تر طبيبا منذ سنة

ودخلنا مستوصف قلنسية ، وشاهدنا فضل الحاج ، المساعد الصحى يعالج الملاريا والانفلونزا والاسهال والسل الرئوى والتراخوما وشلل الاطفال ويخلع الاسنان .. كل هذا حسب نظرته وتقديره .. يحكم على المرضى دون ان يكون عنده مختبر او اى استعداد للعلاج !

لقد مضى على « فضل » سنتان دون ان يأخذ اجازة ، فانتهز فرصة سفرنا وقرر ان يسافر معنا على نفس الطائرة الى عدن .. وهكذا سيبقى سكان قلنسية وضواحيها بدون مساعد صحى حتى يعود فضل من اجازته السنوية ..

وقلنسية تعتبر سعيدة لان عندها مساعدا صحيا ، اما البادية في الداخل فليس فيها اى اثر للتطبيب .. ومما يذكر انه قد مضى عام باكمله لم تطأ فيها قدم طبيب ارض سقطرى .. وما من شك ان وزارة الصحة في عدن تقوم بجهود طيبة جدا لزيادة الصداقة مع شعوب العالم اجمع ؟!!؟

شر البلية ..

وقبل ان نترك « المدينة » سألنا المسئول الحكومى عن مشاكل قلنسية فاجابنا متعجبا :

« لا توجد مشاكل .. كل شيء ممتاز .. » ..

وكدنا نصعق ، فعدنا نسأله : « لماذا لا تعلقون مصباح جاز عند نواصي الشوارع والطرق .. بدلا من الظلام الداكن الذى يغلف المدينة .. » ..

فاجابنا بسرعة : « نحن نعتقد ان نور القمر افضل من نور مصباح الجاز !!! » .

فقلنا : « ولكن عندما يختفى ضوء القمر يصبح ضوء المصباح ضروريا ، اليس كذلك ؟ »

فاحتار المسئول وضحك .. فقد اعتبرها نكتة !!!؟

وضحكنا معه .. فشر البلية ما يضحك !

ان مشكلة جزيرة سقطرى لم تعد تكمن في تأخرها فقط ، وانما اصبحت في الدرجة الاولى في تأخر المسئولين عن تقدمها وتطويرها وانقاذها من ورطتها ..

★ ★ ★

ومع الغروب انطلقت السفينة من قلنسية .. وبدأت عملية صيد الاسماك من جديد .. وكان عشاؤنا سمكا وتمرا مرة ثانية .. وبدأنا نبحث عن مكان للنوم ، كانت السفينة خالية من كل حيز يصلح لهذا الغرض ، اما البحارة فرأيناهم ينامون في ركن صغير .. يضعون رأسهم على صخرة وينامون ، وكأنهم مستريحون على وسائد من الريش!!!

وكان التعب قد اخذ منا مأخذه ، فنام بعضنا حول بعض ، دون ان ندرى كيف واين نمنا ؟

فالى الغد .. الى صباح يوم جديد في عدد جديد ، ننقل لكم فيه صفحة اخرى ، وما اكثر الصفحات التى سجلناها لهذه الحياة الغريبة في جزيرة سقطرى .. جزيرة اللبان والصبر والسعادة وسمك القرش !! ■■

سليم زبال

الدَّميرِي

في كتابه

حياة الحيوان الكبرى

خياطٌ يصيرُ من أجلِّ العلماءِ
وموسوعة في العلمِ
تضم الفقهَ والأدبَ والتاريخ
إنها كثيرةُ الطرافةِ،
ولا تخلو أحياناً من خرافةٍ.

بقلم: عبد الستار فراج

دَميرة ـ بفتح الدال وكسر الميم ـ على وزن سفينة، كما نصّ صاحب القاموس في مادة (دمر): بلدة من أعمال السَّمَنُّودِيَّة. والسمنودية الآن هي بعض بلاد محافظة الدقهلية بمصر نسبة الى سمنود.

ودَميرة اشتهر منها علماء ذُكِر بعض منهم في تاج العروس.

وذكر السخاويُّ بعضهم في كتابه «الضوء اللامع».

أشهر رجال دميرة

لكن أشهر من نبغ منهم وكانت له آثار وذِكْرٌ حميد هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي، وكنيته أبو البقاء، ولقبه الكمال. أصله من دَميرة، أما ولادته فكانت بالقاهرة. وهو صاحب كتابنا هذا، كتاب حياة الحيوان الكبرى.

يقول السخاوي في الضوء اللامع عنه: «الدَّميريُّ الأصل، القاهريُّ» ويقول أيضا: «كان اسمه كمالاً، بغير اضافة ـ أي لا يقال له «كمال الدين» ـ وكان يكتبه كذلك بخطه في كتبه، ثم تسمّى محمداً، وصار يكشط الأول».

ولد في أوائل سنة ٧٤٢ هجرية تقريبا بالقاهرة، ونشأ بها.

كان خياطا ورحل فى طلب العلم

وتكسب في اول امره بصناعة هي الخياطة ، ثم اقبل على العلم فتفقه بمذهب الامام الشافعي ، وجعل يأخذ ذلك من كبار العلماء في عهده ، مثل احمد بن التقي السبكي ، والجمال الأسنوى .. كما أخذ الأدب وعلوم العربية من كبار رجالها . ولم يقتصر في ذلك على من كان بالقاهرة ، بل رحل الى مكة والمدينة ، وتلقى من علمائهما ، وروى الحديث من كتب الحديث المشهورة ، سماعا على الائمة ، وكان بارعا في تفسير القرآن .

وتصدر للتدريس والتأليف

ثم تصدر للتدريس والاقراء ، فانتفع به الناس ، وشرع في التأليف والشرح في الفقه والحديث ، وكانت له في ذلك مؤلفات . لكنّ أهم ما اشتهر به هو كتابه « حياة الحيوان » فاذا قلت : قال الدميرى ، انصرف الذهن الى كتابه حياة الحيوان ، واذا قلت قرأت في كتاب « حياة الحيوان » كذا ، جرى ، ذهنك الى صاحبه الدميريّ .

أشهر العلماء تلقوا عنه

وفي القاهرة درّس باماكن ، منها الأزهر ، كانت له فيه حلقة يوم السبت . ومنها القبّة البيبرسية ، كان يدرس فيها الحديث ، يقول السخاوي في « الضوء اللامع » : وكنت احضر عنده فيها . وكان يوم الجمعة غالبا يذكّر الناس (أي يعظهم) بمدرسة البقرى داخل باب النصر ، وبعد عصر الجمعة يدرس بجامع الظاهر في الحسينية .

وفي مكة أقام سنين متفرقة وكان اول قدومه لها في موسم سنة ٧٦٢ هـ وفي مكة تزوج فاطمة بنت يحيى بن عبّاد الصنهاجي ، وولدت له أمّ حبيبة وأمّ سلمة وعبد الرحمن .

ولقد صحبه المقريزى المؤرخ المشهود . ويقول عنه : « صحبته سنين ، وحضرت مجلس وعظه مرارا لاعجابي به ، وأنشدني وافادني ، وكنت أحبه ويحبني في الله ، لسمْتِه وحسْنِ هدْيِه وجميل طريقته ومداومته على العبادة » .

ويقول عنه الحافظ ابن حجر : مهر في الفقه والأدب والحديث ، وشارك في الفنون ، ودرس للمحدثين بقبّة بيبرس ، وفي عدة أماكن ، ووعظ وافاد وخطب فأجاد ، وكان ذا حظ من العبادة تلاوة وصياما ومجاورة بالحرمين .. سمعت من فوائده ومن نظمه ، واجتمعت به مرارا ، وكنت أحِبُّ سمْته ..

وأورد له السخاوي بيتين من النظم تبدو فيهما طريقة الوعاظ الفقهاء :

بمكارمِ الأخلاقِ كُنْ مُتخلّقاً
ليفوحَ نَدُّ شذا ثنائك العطرِ النّدي
واصْدُقْ حديثَكَ إن صدقْتَ صداقةً
وادفَعْ عدوَّكَ بالّتي فإذا الّذي

يريد قوله تعالى :

« ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم » .

واستقر بوطنه وفيه توفى

وكان يتردد بين القاهرة ومكة في أعوام مختلفة ، وآخر قدوم له الى مكة كان سنة ٧٩٩ هـ ثم تركها في آخر سنة ثمانمائة أو في أول سنة ٨٠١ وعاد الى القاهرة ، واستقر بقية عمره ، حتى توفي رحمه الله في الثالث من جمادى الأولى سنة ثمان وثمانمائة (٨٠٨) ودفن بمقابر الصوفية . ذلك انه كان في التقوى بالغ المنتهى من عبادة وتلاوة وصيام وقيام ومجاورة بمكة والمدينة ، وله اذكار يواظب عليها ، وعنده خشوع وخشية وبكاء عند ذكر الله .

ويذكر السخاوى أن ابنتيه تزوجتا باخوين عالمين ، وانهما أنجبتا منهما ، أما ابنه عبد الرحمن فلم يذكر لنا عنه في ترجمة أبيه شيئا .

القارئون كثيرون ولكن ..

وكثيرون أولئك الذين يقرءون كتبا لا تحصى ، فتزكو لديهم المعلومات ، وتتشعب أمامهم المعارف، ثم يكتفي أغلبهم بما قرءوا والقليلون منهم يتخذون لهم طريقا يسلكونه ومنهجا يتبعونه ليصلوا الى معين فياض . حيث تتفجر منهم ينابيع من الروافد

التى أمدتهم . وتزهو منهم زهرات وتزكو ثمرات مما تشربته أفكارهم ، وتلقحت به عقولهم .

وكتب السابقين فيها أشتات من معلومات ، وخليط من ثقافات ، يوردونها لأدنى ملابسة . ويستطيع من يلزم نفسه بمنهج أن يضم كل نظير الى نظيره ، وكل موضوع الى شبيهه ، فيخرج من جولته خلال رحابها ومتاهاتها بما يكون محدد المعالم ، ومرشداً لمن يبغون موضوعا معينا واضح القسمات .

والدميرى كما قلنا فقيه من كبار الفقهاء ، ومن رجال الحديث الواسعي الرواية ، ومن علماء تفسير القرآن . ومن الزهاد الأتقياء ، ومن المكثرين الاطلاع في كتب الأدب والتاريخ .

حياة الحيوان ومنهجه

ومع هذا قد ألف كتابه « حياة الحيوان » حسب منهج سليم ، فحشد نفسه لما اختطه من طريقة هي غاية في التنظيم وغاية في رعاية التاليف المفيد .

والحيوان يشمل كل ذى روح من انسان ودواب وطير وأسماك ، فيرتب كل ذلك ترتيبا مُعْجَمياً يبدأ بما أوله همزة ، فاذا أورد كل ما كان كذلك ، بدأ بما أوله باء ، ثم ما أوله تاء ، وهكذا الى ان ينتهي مما أوله ياء .

وهو يعتبر اسم الحيوان جميعه وحدة لغوية كاملة ، دون أن يرجعه الى أصله التصريفى ، وذلك ما فعله أصحاب تراجم الاعلام ، وأصحاب تراجم الأسماء .

فمثلا « ارنب » يضعه في حرف الهمزة ، أما أصحاب كتب اللغة فيرجعونه الى أصله دون زيادة ، فيضعونه في مادة (رنب) . « والأنقد » يضعه في حرف الهمزة ، أما كتب اللغة فتضعه في مادة (نقد) .

التعريف بالحيوانات ووصفها

وهو في عرضه لكل حيوان يبدأ بتعريف الحيوان ووصفه حسب ما وصل اليه من معلومات في عهده ، وحسب ما قرأه في كتب السابقين . وانّنا لنظلم الدميرى اذا طلبنا منه ان يكون بلغ من الدقة ما بلغناه اليوم ، لكنه لم يقصّر في وصفه ، ولم يترك الاستقصاء فيما يورده . ولا ينسى التصريف اللغوى للفظ الحيوان ، جامعا معه كل ما يتصل بلفظه من معان ، يعتمد في كل ذلك على ما جاء في كتب اللغة .

حكم أكله والأمثال التي ورد فيها اسمه وخواصه

ثم يأتي بحكم أكل هذا الحيوان ، هل هو محرم أو حلال أو مكروه ، ويفصل في ذلك أقوال الفقهاء، وقد يُعلل في بعض الاحيان لآراء المحرِّمين والمحلِّلين .

ويتلو ذلك ان يذكر ما قيل فيه من امثال عربية ان كان قد قيل فيه أو عرض اسمه في مثل من الامثال ، ويُوضّح المَثَل ومَضْرِبَه ومَوْرِدَه ، ثم يذكر بعد ذلك خواصه ، والمنافع التى تجلبها أجزاؤه ، معتمدا على ما كان يحكى في عهده ، وما تناقله غيره عن السابقين .

رؤية الحيوان فى المنام

وقد تكون رأيت في منامك رؤيا فيها شيء من هذه الحيوانات ، فيفسر معنى رؤية هذا الحيوان في أوضاعه المختلفة ، ناقلا بالطبع كل هذا من كتب تفسير الاحلام . ويضع هذه التفسيرات تحت العنوان التابع لكل حيوان ، والعنوان هو « التعبير » آخذا ذلك اللفظ من قوله تعالى « ان كنتم للرؤيا تعبرون » يقال عبر الرؤيا اى فسرها .

قدرة فى التجميع واستيعاب

قد يخيل لبعض القراء أن هذه الامور المفصّلة فيها بعض اليسر ، لكنها في الحق صعبة المرتقى ، شاقة التحصيل ، لأنها لا تكون الا عن اطلاع واسع ، وتنظيم دقيق ، ومعرفة بمَظانّ البحث ، ثم عمل بطاقات أو أوراق مستقلة لكل ما يقتبس من الكتب ، ثم ترتيب ذلك والحاقه بموضوعه . ولئن أثنينا الآن على أصحاب الفهارس ، وأثنينا على الطريقة المنهجية البارعة التى يسير عليها المستشرقون في دراساتهم للكتب العربية ، واستخلاصهم لما تناثر فيها من أشتات ، فان

الدميري في كتابه « حياة الحيوان » سبق أولئك، بحسن ما رتّب ونظم واستخلص وجمّع ، في عصور كانت خالية من اكثر وسائل الراحة الميسرة لنا الآن .

ان الأمر الذى بلغ فيه الدميرى الغاية في القدرة ، والنهاية في الابداع ، هو ما يورده في ترجمة كل حيوان ، مما يمر له من ذكر في آية قرآنية ، أو حديث نبوى ، او حكمة ومثل ، او نثر أدبي ، او في حادثة تاريخية ، وقصة مرّوية ، انك لتعجب كيف استخلص هذه المعلومات من اشتات الكتب ، في عصور لم تكن لكتبها الصغيرة او الضخمة فهارس .

كتب لا تحصى ينقل منها

اننا نقدّر الكاتب الذى يستحضر في موضوع واحد كلّ ما يدور حوله ، فكيف بمن يستحضر لأكثر من سبعمائة حيوان كلّ ما جاء في الكتب التي ألفت قبله ، مما استطاع الوصول اليه ، الى جانب ما تلقاه بالرواية من شيوخه .

لو احصينا ما يذكره من كتب نقل عنها وبعضها في عدة أجزاء ضخمة ، لعرفنا مقدار ما كان عليه الدميري من ذكاء ، ومن تنظيم دقيق ومن حشد لقواه الفكرية في استحضار ما يتصل بموضوعه المتشعب الاطراف .

القرآن الكريم وتفسيره ، كتفسير الزمخشرى وتفسير الثعلبي وغيرهما .

وكتب الحديث ، كالبخارى ومسلم ، وسنن الترمذى والنسائي وأبى داود وابن ماجه ، ومسند الامام احمد ، ومسند أبي يعلى والطبراني، والنهاية لابن الأثير .

وكتب الأدب كالأمالي للقالي والكامل للمبرد .

وكتب التاريخ ، كتاريخ بغداد ، والكامل لابن الاثير ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وحلية الأولياء لأبى نعيم .

وكتب الطرائف ، كالفرج بعد الشدة للتنوخي، والأذكياء لابن الجوزى .

وكتب التصوف والزهد ، كاحياء علوم الدين للغزالي ، وسراج المريدين لابن عربي ، والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ، وسراج الملوك للطرسوسي .

هذا الى جانب كتب اللغة وما يتصل بها .

تراجم ونصوص

ولا يقصر في ترجمته لكثير من رجال التاريخ ، حاكمين وعلماء وادباء وشعراء ، مُحليا كتابه بمستطرف ما قالوه ، وقد يأتي ببعض القصائد الطوال النادرة ، مثل قصيدة ابي الفتح البستي التي بلغت ٥٦ بيتا ، والتي مطلعها .

زِيادةُ المرْءِ في دُنياه نُقْصانُ
ورِبْحهُ غيرَ مَحْضِ الخيرِ خُسرانُ

هكذا ذكر أولها واذكر اننا نحفظ مطلعها كما يأتي .

زيادة المرء في دنياه نقصان
فلا يغُرَّ بطيبِ العَيْشِ إنسان

وعلى اى الروايتين فانها كلها حكم رائعة ، تجرى على السنة المتمثلين .

أحْسِنْ إلى الناس تستعبِدْ قلوبهمُ
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ
وكُنْ على الدهرِ معْواناً لذي أملٍ
يَرجو نَداكَ فإن الحُرَّ معْوانُ
مَن جاد بالمال مالَ الناسُ قاطبةً
إليه والمالُ للإنسان فتّانُ

ومنهـا :

أقْبِلْ على النفْس فاستكمِلْ فضائلَها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ومنهـا :

مَن يزرع الشرَّ يَحصدْ في عواقبه
نَدامةً ولَحصْدُ الزرع إبّانُ
مَن استنام إلى الأشرار نام وفي
قَميصه منهمُ صِلٌ وثُعبانُ

مَنْ سَالَمَ الناسَ يَسلم من غَوائلهم
وعاش وهو قرير العينِ جَذْلانُ

ومنها :
لاتحسبنّ سروراً دائماً أبداً
مَن سَرّه زمنٌ ساءته أزمانُ
ياظالماً فَرِحاً بالعزّ ساعده
إن كُنت في سِنَةٍ فالدّهر يقظانُ

ومثل قصيدة ابن الانباري في رثاء ابي طاهر بن بقية حين صُلِب :

عُلوٌّ في الحياة وفي المَمات
لَحقٌ أنتَ إحدى المُعجِزاتِ

ومثل قصيدة الفرزدق في الامام زين العابدين التي مطلعها .

هذا الذي تعرف البَطحاءُ وطأته
والبيتُ يَعرفه والحِلُّ والحَرمُ

لكنه قد ينقل ما كان خطأ

على أن ما يورده من المسائل التاريخية ، قد يكون بعضه من كتب غير دقيقة في اخبارها ، وربما كانت من كتب أدبية ملفقة غير وثيقة ، فينقل ذلك دون تمحيص .

فمثلاً يروي قصة يجمع فيها بين الاصمعي والرقاشي وأبي نواس في خلافة المستعين ، والثلاثة لا شك كانوا متعاصرين ، لكنهم لم يعيشوا الى خلافة المستعين .

مثل مما يعرضه

وهذا مثل مما يعرضه راعيت فيه بعض الاختصار ، مبرزا اسماء الكتب التي مرت في هذا المثال : « الجمل : الذكر من الابل ، قال الفراء : هو زَوْجُ الناقة ، وكذا قال ابن مسعود لما سئل عن الجمل ، كأنه استجهلَ مَن سأله عما يعرفه الناس جميعا ، وجمعُ الجمل جمال واجمال وجَمائلُ وجمالات .. » .

قال أكثر المفسرين ... قال ابن الأثير ... وذكر ابن خلكان ... وروى الحاكم ...

واما قول الشاعر :

شكَا إليَّ جَملي طُولَ السُّرى
ياجَمَلي ليس إليَّ المُشتكى
صَبْراً جميلاً فكِلانا مُبْتلى

فمعلوم ان الجمل لا ينطق ، وانما اراد التجوّز ومقابلة الكلام بمثله ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وكقول عمرو بن كلثوم :

ألا لايجهلَنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

وكقول الآخر :

ولي فَرسٌ للحِلْم بالحِلْم مُلْجمٌ
ولي فَرسٌ للجهل بالجهلِ مُسرجُ
فمن رام تقويمي فإني مُقَوّمٌ
ومن رام تَعْويجي فإني مُعَوّجُ

يريد : أكافيء الجاهل والمعوج ، لا أنه امتدح بالجهل والاعوجاج .

واما قوله تعالى « حتى يلج الجَمل في سم الخياط » فأراد به الحيوان المعروف ....

وقرأ ابن عباس ومجاهد « الجُمَّل » بضم الجيم وتشديد الميم « وفسّر بحبل السفينة الغليظ » .....

وكنية الجمل ابو ايوب وابو صفوان ...

وفي حديث أم زرع « زَوْجي لَحمُ جَمَل غَثّ ، على راس جبل وَعْر ...

وفي سنن ابي داود ...

وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه ...

وروى الامام أحمد وابو داود والنسائي ...

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ...

وفي كتاب ابن حِبّان من حديث حماد بن سلمة ...

قال السهيلي ...

وفي مسند الامام احمد والحاكم ...

وروى الطبراني عن جابر ...

وحكى القشيري في رسالته وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن ...

الامثال : قالوا «الجَمَلُ من جوْفِه يَجْتَرُّ» يَضرب لمن ياكل من كَسْبه او ينتفع بشيء يعود عليه منه ضرر . وقالوا « اختَلَفَ من بَوْلِ الجمل » وهو من الخلف لا من الخلاف ، لانه يبول الى خَلْفِه . وقالوا « وقع القوم في سَلاَ جَمَل » .

وقالوا « التمْر في البِئر وعلى ظَهْر الجمل » واصله ان مناديا كان في الجاهلية يقف على أطُم من آطام المدينة حين يُدْرِك التَمْرُ وينادي بذلك . اى مَنْ سَقَى ماءَ البِئر على ظَهْر الجَمَل بالسانِيَة وجَدَ عاقبةَ سقيه في تمْرِه» وهذا قريب من قولهم « عند الصَباح يَحمَد القَوْمُ السُرى » وقريب من قول الشاعر :

إذا أنتَ لم تَزرع وأبصرْتَ حاصداً
نَدِمْتَ على التفريط في زمن الزَرْعِ

وقول الآخر :

تَسألني أمَّ الوليد جَمَــــلاَ
يَمشِي رُوَيداً ويكون أوَّلا

يضرب في طلب مالا يكون . هذا اذا ذُكِر البيتُ كله ، واما قولهم « يمشي رويداً ويكون أولا » فيضرب للرجلُ يدرك حاجته في تؤدَة ودَعة . واما قولهم « لا ناقتي فيها ولا جملي » فسياتي ان شاء الله تعالى في باب النون في الكلام على الناقة .

(التعبير) . الجَمَل في المنام حَجٌ ... » .

اننا نجد ثروة كبيرة في الجمع ، واسماء لكثير من المؤلفات ، استخلص منها ما يناسب موضوعه الذي يتحدث عنه .

طرفة

ومن طريف ما يرويه عند الكلام على (داجن) يذكر دُجين بن ثابت اليربوعي ، وانه هو الذي لقب « جحا » وانه كان أحمق ، ثم أورد من حمقه هذه الطرفة .

ان جحا خرج يوما بَغَلَس ، فعثر في دهليز منزله بقتيل ، فالقاه في بئر هناك ، فعلم به أبوه ، فاخرجه ودَفَنه . ثم خنقَ كبشاً والقاه في البئر . ثم ان أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه ، فتلقاهم جحا وقال : في دارنا رجل قتيل ، فانظروا لعله صاحبكم ، فغدَوْا الى منزله ، فانزلوه في البئر ، فلما راى الكبش ناداهم : هل كان لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه وانصرفوا .

مخطوطات للكتاب وطباعات كثيرة

لقد لقي كتاب حياة الحيوان للدميري رواجا بين عامة الشعب ، وطبع عدة طبعات اغلبها على ورق أصفر وفيه كثير من الخطأ الطبعي وللكتاب عدة نسخ خطية، مما يدل على انه كان أيضا مرغوبا فيه من قديم ، ويبدو أن أول طبعة له كانت في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٧٤ هـ اي منذ أكثر من مائة عام ، وتوالى طبعه . فممن طبعه : مطبعة محمد شاهين ، والمطبعة الشرفية ، والمطبعة الكستلية والمطبعة الميمنية ، والمطبعة الخيرية .

ومن هذه الطبعات ما كان سنة ١٢٧٨ و ١٢٨٥ و ١٢٩٢ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ ، ١٣٠٩ ، ١٣١١ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٩ هجرية وما زال يطبع في الاعوام المتوالية تارة بهامشه كتاب عجائب المخلوقات للقزويني وتارة يلحق بنهايته كتاب « عجائب المخلوقات » وقد اختصر أيضا اختصارا مخلا .

وفي مكتبة الازهر كتاب مخطوط اسمه حياة الحيوان الصغرى للدميري أيضا ، ويبدو انه اختصره من كتابه السائر بين الناس وهو « حياة الحيوان الكبرى » الذى نتحدث عنه في مقالنا هذا .

فيه زيادة ليست منه

وقد أقحم على الكتاب بعض ما لم ينقله هو ، ففي ترجمة (الاوز) تناول التاريخ من أول ابى بكر رضي الله عنه ومن تلاه ، في أكثر من خمسين صفحة من القطع الكبير الذى فيه حوالى ٢٥ سطرا ويبدو أن بعض القارئين لكتابه قديما أضاف اليه زيادات ليست له ، ذلك أن الدميري مات في

سنة ٨٠٨ هـ في خلافة المتوكل على الله العباسي لكن القارىء القديم اضاف هوامش فيها ترجمة وتاريخ لمن جاء بعد المتوكل على الله ، حتى وصل الى الدولة العثمانية فبلغ الى عهد السلطان مراد ابن السلطان سليم ، ثم جاء الناسخون واقحموا كل هذا فصيروه من كتاب حياة الحيوان .

والسلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان حكم من سنة ٩٨٢ هجرية الى سنة ١٠٠٢ .

وبالكتاب خرافات وخيالات

وامر آخر يهمنا التنبيه اليه ، ذلك أن المؤلف كان ينقل من الكتب المختلفة حتى ما جاء فيها من خيالات وخرافات ، ويحكى كل ما يقال ، ويضيف الى ذلك ما يقال عن الأحجبة والتعاويذ والفوائد والخـواص ، مما كان يذكر في كتب تروج بين العامة معتقدين صحة ما فيها من أدوية وعقاقير واحجبة وتعاويذ .

ونحن اذ نقرأ كتابه نأخذ ما به من علم وأدب وتاريخ ، ونتجنب مالا يثمر ولا يفيد ..

من ذلك مثلا قوله عن خواص (الحرذون) «قال أرسطو من اطّلى بشحم الحرذون والقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح ، واذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره » وبالطبع لن نجد انسانا يحاول أن يقوم بهـذه التجربة ويعـرض نفسـه للتمساح ليتحقق من صحة هذه الفائدة .

ومن ذلك أيضا قوله عن خواص (الحلزون) « قال ابن سينا : طَلْيُ الجبهة بالحلزون يَمْنع انصباب الموادّ في العين » .

وقوله عن خواص (الخطّاف) « قال ارسطو ان أُخذتْ عـين الخطاف وجُعلتْ في خرقـة وشُدّت على سرير فمن صعد على ذلك السرير له ينم ... » .

الى آخر ما ينقله من أمثال هذه الامور التى تعدّ في عهده من عظيم الاطلاع وواسع الثقافات ، وسجلها قبله فلاسفـة كبار ، ولا يخلو كتـاب « الحيوان » للجاحظ من بعض هذه الامور المتناقلة بين المتطببين والزاعمين العلم بخواص كل جزء من أجزاء الحيوانات .

لكنه يتحفنا بالطرائف وبالزهد

ومهما يكن من ايراده لمثل هذا ، فهو يتحفنا بالطريف الممتع ، والجيد في أسلوبه ، فهو حسن الاختيار ، وكان يميل في كثير مما يورده مـــن النثر الى ما يروى في الزهد والتصوف ، اذ ان ذلك اقرب الى نفسه التى اتجهت في توسعهـا الى كتب الفقه والتفسير والحديث والمواعـظ والحكم والامثال ، لكنه لم يقصر في استيعاب ما في كتب الأدب والتاريخ .

والحق أن قراءته لمثل هذه الكتب ، وحفظه لكثير مما فيها ، جعل أسلوبه سهلا في عرضـه لموضوعاته فهو خالٍ من التكلف ، وقد تجنّب السجع الذى كان من سِمَات عصره ، الا في مقدمته التى تقل عن صفحة ، والا في خاتمه حيث ذكـر عدة أسطر .

نهاية الكتاب وتأريخه لفراغه من تأليفه

قال في آخر كتابه « وهذا ما انتهى اليـه الغرض مما يحصل به في هذا الشـــان الاكتفاء وختِم بَمليك النحل الذى استخرج الله من لعابه الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخـر شفاء ، وابتُدِىء بملك الوحش الذى منـه الشجاعة تقتَفَى ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى ، ورضى الله عن آلـه وعترته وصحبه أهل الفضل والوفا ، وحسبنا الله وكفى.

قال مؤلفه الفقير الى رحمة الله تعالى : وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب الفرْد ، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٧٧٣ هـ) جعل الله ذلك خالصا لوجه الكريم ، وموجبا للفوز في دار النعيم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

لقد ذكرت في أول المقال انه رتب الكتاب ترتيبا فنياً ، لكنه خالف في أول اسم وفي آخر اسم ، لنوع من التفاؤل او التخيُّر الظريف فقد بدأه باسم « الأسد » وختمه باسم « اليعسوب » وقد أشار الى تلك المخالفة ومناسبتها .

انه في الحق وبالنسبة الى عهده والى عهدنـا يعتبر مـن أدق الناس في ترتيبـه وتنظيمـه . وموسوعته هذه جامعة لعلم وادب وتاريخ ، كثيرة الطرافة ولا تخلو أحيانا من بعض الخرافة .

■■

عبد الستار أحمد فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

النشالون من الدكاكين

● الدكاكين اليوم صنوف ، منها الصغير ومنها الكبير . والى عهد قريب كانت كل الدكاكين التى تعرض البضاعة ، يقف عند كل صنف من البضاعة عامل يعرضها على المشترى ، ويعينه فى امر شرائها . ثم ابتدعت المخازن الكبرى التى تعرض فيها البضائع بلا رقيب عليها . يمر بها الزبون ، يمتحنها كما يشاء ، ويضع منها ما يعجبه فى عربة يد صغيرة يجرها الى باب المخزن حيث يجد العديد من الصرافين والصرافات ، يدفع لهم الثمن ويخرج ببضاعته . وسموا هذه المخازن الحديثة Supermarkets. ووجدت امثال لها فى بعض الدول العربية ، وبعض اسماها بالأسواق المركزية .

طريقة فى الشراء حرة . وكل شيء حر محبب . ولكن الخطر من الحرية قابع هنا ايضا ، فى تلك الأنفس التى تسيء الى الحرية ، وتدخل الى هذه المخازن ، لا لتشترى ، ولكن لتسرق ولتنشل ، وتخرج ببضاعة قليلة معلنة . واخرى مخبوءة غير معلنة .

ولهذه الأسواق فى بريطانيا رابطة تعرف برابطة الأسواق المركزية .

وقد قدرت هذه الرابطة مقدار ما يخسر اعضاؤها بسبب النشل ، فى العام باكثر من ٣٢ مليون جنيه ، وذلك فيما يختص بسرقة الأطعمة وحدها ، اما مجموع الخسارة فى شتى البضائع فتزيد على ١٠٠ مليون جنيه فى العام .

ومن هؤلاء اللصوص يحال نحو ٥٠٠٠٠ كل عام الى المحاكم ، وهؤلاء قليل من كثير .

وامر هذا النشل اشد عندما ينقطع تيار الكهرباء . قال احد اصحاب هذه الأسواق المركزية ، انه ، عندما اعيد تيار الكهرباء ، ظهر سوقه المركزى ، وكأن جنكيزخان قد مرّ برجاله فيه ساعة .

وطلب اصحاب هذه الأماكن التجارية من علماء النفس ان ينظروا فى اسباب ذلك ، وكيف انه ، فى زمان زاد فيه الرخاء زيادة ما عرفت بالأمس قط . يكون فى الناس كل هؤلاء النشالين . نعم ، انهم نسبة ضئيلة بين سكان البلاد البالغين ٥٠ مليون نسمة ، ولكن كيف ، ومعظم هؤلاء النشالين ، ليسوا من الضيق فى الدرجة التى تدفعهم الى السرقة .

الظاهرة لا شك فى حاجة الى دراسة ، من الوجهة النفسية البحتة ، ومن وجهة الجريمة وتأهل الناس لها ، ومن وجهة اثر الشرطة لو انها رفعت عن بلد منها ، لسبب ما ، ماذا يكون من امر الأمن فى البلاد .

فى العصر الحديث لا يقال لمثل هؤلاء النشالين : لعنة الله عليهم ، ويكتفى بها ، ان العصر عصر علم يبحث فى الظواهر حتى يبلغ اصولها الأولى ما امكن ذلك .

النشوق عادة قديمة بدأت تعود

● اولا لا بد من معرفة ما النشوق ، او ان شئت فالسعوط ، فهما شيء واحد .

ولهذا نقول ان النشوق عبارة عن دخان (طباق) مطحون ، يخمر اكثر من مرة ، ويضاف اليه عطر الورد والخزامى (اللوندة) والقرنفل والياسمين ، وغير ذلك .

ويشم عن طريق الانف ، ويحمل عادة في صندوق صغير في جيب صغير في كساء الرجل . ويفتح الصندوق الأنيق ، وقد يكون من خشب ، وقد يكون من فضة او ذهب ، ويأخذ صاحبه منه مقدارا بين سبابته اليمنى وابهامه ، ويستنشقه استنشاقا حتى يصل الى اعلى خياشيمه . وهو يثير عند ذلك العطس ، ويحس العاطس بعد ذلك بخفة في الراس وصفاء في الذهن . وتمتص جدران الفم من نيكوتين الطباق ما تمتص فيسري في الدم .

وقد اخذت هذه العادة ، عادة النشوق ، تعود الى الحياة بعد ذهابها . وقد كانت شائعة رائجة في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، وهي ما ماتت تماما .

ولانه كان لا يزال بها رمق ، وكان لا يزال للنشوق صانعون منتجون ، امكن احياء هذه العادة ، واحياء هذه الصناعة .

وقد قامت جمعيات منع التدخين اخيرا تحبذ للناس انه ، ان كان لا بد من تعاطي النيكوتين ، نيكوتين الدخان ، فليكن ذلك عن طريق الأنف لا عن طريق الرئة ، وبهذا يتجنب الناس احتمال الاصابة بالسرطان .

ان الذين يعز عليهم ترك التدخين يرون ان من فوائد التدخين في المجتمع انه ، في اللقاءات الانسانية ، تقوم السيجارة تملأ فراغا لو ترك على فراغه لكان محرجا .

وهم يقولون في سبيل تبرير نزوحهم عن عالم السجائر الى عالم النشوق ان للنشوق من ملء فراغ المجتمع مثل ما للدخان . فانت تستطيع ان تسأل رفيقك ان يشارك في نشوقك كما يشاركك في التدخين . وانت تستطيع ان تستنشق عندما تريد ان لا تتحدث .

وعلماء النفس يرون في النشوق عونا للرجل المحرج الذي يبلغ به الحرج في مجتمع انه لا يدري ما يصنع بيديه . فاخراج علبة النشوق ، وتناول النشوق منها بحرص وعناية ودقة ، ثم الاستنشاق على هوادة ، كل هذا فيه مخلصٌ من حَرَج .

والنشوق يصنع ما يصنع الدخان . ولكن في اقصر زمن . الخطيب لا يستغرق في النشقة الواحدة الا ثوان . والمحامي وهو يترافع ، ما يكاد يفتح صندوق النشوق حتى يغلقه ، وقد صفا ذهنه . والعالم في مختبره ، وصنوف من الناس كثيرة تريد أن تنتعش ، فلا تجد الانتعاشة الا في النشوق خطفا .

هكذا يقولون .

وعليك أن تسمع ، وتفكر ، وتجرب ، ثم تحكم .



اكبر نيزك

رآه الناس يسقط من السماء

● منذ اكثر من سنتين سقط الى الارض اكبر نيزك رآه الناس يسقط من السماء وينفجر ويتفتت الى آلاف من القطع تنتشر كالمطر فى وادى الندة Allende فى الشمال الاوسط من المكسيك . وجمع الرجال هناك من هذه القطع الساقطة ، من فوق مساحة من الارض طولها ٣٠ ميلا ، طنين من الحجر ، يمثلان اقل من نصف النيزك عندما انفجر .

وبلغت اكبر قطعة وزنا من القطع التى جمعوها ٢٢٥ رطلا .

وذهب عالمان من المؤسسة المشهورة بالعلم ، هى مؤسسة سميث سونيان Smithsonian ، الى تلك الناحية ، وجمعوا من هذا الموقع ٣٠٠ رطل من تلك القطع ، وعادوا الى المؤسسة لدراستها .

ودرسوها هم واربعة آخرون من زملائهم ، ونشروا تقريرا يذكرون فيه ان النيزك عندما دخل الى الهواء الجوى دخل بزاوية قليلة ، ودخل قطعة متماسكة واحدة ، وكانت سرعته عند الدخول مابين ١١ ــ ١٨ كيلو مترا فى الثانية .

ووجدوا ان النيزك يتألف اكثره من اكسيد الحديد واكسيد المنغنيز واكسيد السلكون اى السلكا ، وبه عدا ذلك آثار بسيطة من عناصر كثيرة اخرى .

التخصص الزائد عاقبته البطالة

● حدث فى الولايات المتحدة ان الحكومة خفضت ميزانية الفضاء لهذا العام ، وكان من نتيجة ذلك ان كثيرين من العلماء والمهندسين الذين يشتغلون فى مشاريع الفضاء اصابتهم البطالة فاصبحوا عاطلين .

ولكن حدث ان وزارة العمل والاسكان بالولايات المتحدة انجزت خطة مؤداها ان تجد عملا لهؤلاء العاطلين من ذوى الاختصاص . فرسمت لمشروع يهدف الى الابقاء على بعض هؤلاء عاملين .

وسيتكلف المشروع مليونا وخمس مليون من الدولارات ، ويستخدم ما بين ٤٠٠ الى ٦٠٠ من هؤلاء . فاذا نجح المشروع مدّوه ، حتى يستوعب من هؤلاء الرجال (٢٠٠٠) . وقد بدأوا فعلا فى المشروع وبدأوا يختارون الرجال .

وطالبو هذا العمل الجديد يجب عليهم ان يحضروا برنامجا تحضيريا تتراوح مدته ما بين ٣٠ الى ٤٠ يوما فى معاهد تربوية . وليس الفرض من هذا هو اعادة تعليمهم ، وتغيير تخصصهم ، ولكن الفرض تعريفهم بأعمال المدن ومشاكلها . ونظام الادارة والحكم فيها .

وذلك لانهم بعد ذلك سيتركون عند ادارات المدن لتجد لكل منهم عملا مناسبا .

فمن بعد عمل للفضاء ، يأتون لعمل فى المدن .

تغيير فى الاختصاص ، قد يكبر وقد يصغر .

ولكن ، هكذا حال المدنية التكنية التى نعيش فيها . الكثير تهدده البطالة . والبطالة اقسى على ذى التخصص البالغ ، لان مجال عمله ضيق ، ولن يجد له منطلقا فى كل ارض .

ولكن ، مع الثقافة العالية ، والتربية ذات الابواب الكثيرة المفتوحة ، قد ينتقل الرجل بحكم الظروف من اختصاص لاختصاص ، ولكنه دائما يجد خبز يومه .

وفى الدول المتقدمة لا يخجل الرجل ، لا سيما المختص ، من ان تخلو به الاعمال ، فاذا به فى الطريق بلا عمل .

الخجل عندئذ هو خجل البيئة وخجل الامة .

والذى يعطيه بعد ذلك العمل لا يمنّ عليه ، الا ان يكون من الجهل بشئون الحياة وفروضها بمكان . ان الذى يعمل انما يشترى أجره بالعمل ، وقد يكون مغبونا .

لولا اللعاب لمات الطفل جوعا

● لقد علم الطب والاطباء منذ سنوات عدة أن الفئران الوليدة ، اذا استؤصلت منها غددها اللعابية ، الموجودة تحت الفك واللسان ، ماتت جوعا فى العشرة الايام الاولى من حياتهم .

وقد قام الدكتور الن ابشتين Allan Epstein ، هو ورفقاؤه بجامعة بنسلفانيا ، ببحث هذا الموضوع .

وبدا الدكتور ورفقاؤه باستئصال الغدد اللعابية التى تحت اللسان والفك فى الكلاب الوليدة ، واثبتوا ان هذا الاستئصال يؤدى حقا الى موت الكلاب جوعا . ولكنهم وجدوا فى تجاربهم هذه ان الكلاب يزيد الامل فى بقائها احياء اذا هى عاشت بطريقة ما الى اليوم الثانى عشر من ولادتها ، فاذا عاشت حقا وصدقا الى اليوم الخامس عشر تحقق بقاؤها أحياء بعد ذلك . ووجدوا انه ، بين اليوم الثانى عشر واليوم الخامس عشر تأخذ غدتا اللعاب اللتان هما قرب الاذنين فى النمو وفى العمل والافراز وكانتا قبل ذلك غير ناميتين وغير عاملتين .



وفى تجارب اخرى مثيلة قام البحاث بدهن شفاه الجراء ، اعنى الكلاب الوليدة ، بمادة الفزلين Vaseline ، مرة كل ساعتين اثناء النهار فى تلك العشرة من الايام الاولى من حياتهم . وكانت النتيجة أن سد الفزلين ما بين شفاه الجراء واثداء الام فاستطاعت الجراء ان تمص منها اللبن وترضع . وظهر اللبن فعلا فى امعدتها ولم تمت جوعا .

اتضح من هذا ان وظيفة اللعاب انما هى وظيفة ميكانيكية . ومنها تنصح الاطباء باستخدام الدهن ، تدهن به شفاه الاطفال ، اذا حدث انهم وجدوا صعوبة فى الرضاع من ثدى الام لقلة ما بفمهم من لعاب .



تشعيع الاغذية لتطهيرها من كل ضار

● بعد ان علم الناس ان الاشعاع الذرى يقتل سائر المكروبات ، وكذا الحشرات ، لا سيما تلك التى تختلط بطعام الناس ، من قمح او لحم او اشباههما ، فى حقل او مصنع ، ولا سيما من بعد خزن ، اعتقدوا بالطبع ان هذا الاشعاع سوف يكون وسيلة لتطهير الماكولات جميعا عن اسهل طريق، واسرع طريق ، وبكلفة قليلة . وقد صح ما اعتقدوا، ذلك ان هذه الطريقة الجديدة، التى هي تشعيع الماكولات بالاشعة الذرية اغنت ، حيث استخدمت ، عن الطرق الكيماوية العديدة التى فيها تخلط المادة الغذائية بالكيماويات من قاتلات المكروب والحشر وبالاستغناء عن هذه الكيماويات وعن صناعتها حدث وفر فى النفقات كبير .

وكان تشعيع الاغذية الطازجة بالاشعة المنبعثة من العنصر المشع ، كوبلت ٦٠ ، او من كوبلت ١٣٧ ، ان ابطا هذا العلاج فساد هذه الاطعمة ، وفوق هذا احتفظ لها بجدتها وحسن مذاقها . هذا اذا اعطينا هذه الاغذية جرعات من الاشعاع متوسطة. اما اذا اعطيناها جرعات عالية فهذا العلاج يوقف الفساد بالمرة .

وهذا الاشعاع يمكن استخدامه لتطهير الحبوب الغذائية مما بها من حشر .

وهذا الاشعاع قد يتدخل فى عملية التنفس القائمة فى بعض الفواكه ، وبذلك يؤجل نضجها ، وهذا يعطى فرصة من الزمن لوصولها الى الاسواق ارحب .

ان كان هذا هو الحال ، فما الذى عوّق هذه الطريقة الجديدة ان تغزو المصانع والمزارع وحيثما يجهز طعام ، ويخزن ، ويحمل الى الاسواق ؟

اما فى الولايات المتحدة فالذى عوق ان الذى قام بهذا التجهيز ادارة الاغذية والعقاقير . وهذه الادارة لها اعداء فى البلاد كثيرون وجرت اعتراضات ، وجرت مناقشات ، صاحبتها النية الحسنة احيانا ، واحيانا نية السوء . واخيرا اخذت الامور تتعدل . فوزارة الدفاع بدات بحوثا طويلة الاجل هدفها ارساء هذا الفن على قواعد نتيجتها البحوث الثابتة ، وهي آخذة اليوم فى بحث النتائج المترتبة على تغذية المواشى بالاعلاف المطهرة بالاشعاع .

وكذلك لجنة الولايات المتحدة للطاقة الذرية تقوم هي ايضا ببحوث هدفها دراسة الاشعاع الذى يحفظ الاغذية لمدد قصيرة ، يومين او ثلاثة ايام . وهذه المدة كافية لكثير من الاغذية القريبة التلف مثل الفرولة ، فيومان او ثلاثة ايام تكفى لتسهيل نقل هذه الفاكهة تسهيلا كبيرا ، وتطيل المسافة التى يمكن نقل الفرولة عبرها دون تلف .

ومن الولايات المتحدة ننتقل الى روسيا . وروسيا اخذت فى التشعيع الذرى للتطهير قبل الولايات المتحدة ، وهي قد نشرت جدولا احتوى جانبا من الاغذية المطهرة ، فهي تطهر القمح والحبوب والفواكه المجففة بالاشعاع ، وهي تمنع البطاطس ان يتبرعم وتذرّ له عيون ، بالاشعاع . وكذا البصل . وكذا اللحم .

اما انجلترا فهي على عهدنا بها ، حذرة . فالقانون يمنع تشعيع الاغذية ، ولكنهم بداوا اليوم يستثنون منها غذاء فغذاء ، قصد البحث . وقد بداوا بالسمك استثناء . ●●

الإنسان مَأكَلُه وَمَشرَبُه

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

■ يلعب المأكل والمشرب دورا هاما فى حياة الانسان . فالمأكل والمشرب حاجة اساسية للانسان ، واذا لم تشبع هذه الحاجة تعرض الانسان للموت والهلاك .

وقد ذكر المأكل والمشرب فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم . فالمأكل والمشرب الحلال مباح لجميع الناس على شرط عدم الاسراف والمغالاة فيه : **((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)) . ((قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)) .**

وقد ذكر المأكل والمشرب فى القرآن الكريم فى صورة دعاء شكر لله واعتراف بفضله العظيم : **((الذى خلقنى فهو يهدين،والذى هو يطعمنى ويسقين)) .**

وذكر الشراب أيضا في صورة وصف حال وشراب المؤمنين في الجنة : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » .

وقد وجه الله سبحانه وتعالى نظر الانسان الى الطعام الذى يأكله لكي يستدل منه على عظمة الله سبحانه وتعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبّا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبّا ، متاعا لكم ولانعامكم » .

وجاء ذكر الطعام في القرآن الكريم في مجال تأكيد أن الأنبياء ما هم الا بشر أوحى اليهم واختصوا بالرسالة . وكان الكافرون يستنكرون على الانبياء أن يأكلوا أو أن يشربوا كما يفعل الانسان العادى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق » . **وفي سورة كريمة أخرى جاء ذكر الطعام لتأكيد بشرية نبي الله عيسي عليه السلام :** « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صدّيقة ، كانا يأكلان الطعام » .

وقد ذكر المأكل والمشرب والطعام كثيرا في مجال التكفير عن الذنب والخطأ : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

وقد امتدح في القرآن الكريم الافراد الذين يتصدقون بالطعام ويقدمونه للمساكين والفقراء وغيرهم : « ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا » .

الطعام والشراب كحاجة عضوية فسيولوجية

تستوى حاجة الانسان والحيوان الى الطعام والشراب . وهذه الحاجة اذا لم تشبع فان



الانسان والحيوان يصبح في حالة توتر شديد ونشاط مستمر حتى يشبع حاجته الى الطعام والشراب . وعندما تشبع هذه الحاجة ينخفض التوتر ويتوقف النشاط . وبالرغم من أن الانسان والحيوان يشتركان في الحاجة الى الطعام والشراب كأساس لاستمرار حياته ووجوده ، الا أن الانسان قد أدخل بعض التنظيم والتطوير على أسلوب اشباع هذه الحاجة . فمثلا وزع الانسان الطعام الذى يتناوله كل يوم على عدد من الوجبات قد تكون ثلاثا أو أربع وجبات غذائية . وتفنن الانسان في تحويل المواد الغذائية التى يتناولها من لحم وخضر وبقول وحبوب الى أكلات تختلف ألوانها وأشكالها وطريقة اخراجها .

ونظرا لان حاجة الانسان الى الطعام والشراب حاجة أساسية يتوقف عليها بقاؤه واستمرار حياته ، لذلك فان عدم اشباع هذه الحاجة على المستوى المناسب ، يؤدى الى ان يوجه الانسان كل نشاطه وطاقته وتفكيره نحو اشباع هذه الحاجة . وهذا له تطبيقات هامة في الحياة العملية : فالطالب والعامل والموظف لا يمكن أن نتوقع ان يقوموا بأعمالهم على أكمل وجه ويبذلوا كل جهدهم ويركزوا كل انتباههم في هذا العمل ، الا اذا كانت حاجاتهم الاساسية من المأكل والمشرب مشبعة على المستوى المناسب وبما يتفق مع آدميتهم وانسانيتهم .

دوافع العمل والمأكل والمشرب

كثيرا ما ترتبط دوافع العمل بالمأكل والمشرب ، فبالرغم من وجود دوافع كثيرة للعمل فان الدافع الاساسى للعمل بالنسبة لغالبية الناس هو كسب العيش . فالناس يعملون للحصول على دخل مادى يمكنهم من اشباع حاجتهم الى الطعام والشراب والمسكن . ولكن توجد هناك بجانب كسب العيش كدافع للعمل دوافع أخرى مثل الدافع الى تحقيق الذات Self-Fulfillment ودافع الامن Security ، ودافع الانتماء ودافع التدين .

وعادة ما يرتبط العامل بعمله فيقبل عليه اذا استطاع هذا العامل عن طريق هذا العمل وعن طريق الدخل الذى يحصل عليه من اشباع حاجاته الاساسية وعلى رأسها : المأكل والمشرب والمسكن .

الطعام والطبقة الاجتماعية :

الطبقات الاجتماعية موجودة تقريبا في كل بلاد العالم وان اختلفت درجة مرونة الحركة بين هذه الطبقات والتفاوت بينها . وهي عادة ما تقسم الى ثلاث طبقات : الطبقة الدنيا .. والطبقة الوسطى .. والطبقة العليا ..

وعادة ما تحدد الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد على أساس ثلاثة معايير : (أ) الدخل . (ب) التعليم . (جـ) الوظيفة التى يشغلها الفرد .

والعناصر الغذائية التى يتضمنها الطعام تختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية التى تنتمي اليها الأسرة . فعادة ما يتضمن غذاء أفراد الطبقات الدنيا نسبة كبيرة من المواد :الكربوهدراتية كالنشويات من مختلف الاشكال والمصادر مثل الارز والخبز والبطاطس وغيرها . ويقل البروتين في غذاء هذه الطبقة وخاصة البروتين الحيوانى الموجود في اللحوم والالبان والاسماك وغيرها .ومن المعروف أن النشويات تمد الفرد بالطاقة الحرارية، في حين تزود البروتينات الفرد بالقدرة على تجديد وبناء خلايا جسمه . وعادة ما يملأ أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا بطونهم بالمواد النشوية نظرا لرخص ثمنها . أما بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتوسطة والعليا فيرتفع في طعامها نسبة المواد البروتينية وتقل نسبة النشويات .

وعادة ما ينفق أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا معظم دخولهم على المأكل والمشرب ، ولا يبقى الا القليل لمواجهة مطالب الحياة الاخرى . والمجتمع الذى يعيش فيه غالبية من أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا عادة ما يسوده اقتصاد يطلق عليه اقتصاد من اليد الى الفم Hand To Mouth Economy فأفراد الطبقة الدنيا يحصلون على الاجور بأيديهم وينفقونها فورا على الطعام الذى يحولونه الى أفواههم ولا يتبقى معهم شيء يدخرونه بعد ذلك ، لذلك فان الدولة التى يكون غالبية سكانها من أفراد الطبقة الدنيا محدودى الدخل ، عادة ما تجد صعوبة كبيرة في اقامة المشروعات الكبيرة والمشروعات الاستثمارية الضخمة نظرا لقلة مدخرات الافراد التى يمكن توجيهها الى الاستثمار في مثل هذه المشروعات .

أثر بعض العناصر الغذائية على شخصية الفرد :

ثبت بالدراسة والبحث أثر الطعام وبعض العناصر والمواد الغذائية على شخصية الفرد وسلوكه . وقد أثبتت بعض التجارب أن نقص التغذية قد يؤدي الى ردود فعل قريبة من العصاب النفسي Psychoneurosis . فالاشخاص الذين كانوا يعانون المجاعة في مناطق المجاعات وفي معسكرات الاعتقال في الحرب العالمية الثانية ، ظهرت تغييرات واضحة على شخصياتهم. وهذه التغييرات التي ظهرت ترجع أساسا لنقص التغذية وليس للظروف النفسية القاسية التي كانوا يعيشونها . ومن التجارب التي تؤيد هذا الرأي تجربة اجريت على متطوعين (١) شبان يتمتعون بصحة جيدة ، كانوا يعطون نصف الطعام . واستمر هذا الحال لمدة ستة اشهر ، وفقدوا نتيجة لذلك ٢٤٪ من اوزانهم . وبتقدم حالة سوء التغذية التي يعانون منها اصبح هؤلاء الشبان غير اكفاء ولا يمكن الاعتماد عليهم في أداء الاعمال العادية التي كانوا يقومون بها من قبل . وظهرت أعراض البلادة Apathy والاكتئاب وعدم الاستقرار والعصبية عليهم ، وبالتالي ظهرت تغييرات واضحة على شخصية هؤلاء الشبان وسلوكهم .

وقد أظهرت تجربة اخرى أن النقص الشديد في أحد العناصر الغذائية قد يكون له آثار نفسية كبيرة . فمثلا النقص الشديد للملح في الطعام يؤدي الى زيادة شعور عدم الاستقرار والاكتئاب وتوهم المرض . وقد اختفت هذه الاعراض عندما أعيد الى الطعام كمية الملح المناسبة .

وقد أثبتت الابحاث أيضا الآثار السيئة التي قد يسببها النقص في أنواع معينة من الفيتامينات على النواحي العضوية ، كذلك الاضطرابات النفسية العقلية التي تنتج عن هذا النقص وأثر ذلك على شخصية الفرد .

علاقة الأطعمة التي يحبها أو يكرهها الفرد بشخصيته :

أثبتت الدراسات والابحاث العلاقة بين الاطعمة التي يكرهها الفرد وبين شخصيته . وقد قام والن Wallen بتصميم اختبار للاطعمة المكروهة Food Aversion Test ، وهذا الاختبار عبارة عن قائمة من عشرين طعاما معروفا في الولايات المتحدة الامريكية . وقد قام والن بتطبيق الاختبار وتجربته على عدد من الافراد العاديين الأسوياء وكذلك على عدد من الافراد المضطربين نفسيا . وقد أبدى ٦٢٪ من الافراد المضطربين نفسيا كراهيتهم لنوعين أو أكثر من الاطعمة التي يتضمنها الاختبار ، في حين انخفضت هذه النسبة الى ١١٪ بالنسبة لمجموعة الافراد العاديين . وقد اعطى هذا الاختبار نتائج مفيدة عن الافراد المضطربين نفسيا والعصابيين، حيث أنه أوضح أنهم لا يكرهون فقط عددا من الاطعمة أكبر من غيرهم ، ولكنهم يكرهون اشياء كثيرة في الحياة ولديهم اتجاهات سالبة نحوها . ولاشك أن اختبار والن لا يمكن تطبيقه على البيئة العربية بصورته الحالية اذ أنه يتضمن قائمة من الأطعمة الاجنبية، ويلزم الامر في حالة الرغبة في تطبيقه على البيئة العربية أن يعدل ويقنن بحيث يتضمن أطعمة ومعايير عربية .

وهناك من الاطعمة التي ترجع كراهيتها بواسطة الافراد الى ظروف ومؤثرات بيئية واجتماعية وثقافية ، وليس لهذا علاقة بشخصية الافراد الذين يكرهون مثل هذه الاطعمة . فمثلا قد يأكل بعض الافراد في جنوب الجزيرة العربية الجراد مقددا ومشويا ، في حين يفزع أفراد آخرون في مناطق عربية أخرى من مجرد التفكير في أكل الجراد . وهؤلاء الآخرون قد يقبلون بشغف على أكل الجمبري ويدفعون فيه ثمنا مرتفعا . والسلوك السابق من جانب الافراد لا يتعلق بطبيعة الحيوان الذي يؤكل أو بنظافته . فمن المعروف أن الجراد يعيش على غذاء أكثر نظافة من غذاء حيوان مائي كالجمبري . وفي جهات من فرنسا يقبل الناس على أكل نوع معين من الضفادع البحرية ، وتؤكل الثعابين في بعض جهات من الصين وآسيا . وقد ينتشر أكل لحوم الجمال في بلد معين ، في حين لا يقبل عليها على الاطلاق السكان في بلد آخر . وهذا الاقبال أو عدمه على

(١) J.C. Franklin and Others. ,,Observations on the Human Behavior in Experimental Semistarvation and Rehabilitation,, J. Clin. Psychol., 1948, 4: 28 — 45, U.S.A.

انواع معينة من الاطعمة يتصل بالظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة .

كثرة الأكل قد تكون دليلا على الهم :

لوحظ ان هناك علاقة موجبة بين المشكلات التى يعانى منها الفرد والصعوبات التى تواجهه وبين كمية الطعام التى يتناولها . فالشخص المهموم كثير المشكلات عادة ما يكثر من كمية الاطعمة التى يتناولها ، هذا وان كانت هناك قلة من الناس لا تأكل كثيرا عندما تكون مكتئبة مهمومة. اما الوضع الشائع فهو ان الانسان يكثر من كمية الطعام التى يتناولها عندما يكون غير سعيد او مكتئبا أو يواجه مشكلات حادة . ويمكن تفسير سبب تعاطى الفرد المهموم أو المكتئب او كثير المشكلات للطعام بأن تعاطى الطعام والنشاط الذى يقوم به الفرد عند تناوله يعمل على تخفيف القلق والتوتر النفسي الذى يعانى منه الفرد . كما أن هناك احتمالا في أن يكون الدافع الى زيادة كمية الاطعمة المتناولة بواسطة الفرد ، هو محاولته أن يجد اللذة التى يفتقدها في حياته عن طريق الطعام. لذلك فلا عجب اذا زاد وزن الافراد الذين يسود حياتهم الهم ويخيم عليها الاكتئاب والمشكلات .

فلسفة بعض الناس فيما يأكلون : النباتيون :

قد يكون للشعوب أو مجموعات معينة من الناس فلسفة معينة فيما يأكلون وما لا يأكلون . وعلى رأس هؤلاء النباتيون الذين يقصرون مأكلهم على النباتات والبقول ويرفضون تناول اللحوم الحيوانية بكافة صورها واشكالها . وبعض النباتيين قد يشربون لبن الحيوان طالما انه طازج ، وطالما انه لم يعالج بواسطة اية مادة كيميائية . وقد انتشرت هذه الفلسفة النباتية بين جمهور كبير في بعض البلاد الاجنبية . ويرتكز النباتيون في فلسفتهم ودعوتهم على أن التركيب العضوى للانسان وتركيب جهازه الهضمي أبعد ما يكون عن تلك الخاصة بالحيوانات المتوحشة اكلة اللحوم ، وكذلك فهى مختلفة عن تلك الخاصة بالحيوانات المجترة اكلة العشب . ولكن الجهاز الهضمى للانسان أقرب ما يكون الى الجهاز الهضمى للقردة ورتبة القردة العليا كالشمبانزى ، وهذه الاخيرة تأكل عادة الفواكه والمكسرات كالجوز والبندق وأحيانا بعض الخضراوات . وفي رأى النباتيين انها تمثل نفس الاطعمة التى تصلح للانسان .

ولا يرى فريق من العلماء ضرورة لان يكون الفرد نباتيا في غذائه حتى يتمتع بصحة جيدة ، ذلك لانه قد ثبت بالبحث أن تناول اللحوم الجيدة الحمراء بالكمية المناسبة لا تضر الجسم ولكنها على العكس تفيد الجسم وتساعده على بناء خلاياه المستهلكة عن طريق ما تتضمنه من مواد بروتينية واملاح ومعادن .

الامتناع عن المأكل والمشرب كشكل من اشكال العبادات :

في الكثير من الديانات السماوية وغيرها من الديانات يستخدم شكل من اشكال الامتناع عن المأكل والمشرب كليا أو جزئيا كنوع من العبادة . فالمسيحيون الشرقيون مثلا يظلون في صيامهم قبل عيد الميلاد ممتنعين عن تناول اى شيء من أصل حيوانى ، وممتنعين عن أى طعام يدخل فيه اى عنصر من أصل حيوانى كاللبن والزبد الحيوانى وغيرها .

والصيام عند المسلمين يعتبر فريضة من فرائض الاسلام ، حيث يظل المسلمون خلال هذا الشهر ممتنعين عن تناول اى طعام وشراب من شروق الشمس حتى غروبها ، وفي ظل شهر الصيام يمتنع المسلم أيضا عن اى سلوك يفسد عليه صومه ، وعلى المسلم ان يقضى هذا الشهر في شكل من اشكال التجرد والعبادة وتطهير الروح والسمو بها عن كل ما يشوبها من نقائص . وتقوم فلسفة الامتناع عن المأكل والمشرب في صوم رمضان على اخضاع شهوات الجسد لسلطان الروح والارتفاع بالجوانب الروحانية للانسان . وقد اتضح بالدراسة أن الامتناع عن الطعام والشراب لفترة من الوقت يساعد على الصفاء الذهنى والنفسى وشعور الفرد بالروحانية والسمو . كما أن الصيام يمكن الفرد من السيطرة على شهواته ونزواته . هذا بالاضافة الى أن الصيام يشعر الغنى والقادر بما يعانيه الفقير والمحتاج من مرارة الجوع والحرمان .

والغريب أن الصيام في شكله المحدود الذى يتمثل في الامتناع عن المأكل والمشرب موجود بين طائفة من الحيوانات . فالسبات الشتوى لبعض الحيوانات والزواحف ما هو الا شكل من اشكال الصيام . وقد وجد ان طائفة كبيرة من الحيوانات

والنباتات تمارس شكلا ما من أشكال الصيام .

التنوع في الطعام يدخل السرور والبهجة الى النفس :

الطعام في الاحوال العادية يعتبر لذة من لذات الحياة ، ولكن الافراط في تناول الطعام قد يحرم الانسان من هذه اللذة . وهذا ما نشاهده في الحياة العملية . فقد يشتهى فرد ما نوعا معينا من الاطعمة . فيفرط في تناوله ، ويكون من نتيجة ذلك أن يصبح كارها له عازفا عنه . لذلك فخير للفرد أن يتناول القدر المعقول المناسب من الطعام حتى يترك هذا الطعام وهو ما زال راغبا فيه محبا له .

وقد أوضحت الدراسات أن هناك علاقة بين تنوع شكل الطعام الذى ياكله الانسان وادخال البهجة والسرور الى النفس . لذلك فان الافراد الذين ياكلون نفس نوع الطعام ويكررونه لمرات كثيرة في أيام متتالية قد يتسرب الملل الى نفوسهم . ولا نقصد بالتنوع هنا أن يتناول الفرد في الوجبة الواحدة عددا كبيرا من انواع الاطعمة ، لان ذلك قد يشجعه على أن ياكل أكثر مما يطيق فيرهق معدته ويتعب أجهزة هضمه، ولكن نقصد بالتنوع في الطعام الا يستمر الفرد على نوع طعام واحد أو اثنين لفترة طويلة دون تنويع . ويساعد الفرد على تحقيق هذا التنوع في طعامه عمل قائمة أسبوعية لوجبات طعامه ، ويقوم بمراجعتها ويدخل عليها التغيير حتى يكون طعامه متنوعا على مدى الاسبوع . وفي الوقت نفسه يجب أن يكون هذا الطعام متضمنا كافة العناصر الغذائية الاساسية التى يحتاجها الجسم .

الطعام لذة ونقمة :

واذا كان الطعام لذة من لذات الحياة ، فقد يتحول الى نقمة اذا أفرط الفرد في تناوله واذا أساء الفرد تقدير احتياجاته من هذا الطعام . لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما ملا بن آدم وعاء قط شرا من بطنه » . فالطب الحديث اثبت فعلا أن شر وعاء يمكن ان يملاه الانسان هو بطنه ، وأن المعدة بيت الداء وأصل الدواء ، فالافراط في الطعام يربك المعدة ويرهقها ويتعبها ويتعب ويرهق أيضا الجهاز الهضمى باكمله . والافراط في الطعام قد يثقل كاهل الانسان بكميات هائلة من الشحم والدهن . وهذا يتطلب من الجسم انشاء آلاف الكيلومترات من الشعيرات الدموية الدقيقة لنقل الدم الى هذه الكميات المتراكمة من الشحم والدهن ، وهذه الكميات من الشحم والدهن ترهق الدورة الدموية وتؤثر تأثيرا سيئا على القلب والكبد والكلى وجميع اعضاء وأجهزة الجسم . وعادة ما يقصر عمر الشخص البدين ، لذلك فنادرا ما نرى بدينا قد تخطى العام الثمانين من عمره .

وأخيرا ، فهل تعرف شيئا عن استعمار الاطعمة ؟

الاستعمار ظاهرة عالمية . والاستعمار اينما حل فهو مبغوض .

ولكن هناك بعض آثار للاستعمار تتسلل الى البلاد المستعمرة ، ولكنها تلقى تقبلا ولا تلقى اية مقاومة لانها لا تمثل مجال مقاومة . ويتمثل هذا في استعمار الاطعمة . فالزائر لمطعم في صوفيا عاصمة بلغاريا أو بودابست عاصمة المجر يجد أن الكثير من الاطعمة هناك تشبه الى حد كبير بعض الاطعمة التى نتناولها في بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان والجمهورية العربية المتحدة ، ويتساءل الزائر عن سر هذا التشابه في الاطعمة وفي طريقة طهيها ، ويجد الاجابة على تساؤله : وهو أن التشابه بين هذه الاطعمة بعض من آثار الاستعمار الباقية والتى لا يقاومها الشعوب لانها لا تحتاج ولا تستدعي مقاومة . فالاستعمار التركى والتوسع التركى في الشرق الاوسط وفي اوربا في القرن السابع عشر وما بعده ، قد أثر على طعام سكان هذه البلاد فتعلموا طريقة عمل الكثير من الاطعمة التركية وظلت هذه الاطعمة يتناولها الناس ، وبقيت حتى بعد رحيل المستعمر . وكذلك الحال بالنسبة للاستعمار الفرنسى ، فقد أثر المطبخ الفرنسى على طريقة عمل المأكولات في بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان . ولهذا نجد أن المأكولات في بعض البلاد العربية قد تأثرت بالمطبخ التركى والمطبخ الفرنسى تأثيرا كبيرا .

كلمة أخيرة

هذه بعض الجوانب الطريفة المتصلة بطعام الانسان ، هذا الطعام الذى يحفظ وجود الانسان ويحقق سعادته اذا أحسن الانسان التعامل معه وتناول منه النوع والقدر المناسب في الوقت المناسب . ■■

علي أحمد علي

ستطلاع
لكويت

قِصَّة الزِّراعَة

في الكُويت

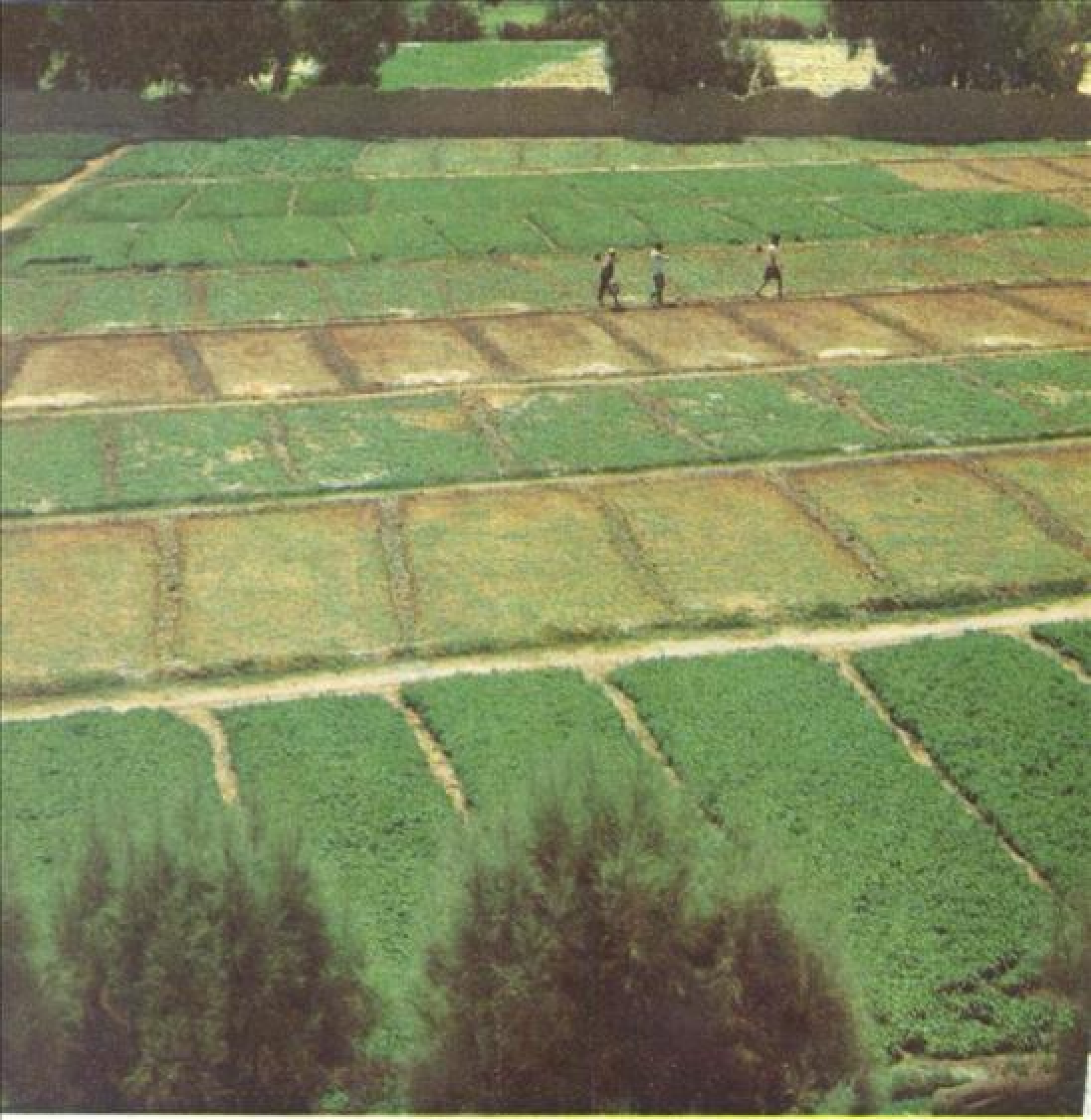


الماء والخضرة في قرية الجهراء هي احدى معالم النهضة الزراعية في البلاد .

- مسح الأرض والإحصاء أولاً، والزراعة ثانياً..
- ٨ ملايين شجرة سيتم زراعتها في مشاريع التحريج .
- ٥٠٪ من استهلاك لحوم الدواجن تنتجه المزارع المحلية .

بقلم
خالد عيد

تصوير
صلاح آدم



الى أعلى : عوامل كثيرة من الاهمال والرعي الجائر وعدم العناية اضاعت النباتات التي كانت تكسو صحارينا فيما مضى ، وها هو العمل يكسو اديم ارضنا ثانية بالنضرة والحياة .

الى اليمين : ملايين من الاشجار الحرجية تغرس في شتى انحاء الكويت وهذا هو أحد المشاريع الحرجية التي يسعى المسؤولون لتعميمها نظراً لفوائدها العميمة .



▪ للزراعة فى الكويت قصة لحمتهاالعلم وسداتها العمل ، قصة الكفاح فى اعمار الصحراء وترويضها ... ولكن العجيب حقا ان الكثيرين يجهلون القصة، وأحيانا ينكرونها لأن الفكرة السائدة انلا مكان للزراعة على أرض الكويت ، متأثرين بطبيعة أرضها الصحراويةوقسوة مناخها وندرة مياهها .

ومن هنا كانت أهمية الحديث فى هذاالموضوع .

ما هي الزراعة ؟ وماذا حققت الكويت فى مضمارها ؟

الزراعة هي استغلال المصادر الطبيعية بأحسن طريقة اقتصادية لانتاج حاجة الانسان من الغذاء والكساء والدواء والأخشاب والترويح وغيرها ... وذلك عن طريق أقلمة واكثار وتحسين والعناية بالنباتات والحيوانات .

أخذ عينة تربة من الحقل هو من الخطوات الاولية فى مسح وتصنيف التربة الذى يعتبر من اساسيات اعمار الصحراء .



ومنذ سنوات قليلة كانت الزراعة في الكويت عدة واحات متناثرة في الصحراء ، وأعداد محدودة من الحيوانات والطيور المحلية تربى في حظائر منزلية ، وساحل يحفل بصيادين مهرة رغم عدتهم البدائية ومعلوماتهم الموروثة الأولية .

ولهذا كانت تنمية الزراعة وتطويرها امرا ملحا تفرضه طبيعة الحياة ، وبدأ العمل بالخطوة الطبيعية الأولى باقامة محطة التجارب الزراعية لتاخذ على عاتقها وضع الأسس العلمية فى بناء صرح زراعي سليم ، بما تجريه من تجارب وأبحاث في مختلف الميادين الزراعية ، من نباتية وحيوانية ، كالتجارب والدراسات على ادخال وانتخاب الخضر والأزهار والأشجار المثمرة والحرجية ، والنباتات البرية والرعوية وكذلك الحال بالنسبة لتجارب الادخال والتحسين والانتخاب والتربية على الحيوانات الزراعية والطيور .

وأما بالنسبة للتربة .

ــ قد تكون الكويت هي البلد الوحيد في العالم الذى يبدأ العمل الزراعى من بدايته المفروضة .

لأن جميع الأقطار الزراعية زرعت وأنتجت ثم التفتت الى أرضها تمسحها وتصنفها ، اما في الكويت فبدأ العمل بمسح التربة وتصنيفها أولا وذلك باجراء الدراسات والاختبارات للتعرف على خصائص التربة الطبيعية والكيماوية والحيوية والوراثية ، ووضع الخرائط التي تبين أصناف التربة الموجودة وقدرتها على الانتاج وكيفية استغلالها للاغراض الزراعية وحتى الأغراض المدنية والعسكرية . وبناء على نتائج هذا المسح ستقام المشاريع الزراعية في البلاد لتغرس كل نبتة في مكانها المناسب وتخصص كل أرض لما تصلح له .



جانب من حقول محطة التجارب الزراعية . تعتبر زراعة الخضراوات من مظاهر التوسع الزراعي في الكويت .

وماذا عن الماء ؟ .

المعروف أن بين الحضارة والماء صلة كصلة الروح بالجسد ولهذا قامت الحضارات القديمة على الأنهار والسدود ، وأما الحضارات الحديثة فان افتقدت الماء جلبته اليها أو صنعته .

والماء بالنسبة للمزارع ضالته وركيزة حياته ، وهو اليه في الصحراء احوج ، ولذلك كان البحث عن مصادر الماء أكثر ما يشغل بال المسؤولين عن الزراعة في البلاد ، وبعد جهود حثيثة من البحث والتنقيب اكتشفت حقول للمياه الجوفية المالحة في الصليبية وام الشقايا وخزانات طبيعية محدودة للمياه العذبة في الروضتين ، هذا بالاضافة الى مياه الرشح الجوفية والمياه المقطرة ومياه المجاري .

وهناك تطلعات نحو مصادر جديدة للمياه كالتحلية بالطاقة الذرية ، وحفظ مياه سيول الأمطار في سدود او حقنها في باطن الأرض ، وجلب الماء بناقلات النفط اثناء ايابها للكويت للتحميل

ويوم يتوفر المزيد من مياه الري تتخطى الزراعة العقبة الرئيسية التي تعترض سبيل توسعها وازدهارها .

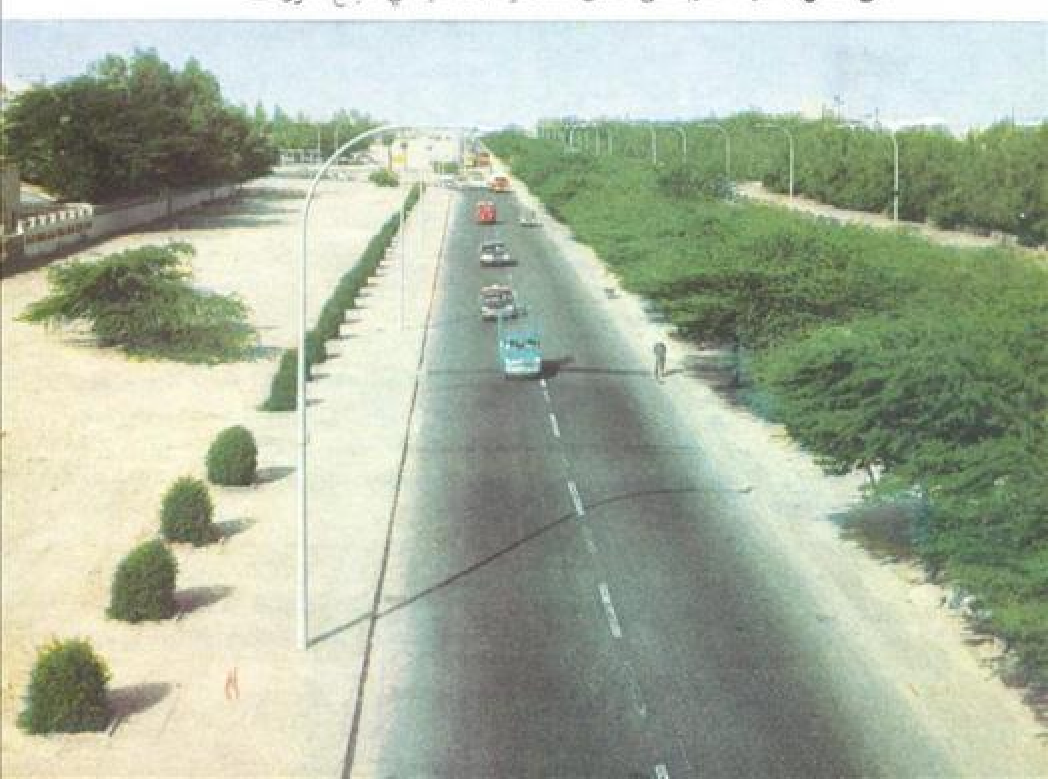
ومشكلة الماء في المناطق الصحراوية لا تتوقف على توفيره فقط بل تتعداه الى ايجاد افضل طرق لاستعماله والافادة من كل قطرة من قطراته والحفاظ عليه من التسرب في الأرض أو التبخر هباء في الجو ، وانتخاب صنوف من النباتات التي تنمو وتنتج باقل كمية من الماء .

ولرسم خطة سليمة للتنمية الزراعية فقد قامت الكويت عام ١٩٧٠ باجراء أول تعداد زراعي في البلاد ضمن التعداد الزراعي العالمي لسنة ١٩٧٠ بعد استصدار القوانين الخاصة بالاحصاء الزراعي . ويعتبر التعداد جردا كاملا لموجودات الحيازات الزراعية وانعكاسا صادقا لبناء القطاع الزراعي ، الأمر الذى يجعله الأساس السليم لخطط التوسع والتنمية واقامة المشاريع الزراعية المختلفة .



ادخلت وجربت اصناف عديدة من الاشجار الحرجية التى تحتمل عوامل البيئة في الكويت كالباركنسونيا والبكاليتس والاكاسيا وغيرها وذلك لضمان نجاح واستمرار مشاريع التشجير.

الى أسفل : اليد المدربة هى احدى العناصر الاساسية في نجاح الزراعة





الى اعلى : التعليم الزراعي لقي ما يستحقه من الرعاية والتشجيع وفي الصورة طلبة المعهد الزراعي الفني في درس تطبيقي على الآلات الزراعية في الحقل .

الى اسفل : اليد المدربة هي احدى العناصر الاساسية في نجاح الزراعة وتقدمها ـ طلبة المعهد الزراعي الفني في دروسهم التطبيقية ومع ثمرة جهودهم .



توسيع الرقعة الزراعية ... ومشاريع الحراج

الشجرة هي السلاح الحاسم في اعمار الصحراء، والتصدي للعواصف والزوابع والسيول ، ومع نمو الأشجار تعود للقفار الحياة بشتى صورها واشكالها ، فتصلح الأرض وتمسك ماءها وتعمر بالنبت والمرعى ، وتكثر الطيور ويلطف الجو ويكسو الجمال الأخضر وجه الطبيعة ، ليجد الناس في ظلالها الراحة والدعة .

ولهذا كله خصصت الدولة ما يزيد على ١٠٣ آلاف دونم لزراعة المشاريع الحرجية في الجهرا ومخيمات الربيع والصباحية والصليبية ، وجوانب طريقى البصرة والدائرى السادس . وقد تم غرس ما يزيد عن مليون شجرة في هذه المشاريع ولا تزال تتسع لسبعة ملايين شجرة اخرى .

وتبدأ الزراعة عادة بالنبات الطليعي في الكويت وهو الأثل ، ثم تزرع أنواع اخرى تتحمل عوامل البيئة كالسدر والاكاسيا ، واليوكاليبتوس ، والعناب ، والزيتون ، والكازورينا .

وتجابه زراعة الاحراج فى الكويت العديد من المصاعب اهمها قلة مياه الرى وارتفاع ملوحتها . وتعالج هذه المشاكل باختيار النباتات المقاومة للجفاف والملوحة واتباع وسائل حفظ المياه من التبخر او التسرب في التربة .

وعلى سبيل المثال فقد ادخل نوع ملائم من اليوكاليبتوس ابتيوزا من صحراء استراليا ، يعيش على ٤٠٠ ملم من الماء سنويا ، وتجرى التجربة على صنف يوكاليبتوس كاماندبولنس المجلوب من صحراء الجزائر ، وهذا يكتفي بـ ٢٠٠ ملم فقط ، وهي نسب جيدة للزراعة الصحراوية ، اذ المعروف أن معدل احتياجات اشجار اليوكاليبتوس هي ٦٠٠ – ٧٠٠ ملم من الماء سنويا .

اما الأثل فهو الشجرة الوحيدة في العالم التي تنمو على ١٠٠ ملم سنويا وتحت ظروف ملحية عالية ، ولهذا استغلت رطوبة التربة العالية في الأراضي المحاذية للبحر في زراعة مئات الآلاف من اشجار الأثل بدون رى .

ولمنع مياه الرى من التبخر والتسرب في التربة تغطى قنوات الرى بالبوليثيلين .

كما تستعمل لرى الأشجار الحرجية في بعض المشاريع مياه المجارى غير المعالجة التي لا تصلح لأى غرض آخر ، بل كانت تلقى في البحر من قبل ، ناهيك عن آثارها السيئة على الثروة السمكية بمياه الخليج .

توسيع الرقعة الزراعية ... وزراعة الخضر

تعتمد الكويت اساسا على ما يرد اليها من الخضر الطازجة من البلدان القريبة وحتى البعيدة، لأن الانتاج المحلي لا يزيد عن ١٢٪ من استهلاك البلاد .

ولاستيراد الخضر الطازجة مساوىء عديدة كعدم انتظام عرضها في الأسواق ، وتعرضها للتلف اثناء النقل ، الأمر الذى يقلل من جودتها ويرفع من أسعارها . لذلك أعد المسؤولون عن الزراعة خطة لتشجيع زراعة الخضر ، واقامة مزيد من مزارعها حتى وصل عدد هذه المزارع ٢٣٨ مزرعة ، تشغل مساحة قدرها ٤٩٢٥ دونما .

وتعتمد هذه الخطة على اجراء التجارب لانتخاب افضل الأصناف الملائمة للمناخ والتربة والمياه ، وخير وسائل العناية والخدمة من حيث مواعيد الزراعة والرى والتسميد وغيرها .

كما تجرى التجارب على الزراعة بدون تربة والزراعة الهوائية ، للافادة من مزايا هذه الطرق الحديثة في الزراعة ، وقد تعدت الكويت مرحلة التجربة في هذا المضمار الى اقامة مشروع للزراعة بدون تربة ضمن بيوت زجاجية على مساحة قدرها عشرون الف متر مربع ، وبذلك يمكن اعتباره اكبر مشروع من نوعه في عالمنا العربي .

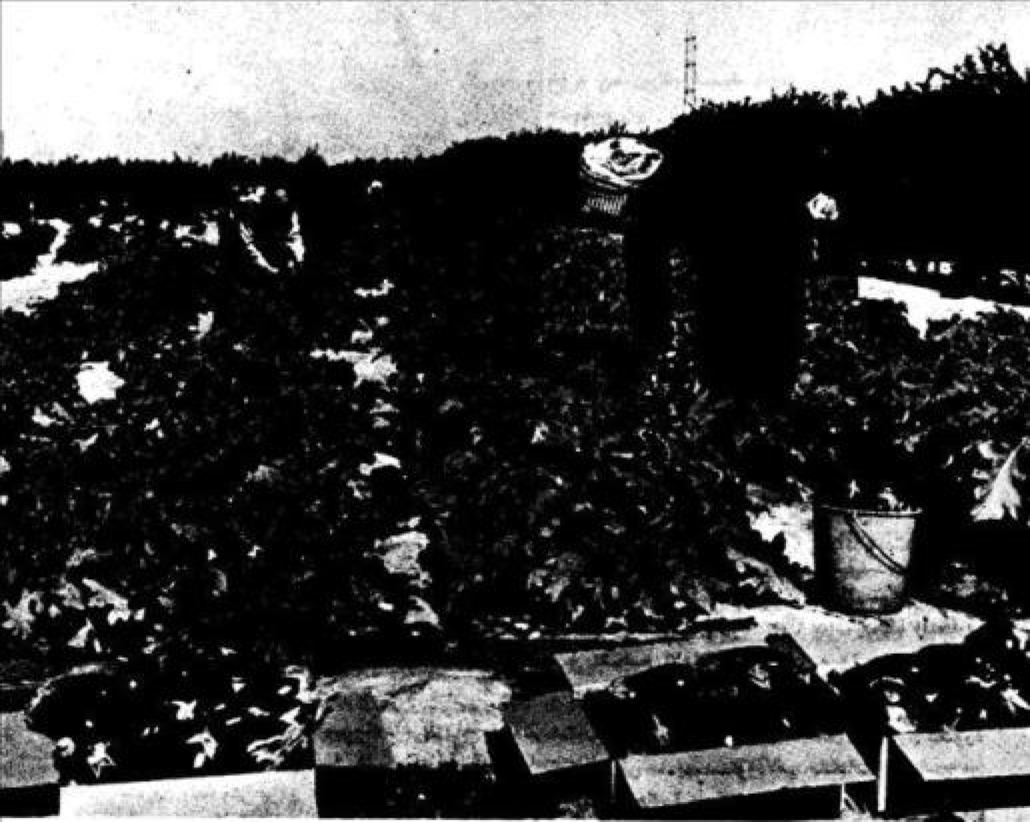
كما يعتبر مشروع مسح وتصنيف التربة ، ومسح المياه الجوفية من الاعمال المساندة لزراعة الخضر .

ونظرا لقصر المدة التي يتطلبها انتاج الخضر من وقت الزراعة وحتى النضج فانه امكن زراعة معظم انواع الخضر الشتوية بنجاح . وتأتي الطماطم على رأس المحاصيل الشتوية التي تنتج في الكويت، كما امكن زراعة بعض الخضر الصيفية كالملوخية والرجلة والقثائيات .

وسيشهد المستقبل القريب ولا شك توسعا كبيرا في مجال زراعة الخضر .

توسيع الرقعة الزراعية ... وزراعة الحدائق

يصف العلماء الحدائق بانها رئات المدن ، تنقي



الانتاج الوفير من الخضر هو نتيجة طبيعية لاستعمال البذور المحسنة والمخصبات الطبيعية والكيماوية واتباع الوسائل الزراعية الحديثة .

هواءها وتلطف جوها ، وتوفر للمواطن فرصة الراحة بعد عناء العمل ، ولذلك اصبحت في تنظيم المدن لزاما وليست اختيارا .

وفي الكويت مع تقدم العمران وتطور فن البناء ، وشق الطرق المعبدة الفسيحة ، اصبح تشجير الشوارع وانشاء الحدائق ضرورة حتمية لاكمال روعة البناء ، واضفاء الجو الجمالي عليه ، علاوة على ما للحدائق من فوائد ومميزات لا سيما في منطقة صحراوية ، فهي خير هواية تنعش النفس والبدن وتوفر انتاجا محببا من الأزهار والخضر الطازجة .

ولهذا كله لقيت الحدائق ونباتات الزينة عناية واهتماما في الحدائق الخاصة والعامة . وقامت الدولة بانشاء الحدائق لمختلف الاغراض ، كالحدائق العامة وحدائق الأطفال والمدارس والمستشفيات ومرافق الدولة المختلفة حتى بلغ عددها ٤٦٠ حديقة تشغل ما يزيد على الفي دونم ، وتضم ٤٦٥ الف شجرة .

ولا يزال العمل جاريا لاقامة المزيد من هذه الحدائق ، كما أن هنالك آلاف الحدائق المنزلية الخاصة .

ومع التنسيق الأنيق لهذه الحدائق فقد أدخلت اليها عشرات من انواع الأزهار والأبصال ونباتات الظل والحواجز والمتسلقات والشجيرات المزهرة .

وتجرى مزيد من الدراسات لادخال واقامة اصناف جديدة .

اهمية الثروة الحيوانية

يعزى سوء التغذية الذى يعانيه اكثر من نصف سكان العالم بالدرجة الأولى الى نقص البروتين الحيواني الذى مصدره اللحم والحليب والبيض، ولذلك تعتبر تربية الحيوان الزراعي ضرورة



تعدت الكويت مرحلة التجربة في مضمار الزراعة بدون تربة .. ولهذا اقيم مشروع للزراعة بدون تربة ضمن بيوت زجاجية على مساحة قدرها عشرون الف متر مربع ، وبذلك يمكن اعتباره أكبر مشروع من نوعه في عالمنا العربي .

انسانية الى جانب كونها عملاً اقتصاديا مربحاً ولها العديد من المزايا في توفير اللحم والحليب وافساح مجال العمل لمجموعة من المواطنين ، وزيادة الدخل القومي ودعم الزراعة الحقلية بالأسمدة العضوية .

ولهذا تعمل منظمة الاغذية والزراعة الدولية على معاونة الدول الأعضاء وخاصة النامية منها ماديا وفنيا في اقامة مشاريع تربية الحيوان الزراعي .

وتسعى الدول كذلك الى تشجيع مواطنيها على اقامة مثل هذه المشاريع .

تربية الأبقار في الكويت

في الماضي القريب كانت تربية الأبقار في الكويت تقتصر على التربية المنزلية لأبقار بلدية منخفضة الانتاج ، ولكن بعد انشاء مزرعة الأبقار الرائدة بمحطة التجارب الزراعية ، حذا الأهلون حذوها واقاموا عددا من المزارع التي ترتكز التربية فيها اصلا على ابقار الحليب . ويبلغ عدد مزارع الأبقار التجارية في الكويت تسعا ، يربى فيها الفا راس من الأبقار الهولندية من نوع فريزيان ، تنتج في العام ٣٫٧ مليون لتر من الحليب الطازج ، ويشكل هذا الرقم حوالي ١٠٪ من الاستهلاك المحلي السنوي .

ويدرس المسؤولون عن الزراعة وسائل تنمية الثروة الحيوانية ودعمها وتشجيع المواطنين على ارتياد سبيلها .

تربية الدواجن في الكويت

الاهتمام بتربية الدواجن على المستوى التجاري حديث العهد في الكويت،فقد بدات محطة التجارب في تشجيع الأهلين على ممارسة هذه الصناعة اثر انشاء شعبة الدواجن عام ١٩٥٧ .

وقبل ذلك التاريخ كان السكان يعتمدون بصورة كلية على ما يستورد من منتجات الدواجن من بلدان مجاورة ، وكان الطلب على لحومها ضئيلا بسبب ارتفاع اسعارها،وتفضيل لحم الضان عليها الا ان تربية الدواجن والطلب على لحومها سجلا ارتفاعا كبيرا لأسباب عدة منها :

– التقدم (العالمي والمحلي) الكبير الذى حققته هذه الصناعة فيمجالات التربية والتغذيةوالتحسين وايجاد سلالات مؤصلة عالية الانتاج ، واعلاف مركزة عالية الكفاءة ، والطرق الحديثة في التربية والوقاية من الأوبئة والأمراض .

– ارتفاع اسعار لحوم الضان .

– سرعة دوران راس المال المستثمر في تربية الدواجن وخصوصا دجاج اللحم ، والملاحظ ان معظم انتاج وتربية الدواجن في الكويت متجه لانتاج اللحم .

صناعة الدواجن بالارقام

– عدد المزارع ٨٤ مزرعة تشغل مساحة قدرها ٤٠٠ دونم ، ويعمل فيها ٣٥٤ شخصا .

– توجد ثلاث مزارع لفريخ تنتج حوالي ٤ ملايين صوص سنويا .

— يبلغ الانتاج المحلي خمسة ملايين من فراخ اللحم ، وهذا الرقم يشكل ٥٠٪ من جملة الاستهلاك ، اذ ان المستورد هو ٠٠٠ر٧٥٠ر٤ كغم دجاج مجمد .

— يربى في المزارع ٧٨ الف دجاجة بياضة تنتج حوالي ١٦ مليون بيضة سنويا بينما استورد عام ١٩٧٠ ، ١٢٠ مليون بيضة تزيد قيمتها عن مليون ومائتي الف دينار .

— افضل السلالات التي نجحت تربيتها في الكويت هي سلالة الليجهورن ، وكان معدل الانتاج بمحطة التجارب ٢٠٠ بيضة سنويا للتجارب .

— توجد ثلاثة مصانع لانتاج الاعلاف طاقتها الانتاجية حوالي ١٢ الف طن في السنة .

هذه الاحصائيات تبين المجالات الواسعة امام صناعة الدواجن في الكويت لتحقيق مزيد من التقدم والنمو ، رغم بعض الصعوبات التي تواجهها . كصعوبة الأحوال الجوية وارتفاع الحرارة والتي تعالج باقلمة بعض السلالات وتصميم الحظائر المناسبة ، والصعوبة الناجمة عن تلف الاعلاف نتيجة الحرارة الشديدة وتعرضها للتسوس ومهاجمة الفئران . ويمكن حل هذه المشكلة بانشاء صوامع كبيرة لخزن الاعلاف ، واستيراد كميات كبيرة منها في موسم انتاجها باسعار منخفضة ، وبالنسبة لمشكلة انتظام التسويق ، يجرى التخطيط لاقامة مسلخ مركزي للدواجن ومستودعات مبردة لحفظ لحومها .

الثروة الحيوانية والحماية البيطرية

منذ اتجه الاهتمام للثروة الحيوانية وتطويرها ، واستثمار عدد من المواطنين جهودهم واموالهم في اقامة المزارع المتخصصة بها ، اصبح لزاما على الدولة حماية هذه الثروة القومية من الافات والأمراض وذلك بانشاء مراقبة البيطرة لتقوم باعمال الوقاية والعلاج .

الوقاية بشتى صورها كاعمال الحجر البيطرى للحيوانات المستوردة ، والتحصين ضد الأمراض ورش وتطهير المزارع وتجمعات الحيوانات .

وحسب احصائية عام ١٩٧٠ بلغ مجموع ما حصن من الطيور ضد مرض النيوكاسل ٧ر٥ مليون طير ، وما حصن من الحيوانات ضد الامراض السارية كالطاعون البقرى والحمى القلاعية والحمى الفحمية وجدرى الغنم وغيرها بلغ ١١٤ الف حيوان . بالاضافة الى التحصين ضد داء الكلب .

واما بالنسبة للعلاجات فتقوم عشرة مستوصفات بيطرية موزعة في جميع انحاء البلاد بفحص ومعالجة الحالات المرضية ، واجريت ٢٥٠ عملية جراحية وقام المختبر بفحص العينات والتشخيص المعملي .

وهكذا امكن اقامة سور منيع من الحماية والرعاية الصحية لدعم هذا القطاع الزراعي الهام وتهيئة السبيل لنموه وتقدمه .

الارشاد الزراعي ودوره في التنمية الزراعية

مع اطلالة كل يوم يحرز الانسان مزيدا من التقدم في كافة المجالات العلمية والعملية ومنها الزراعة . وتهدف الدراسات والابحاث التي تجريها محطات التجارب الزراعية عالميا ومحليا ، الى الحصول على اعلى انتاج باقل التكاليف ، وايجاد الحلول المناسبة لكل ما يعترض العمل الزراعي ، من مشاكل ومصاعب تجابه المزارع في اي عمل من اعماله ، سواء في تربية الطيور والحيوانات او العناية بالنبات والمزروعات، وحتى في استعمال الالات والأدوات .

ويعتبر عمل الارشاد الزراعي في نقل المعلومات ونتائج التجارب الى المزارعين لتنفيذها عمليا في الحقل التكملة الطبيعية لعمل البحث الزراعي العلمي .

وكثيرا ما يلجا الارشاد الزراعي الى تقديم المعونات المادية والعينية للمزارعين لضمان توجيههم نحو استعمال الوسائل الحديثة في العمل الزراعي ، كتوزيع البذور المحسنة والاسمدة الكيماوية والحيوانات والطيور المؤصلة والعلاجات المختلفة والأدوات المتطورة ، واجراء التلقيح الصناعي وغيره من الخدمات .

ويتبع الارشاد الزراعي في الكويت مختلف وسائل النشر لايصال المعلومات الى المزارعين كالاذاعة والتلفزيون والافلام السينمائية والكتب والنشرات والندوات والاتصالات الشخصية والزيارات . ولا بد من مواصلة الاتصال بجمهور المزارعين واطلاعه باستمرار على كل جديد ليفيد من منجزات العلم الحديث . ■■

الكويت ـ خالد عيد

حظيرة الدندر للحيوانات البرية بجمهورية السودان

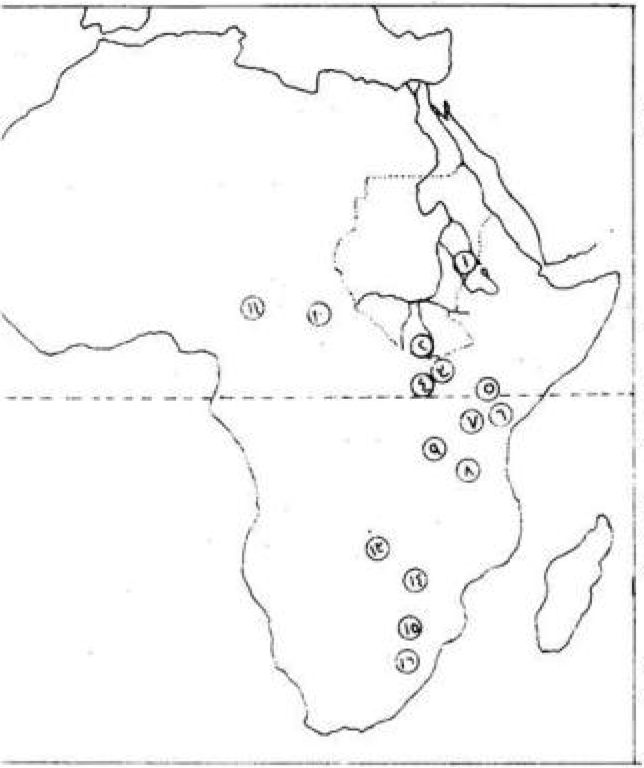
بقلم الامين الريح محمد

جامعة الخرطوم

■ النيل هو ابرز ما يتطلع اليه السائح او الزائر لجمهورية السودان الديمقراطية . وهذا شيء بديهي ، فالنيل هو شريان الحياة وعصبها بالنسبة لشعوب الوادي ، وقد قامت على شواطئه حضارات يهز جلالها كل من يقف على ارض مصر والسودان ، ولقد ابدع الشعراء في وصف النيل ، يذكرون فضله ، ويعددون مآثره ، ويتفننون بسحره وجماله . قال امير الشعراء المرحوم احمد شوقي :

ليست الحيوانات هي كل شيء في حظيرة الدندر ، فالبيئة التي اتخذتها هذه الحيوانات والطيور موطنا آمنا لها تمتاز بمناظر طبيعية خلابة ساحرة تتمثل في الوديان الخضراء التي تكسوها الحشائش والغابات الكثيفة البكر




خط الاستواء

الخريطة الأولى توضح بعض الحظائر الشـهيرة للحيوانات البرية بالقارة الافريقية : *

ا ـ السودان

(١) الدندر

(٢) نمولى

ب ـ يوغندا

(٣) حظيـرة شـلالات ميرشيصون Murohison Falls

(٤) حظيرة الملكة اليزابث Queen Elizabeth

ج ـ كينيا

(٥) نايروبى Nairobi

(٦) تسافو Tsavo

(٧) أمبوسيلى Amboseli

د ـ تنزانيا

(٨) نجور نجورو Ngorongoro

(٩) سيرنجيتي Serengeti

هـ ـ تشاد

(١٠) زاكوما Zakouma

ز ـ الكاميرون

(١١) وازا Waza

و ـ السنغال

(١٢) نيوكولو ـ كوبا Niokolo - Koba

ل ـ زامبيا

(١٣) كافيو Kafue

ى ـ ملاوى

(١٤) وانكى Wankie

ث ـ جنوب افريقيا

(١٥) كروجر Kruger

(١٦) امفولوز Umfolozi

*** الحظائر الأخرى التي ليسـت موضحة بالخريطة هي : حظيرة البرت بالكونغو وحظائر ابردير وناكورو وميرو فى كينيا واخيرا انجوردوتوفى زامبيا .**

أنت الدهـور عليـك ، مهدكَ مترَعٌ
وحيالـك الشرق الشـهية دُنُقٌ
تسـقى وتطعم لا اناؤك ضـائق
بالـواردين ولاخِـوانك ينفـق
والمـاء تسكبه فيَنْسُبك مسجدا
والأرض تغرقهـا فيحيـا المُغـرَق

وقال شاعر السودان الخالد المرحوم التجاني يوسف بشير :

أنت يا نيلُ يا سـليل الفراديس
نبيـل موفّـق فـي انسـيابك
ملء أوفاضـك الجـلال فمرحى
بالجـلال المفيض من آنسـابك
وحـروف ريانة فـي اسـمك النـ
ـيل ونعمى موفـورة في جنابـك
فكـأن القلـوب مما استمدت
منك سَـكْرى مسحورة من شرابك

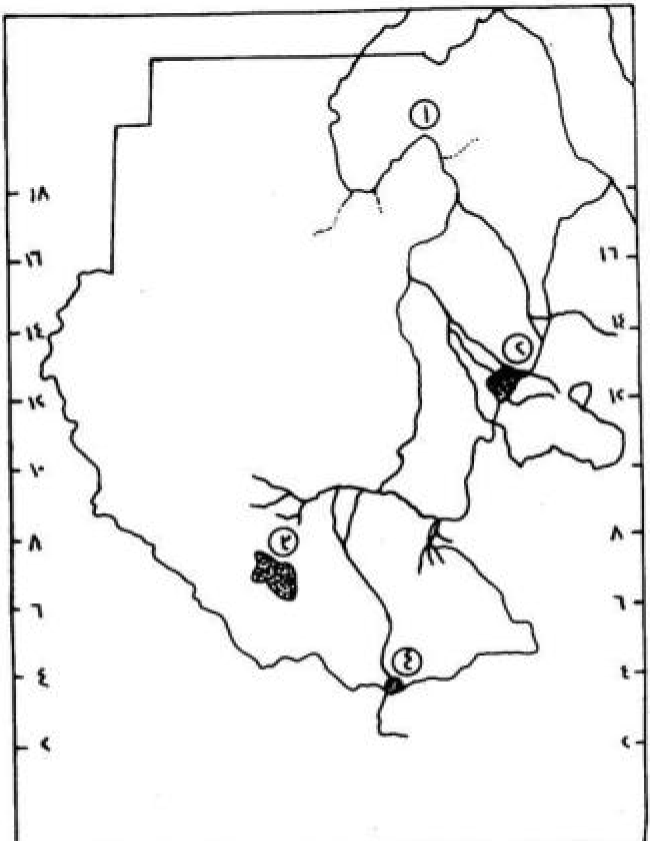
على ان هذا النهر العظيم الذى يشق طريقه عبر الصحراء الكبرى فى رحلته الطويلة للشمال ليصب فى البحر الأبيض المتوسط له روافد جمة يتمركز جلها فى جنوب الوادى ـ فى الجزء الجنوبي

والوسط من جمهورية السودان - ومن أهم هذه الروافد نهرا الدندر والرهد .

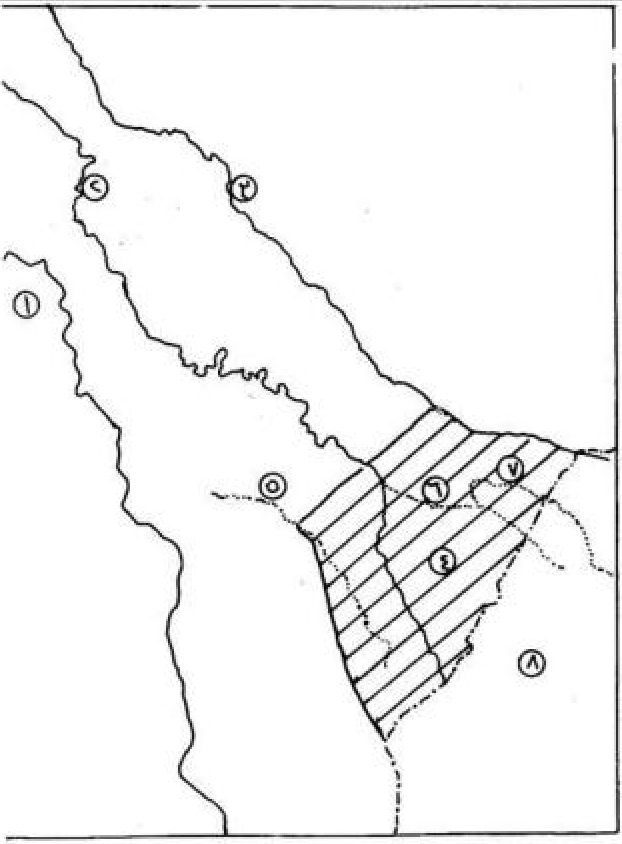
وفي هذا المقال يدور حديثنا حول المنطقة التي يقع فيها هذان النهران والتي عرفت بمنطقة الدندر . وترجع شهرتها لوجود حظيرة كبيرة للحيوانات البرية النادرة بها . وقد اكتسبت سمعة طيبة ومكانة مرموقة بين حظائر العالم الاخرى .

الحظائر وسبب ارتيادها :

تجدر الاشارة هنا ونحن بصدد الحديث عن الحيوانات النادرة وحظائرها ان نذكر ان القارة الافريقية مليئة بالحيوانات البرية وتوجد بها اكثر من ثلاثين حظيرة لتلك الحيوانات موزعة على عدة اقطار . وجميع هذه الحظائر تقع جنوب الصحراء ومعظمها في المناطق الاستوائية ، وتلك مثل حظائر نايروبي ، وامبوسيلي وتسافو وابردير وناكورو وميرو في كينيا ، وسيرنجيتي في تنزانيا ، وكافيو وانجوردوتو في زامبيا ، ووازا بالكميرون ، وزاكوما بتشاد ، وتوجد باثيوبيا ثلاث حظائر كبيرة . والسودان بحكم موقعه من القارة الافريقية غني بثروته الحيوانية . فبجانب حظيرة الدندر هنالك حظائر اخرى مثل حظيرة نمولي في اقصى جنوب البلاد والحظيرة الجنوبية بمديرية بحر الغزال . « أنظر الخريطة رقم ١ و ٢ » . وتسمى هذه



الخريطة الثانية توضح الحظائر الهامة للحيوانات البرية بجمهورية السودان :
(١) النيل
(٢) حظيرة الدندر
(٣) الحظيرة الجنوبية
(٤) حظيرة نمولي



الخريطة الثالثة توضح حظيرة الدندر بالسودان :
(١) النيل الازرق
(٢) نهر الدندر
(٣) نهر الرهد
(٤) حظيرة الدندر
(٥) خور كنانة
(٦) خور العطش
(٧) خور جلجو
(٨) دولة اليوبيا
الحدود الاثيوبية السودانية

الحظائر عادة باسم المنطقة التي تقع فيها كالدندر ، أو تسمى باسم القرية التي تقع بالقرب منها مثل نمولي ، أو باسم أول من فكر في انشاء الحظيرة نفسها كحظيرة كروجر بجنوب افريقيا . وبول كروجر هذا هو احد رؤساء حكومة جنوب افريقيا وقد عاش في القرن الماضي .

وجميع حظائر افريقيا التي اشرنا اليها تشرف عليها حكومات بلادها وتهتم بها ، لانها تشكل مناطق سياحية يرتادها الناس من شتى البلدان لتمضية وقت ممتع بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها ولمشاهدة المناظر الطبيعية التي تسمو بالنفس وتفتح أمام الخيال آفاقا واسعة وتبعد العقول عن مخلفات وادران التوقع والرتابة والفراغ وهي بعد انبل وسيلة للتأمل في صنع الخالق وابداعه . وهنالك أيضا بعض الناس الذين يرتادون تلك الحظائر كي يكونوا عن قرب من هذه الحيوانات للتمعن في طريقة حياتها وتصرفاتها ، ثم وصف تلك الحياة أو رسمها أو تصويرها كما يفعل الشعراء والفنانون وهواة التصوير . وهنالك ايضا علماء الحيوان وهم يحاولون دراسة حياة تلك الحيوانات عن كثب لربط هذه الحياة بالبيئة التي تعيش فيها ، ثم يأتي دور هواة الصيد الذين يمنحون تراخيص لاصطياد بعض الحيوانات التي لا يتأثر عددها كثيرا بعملية الصيد هذه . وهكذا فان هذه الحظائر تخدم اغراضا متباينة أهمها الترويح والدراسة والصيد .

حظيرة الدندر :

انشئت هذه الحظيرة سنة ١٩٣٥ بعد مؤتمر لندن العالمي لوقاية الحيوانات والنباتات والذى عقد سنة ١٩٣٣ . وهي تبعد عن الخرطوم بحوالي ٣١٥ ميلا ، كما انها جزء من منطقة الفونج في الجنوب الشرقي من مديرية النيل الأزرق . وحدودها الشرقية متاخمة للحدود الأثيوبية ،

وتحد شمالا بنهر الرهد . اما نهر الدندر فهو يتوسطها ويقسمها الى جزاين . وبجانب هذين النهرين فالمنطقة تتخللها انهر صغيرة او « خيران » كخور كنانة وخور جلجو (انظر الخريطة رقم ٣) وهذه الحظيرة لها موقع غريب فهي تقع بين خطى عرض ٥ر١١° و ٥ر١٢° شمال خط الاستواء ومصدر الغرابة هو انه لا توجد حيوانات كثيرة ومتنوعة ونادرة في بقية اجزاء العالم على هذين الخطين وبخاصة شمال خط الاستواء ولم يعرف حتى الآن السبب الرئيسي وراء تجمع تلك الحيوانات في هذه المنطقة بعينها .

وتعتبر حظيرة الدندر من اكبر حظائر العالم البرية ، ومساحتها حوالي ٢٤٧٠ ميلا مربعا . وهي غنية بحيواناتها الكبيرة الفتاكة الشرسة ، المفترسة منها وغير المفترسة . فهنالك الاسود والضباع والقطط المتوحشة كالفهد وهنالك الجاموس والزرافي والغزلان (*) والقرود والزواحف كالتماسيح والثعابين . وهي غنية ايضا بطيورها الجميلة ذات الالوان الزاهية البراقة وكذلك الطيور الضخمة والمفترسة كالنعام والجوارح ومنها العقبان والنسور .

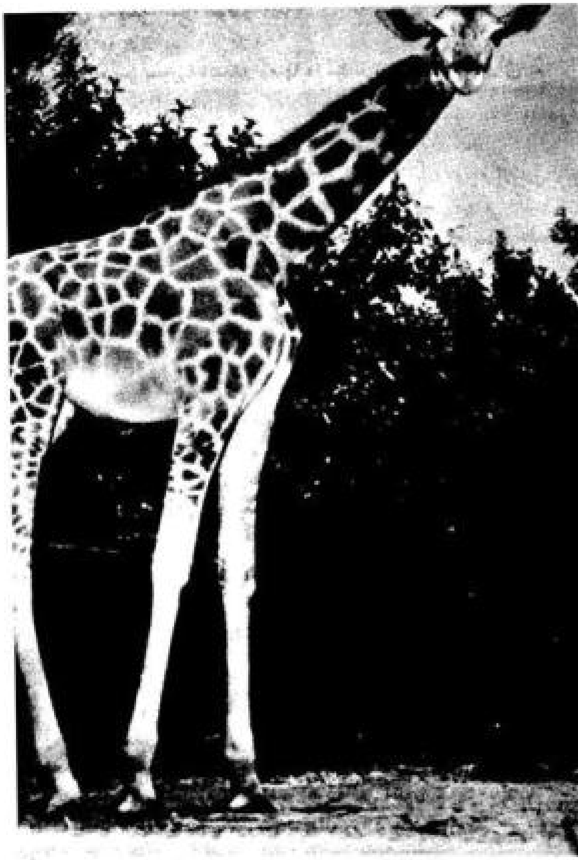
وليست الحيوانات هي كل شيء في هذه المنطقة فالبيئة التي اتخذتها هذه الحيوانات والطيور مهدا وموطنا آمنا لها تمتاز بمناظر طبيعية خلابة ساحرة نجدها في الوديان والخيران الخضراء التي تكسوها الحشائش والغابات الكثيفة البكر . فهنالك اشجار الطلح والسيال والهشاب والاهليلج وكذلك اشجار الدوم على ضفاف الانهار تقف شامخة بجذوعها

---

* كغزال بشمات وغزال مونقالا المخطط والكتمبور



النعامة من اكبر الطيور حجما ، وبالرغم من وجود جناحين كبيرين لها فانها لا تستطيع الطيران ، وهي تعتمد في تفادي الاعداء على سرعتها في الجري والتي قد تفوق ٤٥ ميلا في الساعة .



الزرافة هي اطول الحيوانات فقد يبلغ ارتفاع الواحدة أكثر من ١٨ قدما .

الصلبة وتعكس ألوانا جميلة مع السماء الزرقاء . وتتكاثف هذه الاشجار وتتشابك كلما توغل الزائر في الحظيرة حتى تصبح جدارا سميكا يحول دون مجرد التجول . ولا غرو فان هذه الحظيرة تقع في منطقة السفانا الغزيرة وفي جزء من المناطق الاستوائية الشهيرة بالغابات والحشائش الكثيفة .

ولعل مبعث السحر والجمال والحيوية في حظائر السودان وبخاصة حظيرة الدندر ، لعله هو ابتعاد يد الانسان وعدم تدخله في حياة الحيوانات والنباتات . فالحيوانات تعيش في بيئة لم تعكر صفوها يد الانسان او الاته .

فصل الخريف واثره على حظيرة الدندر :

يتأثر وجود بعض الحيوانات وكثرتها في حظيرة الدندر بموسم الامطار - الخريف - وموسم الامطار يبدأ عادة من أواخر شهر يونيو حتى نهاية شهر اكتوبر مع قليل من الامطار التي تهطل في شهر مايو . وعلى هذا النمط يمكن تقسيم الحيوانات الى ثلاث فئات:

(أ) الفئة الاولى وهي حيوانات دائمة الاقامة بحظيرة الدندر مثل بعض الغزلان .

(ب) الفئة الثانية وتشمل حيوانات كثيرة كالزرافي والنعام والتيتل تياتج Tiang وهو من أكثر الحيوانات مقدرة على العيش في بيئات متباينة كالغابات الاستوائية والسفانا ومرتفعات اثيوبيا . وهذه الفئة من الحيوانات تهجر حظيرة الدندر وتتوغل الى الداخل في منطقة السفانا المفتوحة القليلة الأشجار بالقرب من خور « المقلبين » وجبل « كردوس » وهما يبعدان حوالي ٢٥ ميلا الى الغرب من تلك الحظيرة .

(ج) اما الفئة الثالثة والاخيرة فهي تمثل مجموعة الحيوانات التي تنزح لحظيرة الدندر في زمن الخريف . واهم هذه الحيوانات هي الافيال التي يقال انها تأتي من هضاب ومرتفعات اثيوبيا . وفي الوقت الحاضر لا يستطيع الانسان حصر الحيوانات التي تأتي للدندر في فترة الخريف بسبب وعورة المسالك وانسدادها احيانا في هذه الفترة . وعليه فانسب واطيب فترات السنة لزيارة الحظيرة تبدأ في اواخر ديسمبر وتستمر حتى بداية مايو .

مقتطفات وحقائق عن بعض الحيوانات :

هذه مقتطفات وحقائق مختارة عن بعض الحيوانات المشهورة بحظائر السودان المختلفة اذ

منها ما يعيش بحظيرة الدندر ومنها ما نجده بحظيرة نمولي بجنوب البلاد،او نجده بمنطقةبوما المحجوزة للصيد فيأعاليالنيل بمركز بور ، وكذلكمنها ما هو موجود بالحديقة المحجوزة الناشئة المسماة بالردوم في جنوب غرب دارفور . واليك بعض هذه المقتطفات :

النعام :

هذه المجموعة من الطيور المسماة بالنعام هي اكبر الطيور حجما ، فارتفاع النعامة عن الأرض قد يبلغ ثمانية اقدام ، ووزنها قد يصل الى ٣٠٠ رطل . وبالرغم من وجود جناحين كبيرين لها فانها لا تستطيع الطيران ، وهي تعتمد اساسا في تفادي الاعداء على العدو او الجرى السريع وقد تفوق سرعة هذه الطيور خمسة واربعين ميلا في الساعة. واعناقها الطويلةتساعدها ايضا في معرفة واكتشاف مصدر الخطر المتمثل في الحيوانات المفترسة كالاسود التي تعتمد على الخدعة والقوة والبطش لانها لا تستطيع العدو المتواصل لمسافات طويلة كما يفعل النعام .

وهنالك بعض الاختلافات بين ذكر وانثى النعام اذ ان الذكور تتميز بلون اسود واجنحة بيضاء وتصدر منها في بعض الاحيان اصوات غريبة اشبه بزئير الأسود . اما لون الاناث فهو اقرب الى اللون البني الداكن وحجمها يصغر حجم الذكور .

ويعتمد النعام في حياته على التهام الحشائش وصغار الطيور والحيوانات وطريقة اكله للحشائش جعلت البعض يظنون انه حين يريد الاختفاء يدس راسه في الرمال ويظل باقي جسمه ظاهرا ، ومن هنا شاع هذا القول المخطىء وصارت تضرب به الامثال .

هذا ويتميز بيض النعام بلونه الابيض وحجمه الكبير ويشترك الذكر والانثى في حضانته التي تستمر من خمسة الى ستة اسابيع ، بعدها يفقس البيض ليخرج النعام الصغير ممارسا للعدو من اول لحظة في حياته .

ولبيض النعام اعداؤه وآكلوه من الحيوانات والطيور ، فالضباع والصقور مثلا تترصده وتبحث عن اماكنه لتهشيمه واكله . وهنالك ايضا بعض القبائل الافريقية التي ما زالت تستعمل غلاف هذا البيض اواني للشرب .

الزراف :

هذه المجموعة من الحيوانات النادرة هي من عجائب الدنيا دون شك فهي اطول الحيوانات على وجه الارض ، وقد يبلغ ارتفاع الواحدة منها اكثر من ١٨ قدما ، وتزن حوالي ٢٨٠٠ رطل ، كما يزن قلبها وحده ٢٥ رطلا . وللزرافي اعناق طويلة متناسقة تتناسب مع احجامها وتساعدها في الوصول الى اوراق الأشجار العالية التي تمثل الغذاء الرئيسي لها فتلتقطها في سهولة ويسر بوساطة السنة طويلة قد يصل طول الواحد منها الى قدمين .

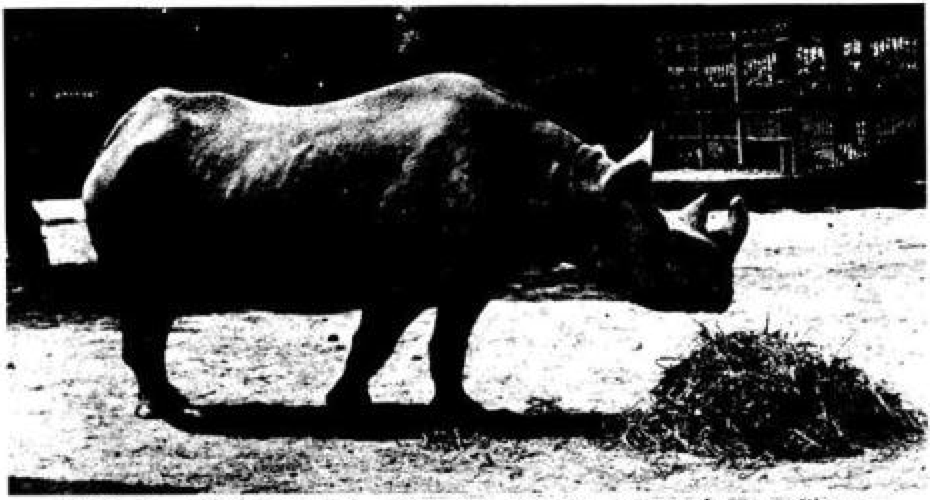
ويميز الزرافي نظر حاد ، وهذا النظر الحاد بمساعدة الأعناق الطويلة يمكنها من رؤية الأشياء النائية والابتعاد بسرعة قبل وصول الحيوانات المفترسة اليها والتي اهمها الأسود التي تجد صعوبة شديدة في الفتك بها لأنها تضرب وترفس بارجلها في عنف لئيم قاتل .

وهنالك انواع متعددة من الزرافي وليس جميع الزرافي مخططا Reticulated بل يوجد منها نوع بدون تخطيط Albino وتنجب انثى الزرافي مولودا واحدا بعد فترة حمل مقدارها ٤٤٢ يوما .

وبجانب الاستمتاع برؤية الزرافي في الحظائر وغيرها فان لها فوائد اقتصادية ، فالجلد يمكن استخدامه في صناعة الأوتار والسياط ، والعظام يمكن الاستفادة منها كسماد .

وحيد القرن :

هذا الحيوان يوجد الآن باعداد ضئيلة في جنوب السودان وفي حظيرة نمولي ، وهو ياتي بعد الفيل مباشرة في ضخامة الجسم ، ويزن ما يقرب من ثلاثة اطنان . وهنالك نوعان من وحيد القرن في افريقيا احدهما ابيض والآخر اسود : ووحيد القرن الابيض اكبر حجما واقل لؤما من الآخر الاسود الذي يتميز بطبع غريب وتصرفات حمقاء . فمثلا اذا اعترضت سبيله سيارة فانه يفر هاربا اولا ، ولكن سرعان ما يغير رأيه ويكر مسرعا تجاه السيارة للاصطدام بها ومهاجمتها بقرنه . وهذا الحيوان هو في طريقه الآن للانقراض ، ويعود سبب ذلك لتعرضه الكثير لرصاص الصطادين الذين يستفيدون من جلده .



وحيد القرن..وهو يأتي بعد الفيل مباشرة بالنسبة لضخامة الجسم،وقد يزن وحيد القرن حوالى ٣أطنان!

ووحيد القرن الهندى يختلف قليلا عن الافريقي فقرنه أصغر منه واقل حدة . ولوحيد القرن نظر ضعيف وقد استعاض عن ذلك النقص بطائر خاص يتبعه بصفة مستديمة ويصدر صوتا معينا عند ما يكون هنالك خطر محدق .

الأصلة :

الأصلة Python هي اكبر الثعابين غير السامة وقد تقلص عددها كثيرا نتيجة لتعقب الانسان لها وقتلها للاستفادة من جلدها في صناعة الأحذية والتحف (الانتيك) وحقائب السيدات ... الخ . وهي تكثر الآن في منطقة الردوم الناشئة . والأصلة ثعبان ضخم طويل يصل طوله الى عشرين قدما . على ان هذا النوع منها نادر جدا . اما اغلب انواعها فطولها لا يتعدى ١٢ قدما . وقد سردت احاديث وقصص مبالغ فيها ، عن مقدرة الأصلة على ابتلاع حيوانات باكملها . وحقيقة الامر أن الأصلة لا تستطيع ان تبتلع الا بعض الحيوانات الصغيرة كصغار الغزلان وهي تقتلها بطريقة العصر Constriction ، أي تلتف حول الحيوان المراد قتله وتضغطه بعضلاتها القوية فتحطم اجهزته المختلفة فيموت .

وتستطيع الأصلة العيش في الماء او على سطح الارض اليابسة وهي تضع كثيرا من البيض - حوالي ٥٠ بيضة - وتلتف فوق هذه الكمية وتحضنها حتى تفقسها .

خاتمة :

تهتم السلطات هذه الأيام اهتماما بالغا بمنطقة نهرى الدندر والرهد فهي تنوى انشاء مشاريع زراعية ضخمة حول تلك المنطقة كمشروع كنانة ومشروع الدندر والرهد وغيرهما . وقد استعانت الحكومة بخبير من هيئة الزراعة والتغذية FAO التابعة لمنظمة الامم المتحدة لمعرفة مدى تأثير تلك المشاريع على حظيرة الدندر ، وقد رفع الخبير تقريره للمسئولين الذين يقومون بدراسته الآن .

وبعد ، هذه مقدمة للتعريف بمنطقة تعتبر من المناطق السياحية العالمية الهامة التي لم تجد الاهتمام اللائق بها من الرواد والسواح بالرغم من قربها للسائح العربي والسائح الأوروبي الذى يقطع الاف الأميال للوقوف امام حظيرة كروجر في جنوب افريقيا وحظيرة الدندر لا تقل عنها روعة وجمالا . ■■

محمد الأمين الريح

وُلِدتْ حَوَّاءُ لِي ..

ذُقتُ طعمَ الحبِّ من كلِّ فمِ
فنما ألفُ ربيعٍ في دمي
وجرعتُ الحسنَ من كأسِ الصِّبا
فانتشى من عِطرِه قلبي الظَّمي
وشِفاهُ الغيدِ عطشى أبداً
لشذى العِطرِ .. وخمرِ البُرعُمِ

ونهلتُ السِّحرَ .. فالعُمرُ جمالٌ وغزَلْ
ومَهاةٌ ... وربيعٌ يستقي عذْبَ القُبَلْ
وتسابيحُ شِفاهٍ .. فوقَ أهدابِ المُقَلْ

وأحِبُّ الهمسَ .. من رعشة نهديْنِ
وأحلى الهمْسِ .. نجوى
وعيونٌ ناعساتٌ .. لي بها
كأسُ شوقٍ ورؤى حلمٍ .. ومأوى
وبساتينُ نبيذٍ حلْوة
يرفلُ الوردُ بها فخراً .. وزهوا

وُلِدتْ حوّاءُ لي .. والحبُّ بعضي والصِّبا
وشفاهُ الغيدِ أضحت لاشتهائي ملعبا
يحلم الشِّعرُ بها .. أهدَت لشِعري الحببا

جورج • ي • شدياق
فنزويلا



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

مرض كوريا قد يؤثر على القلب

● **لى ابنة في العاشرة اصيبت بالتهاب في اللوزتين وسرعان ما اثر ذلك على المفاصل ، ثم بعد فترة اعترتها حركات غير ارادية في راسها وذراعيها ، وقيل لى انها مصابة بمرض « كوريا » (Chorea) فهل لى ان اعرف بعض الشيء عن هذا المرض ؟ .**



ـ هذا المرض الذى اصيبت به ابنتك ، لا يعرف بالضبط سببه ، ولكنه كثيرا ما يصاحب الحمى الروماتيزمية ـ وفى نسبة منه يصاب القلب اما فى عضلاته او صماماته . وربما ساعد على حدوث هذا المرض وجود اضطرابات نفسية تصيب هؤلاء الاطفال ، ويلاحظ ان هذا المرض يصيب البنات اكثر من الاولاد بنسبة ٣ : ١ ويظهر تدريجيا ـ ويلاحظ اول ما يلاحظ على المريضة سقوط الاشياء من يدها ثم تظهر الحركات غير الارادية فى ذراعيها وراسها وفى الوجه واللسان حتى انه يحدث تعثرا فى الكلام ـ ويتبع ذلك ايضا عدم القدرة على التوازن اثناء السير او القيام بأى حركة.

ويحتاج المريض الى راحة بالفراش لمدة اربعة اسابيع ، وربما يحتاج الى الدخول الى المستشفى للراحة التامة مع اعطاء المريضة اقراص الاسبرين واقراصا مهدئة مثل اقراص البربتيوريت (Barbiturate) ، مع اعطاء المضادات الحيوية ـ والفيتامينات ومركبات الحديد اذا كان هناك فقر دم . وتشفى الحالة فى مدة ٦ ـ ١٢ اسبوعا وهناك احتمال نكسة أو نكسات وهذه ربما اثرت على القلب .

اللوزتان .. هل هناك ضرر من ازالتهما ؟!

● **اصبت بالتهاب اللوزتين مرات عديدة واشار الاطباء علىّ بازالتهما ، فهل من ضرر في ذلك ؟ .**

ـ اللوزتان تكونان خط دفاع قوى ضد الميكروبات التي تدخل من الانف والفم لذا كانت فائدتهما ، اذا كانتا سليمتين ، اذ انه من الممكن حجز هذه

الميكروبات ومنعها من دخول الجسم .

اما اذا اصيبت اللوزتان بالالتهاب واصبحتا مرتعا خصبا للميكروبات وتأثرتا بهذه الميكروبات مما يسبب تقيحا بهما فيصبحان فى هذه الحالة ضارتين للجسم ـ اذ أن افراز السموم من الميكروبات التى تقطنهما ـ أو المواد التى تخرج منهما تساعد على حدوث التهابات عدة فى الجسم ، كالآلام الروماتيزمية فى المفاصل والعضلات ـ أو حدوث الحمى الروماتيزمية فى الأطفال وربما سببت روماتيزم القلب .

وكذلك يحدث فى بعض الأحيان التهاب الكلى ـ بعد الالتهابات الحادة باللوزتين التي تصيب الأطفال

وعلاوة على ذلك فان التهاب اللوزتين المزمن عند الأطفال يقلل من مناعتهم ويضعف من نموهم ويجعلهم عرضة لفقر الدم وغيره من الأمراض ـ كما انه فى بعض الحالات يكونان بؤرة لحمل ميكروبات عدة مثل ميكروب منجوكك (Meningococc) الذى يسبب التهاب السحايا فى صغار السن . وغير ذلك من الميكروبات التي تنشط فى بعض الحالات وتسبب امراضا عدة .

لذا انصحك يا اخي ان تزيلهما اذا كان قد اشار عليك الطبيب بذلك واذا كانتا فى حالة لا يرجى شفاؤهما .

قرحة الاثنى عشر ومضاعفاتها

● اصبت بقرحة في الاثنى عشر منذ ستوات ، وكنت على حمية خاصة والعلاج الموصوف لى ـ ورغم ذلك لازمنى الالم واشير على ان القرحة ازمنت واحتاج الى عملية ـ فما هى المضاعفات التى من المعتقد ان تحدث اذا لم اوافق على اجراء العملية ؟!

ـ يظهر ان القرحة التى تشكو منها اصبحت لا تستجيب الى العلاج بالأدوية والحمية، وهذا يحدث عادة فى ٥ ـ ١٠ ٪ من حالات القرحة . والعملية تصبح لازمة خوف حدوث المضاعفات ، واهم هذه المضاعفات هو تشوه الاثنى عشر وضيق الجزء الاول منها مما يجعل مرور الطعام منها صعبا ، ويسبب تضخما وتمددا فى المعدة وانسدادا فى فتحة البواب ـ وهذا يسبب تعفن الاكل بالمعدة وحدوث القيء من آن الى آخر وعدم الاستفادة من الطعام بضعف المصاب ويقل وزنه . والعملية واجبة فى هذه الحالة لتحول الاكل الى الامعاء بطريق توصيل المعدة بالامعاء .

ومن المضاعفات ان تنزف القرحة وينزل الدم من الامعاء على شكل مادة سوداء تشبه القار ، ويحدث تبعا لذلك فقر شديد بالدم أو نزيف ربما اودى بحياة المريض .

ومن المضاعفات ايضا أن تتعمق القرحة شيئا فشيئا الى ان يحدث بها انثقاب ويتسرب الاكل من المعدة الى البريتون وتجويف البطن مما يسبب التهابا شديدا ، وربما أودى بحياة المصاب . وقبل الانثقاب ربما تحدث التصاقات شديدة بين القرحة والاعضاء الاخرى كالبنكرياس ، مما يسبب آلاما شديدة يحس بها المريض فى الظهر .

كل هذه المضاعفات تحتاج الى التدخل الجراحي ، خصوصا عندما لا يستجيب المرض للعلاج والالم يكون مستمرا .



اللسان الشديد الاحمرار ليس دليل الصحة !



● اعاني من تشقق في اللسان دون الم ، فهل هذا مرض ؟ .

ـ هناك عدم تشابه في مظهر اللسان الطبيعي فتجد انه في بعض الاشخاص يكون اللسان مشققا وتختلف هذه التشققات عمقا واتساعا وشكلا ـ وكذلك تختلف النتوءات الموجودة فوق اللسان من شخص الى آخر ـ ثم حجم اللسان كذلك يختلف ـ والطبقة الرقيقة البيضاء التي تغطي اللسان لا تدل على اي مرض فيه ـ ويغطي اللسان بطبقة صفراء في المدخنين ، ويكون اللسان جافا في الذين يتنفسون من انوفهم ، اما اللسان الأملس ـ الخالي من النتوءات ـ النظيف جدا الذي لا يغطى باي طبقة ـ الاحمر الشديد الاحمرار ـ فلا يفرح صاحبه به فربما دل على ان هناك فقرا في الدم ـ او التهابا في الفم او نقصا في الفيتامينات ، ويكون هذا اللسان مصحوبا بحرقة فيه والم اثناء تناول الطعام .

واللسان المغطى بطبقة بيضاء سميكة في الاطفال يدل على اصابتهم بنوع من الفطريات ـ اما تقرحات اللسان فعديدة منها ما ينتج من اصابة اللسان بالاسنان سواء الطبيعية او الصناعية ، وما يكون نتيجة لاضطرابات نفسية او اضطرابات في الجهاز الهضمي او اصابة المريض بالزهري ـ وغير ذلك من الاسباب .

الدم مع البصاق هل يعني الاصابة بالدرن ؟!

● يسأل عن سبب حدوث دم مع البصاق ـ وهل عنده مرض الدرن الرئوي ؟ او من الممكن ان يحدث من اي مرض آخر ؟ .

ـ ان حدوث دم بالبصاق ربما يكون لعدة اسباب منها حدوث التهابات شديدة في الشعب الهوائية ـ او ضعف بالاوردة او الشعيرات الدموية التي ربما تسرب الدم منها واختلط بالبصاق عند السعال الشديد .

وفي بعض الحالات يكون البصاق المدمم نتيجة لالتهاب في جزء من الرئة ـ سرعان ما يختفي بعد تحسن الالتهاب .

ـ تمدد الشعب الهوائية وتمدد الاوعية بها يسبب بصاقا ملوثا بالدم من آن الى آخر ، واذا كان قد حدث تهتك بهذه الشعب مع انسجة الرئة المجاورة ، كان من الواجب ازالة هذا الجزء المصاب .

ـ ومرض السل الرئوي من الاسباب التي تسبب بالطبع بصاقا مدمما .

ـ في حالة ضيق في الصمام الميترالي نجد انه يحدث احتقان في الرئة ، ثم تمدد الاوعية الدموية في الشعيبات الهوائية ، وربما تنفجر هذه الاوعية الدموية وتسبب بصاقا ملوثا بالدم .

ـ في حالة هبوط القلب خصوصا من اثر ارتفاع ضغط الدم ربما حدث بصاق ذو رغوة مدممة في هذه الحالة .

ـ في حالات الاورام الخبيثة او الحميدة التي تصيب الشعب الهوائية او الرئة . ربما سببت بصاقا مدمما .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الجمهورية العربية المتحدة تنتج حاليا
٢٠ مليون طن من البترول الخام سنويا

● هل لكم أن تكتبوا لنا بالارقام عن انتاج الجمهورية العربية المتحدة من البترول حاليا . وقد سمعنا انه قد اكتشفت آبار بترول هناك في السنوات الاخيرة فهل تؤدى هذه الاكتشافات الى جعل مصر دولة بترولية ؟

يحيى علي ـ السودان

ـ تعد مصر من اقدم دول الشرق الاوسط والبلاد العربية كشفا للبترول وقد بدأ انتاجها عام ١٩١٠ بعد اكتشاف حقل جمسة على ساحل البحر الاحمر .

وتنتج مصر حاليا ، باستثناء آبار سيناء وما اكتشف اخيرا ولم يستغل بعد من الآبار ما يزيد على ٤٠٠٫٠٠٠ برميل يوميا من البترول الخام اى ما يقدر بحوالي ٢٠ مليون طن سنويا .

واكبر الحقول البترولية المنتجة حاليا في الجمهورية العربية هو حقل مرجان البحرى وهو يقع تحت مياه خليج السويس ويقدر انتاجه بحوالي ٢٥٠٫٠٠٠ برميل يوميا .

وعلى الشاطىء الغربي لخليج السويس توجد عدة حقول بترول منتجة صغيرة تملكها الشركة العامة للبترول وهي شركة حكومية مصرية . وهذه الحقول هي : بكر ، وراس غارب ، وكريم ، وام اليسر ، وشقير ، والفردقه ، ويبلغ انتاجها حوالي ٢٠ الف برميل يوميا . وترى كل هذه الآبار موضحة على الخريطة المرفقة .

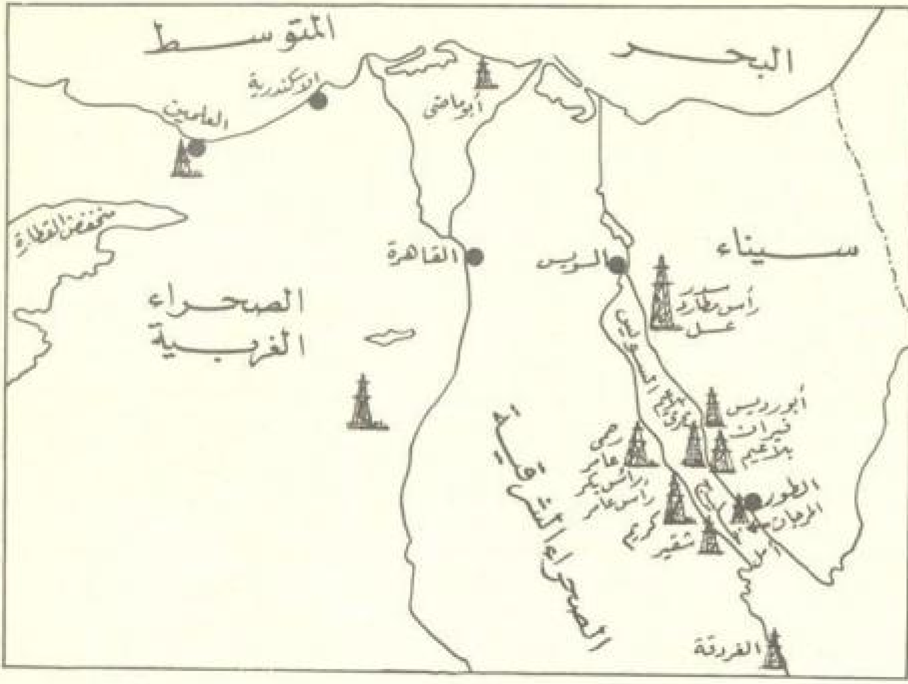
اما على الجانب الشرقى لخليج السويس في سيناء . فان حقول البترول التى تملكها شركة كوبى (شركة مملوكة للحكومة المصرية وشركة ابني الايطالية للبترول) وهى حقول سدر وعسل وفيران وراس بطارنه وبلاعيم البرى وابو رديس ، تقوم قوات الاحتلال الاسرائيلي في سيناء باستغلالها وتنتج حاليا حوالى ٩٠ الف برميل يوميا (حوالى ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ طن سنويا) .

وفي الصحراء الغربية يوجد حقل العلمين على بعد ٤٠ كيلو مترا من ساحل البحر المتوسط وقد بلغ انتاجه في عام ١٩٧٠ ٤٣٫٠٠٠ برميل يوميا ثم هبط في اوائل عام ١٩٧١ ليصبح ٢٠٫٠٠٠ برميل يوميا .

اما عن الاكتشافات الجديدة والتى لم تنتج بعد فقد تم اكتشاف حقل بترول جديد جنوب حقل المرجان في خليج السويس واطلق عليه اسم حقل الامل .

واعلن اخيرا في شهر ابريل عام ١٩٧١ عن اكتشاف حقل جديد كبير ، يقول الخبراء عنه انه سيكون من اكبر حقول البترول في مصر ، وذلك في منطقة ابو الغراديق التي تبعد ١٠٠ كيلومتر جنوب العلمين ، في صحراء مصر الغربية .

وقد تم اكتشاف الغاز الطبيعي بكميات كبيرة في دلتا مصر . ومن بين الاماكن التى اكتشف فيها



خريطة تبين مواقع آبار البترول الموجودة حاليا بالجمهورية العربية المتحدة وتظهر على الضفة الشرقية لخليج السويس الآبار التى تخضع الآن للاحتلال الاسرائيلى ويقدر انتاج هذه الآبار وحدها بحوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ طن سنويا من البترول الخام .

الغاز خليج ابو قير ويقدر ان يكون انتاجه حوالي ٢٧ مليون قدم مكعب يوميا من الغاز ، وبئر بوصلي بالقرب من مدينة رشيد ويقدر له ان ينتج حوالى ٨ر٧ مليون قدم مكعب يوميا . وعثر ايضا على الغاز في بئر ابو ماضي بالقرب من مدينة كفر الشيخ .

وتقوم الآن عدة شركات امريكية وايطالية ويابانية بالحفر والتنقيب عن البترول في صحارى مصر ومياهها الاقليمية ، كما تقوم ايضا شركات البترول المصرية التابعة للحكومة بالتنقيب عن البترول لحسابها الخاص يعاونها في ذلك الاتحاد السوفيتى بموجب اتفاقية الثمانية ويتم التنقيب حاليا في واحة سيوة .

وترى من ذلك ان هناك املا كبيرا في ان تؤدى عمليات التنقيب هذه الى تحويل الجمهورية العربية المتحدة الى بلد بترولي .

(م . ط)

احكام الزواج والطلاق
في الجمهورية التونسية

● طال الحديث في مختلف بلدان الشرق العربي عن تعدد الزوجات وحكم الشرع الاسلامي فيه . فقال بعض بجواز تعددها الى اربع ، بدون قيود ، وذهب آخرون الى ان الاسلام ، مع اباحته بالاربع ، انما نصح بواحدة . وعلمنا ان الجمهورية التونسية قد خرجت بموقف وسط حول موضوع تعدد الزوجات ، وحول موضوع الطلاق ايضا .. نرجو ان تعطونا فكرة واضحة عن الاحكام الشرعية التي يخضع لها هذان الموضوعان في البلد الشقيق ..

خالد الشاهي ـ الطائف

طرحنا سؤالك على سفارة الجمهورية التونسية في الكويت ، فتكرمت بموافاتنا بالرد التالي :

صدرت بتاريخ ٦ محرم ١٣٧٦ (١٣ اوت ١٩٥٦) مجلة « الاحوال الشخصية » التونسية التي جمعت في تاليف واحد النصوص التشريعية المنشورة سلفا والمتعلقة باحكام الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والنسب والميراث والوصية والتبني ، كما ادخلت احكاما جديدة تمشيا مع مقتضيات العصر .

واستمدت المجلة احكامها من التشريع والفقه الاسلامي ، آخذة بعين الاعتبار متطلبات التطور الاجتماعي من قوانين ثابتة وواضحة،وحماية حقوق المراة ، واقرار مساواتها مع الرجل ، وكذلك حماية الاسرة التونسية من الانحلال والتفكك .

فلا ينعقد الزواج الا برضا الزوجين ، ولا يثبت الا بحجة رسمية.ويجب ان يكون كل من الزوجين خلوا من الموانع الشرعية . وزيادة على ذلك ، فكل من لم يبلغ عشرين سنة من الرجال وسبع عشرة سنة من النساء لا يمكنه ان يبرم عقد الزواج الا باذن خاص من الحاكم . ولا يعطى الاذن المذكور الا لأسباب خطيرة وللمصلحة الواضحة للزوجين .

وينص الفصل ١٨ من المجلة على منع تعدد الزوجات ويتعرض كل مخالف للقانون الى عقوبة السجن والغرامة .

وجاء هذا الحكم ليحمي الاسرة من الانحلال وليؤكد للمراة التونسية حقها في الكرامة وليحقق للابناء الاستقرار النفساني والمعنوى .

وحدد الفصل ٢٣ من المجلة ما يجب لكل من الزوجين على صاحبه فقال : على الزوج ان يعامل زوجته بالمعروف ويحسن عشرتها ويتجنب الحاق الضرر بها وان ينفق عليها وعلى اولاده منها على قدر حاله وحالها في عامة الشؤون المشمولة في حقيقة النفقة . والزوجة تساهم في الانفاق على العائلة ان كان لها مال . وعلى الزوجة ان ترعى زوجها باعتباره رئيس العائلة وتطيعه فيما يامرها به في هذه الحقوق .

وتقوم بواجباتها الزوجية حسبما يقتضيه العرف والعادة ـ الفصل ٢٤ : لا ولاية للزوج على اموال زوجته الخاصة بها . اذا المراة التونسية المتزوجة لها الحق في التصرف الكامل في اموالها بدون مراقبة زوجها .

اما بخصوص احكام الطلاق ، فينص الفصل ٣٠ على ما يلي : لا يقع الطلاق الا لدى المحكمة (اي المحكمة المدنية) ويحكم بالطلاق :

١ ـ بناء على طلب من الزوج او الزوجة لأسباب قانونية كالاخلال بالواجبات الزوجية .

٢ ـ بتراضي الزوجين .

٣ ـ أو عند رغبة الزوج بانشاء الطلاق او مطالبة الزوجة به . وفي هاته الصورة يقدر الحاكم ما تتمتع به الزوجة من الغرامات المالية لتعويض الضرر الحاصل لها أو ما تدفعه هي للزوج من التعويضات .

ولا يحكم بالطلاق الا بعد أن يجرى رئيس المحكمة أو من ينوبه محاولة صلح بين الزوجين ويعجز عن

الاصلاح بينهما . ويقدر الرئيس النفقة بناء على ما تجمع لديه من عناصر عند محاولة الصلح .

وهكذا يتضح للفاحص للقانون التونسي ان الطلاق حكم قضائي يصدر عن محكمة بامكان الزوج والزوجة المطالبة به ويضمن حقوق الطرفين .

ويعتبر الطلاق القضائي بالاضافة الى منع تعدد الزوجات اهم ما جاءت به مجلة الاحوال الشخصية وهي تجسيم للاصلاح الاجتماعي الذى ما فتئت تقوم به الدولة التونسية منذ الاستقلال .

الاوضاع في تركيا
وحقيقة الازمة السياسية القائمة فيها

● قرأنا في الصحف عن الاضطرابات الاخيرة في تركيا ، وتدخل قواد الجيش التركي لقمعها مهددين بانتزاع السلطة من المدنيين القائمين بها، فهل تزيدوننا علما بحقيقة الاوضاع القائمة في هذه البلاد المجاورة ؟

محمود سليمان ـ العراق

ـ رغم كل ما قرأت عن الاضطرابات التي حدثت اخيرا في تركيا ، فان المعلقين السياسيين يجمعون على ان شيئا لن يحدث في هذه البلاد ، ليس الآن ، على الاقل ، حقيقة ان الحالة السياسية التي كانت تسود البلاد منذ شهور قليلة مضت ، والاضطرابات التي قام بها طلبة الجامعات اثناء حكم سليمان ديميريل ، رئيس الوزراء المستقيل ، كانت تهدد بوقوع انفجار كان يمكن ان يؤدى الى تغيير الصورة الاجتماعية كلها في تركيا .

وقد كان هذا هو السبب المباشر الذى دفع كبار قواد الجيش التركي الى التدخل ، ولكن لا من اجل « حماية الجمهورية » كما زعموا ، ولكن من اجل اقرار الوضع الراهن في البلاد ، والحيلولة دون بذر بذور الثورة الوطنية ، التي لا تمت الى اليمين أو اليسار بصلة ، على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في تركيا .. تلك الثورة التي تعتمل في صدور طلبة الجامعات ، وعدد كبير من صغار ضباط وجنود الجيش التركي .

وقد اقترنت هذه الحركة الثورية التي سبقت تدخل كبار قواد الجيش لانقاذ الجمهورية ، بشعور عدائي لحلف الاطلسي ، وخضوع الحكومة التركية للحماية الامريكية ، وقد تجلى هذا الشعور في حادث اختطاف اربعة من الجنود الامريكيين بواسطة المنظمة التي اطلقت على نفسها اسم « جيش التحرير الشعبي التركي » وهو الحادث الذى ادى الى قيام اكبر حملة في تاريخ تركيا لاعادة الجنود المختطفين والقبض على الجناة. فقد اغلقت المدن وسدت الطرقات واقيمت مراكز التفتيش في كل انحاء البلاد ، حتى نجحوا اخيرا في العثور عليهم .

وفي خلال هذه الاضطرابات التي اجتاحت تركيا قبل استيلاء كبار قواد الجيش على السلطة ثم اعادتها الى الحكومة المدنية الجديدة برئاسة الدكتور نهاد اريم ، ارتفعت النداءات التى تطالب بازالة قواعد حلف الاطلسي ، وتصفية النفوذ الاجنبي الامريكي والبريطاني ، وانسحاب تركيا من الاحلاف العسكرية ، وغير ذلك من الشعارات المعادية للغرب عموما . وهكذا « انقذ » قواد الجيش التركي بلادهم من الثورة باسم حماية الجمهورية ! .

وتقول مجلة الايكونومست : ان الازمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تركيا باقية .. ولم تكن الاضطرابات الاخيرة سوى محاولة لبلورة معالم هذه الازمة وتحديد ابعادها ، وربما يأتي اليوم الذى يعجز فيه قواد الجيش عن « انقاذ الجمهورية التركية » مرة اخرى ! .

(م . ن)

كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

● ما اخطأ صديقي مرة او اخلت عليه تصرفا معيبا الا قال لي :

« كفى المرء نبلا ان تُعَدّ معايبه » .

فلمن هذا القول ؟ .

حسني زغلول ـ القاهرة

ـ على الرغم من شهرة هذا الجزء من البيت فان قائله مجهول لدى اغلب المتمثلين به . واول ما يتبادر الى الاذهان ان قائله هو بشار بن برد ، لانه على وزن قصيدته التي فيها .

اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فاذا رجعنا الى القصيدة لا نجده فيها . ثم يخيل الى المتمثلين انه للمتنبي ، لكثرة الحكم في شعره ، ومنهم من يتوهم انه لابي تمام ، وهكذا تدور بين المشهورين من الشعراء فلا تظفر ببغيتك.

اما قائل البيت فهو شاعر من العصر العباسي ، كان في القرن الثالث الهجرى وكان ينزل الشام ثم انتقل الى مدينة السلام (بغداد) واسمه يزيد ابن محمد المُهَلّبي ، وكنيته ابو خالد ، ينتهي نسبه الى المهلب بن ابي صفرة ، وقد ترجم له ابن المعتز في طبقات الشعراء ، كما ترجم له الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد ومع ذلك فابن المعتز والخطيب البغدادى لم يذكرا هذا البيت في ترجمتهما له وبيته بتمامه هو :

ومن ذا الذى تُرْضَى سجاياه كلها
كفى المرءَ نبلاً ان تعدّ معايبه

اما الذى اورد البيت منسوبا اليه فهو ابن عبد البر في كتابه «المجالس» في الجزء الاول صفحة ٦٥١ والنويرى في كتابه نهاية الارب في الجزء الثالث صفحة ٩٤ كما جاء في محاضرات الراغب الاصفهاني بدون ان ينسبه له ولا لغيره . ولم يذكروا مع هذا البيت ما يشفعه وان كانوا قد ذكروا له ابياتا من قوافٍ اخر .

(ع . ف)

موشى ديان أين ولد ؟

● هل صحيح أن موشى ديان وزير دفاع اسرائيل كان مختار احدى مناطق القدس قبل اغتصاب فلسطين ، وهل هو من مواليد القدس ؟ .

نبيل قاسم الحبيب ـ العراق

ـ ولد موشى ديان في مستعمرة داجانيا « ا » Degania «A» ، وهى اول كيبوتز يتم تاسيسه في فلسطين وذلك في ٢٠ مايو عام ١٩١٥ . وقد امضى شبابه يعمل في الزراعة في مزرعة تعاونية تدعى ناحالال Nahalal ، اسسها والداه . ثم انضم في اواخر الثلاثينيات الى قوات الهاجاناه وقبضت عليه سلطات الحماية البريطانية في عام ١٩٣٩ بسبب اعمال العنف التي اشترك فيها ضد السلطات البريطانية .

وفي عام ١٩٤١ تطوع للعمل مع القوات الاسترالية التي اجتاحت سوريا اثناء الحرب بين القوات البريطانية والفرنسية الحرة ضد قوات حكومة فيشى في سوريا عام ١٩٤١ . وبينما كان ديان يستعمل منظاره الحربي المكبر لاستطلاع المنطقة اطلق قناص فرنسي النار عليه وحطمت الرصاصة العدسة اليسرى لمنظاره فالتصقت بعينه اليسرى واقتلعتها . واستشار ديان عددا كبيرا من مشاهير اطباء العيون لكي يصنعوا له

عينا صناعية ولكن بسبب الجرح العميق في مقلة العين كان هذا مستحيلا . واصبح ديان يضع عصابة سوداء على عينه اليسرى وبالرغم من ان هذه العصابة السوداء قد اصبحت علامة مميزة له الا انها ، كما يقول يوري افنيري Yuri Avneri الكاتب الاسرائيلي في كتابه اسرائيل بلا صهاينة ، قد سببت له عقدة نفسية لا يزال يعاني منها حتى الآن . وديان ليس له علاقات وثيقة باحد ولم يحتفظ اطلاقا بمستشارين ولا ينتصح بنصيحة احد ، لانه لا يحترم احدا على الاطلاق ولا يحاول ان يخفي احتقاره للناس . وقد تولى ديان قيادة منطقة القدس خلال حرب عام ١٩٤٨ .

ولعل اصدق وصف لشخصية ديان هو ما وصفه به الجنرال الاسرائيلي ايزاك ساديه Yitzhak Sadeh قبل أن يموت : « ان ديان اخطر رجل في اسرائيل ، وعلى المرء ان يراقبه دائما ، فهو ليس لديه اي ضوابط او اخلاق تمنعه من الاقدام على اي عمل مهما كان دنيئا » .

(م . ط)

فنلنده جمهورية مستقلة

● التقيت منذ ايام بجماعة من السواح وتحدثت الى بعضهم وكان احدهم من فنلنده . واعلم أن فنلنده بلد بعيد في ركن من أركان روسيا .. وخِلتُ أنها بعض روسيا ، وأنها تمذهبت بمذهبها .. فأنكر محدثي كل ذلك ، وقال انها مستقلة وانها تجري على نظام الحكم الذي تريده .. فهل للعربي ما تزيده على ما قال السائح الفنلندي .... ؟

موفق عبد الحق ـ حمص

ـ نعم ، ان فنلندة مستقلة،ونظام الحكم السائد فيها هو النظام الجمهوري النيابي ، وفق ما نص عليه دستور البلاد الصادر سنة ١٩١٩ .

وفي فنلندة مجلس نيابي واحد لا مجلسان ، ويبلغ عدد اعضاء هذا المجلس ٢٠٠ عضو ، ينتخبون بطريقة الاقتراع المباشر Direct .وحق الانتخاب في تلك البلاد شامل ، يتمتع به كل من تجوز سن العشرين من المواطنين رجالا ونساء على السواء .

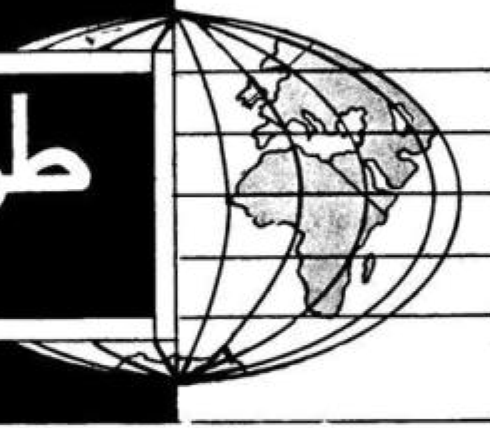
وتجري الانتخابات النيابية العامة في فنلندة مرة كل اربع سنوات . اما انتخاب رئيس الجمهورية فلا يتجدد الا كل ست سنوات .

وتجدر الاشارة الى ان فنلندة حديثة عهد باستقلالها : فقد كانت تابعة للسويد في القرون الوسطى ، وخضعت بعد ذلك لروسيا القيصرية في القرن الثامن عشر . ثم اصبحت فنلندة تتمتع بالحكم الذاتي في ظل العرش الروسي وفق معاهدة هامينا Hamina المعقودة سنة ١٨٠٩ وبقيت الاوضاع على هذه الحال حتى اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا ، فانتهزت فنلندة الفرصة ، واعلنت نفسها مستقلة في ٦ ديسمبر ١٩١٧ . وهذا يعني ان فنلندة لم تحصل على استقلالها الا منذ حوالي نصف قرن . على ان فنلندة لم تنعم بالسلام طويلا منذ أن حصلت على استقلالها. فقد خاضت ثلاث حروب مع روسيا في فترة نصف القرن الماضية . كانت الاولى اثر اعلانها الاستقلال من جانب واحد سنة ١٩١٧ ، وكانت الثانية والثالثة سنة ١٩٤٠ و ١٩٤١ ، ابان الحرب العالمية الثانية . الا ان هذه الحروب لم تقض على استقلال فنلندة ، وان ادت الحرب الاخيرة الى ضم بعض مناطق الحدود (نحو ٤٣ الف كم٢) الى الاتحاد السوفييتي .

وتبلغ مساحة فنلندة اجمالا ٣٠٥٫٤٧٥ كم٢ ويبلغ عدد سكانها نحو ٤٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة ، وقد اشتهرت بتصدير الخشب والورق ، شأنها في ذلك شأن السويد والنروج جارتيها الإسكندنافيتين .

(ي ز)

طرائف غربية



المايسترو .. والحرية !

● بابلو كاسال Pablo Casals ، عازف الكمان وقائد الاوركسترا الاسباني الشهير ، الذى غادر اسبانيا وعاش فى المنفى معبرا عن استيائه لقيام نظام الحكم الدكتاتورى فى بلاده ، كان لا يكف عن الحديث عن الحرية حتى فى موسيقاه التى كثيرا ماكانت تعبر عما يؤمن به من معان ، وعما يجيش فى صدره من احاسيس .

حدث يوما ان كان كاسال يمارس عزف مقطوعة جديدة مع افراد فرقته قبل تقديمها للجمهور ! وفجاة سمع صوتا نشازا صادرا من احد العازفين ! واوقف كاسال العزف فورا ، ثم طلب الى صاحب اللحن النشاز ان يتقيد بالاصل الموجود امامه !

ولكن العازف رفض . وقال فى هدوء :

« يؤسفني ياسيدى ان ارفض الالتزام بالاصل ، فانا اعتقد ان ما عزفته لم يكن نشازا ، وانما هو تعديل لا بد من ادخاله لكي يجيء اللحن اكثر جمالا ! »

وتوقع بقية العازفين ، ان يثور كاسال ، ويأمر بابعاد العازف المتمرد ! ولكن الموسيقار الكبير ، ابتسم ابتسامة عريضة ثم طلب الى صاحب اللحن ان يعيده امامه ، وما كاد يفعل ، حتى طلب الى بقية افراد الفرقة ادخال هذا التعديل الجديد !

وعندما فرغ من اصدار تعليماته نظر اليهم ، وقال : « هذه هي الديمقراطية التى افتقدتها فى بلدى .. لقد ذكرني هذا العازف الصغير بمعنى الحرية التى طالما تقت لممارستها والتعبير عنها ! »

● في حياة كل انسان ماساتان .. المأساة الاولى عندما يفتقد الحب ، اما الثانية فهي عندما يجده .

برنارد شو

١٨٥٦ – ١٩٥٠



● انت لا تحرز النصر بقوة السلاح وانما بقوة الاعتبارات الخلقية . فنصيب هذه في كسب المعركة اكثر من ٧٥٪ بينما لا يزيد نصيب العوامل الاخرى على ٢٥٪ .

نابليون بونابرت

١٧٦٩ – ١٨٢١





همرشولد

المرأة .. والحاسة السادسة !

● فوجيء داج همرشولد Dag Hammerskiold السكرتير العام السابق للامم المتحدة (١٩٠٥ ـ ١٩٦١) باحدى السيدات العاملات في المنظمة الدولية ، تدخل عليه يوما في مكتبه وهي تحمل آلة تصوير ، وكان همرشولد منهمكا وقتها في دراسة التقارير التى وصلته عن الحرب الاهلية في الكونجو ، قبل سفره الى مسرح الاحداث باسابيع قليلة .

وفي هدوء رفعت السيدة آلة التصوير والتقطت صورة للسكرتير العام .

وهنا نظر همرشولد اليها وقال متسائلا :

« وماذا ستفعلين بهذه الصورة ؟ »

وقالت السيدة : « انني استعد للسفر الى بلدى في السويد بعد ساعات ياسيدى وهي بلدك ايضا ولم تتح لي فرصة لقائك مرة واحدة منذ التحاقي بالعمل في المنظمة الدولية . واخشى ان يسألني عنك اصدقائي في ستوكهلم ! فلم اجد خيرا من ان التقط لهم صورة لك في مكتبك اثناء عملك ؟ »

ولم تدر السيدة انها كانت تلتقط لهمرشولد آخر صورة له في مكتبه بمقر الامم المتحدة في نيويورك ، وهو مازال على قيد الحياة .

فقد سافر السكرتير العام بعد ذلك الى الكونجو حيث لقى مصرعه في حادث سقوط الطائرة التى كان يستقلها .

وفي اليوم التالي كانت هذه الصورة الفريدة تحتل الصفحات الاولى من صحف السويد كلها ، جنبا الى جنب مع صورة حطام الطائرة التي لقي فيها همرشولد مصرعه !

وسأل الصحفيون صاحبة هذه الصورة الفريدة : « وكم تقاضيت ثمنا لها ؟ »

قالت : « لم اتقاضى ثمنا وانما الذى حدث ان الصحفي السويدى الذى كتب عن قصة مصرع همرشولد ، اخذ مني الصورة ثم تزوجني ! »

قلب فنان !!

● كان الرسام الفرنسي الشهير جان بابتيست كوروت Jean Baptisste Corot (١٧٩٦ ـ ١٨٧٥) ، فنانا اصيلا طيب القلب ، صافي السريرة ، يحب الفقير ويعطف على الضعيف ، ويجد الراحة في ادخال السعادة الى قلوب اصدقائه ومعارفه ممن قست عليهم الايام . سمع يوما بأن صديقه رسام الكاريكاتير (دومييه Daumier) قد اصيب بالعمى ، ولم يعد قادرا على العمل وكسب قوت يومه ، وان صاحب الكوخ الصغير الذى يعيش فيه صديقه ، قد هدده بالطرد ، بعد ان توقف عن دفع الايجار !

فما كان من كوروت الا ان اشترى الكوخ ، وارسل عقد البيع الى صديقه الضرير المسكين ، حتى يجنبه الم هذه التجربة في عجزه ومرضه .

ولكنه كان يعلم ان صديقه دومييه ، رجل ابي عزيز النفس ، يرفض الاحسان بكل صوره ، فجلس كوروت يكتب له كلمة رقيقة قال فيها : « عزيزي دومييه . اياك ان تتصور انني فعلت هذا من اجلك ، لقد اشتريت هذا الكوخ الصغير لانه يعجبني ، ولانني قررت ان انتقل اليه لاعيش فيه معك . ماريك لو قبلتني ضيفا عليك ؟! » .

ولكن دومييه لم يعش ليقرأ هذه الرسالة ، فقد مات محترقا في تلك الليلة ، وهو يحاول ان يشعل مصباح الغاز في كوخه الصغير !!



نقاش في عربة السكة الحديد

بقلم : لوجي براند يللو

■ كان على الذين غادروا روما ليلا بالقطار السريع ، الانتظار حتى الفجر في محطة فابريشو الصغيرة كيما يستأنفوا سفرهم الى سلمونا .

وعند الفجر ، وفي احدى غرف عربات الدرجة الثانية الخانقة ، وهي مليئة بالدخان ، وبينما جلس خمسة مسافرين كانوا قد قضوا تلك الليلة في العربة ، دخلت امرأة بدينة ، لاهثة ، شديدة الحزن ، يعقبها زوجها ، وقد كان هزيلا ذا وجه مصفر كالاموات ، وعينين صغيرتين براقتين ، تبدو عليه علامات الحياء وعدم الاستقرار .

واخيرا وبعد أن أجلس نفسه التفت الى ركاب العربة وشكرهم لتقديمهم العون لزوجته وافساح المجال لها في الجلوس ، ثم انتبه الى ياقة معطف زوجته فاخذ يصلح من شأنها وهو يقول :

ـ هل أنت على ما يرام يا عزيزتي ؟

وبدلا من ان ترد عليه رفعت الزوجة ياقتها الى وجهها تحاول اخفاءه . فرد الزوج قائلا :



... جلست المرأة تصغي الى الرجل البدين ، فاذهلتها كلماته .. لا بل صفعتها ...

ـ يا لها من دنيا عقيمة .

ورأى ان من الواجب ان يبين للركاب ان امرأته بحاجة الى الرثاء بسبب الحرب التى ستأخذ منها ابنها الوحيد ، وهو فتى في العشرين من عمره ، وهبا له حياتهما ، حتى انهما تخليا عن منزلهما في سلمونا بسببه وذلك لكي يلحقا به في روما حيث كان يدرس هناك .

وما لبثا ان سمحا له بالانخراط في الجيش على أن يعود اليهما بعد ستة اشهر ، بيد انهما سرعان ما تسلما منه برقية تفيد بانه على وشك الرحيل الى جبهة القتال خلال ثلاثة ايام ، طالبا حضورهما لتوديعه ...

كانت المرأة تتلوى من الالم تحت معطفها الكبير ، تنتحب بين حين وآخر ، وهي موقنة بان القصة سوف لا تثير اية شفقة او عطف لدى الركاب .

ولم يلبث ان قال احدهم ممن كان يصغى الى الزوج :

ـ عليكما ان تشكرا الله لان ابنكما لم يذهب

الى الجبهة الا الآن . اما ولدى فقد التحق بالخط الامامى منذ اليوم الاول من نشوب الحرب ، وعاد جريحا مرتين ، واعيد الى الجبهة مرة اخرى .

وقال مسافر آخر :

ـ وماذا عنّى ! لدىّ ولدان وثلاثة احفاد يحاربون جميعهم في الجبهة .

فقال الزوج :

ـ هذا صحيح ، ولكن في حالتنا انه ابننا الوحيد .

ـ وما الفرق في ذلك ؟ انك قد تفسد ولدك الوحيد باهتمامك المتزايد ، ولكنك لا تستطيع ان تحبه اكثر من اطفالك الاخرين ان كان لديك اكثر . ان الحب الابوى ليس كالخبز تتمكن ان توزعه على اطفالك بقطع متساوية . فالوالد يمنح كل حبه الى كل طفل من اطفاله دون تمييز ، سواء كان عددهم واحدا ام عشرة . وان كنت الآن اتألم لرحيل كلا ولدى ، فان الى الآن مضاعف .

فتنهد الزوج المرتبك قائلا :

ـ صحيح .. صحيح .. ولكن افرض (وكلنا امل الا يحدث هذا) ان والدا له ابنان يحاربان في الجبهة .وافرض انه يفقد احدهما .. فيظل له ابن واحد يواسيه بينما ـ فقاطعه الاخر معترضا :

ـ نعم ، يبقى له ولد يواسيه ، ولكن في الوقت نفسه على هذا الوالد ان يعيش من اجل ولده بينما في حالة الوالد الذى يفقد ولده الوحيد يستطيع أن يموت هو ايضا ليضع حدا لشقائه . اى الحالتين اسوأ ؟ الا ترى ان حالتى هى اسوأ من حالتك ؟

فقاطعهما راكب آخر بدين ، احمر الوجه ، قائلا :

ـ هـراء .

وبدت من عينيه الجاحظتين علائم عنف داخلى ناجم عن حيوية مستفيضة لا طاقة لبدنه المستضعف بها .

وعاد يقول وهو يضع يده على فمه ليخفى نابين مفقودين من اسنانه :

ـ هراء .. هراء .. هل نهب حياتنا لاولادنا لفائدتنا ؟

فنظر اليه المسافرون الآخرون وهم منه في ضيق . وتنهد الرجل الذى التحق ابنه بالجبهة منذ اليوم الاول وقال :

ـ انت على حق . ان اطفالنا ليسوا ملكا لنا بل هم ملك للوطن .

فرد الرجل البدين قائلا :

ـ كلام فارغ . هل نفكر في الوطن في الوقت الذى نهب فيه حياتنا لاولادنا ؟ ان اولادنا خلقوا لانهم .. لانهم كتب عليهم ذلك .. وعندما يأتون الى هذه الدنيا يأخذون حياتنا معهم . هذه هى الحقيقة . فنحن ملك لهم غير انهم ليسوا ملكا لنا مطلقا . ولدى بلوغهم سن العشرين يصبحون مثلنا عندما كنا في نفس هذه السن تماما . نحن ايضا كان لنا اب وام ، ولكن كانت هناك اشياء عديدة اخرى ... فتيات ، سجائر ، خيالات ، اربطة ... والوطن طبعا ، كنا نستجيب لندائه ـ عندما كنا في العشرين ـ حتى لو رفض آباؤنا ذلك . وحتى الآن وفي عمرنا هذا ما زال حب الوطن فينا كبيرا ، دون شك ، وهو اقوى من حبنا لاولادنا . هل بيننا من لا يود عن طيبة خاطر ان يحل محل ولده في ساحة القتال لو استطاع ذلك .

خيّم الصمت على العربة بعد ان هز الكل رؤوسهم مؤيدين .

وما لبث ان أردف الرجل البدين يقول :

ـ لماذا اذن لا نفكر في مشاعر اولادنا وهم في سن العشرين ؟ او ليس من الطبيعي ان يفكر اولادنا وهم في العشرين في حب وطنهم ـ انني اتكلم عن الاولاد الصالحين طبعا ـ اكثر من حبهم لنا ؟ او ليس من الطبيعي ان يكون الامر كذلك وان ينظروا الينا كاولاد كبار عاجزين عن الحركة ، قابعين في عقر الدار ؟ ثم لا بد من وجود من يدافع

عن الوطن الذى هو كالطعام الذى يجب ان نتناوله كل فرد منا لئلا يموت من الجوع ـ وهكذا يندفع اولادنا ، وهم في سن العشرين ، دون دموع او خنوع ، لانهم اذا ما ماتوا فانهم يموتون بشعور ملتهب وبكل سرور ـ انني اخص الاولاد الصالحين طبعا ـ واذا ما ماتوا في ريعان الشباب دون ان تمسهم جوانب الحياة المؤلمة ، الموحشة ، الشاكسة ، ودون ان تحيط بهم الاوهام والخيالات القاتلة ، ... فماذا نبتغي لهم اكثر من ذلـك ؟ يقتضى على كل اب وام الكف عن البكاء والبدء بالضحك ، كما افعل انا .... او على الاقـل عليه ان يشكر البارى عز وجل شانه ـ كما افعل انا ـ حيث ان ابني بعث اليّ خطابا ، قبـل مماته ، قال فيه انه سيموت راضيا مسرورا لانه يضحى بحياته على احسن شكل يرومه .. هذا هو السبب الذى يحملني ، كما ترون ، على عدم لبس الحداد ايضا ....

وحرك معطفه الجلدى ليجلب انتباه الحاضرين اليه . وكانت شفته الزرقة تعلو اسنانه المفقودة مرتجفة واما عيناه فكانتا مغرورقتين ، جاستين . وبعد ان انهى كلامه اعقبه بضحكة حادة هـي اشبه بالبكاء .

وردد الاخرون موافقين :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح .

كانت المراة طوال هذه الفترة قابعة في مكانها وهي تصغى الى الرجل البدين ، انها خلال الاشهر الثلاثة الماضية ارادت ان تجد في اقوال زوجها واصحابها ما يخفف عنها الحزن وان تلمس منهم شيئا يعلمها كيف يجب على الامهات الاذعان للقدر وهنّ لا يرسلن اولادهن الى الموت فقط بل الى دنيا محفوفة بالاخطار . الا انها لم تسمع كلمـة واحدة تواسيها من بين كل ما سبق ان قيل امامها ... فثقـل حـزنها ولـم تر احـدا يشاركهـا احاسيسها .

بيد ان كلمات هذا المسافر اذهلتها بل صعقتها.

ادركت فجاة ان الاخرين لم يكونوا على خطا في عدم فهمها بل انها هي نفسها المخطئة لانها لم تستطع الوصول الى مستوى اولئك الاباء والامهات الذين رضخوا للامر الواقع دون بكاء او عويل وهم لا يودعون ابناءهم فحسب بل يسوقونهم الى الموت .

ورفعت راسها وانحنت الى الامام وهي تصغى بانتباه شديد الى التفاصيل التي راح يسردها الرجل البدين حول الطريقة التي سقط فيهـا ولده في ساحة الحرب بكل سرور واصبح بطـلا من ابطال الوطن . وبدا للمراة انها انتقلت الى دنيا لم تكن تحلم بها ، دنيا بعيدة ، مجهولـة لديها ، وازداد فرحها وهي تسمع جميع الركاب يهنئون ذلك الوالد الشجاع الذى كان يتحدث عن موت ابنه بكل بسالة وفخر ...

وفجاة ، وكانها لم تكن قد استمعت الى كـل ما قيل ، بل استيقظت من حلم ، التفتت الى الرجل المسن متسائلة :

ـ اذن .. هل ابنك ميت حقا ؟

فحملق الكل في وجهها ... واستدار نحوها الرجل المسن مثبتا عينيه الغائرتين ، المغرورقتين ، بلونهما الرمادى الفاتح ، واخذ ينظر اليها طويلا ، واراد لفترة قصيرة الرد عليها الا ان الكلمات ماتت على شفتيه .

وظل يحدق ويحدق فيها وكانه في تلك اللحظة فقط ـ عقب ذلك السؤال السخيف العقيم ـ ادرك فجاة واخيرا ان ابنه ميت في الواقع ، ذهب الى الابد .. الى الابد . وتقلصت عضلات وجهه واحتقنت عيناه ، فاخرج على عجل منديله مـن جيبه ، وتجاه دهشة الحاضرين جميعا راح يجهش ببكاء مر يفطر القلب . ■■

نقلها الى العربية

صائب امين

عن كتاب : (Angles of Vision)

خليل مطران

بقلم : خليل الهنداوى

■ يتوالى الناشرون ، فى هذه الايام ، على جمع آثار الادباء والشعراء – من شعر ونثر – فى مجموعات كاملة ، وطبعات موحدة .

ولهذا العمل حسناته ، لانه يضع بين ايدى القراء اشتاتا متفرقة فى بطون الكتب والمجلات ، قيد كتاب واحد . كما ييسر على الباحثين الرجوع الى المصادر بعد تثبيتها . ولكن هذا العمل – على شعورنا بسهولته – لا يخلو راكبه من مزالق الخطر ، اذا لم يعتمد البحث والتدقيق والحزم فى تادية الامانة !

ويبدو ان بعض هؤلاء الجامعين وقعوا فى هذه المزالق ، سهوا او عمدا ، لان مجموعاتهم قد اهملت بعض المقطعات الادبية ، فاساءت بذلك الى المجموعة ، كما اساءت الى الاديب ذاته ، بتضييع شيء من تراثه ! .

ولعل مرد هذا الخطا يعود اكثره الى التسرع ، وفقد التحقق فى البحث والاستقصاء ، ومن ذلك ما وقعت عليه ، مثلا ، فى المجموعة الكاملة لآثار الاديب المهجرى جبران خليل جبران – من منشورات دار صادر – بيروت ، وهي تقع فى مجلدين: الأول يضم ما كتبه جبران باللغة العربية ، والثاني ما ترجم له عن اللغة الانجليزية ... فهنالك مقطوعة رائعة حفظتها صغيرا ، تحت عنوان « أحب العامل » ، رحت ابحث عنها عبثا فى اجلاد هذه المجموعة ، ولا ادرى كيف غمّ على الناشر امرها ، وهي منشورة فى عدد : « السائح الممتاز – سنة ١٩٢٥ » ، الصادر فى المهجر الشمالي ، وتليها مقطعات اخرى وشذور فكرية غطى عليها الاهمال .

وحادثة اخرى تجدها فى ديوان شاعر القطرين « خليل مطران » الذى تولت جمعه وطبعه « دار المعارف بمصر » فى اربعة اجزاء ضخمة ، اطلقت عليها المجموعة الكاملة لشعر مطران .

وان من الحق ان تلم هذه المجموعة الكاملة بكل ما اعطاه مطران فى حياته الشعرية ... ومطران من هو فى عالم الشعر الحديث . وقد كان احد اركان ثلاثة فى الشعر ، شغلوا الناس ، وملاوا دنيا العروبة بشعرهم ، وقريناه هما : شوقي الذى نال لقب امير الشعراء وحافظ ابراهيم الذى نعت بشاعر النيل .

وكان لكل شاعر مدرسته الخاصة ، ومذهبه المحمود ، وانصاره اللاهجون بذكره ، على ان لكل شاعر منهم خصائص مميزة يكاد ينفرد بها ، فشوقي – غير منازع – كان اكثرهم انطلاقا ، وارحبهم آفاقا ، واجلاهم اسلوبا واشراقا ، ويكفيه فخرا انه فتح بابا للمسرحية الشعرية التي لم يكن لها وجود قبله . وحافظ ابراهيم الذى كان يمثل كلمة البؤس والشقاء ، تغلب على شعره النبرة الخطابية ،

والنزعة العاطفية . وخليل مطران الذى كان ادناهم الى التجديد ، واكثرهم توليدا للمعاني بحكم ثقافته الغربية ، وطموحه الى المزاوجة بين الشعر العربي والشعر الغربي ! .

هنالك ، قصيدة من روائع شعر مطران ، رحت ابحث عنها عبثا في الديوان وتساءلت :

« لماذا اهمل الناشرون هذه القصيدة ؟ وهل يمكن ان تكون ضاعت من ابصار الناشرين ؟ وهي مذكورة في مجموعة مجلة « الزهور » الأدبية ، التي كان يصدرها الفقيد « انطون الجميل » .

لهذا ارى نشر هذه القصيدة كاملة ، ليعود من ياتي اليها مرة ثانية ، ويتدارك الناشرون امرها ، فيجذبوها الى اخواتها في الديوان الكبير .

★ ★ ★

والقصيدة ـ كما وردت في مجلة الزهور ـ بعنوان : « الى ابنائنا ـ رجال الغد » ، تقع في واحد وستين بيتا . ويبدو ان هنالك مناسبة اوحت بها ، لان المقدمة تشير الى ان الشاعر يهنىء بوليد دعاه « سينك يحيى » .

ويمكننا تقسيم القصيدة الى ستة اجزاء في اغراضها ، على انها تاتي في وحدة متكاملة ، بالرغم من تقلب المعاني فيها ، ومطران من اكثر الشعراء تمسكا بوحدة الغرض في قصائده .

هذا هو مطران ، في القسم الأول « ٤ ابيات » ، يستقبل الوليد ، ويتحيى طالعه المجتلى ، ويصور جسمه اللين ، ولمعان عينيه .

وفي القسم الثاني ، ينتقل بنا الى عالم الطفولة ، « ١٧ بيتا » . وفي هذا القسم ابدع ما شاء له الابداع في تصوير هذا العالم ، عالم الطفولة ، وكان حرمانه من الاولاد جعله يحسن التقاط صور الطفولة ، فصور الطفل في حركاته وسكناته ، وفي يقظته وفي نومه ، وفي هدوئه وثورته ، وما وراء ذلك كله من سماحة وبراءة ، وحركة وعبث .

وفي القسم الثالث « ١٨ بيتا » ـ وهنا بيت القصيد ـ ينتقل بنا فجاة من عالم الطفولة الهنيء الحالم الى عالم قاتم ، هو عالم واقعنا المرير ، في صورة حالكة ، لهذه الحالة البائسة التي يتخبط فيها الشرق ، بعد ان كان صانع المجد ، ومالك الأرض ، وصاحب العقل والحكمة ، وكانه ، في هذا القسم ، الرسول الاجتماعي الذى يطل على المستقبل من وراء الماضي ! .

وفي القسم الرابع « ١٠ ابيات » يابى الشاعر الا ان يكون مؤمنا بالمستقبل ونوره ، على رغم ما يشيع على الماضي من ضباب الياس والقنوط ، فيفتح صفحة جديدة للرجاء ، ولا رجاء الا بعد ان نخلق الرجل الحقيقي ، والعالم المثمر ، والوالد البر ، والحرة الهيفاء التي تحسن تهذيب ابنائها ، والصانع البارع ، والزارع الحاذق ، وكانه ، بهذا البرنامج الذى وضعه مطران كشاعر ، هو ما انتهى اليه اليوم ، بعد خمسين سنة ، رجالنا الذين فكروا في النكسة واسبابها ، وطرائق علاجها .

وفي القسم الخامس « ١٠ ابيات » يحاول الشاعر ان يوفق بها بين عالمي الطفولة والشباب ، فيريد من الشباب ان يقوم على صراحة الطفل ، والبعد عن الاثم ، والجهر بالحق « لان الاستطفال في الاخلاق ـ عنده ـ هو قوام الرجولة الحق » .

وفي النهاية « بيتان » اذ يجعل الشاعر اقصى مناه ان يمحو الجيل القادم ذنوبنا المخجلة ، وسيئاتنا التي ضاقت بها الأرض والسماء .

فرحم الله ذلك الشاعر الذى كان الطائر الغريب في سربه وشعبه .



وهذه هي القصيدة :

اهلا بالوليد

ياسبط يحيي ، وسليلَ العُلــــى حيّاً الرِّضَى طالِعَك المجتَلَى
وسلّم الله الوليد الـــــذى هلَّ ، فما أبهى وما أجمـــلا !
كأن ذوبَ العاج صلصالُـــــه وأنَّ معنى الحبِّ مــا مثّـــلا
ناهيك بالعينين مــن قُوَّتَـــىْ ذهــنٍ ، ومن نُورَيْ حِجاً أرسلا !

عالم الطفولة

كحسنه الحسنُ اذا ما غفـــا وذِيدَتِ الأعينُ أن تغفَـــلا
مُحرِّكا فى نومه ثغـــرَه كأن في الرؤيا رَضاعاً حـَلا
لا الخُلُل الغرّاءُ من همِّـــه ولا يبالى باهراتِ الحُـــلى
جذلانُ من نشوةِ أحلامـــه وأين منها نشواتُ الطِّلَـــى!
تراه قُربا ، وكأن الكـَرى يحمله فوق السُّهى مَحمَــلا
كطائـر يظهرُ تحليقـــه بمظهر الترجيح ممّا عـــلا
فإن صَحا فالدهرُ عبدٌ لـــه يُرضيه مِطواعا ، وإلاّ فـــلا
وكلُّ حيٍّ فمنوطٌ بـــأن يفهمَ ما يهوَى ، وأن يفعـــلا
سيّانِ في اللطف وفي العطف مـــا أساء من أمر ، ومــا أجمــلا
لـــه ، ولا للناس علمُ الـــذى يرى ، ويستحسن أن يُعمَـــلا
وحولَـــه الحولُ ، فإن يفتتِنْ فسحره السحرُ ، ولن يُبطَـــلا
أنلْهُ ما شئتَ ، فكيف اشتهـــى تحويلَه من فـــوره حُـــوِّلا
فليكن المفتاح ثديا جـَرَى بالكوثـر العذب كما أمَّـــلا
ولتكن الساعـــةُ جنّيـــةً تُديـر في داخلها مِقـــولا
ولتكن الأكتـــافُ أفراسَـــه لكنَّ شرطَ الأنس أن تَصْهلا
وليكن الكرسيّ إن حنّـــهُ قطارَه ينساق مستعجــلا
وكلٌّ ما شكّله ، فليكـــن مهما عصى الطبعَ كما شكّلا

لكنه عز مضى

ياولداهُ اسْعَدْ ، وعشْ ، واغتنم — من السرور المَغنَم الأَجــزلا
لكــنْ دهــراً جئت فيه أَبَــى — عليك أن تركب مُستسهِـــلا
أدبرَ بالشــرق ، ولا يبتغــى — إلا بأمثالك أن يُقبــلا
اليوم، لاتعقِلُ ، لكنْ غــداً — تكون ممن سلفـوا أعقـــلا
مااليومُ ؟ ما القابلُ ؟ هذا مضى — بنا ولم نشعر ، وهــذا تــلا
اسمعْ شكاتى ، فهـى إن لمْ تُفد — حالاً ، ففيها النفع مستقبَــلا
كان لنا مجدٌ نزلنا بــــه — من السماوات العُلَــى منــزلا
وكان لا يُنكَر منـــا إذا — قلنا غداةَ الفخـر : نحن الأُلى ..
وكان منـا كلُّ ذى مِـــرَّةٍ — إن صال فردا كسر الجحفـــلا
وكان منا كلُّ ذى فطنـــة — يُكاشف الوحى ، ويَهدى المــلا
وكان منا كل حامـى حِمــى — لا تطرق العُصْــمُ له مَعقـــلا
وكان مُلك الأرضِ ملكا لنـــا — وحكمنا في الأمــم الفيْصـــلا
لكنه عزٌ مضى وانقضـــى — بذنــب من خـــان ، ومن أهمـــلا
تراكمـت أغلاطنا آخـــذاً — بعضٌ ببعضٍ ، فانتهينـا إلـــى ..
ولا أسمّى مُبتهانا ، فقـــد — يُؤثَــر بعضُ الشىء أن يُغفَــلا
واحَرَبا ، بِتْنا وما شأننـــا — إلا اعتذارٌ يُشمِت العُــذّلا
وما تبقّى غــير أبنائنــــا — تعـــزية للنفس ، أو مأمَـــلا
عساهمُ أن يصلحـوا بعدنــا — ما أفســد الظُّلاّم منـــا ..ألاَ..

كيف تشفى الجراح

أىْ نجلَ يحيى ! إن يجئْ عهدكـم — رُدُّوا على الأوطـان عزاً خـــلا
إنّا نُرجّــى جيلكم كلّــــه — أن يِثأر المجد ، ولا يَخمــلا

فمن دعا يومئذ ، واجـــــدٌ ... فينا عديدَ الخـير ، مستكمَــلا

الراجلَ الجَلْدَ الذى لا يهـى ... عزمٌ له ، والفارسَ الأبســلا

والعالمَ المُثمِـرَ تعليمُـــه ... أجملَ ما علّـم أو فصّــلا

والوالـدَ الـبَرَّ بأبنائـــه ... يُرخِص في تأديبهم ما غــلا

والحُرَّةَ الهيفــاءَ لاتنثــنى ... عن عوَج الأغراس ، أو تعـدِلا

والصانــعَ البارعَ في صنعــه ... يُتقِــنُ مفتنًّا ، ومســترسِـلا

والزارعَ الحـاذقَ في شأنـــه ... يعاف أن يجمد أو يكســلا

بمثل هذا الجمع من وُلْـــدِه ... تُشفَى جِراحُ الوطن المُبتلَــى

الرجولة طفولة

أىْ نجلَ يحيي ، كنْ إذا حققــوا ... آمالنــا ندبتَهـم المُفضَـــلا

بالعلم والحزم اعتضدْ واعتــدد ... لتغــدُوَ الأرشـدَ والأمثــلا

إنا مُعدُّوك ليــوم بـــه ... تكـون ذاك السيد الموئِــلا

في ذلك العهد ، وقد صرت فــى ... أترابك الأمكـنَ والأرجــلا

تذكّرِ الطفلَ الذى كنتـــه ... وحاش ذاك الخُلُق أن يُبْـدَلا

إذ كنت في مهدك لا تتقــى ... لو أن طودًا راسخا زُلْــزلا

ولا تراعــى طاغيا قــادرا ... ولا تحابــى بَطَلا مُبطـــلا

ولا تَـنِى بالسُّؤْل حتى تــرى ... محقّقاً ما عـزَّ أن يُســألا

وتجهـل الإثـم بأنواعـــه ... كما تـرى العفّةَ ان تجهــلا

عظائمُ الدنيا تُحـبُّ الفــتى ... في أكثر الأخـلاق مُستطفِــلا

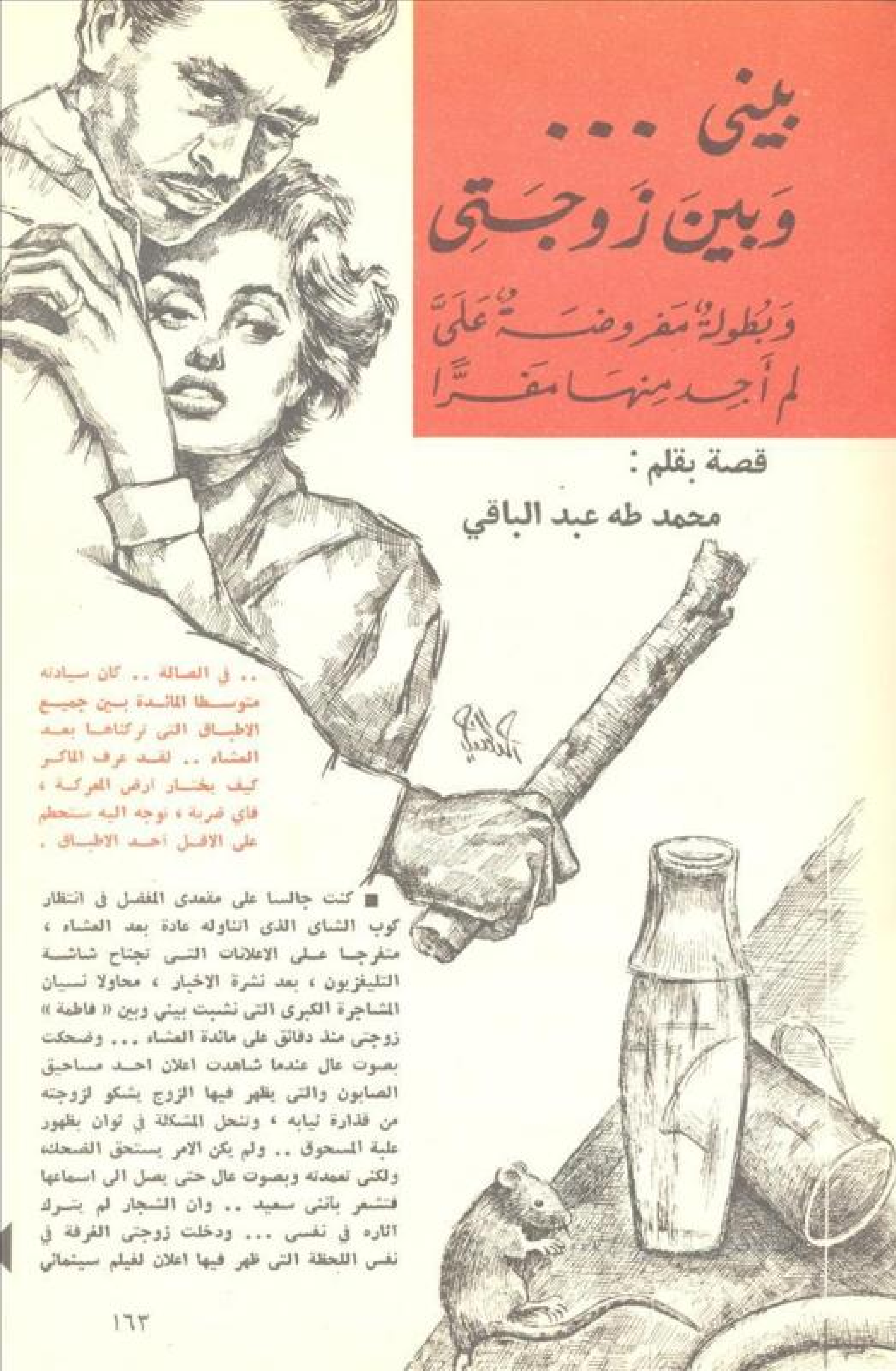
تلك منانا

تلكْ منانا ، يابنينـــا ، فـــإن ... تَمَّتْ محوتم ذنبنا المُخْجِــلا

هيا أعيدوا المجد فينا إلـــى ... مـا كـان مـن سـيرته أوّلا

■■

خليل الهنداوى



بيني ... وبين زوجتي

وبطولة مفروضة عليّ لم أجد منها مفرًا

قصة بقلم :

محمد طه عبد الباقي

.. في الصالة .. كان سيادته متوسطا المائدة بين جميع الاطباق التى تركناها بعد العشاء .. لقد عرف الماكر كيف يختار ارض المعركة ، فاي ضربة ، توجه اليه ستحطم على الاقل احد الاطباق .

■ كنت جالسا على مقعدى المفضل فى انتظار كوب الشاى الذى اتناوله عادة بعد العشاء ، متفرجا على الاعلانات التى تجتاح شاشة التليفزيون ، بعد نشرة الاخبار ، محاولا نسيان المشاجرة الكبرى التى نشبت بيني وبين « فاطمة » زوجتى منذ دقائق على مائدة العشاء ... وضحكت بصوت عال عندما شاهدت اعلان احد مساحيق الصابون والتى يظهر فيها الزوج يشكو لزوجته من قذارة ثيابه ، وتحل المشكلة في ثوان بظهور علبة المسحوق .. ولم يكن الامر يستحق الضحكة ولكنى تعمدته وبصوت عال حتى يصل الى اسماعها فتشعر بأننى سعيد .. وان الشجار لم يترك آثاره في نفسى ... ودخلت زوجتى الغرفة في نفس اللحظة التى ظهر فيها اعلان لفيلم سينمائي

تدور حوادثه عن مغامرات زوج .. فنظرت الي نظرة قاسية تحمل اتهاما كانني المقصود بهذا الفلم ، ثم وضعت كوب الشاي امامي دون ان تنطق بكلمة ، ونظرت اليها في هدوء قائلا :

« ناقص سكر » .

فاختفت وعادت بقطعة سكر اسقطتها في الكوب، فتطاير رذاذ من الشاي الساخن على يدي ، ولكنها لم تعر الامر التفاتا ... واتزوت على كرسي في ركن الغرفة ، وعلى وجهها آثار لمعركة لم تنته ، وكنت اعلم ان الليلة لن تنتهي على خير .. فقد وجدت في جيبي فاتورة شراء عطر حريمي ، ولم استطع ان اقدم لها تفسيرا مقبولا ، فكانت مشاجرة العشاء التي انهيتها مؤقتا بتركي المائدة .. واحسست بها تود ان تقول شيئا ، فتجاهلت هذا الاحساس حتى وصل صوتها الى اذني :

ــ تشتري زجاجة عطر حريمي بثلاثة جنيهات .. يابختها .. وعمرك ما اشتريت لي زجاجة بعشرة قروش .

وتاهبت للمعركة مع ناكرة الجميل التي اشتريت لها من اسبوع واحد « بالطو » بعشرين جنيها .. ولكنها صاحت :

ــ ثلاثة جنيهات .. يوم نجحت اختي في الكلية اخذت لها فزازين شربات بخمسين قرشا .

تملكني الغيظ اذ كانت كلماتها كانها لطمة على وجهي ، وقلت لها ببرود قائل :

ــ لو كانت اختك في جمالها لاحضرت لها شربات بثلاثين جنيها .

وانطلق صوتها :

ــ انت تعترف ولا تنكر .. اختي احلى من عشرة من معارفك .

واندفعت مدافعا عن جمال من جعلتني اعرفهن ، حينما دوى في الشقة صوت سقوط شيء زجاجي على الارض .. وتحطيمه .. وتركتني واندفعت الى الصالة والمطبخ .. وسمعت صوتها :

ــ الحقني يامحمد

وفي ثوان كنت بجوارها في المطبخ حينما وجدت وجهها مصفرا وجسدها يرتعش وهي تقول :

ــ فار كب ... ير .

ورفعت اصبعها الى فوق مشيرة الى سطح الدولاب ... ورفعت بصري مع اصبعها ليستقر على فار كبير في حجم الارنب الصغير يرقبنا بحذر على طرف الدولاب .

وشعرت بخوف ... فانا مستعد للقتال في الحرب العالمية الثالثة ... وغير مستعد لدخول معركة مع فار ... فان كل جسدي يشمئز ويتقزز عند رؤية فار ... وكيف الحل وانا ملزم بان ارديه قتيلا مضرجا في دمائه الحمراء القانية .

ولكن يجب ان اتقمص دور البطولة ، خاصة ان العدو فار ، والمراقب زوجتي ... والحال متوترة قبل زيارة هذا الضيف الثقيل .

ولما كان لا يوجد في الشقة غيرنا اتخذت دور القائد ، واصدرت تعليماتي السريعة باغلاق ابواب الغرف الثلاثة ، لحصر مكان المعركة في المطبخ والصالة والحمام .. وعندما ذهبت لتنفيذ اوامري امسكت بهدوء بمكنسة من المكانس التي تصنع من قش الارز وهي اول سلاح وقعت عليه عيناي ووجدته مناسبا للعدو .. والتفت خلفي فوجدت زوجتي قد اخذت مكانها في المؤخرة وفي يدها .. قبقاب خشبي . وفكرت برهة .. ثم وجدت انه في مثل هذه الظروف يستحسن ان ينزل العدو على الارض لسهولة قتله .. فضربت الدولاب الخشبي ضربة شديدة بقبضة يدي .. وفي ثوان كان الفار طائرا في الهواء في طريقه الى الارض مذعورا ، ويد زوجتي كانت اسرع منه تلاحقه بالقبقاب في الهواء .. فتستقر ضربتها على ... راسي .. نعم راسي انا وليست راس الفار .. واحسست بان المطبخ كله يدور بسرعة مائة دورة في الدقيقة ... واسرعت يدي الخالية الى مكان الضربة وعادت ملوثة بنقط حمراء زاهية ... من دمي انا ! ...

ونظرت اليها معاتبا ، فوجدت السكينة تنظر الى بخوف وخجل ... والحق اقول .. انني سررت لعدة لحظات من موقفها الذليل هذا .. فهذه الزوجة الحبيبة كانت منذ دقائق قوية تكاد تفترسني بغضبها ..

واسرعت وعادت ومعها قطعة من القطن مبللة بمطهر ، ولحسن الحظ لم ينزف الجرح دما كثيرا .. وسامحتها نظراتي وقلت لها مبتسما :

ــ اين سيادة الاخ ؟

ــ في الصالة على ما اعتقد .

وخرجنا الى الصالة باحثين عنه .. وصاحت :

ـ هناك ، هناك ، تحت « البوفيه » يامحمد

وتحركت .. وانحنيت لانظر تحت « البوفيه » فوجدته يقبع بجوار الحائط وفي نظراته شيء لا اعتقد انه ... الود او الحب ... واسرعت باصدار امري باحضار عصا حتى يمكن اجبار العدو على مغادرة موقعه ... وفي ثوان جاءت العصا ... فاستعذت وبسملت واغمضت عيني ودفعت العصا في اتجاهه ، وسمعت صراخ زوجتي، فقد هرب العدو من بين رجليها واصابت العصا رجلها ... ولم تصب العدو اللعين .. وبكت زوجتي .. ولم ادر اكان بكاؤها من الالم ، او من الغلبة والقهر .. ووجدتني قد انتابني حبي المفاجيء لكرة القدم وانا اصيح :

ـ النتيجة الآن واحد لواحد ، اصابة لي واخرى لك .

وسمعتها تشتم الكرة والفيران .. والدنيا ..

والحمد لله لم تكن اصابتها هي الاخرى ذات بال ... واستأنفنا البحث عن ضيف الليلة .. حتى وجدته يرقبنا بحذر فوق احد المقاعد .. وهجمت عليه هجمة موفقة ، استطعت بها ان اصيبه في ذيله ، ولكنه استطاع النجاة هاربا الى الحمام ، فلاحقتـه زوجتي ... وعلا ضجيج واصوات اخرى لم اتبينها .. واستمرت المعركة دقيقتين رأيت بعدها الفار يخرج مسرعا من الحمام الى المطبخ ، ثم صوت تحطيم احدى الزجاجات الموجودة على رف الحمام .. فاسرعت اليها لاجد اعز زجاجة « كولونيا » قد تهشمت على الارض معبئة جو الحمام بعطر جميل كان مكانه الطبيعي وجهي بعد كل حلاقة .. ووجدت زوجتي وكل طاقة كانت معدة للشجار معي منذ دقائق قد اطلقتها في ضيق وغيظ تسب وتلعن جميع فيران العالم وتصيح :

ـ الست رجلا ؟ هيا موت الفار .

ووجدتني مكلفا بالدفاع عن رجولتي .. امام هذا الفار .

وفي الصالة .. كان سيادته متوسطا المائدة بين جميع الاطباق التي تركناها بعد العشاء .. لقد عرف الماكر كيف يختار ارض المعركة ، فاي ضربة ، توجه اليه ستحطم على الاقل احد الاطباق .

وبسرعة بديهية من زوجتي .. ولاول مرة منذ زواجنا تستعمل عقلها ، تناولت كوبا مملوءا بالماء .. وقذفت الفار بما فيه ، فقفز مسرعا الى الارض ، وانا اتابعه بضربات شديدة من المكنسة .. ولكنه بدا كانه يضحك .. وفسرت زوجتي الموقف عندما صاحت :

ـ انت كل ضربك له بقش الرز ، كانك تلاعبه ، يارجل اضربه بيد المكنسة .

والقيت سلاحي وقد بلغ مني الغيظ مداه وقلت :

ـ اسكتي .. انا اضربه بطريقتي الخاصة ... اقعدي انت ولا شان لك ..

ورحبت زوجتي بالفكرة وجلست تتفرج .

ووجدت نفسي وحيدا في المعركة ... والفار في مكان ما وانا بلا سلاح ... وطلبت منها القبقاب وانحنيت باحثا عنه تحت المقاعد حتى سمعت ضحكة مكتومة لا يمكن ان تصدر من الفار ... لا بد انها زوجتي . ورفعت راسي اليها .. فوجدتها تضحك وتشير براسها ناحية المطبخ .. وذهبت الى المطبخ .. واقفلت الباب خلفي .. وبعد ربع ساعة فتحت الباب ووقفت امامها في الصالة ومنظري هكذا .. اصابة تقطر دما في جبهتي .. والبيجامة ممزقة عند الكتف ملوثة بالدماء عند الصدر .. امسك بيدي اليسرى فردة شبشبي الممزقة .. وبيدي اليمنى .. جثة الفار ..

وابتسمت زوجتي ثم ضحكت .. ثم علا ضحكها حتى تصورتها قد جنت .. اما انا فقد ارتميت على اقرب مقعد الهث من التعب .. كانني حضرت من الاسكندرية الى القاهرة .. في سباق للجري .. وبعد دقائق اسرعت الى فراشي لانام ... ولا ادري كم من الوقت مر علي الى ان استيقظت وزوجتي تداعبني .. وتتلمس معالم وجهي .... وتقول بحنان لم اعرفه :

ـ محمد .. هناك فار آخر لمحته في الحمام .. وخايفه يأكل خرطوم ... البوتاجاز .

ولم اقل لها شيئا .. لانني فقدت النطق !

■■

محمد طه عبد الباقي ـ المحامي
القاهـرة

الخَليج العَــرَبي

عرض بقلم :
محمد طنطاوي

■ منطقة الخليج العربي ، وما يتصل بها من السواحل الشرقية والجنـوبية لشبه جزيرة العرب ، من أهم المناطق في العالم العربي منذ القدم . فيها المنافذ العربية الكبرى على العالم الآسيوى الافريقي ، ومنها تسير المواصلات المؤدية الى ارجاء كثيرة من العالم . وتمتاز في وقتنا الحاضر بمراكزها الاستراتيجية ، وموانيها البحرية والجوية ، وانتاجها الوفير من البترول ، كما انها تختزن في باطن اراضيها اكبر مخزون من احتياطي البترول في العالم كله .

ولذلك تعتبر هذه المنطقة من اهم المحاور الاساسية للصراع الدولي في الشرق الاوسط ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا . فمنذ القدم تصارع عليها القوى الكبرى الطامعة في السيطرة العالمية . وقد تعرضت هذه المنطقة ، في القرن السادس عشر ، لصراع استعمارى عنيف تداول فيه السلطان عليها البرتغاليون والفرس ، وتدخل فيه الهولنديون حقبة من الزمن . ومن بعده مدت الدولة العثمانية الى هذه المنطقة سلطانها ، وجاء الاستعمار البريطاني ليقضي على الامبراطورية العثمانية ويبسط نفوذه على الشرق العربي ومن ضمنه الخليج العربي .

الاستعمار البريطاني والعوامل التي استند اليها في حكم الخليج العربي

في القرن العشرين ازدادت اهمية الخليج العربي العسكرية والاقتصادية ، وازداد الاستعمار البريطاني تشبثا به ، يعاونه في ذلك الاستغلال الاوربي والامريكي ، وقد استندت بريطانيا في حكم هذه المنطقة على عدة عوامل اهمها :

اولا : اتفاقيات غير متكافئة ولا مشروعة ، فرضتها السلطة البريطانية على هذه المناطق بعد احتلالها ، وتولت بها الشئون الخارجية ، وشؤون الدفاع وحق التصرف في ثرواتها والتحكم في اى اتصال يتم بين بلاد هذه المنطقة وبين البلاد الاخرى .

ثانيا : استغلال مشاكل الحدود والنزاعات القبلية في اثارة الخلافات بين اجزاء المنطقة ، تمكينا للسيطرة الاستعمارية عليها .

ثالثا : تجسيم ما اطلق عليه «مطامع الجيران» وتصوير الحماية البريطانية وكأنها هي عامل الاستقرار ، وصمام الامان لهذه المنطقة .

رابعا : اقامة القواعد العسكرية ، واتخاذها وسيلة لارهاب وتهديد الوطنيين فضلا عن اهميتها في صراع السيطرة العالمي .



خامسا : محاربة التقدم واشاعة التخلف في المنطقة .

واخيرا وبعد استقلال الكويت في عام ١٩٦١ والنهضة التى جعلت منها عضوا فعالا في الاسرة العربية ، وبعد التطورات التى شهدها العالم العربي كله .. اضطرت بريطانيا في نهاية نوفمبر ١٩٦٧ الى اعلان الجلاء عن الخليج العربي قبل انقضاء عام ١٩٧١ .

وعلى اثر هذا الاعلان اخذ حكام المنطقة يجمعون صفوفهم ، ويرسمون الخطط لحمل المسئولية المشتركة لمواجهة لبنات الاستقلال المرتقب .

واخذت الدول العربية ، وخاصة المحيطة بالخليج ، تمنى بهذه الجهود وتوليها اعظم عنايتها .

امارات ساحل عمان السبع

واذا كانت امارتا البحرين وقطر تسيران بخطى ثابتة ، على مثال الكويت، نحو التقدم ، فان منطقة ساحل عمان باماراتها السبع قد بدات كذلك عهدا جديدا ، لقد خلقت « ابو ظبي » خلقا جديدا منذ تدفق البترول فيها . كما نمت الحركة التجارية والعمرانية في « دبي » ، وظهرت طلائع البترول فيها مبشرة بمستقبل افضل . وكذلك عنيت سائر امارات الساحل وهي : الشارقة ، وعجمان ، وام القيوين ، وراس الخيمة ، والفجيرة ، ببناء تقدمها الاجتماعي في حدود امكاناتها والتعاون مع جاراتها .

وبالرغم من اهمية هذه المنطقة بالنسبة للعالم كله ، وللعالم العربي على الاخص ، فان الدراسات التي قدمت الى قراء العربية عنها ، لا تتعدى اقل القليل ، في حين ان ما نشر عنها في العالم العربي وباللغات الانجليزية والفرنسية يتعدى بكثير كل ما كتب بالعربية . ويحاول الدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية في كتابه عن الخليج العربي ، ان يسد بعض الفراغ في المكتبة العربية بالنسبة لهذه المنطقة . وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام تناول في القسم الاول دراسة عامة للمنطقة ومشاكلها في اطار المشاكل العربية العامة ، وصراع البترول والعوامل الداخلية ، والتدخل الامريكي في المنطقة ، وايران والخليج .

وخصص المؤلف القسم الثاني من كتابه للكويت منذ ان كانت متعاهدة مع بريطانيا الى ان حصلت على استقلالها وذلك باعتبارها نموذجا لما يمكن ان تحققه امارات الخليج في ميادين النهضة بعد الاستقلال .

اما القسم الثالث من الكتاب فقد تعرض فيه الدكتور نوفل لساحل عمان والخليج العربي مبينا فيه أهمية المنطقة والصراع الاجنبي فيها ، وقصة الاستعمار البريطاني والهجرات الاجنبية وبترول الساحل وأهميته بالنسبة للبترول العربي ، كما قدم في هذا القسم دراسة وافية عن البناء الاجتماعي والاقتصادي لهذه الامارات ، وخلاصة التطورات في هذه المنطقة ودور الدول العربية في التعاون مع امارات الساحل .

وفي القسم الرابع قام المؤلف بنشر عدد من الوثائق الخاصة بمنطقة الخليج العربي واهمها الوثائق الخاصة بساحل عمان ومشروع اتحاد امارات الخليج العربي . وسنركز في عرضنا للكتاب على القسم الخاص بساحل عمان وذلك تقديرا للحاجة الماسة الى تعريف ابناء وطننا العربي بهذا الجزء من الوطن العربي الكبير والذى يفتقر العديد منهم الى الكثير من المعلومات عنه .

ساحل عمان الطبيعي .. وكيف تمت تجزئته ؟

ساحل عمان ، او امارات ساحل عمان ، كما يسميه العرب ـ او ساحل القرصنة او الهدنة او الامارات المتصالحة كما سماه البريطانيون ، هو كان في التاريخ هو الساحل الذى يمتد من حدود قطر الجنوبية (عند خور العديد) مارا بمضيق هرمز عند رأس مسندام متجها جنوبا حتى « راس الحد » ويلتف حوله جنوبا بقرب الى حدود اليمن الجنوبية .

اما ساحل عمان فيطلق اليوم سياسيا على الساحل الذى يضم الامارات السبع : ابو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان، وام القيوين ، ورأس الخيمة ، والفجيرة .

وتمتد هذه الامارات السبع على طول الخليج العربي وخليج عمان من « خور العديد »في شبه جزيرة قطر الى حدود سلطنة مسقط . وعدد سكانها نحو ١٣٠ الف نسمة فيتقدير البريطانيين، ونحو ربع مليون في تقدير اهل المنطقة .

وتبلغ مساحة هذه الامارات السبع نحو ٣٢ الف ميل مربع (حوالي ٥١ الف كيلو متر مربع) ويمتد ساحلها نحو ٤٠٠ ميل على الخليجالعربي.

أهمية المنطقة والصراع الاجنبي فيها

في عام ١٦٠٠ ميلادية قام البريطانيون بتاسيس شركة الهند الشرقية East India Company واخذوا يمهدون للسيطرة على ساحل عمان (الطبيعي) في القرن السابع عشر .

وفي عام ١١٥٦ هجرية (١٧٤٣ م) ، حلت محل اسرة اليعاربة الحاكمة اسرة بوسعيد وتولى حكم ساحل عمان احمد بو سعيد .

وفي عهد هذه الاسرة انفصلت مسقط عن عمان ، وابعد الساحل عن الداخل . وساعدت الاحداث الداخلية التدبير البريطاني . فقد برز الوهابيون في القرن الثامن عشر وسيطروا على نجد وكسبوا انصارا لمذهب الموحدين في ساحل عمان والظاهرة في الداخل.وعارض الاباضيون تعاليم الوهابيين ، وثارت الضغائن القديمة بين الغافرية ، وانحازت جمهرة الغافرية الى الوهابيين ، وانحاز سلطان مسقط الى الانجليز ، واشترك معهم في حروبهم ضد الوهابيين . وهكذا وجد الاستعمار البريطاني في التناقضات العربية اقوىسند في تحقيق اهدافه العدوانية .

القواسم .. وامارات الساحل

ومن قبل هذه الحقبة ، نزل القواسم ساحل عمان في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وهم من قبيلة تعود باصولها عدنان وموطنهم الاصلى سامرا بالعراق . وتم الاستقرار فيالمنطقة في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، واظهروا قوة بحرية متفوقةفيالنصف الثاني عشر ، وبسطوا سلطانهم على ساحل عمانفيما بينقطر وخورفكان، ووقفوا ندا لسلطان مسقط وللوهابيين .. بل وامتدت سيطرتهم الى الاراضيالايرانية والىارجاء الخليج العربي .

وحين زالت دولة اليعاربة ، اعلن رحمة بن مطر (القواسمى) الاستقلال . واتخذ راسالخيمة قاعدة له .

بريطانيا وفرنسا وهولندا تتحالف ضد القواسم

كانت القوى التى تتنافس للسيطرة على الخليج العربي حينذاك هي : بريطانيا ممثلة في شركة الهند الشرقية ، وفرنسا ممثلة في شركة الهند الشرقية الفرنسية المؤسسة في عام ١٦٦٤ في (بندر عباس) بفارس ، وهولندا التى بسط ابناؤها سيطرتهم التجارية على الخليج . وتحالفت الدول الثلاث ضد القواسم وقوتهم البحرية النامية ، وبالغوا في تشويه اعمالهم التجارية والدفاعية وصوروها على انها عمليات قرصنة ، وتقاسم الحلفاء الثلاثة مسئولية القضاء على القواسم ، فاختص الهولنديون بالبحر الاحمر ، والبريطانيون ببحار الهند الجنوبية ، والفرنسيون بالخليج العربي . وخاض البحارة العرب معارك رهيبة ضد هذا العدوان الثلاثى ، ولكنهم مُنُوا بخسائر فادحة .

ويقول المؤرخ جان جاك بيربى في وصف شجاعة القواسم : « واخذوا يقومون باعمالهم تلك وهم مرتاحو الضمير لانهم انما يفعلونها لتحرير بلادهم » .

ولم يدم التحالف كثيرا ، فقد ادت حروب نابليونالىجعل بريطانيا وفرنسا دولتين متصارعتين

واضطر الهولنديون الى الرحيل عن المنطقة العربية . وتمكن امام عمان الشيخ سعيد في عام ١٧٩٣ من السيطرة على مسقط فساحل عمان ، والاراضي الواجهة له على شواطىء ايران وبلوخستان .

بداية السيطرة البريطانية

بعد حروب ومؤامرات قامت بها بريطانيا بمساعدة بعض مشايخ المنطقة استمرت منذ عام ١٨٠٦ ، وبعد ان تم للسلطات البريطانية الاستيلاء على ثغور القواسم وقلاعهم ، وتم لها تجريد زعمائهم من جميع اسلحة القوة . قامت بابرام معاهدة اسمتها « بمعاهدة السلام العام » وذلك في ١٨٢٠ . ووقع هذه المعاهدة من الجانب العربي مشايخ راس الخيمة ، وابو ظبي ، الشارقة ، وعجمان ، وام القيوين ، والبحرين ، وحسن بن علي من مشايخ المنطقة .

ووقعها عن الجانب البريطاني جرافت كير . وتضمنت هذه المعاهدة ٨ بنود من بينها ان يتضامن العرب المتصالحين مع بريطانيا في العمل ضد كل قبيلة او جماعة تنقض هذه المعاهدة .

وفي عام ١٨٤٧ قامت بريطانيا بعقد اتفاق جديد وقع عليه المشايخ ذاتهم وفرضت فيه قيودا جديدة من بينها ان تقوم بريطانيا بفرض التعويض المناسب على كل من يعتدى .

وفي مايو عام ١٨٢٣ ، ابرمت معاهدة السلام بواسطة المقيم البريطاني في الخليج ، والتزم بها شيوخ رأس الخيمة، وابو ظبي ، ودبي ، وعجمان، وام القيوين . واضافت المعاهدة كسبا استعماريا جديدا هو الولاية البريطانية المطلقة ، معبرا عنها بالبند الآتي :

« اننا نوافق ايضا على ان تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار السلم الذى توصلنا اليه ، وان تقوم باتخاذ الخطوات اللازمة لضمان مراعاة مواد هذه الاتفاقية في جميع الاوقات .. والله على ما نقول شاهد ووكيل » .

وفي مارس عام ١٨٩٢ كبلت بريطانيا امارات ساحل عمان بمعاهدة جديدة تنص على التعهدات التالية :

أ ـ لن ادخل باى حال من الاحوال في اتفاق او تراسل مع اى حكومة عدا الحكومة البريطانية.

ب ـ لن اوافق على اقامة اى وكيل لاى حكومة اخرى في اقليمي الا بموافقة الحكومة البريطانية .

جـ ـ انني مهما كانت الاحوال ـ لن اتنازل ولن ارهن ، وعدا ذلك اقبل احتلال اي جزء من اماراتي الا للحكومة البريطانية !!

ووقع هذه المعاهدة شيوخ ابو ظبي ، والشارقة ، ودبي ، وعجمان ، وام القيوين ، وراس الخيمة .

وهكذا اكدت الحكومة البريطانية استعمارها وتحكمها في ساحل عمان ، وحقها المطلق في احتلاله والتصرف في اراضيه ومرافقه .

وقد ظلت بريطانيا تتحكم في هذه المناطق بالوسائل التي تروق لها . ففي البداية مارست استعمارها لها عن طريق شركة الهند الشرقية ، واستمرت هذه الممارسة حتى عام ١٨٥٨ ، اذ انتقلت السلطة الى التاج البريطاني مباشرة ، عن طريق حكومة بومباي البريطانية، وفي عام ١٨٧٣ انتقلت مسئولية الادارة الى حكومة الهند البريطانية ، وحين استقلت الهند وباكستان في عام ١٩٤٧ ، انتقلت مسئولية ادارة ساحل عمان الى وزارة الخارجية البريطانية.

بترول الساحل في نطاق البترول العربي

بدات الاهمية البترولية لساحل عمان بتدفق النفط من « ابو ظبي » في عام ١٩٦٠ ، بعد سبع سنوات من اكتشافه في عام ١٩٥٣ . وبدأ تصدير البترول من ابو ظبي في منتصف عام ١٩٦٤ . وكان انتاج البترول في ابو ظبي عام ١٩٦٢ بمعدل ١٤٠٫٢٠٠ برميل يوميا وارتفع هذا الرقم في عام ١٩٦٨ ليصبح ٥٣٠٫٠٠٠ برميل يوميا بمعدل زيادة سنوية قدرها ١٣٠٪ وهو معدل لم يتهيأ مثله لاى بلد من بلاد الشرق الاوسط . وبلغ احتياطي النفط في ابو ظبي نحو ١٢٫٠٠٠ مليون برميل . وتستغل البترول في ابو ظبي شركتان : الاولى شركة بترول ابو ظبي Abu - Dhabi Petroleum وهي تابعة لشركة بترول العراق بنفس تكوينها اى ان لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ٢٣٫٧٥٪ من اسهمها ، والباقي وهو نحو ٣٠٪ موزع بين شركة شل وغيرها . والشركة الثانية هي شركة مناطق ابو ظبي البحرية Abu Dhabi Marine Areas ، وهي مكونة من شركة البترول البريطانية ، والشركة الفرنسية للبترول .

وفي مايو ١٩٦٨ تم توقيع اتفاقية بترولية جديدة من ابو ظبي ومجموعة شركات متسوبيشي اليابانية للبحث والتنقيب عن البترول في مساحة ٦٥٠٠ كيلو متر مربع لمدة ٣٥ عاما .

وفي عمان الداخلية بلغ انتاج البترول حوالي ٨٫٣٠٠٫٠٠٠ طن سنويا .

وهناك خط انابيب طوله ١٦٠ ميلا يمتد من حقل فهود الى غربي مطرح على الساحل ، ويتوقع ان يكون لحقول البترول في عمان احتياطي كبير . اما في دبي فقد ظهر البترول تحت مياهها الاقليمية بشكل يبشر بمستقبل عظيم .

وفي الشارقة تعمل شركة ميكوم Mecom Co. Of America وفي راس الخيمة تعمل شركتا يونيون اويل كاليفورنيا Union Oil of California وشركة سازون Sazon للغاز الطبيعي . وقد قامت الشركتان بالمسح السيزموجرافي للمنطقة .

البناء الاجتماعي والاقتصادى لامارات ساحل عمان

بقي الاستعمار البريطاني في هذه المنطقة العربية نحو مائة واربعين عاما لم يفتح مدرسة ولا مستشفى ولم يعبّد طريقا ، وحاول عزلها عن مسيرة الحياة المعاصرة . وعارض في الفترة الاخيرة ازدياد التعاون العربي مع هذه المنطقة واقامة مشروعات عمرانية وثقافية وصحية فيها . وساعدت سياسته على غمر المنطقة بعناصر اجنبية . كما عمل الاستعمار على تفتيت الوحدة الوطنية . واستغل في هذا رواسب الماضي في المنطقة ، سواء بالنسبة لعلاقات الامارات بعضهـا ببعض ، او لعلاقات الامارات بجاراتها العربية . وقد وجد له من نزاع الماضي سندا ، كما استغل مشاكل الحدود المتداخلة .

واكثر سكان المنطقة من المسلمين، وهم ينقسمون الى سنة وشيعة ، واكثر الشيعة في دبي حيث يسمون « بحارنة » نسبة الى البحرين التي يؤلف الشيعة نحو نصف سكانها . واكثر اهل السنة شافعية وقليل منهم احناف ومالكية وهم يسكنون بقية امارات الساحل .

استغلال المذاهب والتعصب القبلي

وقد حاول الاستعمار استغلال تعدد المذاهب بين المسلمين ونجح في اثارة الانقسامات بين سكان منطقة الجعلان الجبلية في عمان الداخلية وخاصة قبائل البو علي والبو حسن وبين الاباضيين الذين يرون ان أهل الجعلان هم افسد المسلمين وانهم اخذوا من مذاهب الوهابية والازارقة والخوارج اسوأ ما فيها .

وهناك انقسام آخر في عمان كانت له آثاره في المنطقة من حضرموت الى قطر ، ذلك هو الانقسام القبلي الى غافرية وهناوية . وقد ادى الخلاف القبلي القصائدى الى ايجاد اربع مجموعات اساسية في عمان باسرها ومنها الساحل . وهذه المجموعات هي :

اولا : مجموعات اساسها المذهب الديني ، وهي القبائل الاباضية والقبائل السنية .

ثانيا : مجموعات اساسها القبلية وهي القبائل الهناوية والغافرية .

ثالثا : مجموعات اساسها منهاج العيش ، هي القبائل الحضرية والقبائل البدوية .

رابعا : مجموعات طبقا للولاء للامامة ، وهي القبائل ذات الولاء التام لامام عمان الاباضى ، والقبائل التي تتبعه وان لم تكن على ولاء تام له . وجدير بالملاحظة ان هذا التقسيم ليس ثابتا ، وانما هو متغير متحول ، فقد يتحول الاباضيون عن مذهبهم او يحالفون السنيين . وقد يوالي البدويون بعض الحضريين او يتحولون اليهم بحكم التطور .

وكثيرا ما تحولت قبيلة من الغافرية الى الهناوية . وهذه العوامل لها اثرها في البناء الاجتماعي .

التقاليد والعادات الاجتماعية

تعددت التقاليد والعادات الاجتماعية والوان الملبس والمأكل في هذه المنطقة بحكم تاريخها وتكوينها الاجتماعي .. فمن تقاليد الاسلام القديمة السائدة الحجاب للمرأة والفصل بين مجتمع الرجال والنساء . والى جانب هذا بعض العادات المجلوبة عن الفرس مثل برقع النساء والقدقة او الطرقة والسروال الكبير المتدلي الى الكعبين ، وهو فضفاض من اسفل للسيدات ذوات الغنى ومزموم للفقيرات . والالوان البراقة من احمر واصفر واخضر شائعة في اللباس الخارجي لعامة النساء . ويلبس الرجال الازار على ما تحت السرة من اجسادهم ويكتفي به الفقراء ، اما

الاغنياء فيلبسون من فوقه قميصا او ما يسمونه « زنكفرة » . ويلبس الموسرون جلبابا فوق الازار ، اما المشايخ او الحكام فيلبسون مع الجلباب العباءة او « المشب » . ولباس الراس هو الكوفية والعقال ، او العمامة العمانية المزركشة او الطاقية « القحفية » لمن هم من اصل فارسي .

لكن هذه العادات والتقاليد تنصهر بحكم التطور الاجتماعي والترابط العربي بهذه المنطقة . كما أن اساليب الحياة الحديثة تمضي في طريقها اليها بخطى واسعة المدى ، شان الكثير من اقسام الوطن العربي الاخرى .

احتمالات المعادن والبترول

يتحدث حكام المنطقة واهلوها عن معادن وفيرة في التلال الموجودة بسهل الباطنة والفجيرة وفي امتداد جبال عمان الداخلية . كما يتحدثون عن الحديد في المنطقة الشرقية حيث يمتزج بالرمل الاسود ، وعن نقل الاحجار المشتملة على المعادن وعن الفسفور الذى يضيء ليلا . وعن الرخام الملقى في الطرقات وعن الذهب الذى اكتشف في الفجيرة . لكن هذه في الواقع اقوال تحتاج الى البحث والتحليل العلمي .

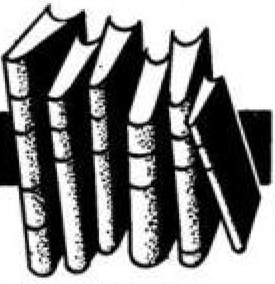
وليس مستبعدا ان يكشف التنقيب عن ثروات معدنية في هذه البلاد . اما البترول فظهوره الوفير في ابو ظبي وعمان ودبي سيبدل الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة باسرها .

التطورات الاخيرة في الخليج العربي

يختتم الدكتور نوفل هذا القسم من كتابه عن التطورات الاخيرة في الخليج العربي وخاصة بعد اعلان بريطانيا الانسحاب من المنطقة . وعن التحرك العربي في المنطقة والى اهمية الدعوة الى توحيد جهود الامارات العربية في الخليج ، والعمل على ان تقوم بحمل مسئولية الاستقلال المرتقب . بتضامن وقوه .

وقد ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٦٩ فلم يتناول ما جد من الاحداث في المنطقة بالطبع . ■■

محمد طنطاوى



من الكتب التي وصلتنا

شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز

المؤلف والناشر : خير الدين الزركلي

● سيرة للملك عبد العزيز آل سعود وهي في اربعة اجزاء .. وهذه السيرة كما يقول المؤلف هي سيرة « أمة » تحولت من الركود الى النشاط ، ومن الفتنة الى الالفة ، ومن نزعات العصبية الجاهلية والفوضى ، الى الايمان والنظام ، ومن الفاقة الى اليسر ، ومن الاستغراق في السبات الى الاخذ بأسباب الحياة . ويقول المؤلف ان هذا الكتاب الذى يغطي فترة خمسين عاما من تاريخ شبه الجزيرة العربية ليس بكتاب دعاية ، وانما هو تاريخ عماده التتبع والاستقصاء . ومن المعروف ان المؤلف من خيرة مؤرخي العرب في العصر الحديث وهو صاحب كتاب الاعلام الذى يعتبر من المراجع الهامة لاى باحث . وقد اصبح جزءا ثابتا مقيما في كل مكتبة علمية .

خلفاء الرسول

المؤلف : خالد محمد خالد

الناشر / دار الشروق / بيروت / القاهرة

● مجلد ينتظم خمسة كتب للمؤلف هي : وجاء ابو بكر ، وبين يدى عمر ، ووداعا عثمان ، وفي رحاب علي ، ومعجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز

وقد ضمت هذه المؤلفات الخمسة في مجلد واحد ، باعتبارها تمثل موضوعا تاريخيا واحدا يتناول بالسيرة والتحليل خلفاء الرسول الأربعة . أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا ، ثم ذلك الرجل الباهر عمر بن عبد العزيز الذى حمل بحق وبجدارة لقب : خامس الخلفاء ، وخامس الراشدين . والكتب الخمسة تقع في ٦٤٦ صفحة، وتتناول بالدراسة والتحليل تاريخ كل واحد من خلفاء الرسول . وقد ذكر المؤلف في بداية كل كتاب المراجع التي اعتمد عليها .. ومن اهمها الكامل لابن الأثير ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، والاخبار الطوال لأبي حنيفة وغيرها من المراجع القديمة والحديثة .

ديوان ابن النبيه المصرى

تاليف : كمال الدين ابو الحسن على بن محمد

تحقيق : عمر محمد الاسعد .

الناشر : دار الفكر ــ بيروت .

● دراسة لاحد شعراء الدولة الايوبية في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال شعره يبرز ادب ذلك العصر وادب الدولةالايوبية بخاصة ، حيث ان القارىء يقع على نماذج حية لأدب رفيع رسم حوادث عظاما في فترة حاسمة من تاريخ ديار الشام ، وحيث أن الشاعر يعطى صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاحداث التاريخية الجارية انذاك وقد قام المحقق بدراسة الشاعر وموضوع الديوان واغراضه ودراسة تاريخية لاهم قصائد هذا الديوان والتعريف بأبرز نماذج الشاعر ، كما أن المحقق اعتمد على نسخ عديدة لهذا الديوان حتى يكون الديوان اقرب الصور صحة واكتمالا .

الرسالة الخالدة

تاليف : عبد الرحمن عزام .

الناشر : دار الشرق ودار الفكر ــ بيروت/لبنان

● هذه الرسالة الخالدة ان كانت من الله كما نعتقد نحن المسلمين فيكفي أنها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله ، وان كانت من محمد كما يقول بعضالمفكرين فنحن ندعو المفكرين لينظروا فيها لا كدين ، بل كنظرية تاريخية اتت بافكار وشرائع في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فسيجدونها بصرف النظر عن معنى التدين اساسا صالحا لنظام عالمي وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتطاحن عليها الناس الآن ، ثم انهم سيجدونها حتى على أنها من البشر أصلح الدعوات وأرشدها وأدناها الى مبادىء العدل والحرية والمساواة والاخاء .

التشريع الجنائي الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى

تاليف : عبد القادر عودة .

الناشر : دار الكاتب العربي / بيروت ــ لبنان

● كتاب يقع في جزئين كبيرين يتناول بالدراسة والبحث التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقوانين الوضعية وبخاصة القانون المصرى ، يقوم على بحث المبادىء والنظريات العامة في الشريعة والقانون وبيان وجود الخلاف والوفاق بينهما وقد حرص المؤلف ان تكون المقارنة شاملة لكل المبادىء والنظرياتفيكل موضوع جل او هان ومدى اتفاقها واختلافها مع احكام القوانين الوضعية كما ان المؤلف اعتمد في دراسته هذه على المذاهب الاربعة المشهورة فبين احكام كل مذهب من هذه المذاهب في كل موضوع طرق ثم بيان اساس الخلاف بين المذاهب الاربعة .

فلسطين وكبرياء الجرح

تاليف : حسن عبد الله القرشي .

الناشر : دار العودة / بيروت ــ لبنان .

● مجموعة قصائد وطنية متنوعة .

ابن سينا

تاليف البارون كارادوفو

نقله الى العربية : **عادل زعيتر**

راجعه وفصل فهارسه وأبوابه : **محمد عبد الغني حسن**

الناشر : **دار بيروت للطباعة والنشر**

● ظهر هذا الكتاب باللغةالفرنسية في مجموعة « الفلاسفة العظام » في باريس عام ١٩٠٠ وهو من الدراسات الأولى عن الفيلسوف الاسلامي الكبير، ويعتبر هذا الكتاب مفتاحا للكثير من الدراسات

والكتب الغربية التي تناولت تاريخ ابن سينا واعماله .

وقد تناول الكتاب في فصوله العشرة : لاهوتية القرآن ، والنظريات الأساسية عند المعتزلة .. وحركة الترجمة في عصر ـ معنى الفيلسوف وبعض الفلاسفة قبل ابن سينا ـ ترجمة الفيلسوف ابن سينا لنفسه وكتبه ـ منطق ابن سينا ـ الطبيعيات عند ابن سينا ـ دراسة النفس والعقل عند ابن سينا ـ الالهيات ومن بينها التوحيد بين العقل والعلة ـ ويختم المؤلف كتابه بفصل اخير عن تصوف الفيلسوف الاسلامي الكبير وايمانه بأن الشر ليس شرا الا بالعرض .

مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا اسلاميا

تأليف : الدكتور مصطفى الشكعة

الناشر : جامعة بيروت العربية

● منذ اكثر من ثلاثين عاما رحل عن الدنيا الأديب العربي مصطفى صادق الرافعي ، واختارت المقادير مدينة طنطا التي عاش فيها اكثر اعوام عمره لتكون مستقرا لرفاته ، وثوى الكاتب الكبير في هدوء وسكينة ، بعد ان ملأ اسماع العالم العربي لأكثر من خمس وثلاثين سنة باهازيج الشعر الناعمة حينا ، واسباب الجدل والمحاجة واللود عن حمى العربية والدفاع عن حياض الاسلام حينا آخر .

لقد كان الرافعي اديب الفكرة الاسلامية دون منازع في فترة زمنية ، كان النيل من العقيدة دربا يستهوي كثيرا من ادباء العصر كي يسيروا فيه ، وكان الرافعي يرى في هذه الاتجاهات معاول هدم وبوادر تعفن في جسم الأمة يجب ان توقف عند حد ، وان يضرب عليها بشدة ، ومن ثم فقد خاض معركة قلمية فكرية ضارية امام الكثيرين من اعلام الكتاب آنذاك .

الصابئة المندائيون ـ الجزء الاول

تأليف : الليدي دراوور .

ترجمة : نعيم بدوي وغضبان رومي .

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد .

● دراسة قيمة عن الصابئة باعتبار دينهم دينا قائما بذاته كالاديان الكتابية الاخرى ، ومترجم هذا الكتاب احد ابناء هذه الطائفة وهو يوضح الأسباب التي من اجلها يجهل الكثير عن هذا الدين منها ان رجال الدين الصابئي لا يقرون علنية الدين لانه يتعارض مع باطنيته بالاضافة الى ان هذا الدين ليس تبشيريا ، كما ان كتبهم الدينية مدونة باللغة المندائية وهي لغة قديمة يصعب على الباحث التعرف على دقائقها .

وقد اعتمدت المؤلفة في كتابها هذا على المشاهدة والنقل عن شيوخهم وكتبهم المخطوطة التي لا يزالون يسيرون على تعاليمها الى يومنا هذا . اما هذا الجزء من الكتاب فيعالج تاريخ الصابئة وتسميتهم وعاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية ولغتهم بالتفصيل .

الأجوبة المسكتة ودورها النضالي في التاريخ العربي

تأليف : علي عبد عيدان الخزاعي

تقديم : عزيز السيد جاسم

الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف

● مجموعة من آثار الأجداد ، حفظها لنا التاريخ بأمانة ، ليضعها بين ايدينا اليوم ، باقة عطرة من زهور البيان ، ومواقف اللسان القويم ومدى صراحته في التعبير عن المكنونات الانسانية .

وهي مجموعة من الاجوبة المسكتة ، التي كانت تولد بين الحين والآخر في مجالس الناس العامة ، ومجالسهم الخاصة ، وفي الطرقات او اللقاءات العابرة ، وفي جلسات السمر والمنادمة ، وفي حلقات الدرس والمناقشات . لقد كان في العرب ، كثير من المفكرين والثوار ، الذين كانوا دائما يحسون بضرورة ايجاد الحاكم العادل ، لأنهم كانوا رجالا اباة اشداء ، ذوي باس ، لا يرضون حياة الفوضى والاستبداد .. ويتناول هذا الكتاب ادب المقاومة والاعجاز في البليغ الموجز ، أدب الحكمة والموعظة الحسنة ، يصب في نماذج رائعة من نتاج اللسان العربي المؤمن بالتضحية والكرامة والحرية ، وتصور بصدق التجارب الحية ، التي عاشها جيلنا المتقدم والتي بدت خلاصة لخبرة طويلة ، كانت حافلة بالنجاح .

المعتزلة

تأليف : زهدي حسن جار الله

الناشر : مطبعة مصر ـ القاهرة

● دراسة وافية عن المعتزلة ، تلك المدرسة

الفكرية التى عاشت في حظيرة السنة وترعرعت زمنا غير قصير ، ثم نشب الخلاف بين هذه المدرسة وبين اهل السنة فلم يقووا على الصمود امام الهجمات العنيفة التى شنها عليهم مخالفوهم،فقضى عليهم ولكن بعد أن تركوا وراءهم اثرا محسوسا في الحياة العقلية الاسلامية .

وبسبب ذلك العداء بينهم وبين أهل السنة فقد اخذ الناس فكرة سيئة وصورة مشوهة عنهم، وعن تفكيرهم الفلسفى ، وبذلك بقى المعتزلة محرومين من التقدير مفتقرين الى من يظهر حقيقتهم ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في التاريخ .

وقد اشار المؤلف الى الصعوبة التى يلقاها الباحث في محاولة بحثه المعتزلة لان اغلب كتبهم قد ضاع ولم يبق الا ما كتبه مخالفوهم واغلبهم متعصب عليهم غير منصف لهم ، وهو ينادى بجمع ما تبقى من مخطوطات كتبها المعتزلة وهى ما زالت في مكاتب الشيعة في اليمن وبلاد فارس والهند ، فلو اخرجت هذه المخطوطات لخدموا العلم خير خدمة .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عدة فصول تناول فى الفصل الأول اسماء المعتزلة والسبب في تسميتهم بالمعتزلة ، واسماءهم الاخرى ، وفي الفصل الثانى بحث عن ظهور المعتزلة وعقائدهم العامة في الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمنزلة بين المنزلتين والصفات الأزلية وخلق القرآن والتشبيه والتجسيم ، اما الفصل الرابع فتناول العقائد الخاصة عند المعتزلة وعند فرقهم مثل الواصلية والمعمرية والجعفرية والاسوارية والجاحظية ثم فصلين آخرين عن المعتزلة في دور القوة والمعتزلة في دور الضعف السقوط . وفي الختام فصل عن دور المعتزلة في تطور الفكر الفلسفى الاسلامى من حيث اقبال المعتزلة على التوفيق بين الدين الاسلامى وبين الفكر اليونانى، ثم تمسك المعتزلة بالسنة وحسن نواياهم .

نحو وعي لغوى

تاليف : مازن المبارك

التاشر : مكتبة الفارابى ـ دمشق /سوريا .

● صفحات في اللغة العربية توضح بعض خصائص لغتنا العربية وتتحدث عن بعض مزاياها ومنها الرابطة الدينية القومية التى نراها بين اللغة العربية والقرآن الكريم ، وهو بذلك مظهر رائع لامتزاج الشكل العربى ، بالمضمون الاسلامي.

ومن هنا وقفت بعض النفوس الحاقدة وراء كل دعوة الى الفصل بين هاتين القوميتين العظيمتين ، وقد اتخذت محاولات الطعن في العربية او في الاسلام اشكالا ومظاهر شتى فهي تلبس ثوب الطعن في الادب العربي وصحته ، وتظهر تارة اخرى بمظهر تشجيع اللهجات المحلية لتفتيت اللغة الواحدة وتمزيق الناطقين بها ، وتارة اخرى تلبس ثوب الثورة على القديم ، وهو لا يتمرد في حقيقته على قدم الاسلوب وانما يتمرد على صحة اللغة وسلامتها ، ثم من قائل عن ضيق العربية ، وقصر باعها عن مواكبة الحضارة والمدنية ، ثم من ناعق بهجر الحرف العربى الى الحرف اللاتينى ، ومن داع الى تغيير القواعد والدعوة الى العامية وما فيها من ادب وفن .

مهنة المتاعب

تاليف : اديب مروة

الناشر : منشورات عويدات /بيروت ـ لبنان .

● كتاب يضم خلاصة مختارة من خطوات كاتب فوق دروب حياة صحفية عنيفة حافلة بالسهر والاحداث والمغامرات والهموم والمواقف والصور البشرية . فهو يجمع بين التحقيق والاستجواب والنقد والتحليل والعرض والوصف والقصة والرسالة والاستطلاع والمقالة ، وادب الرحلات والتعليق ، ثم لمحات لوجوه عدة احياء واموات بعضها كتب بروح واقعية وبعضها كتب بروح من الخيال .

والمؤلف لا يرى في كتابه انه معرض جامع لفنون الصحافة بل انه نتيجة تطواف ربع قرن واكثر فى ثلثي الكرة الارضية بعد اقامة لسنوات خمس متواصلة في قلب اوربا مما جعله يعايش بعض الاحداث الهامة ويقوم باتصالات خاصة ، ومن ثم جلوس الى عدة رؤساء وملوك وانطباعات خاصة لعبت المصادفات فيها دورا كبيرا وهذا شان كل من تصدى لمهنة المتاعب كتابا وصحفيا .

حب وثورة

تاليف : عبد الرحمن عمار

الناشر : الشركة التونسية للتوزيع . تونس .

● قصة طويلة .

■■

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الى الدكتور حسين مؤنس

● ليت الدكتور حسين مؤنس كان اكثر تثبتا واقل عصبية مما كان في مقاله عن العدوان الصليبي ، فالبحوث التاريخية لا تعالج بمثل هذه الروح ، والاتهامات لا تلقى هكذا اعتباطا .

يقول الدكتور الفاضل : كان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الاجنبي . يقول ذلك وهو يعلم ان هذا الغزو انما كان يستهدف اول ما يستهدف ازالة ملك الفاطميين والقضاء على سلطانهم فيما يحكمونه من بلاد !!

ونحن لا نريد ان نرد على الدكتور ، بل نترك لابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق ان يرد عليه بفقرات ناخذها من كتابه بدون تتبع ولا استقصاء :

يقول ابن القلانسي في الصفحة ١٤٠ من طبعة سنة ١٩٠٨ : في هذه السنة « ٤١٤ هـ » خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالقوامي ووصل الى عسقلان لجهاد الافرنج .. الى ان يقول : ونهض اليه من الافرنج الف فارس وعشرة آلاف راجل ... ثم يفصل المؤرخ احداث المعركة التي استشهد فيها القائد الفاطمي ، ثم يختم كلامه بهذه الفقرة : وعاد المسلمون على الافرنج وتذامروا عليهم وبذلوا النفس في الكرة اليهم فهزموهم الى يافا ... الى اخر ما قال .

ويقول في الصفحة ١٤١ وفي هذه السنة « ٤٩٥ هـ » خرجت العساكر المصرية من مصر لانجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازلهم من احزاب الفرنج ... (وانتهت هذه الحملة بالنصر الفاطمي ايضا) .

وتظل الحرب سجالا ويظل الفاطميون على سلاحهم يلاحقون الفرنج في البر والبحر حتى سنة ٥٤٦ فيقول ابن القلانسي :

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العدة والعدة . وذكر ان عدة مراكبه سبعون مركبا حربية مشحنة بالرجال ، ولم يخرج مثله في السنين الخالية ، وقد انفق عليه ما حكي قرب ثلثمائة الف دينار . وقرب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستولى على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصل في ايديهم عدة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من حجاج وغيرهم خلقا عظيما وانفذوا ما امكن الى ناحية مصر وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك .... الى آخر ما قال .

وكذلك نحن هنا لا نرد عليه بانفسنا بل نترك للاستاذ حسن حبشي صاحب كتاب الحروب الصليبية ولكل المؤرخين ان يردوا عليه : قال الاستاذ حبشي مستندا الى ابن الاثير وغير ابن الاثير من مؤرخي العرب والافرنج : (فوجىء افتخار الدولة ـ حاكم مصر على القدس ـ بمقدم هذه الجموع اللجبة وادرك ضعفه عن مقاومتها فعمد الى تسميم الآبار وطم القنوات واخراج النصارى من المدينة وعهد بحراسة الاسواق الى جماعة من العرب والسودان) .

حسن الامين ـ بيروت

الفاطميون والصليبيون

● ينكر السيد حسن الامين ما ذهبت اليه من اتجاه الفاطميين الى التعاون مع الصليبيين اول ما نزلوا ارض الشام حاسبا اننا تسرعنا في ذلك القول او القيناه جزافا ، والحق ياسيدي ان ما قلته صحيح ، وهو لايتعارض مع ذلك مع ما اوردت من اخبار وجدتها عند ابي يعلى حمزة ابن القلانسي في « ذيل تاريخ دمشق » كما سترى.

فعندما دخل الصليبيون ارض الشام وبدأوا حصار انطاكية في فبراير ١٠٩٨ اجتهد صاحبها باغيسيان في تحصينها ، وبعث في طلب الامدادات وبالفعل اخذ كربوجا صاحب الموصل بجمع الجنود للسير لعون انطاكية . وشدد الصليبيون الحصار وطال امده ، وتمكن الصليبيون بعد جهد شاق وخسائر متوالية من تضييق الخناق على البلد ، وبدا بوضوح ان السلاجقة سيفقدون المعركة .

هنا تصور رجال الدولة الفاطمية ان اولئك الصليبيين ان هم الا جند مرتزقون ارسلهم امبراطور الدولة البيزنطية لكي يعاونوه على

السلاجقة ، وكان العداء بين هؤلاء والفاطميين شديدا بسبب التنافس على سيادة البلاد الشامية ، فارسل الافضل وزير الخليفة الفاطمي المستعلي سفارة الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية تعرض عليهم التعاون في القضاء على السلاجقة على ان يكون شمال الشام للصليبيين وجنوبه ـ اى فلسطين ـ للفاطميين . وصلت هذه السفارة الى المعسكر الصليبي في مايو ١٠٩٨ ، وعرضت الامر على قادة الصليبيين ، فاستقبلوها بحرارة ولكنهم لم يعدوا رجالها بشيء ، لان كفتهم كانت قد بدات ترجح في الصراع الدائر حول انطاكية . واقام السفراء بضعة اسابيع دون نتيجة ثم عادوا يرافقهم بعض رجال الفرنجة وكثير من الهدايا من بينها رؤوس نفر من الاتراك السلاجقة الذين قتلوا في الصراع حول انطاكية .

مراجعنا في ذلك يا سيدى هي : Gesta Francorum VII, 18, VIII, 19 Raymond De Aguilers; Historia Francorum Qui Operunt Jerusalem PP. 249-250 .

وقد نشر هذا النص في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ج ـ ٣ Anselm De Ribemont Epistolae VIII, XV .

وقد نشرت هذه الخطابات في N. Hogenmayer Die Krentzzücte Briefe Jahren 1088 - 1100. Innsbruck 1902 .

ويذكر صاحب كتاب تاريخ الحروب المقدسة Historia Balli Sacri ، ص ١٨١ ان الصليبيين ارسلوا الى الفاطميين قبل ان يدخلوا الشام سفارة تعرض عليهم التعاون معهم على السلاجقة ، وكان الذى نصحهم بذلك امبراطور الدولة البيزنطية . ويذكر هذا المؤرخ اسماء سفراء الصليبيين الى القاهرة .

ويؤيد ذلك ابن الاثير الذى يقول في حوادث سنة ٤٩٠ :

« وقيل ان اصحاب مصر لما راوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية اخرى تمنعهم من بلوغها وحصرها خافوا فارسلوا الى الافرنج يدعونهم الى الخروج » . اما الاخبار التى وردت في رسالة الاستاذ حسن الامين فكلها صحيحة ، الا انها تصور لنا موقف الافضل والفاطميين في فترة لاحقة وبعد ان فشل مشروعهم في التعاون مع الصليبيين .

لا تنسوا ليبيا الثورة

● مع صدور كل عدد ، نترقب ، نحن ابناء ليبيا استطلاعا مصورا عن بلادنا ، ولكن على غير جدوى . اننا نرجو الا تنسوا ليبيا الثورة ، ولكم منا كل تقدير واعجاب بمجلتنا .. مجلة كل عربي .

احمد محمد حيدر ـ طرابلس ـ ليبيا

العربي : سنفعل باذن الله .

طريقنا الى الحياة

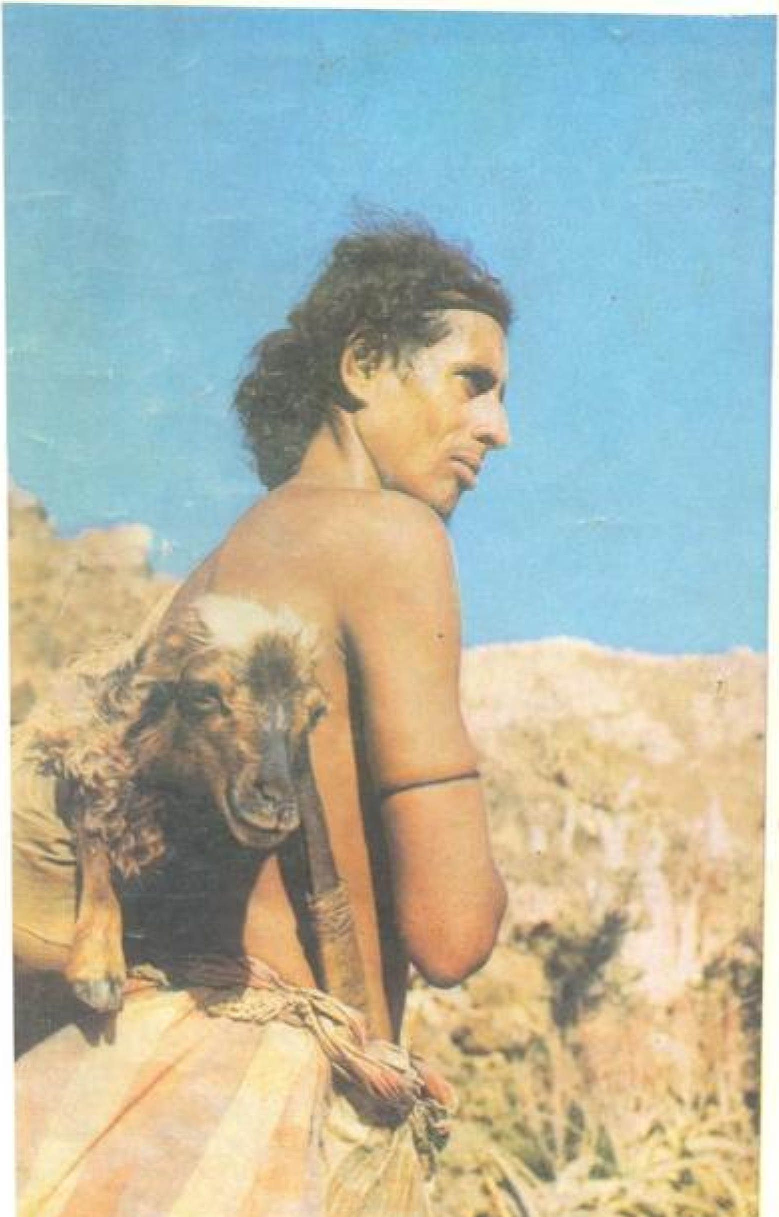
● قرات لسيادتكم في عدد العربي عن شهر فبراير مقالة قيمة عن الحرب الكيمائية وهي تحذير لدول المواجهة من غدر العدو الصهيوني خاصة ان اسرائيل قد استخدمت قنابل النابالم ضدنا في عدوان ١٩٦٧ ولا انسى ابدا الصورة التى نشرتها مجلة « العربي » منذ سنوات وعقب العدوان ، لمواطن سورى احرقته قنابل النابالم . والواقع انه اصبح هناك سؤال عند الجميع اليوم يلح دائما ليلا ونهارا ما المصير ؟ وما الغد ؟ وما المستقبل والاستقلال والكرامة والوطنية لارض الوطن ؟

اما عن مقالتكم في نفس العدد عن العلم فحقا ما ذكرتم الفقر !! الفقر !! والحقيقة انه ليس الفقر هو السبب وحده بل التقتير ايضا على العلم ورجاله ممن لا يقدرون ، ذلك هو السبب في تاخرنا في وقت ننادى فيه بالتطور العلمي او بالتكنولوجيا كما يقولون وبلادنا تتمتع بنسبة ٧٠٪ من الجهل بين المواطنين !! ولا تقدير للحريات ولا للكرامة الوطنية الا لشعب متعلم يعرف ما عليه وما له وقد كان يجب الغاء الامية في بلادنا لو اهتممنا بذلك نفس اهتمامنا بامور فارغة لم تنتج سوى فراغا .. ولقد صدقتم في تعليقكم تحت احدى صور المقال وهل ينتج الفلاح او العامل الا وهو مثقف !! واعتقد ان الوحدة الوطنية توجب ذلك والواجب الوطني يفرض الثقافة للجميع ، ولكن للاسف هذا غير موجود في بلادنا العربية ، وهكذا سنظل مهددين بالعدوان الاسرائيلي وبابتلاع اراضينا ما دمنا نجعل الافراد اكبر من الاعمال !!

توفيق بلزرعة المحامي ـ الجيزة ـ القاهرة

العربي

ـدد ١٥٣
الآخرة ١٣٩١
ـغسطس
ب) ١٩٧١



اطلب

ـبي الصغير

هذا العدد

جـوائز

١٢٠٠

ـينار سنويا

ـل مـن سقطرى
ـه الانسان الاول

الثمـن

ـيت	١١٠	فلوس
ـيج العربي	٢	ريالات
ـعودية	٢	ريـال
ـرين	٢٠٠	فلس
ـمن	٥ر٢	ريـال
ـراق	١٢٠	فلسـا
ـنان	١٠٠	قرش
ـن	١٠٠	فلس
ـورية	١٠٠	قرش
ـع.م.	١٠	قروش
ـودان	١٠	قروش
ـبيا	١٥	قرشـا
ـنس	٢٠٠	مليم
ـزائر	٢٠٠	مليم



من روائع الفن العالمى

● لوحة « الحلابة » او « الطاهية » للرسام الهولندى فرمير (انظر العدد ١٤٨ الصفحة ١٤٢) ولا ريب فى ان هذه اللوحة هي اشهر لوحات فرمير اطلاقا ولعلها اشهر لوحات الرسامين الهولنديين جميعا . وحسبنا أن نذكر انها تعتبر بمثابة رمز او شعار للبلاد الواطئة ، وان كثيرا من الصناعات الهولندية ، بما فيها صناعة السياحة ، تعتمد على لوحة الحلابة هذه لترويج بضاعتها . ولا يخفى ان الحلابة او الطاهية التى تراها فى اللوحة تمثل المراة الهولندية الممتلئة الجسم اصدق تمثيل وقل مثل ذلك فى اللبن الذى يشكل اساسا هاما للحياة والصناعة فى هولندة .



عزيزي القارئ

● لا شك انك تعلم ان عدد « العربي » يجهز قبل خروجه الى السوق بنحو شهرين او ثلاثة اشهر .

والعدد الممتاز يحتاج للتجهيز الى فترة اطول ، وذلك لاسباب كثيرة ليس من اقلها اننا نطبع ربع مليون نسخة منه او اكثر .

لهذا نرجوك :

اولا : ان ترسل الينا كل ما قد تود من ابواب جديدة تريد ان نخرج بها في « العربي » . على ان توافينا بالباب المنشور في العربي الذى يحتل هذا الجديد مكانه .

ثانيا : ان تقترح علينا ما تراه انسب ليكون هدية تهديها « العربي » مع العدد الممتاز بأول يناير مما يسهل ارسالها بالبريد .

ثالثا : اى نقد تجده فيما ننشره من « العربي » ، وان تذكر مع هذا النقد الاسباب الداعية الى ذلك .

ونحن نرحب بكل نقد ، لاسيما الذى ياتي من القارىء ، فان المائدة مائدته ، والوان الطعام التى عليها انما نصنعها له .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 153 Augest 1971 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٨٤٧ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● صورة معبرة تنقلنا الى الوراء .. الى عصر الانسان الاول : شعر كث كثيف .. وصدر عار .. وسكين مثلومة .. وغذاء محمول على الظهر .. وانطلاقة في البادية ، لا يعرف اين ستقوده قدماه ، ولا المكان الذى سينام فيه .. وكل الذى يعرفه محمد الدعرى هو انه سيذبح الخروف الذى يحمله عندما يجوع .. انها صورة من صور الحياة في بادية سقطرى .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٩٢)

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

كتب :

شعر وشعراء :

قصص وقضاء :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ ريال ، ليبيا ١٥ قرشا ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

اتحاد البريد العالمي

● نشرتم في العدد ١٥١ من العربي في الصفحة رقم ٦٠ كلمة بعنوان « البريد في عون الامم » وقد ورد في هذه الكلمة ان اتحاد البريد الدولي اسس في عام ١٨٧٥ ، والصحيح انه تأسس في عام ١٨٧٤ ، فارجو التصحيح .

محمد رشوان ــ الكويت

العربي : الذي نشرناه هو الصحيح ، اذ ان عام ١٨٧٥ هو العام الذي تأسس فيه الاتحاد الدولي للبريد . وبهذه المناسبة نذكر انه جاء في المقال ان مؤتمر البريد الدولي الاخير انعقد في طوكيو عام ١٩٦٨ ، وقد وقع في هذا الرقم خطأ مطبعي ، اذ صحته هي ١٩٦٩ .

مسابقات العربي

● ان مسابقاتكم هي من الاساليب الموفقه للتثقيف وانني اشترك في جميع مسابقات «العربي» وعندما تنشر الاجوبة الصحيحة اراني قد اجبت ضمن العدد الصحيح المطلوب ، الا انني لم افز باية جائزة للآن رغم انني امضي في كل مرة يومين او ثلاثة في مطالعة المراجع لاحصل على الاجوبة الصحيحة .

لذلك اقترح الا يكون الاعتماد في توزيع الجوائز على القرعة فقط ، بل فرض عدد من الاجوبة يكون لمن يحصل عليه حق جائزة ولو رمزية تشجيعا له على مواصلة تثقيف نفسه واكرر ان هذه المسابقات هي من الاساليب الموفقة لهذه الغاية .

منصور شامي ــ حلب

جامعة الازهر

● ان الدكتور احمد زكي الموجه والحائز على درجة D.S.C. في العلوم يدعو دائما الى الاخذ بالتقدم العلمي ، واخذنا عنه قوله « انه عصر التكنية والتقدم » كما يدعو سيادته الى اتباع اسلوب التربية الحديث ، فهل لي ان اتساءل :

« لماذا لا تزور عدسة العربي جامعة الازهر الشريف الذي يعد اقدم جامعة عالمية ، وتبرز للناس اجمعين مدى التقدم الذي احرزته في المجالين التربوي والعلمي . لقد قامت كليات الطب والهندسة والزراعة والعلوم والتربية ومعهد اللغات والترجمة بجانب كليات اللغة العربية والشريعة والقانون واصول الدين والدراسات الاسلامية والتجارة في جامعة الازهر . ودرس الطلاب بجانب الدين العلم .

انا ــ عندما اقرأ لسيادتكم ــ ارى ان نظام الازهر الحديث المتمثل في معاهده وكلياته يتفق مع وجهة نظركم بالنهوض والتقدم .

ولذا .. ارجو ان ينشر الكثير عن ازهرنا الحديث ولنا امل قريب في زيارتكم وزيارة عدسة العربي وشكرا .

الحسن محمد السباعي محمد عامر
معهد القاهرة الثانوي

العربي : نفعل ان شاء الله .

معركة اليرموك

● ارجو ان انبه الى خطأ تاريخي ، اعتقد انه خطأ مطبعي ، وذلك في مقالة الاستاذ الدكتور محمود السمرة في عرضه لكتاب « المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى » للدكتور ابراهيم طرخان ، في مجلتكم الرائدة « العربي » العدد ١٥٠ ربيع الاول ١٣٩١ هـ الموافق ايار ١٩٧١ م .

وقد ورد الخطأ في السطر السابع من العمود الثاني من الصفحة الخامسة والأربعين بعد المائة حيث جاء « معركة اليرموك ١٥ هـ/٦٢٦ م » ، والصحيح كما هو معروف لدى الدارسين والمؤرخين هو ٦٣٦ م وليس ٦٢٦ م . ولعل ذلك خطأ مطبعي، كما اسلفت ، لا يخفى على الدارسين للتاريخ الاسلامي ، لذا ارجو التنبيه اليه .

جميل بني عطا ــ الاردن

خريطة الوطن العربي

● لقد ارسلت للعربي قبل هذا خطابا موضحا فيه الاخطاء في خريطة الوطن العربي المهداة مع العدد الممتاز وانا لا اشك في حرص العربي على نشر كل تصويب ولكن ربما لم يصل خطابي فارجو منكم تصويب الآتي في جمهورية السودان .

١ ــ مدينة الخرطوم تقع بين النيل الازرق والابيض في الملتقى .

٢ ــ مدينة كوستي والدامر ودنقلة و واو وابو حمد موضحة بعيدا عن ضفاف الأنهار في حين انها تقع على ضفاف الانهار .

التجاني حسن محمد علي
الدويم ــ السودان

العربي : سبب هذه الاخطاء ونحن نعلم بها ان مواقع المدن التي ذكرتها يضعها عادة صانع الخريطة على الورق الشفاف الذي يغطي الخريطة ، وعند التصوير ، ومع اختلاف درجة الحرارة تتزاح هذه المواقع عن مواقعها الاصلية . وسنحاول تلافي ذلك بوسيلة فنية اخرى مستقبلا .

يقترح استطلاعا للمدينة المنورة

● انني واحد من القراء الذين يفخرون بمجلتهم « العربي » فهي « منهلنا العذب » ، الذي نعب منه عبا مع بداية كل شهر جديد . ولكن لي كلمة عتاب صغيرة .. لقد لاحظنا انكم تستطلعون بعض البلدان العربية كثيرا ، بينما لا نجد للبلدان الاخرى نصيبا كنصيب اخواتها ، ومن بين هذه البلدان الاخرى ، بلدي المملكة العربية السعودية . تعالوا الى المدينة المنورة ، فسوف تجدون فيها اليوم مدينة جديرة بالاستطلاع على صفحات العربي .

ناصر حمد
المملكة العربية السعودية

العربي : سنفعل باذن الله .

المرأة الكويتية العاملة

● اعجبني استطلاعكم عن المرأة الكويتية في ميدان العمل ، لقد شعرت بعد قراءته ان هناك مجالات كثيرة فعلا خاضتها الفتاة الكويتية بنجاح مشرف . ارجو ان تبلغوا شكري لهؤلاء الفتيات اللواتي يعملن ويقدمن للوطن ما تفخر به الامة وتعتز .

منيرة سليمان ــ الكويت

أين صفحة الطب المصور ؟

● لاحظت في مجلتكم الحبيبة انقطاع باب (صفحة الطب المصور) في الاعداد القليلة الماضية وانا كبير الامل في ان يعود هذا الباب الى مكانه بالمجلة ، كما نرجو زيادة صفحات هذا الباب القيم اذا امكن .

مجبل سليمان المطوع ــ الكويت

(البقية على صفحة ١٧٣)

رجال الشرطة بين حرية الفرد

■ اتحدث فى امر الشرطة ورجالها ، ولو لم يكن لى فى سابق حياتى اتصال وثيق بها ، فى بلد ولدت فيه او بلد حللت به . واقعد الآن اتذكر ما كان لى بها وبهم من اتصال فلا اكاد اذكر انى دخلت مخفرا للشرطة ، يوما ، شاكيا او مشكوا .

تجربة اولى

واذهب فى السنين الى الوراء ، عشر سنين فعشرا ، فعشرا ، فاجدنى جالسا فى بيتى ، من بعد غداء ، فى حجرة الجلوس استريح . فاذا طارق يطرق الباب . واذا الخادم ياتيني فيقول : انه ضابط بوليس . ففكرت لحظة . لم يكن من عادة البوليس ان يطرق بابى . وقلت للخادم فليتفضل . ودخل الضابط ومعه زميل ، ورحبت بهما ، وقلت خيرا ان شاء الله . قال الضابط : انها مسالة بسيطة . قلت : هاتها . قال اتعرف جمعية كذا . وذكر اسمها . قلت : اسمع عنها واقرا . وسال : الك صداقة باى من اعضائها . قلت لا اعرف من اعضاؤها حتى اجيبك .

عندئذ اخرج ورقة مطبوعة ، هي عبارة عن منشور دورى ارسلته هذه الجمعية بالبريد الى الناس . وسألنى الضابط : هل جاءتك هذه النشرة . ونظرت فيها وذكرت انها جاءتنى ذلك الصباح . قلت : نعم . قال : وماذا صنعت بها : قلت لعلى القيتها فى سلة المهملات فى مكتبتى فى الدور الاعلى . واحسست بان الضابط يريد ان يستوثق . عندئذ ناديت الخادم . وقلت له احمل الينا سلة المهملات من مكتبي . وصعد الخادم وهبط بالسلة . واذا بين الاوراق تلك النشرة . فبسطها الضابط وقد انفرجت اساريره .

وهمّ بالقيام وهو يقول شكرا . ثم اردف فقال : كان من حسن حظك ان وجدنا النشرة فى سلة المهملات . فسالته ، من اين عرفتم ان نشرة كهذه قد جاءتنى (وقد خلت ان البوليس هو الذى ارسلها) قال : فتشنا الجمعية



طة

وسلامة الجماعة

بقلم رئيس التحرير

فوجدنا فيها جدولا به اسمكم . قلت : واسم من ايضا ؟

فذكر لي رجالا هم اصدقاء لي قدماء منهم احمد امين وطه حسين وغيرهم .

قلت : ارجو ان تكون عندهم سلة للمهملات كالتي عندي .

تجربة لي لم تكن لتزيد القلوب محبة .

وتجربة ثانية

وتمضي نحو عشر سنوات بعد ذلك فتاتي لي تجربة بالشرطة اخرى .

بين الفجر والشروق ايقظنا في منزلى دق جرس الباب الخارجى المتواصل . قلت لصاحبتي ليت شعرى من يكون الطارق فى هذه الساعة . وارتديت الروب واطللت من شرفة مكتبتي (وهي لصق حجرة نومي دائما) على الحديقة في صدر الدار . فوجدت سيارة مكشوفة بها رجال البوليس ، وضابطا منهم كان قد سبقهم فعبر الحديقة الى باب الدار واخذ يدق . فلما رآني الرجال نبهوا الضابط ، فرفع راسه ورجاني ان انزل اليه برهة . عندئذ ظنت زوجتي الظنون . ونزلت وفي قلبي ما فيه . وفتحت الباب . فاذا الضابط يقول : جاءتنا اشارة من رئاسة

مجلس الوزراء بالاسكندرية يرجونك الحضور على عجل الى الاسكندرية . وكان الفصل صيفا . قلت : خيرا ان شاء الله ، وقد ظهرت في صوتي الريبة . قال الضابط ليس هناك ما يريب . انهم

سلة المهملات ، كان بها الخلاص .



يطلبون اليك انتحضر بالسترة الرسمية السوداء ، لان المسألة تتعلق بدخولك الوزارة الجديدة .

كانت مفاجأة لى ، لا ادرى كيف اصفها . كانت بين الغبطة والالم .

فما شان رجل يعمل فى حقل يسمونه حقل العلوم بوزارة اهدافها الاولى سياسية .

ومع ذلك بقيت بى ريبة من رجال الشرطة .

واصبح الصباح ، ونزلت الى عملى كالعادة .

كنت اختصمت مع بعض الرجعيين فاثاروا على ما نشرتُ فى جريدة الاخبار ثائرة كبرى ، واتصلوا بالملك . ودعانى الملك . وتحدث معى فى كل شيء الا ما نشرت . فخلت فى دعوة البوليس هذه الاخيرة لى الى الاسكندرية مكيدة .

واتصلت ببوليس المعادى حيث اقيم ، اسأله عن صحة هذه الدعوة . فصح عندى صدقها .

وقامتْ عندى على التو مشكلة السترة الرسمية السوداء .

لم اكن من المستوزرين ولا المستوزَرين .

واتصلت على الفور باصدقائي من قدامى الوزراء ، اقترض منهم سترة . ولم تلبسنى من ستراتهم غير سترة الصديق الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى (شفاه الله وعافاه) *، لولا قصر فى الاكمام . ولكن كان بروز كمّ القميص الابيض زينةً فوق زينة .

وكانت تجربتى فى الوزارة تجربةً مرّة ، عرفتُ منها ان للحكم ظاهرا يعرفه الناس ، وان للحكم باطنا لا يعرفونه ، وليس هذا كذاك .

رجل مثلى تعود ان يقيس الاطوال بالمتر ، فاذا وجد شيئا طوله عشرة سنتيمترات لم يستطع ان يقول انها عشر بوصات ، ولو قراها عشرون رجلا من حوله من اهل الحكم وقالوا انها البوصات لا السنتيمترات .

انها عادة لاهل العلم يضيق بها اهل السياسة .

وتجربة ثالثة

وهل امضى فى ذكر التجارب وقد طواها الزمان طيا

انها ليست تجارب شخصي انا، ولكنها تجارب زماني ، فانا انما اصف بها زمانا لا أنسانا .

وهذه التجربة الثالثة تجربة ايضا قديمة عفى عليها الزمان فلن يضيق بها اليوم احد .

حضرتُ الى بلدى ، بعد غيبة طويلة، لقضاء ايام عشرة او لعلها خمسة عشر ، ونزلت فى منزلى الذى تركته سنوات . وفى صباح اليوم الثالث لمحت من نافذة مكتبتى شابا حسن الملبس يقف عند بوابة الحديقة يتكلم مع الحدائقى، ويشير الى المنزل . ولما نزلت سألت الحدائقى : من كان الرجل ؟ . قال لا احد يا سيدى قلت : الرجل الشاب الذى سألك عن المنزل . قال : آه ، هذا الشاب . انه كان يسألنى عن الدكتور متى يستيقظ ومتى ينام ، وهل ينام فى الظهيرة ، ومتى يخرج من البيت . قلت : اجبته ؟ قال : بقدر ما عرفت .

ومضى يوم ويوم واذا بى الاحظ ان سيارة ، بها هذا الشاب ومعه السائق ، واقفة مختفيةوراء حديقة الجار ، وكلما خرجت من الدار ، بسيارتى ، لاحقتنى

---

* العربي : كتب رئيس التحرير هذا المقال ، ودعا لصديقه الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى بالعافية والشفاء . وسافر من بعد كتابته الى اوروبا ، ثم اتضح بعد ذلك ان هذا الدعاء انما كتب فى نفس اليوم الذى صعدت فيه روح الفقيد الى ربهـا .

وتابعتني ، حتى اعود . ويأتي الليل فلا اراها .

« ان الدكتور ينام في نحو العاشرة » .

وهكذا استمر الحال .

وعصر يوم كان لصديقي الاستاذ احمد السقاف اطفال يدرسون في مدرسة خاصة بعيدة عن بطن العاصمة . فرحت ازورهم لاطمئن عليهم . واخطأت الطريق . وتنقلت للوصول الى المدرسة من شارع الى شارع ، وسيارة صاحبنا الضابط الشاب تتبعني ، حتى اتعبتها عن غير قصد . وكدت ان اقف واعتذر عن ذلك ، ولكني فعلت ذلك مرة فأطلقت السيارة ساقها للريح .

وفي آخر يوم ، خرجت من منزلي ضحى . ونظرت فاذا صاحبي الضابط الشاب ، وهو دائما في ملابس مدنية ، واقف في شارعنا الهادىء ، ذي الشجر ، عند وابور زلط ، وهو تلك القاطرة الثقيلة التي تمر في الطرقات لتصليحها . فرأيت الفرصة سانحة لاتحدث اليه . وذهبت ناحيته . فلما رآني قادما اختفى وراء وابور الزلط . ومع هذا وصلت اليه . وقلت :

ــ السلام عليكم .

ــ عليكم السلام .

ــ اتسمح لي يا عزيزي الشاب فتفصح لي عن السبب في متابعتك اياي كل هذه الايام ؟

ــ اي متابعة يا سيدي ؟

ــ اسمع . انت تعرفني ، لا شك في هذا .

ــ ابدا . انا ما رأيتك قط في حياتي .

ــ اكرر انك تعرفني . اني اعرف انك شاب من شباب بوليسنا الطيب . وانت في قيامك بمتابعتي انما تطيع امرا ، وواجب ضابط البوليس الاول الطاعة . ولا ألومك عن متابعة . ولا الوم من امرك ، فقد يكون هناك سبب وجيه لهذه المتابعة . والبلاد ، وكل بلاد ، فيها من الاشرار كثرة من الناس ، لا بد من متابعتهم الى اوكار شرورهم . ولكن البوليس ايضا كثيرا ما يخطىء ، فيرى الشر حيث لا شر . فقل لي ماذا افادتك متابعتي هذه ، وماذا وجدت لتنقله الى رؤسائك .

قال : والله يا دكتور ما عرفنا عنك الا خيرا .

اذن هو كان يعرفني . وتابع القول :

ــ بل ان مكانتك عندي ، وعلى الاخص عند ابي مكانة كبيرة . وهو كثيرا ما قرأ لك ، ويحفزني على ان اقرأ .

لما رآني ضابط البوليس قادما ، حاول ان يختبىء وراء وابور زلط



قلت :

بعد هذه المعرفة ، اصغ الى ما اقول: انا لا الومك او الوم من ارسلك ، ولكني اعتب عليكم جميعا بانكم لا تفرقون بين رجال ورجال . ان لمثلي ، اذا كانت هناك شبهة ، أن تستدعوه وتطلعوه عليها ، وعندئذ سوف تعلمون منه خيرا مما تستمعون اليه من الف مخبر . اما اذا ضاعت ثقتكم في كل اهلكم ، فكلهم عندكم اشرار ، فالويل لهم ولكم ولبلدكم ، وكلكم الى ضياع .

واستطردت اقول :

فاذا كان ما اشتبه فيه آمركم ، فيما يختص بي ، هو كذا ، فاذكر له عني ان جواب ذلك هو كذا .

واذا كان كذا ، فجوابي عن هذا كذا .

وعددت له نحو ثمانية اسباب حضرتني . ثم قلت له :

ـ والآن قل للرؤساء اني مغادر البلاد هذا المساء ، بالطائرة ، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

قال :

ـ مع سلامة الله . ولكن لماذا السفر في هذه الساعة المتأخرة .

ـ لان الطائرات لا تقوم الى حيث اعمل الا في هذه الساعة . والآن سوف انصرف لاشتري جبنة بيضاء لاننا نشتهيها هناك ولا نجدها . قال :

ـ اؤكد لك مرة اخرى انه ليس عليك من شيء . ومع السلامة في الحل والترحال .

وخيل الى ان الشاب تألم .

وذهبت الى الطائرة في الموعد المعلوم ، وانا مقدر اني قد اعود عنها دون سفر . ولكن الله سلم .

تجارب ليس فيها ما يسيء

هذه تجارب ثلاث ليس فيها ما يسيء . لا ما يسيء الي ، ولا حتى الى رجال الشرطة .

فالشرطة هدفت الى شيء ، من واجبها ان تهدف اليه ، ولكنها ضلت اليه سبيلا .

فعن التجربة الثالثة علمت فيما بعد ، من بعض رجال البوليس ، ان الذي جرى لي جرى لغيري ممن حضروا للبلاد في تلك الايام ، فكان عملا روتينيا ، قام البوليس به بعد ان علم ان رجالا حضروا ومعهم عملة صعبة يهربونها الى داخل البلاد .

علمت ذلك واسفت اني في حديثي الى شاب الشرطة ذاك ، خطر في بالي كل شيء ، الا تهريب العملة . وزاد في شبهة البوليس عني ، اني حضرت الى بلدي ولم اذهب الى مصرفي لآخذ منه مالا . ونسوا ان زوجتي ربما كانت سبقتني الى ذلك .

ثم هل تخف الريبة هكذا بسهولة ، برجال الشرطة ، وبهذا الاتساع ، وبغير تقدير للرجال ، الا ان تكون الثقة ضائعة بين حاكم ومحكوم . ام لعلها المعاملة ، من مراكز القوة الى مراكز الضعف ، من مراكز الشرطة الى مراكز الشعب ، هي التي اوحت وتوحي الى رجال الشرطة بما توحي .

ام ان رجال الشرطة ، عرفوا عن شعبهم من التخلف ما عرفوا ، فكل ذمة فاسدة الا ان يثبت خلافها ، وكل رجل مذنب الا ان تظهر براءته .

وانظر في هذا الراي فلا اكاد اعارضه كثيرا . فالتخلف لا يكون في امة على جبهة واحدة ، وانما هو جبهات . وهي جبهات متساوية ارتفاعا وانخفاضا . فالفقر يصحبه على مثل مستواه الجهل . والفقر والجهل تصحبهما على مثل مستواهما الاخلاق .

الشرطة كابحة والحرية ترفض الكبح

ان الناظر في واجب الشرطة يجد ان

اكثر هذا الواجب المنع لا الاباحة . او ان شئت فالكبح ، فرجل الشرطة كثيرا ما يعمل عمل كابحة السيارة ، اذ يهدىء صاحبها من سرعتها الخطرة . وصاحب السيارة الذاهب فى سيارته بسرعة الريح ، لا يقبل عن رضا ان تكبح سرعته بسهولة .

ان المواطن له فى وطنه حرية واسعة ، الا ان يحد منها رجل الشرطة . السائر فى الطريق مثلا له ان يستخدمه للمرور فى اى وقت يشاء ، ويدخل ما على جانبى الطريق من محلات التجارة ما يشاء ، وان يفعل ما يشاء الا ما يقول رجل الشرطة ان عليه ان لا يفعله .

من اجل ذلك نجد العاطفة السائدة عامة بين الجمهور والشرطة هى قلة فى المحبة والود . وحتى لو رجع الانسان الى حقيقة عمل الشرطى ، وادرك انه يحمي المنزل من السرقة ، ويحمي النساء من الاعتداء ، ويمنع الحي من اضطراب يقوم فيه ، لكانت حصيلة هذا التفكير احتراما يكتسبه رجل الشرطة بين مواطنيه ، ولكنه قلما يبلغ فى المحبة ، لا سيما عند العامة ، الدرجة الواجبة . وهو قد يبلغ هذه الدرجة عند الفلاسفة ، ويبلغها اصطناعا بحكم الفكر لا بحكم العاطفة المرسلة .

والسبب فى ذلك ان واجب رجل الشرطة الاول هو المنع . انه لا يكاد يقول « نعم » ابدا ، ويقول « لا » دائما . انت مثلا تستطيع ان تشترى من الطعام ما تشاء ، وتأكل منه فى بيتك ما تشاء . وقد تتخلف عن الطعام نفاية تركها على جانب الطريق خارج بيتك ، ولكنك لا تكاد تفعل ذلك حتى يأتيك رجل الشرطة ويقول لك « لا » . انت تفكر وتقول ان الحق معه ، فلو ان كل ساكن رمى بنفاية بيته فى الطريق لكان كل الطريق نفايات . يقر بذلك عقلك ، ولكن لا يرضاه قلبك ، ولا ترضاه على الاخص قلوب النساء . انه حبس للحرية وكبح لارادة لا تبش له النفوس على الفطرة .



رجل الشرطة لا يكاد يقول نعم ابدا ، وهو يقول « لا » دائما .

والشرطة
لا بد لها من ثقافة كافية

ان الشرطة اداة للتنفيذ . وهى لتنفيذ اوامر تأتيها غالبا من فوقها . وهى اوامر مجملة ، يظهر اجمالها عند التطبيق فى المواقف الحاسمة مهما احتوت تلك الاوامر من تفصيل وتفصيل .

فكثيرا ما تتكشف المواقف عن تفاصيل لم يتنبه لها عند الصياغة حتى صائغوها . ويكون المعوّل بعد ذلك على رجال الشرطة انفسهم ، يترجمون ما غمض هدفا ويقدّرون .

وهنا لا بد لرجال الشرطة من ثقافة كافية .

لا يكفى ان نأتى بالرجل من الحقل ، او من الصحراء ، لنصنع منه رجل شرطة فى يوم وليلة .

ان رجال الحقل ورجال الصحراء فيهم فطنة وفيهم ذكاء ، ولكن علاقة الانسان بالانسان ، وهى اخطر ما يجب ان تكون بين شرطة وشعب ، لا يكفيها

الذكاء الفطرى . لا بد فى ذلك من الذكاء المتنشىء فى مدرسة وفى مدينة .

ولرجال الشرطة فى البلاد التى نمت تدريب مع الثقافة طويل . ومن اجل هذا زادت هناك واجبات الشرطى على محض حفظ الامن، فهو رجل فى الشعب معوان، فى ليل وفى نهار . ويسال عن كثير ، فيجيب ويحسن الجواب عن كثير .

كنت ذات مرة نازلا فى بيت فى عاصمة فى بلاد الغرب. وكان البيت بيت صديق. وفى الليل دق الباب واذا على الباب رجل الشرطة ومعه فتاتان معهما حقيبتان . قال رجل الشرطة لربة البيت : هاتان فتاتان بحثتا عن حجرة فى فندق فلم توفقا . ولا يجوز تركهما فى الشارع يقضيان فيه الليل . فهل عندكم لهاتين الفتاتين ماوى الى الصباح .

وبالطبع كان الجواب نعم . وفرشت لهما ربة البيت فى حجرة الصالون ما ناما عليه ، بعد وجبة طعام .

هذا رجل بوليس لم يترك المدرسة الا فى السابعة عشرة او الثامنة عشرة . لهذا كانت له دراية وكانت به فطنة ، وكان به حسن تصرف . وتصرف نحو الفتاتين كما يتصرف الرجال .

وبالطبع لا يمكن ان يصعد بلد بثقافة شرطته الى هذا الحد الا اذا هو بلغ برجال الشعب ونسائه هذا الحد من الثقافة او ما فوقه .

واذن فالبلد المتخلف لا بد متخلفة كذلك شرطته .

وفى البلاد المتخلفة كثيرا ما تضفى البذلة الرسمية على بعض رجال الشرطة من مظاهر السلطة فوق ما يجب ان يكون لهؤلاء الرجال الجهلاء من سلطان، وتصبح البذلة وحدها قانونا مسلطا على رقاب الاذلاء الضعفاء الفقراء من الشعب ، لا سيما بعيدا عن المدن والعواصم .

وفى بيئة كهذه لا تلبث ان تظهر الصقور التى تستغل مراكز السلطة بين بغاث الطير والحمائم .

ولهذا قل ان اجد فى الريف العربى عامة ، فيما عرفت منه ، مودة بين حماة الامن والشعب من اهل الريف . هناك السلطة ، نعم . وهناك الخوف ، نعم . اما المحبة الخالصة ، فلا .

رجل بوليس يدق الباب ، ومعه فتاتان يطلب لهما ماوى





البذلة تعطي رجل البوليس
الجاهل سلطة غير معقولة

الشرطة الراقية
فى الامة الراقية

هذا ما وجدته وقد طوفت ببلاد كثيرة، فى شرق وفى غرب .

نزلت ببلاد وجدت الشرطى فيها يسير مع اخوان له حفاة ، ويجرى بينهم المزاح الهازل العابث السخيف ، الذى يهبط بحرمة البدلة الرسمية الى الحضيض .

ونزلت ببلاد وجدت الشرطى فيها يحمل فطوره بين يديه وهو يتناوله فى الطريق بجشع ظاهر .

وفى اسبانيا ، فى قرطبة بالذات ، وجدت الشرطى ، منظم المرور ، اشبه شيء بالبهلوان ، او مضحك الملك ، يدور على قدميه بخفة وسرعة . كان ذا روح مرحة . والناس من حوله تضحك . وضحكت مع الضاحكين . ولكن لا شك بكت كرامة الشرطة لو ان لها عينا تبكى .

وفى فرنسا والنمسا والمانيا للشرطة مكانة واحترام ، وادب جم .

وصاحب الشهرة العالمية فى ممارسة هذه المهنة الخطيرة انما هو الشرطى الانجليزى .

يمشى فى تؤدة، ويحدثك فيما يكاد ان ان يكون همسا ، وتبرق من حوله المتاعب وترعد وهو ثابت تحسبه غير واع بالذى يجرى حوله ، وهو انما يفكر ويدبر . وقد تقترب منه المظاهرة، فيمشى اليها ببطء ، واذا به يتحدث الى رجالها حديثا لا تدرى ما فحواه ، ولكنه على كل حال حديث غير غاضب ، يحوطه البرود على الاقل من جانب واحد ، هو جانب رجل البوليس او رجاله .

وكثير من هذا يرجع الى احترام الناس رجال شرطتهم .

وهم يحترمونهم لان فيهم ثقافة كثقافتهم ، ولان بهم وطنية كوطنيتهم ، وان رجل البوليس يجلس الى رجل الشعب ، ويتحدث اليه ، فلا يدرك انه انما يتحدث مع مخلوق لا يعرفه جاء من جزيرة سوقطرا ، ذلك ان التعليم واحد، والفكر واحد ، ومراتب العيش ومشاكله بينهم جميعا متقاربة .

وهذه اسباب تجدها فى انجلترا وفى سائر بلاد الغرب من اوروبا . ولعل الشرق من اوروبا هو كذلك .

رجل الشرطة
حصيلة بلده

على ان رجل الشرطة الانجليزى ليس حصيلة نفسه وحده ، وحصيلة ثقافته وحدها . انه حصيلة بلده . وهو حصيلة تاريخ بدأ عنيفا صاخبا ، لا ديمقراطية فيه ، ثم هو على القرون تمقرط .

عشرات السنين ومئاتها حاربوا فيها من اجل الحرية حتى استقرت فيهم على حال ، لا اقول من الوجهة الانسانية ، هو



رجل الشرطة الواحد يحرس الدار الخاصة لرئيس وزراء انجلترا .

خير الاحوال . ولكن حال فيه من الرضا الشيء الكثير .

ومع الديمقراطية دخلت البلاد اشتراكية واسعة قاربت ما بين الطبقات .

ففي هذا الجو ولدت الحريات في انجلترا ، وبها استقرت .

وما الشرطة الا اداة ، تأذن للحريات ان تكون او لا تكون .

حرية الفرد وامن الجماعة موازنة صعبة

ان حرية الفرد اذا اطلق لها العنان ذهبت بأمن الجماعة .

وامن الجماعة ، اذا بولغ فيه ، ذهب بحرية الفرد .

ورجل البوليس عليه حراسة الممتلكات من السرقات ، وعليه ان يسود السلام في الطرقات فلا يكون فيها الهرج والمرج ، وعليه تدبير المرور لسلامة المارة ، الراجلين والراكبين على السواء ، وعليه تتبع المجرمين والكشف عن مخابيء الاجرام دون اصابة الابرياء ، وعليه وعليه . .

ورجل البوليس ، في كثير من كل هذا يجد انه لا بد له من الحد من حرية الفرد ليؤمن سلامة الجماعة . ولكن في ممارسته لذلك يجوز عليه ان يحد من حرية الفرد اكثر مما يجب . او قد لا يحد منها الكفاية التي يتطلبها الأمن .

هذا كلام يجوز على كل بلد .

وفي انجلترا بالذات جعلوا لذلك قواعد انتجتها الخبرة وسجلتها أحكام القضاة فصارت قواعد يهتدى بها .

الميزة الكبرى التي عندهم هي دقة في الموازنة بين كفتي الميزان .

ولنضرب الأمثال .

القبض والتوقيف لا يكون ألا برخصة من قاض

من امثلة ذلك ان رجل البوليس اذا اشتبه في امر شخص انه فاعل فعلا غير قانوني ، لا يستطيع ان يقبض عليه . لا بد له من ان يعرض الأمر على رجل من رجال القضاء ، ولرجل القضاء أن يتصرف فاما ان يعطي واما أن يمنع . يستثنى من ذلك أشياء ، كأن يقبض على سارق في حالة تلبس .



موازنة صعبة

تفتيش الاماكن الخاصة

وقضية حدثت عام ١٩٦٤ . مر رجال الشرطة ذات ليلة بمصنع ، فوجدوا فى الطريق اجزاء جديدة لسيارة، ادركوا على الفور انها لا بد مسروقة . وساروا فى الطريق الى ساحة مجاورة تتبع مقهى ، ودخلوا المقهى عسى ان يجدو السارق فيه . والتقى بهم ابن صاحب المقهى ، ولما علم ما قصدوا اليه طلب اليهم الخروج من المقهى على الفور. ولما امتنعوا اعتدى الشاب على رجل منهم .

وكانت محاكمة ، لان الاعتداء وقع على رجال البوليس اثناء قيامهم بعملهم . ووجدت المحكمة ان رجال البوليس لم يكن لديهم مبرر كاف لاحتمال وجود السارق بالمقهى ، واذن لم يكن لهم حق البقاء بعد ان طلب اليهم ابن صاحب المقهى الخروج . وبراوا الشاب .

والحق انه جاز لصاحب المقهى فوق ذلك ان يرفع قضية يطالب رجال البوليس بالتعويض عن انتهاك حرمة المكان .

وفى الاجتماعات العامة

ويشترط البوليس فى الاجتماعات العامة ، وقبل ان يأذن بها ، ان لا يقع فيها شغب ولا اضطراب اذا هى انعقدت، وهو يأخذ على مدبرى الاجتماع تعهدا بذلك . ويحضر البوليس الاجتماع العام خشية أن يحدث فيه تعكير للامن . ولا يقبل البوليس اجتماعا او يمنع اجتماعا ، بسبب ما يلقى فيه من آراء ترضى عنها الحكومة القائمة او لا ترضى.

ومن ذلك ان جماعة من الاشتراكيين القوميين (الفاشست) ارادت ان تقيم اجتماعا كبيرا ضد اليهود فى ميدان الطرف الأغر بلندن . ولم يجد رجال السلطة فى القانون واللوائح ما يأذن لهم بالتدخل بعد عمل الاجراءات العادية . واذ توقعوا ان شيئا قد يحدث قام البوليس بعمل نطاق من رجاله حول منصة الخطابة يحمى الخطيب او الخطباء . وجمع اليهود والمناصرون لهم من اعداء الفاشية عددا اربى على الالفين . وبدا الاجتماع ، وقال الخطيب ما قال . وبدا النزاع والتراشق حتى امتد الى المضاربة بالايدى عندئذ تقدمت جماعات البوليس على الفور لفض الاجتماع وتشتيت المجتمعين . وهى تشتته ، لا كراهة فيما قيل من راى فيه ، ولو كان رايا كرهه اكثر الناس ورجال الحكم، ولكن للذى ترتب عليه من اختلال فى السلم الذى هم حفاظه .

ان البوليس يأذن بالكلام من اى نوع، على ان لا يكون دعوة للفوضى والاخلال بالامن ، ولكنهم يتدخلون عندما يرون كلام الخطباء ادى الى الاخلال بالامن ، ولو كان خير كلام واحسن كلام .

استراق السمع عن طريق الهاتف

هذا موضوع خطير ، لانه يفضح سر الرجال ، وسر النساء ، وهم لا يدرون عما يجرى خلفهم من الامر شيئا .

ان ما يقال على الهاتف ليس سرا دائما ، ولا كل حديث تحمله الاسلاك يؤدى نشره الى فضيحة . ولكن لا شك أن هناك من الاحاديث ما يرى الناس ان بضعة منهم ، وانه ، كبعض اجزاء الجسم ، ينفر الناس من تعريته .

واستراق السمع عن طريق التلفون كان يتخذ منه البوليس الانجليزى وسيلة للكشف عن بعض الجرائم . ثم حدث ان افتضح امره ، فما كان من الحكومة فى عام ١٩٥٧ الا ان كونت لجنة ملكية تبحث هذا الامر .

وبحثت اللجنة ، وبحثت ، وخرجت باجازة الاستراق فى مكافحة الجريمة ، واشترطت ان لا يكون الا بتصريح يصدر عن الوزير المختص، وفى اضيق الحدود.

واشترطت للجريمة التي لا بد لها من استراق السمع ان تكون من الوجاهة والخطورة بحيث تستأهل هذا العمل الذي هو في صميمه غير مرغوب فيه ، وانما يلجأ اليه عند انسداد الطرق الاخرى التي توصل الى كشف العبث بقوانين الحكومة او اعراض الناس .

وهنا يعود الامر ، كما يعود في كل شيء ، الى صفة من يقوم بمثل هذه الأمور . وعلى اي درجة من النزاهة هم ، وعلى اي درجة من الائتمان بالسر . فان جاز في بلد كانجلترا ان يسترق السمع ، فما اظن انه في كل بلاد الدنيا يطمئن الناس الى ان اسرار أسرهم والبيوتات لا تستباح بعد خروجها الى رجال الشرطة فيهم .

واحصت اللجنة الملكية اكبر عدد استراق قامت به الحكومة الانجليزية في العام فكان ٢٤١ استراقا .

ومن هذه المرات مرة اجازوا فيها استراق السمع بين مجرم معروف ومحام ، وقد دل هذا على مشاركة المحامي في الجرم ، او محاولة ذلك . ولهذا حذف اسم المحامي من جدول العاملين . حذفته النقابة لا الحكومة .

شرطة تنشر الرعب

الشرطة في الاصل لحفظ الأمن ، وان يسود السلام وتسود الطمأنينة في الناس.

ولكن من اجهزة الشرطة اجهزة تنشر الرعب في الجماعة مكان الأمن ، وتسبب القلق للناس حين يصحون ، فاذا آووا الى فراشهم ، رقدوا وفي صحبتهم الخوف ان يطرق بابهم في الظلام طارق .

هذه الاجهزة في البشر قديمة .

ولكنها تتجدد من حين الى حين . والناس تتقدم ، والعلم يتقدم ، والتكنية تتقدم . وكان من أثر ذلك في هذه الاجهزة ، حين يبعثها باعثوها ، انهم يبدأونها بنشر الديمقراطية في الناس ، والتحدث عن الظلم وبث الكراهة له . وتوجيه ابواق الصحف لتبشر بالعصر الذهبي المرتجى . كل هذا ليكون غطاء لهذه الاجهزة لكي تعمل في الظلام اعمالها البشعة .

هذه الأجهزة قامت في اوروبا في كل العصور ، فليس في امرها اليوم جديد . وهي اليوم قائمة في الكثير من بلاد الارض ، في آسيا ، في افريقيا ، في امريكا ، وحتى في بعض بلاد اوربا ، وحيثما وُجد انسان أعطي من السلطان فوق ما جاز ان يعطى الا لله .

هذه الأجهزة لم اتناولها بالحديث .

فقد انكشفت حتى لم يعد هناك حاجة الى زيادة من كشف . وانكشفت لتختبىء ، ثم لتعود الى انكشاف .

والله المستعان على ما يصفون . ●●

أحمد زكي

استراق السمع من الهاتف .



مسابقة العربي

تسعة أسئلة ومائة دينـــار ..

اختبر معلوماتك واربح إحدى الجوائز

■ هذه مسابقة أخرى من النوع الذي يجمع بين المتعة والفائدة والذي يتطلب منك بعض الجهد للفوز بجائزة .. لقد درجنا على هذا النوع من المسابقات في الشهور الأخيرة ووجدنا من اقبال القراء ما شجعنا على المضيّ فيه .. والمطلوب منك هو أن تجيب على سبعة من الاسئلة التسعة التالية ..

١ ـ الحلْمُ سَيّدُ الأخلاق ...
يوجد خطأ في تشكيل احدى كلمات هذه الحكمة ... أكتب هذه الكلمة مشكّلة التشكيل الصحيح ...

٢ ـ مسرحية حديثة كتبها كاتب عربي ، عنوانها « يا طالع الشجرة » فما اسم كاتبها ... ؟

٣ ـ فاطمة ورقية ابنتان من بنات الرسول (صلعم) . فمن كان زوج كل من هاتين الابنتين ..

٤ ـ بيت مشهور في اللغة العربية ، نصفه الثاني هو : ما الحب الا للحبيب الأول ..
فما هو نصفه الأول .... ومن هو قائله ؟ .

٥ ـ الأسفنج والفلين ... مادتان معروفتان منذ قرون ، فما أصل كل منهما ، حيواني أم نباتي ؟ .

٦ ـ جبل كلمنجارو هـو أعلى جبـال القارة الأفريقية ... يبلغ ارتفاعه ١٩٣١٧ قدما ويقع في تانزانيا .. وعلى قرب جبل كلمنجارو من خط الاستواء ، فان الثلوج تكسو قمته معظم أيام السنة .. فما اسم أعلى جبل في آسيا،وما اسم أعلى جبل في أوروبا؟.

٧ ـ احدى الولايات التي تتكون منها الولايات المتحدة الأمريكية كانت تابعة للمكسيك قبل انضمامها الى حكومة واشنطون . وهي ولاية كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو عشرة ملايين . ومع أنها تزرع الحنطة والذرة والأرز ، الا أنها شهيرة كذلك بزراعة القطن ... فما اسم هذه الولاية ؟ .

٨ ـ الدورة المقبلة للألعاب الأولمبية ستقام في مدينة مونيخ الألمانية فيما بين ٢٢ يولية (تموز) و ٦ أغسطس (اب) سنة ١٩٧٢ . فاين اقيمت دورة ١٩٦٨ ، ودورة ١٩٦٤ من هذه الألعاب ؟ .

٩ ـ ماركوني عالم ومخترع معروف . ولد في ايطاليا سنة ١٨٧٤ ثم انتقل الى بريطانيا حيث أنجز الاختراع العلمي الذى اشتهر به ، وقد نال ماركوني جائزة نوبل سنة ١٩٠٩ ومات سنة ١٩٣٧ .
فما هو الاختراع الذى اشتهر به ماركوني هذا ؟
١ ـ القطار الكهربائي .
٢ ـ الاتصال اللاسلكي (الراديو) .
٣ ـ المحرك النفاث .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٣ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز ماليـــة : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة

علم الديموجرافيا

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

■ الديموجرافيا Demography كلمة اغريقية مركبة من مقطعين هما Demos بمعنى سكان و Graphy بمعنى وصف وبهذا يصير معنى الكلمة المركبة « وصف السكان» سواء أكان هذا الوصف « كماً »أو « نوعاً » فمن حيث « الكم » يمكننا ان نطلق كلمة ديموجرافيا على مجموعة الاحصائيات التي تصف أو تبين أحوال المجتمع البشري من حيث المواليد والوفيات والهجرة والزواج والطلاق ، وتقسيم السكان ، بحسب الجنس أو النوع وفئات الاعمار والحالة العلمية والعملية الى غير ذلك من امور هامة تخص المجتمع . أما الجانب الوصفي الآخر وهو « النوع » فيختص بتبيان حالة المجتمع من حيث درجة تطوره ونموه وقابليته ومرونته .

أهميته ومجال بحثه

لقد حظي علم الديموجرافيا هذه الأيام بالاهتمام الأكبر فخصصت له الكثير من الندوات والمؤتمرات العالمية والتي تهدف الى النهوض بهذا العلم على أساس من القواعد المنظمة وطرق البحث السليمة، ولعل من أهم هذه المؤتمرات ذلك المؤتمر الذي عقد في العام المنصرم في لندن تحت اشراف جامعتها حضره ممثلون عن الدول المتقدمة والنامية وبحثوا فيه الطرق الصحيحة لتوحيد الجهود وتنسيق العمل في ميدان الدراسات السكانية التي لم تعد اليوم موضوعاً ينفرد به متخصص واحد . نعم ان علم الديموجرافيا هو احد العلوم التي تتناول الدراسات السكانية بالبحث والتحليل ولكن هناك

ايضا علوماً اخرى تدخل ضمن ما يسمى بالعلوم الانسانية Humanities لها ارتباط وثيق بالدراسات السكانية . فالتاريخ مثلا يتتبع تطور الظواهر السكانية التي اشرنا اليها آنفا ويرسم خط النمو السكاني في المراحل التاريخية المختلفة. امّا علم الاجتماع فيبحث عن اسباب ونتائج الظواهر السكانية عن طريق المشاهدة والملاحظة، . امّا الجغرافيا فدورها في هذا المجال كبير وهام فهي التي تتناول هذه الظواهر السكانية بالوصف أولاً ثم تبحث عن السبب والعلة وصلة الظواهر بعضها ببعض وأخيرا تصل الى النتائج والأحكام العامة مع الموازنة بين المجتمعات المختلفة، وهذا كله يتفق مع الهدف الجغرافي العام الذي يدرس ويحلل مختلف الظواهر المكانية ، من طبيعية وبشرية Spacial Analysis ، على اساس من الاختلاف والتكامل :

Areal Differentiation And Integration

الزيادة الرهيبة فى سكان العالم

ولعل من اهم الأسباب التي أعطت العلوم الانسانية تلك الأهمية هو ما طرأ على العالم من زيادة رهيبة في عدد سكانه ، تلك الزيادة التي قد تنذر بانفجار سكاني . وهذه الزيادة هي على كل حال لا تتمشى مع الموارد والامكانيات الاقتصادية بالرغم من كون الضغط السكاني غير متساوٍ في انحاء العالم المختلفة . فهناك اقطار تشكو من كثرة السكان ، كما في الهند والصين واليابان ، بينما لا تزال توجد بلاد في حاجة الى مزيد من السكان كما في كندا واستراليا وغيرهما .

وحتى نعطي القارىء صورة عن عدم التكافؤ بين السكان والموارد ، نقول ان مساحة الارض اليابسة تبلغ حوالي ٥٦ مليون ميل مربع أو ما يعادل ٣٦ الف مليون فدان ، يقابلها ١٤١ مليون ميل مربع او حوالي ٩٠ الف مليون فدان مساحة المسطحات المائية من محيطات وبحار . هذه المساحة بالرغم من كونها كبيرة الاّ انها محدودة وغير قابلة للزيادة فلم تعد هناك اراضي جديدة غير مكتشفة بعد أن انتهى زمان الكشوف الجغرافية منذ نحو مائتين من السنين . امّا الأراضي التي تستصلح فهي محدودة المساحة ومعروفة جغرافيا ، وتدخل ضمن مساحة اليابسة المشار اليها . وعلى النقيض من ذلك فالسكان فى ازدياد مستمر وهائل وخاصة بعد التحكم في الأمراض وما نتج عن تقدم الطب والعلم من تقليل تعدد الوفيات واطالة العمر والأمل في الحياة على الرغم من شيوع نظام تحديد النسل في كثير من بلاد العالم .

ان سكان العالم الذين هم الآن في حدود ٣٫٥ الف مليون نسمة هم ضعف لما كانوا عليه قبل نصف قرن من الزمان ، وهم اربعة امثال ما كانوا عليه سنة ١٨٠٠ ، يوم كان عدد الناس على ظهر البسيطة لا يتعدى ٩٠٠ مليون نسمة . هذا ويمكننا تصور سكان العالم في المستقبل على ضوء الزيادة السنوية التي هي ٢٪ وهي الزيادة الصافية عن طرح نسبة الوفيات من نسبة المواليد التي تتراوح بين ٣ ــ ٤٪ سنويا . واذا ما حوّلنا هذه النسبة الى ارقام مطلقة تكون الزيادة السنوية لسكان العام في حدود ٦٥ مليون نسمة (أي حوالي ثلاثة اضعاف سكان كندا او خمسة اضعاف سكان قارة استراليا) . ولو قسّمنا هذه الزيادة على الزمن لكانت الزيادة بمعدل ١٧٠ الف نسمة في كل ٢٤ ساعة أو خمسة أطفال يولدون فى كل ثانية تمر علينا ، يبقى منهم على قيد الحياة طفلان فقط .

دراسة على مستويات أربعة

هذا ولعل من الممكن دراسة الصلة بين الأرض والسكان على أربعة مستويات هي : أولاً المستوى

العالمي ويدرس مقدار سعة العالم ومساحته الكلية وقدرته على تحمل التزايد السكاني . ولكن عيب هذا النوع من الدراسة انه نظري اكاديمي صرف اذ ان الحدود السياسية والقوانين الخاصة بكل دولة تحول دون تحرك السكان بسهولة بحيث تجعل المناطق ذات الضغط السكاني المرتفع تخفف عن نفسها بالهجرة الى المناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة والموارد الغنية . لذا فانه من الانسب دراسة السكان على المستوى الثاني وهو مستوى الدولة ، وهذا يظهر فيه التباين الواضح بين مختلف البلاد وخاصة ذات المساحة الكبيرة مثل استراليا والبرازيل التي تختلف الكثافة السكانية فيهما من اقليم لآخر ومن جهة الى غيرها . مثل هذا التباين والاختلاف في الكثافة السكانية ضمن الوحدة السياسية الواحدة يقودنا الى دراسة السكان على المستوى الثالث وهو ما يسمى بالمستوى الاقليمي وهو موضوع تهتم به العلوم الاجتماعية بصفة عامة واطلق عليه اسم العلم الاقليمي Regional Science ويشهد عالمنا هذه الأيام تقدماً هائلاً في هذا العلم الذي قام وتطور مستخدماً أحدث النظريات الرياضية والهندسية ، ويرفع لواءه اليوم علماء متخصصون في الاقتصاد والجغرافيا . أما المستوى الرابع في دراسة السكان فينصب على تحليل الصلة بين الأرض والسكان في النطاق المحلي الصغير . كالقرية والمدينة والمحافظة .

نسبة ما يملكه الانسان الفرد من أرض

لو امكننا تقسيم سطح الأرض بالتساوي على السكان فان ما يخص كل فرد ـ سواء أكان رجلا او طفلا او امرأة ـ حوالي ١١ فدانا . ولكن ليست كل هذه الأفدنة صالحة للاستيطان البشري ما دام في العالم اليوم مناطق تخلو الى حد ما من الانسان مثل القارة القطبية الجنوبية والقطب المتجمد الشمالي ، والصحارى الملتهبة الحرارة ، والغابات الاستوائية في قلب حوضي الكنغو والأمازون والمناطق الجبلية الوعرة في الروكي والهملايا . وبناء على ذلك نستطيع ان نسقط من ال ١١ فدانا النسب الآتية : ⅕ هذه المساحة لكونه باردا جدا اذ هو واقع في المناطق المتجمدة ، يضاف اليه ⅕ آخر لوقوعه في مناطق الجفاف الشديدة كالصحارى ، يضاف اليه ايضا ⅕ وهو نسبة المناطق الشديدة الارتفاع ، واخيرا يضاف اليه $\frac{1}{10}$ من المساحة المذكورة آنفا ، وهذا هو نسبة المناطق ذات الصخور الجرداء الخالية من التربة الصالحة للزراعة . من كل هذا يتبقى من ال ١١ فدانا المذكورة حوالي ٣٠٪ فقط ، وهي النسبة التي يمكن للانسان ان يستغلها ويستوطنها من سطح الأرض أو بمعنى آخر فان نصيب الفرد من الأفدنة انخفض من ١١ الى ⅓ ٣ فقط . ولكن ما هو مستغل من هذه الأفدنة اليوم استغلالا حقيقيا هو ⅛ ١ فدان فقط . هذه الأفدنة هي التي تساهم اليوم في انتاج الغلات الغذائية وغير الغذائية اللازمة لمعيشة الانسان واستمراره على سطح الأرض . وبديهي ان كل زيادة في السكان يقابلها تناقص في مخصصات الفرد وملكيته للارض . الا ان الجهود لا تزال اليوم تبذل في سبيل زيادة المساحة المزروعة افقيا وزيادة الانتاج راسيا عن طريق اتباع الدورات الزراعية المناسبة وتحسين الانتاج كماً ونوعاً .

ولكن مهما بذل العلم والعلماء في مجال رفع القيمة الانتاجية للارض فان الزيادة المطردة في سكان كوكبنا تجعل المرء يتساءل عن خط سير هذا المد البشري والى اي مدى يستطيع عالمنا المحدود ان يستوعب مثل هذه الزيادة السكانية . والأهم من ذلك هو كيف يمكن اطعام هؤلاء البشر ؟ هذه فقط بعض اسئلة محيرة قد لا تجد الاجابة الشافية الكافية ، هذا ويبدو ان الوجه السياسي سيتاثر بحجم وتوزيع هذه الزيادة السكانية ولو ان الصورة كما قلنا ستتعدل على ضوء ما يظهره الانسان من كفاءة قادرة على تسخير موارد الطبيعة لصالحه واستخدامه لها بشكل أمثل .

اعتماد الديموجرافيا على الكم أكثر من اعتمادها على الوصف

ان المتتبع لتطور العلوم النظرية في الوقت الحاضر يلمس مدى التحول الهائل في هذه العلوم صوب الكم (الرقم) والبعد عن الاسراف والغلو في الوصف . لقد أصبح الرقم هو الأهم وبالتالي

فقدت الجملة الوصفية مكانتها الاولى في العلوم النظرية ولكنها مقصورة على تفسير الرقم ووصفه وتوضيحه . ويرجع السبب في هذا التحول من الجملة الوصفية الى الرقم (الكم) هو ان الرقم أكثر دقة وتحديداً من الجملة الكلامية ، فمثلا حينما نقول ان بلداً ما عالي الكثافة السكانية او ان مدينة ما تعتبر كبيرة بينما الأخرى صغيرة ، نقع في حيرة حينما نحدد مفهوم الكثافة العالية والمدينة الكبيرة والصغيرة . ولكن قد يزول الالتباس اذا وضعنا لمثل هذه المصطلحات مقاييس رقمية خاصة ، فنعتبر ان البلد الذي يكون معدل كثافته السكانية ٢٠٠ نسمة لكل كيلو متر مربع ، مرتفع الكثافة ، أو ان المدينة التي يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة ، كبيرة . وهذا على الرغم من بعض المآخذ على مثل هذه المقاييس في حالة المقارنات بين منطقة واخرى او بلد وآخر . اذ قد تكون هذه الكثافة السكانية العالية منخفضة في بلد موارده الاقتصادية كثيرة . كما ان بعض المدن تعتبر كبيرة ضمن الوحدة السياسية الواحدة ولكنها صغيرة على النطاق الدولي نظراً لأن هناك اعتبارات أخرى تتعلق باهمية المدينة ومركزها ونشاطها .

ولكن على الرغم مما للرقم من أهمية فى تطوير العلوم المختلفة فان الارقام المطلقة اليوم عاجزة عن التحديد المطلوب الذى ينشده كل علم. ولذلك أخذ الرياضيون على عاتقهم تطوير علم الرياضيات مستخدمين في ذلك العقول الالكترونية Computers وغيرها من الأجهزة العلمية الحديثة ، وبالتالي اخذت العلوم الأخرى تستفيد من هذا التطور وتطبق ما يمكن تطبيقه في مجال اختصاصها حتى نشأ نتيجة لذلك فرع جديد سمي بالرياضيات التطبيقية . هذا الفرع الجديد هو الذي يهمنا في موضوع الديموجرافيا لان عليه الاعتماد في تطوير العلوم الانسانية . هذا والاحصاء هو أيضا فرع يمكن ارجاعه الى فصيلة الرياضيات التطبيقية .

اهمية الاحصاء والرياضيات فى العلوم الديموجرافية

ويكفي للدلالة على أهمية الاحصاء والرياضيات في العلوم الديموجرافية ان ايجاد العلاقة Correlation بين ظاهرتين بشريتين كالوفيات والحالة الصحية ، أو المواليد والحالة التعليمية ، أو الطلاق والحالة الاجتماعية.. الخ لم يعد مجرد شيء يعتمد على الوصف . فان كان من الجائز في السابق لنا أن نقول « ان الصلة بين الوفيات والحالة الصحية قوية جدا » فان هذا القول لا يجوز الآن لان كلمة « قوية جدا » غير محددة المعنى ، ولذلك استعيض عنها بالرقم النسبي . فمثلا نقول ان الصلة بين الظاهرتين السابقتين هي ٠,٧. وهذا الرقم يمكن التوصل اليه بعد القيام بعمليات حسابية متعددة . أو نقول ان معدل الانحراف عن الوسط الحسابي للمواليد في قطر ما هو ٤,٥ ، ومنه يمكن الاستدلال على مدى سير خط المواليد فى هذا البلد . أو حينما نقوم بجمع عينة Sample اجتماعية تصلح لاجراء التجارب عليها (في حالة عدم تمكننا من حصر جميع الحقائق لكثرتها أو عدم توفرها) لا بد لنا من تحديد مقدار الخطأ في هذه العينة Sampling of Error حتى تكون النتائج أكثر واقعية .

كل هذه طرق بحث جديدة على علم الديموجرافيا استعارها الباحثون من العلوم الرياضية والاحصائية وباستخدامها أصبح هذا العلم أكثر قدرة على خدمة البشرية وأكثر فاعلية في التكهن ومعالجة أمور السكان في الحاضر والمستقبل .

اتجاهات جديدة فى علوم السكان

ان المراقب لاتجاهات علم الديموجرافيا يلحظ اهتماماً بثلاثة أمور هامة هي : ـ

١ ـ ما يتعلق منها بتوزيع السكان على سطح الارض وهو موضوع يقع الى حد كبير ضمن اختصاص علم الجغرافيا .

٢ ـ ما يتعلق بالتطور الذي يطرأ على المجتمعات البشرية في خط سيرها التقدمي .

٣ ـ واخيرا ما احرزته هذه المجتمعات من نجاح في التحكم في الظواهر الديموجرافية كتحديد النسل مثلا .

فيما يخص الأمر الأول وهو توزيع السكان على سطح الأرض فهو هام جدا لأنه يتناول مشكلة هذا التوزيع وحجمه واتجاهه وما للبيئة الطبيعية من

اثر عليه . في هذا الحقل من الدراســة يلتقي الجغـرافي والديموجرافي ، فالأول يعلل ويفسر ويحلل هذا التوزيع وحجمه واتجاهاته مستندا على الأسس الجغرافية كالموقع والبيئة والتضاريس والمناخ والحياة الطبيعية والموارد المستغلة والكامنة،

اما الثاني (الديموجرافي) فيرتكز في بحثه على أسس بشرية صرفة كالمواليد والوفيات والهجرة والزواج وتركيب السكان ونوعهم وفئاتهم وكثافتهم وارتباط هذه العوامل بالظروف الاقتصادية والحالة التكنية والنفسية في المجتمعات المختلفة . فالزيادة الطبيعية للسكان في بلد ما تعتمد على زيادة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات ، كما أن درجة النشاط البشري وقوته الانتاجية في منطقة ما يعتمد على نوعية السكان من حيث الجنس ومستوى تعليمهم وفئات اعمارهم ، فاذا زادت نسبة فئات الاعمار ما بين ١٥ ـ ٦٠ سنة كان من المفروض ان تكون نسبة الانتاج في هذه المنطقة عالية ، وبالعكس يكون الحال اذا ارتفعت نسبة فئات الاعمار دون الخامسة عشرة أو فوق الستين لانه في مثـل هذه الحالة يزيد عدد المستهلكين على حساب المنتجين .

مصادر علم الديموجرافيا

تعتمد الديموجرافيا في الاساس على الوثائق الاحصائية بالرغم من المآخذ التي تؤخذ عليها . ان الوثائق الاحصائية كثيرا ما تكون عاجزة عن اظهار الفروق الفردية والحالات المختلفـة بين الأفراد والمجتمعات ، ومن هنا تكون الخطورة حينما نحاول عن طريق هذه الوثائق التوصل الى الاحكام والنظريات ، أو حينما نســتطلع عن طريقها في المستقبل بعد أن ناخذها كحقائق مسلم بها. كذلك تبدو لنا المشكلة من زاوية أخرى وهي صعوبة عمل المقارنات والموازنات لبلدين او عدة بلدان اذا كانت الاحصائيات مصدرنا الوحيد في ذلك وخاصة في حالة وجود فوارق حضارية وعلمية وتكنية بين هذه البلدان . فمثلا كيف نوازن بين العامـل الافريقي في بلد متخلف لا يزال يعتمد على قواه الجسدية والعضلية في حمـل الاتربة وازالـة الحشائش وقطع الأشجار حين القيام بشق طريق او بناء قنطرة بينما الانســان في بلد متقدم كالولايات المتحدة يعتمد في مثل هذا العمل على المجهودات الآلية والميكانيكية ؟؟ ثم ما جدوى المقارنة بين شخص في بعض جهات آسيا الفقيرة حيث يشكو السكان هناك نقصا في التغذية ويعانون من مختلف الأمراض للبلاد الحارة التي تسـبب في انخفاض أمد الحياة الى اقل من ٣٥ عاما ، مع شخص سويدى قوى البنية سليم الجسم موفور الصحة يطول عمره الى اكثر من ٧٠ عاما ؟! هذا على الرغم من ان كلا الشـخصين الآسـيوى والسويدى يمثلان في السجلات الاحصائية بمجرد رقمين لا اكثر ولا اقل !!؟ .

لذا فالواجب يقتضي أن نكـون حذرين حين الاعتماد على السجلات الاحصائية الرسمية حتى في اكثر البلاد تقدما اذ انها لا تخلو من اخطاء في بعض الأحيان ، اما في البلاد النامية والمتخلفة فعملية الاحصاء هناك لم تنضج بعد وطـرق جمعها تتم بصورة بدائية ، كما وأن استجابة الناس لها غير مشجعة لأن الغالبية هناك يعيشون على الفطرة .

وعلى كل حال سنعرض بصـورة سريعة أهم العيوب التي تؤخذ على السجلات الاحصـائية ليكون الباحث على حذر حين يضطر الى الاعتماد عليهـا .

العيوب التي تؤخذ على السجلات الاحصائية

١ ـ ما يتعلق بالطريقة التي يبنى عليها الاحصاء :

تختلف الدول في الطـرق التي تبني عليهـا احصـائياتها فبعضـهـا تتبع نظـام التعداد Enumeration والآخر يسير على طريقة التقدير Estimation . والأول أدق من الثاني . بينما في بعض الدول تعتمد على نظام « الاقرار Dectaration وبموجبه يجب على كل رب اسرة الحضور الى مراكز خاصة يدلى فيها عن كل ما يتعلق بأسرته . وهذا النظام غير دقيق لأن كثيرا من الأفراد يبالغون في معلوماتهم اذا كانت هذه العمليـة مرتبطة بامـور اقتصادية . لذا فالمقارنة بين الدول على اساس هذه التعدادات والتقديرات غير سليمة .

٢ ـ عدم انتظام صدور النشرات الاحصائية :

تختلف الفترة التي تصـدر فيها النشرات الاحصائية من بلد لآخر ، فقد تكـون الفترة كل خمس سنوات كما في الكويت وقد تكون كل عشر

سنوات كما في الجمهورية العربية المتحدة . وكثيرا يتوقف صدور هذه النشرات وخاصة اثناء الحروب، مما يجعل المقارنات بين هذه الاحصائيات امرا ليس بالهين .

٣ ـ الاحصاء مقصور على فئة معينة من السكان :

في بعض البلاد يقتصر الاحصاء على فئة من السكان ففي جنوب افريقية كان التعداد يجري للمستوطنين البيض فقط ولكن اخيرا بدىء في عمل احصائيات للزنوج كل عشر سنوات ، اما الاوربيون فكل خمس سنوات .

٤ ـ الاحصاء لا يزال غير معروف في بعض جهات العالم :

لا تزال بعض جهات العالم لا تعرف الاحصاء ، فالصين مثلا التي بها حوالي ¼ سكان العالم لم يجر فيها اي احصاء قبل سنة ١٩٥٣ . وفي اليوبيا لا توجد احصائيات للسكان بتاتا . هذا الى جانب حدوث اخطاء في تسجيل حالات الولادة والوفاة واهمال بعض سكان المناطق الصحراوية والغابية من التسجيل .

٥ ـ اخطاء عامة متنوعة :

من الاخطاء الشائعة في النشرات التي تصدرها الدول المختلفة ما يتعلق في تسجيل حالات الوفيات فغالبا ما يقع الالتباس بين تحديد مفهوم وفيات الاطفال Infan Mortality والمواليد امواتا Still-Birth والاجهاض Abortion ونتيجة لاختلاف الدول في تحديد هذه المفاهيم تحدث الاخطاء في التسجيل اذ كثيرا ما تسجل حالات المواليد امواتا ضمن وفيات الاطفال . ثم ان الوفيات بين المسنين كثيرا ما تدون تحت ما يسمى « مرض الشيخوخة » Senility بخلاف الواقع .

اما احصائيات الهجرة فلا تخلو من اخطاء وذلك نتيجة عدم الالتزام بقاعدة واحدة للتسجيل . ففي بعض الاقطار يتم حصر المهاجرين عن طريق سجل القادمين والمغادرين في الموانيء ومراكز الحدود بينما في بلدان اخرى تستند على بطاقات الهجرة وجوازات السفر وتصاريح العمل وبطاقات الضمان الاجتماعي وتذاكر السفر .. الخ . هذا كله يجعل الدراسة المقارنة بين مختلف بلاد العالم امرا ليس بالهين ـ ناهيك بالهجرات غير المشروعة .

اما احصائيات العمل والعمال فلا تخلو من نقد لان كلمة « عامل Worker اصطلاح غير دقيق . ففي انجلترا يصنف العامل بالنسب الآتية ٢٠٪ فني Skillea ٦٠٪ شبه فني Semi-Skilled ٢٠٪ فاعل Labourer أما في الصناعات الهندسية فالنسب كالآتي ٣٨ ، ٤٧ ، ١٥ على التوالي .

هذا عدا تقسيم السكان بحسب نشاطهم الاقتصادى ، فبعض الدول تتبع التقسيم التقليدى المعروف وهو زراعي ورعوى ، صناعي ، وتجارى ولكن هناك اقطار تتبع تقسيما آخر وهو أولى Primary ، ثانوي Secondary وثلاثي Tertiary وطبعا كل قسم من هذه الاقسام تندرج تحته عناصر متعددة . فالاولى يشمل الزراعة والري وصيد الاسماك بينما الثانوي يشمل الصناعات التحويلية والثالث يشمل صناعة الخدمات وهذه مختلف في البنود والنشاطات التي تندرج تحتها وكل بلد لها مقاييسها الخاصة في هذا الشان .

واخيرا هناك اختلاف في السجلات الاحصائية في تعريف مفهوم كلمة مدني Urban وريفي Rural فقد كان المعتقد السائد ان كل من يسكن المدينة هو مدني وكل ساكن للقرية فهو قروي . ولكن تبين ان بعض سكان القرى لا يعملون في الزراعة فصاروا يعتمدون في الفصل بين ما هو مدني وقروى على طبيعة العمل الذى يقوم به كل فرد . ولكن ليست المسالة بهذه البساطة اذ ان الاعمال الزراعية وغير الزراعية يكون الفصل بينها ليس سهلاً اذ توجد بعض مهن واعمال هي محسوبة ومعتمدة على الزراعة ولكنها ليست من صميم العمل الزراعي .

مجمل القول ان هذه المشاكل التي تؤخذ على السجلات والوثائق الاحصائية أعاقت الكثير من الدراسات الديموجرافية . ولكن لحسن الحظ ان الأمم المتحدة بدأت منذ سنة ١٩٥٠ تدرك أبعاد المشكلة وأهمية الموضوع واخذت على عاتقها توحيد المصطلحات والمقاييس بغية مساعدة الباحثين في مجالات العلوم الانسانية . ■■

محمد علي الفرا
وزارة التربية ـ الكويت

مَنْ هُوَ الفَقِيهُ المُجْتَهِدُ؟

بقلم: بدر المتولى عبد الباسط

عميد كلية الشريعة بالازهر سابقا والاستاذ بجامعة الكويت

■ ان لفظ الفقيه كان لا يطلق ـ قديما ـ الا على من كانت لديه ملكة تساعده عليها فطرته وممارسته فيستطيع بها أن يستنبط الأحكام الشرعية في الأمور العملية من أدلة الشرع وامارات الأحكام ، ويومئذ كان لقب فقيه يساوى لقب « مجتهد » ولقب « مجتهد » يساوى لقب « فقيه » .

ثم تساهلوا فاطلقوا لفظ فقيه على كل من اشتغل بالفقه ، يحفظ الفروع ويطلع على آراء الآخرين وان لم يستطع أن يستنبط حكما من دليل او يعرف دليلا لحكم ، وبقي لفظ « مجتهد » لا يطلق الا على القادر ـ بفطرته وممارسته ـ ان يستنبط الحكم الشرعي ـ من حِلٍّ أو حُرمة او فساد ـ من مظانه التي أقامها الله ـ تعالى ـ أدلةً وامارات على أحكامه التي شرعها لعباده .

ورتبة الاجتهاد في الفقه رتبة سامية ، لا ينالها كل مدَّعٍ ، وانما يصل اليها الشخص بعد ان يركب كل صعب وذلول ، وآفة العلماء ـ قديما وحديثا ـ الغرور والدعاوى الكاذبة ، ولكن الله ـ جلت قدرته ـ جعل في كل عصر من يكتشف زيف الزائفين ، ويرد دعاوى المدعين المبطلين .

استنباط الاحكام فرض جماعي

والاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية فرض جماعي على الأمة الاسلامية ان قصرت فيه أثمت ، واستحقت العقوبة من الله ـ تعالى ـ ولا سيما اولئك الذين تؤهلهم ظروفهم لأن يسهموا في هذا الأمر ، ولم يسهموا ، وهذا اللون من الفرائض هو ما يعرف عند الفقهاء بالواجب الكفائي .

فكان لزاما أن نبين الصفات والمؤهلات التي يجب أن تتوفر في الفقيه المجتهد ، فان هذه المؤهلات ليست شهادة علمية رسمية ، وانما هي مرتبة علمية محددة الأوصاف والمعالم ، متى توفرت في شخص استحق لقب « فقيه مجتهد » بكل جدارة ، مهما كان مؤهله الرسمي ، ومن قصر عن هذه المرتبة فلنسمه ما شئنا الا أن يكون فقيها مجتهدا .

رأى الامام الغزالي فى المجتهد

ولقد بين الامام حجة الاسلام الغزالي أن المجتهد لا بد أن يتوافر فيه شرطان أولهما أن يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة

مصادر التشريع ستة:

...

- القرآن
- السنة
- الإجماع
- القياس
- العرف
- المصلحة

الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره .

وثانيهما : أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة .

ولا بد من شرح هذين الشرطين ، وتفصيل ما اجمل فيهما ليكون الطريق واضحا أمام من تحدثه نفسه أن يرقى الى هذه الرتبة الرفيعة ، وامام الأمة لتعرف الفقيه المجتهد ـ حقا ـ من ادعياء الفقه والاجتهاد .

فأما الشرط الأول ـ باسلوبنا ـ فهو الشخص المحيط احاطة مناسبة بادلة الشرع وأماراته المتصلة بالمسألة التي يجتهد فيها ، وعنده قدرة على أن يغلب رأيا على رأى ، معتمدا على هذه الأدلة والأمارات ، لا محكما الهوى ، واذا تعارض ـ أمامه ـ دليلان أو امارتان استطاع أن يقدم ما يستحق التقديم وأن يؤخر ما يستحق التأخير .

ولنا عودة الى هذا الشرط فانه مجمل يستحق التفصيل ، وهو ـ في واقع الأمر ـ الوصف الجامع للفقيه المجتهد .

وأما الشرط الثاني : فمعناه أن الفقيه المجتهد لا بد وأن يكون عدلا غير متهم في دينه ، يحافظ على أداء الاوامر واجتناب المحرمات ، فلا يرتكب ما يقدح في عدالته ، ويكفينا ـ في هذا العصر ـ أن لا يكون مجاهرا بارتكاب الفواحش ولا مستهترا بفعل ما يخل بمروءته .

وهذا الشرط ليس شرطا في صحة اجتهاده، بل هو شرط لقبول اجتهاده وجواز الاعتماد عليه في الفتوى ، وهذا أمر طبيعي ، لأن حاجة المسلم الى من يرشده الى الحكم الشرعي فيما يعرض له من احداث كحاجة المريض الى طبيب يرشده الى ما يحتاج اليه من دواء ، والطبيب ـ مهما كانت مكانته العلمية ـ مع شهرته بعدم الامانة تظل النفوس غير واثقة به ولا مطمئنة الى علمه. فكذلك الفقيه المتهم في دينه وخلقه يجعل القلوب منصرفة عنه ، وان من يأخذ دينه عن المتهم في دينه كالأعمى يسترشد بمثله .

وانما قلنا : ان العدالة ليست شرطا لصحة الاجتهاد ، لأن الفاسق لو توفر فيه الشرط الاول ـ الذى سنفصله باذن الله ـ وترجح عنده راى في مسألة اجتهادية لا قطعية ، وجب عليه أن يأخذ برأيه ، لأن ظنه المعتمد على الأدلة الشرعية أقوى عنده من رأى غيره المعتمد على الأدلة والأمارات .

فلو ترجح ـ عنده ـ أن الواجب مسحه من الرأس في الوضوء هو كل الرأس ، لا يسعه أن يمسح البعض ـ وان قال بذلك بعض المجتهدين .

وان ترجح ـ عنده ـ أن البيع المقترن بالشرط فاسد ، كأن يبيع منزلا بشرط ان يسكنه بكذا في الشهر ، فانه لا يحل له أن يفعل ذلك ، وان أجاز بعض الأئمة صحة هذا البيع متى كان الشرط لا يحرم حلالا ولا يحل حراما .

وان أدّاه اجتهاده الى أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يكون بينونة كبرى ، ففعل ذلك ، بانت منه امرأته بينونة كبرى ، مع أن المسألة خلافية . وقد رأى بعض المجتهدين أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع الا واحدة وانما ألزمناه برأيه لأنه أولى أن يطبق اجتهاده على نفسه قبل أن يطلب من الغير أن يعتمدوا عليه . ولولا انه متهم في دينه لتوسّع الناس أن يقلدوه اذا كانوا من أهل التقليد .

ولنعد الى الشرط الأول والوحيد الذى يجب أن يتوفر في الشخص ليكون مجتهدا وهذا يتطلب أن يكون عالما ـ أولا ـ بادلة الأحكام الشرعية .

ـ وثانيا ـ أن يكون خبيرا بكيفية استنباط

الاحكام من أدلتها ـ وثالثا ـ أن تكون عنده القدرة على تقديم ما يجب تقديمه من الادلة وتأخير ما يجب تأخيره عند التعارض .

واليك تفصيل هذا الاجمال بقدر ما يتسع له المقام .

مدارك الأحكام وأماراتها ، هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وهذه هي الأصول الاربعة الرئيسية عند جمهور الأمة ، وهناك أدلة اخرى مساعدة ـ هي في الحقيقة ـ عائدة الى هذه الأربعة واهمها ـ في نظرى ـ العرف والاستصلاح .

ما يجب على المجتهد أن يحيط به من هذه الأدلة

القرآن

اما القرآن الكريم فليس واجبا على المجتهد ان يكون حافظا له كله ، بل آيات الأحكام . وليس واجبا عليه ـ كذلك ـ أن يكون حافظا لها ، بل علما بموطنها .

وآيات الاحكام ـ كما يرىابن القيم ـ لا تتجاوز مائة وخمسين آية ، وغاية ما بلغ بها العادون ـ كابن العربي ـ انها أربع وستون وثمانمائة آية (١) .

والحق ان حصر آيات الأحكام في عدد محدود يرجع الى منهج كل مجتهد ، فكم من مجتهد استنبط حكما فقهيا من آيات القصص أو آيات المواعظ والأخلاق .

فابن القيم صادق ـ من وجهة نظره ـ ان آيات الاحكام مائة وخمسون آية فقط لانه نظر الى ان هذه الآيات ـ هي وحدها ـ التي سيقت لبيان الاحكام ، واما غيرها فقد سيقت لمقاصد أخرى ، وان كان المجتهد يستطيع أن يستنبط منها احكاما لها اهميتها .

وقد عد هذه الآيات خمسمائة آية كل من حجة الاسلام الغزالي في كتابه المستصفى، وتابعه كثيرون ممن جاءوا بعده .

والحق ـ هو ـ ما قررنا آنفا من اختلاف انظار العلماء في عدآى الاحكام تبعا لمناهجهم في الاجتهاد، ولكل وجهة هو مُوليها .

وللتخفيف ـ مرة أخرى ـ لا يجب على المجتهد أن يكون عالما بكل آيات الأحكام ، فانه يكفي أن يعرف الآيات التي تتصل بموضوع اجتهاده ، فان كان يبحث في حكم يتصل بالطلاق فليرجع الى جميع آيات الطلاق ، ومثل ذلك يقال في الميراث والعدة والنفقة ومسائل السلم والحرب والحدود والقصاص ، ويضع الآيات المتصلة بموضوع اجتهاده امام عينيه ، ويقارن بعضها ببعض بالكيفية التى سنتكلم عنها بحول الله تعالى وقوته .

السنة

واما السنة فانها وان كانت الافا مؤلفة من الاحاديث ولكن يكفيه ان يعرف منها ما يتصل بالاحكام العملية ، ولا يجب عليه حفظها بل معرفة مظانها ليسهل عليه الرجوع اليها عند الحاجة ، وليس من الضرورى ـ الآن ـ أن ينظر في السند ليصححه أو يضعفه اويرده لان هذا أمر أصبح مستحيلا لبعد العهد بيننا وبين الرسول الأكرم ، بل يكفي أن نرجع الى المختصين الذين أفنوا اعمارهم في تصحيح الاحاديث ومعرفة رجال السند ، فقد امرنا بذلك « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »(٢) .

ومن مبادىء هذا الدين الرجوع الى أهل الاختصاص في كل شيء .

هذا ومما ييسر الأمر على الراغبين في الاجتهاد أن قوما اختارهم الله لخدمة دينه جمعوا أحاديث الأحكام اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر سُنن أبي داود ، سنن البيهقي ، الآثار للطحاوى، نيل المرام في أحاديث الاحكام للصنعاني ونيل الأوطار للشوكاني ، ونصب الراية في تخريج احاديث الهداية للزيلعي ، كما يمكن الرجوع الى الكتب الصحاح الستة في الاحكام العملية صارفا النظر عن أحاديث العقائد والمواعظ والرقائق .

ولعل المشكلة التى تصادف المجتهد فى هذا المدرك من الأحكام ـ هي ـ كثرة التعارض بين بعض الأحاديث ، وهنا تظهر ملكة الاجتهاد فليحاول ـ جاهدا ـ أن يوفق بينها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فان عجز عن التوفيق فليسلك سبيل الترجيح وهو مَركب صعب نوعا ، ولا سيما على من لم يألف هذا اللون من الدراسة ، فطورا يكون

(١) كتاب الفكر السامى في تاريخ الفقه الاسلامى للحجوى الثعالبي طبعة المعارف في الرباط سنة ١٣٤٠ هـ جـ ١ ص ١٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ٤٣

الترجيح باقوى الأحاديث سندا ، وطورا يكون بترجيح اقرب الاحاديث الى قواعد الشريعة العامة الى غير ذلك من المرجحات التي افاض فيها العلماء في علم أصول الفقه .

الاجماع

وأما الاجماع ـ فبالرغم مما قيل فيه وفي حجيته ـ فانه واقع ، وانكار ذلك مكابرة لا يلتفت اليها وذلك كاجماعهم على توريث الجدة عند فقد الأم ، وانها لا ترث أكثر من السدس مهما تعددت الجدات ، وكاجماعهم على حرمة زواج المسلمة بالكتابي ، وكاجماعهم على أن قضاء القاضي في مسالة مختلف فيها لا ينقض الى غير ذلك من الاحكام .

والذى يكفي الفقيه المجتهد ـ فى هذا المقام ـ أن يعرف ـ بعد البحث والتقصي ـ أن المسألة التي يجتهد فيها لم يقع فيها اجماع ، وان هذا الاجماع قد نقل نقلا يفيد اليقين بحيث توارثته الأمة جيلا عن جيل .

ومما ينبغي أن الفت النظر اليه أن الاجماع ـ بالمعنى المعتبر عند العلماء ـ لا يكاد يعرف الا على عهد الشيخين ابي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وان الاجماع على حكم شرعي متى تم ونقل الينا متواترا يكون حجة قطعية لا يسع المجتهد أن يخالفه . وسند الاجماع وهو الدليل الذى اعتمد عليه المجتهدون المجمعون قد يكون ـ في حد ذاته ـ ظنيا ـ ولكن اجماعهم عليه يرتفع به الى مرتبة القطعية ، والدليل القطعي لا يجوز مخالفته .

القياس

وأما القياس فبالرغم من انكار قوم له وتشنيعهم على القائلين به فانه باب من أبواب الفقه عظيم ، وتوسعة من الله على عباده ، وامارة وضعها الله دليلا على حكمه ، وقد عمل به سلفنا الصالح ، وتركوا لنا ثروة عظيمة من الفقه الذى نفخر به مهما حاول قوم أن ينتقصوا من مكانه .

والذى يجب أن يحيط به الفقيه علما أن لا يكون في المسألة التي ينظر فيها الفقيه نص من كتاب أو سنة صحيحة ، وأن يستوفي القياس شروطه ، واهمها أن تكون العلة ـ وهي أهم اركان القياس ـ مناسبة للحكم لاشتمالها على حكمة مشروعية الحكم ، وان تكون مطردة مع الحكم بحيث يوجد كلما وجدت منعكسة بحيث ينعدم بعدمها .

وهنا يتجلى نفاذ بصيرة المجتهد في رد الاشباه الى الاشباه والنظائر الى النظائر .

ومن الضرورى أن يعرف قوادح العلة حتى يتجنبها فلا يعلل بعلة مناسبة ـ ظاهرا ـ للحكم بينما الشارع الغى هذه المصلحة التي تضمنتها العلة . وذلك كالقول بجواز التبني بحجة أنه ـ بذلك ـ يحفظ لقيطا من الضياع ، فان هذه المصلحة الغاها الشارع بنص قطعي وهو قوله ـ تعالى ـ « وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (١) .

وأيًا ما كان فان المسائل التي مردها الى القياس يجب أن يراعى فيها روح التشريع ، وأن يكون الفقيه ـ فيها ـ على حذر شديد ، وأن يبتعد ـ قدر الامكان ـ عن القياس ـ في أمور العبادات اللهم الا اذا كانت المشابهة واضحة وجلية ، بعد التحرى والتقصي الشديد ، انه لا نص في المسألة فان المقصود الأول في العبادات هو التعبد واظهار الانسان بمظهر الخاضع لربه .

العُرف

وأما العرف فهو اتفاق الأمة أو جماعة منها على أمر قولى أو فعلي ، والفرق بينه وبين الاجماع أن الاجماع اتفاق المجتهدين على حكم شرعي مستندين الى دليل شرعي لا مدخل للعامة فيه ، وأما العرف فهو تواطؤ جماعة قلوا أو كثروا على أمر ، لم يكن اتفاقهم عليه مبعثه التدين ، فقد فقد يكون مبعثه التقليد أو رعاية ما يظنونه مصلحة .

وأيًا ما كان فان كثيرا من الأحكام الشرعية مبنية على مراعاة الأعراف والعادات .

واذا كان الكاتبون ـ في علم أصول الفقه ـ عدوا العرف دليلا مساعدا وتبعيا من ادلة الأحكام الشرعية وقد وفوا هذا الموضوع حقه من البحث، فانهم ، عند الحديث عن الاجتهاد والمجتهدين ، لم

---

(١) سورة الاحزاب الايتان ٤ ، ٥

يعدوا العرف من الأمور التي يجب أن يعرفها المجتهد ، ولعل ذلك كان اكتفاء منهم بمعرفة المدارك الاصلية .

والحق أن رد العرف الى الادلة الاربعة الأصلية ، انما كان بطريق دلالة عموم بعض النصوص على اعتباره ولكن العرف خليق أن يفرد بالبحث لكثرة ما بنى وينبني عليه من الاحكام ، حتى ان من قواعد الشريعة العامة « العادة محكمة » . فجهل المجتهد به يوقعه في خطأ كبير .

لست ــ هنا ــ في مقام استيعاب مباحث العرف ، فهو بحث كتبت فيه رسائل ، ولا يزال فيه متسع لأن يكتب فيه آخرون ، ولكني أجمل القول اجمالا أرجو أن لا يكون مخلا .

أولا : العرف ــ باعتبار محله ــ قسمان قولي وعملي ، فالقولي أن يتواطأ جماعة أو أهل بلد أو أهل صناعة أو أهل علم على اطلاق لفظ ما على معنى من المعاني كاطلاق لفظ « عيش » على الأرز عند الكويتيين ، وعلى الخبز عند المصريين . وكعدم اطلاق لفظ « لحم » على السمك أو الدجاج الا مقيدا فيقولون لحم سمك أو لحم دجاج ، ومن ذلك المصطلحات العلمية والأسماء التجارية على السلع .

وأما العرف العملي فهو اتفاق جماعة كأهل بلد أو صناعة على نوع من المعاملات التجارية أو غير التجارية ، كعرف أهل مصر على أن تأثيث بيت الزوجية على الزوجة وأهلها ، وأن ما به من أثاث هو لها ، بينما نجد شعوبا أخرى من العرب والمسلمين ترى أن هذا على الزوج،وأن ما بالمنزل من أثاث هو له . وكتعارف بعض البلاد على بيع بعض السلع وزنا بينما غيرهم يبيعها عدا . الى كثير من العادات التي تختلف فيها الشعوب والأمم ، بل يختلف فيها أهل الصناعات عن غيرهم بل تختلف بعض القرى عن بعض .

ثانيا ، وينقسم العرف ــ من حيث اعتبار الشارع له ــ الى ثلاثة أقسام :

(١) أعراف أبطلها الاسلام كعرف التبني واعتبار زوجة الأب ميراثا يحوزها أكبر الأبناء . واعتبار الظهار ، وهو قول الرجل لزوجته : انت علي كظهر امي ، سببا لتحريم الزوجة حرمة مؤبدة ، فكل ذلك وغيره عادات وأعراف أبطلها الشارع ، فلا يجوز أن يبني حكم على هذا العرف ، اللهم الا القول بالحظر والتحريم .

(٢) أعراف جاء الاسلام فوجدها وأقرها وذلك كعرف العرب في تكريم الضيف ، وان للضيف حقا على المضيف ، وكعرفهم في رعاية الكفاءة في النكاح ، فقد اقره الاسلام ، وان كان تحديد معنى الكفاءة وفيم تكون ؟ أمر تختلف فيه الاعراف والعادات فمثل هذه الأعراف تكون مشروعة . لان اقرار الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لها يعتبر تشريعا .

(٣) أعراف سكت عنها الشارع بخصوصها فلم يتعرض لها بالغاء أو اقرار وهي محل نظر المجتهدين .

اذا عرف هذا فان القدر الذي ينبغي ان يعرفه الفقيه المجتهد من العرف أنه لا بد أن يعرف عرف الشارع في خطابه فيحمل نص الشارع ــ آية أو حديثا ــ على عرفه ، فاعتبار العرف القولي معتبر عند جميع العلماء ، وحمل الكلام عليه مقدم على حمل الكلام على المعنى اللغوى الأصلي .

واذا كانت المسألة التي ينظر فيها المجتهد ترجع الى حجة وقف أو عقد بيع أو اجارة فينبغي على الفقيه المجتهد أن يراعي عرف الواقف أو المتعاقدين ، فان جهل هذا العرف وجب عليه أن يسأل أهل الذكر ، والا كان مقصرا ، وكان رأيه قطعا مستحقا للرد .

كما ينبغي أن يعرف رأى الشارع في هذا العرف، فان كان قد الغاه الشارع رفضه ، ولم يقم عليه حكما ، وان كان قد اقره الشارع اعتبر الحكم ثابتا بالنص ، وان كان الشارع قد سكت عنه ــ بخصوصه ــ أجرى العرف على ما هو عليه . فان تغير العرف تغير الحكم . وقد يخصص العرف بعض النصوص الشرعية الظنية كنهيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن بيع الغرر أى البيوع التي فيها تغرير بأحد المتعاقدين ولكن استثنى من ذلك كثير من البيوع والمعاملات فيها نوع تغرير ، ولكن الناس تسامحوا فيها وتعاملوا بها ، ومثلوا له ــ قديما ــ بدخول الحمام واستئجار الظئر أى المرضع ، فان كلا من هذين العقدين فيه نوع تغرير ، أما الأول فلعدم تحديد المدة وقدر الماء والصابون المستهلك ، وفي العقد الثاني لا يبين فيه قدر الرضعات ، كما لا يبين قدر ما يقدم للمرضع من أكل ، وما هو نوعه ، ولكن العرف يتسامح في هذه الأمور .

والامثلة في ذلك كثيرة وكثيرة ، وآلاف المسائل

الفقهية بناها الفقهاء على عرف زمانهم فوجب ان يعاد النظر فيها على ضوء تغير العرف ما لم يكن العرف الجديد مصادما لنص صريح .

وبهذا يتبين ـ لنا ـ أن من شروط المجتهد ان يكون عالما بعرف الشارع ـ أولا ـ ثم بعرف زمانه وموطنه ، وعرف زمان وموطن المسألة التي ينظر فيها ، ولا يكفيه أن يكون عالما بمدارك الأحكام من النصوص والاجماع والقياس فحسب .

الاستصلاح

واما الاستصلاح وهو النظر في المصلحة فانه رأس الاجتهاد وذروته . ولكن ما هي المصلحة ؟ هذه هي المشكلة الكبرى التي تواجه الفقيه .

وليس هنا مجال استيفاء هذا المقام ، ولكنني أجمل الكلام اجمالا يكفي الباحث العادى ، ويبين له الى اي مدى يتطلب الاجتهاد جهدا ومشقة .

ان الله ـ سبحانه ـ شرع ما شرع من الأحكام مراعيا مصالح عباده من جلب الخير ودفع الضرر ، وهذه المصالح منها ما هو ضرورى ومنها ما هو حاجي لا تستقيم مصالح الناس الا به ، وان كانت لا تصل الى مقام الضرورة ، ومنها ما هو تحسيني وتكميلي . فاذا تعارضت الضرورة مع الحاجة قدمت الضرورة على الحاجة ، كما نقدم الحاجة على التحسين والتكميل .

والضرورات والحاجيات والتحسينات منها ما يرجع الى حفظ الدين ، ومنها ما يرجع الى حفظ النفس ومنها ما يرجع الى حفظ العقل ومنها ما يرجع الى حفظ النسل ومنها ما يرجع الى حفظ المال .

وهي من حيث القوة والضعف على الترتيب الذى ذكرته ، فعند تعارضها يقدم الاقوى على ما يليه وهكذا .

والمصلحة تنقسم ـ باعتبار الشارع لها ـ الى ثلاثة أقسام :

١ ـ مصالح ملغاة كالمصلحة المتوهمة في الربا أو الميسر أو الخمر أو التبني أو اقامة حفلات المجون لتكون وسيلة ـ كما يزعمون ـ الى الخير ، فمثل هذه المصلحة لا يقام لها وزن ، ولا يدار عليها حكم ، اللهم الا ان يقال بالتحريم والحظر ، ومهما قيل في فائدتها فان شرها أكثر من خيرها ، والله أعلم بمصالح خلقه من أنفسهم .

٢ ـ مصالح اعتبرها الشارع وأدار عليها الأحكام بالرغم مما قد يخالط تلك المنافع من بعض الأضرار كتشريع الجهاد مع ما فيه من التضحية بالانفس والأموال ، وتشريع الحج مع ما فيه من مشقات وانفاق أموال ، وكتشريع الزواج مع ما يصاحبه من تبعات ومشاكل ، وكتشريع الطلاق ـ عند وجود دواعيه ـ مع ما يتبعه من مشاكل في الأسرة ، فان الشارع ـ وهو الاعلم بمصالح خلقه ـ اعتبر تلك الأضرار المصاحبة لهذه الأحوال أقل كثيرا من الأضرار التي تلزم لو لم تشرع .

فمثل هذه المصلحة يجب أن تدار عليها الأحكام.

٣ ـ مصالح سكت عنها الشارع ـ بخصوصها ـ ولم يتعرض لها باقرار أو الغاء ، وتعرف هذه المصالح عند العلماء بالمصالح المرسلة .

وامام المصالح المرسلة تتفاوت أنظار المجتهدين ، كما تفاوتت من قبل أمام سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الائمة والعلماء ، وقد أخذ الكل بمبدأ اعتبار المصلحة المرسلة ـ في الجملة ـ لكن على تفاوت بينهم .

والمجتهد يجب أن يكون عالما بمصالح الناس اما بخبرته واما بسؤال أهل الخبرة ، ثم ينظر في هذه المصالح هل الغاها الشارع أو اعتبرها أو سكت عنها ، فان رأى انه الغاها رفض اعتبارها مهما حسّنوا له نتائجها ، وان كان الشارع قد اعتبرها بنفسها أو بنوعها فلا ضير عليه أن يدير الأحكام وفق هذه المصلحة ، لأن المصلحة هي مقصود الشارع من شريعته .

وان كان مسكوتا عنها فهذه ـ هي ـ مجال الاجتهاد ، فليقارن بين ما فيها من خير وما فيها من شر مراعيا ترتيبات الضرورات والحاجيات والتحسينات ، كما يراعى تقديم مصلحة الدين على مصلحة النفس ، والنفس على العقل ، والعقل على النسل والنسل على المال ، ولا يحكم في ذلك هواه فان عين المحب حولاء ، وليبحث ـ أولا ـ ويقارن ويوازن ثم ينتهي الى ما يطمئن اليه قلبه ، ولا عليه ـ بعد ذلك ـ ان اخطأ او اصاب ـ فان المجتهد ان اصاب فله اجران ، وان اخطأ فله اجر ، وليحذر من أسلوب بعض الناس يحكم ـ أولا ـ خاضعا لهواه ثم يلتمس الأسباب والمبررات والحيثيات التى تسوغ حكمه ـ ثانيا .

ولعلنا قد أدركنا الأصول التي ينبغي أن يحيط بها المجتهد ، اما كيف ينتفع بهذه الاصول ويستغلها فهذا موضوع آخر له قواعده وشروطه . ■■

بدر المتولي عبد الباسط



العوامل المؤثرة
في التطورات الاقتصادية الدولية على الصعيد العالمي

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي
المستشار الاقتصادي في رئاسة مجلس الوزراء ـ الكويت

■ الرأى العام العالمى مشغول فى الوقت الحاضر بأمرين اساسيين ، هما الازمة النقدية العالمية التى هددت سعر الدولار ، والمناقشات الدائرة بين المملكة المتحدة ودول السوق الاوروبية المشتركة ، بشأن قبول بريطانيا عضوا فى السوق .

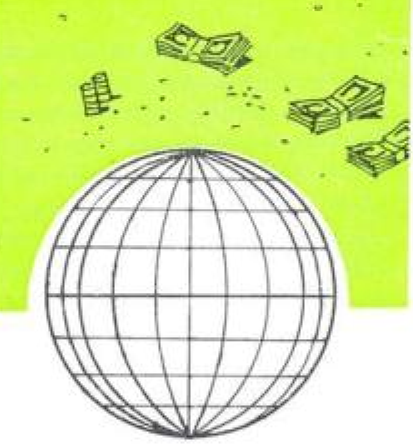
وكذلك يشغل الرأى العام العالمى بالمسائل الاقتصادية الدولية ، كلما شدت نظره اليها بوادر ازمة تعتريها ، او مظاهر تغير اساسى فى العلاقات الاقتصادية على الصعيد العالمى .

ولعل من المفيد ان نستظهر فى هذا المقال العوامل الاساسية ذات الاثر على التطورات الاقتصادية الدولية ، باعتبارها التفسير البعيد لما يبدو على السطح من تغيرات . هذا مع ملاحظة ان لكل حدث اسبابه الخاصة به ، وان كان يمكن عن طريق التحليل رد هذه الاسباب كلها او بعضها الى العوامل الجامعة التى نعرض لها فى النقاط التالية :

التطور التاريخى للاقتصاد الدولى بين العالمية والتكتل

فى ظل نظام الحرية الاقتصادية ، خلال القرن التاسع عشر والى حين قيام الحرب العالمية الاولى ، كان المبدأ السائد فى العلاقات الاقتصادية الدولية بصفة عامة هو مبدأ الحرية الاقتصادية . فكانت هناك ـ من ناحية المبدأ ـ حرية انتقال السلع والافراد ورؤوس الاموال ، وكان مبدأ حرية تحويل العملات مقررا ، على اساس القواعد التى تقوم عليها قاعدة الذهب . وكانت الدول تتبع احكام هذه القاعدة ، مهما كانت آثارها الاقتصادية او الاجتماعية ، على اعتبار ان التوازن الداخلى فى كل بلد لا بد وان يتنحى امام العوامل اللازمة لتحقيق التوازن الخارجى لهذا البلد . وعلى هذا الاساس كان يتم التوازن العام للاقتصاد الدولى.

وكانت السياسة الاقتصادية التى تتبعها الدولة تقف عند حد تمكين القوى المؤدية الى التوازن التلقائى من ان تنتج آثارها . وكانت القوانين الاقتصادية تؤدى الى توزيع عوامل الانتاج والى التخصص الدولى على نحو زاد من اهمية الدول التى سبقت الى الثورة الصناعية بينما تخصصت البلاد الاخرى ، التى شمل معظمها النظام الاستعمارى فى الزراعة وفى بعض الاعمال والصناعات التى لا تحتاج الى رؤوس اموال كبيرة او الى فن انتاج متقدم . وبذلك استتب على الصعيد الدولى الوضع الذى انقسم فيه العالم الى دول صناعية غنية حاكمة واخرى فقيرة تابعة .



ساعد على حرية التجارة سيطرة بريطانيا على الاقتصاد العالمى

وساعد على نجاح فلسفة الحرية وتأثيرها على سير العلاقات الاقتصادية الدولية ، ان لهذه الفلسفة اصولا وركائز ترجع الى الثورة الفرنسية والى كتابات الفزيوكرات وآدم سميث . ولكن لم تصبح الحرية الاقتصادية وحرية التجارة اساسا عريضا للعلاقات الاقتصادية الدولية ، الا عندما تدعم مركز بريطانيا واستقر كدولة مسيطرة على الاقتصاد العالمى ، فآدم سميث نفسه قد سلم بضرورة وضع قيود على حرية التجارة لصالح الاقتصاد البريطانى . ولكن عندما وصلت المملكة المتحدة الى القمة فى اواسط القرن التاسع عشر ، جاءت كتابات « ريكاردو » وتحليله الاقتصادى الممتاز لتكون اساسا فنيا للمذهب الحر التقليدى.

وجاءت المنافسة الصناعية فضعفت الدعوة الى الحرية التجارية

وعندما بدات المنافسة تظهر فى ميادين الصناعة ، من جانب المستعمرات القديمة فى امريكا ومن جانب المانيا ، فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ضعفت الدعوة الى حرية التجارة بمفهومها العالمى ، وبدات بريطانيا تتجه الى سياسة التفضيل الامبراطورى ، الذى اصبح اساسا لصورة من صور التكتل الاقتصادى فى ظل مذهب الحرية الاقتصادية .

ومن الناحية الاخرى ، اخذ الكتاب الاقتصاديون فى الولايات المتحدة والمانيا ، فى تلك الحقبة المتقدمة ، بالدعوة الى حماية الصناعات الناشئة . وقد ظلت سياسة الولايات المتحدة الامريكية الى الوقت الحاضر قائمة على اساس الحماية الجمركية ، بالرغم من التطور الذى طرأ على موقفها بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ اصبحت هى الدولة الداعية الى الحرية الاقتصادية وحرية التجارة ، وان كانت قد اعطت لمبدأ حرية التجارة معنى جديدا هو عدم التمييز فى المعاملة بين الدول .

واذا رجعنا الى الوراء قليلا ، متتبعين تطور العلاقات الاقتصادية الدولية منذ الحرب العالمية الاولى ، لوجدنا ان هذه العلاقات قد تأثرت بنمو السياسات الوطنية ، التى اخذت تضع اعتبارات التوازن الداخلى فى المقدمة . فتحقيق العمالة الكاملة حتى لا تكون هناك بطالة ، ونمو الاقتصاد القومى ، اصبحت هى الاهداف الاساسية للسياسة الاقتصادية ، واصبحت اعتبارات ثبات قيمة النقد وحرية تحويله فى المرتبة الثانية . وبذلك انقسم العالم الى وحدات سياسية كل منها تسعى لتحقيق اكبر قدر من المنفعة من العلاقات الاقتصادية الدولية ، بصرف النظر عن المصالح المشتركة فيما بينها . وكان للازمة العالمية الكبرى فى الثلاثينات الماضية (١٩٢٩ - ١٩٣٢) آثارها الحاسمة فى العدول عن قاعدة الذهب . وفى اهتزاز الاساس الذى كانت تقوم عليه هذه القاعدة .

اختلال فى التوازن الاقتصادى العالمى بعد الحرب العالمية الثانية

وترتب على الحرب العالمية الثانية اختلال خطير فى توازن الاقتصاد العالمى . فمن ناحية خربت القوى المنتجة فى اوروبا ، بينما نمت وتقدمت قوى الانتاج فى الولايات المتحدة الامريكية ، وظهرت مشاكل جديدة فى الاقتصاد العالمى ، تبلورت فى ازمة ندرة الدولار فى السنوات التى اعقبت الحرب العالمية الثانية . وفى نفس الوقت تكاتفت عوامل متعددة لانطلاق حركة التحرير السياسى فى آسيا وافريقيا ، وبدات التغييرات السياسية والاجتماعية فى الظهور بشكل متزايد على الصعيد العالمى كله . واتسعت رقعة البلاد التى دخلت فى

مجموعة الدول الشيوعية في أوروبا وآسيا ، وتزايدت الاهمية السياسية لبعض البلاد التى كانت تدخل في عداد المستعمرات ومناطق النفوذ مثل الهند ومصر .

ونتج عن ذلك كله تجمعات متعددة على المستوى السياسي والاقتصادى ، هذا فضلا عن التجمعات العسكرية . فمن الناحية السياسية وجدت مجموعة الدول الشيوعية ، ومجموعة الدول الغربية المجابهة للدول الشيوعية ، ومجموعة الدول غير المتحازة على الصعيد السياسي الدولى وهى مجموعات تختلف درجة التضامن فيما بينها. وكذلك على الصعيد الاقتصادى وجدت مجموعة الدول الشيوعية الاوروبية الداخلة في اتفاق COMECON بينما وجدت من الناحية الاخرى منظمة التعاون الاوروبى OECD ، ومجموعة الفحم والصلب ECSC التى هى في نفس الوقت مجموعة الوحدة الاقتصادية الاوروبية EEC والمعروفة بدول السوق الاوروبية المشتركة . ووجدت بجوارها مجموعة دول منظمة التجارة الحرة الاوروبية EFTA كما وجدت اتفاقات الوحدة الاقتصادية العربية وغيرها من الاتفاقات الاقتصادية الاقليمية في المناطق الاخرى الآخذة في النمو في امريكا اللاتينية وافريقيا . وقد ترتب على النمو الاقتصادى الكبير في مجموعة دول اوروبا الغربية، وعجز ميزان المدفوعات الامريكى ، وضعف مقدرة الصناعة البريطانية على المنافسة ، وعيوب نظام النقد الدولى المعمول به ، ان ظهرت مشكلة ضعف الدولار والاسترليني وظهرت الاوضاع الحالية التى تشغل الرأى العام العالمى .

اتجاهات عالمية في العلاقات الاقتصادية الدولية

ومن ناحية اخرى بقيت الاتجاهات العالمية في العلاقات الاقتصادية الدولية تنبع من ميثاق الامم المتحدة ، وترعاها الهيئات الداخلة في هذه المنظمة الدولية ، سواء اكانت هى الجمعية العمومية لهذه المنظمة ام مجلسها الاقتصادى والاجتماعى ، ام كانت من المنظمات المنبثقة عنها مثل مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD ، ام كانت الهيئات المتخصصة المرتبطة بنظام الامم المتحدة مثل هيئة التغذية والزراعة ، وهيئة العمل الدولية وغيرها من الهيئات المتخصصة الاخرى ، ام كانت ايضا من تنظيمات الامم المتحدة ذات النشاط الاقليمى التى تاخذ شكل لجان اقليمية لاوروبا او لامريكا اللاتينية أو لآسيا والشرق الاقصى أو افريقيا ، فهذه التشكيلات الاقليمية تخدم الاتجاهات العالمية في حدود منطقة معينة .

وبجوار هذه المنظمات ذات النشاط الشامل لكافة الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، الشيوعى منها والراسمالى على السواء، توجد ايضا منظمات لا تشارك فيها الدول الشيوعية فيما عدا يوغوسلافيا ، تعمل لتحقيق حرية التجارة ولمعالجة مشاكل الاقتصاد الدولى ككل ، مثل الاتفاق العام للتعريفات والتجارة GATT وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير والهيئات الاخرى المرتبطة به .

التطور التكنولوجى واثره على العلاقات الاقتصادية الدولية

يتناول التطور التكنى كل نواحى النشاط الانسانى فيغير من صورتها ، لانه يضاعف من اثر الانسان على المادة فيخضعها لارادته ؛ ويزيل او يقلص حواجز المسافات والزمن . فعندما اخترع المحرك الآلى وتطور ، تزايدت قدرة الانسان الانتاجية وتخصصه ، واتسعت امكانياته على المبادلة على مستوى العالم كله ، بعد أن كانت محصورة في حدود اقليمية ضيقة . وكذلك ادى استخدام المحرك الآلى في تسيير البواخر والقطارات والطائرات ، وادى تطور وسائل الاتصال البرقى والهاتفى ، الى تضييق رقعة العالم ، فتزايدت حركة السلع والافراد عبر العالم كله . وترتب على نمو طرق المواصلات ، وشيوع استخدام وسائل الانتاج الحديث في بقاع مختلفة من العالم، وزيادة حركة التبادل العالمى ، تقوية المصالح المرتبطة بحركة التبادل الدولى ، وساعد ذلك على نمو التعاون في مختلف الميادين لخدمة هذه الحركة .

ولم يقتصر التطور التكنى على نواحى الانتاج ، بل شمل ايضا النواحى الصحية والثقافية وغيرها من النواحى الانسانية الاخرى . وترتب على التقدم الصحى انخفاض معدل الوفيات بين الاطفال وزيادة عمر الانسان والقضاء على الاوبئة ، الامر الذى اثر تاثيرا كبيرا في تزايد السكان في العالم كله . وتزايدت بالتالى الحاجة الى التجارة الدولية

لا للحصول على المواد المصنوعة او المواد الاولية من الخارج فحسب ، بل ايضا للحصول على المواد الغذائية بكميات كبيرة . ولما كانت معدلات تزايد السكان في البلاد المتخلفة تزيد على قدراتها في زيادة الناتج الزراعى الغذائي نفسه ، فان الانفجار السكانى قد اقترن ايضا بتزايد الصادرات الى البلاد الآخذة في النمو في المواد الغذائية ، وتعقدت بالتالي مشكلة النمو الاقتصادى لهذه البلاد .

وشمل التقدم التكنى ايضا النواحي الثقافية والتعليمية . وساعد التقدم في وسائل الاتصال على وضع ثمار الفكر الانسانى في هذه النواحى تحت نظر الانسان وسمعه في مختلف بقاع الارض . فاذا بثورة الآمال المتصاعدة لا تنحصر في شعب دون آخر ، بل ان كل سكان العالم اصبحوا يأملون في مستوى معيشة افضل . وجاءت حركة الاستقلال الوطنى وتحرير المستعمرات القديمة بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة محتومة للتطور المادى والفكرى والثقافي على المستوى العالمى .

تطور العلاقات السياسية الدولية وأثره على العلاقات الاقتصادية

انقسم العالم بعد الحرب العالمية الثانية الى معسكرين كبيرين تسود بينهما الحرب الباردة ، وتتزعمهما الولايات المتحدة من ناحية والاتحاد السوفيتى من ناحية اخرى . وبسبب اتساع رقعة الدول الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية واخذها بسياسة الاكتفاء الذاتى ، اخذت تيارات التجارة الدولية وحركات رؤوس الاموال وانتقال الافراد لا تاخذ شكلها العالمى السابق على الحرب ، بل ضعفت تيارات هذه التجارة بين العالم الخارجى وبلاد الكتلة الشيوعية . وفي داخل الكتلة نفسها ، وبسبب سياسة الاكتفاء الذاتى التى تنتهجها كل دولة على حدة ، تضاءلت اهمية التجارة الخارجية في الاقتصاد القومى في البلاد الشيوعية . ولكن عملت هذه الدول ، بمختلف الوسائل وعن طريق سياسة التخطيط على مستوى الكتلة كلها ، على تحقيق قدر من التخصص الدولى وزيادة حجم التجارة فيما بينها ، وان كانت آثار جهودها في هذا الصدد قد ظلت محدودة .

وفي داخل الكتلة الغربية قامت الولايات المتحدة بدور الدولة المهيمنة وهو دور شبيه بالدور الذى كانت تقوم به بريطانيا في القرن التاسع عشر . وقد القى عليها هذا الوضع مسئوليات كبيرة في اعادة بناء ما خربته الحرب في اوروبا الغربية ، فقدمت المعونات المالية التى تبلورت في صورة مشروع مارشال ، كما عملت على تكتيل دول اوروبا الغربية عسكريا واقتصاديا ، لمجابهة اتساع رقعة الكتلة الشيوعية وتزايد قوتها . فالولايات المتحدة كانت وراء اقامة نظام الوحدة الاوروبية للفحم والصلب الذى اشتركت فيه المانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج ، كما كانت وراء نظام الوحدة الاقتصادية الاوروبية والسوق الاوروبية المشتركة بين هذه الدول نفسها . وكان هدف الولايات المتحدة هو تدعيم الرابطة السياسية على اساس اقتصادى بين تلك الدول ، لاقامة حاجز في وجه التوسع الشيوعى في اوروبا .

وبرغم كبر نفوذ كل من الدولتين العملاقتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وكبر خطر التكتل المحيط بهما على المستوى العالمى كله ، الا انه لا يمكن غض النظر عن الاهمية السياسية للدول الحديثة الاستقلال ، التى لا زالت ترزح في اصفاد التخلف الاقتصادى . ان الاهمية السياسية لهذه الدول تتزايد على مر السنين ، مما يتيح تطور العلاقات السياسية الدولية على نحو يؤثر في العلاقات الاقتصادية الدولية لصالح هذه الدول . هذا فضلا عن ان تزايد الوزن الاقتصادى لمجموعة الدول الاوروبية الغربية ، واتجاهها الى الاستقلال في بعض مواقفها السياسية بتأثير ديجول وغيره من الزعماء الاوروبيين سيكون له اثره الكبير على التطورات الاقتصادية الدولية ، بل لقد بدأ هذا الاثر يظهر فعلا بوضوح في الوقت الحاضر .

على ضوء هذه العوامل التاريخية والفكرية ، وعلى ضوء التطور التكنى العظيم وما ترتب عليه من تغيرات اساسية في بنيان الاقتصاد العالمى ، وعلى اساس الفهم الواعى للتطورات السياسية الجارية في العالم ، يمكن التمعن في الاحداث الاقتصادية الدولية ، وبلوغ الرأى الواضح بشأن مسببات هذه الاحداث ، واحتمالات تطورها ، بل قد يكون من المستطاع ايضا من هذا السبيل التعرف على اتجاهاتها المستقبلة واستخراج الوسائل الحكيمة للتصدى لها باسباب التوجيه والعلاج . ■■

الكويت ــ عبد المنعم الطناملى

المخدرات

إدمانها، وعلاجها، والوقاية منها

بقلم
الدكتور فاخر عاقل

■ جاء في (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لابن اياس ، انه في العام ٩٢٢ للهجرة (١٥٤٤ ميلادي) تأخر فيضان النيل وتهدد الخطر المزروعات ، فاقسم الناس ، استجابة لنداء الحاكم ، ان يتركوا الحشيش والخمر مدة ثلاثة ايام وذلك استدرارا لرحمة الله وتوبة اليه ، وقد فعلوا ، وبالفعل فان منسوب النهر بدأ بالارتفاع في نهاية اليوم الثالث .

ويتضح من هذه القصة ان الحشيش كان شائعا في ذلك الحين شيوع الخمر وانه كان يعتبر معصية يجب التوبة منها استدرارا لرحمة الله .

والحق ان الحشيش كان – وما زال – شائع الاستعمال في بلاد الشرق الممتدة من الهند الى بلاد الشرق الاوسط منذ القديم ، وانه كان يستعمل في الهند مثلا لاغراض دينية ، وانه انتشر من بلاد الشرق الى البلاد الغربية والى امريكا بالذات حتى لقد قدر عدد الذين يتعاطونه في انحاء العالم وفي نهاية الخمسينيات بمائتي مليون شخص ، وقد زاد العدد منذ ذلك الحين زيادة كبيرة .

وهكذا يتضح ان ادمان الحشيش مشكلة عالمية ، وهو مشكلة من مشكلات بلاد الشرق الاوسط ، ولكنه جزء من مشكلة اعم هي مشكلة ادمان المخدرات بصورة عامة . وسنحاول ان نتحدث عن ادمان المخدرات عامة قبل ان نتحدث عن ادمان الحشيش الذي يعتبر مشكلة ذات اهمية خاصة بالنسبة لبعض اقطارنا العربية .

تستعمل كلمة (ادمان) في الطب بمعنى اكثر تحديدا من المعنى الذي يستعمل في اللغة الدارجة . وهو يعني اكثر من الميل الى المخدر ونشوء عادة استعماله . ويقول الاطباء بوجود الادمان حين يظهر الانسان اعتمادا على المخدر (اى يظهر رغبة فيه ويعتبره شيئا لا يستغنى عنه) وحين يحتاج مقادير متزايدة منه للحصول على التأثير المطلوب ، وحين يكون ايقاف المخدر او انقاص مقداره انقاصا كبيرا متبوعا بمرض يسمى (اعراض الانسحاب المتزامنة Withdrawal Syndrome) وهذه الشروط الثلاثة – الاعتماد على المخدر وتزايد مقاديره واعراض الانسحاب – ترى بوضوح ماساوي في حالة تعاطي الهيرويين والمورفين وغيرهما من المخدرات التي تشتق من الافيون الخام . وهي تظهر ايضا في حالة الكحولية (ادمان الكحول) كما تظهر في حالة ادمان بعض المنومات والجرعات الكبيرة من مواد الباربيتورات Barbiturates والميبروبامات Meprobamates التي تستعمل وقتا طويلا .

بيد ان الادمان اكثر تعقيدا من ذلك . ونحن حين نفحص تاريخ حياة المدمنين للمخدرات العديدة نرى ان الذين يتعاطون الهيرويين او المورفين مدة من الزمن يصبحون جميعهم مدمنين في حين ان ٥٪ فقط من الذين يتعاطون المسكرات يصبحون مدمنين ، اما الذين يتعاطون المنومات فان نسبة قليلة منهم تصبح مدمنة . وهكذا فبالنسبة للهيرويين والمورفين يكون الادمان حتميا ولذلك كان من المهم ان نعين الشخصيات التي تميل الى

تعاطي هذين المخدرين وامثالهما وتعين الظروف الاجتماعية التي تؤدي الى تعاطي هذه المخدرات . ومثل هذا صحيح عن الكحول الذي يحتم علينا ان نتساءل عن السبب الذي يجعل واحدا من عشرين يميل الى ادمان المسكرات وعن الظروف التي تؤدي الى ادمان المسكرات .

وهكذا يتضح ان دراسة الادمان يجب ان تستهدف دراسة الشخصية ، شخصية المدمن ، والظروف الاجتماعية التي توصل الى الادمان . كل ذلك في حالة المخدرات . اما في حالة المسكرات فان دراسة الظروف التي تؤدي الى ادمانها هي الهامة .

ان ادمان المورفين والهيروين وامثالهما من اشد الامور ايلاما ، ذلك بان المدمن يحاول ان يحافظ على اتزانه فتتزايد الكميات التي يطلبها من المخدر وتتقارب الفواصل الزمنية وكل ذلك محاولة لتجنب الاعراض الانسحابية . وبسبب من صعوبة الحصول على المقادير التي يتطلبها المدمن وبسبب من ميل المدمن الى استهلاك المقادير التي يحصل عليها استهلاكا سريعا فان المدمن يشعر بنقص دائم في المقادير التي يريدها . ومع ان بعض المدمنين يبقون على المقدار اليومي نفسه سنين طوالا فان القاعدة هي ان تتزايد المقادير اليومية المطلوبة مما يزيد المشكلة تعقيدا ويزيد الاعراض خطورة ويزيد بالتالي في بؤس المدمن . ومتى شعر المدمن بمشكلته فانه قد يقوم بجهود يائسة لايقاف تزايد طلبه للمخدر ولكنه يقع في الاعراض المتزامنة للانسحاب ويزداد بؤسه وألمه . وفي هذه المرحلة من الادمان ، وهي مرحلة الادمان الحقيقي ، يكون المخدر قد اصبح ضرورة بيولوجية (حيوية) تدفع المدمن الى بذل جهود كبيرة للحصول على حاجته من المخدر مهما كانت رغبته في التخلص من مخدره . وحينئذ يقال ان المدمن (قد علق) .

وفي حالة المورفين والهيروين وامثالهما فان معظم الذين يتعاطون هذه المخدرات يميلون الى زيادة طلبها ، وبالرغم من ان الاطباء الذين يعطون هذه المخدرات لاسباب طبية يكونون حذرين جدا في اعطائها فان ثمة اشخاصا معينين يتزايد طلبهم برغم علمهم باخطارها وصعوبة الحصول عليها .

الوقاية

ان الوقاية من المخدرات مسألة تربوية في الدرجة الاولى ، وعلى عاتق التربية والمؤسسات التربوية تقع مسؤولية تبصير الشباب باخطار المخدرات واخطار ادمانها . ان مسؤولية البيت والمدرسة ووسائل الاعلام كبيرة في وصف اخطار المخدرات وكيفية ادمانها ونتائج هذا الادمان ، لا سيما وان انتشار المخدرات بين الشباب في العالم آخذ بالازدياد ازديادا مخيفا .

وبالرغم من ان الكثير قد قيل عن اخطار المورفين والهيروين والافيون فان ثمة شائعات خاطئة عن الحشيش او (الماريجوانا Marijuana) لا بد من محاربتها وفضحها . صحيح ان الحشيش يختلف عن المورفين والهيروين وسواهما وصحيح ان ادمان الحشيش يختلف عن ادمان هذه المخدرات ولكن هذا لا يمنع من ان للحشيش اخطاره ومضاره مما سنتحدث عنه في فقرات لاحقة .

وايا ما كان فانه من المهم ان يدرك الشباب ان المورفين والهيروين والافيون اخطر بكثير من الحشيش وان الانتقال من الحشيش الى هذه المخدرات خطوة مميتة .

وقد تكون الوقاية اسهل وايسر ، اذا عرفنا ، سلفا ، الاشخاص الذين يمكن ان يصبحوا مدمنين .

اما بالنسبة للمورفين والهيروين وامثالهما فان اكثر الاشخاص تعرضا للادمان هم المنتسبون الى المهن الطبية وما يتصل بها من اطباء وصيادلة وممرضين وممرضات وسواهم ممن يسهل عليهم الحصول ـ بحكم مهنهم ـ على هذه المخدرات .

ومن الذين يمكن ان يصبحوا مدمنين لهذه المخدرات هم المرضى الذين تعطى لهم هذه المخدرات بناء على مرضهم ومن اصحاب الشخصيات المضطربة لا سيما اذا لم يكن الطبيب المداوي حذرا تماما معهم .

وفي كل الاحوال فان شخصية المدمن امر على جانب كبير من الخطورة ولكن ثمة مجتمعات تسهل الادمان اكثر من سواها ففي الولايات المتحدة الاميركية مثلا يسهل الحصول على المخدرات وهناك

عصابات ومنظمات تعمل على توزيع هذه المخدرات وبيعها وايصالها الى الزبائن الامر الذى لا يتوفر في انكلترا بهذه السهولة . ولذلك فان انتشار الادمان في الولايات المتحدة اكثر منه بكثير في انكلترا .

هذا وقد اختلفت الاراء بالنسبة للقوانين التى تعالج ادمان المخدرات وبيعها والحصول عليها وتوزيعها ، فبعض العلماء ينادون بالتشديد في هذه القوانين حتى لقد ذهبت بعض البلاد الى فرض عقوبات تصل حد الاعدام لمن يتاجر بهذه المخدرات ، وبعض العلماء الآخرين يرون ان القوانين لا تكفي لعلاج المشكلة وان نشر الوعي والتربية الصحيحة وتبصير المواطنين ـ ولا سيما الشباب ـ باخطار الادمان هي الطريقة المثلى في مواجهة اخطار الادمان .

العلاج

علاج الادمان ، من اى نوع كان ، يستهدف السحب الكامل للمخدر وتعويد المريض الاستغناء عنه استغناء تاما . ولقد كان هذا الامر يتم بصورة فجائية في المستشفيات والسجون وغيرها من المؤسسات التى يوضع فيها المدمنون . ولقد تبين الآن ان المنع الآني والفجائي للمخدر عن المدمن امر مؤلم جدا ويؤدى الى ظهور اعراض الانسحاب المتزامنة . ثم ان الايقاف المفاجيء للمخدر يسبب الارتعاش والانتفاض وعدم الراحة والقلق والاسهال والتقلصات والتشنجات المؤلمة والتوسل من اجل الحصول على المخدر . ولذلك كله يقول علماء اليوم بوجوب السحب التدريجي للمخدر واستبداله بتركيب كيماوى غير ضار واعطاء المهدئات العصبية وغير ذلك من المساعدات الكيماوية والطبية .

وبعد اسبوع او نحوه يخف التوق الى المخدر ولكن لا بد من ستة اشهر على الاقل من البقاء في المستشفى الخاص وتحت الاشراف الطبي المتخصص من اجل تخليص المريض من ادمانه . هذا مع العلم بان الكثيرين من المرضى الذين شفوا على هذه الطريقة كثيرا ما ينتكسون ويعودون الى ادمانهم وحينئذ يتحتم علاجهم من جديد وقد يتكرر الامر مرات .

واثناء وجود المريض في المستشفى لا بد من دراسته ومعالجته نفسيا بقصد اكتشاف اسباب ادمانه ومحاولة مواجهة هذه الاسباب . وفي كل الاحوال فاننا نحب ان نقرر ان علاج المدمن يكون دوما مزيجا من العلاج النفسي والعلاج الطبي بل وكثيرا ما يكون علاجا اجتماعيا .

ومن الامور ذات الاهمية الكبرى في العلاج هي اقناع المريض والحصول على تعاونه الاقصى وتجنيبه الظروف التي تؤدى الى الادمان . وكذلك لا بد من اعانة المريض على التخلص من ادمانه فاذا كان من المنتمين الى المهن الطبية مثلا كان من الضرورى الاستعانة بزملائه من الاطباء والمشتغلين بالمهن الطبية لعدم تعريضه للنكسة . وبالرغم من اتخاذ هذه الخطوات جميعها فان الاحصاءات تدل على ان واحدا من ثلاثة من المرضى الذين يشفون يكون شفاؤه تاما بعد تركه للمستشفى وهي نسبة ضئيلة حتى بالنسبة للاوبئة .

الحشيش

ترى منظمة الصحة العالمية في بحث نشرته عام ١٩٥٩ وكتبه الدكتور تيجانى الماحي ان مائتى مليون شخص يتعاطون الحشيش في العالم وان الزيادة في تعاطي المخدر في تسارع مطرد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . كما ترى هذه المنظمة ان الحشيش واحد من اكثر المخدرات انتشارا في العالم . وبسبب من انتشاره بين شباب بعض الاقطار ومن اثره في ارتفاع نسبة الجرائم ومن تحوله الى تجارة واسعة الانتشار بين اقطار العالم فانه يعتبر واحدة من اهم مشكلات عصرنا الحاضر .

ومشكلة تعاطي الحشيش تعتبر مشكلة صحية جسدية وصحية نفسية ، وهي مشكلة قائمة فعلا في الشرق الاوسط عامة وفي بعض اقطاره بصورة خاصة .

ويرى الذين يهتمون بمشكلة الحشيش وادمانه انه اقل خطرا بكثير من المخدرات الاخرى مثل الكوكايين والمورفين والهيروبين ، بل يذهب بعضهم الى التقليل من اخطار الحشيش ويدعون ان ادمانه لا يظهر الاعراض الثلاثة التى تحدثنا عنها في مطلع مقالنا . وينسب العوام الى الحشيش خصائص في جملتها القوة الجنسية ويرى بعضهم ان الاعتدال فيه لا يسبب اخطارا البتة . بيد ان عالما يقول : « ان استعمال الحشيش مؤذ . وهو في احسن الاحوال يحرم الانسان من المحاكمة السليمة وفي اسوئها يدفع به الى الافراط في

الجنس والى القتل وقد يوصله الى الجنون » .

وايا ما كان فاننا لا ننكر ان الحشيش اقل ضرراً من المخدرات الاخرى من مثل الكوكايين والهيروين والمورفين وانه لا يخضع للاعراض الثلاثة التي سبق ذكرها الا وهي تزايد الطلب عليه وشدة التوق اليه واعراض الانسحاب ، ولكن هذا لا يمنع ان للحشيش اخطاره ومضاره وانه اخذ في الانتشار بكثرة مخيفة ولا سيما في اميركا على شكل المخدر المسمى (ماريجوانا) .

وفيما يلي وصف لآثار ادمان الحشيش :

بعد تدخين الحشيش بوقت قصير يحدث شعور بالتحسن والصحة الجيدة ، ويتطور هذا الشعور في كثير من الاحيان الى شعور بالنشوة . وبعد ذلك تحدث مبالغة في الكلام والحركات ويتخذ المدخن وضعات غير سوية وقد ينتهي بالقلق الحاد والهمود . وبعد فترة — تطول او تقصر — يعود الانسان الى حالته السوية . الا ان حالة القلق والهمود قد تلازم بعض المتعاطين للحشيش .

وسواء أشعر المحشش بالنشوة او الهمود فانه يظهر الكثير من الهلوسة Hallucinations وتخيل الامور والاوضاع والمواقف ويرى الكثيرون من العلماء ان هذا ما يسمى اليه المحشش بالضبط .

والشخص المسالم ، اذا ازعج في احلامه الحشيشية ، قد يهتاج ويصبح هجوميا ويفقد تعقله وحسه الاخلاقي . بيد ان هذا الامر لا يلبث ان يزول لا سيما اذا كان الحشاش معتدلا وحينئذ يعود الى حالته السوية . وقد يتعرض الحشاش لحالة من الجنون وقتية والى انهاك كامل .

وفي كل الاحوال فان الافراط في الحشيش يضعف حس المدمن وقواه العاقلة . اما فيما يخص الهلوسات فهي شائعة جدا وتكون عميقة وحيوية وكثيرا ما تكون ذات الوان زاهية وممجبة وفيها الكثير من النكات والملاحظات الطريفة ، وفتاوى الحشاشين مشهورة .

وتكون لهذه الهلوسات صفة الفوضى ، وقد تتكرر هذه الهلوسات ذاتها وقد تكون رمزية ويفيد تحليلها في التعرف على شخصية الحشاشين . وفي بعض المراحل قد تتخذ هذه الهلوسات اشكالا هندسية او فيسفسائية او سواها .

هذا وقد تحدث للحشاش اوهام غريبة ومنها ان الحس بالوقت يتأثر بالحشيش وهو امر على جانب من الاهمية . وهكذا فقد يبدو مرور الوقت سريعا جدا بالنسبة للحشاش او بطيئا جدا او حتى ثابتا . وفي قمة التأثر بالحشيش يعجز الحشاش عن تجريد حادث عن سياقه وادراكه كحقيقة معزولة . وهكذا فان الحاضر قد يختلط بالماضي اختلاطا عجيبا .

ثم ان فكرة الحيز او الحجم قد تتشوه عند الحشاش ولذلك فان الاشياء تبدو له اكبر من حجمها العادي او اصغر ، اقرب او أبعد من السوي وقد يرى الاشياء متحركة مع انها ثابتة او العكس كما انه قد يراها منحنية مع انها مستقيمة .

وقد يتخيل الحشاش مواقف غير سوية . فقد يتخيل للانسان قرونا او ذيلا او ايادي اضافية وقد يرى رأس الانسان المقابل له اكبر من حجمه الحقيقي او اصغر . وقد تتطاول الارجل او الايدي في نظره .

وقد يتزايد التهيج الجنسي عند بعض الحشاشين في بداية تدخين الحشيش . ومع ذلك فان هذا الامر شخصي اكثر منه موضوعي . ان الاضطراب في ادراك الزمان الذي اشرنا اليه قد يجعل الحشاش يتخيل ان هذا النشاط دام ساعات بل اياما . وسواء أكان الامر حقيقيا ام خياليا فان ثمة اعتقادا بين الحشاشين بان الحشيش له تأثير جنسي ولعل هذا سبب من اسباب انتشاره .

ويرى بعض العلماء ان انتشاره في بعض المجتمعات الاسلامية مردود الى ان تحريمه لم يرد صراحة في القرآن الكريم ، وفي رأينا ان الظروف التي مرت بها هذه البلاد والاستعمار الذي تعاقب عليها كان السبب الرئيسي في انتشار هذا المخدر ولا سيما بين الطبقات المحرومة ، وقد كانت هذه الطبقات هي الغالبة ، ثم اصبح الحشيش (كيفا) وانتقل الى المجتمعات والطبقات الغنية .

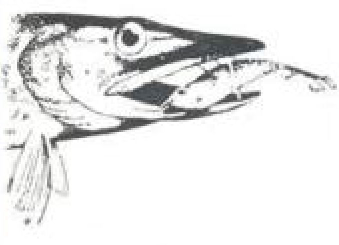
ولعل خير ما نختم به هذا الحديث القصة التالية : يقال ان ثلاثة اصدقاء وصلوا ذات مساء الى مدينة فوجدوا بابها مغلقا فجلسوا يتذاكرون في كيفية الدخول اليها ، وكان احدهم حشاشا والآخر سكيرا ، والثالث مدمن افيون ، فاقترح السكير كسر الباب والدخول عنوة ، اما مدمن الافيون فاقترح النوم وترك الامر ، واما الحشاش فاقترح الدخول من ثقب المفتاح . ■■

فاخر عاقل

١ صُوَرٌ

تُسْتَفادُ مِنْها عِبَرٌ !!

بقلم
الدكتور أحمد زكى



مَثَل

ما أصدقه من مثل

● المثل الانجليزى يقول :

« ان السمك الكبير يأكل السمك الصغير » .

هذه حقيقة تؤيدها هذه الصورة المرفقة .

ولكن المثل قصد ما وراء السمك :

ان الرجل الكبير ، يأكل الرجل الصغير .

ارادة الحياة

● نياما دجيرا . اسم جبل فى الكونغو ، هو واحد من بين ثمانية جبال ، يزيد ارتفاعها على (١٠٠٠٠) قدم ، تعرف بالجبال الداخنة ، لانها كلها براكين ، هدأ بعضها ، وظل بعضها ناشطا . وفى راس هذا الجبل الذى بالصورة المرفقة ، وقد برد ، ظهر هذا النبات الاخضر . من اين جاء ، وقد أحرقت النار كل اصول الحياة عند هذه القمة ؟ جاء بذورا من نبات السَّرْخس حملتها الرياح خفيفة من بعيد ، ثم حطت على هذا الصخر الاجرد ، وليس له تربة ، وليس به ماء . ولكنها صنعت لنفسها التربة من ترابه ،



وزودت نفسها بالماء من رطوبة هوائه ، واجرت جذورها فى الجلمود حتى استقرت فيه . ووجد النبات فيه كل عناصر الخصب فهو نارى ، وكل تربة فى الارض اصولها من نار .

نبات نشأ فى الغربة النائية ، على قلة المصادر والموارد ، ومع ذلك صنع لنفسه الحياة .

انها ارادة الحيـاة .. ان وُجدتْ ، فهى لا بد واصلة بصاحبها الى الحياة .

قصة الذكر والأنثى

قصة قديمة حديثة

● قصة الذكر والأنثى ، قصة تتكرر ، فى البرارى الواسعة ، وفى الجبال الشاهقة ، ومع الطير فى رؤوس الاشجار ، ومع الاسماك فى بطون البحار .

للذكر القوة ، واذن للذكر السيادة ، فالسيادة قوة ، ودع عنك ما يقول الاحبار .



وفى بنى الانسان ، منذ كان الانسان ، السيادة للرجل . للرجل الموضع الاول ، ثم للولد ، ومن بعد الولد تأتى النساء . وفى الريف يتقدم ذو الشارب واللحية ، وتتأخر التى لا شارب لها ولا لحية . والشوارب واللحى ، كأعراف الديكة ، وكلبَد الآساد ، تعطى المهابة وتعطى الصدارة . وفى اليونان ، ومنهم استمدت اوروبا ثقافتها ، وكانت فيهم الفلسفة والحكمة والعلم ، كان شأن المراة فيهم احط الشئون . وعرفنا عن اخبار الرجال فيهم الكثير، ولم نعلم عن خبر امراة واحدة فيهم ، الا فى الاساطير .

وفى الحروب القديمة كانت المراة تحمل مع الاسلاب حملا . وفى الحروب الحديثة يكون اول ما يستباح من الاعراض عرض المراة .

والصورة المرفقة صورة من علاقة الذكر بالانثى ، فى حجر الطبيعة ،



قبل ان يطرا عليها تهذيب . انهما اثنان من بقر الوحش اختلفا على انثى ، لأيهما تكون . وكما يختلف الناس فلا تكون هناك وسيلة لحسم الخلاف غير الحرب ، تناطح الذكران ، اما الانثى فظلت بعيدة ترقب . ثم جاء الذكر الغالب يسوقها امامه ، فانساقت طيّعة. ثم هو يقترب منها ،ولعله يتودّد ويتحبّب . وتخضع . ويكون من خضوعها الولد. وهو ولد الاقوى. فبهذا يبرّر العلماء سطوة القوة . انها تنتج الولد الاقوى .







الاستبداد فطرة تنشأ عند أختفاء المعارضة

● الكيبو Cypoo ، حيوان من القواضم ، بامريكا الجنوبية ، وهو شبيه بفار المسك الموجود بامريكا الشمالية ، كلاهما يعطي فروا ثمينا . طمعت فى فرو هذا الحيوان القارض الولايات المتحدة ، كما طمعت فيه انجلترا ، فحملته كل منهما الى بلادها ، وحدث ما لم يكن يتوقع .

هرب هذا القارض من حظائره ، وانتشر انتشارا مريعا . والسبب ؟ انه فى موطنه هذا الجديد لم يكن له أعداء تحد من اعداده ، كما كان الحال فى موطنه القديم . فهكذا الطبيعة ، ليس من حىٌ الا وله حىٌ آخر عدو له . يقف كل لصاحبه بالمرصاد .. فتتوازن الاعداد .

وهكذا حياة الانسان ، لا بد لها من موازنة . فى الطريق للسائرين . فى المصنع للعاملين . فى الحقل للزارعين . فى النادى للاعبين ، فى البرلمان للمتنافسين . وفى كل مرفق ، وفى كل مجتمع ، والا ساد وطغى واستبد وظلم من لم يجد له معارضا موازنا .

قضيــة حار فيها قاضيها

● ثور واحد ، وثلاثة سباع . قرنان أثنان ، تصارعهما أنياب عدة ومخالب كثرة . معركة غير متوازنة ، اقر الثور بأنها غير متوازنة فلم يصنع شيئا ، وانما سلم امره الى الله . وللثور منا الرحمة ، فماذا للسباع الثلاثة؟ الغضب ؟ لا احسبه يكون .

فهذا الثور ، وهذه السباع ، لو وقفت امام محكمة ، فيها اتهام وفيها دفاع ، لما فاز أيهما بحكم . فالسباع تقول : خلقنا ، وليس يتفق وخلقنا طعام غير لحم هذا الثور وأمثال له . والثور يقول : خلقت ، وليس لهؤلاء طعام غير لحمى ، وليس لى من دفاع غير هذين القرنين . ويصيح القاضي آخر الأمر : رفعت الجلسة ، لان المحكمة لم تجد سببا لادانة . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٥١

وقتل قابيل هابيل !

■ السهولة كانت طابع مسابقة العدد١٥١ من العربى ، لذلك كثرت رسائل المسابقة بصورة ملحوظة .

والملاحظ ان السؤال الثامن والخاص بالتكاثر عند الحيوان كان العقبة الوحيدة فى هذه المسابقة فقد احجم القراء عن الاجابة عليه نظرا لصعوبته بعض الشىء، اما الذين اجابوا فقد تباينت اجاباتهم وبذلك اخفقوا فى الوصول الى كبد الحقيقة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابةالصحيحة ثم أسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ــ أول رجل قتل رجلا آخر على ظهر هذه الارض هو **قابيل الذى قتل أخاه هابيل** على نحو **ما جاء في الاثر .**

٢ ــ صاحب هذه الحركة الدينية التى قامت في الجزيرة العربية في أوائل القرن الثامن عشر هو **المصلح الدينى محمد عبد الوهاب .**

٣ ــ القائد الفاطمي الذى أقام بناء مدينة القاهرة هو **جوهر الصقلى .**

٤ ــ تقع مدينة واترلو في **بلجيكا .**

٥ ــ جزيرة صقلية فتحها العرب في القرن الثامن على يد **أسد بن الفرات بن سنان .**

٦ ــ المضيق الذى يربط بحر مرمره ببحر ايجه يسمى بمضيق **الدردنيل .**

٧ ــ الحاكم الذى قال هذه الكلمات هو **الحجاج بن يوسف الثقفي .**

٨ ــ هذه الطريقة تعرف بانقسام **الخلية الواحدة الى خليتين او ما يسمى بالتكاثر الخلوى .**

٩ ــ المعدن الذى يكون في حالة سيولة في درجات الحرارة العادية هو **الزئبق .**

١٠ ــ **المستعصم** هو آخر الخلفاء العباسيين وهو الذى قتل على يد **هولاكو التترى .**

الفائزون بالمسابقة

■ **الجائزة الاولى** وقيمتها ــ/٣٠ دينارا فاز بها : **عبد العزيز سعد الخراشي** ــ الرياض ــ السعودية .

■ **الجائزة الثانية** وقيمتها ــ/٢٠ دينار فاز بها : **عبد الشكور عوض الكريم محمد** ــ ام درمان ــ السودان .

■ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ــ/١٠ دنانير فاز بها : **صالح محمد صالح الجابر** ــ الدوحه / قطر .

٨ جوائز قيمتها ــ/٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **عمر محمد احمد رياح** ــ عمان / الاردن .

٢ ــ **فتحية الرفاعي** ــ الكويت .

٣ ــ **خليل ابراهيم الجاسم** ــ البصرة/العراق .

٤ ــ **الياس نقولا السيقلى** ــ صيدا / لبنان .

٥ ــ **آمال محمد المهدى عبد الله** ــ الزقازيق / ج ٠ ع ٠ م ٠

٦ ــ **محمد معتز الخطيب** ــ دمشق / سوريا

٧ ــ **محمد عبد الله ابو سرية** ــ بنغازى ــ ليبيا

٨ ــ **ابراهيم احمد المقحفي** ــ صنعاء / اليمن .



شعراؤنا الأحدثون

ما قالوا في الحجاب وفي السفور

بقلم : الدكتور احمد الحوفي

رئيس قسم الدراسات الادبية ، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ كان التعليم الى اول القرن التاسع عشر محصورا فى الأزهر ، مقصورا على الكتاتيب ، ثم جعل ينمو ويتطور ، فكثرت المدارس والمعاهد العليا ، ودرس الطلبة تاريخ بلادهم ، وعرفوا مفاخر دينهم واحكامه ، فاشتاقوا أن يستعيدوا ماضيهم المشرق، وصاروا ارهف حسا ، وابعد املا ، واشد حماسة ممن لم يتعلموا ، ودربت أقلامهم على الكتابة ، والسنتهم على الخطابة ، ومرنت عقولهم على التفكير السليم .

وكان للاتصال بالحضارة الغربية اثره، وحسبنا ان نذكر ان رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م) كان بدراسته في فرنسا من الحلقات التي وصلت الشرق بالغرب ، فدعا في كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين) الى تعليم الفتاة وتاديبها ، ولم تكن في مصر آنئذ مدرسة للبنات ، ولكن بعد طبع كتابه بعام انشئت في مصر سنة ١٨٧٣ م أول مدرسة لتعليم الفتيات هي مدرسة (السيوفية) امتها حين افتتاحها مئة تلميذة ، ثم نشأت بعض مدارس على غرارها .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين صارت الأحوال أكثر ملاءمة للاسراع بالمرأة الى التقدم ، لأن النفوس مهياة ولأن الكتب والصحف والمجلات والأدباء والمفكرين لا يفتأون ينبهون الأذهان ، ويقرعون الأسماع ، وفي الصدارة من هؤلاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأحمد فارس الشدياق وعبد الله النديم وعلي مبارك وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد .

ثم أسست النساء (الحزب النسائي) في العقد الثالث من القرن العشرين ، وكانت دعوته الأولى هي التسوية بين الفتاة والفتى في التعليم،وشهدت سنة ١٩٣٠ أول فوج من الفتيات تعلمن في المدارس الثانوية ودخلن الجامعة .

فماذا كان موقف الشعراء حيال السفور والحجاب ؟ .

نقصر هذه الكلمة على السفور والحجاب ، لنجد الشعراء فريقين ، فريقا ناصر السفور ، وفريقا ناصر الحجاب .

١ ـ الذين ناصروا السفور :

كان شوقي في مقدمتهم ، اذ قال قصيدة (كوك صو) (١) وصف فيها ذلك المكان الجميل بالاستانة سنة ١٩٠٠ واعجب بالتركيات السافرات ، ولم يتخوف عليهن السفور ، لان الاخلاق الكريمة اصون للمراة من الحجاب .

وردنك كوثرا وسفرن حورا
وهل بالحور ان اسفرن بأس ؟
فقل للجانحين الى حجاب
أتحجب عن صنيع الله نفس ؟
اذا لم يستر الادب الغواني
فلا يغني الحرير ولا الدمقس
كأن الخود مريم في سفور
ورائيها حواري وقس
تهيبها الرجال فلا ضمير
يهم بها ولا عين تحس

لم رثى شوقي قاسم امين سنة ١٩٠٩ ، وليس في قصيدة الرثاء (٢) ، انكار للسفور ، بل ان فيه تاييدا له ، وانكارا لنوع من الحجاب هو المتعسف المتعنت الدخيل على الاسلام ، الذى بالغ فيه بعض الرجال مبالغة لم يردها الاسلام :

ماذا رأيت من الحجاب وعسره
فدعوتنا لترفق ويسار
رأى بدا لك لم تجده مخالفا
ماقي الكتاب وسنة المختار
والباسلان شجاع قلب في الوغى
وشجاع رأي في وغى الافكار
أوددت لو صارت نساء النيل ما
كانت نساء قضاعة ونزار ؟
يجمعن في سلم الحياة وحربها
بأس الرجال وخشية الابكار
ان الحجاب سماحة ويسارة
لولا وحوش في الرجال ضوارى
جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه الى اذى وضرار

ويؤيد هذا الاستنباط ان شوقي قال قصيدة سنة ١٩٢٨ (٣) التى فيها على صديقه قاسم امين، وشجع السفور ، ورحب به ، وحمل على الحجاب وعلى حرمان المراة من العلم ، وان كانت القصور محابسها ، وبشر روح صديقه بان دعوته ذاعت واخذ الناس انفسهم بها ، واثنى على كتابه (تحرير المراة) بانه حق وخير ولا طفرة فيه ، وبان دعوته معتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله :

قل للرجال طغى الاسير
طير الحجال متى يطير ؟
اوهى جناحيه الحديد
وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره
واطال حيرته السفور
أوكل ما عند الرجا
ل له الخواطب والمهور ؟
والسجن في الاكواخ او
سجن يقال له القصور
ان السماء جديرة
بالطير وهو بها جدير
حرية خلق الانا
ث لها كما خلق الذكور
يا قاسم انظر كيف سا
ر الفكر وانتقل الشعور
جابت قضيتك البلا
د كأنها مثل يسير
مافي كتابك طفرة
تنعى عليك ولا غرور
لك في مسائله الكلا
م العف والجدل الوقور
ما بالكتاب ولا الحديـ
ـث اذا ذكرتهما نكير

---

(١) الشوقيات ٢/٦٢ (٢) الشوقيات ٣/٨٥ (٣) الشوقيات ٢/٢٠٨

ثم ذكر انهما كانا قد اختلفا ثم اتفقا ، فهل اختلفا في امور مفصلة تتصل بالمراة ؟ او اختلفا في اتجاه سياسي او اشياء اخرى ؟ :

لقد اختلفنا والمعا
شر قد يخالفه العشير
في الراى لم اعاب بي
ـك المتادم والسمير
ومحا الرواح الى معا
ني الود ما اقترف البكور
في الراى لتطفن العقو
ل وليس لتطفن الصدور

لكن لشوقي قصيدة تحتاج الى تحقيق وتامل وتمهل ، فقد نشرت له (الجريدة) في ١٩ مايو سنة ١٩١٠م قصيدة عنوانها (الرق والحرية ، والضعف والقوة، الى المكنونة الغالية تلك الباحثة بالبادية) يقصد الادبية ملك حفني ناصف ، وكان نشرها في اليوم التالي لصدور الحكم باعدام الورداني الذى قتل بطرس غالي رئيس الوزراء ، وعدد ابياتها سبعة واربعون بيتا ، ثم نشرتها مجلة الهداية في يونيه التالى ، ونشرتها مجلة الهلال في يوليه اللاحق ، وهي بالشوقيات تحت عنوان (بين السفور والحجاب) وابياتها اربعة وخمسون [١].

فهل رمز شوقي بالقصيدة حينما نشرها بالجريدة الى الورداني وهو في سجنه ، ولم يكن يقصد السفور والحجاب ؟

ذلك راى سجله الدكتور محمد صبرى جامع الشوقيات المجهولة ، ولم يعلل له [٢] .

واذا صح هذا كان من الشطط ان يستنبط احد من القصيدة راى شوقي في السفور والحجاب ، او ان يقضى بان شوقي كان حائرا في القضية لم يستقر فيها على راى .

فلننظر في القصيدة لنستمد منها عدة ملاحظات .

الاولى : ان بعض ابياتها يشير الى ان المراد سجين حقيقة لا مجازا ، مثل :

يا ليت شعرى يا اسير شجو فؤادك ام خلى ؟
وحليف سهد ام تنام الليل حتى يتجلى
بالرغم منى ما تعالج في النحاس المقفل

فان المراة المحجبة لم تكن مسهدة ، ولم تكن مصفدة حبيسة في سجن مغلق بحديد او نحاس .

الثانية : ان بعض الابيات يشير الى ان المخاطب صار في عداد الشهداء ، وصار مثلا للتضحية ويقظة الامة :

جاورت انـدى روضـة
وحللت اكـرم منـزل
بين الحفـاوة من حسـ
ـن والرعاية من علي
وحنان آمنة كأنـ
ـك في صباك الاول
صبح بالصباح وبشر الـ
ـابناء بالمستقبل
واسال لمصر عناية
تأتي وتهبط من عل

وبقتضينا هذا التأويل ان نعلم ان المقصود



قاسم أمين

(١) الشوقيات ٢١٩/١
(٢) الشوقيات المجهولة ١٢٢/٢

بحسين وعلى وآمنة الامام على وابنه الحسين والسيدة آمنة ام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لا حسين وعلى وامينة ابناء شوقي الثلاثة.

الثالثة : ان في القصيدة ابياتا تنبىء بان المخاطب مازال حيا ، وبان شوقي لن يستطيع ان يوفيه حقه من التكريم مهما يفعل :

انا ان جعلتك في نفا
ر بالحرير مجلل
ما كنت يا صداح عن
دك بالكريم المفضل

وهذا يرجح انه يعني الورداني قبل أن ينفذ الحكم باعدامه، ولعله كان يأمل الا تتجاوز العقوبة السجن سنوات يخرج بعدها طليقا حرا .

الرابعة : ان بالقصيدة ابياتا قد يفهم منها انه يناصر الحجاب ، ويخشى من السفور ان تنجم عنه شرور ، وقد يفهم منها اشفاقه على الشباب المتحمس المخلص لوطنه المتبرم بالفساد والعبودية، ويود لهم أن يتريثوا فيما يقدمون عليه :

حرصي عليك هوى ومن
يحرز ثمينا يبخل
والقيد لو كان الجما
ن منظما لم يحمل
صبرا لما تشقى به
او ما بدا لك فافعل
ان طرت عن كنفي وقع
ت على النسور الجهل

الخامسة : انه ختم القصيدة بنصح الطائر أن يتقوى ، وهو يقصد مصر ، لأن الحق الذى لا تسنده القوة مضيع مهضوم :

يا طير والأمثال تض
رب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها
الا تكون لأعزل

واذن فان هذه القصيدةلم تسفر عن شيء يتصل بالسفور والحجاب ، وان كان عنوانها في الديوان (بين السفور والحجاب) (١) .

اما حافظ ابراهيم :

فقد أيد الاعتدال في السفور والحجاب ، فلم يقر الحجاب الطاغي الذى يحرم الفتيات التعليم ، ويحبس المرأة في خدر بين الجدران ، ولم يشجع السفور المطلق الذى يبتذل المرأة ، ويعرضها للهوان :

انا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يَجُلْن في الاسواق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الاحداق
كلا ، ولا ادعوكم ان تسرفوا
في الحَجْب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلىً وجواهرا
خوفَ الضياع تصان في الاحقاق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا
فالشر في التقييد والاطلاق (٢)

وأما علي الجارم :

فقد قال قصيدة في ذكرى قاسم أمين سنة ١٩٢٨ صور فيها معارضة بعض المفكرين لدعوته أول الامر ، ثم تأييدهم لها :

قد نكرناه حين قام ينادى
وفهمنا معناه يوم احتجابه

واعتذر عن المعارضة بأن المعارضين كانوا يخشون على النساء من ذئاب المجتمع :

يا نصير النساء والدينُ سمح
لو وعينا المرئَ من آدابه
قد خشينا على الحمائم في الدو
ح الظافيرَ بازه وعقابه

(١) العربى : هذا العنوان خاطىء ، وهو السبب فيما كان من خلط ، وعندنا ان القصيدة لا صلة لها بشيء مما ذكر ، فلا علاقة لها بمقتل بطرس باشا غالى ، ولا بقاتله الورداني . وحسين وعلي وآمنة هم ابناء شوقى وقد عرفناهم .والقصيدة ببساطة هى حديث بين شوقى وكناره ، حديث شاعر رقيق لعصفور اسير .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٧٠

ثم رحب بما يرى من مشاركة الفتيات للفتيان في طلب العلم .

٢ ــ واما المعارضون للسفور فقد رأوا فيها مخالفة للدين ، وخروجا على عادات المجتمع الاسلامي ، وتمهيدا لشرور شتى ، فقال محمد عبد المطلب :

ما هذه الحبرات تهفو في الخمائل والحقول ؟
تكتر العفاف ذيولها
ومن الخنا قِصَر الذيول
أودى شفيف نقابها
بكرامة الأم البَتُول
وانجاب جيب قميصها
عن وصمة الشيخ البجيل
وعلا رنين حجولها
أسفا على الذيل الطويل
فاذا مشت هتك النقا
ب محاسن الوجه الجميل
اهي التي فرض الحجا
ب لصونها شرعُ الرسول ؟

واذا كان عبد المطلب على حق في انكاره ما راى من مظاهر السفور ، فانه لم يستطع في ابيات اخرى ان يدحض حجة الذين رأوا الحجاب عائقا للفتاة عن التعليم ، واكتفى بخيال عام صور فيه الفتيات بالشموس لا يحجبها ليل ، وبالمسك ينفذ عرفه من الأستار :

زعموهن بالحجاب عن العلـ
ـم ونور العرفان محتجباتِ
بنتُ مصر كالشمس يحجبها الليـ
ـل وراءَ الآفاق والظلمات
وهي في أفقها ضياء ونور
ساطع في بدُورها النيرات
أو هي المسك ينفذ العرف منه
من وراء الأستار والحجرات

فلما تغالت المراة في سفورها ، وكشفت عن مفاتنها ، سخط عليها كثير من الشعراء ، وضاقوا ، ربما لا بالسفور ، ولكن بما اجترأت عليه من عرّى ومهانة ، كقول علي الجندى في فتاة عارية الصدر والظهر والساقين :

قلت يا حسناءُ هذا الـ
حسن بالستر قمين
بات نهبا مستباحا
لعيون الناظرين
كان قبل اليوم في حصـ
ـن من الصون حصين
يفرع الصَّبُّ اليه
وهو قاسٍ لا يلين
فغدا مبتذل العز
ة للبذل قرين
كيف هان الحسن والحسن عزيز لا يهون ؟
وتعت فيه عيون
ورعت فيه عيون
كعيون الوحش ان لا
ح لها صيد سمين
ما على الحسن اذا حُجِّب كالدرالكنين ؟
وتوارى خلف ستر
خُلُقٍ عفةٌ ودين ؟
كجمال الروح لا يُلمح الا بالظنون (١)

٣ ــ على أن الذين دعوا الى السفور ودافعوا عنه ، والذين تمسكوا بالحجاب وايدوه ، حاول كل منهم أن يستند الى الدين في دعوته ودفاعه ، كما رأينا في النصوص السابقة ، وكما نجد في غيرها ، ومثلما نرى في قول الزهاوى :

أسفرى فالحجابُ يا ابنة فهرٍ
هو داءٌ في الاجتماع وخيمُ
لم يقل بالحجاب في شكله هذا
نبيٌّ ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والاذ
واق والعقل والضمير ذميم (٢)

وبهذا كان الشعر كعادته منذ القدم سجلا من السجلات التي تصور حال المجتمع ، وما يجرى فيه من تيارات ، وما يشتجر به من آراء . ■■

احمد الحوفى

(١) ترانيم الليل ١٧٥

(٢) الزهاوى وديوانه المفقود ١٦٣ هلال ناجي.

بلدية الكويت

- المؤسسة التي حملت على عاتقها مهمة بناء الكويت الحديث
- قصة ٤٠ عاما من العمل الذي غير وجه البلاد

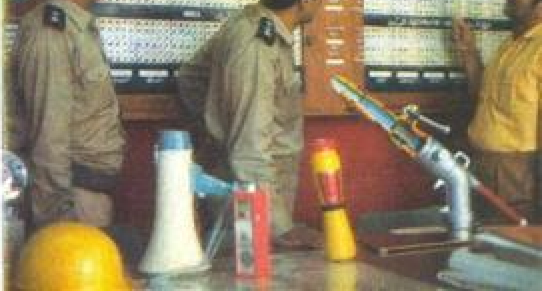
بقلم : منير نصيف

حديقة البلدية في شارع فهد السالم ، واحدة من الحدائق العامة العديدة التي قامت في قلب الكويت الحديث .. **والى اليسار** : مبنى بلدية الكويت ، احد المعالم البارزة في العاصمة ، تكلف بناؤه ثلاثة ملايين دينار ، ويتميز بواجهاته التي شيدت بالزجاج والالومنيوم .





تتبع ادارة الاطفاء بلدية الكويت .. وفي الصورة مدير الاطفاء العقيد علي عبدالرزاق المطوع مع اثنين من ضباط الاطفاء امام لوحة الطوارىء التي تبين كافة تحركات قوة الاطفاء لمواجهة اي حادث .



يقوم جنود الاطفاء بتدريبات مستمرة على مقاومة الحريق ، وتضم قوة الاطفاء في الكويت وضواحيها حوالي ٩٠٠ جندي اطفاء موزعين على مختلف المراكز وعددها ١٢ مركزاً ، وهم جميعا من ابناء الكويت .



■ فى وسط مدينة الكويت الحديثة ، وفى قلبها النابض يقوم اليوم مبنى كبير ، اول ما يلفت نظرك اليه ، ضخامته ثم لون طلائه الاخضر ، واخيرا جدرانه العالية التى كسيت واجهتها بالزجاج السميك.

لقد اصبح هذا المبنى الكبير اليوم ، واحدا من ابرز معالم الكويت الحديثة ، ومن اهم مرافقها الحيوية .. انه مبنى بلدية الكويت الذى استغرق بناؤه ثلاث سنوات ، وبلغت تكاليف انشائه وتأثيثه مبلغا يزيد على الثلاثة ملايين دينار كويتى ..

ان موضوع استطلاعنا اليوم ، هو بلدية الكويت ، اعمالها ، واوجه نشاطها ، والخدمات التى تؤديها للجمهور ، كيف بدأت وعلام انتهت اليوم بعد اربعين عاما من تأسيسها ..

مع رئيس البلدية

قصدنا لمقابلة الاستاذ عبد العزيز حسين الذى يتولى اعمال رئيس بلدية الكويت بالاضافة الى مسؤولياته كوزير للدولة لشؤون مجلس الوزراء .

وفي مكتبه تحدث الينا الوزير قال :

انه ليسرني ان ارحب بمندوبي العربي وهم فى طريقهم لكتابة استطلاع عن « بلدية الكويت » التى يسعدني ان اتحدث عنها كمواطن كويتي قبل ان اكون مسؤولا عن البلدية وعن اللجنة المركزية التى انيط بها القيام باعمال المجلس البلدى والى حين انتخاب مجلس بلدى جديد يتولى مسؤولياته وفقا للقانون . حيث ان لبلدية الكويت منزلة خاصة في نفوس ابناء هذا البلد . وهنا لا بد لي من وقفة قصيرة اسجل فيها اعتزازنا وتقديرنا جميعا للاباء والاجداد الذين كان لهم شرف العمل في بلدية الكويت واخص بالذكر اعضاء المجالس البلدية السابقة التى قامت قبل ظهور النفط ، ذلك الجيل الذى استطاع عن طريق التعاون والعمل ، وبالعرق والجهد المتواصل ان يرسم للكويت الطريق نحو المستقبل ، وهو الطريق الذى نسلكه اليوم ، والذى نرجو ان يوصلنا الى ما نتطلع اليه لوطننا من رفعه وتقدم .

ادارة البلدية يشرف عليها مجلس بلدى منتخب يتكون من ١٦ عضوا ، عشرة منهم منتخبون ، يمثل كل منهم دائرة انتخابية ، والستة الباقون تعينهم الدولة بمرسوم ، وينتخب المجلس من بين اعضائه الرئيس ونائب الرئيس ، ولكن نظرا لان المجلس البلدى الجديد لم ينتخب بعد ، فقد تقرر ان تقوم لجنة مركزية من كبار المسئولين في البلدية باعمال المجلس ، الذى يرأسه السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ورئيس البلدية . وفي الصورة الوزير يرأس احد اجتماعات اللجنة المركزية .





حديث جانبي اثناء انعقاد اللجنة المركزية بين الوزير السيد عبد العزيز حسين ، والسيد فوزان عبد الله السابق مدير البلدية بالوكالة .. قال الوزير : « نحن نخطط لكويت عام ٢٠٠٠ » .

« لقد عرفت الكويت الديمقراطية منذ البداية ، ولعل انتخاب اعضاء المجلس البلدي في الثلاثينيات خير دليل على ذلك . »

واختتم الوزير حديثه بقوله :

« هذه وقفة قصيرة امام الماضي الذي نعتز به .. اما عن حاضر البلدية فهذا ما ارجو ان تنقلوا صورة صادقة عنه بانفسكم لقراء « العربي » في كل مكان في الوطن العربي .

« وان كانت الامكانيات المادية التي يسرتها الدولة ووضعتها تحت تصرف البلدية قد مكنتها من تحقيق الكثير من مشروعاتها فان وراء ذلك ايضا جهودا كبيرة وعملا متواصلا قام به المسؤولون عن هذا المرفق على مدى السنوات الماضية .. واما عن المستقبل .. فهذا اهم ما يشغل تفكير اجهزة البلدية في الوقت الحاضر فنحن لانخطط لكويت اليوم .. وانما لكويت المستقبل ، للكويت عام ٢٠٠٠ .. وتقوم الدراسات التي تجريها ادارة التخطيط الهيكلي في البلدية على احدث الاسس العلمية وتعتمد على كفاءات علمية متخصصة على اعلى المستويات .

« انني لا اريد ان اطيل في الحديث اليكم فكما ذكرتم فان الحديث عن البلدية وانجازاتها .. طويل .. » .

اول بلدية من نوعها

ودخلنا المبنى الكبير مع المئات من المواطنين الكويتيين وغير الكويتيين الذين يترددون يوميا على مقر البلدية لمراجعة المسئولين ، فقد كنا على موعد مع المدير العام بالوكالة ، السيد فوزان عبد الله السابق ..

ان بلدية الكويت فريدة في نوعها ، فهي البلدية الوحيدة في العالم التي لا تفرض رسوما او عوائد مقابل الخدمات التي تؤديها للجمهور . لقد بلغت آخر ميزانية للبلدية مبلغا يزيد على الثمانية ملايين دينار ، هذا الى جانب الاعتمادات الاخرى التي تخصص للمشروعات التي تقوم البلدية بتنفيذها ، فهذه الاعتمادات جزء من الميزانية الانشائية الخاصة بالبناء والتعمير للدولة ، كما ان هناك ميزانية خاصة لاستملاك الاراضي التي تدخل في نطاق اعمال التنظيم . وهذه الميزانية الاخيرة تختلف بين سنة واخرى وتبلغ في المتوسط ٣٠ مليون دينار ، وقد اعتمدت الدولة للبلدية في عام ١٩٥٦ بوجه خاص مبلغ ٢٠٠ مليون دينار لهذا الغرض ، اى ان ميزانية بلدية الكويت ، بعد ظهور النفط ، قد أصبحت كلها تحت بند المصروفات دون ان يكون هناك ايرادات تغطي هذه النفقات ..

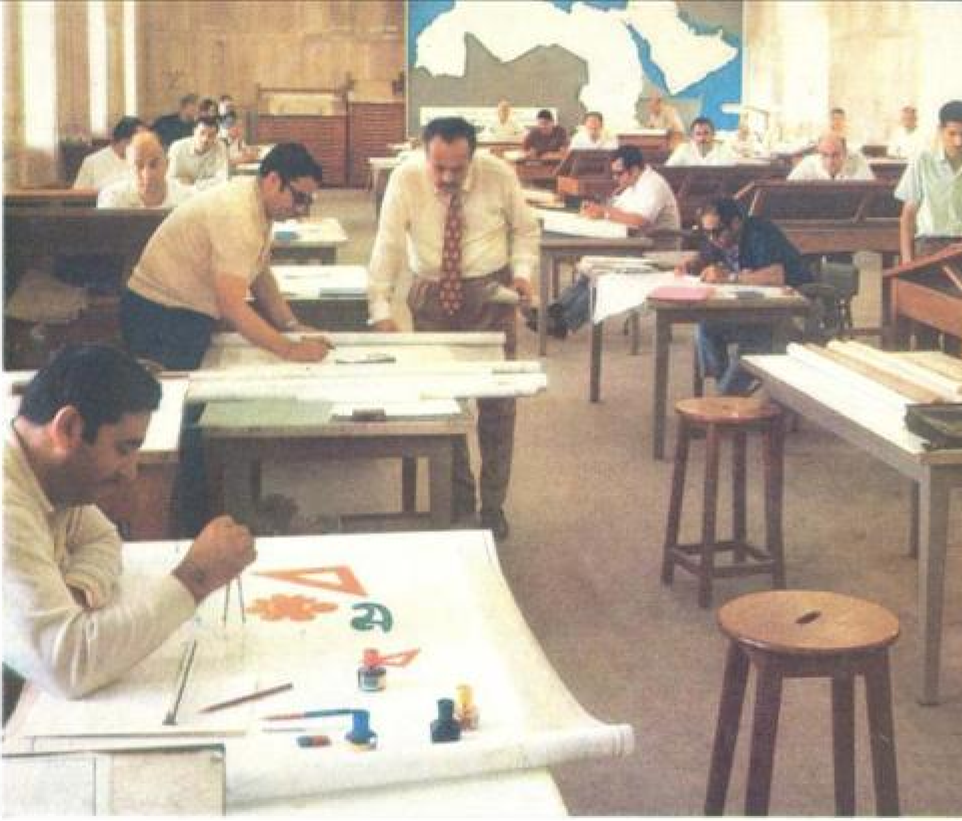
ولقد كان الحال يختلف عن ذلك عند قيام البلدية منذ اربعين عاما ، وقبل ظهور النفط بسنوات ، ولكن ما كاد الخير يعم البلاد ، حتى تغير الحال ، واصبح دور البلدية اشبه ما يكون بدور الاب الذي ينفق على تربية ابنائه وتعليمهم دون ان ينتظر منهم جزاء ولا شكورا .

قلنا لمدير البلدية : « حدثنا عن هذا العمل الكبير . نريد ان نستمع الى قصة البلدية والدور الذي قامت وتقوم به من اجل الكويت وشعب الكويت » .

مدير البلدية يتحدث

وتكلم السيد فوزان ، قال : « انها قصة طويلة ، ولكنني ساحاول ان الخصها لكم بقدر ما استطيع .. ان قصة بلدية الكويت ، هي قصة الكويت ذاتها .. كويتنا القديمة ، وكويتنا الحديثة .. قصة الماضي والحاضر قصة الطفولة الحائرة ، وقصة الشباب الذي ينبض بالحياة ..

« ان بلدية الكويت هي الروح التي ظلت تنبض

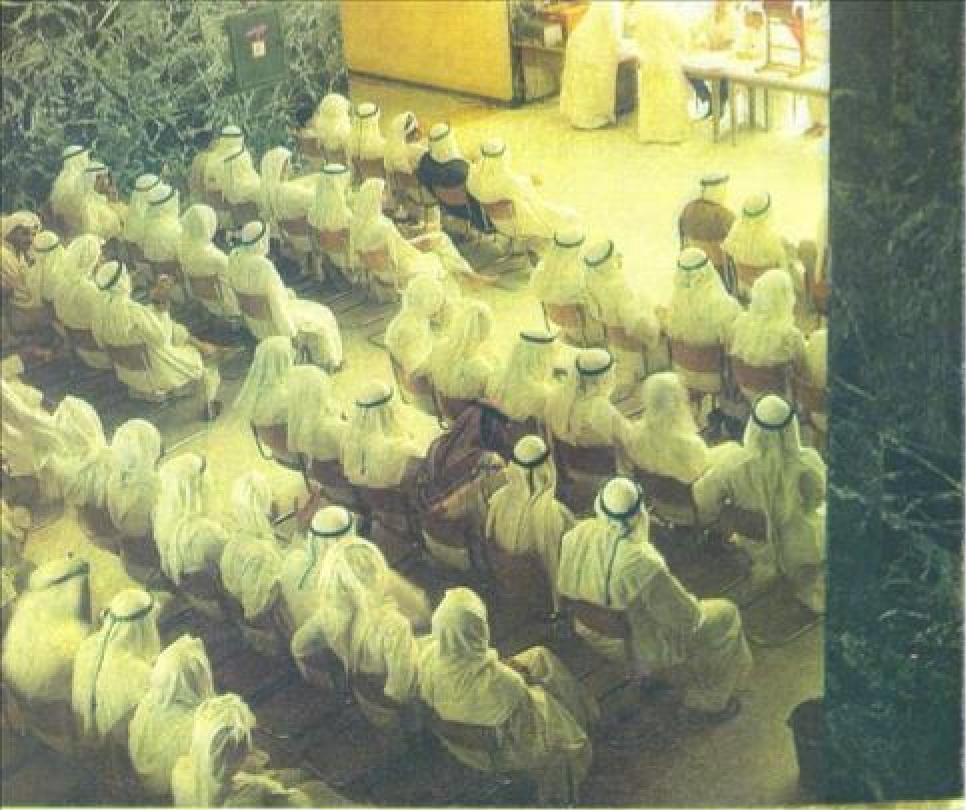


قاعة الرسم في مقر البلدية ، ويقوم العاملون فيها بتحضير المخططات الخاصة بعقارات المواطنين الكويتيين وكذلك المشاريع العامة للدولة ، ويوفر هذا القسم للمواطنين كل ما يتعلق بالخرائط الخاصة بالفرز والتسجيل والبيع والشراء بدون مقابل .

من بين المهام الرئيسية التي تضطلع بها البلدية هي مراقبة المواد الغذائية التي تعرض في الاسواق للاستهلاك ، ويقوم مفتشو الصحة بالبلدية بحملات مفاجئة على محال بيع الاغذية للتأكد من سلامتها وصلاحيتها .







تقوم بلدية الكويت بتوزيع قطع الاراضي المعدة للبناء (القسائم) ، على المواطنين الكويتيين بطريق القرعة . وتتم عملية التوزيع في مقر البلدية تحت اشراف لجنة من المسئولين في البلدية . وفي الصورة مجموعة من المواطنين الكويتيين اثناء عملية توزيع القسائم .

وفي الصورة الاولى الى اليمين حملة تفتيشية على محل لبيع اللحوم ، وفي الصورة الثانية يظهر اثنان من مفتشي الصحة في محل لبيع الخضروات وفي احدى الجمعيات الاستهلاكية، وآخيرا في محل لبيع الفواكه.









بالحياة وما زالت ، منذ اربعين عاما .. منذ عام ١٩٣٠ حتى يومنا هذا .. انها اول دائرة في الكويت ، وعلى عاتق هذه الدائرة قامت اهم المشاريع الحيوية التى غيرت وجه الكويت القديم .. فقد كان للبلدية في ذلك الوقت كل اختصاصات الحكومة .. كانت البلدية هي الجهة الوحيدة التى تصدر شتى انواع القرارات ذات الصبغة الصحية والاجتماعية والعمرانية وربما غير ذلك » ..

سجل القرارات

وفجاة توقف السيد فوزان عن الحديث ، وكانه تذكر شيئا ، ثم نظر الينا وقال : « ساقدم لكم نماذج من القرارات التى كان المجلس البلدى يصدرها في الثلاثينيات من هذا القرن ، ودخل مدير مكتبه السيد طالب الطاهر يحمل بين يديه قرارات البلدية منذ اربعين عاما .. كانت مكتوبة بالحبر في دفتر قديم ، اشبه بدفتر اليومية الذى يحتفظ به التاجر الصغير في متجره ..

ووضع مدير البلدية الدفتر امامه وراح يقرأ :

ـ يوم ١٠ اكتوبر من عام ١٩٣٢ ، وكانت قد ظهرت بعض الاصابات بمرض الجدرى في الكويت، عقد المجلس البلدى اجتماعا عاجلا واصدر قرارا بجلب المصل الواقى ضد الجدرى من مدينة البصرة ، وتعليق الملصقات للحث على التطعيم ، وحصر الوفيات يوميا . فلم تكن في الكويت وقتها صحيفة يومية واحدة .

ـ في نفس هذا العام اتخذ المجلس البلدى قرارا بتكليف مدير البلدية بتعيين ثلاثة انفار يخصصون لمراقبة شواطيء الكويت عند قدوم السفن ، وذلك بهدف منع المتسللين من دخول البلاد . ثم قرارا آخر بمنع صيادى السمك الاجانب من صيد السمك من مياه الخليج القريبة من شواطيء الكويت .

في ٣١ اكتوبر من عام ١٩٣٢ ، اصدر المجلس البلدى قرارا بتعيين محل لتجهيز اموات الفقراء المعدمين على حساب البلدية .

ولا يزال هذا القرار معمولا به حتى اليوم ، ولم يعد مقصورا على الفقراء وحدهم ، بل اصبح يشمل جميع المواطنين الكويتيين وغير الكويتيين .

ـ وفي ابريل من عام ١٩٣٣ ، اجتمع المجلس البلدى ، واصدر قرارا بمنع النساء من التجول في المدينة واسواقها طوال ايام الاعياد ، كما اصدر قرارا آخر بمنع تأجير الحمير للاولاد،لكي لا يدخلوا بها في سباق خلال عطلة العيد ! » .

دور البلدية في المجتمع

وقال مدير البلدية : « من هذه النماذج الصغيرة لقرارات المجلس البلدى ترون ان البلدية كانت مسئولة عن كل شيء يتصل بحيان المواطنين في الكويت .. وليس هذا بغريب ، فهذا دور البلدية دائما في المجتمعات الصغيرة ، وقد كنا مجتمعا صغيرا ، كما تعلمون في تلك الحقبة من تاريخ الكويت .. وكذلك كانت دار البلدية نفسها ..



● **بلدية الكويت**

معاول الهدم تزيل القديم ، فاذا بكل شيء يتغير في دوامة تلك الحركة العمرانية الجارفة التى ما لبثت ان تطورت بسرعة ، فقامت العمارات السكنية الحديثة ، وشقت الطرقات المهدة والميادين الفسيحة واذا بهذه الحركة تسجل رقما قياسيا في عملية انشاء المدن الحديثة في الصحراء .. لقد كان للبلدية دور قيادى ورائد في تغيير وجه الكويت .





كانت عبارة عن غرفة صغيرة تقع في سوق التجار القديم ، وقد تمت ازالته تماما .. وبعد ان انتقل الى مكان أرحب تقرر انشاء دار خاصة لتكون مقرا للبلدية في عام ١٩٢١ ، وكانت اول دائرة يتم تاسيسها في الكويت للخدمات العامة في عهد المرحوم الشيخ احمد الجابر امير الكويت الراحل . واعتمد المجلس البلدى لهذا المشروع خمسة آلاف روبية اى حوالى (٣٧٥ دينارا كويتيا) .

اول رئيس للبلدية

« وكان اول رئيس لاول مجلس بلدى لمدينة الكويت هو الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، يعاونه ١٢ عضوا تم انتخابهم لعضوية المجلس . وقد بلغت ايرادات البلدية في عامها الاول ٣٠٠٩٨ روبية اى حوالى ٢٢٥٧ دينارا يقابلها مصروفات بلغت ٢٩٩٣٤ روبية اى حوالى ٢٢٤٥ دينارا .

وقال مدير البلدية :

« هذه صورة سريعة لبلدية الكويت منذ اربعين عاما تقريبا ، وهي تعكس صورة الكويت نفسها ، وصورة الحياة في هذه البقعة من الارض العربية .. كانت الكويت مدينة صغيرة تجثم على مقربة من شواطىء الخليج الكويتي ، متماسكة الجوانب لتحمى نفسها من قسوة الطبيعة ، يعتمد اهلها

في رزقهم على التجارة وصيد السمك . والغوص في البحر بحثا عن كنوزه ! كانت مدينة الكويت ، مدينة عربية صحراوية ، داكنة اللون متشابكة الابنية المبنية من الطين لا تزيد مساحتها على ثمانية كيلو مترات مربعة .. كانت اشبه بوحدة سكنية ضخمة .. اما اسواقها فكانت بمثابة مخزن كبير ، تحيط به الازقة والحارات والشوارع الضيقة الصغيرة التى تشكل الطرق الرئيسية فيها ..

« واما ساحاتها فكانت مراكز للاجتماعات العائلية وللصناعات البيئية ، واخيرا للترويح والنزهة .. حياة هادئة ، ولكنها مليئة بالكفاح .. الكفاح من اجل العيش والبحث عن الرزق والماء ، وقد قام فيها تآلف غريب بين الانسان والطبيعة القاسية ، تلك التى تتجلى في الحرارة الشديدة « والطوز »(١) وقلة المياه العذبة !!

« هكذا كانت بلدية الكويت ، وهكذا كانت الكويت قبل ظهور النفط في عام ١٩٤٨ . وكأن الله قد اراد ان يعوض هذا الشعب القانع الهادىء المكافح ، ما فاته ، فاذا بالارض الساخنة الطيبة تفجر عما في جوفها من خير .. ويتدفق البترول من ارض الكويت ، وتتدفق معه ملايين الدنانير معلنة نهاية عهد ، وبداية عهد جديد لابناء هذا البلد الصابر المكافح .

صورة للكويت الحديثة

« لقد كان اثر هذا الدخل الكبير على ارض الكويت بالغا ، فقد محا او كاد تلك المعالم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية للعهد الماضي ، واذا بكل شيء من حوله يتغير في دوامة تلك الحركة العمرانية الجارفة التى ما لبثت ان تطورت بسرعة ، فاذا بالكويت تصبح بين غمضة عين وانتباهتها بلدا بلغ من التحضر مركزا مرموقا ، وقد اصبح له عاصمة هى مدينة الكويت ، واصبح له عدة موانيء حديثة على الخليج ، اهمها ، ذلك الميناء الكبير الذى اقيم في الاحمدى لاستقبال ناقلات النفط العملاقة ، ثم اقاليم ومحافظات ، واحياء نموذجية كاملة متكاملة ، زودت كل منها بشتى انواع المرافق العامة من مدارس ومستشفيات وجمعيات

(١) الطوز : الغبار الذى تحمله الرياح .



بيوت ذوى الدخل المحدود ، تلك التى اقامتها البلدية ، وقد غلب عليها النظام الواحد ، فهى متكررة الحجم والمساحة تقريبا ، وتقدمها البلدية لغير الموسرين من الموظفين والعاملين الكويتيين على ان يسددوا ثمنها اقساطا طويلة الاجل .



المهندس حامد شعيب المدير المساعد للشئون الفنية للبلدية (الى اليسار) ينصت باهتمام لحديث المهندس فهد الحساوى مدير ادارة التنظيم بالبلدية ، والحديث عن المخطط الهيكلى الجديد للكويت . يقول المهندس حامد : « ان هذا المخطط يعتبر من أهم منجزات البلدية حتى الآن » .

استهلاكية واسواق وكل ما يحتاج اليه سكان كل حي من هذه الاحياء .

واختتم مدير البلدية حديثه بقوله : « ولقد استطاعت الكويت ان تسجل بذلك رقما قياسيا في عملية انشاء المدن في الصحراء .. وكان دور البلدية في هذا الذي حدث للكويت ، دورا قياديا رائدا منذ اللحظة الاولى ، التي وضع فيها اول مخطط تنظيمي للكويت الحديثة ذلك المخطط الذي امتد بها في قلب الصحراء ، خلف اسوارها القديمة التي ازيلت ولم يبق منها سوى بواباتها التاريخية لتذكر الاجيال الصاعدة بما كانت عليه الحياة ايام آبائهم واجدادهم » ..

هذا العمل الكبير ، كيف استطاعت البلدية في خلال تلك السنوات القصيرة من عمرها ان تحققه .. ماذا فعلت لكي تزيل القديم وتبني مكانه الحديث بمثل هذه السرعة .. كيف تحولت المدينة القديمة القابعة على الخليج الى دولة ذت كيان مستقل لها عاصمتها ومدنها وأحياؤها الجميلة .. لقد قدم لنا مدير البلدية الخطوط العريضة، ولكننا نريد ان ندخل في التفاصيل .. وكان لا بد ان نتجه الى المدير المساعد للشئون الفنية المهندس حامد عبد السلام شعيب المسئول عن الادارة الفنية التي تعمل تحت اشرافه ، وهي اربع ادارات : ادارة التنظيم وتشمل الطرق والمشاريع التنظيمية ومعاملات الاهالي ، وادارة البناء ويتبعها قسم تراخيص المباني،وقسم مراقبة المباني،ثم ادارة المساحة ويتبعها اقسام التحديد والميدان والتفتيش والمكاتب ، واخيرا ادارة التخطيط الهيكلي للكويت ..

قال لنا المهندس حامد عبد السلام شعيب :

« كان على البلدية ان تقدم للبلاد مشروعات كثيرة كشق الطرق وانشاء الميادين وبناء الكثير من البيوت استجابة لتكاثر السكان ، ومع البيوت ما تتطلبه من المرافق الى جانب ما يحتاجه العمران من مصانع ومتاجر ومزارع احيانا الى آخر ما هنالك .

« واحتاجت البلدية من اجل كل هذا الى الارض ، الارض التي تفتح فيها الطرق وتمد فيها العمران ، وكان هناك نوعان من الارض .. ارض مسكونة مملوكة للاهالي ، وهي القديمة القائمة فعلا ، وارض تخرج عن هذه المناطق المسكونة وهي خالية تصنع فيها البلدية ما تشاء . وهي بالطبع المساحات التي تمد اليها البلدية العمران للوفاء بحاجات السنوات المديدة القادمة .

ثم قال :

« ولكي تقوم البلدية بتوفير الاراضي للمشاريع العمرانية ، الطرق والمدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق العامة ، كان لا بد لها ، وعند الدولة المال الوفير ، ان تشتري القديم من المساكن وتهدمه وتفسح بذلك لنفسها الارض عن طريق شرائها من



موقف للسيارات ، وفي الكويت عشرات من هذه المواقف بعد ان ارتفع عدد السيارات في الكويت الى ما يقرب من ١٥٠ الف سيارة ، لقد كانت عملية تنظيم الكويت، عملية باهظة التكاليف، بعد ان ارتفعت اثمان الارض بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، حتى لقد اصبح استملاك مكان لوقوف السيارات يتطلب عشرات الالوف من الدنانير . وصرفت الدولة مبالغ ضخمة للملاك من المواطنين ، ولكنها كانت وسيلة من وسائل توزيع ثروة البلاد .



السيد محمد صقر المعوشرجي مدير البلدية المساعد للشئون الصحية يستمع الى شكوى احد المواطنين .. ان المهمة الملقاة على عاتق السيد صقر والادارات التابعة له مهمة كبرى ، فهو مسئول عن سلامة غذاء المواطنين، وعن نظافة الكويت بمدنها وضواحيها .. قال لنا : « يكفي ان تعلموا ان الكويت تستورد ٩٧٪ من المواد الغذائية المستهلكة، لكى تلمسوا ضخامة المسئولية التى تقع على عاتق البلدية لتأمين الغذاء الصحى السليم » .

الاهالى ، او كما تقول باستملاكها فتدفع الدولة لهؤلاء الاهالى اثمان هذه المساكن واراضيها. وفعلا نفذت هذا ودفعت لاصحاب هذه المساكن من المواطنين الكويتيين المال الكثير ، الذى لا يتناسب مطلقا مع القيمة القديمة لهذه المساكن والاراضي ، مثال ذلك ان دفعت فى المتر المربع من الارض الذى كان لا يزيد ثمنه عن جزء من الدينار ، دفعت في هذا المتر مائة دينار اى اكثر من مائة ضعف .

فئات ثلاث

وقال المهندس حامد : « ان هناك ثلاث فئات من المواطنين تعهدت الدولة بمساعدتهم في بناء السكن الصحى الحديث الملائم لهم ، لكى يتسنى لها تنفيذ مشروعاتها العمرانية في الوقت نفسه » .

« اما الفئة الاولى ، فتشمل هؤلاء الذين يملكون مساكن بالفعل ، بشرط ان يكونوا مقيمين فيها ، وهؤلاء دفعت البلدية لهم ، ومازالت تدفع ، تعويضات عن البناء والارض ، طالما ان مساكنهم تقع في نطاق المناطق المخصصة للمشاريع .

مائة دينار للمتر المربع

وقد دفعت لهم الدولة عن طريق البلدية بسخاء ، ففي بعض الحالات كان ثمن القدم المربع من الارض لا يتجاوز جزءا من الروبية ، بينما دفعت البلدية اضعافا مضاعفة ثمنا له ، حتى لقد بلغ ثمن المتر المربع من تلك الاراضي التى استملكتها الدولة ما يربو على المائة دينار او يزيد ، في بعض الحالات .

« وكان الهدف من وراء هذه السياسة ، ذا شقين ، اولا ، تشجيع المواطن على بيع بيته القديم وارضه ، وتمكينه بالتالي من بناء سكن صحى حديث ، بعد اعطائه قسيمة من قبل البلدية ، وثانيا ، توزيع الدخل القومي على المواطنين في البلاد بهذه الطريقة » .

« اما الفئة الثانية ، فتشمل هؤلاء الذين لا يمتلكون ارضا او مساكن ، وقد قدمت لهم الحكومة ، ومازالت تقدم ، قروضا من بنك التسليف ، بينما توفر لهم البلدية في الوقت نفسه القسائم التى سيبنون عليها مساكنهم بهذه القروض ، على ان يدفع المنتفع قيمة الارض والقرض على اقساط شهرية بسيطة طويلة الاجل، وبدون فوائد » .

« واما الفئة الثالثة ، فتشمل ذوى الدخل المحدود ، وقد شيدت لهم الدولة مساكن في المناطق التى عينتها البلدية في مختلف انحاء البلاد ، وهم يقومون بتسديد ثمنها أيضا على اقساط طويلة المدى . على ان هناك حالات خاصة ، يعفى فيها المستفيد من دفع ثمن المسكن الذى اعطى

احدى السيارات الحديثة التى استوردتها البلدية اخيرا ، وهى تقوم بكنس الشوارع وشفط الاتربة ، ورشها بالماء في آن واحد .



له ، وتخضع هذه الحالات لظروف الاسرة الاجتماعية » .

اول مخطط هيكلى

وقال المدير المساعد للشئون الفنية : « لقد تمت هذه التنظيمات ، وما تبعها من شق الطرق واقامة الميادين الفسيحة والحدائق ، وتخصيص المساحات اللازمة من الارض للمرافق العامة في اوائل الخمسينيات وفقا لاول مخطط تنظيمي بدأ تنفيذه في عام ١٩٥٢ على وجه التحديد . وكانت النقاط الرئيسية للمخطط المشار اليه تتالف من طرق متفرعة من الطرق الرئيسية التى تؤدى الى مداخل المدينة وتمتد على محاذاة السور الدائرى الذى يحيط بها ، وكانت نقط تقاطع هذه الطرق ، هى الدواوير ، او « الدوارات » التى نراها اليوم ، وقد صممت المناطق الواقعة بين هذه الطرق بصورة يسمح لها بان تصبح مناطق سكنية في ضواحى المدينة .

« وقد رئى تسهيلا لمهمة البلدية في مواجهة التطور المنتظر ، ان تنقل اختصاصات واعمال التنظيم والمساحة من وزارة الاشغال العامة الى البلدية . وكان ذلك في اواخر عام ١٩٦١ .

« لقد كانت عملية تنظيم الكويت ، عملية باهظة التكاليف استنفدت الكثير من جهود المسئولين ، فقد ارتفعت اثمان الارض بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، كما ذكرنا ، حتى لقد اصبح استملاك مكان لوقوف السيارات مثلا يتطلب عشرات الالوف من الدنانير . ولكن عملية التثمين مضت تؤدى دورها على الوجه الاكمل ، وصرفت مبالغ ضخمة للملاك من المواطنين الذين استملكت الدولة اراضيهم ، ولكنها كما قدمنا ، كانت وسيلة من وسائل توزيع ثروة البلاد من دخل البترول على المواطنين .

المخطط الجديد للكويت

وختم المهندس حامد حديثه بقوله : « الا ان التطور لم يقف ، والضغط السكانى ما زال في ازدياد وارتفاع . مما أضعف من مسئوليات ادارة التنظيم لتوسيع المخطط الاساسي واعداد الاراضي لبناء المزيد من المرافق الحيوية . ومن هنا كان لا بد من وضع مخطط هيكلى عمرانى جديد لاعادة تنظيم الكويت ، بحيث يضع في اعتباره الزيادة المتوقعة في السكان خلال العشرين عاما المقبلة ..

وقد وضع هذا المخطط بالفعل ، وكان هذا في رأيى هو اهم انجازات البلدية .. (اقرأ العدد ١٤٨ من العربى) » .

ان عملية البناء واعادة البناء في الكويت عملية فريدة من نوعها .. ولكن هل هذه هى كل منجزات البلدية ؟

غذاء المواطنين

قال لنا السيد محمد صقر المعوشرجى ، المدير المساعد للشئون الصحية : « ان خدمات البلدية لا تقف عند حد التنظيم ومراقبة اعمال البناء وتشييد الضواحى السكنية الحديثة وتخطيط المدن وتقرير الشوارع والطرقات والحدائق فحسب ، انما هى تمتد الى ابعد من ذلك بكثير ، فهى تتدخل في غذاء المواطنين ، فغذاء الانسان وسيلة من الوسائل التى تحفظ له الحياة ، واذن فان هذا الغذاء لا يمكن ان يقوم بدوره كاملا الا اذا كان صحيا وسليما من الامراض . ومهمة البلدية هى ان تتحقق عن طريق اجهزتها من سلامة المواد الغذائية ، ومدى صلاحية المعروض والمستورد منها ، ونحن اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الكويت تستورد ٩٧٪ من المواد الغذائية من الدول العربية الشقيقة ومن الخارج ، امكن لنا ان نقدر الجهد الذى تبذله البلدية في سبيل المحافظة على صحة المواطنين ووقايتهم .

« اما بالنسبة للخضر والفواكه ، فهى تصل الى الكويت في شاحنات ضخمة مكيفة الهواء ، الى مراكز الجمارك على الحدود ، حيث يخرج احد رجال حرس الحدود لمرافقتها حتى تصل الى السوق المركزى للخضر والفاكهة في منطقة الشويخ .

« وفي هذا السوق يتولى رجال مكتب الجمارك ومكتب البلدية مراقبة تفريغ حمولة الشاحنة ، ويقوم هذا الاخير بمهمة التفتيش على الفواكه والخضراوات ، وفحصها بدقة وعناية ، للتأكد من سلامتها وخلوها من الآفات وصلاحيتها للاستهلاك ، واخيرا مدى مطابقتها للمواصفات المقررة من حيث الحجم والعدد والجودة .

« فاذا انتهى رجال البلدية من كل هذه الاجراءات ، سمحوا بنقلها الى مختلف اقسام السوق ، التى خصص البعض منها للخضر ، والآخر للفواكه ، حيث تعرض السلع المستوردة للبيع بالجملة على تجار التجزئة الذين يبيعونها بدورهم للجمهور .



التفتيش على الشهادات الصحية التى تصرفها البلدية للعمال المشتغلين في بيع المواد الغذائية وتداولها ، من مسئوليات المشرفين على الشئون الصحية بالبلدية . ولا تصرف هذه الشهادات الا بعد التأكد من سلامة هؤلاء العمال وخلوهم من الامراض .



لحوم فاسدة ، ضبطت اثناء احدى الحملات التفتيشية التى يقوم بها مفتشو الصحة التابعين للبلدية ، وقد حملها احد المفتشين الى رئيس قسم الاغذية بالبلدية السيد عبد الوهاب المطوع ، بعد أن حرر المفتش محضرا للجزار ، والعقوبة التى تنتظره هى الغرامة . فاذا تكررت المخالفات ، اغلق المحل نهائيا .

مسئولية كبرى

وقال السيد محمد صقر : « يكفى ان اذكر لكم ان متوسط ما يرد يوميا من الخضر والفاكهة الى الكويت يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ طن ، لكى تلمسوا المسئولية الكبرى الواقعة على رجال البلدية ، لتأمين صحة المواطنين .

« اما بالنسبة للمعلبات ، والمواد الغذائية الاخرى المحفوظة او المثلجة ، فهذه تصل بطريق البحر ، ولو ان جانبا كبيرا منها يصل عن طريق بيروت والعراق .

« بقيت اللحوم ، ذلك الغذاء الاساسي للانسان ، وموارد اللحوم التى تصل الى البلاد متعددة ، وهى تستورد حية او مذبوحة طازجة او مثلجة . والدول المصدرة للحوم الحية هى الدول العربية الشقيقة والصومال وتركيا وايران . اما اللحوم المذبوحة فتصل من تركيا ايضا ومن بلغاريا ورومانيا والهند وباكستان وغيرها ، وهى تخضع كلها لرقابة صحية دقيقة » .

الرقابة مستمرة في الاسواق

وختم المدير المساعد للبلدية حديثه معنا بقوله :

« يجب ان تذكروا دائما ان مهمة البلدية لا تنتهى عند عرض المواد الغذائية في الاسواق بعد التأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستهلاك . وانما هى تبدا مرة اخرى لضمان بقاء هذه الاغذية صالحة دائما للاستهلاك وذلك عن طريق تلك الحملات المفاجئة والمستمرة التى يقوم بها مفتشو الصحة وملاحظو الاغذية بالبلدية على محال بيع وتخزين المواد الغذائية ومعامل الحلوى والالبان وغيرها لاعدام التالف منها ومعاقبة المخالفين والمتهاونين في نظافة محالهم » .

وقال السيد محمد صقر : « لقد حددت لكم موعدا مع الطبيب البيطرى المسئول عن المسلخ المركزى في الكويت ، التابع للبلدية ، ليشرح لكم الدور الذى يقوم به للتأكد من سلامة الحيوانات التى تعد للذبح ، قبل عرضها في الاسواق للاستهلاك » .

.. وحديث آخر عن رسالة العربى

ثم قال : « ستنشرون هذا الموضوع في مجلة العربى ، اليس كذلك ؟ » .

قلنا : « نعم » .



مقر ادارة الاطفاء ، وتشغل الادارة الآن هذا المقر المؤقت وهو يقع في شارع السور ، وقد وقع الاختيار على موقع آخر لادارة المطافىء بالقرب من مجلس الامة الحالي، اى بجوار مبنى البلدية، وتقوم وزارة الاشغال الكويتية حاليا باعداد تصميم البناء الجديد . اما المقر الحالي للاطفاء، فسوف يزال ويشيد في مكانه المجمع الخاص بالاذاعة والتلفزيون .

قال : « انني من قراء العربي ، ومن المعجبين بها . ثم هناك قصة اريد ان اورويها لكم . لعلكم تجدون فيها المعنى الكبير للدور الذي تقوم به العربي في العالم العربي .. » كان احد الخبراء من السودان الشقيق يزور الكويت . وكنا ـ هو وانا ـ في طريقنا بالسيارة في صبيحة اول يوم من ايام زيارته الى مكتبي بالبلدية وما كدنا نقترب من المبنى ، حتى التفت الى صاحبي وقال : « وهذا هو مبنى البلدية الكبير . اليس كذلك ؟ »

واجبته على الفور : « هذا صحيح . ولكن قل لي ، متى زرت الكويت قبل ذلك ؟ » .

قال : « هذه اول زيارة لي ! » .

وعدت اساله : « ولكن كيف عرفت ان هذا هو مبنى البلدية ؟ » .

فضحك وقال : « الا تعرف اننا قد رأينا الكويت ومعالم نهضتها من خلال قراءتنا لمجلتنا المحبوبة العربي .. لقد رأيت صورة مبنى البلدية في احد استطلاعات العربي عن الكويت ، قبل زيارتي بشهور طويلة ! » .

مع طبيب المسلخ المركزي

والتقينا بالدكتور حمدي الحموري ، طبيب المسلخ المركزي بالكويت ، قلنا نسأله : « حدثنا عن الامراض التي تصيب الحيوانات التي تعد للذبح ، وعن الاجراءات التي تتخذونها للتأكد من خلوها من هذه الامراض ؟ » .

قال : « ان الكشف يتم على الحيوانات الحية مرتين . في المرة الاولى يتولى قسم البيطرة التابع لوزارة الاشغال ، مهمة الكشف على جميع انواع الحيوانات من ابقار واغنام وماعز وابل ، وذلك فور وصولها ، وقبل السماح ببيعها في اسواق بيع الحيوانات الحية في الكويت .

« اما عملية الكشف الطبي الثانية فتتم عند وصول هذه الحيوانات الى المسلخ المركزي وتجميعها في حظائر خاصة ، توطئة لاعدادها للذبح.

امراض الحيوانات

« واهم الامراض المعروفة التي نعنى دائما بالتأكد من خلو الحيوانات منها ، والتي يمكن ان تنتقل بطريق العدوى الى الانسان ، هي السل والجمرة الخبيثة Anthrax ، وهذا المرض الاخير يصيب الابقار والاغنام على السواء ، وكذلك مرض الحمى القلاعية Foot & Mouth Disease في الابقار ، وهو ينتقل الى الانسان عن طريق الحليب ، ومرض جدري البقر ، والطاعون البقري واخيرا حالات التسمم التي تصاب بها الحيوانات في بعض الاحيان والسعر واليرقان .

« واود ان اضيف هنا ، ان لكل هذه الامراض، اعراضا ظاهرة لا تخفى على الطبيب البيطري . فلا يكاد يشتبه باي مرض من هذه الامراض حتى يأمر بعزل الحيوان المصاب به فورا ، ثم تدخل الحيوانات السليمة الى صالة الذبح ، حيث تتم عملية ذبحها . اما الحيوانات المشتبه فيها فتذبح في غرفة عزل خاصة ، ثم تبدأ بعد ذلك عملية

الكشف على الحيوانات المذبوحة كلها ، سواء السليم منها،او المشتبه في اصابته باحد الامراض التي ذكرناها . واهم الامراض التي يبحث عنها الطبيب البيطري بعد الذبح،هي الدودة الشريطية، ودودة اخرى اسمها الدودة الشريطية القنفذية او « دودة Echincoccus Granulosus العطش » كما يسميها العامة . فهم يقولون انها تصيب الاغنام والماعز اذا ارتوت من بعد عطش شديد ! واخيرا الدودة الكبدية ، وهي التي تستقر في الكبد » .

رقابة على اللحوم المستوردة

ومضي الدكتور حموري يقول : « على ان الرقابة الصحية لا تقتصر على اللحوم التي تذبح في الكويت وحدها ، بل تشمل ايضا اللحوم الاخرى المستوردة سواء كانت طازجة ام مجمدة ، فهذه كلها يعاد الكشف الطبي عليها ، وهي تصل بالطائرات او السيارات المكيفة من البلاد التي تصدر الينا اللحوم » .

ويكمل رئيس قسم الاغذية بالبلدية عبدالوهاب المطوع الحديث عن الدور الذي يقوم به مفتشو البلدية للتاكد من دوام صلاحية المعروض من اللحوم والمواد الغذائية للاستهلاك يقول : « ان اهم ما يعنى به المفتشون والمراقبون ، هو ضبط اللحوم المدسوسة ، اي التي لم تذبح في المسلخ ، او اللحوم التي فسدت عند الجزار ، ولم يقم باتلافها ، وكذلك منع خلط انواع مختلفة من اللحوم عند فرمها ، او فرم اللحم قبل بيعه للجمهور !

الشهادات الصحية

« ثم هناك التفتيش بعد ذلك على الشهادات الصحية التي لا بد لكل عامل يرغب في الاشتغال في بيع وتداول المواد الغذائية ، من ان يحصل عليها عن طريق البلدية ، وهذه الشهادة تصرف للعامل بعد الكشف عليه كشفا دقيقا تحت اشراف وزارة الصحة في المستشفيات المخصصة لشتى انواع الفحوص الطبية ، وبعد التاكد من سلامته صحيا مائة في المائة .

هذه صورة سريعة للرسالة التي حملت بلدية الكويت لواءها منذ اكثر من اربعين عاما ..

ان دور البلدية ، دور كبير ، وقد فاتنا ونحن نعرض بعض جوانبه الكثير من الحقائق والارقام ، وسنكتفي بذكر البعض منها في سطور ، لعلنا نستطيع بذلك ان نستكمل اطار هذه الصورة الكبيرة .

البلدية في سطور

* شيد مبنى البلدية الحديث فوق مساحة من الارض تزيد على ١٧٥٠٠ متر مربع .

* يتالف مبنى البلدية من ثلاثة مبان ، مبنى رئيسي في الوسط ، يتالف من خمسة طوابق ، ثم جناحين يتالف كل منهما من ثلاثة طوابق ، ويقعان على جانبي المبنى الرئيسي ، ولو ان احد هذين الجناحين ، وهو الجناح الايسر ، الذي يضم قاعات الاجتماعات للمجلس البلدي ، قد خصص مؤقتا لمجلس الامة ، حتى ينتهي العمل في بناء مجلس الامة الجديد .

* يبلغ عدد موظفي ومستخدمي وعمال البلدية حاليا ٨ آلاف .

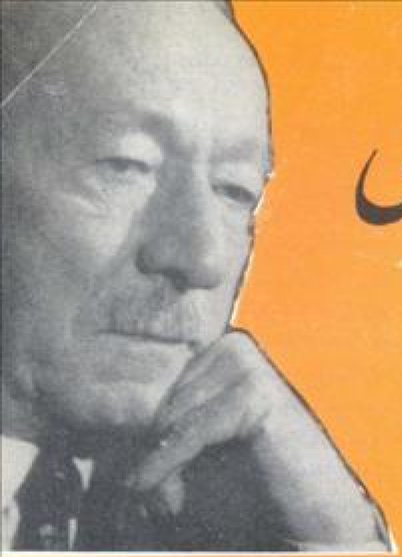
* استوردت البلدية اخيرا ثماني سيارات حديثة تقوم بكنس الشوارع وشفط الاتربة والقاذورات ، ثم رشها بالماء في آن واحد .

هذا الى جانب مئات السيارات الضخمة التي تقوم بجمع القمامة ، وكبسها ونقلها الى مراكز التفريغ ، ثم حرقها خارج المدن ، وذلك حتى يتم افتتاح مصنع تحويل النفايات الى اسمدة ، وهو المصنع الذي يجري العمل في بنائه حاليا .

ادارة الاطفاء

تتبع ادارة الاطفاء العام بلدية الكويت ، ويتولى ادارتها العقيد على عبد الرزاق المطوع ويعمل في الاطفاء الآن ما يزيد على ٩٠٠ ضابط وجندي اطفاء ، تلقى بعضهم تدريباتهم في انجلترا ، وهم موزعون على وحدات مراكز الاطفاء في الكويت وضواحيها ، وعددها اثنا عشر مركزا . ومعظم جنود الاطفاء من ابناء الكويت ، بما في ذلك المهندسون الذين يعملون في الاجهزة الفنية وفي صيانة معدات الاطفاء . ولدى ادارة الاطفاء في الكويت ٢٥ سيارة اطفاء حديثة موزعة على كافة انحاء المراكز . هذا الى جانب صهاريج الاطفاء التي تنقل المياه الى مواقع الحرائق وعددها ٤٨ صهريجا ، وذلك حتى ينتهي العمل في مد شبكة المياه . بالاضافة الى عدد من السيارات الصغيرة والقوارب البحرية .. ■■

منير نصيف



عَوْني عَبْد الهادِي

١٨٨٩ - ١٩٧٠

■ أحد مؤسسي جمعية "العربية الفتاة" تلك الجمعية الشهيرة التي حاولت تحرير العرب مِن الحُكمِ العُثماني .

■ مِنْ أوائل المناضلين، عَايَش كُلَّ أحداث الشرق الأوسط منذ أوّلِ القرن إلى ما بَعْد الحرب العالمية الأولى، وتقسيم فلسطين.

بقلم : سليمان موسى

■ علم من اعلام الحركة القوميه الحديثة فى بلاد العرب وركن من اركانها. تتمثل فى سيرة حياته صفحة حافلة من صفحات الكفاح العربي . وهو جدير أن يعتبر نموذجا طيبا لذلك الجيل من رجال الرعيل الاول الذين حملوا هموم امتهم ورفعوا راية الجهاد ، فمنهم من قضى على اعواد المشانق ، ومنهم من سقط برصاص الغزاة المستعمرين ، ومنهم من أخطأته اعواد المشانق وطلقات الرصاص ، فعاش حتى لقي ربه : تصدق فيهم جميعا الاية الكريمة « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ذلك هو عوني عبد الهادى ، ابن العروبة البار (لم يكن يحب الاكتفاء بالقول انه ابن فلسطين فحسب) ، الذى طوّحت به ايدى الغزوة الصهيونية بعيدا عن مسقط رأسه ، فعاش منذ النكبة الاولى ـ نكبة ١٩٤٨ ـ فترة في دمشق وفترة في عمان ، ثم استقرت به عصا الترحال

في مدينة القاهرة ، الى ان توفى ودفن فيها بعيدا عن الربوع الغالية التى نشأ فيها وسعى من أجلها ما وسعه السعي والجهاد .

نشأته

ولد عوني في مدينة نابلس سنة ١٨٨٩ ونشأ فيها . واسرة عبد الهادى من الاسر المرموقة في فلسطين ، فقد كانت تملك اقطاعات واسعة وثراء عريضاً وتتمتع بنفوذ وسطوة وجاه في منطقة نابلس . لذلك أتيح لعوني من سعة العيش ما لم يكن يتاح حينذاك الا للقلة القليلة من الناس في بلاد العرب . وكان ابوه عبد الهادى مثقفا يتذوق الادب ويقرض الشعر ويكثر من مطالعة الكتب ، وكان الى ذلك موظفا في سلك القضاء العثماني . وقد تنقلت الوظيفة بابيه بين نابلس وبيروت فتلقى عوني تعليم المرحلتين الابتدائية والاعدادية في هاتين المدينتين . ومما رواه لي ان المعلم الذى كان يدرسه اللغة العربية في نابلس كان رجلا تركيا لا يعرف العربية . وكان عوني وزملاؤه في الصف يدرسون اللغة العربية فيكتاب يدعى (الشذب) على يد ذلك المعلم الذى كان يعلم العربية ويعرف بها دون ان يعرفها .والعلاقة الوحيدة بين المعلم وطلابه ان اللغة التركية كانت حينذاك تكتب بالحروف العربية (الى ان استبدل مصطفى كمال الحروف العربية بحروف لاتينية). وكانت تلك المفارقة العجيبة من جملة البواعث التى اثارت سخط العرب على سياسة الاتراك العثمانيين ، اذ تبادر الى اذهانهم ان الاتراك يريدون القضاء على اللغة العربية التي هي من أهم مقومات القومية العربية .

عندما انهى عوني دراسته الاعدادية (كانت تسمى الرشدية يومذاك) أرسله ابوه عام ١٩٠٧ الى استانبول عاصمة الامبراطورية العثمانية ، اذ لم تكن في نابلس مدرسة ثانوية في ذلك العهد . وبعد أن أمضى سنتين في مدرسة (مرجان) الثانوية التحق بمدرسة أعلى تدعى (المكتب الملكى) . وهذه المدرسة لم تكن تستوعب سوى اربعين طالبا يدخلونها بعد اداء الامتحان ، وكانت تعد الطلاب لتولي الوظائف الحكومية . وفي هذه المدرسة زوده أحد أساتذته بنصيحة ظل يذكرها حتى آخر عمره « اذا أردت ان تكون رجلا ناجحا ، فكن مرحا منطلقا مع أصدقائك وخلطائك ، ولكن كن جاداً صارما مع نفسك عندما تكون وحدك ، فلا تضع دقيقة واحدة من وقتك سدى » .

الانقلاب العثماني

في سنة ١٩٠٨ وقع الانقلاب العثماني الذى قام به الشبان الاتراك ، وأعيد العمل بالدستور . وابتهج الناس ابتهاجا لا مثيل له بالحدث الجديد ، لا فرق في ذلك بين أتراك وعرب وأرمن وألبان . وتبادر الى اذهان القوم انهم تخلصوا من استبداد السلاطين وحكمهم المطلق ، وأن مبادىء الحرية والعدالة والمساواة ستشمل بخيرها الجميع . وقد أثر هذا الحدث التاريخي في المتنورين العرب من ناحيتين (١) ان الزعماء الانقلابيين اختصوا بنقمتهم بعض العرب الذين كانوا يحيطون بالسلطان فاخذوا يوجهون اليهم الاتهامات ليس بصفتهم الشخصية بل بصفتهم عربا (٢) أن نجاح اولئك الشبان من منتسبي جمعية تركيا الفتاة في ارغام السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور ، قدم نموذجا بطوليا رائعا للشبان العرب الذين كانوا يتمنون لو تتاح لهم فرصة مماثلة يرفعون بها من شان وطنهم وابناء قومهم .

العربية الفتاة

هذان العاملان كانا وراء التفكير بانشاء جمعية (العربية الفتاة) . وكانت فكرة انشاء الجمعية قد نبتت اول ما نبتت في أذهان ثلاثة من الشبان العرب الذين كانوا يتلقون العلم في استانبول عام ١٩٠٨ وهم رستم حيدر وأحمد قدرى وعونى عبد الهادى .

ولكن فكرة انشاء الجمعية لم تخرج الى حيز العمل الا بعد ذلك بثلاثة اعوام . فقد انتقل عوني وزميلاه الى باريس لمواصلة تعليمهم . وهناك تم انشاء الجمعية فعلا سنة ١٩١١ بالاشتراك مع عدد آخر من الشبان نذكر منهم : عبد الغنى العريسي ومحمد المحمصاني ورفيق التميمي وتوفيق الناطور .

والواقعانشاط عونيالقومى بدأ بالانتسابالى (المنتدى الادبي) في استانبول ، الذى انشاه العرب بعيد الانقلاب العثماني ليكون ملتقى لهم يجتمعون فيه . وكان لذلك المنتدى شان كبير في توحيد كلمة العرب في العاصمة العثمانية وفي لم شملهم وبث الروح القومية بينهم .

في باريس

عندما وصل عوني الى باريس عام ١٩١٠ لم يكن يعرف اللغة الفرنسية معرفة تؤهله للالتحاق بالجامعة . لذلك التحق بمدرسة (سانت لوى) واقام في الدراسة والتحدث الى الفرنسيين حتى استطاع في بحر اشهر قليلة ان يتقن الفرنسية اتقانا يمكنه من استيعاب المحاضرات ، فالتحق بكلية الحقوق في جامعة باريس وظل مواظبا على دراسته حتى صيف ١٩١٤ عندما حصل على شهادة التخرج وكان اسمه بين اسماء المتفوقين الذين حملتهم لوحة الشرف في مدخل الجامعة يومذاك .

مؤتمر الفتاة في باريس

وكان العمل الكبير الذى قام به اعضاء (الفتاة) في باريس ، انهم دعوا الى عقد مؤتمر عربي عام ينشرون افكارهم عن طريقه . وبما ان القضية العربية لم تكن معروفة في اوروبا ، فقد اراد الداعون الى عقد المؤتمر ان يطلعوا الرأى العام في اوروبا ، والحكومات الاوروبية كذلك ، على ان للعرب قضية خاصة بهم . وكان الهدف البعيد الذى يهدفون اليه نقل القضية العربية من النطاق المحلى العثماني الى النطاق الدولى وبث الوعي القومي في بلاد العرب ، والضغط على الحكومة العثمانية كي تستجيب لمطالب الاصلاحيين العرب .

كان عوني عضوا في اللجنة التحضيرية التي دعت الى عقد المؤتمر . ووجدت الدعوة استجابة وتحبيذا ، فعقد المؤتمر جلسته الاولى يوم ١٨ حزيران ١٩١٣ في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس ، وحضره ممثلون بارزون عن الاصلاحيين العرب في سورية الطبيعية والعراق وبلاد المهجر في الامريكتين واوروبا . ورافقت عقد المؤتمر ضجة واسعة ، اضطرت جمعية الاتحاد والترقي صاحبة الامر والنهى في الدولة العثمانية أن ترسل أمين سرها الى باريس ، لمفاوضة زعماء المؤتمر والتفاهم معهم وقد أدى كل ذلك الى عقد اتفاقية بين الحكومة العثمانية والاصلاحيين العرب ، استجاب فيها الاتراك الى جانب مهم من المطالب العربية .

في باريس في الحرب العالمية الاولى

وبينما كان عوني يستعد لمغادرة فرنسا والعودة الى أرض الوطن ، شبت نيران الحرب العالمية الاولى واشتركت فرنسا فيها ، فاعتزم هو وصديقه جميل مردم أن يتأخرا بعض الوقت في باريس ، لكى يشاهدا عن كثب ما سيجرى في تلك الحرب . (هذا قول عوني في مذكراته المخطوطة) . وقد امتلأت نفس عوني بالاعجاب لحماسة الشبان الفرنسيين وهم يهرعون للالتحاق بصفوف الجيش، وكان بعض الشبان يذهبون الى الدوائر العسكرية المختصة لكي يستفسروا عن سبب تأخر دعوتهم للالتحاق بالجيش . وسرعان ما أصبح من النادر رؤية شاب بملابس مدنية في شوارع باريس ، حتى اخذ عوني وجميل مردم يسيران في الشوارع على استحياء ، لان العيون – وخاصة عيون النساء – كانت تساق الشبان المدنيين بنظرات الاستغراب والريبة .

تركيا تدخل الحرب ، وتعفى السوريين

ولكن عوني فوجيء ذات يوم بما لم يكن في الحسبان ، اذ ان الدولة العثمانية التي كان يحمل جنسيتها لم تلبث ان دخلت في الحرب الى جانب المانيا ، فاصبح من المتعذر عليه ان يعود الى بلاده ، بل أصبح من المحتمل ان يزج به في معسكرات الاعتقال المخصصة لابناء الدول المعادية. وكم كان عجبه وعجب صديقه جميل مردم عندما علما أن فرنسا زجت بالأتراك في المعتقلات وقررت ترك السوريين احرارا في حدود بلدية باريس . (كان ذلك ناشئا عن طمع فرنسا في الاستيلاء على سورية بعد الحرب) .

وقضى عوني سنوات الحرب الاربع في باريس في حالة ضنك ، اذ انقطعت عنه الموارد المالية من أهله . وفي بادىء الامر احتضنته العائلة الفرنسية التي كان يقيم معها ، ثم وجد عملا في مدرسة (سان لوى) ذاتها . وقد أبدى في مذكراته اعجابه البالغ بتشدد الفرنسيين في قضايا التعليم . فالمعلمون ينتخبون انتخابا يعتمد على التحصيل الثقافي والرصيد الاخلاقي ، ويعامل الطلاب في المدارس بشدة متناهية حتى ليطرد احدهم لأقل هفوة يرتكبها ولا سيما اذا كان مقصرا « وحجتهم في ذلك ان في فرنسا مئات الآلاف من الطلاب ، فليذهب منهم الف او الفان ليكونوا عبرة لغيرهم .. ولا فرق في هذا بين ابن الوزير او ابن الصغير الحقير » . اما التشدد في اختيار اساتذة الجامعات وفي ترقية الاستاذ المساعد الى رتبة استاذ ، فيبلغ عندهم أقصى الحدود .

وانتقل عوني للتعليم في مدرسة اخرى ، ثم عمل في احد المصارف ، وبعدها عمل نحو ثلاثة اشهر محرراً لجريدة (المستقبل) التي كانت تصدر باللغة العربية ثم استقال منها بعد ان تبيّن له انها ليست سوى اداة دعاية لوزارة الخارجية الفرنسية . وكان ذلك عندما رفض نشر مقالة تمتدح اسلوب الحكم الفرنسي في الجزائر وتونس وتقول ان العرب يتمنون لو ان فرنسا تحكم سورية بالاسلوب ذاته . وترجم كتابا من التركية الى الفرنسية . وممن عرفهم في تلك الفترة الكاتب اللبناني شكري غانم مؤلف مسرحية عنترة (مُثلت على مسارح باريس) والشيخ يوسف الخازن اللبناني المثقف .

وانتهت الحرب . وعلم عوني بان ابن عمه سليم عبد الهادي كان واحدا من الاحرار العرب الذين اعدمهم جمال باشا (١) كما علم باعدام الكثيرين من احرار العرب وبينهم بعض اخدانه في (العربية الفتاة) .

عوني يلتقي بفيصل بن الحسين في باريس

وبقي عوني في باريس يفكر في وسيلة يتمكن بواسطتها من العودة الى بلاده ، حتى طرق باب غرفته ذات يوم من ايام كانون الاول ١٩١٨ صديقه الدكتور احمد قدري ، فكان ذلك مفاجاة مذهلة . كان احمد قدري قد جاء مع فيصل بن الحسين لتمثيل العرب في مؤتمر السلم في باريس ، وكان اول ما فعله انه بادر للبحث عن عوني . ومضى عوني مع احمد قدري الى الفندق الذي كان فيصل يقيم فيه ، وهناك التقى برفاقه رستم حيدر وفائز الغصين (من اعضاء الفتاة) ونوري السعيد (من اعضاء العهد) . وضمه فيصل الى اعضاء وفده ، وبذلك فتحت امام عوني اسباب العمل من جديد في سبيل قومه ووطنه .

كان الوفد العربي الذي مثّل العرب في مؤتمر السلم بباريس اول هيئة عربية رسمية تعترف بها الدول الكبرى في العصور الحديثة ، ذلك ان دول الحلفاء اعترفت للعرب بحقوق المحاربين . وعندما عرض فيصل مطالب العرب امام المؤتمر يوم ٦ شباط ١٩١٩ كان عوني الى جانبه . واشترك عوني مع فيصل في معظم المباحثات السياسية التي اجراها الوفد العربي مع ساسة بريطانيا وفرنسا والولايات الامريكية المتحدة ، وكان لاجادته اللغة الفرنسية واطلاعه على الاتجاهات السياسية في اوروبا ، اثر كبير في كل ذلك . وفي ربيع ١٩١٩ عندما عاد فيصل الى سورية لاستقبال لجنة كنج ـ كرين ، أصبح عوني الممثل الثاني للعرب في مؤتمر السلم (٢) .

مؤتمر السلم يقسم البلاد العربية بين انجلترا وفرنسا

علق العرب آمالهم على مؤتمر السلم وعلى شرف دول الحلفاء الكبرى ، وبخاصة بريطانيا التي قطعت لهم العهود والمواثيق ، وامريكا التي أعلن رئيسها وودرو ولسون نقاطه الاربع عشرة واهمها النقطة التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولكن فرنسا كانت مصرّة على فرض سيطرتها على سورية ، بينما كانت بريطانيا مصرّة على حكم العراق وفلسطين . وظل لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا وكليمنصو رئيس وزراء فرنسا يحاوران الرئيس ولسون ويداورانه حتى تخلى عن مبادئه المثالية . ولم تلبث الولايات المتحدة أن عادت الى سياسة العزلة ، مخلية الميدان السياسي لبريطانيا وفرنسا ، وكان ما كان من اتفاقهما على تقسيم البلاد العربية بينهما ، طبقاً لاتفاقية سايكس ـ بيكو السرية .

يذكر عوني انه ذهب ونوري السعيد ذات يوم لمقابلة المستر بولك (الذي تراس الوفد الامريكي بعد عودة الرئيس ولسون الى بلاده) . اثناء المقابلة قالا لبولك :

ـ ترى لماذا تعملون على تجزئة بلادنا ؟ اذا لم

---

١ ـ هو والد السيدة طرب زوجة المرحوم عوني،وكانت طفلة عندما سيق ابوها الى المشنقة في بيروت يوم ٢١ آب ١٩١٥ مع رجال القافلة الاولى من الشهداء . وكانت تهمة سليم عبد الهادي انتماءه الى حزب اللامركزية العثماني .

٢ ـ مثّل العرب عضوان في مؤتمر السلم هما الامير فيصل ورستم حيدر ، وبعد عودة فيصل اصبح العضوان : رستم حيدر وعوني عبد الهادي. وعندما عرض فيصل مطالب العرب أمام هيئة المؤتمر كان الى جانبه رستم حيدر وعوني عبد الهادي ونوري السعيد .

يكن بدٌ من الانتداب فليكن ذلك بيد دولة واحدة لحفظ وحدة العرب .

وكان جواب بولك انه وقف تجاه خارطة كبيرة لبلاد العرب ، واشار اولاً الى فلسطين وقال : بريطانيا مصممة ان تأتي الى هنا . ثم اشار الى سورية ولبنان قائلا : وفرنسا مصممة على المجيء الى هنا ، ولو ادى الأمر الى الحرب .

امريكا تاخذ ٢٥٪ فى اسهم نفط الموصل وترضى عن التقسيم

كانت سياسة القوة والاستعمار هي السياسة التي تمّ تنفيذها وتمّ وضع التسويات الدولية على اساسها . وتراجعت السياسة الامريكية خطوة بعد خطوة ثم رضيت بما قررته بريطانيا وفرنسا بعد ان منحتاها ٢٥٪ من اسهم نفط الموصل . وهكذا كان القول الفصل للمصالح النفطية وليس لمبدأ تقرير المصير .

عوني فى سورية

في اوائل ١٩٢٠ عاد عوني مع فيصل الى سورية واتخذه يعمل امين سرٍّ خاصاً له، وتولى وزارة خارجيته بالنيابة بعد اعلان سورية استقلالها (٨ آذار ١٩٢٠) . وبقي في دمشق حتى كانت معركة ميسلون في أواخر تموز ، فغادر فيصل سورية بعد انذار الفرنسيين له ، وقضى اسبوعين في حيفا ثم ابحر الى اوروبا لمتابعة العمل السياسي . اما عوني فقد بقي في القاهرة هو وشكري القوتلي وعدد من الزعماء ينتظرون ويترقبون تطورات الاحداث .

عوني بين الامير عبد الله وتوليه شرق الاردن

لم تمض سوى اسابيع قليلة حتى جاءت الانباء الى مصر بوصول الامير عبد الله بن الحسين الى بلدة معان (في الجهة الجنوبية من شرقي الاردن) وبانه ينوي مقاتلة الفرنسيين اذا توافرت اسباب القوة له . وقرر عوني ان يذهب الى معان ليدرس الوضع عن كثب . وغادر القاهرة الى القدس حيث اجتمع بالسير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني ، وأبلغه انه ينوي السفر الى معان . وطلب صموئيل من عوني ان ينصح الامير بالعودة الى الحجاز ، او على الاقل ان لا يعمد الى مهاجمة الفرنسيين من أرض تعتبرها بريطانيا تحت انتدابها .

ومضى عوني الى معان هو وامين التميمي . وهناك وجد الامير عبد الله في حيرة من امره ، فهو من جهة لا يملك القوة الكافية لمهاجمة الفرنسيين ، ومن جهة اخرى لم يجد في سورية الاستجابة الضرورية لدعوته الى الثورة في وجه الفرنسيين والتعاون معه على قتالهم .

ولكن عوني وعدداً من الاحرار السوريين اوضحوا للامير ان منطقة شرقي الاردن كانت جزءاً من مملكة فيصل السورية ، وان هذه المنطقة ما تزال دون حكومة مركزية تحكمها ، اذ ان الفرنسيين لم يتقدموا لاحتلالها (باعتبارها من نصيب بريطانيا) ولم يتقدم الانكليز لاحتلالها (باعتبارها من المناطق التي تعهدوا للعرب باستقلالها) . وجاء عدد من زعماء شرقي الاردن الى معان يدعون الامير عبد الله للقدوم الى عمان وتولي أمر ادارتها . واقتنع الامير بان افضل ما يمكن ان يفعله هو التقدم الى عمان ، فجاء اليها في اوائل آذار ١٩٢١ .

اما عوني فقد حمل رسالة من الامير الى هربرت صموئيل في القدس ورسالة اخرى الى ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني الذي كان قد وصل الى القاهرة يومذاك لبحث الامور المتعلقة ببلاد العرب . وكانت النتيجة ان تشرشل جاء الى القدس وهناك عقد سلسلة اجتماعات مع الامير عبد الله كان عوني الى جانب الامير فيها . وفي هذه الاجتماعات وضعت الاسس لانشاء امارة مستقلة في شرقي الاردن .

بقي عوني في عمان حوالي سنتين رئيسا لديوان الامير عبد الله ، ثم رأى ان يعود الى فلسطين للاشتراك مباشرة في النضال السياسي ضد الانتداب البريطاني وسياسة الوطن القومي اليهودي. وفي مدينة القدس افتتح مكتبا للمحاماة، وسرعان ما برز في طليعة المحامين . ووجد ان العمل السياسي والعمل في المحاماة يقتضيان منه معرفة اللغة الانجليزية فاخذ يتعلمها وهو في الخامسة والثلاثين من العمر ، ولم يلبث ان اخذ يترافع أمام المحاكم باللغة الانجليزية ، مضيفا ذلك الى اللغتين التركية والفرنسية اللتين كان يجيدهما منذ مطلع شبابه .

عوني
فى المؤتمرات واللجان والوفود

واشترك عوني فى المؤتمرات واللجان والوفود التى اخذ عرب فلسطين يؤلفونها لتوضيح وجهة نظرهم والدفاع عنحقوقهم ولحشد قواهم وتوحيد صفوفهم . وفي عام ١٩٢٩ مثل العرب امام لجنة التحقيق البريطانية المعروفة باسم (لجنة شو). وفي سنة ١٩٣٢ اشترك مع عدد من اخوانه الاستقلاليين في تاليف حزب الاستقلال العربي ، واختير عميدا له . واعتقلته سلطات الانتداب عام ١٩٣٣ ،وفي عام ١٩٣٦ كاناحد الزعماءالفلسطينيين الذين تالفت منهم اللجنة العربية العليا ، وقد اختير امين سر لتلك اللجنة التى اصبحت منذ ذلك الحين تنطق باسم عرب فلسطين . وعندما بدأ العرب الفلسطينيون اضرابهم الكبير الشامل الذى امتد ستة اشهر ، عمدت سلطات الاحتلال البريطانية الى اعتقال عدد من القادة والزعماء فكان عوني عبد الهادى واحدا منهم (٢) . وفي عام ١٩٣٧ ألقت حكومة الانتداب القبض على اعضاء اللجنة العربية العليا وبعثت بهم الى المنفى في جزيرة سيشل ، ولكن عوني يومذاك كان في اوروبا يعرض وجهة نظر العرب امام لجنة الانتدابات ، فاضطر ان يبقى بعيدا عن بلاده .

فى مؤتمر لندن

وفي عام ١٩٣٩ كان عوني احد ممثلي عرب فلسطين في مؤتمر لندن الذى عقدته الحكومة البريطانية مع جميع الدول العربية المستقلة يومذاك بهدف وضع حل نهائي للقضية الفلسطينية . وقد عرضت الحكومة البريطانية على العرب حلا كان من رأى عوني عبد الهادى قبوله ، ولكن الاعضاء الاخرين رفضوه ، وجاراهم في ذلك ممثلو الدول العربية على أساس ان عرب فلسطين ادرى بقضيتهم من سواهم ولا يجوز قبول حل لا يقبلونه . وقد اسر لي عونى ذات يوم ان النوازع الشخصية لاحد الزعماء كانت ـ كما يعتقد ـ وراء موقف الرفض الذى اضاعت فيهالزعامةالفلسطينية فرصةلم تتح للفلسطينيين افضل منها لا من قبل ولا من بعد .

بعد نكبة ١٩٤٨

انتهت الحرب العالمية الثانية وعاد عوني الى فلسطين فوجد ان موازين القوى فيها قد انقلبت لصالح الصهيونيين الذين عملوا اثناء سنيالحرب على تقوية أنفسهم وتدريب رجالهم وانشاء جيش سري خاص بهم تحت سمع الانكليز وبصرهم .وقد ظهرت قوة الصهيونيين فى الثورة التي قاموا بها ضد الانكليز عام ١٩٤٥ وارغموهم على التراجع عن سياسة الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ . ثم كان ما كان من تدخل امريكا ، ومن قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، ومن تدخل الدول العربية لانقاذ عرب فلسطين ، ومن النكبة التى تمثلت بانشاء دولة اسرائيل في الجزء الاكبر من ارض فلسطين .

في هذه المرحلة لم يكن للساسة الفلسطينيين دور كبير يلعبونه ، واضطر عوني ان ينزح الى دمشق حيث اقام بضع سنوات ، ثم بعد ان استقرت الوحدة بين الضفة الغربية والمملكة الاردنية ، عين سفيرا للاردن في القاهرة ثم اشترك في الوزارة الاردنية وزيرا للخارجية والعدلية . وخلال السنواتالعشر الاخيرة من حياته كان يعمل رئيسا للدائرة القانونية في الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

(٢) قررت اللجنة العربية العليا انهاء الاضرابابتداء من يوم ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ تلبية لنداء الملك عبد العزيز والملك غازى والامير عبد الله .وقد وجدت بين اوراق محب الدين الخطيب رسالة خاصة بعث بها اليه من حيفا الزعيم السوريالشيخ كامل القصاب بتاريخ ٧ شعبان ١٣٥٥ (الموافق ٢٣ تشرين الاول ١٩٣٦) يمكن ان تعطيالعبارات التالية التي وردت فيها فكرة عنالظروف السائدة يومذاك :

« ... وصلت القدس وباشرت العمل ، فكانالتوفيق بفضل الله حليف القضية الفلسطينية . ولا بدّ اطلعتم على تفاصيل الحل من الصحف .حقا انه حل مشرف ، ولو ان توسط الملوك تأخر لفشلت القضية لأسباب أذكرها لكم عند اللقاء انْشاء اللـه . فالحمد للـه الذي بنعمته تتم الصالحات ... » .

مذكراته وأوراقه

تعود معرفتي بعوني عبد الهادى الى عام ١٩٦٠، اذ اتخذ من عمان دار اقامة له بعد استقالته من السلك الدبلوماسي الاردني، واخذ يتردد على القاهرة لحضور اجتماعات الدائرة القانونية . وكنت أعجب لهذا الرجل الذكي الواسع الثقافة الحاضر الذهن، كيف لم يعمد الى تدوين الاحداث السياسية الخطيرة التي شارك فيها : من انشاء العربية الفتاة، الى المؤتمر العربي الاول، الى اشتراكه في مباحثات مؤتمر السلم، الى دوره في انشاء الامارة الاردنية، الى الكفاح الفلسطيني والقضايا العربية العامة . وكثيرا ما كنت أقول له : لو ان رجلا اوروبيا عرف ما عرفت من احداث ورجال، لكتب المؤلفات العديدة، ولما ترك الباب مفتوحا للاجانب وحدهم يقولون ما يقولون دون أن يتصدى الجانب العربي لتدوين وجهة نظره ولتسجيل الوقائع كما عرفها .

واخيرا بدأ عام ١٩٦٦ يسجل مذكراته في مدينة القاهرة بعد انتقاله للاقامة فيها . وكتب لي يومذاك رسالة يتمثل فيها بالعبارة الانكليزية Better late than never وبعبارة فرنسية مماثلة . وقد سلمني فصلين من مذكراته فقط : الاول يتعلق باقامته في باريس اثناء الحرب العالمية الاولى والثاني يتعلق بانشاء امارة شرقي الاردن . واستعان في الكتابة بذاكرته القوية وبالاوراق الكثيرة التي احتفظ بها . وأعتقد انه كتب فصولا اخرى ربما تكون بين أوراقه التي تحتفظ بها زوجته السيدة طرب عبد الهادى . وكان قد فقد في القاهرة بعض رسائل الملك عبد الله اليه، فاغتمّ لذلك كثيرا، وكان قد اطلعني على بعضها . وفي رسالة بتاريخ ١٠ أيار ١٩٣٨ خاطبه عبد الله بقوله « اخي وعزيزى »، وقال له انه يرسل اليه صورة مذكرة يفكر بارسالها الى اللجنة البريطانية التي كانت تزور فلسطين يومذاك للتحقيق في اسباب الاضطرابات « رجاء الحصول منكم على ما ترونه : اما بزيادة او تعديل او عدم لزوم لها بتاتا » .

وعندما نشرت الصحف العربية نبأ الرسالة التي بعث بها الزعيم الصهيوني دافيد بن غوريون الى الرئيس شارل ديجول، ورد فيها ذكر اجتماعه بعدد من الزعماء العرب وبينهم عوني عبد الهادى، تحمّس كثيرا لرد التهمة التي وردت في رسالة بن غوريون وبعث برسالة منه الى جريدة (النهار) البيروتية (٢١ كانون الثاني ١٩٦٨) فند فيها مزاعم بن غوريون بأن عوني وافقه على مقترحاته، وكتب حقيقة الاجابة التي ردّ بها عليه . وبعث لي صفحات عديدة مترجمة عن مذكرات بن غوريون المنشورة بالعبرية والتي تتضمن فصلا بعنوان (محاولة فاشلة) ضمنّه محادثاته مع رياض الصلح وموسى العلمي وفؤاد حمزة وشكيب ارسلان واحسان الجابرى وجورج انطونيوس . وبدت لعوني عندئذ اكثر من اى وقت مضى اهمية الجد في كتابة مذكراته . وقد سر كثيرا عندما بعثت له سنة ١٩٦٩ محاضر المباحثات التى دارت بين تشرشل وعبد الله عام ١٩٢١ وكان هو العربي الوحيد الى جانب عبد الله اثناءها، ونص الرسالة التى بعث بها هربرت صموئيل الى اللورد كرزون حول اجتماعه مع عوني في القدس . (٤)

كان عوني انسانا لطيف المعشر ذكيا، قوى الحافظة، طلق المحيا، سريع الخاطر، واسع الثقافة، ذوّاقة للادب والشعر والموسيقى، وكان من طراز الرجل الذى قال عنه كيبلنغ شاعر الانكليز « ان شخصيته لا تتبدل سواء صحب الملوك او رافق السوقة » . وقد عاش حياة عريضة حافلة، قدّم فيها لبلاده وقومه ما وسعه ان يقدم، وظلّ حتى النهاية محتفظا بشباب روحه حتى وافته المنية في مدينة القاهرة صباح يوم الاحد ١٥ مارس (آذار) ١٩٧٠ عن اثنين وثمانين سنة، وقد دفن فيها بعيدا عن مسقط رأسه، رحمه الله . ■■

عمان ــ الاردن **سليمان موسى**

---

(٤) اتخذت الحكومة البريطانية منذ بضعة أعوام اجراءً فريدا من نوعه، اذ اخذت تبيح الاطلاع على أوراقها الرسمية ووثائقها بعد مرور ثلاثين سنة . وهذه الاوراق والوثائق أصبحت اليوم محجة الباحثين، في مؤسسة رسمية تعرف باسم (مكتب السجلات العامة Public Record Office) في لندن .

مسلمات خالدات

صبيحة ملكة قرطبة

بقلم : سنية قراعة

■ كل شيء هناك كأن الجلال يتوجه ، والجمال يضفي عليه الرواء .

وكيف لا يكون الجمال الفريد طابع ضاحية « الزهراء » التى انشاها امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فى عاصمته قرطبة ببلاد الاندلس واقام فيها قصوره الزاهرة الشامخة التي اجرى حواليها الماء من كل جانب فجعلها متعة للعين وبهجة للوجدان .

لقد شاد الناصر في بلاد الاندلس ملكا عربيا قل ان يجود الزمان بمثله ،وترك « للحكم » ولده من بعده تراثا احس الخليفة الشاب ان واجبه الاول ان يكون حارسه المتيقظ الامين الذى لا ينبغى ان تغفل عنه عينه . وكما حصن الناصر حدود بلاده وقواها بجيوشه ، كذلك سار ابنه « الحكم » في نفس الطريق حتى عم الرخاء بلاد الاندلس كلها وتوحدت بقاعها ومقاطعاتها جمعاء ، ولم يبق في يد امراء الاقطاع من الفرنجة سوى مقاطعتي (ليون وكتالونيا) .

ورغم هذا لم يغفل عنهما بل كان يترقب الفرصة للانقضاض ليتم طرد الفرنجة نهائيا من الاندلس .

وان امير المؤمنين الحكم بن عبد الرحمن الناصر بعد هذا الاجهاد في سبيل توطيد اركان الملك ، لينصرف بعض الشيء الى هوايته المحببة ، وهي القراءة والاطلاع ، اذ كان شغوفا بالعلم مقبلا عليه ، وقد كفل له ابوه العظيم كل وسائل العلم واسبابه ، فزود له القصر بمكتبة فخمة حوت اكثر من اربعمائة الف مجلد في مختلف العلوم والفنون والاداب .

وتعود ان يقتطع من اوقات عمله بضع ساعات، ينصرف فيها وحده الى مكتبة القصر للدراسة والاطلاع .. وكان يتخير مكانا قصيا في نهاية قاعة المكتبة يجلس فيه وقد بعد بافكاره وتصوراته عن الدنيا ومن فيها .

وذات صباح عبق ، خلا الى نفسه في هذا المكان المنعزل بقاعة المكتبة .. في تلك اللحظات الوادعة تسللت الى داخل المكتبة جارية رشيقة القد ، حلوة التقاطيع ساحرة الملامح .. ثم توقفت امام صيوان يحوى النادر من كتب الادب وخير ما جادت به قرائح الشعراء ، وكانها تعودت ان تفعل ذلك كل يوم .

وفتحت الجارية كتابا وراحت تقلب صفحاته .

وراح يتاملها وهو يسائل نفسه عمن تكون هذه الصبية الحسناء .. انه لم ير هذا الوجه الصبوح قبل الان .. وان اشد ما يثير دهشته ان يجد بين ساكنات قصره العديدات من يهمها الاطلاع ..فمن تراها تكون هذه الفتاة الغريبة ؟ ! ..

واعجب في نفسه بهذه القارئة وتمنى لو انها كانت احدى اميرات قصره . وكم احب ان يفاجئها ولكن تواضعه ابى عليه ذلك ، اذ احس بغريزته ، ومن طريقتها في التسلل ، ان الفتاة وصلت الى قاعة المكتبة وهي واثقة ان احدا لم يرها ، ويجب



وتكست الفتاة رأسها أمام سؤاله الذى انزلها من سماوات كانت تحلق فيها وهبط بها الى مستوى أصبح من اللازم عليها أن تكشف عنه ، وتعترف له في صراحة انها جارية من جواري قصره العديدات .

ان تظل عند ظنها هذا حتى تنتهي من قراءة المجلد الذى راحت تتصفحه في شغف ونهم كبير .

وعاد الى قراءته وحاول جاهدا ان يصرف افكاره عنها بعد أن صرف عينيه .. وفي غفلة منه ، وبينما هو منصرف الى بضعة سطور استرعت انتباهه ، عاد ينظر في سرعة ، فاذا بالفتاة قد اختفت تماما وبنفس الخفة التى جاءت بها !

ووجد الحكم نفسه يترك اكداس كتبه ويسرع الى حيث كانت تقف الصبية الحسناء فوقف في نفس المكان ، وراح يستعرض المصنفات والاسفار ليعرف في اى كتاب كانت تقرأ ، ولكنه لم يستطع ان يعرف ذلك ابدا فقد اعادت الشابة كل شيء الى اصله بطريقة جعلت الحكم يوقن انها كانت مدربة على مثل هذا العمل وانها زاولته مرارا قبل اليوم وانها ولاشك قد تعودت التردد على مكتبة القصر .

وارتاح الى هذه الفكرة التي وصل اليها وقد استقر بخلده انها ليست غريبة عليه وانها لابد ستعود الى نفس المكان ان لم يكن غدا فبعد غد ..

وان لم يكن بعد غد فبعد اسبوع .. او شهر .. او عام باكمله ، المهم انها ستعود ويراها .

ومر صباح وصباح .. ثم صباح ثالث وعروس الحلم الجميل لم تحضر ..

وفي الصباح الرابع ، وقبل الموعد المبكر الذى

تعود ان يدخل فيه الى قاعة المكتبة دخل كعادته .. واذا به يراها امامه ! !

وتقدم من الفتاة التي اجفلت ساعة رأته ، واسرعت فوضعت الكتاب الذى كانت تحمله بيدها على نضد امامها ، ونكست راسها وهي تنتظر اللوم والتقريع ، لانها اجترأت ودخلت مكتبة القصر دون استئذان ، واذا بالخليفة العظيم يتقدم منها وقد تهلل بالبشر وجهه ، فعاودتها بعض ثقتها وهدوئها واحست بروح من الاطمئنان داخلت نفسها مع كلماته الوادعة وهو يسالها ماذا كانت تقرأ ؟ ! واذا بها تقول باستحياء : انها كانت تطالع كتابا عن شاعر النبوة « حسان بن ثابت » .

وبهت امام جواب الفتاة ، وراعه ان تقبل شابة مليحة غضة الاهاب بارعة الحسن على مثل هذه الدراسة ، وحلا له ان يختبر مدى صدقها فيما ادعته .. ولم يكد يناقشها فى شعر حسان حتى كانت اسرع منه واحسن جوابا ، فاصغى الى الفتاة واصغى ، واذا به في النهاية يريد ان ينهيه عند هذا الحد ، ليعرف من تكون تلك المتسللة الحسناء التي اثارت دهشته واكباره واعجابه ؟ !

ونكست الفتاة راسها امام سؤاله الذى انزلها من سماوات كانت تحلق فيها وهبط بها الى مستوى اصبح من اللازم عليها ان تكشف عنه ، وتعترف له في صراحة انها جارية من جوارى قصره العديدات، وانها تعيش في فيض نعمته وكريم عطائه !

وابى الحكم ان يصدق ما سمع ، فصاحبة مثل هذا العقل المتفتح ! ! الذى استنار بضوء العلم لا يمكن ان تكون جارية من جواريه العابثات اللاهيات ، واقبل عليها يشجعها ان تتكلم وان تصارحه بحقيقتها فهو يعطيها الامان ويرحب بها ان لم تكن من اهل القصر لتتردد على مكتبته فى اى وقت تشاء .. واذا بالصبية تؤكد لامير المؤمنين انها جاريته ومملوكته وانه هو وحده صاحب الامر والتصرف فيها .. واذا كان قد اغضبه ان تجرؤ جارية مثلها على دخول المكتبة فهي تسأله العفو ، فلن تعود الى مثل هذه الفعلة ابدا .

وهتف مستنكرا ما سمع من الصبية ، وراح يؤكد لها انه معجب بسعة اطلاعها وبشغفها بالعلم الذى رفعها في عينيه الى مكانة عالية .. وجعل يحاول ان يعيد اليها هدوءها ويشعرها بانها قد اسعدته فعلا واثارت اكباره واعجابه .

وراح يتفحص الفتاة في دهشة واعجاب واكبار ، وسالها في نبرة المشوق الى تعرف اسمها واذا بها تقول له انها جاريته ومملوكته الامينة « صبيحة ».

صبيحة ، انها صبيحة فعلا ، ومليحة بلا جدال .. وان حديثها الطويل مع امير المؤمنين جعله يكتشف فيها الوانا من السحر لم يعهدها من قبل ، لا في نساء القصر ولا في جواريه .. ووجد نفسه يردد كالمذهول هامسا « صبيحة » انك صبيحة فعلا ، وسوف يسعدنى ان تكوني طلعة كل صباح حلو ارجوه ، وان ارى وجهك هذا دائما يشرق علي ، وتكون رؤيته فاتحة خير وسعادة لامير المؤمنين .

واجفلت الفتاة امام الكلمات التى وصلت مسامعها ، وراح قلبها يدق في قلق واضطراب وهي حائرة لا تدرى أكان ما تسمعه حقيقة ام تراها كانت تعيش في وديان من الخيالات والاحلام.

مد الحكم يده وامسك بيد الفتاة التى كانت ترتعد ، ثم سار بها في هدوء خارج قاعة المكتبة ..

★ ★ ★

شهور تسعة مرت وصبيحة تعيش في حلم وردي تمنت لو تعيش مخلدة فيه الى الابد ! !

واذا بامير المؤمنين يسمع ذات صباح ان جاريته الاثيرة قد وضعت له ابنه الاول « هشام » !

كاد يطير فرحا بالنبا السعيد الذى سمعه .. واسرع يعدو نحو جناح صبيحة ، ليتاكد من صحة ما كان يسمع ، ويرى حبيبة القلب وقد حققت له اعز امنية كان يرجوها ، وهي انجاب الوريث ، ولما وجد انه امام حقيقة ماثلة .. كاد يبكي من الفرح ، واقبل على صبيحة يضمها الى صدره مرة ويضم وليدها الى صدره مرات ومرات وهو يردد : ان امك لن تكون جارية بعد اليوم ، بل هى زوج امير المؤمنين وشريكته في ملك الاندلس العريق.

ان صبيحة اليوم لتشعر انها فى مكانة لم تكنها بالامس : انها ملكة ! !

وملكة الاندلس بالذات ! !

والاندلس جنة الله في ارضه ، كانت محوطة

بالدسائس ترقبها العيون الحاقدة من فرنجة وامراء الاقطاع .. وانها لتحس بهذا وتشعر به وتعرف انها قد وُضعت في مكان يجب ان تكون جديرة به وان تشغله عن مقدرة وتفوق .

وراحت ترقب وتدرس في تمعن الدارسة الواعية لتكون صاحبة الرأى السديد .. وعرف لها زوجها امير المؤمنين فضلها وذكاءها فاعتمد عليها كل الاعتماد وراح بدوره يراقبها ليرى كيف ستفلح في ادارة دفة الامور ، حتى اذا وثق منها وارتاح الى حسن ادارتها لم يجد حرجا من تركها بعد ذلك لتكون صاحبة الكلمة المسموعة والامر النافذ في كل شيء ، ثم .. انصرف هو الى هوايته السابقة وهي القراءة والاطلاع ..

وبدأت صبيحة تمارس شئون الحكم عن جدارة ومقدرة وتمكن ، فكانت تجتمع كثيرا بوزير الدولة عثمان بن جعفر المصحفى وتلم منه بدقائق الامور ، حتى وعتها جيدا والمت بكل صغيرة وكبيرة .

لم تتدخل صبيحة في تصريف سياسة الدولة المدنية فحسب ، بل راحت تشرف على مسيرة الامور الحربية ، فحركت الجيوش من هنا وهناك وراحت تضاعف من عدد بعض القوات في جهات خاصة وتقلل من عددها في جهات اخرى ، اذ استطاعت ان تعرف الى اى الجبهات توجه الاهتمام والى اى الميادين تتجه منها العين الراعية ، حتى لا تدع بذلك فرصة اى فرصة « لشارلمان » وامراء الاقطاع المتربصين ان يجدوا ثلمة ينفذون منها الى تحقيق ما كانوا يطمعون فيه وهو القضاء على الملك العربى في بلاد الاندلس .

★ ★ ★

ومع مسيرة الايام وتعاظم شئون المسئوليات التى كان على صبيحة أن تواجهها وتعدد مهام الدولة واتساع رقعتها ، رأت الملكة الواعية الحذرة ان تستعين بكاتب سر يقوم بتحرير ما تراه ويرصد في سجلات خاصة محاضر اجتماعاتها بالوزير المصحفي ، فكان ان عرضت رغبتها هذه على الوزير فوافقها عليها وشجعها على الاسراع في تنفيذها ، واذا بها تطلب من بعض خاصتها ان يجدوا لها الرجل المناسب الذى تعتمد عليه فيما كانت تعتزم اتمامه من أعمال ..

وهكذا دخل « محمد بن عبد الله بن على » الى قصر أمير المؤمنين بضاحية الزهراء ليعمل في خدمة الدولة وليكون تحت تصرف الملكة ينفذ ما تكله اليه من مهام ..

ومحمد بن عبد الله بن علي يوم دخل القصر في قرطبة كان يخطو نحو الثالثة والعشرين من عمره ، شابا ممتلئا بالقوة ، يفيض قلبه بالامل الذى احس انه سوف يحققه ويحقق طموحه ايضا ، وقد بدا يسير هذه الخطوات ليكون في خدمة الملكة ..

كان واسع الافق جيد الانشاء ، فرأى بثاقب بصره ان خير عمل يستطيع ان يقوم به ليساعد نفسه على تكاليف الحياة الباهظة ان يقوم بتحرير المظلمات التى كانت ترفع من اصحاب الحاجات الى امير المؤمنين الحكم .. فبز اقرانه في هذا الميدان وفاقهم جميعا وعرف في قرطبة كلها بجودة انشائه ، وسرعة اصابته للهدف الذى كان يرجوه الشاكي في اسلوب متقن يسترعي الانتباه .

ووجدت الملكة صبيحة فيه غايتها التى كانت ترجوها ، واعجبها فيه وفاؤه وشديد اخلاصه وتفانيه واكثر من هذا تفهمه الدقيق لكل صغيرة وكبيرة كانت تعرض في اجتماعاتها مع الوزير المصحفي ، حتى لقد كان يذكرها هي ووزيرها بما كان من امور قررت في جلسات سابقة ويشرح دقائقها ، ثم .. وفي هدوء بدا يتجاسر على عرض وجهات نظره التى قبلت على الفور وجعلت نظرة الملكة تتحول الى الشاب وترى فيه عونا لا يجب ان يهمل ..

ومرت الايام .. وتلتها شهور بعد شهور ، ونجمه يعلو ويزداد تالقا والتماعا ، حتى بدا يطغى على غيره من النجوم ، فلا عجب أن بدأت الالسن تلوكه وتتحدث عنه ، وبدا كارهوه ينظرون اليه نظرات الريبة والحسد ، وهو عن الجميع لاه غير مهتم بما كانوا يتقولون عليه ، اذ كانت له غاية واحدة هي ان يظل في الطريق الذى احبه ليصل الى تحقيق امانيه التى كانت دائرة افقها تتسع مع الايام ..

لقد خبر القصر ومن فيه ، وعرف ان هناك اكثر من حزب واكثر من فئة تتطاحن على السلطة من وراء ستار ، وتسعى كل من هذه الفئات المتنازعة الى الاطاحة بغريمتها ليخلو لها الجو ..

ولكن الجميع كانوا يخشون صبيحة ويخشون بطشها ، اذ خبرتهم جميعا قبل ان يعرفهم محمد ابن عبد الله بن علي ، ومن اجل هذا لم يتجاسر واحد منهم على ان يحاول التقرب اليها بسعاية او وشاية .

وامام هذا الوعي المتيقظ الذي تميزت به صبيحة ، بدأت مكانة محمد بن عبد الله بن علي تتوطدوتزداد رسوخا ، وقد رأت الملكة امعانا منها في القضاء على مؤامرات الحاسدين واسكاتا لاصواتهم ، ان تعلي من مكانة كاتبها وكاتم اسرارها .. فكان ان عينته وكيلا عنها يشرف على اموالها وضياعها ، ثم ابت بعد هذا الا ان تعزز هذهالمنحة الكريمة بمنحة اخرى اذ اقنعت زوجها امير المؤمنين ان يكل اليه مباشرة شئون املاك ولي العهد .. وبعد هذا كله اوحت الى امير المؤمنين ان يجعله على خزائن الاندلس لعلمه الواسع بالشئون المالية .

وبالرغم من ان الملكة صبيحة قضت نهائيا على احلام الوشاة الطامعين من المماليك وبعض رجال الحاشية ، فان سعاياتهم لم تكف ، ونيران حقدهم لم تخمد لها جذوة على محمد بن عبد الله بن علي الذي كان من الذكاء وسعة الافق وواسع الحيلة بحيث استطاع ان يمتلك القلوب جميعا برقته وحسن صلاته بالناس ، ومحاولاته العديدة في التقرببهداياه السخية الى كبار رجال الحاشية .

وتعددت وكثرت هدايا محمد لمن كان يرغب في تدعيم صلتهم به من اصحاب الحل والعقد ، وعن طريق هذه الهدايا الكثيرة الباهظة الثمن بدأ حساد الشاب الملحوظ المكانة يهاجمونه ، فاذا بهم يبعثون الشكاوى الى امير المؤمنين يتهمون فيها محمدا في نزاهته ، ويؤكدون له ان رجلا له مثل راتبه المحدد لا يمكن ان يتسع ايراده لتقديم مثل هذه الهدايا ..

واطلع الخليفة على الشكايات المكذوبة ولم يلبث ان بدأ الشك يساوره في امر محمد بن عبد الله بن علي ، وراح في وحدته يستعرض تصرفات الشاب ، واذا به يعجب كيف سكت عليه طوال هذه المدة ولم يلاحظ كثرة نفقاته وبذله وعطاياه ، ثم ما لبث ان انحى على نفسه باللائمة لانه فرط ولم يراقب حيث يفرض الامر المراقبة والحذر الشديدين ، وعليه ان يفاجيء محمدا ويدهمه في مقر عمله وسجلات حساباته مفتوحة قبل ان تمتد اليها يد التحوير والتزوير .. وكان ان طلب من وزيره المصحفي ان يعينه على القيام بهذه المهمة الدقيقة ، وان يحاول عند المراجعة ان يستكملها من كل نواحيها حتى لا تفلت منهما اى صغيرة مهما صغرت ، حتى يستطيع ان يلقن الخائن درسا يكون عبرة لغيره ، ويكون فيه بعد هذا ما يجعل الجميع يفهمون ان امير المؤمنين « الحكم » متيقظ لكل شيء ، وانه لا تفوته حركة ولا عمل من اعمال رجاله وخاصة من يشذون منهم عن الطريق المستقيم ..

وفوجيء محمد بن عبد الله بن علي وهو في مقر عمله بدخول امير المؤمنين والوزير المصحفي عليه ، ثم بطلبهما العاجل ان يقدم ما لديه من حسابات .. فاسرع الشاب في هدوء يقدم ما طلباه معززا بالمستندات والدليل والبرهان .

ووجد امير المؤمنين نفسه امام رجل من اخلص رجاله ، يتميز فوق ذكائه بالامانة والدقة ومراعاة الله في كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ، واذا به يتقدم عليه شاكرا ، ويابى الا ان يرد على الشامتين الحاقدين السنتهم الثرثارة الى الابد ، فكان ان رفع درجة كاتب الملكة وجعله حاكما عاما لاقليم اشبيلية ..

واسرع محمد بن عبد الله بن علي بالسفر الى مقر عمله الجديد حيث راح يباشر سلطاته بكل حزم ، فكان الحاكم الواعي الامين الساهر على صوالح الدولة والذي لا تفوته صغيرة ولا كبيرة .

ووصلت انباء حاكم اشبيلية الجديد الى امير المؤمنين الذي حملها بدوره الى صبيحة ، وفي حوار دار بينهما وجدت الملكة ان هناك بعض الامور الخاصة الدقيقة في حاجة الى من يباشرها ويرعاها ، ولما كانت تثق في محمد بن عبد الله ابن علي وكذلك كان يثق فيه امير المؤمنين فقد اتفقا سويا على ان يكلا اليه حل هذه الامور الدقيقة ، فبعثا بكتاب سري ابلغاه فيه ان يسافر الى مراكش في رحلة تستغرق بضعة اشهر .. يعود بعدها ليرفع اليهما تقريرا بكل ما عرض له ، على ان يكون له في ذلك رأى حاسم ، ربما وجدا فيه المخرج والحل الوحيد ، خاصة وقد درس

المشكلة بنفسه وعرفها عن كثب وتتبع اطوارها تتبع الخبير ..

وادى الحاكم الشاب مهمته على خير ما كان يرجى منه .. ثم رجع الى قرطبة ، فاذا به يجد كل شيء قد اصبح معدا ، لا لعودته الى اشبيلية بل لبقائه في قرطبة والى الابد ، اذ راى امير المؤمنين وملكته امام اخلاص محمد ان يكلا اليه امر رعاية ولي العهد « هشام » وتثقيفه وتبصيره بكل الامور التي يجب ان يلم بها عندما يحين الوقت ويصبح امير المؤمنين ..

★ ★ ★

وبدأت السنون تمر .. وبدأت معها سلسلة من الامراض تهاجم امير المؤمنين فاعتلت صحته وساءت حالته ، واحس لا بالضعف والخور بل بدبيب الفناء يدب في اطرافه ، ووجد ان الحكمة توجب الاسراع في التفكير لا في امر نفسه بل في امر ابنه هشام من بعده .. فهشام حدث صغير ، ولو مات امير المؤمنين فجأة فان عرش بلاد الاندلس سوف يكون من نصيب شقيقه « المغيرة » ، وامير المؤمنين يحب ويتمنى ان يكون العرش لولده ، وانه ليسارع ويصارح الملكة صبيحة بكل هذا ويطلب رأيها الحاسم السريع ..

واشارت صبيحة الذكية البعيدة النظرة بضرورة اتباع خطة حكيمة ، وهي استدعاء امراء البلاط وأشراف الدولة وكبار الحاشية وحكام الاقاليم الى مجلس عام برأسه امير المؤمنين ، فيعرض عليهم ولاية العرش من بعده ويطلب اليهم التصديق على ان تكون لابنه الصغير هشام ، ثم يعزز هذا العرض بان يطلب منهم في حالة الموافقة على رأيه ان يحرروا وثيقة بذلك ، وان يمهروها بتوقيعاتهم اقرارا منهم بكل ما ذكر ..

وكانت خطة الملكة صبيحة خطة بارعة ماكرة ، فامير المؤمنين حين يعرض مثل هذا الامر لن يجد من يجسر على معارضته ..

واسرع أمير المؤمنين الحكم ينفذ خطة زوجته ، وانعقد المجلس الذى وافق بالاجماع على الراى الذى عرضه أمير المؤمنين ، ولم يكد ينفض هذا الاجتماع التاريخي حتى اسرعت صبيحة الذكية تنفذ بقية خطتها ، أمرت بنسخ عدة صور من هذا الاقرار الذى ثبت في سجلات القصر الرسمية ،

ثم وزعته على حكام الاقاليم ، ليكونوا على علم بما اتفق عليه الراى بخصوص هشام بن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر .

وذاع النبأ في الاندلس كلها وعرف العامة قبل الخاصة ان امير المؤمنين الحكم قد اخذ البيعة لولده ، فباركوا هذه الخطوة التي سوف تضمن الاستقرار للبلاد والهدوء للرعية ..

ومات الحكم بن عبد الرحمن الناصر أخيرا ، وكانت صبيحة وحدها الى جانب فراشه رابطة الجاش ثابتة الجنان .

★ ★ ★

وهكذا اصبحت صبيحة كل شيء في الاندلس.. اصبحت المسئولة عن اقدار هذه الدولة العربية الكبيرة ، فكان من الزم واجباتها ان تبادر الى تصريف الامور ، فعمدت اول ما عمدت الى تطهير جو القصر من الدسائس والدساسين ، واسرعت تبعد الطامعين واشباههم ومن يتبعونهم ، حتى يكون الجو نقيا صالحا للعمل بعد ذلك .. ثم اتجهت الى الشعب فاقبلت تدرس اموره وتتعرف مطالبه .. لتهب له ما كان يبغى وتحقق كل ما كان يريد ، فلا عجب ان اجمع الشعب على حبها والالتفاف حول عرشها ..

وعلمت صبيحة بعد هذا ان امراء الاقطاع من الفرنجة المتربصين بملك العرب في الاندلس ظنوا ان الفرصة قد اصبحت دانية لهم ، وان الامور لا بد قد اضطربت بعد موت الحكم ، وان اسناد امارة المؤمنين الى ولده الصغير قد اضعف الدولة وجعلها في موقف لا تستطيع ان تثبت فيه امام هجوم العدوان ان اراد ان يزلزل سلطان ذلك الصبي الصغير الذى كانت تصرف اموره امرأة ، ظنوا انها لن تكون في ثبات زوجها .. ولم يدر بخلدهم انها كانت ومنذ اصبحت صاحبة الحظوة في البلاد هي القوة الفعالة والاداة المحركة لكل الامور ..

وبدأت صبيحة تستعد لمواجهة الخطر الخارجي، وقررت ان تكون حاسمة في تصرفها ، سريعة في تنفيذ الراى الذى كانت ترى فيه الصواب ، فكان ان عينت رجلها وكاتبها محمد بن عبد الله ابن علي قائدا للجيش الذى وجهته الى حرب الفرنجة والقضاء على اطماعهم .

وخرج الجيش العربي تحفه آمال شعب ورجاء أمة .

خرج الجيش يقوده محمد بن عبد الله بن علي الذى صحبه الحظ فى كل اطوار حياته وابى الا ان يسير معه وهو يخطو هذه الخطوة الحاسمة ليدعم لنفسه مكانة جديدة ومركزا مرموقا كان يتوق اليه .. وسار الى ميدان اللقاء ، واستطاع ان ينتزع النصر من أيدى اعدائه ، وان يحطم احلامهم ويقضي على امانيهم .

وعاد القائد المنتصر الى قرطبة تسبقه انباء انتصاراته .. عاد يحمل الاسلاب والغنائم وبنود العدو التى حطمها ، فارتفعت مكانته في قلب الملكة وفي قلوب الشعب ونال الحظوة ، ومن هنا بدات مطامعه الحقة تصحو من بعد غفوة ، وتتجه الى ناحية جديدة ، لعله خشي قبل انتصاره هذا ان يطرقها او يقترب منها ..

لقد قام بدور الكاتب المتواضع في البلاط .. فاستطاع ان ينال الحظوة والمكانة ويثبت جدارته ومقدرته وتفوقه ، ثم قام بعدها بدور مدير الشئون المالية للملكة وابنها .. فكان عند حسن الظن به ، ثم ولي حكم اشبيلية .. فكان الحاكم الجدير بالثقة الشديد الولاء لسيده ، ثم خرج في سفارة هامة الى مراكش انجزها على خير وجه ، وعاد بعد هذا ليجد طريق المجد امامه مفروشا .. فلماذا لا يسير نحو تحقيق احلامه ؟ لماذا لا يكون وزير الدولة الاول ورجلها الذى تلقى على كاهله ادق الامور واخطرها ، ليتصرف فيها بحكمته ؟ !

وخطا الشاب الطموح خطوته الجريئة نحو الغاية التى يرجوها .. واستطاع بقوة مكانته التى حققها مجهوده وجهاده ان ينال مكانة المصحفي ويصبح وزير الدولة الاول ..

ولكن هل وقفت اطماعه عند هذا الحد واكتفى بما نال : ؟

ذلكم كان السؤال الذى كان الشاب وحده يعرف الجواب عليه ، وقد عرف كيف يخفيه في اعماق نفسه التى كانت تضطرم بالاماني وتتوهج بالامال ، ولم يعد يكفيها ما كانت تصل اليه بل كانت تتطلع يوما بعد يوم الى مزيد من المجد والسؤدد والفخار ..

واتجه الشاب الطموح الى الشمال الافريقي الذى عاد سلطانه الى بني الاغلب وقد انتقل الفواطم الى مصر .. ورأى ان يربط قدره بقدر تلك البلاد ، وان يتقدم لخطبة اسماء ابنة الامير الاغلبي زعيم القبائل هناك وسيد العشائر والحاكم المتصرف صاحب المجد والسلطان .. ولما وجد الاصغاء والموافقة من الامير الاغلبي .. اسرع يطلب الاذن من الملكة لتقره على ما فعله وتبارك هذا الزواج ..

وكانت صبيحة عند حسن ظن رجلها بها ، وقد اسعدها ان تسمع منه هذا النبأ وتعرف منه الخطوة الجريئة التى بدا يخطوها نحو غاياته التى لم تكن تخرج في شيء عن السياسة المرسومة للدولة بصفة عامة ، وهي توطيد صلاتها بحكامها في الولايات الخارجية التابعة لحكم الاندلس وخاصة الشمال الافريقي .. ومبالغة من الملكة في اكرام الوزير الاول محمد بن عبد الله ـ أمرت بان تقام ليالي العرس في قصر الخلافة بضاحية الزهراء ، وان تكون بالغة الفخامة وعلى نفقتها الخاصة ، ليشعر الجميع بانها لا تكرم رجلها في شخصه ،بل تكرم فيه معاني الاخلاص والوفاء .

وراحت عجلة الزمان تدور والشاب الطموح يتدرج صاعدا نحو المجد في هدوء وثقة واعتدال.. لقد اصبح كل شيء في الدولة ، وان ما وصل اليه ليبدو في عينيه اليوم صغيرا تافها اذ كانت امانيه ابعد مدى مما وصل اليه ..

ترى هل كان يطمع محمد بن عبد الله بن علي الذى لولا رعاية الملكة صبيحة له ومساندتها لشخصه ما وصل الى ما وصل اليه .. هل كان لمثله بعد ان فعلت صبيحة معه ما فعلت ان يقدم على الغدر بها وخيانة ابنها والوثوب الى عرشه .

ان الرجل لم يفكر في هذا ابدا ، ولكنه فكر في السلطة كل السلطة فعلا .. لقد اراد السلطة باى شكل وباية طريقة كانت ، ولكنه ولكي يصل الى تحقيق غرضه يجب ان يحسب الف حساب

للملكة التي كانت تمسك بكل ازمة الامور في يديها .

وكان محمد بن عبد الله بن علي يحس بدقة مركزه ، ويعرف مدى ما تتمتع به الملكة صبيحة من منعة وقوة وسلطان ولكن .. هل كان كل هذا يقف في وجهه ويحول دونه وتحقيق طموحه وهو الذى اصر على ان ينال ما يريد ولو كلفه ذلك حياته ؟ !

كان محمد بن عبد الله بن علي يشعر انه خلق للكفاح والنضال ، ومن اجل هذا اصر على ان يمضى قدما في سبيله ولوحدث فعلا ما كان يخشاه وهو التصادم بالملكة التى تصر على ان تكون صاحبة الكلمة النافذة في كل شيء .

وراع الملكة ذات يوم ان كشف رجلها الامين وجهه الحقيقي الذى ظهر مروعا مخيفا .. واذا بها تراه في صورة وحش آدمي طامع نال ما نال من المكانة وولغ من الدماء ، ثم اذا به يهددها بانها اذا لم تقبل مطالبه وشروطه فسوف يقضي عليها هي .. ! ! ناسيا افضالها العديدة عليه .

واستعرضت الملكة صبيحة الموقف ، ووجدت انها فى موقف حرج جديد ينذر بقيام حرب أهلية وبتصدع الجبهة الداخلية وتصادم اصحاب الاغراض،وهذا ولاشك يعرض أمن الاندلس للخطر، ويعطى الفرنجة المتربصين الفرصة ان يهاجموا البلاد ويقضوا على الملك العريض الذى شيده العرب واقاموه بالجهد والكفاح والنضال ، ورأت ان تتصاغر ظاهريا وان تسرع بالاتصال سرا ببعض امراء الشمال الافريقي من الاغالبة ليسرعوا اليها فينقذوها من خادمها السابق الذى اصر على أن يكون سيدا لسيدته الملكة صبيحة ولولدها الصغير أمير المؤمنين هشام بن الحكم .

ولما كانت عيون محمد بن عبد الله بن علي ترصد خطوات الملكة صبيحة وتراقبها ادق مراقبة فقد وصل الى علمه كل ما كانت تنتويه وعرف خطتها كاملة ، وحال دون استنجادها بالامراء الاغالبة في الشمال الافريقي .. ثم اسرع بدوره يرد على محاولتها هذه بمحاولة اخرى اكثر جراة واقداما فعزل أمير المؤمنين الصغير في قصره، واحاطه بالجند والحراس .. وراح يهيب بهشام ان ينصرف الى عبادته وان لا يشغل نفسه بشيء بعدها .. ثم عاد ليكشف وجهه مرة اخرى امام الملكة مؤكدا لها انه اقوى منها وان عليها ان تسلم وان تنسحب من طريقه والا وطئتها قدماه !

وابت الملكة صبيحةان تتصاغر وانتهين كبرياءها امام احد خدمها السابقين ، واصرت على الكفاح والنضال من اجل ابنها ومن اجل سلطتها ، واحبت ان تلجا الى حكم الشعب في شان الغاصب الجريء الذى يتطلع الى ما ليس من حقه ان ينال .. واذا بمحمد بن عبد الله بن علي يسارع برد الضربة اليها باضعافها .. فاتصل بامير المؤمنين الذى ابغض السياسة وكره شئون الحكم واحب الخلود الى العبادة ، فكان ان استكتبه اقرارا بانه لا يصلح ابدا لادارة شئون الملك وانه يتنازل عن كل سلطانه الى وزيره الاكبر محمد ابن عبد الله بن علي يشرف علىالامور وحده ودون شريك ، وان يكون هو وصيه من دون سائر الناس اجمعين ! !

فكانت الضربة قوية كادت تذهب بعقل الملكة التى وجدت نفسها اصبحت مجردة من كل شيء..

وبدأتالملكة التيكانت يدها تهز صولجان امارة المؤمنين في بلاد الاندلس يوما .. بدات تعيش حياة الدعة والهدوء في الوقت الذى اخذ خلاله نجم محمد في التألق والتعاظم ، واذا به يلقب نفسه بالملك المنصور ، ثم اذا به بين عشية وضحاها كل شيء ، ولكنه لم يقدم على تنصيب نفسه اميرا للمؤمنين .

وعاشت الملكة صبيحة ما تبقى لها من حياة بعد ذلك تجتر الذكريات وتستشعر الراحة ، لانها سلمت بالواقع وخلصت البلاد من شر الفتن والحروب الداخلية كي تظل الجبهة متماسكة قوية امام العدو المتربص من الفرنجة الناقمين .

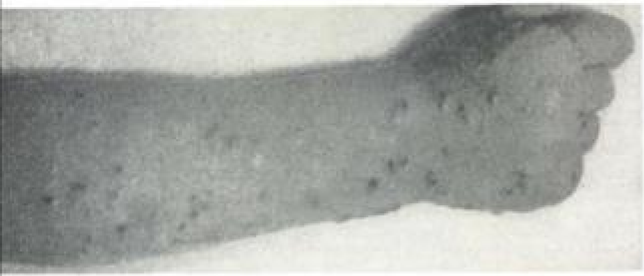
وعاشت ما شاء الله ان تعيش ، حتى وافاها اجلها المحتوم في اليوم الذى قدره الله فذهبت مبكيا عليها من شعب احبها واخلص لها ، ولم ينس أيامها الغر الميامين .

حكمت الاندلس العظيمة وادارت سياستها ودفة الشئون فيها .. وكانت بهذا من المسلمات الخالدات .

■■

سنية قراعة

الأرتكاريا



أرتكاريا حبيبية

بقلم : الدكتور ابراهيم محمد القشلان
اخصائي الامراض الجلدية والتناسلية

■ كلنا سمعنا عن الارتكاريا حيث أنها مرض منتشر في جميع أنحاء العالم وقد وصلت الاصابة به الى حد أن حوالى ١٥٪ من مجموع السكان قد اصيبوا به في وقت من الاوقات . وهو مرض جلدى غير معد يحدث في اى عمر ولكنه منتشر في الاطفال ويتميز بظهور طفح جلدى على شكل بثور أو بقع بيضاء او محمرة اللون احادية التركيب متشابهة في تطورها ومصحوبة بحكاك شديد او ما يشبه اللسعة ، ويختلف حجم الحبات من راس الدبوس الى بضعة بوصات وتكون مستديرة او غير منتظمة وهى تظهر على الجسم فجاة كما انها سريعة الزوال بدون أن تترك مكانها اى اثر ، وهي اما ان تكون محصورة في جزء معين من الجسم أو منتشرة في جميع أجزاء الجسم ، خاصة الاجزاء المغطاة مثل الصدر والبطن والكتف والظهر والفخذين ، ولكنها قد تظهر في الاجزاء الاخرى من الجسم وقد تكون مصحوبة برشح أو ضيق في التنفس ، وعادة تستمر لمدة ساعات او ايام قلائل في الحالات الحادة ، اما فى الارتكاريا المزمنة فانها تستمر لمدة اسابيع أو بضعة شهور وقد تطول الى سنوات . وقد تشتد الارتكاريا وتظهر في مناطق متعددة من الجسم وتتجمع البثور والرقع سويا مؤدية الى رقعات كبيرة منتفخة ، كما يظهر انتفاخ في المناطق السهلة التمدد مثل الجفون والشفاه والاغشية المخاطية .

أسبابها وانواعها :

تحدث الارتكاريا نتيجة أن الشعيرات الدموية في بعض الاماكن تكون جدرانها سهلة النفاذ ، وهناك مواد كثيرة في الجسم تستطيع احداث ذلك واهمها مادة الهستامين Histamine ، كما ان هناك عوامل كثيرة تؤدى الى زيادة الهستامين في الجسم وبالتالى تؤدى الى الارتكاريا ، ويمكن احداث طفح يشبه الارتكاريا في الشخص الطبيعى بواسطة حقن الشخص ببعض المواد كالهستامين نفسه في الجلد . وتحدث الارتكاريا اما نتيجة حساسية لبعض المواد حيث يحدث تفاعل بين المولدات



استسقاء وعائى عصبى في الجفن

والاجسام المضادة Allergic ، او نتيجة مواد سامة Toxic او تغير درجةالحرارة او اضطراب في الغدد او امراض الجهاز العصبى او نتيجة عدوى بالبكتيريا او الفطريات او الطفيليات . ولو تتبعت تاريخ المريض وعائلته فسوف تجد ان هناك اصابات مشابهة تحدث في بعض افراد العائلة بمعنى ان المرض له صفة عائلية نتيجة زيادة الحساسية او التوتر العصبى في تلك العائلة .

والمواد التى تؤدى الى الارتكاريا منها ما يؤخذ بطريق الفم كالادوية والعقاقير . ومن اهم الاغذية التى تحدثه البيض والسمك والربيان والطماطم والشيكولاته والبندق والموز والمانجو والفراولة وبعض المواد الكيماوية في المعلبات المحفوظة والمواد الملونة في العصير . ومن امثلة العقاقير البنسلين والاسبرين ، والكينين ، والكودايين والاتروبين .

ومن الارتكاريا ما يحدث نتيجة الاستنشاق مثل استنشاق ما يحمله الهواء منلقاح النباتات وقشور وشعر الحيوانات والغبار والبكتريا . ومنها ما يحدث باللمس مثل البلوزات الحرير والملابس الصوفية والمخدات الريش ومساحيق التجميل والعطورات وملامسة بعض الماكولات مثل الطماطم والبرتقال والبيض وكذلك ملامسة بعض النباتات.

كذلك وجود بؤرة صديدية بالجسم قد يؤدىالى الارتكاريا خاصة المزمنة مثل التهاب الحلق والجيوب الانفية ، والتهاب الاذن والاسنان والبروستاتة .

أقسام الارتكاريا :

وللسهولة فاننا نقسم الارتكاريا الى قسمين رئيسيين هما الارتكاريا الحادة والارتكاريا المزمنة معتمدين على سرعة او بطء حدوث وزوال الطفح ، وذلك خلاف بعض الانواع الخاصة الاخرى .

الارتكاريا الحادة Acute urticaria

وهى اكثر الانواع انتشارا اذ تكون نسبة ٨٠٪ تقريبا من مجموع انواع الارتكاريا وعادة تظهر فجاة وبها حكاك شديد وتقل لبضع ساعات او ايام ثم تختفى ولكنها قد تعود ثانية وقد تكون محددة في جزء معين او تمتد الى مناطق مختلفة من الجسم .

الارتكاريا المزمنة Chronic urticaria

وهذه تستمر الى عدة اسابيع او شهور واحيانا لسنوات عديدة خاصة اذا كانت نتيجة لسبب غير معروف او من الصعب اكتشافه مثل المواد الكيماوية الحافظة والملونة في المعلبات والعصير او التى تعطى نكهة للشراب او ملح الطعام المحتوى على اليود ، او مواد منتشرة في الجو المحيط بحيث يكون من الصعب التخلص منها و نتيجة افرازات صديدية بالجسم ، وعادة يظهر الطفح على شكل موجات كل بضعة ايام او اسابيع وتاخذ اشكالا واحجاما مختلفة وفي اماكن مختلفة من الجسم . وهىتحدث في اى عمر ولكنها تكثر في النساء بين عمر ٢٠ ــ ٥٠ والعوامل النفسية لها تاثير كبير في حدوثها .

(انواع أخرى من الارتكاريا)

الارتكاريا الفيزيائية Physical urticaria

وهذه الارتكاريا نادرة وتنشا نتيجة للمؤثرات الجوية والعوامل الطبيعية مثل الحرارة والبرودة والضوء والشمس والضغط وقد اكتسبت هذه التسمية بسبب ذلك . وتنقسم الارتكاريا الفيزيائية الى ثلاثة انواع هى :

١ ــ الارتكاريا الشمسية : Solar urticaria

وهى قد تحدث نتيجة التعرض للشمس بضع دقائق ، وبالرغم من ان الوجه واليدين هما اكثر تعرضا للشمس الا انها اقل تاثرا ، وهى ارتكاريا

قصيرة المدى وتختفي خلال ساعة واحدة . وفيها الحكاك يكون شديدا مما قد يؤدي الى مضاعفات مثل الاكزيما ،وهي عادة تحدث في الشبان والاطفال وتؤثر في النساء اكثر من الرجال .

ب ـ ارتكاريا البرد : Cold urticaria

وهذه احيانا تكون وراثية وفيها تظهر الاعراض بعد الولادة مباشرة ، وفي الحالات العادية تظهر في الطفولة فجاة عند التعرض للبرد او رياح باردة وقد تسبقها اي عدوى صديدية او اضطرابنفسي وربما تؤدي الى اغماء واحيانا للوفاة اثناء حمام بارد ، كذلك نادرا ما يحدث تورم في الفم والبلعوم اثناء شرب ماء بارد .

جـ ـ ارتكاريا الحر Heat urticaria

وهذه الارتكاريا تظهر في الاشخاص الذين لهم قابلية وحساسية للحرارة حيث انه بتسخينالجزء الى درجة ٤٣ لمدة خمس دقائق قد يؤدي الىظهور هذا الطفح .

الكتابة الجلدية Urticarial dermographism

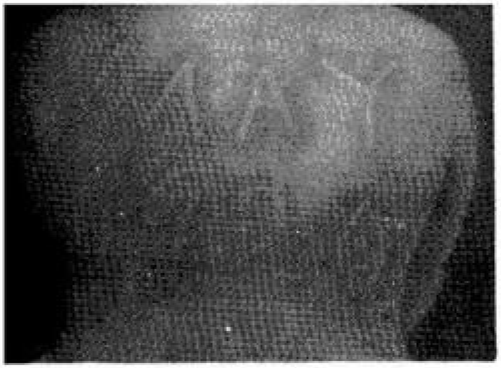
وهذه الارتكاريا تنشا نتيجة الاحتكاك او خدش الجسم او الضغط بدلا من ظهورها تلقائيا كما في الارتكاريا العادية ، وفيها يشكو المريض من الطفح والحكة محددة بموضع الضغط ولذا فان الارتكاريا الناتجة تاخذ الشكل الجغرافي للضربة او الخدشة وفيها يكون الجلد حساسا لاي مؤثر خارجي لدرجة انه يمكن الكتابة على سطح الجلد وتظهر الكتابة على شكل خطوط حمراء متورمة وسببها هو زيادة افراز الهستامين نتيجة الضغط وزيادة افراز الجسم للمولدات المضادة في هؤلاء الاشخاص .

الارتكاريا الحبيبية Papular urticaria

وهذه تحدث في الاطفال وعادة تظهر في الاشهر الدافئة من السنة خاصة في الصيف والربيعوتكثر في الاحياء الفقيرة لانها غالبا ما تكون نتيجةحساسية للحشرات المنزلية مثل البراغيث والبق وتظهر الحبيبات في مجموعات على جميع اجزاء الجسم خاصة في الذراعين والساقين وقد تتقيح هذه الحبيبات مؤدية الى صديد وقشور ويستمر المرض من اسابيع الى شهور .

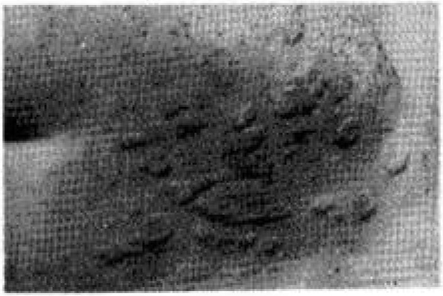
ارتكاريا كولينية Cholinergic urticaria

ويتميز الطفح فيها بحبيبات صغيرة في حجم



الكتابة الجلدية في ارتكاريا الضغط

ارتكاريا حادة عادية



راس عود الكبريت الى حبة البسلة وتكونمصحوبة بتصبب عرق . وتظهر في الشبان متوسطي الاعمار نتيجة الانفعال او الاجهاد او التدريبات الرياضية او زيادة الحرارة المحيطة بالجسم . وفيها تكون الحكة خفيفة وهي تحدث نتيجة زيادة افراز الجسم لمادة الاستيل كولين او ان الجسم عنده حساسية زائدة لهذه المادة حتى عند افرازها بالكميات الطبيعية .

الارتكاريا العملاقة Giant urticaria

وتسمى كذلك بالاستسقاء الوعائي العصبي ، وهي ارتكاريا حادة تظهر فيها انتفاخات محدودة الشكل في المناطق سهلة التمدد مثل الجفون والشفاه والفم والمفاصل والاغشية المخاطية والاعضاء التناسلية وهي تظهر بسرعة كما انها تختفي بسرعة حيث تستمر لبضع ساعات او يوم او يومينفقط ويبدو الانتفاخ محمرا وربما مصحوبا بالالم بعض الشيء وكثيرا ما تظهر هذه الحالة في المساء اثناء النوم ويصبح بها المريض .

ارتكاريا نتيجة لدغاتأو عض الحشرات:

وهذه عادة تصيب الاطفال اكثر من الكبار وتظل

مدة اطول لبضعة ايام حتى تختفي .

كما ان هناك انواعا اخرى من الارتكاريا نادرة الحدوث مثل الارتكاريا النفاطية التى تظهر مع بثرات وفقاقيع او الارتكاريا النزيفية حيث تكون مصحوبة بنزيف .

التشخيص والعلاج

انه من السهل تشخيص الارتكاريا كما ان تفرقتها من بين الامراض الجلدية الاخرى بسيطة ، ولكن احيانا قد تكون الارتكاريا هى بداية مرض آخر او جزء من مرض آخر مثل الالتهاب الجلدى الهربسى، داء الفقاع ، الطفح الوردى المتعدد ، ولذلك يجب الانتباه الى ذلك والتفرقة بينها والمهم هو اكتشاف السبب وعلاجه حتى لا يعود المرض ثانية ولذا يجب ملاحظة اذا كانت هناك ميول عائلية للارتكاريا او الحساسية بوجه عام وملاحظة الناحية النفسية او اى اضطرابات عصبية، واخذ التاريخ المرضي للشخص بعناية عن اى امراض سابقة او التهابات يشكو منها المريض وما هى الادوية والعلاجات التى استعملها قبل ظهور هذا الطفح مهما كانت ادوية بسيطة مثل حبة اسبرين او حبة ملينة وحتى الفيتامينات ونقط العين والانف والمضمضة وشامبو الشعر وكريم الاسنان . وكذلك الاستفسار عن انواع الماكولات التى تناولها المريض مع ملاحظة ان الارتكاريا قد تحدث بعد ثوان من تناول الدواء او الاكل او بعد ذلك الى ٢٤ ساعة وربما يكون قد اخذ نفس الدواء سابقا ولم تحدث له الحساسية كذلك يجب الكشف عن وجود اى بؤرة صديدية بالجسم مثل التهاب اللوزتين او الاذن او الاسنان او البروستاتة . وعند الاشتباه في المادة المسببة للارتكاريا فانه يجب ازالتها من الاكل ثم ادخالها ثانية لرؤية مدى تاثيرها على ظهور الطفح واذا كانت هى فعلا السبب ، كما انه يجب عمل الفحوصات المخبرية اللازمة مثل البول والبراز والدم لاكتشاف وجود اى التهابات او طفيليات . فاذا لم نتمكن بالرغم من كل ذلك من اكتشاف سبب الارتكاريا فنلجا لعمل تجارب الجلد بواسطة الخدش او الحقن بالمواد التى يحتمل ان تسبب هذا الطفح لاكتشاف المادة المسببة للارتكاريا .

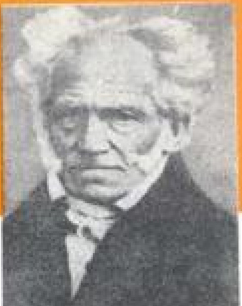
واذا كان المرض في بدايته نتيجة لاخذ غذاء معين او دواء فانه يفضل عمل غسيل للمعدة ببيكربونات الصوديوم وكذلك اخذ شربة زيت خروع او حقنة شرجية والامتناع عن اخذ اى دواء او غذاء قد يسبب الارتكاريا مثل التى سبق ذكرها . والمهم هو الامتناع عن استعمال الدواء في جميع صوره فمثلا اذا كان الشخص عنده حساسية لليود فيمتنع كذلك عن استعمال دهان اليود موضعيا والادوية المحتوية عليه مثل ادوية السعال وخلافه ، وملح الطعام المحتوى على اليود والاغذية المحتوية على اليود مثل السمك والربيان وام الخاول .

وقد لوحظ ان استعمال حمامات باردة مضافا اليها كربونات الصوديوم او المنثول تؤدى الى تخفيف الحكة والطفح . ياتى بعد ذلك استعمال الادوية مضادات الحساسية ، وذلك مع استعمال الكريمات الموضعية المحتوية على الزنك او الكلامينا والمنثول . وفي الحالات الشديدة او المستعصية يستعمل الكورتيزون بالحقن او الفم ومراهم موضعية ، وكذلك يفضل اعطاء فيتامين ك k لتقوية جدار الشعيرات الدموية كما انه يجب علاج النواحى النفسية واى بؤرة صديدية بالجسم وتعديل اى اضطراب هرمونى او اضطراب في الاملاح بالجسم ، وفي حالة الارتكاريا الحبيبية يجب تجنب الحشرات وتطهير المنزل بالمبيدات كما انه في الارتكاريا نتيجة العوامل الطبيعية يجب تجنب الضغط او البرودة والسخونة والامتناع عن اكل الايس كريم والمشروبات الباردة .

ولمنع تكرار حدوث الارتكاريا او تخفيف حدتها ممكن عمل سلب الحساسية اى Desensitization الا ان هذه الطريقة لها بعض المخاطر اذا كانت الحساسية شديدة كما انها غير مؤكدة في الارتكاريا ويمكن عملها باعطاء المريض حقن تحت الجلد من الهستامين بكميات بسيطة جدا تزاد تدريجيا او ادخال المادة الحساسة نفسها او مستخلص منها بنسب بسيطة تدريجيا ، كذلك فانه قد ثبت ان حقن المريض بمصل التيفويد او حقنه بواسطة دم يؤخذ من وريده هو شخصيا قد يساعد في بعض الحالات . وفي الارتكاريا نتيجة البرودة يمكن سلب الحساسية بواسطة حمامات باردة وزيادة البرودة تدريجيا كما انه لتخفيف حدة ارتكاريا الضغط يعمل الضغط على الجسم يوميا بينما هو تحت حمام ساخن . ■■

ابراهيم محمد القشلان

السأم



شوبنهور

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس من شك في أن « السأم » شعور بشري سوي : فقد عرف البشر في كل زمان ومكان ، احاسيس الملل ، والضيق ، والضجر ...

والسأم قد تصحبه ظروف او ملابسات يظنها الناظر فيها انها علته وهي لا يمكن ان تكون العلة الحقيقية لتفسير السأم ، بل هي مجرد عوامل مساعدة او ظروف ملائمة لنمو الشعور بالملل ، في هذه البيئة أو تلك ، ولدى هذا الشعب او ذاك . وأما « السأم » نفسه فهو شعور ميتافيزيقي يقترن بديمومة الحياة ، ولا يكاد ينفصل عن احساسنا بالزمان . ولعل هذا ما عبرنا عنه في موضع آخر حين كتبنا نقول : —

« اننا حين نتحدث عن « السأم » ، فاننا لا نتحدث عن شيء دخيل على الحياة البشرية ، بل عن عنصر هام من مقومات وجودنا البشرى ، بوصفه وجودا متناهيا متناقضا يتذبذب دائما بين الامتلاء والخواء ، بين اللذة والألم ، بين السعادة والشقاء ! وحين يسأم الانسان فانه لا بد من أن يشعر بالحاجة الى قتل الوقت ، ومن هنا فقد اضطر الانسان الى أن يبتدع حيلا ينفض بها عن نفسه غبار الملل بأن ينفق من وقته دون حساب ! وهكذا تفنن البشر في خلق وسائل التسلية ، ولكنهم سرعان ما تحققوا من أن التسلية نفسها لا بد بدورها من أن تولد السأم ، اعني أن المرء لا يسأم من السأم فحسب ، بل هو يسأم من التسلية أيضا ! » . ولو اننا تفهمنا الطابع الحقيقي لشعورنا بالديمومة ، لأدركنا ان « السأم » هو السم الباطن الذى ينخر كالسوسة في قلب كل موجود بشرى ! أجل ، فان الموجود الزماني الذى يظل طوال محياه يتحسر على الماضي ويتلهف على المستقبل ، دون ان يستطيع يوما الامساك بزمام الحاضر ، انما هو في الوقت نفسه الحيوان الملول الذى يضيق ذرعا بذكريات الماضي ، ويشعر بالقلق لفرط تطلعه الى المستقبل ، ويحس بالضجر لانحباسه في الحاضر ! .

الدلالة الروحية للسأم عند بسكال

وقد فطن الفلاسفة — من قديم الزمان — الى مكانة « السأم » في الحياة الانسانية ، فراح أرسطو يعلن أن الحياة تكمن في الحركة ، وان العلاج الوحيد لمرض السأم لا يكون الا بتناسي الذات ، والاستغراق في عمل من الأعمال . وسواء أكان العمل الذى يقوم به الانسان هو صنع سلة ، أو تأليف كتاب ، فان المهم أن يتحقق على يديه عمل يكون صنيعة يده ، ويكون ثمرة لجهد طويل الباع ... وحين تغزل الام لابنها قميصا من الصوف ، فانها تصنع المستقبل بتلك الخيوط التي تنسجها بكل صبر واناة ! ولكن الفلاسفة القدماء لم يتوقفوا طويلا عند الدلالة الميتافيزيقية للسأم ، لأنهم لم ينجحوا في فهم حقيقة الديمومة أو الزمان الحى، فبقى حديثهم عن السأم مجرد حديث أخلاقي عرضي .

وجاء بسكال (١٦٢٣ — ١٦٦٢) Pascal — في العصر الحديث — فراح يحدثنا باسهاب (في خطراته Pensées) عن علاقة السأم بالزمان النفسي ، وارتباطه بحالة السكون او الامتناع عن الفعل ، وانهماك الناس في شتى مظاهر التسلية من أجل القضاء عليه .. الخ . والواقع

في الفكر الفلسفي المعاصر


فاليري


بسكال

ان الطبيعةالبشرية ـ فيما يقول بسكال ـ تنزع بالضرورة نحو الحركة ، لدرجة ان السكون التام لا يمكن أن يعني ـ بالنسبة اليها ـ سوى الموت . وهناك أقطاب ثلاثة تدخل في تكوين الموقف البشري ، الا وهي التغير (أو عدم الثبات) ، والسأم ، والقلق . وليس أشق على الانسان من ان يبقى في حالة سكون تام ، دون أدنى هوى أو انفعال ، وبغير ما اهتمام أو انشغال ، ومن دون أية ملهاة أو تسلية ، وبلا عمل يعمله أو جهد يقوم به . وهو لو بقي كذلك ، لاستشعر بكل حدة عدمه أو « لا وجوده » ، وعجزه أو قصوره ، ونقصه أو عدم اكتفائه ، وعـوزه أو افتقاره ، وفراغه أو خوائه ... الخ . وهو لو استرسل في هذه الراحة ، لوجد نفسه مضطرا بعد حين الى اجترار مشاعر السأم ، والسوداوية ، والحزن ، والشقاء ، واليأس .. الخ (خطرة رقم ١٣١) .

واذا كان البشر قد اخترعوا الحروب ، والمغامرات ، وشتى وسائل التسلية ، فذلك لانهم قد فطنوا الى استحالة العيش في سلم مطلق ، أو فراغ تام ، أو راحة كاملة ! وحسبنا ان نمعن النظر الى المخاطر التي ابتدعها البشر ، والاضطرابات التي عملوا على خلقها ، والجهود المضنية التي طالما قاموا بها ، والاهواء العنيفة التي طالما ثارت في قلوبهم ، والمشاريع الجسورة التي طالما اخذوا على عاتقهم العمل على تحقيقها ، لكي نتحقق من ان المصدر الاوحد لشقاء البشر هو انهم لايستطيعون ان يبقوا ساكنين هادئين بين اربعة جدران ! ولو كان في وسع الانسان ان يبقى سعيدا قرير البال في غرفته الخاصة ، لما فكر في مخاطر الحروب ، ومغامرات البحار ، وشتى مشاريع المستقبل . وليس اللهو ، واللعب ، وشتى وسائل التسلية ، سوى ذرائع اخترعها البشر للفرار من ذواتهم ، والخروج من عزلتهم (خطرة رقم ١٣٩) .

صحيح ان الانسان قد ينشد الراحة ، فتراه يحاول الانتصار على العقبات ، من اجل الظفر بالسكينة ، ولكنه ما يكاد يتغلب على الصعاب ، حتى يصبح السكون ـ بالنسبة اليه ـ أمرا عسيرا لاسبيل له الى احتماله ! وهو ما يكاد يخلد الى الراحة ، حتى يشرع في الامتداد ببصره الى ما ينتظره من آلام ،وما يتوعده من مخاطر ! بل انهحتى اذا احس بانه في مأمن من كل خطر ، فانه سرعان ما يجد نفسه نهبا للسأم ، وكأن جذور السأم متأصلة في أعماق قلبه ، بحيث ان أقل فراغ قد يكفي لبث سموم السأم في كل حياته الروحية وهذا هو السبب في ان الانسان قد يسأم ، حتى ولو لم يكن هناك اى مبرر ظاهر او اية علة حقيقية لسأمه !

قطبا « الألم » و « السأم » في فلسفة شوبنهاور التشاؤمية

واما الفيلسوف الذى افاض في تحليل الشعور بالسأم لدى الموجود البشري ، فهو شوبنهاور Schopenhawr (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) في كتابه « العالم ، ارادة وتصورا » . وقد ربط الفيلسوف الالماني الكبير السأم بالديمومة أو «الزمان الحي » ، فراح يقول : « ان الزمان ليضغط علينا باستمرار ، دون ان يترك لنا الفرصة حتى لكي نلتقط أنفاسنا ، وكأنه السيد الصارم القاسي الذى يلاحقنا بسوطه الغاشم الناري ، لكي يلهب ظهورنا بضرباته الاليمة المتتابعة ! واما حين يرفع الزمان يده عن ظهورنا المكلومة الدامية، فما ذلك الا لكي يسلمنا الى شقاء السأم » ! والواقع ان للحياة البشرية ـ فيما يقول شوبنهاور ـ قطبين اساسيين ، الا وهما : الحاجة من جهة ، والسأم من جهة اخرى . والحاجة هي التي تدفع بالانسان الى البحث عن الاشباع ، والعمل على

بلوغ حالة الاستمتاع . ولكن الانسان ما يكاد يحقق رغبته ، ويشبع حاجته ، حتى يجد نفسه نهبا للاحساس الاليم بالخواء والسأم . ومعنى هذا ان « اللذة » حالة سلبية تكمن بين حالتين ايجابيتين من « الالم » ، الا وهما حالة « الحاجة » او «العوز» من جهة ، وحالة «السأم» او «الملل» من جهة اخرى . وتبعا لذلك فان الحياة البشرية هي اشبه ما تكون بالبندول الذى لا يكف عن الذبذبة والحركة ، منتقلا باستمرار من حالة « الالم » الى حالة « السأم » . « وقد احال الانسان كل الآلام والمآسي وشتى ضروب العذاب الى الجحيم ، فلم يبق امامه من شيء يضعه في الفردوس سوى السأم » ! واذا كان من شأن الرغبات الحادة الاليمة ان تظل تلسعنا بوخزاتها القارصة المتلاحقة ، فان من شأن الرغبات المتحققة المشبعة ان تولد لدينا احساسا اليما بالسأم الممض والملل القاتل ! فالسأم حمل ثقيل تنوء به انفسنا ، لانه يقودنا الى الشعور بالخواء والتفاهة وبطلان كل شيء ! . وكثير من الموسرين الذين نجحوا في الحصول على ثروات طائلة ، يقعون فريسة لهذا الاحساس الاليم بالسأم : اذ تجيء ثرواتهم فتحررهم من شقاء الجهد والعمل ، لكي تسلمهم الى حياة الفراغ والبطالة ، وعندئذ نراهم يندفعون الى القيام بالكثير من الاسفار والرحلات ، متنقلين من مكان الى آخر سعيا وراء التسلية وقضاء الوقت ، دون ان ينجحوا مطلقا في القضاء على احساسهم بالخواء والفراغ ! ومن هنا فان السأم ـ في رأى شوبنهاور ـ مرض يصيب ذوى الطبائع العامية المبتذلة ، لانه داء يلحق ـ على وجه الخصوص ـ بأولئك الناس العاديين الذين يهتمون بقطع الوقت، بدلا من ان يشغلوا انفسهم باستخدامه او الافادة منه . وهكذا نرى ان « السأم » ظاهرة بشرية اصيلة في هذه الفلسفة التشاؤمية القائمة على « ارادة الحياة » الغاشمة العمياء .

ولو اننا القينا نظرة فاحصة على تحليل شوبنهاور للسأم ، لوجدنا انه تحليل « شبه اخلاقى » يقتصر على النظر الى حالة السأم باعتبارها مجرد مظهر من مظاهر ضيق الانسان بالعالم . فليس السأم ـ في نظر شوبنهاور ـ سوى حالة نفسية اليمة (ان لم نقل قاتلة) تحيل الحياة ـ بالنسبة الينا ـ الى عبء ثقيل لايطاق ! واذا كان الفيلسوف الالماني الكبير قد جعل من « السأم » القطب الآخر المقابل للحاجة او « الرغبة » ، فذلك لانه قد لاحظ ان اشباع الحاجة او تحقيق الرغبة يؤدى بالضرورة الى حالة « الامتلاء » او « الشبع » ، ومثل هذه الحالة ـ اذا دامت ـ لا بد من ان تفضى الى الشعور بالخواء او « السأم » . ومعنى هذا ان تحليل شوبنهاور للحاجات ، والميول ، والبواعث هو الذى قاده الى الحديث عن الآلام ، والشرور ، والتشاؤم . والحق اننا « نتألم » لاننا « نرغب » في الحصول على الكثير من الاشياء ، فاذا ما توافرت لنا تلك الاشياء (او بعض منها ـ على الاقل ـ) ، احسسنا بالسأم والخواء لان مجرد استمرارنا في امتلاك الاشياء ، قد يحوى ـ في نظرنا ـ من معاني الرتابة والتكرار ، ما قد يجعلنا نضيق ذرعا بكل ما كنا نتحرق شوقا للظفر به ! ومن هنا فان « السأم » خاصية بشرية يتصف بها الجميع ، وان كانت اظهر لدى العوام من الناس ، نظرا لأن هؤلاء لا يهتمون بأمور الفكر لذاتها ، بل هم يعهدون الى العقل بمهمة تزويد الارادة بالبواعث ! وبهذا المعنى يكون « السأم » ـ في نظر شوبنهاور ـ وثيق الصلة « بالارادة » التي تطفو على سطوح الأشياء ، دون أن تعنى نفسها بالغوص في أعماق الأحداث ، بل دون أن تاخذ على عاتقها مهمة العمل على استخدام الزمان ، بدلا من الاقتصار على تبديده ! .

« السأم من الحياة » عند الأديب الفرنسي فاليرى

بيد أن مفكرى القرن العشرين لم يروا في « السأم » مجرد حالة نفسية أو شعور أخلاقي ، بل هم قد وجدوا فيه موقفا بشريا اصليا أو واقعة ميتافيزيقية جوهرية . ولم يكن فلاسفة الوجودية هم أول من فطن الى هذه الدلالة الميتافيزيقية للسأم ، بل لقد سبقهم الى ذلك بعض الشعراء والأدباء الذين نجحوا في ادراك صلة السأم بالنسيج الأصلي للحياة البشرية . ولعل هذا ما عبر عنه الأديب الفرنسي الكبير بول فاليرى Paul Valery (١٨٧١ ـ ١٩٤٥) حينما كتب يقول ـ في كتابه « الروح والرقص » ـ : « هذا المرض الذى هو مرض الأمراض ، وهذا السم الذى هو سم السموم ، هذا السم المضاد للطبيعة كلها ، انما هو ما نسميه بالسأم من الحياة ! انه ليس بالملل العارض ، ملل التعب

والكلال ، أو الملل الذى يمكن رؤية أصل جرثومته او الوقوف على حدوده ، بل هو السأم الكامل ، السأم الخالص ، السأم الذى لا يرجع منشؤه الى سوء الحظ أو المرض أو الضعف ... الخ . انه السأم الذى ليس له من مادة سوى الحياة نفسها، وليس له من سبب سوى وضوح بصيرة الحى . واخيرا ، هذا السأم المطلق ليس في ذاته الا الحياة عارية تماما ، اذا نظرت الى نفسها بوضوح » . وواضح من هذا النص ان بول فاليرى يقيم تفرقة أساسية بين « الملل » العارض من جهــة ، و « السأم » الجوهرى من جهة أخرى . « فالملل » حالة نفسية عرضية لها اسبابها المحددة وظروفها المعينة ، في حين أن « الســـأم » موقف بشرى اساسي ليس له علل محددة أو ملابسات عارضة . والانسان الذى يسأم الحياة ، لا يسأمها لمرض الم به ، أو سوء حظ عرض له ، بل هو يسأمها لأنها ـ بحكم ما فيها من ديمومة ـ تجلب عليـــه الرتابة والخواء ! وهذا الطابع الميتافيزيقي للسأم هو الذى حدا بواحد من الفلاسـفة المعاصرين ـ الا وهو جانكلفتش ـ الى التوقف طـويلا عند « خبرة الســـأم » بوصـــفها احدى الخبرات الميتافيزيقية الأساسية للموجود البشرى، باعتباره « موجودا زمانيا » .

هل تكون مشكلة السأم عند جانكلفتش مشكلة ميتافيزيقية صرفة ؟

والأستاذ فلاديمير جانكلفتش Jankelevitch ـ استاذ الأخلاق بجامعة باريس ـ (١٩٠٣ ـ ؟) ميتافيزيقي ، وعالم أخلاق ، وفيلسوف جمالي ، وموسيقار في آن واحد . وهو يعكس في تفكيره اصداء كل من افلوطين ، وبسكال ، وبرجسون ، ولكنه في الوقت نفسه واحد من رجالات « مدرسة باريس » L'Ecole De Paris التي حملت لواء الوجودية الفرنسية على اعقاب الحــرب العالمية الثانية . ولئن يكن من العسير على مؤرخ الفلسفة المعاصرة ان يلحق اسم جانكلفتش بأيـة نزعـة فلسفية محددة ، الا ان من المؤكد ان المفكر الفرنسي الكبير يندرج بميوله الواقعية العينية تحت حركة « فلسفات الوجود » . والسمة الغالبة على فكر جانكلفتش هي التحليل الميتافيزيقي العميق لشتى « الماهيات الأزلية » للروح البشرى ، من أجل الامساك بها في صميم ديمومتها المتغيرة العابرة ! فنحن هنا بازاء فيلسوف أخلاقي يحاول الوقوف على الدلالات الميتافيزيقية لحالات بشرية متنوعة : كالسأم ، والاختيار ، والتهكم ، والشر ، والغواية ، والخطيئة ، والندم ، وغيرها من القوى الباطنية المتصارعة في أعماق النفس البشرية . وجانكلفتش حريص كل الحرص على تفهم أدواء الضـمير ، والاعيبه ، وحيله ، وشتى أســاليبه الملتوية في التعامل مع نفسه ومع الآخرين ! وهو حين ينظر الى الانسان فانه لا يرى فيه موجودا متســقا متكاملا ، بل موجودا متعارضا منقسما على ذاته ، ومن ثم فانه يعده « موجودا هجينا » أو « خليقة متوسطة » Creature Intermediaire ولا بد لمثل هذا الموجود ـ فيما يقول فيلسوفنا ـ من العمل على اشاعة ضرب من النظام أو الاتساق في صميم عمائه الباطني (يعني : حياته الروحيـــة المهوشة المختلطة) عن طريق الاهابة بالفن من جهة والعمل على تحقيق الفضائل من جهة اخرى . ولكن بيت القصيد في كل فلسفة جانكلفتش انها فلسفة فنان مرهف الحساسية مشبوب الوجدان ، وان كانت في الوقت نفسه فلسفة عالم أخلاق قد أخذ على عاتقه أن ينطق باسم « القيم » وان يرفع صوت « الانسان » .

وقد تصدى جانكلفتش للحديث عن « مشكلة السأم » في كتابين هامين من كتبه : احدهما ظهر عام ١٩٣٨ تحت عنوان : «البديل» L'Alternative والاخر ظهر عام ١٩٦٣ تحت عنوان : « المخاطرة ، والسأم ، والجدية » : L'Aventure, l'ennuie, le Serieux . ولا يكاد يخلو كتاب واحد من كتب الاستاذ جانكلفتش من اشـارة (أو أكثر) الى المشكلة التي نحن بصددها ، وكانما هو قد وجد في « السأم » الخاصية الميتافيزيقية الأولى التي تميز احساس الموجود البشرى بالديمومة أو الزمان النفسي . والحق أن « السأم » ـ في نظر فيلسوفنا ـ ليس مجرد احساس عابر ، أو شعور عارض ، بل هو عذاب معقد ، ودوار خطير لا سبيل الى تحديده . واذا كان للسأم طابع ميتافيزيقي ، فذلك لأنه يمثل شرا قد تلبس بصميم وجودنا ، وكانما هو المرض المحتوم الذى لا بد من أن يلحق بحس الديمومة الموجود لدينا . وعلى حــين أن للحزن أو الأسى أو الألم أسبابا محددة يمكن الوقوف عليها ، أو عللا مؤثرة يمكن الارتداد اليها، فاننا نجد انه ليس للسأم من سبب محدد أو علة معينة ، اللهم الا الوجود نفسه ! فنحن نسأم لاننا موجودون ، أو على الأصح لأننا موجودات زمانية

تملك احساسا بالديمومة . وقد يحاول السئم ان يجعل نفسه مشوقا ، فتراه يعمد الى البحث عن علل يبرر بها ذاتـــه ، ولكن كل هذه العلل الخارجية لا تزيد عن كونها مجرد « علل مصادفة »: Causes Occasionnelles ، كما هو الحال مثلا بالنسبة الى ضروب السأم الناشـــئة عن الطقس ، او المزاج ، او الهبوط النفسي .. الخ .

ولكن ، هل من علاج للسأم ـ فى نظر جانكلفتش ـ ؟

اما اذا تساءلنا عما اذا كان ثمة عــلاج لهذا المرض الميتافيزيقي الخطير الذى يسمونه باســم « السأم » ، كان رد جانكلفتش على هذا التساؤل ان هناك دواء ناجعا لهذا المرض ، على شرط ان تصح عزيمة المرء على الشفاء ! وليس هذا الدواء سوى الخروج من الذات باى ثمن ، عن طريــق التواصل الاجتماعي ، من اجل التعلق بشيء ما من الأشياء ، أو البحث عن « الوحدة » الروحيـــة الحقة التي ليست من « العزلة » في شيء ، او العمل على اجتناء كل جديد ، او تحقيق التناغم بيننا وبين ايقاع الحياة اليومية ، أو القضاء على اللهفة المحمومة التي تتعجل الزمان وتســـتبق الأحداث ! فليس من مصـلحتنا ان نعمل على مضاعفة سرعة الزمان : لاننا عندئذ لن نلبث أن نصاب بالغفلةوعدمالقدرة على التركيز او الانتباه. وانما يجدر بنا دائما ان نعمل على امتلاك ناصية الزمان ، حتى تصبح « الديمومة » حقيقة نفسية نقوم نحن بتوجيهها ، والسيطرة عليها ، والتحكم فيها . وهيهات لنا ان نعيد الى لحظات الزمان كل امتلائها ، اللهم الا اذا توافرت لدينا صــفات الصبر ، والتواضع ، والقدرة المســـتمرة على معاودة الجهد ..

والواقع ان الزمان النفسي لا يسير من تلقاء نفسه بسرعة واحدة مطردة ، بل نحنالذين نساعده على التحقق والانقضاء،ونحن الذين نكونه ونبثنيه، لأننا نحن الذين نفرض عليه من الايقاعات ما يتطابق مع ذبذبات الزمان البيولوجي والاجتماعي . واذا كان للزمن اقتصاده الخاص ، فذلك لأن هنــاك استخداما حسنا ، واستخداما سيئا ، لكل من الحاضر والماضي والمستقبل . والسأم شاهد على ان هذا التنافر القائم بين ديمومتين لا توافق بين ايقاعيهما ، انما هو الذى يولد لدينا أخطر ضروب الاضطراب . وعندئذ قد يصيب الوعى مس من الجنون ، فلا يعود يعرف كيف يستبقى اللحظة الراهنة ، أو كيف يفيد من الفرصة السانحة . وربما كان من واجبنا ـ في بعض الاحيان ـ ان نضع كل ثقتنا في النبض الحيوى التلقائي ، دون أن نتدخل في مجراه ، او ان نشغل انفسنا به ، وبذلك نتجنب الجمع بين ديمومتين مختلفتين ليس من شأنهما ان تتواجدا معا في مجرى الشعور . وانه لمن الملاحظ ـ في الحالات السوية ـ اننا لا نفكر عادة فى جهازنا الهضمي ، أو في ضربات قلبنا، أو في ايقاع تنفسنا ، اذ الويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بملاحظة تلك الظواهر، او الرغبةفي مراقبتها، او الحرص على التحكم فيها باستمرار ! وكثيرا ما تكون صعوبة التنفس ـ في صورتها العصبية ـ (خصوصا في حالات الأرق) مجرد صورة من صور هذا التدخل الارادى الذى يحاول معه المرء التحكم في تنفسه ، أو العمل على تنظيم ايقاعاته ، فلا يلبث أن يشـــل الحركات الطبيعية التلقائية لجهازه التنفسي (وهي الحركات التي تتم على احسن وجه دون ادنى تدخل من قبلنا نحن) ، وعندئذ قد ينتهى به الأمر ـ في خاتمة المطـــاف ـ الى الاختناق ! (١) .

« ونحن نوافق جانكلفتش على ان للسأم دلالة ميتافيزيقية عميقة » : فان السأم تعبير عن فشل الموجود البشرى .

نظريةهارتمانفى ((السأم الأخلاقي)) ..

واما الفيلسوف الذى حاول أن يكشف لنا عن الدلالة الأخلاقية للسأم ، فهو المفكر الالماني المعاصر نيقولاى هارتمان Nicolai Hartmann (١٨٨٢ ـ ١٩٥٠) الذى يعتبر من أكبر فلاسفة القيم في القرن العشرين . والسأم ـ في نظر فيلسوفنا ـ هو الذى يدفع بالانســـان المعاصر الى البحث باستمرار عن أحدث الأشياء واكثرها جدة ، حتى لقد أصبح الموجود البشرى المعاصر عاجزا عــن تذوق ما يمر به من تجارب ، او التمعن فيما يقع له مــن أحــداث ، نظــرا لانــه قــد اصبــح محكوما دائمــا بالجــديد المستطرف ! ولا غرو ، فقد صارت حياتنا انتقالا من احساس الى احساس ، ومن خبرة الى خبرة ، دون أن ننفذ الى

(١) Jean Pucelle: Le Temps, Paris, P.U.F.; 1959, PP. 20-21

شيء ، أو نتوقف عند شيء ، أو نتعمق شيئا ، حتى لقد تبلدت ــ أو كادت ــ كل حساسيتنا بالقيم ، فاصبحنا نقتصر على اجترار بعض الاحاسيس ! والواقع ان الانسان الحديث موجود قلق ، متهور ، متبلد ، كثير السأم ، ان لم نقل بانه كائن سطحي لا شيء يلهمه ، ولا شيء يمسه ، ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطني ! وربما كان « السأم » الذي يستشعره هذا الموجود هو المسئول عن احساسه بالتبلد وعجزه عن التعجب ، وعدم قدرتـه على التناغم مع ايقاعات الحياة . وقد يكون السأم ــ احيانا ــ ناجما عن التكرار ، والرتابة ، والآلية، وانعدام التجديد ، ولكننا قد نلتقي أيضا بسأم آخر قوامه الشعور بالخواء ، والتفاهة ، والعبث، وبطلان كل شيء ! وهارتمان يلاحظ ان ما يكمن وراء اسلوبنا السطحي في الحياة ، انما هو « الخواء الباطني » الذي يولد لدينا الاحساس بالسأم . وقد لا يكون عصرنا هو أول عصر من العصـــور التاريخية التي ظهرت فيها مثل هذه الأوضاع الحضارية الخطيرة ، ولكن من المؤكد ان هــذه الضحالة في الاحساس بالقيم قد اقترنت دائما ــ حيثما ظهرت ــ بأمراض الضعف ، والانحـلال ، والسأم ، والخواء ، والجدب الباطني،والاحساس العام باليأس والتشاؤم . وليس خواء الحيـاة الخارجية للانسان ورتابتها سوى مجرد صـدى لخواء حياته الباطنية ورتابتها ، ان لم نقل مجرد انعكاس لعماه الأخلاقي .

فاذا ما تساءلنا عن السبيل الى علاج هذا الداء الأخلاقي ، كان جواب هارتمان انه لا سبيل الى شفاء الانسان من مرض السأم ، اللهم الا اذا استعاد قدرته على الدهشة ، والأعجاب ، والتفتح، ورؤية القيم .. الخ . والمهمة التي تقع على عاتق فيلسوف الأخلاق ــ في عصرنا الحاضر ــ هي أن يعمل على استثارة ما لدى الانسان من قدرة على الاعجاب ، ومن أجل دعوته الى اكتشاف القيم ، والمشاركة في ثراء الحياة . ولن يتسنى للانسان ان يتخلص من احساسه بالجدب والخواء والسأم ، اللهم الا اذا اصبح على النقيض تماما من الرجل الجافي المتبلد ، والرجل البارد المتجمد ! وقد كان القدماء يطلقون عن الرجل « الحكيم » اسم « الانسان العارف » ولكنهم كانوا يعنون بالمعرفة هنا شيئا آخر غير العلم المحض لان « المعرفة » عندهم كانت تساوي « التذوق » فكان الانسان « العارف » عندهم هو « المتذوق » . ويشرح لنا هارتمان معنى « الانسان المتذوق » ، فيقول انه المخلوق ذو البصيرة الذي يصح أن نطلق عليه اسم « رائي القيم » . انه ذلك الانسان الواعي الذي يتمتع بقوة نفاذة تعينـــه على تذوق قيم الحياة ، بكل ما فيها من وفرة ، وخصـــوبة ، وامتلاء . وهارتمان يسمي تلك القوة باســم « الملكة الخُلُقية » Moral Faculty ، فيحدثنا عن هذه الملكة باعتبارها حسا أخلاقيا يتفتح معه الانسان لشتى ضروب الثراء الكامنة في الحياة ، وينفذ بمقتضاه الى أعماق « القيم » الباطنية في الوجود . وليســت مهمة فيلسوف الأخـلاق ــ اليوم ــ (فيما يقول هارتمان) سوى أن يأخذ بيد الانسان المعاصر ، لمساعدته على استرداد تلك « الحاسة الأخلاقية » ، حتى يعاود النظـر من جديد الى عالم الأشياء والأشخاص ، بعين نفاذة لا تعرف السأم ، بل ترى القيم في شفافية ووضوح. وحينما يتسنى للانسان ان يسترد هذا « الامتلاك الواعي » لملكته الأخلاقية ، فهنالك يتفتح امامه ــ من جديد ــ ذلك العالم الروحاني الذي كان هو نفسه قد اغلقه في وجه نفسه ! (1) .

وهكذا نرى أن هارتمان ــ بتحليله الأخـلاقي لدلالة السـأم ــ قد التقى بتحليـــل جانكلفتش الميتافيزيقي لهذه الظاهرة عينها ، باعتبارها مظهرا لوجود خواء باطني يكمن من خلف الملأ السطحي للوجود ! وماذا عسى أن يكون السأم في الحقيقة ان لم يكن هو الشعور بأن الأشياء تنزلق فوق سطح الشعور ، دون أن تحدث أثرا ، بل دون ان تولد في الوعي أي صدى حقيقي ؟ أليس السـأم هو الشـعور بأن شـيئا لا يحدث ، أو ــ على الأقل ــ بأن شيئا من كل ما يحدث لا يمسنا ، ولا يهمنا ، ولا يحركنا ؟! فهل من عجب بعد ذلك في أن يكون « السأم » ــ وهو في الأصل مرض التخمة والافراط والامتلاء والتشبع ، مجرد تعبير عن الخـــواء والفراغ والاجداب والاقفار ؟!! .

■■

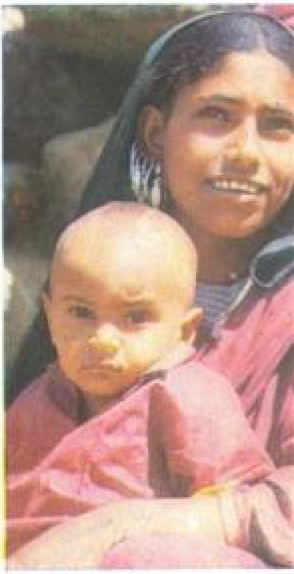
د. زكريا ابراهيم

(1) N. Hartmann: Ethics., Vol. I, English Translation, Allen Unwin, 1958, PP. 63 - 64

اعرف وطنك
أيها العزيز

سُقُطْرَى

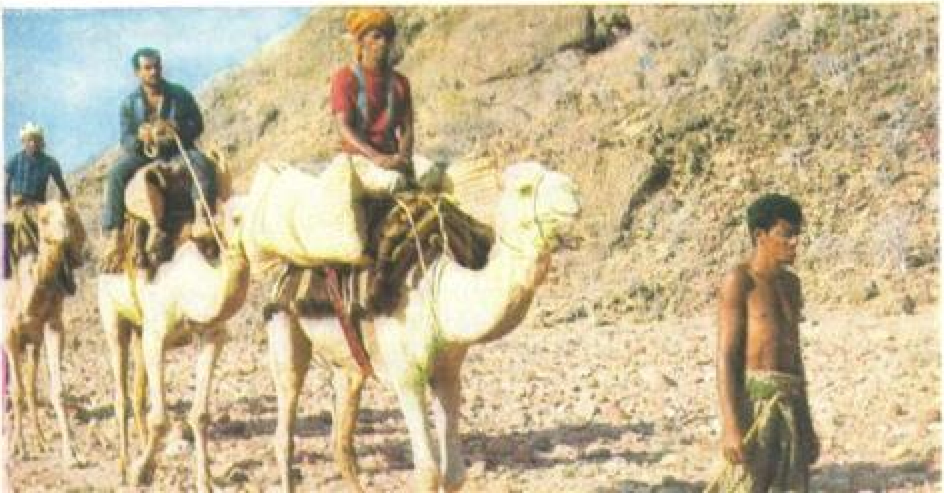
عَوْدَةٌ إليها.. والعَوْدُ أحمد..

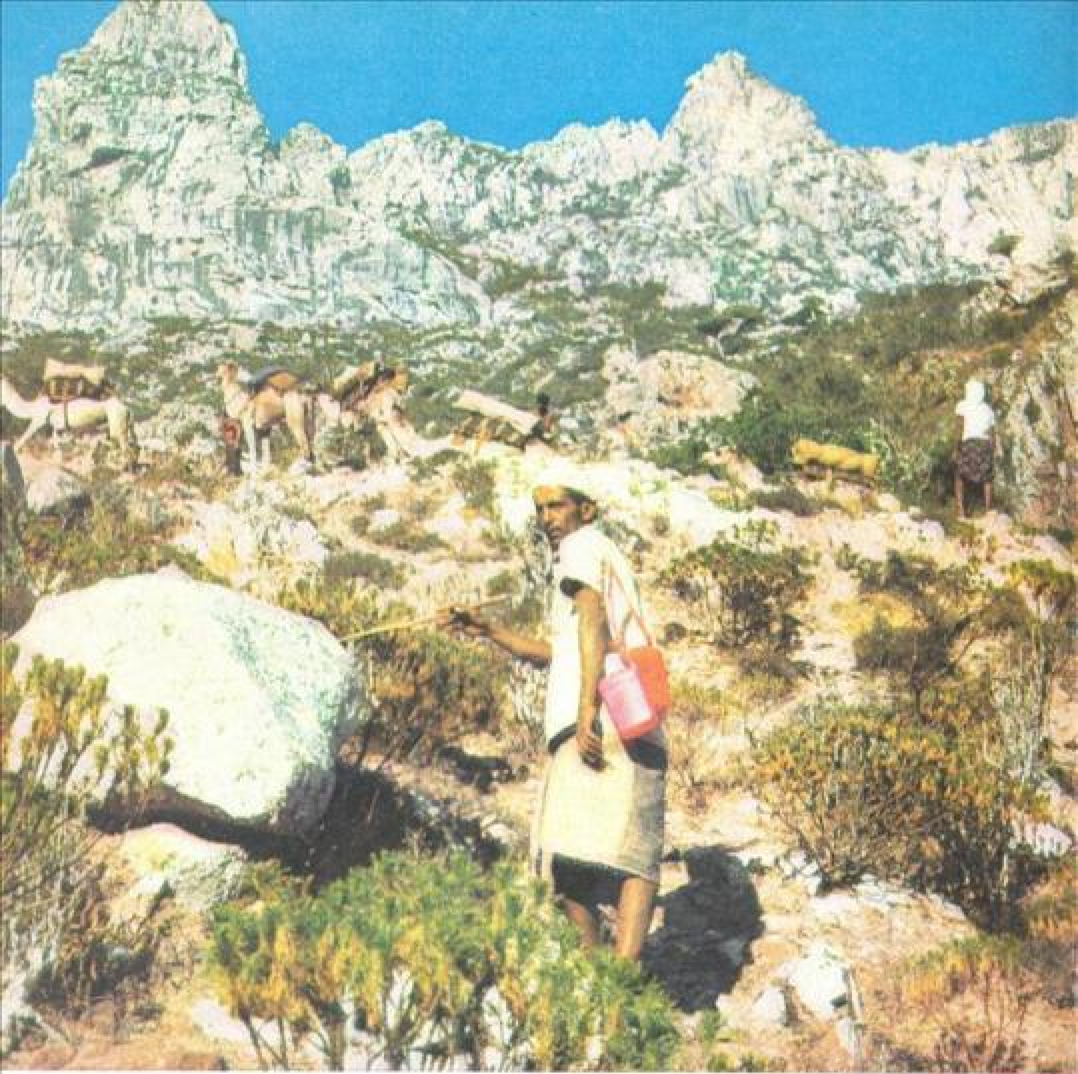


هُنا يُولَدُ الإنسان
وَيَعيشُ وَيمُوتُ وَيُطْوَى
وَكَأنَّهُ ما كَان
!

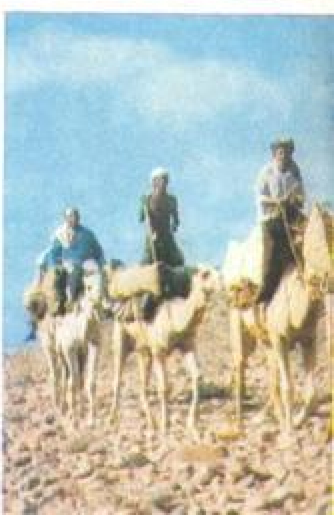
استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار متري





الجمال هي وسيلة المواصلات الوحيدة للوصول الى الحياة القرية في قلب بادية سقطرى ، حيث قمة « قدهوم دفيرا » .. اكثر قمم جبال الحَجْهِر ارتفاعا



- مُتْحَفٌ حَيّ يَضُمّ ٦٠٠ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ النَّادِرَة
- دَمُ الأَخَوَيْن : الشَّجَرَة الجَرِيحَة المُتَعَالِيَة عَلَى آلامِهَا
- الكَيُّ بِالنَّارِ يَشْفِي مِنْ كَافَّةِ الأَمْرَاض !

■ اليس غريبا ان يتحول الالم والانين الى اغنية تتردد على شفاه سكان جبال سقطرى .. ؟ كانوا اسرى مكبلين بالحديد .. وكانوا يصرخون: «وايا .. وايانا .. واناانا .. ثانيا ..» منذ اكثر من اثنى عشر قرنا .. واذا بهذه الصرخة تعيش .. ويتردد صداها الى اليوم بين صخور هذه الجبال التى وقفت بقممها تتحدى الزمن ..

لقد اقتصر استطلاعنا السابق على مدن وسواحل جزيرة سقطرى ، اكبر جزر وطننا العربي واكثرها غموضا .. واليوم ننقلك الى قلب هذه الجزيرة .. الى جبالها العالية وباديتها الغامضة حيث الصبر الجيد الذى لا يوجد مثله ، والبخور ، ودم الاخوين ، والنخيل الكثير ، والتمر الهندى ، وعشرات القصص والاساطير رواها المؤرخون عن عجائب هذه الجزيرة .. جزيرة الجن .. جن شجرة البخور ، حسب قولهم !

ابناء العم يتوارثون السلطنة

استيقظنا مع خيوط الفجر على صوت رغاء الجمال المختلط باصوات الجمالين ، وهم يجذبون الجمال من ازمتها لتبرك فى الزقاق الصغير الملاصق لمنزل السلطان السابق ، حيث كنا نقيم فى حديبو عاصمة سقطرى . انه قصر : « صاحب العظمة السلطان احمد بن عبد الله بن عيسى بن احمد بن سعد عفرار ، ملك المهرا وسقطرا » هكذا وجدنا الاسم مطبوعا على ورقة منسية فى المنزل . انه واحد من سلاطين بنى عفرار الذين حكموا سقطرى من عام ١٤٨٢ حتى مولد جمهورية اليمن الجنوبية عام ١٩٦٧ .

الناقة تسبق الجمل

وتركنا « القصر » وبدانا نرقب عملية حزم الامتعة داخل سلال من سعف النخيل تربط على جانبي سنم الجمل .. كان الجمالون يتسابقون لحمل اخف الامتعة حتى لا يثقلون على كاهل جمالهم .

كان علينا امتطاء هذه الجمال لنقطع الجزيرة من شمالها الى جنوبها عبر طرق جبلية ملتوية ، مرتفعة الى ...٥ قدم فوق سطح البحر ..

وبدأت القافلة تتحرك .. سبعة جمال تسير متتابعة .. النياق تسير امام الجمال ، ونحن ركوب فوق النياق الهادئة الوديعة التى لا تثور ولا تعض ، بعكس الجمال .

ماذا يخفى تل حسون ؟

ومررنا بتل رملى يرتفع وحيدا وسط السهل المتسع .. انه ليس تلا طبيعيا ، وانما تل كونته الرمال المتحركة فاخفت آثارا قديمة مجهولة .. ترى هل هى آثار القلعة العربية التى لم يحتلها البرتغاليون الا بعد ملاحم بطولية رائعة سجلها اهل سقطرى العرب اثناء قتالهم مع الغزاة ؟

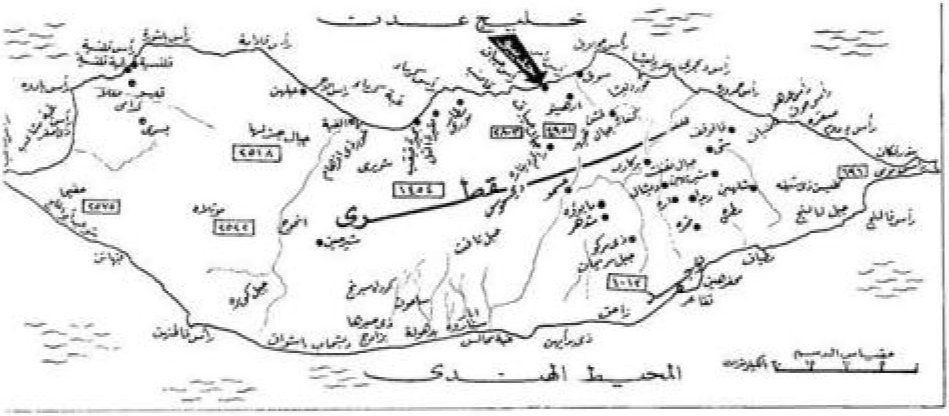
ام هي آثار المعبد الخيالى الذى وصفه الجغرافي ديودورس الصقلى Diodorus The Sicilian فى القرن الاول قبل الميلاد بكل دقة قائلا :

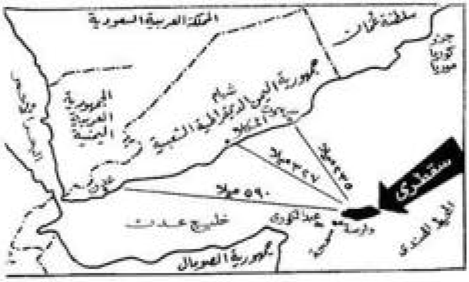
« كان المعبد قطعة اثرية ثمينة تثير الاعجاب .. اعمدته مرتفعة محلاة بالرسوم الرائعة .. وتماثيله ضخمة دقيقة الصنع .. وابوابه مزخرفة بالذهب والفضة والعاج وخشب الليمون » ..

هذا ما ذكره ديودورس الصقلى منذ الفى عام .. وبعده لم يتحدث احد عن هذا المعبد .. ولن يستطيع احد ان يتحدث عنه قبل ازالة الرمال



يلتهم الجمل اغصان الاشجار بفمه ، غير عابىء بالاشواك .. ولكنه يبتعد بسرعة عن اوراق شجرة القات البرى التى تخدره ثلاثة ايام كاملة ، وعن شجرة التريمو التى تسممه !





خريطتان الاولى تبين تفاصيل جزيرة سقطرى واهم الاماكن التى فيها ، والارقام التى على الخريطة توضح ارتفاع الجبال بالاقدام . ولكننا لم نستطع تعيين خط السير الذى سلكناه ، لاننا ذهبنا الى مناطق لم يسجلها صاحب الخريطة .. اشحص ـ قيشن ـ عما جالو ـ ديحزحز ـ دهرهو .. والخريطة اليسرى توضح موقع سقطرى بالنسبة لجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية .

والاحجار من فوق تل حسون ، والكشف عن آثاره التى قد تلقى ضوءا على حضارة عصر البخور واللبان في هذه الجزيرة ، التى يؤكد بعض المؤرخين ان بعثة الملكة حتشبسوت الى بلاد بنت جاءت اليها لاخذ البخور منها .

الانسان اولا ..

ولكن الكشف عن الآثار وتاريخ الجزيرة لا يمكن ان ياخذ طابع الاستعجال .. لان هناك ما هو اهم .. هناك عملية الكشف عن الانسان السقطرى الذى ما زال قابعا في الظلال وتحت زوايا النسيان : .. يولد .. ويعيش .. ويصنع الحياة .. ويموت .. ويطوى ، دون ان يدرى او يهتم به احد .. وكأنه ما جاء .. وما عاش .. وما مات !!

« الفِطام » القاتل !

وتابعت القافلة رحلتها بهدوء ورتابة حتى وصلت جبال الحَجْهر ، وبدأ الصعود فوق احجار الجبال .. الجمل يصعد مرتفعا وينحنى فجأة ليقلع الاعشاب مع جذورها ، ويسير وهو يلوكها في فمه فوق الصخور المسننة القاسية ، التى كان يتسلقها مزمجرا ، ومصدرا اصواتا عالية كصهيل الجياد ، يطلق عليها اهل اللغة كلمة : رُغاء !

وسألنا جمالنا سعد جمعة عن سر هذه الاصوات، فاجابنا ببساطة : « الجمل خائف من الطريق ، لا يريد السير فيه .. انه يخاف من الصخور المسننة ، والفطام الاسود ، ذلك العنكبوت البرى السام الذى ينقلب على ظهره عند شعوره باقتراب الخطر ، فاذا مر الجمل فوقه عقصه في قدمه ، فارداه قتيلا » .

قلنا : « واذا عقص انسانا ؟ » .

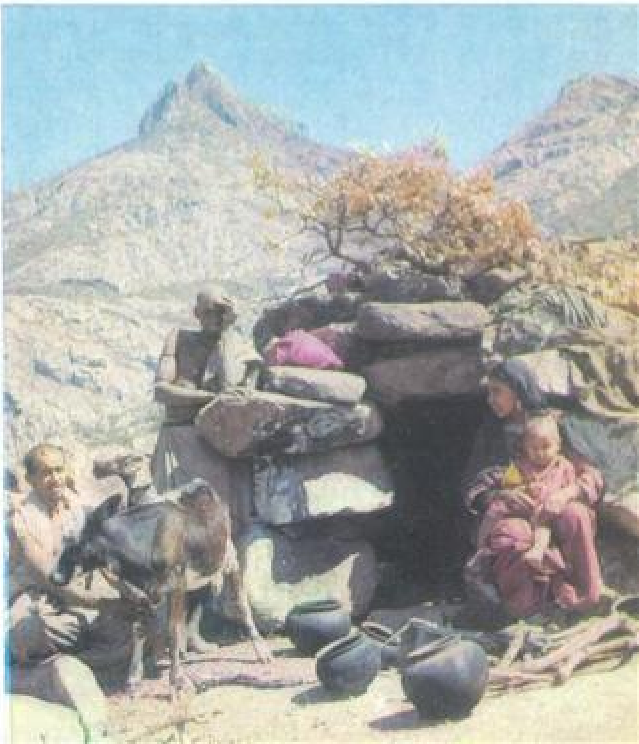
قال : « على الملدوغ في هذه الحالة ان يخرج سكينه من غمده ويقطع به في الحال الجزء المصاب في قدمه .. واذا لم يفعل ذلك فانه يموت بعد دقائق !! » .

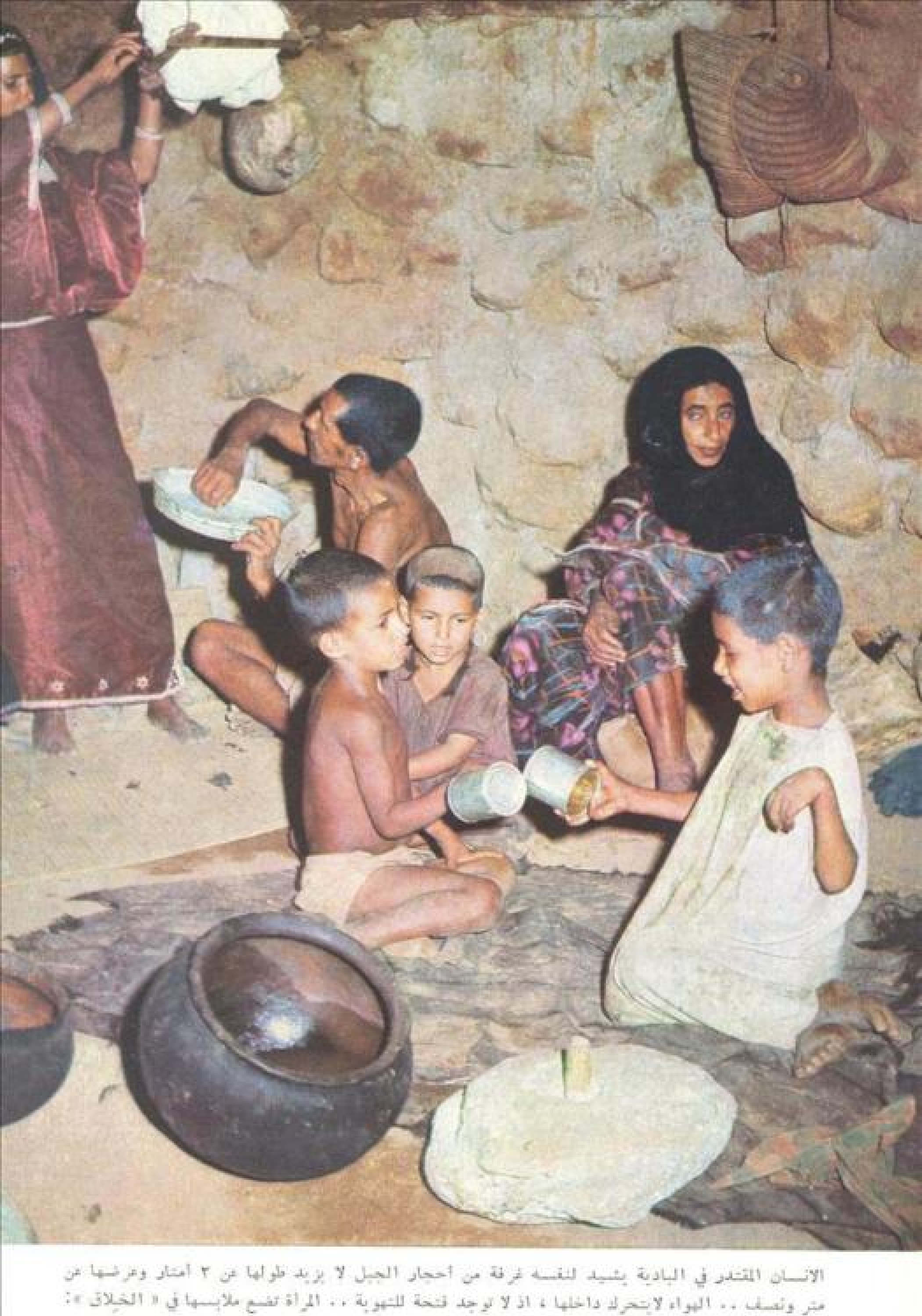
٦٠٠ نوع من النباتات النادرة

ومررنا وسط غابات من الاشجار لم نر لها نظيرا في اى مكان آخر .. انها ثروة سقطرى الحقيقية .. حديقة طبيعية هائلة تضم ٦٠٠ نوع



« في اى مكان انام .. بلاد الله واسعة .. » والكهوف منتشرة في كل انحاء الجبال .. ينام فيها البدوى مع اغنامه ، يشرب الحليب مع قليل من التمر ، واذا وجد القشقش (الارز المكسور) غلاه مع الماء واكله .. ونرى في الصورة العليا غار نسيمان ، وقد اقام صاحبه جدارا من الاحجار ليمنع هرب الماعز .. والغار بارد في الصيف ، ولكن المشكل هي « الحكحاك » : ذبابة ينقلها الماعز معه فتعيش في الكهف ولا تخرج منه .. واذا فكر البدوى في بناء منزل ، جاء على صورة كهف فوق الارض (الصورة اليمنى) .. ان متطلبات الحياة معدومة عندهم ، يأكلون ويشربون من نفس اواني الفخار التي يطبخون فيها ، دون استعمال شوكة او سكين ، وانما غصن الشجر يأخذ مكانهما !

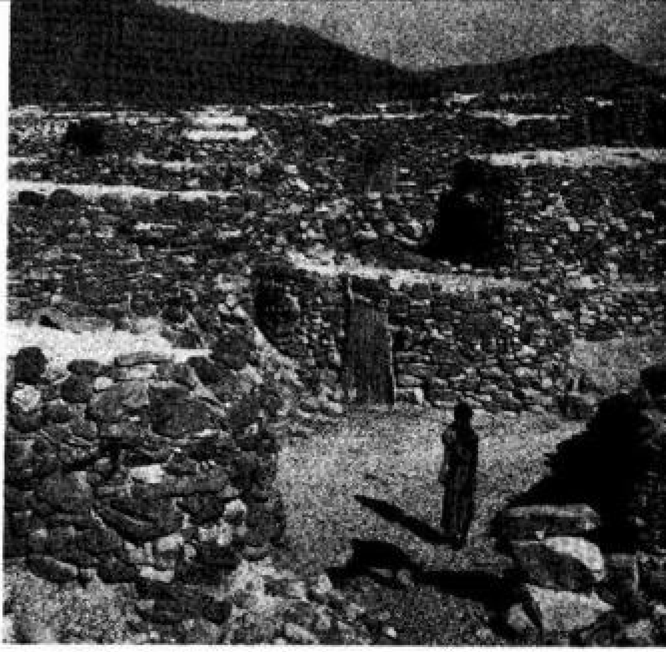




الانسان المقتدر في البادية يشيد لنفسه غرفة من أحجار الجبل لا يزيد طولها عن ٣ أمتار وعرضها عن متر ونصف .. الهواء لايتحرك داخلها ، اذ لا توجد فتحة للتهوية .. المرأة تضع ملابسها في « الخِلاق » : حبل متدلى من السقف ربط في آخره ملابسها وحليها .. لاحظ اليد المشلولة للطفل .. سبعة أشخاص يعيشون في هذا الجحر ، يأكلون ويشربون من نفس الاواني الفخارية وعلب الصفيح .. ألم نقل انها مأساة !!



اشجار اللبان .. ترتفع عالية مجردة هذه الاشجار لو تكلمت لروت قصص من اجل الحصول على اللبان



روكب : اسم القرية الوحيدة التى صادفتنا فى رحلتنا ، يهجرها رجالها في الصباح متوجهين لرعى الاغنام . اما نساؤها فيوصدن الابواب عندما يشعرن بقدوم شخص غريب!

من النباتات النادرة ، منها ٢٠٠ نوع تنفرد بها سقطرى .. هكذا قال علماء النبات الذين اجروا مسحا شاملا لنباتات الجزيرة سنة ١٩٥٦و١٩٦٧ .

وامسكنا بالقلم ونحن جلوس فوق الجمل ، نسجل ما يذكره دليلنا عامر الدعرى ، من اسماء وفوائد بعض الاشجار الغريبة ، بلهجته السقطرية : « هذه شجرة امتى ، تقطر سائلا خاصا اذا تسرب الى العين افقدها البصر لفترة من الزمن » ..

« وهذه شجرة عطرعة ، انها شجرة الفاصوليا الخضراء الوحشية التى ظلت تمتد حتى اصبحت حبالا متصلة ، يقطعها ابن البادية ويجففها ثم يطحنها ليستعملها فوق الجراح التى تصيب الجمال والابقار فيشفيها .. » .

واستمر عامر يروى قصص واسماء عشرات الاشجار الخضراء والصفراء والحمراء والفضية ، ونحن ماخوذون بسحر هذه النباتات وروعتها ..

٧٠ قرشا ، ثمن الخروف

وعند نبع عين « دانجهان » كانت محطتنا الاولى .. المنطقة خالية من المبانى والسكان .. ومياه النبع تنساب هادئة بين الصخور والاشجار .. الجمالون فكوا الاحمال عن ظهور الجمال ، وتركوها حرة طليقة ترعى بمفردها الاوراق والاعشاب ..

وما كادت تمر دقائق على وجودنا ، حتى اصبحنا محاطين باعداد من اهل البادية ، جاءوا من حيث لا ندرى وكان الارض قد انشقت عنهم فجاة .. كل منهم يصر على السلام علينا باليد .. اننا بالنسبة لهم نمثل عالما جميلا مجهولا يحتكون به لاول مرة تقريبا ..

وعرضوا علينا اغنامهم وماعزهم .. فاشترينا خروفا بما يوازى ٧٠ قرشا ومعزة بنحو ٥٠ قرشا ، اى نصف جنيه استرلينى .. ان اسعار الماشية رخيصة جدا هنا ..

رحلوا وبقيت الابقار !

والثروة الحيوانية فى الجزيرة متوافرة بكثرة، وقد تمت دراستها عدة مرات من قبل خبراء عالميين ، قالوا في تقاريرهم : « تنحدر ابقار سقطرى من فصيلة ابقار الفريزيان الشهيرة التى



من أوراقها لعدم هطول الامطار .. ان امجاد مضت ، العالم كان يتصارع والبخور والصبر السقطرى



داتجهان .. اول محطة استرحنا فيها .. شربنا من نقى المياه مع الجمال ، واسترحنا فوق احجار الجرانيت الحمراء والبيضاء ، يظللنا سعف النخيل البرى الكثيف .

جلبها البرتغاليون معهم عندما احتلوا الجزيرة عام ١٥٠٧ لفترة قصيرة رحلوا بعدها وبقيت الابقار .. ومع مرور السنوات ضعفت السلالات وصغر حجم البقرة ، واصبحت لا تنتج اكثر من لتر حليب يوميا !

« وتتميز الاغنام في الجزيرة بصغر حجمها ، وذيلها الرفيع المشابه لذيل الحمار ، وهي انواع من الخراف معروفة سلالتها في اوربا وروسيا تحت اسم : اغنام الذيل الطويل .. » .

اما الماعز ، فقد رأينا انواعا غريبة منها ، تضاءل حجمها حتى كاد ان يصبح بحجم القط الكبير ، يغطيها شعر كث وفير ، يصنعون منه الشملة المحلية (السجادة) .

آمينال ..

وقبل ان يذبحوا الخروف والمعزة اللتين ابتعناهما ، جاءوا بهما الى دليلنا في الرحلة عامر الدعرى ، الذى امسك بهما وجلس على الارض ، ومن حوله الصبية والاطفال .. وبدأ يمسح على صوفهما مرددا هذا الدعاء :

ـ اشكر ربى على الخيرات .. **فيرد الصبية :** آمينال ..**اى آمين ..**

ـ لان ربى يرفع عنا جميع انواع البلاء .. **آمينال ..**

ـ ويسكب لنا المطر والارزاق .. **آمينال ..**

وهكذا استمر عامر مكررا الدعاء تلو الدعاء ، والاطفال يردون عليه : آمينال **بصوت منفعل يزداد ارتفاعا وسرعة .. فالبطون الجائعة لا تحتمل الصبر الطويل ..**

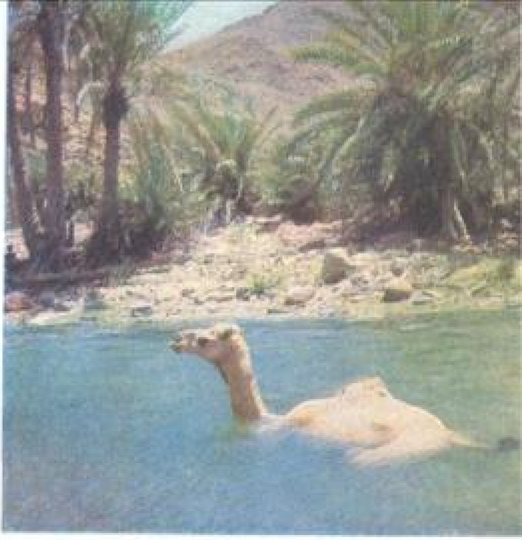
عذاب الحيوان ..

واخرج احدهم السكين من جرابه المصنوع من جلد الماعز ، وفحصنا السكين فاذا به قطعة من الحديد البارد ، صنعوها من مخلفات معسكرات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

ولن نتحدث عن عذاب الحيوان المسكين عندما يذبح بقطعة حديد مثلومة ، لاننا لم ننظر الى كيفية الذبح ، ولم نأكل حتى لحم الذبيحة المسكينة .. احتجاجا صامتا قدمناه ضد تعذيب الحيوان ..



الى اسفل : هذه الآبار حفرها الاجداد في قديم الزمان في منطقة دهَرَّهو ، الى عمق ٣٠ قدما ، وبطنوا جدرانها بالاحجار الضخمة .. وتأتي المرأة بدلوها المصنوع من جلد الماعز وترفع المياه .. انها مياه قذرة جدا .. ومع ذلك تجد نفسك مضطرا لشربها لعدم وجود مياه غيرها !





المياه في جبال الحَجَر متوفرة بكميات هائلة ، فيها العيون الطبيعية التى لاتنضب ابدا ، وفيها مياه الامطار ، التى تندفع سيولا في الوديان فتضيع في البحر دون الاستفادة منها .. وما تكاد الجمال ترى بحيرة ماء حتى تندفع اليها لتأخذ حماما باردا بعد رحلة شاقة مرهقة .. اما البدوى فيذهب الى منبع العين ليشرب الماء نقيا عذبا حلوا .. ولكنه كثيرا ما يضطر الى شرب الماء من نفس المكان الذى استحمت فيه الجمال من قبل.



كل من في سقطرى يمرض من الاتربة والعواصف والذباب والناموس والأكل على نمط واحد .. وقد شعرنا بالاعجاب بهذا الشعب الذى استطاع العيش رغم هذه الظروف .. ويطلقون على الطبيب المحلى كلمة "دختر" وهو يقوم بعمله مجانا لوجه الله .. ونرى هنا الدختر عبد الله بن سعيد يجرى عملية كي بقضيب رفيع ملتهب لاذن وأسنان المريض محمد الدعرى الذى أمسك به ثلاثة من زملائه .. انهم يحاربون شيئا مجهولا .. والنار هي اكثر الاشياء تطهيرا في اعتقادهم لهذا العدو المجهول .. انها طريقة عقيمة ولكن ما هو البديل ؟ .. ان البديل السريع لهذا الوضع هو ان ينطلق الممرضان الموجودان في حديبو وقلنسية الى البادية بالتناوب لعلاج المرضى هناك .. اجراء مؤقت حتى يتم تعيين طبيب !

سأصعد الى نخلة اخرى

وفي احدى المرات التي توقفنا فيها خلال الرحلة ، كان جلوسنا تحت ظل نخلة مثمرة .. نظرنا اليها ورجونا احد الصبية الملتفين حولنا ان يجلب لنا بعض الحبات من تمورها الناضجة ..

وتسلق الصبي جذع النخلة حتى وصل الى قمتها وعيوننا ترقبه .. فرأيناه ينظر مليا الى التمر ، ومكث فترة مترددا ، نزل بعدها مسرعا دون ان يجلب معه تمرة واحدة ، وجاء قائلا :

« سأصعد الى نخلة اخرى ، لان هذه فيها القرآن مفتوح » .

وتعجبنا ، فشرح لنا عامر الدعري القصة قائلا :

« يعمد اصحاب النخيل في البادية الى وضع اوراق فيها آيات من القرآن الكريم وسط التمور على النخلة المثمرة ، والويل للسارق من عذاب الله ، اذا امتدت يده الى تمرة واحدة فيها القرآن مفتوح .. » .

الساحرة السابحة

وفي ذات مرة تجمعت السحب بكثافة في السماء



قبل ذبح الخراف والماعز ، يقوم كبير القبيلة بالمسح على صوفها ، وتلاوة الدعاء وشكر الله على خيراته ، فيرد الحاضرون : آميتال .. اى آمين .

مما عاقنا عن التصوير ، فسألنا احد ابناء البادية :

« هل تعتقد ان المطر سيهطل غدا ؟ » .

سؤال خلناه بريئا عاديا ، ولكن صاحبنا احتقن وجهه ، ووقف منفعلا امام الجميع ، وهو يصيح :

« استغفر ربك يارجل .. هل تعتقد انى ساحر فأتنبأ بالغيب .. » .

انها عقدة السحر والساحرات الشريرات في سقطرى .. اراد الرجل المسكين ان ينفيها عن نفسه على رؤوس الاشهاد .. وكم من مرة عانت النساء الطاعنات في السن من هذه التهمة الباطلة، فالمرأة المتهمة بالسحر تنقل الى ساحل البحر ، ويوضع على ظهرها وصدرها ورجليها اثقال مختلفة ، وتحمل في مركب صغير مع بعض الغواصين ، وعلى مسافة قريبة من الساحل تلقى المرأة بحملها في الماء ، فاذا استطاعت السباحة الى الشاطىء فهذا اثبات انها ساحرة ، لان ابليس هو الذى ساعدها على السباحة حتى لاتموت .. اما اذا غطست في الماء وبدأت تغرق فهذا يثبت انها بريئة ، فينزل الغواصون لانقاذها .. وكان عقاب المرأة الساحرة هو القاؤها من فوق هاوية راس كور غرب حديبو ، ثم استبدل هذا الحكم بالنفى من الجزيرة .. اما الآن فقد الغى هذا التقليد تماما .

تجربة قاسية مريرة

وتابعنا تسلق الجبل مترجلين ، رحمة بالجمال التى تتسلق امامنا صخورا يعجز عن تسلقها الانسان .

وانحرفنا عن طريق الجمال الى « جيز"عة » ، اى طريق مختصر للسير على الاقدام ، يرافقنا دليلنا عامر .. نتسلق ونقفز من حجر الى حجر .. الغيوم واطئة .. الرطوبة زائدة .. والحركة المتواصلة تزيد من حرارة الجو فتجعله سياطا من اللهب .. خلعنا القمصان وسرنا عراة الصدر مثل اهل البلد .. الماء القليل الذى حملناه معنا نفد عن آخره .. والجمال اصبحت بعيدة .. الحلق كاد ان يجف من فرط الظمأ .. كنا على استعداد لدفع اى ثمن مقابل كوب ماء .. لا داعى ان يكون مثلجا .. وانما ماء فقط .. حتى لو كان ماء ساخنا !!

وهتف عامر الذى كان يسبقنا : « ها هو نبع الماء امامنا هنا » .. واندفعنا بدون وعى بملابسنا

واحذيتنا نشرب ونشرب .. لقد شربنا اكثر مما تشرب الجمال ! غير عابئين بالقواقع والاسماك الصغيرة ولا بالسلطمون (ابو جلمبو) الحمراء والسوداء التى تعيش كلها في مياه العيون العذبة على ارتفاع ٤ آلاف قدم ..

ام سبعة وسبعين !

وآخيرا تقابلنا مع الجمالين والجمال في منطقة « قيشن » بعد ان ادمت الاحذية المبللة ارجلنا .. كان الجمالون يفكون الاحمال من على ظهور الجمال، فهنا فى « قشن » سننام .. انها المحطة الاخيرة قبل الوصول الى قمة جبال الحجهر .. لم يكن في قشن اى اثر لقرية او حتى لمنزل ، وانما كهف صغير وبئر ماء ، ومكان لعمل الشاى على الحطب ، وصخرة هائلة سوداء نقشت عليها بعثة جامعة اكسفورد تاريخ وصولها الى المنطقة عام ١٩٦٧ .

وبدانا نستعد للنوم ، اشعلنا الحطب في كل ركن لنمنع الحشرات ، ونجحت الخطة فسرعان ما شهدنا حشرة تتهادى وتقترب .. ، امسكها احد الجمالين بيده والقاها في النار .. وسالناه عنها فقال بكل بساطة : «انها ام سبعة وسبعين !»

تلكؤ ومماطلة

ورحنا في نوم عميق مفترشين الارض ومتدثرين بالاغطية الصوفية .. فالرياح تهب باردة في الليل .. وقمنا مع الفجر نوقظ الجمالين ، ليجمعوا جمالهم التى انطلقت خلال الليل ترعى في الجبال .. وبعد ساعة عادوا بها .. وبداوا في شرب الشاى وحزم السلال .. ان المشكل الاول مع الجمالين هو اعتقادهم انهم اذكى اهل الارض .. يتلكئون ويماطلون ، وينحرفون فى طرق طويلة ، لكسب الوقت وزيادة عدد ايام الرحلة ، لان الايجار اليومي للجمل الواحد هو دينار .

ذكاء فطرى !

ومن قصص ذكائهم الفطرى التى عانينا منها هذه القصة : حدث ان سارت الناقة التى اركبها على حجر مسنن جعلها تعرج في مشيتها ، فالتفت الينا سعد جمعة قائلا : « الناقة متعبة .. هل لك ان تنزل وتسير على قدميك لتخفف عنها ؟ » .

واصاب كلامه وترا حساسا ، فان مشهد الحيوان المصاب يؤلمنا اكثر من الم الجرح المتقيح في القدم نتيجة ابتلال الحذاء في الماء .. ونزلنا



انتشرت بين نساء العالم تقليعة تدعو الى وضع عشرة خواتم في اصابع اليدين .. وظن الناس انها تقليعة حديثة ، ولكن نساء سقطرى سبقن نساء العالم بعشرات السنين في تطبيق هذه التقليعة .

راضين من على ظهر الناقة المتألمة .. نسير خلفها ونعرج مثلها متعبين مرهقين .. ولكننا ماكدنا نسير بضع خطوات حتى شهدنا منظرا اثار اعصابنا .. سعد جمعة يقفز فوق ظهر الناقة ويضربها بالخيزرانة فتنطلق به كالريح .. ولم نستطع اللحاق به الا بعد اربع ساعات .. عند قمة الجبل .. على ارتفاع خمسة الاف قدم !

دم الاخوين

وعند القمة تماما راينا لاول مرة شجرة دم الاخوين .. تقف فخورة مزهوة .. فهي من الاشجار النادرة في عالم اليوم .. واقتربنا منها وتاملناها فوجدناها شجرة جريحة متألمة متعالية على آلامها ..

جذعها ينزف دما احمر ، بينما اوراقها تمتد مشرعة متحدية .

ان الاهالى يجرحون جذعها بالسكين لينزف مادة راتنجية (مادة شبيهة بالصمغ) تميل الى اللون الاحمر الداكن . لا تلبث ان تتجمد فتصبح صلبة هشة على هيئة كتل صغيرة مثل الصمغ العربي ، ليس لها رائحة ولا يكاد يكون لها طعم .. يصدر الاهالى كميات قليلة منها الى عدن ، حيث يعاد تصديرها الى العالم الخارجى الذى يعمل

الى اليمين : انه ليس نجما سينمائيا .. ولكنه عبد الله جمعان من صميم بادية سقطرى .. انتقل مع بعثة الزراعة الى مزارع عدن ليتعلم هناك طريقة الزراعة ، ثم يعود الى بلاده ثانية . انه يمثل العربي الاصيل بكل تقاطيعه .



الى اسفل : تعمل المرأة طوال اليوم في البادية : تنقل الماء من البئر الى المنزل ، وتخض اللبن لاستخراج الزبد ، وتجرى وراء الماعز والاغنام في الجبال تراقبهم وتبحث عن الشارد منهم .. انها حياة كلها حركة وتعب .. أما مساحيق الوجه ، فاللون المفضل هو « الكركم » الاصفر .. كما ترى في الصورة .





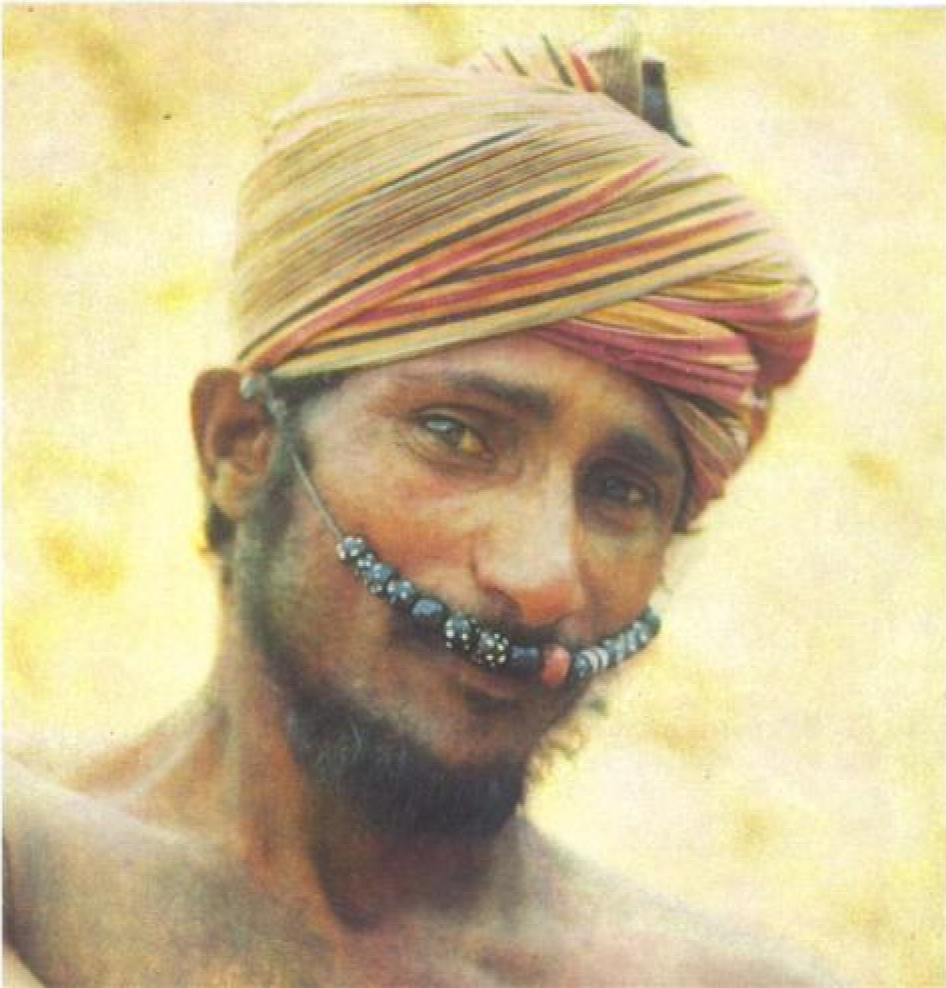
الى اليسار : سالم الدعرى يدخن التمباك بالغليون المحلى المصنوع من غصن شجرة السلو بعد تفريغها ، وراس الغليون مصنوع من الطين . ويدخنون التمباك في شهقة واحدة فقط .





الى اليسار : ٢٠ الف رجل وامرأة تقريبا ، يعيشون في بادية سقطرى ، بعيدا عن كل ما يمت الى هذا العصر بصلة !

الى اسفل : سعيد بن سالم ، يضع « المقد » تحت الفه ليمنع دخول ذبابة ديمازر الاسترالية الى حلقه التي تصيبه باختناق شديد في حالة تسللها .. وتكثر هذه الذبابة عند حلب الغنم .



على تصنيعها واستعمالها مادة مطهرة قابضة للثة ، ملونة للورنيش ولمساحيق الاسنان ..

اما ابن سقطرى فيطحن دم الاخوين ، ويضع مسحوقه على جراحه وجراح ماشيته لتلتئم ، كما يستعمله لتلوين وزخرفة اوانيه الفخارية .

البادية تشتهي ان تتقدم

وتحت ظلال « دم الاخوين » جلسنا نتحدث مع اربعة من ابناء البادية : سالم الدعرى ، محمد الدعرى عيسى الدعرى ، يحيى الدعرى .. وكلمة الدعرى نسبة الى منطقة دعرهو التي تتوسط الجزيرة تماما ..

وبدأ الرجال الحديث بسؤال تقليدي تعودناه من ابناء البادية : « ما عندكم دواء ؟ » .

وكشف احدهم عن قدمه المتقيحة نتيجة جرح كبير لم يعالجه احد ، ووضعنا له قليلا من صبغة اليود فاستراح قبل ان تبدأ المادة المطهرة تؤتي مفعولها !

الى اسفل : طاحونة او رحى ، من العصر الحجرى ، مازالت تستعمل في القرن العشرين .. في بادية سقطرى !



قلنا : « لماذا لاتزرعون ارضكم .. ولماذا لاتتعلمون ؟ » .

واندفعوا بصوت واحد ينفون هذه التهمة قائلين بلهجتهم العربية الخاصة : « نحن بغينا (اردنا) التعليم .. نحبوا المدارس حق العيال بنات واولاد .. نشتهي من الله ومن حكومتنا ، ومنكم ان نتعلم .. البادية تشتهي ان تتقدم .. تشتهي ان ينتهي تأخرها ..

« أما الزراعة فما عندنا فهم .. نحن في جزيرة متأخرة .. وما في « دري » (اى لا توجد حبوب) .. والزراعة ما هي عيب .. وهل يمكن ان يكون الاكل عيبا ؟؟ انا اشتهي اعلم زراعة القطن .. » .

لاقيمة للوقت

قلنا للرجال الاربعة : « وهل بلادكم بعيدة ؟ » .

فاجابوا على الفور : « ابدا دعرهو قريبة هنا ساعات قليلة .. انها وراء هذا الجبل .. »

وبدأنا نتحرك ظهرا ، ولم نصل دعرهو الا ثاني يوم ظهرا .. اى امضينا ٢٤ ساعة حتى وصلنا دعرهو !!

« ساعات قليلة » حسب قول ابناء بادية سقطرى .. ان الوقت لاقيمة له عندهم لانهم يجهلونه ، فنحن لم نشهد ساعة في يد اى شخص منهم .. لهذا تجده لا يعلم كم هي الساعة وكم هي الدقيقة ، وكم هي المسافة !!

الشرجي .. والتسامح

والواقع اننا لم نأسف على رحلتنا الى دعرهو ، فهي قلب البادية السقطرية .. تتكون من اربعة منازل حجرية فقط ، ولكن سرعان ما بدأ الناس يتوافدون من كل ناحية .. من الاكواخ والكهوف التي يعيشون فيها حول المنطقة .. ان دعرهو هي قرية دليلنا عامر .. وكان استقبالا حارا من امرأته واخته وقريباته سارعن الى تحيته باسلوبهن الخاص : « الشرجي » اى حك الانف بالانف .. وكم كان جميلا منظر الاب وهو يحك انفه بانف زوجته واطفاله بحنان زائد ..

ومن الطريف انه اذا هطلت الامطار وتقابل عدوان او خصمان في بيت او كهف ، فانهما يشرقان (اى يحكان انفيهما) ويتصالحان ويتناسيان عداوتهما ، لان الذى جمعهما هو المطر .. والمطر معناه الخير وليس الشر !



الى اليسار : ينزل ابن البادية من قمم جبال حَجْهَر الى حديبو العاصمة عندما يسمع بقرب وصول الباخرة التي تحمل طعاما .. وكثيرا ما تتأخر الباخرة فينام على الشاطىء وسط الحصى الكبيرة لمدة ١٠ أيام او اكثر في انتظارها .. وهؤلاء الاربعة هم من قبيلة الدعرى ، وقد جاء ذكرهم في المقال ، في طريقهم الى حديبو .

كرم حاتمي

وبدأنا نستعد للنوم في العراء واصر عامر على ان ننام في منزله ، فشكرناه ورجوناه ان يتركنا ننام في العراء .. وجاء من يقول لنا : « لا تناموا لان عامر يستعد للذبح خروف ومعزة احتفاء بوصولكم » ..

وكان الارهاق قد اخذ منا كل ماخذ ، فرجوناه ان يؤجل الذبح لظهر الغد .. واستمرت المحاورة بيننا زهاء الساعة ، اشترك فيها مرافقونا شكيب محمد اسماعيل من المحافظة الاولى ، وعبد الحميد نكاني من الخارجية ، ومحمد عبد القادر عرْجي من وزارة الثقافة ، وتدخل الحمالون ، حتى استطعنا في النهاية اقناع عامر بتاجيل ذبح الخروف الى الغد ..

الاغاني تحفظ تاريخ الجزيرة

وبدأنا نغط في سبات عميق ، ولكن اصواتا خافتة بدأت تتسلل الى اذاننا : « ايا واه .. يا وا .. اوا .. وا .. وا .. » والتفتنا فاذا بمجموعات من الرجال والنساء اللواتي ارتدين اجمل حللهن ، وكلهم جلوس على الارض في صفين متقابلين .. النساء من ناحية يغنين ، والرجال يجيبون عليهن . انهم يمكثون حتى ساعات متاخرة من الليل يرمثون ، اى ينشدون الاغاني السقطرية التي اخذت اصولها من التاريخ .. انها تاريخهم

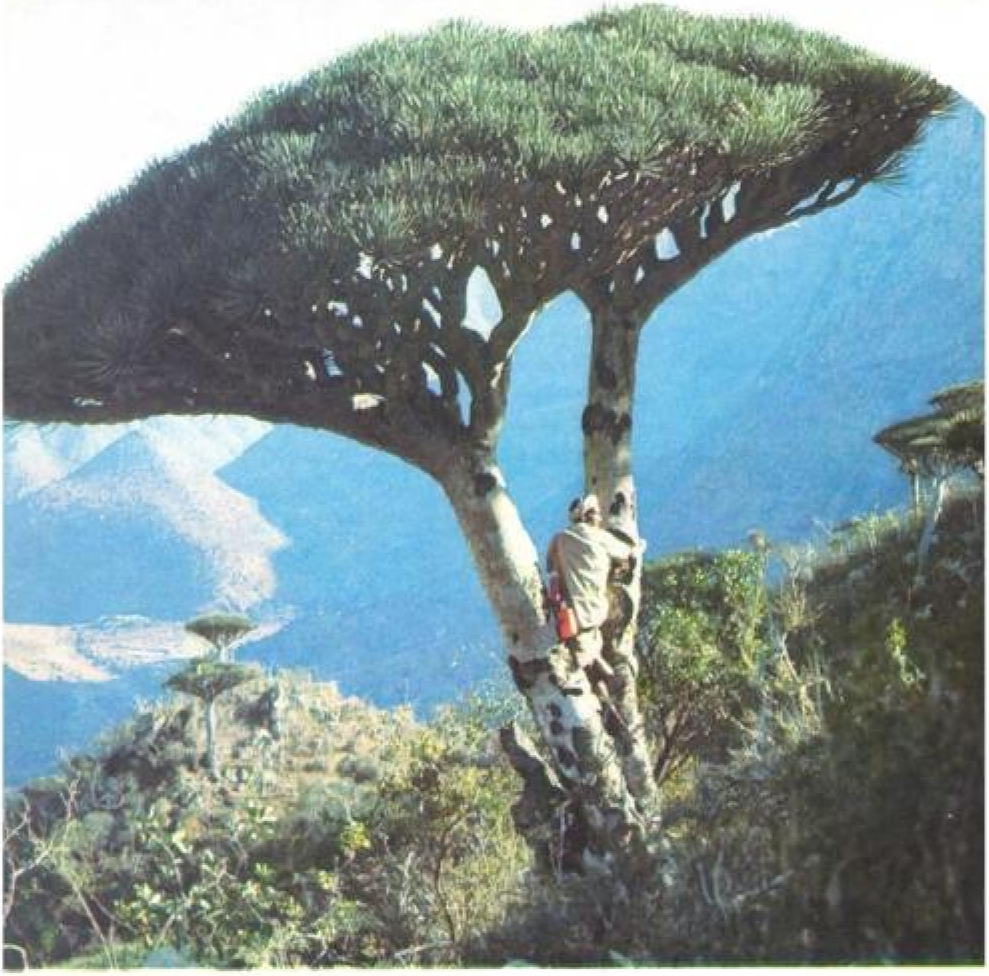


كانت الطبيعة سخية على بادية سقطرى ، وتغيرت في العام الماضي ، وبخلت حتى بقطرة من امطارها !!





يجد علماء النبات متعة زائدة في اكتشاف النباتات النادرة في الجزيرة .. وفي الصورة العليا نبات الصبر ، تقطع اوراقه فتنزف مادة الصبر على قطعة من جلد الماعز ، وتترك لتجف ببطء ، وبعد حوالي شهر يتكون الصبر ذو اللون البني ، وهو افخر انواع الصبر في العالم . يصدرونه للهند ويستعملونه مسهلا . والى اليمين شجرة تريمو Adenium السامة تنبت ، بين الصخور دون أن يزرعها احد .. جذعها لونه زئبقي جميل ، وازهارها ملونه بالوان اربعة ، اذا اكل الجمل ورقة منها مات في الحال . يستعمل الاهالي ازهارها لعلاج رمد العيون !





مفخرة سقطرى .. انها شجرة دم الاخوين .. تنبت باعدادها هائلة فوق قمم الجبال في منطقة عصا جالو ودِعْرْ َهو ، ويقول الاهالى ان هذه الشجرة موجودة منذ وجدت الجزيرة على الارض .. وهم يعمدون الى احداث «جرح» كبير في جذعها ، تنساب منه مادة لزجة حمراء اللون تتجمد مكونة قصوصا حمراء داكنة هشة ، يباع الرطل منها بثلاثة شلنات .. وارتفاع الشجرة يتراوح بين ٦ و ٩ امتار ، وتنمو احيانا بجذع واحد او اكثر ، ويطلق عليها الاهالى اسم (عريب) وذكرها بعض الكتاب باسم العَنْدَم والايدع ، اما الاوربيون فيطلقون عليها اسم Dragon's Blood اى « دم التنين » .

غير المدون ، الابناء يحفظونها من الآباء والاجداد .. يتحدثون عن كسرى انو شروان وقواته التي جاءت لمساعدة سيف بن ذى يزن في طرد الاحباش من اليمن ، وكيف نفوا الاسرى والعصاة الى جزيرة سقطرى ، واوثقوا ايديهم واقدامهم في القلاع ، فكانت تاوهاتهم واناتهم وحشرجاتهم يتردد صداها بين وديان وجبال سقطرى .. وا .. ياوا .. وانانا .. اناتيا .. يستعطفون قوات كسرى دون طائل .

ايش الفايدة

ومن التقاليد التي سجلتها الاغاني ، عادة ذبح الابقار والاغنام وتوزيعها على الاقارب عندما يموت انسان ، تقول الاغنية باللهجة العربية المحلية :

« ليش (لماذا) يبكوا عليه .. وايش يسووا فيه .. لقد صار من امر الله . كل واحد بتوفي يذبحوا عليه غنم كثير .. ايش الفائدة ، وليش تذبحوا عليه .. ليش ما تطلبوا ربكم في هذا الغنم من اجل انزال المطر .. المطر ساعة ما ينزل تنفتح السماء ، وتعم الارزاق .. » .

اشكر ربك ..

وفي الصباح اتجهنا الى بئر الماء لنغتسل ، واخرجوا الماء من البئر في دلو مصنوع من جلد الماعز ، الثقوب فيه لا تحصى كثرة ! ؟ وتطلعنا الى الماء فوجدناه اسمر اللون ، تتلاعب فيه حيوانات صغيرة ، فقلنا لعامر : « لماذا لاتنظفون البئر من الاقذار ؟ » .

فاجابنا بفلسفة مرة : « اشرب الماء الذى تحصل عليه ، وكُلْ الطعام الذى تصل يدك اليه .. واشكر ربك لان هذا الماء الملوث موجود ، وهذا الاكل الفاسد متوفر في جزيرتنا المتوحشة المتاخرة » !!

ذبابة ديعازر

وشاهدنا الصبية والرجال يضعون عقودا من الخرز تحت انوفهم ، فتعجبنا وسألنا عن السبب ، فقالوا : « انه حرز .. يمنع ذبابة ديعازر الاستوائية من التسلل الى الانف والفم ووضع بيضها في الحلق .. ولو حدث هذا فان المصاب يشعر باختناق ، لا ينقذه منه الا شرب جاز اللمبة ليقتل بيضها ! » .

وطبيب بعثة اكسفورد التي مكثت ٥٢ يوما تبحث وتنقب عن كل شيء في الجزيرة ، ذكر هذه الذبابة الاستوائية بقوله : « باعتقادى ان هذه الذبابة حشرة خيالية لا وجود لها .. » .

شلوه معكم

وجاء عامر الينا ومعه طفله الذى لم يتجاوز السادسة وقدمه لنا قائلا : « ابنى مريض .. اسنانه تؤلمه .. لماذا لا تشلوه (تأخذونه) معكم الى بلادكم الكويت .. انا متأكد انه عندما يطيب ويتقدم ، سوف يفيد الجزيرة اكثر من وجوده هنا .. » .

واسقط في يدنا ، ولم نستطع ان نعمل اكثر من اعطائه بعض حبوب الاسبرو وكل ما نحمله من بسكويت وحليب في محاولة للتخفيف من الام اسنان الطفل المسكين ..

والعلاج في البادية معدوم تماما ، لا يوجد فيها حتى مستوصف .. والدواء الشائع الى اليوم هو الكي بالنار .. ومن النادر ان تعثر على سقطرى ليست فيه آثار هذا الكي .. حتى الاطفال يكوونهم بالنار .. وما اكثر الكي الذى

هذا الصبي ، سالم بن علي ، من ابناء البادية انتفخت معدته فحاولوا علاجها بالكي ، ولكنها ظلت على ما هي عليه ، فنقلوه الى مستوصف حديبو ، وهناك قام المساعد الصحي سعد علي سلمان بعلاجه من انتفاخ المعدة ، ومن تقيح الجروح التي خلفها الكي !!



ترك آثاراً مؤلمة على الجسم فحولها الى جروح عفنة يستحيل على الشخص العادي مساعدة اصحابها .

انهم يحاربون عدوا يجهلونه .. والنار هي اكثر الاشياء تطهيرا - في اعتقادهم - فاعتمدوها دواء شافيا لكل امراضهم .. يكوون الاطفال باسياخ الحديد لانقاذهم من شلل الاطفال .. يكوون المرأة المتعسرة ولادتها بالنار ، حتى تسهل ولادتها .. يكوون الصدر لمعالجة السل !!

يكوون الخد الخارجي لمعالجة آلام الاسنان الداخلية .

وامراض العيون يختلف علاجها عن امراض الجسم، فالذي يصاب بالرمد يأخذونه تحت شجرة « التريمو » ينزعون وردتها ، فينساب منها سائل سام لزج الى العين المريضة مباشرة !

غير معقول ..

وتتعاظم المأساة ، عندما تلج داخل احد المنازل ، او الكهوف ، وترى كيف يعيشون .. وتتسلل من بين شفتيك كلمتي : « غير معقول .. غير معقول ان يعيش سبعة اشخاص في جحر مغلق ، مع جلد الماعز المجفف ، والتمر والسمن البلدي والذباب والبعوض » !! (انظر الصور)

عيك .. عيك

والمرأة في البادية تسير سافرة ، لها السلطة الاولى في المنزل ، ترتدي اجمل الملابس وتتحلى باقراط الفضة ، لعدم مقدرة زوجها على شراء الذهب .

وتحدثنا الى بعضهن وسألناهن : « لماذا لاتزرعن حول المنزل مثل شقيقتكن في حديبو ؟ » .

فقلن ببساطة : « مامندنا علِم (اي لا نعرف) اما بنت حديبو فتستمع للراديو .. اما احنا ما عندنا تهم للراديو ! » .

قلنا : « هل تشتهين تعلم الزراعة ؟ » .

فقلن بسعادة : عيك .. عيك .. (اي نعم .. نعم).

وودعناهن فقلن بصوت واحد : « مستكرم .. مستكرم .. » اي شكرا .. شكرا .

الاتكال على الله

وفي طريق العودة قابلنا اعدادا كبيرة من ابناء



نور دعيسوس .. ينطفئ نورها وتذبل بسرعة .. انه السل اللعين يفتك بها ، لم تستطع الانتقال لمستوصف حديبو ، ولم تأخذ اي دواء .. «المعلم» في دمرهو ، كتب لها حرزا تراه بيدها ، وطفلها في حجرها يلتقط منها الميكروب القتال !!

البادية اجرينا معهم احاديث كثيرة ، من الصعب روايتها كلها لضيق المكان ، ولكنا نكتفي بهذا الحديث لدلالته .

سألنا احدهم : « ما اسمك » ؟

اجاب : « ليش بتسالني » .

وشرحنا له مهمتنا ، ولكنه اصر على عدم ذكر اسمه . انه شاب لم يتعد العشرين من عمره كل ما يملك هو فوطة ملونة يغطي بها نصف جسمه ، يضع فيها سكينا ..

قلنا : « هل انت سعيد في حياتك ؟ » .

فقال : « وكيف .. انا مبسوط جدا والحمد لله » .

قلنا : « ماذا تعمل ؟ » .

قال : « كل شيء اعمل .. اذا علمتوني الزراعة اعمل مزارع ، واذا كان تشلوني للبحر اعمل في البحر .. كل شيء اعمل .. » .

كان يجلس وامامه ثمانية حبات من التمر ، وانضم الينا في الحديث رجل آخر جلس يستمع

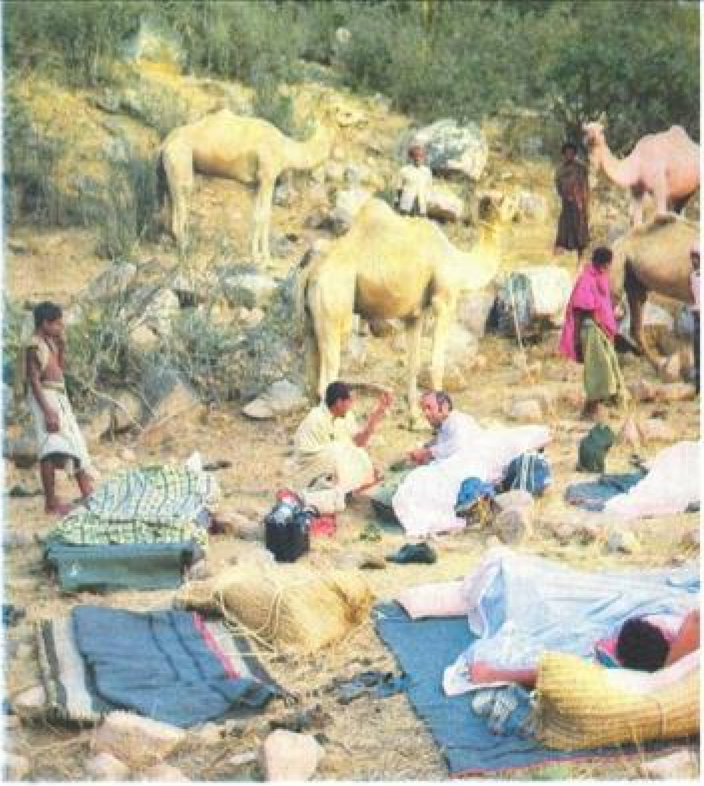


الى اليمين : المرأة في البادية تختلف عن اختها في المدينة ، فالبادية لم تعرف الحجاب ، لان عمل المرأة يجعل من الحجاب معوقا لها ، فهي تتسلق الجبال وتجمع الاحطاب ، وتجري وراء الماعز والخراف .. وهذه صورة فاطمة بن جمعان ، بكامل زينتها ..

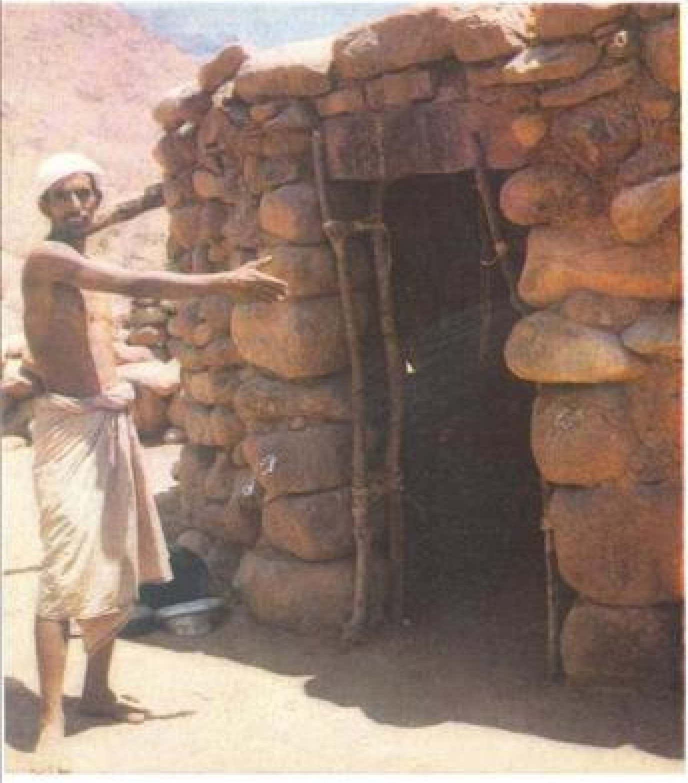


الى اسفل : من الممكن ان تمد سنقطرى بقية اجزاء الجمهورية بحاجتها من اللحوم اذا اعتنى بتحسين نوعية ابقارها وماعزها وخرافها ، وفي الصورة مجموعة من الماعز الوحشي الذي يربيه الاهالي بصعوبة





الى اليمين : ليس في البادية ، اى مكان يصلح لنوم رغيد .. حتى منازل الاهالي لاتصلح .. وعندما قالوا لنا : سننام في "ثيشين" ، تخيلنا ثيشين قرية صغيرة ، ولكننا وجدناها قطعة ارض فسيحة وضعنا عليها الاغطية الصوفية ، ورحنا في سبات عميق غير عابئين برغاء الجمال .. ولا بغناء الجمالين .. ولا بأم سبعة وسبعين !!



الى اليسار : « .. تفضلوا .. خذوا هذا المنزل واجعلوه اول مدرسة لتعليم اولادنا وبناتنا .. نحن نشتهى التعليم .. نشتهى ان نتقدم . ساعدونا »
هكذا قال لنا عامر بن احمد بن سالم بن علي بن حمد بن دعرى ـ !! ـ لقد سافر الى عدن وادرك ان التطور لن يتم الا بالتعليم ، فشيد هذا المنزل ليكون مدرسة فى البادية .. وفى حديبو قمنا بعملية بحث عن استاذ يقبل العمل في دعرهو ، فوجدنا من يقبل العمل بمرتب ٤٠ دينارا شهريا لمواجهة صعوبة الحياة هناك .. والكتب المطلوبة هى اربعين كتابا لاربعين طالبا في الصف الاول .. اى ان المطلوب ٤٠ دينارا شهريا و ٤٠ كتابا ليبدأ تعليم البادية ـ ٤٠ دينارا تبدأ بها عملية انتشال شعب من الجهالة ..



عريس وعروسه لم يبلغا سن الخامسة عشرة بعد ، ومع هذا تزوجا .. ويعتقد البدوى ان المرأة الجميلة يكون قلبها صافيا مثل وجهها !

فشاهد التمرات الثمان فبدأ ياكل منها دون استئذان صاحبها ، الذى لم يجد اى غضاضة فى هذا التصرف ..

واشعل الشاب غليونه ، قلنا له : « من اين لك هذا التمباك ؟ » .

قال : « اشتريته بالفلوس » .

قلنا : ومن اين لك الفلوس ؟ » .

قال : « الله ينزل الفلوس .. اليس الله هو الذى غدانى وعشانى ؟ » .

قلنا : « اين تنام ؟ » .

قال : « الله اعلم .. ارض الله واسعة » ..

فقر مشترك

وجلسنا نفكر ونحاول البحث عن حل لمشاكل جزيرة سقطرى .. انها تركة مثقلة ورثتها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية من استعمار بريطانى بدأ منذ عام ١٨٣٤ ولم ينته الا بعد ١٣٧ عاما ، اى فى عام ١٩٦٧ وترك البلاد على نفس الحال الذى كانت عليه عام ١٨٣٤ لقد توقفت عقارب الساعة طوال هذه الفترة فى هذه الجزيرة .. وكم من مرة كاد اهلها يموتون جوعا ، مثلما حدث عام ١٩٤٢ عندما مات اكثر من ١٠٪ من اهل البادية جوعا ..

والناس ماتوا جوعا لانهم لم يجدوا من يعلمهم طريقة شق الارض ، واخراج الطعام ..

والبدو فى الجبال ليس عندهم المال الكافى لخزن مؤنة ستة شهور عجاف ، تغلق فيها الجزيرة سنويا ، بسبب الاعاصير والانواء ..

ان الذى يعزى ابن سقطرى هو ان الفقر مشترك بينهم جميعا تقريبا ، لهذا لايشعرون بالفرق فيما بينهم ، والمؤلم ان هذا الفقر سيستمر مادام الاصلاح فى الجزيرة يكاد ينعدم .

لها رب

ان التركة المثقلة التى ورثها النظام الحالى فى اليمن الديمقراطى تجعل من الصعب عليه توجيه عناية كبيرة الى الجزيرة ، فهناك مشاكل هائلة تعانيها ست محافظات اخرى متأخرة فى حاجة الى اصلاحات سريعة .

اما سقطرى فان لها ربا سوف يوجه نظر الاشقاء العرب والامم المتحدة الى ضرورة مساعدتها للنهوض بها من غفوتها الطويلة .. !

واعيباه

وعدنا الى حديبو ــ او تمارا كما كانوا يطلقون عليها قبل القرن التاسع عشر ــ عدنا اليها بعد ان قطعنا نحو ٧٨ ميلا على الاقدام وفوق ظهور الجمال فى ستة ايام .

عدنا ومازالت اصداء صرخات محمد الدعرى تدوى فى آذاننا وهم يكوونه بالنار لعلاج اسنانه .

عدنا ومازال صوت سعال على عيسى يطرق آذاننا .. انه السل ياكل صدر الطفل بهدوء دون ان يعالجه احد .

عدنا ومازالت صورة عامر الدعرى مرتسمة امامنا وهو يقدم لنا ابنه قائلا : « خذوا ابنى .. شلوه معكم .. عالجوه .. علموه .. وربوه .. » .

عدنا ومازالت تأوهات اغنية الرمثة تدوى فى آذاننا : « يا .. ياوا ياو .. تا . ياتاليا » .

واعيباه .. انقى اصولنا العربية تموت دون ان يساعدها احد

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع

ثورة زراعية تعتمد على ابحاث في الخلايا النباتية

● يقوم عدد من علماء النباتات في جامعة نوتنجهام الآن باجراء تجارب علمية لتهجين خلايا النباتات وذلك لانتاج نباتات مهجنة . واذا نجحت هذه التجارب فيمكن ان نرى في المستقبل القريب انواعا جديدة من النباتات لم يشهدها العالم من قبل، فمثلا تؤدى عملية تهجين القمح والذرة الى انتاج حبوب شبيهة بالقمح تنمو على قمع شبيه بكوز الذرة ! ولا يقتصر الامر على هذا بل ان هؤلاء العلماء يجرون تجاربهم الآن على تهجين الخلايا النباتية مع الخلايا الحيوانية . . والناتج لا احد يعلم او يتصور ماذا سيكون ولكن ربما يؤدى في النهاية الى ابقار خضراء تتغذى عن طريق التمثيل الكلوروفيلي او الى نبات يمشي على الارض !! خيالات علمية لطيفة لم تخرج بعد الى منطقة البحوث الجارية على قدم وساق .

ان هذه التجارب المعقدة التي يقوم بها الفريق الذي يتزعمه عالم الكيمياء ادوار كوكنج Edward Cocking باجرائها قد تؤدى الى ثورة زراعية شاملة ، وقد تؤدى في النهاية الى حل مشكلة نقص المواد الغذائية في عالم يزداد عدد الافواه الجائعة فيه يوما بعد يوم .

وكوكنج الذي يتزعم هذه المجموعة من علماء النبات شاب لا يتعدى عمره الاربعين عاما، لم يكن في الاصل عالم نباتات ولكنه متخصص في الكيمياء الحيوية ولكنه كان يقوم بدراسات مسائية في علم النبات مما جعله يهتم بالكيمياء الحيوية للنبات . وقد استرعى نظره التشابه الكامل للمادة الحية الاساسية في خلايا النبات مع مثيلاتها في خلايا البكتريا . وخصص كوكنج وقتا طويلا لدراسة خلايا النبات ومادتها الحية الاساسية «البروتوبلازم» واستطاع اكتشاف طريقة لاستخلاص هذه المادة تعتمد على استعمال الانزيمات بدلا من الطرق الميكانيكية التي تقوم على انتزاع هذه المادة من خلايا النبات .

فريق علماء النبات في جامعة نوتنجهام يتوسطهم البروفسور ادوار كوكنج وهذا هو الفريق الذي يأمل بتجاربه على الخلايا النباتية ان يحقق ثورة زراعية كبيرة .



وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى طريق نجاحه فى دمج المادة الحية لخلية نوع من النبات مع مادة حية لخلية من نبات آخر .

وقد اكتشف فريق علماء نوتنجهام ان مادة نيترات الصوديوم تساعد على سرعة اندماج المواد الحية للخلايا النباتية التى من اصل مختلف .

ان هذه التجارب التى تجرى الآن فى نوتنجهام قد تؤدى الى جعل نتائج الثورة الخضراء ، التى تحدثنا عنها فى العام الماضى والتى كان من نتيجتها ان استطاعت كثير من الدول النامية ان تضاعف انتاجها من القمح والحبوب الغذائية ، شيئا لا يقاس بما يمكن ان يحققه نجاح تجارب انتاج انواع لم يرها الانسان من قبل من النباتات .

كيف يتاقلم الانسان لمواجهة نقص الاكسجين في المرتفعات ؟

● من المعروف ان النقص النسبى للاكسجين فى الاجواء المرتفعة يسبب ضيقا فى التنفس وشعورا بالاجهاد للبشر الذين تعودوا العيش فى السهول او الاماكن القليلة الارتفاع وخاصة اذا ما حاول هؤلاء القيام بمجهود جسمانى فى الاجواء المرتفعة . ومن المعروف ايضا انه خلال مدة اسبوعين يستطيع الجسم ان يتاقلم على النقص النسبى للاكسجين فى الاجواء المرتفعة ويقوم بانتاج كميات اضافية من كرات الدم الحمراء لكى تحمل كمية اكبر من الاكسجين الى انسجة الجسم وبذلك يتم القضاء على الشعور بالاجهاد وضيق التنفس .

واخيرا استطاع العالم ماكس بيروتز Max Perutz ان يكتشف وجود عملية اقلمة سريعة تتم فى جسم الانسان بالنسبة لانخفاض نسبة الاكسجين فى الجو .. وقد تم هذا الاكتشاف اثناء قيامه بتجارب واسعة على بلورة هيموجلوبين الدم والتى قام بها فى جامعة كمبريدج بانجلترا .

لقد استطاع بيروتز ان يفترض وجود عملية ميكانيكية يقوم الهيموجلوبين عن طريقها بانتزاع الاكسجين وثانى اكسيد الكربون اثناء مرورهما بكرات الدم الحمراء ..

ويفترض بيروتز باختصار ان جزىء الهيموجلوبين والذى يوجد منه عدة الاف فى كل خلية دم ، يتكون من ٤ سلاسل من البروتين تحتوى كل واحدة منها على ذرة من الحديد . وتستطيع كل ذرة حديد ان تحمل ذرة واحدة من الاكسجين ، وهذا يعنى ان جزىء الهيموجلوبين يحمل ٤ ذرات من الاكسجين .

وحيث ان شكل جزىء الهيموجلوبين كروى تقريبا فان سلاسل البروتين وذرات الحديد تكون مرتبة ترتيبا متماثلا متناسقا ، وعندما يتم فقدان ذرة من الاكسجين فان ذرة الحديد التى خلت من الاكسجين تنتفخ بنسبة ١٣٪ تقريبا ، وبسبب هذا الانتفاخ فانها تخرج من مكانها ، وهذا يسبب ضغطا على سلاسل البروتين الاخرى مما يسهل فقدان ذرة اخرى من الاكسجين . وعندما يتم فقدان الذرة الثانية من الاكسجين يزيد الضغط وتسهل هذه العملية فقدان ذرة اكسجين ثالثة وهلم جرا .. وعندما يتم فقدان ذرات الاكسجين الاربعة يصبح جزىء الهيموجلوبين مستعدا لقبول غاز ثانى اكسيد الكربون الذى يحمل بعد ذلك الى الرئتين ، غير ان هذا الهيموجلوبين غير المؤكسد يصبح اقل استقرارا من الهيموجلوبين المؤكسد ، ومنذ عامين تقريبا تم اكتشاف ان جزيئا آخر يسمى

ثانى فوسفات الجليسرات Diphosphoglycerate ، يقوم باعادة استقرار وتوازن الهيموجلوبين غير المؤكسد . ووجد ان هذا الجزء يسهل عملية الانتقال من حالة الاكسدة الى عدم الاكسدة بالنسبة للهيموجلوبين .

ومن الغريب أنه عندما تنخفض نسبة الاكسجين فى الجو فان الهيموجلوبين يقاوم عملية اخراج الاكسجين الذى يحمله . وتسبب هذه المقاومة المتاعب الفسيولوجية للجسم فى الاجواء المرتفعة . ولكن افراز جزيئات ثانى فوسفات الجليسرات .. يزيد وينشط عند نقص الاكسجين ، وتؤدى زيادة هذه الجزيئات الى اعادة توازن الهيموجلوبين والى وصول الاكسجين الى انسجة الجسم بصورة شبه عادية .

وقد بينت ابحاث بيروتز ان زيادة افراز ثانى فوسفات الجليسرات تتم داخل الجسم فى خلال ساعتين فقط من التعرض لنقص الاكسجين وتؤدى زيادة نسبة هذه الجزيئات الى عملية اقلمة سريعة مؤقتة للانسان عند تعرضه لنقص الاكسجين الى ان تتم عملية زيادة كرات الدم الحمراء داخل الجسم خلال ايام معدودة .

ومن هذه الظاهرة .. ومن نجاح الاستاذ بيروتز فى تفسيرها نستدل على ما فى الحياة من احتمال قيام الجسم بموازنات كثيرة عندما تضيق به الظروف كأن يقل الاكسجين كلما صعد الانسان فى الاجواء العليا .



برنامج الفضاء السوفيتى يستهدف اقامة محطات فضاء تجعل الارض كلها تحت مراقبتهم !!

● اثبتت الرحلة التى قامت بها مركبة الفضاء السوفيتية المأهولة سويوز ١٠ Soyuz 10 فى الاسبوع الاخير من شهر ابريل الماضى ، وكذلك رحلة سويوز ١١ والتى تمت فى شهر يوليو الماضى ، والتجارب التى قامت بها للالتحام بمحطة الفضاء ساليوت ، وهى غير مأهولة ، انها ليست الا تجربة من برنامج سوفيتى طويل الامد لانشاء محطات فضاء كبيرة تكون حجر الزاوية فى برنامج غزو سوفيتى للفضاء ، وتكون بمثابة محطة تموين لمركبات غزو الكواكب المحيطة بالارض علاوة على فوائدها الاقتصادية والعلمية والعسكرية فى مراقبة الارض كلها من الفضاء . ويقوم العلماء السوفيت بابحاث عملية لاتمام هذا

البرنامج الفضائي الضخم . ومن الابحاث التي يقومون بها العمل على بناء قاطرات فضائية تستطيع القيام بعمليات الانقاذ في الفضاء وكذلك نقل الاجزاء المختلفة الخاصة بمحطات الفضاء وتجميعها هناك .

ومن اهم الخطوات التي يعمل السوفيت من اجل تحقيقها بناء معمل نصف آلي يستطيع رواد الفضاء اللجوء اليه اثناء رحلاتهم حيث يقوم المعمل بفحص معداتهم وكذلك القيام بالبحوث العملية التي تتطلبها مهام رجال الفضاء في رحلاتهم هذه . والمشكلة التي تواجه العلماء السوفيت الآن هي عدم مقدرة رجال الفضاء على البقاء في الفضاء الخارجي لمدد طويلة ويقول المهندس السوفيتي اوليج نفزوروف Oleg Nevzorov ان بقاء رجل الفضاء لمدة ٣٠ يوما في الفضاء هي الحد الادنى المطلوب الآن لتنفيذ الخطوات الاولى من مشروع محطات الفضاء .

وتدل التجارب الفضائية الاخيرة للاتحاد السوفيتي على ان العلماء السوفيت قد بدأوا في تنفيذ مشروع فضائي ضخم يتيح لبلادهم وضع الارض كلها تحت رقابة دقيقة وتحت عدسات آلات التصوير المتعددة الاطياف والعدسات الاخرى الشديدة الحساسية .

اما نتائج هذا البرنامج الضخم فهي نتائج متعددة تشمل الميادين الاقتصادية والعلمية والعسكرية وكذلك يمكن استغلالها سياسيا للتأثير على الدول النامية عن طريق مساعدتها في اكتشاف واستغلال مواردها الطبيعية المدفونة .

وبتحليل ما نشره السوفيت عن محطات الفضاء يمكن تلخيص الاغراض التي ستستغل هذه المحطات لتحقيقها في النقط التالية :

١ ـ النواحي الجغرافية وما يتبعها من عمل خرائط دقيقة لكل بقعة في كوكب الارض والكواكب الاخرى .

٢ ـ النواحي الجيولوجية واكتشاف مصادر البترول والغاز والمعادن الاخرى .

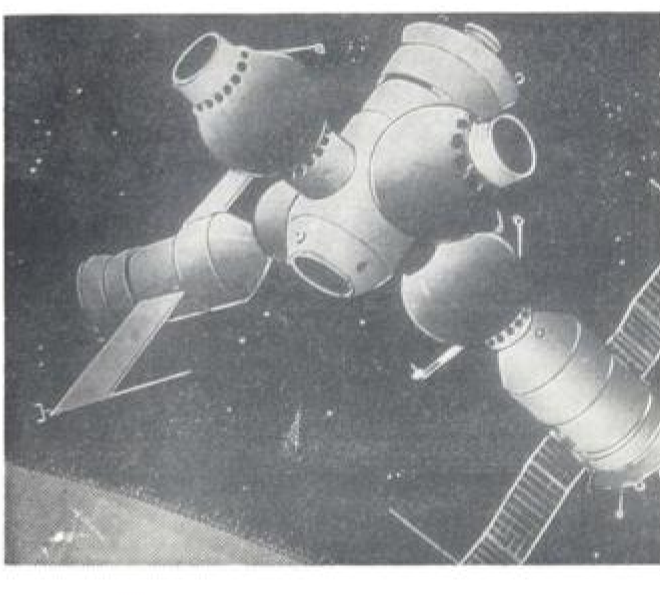
٣ ـ مسح شامل لمصادر المياه والجليد .

٤ ـ التنبؤات الجوية .

٥ ـ التكنية البحرية ودراسة مصادر الثروة في المحيطات .

٦ ـ النواحي الزراعية والتحكم في المحاصيل الزراعية وامراض النباتات .

٧ ـ الانذار المبكر بالنسبة للاعاصير وحرائق الغابات والفيضانات وتلوث الجو ومياه البحر .



محطة فضاء سوفيتية من طراز « ساليوت » ويظهر في الصورة ٤ مهابط لسفن الفضاء تمكن ٤ سفن للارتباط بالمحطة في وقت واحد

٨ ـ اجراء تجارب بيولوجية وطبية تحت حالة انعدام الوزن .

٩ ـ ابحاث كيماوية وطبيعية .

١٠ ـ انتاج معادن رغوية Foam Metals تحت حالة انعدام الوزن .

١١ ـ بحوث فلكية وفلكية طبيعية تشمل الفضاء الخارجي كله .

١٢ ـ عمليات الانقاذ فى الفضاء الخارجي .

١٣ ـ عمليات تجميع سفن الفضاء واعادة تزويدها بالوقود واطلاقها وذلك من الفضاء نفسه .

١٤ ـ التحكم فى عمليات الفضاء من الارض الى الفضاء وبالعكس .

١٥ ـ الاغراض العسكرية وتحسين عمليات الاستكشاف الحربى من الفضاء والتى ستتعدى عمليات تصوير القواعد العسكرية وقواعد الصواريخ من الفضاء والتى تتم الآن عن طريق الاقمار الصناعية ومن اهم الاشياء التى يتطلع اليها الاتحاد السوفيتى وامريكا فى هذا المجال هو امكانية اكتشاف الغواصات النووية تحت المحيطات من الفضاء الخارجى .

وهكذا يستمر سباق الفضاء بين كل من الدولتين العملاقتين امريكا وروسيا، كل واحدة منهما تحاول ان تحوز فيه قصب السبق .

أسرار جديدة عن «جورج مندل» ابو علم الوراثة

● سمع اغلب الناس عن جورج مندل George Mend ذلك الراهب الموراقى الذى ارست بحوثه على نباتات البازلاء فى القرن الماضى قواعد علم الوراثة. ولكن قلة من الناس هم الذين يعرفون ان مندل قد قام بوضع قواعده عن الوراثة موضع التجربة فى اواخر ايام حياته لانتاج أنواع جديدة من الكمثرى ذات خواص لا تزال هى الشائعة حتى اليوم .

وقد قام اخيرا عالمان تشيكوسلوفاكيان بازاحة الستار عن بعض اسرار مندل والتى كانت لا تزال مجهولة حتى الآن ، وذلك عن طريق التنقيب فى مذكرات بعض معاصريه . .

ومن الاسرار التى ازيح الستار عنها ان احد علماء البستنة كان يقوم خلسة بزيارة مزرعة الدير الذى يقيم فيه مندل خلال الفترة بين اعوام ١٨٧٩ و ١٨٨٢ للتجسس على تجارب هذا الراهب العالم ، وان هذا العالم اكتشف ان مندل قد قام بأكثر من ٥٠٠ عملية تطعيم بين اشجار الكمثرى والتفاح الموجودة فى مزرعة الدير .

وقد اثبتت سجلات الدير ان عمليات التطعيم هذه كان يقوم بها مندل فى محاولة للحصول على انواع من الكمثرى تتميز بحلاوة الطعم وبقدرتها على مقاومة الفساد .

وقد اثبتت البحوث التى قام بها العالمان التشيكوسلوفاكيان وهما الدكاترة فاورا Vaura وفورل Vorel من جامعة برنو ان الراهب مندل كان دائما ينأى بنفسه عن الدعاية لاكتشافاته . وأنه عندما فازت مزرعة الدير الذى يقيم فيه بجوائز معرض الفاكهة فى برنو عام ١٨٨٠ عن انتاجها من الكمثرى والتفاح ، رفض مندل قبول اية جائزة او حتى ذكر اسمه بين الفائزين .

واثبتت البحوث ايضا ان مندل كان عالم بستنة من الطراز الاول ولكنه كان دائما يبعد نفسه وابحاثه عن دائرة الضوء .

وهكذا جمع مندل بين اخلاق العلماء واخلاق الدين ، او اخلاق رجال الدين كما وجب ان يكونوا .

●●

طرائف

(لا) الكريم و (نعمُ) اللئيم

● قال يحيى بن خالد (لا) الكريم انجح من (نعَم) اللئيم ، لان (لا) الكريم ربما كانت في وقت غضب وابان سآمة و (نعم) اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نية وقبح مآل .

في صحابة

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم امتى بامتى ابو بكر . وأقواهم على دين الله عمر . واصدقهم حياء عثمان . واقضاهم على بن ابى طالب . واقرأهم أُبَيّ بن كعب . واقرضهم زيد بن ثابت .

نصائح

● قال وبرة المكى : كنت فى مجلس ابن عباس فقال كلمات لهى احب الي من الدُهْم الموقفة « اى الخيل المربوطة والتى لونها ادهم » قال : لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعا ، فرب متكلم بالحق فى غير موضعه قد عيب . ولا تمارين سفيها ولا حليما ، فان السفيه يؤذيك والحليم يقليك . ولا تذكرن اخاك اذا غاب عنك الا بمثل ما تحب ان يذكرك به اذا غبت عنه . واعمل عمل رجل يعلم انه مجزيّ بالاحسان ومأخوذ بالاجرام . فقال رجل عنده : يا ابن عباس . لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف .

اولادنا

● سأل معاوية بن ابى سفيان الاحنف بن قيس عن الولد فقال : يا امير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم نصول عن كل جليلة ، فان طلبوا فأعطهم ، وان غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم . ولا تكن عليهم ثقلا فيتمنوا موتك ، ويكرهوا قربك ويملوا حياتك .

فقال معاوية لله انت ! لقد دخلت علي واني لمملوء غيظا على يزيد ، ولقد اصلحت من قلبى له ما كان فسد . فلما خرج الاحنف من عند معاوية بعث معاوية الى يزيد بدراهم وهدايا فبعث يزيد الى الاحنف بنصفها .

عربية

الرسـول

واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابى ذر الغفارى . ولكل امة امين ، وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح .

يفرح لفوز لجامه

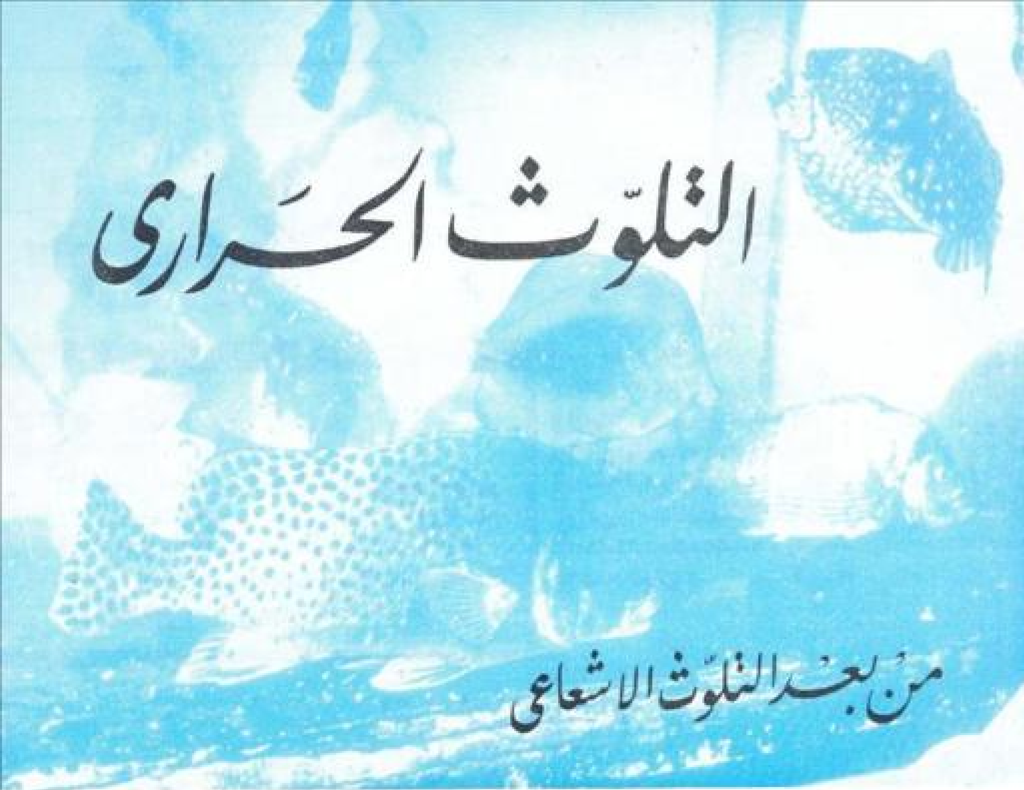
● قال الجاحظ : دعيت الى سباق فى الخيل . فوقفت مع النظارة اشاهد السباق والناس ، وكان بقربى احد الحمقى . فلما جرت الخيل ، طلع منها فرس سابق ، فاخذ الاحمق يكر ويثب من الفرح والسرور ، فقلت له يا بنى اهذا فرسك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لجامى .

اشتراه اصم ابكم

● حكى ان احد البخلاء ارسل ابنه يوما ليشترى له راسا من الطباخ ، فاشتراه وقعد فى الطريق فأكل عينيه واذنيه ولسانه ودماغه ، واحضر لوالده ما بقى ، فنظر اليه والده وقال : ويحك ما الذى اتيت به ؟ قال : الراس الذى طلبته . فقال : اين عيناه ؟ قال : كان اعمى ، فقال : اين اذناه ؟ قال : كان اصم ، فقال : اين لسانه ؟ قال : كان اخرس ، قال : اين دماغه ؟ فقال : كان نقيها بقرىء الصبيان . فقال البخيل : رده على صاحبه وقل له : اشتريناه بشرط البراءة من كل عيب .

العاقل والجاهل

● قيل ان للعاقل خصالا يعرف بها : يحلم عمن ظلمه ، ويتواضع لمن هو مثله ، ويسابق بالبر من هو فوقه ، واذا راى باب فرصة انتهزها ، لا يفارقه الخوف ولا يصحبه العنف ، يتدبر ثم يتكلم ، فان تكلم غنم ، وان سكت سلم ، وان عرضت له فتنة اعتصم بالله ثم تنكبها . وللجاهل خصال يعرف بها : يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبر فيندم ، فان تكلم أثم ، وان سكت سها ، وان عرضت له فتنة اردته ، وان راى باب فضيلة اعرض عنها .



التلوث الحرارى

من بعد التلوث الاشعاعى

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ كثر الحديث فى هـــذه الأيام عن أخطار التلوث الاشعاعى . وهى تلك الأخطار التى تنشأ نتيجة انتشار مواد اشعاعية فى الجو او فى الماء ، وعن آثارها الضـــارة على حيوانات الكائنات الحية جميعا ، من نبات وحيوان وانسان ، على ان هناك نوعا آخر من التلوث يسمونه التلوث الحرارى ، له اثره على حيوات الاحياء المائية خاصة . ومن راى علماء البيئة ان درجة الحرارة هى العامل الأساسى المسيطر على توزيع الأحياء على سطح الارض وفى مياه الانهار والبحار والمحيطات ، وان الاسماك بصفة خاصة، وهى من ذوات الدم البارد لا تستطيع ان تكيف درجة حرارتها بسرعة ، وانها الحساسة بصفة خاصة بالنسبة لدرجة حرارة الوسط الذى تعيش فيه .

والواقع ان كل نوع من الاحياء المائية يكيف نفسه للتغيرات الموسمية التى تطرا على درجة حرارة الوسط الذى تعيش فيه ، ولكنه لايستطيع ان يتكيف للتغيرات المفاجئة ، ولذا يخشى العلماء ان تتأثر الأحياء المائية خاصة ، نتيجة لنشاط الانسان في الصناعة ، وما تقذفه المصانع من مياه ساخنة ، او ما تستعمله هذه المصانع من مياه الانهار والبحيرات في التبريد ، مما يهدد الأسماك والأحياء المائية عامة . ومما يهدد كذلك التوازن الطبيعى لهذه الأحياء . وهذا ما نسميه التلوث الحرارى الذى تسببه المصانع ، وخاصة مصادر القوى الكهربائية ومولدات الطاقة ، ففى سنة ١٩٦٨ ، قدر ما استعملته مكثفات البخار في الولايات المتحدة الامريكية بنحو ستين الف بليون

جالون من الماء للتبريد ، وعلى ان هذا التلوث الحرارى لم يصل بعدُ الى حد الخطورة ، الا ان علماء البيئة ينظرون بقلق الى المستقبل ، حين تتزايد معدلات هذا التصرف او التلوث بتزايد الصناعات ومولدات الطاقة الكهربائية التى تعمل بالوقود النووي والتي يحتاج تبريدها الى استعمال كميات ضخمة من المياه . وقد قدّر انه في خلال الثلاثين سنة القادمة ، ستنتج مولدات الطاقة الكهربائية مليوني ميجاوات من الكهرباء ، وهذه تحتاج الى عشرين مليون بليون وحدة حرارية في اليوم الواحد (B.T.U) مما يرفع درجة حرارة المياه التى تصب فيها ، فتفقد نحو ثلث كميتهـا بخارا . ومن المعروف انه اذا زادت درجة حرارة الماء على ٣٣°م فان نسبة كبيرة من الاسـماك لا تطيق هذه الدرجة ، وفي مياه امريكا بالذات لا يكاد تعيش فيها الا اسماك من انواع خاصة في الجنوب . وان كثيرا من مياه انهار امريكا تصل درجة حرارتها الى ٢٨°م في حالتها الطبيعية ، على ان فاقد الحرارة من محطة توليد واحدة قدرتها الف ميجاوات كفيلة برفع درجة حرارة مياه نهر تصرفه ٣٠٠٠ قدم مكعبة في الثانية بمقدار ١٠ درجات . ولما كان من المنتظر ان ينشا عدد من هذه المولدات على شواطىء مثل هذا النهر ، فان مياه هذا النهر ستصبح غير صالحة لتوطن الاسماك .

التحول الغذائي

ومن المعروف كذلك أن عمليات التحول الغذائى الكائن فى الحى عموما ، وفي الاحياء المائية كذلك تنشط بزيادة درجة الحرارة وذلك بالطبع في حدود خاصة ، بل ليتضاعف بزيادة درجة الحرارة عشر درجات ويستتبع ذلك بطبيعة الحال شدة طلب هذه الأحياء للاكسجين ، وزيادة سرعة التنفس ، وقد اجرى أحد العلماء تجربة اثبت بها ان استهلاك سمك السالمون ، من الاكسجين قد تضاعف اربع مرات ، وذلك عند زيادة درجة الحرارة الى اقصى درجة يطيقها السالمون ، وفي اسماك أخرى تفاوتت كمية الاكسجين مع زيادة درجة الحرارة ، وان تكن بنسب اخرى ، وكثيرا ما تتخذ دقات القلب دليلا على زيادة عمليات الايض او التحول الغذائي . ففى بعض الاسماك زادت دقات القلب من ثلاثين دقة في الدقيقة عند درجة حرارة ٣٠°ف الى ١٢٥ دقة عند درجة حرارة ٧٢° ف ثم انتظمت عند ٦٥ دقة في الدقيقة عندما كانت درجة حرارة الماء ٩٥°ف وهى الدرجة المميتة لهذا السمك . وانما طرا هذا النقص في عدد الضربات نتيجة وهن السمك بتاثير الحرارة .

وتتضاعف متاعب السمك نتيجة ارتفاع درجـة الحرارة . اذ ان هيموجلوبين دمها تقل قابليتـه للاكسجين وبذلك يصبح اقل قدرة على منـح الاكسجين للانسجه . فزيادة الطلب على الاكسجين وضعف القدرة على الحصول عليه في درجـات الحرارة العالية . مما يشكل خطرا حتى علـى الاسماك التى تحتمل عادة العيش في قلة مـن الاكسجين تحصل عليه ذائبا في الماء فثمة نوع من السمك يحتمل الحياة في درجة ٣٣°ف وان درجة تركيز الاكسجين لا تزيد على نصف مليجرام من كل لتر من الماء ، الا انه يحتاج الى ١١/٢ مليجرام من الاكسجين في اللتر اذا ارتفعت درجة الحرارة الى ٩٥°ف . وهناك اسماك اخرى يمكن ان تعيش في وجود مليجرام واحد او مليجرامين في اللتر في درجة ٣٩°ف ولكنها تحتاج الى ثلاثة او اربعـة مليجرامات لتعيش في درجة ٦٥°ف ، والى خمسة مليجرامات ليكون عيشها راضيا .

اثر الحرارة على الشهية

كما ان لدرجة حرارة الماء اثرها على الشهيـة والنمو والهضم لدى الاسماك . وقد اجريت تجارب اقتفاء اثر الطعام الملون التى اثبتت ان نوعا من السمك تكون سرعة الهضم عنده في درجة ٧٩°ف اربعة امثالها في درجة ٥٠°ف ، حيث يحتاج الطعام الى ثماني عشرة ساعة ليعبر القناة الهضمية في درجة ٥٠°ف على حين انه يعبرها في اربع ساعات ونصف في درجة ٧٩°ف .

ويمكن الاستفادة من اثر الحرارة في فتح الشهية

وتحويل الطعام الى مادة تزيد في وزن السمك . وفي المزارع السمكية للحصول على اقصى انتاج من السمك ، فبعض الاسماك تبلغ الذروة في شهيتها للاكل في درجة ٥٠ – ٦٦°ف ، حيث يتحول اغلب الغذاء الذي تتناوله السمكة ، مضافا الى مادة جسمها فاذا حافظنا على درجة الحرارة في المزرعة السمكية في هذه الحدود بلغ المحصول السمكي اقصاه .

وكذلك يتوقف نشاط السمك وحركته على درجة حرارة الماء ولكل نوع من الاسماك درجة مثلى لنشاط وسرعة حركته . وبالتالي تؤثر على قدرته على مطاردة فريسته وتناول غذائه ، كما تؤثر على قدرته على التكاثر ، فبعضها تلائمه الدرجة العالية نوعا . وبعضها تلائمه الدرجة المنخفضة . اذ ان درجة الحرارة تؤثر على النشاط الوسمي للغدد التناسلية . وكل ذلك بشرط البعد نوعا عما يسمونه الدرجة الحرجة التي قد تكون مهلكة او مميتة . ولدرجة الحرارة اثرها كذلك على الزمن الذي يحتاج اليه البيض للفقس . فسمك السالمون الاطلنطي يفقس بيضه بعد ١٤٤ يوما في ماء درجة حرارته ٣٦°ف الا ان المدة تنخفض الى ٤٧ يوما في درجة ٤٢°ف ، والى ثمانية ايام في درجة ٥٨°ف. وسمك « تروت » يفقس بيضه بعد ١٦٥ يوما في درجة حرارة ٣٧°ف ، وفي ٣٢ يوما في درجة ٥٤°ف . الا ان درجات الحرارة البعيدة عن هذا المعدل ارتفاعا او انخفاضا تمنع النمو الطبيعي للبيض . وتقرر لجنة الاحياء المائية في كولومبيا ان سمك « سالمون شينوك » تصيبه كارثة اذا ارتفعت درجة حرارة مياه نهر كولومبيا اكثر من خمس درجات ونصف درجة . على ان لكل نوع من الاسماك ما يسمونه الدرجة الحرجة التي لا تطيب حياته عندها . فبعضها لا ينتج بيضا اذا ارتفعت درجة الحرارة على ٧٢°ف ، وبعضها لا تنقسم خلايا البيضة الملقحة اذا كانت درجة الحرارة بين ٦٨ – ٧٥°ف وبعضها الآخر يكف عن انتاج البيض اذا زادت درجة الحرارة على ٤٥°ف. وهناك حالة عجيبة يبديها نوع من القشريات يعرف باسم « جاماروس » اذ انه ينتج اناثا فقط اذا زادت درجة الحرارة على ٤٦°ف .

اثر الحرارة على الانتاج

وثمة اثر آخر لدرجة الحرارة على الاحياء المائية اذ انها تؤثر في اطالة عمر السمك او الكائن، كما تؤثر على انتاجه وقد حسب احد العلماء ان « دافنيا » تعيش ١٠٨ يوم في درجة حرارة ٤٦°ف ، و٢٩ يوما فقط في درجة ٨٢°ف .وثمة مقارنات ممتعة عن حيوات نفس النوع الذي يعيش في المياه الدافئة وذلك الذي يعيش في المياه الباردة.

ومن الخير ان نذكر ان كثيرا من الاسماك والاحياء المائية تستطيع ان تكيّف نفسها لتقبل درجة الحرارة الجديدة بشرط ان يكون التغير تدريجيا لا مفاجئا ، وان يكون معتدلا غير مسرف في الارتفاع او الانخفاض . فعندما نقل بيض الاسماك (من نوع معين) فجاة من درجة حرارة ٦٥ – ٧٠ ف الى مياه درجة حرارتها ٨٥°ف هلك ٩٥٪ منه ، ولكن عندما تم النقل تدريجيا في مدى اربعين ساعة عاش ٨٠٪ من البيض . ويعزى الاثر المميت لدرجة الحرارة العالية المفاجئة انها قد تحدث صدمة عصبية او تؤثر على الجهاز التنفسي او تخثر البروتوبلازم او تثبط الانزيمات .

وينبغي الا ننسى ان مجاميع الاحياء المائية التي تعمر مساحة ما ، انما تعيش في توازن وانسجام مع بعضها البعض ، فاذا اصيبت احداها بضرر ما ، لحق الضرر بصورة او اخرى بالمجموعات الاخرى من نباتات او حيوانات تعيش في نفس البيئة، فقد تكون هذه غذاء لتلك .

وثمة بيانات محدودة عن حوادث القتل الجماعي للاسماك بتاثير التلوث الحراري ، الا انها تدل على مدى الخطر الذي تتعرض له الاحياء المائية عامة والاسماك خاصة ، ففي صيف سنة ١٩٦٨ ابيدت كميات ضخمة من الاسماك كانت تعيش وادعة في قناة راس الحوت في درجة ٨٠ ف عندما ارتفعت درجة الحرارة الى ٩٣ – ٩٥°ف في اثناء تجربة احد مولدات الطاقة ، وقذفت في القناة هذه المياه الساخنة . وكذلك في ربيع سنة ١٩٦٣ عند

تجربة مفاعل نووى مقام على شاطىء نهر هدسون، فجذب الدفء الاسماك، ثم ابادتها الحرارة المرتفعة المفاجئة .

على ان هذه الابادة قد تحدث في الصيف المرتفع الحرارة ، وخاصة اذا التلفت مع درجة الحرارة العالية للماء ، ما قد يضاف اليه من مياه وفضلات المجارى فتنشط التفاعلات وتتزايد الغازات التى تعمل مع الحرارة على قتل الاسماك .

الثروة السمكية فى خطر

ويحذر علماء البيئة من الخطر الداهم الذى يحيق بالثروة السمكية ، اذا لم يتدارك الامر وحسبوا أن في الولايات المتحدة الامريكية اربعة عشر مفاعلا نوويا تعمل فعلا ، وتسعة وثلاثين قارب العمل فيها على الانتهاء ، وسبعة واربعين تصمم حاليا ، اى ان نحو مائة مفاعل نووى ستقذف بحممها الساخنة في مياه الانهار او البحيرات التى تقوم على شواطئها .ففي عام ٢٠٠٠ ، ستنتج هذه المفاعلات ٢ر١ مليون ميجاوات ، من مجموع الانتاج الكهربائى المطلوب في امريكا وهو ٨ر١ مليون ميجاوات . فاستعمال المياه العادية في تبريد المكثفات ، سيرفع من حرارة ثلث المياه العذبة وفي السنين الجافة ، قد ترتفع هذه النسبة ليكون تاثيرها ١٠٠٪ ولذلك فان من الخطورة بمكان الا يفكر العلماء في وسائل اخرى للتبريد . وقد فكتر في استغلال هذا الماء العذب الذى استعمل في تبريد المكثفات في التدفئة بدلا من قذفه في الانهار والبحيرات العذبة ، ولكن وجد ان حرارته لا تفى بالغرض ، كما فكتر في استعماله في الرى ولكن ذلك كان باهظ النفقة . واخيرا فكروا في استعمال هذه الحرارة الزائدة في تقطير ماء البحر لاعذابه ، او في استعماله مع مخلفات المجارى في تسميد مزارع سمكية خاصة في بعض البحار .

انواع اخرى من التلوث

وبعد ، فليست هذه دراسة تفصيلية لموضوع التلوث الحرارى ، ولكنا اردنا التنبيه الى نوع اخر من انواع التلوث العديدة ، التى تنشا عن نشاط الانسان في مختلف المجالات العلمية والصناعية . وقد شاع امر التلوث الاشعاعى ، الذى يحدث نتيجة تاثر الفضلات الذرية او النووية من المفاعلات او نتيجة للتجارب النووية ، سواء تلك التى تجرى في الصحارى او البحار والمحيطات والانهار ، في باطن الارض او على سطحها . وما ينشا عن ذلك من اخطار ليس الى حصرها من سبيل . فهذا التلوث الحرارى الذى اشرنا الى بعض اخطاره في هذا الحديث ، وما ينشا عنه من ابادة للاحياء المائية وخاصة الاسماك مما يهدد بطريق مباشر او غير مباشر ثرواتنا البشرية والغذائية . وقد كنا نقول ان الثروة المائية ، هى المعين الجديد ، الذى سيسعى الانسان جاهدا لاستغلاله لانتاج ما يسد بعض حاجات الناس المتزايدة الى الطعام . فهذه الثروة هى الاخرى مهددة بانواع من التلوث ليس اخطرها التلوث الحرارى ، فهناك التلوث الكيماوى ، مما تلقيه المعامل الكيماوية من فضلات ، ومواد ، وهناك التلوث من مياه المجارى والفضلات ، الى غير ذلك مما لا يكاد يقع تحت حصر ، وقد يكون اثر واحد او اكثر من هذه العوامل محتملا في وقت ما ولكنها اذا اجتمعت ، ولمدة طويلة ، فان آثارها المهلكة تكون مزعجة الى حد كبير ومن راى بعض العلماء ان درجة الحرارة قد تكون اقوى عامل مفرد لاثره على الحياة والاحياء ومن حسن الحظ ان التلوث الحرارى لم يشكل بعد خطرا كبيرا على حيوانات الاحياء المائية او على البيئة المائية ، وان العلماء قد تنبهوا له ويعملون على درئه والوقاية منه بمختلف الوسائل .

ولعل المسئولين عن المصانع والصناعات في الوطن العربى ان يتنبهوا الى خطر هذا النوع من التلوث، وقى الله الانسانية شر التلوث جميعا . ■■

عبد الحليم منتصر

كتاب الشهر



إسرائيل الكبرى

■ هذا كتاب فى اكثر من ٦٥٠ صفحة من القطع الكبير ، يعالج موضوعا فى غاية الخطورة ، هو مخططات اسرائيل التوسعية من خلال قرارات المنظمات الصهيونية ، وآراء زعمائها . وهي آراء لاتدع مجالا للشك فى ان هدف اسرائيل هو تحقيق قيام اسرائيل الكبرى ، وهي جادة فى هذه السبيل عن طريق التوسع على مراحل .

والمؤلف مشكور على الجهد البالغ الذى بذله فى اعداد هذا الكتاب القيم ، حيث اعتمد فى تاليفه على مصادر ومراجع كثيرة ، وضعها بين يديه « مركز الابحاث الفلسطينية » الذى قام بنشر الكتاب . ولكن كان بالامكان ان يكون الكتاب اكثر فائدة ، واسهل تناولا ، لو اسقط منه المؤلف كثيرا من النوافل التى ليست من صلب الموضوع .

والكتاب فى : تمهيد ، ومقدمة ، واربعة اقسام هى : عصر هرتسل ، من هرتسل الى بلفور ، من بلفور الى بن غوريون ، عصر بن غوريون ، وتتلوها ثلاثة ملاحق ، وست خرائط . ونحن هنا لن نقف عند العروض التى قدمت لزعماء الصهيونيه للاستيطان فى مناطق من العالم غير فلسطين ، ذلك لان هذه العروض رفضها زعماء الصهيونية ، وسنحاول ان نعطي صورة ، منتزعة من الكتاب ، لحدود اسرائيل كما تصورها زعماء الصهيونية .

عصر هرتسل

ومن الطبيعي ان نبدا بالاشارة الى هرتسل Herzl وجهوده فى سبيل اقامة اسرائيل ، لانه

تاليف : الدكتور أسعد رزق
وعرض له بقلم
الدكتور محمود السمره

دِرَاسَةٌ فى .. الفِكْرِ التَوَسُّعِيِّ الصّهيُونِيِّ

هو المؤسس الاول للصهيونية . ونحن نجد اراءه مبلورة في كتابه « الدولة اليهودية » الذى صدر سنة ١٨٩٦ ، وفى مذكراته . وفي مقابلة هرتسل للمستشار الامبراطورى الالماني ، نجد اول اعتراف صريح يفضح النوايا التوسعية للحركة الصهيونية، فقد ساله المستشار عن حدود الرقعه التى فكر فيها ، وهل تمتد شمالا حتى بيروت ام تتعداها ، فكان جوابه : « سوف نطالب بما نحتاج اليه ـ كلما ازداد عدد المهاجرين ، ازدادت حاجتنا للارض . » هذا سنة ١٨٩٨ .

ويسجل هرتسل في يومياته ما يلي : « المساحة: من نهر مصر الى نهر الفرات » .

ويكتب في مذكراته ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) : « لو اردت ان اختصر مؤتمر بازل في عبارة واحدة ـ وهذا ما لن اجاهر به صراحة ـ لقلت : في بازل اسست الدولة الصهيونية . ولو قلت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والضحك . ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التاكيد ، سيرى هذه الدولة جميع الناس . » وبعد خمسين سنة ، فعلا ، اقرت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين .

ولم يكن هرتسل ، في هذه الفترة ، هو وحده الممثل للفكر الصهيوني ، فقد كان هنالك آخرون غيره : فهذا صمويل مونتاجيو Montague (١٨٣٢ ـ ١٩١١) رجل المصارف المشهور ، واحد زعماء « حركة احباء صهيون » في بريطانيا يتقدم عام ١٨٩٣ ، نيابة عن حركته ، بالتماس الى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه السماح لليهود باستعمار شرقي الاردن ، بعد ان منعت السلطات العثمانية « احباء صهيون » من ابتياع الاراضي في فلسطين او الاقامة فيها . وكان « احباء صهيون » يفكرون في فلسطين كبرى اكبر بكثير من فلسطين القديمة . وكان « صندوق اكتشاف فلسطين » الذى انشاه البريطانيون عام ١٨٦٥ هو الذى جعل « احباء صهيون » يفكرون في فلسطين الكبرى ، كما ان هذا الصندوق يدل على ان البريطانيين ابدوا اهتماما بفلسطين ، واكتشاف مناطقها ، وصنع الخرائط لها ، في وقت مبكر يسبق احتلالهم لها بوقت طويل . وقد وضع « صندوق اكتشاف فلسطين » بين يدى « احباء صهيون » خريطة جديدة لفلسطين عام ١٨٩٠ تحتوى على جميع المعلومات التى حصل عليها من اعمال المساحة والتنقيب التى قام بها ، وتصل حدود فلسطين في هذه الخريطة حتى بعلبك شمالا، وتشمل ضفتي الاردن ، اى المنطقة التى اصطلح رجال الصندوق على تسميتها « فلسطين الغربية » و « فلسطين الشرقية » .

وبعد وفاة هرتسل اصبح ماكس نوردو Nordau ، اقوى صوت صهيوني يدعو الى اقامة دولة اليهود في فلسطين والاقاليم المجاورة لها ، بحيث تتسع لاستيعاب ما بين ١٢ ـ ١٥ مليونا من السكان . وقد تبنى هذا الراى المؤتمر الصهيوني السابع (اغسطس ١٩٠٥) ، فورد في قراراته : « يعلن المؤتمر الصهيوني السابع ما يلي : تتمسك المنظمة الصهيونية دون تردد بالمبدا الاساسي لبرنامج بازل .. وترفض النشاطات الاستعمارية خارج فلسطين والاراضي المحاذية . » ونجد شرحا لهذه العبارات في فترة اخرى من قرارات المؤتمر تحدد المنطقة التى يرى المؤتمر اقامة دولة يهودية فيها ، وهذه المنطقة هي « فلسطين وسوريا ، واى

قسم آخر من تركيا الاسيوية ، وشبه جزيرة سيناء ، وجزيرة قبرص » . ولم يكتف المؤتمر الصهيوني الثامن الذى عقد في لاهاى (١٩٠٧) بهذه الحدود فوسعها بحيث تصل الى الفرات ، كما ورد في خطاب ماكس نوردو الذى القاه في المؤتمر .

وقد اشار ماكس نوردو في خطبه الى ان اليهود مستعدون لمساعدة الدولة العثمانية ضد القومية العربية ، اذا كانت الدولة العثمانية مستعدة لمساعدتهم في اقامة دولتهم . وفي الوقت نفسه صدر كتاب نجيب عازورى الموسوم بـ « يقظة الامة العربية » (١٩٠٥) ، وفيه توقع ما حدث ، فيما بعد ، من صراع بين القومية العربية والصهيونية. يقول نجيب عازورى : « هنالك حادثان هامان من طبيعةواحدة ولكنهما متعارضان،وهما : يقظةالامة العربية،والجهد اليهودى الخفي لانشاء اليهودية ملك اسرائيل القديم من جديد وعلى نطاق اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر الى ان تغلب احداهما الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان ميدانين متعارضين . » ونجيب عازورى هذا كان مسؤولا في الادارة العثمانية بمتصرفية القدس (١٨٩٨ - ١٩٠٤) ، وترك وظيفته عند تعيين المتصرف الجديد احمد رشيد بك ، الذى ايد الهجرة اليهودية علانية ولم يعبأ بتنفيذ القوانين التى اصدرها الباب العالي ، والتى تحظر هذه الهجرة ، وكان نجيب عازورى قد اصدر في نهاية عام ١٩٠٤ بيانه التاريخي المعروف « بلاد العرب للعرب » .

تريتش و « فلسطين الكبرى »

ومن الشخصيات المذكورة في الفكر التوسعي الصهيوني ديفيد تريتش Trietsch (١٨٧٠-١٩٣٥) اليهودى الالماني الاصل ، الامريكي الجنسية ، الذى شغل نفسه بوضع حدود لما اسماه « فلسطين الكبرى » ، ودعا لآرائه بنشاط في المؤتمر الصهيوني السابع بخاصة . وللتعريف بفكرته اصدر « دليل فلسطين » الذى صدرت الطبعة الاولى منه باللغة العبرية في القدس عام ١٩٠٦ ، وصدرت منه طبعة بالالمانية (١٩٠٧) ، وثالثة بالانجليزية (١٩٠٧) .

ويعرف تريتش فلسطين معتمدا على ما ورد في سفر العدد (٣٤ : ١ - ١٢) وسفر التكوين (١٥ : ١٨ - ٢٠) وذلك عند الكلام عن الميثاق الذى قطعه الرب مع ابراهيم ، وفيه ان حدود فلسطين تمتد « من نهر مصر الى نهر الفرات » . ويزعم تريتش ان اليهود الفلسطينيين لايعتبرون المسافر الى خارج البلاد الا من اجتاز حلب في الشمال والاسكندرية في الجنوب .

وبعد هذا يحدد تريتش فلسطين بانها تشمل المناطق العثمانية التالية : ذلك القسم من ولاية بيروت الواقع الى الجنوب من متصرفية جبل لبنان المستقل ، والقسم من ولاية دمشق الواقع الى جنوبي جبل الشيخ ، ومتصرفية القدس الخاضعة لحكم الاستانة مباشرة ، والارض الخاضعة للادارة المصرية والمعروفة بشبه جزيرة سيناء .

تصاعد النفوذ الصهيوني في ظل جماعة تركيا الفتاة

وتميزت الفترة بين سقوط عبد الحميد الثاني ومجيء جماعة تركيا الفتاة الى نشوب الحرب العالمية الاولى بنشاط صهيوني واسع في الولايات العربية التابعة لها ، وبخاصة الصهاينة الالمان وذلك لسببين : فيهود الباطن الذين عرفوا بطائفة الدونمة (١) لعبوا دورا بارزا في انقلاب تركيا الفتاة حتى ان التخطيط له جرى في عقر دارهم بمقاطعة سالونيك ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان ازدياد نفوذ المانيا في الدولة العثمانية بسبب التحالف الذى قام بينهما ، جعل الابواب مفتوحة في الدولة العثمانية امام الالمان الصهاينة . ومن ابرز هؤلاء الصهاينة جاكوبوس كان Jacobus Kann (١٨٧٢ - ١٩٤٢) الذىنشر عام ١٩٠٩ كتابا سياسيا وسياحيا باللغة الالمانية دعاه « ارض اسرائيل » ، وفيه طالب الحكومة التركية بنقل سلطاتها في فلسطين الى ايدى اليهود . اما فلسطين هذه التى يطالب بها فقد جعل حدودها : جبل لبنان شمالا ، والخط الحديدى بين دمشق

---

(١) هم اتباع المسيح الدجال ، شبتاى زفي(١٦٢٦ - ١٦٧٦) الذى اعتنق الاسلام في الظاهر طمعا بالامتيازات ، وخوفا من عقوبة الموت . ويرىبعض المؤرخين ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا من اليهود الدونمة Donmeh .

والعقبة شرقا ، ومصر جنوبا ، والبحر الابيض المتوسط غربا .

سايد بوثام وفلسطين

وكان زعماء الصهاينة في انجلترة يؤمنون ان مصلحة الصهيونية ومصلحة بريطانيا واحدة ، وعلى راس هؤلاء الصهاينة كان ويزمن Weizmann الذى كان يدرس الكيمياء في جامعة مانشستر وقد عرف هؤلاء الصهاينة الذين التفوا حول ويزمن باسم « مدرسة مانشستر » ، وكانت هذه الحلقة تضم : سكوت رئيس تحرير صحيفة المانشستر غارديان ، وليون سيمون ، وهارى زاخر ، وسيمون ماركس ، واسرائيل سيف . واخر ثلاثة من هؤلاء كانوا يرتبطون بروابط القربى والزواج ، كما سيطروا على امبراطورية تجارية مازالت قائمة الى اليوم ، وهي المعروفة باسم Marks and Spencer Ltd. وعن طريق سكوت رئيس تحرير المانشستر غارديان ، انضم الى الحلقة هربرت سايدبوثام Sidebotham (١٨٧٢ — ١٩٤٠) المعلق والناقد العسكرى والاستراتيجي لصحيفة المانشستر غارديان ، الذى يعد احدى الدعامات الكبرى في الفكر التوسعي الصهيوني وان كان هو نفسه انجليزيا وليس يهوديا . وقد حاول سايد بوثام ان يضع حدودا لفلسطين اعتمادا على دراسة استراتيجية قام بها ، وذلك في كتابه الاول « انجلترة وفلسطين » (١٩١٨) . وهو هنا يستعرض السياسة الخارجية لاسرائيل في ظل حكم الملوك ، ليستنتج انها اخفقت للاسباب التالية :

١ — لانها اخفقت في مد حدودها الى البحر .

٢ — ولانها اخفقت في مد حدودها الى مناطق حصينة في الشمال .

٣ — ولانها اخفقت في ترسيخ نفسها على طرف الصحراء الى الشرق من نهر الاردن .

ولهذا يجب تجنب هذه الاخطاء عند التفكير في فلسطين الجديدة .

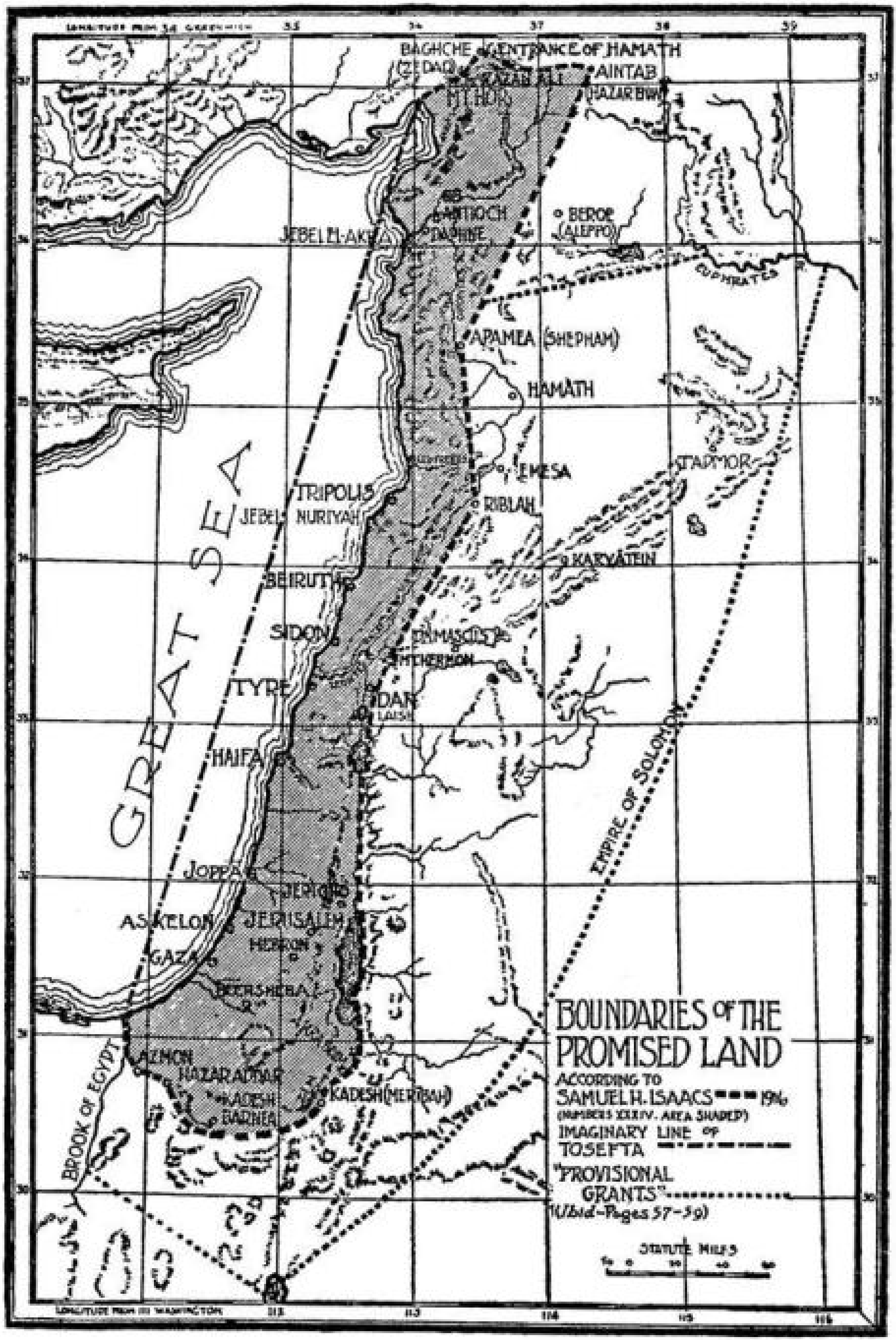
ان المأساة في تاريخ مملكة اسرائيل ، في رايه ، هي ان حدودها الشمالية اخذت تتقلص تدريجيا تحت ضغط سوريا المتزايد لان حدودها الشمالية كان من الصعب الدفاع عنها ، ولهذا يرى ان الحدود الطبيعية لفلسطين من الشمال هي سلسلة جبال لبنان والتوسع حتى دمشق — ولا تقل حدودها الشرقية اهمية عن حدودها الشمالية ، وهذه الحدود الشرقية يجب ان تمتد الى اطراف الصحراء شرق نهر الاردن لتكون الصحراء لها حزام امن وقائي ضد الاجتياح الخارجي ، وهذا هو ما فعله الرومان . اما في الجنوب فيجب ان تمتد حتى خليج العقبة ، ولا بد لها من السيطرة على خليج العقبة لان من الخطر على الدولة اليهودية ان يكون الخليج قاعدة عدوانية تعج بالغواصات ، لان هذا سيهدد الدولة اليهودية .

الموقف الصهيوني

وللصهيونية موقف رسمي من قضية حدود فلسطين نجده في كتاب « الصهيونية والمستقبل اليهودى » الذى صدر في صيف ١٩١٦ ، وهو مجموعة بحوث ، ومحرره احد اعضاء « مدرسة مانشستر » المعروفين ، وهو هارى زاخر . وصاحب الفصل الاول في اصداره هو ويزمن . ويهمنا من مقالات الكتاب تلك المقالة الموسومة ب « ملاحظة حول حدود فلسطين » والتي الحق بها القيمون على نشر الكتاب خريطة لفلسطين تمتد من بيروت الى خليج العقبة . وتبدا المقالة باستعراض التعريفات الكثيرة لحدود فلسطين القديمة ، لتنتقل بعد ذلك للحديث عن « حدود فلسطين المستقبل » كما يتمناها الصهاينة . وهذه الحدود تمتد من شمالي صيدا في خط مستقيم شرقا الى جنوب شرقي دمشق ، ثم جنوبا بموازاة الخط الحديدى وعلى مسافة ١٠ — ٢٠ ميلا شرقي هذا الخط حتى تصل الى الجفر على بعد (٢٠ ميلا الى الشرق من معان . ثم تلتف صوب الجنوب الغربي حتى تصل الى العقبة . وتتعين الحدود الطبيعية في الجنوب عند الحدود المصرية متجهة الى الشمال الغربي من نقطة تقع على خليج العقبة الى رفح .

موقف الجناح الارثوذكسي المتدين داخل الحركة الصهيونية

ونحن نجد موقف اليهود المتدينين من قضية الحدود ممثلا في كتاب « الحدود الصحيحة للارض المقدسة » للحاخام صموئيل ايزاكس Issacs الذى صدر في شيكاغو عام ١٩١٧ . وحدود الارض المقدسة عند ايزاكس هي تلك الحدود التي ورد وصفها في الاصحاح ٣٤ من سفر العدد ٣٤/١ — ١٢ من « العهد القديم » وهو يعتمد على النصين التاليين : « يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من



خريطة الحاخام ايزاكس

امامكم ، فترثون شعوبا اكبر واعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم : من البرية ولبنان ، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم . » و « وكلم الرب موسى قائلا : أوصِ بني اسرائيل ، وقل لهم انكم داخلون الى ارض كنعان . وهذه هي الارض التي تقع لكم نصيبا . ارض كنعان بتخومها .... » .

واذا رجعنا الى الخريطة التي الحقها آيزاكس بكتابه ، لوجدنا انها تضم مساحات شاسعة تمتد من نهر الفرات الى نهر مصر (وادى العريش) ، وتشمل خليج العقبة ، وسلسلتي جبال لبنان ، والواقع ان هذه الحدود التي يحلم بها المتدينون لا تختلف عن تلك التي يحلم بها العلمانيون ، ولكن العلمانيين لايكشفون عن مخططاتهم مـرة واحدة ، ويحققون هـذا الحلم على مراحـل ، والتوسع الاسرائيلي المستمر اكبر دليل على هذا .

مذكرة المطالب الصهيونية المقدمة لمؤتمر الصلح المنعقد بباريس (مارس ١٩١٩)

واللاحظ ان الصهاينة نشطوا في الحديث عن حدود فلسطين قبيل انعقاد المؤتمر ، واخص بالذكر هنـا : (١) كتـاب نورمان بنتويتش Bentwich « فلسطين اليهود : الماضي والحاضر والمستقبل » وحدودها عنده « من البحر الابيض المتوسـط الى نهر الفرات ، ومن جبال لبنان الى نهر مصر ـ هذه هي الارض التي اعطيت للشعب المختار » .
(٢) وهناك دراسة آرثر ربين Ruppin « بنـاء ارض اسرائيل » ، وحدودها في رايه تشمل : فلسطين الانتداب ، وقضاء صور ، وقضاءى الكرك والسلط ، وقضاء عجلون ، وقضاء القنيطرة .

ويطول بنا الحديث لو حاولنا تتبع الفكـر الصهيوني قبيل انعقاد مؤتمـر الصلح ، ولهذا سنكتفي هنا بالاشـارة الى المطالب الصهيونيـة الرسمية كما رفعتها المنظمـة الصهيونيـة الـى المؤتمر ، ويهمنا من هذه المذكرة ما ورد بشـان الحدود ، ثم بيان الاسباب التي استندت اليها للمطالبة بها .

وترجمة ما ورد بشان الحدود هو كما يلي : « ان حدود فلسطين يجب ان تسير وفقا للخطوط العامة المذكورة ادناه :

تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الابيض المتوسط بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر القرعون ، ثم تتجه منه الى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادى القـرن ووادى التيم ، ثم تسير في خط جنوبي متبعـة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى جوار بيت جن ، وتتجه منها شرقا متبعة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنيـة حتى تقترب من الخط الحديدى الحجازى الى الغرب منه .

وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة الخط الحديدى الحجازى والى الغرب منه حتى ينتهي في خليج العقبة .

وفي الجنوب حدود يجرى الاتفاق عليهـا مـع الحكومة المصرية .

وفي الغرب البحر الابيض المتوسط » .

اما التعليلات التي وردت في المذكرة لتبريـر المطالبة بهذه الحدود ، فهي بالنص : « انالحدود المرسومة اعلاه هي ما نعتبره جوهريا للاساس الاقتصادى الضرورى للبلاد . وفلسطين يجب ان يكون لها منافذها الطبيعية للبحار ، والسيطرة على انهارها وعلى منابع تلك الانهار . ولقد جرى رسم معالم الحدود على اساس اعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلاد . وهي‌اعتبارات يتحتم على‌اللجنة الخاصة انتراعيها حين تقوم بتعيين الحدود ورسم خطوطهاالمضبوطة . كما يجب على هذه اللجنة ان تتذكر بان من المرغوب فيـه جـدا ، لمصلحـة الادارة الاقتصادية ، جعل المساحـة الجغرافية لفلسطين اكبـر ما يمـكن ، بحيث تستطيع فيما بعد استيعاب عدد كبير من السكان ينعمون بالرخاء ، ولكي يصبح بمقدورها ان تتحمل اعباء الحكومة العصرية المتمدنه ، اكثر مما يتحمله بلد صغير محدود السكان بالضرورة .

وتعتمد الحياة الاقتصادية لفلسطين ، كشان اى بلد نصف جاف ، على كميات المياه المتوفرة . لذلك يصبح من الاهمية الجوهرية بمكان ، ليس فقط تامين جميع موارد المياه التي تغذى البلاد حتى الان ، بل القدرة للمحافظة والسيطرة عليها عند منابعها .

ان جبل الشيخ هو « ابو الميـاه » الحقيقي لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها دون توجيـه ضربة قاصمـة الى جـذور حياتهـا الاقتصادية بالذات . وجبل الشيخ لا يحتاج فقط الـى اعادة تحريج وتشجير ، بل وايضا الى اعمال اخرى

قبل ان يصبح مؤهلا ليكون خزان مياه البلاد . لذلك يجب ان يخضع كليا لسيطرة اولئك الذين تحدوهم الرغبة الشديدة ، ويملكون القدرة الكافية لاستغلال امكاناته حتى اقصى الحدود . كما يجب التوصل الى اتفاق دولي تحمى بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني (اى اليهود في فلسطين الكبرى) حماية تامة . اذ ان منابع المياه هذه ، فيما لو حظيت بالعناية اللازمة، تستطيع ان تخدم تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين .

ان السهول الخصبة الواقعة الى الشرق من نهر الاردن كانت ، منذ اقدم ايام التوراة ، مرتبطة اقتصاديا وسياسيا بالارض الواقعة غربي نهر الاردن . وهذه البلاد الضئيلة السكان حاليا ، سبق لها ايام الرومان اعالة اعداد ضخمة من السكان . ويمكنها ان تصبح الان بصورة مدهشة حقلا للاستعمار التوطيني على نطاق واسع . ثم ان المراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لدى كل من فلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب اعطاء حكومات الطرفين الحق في حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز على طول امتدادها .

ان التنمية التكثيفية للزراعة وغيرها من الفرص والمرافق الموفورة في شرقي الاردن تحتم ان يكون لفلسطين منفذ على البحر الاحمر ، وفرصة لانشاء موانىء جيدة على خليج العقبة . والعقبة ، كما نعيد الى الذهن ، كانت نهاية طريق تجارى هام لفلسطين منذ ايام سليمان فصاعدا . فالمرافىء التى يجرى تطويرها في خليج العقبة يجب ان تكون مرافىء حرة ، تمر فيها تجارة البلاد الداخلية على اساس المبدأ نفسه الذى اهتدينا به في اقتراحنا اعطاء حق حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز».

ومن السهل علينا ان نلاحظ في هذه التبريرات اثر تفكير سايد بوثام .

وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠، توصل الجانبان البريطاني والفرنسي الى اتفاق حول تعيين الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والعراق . وتم اقرار صك الانتداب على فلسطين في ٢٤ يوليه (تموز) ١٩٢٢ . واقدم المندوب السامي البريطاني على فلسطين وشرقي الاردن على تعيين الحدود الادارية بين غربي فلسطين وشرقيها ــ على حد التعبير الصهيوني ــ في اول سبتمبر (ايلول) من العام نفسه . ولكن هذه الحدود لم تكن لترضي المتطرفين من الصهاينة الذين انحوا باللوم على الزعامة الصهيونية لانها رضيت بالتنازل عن « ارض الاجداد » . وقد ادت هذه المعارضة الى قيام حزب صهيوني منظم عرف باسم «التصحيحيين» Revisionistus ، وانشق هذا الحزب عن « المنظمة الصهيونية العالمية » ليؤسس « المنظمة الصهيونية الجديدة » بزعامة فلاديمير جابوتنسكى Jabtinsky . للمطالبة بفلسطين بحدودها التاريخية .

جابوتنسكى : « غاريبالدى الصهيونى »

ولد جابوتنسكى يوم الخامس من اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٠، في مدينة اوديسة ، وتوفي في يوليه (تموز) ١٩٤٠، بامريكا ، وقد تزعم في حياته الدعوة الى تنظيم جيش صهيوني والتحالف مع الشيطان من اجل اقامة الدولة اليهودية على ضفتي الاردن ، وضمن الحدود التاريخية لمملكة اسرائيل ويهوذا . وقد اعلنت منظمته عن برنامجها الجديد فقالت : « ان غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجيا ، مع شرقي الاردن ، الى كومونولث يهودى ، اى الى كومونولث يحكم نفسه بنفسه في ظل اكثرية يهودية . وكل تفسير آخر للصهيونية لا بد من اعتباره غير صحيح » .

وكان جابوتنسكى صريحا جدا في اعلان عدائه للاماني العربية في اى بلد عربى ، فهو يقول : « اننا نفرح من صميم القلب لكل فشل تمنى به الحركة العربية ، لا في شرقي الاردن وسوريا فحسب ، بل وحتى في مراكش » .

وهذا القول لجابوتنسكى يذكرنا بقول مشهور للارهابي مناحيم بيغن ، تلميذ جابوتنسكى ، وقوله تأكيد لآراء استاذه وزعيمه التوسعية ،فهو يقول : « لن يكون سلام لشعب اسرائيل، ولا لارض اسرائيل ، ولا للعرب ، ما دمنا لم نحرر وطننا باجمعه ، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح » . (٧ ابريل (نيسان) ١٩٥٠) .

وخير مصور للروح الفاشستية التى بثها جابوتنسكى في الشباب الصهيوني المنضم الى منظماته العسكرية المعروفة باسم « بيطار » Betar ، النشيد الذى نظمه عام ١٩٣٢ ليردده شباب هذه المنظمات كل صباح . ومن المفيد لنا ، نحن العرب ، ان نتذكر دوما هذا النشيد ، لعل الذكرى تنفع الغافلين . انه نشيد باللغة الانجليزية وهو يبدأ هكذا :

« ان بلادى ، منذ القديم

هي بلاد الاردن المقدسة ، بلادى الى ابد الابدين .
لنهر الاردن ضفتان :
يمنى ويسرى ، هما لى الى ابد الآبدين ،
كلتاهما لى ...
انها لى ، كلها لى ، بلادى المقدسة ،
مهما بدت فقيرة فى نظر الآخرين .
انها لى من البحر الى رمال الصحراء
وفى وسطها ينساب نهر الاردن المقدس ... »

وعلينا ان نذكر ان المنظمات الارهابيةالصهيونية هى من نتاج جابوتنسكى .

وقد كان لخلفاء جابوتنسكى موقف عنيف حين ادلى المستر بيفن ، وزير خارجية بريطانيا ، بتصريحه حول شرقى الاردن امام الجمعية العامة للامم المتحدة (١٧ يناير ١٩٤٦) وجعلها دولة مستقلة . وقد انضم حزب مزراحى والصهيونيون العامون الى المنظمة الصهيونية الجديدة فى اصدار البيان التالى :

« ان الامة اليهودية لن توافق مطلقا على سلخ شرقى الاردن عن جسم فلسطين الذى تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية.ولا يستطيع اى تصريح ان يغير من اعتقاد كل فرد يهودى بان الارض الواقعة شرقى نهر الاردن تؤلف جزءا لا يتجزأ من وطنه الام ودولة المستقبل » .

زعماء اليوم لا يختلفون عن زعماء الامس

ان القول بان هذه الآراء السابقة لا تمثل سوى راى المتطرفين من الصهاينة ، هو نوع من خداع النفس ، وتؤكد هذه الحقيقة التصريحات الكثيرة التى وردت على السنة زعماء اسرائيل اليوم ، حتى ليصبح من الواضح لنا ان الفرق بينهما فى التكتيك فقط . وما علينا الا ان نعود الى صحف هذه الايام لنقع فيها على الكثير من هذه التصريحات التى تؤكد السياسة التوسعية لاسرائيل الى ان تحقق حلمها فى « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات .

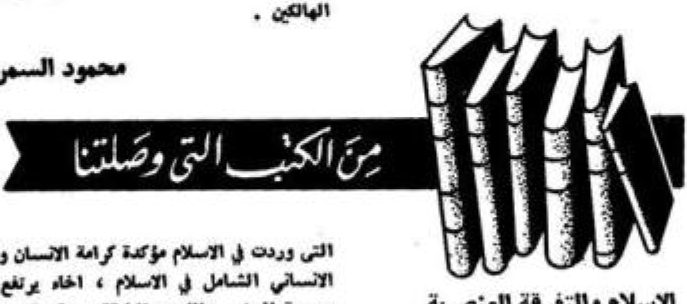
اما الغرور والاعتداد بالنفس اللذان نجدهما عند كل زعيم من زعماء اسرائيل ، فانهما دليل واضح على مدى استخفافهم بنا . ان هذا الصلف هو الذى دفع ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، الى ان يقول فى مقالة له نشرها فى صيف ١٩٦٥ فى « مجلة الشؤون الخارجية » ما يلى :

ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون فى المستقبل بالحاح، بالعودة الى حدود عام ١٩٦٦ او عام ١٩٦٧ ، تماما كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٨ » .

وامام هذا كله ، يجبهنا السؤال الملح التالى : ماذا نحن فاعلون ؟

واذا لم نستطع الاجابة عن هذا السؤال بامانة واخلاص ، فان ما اخشاه ان نكون جميعا من الهالكين . ■■

محمود السمره



الاسلام والتفرقة العنصرية

تأليف : الدكتور عبد العزيز كامل
وزير الأوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة
الناشر : هيئة اليونسكو / مركز مطبوعات اليونسكو / القاهرة

● بحث يستعرض فيه الدكتور كامل الاصول التى وردت فى الاسلام مؤكدة كرامة الانسان والاخاء الانسانى الشامل فى الاسلام ، اخاء يرتفع فوق عصبية الجنس واللون والطبقة . وقد قامت هيئة اليونسكو بنشر هذا البحث باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، وذلك ضمن سلسلة بحوث تحت عنوان « المسالة العنصرية والفكر الحديث » ، وقد صدر من هذه المجموعة حتى الآن) كتب تتناول الكنيسة الكاثوليكية ، والحركة المسكونية ، والبوذية ، وعلاقة كل منهم بالتفرقة العنصرية .

حكاية بلا بداية ولا نهاية وشهر العسل

تاليف : نجيب محفوظ

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة

● مجموعتان قصصيتان لقصاص مصر الكبير نجيب محفوظ . اغلبها قصص رمزية هادفة ، يقول فيها كاتبها بالرمز ما لا يستطيع قوله صريحا مكشوفا .. قصص تتحدث عن الحرية .. عن الاخلاق ، عن المجتمع .. كلها كتبت باسلوب شيق ، وتصوير للنفس البشرية عبر عنه نجيب محفوظ بسلاسة وبساطة .. يقول المؤلف في حوار موجه الى بطل قصته الاولى والتي يحمل الكتاب عنوانها : « ان الحياة تتموج امام بصرك ، الاركان تتهاوى ، اوهام تتبخر ، حقائق تنفقئ كالقنابل ، عناصر تتحلل مطالبة بتركيب جديد ، اصوات جديدة تحطم جدران الخرس وترتفع ، اناس يتلاحمون ، قوى تنطلق من مخابئها ، والنفس تطالب صاحبها باتخاذ موقف ، اثبت ... اهرب ... اصر ... مت ... تعقد ... تجدد ... ولكن لا حل الا ان تخوض امواج الظلمات وان تشق طريقك الى بر النور ... » .

النقد الادبي حول ابي تمام والبحترى فى القرن الرابع الهجرى

تاليف : محمد علي ابو حمدة .

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

● ينقسم هذا الكتاب الى اربعة ابواب يدرس في الباب الاول الحياة العامة في القرن الرابع الهجرى من مناحيه المختلفة كما يوضح ان هذا القرن كان متناقضا فسدت فيه الاحوال السياسية ولكن العلوم والآداب واصلت مسيرتها . اما الباب الثاني فدراسة عن الخصومة بين انصار الشعر القديم والحديث وجذور هذه الخصومة . اما الباب الثالث فيوضح النقد الادبي الذى دار حول ابي تمام والبحترى ويدلل ان هذه الخصومة كانت بين انصار الشعر القديم وانصار الشعر المحدث ، واتخذت من المفاضلة بين ابي تمام والبحترى ميدانا لها .

اما الباب الرابع فدراسة لكتاب الموازنة للآمدى وطريقة الآمدى في المفاضلة التى كانت على غرار احكام القضاة ونقاش منهج الآمدى وكيف انه وضع حدا لتلك المفاضلات الجزئية بين الشعراء كما ان نظراته النقدية ظلت اسيرة اغلال عمود الشعر وبذلك قصرت عن تذوق الكثير من اللمع الشعرية الكثيرة عند ابي تمام .

وراء السراب

تاليف : وصفي قرنفلي .

الناشر : منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ـ دمشق ـ سوريا .

● مجموعة قصائد متنوعة .

عنبر ورماد

تاليف : سلمى الحفار الكزبرى .

الناشر : دار بيروت ـ بيروت / لبنان .

● قصة حياة المؤلفة تصور فيها اهم الاحداث التى اثرت في تكوينها الخلقي والفكرى وطبعتها بطابعه . والانسان لا يدرك معاني الحياة وقيمها قبل ان ينضج ويصبح قادرا على تمييز الوجوه من الاقنعة بل انه عندما يكتب سيرته الذاتية انما يفعل ذلك لا بدافع الاثرة والغرور بل يامل ان يجد القارىء فيها مشاطرة انسانية لافكاره ومشاعره كما يتضمن الكتاب وصفا للرحلات التى قامت بها المؤلفة في حياتها في بلاد الشرق والغرب.

صور على حائط المنفى

تاليف : خالد محيى الدين البرادعى .

الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان .

● مجموعة قصائد متنوعة .

الاتجاه الجماعى فى التشريع الاقتصادى الاسلامى

تاليف : الدكتور محمد فاروق النبهان

الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

● يمر العالم اليوم بازمة كبيرة تعتبر من اقسى الازمات التى مرت في تاريخ الانسانية ، وهذه المشكلة هي المشكلة الاقتصادية ، وتحاول اليوم النظم الفردية والنظم الجماعية ان تقدم الحلول المناسبة للقضاء على هذه المشكلة .فالنظم الفردية تحاول اعطاء الفرد الحرية الكبيرة اما النظم الجماعية ويقصد بها النظام الشيوعى، فهو يحاول ان يتفادى اخطاء ذلك المذهب .

اما النظام الاسلامي وهو ما ينادى به الكاتب فانه يتجنب اخطاء النظامين السابقين ويحاول ان

يقدم للعالم نظاما يضمن للفرد حقه وللجماعة حقها ، ان هذا النظام ليس فرديا ولا جماعيا ولكنه يجمع حسنات كل المذهبين .

وقد قسم المؤلف كتابه الى تمهيد وثلاثة ابواب وخاتمة . تكلم في التمهيد عن الاتجاه الجماعي خلال العصور القديمة والعصور الوسطى ولدى الاديان السماوية . ثم تحدث في الباب الاول عن الاتجاهين الفردي والجماعي في الفكر الاقتصادي الحديث .

وفي الباب الثاني تحدث المؤلف عن الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي .

اما الباب الثالث فقد تحدث المؤلف فيه عن المبادىء الاساسية للاقتصاد الاسلامي ثم اهم النتائج المستنبطة من هذا البحث .

ابو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .
تاليف : محمد علي ابو حمدة .
بيروت / لبنان .

● دراسة عن الآمدي وكتابه الموازنة مقسم الى أربعة ابواب درس المؤلف في الباب الاول الآمدي وثقافته ، القرن الرابع الهجري وحياة الآمدي وصلته بالعلماء والرواة . اما الباب الثاني فدرس للحركة النقدية التي اثارها ابو تمام والبحتري مع مناقشة عمود الشعر ومذهب البديع .

ثم خطة الآمدي في الموازنة التفصيلية بين الطائيين . اما الباب الثالث فرسم صورة واضحة للآمدي الناقد من خلال القضايا النقدية مثل القديم والمحدث واللفظ والمعنى والسرقات الشعرية . اما الباب الرابع فيوضح اثر كتاب الموازنة في الادب العربي مبتدئا بالقاضي الجرجاني ومنتهيا بابن الأثير ثم خاتمة عن مبدا الآمدي في موازنته ونتائج احكامه فيها .

دراسات في النقد والشعر

تأليف : ناصر الحاني
الناشر : منشورات المكتبة العصرية / بيروت / لبنان .

● مجموعة مقالات ودراسات ادبية متنوعة في النقد والشعر العربي وفي مواضيع شتى من الادب العربي . فقد بدا المؤلف كتابه بموضوع « دفاع عن الادب العربي » حيث تكلم عن تباين الامم بطبائعها كما تتباين بذوقها وطرق تعبيرها عما يعتورها من مشكلات نفسية او اجتماعية ، وهذا التباين نجد له اطرافا كثيرة تشمل الطعام والالوان والمشارب كما ان هذه الظواهر طابع كل امة وهي حاملة رواسب من عقليتها وفلسفتها في الحياة . ثم تناول المؤلف بالدراسة مشكلة اللفظ والمعنى عند العرب والغربيين ، ثم دراسات قصيرة عن بعض ادباء العربية المحدثين امثال الاستاذ احمد الصافي النجفي ومحمد مهدي البصير والاستاذ امين الخولي والزهاوي الشاعر والشبيبي .

ثم قام المؤلف بدراسة موجزة للادب الصهيوني في الولايات المتحدة وانجلترا وتقصى نخبة من ابرز رجاله . وفصل آخر درس خلاله اعلام الادب التركي ونتاجهم الفني ومختارات من شعرهم ونثرهم وختام هذه الفصول دراسة موجزة عن المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس .

ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة

تاليف : سعيد الافغاني .
الناشر : دار الفكر بيروت / لبنان .

● ينقسم هذا الكتاب الى قسمين كبيرين يدرس في القسم الاول ترجمة لحياة ابن حزم تتناول عصره ونشأته ومصنفاته ثم مذهبه وادبه واخلاقه ووفاته .

اما القسم الثاني فهو تحقيق لرسالة ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة وتمتاز هذه الرسالة بان مؤلفها التزم في ترتيب افكاره طريقة منطقية محكمة ، حيث مهد لبحثه بكلمة عن معنى الفضل ووجوه المفاضلة ورسم خطة البحث . ثم ادرج رايه في فضل ازواج الرسول واستعرض آراء المخالفين له ثم شرع في تمهيد الاحتجاج لرايه .

اما الباب الثاني من كتابه فيسرد فيه حججه في فضل الازواج مستمدة من الكتاب والسنة .

اما الباب الثالث فيعين لنا افضل الصحابة بعد امهات المؤمنين مهتما بصورة خاصة بجدال الشيعة وآرائهم في ذلك .

البقية على صفحة ١٧٥

أفعولة ودلالتها

صفحة في .. اللغة

الدلالة الأولى لوزن أفعولة

الدلالة الاولى لوزن افعولة

في القرآن الكريم « وقالوا أساطير الأولين » سورة الفرقان ، الآية ٥ . وفيه أيضا « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » . سورة سبأ ، الآية ١٩

الأساطير جمع أسطورة وهي ما سطره الناس ، ولا سيما القدماء ، من حديث يشبه الباطل والأحاديث جمع أحدوثة وهي القطعة من الحديث الذي تردده الألسنة ، يقال : صار فلان أحدوثة ، أي حديثا متكررا المرة بعد المرة

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا   وما مواعيدها إلا الأضاليل

ويروى : وما مواعيدها إلا الأباطيل .

والأضاليل جمع أضلولة بمعنى الحدث الواحد من الضلال . كما قيل إن الأباطيل جمع أبطولة ، وهي الحدث الواحد من الباطل .

و « الأغنوجة » هي اسم للشيء يتغنج به ، وقد قال أبو ذؤيب الهذلي :

لوى رأسه عني ومال بوده   أغانيجُ خَوْدٍ كان فينا يزورها

وهذه الألفاظ السابقة وزنها « أفعولة » .

الدلالة الثانية لوزن افعولة

الأرجوحة هي التي يُلعب بها ، وهي خشبة يوضع وسطها على مرتفع ، ثم يجلس غلام على أحد طرفيها ، وغلام آخر على الطرف الآخر ، فترجح الخشبة بهما ،ويتحركان فيميل أحدهما بصاحبه الآخر . وقد سميت الفلوات — وهي الصحارى الواسعة — أراجيح ، نظرا إلى أنها ترجح بمَن سار فيها ، أي تطوح به يمينا وشمالا .

والأنشوطة ، عقدة يسهل انحلالها وهي تشد من أحد طرفيها فتنحل .

والأحبولة : المصيدة . والأنبوثة : لعبة للصبيان .

وهذه الألفاظ أيضا وزنها « أفعولة» ، ونلحظ أنها أسماء لآلة أو شيء يتوصل به إلى غاية ومن هذا القبيل :

الأنشودة وهي القطعة من الكلام الذي ينشد ، والأرجوزة القطعة من الرجز ،

والأغلوطة وهى الكلام الذى يُغالَط فيه ويُغالَط به ، والأهزوجة . والأملولة بمعنى الإملال

ومن ذلك أيضا أصبوحة وأُمْسِيَّة ، تقول «أتيته أصبوحة كل يوم وأمسيَّة كل يوم . » هذا وأمسية وزنها « أفعولة » كالألفاظ التى قبلها ، ومثلها أغنيَّة وأمنيَّة وأحجيَّة ، وأثفيَّة .

وكلمة « أطروحة » المستعملة الآن بمعنى ما يقدم من رسالة للمناقشة لنيل الماجستير أو الدكتوراه ، أصل معناها في اللغة : المسألة التى تطرحها وتلقيها على غيرك

جمع الجمع

وكل هذه الألفاظ في القسم الأول والثاني تجمع على وزن « أفاعيل » وأفاعيل من الصيغ التى تسمى صيغة منتهى الجموع ، إذ لا جمع أكثر منها . ولا يقتصر ما يجمع عليها على ما كان وزنه « أفعولة » بل يجمع عليها أيضا ما كان على وزن « أُفعول » مثل أسطول وأساطيل ، وأسلوب وأساليب ، وما كان على وزن « إفعيل » مثل إبريق وأباريق وإزْميل وأزاميل . وما كان على وزن إفعال مثل إسناد وأسانيد وإرجاف وأراجيف .

ومن الحكم المسجوعة التى أوردها الزمخشرى في الأساس : « إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف ».

وأفاعيل ، نجمع عليها أيضا غيرُ المفرد مما كان جمْعا أقلَّ من جمعها ، مثل « قول » يجمع على « أقوال » وأقوال تجمع على أقاويل . ومثل قِدْح يجمع على أقدُح . وأقدح تجمع على أقاديح .

ويزاد على ذلك أنها تكون جمعا غير قياسى في مثل مَديح وأماديح ، ونَجيح وأناجيح ، وحَديث الذى منه حديث رسول الله جمعه أحاديث .

هذا و « أفاعيل » نفسها من معانيها : أعاجيب ، وقد قال الزمخشرى ذلك في قول الشماخ :

إذا استهلا بشُؤبوب فقد فُعِلتْ بما أصابا من الأرض الأفاعِيلُ

و« الأفاعيل» هذه التى بمعنى الأعاجيب هى أقرب إلى أن تكون جمعا لأفعولة لا جمعا لأفعال ، لاتفاقها في المعنى مع أعجوبة وجمعها أعاجيب ووزنهما أفعولة وأفاعيل .

إن يكن في الفواكه الفج والناضج ففي الرجال كذلك الناضج والفج، وكذلك في النساء

■ مئات الخطابات يحملها البريد كل يوم الى مجلة « العربى » ، خطابات من كل لون وفى كل موضوع .. فى شتى مجالات العلم والثقافة والأدب وغيرها .

ولكن هناك فئة من القراء ، تشاء ان تنقل « للعربى » صورا من الحياة التى نعيشها .. انها لون آخر من الرسائل التى تحكى فى اسلوب هادىء احيانا ، مستسلم لقضاء الله ولأمره فى كثير من الاحيان ، جانبا من تصرفات الناس ومسلكهم وطريقة تفكيرهم .. وبعض اصحاب هذه الخطابات والرسائل يطلب النصيحة ولكن غالبيتهم يكتفون بان ينفسوا عما يجيش فى صدورهم من احاسيس وانفعالات ، وكأنهم يجدون فى هذه السطور القليلة التى يخطونها باقلامهم المتنفس الوحيد لآلامهم واحزانهم ..

ماذا تقول هذه الرسائل ؟

انها تؤكد ان عددا مذهلا منا نحن البشر الذين نعيش فى دوامة هذه الحياة ، لم يكبر ، ولم ينضج .

عمالقة واقزام

انها تعكس الصورة الحقيقية لعدد كبير من الأزواج والزوجات ، تلك التى تختفى وراء الاقنعة التقليدية التى تغطى وجوههم امام الناس .. فبين اصحاب هذه الرسائل شخصيات لها اسمها ومركزها فى المجتمع ، وبينهم رجل الاعمال الناجح والمهندس والمحامى .. وبينهم عمالقة فى دنيا المال ، ولكنهم مع ذلك ما زالوا اقزاما فى حياتهم العاطفية ..

ان الانسان الناضج ، الكامل النضوج لا وجود له فى اى مجتمع او فى اى زمان ، فكل واحد منا يعانى من نقط ضعف معينة ، والبعض يعانى من الشعور بالنقص او من جيوب صغيرة تؤكد عدم نضجه نضوجا تاما ..

هذا ما يقوله علماء النفس ، فهم يرون ان الانسان لايكبر دفعة واحدة ، ولا ينمو بنفس السرعة التى ينمو بها جسمه ، فالنضوج العاطفى يتحقق ، ولكن ببطء ، وتجارب الحياة هى اكبر مدرسة ينضج فيها الانسان، رجلا كان ام امرأة ..

معنى النضج

وقبل ان نمضي فى موضوعنا اليوم ، نتوقف قليلا لنشرح معنى النضوج ..

يقول الفيلسوف الامريكى ايمرسون Emerson (١٨٠٣ – ١٨٨٢) فى تعريفه النضوج : .. من النضوج القدرة على ان يكبح الانسان جماح غضبه فى الازمات والخلافات ، وان يحل مشاكله دون اللجوء الى العنف ، والابتعاد عن كل وسيلة من وسائل التخريب والتدمير ..

ومن النضوج المثابرة على العمل ، وبذل الجهد



قد يبلغ الرجل ما يبلغ من مراتب الحياة ومع ذلك يبقى طفلاً لا يسعد بالحياة !

والعرق في سبيل الوصول الى الهدف، الذى اختاره المرء لنفسه في الحياة ، رغم انف كل ما يصيب جهوده من نكسات .

ومن النضوج ، الصبر على المكاره، والاستعداد للتنازل عن ملذات سريعة مؤقتة ، في سبيل تحقيق كسب طويل الامد ..

ومن النضوج التخلي عن الشعور بالانانية ، والاستجابة لمطالب الآخرين من الناس ، وخاصة هؤلاء الذين نحبهم ..

ومن النضوج القدرة على مواجهة المصائب وخيبة الامل ، دون ان نضمر الحقد لاحد .

. ومن النضوج التواضع ، والقدرة على ان نقول نعم : « لقد اخطأنا » .. فاذا شعرنا باننا اصبنا ولم نخطىء ، لا نحاول تذكير الجانب الآخر بخطئه كلما حانت الفرصة ..

ومن النضوج اخيرا ، ان نعرف كيف نتعامل مع الناس ، وان نعيش في سلام مع الاشياء التى نعرف اننا لا نستطيع ان نغيرها ..

ترى من منا يتمتع بكل هذه الصفات ؟

طفل كبير

كتبت زوجة شابة ، زوجها محام ناجح ، « للعربى » تقول : « مضى على زواجنا اكثر من خمس سنوات لم اشعر خلالها يوما باننى اعيش حياتى مع زوجى ، كما كنت ارجو لها واتمنى ، لقد رزقنا الله بطفلين ، اكبرهما في الثالثة ، ولكننى لا اذكر ان زوجي استطاع ان يتخذ يوما قرارا دون ان يرجع لامه اولا ، حتى لو كان هذا القرار يتعلق بحياتنا الخاصة ، انه لا يستطيع ان يتخلص من سيطرة امه عليه ، حتى ليخيل الي احيانا انه ياخذ راى امه في كل قضية تعرض عليه ، قبل ان يقبلها ويترافع فيها .. ان شبح ام زوجي ينغص علينا حياتنا ، اننى اريد ان اشعر اننى اعيش مع رجل ، لا مع طفل كبير ما زال يتعلق بامه ! ..

قلبه في معدته

وكتبت زوجة اخرى تسال : هل يمكن ان يكون الطعام وحده ، هو كل ما يشغل بال الرجل ؟ اننى اعرف قول الحكيم الذى قال : « ان اقصر

طريق الى قلب الرجل هو معدته » . ولكن الحال مع رجلي تختلف ، فقد انتقل قلبه الى معدته .. انه لم يعد يشعر بشيء او يفكر في شيء او يشغل نفسه بشيء آخر غير الاكل ، انه لم يعد شابا ، فقد جاوز الخمسين من عمره ، وقد نصحه الاطباء بالا يفرط في الاكل حرصا على صحته ، ولكنه ضرب بنصائحهم عرض الحائط ، وكانت النتيجة ان اصيب زوجي بمرض السكر . فهل كف عن الطعام ؟ ابدا .. لقد ازدادت شهيته ، واصبح « يسرقه » من ورائي !! « لقد قضيت مع زوجي اكثر من عشرين عاما كان ينفق خلالها اكثر من نصف مرتبه على شراء الاطعمة والمأكولات التي يشتهيها ، حتى عندما كبر ابناؤنا الثلاثة ، وازدادت مطالبهم !! انه لا يفكر الا في نفسه ، وفي معدته !! » .

كبش الفداء

وقالت زوجة ثالثة : « لماذا يكون البيت دائما هو المكان الوحيد الذي يصب فيه الرجل جام غضبه ؟ اننا زوجان سعيدان ، مضى على زواجنا ثماني سنوات ، رزقنا خلالها بطفلة واحدة ،ولكن تصرفات زوجي تحيرني .. انه يخرج من بيته الى عمله في الصباح ، سعيدا راضيا بحياته ، ولكنه عندما يعود الينا ، اراه قد تحول الى رجل آخر .. فهو يثور ويغضب لاى سبب ولاتفه سبب ، وعبثا تذهب محاولاتي لتهدئته والترويح عنه ! فلا اجد في النهاية من وسيلة لتجنب شره،الا ان اذهب الى غرفتي ، واجلس مع ابنتي اداعبها حتى تنام.

« ولتمر ساعات طويلة قبل ان يعاوده هدوءه ، فاذا به يحكي لي من تلقاء نفسه عن متاعبه في العمل ، واذا بي اكتشف من خلال حديثه ان بينه وبين رئيسه خلافا ، وان هذا الخلاف كثيرا ما يتطور بصورة لا ترضي زوجي بطبيعة الحال . ويشعر الزوج بعجزه عن الدفاع عن نفسه ، فيختزن غضبه ، حتى اذا ما عاد الى البيت راح ينفس عما في صدره من غضب ! » .

في شهر العسل

وكتبت عروس في شهر العسل ، تصف تجربتها في الليلة الاولى بعد زواجها ، قالت : « سافرنا بعد حفل زواجنا مباشرة ، بعد ان اخترنا فندقا معينا في احدى المدن ، لنقضي فيه ايام العسل ، ولكننا ما كدنا نصل الى الغرفة التي حجزتها لنا ادارة الفندق ، حتى راح زوجي يبحث بعينيه بين اركانها عن جهاز التلفاز الذي اعلن الفندق عن وجوده في كل حجراته !! .

« ولكن جهاز التلفاز كان قد اختفى ، ولم نعثر له على اثر ! وفجأة نظر الي زوجي ، وقال : انتظريني لحظات ، فسوف اذهب لمقابلة مدير الفندق ، ليأتي لنا بجهاز ، او ينقلنا الى غرفة اخرى مزودة بجهاز !

« كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء بقليل ، عندما تركني زوجي ليبحث عن التلفزيون، وجلست انتظر ، وانا ما زلت في ثوب الزفاف ، فلم اشأ ان ابدل ملابسي خوفا من ان يعود زوجي ليقول لي اننا سننتقل الى غرفة اخرى .. !

ومرت الساعات بطيئة متثاقلة ، وانا ما زلت انتظر .. حتى استبد بي القلق في نهاية الامر ، فرفعت سماعة التليفون اسأل ماذا حل بزوجي ؟

« وجاءني الرد : « لقد ذهب مع عامل الفندق الى بيت المهندس المسئول عن اصلاح اجهزة التلفزيون ، ليعود بالجهاز الخاص بغرفتكم . معذرة يا سيدتي ، فقد كنا نود ان ننقلكم الى غرفة اخرى مزودة بجهاز ، ولكن جميع غرف الفندق مشغولة ! » .

« هل تعرفون متى عاد زوجي في ليلة زواجه ؟ في الساعة الواحدة صباحا .. لقد عاد يحتضن جهاز التلفزيون فوق صدره ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة سعيدة ، وهو يقول : « اخيرا حصلنا على جهازنا يا عزيزتي .. لقد بقيت بجوار المهندس حتى انتهى من اصلاحه ! » .

شكوى الازواج

ولكن هل كانت المرأة وحدها هي التي تشكو ؟ الواقع ان هناك رسائل كثيرة من ازواج لهم ايضا مشاكلهم مع نسائهم .. ولكنها مشاكل طفيفة لا يخلو منها بيت .. فهي من هذا النوع الذي يحدث عادة بين الازواج في شتى مراحل الحياة ، ثم لا تلبث ان تحل هذه الخلافات نفسها بنفسها مع مضي الزمن كلما طالت العشرة بين الزوجين ، وتعوّد كل منهما على طباع الآخر وخصاله ، وازدادت معرفته به ، وتوطدت علاقته بصاحبه ..

الزوج الناضج

فنضوج المرأة في رأي ايمرسون ، من نضوج الرجل ، والزوج الناضج وحده ، هو الذي

يستطيع ان يعاون زوجته على ان تكبر معه ، وعلى ان تصبح امراة ناضجة ، مهما بلغت درجة تعليمها وثقافتها .

فالرجل ، يريد دائما ان يشعر بوجود امراة بجانبه ، حتى لو كانت صاحبة مهنة ، وحتى لو كانت تعمل وتكسب رزقها مثله تماما .

كتب زوج يشكو زوجته الطبيبة ، قال : «انني لم اعد اراها ، لم اعد احس بوجودها بجواري ، انعملها ياخذها مني،ولولا وجود اطفالنا الصغار، الذين تركت زوجتي مهمة رعايتهم لاحدى المربيات، لنسيت انني قد تزوجت .. انها لا تكاد تعود من عيادتها بعد الظهر ، حتى تبدا تستعد لاستئناف عملها في المساء .. انا ايضا طبيب ، ولكنني لم انس انني اب وزوج في الوقت نفسه،ومن اجل هذا حرصت على ان انظم حياتي ، بحيث اترك لنفسي وقتا اقضيه في بيتي مع زوجتي واولادي..ولكنني لا اكاد ابحث عنها ، حتى افاجا بانها قد غادرت البيت لان هناك حالة طارئة تتطلب وجودها في العيادة او في بيت احد مرضاها .

« انها تهتم بعملها ، اكثر من اهتمامها ببيتها وزوجها واطفالها .. انني لا اريد ان احرمها من مزاولة مهنتها لانني اعلم انا تحبها ، ولكنني اطلب منها فقط ، ان تعطينا بعض وقتها ، ان تشعرنا بانها منا واننا منها .. ان تدرك ان لها بيتا وزوجا واطفالا ينتظرون عودتها .. » .

التفاهم بين الزوجين

ولكن بالرغم مما قد يبدو في خطاب هذا الزوج من مرارة ، الا ان مشكلتهما ليست من النوع الذي يجب ان يبقى بغير حل .. ان قدرا بسيطا من التفاهم بينهما يمكن ان ينظم حياة الزوجة الطبيبة بالصورة التي ترضيها وترضي زوجها ، وتوفر الرعاية الصحية لاطفالها .. هؤلاء الذين تركت شئونهم لتلك المربية التي جاءت لتعمل مقابل اجر تدفعه لها الام العاملة ، حتى تتمكن من التفرغ هي لعملها ووظيفتها !فهذه صورة اخرى من صور عدم النضوج العاطفي ، لان مهمة الام الاولى هي رعاية اطفالها ، وخاصة في مراحل حياتهم المبكرة .

مشكلة شاب جامعي

كتب شاب جامعي يدرس الاقتصاد يشكو والديه ويقول : « انني احد ثلاثة ابناء ، ننتمي الى اسرة متوسطة الحال ، والدنا يعمل موظفا في الحكومة ، وامنا مدرسة في احدى المدارس الثانوية ..

« اننا لا نرى والدينا الا في المساء، بعد عودتهما من عمليهما ، وعلينا نحن بعد ذلك انندبر شئوننا بانفسنا ، وان نعنى في نفس الوقت بشقيقتنا الصغرى التي لم تتجاوز عامها السادس بعد ، انني اشعر بان العبء الذي يقع على عاتقي ، اكبر مما احتمل ، فانا مسئول عن رعاية شقيقتي الصغيرة ومراجعة دروسها ، في الوقت الذي استعد فيه للامتحان ، فلم يبق على تخرجي في الجامعة الا سنة واحدة ، ان توسلاتي لوالديّ لاعفائي من هذه المهمة لم تزدهما الا اصرارا على ان استمر في تاديتها باعتباري الابن الاكبر ، ولا بد لي من ان اتحمل جانبا من المسئولية .

ان مرتب ابي يكفينا ويزيد ، وقد حاول من جانبه ان يقنع امي بترك عملها للتفرغ لشئون البيت . ولكن محاولاته كلها ذهبت هباء .. حتى لقد اصبحت هذه المشكلة سبب خلاف دائم بين والديّ .. انني اخشى على مستقبلي من الضياع، حتى شقيقي الاصغر الذي لم يكمل بعد مرحلة دراسته الثانوية ، هو الاخر بدا يتاثر بهذا الجو الذي يسود البيت ، وبدات نتائج امتحاناته تسوء » .

هذه بعض النماذج للرسائل التي ترد الى « العربي » .. انها صور للحياة من حولنا .. صور نسمع عنها ويعيشها البعض منا ، ولكنها لا تستوقفنا الا عندما نراها ماثلة امامنا ، انها صور تعكس مشكلة النضج في الحياة .. يقول ايمرسون : « ان النجاح في الحياة لم يكن ابدا دليلا على اكتمال النضج .. ! » .

النضج ... النضج

بقي ان نتساءل : « هل كانت هذه الرسائل تحمل حقيقة مشاكل بلا حل ؟

ان جاز لنا ان نسميها مشاكل ، فهي تعكس اول ما تعكس قصورا في التفكير ، وهذا القصور هو اول مظاهر عدم النضج .. فاذا نضج تفكيرنا ، وهو كثيرا ما ينضج من خلال تجاربنا في الحياة .. كما قدمنا ، خف اثر هذه المشاكل على حياتنا واستطعنا ان نتغلب على الكثير منها ! ■■

(م ٠ ن)

أنت تسأل .. ونحن نجيب

التقاويم شمسية وقمرية

● لفت نظري في احدى الصحف العربية وجود ثلاثة تقاويم : التقويم الهجري والتقويم الميلادي وتقويم ثالث، فما هي التقاويم المتبعة وعدد أشهرها وأيامها في سنة، والى اي شعب تنتمي ؟.

عادل محمد الاسطه ـ بيروت / لبنان

ـ يعتمد حساب الشهور لدى اغلب الامم والطوائف على السنة القمرية او على السنة الشمسية .

والأشهر القمرية هي التي تعتمد على رؤية الهلال وتنتهي بمحاقه ، ثم يبدأ شهر جديد لطلوع هلال جديد . ومجموع ايام السنة القمرية هو ٣٥٤ يوما تقريبا .

اما السنة الشمسية فمجموع ايامها ٣٦٥ في ثلاثة اعوام متوالية ، تسمى الاعوام البسيطة ، وفي العام الرابع يكون مجموعها ٣٦٦ يوما وتسمى السنة الكبيسة ، حتى يمكن ان يلاحق التقويم مواقع الشمس في السماء والأبراج . والفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية هو نحو احد عشر يوما . ومعنى هذا ان الشهور القمرية تقع احيانا في الشتاء واحيانا في الصيف وفي الربيع والخريف .

والسنة العربية سنة قمرية وشهورها على التوالي هي : المحرم ـ صفر ـ ربيع الأول ـ ربيع الآخر ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة .

كل شهر من هذه قد يكون تسعة وعشرين يوما وقد يكون ثلاثين يوما .

والشهور الفارسية قمرية، وهي على التوالي : افرودين ماه ـ اردبهشتماه ـ حردادماه ـ تيرماه ـ ازد ماه ـ برماه ـ مهرماه ـ ابان ماه ـ ادرماه ـ دى ماه ـ بهمن ماه ـ اسفندارماه .

وكلمة ماه معناها القمر . ثم لهم ايام يكملون بها السنة الشمسية تسمى الاندركاه .

والشهور اليهودية قمرية وهي على التوالي :

تشري ـ مرحشوان ـ كسلا أو كسلاو ـ طابات ـ شباط ـ اذار ـ نيسان ـ أيار ـ سيوان ـ تموز ـ آب ـ ايلول .

ويلاحظ ان بعض الشهور تتفق في الاسم مع اسماء بعض الشهور السريانية ، لكنها تختلف عنها في البدء وعدد الأيام . ثم لهم ايام يجمعونها في اعوام مختلفة ، ويجعلون سنتهم في احد الأعوام ثلاثة عشر شهرا ، ويكون الشهر المضاف بعد الشهر السادس اذار ، فيسمون الزائد بعده : اذار الثاني .

والشهور التي تعتمد على الحساب الشمسي وعدد أيامها ٣٦٥ في السنين البسيطة و ٣٦٦ يوما في السنين الكبيسة تحتفظ بمجيئها في فصول ثابتة ، فشهور الصيف لا تتغير ، وكذلك شهور الشتاء والربيع والخريف .

منها الشهور القبطية ، كل شهر منها ثلاثون يوما وعدد ذلك ٣٦٠ وبعد نهاية الشهر الثاني عشر يعدون أيام النسيء ، وهي ٥ أيام او ٦ ايام ، حسب السنة البسيطة والكبيسة ، وشهورهم على التوالي هي :

توت ـ بابه ـ هاتور ـ كيهك ـ طوبة ـ امشير ـ برمهات ـ برمودة ـ بشنس ـ بؤونة ـ ابيب ـ مسرى ـ

وبعد شهر مسرى تأتي أيام الزيادة التي تكتمل بها السنة الشمسية عدتها ٣٦٥ أو ٣٦٦ ثم تبدأ من جديد « توت ـ بابه » الخ .

مشروعات القطاع العام . وقد اشاع الخصوم عن رئيسة وزراء الهند أثناء الحملة الانتخابية انها سوف تحرم الملكية الفردية ، فانكرت هذا الاتهام سريعا .

٤ ـ ايجاد فرص للعمل ، لكل قادر على العمل، وخاصة بالنسبة للمهنيين ، من مهندسين واطباء ومحامين وغيرهم من فئات اخرى . وقد جاء في احصاء نشر اخيرا ان هناك ما يقرب من ٦٠ الف مهندس لا يجدون عملا في الهند .

على ان هناك نتائج اخرى تهم العالم العربي بصورة مباشرة ، في نزاعه مع اسرائيل ، وفي مقدمتها ان حزب المؤتمر الحاكم ، وبعد تخلصه من الجناح اليميني ، قد اصبح اكثر وضوحا في تاييده للقضية العربية ، فسوف تمضي حكومة الهند في مناصرة العرب في نضالهم من اجل استعادة حقهم المشروع، وفي استنكار سياسة اسرائيل العدوانيـة ، وفي رفض اقامة اي نوع من التمثيل الدبلوماسي بين الهند واسرائيل ، وهو ما كان قائما حتى اليوم ، واخيرا فقد اصبحت الحكومة الهندية اليوم اكثر قدرة على وضع التزاماتها موضع التنفيذ ، وفي مامن تام من اية محاولة لتغيير هذه السياسة .

(م . ن)

في رثاء مصطفى كامل

● الرجاء افادتي عن قائل هذين البيتين ، وفي اى مناسبة قيلا ؟

دقات قلب المرء قائلة لـه ... ان الحيـاة دقائـق وثوانـي
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للانسان عمر ثاني

عمر جاد بن محمد / السودان

ـ هذان البيتان لأمير شعراء العربية احمد شوقي في رثاء زعيم مصر الخالد الذكر مصطفى كامل باشا الذى عاش في الفترة ما بين ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨ فمنذ حداثته عني والده بتعليمه لما لاحظ فيه من مخايل الذكاء والنجابة . فقد سافر الى فرنسا ونال شهادة الحقوق من جامعة تولوز . وقد كان فصيحا ساحر البيان ، انصرف للدعوة للحركة الوطنية ومقاومةالاحتلال البريطاني لمصر بخطبه ومقالاته وكتبه وتنظيم المؤتمرات . حيث استطاع ان ينشر دعوته السياسة هذه في صحف فرنسا ومجتمعاتها مطالبا بجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن مصر . وقد انشا لهذا الغرض جريدتين احدهما بالانجليزية والاخرى بالفرنسية ، سماهما اللواء ، بالاضافة الى جريدة اللواء اليومية التى انشاها سنة ١٩٠٠ .

وقد دعا الى انشاء الحزب الوطني فانعقد اول اجتماع له سنة ١٩٠٧ بدار اللواء ، وانتخب له رئيسا مدى الحياة . وبذل في سبيل الدفاع عن قضية مصر من الجهد ما اثر في صحته تاثيرا شديدا ، فتوفي وهو في ريعان شبابه فرثاه الكثير من شعراء مصر وكتابها . ومن اشهر مؤلفاته كتاب حياة الامم والرق عند الرومان ، وكتاب دفاع مصري عن بلاده ، وكتاب مصر والاحتلال الانجليزي.

ومطلع هذه المرثية :

المشرقان عليـك ينتحبـان ... قاصيهما في مأتم والداني

ومنها :

يتساءلون بأى قلب ترتقي ... بعد المنابر أم بأى لسان
لو ان أوطانا تصور هيكلا ... دفنوك بين جوانح الأوطان
أو كان يحمل في الجوارح ميت ... حملوك في الأسماع والأجفان

ومنها كذلك :

يا صب مصر ويا شهيد غرامها ... هـذا ثرى مصر فنم بأمان
اخلع على مصر شبابك عاليا ... والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرا من شبابك ترتدى ... مجدا تتيه به على الأوطان

(ص . ى)

اقدم برلمان في العالم

● أي البرلمانات أقدمها ، ويمكن اعتباره بحق أبا البرلمانات في العالم .... ؟

على شعراوى يوسف/الجيزة – ج.ع.م

– أبو البرلمانات هو برلمان ايسلندة ، وقد سمّاه أهل تلك البلاد الثينج : Althing ويعود ظهور هذا البرلمان الى ما قبل الف عام .. فقد عقد أولى جلساته سنة ٩٣٠ م .

وجدير بالذكر ان جزيرة ايسلندة بقيت غير مأهولة حتى سنة ٨٧٤ م ، حينما قدم اليها واستوطنها جموع من النرويجيين .

وبدأت ايسلندة حياتها السياسية المستقلة بظهور مجلسها النيابي الأول ، أو بالحري بجلسته الأولى على نحو ما ذكرنا . وبقيت ايسلندة على استقلالها متبعة نظام الحكم الجمهوري حتى سنة ١٢٦٤ . وقد دخلت بعد ذلك في اتحاد مع النرويج ، ثم مع الدانمرك ، ثم عادت ففصمت وحدتها الأخيرة هذه سنة ١٩١٨ ، واستبدلت بها ارتباطا بالتاج الدانمركي، اقل وثوقا واحكاما من الاتحاد السابق . ولكن ايسلندة لم تلبث أن وضعت حدا لهذا الارتباط سنة ١٩٤٤ . وقد فعلت ذلك وفق استفتاء شعبي صوتت الأكثرية فيه الى جانب الاستقلال التام والنظام الجمهورى الديمقراطي الذى كانت تسير عليه البلاد قبل نحو الف عام .

وتجدر الاشارة الى ان ايسلندة التي تغطي الثلوج الكثير من اراضيها ، جزيرة تقع في اقصى الشمال في بحر الشمال ، بين جزيرة جرينلند وشبه جزيرة اسكندنافية . ويبلغ عدد سكانها حوالي ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، وتبلغ مساحتها نحو ١٠٠٠٠٠ كم٢ . ويعيش اهلها على صيد الأسماك ، وتكثر فيها البراكين .

(ي . ز)

الطابور الخامس

● نسمع في الاذاعات ونقرأ في الصحف ووسائل الاعلام العربية عن الطابور الخامس . ونفهم انه يعني العملاء في داخل البلد لمصلحة بلد خارجي فان صح هذا فهل هناك طابور رابع وطابور ثالث وهلم جرا ، وماذا تعني هذه الطوابير ؟ .

منصور الدوسرى – الكويت

– نشأ تعبير « الطابور الخامس » أول ما نشأ أثناء الحرب الأهلية الاسبانية التي نشبت في عام ١٩٣٦ واستمرت ثلاث سنوات .. وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال الاسباني كويبو ديللانو Qouipo Dellano أحد قواد القوات الثائرة .. وكان يتحدث عن قواته الزاحفة على مدريد وكانت تتألف من ٤ طوابير من الثوار ثم قال ان هناك أيضا طابورا خامسا يعمل مع الثوار ولكن داخل مدريد نفسها وكان يقصد بذلك مؤيدى الثورة من أهالي مدريد .

وبعد هذا الوصف الذى اطلقه الجنرال الاسباني الثائر أصبح استعمال كلمة الطابور الخامس شائعا ، وأصبحت تدل على الجاسوسية وعمليات التخريب التي تتم داخل البلد بواسطة أعوان لأعداء هذا البلد . وزاد انتشار هذا التعبير بعد ذلك لما قامت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ واعتماد هتلر على عدد كبير من الجواسيس والمخربين داخل البلاد التي كان يحاربها .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية اتسع معنى كلمة الطابور الخامس ليشمل أيضا مروجي الاشاعات ومنظمي الحروب النفسانية التي انتشرت نتيجة للحرب الباردة التي نشأت بين المعسكرين الشيوعي والغربي .

(م . ط)

بنوك العالم ايها اكبر

● لماذا كانت البنوك السويسرية اكبر بنوك العالم ...

أحمد غنيم / الشقايا ــ الكويت

ــ البنوك السويسرية ليست اكبر بنوك العالم .. وشهرة هذه البنوك قد تعود الى التسهيلات التي تقدمها ولكنها لا تعزى الى كبرها .. ونعطيك فيما يلي بيانا باكبر عشرة بنــوك في العالم ، وبمجموع الودائع الموجودة لديها . اذ ان وفرة الودائع ، وهي تشمل في الغالب رأس المال ، هي المحك الذى يقاس به كبر البنوك .

الودائع بآلاف الملايين من الدولارات

بنك امريكا	٢٢٫٢	امريكي
فيرست ناشونال سيتي	١٩٫١	امريكي
شيز مانهاتان	١٩٫٠	امريكي
باركليز	١٢٫٥	بريطاني
مانوفاكتشروز هانوفر	١٠٫٤	امريكي
ناشونال وستمنستر	٩٫٧	بريطاني
مورجان جارنتي	٩٫٠	امريكي
بنكا ناسيونال دل لافورو	٨٫٨	ايطالي
وسترن بانكوربوريشن	٨٫٧	امريكي
بنك ناسيونال دى باريز	٨٫٢	فرنسي

فانت تلاحظ ان هذه البنوك الرتبة نزولا من الكبير الى الصغير ، ليس بينها بنك سويسرى واحد ، وان ستة منها بنوك امريكية ، واثنين بريطانيان ، وواحدا ايطالي ، والاخير فرنسي .

(ى . ز)

اريتريا وقصة جهادها ضد الاستعمار الاثيوبي

● كثيرا ما ينشر هذه الأيام في الصحف والمجلات عن قضية اريتريا ، والثورة هناك ضد الحكم الاثيوبي نرجو أن تكتبوا لنا نبذة عن اريتريا وتاريخها وعدد سكانها وموقعها الجغرافي .

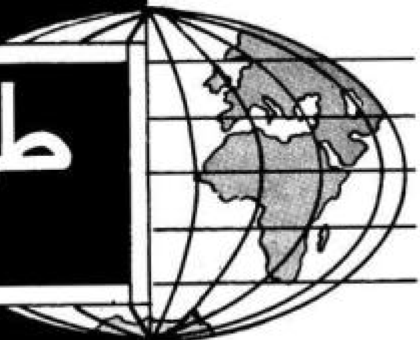
حسن عمر عيد ــ جده

ــ تقع اريتريا على الشاطىء الغربي الجنوبي للبحر الاحمر ، وهي تمتد حوالي ٦٧٠ ميلا على الساحل الغربي للبحر الاحمر ولا يفصلها عن الجزيرة العربية الا مضيق باب المندب والبحر الاحمر وتبلغ مساحة اريتريا ١٢٠ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي الثلاثة ملايين نسمة اكثر من ٧٥٪ منهم مسلمون . وعاصمة اريتريا هي أسمرا .

وقد ظهر الاسلام في اريتريا في نهاية القرن الاول الهجرى . وفي القرن الثالث قامت عدة ممالك اسلامية هناك وانتشرت اللغة العربية وأصبحت اللغة الرسمية للبلاد . وأصبحت اريتريا جزءا من الامبراطورية الاسلامية في عهد الأمويين ، ثم أصبحت تابعة للامبراطورية العثمانية في منتصف القرن السادس عشر الميلادى وفي عام ١٨٦٦ تنازلت عنها الامبراطورية العثمانية للحكومة المصرية ، وفي عام ١٨٨٥ احتلتها ايطاليا وظل الاحتلال الايطالي قائما حتى هزمت ايطاليا في الحرب العالمية الثانية وتنازلت عن اريتريا لبريطانيا . وفي عام ١٩٥٠ اصدرت الأمم المتحدة قرارا ينص على انضمام اريتريا للحبشة في اتحاد فيدرالي .. واستغلت الحبشة هذا القرار وبدأت في فرض القيود على اللغة العربية في اريتريا ومنعت تدريسها واحلت اللغة الأمهرية محل اللغة العربية . وثار شعب اريتريا ضد هذه الاجراءات وفرضت الحبشة سيطرتها الكاملة على هذا البلد وأعلنت الغاء الاتحاد وضم اريتريا ضما كاملا للحبشة . وتكونت جبهة تحرير اريتريا التي تنادى بالاستقلال عن الحبشة وبدأت سلسلة طويلة من أعمال حرب التحرير التي لا تزال مستمرة حتى الآن .

(م . ط)

طرائف غريبة



(مدرسة العلوم فى الادب)

● سير جيمس بارى Sir Jemes Barrie ، المؤلف والكاتب المسرحي الاسكتلندى (١٨٦٠ – ١٩٣٧) ، كان يفتح بابه للشباب الناشىء من الكتاب الذين كانوا يحرصون دائما على ان يقدموا له انتاجهم ليقراه ويقول لهم رايه فيما يكتبون !.

وكان سير جيمس يخصص من وقته بضع ساعات يوميا يقضيها في قراءة بعض ما يعجبه من انتاج هؤلاء الشبان ، وكان يدعوهم الى بيته ويجلس اليهم ويحدثهم ويناقشهم .. الى ان جاءه يوما شاب يحمل اصول كتاب اعده للطبع . ووقف الشاب في ادب يرجو الكاتب الكبير ان يقرا بعض فصول كتابه .

وقال سير جيمس : « ولكن هذا انتاج ضخم يا بني . انه يقع في اكثر من الفي صفحة من حجم الفولسكاب ، هل تستطيع ان تعطيني فكرة عن موضوع كتابك هذا ؟! » .

وقال الشاب : « نعم . انه ثورة على كل شيء نراه من حولنا اليوم ! » .

واجفل سير جيمس ، وقال في تساؤل وذهول : « ثورة ! ماذا تعني بهذا ؟! » .

قال الشاب : « اعني ثورة على الجمود .. انه دعوة الى التقدم عن طريق العلوم ! » .

وقال سير جيمس : « آسف يا بني ولكنني لا افهم كثيرا في العلوم ! » ثم اعاد الى الشاب اصول كتابه !.



وخرج الشاب من بيت الكاتب الكبير الى المطبعة فورا ، وكتب في مذكراته يقول : « الآن فقط ادركت انني اكتب ادبا من لون جديد .. ادبا حلت فيه العلوم محل الرومانسية .. وغدا سيعرف الناس ان العلوم هي الحياة ! » .

ولم يكن هذا الشاب سوى هـ.ج ولز H. G. Wells ، كاتب بريطانيا الشهير الذى قالوا عنه بعد موته في عام ١٩٤٦ : « لقد استطاع هذا الكاتب ان يقدم للعالم مدرسة جديدة يدرس فيها الناس دور العلوم في تطور البشرية ! » .

● ● ●

« الحرية والنحل ! »

● لم يكن لودفيج بيتهوفن (١٧٧٠ – ١٨٢٩) الذى احتفل العالم فى العام الماضي بمرور مائتي عام على مولده ، موسيقارا فحسب ، بل لقد كان أيضا عبقريا عرف كيف يفلسف الحياة ويقدس الحرية . كتب يوما لصديق يشكو ازمة الحرية فى بلاده ، يقول : « ان الحرية يا صديقي لا تهبط الى الشعوب القاعدة ، فهي ليست بماء ترسله السماء الى الزرع الظامىء .. ان الشعوب هي التي يجب أن تسعى الى الحرية وتكتسبها ، تماما كما يفعل النحل وهو يتنقل بين الزهور ليمتص رحيقها .. انه لو بقي حبيسا فى خليته لمات جوعا، ولما استطاع ان يقدم لنا الذ واطيب طعام ! .

« فالحرية نعمة ، يجب ان نسعى ونكافح من أجل كسبها ، والا فلن نستطيع أبدا أن نفوز بها ونتمتع بلذاتها » .

زهور الوداع !

● روت أرملة الزعيم الزنجي الامريكي الراحل مارتين لوثر كنج Mertin Luther King ، الذى صرعه البيض برصاص الحقد والكراهية منذ بضعة اعوام فى امريكا ، روت قصة غريبة حدثت بينه وبينها قبل أن يلقى مصرعه بأيام معدودة ، قالت : « كان الوقت مساء عندما طرق باب بيتي رسول يحمل باقة من الزهور بمناسبة عيد زواجنا وقرات البطاقة ، فاذا بها من زوجي الذي كان قد سافر الى مدينة ممفيس ليخطب فى اجتماع عقده السود ليعبروا فيه عن احزانهم ! .

« وكانت زهورا جميلة حقا ، ولكنني ما كدت اقربها من انفى حتى اكتشفت انها زهور اصطناعية لا رائحة فيها ! وكانت مفاجاة لي ، فلم يحدث ابدا ان اهداني زوجي زهورا اصطناعية طوال سني زواجنا .. وحملت الزهور لاضعها فى آنية ، ثم رحت انتظر عودته الى ان وصل أخيرا وما كدت القاه حتى طبعت قبلة علي جبينه ، وشكرته على هديته وقلت : انها زهور جميلة ، ولكنها اصطناعية ! » .

وقال مارتين : « نعم يا حبيبتي ، فقد اردت أن اعطيك شيئا تحتفظين به دائما ! » .

ولم تكد تنقضي بضعة أيام ، حتى لقي زوجي مصرعه .. أما الزهور ، فما زالت باقية لم تذبل فى المكان الذى اراده لها تحت صورتنا فى لباس العرس حتى اليوم !! .



مارتين لوثر كنج

صور الحياة .. اجمل اللوحات ! .

● يروون عن الرسام الروسي المعاصر مارك شاجال Marc Chagall ، انه لم يكن يقنع ابدا برأى الناس فى فنه ، وكم من مرة حمل لوحاته التي اثارت اعجاب كل من رآها ، وعاد بها الى مرسمه الصغير فى بيته ، حيث كان يجلس امامها ساعات طويلة يتأملها ، وقد امتلأت نفسه بالشك فى صدق ما قاله المعجبون بفنه !

الى أن جاءه يوما صديق زائر ، يعمل استاذاً للعلوم الطبيعية . واحس الصديق بحيرة صديقه الفنان الذى يريد ان يتأكد بنفسه من جمال لوحاته التي وضع فيها كل جهده .

وجلس الصديق يفكر ، ثم ما لبث ان قفز من مقعده ، وقال : « ان لوحة الحياة يا صديقي هي اروع اللوحات وانت تستطيع ان ترى صوراً من الحياة فى كل شيء من حولك .. فى فرع شجرة خضراء وارفة او فى زهرة تفتحت اوراقها ، أو فى وجه جميل لطفلة صغيرة ، حاول ان تاتي بصورة من هذه الصور ، وضعها بجوار لوحتك الجديدة ، ثم قف امام الاثنين وتأملهما ، فاذا وجدت ان لوحتك قد نجحت فى أن تثبت وجودها بجانب هذه الصور الحية التي تعجز يد الانسان عن صنعها ، فاعلم انها لوحة ناجحة !! » .

ابْن خلّكان ..

بقلم : عبد الستار فراج

■ الكتب التي هدفها التعريف بالاشخاص موجودة في التراث العربي الاسلامي من عهد بعيد ، مع الاختلاف في مشارب مؤلفيها تبعا لمن يُعنون بالكتابة عنهم .

كتب التعريف بالأشخاص في التراث العربي

واقدم ما بايدينا مطبوعا من هذه الكتب هو الطبقات لابن سعد . فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاصحابه من مهاجرين وانصار ، فمن اخذ عنهم ومن انتقل الى الامصار .

وطبقات فحول الشعراء ، من عنوانه نعرف ما فيه ، وكذلك الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والورقة لابن الجراح .

وكل هذه الكتب ألفت في القرن الثالث الهجرى . وسبق ان كتبتُ عن « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني المشتمل على ما غنّي فيه قبله ، مع ترجمته لأكثر قائلي الشعر والمغنين والمغنيات ، الى جانب ما يعرض له من ذكر للأنساب وأيام العرب وبعض غزوات الرسول ، ويذكر الصوت المغنى فيه ولحنه .

ومن كتب التراجم تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، الى غير ذلك من الكتب كاليتيمة ، وتتمة اليتيمة ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، والأوراق للصولى ، والخريدة للاصفهاني والاستيعاب لابن عبد البر ، واسد الغابة لابن الاثير .

ومن كتب التاريخ ما يعرّف ببعض الاعلام ، كمروج الذهب للمسعودى ، والتنبيه والاشراف له أيضا ونوع آخر كالفهرست لابن النديم الذى يتكلم عن موضوعات متفرقة ، ومن الفوا فيها ، ويترجم في ايجاز لبعض العلماء والشعراء .

وكثرت الانواع من هذه المؤلفات التي تأتي بالتراجم على تباين في اساليبها وفي الدقة وحسن الاختيار . وقد يكون بعضها شاملا للاشخاص في جيل واحد او قطر واحد او بلد واحد ، وبعضها بتوسع فيذكر القديم ومن تلاه حتى يصل الى زمنه ، اما على تسلسل الزمن ، واما على الترتيب الهجائي .

ولا أستطيع أن احصي ما طبع من ذلك ، فضلا عما تناثر في دور الكتب العامة والخاصة من مخطوطات .

كتاب وفيات الأعيان

وكتاب وَفَيَات الاعيان كله تراجم لاشخاص ، والوَفَيَات جمع وَفاة ومعناها استيفاء الأجل المقدر للانسان وانتهاؤه . والأعيان جمع عَيْن ، والعَيْن تطلق على عدة معان منها الشخص المهم

وكتابه وفيات الأعيان

ذو القيمة ، وهذا الكتاب المشهور باسم وَفَيات الأعيان الفه ابن خلكان ، وكثير من الناس ينطقون اسم الكتاب خطا فيقولون وَفَيَّات فيكسرون الفاء ويشددون الواو غير ملاحظين ان المؤلف لا يريد ان يذكر من اتصفن بالوفاء من النساء ، وانما يريد تحديد تاريخ الوفاة لمن لهم شهرة في العلم او الرياسة او الادب او في فن من الفنون .

ويقول ابن خلكان في مقدمته لكتابه :

« ولم اذكر في هذا المختصر احدا من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضي الله عنهم الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة احوالهم ، وكذلك الخلفاء لم اذكر احدا منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، ولكن ذكرت جماعة من الافاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم او كانوا في زمني ولم ارهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدي .

ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الأمراء او الوزراء او الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرته واتيت من احواله بما وقفت عليه ..

الى أن يقول « وسميته كتاب وَفَيَات الأعيان ، وانباء ابناء الزمان ، مما ثبت بالنقل او السماع او أثبته العيان » .

ويذكر لنا تاريخ ترتيبه له فيقول :

« وكان ترتيبي له في شهور سنة اربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة » اي ٦٥٤ هـ . لكن انجاز الكتاب نهائيا كان بعد ذلك .

فهو يقول في نهاية كتابه :

« نجز الكتاب الذى سميته وَفَيَات الأعيان وانباء ابناء الزمان بحمد الله ومنّه ، وذلك في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة » اي ٦٧٢ هـ .

« يقول الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد ابن ابراهيم بن خلكان مؤلف هذا الكتاب : انني كنت شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في اوله على الصورة التي شرحتها هناك مع استغراق الأوقات في فصل القضايا الشرعية والأحكام الدينية بالقاهرة المحروسة ... » .

ودخل دمشق مع الظاهر بيبرس يوم الاثنين سابع ذى الحجة من السنة نفسها . « ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع الى الديار المصرية . وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل ، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما ، فاني دخلتها في التاريخ المذكور الاثنين سابع ذى القعدة من سنة ٦٥٩ وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذى القعدة من سنة تسع وستين وستمائة » (٦٦٩هـ) .

واذن فان خمسة اعوام مما قضاها في القاهرة متوليا نيابة القضاء قد شغلته عن التاليف بعد ان رتبه في سنة ٦٥٤ .

وبعد ذهابه الى الشام في ٦٥٩ وعودته في ٦٦٩ قال « فلما وصلت الى القاهرة صادفت بها كتبا كنت اوثر الوقوف عليها » . من ذلك نجد أن ما قضاه في المراجعة مدة ثلاث سنين ، حيث أنجز كتابه في سنة ٦٧٢ . لكنه لم يحاول أن يضيف تراجم لمن ماتوا بين ٦٥٥ و ٦٧٢ ، ومن ذلك استاذه الحافظ عبد العظيم المنذرى المتوفي سنة ٦٥٦ ، لكنه أضاف بعض الزيادات اليسيرة في من كان ترجم لهم . من ذلك قوله في ترجمة ابى المعالي مجلى بن جميع « زيادة : فتحت ارسوف على يد الملك الظاهر بيبرس سنة ثلاث وستين وستمائة والحمد لله » . وفي ترجمة الملك الكامل محمد يقول « ولم يزل مالكها الى سنة احدى وستين وستمائة » .

فترة اخرى بعد انجازه النهائي للكتاب بين سنة ٦٧٢ و ٦٧٦ لم يظهر لنا ما كان من امره فيها ، ولعله قضاها في مدارسات ادبية ، او اطلاع دون تولي عمل ، وقد يكون قضى تلك المدة في القاء الدروس اذ يقول ابن كثير في البداية والنهاية .

« وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره » .

ثم تولى قضاء الشام مرة اخرى من سنة ٦٧٦ الى ان عزل في سنة ٦٨٠ ، ولم يعد الى مصر ، بل اقام في دمشق حتى توفي بعد عام من عزله .

واغلب حياة ابن خلكان تاخذها من كلامه في اثناء التراجم التي جمعها في كتابه ، وانه ليسجل الايام والاعوام والاماكن ، بل وفي بعض الاحيان يسجل الساعات .

ولقد قال عنه الاسنوى في طبقاته ونقله صاحب شذرات الذهب « وقد اوضح هو حاله في تاريخه مفرقا » وهاانذا من كتابه وفيات الاعيان انقل بالنص اغلب ما يؤرخ لحياته .

حياة ابن خلكان نقلا بالنص لمن يؤرخ لحياتهم

في يوم الخميس بعد صلاة العصر في اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هجرية ولد احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان ، وكان ذلك بمدينة اربل ، بجوار الموصل ، بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين . ونصه على تاريخ هذه الولادة موجود في ترجمته لام المؤيد زينب بنت عبد الرحمن . واشتهر بين الناس بكنيته « ابن خلكان » . وخلكان كما اورد نسبه ، هو جده الثاني . وقد ضبط صاحب تاج العروس لفظة خلكان في مستدركاته في مادة خلك انها بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة . ومثل ذلك ذكره صاحب روضات الجنات لكنه اضاف ضبطين آخرين ، احدهما فتح الخاء مع كسر اللام وتشديدها . والآخر ضم الخاء وفتح اللام المشددة ثم عقب على ضبط الاسم بفتح الخاء وكسر اللام المشددة بقوله : « وقد قيل في وجه تسمية جده خلكان بناء على ضبطه (بفتح الخاء وكسر اللام مشددة) انه افتخر يوما في مجلس كان له على بعض قرنائه بمفاخر آبائه الذين هم آل البرامكة الوزراء المشهورون،فقيل له في ذلك : خلّ كان . بمعنى دَعْ كان ابى كذا ، وجدى كذا ، ونسبي كذا ، وحدّثنا عما تكون في نفسك . وهذا تعليل طريف ، لكن ابن خلكان نفسه لم يذكر لنا ضبط اسم جده مع انه يضبط الاعلام بعناية ، ولو كانت الكلمة مركبة من اللفظين وليست اسما اصيلا له لذكر لنا ذلك في نسبه حينما نص عليه في آخر الكتاب .

كان ابوه يتولى التدريس

كان ابوه محمد يتولى التدريس ، وظاهر من نصه على ولادته ، ان المدارس كان يلحق بها مسكن لمدرسيها ، وسياتي نص آخر يفهم منه ان المدارس ايضا كان يلحق بها مساكن للطلاب .

وسمعة والده مستفيضة لدى علماء وقته ، ومنزلته كريمة لدى سلطان بلده ، ونقل صاحب شذرات الذهب ان والده لقب بالشهاب محمد

ابن خلكان من نسل البرامكة

وذكر المؤرخون تبعا لقول ابن خلكان نفسه انه من نسل البرامكة . ويقول ابن شاكر الكتبي في كتابه (فوات الوفيات) انه سال بعض اصحابه عما يقوله اهل دمشق فيه ، فاستعفاه ، فلما الحّ عليه كان مما قاله له : انك تكذب في نسبك . فاجابه ابن خلكان : اما النسب والكذب فيه فاذا كان لا بد منه كنت انتسب الى العباس او الى علي ابن ابي طالب او الى احد من الصحابة ، واما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية ، واصلهم قوم مجوس فما منه فائدة .

ابن خلكان اجازه علماء عصره وهو طفل

هذا والعلماء كانوا يجيزون تلاميذهم (اي يعطونهم الاذنا بان يدرسوا للناس ما قراوه عنهم او سمعوه منهم) بعد الحضور عليهم . لكن هذا الامر صار في بعض الصور اشبه بمنح البركة يطلبها الوالد لولده ولو لم يكن قد خرج من مهد الطفولة بل ولو لم يكن بينهما اجتماع في بلد واحد . ونلحظ ان هذا انتشر في القرن السابع وما يليه ولا شك ان له سوابق في القرن السادس . فليس عجيبا ان يطلب الشهاب محمد ، لولده احمد ، ان يجيزه علماء عصره وهو ما يزال في المهد صبيا ، تيمنآ ان يكون من اهل العلم والرواية . فابن

خلكان ولد سنة ٦٠٨ ومع ذلك يقول في ترجمته للمؤيد بن محمد بن علي « ولنا منه اجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة .

ويقول في ترجمته لزينب بنت عبد الرحمن بن الحسن :

« ولنا منها اجازة كتبتها في بعض شهور سنة عشر وستمائة » .

وفاة والد ابن خلكان

اما عن وفاة والده فيقول في ترجمته لابي الفضل احمد بن موسى بن يونس :

« وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل ـ رحمه الله ـ بمدينة اربل بعد والدى رحمه الله تعالى ، وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة عشرة وستمائة ، وكانت وفاة الوالد ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة . وكنت احضر دروسه وانا صغير وما سمعت احدا يلقى الدروس مثله ، ولم يزل على ذلك الى ان حجّ ، ثم عاد واقام قليلا ، ثم انتقل الى الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة » .

ابن خلكان في اربل يتلقى علومه

وما زال ابن خلكان في بلده يتلقى علومه ، ومن ذلك سماع الحديث ، فهو يذكر في ترجمته لابي الوقت عبد الاول بن ابي عبد الله عيسى بن شعيب ما يأتي :

« سمعت صحيح البخاري بمدينة اربل في بعض شهور سنة احدى وعشرين وستمائة ، على الشيخ الصالح ابي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي ، بحق سماعه في المدرسة النظامية ببغداد من الشيخ ابى الوقت المذكور » . ثم يستمر في ذكر سلسلة السماع حتى يصل الى البخارى صاحب الصحيح .

اخباره في اربل

واربل بلدة يذكر لنا بعض اخباره فيها ، ففي ترجمة اسعد بن يحيى بن موسى يقول :

« وكان قد جاءنا ونحن في بلادنا في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الشيخ جمال الدين ابو المظفر عبد الرحمن ونزل عندنا بالمدرسة المظفرية ، وكان قد طاف البلاد ومدح الملـــوك واجازوه الجوائز السنية ، واذا قعد حضر عنده كل من له عناية بالادب ، وتجرى بينهـــم محاضرات ومذاكرات لطيفة » .

وفي ترجمته لابن عنين محمد بن نصر الدين يقول :

« ولقد رايته بمدينة اربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئا » .

وفي ترجمته لأبى الفتح موسى بن أبى الفضل يونس يقول :

« ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل أبو عمر ابن المفضل الأبهرى صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصاريف المشهورة من الموصل الى اربل في سنة خمس وعشرين وســـتمائة ، ونزل بدار الحديث ، وكنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف » .

وفي ترجمته لاحمد بن موسى بن يونس الاربلى يقول « شرح كتاب التنبيه في الفقه واجاد شرحه ... وكان مبدا شروعه في شرح التنبيه باربل ، واستعار منا نسخة التنبيه ، عليها حواش مفيدة بخط بعض الأفاضل ، ورايته بعد ذلك وقد نقل الحواشى كلها في شرحه . والفاضل الذى كانت النسخة والحواشى بخطه هو الشيخ رضى الدين ابو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلى الشافعي المفتى بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان من اكابر فضلاء عصره ، وصنف كتابا في الفقه يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وعرضت عليـــه المناصب فلم يقبل وكان متدينا » .

كما يذكر في ترجمة أسعد بن مهذب المشهور بابن مماتي عند وصوله الى مدينة اربل « وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين بن زين الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة القصيدة فيه » .

والموصل بالقرب من اربل ، وفيها علماء وأدباء لهذا كان يتردد عليها في طلب العلم ، حتى وهو في العاشرة من عمره ، يقول في ترجمته لابن الأثير محمد بن محمد صاحب « المثل السائر » وغيره .

« في سنة ثماني عشرة وستمائة ، ولقد ترددت الى الموصل من اربل أكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئا ، ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الأكيدة ، فلم يتفق لي ذلك » .

على أن مجال العلم في اربل لم يكن من السعة بحيث يرضي رغبات نفس متطلعة من بيت علم وفضل . وسلطان البلد نفسه يحب لأهل بلده ان يكونوا ذوى ثقافة واسعة ، وله مجال عظيم في خدمة الشعب والعلماء ، وسعى في رفاهية بلاده ، تحدث عنه ابن خلكان باطناب في ترجمته ذلك هو كوكبورى بن علي بن بكتكين ، الذى تزوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين الأيوبي . وابن خلكان يذكر لنا صلتهم بهذا السلطان ، الذى كان اسوة في الحكم الحميد ، لهذا حين توجه ابن خلكان واخوه ليتزودا من العلم ، صحبتهما مكاتبة من سلطانهما لرعايتهما . خرج ابن خلكان من بلده اربل وكان خروجه كما سجله في ترجمته لعيسى ابن سنجر المشهور بالحاجرى كما يلي « وكنت خرجت من اربل في اواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة » .

ويذكر ذلك ايضا في ترجمته للمبارك بن احمد .

في الموصل

وقد سبق ان نقلت بعض حديثه عن تردده الى الموصل وهو في العاشرة ، لقرب البلدين ، اما في طريق رحلته او بعثته ، فكان لا بد لـه ان يمر بالموصل ، وهو متجه الى حلب غير مقصر في طلب العلم أينما حل ، يقول في ترجمته لأبي الفتح موسى بن ابى الفضل يونس :

« ولقد رايته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ، وترددت اليه دفعات عديدة ، لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الأكيدة ، ولم يتفق لي الأخذ عنه، لعدم الاقامة وسرعة الحركة الى الشام » .

ويقول في ترجمته ليوسف بن رافع ابى المحاسن « وانشدني بعض الأدباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة » .

في حران

ويسجل مروره بحران ايضا اذ يقول في ترجمة الملك الكامل محمد .

« واجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل يقيم بها بعسكر الديار المصرية » .

ويذكر ذلك ايضا في ترجمته للملك الأشرف موسى :

في حلب

وقد وضح لنا في ترجمته لأبي المحاسن يوسف ابن رافع المعروف بابن شداد ما فعله هذا العالم الجليل الذى جعل حلب قبلة الراغبين ، يقول :

« كانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها ، وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة ... الى ان يقول ..

« ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد ، وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها ، وكان بين والدى ـ رحمه الله تعالى ـ وبين القاضي ابي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة ، وصحبة صحيحة المودة ، من زمن الاشتغال بالموصل ، فجئت اليه ـ وكان اخي قد سبقني بمدة قليلة ـ وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين ابو سعيد كوكبورى بن عليّ بن بكتكين رحمه الله تعالى ـ المقدم ذكره في حرف الكاف ـ كتابا بليغا في حقنا ، يقول فيه : انت تعلم ما يلزم من امر هذين الولدين ، وانهما ولدا اخي وولدا اخيك ، ولا حاجة مع هذا الى تاكيد وصية . واطال القول في ذلك . فتفضل القاضي ابو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام ، واحسن حسب الامكان ، وعمل ما يليق بمثله، وانزلنا في مدرسته ورتب لنا اعلى الوظائف والحقنا بالكبار ، مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال ... ولم نزل عنده الى ان توفي ... » .

« ولم يكن في مدرسته في ذلك الزمان درس عام ، لأنه كان المدرس بنفسه ، وكان قد طعن في السن ، وضعف عن الحركة ، وحفظ الدروس والقائها ، فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الاعادة ، والجماعة يشتغلون عليهم » .

« وكنت انا واخي نقرا على الشيخ جمال الدين ابن ابي بكر الماهاني ـ لأنه كان من بلدنا ، ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين ابى حامد محمد بن يونس ، المقدم ذكره ، فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقد نيف على ثمانين سنة . فترددت على الشيخ نجم الدين ابى عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك مدرس المدرسة السيفية ، فقرات عليه من

أول كتاب الوجيز للغزالي الى الآخر » .

وفي ترجمته لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش يقول :

« ولما وصلت الى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف ، وكان دخولي اليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهي اذ ذاك أم البلاد ، مشحونة بالعلماء والمشتغلين ، وكان الشيخ موفق الدين (أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش) شيخ الجماعة في الأدب لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليـــه ، وكان يقرىء بجامعها في المقصورة الشمالية ، بعد العصر ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان عنده جماعة قد تنبهوا أو تميزوا به ، وهم ملازمون مجلســـه لا يفارقونه في وقت الاقراء ، وابتـدأت بكتـاب « اللمع » لابن جني ، فقرأت عليه معظمها ، مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وذلـك في أواخر سنة سبع وعشرين ، وما اتممتها الا على غيره لعذر اقتضى ذلك » .

ولا ينسى في ترجمتــه لأبي البقاء أن يتحفنا بطرائف عنه وظرائف .

وفي ترجمته لابن الأثير علي بن محمد صاحب التاريخ المشهور المسمى « الكامل » وصـاحب كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، وغيرهما يقول :

« ولما وصلت الى حلب في أواخر سنة ســت وعشرين وستمائة كان عز الدين المذكور مقيما بها ، فاجتمعت به ، فوجدته رجلا مكملا في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع ، فلازمت التردد عليه ، وكان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى مؤانسة أكيدة ، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والاكرام ، ثم انه سافر الى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين، ثم عاد الى حلب في أثناء ســنة ثمان وعشرين ، فجريت معه على عادة التردد والملازمة وأقـام قليلا ثم توجه الى الموصل » .

وفي ترجمته لابن نقطةمحمد بن عبدالغني يقول :

« في صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكنت يومئذ مقيما بمدينة حلب للاشتغال » .

وفي ترجمته للملك الزاهر داود يقول : « وتوفي بالبيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وكنت بحلب .

وفي ترجمته لأبي المحاسن يوســـف بن رافع المعروف بابن شداد يقول « وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن في التربة المقدم ذكرهـا وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك » .

والتربة التي يعنيها هي بين مدرســة عمرها للشافعية ومدرسة للحديث النبوي .

وفي ترجمته للملك الظاهر غياث الدين غازي يقول « سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وكنت بحلب في ذلك الوقت » .

في دمشق

ولقد مكث في الشام للتعلم حوالي عشرة أعوام ، أكثرها في حلب ، وبعضها في دمشق . ونأخذ ذلك من أقواله ، ففي ترجمته لأبي عمـرو عثمان بن عبد الرحمن يقول : « كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ومـا يتعلق بعلـم الحديث ونقل اللغة . وكانت له مشاركة في فنون عديدة ، وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد مشايخي الذين انتفعت بهم ... وقدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وأقمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة » .

وفي ترجمته لأبي الفتح موسى بن أبي الفضـل يونس يقول « وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة » .

وفي ترجمته للملك الأشرف موسى يقول « ولقد رأيته بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق » .

وفي ترجمته له أيضا يقول : « يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب ســنة خمس وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق » .

عود الى حلب ثم ارتحال الى مصر

في ترجمتــه لابن الأثيـر محمد بن محمد بن عبد الكريم يقول « ثم انتقلت الى الشام وأقمت به مقدار عشر ســنين ، ثم انتقلت الى الديار المصرية » .

وفي ترجمته لأبي المحاسن يوسف بن رافع يقول :

« وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة » .

في القاهرة

وبالطبع أقام بالقاهرةونقتبس مما قاله في ذلك : ففي ترجمته لأحمد بن عبد السيد يقول :

« في آخر شعبان ، سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكنت يومئذ بالقاهرة .

وفي ترجمتـــه لابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الكريم المتوفي سنة ٦٣٧ يقول « ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وانا بالقاهرة » .

وفي ترجمته للملك الاشرف موسى يقول :

« دخلا القاهرة في الساعة الثانية من يـــوم الأحد السابع والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وكنت يومئذ بالقاهرة » .

وفي ترجمته للبهاء زهير بن محمد يقول :

« في اواخر سنة سبع وثلاثين وستمائة . . وكنت يومئذ في القاهرة » .

وفي ترجمته لزيد بن الحسن بن زيد بن الحسن يقـول :

« واما مهذب الدين المذكور فهو ابو طالب محمد ابن ابي الحسن علي وكان اجتماعنا بالقاهـرة المحروسة في مجالس عديدة ، واخبرني ان مولده في الثامن والعشرين من شوال ، وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذى الحجة ســـنة اثنتين واربعين وســـتمائة ، ودفن من الغد بالقرافة الصغرى ، وحضرت الصلاة عليه . وكان اماما في اللغة راوية للشعر والأدب رحمه الله » . وفي ترجمته لابن عنين محمد بن نصر الدين يقول :

« بعض شهور سنة تسع واربعين وستمائة ، وانا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة » وفي ترجمته ليحيى ابن عيسى المعروف بابن مطروح يقول : « وتوفي ليلة الأربعاء مستهل شعبان سنة تسع واربعين وستمائة بمصر ، ودفن بســـفح الجبل المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه » وفي ترجمته للبهاء زهير بن محمد يقول : « حصل بمصر القاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه احد ، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال ســـنة ست وخمسين وستمائة ، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه الم ، فاقام اياما ، ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذى القعدة من السنة المذكورة ، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الامام الشافعي رضي الله عنه في جهتها القبلية ، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض » .

سلسلة في العلم أبا واخا وابنا

عـرفنا ان اباه كان من العلماء المعروفين لدى العلماء والحكام وفي ترجمته للحاجرى عيسى بن سنجر يقول عنه « وكان صاحبي وانشدني كثيرا من شعره .. » ثم يقول :

« وكان لي اخ يسمى ضياء الدين عيسى ، بينه وبين الحاجرى المذكور مودة اكيدة فكتب اليه من الموصل في صدر كتاب، وكان الأخ باربل ، وذلك في سنة تسع عشرة وستمائة » .

اللهُ يَعْلَمُ ما أبْقى سِـوى رَمَـقٍ
مِنّي فِراقُكَ يا مَنْ قُرْبُهُ الأملُ
فابعثْ كتابَكَ واستودِعْهُ تَعزيةً
فرُبَّما مِتُّ شوقـاً قَبْلَ مايَصِلُ

وتقدم حين الكلام عن حلب ان اخا له قد سبقه ليتعلم ، وانهما حضرا على الشيوخ ، وانتظما في الدراسة ولا ندرى اهو ذلك المسمى عيسى او اخ غيره .

اما نسله هو فلم اجد عنه شيئا الا ما جاء في البداية والنهاية عند الكلام عن ابن خلكان ج ١٢ ص ٣٠١ فهو يذكر أن له ابنا اسمه موسى ، ولقبه كمال الدين ، وانه كان بيده التدريس في مدرسة النجيبية (بدمشق) .

خلْقٌ وخلُق

يقول ابن العماد في الشذرات عن ابن خلكان :

« كان قد جمع حسن الصورة ، وفصـاحة المنطق ، وغزارة الفضل ، وثبات الجاش ، ونزاهة النفس ، كثير الاطلاع ، حلـــو المذاكرة ، وافر الحرْمة ، من سَرَوات الناس ، كريماً ، جوادا مُمَدّحاً (كَثُرَ مادحوه) .. ومن محاسنه انه كان لا يجسر احد" انيذكر احداً عنده بغيبة ».

ويقول عنه ابن كثير :

« احد الائمة الفضلاء ، والســـادة العلماء ، والصدور الرؤساء ... وقد كان ينظم نظما حسنا رائقا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن » .

شـعـره

اورد ابن شاكر الكتبي له شعرا كثيرا ، وقصيدة طويلة نكتفي ببعض منها ومطلعها :

أىّ لَيـلٍ على المُحبِّ أطالَـــهْ
سائقُ الظُّعْنِ يوم زَمَّ جِمالَـــهْ

يقول فيها :

يا ديارَ الأحبابِ لا زَالتِ الأدْ
مُعُ في تُرْبِ ساحتيكِ مُسالَهْ
وتَمشّى النسيمُ وهو عليلٌ
في مَغانيكِ ساحباً أذيالَهْ
أين عيشٌ مضى لنا فيكِ ما أسـ
ـرعَ عنا ذهابَهُ وزوالَهْ
حيثُ وَجْهُ الشبابِ طلْقٌ نضيرٌ
والتّصابي غُصُونه ميّالَهْ
ولنا فيكِ طيبُ أوقاتِ أُنسٍ
ليتنا في المَنامِ نَلْقَى مِثالَهْ
وبأرجاءِ جوّكِ الرَّحْبِ سِرْبٌ
كلُّ عينٍ تَراه تَهوى جَمالَهْ
من فتاةٍ بديعةِ الحُسْنِ تَرنو
مِن جفُونٍ لِحاظُها مُغْتالَهْ
ورَخيمُ الدّلالِ حُلْوُ المَعاني
تَتَثنّى أعطافُهُ مُختالَهْ
ذو قَوامٍ تَوَدُّ كلُّ غُصونِ الْـ
ـبَانِ لو أنها تُحاكي اعتدالَهْ
وَجْهُهُ في الظلامِ بَدْرُ تَمامٍ
وعِذاراه حَولَهُ كالْهالَهْ
ظَبْيَةٌ تَبهرُ العيونَ جَمالاً
وغزالٌ تَغارُ منه الغزالَهْ

مدح كتابه وفيات الأعيان

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عند ترجمته له في الجزء ١٢ ص ٣٠١ .

« وله التاريخ المفيد الذى رُسِم بوفيات الاعيان ، من ابدع المصنفات » .

وقال عنه ابن العماد في شذرات الذهب « وقد جمع كتابا نفيسا » .

وقال عنه صاحب روضات الجنات الميرزا محمد باقر في الجزء الاول صفحة ٣٢٠. « وهو من انقى التواريخ واجمعها واوثقها مؤلفا ، وافضلها واجمعها للفوائد واشملها » .

• وقال عنه ابن شاكر الكتبي في مقدمته لكتابه فوات الوفيات .

« فلما وقفت على كتاب وفيات الاعيان لقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله روحه وجدته من احسنها وضعا ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة » .

نقد الكتاب

ويقول ابن شاكر الكتبي ايضا مكملا كلامه بعد مدحه « ورايته قد اخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على اوانه ، ولم اعلم الذلك ذهول عنهم او لم يقع له ترجمة احد منهم » وهذا كما نرى ليس طعنا ذا اهمية فليس من المعقول ان يشتمل كتابه على كل الناس . ويحيط بالمتقدمين .

وابن كثير عند ترجمته لابن الراوندى في الجزء ١١ صفحة ١١٣ في حوادث سنة ٢٩٨ قال « على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم » .

وهذا ايضا ليس ذمّاً له يستحق العناية ، فالرجل كان يتجنب الاساءة الى الناس ، وكان اديبا ومع ذلك فانه لم يقصر في حقوق الترجمة للعلماء .

مناصبه

كان في القاهرة ينوب في الحكم عن قاضي القضاة ولم اعرف مبدا هذه النيابة ، فلعلها كانت من يوم وصوله الى القاهرة سنة ٦٣٥ ، وقد تكون بعد ذلك ، وظل في هذه النيابة حتى سنة ٦٥٩ ثم تولى منصب قاضي القضاة في الشام مدة عشر سنين ، ثم عزل وظل معزولا سبع سنين ، اقامها في القاهرة ، ثم عاد فتولى منصب قاضي القضاة بالشام مدة اربعة اعوام ، ثم عزل في اول سنة ٦٨٠ ، واقام بدمشق بعد ذلك يتولى التدريس حتى توفى بالمدرسة النجيبية التى كانت بيد ابنه كمال الدين موسى ، وكانت وفاته في ايوان هذه المدرسة يوم السبت آخر النهار في السادس

والعشرين من رجب سنة ٦٨١ هـ ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة .

ولا ينسى ان يذكر بعض الاخبار وفيها ذكر منصبه .

ففي ترجمته ليحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح يقول :

« وكنت في ذلك الوقت انوب في الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين ابى المحاسن يوسف بن الحسن » .

ويقول في ترجمته لأبى المحاسن يوسف بن رافع « ولما كنت متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني من بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة اسجال قد ثبت مضمونه عند القاضي ابى المحاسن المذكور .

سنو يوسف

ومن طريف عودته الى الشام بعد ان ظل معزولا عن قضائه سبع سنين ان يقول ابن شاكر الكتبي صاحب فوات الوفيات « وكان يوما مشهودا ، وجلس في منصة حكمه ، وتكلم الشعراء ، فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ
ـرَ وعندي أن الكرام جِناسُ
ولكلٍّ سبعٌ شدادٌ وبعد السـ
ـبع عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ

وقال سعد الفارقي :

أذقتَ الشامَ سبعَ سنين جدْباً
غداةَ هجرْتَه هجراً طَويلاً
فلما زُرته من أرض مصْر
مددْتَ عليه من كفَّيْك نِيلاً

طبعات الكتاب

اورد استاذنا الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة كتاب وفيات الاعيان الذى حققه ، ما سبقه من طبعات وهي ست ، يضاف اليها ما حققه هو فتصبح سبع طبعات .

وهذه الطبعة لها فهرس لمن عنون لهم ابن خلكان لكن الكتاب فيه تراجم كثيرة منتشرة داخل التراجم المعنْوَن لها ، وقد يكون ضمن ترجمة واحدة ترجمة لثلاثة ، فمثلا ترجمة الحسين بن منصور الحلاج جاء فيها :

١ ـ حديث عن القرامطة مطول .
٢ ـ حديث عن ابن المقفع مطول .
٣ ـ حديث عن ابن الشلمغاني مطول .
٤ ـ موجز عن ابن أبي عون صاحب التشبيهات والأجوبة المسكتة .

وكل هذا لم يذكر في فهارس استاذنا ، لانه اكتفى بالفهرسة لما عنون له ابن خلكان ، في حين ان من ترجم لهم ابن خلكان في ثنايا كتابه ذاكرا وفياتهم اضعاف المعنون لهم .

اما الشعراء وما قالوه ، وكثير من الموضوعات التي يعرض لها ابن خلكان ، والتي نحن بامس الحاجة الى العثور عليها فلم تظفر من عناية استاذنا بنصيب ، والحق ان الكتاب جدير بان يفهرس كل ما فيه ، ولعل الزمن الذى طبع فيه محققا له وهو سنة ١٩٤٨ لم تكن فكرة العناية بالفهارس اذ ذاك مما لها المقام الاول . والناشرون انفسهم لم يكونوا يعنون بذلك .

وانا لنرجو من استاذنا حين يعاد طبع الكتاب ان يفهرس الكتاب فهرسة تامة ، وان يفعل ذلك في كل ما حققه ، كفوات الوفيات ، واليتيمة ، ونفح الطيب ، ومعاهد التنصيص .

من نماذج التحقيق والفهرسة

وامامي كتاب انوار الربيع لمؤلفه السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، والذى حققه الاستاذ شاكر هادى شكر ، وطبع في سبعة اجزاء نجد جزاءه السابع مشتملا على فهارس مفصلة وافية ، الى جانب ما حفل به الكتاب من تعليقات مفيدة واشارات نافعة ، آخذا بيد القارىء الى مصادر النص او اماكن ترجمة الاعلام .

وامامي ايضا كتاب « متخير الالفاظ » لاحمد بن فارس ، وتحقيق الأستاذ هلال ناجي ، وهو ايضا مثل في التحقيق والفهرسة الوافية النافعة .

ونرجو ان تكون الكتب المحققة على غرار هذين الكتابين ، وان يبذل فيها ما بذله محققاهما فان التراث بحاجة ماسة الى ان تبرز نصوصه ، وان تكون كنوزه في متناول من يطلبها ، فذلك اوفر للوقت ، وانفع للناس والله الموفق . ■■

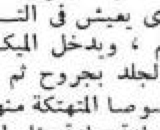
عبد الستار فراج



التيتانوس مرض قاتل

● اصيب صاحب لي بان دخل مسمار فى قدمه ، وبعدها بفترة حدث له مرض شديد ذهب ضحيته ـ وقيل انه مرض « التيتانوس » فما هوهذا المرض ؟ .

ـ مرض التيتانوس أو الكازاز مرض معد يسببه دخول ميكروب الباسيلوس الخاص الذى يعيش فى التراب ، وفى روث البهائم ، ويدخل الميكروب عند اصابة الجلد بجروح ثم تلوث هذه الجروح خصوصا المتهتكة منها ، وكذلك عند دخول مادة حادة مثل المسمار فى القدم اثناء عبور الشخص فى المناطق الملوثة ـ وبدون أن يعير المصاب هذا الحدث أى اهتمام تراه بعد اسبوع أو اكثر تحدث له اعراض المرض ، نتيجة لاصابة الجهاز العصبي بواسطة السموم التي تفرزها الميكروبات ، وتتوقف هذه الأعراض على سرعة ومدى انتشار هذه السموم على الجهاز العصبي ـ وتسبب هذه تقلصات وانقباضات شديدة ومؤلمة ـ يساعد على حدوثها عوامل



خارجية مثل لمس المريض او تحريكه ـ او شدة الضوء ـ او اصوات مزعجة ـ او عند محاولة تغذيته ، والمريض فى هذه الحالة لا يفقد وعيه .

هذه التقلصات تسبب عدم القدرة على فتح الفم ، وتقلص عضلات الرقبة والظهر مما يسبب التواءات فى العمود الفقرى وفى عضلات البطن ، وتصلب عضلات الأطراف .

وفى الحالات الشديدة تتقلص عضلات الحنجرة والقصبة الهوائية ويصعب التنفس مما يؤدى فى بعض الحالات الى الاختناق ـ وفى الحالات الأخرى يهبط القلب او يصاب المريض بالتهابات رئوية شديدة ربما تودى بحياته .

واهم شيء فى المرض هو الوقاية منه فيحقن الأطفال او الذين يتعرضون للاصابات كالجنود بالطعم الواقى ـ وفى حالة الاصابة بجرح متهتك او دخول مسمار بالقدم ينظف الجرح جيدا ويطهر ويعطى مصل A-T-Serum ١٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ وحدة للمريض ليزيد من مناعته ضد المرض ، ويمنع حدوث المضاعفات .

العدسات اللاصقة
مميزاتها وعيوبها ..

● **نسمع عن العدسات اللاصقة ، فما هي ؟ وما هي ميزاتها وعيوبها ؟ وهل تصلح لجميع الناس ؟**

ـ العدسات اللاصقة هي ما يطلق على عدسات طبية توضع ملاصقة للقرنية بالعيون في حين ان النظارات الطبية العادية توضع بعيدة عن العين بحوالي ١٥ ملم .

والعدسات اللاصقة تصنع من مواد مختلفة كالزجاج والبلاستيك والسيليكون والمواد الجيلاتينية ومواد اخرى لينة .

وهي اما تغطي الصلبة والقرنية معا Haptic Lenses او تغطي القرنية فقط Corneal Lenses او تغطي القرنية وجزء صغير حولها Intermediate Leness وتوصف العدسات اللاصقة لعدة اغراض :

(١) لاصلاح عيوب النظر : مثل حالات قصر النظر الشديد وطول النظر بعد عملية استخراج الساد « الماء الأبيض » من العين . وفي حالات تشوه الصورة على الشبكية Aniseikonia .

(٢) للعلاج وحماية القرنية : مثل حالات القرنية المخروطية Keratoconus والتهاب الأكنة الوردية بالقرنية Acne Roseacia Keratits وبعد عملية ترقيع القرنية ولمنع الالتصاقات في حالات الحروق التي تصيب الملتحمة او العمل كجبيرة بعد عملية ترقيع غشاء مخاطي بالعين او ترقيع القرنية الخ .. والبهاق Albinism لتخفيف التعرض للضوء وحالات فقد القزحية Aniridia .

(٣) للتشخيص : اذ تستعمل مع اجهزة بصرية خاصة لفحص اجزاء العين المختلفة ابتداء من الغرفة الأمامية Anterior Chamber حتى قاع العين Fundus .

(٤) للتجميل : كما في حالات صفر

++

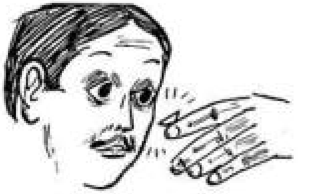
الحمى النكفية قد تسبب العقم للرجال



● **اصبت بالحمى النكفية (Mumps) او مرض النكاف ، فهل لي ان اعرف شيئا عن هذا المرض ؟ .**

ـ مرض النكاف ـ مرض يصيب الصغار بين سن الخامسة والخامسة عشرة ، وكذلك يصيب الشبان ويكثر انتشاره في فصل الشتاء والربيع وبسببه فيروس .

وتظهر الاعراض بعد مدة حضانة لفيروس وتقدر بحوالي ١٢ ـ ٢١ يوما ـ وتبدأ بارتفاع بسيط في درجة الحرارة ويستمر ذلك لعدة ايام ـ وفي بعض الحالات يجد المريض صعوبة في فتح الفم ، وذلك لتقلص العضلات ثم يظهر تورم بالغدد النكفية خلف حلمة أحدى الاذنين ونجد الورم بعد ذلك تحت الآذان وامامها ـ وبعد ذلك بيومين



القرنية وصغر العين وضمور العين .

(٥) لاعمال او ظروف اجتماعية خاصة : مثلا فى حالات الجو الممطر او عالي الرطوبة والسباحة والطيران ـ كما يلبسها كبار الفنانين والممثلات ـ

اهم المميزات : هيانها خفيفة الوزن، ودرجة تكبير الصورة بواسطتها صغيرة الى حد لا يسبب متاعب لمن يستعملها فهي تكبر الصورة فى حالات قصر النظر بعكس النظارات العادية التي تسبب صغر الصورة فى تلك الحالات ، كما انها بعد عمليات استخراج الساد لا تكبر الصورة الا بنسبة ١١٪ تقريبا بالقياس الى تكبير يعادل ٣٣٪ للنظارات العادية مما يساعد الى حد ما على الرؤيا الموحدة بالعينين .

وبما انها ملاصقة للعين فهى تشكل جزءا واحدا من الجهاز البصرى للعين وتتحرك مع العين فى كل اتجاه ، وهذا يمنع الانحراف « الزوغ » المنشورى الذى يحدث عند النظر خلال الجزء الخارجي للنظارات الطبية العادية ذات القوى الكبيرة . كما انها توسع ميدان النظر Visual Field وتقلل الصعاب الناشئة عن اللابؤرية Astigmatism الناتجة عن الاشعة الساقطة بميل على العين .

(٤) بما انها فى درجة حرارة الجسم ويمسح سطحها بواسطة الجفون ، فان ماء المطر والضباب لا يتكثف على سطحها كما يحدث فى النظارات العادية .

اهم العيوب

(١) غالية الثمن .

(٢) الفحص واعداد العدسات يستغرق وقتا طويلا .

(٣) التعود عليها يستغرق وقتا طويلا ويصاحبه آلام شديدة واحتقان بالعين وقد لا يتعود المريض عليها ابدا .

(٤) سهلة الخدش اذا كانت من البلاستيك او الكسر اذا كانت من الزجاج .

(٥) اذا لم تعد بطريقة صحيحة فقد تسبب استسقاء بالقرنية ، واحيانا خدوشا Abrasions أو تقرحات Ulcers او جفافا بالقرنية .

تتورم الغدة النكفية الاخرى ـ وربما تورمت الغدد اللعابية تحت اللسان وتحت الفك ويستمر الورم لعده ايام ثم يبدا فى الزوال تدريجيا الى ان يزول تماما فى عشرة ايام او اسبوعين .

والعدوى تنتقل من المريض الى السليم بواسطة الرذاذ الذى يخرج من فم المريض او استعمال الاشياء التى يضعها فى فمه بوضعها فى فم السليم .

وفى بعض الحالات الشديدة ترتفع درجة الحرارة ارتفاعا شديدا وتصل الى ٤٠ درجة مئوية ـ وربما تورمت الخصيتان من أثر التهاب بهما ، وربما سبب ذلك عقما فى الرجال ، وفى الفتيات يحدث التهاب بالثدى أو المبيض .

وفى بعض الحالات الشديدة يلتهب المخ ، وأحيانا يحدث التهاب بالبنكرياس مع حدوث آلام شديدة فى أعلى البطن . العلاج فى هذه الحالة هو الراحة فى الفراش لمدة عشرة أيام على الاقل وغسل الفم ومسحه بجليسرين بوريك ويعطى غذاء خفيفا ويستعمل مصاصا فى حالة عدم القدرة على فتح الفم او المضغ ـ وفى حالة التهاب الخصيتين يعطى مركب الكورتيزون مع الاريوميسين وتوضع الخصية فى كيس رافع ـ وتعطى مركبات الاريوميسين او الكلوروميسين فى بعض الحالات ولو انه لم تثبت فعاليتها بعد .

من غرائب القضايا

اعترفت بقتل أبيها لتنقذ جنينها

بقلم : حسن الجداوى

في القضاء الانجلو سكسوني يوجه القاضي للمتهم الماثل امامه سؤالا تقليديا « هل انت مذنب ام غير مذنب ؟ » .

فان اجاب بانه مذنب اقتصر الأمر على سماع اقواله ومرافعة محاميه التي تدور لا حول نفي التهمة - فالتهمة قد ثبتت باعتراف المتهم - وانما حول الظروف المخففة او المعفية من العقوبة كان يثبت أن المتهم كان في حالة دفاع شرعي عن النفس أو الغير او المال وغير ذلك من الحالات التي تعفى من العقوبة برغم ثبوت الفعل .

فالاعتراف عندهم سيد الأدلة غير منازع .

فان اجاب بانه غير مذنب يقع على عاتق ممثل الاتهام اثبات التهمة . ويقف المتهم اثناء ذلك كالمتفرج . لا يحرك ساكنا . فان تبين القاضي من اقوال ممثل الاتهام أن ادلة الاتهام غير كافية اوقف المحاكمة واخلى سبيل المتهم لا ينتظر اقوالا منه او دفاعا . تطبيقا للمبدأ الذى يطبقونه - روحا ونصا - « المتهم برىء حتى تثبت ادانته » .

★ ★ ★

اما في القوانين الأخرى - وخاصة في القانون الفرنسي - قانون نابليون كما يسمونه - والقوانين التي أخذت عنه ، فان الاعتراف وحده - ما لم يؤيد بادلة وقرائن أخرى على صحته، لا يكفيلادانة المتهم . فقد يكون سببه الرغبة في انقاذ شخص آخر كما يحدث كثيرا عندنا في جرائم القتل غسلا للعار . يقتل الأب او الأخ الأكبر فيدعى الابن او الاخ الأصغر - وقد يكون غلاما دون الخامسة عشرة - فيدعى انه هو الذى قتل ويصر على ادعائه ... ولكن المحكمة لا تأخذ باعترافه وتحكم ببراءته .... رغم أنفه .

★ ★ ★

وقد جرت وقائع القضية التي نحن بصدد عرضها في السنوات الأخيرة من القرن الماضي .

ففي ليلة من ليالى شهر يناير قارصة البرد . قتل مرتان دواز ، وهو مزارع عجوز يقيم بمنزل منعزل وحيدا - بعد أن فقد زوجته - في مدخل قرية في شمال شرقي فرنسا على حدود بلجيكا .

ولمرتان هذا ابنة اسمها روزالي متزوجة من شخص اسمه جان جاردان ، وابن متزوج أيضا اسمه فرنسوا دواز ولكن الابنين يعيشان في حياة منعزلة عن الأب .

★ ★ ★

فلما توفيت الام جاءت روزالي وزوجها وسكنا بمنزل الاب الارمل بحجة خدمته والتخفيف عليه في وحدته . ولكن روزالي ارادت أن تتحكم وتسيطر على البيت . ولم يطق الأب عليها صبرا وطلب منها أن تعود هي وزوجها الى حياتهما بمنزل يستاجرانه - كسابق عهدهما - ولكنهما اصرا على البقاء واضطر الاب الى أن يستعين بقوة البوليس والتهديد باتخاذ اجراءات قضائية ينص عليها قانون العقوبات . وبذلك خرجت الابنة وزوجها من

.. وامام المحكمة عدلت عن اعترافها وانكرت جميع اقوالها ، وقالت ان كل امنيتها كانت ان تخرج باى ثمن من ذلك الحجر القاتل ..



بيت الاب .

وكان الذى اكتشف الحادث ، حادث موت الاب، هما ابنة القتيل روزالى وزوجها ، فقد مرا على منزل فرنسوا دواز وزوجته وجلسا يتجاذبون الحديث بصوت عادى عن حادث سرقة كانت ضحيته احدى الجارات . وبعد تناول قدح من القهوة قالت روزالى لاخيها بنفس الصوت العادى :

« على فكرة نسيت ان اقول لكما ان « الاب » قد مات . فقد مررنا على مسكنه « الفيلا » منذ لحظة لنحدثه فى موضوع الفيلا ، فوجدنا المنزل مغلقا ، والكلب مطلقا فاعتقدنا انه قد ذهب الى الغيط . فدفعنا الباب ووجدنا جثته فى المطبخ وراسه فى الموقد وحوله بركة من الدماء وفاسه بجواره ملوثة بالدماء ... وفى يقينى انه انتحر » .

قالت كل ذلك بصوت عادى ليس فى نبراته لا تأثر ولا تردد ولا احساس بالالم .

ولما كانت روزالى وزوجها يطمعان فى شراء الفيلا والاب يرفض لانه لا يريد أن يختم حياته فى بيت آخر او فى ملجأ للعجزة، فان الابن تلقى ذلك الخبر بكثير من الشك ، واسرع هو وزوجته الى منزل

الأب فاذا بهما أمام منظر مريع لا يسمح بمجرد التفكير في احتمال الانتحار . لقد قتل بعدد من ضربات الفأس . وانه أخذ على غرة اذ لا أثر لأية مقاومة من الضحية مع انه كان ـ برغم سنه ـ قويا . ووجدا ادراج الكتب مغلقة وأثاث الغرفة مرتبا فايقنا أن السرقة لم تكن الباعث على القتل.

★ ★ ★

وبدأ المحققون بمعاينة الفيلا فوجدوا أن جميع ما اقتصده القتيل موجود في ثلاثة اماكن ـ لا تعتبر في حقيقة الأمر مخابيء ـ وكان من السهل للجناة أن يعثروا عليها ، فان مفتاحين من مفاتيح الادراج التي بها النقود كانا في حلقة واحدة مع مفتاح أول درج . ومع أن أول درج قد فتح فان محتوياته وجدت مرتبة ولم يعبث بها . وتبين ان كل ما فقد ثلاثة اكياس صغيرة للنقود كانت بجيوبه وساعته الفضية التي لم تكن تساوى أكثر من ثلاثين أو أربعين فرنكا .

ولهذه الساعة اهمية سوف تظهر فيما بعد .

★ ★ ★

وحين ظهر أن السرقة فيما يبدو ليست الباعث على القتل بدأت اصابع الاتهام تشير الى ابنة القتيل روزالي، واخذ قالة السوء ـ ممن يحكمون بغير دليل ويتهمون بغير علم ـ فالقرية صغيرة وجميع السكان يعلمون بحكاية طرد الأب لابنته وزوجها بواسطة البوليس ـ فهى اذا ـ او هي وزوجها هما اللذان قتلا ليحققا حلمهما القديم وساعد تصرف روزالي على تحويل هذا التصور الى حقيقة بأن بادرت مع زوجها الى السكنى في منزل القتيل .

فتقدم الى المحققين شهود يؤكدون أن الأب كان يخشى على حياته من ابنته وانه قال لهم : « اذا مت مقتولا فسيكون ذلك بيدها وحدها » .

وقالت احدى الجارات انها قالت لها سيأتي يوم يتحرر المنزل من ساكنه المجنون .

واضافت جارة اخرى انها سمعتها تقول انه ـ (أي أبيها) ـ اذا لم يمت فانها تعرف ما ينبغى لها أن تفعله .

وتطوع نجار القرية فتقدم الى المحققين ليشهد أنه منذ اسبوعين قبل الوفاة قالت له الابنة في أثناء حديث حول غضبها من ان اباها طردها بطريق البوليس : اذ احتاج الأمر لانقاذ حياته أن أقدم له كوبة ماء فلن افعل .

فلما اظهر النجار انه لا يصدق ذلك قالت له : صدق فانك لا تعرف ما قد أصل اليه من قسوة .

★ ★ ★

وامام تلك الاقوال قبضت النيابة العمومية على روزالي وزوجها ووضعا في زنزانتين منفردتين .

وانكرت هي أن لها أو لزوجها يدا في الجريمة . ولكن الزوج روى للمحقق انها ـ اي زوجته ـ كانت ذات ليلة تحلم الى جواره بالسرير وبدا له انها في ضيق شديد لانها كانت تجذ على اسنانها فايقظها ، فقالت له انها كانت تحلم انهـا تقتل اباها . وافرج عن الـزوج وبقيت هي تـسـام العذاب ـ كالثور الذي متى سقط تكثر سكاكينه .

وتاثر المحقق باقوال اهل القرية مع ان كل ما قالوه لايرقى الى درجة الدليل القضائي . فانه حتى اذا ثبت انها كانت حانقة على ابيها او انها لم تظهر الجزع أو الألم لقتله فان ذلك كله لا يدل على أنها هي التي قتلته . واتخذ مع ذلك المحقق من قولها انها متأكدة ان اباها انتحر وهو قـول يتناقض مع الحالة التي رأتها هي ـ فما من انسان ينتحر بان يضرب راسه عدة ضربات بالفأس . ومن انها حين مرت على اخيها وزوجته اشتركت معهما في حديث عادي ولم تبادر بابلاغهما بما اكتشفته . ومن وجود آثار دماء على كمها وكتفها فتأكد من كذب قولها أن تلك الدماء من خنزير ذبحته ـ ولم يكلف نفسه فحص تلك الدماء وتحليلها للتحقق من صدق او كذب قولها . واصدر امرا بالقبض عيها ووضعها في زنزانة فظيعة مظلمـة لا يدخلها النور . تجرى الفئران الكبيرة في انحائها . وكل ما بها من الأحصيرة متعفنةتترك لها بالليل وتسحب بالنهار . فلا هي تستطيع ان تنام عليها ليـلا لعفونتها . ولا نهارا . وتمضى ليلها ونهارها واقفة على قدميها فوق البلاط البارد .

★ ★ ★

وكانت حاملا في شهرها السابع . سريعة التأثر . فتولاها رعب شـديد اضعف ارادتها . فاخذت تستغيث لاخراجها من ذلك الوكر ـ أو على الأصح من تلك المقبرة ـ ولا من مجيب .

★ ★ ★

واستطاعت أن تقاوم ثلاثةأشهر ،بشجاعة نادرة.

وكانت تؤكد لكل من سجانيها انها بريئة وانها تضع أملها في العثور على الساعة المسروقة لانها موقنة ان اكتشاف الساعة سيؤدى الى معرفة القاتل . ولكن احدا لم يفكر في البحث عن الساعة ايقانا منهم انها هي التي سرقتها .

★ ★ ★

وذات صباح انهارت مقاومتها ولم تعد تستطيع صبرا فاعترفت للمحقق بكل ما طلب منها. قالت انها هي التي قتلت اباها بعد مناقشة حادة بينها وبينه ـ طلبت منه ان يبيعها المنزل ورفض وامسك الفاس واراد أن يضربها بها فتناولتها وضربته بها على راسه ولكنه لم يمت ... وربما جاء شخص آخر بعدها أجهز عليه وسرق الساعة .

ثم حورت في اقوالها وقالت انها اخذت الساعة ولكنها لا تدري اين اخفتها . واكدت ان زوجها لم يكن معها وانها لم تفض اليه بما فعلت لانه جبان ما كان يستطيع أن يحتمل الصدمة .

ومن أجل ذلك افرج عن زوجها . ولكنه بدلا من ان يعترف لها بفضلها حملها بجبن مسئولية القتل . فبعد أن كان قد نسب اليها انها حلمت بانها تقتل اباها قال انها اعترفت له بالقتل واضاف انه كان يعرف انها قادرة على ارتكاب أفظع الجرائم .

★ ★ ★

وكان الشرط الوحيد الذى اشترطته ـ قبل ان تدلى باعترافها أن يخرجوها من الجحر الذى وضعوها فيه . وفعلا اخرجوها الى غرفة فسيحة حيث وضعت جنينها في انتظار تقديمها الى محكمة الجنايات .

وامام المحكمة عدلت عن اعترافها وانكرت جميع اقوالها ، وقالت ان كل امنيتها كانت ان تخرج باى ثمن من ذلك الجحر القاتل من أجل جنينها . وكان الجميع ـ القاضي والمحقق والبوليس والسجانون، وحتى رفقائها في السجن يقولون لها ـ اعترفي وانت تخرجين من هذا الجحر .

وقال لها القاضي :

ـ ولكنك كررت الاعتراف بعد أن اخرجت من الزنزانة المظلمة ؟

ـ طبعا لانني كنت اخشى ان يعيدوني اليها . واصغى القاضي والمحلفون لاقوالها بآذان غير واعية وعقول مغلقة ، ولم يصدقوها . فصدر قرار المحلفين بانها مذنبة ، ونطق القاضي بالحكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وهو حكم يعتبر خفيفا في جناية قتل الاب التي عقوبتها ليس الاعدام فحسب بل كان قانون العقوبات ـ فيما مضى ـ ينص على ان قتل الوالدين ينفذ بربط الجاني من اطرافه الاربعة باربعة خيول تتولى تقطيع اوصاله .

وهذا الحكم المخفف دليل على ان القاضي لم يكن موقنا ـ مائة في المائة ـ بثبوت التهمة ـ وهو عيب يقع فيه بعض القضاة اراحة ـ فيما يعتقدون ـ لضمائرهم ـ وهم في هذا واهمون . فالتشديد في العقوبة واجب متى ثبتت والحكم بالبراءة اوجب لاقل شك في صحة التهمة .

★ ★ ★

وعند سماعها بالحكم الذى صدر عليها لم تبد أي جزع . وقالت في اطمئنان وايمان غريب : « انني مطمئنة ان القاتل سوف يظهر » .

ورفضت أن تطعن في الحكم بطريق النقض . لشدة ايمانها ان الحقيقة سوف تظهر في يوم يرونه بعيدا وتراه هي قريبا .

وتحقق ظنها . فقبل مضي عام واحد تقدم رجل بلجيكي اسمه فان هالوين الى مكتب الرهونات ببلجيكا يعرض ساعة فضية ليرهنها مقابل سبعة فرنكات . وامسكها موظف القلم وتفحصها يريد تقدير قيمتها وساله من اين جاء بها ؟ . ويبدو انه فوجىء بالسؤال فاشار الى الحدود الفرنسية ـ ومن على رأسه بطحة يحسس عليها ـ فاجاب :

« لقد طلبت الى زميل لي اسمه فيرهايم ـ أن يجد لي عملا في احدى المزارع فقال لي انه حتى لو وجد لي عملا فسأقضي العمر كله لا أكاد أجد قوت يومي . واغراني بأن أذهب معه الى احدى القرى الفرنسية حيث يسكن رجل عجوز يكتنز اموالا طائلة فنسرقه .. فذهبنا الى القرية وطرقنا باب الرجل ، وادعينا أننا مهربان فاران من شرطة الجمارك ، ولكنه رفض أن يؤوينا . وأراد أن يغلق الباب في وجهنا ، ولكننا كنا أقوى منه وعاجله زميلي بضربة فأس » .

★ ★ ★

روى فان هالوين كل تلك التفاصيل من غير أن يكون ملزما ، وربما كان قد ضاق بالسر الخطير او ربما ، لانه في طبيعته قليل الحيطة مفلوت اللسان . فقد ظهر فيما بعد أن زوجته قد سمعت

منه نفس هذه الاقوال . والسر متى جاوز الاثنين (شخصين في بعض الاقوال والشفتين في بعض الاقوال) ذاع . وهكذا وصل الامر الى اسماع النيابة العمومية فالقت القبض على فان هالوين وصديقه فيرهايم واودعتهما السجن . وقد دلت التجربة على انه اذا ارتكب شخصان جريمةومضت فترة اعتقدا أن امرهما لم يكتشف فاذا القي القبض عليهما في وقت واحد اعتقد كل واحد منهما أن زميله قد وشى به . وحاول كل منهما أن يلقي بالعبء الاكبر من المسئولية على زميله .

★ ★ ★

لم يجد المحقق اية صعوبة في الحصول على اعتراف كامل مفصل من فان هالوين . قال :

« لقد طلبت من فيرهايم أن يجد لي عملا كخادم في مزرعة ولكنه سخر مني وقال لي تعال معي الى قرية « مون نوار » فهناك رجل عجوز يختزن أموالا طائلة نسرقها فان لنبه أو قاومنا أجهزنا عليا ،فانني أنا الواقف امامك لا أتردد في قصف رقبة انسان كما اقصف عمر عصفور صغير » .

واتجهنا الى القرية وطرقنا باب أول فيلا في مدخلها وكانت لرجل عجوز يسكن بمفرده ، وادعينا له أننا مهربان فاران من حرس الجمارك ولكنه رفض أن يؤوينا وحاول أن يغلق الباب في وجهنا ولكننا كنا أقوى منه ودخلنا . وجلس هو على كرسي أمام الموقد . وفجأة أمسك فيرهايم بمعول كان بجوار الموقد وعاجله بضربة قوية أوقعته بالموقد ، وفتش جيوبه فوجد بها مفتاحين فجربهما في الخزانتين الموجودتين بغرفة النوم ففتح احداهما أخذ منها ثلاثة اكياس صغيرة وساعة ثم اتجهنا الى المطبخ فاخذنا سكينتين . وفي طريقنا لباب الخروج كان الرجل في النزع فرفسه فيرهايم رفسة قوية جعلت رأسه تقفز . وفي نفس الليلة تقاسمنا ما كان بالاكياس الثلاثة من نقود ولم يكن بها الا ثلاثة فرنكات . وبضعة صلادى تحمل صورا قديمة لم تعد مستعملة فالقيناها ــ من باب الاحتياط في الغابة » .

★ ★ ★

أما فيرهايم ــ الذى يقصف رقبة الانسان كما يقصف رقبة عصفور صغير . فكانت اعصابه من حديد . واصر على الانكار . ولكن انكاره لم يطل . فقد بدأت صفحة ماضيه تتكشف وظهر انه كان على رأس عصابة من قطاع الطرق ادخلت الرعب على سكان مدينة ليل . فاعترف ولكنه ادعى ان كل دوره في الجريمة انه كان يراقب الطريق .

وسألهما المحقق :

ــ هل لكما شركاء .

ــ لا . لا احد غيرنا نحن الاثنان .

ــ هل تعرفان احدا من اسرة القتيل ؟

ــ ابدا ولا نعرف حتى اسم من قتلنا .

ــ الم يسمع احدكما باسم روزالى دواز زوجة جاردان ؟ .

ــ ابدا قبل القبض علينا هنا .

وقدم الاثنانلمحكمة الجنايات بتهمةقتل مارتان دواز وجرائم اخرى عديدة اكتشفت ضد المتهم فيرهايم الذى لم يعد هناك محل للشك في انه هو القاتل .. ولم تطل المحاكمة فقد اعترف المتهمان اعترافا كاملا وطلب النائب العام ــ الذى تولى المرافعة بنفسه ــ من المحلفين ان لا تأخذهم اية شفقة وان يصدروا حكما يحقق العدالة الانسانية. العدالة بالقصاص من اللذين قتلا بدون شفقةرجلا آمنا وحيدا لا يضمر شرا ولا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ويفتح الباب امام المسكينة التي ادينت في العام الماضي لتستفيد من الشك الذى ظهر عن ارتكابها الجريمة ولتمثل امام قضاة آخرين وتأمل في رد اعتبارها ...

وصدر الحكم على فيرهايم بالاعدام وعلى زميله بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولتناقض هذا الحكم مع الحكم الذى ادان روزالى نقضت محكمة النقض الحكمين وأمرت بمحاكمتهم من جديد امام محكمة جنايات غير التي اصدرت الحكمين . وانحصرت أهمية القضية في مصير روزالى لان المتهمين الآخرين قد اعترفا اعترافا كاملا ولم يشركا روزالى معهما .

وحين عرضت القضية من جديد أمام محكمة « أميين » توقع الناس أن تفوض النيابة العمومية الرأى للمحكمة بالنسبة لروزالى ــ اى تتنازل عن ادعائها ضدها.وكانت دهشتهما كبيرة حين بدا ان النيابةالعموميةلم تؤمنبان الاعتراف بالخطافضيلة وحاولت ان تثبت ان روزالى شريكة للمتهمين اللذين اكدا انهما لم يكونا يعرفانها ولا سمعا باسمها .

قالت النيابة العمومية ان اعترافات المتهمين لا تتناقض مع ادانة روزالى فهي صاحبة المصلحة في اختفاء ابيها وهي التي استفادت من موته .

وارتكنت على التهديدات المنسوبة اليها .وقالت : ان القاتلين يسكنان نفس المنطقة وهما من الصنف الذى يقنع بالفتات وما كانا يستطيعان ان يحملا المنزل معهما .

قال ممثل النيابة العمومية هذه الاقوال قبل نظر القضية . استعملت النيابة حقا يخوله لها القانــون ولكنها لم تكن تلجا اليه الا فى النادر . ووضعت نفسها بهذا الحماس موضع سخرية ورثاء من الجمهور والصحافة اللذين تبينا ان حماسها – والنيابة العمــومية لا تتجزا – هو دفاع عن نفسها وتغطية لتقصيرها فى البداية .

★ ★ ★

ومثلت روزالى امام المحكمة فاعادت علىالاسماع الأسباب التي حملتها على الاعتراف الكاذب . فقد هددها قاضى التحقيق بابقائها فى الجحر الذى وضعها فيه ان لم تعترف . وكان كاتب التحقيق يلح عليها لتعترف وترشد عن المكان الذى اخفت فيه الساعة لتنقل الى مكان افضل . ولانها كانت حاملا ولرغبتها في انقاذ جنينها قالت كل ما ارادوا منها أن تقوله .

وكرر المتهمان الآخــران اعترافاتهما واكدا ان روزالى بريئة من التهمة براءة جنينها الذى مات فى الشهر الاول من مولده .

وشهد عدد من موظفي الســجن انها كانت تسألهم طوال سجنها عما اذا كانوا قد عثروا على الساعة وانها كانت تضع كل املها فى ذلك .

اما الشهود الذين كانوا قد نسبوا اليها ونقلوا عن أبيهــا اقوالا تدينهــا فقد بدأوا يخففون من دعاواهم ويخلطون بخمرتهم كثيرا من الماء . فقد وقف الثور على قدميه فاختفت الساكين ، وقالوا انهم لا يذكرون ما سبق ان ادلوا به من اقوال . وحتى زوجها الذى كان قد اتهمها بانها قادرة على ارتكاب اشنع الجرائم عدل عن اقــواله وقال : « لقد كنت مستعدا أن اقول اي شيء في سـبيل الخروج من ذلك الجحر » .

واعترف مدير السجن بان المتهمة وضــعت فى زنزانة لا يدخلها الضوء ولا الهواء وان سلطات الســجن اضطرت لتغييرها لاثرها الضــار على الصحة . وان المتهمة كادت تفقد عقلها وحاولت الانتحار .

وسنحت الفرصة مرة ثانية للنيابة العمومية لتتراجع عن موقفها العدائي ضــد روزالي التي اصبحت براءتها كضوء النهار لا تحتاج الى دليل. ومع ذلك وقف النائب العام يقول انه لا يستطيع ان يعلن انها بريئة وان القضاة قد اخطاوا ... وهو أمام الله الذى يطلع على السرائر يعلن ان روزالي قاتلة لابيها . قالها ابوها لاناته وقالتها هي لتجار القرية وقالها زوجها .

ان الذى اعرفه أيتها المراة روزالي انك تمنيت – وتمنيت بصوت مســموع – وكنت تحلمين فى نومك بالقضاء على الذى منحك الحياة . فهل دفعت القاتلين الى الجريمة ؟ ربما ؟ هل اكتفيت بأن توقظي اطماعهما ؟ وكيف انسى زعمك – بعد اكتشافك للجثة – انه لا بد قد انتحر ؟ .

اصغى اليَّ جيدا يا روزالي . انني اذا كنت لا اصر على طلب العقوبة فانني لا ارد لك اعتبارك ولا اسلم بانك بريئة . (كذا) .

★ ★ ★

وقال محامي روزالي : « ان النائب العام يسلم بعدم وجود اي دليل يسمح له بطلب قرار بادانة روزالي ويقول مع ذلك انها قتلت ابيها بالنية ان لم تكن قتلته بيدها . انني ارفض هذه البراءة . لا اقبل براءة لعدم كفاية الادلــة . ان من حق السيدة التي ادافع عنها أن ترد لها كرامتها كاملة غير منقوصة وأن تخرج من هذه القاعة مرفوعــة الراس » .

وافاض المحامي فى وصف الجحر الذى عاشت فيه تلك المراة لا ترى احدا ولا يراها انســان الا سجّان ، ولا تتبادل حديثا ، ولا ترى موضع قدميها من الظلام كأنها فى قبر . تشكو من البرد القارص ولا تجد دكة تجلس عليها او حصيرة تنام فوقها . لقد دفنوها حية هي وجنينها فى ذلك القبر ... لقد استطاعت ان تقاوم في الاسابيع الاولى ولكن للمقاومة – كما للمصبر حدود – فانتهى بها الأمر ان تقنع نفسها أن المقصلة افضل مما هي فيه فان الاعتراف قد ينقذ ابنها . وحملها حنانها – حنان الأم – على أن تعترف على نفســها بجريمة لم ترتكبها ...

وحين صدر الحكم ببراءتها استقبلته فى هدوء النفس الواثقة المطمئنة وقالت : « انني اشــكر قضاتي . واحمد الله انني لم اشك لحظة فى ان عنايته لن تتخلى عني » . ■■

القاهرة – حسن الجداوى

سماء بلا نجوم

قصة بقلم : سعد حامد

■ تخطت الساعة الحادية عشرة مساء ، وقد انصرف آخر مريض من العيادة منذ لحظات ، وكنت جالسا مع زميلي الدكتور شوقي نتحدث عندما دق جرس التلفون ، فرفع زميلي السماعة ، وسمعته يقول : « أنا الدكتور شوقي ... أى خدمة ... ؟ »

وسادت لحظة صمت ... ثم سمعته يقول : « ساحضر على الفور ... مسافة الطريق فقط ».

ووضع السماعة ، والتفت الى ، وقال : « هيا ياعزيزى ... حالة عاجلة وخطيرة ... وسنذهب فورا الى بلدة (س) .

فقلت في ارتياع : « مشوار متعب في هذا الجو الرديء ... » .

فقد كانت بلدة (س) في ضواحي القاهرة البعيدة ، والذهاب اليها يستغرق اكثر من ساعة بالسيارة ، والليلة من ليالي الشتاء الباردة ، والسماء ملبدة بالسحب القاتمة حالكة السواد تنذر بالمطر .

قال زميلي وهو ينظر الى وجهي باسما : « انت لم تر شيئا من هذه المهنة بعد ... ان مهنة الطبيب ليست بالمهنة المريحة ، انك ستدعى لتعود مريضا في الثالثة أو الرابعة بعد منتصف الليل ، فتغادر فراشك الدافىء وتخرج في البرد والزمهرير وتذهب الى المريض مهما بعد عنك ... الواجب يحتم هذا يا عزيزي » .

كنت حديث التخرج في كلية الطب ، وكنت اتمرن في عيادة الدكتور شوقى الذى يكبرني بحوالي عشرة أعوام ، وكان من الاطباء المعروفين وله « زبائن » كثيرون ... كنت اشاركة العمل في العيادة فافحص المرضى واكتب لهم الدواء ، واستشيره في الحالات التي يستعصي عليّ تشخيصها .

وكان الدكتور شوقي أعزب ، وسيما ... يعتنى بشيابه ، ويجيد الحديث، فاذا ماتحدث الى النساء بدا عاطفيا وانتقى الكلمات المعسولة الناعمة ، وكنت المح الاعجاب به في عيون مريضاته ، واعرف أن له مغامرات غرامية .

وكنت قليل التجارب ، ولم امارس الحياة بعد واطوى جوانحى على نفس ساذجة ... لكنني برغم هذا الحياء الذى يبدو على وجهى عندما اتحدث الى النساء اشعر بعواطفى تضطرم في صدرى ، وبدمائي تجيش في عروقى .

واخذت العربة تمضى بنا في طرقات العاصمة التى كانت قد بدأت تخلو من المارة ... ومصابيح الطرقات تعكس ضوءها على الارض اللامعة من رذاذ المطر ... واضواء النيون تلمع هنا وهناك وعلى واجهات ملاهى الليل والمقاهي ... ثم خلفنا القاهرة وراءنا وانطلقت العربة في طريق خافت الضوء، ومصباحاها ينيران الطريق، والحقول على الجانبين ممتدة فسيحة كبساط من المخمل الاسود، وبدات قطرات المطر تضرب زجاج العربة .

وشرع زميلي يسرد عليّ قصة المريض الذى نقصده فقال : « مريضنا السيد عباس رجل ثرى يعيش في قصر فخم ... ويملك أراضى واسعة من أجود الارضى ، وهو من كبار تجار القطن ... وقد تزوج برغم هذا الثراء من فتاة من أسرة



ولم أدر ماذا أقول لها ... وخيم الصمت .. صمت مرهق ثقيل .. كنت أريد أن أواسيها ... وأحنو عليها ... وأقدم لها قلبي وحياتي ... لكن خجلي المميت جعلني أحس كأنني محبوس في مصعد ضيق ... فاسد الهواء حتى أكاد أختنق ...

متوسطة ، بل تكاد تكون فقيرة ، لكنها ذات جمال باهر ... وهو يكبرها بعشرين عاما ... ويقال أنها لم تتزوجه الا من أجل ماله .. وقد تزوجها برغم ارادة أسرته ...

وأعجب ما في الموضوع أنه لم يرزق بطفل يرث هذا الميراث الضخم ، والرجل مريض بالقلب ، وحالته خطرة ... أما زوجته الجميلة الصغيرة الفاتنة التي لم تتزوجه الا لماله ، فيبدو من نظرتها الحزينة أنها تعض أصبعها ندما على أنها لم تنجب منه ... ففي هذه الحالة لن تنال من ميراثه شيئا يذكر ... وسينال أشقاؤه وشقيقاته نصيب الأسد من ميراثه ... » .

ويصمت صديقي لحظات ويرسل نظرته الى الطريق الممتد أمامنا ... ثم يستطرد ضاحكا :

« زوجته السيدة رجاء يا حافظ ... تحفة نادرة ... وجه فاتن وقوام رائع ... لكنها تحفة مطمورة في التراب ... عصفور ملون جميل مسجون في قفص من ذهب » .

ويسود الصمت بيننا من جديد ... ولاشيء يبدد السكون سوى صوت العربة وهي تنساب على الطريق .

الليل المظلم .. والسماء التي لا نجوم فيها... وصوت المطر المنهمر .. والدنيا الواسعة الممتدة

امامنا وحولنا ... وانا متعب من عمل النهار .. كل هذا جعلني مرهفا حساسا ، وشحذ خيالي ، فشغلت بالتفكير في تلك السيدة الشابة ذات الحسن الخلاب التي تعيش في عزلة الى جانب رجل على شفا الموت ...

واخيرا وصلنا القصر ... واجتزنا حديقته الواسعة باشجارها الضخمة يتقدمنا بواب القصر ، وهو رجل ريفي طويل ضخم بدا لي كانه سجان .. وارتقينا الدرج الرخامي ، ثم دخلنا الى ردهة فسيحة متالقة بالانوار ، وغاصت اقدامنا في سجاد ثمين ... كان القصر غاصا بالاثاث الفاخر واللوحات والتماثيل والنجف البديع .

واقبلت السيدة ... ومدت لنا يدها مصافحة مرحبة ... صافحتها ... واحنيت راسي تحية لها ... كانت بديعة الحسن كما وصفها صديقي تماما ... بيضاء ملفوفة ترتدي ثوبا قاتما يزيد بياضها نصوعا ... عيناها سوداوان واسعتان واهدابهما مصقولة ... ولون بشرتها ممتقع كان ضوء الشمس لا يقع عليها ...

هزني حسنها ... واستهواني شحوب وجهها ونظراتها الحزينة ... ، وكثيرا مايعجبنا ويترك اثرا في قلوبنا مراى الوجه الشاحب الممتقع ... ومنظر الزهرة الذابلة ... وبدا لي انها مريضة ... مريضة بمرض يستعصي على الطب علاجه ... انها تريد ان تنطلق الى الحياة ... وتذوق طعم السعادة ... وانا طبيب ... مهنتي ان اعالج المرضى ... فهل استطيع ان اعالجها من مرضها واصف لها الدواء ... لا اظن . ولكن ما الذي يمنعني ... ؟ واجبي ... والقسم الذي اقسمته يوم صرت طبيبا يحتمان عليّ الا افعل هذا ... يحتمان على ان اؤدي واجبي في حدود الشرف والاخلاق ... كيف اصف لها الدواء الذي ينقذها من مرضها واقول لها «غادري هذا القصر على الفور واقطعي صلتك بهذا الحطام البشري واخرجي من سجنك الى الحياة ...»

من اجل شرف مهنتي لن استطيع ابدا ان اشفيها .. !!

★ ★ ★

وشاركت زميلي فحص المريض ، وكان السيد عباس نحيلا ، وعظامه بارزة ويلتقط انفاسه بصعوبة ، ويداه ترتجفان ... كان جسمه ذابلا كورقة الشجر الجافة وتبادلنا الراى ... واشرنا بالدواء ... وذهب السائق بالعربة ليحضره ... وكان واضحا ان الخيط الذي يربط الرجل بالحياة رفيع واه كخيط العنكبوت ، وكانت السيدة مضطربة يبدو الاسى في عينيها ، ويكاد يطفر دمعها ...

وانتقلنا الى غرفة الصالون ، وصارح زميلي السيدة بالحقيقة ، فلم يعد يجدي اخفاؤها ... وطلب اليها ان تخبر اهله ليودعوه الوداع الاخير ، فارتجفت السيدة وزاد وجهها شحوبا ...

واخذنا نخفف عليها الامر ، ونطلب اليها ان تتذرع بالصبر ، عسى ان نكون مخطئين في زعمنا ، ويكتب الله له الحياة ، فكثيرا ماتنقذ العناية الالهية مرضى فقد الامل في شفائهم ...

ولما قمنا لننصرف قالت السيدة موجهة الحديث الى زميلي : « ارجوك ... ابق هنا الليلة انت وزميلك ... القصر واسع كما ترى ، وبه حجرات كثيرة معدة لضيوف ... وانا وحيدة واخشى ان يصاب زوجي بنوبة في اثناء الليل فلا اجد من ينقذه ... كما ان السماء تمطر والطرقات موحلة والسير في هذا الجو فيه خطورة شديدة » .

واخذت تنقل نظراتها بيننا في توسل ... نظرات ضارعة دامعة كفيلة بان تحرك اشد القلوب قسوة ... ثم اردفت : « ليس من الحكمة ان تذهبا الآن ... وساعد لكما غرفتين » .

كانت الريح تعصف في الخارج ... وصوت المطر يتناهى الينا برغم النوافذ المغلقة ... ونظر زميلي اليّ ونظرت اليه ... وكان صوت المطر المنهمر والبرد القارس يوحيان بالكسل والركون الى الفراش كما ان رقة السيدة وتوسلاتها ... كل ذلك كان يجعل فكرة مغادرة هذا القصر الدافىء تبدو فكرة خرقاء ... فلم نملك الا الموافقة .

وبعد ان مرت هذه اللحظات المشحونة بالانفعال جلسنا ندخن ونحتسي القهوة ، ورحت استمرىء لطف السيدة رجاء ، واتطلع الى حزنها البادي .

اى عذاب رهيب تعانية هذه المراة الشابة الفاتنة مع هذا الزوج المحطم .

وتحدثنا ... وخفف الحديث من اضطراب السيدة ، وسرى الاطمئنان الى وجهها فانفرجت ، وبدت هادئة ... ولحتها وهي تختلس الينا النظر

كانما تزن كلاً منا ، وكانت توجه اليّ الحديث ، وتمنحني اكثر اهتمامها .

واقبل السائق بالدواء ، فمضت السيدة لتقدم الى زوجها جرعة منه ... ثم اقبلت لتخبرنا ان غرفتينا قد اعدتا ، فشكرناها ... ثم حييناها تحية المساء ، وتبعنا الخادم ليرشدنا الى حجرتينا.

كانت غرفة زميلي مجاورة لغرفتي ... واغلقت على نفسى الباب ، وجلست على مقعد وثير الى جانب الفراش ، ورحت اصغي الى صوت الريح والى نقر المطر على النوافذ ، وسمعت من بعيد صوت ذئب يعوى ... واخذت افكر في السيدة رجاء ... وفي وحدتها ... وفي حياتها الجافة الحزينة في هذا القصر الواسع الصامت ... وبدت لى حقا كما قال صديقي ... عصفورا ملونا جميلا مسجونا في قفص من ذهب ...

ومرت على ساعة وانا جالس في مكاني ... وفي صدرى تختلج عاطفة ناعمة مبهمة ... اثارتها افكارى المضطرمة ... والليل الغامض ... وجمال السيدة .

وسمعت صوت خطوات خفيفة ثم صوت اقدام تقف امام باب غرفتي ثم ساد السكون لحظة ، وسمعت طرقة خفيفة لاتكاد تسمع على باب الغرفة فانصت ، وظننتني واهما ولكن تكررت الطرقة ، وفي هدوء قمت من مكاني ، وفتحت الباب .

وعندما انفرج الباب غمرتني موجة من السعادة، فقد رأيت السيدة رجاء واقفة امامي ، وافسحت لها الطريق ، فخطت الى الداخل .

وقفت أمامها مضطربا ... صامتا ... كما كنت اقف امام امي وانا طفل كلما غضبت عليّ وهمّت بضربي ... فنظرت الى نظرة ناطقة لمعان لاحصر لها .

اربكني قدومها المفاجيء الذى لم اتوقعه قط .. وغمرنى الخجل ... ذلك الداء العضال الذى لا دواء له ، ولم اقو على ان اقول لها كلمة .

فاشرق وجهها بابتسامة عذبة ... وقالت لى في ود : « ارجو المعذرة اذا كنت قد ازعجتك ... فقد رأيت نور غرفتك مضاء فأردت ان اتأكد هل انت مرتاح ... أو انك تحتاج الى شيء ... هل أعد لك شرابا ساخنا فالجو شديد البرودة ...؟ »

وقفت امامها صامتا جامدا كالأبله ... وبعد جهد قلت لها : « شكرا يا سيدتي ... لست احتاج الى شيء ... » .

وطال صمتي وهي واقفة امامي ، وانا لا ادرى كيف ابدا الحديث ...

وخرس لساني ، وتصبب العرق على وجهي برغم البرد القارس ... فلما رات اضطرابي وحيرتي بدا الضيق على وجهها .

لم افكر ... في تلك اللحظة ... من فرط سذاجتي ان هناك سببا آخر لمجيء السيدة الى غرفتي سوى حرصها على راحتي !! كانت في صدرى عاصفة كالتي تزاد في الخارج لكنني لم اكن اقوى قط على ان امد يدى فاتناول يدها بين يدى ...

والقت بنفسها على المقعد في اعياء ... وقالت في صوت متعب : « شد ما انا مرهقة ... انني لم أنم من ثلاث ليال » .

وسكتت لحظة ثم اردفت وهي تنعم النظر في وجهي : « تصور ... من شهر مضى وانا لا انام الا بأقراص منومة .. لقد اجهدني مرض زوجي كثيرا فانا اعنى به بنفسي ولا أترك شئونه للخدم».

كنت اجاهد لكى اقول كلمة حتى لا ينقطع خيط الحديث ... وبعد لأى قلت لها : « كان الله في العون ! » .

فقالت : « وفي بعض الليالي لاتجدى الاقراص المنومة ... فأظل يقظة طوال الليل استمع الى طلقات الحراس وعواء الذئاب ... صدقني الحياة في الريف مملة جدا ... ومن يعيش فيه يحس بأنه يعيش على هامش الحياة ... كم احس بالوحدة هنا » .

ولمحت بريق الدمع في عينيها ، ورايتها تحرك يدها تبحث عن منديل ، واحسست بموجة من الالم تكتسح صدرى ... لكنني تشاغلت بالنظر الى لوحة معلقة على الحائط حتى لاتدرك انني لمحت دمعها ... وسمعتها تقول : « لا أدري لماذا قلت لك هذا الكلام ... اعذرني فأنا مضطربة » .

ولم أدر ماذا اقول لها ... وخيم الصمت ... صمت مرهق ثقيل ... كنت اريد ان اواسيها ... واحنو عليها ... واقدم لها قلبي وحياتي ... لكن خجلي المميت جعلني احس كانني محبوس في مصعد ضيق ... فاسد الهواء حتى اكاد اختنق ... وكان الخاطر الوحيد المسيطر على لحظتها هو ان اهرب .. اهرب بحثا عن نسمة هواء ...

وخجلت السيدة من موقفها ، ومن صمتي المزرى فتضرج وجهها ، وغادرت مكانها لم القت على تحية المساء وانصرفت .

فلما اغلقت الباب وراءها ... احسست كان باب الجنة قد اغلق دوني ... وان سعادة العمر قد طارت من يدى ... وصهرني الندم ... كم انا غر ساذج ... وظللت الوم نفسي على ضعفي وارتباكي .

واطفات النور ... واويت الى الفراش ... وفي ظلام الغرفة رحت انصت الى سكون الليل العميق ، فقد انقطع هطول المطر ، وساد الصمت ، واحسست بوحشة تجثم على صدرى ، وشعرت ان حياتي ستذهب هباء ما دمت انسانا ضعيفا خجولا أضيع الفرص التي يقدمها الى القدر .

وعندما ودعتنا السيدة رجاء في الصباح وقفت امامها مطرقا ، ولم اقو على النظر الى وجهها ، فقد شعرت بالخجل من موقفي ازاءها في الليل .

وانطلقت بنا العربة عائدة الى القاهرة ... كانت الحقول الفسيحة مغسولة بماء المطر ... والزرع الاخضر يهتز تحت اشعة شمس الصباح المشرقة ... وعلى مدى البصر كانت البيوت الريفية الواطئة تجثم عند اقدام اشجار النخيل السامقة ... كل ماحولنا رحب بهيج يوحي بالحرية والانطلاق ... وكم تمنيت في ذلك الصباح ان انطلق في هذا الخلاء ... واذهب بعيدا ... الى غير وجهة ما ... كعصفور طليق ... لا احس بقيود الحياة أو بعواصف الرغبات ...

لم احدث صديقي عن زيارة السيدة رجاء لغرفتي في أثناء الليل وان كنت قد تحدثت عن جمالها ، فقال لي في ايجاز : « حقا هي سيدة رائعة ... خسارة في هذا الرجل ... »

ولاذ بالصمت بقية الطريق ... فلما سألته عن سبب صمته قال : « انا متعب ... اني لا انعم بنوم عميق اذا انا غيرت مكان نومي ... » .

★★★

وفي دوامة العمل الرهيبة ... والمشاغل التى لا تنتهي نسيت السيدة رجاء ... ونسيت زوجها تماما حتى قال لي زميلي ذات يوم :« اتذكر السيد عباس الذى زرناه معا في بلدة (س) ... لقد توفي اليوم » .

فسمعت الخبر ، ولم أعلق بشيء ، وان كنت قد احسست بهزة وانا اسمعه ، فقد شاءت المقادير اخيرا ان تطلق سراح السيدة رجاء من سجنها الابدى .

وبعد عام عينت طبيبا للصحة في تلك البلدة ... وكان أول ماخطر ببالي عندما وطئت قدماى ارضها أن اسأل عن تلك السيدة صاحبة القصر الذى قضيت فيه ليلة ، والتى مازالت ملامحها مرسومة في خيالي ... وماذا كان مصيرها بعد وفاة زوجها .

وقابلني عمدة البلدة بالترحيب والاجلال اللازمين لطبيب الصحة الجديد ،وبعد السلامات والتحيات سألته : « قل لى ياحاج ماذا تم بشأن حرم السيد عباس . هل مازالت تقيم في القصر ؟ »

فاستغفر الرجل من كل ذنب عظيم ... ثم قال:

« حكاية السيدة رجاء ياسيدى حكاية غريبة ... وقد طارت حولها الشائعات ... فعندما مات زوجها اقبل اخوته ليضعوا يدهم على القصر وما تركه وراءه من ميراث ... فوقفت السيدة بينهم شامخة الراس واعلنت انها حامل ... فصعق أهله واتهموها بالكذب ... ولكن ما ان مرت شهور حتى انجبت السيدة طفلا ذكرا ... فأشاع أهل زوجها أن هذا الطفل ليس ابن عباس بل ابن الدكتور شوقي الذى كان يتردد على القصر ويشرف على علاج زوجها ... وقد تعذبت السيدة عذابا اليما وهى تلد ثم اصيبت بحمى وماتت بعد مولد طفلها بشهر تقريبا ... وتركت طفلا ورث املاك الرجل الراحل وثروته » .

ووجدتني اقول له على الفور :

« صدقني هذا كذب ... انا اعرف الدكتور شوقي جيدا وهو رجل نبيل شريف لايقدم على شيء كهذا ... كما أن السيدة رجاء وقد عرفتها عن قرب سيدة فاضلة من المستحيل أن تزل هذه الزلة ... »

قلت هذا

ثم عدت أتساءل : « ما الذى حدث في الواقع يا ترى ؟ »

واذا بي أجيب نفسي : « علم ذلك عند الله ، فليس يكشف السرائر سواه » . ■■

سعد حامد ـ القاهرة

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٧

تحية للعربي من النجف الاشرف

● لا اخالني مغاليا اذ قلت : ان مجلة العربي الغراء هي اكثر المجلات عطاء ونفعا ، فهي جامعة ولكن لا كالجامعات وفيها كل ما لذ وطاب من شتى الثقافات ، وفي كل شهر نسافر سفرة (مجانية) ولكن لا على ما تجرى عليها السفرات ، الى نحو من انحاء وطننا الكبير وبغير ان تبرح مكاننا وما عساني ان اضيف واقول ؟ اعتقد ان الافضل ان اكف الآن فخير الكلام ما قل ودل والى الامام يا مجلة الميامين الملايين ومزيداً من العلم والادب والله مع العاملين .

علي الحلو ـ النجف الاشرف العراق

القات والنقد الذاتي البناء

● كان سروري بالغا وانا اتتبع استطلاع القات الذى نشر في عدد شهر فبراير الماضي من العربي ، فنهضة شعبنا العربي لن تكون الا بالنقد الذاتي البناء لمشاكلنا ، ولن تكون الا بالكشف عن الداء حتى يسهل بعد ذلك وصف الدواء . لقد نفدت اعداد العربي في الساعات الاولى من ظهوره في مكتبات جده نظرا لاقبال ابناء اليمن المقيمين هنا على شرائه ، ولعلهم وجدوا فيه متنفسا لاحزانهم . فشكرا من الاعماق لمجلة العربي التى حملت لواء هذه الرسالة المجيدة التى اخترتموها لها منذ صدورها .

محمد قائد محمد من ابناء اليمن (جده)

تصويبات

● فيما كتبه البحاثة (البدوى الملثم) عن محمد الشريقى عدة امور تقتضي التصحيح :

١ ـ ذكر ان الشيخ رشيد رضا ولد في (قضاء) القلمون بسورية ، والصحيح هو انه ولد في قرية القلمون بلبنان ..

٢ ـ الصفة الكبرى للشيخ عبد الحميد الزهراوى هو انه كان رئيس اول مؤتمر عربي عقده العرب للمطالبة بحقوقهم في الدولة العثمانية وهذا لم يشر اليه الكاتب ، كما انه لم يشر الى ان الزهراوى كان بعد ذلك من شهداء القضية العربية الذين قتلهم السفاح جمال باشا .

٣ ـ ذكر اسم الدكتور احمد المحمصاني بين اسماء مؤسسي جمعية « العربية الفتاة » .. في حين انه لا وجود لهذا الاسم بل ان الاسم الحقيقي اسمان لا اسم واحد . وهما الشقيقان محمد ومحمود المحمصاني ..

٤ ـ ذكر ان لجنة الاستفتاء الدولية مرت بدمشق اثناء الحكم الفيصلي فاقيمت لها الاحتفالات في دمشق وغيرها من المدن وقامت مظاهرة عند وداعها فاضطرب الفرنسيون واعتقلوا زعماء تلك المظاهرة : الدكتور شهبندر وسعيد حيدر وحسن الحكيم ..

والحقيقة ان ذلك لم يحدث خلال الحكم الفيصلي ولا اثناء مرور لجنة الاستفتاء بدمشق ، بل بعد احتلال الفرنسيين لدمشق وزوال الحكم الفيصلي ـ الاستقلالي انما سبب حدوثه فمرور (كراين) بدمشق . وقد مر بها في زيارة شخصية ولا يغير من ذلك انه شغل منصب رئيس لجنة الاستفتاء فيما سبق .

حسن الامين ـ بيروت

(أين « اضحــك » ؟)

● اختفت صفحة « اضحكتفحك لك الدنيا» منذ اكثر من عام او ما يزيد ، وقد كانت صفحة ناجحة ، كثيرا ما اضحكتنا ، وروحت عنا وسط هموم الدنيا ومشاكل الحياة . ترى لماذا توقف نشر هذه الصفحة . نرجو ان نراها مرة اخرى بين صفحات مجلتنا الحبيبة « العربي » .

طارق بساط ـ بيروت

● ● ●

استطلاع ملكال

● طالعت بسرور استطلاع مدينة ملكال عاصمة اعالي النيل ، والحق ان هذا الاستطلاع اعاد الى ذكريات حبيبة قديمة وحبيبة الى النفس حيث انني ولدت ونشات في هذه المدينة . ولكن هناك شيء استرعى انتباهي ، وهو ان الاستطلاع لم يعكس مظاهر العمران والتقدم في هذه المدينة .

ولقد دهشتعندما قرات ان في مدينةملكال شارعا واحدا ممهدا . فالذىاعرفه ان في هذه المدينة اكثر من تسعة شوارع ممهدة ، وفي منطقة الرى المصرى وحدها اكثر من سبعة شوارع ممهدة وجميعها محاطة باشجار عالية جميلة . والحق ان منطقة الرى لؤلؤة على جيد مديرية اعالي النيل بمبانيها المنسقة الجميلة وحدائقها المليئة باشجار المانجو والبرتقال والجوافه ..

الزبير محمد نور سليمان
الدمام ـ السعودية

● ● ●

جامعة البصرة

● اطلعت على استطلاع العربي لجامعة البصرة (العدد ١٤٧) وفيه تكلمتم عن المجموعات الثلاث لمشروع مباني جامعة البصرة الجديدة وقد ذكرتم فيه (صفحة ١٥٨) ان المجموعة الثانية ستكون لهيئة الطب بجوار المستشفى التعليمي في الشرازية او « الخور » والصحيح ان المنطقة تدعى البراضعية او « الخورة » وهي منطقة مشهورة في البصرة .

صالح مهدى العاشور ـ البصرة

مركز التوثيق التربوى

● ايماء الى ما نشر بمجلة العربي ، بالعدد ١٤٨ مارس سنة ١٩٧١ ، ص ١٣٦ في باب « انت تسال ونحن نجيب » بشان عدد الطلبة في مراحل التعليم بالدول العربية .

اتشرف بان اضع المعلومات والبيانات التالية تحت ايديكم :

١ ـ بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة : يوجد جهاز مختص بتقديم كافة المعلومات والارقام المتاحة عن التعليم في احدث صورها الى كل من يقصده من الباحثين والمعنيين ، وهو مركز التوثيق التربوى (٣٣ شارع الفلكي بالقاهرة ت ٢٤٢٤٧) وهو الجهاز الذى يتشرف بالكتابة اليكم . فضلا عن ان هذا المركز يقوم باصدار عدد من المطبوعات لاذاعة مثل هذه المعلومات نخص منها بالذكر « التقرير السنوى لتطور التربية والتعليم » الذى يصدر سنويا متضمنا ما يسال عنه الطالب ، وهو يوزع عند طلبه بالمجان ويستطيع الطالب الاتصال بالمركز للحصول على نسخة منه تتضمن احدث البيانات المطلوبة .

وننتهز هذه المناسبة لنشير الى ان دائرة المعارف البريطانية تستمد معلوماتها ايضا من هذا المركز .

كما ان مقتنيات التوثيق التربوى بالقاهرة ـ من وثائق بصفته يعمل على الصعيد العربي في اطار مسئولياته الاقليمية على مستوى الوطن العربي الموكولة اليه من قبل منظمة اليونسكو ـ توفر المعلومات والاحصاءات التربوية عن عدد من دول الوطن العربي.. وهذه ايضا في خدمة طلاب البحث والمعنيين خاصة وانه يصدر كتابا سنويا عن تطور الحركةالتعليميةفي الوطن العربي مستعينا بتلك الوثائق . ويستطيع السيد السائل الاتصال بالمركز للحصول على هذا الكتاب ايضا بالمجان .

كذلك نرجو ان تعلموا الطالب بان جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) لديها ايضا البيانات المطلوبة وهي في متناول يد الباحثين عنها .

واخيرا فاننا ننتهز هذه الفرصة لنحيي جهودكم في خدمة الثقافة والتعليم ، ونشكر لكم اهتمامكم باجابة الطالب الى ما سال عنه ، راجين ان يكون في ردنا هذا ما ينير له طريقالبحث العلمي القويم .

مديرة المركز (زينب محرز)

مكتبة العربي

بقية المنشور على صفحة ١٣٥

الصواعق المحرقة

في فضائل آل الرسول

تاليف : احمد بن حجر الهيثمي

اختيار : محمد مهدي الحسيني الشيرازي

الناشر : هيئة شباب التبليغ – كربلاء – العراق .

● مجموعة احاديث نبوية في فضل اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اخترت من كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر تبرز فضل اهل البيت في كثير من المناسبات وتشيد بعلو منزلتهم وسمو شانهم ، والقصد من تاليف هذا الكتاب هو دفع الناس الى الاخذ عنهم والرجوع اليهم باعتبارهم مصدرا اصيلا من مصادر التشريع الاسلامي .

الجدار والسلم

تاليف : عباس الحساني .

الناشر : دار الطباعة الحديثة – عشار – العراق

● مجموعة قصائد متنوعة .

الموسوعة الكويتية المختصرة

تاليف : حمد محمد السعيدان

الناشر : المطبعة العصرية /الكويت .

● هذه الموسوعة تحكي قصة المجتمع الكويتي ولهجته ولغته ، مفرداتها ومصادرها ، وعاداته وتقاليده بانواعها ، وادبه الشعبي وحكمه وامثاله وفلسفته في الحياة ، ثم صحراءالكويت وما عليها من نبات وكلا واماكن ومخلوقات وسماء الكويت وما فيها من طير وطقس ، والبحر وما فيه من اسماك وسفن ولآليء ومغامرات .

كما تصور الموسوعة ايضا المجتمع الكويتي ورجاله ودورهم في خدمة البلاد وتاريخ الكويت ، كما ان هذه الموسوعة تعتبر مرجعا تاريخيا وادبيا وثقافيا وجغرافيا ، كما تبحث الموسوعة في الالغاز والحكم والامثال والطب الشعبي وتركيباته ومعتقداته ثم الحروب والمعارك التي خاضها الشعب الكويتي ضد الاعداء ، ثم الفلك والنجوم عند الكويتيين ، كما عرض للجمعيات والاندية والمدارس والمساجد في الكويت ثم القرى والمناطق والسكان والبراري والآبار ثم عرض للاسر والعائلات الكويتية التي اثرت في مجريات الاحداث في الكويت واخيرا الادباء والشعراء الذين خدموا الكويت .

جناح السرطان

تاليف : الكسندر سولجينتسين .

الناشر : دار النهار للنشر – بيروت / لبنان

● رواية طويلة استمد المؤلف احداثها من تجربته الشخصية حيث اصيب بالسرطان بعد خروجه من معسكر للاعتقال كان قد زجه فيه ستالين ، والرواية تدور احداثها بين مصابين بالسرطان جمعهم المرض وفرقت بينهم الاراء الفكرية والسياسية ، فوجدوا في جناح السرطان ملجا لمناقشة افكارهم بحرية دون خوف .

اغاريد الفجر

تأليف : الدكتور أديب سركيس . **الناشر :** مكتبة رأس بيروت – بيروت / لبنان

● مجموعة من القصائد المتنوعة .

فتح العلي الاكبر
في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الاسمر

تاليف : ابو علي الطيب بن طاهر المصراتي .

الناشر : دا الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع بيروت / لبنان .

● ترجمة لاحد اقطاب الصوفية عاش في شمال افريقيا حيث كانت الصوفية ظاهرة عامة في تلك المناطق من المملكة الاسلامية ، وحيث صبغت الحياة العامة وطبعت حياة الافراد بطابع خاص وكانت الاساس في نشوء مؤسسات دينية واسعة . كما ان الكتاب يوضح الكثير عن تفاصيل الحياة والمراسم والشعائر التي يقوم بها اولئك المتعبدون مثل الذكر واوصافه واقوال الائمة فيه والكلام على السماع والحضرة وهي مجالس يعقدها عدد من المريدين ينشدون فيها القصائد والاشعار المتضمنة للمدائح النبوية .

المنبع

تاليف : علي كامل .

الناشر : عالم الكتب / القاهرة

● مجموعة قصص قصيرة .

■■

العربي

العدد ١٥٤
رجب ١٣٩١
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧١



« الجبنة » .. قهوة معطرة من مدينة عطبرة

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



من روائع الفن العالمى

● لوحة قيمة للفنان ليوناردو دافنشي (انظر العربي العدد ١٥١ صفحة ١٦٤) سماها ليوناردو (صورة سيدة Portrait of a Lady) وسماها آخرون (صورة جنفرا دى بنكى Ginevera dei Benci

نقول قيمة نظرا لقيمتها المادية وهى كبيرة ، بالاضافة الى قيمتها الفنية ، وهى كبيرة ايضا . فقد احرزت هذه اللوحة الصغيرة نسبيا (٤٢ × ٣٧ بوصة) أعلى ثمن ظفرت به لوحة فنية اطلاقا ، بما في ذلك لوحةفيلاسكيز التى بيعت في لندن في أواخر سنة ١٩٧٠ بمبلغ مليونين وثلاثمائة الف وعشرة جنيهات استرلينية . اذ بلغ ثمن لوحة ليوناردو ، التى نراها فوق هذا الكلام ٢٢٠٠٠٠ر٤ جنيها وقد كان الشارى هو متحف واشنطن الوطنى للفن ، حيث توجد اللوحة حاليا . وتمت الصفقة سنة ١٩٦٨ .

عزيزي القارئ

زلازل فى الارض

● الناس تخشى زلزلة الأرض ، وقد كثرت فى احداث هذا العام الزلازل .

ويفيض بركان « اتنا » بما يفيض ، ويهرع الناس بعيدا عنه الى حيث الامان . وقد يصيب القريبين على سفحه شيء من ناره ، فاقول انهم فداء للناجين .

وأقول انها الحركة ، وان الحركة خير من الجمود .

وقديما قال الناس ، ما من حركة الا وبها بركة .

وجلست فى حديقة البيت الذى أنا فيه ، والبرد قارس نوعا ما ، والشمس طالعة . فدفئت من أشعتها واسترحت . وهبّت الريح فتحرك معها الشجر ، ومع حركته هبط منه الى الأرض ورق كثير .

قلت : ان الورق الذى سقط لم يكن احسن ورق على هـذا الشجر . لا بد انه اصابه شيء من الجفاف جعله حِملا غير نافع . فاجرى الله الريح فاسقطته. وخلت انى وجدت للريح فائدة اخرى.

وعدت اقول ما قال الناس قديما : ما من حركة الا وبها بركة .

فلا ييأسن أحد من رحمة الله .

لندن ـ يولية ١٩٧١

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وأدب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 154 September 1971 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الإعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● التقاليد والعادات العربية المتوارثة عن الاجداد لا تزال سائدة في مدينة عطبرة ، مدينة الحديد والنار في شمال السودان . ومن هذه العادات تقديم القهوة المعطرة والتي يسمونها هناك « بالجبنه » وهي مصنوعة من البن المضاف اليه زيت الصندل وهي عادة تراها في كل بيت من بيوت هذه المدينة السودانية التي تعتبر اكبر مدينة عمالية وصناعية في شمال السودان . (الاستطلاع ص ١٠٠) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٣٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥ قرشا . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

مدرسة تعرض العمل في سقطرى

● قرات في مجلة « العربي » في عددها ١٥٢ ، الصادر في يوليو ١٩٧١ عن جزيرة سقطرى وعرفت الحياة بها من خلال التحقيق الذى نشر في مجلة « العربي » والحقيقة انني احببت حياة اهل هذه الجزيرة كما عرفت ان بسقطرى مَدْرسة واحدة لتعليم البنات فتحت ابوابها منذ عامين وبها مُدَرِّسة واحدة فقط وهي مريم علي سالم من عدن ، وهي تقوم بتعليم الصف الاول الابتدائي .

انني معلمة متخرجة منذ عامين فقط من الجمهورية العربية المتحدة ، واريد ان اعمل مع هذه المعلمة في سقطرى ، فما رأيكم ؟

سوهاج ـ احلام يوسف العدوى

العربي يصل متأخرا

● العربى يصل متاخرا الى القاهرة ، فهو لا يعرض في الاسواق الا بعد ان ينتصف الشهر ، هل لكم ان تبحثوا في اسباب تاخر وصوله الينا ، وان تعملوا على ازالة هذه الاسباب ؟

طلعت محمد على / القاهرة

حرية الصحافة في الكويت

● لمست من خلال قراءتي للصحف والمجلات الكويتية تقدما وتطورا يثيران الاعجاب حقا .. واحسب ان الفضل في ذلك انما يرجع الى الحرية التي تتمتع بها الصحافة .. ان القارىء ليشعر من خلال المقالات التى تنشرها صحف الكويت ان حرية الصحافة مكفولة ، فانني اعتقد ان الصحافة المقيدة لا يمكن ان تتقدم ولا تتطور ، وبالتالى لن تستطيع ان تقوم بدورها كاملا في المجتمع . هنيئا لدولة الكويت بصحافتها الحرة .

محمد بن معجب الزهراني
جدة / السعودية

الصيام يبدأ عند الفجر

● جاء في مقال « الانسان ، ماكله ومشربه » للدكتور على احمد على في الفقرة المنشورة في صفحة ١٢٢ من العربى العدد ١٥٣ تحت عنوان الامتناع عن الاكل والشرب كشكل من اشكال العبادات، ان المسلمين يصومون من شروق الشمس حتى مغربها ، والصحيح ان الصيام في شهر رمضان المبارك يبدأ عند الفجر اى قبل شروق الشمس ، لذا وجب التنويه .

سلامه احمد سلامه
بون ـ المانيا الغربية

مسائل ومشاكل واحداث

● لماذا اختفى باب «مسائل ومشاكل واحداث»في مجلتنا القراء.رغم انهباب كان يزخر بالمواضيع الشيقة المفيدة ؟ ارجو منكم ان تعيدوا هذا البابولكم جزيل الشكر .

فرج سعيد الحازمي
مكة المكرمة / السعودية

ايهما اصح

● قرانا في مجلتكم الجليلة العربى العدد ١٤٩ تحت عنوان « الرمزية في الادب العربى » بقلم الاستاذ الغزالى حرب واننا لنشكر جهودكم لنشرهذه المقالات الادبية .. الا ان عدم التدقيق على تلكم المقالات قد يؤدى الى خطأ مثال ذلك ما جاء في مقال الاستاذ المذكور « الرمزية في الادب العربى » حيث وردت الآية الواقعة في السطر العاشر وهذانصها : قال تعالى « قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا » والصحيح ان نص الآية قولـه تعالى «قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ليال سويا» وهى الآية العاشرة من سورة مريم وهذا خطأ وجب التنويه عنه .

ذياب عودة العنزى الطائف / السعودية

العربي : الآيتان موجودتان في القرآن الكريم ، غير ان الآية التى اوردتها انت حفظتها خطأ بينما الآية التى اوردها الاستاذ / الغزالى حرب هى الآية ٤١ من سورة (آل عمران) وهى صحيحة .

اين ولد غاندى ؟

● في العدد ١٥١ من العربي ، قرأت مقالا عن حياة المهاتما غاندى ، ومن قبله قرأت موضوعا ، آخر عن هذا الزعيم الهندى في العدد ١٣٤ ، وقد اتفقت آراء كاتبي المقالين في كل ما تعرضا اليه في حياة محرر الهند الكبير ، ولكنهما اختلفا في مكان ولادته ، فقد جاء في المقال الاخير ان غاندى ولد بمقاطعة جوجيرات بالهند ، بينما جاء في المقال الاول انه ولد في كاتياورا ، فايهما الاصح ؟

عارف رؤوف خليل

العربي : كاتياورا مقاطعة داخل اقليم جوجيرات ، فكلاهما على صواب كما ترى .

اقتراحات

● اصبحت العربى بئرا يسقى منه المتعطش الى العلم والمعرفة والثقافة الغزيرة ، ثم انه لدى بعض الاقتراحات وهى عودة الى الماضي ، ماضي هذه المجلة الحافل :

١ ـ ارجو ان تكون صورة الغلاف الخلفى معبرة لحياة شعب من الشعوب الاسلامية .

٢ ـ عودة مرآة الرأى الغربى ومرآة الرأى العربى .

٣ ـ أن تنشر وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه بصفة مستمرة في كل عدد .

عبد الله عبد الرحمن النقيدان
الرياض / المملكة العربية السعودية

أين ((صفحة الطب المصور)) ؟

● حجبتم عنا صفحة الطب المصور التى كانت اجمل ما في بحوث الطب ، واني ارجو اعادة نشرها في كل عدد تصدرونه ، ومن ناحية اخرى ارجو ان تصدروا كتابا يحوى كل صفحات الطب المصور التى ظهرت في الاعداد السابقة من « العربي » .

عبد الرحمن محمد سعيد عبد الرحيم ـ حلب

الصناعات في الوطن العربي

● ابعث اليكم بهذه الرسالة التى تحمل بين طياتها شكرى وتقديرى لكم على ما تبذلونه في سبيل توسيع معلومات المواطن العربي وحيث اننا نجهل الكثير عن الصناعة في وطننا الحبيب : ورغبة منا في التعرف على اهم الصناعات في الدول العربية ونسبة الانتاج في كل دولة ، فاننا نامل ان تقدموا لنا استطلاعات عن المصانع في مختلف انحاء وطننا العربى .

على جيمان الغامدى
جيزان / السعودية

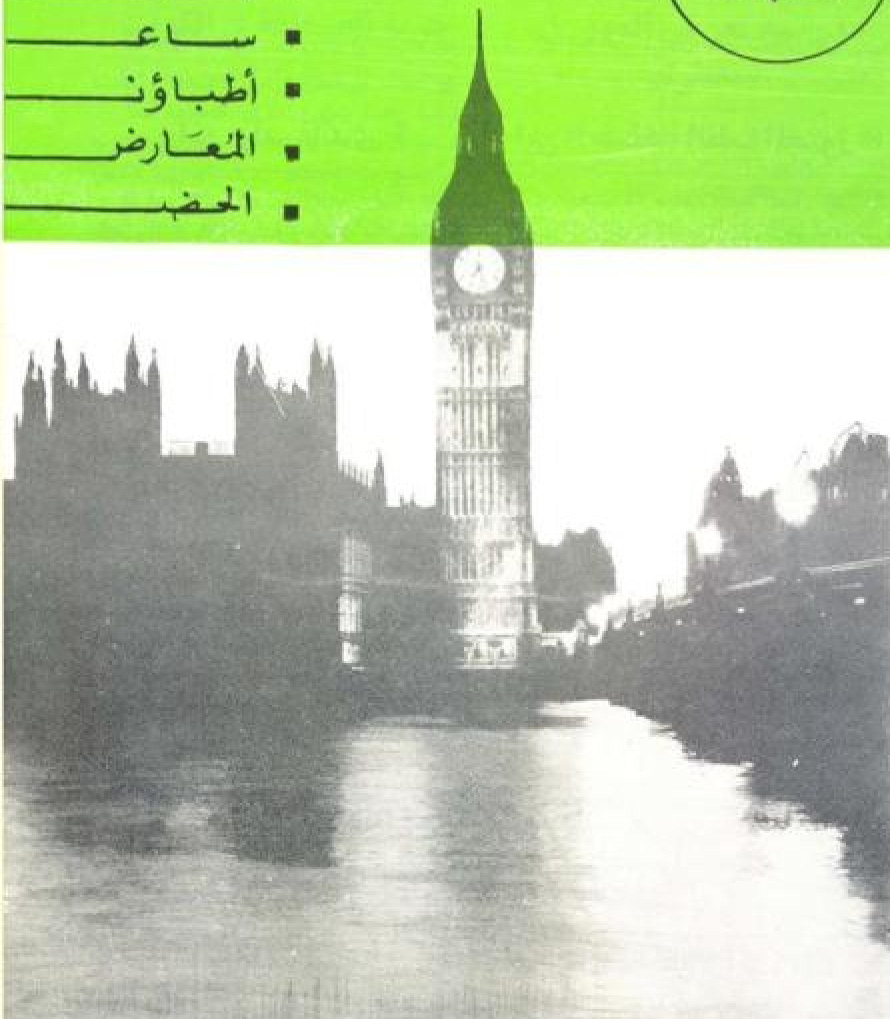
العربي : سبق ان قدمنا عدة استطلاعات عن الصناعات في الوطن العربي ، في الكويت ومصر والسودان ولبنان وغيرها ، وسنقدم المزيد منها ان شاء الله .

(البقية على صفحة ١٧٦)

لندن في صيف

حديث
الشهر

- الشـ
- معـاش
- قـالـت
- سـاعـ
- أطباؤن
- المعَارض
- الحضـ



عام ١٩٧١

سن كاد لا يكون لـه وجـود
ـ التقـاعد ، أرغفـة من خبز
ـ عن التضخم المالى : انه سرقة
ـة كلام ثمنها ٦ جنيهات
ـا وأطباؤهم ، والعجز المزعوم
ـ السياسى ، يخطب فى الآلاف ، فلا يضرب بالنعال
ـارة الأمريكية ، هل هي حقاً آذنت بزوال ؟!

بقلم رئيس التحرير

■ كتبت عن لندن ، فى صيفها ، اكثر من مرة سبقت . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن : لماذا لندن ؟ وليست باريس او روما او برلين ؟ والجواب شقان ، شق يتصل بشخص الكاتب ، وشق يتصل بواقع احوال الدولة .

اما الشق الذى يتصل بشخص الكاتب فذلك ان لندن عاصمة انجلترا ، والكاتب قضى فى انجلترا الأنضج من سنوات شبابه واطال ، فهو يعرف من حال هذا البلد واهله ما قارب ما يعرفه عنه اهله ، فاذا هو كتب كتب عن فهم ، وعن اقتناع وممارسة ، وهو بسبب تجربته الطويلة لن يخطىء فيسمى الفضيلة رذيلة ، ولا الرذيلة فضيلة . وهو بسبب علاقات قديمة لهذا البلد ببلاد الشرق غير حبيبة ، وجب عليه حين يكتب عن هذا البلد او عن غيره من البلدان ، ان يركز على الواقع الحاضر ، ويغفل الماضى حتى لينساه وكأنه لم يكن ، لتخرج الصورة صادقة للعصر الذى هو فيه ، والعام الذى هو فيه ، بل والشهر الذى هو فيه ، فلا يخلط احداث اليوم بأحداث الأمس ، ولكل مفارحه ولكل مآسيه .

اما الشق الثانى من السؤال ، اى لم اكتب عن لندن دون غيرها من العواصم ، فذلك لأن الدولة التى لندن عاصمتها تقع من العالم الذى درجنا على تسميته بالغربى فى اوسطه ، فالى الشرق من انجلترا اوروبا ، والى الغرب منها امريكا ، واعنى بها الولايات المتحدة خاصة . وفى التاريخ الحديث ، وفى القديم الحديث ظلت

انجلترا هي اوسط هذا العالم دائما . وهي في الاستقرار السياسي سبقت اوروبا وامريكا . وهي في الثورة الصناعية ، والثورة العلمية والتكنية كانت البادئة وكانت السابقة ، وتبعها الآخرون . وهي من حيث التحفظ والحفاظ كانت اشد الأمم محافظة ، ولم تشهد امم ، من امم اوروبا ، محافظة أشد من محافظة الانجليز على تقاليدهم في العصر الفكتوري ، عصر الملكة فكتوريا ، وقد ماتت مع انبلاج اشعة العام الأول من هذا القرن الحاضر .

وانجلترا اليوم ضيّعت المحافظة ، قليلا أو كثيرا ، وكما هي اعطت في الماضي مَن حولها من التحول الحضاري ، بدات تأخذ في الحاضر من اوروبا وامريكا اساليب من التحرر تذهب بالعريق من تقاليدها .

فالناظر في امر انجلترا اليوم ، يصف ما يصف فيها من تحول ، انما يصف ظاهرة تاريخية تؤيد الراى القائل بان الحضارات ، في تقلبها ، انما تنتقل بالعدوى من بلد الى بلد ، بقدر ما بينهما من مواصلات ، تماما كما ينتقل الوباء ، وسواء كان في الحضارات خبث الوباء ، أو لم يكن . يكفي ان تنفتح الأبواب والنوافذ عند الحدود لتدخل منها النسائم عطرة او غير عطرة .

الوصول الى المطار

حطت بنا الطائرة في مطار لندن ، ودرجت على سطحه طويلا حتى دخلت حظيرة لها هي جزء من بناء المطار . وخطونا من الطائرة الى البناء دون ان تمس ارجلنا سطح الأرض . ومرقنا مروقا برجل الصحة ورجل الشرطة . ثم الى الجمرك ، واشرت الى حمّال ، فجاء بعربة يده وحمل متاعنا ، واردت ان احدث عن هذا المتاع رجل الجمرك الواحد ، فوجدت الأمر أيسر من ذلك . فالكل يخرج بمتاعه ولا يُسأل عما فيه . الا اذا أحس هو ، صاحب المتاع ، في ضميره ، بأن هناك ما يستدعي اعلانه . وخرج الحمال بالمتاع سابقا . ولحقت به . واردت ان ادفع له أجره . ولكن نقود البلاد في هذا الصيف هي غير نقود الصيف الماضي . فأرشدني الرجل الى بنك في المطار . فدرجت اليه على عجل ، واستبدلت شيكا بنقد ، وطلبت الحمال فلم اجده . ترك متاعنا حيث كان وضعه ، وعاد الى عمله داخل الجمرك . واردت ان اتبعه فامتنع الدخول . انها من الأبواب ذات الاتجاه الواحد من حيث المرور . فشكرت الرجل قولا ، وهو غائب ، اذ لم أستطع ان اشكره نقدا ، وهو حاضر .

وبعد ساعة كنا في البيت الذي استأجرناه في طرف بعيد من اطراف العاصمة ، في حيّ هادىء لا تكاد تدخله الا سيارات ساكنيه . ودخلناه ليلا ، وقد زان الفلات الصغيرة ضياؤها . ضياء خرج عبر ستائر رقيقة كشفت عن نوافذ ذات اشكال عديدة وذات الوان . فكأنما هي بيوت العرائس صنعوها للأطفال واضاءوها بالأنوار .

لم يكد يكون الشلن وجود

ان اول شيء يلحظه زائر لندن ، هذا الصيف ، هو تغير العملة ، وذلك لأن اول شيء تصنعه في اى بلد تحله هو أن تضع يدك في جيبك تخرج حافظة نقودك . وهذه مواجهة لك صريحة بالعملة الجديدة . والعملة الجديدة يعبر عنها الناس هنا بشيئين اثنين : الجنيه (البوند) والبنس (البنى) . ولا تكاد تسمع من كلام الناس غير هاتين . تسأل بكم هذه السلعة ، والجواب : جنيه و ٦٥ بنسا . الشلن لا تكاد تسمعه اليوم على السنة الجمهور . والجنيه الانجليزى كان ٢٤٠ بنسا ، واليوم قد صار ١٠٠ بنس . فالبنس الجديد يساوى ٢ر٤ من البنس القديم . ونسي الناس في كلامهم ، وحتى في تصورهم ، البنس القديم . واعتادوا على

الجديد. ولكن الزائر الجديد لا يستطيع ان يتخلص من معنى الشلن ابداً . فاذا قيل له ان هذا الشيء ثمنه ٣٠ بنسا ، عرف ان ثمنه ٦ شلنات . واذا قيل له ان هذا الشيء ثمنه ٨٥ بنسا ، عرف ان ثمنه ١٧ شلنا .

اما العملة التي وقعت في ايدينا فعلا فهي نصف البنس، فالبنس، فالبنسان، فالخمسة بنسات (= شلن) ، فالعشرة بنسات ، فالخمسون بنسا (= نصف جنيه) . واذا دخلت كشك هاتف من اكشاك الطريق ، وجب عليك ان تستوثق من ان معك العملتين : البنسين والعشرة بنسات ، فهاتان هما عملتا الهاتف .

والنقلة من العملة القديمة الى العملة الجديدة كلفت الدولة الملايين ، ويكفيك لادراك هذا ان تذكر ان كل دكان ، وكل مكان بيع او شراء ، وكل الحسابات انما تجرى تلقائيا بالحسابات الميكانيكية ، فوجب اذن تغيير الملايين من الحسابات لتحسب على النظام الجديد .

وسلكوا النظام الجديد ليستقيموا مع العالم من حيث اتباع المقاييس العشرية. فهكذا هو الدولار ، والفرنك والمرك ، وكذلك هي الليرة اللبنانية ، والدينار الكويتي والجنيه المصرى . ولا يخفى ما يصحب الحساب العشرى من سهولة عند التحويلات .

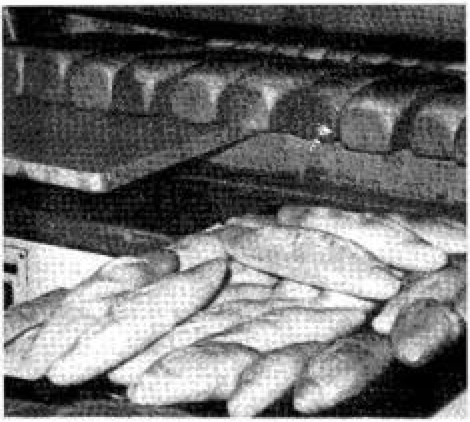
كم يشترى المشترى بالجنيه الاسترليني ؟

والحديث عن العملة يجر حتما الى قدرتها الشرائية . وأول ما يفعله زائر لندن عند الوصول اليها انما هو الدفع. وتأخذ تدفع من جيبك فتحس على الفور ، لا سيما ان كنت من زوار الصيف الذى مضى ، تحس بارتفاع الاسعار ، ويمضى اليوم بعد اليوم ، والاسبوع بعد الأسبوع ، فتحس من بعد ممارسة الشراء ، ان الجنيه الاسترليني اكتسب صفة جديدة . انه صار كالأثير فهو سريع التبخر . في يدك منه في الصباح العشرة ، فاذا بها الخمسة ، فاذا بها الاثنان ثم لا شيء . ثم تقبع في البيت ليمتلىء الضرع من جديد .

وتسأل ، فيقول لك الرسميون ان الغلاء زاد في العام بنسبة هي بين ٤ و ٥ في المائة . وتدلك الخبرة على انه زاد في كثير من الحاجات بما لا يقل عن ٣٠ في المائة في السنتين الأخيرتين معا . وتقف عند وكلاء العقارات تقرأ اثمان البيوت المعروضة والشقق المطلوب بيعها في الأحياء السكنية العادية ، فتجد الاثمان ارتفعت بمثل هذا القدر وزيادة . ومع هذا تجد من يشترى ، وتجده سريعا . وتسأل عن السبب ، فيقولون لك انه الخوف من تضخم العملة ، من تضخم الجنيه الاسترليني، فأهله يتخلصون منه بشراء العقار ، فهو اكثر ثباتا واكثر أمنا . ومع التضخم المالى تزيد قيمة العقار عند البيع .

هل التضخم سرقة ؟

وجمعنا مجلس بربة بيت ، وجرى الحديث في ارتفاع الاسعار ، وذكر بعض من حضروا انه التضخم المالى Inflation فاذا سيدة ، هي ربة اسرة كبيرة ، تندفع في حرارة وتقول : ان التضخم المالى سرقة . واستفسرنا فزادتنا تقول : هب انك كسبت عام ١٩٦٠ ثلاثة آلاف جنيه من عرق جبينك ، وانفقت منها الفين في ذلك العام ، واقتصدت الفا . ثم يأتى عام ١٩٧٠ فيقولون لك ان هذه الألف المقتصدة صارت ٥٠٠ فقط من حيث قدرتها على الشراء . فأين ذهبت المئات الخمسة الأخرى ؟ لا بد سرقها سارق . انها تمثل عملا ما ، شئت ان تقتصد حصيلته . انها من حيث الطعام كانت تمثل في عام ١٩٦٠ عشرة آلاف رغيف ، هي خبز لك ولعيالك ، وأمان لكم من جوع . فاذا هي اصبحت في عام ١٩٧٠



اقترح الشاب ان يكون معاش التقاعد أرغفة من خبز، هربا من تضخم النقد . وهكذا كان يفعل الأزهر قديما يعطيه « جراية » .

خمسة آلاف رغيف فقط ، فلا بد قد سرق الخمسة الآلاف الاخرى سارق .

وسألنا : **ومن السارق ؟**

قالت : **هذا ما لا أدريه . فلست من الاقتصاد ولا من عصابته فى شيء .**

وكان رجل شيخ موظف متقاعد من موظفى الحكومة حاضرا . فأخذ يعلق على ما قالته السيدة، ربة الاسرة الكبيرة، فيقول : **هذا قول طيب لا شك فى ذلك . انى خدمت الدولة اربعين عاما ، دفعت فى كل سنة منها ، بل فى كل شهر ، قدرا معلوما من مرتبى يؤلف لى معاشا عند تقاعدى . ودفعته بالجنيه الاسترلينى حين كان الجنيه ذهبا أو له قيمة الذهب . واليوم اتقاضى معاش التقاعد ورقا من اصدار عام ١٩٧١ . فلو انى تقاضيته خبزا، بالسعر الذى كان عليه الخبز حين دفعت تلك الاقساط المئات ، وفق ما ذكرت يا سيدتى، لزاد معاش تقاعدى اضعافا .**

قال شاب فى الحاضرين : **علينا نحن الشباب ان نطالب من الآن بأن يكون معاش تقاعدنا خبزا بسعر اليوم .**

قال الشيخ المتقاعد : **هذه مزحة فى صميم الجد .**

قال الشاب : **ولكن لماذا اخترنا رغيف الخبز .**

قال الشيخ : **لأن الخبز عماد الحياة. والخبز فى السوق الحرة تعلو قيمته وتنخفض مع أثمان الحاجات والأشياء اذ تعلو وتنخفض . والخبز عملة أثبت من الدولار والاسترلينى والفرنك والمرك. وهى عملة يشترك فيها كل الناس ويطلبها كل الناس صباح مساء وهى لا تبور ابدا.**

سمعت هذا ، وذكرت به « جراية الأزهر » . كان الأزهر يعطى طلابه معونة يومية ، مقدارها كذا رغيفا من الخبز ، وكذا رغيفا يعطيها مدرسيه وعلماءه ، حتى شيخ الأزهر كانت له « جراية » كبيرة من خبز تساق اليه ارغفة .

وكما زادت الأثمان زادت الأجور

وصديق من اهل الشرق لى فى لندن، يسكن بيتا يملكه . احتاج الى من يصلح له خللا وقع فى دورة المياه . وجاء بعامل يصلحه Plumber ويسميه اهل الشرق بالسمكرى احيانا وبالسباك احيانا ، ولا هو هذا ولا ذاك . فقدَّر اجرة عمله ليوم واحد او يزيد قليلا بستة عشر جنيها . ورفض صاحبنا ، وطلب آخر، فقدَّر اجر العمل بعشرين جنيها. وناقشه الصديق فى امر هذا التقدير . فقال له العامل : اجرى فى الأسبوع يجب ان لا يقل عن خمسين جنيها .

وجاء رب البيت الذى اسكنه بعامل مختص بتنظيف زجاج النوافذ من الخارج . واتم عمله فى ساعة او نحوها . وسألت رب الدار كم اخذ، قال جنيها . وعلمت انه يدور على البيوت يصنع هذا كل حين . وانه ينظف فى اليوم الواحد

ما لا يقل عن زجاج ٥ أو ٦ من البيوت ، فأجره فى الأسبوع لا يقل عن ٣٠ جنيها أو يزيد الى الأربعين . وكل عدته سلم يطيله عندما يشاء ، وجردل به ماء وشيء من محلول يزيل قذر الزجاج ، وخرق من جلد ، بعضها للبلل ، وبعضها للتجفيف .

وكانس شارعنا الهادىء الساكن ، وهو بعض عمال البلدية ، رجل فى نحو الستين ، بيده مكنسة راسها كالفرشة العظيمة ، ولها يد طويلة ، يمسك بها ويدور يجمع ما يجمع فى اركان الرصيف من ورق الشجر المتساقط ونحوه. ومعه عربة خضراء لامعة ، تحسبها من بعيد انها جهاز كهربائي خطير ، فيها يضع ما يجمع . ويدفع عربته الصغيرة وهى على عجل من المطاط الى موقف لها ثان وثالث . وبين الموقفين يخرج « البيبة » من جيبه ويشعلها ويدخن، وهو منسجم معها وعلى شيء كبير من الراحة. واجره ؟ لم أسأل عنه . ولكنى عندما كنت فى نيويورك منذ سنتين كان للكناس هناك خطر كبير ، بسبب نقابة لهم شديدة المراس ، تطالب برفع أجور العمل ، لا بناء على ما فيه من فن وخبرة ، ولكن بناء على قدر ما يصيب الناس والبلاد من أذى اذا امتنع العمال عن اداء هذه الخدمة الخطيرة . وفى السنوات الأخيرة شقيت باريس ، وشقيت نيويورك ، واخيرا شقيت لندن من اضراب كناسيها وعمال النظافة فيها . فأجور الكناسين من اسخى الأجور .

وسألت رجلا عاملا، هو رئيس مخرطة فى مصنع غير بعيد ، كان يتحدث بشيء من الشدة تجاه حكومة انجلترا الحاضرة، وهى كما نعلم حكومة محافظين . سألته هل هو من أهل اليسار البعيد . قال تعنى التشيع ؟ قلت : اعنى العمل لليوم الذى يكون فيه الحكم للعمال ، ولهم وحدهم دون غيرهم،وسم" ذلكما تشاء. قال لا ، ونحن العمال انجح حالا مع حكومة محافظين منا مع حكومة عمال .



الكناس في اوروبا اصبح له خطر كبير .

قوتنا منا. نقاباتنا حصوننا ، بها نحتمى. وعندما نختصم لا نحارب ، انما نقبع فى بيوتنا ، والدول الحديثة ، كما لا شك تعلم ، كالمكنة الضخمة المعقدة التركيب، بها الف ترس . والترس الواحد قد تخلعه منها فتتوقف حركتها . نحن نعمل بالسلب ، لا بالايجاب. وبذلك فزنا ، مع حريتنا ، بما لم يفز به من تسميهم باليساريين . قلت : ما عليك ، من يسار أو يمين ، فما هى الا وجهات يتجه اليها الساعون ، كل يطلب ما يزعم انه الخير .

ساعة كلام
ثمنها ٦ جنيهات

ولقد شاع بين العمال جميعا ، من كل الطبقات ، ادخال الزمن فى حسبان الأجر . فالأجر يقدره صاحبه بناء على أمرين ، الأمر الأول : ما فيه من خبرة . والأمر الثانى : كم يستغرق من الزمن . ومن العاملين من يحتسب ساعة عمله بجنيه ، ومنهم من يحتسبها بجنيهين أو ثلاثة. والزمن عندهم فترة من العمر، وليست كل فترات العمر بكاسبة . فالطفولة والصبى لا يكسبان، ولا تكسب الشيخوخة . والنهار يكسب ولا يكسب الليل . ولا كل النهار بكاسب . من أجل

هذا كانت خطورة حساب الساعات عند تقدير الأعمال .

ومن طريف ما حدث فى لندن منذ ايام ان مديرا كبيرا لبنك كبير ، هو بنك National Westminister أعلن ان بابه فى البنك مفتوح لكل زائر على ان يتقاضى من كل زائر ستة جنيهات عن كل ساعة يقضيها معه ، اجرا لهذه الساعة .

وخمس دقائق ثمنها ٣ جنيهات

واسرة حضرت من شمال افريقية ، ونزلت فى جوارنا،واراد شاب من ابنائهم ان يتطعم ضد الكلرة . فقلت له : ان بجوارنا طبيبا له اسم غريب ، هو طبيب عام ممن يسمونهم General Practitioner وهو يعمل فى خدمة الجمهور ، والخدمة الصحية هنا مؤممة . وهو الرجل الذى مثله يُسأل عن التطعيم . فذهب اليه الشاب . فسأله الطبيب عن اسمه . قال : زيور . قال : هذا اسم غريب ، اشمه فأجد فيه رائحة الشرق الاوسط . وهى رائحة قذرة . وعقب بأن قال : ان الشرق الاوسط كله فساد باستثناء اسرائيل . وبان للشاب من هذا ، ومن اشياء رآها فى المنزل ، ان الرجل صهيونى عريق ، وسكت الشاب ، ولم يثر مشكلة . ووعد الرجل باحضار اللقاح من مصادره فى ادارة الصحة .

وبعد اسبوع أصاب الشاب رشح فى انفه ، ظاهره من اثر برد . وخشى الشاب العاقبة . وبحث عن طبيب آخر فوقع على طبيب يسكن على مقربة من الطبيب الأول . وذهب اليه ، فعرف ان الطبيب خاص لا يتبع ، فى بيته هذا ، الخدمة الصحية العامة ، ولو ان له عيادة اخرى تتبع . وامتحنه الطبيب، ورأى ان يحيله الى طبيب مختص فى الأنف والحنجرة . ودفع له عن هذه الخمس من الدقائق ٣ جنيهات . والمهم انه كان يهوديا ايضا، الا أنه كان احزم من صاحبه .

والمتتبع لليهود فى انجلترا يلاحظ انهم يتوزعون على الأحياء توزعا مرسوما ، وراءه خطة ، قد لا تتبع بدقة ، ولكنها فى جملتها هادية . فأنت تجدهم فى المهن كالطب . وفى التعليم كالجامعات . وفى الاسواق والشركات، وفى الصنعة اليدوية لا تجد منهم احدا . ولا فى البوليس . وتجدهم فى الصحافة ، وفى وسائل الاعلام جميعها . وهم فى كل هذه يؤدون واجبهم خير اداء ، ويتعمدون ذلك ، لأن اليهودى يرى فى انتسابه هذا نقصا يستكمله بالحذق والجد وباعطائه فوق ما يجب من اعطاء . وهو قد يؤمن انه من شعب الله المختار . ولكنه يعلم ان هذا مسطور بالحبر على الورق ، ولكن لا تؤمن به القلوب .

ومن ذلك انى رأيت الدكتور ، هذا اليهودى الثانى ، الذى اخذ من الشاب ٣ جنيهات اجرا للدقائق الخمس التى قضاها معه ، رأيته يجيء بسيارته الى دار هذا الشاب ليترك لأهله اسم الطبيب المختص فى الأنف والحنجرة الذى هو اختاره ، والموعد الذى ضربه ليذهب فيه اليه .

والشاب سوف يذهب،وسوف يدفع لهذا الطبيب المختص ، طبيب شارع الاطباء الشهير ، شارع هارلى ، ما بين خمسة جنيهات الى عشر ، اجرا له .

وهذا الشاب ، لو انه كان مقيما فى انجلترا ، ويعمل بانتظام فيها ، لانتفع بنظام التأمين الصحى الذى يشمل أهاليها . نسبة تدفع كل اسبوع من اجر العامل ، تنفق منها الحكومة على هذا النظام العام . ويتكلف المريض بعد ذلك ما يتكلف . الطبيب الممارس العام فى خدمته . والطبيب ذو الاختصاص فى خدمته ، وكذا المستشفيات . ولكن بالدور . والرجل والمرأة اللذان لا يدخلان

تحت هذا النظام لهما الويل، وما لا يطيقه الا الأثرياء من نفقات . والطبيب المعالج تحت نظام التأمين العام ، يأخذ اجرا معتدلا جدا من الحكومة عن كل مريض يراه .

ويحتاج المريض فى انجلترا ، او غير المريض ، الى انبوبة من البنسلين، فيقول له الصيدلى : **هات تذكرة من الطبيب .** ويحتاج مريض السكر الى اقراص الرستينون فيقول له الصيدلى : **هات تذكرة من الطبيب .** وهو لا بد ان يكون طبيبا معالجا فى انجلترا. فيحس الغريب من اهل الشرق بحرج شديد . ويحس ان للمهنة الطبية فى بريطانيا سيطرة على الشعب، وامتهانا لمقدار معرفته وثقافته، يحمد الله على ان خلا الشرق منها ، على الأقل الى اليوم .

اطباؤهم واطباؤنا

ونزلنا فى هذا الصيف من لندن بحى جديد ، واحتجنا الى طبيب ممارس عام من اهل الناحية ، فذهبت زوجتى تستفسر عن ذلك من صيدلى قريب . فقال لها الصيدلى : يسهل علىّ ان اقترح اسم طبيبى ، ولكنى لا اثق به ولا بأحد من هؤلاء الاطباء العامين General Practitioners ولكن انتظرى وذهب واحضر كتابا به اسماء كل اطباء الشمال من لندن مرتبة على احرف الهجاء . وقال لها خذيه ، فانظرى فيه، ثم ردّيه الىّ .



حتى انبوبة البنسلين لا تشتريها من الصيدلية الا بتذكرة طبيب .

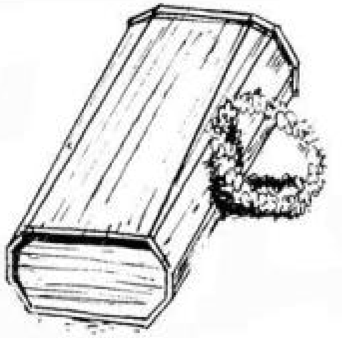
وعلمت بالذى وقع ، فلم اوافق الصيدلى فى ان حجَبَ الثقة عن كل الأطباء العامين ، فهو لم يخبرهم جميعا. وخبرتى بهم ان فيهم الماهر فما دون ذلك كما فى سائر اهل المهن . وخطأ هذا الصيدلى ان لعله ذهب الى طبيب عام يستشيره فى مرض يحتاج الى اختصاص. والمفروض فى الطبيب العام ان يبذل جهده اولا ، فلا يحول كل من يأتيه الى الطبيب المختص ، فيتحول الزحام بناء على ذلك الى بابه فيعجز عن القيام بواجباته .

وفى مثل ما وقع فيه هذا الصيدلى يقع الكثير من اخواننا اهل الشرق . يذهب المريض منهم الى الطبيب العربى، فيبذل الطبيب جهده، ولا يذهب المرض. فيخرج من عنده المريض العربى وهو يلعن الزمان ويأسى لضعف الطب العربى والاطباء . ثم يذهب الى اوروبا ، او الى انجلترا خاصة . فيذهب فى الطب هناك الى اعلى مستوى ، ويدفع للاطباء الأجر الكبير المعجز ، وكذا للمستشفيات . ويعود بعد الشفاء يثنى الثناء العاطر على ما وجد ومن وجد . ويزيد على الطب والاطباء العرب سخطا .

والخطأ فى هذا ان الطبيب العربى الذى زاره هذا المريض كثيرا ما يكون من طبقة الاطباء الممارسين العامين General Practitioners الذين هم العمود الفقرى للعلاج فى الشعب الانجليزى. اما الطبيب الانجليزى الذى زاره فى لندن فهو طبيب اختصاص، وهو من اختصاصه فى القمة، وكذلك فى الأجر . فالمقارنة ظالمة .

والغريب ان العربى يذكر من ذهب الى لندن واشتفى من مرضه فيها ، ولا يذكر العشرات الاخرى التى ذهبت لتعود الى بلادها فى الطائرة جثثا فى صناديق من خشب .

واذكر ان صديقا كريما لى ، عربيا ، مرض مرضا نادرا معجزا ، وعجز الاطباء



العرب يذكرون من يشفى من مرضاهم فى لندن ، ولا يذكرون من يعود منها بالطائرة جثة في صندوق من خشب .

عن شفائه حيث هو ، وذهب الى لندن ، وبعد علاج طال شفى والحمد لله . وعاد وحدثنى فى الأمر غاضبا : قال : لم لا نأتى لبلادنا بهؤلاء الأطباء وندفع لهم عشرات الالوف. قلت لو دفعت لهم مئات الألوف ما جاءوا . لأن المسألة عند هؤلاء ليست مسألة مال،الطب حضارة ومستشفيات وعلماء جهابذة ، ولقاءات فى محاضرات، وعند أسرة المرضى ، وتلاقح افكار وتبادل آراء ، وهى أشياء باعثة على النمو ،وهى متعة ولذة لا تشترى بمال. والطبيب الذى هو فى القمة الذى تأتى به الى هنا ، لا يمضى عليه عام فعام حتى يذبل . كالشجرة تنقلها من بيئتها. واذن هو ينحدر عن القمة العام بعد العام .

ولست اريد بهذا القول ان انزل بالمستوى الطبى فى لندن ، او ان اقول ان المستويين فى لندن وغير لندن من عواصم اوروبا ، وفى بلاد العرب، سواء. ان الطب حضارة ، والحضارتان غير متساويتين .

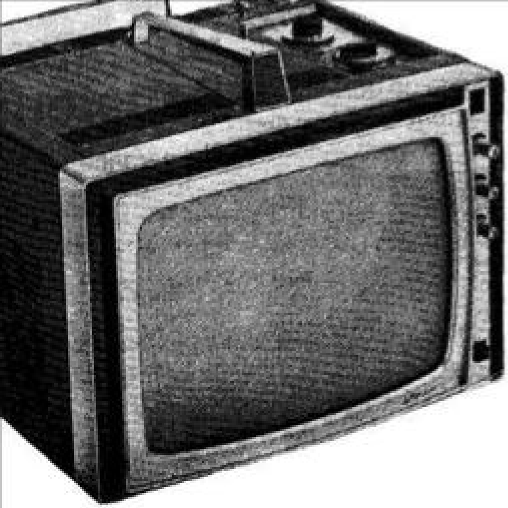
ومع هذا يجب القول ان المهنة الطبية فى البلاد العربية بدأ يظهر فيها من الاختصاص العالى ما لم يكن يوجد فيها منذ عشر سنوات أو عشرين . ولكم سمعت عن مرضى ذهبوا الى المختصين من اطباء العرب فأدلوا برأيهم ثم سافروا الى لندن، فاذا بالرأى هناك كالراى هنا. وأمثلة فيها اختلفت الرايان ، ولكن كذلك اختلفت آراء الاطباء المختصين فيها من رجال لندن المشهورين . فالطب لم يغادر بعد حقول الظن الى حقل اليقين . وكثير مما يقول به الاطباء انما هو رجم بالغيب، لا سيما الأطباء الباطنيين . اما اطباء الجلود فكل شيء عندهم اكزيمة !! ان الاطباء كشفوا من امراض الحياة وخبائثها الشيء القليل،وظل الاكثر منها المجهول. ولا أحسبهم سوف يزيدون كثيرا ، ففلسفة الخلق بنيت على ان الانسان لا بد ان يموت والا ضاقت به الأرض .

بريطانيا والسوق الأوروبية المشتركة

ويتحدث الانجليز اليوم فى شئون من الحياة شتى ، ولكن ليس كحديثهم فى دخولهم السوق الأوروبية المشتركة . وحق لهم ان يتحدثوا فى ذلك وان يتحدثوا طويلا . لأن وقفتهم من السوق وقفة الحائر . انهم كالرجل ، كوّن اخوان له شركة بينهم رابحة، بينما هو سائر وحده فى سبيل حياته غير رابح . ويغرونه بالدخول معهم شريكا ، وهو يوازن بين ان يكون « بعضا » من كل ، رابحا ، او كلاًّ كاملا مستقلا حرا ، تجوز عليه الخسارة كما يجوز الربح ، فيتردد فى الاختيار طويلا .

ولست اريد الدخول فى تفصيل هذا المشكل ، فسوف ينشر « العربى » فى عدد قريب قادم مقالا عن السوق الأوروبية المشتركة للدكتور عبد المنعم الطناملى فيه الكفاية والغاية . ولكن الذى اهدف اليه وصف ما تجرى عليه الأحاديث ويجرى النقاش ، فى مسألة غاية فى الخطورة ، فى قوم عرف عنهم انهم فى الديمقراطية الحديثة كانوا سابقين .

حكومة المحافظين هى الحكومة القائمة اليوم ، يعارضها اساسا حزب العمال ، فى البلاد ، وفى البرلمان . ورئيس حزب



التلفاز الانجليزى ، يرحب برأى الحكومة ورأى المعارضة بدرجة سواء . اذا تحدث رئيس الوزراء فيه ساعة ، تحدث رئيس المعارضة فيه ساعة ، وفي نفس الوقت من المساء .

المحافظين ورئيس الوزراء هو المستر هيث Heath . ورئيس حزب العمال ورئيس الوزراء السابق هو المستر ولسن Wilson . كلاهما طلب الدخول فى السوق ، وكلاهما بذل جهدا فى سبيل ذلك ، وكان آخر مجهود نجح هو مجهود حزب المحافظين، ورضيت الدول الست التى تؤلف السوق بدخول بريطانيا اليها، بشروط . والحكومة الحاضرة قبلت الدخول والشروط . والحزب المعارض رفض الدخول بهذه الشروط . واتجه الرئيسان الى جمهور الشعب يروّجان لرأيين متعارضين. واذا بالرأيين يعرضان على الشعب ، بكل وسائل الاعلام تقريبا، عرضا من حيث زمانه ومكانه واحدا . فى التلفاز ظهر « هيث » فى الساعة التاسعة والثلث مساء فوجه كلمته للشعب مناصرا . وفى غد ذلك اليوم ، فى نفس الساعة والدقيقة ، وجه ولسن كلمته للشعب معارضا . وطول الكلمتين كان واحدا . وفى الأمسية التالية تحدث فى التلفاز حكوميون، وتحدث معارضون، وكانوا اعدادا متساوية، واوزانا واحدة.

ومن حزب العمال من عارض حزب العمال، ومنهم استيورت Stewart وزير خارجيتهم السابق ، فظهر على التلفاز يتحدث . وظهر مثله محافظون عارضوا الحكومة .

وكما فى التلفاز، فكذلك كان فى الاذاعة. والعجيب انه كان كذلك فى الصحف . واقرأ الصحف المحافظة ، كالتلغراف ، فارى الرأى المعارض يحتل مكانه الى جانب رأى الحكومة الموافق . والحجج مسهبة ، ولا اختزال ولا تحريف فيها .

وجمع حزب العمال مؤتمرا حزبيا عاجلا ، وخطب فيه ولسن ضد الحكومة وضد السوق خطبة شديدة قاسية . وتبعه آخرون . واذ تراءى ان الحزب كثرته الكبرى وراء رئيسه ، جاء دور المعارضين من الحزب ، وهم قلة ، ورأيتهم يقتربون من المكروفون فى هذا الجمع الحاشد فتوقعت شرا . ولكنهم مضوا فى حديثهم يحبذون دخول السوق بقوة مثل قوة رافضى السوق ، ولم يصرخ ضدهم صارخ ، ولم يخرج من الجمع من يحملهم بعيدا عن منبر الخطابة حملا .

ويرجع هذا لا شك الى ان هؤلاء الناس ، من خطيب فى الجمع وسامع ، او كاتب فى صحيفة وقارىء ، نشأوا على معان للديمقراطية ألفوها كما ألفوا الهواء والماء ، ولكنه يرجع على الاكثر الى الوعى السائد فى هذه الشعوب ، الذى كان من حصيلته الحرية ، وهو يرجع الى الأمية التى اختفت فيهم من زمان بعيد ، والى ممارسة احداث من الزمان كثيرة كان فيها الحلو وكان المر ، والى الفوائد الكثيرة المكتسبة من خبرة الأيام، سودها والبيض . فما جاءت الحرية لأمة ، ولا جاءت الديمقراطية مهداة فوق طبق من ذهب .

الرئيس الأمريكى على شاشة التلفاز فى لندن

ورأينا نكسون ، رئيس الولايات المتحدة ، على شاشة التلفاز فى لندن ، وسمعناه يتحدث ، وكان حديثا خطيرا ، زادته صحف الصباح تفصيلا . كان يتحدث عن الدنيا فى غد . وان غدا لن يشاهد الأمم فى نفس مواقعها التى يشاهدها فيها الناس اليوم ، لا من حيث قوة السلاح فحسب ، ولكن ، وعلى الأخص ، من حيث قوة الصناعة والتجارة والمال عامة . عنده اليوم ان الولايات المتحدة فى القمة ، ولكنها لن تبقى كذلك طويلا . وهو لا يقدر هذا الطول بقرن او نصف قرن، ولكن بسنوات خمس أو عشر، قد تصبح بعدها الولايات المتحدة مسبوقة لا سابقة . او على الأقل لا تصبح تقود العالم وحدها، بل يشاركها فى هذه القيادة آخرون . انها اربعة مراكز للقوى ذكرها . فقال عن السوق الأوروبية ، وهى تضم الآن ٦ دول ، انها ستنضم اليها بريطانيا ، فتتألف منها كتلة دولية كبرى ، عدد سكانها نحو ٣٠٠ مليون نسمة، بها من الحضارة ومن العلم ومن التكنية ما يرفعها الى أعلى المستويات . ثم تأتى اليابان فى المرتبة الثانية بعد أوروبا ، فاليابان ستنتج بعد عامين اثنين من الفولاذ اكثر مما تنتجه الولايات المتحدة . ثم الاتحاد السوفييتى وهو يتوقع ان تزيد منافسته الاقتصادية للولايات حدة . وأخيرا وليس آخرا الصين الشعبية . وكانت الصين الشعبية اخطر ما فى الحديث . ان نكسون ارسل مستشاره الخاص « كيسنجر » الى بكين ، ليستطلع الأمور ، **وكان من وقوع التقارب بين الدولتين ان دعت الصين نكسون الى زيارتها ، زيارة بكين !! وقبل الرجل !! لقد انقلبت الأوضاع راسا على عقب . واذن هل تنتهى حرب فتنام ؟ واذن أين يكون الروس من فتنام ومن الصين ؟** واخذ نكسون يتحدث فيقول : انه من غير المعقول ان تبقى الصين الشعبية، وهى تؤلف ربع سكان الأرض، بعيدة عن مجالس الأمم المتحدة . ويقول نكسون : انه لن تمضى سنوات حتى تكون الصين دولة ذرية خطيرة، ودولة صناعية كذلك وتجارية لها خطرها، ولأهل الصين ذكاء ودربة معروفة . كلام جديد . كل هذا سيغيّر لا شك توزع الولاء بين الأمم . ويزيد نكسون فيقول : انه لا يتوقع ان تبقى امريكا الأمة الأكبر قوة بين الامم الا بضع سنوات ، وان الولايات تواجه نوعا من التدهور من شأنه ان يدمّر حضارة بأسرها . فاذا لم ينتبه الشعب الأمريكى الى ما هو فيه ، وما هو قادم عليه ، فان الحضارة الامريكية ستلحق بالحضارة اليونانية والحضارات القديمة التى طواها الزمان !!

واسمع كل هذا ، واقرأ ، واذكر معارضة ولسن وحزب عماله لدخول بريطانيا السوق الأوروبية المشتركة ، فأقول لعل فى هذه النبوءات التى تنبأ بها نكسون ما دعا ولسن الى أن يتريث فى امر الدخول فى سوق أوروبا ، وانه رأى ان بريطانيا قد يكون لها فى هذه الأوضاع العالمية الجديدة دور ، هو مع الاستقلال فى العمل ، أرفع واخطر .

احمد زكي

نكسن ، رئيس الولايات المتحدة ، احدث انقلابا فى سياسة الولايات ، بزيارته للصين . وهو قد حذر من انطواء الحضارة الأمريكية كما انطوت الحضارة الأغريقية والرومانية على السواء .



اقرأ باسم ربك الذي خلق

« دراسة لميلاد رسالة الاسلام الكبرى وتحليل لاقوال المؤرخين والمحدثين في وصف ما وقع من الظواهر والحوادث التي انتقلت بمحمد صلى الله عليه وسلم الى مراتب النبوة والرسالة »

بقلم الدكتور حسين مؤنس

■ مشهد نزول الوحي على الرسول الاعظم صلوات الله عليه وانتقاله من رجل قرشي عادي من أهل مكة الى نبي الله ، ثم رسوله الى البشر اجمعين ، مشهد خالد مشهور يعرفه بصورته التقليدية مؤرخ الاسلام ، والمؤرخ العام الذي يحرص على معرفة تفاصيل الحوادث الحاسمة في تاريخ البشر . ولقد أطال الوقوف عند هذا المشهد من اعلام المؤرخين الغربيين ليوبولد فون رانكه L. Von Ranke وآدولف هارناك Adolf Harnack وآرنولد توينبي Arnold Toynbee ، وتحدث عنه كبير فلاسفة اللاهوت المسيحي في عصرنا كارل بارت Carl Barth .

سيرة ابن هشام

ولقد درجنا منذ الزمن الطويل على ان ناخذ هذا المشهد الخالد في صورة عامة ثابتة اصبحت مع الزمن والتكرار صورة تقليدية تلقن لتلميذ المدرسة الابتدائية ولطالب الجامعة في صورة واحدة ، ويسمعها الناس دون تامل في تفاصيلها ، فتغيب عنهم نواحي جمالها وروعتها وصدقها التاريخي . وجمهور الناس يقرأون خبرها دون ان يتصوروا مشهدها ، ويمرون بها دون ان يروها بعين الخيال .

واعتقد ان مشهدا كهذا لا ينبغي ابدا ان يتحول الى صورة تقليدية جامدة لا تتغير ، ولا بد لادراك مغزاها البعيد من ان نتصورها وكأنها مصورة بالكاميرا البطيئة اذا جاز هذا التعبير .

سيرة ابن هشام مستخرجة من سيرة ابن اسحاق

وهذه الصورة التقليدية هي تلك التي استخرجها ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المتوفى سنة ٢١٨ أو ٢١٣ (١٨٣٣ و ١٨٣٦ م) . من السيرة النبوية التي كتبها محمد ابن اسحاق بن يسار المطلبي المتوفى سنة ١٥٠/٧٦٧ . ومن المعروف ان ابن هشام تصرف في سيرة ابن

اسحاق بحسب رأيه وطريقته ، فاضاف اليها ، وحذف منها وعدّل العبارة في مواضع كثيرة ، فسيرة ابن هشام تعرض علينا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كما رآها وتصورها فقيه" عربي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري متقيداً في ذلك بمفهوم العلم في عصره وبالذوق العام الجاري على ايامه .

وقد ظلت سيرة ابن هشام هي السيرة المعتمدة المتداولة الى ايامنا على رغم ظهور سير نبوية اخرى اوفى واكمل منها ، بل بلغ من اقبال الناس عليها ان اهملوا سيرة ابن اسحاق فندرت نسخها ثم اختفت ، فلم نظفر الى يومنا هذا بنسخة كاملة لها ، وان كنا نستطيع ان نجمع اشتاتها من مراجع شتى ، اهمها تاريخ الطبرى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والسيرة الجامعة التى اوردها النويرى في « نهاية الأرب » وقد نشرتها دار الكتب في القاهرة في ثلاثة اجزاء تضم اكثر من ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير .

وفي ايامنا هذه ، ذاعت سيرة هيكل

وفي ايامنا هذه حلت سيرة تقليدية اخرى محل سيرة ابن هشام من حيث الذيوع بين الناس ، وهي تلك التى كتبها محمد حسين هيكل ، واذا كانت سيرة ابن هشام تعرض السيرة كما رآها فقيه فان « حياة محمد » التى كتبها هيكل تعرض السيرة كما رآها اديب معاصر ، وكلاهما يختلفان اختلافا ظاهرا عن المؤرخ وطريقته في كتابة التاريخ، ولا تزال السيرة الكريمة تنتظر المؤرخ المنهجي الذى يكتبها بعيدا عن الحدود الضيقة التى يلتزم الفقيه بها نفسه والعاطفيات والاسلوبيات المغرقة التي تستهوى الاديب .

الاغراق في المديح ، يسيء الى عظمة الممدوح

وفي رايي ان منهج المؤرخ الصادق هو وحده الكفيل باظهار جلال السيرة النبوية الكريمة ونواحي عظمتها ، فان شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم شخصية فائقة متعددة نواحي العبقرية ، وكلما ازددت منها قربا ازددت بها اعجابا لان حقيقتها ابلغ من كل ما تستطيع ان تضيف اليها من الصفات من عندنا . وفي احيان كثيرة لاحظت ان تكلف الناس في اظهار التقى بالاغراق في المديح يقلل من عظمة المشاهد بل يسيء اليها ، وهؤلاء المتكلفون الكلام والبلاغيات اشبه بمن يصيحون بعد سماع كل آية قرآنية بعبارات الاستحسان والتلذذ والاستعادة فيفسدون بصياحهم صمت التأمل في معاني الآيات ويَخرجون على كل قاعدة من قواعد آداب السماع .

حديث السيدة عائشة عن عروة عن ابن شهاب

وسأعرض فيما يلي لمجموعة الظواهر والحوادث المتوالية التى انتقلت بمحمد بن عبد الله ، من رجل قرشي من خيرة اهل مكة ، الى نبي الله ، ثم رسوله المختار لابلاغ آخر رسالاته واكملها الى البشر اجمعين .

وعمدتنا الاساسية في هذه الدراسة هو حديث ام المؤمنين السيدة عائشة عن عروة بن الزبير عن ابن شهاب الزهرى ، رواه البخارى في الصحيح (٢٥/١ ـ ٣٢ من فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني طبعة البابى الحلبى) ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووى (طبعه المطبعة المصرية بالازهر ، ٢٠٥/٢) وابو داود الطيالسي في مسنده (طبع حيدرباد الدكن ص ٢٣٥) ، وابن عبد البرفي « الدرر فى اختصار المغازى والسير » (بتحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٣ ـ ٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (طبعة حيدر اباد ٦/٩) .

وابن سيد الناس في عيون الاثر (طبعة القدس ٨٠/١) وابن كثير في البداية والنهاية (٢٥٩/٢) والنويرى في « نهاية الأرب » (٦٨/١٦) ومراجع اخرى .

وقد ورد هذا الحديث مجزوءا عند ابن هشام ومن اخذ عنه او قام بشرحه والتعليق عليه مثل عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي صاحب « الروض الانف » وابى ذر الخشنى مصعب بن محمد بن مسعود صاحب « شرح السيرة » والزرقاني صاحب المواهب اللدنية وغيرهم . واضاف ابن هشام في سيرته اخبارا وروايات شتى لاتعين المؤرخ على معرفة الترتيب الزمنى للظواهر والحوادث .

وورد هذا الحديث كذلك ببعض الاختلاف في مسند احمد ، وهو ـ بعد البخارى والبيهقي ـ اغزر الصحاح والمسانيد بالمادة النافعة للمؤرخ . واضاف احمد بن حنبل احاديث اخرى ذات

اهمية كبرى تتسم بما عرف عن ذلك الفقيه الجليل من نظر صائب وذكاء بعيد .

وانما ركزت الكلام على حديث عائشة ام المؤمنين لانه اوثق ما لدينا من الاصول عن نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم وما عاناه في اثناء ذلك وقبله وبعده .

وسأضيف الى مادة هذا الحديث مواد اخرى من اصولنا الموثوق فيها وارتب في ذلك كله على نسق واحد يمكننا من تتبع الظواهر والحوادث لتتبين مراحل وصول الرسالة الكبرى الى رسول الله وخطوات انتقاله الى مراتب النبوة والرسالة.

التمهيدات الاولى :
التعبد في غار حراء

من طرائف ما نلاحظ عند قراءة « فتح البارى » لاحمد بن حجر انه يقف عند صغائر اللغويات من مثل حرف الفاء في « فجاءه » ويطيل الكلام عليها . فاذا ورد ذكر جبل حراء قال : « جبل معروف بمكة » وهذا هو كل التفصيل الذى يعطينا اياه هذا العلامة الذى كان يصر على انه كبير المؤرخين في عصره ، كان موقع فاء العطف من الاعراب أهم من التعريف الوافي بجبل حراء وهو مهبط الوحى اول مرة وملتقيعالم السماء بعالم الارض والفناء .

ويقع جبل حراء على نحو ٣.٢ك.م شمال شرق مكة ، وقد وصفه في حالته الراهنة رحالة كثيرون اهمهم محمد لبيب البتنونى في الرحلة الحجازية ومحمد حسين هيكل في « منزل الوحي » ، وهو يبدو للناظر اليه من بعيد في صورة كتلة صخرية جرداء لونها بين الاسمر الداكن والبنى بمختلف ظلاله ، وهو في جزئه الاسفل اشبه بتل من الرمال متموج ، ثم تطفر الرأس دفعة واحدة مائلة بعض الشيء .

والجبل اجرد تماما ، وقد صقلته الرياح فاصبح املس عسير المرتقى ، والقدم تزلف عليه بسهولة في كل خطوة ، والغار نفسه كهف عالي المرتقى عسير المصعد غير منتظم الفتحة ولا رحب الفناء . واذا وقف الانسان وحيدا عند اسفل ذلك الجبل وتطلع الى ما حوله شعر بوحشة ، وعندما يرتقى ويصل الى فتحة الغار وينظر الى ما تحت قدميه يشعر برهبة . والنزول من الغار اشد خطرا من الصعود ، واذا لم تسر في حذر شديد خلف الدليل وجدت نفسك تهوى الى اسفل دون ان تظفر بشيء تتشبث به ، وقد حدث هذا لبعضنا فعلا .

والى جوار حراء يقوم جبل وهو اشبه بالهضبة العالية ، اذ لا رأس له ، وهو مهشم محطم في معظم نواحيه من اثر الرياح وعوامل التعرية .

وانت مذ تخرج من مكة الى ان تصل الى هذا الموضع تسير في أرض قاحلة موحشة ، فلا شجرة ولا عشب ولا شيء غير الصخر والاخاديد ، ومهما طال مكوثك فانت لاتظفر بجرادة او صوت جندب او اى مظهر من مظاهر الحياة .

ولا يمكن ان يكون هذا الجبل والطريق منه الى مكة قد كان بهذه الوحشة ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأن كتب السيرة تحدثنا بانه كان قبل مشهد الوحي وبعده يقضى في هـذه النواحي الساعات الطوال يتأمل ويتفكر ، وكان يصادف في اثناء ذلك اشجارا ونباتا ، واذا بحثت جيدا وجدت في اخاديد الارض جذورا ولحاء شجر عتيق ، هذه الاخاديد نفسها تحدثك بانه كانت هناك مجارى ماء .

وقد وصف لنا ابو عبيد البكرى في « معجم ما استعجم » الجبل وما حوله والطريق اليه يقال ان هناك شجرا وبعض خضرة وماء ، والبكرى اندلسي من أهل القرن الخامس الهجرى ، وهو لم يزر الحجاز ولكنه قرأ في عناية كتابات من سبقه من الجغرافيين ممن عرفوا هذه النواحي معرفة وثيقة واهمهم غرام بن الاصبغ والهمدانى وابن الفقيه وغيرهم ممن عرفوا شبه الجـزيرة حق المعرفـة خلال القـرنين الثالث والرابـع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) .

ومن خلال وصف البكرى نرى ان تلك البقاع القاحلة اليوم كانت ذات خضرة متوسطة وموارد ماء تكفى لقيام الحياة ، ومن هنا كانت المساحة بين مكة وحراء وحول حراء حسّنا مما هي عليه اليوم ، وكانت فيها جماعات من الرعاة وانواع من الشجر الكبير والصغير بل كانت الاعشاب تتسلق سفوح المرتفعات والجبال مثل حراء وقبير .

وكان بودنا ان نعرف اى اشجار كانت هناك ، وقد عثرنا على بعض آثار الاشجار ولا يمكن القول بانها كانت من مثل انواع شجر الحجاز اليوم . فالشجر الذى هناك اليوم كله حديث مجلوب من الخارج .

هذه الحقيقة تفسر لنا كيف كان يمكن للحنيفيين قبـل محمد وعـلى ايامه الخروج الى هـذه النواحيواللجوء الى الغيران للانقطـاع للتعبـد او التحنف كما يقال خلال شهر من السنة . وقد

جرى العرف على القول بانه كان شهر رمضان ، ولكن من الثابت ان الحنيفية كانوا يخرجون في شهور اخرى غير رمضان .

ولم يكن الانقطاع للعبادة خلال شهر من السنة معناه المقام الشهر كله في الغيران والجبال ، بل كان المتعبد يقضي اياما ثم يعود الى داره ليستريح ويتزود ثم يعود مرة اخرى ، ولدينا ما يدل على انه كان يحدث ان يعود المتعبد الى بيته كل ليلة ، وهناك ما يدل على انه كان يخرج الى الغار احيانا ومعه اهله ولدينا اخبار تدل ان السيدة خديجة كانت ترافق زوجها صلى الله عليه وسلم الى غار حراء احيانا ، وفي اليوم الذى نزل عليه الوحى اول مرة كان المفروض ان يعود الى بيته مع الغروب ، فلما تاخر بسبب ما عانى بعثت السيدة خديجة غلاما لها الى الغار لينظر سبب التاخر ، فذهب وعاد دون ان يلقى محمدا ، ولم يلبث محمد ان وصل الى بيته .

ولا يدرى احد اي نوع من العبادة واعمال التقى كان الحنيفية ورسول الله ايضا يفعلون في مجاورتهم في الغيران ، ولكننا نعلم انهم كانوا يؤمنون ايمانا غامضا بوجود اله اعظم هو خالق الكون ومدبر كل شيء فيه ، وهذه الفكرة عن الله الواحد هي البقية الباقية في الجزيرة من « ملة ابراهيم » عليه السلام او « الدين القديم » كما يقال ايضا .

فكان امثال عبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل ينقطعون ليذكروا الله ويتاملوا روائع خلقه بعيدا عن زحمة الناس ، وكان فقراء الرعاة يمرون بهم ويسالونهم القوت والزاد فيعطونهم مما معهم ، فاذا انقضت مدة العبادة عادوا الى مكة ، وكان اول ما يعملونه هو الطواف بالبيت الحرام سبعا قبل ان يدخلوا بيوتهم ، وتلك بقية اخرى من ملة ابراهيم .

وسيفعل محمد صلى الله عليه وسلم ذلك خلال فترة التمهيد للرسالة ولا نعتقد انها دامت اكثر من سنتين او ثلاثا قبل بلوغه الاربعين ، وقد حسبنا الزمن الذى يمكن ان تكون البشائر المباشرة الاولى للرسالة قد بدات فيه فتبين انها تقابل سنة ٦٠٩ او ٦١٠ ميلادية ، ورمضان في هاتين السنتين يقابل سبتمبر او اكتوبر . وذلك حساب تقريبي . المهم لدينا ان شهر رمضان الذى نزل فيه الوحى على الرسول اول مرة جاء بعد انكسار الحر في اغسطس واوائل سبتمبر .

في هذه الظروف ، يمكن القول بان هذه المنطقة كانت في ذلك الحين تضم اشجارا وتنبت حشائش وبعض الشجيرات التى تحتمل الحر . وفي ذلك الوقت ايضا كان لا بد ان تكون هناك زهور صحراوية هنا وهناك ، ورعاة يطلقون غنمهم في ذلك المرعى ، ويفيئون الى الظل حيث يكون هناك نبع ماء او بقية منه في الوهاد والاخاديد .

هذه الصورة تعيننا على تصور المشهد العام الذى كان يراه محمد صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى حراء وعودته منه وفى تجولاته وتاملاته في ذلك الخلاء الجميل .

التمهيدات الاولى : كلام الحجر والشجر

يذكر ابن اسحاق عن روائه ان « رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين اراده الله بكرامته وابتداه بالنبوة ، كان اذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسّر عنه البيوت ، ويفضي الى شعاب مكة وبطون اوديتها ، فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يارسول الله ، فيلتفت حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة ، فمكث صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان » .

والظاهرة التى امامنا هنا هي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الخلاء وانفرد في شعاب مكة كان يسمع اصواتا صادرة من الشجر والحجارة تخاطبه وتحييه .

وقد ناقش نفر من الفقهاء وشراح السيرة موضوع هذه الاصوات التى كان يسمعها الرسول فيتلفت حوله فلا يرى الا الشجر والحجر ، فالسهيلى مثلا يستبعد ان تكون الاشجار والاحجار هي التى كانت تنطق بذلك ، ولم يستبعد كذلك ان تكون الاصوات صادرة عن ملائكة : « وقد يحتمل تسليم الحجارة ان يكون مضافا في الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها ، فيكون مجازا من نحو قوله تعالى « واسأل القرية » » .

وهذه الظاهرة غير واردة في الاحاديث ، وانما رواها ابن اسحق على عهدة راو يسمى عبد الملك ابن جارية يوصف بانه كان « داعية من اهل العلم » وقد دخلت بعد ذلك في مجموعة الظواهر والحوادث التى تسمى عادة بدلائل النبوة .

البداية : الرؤيا الصالحة

بعد ذلك ندخل في الخطوات الاولى كما يحددها حديث ام المؤمنين عائشة ، ويجعلها الحديث ثلاث خطوات تتجلى في النص كما يلي بعد ذكر سند الحديث . قالت السيدة عائشة :

أ ـ اول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

ب ـ ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحدث فيه ، وهو تعبّد الليالى ذوات العدد ، قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها .

جـ ـ حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ....

فاما عن الرؤيا الصالحة فلم يأتنا احد من المفسرين والشراح بشيء يشفى الغلة . ومجمل كلامهم انها تسمى كذلك الرؤيا الصادقة ، ويفسرونها بانها الرؤيا التي تتحقق في اليقظة تحققا واضحا مثل فلق الصبح اي نور الصبح . ونفسر ذلك الكلام على قدر ما نستطيع فنقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى في نومه مثلا ان احد اصحابه اقبل عليه وتحدث معه في امر من الامور ، فاذا صحا من نومه وقع ذلك فعلا ، او كان يرى مثلا ان قريبا له او لخديجة مثلا اقبل من سفر بعيد على صورة غير منتظرة ، فلا تنقضي ايام حتى يقع ذلك وهكذا .

واذا جاز هذا التفسير كانت هذه الظاهرة هي انكشاف ستر الغيب امام الرسول ، فكان يرى ما سيحدث قبل وقوعه ، وهذه ظاهرة صحيحة تؤيدها ابحاث علم النفس ، لان النفس اذا صفت نتيجة للانفصال عن عالم الواقع اثناء المجاهدات والرياضات النفسية رات الغيب المقبل قبل وقوعه . ويكون ذلك عادة في النوم وقبيل اليقظة .

وهناك تفسير آخر وهو ان تكون هذه الرؤى الصالحة مشاهد يراها في النوم تملأ قلبه امنا وطمأنينة ، كأن يرى خضرة وماء وشجرا وزهرا وربما سمع عزفا جميلا تهفو اليه النفس وترق وترتاح . كان يرى ذلك ويسمعه بوضوح تام كأنه نور الصباح .

وهذه الحالة النفسية : سواء أكانت انكشاف ستر الغيب او رؤى مشاهد تسر النفس تستتبع حب الرسول للخلوة والانفراد بنفسه حتى يستزيد من ذلك وتمتلىء به نفسه ، ولهذا يقول الحديث « ثم حبب اليه الخلاء ـ ، فهو يغشى في شعاب الجبال وبطون الاودية ، ويطيل الانفراد بنفسه ، لانه ينتقل رويدا رويدا الى عالم الوحي والرسالة .

وما ورد في الحديث عن خلوته بغار حراء بعد ذلك يعنى انه احب الخلوة الكاملة في غار حراء . ليظل فى عالمه الجميل هذا نهارا وليلا . فلا يقطعه عليه شيء او انسان .

وقد كان الرسول قبل ذلك يخلو بنفسه في غار حراء كما قلنا ، ولكنه في هذه المرحلة كان مدفوعا الى ذلك ، لان اوان الرسالة قد اقترب ، وكل ما مر الى الآن كان تمهيدا لها . ونفترض لهذا ان هذه الخلوة في الغار كانت من اوائل رمضان ، فكان يقضى عددا من الليالى ثم يعود الى بيته ليأخذ زادا لايام اخرى ، ثم يعود الى حراء وهكذا .

ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كان يحس انه يقترب من امر خطير ، ولابد كذلك أن السيدة خديجة كانت تحس ايضا ان امرا ما سيحدث لزوجها ، فقد كانت تعرف تماما كل ما مر به الى الان ... ولكن احدا منهما لم يكن يعرف ما هذا الذي سيحدث وهناكانت مفاجأة المشهد العظيم .

المشهد الحاسم الخالد :
اقرأ باسم ربك

يلى ذلك مشهد الوحى باول آيات من القرآن .

ووصف المشهد في حديث السيدة عائشة مجمل يعرفه الناس بنصه وهو :

أ ـ « حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء » .

فجاءه الملك فقال : اقرأ

قال : ما انا بقارىء

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني

فقال : اقرأ

فقلت : ما انا بقارىء

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني

فقال : اقرأ

فقلت : ما انا بقارىء

فأخذني فغطني الثالثة ، ثم ارسلني

فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم

ب ـ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . فقال : زملوني ، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

جـ ـ فقال لخديجة ـ واخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسى .

فقالت : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ففي الفقرة « أ » نجد المشهد الخالد يحدث فجاة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في الغار . وعبارة « فجاءه الملك فقال » غير واضحة ، فان الرسول لم ير شيئا ، ولم يعرف ان كان الذى جاء ملكا ، ولا هو احس قبل ذلك بتمهيد ، وانما هو الصوت انطلق من السكون الشامل .

وفي تعليق ابن حجر العسقلاني في «عمدةالقارى» تقرا نص حديث رواه مسلم مرفوعا الى عائشة ، وآخر رواه احمد عن ابن مسعود ، ملخصهما ان الرسول لم ير جبريل على صورته التي خلق عليها الا مرتين مرة عند سؤاله اياه ان يريه صورته التي خلق عليها ، والثانية عند المعراج .

وفي حديث آخر رواهالترمذى عن طريق مسروق عن عائشة ان المرتين اللتين رأى جبريل فيهما كانت الاولى عند سدرة المنتهى والاخرى عند اجياد . واجياد اسم مكان سنتحدث عنه بعد قليل .

المهم انه لم ير الملك ولم ير جبريل او اى شيء في هذه المرة الاولى

وفي خبر رواه ابن حجر ايضا ان جبريل بعد ان اقرأ الرسول « اقرأ باسم ربك » كما فيالمشهد السابق انصرف فبقي (محمد) مترددا ، فاتاه من امامه في صورته ، فرأى امرا عظيما .

ويفهم من هذا انه لم ير شيئا لحظة الاقراء الاولى فما معنى قوله اذن « فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني » وهو شيء يتكرر ثلاث مرات ؟

« والغط » كما يقول المفسرون هو حبس النفس . وفي عبارة اخرى : كانه اراد : ضمني وعصرني ، او اراد غمني ومنه الخنق . ويفسره ابو داود الطيالسي : اخذ بحلقي . ويقال ايضا : غطني ، بنفس المعاني وهذه التفاسير كلها لا تقنع ، فان الملك او صاحب الصوت لم يضم محمدا ولا هو مسه .

فلم يبق الا ان نقول انهذا كان احساسالرسول اول ما سمع الصوت : غشيه ضيق واحس انه يختنق او ان شيئا يضغط جسده ضغطا شديدا ، وبعد لحظة سُرِّىَ عنه ، ثم عاد الصوت فعاد نفس الاحساس ، ثم مرة ثالثة . وبعد هذه الثالثة كان قد زايله الروع بعض الشيء ، فاسمعه الملك الآيات الاولى من سورة « اقرأ » .

ـ ويحتمل وكما يقول أبو داود ـ انه بقي بعد ذلك مترددا لحظات ، ثم انتابه الخوف فنهض واسرع الى بيته .

والآن : متى حدث هذا ؟ في الصباح ام بعد الظهر ام في الليل ؟ لدينا ما يثبت أن المشهد وقع قرب ساعة الغروب .

فقد أورد النويرى في نهاية الأرب خبرا يقول ان السيدة خديجة قلقت على النبي لتاخره ، فارسلت رسلها في طلبه ، فذهبوا حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها . ولم يلبث هو أن عاد .

وهذا لا يكون الا في آخر النهار ، عندما تنتظر الاسرة ربها ويتاخر عن موعد عودته .

وفي خبر مشهور آخر نقرأ أن الأمر كله كان حلما : « جاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : « اقرأ .... وهببت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا ... » .

والخبر على هذه الصورة غير معقول ، فهو يفترض أولا أن الرسول قام يقرأ ولهذا اتاه الملك بقطعة من الحرير كتبت عليها الآيات الأولى من سورة اقرأ .

ويستبعد كذلك أن يكون المشهد قد حدث في جوف الليل ، لأن الرسول أسرع بعد ذلك الى بيته ، ولا يصح هذا في وحشة الليل .

أما عبارة اقرأ فمعناها : ردد ورائي ، فان القراءة هنا معناها الالقاء أو الترديد كما تقول : فلان يقرأ القرآن ، ولفظ القرآن بالذات معناه التلاوة والترديد .

وتروى عبارة النبي : ما انا قارىء ، بحذف الياء ومعناها : ما الذى اقرأ ؟ .

ب ـ في الفقرة الثانية نرى الرسول يعود الى بيته فزعا ويقول زملوني اى : غطوني بشيء أو لفوني ، لأنه كان يرتعد فزعا ، وربما صاحب ذلك

تصبب عرق ، وشيئا فشيئا ثابت اليه نفسه وهدأ روعه .

جـ ـ وبعد ذلك قص على السيدة خديجة الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي .

والحق أن الرسول خشي أن يكون قد اصابه شيء من فعل السحر أو اصابته روح شريرة أو شيء من أذى الكهان . وكان صلى الله عليه وسلم لا ينفر من شيء قدر نفوره من منظر السحرة والكهان والمجانين .

ورد السيدة خديجة عليه يؤيد هذا المعنى ، فهي لم ترد مجرد امتداحه بهذا الكلام ، وانما كان المعروف أن الشياطين والأرواح الشريرة لا تصيب الا الانسان الشرير الخبيث فقالت له من المستحيل ان يصيبك شيء من هذا لانك رجل فاضل كريم عطوف بار .

ثم عرف ان الذى حدثه ملك وأنها رسالة سماوية

وتلا ذلك حلقة ذهاب السيدة خديجة الى ورقة بن نوفل .

وورقة وحديثه مع السيدة خديجة جديران منا بدراسة خاصة نكتفي هنا بالقول بان خديجة عادت من ورقة بأن هذه بداية رسالة الهية .

وقد اطمان محمد الى ذلك ، وانتظر استمرار هذا المشهد ولهذا عاد الى الخروج من مكة والتجول في البرية ، عسى أن يجيئه الصوت من جديد ، ولكنه لم ير شيئا ، فحزن وبدأ يشكك في كلام ورقة ، وعاد الخوف يخامر نفسه .

وهذه هي حلقة « فترة الوحى » .

وطولها عند مؤرخينا يتراوح بين ثلاثة أيام وثلاث سنين ! .

واغلب الظن انها لم تدم الا نحو الاسبوعين او اقل .

وفي حديث للبخارى عن عائشة أيضا : « وفتر الوحى فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كما يتردى من رءوس الجبال ، فكلما اوفى بذروة جبل يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد ، انك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع .. » حدث ذلك مرارا ، حتى بلغت الحيرة منه مداها وانتهت هذه الحيرة بمشهد يرويه ابن شهاب الزهرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا انا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى ، فاذا الملك الذى جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ! فانزل الله : « يا أيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » .

فحمى الوحى وتتابع ، كما يقول الزهرى .

وهذا المشهد حدث في اجياد وهو موضع صغير الى شمال مكة .

في هذا المشهد التقى الرسول بالملك للمرة الثانية . وعرف انه ملك .

وفي خبر آخر يكمل هذا نقرأ أن الملك قال له : يا محمد ، أنت رسول الله وانا جبريل » .

وعندما نظر رأى الملاك في صورة رجل حاف قدميه في افق السماء وقد عرفه محمد صلى الله عليه وسلم بصوته . هذا نفس الصوت الذى أتاه أولا في غار حراء ..

ومع ذلك فقد ملكه الروع فاسرع الى بيته .

وعندما ذهب عنه الروع أوحيت اليه الآيات الأولى من سورة المدثر . لم يبق عنده شك اذن في أن هذه رسالة سماوية . ولقد صدقه ورقة فيما قال .

وتأكدت السيدة خديجة أيضا ، فقالت له : أبشر يا ابن عم ، فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو ان تكون نبي هذه الامة .

يقول فقهاؤنا ان آيات « اقرأ باسم ربك .. » جعلت من محمد نبيا . والنبي هو الذى يوحي الله اليه كلاما ولكنه لا يكلفه برسالة ، فهو أحد المختارين الذين يصطفيهم الله ويكرمهم بمرتبة النبوة .

اما « أيها المدثر » ففيها امر بالانذار والتبليغ ، ولهذا فقد جعلت محمدا رسولا الى البشر ، أي نبيا يحمل رسالة ليبلغها الى الناس .

والرسالة مرتبة فوق النبوة .

ومن بين الرسل خمسة حملوا الى البشر رسالات كبرى هم نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وهم الخمسة العظام .

ونوح لم يحمل الى البشر كتابا سماويا ولكن رسالته كانت تجديد الخلق بعد الطوفان .

وحمل الأربعة الاخرون كتبا مقدسة هي « صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وقرآن محمد عليه صلوات الله . ■■

حسين مؤنس



الاتجاهات وأثرها على..

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

■ الواقع أن للاتجاهات Attitudes أثرا كبيرا على سلوك الفرد فى حياته وعلى توجيه هذا السلوك . ويعرف علماء النفس الاتجاه بأنه نزعة تدفع الفرد للاقبال على شيء أو لتجنبه . وهذا الشيء قد يكون انسانا أو حيوانا ، وقد يكون رأيا او مذهبا أو مؤسسة من المؤسسات .

الاتجاهات محببة وغير محببة

والاتجاه يعتبر انماطا مكتسبة ومتعلمة من الاستجابات الرمزية مرتبطة بالاشياء والاشخاص والمواقف . وعلى وجه العموم فان اتجاهاتنا قد تكون محببة Favorable أو غير محببة Unfavorable ، وهي بذلك تعكس صفتها الانفعالية والدافعية الغالبة . فالاتجاه الموجب يخلق انفعالا محببا وموجبا وسارا لدى الفرد ، والاتجاه السالب على العكس من الاتجاه الموجب يخلق انفعالا سالبا وغير محبب لدى الفرد . وهذه الاتجاهات ليست انفعالات بسيطة لأنها لا تعيش بعيدا عن العلاقة بالشخص أو بالشيء . وعلى هذا قد يختلف الانفعال الذى يثيره الاتجاه الموجب حسب الظروف والمواقف . فمثلا بالنسبة للشخص الذى لديه اتجاه موجب نحو شخص آخر ، عادة ما يشمله انفعال السرور والفرح عند مقابلته أو تعامله مع هذا الشخص الآخر ، ولكن هذا الانفعال قد يتحول الى انفعال حزن أو غضب اذا اصاب هذا الشخص الآخر سوء أو مكروه أو الى انفعال خوف فى حالة تعرضه لخطر معين .

فبالرغم من أن الانفعال الأصلي الذى يثيره الاتجاه الموجب هو انفعال محبب وموجب الا أن هذا الانفعال قد يتغير حسب الظروف والأحوال التي تحيط بالشخص المرتبط بالاتجاه .

ويمكن أن ننظر الى الاتجاه الموجب على ان له طبيعة دفع موجبة . فالشخص الذى لديه اتجاه موجب نحو شيء معين ، عادة ما يندفع نحو هذا الشيء ويقبل عليه ، في حين أن الشخص الذى لديه اتجاه سالب نحو هذا الشيء يندفع بعيدا عنه هاربا من التعامل معه بأية صورة من الصور .

الاتجاهات تنظيم معقد من الآراء والمعتقدات

والاتجاهات العادية للافراد هي تنظيم معقد من الآراء Opinions والمعتقدات Beliefs المتعلقة بالنفس والناس والبيت والأسرة والمدرسة والعمل وغيرها . وعلى هذا فالفرد له آراء ومعتقدات بالنسبة لكل النواحي والأشياء والقضايا التي تصادفه في حياته . واذا كانت هذه الآراء والمعتقدات موجبة كان الاتجاه موجبا ،



والعكس يكون الاتجاه سالبا . فمثلا اتجاه الفرد نحو العمل تحدده خبرات الفرد وآراؤه بالنسبة لهذا العمل . فالعمل له جوانب موجبة محببة الى الفرد ، وهذه الجوانب الموجبة تتمثل في اشباع العمل للفرد ماديا أو اشباعه لحاجات الفرد النفسية والاجتماعية ، هذا بالاضافة الى ظروف العمل المناسبة . كل هذا يشكل اتجاها موجبا نحو العمل يظهر في شكل تمسك الموظف بعمله واقباله عليه ورضاه عنه وعدم الغياب عن العمل الا لظروف قاهرة . ووجود الاتجاه الموجب لا يعني انه ليس هناك بعض جوانب سالبة بالنسبة للعمل الذي يقوم به الفرد ، ولكن النتيجة النهائية هي غلبة النواحي الموجبة على السالبة وبالتالي سيادة اتجاه موجب نحو العمل الذي يقوم به الفرد . وقد يحدث أن يكون لدى الفرد اتجاه سالب نحو عمله ، ولكنه لا يترك هذا العمل خوفا من عدم تمكنه من الحصول على عمل آخر بسهولة.

تصارع الاتجاهات الموجبة والسالبة

والاتجاه الموجب أو السالب هو حصيلة نهائية للآراء والمعتقدات والخبرات التي يكون جانب منها سالب وجانب منها موجب ، وكثيرا ما تتصارع هذه الجوانب الموجبة والسالبة فتسبب للفرد ما يسمى بالصراع النفسي Conflict ، فالفرد مثلا لديه اتجاه موجب نحو الجماعة السياسية التي ينتمي اليها ، وهذا الاتجاه قد يكون نتيجة لمعتقدات الفرد وخبراته . ولكن الفرد قد لا يكون راضيا عن بعض تصرفات اعضاء الجماعة وزعمائها ، وهنا ينشأ الصراع بين الاتجاهين ، وكثيرا ما يسبب هذا الوضع للفرد الاحباط والتوتر والقلق .

أمثلة من اتجاهات الفرد

والواقع أننا اذا أردنا اعطاء أمثلة لاتجاهات الفرد ستجد أنواعا كثيرة من الاتجاهات تختلف حسب الموضوع أو الشيء الموجه الاتجاه نحوه ، ومن أمثلة ذلك :

- اتجاه الطالب نحو مدرسته أو معهده العلمي.
- اتجاه الفرد نحو الجماعة السياسية التي ينتمي اليها .
- اتجاه المجتمع نحو المرأة .
- اتجاه العامل نحو الشركة التي يعمل فيها .
- اتجاه الفرد نحو فلسفة أو مذهب معين .
- اتجاه الفرد نحو الأفراد الذين يختلفون عنه في اللون أو الدين .
- اتجاه الفرد نحو مختلف المهن .
- اتجاه الفرد نحو سياسة معينة .
- اتجاه المستهلكين نحو سلعة معينة .
- اتجاه المستهلكين نحو منشأة معينة .

ولا شك ان اتجاهات الافراد نحو غيرهم من الافراد والمواقف والأشياء السابقة قد تكون موجبة او سالبة ، وقد يكون الاتجاه محايدا لا هو موجب ولا هو سالب . وقد تختلف درجة الاتجاه من ناحية ايجابيته أو سلبيته .

مما تقدم نلاحظ الآتي بالنسبة للاتجاه :

١ ـ أن الاتجاه يتشكل نتيجة لظروف وأفكار وآراء وخبرات معينة تتعلق بالفرد ، والاتجاه يرتبط بالنواحي المعرفية والعقلية الى حد كبير لذلك يسميه البعض الاتجاه العقلي ، ولو أن بعض الاتجاهات أحيانا تكون غير منطقية .

٢ ـ ان الاتجاه قد يكون موجها نحو فرد أو جماعة أو شيء مادي أو معنوي .

٣ ـ أن الاتجاه يتراوح بين الايجابية والسلبية ويختلف في درجته .

٤ ـ أن الاتجاه متعلم ومكتسب ويتكون نتيجة لظروف وعوامل معينة ستشرح تفصيلا فيما بعد .

وما دام الاتجاه مكتسبا ومتعلما فانه من الممكن تعديله وتغييره .

تكوين الاتجاهات

تسهم عوامل ونواح كثيرة في تكوين الاتجاهات Attitude Formation ومن هذه العوامل والنواحي ما يأتي :

١ ـ المجتمع والثقافة Culture التي تسوده تؤثر تأثيرا كبيرا على اتجاهات الأفراد الذين يعيشون في هذا المجتمع . ففي مجتمع متدين يلعب الدين دورا كبيرا في حياة أفراده ، هناك احتمال في أن يسود اتجاه موجب أفراد هذا المجتمع يؤيد انفاق أموال كبيرة على بناء المساجد وتعميرها . كما أن هناك احتمال في ظهور اتجاه سالب ضد أي نشاط أو سلوك يتنافى مع الدين والعقيدة السائدة .

وبالرغم من الأثر الكبير للمجتمع والثقافة التي تسوده في تكوين اتجاهات افراد هذا المجتمع ، الا أننا نجد أحيانا بعض الافراد يتبنون اتجاهات تضاد وتعارض الاتجاهات السائدة في المجتمع . هذا وان كان الوضع الغالب هو أن يتبنى الفرد نفس الاتجاهات السائدة في مجتمعه أو في الجماعة التي ينتمي اليها ، نظرا لما للمجتمع والجماعة من وسائل توقيع الضغط على أفرادها حتى يخضعوا لمعاييرها وقيمها ويتبنوا نفس الاتجاهات السائدة فيها .

٢ ـ النماذج البشرية Models التي يتقمصها الفرد في حياته وتؤثر فيه تعمل على تكوين قدر كبير من اتجاهاته . فالطفل يتقمص شخصية والديه . وعن طريق هذا التقمص يمتص الكثير من قيم واتجاهات الوالدين . ويعتبر المعلم من الشخصيات الهامة التى عادة ما يتقمصها التلاميذ والطلاب في فترة دراستهم ، ولكنهم عادة ما يتقمصون شخصية معلمهم اذا كانت هذه الشخصية محببة الى نفوسهم . فتقمص شخصية المعلم يعتبر عنصرا هاما من عناصر تكوين الاتجاهات ، لأن الافراد عن طريق تقمص شخصية المعلم يمتصون الكثير من القيم والاتجاهات وأساليب السلوك . هذا بالاضافة الى ما للمعلم من أثر على اتجاهات الافراد الذين يقوم على تعليمهم ، وذلك عن طريق ما يزود به هؤلاء الافراد من معلومات وخبرات ومواقف تؤثر على اتجاهاتهم نحو العمل والقضايا الهامة والنواحي الاساسية في حياتهم .

ولكن ليس من الضرورى دائما أن يتقمص الفرد شخصية النماذج البشرية الرئيسية التى يتعامل معها ويصادفها في حياته . فقد يكون الطفل كارها لأبيه ، لا يحب تصرفاته ، في هذه الحالة قد لاتحدث عملية التقمص ، بل أن الطفل نظرا لكراهيته لأبيه قد يتبنى اتجاهات مضادة لاتجاهات هذا الأب .

٣ ـ المواد الدراسية التى يدرسها الفرد في المعهد التعليمي تهدف ضمن ما تهدف الى تكوين اتجاهات معينة لدى الفرد ، فالعلوم Science تهدف أساسا الى تكوين اتجاهات علمية لدى الافراد تمكنهم من التفكير الصحيح المنطقى غير المتحيز فى كل ما يقابلهم في حياتهم من قضايا ومشكلات ومواقف . والمواد التجارية تهدف ضمن ما تهدف الى تزويد الطلاب ببعض الاتجاهات الموجبة كالدقة والنظام والامانة ، والمواد الاجتماعية تهدف الى بناء اتجاهات اجتماعية سليمة بين الطلاب نحو القضايا الاجتماعية الهامة كالتعصب ومقاومة التغيير وغير ذلك . وبالمثل فان تدريس الرياضيات يهدف الى تدريب الفرد على التفكير الدقيق والمنظم . وهكذا فكل مادة دراسية تهدف الى بناء اتجاهات جديدة أو تغيير اتجاهات قائمة بجانب ما تهدف اليه هذه المادة من توصيل معلومات معينة للطلاب . ولن تحقق المادة الدراسية أهدافها ان لم تترك هذه المادة أثرها على طلابها في شكل تغيير في اتجاهاتهم أو اكسابهم اتجاهات جديدة .

٤ ـ المعلومات والخبرات تعمل على تكوين اتجاهات جديدة أو تغيير اتجاهات قائمة . فقد يكون لدى الفرد اتجاه سالب بالنسبة لفرد آخر أو شيء معين . ولكن بحصول الفرد على مزيد من المعلومات والحقائق عن هذا الفرد أو هذا الشيء فان ذلك قد يؤدى الى تغيير وتعديل اتجاهات الفرد نحوه . فمثلا قد يكون لدى الفرد اتجاهات سالبة نحو الادخار ولكن بتزويد الفرد بمعلومات ذات قيمة عن الادخار وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للوطن ، فقد يؤدى ذلك الى تعديل في

اتجاهاته . وقد لا يكون الفرد قد كوّن رأيا محددا أو فكر في موضوع الادخار من قبل ، ففى هذه الحالة قد تعمل هذه المعلومات على تكوين اتجاه موجب جديد لدى الفرد نحو الادخار .

وقد تعمل المواقف Situations عن طريق ما تزود به الفرد من خبرات على تكوين اتجاهات حيوية بالنسبة له . فالتاجر الذى ربح كثيرا وزاد عدد اصدقائه ، ثم تعرضت تجارته لنكسة تفقده امواله وتفقده بالتالى أصدقاءه الذين ظنهم أصدقاء اوفياء ، قد تؤدى هذه الخبرة غير السارة بالنسبة له الى تغيير بعض اتجاهاته القائمة مثل اتجاهاته نحو الادخار واتجاهاته نحو الاصدقاء واتجاهاته نحو الناس عموما ، وقد تؤدى الخبرة السابقة الى تكوين اتجاهات جديدة موجبة نحو الادخار وضرورة تامين الفرد لمستقبله .

والعامل الذى خدم أصحاب الاعمال بجد واخلاص وامانة ثم مرض ، فتخلى عنه صاحب العمل واستغنى عنه ، وقاسى نتيجة ذلك مرارة الفقر والحرمان ، مثل هذا الموقف كفيل بتكوين اتجاه سالب لدى العامل نحو اصحاب الاعمال .

٥ ـ المعايشة تؤدى الى اكساب الفرد اتجاهات جديدة أو تعديل وتغيير اتجاهات قائمة ، فقد يؤدى عيش فرد في جماعة معينة الى تكوين اتجاهات موجبة أو سالبة نحو هذه الجماعة نتيجة لمعايشة الفرد لأفراد هذه الجماعة وحياته معهم .

التأثر بالاتجاهات السائدة

وعادة ما يكتسب الفرد الكثير من الاتجاهات عن طريق الاتصال بالاتجاهات السائدة . فالطفل الابيض في الولايات المتحدة مثلا اذا ترك بمفرده ، لن يكون لديه اتجاه سالب نحو الطفل الاسود بل انه وُجد أن الاطفال الصغار البيض والسود يستمتعون باللعب سويا ، ولكن عندما يكبر هؤلاء الاطفال ويتصلون بالاتجاهات السائدة في المجتمع وفى الاسرة فانهم يكتسبون اتجاهات سالبة تظهر في شكل تعصب ضد السود وفي شكل تمييز عنصرى . والطفل المصرى منذ طفولته المبكرة يشب على كراهية الصهيونية وتسوده اتجاهات سالبة نحوهم ، نتيجة احتكاكه بالاتجاهات السائدة .

وهكذا الحال في كل مجال ومكان ، يكتسب الفرد الكثير من الاتجاهات عن طريق المعايشة . فالعامل قد يكتسب اتجاهات الاهمال واللامبالاة اذا كانت الاتجاهات التى تسود الجماعة هى الاهمال واللامبالاة .

ولا تعنى المعايشة في كل الاحوال أن الفرد يكتسب الاتجاهات السائدة فقد يكون لدى الفرد فعل سالب نحو هذه الاتجاهات فالابناء قد يكونون اتجاهات سالبة نحو ادمان المخدرات او المشروبات الكحولية بالرغم من ادمان والدهم للمخدرات او الخمر ، وذلك نتيجة ما لمسوه من اثر مخرب لهذه المخدرات والمسكرات على الافراد وعلى حياتهم ومستقبلهم » .

٦ ـ بعض الاتجاهات تعتمد وتقوم على اتجاهات سابقة ، فالطالب الذى يحب الارقام ويستمتع بالتعامل معها ، عادة ما يحب الحساب ويكون لديه اتجاه موجب نحو هذا العلم ، وكذلك قد يكتسب هذا الطالب اتجاها موجبا نحو بعض المهن التى تعتمد على الحساب كالعمل في البحرية او في الهندسة . فالاتجاه الاصلى قد بنى وقامت عليه اتجاهات جديدة .

وقد ينتقل الاتجاه نحو شىء معين الى اتجاه نحو شىء آخر . فالطالب الذى يحب معلم الرياضيات ولديه اتجاه موجب نحوه ، قد ينقل هذا الاتجاه الى المادة التى يقوم المعلم على تدريسها . وبالعكس ، فقد يكتسب الطالب اتجاهات سالبة نحو المادة الدراسية ويكرهها لانه يكره المعلم ولديه اتجاهات سالبة نحوه . ويظهر انتقال الاتجاهات في حالة العمال الذين لديهم اتجاهات سالبة نحو ادارة المنشأة التى يعملون بها ، فتنتقل هذه الاتجاهات في شكل اتجاهات سالبة نحو اعمالهم فيهملونها ويتكاسلون في ادائها .

٧ ـ الخبراء والاخصائيون يلعبون دورا هاما في تكوين اتجاهات الافراد . فكثيرا ما ينجح الكتاب المشهورون في تكوين اتجاهات جديدة لدى الافراد الذين يقرأون اعمالهم الادبية ، وقد ينجحون أيضا في تعديل وتغيير ما هو قائم من اتجاهات لدى هؤلاء الافراد . فقد يكتب الكاتب قصة محورها ام حرمت بالطلاق من رؤية ابنها ، ولا شك أن مهارة الكاتب في تصوير انفعالات الام وشوقها لرؤية طفلها وانشغالها عليه قد يؤدى الى استثارة مشاعر القراء ضد قوانين الاحوال الشخصية فيطالبون بتغييرها وتعديلها . فهذه القصة وغيرها قد تنجح في تغيير اتجاهات القراء أو خلق اتجاهات جديدة . وبالمثل فان فيلما جيدا او تمثيلية جيدة

القصة حسنة الاخراج حول دور الصهيونية المخرب في فلسطين قد يساعد على تكوين اتجاهات ضد الصهيونية مؤيدة للحق العربي بين مشاهدين اجانب كانوا سلبيين او محايدين في موقفهم تجاه قضية فلسطين .

ويلعب الأنبياء والفلاسفة واصحاب الرأى دورا هاما في تكوين اتجاهات جديدة لدى الناس أو تغيير اتجاهات قائمة ، فمثلا استطاع الاسلام ورواد الاسلام الاوائل ان يغيروا من اتجاهات العرب في الجاهلية نحو عدد كبير من القضايا والموضوعات مثل اتجاهاتهم نحو الخمر والميسر ، واتجاهاتهم نحو الطبقة الاجتماعية وافضلية فرد على آخر . فمثلا كانت قيمة الفرد في الجاهلية بجاهه وحسبه ونسبه . وكانت اتجاهات الافراد نحو الشخص الغنى موجبة دائما ، أما الشخص الفقير فقد كانت اتجاهاتهم نحوه سالبة الى حد كبير ، فجاء الاسلام وغير اتجاهات الناس نحو هذا الموضوع . والحديث النبوى الشريف التالى خير مثال لما شمل اتجاهات الناس من تغيير : « لا فضل لعربي على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

تغيير الاتجاهات

بما ان الاتجاهات مكتسبة ومتعلمة نتيجة للخبرة ، فهناك احتمال تغييرها ولو ان هذا التغيير يحتاج الى جهد موجه كبير . وتغيير الاتجاهات امر يهم رجال الاعمال ورجال الاعلان ، كما يهم اخصائيى العلاقات العامة والمشتغلين بالسياسة والعمل الوطنى والمربين وغيرهم ، وهم جميعا يهدفون الى الابقاء على الاتجاهات الصالحة والتى تتمشى مع أهدافهم ، ويريدون في الوقت نفسه تغيير الاتجاهات غير المناسبة او غير الصالحة من وجهة نظرهم .

ويمكن تغيير اتجاهات الافراد عن طريق الآتى :

١ ـ تزويد الافراد بالمعلومات عن موضوع الاتجاه Attitude Subject فالعمال الذين لديهم اتجاهات سالبة نحو ادخال الآلات الحديثة ، يمكن تغيير اتجاهاتهم عن طريق تزويدهم بمعلومات كافية عن هذه الآلات ، وما ستؤديه لهم من خدمات في المستقبل ، وعن طريق تزويدهم بالمعلومات التى تزيد من شعورهم بالامن وتزيل مخاوفهم التى كانت نتيجة احساسهم بان الآلات انما جاءت لتعرضهم للبطالة .

٢ ـ تعريض الفرد لبعض الخبرات المباشرة . فقد يكون لدى شخص ما اتجاه موجب نحو نوع معين من السجائر واتجاه سالب نحو بقية الانواع الاخرى . ولكن هذا الفرد اذا حدث وتعرض لخبرة مباشرة مع أنواع السجاير الأخرى وتذوق هذه الانواع ، فقد يؤدى ذلك الى تغيير اتجاهاته نحوها فيقبل على تدخينها .

والشخص الذى كان لديه اتجاه سالب نحو الديمقراطية قد يصبح من أشد المتحمسين لها وقد يتغير اتجاههنحوها اذا خبر الديمقراطية عمليا ولمس تطبيقاتها على الطبيعة ، وادرك المزايا العديدة التي تحققها للمواطنين .

٣ ـ تزويد الأفراد بنماذج بشرية صالحة لكي يتقمصوا شخصيتها ويمتصوا منها الاتجاهات الموجبة والقيم واساليب السلوك . فالموظفون الذين تسودهماتجاهاتالتواكل والاهمال واللامبالاة في حاجة الى نماذج بشرية صالحة وقيادات مخلصة يؤدى وجودها بين صفوف هؤلاء الموظفين الى تغيير اتجاهاتهم واساليب سلوكهم في الوظيفة .

٤ ـ التعليم الرسمي Formal Education داخل الفصول الدراسية وغيرها قد يؤدى الى تعديل اتجاهات الافراد نحو أشياء وموضوعات معينة ، وذلك عن طريق توضيح الاتجاهات القائمة ومحاولة القاء الضوء على بعض جوانبها .

٥ ـ يمكن تغيير الاتجاهات وتعديلها عن طريق تخليص الافراد من بعض الاضطرابات النفسية والانفعالية التي يعانونها . فالفرد الذى صادف في حياته الكثير من المشكلات والاحباطات ، عادة ما تسوده اتجاهات سالبة نحو مختلف الموضوعات والاشياء .

صعوبة تغيير بعض الاتجاهات

الاتجاهات التي يصعب تغييرها تلك الاتجاهات التي اكتسبها الفرد وظلت معه لسنوات طويلة ، وكذلك تلك الاتجاهات التي تتصل بمعتقدات الفرد وحاجاته ودوافعه الاساسية .

والاتجاهات التي تشبع بعض حاجات الفرد النفسية والاجتماعية لا يمكن تغييرها أو تعديلها بسهولة الا اذا وجد الفرد بديلا لاشباع هذه الحاجات . ومن امثلة ذلك الأحداث الذين يسلكون سلوكا غير اجتماعي ويقفون ضد قوانين المجتمع ونظمه ويتبنون اتجاهات سالبة ضد المجتمع ، لا يفلح في تغيير اتجاهات هؤلاء الاحداثنحو المجتمع

ونحو الناس ـ مجرد المحاضرات او كلمات الوعظ والارشاد ، ولكن يمكن تغيير هذه الاتجاهات عن طريق اشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية باساليب مشروعة والتي كانوا يشبعونها من قبل عن طريق الانحراف . فقد يرتكب أحد الأحداث جريمة ما لكي يشبع حاجته الى المال والظهور وحاجته للأمن ، وبغير اشباع لحاجات هذا الحدث لا يمكن تغيير اتجاهاته نحو نفسه ونحو المجتمع .

من يهمه دراسة الاتجاهات ؟

هناك فئات كثيرة من المتخصصين في مختلف المجالات يهمها دراسة اتجاهات الناس والتعرف عليها ، والاحتفاظ بالاتجاهات المرغوب فيها وتغيير الاتجاهات السالبة وغير المرغوب فيها ، ومن بين فئات المتخصصين السابق ذكرها ما يأتي :

١ ـ المديرون : فالمديرون يهمهم أن يتعرفوا على اتجاهات العاملين نحو المنشأة التي يعملون فيها ، واذا كانت هذه الاتجاهات سالبة ، يجب على هؤلاء المديرين أن يتحروا سبب ودوافع ذلك ويعملوا على تغيير هذه الاتجاهات وتعديلها . عن طريق تغيير الظروف والاحوال التي تخلق مثل هذه الاتجاهات . كما يهم هؤلاء المديرون أن يتعرفوا على اتجاهات الجمهور تجاه المنشأة وتجاه السلعة التي تنتجها أو الخدمة التي تبيعها المنشأة للجمهور ، وأن يعملوا على تغيير اية اتجاهات سالبة .

٢ ـ رجال الاعلان : ويهم رجال الاعلان كثيرا التعرف على اتجاهات افراد الجمهور نحو السلع التي يعلنون عنها ، كما يهمهم معرفة أثر الاعلان على اتجاهات أفراد الجمهور ، واثره في تكوين اتجاهات موجبة نحو السلعة ، تدفع افراد هذا الجمهور على شرائها واقتنائها .

٣ ـ رجال السياسة : لا يمكن لرجال السياسة أن يعيشوا في معزل عن الناس ، لذلك فمن المهم أن يحاول رجال السياسة دائما التعرف على اتجاهات الناس نحو ما يقومون به من أعمال وكذلك التعرف على اتجاهاتهم نحو برنامجهم ونشاطهم السياسي . واذا ظهر أن هناك اتجاهات سالبة تسود هؤلاء الناس . فلا بد لرجال السياسة ان يتحروا دوافع ذلك وأن يعملوا بالمناقشة والاقناع والشرح والتوضيح على تكوين اتجاهات موجبة بين الناس تؤيد وتدعم جهود رجال السياسة ووجهات نظرهم .

٤ ـ رجال الدين : ويهم رجال الدين ايضا التعرف على اتجاهات أفراد الجمهور نحو بعض المسائل والقضايا المتصلة بشئون دنياهم وآخرتهم .

٥ ـ المصلحون الاجتماعيون : ولن يتمكن المصلحون الاجتماعيون من تغيير أساليب الناس في التعامل وفي الحياة ، ولن يتمكن هؤلاء المصلحون من جعل الناس يتقبلون التغيير ما لم يقوموا اولا بدراسة الاتجاهات التي تسود هؤلاء الناس ، ويعملون على تنمية الاتجاهات الموجبة ، وتغيير الاتجاهات السالبة التي تؤثر تأثيرا سيئا على سلوك الناس وتفكيرهم وأساليب سلوكهم .

٦ ـ المعلمون : الواقع انه لا خير في علم لا يهدف الى تغيير سلوك الأفراد الذين يتلقونه . وهذا التغيير في السلوك لن يمكن تحقيقه ما لم تتغير اتجاهات هؤلاء الأفراد . ويهم المعلم كثيرا ان يعرف أثر المادة الدراسية التي يقدمها للطلاب على اتجاهاتهم . فالعلوم Science مثلا يجب أن يدرس قدر منها جميع الطلاب حتى هؤلاء الطلاب الذين لا ينوون التخصص في المجالات العلمية . لأن تدريس العلوم يهدف ضمن ما يهدف اليه الى تكوين اتجاهات علمية جديدة بين الطلاب . ومن هذه الاتجاهات اتجاهات الدقة والامانة والموضوعية وعدم التحيز والاحتكام الى المعلومات والحقائق دون غيرها ، وهذه الاتجاهات عادة ما تسود المتخصصين المشتغلين بالعلوم ، لذلك فان المعلم يهمه أن يعرف أثر تدريس مادة دراسية معينة على اتجاهات الدارسين . وكما سبق أن ذكرنا فانه لا خير في مادة دراسية لا تعمل على تكوين اتجاهات جديدة موجبة بين الطلاب الذين يقومون على دراستها .

والمعلم الناجح هو صانع الاتجاهات بين طلابه ، وعن طريق هذه الاتجاهات الموجبة التي يعمل على تكوينها بينهم يستطيع أن يغير من سلوكهم العقلي والاجتماعي ، وأن يغير من نظرتهم واتجاهاتهم نحو انفسهم ونحو الناس ونحو المجتمع عموما ونحو المستقبل الذى ينتظرهم، فالاتجاه الموجب المناسب يؤدى عادة الى سلوك مناسب مرغوب فيه . ■■

علي أحمد علي

مُسْتَوْهِبَ الدَّمْع

« الى القصاص الذى عقه بنوه وزوجه بعد أن بلغ الثمانين »

■ مُسْتَوْهِبَ الدَّمْعِ، هذا دمْعِيَ الجَارِي ... أذْرَيْتُ طوفانَه مَا بَيْنَ أشعَارِي

شكا إليَّ فؤادٌ في ضلوعِكَ، لَمْ ... يبرحْ كعصفورةٍ في جَوْفِ إعصَارِ

واهاً له ذَلِكَ المِسْكِينَ، تَعْصِرُهُ ... عَصْرًا أفاعيلُ أحداثٍ وأقْدَارِ

آثرْتَنِي بِشَكَاةٍ منكَ خافِتَةٍ ... صَبَبْتَهَا فِي صَمِيمِ القَلْبِ كالنَّارِ

وَصُغْتَهَا فِي نُفَاثَاتٍ مُقَطَّعَةٍ ... هَذَا صَدَاهَا بِنَفْسِي سَاعِرٌ وَارِ

مَقَاطِعٌ تَحْمِلُ المَأْسَاةَ أحْرُفُهَا ... وَلا تَضِيقُ بِحُزْنٍ مِنْكَ مَوَّارِ

قَوْلٌ إذَا عَزَّ دَمْعُ العَيْنِ يَرْفِدُهُ ... دَمْعٌ مِنَ القَلْبِ مِدْرَارًا بِمِدْرَارِ

شَكَوْتَ لِلَّيْلِ إلاَّ أنَّ مِسْمَعَهُ ... قَدْ صَدَّ عَنْكَ بِأسْدَافٍ وَأسْتَارِ

وقُلْتَ للكوكبِ السَّارِي فَمَا سَمِعَتْ ... يَوْمًا نِدَاءَكَ أُذْنُ الكَوْكَبِ السَّارِي

وقلتَ للصُّبْحِ إلاَّ أنَّ بَسْمَتَهُ ... لاقَتْ شَجَاكَ بإعْرَاضٍ وإدْبَارِ

وضَاعَ كلُّ نِدَاءٍ كنتَ تُرْسِلُهُ ... في عَاصِفٍ مِنْ عَتِيِّ الحُزْنِ جَبَّارِ

فَجِئْتَنِي تَسْأَلُ السَّلْوَى وَتَنْشُدُهَا ... وقَدْ نَبَا بِكَ سَمْعُ الأهْلِ والجَارِ

عَاشَتْ وَعِشْتَ عَلَى وُدٍّ وَخَالِصَةٍ ... وكنتَ تَبْذُلُ إيثارًا بإيثَارِ

مُنَعَّمَيْنِ بِدَارٍ مِلْؤُهَا رَغَدٌ ... مِنَ الحَيَاةِ يَزِينُ العَيْشَ فِي الدَّارِ

بِهَا النَّهَارُ نَهَارُ الهَانِئِينَ وَلاَ ... يُرَى بِهَا اللَّيْلُ إلاَّ لَيْلَ سُمَّارِ



كأنها وزهور الحب تملؤها ... تعيش في ناضر من حضن آذار

وللبنين بها في الصبح زقزقة ... كأنهم في رباها سرب أطيار

حتى رمتك الليالي وهي راصدة ... والدهر يبدل أطوارا بأطوار

فما وفت لك زوج كنت تمنحها ... من الحنان رياضا ذات أثمار

خانتك في كل مذخور تضن به ... غدارة برفيق غير غدار

لم تبق منك سوى أشلاء مدكر ... تغالب اليأس في عزم وإصرار

أما بنوك فيا عار الذى صنعوا ... لما رموا بك رمى الكاره الزارى

جازوا بحسناك سوءى لا انتهاء لها ... وقابلوا العرف والحسنى بإنكار

لهفي عليك بذلت البر محتشدا ... فكنت أشقى جزاء من سنمار

ياكاتب القصص الحسنى ومبدعها ... هذى حكاية غدارين فجار . .

قم اجلها عبرة للناس باقية ... برائع من بليغ القول سحار

بعض النفوس يباب حين تخبرها ... لا يثمر الخير فيها أى إثمار

فارسم بفنك خافيها وباديها ... بمنطق مثل أفق الروض معطار

لئن يكن أمس قد ولى فعش لغد ... فقد يجيء غد من غير أكدار ■■

العوضي الوكيل

دراسة التاريخ

بقلم

عبد الصاحب جعفر جمال الدين

المؤرخون العرب : « اشتهروا بكثرة ما ألفوا وتنوّع ما صنّفوا » .
المؤرخون العرب : « أول من أرخوا حوادثهم باليوم والشهر والسنة » .
المؤلفات التاريخية العربية : « امتازت فى الفهم الاجتماعى للتاريخ او التنظيم العلمى للمادة التاريخية » .
المؤلفات التاريخية العربية : « امتازت بظاهرتى «الاسناد» والاستشهاد بالشعر » .

أصل كلمة تاريخ وبداية استعمال التاريخ عند العرب

قبل ان ادخل في صلب الموضوع اود ان ابين للقارىء الكريم بعض المصطلحات التى لا بد من ذكرها . فالتاريخ لغة « التعريف بالوقت » ، تقول أرخت الكتاب و « ورّخته » اى بيّنت وقت كتابته(١) . وتاريخ الشيء : وقت حدوثه ، وعلم التاريخ : هو العلم الذى يتضمن ذكر الوقائع واوقاتها واسبابها . والمؤرخ هو كاتب التاريخ(٢).

وقد كان العرب في العصر الجاهلى يؤرخون حوادثهم بالقياس الى حادثة مهمة وقعت لديهم ، فكانت قبائل الحجاز والمناطق المجاورة له تؤرخ بايام حروبها المشهورة (كحرب البسوس)وغيرها. اما قبائل اليمن فكانت حمير تؤرخ « بالتبابعة » وغسان « بالسد » اى سد مارب ، واهل صنعاء بظهور الحبشة .

اما استعمال « التقويم » اى التاريخ الثابت عند العرب ، فقد بدأ في عهد الخليفة عمر ، وذلك على اثر استحسانه لكتاب مؤرخ ورد اليه من « يعلى بن أمية » عامله على اليمن ، وقد اتخذ المسلمون منذ ذلك الحين «هجرة النبى ص» الى المدينة بداية التاريخ الثابت لديهم ، واخذوا يؤرخون حوادثهم بالنسبة لها .

اما استعمال « كلمة التاريخ » عند العرب بمعنى « الكتب التاريخية » واستعمال « المؤرخ » بمعنى « التاريخ » فقد بدأ فى القرن الثانى الهجرى على ما يبدو .

التاريخ أهو علم أو أدب

كثر النقاش في العصر الحديث حول مسألة

---

(١) لسان العرب .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدى .

عِنْدَ العَرَب وَكَيْفَ تطَوَّرَت

كون التاريخ « علما أو أدبا » فالذى ادعى انه علم اعتمد في ذلك على مشابهة التاريخ للعلوم في طريقة « البحث والجمع والنقد والنظر » ، بالاضافة الى كونه ذا « غرض وموضوع » . والذى خالف هذا ادعى ان التاريخ لا يعتمد على التجارب العلمية والملاحظة المباشرة « كما هو الحال في العلوم الطبيعية » ، كما انه لا يستفيد من الدليل العقلى المجرد « كما في الرياضيات » ، ولا يمكننا التنبؤ بحوادثه كما لا يمكن استنباط القوانين الاساسية منه .

والواقع ان التاريخ مزيج من العلم والادب ، فكما ان العلم يشبع رغباتنا المادية كذلك الادب يشبع رغباتنا الحسية ، فهو علم في طريقة بحثه وغرضه وموضوعه ، وادب في طريقة عرضه وتذوقنا له .

وقد وضعت تعاريف عديدة للتاريخ على مر العصور فالاقدمون عرفوه بانه « معرفة البلاد والعادات والاثار الماضية والحاضرة » . والمؤرخون العرب ومنهم « الكافيجى المتوفى سنة ٨٧٩ هـ » عرفه في كتابه « المختصر في علم التاريخ » بانه « العلم الذى يبحث عن الزمان واحواله وعن احوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته » اما « السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ » فقد عرفه في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » بانه « فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم » .

وعرفه المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى بانه « دراسة تعاقب أحداث الماضي الكبرى » .

أما بالنسبة للعصر الحديث فقد جعلوا التاريخ اشبه بالمعادلة الكيماوية ، موادها المتفاعلة : الانسان + الزمان + المكان . وناتجها التاريخ .

وقد عرف التاريخ حديثا بانه « دراسة الماضي الحى » أى « دراسة وتدوين اعمال واقوال الانسان المهمة التى تركت أثرا في الوقت الذى حدثت فيه وامتد أثرها الى الاجيال المتعاقبة » .

علم التاريخ عند العرب واهتمامهم به

التاريخ كما تعلم ، هو من اهم ميادين المعرفة التى تهتم « بالقضايا الانسانية » . ومن اجل هذا اهتم به العرب ، وتدارسوه والفو فيه . والعرب « امة اشتهرت بالتاريخ » كما يقول المستشرق « مارغليوث » . وقد بلغ عدد المؤرخين العرب في الالف الاول الهجرى ما يقارب «الستماية مؤرخ » حسب احصاء المستشرقين . وباعتقادى ان مثل هذا العدد الضخم ، ان دل على شيء فانما يدل على مدى اهتمام العرب بالتاريخ اما اسباب اهتمامهم به فيمكننا ايجازها بما يلى : ـ

١ ـ تقاليدهم القديمة التى تهتم بالنسب والمفاخرات .

٢ ـ دعوة القرآن الكريم الى الاهتمام بأحوال الماضين واخبارهم .

٣ ـ رغبة الناس في التحلى بالاخلاق والمثل العليا التى كان عليها الرسول والمسلمون الاوائل.

٤ ـ رغبة الخلفاء والوزراء والامراء في تصفح اخبار الملوك والامراء الماضين للاطلاع على سياساتهم ومعاملاتهم للرعية .

٥ ـ ما في التاريخ من متعة وايناس لسامعيه ومتصفحيه .

العلوم التاريخية وتطورها عند العرب

لم يعرف العرب ـ في بداية الامر ـ التاريخ بمعناه الذى تطور اليه في القرن الرابع الهجرى بل عرفوا فنونا تاريخية سبقته واصبحت مادته الرئيسية فيما بعد ، ومن اشهر هذه الفنون : ـ

١ ـ القصص التاريخية وايام العرب :

اول شيء عرفه العرب من فنون المعرفة التاريخية هو القصص التاريخية وايام العرب . والقصص التاريخية عبارة عن بعض المعلومات الشبيهة « بالاساطير » عند بعض العرب البائدة وبعض الامم المجاورة كالفرس والرومان والاحباش وغيرهم.

اما « ايام العرب » فمادتها تدور حول الحروب والوقائع العظيمة التي وقعت بين العرب « كحرب البسوس وداحس والغبراء وذي قار وغيرها » ، ويرتبط بذلك معرفة اشهر المحاربين العرب وصفاتهم وانسابهم . وان مما يميز القصص والايام هو استشهادهما بالشعر والاراجيز الشعرية التي تعتبر سندا للمادة المروية . اما المآخذ فهي كونها معلومات متفرقة يعوزها السبك والربط ، وينقصها التاريخ الثابت المعين ، اضافة الى انهما لا تخلوان من التعصب والتحيز لبعض القبائل فيما لو اخذنا بنظر الاعتبار احتفاظ كل قبيلة بمآثرها وامجادها .

واستمر تداول القصص والايام شفاها وخلال جلسات السمر حتى اواسط العصر الاموي . ويمكن اعتبار عبيد بن شرية الذي ألف لمعاوية بن ابي سفيان كتاب « اخبار الماضين » من اشهر القصاصين العرب ويليه في هذا الباب وهب بن منبه المتوفي سنة ١١٠ هـ .

٢ ـ المغازي والسيرة :

المغازي : وهي التي تبحث عن الغزوات والحروب التي اشترك فيها الرسول واصحابه ، كما تبحث في مناقب الغزاة والمجاهدين .

اما (السيرة) فتبحث عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واقواله وافعاله وكل ما قام به او عمله او فكر فيه . والسبب في اهتمام العرب بهما هو نص القرآن الكريم على ان اقوال الرسول « موحى » بها . وان سيرته مثل للمسلمين يقتدون به ويعتمدون عليه في التشريع والتنظيم الاداري وشؤون الحياة الاخرى ، بالاضافة الى ان المشاركة في المغازي تعتبر عاملا في رفع المنزلة الاجتماعية وزيادة العطاء .

ومن مميزاتها انهما تشبهان « علم الحديث » في الاعتماد والاهتمام بالاسناد ، اضافة الى ان مادتهما اكثر تماسكا وانسجاما وتسلسلا زمنيا واضحا .

وقد توسعت فيما بعد دراسة المغازي فاصبحت تشمل الوقائع والحروب التي خاضها العرب ـ بعد وفاة الرسول ـ ضد غيرهم من الامم الاخرى في سبيل نشر الاسلام ، ويلاحظ ذلك في الكتابات التي وردت عن « القادسية واليرموك ونهاوند وذات الصواري الخ » . كما انها شملت الوقائع والحروب الاهلية التي نشبت بين العرب « كالجمل ـ وصفين ـ والطف ـ والحرة .. الخ » .

اما فيما يخص «دراسة السيرة » فقد تطورت الى دراسة « التراجم وتراجم الحال والطبقات ».

ويمكننا اعتبار « ابان بن عثمان المتوفي سنة ١٠٥ هـ » اول من الف في المغازي وان لم يكن له منهج معين. وقد تطورت هذه الدراسة واصبحت ذات منهج معين على يد « محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧ هـ » .

اما اشهر من الف في السيرة « فابن اسحاق المتوفي سنة ١٥٢ هـ » واما الوقائع والحروب الاهلية فاشهر من الف فيها « ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي المتوفي سنة ١٥٧ هـ » ونصر بن مزاحم المتوفي سنة ٢١٢ هـ » و « المدائني المتوفي سنة ٢٢٥ هـ » .

٣ ـ الانساب :

لقد اهتم العرب في العصر الجاهلي بالاحتفاظ بشجرات انسابهم والافتخار بها لاعتبارات اجتماعية . ولما جاء الاسلام بمبدأ « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » خبا هذا الحماس لفترة محدودة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين . ثم اخذ في الظهور في « العصر الاموي » لاعتبارات سياسية .

ويمكننا اجمال الاسباب التي دعت المؤرخين العرب الى التأليف والاهتمام بهذا الفن فيما يلي:

١ ـ ان معظم الخلفاء الامويين وقسما من العباسيين شجعوا على التأليف في هذا الفن للتفاخر باحسابهم وانسابهم ولاعتبارات سياسية .

٢ ـ انتشار العرب في ارجاء الامبراطورية

المترامية الاطراف وبتعدد بعض افخاذ القبائل عن بعضها الاخر وتعدد الحاجة الماسة لتدوين شجرات الانساب خوفا عليها من الضياع ، وخوفا على انفسهم من التفكك والانفصام .

وقد اهتم علماء النسب بمعرفة انساب العرب في بداية الامر ، ثم انساب الناس بصورة عامة ، واخيرا تطور الامر واصبحت الدراسات تشمل معرفة انساب الحيوانات « كالخيل والحمام والابل وغير ذلك » .

والجدير بالملاحظة ان التدوين في الانساب جاء متاخرا وذلك لان الباحثين كانوا يحفظون معلوماتهم عن ظهر قلب . والثابت انهم ابتداوا بتدوين نسب الرسول الكريم والبيت الهاشمي ، ثم تدوين نسب قريش ، واخيرا شجرات النسب الكبرى للقبائل العربية .

ويمكننا اعتبار « محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ١٤٦ هـ » اشهر من كتب عن الانساب ، اما ابنه «هشام بن محمد الكلبي المتوفي سنة ٢٠٦ هـ» فيعد في الطبقة الاولى من علماء النسب ، وقد طور الدراسات التى توصل اليها ابوه في كتابه « جمهرة النسب » . ومن المشاهير في هذا الباب « مصعب الزبيرى المتوفي سنة ٢٣٦ هـ » في كتابه « نسب قريش » . واخيرا « احمد بن يحيى البلاذرى المتوفي سنة ٢٧٩ هـ » الذى طور دراسات النسب في كتابه « انساب الاشراف » .

٤ ـ التراجم وتراجم الحال :

لقد استنبطت الترجمة من السيرة كما قلنا ، وهى عبارة عن تصنيف للاشخاص الذين كان لهم نصيب في الحوادث الجارية . وكانت بداية التاليف عند المؤرخين العرب في هذا الباب بصفة عامة ، ولم يكن هناك تصنيف معين ، فتجد الكتابات الاولى تتضمن تراجم حال الخلفاء والقراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء .

واخيرا تطور هذا التصنيف واصبح يعتمد على اسس معينة ، كان يكون على اساس جغرافي او طبقي « كطبقات ابن سعد المتوفي سنة ٢٢٠ هـ » وطبقات الحافظ للذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ، او على صنف معين كالشعراء والمغنين « كما في الاغاني لابى الفرج الاصفهاني المتوفي سنة ٣٦١ هـ» او قد يكون هجائي الترتيب اوله الالف واخره الياء كما في « معجم الادباء » لياقوت الحموى المتوفي سنة ٦٠٦ هـ .

ويعد « ادب التراجم » من اغنى الفنون التاريخية لدى العرب في تنوعه وغزارته . اما اسباب ذلك فيمكننا ان نرجعها الى رغبة الناس في التعرف على الحياة العامة والخاصة لرواة الحديث والسنة النبوية للتاكد من صحة الرواية . ثم ان نشوء الفرق الاسلامية فيما بعد والذى كان سببه الاختلاف بين الصحابة او التابعين في الرأى « حول المسائل الدينية » ولد الحاجة الماسة للبحث عن حياة هؤلاء والتعرف على فضائلهم او عيوبهم . واخيرا الهدف الانساني الذى يرمى الى تخليد ذكرى « المفكرين العرب » الذين ساهموا في ارساء قواعد الحضارة العربية في العصور الوسطى .

٥ ـ الاخبار والحوليات :

وقد تطورت القصص التاريخية وايام العرب الى « تاريخ الجند » والذى هو عبارة عن وصف شامل لحادثة تاريخية معينة . ويشابه تاريخ الخبر الفنون السابقة في استشهاده بالشعر وفي عدم ترابط مواده ويختلف عنهما بوجود التاريخ الثابت المعين .

اما « التاريخ الحولي » فهو تطور لتاريخ الخبر ، وهو عبارة عن سرد مرتب تاريخيا للوقائع والحوادث ، ومما يميزه عن الخبر « وجود ظاهرة الاستمرار والتى تعتبر جوهر هذا التاريخ » .

ويمكننا اعتبار التاريخ الحولي الصورة الاولى التى تطور اليها « علم التاريخ العام » عند العرب فيما بعد .

واشهر من صنف في الاخبار « الهيثم بن عدى المتوفي سنة ٢٠٧ هـ » و « الزبير بن بكار المتوفي سنة ٢٥٦ هـ » . اما اشهر المصنفات في التاريخ الحولي فهما « الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦ هـ و « الاخبار الطوال » لابى حنيفة الدينورى المتوفي سنة ٢٨٢ هـ .

٦ ـ التاريخ العام وتطوره عند العرب :

تكلمنا فيما سبق عن الفنون التاريخية التى

سبقت ظهور « التاريخ العام » والتى اصبحت بمثابة الروافد المغذية له فيما بعد . وسنتكلم فيما يلى عن التاريخ العام . فالتاريخ العام عند العرب « هو الجامع لاخبار الامم في العصور المختلفة » ومما يميزه عن غيره من الفنون التاريخية هو ان مادته اكثر ترابطا وانسجاما وتماسكا من غيرها ، بالاضافة الى وجود ظاهرة الاستمرار التى تعتبر جوهر التاريخ .

ومن الثابت ان الدراسات والمؤلفات التاريخية المنتظمة باصنافها المألوفة لدينا ابتدات عند العرب في نهاية القرن الثالث الهجرى ، وقد تميزت هذه الدراسات والمصنفات بما يلى :

١ ـ انها هدفت الى ابراز « فكرة الامة » بدلا من الاتجاه الاقليمي ، كما سادت فيها النظرة الاسلامية العامة .

٢ ـ انها مزجت بين اساليب المدرستين التاريخيتين « مدرستى المدينة والكوفة والبصرة » فى كتاباتها .

٣ ـ امتازت باسلوب النقد والتحرى ومناقشة الرواية والرواة قبل تدوينها .

٤ ـ سيادة الاتجاه « العالمى » في دراساتها ، اذ انها اخذت تجمع المعلومات التاريخية عن مختلف الامم الغابرة والمعاصرة كالفرس والرومان والهنود والاحباش واليونانيين والصينيين وغيرهم .

٥ ـ انها مزجت بين مختلف مواد الفنون التاريخية التى ذكرناها بالاضافة الى احتوائها على شيء من (الفلك) كما في تاريخ اليعقوبى ، وشيء من (الجغرافية) كما في مروج الذهب للمسعودى ، وعلى ذكر للامثال الشعبية والفلسفة وعلى بعض المعارف السياسية والاجتماعية (كما في الفخرى لابن الطقطقى) واخيرا على مصادر مادية ملموسة من دراسات لآثار او نقوش قديمة كما هو في « تاريخ ابن خلدون » .

٦ ـ واخيرا ظاهرة « الرحلة في طلب العلم » من استقصاء الحقائق وجمع الروايات من مصادرها الاصلية . ويمكن للباحث ان يلاحظ وجود هذه الميزات في مؤلفات « البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ » وفي « التاريخ لليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ » وفي « تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ » واخيرا في « تاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٦ م » .

المدارس التاريخية عند العرب

للبيئة التى يسكنها الفرد تأثير كبير على تفكيره . ويمكننا تطبيق هذا المبدأ على المؤرخين العرب الذى سكنوا بيئات مختلفة ، فمنهم من سكن المدينة ، ومنهم من سكن الكوفة او دمشق او البصرة واخيرا بغداد التى اصبحت عاصمة الامبراطورية الاسلامية في منتصف القرن الثانى الهجرى . وبناء على ذلك اختلفت دراسات ومؤلفات المؤرخين العرب تبعا للمنطقة التى عاشوا فيها ، وتبعا « للاتجاه الاجتماعى » السائد في تلك المنطقة . ويمكن للباحث في التاريخ ان يلاحظ ان هذا الاختلاف لم يقتصر على الدراسات التاريخية فقط ، بل سبقته في ذلك الدراسات القرآنية والحديث والفقه واللغة ، كما يمكنه ان يلاحظ ان هنالك ثلاث (مدارس) في الدراسات التاريخية ، وهى مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة والبصرة واخيرا مدرسة بغداد .

ولكى نتعرف على خصائص مدرستى المدينة والكوفة والبصرة ، نعقد مقارنة بينهما ونوجزها فيما يلى :

١ ـ كان الاتجاه الاسلامى هو الغالب على دراسات وكتابات مدرسة المدينة ، بينما غلب الاتجاه القبلى المحلى على المدرسة الاخرى .

٢ ـ اهتمت مدرسة المدينة بسلاسل الاسناد والاسناد الجمعى في الرواية ، اما المدرسة الاخرى فقد اهتمت بالمتن اى النص .

٣ ـ الاستشهاد بالشعر والاراجيز الشعرية ظاهرة ملازمة لمدرسة الكوفة والبصرة ، اما مدرسة المدينة فقد قللت من ذلك .

٤ ـ تثبيت وتأكيد تاريخ الحوادث ميزة اساسية في كتابات مدرسة المدينة ، بينما لا نجد هذا في المدرسة الثانية الا في الوقائع والحروب .

٥ ـ واخيرا اهتمام مدرسة المدينة بالمواضيع الدينية ، كالمغازى والسيرة والتراجم ، اما المدرسة الاخرى فقد اهتمت بالقضايا الدنيوية ،

كالقصص التاريخية ، وايام العرب ، والانساب ، والاخبار والحروب والوقائع .

واشهر من يمثل مدرسة المدينة عروة بن الزبير المتوفي ٩٢ هـ وابان بن عثمان المتوفي ١٠٥هـ وابن شهاب الزهري المتوفي ١٢٤ هـ وابن اسحاق المتوفي ١٥٢ هـ ومن المتاخرين محمد بن عمر الواقدي المتوفي ٢٠٧ هـ .

واشهر من يمثل المدرسة الثانية عبيد بن شرية، ووهب بن منبه المتوفي ١١٠ هـ ، وابو مخنف المتوفي ١٥٧ هـ والهيثم بن عدى المتوفي ٢٠٧ هـ اما مدرسة بغداد فيمكن للباحث ان يلاحظ ان الطابع « العالمي » هو السائد على دراساتها في نهاية القرن الثالث الهجري ، وذلك على اثر الازدهار الحضاري الذي رافق مختلف شؤون الحياة لدى العرب .

والذي اود ان الفت الانتباه اليه هو ان هذه الميزات ليست حدية وفاصلة تماما بين المدارس المذكورة .

تدوين التاريخ عند العرب

لقد امتاز العرب عن غيرهم بكثرة الحفظ وقوة الذاكرة ، ولهذا فانهم « قبل عصر التدوين » كانوا يتناقلون المعلومات التاريخية مشافهة . واذا استثنينا النقوش التاريخية التي عثر عليها المنقبون اخيرا في جنوب الجزيرة العربية ، واستثنينا السجلات التي وجدت في (كنائس الحيرة) والتي تشيد بمآثر ملوك المناذرة العرب . فان تدوين الفنون التاريخية جاء متاخرا عند العرب . وقد اختلفت الاراء في تحديد تاريخ ابتداء التدوين عند العرب ، ولكن نهاية القرن الاول الهجري هي الاقرب للواقع . اما اسباب هذا التاخير فيمكننا ايجازها فيما يلي :

١ ـ خوف المسلمين من اختلاط « نصوص القرآن الكريم » واحاديث الرسول بالمواد التاريخية . لا سيما ان قسما من نصوصهما مواد تاريخية ، وخاصة قصص الانبياء والمرسلين .

٢ ـ اشتهار العرب كما قلت بكثرة الحفظ وقوة الذاكرة حتى انهم كانوا يتفاخرون فيما بينهم بقوة ذاكرتهم ، وقد روي ان كتب الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧ بلغت ستماية قمطر ، ومع هذا كان يقول : ما من احد حفظه اكثر من كتبه مني . كما روى ان محمد بن يحيى الصولي المتوفي سنة ٣٣٦ هـ تعرض لنقد فظيع وهجاء مُر على اثر سؤال وُجّه اليه استخرج جوابه من الكتب الموجودة في مكتبته.

٣ ـ خوفهم من الوضع والانتحال والتزوير والتحريف .

٤ ـ ان نظام (الاجازة) في الرواية اخر كثيرا من عملية التدوين ، وذلك لان الدراسات الاولى كانت تعتمد على مفهوم » الاجازة « الذي بموجبه يمكن للتلميذ ان يروى عن استاذه . وليس بخاف على البال ما في الاجازة من اهمية وفائدة ومنزلة محترمة للاستاذ « الراوية » الذي يلقن معلوماته شفاها ، وليس بخاف ايضا انه متى ما دونت هذه المعلومات استطاع التلاميذ قراءتها « في اى مكان وزمان » وبهذا ستضيع قيمة واهمية وفائدة الاستاذ الراوى . وبالمناسبة فاني من خلال دراستي في هذا الموضوع وجدت ان المستشرق الكبير « مرغليوث » يذكر « سببا طريفا » في سياق حديثه عن اسباب تاخي تدوين التاريخ عند العرب في كتابه «المؤرخون العرب» ص ٦٤ ، الا وهو « قلة الكتاب العرب وعدم وجودهم اطلاقا » ويحدد قوله هذا في زمن عبد الملك بن مروان بالذات .

ولست ادرى ما هي « الدوافع » التي دفعت مثل هذا الاستاذ المتضلع في الشؤون التاريخية الى مثل هذا القول !! ولست ادرى هل غاب عن المستشرق الكبير وهو الدارس والمدرس والمؤلف في تاريخ العرب قصة طلب الرسول من كل اسير من اسارى بدر تعليم ما لا يقل عن عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحه !! . ام هل غابت عنه احاديث الرسول الكريم في الحث على التعلم وطلب العلم !!؟؟ ام انه لم يطلع على الاحاديث المروية في صحيح البخاري مثلا والتي تبين مدى اهتمام الرسول بطلب العلم وحثه لاصحابه بان يتعلموا اللغات الاخرى كالسريانية والعبرية للرد على اصحابها ؟؟ وليقل

لنا الاستاذ الكبير بأي لغة وبأي خط دونت المصاحف الخمسمائة التي رفعها جيش الشام في واقعة صفين . واذا اتفقنا معه بان العرب قوم (اميون) عند ظهور الاسلام ـ علما بان مصادرنا التاريخية تؤكد « ان اهل الحجاز تعلموا الكتابة من اهل الحيرة وهؤلاء تعلموها من الحميريين » ـ فهل يعقل ان يبقى هؤلاء الذين كونوا اعظم امبراطورية في التاريخ اميين لمدة قرن كامل ، مع العلم بانهم اختلطوا باقوام تعرف القراءة والكتابة.

واخيرا لا اريد ان اقول ان المستشرق الكبير ناقض نفسه (وفي نفس كتابه المذكور ص ٥٥) عندما استشهد بالرواية القائلة ان عبد الملك بن مروان امر باحراق بعض المغازي « المعروفة » والتي وجدها في يد احد ابنائه !!

على اي حال استمر الحظر على تدوين الفنون التاريخية « الا ما ندر » للاسباب التي ذكرتها انفا ، حتى نهاية القرن الاول الهجري ، وعلى اثر انتشار الحركة الثقافية في اواخر العصر الاموي واختلاط العرب بغيرهم من الامم الاخرى المتحضرة ، ولشعورهم بان لهم دورا عظيما في التاريخ يجب ان يدونوا مآثره للاجيال القادمة ونتيجة لكل ما ذكرت ابتدأ عصر التدوين في مختلف فنون المعرفة ، ومنها الفنون التاريخية .

اشهر المواضيع التي صنف فيها المؤرخون العرب

من المعروف ان المؤرخين العرب فاقوا غيرهم بكثرة ما الفوا وتنوع ما صنفوا ، كما يشهد بذلك المستشرقون ، ولا يسعني وانا في هذه العجالة ان اكتب عن كل المواضيع التي صنف فيها العرب ، وذلك لانها تحتاج الى مجلدات ، ومع هذا فاني ساذكر اشهر المواضيع التي صنفوا فيها وهي غيض من فيض ، فقد صنفوا : ـ

« في القصص التاريخية ، ايام العرب ، المغازي ، السير ، النسب ، التراجم الشخصية ، الرجال ، الطبقات ، الوقائع والحروب الاهلية والخارجية ، الاخبار ، التاريخ العام، تواريخ البلدان ، تواريخ المدن ، السياسة والآداب ، الوزراء والولاة والامراء ، الادارة والمالية ، والعهود والنظام ، الفرق الدينية واخيرا في فلسفة التاريخ » .

ميزات علم التاريخ والمؤرخين والمؤلفات التاريخية العربية

من الثابت ان علم التاريخ عند العرب اصيل في مختلف فنونه ، ولم يكن مستقى من مصادر اجنبية كما هي الحال في الطب والفلسفة والرياضيات والمؤرخون العرب اشخاص قادتهم اذواقهم لكتابة التاريخ ، كما انهم وحتى قرون متاخرة لم يكونوا مؤرخين رسميين في البلاطات ، وقد امتازوا بالحياد والاتزان التام في مؤلفاتهم ويكفيهم فخرا ان شهد بحقهم الاجانب ، فهذا هو المستشرق العلامة « بارتولد » يقول في حقهم « ان مؤرخي العرب اخصب من مؤرخي اليونان علما وتجربة ».

اما الدراسات والمؤلفات التاريخية فقد امتازت عن غيرها « بتوريخ » وقوع الحوادث باليوم والشهر والسنة ، سابقة بذلك الدراسات الاوربية التي لم تعرف ذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي . كما وانها امتازت عن غيرها بظاهرة الاسناد « الذي يهدف الى تأكيد صحة وقوع الحوادث ، كما امتازت بالاستشهاد (بالشعر) وهذه ظاهرة مالوفة لدى العرب لا تجدها في مؤلفات غيرهم حتى الوقت الحاضر مؤكدين بذلك الرواية القائلة « الشعر ديوان العرب » .

واخيرا فان المؤلفات التاريخية العربية لا تفوقها مؤلفات اي امة في التنوع والكثرة ، حتى ان المستشرق (روزنتال) قال عن كتاباتهم « ان التاريخ العربي فاق بالتاكيد ما وصلته الكتابات التاريخية السابقة في الفهم الاجتماعي للتاريخ او التنظيم العلمي للمادة التاريخية » .

وختاما فاني استميح القارىء الكريم العذر ، اذ ربما لم استطع الالمام بكل عناصر الموضوع في مثل هذا المقال وبهذه السرعة ، واسأل الله التوفيق . ■■

عبد الصاحب جعفر جمال الدين

مسابقة العربي

٨ أسئلة.. و١٠٠ دينار جوائز

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ٨ أسئلة تتناول كافة مجالات المعرفة .. والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٧ أسئلة فقط لكى تستطيع الفوز باحدى جوائز هذه المسابقة ، وهذه هى الاسئلة :

١ – لغة السيد المسيح ، وكانت احدى اللغات السامية مثل العربية والعبرانية ، من أهم آثارها الادبية نبوءة دانيال .. تفرعت هذه اللغة الى لهجات منها السريانية الطقسية المستعملة عند الموارنة والسريان والكلدان ، ومنها لهجة بعض قرى جبل قلمون في سوريا ، ومنها لهجة النصارى الكلدانيين والاشوريين في شمال العراق .. فماذا كانت هذه اللغة ؟!

٢ – هذان البيتان من قصيدة لشاعر عربي شهير عرف باسم شاعر النيل :

سعيت الى ان كدت انتعل الدما
وعدت وما اعقبت الا التندما
لحى الله عهد القادرين الذى به
تهدم من بنياننا ما تهدما

هذا الشاعر هو :

احمد شوقى – حافظ ابراهيم – على الجارم .

٣ – الصلب الذى لا يصدأ يتم باضافة مادة الى الصلب العادى هذه المادة هى :

الكروم – الكربون – الفضة .

٤ – جبل طارق مضيق بين اوربا وافريقيا يوصل البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي عرضه ١٥ كيلو مترا وعمقه ٤٥٠ مترا . عبرته الجيوش العربية في غزواتها لاسبانيا واوربا ، وسمى بهذا الاسم نسبة الى القائد العربى طارق بن زياد .

هذا الجبل التاريخى يحكمه الآن :

المغرب – اسبانيا – بريطانيا .

٥ – الخنافس رتبة من رتب الحشر Order ، وهذه الرتبة تتضمن فصائل عديدة وهذه الفصائل فيها اجناس Genus ، وانواع عديدة Species فهل تعرف كم نوع يوجد من الخنافس :

نحو ٢٥٠ الف – مليون – ١٠٠ الف .

٦ – ميسلون موقعة حربية خاضها ثوار عرب ابان الثورة العربية الكبرى على الدولة العثمانية، وقاد هذه الموقعة ملك عربى نصب ملكا على سوريا لفترة من الزمان ثم اصبح ملكا على العراق .. اذكر اسم هذا الملك العربى ؟!

٧ – يقول البحاث ان الحيوان ذا الجرم الاضخم يعيش اكثر من الحيوان ذى الجرم الاصغر ، وهذا صحيح الى حد ما ، فهل لك ان تذكر أيا من هذه الحيوانات يعيش في العادة عمرا اطول من الاخرى !

الجمل – الحصان – الفيل الافريقى – السلحفاة .

٨ – للذبابة اعين كثيرة ولكنها ضعيفة الابصار ، ومن اجل ذلك تعتمد الذبابة اكبر اعتماد على قوة شمها ، فهل تعرف كم عينا توجد في الذبابة ؟

عشرة عيون – خمسة عيون – ثلاثة عيون .

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٤ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هواليوم الثالث من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١.

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ..١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ **دينارا** . الجائزة الثانية ٢٠ **دينارا** . الجائزة الثالثة ١٠ **دنانير** .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة

وَحْدَةُ اللهِ تتراءى فى وَحْدَةِ خَلْقِهِ .
وَقُدرةُ اللهِ تتمثَّل فى بَدِيعِ صُنْعِهِ .

الهُرمُونات

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ عندما تحدثنا عن الانزيمات (او الخمائر) قلنا انها مركبات كيماوية تصنعها الخلايا فى الاجسام الحية ، لتساعد العمليات الكيماوية الآلاف، التى تقوم فى جسم الانسان ، على التمام ، دون ان تدخل هى فى تفاعلاتها . ومن اجل هذا سميناها، كما سمى الكيماويون امثالها ، بالمواد المساعدة .

وقلنا ان هذه الانزيمات نوعان :

نوع تحبسه الخلية فيها لبساعد على اتمام التفاعلات الالف التى تجرى فيها والتى تتطلبها الحياة .

ونوع آخر من الانزيمات، كالتى تفرزها، خلايا الغدة المعروفة بالبنكرياس ، فيما تفرز ، وهذه الانزيمات تخرج من هذه الغدة عن طريق قناة تعرف بقناة البنكرياس لتصب فى المعى الاثنى عشرى لتقوم بمعونة اعمال الهضم التى تجرى فى المعى الدقيق . وهى التى تهضم البروتين والكربونات المائية (النشويات والسكريات) والدهون .

غدد لها قنوات

هذه الغدد الأخيرة، كغدة البنكرياس، تفرز الانزيمات (الخمائر) ، وتصبها

الهُرمونات كالرّائد الموسيقى ، يُنَسّقُ بين أَنغَامِ رِجَالِهِ ، حَتّى لايكون بينها نَشَاز.

الهُرمونات فى الأَجْسَامِ ، كالرّجالِ فى المصَانِعِ ، يُمَهّدُونَ للأَعمالِ لِتَبدأَ ، وَيُوقّتُونَ لهَا مَتى تَبْدأُ .

والهُرمونات كَرِجالِ البَرِيد ، يَدُورُونَ فى أَرجاءِ الجِسْمِ ، فى الدّمِ ، يحملون أَخبارَ العُضوِ القَرِيبِ إلى العُضوِ البَعِيدِ ، لِيَسْتجيبَ هَذا لِذاكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَوابِط .

حيث تريد عن طريق قناة تعرف باسمها ، كقناة البنكرياس كما ذكرنا .

غدد لا قنوات لها

ولكن فى الجسم كذلك غدد اخرى لا قناة لها ، ان شئت سميتها غددا لا قناتية ، كما يسميها العلماء Ductless Glands . وهى لا تفرز الأنزيمات (الخمائر) ، ولكن تفرز مواد كيماوية اخرى تعرف « بالهرمونات » Hormones لها وظائف فى اجراء الحياة غير وظائف الأنزيمات .

ان هذه الهرمونات المفروزة تخرج من الغدة التى لا قناة لها ، وتدخل الدم مباشرة وتجرى فى الدورة الدموية . ويدور بها الدم حتى اذا بلغ بها مكان عملها الذى تريد ، تركت مسيرة الدم ، ودخلت الى العضو الذى تريد ، وبدات تعمل عملها المطلوب منها . واقول «العضو الذى تريد» . لأن هذه الهرمونات لها من الفطنة انها تعرف ماذا يراد منها ، وانها تقف لانجازه عندما تصل اليه .

عمل الهرمونات

وهنا يجب التساؤل ، ما عمل الهرمونات هذه ؟

ولايضاحه نضرب مثلا لذلك :

غدة البنكرياس التى ذكرنا تفرز الخمائر اللازمة للهضم ، تصبها فى المعى الاثنى عشرى . ولكن متى تفعل هى ذلك؟

ان الوقت المناسب لذلك هو بعد تناول الطعام ، وعلى التحقيق بعد عمل المعدة فى الطعام وبدء خروج الطعام منها الى المعى الاثنى عشرى الذى فيه يصب

البنكرياس انزيماته . هذا هو الوقت المناسب لوصول الانزيمات .

ولكن من يدل البنكرياس على ان الطعام وصل ؟

انه الهرمون .

ولكن كيف ؟

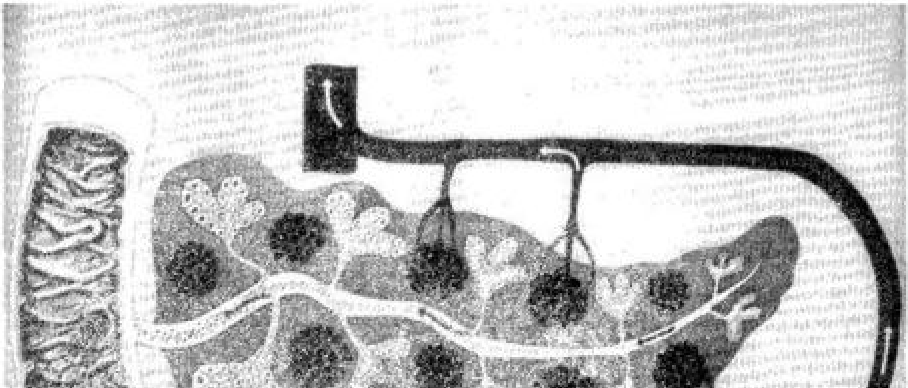
وتفسير ذلك ، ان بالخلايا المخاطية ، بجدار المعى الاثنى عشرى ، خلايا بها مادة اسمها « بروسكرتين » Prosecretin اى ما « قبل السكرتين. » فهذه،عندما تنتهى المعدة من هضم طعامها ، ويمر هذا الطعام بهذه المادة فى الاثنى عشرى ، ويمسها حامض الكلوردريك الخارج من المعدة مع هذا الطعام المهضوم ، يفعل هذا الحامض فى هذه المادة فيحولها الى مادة السكرتين Secretin . وهذه المادة هرمون ، يجرى فى الدم مع الدورة الدموية فى الجسم . فاذا هو وصل الى البنكرياس اخبره بأن الطعام وصل الى الاثنى عشرى ، واذن يأخذ البنكرياس فى افراز خمائره التى يصبها للهضم فى الاثنى عشرى .

فى المصانع

اننا فى مصانعنا ،عندما نبدأ بمادة ما، ونأخذ نبدّل فيها ونغير على دفعات لننتج منها مادة اخرى ، يقوم رجال على كل هذه الخطوات يرقبونها . وفى الموعد الموقوت يضيفون الى المادة هذا العامل الفعّال ، او ذلك ، فى سبيل الوصول الى الغاية . المهم ان تكون الاضافة فى موعد موقوت .

عملية التوقيت هذه لا بد منها .

وعملية البنكرياس هذه ، عملية توقيت كذلك. قام الهرمون مقام العامل.



صورة ايضاحية لغدة البنكرياس . وهى تعمل عمل غدة لها قناة تصنع الخمائر الهاضمة وتصبها فى المعى الاثنى عشرى (الى اليسار) ، والخلايا التى تصنع الخمائر بيضاء فى الصورة وكذا القنوات التى توصلها للاثنى عشرى .. اما الخلايا السوداء فترمز الى الخلايا التى تصنع الهرمون الشهير الانسولين ، وتصبه فى الاوعية الدموية ليدور مع الدم فى الجسم مباشرة .

رسول كان لا بد منه يقوم من الاثنى عشرى ، ويدخل الدورة الدموية،ليصل الى البنكرياس فى الوقت المناسب ، ليقول له الآن يا عزيزى افرز خمائرك على بركة الله فالطعام وصل .

عقل هذا ؟

تدبير هذا ؟

ان الجسم الانسانى ، فى اجرائه الحياة ، ذات العمليات الكيماوية المتتابعة التى يصل بعضها بعضا ، ويعتمد بعضها على بعض ، يحتاج لضبطها وتوقيتها وتنسيقها الى هرمون ، وهرمون وهرمون . وما اكثر الهرمونات . وما اكثر الرُسل .

ابداع فى ادارة هذا الجسم عجيب .

وفهم يقوم به من المواد ما لا يفهم . ولكنه يقوم به لغاية ، وغاية لا بد منها . وغاية كالغاية الواعية وما فيها من وعى .

مواد لا وعى بها . ولكنّ هناك وعى . وهناك هدف ، وهناك غاية . كل هذا الوعى العاقل المدبر انما اختفى وراء ما ترى من عمليات هضم وعمليات افراز ، وعملية حياة تتضمن الف عملية ، تزيد الملاحقة تعقيدا ، وتزيد التوقيت صعوبة لو ان انسانا كان قيما عليها . ولو اننا كنا قيِّمين عليها ، اذن لفسدت ، ومن اجل هذا قامت الحياة بديلا عنـّا بوعى ايقظ ، وبفكر افهم ، وبدقة أحدّ ، وبادراك لمعنى الزمان ، وتلاحق الدقائق والثوانى اعمق واشمل .

ومَثَلٌ آخر

ومثل آخر نقتبسه من الظاهرة الكبرى ، ظاهرة خروج الانسان منا من بطن امه ، بالولادة ، ثم تجهز ثديَيْ الأم باللبن من بعد ولادة لغذاء وليدها .

ان الهرمونات تقوم ، فى هذه الظاهرة منذ تلقيح البيضة فى رحم الأم ، الى ان يتم الحمل،ويخرج الوليد الى الرضاع، تقوم بتولى كل هذه الظاهرة الكبرى ، وبكل ما تضمنها من عمليات ، ومن خطوات،ومن تغيرات وجبان لا يسبق منها ما وجب ان يتأخر ، ووجب ان لا يتأخر منها ما وجب ان يتقدم ، تقوم ببدء كل خطوة وبختامها ، فى توقيت رائع ، وهى لا تقوم بالتغيير ، ولكنها تنبىء به وتحفز عليه ، وتسير فى الدم ، او وجب ان تسير ، حتى تصل الى الموضع الذى عنده يجب ان تلقى برسالتها .

ونقتصر للايجاز على ذكر ما يحدث بثدى الام من تغير وتجهز للرضاع . ان المراة اذ تبدأ فى الحمل ، تخرج من مبيضها هرمونات لها واجبات شتى ، ولكن من واجباتها ايضا تجهيز الغدد لتفرز اللبن للرضيع ، عندما يحين اوان ذلك ، تلك الغدد التى تملأ ثدى الام ، تجهزها بحيث تتأهب الواجب الذى تقوم به عندما يجىء اوانه .

انهما الهرمونان المعروفان باسم استراديول Estradiol وباسم بروجسترون Progestrone (وما عليك حفظ اسميهما) هما اللذان يقومان بتجهيز الثدى عند كل حمل يبدأ . انهما يزيدان الثديين نموا ، ويزيدان عدد ما بهما من قصيصات Lobules ومن بناء عنبى Acimar Structure.

واين يتولد هذان الهرمونان ؟ لدى المبيضين فى النصف الاسفل من البطن .

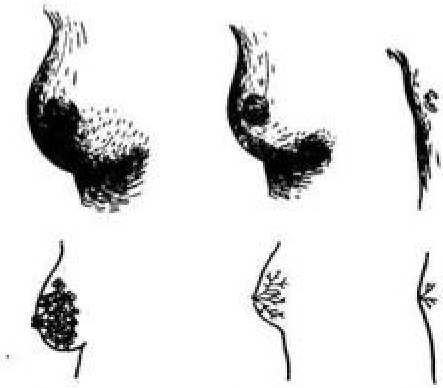
واين يوجد الثديان ؟ فى النصف الاعلى من الجسم .

انهما اذن يعملان عمل رجال البريد يحملان الرسائل ، بأن الحمل قد بدأ ، فلا بد من التجهيز لذلك .

ولكن ، من يخبر الثديين بأن الحمل قد تم ، وان الوليد قد خرج فعلا ، وانه يريد الحليب ؟

انه رسول آخر . هرمون آخر . ومن الغريب انه لا يأتى من المبيضين ، ولا من حيث خرج الطفل ، ولكنه يأتى من غدة

ثدى المـرأة



صبية عند البلوغ وهى امرأة

صور ثلاث تبين درجة نمو غدد الثدى فى الفتاة الصغيرة ، وعند البلوغ ، وعندما تكون امرأة ، وهى الغدد التى تتجهز لافراز اللبن للطفل الوليد. والذى يقوم على تنميتها هكذا وتجهيزها وتوقيتها انما هى الهرمونات الجنسية التى للمرأة .

لايضاح ما هدفنا اليه من كشف ما فى جسم الانسان من خلق ، هو الغاية فى الابداع ، والنهاية فى الصنعة ، وهو اذا قورن بكفاية الانسان وحذقه اللذين يبذلهما فى تدبير صناعاته ومصانعه لاحداث حضارته على هذه الأرض ،وهى كفاية ، وهو حذق ليسا من عنده اقول اذا قورن هذا الابداع فى الخلق بما يجرى بين جنبى هذا الجسم الانسانى من كفاية هى الغاية ، وحذق هو النهاية، لم تعد كفاية الانسان وحذقه فى صناعاته ومصانعه بالشيء المذكور . ونحن انما نقرن بينهما ، على بعد ما بينهما ، لان الاشياء لا تبين احجامها واخطارها الا عند المقارنة .

وضربنا مثلين للهرمونات من جسم الانسان .

وقلنا ان الهرمونات لضبط نشاط التفاعلات الكيماوية الجارية فى الجسم . ولكن كم من هذه التفاعلات يجرى ،وكم من هذه الهرمونات ؟ الاعداد الكثيرة .

وبضبط نشاط التفاعلات فى الجسم تكون الصحة، وبخلل هذا الضبط تختل الصحة .

واذن فقد بقيت بعد حاجة لزيادة ايضاح بزيادة من امثلة .

غـدة البنكرياس

ذكرنا غدة البنكرياس ، وضربنا مثلا كيف يأتيها الهرمون ، السكرتين Secretin ، من المعَى الاثنى عشرى، ليخبرها بأن الطعام وصل الى هذا المعى من الامعاء ، وعليها اذن ان تصب الانزيمات الهاضمة التى تصنعها ، فى قناة البنكرياس ، لتصب فى المعَى الاثنى عشرى .

هذا عمل غدة البنكرياس . وهو عمل الغدة التى لها قناة تصب منها .

ولكن لغدة البنكرياس عمل آخر : ان بها خلايا تفرز هرمونا هو الهرمون الشهير المعروف بالانسولين . تصنعه ثم

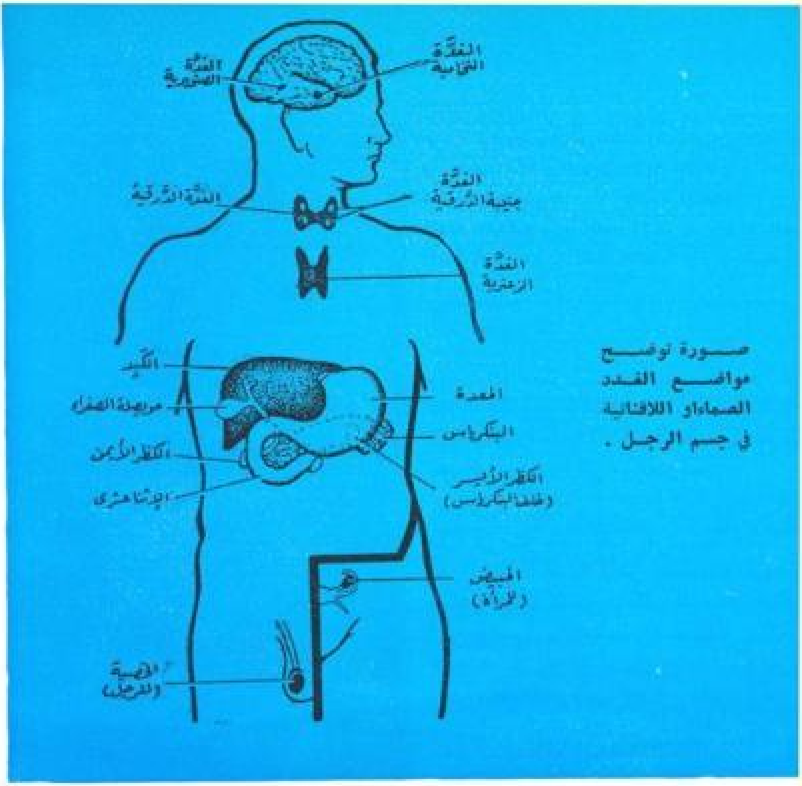
غير ذات قناة ، وهى من اجل ذلك كسائر الغدد التى تفرز الهرمونات، ولكن موقعها عند المخ فى أسفله انها غدة صغيرة ، ولكنها هى أم الغدد جميعا ، بمعنى انها هى القائمة ، فيما تقوم به ، بالرقابة على سائر غدد الجسم غير ذوات القنوات . انها الغدّة النخامية Pituitary Glend .

واذن فقد جاء هذه الغدة خبر ما تم من ولادة ، فأرسلت رسالة الى الثدىّ ، ان ابدئي وافرزى لهذا الطفل الوليد لبَنًا . وكانت هذه الرسالة هرمونا،خرج منها، الى الثديين، وسار اليهما عن طريق الدم . اما اسمه فهو برولكتين Prolactin.

ويدر الثدْى باللبن عادة فى اليوم الثانى للولادة ، وقد يتأخر الى اليوم الرابع .

قد كان فى هذا الكفاية

ولقد كان فى هـذا الذى ذكرنا كفاية



صورة توضح مواضع الغدد الصماء او اللاقنائية في جسم الرجل .

تفرزه . وهي لا تصبه بواسطة قناة . انها تصبه فيما حولها من شعريات من دم ، ويذهب الانسولين في الدورة الدموية الى حيث تذهب الدورة من الجسم . الى كل ارجائه . الى كل خلاياه . وهناك يجد السكر (الجلوكوز) الذى وصل الى الخلايا من هضم الاغذية ، تجده عند الخلايا ، يريد ان يحترق ليعطى الجسم الدفء ، وليعطى الخلايا ما تحتاج من طاقة لتركيب ما تريد ان تركب من مواد وانسجة . يجد الانسولين السكر ، يريد ان يحترق ، وهو لا يستطيع الا بعون الانسولين .

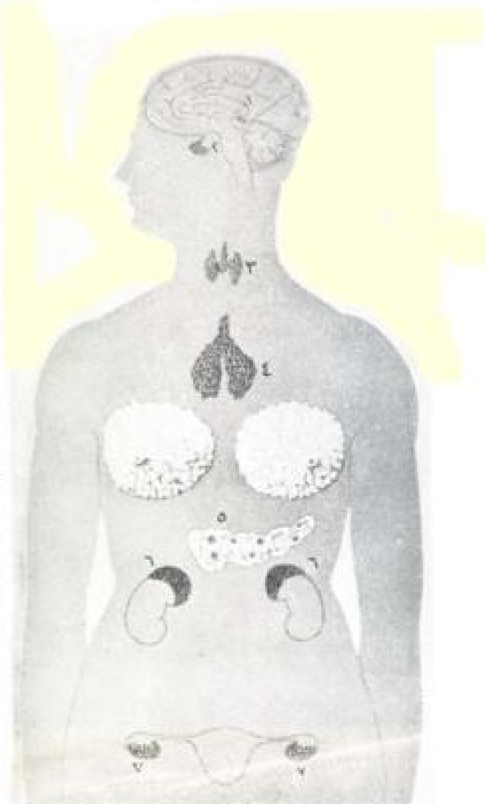
وكيف يكون هذا العون ؟ لا احد يكاد يدري بالضبط الى اليوم .

ان عمل الهرمونات في تنشيط الخلايا والانسجة لا يزال اكثره يحيطه الابهام الشديد الا في القليل . الانسولين يضبط احتراق السكر اذن .

وتعرض الخلايا التى تصنع الانسولين في البنكرياس ، فتضعف ، فيقل انسولينها ، فلا تحترق الكفاية من السكر في الخلايا . ويظل الفائض الذى لا يستطيع احتراقا يتجول في الدم ، في الدورة الدموية ، فاذا زاد مقداره في الدم عن نسبة معلومة فرزته الكليتان فخرج في البول . فهذا هو البول السكرى . وهذا هو « مرض السكرى » .

والعلاج ؟

بالحصول على الانسولين من بنكرياسات المواشى ، او غير ذلك ، واعطائه حقنا للمريض . وبمقدار . فان زدنا مقداره احترق من السكر في الدم



صورة توضح مواضع الغدد الصماء او اللاقناتية فى جسم المرأة . ويرمز اليها بالارقام : اما ١ فالغدة الصنوبرية و ٢ فالغدة النخامية ، و ٣ الغدة الدرقية و ٤ الغدة الزعترية ، و ٥ الغدة البنكرياسية ، و ٦ الغدة الكلوية ، و ٧ المبيض .

القدر الكثير ، واصيب المريض بدوخة واغماء .

مقدار الهرمون لا بد من ضبطه .

وحبوب اخرى تصنعها مصانع الادوية ، يتعاطاها المريض فى حالات خاصة ، لا سيما فى الشيخوخة من مثل آرينز Orinase والدبابنيز Diabinase وغيرهما. وهذه تنشط خلايا البنكرياس التى تصنع الانسولين فتفرز منه المزيد .

الغدة الدرقية

انها غدة موضعها الرقبة من امام ، تحت الجلد مباشرة ، على جانبى الحنجرة . وهى تتالف من فصين ، يمين ويسار ، يصل بينهما برزخ . وهى من اجل ذلك أسرع الغدد ، غير ذات القناة، الى الظهور عندما تتضخم بسبب مرض يعتريها . وما اكثر ما يعتريها .

وهذه الغدة هى من حيث التاريخ اول غدة عرفت بانها غدة هرمونية ، وقد كان اول ما لفت النظر الحديث اليها ان سكان جبال الالب، سكان الوديان هناك، فى سويسرا والمانيا والنمسا ، كانت تصيبهم فى الحلق اورام جامدة . وتشتد الحال بهم فتؤثر فى نموهم وفى ذكائهم . والبنات اللواتى يصبن قل منهن من كانت تبلغ لتستطيع انجاب الاطفال .

ولما تقدم فن الجراحة تجرا احد الاطباء السويسريين ، هو الدكتور كوخر Theodore Kocher فاجرى لأحد المرضى عملية استأصل فيها الورم . ونجح . واذ تبين له ذلك ، راح يستأصل الغدة الدرقية نفسها . وتحسنت حالة الطفل مؤقتا ، ولكنه ما لبث ان عاد اليه عجز فى الجسم شامل .

وهنا تبين للعلماء ان هذه الغدة لها عمل خطير . وراحوا يبحثونها ، ونشروا فى سبيل ذلك الف بحث وبحث .

ونبتعد عن التاريخ لنلخص النتائج لهذه الابحاث فنقول ان مرض هذه الغدة ثلاثة انواع :

١ — تورم درقى بسيط :

ان الغدة الدرقية تفرز فيما تفرز هرمونين ، اقواهما وابنهما يسمى تيرُكسين Thyroxin . وعمل

الهرمونات هنا هو ضبط التفاعلات الكيماوية الحيوية التي تجرى في الجسم. فان زاد مقدارها ، ازدادت التفاعلات بسرعة ، واذا نقصت ، تباطأت التفاعلات واختلت الحياة . وهذا الهرمون ، الثيركسين، به من اليود مقدار كبير يصل الى نحو ثلثي وزن المركب . والانسان منا يتعاطى اليود في ماء شربه . فاذا خلا الماء من اليود او قل ، كما حدث في اوربة بجبال الالب ، لم يستطع الجسم ان يصنع هذا الهرمون، واذن تختل تفاعلات الحياة بالجسم .

ونتيجة لقلة اليود ، فقلة الهرمون ، تتضخم الغدة رجاء ان يكون في تضخمها ما يزيد في جملة الهرمون الحاصل .

فهذا التضخم الذي يقصد به التعويض عن نقص اليود يعرف بالتضخم الدرقي البسيط . وعلاجه اعطاء المرضى زيادة من عنصر اليود في ماء شربهم ، او في ملح المائدة عند جلوسهم الى الطعام .

٢ ـ الدُراق المفرط :

وهذا المرض ينتج عن الغدة نفسها ، تكون لم تبلغ نموها الكامل ، او تكون تقلصت ، وفي هذه الحالة يقل او يمتنع انتاج الهرمون . ونتيجة ذلك توقف نمو الاطفال ، وكذلك تعطل ذكائهم .

٣ ـ الدُراق المفرط :

وهذا ينتج كذلك عن الغدة ، اذ تفرز من الهرمون اكثر مما يحتمل الجسم ، وعندها يزيد نشاط التفاعلات الكيماوية في الجسم ، ويصحب ذلك اضطراب في الاعصاب ، وكذلك بروز في كرة العين ، وجحوظ فيها . ومن علاج هذا المرض الجراحة التي تستأصل بعض الغدة ليقل افرازها .

غدد ما فوق الكليتين

وهما غدتان ، كل غدة منهما تستقر فوق كلية من الكليتين ، وتعرفان بالغدد الكظرية ، او غدد ما فوق الكليتين . او الكظران ، فكل واحدة منهما كظر Adrenal Glands .

وهما غدتان لا قناتيتان .

وكل منهما تتالف من نسيجين مختلفين ، نسيج ظاهري يحوط الغدة كالقشرة من اجل ذلك سمى اللحاء Cortex . ونسيج باطن سمى باللب Medulla.

اما اللحاء فيفرز عدة من هرمونات من



هذا ما صنعته الغدة الدرقية بهاتين المرأتين . المراة (أ) زاد افراز الغدة للهرمون فاصيبت بالمرض الذى من اعراضه جحوظ العينين Exophthalmia ، والمراة (ب) قل افراز الغدة للهرمون فاصيبت بتضخم الغدة الدرقية وهو التضخم المعروف بالجوتر Goiter

اشهرها الهرمون الشهير المعروف باسم كرتزون Cortisone ، وبعضها يتصل بتنظيم المظاهر الجنسية الثانوية فى الجسم ، وبعض لضبط مقدار مستوى عنصرى الصديوم والبوتسيوم فى الجسم .

واما اللب فيفرز الهرمون المعروف بالادرنالين Adrenaline ، وقد فصله الكيماويون من هذه الغدد ، ونقوه وبلوروه ، وبعد ذلك ركبوه تخليقا من مواد فى الكيمياء ابسط .

وهذا الهرمون عندما يطلق فى الدم ، بمقادير قليلة جدا ، يجهز الجسم لمواجهة اى معضلة تقوم ، ويعده للصراع . فضربات القلب تزيد عددا ، وتزيد قوة ، واوعية الدم فى العضلات تتسع ، والتى هى فى الجلد والقناة الهضمية تضيق . والرئتان تتسعان اكثر مما يفعلان . وتظل الغدة تزود الجسم بالهرمون ما دامت الحرب ، او الانذار بها ، قائمة وقائم .

الغدد التناسلية

وهذه لضبط الحياة التناسلية وتوقيتها . وهى تفرز الهرمونات التناسلية التى تنمى اجهزة التناسل فى الرجل وفى المرأة ، وكذلك الصفات الثانوية للذكر والانثى . وهى تبدأ فتحفز اعضاء التناسل للعمل ، بعد تثبيتها وتجهيزها لذلك ، وفى الوقت المعلوم . واهم غدة للذكر هى غدة الخصية ، وللانثى المبيض ، ونكتفى بذكر ذلك عنهما .

الغدة النخامية

وتركنا غددا اخرى وهرمونات اخرى ، للايجاز ، فلسنا فى صدد درس وظائف اعضاء الجسم ، وانما نحن فى ضرب امثال لما فى الجسم من نظم تفوق اى نظم عرفناها ، وتفوقها كثيرا . وهى نظم بلغت من الابداع الغاية ، ومن ورائها لا بد قوة منظمة مبدعة عارمة ، هى التى نحن نجرى وراءها لنكشف عن بعض وجوهها .

ونختتم بذكره الغدة النخامية ، وهى غدة صغيرة كحبة الحمص توجد فى اوسط الرأس ، وهى مرتبطة بقاع المخ . وهى تتألف من عدة فصوص .

وسميت هذه الغدة بالغدة الأم Master Gland لأنها تقوم على رقابة غدد الجسم اللاقناتية الاخرى ، كما يقوم رئيس العمال فى المصنع على شتى طوائف العمال به . وهى تراقبها بالاسلوب المعروف ، اعنى بالرسل ترسلها اليها هرمونات تضبط اعمالها . وقد كشف الكاشفون عن ستة هرمونات من هذه ، كشفوها فى الفص الامامى من الغدة وحده ، ولا يزال البحث جاريا فى الفص الخلفى والفص المتوسط وهرموناتهما .

بعد دقة الصنعة
تأتى حكمة التوحيد فالوحدة

كل هذا الذى ذكرنا يتصل بالانسان ، وفيه من دقة الصنع ما فيه .

اما من حيث الوحدة فيجب ان نبادر فنقول ان هذه الغدد وهرموناتها موجودة فى كل الحيوانات الثدية وكذلك ذوات الفقار (والاسماك من ذوات الفقار) وفى بعض مما دون ذلك .

وهى تقل فى الحيوانات بسيطة التركيب لانها لا تحتاجها .

ومع هذا توجد الهرمونات حتى فى النباتات تعمل مثل عملها فى الحيوانات . ومن اشهرها الهرمونات التى عرفت حديثا بـ « الاكسيمات » Auximes ولنا اليها عودة ، وهى تؤثر فى النبات بأن تزيد فى نموه . واخرى تسد من جروحه ، واخرى تنضج من ثمره ما تنضج .

نظم اشباه ، تنتظم الخلائق جميعا ، الا حيث لا تكون اليها حاجة ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٥٢

الديك الرومي موطنه أمريكا

■ كانت مسابقة العدد ١٥٢ من « العربي »على المعلومات العامة في مختلف ميادين المعرفة ، والملاحظ ان السهولة كانت طابع هذه المسابقة ،فهناك سؤال في التاريخ يخص قائدين عربيين ساهما في الفتوحات الاسلامية . ثم سؤال عن جزيرة عربيةكانت مادة لاستطلاع « العربي » ، الى آخر يخص الاختراع والمخترعين ، الى رابع يدرس الطير والحيوان .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ،ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ كانت فتوحاتعقبةبن نافع في المغرب العربي ، اما فتوحات قتيبة بن مسلم فقد كانت في المشرق العربي .

٢ ـ امكر من ثعلب .

٣ ـ الرحالة العربي الذى عاش في القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان له كتاب تحفة النظار في غرائب الامصار هو ابن بطوطة .

٤ ـ سقطرى تقع في المحيط الهندى وتتبع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

٥ ـ اسم هذا القائد الذى زحف على روما عبر جبال الالب هو هانيبال .

٦ ـ الولاية الامريكية التي اشترتها حكومة واشنطون من روسيا القيصرية هي الاسكا

٧ ـ فنلندة هى الجمهورية .

٨ ـ توماس اديسون هو مخترع الجرامفون (الحاكي) .

٩ ـ الديك الرومي موطنه الأصلي امريكا

١٠ ـ الخفاش يطير وليس بصنف من الطيور ، النعامة صنف من الطيور ، ولكنها لا تطير .

١١ ـ فالنتينا تيرشكوفا اول رائدة فضاء في العالم ،وهي روسية الجنسية .

١٢ ـ ايطاليا دولة اوروبية عملتها الليرة .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولي وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها : سمير الجميل/بيروت/لبنان

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها : محمد الشاذلي مامي/تونس

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها : يسرى السيد/اسبانيا

٨جوائز مجموع قيمتها (٤٠) دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ سعاد ساطانه/اللاذقية/سوريا
٢ ـ محمد علي حسن عثمان/عمان/الاردن
٣ ـ سالم احمد باسعيد/جدة/السعودية
٤ ـ عبد الرضا كاظم ولي/النعمانية/العراق
٥ ـ آمال يوسف الشمالي/الكويت
٦ ـ جمعة عبد الله الفلاح/بنغازى/ليبيا
٧ ـ عبد القادر احمد بدوى/حلوان/ج.ع.م
٨ ـ عبد الله حسن بامدهاف/المكلا/جمهورية اليمن الديمقراطية .

استطلاع الكويت



صناعة الألبان

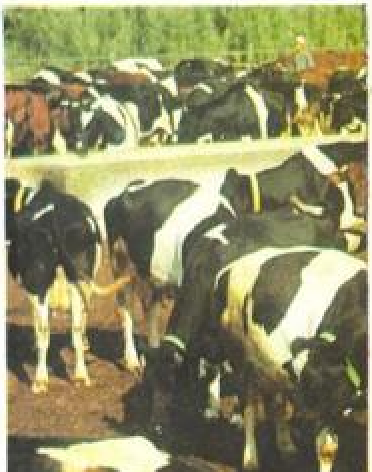


● رغم ازدهار البلاد
مازال الناس يربون الماشية
في ملحقات بمنازلهم
حرصا على صفاء اللبن

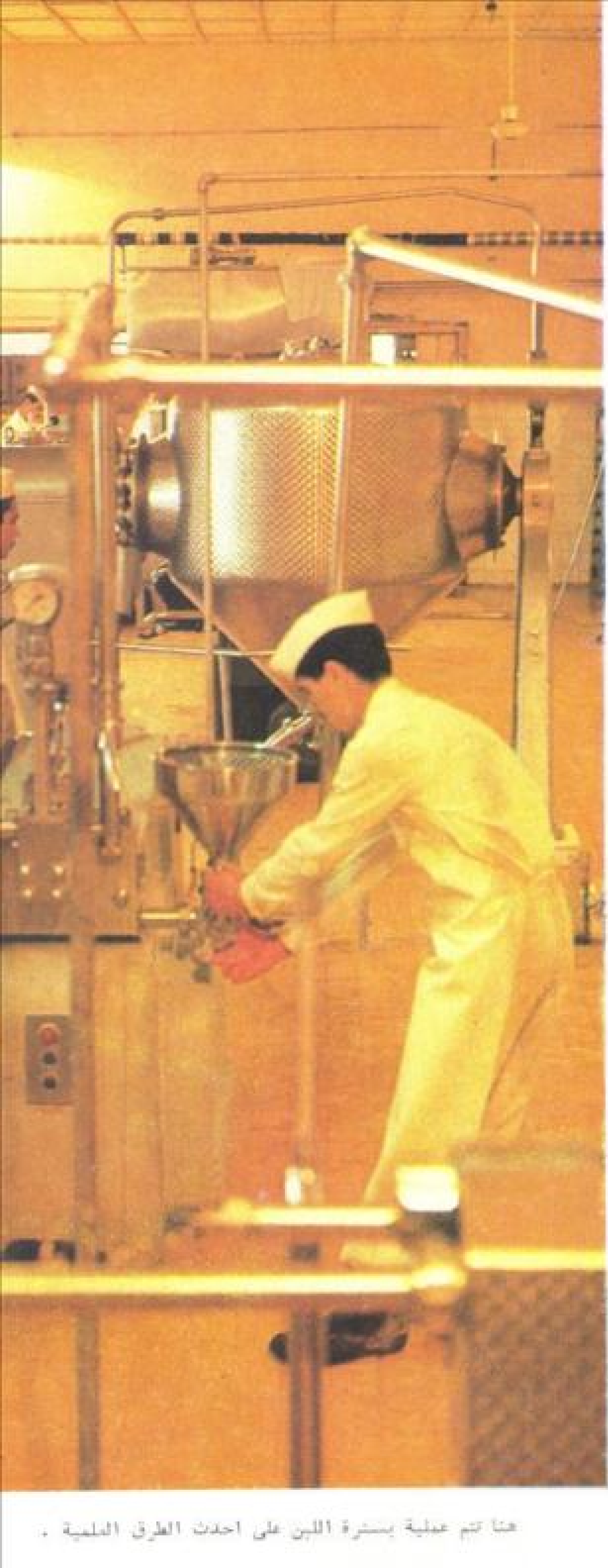


بقلم : سليم زبال

١٢ مؤسسة تعمل على أنتاج الالبان وبسترتها في الكويت ..



● مشروع انشاء مركز لتجميع وتصنيع الالبان في الكويت



هنا تتم عملية بسترة اللبن على احدث الطرق العلمية .

■ اللبن(١) .. هذا الطعام الذى نبدا به الحياة.. عرفه الانسان قبل ان يعرف المشي والكلام .. عرف فيه غذاءه كاملا يحوى جميع العناصر التى يحتاج اليها جسمه، فاولاه اهتماما خاصا متواصلا قل ان حظى به غذاء اخر : تحاليل .. تجارب .. اختبارات لا نهاية لها ، اجريت على اللبن في اغلب بقاع هذه الارض ، لمعرفة المزيد عنه ، وعن خواصه ، ولزيادة امكانات الاستفادة منه على الوجه الاكمل ..

وامتدت التجارب الى الحيوانات التى تدر اللبن ، فاستطاعوا زيادة انتاج الابقار من مئات الكيلو جرامات الى الوف الكيلو جرامات ، حتى بلغ الامر الى انتاج رقم قياسي بلغ ٤٢ الف رطل من بقرة محسنة سنويا .

بقرة في مركب !

ومن الطريف ان فصلا من تاريخ تصنيع اللبن يكمن في قصة المهاجرين الاوربيين الاوائل الى القارة الامريكية .. فقد كان هؤلاء المهاجرون ينقلون معهم بقرة حلوبا في كل سفينة تعبر بهم المحيط .. ياخذون لبنها الطازج لاطعام اطفالهم . وكثيرا ما كانت البقرة تموت اثناء الرحلة، فينقطع اللبن عن الاطفال .. وكانت هذه الاحداث من الحوافز التى دفعت بكثير من المهتمين بالتغذية آنذاك ، الى ابتداع طريقة حفظ اللبن مركزا ، في اقل حجم ممكن ..

البدو جففوا اللبن !

وفي صحرائنا العربية حبا الله البدوى بلبن الناقة يشربه طازجا بشغف زائد خلال رحلته الطويلة الشاقة عبر الصحراء ، بينما تقوم النساء بعملية تصنيع بدائية للبن يغلونه على النار لفترة طويلة ، ويضيفون له احيانا قليلا من دقيق القمح حتى يصبح مثل العجين ، يقطعونه قطعا صغيرة، ويتركونها تجف تحت اشعة الشمس، لتصبح صلبة قوية .. وفي ايام الصيف ، عندما يقل لبن الماشية ، يضعون هذه القطع الجافة في الماء المغلى فتتحول الى غذاء سائل يسمونه في بادية العراق البكثل وفي الاردن وفلسطين السين" ..

« الشاوى » يرعى الاغنام

وفي الكويت القديمة كانت البقرة الحلوب ، مع اعداد من الماعز والخراف تربى في الحوش التقليدى الملحق بالمنزل ، يقدمون لها الشعير والجت (البرسيم) وبذور التمور والشعير والنخالة ، يستوردونها من البصرة وايران لاطعام حيواناتهم .

وفي الصباح الباكر كان الشاوى (راعى الغنم) يمر على المنازل ، ياخذ الاغنام وينطلق بها للرعي، ولا يعود للمدينة الا بعد غروب الشمس ،فيستقبله الاطفال مهللين آخذين منه حيواناتهم الى منازلهم ليتم حلبها مرة في الليل واخرى عند الفجر ..

ومن اللبن كانوا يصنعون اللبن الرائب، يضيفون له الماء ويشربونه باردا في اثناء الطعام .

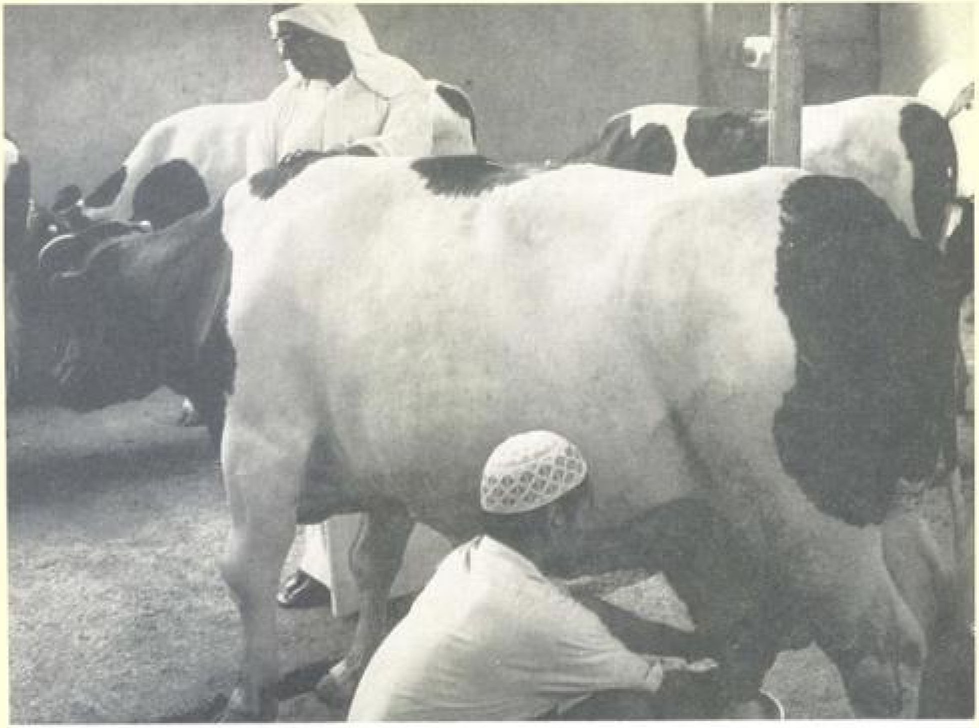
اللبن الطازج يثبت امام اللبن المستورد

وتطورت الكويت .. وارتفع مستوى المعيشة ..

(١) في هذا المقال نستخدم لفظ اللبن بالمعنى العربي اللغوى الصحيح - وهو المعنى القرآنى . وليس بالمعنى الشائع في بلاد الشرق الاوسط وهو اللبن الرائب ، فهم اذا ارادوا اللبن باللغة الفصيحة سموه : الحليب ..

تقوم وزارة التربية بتقديم ربع لتر حليب يوميا لكل طالب وطالبة في مدارس حكومة الكويت الذى يبلغ مجموع الطلبة فيها نحو ١٣٠ الف طالب، ويتم تصنيع هذه الكمية من الحليب في مصنع الالبان الخاص الموجود بالمطبخ المركزى التابع لوزارة التربية وذلك تحت المراقبة الصحية الدقيقة .





٣٠٦٥ بقرة يتم تربيتها حتى اليوم ، في حظائر ملحقة بالمنازل الكويتية ، وعندما سألنا احدهم عن سر تربيته للابقار اجاب : « انها هواية .. اشرب لبنها طازجا انا وجميع افراد اسرتي .. لم نعرف لبن البودرة ابدا ، تعودنا على تربية الابقار منذ صغرنا .. وعندي حاليا ١٢ بقرة غير العجول الصغيرة .. اعمل سمنا ولبنا واوزعه على ١١ بيتا من بيوت اقاربي يوميا » ..

وانتقل اغلب السكان الى بيوت سكنية حديثة جدا .. واعتقد الكثيرون ان تربية الماشية المنزلية قد اندثرت .. ولكن احصائيات عام ١٩٧٠ اظهرت بكل وضوح ان هناك ٣٠٦٥ بقرة و ٥٨ الف معزة و ٦٧ الف راس غنم ، كل هذه الاعداد مازالت تربى في الحظائر الملحقة بمنازل الكويت !!

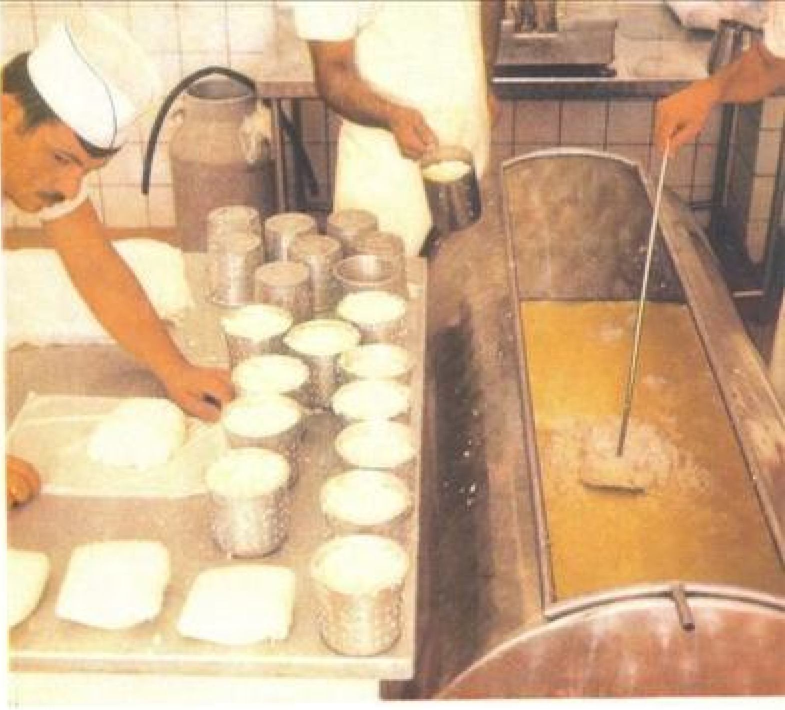
لقد استطاعت هذه الحيوانات الثبات امام رياح التبديل ، وامام اطنان اللبن المستورد . والسبب هو شغف ابناء الكويت بشرب اللبن الطازج الذى يحلب من الابقار والماعز مباشرة .

وقد بلغت كمية اللبن المنتجة من الماشية المرباة في المنازل حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ر٦ كيلو جرام في العام الماضي .. ومازال هناك – الى اليوم – اماكن ثابتة في الاسواق القديمة ، تبيع اللبن الطازج والسمن والاقط اى اللبن المجفف محليا !

١٢ مؤسسة للالبان فى الكويت

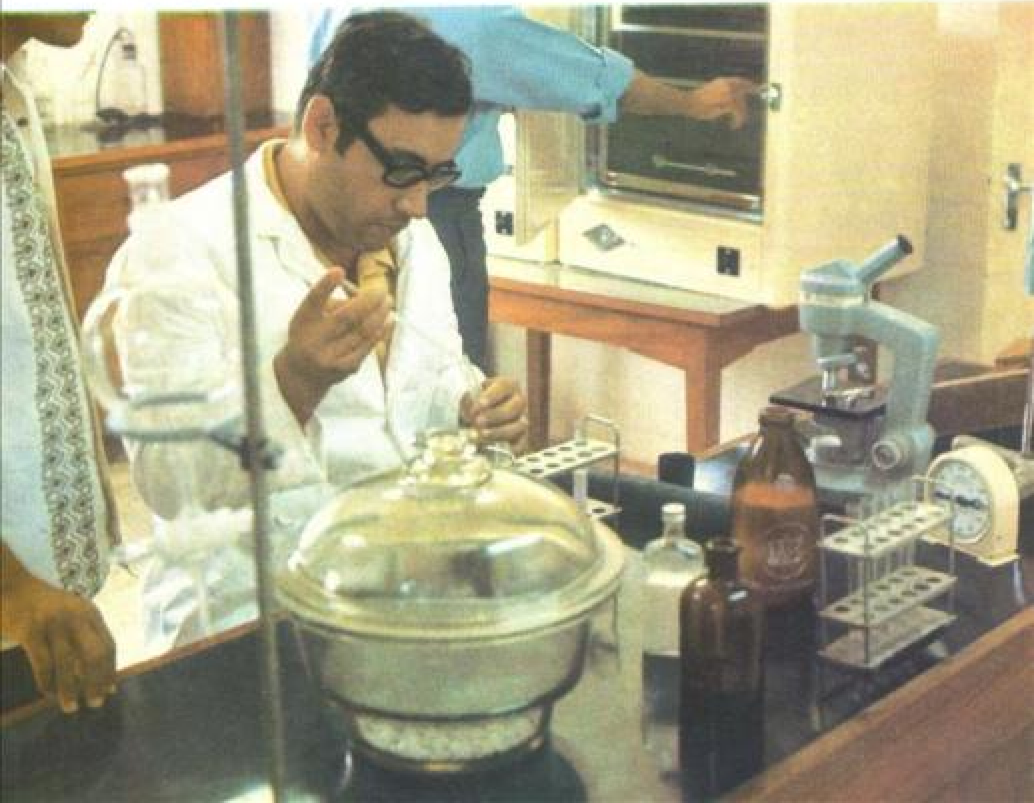
ولكن الى جانب الاحتفاظ بهذه العادات القديمة ، قامت في الكويت ١٢ مؤسسة تعمل على انتاج وبسترة اللبن وتصنيعه الى جبن ولبنة ، ولبن مبستر ، وايسكريم ولبن روب ، وشراب اللبن الرائب .. وراس مال هذه المؤسسات ، يزيد على ثلاثة ملايين دينار كويتي .

واول مزرعة لانتاج اللبن ، قامت عام ١٩٦٠ تبيع اللبن طازجا للاهالى ، ولكن الحكومة اصدرت قرارا تحظر فيه بيع اى نوع من اللبن لا يكون مبسترا .. وما هي الا بضعة اشهر حتى تأسست ثلاثة مصانع تقوم ببسترة اللبن على احدث الاساليب .. ومن بين هذه المصانع مصنع كبير بامكانه بسترة حوالى ٢٠٠٠ لتر من اللبن في



هنا رغبة في أسواق الكويت لاستهلاك الاجبان الطازجة رغم ارتفاع سعرها اذا ما قورنت بأسعار الاجبان المستوردة .. لهذا يجري تصنيعها في الكويت بكميات قليلة حسب الطلب .. ونرى هنا عملية صناعة هذا الجبن الطازج الذي تستغرق صناعته ساعات معدودة .

تجرى الفحوص البكتريولوجية والكيماوية العديدة على الحليب المنتج في الكويت .. ونرى هنا أخصائي الألبان المهندس طاهر الفرج يختبر عينة من الحليب، للتأكد من مطابقته للمواصفات التي تكفل سلامته .





تستهلك الكويت كميات كبيرة من اللبن الرائب ، وتجرى عملية تصنيع اللبن في مصانع حديثة نظيفة ، نرى هنا أحدها .. وهو ينتج بمفرده ٥٠ ألف كوب لبن رائب يوميا ..



٢٥ ثورا من سلالات أصيلة موجودة حاليا في ستة مراكز للتحسين الحيواني في مختلف ارجاء الكويت .. ونرى هنا « زنوبة » انها بقرة مهجنة من نوع « الجيرزى » الاصيل والبقرة المحلية .. وكانت نتيجة هذا التهجين مضاعفة انتاج اللبن من ٥ كيلو جرام الى حوالى ١٢ كيلو جراما تنتجها يوميا .

الساعة الواحدة ! .. لهذا جاء اليها اصحاب المزارع الصغيرة لبسترة لبن ابقارهم ، بمعدل ٢٠٠٠ لتر يوميا ، الى جانب اللبن الذى تنتجه حوالى الف بقرة ، تملكها هذه المؤسسة .

البسترة تقتل البكتريا

وعملية البسترة كما هو معروف ، ما هى الا عملية ابادة لمعظم انواع البكتريا التى تسبب تلف اللبن ، وكذلك الكائنات الحية الميكروبية التى تسبب الامراض ..

وتتم عملية البسترة بان ترفع درجة حرارة اللبن الى ٦٣° مئوية وابقائه في هذه الدرجة لفترة ٣٠ دقيقة على الاقل ، ومن المصانع من يرفع درجة اللبن الى ٧١° ويقلل بقاء اللبن عند هذه الدرجة لتصبح مدته ١٥ ثانية فقط ، ، ثم تهبط درجة الحرارة بسرعة في الحالتين الى الدرجة العادية التى لا تزيد عن ١٠ مئوية ..

وكل هذه العملية تتم اليا داخل اجهزة خاصة يمر اللبن بداخلها ، وتنتهى عملية البسترة بتعبئة اللبن داخل زجاجات او عبوات تقفل اليا ويمكن الاحتفاظ بها سليمة لمدة اسبوع داخل الثلاجة المنزلية ، دون ان يصيبها اى فساد ..

استهلاك اللبن في الكويت

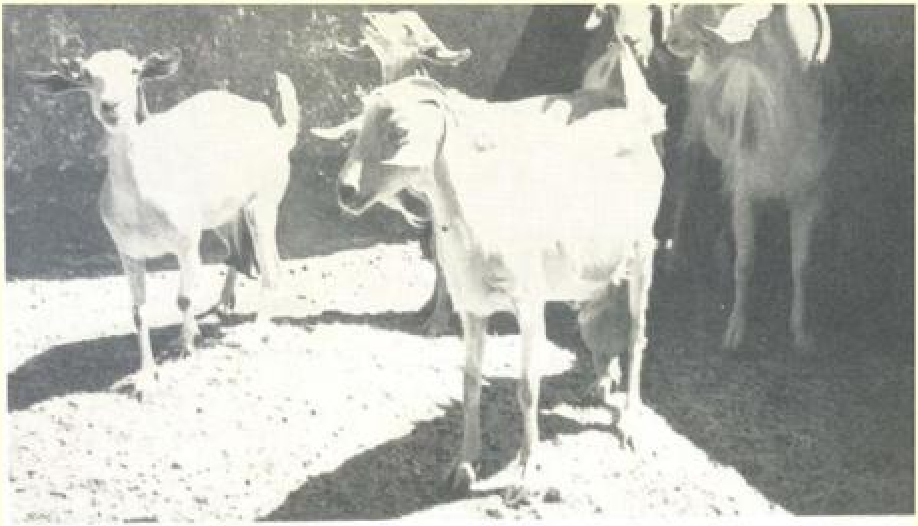
وفي الكويت ، حيث يرتفع دخل الفرد الى واحد من اعلى الدخول في العالم ، وتصبح القدرة الشرائية مرتفعة نجد ان استهلاك الفرد سنويا يعادل حوالى ١٩٠ لترا من اللبن وما تعادله مشتقاته معبرا عنها باللبن الحليب وتفصيلا لذلك نقول انها ٨٠ لترا من اللبن السائل، والباقى مشتقات كالجبن ونحوه .

واذا قارنا الـ ١٩٠ لترا بما تستهلكه دول العالم لوجدنا ان ايرلندا مثلا يستهلك الفرد فيها ٢٠٦ لترات من اللبن ومشتقاته سنويا ، والدانمارك ٤٩١ لترا ، وفرنسا ٣٦٠ لترا .

مراقبة الثروة الحيوانية

والثروة الحيوانية في الكويت متطورة نسبيا ، اذا اعتبرنا العوامل الجوية القاسية، ونقص موارد الماء بصورة عامة ..

وفي وزارة الاشغال قسم خاص لمراقبة الثروة الحيوانية ، يضم مجموعة من رجال متخصصين ، اكتسبوا خبرة كبيرة نتيجة دراساتهم منذ عام ١٩٦٠ على حيوانات الكويت ، قابلنا منهم رئيس شعبة الالبان المهندس الزراعي طاهر احمد الفرخ ، ورئيس قسم الانتاج الحيواني محمد المهتدى ..



ماعز من سلالتي الشامي والروماني المشهورتين بادرارهما الزائد من الحليب الذي يقرب من كيلو جرام ونصف في اليوم .. ويتم تربية هذين النوعين في شعبة تربية الماشية بادارة الزراعة حيث تأخذ الفحول الاصيلة الناتجة الى مراكز التحسين الحيواني الموزعة في مناطق الكويت المختلفة .

ان الهدف الذى تسعى اليه مراقبة الثـروة الحيوانية هو توفير اللبن ومنتجاته بكميات وانواع واسعار معقولة في اسواق الكويت .

كل شيء ضدهم

لقد خاض اصحاب المزارع صراعا مريرا مع طبيعة الكويت اقاموا الحظائر المكيفة الهواء لتهيئة الجو الملائم للابقار القادمة بالطائرة من المناطق الباردة ، الى بلد تصل درجة الحرارة فيه الى ٥٠° مئوية في فصل الصيف !

كان كل شيء ضدهم ، حتى الاهل والاصدقاء قالوا لهم : « لماذا هذا التعب وبامكاننا استيراد اللبن والاجبان من بلاد ذات طبيعة مثالية لتربية الابقار ؟ » .

ولم يحفل اصحاب المزارع بهذه الاقوال وانطلقوا في بناء اسس صناعة اللبن في بلادهم ، واليوم اصبح في الكويت ١٢ مزرعة تجارية — كما سبق ان ذكرنا — تربي حوالي ٢٠٠٠ راس من الابقار .

ولكن زيادة عدد سكان الكويت من ربع مليون نسمة الى ثلاثة ارباع مليون في خلال عشر سنوات ، جعل الانتاج المحلي غير قادر على تغطية اكثر من ٢٪ من الاستهلاك المتزايد للسكان ..

واصبحت الكويت تعتمد اكثر فاكثر على المصادر الخارجية للحصول على حاجتها من اللبن ومنتجاته ، .. ففي عام ١٩٧٠ استوردت ٤١٢٥ طنا من الحليب السائل و ٩٩٥ طنا من مساحيق الالبان و ٢٢٤٤ طنا من الاجبان و ١٧٩٠ طنا من الزبد والسمن .. وبلغت قيمة هذه الواردات اكثر من ٣ ملايين دينار .

ادرار البقرة يتضاعف ٣ مرات

ولا تميل مراقبة الثروة الحيوانية في وزارة الاشغال ، الى تشجيع المواطنين على تربيـة الابقار والماعز والاغنام في الحظائر الملحقة بمنازلهم ، لانه من الصعب احاطة هـذه المواشي بالعناية اللازمة ، وضمان الشروط الصحية لها ، لان هذا يؤدى الى زيادة انتشار الذباب والروائح الكريهة ، وبالتالي انتاج لبن ملوث .

ولكن بالرغم من عدم الاقتناع هذا ، فان هذه المراقبة وفرت ٦ مراكز للتحسين الحيواني زودتها بثيران للابقار ، وتيوس للمعيز اصيلة منتجة .. وقد توصلوا الى تحسين نوعية الكثير من الابقار والمعيز المنزلية ، فزاد ادرار البقرة المهجنة المولودة من بقرة كويتية وثور اجنبي مختار ، زاد ثلاثة اضعاف اذا هو قورن بما كانت تدره البقرة غير المهجنة .

وهناك مشروع كبير ضخم لانشاء مركز لتجميع وتصنيع اللبن .. الهدف منه استلام اللبن من اصحاب المزارع المختلفة ، لبسترته وتعبئته وتوزيعه بمعرفة المركز ، حتى يتفرغ المزارع للانتاج فقط



ترتفع درجة الحرارة في الكويت الى درجة عالية جدا خلال اشهر الصيف ، فيزداد الاقبال على ناتجات الالبان المثلجة ، ومن بينها الايسكريم . الذى يبلغ الانتاج الشهرى لمصنع واحد منه نحو مليونى قطعة من مثل القطع التى نراها في الصورة .

مع العمل على تحسين نوع اللبن وزيادة كمية انتاجه .

انتحقيق هذا المشروع لا بد منه في كل بلد تكون فيه صناعة الالبان في اولى مراحلها .. وتأخذ الحكومات على عاتقها تنفيذ مثل هذا المشروع ، فهو مشروع غير مربح ماديا ، ولكنه سوف يحسن من نوعية اللبن ، ويقضي على ازدواجية انشاء مصانع الالبان في مختلف مرافق الدولة ، ويشجع الكثير من المواطنين على انشاء مزارع للالبان .. فيزداد الانتاج ونقل التكلفة على المزارع، وبالتالى ينخفض السعر الذى يدفعه المستهلك في الكويت لشراء اللبن الطازج ، والذى يصل حاليا الى رقم عال يبلغ ٢٠٠ فلس ثمنا للكيلو جرام الواحد .. في حين ان لتر اللبن الطازج يباع بسعر ٦٠ فلسا في بعض البلاد القريبة من الكويت .

اعادة النظر في المواصفات القياسية

وتحدثنا الى بعض اصحاب المصانع في الكويت فوجدناهم يصرخون من استمرار ارتفاع اسعار مساحيق الالبان في العالم ، فقد كانوا يشترون الطن بـ ٩٨ دينارا ، اما اليوم فيشترونه بنحو ١٩٨ دينارا ، فضلا عن التكاليف الباهظة التى يتحملونها نتيجة تكييف الهواء داخل المصنع حتى لا يتضرر الحليب .. كل هذا يدفعونه عن طيب خاطر دون رفع اسعار المنتوجات العديدة التى تخرجها مصانعهم . ولكن ما كاد قسم المواصفات القياسية بوزارة التجارة والصناعة ، يطالبهم بزيادة نسبة الدهن في بعض الاصناف التى ينتجونها ،حتى ثارت ثائرتهم وهددوا برفع الاسعار ، مما اضطر وزارة التجارة الى اعادة النظر في المواصفات القياسية التى وضعتها لصناعة الالبان.

مطلوب حماية الايسكريم

اما اصحاب مصانع الايسكريم الحديثة ـ وعددها اربعة في الكويت ـ فقد اصبح انتاجهم ينافس اجود الانواع الاجنبية ، وواحد من هذه المصانع فقط انتج نحو مليونى قطعة ايسكريم في شهر مايو الجارى ،اى ما يعادل ١١٤ الف لتر من الحليب والسوائل المختلفة ..

وينادي اصحاب هذه المصانع بضرورة حماية انتاجهم ، وذلك بوقف استيراد الايسكريم الوارد من الخارج .

ضم الادارات المبعثرة

لقد توصلت الكويت حاليا ، الى مرحلة متقدمة من التوسع الكبير في صناعة الالبان .. والوصول الى هذه المرحلة يتطلب الوقوف قليلا ، واعادة دراسة وضع هذه الصناعة ..

ويقترح الصناعيون العاملون فيها ، ضرورة ايجاد جهاز كبير يضم جميع المرافق ذات الصلة بصناعة الالبان ، والمتفرقة حاليا في مختلف الوزارات واجهزة الدولة مثل : مراقبة الثروة الحيوانية .. والطب البيطرى .. والتفتيش الصحى .. والمواصفات القياسية ، وينضم الى هذا الجهاز اصحاب مؤسسات الالبان .. وسوف يكون باستطاعة هذا الجهاز وضع الخطوط العريضة لنهضة هذه الصناعة الوليدة ، ومعالجة مختلف مشاكلها ، وانشاء مختبر كبير لاجراء الفحوص البكتريولوجية والكيماوية ، للتأكد من مطابقة الحليب المحلى ومنتجاته للمواصفات المطلوبة .

ان البلد الذى يبدأ التفكير في هذه المتطلبات بهذا الاسلوب الصريح ، لا بد ان يكون قد خطا خطوات كبيرة في مجال صناعة الالبان .. وهذا ما حدث في الكويت .. فقد بدأت الصناعات الصغيرة تتحول الى مؤسسات صناعية متطورة نشطة تعمل من اجل غذاء افضل .. ولبن اكثر لابناء الكويت .. ■■

سليم زبال



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

نقل الدم ..
هل يسبب أضرارا ؟!

● ما هي الاضرار التي من الممكن انتحدث من نقل دم لشخص مريض ؟! .

ـ ان هناك اضرارا ومضاعفات عدة من الممكن ان تحدث عند اعطاء مريض دما ، لذا كان من الواجب اعطاء الدم عند الحاجة اليه .

أولا : فى بعض الحالات يحدث ارتفاع فى درجة الحرارة، مع قشعريرة وصداع وشعور بالقىء ، وينتج ذلك عند اعطاء الدم بسرعة فى بادىء الأمر .

ثانيا : حساسيةضد الدم مع الشعور بضيق فى الصدر وطفح على الجلد وحكة .

ثالثا : هبـوط بالدورة الدمويـة والقلب ، اذا كانت حالة المريض اصلا لا تتحمل اعطاءه دما ولكنه فى احتياج شديد الى الدم كما هو الحال فى حالة هبوط القلب او فقر الدم الشديد .

ويستحسن فى هذه الحالة ان يعطى الدم على هيئة كرات دموية حمراء فقط ويجرى هذا ببطء .

رابعا : اذا كان الدم الذى يعطى اخذ من شخص كان قد اصيب بأمراض معدية مثل التهاب الكبد بفيروس أو الزهرى ، فانه ينقل هذه الأمراض الى المريض الذى اعطى الدم .

خامسا : اذا ترك الدم لفترة دون اعطاء وعرض للجو ودخلت فيه الميكروبات فان هذا يسبب تسمما للمريض ، لذا كان من الواجب الحرص كل الحرص على عدم تعرض الدم لأى تلوث قبل اعطائه .

من هذا يتضح حرصنا الحرص الشديد على ان نأخذ الدم من الاصحاء بعد فحصهم وخلوهم من الأمراض المعدية ـ وأن نلاحظ المريض الذى يعطى الدم بدقة ، حتى لا تحدث المضاعفات ، وأن يعطى الدم عند الحاجة فقط ، لا ان يعطى للتقوية كما يطلب البعض من الطبيب .



العشي الليلى • أسبابه وعلاجه

● ابني عمره ١٠ سنوات ، الاحظ انه لا يرى بوضوح فى الليل ، ويتعثر كثيرا في الاثاث ، عرضته على احد الاطباء ، فافاد بان الولد مصاب بالعشى الليلي ، فما هو ، وما العلاج؟

ـ العشى الليلي هو عدم الرؤية بوضوح اثناء الليل وفى الاماكن غير المضاءة جيدا ، ولكي نفهم كيف يحدث ، سوف اشرح باختصار شديد كيفية الرؤية الطبيعية ليلا . اذا تصورنا شمعة او لمبة مضيئة فى حجرة ، فان هذه اللمبة ترسل اشعة ضوئية تسقط على العين فتنكسر الحزم الضوئية على القرنية وتدخل من خلال البؤبؤ اى انسان العين . لتنكسر مرة اخرى على عدسة العين ثم تخرج منها لتسقط على الشبكية . تتكون الشبكية من عشر طبقات مختلفة احداها وهى التى تهمنا هنا تسمى طبقة المخاريط والقضبان Cones & Rods ، ويوجد بهذه الطبقة حوالي ١٢٠ مليون قضيب و ٦ مليون مخروط . اثناء الليل تسقط الاشعة الضوئية على القضبان التي تحتوى فى الجزء الخارجي منها على مادة ملونة تعرف باسم الرودوبسين Rhodopsin ، يحدث فى هذه المادة تحول ضوئي كيميائي ـ من اثر الضوء ـ ينتج عنه اثارة عصبية تمر بالاجزاء المختلفة للشبكية ومنها للعصب البصرى فالمخ ، حيث ندرك ان هناك ضوءا بواسطة المراكز الخاصة بالرؤية فى مؤخرة المخ . هذه المادة الملونة الرودوبسين تتكون من مادة بروتينية وفيتامين أ وهي تتكون تلقائيا وباستمرار من اتحادهما .

والعشى الليلي ينشأ اذا من احد امرين :

(١) اصابة القضبان بمرض يصيب الشبكية او يؤثر عليها .

(٢) نقص فيتامين أ اللازم لتكوين المادة الملونة .

(٣) ضيق البؤبؤ الشديد الذى يقلل من دخول الاشعة الضوئية .

العلاج يتطلب اولا معرفة السبب ، وفى الحالات التي تنشأ عن نقص فى فيتامين أ فان نتيجة العلاج مضمونة غالبا وضيق البؤبؤ « انسان العين » يعالج بتوسيعه بواسطة قطرات خاصة . اما الحالات الناتجة عن اصابة الشبكية او تأثرها بأمراض اخرى سواء بالعين نفسها ، أو امراض بالمخ ، او باجزاء اخرى بالجسم فالنتيجة تتوقف على السبب وامكانية علاجه عند الطبيب المختص .

الضغط المنخفض ماهو •• ؟!

● اعرف الكثير عن ارتفاع ضغط الدم ، وقال لى طبيبي ان عندى انخفاضا في ضغط الدم ، وان هذا هو سبب الدوار والاعياء اللذين اشكو منهما فما هو انخفاض ضغط الدم هذا ؟!

ـ يقال ان المريض عنده انخفاض فى ضغط الدم ، اذا قل عن المستوى الطبيعي ، واذا كان هذا الانخفاض يسبب اعراضا أو كان نتيجة لمرض فيعتبر هذا الضغط منخفضا بالنسبة للمريض . واسباب انخفاض الضغط

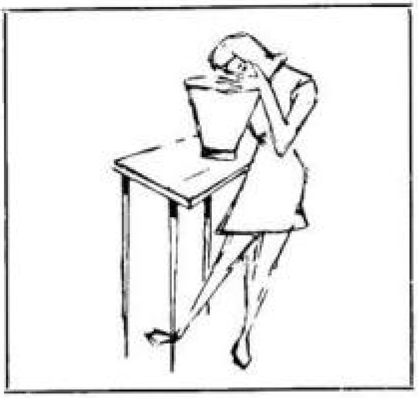
عديدة منها فقر الدم الشديد ، فقدان سوائل الجسم من غزارة العرق ـ أو القيء الشديد او الاسهال الشديد ـ ومرض ضمور الغدة الكظرية ـ أو اثناء النقاهة من مرض طال امده ـ او مرض مصحوب بضعف شديد. وهناك أشخاص ضغطهم ينخفض دون اعراض ويعتبر هذا طبيعيا بالنسبة لهم .

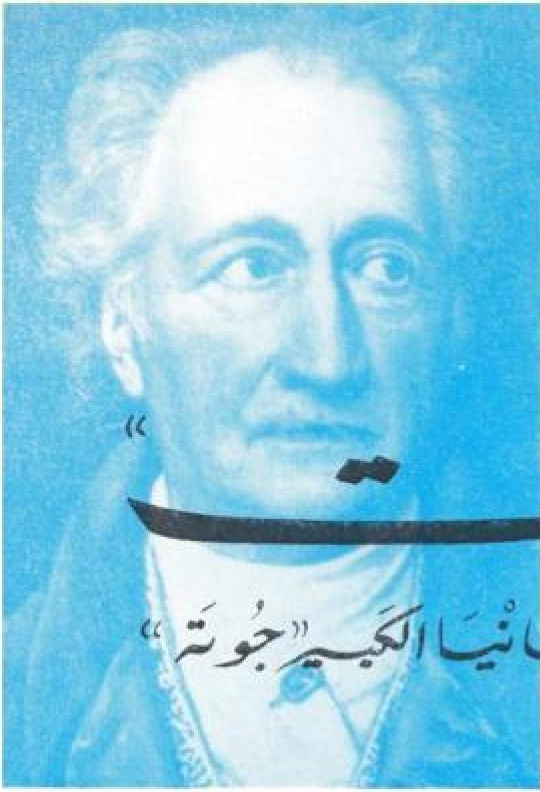
ويحس المصاب بدوار شديد ـ والشعور بانهاك عند قيامه بأي مجهود عضلى بسيط ـ وعدم القدرة على التركيز ـ والشعور بسواد امام العينين اذا وقف المصاب بسرعة من وضعه الأفقى ، والعلاج فى هذه الحالات هو علاج السبب مع اعطاء المقويات من فيتامينات ومركبات الحديد اذا كان ذلك يرجع الى فقر دم ، ثم اكل الطعام وبه ملح كثير لأن هذا يساعد على ارتفاع الضغط . وفى بعض الحالات تعطى مركبات لترفع الضغط مثل مركب بيركورتين Percorten وغيره حسب راى الطبيب .

القيء النفسى أو العصبى

● أنا شابة في العشرين من العمر ،اعاني من قيء يلازمني لفترة ثم يختفي ليعود ـ علما باني في صحة جيدة ، ولم ينقص وزني .

ـ هذا القيء الذى تشكين منه هو فى اغلب الظن من النوع الذى يحدث بعد تناول الطعام بفترة قصيرة ، ويخرج بعض الأكل بعد وصوله الى المعدة ، ولا يكون مصحوبا بألم ، ولا اعراض اضطرابات المعدة كالألم فى منطقة المعدة ، او الاحساس بحموضة . والملاحظ كذلك ان كمية الطعام التي يتقيأها المصاب اقل بكثير من التى يتناولها وهذا القيء كما تذكرين لا يؤثر على الوزن ، ولا يؤثر على الحالة العامة للمصاب به ، والسبب فى ذلك القيء هو الاضطرابات النفسية ، ولذا يسمى بالقيء النفسي او العصبي . Psychogenic Vomiting لذا كان من الواجب معرفة حالة المصابة والبعد كل البعد عما يساعد على اضطراب حالتها النفسية ـ ويساعدها فى ذلك اخذ المهدئات مثل الليبريوم Librium أو الفاليوم Valium وأقراص ستميتيل Stemetil تساعد على توقف هذا القيء وهذه يصفها الطبيب المعالج ، ويستحسن فى هذه الحالة ان تتناولى طعامك مفرقا كميات قليلة كل ساعتين او ثلاثة ولا تجلسي للوجبات العادية فى أوقاتها ولا تتأثرى بهذا الاضطراب ، فانه لا يضر الجسم ، ولتطمئن صاحبة السؤال فان هذا سينجلي بعد وقت باختفاء الاسباب النفسية التى تسببه .





ملحمة « فَوْست »

لشاعر المانيا الكبير « جُوتة »

بقلم : الدكتورة درية فهمى

استاذة الادب الفرنسي ـ بجامعة الاسكندرية سابقا

■ ما اعظم المكانة التى يتبوأها اسم « فوست » في تاريخ الفكر ! فمنذ بضعة قرون سطع هذا الاسم في كل مكان يصبو اليه النظر وتدفق من حروفه التى جمعتها يد القدر على بساط العالم انهار من البحوث المختلفة المتنوعة : فمن قصص شعبية ، الى مآس ومصنفات ادبية وموسيقية ، الى رسومات ونحوت ولوحات . فقد ملأ هذا الاسم من دور الكتب والمتاحف والمسارح الشيء الكثير . واذا نظرنا الى قائمة باسماء ما اوجده لرأينا ان هذه الشخصية وليدة الخيال كانت تشغل العقل البشرى اكثر مما شغله اعظم بطل من ابطال التاريخ . وان كانت « الكوميديا الالهية » في العصور الوسطى تعد احدى الروائع الادبية العالمية ، فكان حريا بالعالم الحديث ان يخلق لنفسه رائعة لا تقل عنها عظمة ومجدا . فكان منشأها في المانيا ما بين سنة ١٨١٨ وسنة ١٨٢٤ على يد شوبرت Schubert وجوشيل Goschel ودوب Daub وهنريش Hinrich وفي فرنسا على يد مدام دى ستال Me Destaël وفي انجلترا على يد كرلـيل Carlyle : ولم تلبث حلقة الدراسات والتحاليل تتسع شيئا فشيئا حتى اصبح اسمه وقد مر على انشائه اكثر من مائة عام محط الانظار وحديث الافواه .

وهذا الاسم مقرون باسم جوته يلازمه ملازمة وثيقة

مُقارنة بين أحداث فوست وأحداث جرت للشاعر جوته كل في حياته.

اذ انه ـ من بين الشخصيات المتعددة التى اوجدها خيال الشعراء في هذا الموضوع ، لا توجد شخصية اقوى من هذه التى صورها جوته ، واعمق اثرا في النفوس ، واشد وقعا في القلوب .

ولم يكن جوته عندما كتب روايته الشهيرة ليتصور حضارتنا الحديثة ولم يكن معاصروه الذين اعجبوا بهذه الرواية ليتصوروا منها شيئا . على ان بطله لم يزل يعيش بيننا عيشة ملؤها النشاط والحيوية كانه قد ولد بالأمس . فاننا نرى في فوست اليوم اكثر مما راى هؤلاء الذين عاشوا في عصره منذ اكثر من قرن . ومن يدرى ما ستكتشفه الاجيال المقبلة في هذه الشخصية من آيات وما سيكتبونه من تعليق حول هذا البطل بعد مرور خمسمائة او ستمائة عام عندما يتحدثون عنه كما نتحدث نحن الآن عن ابطال هوميروس الذين قضوا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولم يكتف فوست بان تتحدث عنه جميع الافواه بل ترجم الى شتى اللغات ولم يزل يترجم في كل ساعة بالحروف في القصائد ، وبالالوان في اللوحات ، وبالموسيقى في المقطوعات الموسيقية ، واصبحت امثاله وكانها تخرج من احشاء الانسانية نفسها . فقد قال « مفستوفليس » راس الشياطين وهو يهزا من زلة مرجريت « ليست هذه هى الاولى » . وقال ناقد عظيم « ان رواية فوست قد اصبحت ملكا للانسانية باسرها وليست ملكا لالمانيا بل هى تراث للعالم اجمع » .

اما عن نشاة هذه الرواية فقد كتب الشاعر برشدنا عن تاريخ ميلاد بطله فقال : « منذ اكثر من ستين عاما » . ولما كان هذا في عام ١٨٣٢ فرجعنا ذلك الى عام ١٧٧٢ حين كان جوته طالبا في الثالثة والعشرين من عمره . وكان حينئذ في مدينة ستراسبورج وقد حصل على درجة الدكتوراه حين نشات فكرة فوست في ذهنه واخذ يقيس من اول نظرة بناء قصيدته الخالدة .

وصف جوته « مرجريت » بقوله :

كان شعرها مسترسل الحلقات
فاخذت تنزل وهى غاضة الطرف
من الباب المقدس
ببساطة واناقة وسذاجة
وكانت تبدو آية في الجمال
مع شيء من الصلابة القوطية

فهاهى مرجريت تمر بنا فلنتامل فيها لحظة . كان جوته في آخر ايام اقامته في ستراسبورج يوبخ نفسه اشد التوبيخ : ان هذه الطفلة المتواضعة الوديعة قد هجرها شر هجرة وتخلى عنها . ولقد يبدو لنا بكل جلاء ما بين بطلة الماساة وابنة قسيس سنهيم من صلات وثيقة . فان الحادث وان لم يحدث ضجة او فضيحة قد تم بلا شك في المحيط الخلقى . ولم يكن جوته عندما ترك « فردريكا » ليجهل انه قد تركها وكانها ارملة حائرة بل كان يعلم تمام العلم ما كان ينتشل من قلبها من حب وما كان يترك

في نفسها من آلام فبعد ان غرس في قلب الفتاة البائسة حبا عميقا كان يحق لها ان تعتبره ابديا فها هو ذا يهجرها ويرحل عنها . « الوداع ايتها الصديقة . كفاني هذا الحب الساذج . دبري امرك كما تستطيعين » . يالها من قسوة وحشية ما لبثت ان اصبحت على مر السنين رمزا من الرموز ولم تلبث نتائجها الشديدة تظهر في ساعات الالهام جلية .

فقد بدأ فوست ايضا بمغازلة مرجريت ثم لم يلبث ان هجرها . وكان الغرام سببا أودى بحياة والدتها وحياة شقيقها وحياة ابنها . واخيرا اودى بحياتها هي ايضا . ولم يكن هذا الغرام في نظره الا عبارة عن مداعبة بسيطة للترفيه عن النفس .

ولقد كان مقتل الطفل موجودا في حادث سنهيم المحزن المفجع ، فلم يبق لجوته الا ان يترك الحرية لخياله حتى ينتقل من فردريكا الى مرجريت ففيهما تقاسيم الوجه نفسها ، والصفات الخلقية نفسها ، والطابع المسالم والميل الى المداعبات الساحرة .

جاء جوته الى ستراسبورج ، ابن اسرة عريقة ، يملاه الغرور والزهو ، واثقا من قدرته تمام الثقة ، لا حاجة له الى مساعدة اى شخص ليشق طريقه . فسوف يتعمق في شتى العلوم في الحقوق واللاهوت والطبيعة . فهو بعينه الدكتور فوست في نعومة اظفاره . وقد كان معتادا على احترام العادات ، ومراعاة التقاليد ، فها هو ذا عند وصوله الى هذه المدينة ومن اول وهلة يصطدم بشخصية غريبة شخصية « هردر » Herder . فاذا هو يشعر بانه امام قوة واثقة من نفسها ملمة بقدرتها امام سلطان لا يلين ولا يذعن ، امام ذكاء لا يستطيع ان يزيد عليه شيئا . اما هردر فعلى النقيض من ذلك قد اخذ من بادىء الامر يكشف امام عيني جوته آفاقا جديدة لم تكن لتخطر على بال تلميذه ولم يكن تلميذه ليستطيع ان يكشفها بمفرده وقد كشف له هذا كله ببساطة وبرود وسخرية لا تهدف الا الى الرد على شاب كان حتى ذلك الوقت لا يؤمن بتفوق انسان عليه .

وسيكون الشيطان (مفستوفليس) Maphistopheles ملما ايضا بغامض الاشياء يميط اللثام عن خفايا النفس امام فوست ، ويطوف به من ساحة الى ساحة ، ويكشف امامه لذات الحياة وكنوز هذه الانسانية البائسة ، فيهزأ بها ولا يجمع ما بين عظمتها وبؤسها الا ليدلل على ان الخير والشر هما شيء واحد ، وان هذا الرقم العظيم في نهاية الامر يتمخض عن لا شيء .

ولم يكن هناك ما يمنع جوته من ان يستخلص نتيجة هذا كله فقد شعر بشيء من الرهبة عندما رأى هذا الرجل الشيطان يقلب الافكار والآراء بجرأة فائقة كانها نقود ذهبية امتلات بها جيوبه ، فيرنها ويجعلها تسطع تحت اشعة الشمس ، ثم يلقي بها في آخر الامر كانها قطع من الفحم الاسود الحقير . فلم تكن بغيته الا اغواء النفوس وسلب ارادتها . فاذا ما استسلمت صادقة مخلصة ، اباد آمالها وافنى رجاءها . هذا هو التأثير الشيطاني الذى تركه في نفس جوته نقد هردر اللاذع الخالي من التحيز العديم الشفقة . فاين السبيل الى التخلص من رفيق ينفذ نظره الى اعماق النفس ويقرأ في خفايا الضمير الخير والشر ولا يهدف من وراء ذلك الى غرض ولا يطمع في شيء ما .

وهكذا نرى فوست يخضع الى مفستوفليس من اول وهلة ، ويوقع الميثاق بدمه . وبهذا يخضع الى سلطان عقل ارفع من عقله اكثر مما يستسلم له في سبيل الحصول على اللذات التي وعد بها . فهو يشعر بانه قد ضل السبيل اذا لم يستسلم . اما مفستوفليس فلا بغية له ولا هدف الا تعزيز سلطانه عليه فهو يخضع لفوست في كل ما يتعلق بسباق الحياة ، وفوست هو السيد ومفستوفليس الخادم المطيع . الاول يتمتع باللذات والثاني يحضرها له . وكل ما يحتفظ به الشيطان لنفسه هو ان يثبت في آخر الأمر بطريقة قاطعة انه ليس ثمة لذة تساوى الثمن الذى اشتراها به المرء .

ان صورة فوست هذه هى النتيجة الأخيرة لحياة خضعت لشتى التجارب وشتى العواصف

غير انه كان على جوته ان يخلقها ويخترعها اختراعا. وكان الشاعر قد وصل الى هذا الحد من اضطراباته النفسية حين طرأ له طارىء مفاجىء.

فقد وقف ذات يوم في ستراسبورج امام مسرح صغير للعرائس الصامتة، وكانت تمثل رواية الدكتور وست في صبغتها العامية القديمة. فكانت هي الشعاع المضيء امام عيني جوته. فلم تلبث هذه الصورة الغليظة ان اصبحت الآلة المحركة لخيلة الشاعر، فقد وجدت هذه الاحلام وهذه الافكار التي كانت تجيش بغير وضوح في ظلمة نفسه متنفسا الى ضوء النهار، واخذ ماضيه وحاضره ومستقبله يتهيأ امام عينيه على شكل هذه الاسطورة. واخذ هذا المنظر الصبياني يتحول الى فصول وصور لماساة عظيمة تموج بالحياة والرموز فكان سرا مضاعفا ونصرا مبينا! تخلص جوته من بؤس نفسه وتحرر من هذا العبء الثقيل الذي كان يئن تحته عبء الاشياء البغيضة والغرائز الرديئة التي ما كان يستطيع ان يتغلب عليها او يتخلص منها، ثم توج ماساته بخاتمة مطابقة لعقيدته المتوطدة، وهي ان الانسان يكفر عن نفسه بالعمل المتواصل.

وهذه هي الصورة الاخيرة ومغزى الرواية السامية.

اما عن الحجة الاولى فيمكننا ان نضيف اليها قصة فتاة عبث بها احد السحرة وطلب الى الشيطان مساعدته حتى ينجز ما صنع. فتدخل هنا جوته وجزأ عمل الرواية المؤثر المروع الى عدة فصول، ومزج الحقيقة بالرموز، وزين ما في الطبيعة من وحشية شنيعة باكاليل من الرومنتيكية حتى يصل الى تحقيق رسالته. ولم تكن هذه الرسالة مصبوغة بصبغة المانية ولا انجليزية ولا فرنسية ولا روسية ولا تركية ولا صينية ولا فارسية، ولكنها تتصل بجميع الشعوب وجميع الاجيال، فكان سر العبقرية في ذلك القدرة على ارضاء مختلف الجماهير التي تبغي الهزل والضحك والتي تميل الى التفكير والتامل. ثم كان يهدف من وراء هذا الارضاء الى ادراك الانسانية نفسها واثارة مشاعرها وتحريك قلوبها وتعليم عقولها وتهذيب نفوسها، وشغلها في كل وقت بحيث تكون الرواية تحفة وغذاء للخيال: هذه هي « فوست »!

وفوست كجميع الملاحم تحوى عددا كبيرا من الرموز، غير ان ابطالها اشخاص بشر يضطربون ويفكرون كما يضطرب ويفكر البشر، ولو احاطت بهم قوى خارقة للطبيعة. وهذا مما يجعل تلك الرواية التي هي رواية الحياة العقلية، مؤثرة الى هذا الحد، مثيرة الى هذا الحد، طبيعية الى هذا الحد.

من ذا الذي يصدق بعد ذلك ان رواية فوست التي حازت من الشهرة والانتشار هذا القسط لم تمثل على المسرح لأول مرة الا في عام ١٨٢٨ وكان ذلك بمناسبة الاحتفال ببلوغ مؤلفها الثمانين من عمره! على ان جوته كان يتوقع لروايته مستقبلا غير هذا اذ قال: « سوف ترون فرنسيا يستخلص منها مسرحية كبيرة ذات مناظر » وهو يقصد بذلك ماساة وأوبرا وباليه.

ولم يخطىء في ذلك. فقد جاء في سنة ١٩٤٠ موسيقى فرنسى عبقرى في العشرين من عمره يدعى شارل جونو Charles Gounyu ووطد العزم على تلحينها، ولم يثبط عزمه ما رأى من محاولات عديدة في هذا الموضوع، بل على العكس شجعه على ان يتابع تحقيق مشروعه وحثه على اتمامه. وقد كتب في مذكراته « لم يتركني هذا العمل لحظة بل رافقني في كل مكان فكنت اودع في مفكرات مبعثرة الافكار المختلفة التي كنت اراها جديرة بان تصلح يوم أعزم على الاقدام على مشروع الاوبرا. ولم يتحقق هذا المشروع الا بعد سبعة عشر عاما ».

والواقع ان أوبرا فوست كما نعرفها الآن لم تظهر الا في ١٨ مارس سنة ١٨٤٩ وقد تجاوز عدد المرات التي مثلت فيها ثلاثة الاف عرض في فرنسا وحدها. وهذا اعظم دليل على نجاح هذه الرواية الشهيرة الخالدة التي لم تعرف الاخفاق في أى وقت طوال هذا الزمن. ■■

درية فهمي

أنباء الطب والعلم والاختراع

ركاب الطائرات يتحملون الزائد في النفقات من اجل سلامتهم !!

● عندما ازدادت حركة النقل الجوى، وازداد اقبال الناس على السفر بالطائرات تردد الحديث عن احتمالات تخفيض اجور السفر بالطائرات نتيجة لزيادة عدد الركاب .

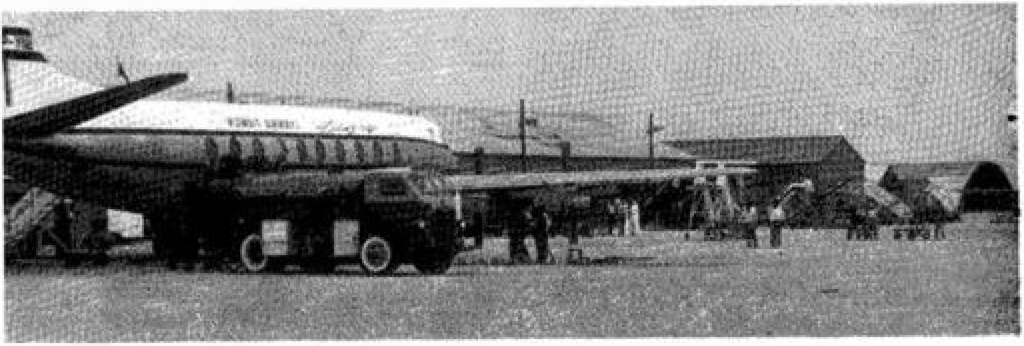
ولكن يبدو ان الحديث عن تخفيض اجور السفر قد اختفى الآن ليحل محله الحديث عن زيادة اجور السفر بسبب زيادة متطلبات الأمن والسلامة التي تطلبها الحكومات من شركات الطيران .. ويبدو ايضا ان الحديث عن زيادة اجور السفر بالطائرات قد تعدى مرحلة التفكير ليصبح امرا نافذا فقد قررت شركات الطيران العالمية زيادة اجور السفر ابتداء من اول نوفمبر القادم بنسبة ١٪ على الا تزيد هذه الزيادة عن ١٠ دولارات بالنسبة لكل مسافر وذلك لتغطية نفقات متطلبات سلامة الركاب .

وتتوقع شركات الطيران ان لا تكون هذه هي الزيادة الاخيرة في اسعار تذاكر السفر بالطائرات، وانما هي زيادة تتلوها زيادات اخرى على مدى السنوات القادمة.. ويتوقع المسئولون عن شركات الطيران .. ان تزيد نفقاتهم بنسبة النصف في العام القادم ثم تتضاعف ١٠ مرات خلال العشر السنوات القادمة .

ويقدر هؤلاء المسئولون انه من المتوقع ان يتضاعف عدد الذين يسافرون بالطائرات خلال هذه الفترة ايضا ، ونتيجة لهذا فان نسبة ما سيتحمله المسافرون بالطائرات من زيادة تكاليف متطلبات السلامة تصل الى حوالى ٥٪ وبحد اقصى لا يزيد على ٥٠ دولارا للمسافر الواحد بالنسبة للرحلات الطويلة .

وقد تخلت شركات الطيران الآن عن الفكرة التى تراودهم فى عدم تحميل المسافرين نفقات متطلبات السلامة وذلك لان هذه المتطلبات قد تطورت اخيرا بحيث اصبحت عملية معقدة باهظة التكاليف .

فقد تمت تحسينات كثيرة وهامة فى تنظيم حركة الطيران المتزايدة فوق شمال الاطلنطى كما تم انشاء نظام باهظ التكاليف للتحكم فى كافة عمليات الطيران التى تتم فى اوربا على مستوى اعلى من ٢٥ الف قدم . وهناك مشروعات مماثلة فى مختلف انحاء العالم لتنظيم حركة الطيران وخاصة فى المناطق التى تزداد فيها هذه الحركة باستمرار ، ومن اهم العمليات المتعلقة بسلامة الركاب عملية ارشاد الطائرة فى الجو ، وقد اصبحت هذه العملية التى كانت مقصورة على المناطق التى توجد فيها مطارات تشمل خط سير الطائرة فى رحلتها كلها ، حتى وهى تحلق فوق المحيطات او الاماكن غير المأهولة . وقد قررت الحكومات انها لا تستطيع تحمل نفقات هذه الخدمات المتزايدة والتى لا علاقة لها بارشاد



الطائرات عند عمليات الهبوط والاقلاع من المطارات . وتغطى الحكومات تكاليف عملية الارشاد هذه عن طريق الرسوم التى تحصلها من الطائرات عند هبوطها الى المطارات التابعة لها وهى تقدر بحوالى ٥٪ من التكاليف المباشرة للرحلة على شركات الطيران .

وبالرغم من ان تكاليف ارشاد الطائرات فى الجو ليست باهظة حتى اليوم الا ان شركات الطيران تتوقع ان تصل هذه التكاليف الى ٣٥ مليون دولار فى عام ١٩٨٠ وذلك لتنفيذ مشروعات الارشاد عن طريق الاقمار الصناعية والتى تغطى كافة اجواء العالم .

علماء البيئة يطالبون بالاقلال من الاعتماد على الشجر فى صناعة الورق حفظا لمظاهر الطبيعة الجميلة الخيرة

● يشن علماء البيئة فى امريكا حملة واسعة النطاق لتشجيع اعادة تصنيع الورق من اوراق الجرائد المستعملة واوراق الحسابات الالكترونية وغيرها من الورق المستعمل وذلك للتخفيض من استهلاك الاشجار فى هذه الصناعة والذى يهدد بازالة الكثير من الغابات فى العالم ، نتيجة للزيادة الكبيرة فى استهلاك الورق.

وقد بدأت حركة جمع الورق المستعمل تنشط نشاطا كبيرا فى الولايات المتحدة فى الآونة الاخيرة . ولكن فى نفس الوقت لا تزال هناك صعوبات كثيرة امام كثير من المشروعات التى قامت بجمع هذه الاوراق بغرض بيعها لمصانع الورق لاعادة تصنيعها من جديد . واهم هذه الصعوبات هو عدم اقبال الناس على شراء الورق المعاد تصنيعه ووجود مخزون كبير من لباب الاشجار لدى مصانع الورق ، وكذلك تواجد اغلب مصانع الورق الكبرى فى اماكن الغابات حيث تتوافر الاشجار وهى فى نفس الوقت بعيدة عن اماكن تجميع الاوراق المستهلكة ، وهناك ايضا عقبة اخرى وهى ان الاعفاءات الحكومية من الضرائب تجعل اسعار لباب الخشب ارخص تكلفة للمصانع من اسعار الورق المستعمل، على الاقل فى الوقت الحاضر.

ويتم الآن اعادة تصنيع ١٩ ٪ من انتاج الورق فى الولايات المتحدة ، فى حين ان هذه النسبة ترتفع فى اليابان الى حوالى ٤٥٪ وفى النمسا تصل الى ٣٥٪ بينما فى انجلترا الى ٢٥٪ فقط .

وقد دلت الاحصائيات على ان الورق المستعمل يكوّن حوالى نصف الفضلات التى تجمع فى مدينة متوسطة الحجم . وربع هذه الاوراق غالبا ما يكون من ورق الجرائد . ولما كان من الصعب فصل انواع الورق الاخرى مثل ورق اللف وغيره عن بقية أنواع الفضلات الاخرى فى حين ان من السهل على اية ربة بيت ان تضع اوراق الجرائد التى تستغنى عنها فى مكان منفصل عن بقية الفضلات ، فقد اصبح لورق الجرائد الاهمية الاولى

بالنسبة لسوق الاوراق المستعملة بغرض اعادة تصنيعها .

وقد بدات الحكومات المحلية فى عدد من المدن الامريكية بحث السكان على وضع أوراق الجرائد المستغنى عنها فى اماكن منفصلة عن أماكن الفضلات الاخرى وذلك بغرض تجميعها وبيعها لمصانع الورق حيث يعاد تصنيعها، وقد نجحت الحكومة المحلية فى مدينة ماديسون بولاية ويسكونسين فى ان تجعل سكان المدينة يضمون جرائدهم القديمة فى اماكن معينة للورق المستعمل حيث يقوم عمال النظافة بجمعها ووضعها فى اماكن مخصصة لها فى عربات جمع الفضلات . وقد وصلت نسبة ما يجمع من ورق الجرائد المباعة هناك الى ٤٠٪ وهى ضعف النسبة العامة للولايات المتحدة ككل . وفى مدينة ارفنجتون Irvington ، بولاية نيوجيرسى سنت الحكومة المحلية قانونا يحتم على سكان المدينة وضع الجرائد المستعملة فى اماكن اخرى غير اماكن الفضلات وذلك مرة كل شهر حيث تقوم الجمعيات الخيرية بجمعها وبيعها لمصانع الورق . وقد وصل سعر بيع طن الورق المستعمل حوالى ٥ دولارات للطن الواحد تنخفض فى بعض الحالات الى ٣ دولارات للطن .

وقد نجح علماء البيئة اخيرا فى اقناع بعض الحكومات المحلية فى الولايات المتحدة وبعض الشركات على الاقبال على شراء الورق المعاد تصنيعه ونتيجة لذلك قامت حكومة مدينة نيويورك بتغيير المواصفات الخاصة بالورق الذى تشتريه وقررت ان يكون ٢٠٪ من هذا الورق من النوع المعاد تصنيعه . وقام بنك امريكا ايضا بالاهتمام بحركة اعادة تصنيع الورق وتأثيرها الاقتصادى وقام باصدار تقرير سنوى عن اقتصاديات الورق المستعمل واعادة تصنيعه ووزع هذا التقرير فى مظروف من ورق معاد تصنيعه .

ويقول رجال صناعة الورق ان جودة الورق تعتمد على طول الباف لب الشجر وان الورق الجيد يصنع عن طريق معالجة لب الخشب بالكيماويات حتى يحتفظ بطول اليافه، ولكن ورق الجرائد والورق المقوى والكرتون يصنع بطريقة ميكانيكية تؤدى الى تكسير الالياف ، ولذا كان من السهل استخدام اى نوع من الورق المستعمل لانتاج ورق الجرائد والورق المقوى ، فى حين ان انتاج الورق الجيد

السمان
يأكلون بحكم الطبع
أكثر من النحاف

● هكذا يتراءى للباحثين ، ان السمان خلقوا ، بحكم طبعهم ، ليأكلوا اكثر من غيرهم من سائر الناس .

وقد اجريت تجارب كثيرة ظهر منها ان السمان اقل استجابة لأحاسيس الجوع والشبع الداخلية من النحاف ، وانهم اكثر استجابة وتأثرا بمجرد وجود الطعام وحضوره بين ايديهم .

وظهر كذلك ان السمان يأكلون من الشطائر اكثر من الشخص العادى اذا كانت هذه الشطائر على المائدة امامهم مباشرة . وانهم يأكلون اقل من الشخص العادى اذا وجب عليهم القيام الى هذه الشطائر والحصول عليها من الثلاجة وهى فى الناحية الاخرى من الحجرة .

كذلك يأكل السمان من اللوز الشيء



يحتاج الى نوع معين من الورق المستعمل وهو الورق ذو الالياف الطويلة .

ويضيف رجال صناعة الورق ان ورق الجرائد المستعمل يحتاج الى عملية ازالة الحبر اذا كان المطلوب اعادة تصنيعه ليستعمل من جديد فى الصحف وهي عملية مكلفة وتؤدى الى تلوث البيئة ايضا .

وبالرغم من ان الورق المعاد تصنيعه يمكن ان يكون فى نفس بياض الورق المصنوع من لب الخشب الا انه لا يكون بنفس اللمعان ويمكن للعين المدققة ان تجد فيه بعض البقع .

وتستهلك الصحف فى الولايات المتحدة حوالى ١٣٪ من مجموع انتاج الورق الكلى ، وحتى عام ١٩٦١ كان هذا الاستهلاك مقصورا على الورق المصنع من لباب الشجر ، ولكن فى عام ١٩٧١ اصبح الورق المعاد تصنيعه يمثل ٥٪ من استهلاك الصحف للورق . ويتوقع رجال الصناعة ان لا تزيد هذه النسبة بأى حال من الاحوال عن ١٠٪ من مجموع استهلاك الصحف فى المستقبل وهذا يعنى ان اعادة تصنيع الورق لا يجب ان تعتمد على الصحف كمستهلك رئيسى لمثل هذا النوع من الورق .

ويقول المختصون ان مستقبل اعادة تصنيع الورق قد يعتمد كليا على ورق التغليف والعلب الورقية التى تباع فيها البضائع . ويقوم علماء البيئة الآن بتشجيع الجمهور على الاقبال على شراء البضائع المغلفة او المعلبة باوراق معاد تصنيعها وذلك عن طريق وضع شعار معين على هذه العلب او الاغلفة لتشجيع محبي الطبيعة على شراء الاصناف المعلبة بالورق المعاد تصنيعه . ويتوقع الكثيرون ان تؤدى هذه الطريقة الى تشجيع بقية الشركات على استعمال الورق المعاد تصنيعه فى تعليب وتغليف منتجاتها وبذلك يتحقق النجاح المرجو فى المحافظة على الثروة الخضراء التى يهددها الفناء نتيجة الاستهلاك الضخم للورق فى عصرنا الحاضر . وهكذا يعمل رجال البيئة على الاحتفاظ بما تهبه الطبيعة للانسان من غابات ومزارع وانتجة اخرى كثيرة برية وبحرية تنبه الانسان آخر الدهر الى ضرورة المحافظة عليها قبل ان يصيبها الفناء .

الكثير ، اذا وضع أمامهم وهو مقشور . أما اذا وضع غير مقشور ، ووجب على الآكل تقشيره ، فالنحاف يأكلون الأكثر .

وظهر من التجارب ايضا ان السمان اكثر تأثرا برائحة الطعام وبطعمه .

والرجل العادى يأكل من الطعام حتى يشبع ، أما الرجل السمين فيأكل اكثر من ذلك اذا هو أحب الطعام ، ولا يكاد يأكل شيئا اذا هو لم يحب طعامه .

واجرى علماء فى جامعة ييل Yale تجاربهم على أطفال رُضَّع ، فوجدوا مثل ما وجدوا فى البالغين السمان . الأطفال تأكل من الطعام المحلى أكثر من النحاف . واذا استخدموا حلمة لا يخرج اللبن منها بسهولة ، رضع منها النحاف اكثر مما يرضع السمان ، لأن النحاف تبذل فى سحب اللبن مجهودا أكبر .

وظهر للعلماء كذلك ، فى تجارب الأطفال ، ان الاناث منهم اكثر استجابة لمذاق الطعام من الذكور .

والخلاصة من كل هذا هي ان شهوة الطعام عند بعضنا تحكمها أولا واساسا حاجة التغذية القائمة فى الجسم ، بينا هي عند البعض الآخر يحكمها النظر الى الطعام وتحلب الريق لمرآه .

والنصيحة المستخرجة من ذلك هي واجب من يريد ان يخفف من وزنه ان يبتعد ما أمكنه عن النظر الى الاطعمة المغرية ، وينأى عن روائحها الفاتنة .



لمن تتجمل المرأة وتتزين

■ من هي المرأة الجميلة؟
■ الرجل وكيف ينظر إلى الموضة والأزياء الحديثة !
■ سحر المرأة .. وماذا قالوا فيه !!

■ هل اصبحت المرأة « عبدة » لملوك الازياء .. هؤلاء الذين يتحكمون في طريقة ملبسها وفي تجميل وجهها ، وتسريحة شعرها ؟

ولمن تلبس المرأة ؟ هل تتجمل وتتزين لنفسها ،ام لرجلها ، ام لانها تريد ان تفاخر بين بنات جنسها ، بما تظهر به امامهن من أزياء جديدةفاخرة في عالم الازياء والموضة الحديثة ؟

وأخيرا من هي المرأة الجميلة .. وهل هيحقيقة في حاجة الى كل هذا الجهد الكبير والمال الكثير الذى تبذله عن طيب خاطر ، لكى تبدوجميلة فتثير اهتمام الرجل واعجابه ؟

كانت هذه الاسئلة موضوع بحث اجراه بعضعلماء النفس في محاولة لفهم عقلية المرأة ، لا سيما الحديثة ، والعوامل التى تتحكم في اسلوب تفكيرهاوطريقة اختيارها لملابسها وزينتها ؟

الازياء والموضــة

قالوا ، ان عالم الموضة والازياء فتن المـرأة وسَحَرَها ، وضاعف من حيرتها ازاء مشكلة من اعقد المشاكل التى تعاني منها المراة ايا كانت في كل مكان وزمان .. الا وهي مشـكلة العنايـة بملبسها ومظهرها ، فقد دلت الاحصائيات ان ربع ميزانية الاسرة على الاقل ، مهما بلغ عدد افراد هذه الاسرة ، يضيع شهريا في شراء الجديد من الأزياء وادوات التجميل والزينة ، لا للزوجـة فحسب ، بل ولاطفالها ايضا من الاناث ، ابتداء من السنة الثانية من اعمارهن ، فما فوق !

تجارة رائجة

ونتيجة لذلك ، فقد ثبت ان اروج تجارة في العالم ، هي تلك التى تتصل بكل ما تلبسه المراة وتتزين به وتتجمل ، في مختلف اطوار حياتها ، ابتداء من الطفولة عند سن السادسة او ما دونها ، حتى سن الزواج ، وما بعده بسنوات طويلة .. ففستان المراة هو السلعة الوحيدة التى تعود على التاجر بربح مؤكد ولا يخسر فيها أبدا .. فالمراة وحدها ، دون الرجل ، هي التى تدفع دائما ، وتدفع بسخاء في كل شيء جديد وجميل يثـير اعجابها مهما بلغ ثمنه !

رجل يحكى تجربته

روى احـد العلماء الذين اشتركوا في هـذا البحث ، وهو جون براونJohn Brown، تجربته مع زوجته التى انقضى على زواجه بها اكثر من خمسة عشر عاما ، قال : « كان ذلك في احد ايام الربيع ، عندما عدت الى بيتى في المساء متعبا ، بعد يوم من العمل طويل ، ولم تكن زوجتي في البيت لتستقبلنى ، كما عودتنى دائما ، اما ابناؤنا الثلاثة ، فقد كانوا مشغولين عنى ، بمشاهـدة التلفاز ! » .

ولم اشا أن ازعجهم ، فذهبت الى غرفة مكتبي في هدوء ، وغصت في مقعدى الوثير المفضل ، ثم مددت يدى ، واخذت كتابا ، رحت اقرا فيـه ريثما تعود زوجتي من الخارج ، لتعد لنا طعام العشاء ، وكنت امنى النفس بوجبة دسمة في تلك الليلة !

« وانقضت ساعة أو ساعتان ، لا أدرى ، قبل ان اسمع صوت المفتاح يدور في قفل الباب .. لقد وصلت زوجتي أخيرا ، وسمعت هرجا ومرجا .. لقد كان الابناء يتصايحون ، وادركت على الفور ان شيئا غير عادى يجرى في الخارج ، والا فما سر هذه الضحكات العالية التى تدوى في ارجاء البيت .. ! » .

ما رأيك ياعزيزى ؟

« وقمت من مقعدى ، استطلع الامر ، واذا بى امام المفاجاة وجها لوجه .. زوجتي تقف في وسط صالة البيت ، ومن حولها ابناؤها الثلاثة ، وكانها في زفة ، وقد راحوا يتسابقون في ترديد كلمات الاطراء والاعجاب بأمهم ، ولو ان كلماتهم لم تخل من خبث بدا واضحا فى عيونهم ، وهم يتطلعون اليها في دهشة ! .

« واخيرا ، احست زوجتي بقدومى ، فاقتربت منى ، ثم دارت على عقبيها ، قبل ان توجه الي السؤال الذىكنت اتوقعه : « ما رأيك ياعزيزى؟»».

والحق ، اننى كدت لا اعرفها .. لقد تحولت زوجتي في تلك الليلة الى امراة اخرى ، غير تلك التى عرفتها وعشت معها .. حقيقة ، لم يكن هذا اول عهدى بمثل هذا التغيير الذى كان يطرا عليها ، بين الحين والحين في بداية كل موسم جديد ، ولكنها فى هذه المرة كانت غريبة تماما في كل ما اختارته لنفسها .. شعرها الذى رفعته فوق راسها ، وقد تلون بخطوط ذهبية وفضية .. ورموش عينيها السوداء الجميلة ، تحـولت بقدرة قـادر الـى رمـوش خضـراء .. حتى شفتـاها الجميلتان ، لم تتركهما على حالهما ، فاختارت اللون القرمزى لهما طلاء .. نفس اللون الـذى اختارته لفستانها ، ذلك الثوب الذى اخفت فيه جسمها كله ، من العنق حتى الى ما فوق القدمين بقليل .. وقد تركته واسعا فضفاضا ، اشبـه بالقميص الذى ترتديه عند النوم ! ؟

ورحت انطلع اليها طويلا ، والابناء الخبثاء من حولنا ينتظرون في تحفز ، اجابتى على السؤال الذى طرَحَتْه علي امهم منذ لحظات قصيرة ، عندما ارادت ان تعرف رأيي فيما فعَلَته براسها ووجهها وفستانها ؟!

ماذا صنعت بنفسك ؟

« ولكنني خيبت املهم ، فلم اجبها ، وانما سالتها بدوري : « ماذا صنعت بنفسك ياعزيزتي ؟ » .

فالت : « الا ترى .. ؟ انها الموضة ياحبيبي ! لقد امضيت اربع ساعات كاملة انتقل بين دور الازياء ، وصالونات التجميل ، لكي ابدو لك في هذا المظهر الجميل .. قل لي شيئا ، اي شيء ! » .

« وقلت ، انت تعلمين تماما انني تزوجتك بدون « رتوش » ، هل تذكرين لقاءنا الاول ، لقد كنت فتاة صغيرة جميلة ترتدين فستانا انيقا بسيطا .. هذه هي الصورة التي مازلت احملها لك في مخيلتي دائما .. انت لست في حاجة لكي تفعلي بنفسك كل هذا الذي فعلته ، لكي تؤكدي لي انك مازلت جميلة ، ولكن مادامت هذه « الموضة » تعجبك ، فهي تعجبني ايضا !! » .

لمن تتجمل المراة

ترى لمن تلبس المراة وتتجمل اذن ؟

لقد عبر هذا الزوج عما يشعر به ملايين الازواج في العالم ، ازاء هذا البحر الذي تكاد المراة تغرق فيه دون ان تدرى ، او لعلها تدرى ، فهي تسعى اليه بقدميها ، وتعرف مقدار ما يتكلفه الانسياق في هذا التيار الجارف من جهد ومال ! فالمراة لا تقف متفرجة ابدا .. !

ان المراة ، كما يؤكد العلماء ، تلبس وتتزين ، لترضى انوثتها اولا ، ولكنها في نفس الوقت تريد ان تسمع رأى رجلها في كل ما تصنعه بوجهها وشعرها وملابسها ، وويل للرجل الذي لا يعرف كيف يرضى هذه النزعة في امرأته !! فهي تريد ان تسمع منه دائما انها تبدو جميلة فعلا ، حتى لو كان يرى ان فستانها الجديد او تسريحة شعرها او طريقة وضعها للماكياج على وجهها لا تلائمها !

النزعة للتفاخر !

ولكن ثبت ايضا بعد دراسة لنفسية المراة ومزاجها ، انها لا تتزين من اجل نفسها ومن اجل رجلها فقط ، وانما هي تتجمل وتتزين وتحرص على الظهور في افخر الازياء واحدثها ، لكي تباهي وتفاخر بين صديقاتها ومعارفها من النساء .. فرغبة المراة في سماع كلمات الاعجاب من جانب زوجها ، لاتقل عن رغبتها في انتزاع عبارات الاطراء من شفاه غيرها من النساء ، عندما تقف وسطهن ، وتحس بتلك النظرات التي يرمقنها بها والتي تمتلىء بالغيرة والحسد !

على ان هذه النزعة تختلف من امراة الى اخرى. فالنساء ليسوا سواء ، والمراة الجميلة التي حباها الله قدرا كبيرا من الجمال ، لا تهتم كثيرا بتجميل وجهها وزينتها ، ذلك لانها تعرف انها جميلة ، بينما نجد ان المراة المتوسطة الجمال اكثر حرصا على العناية دائما بمظهرها وتجميل وجهها ، من اختها الجميلة ، اما اكثرهن حرصا على الاطلاق فهي تلك التي لم يكن لها نصيب من الجمال كبير ، فهي تريد ان تعوّض هذا النقص ، بكل ما من شانه ان يضفي عليها مسحة من جمال تفتقر اليه !

الثقافة والتعليم !

ثم هناك بعد ذلك ، عوامل اخرى لها اثرها في مسلك المراة ، وفي طريقة اختيارها لملابسها وظهورها امام الناس .. وفي مقدمة هذه العوامل، الثقافة والتعليم ، ومدى ما كان لها من نصيب منهما .. فالمراة المتعلمة المثقفة ، اقل اهتماما بالازياء الجديدة والموضة الحديثة ، واخر الصيحات التي تظهر في طريقة تسريح الشعر ووضع الماكياج .. لانها تدرك ان هناك صفات اخرى كثيرة اهم من المظهر الخارجي ، وهي اكبر اثرا في جذب رجلها اليها .

ثم هي تدرك ايضا ان في الحياة اشياء كثيرة اخرى ، اهم بكثير من مجرد التطلع الى صورة



جميلة فاتنة .. فطريقة حديثها مثلا ، ومعالجتها لامور الحياة ، ثم شخصيتها ، كل هذه صفات ابقى واعمق اثرا في نفس الرجل من اية صفة اخرى تتصل اتصالا مباشرا بلون عيني المراة او تسريحة شعرها او فستانها الجميل ..

البساطة في الجمال

ولكن ليس معنى هذا ، ان مثل هذه المراة المثقفة ، تهمل نفسها ، وتهمل في العناية بمظهرها ، ولكن معناه انها تختار من متع الحياة، ابسطها .. والبساطة في كل شيء ، حتى في ازياء المراة ، سر من اسرار جمالها ، ونجاحها في الحياة ..

يقول الباحثون ، ان انوثة المراة وذكاءها ، هما اول شيء يشد الرجل اليها ، حقيقة ان الجمال في المراة شيء يبحث عنه الرجل ، وهو يستوقفه حتما ، ولكنه لا يلبث ان ينصرف عنه اذا وجد انه ليس هناك اى شيء آخر وراء هذه الصورة الجميلة التى اثارت اعجابه ، فلا يلبث ان ينصرف عنها ..

الاطار .. والصورة

ان الوجه الجميل ، لا يعدو ان يكون مجرد اطار لصورة لم تتضح ملامحها بعد في عين الرجل .. وهذه الصورة لا تكتمل الا اذا صاحبتها صفات اخرى لا تقل اهمية عن الجمال نفسه ، فشخصية المراة ، وانوثتها ، وثقافتها وطريقة حديثها ، كل هذه ، كما قدمنا ، عوامل تلعب دورا رئيسيا في تحديد الصورة التى يريد الرجل ان يتبين ملامحها ، داخل الاطار الذى استوقفه واثار اعجابه ..

غير ان هناك عاملا آخر ، يلعب دورا رئيسيا في تاثير المراة على الرجل ، وهو يتلخص في كلمة واحدة هى « سحر » المراة ، وقد حار العلماء في تفسير معنى هذا السحر واسبابه ، ولعل في المعنى الظاهر لهذه الكلمة ما يحير . فهم يقولون ان هذه المراة ساحرة ؟ ولكن لماذا هى ساحرة ؟ فهذا هو السؤال الذى حار الرجال انفسهم في تفسير اسبابه ..

سحر المراة

ان الجمال في حد ذاته مسالة نسبية ، ومعاييره تتغير من بلد الى بلد ، ومن زمن الى زمن ، ومن جيل الى جيل ، فهى عند آبائنا غيرها عند ابناء هذا الجيل ، والجمال عند اهل الاسكيمو ، يختلف عن الجمال عند سكان منطقة خط الاستواء .. ومع ذلك ظهرت نساء « ساحرات » ، نقلت كتب التاريخ قصصا ، هى اقرب الى الاساطير عن غرام الرجال بهن !

هذا « السحر » الذى وصفه لامارتين Lamartin ، شاعر الحب والجمال : « انه اشبه بالزهرة المتفتحة في الربيع ، فاذا كانت المراة هذه الزهرة ، فهى امراة ساحرة ، ليست في حاجة بعد ذلك لاية صفات اخرى تؤكد بها شخصيتها».

اين يكمن سحر المراة ، هل هو في جمالها ؟ هل هو في ذكائها ؟ هل هو في حديثها ؟ هل هو في ابتساماتها ؟ انه في كل هذه الصفات وفي كثير من صفات اخرى غيرها ، ولكن الثابت انه ليس هناك رجل واحد استطاع ان يحدد بالضبط موطن السحر في امراته .. كل ما يعرفه هو ان هذه المراة قد سحرته وكفى !

قال الشاعر الانجليزى روبرت براونتج Robert Browning (١٨١٢ ـ ١٨٨٩) يصف سحر المراة : « انه اجمل مستحضرات التجميل ،ولكنه شيء لا يباع ، انه غلالة رقيقة تلف المراة لفا ، ولكن احدا لا يعرف اين بدات ، ولا الى اين تنتهى .. انه وسادة ناعمة .. انه صوت رقيق هادىء .. انه الحنان المتدفق .. انه تلك الابتسامة الجميلة التى تضفى على كل من حولها، وما حولها عذوبة وجمالا .. ثم هو في النهاية صوت رقيق اذا سمعته مرة ، وددت لو انك عشت معه الى الابد ! » .

قال ابراهام لنكولن : « ان سحر المراة ، ليس فقط فيما وهبته لها الحياة ، وانما هو فيما قدمته هى لهذه الحياة .. فالمراة الساحرة هى تلك التى تعطى اكثر مما تاخذ ! » .

قال برناردشو : « لقد سحرتنى هذه المراة .. ولكننى لا اعرف لماذا استطاعت هى بالذات ان تصنع بى ما صنعت ، كل ما اعرفه هو اننى قد وجدت فيها شيئا ، لا ادرى ما هو على وجه التحديد .. وقد جعلنى هذا الشىء اسعد عندما افكر فيها ، واحس بقلبى يكاد يقفز من ضلوعى عندما اراها ، واشعر بعد ذلك ان من المستحيل ان انتزع صورتها من رأسى ! » .

منير نصيف

العِلاجُ النَّفْسِيّ بَيْنَ القَدِيمِ وَالحَدِيث أَنْواعٌ عِدَّة

ينتقي مِنْها المُعالج أَفضل الطُرق لِمَرْضاه

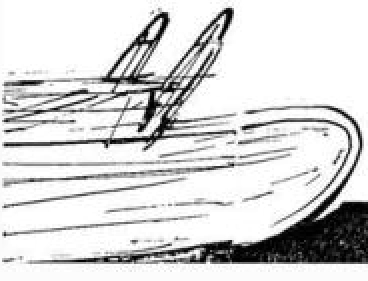
بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ قال المفكر (ترودو) Trudeau ان العلاج النفسي يشفى المريض « أحيانا » ، ويخفف عنه « غالبا » ، ويريحه « دوما » . وهو تعريف موجز وبليغ وشامل لحقيقة ما يجرى في العلاج النفسي في عصرنا هذا .

واذا كان علم النفس المرضي والامراض العقلية Psychopathology & Psychiatry علما حديثا قصير التاريخ ، فان الطب النفسانى Psychological Medicine ممارسة بشرية عريقة جدا ترمى الى التخفيف عن آلام ومعاناة الانسان من جراء شتى الظروف القاسية والملابسات المؤلمة . وكان الطبيب البارع في العصور الغابرة يمارس شتى فروع الاختصاصات الطبية المعاصرة من جراحة وطب باطنى ، ومن بينها العلاج بالطرق النفسانية ايضا . والقصص الطريفة التى تروى عن ابن سينا والرازى وغيرهم ، وعن افانينهم النفسية لشفاء بعض الامراض النفسية ، لا تزال تصلح امثلة مفيدة للطب النفسانى الحديث .

وما نود ان نؤكد عليه ، هو ان محاولة الانسان للتخفيف والترويح عن الازمات النفسية لاخيه الانسان ، ما هى بالحقيقة الا « معالجات نفسية » بالمفهوم الحديث . ونصائح الاصدقاء ، ومؤاساة الاقارب ، وايحاءات وتشجيعات رجال الدين وعقلاء الجماعة ، هى امثلة قديمة وحديثة ومبسطة للعلاج النفسي .

ولم يصبح العلاج النفسي Psychotherapy فناً خاصاً مستقلا بذاته تمارسه جماعة من الاطباء والمتخصصين الا في أواخر القرن التاسع عشر وذلك عندما برز علم النفس وانسلخ عن أمه « الفلسفة » دون رضاها ، ليشق له طريقا آخر مستهديا بالعلوم الطبيعية الاخرى ، ومبتكرا لنفسه الابحاث والنظريات .



لا علاج بدون نظرية

وطبيعي ان العلاج ـ اى علاج ـ يجب ان يستند على طبيعة الاسباب . والعلاج النفسي القديم يختلف عن العلاج الحديث في نظرته الى مسببات الاضطراب النفسي والى كيفية ازالة او تعطيل تلك المسببات . لذلك نجد البون الشاسع بين العلاج النفسي الحديث والعلاج البدائي والقديم . كان الانسان البدائي يعتقد ان المرض النفسي ينتج عن « حلول » ارواح شريرة فيه ، او عن اصابته بمفعول « لعنة » سلطها عليه اعداؤه او احد افراد القبيلة المجاورة لقبيلته . واقتضى المنطق حينذاك ان يكون العلاج « بطرد » الروح الشريرة وابطال اللعنة السحرية . ويتولى كاهن الجماعة او الطبيب الساحر او الشامان Shaman تلك المهمة ، ويلجأ الى استخدام الوسائل البدائية العديدة لشفاء المريض ، كتقديم القرابين والرقص الشعائرى واحتساء العقاقير ومنقوع الاعشاب الطبية الغريبة . ولا تزال آثار تلك الوسائل الخرافية موجودة الى يومنا هذا في مجتمعات بدائية متفرقة من المعمورة ، وكذلك بين الطبقات الجاهلة من المجتمعات والدول النامية .

ويطول المقال لو تتبعنا كل وسيلة علاجية نفسية قديمة وأسسها الفلسفية والنظرية ، ولكننا نستنتج بان العلاج النفسي يستند ويرتكز على ارضية من نظرية او فكرة تفسر طبيعة وسبب المرض النفسي . والنظرية الخرافية تتبع علاجا خرافيا ، والنظرية الروحية تتبع علاجا روحيا .. وهكذا ، الى ان نكون قد وصلنا الى دور مدارس علم النفس المعاصرة .

ويحق للمفكر والمثقف ان يستغرب من اصطلاح « مدارس » علم النفس ، اذ سيدرك فورا ان وجود المدارس يعني بطبيعة الحال اختلافا في تفسير المرض النفسي واسبابه ، وهذا ما يجب ان نعترف به شئنا ام ابينا . فالمرض النفسي لا يزال معضلة فكرية وعلمية وفلسفية قيد البحث والتنقيب والجدل . الا ان شيئا واحدا يتفق عليه الجميع ، هو ان المرض النفسي يختلف كثيرا عن المرض العضوى ، وانه يمتاز ب : (القلق الدائم او الاضطراب الفكرى ، والشعور بعدم الاستقرار او الامان ، وبسلوك لا يرضي الذات او لا يرضي الغير ، وانه نتيجة ازمات وعقبات داخلية او تجارب وأساليب غير موفقة في مواجهة الحياة أو الاشخاص او الجماعات) . ولا شك ان الطفولة التعيسة والتربية الخاطئة في الحياة العامة والتوجيه الجنسي والفكرى والعاطفى والعادات السيئة الاولية تحتل الحصة الكبيرة في التمهيد للوقوع في مشاكل وازمات وعواصف المستقبل النفسية .

وتركز كل مدرسة نفسية على ناحية او بضعة نواح من هذه المؤثرات وتهمل الاخرى . اى ان لكل مدرسة نظرية خاصة في العقل والحياة والسلوك . وعلاجها النفسي مستمد من تلك النظرة . وستتبين الفوارق والخصائص لتلك المدارس من خلال استعراضنا لخطط علاجاتها النفسية .



طبيعة العلاج النفسي الحديث

بتطور العلوم الانسانية والحيانية ، انتبه الانسان الى انالمرض النفسي يجب ان يكون موضع البحث والنهج العلمي ، وان تتفقد مسبباته في الفرد او الجماعة او المحيط ـ كما بينا ـ وانه يجب ان يعالج ايضا باسلوب علمي واخلاقي وانساني يخلو من الدجل والخرافة ويرفضالعنف والقسوة . وهذه هي مزايا العلاجات النفسية الحديثة .

والخاصية المهمة الاخرى للعلاج النفسي هي استخدامه الكلمات والافعال والاتصال الروحي او العاطفي الانساني في تحقيق عملية الشفاء دون اللجوء الى الادوية والعقاقير او الى الادوات التكنولوجية والطبية الاخرى التي يعتمد عليها الطب الجسماني المعروف .

وقد كان مفهوم العلاج النفسي في الحضارات العريقة انه : كل وسيلة نفسانية لعلاج الامراض سواء كانت عضوية ام نفسية ، كما يتجلى ذلك في تعاليم ابوقراط وفي علاجات مشاهير الاطباء العرب . ثم اصبح مفهوم العلاج النفسي مقتصرا على علاج الامراض النفسية بالوسائل النفسية فقط . واخيرا ، ومنذ الخمسينات من هذا القرن استرجع العلاج النفسي شيئا من مفهومه القديم ـ اي علاج شتى الامراض بالوسائل النفسية ـ ولا يعني هذا انه يمكن معالجة السرطان او التدرن الرئوي مثلا بالتحليل النفسي ! لكنه يعنيان النظرة الحديثة لعلم النفس تعتبر الانسان وحدة كاملةمن نفس وجسم ، وان كل اضطراب نفسي ناشيء عن اسباب نفسية خالصة او عضوية يمكن ان يعالج نفسيا . فالمصاب بالتدرن او السرطان قد يعاني بالاضافة الى آفته العضوية من الغم والقلق او الميل الى الانتحار نتيجة ادراكه لحالته الخطيرة ، وعندئذ يلعب العلاج النفسي دوره بالطبع بالاضافة الى العلاج العضوي الخاص .

الا ان النسبة العظمى من العلاجات النفسية الحديثة تقتصر على مكافحة الامراض النفسية ، كما ان العلاج النفسي يقوم بدور خطير ايضا في معالجة الامراض النفسانية الجسمانية (السايكوسوماتية) Psychosomatic Diseases كالربو والقرحة المعدية والضعف الجنسي وبعض الامراض الجلدية ، الخ . ومن كل ما تقدم ، يمكننا تعريف العلاج النفسي بانه : « كل مجهود فردي او جماعي يرمي الى تخفيف الام ومعاناة واضطرابات النفس التي تنتاب الحالة العقلية والعاطفية للانسان وتؤثر في سلوكه ، بالوسائل النفسية فقط » . ومن التعريف هذا ندرك ان هنالك نوعين من العلاجات النفسية : ١ ـ العلاج النفسي الفردي Individual Psychotherapy والذي يجري بين المعالج الواحد والمريض الواحد. ٢ ـ والعلاج الجماعي Group Psychotherapy وهو الذي يجري بين مجموعة من المرضي سوية ومعالج واحد او اكثر .

التحليل النفسي والعلاج النفسي

من الضروري ايضاح غموض ورفع التباس دارج وهو اعتبار العلاج النفسي مرادفا للتحليل النفسي Psychoanalysis ، وهذا غير صحيح . فمنذ ان حل الانشقاق الكبير بين فرويد Freud ويونج Jung وادلر Adler الذين كانوا يعملون سوية كفريق متميز عن بقية اتجاهات علم النفس ،تبعت ذلك مرحلة جديدة اخرى بظهور تلامذة علماء طوروا النظرية الفرويدية ـ بالتنقيب والتشذيب والاضافة ـ وهم الذين اطلق عليهم جماعة (الفرويديون الجدد) Neo-Freudians . كما دخلت العلوم الاجتماعية والانسانية الاخرى في ميدان علم النفس ، وظهر علم النفس الاجتماعي Social Psychology ، وعلم النفس الانثروبولوجي Psychological Anthropology ، وتطورت السلوكية التقليدية لواتسون Watsons' Behaviorism تطورا جذريا،واصبحتالعلاجات النفسية بطبيعة الحال عديدة ومتباينة ، وبقيت الطريقة الوحيدة للتحليل النفسي الكلاسيكي او الفرويدي كما هي ودعيت بالعلاج النفسي للاعماق Depth Psychotherapy او التحليل النفسي فقط Psychonalysis ، ودعيت الطرق الاخرى للتحليل النفسي التي لا تتناول اعماق الذات ولا تتوغل الى مدى بعيد من الماضي السحيق بالتحليل النفسي السطحي Superficial

Psychotherapy ، هذا بالاضافة الى عدة وسائل اخرى سنعددها باختصار ووضوح. وعليه، فالتحليل النفسي اذن واحد من مجموعة كبيرة لوسائل العلاج النفسي .

انواع العلاجات النفسية

١ ــ التحليل النفسي (الفرويدي) Freudian Psychoanalysis ، وهي الطريقة الشاقة الطويلة التي ابتكرها فرويد ، والتي تستغرق اشهرا طويلة وتجاوز السنة الى الثلاث سنوات. المريض يستلقي على اريكة في غرفة العلاج . ويترك العنان لافكاره .. ويجول في ماضيه وحاضره .. ويحكي احلامه الليلية . اما المحلل فيمهد له الطريق بتوجيه وتعليق مبطن وتفسير غير مباشر ، الى أن يكتشف المريض تدريجيا القوى الخفية المكبوتة في عقله الباطن ويطلع على اسرار غرائزه الجامحة وميوله الغامضة واسباب اتخاذه السلوك المعين . ويعتقد الفرويديون ان مجرد اطلاع المريض على ما يدور في لاشعوره من عقد ونوازع مكبوتة ــ واغلبها جنسية الطابع ــ هي الخطوة الحاسمة نحو الشفاء . التحليل النفسي من هذا النوع قليل الاستعمال ويقتصر على حالات خاصة منتخبة لما تتطلبه من جهد ووقت وتكاليف مادية .

٢ ــ التحليل النفسي اليونجي (نسبة للعلامة يونج) ، وتدعى الـ Analytical Therapy وهو يشابه التحليل النفسي للاعماق باعتماده على تداعي الكلمات والافكار وتسلسلها الحر Free Association ، ويرمي الى الكشف عن عالم اللاشعور ، لكنه لا يعتبر ان الجنس هو مصدر الازمات والاضطرابات النفسية ــ كما يعتقد فرويد ــ بل كل ما في الحياة من مطالب روحية وحياتية ، وكذلك المطالب والغرائز السلالية للجنس البشري باجمعه Archaic Unconscious وليس للفرد الواحد .

٣ ــ التحليل النفسي الادلري (نسبة للعلامة ادلر) ، وهو لا يكترث باللاشعور والعقل الباطن، ويؤمن بان القوى المحركة للسلوك البشري تكمن في نزوعه الى تاكيد الذات وسطوتها وبروزها . والعلاج النفسي الادلري يحاول ان يكشف للمريض ميوله واتجاهاته التي يريد بها ــ من طرف خفي ــ ان يعوض Compensate عن شعوره بالنقص Inferiority Feeling ، وبذا يدرك المريض سر سلوكه الحالي واضطرابه النفسي. وتحتل هذه الطريقة اهمية في الولايات المتحدة الامريكية .

٤ ــ العلاج النفسي السطحي (او الخفيف) Superficial Psychotherapy ، وهو اي علاج نفسي لا يحاول نبش اعماق اللاشعور او الاهتمام بكل دقائق النزعات الذاتية ، بل يتقصد الاستعراض العام والسريع لابرز علامات وحوادث حياة المريض العاطفية ومساعدته على استيعابها وحلها . وتشتمل العلاجات النفسية السطحية على وسائل مختلفة اقتطفها وانتخبها علماء النفس كاجتهاد خاص بهم او بمدارسهم الفرعية ، وهي :

أ ــ العلاج النفسي الارشادي Traditional Counselling ، وهي الطريقة التقليدية باسداء النصائح والارشادات التي يراها الطبيب النفساني (او الصديق او الحكيم في الماضي) مناسبة لحالة المريض بعد دراسته . وهي وسيلة محدودة الفعالية في اغلب الاحيان ، لانه لا يكفي ان تنصح المقامر مثلا على ترك المقامرة لمضارها المعروفة ، بل ان تشرح له سر العوامل التي ادت به الى هذا المصير والى كيفية التخلص منها .

ب ــ العلاج النفسي القسري Coercive Technique ، وهي اشبه ما تكون بسابقتها ، اذ يلجأ المعالج الى الارشاد والتوعية « الحازمة » للمريض مثلما ينصح الاب ابناءه احيانا . وللطريقة هذه مزاياها في حالات معينة فقط لدى الاشخاص الذين يحبون الخضوع والانقياد . وفيما عدا ذلك فهي عقيمة كسابقتها .

ج ــ العلاج التوجيهي المرتكز على المريض Client-Centered Counselling وهي الطريقة التي ابتكرها النفساني الامريكي روجرز Rogers . وتتلخص في ان يقوم المريض بالجزء الاكبر من الحديث والتعبير عن افكاره ، بينما يقوم المعالج بدور الموجه الثانوي والتفسير الضروري جدا غير المباشر ، الى ان يتوصلا الى لب المعضلة ويكون المريض قد اكتسب معرفة اوسع لنفسه وبنفسه .

د ــ العلاج النفسي الايضاحي: Interprative Psychotherapy ، وهنا يزداد تدخل المعالج في التوجيه الى حدود الشرح والايضاح والتوعية ،

وذلك من خلال اعترافات وتصريحات المريض .

هـ ـ العلاج النفسي الايحائي Suggestive Psychotherapy ، ويزداد الدور الايجابي للمعالج فيتدخل في توجيه المريض بايحاء الافكار الصحيحة الى ذهنه .

م ـ العلاج النفسي الاسترخائي Relaxation Therapy ، وهنا يهيأ للمريض جو من الهدوء التام والضوء الخافت والاسترخاء والانعزال عن العالم الخارجي بالاضافة الى الايحاء والارشاد . وتستخدم بعض المراكز النفسية الحمامات والامواج الكهربائية المنومة لتحقيق استرخاء اكثر مما لا يعد علاجا نفسيا صرفا .

ن ـ العلاج بالموسيقى Music Therapy ، وهي ليست طريقة خاصة ومستقلة بذاتها ، بل انها وسيلة اضافية لتحقيق الاسترخاء والبعد عن العالم الخارجي وبذلك تكون الموسيقى مفتاحا الى تقبل الايحاء والتوصل الى الصفاء والهدوء .

٥ ـ العلاج باللعب : Play Therapy ، وهي الطريقة المفضلة لعلاج الاطفال . فالتفاهم مع الاطفال عملية عسيرة ، وقد يعجز الكلام عن ايصال وايضاح الافكار والانفعالات ، بل ان بعض الاطفال يحجمون عن الكلام امام الطبيب النفساني . لذلك ابتكر بعض علماء النفس طريقة اللعب في غرف وقاعات خاصة معدة لهذا الغرض . ويترك الطفل ليلعب بشتى الادوات مع نفسه او بالاشتراك مع غيره من الاطفال المرضى . ومن خلال العابه وسلوكه مع مواد اللعب او بقية الاطفال ، ومن نوعية اجاباته على بعض الاسئلة التى يلقيها المعالج « عرضا » وبتمعد ، يمكن تكوين فكرة تقريبية عن اسباب مرضه وكيفية علاجه .

٦ ـ العلاج النفسي التمثيلي (السايكودراما) : Psychodrama ، وهي الطريقة التي ابتكرها النفساني الايطالي (مورينو) Moreno ، واصبحت الوسيلة المتبعة في مراكز متعددة للعلاج النفسي في العالم . فبدلا من الحديث والتحليل النفسي بالكلام، يطلب من المريض ان يقوم بتمثيل ادوار معينة في تمثيليات آنية أو مهياة سابقا بالاشتراك مع مرضى آخرين . ومن خلال تقمصه الادوار « المريضة » والانفعالات والاحاديث المتبادلة تتجلى دفائن الافكار والمشاكل والاسباب الخفية . وقد يسند الدور المعاكس الى المريض لتحقيق هذه الغاية . فمثلا يقوم الزوج بدور الزوجة والعكس بالعكس ، وعندئذ تصبح التمثيلية سجلا مثيرا لانفعالات غير متوقعة وتزيح الستار عن اسباب الخلاف العائلي .. الخ .

٧ ـ العلاج بالتنويم المغناطيسي : Hypnotism اذ يستخدم التنويم المغناطيسي كوسيلة للحصول على اعترافات وللكشف عن سرائر النفوس التي قد لا يجرؤ المريض على الافضاء بها وهو في كامل وعيه . كذلك يمكن ايحاء الافكار الصحيحة اليه وهو نائم .

٨ ـ الاستعانة بالعقاقير المهلوسة Hallucinogenic Drugs يعجز المريض ويتوقف عقله عن التحرر من اسار الخجل والتردد اثناء التحليل النفسي ، وتنجح بعض العقاقير المصنوعة حديثا في فك عقدة لسانه والاسراع بالتصريح عن كوامن افكاره ـ اي باثارة تداعي الافكار الحر مما يصبح اشبه بالهلوسة . واشهر عقار استخدم لهذا الغرض هو (ل.سي.دي.) L.S.D. . وهذه هي بداية تاريخ الـ ل.س.دي. ، الا ان تسربه الى السوق السوداء واستغلال المفسدين جعله في متناول الشباب المنحرفين والمجرمين واصبح في عداد المخدرات الخطرة لما يحدثه في الجهاز العصبي من تحولات خيالية غريبة .

٩ ـ العلاج النفسي السلوكي : Behaviour Therapy ، وهي الوسيلة التي تختلف تماما عما ذكرناه آنفا من وسائل علاجية . وهي تعتمد على نظرية السلوكيين القدامى والمحدثين والقائلة ان المرض النفسي مجرد « عادة خاطئة » تعلمها الانسان في ظروف حياته . فالعلاج السلوكي يحاول تبديل السلوك بازالة العادة السيئة او التعويض عنها بتثبيطها وابطال مفعولها . ويستعين السلوكيون لتحقيق هذا التحويل بالايحاء المتكرر والمصحوب بالادوية او الآلات الكهربائية لتنفير المريض من عادته وتحويله عنها . ولذلك فان العلاج السلوكي لا يعد علاجا نفسيا خالصا لعدم اعتماده على الكلمات والاتصال العاطفي بين المعالج والمريض . ولم يثبت نجاحه في كل الحالات المرضية ، لكنه يبشر بالنجاح

في علاج امراض الادمان على المخدرات والانحرافات الجنسية .

١٠ ـ العلاج النفسي الوجودي Existential Psychotherapy ، وهي طريقة حديثة مستمدة من الفلسفة الوجودية . وهنا يكون دور المعالج الوجودي اكثر فعالية من كل الطرق السابقة ، اذ لا يكتفي بالتعليق على « الهامش » اثناء الجلسات العلاجية ، بل ان من واجبه ان « يتقمص » Empathy موقف المريض ليفهمه ويشاركه انفعالاته ويساعده على توسيع افق رؤياه وتمديد ابعاد الانفعال الوجودي فيه . ولا غرابة في ذلك ، لان علم النفس الوجودي Ontological Psychology يقول بان المرض النفسي هو « موقف انفعالي » تجاه الوجود والعدم ، وهو بالاحرى ليس مرضا مستقلا بل تحولا وجوديا .

١١ ـ العلاج الديني Religious Therapy : الشفاء الروحي الديني قديم جدا ، وعنصره النفساني لا ريب فيه. فالاعتراف والنصح والتوجيه والعطف والمحبة تدخل الامن والطمانينة على النفوس . ولذلك ادخلت بعض المستشفيات العقلية معابد او مُصَلّيَات داخل المستشفى لتيسير أداء الشعائر الدينية مصحوبة بالايحاء والتشجيع .

١٢ ـ العلاج النفسي الجماعي Group Psychotherapy : في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولتجمع اعداد غفيرة من المرضى النفسيين من المحاربين او المدنيين ، فكر بعض علماء النفس بجمع اكثر من مريض في محل واحد لتطبيق مهام العلاجات النفسية الانفة الذكر : من ايحاء واسترخاء وارشاد ورياضة . ثم اصبح العلاج الجماعي فنا خاصا واسلوبا متميزا لعلاج امراض نفسية متعددة . ويجتمع من ٧ الى ١٢ مريضا في قاعة ، ويشاركهم الجلسة الطبيب المعالج وبعض مساعديه . ويفتتح حديثا في موضوع ما ويطلب من المجتمعين ابداء آرائهم وتعليقاتهم . وتلتحم المناقشات .. ولا يبدي المعالج نشاطا مباشرا الا في ادارة دفة النقاش عند الضرورة للحث على الاستمرار او لابداء تعليقات مثيرة ومفيدة وتطوعية . المريض وسط تلك الجماعة يرتبط بعلاقات انسانية جديدة، ويدخل في رحلة استكشاف لذاته ولغيره بالاحتكاك الفكري والعاطفي عند تكرر الجلسات . وبهذه الطريقة تبدلت مواقف وافكار وسلوك المدمنين والمجرمين والمقامرين والمنحرفين جنسيا، واستعادوا ثقتهم بالذات او بالغير او بالمجتمع .. وتحقق شعورهم بالانتماء وبالمسئولية .

الصفات المشتركة العامة للعلاجات النفسية

من كل ما استعرضنا من وسائل علاجية ، نستطيع ان نجمع صفات مشتركة واتجاهات متجانسة بينها نعددها فيما يلي :

١ ـ ان العلاج النفسي هو عملية اعادة تربية وتطوير عاطفي للمريض ..

٢ او اعادة تثقيف ..

٣ ـ او اعادة توعية وتبصير بالحقائق الحياتية وكيفية مجابهتها بالاسلوب الصحيح ..

٤ ـ او اعادة الثقة المفقودة بالنفس او تقويتها واسترجاعها ..

٥ ـ رفع المعنويات وترويض المخاوف وتهدئة القلق .

٦ ـ ادخال الشعور بالطمانينة والامن والراحة النفسية .

٧ ـ جعل الانسان عضوا مفيدا وعنصرا حيويا في اسرته او محل عمله او مجتمعه ، بعد ان كان يشعر بالشذوذ والغربة ، او يتصرف بالانحراف ويسلك طريق الاجرام .

٨ ـ ان الثقة المتبادلة ، وايمان المريض بمعالجه وبسلامة الوسيلة العلاجية وعامل العاطفة تلعب دورها في انجاح العلاج ، او على العكس ، في فشله اذا لم تتوفر تلك الشروط .

وختاما

فان العلاج النفسي محاولة جادة لانقاذ الانسان من الامه ومشاكله ، وتيسير حياة مستساغة له ولغيره من الناس .. وان هذه الوسائل المختلفة تقتطف وتنتقى من كل مدرسة نفسية ما تعتقده مفيدا لمرضاها . وقد تتبدل وتتطور هذه الوسائل في المستقبل، وقد تصبح نسيا منسيا اذا ما ظهرت وسائل احدث وانفذ مفعولا . والانسانية تتطلع دوما الى الاحسن والاكفا . ■■

فخري الدباغ
موصل ـ الجمهورية العراقية



(تولستوى يكتشف الحب)

● ليو تولستوى Leo Tolstov كاتب روسيا الكبير (١٨٢٨ ـ ١٩١٠)، يروون عنه انه امضى سنى شبابه يبحث عن المعنى الحقيقى للحياة ، حتى اذا ما بلغ منتصف العمر تصور انه قد وجد الاجابة اخيرا على السؤال الذى ظل يلح عليه فى شبابه ، فكان يعكس ما يعتمل فى داخله من صراع تجلى فى قصته الخالدة «حرب وسلام» War & Peace . سألوه، ماذا وجدت ؟

قال : « لقد اكتشفت ان خير ما اودعه الله فى قلوب خلقه ، انما هو الحب ! » .

عاش تولستوى بعد اكتشافه هذا ثلاثين عاما ، يبشر بهذه الرسالة التى آمن بها .. ومن خلال اعماله ، ومن خلال شخصيته وحياته الخاصة، استطاع ان ينقل رسالته الى كل الذين عرفوه او التقوا به على صفحات كتبه !

كان تولستوى يعرف انه دميم الوجه، فكان يتساءل : « كيف يمكن لرجل مثلى، له هذا الانف العريض ، وهاتان الشفتان الغليظتان والعينان الرماديتان الباهتتان الصغيرتان ، ان يجد السعادة على هذه الارض ! » .

وعندما قرر ان يطلق لحيته ، كان يتصور انها قد تنجح فى تحويل انظار الناس عن وجهه ، ولكنها على النقيض من ذلك ، فقد زادتهم تشبثا بالنظر الى عينيه بصفة خاصة .

قال مكسيم جوركى صديقه وزميل صباه يصف وجه تولستوى فى صورته الجديدة : « لقد ازداد شبها بالفلاحين .. ولكن عينيه الرماديتين الصغيرتين بقيتا كما هما تشعان هذا البريق الغريب .. لقد كنت اجد فيهما الف معنى ومعنى .. وكثيرا ما كانت عيناه تعبران عما يعتمل فى صدر هذا الرجل العظيم من معان خالدة ! » .

ليو تولستوى



نيوتن .. وجاذبية المرأة

● جلس نيوتن Newton (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧) العالم الشهير مكتشف قانون الجاذبية ، جلس يوما بجوار احدى السيدات فى مادبة عشاء اقيمت تكريما له ، وفجاة سألته السيدة : « قل لى يا مستر نيوتن ، كيف استطعت ان تصل الى اكتشافك هذا ؟ » .

وقال العالم الكبير فى هدوء : « المسالة فى غاية البساطة .. لقد كنت اقضى جانبا من وقتى كل يوم افكر فى هذه الظاهرة الغريبة التى تدفع الاشياء الى السقوط على الارض .. ان التفكير وحده يا سيدتى هو الذى هدانى فى النهاية الى هذا الاكتشاف ! » .

وقالت السيدة : « ولكننى اقضى ساعات طويلة من يومى ، افكر ، وافكر ، وبالرغم من ذلك لم استطع ان اكتشف شيئا » .

وقال نيوتن يسألها : « وفيم كنت تفكرين يا سيدتى » ..

قالت : « فى زوجى الذى هجرنى ، وانفصل عنى بالطلاق ! » .

نيوتن : « وهل كنت تفكرين فى زوجك بعد الطلاق ام قبله ؟ » .

قالت : « بعد طلاقنا طبعا ! » .

وهنا نظر اليها العالم الكبير ، وقال : « لو ان تفكيرك فى زوجك يا سيدتى كان قبل الطلاق ، لاستطعت ان تكتشفى انت ايضا قانونا للجاذبية من نوع آخر ! .. » .

(العلم المثالي !)

● سير ديزموند مكارثى Sir Desmond MaCarthy الصحفى والناقد الفنى البريطانى الشهير (١٨٧٧ ــ ١٩٥٢) كتب يوما يفسر اسباب تدهور الاخلاق ، حتى فى اكثر المجتمعات تحضرا ، قال : « مسكين هذا الانسان .. فلو انه استطاع ان يطور قلبه بنفس السرعة التى تطورت بها الاختراعات الجديدة التى ابتكرها بعقله وصممها بيديه خلال القرن الاخير من الزمان ، لكنا اليوم نعيش فى عالم مثالى .. ولكن المأساة تكمن فى ان هؤلاء المخترعين لم يهتموا يوما بتغيير معدن الناس . نريد رجالا يكرسون حياتهم للون جديد من المخترعات .. اختراع وسائل لبث المثل العليا فى نفوس البشر !

اسحاق نيوتن



السعداء بين البشر

شيء واحد اعرفه ، هو ان السعداء حقيقة بين البشر ، هم هؤلاء الذين سعوا الى المعرفة ، وعرفوا فى النهاية كيف يكرسون حياتهم لخدمة البشرية وخيرها .

« البرت شفيتزر »

بين الدول المتقدمة والدول في مجال التعاون

بقلم: الدكتور السيد ابو النجا
رئيس مجلس ادارة المركز العربي للبحوث والادارة في القاهرة

■ اذاعت وكالة رويتر منذ أسابيع تحقيقا مثيراعن الانفجار السكاني في الدول النامية تضمن حقائق بالغة الخطورة ، منها أن سكان العالم سيصلون الى اكثر من سبعة آلاف مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ وهذا العدد ضعف العدد الحالي . واذا كان سكان افريقيا الآن ٣٦٥ مليون نسمة فانهم سيصبحون في آخر هذا القرن ٦٥٠ مليونا .

والاحصائية التي اذيعت عن زيادة السكان في مصر تثير القلق ايضا ، فقد بلغ عدد السكان ٣٤ مليونا اى بزيادة مليون في ١٥ شهرا بمعدل طفل كل ٤٠ ثانية !

وفي اليابان تم تحديد النسل بصورة مثالية فانخفض المعدل الى ١٫٧ في الألف ، على حين تم تعقيم ملايين الرجال في الهند بعد أن اغرتهم الحكومة بمنح كل منهم راديو ترانزستور مجانا ، ومع ذلك فالزيادة السكانية لا تزال رهيبة جدا .

ان العلماء يريدون حلا سريعا يتالف من تعاطي حبوب منع الحمل ومن مساعدة الشعوب المتقدمة للشعوب النامية على رفع معدل التنمية فيها .

طريق التقدم

كان هناك اعتقاد بان الدول الفقيرة هي التى ليس لديها موارد طبيعية ، وبان الدول الغنية هي التى لديها الخصب في أراضيها ، والمياه في انهارها ، والمعادن في مناجمها . وكنا نتعلم في المدارس ان الدولة لا يمكن ان تصبح صناعية الا اذا كان فيها فحم وحديد .

ثم قامت اليابان من غير موارد طبيعية تقريبا ، ولكن بمادتين خطيرتين هما « الارادة » و « التنظيم » لقد جعلت العالم كله موردا لما تحتاج اليه من مواد أولية تختار انسبها باحسن الاسعار ، معتمدة في ذلك على أسطول بحرى ضخم . وجعلت العالم كله مرة أخرى سوقا كبيرا يشترى مصنوعاتها ، ثم زادت معدل التنمية عندها سنة بعد اخرى بالفرق بين أسعار الشراء وأسعار البيع حتى وصلت بهذا المعدل الى ١١٪ وهو أعلى معدل اليوم في العالم.

لقد كانت هذه الدولة منذ ثلاثين عاما فقط من الدول المتخلفة ، فاصبحت اليوم في مقدمة الدول المتقدمة !

صورة عن التخلف

هناك شبه اتفاق عام على أن الدول التى يقل دخل الفرد فيها عن ٥٠٠ دولار في العام تعد متخلفة ، أو بلغة العصر نامية او متنامية . ويزيد عدد هذه الدول في العالم على مائة دولة . ومعظم دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية هي من هذه

المتخلفة العالمي

الدول . وبعضها ذو كثافة سكانية كبيرة كالهند التي يبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٠ مليون نسمة ، وبعضها فارغ مثل « جامبيا » التي يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف .

والعالم المتخلف يمثل ٦٦٪ من سكان العالم ، ولا ينتج الا ٥ر١٢٪ من جملة انتاجه . على حين يمثل العالم المتقدم ٣٤٪ فقط من سكان العالم وينتج ٥ر٨٧٪ من جملة انتاجه !

لقد بدأت هذه المفارقة تظهر منذ مائتي سنة تقريبا حين بدأ النمو الصناعي يتصاعد في انجلترا بصورة سريعة . وفي القرن التاسع عشر امتد هذا النمو الى أوروبا وأمريكا الشمالية ، ثم الى كندا واستراليا واليابان ، مما أدى الى مضاعفة الدخل سبع مرات خلال هذا القرن ، فحدثت تغيرات هائلة في مستويات المعيشة . على أن بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية وافريقيا حققت تقدما اقتصاديا ملحوظا في الفترة ما بين ١٨٨٠ – ١٩١٣ نظرا للتوسع السريع في التجارة العالمية ، وانتقال رؤوس الاموال التي كانت حرة خلال هذه الفترة. ثم جاء الركود النسبي في التجارة العالمية بعد عام ١٩١٣ وأحدثت الحربان العالميتان تقلبات كثيرة جاء بعدها الكساد العظيم بين عامي ١٩٢٩–١٩٣١.

وبعد الحرب العالمية الثانية حصلت ستون دولة جديدة على استقلالها السياسي فانفصلت باقتصادياتها مع قليل من رأس المال والخبرة ، وكثير من الجهل، بالتعقيدات الصناعية والتجارية. وادى التقدم التكنى الى زيادة كبيرة في معدل تقادم الآلات والمعدات التي تستوردها الدول المتخلفة من الدول المتقدمة ، ثم انكمشت أسواق التصدير في وجه المواد الاولية التي تنتجها البلاد



النامية نتيجة اكتشاف بدائل عنها من الالياف الصناعية الرخيصة . كل ذلك مع ارتفاع حاد في معدل النمو السكانى وضيق في امكانيات العمالة والهجرة .

ومع ذلك فقد استطاعت الدول المتخلفة في مجموعها أن ترفع انتاجها من السلع والخدمات بنسبة ٨ر٤٪ في المتوسط سنويا بين ١٩٥٠ و ١٩٦٧ ويعد هذا المعدل أسرع من المعدلات التى حققتها الدول المتقدمة في سنواتها الاولى . الا أن معدل النمو السكاني في الدول المتخلفة قد أوقف معدل زيادة دخل الفرد عند ٢ أو ٢ ١/٢٪ سنويا . ولم تستطع الدول المتخلفة أن تدخل سوق المنافسة في بيع السلع الرأسمالية نتيجة للقروض الهائلة المتوسطة الاجل والطويلة الاجل التى كانت تقدمها الدول المتقدمة للدول التى تشترى منها هذه السلع كما أن عجز الدول المتخلفة عن تدبير العملات الاجنبية لم يمكنها من اعطاء التسهيلات اللازمة للمشترين .

شركاء في التنمية

قبل أن تسلم الستينات اقتصادياتها الى السبعينات خفضت الدول المتقدمة معوناتها للدول النامية فكان لهذا الخفض اثره في زيادة عجزها عن حل مشاكلها .

وطلب «روبرت ماكنمارا» رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير من « ليستر بيرسون » رئيس وزراء كندا السابق أن يقوم بدراسة شاملة لما حققته المعونات السابقة في التنمية خلال عشرين عاما مضت عسى أن تكون هذه الدراسة نورا يهدى العالم الى رسم سياسته الاقتصادية الواجبة في السبعينات .

ولبى « بيرسون » هذا الطلب فضم اليه سبعة من فطاحل الاقتصاديين من بريطانيا والبرازيل والولايات المتحدة والمانيا الغربية وجامايكا وفرنسا واليابان واربعة عشر خبيرا من خبراء التنمية في الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء وكون « اللجنة الدولية للتنمية » التى قامت باستقصاء ضخم في أكثر من سبعين دولة من دول العالم وفي كثير من المؤسسات الخاصة . ثم قدمت أخطر تقرير اقتصادى الى البنك الدولى في أكتوبر ١٩٦٩ ، أطلقت عليه هذا الاسم «شركاء في التنمية» . Partners in Development

ويتضح من هذا التقرير أن المعونات ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ثم بلغت في عام ١٩٦١ ما يقرب من ٨ مليارات دولار اى نحو واحد في المائة من اجمالي الناتج القومى للدول غير الشيوعية ذات الدخل المرتفع ، يضاف اليها عمليات تمويلية من الاتحاد السوفييتى والدول الشيوعية الاخرى . واستمرت هذه المعونات في الزيادة حتى وصلت في سنة ١٩٦٨ الى ٨ر١٢ مليار دولار . ثم بدأ يحوطها جو من عدم الثقة حين اخذت الدول المتقدمة تتأثر بتوقعات التنمية الفورية مع أن التنمية بطبيعتها تتطلب وقتا طويلا . وحين جعلت مساعداتها لخدمة صادراتها ولتحقيق امتيازات سياسية او كسب ميزات استراتيجية .

هذا والدول المتخلفة مشغولة عن التنمية بمحاربة التميز الاقتصادى ومواجهة مشاكل الريف والحضر واقرار الحقوق المدنية سعيا وراء تحقيق العدالة الاجتماعية .

وفي النهاية اقتنعت الدول المتقدمة أن من واجبها الابتعاد عن الضغوط الاقتصادية والسياسية المباشرة لان الثروة لا تخولها حق السيطرة على الحياة القومية للدول المحتاجة . وتعلمت الدول المتخلفة ان الامر في النهاية مرهون بكفاءتها في استخدام المساعدات ، وبالسياسة الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التى تنتهجها ، كما تعلمت أن التنمية تأتي من الداخل ، وأن المساعدات الاجنبية لاتفيد الا اذا كانت هناك ارادة قومية لاحداث التغييرات الاساسية التى تتطلبها التنمية .

متاعب الدول النامية

في الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ تضاعفت أعداد القبول بالمدارس في البلاد النامية نحو ثلاث مرات وتحسنت ظروف الصحة العامة الى حد كبير ، وتم التغلب على الأوبئة الرئيسية فانخفضت معدلات الوفيات بسرعة تفوق نسبة انخفاضها في البلاد الصناعية .

ولكن من بين كل مائة طفل دخلوا المدارس

الابتدائية لم يصل منهم الى السنة النهائية الا ثلاثون . والذين تخرجوا فشلوا غالبا في العثور على أعمال مناسبة . ولذلك لم يؤد التعليم رسالته في التطوير الحديث .

وقد اعتمدت الدول المتخلفة على الحماية الجمركية في تقليل وارداتها بدل ان تعتمد على التكنية في تنمية صادراتها فانسحبت بذلك الى حد كبير من التجارة العالمية . وتسببت هذه الحماية الجمركية في الحد من التجارة فيما بين البلاد النامية نفسها خصوصا في غيبة ترتيبات الدفع الملائمة .

ان الموارد الخارجية لم تمول سوى ١٥٪ من الاستثمارات في الدول المتخلفة ، والمساعدات الاجنبية التي وصلت الى نحو ١٠٪ لم تؤد الى انعاش النمو الاقتصادى لأنها كانت تعطى لأغراض أخرى غير التنمية . وكل ذلك في مجموعه لم ينقل التكنية الى البلاد المتخلفة ، ولم يعالج الاختناقات في العملات الحرة اللازمة للاستيراد .

لماذا المساعدة ؟

لماذا يجب على الدول المتقدمة أن تساعد الدول المتخلفة خصوصا اذا كانت الدول الاولى تعاني داخل حدودها مشكلات اجتماعية واقتصادية ؟ ان الجواب على هذا السؤال ينبثق أولا من حقيقة لم تعد خافية على أحد ، وهي أن المجتمع القومي يخلي مكانه قليلا للمجتمع الدولي . فالاهتمام باحتياجات الامم الاخرى هو تعبير عن اتجاه أساسي في العصر الحديث . ان العالم اليوم اشبه بمدينة واحدة لانه اصبح ينتمي الى جماعية عالمية بعد تقدم الطيران وانتشار الاذاعة والتلفزيون .

ان الحرب التي تنشب في اية دولة قد تمتد بسرعة فتشمل باقي الدول . والوباء في احدى البيئات قد ينتشر في الكرة الارضية كلها . ولعل الشباب يدرك أكثر من غيره وحدة التطور الانساني ، ولذلك ينفعل بالاحداث الدولية ويؤمن بالتكافل ، لأن فقر الغالبية العظمى على سطح الارض لا بد أن يؤدى الى نتائج وخيمة لجميع من عليها .

ان ارتفاع معدل النمو الى ٦٪ سنويا في الدول المتخلفة يحدث فيها تحولا في الموقف الاقتصادى اذ يستطيع - حتى مع حدوث نمو سكاني سريع - أن يضاعف دخل الفرد فيها أربع مرات في نصف قرن - وسوف يتمكن الكثير من الدول المتخلفة أن يصل الى المستويات الحالية للمعيشة في أوروبا الغربية في خلال قرن من الزمان ، ومعنى ذلك أن هذه الدول تصبح عميلات للدول المتقدمة تركب طائراتها وتشترى منتجاتها وتسافر للسياحة فيها . ومعناه أيضا أن تجد من الأفضل ان تعرض اقتصادياتها للمنافسة الدولية ، وتعرض صناعاتها المحلية لقدر أكبر من هذه المنافسة بدل الركون الى زيادة الحماية .

ولكن ارتفاع معدل النمو لا يكفي وحده لتحقيق الفائدة المنشودة فقد يرتفع الاستهلاك بنفس النسبة ، ولذلك لا بد من التعاون بين الدول التى تقدم المساعدات والدول التى تتلقاها في وضع استراتيجيات التنمية .

التعاون بين الدول المتخلفة

لقد كان تحرير التجارة بين الدول المتخلفة في الماضي يتدرج تحت اطار اقليمي بحت . ولم يوجه الاهتمام الكافي الى تحقيق التوسع التجارى بين القارات والاقاليم المختلفة مع ان هناك مقدرة على التوسع التجارى بين الدول المتخلفة في القارات المختلفة أكبر منها في التكتلات المحلية .

وعلى سبيل المثال فان الهند والجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا عقدوا في سنة ١٩٦٧ مشروعا للتجارة التفضيلية ينص على تخفيضات في التعريفات تصل الى ٥٠٪ على قائمة مشتركة من المنتجات غير التقليدية ، وهذا المشروع مفتوح للدول المتخلفة الاخرى . وقد اظهرت عدة دول من جميع أجزاء العالم رغبتها في الاشتراك فيه .

وفي نفس السنة بدأت المفاوضات في جنيف بين الدول المتخلفة تحت اشراف الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة لمنح امتيازات جمركية لتحقيق التنمية السريعة من خلال الاعتماد على النفس .

وقد حققت أمريكا اللاتينية النجاح الاكبر في هذا المجال حيث تم في عام ٩٦١ انشاء السوق

المشتركة لامريكا الوسطى . وبحلول عام ١٩٦٦ كانت السوق قد حققت تحرير التجارة بصورة كاملة تقريبا في مجال السلع الصناعية مع انشاء هيكل تعريفات مشترك ضد الواردات الآتية من خارج المنطقة .

والآن ماذا نطلب من الدول المتقدمة ؟

لسنا نحن الذين نطلب من الدول المتقدمة أن تاخذ بيد الدول المتخلفة ، ولكن اللجنة الدولية للتنمية التى أشرت اليها في مستهل هذا البحث هى التى قدمت هذه المقترحات :

١ ــ يتعين على الدول المتقدمة أن تلغي رسوم الاستيراد وضرائب الانتاج على السلع الاولية التى لا تقوم بانتاجها . واما المنتجات الزراعية التى ترد من الدول المتخلفة وتنتج في نفس الوقت في الدول الصناعية فيزاد المستورد منها قليلا قليلا مع مرور الوقت .

٢ ــ يجب أن يرتفع معدل النمو السنوى للناتج القومي في الدول المتخلفة الى ٦٪ على الاقل بدلا من المتوسط الحالى وهو ٥٪ حتى تتمكن تدريجيا من رفع نسبة تكوين رأس المال فيها والمساهمة في الاقتصاد العالمي كشريكة تعتمد على نفسها .

٣ ــ على الدول المتقدمة أن تلتزم بتقديم مساعدات في حدود ١٪ من مواردها على أن يتم ذلك بصورة كاملة عند حلول عام ١٩٧٥ .

٤ ــ لا بد من بحث التخفيف من ديون الدول المتخلفة ، فان هذا التخفيف شكل مشروع من أشكال المساعدات .

٥ ــ ان ربط تقديم المساعدات بضرورة الشراء من الدول التى تقدمها يشوه مسار التجارة الدولية ويلغى الى حد كبير أثر هذه المساعدات ، ولذلك يجب عقد اجتماع يضم الدول الاساسية التى تقدم المساعدات والدول التى تتلقاها للحد من العوائق الاجرائية التى من هذا القبيل وبيان وسائل التغلب عليها .

٦ ــ سجلت المعونات الفنية زيادة تربو على ١٠٪ (عشرة في المائة) سنويا خلال الستينات . ولكنها مع ذلك فشلت في تكييف أهدافها وأساليبها طبقا للتمطلبات الفعلية للدول المتخلفة وخصوصا في مجالي الزراعة والتعليم . ولذلك فلا بد من توفير فرص الحياة العملية الملائمة للعاملين في المعونات الفنية القومية والدولية .

٧ ــ على المنظمات الدولية أن تلعب دورا كبيرا في تدريب خبراء السكان وتنظيم الاسرة في البلاد المتخلفة مع تنسيق البحوث الخاصة بالتكاثر الانساني تحت اشراف منظمة الصحة العالمية وتمويلها بمعرفة البنك الدولي .

٨ ــ يجب أن تساعد الدول المتقدمة في انشاء مراكز دولية واقليمية للبحوث والتنمية في المجالات ذات المنفعة العامة مثل الزراعة الاستوائية والوسائل الارشادية والتعليم وتخطيط المدن .

٩ ــ ان المستوى الحالي لعمليات التمويل في هيئة التنمية الدولية يدور حول ٤٠٠ مليون دولار سنويا والامر يقتضي أن يصل هذا المبلغ الى ١/٢ مليار دولار في عام ١٩٧٥ .

١٠ ــ ان الحواجز التى تعترض النمو السريع للتجارة بين الدول المتخلفة معروفة تماما . وفي أغلب الاحيان تكون تسهيلات النقل والمواصلات أقل جودة من تلك التى تربط الدول الفقيرة بالغنية . كما أن المؤسسات المالية وترتيبات المدفوعات وأجهزة التسويق توجه جميعها للتجارة مع الدول الغنية وغالبا ما تكون متحيزة ضد التجارة مع الدول الفقيرة .

وأخيرا تقترح اللجنة الدولية للتنمية انشاء مجمعات جديدة متعددة الاطراف تكون وظيفتها اجراء مراجعات سنوية للاداء الانمائي في الدول التى تتلقى المساعدات . كما يكون من وظيفتها مراجعة منح المساعدات والالتزامات المرتبطة بها من جانب الدول التى تقدمها . ولعل البنك الدولي وبنوك التنمية الاقليمية هى أولى الهيئات بقيادة المناقشات لتحقيق هذه الاهداف .

هل هذا ممكن ؟ ان الانجليز يقولون: Too good to be true . اى انه أمل به من الخير الكثير ما يضعف الرجاء في تحقيقه .

ونحن نقول « لا مستحيل في العالم » . ■

السيد أبو النجا

المخترعات بين العلم والدين *

بقلم : عباس محمود العقاد

> "الدين لا يرفض المخترعات، والمخترع لا يختلس من الله سر خلقه"

■ الانسان يحب الجديد ، لأنه ازاءه بين فرجة تشرح الصدر وتسر الخاطر ، ولكنه فى احوال كثيرة ينفر من الجديد ، بل يبلغ من نفوره ان يرتاع منه ويرتاب بظواهره وخوافيه وينظر اليه كأنه طامع مقتحم يريد ان ينتزع منه ذخيرة يحرص عليها .

هل فى ذلك تناقض ؟

نعم فيه تناقض ، ولكن فى الظاهر دون الحقيقة . وما اكثر ما تقلب الانسان فى شعوره وهواه ، ولكنه فى موقفه امام الجديد يحبه لأسباب وينفر منه لأسباب اخرى ، فهو فى الحقيقة لا يتناقض بين حبه ونفوره لأن اسباب الحب غير اسباب النفور .

لماذا نخاف الجديد

اننا اذا رجعنا الى انفسنا وجدنا اننا نحب الجديد ونقبل عليه فى معظم احوالنا ، فاذا نفرنا منه وحذرناه فلا بد ان يكون فيه شيء يمس ذات المعيشة ، او يمس المصالح والارزاق ، او يمس العقائد الدينية والأوهام التى يدخلها بعض الناس فى عداد المعتقدات ، فاذا كان فى الجديد مساس لعاداتنا فى المعيشة اقلقنا وطرد النوم من عيوننا ، ونقول انه يطرد النوم من عيوننا حقاً وفعلاً ، ولا نقوله من جانب التعبير بالمجاز ، فان الكثيرين منا اذا غيروا مسكنهم نفر النوم من أعينهم وان كان المسكن الجديد ادعى الى الراحة من مسكنهم الذى الفوه ،

* مقال لم ينشر من قبل

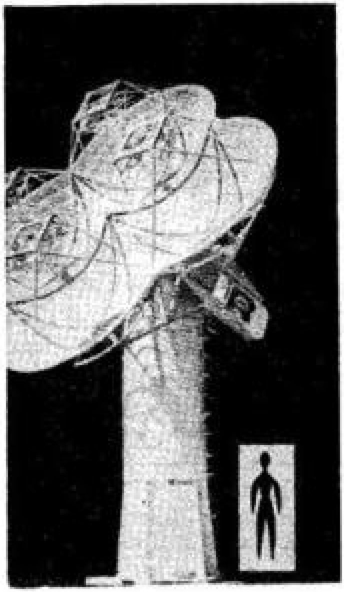
وربما حالت العادات بين الانسان وبين منفعته عند الصدمة الأولى من صدمات التغيير .

تعودوا زرع القطن الخاسر ، فرفضوا زرع القمح الرابح

ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك اننا فى مصر تعودنا أن نزرع القطن ونفضله فى مناطقه على محاصيل الحبوب ، واتفق فى أيام الحرب العالمية أن كسدت سوق القطن ، وبارت تجارته ، وقلت محاصيله ، وان زراعة القمح اصبحت من الضرورات وزادت منافعها على منافع الزراعة القطنية واصبح شراؤه مضموناً بالثمن المطلوب لأن الدولة تشتريه وتشجع زراعته . ولكن الذين طال عهدهم بزراعة القطن ترددوا كثيرا قبل ان يقتنعوا بتغيير ما الفوه وفضل اناس منهم أن يجازفوا بزراعة القطن لأنهم الفوه وتعودوا أن يستعدوا له فى موسمه على أن يزرعوا القمح المضمون لانه يكلفهم تغيير العادات المألوفة .

عندما تهدد المخترعات الارزاق

أما الجديد الذى يهدد الناس فى مصالحهم وأرزاقهم فلا غرابة فى نفورهم منه قبل اطمئنانهم اليه ، ونحن اليوم يخيل الينا ان أمم العالم وقفت فى التاريخ تدق الطبول فرحا واستبشارا باختراع البخار ، ولكن الواقع ان الملاحين حطموا أول سفينة سارت بالبخار ، ولما ساد البخار وكثرت الالات التى تدار به لم يعد فيه جديد ، ودخل فى عداد المألوفات ، وتبين يومئذ أن البخار لا يعرقل الأيدى العاملة كما خطر للمتخوفين منه عند ظهوره ، وأن الايدى التى تعمل فيه أضعاف الأيدى التى كانت تعمل فى السفن والمركبات .



الا ان المخترعات الجديدة قد تمس هذا النفر فتكون ثورتهم عليها أشد من ثورتهم على تغيير عادات المعيشة وتهديد المصالح والارزاق ، والمشاهد بالتكرار أن المخترعات الجديدة ليست كلها مما يثير الأوهام أو يرى فيه الجهلاء مساسا بالعقائد ومناقضة لأحكام الدين ، لكن الغالب على العقول انها تهاب كل ما يتعلق بتكوين الانسان، أو يتعلق بنظام الأفلاك، أو نظام السماء لأن خلق الانسان وتسيير الفلك من أمر الله .

فى القرون الوسطى اعتقدوا ان المشرّح يختلس سرّ الله

فى القرون الوسطى كان الموت عقاباً عاجلاً لكل من يحاول أن يشرح جسم الانسان لأنهم اعتقدوا فى تلك العصور أن المشرحين يختلسون سر الحياة وينازعون الله جل وعلا فى أمر الروح . وفى العصور

الحديثة فزع الجهلاء من سماع صوت الانسان خارجاً من آلات الحديد والخشب ، وحدث فى بعض قرى الريف عند ظهور الجراموفون أن دَعِيا من ادعياء الدين حطم الجراموفون واوشك ان يبطش بسامعيه لأنهم يستمعون الى الشيطان .

ثورة على الاذاعة

وفى بعض البلدان ذهب فريق من الفضوليين الى دار الاذاعة ، وحاولوا اغراء المذيع بالمال ليطلعهم على المكان الذى يختبىء فيه الشياطين وينقل منه اصواتهم من وراء الستار ، وكان ولى الامر حكيما عاقلا فاراد أن يقضى على هذا الوهم بدليل محسوس لا يمترى فيه السامعون ، قال : « هل يقرأ الشيطان آيات الله » ؟

قالوا : « كلا » . فأسمعهم من المذياع آيات القرآن الكريم ومحا بذلك ظنونهم فى خديعة الاذاعة الأثيرية . فهى على التحقيق ليست من عمل الشياطين . ومسألة النفس وتنشيط الصدر باستنشاق الهواء وتنبيه القلب بالنبض بعد فتوره ، وفتح الدماغ لتصحيح عيوبه وامراضه ، كل أولئك كان فى عصر الجهلاء افتراء على قدرة الله أو ادعاء للقدرة الآلهية ، ثم تعلموا بالخبرة وفهموا حقيقة هذه التجارب العلمية ، ففهموا أنها من علم الله وأن الله هو الذى علم الانسان ما لم يعلم ، فلا يكون علم الانسان الا دليلاً على قدرة الله .

ثورة على الاقمار الصناعية

وفى الايام الاخيرة يتحدث الناس بالاقمار الصناعية ، فكان من الممكن ان تسمى بغير هذا الاسم ، فيقال عنها كما يقال فى لغة الفلك انها توابع صناعية للأرض ، وتنتهى المشكلة باختلاف الأسماء ، ولكن تسمية الجسم الطائر فى الفضاء باسم القمر ، اوهمت فئة من الجهلاء أن هذا الاختراع ادعاء لقدرة الله ومشاركة له سبحانه وتعالى فى ملك السماء .

ويسرنا أن نقول ان هؤلاء المتوهمين قليلون ، بل جد قليلين ، فلا نظن أنهم يبلغون عشر أمثالهم قبل مائة سنة أو قبل مائتين ، لو أن هذا الجسم المسمى بالقمر ظهر فى تلك الأيام ، وهذه علامة من علامات التقدم فى مدى جيلين أو ثلاثة اجيال .

سألت بائعاً فى دكان بدال : **« هل رايت القمر الذى تحدثوا عنه فى الصحف ؟ »** .

قال فى غضب : « لم اره ، ولن أراه ، ولا اريد أن أراه » .

قلت : **« ولم ياصاح ؟ »** .

قال : **« يشاركون الله فى سمائه ثم انظر بعينى الى فعلتهم ! »** .

قلت : **« هل يستطيع أحد أن يشارك الله فى سمائه ؟ »** .

فصاح : « كلا .. كلا ! » .

وبدا عليه كأنه تنبه من غفوة او غفلة قال : « ولكن ما لهم وللسماء يتطلعون اليها ، الا يكفيهم ما فى الارض حتى يتطلعوا الى سماء الله ؟ ! » .

قلت : **« مهلا ياصاح . فان الله فى الأرض وفى السماء وليس الفضاء الذى وصل اليه القمر الصناعي الا قيراطاً من الوف القراريط ، فهو من الأرض واليها، وقد وسعت الأرض مخترعات الانسان ، فلماذا يضيق بها الفضاء ؟ وأين يامن**

الانسان من قدرة الله ، وهو فى كل مكان بل هو هنا اقرب اليك من حبل الوريد ؟ »» .

فهدات غضبة الرجل وقال : « جزاك الله خيراً ، فقد أرحتني وما كنت اظن الا أن القيامة قائمة بين يوم وليلة وان الصواعق ستنقض علينا من كل مكان . فالحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

ان هذا الرجل البريء ومن على شاكلته معذورون فيما يتوهمون لانهم يجهلون معنى السماء ولا يدرون معنى مشاركة الله فى سمائه .

فالأقمار الصناعية وما اليها جديدة فى الصناعة وليست جديدة فى النظريات العلمية ، وما من نظرية علمية يقوم عليها هذا الاختراع كانت مجهولة عند احد من العارفين بقوانين الحركة وعوامل الطاقة المادية ، ولو كانت الشركات او المصانع التجارية تشتغل بأمثال هذه المخترعات لظهرت الاقمار الصناعية قبل هذه السنة بسنوات كثيرة ، ولكن الشركات والمصانع التجارية تنفق اموال حملة الأسهم فيما يعود بالكسب المالى ، وانما تتصدى لهذه المخترعات غير التجارية امم كبيرة تستطيع ان تنفق مئات الملايين فى التجارب والمحاولات ، ولا تتصدى جميع الدول لذلك ، ولو كان لديها أقدر العلماء وابرع المخترعين ، ولهذا كانت هذه التجارب والمحاولات محصورة فى دولتين اثنتين ، ولم تكن عامة حيث وجد العلماء والمخترعون .

ولقد شهدت أمم العالم فى القرن الاخير مئات من المخترعات بعضها اغرب فى نظرياته وتطبيقاته من الصواريخ والاقمار . ولم يقل أحد انها بدعة فى الدين ، أو انها تزعزع ركناً من اركان العقيدة فى دين من الأديان .

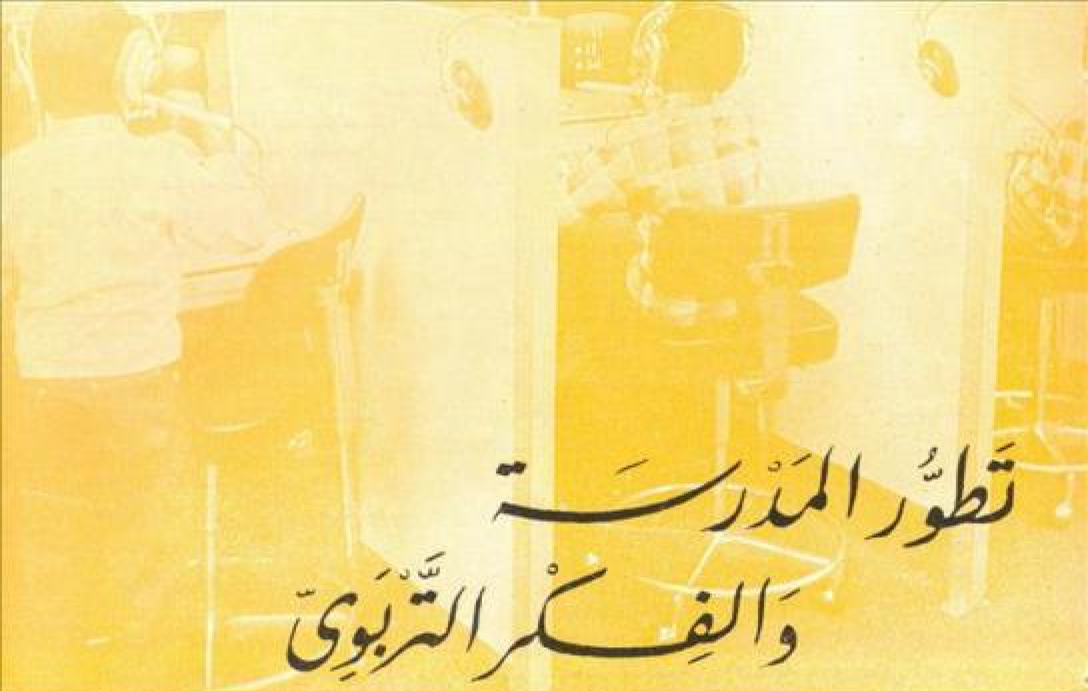
الايمان لا يرفض المخترعات ، وانما الاعتراض يكون على سوء استخدامها

هذه المستحدثات لا اعتراض عليها من جانب الايمان ، وانما يأتى الاعتراض عليها وعلى التوسع فيها من جانب المفكرين فى الحرب والسلام ، وكل من اصحاب الآراء يبيحها ويرحب بها ، او يخشاها ويتشاءم منها على حسب ما يراه ، منهم من يرحب بها لأنها معرفة جديدة ، ولا يجوز للانسان ان يغلق ابواب المعرفة بها . ومنهم من يخشى ان يستخدمها المحاربون فى القتال فلا تبقى ولا تذر ، ولا ينتهى القتال بها الا بنهاية الحضارة الانسانية وانتكاس بنى آدم الى عهود الهمجية والجهالة العمياء .

والذين يتفاءلون ويتشاءمون يعتقدون بحق أن خطر الأسلحة الميكروبية اعظم جداً من اخطار الصواريخ والاقمار الصناعية،لأن سلاح الميكروبات مستطاع لأكثر دول الارض ، لا يتوقف على ضخامة المعامل ولا على وفرة الأموال ، واذا انطلقت القذائف الميكروبية بجراثيم الطواعين والأوبئة غشت فى الأرض وفتكت بالمحاربين والمسالمين ولم تمنعها الحواجز والحدود ، فهى منثورة لكل امة ذات صناعة أو غير ذات صناعة وهى خطر اعظم من خطر القذائف الذرية . فمن دواعى التفاؤل بل من دواعى الامل ان يكون الانسان قادراً على تقييدها واتقاء دورها فى الحروب الماضية ، فهو فى المستقبل أحرى أن يقيد الأسلحة الذرية ، وأن يستخدم الطاقة الذرية سلاحاً لمكافحة الفقر والقحط ونقص المواد الغذائية ، وربما كانت هذه الاقمار مفيدة فى يوم قريب فى تنظيم المد والجزر أو تنظيم ذوبان الثلوج القطبية او تنظيم السحب والأمطار ووسائل الرى فى الصحارى المهجورة والسهول القاحلة .

■■

عباس محمود العقاد



تطوّر المدرسة والفكر التربوي

عبر القرون

لا بد من تطعيم الأجهزة التربوية العربية بالكفاءة من رجال التربية، من أقدمين وأحدثين.

بقلم : كريم مناحي الصريفي

■ ان ظروف الكتابة فى مجلة ، تدعونا الى اغفال الكثير من التفاصيل فى متابعة تطور الفكر التربوى ، والاقتصار على تسجيل موجز مركز متكامل لتتابع حلقات ذلك التطور .

مرت التربية في المجتمع البدائى بمرحلتين ، الأولى بيتية ، والثانية قبلية .

في دور الانسان الأول – بعد خروجه من الدور الغابى الفوضوى اقتضت ظروف العيش والبقاء معاونة الأبناء للآباء ، فظهرت الحاجة الى تعلم الأبناء لبعض الاعمال اليدوية البسيطة وبعض المهارات الضرورية كالصيد والسباحة بالنسبة للصبيان ، واعداد الطعام واللباس وتدبير شؤون المنزل الاخرى بالنسبة للبنات .

والملاحظ ان التعلم لم يكن يجرى بصورة مقصودة اذ ان الآباء يجهلون كونهم يقومون بدور المعلمين ، والأبناء كونهم تلاميذ . فالتعلم كان يتم عن طريق

التقليد والممارسة . فالصبي يخرج لمعاونة والده في طلب الرزق ، والبنت تبقى في المنزل لمعاونة والدتها في ادارة شؤون البيت .

ولما تطورت أساليب عيش الانسان القديمة . وظهرت ثقافته الأولى ، وجد نفسه وبحكم ظروف الحياة محتاجا لبعضه البعض ، فتكتل على شكل قبائل صغيرة ، متعاونة ، كل فرد فيها شاعر باهمية الجماعة للفرد وبالعكس . وفي هذا الطور لم تعد التربية البيتية كافية اذ أن اديانا وطقوسا واعرافا وتقاليد وعادات وقوانين وأحكاما ، قد اوجدها أفراد القبيلة ، لتنظيم العلاقة بينهم ، وتحديد حقوق وواجبات كل منهم . وهنا انتقلت التربية الى دور جديد وهو دور التربية القبلية المقصودة . فعهد بها الى طبقة جديدة تدعى بطبقة « العرافين » .

التربية البابلية والمصرية والاغريقية

تنبهت الحضارتان البابلية والمصرية الى ضرورة التربية فاعطتا للتعليم مكانة مرموقة . وكان المعلم يتقاضى اجورا معينة لقاء خدماته التعليمية .

وبلغ الاهتمام بالتربية ،في العصر الاغريقي، مبلغا كبيرا ، اذ أنها رافقت تطورات سياسية ، تأثرت بها وأثرت فيها . بالاضافة الى أنها لاقت اهتماما متزايدا من أكبر فلاسفة الاغريق هم سقراط وافلاطون وارسطو . الذين أكدوا على ضرورة اهتمام الدولة بأمور التعليم ، بعد أن بسطوا افكارهم التربوية .

لقد بلغت التربية في هذا العهد مرحلة التحول الى مؤسسة اجتماعية منظمة . وقد أخذت المدرسة شكلها كمؤسسة تربوية متكاملة في آخر عصر من العصور الاغريقية وهو العصر الهيليني . الذي نظمت فيه الدراسة تنظيما مرحليا .

اما من ناحية علاقة الدولة بالتعليم فقد فرضت حكومة اسبارطة سيطرة تامة على التعليم واعتبرته عماد قوتها العسكرية . فوجهته وجهة عسكرية لخلق أفراد حربيين ، مخلصين للدولة .

اما دولة أثينة فعلى الرغم ، من رعايتها للتعليم، وسن بعض القوانين التربوية المنظمة لبعض شؤونه، فان التعليم بقي تعليما خاصا ، يتقاضى المعلمون خلاله أجورا عن تقديم خدماتهم الثقافية من آباء الطلاب ، وليس من الدولة ، حتى حلول العهد الهيليني (من ٥٠٠ قبل الميلاد الى ٢٠٠ بعد الميلاد) حيث بدأت الدولة تفرض سيطرتها على التعليم ، وتقوم بتنظيم شؤونه ومراقبته .

ان أخطر ما يؤخذ على التربية الاغريقية اهتمامها بالجانب النظرى من التربية فقط ، واعتباره هو الأسمى والاكمل ، واللائق بالرجل الاغريقي النبيل اما الجانب المهني من التربية فمحتقر ومهمل كلية، اذ أن المهن ، في نظر الاغريق ، لا يمارسها الا العبيد .

الا أن التربية الاثينية امتازت بأهدافها التربوية التقدمية التي اهتمت بشخصية الفرد المتعلم ، وعملت على تربيته تربية تكاملية ، بعكس المراحل التي سبقتها ، اذ كان هدف التربية الأسمى هدفا تحفظيا ، وهو حفظ الجماعة وبقاؤها .

التربية العربية الاسلامية

لما كان الدين الاسلامي دينا حضاريا ، استهدف اخراج الناس من الظلمات الى النور . . من الجهل الى العلم ، كان طبيعيا أن يعير العلم اهتمامه ورعايته ، فاكد القرآن الكريم على العلم وحث المسلمين على اكتسابه . قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» .

اما النبي الكريم (ص) فقد قال : « اطلبوا العلم ولو كان في الصين » واشترط على أسرى المشركين أن يعلم كل واحد منهم القراءة والكتابة لعشرة من أبناء المسلمين ، مقابل اطلاق سراحه .

ولما كان الاسلام دين عدل ومساواة فقد فرض على أصحاب الكتاتيب اتاحة فرص تعليمية متساوية أمام جميع أطفال المسلمين ، دون تمييز بين غنيهم وفقيرهم .. بين من تحتل عائلته مركزا اجتماعيا مرموقا ومن تحتل مركزا وضيعا . وقد روى عن رسول الله (ص) في هذا الصدد قوله : « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين » .

على أن تلك العدالة والمساواة في التعليم قد تعرضت الى النسف في العصر العباسي ، اذ ظهرت ثلاث طبقات من المعلمين : الأولى اختصت بتعليم أبناء الطبقة العليا والأغنياء وسميت بطبقة (المؤدبين) ، والثانية اختصت بتعليم العامة من أبناء الشعب ، وسميت بطبقة (معلمي الكتاتيب) والثالثة اختصت بتعليم أبناء الخلفاء وكبار الحكام ودعيت بطبقة (كبار المؤدبين) .

وقد ظل التعليم كتاتيبيا ، خاصا ، يدفع آباء الأطفال أجور الدراسة فيه ، رغم اهتمام الدولة



هكذا كان التعليم في اغلب البلاد العربية في اوائل هذا القرن،ولا يزال حتى الآن يسير على هذا المنوال في بعض البلاد

بامره ، ووضعها للشروط الواجب توفرها بالقائمين على ادارته ، حتى حلول القرن الاسلامى الرابع حيث أنشئت المدارس النظامية التى اهتمت بتعليم التلاميذ بعد اجتيازهم لمرحلة الدراسة الكتاتيبية. وقد قام بتأسيس هذه المدارس أول الأمر بعض أعلام رجال الدين الذين جعلوا منها مكانا للدراسة ولسكن الطلاب في الوقت نفسه ، وقاموا بتحمل الاعباء المالية والمعاشية للطلاب . ثم عملت الدولة على انشائها ، ورعايتها ومراقبتها ، وسن القوانين المنظمة لشؤونها ، وذلك منذ تولى الوزير نظام الملك السلجوقى الذى اعتبر أول مؤسس للمدارس الرسمية .

وعلى الرغم من أن هدف التربية الاسلامية الأساسي ، كان دينيا ، الا ان تطور وتعقد حياة المجتمع الاسلامى ، وتوسع حاجاته الادارية والاقتصادية ، قد دفع بالتربية الاسلامية الى تبنى أهداف دنيوية ، يساعد تحقيقها على رفاه وسعادة وتقدم المجتمع .

الحركة العلمية واثرها فى التربية

عند ظهور تطور الحركة العلمية، تأثرت التربية، كغيرها من الفروع الانسانية بمكتشفات واساليب وطرق بحث تلك الحركة ، فاخرجتها من طور النظريات والاحكام الميتافيزيقية الى طور النظريات القائمة على التجارب والاحكام التجريبية .فغدت التربية علما كغيرها من العلوم باستخدامها لطرق البحث العلمى في اصدار أحكامها على البرامج والاهداف التربوية وطرق التدريس ، وطبيعة المتعلمين .

التربية الحديثة

كانت التربية السائدة ، قبل نشوء وترعرع الحركة العلمية،تنهض على اسس نظرية ميتافيزيقية – كما قلنا قبل قليل – قوامها ان الانسان ميال بطبيعته الى الشر ، وأن مهمة التربية هي قمع ميول الطفل الشريرة بكل قسوة وعنف ، ودفعه الى طريق الخير بالنصح والوعظ وان لم تجد فبالوعيد والتهديد وان لم تنفع فبالعقاب وذلك بانزال الآلام الجسدية .

ان التربية القديمة بالاضافة الى كونها اهملت طبيعة الطفل المتعلم ، فانها لم تقم وزنا لحاجات البيئة الاجتماعية ، اذ ان مناهجها اقتصرت على

المواد النظرية الجافة المتعمدة التعقيد والصعوبة. وكان ديدنها شحن ذهن المتعلم بالمعلومات « كلما زادت أدت الى ارتفاع المستوى التربوى للشخص المتعلم كما تعتقد » .

وكانت الطريقة التعليمية ، قبل نضوج الحركة العلمية ـ تقوم على نظرية « الترويض العقلى » تلك النظرية التى اعتقدت بان العقل الانسانى يتكون من ملكات مستقلة الواحدة عن الاخرى ، وان شحذ وتقوية احداها يؤثر على الاخرى وان لكل ملكة من هذه الملكات مادة تصلح لشحذها ، فالتاريخ يشحذ ملكة الذاكرة والرياضيات تشحذ ملكة التعليل .. واستنادا الى هذه النظريات ، فان العقل الانسانى يروض كما يروض الجسم ، فكما ان عضلات جسم الانسان تشتد وتقوى كلما تعرضت لحركات رياضية اكثر، فان الملكات العقلية تشتد وتقوى كلما اكثرنا من تدريس المواد الصعبة.

لقد تعرضت النظريات التربوية القديمة الى هزة عنيفة بفضل الحركة العلمية وتطورها . وكان أول من ثار عليها « الماركيز دى لوندورسيه » De Londreet أحد كبار كتاب الثورة الفرنسية .

الا أن أول من دعا الى الاهتمام بالفرد المتعلم ذاته ، وصاغ النظريات التربوية الفردية وتزعم حركتها في التربية هو « جان جاك روسو » الذى افرط في التأكيد على الفرد ، واعتبره نقطة البداية في كل تربية ، فطالب بتحرير طاقاته وغرائزه ودوافعه ، واتاحة فرص النمو له من دون تدخل، وتربيته عن طريق الحياة .

وعلى الرغم من تأكيده الاهتمام بالفرد ، فانه لم يهمل الجانب الاجتماعى للتربية ، كلية ، اذ اعتقد ان الاصلاح الاجتماعى يمكن أن يتم عن طريق العناية بالفرد . ومع أن روسو لم يترجم نظريته التربوية الى الواقع العملى . فقد تأثر بها وقام بترجمتها عدد من المربين هم : « بستالوتزى » Pastalozzi الايطالى و«هربارت» الالمانى Herbart و « فروبل » Froebel منشيء رياض الاطفال ،، الذين اعتبروا من كبار رجال الحركة الفردية ، وذلك في النصف الاول من القرن التاسع عشر . لقد لفت بستالوتزى الانتباه الى ضرورة الاهتمام بالاشياء . واكد على الحواس وضرورة تربيتها .

وبالرغم من اتفاق فروبل وهربارت مع روسو في خطوط نظريته المؤكدة على تربية الفرد ، فانهما قد اختلفا معه في عزلة الفرد عن المجتمع . اذ انهما اعتبرا التعاون الاجتماعى اساسا لنمو شخصية الفرد . الا ان هذا التيار التربوى الفردى جوبه بشدة في بداية القرن العشرين بتيار معاكس له تماما ، هو التيار الاجتماعى في التربية . الذى ساعد على ولادته التوسع في الدراسات العلمية والنفسية . فعرف « هربرت سبنسر » Spencer التربية بانها اعداد للحياة الكاملة .. اعداد للمشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية . وقد تزايدت اهمية العامل الاجتماعى في التربية يوما بعد آخر ، الى أن جاء « جون دوى » (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢) بنظريته في التربية .

جمع جون دوى Deuiey بين فردية التربية واجتماعيتها . وقضى نهائيا على اسطورة الانفصال بين الفرد والمجتمع ، اذ اعتبر الفرد والمجتمع كائنا واحدا لا يمكن شطره دون القضاء على اهداف التربية . وعلى هذا الأساس ، فالتربية يجب أن تهتم بالفرد والمجتمع في آن واحد .

ولخص « دوى » رأيه في التربية بما يأتى :

« ان الهدف من التربية هو تهيئة الفرد تهيئة اجتماعية من شأنها أنها تمكنه من المساهمة في حياة الجماعة ، ومظاهر نشاطها، فالمدرسة المثالية يجب ان تكون مجتمعا نشيطا فعالا ، فيه يتعلم الاطفال عن طريق الخبرة . ان الطفل شخصية دائمة مطردة النمو والتغير . والمدرسة مجرد وسيلة تساعد على هذا النمو ، وهذا التغير ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان :

١ ـ التربية حياة ، وليست اعدادا للحياة .

٢ ـ التربية نمو ، وطالما كان هناك نمو كانت هناك تربية .

٣ـ التربية عملية اعادة تشكيل الخبرة المتجمعة.

٤ ـ التربية عملية اجتماعية والمدرسة يجب أن تكون مجتمعا ديمقراطيا .

والخلاصة ، ان التربية الحديثة تعتبر المدرسة مجتمعا مصغرا ، والمدرسة المثالية هى التى تعكس الحياة الاجتماعية الى داخل المدرسة ، والحياة المدرسية الى داخل المجتمع . ومن نجاح المدرسة يقاس باعدادها جيلا ناميا متطورا ، صالحا للحياة ومصلحا لها .

نشأة المدرسة الرسمية

بعد ظهور الحركات القومية والديمقراطية في

اواخر القرن الثامن عشر . واهتمامها بتنوير عقول الناس وتوسيع مداركها ، ونشر العدالة والمساواة بينها ، ارتفعت اصواتها مطالبة بربط التعليم بالدولة ، وفتح المدارس العامة والانفاق عليها ، وتهيئة المناهج والمواد الدراسية ، واعداد المعلمين اللازمين لها ، بغية اتاحة الفرص التعليمية المتساوية امام أبناء الشعب كافة ، هذا بالاضافة الى أن الدولة انتبهت الى امكانية تنشئة الاطفال تنشئة قومية موالية لسياسة الدولة القائمة ، عن طريق المدرسة الرسمية وهكذا ولدت المدارس الرسمية .

المدرسة العربية

على الرغم من النجاح الكبير الذى بلغته مدارس الدول المتقدمة ، نتيجة لأخذها باحدث النظريات التربوية المبرهن عليها بادلة تجريبية ، لا تزال المدرسة العربية متخلفة عنمواكبة التطور التربوى والعلمى والتكنى . فمدارسنا لا تزال تسودها سياسة العصا ، وعدم الاعتراف بشخصية الطفل ومراعاة طبيعته ، وتحكمها البيروقراطية الادارية. ولا تزال تحشو اذهان التلاميذ بالمواد النظرية التى لا يربطها مع البيئة الاجتماعية والاقتصادية رابط . ولا تزال تهيمن عليها طرق التدريس القديمة التى تتمركز حول المعلم ولا تدور حول المتعلم . فالمعلم هو الذى يقوم بالتعليم : يشرح ويسأل ويجيب ، والطلاب من حوله يتفرجون . فتلقين المعلومات والمعارف ، والحفظ والاستذكار ، والاعداد للامتحانات ديدنها الاساسى . أما المناهج فموحدة فى جميع مدارسالقطر الواحد ، ابن الشمال يدرس نفس مناهج ابن الجنوب .. ابن الريف كابن المدينة ، دونما اعتبار لاختلاف البيئات . وهذا ما جعلها منعزلة عن البيئة ، غير ملائمة لحاجاتها وحاجات ابنائها .

يقول الاستاذ متى عقراوى بهذا الصدد « ان المناهج وطرق التدريس جافة لا تجتذب اليها نفوس التلاميذ ولا نفوس والديهم ، مواد الدراسة مشحونة بمعلومات مرتبة ترتيبا منطقيا لا تمت الى البيئة بصلة ، ومكدسة تكديسا ، وبالغة من الصعوبة ما لا يتيح للتلميذ المتوسط التغلب عليها . والنتيجة رسوب مريع واعادة نسبة كبيرة من التلاميذ » .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالى : ترى ما هى اسباب تخلف المدرسة العربية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تجرنا الى تفاصيل متشعبة الفروع ، والى احكام قد تثير الحساسية، اذ ان الكثير من أسباب التخلف ـ على ما اعتقد ـ سياسية . لذا تكتفى بالاشارة الى بعض الأسباب الهامة : ـ

١ ـ ان مناهجنا مقتبسة ـ فى أغلب أجزائها ـ من مناهج مدارس الدول الغربية القديمة ، التى تختلف بيئاتها عن البيئة العربية . وعلى هذا فهى غير مستوحاة من ثقافة المجتمع العربى ، وغير مراعية لحاجات افراده .

٢ ـ ان المشرفين على شؤون التربية والتعليم فى الدول العربية ، مربون كلاسيكيون ، ثبتوا عند مرحلة سابقة من التربية ، فقسم كبير منهم ملتزم بالنظريات التربوية القديمة ولا يريد ادخال « البدع » الى المدارس العربية .

ان النظم التربوية فى البلاد العربية تشترط بمن يتم اختيارهم للتفتيش ، وعضوية لجان المناهج والتخطيط التربوى ان يكونوا من القدماء « لان كل قديم فى المهنة خبير » !! فكيف ، اذن ، نريد للمدرسة العربية أن تاخذ بالنظريات والاساليب التربوية الحديثة ، اذا كان معيار الكفاءة القدم فى المهنة ؟

اننا ندعو الى تطعيم الاجهزة التربوية المهمة بالعناصر الشابة الكفوءة ، الى جانب العناصر القديمة ذات الفكر التربوى المتجدد والمواكب للتطور .

٣ ـ ان الصراع بين ما هو قديم وما هو حديث ، قائم منذ بداية تطور الفكر الانسانى ، الا ان القانون الذى يتحكم بهذا الصراع هو حلول ما هو حديث محل ما هو قديم ، فى نهاية المطاف ، وسبب المقاومة لما هو حديث ترجع الى انه يزعزع الاسس الثابتة للكيانات الاجتماعية ، ويستدعى ايجاد أسس وعلاقات وطرائق حياتية جديدة . ولما كانت عوامل المقاومة فى البلاد العربية . اكثر شدة ، فمن الطبيعى الا ياخذ الحديث مكانه محل القديم ، الا بصورة تدريجية بطيئة جدا .

وما القضية بالنسبة الى المدرسة العربية ، الا قضية زمن ، وستحل النظريات التربوية الحديثة فيها ،مهما كانت العقبات والصعاب التى تواجهها.

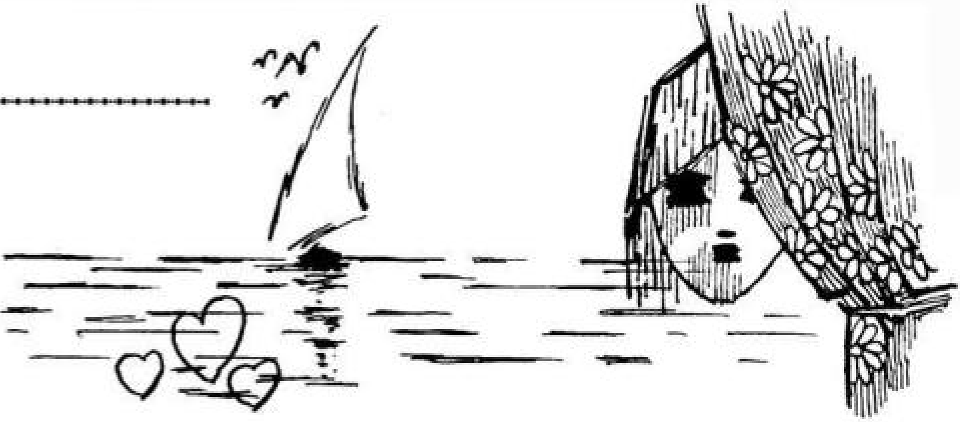
■■

كريم مناحى الصريفى

يا حبيبي عيناكَ !

شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي

■ يا حَبِيبي عَيناك هاتانِ كالبحرِ وكالأفق حلوتـا الازرقـاقِ ...
ليسَ يُدرى .. أسِرُّها في صفاءٍ أو عَميقٍ من المعـانى الرقـاقِ
وأرَى نفسَك الجميلةَ فيهـا تتراءى سِحْرِيَّةَ الانطـلاقِ
«أنا واللهِ أتقِي سِحرَ عَينيكَ وأخشَى مَصارِعَ العُشّاقِ»
غيرَ أنى لقيتُ منها الـذى لم يلقَهُ عاشِقٌ فهل أنت لاقٍ .. ؟
وأنا قدْ نَذَرتُ قلبي لِعينيك فِداءَ الجفُونِ والأحْـداقِ ...
يا حَبِيبي عيناك هَدْهَدَتا رُوحِي فشَاعَ السَّلامُ في أعـماقي
وتَراءى الوُجودُ حَوْلي طيُوفـاً عَذْبَةَ الرَّوحِ والرُّؤى والمذَاقِ
ياحَبِيبي عيناك زَلزَلتا رُوحِي فأذكَى علىَّ جمرُ اشْتِيـاقي
فأنا مِنهُما على مِثْلِ وَقْـدٍ لايُدانيهِ غيرُ حَرِّ الفِـراقِ ..
يا حَبِيبي عيناك تَفْدِيهِما عَيناىَ عُوفِيتَ عُوفِيتَ مِمّا ألاقـى
أنا لَوْ لاهُما جَهلتُ مِنَ الحُبِّ جوَى الرُّوح وارتِـواءَ المـآقي
لاَ تَسَلْنِي عَنِ الهوَى ياحبيـبي إنَّهُ فوقَ قُدْرَتي ونِطـاقي
قدْ وَصَفْنا ومَا بلَغْنا .. وإنّـا قد أخذْنا لَـهُ جَميعَ المرَاقي
ورُقِينا مِنْ دائِه ثُمَّ لَمْ نُشْفَ وما تَصنعُ الرُّقَـى مِنْ رَاقٍ ..؟



ياحبيبي بحقِّ عينيكَ عنـــدي ألنا اليومَ بُلغةٌ مِن تــلاقِ ..؟
أنا أهْواكَ ياحبيبي هوَى الرُّوح وأهْوَى مـكارِمِ الأخـلاقِ ..
أنا أفْديك بالنَّفيسِ وبالنَّفسِ وأفدي العزيزَ مِنْ أعـلاقي ..
أنا أخشَـى عليك مِن بَعضِ مافيَّ وأخشَى عليك جَوْرَ اشتيـاقي
أنا أخشى عليك مِنْ خَفْقَةِ القلبِ وهمسِ الجفُـونِ والأحـداقِ
ياحبيبي أفديك من حُرَقِ الـوجدِ وبَرْحِ الجَوَى ووَمْضِ المـآقي
أنا أهواكَ يا حبيبي على البعدِ والقربِ والقِـلَى والوِفـاقِ
شَهِدَ اللهُ أنَّني أحفظُ العهـدَ وقلبي على الأحبةِ بـاقِ
أنتَ عِندي مَعْنًى بِهِ أذكرُ اللهَ وأعنُـو للباريَ الخـلاّقِ
أنا واللهِ قَـدْ عشِقتُـكَ فـي اللهِ وحُزتُ الثَّوابَ في العُشاقِ
عزَّ صَبري إذْ غـابَ وجهُكَ عنّي ياحبيبي وسِحْرُ عينيك بـاقِ ..!
قَدَرٌ كانَ أنَّنا نتلاقَـى واتفاقٌ جرَى بغيرِ اتِّفـاقِ
حُلُمٌ كانَ أنَّنا نتسـاقَى أكؤُسـاً لم تُدَرْ ولم يَسْقِ ساقِ
لم تكنْ لي مِنْ قبلُ شيئـا ومـا كُنـتُ فكانَ الهوى بُعيدَ التلاقي
أنا أهـواكَ يا حبيبي وأهـواكَ وأهواكَ مابقَى فيَّ باقِ .. ! ■■

عاتكة الخزرجي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد



واحد من رجال بوليس السكك الحديدية ويتميزون بزيهم الخاص بهم .



الى اليسار : هنا عند لقاء النيل مع نهر عطبرة تقع مدينة عطبرة التى تعتبر شريانا حيويا بالنسبة لربط شمال السودان بشرقه وغربه وجنوبه .

الى اسفل : سوق عطبرة الاسبوعي يقع في ضواحي مدينة الدامر ويتجمع فيه سكان عطبرة والدامر والقرى المحيطة بهما لشراء حاجياتهم .



اعرف وطنك
أيها العربي

عَطْبَرَة

أكبر مُدن المُديريَّة الشماليَّة مِن السُّودان

استطلاع
محمد طنطاوى

تصوير
عبد الناصر شقره



● قسّم الاستعمار عطبرة قسمين فجعل منها "مدينة الأضداد"

● قرية صغيرة جعلت منها السكك الحديدية مدينة كبيرة

● دخلتها الصناعة .. فرفعت من مستوى أهلها وزادت في ثقافتها وتعليمها

■ مدينة الاضداد .. لقب اطلقه السودانيون على مدينة عطبرة ايام الاستعمار ..

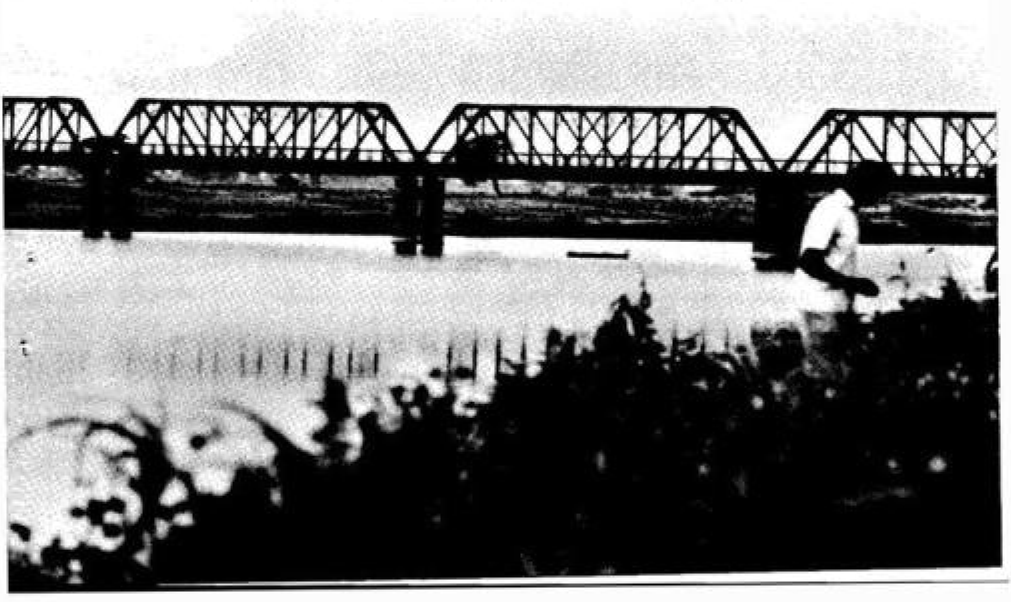
وجاء الاستقلال .. فاطلقوا عليها لقبا جديدا .. هو مدينة الحديد والنار .

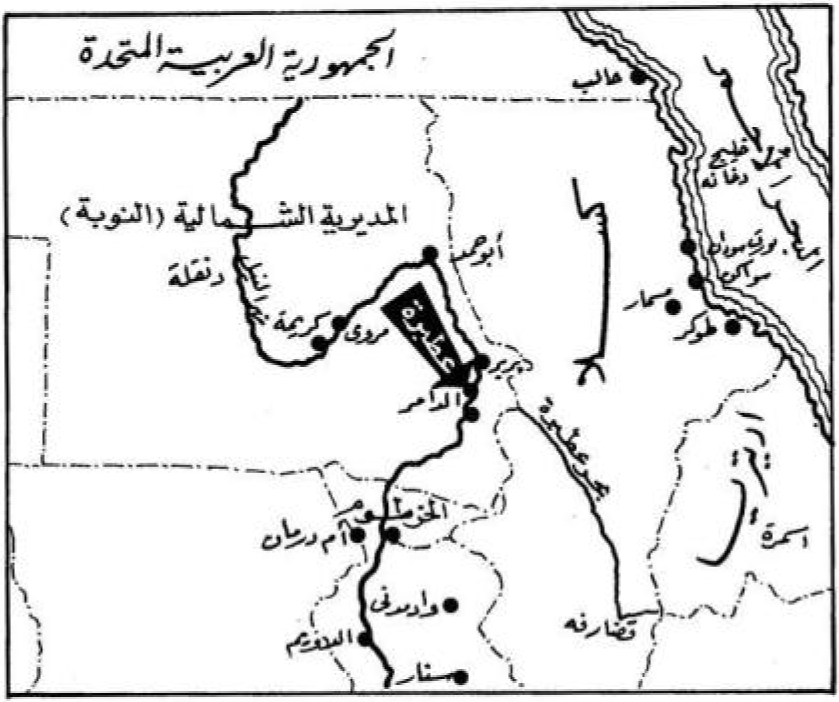
ويحلو لبعض الظرفاء تسميتها ايضا بلقب من نوع جديد .. وهو عطبرة .. مقبرة ! كتعبير عن الجو القاسي الذى تتعرض له هذه المدينة طوال ٦ اشهر في العام الواحد تهب فيها الرياح المحملة بالاتربة والتي يسمونها هناك بالهبوب فتجعل من الحياة امرا شاقا يتحمله سكانها بصبر وقــوة احتمال ..

ولهذه المدينة ذات الالقاب الثلاثة .. قصــة طويلة .. تبدأ منذ سبعين عاما .. لم تكن هناك عند التقاء نهر النيل بنهر عطبرة مدينة ، كان هناك قرية صغيرة تسمى « الداخلة » يعيش اهلها على زراعة شريط ضيق من الارض القريبة مــن شرق النيل .. يستعملون الشــادوف لسقــي اراضيهم .. او يتركون مياه الفيضان تتســال الى الوديان القريبة فتغرقها .. وينتظرون حتى تجف المياه ليقوموا هم بعد ذلك بزراعتها .

لم يكن يدور بخلد واحد من سكان « الداخلة » ان قريتهم المجهولة هذه ستتحول في سنوات قليلة الى مدينة من اهم مدن شمال السودان .. وانهــا ستصبح الشريان الحيوى في عمليات ربط شمال السودان بشرقه وغربه وجنوبه .. وتتلخص قصة هذا التحول السريع في شيء واحد هو الســكك الحديدية ..

هذا الجسر ويعرف بكوبرى عطبرة ، هو الجسر الوحيد الذى يربط شمال السودان بوسطه وجنوبه وغربه وشرقه وله اهمية خاصة بالنسبة لمواصلات السودان وتعبره القطارات المتجهة الى حلفا والقادمة منها كما تعبره ايضا القطارات القادمة من بورسودان المتجهة الى الخرطوم .





خريطة تبين موقع مدينة عطبرة وأهمية موقعها كحلقة اتصال فى شبكة المواصلات السودانية .

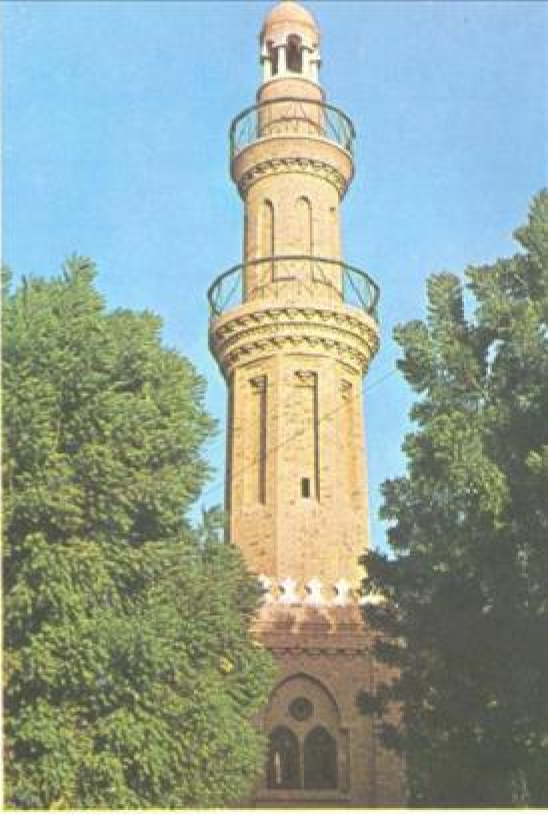
قصة السكك الحديدية

ولسكك حديد السودان قصة طويلة تستحق ان نوجزها هنا .. فقد بدا التفكير فى ادخال السكك الحديدية فى السودان فى عهد سعيد باشا حاكم مصر (١٨٥٤ – ١٨٦٣) وذلك لربط مصر بالسودان .. ولكن الاحوال المالية فى مصر اضطرته الى ارجاء تنفيذ هذا المشروع . وعندما جاء الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) الى الحكم عادت الفكرة مرة اخرى الى الظهور .. وبدات عملية دراسة جدية لمد خطوط السكك الحديدية بالسودان فى عام ١٨٦٥ .. وبعدها بدىء فعلا فى انشاء خط من حلفا الى المتمة يبلغ طوله ٨٠٠ كيلو متر ولكن العمل فى هذا الخط توقف فى عام ١٨٧٨ لتدهور الاحوال المالية فى مصر .. ولكن فى عام ١٨٨٠ عاد العمل مرة اخرى وتم مد الخط ١٨٠ كيلو مترا جنوب حلفا .. وصدرت الاوامر بالعمل فى مشروع آخر هو ربط سواكن مع بربر بطريق حديدى .. وانتشرت الثورة المهدية فى عام (١٨٨١) .. وتوقف العمل مرة اخرى فى مشروع السكك الحديدية .. وبعد ان توفى المهدى .. وبدات الحرب مرة اخرى ضد خليفته ظهرت اهمية السكك الحديدية للعمليات الحربية وقام الجنود المصريون بمد خط للسكك الحديدية اثناء تقدمهم على طول نهر النيل .. ووصل هذا الخط الى بلدة كرمة فى شهر ابريل ١٨٩٧ .

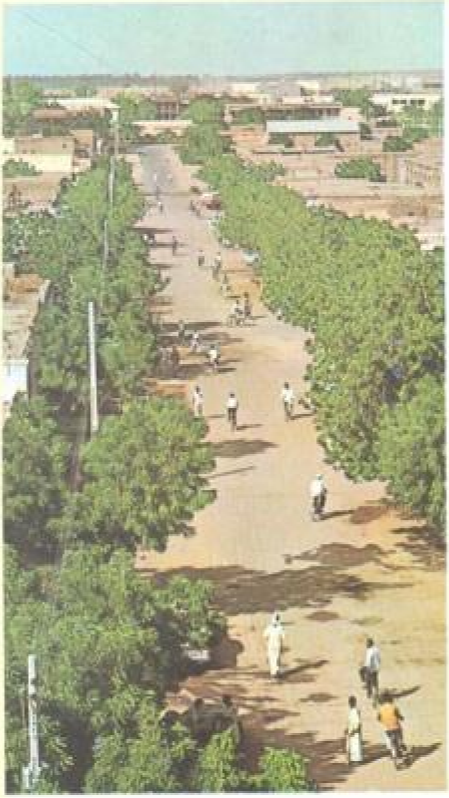
وبعد ذلك مباشرة بدا العمل فى خط آخر يربط حلفا مباشرة بـ « ابو حمد » ويخترق صحراء العطمور ..

وفى عـام ١٩٠٠ بلـغ طول خطوط السكك الحديدية فى السودان ١٢٥٤ كيلو مترا .. وبدا التفكير بعد ذلك فى انشاء خط حديدى يربط بين داخل السودان ومنفذها على البحر ، وكـان

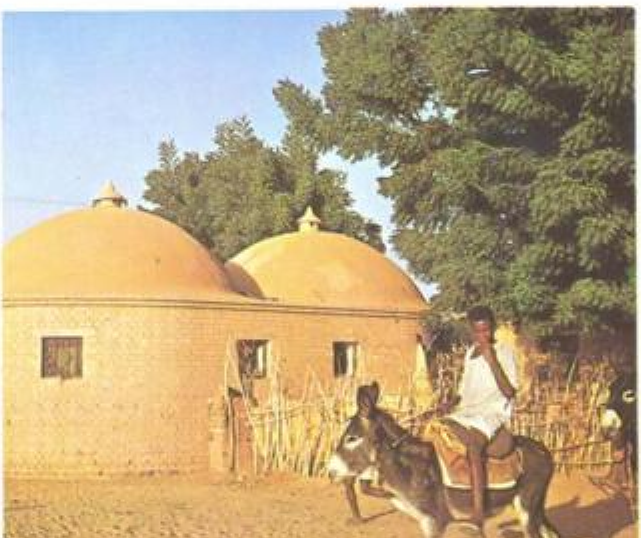
●●● قبل الاستقلال كانت عطبرة تنقسم الى قسمين ، خصص احدهما لموظفي السكك الحديدية وحرم على أهالي البلد دخوله وكان هذا القسم ينعم بالمباني الفخمة والطرق الممهدة **والى أسفل الصفحة** صورة لبين أحد مباني السكك الحديدية يتلألأ بالأنوار في هذا القسم ، وبعد الاستقلال الغيت الاسوار بين قسمي المدينة وتم انشاء الجوامع الحديثة في هذه المنطقة التي كانت مقصورة على الانجليز **(الصورة الى اليمين)** .







الى اليسار : شارع رئيسي من شوارع مدينة عطبرة وهو يخترق المدينة بمحاذاة شريط السكك الحديدية الذى يفصل بين حي السكك الحديد وحي الاهالي . وكان هذا الشارع يعتبر كحدود لا يجوز للاهالي اجتيازها زمن الاستعمار والا تعرضوا للجلد او الحبس .



تتميز مباني عمال السكك الحديدية بهذا الطراز ذى القباب والذى يفرق بينها وبين مباني الاهالي وينتشر هذا الطراز في كل محطات السكك الحديدية بشمال السودان .

الحقل حليف قرية « الداخلة » لكي تكون هي ملتقى هذا الطريق الذى يربط بين ميناء السودان الجديد بور سودان وبين داخل البلاد.. ومن يومها تغير اسم الداخلة ليحل محله اسم « عطبرة » وبدأ انشاء المدينة الجديدة واصبحت الداخلة مجرد حي قديم من احيائها .

وفي عام ١٩٢٧ بدىء في استكمال الخط الحديدى الذى يربط الخرطوم بالقضارف عن طريق النيل الازرق ويمتد الى كسلا وبور سودان وقد استدعى انشاء هذا الخط اقامة كوبرى على نهر عطبرة .. وهو وسيلة الوصل الوحيدة الان بين شمال السودان ووسطه وجنوبه .

مدينة الاضداد !

على مر الزمن .. ومنذ ان دخلت السكك الحديدية الى قرية الداخلة فحولتها الى مدينة اسمها عطبرة .. قام رجال السكك الحديدية .. وكان يتولى امرها مهندسون انجليز ، ببناء مدينة خاصة بهم يفصلها شريط السكك الحديدية عن الاحياء الاخرى والتي يقطنها اهالي البلدة من السودانيين .. ادخلوا الكهرباء والماء النقي الى الحي الخاص بهم .. مهدوا شوارعه .. زينوها بالاشجار .. ارتفعت المباني الفخمة في كل مكان.. وتركوا الاحياء الوطنية مهملة تماما .. الطرق ترابية .. المباني بدائية .. الكهرباء لم تدخلها الا بعد ان مر على دخولها في حي السككالحديدية عشر سنوات .. الحدائق الجميلة على ناحية من السكك الحديدية والقذارة والتراب على الناحية الاخرى .. الغنى على ناحية .. والفقر على الناحية المقابلة .. والمسافة بينهما لا تزيد على عدة امتار فقط هي خطوط السككالحديدية .. !! ويتذكر سكان عطبرة هذه الايام التى كان محرما فيها عليهم ان يتخطوا شريط السكك الحديدية الى الناحية المقابلة ، ومن كان يجسر أن يتخطى هذا الشريط وهو يعلم تماما انه يتعرض لعقوبة الجلد اذا فعل هذه الفعلة الشنعاء ..

ومن هنا جاء لقب مدينة الاضداد ..



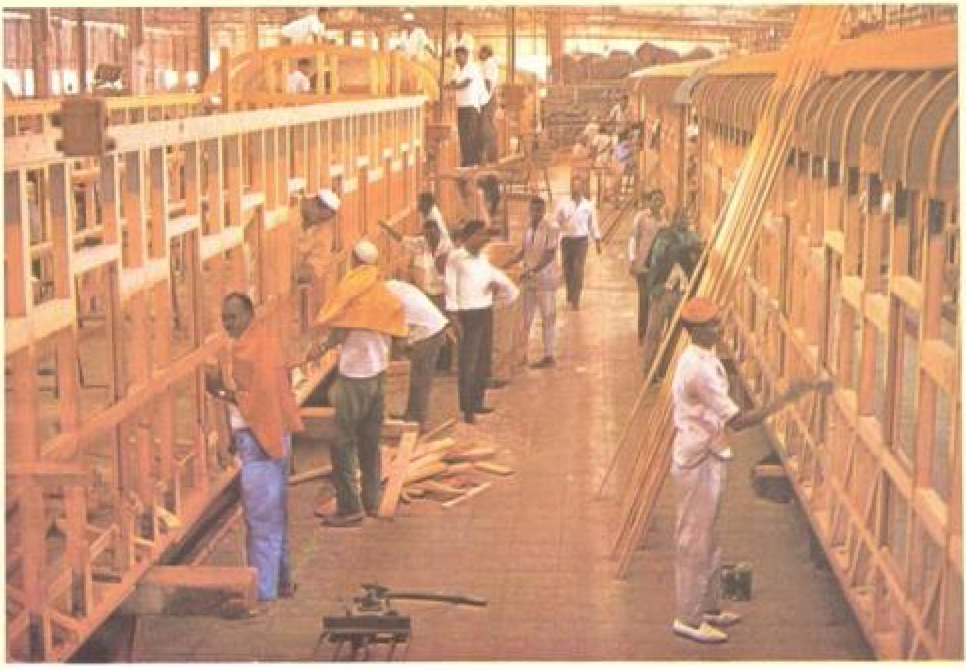
منظر عام للحي الشعبي في مدينة عطبرة ، ويلاحظ ان اغلب الطرقات في المدينة غير ممهدة .



عطبرة مدينة عمالية بها حوالي ١٦ ألف عامل من بينهم ١٠ آلاف يعملون في السكك الحديدية ؛ وقد التقطت هذه الصورة ساعة انصراف العمال من مصانع السكك الحديدية وأغلبهم يستعملون الدراجات كوسيلة مواصلات تسهل عليهم التنقل .

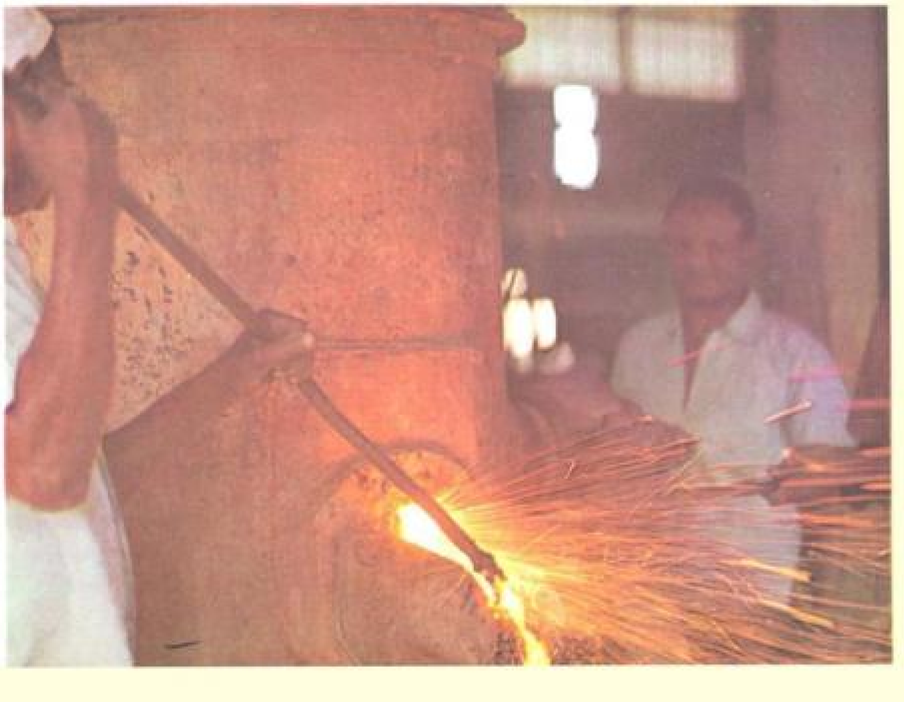
مدينة الحديد والنار

وحصل السودان على استقلاله في عام ١٩٥٦ .. وحل السودانيون محل الانجليز .. وبدا الاهتمام بالنصف المهمل من مدينة عطبرة .. كما عاد النصف الآخر الجميل الى اهله ليسكنوا فيه ويتمتعوا بجماله .. وتوسعت الانشاءات في حي السكك الحديدية وتم بناء منازل جديدة للعمال الذين بلغ عددهم ١٠ آلاف عامل .. منهم ٤ آلاف من الفنيين و ٦ آلاف غير فنيين .. وبدا العمل في توسيع ورش السكك الحديدية والتى اصبحت تضم ٣ أقسام رئيسية اولها مصنع للعربات يتم فيه صنع عربات البضاعة وعربات الركاب ويقدر الانتاج السنوى لعربات الركاب ب ٥٦ عربة . وثانيهما



مصنع عربات السكك الحديدية يتم فيه صنع عربات الركاب بواسطة عمال سودانيين مهرة .

عمليات صهر الحديد وتشكيله تتم في مسابك السكك الحديدية بعطبرة وقد بلغ انتاج هذه المسابك في العام الماضي أكثر من ١٣٠٠ طن من المصنوعات الحديدية والنحاسية .





محطة سكك حديد عطبرة تعتبر من أهم المحطات التي تربط شمال السودان بشرقه وغربه وجنوبه ، وعطبرة مدينة احيتها السكك الحديدية .



واحد من الخبراء المصريين في مصانع السكك الحديدية يقوم بتدريب احد العمال الفنيين السودانيين على عملية لف الوبينات الضخمة التى كانت تستورد من الخارج حتى وقت قصير واصبحت الآن تصنع في السودان .

قسم للصيانة يتم فيه انتاج ٦٠٪ من قطع الغيار الخاصة بقاطرات السكك الحديدية سواء البخارية منها او تلك التي تعمل بالديزل .ويتبع هذا القسم مسبك كبير يتم فيه صهر الحديد وتشكيله لانتاج قطع الغيار اللازمة .. ومن هذا المسبك الكبير نشأت التسمية الثانية لمدينة عطبرة .. مدينة الحديد والنار . وقد بلغ انتاج ، المسبك في خلال عام ١٩٧٠ ما يقدر باكثر من ١٢٠٠ طن من المصنوعات الحديدية والنحاسية.

أما القسم الرئيسي الثالث في ورش السكك الحديدية فهو القسم الخاص باعمال الكهرباء .. وقد استعانت سكك حديد السودان بعدد من اخوانهم الخبراء المصريين لتوسيع هذا القسم اخيرا .. وبدأت في تصنيع البوبينات الكهربائية الضخمة بعد ان كانت تقوم باستيرادها من الخارج .



خامات الاسمنت ، يتم نقلها من المناجم التي تقع على الضفة الغربية للنيل امام مصنع الاسمنت بواسطة ناقل هوائي (تلبفريك) وبذلك يتم توفير الكثير من الوقت والمال .

• • •

عملية صهر الحديد في مسابك السكك الحديدية ، هي التي اكسبت مدينة عطبرة اسم مدينة الحديد والنار . ويشرف على هذه المسابك مهندسون سودانيون .





في قسم الكهرباء في مصانع السكك الحديدية يقوم العمال السودانيون بانتاج المراوح الكهربائية المستعملة في عربات ركاب السكك الحديدية وكذلك بانتاج أغلب الآلات الكهربائية اللازمة لهذه العربات .

مصنع ماسبيو للاسمنت

لم يكن مسبك السكك الحديدية هو السبب الوحيد في تسمية عطبرة بمدينة الحديد والنار .. فهنالك مصنع آخر كبير يقع على بعد ٣ كيلو مترات من وسط المدينة .. وهو مصنع الاسمنت وقد اطلق عليه اخيرا بعد تأميمه اسم مصنع ماسبيو ، نسبة للحروف الاولى للشهور التي حدثت فيها ثورات السودان وليبيا ومصر وهي مايو وسبتمبر ويوليو ..

وقد انشىء هذا المصنع في عام ١٩٤٧ برأسمال اجنبي قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر١ جنيه سوداني .. وبدأ المصنع انتاجه في عام ١٩٤٩ ولم يكن هذا الانتاج يزيد عن ١٥٠ طن يوميا .

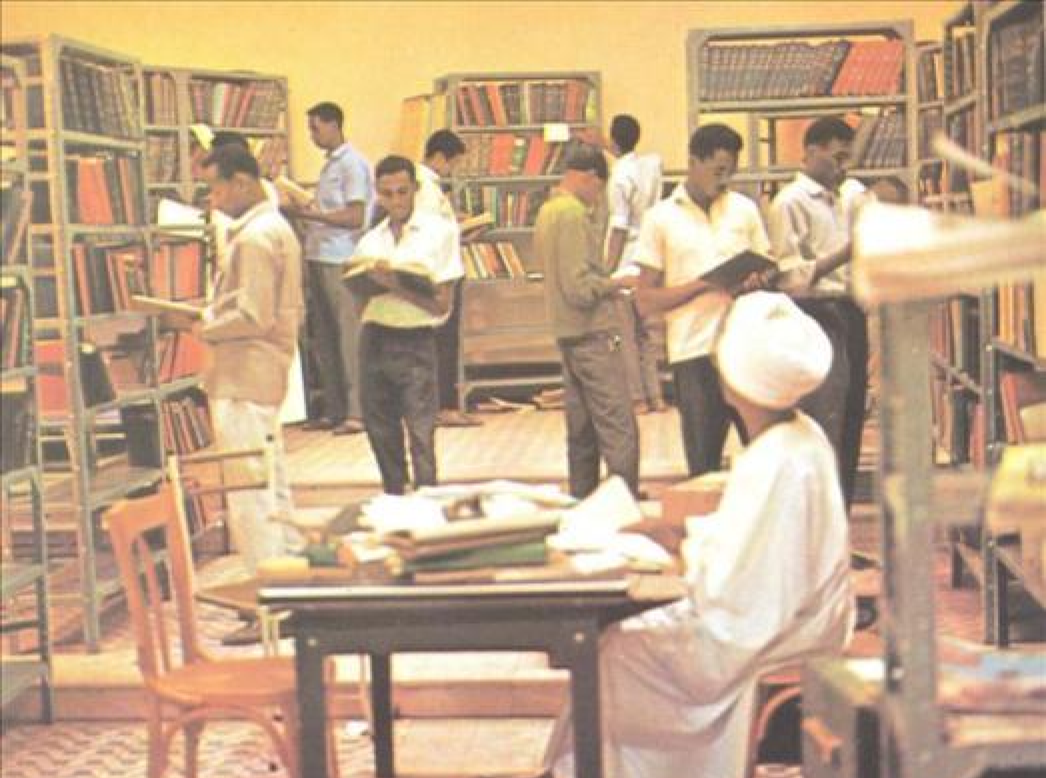
وفي عام ١٩٦٢ تم تركيب فرن آخر للاسمنت يبلغ انتاجه ٤٥٠ طن يوميا .

وتوجد محاجر خامات الاسمنت على الضفة الغربية للنيل امام المصنع الذى يقع على الضفة الشرقية ويتم نقل الحجر الجيرى بواسطة طريق هوائي (تليفريك) عبر النيل الى المصنع مباشرة .. وفي المصنع تتم عملية تكسير الحجر ثم طحنه.. وبعد ذلك يتم خلطه بنسب معينة بالرمل والمادة الطفلية ويعاد طحنه مرة اخرى حتى يصبح مسحوقا .. وينتقل هذا المسحوق من المطحنة بواسطة مواسير ضخمة الى الافران مباشرة حيث تتم عملية الحريق في درجة حرارة تصل الى ١٤٥٠° مئوية .. وبعد ذلك يخرج خام الاسمنت كتلا صغيرة كالكرات Clinkers ، حيث يتم نقله الى طواحين اخرى يتم فيها اضافة الجبس بنسبة ٤٪ الى الخام واضافة الجبس القصد منها ابطاء تجمد الاسمنت حين خلطه بالماء . ثم تتم تعبئته في الاكياس بعد ذلك حيث يتم شحنه

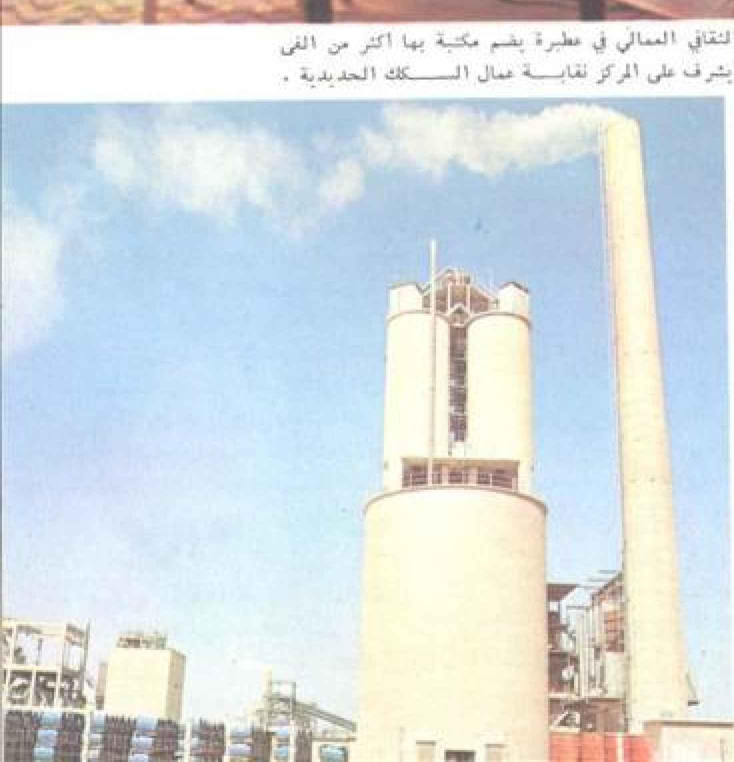


الى اعلى : اجتماع لمجلس ادارة نقابة عمال سكك حديد عطبرة وهي تضم أكثر من ١٠ آلاف عامل وتعتبر من أقوى النقابات العمالية في السودان .. ولها نشاط اجتماعي ونقابي كبير يهدف الى تحسين احوال العمال الاقتصادية والاجتماعية . والى اسفل احد النوادى حيث يقضي العمال أوقات فراغهم يلعبون الشطرنج أو يتناولون المرطبات ويتحدثون في شئونهم . وهم يمارسون الرياضة أيضا في هذه النوادى .





المـ ـز الثقافي العمالي في عطبرة يضم مكتبة بها أكثر من الفى
كتاب ويشرف على المركز نقابة عمال السكك الحديدية .



مصنع ماسبيو للاسمنت
واحد من معالم عطبرة
الصناعية وهو ينتج حاليا
١٨٠ الف طن من الاسمنت
سنويا .

الى اماكن الاستهلاك وتتوفر الخامات اللازمة لصناعة الاسمنت كلها في مناطق مختلفة بالسودان .. فالحجر الجيرى محاجره تقع امام المصنع على الضفة الاخرى من النيل وكذلك الرمال والطفل ...

وقد تم اكتشاف مناطق غنية بمادة الحرير الصخرى (الاسبست) في المديرية الشمالية وهناك الان دراسة جادة لانشاء مصنع للاسبست لاستغلال هذه المادة الخام ومصنع آخر للمواسير ومصنعين للبلاط يتم الحاقهم بمصنع الاسمنت الحالي .

ويبلغ انتاج مصنع الاسمنت الان ١٨٠ الف طن سنويا وينتظر ان يزداد هذا الانتاج بنسبة ٢٠٪ خلال العام القادم . بينما تقرر زيادة الانتاج الى الضعف تقريبا خلال الخمس سنوات القادمة . وقد طلبت المملكة العربية السعودية ونيجيريا وسيراليون والصومال استيراد كميات كبيرة من انتاج المصنع من الاسمنت ولا تزال هذه الطلبات تحت الدراسة .

مدينة عمالية

يبلغ سكان مدينة عطبرة حوالي ٤٠٠ر٥٤٠ نسمة حسب آخر احصاء رسمي اجرى عام ١٩٥٦ .. (يقدر السكان الان باكثر من ٦٥ الفا) .. وهي اكبر مدينة بالمديرية الشمالية في السودان التي تعتبر من اكبر مديريات السودان اذ تبلغ مساحتها حوالي ٢٩٠ الف كيلو متر مربع بينما يسكنها ٩٧٥ الف نسمة ١٢٪ منهم من القبائل الرحل . وبالرغم من ان عطبرة هي اكبر مدينة في المديرية كلها الا انها ليست عاصمة المديرية بل تحتل هذه المكانة مدينة صغيرة تبعد من عطبرة بخمسة عشر كيلو مترا تسمى بالدامر .. والدامر اذا قارناها بعطبرة فهي تعتبر اصغر بكثير واقل رقيا .. واقل في مستوى المعيشة . والمقارنة بين المدينتين تمثل تماما ما يمكن ان تفعله الصناعة في رفع مستوى الحياة بمدينة من المدن ..

ويبلغ عدد العمال الذين يقطنون عطبرة باكثر من ١٧ الف عامل .. منهم ١٠ آلاف يعملون في ورش السكك الحديدية بينما يعمل الباقون في صناعات صغيرة مختلفة تنتشر في انحاء البلدة .

ويعتمد العمال على الدراجات كوسيلة من أهم وسائل الانتقال تحملهم من منازلهم الى اماكن عملهم . ولذلك فانك تجد اعدادا كبيرة من الدراجات تملأ شوارع المدينة في الصباح الباكر .. وعند انتهاء مواعيد العمل ..

كيف تكونت نقابة عمال السكك الحديدية ؟!

ومن اقوى نقابات العمال في السودان نقابة عمال السكك الحديدية وهي تضم ٣٨ الف عضو . ومركزها الرئيسي في عطبرة . وقد تم انشاء النقابة في عام ١٩٤٧ ..

ويروى سعيد عبد الله سكرتير النقابة وهو واحد من الرعيل الاول الذين عاصروا انشاء هذه النقابة تاريخ انشائها فيقول : « في عام ١٩٤٦ فكر سليمان موسى وكان يعمل ميكانيكيا في ورش السكك الحديدية في انشاء هيئة لعمال السكك الحديد .. وقام بجمع امضاءات عدد كبير من العمال وقدمها على هيئة عريضة مكتوبة لمدير السكك الحديدية في ذلك الوقت .. وكان انجليزيا .. وثار المدير على الرغم من ان انجلترا تضم عمالها جميعا شتى النقابات ، ورفض السماح بتكوين مثل هذه الهيئة .. وثار العمال وتجمعوا داخل الورش ليظهروا رغبتهم في تكوين هيئة لهم .. واتصل المدير الانجليزى بقومندان البوليس وهو ايضا انجليزى .. وحضر رجال البوليس وقامت معركة بينهم وبين العمال .. وتم القبض على عدد كبير من العمال واودعوا في السجن .. واتفق العمال على الاضراب عن العمل الى ان يتم الافراج عن زملائهم .. واستمر الاضراب ٦ أيام .. وكان اول اضراب في تاريخ السكك الحديدية في السودان .. واخيرا وافق المدير الانجليزى تحت هذا الضغط على تكوين هيئة عمال السكك الحديدية .. وتحولت الهيئة بعد ذلك الى نقابة وتم وضع دستور لها .. وقد لعبت النقابة دورا كبيرا في الحصول على استقلال السودان » ..

ويستطرد سكرتير النقابة قائلا : « ان العمل النقابي في مفهومنا بعد حصول السودان على الاستقلال يجب ان يستقل تماما عن العمل السياسي



العون الذاتي . ظاهرة صحية انتشرت في السودان من شماله الى جنوبه ، وشملت أغلب المرافق الحيوية ، وفي مدرسة عطبرة الثانوية يقوم الطلبة ببناء مسرح مدرسي بأنفسهم وذلك مشاركة منهم في مشاريع العون الذاتي .

.. لقد الغينا الاضرابات السياسية بعد الاستقلال وذلك حتى لا نخرب العمل الوطني » .

جمعيات تعاونيـة ومستشفيات متنقلة

وبعد ان انتهى سكرتير النقابة من حديثه عن تاريخ النقابة .. بدأ رئيسها وهو محمد حسن عبد الله حديثه عن النشاط الاجتماعي والثقافي الذى تقدمه لاعضائها فقال :

« ان عمال السكك الحديدية في السودان ، وخاصة في المديرية الشمالية ، يعيشون تحت ظروف صعبة وبالذات هؤلاء الذين يعملون في محطات الوسط وهي محطات صغيرة بين عطبرة وحلفا .. فهم يعيشون وسط الصحراء حيث لا ماء ولا زراعة .. ومن أجل هؤلاء اقمنا جمعيات تعاونية متنقلة ، تلحق بالقطارات التى تمر على هذه المحطات وتبيع لعمال السكك الحديدية ما يلزمهم من معلبات وسجائر ومرطبات بأسعار التكلفة وهي بذلك تسهل عليهم قليلا من الصعوبات التي يلاقونها ..

وهناك أيضا عربة مستشفى بها طبيب تمر في هذه المحطات على دورات للاشراف الصحي وتقديم المساعدة الطبية لهم ولاسرهم .

وتقوم النقابة بدفع اعانات لاى عامل ينقطع مرتبه لسبب مرضه ٦ شهور متوالية .. أو في حالة الوفاة .. وكذلك انشأت النقابة عددا من المدارس الابتدائية والمتوسطة في محطات الوسط وذلك لتعليم أبناء عمال السكك الحديدية بها .

وقد طلبت النقابة من اتحاد النقل العربي ــ والتى هي عضو فيه ــ امدادها بطبيب أخصائي للعمل في عيادة تنشأ في عطبرة لعلاج العمال وأسرهم نظير مبالغ زهيدة وقد قررت ادارة السكك الحديدية المساهمة في هذا المشروع عن طريق اعداد سكن خاص للطبيب واعداد مكان يخصص للعيادة » .



تهتم حكومة السودان الآن بالتعليم اهتماما كبيرا ، وللفتاة السودانية نصيب كبير من هذا الاهتمام وتمثل الصورة العليا بعض طالبات المدرسة الثانوية العليا في عطبرة أثناء درس للرسم . ولم يقتصر الاهتمام على تعليم الفتيات بل تعداه الى تعليم السيدات الكبار اللواتي فاتتهن فرصة التعليم في صغرهن (**الصورة السفلى**) .





تضم المدرسة الثانوية العليا للبنين في عطبرة معامل حديثة واجهزة تعليمية تساعد على رفع مستوى التعليم **(الصورة العليا)** وفي نفس الوقت قامت طالبات المدرسة الثانوية للبنات بالمشاركة في بناء فصولهن عن طريق العون الذاتي **(الصورة السفلى)** .



ويتحدث رئيس النقابة عن مرتبات العمال فيقول : « ان اقل مرتب شهرى للعامل غير الفنى هو ١٢٫٩٠٠ جنيه ويصل مرتب العامل الفني الى ٤٦ جنيها شهريا .

ونحن الآن نتقاضى اشتراكا سنويا من كل عامل يبلغ ١٢٠ قرشا .. ونفكر جديا في عمل نظام معاشات النقابة للعمال عند الوفاة أو التقاعد » .

نشاط نسائى لمحو الامية بين نساء عطبرة

يقطن في مدينة عطبرة ، كاى مدينة في المديرية الشمالية بالسودان ، خليط من أبناء القبائل العربية التى جاءت الى هذه البلاد منذ مئات السنين .. والتى يرجع اصلها في راى الكثير من المؤرخين الى بني امية الذين فروا من مصر بعد مقتل آخر وال لهم وهو مروان بن محمد .. وقد استوطن هؤلاء العرب الاماكن الشمالية من السودان والتى تمتد من حلفا جنوبا الى الخرطوم .. ولكل قبيلة من هذه القبائل عاداتها وتقاليدها .. ومن بين هذه القبائل الميرفاب والرباطاب والشايقية والجعليين والفونج وغيرهم . وقد كانت نسبة التعليم بين النساء نسبة ضئيلة جدا او شبه معدومة وبعد الاستقلال بدا تعليم الفتيات يتخذ شكلا جديدا . وبدات العادات البالية والتقاليد القديمة تتداعى واحدة وراء الاخرى .. ومن بين هذه العادات التى بدات تتلاشى عادة الزار .. والايمان بالسحر والتعاويذ والاحجبة .

وقد شاهدت بعثة « العربى » المجهود الكبير الذى تقوم به بعض السيدات المثقفات في مدينة عطبرة للقضاء على الامية بين النساء اللواتى فاتهن سن التعليم ، وذلك بتعليمهن مبادىء القراءة والكتابة بالاضافة الى الاشغال اليدوية التى تزيد من دخل الاسرة .

وهناك ٢٥٠ سيدة عضوات في الاتحاد النسائى فرع عطبرة .. وقد قسمن البلدة الى ٩ احياء .. وتقوم كل لجنة مكونة من حوالى ١٠ سيدات



بالاشراف على النشاط الاجتماعى والثقافى في كل حى . وتقول السيدة آمال ابراهيم شكرى وهى مسئولة الاتحاد النسائى في حى « فكيه مدنى » وهو واحد من احياء عطبرة :

« اننا نعمل على رفع مستوى المراة السودانية اجتماعيا وثقافيا .. فهناك نسبة كبيرة منهن اميات .. ولذلك ركزنا على فتح فصول الامية بينهن .. وقمنا باستغلال مبانى المدارس الموجودة في كل حى لالقاء دروس على الكبار بعد الظهر وتطوعت المدرسات للعمل معنا مجانا في اوقات فراغهن . ولا يقتصر الامر على مكافحة الامية بين السيدات بل يتم القاء محاضرات عن تربية الاطفال .. وكذلك عن دور المراة في المجتمع وعن التربية القومية والعالم العربى والدول الافريقية .

اما عن الناحية الصحية ففى كل اسبوع تحضر زائرة صحية حيث تقوم بشرح وسائل الوقاية من الاوبئة واهمية النظافة في المحافظة على الصحة العامة .

وهناك اخصائية تلقى محاضرات عن العادات البالية وتأثيرها السيىء على المجتمع .. وقد نجحت



هذا الطراز من المنازل ذات الاسقف المخروطية ، يدل على أن سكانها من رجال بوليس السكك الحديدية . وهذا الطراز يشبه الى حد كبير البيوت المبنية من القش في جنوب السودان ولكن يختلف عنها بأنه مبنى بالطوب الاحمر والاسمنت .

هذه المحاضرات في التقليل من عادة الزار والايمان بالاحجبة والتعاويذ التى كانت اساسا من اسس الحياة في المجتمع السوداني » .

وقد ادى نشاط الاتحاد النسائى الى محو امية ٢٠٠ سيدة في خلال السنوات الماضية .

الصناعة .. وتاثيرها على المجتمع

تعتبر مدينة عطبرة واحدة من اهم مدن شمال السودان الصناعية .. وقد كان للصناعة تاثير كبير على المجتمع في هذه المدينة .. فنحو ثلث سكان المدينة عمال يعملون في مختلف الصناعات .. منهم عمال فنيون .. وعمال غير فنيين وقد كان للنشاط الاجتماعى الذى تقوم به نقابات العمال في المدينة اثر كبير على طريقة الحياة في عطبرة .. ولعل ابرز ظاهرة هناك هى كثرة النوادى الرياضية والاجتماعية .. ويقبل العمال على هذه النوادى اقبالا كبيرا .. ويمارسون كل انواع الرياضة بها اثناء اوقات فراغهم .. والرياضة الرئيسية هناك هى كرة القدم .. والمنافسة فيها شديدة بين مختلف النوادى التى يزيد عددها على ١٠ نواد .

وقد ابتعت النوادى العمالية والمهنية هناك تقليدا جميلا في تكريم العاملين من ابناء مهنتهم والذين يثبتون جدارة وامانة في عملهم .. وقد حضرت بعثة « العربى » حفل تكريم اقامه نادى الممرضين والممرضات للممرضات اللواتى قضين ٢٠ سنة في خدمة المرضى . وكان سجلهن مشرفا .. وقد تم منحهن شهادات شرفية تدل على اجتيازهن وحضر الاحتفال الاطباء والمسئولون عن المديرية ..

اقبال متزايد على التعليم

ادى انتشار الصناعة في عطبرة الى زيادة ملموسة في متوسط دخل الأسرة .. مما ادى بالتالى الى زيادة الاقبال على ارسال ابناء العمال الى المدارس.. وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية للبنين في المدينة ١٨ مدرسة وبلغ عدد المدارس الابتدائية للبنات ١٤ مدرسة .

وبلغ عدد الطلبة والطالبات في المدارس الابتدائية اكثر من ١٠ الاف طالب وطالبة ، وهناك ٨ مدارس ثانوية عامة للبنين و ٤ مدارس ثانوية عامة للبنات . وتوجد ايضا مدرسة واحدة ثانوية عليا للبنين واخرى للبنات الى جوار المدرسة الثانوية المهنية العليا . ويبلغ متوسط عدد الطلبة في الفصل الواحد حوالى ٤٠ طالبا او طالبة .

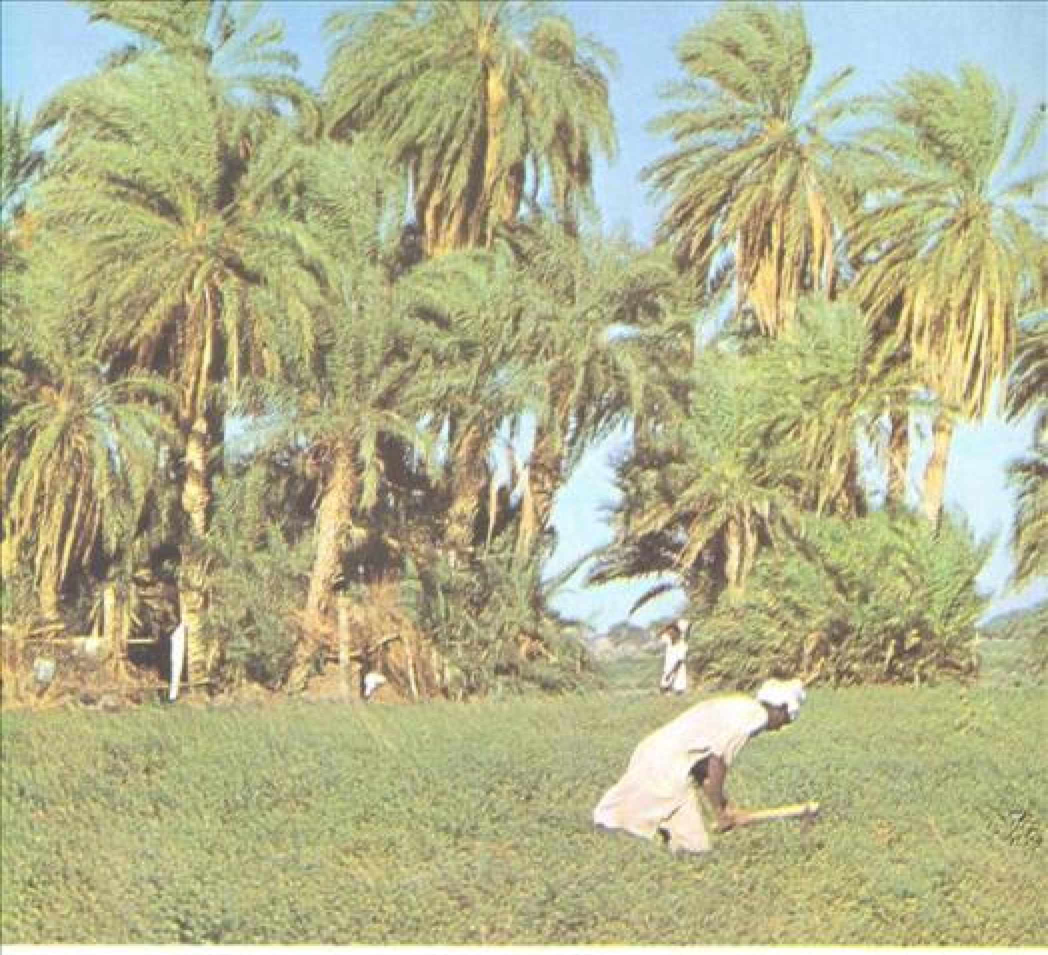
عطبرة .. مقبرة ..

عندما وصف السودانيون عطبرة بانها مقبرة ..

الزراعة مورد اقتصادي هام بالنسبة للسودان ، ولكن هناك مساحات كبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة التي لا تستغل، وتتكاثر في هذه الاراضي اشجار برية تسمى اشجار « العشر » **(الصورة الى اليمين)** وهي تؤثر على التربة ومن الصعوبة اقتلاعها لان جذورها تمتد بعمق في التربة. **والى اليسار** نرى أن الزراعة في المديرية الشمالية لا تزال تعتمد على الطريقة البدائية . **والى اسفل** احد المواطنين السودانيين يحمل « العنجريب » السرير المصنوع من الياف النخل ليضعه تحت ظل شجرة حيث ينام عليه . وتمثل **الصورة المقابلة** لها غروب الشمس على شاطىء النيل .









فانهم بوصفهم القاسي هذا انما يعبرون عن طبيعة الجو الذى تتعرض لهم هذه المدينة خلال ٦ شهور في السنة تبدأ من اواخر فبراير وتنتهي في اواخر يونيو . اذ تهب الرياح المحملة بالرمال والاتربة على المدينة مرتين في الاسبوع على الاقل فتجعل الرؤية شبه متعذرة ويتحول لون السماء الى اللون الاحمر وتتأثر صحة السكان وتتعطل المواصلات وتصاب المدينة بشلل جزئي . وتسمى هذه الرياح « بالهبوب » .

النمتي .. يهاجم البشر .. والابقار !

من بين الاسباب التى دعت بعض الناس الى اطلاق لقب « عطبرة مقبرة » على مدينتهم .. وجود اسراب كبيرة من الذباب الصغير جدا وهو اشبه « بالهاموش » .. ويطلقون عليه اسم « نمتي » وهو يتكاثر بالقرب من المياه او الزراعات .. ويهاجم البشر والحيوانات .. ويعمد الفلاحون الى اشعال النيران في اخشاب الاشجار وغصونها الجافة لطرد اسراب النمتي بعيدا عنهم وعن حيواناتهم .. ولكن كثيرا ما يكون « النمتي » من الكثرة بحيث يهاجم الحيوانات كالابقار والاغنام بقسوة مما يؤثر على الانتاج الحيواني في المنطقة .. واصبح النمتي مشكلة يبحث المسئولون عن حل لها .. لوقاية الانسان والحيوان من شره .

تصدير الجمال .. والابقار الى البلاد العربية

على بعد ١٥ كيلو مترا من مدينة عطبرة وعلى مدخل مدينة الدامر يوجد سوق كبير للابل والابقار .. ويأتى الى هذا السوق كل يوم سبت أعداد كبيرة من مختلف القبائل المنتشرة في شمال السودان وغربه ومعهم ابلهم يعرضونها للبيع .. ويأتى التجار الذين يعملون فى تصدير هذه الجمال الى الجمهورية العربية المتحدة والسعودية للشراء .. وتبدأ المساومة .. وتنتهى عادة ببيع الجمل الصغير بحوالى ١٥ جنيها بينما يصل سعر الجمل الكبير الى ٤٠ جنيها .. وفي هذا السوق تستطيع ان تشاهد افرادا من مختلف القبائل التى تسكن شمال السودان وغربه ووسطه ويزيد عدد هذه القبائل على ٢٠ قبيلة .

وقد يختلف الزى والشكل اختلافا كبيرا مما يدل بشكل واضح على القبيلة التى ينتمى اليها كل واحد منهم .

عطبرة والمستقبل

تعانى عطبرة من مشكلة اسكان .. عدد سكانها يزداد يوما بعد يوم .. والهجرة من الريف الى المدينة تتزايد بتزايد وجود فرص العمل نتيجة للصناعات التى تنمو في عطبرة .. وتدرس بلدية المدينة الان مشاريع جديدة لحل مشاكل الاسكان وقد بدىء فعلا في تقسيم اراض جديدة تتسع لبناء ٤٥٠٠ منزل لذوى الدخول المتوسطة والمحدودة وتتراوح مساحة كل قطعة ارض بين ٤٠٠ و ٦٠٠ متر ..

ومن أهم المشروعات التى تبحث الان ، ضمن نطاق الخطة الخمسية الاولى : مشروع انشاء رصيف على النيل يحمى البلدة من الغرق اثناء موسم الفيضان .. وكذلك رصف الطرق الهامة في البلدة التى تعانى من سوء حالة الطرق بها .

كوبرى عطبرة

وعطبرة تقع عند التقاء النيل بنهر عطبرة .. ويوجد بها على نهر عطبرة كوبرى للسكك الحديدية والسيارات يعتبر الشريان الحيوى لوصل وسط السودان بشماله .. ولا يوجد على نهر النيل اى كوبرى شمال الخرطوم حتى السد العالى . وهذا يسبب انعزال الضفة الغربية من النيل عن الضفة الشرقية ويؤخر التقدم في الناحية الغربية ويجعلها معزولة ولا طريق الى العبور اليها الا عن طريق استخدام المعديات .. وهناك الان مشروع لبناء كوبرى جديد لوصل عطبرة بالضفة الغربية ولكن لا يزال المشروع تحت الدراسة .. ومن ضمن المشروعات التى تدرس حاليا مشروع تشجير المناطق الصحراوية المحيطة بالبلدة لتكوين حزام اخضر يقيها من الرياح المحملة بالاتربة ..

وبعد .. ان عطبرة خير مثل حى لتأثير الصناعة على البيئة المحلية .. في مختلف نواحى الحياة . اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . ■■

محمد طنطاوى

التَّضْيِيقُ

في اللُّغَةِ بدُونِ اسْتِقصَاء

■ في لغتنا سعة ويسر بما تحويه من مجاز واستعارة وتصريف كثير وصيغ متعددة الدلالات ، هذا الى ما تحويه المعاجم من ترادف للالفاظ على معنى واحد ، او من دلالة لفظ واحد على عدة معان ، قد يكون ذلك من اصل الوضع ، جمعاً من عدة قبائل ، أو يكون عن طريق المجاز والاستعارة .

واللفظ الدال على عدة معان ، لا يستطيع احد ان يقطع بان دلالته على معنىً هي أسبق من دلالته على معنى آخر الا بطريق الترجيح ، كأن يقال ان الحسيّ اسبق من المعنويّ ، أما اذا اتفق اللفظ في دلالته على الحسيّ أو المعنوي فالترجيح يكون بلا مرجح .

ويحلو لبعض اللغويين ان يضع فروقا بين دلائل بعض الألفاظ المترادفة ، اعتماداً على ورود لفظ يفهم منه ذلك في جملة بعينها ، لكنه في وضعه لهذه الفروق لا يكون مستقرئا لكل ما جاء من نصوص أدبية . وليست الفروق الموضوعة حديثة عهد . وكانوا كذلك ينكرون المعاني من قديم وبدون استقصاء . وروى ان ابا عمرو ابن العلاء قال ان ما جاءنا من لغة العرب قليل من كثير .

ومصداقا لهذا ما نزال نجد في غير كتب اللغة الفاظا او تصاريف لم تثبت في هذه الكتب . وقد استعملها العرب القدامى في اشعارهم واراجيزهم . والعلماء الكثير والاطلاع ، كابن برّيّ والصاغانيّ يوردون الفاظا مكملين بها ما نقص في كتب اللغويين قبلهم ، مما عثروا عليه في اثناء مطالعاتهم .

الكاس والقدح

ومما يدور بين الناس استعمال الكاس ، فقد فرق بعض اللغويين بينها وبين القدح ، قائلين ان الكاس معناها الخمر ، أو القدح الذى فيه خمر ، أما القدح عندهم

فهو الخالي من الشراب . ولو تتبعنا دواوين الشعر وجدنا الكأس تدل على كل من هذه المعاني مجتمعة أو منفردة .

فمما جاء محتملا دلالتها على الكأس وما فيها قول ابن المعتز :

أدرِ الكأسَ علينا أيها الساقي لنشربْ

ومما جاءت فيه دالة على الخمر قول أبي صخر الهذلي :

فالكأسُ ما ركدت لم يَصْحُ شاربُها وقال إن نَفِدَت يا كأسنا زيدي

قال السكري في شرحه : الكأس الخمر هاهنا بعينها

ومما جاءت فيه دالة على القدح قول أبي نواس :

إذا حساها بعضُهم لم يَدَعْ ما يَغْمُر الذَّرَّةَ في كاسه

وقول دعبل الخزاعي :

وَزَنَّا الكأسَ فارغةً وملأى فكان الوزنُ بينهما سواءَ

وفي مادة دهق في كتب اللغة قال الأزهري : دهقت الكأس اي ملأتها

وقد استعملوا القدح ايضا بمعنى الكأس كما قال ابو نواس :

وكأنَّ أقداحَ الرحيقِ إذا جرتْ جنحَ الظلامِ كواكبُ الجوزاءِ

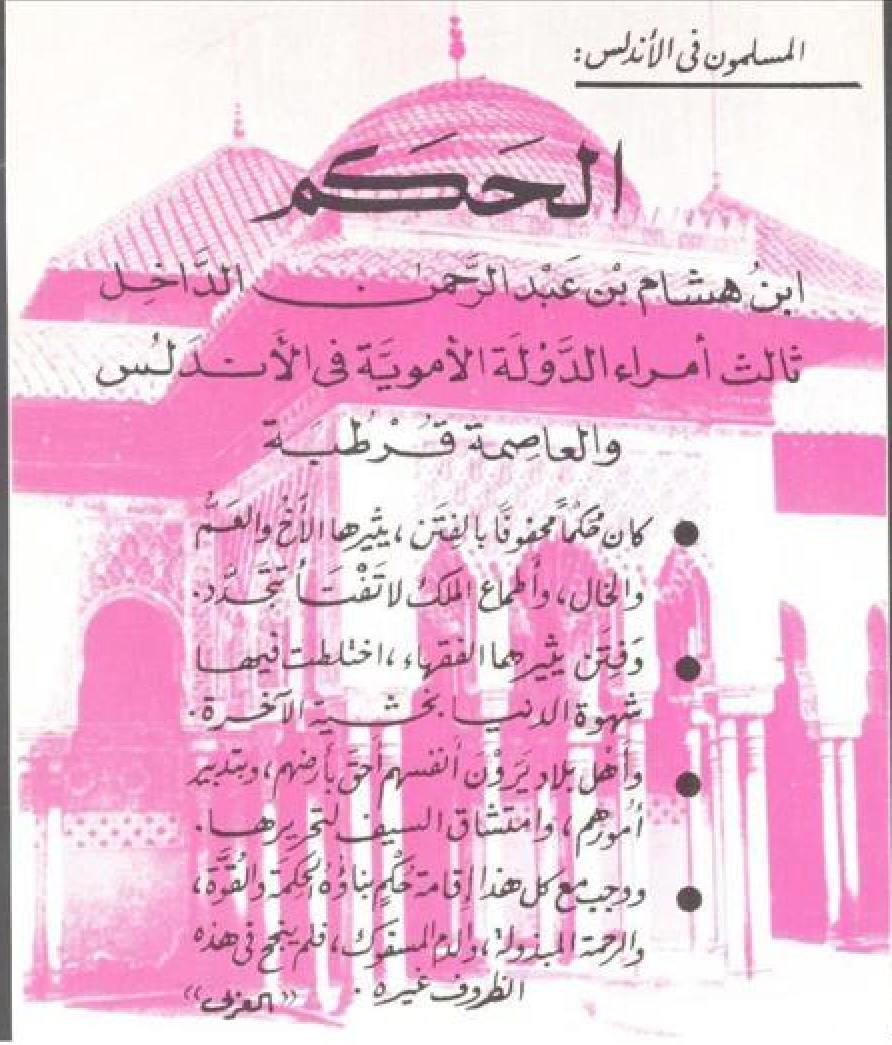
المائدة والخوان

ومما يفرقون بينه قولهم المائدة لا تسمى مائدة ، الا اذا كان عليها طعام ، اما اذا لم يكن عليها طعام فهي خوان .

مع أن بعض اللغويين قال أيضا ان المائدة هي الطعام نفسه وان لم يكن هناك خوان . وبعضهم قال ان المائدة هي نفس الخوان . قال الليث : الخوان : المائدة . وقال بعض اللغويين : ان الخوان هو الذي يؤكل عليه أو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل .

فنحن نرى اختلافا في تعريفهم ، ونجد ان الالفاظ مترادفة على معنى واحد ، وان اللفظ قد يدل على عدة معان ، فلا داعي للتضييق والاقتصار على ما يقوله احد الرواة دون راوٍ آخر ، فليس احدٌ احاط باللغة واستقصى كل ما ورد من استعمال الفاظها .

على أننا نستدرك فنقول ان تسمية الكأس بالخمر ، وكذلك القدح ، او تسمية الطعام بالمائدة ، انما هو تجوُّز فمن المجاز تسمية الشيء باسم المحل ، كما انه من المجاز أن يسمى الشيء باسم الحال فيه ، كأن تقول مثلا اكلت ثلاثة اطباق تعنى بذلك ثلاثة الوان من الطعام ، او تكرار الأكل حبًا فيه ، ولا تعنى انك اكلت ثلاثة اطباق من الخزف ، هذا اذا صح أن كلا من الكأس والمائدة لهما دلالة منفردة لا تشمل ما يدل عليه القدح أو الخوان . ■■



الحَكَم

ابنُ هشام بن عَبْد الرَّحمن الدَّاخِل

ثالث أمراء الدَّوْلة الأمويَّة فى الأندلُس والعاصِمة قُرْطُبَة

- كان حكماً محفوفاً بالفتن، يثيرها الأخ والعمّ والخال، وأطماع الملكُ لاتفتأ تتجدّد.
- وفِتَن يثيرها الفقهاء، اختلطت فيها شهوة الدنيا بخشية الآخرة.
- وأهل بلاد يرون أنفسهم أحق بأرضهم، وبتدبير أمورهم، وامتشاق السيف لتحريرها.
- ووجب مع كل هذا إقامة حُكمٍ بناؤه الحكمة والقوّة، والرحمة المبذولة، والدم المسفوك، فلم ينجح فى هذه الظروف غيره.

«العربى»

بقلم: محمد رجاء حنفى عبد المتجلي

■ ولد الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الأول «الداخل» فى قرطبة سنة ١٥٤هـ، واختاره والده لولاية العهد سنة ١٧٩هـ، وسنه في ذلك الوقت خمس وعشرون سنة، وقد توفى والده هشام ثانى أمراء الدولة الأموية فى «الأندلس» فى اليوم الثالث من شهر صفر سنة ١٨٠ هـ، وبويع الحكم بالامارة، واختار عبدالكريم ابن عبد الواحد حاجبا له، لأنه تربى معه منذ الصغر، وكان أمين كتبه، وكان الأمير من المعجبين بعلمه وامانته وشجاعته.

سياسته العامة واخلاقه

لقد خضعت سياسة الحكم العامة لظروف الأحداث والمحن القاسية التى اكتنفت عهده، فاصطبغت سياسته بالقوة، التى كان لها ابلغ الأثر فى أخلاقه وصفاته الشخصية، فانقلب صارما، طاغية، شديد الوطأة على خصومه

والخارجين عليه ، ولو خلت حياته من تلك الأحداث والمحن لرأيناه على طبيعته الأولى : شجاعا حازما ، يميل بطبيعته الى الانصاف ، والعدالة والعفو .

وقد عرف عنه أنه كان على غير شاكلة أبيه ، فكان يحب الرياضة والصيد والترف والطرب ، يؤثر مجالس الندماء ، والشعراء ، والمغنين ، والفلاسفة ، على مجالس الفقهاء والعلماء .

وهذه الصفات الأخيرة هي التي جعلت الفقهاء يسخطون عليه ، ويثيرون الشغب ضده ، وما كان الحكم قليل الاهتمام بالدين ، أو خليعا مستهترا، ولكنه كان مرحا يحب الحياة كلما اقبلت عليه .

استطاع الحكم أن يتغلب على جميع الأحداث التى صادفته بحزمه وشجاعته،وعرف كيف يحمى عرشه بحد سيفه ، ووطد أركان الدولة وتركها هادئة مستقرة لمن جاء بعده .

كان عصر الحكم يشبه في كثير من احداثه ومؤامراته ومحنه ودسائسه عصر جده عبدالرحمن الداخل ، كما كان الحكم نفسه يشبه جده في بأسه وقوته ، وشدة وطأته على منافسيه واعدائه، وفي قوة الاحتمال ، والجلد والصبر ، ولهذا قدر له في النهاية ان يظفر بخصومه وأن يسحقهم ، وفي رأيي أن سياسة الحكم تعتبر استمرارا لسياسة عبد الرحمن الداخل .

ثورة عميه : سليمان وعبد الله

عندما توفي عبد الرحمن الداخل كان ابنه الاكبر سليمان واليا على « طليطلة » ، وابنه هشام واليا على « ماردة » وابنه عبد الله هو الذى حضر وفاته في « قرطبة » ، وصلى عليه ، ثم ذهب الى قصر الامارة مؤملا ان يقبل عليه كبراء المدينة واعيانها ويحيوه بتحيات الامارة ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، ولم يحم احد منهم حول القصر ، وعندما تحقق من أن رغبات الاهالى منصرفة عنه الى اخيه هشام ولى العهد رأى من الحكمة الا يركب هواه ، فجدد البيعة لهشام وكتب اليه بنعى أبيه وبالامارة ، وبان يحضر الى «قرطبة» ليذهب هو الى « ماردة » .

وكان هشام والد الحكم اصغر اخويه ،وعندما عهد اليه أبوه عبد الرحمن الداخل بولاية العهد وافق الأخوان في الظاهر ، ولما تسلم مقاليد الحكم خرجا عليه ، فطاردهما هشام وأخضعهما ، وأقام سليمان في « طنجة » بالمغرب الاقصى ، بينما بقى عبد الله في « طليطلة » .

ولما تولى الحكم الامارة بعد وفاة ابيه اعتقد عماه أن الفرصةسانحة للثورة علىالحكم وخلعه، وانتزاع الحكم من بين يديه ، فرحل سليمان الى حيث يقيم أخوه عبد الله .

ومهما يكن من أمر فان هناك اتفاقا عقد بين سليمان وعبد الله للاطاحة بحكم الحكم ، وان كانت المراجع التاريخية تقريبا لا تنص على ما اتفق عليه الأخوان ، الا أن الحوادث تعرب عن هذا الاتفاق ، فعبد الله ذهب الى الثغر الأعلى اراغون *Arugon* ، وظل سليمان في جنوبى شبه الجزيرة ، ولم يضع عبد الله الوقت ، بل نهض من وقته للعمل ، فالب اهل الشمال على الامير ، وانضم اليه الكثير من الانصار ، ثم اتجه الى الاستعانة بالفرنجة ، فعبر جبال «البرانس» ، وذهب الى شارلمان ملك الفرنج الذى استقبله في قصره في مدينة « اكس لاشبال » .سنة ١٨١هـ، وافضى اليه برغبته ، فاستجاب له الامبراطور ، ولبى دعوته ، لانه رأى في تلك الدعوة الفرصة الكبيرة لتحقيق أطماعه القديمة ، من توسيع رقعة ممالكه ، والتدخل في شئون المسلمين واضعاف شأنهم في البلاد ، والقضاء على سيادتهم قضاء مبرما ، ويفوز في النهاية بالشهرة الواسعة والبطولة الفذة بين معاصريهمن الملوك والامراء .

كلف شارلمان ابنه لويس صاحب مقاطعة اكتين *Aquitaine* باتخاذ كافة الوسائل ليكون الجيش متاهبا في اسرع وقت ، وأن يسرع لنجدة حليفه الاموى وانصاره ، وأغلب الظن ان شارلمان كانت نفسه تواقة لقهر المسلمين في الاندلس ، عله على الأقل يرد لنفسه بعض الاعتزاز الذى فقده عندما هزمته جماعات كبيرة منالمسلمين بانقضاضها على مؤخرة جيشه أثناء امارة الداخل ، واسقطت زهرةجنودهصرعى في مفاوز رونسفال *Roncesvalles* ومن بينهم رولان *Rolan* ، اشجع قواده وصديقه الحميم الوفى ، الذى بكاه وحزن عليه حزنا عظيما .

عبر لويس البحر ، ودخل بلاد الثغر الاعلى اراغون ، وانضم اليه كثير من الحكام الحاقدين على الحكم .

ولم تخف أنباء هذا الحلف على الحكم ، فاتخذ للامر عدته واستعد له ، لانه ادرك خطورة هذه

الحركة ، وانها اذا قدر لها النجاح فتودي بملك الأمويين في « الاندلس » وتهدد الاسلام والمسلمين بالفناء .

وتوجه الحكم على رأس جيشه الى الثغر الأعلى، ليصد هجوم لويس على بلاده ، ولكنه قبل ان يصل الى الشمال كان الفرنجة قد ادركوا فشل جهودهم وعقم محاولتهم لفتح بلاد « الاندلس » ، والتمكين لأنفسهم فيها ، وذلك عندما لاحت امامهم مفاوز رونسفال ، فانسحبوا خائفين تاركين حلفاءهم يواجهون الحكم بمفردهم .

وحينما وطئت اقدام الحكم بلاد الشمال هرع اليه حكامها معلنين التوبة والخضوع ، معاهدين على الطاعة والولاء ، فتغلبت على الامير الروح العربية السمحة وعفا عنهم ، ورجعت سرقسطة *Zaragoza* وواشقة *Huesca* وغيرهما من المدن الى املاك الحكومة المركزية في « قرطبة » .

كل هذا كان يجري في الشمال ، بينما سليمان في الجنوب يدعو لنفسه ، ويجمع حوله الانصار من العرب والبربر ، ويغري القبائل بالخروج عن طاعة الحكم والدخول في طاعته هو ، وقد انضم اليه اخوه عبد الله بعد فشله في اثارة الفتنة والقلاقل في الشمال ، وانسحاب حلفائه ، وعندما تهيأت الفرصة امام سليمان ، واحس في نفسه بالقوة ، تحرك صوب «قرطبة» العاصمة لمهاجمتها، فقابلته قوات الدولة المسلحة بالقرب من العاصمة ونشبت بين الفريقين معركة ضارية عنيفة في شوال سنة ١٨٢ هـ ، وانتهت بهزيمة سليمان وانصاره ، بيد ان سليمان استطاع ان يجمع فلول جيشه المنهزم ويعاود الهجوم من جديد ، بعد ان اطمأن الى تحسن مركزه الحربي ، فقابلته جيوش الدولة للمرة الثانية بالقرب من استجه *Astorga* ، في صفر سنة ١٨٣ هـ / هزم سليمان مرة اخرى ، ففر الى مارده *Merida* وفر عبد الله اخوه الى بلنسيه واختفى بها ، ولكن قوات الامير طاردت سليمان حتى قبضت عليه ، وبعث به الى الحكم ، فأمر بقتله وصلبه مع جماعة من اصحابه وانصاره .

اما عبد الله فلم يجد مناصا من طلب العفو ، فارسل الى الامير يطلب منه الصفح والعفو ، فلم يجد الامير بدا من اجابته الى طلبه بشرط ان يرسل ابنه الى بلاط الامير كرهينة في يده ، فبعث عبد الله ابنه ، وبعث الحكم اليه أمانا خاصا اقام بمقتضاه في « بلنسيه » ، واجرى عليه رزقا حسنا يتناسب مع مركزه الاجتماعي كفرد في الاسرة الحاكمة ، ثم اصدر عفوا عن القواد والجنود الذين كانوا في جيش سليمان ، وزوج ابن عبد الله عمه ابنته ، وبذلك حسم النزاع .

وهكذا قدر للامير ان ينتصر على خصومه ، ويقضي على تلك الثورة الخطيرة التي كادت تقضي على الدولة الاسلامية في « الاندلس » ، ولم يجن عماه ولا الفرنجه منها فائدة ، ولم يتحقق لهم هدف .

شارلمان يخطط لغزو الاندلس

لم يهمل الفرنجة مشروع غزو « الاندلس » مطلقا ، مع ما لحقهم من هزائم متتالية ونكبات متعددة من جراء تلك المحاولة الجريئة ، وظلوا يحرصون كل الحرص على سياسة التدخل في شئون المسلمين في « الاندلس » ، ورأى شارلمان ان الفرصة مواتية الآن لغزو « الاندلس » بسبب اشتعال نيران الثورات الداخلية في البلاد ، فحاول ان يحقق مشروعه وهو « انشاء ولاية فرنجية في ركن الاندلس الشمالي الشرقي » .

وليس بمستبعد ان يكون شارلمان اراد من انشاء هذه الولاية عمل سد منيع يحول دون عبور المسلمين جبال « البرانس » وتهديدهم للولايات الفرنجية في جنوبي « فرنسا » ، ولتكون هذه الولاية ـ ايضا ـ وسيلة لتحقيق هدفه الاكبر ، وهو السيطرة الكاملة على بلاد « الاندلس » وامتلاكها وطرد المسلمين منها .

ولم يجد شارلمان امامه سوى ثغر « برشلونه »، فهو اصلح مكان يمكن ان يتخذه الفرنجه معقلا دائما لتحقيق اهدافهم ، فوق ذلك فهو يعتبر حلقة الاتصال البحرى السهل بين « فرنسا » وبين « الاندلس » ، ولكي يضمن شارلمان نجاح مشروعه ، عقد معاهدة تحالف مع الفونسو الثاني امير جليقية *Galicia* ، ضمانا لمعونته ، ومعونة قبائل البشكنس *Los Vascones* ، معه .

تنفيذ المشروع

وفي سنة ١٨٥ هـ جهز شارلمان جيشا ضخما واسند قيادته لابنه لويس لغزو « الاندلس » ، فعبر جبال « البرانس » واتجه صوب ثغر

« برشلونه » ، وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام ، قسم عسكر في شمال المدينة ، وقسم في جنوبها والآخر في غربها ، وضرب بذلك حصارا قويا شديدا حول المدينة ، فاصبح من المستحيل وصول اى مدد الى « برشلونه » عن طريق البر ، ومع ذلك فقد ثبت حاكم المدينة ولم يذعن للعدو ، ولم يرضخ لوعيده وتهديداته رغم حرج مركزه ، ودقة موقفه ، وشدة حاجته الى المعونة الخارجية ، وعندما يئس من معاونة حكام الولايات المتاخمة لمدينته ، ومن وصول اى مدد من العاصمة في الوقت الذى كانت فيه الامدادات تتوالى على قوات الفرنجة ، تسلل خفية تحت جنح الظلام محاولا اختراق منطقة الحصار المضروب حول المدينة ، ليذهب الى العاصمة « قرطبة » بنفسه ويطلب المدد ، غير انه عرف ووقع اسيرا في ايدى العدو ، واضطرت القوات التى كانت تدافع عن المدينة الى التسليم ، بعد ان انهك الحصار قوتها ، ونجح العدو في فتح عدة ثغرات في الاسوار، وسقط ثغر « برشلونه » ، وقتل الكثير من ابطاله، بعد ان ظل محاصرا سبعة اشهر كاملة .

وبسقوط « برشلونه » تمكن الفرنجة من تلك المنطقة النائية ، ومع مرور الزمن تكونت فى شمال شرق « الاندلس » امارة « قطلونية » الفرنجية ، وفقد المسلمون امنع حصونهم وأفواها ، ورجعت حدود مملكتهم الى منطقة الثغر الاعلى « اراغون » بعد ان كانت متصلة بجبال « البرانس » .

ثورة طليطلة

كانت مدينة « طليطلة » مصدرا للقلق ، فقد دأبت على الثورة ضد الحكومة المركزية في « قرطبة » منذ الفتح الاسلامي ، ولعل ذلك راجع الى ان أهل تلك المدينة لم ينسوا في يوم من الايام ان مدينتهم كانت عاصمة للبلاد ، وانهم كانوا السادة الذين يتمتعون بالجاه والسلطان ، والعزة والسيادة ، فكانت ذكرى مجدهم الغابر تضطرم في افئدتهم ، وتزيد من سخطهم وحقدهم على هؤلاء الحكام الجدد من المسلمين ، ويضاف الى ذلك انهم كانوا يعتزون بكثرة عددهم ، ومناعة مدينتهم ، وعظيم ثروتهم ، فثاروا ضد الحكم سنة ١٨١ هـ ، وقاد الثورة احد زعمائهم عبيدة بن حميد ، فسارع الحكم الى اخمادها ، وعهد بذلك الى قائده عمروس بن يوسف الذى قصدهم واشتبك معهم في عدة معارك طاحنة ، برهنوا فيها على قوة بأسهم وشدة مقاومتهم ، ووقفوا في وجه قوات الحكم التى لم تستطع ان تخضعهم بحد السيف ، مما اضطر القائد ان يستعمل معهم اسلوب الخداع والمكر بدلا من القتال والحرب، ونجح بهذا الاسلوب ان يستميل اكثر زعمائهم بالمال والوعود ، ودفعهم الى قتل زعيمهم غيلة ، وبذلك احدث الفرقة بين صفوفهم ، وضعفت مقاومتهم ، واذعنوا للخضوع والتسليم ، وسيطرت قوات الحكم على المدينة وهدات فيها الاحوال الى حين .

وفي سنة ١٩٠ هـ عاد الى أهل « طليطلة » نفس الداء القديم ، فثاروا مرة أخرى ، غير أن الحكم رأى في هذه المرة أن خير وسيلة لحملهم على الطاعة والخضوع ، هو أن يولى عليهم رجلا يأنسون به ويستريحون اليه ، فاختار قائده عمروس بن يوسف ، وكان من مولدى الاسبان ، وهو من القواد المشهود لهم بالكفاءة وحسن السياسة ، وبعد النظر وحسن ادراك للامور ، وهذه الصفات هي التى جعلته يكتسب ثقة الأمير، وعظيم تقديره لكفاءته ، وشدة وفائه ، فاختاره قائدا لجيشه ، ثم واليا على « طليطلة » ، اخيرا .

وكان معظم الاهالي في المدينة من مولدى الأسبان مثله ، وقد استغل عمروس هذه الصلة الجنسية احسن استغلال ، فعمل على استمالة قلوب الاهالي ناحيته ، وأخذ يعاملهم باللطف واللين ، مظهرا بغضه وسخطه على بنى امية ، متمنيا زوال ملكهم من « الاندلس » ، فاطمأنوا اليه وساعدوه على تنفيذ مشاريعه ، ووافقوه على بناء قلعة خارج مدينتهم ، لتكون قصرا لجنده ، وموظفيه حتى لا يوجد ازمة فى المساكن ، وعندما تم بناؤها شحنها بالجند خفية ، وطلب من الحكم مددا من الجند ، فأجاب طلبه ، وبعث اليه ابنه عبد الرحمن على رأس جيش واظهر انه خارج لغزو الشمال .

وكان عمروس قد بيت أمرا خطيرا ، فقد قرر بينه وبين نفسه قتل زعماء المدينة ، فاعلن انه سيحتفل بابن الحكم في القلعة ، ويود أن يشاركه اهل المدينة في الاحتفال ، اظهارا لولائهم وطاعتهم ولو في الظاهر ، واعد وليمة فاخرة دعا اليها وجوه واعيان المدينة ، واطلع عبد الرحمن بن الحكم على ما عزم عليه من الفتك بسادة المدينة ، فاظهر ابن الحكم سخطه من هذا الأمر الشائن ،

فاجابه ابن عمروس بأن عداوة الطليطليين للامويين نار كامنة دائما ، متى وجدت أمامها الفرصة المواتية ثاروا عليهم ، وأثاروا ضدهم القلاقل والفتن ، فيجب اقتلاعهم بما يخمد أنفاسهم حتى لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة .

خدع عبد الرحمن بقول ابن عمروس ووافقه على خطته ، وعندما جاء المساء وبادر المدعوون الى قصر الولاية للاحتفاء بابن اميرهم الحكم ، أخذ الحراس كل مدعو الى الداخل وقادوه الى حفرة وقطعوا رأسه ، وأصوات الطبول والمزامير تطغى على صيحات الاستغاثة والفزع ، واستمرت تلك المذبحة الرهيبة الليل بطوله ، ولم يشعر أي شخص بحركة تريبه حتى ارتفع النهار ، وفطن القوم الى الحقيقة المروعة ، فذعروا وجروا يطلبون النجاة ، ولكن الوقت كان قد مضى ولم يبق منهم الا عدد قليل ، وقد هلك في تلك المذبحة قرابة الخمسة آلاف من سادة « طليطلة » وكبار زعمائها .

وشاع بين الأهالي أن هذه المكيدة من تدبير الحكم ، فملئت قلوبهم بغضا وحقدا عليه ، وكانوا لا يلصقونها بعبد الرحمن لصغر سنه ، ولكنهم لم ينسوا أنه كان العلة فيها ، فثاروا عليه أيام ولايته .

وهذه المذبحة تشبهها الى حد كبير مذبحة القلعة التي نفذها محمد على بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وهلك فيها قرابة الألف من المماليك ، ويشبهها كذلك ما فعله نابليون بونابرت بحماة « يافا » الذين سلموا بعد أن امنهم وكانوا أربعة آلاف ، فقتلهم دفعة واحدة .

وقد جردت هذه المذبحة « طليطلة » من سادتها وكبرائها ، ونالت من كبريائها ، وقضت على روح التمرد والعصيان ، فاضطر أهلها الى الاستكانة والخضوع ، وقد عرفت هذه المذبحة في التاريخ باسم « يوم الخندق » أو « مذبحة الحفرة » ، وكانت في سنة ١٩١ هـ .

ثورة الرابض بقرطبة

كان هشام ثاني أمراء الدولة الأموية في « الاندلس » ، ووالد الحكم ، قد استسلم لطائفة الفقهاء ، ومنحهم من السلطة ما جعلهم يملكون زمام الامور ، وكان رأس هذه الطائفة رجل عبقري المواهب ، موفور العقل ، وقد غلب على نفسه من الحماسة الدينية والطموح السياسي مزيج طالما جر الممالك الى الخراب هذا الرجل هو يحيى بن يحيى الليثي ، الذي رأى في اخلاص هشام للفقهاء ، وفي تقواه وورعه الفرصة الذهبية لرفع الفقهاء في « قرطبة » الى قمة من القوة والنفوذ ، وكانت الأمور تسير سيرا حسنا طالما نالت هذه الطائفة رغباتها ، وسيطرت على كل مرافق الحياة في الدولة ، لدرجة أن هشاما كان لا يصدر أمرا أو يتخذ قرارا الا بعد موافقتهم .

وعندما انتقل الأمر الى الحكم ، طرأ على قصر الامارة تغير عظيم ، فالأمير الجديد مرح يحب الحياة ويتمتع بها ، ومع هذا فلسنا نقول انه كان قليل الاهتمام بالدين أو خليعا مستهترا ، ولكننا نقول انه لم تكن به صفة الزهد والتقشف ، فهو على شاكلة تخالف شاكلة أبيه ، يضاف الى هذا أن الحكم حد من سلطة الفقهاء وسلطانهم حتى تصدع نفوذهم ، فثاروا عليه وعلى ما اتسم به من صفات حملة شعواء ، واتهموه في دينه وخلقه ، ونسبوا اليه الفسوق والعصيان ، وقد وجدوا في سلوك الحكم ما غذى دعوتهم واكسبها قوة ، واستطاعوا أن يوجدوا جوا من السخط العام بين الناس ضده ، ونجحوا في اثارة الشعب في « قرطبة » ، ودبروا خلعه واحلال آخر من اسرته مكانه بيد أن المؤامرة انكشفت ، وكان جزاء المتآمرين أن قتل الأمراء الذين اشتركوا فيها ، ومعهم بعض الفقهاء واستطاع أن يفلت من قبضة الحكم الفقيه يحيى بن يحيى ، وعيسى بن دينار .

وكان من المظنون أن مثل هذا الدرس كفيل بأن يجعل الفقهاء لا يدخلون مرة ثانية في الثورات والفتن ، ولكنهم حركوا الفتنة حتى أطلت برأسها من جديد ، وانضم اليهم فريق كبير من القادة والاعيان ممن كانوا يحقدون على الحكم ظنا منهم ان الثورة هذه المرة ستطيح بحكمه لا محالة ، وازداد بغض الشعب للحكم ، وتطور الموقف الى وحشة مخيفة اشتدت مع مرور الايام ، وتجرأ خصوم الأمير عليه ، فعرضوا به ، وأغلظ بعضهم عليه القول ، وصفقوا عليه بالأكف ، وقذفوه بالحصباء ، وسبوه علنا ، مما جعله يلتجىء الى قتل جماعة منهم بقصد الزجر والتخويف والمحافظة على هيبته ، فهاجت خواطر الشعب ، وتوثبت نفوسهم للثورة ، فادرك الحكم ما يجول بخواطرهم فحصن قصره وزاد عدد الحراس حتى لا يفاجأ بمكروه ، واستكثر من الجنود المرتزقة ، الذين كانوا عاملا من عوامل سخط العامة وبغضهم .

وحدث حادث تافه ، ولكن نظرا لجو السخط

العام الذي كان مسيطرا على المجتمع في ذلك الوقت ، فقد أدى الى ثورة كانت لها نتائجها ذات الأثر البعيد في الشرق والغرب ، فقد اعتدى أحد مماليكه على صقلبي من الصناع ، فثار القرطبيون وهجموا على قصر الأمير بقلب رجل واحد ، يقودهم الأعيان والقادة وجماعة الفقهاء ، وكان الثوار من أهل الربض الجنوبي لقرطبة ، فاخذوا يحطمون الأبواب بالبلط والعصي والسكاكين وبكل ما يصل الى أيديهم من سلاح ، واشتد الصراع بين الثوار ومماليك الحكم ، وكاد الأمر يفلت من بين يدي الحراس .

كل هذا والحكم محاصر في قصره ، فاطل برأسه من احدى النوافذ، فرأى بحرا زاخرا من الوجوه، وشاهد والدهشة تملأ نفسه شدة مكافحة الثوار لهجمات فرسانه ، ولكنه لم يفقد هدوءه ورباطة جأشه ، بل استدعى خادمه وأمره أن يحضر له الطيب ليتطيب ، فلم يستطع خادمه أن يكتم عجبه من فعل سيده ، ولا أن يمنع نفسه من أن يقول لمولاه : أهذا وقت التطيب يا سيدى ؟ فأجابه الحكم قائلا : اسكت ايها الغر ، كيف تتصور أن يتعرف العصاة رأسي من بين بقية الرؤوس اذا لم يتميز برائحة عطرة ؟

ثم نزل الى ساحة قصره ليخوض المعركة بنفسه، وواتته فكرة دلت على ما يتميز به من سرعة البديهة وبعد النظر ، أرسل ابن عمه وحاجبه على رأس فرقة من الجند من طريق خلفية الى الربض، وأمرهم باشعال النار فيه ، فلما شاهد الثوار النيران تندلع في مساكنهم ذعروا وأسرعوا بالرجوع اليها لانقاذ أطفالهم وزوجاتهم وأموالهم ، وبهذه الوسيلة تمكن الحكم من تحطيم الحصار القوى الذى ضربه الثوار من حول القصر ، وعلى الجسر الموصل بين الربض وبين « قرطبة » (١) هاجمتهم قوات الحكم من خلفهم ومن أمامهم ، ووجهت الى الثوار ضربة قاضية ، وأوقعت بهم هزيمة منكرة ، وكانت هذه الموقعة فى سنة ٢٠٢ هـ ولم يكتف الحكم بذلك ، بل أصدر أمره بنفيهم من البلاد ، وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام ، فمن شوهد بعدها قطعت رأسه .

نتائج هذه الثورة

ان النتائج الداخلية التي ادت اليها هذه الثورة تعتبر من أهم النتائج ذات الاثر البعيد ، فهي احدى الثورات الكبرى التي قامت فى « الاندلس » ، وانتهت بتمكين الحكم لبني امية ، فلقد ازالت تلك الثورة قوة ونفوذ الفقهاء ، واعادت الامور الى نصابها ومجراها الطبيعي .

اما نتائجها الخارجية فقد ادت الى ان يهاجر حوالي ثمانية آلاف الى شمالي « افريقية » ونزلوا بمدينة « فاس » وكان ادريس الثاني قد اتخذها عاصمة لدولته . وقصد نحو خمسة عشر الفا الى مصر ، وقد اختاروا ابا حفص عمر بن شعيب البلوطى رئيسا لهم ، فلما وصلوا الى « الاسكندرية » اعترضهم اهلها ، ومنعوهم من دخول المدينة ، ولكنهم دخلوا المدينة عنوة ، فجاءهم عبد الله بن طاهر والي « مصر » من قبل المأمون ، واتفق معهم على الجلاء عن المدينة ، فتوجهوا الى جزيرة « كريت » التي كانت قليلة السكان فى ذلك الوقت وتغلبوا على اهلها ، وحكموها مدة ١٣٨ سنة، الى ان فتحها «ارماناس» *Armcias* ، ابن الامبراطور قسطنطين فى سنة ٣١٥هـ/٩٦١م .

وينتهي الصراع ، ويخرج الحكم ظافرا منتصرا، مستعيدا من جديد هيبته فى نفوس الشعب ، ويذعن الناس لسلطان الحكومة ، ويجنحون الى حياة السلم والهدوء بقية المدة التي حكمها الحكم . وقد لقب الحكم بالربضي واشتهر به ، خصوصا بعد ما امر بالربض فهدم وحرق وحرث مكانه وزرع ، ووصيته بالا يسكن هذا الحي بعد مماته .

لقد اقتصرت فى الحديث على الثورات التي قامت فى وجه الحكم ، على أهم تلك الثورات التي كانت تشكل خطرا كبيرا على الدولة الاسلامية فى « الاندلس » ، والتي لو كان قدر لاحداها النجاح لاضرت بالدولة ضررا بليغا .

أعماله الادارية واصلاحاته الداخلية

عندما تولى الحكمُ الحكمَ كانت البلاد يسودها الهدوء والامن والاستقرار ،والحياة زاخرة والرخاء موفور ، واستطاع أن يشق طريقه الى غايته وهدفه رغم ما وقع فى عهده من الاحداث والاضطرابات والفتن .

لقد كانت له عدة صفات قلما توجد فى غيره ،

(١) يفصل بين الربض وقرطبة نهر الوادى الكبير .

فهو الى جانب شخصيته القوية يمتاز بقوة النفس والعزم الصلب، والفطنة وحسن التقدير وسعة الحيلة ، شديد الحرص على حماية سلطانه من كل تدخل او نفوذ ، كثير الترفع عن العامة . كل هذه الصفات جعلته ينجح في اظهار فخامة الملك وروعته ، وتأييد هيبته في نفوس الرعية ، لدرجة ان اصبح بلاط الحكم يضارع وينافس بلاط معاصره هارون الرشيد الخليفة العباسي .

وقد استكثر الحكم من الموالي والحشم واتخذ له حرسا خاصا من الصقالبة ، وكان يؤتى بهم صغارا ويربون تربية اسلامية خاصة ، ويدربون على ممارسة اعمال البطانة وشئون القصر ، فتهذبت نفوسهم ، وارتفعت معارفهم وحسنت آدابهم ، وسمت همتهم ، حتى وصلوا الى ارقى المناصب في الدولة .

كما كان للدولة بفضله جيش كبير ، احسن تدريبه واكمل اعداده ، وكان لهذا الجيش الفضل الاكبر في القضاء على كل الثورات والفتن التي قامت في البلاد ، والوقوف في وجه الغزو الخارجي، واوجد في البلاد الشرطة القوية المنظمة التي تضرب بعنف وقوة على ايدي الخارجين على القانون .

كما انشا جهازا جديدا لم يكن موجودا من قبل بهذا الشكل الرسمي ، مهمته ان يأتيه بكل صغيرة وكبيرة تحدث في انحاء البلاد ، مما حمل عماله وموظفيه على حسن السيرة والعدل ، والرفق بالناس وايثار الصالح العام على المصالح الشخصية .

كما انشا منصبا جديدا يتولى صاحبه ادارة شئون اهل الذمة ، وعرف هذا الموظف باسم القومس « الكونت » وكان له الاشراف على شئون اهل الذمة ، وتنظيم علاقاتهم ببعضهم البعض ، وبالدولة ، وذلك حتى يطمئنوا على ان الحكومة ترعى مصالحهم ، ويثقوا بعدالتها .

عنايته بالعلوم والفنون والآداب

كان الحكم شديد العناية بالعلوم والفنون والآداب ، مولعا بالشعر مشغوفا بالادب ، ولا عجب ، فهو اديب وشاعر بطبعه ، يقول مفتخرا بانتصاراته المتكررة على اعدائه :

رأبت صدوع الارض بالسيف راقعا
وقدما لامت الشعب مذكنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة
ابادرها مستنضي السيف دارعا
تنبئك اني لم اكن في قراعهم
بوان وقدما كنت بالسيف قادعا
واني اذ حادوا جزاعا من الردى
فلم اك ذا حيد من الموت جازعا
حميت ذماري فانتهبت ذمارها
ومن لايحامي ظل خزيان ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا
سقيتهم سما من الموت ناقعا

وكان الحكم يفضل مجالسة العلماء والفقهاء والشعراء على مجالسة غيرهم ، يقربهم اليه ويشملهم بعطفه ، ويصلهم بعطائه ويحثهم على الاجادة والاحسان ، ويدفعهم الى الاستزادة من المعارف المختلفة ، وعلى الرغم مما كان بينه وبين جماعة الفقهاء من جفوة ، الا انه كان يجلهم ويحترمهم ، ويختار لمناصب القضاء افاضل العلماء منهم ، ولذلك فاننا لانعجب اذا دل حاضر الدولة على مستقبلها المشرق ، ومجدها العريق في ظل من اتى بعده من امراء او خلفاء الاسرة الاموية في « الاندلس » .

مرضه ووفاته

مرض الحكم في اخريات ايامه واشتدت به العلة ، فاناب عنه ابنه عبد الرحمن في ادارة شئون البلاد ، وكان اكبر ابنائه ، فاثبت كفاءة ممتازة وخبرة فائقة ، ودراية عظيمة في ميادين الحرب والسياسة ، وتصريف الشئون الادارية فلقد انتصر على خصوم ابيه في اكثر من موقعة ، ونهض باعباء الحكم بمنتهى الكفاءة والنجاح ، وقد عهد اليه الحكم بولاية العهد في سنة ١٩٩هـ.

وازداد المرض على الحكم ، ووافاه اجله المحتوم في ٢٦ من شهر ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ ، وهو في الثانية والخمسين من عمره ، بعد حكم دام سبعة وعشرين عاما ، قضى معظمها في مكافحة الاعداء والقضاء على الفتن والثورات ، والتصدي للعدوان الخارجي ، وقد كتب الله له النجاح ، فتغلب على كل الصعاب والمشاكل التي واجهته وصادفته ، وترك لمن جاء بعده دولة قوية الاركان، ثابتة الاساس ، وقد شبهه معاصروه بالخليفة العباسي المنصور في قوة الملك ، وتوطيد الدولة ، وقمع الاعداء . ■■

محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

أنت تسأل .. ونحن نجيب

السكرتير العام للامم المتحدة
لماذا يريد ترك منصبه ؟!

● قرانا في الصحف ان يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة ، قد ازمع الرحيل ، فما اسباب ذلك ، ومتى يترك منصبه اذا كان لا بد له من تركه ؟

عبد الرزاق محمود ـ الرياض

ـ الواقع ان يوثانت كان ينوى ترك منصبه قبل ذلك بعام او عامين ، ولكنه كان في كل مرة يعلن فيها عن رغبته بعدم تجديد مدة خدمته ، يعود فيعدل عن قراره تحت ضغط غالبية الدول الاعضاء في المنظمة الدولية وفي مقدمتها دول العالم الثالث، التى ينتمي يوثانت الى احداها ، فهو من ابناء بورما ، وكان رئيسا لوفد بلاده في الامم المتحدة منذ عام ١٩٥٧ ، حتى مصرع السكرتير العام السابق داج همرشولد في عام ١٩٦١ ، عندما اختير بالاجماع ليكون قائما باعمال السكرتير العام ، قبل ان ينتخب رسميا لشغل هذا المنصب في العام التالي ، ١٩٦٢ .

ويبدو ان يوثانت قد اتخذ قرارا نهائيا ، هذه المرة ، ويحتمل الا يصغى بعد ذلك للنداءات التى قد تدعوه الى تجديد مدة خدمته سنة اخرى ، لاسباب عديدة من بينها ان الرجل يريد ان يعيش حياة هادئة بعيدا عن مشاكل هذا العالم ، تلك التى حملها فوق راسه مدة عشر سنوات تقريبا . هذا بطبيعة الحال اذا لم يجد في الموقف جديد .

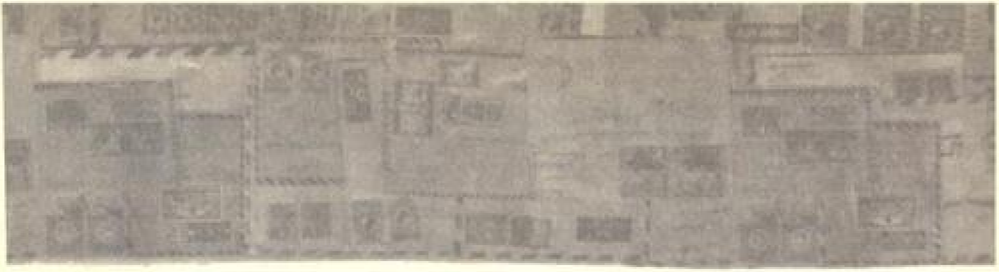
ان السبب الاساسي الذى يكمن وراء قرار يوثانت بالرحيل ، انما يرجع الى شعور السكرتير العام لهذه المنظمة الدولية ، بخيبة الامل ، نتيجة لضعف الامم المتحدة في مواجهة مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وهي مشكلات اوجدها ، كما نعلم ، الصراع القائم بين



الدول الاعضاء نفسها . حتى ان يوثانت صرح يوما بقوله : « اذا لم تتخذ الاجراءات التى تكفل تدعيم دور الامم المتحدة فانها ستنهار في مدى عشر سنوات على الاكثر » .

لقد قال يصف منصبه بقوله : « انه من اكثر الوظائف القاتلة ، التى لايحس بوطئتها الا من شغلها ! » .

وكتب يصف مشاعره في هذه الوظيفة قال : « ان من يرتدى حذاء ضيقا ، هو وحده الذى



يشعر بالوضع الذى يؤلم فيه الحذاء قدمه .

اما في حالتي ، فانني اشعر بالالم في مواضع عديدة ، حتى انني لم اعد اتمكن من تحديد مكانها ، وهل هي في قدمي ام في جسمي كله !

هذا ، ومن المعروف ان مدة خدمة يوثانت سوف تنتهي في ٣١ ديسمبر من العام الحالي ، وستكون الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة في شهر سبتمبر المقبل هي آخر دورة يحضرها بوصفه سكرتيرا عاما لهذه المنظمة الدولية اذا ما استقر رايه على ترك منصبه ، وفي هذه الدورة ايضا سوف يتم انتخاب السكرتير العام الجديد للامم المتحدة . ولن تكون مهمة الاتفاق على رجل يخلف يوثانت في هذا المنصب مهمة سهلة ، فهناك عدة عوامل ستتحكم في اختيار المرشح الجديد ، في مقدمتها العوامل السياسية والجغرافية واللغوية ، الى جانب شخصية المرشح نفسه ، ومدى ما يتمتع به من شعبية وتأييد بين مندوبي الدول الاعضاء وخاصة الكبرى منها .

ويبدو ان يوثانت نفسه قد تكهن بالمحاولات الدولية التي ستدور حول اختيار خليفة له ، فقد صرح اخيرا بقوله : « ان اختيار المرشح الجديد لا يجب ان يخضع لاى من هذه الاعتبارات ، وانما يجب ان يستند على اساس من صفاته الفكرية والقلبية » .

(م . ن)

وكالات الانباء العالمية خمس فقط !

● اسمع عن وكالات الانباء ودورها في نقل الاخبار العالمية فهل من الممكن ان توضحوا لي مما تتكون هذه الوكالات ، وما هي اهميتها في عصرنا الحاضر ، وهل تخضع في عملها لاشراف حكومي وما هي اشهر وكالات الانباء في العالم واكبرها ؟

محمد راشد ـ مكة المكرمة

ـ وكالات الانباء هي مؤسسات تقوم بتزويد الجرائد والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون وسائر وسائل الاعلام بالاخبار من مختلف انحاء العالم وكذلك الصور والتحليلات السياسية والموضوعات المصورة .

ووكالات الانباء لا تقوم بنشر هذه الاخبار او الموضوعات وانما تزود بها وسائل النشر المختلفة وتعتمد كل الجرائد على وكالات الانباء في الحصول على معظم الاخبار التى تنشر فيها سواء كانت هذه الجرائد كبيرة وتستخدم عددا كبيرا من الصحفيين ، او كانت جرائد صغيرة .

وتنقسم وكالات الانباء الى عدة انواع منها وكالات انباء محلية ، ففي بعض المدن الكبرى تقوم الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون بالتعاون

في الحصول على اخبار الجرائم والمحاكم ومختلف ادارات الحكم المحلي وما شابهها وذلك عن طريق وكالة محلية تختص بتغطية الانباء المحلية فقط .

وهناك وكالات انباء تختص بتغطية الاخبار العالمية من مختلف انحاء العالم وقد تطورت هذه الوكالات بحيث أصبحت تغطي الاخبار العالمية وتقوم ايضا بكتابة تحليلات اخبارية عالية وارسال الصور الصحفية، وافلام التليفزيون الاعلامية والاخبارية.

والى جانب وكالات الانباء العامة توجد وكالات انباء متخصصة ، وهناك الآن في الولايات المتحدة وحدها حوالي ١٠٠ وكالة متخصصة بعضها يقوم بخدمات علمية او دينية مثل وكالة الانباء العلمية ووكالة الانباء الذرية ووكالة الانباء الدينية ، وتوجد في سويسرا وكالة الانباء الكاثوليكية والتي تختص بانباء الطائفة الكاثوليكية والفاتيكان ، وكذلك وكالة انباء النجمة الباكستانية Star News Agency والتي تغطي الانباء الاسلامية باللغتين الانجليزية والاوردية . وهناك ايضا نوع آخر من الوكالات تنشئه الصحف الكبرى وتقوم عن طريقها بتزويد الجرائد الاخرى في العالم بالاخبار التي يحصل عليها مراسلوها وهذه الوكالات تتمثل في وكالة خدمات النيويورك تايمز للخدمات الاخبارية New York Times News Service ، وكذلك تقوم التايمز اللندنية بمثل هذه الخدمات .

وبالرغم من وجود عدد كبير من وكالات الانباء في مختلف انحاء العالم الا ان اغلب الاخبار التي تنشر في مختلف جرائد العالم تأتي من عدد صغير من الوكالات . وتقول احصائية قامت بها منظمة التعليم والعلوم والثقافة التابعة للامم المتحدة United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

ان هناك اكثر من ٨٠ وكالة انباء هامة في العالم الا ان هناك ٥ وكالات فقط تعتبر عالمية . ولديها الامكانيات المادية لايفاد مراسلين معتمدين لها في مختلف بلاد العالم وكذلك امدادهم بوسائل الارسال السريعة وهذه الشركات العالمية مزودة بالامكانيات التي تمكنها من ارسال الاخبار فور حدوثها الى مشتركيها في جميع انحاء العالم . وتقول وكالة

الجنيه كلمة .. ما أصلها ؟

● لفظ جنيه بحثت عنه في العربية والفارسية والتركية فلم اعثر له على اثر ، فمن اين جاءت هذه الكلمة ؟

ــ يبدو في حكم المؤكد ان لفظ جنيه جاء الى اللغة العربية ، من اللغة الانجليزية . فاللفظ شائع في بريطانيا ، مع انه لا يعدو كونه اسما بلا مسمى . انه يعني ٢١ شلنا ويعيد الى الذاكرة قطعة العملة الذهبية التي سموها جنيها Guinea وجعلوا قيمتها ٢١ شلنا ، والتي الغوها كما الغوا سائر القطع الذهبية الاخرى في سنة ١٩١٤ .

والسؤال الذي يخطر بالبال هو كيف اصبحت تلك القطعة تسمى جنيها Guinea ، ولماذا جعلوا قيمتها ٢١ شلنا ، اي بزيادة شلن واحد على قيمة الباوند الانجليزي ؟

ويعود بنا الجواب على هذا السؤال الى القرن السابع عشر . فقد سكت بريطانيا بعض نقودها الذهبية من ذهب استوردته سنة ١٦٦٣ من مصدر جديد من غينيا Guinea البلد الافريقي المعروف . واتفق ان كان الذهب (الغيني) هذا انقى من ذهب المصادر الاخرى التي سكت بريطانيا عملتها منه في السابق . وبلغ من نقاء هذا الذهب ان كثر الطلب على القطع المصنوعة منه ، حتى ارتفعت قيمة الباوند المصنوع من ذهب غينيا هذا الى ٣٥ شلنا في السوق السوداء ، علما بان قيمته الرسمية لم تزد على ٢٠ شلنا . وسمي هذا الباوند مع الايام جنيه ، نسبة الى البلد غينيا التي صنعوه من ذهبها . ومن المعلوم ان حرف (الغين) في لفظ غينيا انما وضعه العرب ،

الاسوشيتد برس انها تستطيع ارسال خبر الى ٨٠ دولة في اقل من دقيقة واحدة .

وهناك علاقات تعاون بين وكالات الانباء بعضها وبعض فوكالات الانباء العالمية مثلا تقوم بشراء اخبار وكالات الانباء المحلية . والتعاون بين وكالات الانباء يختلف من وكالة الى اخرى .. ووكالات الانباء قد تكون مملوكة للدولة وتحت اشرافها المباشر ، بينما يمكن ان يكون بعضها مملوكا لعدة صحف ومؤسسات صحفية ، وهناك نوع ثالث ينشأ على اسس تعاونية كما هو موجود في الدنمارك وكندا مثلا . ووكالات الانباء الخمسة الكبرى في العالم هي :

وكالة اسوشيتدبرس Associated Press

وهي اقدم واكبر وكالة انباء امريكية وانشئت في عام ١٨٤٨ باتفاق بين ٦ جرائد يومية فى نيويورك على تمويلها . وتبلغ ميزانية هذه الوكالة سنويا حوالى ٣٥ مليون دولار وهى اكبر ميزانية لوكالة انباء فى العالم .

وكالة يونيتدبرس انترناشيونال
United Press International

وتكونت في عام ١٩٥٨ بعد انضمام اليونيتدبرس ووكالة انترناشيونال نيوز .

وكالة رويتر Reuter

وهى مملوكة حاليا لجرائد بريطانيا واستراليا ونيوزيلندا وتاسست في عام ١٨٥١ .

وكالة الانباء الفرنسية
Agence France — Presse

وهى الوكالة التى حلت محل وكالة هافاس Havas الفرنسية القديمة والتى كانت قد انشئت في عام ١٨٣٥ .

وكالة تاس السوفيتية
Tass News Agency

وهي وكالة الانباء السوفيتية الرسمية وتتبع مباشرة لمجلس الوزراء السوفيتي وقد تاسست في عام ١٩٢٥ .

(م . ط)

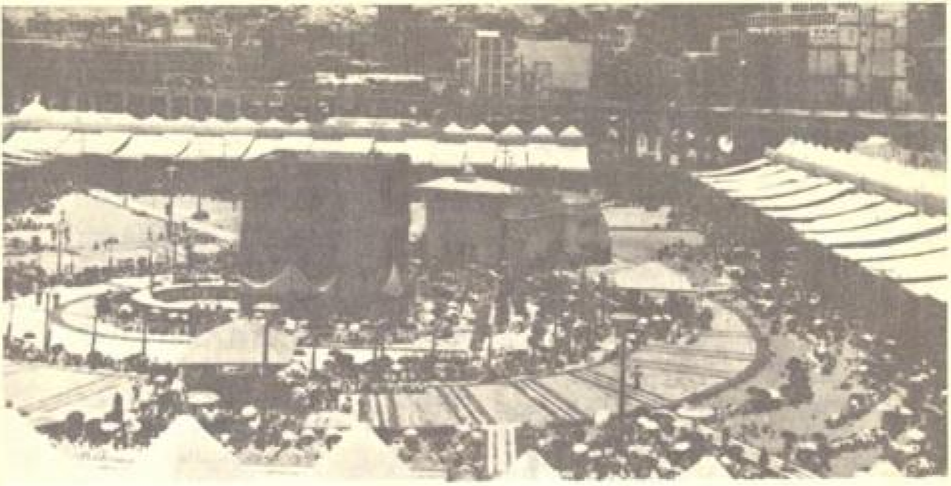


فاسمها الحقيقي الذى ينطق به العالم والانجليز هو (جينيا) ، بالجيم غير المعطشة .

وبقيت الامور على تلك الحال حتى سنة ١٧١٧ حين ميزت الحكومة البريطانية رسميا بين الجنيه او الباوند المصنوع من ذهب غينيا وبين الباوند المصنوع من ذهب المصادر الأخرى ، فجعلت قيمة الأول ٢١ شلنا ، وابقت على قيمة الثاني البالغة ٢٠ شلنا .

ومضى قرنان من الزمان تقريبا ، واذ بريطانيا تلغي عملتها الذهبية كلها بما فيها الجنيه . الا انها لم تستطع الغاء هذا الجنيه اسما او اصطلاحا ، وان هي الغته من حيث هو قطعة نقود ذهبية .

(ى . ز)



الحج معروف منذ قديم الزمن وعند مختلف الاديان

● الحج هل هو مقصور على المسلمين فقط ..ام ان هناك اماكن يحج اليها الناس من مختلف الاديان ؟

كاظم الحسن ـ العراق

ـ الحج او زيارة الاماكن المقدسة معروف منذ قديم الزمان .. فايام الوثنية كان الناس يزورون نهرا او شجرة او جبلا او كهفا من الكهوف يؤمنون بانه يمتلك قوة خفية لشفائهم من امراضهم او منحهم الخير والبركة والطمانينة .

والحج ليس مقصورا على المسلمين فقط ، والمسيحيون يقومون بالحج الى القدس حيث يزورون كنيسة القيامة وقبر المسيح في القدس . وقد بدات عملية الحج هذه في القرن الرابع الميلادي عندما قامت هيلينا والدة الامبراطور قسطنطين بالحج الى فلسطين ، واخذت تبحث في القدس عن آثار السيد المسيح حتى عثرت على الصليب الذي يقال انه صلب عليه . وفي العصور الوسطى تدفق المسيحيون من اوروبا لزيارة القدس والحج الى قبر المسيح . ولا يقتصر حج المسيحيين على زيارة القدس وحدها ولكن يتعداه الى زيارة عدد كبير من كنائس القديسين مثل كنيسة سانت بيتر وسانت بول في روما . وابرشيه كنتربرم في بريطانيا حيث يزورون قبر توماس بيكيت Thomas Becket الاسقف الذي قتل هناك في عام ١١٧٠م . وتوجد في اوروبا عدة مدن يحج اليها المسيحيون ايضا مثل مدينة « لورد » Lourdes في فرنسا حيث يقال ان فتاة هناك شاهدت السيدة العذراء في عام ١٨٥٨ .

وفي الهند يقوم الهندوس بالحج الى نهر الجانج في مواقيت معينة حيث يستحمون في مياهه لغسل ذنوبهم ، وهناك ايضا عدة مدن في الهند يعتبرها الهندوس مدنا مقدسة ويحجون اليها .

والبوذيون ايضا لهم اماكن يحجون اليها فهم يزورون الاماكن المرتبطة ببوذا .

اما العرب قبل الاسلام فكانوا ايضا يحجون الى مكة والكعبة في التاسع من ذى الحجة في كل عام حيث تنعقد الندوات الادبية والاسواق ويصبح الحج بالنسبة لهم سوقا كبيرا تجتمع فيه مختلف القبائل من جميع انحاء الجزيرة العربية .

من هذا نرى ان الحج بمعناه الواسع ليس مقصورا على الاسلام بل انه يتعداه الى مختلف الاديان والمعتقدات ، ويعود في تاريخه الى قديم الزمان .

(م . ط)

اكبر منتج للشاى في العالم واكبر مستهلك



● هل تحتل جزيرة سيلان المرتبة الاولى بين دول العالم من حيث انتاج الشاى .. وأى دول العالم أكثر استهلاكا للشاى .. ؟

فخرى صالح قدارة ـ السعودية

ـ ليست جزيرة سيلان اكثر الدول انتاجا للشاى في العالم . فالهند هى التى تحتل مكان الصدارة في هذا الصدد . ونعطيك فيما يلى قائمة بكميات الشاى التى انتجتها الدول الست الشهيرة بزراعة الشاى ، وذلك في سنة ١٩٦٧ :

الهند	٢٨٠٠٠٠	طن
سيلان	٢٢١٠٠٠	طن
الصين (الشعبية)	١٦٠٠٠٠	طن
اليابان	٨٥٠٠٠	طن
اندونيسيا	٧٨٠٠٠	طن
الباكستان	٢٠٠٠٠	طن

ونرى من ذلك ان سيلان ، وان لم تكن اكثر البلاد انتاجا للشاى من حيث الكمية ، فهى اكثرها انتاجا له نسبيا وبالقياس الى مساحة ارضها .

اما من حيث استهلاك الشاى ، فقد يكون الانجليز هم اكثر سكان العالم شربا للشاى . اذ تستورد بريطانيا من الشاى نحو ٥٠٠ مليون باوند انجليزى سنويا ، اى ما يعادل نحو ١٠ باوند لكل فرد من مجموع عدد السكان .

على اننا لا نستطيع الجزم بان نسبة استهلاك الشاى التى ذكرنا تفوق نسبته في سائر بلدان العالم كله . فقد تكون بعض الدول التى لا تتوفر لديها الاحصاءات اكثر استهلاكا للشاى من بريطانيا وغيرها في هذا الشان .

(ى.ذ)



طرائف

حصاة المسجد

● سال رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان في ثوبه او خفه او عالقة بجبته فقال له : ارم بها .. فقال الرجل : زعموا انها تصيح حتى تردّ الى مكانها في المسجد.. فقال له عمر : دعها تصيح حتى ينشق حلقها . فقال الرجل : سبحان الله ! ولها حلق يا سيدي ؟ فقال له عمر : فمن اين تصيح ؟

اشام من

● طويس يضرب به العرب المثل في الشؤم ، وهو رجل من اهل المدينة ، مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله . وهو اول من اظهر المجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب بالدف . فسئل عن مولده فقال : ولدت يوم

ثاني اثنين

● كان الوزير ابن الزيات كاتباشاعرا اريبا طموحا به ميل الى العنف والقسوة . وكان يقول : « الرحمةخوَرٌ في الطبيعة » . وقد بلغ من عنفه انه اتخذ تنورا به رؤوس حديدية من الداخل يعذب فيه من يوقع بهم . ومن الغريب ان نهاية ابن الزيات كانت في هذاالتنور عندما نكبه الخليفة المتوكل ، ونكل به .

وكان الجاحظ صديقا ملازما لابن الزيات . وكان في داره عندما كبسها رجال المتوكل فقفز الجاحظ من فوق الدار ـ فاصيبت ساقه اصابة ظل يشكو منها بقية حياته ـ وهرب الى البصرة . فقيل له : لم هربت يا ابا عثمان وهم انما كانوا يطلبون ابن الزيات . فقال :خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور .

المروءة والكرم والنجدة

● سئل عبد الله بن عمر عن المروءةوالكرموالنجدة فقال : اما المروءة فحفظ الرجل نفسه واحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته وحسن المنازعة ، وافشاء السلام .

واما الكرم فالتبرع بالمعروف ،والاعطاء قبل السؤال والاطعام في المحل .

واما النجدة : فالذب عن الجار ،والصبر في المواطن والاقدام على الكريهة .

عربية

طويس

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات ابو بكر الصديق ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لى ولد يوم قتل على ابن ابى طالب فيقولون فى امثالهم السائرة اشأم من طويس .

نصائح ثلاث

● قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قال لي ابي اني ارى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يُدنيك ويقربك فاحفظ عني ثلاثا : اياك ان يجرّب عليك كذبة ، واياك ان تفشي له سرا ، واياك ان تغتاب عنده احدا ، ثم قال : يا عبد الله ثلاثا واى ثلاث ، فقال له رجل : يا ابن عباس كل واحدة خير من الف ، فقال بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

صلى الله عليك وسلم

● جاء فى كتاب الجمانة الثانية من العقد الفريد . ان ثمامة ابن اشرس قال : كنت فى الحبس ـ على النبيذ ـ فأدخل علينا « فى السجن » رجل ذو هيئة وبزة ومنظر . وكانت فى يدى كأس هربت الى لاشربها . فلما رأيته اخذتنى هيبته . واخفيت الكأس ، واقبلت عليه قائلا : من انت جُعلت فداك ؟ وما ذنبك ؟ وكيف اتوا بك الى السجن ؟

فقال لى : جاء بي هؤلاء السفهاء لانى جئت بالحق من عند ربى . انا ـ يا ولدى ـ نبى مرسل ، فقلت له : جُعلت فداك ، أمعك دليل ؟

قال : نعم . معى اكبر الادلة . ادفعوا الى امرأة احبلها لكم فتأتى بمولود يشهد بصدقى .

قال ثمامة : فناولته الكأس وقلت له : اشرب صلى الله عليك وسلم .

منطق !

● قالـوا : بقدر ما يُعطي الغني من الايسار ، يُعطي من الاجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلتـه ، حتى يتهمه من كان يأمنه ويسيء به الظن من كان يثق به .

ومحاسن الغنى مساوىء الفقير ، اذا كان الفقير جوادا ، قالوا : مبذر ، وان كان لَسِنا قالـوا : مهذار ، وان كان شجاعا ، قالوا اهوج ، وان كان حليما صموتا ، قالوا : عَيِيٌ بليد ، وكل شيء هو للغني مدح هو للفقير ذم .

قصاصة ورق

قصة بقلم : فاضل السباعي

ليس من حرج عليّ في أن اعترف ، بادىء ذي بدء ، باني قليل خبرة بشئون النساء ، على الرغم من انه قد مضى على زواجي عشرة اعوام ، وعلى الرغم من ان سني قد تخطت الثلاثينات عددا .

بل لا احسبني مغاليا اذا زعمت اني ابدو ذا غفلة ، احيانا ، في علاقتي مع هذا الجنس العجيب ، على الرغم – ايضا – من مداومتي ، طوال تسعة اعوام كاملة ، على دراسة القانون في كلية الحقوق ، دون أن أوفق الى الحصول على المؤهل النهائي ! .. والا كيف يسوغ لي ان امنح اعجابي لفتاة لا تستحقه ، اعجابا بلغ حداً دفعني الى ان انمتم باسمها ، وانا في الحلم . وزوجتي الى جواري ... حتى اذا استفسرتني ، في الصباح عمن تكونه « تلك التي تسمى عائدة » ؟ أفضت في حديثي ، وبينت لها انها زميلة جديدة في العمل ، وانها تشاركني ، منذ حين ، الجلوس وراء « مكتب » رسمي واحد ! .

فاذا سلمت ، جدلا ، بان لا سلطان للمرء على نفسه في الاحلام ، افليس من قبيل الغفلة ان ادع الآنسة عائدة تنفح على رأسي من قارورتها عطرا نسويا سخيا ، حتى ليوشك أن يفتضح امري في البيت ؟! .

فاما منتهى الغفلة والحمق ، فهو ان اعلن ، على مسمع من ام اولادى ، وقد لمست يدى ، ذات صباح ، زرا مقطوعا في قميصي :

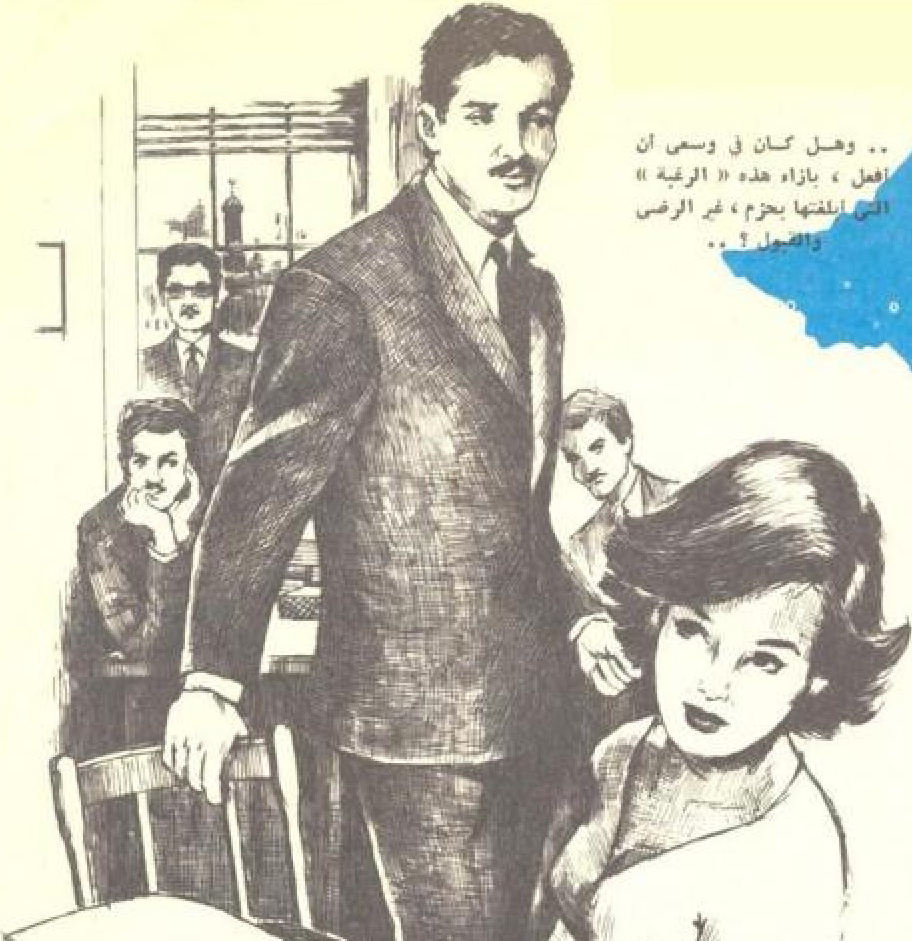
– والله ان على الرجل أن يتزوج باثنتين .. حتى يطمئن الى تلبية مطالبه الشخصية !! .

أقرّ بسذاجتي وغفلتي ، غير موارب فيهما قيد انملة ! ولكني ادفع ، باصرار وعناد ، عن نفسي كل تهمة بازاء ما كان ، بالامس ، من عثور زوجتي – عرَضا – على تلك القصاصة المشئومة – التي سطرت يدي فيها كلمتين اثنتين ، فنشرتا تفسيرا اثار شجارا بيني وبينها ، فيما انا في الحمام اغتسل ، شجارا استعر أواره حتى احال نعيم حمامي الى جحيم . بل لقد كادت الكلمتان في القصاصة تحملانها على مغادرة عش الزوجية ، تاركة لي وراءها ستة أولاد هم املي وزادى في الحياة ، بعد الشظف والفشل اللذين مُنيت بهما منذ مطلع شبابي الباكر ! .

★ ★ ★

فاما « الآنسة عائدة » ، فهي فتاة متوسطة الطول ، فارعة القامة ، قد فاتها قطار الزواج . ولقد تحلق حولها في الدائرة ، مذ حلت بيننا ، بعض الزملاء يجاذبونها الحديث ، ويديرون معها حوارا من نوع ما ، ادى بها الى ان تؤكد ، بمزيد من الصراحة ، أنها ما تزال تنتظر ان يظهر في حياتها ذلك « الرجل » ، الذى يرضي مطامحها ، فتبادله حبا بحب ، وتقترن به ، لتشكيه في ما وجدناه فضيلة تنفرد بها هذه العانس الشابة دون سائر زميلات العمل ، واعني : البيت الذى تمتلكه في حي « أبي رمانة » ، قد ورثته عن

.. وهل كان في وسعي أن افعل ، بازاء هذه « الرغبة » التي ابلغتها بحزم ، غير الرضى والقبول ؟ ..



ابيها ، وليس يشاركها في سكناه اليوم غير ام عاجزة هي الى حافة القبر قاب قوسين .

تلقطت اذناي هذا الحديث عاجبا . وقبل ان استعرض في خاطري اسماء الزملاء ممن تخطوا الثلاثين ولم يتزوجوا بعد ، دخل علينا « الآذن » ، وتوجه اليّ ، أنا ، وخاطبني بأدب :

ـ السيد المدير يطلبك ! .

ولم يكن بد من ان تلفحني ، مع هذه الدعوة الصباحية ، ارتعاشـــة ما . فهرعت ، بقامتي المتوسطة الطول ، ازرّ سترتي ، واشــد من قامتي . وقرعت الباب ، حسب الاصول ، قرعة خفيفة باصبعي ... فاذا انا ماثل بين يدي السيد المدير ! وما ان القيت عليه تحية الصباح ، متوخيا ان ابتسم بقدْر ، وأن أميل راسي الى جانب

امالة معتدلة ، مسدلا ذراعي في وقفة احترام ... حتى بادرني قائلا :

ـ « استاذ سعيد » ! .

ـ نعم ، سيدي ! .

ـ جاءتنا ، هذا الصباح ، موظفة منقولة من احد فروع المؤسسة ... ونحن ، الآن ، على غير اهبة تامة لاستقبالها ! .

واضطرب تفكيري ، وجمجمت شفتاي ، وانا أجيد النظر في وجهه السمين الغارق في النعيم : « نعم ، سيدي ! » .

ثم ذهب بي التفكير مذهبا ، فتساءلت وقد ساورني ظن : اترى السيد المدير ينوي صرفها من الخدمة ؟! ان ذلك لشيء فظيع ! واغلب الظن انه سيتعذر عليها ، حينئذ ، ان تلتقي بالزوج المنشود ، الذي افتقدته وهي على راس عملها ! ولكن ... ما دوري ، انا ، في ذلك كله ؟! .

ـ ... فأعمالك « الميدانية » تقتضيك السعي بين « المنشآت » ، طوال يومك تقريبا . واحسب انه لن يضيرك ان تشاركك « الآنسة عائدة » الجلوس وراء مكتبك ، الى يوم تدبر فيه الامر على نحو ما ! .

فتلك هي الحكاية ، اذن ! بل ان مدار الامر كله ان تشاركني الزميلة الجديدة الجلوس وراء مكتبي ! ولكن معظم موظفي الدائرة يمارسون ، مثلي ، اعمالا « ميدانية » ، واقلهم اعمالا « مكتبية » ... فلم ندبني السيد المدير لهذه « المهمة » ، دون سواي ؟ .

اعلنت : « أمرك ، سيدي ! » .

وهل كان في وسعي ان افعل ، بازاء هذه « الرغبة » التي أبلغتنيها بحزم ، غير الرضى والقبول ؟ ووراء مكتبي قلت للآنسة عائدة : « دونك ، يا أختاه ، نصف الدروج التي الى اليسار ... وتبقى لي دروج اليمين ! » .

فالتني ، وهي تتوسمني بعينين كستنائيتين تحف بهما اهداب شديدة السواد ، وقد انفرجت شفتاها الورديتان ، في ابتسامة فاتنة ، عن اسنان كاللؤلؤ : والدرج العريض ، الذي في الوسط ؟! »

واغضيت حياء ، وانا اتساءل كيف غفل الرجال عن هذا المبسم الحلو ، وعن هذا الجسم الممتلىء ، فلم يطلبوا يدها ؟! .

اجبتها : « ليكن لنا ... نحن الاثنين ! » .

ـ حسن فلاضع فيه ، الى جوار اغراضك ، اشيائي الشخصية ! اشياؤها ... توضع مع اشيائي ! .

وماذا كانت اشياؤها الشخصية ؟ مجموعة غريبة مما تحتاج اليه بنات حواء عادة : قلم حمرة شفاه ، علبة « كريم » ، حمرة للوجنات ، مشط ، مرآة ، قارورة عطر ، قلامة اظافر ، ملقاط شعر للحواجب ، نظارة سوداء ، صندوق مناديل « كلينكس » ، دفتر رسائل من ورق وردي اللون كتاب « تفسير المنامات » لابن سيرين ، واعداد من مجلتي « حواء » و « طبيبك » ...

واذا كان عليّ ان اعتاد الجلوس ، من يومئذ ، وراء مكتبي ساعة في الصباح قبيل انطلاقي الى ميدان عملي وبعض الساعة في نهاية الدوام ، والى جواري الآنسة عائدة على كرسيها ... فقد توجب عليّ ، ايضا ، ان اعتاد رؤية الزملاء ، وهم يطلون عليّ من وراء الباب ، يتطلعون ، فيبتسمون ، ثم ينسحبون من غير سوء ... وهناك ، في الغرف الاخرى ، يعقدون ، في سويعات الفراغ والصفاء ، حلقات يتداولون فيها امري متندرين ... يقول احدهم : « رأيتهما ... عصفورين على غصن ! » .

ويضيف آخر : « قد وجدت الآنسة عائدة على ضالتها ... أخيرا ! » .

وقد يسكب احدهم في اذني عبارة منسقة قد اعدها اعدادا متقنا : « هيه ! .. ان الطريق الى مسكن منيف في « ابي رمانة » ، يبدأ بخطوة من وراء مكتبك ، يا أستاذ سعيد ! » .

فيثير بقوله ، الهادىء من خواطري ، جعلت ارسل ، الى « شريكتي » في المكتب ، نظرة اخرى : ان بيتها ليتألف من طابق باربع غرف ـ كما تحدثنا ـ وصالون فسيح ! هي وامها العجوز وحسب ! فاما انا والاولاد وامهم ، فنسكن ، منذ اعوام عشرة ، في قبو من غرفتين رطبتين ! يا موزع البيوت على البشر ، ما ضرّ لو سرت بهم الى ذلك البيت ؟! يسرح اولادي فيه ويمرحون ، انتظارا لاخوة تدفعهم الى الحياة « خالتهم » زوجة الأب ! ما كان لدين الاسلام ان يحرّم : مثنى وثلاث ورباع ! ما خانتني الحظوظ في تحقيقه ، فليتحقق على يدي هذه الفتاة الحلوة السمراء ، ذات القامة الفارعة الممتلئة ، اين منها قامة زوجتي الضئيلة الضاوية !

خواطر يضحك منها الخليّ ، واضحك انا بعد ان افيق ! .

ولكن « ام ياسر » ما تفتا تبدى امامي نزقا ، وهي التي شاطرتني شظف العيش الذى ما كان ليخفض لنا جناحه او يلين . واني لاغضي ، تارة ، عن هذا النزق المفش ، واردّ ، تارة اخرى ، في رفق متطامن . وكيف ، بالله ، يجوز ان تعلن ، ونحن في جلسة وادعة ، في محاولة منها للتنفيس عن كربها الكظيم : « لو انك كنت اكثر نباهة ، فحصلت على اجازة الحقوق ، كما فعل غيرك من بني آدم !! » .

وعلى الرغم مما في هذا القول من صحة ، ذلك اني لو كنت وفقت حقا الى الحصول على المؤهل النهائي في الحقوق ، قبل ان تضطر الكلية الى فصلي وانا في الصف الثالث بعد ان استنفدت كل ما تخوّلني اياه انظمتها من سنوات دراسة ، اذن لعدّلت « وضعي » في الوظيفة ، فغدوت في زمرة الرؤساء لا المرؤوسين ، ولكان زيد راتبي الذى اتقاضى ، مما يرفع من مستواى المادي والمعنوى جميعا ... اقول : انه على الرغم مما في قولتها تلك من الصحة ، الا ان التصريح بذلك ، بين الحين والحين ، يطعن كبريائي في الصميم ، ويقلل من شان كفاءتي الانسانية ! وانه لكذلك يفسد عليّ لذة الاستمتاع بما تبقّى لي من دراستي التي آلت الى الفشل ، اعني به : « اللغة القانونية » التي اكتسبتها ، والتي امسيت شديد الفخر بها ! ولكن ما حيلتي اذا كان قد كتب لي ان اكون زوجا لبلهاء لا تؤمن بغير « الماديات » سبيلا الى حياة افضل !

اني بعد ان زاملت الآنسة عائدة اياما في ظلّ مكتب واحد ، تبدّت لعيني خصال فيّ ، انا نفسي ، لم اكن قد فطنت اليها من قبل : اول هذه الخصال اني شاب رقيق الحاشية ، دمث ، لطيف ! ذلك ما "افضت" به اليّ ! واذ عدت الى نفسي اسائلها ، ادركت ان الخمس والثلاثين التي سلختها ، وان شظف العيش الذى كابدته ، لم يجرّداني من نضارة ورواء ما زلت اتحلى بهما ، ولم ينالا من شعر لي اسود اثيث ، ووسامة ، وخصال لا حصر لها انسانيها كرّ الايام وتعاقب صروف الزمان ! خصال ... تحبّب ، الى هذه العانس الظريفة التي تمتلك بيتا في ارقى حيّ من احياء دمشق الحديثة ، ان تحظى برجل ان لم يستجمع خصالي كلها ، فلا باس في ان يتحلى ببعضها !

وقد وجدتني ، بعد ان اتيح لي ان اتعرّف على هذا الخبء من مناقبي الحميدة ، اتحوّل سريعا عن مواقفي الرفيقة المعتادة ، وانا اتلقى من زوجتي مظاهر النزق المستبدّ ! وهكذا سمحت لنفسي ان اجابهها ، اخيرا ، بالشديد القارس من القول :

— لتعلمي أن الخطأ كل الخطأ في اخفاقي وفي شقائي ، انما يقع عليك وزره ! فانت انت التي لم تهيئي لي ، في اي من أعوامي الجامعية التسعة ، فرصة ان ادرس دراسة منتظمة مجدية ! بل انك لترهقينني بطلباتك التي لا تنقضي ، وتصدعين راسي بشكواك من سكنى هذا القبو الذي تسمينه « قبرا في الحياة » ، وتنغصين عيشي باولادك الذين تنشلينهم ، كالقطة ، عاما بعد عام : انك لتحملين وانت في النفاس !!

ههنا صرخت بي زوجتي ، التي لم تعتد مني هذه الجراءة :

— نعم ؟ ! تقول اولادى انا ؟ ! اتراني اجيء بهم من بيت ابي ؟ ! وما هي طلباتي التي لا تنقضي ؟ ! قل لي : ما هي طلباتي ؟ ان اللقمة لا آكلها في هذا البيت الا بالجهد ! .

هاهي ذي ، الحمقاء ، تسدد الي طعنة جديدة قاتلة ، وهي لا تدرى !

— لتنتقي ان الدواء الذى يشفيك من بذاءة اللسان ... بتّ اعرفه جيدا ! .

وكدت اصرخ ، صنيع غبي او مجنون : « انه ... ان انكبك بغرة تمتلك بيتا مريحا في ابي رمانة ! » ، لو لا ان ...

— حسن ، قل لي ما الدواء ؟ هيا قل من اية صيدلية نشتريه ؟ .

واعتصمت بالصمت ، مكتفيا بان هززت راسي في اسى ، وقد ملكني يقين بان هذه المراة ، ذات الجسم الضاوى والصوت العريض ، والتي لا تقدر الحميد من خصالي ، هي علة بؤسي وشقوتي ! واما الآنسة عائدة ، فاية قامة فارعة ! واى كلام رقيق ! واى عطف ! ... يوم مرض ابني « ياسر » ، ورحت ادور بالوصفة الطبية ، على صيدليات دمشق دون جدوى ، آنست فيها

لهفة بددت المزيد من حزني واشفاقي . وقد سألتني ، بعد أن كفت عن التقاط شعيرات ناشزات من اعلى حاجبيها :

ـ كم ولدا عندك ، يا « سعيد بيك » ؟ !

وانها لتعظمني في خطابها لي !

ـ ستة ، يا ... « عائدة خانم » ! !

ـ كم صبيا منهم ؟ وكم البنات ؟

ـ ثلاثة وثلاث ... انجبتهم في سنوات عشر !

ـ ما أسماؤهم ؟

ـ « ياسر » و « وداد » و « ناصر » و « وصال » و « يوسف » و « وئام » ... والسابع ، الآتي على الطريق ، سأسميه : « نجيب » ، فان جاء بنتا فالاسم ... (اوشك لساني ان يعلن « عائدة » ! ولكني قلت) سأسميها : « عائشة » !

ثم سمعتها تتمتم باعجاب ، فيما هي تعود الى ملقاطها والمرآة : ـ انك لرجل .. منجب !

فكرت بسعادة : انا منجب ، نعم ، فحل ! ان من هو مثلي جدير بان يكون زوجا لاثنتين ، تقد احداهما صباح السبت ، لتحمل الاخرى عشية الاحد ! لطيفة ومتعاطفة . وهل انسى يوم سفحت ما سفحت من قارورتها على رأسي ، فبللت شعري ، وسال العطر حتى عنقي ؟ وان احد الزملاء ليهمس لي ـ مداعبا طبعا ـ وقد فغمت انفه رائحة العطر المسفوح :

ـ الذي جمعك واياها خلف « مكتب » ، يجمعك بها تحت سقف بيت في ابي رمانة !!

قال ذلك ، وتركني لتصورات عذبة رنقت في خاطري ... وحدثتني النفس قائلة : « انك لو كنت وفقت ، منذ فجر حياتك ، الى الاقتران بفتاة ذات غنى ، اذن لاتيح لك ان تستظهر ـ في ظلها ـ كتب الحقوق ، وتلتهمها التهاما ، فيما انت وادع في احدى غرف السكن الذى تملكه زوجتك الموسرة ، بعيدا من صخب الاولاد ومن كل ضوضاء قد تقطع تسلسل افكارك الثيرة ، فتجتاز دراسة الحقوق في سنوات اربع ليس غير ، وتعدل وضعك الوظيفي ، وتغدو في زمرة الرؤساء ... » ! فاجبت النفس قائلا : بل انه ليسعني ، كذلك ، ان امضي في دراستي قدما ، فاحصل على مؤهل الدكتوراه في القانون ! آه ، ان النجاح ليقود الى النجاح ، مثلما يقود الغنى الى مزيد من الغنى ، واما الفقر فلا يجر الا الى الفقر ، وهل يصح القمل في الصئبان ؟!

ولست انسى تلك الدهشة التي تبدت في عيني زوجتي ، لحظة تلقتني في دخولي البيت ، وقد فاح مني ذلك العبير :

ـ ما هذه الرائحة الطيبة ؟!

ـ صديق ... اشترى قارورة عطر ، فعطرني !

ـ ولكني أراه ... عطرا نسائيا !

ـ انما اشترى القارورة لـ ... خطيبته !

واذا كنت قد افلحت في ان اخفي ، ببديهتي السريعة ، عن زوجتي حقيقة قصة العطر الذى سفحته الآنسة عائدة على رأسي ، واذا كنت قد تبينت ، بفضل هذه العانس الظريفة ، كل خصالي الحميدة ... فان ذلك قد شدَّ ، في الحقِّ ، من ازري ، وفتح عيني على عيوب في زوجتي ، كنت من قبل غافلا عنها ! وهكذا اندفعت ، في صبيحة يوم ، اعلن على مسمع منها ، وقد لمست يدي زرًّا من ازرار قميصي مقطوعا :

ـ والله ان على الرجل أن يتزوج بالنتين ... حتى يطمئن الى تلبية مطالبه الشخصية !

وسرعان ما ترامى اليَّ صوتها من الغرفة الاخرى :

ـ تزوَّج ! وما يمنعك ؟

فاعليت صوتي مستنكرا :

ـ زرٌّ في قميصي مقطوع !! أيليق هذا بربِّ اسرة محترم !!

ـ اولادي الستة ، والسابع الآتي على الطريق ، يشغلونني حتى عن نفسي .

ـ ان للزوج « مكانته » ! فان تقاعست الزوجة من اداء واجباتها ، حق له ان ...

فقاطعتني في مبالية :

ـ هيا أسرع ، فتزوَّج بمن تلبِّي لك مطالبك الشخصية باسرع مما أفعل .

ـ اتزوج ، نعم ، استطيع ان اتزوج ! (واستدركت) أفلا يسخطك ذلك لو فعلته ؟ .

ـ ملعونة بنت ملعون ... التي « تزعل » !

ـ اذن فهكذا ؟ طيب !!

ـ ومئة طيب !!

ـ وماذا تراني اقول لها ، بعد ؟ زوجة وقحة !

لا يخيفها تهديد ولا وعيد ، ولا ضرة تشاركها حياتها ! وثارت في نفسي الخواطر : طابق في ابي رمانة ! شمس دافئة ، وانسام عليلة تتهادى من خلف قاسيون ! ولكن ، لم ادبر الرجال عن الآنسة عائدة ؟ لماذا !

اخذت اطيل التفكير بالآنسة عائدة ، وانا في يقظتي . ولكن بدا اني افكر بها ، ايضا ، في الحلم ، حيث لا سلطان للمرء على نفسه ! لم اكن اعرف اني ممن يتكلمون في نومهم ! لذلك اخذني العجب ، وانا ارى زوجتي تسائلني ، ذات صباح ، عمن تكونه ... « تلك التي تسمى عائدة » ؟

هتفت : « ومن اسمعك بهذا الاسم ؟ » .

ـ انت ! انت ! .

وازددت عجبا : « اراك تهذين ، يا امرأة » .

ـ بل انت الذي كنت تهذي . لقد سمعتك تردد ، في نومك ، هذا الاسم مرتين ! .

واعملت ذهني سريعا : « طيب ، لم لا تقولين ذلك من البداية ؟ عائدة هذه ... عبارة عن ... موظفة منقولة حديثا الى دائرتنا ... ولما لم يكن ثمة « مكاتب » اضافية ، فقد رأى السيد المدير ان تشاركني الجلوس وراء مكتبي ! انت تعرفين اني « باحث ميداني » ، وقلما امكث في الدائرة ، ذلك أن ميدان عملي الحقيقي هو .....

واسترسلت ، فحدثتها مليا عمن تكونه تلك التي تلفظ لساني باسمها في تلك الليلة مرتين . ولم اغفل ذكر ابرز ما في شخصية تلك العانس الشابة التي تنشد زوجا : ان لها طابقا موروثا ، تسكنه مع امها العجوز في ابي رمانة ، فضلا عن دكاكين تملكها في « سوق الحميدية » !

افضت ، في ذلك ، افاضة اغراني بها اني وجدت زوجتي تصغي اليّ وتحسن الاصغاء ! ولكن ، هل كانت افاضتي وحماستي ، وانا اتحدث ، تنمّان عن اعجاب بالآنسة عائدة ؟ الحق ، ان اعجابي بها ـ ان كانت قد اثارت في اعجابا اصيلا ـ قد اخذ يتضاءل ... من يوم ان سالتني ان كان لديّ « منديل كلينكس » ؟ وكان بدّ ان اجيبها بالنفي ، وانا اعلم ان في الدرج الاوسط ، المشترك ، علبة لها مملوءة تقريبا بهذه المناديل الورقية ؟! ولكنها تعود تسالني بالحاح

عجول ، فيما هي تدور حول المكتب كما لو انها في شاغل من امرها : « طيب ، منديلك ، منديلك الذي في جيبك ، اذا سمحت ! » .

والتمست ، بحركة تلقائيــــة ، منديلي من جيبي . ثم فطنت :

ـ ولكنه ... متسخ ، يا آنسة عائدة !

ـ لا يهمّ ، لا يهمّ ، اعطني اياه لحظة !

قلت مترددا :

ـ ولكن ... لماذا ؟ لماذا ؟ ارجوك .

وكدت ، تحت الحاحها ، ان اسلمها اياه ، لولا ان منعني من ذلك انه كان في غاية الاتساخ ! وكذلك تكون عناية الزوجات « الثاليات » بمناديل ازواجهنّ ! ثم ان الآنسة عائدة غادرت الغرفة لحظة ، وعادت لتقول : « شكرا . نفي الامر . »

وقد سرّني ، حقا ، ان امرها قد قضي ، فاستغنت عن منديلي غير المشرف . ولكني انطويت على تساؤل لئن حبسته ذلك اليوم وراء الضلوع ، فقد انطلق من عقاله في الليل وانا نائم ... فاخذت اردد ، دون وعي ، اسم الآنسة عائدة ، مرة ومرة ومرة ، بصوت جليّ ، متمتما في ذلك بكلام كمن يسرد حادثة او ما شابه ... ذلك ما ابلغتنيه زوجتي ، اذ ايقظتني لتوها ، دون ان تستطيع حتى الصباح صبرا . وطبعا لم يعجزني اقناعها :

ـ لقد تنازعنا ، انا والآنسة عائدة ، على ... امر من امور العمل ! قلت لها : ان الامر يجب ان يأتي على هذا النحو ! فقالت : بل على ذلك النحو ! قلت : بل هكذا ! قالت بل كذلك ! وبين نحـــوي ونحوها ، وبين هكذا وكذلـــك ، ارتفع صوتانا : هل قلت : صوتانا ، بالمثنى ؟ الحقيقة ارتفعت اصواتنا عاليا ! لم احدثك ، بعد ، بان الآنسة عائدة موظفة عنيدة ....

قلت : ان اعجابي بالآنسة عائدة قد اخذ يتضاءل . فبعد ان اثارت استغرابي بطلبها منديلي على تلك الصورة ، عرفت من الزملاء ، فيما هم يتناولون بالتندر تصرفاتها ، التي دُفِعَتْ من اجلها الى دائرتنا دفعا ، انها كانت ، بطلبها المنديل مني ، تتربص بي ـ انا شريكها في المكتب ـ وتضمر لي شرا لا شك فيه ! .

سألتهم : « شرًا؟ تقولون ؟ »

ـ وأي شر ، يا استاذ سعيد ! .

ـ وما هو هذا الشر ؟!

ان تاخذ « اثرا » منك ، وتمضي به الى احد « السحرة » !

وتكشفت لي ، في الآنسة عائدة ، منذ ذلك اليوم ، امور وامور : لقد كان فيها ـ وانا لا ادري ـ ما يشبه اللوثة ! واذا كانت اسرتني بطويل قامتها ورقيق لفظها خلال اسابيع ، ونحن وراء مكتب واحد ، حتى صرت احلم بالبيت الذى في ابي رمانة ، وبالتهام كتب القانون فيه ، وبالحصول على مؤهل الدكتوراه العظيم ... لقد تكثرت لوثتها منها كل طالب يد ! واخذت انظر اليها من زاوية جديدة : فوجدت ان اكثر ما يغيظني منها انها تسرف في وضع الاصباغ والمساحيق على وجهها ، وتتزين في بهرج من اللباس اغلبه احمر اللون فاقع ممجوج ، وما تفتا تتناول المراة ، والمشط ، والملقاط والقلامة ، وتعود الى كتاب ابن سيرين في تفسير الاحلام كل صباح ! ...

واما منديلي ، المشبع بالوساخة ، فقد كانت تنوى ان تسل منه خيوطا تذهب بها الى « السحّار » ، كي تبصر عيناى ، « ام اولادى » قبيحة كريهة منفرة ! وذكرت انها سالتني ، مرة ، عن اسم امي ؟ وقد اجبتها : « عسكرية » .

فضحكت :

ـ اسالك عن اسم امك !

فاستاتت منها : « اسم امي « عسكرية » ... على الرغم من انها لم ترتد ، لا في شبابها ولا في شيخوختها ، البدلة العسكرية ! »

ـ اسم غريب !

ـ بل كان ، في زمانها ، شائعا في الضيعة التى نشأت فيها .

فهي من روّاد السحرة المشعوذين ، اذن ! استدرجتني الى الافصاح عن اسم امي ، وبقي ان تستحصل على « الاثر » مني ؟! كيف غابت عني لوثتها ؟ فاين ما متعني الله به من الفطنة والذكاء ؟! مسكينة الآنسة عائدة ، انها لتستحق مني الرثاء ، اكثر مما امنحها من الاعجاب ! وشر ما فيها ـ تبدى لي الآن واضحا ـ انها ما تفتا ، وهي الى جوارى ، تدهن وجهها بالمساحيق ! واما ان اجلس ، بعد الآن ، واياها وراء مكتب واحد ، ساعة في الصباح ومثلها في الظهيرة ، فذلك ما لم يعد في مستطاعي .

وددت لو ادخل الى السيد المدير ، وارجوه ان ينقلها من جوارى الى جوار زميل آخر . ولكن ما حجتي في ذلك ؟ اني اذا ما ذكرت له « اللوثة » التي بلغني العلم بها ولمست لمس اليد ظواهرها ، ضحك مني وسخر ! واما حكاية المنديل ، ان قصصتها عليه ، افتراها تكون مسوغا لطلبي ؟ .

وفيما انا اتحين الفرص لعرض امرى عليه ، وقع لي هذا الحادث الذى ركبته الظروف تركيبا عجيبا . والا كيف يمكن ان تتفق فيه الملابسات حتى يصل الامر الى ان ...

مساء الخميس دعتني زوجتي ، كالعادة التي جرينا عليها ، الى ان ادخل الحمام اغتسل ، فهي ... نار تغلي ! والحق ، اني مولع بالنظافة مغرم بالاستحمام ، واجمل ما يحلو لي ان توافيني زوجتي الى الحمام ، لتمر بـ « كيس التفريك » على ظهرى ، بيدها الرفيقة الحنون .

اجبت : « حاضر ، حاضر » .

وتلبثت لحظات ، ريثما افرغت جيوبي مما فيها من نافل الاوراق ، رميت بعضها جانبا ، ومزقت بعضا .

وفي الحمام ، دعكت رأسي بالصابون وانا اغني طربا . وبعد ان رشح جسدى بالعرق رشحا ، ناديت زوجتي ، التي عدت أراها محاسن كلها ، لتمر بيدها الرفيقة على ظهرى . فوافتني بالحال .

ناولتها الكيس الاسود ، وانا اوليها ظهرى : كذلك كان الامر في تفاصيله الدقيقة ! ولكن يدها لم تكن ، الآن ، رفيقة ولا حنونا ! احسست الكيس ، وهو يتراوح ما بين كتفي ، سكة محراث قديمة تشق ارضا صلدة . زايلني الطرب .. حتى لقد صرخت موجع الظهر :

ـ بريت ظهرى ! ماذا دهاك ؟ يدك من حديد ؟!

اجابتني بصوت سمعته مختلجا : « لتبحث لك عن زوجة اخرى ، اسمها عائدة ، تفرك لك ظهرك بيد من حرير ! » .

هتفت ، وانا ما ازال موليها ظهرى :

ـ عائدة ؟! اوصل حديثنا عنها الى الحمام ؟!

ـ وقد يصل الى ما هو أمر !

استفسرتها : « ماذا تعنين ، يا امراة ؟ » .

قالت لي حداة : « اخشى أن ترديدك اسمها وانت نائم ... لم يكن عبثا ! » .

كانت قد كفت عن « التفريك » . وكنت قد استدرت بوجهي نحوها ، وقد ادركت اني مقبل ، الآن ، على شرٍّ مستطيرٍ ، وانا في الحمام كما ولدتني امي !

ـ حسن . فاذا اتفق لي ، مثلا ، ان رددت في حلمي اسم الشيطان ، فلا يكون ذلك عبثا ايضـا ؟

صرخت : « انت تنوى الزواج من عائدة !! » .

زجرتها : « اعقلي ، ياحرمة ! » .

ـ انت احقُّ بأن اقول لك : اعقل يا رجل ! بالامس هددتني بأن على الرجل ان يتزوج باثنتين ، حتى يطمئن الى تلبية مطالبه الشخصية! اليس كذلك ؟ وقد عثرت ، الآن ، على « وثيقة » بخطّ يدك ، تثبت لي انك راغب حقا في الزواج من هذه العانس التي انصرف عنها الرجال !

ولما كنت على ثقة من انه يستحيل ان تكون يدى قد خطت مثل ذلك « المستمسك » المدّعى به ، فقد وجدتني اصرخ بها وانا مكين الظهر : « كاذبة! مفترية ! » .

ـ طيب ! سنرى ، حالا ، من منّا الذى يفترى، ومن يخدع ويراوغ !

وتركتني في الحمام ، وانا اضرب اخماسا باسداس ، وانطلقت عجلى ... لتعود وفي يدها قصاصة من ورق هي مما مزّقت يدى قبل قليل . دفعتها اليَّ : « اقرا ، يا خائن ! » .

وقرات ، في هذه القصاصة ، كلمتين النتين بالغتي الدلالة : « عائدة لسعيد » !

هتفت ماخوذا : « ما هذه ؟ » .

ـ انت اعْرَف .

ـ من اين اتيت بها ؟

ـ لقيتها بين اوراقك التى حرصت على اتلافها، قبل ان تتوارى في الحمام ! اني ، منذ اسابيع ، وانا اراك متغير المزاج : الزرُّ المقطوع ، حتى الزر المقطوع في قميصك ، بات يستوجب منك التفكير بالزواج من اخرى ! تعود اليَّ من وظيفتك، مضمخا بعطر يفوح منك حتى راس الحارة : « صديق اشترى قارورة عطر لخطيبته ، فعطرني » ! اسمها ترده في المنام ، ثم تضللني : « تنازعنا ، انا والآنسة عائدة ، على امر من امور العمل » ! .. وانا ، زوجتك الصابرة ، اسهر على خدمتك وخدمة اولادك الستة !

تمتمت ، مصعوقا : « ان في الامر التباسا ! » .

ـ اليس هذا خطك ؟ .

لقد كان خطي ، حقا : « بلى ! » .

ـ فانت تكاتب « آنستك » ، وهي الى جوارك، بما يخجل ان يعلنه لسانك ! « عائدة لسعيد » ! بعد العمر الذى ضيّعته معك ، يا غدّار ! امراة انصرف عنها الرجال ، لاسباب الله اعلم بحقيقتها ، تستهويك ... لان لها طابقا من اربع غرف وصالون في ابي رمّانة ! (وارتعش صوتها) والله ، لا اقعد في هذا البيت ابدا !

وانتزعت من يدى القصاصة . وصفقت باب الحمام وراءها .

اسرعت « اليّف » جسدى بالصابون ، دون ان انعم باليد الحنون تمرُّ على ظهري بكيس التفريك. اتكون الآنسة عائدة قد قلدت ـ في التيائها ـ خطّي ، فرسمت هاتين الكلمتين اللعينتين في قصاصة دستها في احد جيوبي ؟ ليس ذلك عليها ببعيد . ولكن كيف فاتني ان اقع عليها وانا امزّق ، الساعة ، الاوراق وارميها ؟ ان الامر ليحتاج الى تحقيق وتمحيص .

دلقت بضع طاسات من الماء الفاتر على راسي . ثم لففت جسدى بالبرنس . واسرعت الى حيث ام اولادي العزيزة ، تنتحب وتندب حظها في عيشها مع هذا الذى لم يسعد قلبها يوما واحدا ، ولا رعى لها حقا ! .

وصاحت ، على مسمع من الصغار ، اذ راتني ادخل عليها الغرفة :

ـ « عائدةلسعيد » ! ها ؟! لسوف اريها لابي ! (ولوحت بالقصاصة) ساطلع اهلك عليها ! ساقراها لاصدقائك الذين يحسبونك ذا عقل ! « عائدة لسعيد » ! .

توسلت اليها ، وانا ملتفع ببرنسي ، والماء يقطر من على وجهي « اني بريء ، يا امراة ! والله بريء ! » .

ـ وهذا خط من ؟ اية يد كتبته ؟ قل لي ؟ .

اخذت منها القصاصة : اتكون يدى قد مضت

بهاتين الكلمتين المشئومتين ، يوما ، وانا في لحظة شرود ؟ أأكون كتبتهما وانا تحت وطأة سحر اصطنعته لي الآنسة عائدة ؟! فكيف لم الحظها بين أوراقي التي مزقتها ؟ كيف لم الحظها ؟ .

وفيما انا امعن النظر في القصاصة ، استرعى انتباهي في جانبها بقية من كلمة مكتوبة ، بالاحرف اللاتينية ، بخط سريع لا عناية فيه ! ما معنى هذا ؟ .

يا للفطنة ! خط طبيب ! يا للذكاء ! يا للروعة ! وكما تطلع الشمس من خلف غيمة كثيفة ، كذلك اشرقت الحقيقة في سماء خاطري ... فاذا انا انتفش كديك روميرافعا راسي تحت قبة البرنس عاليا جدا ، وقد اميط امامي الستر عن اللغز المحير : « اتذكرين مرض ابننا ياسر ؟ » .

طرحت سؤالي صنيع « محقق » عتيد !

رايتها تتطامن تلقائي ، وتجيبني في دعة : « أذكر » .

ـ وتذكرين « الوصفة » التي كتبها لنا الطبيب المداوي ؟ .

ـ اذكر .

ـ وكيف أني درت على صيدليات دمشق بحثا عن الدواء دون جدوى ؟ .

ـ اذكر ، اذكر .

وتذكرين أني توجهت ، أخيرا ، الى جارنا « أبي هيثم الافواني » الذي يعمل سائق سيارة على طريق دمشق ـ بيروت ؟ .

صاحت في نفاد صبر :

ـ نعم ، نعم . اذكر ذلك جيدا . وقد جلب الرجل لنا الدواء من صيدليات بيروت . ولكن ما دخل ذلك كله ؟ اتريد تضليلي ؟ .

ـ اسمعي ، اقول لك ، يا حرمة ، حتى اكشف لك من طيشك وسفهك ! اني يوم سلمت جارنا ابا الهيثم وصفتنا ، قال لي الرجل : « ان في جيبي ، يا أستاذ سعيد ، خمس وصفات غير وصفتك ، فاكتب لي اسمك عليها ! » فكتبت في ذيلها ، بخط يدي ، نعم : « عائدة لسعيد ! » اي ان هذه الوصفة عائدة الي ، خاصة بي ، حتى لا يخلط الرجل بين اصحاب الوصفات التي يحملها ! .. هيا ابحثي ، بين المزق ، عن بقية الوصفة التي مزقتها قبل دخولي الحمام ، يا ... غبية !! .

لم ارتميت ، ببرنسي ، على المقعد منهكا ، وقد احسست رعدة برد تسري في اوصالي .

وواتتني الجراة ، في اليوم التالي ، فدخلت على السيد المدير ، وقصصت عليه ما كان بيني وبين زوجتي في الحمام من سوء تفاهم مرده الى الآنسة عائدة ... فقهقه عاليا ، حتى كاد يستلقي ، وهو في كرسيه الدوار ، على قفاه . وطلبت منه ان ينقلها من جواري .

واذ حدثت بالقصة زملائي ، اسف بعضهم ، وبعضهم ضحك حتى شرق . واما الآنسة عائدة ، فلم يبد عليها ـ يا للغرابة ! ـ انها شعرت بشيء من الاسف او الانفعال ... انها ، على العكس ، لم تكتم لدى سماعها قصتي ، سعادة طفت على وجهها المطلي بالمساحيق ! لكم خدمت بها ! .

وبر السيد المدير بوعده ، فنقلها الى جوار زميل آخر . ولسنا ندري ، نحن موظفي الدائرة ، كيف سارت الامور ، بعدئذ ، على نحو حثيث : لقد نجحت الآنسة عائدة في الحصول ، بوسيلة ما ، على منديل شريكها الجديد في المكتب . والذي عرفناه ، بعد ، أن شجارا عنيفا قد نشب في بيته ، بينه وبين زوجته ـ وهما بعد عروسان ـ حين اكتشفت في منديله ، وهي تغسله ، بقعا من احمر الشفاه ! .

وفكرت ، وما ازال الى يومي هذا افكر : لو ان منديلي كان ، يوم طلبته مني الآنسة عائدة ، نظيفا معطرا ، فسلمتها اياه ، ولو انها مرغته بعيدا عن الاعين ، بشفتيها المخضوبتين ، او مرت عليه بقلم حمرتها ، واعادته الي في طيته ، ولو ان زوجتي اكتشفت ، يوم الغسيل ، البقع فيه ... فهل كان يسعني ان أتخلص من الورطة نفسي ؟؟ .

وحمدت الله ان مشكلتي مع ام ياسر كانت من نوع آخر : واني افلحت في ان ابدد ، سريعا ، ضباب الشك من خاطرها ... وذلك كله بفضل ما متعت به من ذكاء وقاد ، ومن خبرة بالقانون شدما كانت تخولني لان اكون محاميا لامعا : ذكاء وخبرة ، ساعيش الدهر كله مع ام اولادي ، دون ان اوفق الى حملها على الايمان بهما مقدار ذرة ! .

دمشق ـ فاضل السباعي

القَلقشَنْدِى

وكتابه

صُبح الأعشى

الكتاب الذى صار متحفًا عامرًا بصور من العصور الزاهية وقد ضم ١٤ مجلدًا وهو فى كل مكتبة وكل دارٍ ذات علمٍ ولها فى اللغة أصالة

بقلم : عبد الستار فراج

■ في سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) ولد احمد بن علي بن احمد بن عبد الله الفزارى الذى ينتمى الى بنى بدر ابن عدى بن فزارة ، القبيلة العربية التى تتفرع من غطفان من قيس عيلان .

وقد انتقل بعض بني بدر وبعض بني عمهم بني مازن الى القليوبية بمصر في الوجه البحرى شرقي فرع النيل المتجه الى دمياط . وفي « قلقشندة » وهي بلدة من اعمال القليوبية كان يقيم بعض بني بدر الذين منهم القلقشندى احمد بن علي ، بن احمد بن عبد الله ، ومعهم بعض بني عمهم من مازن الفزاريين .

كان بها دار الليث بن سعد

« وقلقشندة » او كما سماها ياقوت « قرقشندة » وهو الاسم الذى تذكر به الآن ، كانت بها دار لليث بن سعد ، الذى قال عنه الامام الشافعي : « الليث افقه من مالك الا ان اصحابه لم يقوموا بمذهبه » . ودار الليث بن سعد هدمها امير مصر ابن رفاعة عنادا له ، وكان ابن عمه ، ثم بناها الليث ثانية ، فهدمها ابن رفاعة ، فلما كان بناء الثالثة اتاه آت في المنام وقال له : قم

يا ليث ، ثم قرأ له قوله تعالى « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » فاصبح وقد فلج ابن رفاعة ، ومات بعد ثلاث ليال :

اسم القلقشندي وتعلمه

وعند اطلاق لفظ القلقشندي تنصرف الاذهان الى صاحبنا الذى نترجم له وهو صاحب كتاب « صبح الأعشى » .

وقد قال السخاوى في كتابه « الضوء اللامع » ان العيني والمقريزي ترجما للقلقشندي ، وذكرا ان والده اسمه عبد الله ، « ثم عقب على ذلك بقوله : « وهو وَهَم » »لكننا نجد نسخة خطية لكتاب « مآثر الانافة » الذى الفه القلقشندي نفسه مكتوبا عليها ان اسمه احمد بن عبد الله . ويبدو ان في الاسم اختصارا وانه نسب الى جده الثاني.

وقرب قلقشندة من القاهرة ، وهي تبعد عنها حوالي اثني عشر ميلا ، كان يتيح لأبنائها الذهاب الى القاهرة لتلقي العلم على من يشاؤون من علماء العصر ، في مدارس القاهرة ومساجدها التي كانت عامرة بالشيوخ البرزين في الشريعة والعربية وكثير من العلوم والمعارف ، وحيث تحفل الدور بالمكتبات العامرة بالمؤلفات في كل نوع ، مطولات كانت أو مختصرات .

لهذا نجد القلقشندي تلقى الفقه على مذهب الامام الشافعي الذى انتشر بمصر وخاصة في الوجه البحرى ، وسمع على علماء عصره ، وبرع في علوم اللغة العربية . واثبت لنا في مؤلفاته انه كان ذا ثقافة واسعة ، والمام تام بكل ما يحتاج اليه ذوو المناصب العالية في الدولة ، وبخاصة وظيفة الكتابة في ديوان الانشاء ، وهذا الديوان كان يتولى كل ما يصدر عن الحاكم من عهود وعقود ومكاتبات الى ولاة العهد والوزراء واصحاب المناصب المختلفة في الدولة ، والى اصحاب العلاقات السياسية والاخوية من الدول الاخرى ملوكا وسلاطين .

مؤهلات كاتب الانشاء

وكان لا بد لمن يتولى العمل في ديوان الانشاء أن يكون عالما باللغة والقرآن والحديث والادب شعرا ونثرا ، محيطا بالمعلومات العامة ، عارفا بالهوايات المختلفة والالقاب وما يستحق ان يهدى. خبيرا بقيمة كل نوع من حيوانات الزينة والركوب، والطيور الجميلة ، والأحجار الكريمة ، وانساب العرب وعاداتهم واوابدهم وايامهم ، وتاريخ الدول المجاورة ، ومواقع كل دولة ، والطرق الموصلة اليها ، ومن اين تجلب الاشياء ذات القيمة العالية ، قادرا على الكتابة في كل لون من الوان المخاطبات ، مع معرفة ما يناسب ابتداء كل مخاطبة ومكاتبة ، مما يجعل الانسان منا يعجب كيف ارهقوا انفسهم فاحاطوا بكل هذا ورتبوه .

والحق ان الوصول الى المراتب السامية ، والمقاصد الرفيعة ، والصلات المرموقة لم يكن من الامور العَفْوِية ،ولن تكون الا فيما ندر ، وتلك الندرة لا تجعلها قاعدة يبنى عليها الخاملون آمالهم وينتظرون وهم قعود أن تتحقق لهم احلامهم .

ولئن صح ان يصل الى بعض المراتب من لم يصلح لها ، وان يحسب في عداد العلماء من لم يكن راسخ القدم واسع الاطلاع ، فان الايام ستكشف للناس زيفه وتبرزه على حقيقته . اما الذين وهب الله لهم القدرة على السعي ، والاستمرار في التحصيل وجنبهم الغرور المشين ، فان آثارهم تبقى ناصعة محمودة الأثر ، لا ينقص من قدرها بعض الهفوات النادرة ، ولكل زمان عُدّاته ومستواه ، ولن نطلب من اهل القرن العاشر أو الخامس عشر مثلا ان يكونوا في دقة المعرفة وارتفاع المستوى الثقافي كابناء القرن العشرين في عقده السابع. فلعهدهم قدراته وامكاناته ،ولعهدنا آلاته ومختبراته ، وعلى الماضي السليم يبنى الحاضر ، وفوق الحاضر المتين يرتفع المستقبل الشاهق،وقد تكون في الماضي عظات وعبر ، وانه لتكون متعة ولذة ان نفخر بماض يزينه حاضر ، ويتفتح له مستقبل،فنكون جديرين بان نقول :

تبنى كما كانت اوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ويزيدنا فخرا أن نتمثل بقول القائل :

ان الفتى من يقول ها أنذا
ليس الفتى من يقول كان ابى

فضل الكتابة

يقول القلقشندي في مقدمة كتابه «صبح الاعشى»

« الكتابة من اشرف الصنائع وارفعها ، واربح البضائع وانفعها ، وافضل المآثر واعلاها ، وآثر الفضائل واغلاها ، لا سيما كتابة الانشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها . وانسان عينها بل عين انسانها ، لا تلتفت الملوك الا اليها ، ولا تعول في المهمات الا عليها ، يعظمون اصحابها ، ويقربون كتابها ، فحليفها ابدا خليق بالتقديم ، جدير بالتبجيل والتكريم ..

اختلاف المؤلفين في تصنيفهم

وبالطبع لا يريد القلقشندي من الانشاء ما هو متعارف لدينا الآن من مادة الانشاء المقررة على تلاميذ المدارس ، وانما يريد بها مهنة الديوان المخصص لكل المكاتبات الرسمية ، على مستواها العالي ، المتصل بمهام الدولة وعلاقاتها . وهذه المهنة ألف فيها كثيرون ، واختلفوا في منهجهم ، ولهذا يقول القلقشندي : « هذا والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف ، وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة اخذت في بيان اصول الصنعة وذكر شواهدها ، واخرى جنحت الى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها ، وطائفة اهتمت بتدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها ، وتكون انموذجا لمن بعدهم ، يسلك سبيلها من اراد ان ينسج على منوالها » .

ومن عرض بعض مقدمة القلقشندي في كتابه « صبح الاعشى » يتبين نوع ما حشده اذ يقول :

« ورتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة :

١ ـ المقدمة فيها خمسة ابواب ، الباب الاول فيه فصلان ، الباب الثاني فيه ثلاثة فصول ، الباب الثالث فيه فصلان ، الباب الرابع فيه فصلان ، الباب الخامس به اربعة فصول .

٢ ـ المقالة الاولى فيها بابان ، الباب الاول فيه ثلاثة فصول ، الباب الثاني فيه فصلان .

٣ ـ المقالة الثانية فيها اربعة ابواب ، الباب الاول فيه ثلاثة فصول .. » .

وهكذا يقسم كل مقالة الى ابواب ، وكل باب الى فصول ، موضحا ما تحت كل فصل من موضوعات . وهذا مثال لما جاء في فهرس بعض مقالاته العشر .

المقالة الاولى فيما يحتاج اليه الكاتب وفيه بابان ، الباب الاول في الامور العلمية ، وفيه ثلاثة فصول ، الفصل الاول فيما يحتاج اليه الكاتب في الجملة ، الفصل الثاني فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد الانشاء من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع وحفظ كتاب الله تعالى والكثير من الاحاديث النبوية وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتباتهم ومحاوراتهم . . واشعار العرب وامثال العرب ، ومن جرى مجراهم ، والمعرفة بالتاريخ ، وانساب العرب ومفاخراتهم ومنافراتهم وحروبهم واوابدهم في الجاهلية ، واحوال الامم ، والأحكام السلطانية ، واصناف العلوم ، ومن برع في كل علم منها والكتب القائمة في كل فن من فنونها .

الفصل الثالث في معرفة الازمنة والاوقات من الايام والشهور والسنين على اختلاف الامم فيها ، وتفاصيل اجزائها ، وما ينخرط في سلك ذلك من الفصول الاربعة ، واعيادهم .

المقالة الثانية : في المسالك والممالك وفيها اربعة ابواب ، الباب الاول في ذكر الارض على سبيل الاجمال وفيه ثلاثة فصول : الفصل الاول في معرفة شكل الارض واحاطة البحر بها ، وبيان جهاتها الاربع ، وما اشتملت عليه من الاقاليم .

الفصل الثاني في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان ، في التعريف بها ، والسفر اليها من البحر المحيط ، والبحار المنبثة في اقطار الارض ونواحي الممالك ، مما هو متصل به ومنقطع عنه وما بها من الجزائر المشهورة .

الفصل الثالث في استخراج جهات البلدان والابعاد الواقعة بينها .

الباب الثاني في ذكر الخلافة ، ومن وليها من الخلفاء ، ومقراتهم في القديم ، وما انطوت عليه ممالكهم من الاقطار وفيه فصلان ... » .

سبب تأليفه الكتاب

لقد اشار القلقشندي في الجزء الاول من الصفحة الثانية الى انه في حدود سنة ٧٩١ هـ عند استقراره في كتابة الانشاء انشا مقامة بيّن فيها ان الكتابة هي التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها . ونبه فيها على ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد ، فاشار عليه بعض المشيرين أن يتبع ذلك

بمصنف مبسوط ، يشتمل على اصول الكتابة وقواعدها ، ليكون كالشرح والبيان لما اجمله ، فقام بهذا الامر ، وقد استفاد من كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » الذى الفه احمد بن فضل الله العُمَرِيْ . ومن كتاب « تثقيف التعريف » الذى الفه ابن ناظر الجيش ، ثم زاد عليهما ، ووضح ما ابهماه ، وذكر احوال الممالك التي تكاتبها مصر ، ومبينا قاعدة كل مملكة ـ اى عاصمتها ـ التي هي محلّ الملك ، شرقا او غربا او جنوبا او شمالا ، معرفا الطريق الموصل اليها برا وبحرا . وسماه « صبح الاعشى في كتابة الانشا » .

القلقشندى اجيز للافتاء والدراسة

ولقد أجيز القلقشندى بأن يفتي ويدرِّس على مذهب الامام الشافعي من شيخه العلامة سراج الدين عمر في سنة ٧٧٨ وسنه يومئذ احدى وعشرون سنة . وهذه الاجازة تشبه ما يمنح الآن من الشهادات النهائية للطلاب ، حيث تؤهلهم امام الجهات الرسمية والعلمية لان يتقبلوا بين العلماء ويسمع لقولهم .

كان للقلقشندى اكثر من ولد

ويبدو ان القلقشندى كان له اكثر من ولد ، فكنيته ابو العباس ، مما يدل على ان ولده الاكبر كان اسمه العباس ، ويذكر لنا ان له ابنا اسمه « محمد » وكنيته « ابو الفتح » ولقبه « نجم الدين » كان قاضيا .

وكان للقلقشندى اكثر من كتاب

وكتابه صبح الاعشى انتهى منه في سنة ٨١٤ هـ ومع ذلك فلا شك انه اضاف اليه شيئا بعد انتهائه منه لانه يذكر في الجزء ١٤ من الصفحة ٣٢٨ « خبرا وقع في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة » .

وقد طبع كتابه في المطبعة الاميرية بالقاهرة عن دار الكتب في سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) في اربعة عشر جزءا كل جزء يقارب خمسمائة صفحة من القطع الكبير .

وله كذلك كتاب « مآثر الانافة في معالم الخلافة » وقد طبعته وزارة الاعلام بالكويت في ثلاثة اجزاء ، وكان الفه في سنة ٨١٩ هـ .

وله كتاب آخر اسمه « نهاية الارب في انساب العرب » طبع اولا في العراق ، واعيد طبعه بالقاهرة .

نماذج مما احتواه « صبح الاعشى » الحمام الرسائلي ومطاراته

الحمام اسم جنس يقع على هذا الحمام المتعارف بين الناس ، وعلى اليمام والدباسيْ والقماري والفواخت وغيرها .. وان المتبادر الى فهم السامع عند ذكر الحمام هو هذا النوع المخصوص . وان اغلاه قيمة واعلاه رتبة الحمام الرسائلي ، وهو الذى يتخذه الملوك لحمل المكاتبات ، ويعبر عنه بالهُدّيْ(١) .

فاما الاعتناء به والاهتمام بشأنه فقد اعتنى به في القديم خلفاء بني العباس ، كالمهدى ثالث خلفائهم ، والناصر منهم ، وتنافس فيه رؤساء الناس في العراق ، لا سيما بالبصرة .. وبالغوا في اثمانه ، حتى بلغ ثمن الطائر الفارِهِ منها سبعمائة دينار . ويقال انه بلغ ثمن طائر منها جاء من خليج القسطنطينية الف دينار ، وكانت تباع بيضتا الطائر المشهور بالفراهة بعشرين دينارا ، وانه كان عندهم دفاتر بانساب الحمام كانساب العرب .

٦

صبح الاعشى متحف عامر بصور من العصور الزاهية

ان كتاب « صبح الاعشى » حافل بكل طريف ومفيد ، وهو مرجع لمن يريد ان يرسم صورة للعصور السابقة ، في احتفالاتهم وملابسهم والقابهم ووظائفهم ومعيشتهم ، وكل ما كانوا يتصرفون فيه ، وهو سجل لاحداث نادرة منتشرة في كتابه . ولو ان مؤلفا للمسرح والسينما ومخرجا لهما ارادا ان يبرزا قصة تاريخية فلن يجدا مرجعا أوفى واشمل من « صبح الاعشى » ليقتبسا منه ما يجلو للمشاهدين حياة الناس في تلك الامم المعروفة ،

---

(١) الهُدّيْ جمع الهادى مر مثل الغازى والغزّيْ

في اوضح بيان ، كما انه مرجع تاريخى وعمرانى ومعجم لغوى لكثير من المصطلحات ، ودائرة معارف للمؤلفات في كل الفنون المعروفة في عهده وقبله ، وانه لأمين فيما ينقل ، ولا يبخس السابقين حقهم، اذ انـه ينسب المعلومات لأربابهـا ، وينص على الكتب التى نقل عنها ، فجزاه الله على ما قدم خير الجزاء .

الآلات الملوكية في المواكب العظام

يذكر القلقشندى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ويقول انها على اصناف متعددة :

منها (التاج) وكان ينعت بالتاج الشريف . وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام . وفيه جوهرة عظيمة تعرف باليتيمة ، زنتها سبعة دراهم . ولا يقوم عليها لنفاستها . وحولها جواهر اخرى دونها ، يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها (قضيب الملك) وهو عود طوله شبر ونصف ، مُلَبَّس بالذهب المرصع بالدر والجوهر ، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الـذى يحمل مع الخليفة في المواكب ..

وهكذا يسلسل الاشياء التى تكون في الموكب ومن يحملها مثل الدواة ، الرمح ، الورقة ، المظلة ، الاعلام ..

هيئة الخليفة في قصره

ويوافينا القلقشندى في كتابه بما كان عليه حال الخليفة في منازله واحوال خدمه وجواريه وما يكون عليه من زى وحراسة وما يصيحون به ليلا .

ومن ذلك ما يقوله عن الخليفة :

« كان له ثياب يلبسها في الدور اكمامها على النصف من اكمام ثيابه التى يلبسها في المواكب ..

خزانة الكتب

ويحدثنا القلقشندى عن خزانة الخليفة فيقول : « وكانت من اجل الخزائن واعظمها شأنا عندهم . وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدة كثيرة . ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة الف مجلد ، مشتملة على انواع العلوم مما يدهش الناظر ويحيّره ..

وفاته

وقد توفي القلقشندى في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) يوم السبت عاشر جمادى الآخرة وله من العمر خمس وستون سنة ■■

عبد الستار أحمد فراج

تقشعت سماؤه

● قال ابو العيناء : كان الجاحظ يأكل مع ابن الزيات . فجاءوا بفالودج ، فآثره بـه الوزير ، ليأكل معـه منه . فأسرع الجاحظ في الاكل حتى تظف ما بين يديـه . فقال لـه الوزير : تقشعت سماؤك قبل سماء الناس يا ابا عثمان . فقال له الجاحظ : لان غيمها خفيف .

النجعة مع الجدب

● وشبيه بهذا ما حدث لاعرابي يأكل على مائدة احد الامراء . فكان يمد يده الى ما امام الامير . فقال له احد الحجاب : كل من امامك ايها الاعرابي . فقال : من اجدَبَ انتجع .

قصة استئناس الحيوان

بقلم: الدكتور الياس بدر



■ من الطبيعي ان يتطلع الانسان دائما الى تحقيق مستوى رفيع من الحياة بتأمين احتياجاته المختلفة المتصاعدة والمتطورة سعيا لمزيد من الرفاهية ، ويقال ان الانسان قد بدأت انسانيته حين تطورت حياته من مرحلة القنص والصيد ، التي سادها القلق والجوع الى مرحلة اكثر اطمئنانا واستقرارا وهي المرحلة التي دخل منها نطاق الرعي والزراعة وما اقتضته من استئناس الحيوان وتربية الماشية للانتفاع من نتاجها .

وقد اعتمدت دراسة مناشط الانسان المتنوعة على مر الدهور على الاكتشافات الاثرية والمخطوطات والوثائق المكتوبة ، ومن المعروف ان الانسان قد بدأ في تسجيل مخطوطاته قبل حوالي خمسة آلاف او ستة آلاف سنة مضت ، حيث بدأت الثورة الحضرية في المنطقة الواقعة حول نهر النيل والرافدين ونهر السند .

وقد سبق تطور الزراعة في ذلك الوقت تحول الانسان تدريجيا الى الزراعة حوالي سنة ٨٠٠٠ق.م – ٦٠٠٠ سنة ق.م. بينما كانت مناطق شمال اوروبا مغطاة بالثلوج والجليد اذ لم يصل انسانها الى هذا المستوى الا حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م.

الحضارات القديمة واستئناس الحيوان

وقد كانت الاراضي الممتدة ما بين وادي النيل ووادي السند ، وخصوصا مصر والاردن وفلسطين والعراق وبلاد فارس ، مهدا لتطور الحضارات ومن مخطوطات هذه الحضارات وما يماثلها توفرت بعض المعلومات عن تاريخ استئناس الحيوانات وهدف الانسان منها .

ويرى بعض علماء الآثار والاجناس ان هناك ثلاث مناطق رئيسية في العالم جرى فيها استئناس الحيوان.



اولاها منطقة جنوب شرقي آسيا حيث جرى تأنيس البط والاوز والدجاج والكلاب والخنازير ، والثانية منطقة امريكا الجنوبية حيث استؤنست اللاما والباكا وخنزير غينيا والديك الرومي ، وثالث هذه المناطق واهمها هي المنطقة الممتدة من ايران الى العراق والاردن وفلسطين ومصر ومناطق الشرق الادنى المجاورة حيث استؤنست الابقار والضان والماعز والجمال وحيوانات الفصيلة الخيلية .

ويعتقد الكثير من العلماء ان الميل الفطري عند النساء والاطفال لتربية الحيوانات كان الحافز الاول الذي دعى الانسان لاستئناس الحيوان .

ويعتقد الكثير من العلماء ايضا ان الانسان اول ما بدا ، بدأ باستئناس الحيوانات الصغيرة الرضيعة ، وقد لاحظ العالم الشهير دارون ان الانسان البدائي في عصره كان اكثر نجاحا في استئناس الحيوانات ، وقد اشار بعض العلماء ايضا الى ان هناك بعض القبائل البدائية في امريكا الاستوائية وجنوب شرق آسيا لا تزال نساؤها ترضع الخنازير الوليدة والجراء الرضيعة من لبنها عند الحاجة القصوى ، وبالاضافة الى ميل الجنس اللطيف الى تربية الحيوانات والرافة بها فان المعتقد ايضا ان الانسان اتجه الى ذلك لاغراض دينية وللاحتفالات والطقوس المقدسة وان المنفعة الاقتصادية من الاستئناس اتت نتيجة لذلك .

واذا رغب الانسان في وضع تعريف لاستئناس الحيوان لكان ذلك بسيطا لادراكه العلاقة المباشرة بالحيوان ، وتعرف بانها العملية التي يقوم او قام الانسان بها بالتدخل في تربية وتغذية الحيوانات البرية ووسائل رعايتها .

تاريخ استئناس الحيوان

ويبين الجدول التالي الترتيب الزمني لاستئناس الحيوان وهدف الانسان من ذلك والحضارات التي قامت بها .

الحضارة	نوع الحيوان	الزمن	استعمالات الحيوان
العصر الحجري المتوسط	الكلب	٨٠٠٠ ق.م	للصيد والرعي
	الماعز	٧٠٠٠ ق.م	غذاء وكساء
	الضأن	٦٠٠٠ ق.م	غذاء وكساء
العصر الحجري الحديث	الابقار	٤٥٠٠ ق.م	غذاء وكساء
	الجاموس	٢٥٠٠ ق.م	غذاء وكساء
	الخنزير	٢٥٠٠ ق.م	غذاء وكساء
عصر حضارة البداوة	الحصان	٤٠٠٠ ق.م	للنقل
	الجمل	١٨٠٠ ق.م	للنقل والغذاء
حضارات مصر القديمة	الظباء	٢٥٠٠ ق.م	غذاء
	القط	١٦٠٠ ق.م	مكافحة
	شيتا	١٥٠٠ ق.م	للصيد
	الاوز	١٤٠٠ ق.م	غذاء اضافي
	الحمام	١٢٠٠ ق.م	غذاء وبريد
	النحل	٦٠٠ ق.م	غذاء
حضارات الهند القديمة	الدجاج	٢٠٠٠ ق.م	رياضة
	الطاووس	؟ ق.م	رياضة وزينة
حضارات اليونان القديمة	الدجاج الحبشي	٥٠٠ ق.م	غذاء
حضارات روما القديمة	السمن	؟	الرياضة والغذاء
	دراج (دجاج الوادي)	[illegible] ق.م	الرياضة والغذاء
حضارات الصين القديمة	دودة القز	٢٠٠ ق.م	كساء
	البط	؟	غذاء
حضارات امريكا الهندية	اللاما	٢٢٥٠ـ١٢٥٠ق.م	غذاء ، كساء ، نقل
	الخنزير الغيني	؟	غذاء
	الديك الرومي	؟	غذاء
العصور الوسطى لاوروبا	سمك البلطي (كارب)	١٤٠٠ ب.م	غذاء
	الارنب	١٥٠٠ ب.م	غذاء
	الكناري	١٥٠٠ ب.م	زينة وهواية
العصور الحديثة لاوروبا	الجرذ	١٨٠٠ ب.م	هواية، ابحاث علمية
	الفأر	؟	هواية، ابحاث علمية
	همستر	١٩٣١ ب.م	ابحاث علمية
	جربوع	١٩٥٠ ب.م	ابحاث علمية



كيف يستأنس الحيوان

بغض النظر عن المكان او الزمان فان المراحل التي مرت بها عملية استئناس الحيوان اتخذت وتتخذ عادة النسق التالي : ـ

١ ـ المرحلة الاولى

وهي مرحلة بين الترويض والاستئناس وفيها يسمح للحيوان بالاختلاط بمثل نوعه من الحيوانات البرية وخير مثال لذلك ما يجرى في الوقت الحاضر في بورما حيث تترك الفيلة العاملة للتزاوج مع فيلة الغاب ويسمح للحيوان المعروف بالايل بمثل هذا التزاوج في بعض المناطق الشمالية من الكرة الارضية .

٢ ـ المرحلة الثانية

وفيها تربى الحيوانات في مكان محصور تتزاوج وتتوالد ضمن حدوده ، فتفقد اتصالها بمثل نوعها من الحيوانات البرية ، وهنا تظهر طبائع الاستئناس ، وتتطور الى فصائل محلية مختلفة من الابقار والضأن والخنازير وغيرها من الحيوانات.

٣ ـ المرحلة الثالثة

من اجل تحسين صفات الحيوانات للحصول على الصفات المرغوبة من ناحية الحجم واللحم وانتاج الحليب والصوف والجلود وكفاءة الحيوان على العمل ، تتبع طريقة الانتخاب عند تربية الحيوان . ونتيجة لذلك ظهرت ضمن نوع الحيوانات فصائل مميزة محسنة لها صفات خاصة وذات قيمة انتاجية عالية .وعند الوصول الى مثل هذه المرحلة يصبح من غير المرغوب تزاوج الحيوانات المحسنة مع اجدادها الحيوانات البرية لان مثل هذا التزاوج سيؤثر على الصفات المرغوبة التي اختارها الانسان .

واذا امعنا النظر فيما تقدم لتبين لنا ان الماشية والطيور الداجنة التي نقوم بتربيتها حاليا لم تصل الى مستواها الانتاجي هذا الا بعد ان بذل الانسان القديم والحديث جهدا جبارا متواصلا في هذا السبيل ، سواء كان ذلك بطريق الصدفة ام نتيجة تخطيط مقصود .

وقد بدأ الانسان في استئناس الماشية ، ثم حيوانات النقل واهمها الخيول ، ثم تدرج الى الدواجن المختلفة . وفي العصور الوسطى قام باستئناس الارانب وسمك البلطي والكنارى وذلك تمشيا مع طموحه الدائم نحو حياة افضل وارفه. وفي العصر الحديث استؤنست حيوانات المختبر

تمشيا مع تطور العلم الحديث وليس من القريب او المستبعد ان يقوم الانسان باستئناس انواع اخرى في المستقبل لغايات مختلفة مما يدعونا الى الحفاظ على كل نوع من انواع الحيوانات البرية الموجودة حاليا لاسباب عدة اخرى .

الحيوانات البرية واهميتها للانسان

وقد يتساءل البعض لماذا هذه الدعوة الى الاهتمام بالمحافظة على انواع الحيوانات البرية ، فنحن الآن في عصر الذرة وليس لنا الآن حاجة الى الحمام الزاجل مثلا ، ونحن نستطيع العيش برغد وسعادة بدون طيور البجع او غيرها من الطيور والحيوانات البرية .

ومع ان الانسان يستطيع العيش بسرور وهناء دون الحاجة الى هذه المخلوقات البرية الا ان هناك الكثير من الاسباب تدعونا للمحافظة على انواع الحيوانات والطيور البرية المختلفة ، فانها تضيف الى جمال وغنى الطبيعة اهتمام الانسان بها الى حد كبير .

ولا ينسى المرء زيارة حدائق الحيوان لمشاهدة محتوياتها من حيوانات وطيور ، ولا تدل الاعداد المتزاحمة من الناس التى تذهب لزيارة حدائق الحيوان الا انالانسان تروقله مشاهدة محتوياتها سواء لاغراض تثقيفية ام ترفيهية او تمتع بجمال الطبيعة وما عليها من مخلوقات .

ومن الطيور ما يساعد الانسان بطرق مباشرة في عملية مكافحة الحشرات الضارة ، التى تهدد انتاج المزارع وصداقة هذه الطيور للمزارع تدعونا للمحافظة عليها وفاء للجميل . وقد يكون هناك سبب آخر يدعونا للمحافظة على الحيوانات البرية وهو ضرورة وجود هذه الحيوانات والطيور لاجراء الابحاث البيولوجية والابحاث العلمية والطبية الاخرى . واذا كان لكل نوع من الحيوانات موقع على هذه الارض فان اختفاء هذا النوع قد تكون له آثار يصعب التنبؤ بها . ■■

الياس بدر
عمان/الاردن

فطنة

● حكي ان احد التجار تأهب للحج وبقي معه من ماله الف دينار لايحتاج اليها ، فمضى الى الصحراء . فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفنها ولم يره احد .

ثم خرج الى الحج ، فعاد وحفر المكان فلم يجد شيئا ، فحزن كثيرا وجعل يبكي ويقول الارض سرقت مالي ! فقيل له لو قصدت عضد الدولة فان له فطنه ؟ فقال : او يعلم الغيب ؟ فقيل له لا بأس بقصده . فقصده واخبره بقصته ، فجمع عضد الدولة الاطباء . وقال : هل داويتم هذه السنة احدا بعروق الخروع ؟ فقال احدهم انا داويت فلانا فقال : علي به فقال : هل تداويت هذه السنة بعروق الخروع ؟ قال : نعم فقال : اذهب بهذا معك فاره المكان الذى اخذت منه . فذهبا الى تلك الشجرة . فقال التاجر هاهنا والله تركت مالي فرجع الى عضد الدولة فاخبره : فقال عضد الدولة هات المال فتلكأ فاوعده ، فاحضر المال .



في محراب الخشوع

شعر : الشيخ محمد رضا آل صادق

النجف الاشرف

■ ربي اليك أنبتُ فاغفر زلتي — وامننْ بعفوك ياعظيم المنّة
كم أبعدتني عنك آثامي التي — كادت تسدُّ عليَّ باب الرحمة
مَن لي سواكَ وأنت غاية مطلبي — أنّى التفتُّ : فأنت تملأ نظرتي
سبحانك اللهمّ أنتَ هديتني .. — للنور منبلجاً فزالت حيرتي !
ومضيت والايمان يغمر خاطري — والنفسُ تمرح في ظلال البهجة

★★★

ربّاه كم من ليلةٍ لمْ أنسها — عبرت وقلبي في غمار الشقوة !
فكأنّما آلت — ويالصنيعها — ان لا أشم شذى الهناء بوحدتي
حتى أراك وقد أفضت عليَّ من — سبحان قُدسكَ ما يبدد وحشتي
فأبيتُ أنسجُ للجمال قصيدةً — جذلى ترفُّ بها طيوف النشوة !

★★★

ربّاه قد ودّعت أيامَ الهوى — ونسيتها وسلوتُ وجهَ حبيبتي
ونفضتُ أحلامي العذابَ جميعَها — وأتيتُ محرابَ الخشوع بدمعتي ! ■■

كتاب الشهر

ثَوْرَةُ الكِتاب

- كيف بدأ الكتاب.
- كيف انتشر.
- كم تُنتج منه الأمم اليوم.
- وكم تُنتج البلاد العربية.

■ هذا كتاب من منشورات اليونسكو صدر عام ١٩٦٥، وهو من تأليف الدكتور روبير اسكاربيت استاذ الادب المقارن بكلية الآداب والعلوم الانسانية فى بوردو، والاستاذ فى معهد الدراسات السياسية فى بوردو ايضا، ومدير مركز الدراسات الاجتماعية للاعمال الادبية. وهو كاتب روائي، وناقد، ومؤرخ للادب.

والكتاب فى: مقدمة، وثلاثة اقسام هي: الكتاب وعالم اليوم: السمات الجديدة للنشر، ابعاد المستقبل. وهو من منشورات مكتبة لبنان، وطباعته جميلة، وان افسد هذا الجمال بعض الاخطاء المطبعية، وبعض هذه الاخطاء بشع، ومثال ذلك ان تطبع صفحة ٢٩ قبل ٢٨.

وهذه الدراسة تكمل دراسة سابقة بعنوان « الكتاب فى العالم » قام بها باركر، امين جمعية الناشرين فى بريطانيا، وتولت اليونسكو نشرها عام ١٩٥٨.

الكلمة تضيع، اما الكتابة فتبقى

ان اقدم ما كشفت عنه الحفريات من كتابات يعود الى الوف السنين، وهي كتابات كانت تخدش على الواح الطين الطرى، ثم تشوى بعد ذلك، وهذه الالواح لانعتبرها كتبا لانها تعوزها خاصية هامة من خواص الكتاب هي سهولة الانتقال.

والارجح ان اقدم شكل للكتاب يعود الى الالف



تأليف : روبير اسكاربيت ESCARPIT
ترجمة : اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو
عرض : الدكتور محمود السمره

الاولى السابقة للميلاد ، حيث كان الانسان يكتب على اللحاء ، او الليف النباتي ، او النسيج . والكلمات الاوروبية التي تدل على الكتاب تعني في اصولها هذه المادة القديمة التي كانت تستعمل للكتابة ، ومثال ذلك ان كلمة Biblios اليونانية تعني : الليفة الداخلية لنوع من القصب ، وبخاصة البردى ، وكلمة Liber اللاتينية تعني الطبقة الليفية الواقعة تحت لحاء الشجر . ومثل هذا كلمات Book الانجليزية ، و Buch الالمانية ، و Bois الفرنسية ، التي ترتد الى جذر لغوي واحد ، هندي اوروبي . والارجح ان كلمة Kniga الروسية قد انحدرت من الكلمة الصينية King ، التي يقصد بها الكتاب الكلاسيكي ، والتي كانت تعني في الاصل نسيج الحرير . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الكلمتين الساميتين « كتب » و « سفر » لا علاقة لهما بمادة الكتابة ، كما هو الحال في اللغات الاوروبية .

واذا كان الانسان قد استطاع ان يقهر بالكتابة الزمان ، فانه بالكتاب قهر المكان ، حيث اصبح بالامكان نقله من مكان الى اخر .

المراحل التي مر بها الكتاب

كانت المرحلة الاولى من مراحل الكتاب هي لفة من اوراق البردى ملصقا بعضها ببعض ، وكان هذا اول شكل للكتاب جعله مناسبا للتداول . وهذه الطريقة هي التي كانت شائعة في اثينا وروما في العصور القديمة (Volumen) وحول صناعة الكتاب هذه قامت حرفة جديدة هي نسخ الكتب ، وهي تشبه دور النشر في ايامنا هذه ، ثم المكتبات التي تبيع هذه الكتب . وقد كان ثمن هذه الكتب غاليا بحيث لم يكن يستطيع اقتناءها سوى هواتها من الاثرياء ، والادباء والمثقفين الذين كانوا يعيشون في كنف امير او ثري مناصر للاداب والفنون . وكانت القراءة العامة ، اي ان يقوم

فرد بالقراءة على جمع من الناس يستمعون اليه ، هي الطريقة الشائعة . .

ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد بدا الرق ياخذ مكان ورق البردي ، لانه ارخص ثمنا ، واكثر متانة . ومنذ بداية القرن الرابع الميلادي وخلال الالف عام التالية لها ، صارت المخطوطة من اوراق الرق هي الشائعة في العالم كله . وقد وصلت الينا مخطوطات من القرون الوسطى هي تحف فنية مزخرفة بالالوان ، ومكتوبة بخط جميل، وتباع في ايامنا هذه بمبالغ طائلة .

ومنذ القرن الرابع عشر ، وبميلاد القصة الترفيهية ، وازدياد عدد القراء ، اصبحت الحاجة ماسة لابتكار طريقة جديدة تجعل انتشار الكتب المكتوبة بلغة رومانسية اكثر يسرا . وقد تم هذا باختراع المطبعة التي كانت تحولا حاسما في تاريخ الكتاب ، وساعدت صناعة الورق على تطوير المطبعة . وكان الورق معروفا في الصين منذ زمن بعيد ونقله العرب الى الشرق وعن طريقهم وصل الى ايطاليا في القرن الثاني عشر ، واستعمل في فرنسا وسويسرا منذ القرن الثالث عشر ، وشرعت ايطاليا تصنعه منذ القرن الرابع عشر .

وقد كان اكتشاف المطبعة من اهم المكتشفات في تاريخ الحضارة الانسانية ، وان بدا هذا الاكتشاف للطباعين الاوائل ليس سوى طريقة ميسرة لنسخ كتب بسرعة وبكلفة اقل بكثير من السابق ، لان نظرتهم كانت تجارية ، وما يهمهم هو مقدار ما يمكن ان يربحوا من هذه التجارة . ونظرتهم التجارية بادية ايضا في نوع الكتب التي اقبلوا على نشرها وهي الكتب التي يسهل بيعها : فهم لم يهتموا بالكتب الكلاسيكية الخالدة ، بل اخلوا في طباعة الروايات ، وكتب النوادر ، والمؤلفات الدينية . . .

وقد نجح الكتاب المطبوع نجاحا فاق تصور الاوائل ، وانتشرت المطبعة : فهي قد بدات في مايانس في المانيا عام ١٤٥٠ ، وبلغت روما عام ١٤٦٤ وباريس عام ١٤٧٠ وبلنسية في اسبانيا عام ١٤٧٤ ولندن عام ١٤٧٦ . ورغم ان عدد سكان القارة الاوروبية كان يقل عن مائة مليون نسمة بين عامي ١٤٥٠ و ١٥٠٠ ، اكثرهم من الاميين ، الا ان عدد نسخ الكتب التي طبعت فيها خلال هذه المدة بلغ عشرين مليونا . وفي عام ١٥٣٠ وصلت المطبعة الى المكسيك عن طريق نائب الملك الاسباني انطونيو ده مندوزا .

انتاج المطبعة بقي محدودا حتى آخر القرن الثامن عشر

والملاحظ ان الكتب التي طبعت في بداية اكتشاف المطبعة لم يكن يزيد عدد نسخها عن بضع مئات ، ولم تتجاوز نسخ الكتاب الواحد الالف الا في اواسط القرن السابع عشر ، وبلغت الالفين والثلاثة آلاف في القرن الثامن عشر وبقيت على هذا المعدل الى آخر القرن التاسع عشر . (ويعود هذا العدد المنخفض في النسخ الى سببين رئيسيين : اولهما ان المطبعة كانت تدار باليد ، وثانيهما ـ وهو الاهم ـ ان الطباعين لم يكونوا يريدون لبضاعتهم ان ينخفض سعرها في السوق بسبب كثرة الانتاج . وقد بلغ من حرص الطباعين على تحديد عدد النسخ المطبوعة ، رغم ضغوط اصحاب المكتبات عليهم ، ان قررت جمعياتهم تحديد عدد المطابع في البلدة الواحدة ، وتحديد عدد النسخ التي تطبع من الكتاب . وهكذا نرى انه رغم اكتشاف المطبعة ، الا ان شراء الكتب واقتناءها ، بقي ترفا لا يقدر عليه سوى افراد الطبقة الميسورة الحال) .

وانطلاقا من هذا نستطيع ان نقول ان الادب الاوروبي العظيم في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، الذي كانت المطبعة وسيلة نشره ، لم ينتشر الا في محيط اجتماعي محدود جدا .

وقد كان عدد الاميين في انجلترا في القرن الثامن عشر ، اقل منه في اي بلد اوروبي آخر ، ولهذا لقي الكتاب فيها نجاحا يفوق ما لقيه في غيرها من البلاد . ورغم النجاح الكبير الذي لقيه الكتاب في بريطانيا فان عدد الكتب التي كانت تبيعها اشهر المكتبات في العالم لم يكن يزيد عن بضعة آلاف من النسخ . اما في فرنسا فقد كان عدد النسخ المطبوعة فيها اقل من انجلترا بكثير ، حتى انه روى عن فولتير الساخر انه قال : « خمسون قارئا لكتاب رصين وخمسمائة لكتاب ظريف » . ورغم ان قوله هذا ليس سوى نكتة من نكات الكاتب الساخر ، الا انه له دلالته الواضحة ، وهي ان قراء الكتب كانوا طبقة من الارستقراطيين المثقفين.

واذا كان كتاب « الكوميديا الالهية » لدانتي (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) قد استغرق اربعة قرون لينتشر في القارة الاوروبية ، فان عشرين سنة كانت كافية لرواية «دون كيشوت» للكاتب الاسباني سرفانتس (١٥٤٧ ـ ١٦١٦) ، وخمسا لرواية « آلام فرتر » للكاتب الالماني جيته (١٧٤٩ ـ ١٨١٦) لكي يظفرا بمثل هذا الانتشار .

الجماهير تصبح المشترى الاول للكتاب

ولكن ازدياد عدد الذين يعرفون القراءة اخذ يضغط من أجل تطوير الاساليب التكنية في المطبعة، وقد ادى الى زوال العهد الذى كان الكتاب فيه مقصورا على الطبقة الارستقراطية .حدث هذا بين عامي ١٨٠٠ و ١٨٢٠ ، حين أدخل تحسين على المطبعة قلبها رأسا على عقب . من ذلك اختراع المطبعة المعدنية ، والمطبعة ذات الاسطوانات الدائرة، والمطبعة ذات الدواسة ، والمطبعة الميكانيكية التجارية . وفي نهاية عصر نابليون كان بالامكان ان يطبع في ساعة واحدة اكثر مما كان يطبع في يوم كامل قبل خمس عشرة سنة ، وكان هذا بداية للانتاج الغزير في عالم الكتب .

وقد بدأ هذا التطور في المطبعة في انجلترا ،لان جل التحسينات التى ادخلت عليها انما تمت فيها . وبدأ الانتاج الغزير للكتب فيها لطباعة روايات سير ولتر سكوت Scot ، ثم اخذ في التزايد حتى انه بيع من كتاب لبيرون Byron صدر عام ١٨١٤ عشرة آلاف نسخة ، يوم صدوره. ووصلت هذه التحسينات الطباعيه الى فرنسا عام ١٨٣٠ ، وما حل عام ١٨٤٨ حتى كانت قد عمّت بقية اوروبا وامريكا .

وهكذا اصبحت الجماهير القارئة هي المشترى الاول للكتاب ، حتى ان الكتاب كان هو الذى كوّن التفكير الثورى في فرنسا عام ١٨٤٨ : ففي عهد الامبراطورية الثانية في فرنسا ، اشترك الناشر الجمهورى جول هتزل Hetzel مع مؤسس عصبة التعليم ، جان ماسيه Macé ، في جعل الكتاب الواسع الانتشار سلاحا ثوريا في خدمة الشعب .

ثورة الطباعة الحقيقية كانت في الصحافة

وقد بدت الثورة الحقيقية في عالم الطباعة في الصحافة ، التى هي وسيلة الاتصال بالجماهير ، والتى لا يمكن ان تنجح الا باختراع الطباعة القليلة الكلفة . وقد ضربت الصحافة البريطانية كل رقم قياسي في توزيع الصحف في منتصف هذا القرن ، حيث بلغت النسبة ٦٠٠ نسخة من الصحف لكل ١٠٠٠ من السكان . وتاتي في الرتبة التالية البلاد الاسكندينافية ، واستراليا ، ولوكسمبرغ (٤٠٠ لكل ١٠٠٠) ، ثم تليها نيوزيلندة ، والولايات المتحدة الامريكية ، وبلجيكا (٣٠٠ لكل ١٠٠٠). اما المعدل المتفاوت بين ١٠٠ و ٢٠٠ لكل ١٠٠٠ من السكان فقد بلغته نحو عشرين دولة من الدول المتقدمة اقتصاديا وتكنيا ، وهي البلاد التى تتوزع فيما بينها بقية ورق الصحف المتداول في العالم.

وفي السنوات العشر الاخيرة اخذت هذه النسب تتقهقر في بعض البلدان بسبب منافسة السنما ، والاذاعة والتلفزة للصحف : ومثال ذلك ان توزيع الصحف في بريطانيا انخفض عام ١٩٦٥ الى ٤٧٩ نسخة لكل الف ، وتقدمت السويد الى الطليعة بمعدل ٥٠٥ نسخ لكل الف . وازداد التوزيع في اليابان فقفز من ٢٢٤ نسخة لكل الف في عام ١٩٥٢ الى ٤٥١ لكل الف في عام ١٩٦١ ، وانخفض في الولايات المتحدة من ٣٤٢ الى ٣١٠ . ولا غرابة في ان تؤثر وسائل الاعلام في توزيع الصحف : فكلفتها اولا اقل ، وعرضها ثانيا ايسر وامتع . واذا كان بامكان الفرد العادى ان يشاهد قصة في جو مريح ممتع لا جهد فيه ، وبكلفة اقل من ثمن الكتاب ، فلماذا يشترى الكتاب ؟

وظائف الكتاب

والكتب على نوعين : كتب تقتنى لذاتها ،كالكثرة الساحقة من الكتب الموجودة على رفوف المكتبات الخاصة ، والتى ان قرئت مرة ، فانها لا تقرأ ثانية . وهنا يفرض السؤال التالي نفسه علينا : فيم تستعمل اذن ؟ وما الذى يحمل اصحابها على اقتنائها بعد ذلك ؟ والجواب عن هذا : ان مثل هذه الكتب انما يحتفظ بها اصحابها لانها سلعة يستثمر فيها المال ، اذا كانت من الكتب الثمينة النادرة ، او لانها عنصر من عناصر الزخرفة اذا كانت العائلة تملك من المال ما يمكنها من اقتناء بيت واسع فسيح ، او لان الكتب رمز للمقام

الاجتماعي ، اى ان في اقتنائها دلالة على الانتماء الى فئة اجتماعية معينة .

والنوع الثاني من الكتب هو الكتب التى تقتنى لغايات محددة ، ويطلقون على هذا النوع من الكتب اسم « الكتاب الوظيفي » اى انه يقوم بوظيفة معينة ، ومن هذا النوع الكتب المدرسية على اختلاف مستوياتها . وقد كان الكتاب الوظيفى في عام ١٩٥٥ يمثل نحو ٧٥٪ من جمع العناوين المنشورة في العالم ، ثم زاد في عام ١٩٦٥ فاصبح نحو ٨٠٪ . والجدول المنشور باسفل الصفحة يمثل النسبة المئوية للكتب الوظيفية في عدد من بلاد العالم ، وهو ماخوذ من «الدليل الاحصائى السنوى لليونسكو ، عام ١٩٦٦ » :

والكتاب المدرسي هو الكتاب الوظيفى الذى تتوافر فيه معلومات دقيقة اكثر من غيره ، وهذه المعلومات تفيدنا ان نسبته الى الكتب الوظيفية الاخرى متفاوتة جدا من بلد الى اخر ، وهذا التفاوت يتوقف على درجة المركزية في نظام التعليم، والسياسة العامة التى تجرى عليها السلطات الجامعية في البلد . ومثال ذلك ان نسبة الكتب المدرسية الى مجموع عناوين الكتب الوظيفية ، بلغت في عام ١٩٦٦ نحو ٥ر٣٪ في جمهورية المانيا الاتحادية ، و ٧٪ في بريطانيا ، و ٣٢٪ في هولندا، و ٣٩٪ في ايطاليا .

انتاج الكتاب فى العالم

ان المشكلة الاولى التى تجابهنا عند البحث في انتاج الكتاب في العالم هى : ما هو الكتاب ؟ فبلدان العالم غير متفقة على مفهوم واحد له : فايطاليا مثلا ، تفترض ان الكتاب يجب ان يطبع مئة صفحة على الاقل ليسمى كتابا . وتعرف معظم البلدان الاخرى الكتاب تعريفا قائما على عدد صفحاته.اما بريطانيا فتتخذ سعره اساسا لاعتباره كتابا ام لا .

ووسط هذا الخلط في تعريف الكتاب ، تقدمت اليونسكو فوضعت تعريفا له ، وذلك في المؤتمر العام لليونسكو الذى انعقد في ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٤ ، وهو : « الكتاب نشرة مطبوعة غير دورية ، تشمل ٤٩ صفحة على الاقل ، ما عدا صفحات الغلاف . والكراس نشرة مطبوعة غير دورية تشمل ٥ صفحات على الاقل ، و ٤٨ صفحة على الاكثر ، ما عدا صفحات الغلاف » .

وعند استعراض عناوين الكتب الصادرة عن البلدان المختلفة ، بحسب الاحصائيات الواردة الى اليونسكو ، نستنتج ما يلى :

* ان الولايات المتحدة الامريكية تحذف من قوائم كتبها منشورات الحكومة الفدرالية والاطروحات الجامعية ، ثم اخذت في ضمها الى قوائم الكتب عام ١٩٦٥ .

* ان عناوين الكتب الصادرة عن الاتحاد السوفيتى تشمل الانتاج المتراكم في ٩٣ لغة فيها ٦١ لغة هي لغات شعوب الاتحاد السوفيتى ، و ٣٢ لغة اجنبية : ومعنى هذا ان الكتاب الواحد

٩٠٪	٨٥٪	٨٠٪	٧٥٪	٧٠٪
المكسيك	سويسرا	سيلان	السويد	فرنسا
نيوزيلندة	ج.ع.م	النمسا	بريطانيا	اليابان
استراليا	كمبوديا	بلغاريا	المانيا الشرقية	ايطاليا
الاتحاد السوفيتى	شيلى	كندا	اسرائيل	الباكستان
بيرو	الارجنتين	فنلندا	الولايات المتحدة	اسبانيا
الفلبين		المانيا الاتحادية	يوغوسلافيا	النرويج
بولونيا		هنغاريا	بلجيكا	
		الهند	هولندا	
		تشيكوسلوفاكيا		
		جنوب افريقيا		
		الدنمارك		

نجـده مترجما الى عـدة لغـات . واذا حذفنا العناوين المتكـررة للكتاب الواحـد في ترجماتـه المختلفة ، فان الانتاج الروسي يحتل ، مع هذا ، المنزلة الاولى في العالم .

* ان هناك في العالم ثلاثة بلدان هي عمالقة النشر في العالـم وهي : الاتحـاد السوفيتـي ، والولايات المتحدة ، والصين الشعبية . ويليها اربعة بلدان يتعدى انتاج كل منها ٢٠ الف عنوان في العالم ، وهي : بريطانيا ، والمانيا الاتحادية ، واليابان وفرنسا . وتأتي بعدها ثلاثة بلدان يتعدى انتاج كل منها ١٠ آلاف عنوان ، وهي : اسبانيا ، والهند ، وهولندا . وتدنو منها اربعة اخرى هي : ايطاليا،وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا،ويوغسلافيا. وقد كانت هذه البلدان الاربعة عشر في عام ١٩٦٥ تنتج ٧٧٪ من الانتاج العالمي المقدر بنحو ٤٥٠ الف عنوان .

* ان الدول القوية اقتصاديا هي التي تتصدر قائمة الانتاج .

والقائمة التاليـة تعطي عدد عناوين الكتب الصادرة عن بعض البلدان ، حسب الاحصائيات الرسمية الصادرة في عام ١٩٦٥ :

الجزائر	١٣١
مراكش	١٦١
تونس	٢٠٠
العراق	٢٦٨
لبنـان	٣٧٢
سوريا	٤٥٨
ج • ع • م •	٣٢٥٥
اسرائيل	١٠٢٨
كنـدا	٣٧٨١
كوبـا	٥٠٩
الولايات المتحدة	٢٨٥٩٥/٥٤٧٨

(يشمل الرقم الاول منشورات الحكومة الفدرالية والاطروحات الجامعية) .

الصين الشعبية	٥٠٠٠٠ (تقدير)
الصين الوطنية	١٨٦٧
قبرص	٨٣
اندونيسيا	٧٩١
ايـران	٩٨٥
اليابان	٢٤٢٠٣
باكستان	٢٠٧٢
فرنسا	٢١٣٥١
اليونان	١٣٢٠
بريطانيا	٢٦٣١٤
الاتحاد السوفيتي	٧٦١٠١

الكتل اللغوية

وهناك اربـع لغات غربيـة تتخطى حدودها الوطنية لتصبح لغات شعوب اخرى ، وهي : الانجليزية ، والالمانية ، والاسبانية ، والفرنسية ، وانتاج الكتب في هذه الكتل اللغوية بالنسبة الى الانتاج العالمي ، حسب احصاء عام ١٩٦٥ كما يلي:

	عدد العناوين	النسبة المئوية
الانتاج العالمي	٤٥٠٠٠٠	١٠٠٪
الكتلة الانجليزية	٩١٢١٧	٢٠ر٢٪
الكتلة الالمانية	٣٩٧٢٨	٨ر٨ ٪
الكتلة الاسبانية	٢٩٩١٦	٦ر٦ ٪
الكتلة الفرنسية	٢٤٩٩٩	٥ر٥ ٪
مجموع الكتل الاربع	١٨٥٨٦٠	٤١ر١٪

واذا اضفنا الى انتاجهذه الكتل الاربع ما تنتجه البلدان الاشتراكية الاوروبية ، والبلدان الاوروبية الاخرى ، واليابان ، كان مجموع الانتاج في هذه البلدان ٥ر٨٥٪ من الانتاج العالمي في عام ١٩٦٥ . ومعنى هذا ان بقية دول العالم (اى البلدان العربية والبلدان الآسيوية في الواقع) قد شهدت هبوطا في حصتها من الانتاج العالمي . فهي قد كانت عام ١٩٥٠ تنتج ٢٠٪ من الانتاج العالمي ، ثم اصبحت تنتج في عام ١٩٦٥ نحو ٥ر١٤٪ من الانتاج العالمي ومعنى هذا ايضا ان ٦٠٪ من سكان العالم ينتجون ٥ر١٤٪ فقط من الانتاج العالمي للكتب . وهذا ضرب جديد من الاستعمار يمكن ان نسميه الاستعمار الثقافي .

البلدان العربية

وعلى الرغم من النقص في الاحصائيات الواردة

من البلدان العربية ، الا اننا نستطيع ان نقدر ما انتجته من الكتب والكراريس بما يزيد قليلا عن ٥٠٠٠ عنوان في عام ١٩٦٦ ، يصدر نحو ٦٠٪ منها عن الجمهورية العربية المتحدة . وهذا الانتاج يمثل ١ر١٪ من الانتاج العالمي ، بينما يمثل سكان هذه البلدان ، الذين قدروا بنحو ١١٠ ملايين في الفترة ذاتها ، ٣ر٣٪ من سكان العالم . وليست هذه النسبة سيئة ، وبخاصة لان انتاج البلدان العربية في تقدم مستمر .

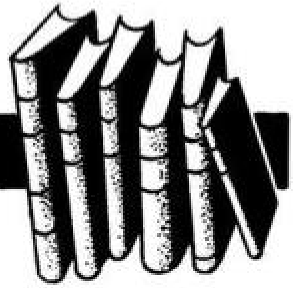
وتتضح الصورة اذا تذكرنا ان عدد سكان افريقيا يشكل ٥ر٩٪ من سكان العالم ، ومع هذا ينتج ٤ر١٪ من الكتب . والبلاد العربية ايضا احسن حالا من البلاد الآسيوية ، باستثناء اليابان : فبلاد آسيا تمثل ٥ر٥٢٪ من سكان العالم ، ولكنها لا تنتج سوى ٥ر١٣٪ من الكتب .

ان الكتاب كالخبز ،

واذا كان اكتشاف الحبوب وصنع الخبز منها ، هو الانتصار الاكبر للانسان الاول على الجوع .

فان الكتاب هو خبز الروح ، وهو الانتصار الاكبر للانسان على الجهل والعبودية ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

مفاتيح الشرائع في فقه الامامية

ـ الجزء الاول ـ

تاليف : محسن الفيض الكاشاني .

تحقيق : عماد الدين الموسوي البحراني .

الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان

● كتاب في الفقه الشيعي الامامي يحوي كتاب الطهارة والصلاة وهو مقسم الى اربعة ابواب . الباب الاول يدرس الصلوات اليومية والجمعة والنوافل ، والباب الثاني في مقدمات الصلاة وينقسم الى فصل في الوضوء والغسل والتيمم والنجاسات وازالتها والمياه واوقات الصلاة ومكان المصلى والقبلة .

ان الباب الثالث في افعال الصلاة والقول في الاذان والاقامة والقيام والنية وتكبيرة الاحرام . اما الباب الرابع فيدرس اللواحق وفيه القول في الجماعة والمنافيات والسهو والشك والقول في الفوائت .

متخير الالفاظ

تصنيف : احمد بن فارس .

حققه وقدم له : هلال ناجي

الناشر : مطبعة المعارف ـ بغداد .

● كتاب من كتب تراثنا الخالد وهو معجم لغوي يجمع الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد مما يصح ان نطلق عليه بمعاجم المعاني او الكتب المبوبة . وقد رتب ابن فارس كتابه على ابواب المعاني، ويقع الكتاب في مائة واربعة عشر باباء وقد تحدث ابن فارس في مقدمته عن منهجه في كتابه، فقال : « ان الكلام ثلاثة اضرب ، ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك ادنى منازل القول ، وضرب هو الوحشي ، وكان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم وبين هذين الضربين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثاني ، وهو احسن الثلاثة في السماع ، والذها على الافواه ، وازينها في الخطابة والقريض ، وقد الفت كتابي على الطريقة المثلى ، والرتبة الوسطى ، وجعلت مفاتيح ابوابه الالفاظ المفردة السهلة وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الامثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات ، وقد عولت في اكثره على الفاظ الشعراء بعد التنقير عن اشعارهم والتامل لدواوينهم .

الاسلام والخلافة

تاليف : الدكتور علي حسني الخربوطلي

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر ــ بيروت لبنــــــان

● دراسة علمية منهجية عن الاسلام والخلافة ، حيث تعتبر الخلافة مقدمة ضرورية في الدراسات الاسلامية والعربية ، ثم ان الكتاب دراسة للدول الكبرى الزاهرة التي شهدها العالم الاسلامي منذ ظهور الاسلام في الجزيرة العربية الى اوائل القرن العشرين الميلادي .

وقد جعل الكتاب الخلافة المحور الرئيسي لهذه الدراسة ، فقد كانت الخلافة هي النواة التي تكونت حولها هذه الدول المختلفة التي تتابعت على مر العصور وحيث كانت الخلافة مســـألة حيوية هامة وتقليدا ثابتا ونظاما ضروريا في العالم الاسلامي طوال العصور التاريخية السالفة، ويدرس الكتاب قيام الدولة العربية الاسلامية واثر الاسلام في وحدة العرب القومية والسياسية والاجتماعية، ثم يتناول فلسفة الخلافة من جميع جوانبها ونظريات الاحزاب والفرق الاسلامية حولها ، كما يدرس فجر الخلافة ويتناول بالدراسة التفصيلية ــ على أساس علمي منهجي ــ مراحل الخلافة جميعها : خلافة الراشدين ، ثم الخلافة الاموية بالشــام ، والخلافة العباسية ، والخلافة الفاطمية في المغرب ومصر ، والخلافة الاموية بالاندلس ، ثم احياء الخلافة العباسية بالقاهرة ، والخلافة العثمانية ، كما يقدم الكتاب دراسة عن خلافة السلاطــين العثمانيين وسقوط خلافتهم في مطلـــع القرن العشرين .

بقايا الغدران

تاليف : احمد محمد آل خليفة ــ البحرين .

● مجموعة قصائد متنوعة .

رياحين

تاليف : محمد عبد الله معيتيق .

الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان .

● مجموعة شعرية متنوعة .

العمارة العربية في مصر الاسلامية

تاليف : الدكتور فريد شافعي .

الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة .

● دراسة قيمة تتناول العمارة العربية منذ الجاهلية حتى الفتح الفاطمي لمصر ، ويخصص هذه الدراسة لبحث العمارة الاسلامية في مصر كما يتناول دراسة العمارة العربية بصورة عامة .

ومنذ البداية يؤكد المؤلف فضل العرب واسهامهم الذى يستحق التقدير في توجيه الفنانين والمعماريين على اختلاف مشاربهم نحو هدف عربي خالص ، مما انتج لنا تلك التحف الرائعة مــن العمائر والفنــون التي يجب ان تنسب الى الشعوب العربية ، فتصبح التسمية الواجبة هي العمارة والفنون العربية في العصر الاسلامي في العراق او الشام او مصر او في شمال افريقيــا او الاندلس حتى يزول الابحاء بنسبة الفضل في وضع اسس وتقاليد العمارة والفنون الاسلاميــة الى غير العرب اولا ، والى غير المسلمين ثانيا .

تطوير التعليم الصناعي في العراق

تاليف : صالح عبد الله سرية .

الناشر : مطبعة دار الجاحظ ــ بغداد ــ العراق

● ان مصطلح التعليم الصناعي مصطلح واسع يعني جميع العمليات واوجه النشاطات التعليمية والتدريبية التـي تعد الفرد للعمـل الصناعي في جميع المستويات وبذلك فان التعليم الصناعي يشمل اعداد العمال عن طريق التدريب او التلمذة الصناعية واعداد العمال شبه الماهرين في المدارس الصناعية المتوسطة والتي تسمى المدارس الحرفية، ثم اعداد العمال الماهرين في المدارس الثانوية الفنية والتي تسمى في العراق ثانوية الصناعة . واعداد الفنيين والمهندسين التطبيقيين ، ويشمل كذلك الفنون الصناعية ، والبحث بالتالي يشمل جميع انواع التعليم الصناعي في العراق مع التركيز على التعليم الفني . ولما كان التعليم الصناعي مرتبطا ارتباطا عضويا بالصناعة بحيث لا يمكن الفصل بينهما لذلك اصبح من الضروري ان يضم البحث واقع الصناعة في العراق واتجاهات نموها وعلاقة ذلك بالتعليم الصناعي .

■■

اللُّغَة الفَارِسِيَّة

وَصِلتها باللُّغَةِ العَرَبِيَّة في قديمِ الزَّمانِ وَحَدِيثه

بقلم : الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي

■ يقترن فتح العرب لايران في القرن السابع الميلادي بوجود اللغة البهلوية كلغة رسمية وادارية وادبية في الدولة الساسانية (٢٢٦ ــ ٦٥٢ ميلادية) ، وبالقضاء علي هذه الدولة بدأ سلطان اللغة البهلوية يضمحل ويأخذ في الافول في مواجهة اللغة العربية ، لغة الفاتحين الجدد ، الذين كان هدفهم نشر الاسلام وتحطيم معابد الشرك والضلال . وان كانت اللغة البهلوية لم تمح تماما بمجرد تسلط العرب المسلمين ، والدليل على ذلك ، معظم المؤلفات البهلوية التي وصلت الى ايدينا من نتاج العصر الاسلامي ، ووجود الكثير من الفرس في القرنين الثالث والرابع الهجريين يجيدون هذه اللغة وقد نشطت على ايديهم حركة النقل والترجمة من البهلوية الى العربية .

ومما هو جدير بالذكر ، ان غلبة العرب على الفرس وورودهم الى ايران كان قرين شيئين اثنين هامين وردا معهم الى هذه البلاد ، احدهما هو الدين الاسلامي الحنيف ، والثاني هو اللغة العربية ، فقد كان العرب الفاتحون بصفة عامة يجاهدون لنشر الدين الاسلامي ، ويسعون ايضا لنشر اللغة العربية،وذلك بواسطة القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية الى المناطق المفتوحة ومنها ايران . وقد دخل الايرانيون في الدين الاسلامي واقبلوا عليه ، وبالتالي اقبلوا على دراسة اللغة العربية ، حتى يفهموا الدين الجديد ويستطيعوا مخالطة الحكام الجدد ، فوجدوا في الاسلام واللغة العربية قوة جديدة دعتهم الى الاجتهاد في الدين والاقبال على اللغة العربية .

وكان الايراني المتعلم ولا يزال حتى وقتنا الحاضر يميل الى التحرير باللغة العربية .

ويؤيد الثعالبي النيسابوري جانبا من هذه الدعوى في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » بقوله : « ان اللغة العربية نزل بها افضل الكتب على افضل العرب والعجم . ومن هداه الله للاسلام وشرح صدره للايمان اعتقد ان العربية خير اللغات والاقبال على تفهمها من الديانة ، اذ هي مفتاح التفقه في الدين وأداة العلم وسبب اصلاح المعاش والمعاد ، ولو لم يكن التبحر فيها الا قوة اليقين في معرفة اعجاز القرآن واثبات النبوة لكفى بهما فضلا . على حين نرى في مقابل ذلك ان ايران لم تهمل لغتها الفارسية بالمرة ، فقد كانت متداولة بين الشعب الايراني .

كلمات عربية دخلت اللغة الفارسية

ولقد نفذت اليها كلمات ومفردات ومصطلحات عربية على شكلين :

الاول : المفردات العربية الاكثر سهولة من الكلمات الايرانية القديمة الصعبة النطق او الكلمات البسيطة التي تروج بسهولة وتحاصر مقابلها الفارسي .

الثاني : مفردات عربية ليس لها معادل او مقابل في اللهجات الايرانية وعادة ما تكون كلمة اسلامية جديدة او ادارية وردت مع العرب الفاتحين .

ومن امثلة الكلمات التي لم تكن في اللغة البهلوية ووجدت طريقها الى اللغة الفارسية ، الكلمات الاسلامية الخالصة التالية : « زكاة ـ حج ـ مسلم كافر ـ جهاد ـ منافق ـ فاسد ـ خبيث ـ آية ـ قرآن ـ اقامة ـ متعة ـ طلاق ـ قبلة ـ منارة ـ مئذنة ـ آذان ـ شيطان ـ كوثر ياجوج ـ ماجوج ـ منكر ـ نكير ـ حشر ـ نشر ـ واجب ـ حلال حرام ـ مبارك ـ بركة ـ عدة ـ صواب ـ غلط ـ خطأ ـ وسوسة ـ نصيحة ـ طبيعة ـ كعبة ـ نية ـ تكبير ـ خير ـ شر ـ ركوع سجود ـ صدقة ـ عزرائيل ـ اسرافيل ـ جبريل ـ عرش ـ كرسي ـ لوح ـ ازل ـ ابد وغيرها .

ومن الكلمات الادارية التي راجت في ايران بعد الاسلام ودخلت اللغة الفارسية ، الكلمات التالية: « الشهور العربية وايام الاسبوع ـ حرب ـ غزو سلطان ـ حرس ـ شرطة ـ محتسب ـ احتساب ـ الامر والنهي ـ أمير ـ ملك ـ رعية ـ مملكة ـ كاتب ـ كتاب ـ رسول ـ اشراف ـ مشرف ـ دولة ـ شرط ـ جزاء ـ حبس ـ خادم ـ خدمة ـ غلام ـ عصيان ـ طغيان ـ خوارج ـ امام ـ عفو ـ سخط ـ صلح ـ خلافة ـ خليفة ـ راية ـ مقدمة ـ قرار ـ هزيمة ـ سبب ـ عامل ـ حاكم ـ بيعة ـ خلف سلف ـ نسب ـ حسب ـ خطبة ـ عقاب ـ حساب ـ مدح ـ ذم ـ مديح ـ هجاء ـ قصيدة ـ غزل قافية وغيرها من الكلمات العربية .

اللغة الفارسية الدرية

وكان من نتائج هذا الاختلاط بين اللغتين الفارسية والعربية ، ان نتجت لغة جديدة في ظل الظروف الجديدة ، ولم يمض قرنان من الزمان على فتح العرب لايران حتى صارت اللغة المتداولة فيها ليست تلك اللغة البهلوية التي كانت سائدة قبل ذلك ، بل لغة جديدة اسلامية ، نبعت من لهجة في شرق ايران تختلف اختلافا تاما عن اللغة البهلوية ، تكتب من اليمين الى اليسار ، بحروف عربية مضاف اليها عدة حروف ليصبح عدد حروفها ثلاثة وثلاثون حرفا ، والتي تعرف باللغة الفارسية الدرية او اللغة الفارسية .

واللغة الدرية هذه ، هي تلك اللغة التي بدأت تنمو وتزدهر في العصر الاسلامي . ونظرا لكونها من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية لايران أي خراسان القديمة ، فانه عندما نشأت الدويلات الايرانية شبه المستقلة في خراسان ، وكانوا بالطبع يحاولون الحصول على مزيد من الاستقلال ويتقربون الى الشعب الذي يحكمونه ويخاطبونه بنفس لغته ولهجته التي يفهمها ، ظهر ميلهم الى لغتهم الاصلية ، وهكذا اصبحت اللغة الدرية اللغة الرسمية والادبية لايران منذ القرن الثالث الهجري حتى وقتنا هذا .

تطور اللغة الفارسية في مراحل خمس

ويمكننا تقسيم نفوذ اللغة العربية في اللغة الفارسية الى خمس مراحل متباينة على النحو التالي :

١ ـ من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع الهجري .

٢ ـ من القرن الرابع حتى النصف الاول من القرن الخامس .

٣ ـ من النصف الثاني من القرن الخامس حتى النصف الاول من القرن السابع .

٤ ـ من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر .

٥ ـ من القرن الثاني عشر حتى وقتنا الحالي .

واذا كنا قد تحدثنا عن مرحلة تكوين اللغة الفارسية الدرية وكيفية نفوذ الكلمات العربية الى اللهجات الايرانية المختلفة ، والتي تعتبر المرحلة الاولى ونتنقل الى المرحلة التالية ، تلك التي تشمل القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجري ، نجد مزيدا من اختلاط اللغة الفارسية الدرية واللغة العربية ، فنراها تقبل قدرا كبيرا من المصطلحات العلمية والادبية والدينية والسياسية ، ويلاحظ ان الكلمات العربية وردت في اللغة العلمية اكثر من الكلمات العربية التي وردت في اللغة الادبية ، وانها في النثر اكثر منها في الشعر ، لان النثر العلمي قائم على المصطلحات العربية ، اما النثر الادبي فوسط بين النثر العلمي والشعر ، كما ان الشعر الفارسي سار هو الآخر على نمط الشعر العربي في أوزانه وبحوره وقوافيه ، اما قواعد اللغة

الفارسية فقد سارت في طريق محاذ لمثيله العربي يستمد منه قدرته وبراعته وينهج نهجه لا يحيد عنه قيد انمله .

واذا انتقلنا الى المرحلة الثالثة من حيث نفوذ الكلمات والمصطلحات العربية ، تلك المرحلة التي تشمل النصف الثاني من القرن الخامس حتى النصف الاول من القرن السابع الهجرى ، نجد ان هذه الفترة تمتاز عن سابقتيها بصفات وميزات عديدة ، منها ان اللغة الفارسية تخطت محيطها المحدود في المرحلة الثانية وراجت في العراق وآذربيجان وسائر ولايات ايران الغربية والجنوبية ، وهى مناطق مجاورة لعاصمة الخلافة ورسخت فيها اللغة العربية رسوخا تاما وكادت تقضى على لهجاتها المحلية ، فامتازت اللغة الفارسية ولهجاتها باختلاطها باللغة العربية وامتزاجها بها حتى اصبح القاموس العربي داخل الثروة اللغوية الفارسية ، وذلك حتى حملة المغول على ايران ودخولهم بغداد وتحطيمهم الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هجرية .

ولا شك ان هناك دواعى واسبابا اساسية جوهرية تدعو الى هذا الاختلاط والتسلط من جانب اللغة العربية ، فقد كان اغلب الشعراء والكتاب في ذلك الوقت يدرسون في مدارس اسلامية ، تقوم اساسا على تدريس اللغة العربية فقد كانت تدرس فيها العلوم اللغوية والشرعية والادبية ، لهذا السبب فان المتعلمين والمتادبين في هذه الفترة ، ونعنى بهم موظفى الدولة ورجال البلاط في مختلف مراكز الحكم في ايران وممن يعتبرون بالتالى اصحاب النفوذ والسلطان ، كانت معلوماتهم ودراساتهم تعتمد اساسا على اللغة العربية ، التي كانت بدورها تظهر على نتاجهم الشعرى ومؤلفاتهم النثرية . وقد افرط البعض منهم في هذه الاستفادة فاضافوا الى اللغة الفارسية قدرا كبيرا من المفردات والتراكيب والتعبيرات العربية ، والاكثر من ذلك ان دواوين الاشعار الفارسية لا تخلوا من اشعار عربية ، كنوع من الدلالة على معرفة اصحابها باللغة العربية . واقتضت الضرورة ايضا الا يبرز في اللغة الفارسية الا من كان على نصيب كبير من معرفة اللغة العربية .

فارسيون من اصحاب اللسانين

وهذا دعى ان يكون كبار الشعراء الايرانيين امثال منوشهرى الدامغاني والخيام النيشابورى وأمير معزى والخاقاني الشيرواني وفريد الدين العطار والشيخ الاجل سعدى الشيرازى ومولانا جلال الدين الرومى البلخى وشاعر الغزل حافظ الشيرازى وغير هؤلاء من الشعراء المتقدمين والمتاخرين بالطبيعة من اصحاب اللسانين ، اى اولئك الذين انشدوا الشعر باللغتين العربية والفارسية واتخذوا اللسانين العربي والفارسي اداة للتعبير والانشاد وتمييزهم عن غيرهم بالقدرة على استعمال اللغتين والكتابة باللسانين .

وكانت الشروط التي يجب ان تتوفر في الكاتب او الاديب او الشاعر الايرانى ، هي المامه باللغة العربية ومعرفته بالمتون الادبية العربية ابتداء من المعلقات السبع الى كتب السيرة والادب واللغة والفلسفة ودواوين الشعراء حتى عصره ، بل كان يشترط عليه حفظ جزء منها . وكان هذا الامر سببا جديدا لزيادة المعرفة والاطلاع والتعمق في اللغة العربية من جانب الايرانيين ، وبالتالى وردت كثير من التراكيب والتعبيرات والمفردات العربية في اللغة الفارسية وضمها في النهاية من كثرة الاستعمال الى المعجم الفارسى . وقد ذكر ذلك صراحة احمد بن على النظامى العروضي السمرقندى في كتابه « جهار مقاله » (المقالات الاربعة) حيث يذكر في المقالتين الاولى والثانية المتعلقتين بالكتابة والكتاب والشعر والشعراء ، الشروط الواجب توافرها في الكاتب والشاعر على نحو ما ذكرنا .

وطبقا لما ورد في كتاب « جهار مقاله » لنظامى العروضي السمرقندى ، نجد ان اللغة الشعرية كانت تحتاج الى كلمات عربية لاظهار الافكار والمعاني الشعرية الجيدة وايراد القوافى السليمة المتفقة معا يضطر الشاعر الى استعمال قدر كبير من الكلمات العربية ، ومن ناحية اخرى كان لاقبال الايرانيين على الدين الاسلامى الحنيف وتاثيره العميق فيهم أن يجعلهم يتعلقون بالتالى باللغة العربية التي كانت ولا تزال صاحبة نفوذ كبير وسيطرة روحية تامة شملت كبار القوم وعوامهم سواء بسواء .

الاقدار تربط بين اللغتين

ولا شك ان وجود العنصر العربى في اللغة

الفارسية الدرية جعل الايرانيين ـ حتى يومنا هذا ـ يهتمون باللغة العربية ويعنون بها ويخرجون لنا نتاجا ادبيا وشعريا بل وابحاثا في اللغة العربية ذاتها ، وستستمر هذه العلاقة اللغوية قائمة ما قدر للغة الفارسية ان تبقى لغة أدب وبيان ، فقد ربطت الاقدار بين هاتين اللغتين برباط محكم لا تنفصم عراه ، واصبح لزاما على دارس اللغة الفارسية ان يتفهم اللغة العربية وان يرجع الى قواعدها في النحو والاشتقاق بل وبلاغتها وعروضها وبحورها وقوافيها لدرجة لن يستطيع ايراني اديب او شاعر ان يدّعي المعرفة بلغته الفارسية ما لم يتوفر لدراسة هذا العنصر العربي الذي استوطن لغته ووصلت نسبته في بعض كتاباتهم القديمة والعصرية الى حدود السبعين في المائة ، وتقل احيانا وتزيد في معظم الاحايين حتى تكاد الكلمات كلها تكون عربية مرتبة على قواعد النحو الفارسي ولا يزيد عليها سوى بعض الحروف الفارسية لربطها ببعضها وكذلك فعل فارسي في نهاية الجملة .

كذلك نجد ، على مر العصور ، جيلا من الايرانيين يعنى باللغة العربية عناية شديدة ويشارك بنتاجه الأدبي والفكرى وابحاثه العلمية فيما يبذله القائمون على هذه اللغة في مختلف البلاد والأقطار حتى لتعد موطنا للغة العربية شأنها في ذلك شان مختلف البلاد الناطقة بلغة الضاد . لدرجة ان كبار الأدباء العرب هم من ابناء الفرس ، فقد درسوا اللغة العربية وتفوقوا فيها كابن المقفع ، وسهل ابن هارون ، والفضل بن سهل ، والصاحب بن عباد ، وموسى بن سيار ، الذى يذكره الجاحظ في كتابه « البيان والتبين » انه كان قصاصا من اعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، حتى انه كان يقعد للقصص والعرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرا الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ثم يفسرها للفرس بالفارسية ، فلا يدرى باى لسان هو أبيَن" .

وكان ابو مسلم الخراساني يحفظ كثيرا من الشعر العربي ، وكان ابو سلمة الخلال عالما بالشعر والأخبار والجدل ، وكان البرامكة على درجة عالية من البلاغة وكثيرا ما شجعوا بنى جنسهم على اجادة اللغة العربية والتفوق فيها لتولى الوظائف الكبيرة في دولة بنى العباس .

في عصر النهضة الاوروبية الحديثة

وسارت اللغة الفارسية على هذا المنوال والنهج في المرحلتين الرابعة والخامسة ، الى ان جاء العصر القاجارى ، الذى كان قرين عصر النهضة الاوروبية الحديثة واختلاط الغرب بالشرق والاتجاه نحو الغرب لتقدمه وتفوقه في العلوم والمدنية وارسال البعثات التعليمية الى اوروبا ، فوردت المصطلحات العلمية الحديثة والافكار الغربية الجديدة واتجهت الانظار الى الغرب واهمل الشرق ابناءه وتعلقوا بالجديد ، حضارة ولغة وتمدنا ، وحلت اللغة الفارسية محل اللغة العربية في الدرس والتحصيل لتغير اسلوب الدراسة والمنهج العلمى وكانت الترجمات من اللغات الاوروبية الى اللغة الفارسية راسا فاهتز عرش اللغة العربية بعد ان كانت اللغة العلمية التى تحصل بها العلوم في المدارس القديمة وبطريقة مملة حيث كانت الكتب الاساسية المدرسية عادة باللغة العربية .

المجمع اللغوى الايرانى

وكان لتاسيس المجمع اللغوى الايرانى « فرهنكستان ايران » منذ خمسة وثلاثين عاما تقريبا ، واتجاه بعض المجامع اللغوية الخاصة وبعض الكتاب ايضا الى تخليص اللغة الفارسية مما دخلها من الكلمات العربية والهندية والتركية ان عملوا جاهدين على تخليصها مما اسموه بالنفوذ الاجنبى والتحرر من السيطرة العربية الادبية واللغوية ، اثر ظاهر في اللغة الفارسية الحديثة .

ولا تزال اللغة الفارسية تعتمد اعتمادا كليا على اللغة العربية والتى لا تزال ايضا اللغة اواجب دراستها ولو لم يوجد من يحميها في ايران حاليا لابتعدت نهائيا في مقابل تسلط اللغات الاوروبية وظهور تيارات سياسية تناوئ العرب كشعب واللغة العربية كهدف . ولا تزال اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والدين الاسلامى الحنيف ، التى عاشت في ايران قرابة اربعة عشر قرنا ساهم الايرانيون انفسهم ولا يزالون في تطويرها وتكوين الحضارة الاسلامية في مختلف الوانها وموضوعاتها العديدة المتشعبة ، منتشرة وصاحبة نفوذ روحى وسلطان ادبى ما قدر للغة الفارسية الحالية البقاء . ■■

عبد السلام عبد العزيز فهمى
دكتوراه في الآداب من جامعة طهران

القنديل

قصة للكاتب الأمريكي ارسكين كالدويل

■ اجتازت عصبة تلاميذ البلدة الطريق في بكور عشية دافئة حلوة من اخريات الخريف ، وتراكض افرادها،عراة الرؤوس لا تكف حناجرهم عن الصياح، يتجولون في الفلاة المحدقة بالبيوت، تاركين مسافة محترمة بينهـم وبين رجال الشرطة ، محتفلين بانتصارهم في مباراة لكرة القدم . وما ان بلغت هذه العصبة دار السـيدة ويلكينز حتى توقف افرادها واطلقوا سيلاً من حجارة على كوخها الصغير المدهون المؤلف من طابق واحد .

خطت السـيدة ويلكينز العجوز الصغيرة الى الباب ، وتحاملت على نفسها تسترق النظر الى الظلمة . وراقبها الصبيان دقائق قليلة ثم انبرى احدهم فصاح في صوت خشن مناديا اسم شارلي باعلى ما وهب له الله من قوة .

ركضت السـيدة ويلكينز راجعة الى غرفتها ، والتقطت قنديلها الذي تحتفظ به مضاء ابداً الى جانب النافذة ، وحملته الى الساحة الممتدة امام الباب ، واخذت تبحث عن شـارلي في الارجاء المحيطة بالدار ، والصبيان يراقبونها عن بعد . ورفعت القنديل فوق راسـها بحيث تتمكن من رؤية الطريق التي تخطو عليها دون ان تتعثر او تقع ... وبعد ان فتشـت ارجاء المكان كله ، انتصبت وارهفت سمعها لتتجلى ادق صوت يمكن ان يصل الى اذنيها ، ثم صاحت باسم ولدها عدة مرات :

ـ شارلي . آه ، يا شارلي . اين انت ، يا ولدي شارلي ؟ .

ارتعشت فتيلة القنديل قليلاً حينما داعبتها هبة مفاجئة من ريح عبرت ساحة الدار ، وعجّ دخان بلورة القنديل فسودها . كان الصبيان في هذه الأثناء قد قطعوا الطريق مبتعدين عن مسرح الرؤية والسمع . واخذت يد السـيدة ويلكينز ترتعش وترتجف ، فرفعت بصرها الى القنديل فوق راسها في اللحظة التي امسكت بها البلورة بيدها الأخرى لتمنعها عن السقوط والتحطم على الارض.

فتشت السـاحة الخلفية في عناية فائقة ، ثم رجعت وبحثت في السـاحة الأمامية من جديد ، وابتعتهما بالحقل القريب وذلك طوال نصـف ساعة . ورجعت ادراجها اخيراً بعد ان وصلت في سيرها الى الطريق العامة ، ودخلت منزلها واغلقت الباب ، ووضعت القنديل على الطاولة قـرب النافذة . نظفت بلورة القنديل المسودة ، وتهاوت على مقعدها ، وعندمت من وضع شالها الصوفي حول كتفيها ، ثم راحت تحدث نفسها قليلاً ، متوقفة بين برهة واخرى مرهفة سمعها لاى صدى يمكن ان تلتقطه اذناها ، رامية ابصارها من النافذة على امل ورجاء .

لقد حاول الجيران عبثا طوال سنوات تسع اقناعها بافضل طريقة ممكنة ان شارلي ويلكينز لن



يؤوب الى الدار . لكن لا ! ان شارلي ولدها ، وهي مؤمنة انه سيعود عاجلاً ام آجلاً . ولم يستطع انسان واحد من الجيران اقناعها بخلاف ذلك .

كان أحد الجيران قد صارحها من جديد منذ اسبوع واحد تقريباً قائلاً :

ـ لقد ذهب شارلي ضحية حادث ، يا سيدة ويلكينز . وسوف لن يعود الى البيت على الاطلاق .

فهزت السيدة ويلكينز راسها غير مقتنعة ابداً . انها لا تستطيع ان تصدق اي شيء يقوله لها الجيران . ان شارلي هو الشيء الوحيد الذى امتلكته في العالم منذ ان اطل على الوجود ، وسوف يظل حياً طالما انه ولدها .

لقد غادر شارلي ويلكينز الدار منذ احد عشر عاماً منطلقاً الى مدينة اكرون حيث وجد عملاً في مصنع للمطاط هناك . وقد تلقى مدير البوليس بعد عامين من رحيله رسالة من اكرون تفيد ان شارلي ويلكينز سقط في دن كيميائي فاذاب المحلول جسده قبل العثور عليه وانتشاله من الدن . ولم يبق من جسده شيء ينقل الى والدته ، فصعب على هذه الوالدة ان تصدق خبر وفاته او تؤمن بها .

كانت تخاطب كل من يحاول ان يؤكد لها ان ابنها لن يعود قائلة :

ـ كان شارلي في العشرين من عمره حين غادر البيت ، واذا رجع الليلة فسوف يكون في الحادية والثلاثين . لسوف يكون رجلاً متين البنية ، شعره أسود اللون ، وعيناه زرقاوان ، مثلما كان عليه والده . حينما انطلق شارلي للعمل في اكرون لم يكن قد اكتمل نموا بعد ، لكنه عندما يرجع الى البيت فسوف يكون قوياً كبيراً مثلما كان والده في مثل هذه السن . ولسوف اعرف ولدي شارلي عندما يرجع الى البيت لزيارتي حتى ولو تغيرت هيئته . وهو لن يتبدل كثيراً بحيث لا اعرفه .

جلست في مقعدها قرب النافذة ، طاوية يديها في حضنها ، مرهفة سمعها ، مترقبة منتظرة . وبين

حين وحين تغلق عينيها لحظات ، ولكنها لا تلبث ان تمد بصرها من النافذة الى قلب الليل ، خائفة من ان يستولي النعاس على جفنيها .

خاطبت نفسها قائلة :

ـ سوف لن ينسى ولدي ان يعود لرؤيتي . ولو جاء الناس جميعاً في هذا العالم واخبروني انه لن يعود الى البيت لن أصدق كلمة واحدة مما يعرفون . لقد عاهدني شارلي على المجيء لرؤيتي في اقرب فرصة تمكنه من ترك العمل . وشارلي لم يكذب علي طوال عمره ، حتى يوم كان صغيراً يتراكض في الساحة محاولاً اصطياد العصافير الدورية بملعقة الملح ، ولأنني عندما كنت اسأله ما اذا فعل كذا وكيت كان دائماً يخبرني الحقيقة ويتطلع باستقامة في عيني وهو يقول ذلك . لقد كان شارلي دائماً ولداً صادقاً .

دقت الساعة المعلقة فوق المدفأة معلنة العاشرة. فرنت السيدة ويلكينز اليها وادارت راسها بحيث تستطيع النظر من النافذة . ان الوقت لم يتاخر بعد بالنسبة اليها ، فقد اعتادت ان تبقى مستيقظة الى ما بعد الحادية عشرة ليلاً ، واحياناً الى ما بعد منتصف الليل ، مترقبة منتظرة .

وجاءت سيارة على طول الطريق ، فانتصبت السيدة ويلكينز في جلستها وهي تصيخ السمع الى صرير عجلاتها . لكن السيارة لم تقف امام الباب ، بل تجاوزته متابعة طريقها .

قالت تخاطب نفسها :

ـ لسوف يعود شارلي الى البيت . لسوف يعود في سيارة او يعود سيراً على قدميه . لقد وعدني ان يعود ، وسوف يعود بطريقة او اخرى . انا لا اعرف لماذا يحاول الناس دائماً اقناعي انه لن يعود لرؤيتي .

وانتصبت في جلستها فجاة معتمدة على ذراعي كرسيها عندما خيل اليها انها سمعت صوتاً . ان الصوت يشبه ذلك الصوت الذي يبعثه كرسيها احياناً ، ولكنه صوّر لها انه يدفعه من خارج الدار ـ انه اشبه بصرير بوابة الساحة الامامية .

وانهال قرع على الباب قبل ان تتمكن السيدة ويلكينز من ادراك ماهية الصوت ، فعصرت يديها بقوة . انها لا تفقه ماذا تفعل . ان احداً لم يات لزيارتها في مثل هذه الساعة المتاخرة من الليل قبلاً ، وهي لا تفقه ماذا يمكن أن تفعل . وفيما هي جالسة في كرسيها مرتعشة الجسد دقّ صوت القرع على الباب من جديد ، فهبت على قدميها مهتاجة ، صائحة :

ـ انه شارلي .

انها تمنع نفسها عن البكاء بصعوبة . ركضت الى غرفتها حيث تحفظ ثياب نهار الأحد في احد الصناديق . وفتحت الصندوق في عصبية ، لكن الدموع التي حاولت ردعها عن عينيها تتدفق وتعميها عن الرؤية فتعجز عن رؤية ما تريد ان تفعل . وتحسست طريقها للخروج من الغرفة محاولة خلع ثيابها البيتية .

وسمعت صدى قرع الباب للمرة الثالثة ، فادركت ان الصوت حقيقة لا مراء فيها . لقد سمعته ثلاث مرات . والصوت جلي واضح بحيث لا يمكن ان يخدعها . واستطاعت اخيراً ان تبدل ثيابها ، فنزعت من قدميها خفها العتيق ولبست حذاء يوم الأحد . لكن احدى فردتي الحذاء سقطت من قدمها فلم تجد متسعاً من الوقت للعثور عليها .

صاحت ، وهي ترتب شعرها بيد وتحاول اصلاح هندام ثوبها بالاخرى :

ـ انى قادمة ، انى قادمة ، إنى قادمة . انى قادمة ، يا شارلى . انى قادمة ، يا ولدى شارلى. وعجزت عن ايجاد فردة حذائها الأخرى بعد انتهائها من هندمة ثوبها ، عجزت عن ايجادها في كل مكان ، رغم انها تذكر انها اسقطتها على الأرض في عجلتها .

ـ لقد رجعت اخيرا ، اليس كذلك ، ياشارلى ؟ كنت اعرف انك ستعود لانك عاهدتني على ذلك .

ركضت في ارجاء الغرفةووقفت لالتقاط القنديل، وبحثت عن الحذاء تحت المقاعد والسرير .

ـ اوه شارلى لقد رجعت اخيرا ، اليس كذلك ؟

وجدت الحذاء اخيرا ، فلبسته ثم تناولت القنديل وهرولت الى الباب .

ـ شارلى . يا ولدى شارلى ! لقد عرفت لتوي انك ستعود لرؤيتي . لقد كنت اعرف ذلك دائماً .

وما ان بلغت الباب حتى ارتعشت يداها فعجزت عن رفع المزلاج . وضعت القنديل على الأرض ، وحاولت فتح الباب بكلتا يديها .

صرخت بصوت عال :

ـ اما تزال واقفا ، يا شارلي ؟ .

ـ انني واقف هنا ، يا اماه .

ـ آه ، يا ولدي شارلي . ما اعظم سروري ! .

وسألها الصوت من الخارج :

ـ لم لا تفتحين الباب وتسمحين لي بالدخول ، يا اماه ؟ .

ـ اوه ، يا ولدي ، يا ولدي .

استطاعت اخيرا رفع المزلاج ، ففتحت الباب واستدارت تحمل القنديل ، وخرجت الى العتبة صائحة :

ـ اين انت ، يا شارلي ؟ .

وقفت على العتبة ، والقنديل في يدها ، باحثة في ارجاء الساحة كلها دون ان ترى احدا . ان الساحة جرداء مثلها ابدا . صاحت في جنون :

ـ اين انت ، يا شارلي ؟ اين انت ، يا ولدي ؟.

وما ان وصلت الى الساحة حتى وثب احدهم الى مسرح الرؤية من احدى زوايا الدار قائلا :

ـ هانذا ، يا اماه .

واقترب منها وقد ارخى قبعته على وجهه ورفع ياقة معطفه :

ـ افلا تعرفينني يا اماه ؟

فصاحت في اهتياج :

ـ اهذا انت ، يا ولدي شارلي ؟ اقترب ودعني انظر اليك ، يا ولدي .

وثب الصبي امامها وانتصب في وجه الضوء الشع من القنديل الذي تحمله في يدها .

بدا وجه السيدة ويلكينز كان الما فجائيا قويا اعتصره بين فكيه ، فراحت تتارجح في حسرة :

ـ انت لست شارلي .

وانفجرت عصبة الصبيان خلف السور في عاصفة مفاجئة من الضحك . لقد كانوا على الدرب عائدين بالعربات والابقار من المزارع ، وما ان اقتربوا من دار السيدة ويلكينز حتى قفز احدهم واخبر الباقين انه سيتسلى مع العجوز . فاختبا الباقون خلف السور بحيث يرون ويسمعون.

قالت السيدة ويلكينز من جديد والعبرات تخنق عينيها :

ـ انت لست شارلي . انت لست ولدي شارلي .

واستدار الصبي وركض عبر الساحة منطلقا مع الاخرين على طول الدرب .

وقفت السيدة ويلكينز في الساحة فترة طويلة من الزمن ، حاملة قنديلها فوق راسها ، تخاطب نفسها :

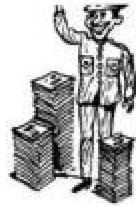
ـ اوه ، يا شارلي ، لمَ لمَ تكن انت ؟ لمَ لمَ تكن انت ، يا ولدي شارلي ؟ لقد انتظرتك طويلا !

رجعت ادراجها بعد فترة فاجتازت الساحة ودلفت الى البيت واغلقت الباب وارتجته خلفها . وشرعت تخلع ثياب الاحد . وما ان انتهت من طي الثياب واعادتها في عناية الى صندوقها في الغرفة حتى حملت القنديل ووضعته على الطاولة قرب النافذة . انها تضع القنديل ابدا في مكانه المعتاد في عناية ، بحيث يرسل اكبر كمية ممكنة من اشعاعه على النافذة ، ثم تروح تصلح من وضع فتيلته بحيث يشع الضوء ويصفو دون ان يبعث دخانا يلوث البلورة . وحين تنتهي من تركيز الضوء ، تنطلق الى سريرها .

لم تكد تبلغ منتصف الغرفة هذه المرة حتى هوت على الأرض ...

انها لا تذكر عندما سقطت ما اذا تعثرت قدمها بالسجادة او ان قوتها قد خانتها . ولكن آخر ما خطر في بالها ، وهي مستلقية هنالك ، ان من واجبها ان تنهض باكرا لتفتح الباب لولدها شارلي عندما يؤوب الى البيت . ■■

ترجمة : سهيل أيوب



بقية بريد القراء

محصول القمح

● اود ان ابين خطأ وقع فيه الدكتور السيد ابو النجا كاتب مقال التكامل الاقتصادى والسوق العربية المشتركة ، فقد ذكر الكاتب بالنص : « ان المتوسط السنوى لانتاج الوطن العربى من القمح يبلغ سبعة ملايين طن ، وهذا يعادل ٣٥٪ من الانتاج العالمى » . والصحيح ان انتاج الوطن العربى بلغ فعلا سبعة ملايين طن فى حين ان انتاج العالم كله من القمح بلغ ٣٠٨٫٦ مليون طن ، اى بنسبة ٢٫٥٪ وليس ٣٥٪ .

صابر محمد ابراهيم — المنوفية — ج٠ع٠م

العربى : الدكتور سيد ابو النجا صاحب المقال صحح الرقم الذى وقع فيه الخطأ المطبعى ، فهو عندة ٢٫٥٪ وليس ٣٥٪ .

تاريخ الزعماء المعاصرين

● هل لى ان اقترح ان يخصص العربى صفحة خاصة تتحدثون فيها عن زعماء معاصرين من العرب وغير العرب . انى واثق من انكم سوف تقدرون اهمية هذا الاقتراح وخاصة فى الظروف الصعبة التى تمر بها امتنا العربية .

فريد بشير — المملكة المغربية

العربى : يسرنا ان تقترح لنا اسماء من تريد ان نكتب عنهم .

الفنانون العرب

● صفحة الفن ، من الابواب التى تثير اعجابنا فى مجلة العربى ، ولكننا لاحظنا ان معظم الروائع التى تظهر فى اعداد المجلة لفنانين اجانب ، مع ان وطننا العربى مليء بالفنانين والمواهب الفذة ، فما رأيكم لو تفضلتم باطلاعنا من خلال هذا الباب ، على بعض الاعمال الفنية العربية وبعض الرسامين العرب

محمد رشاد محمود — ج٠ع٠م

العربى : ليس فى العالم العربى فنانون عالميون الى الآن ، ورغم هذا فنحن نكتب عن فنانينا العرب فى الاستطلاعات الخاصة بهم .

مزيدا من العلم

● هذا رجاء ، اعتقد ان كل الشباب العربى يشاركنى فيه ، اننا نطالبكم بان تكتبوا لنا المزيد فى الموضوعات العلمية .. اكتبوا لنا فى الكيمياء والفيزياء والفضاء والذرة والطب والعلوم ، ولا تبخلوا علينا ايضا بالمقالات الاقتصادية..ولكن لا تنقصوا من ابواب العربى الحالية ، فكلها ابواب ممتعة شيقة .

زياد عبد الكريم — لبنان

العربى : يا أخى قد طلبت النقيضين ، تريد زيادة فى العلم ، ولا تريد نقصا يقابله فى غير ابواب العلم ، ومعنى هذا زيادة فى حجم العربى ، وهذا ما لا نستطيع على الاقل فى الوقت الحاضر .

يقترح بابا للرياضة

● كل شيء فى مجلتنا العربى ، شيق ، ويجد فيه القارىء كل ما يحتاج اليه من معلومات .. ففى العربى كل ما تتوق اليه النفس ويرضيها من غذاء فكرى ، ولكنكم نسيتم شيئا هاما ، حبذا لو انكم اضفتموه الى صفحاتها . الا وهو الرياضة . ما رايكم لو خصصتم بابا للرياضة تنشرون فيه صورة لمباراة فى كرة القدم او الملاكمة ، ومعها مقال قصير او تعليق .

سعيد عبد اللطيف الزبيدى — الكويت

العربى : اذا ادخلنا الرياضة فى العربى ، فقل لنا اى شيء نحذفه لتحل الرياضة محله . فاننا لا نستطيع انتزيد عدد الصفحات على ما هو عليه.

تصويب

● وقع خطأ فى العدد ١٤٧ بالصفحة ١٣٢ من العربى ، والخطأ فى تاريخ ميلاد ووفاة القصاصة الانجليزية جين اوستن فقد جاء انها ولدت عام ١٨٦٦ وتوفيت عام ١٩٤١ ، والصحيح هو (١٧٧٥ — ١٨١٧) ارجو التنويه .

محمد شاهين

جامعة كمبريدج — انجلترا

العربي

عدد ١٥٥
شعبان ١٣٩١
اكتوبر
تشرين الاول ١٩٧١



الثمار الطيبة فى قلب صحراء مصر

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس
البحرين	٢٠٠ فلس	سوريه	١٠٠ قرش	الجزائر
اليمن	[illegible] ريال	ج.ع.م	١٠ قروش	[illegible]



من روائع الفن العالمى

● لوحة « المزرعة في ليكن » The Farm at Lacken، هي احدى لوحات الرسام البلجيكي روبنز Rubens الشهيرة، والموجودة حاليا في قصر بكنجهام في لندن . وليست اللوحة التى تراها بجانب هذه السطور سوى جزء من لوحة المزرعة تلك . ولعله الجزء غير الرئيسي من اللوحة ، وقد قصد بها روبنز الى تصوير الطبيعة وابراز جمالها . ويبدو ان جمال المرأة ، وهو الموضوع المحبب الى روبنز ، القالب على عدد من لوحاته ، ابى الا ان يأخذ مكانه من لوحة « المزرعة في ليكن » .. فكانت هذه الحسناء الريفية التى تفيض رقة وانوثة .

انظر صفحة (١٥٤)

عزيزي القارئ

امور خطيرة
تحقيقهـا
اشد عسرا من اقرارها

● تم في الشهر الذي مضى الاستفتاء على الاتحاد بين الجمهوريات العربية الثلاث ، وكانت النتيجة هي الموافقة بما يقرب من الاجماع . ولا يعقل ان يعرض على الشعب العربي امر يسير به في سبيل الوحدة ثم يكون من بين هذا الشعب من يقول لا . فلفظ الوحدة لفظ مثير عند كل عربي ، والوحدة مطلب عظيم وغايه . وقد حقق العرب بالاستفتاء هذه الغاية مطلبا ، وبقي تحقيقها املا .

ان كل امر خطير له مرحلتان ، مرحلة تؤدى الى تقريره والموافقة عليه ، ثم مرحلة أخطر هي تحقيقه وانجاحه . وقد نجحنا في تقرير الاتحاد مطلبا ، وبقي علينا ان نسير بهذا القرار في سبيل التحقيق ، وهو مطلب اشق واعسر .

ومن الناس ، حتى ممن ارتضوه قرارا ، من يرتاب ، صادقا مخلصا ، في امكان تحقيقة من بعد اقراره . ولكن يذهب بريبة هؤلاء السير بالقرار في طريق التحقيق بنجاحه المرجو .

ووثيقة الاتحاد فيها اكثر عناصر النجاح . فهي تخطت حساسية الاقليم ، وكانت اكبر عقبة . وهي حفظت لكل جمهورية شخصيتها فلها ان تتحرك في حدودها ما تشاء من حركة . وهي وحدت بين الجمهوريات في الممكن النافع في الداخل والخارج .

انها تجربة يفسدها اسرع افساد ان نفترض نجاحها ، في غلو من الاخلاص الشديد للعروبة ، وان نلقي بالحبل على الغارب فيها ، ونضع الحذر جانبا ، يضعه شعب او تضعه حكومة .

والله الموفق

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 155 October 1971 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

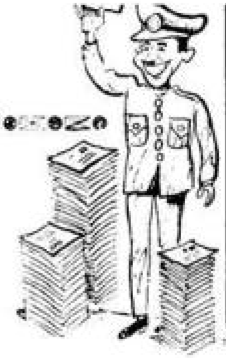


صورة الغلاف

قصة من قصص كفاح الانسان العربي في صورة .. منذ سنوات قليلة خلت كانت هذه البقعة من الارض صحراء قاحلة ، اما اليوم فقد تحولت الى واحة اكتست بالبساتين والمزارع .. والصورة لاشجار البرتقال وقد وقفت احدى المهندسات الزراعيات وهي تفحص المحصول الجديد مع زميلاتها .. لقد جاءت المرأة لتعمل جنبا الى جنب مع الرجل في تلك الواحة الجديدة . (انظر الاستطلاع صفحة ١٠٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش . تونس والجزائر ٣٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥ قرشا . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

هدية العربي في العام الجديد

● انا احد ابناء مجلة العربي الذين يرضعون منها لبن المعرفة منذ اكثر من ١٢ عاما .. وكعادة أمنا الحبيبة أن تقدم هدية لابنائها الاعزاء عندما تفتح صفحة جديدة من حياتها المباركة في مطلع كل عام . ولكوني احد ابنائها فانا اقترح أن تكون الهدية - والتي ستقدمها لنا في بداية عام ١٩٧٢ ، هدية علمية كأن تكون صورة مكبرة لجسم الانسان مبينا فيها بعض أجهزة الجسم ، أو بعض اعضائه كالقلب والرئتين والمعدة والكبد والكليتين وغيرها. او اي هدية علمية أخرى ترونها مناسبة ..

عبد الحميد احمد عبد الرب
تعز - اليمن

مزيدا من اعداد العربي

● مجلة العربي ، فخر كل عربي أصيل ، منهل ثقافي وعلمي ، تنهل منه ملايين النفوس المتعطشة للثقافة والعلم ، ويعز على ابناء الموصل ، بلد الثقافة والعلم ان تشح مواردها من ذلك المنهل ، حتى لا يكادون يستطيعون رؤية - العربي - يزين مكتباتهم .

فلا تبخلوا علينا بمزيد من النسخ ، فان ابناء الموصل يتطلعون بلهفة الى تلك الاعداد من العربي بنسخها المعدودات ، والتي اصبحت مؤخرا لا تقع عليها لهم يد ، وان رأتها العيون وتمنت لو اقتنتها الايدي .

سمير الحمداني
موصل - العراق

استطلاع قطر .. والكتب المجانية

● نشرتم في العدد ١٤٤ من العربي استطلاعا عن قطر . ذكرتم فيه ان دار الكتب في الدوحة ترسل كتبها مجانا لمن يطلبها . وقد ارسلت الى هذه المكتبة خطابا مسجلا من شهر نوفمبر طالبا عدة كتب ، ولكن لم يصلني منها رد ، فارجو افادتي ، ان كانت مكتبة الدوحة تقوم فعلا بتوزيع الكتب مجانا ام لا ؟

محمد عبد الغفار دسوقي زايد
دمنهور - مصر

العربي : ارسلنا خطابكم الى الاستاذ عبدالبديع صقر مدير المكتبة العامة ، والمستشار الثقافي لامير قطر ، فجاءنا منه الرد التالي :

« نشكر مجلة العربي على استطلاعها الذي نشرته في عددها الصادر بتاريخ اول نوفمبر ١٩٧٠ والذي اشادت فيه بجهود دار الكتب القطرية في نشر الكتب وتوزيعها .. ونحب ان نوضح اننا فعلا نقوم بنشر انواع معينة من الكتب الدينية والتاريخية والادبية . ونحن على استعداد لتوزيع هذه الكتب - دون غيرها - مجانا ، لمن يتسلمها من مدينة الدوحة نفسها، وليس بواسطة البريد.

« لهذا نرجو توضيح هذا الامر لقرائكم الكرام».

● ان مكتبتي هي كنزي الثمين الذى اعتز به ،والمكون من مائة وثلاث وخمسين جامعة حتى الآن ، وربما يسأل سائل كيف تملك هذا العدد من الجامعات في بيتك ؟ واجيبه على الفور بان كل عدد من مجلة العربي جامعة قائمة بذاتها . كيفلا وانا امضي اجمل الاوقات في تحصيل العلم والمعرفة من خلال صفحاتها الرائعة ، المنسقة ،البديعة .

اعود لاعرض اقتراحي وهو : « ان باب انت تسأل ونحن نجيب كان يعالج قضايا اجتماعية يستفيد منها السائل والقارىء على السواء ،وكان هذا الباب لدي شيقا جدا ، اما الآن ومنذ سنوات فان الأسئلة والأجوبة أصبحت علمية ،تاريخية ، جغرافية .. الخ .. ولكن القضايا الاجتماعية حذفت ولهذا ارجوكم الاهتمام بهذه القضايا مرة ثانية » .

شاكر صالح البوريني – ليبيا

يقترح زيادة موضوعات العلم والاقتصاد

● تحية للعربي على كل ما يقدمه لنا من مواد في مختلف فروع العلم والمعرفة ، وبهذه المناسبة ارجو ان تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات .. فقد لاحظنا ان ابواب التاريخ تحتل حيزا كبيرا من صفحات المجلة ، فهل لكم ان تختصروا هذه الابواب بعض الشيء لافساح مجال اوسع لنشر الموضوعات العلمية التي تتصل بحياة الانسان ، في ماضيه وحاضره ومستقبله .

ثم نرجو زيادة الموضوعات التي تتناول المشاكل الاقتصادية في عالمنا العربي ، والعالم الكبير من حولنا .

عصام عصمت

الاقصر – مصر

رأس الحسين

● جاء فيما ذكرته « العربي » جوابا لمن سأل عن قبر الحسين ان يزيد نصب رأس الحسين بدمشق ثلاثة ايام ثم وضعه في خزائن السلاح حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك فدفن الرأس في مقابر المسلمين . وكذلك جاء في الجواب ان ابن كثير تساءل من اين جاء الفاطميون بالرأس الذى دفنوه بالقاهرة .

ونقول : لقد دفن سليمان الرأس في مقابر المسلمين ، ولكن لا في دمشق بل في مدينة عسقلان بفلسطين لانه حدس بأن سيكون لمدفن رأس الحسين شأن يوما ما فلم يشأ ان يكون هذا الشأن في دمشق فابعده الى عسقلان . وفي العام ٥٤٨ نقل الفاطميون الرأس من مدفنه في عسقلان الى مكانه الحالي في القاهرة .

حسن الأمين / بيروت

صورة الكعبة المكرمة

● بمناسبة قرب قدوم العدد السنوي الممتاز .. في عامه الرابع عشر الذى نرجوه قرنا لخير العرب .. نرجو بان تكون هدية العربي هذا العام غير الخريطة المعهودة فنحن العرب حفظنا حدودنا ونريد الجديد . مثلا صورة رائعة للكعبة الشريفة او صورة رائعة للروضة الشريفة بالمدينة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما نرجو ان توجهوا بعض استطلاعاتكم الى عواصم البلدان العربية .. نريد استطلاعات عن القاهرة .. عمان .. دمشق .. بيروت .. الجزائر العاصمة .. عدن .. ثم الاسكندرية وبنغازي وغيرها ..

محمد نجيب عبد المحسن بلال – امبابة – القاهرة

(بقية البريد على صفحة ١٧١)

حديث الشهر

جامعة الهواء

جامعة لايسعى إليها الطلبة، وإنما هي تسعى إليهم، وهم في منازلهم قابعون

جامعة لا تسأل عن ماضيك ولكن تهتم بحاضرك، فإن استطعت أن تسايرها دراسة فهذا غاية ما ترجوه

جامعة هي فرصة ثانية لمن فاته قطار الجامعات من الشباب، وهي لغير الشباب تجديد معارف بليت على الزمان

بقلم رئيس التحرير

■ لعل اول شيء يخطر على بال القارىء ، وهو يقرأ هذا الاسم : جامعة الهواء ، ان يسأل ما هي ؟ فهو لا شك وصف جديد لم يسبق ان وصفت به الجامعات .

ولفهم معنى « جامعة الهواء » يجب ان يقرنها طالب الفهم بمعنى « جامعة الأرض » . فكذلك الهواء لا يفهم معناه الا بفهم معنى الارض .

وجامعة الارض هي الجامعة العادية المعروفة : مبان متلاصقة او متفرقة ، بها حجرات للمحاضرات ، ومعامل ومختبرات،وطلبة ومحاضرون واساتذة. ودروس تلقى فى ساعات معينة من النهار، يحضر اليها الطلاب من منازلهم كل يوم ، مهما بعدت منازلهم عن جامعاتهم . والطالب فى الجامعة الارضية متفرغ للدراسة وحدها ، وله عائل يعوله اثناءها . والعلم يأخذه من فم الاستاذ حاضرا ، تعززه الكتب لمن يستطيع شراءها . وفى آخر المطاف تعطى للطالب من بعد امتحانات شتى ،وسنوات شتى، ثلاث او اربع ، درجة علمية ، تؤهله عادة لعمل فى الحياة بالفرع الذى خصته به الجامعة ، جامعة الارض .

والطالب لا يدخل جامعة الارض الا اذا هو تأهل لها . ودليل ذلك شهادات يتقدم بها تخبر عن دراسات سابقة ، من شأنها ان تسبق دراسة الجامعة ، الجامعة الارضية : ومعنى هذا انه ليس كل من يتقدم للجامعات الارضية يقبل بها.

وغير ذلك جامعة الهواء .

جامعة الهواء لا يسعى اليها الطلبة لاستقاء العلم ، وانما هي التى تسعى اليهم وهم فى منازلهم قابعون . ووسيلة ذلك اساسا البريد والمذياع . كل العلم يحمله البريد الى الطالب رسائل ، درسا من بعد درس ، او جملة من دروس . والبريد ذو وجهين ، رائح وغاد . وكما ترسل الجامعة ، جامعة الهواء ، دروسها رسائل الى الطالب ، هو كذلك يرسل اليها كل ما تتضمنه المراسلات . فهذه هي الطريقة القديمة المعروفة المسماه : التعليم بالمراسلة . انما هي تزداد دقة متسقة مع دقة العصر الذى نحن فيه ، وتزداد اتساعا .

ويضاف الى البريد المذياع ، من مسموع فقط ، وهو الراديو ، ومسموع ومرئي معا ، وهو التلفاز . وفى منازل اكثر الناس اليوم ، فى الأمم المتقدمة ، هوائي للاذاعة الناطقة ، وهوائي للاذاعة الناطقة المبصرة . وهما بعض اجهزة الاستقبال التى هي فى داخل هذه المنازل . وسموه هوائيا لانه يقام عاليا فى الهواء . وكذلك سموا الجامعة جامعة الهواء لان اخطر شيء فيها ، والجديد الحق فيها ، هو ما تطلقه الجامعة الى

التعليم بالمراسلة ، اى بالرسائل البريدية اساس التعليم فى الجامعة الهوائية .



منتسبيها من الطلاب عبر مساحة من الفضاء يسكنها الهواء . فالاذاعة تجرى فى حضور هواء وفى غيبة هواء .

فهي فى لغة الأدباء ، جامعة الهواء . وهي فى لغة اهل العلم الجامعة المفتوحة. وهي مفتوحة لانها منطلقة لكل الناس مذاعة فى الهواء ، ولكنها مفتوحة ايضا لمعنى اخطر سنعود اليه ، ذلك ان المنتسب الى الجامعة ينتسب ويقبل مهما كانت سابقة دراسته، وسابق تأهله.

ووسيلتان اخريان تضافان الى البريد والمذياع : تلك دراسات قصيرة اقليمية يلتقي فيها الطلاب بالاساتذة ، وكذلك مجالس للنقاش اقليمية تزداد فيها بعض المواضيع الغامضة ايضاحا واتضاحا .

ومعنى هذا ان يكون ، الى جانب المركز الرئيسي للجامعة ، وله ان يقع حيثما يقع ما دام انه ليس للطلاب مسعى يسعون اليه كل يوم ، مراكز فرعية اقليمية اخرى ، تقوم للاقليم

والاذاعة والتلفاز هما عضد الجامعة فى التعليم الهوائي .



بكل ما يحتاجه من تدبير وتنظيم . واتصال بالطلاب عند الحاجة . وهي تقوم بتسجيلهم وسائر الشئون . وليس منها التراسل بالبريد ، ولا التواصل بالاذاعات ، فهذه لها مصدر واحد لا يختلف ، هو المركز الرئيسي للجامعة المفتوحة ، او ادارات لتنوب عنها ، أو هيئات تتعاون معها .

الحاجة التى دعت الى خلق جامعة الهواء الجامعة المفتوحة

انها ليست حاجة واحدة وانما حاجات .

ويكشف الانسان عن هذه الحاجات ، بالنظر الى الجامعات، الجامعات العادية، الجامعات الارضية بأى الاشياء وفت ، وبأى الاشياء عجزت فيها عن وفاء .

الجامعات العادية لا تقبل كل من يتقدم اليها من طلاب. فأولا هي تشترط استكمال الدراسة الثانوية وحتى الناجحون فى هذه الدراسة الثانوية تشترط فيهم مرتبة من النجاح تمنع الكثير من الطلبة من دخولها . وحتى مع الوفاء بهذه المرتبة قد تضيق رحبات الجامعة عن قبول كل من يريد . والنتيجة وجود طوائف من الطلاب ظامئة الى العلم والمعرفة ، لا تجد لها ريا . وتتراكم هذه الطوائف فى الامة على مر السنين . عندئذ تتدخل الجامعة المفتوحة لتؤدى الى هذه الطوائف الظامئة ما تستطيع من رى . وهي لن تبلغ بهم عادة مبلغ ما تبلغ بهم الجامعة المغلقة . ولكن نصف التفاحة او ثلاثة ارباعها خير من لا تفاح ابدا . والمسألة ليست مسألة ظمأ للمعرفة فحسب فالحياة جهاد للرزق ، والمرء اكسب لرزقه كلما زاد عرفانا ، سواء كان هذا العرفان من التخصص بحيث انه يؤدى الى طريق الارزاق ، او كان مما يزيد الشاب او الفتاة ثقافة تفتح لهما

حيثما كانا — فى سبل الحياة آفاق ، ومن اجل هذا سايرت الجامعة المفتوحة الجامعة المغلقة ، من حيث البرامج وان تكون محدّدة ، ومن حيث سنوات الدراسة ، ومن حيث الامتحانات ، واخيرا من حيث اعطاء الدرجات العلمية ، وهي وثائق تدل على ما كان من دراسة ، وهي المؤهل للرزق عند اصحاب الاعمال ، وهي الحوافز التي لا بد منها لكل دارس ، وان لم تكن هى كل الحوافز .

والطلبة الذين سبق ان اتموا الدراسة الثانوية ، ولم يجدوا مكانا فى الجامعات المغلقة ، ما الذى كان من امرهم ؟ انك لو تتبعتهم لوجدتهم ، فى سبيل الرزق ، قد وقعوا على اعمال فى الحياة هي دون ما يحظى به عادة خريج الجامعة ، وهم فى أعمالهم هذه يتعلمون اشياء لم يكونوا تعلموها فى مدرسة ، ويتدربون . وهذا التدريب هو نوع من التخصص العملي . الذى يعمل كاتبا فى ادارة عليه أن يتدرب على اعمال هذه الادارة وعلى تفهمها قبل ان يعطيها الفائدة المرجوة . والذى يعمل سكرتيرا لا بد ان يتدرب على اعمال السكرتارية حينا ، وهي اعمال شتى قبل ان يكون منه نفع لصاحبه . وهو لو عمل مساعدا فى مختبر فقد وجب عليه ان يتفهم اعمال المختبر وهي غالبا ما يكون لها فى العلم غور ذو بال . وهو لو عمل مساعد مهندس بناء وجب عليه ان يتعلم الكثير من اصول البناء . ومساعد الصيدلي ومساعد المحاسب ، ومساعد المحامي ، ومساعد التاجر فى متجره . والعامل منهم فى المصانع ، وفى المكاتب او عند العجل الدوّار ، كل هؤلاء ، افتقدوا الجامعة معلّما ، ولكنهم وجدوا من الحياة وفى سبيل الرزق معلما ، كل فى صنف عمله . وكل يحس بعد سنوات ثلاث او اربع انه توقف . وقف به العمل الذى هو فيه من المعرفة حيث وصل وليس له وراء ذلك من زيادة . وليس له بعد ذلك من هاد . وهنا تتدخل الجامعة المفتوحة ، جامعة الهواء ، تعطيه ذلك الضرب من المعرفة الذى هو فى حاجة



محاضر الجامعة الارضية يحاضر للمائة والمائتين ، ومحاضر الاذاعة يحاضر للالف والمليون .

اليه . انها لا تسأله عن مؤهلاته انها تكتفى منه بأنه قادر على ان يفهم ما نرسل اليه بالبريد من دروس ، وان يعي ما ينقله اليه التلفاز من محاضرات . ثم التقاء برجال الجامعة فى دراسات محلية لا بد منها ومناقشات تجعله يحس بان الامر ليس كله « هواء » ، بل ان الجامعة جسد متجسد .

وانى أحكى عن الجامعة المفتوحة فى الدول المتقدمة ، وفى بريطانيا خاصة ، عن تلك الجامعة التى افتتحوا الدراسة فيها فى يناير ١٩٧١ ، وتجرى فيها على مجرى السنة الميلادية لا السنة المكتبية .

ومثل اضربه

ومثل اضربه ، لعبت فيه جامعة مفتوحة ، او شبه مفتوحة ، دورها كاملا .

سكرتير لي ، عمل معي سنوات . وجاء يوم سألته فيه عن مستقبله ، فحكى لي ، وما اقنعني وما اقنع نفسه .

اقترحت عليه ان يملأ ساعاته الفارغة ، على الشباب ، بالدرس . قال : فات القطار . قلت : ما فات فاني اسمعه يصفر ، فالحق به . وشرحت له كيف يلتحق بجامعة بالمراسلة ، وفعل ، ومضت سنة ، فسنة ، فثالثة ، فرابعة، فاذا به يحمل درجة جامعية في الحقوق !

وظهرت آثار دراسته في عمله سكرتيرا، وما كان لها ان تخفى .

ومثل ثان

ومثل ثان . طالب في كلية العلوم بجامعة عربية ، قضت المقادير بأن يتركها . ووجدنا له عملا ، مساعدا في مصنع كيماوي يصنع العقاقير . واذ استقر فيه التحق بعلم الكيمياء بالمراسلة. وبعد سنة فسنة ، ومع انتهازه كل الفرص لحضور التجارب الكيماوية الدراسية الواجبة، نال درجة البكلريوس في الكيمياء . فرقاه المصنع بعد جهد الى مرتبة الكيماوي ، ثم ذهب الى امريكا فوجد عملا في احد مصانعها على الفور ، عملا مجزيا حقا ، اذن له بشراء سيارة ، وبأن يعود الى بلده الشرقي يصطحب معه الى بلد عمله زوجة . لقد اكبر الامريكان فيه علم الكيماوي وخبرة مساعد المصنع معا .

ومثل ثالث

ومثل ثالث : تضمّن فشلا ذريعا .

كان شابا أتم دراسته الثانوية ، واكتفى . وسألني عما يصنع ، فكان طبيعيا ان اذكر له من امر الدراسة ما سبق ان ذكرت لاخوانه . فاذا به يقول في صراحة ان الدراسة مشقة ، وانه كان له من دراسته الثانوية ما كان ، وكان له من ذلك كفاية . وذكر لي انه احرص على شبابه من ان يضيعه هدرا ، فالشباب لا يكون في العمر غير مرة واحدة ، فهو يريد ان يتمتع به الى آخر سؤر في الكأس . ودخلنا في امر الشباب ونشوته ، وهل هي حقيقة ام مجاز . وكان له في الأدب العربي نصيب ، فصار يؤيد حجته عن جنة الشباب النضرة ، ذات الازهار والثمار، بما وصف الشعراء من ذلك . وفي الجو المرح الذى كان ، وجدتني ازيد من محصول ذاكرتي شعرا مثل شعره او لعله في النضرة للشباب اقوى . وانقلبت المناقشة الى مطارحة اشعار . فرأيت ان أحسم الموقف : جدا أو هزلا، فقد صار لا نفع فيه للحجة. فحجة العقل قاطعة ، والعاطفة نائمة ، اما اذا استيقظت فقد تثلّم العقل جدا، وصار لا يقطع. وانت اذا اردت ان تفسد على ذى راى رايه فاستعن عليه بالشعر والشعراء .

موقف الشبان من متعة الشباب

والحق ان موقف الشبان من شبابهم يحتاج الى وقفة قصيرة هنا .

وأنا مع الشباب، وحتى مع الشعراء، اقول ان الشباب متعة ، وكيف لا ، وفيه طلائع الحياة كلها . فيه قوة الجسد ، وفيه قوة العقل ، ولذائذ العيش كلها يلتذها الشاب لاول مرة ، فهي قوية في لذاذاتها قوة شيء جديد . ومن لذائذ الجسم الطعام والجنس، ويقول الشعراء ومع النساء الخمر . ومن الشعراء من تقرأ لهم فتحسب انهم ما عرفوا طعم الماء، وكان كل شرابهم الخمر . وبناء على هذه القاعدة حلّلوا وحرّموا ، وليس كالحلال متعة . ولكن الشاب لا يمكن ان يقضي ايام شبابه كلها مستمتعا بالشهوتين ، الطعام الذى هو اصلا سبيل الاحياء الى الحياة ، والجنس الذى هو اصلا سبيل الحياة الى التواصل والتكاثر . ويجد الشاب الفراغ في نهاره ، ويجده في ليله ، فيطلب صنوفا من اللهو تعسّفا ، يقتل فيها الوقت سخفا وهذرا . وتمضي به الايام ، وتجرى به السنون ، فيبدأ يتعلم كم فاته على الشباب الهادر من مكاسب.

ويتعلم ان الشباب هو كما قلت ليس الحياة كلها ، وانما هو طلائع لها . ولعله في فترات الحياة اقلها . وتأتي من بعد ذلك الرجولة فالكهولة فالشيخوخة ،

وهي كلها اجزاء خطيرة من الحياة لها مقومات غير مقومات الشباب ، ولكل منها تجهيز وتحضير . والتحضير لها والتجهيز لا يكون الا والشباب قائم ، حين الجسم كجلمود الصخر قوى ، وحين العقل كحد السيف قاطع . ولكم ارى رجالا ، وكم ارى كهولا ، واكثر ما ارى شيوخا هبطوا فى العيش على الكبر درجات ، وانظر فى امرهم فأجدهم ما كسبوا فى شبابهم شيئا يعين على كهولة او شيخوخة . قضوا شبابهم رقصا وغناء ، فهم يقضون كهولتهم والشيخوخة فى بكاء صامت ، لا تنزل من العين معه الدموع ، وشر البكاء الصامت . واسأل احدهم يأتيني يريد عملا ، هل تستطيع ان تصنع كذا ؟ والجواب لا . وكذا ؟ والجواب لا . هل تعرف الانجليزية ؟ الفرنسية ؟ والجواب لا . وان يكن مدرسا فقد ظل فى تحصيله عندما كان حصّله وهم يؤهلونه للتدريس لاول مرة .

ان الشباب متعة ، لا انكر هذا .

ولكن فى الرجولة كذلك متعة ، وفى الكهولة وفى الشيخوخة ، وان تكن غلبت على الشباب المتعة الجسدية ، فقد غلبت على فترات العمر التالية المتع العقلية ، سواء اتصلت بالقلم فى قراءة او كتابة ، او اتصلت باليد فى فن . ولست اعنى الفن الجميل وحده . ولكن كل الفنون الخلاقة ، فكلها جميل ، وكلها لذيذ ، فيها لذة خلق الجديد ، وخلق الدقيق الذى وهبنا الله اياه فيما وهب من كفايات .

كانت جامعات الهواء

وتعود بنا هذه الوقفة التى وقفناها مرة اخرى الى حديث الجامعات المفتوحة .

انها فتحت كما سبق أن ذكرنا لتعطى الشباب الذى فاته الدخول فى الجامعات الارضية فرصة غير تلك ، تعوض عنه بعض ما فاته ، وبالدروس ترسلها بالبريد ، وبالدروس تذيعها بالمرئي وغير المرئي من الاذاعات الى غير ذلك من وسائل .

ولكنها فتحت ايضا لتعطي من فاتهم ركب الشباب او كاد ، وتعطي الرجال والكهول ، وحتى من شاء من الشيوخ ، صنوفاً من المعرفة ، هي والذى تعطيه الجامعات الارضية اشباه . ومن كل فروعها .

واخص بالذكر اولئك الذين وقفوا بالمعرفة ، او وقفت بهم المعرفة ، ومعرفة الكسب خاصة ، عند الحد الذى تركوا عنده الدراسة والمدارس . وتقدم الزمن وظلوا هم حيث هم واقفين . ومعنى هذا انهم صاروا فى زمان لا يصلح لهم وهم له لا يصلحون . ويلعنون الزمن ، ويلعنون القدر ، والزمن اصم لا يسمع ، والقدر اكثر صمماً .

واخص بالذكر اولئك الذين احترفوا الحرفة القليلة [illegible] وهم عن حرفتهم غير راضين . فهم يريدون أن يتحولوا . او هم يريدون فى حرفتهم أن يتوسعوا ، وفى التوسع ارتقاء .

المدرسون والجامعة المفتوحة

ومن هؤلاء : المدرسون الذين [illegible] لهم ظروفهم الا ان يكونوا مدرسي اطفال وهم يريدون ان يكونوا مدرسين لشباب الرجال . فى ادب رفيع ، او علم حديث ، او فى شئون مجتمعات واقتصاديات اسواق ومصارف . فهؤلاء لا يجدون السلم الذى يرتفع بهم الى هذه المراقى الا عند الجامعات المفتوحة . وهى لا تسألهم عند البدء كما سبق أن ذكرنا عن مؤهل خاص . انها سوف تدرك بعد حين كيف استوعب الطالب وكم استوعب . وهى تعطيه آخر الامر من الدرجات ما تعطى الجامعات .

العمال الصناعيون والجامعة المفتوحة

ومن الطوائف التى تعنى بها هذه الجامعات طوائف العمال ، العمال



من ضلال الشباب ان يرى ان حلاوة العمر ، مع نساء وقصف وخمر .

الصناعيون الذين يعملون بأيديهم . فهؤلاء فى نظر حكماء العصر الحديث أحق بالرعاية فيما يختص بالمعرفة . فالكثير من اضطرابات العمال يعود الى قلة المعرفة ، وهم لو عرفوا لأدركوا . ولنفعوا بذلك انفسهم ونفعوا سائر الخلق. ثم تتفتح للعامل بيده ـ عن طريق الجامعات المفتوحة ـ ابواب للرقى جديدة . حتى وهو فى عمله . وحتى وهو يعمل بيده . فليس العمل باليد اليوم مهانة . انما المهم هو ماذا تعمل اليد . والمخترعون جميعا انما اخترعوا بأيديهم . ولقد ارتفعت قيم لبعض الايدى التى تعمل بالمنشار والمبرد والمخرطة والمنجلة فوق ايد لم تحمل غير الاقلام . فالجامعات المفتوحة تزيد الرجل العامل بيده اليوم خطورة . تدخل الى عمل اليد عمل الراس ، وهما اذا اجتمعا فما اسرع ما تفتح بهما القسطنطينية .

الجامعة المفتوحة وطالب المعرفة المتعددة الجبهات

ثم هناك طلاب للمعرفة على الشيوع. هم فى اعمال حياتهم كافون . ولكنهم واقفون من جبهات العلم على جبهة واحدة ، او جبهتين او ثلاث . وحكمة الحياة لا تنال الا بتعدد جبهات المعرفة . الطبيب يرتضي مهنته ، لأن فيها الكسب ، ولأن فى علوم الطب الطريق لاستكناه حكمة الحياة . ولكن الطب كله لا يكفي . الطبيب يحتاج الى التاريخ ، الى الآداب ، الى ما قال الفلاسفة والنفسانيون ، والى ما قاله خبراء الذرة ، وما تحدث به علماء الاجتماع . انه محتاج الى ضروب من المعرفة لا يتم استكناه حكمة الحياة الا بها . والذى فى حياته لا يتوقف ساعات كثيرة يستكنه حكمة الحياة يكون « كثور الله فى برسيمه » ، يظل يأكل ويشبع حتى يموت ، وما ادرك ان فوق هذه الارض سماء ، بها نجوم عدد الرمل، قد تتضمن انسالا من الخلق فوق ما عرفنا ، ومن عرفنا على سطح هذه الارض .

وكحاجة الطبيب حاجة الفقيه ، وحاجة القاضي ، وحاجة كل ذى مهنة يرى انه هانىء فى مهنته راض بها . انه الرضي الكاذب .

فلهؤلاء ايضا الجامعات المفتوحة : جامعات الهواء .

الجامعة المفتوحة فى بريطانيا

انها اول جامعة من هذا النوع ،

افتتحوها فى الاول من يناير عام ١٩٧١ ، لتمتد سنتها الاولى الى آخر العام الميلادي . فسنتها غير السنة المكتبية العادية . وقامت الحكومة البريطانية بانشائها ، ومهدت لذلك بتكوين لجنة من اكبر رجال الجامعات البريطانية وذوى الخبرة فى التعليم العالي لتبحث فى هذه الجامعة ، وتخطط لها ، وترسم لها سبل العمل الاولى . واجتمعت اللجنة فى اكتوبر عام ١٩٦٧ ، وقدمت تقريرها الى وزير التعليم والعلوم

وقد اعتمدت اللجنةفى تحبيذها اقامة الجامعة المفتوحة ، فيما اعتمدت ، على مبداين عامين اساسيين :

اولهما : فساد الراى القديم الشائع فى دوائر التعليم الذى يقول بانه ليس كل الشباب مؤهلا بمواهبه للتعليم العالي ، وان فى الجامعات لقائمة ما يكفى لاستيعاب الكفايات المؤهلة لذلك . وقد اتخذ اصحاب هذا الراى من كثرة السقوط بين الطلبة حجة على ما ادعوا من تخلف فى المواهب . والحقيقة ان سقوط الطلاب وتخلف الكثيرين من التمام يرجع اكثره الى ظروف عائلية ، واخرى اقتصادية ، واخرى اجتماعية وسياسة ، هي التى اعجزت الكثير من هؤلاء الشبان عن اللحاق . ورات اللجنة بناء على ذلك ، انه من الظلم ان يؤخذ الشباب بعجز ليسوا هم صانعوه ، وانه ظلم للأفراد وللمجتمع على حد سواء ، وانه قد اصبح من حق المواطن الفرد لا ان يتعلم فحسب ، بل من حقه ان ياخذ من التعليم العالي اكبر نصيب .

اما المبدا العام الثاني الذى اعتمدت عليه اللجنة ، فيتصل بان هذا العصر الحديث عصر العلم والتكنية ، وعصر التخطيط والانتاج ، وعصر المنافسات الشاقة بين الامم ، وكل هذا لا يتفق الا والعمال جميعا، فى اوطأ الدرجات وأعاليها فاهمون ما يصنعون ، مدركون لمشاكل هذه الحياة الجديدة المعقدة ، غير مخدوعين بالذى ينصب فيهما من شباك ،

وهو فهم ، وهو ادراك ، وهي يقظة لا تبنى على دعاية او تحريك عاطفة ، ولكن تبنى على العلم والمعرفة التى تمتد حتى تصل الى اقصى ما يمكن من حدود .

المراسلة هي الأساس فى سبيل هذا التعليم الحديث

واتخذت اللجنة التعليم بالمراسلة اساسا للجامعة المفتوحة .

ان اساس التعليم فى الجامعات العادية، جامعات الأرض ، انما هو المحاضرات . يلقى الاستاذ الدرس ، ويستمع له فى القاعة العدد العديد ، وكثيرا ما يبلغ فى هذه الايام المائة والمئات ، وينقل الطالب فى مذكراته اكثر ما يسمع ، ويعود آخر النهار الى الكتب يستعين بها على زيادة ايضاح واستدراك ما فات .

فالتتلمذ للجامعة يقتضى التفرغ لها . ويقتضى الانتقال اليها ، والانتقال كل يوم . اما التفرغ فكثير من الناس لا يستطيع التفرغ ، وانما يستطيع ان يجمع بين التتلمذ وكسب الرزق . واما الانتقال فيصعب على الكثير ، وهو ذو كلفة . وقد يتعسر او يتعذر على الطالب البعيد فى البلد النائي .

ومن اجل هذا ، وغير هذا ، قام

التجهيز للشيخوخة لا يمكن الا والشباب قائم .



التعليم بالمراسلة . وهي محاضرات مكتوبة ، تعززها الكتب ، وهي كتب مكتوبة خاصة بها لتناسقها . وفي هذا الاتصال البريدي ، ذي الاتجاهين : رائحه والغادي ، يحس الطالب بانه بعض من كل ، وانه واحد من آلاف تضمهم هذه الجامعة الام . ويكتب الى اساتذته في الجامعة ، وهي تصحح ما كتب فيزداد بذلك الاتصال قرباً .

والتعليم بالاذاعة مرئية وغير مرئية

وكما يقوم البريد في بريطانيا بمعونة التعليم ، فكذلك تقوم الاذاعة بنوعيها ، الراديو والتلفاز .

والاذاعة تكون في فترات يأوي فيها كل انسان عادة الى بيته . وهي ، كالتعليم بالمراسلة ، تنتقل اليه ولا تكلفه الانتقال اليها . وهي كثيرا ما تكون افضل من المحاضرات وانفع. فالمحاضرون الاذاعيون يختارون من اكثر رجال التعليم كفاية ، أداء وعلما . وهم قلة في الرجال ، وليس لكل الجامعات الى امثالهم سبيل ويحاضرون وينتفع بمحاضراتهم من السامعين والمشاهدين الآلاف الكثيرون ، لا المائة ولا المئات كما هي الحال في حجرات المحاضرات بالجامعات . والسامعون والمشاهدون اشتات على البلاد موزعون. وفي التلفاز خاصة ، يعين المحاضر وسائل من الايضاح ، في العلم والتكنية ، وفي الزراعة ، والتاريخ وحتى الآداب ، لا تتيسر مطلقا لاية جامعة من جامعات الارض الا بنفقات كبيرة ولفائدة عدد قليل.

ومحاضرات الاذاعة بصنفيها تؤلف ، مع مراسلات البلاد ، وحدات في البرامج الدراسية كاملة .

ومحاضرات اقليمية ولقاءات ومناقشات ومختبرات

ويدعم البريد ، ويدعم الاذاعة ، محاضرات اضافية تقوم بها هيئات محلية تعليمية تابعة للجامعة الهوائية . ومثلها لقاءات مرسومة لمدارسات ومناقشات تزيد الصلة بين الجامعة وطلابها وثاقة. الى جانب مختبرات تحتاجها فروع العلم المختلفة ، او لعلها المهن ، او لعلها الحرف والتكنية .

انها وسائل للتعليم عدة، تجمع بعضها الى بعض ، فتتألف منها وحدة كاملة . وهي انما شكلت بحيث تتألف منها هذه الوحدة الكاملة المتكاملة .

وهي تحتاج الى هيئة ادارية كبيرة ، والى خبرة واسعة .

ولكن اكثر هذه الخبرة سبق ان اكتسبها رجال في وجوه من الحياة شتى، ولو لغير هذه الاهداف .

ففي انجلترا مثلا بلغت هيئتها الاذاعية ، بل هيئتاها ، درجة من الكفاية في شتى الشئون عالية . وهي التي تقوم بالاذاعة للجامعة المفتوحة، هذه الجديدة، وفقا لبرامجها وتوجيهاتها . ولقد شاهدت برنامجا لها ، تلفازيا، كان روعة، لا تدانيه ـ من حيث قوة وسائل الايضاح ـ محاضرات الجامعات .

وفي المراسلة بالبريد ـ وحدها ـ وعلى انفصال ، لبريطانيا خبرة بها واسعة . ففيها نحو ٥٠ أو ٦٠ كلية تعمل بالمراسلة . في حدود ضيقة نعم . ولكن بها الخبرة كاملة . ولهذه الكليات نحو نصف مليون طالب مسجل بها .

التعليم بالمراسلة في روسيا

والتعليم بالمراسلة خبرة في الامم قديمة .

والروس يستخدمونه وسيلة اساسية لتوسيع دائرة التعليم الجامعي في بلادهم ، حتى لقد اصبح نحو نصف طلابها، الذين يطلبون التعليم العالي ، انما يمارسونه بالمراسلة تحت اشراف مؤسسات لهذا التعليم اقليمية .

وفي اليابان

وفي اليابان استخدموا التعليم بالمراسلة ليتغلبوا على مشكلة اقطارها النائية ،

والمجتمعات المنعزلة فى الجبال ، واستخدموه فى شتى درجات التعليم . وقامت الهيئات الاذاعية تجمع بين الاذاعة والمراسلة ، تهدف الى اولئك الشبان الذين تركوا التعليم عند نهايته الالزامية فى نحو سن الخامسة عشرة فلم يتح لهم اكمال الدراسة الثانوية . وهى اعطتهم ، الى جانب المراسلة ، ٣٥ ساعة اذاعة فى فروع الدراسة الثانوية كل اسبوع . وجلس منهم الى امتحان من جلس ، ونجح فيه الكثيرون . وتأهلوا بذلك الى ما بعده .

وفى استراليا

وفى استراليا، انشأت جامعة « سوث ويلز الجديدة New South Wales University بمدينة سدنى Sydney ، جامعة اسمتها الجامعة الاذاعية Radio University ، وقد كانت قبل انشاء هذه الجامعة مارست التعليم بالمراسلة . ولكنها خصت هذه الجامعة الاذاعية بالتعليم لما هو فوق الدرجة الجامعية Postgraduate Work . ومن ذلك برامج تؤدى الى نيل دبلوم فوق البكلوريوس فى الهندسة الصناعية ، وهى برامج تعطى بالاذاعة وبالتلفاز ، يعززهما مجالس للمدارسة تعقد ، وتجارب تجرى فى مختبرات الجامعة ، الى جانب ما يرسل الى الطالب من مذكرات مطبوعة .

وتتضمن هذه الجامعة الاذاعية مناهج دراسية هدفها تجديد معلومات المدرسين والاطباء والمهندسين ، تلك التى من شأنها ان تقدم على السنين .

وبسبب اتساع القارة الاسترالية الهائل، وتباعد ارجائها ، قضت الضرورة بتسجيل هذه البرامج والمناهج فى اشرطة تنقل الى الاطراف البعيدة من البلاد حيث الناس فى معزل عن مصادر العلم الكبرى .

وفى امم اخرى

وفى امم اخرى كثيرة . فى نيوزيلندة ، وفى بولندة ، وفى الولايات المتحدة ، وفى فرنسا ، وفى السربون خاصة ، الى غير هذه ، قفز التعليم الجامعى ، وحتى غير الجامعى ، الى السماء ، الى الهواء ، الى ما فوق سطح الأرض من اجواء ، لأنه وجد فيها مكانا أرحب ، ومسارح اوسع ، وحاجات للناس شتى على اختلاف عيش واختلاف مطالب حياة . والى جانب الاتساع والرحابة ، وجد السرعة فى الاداء ، والرخص فى النفقة ، فالمحاضرة فى القاعة ان سمعها المائة والمائتان ، سمعها على الموجات الاذاعية الالوف والملايين . وسمعوها اكثر دسما ، وأملأ واشبع ، بالذى يعززها فى البريد من مراسلات ، وما يدار فى القاعات الاقليمية من مناقشات ، وما قد يصل الطالب بالمعارف الفنية عند الحاجة فى المختبرات .

واين العرب من كل هذا ؟

ان العرب من كل هذا فى الصميم .

انها التربية . وانها تربية الشعب كله ، فى عصر لا يمكن ان يتخلف فيه بعض الشعب ويتقدم بعض . وفى عصر امتلأ بالتناقض الفكرى من كل جانب ، تناقض

وروسيا ، نصف طلابها ، الذين يطلبون التعليم العالى ، انما يمارسونه بالمراسلة .



عقائدي ، تناقض اجتماعي ، تناقض اقتصادي ، تناقض طريف وتالد ، لا تسلم أمة منه ، ولا تسلم من فرقة بسببه ، الا بالتعليم ، الا بالتنور . ولا يكفي التنور المتواضع في شيء من هذا . انه التنور الرفيع العالي الذي يرتفع بالعقول الى اعلى حقائق الحياة ، او ان شئت الذي يغوص في الاعماق الى ابعد حقائق الوجود غورا واخفاها .

وسيقول قوم كيف تأذن للتعليم العالي ان يمتد هكذا ، واكثر العرب اميون . وهذا حق . وكان المنطق يقضي بأن نزيل الأمية قبل ان نرتفع بالتعليم ونمدّده . ولكن اعداء العرب قائمون من حولهم كالسباع لا يعطون الأمم التى اكثرها الخراف والنعاج ، فهى طعام لها طيب وفير ، لا يعطونها الزمن الكافي لتتطور وتحسن احوالها وتستأسد من بعد ذلك . لهذا وجب ان نعالج الأمة العربية من طرفيها ، الطرف الناهض لنملأه علما ولنزيده ولنتسع ، والطرف المتخلف لنرفع عنه اميته . طلائع ترتفع بأمتها وتصون وحدتها عن علم لا دجل فيه ولا خداع ، وتضرب عند الحدود تدفع الأعداء بآخر ما ابتدعه العلم من سلاح ، وطوائف في الجانب الآخر ، عددا كالنمل ، نعينها على الخروج من وحل الجهالة التى رطمها الزمان فيه .

وشيء آخر يجب ان يصحب انتشار التعليم العالي هذا النشر البعيد الرائع ، ذلك ان يفصل الرجل بين درجة رفيعة يحصلها وهو في سبيل العلم ، وبين سبيل أتيح له او يتاح لكسب الرزق ، كان هذا ما كان . لقد جرى انسان هذه الارض الى اليوم على تصنيف اعمال الانسان في حياته تصنيفا اصبح على الزمان جامدا جمود الحجر . فهذا عمل رفيع شريف ، وهذا عمل خسيس دنيء . ويجرى الزمان الحاضر بأن يغير من هذه القيم ان لم نقلبها رأسا على عقب . والتعليم العالي اذا انتشر هذا الانتشار الرائع المريع ، فسوف لا يترك احدا ، على القيم القديمة ، لا يرضى بأن يكون كنّاسا او زبّالا اذا اضطره الحال . والطراز الجديد من الزمان بدأ يقضي على هذه المعايير . فمن الكناسين من مرتبه فوق مرتب خريج الجامعة . والكناسة عندهم اصبحت مهنة تحوطها النظافة من كل جانب . ومن يدرى فقد يتخرج من بين الكناسين واضرابهم في القرون فيما بعد القرن العشرين ، الشعراء والفنانون . يقضي الرجل نهاره صباحا في الكنس ليكسب رزقه ، ويقضي امساءه والليل في كتابة القصة الرائعة او رصد الرفيع من النغم .

احلام ؟ نعم . وما حقائق اليوم الا احلام الامس ، ولو الامس البعيد .

ان جامعة الهواء ، الجامعة البريطانية المفتوحة التى تحدثنا عنها ، تزورها انت ، فتجد فيها اعلانا ، هو صورة حداد بمطرقته ، وقد كتب تحتها : هذا هو الحداد ولسن ، سيصبح بعد ٣ سنوات Wilson B.A ، اى ولسن حامل درجة بكلوريوس في الآداب .

ولا احسب ان هذه الدرجة ستجعل منه حدادا اكثر حدادة ، ولا امهر في حدادته كثيرا ، وهى لن تحوله عن حدادته الى سبيل للرزق غيرها ، فلا بد في الناس من حدادة ، وانما سوف تجعل منه انسانا اكثر عرفانا واوسع ادراكا ، واقدر على التفتح للحياة والاستمتاع بمتع العقل والقلب فيها ، ما كانت تتهيأ له وهو على الحديد والنار ، وفوق ذلك ، واخطر من ذلك انها سوف تجعل منه لأمته مواطنا صالحا .

انها لنا ، معاشر اهل الشرق ، احلام . ولكن ما ضرّنا ان نحلم ونحلم ونحلم ، فعسى الايام ان تحقق لنا حلما يكون واحدا بألف . والذى لا يحلم ابدا ، لا يصدق له حلم ولا يتحقق أمل .

وعلى الله التوفيق ،

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٥٢

تأرجحت الحلول بين الخطأ والصواب

■ تميزت مسابقة العدد ١٥٢ بأن مسئلتها كانت وسطا بين السهولة والصعوبة ، فالبعض منها لم يكن يحتاج الى كثير عناء ، اما البعض الآخر فكانت المراجع والموسوعات العلمية السبيل الوحيد للاجابة الصحيحة ، ونتيجة لذلك فان اجابات القراء تأرجحت بين الخطأ والصواب ، وان كانت كفة الاخطاء أرجح .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابةالصحيحة ، ثم أسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ــ الحِلْم سيد الاخلاق .

٢ ــ اسم كاتب مسرحية « يا طالع الشجرة » . توفيق الحكيم .

٣ ــ زوج السيدة فاطمة الزهراء : سيدنا علي بن ابي طالب ، وزوج السيدة رقية : سيدنا عثمان بن عفان .

٤ ــ نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ، هو صدر البيت ، وقائل هذا البيت : ابو تمام.

٥ ــ الاسفنج اصله حيواني .. اما الفلين فاصله نباتي .

٦ ــ قمة افرست اعلى جبل في آسيا ، اما الجبل الابيض « مون بلان » فهو اعلى قمة جبل في اوربا ، ويقع في سلسلة جبال الالب .

٧ ــ ولاية تكساس هي الولاية التى كانت تابعة للمكسيك ثم انضمت الى حكومة واشنطن .

٨ ــ دورة ١٩٦٨ اقيمت في المكسيك ودورة ١٩٦٤ اقيمت في اليابان .

٩ ــ اشتهر ماركوني باختراع الاتصال اللاسلكي (الراديو) .

الفائزون بالمسابقة

■ الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :محمد جمال مصطفى / بغداد / العراق .

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بهاسميح محمود السفاريني / الزرقاء / الاردن .

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :جعفر محمد مكي / البحرين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ عثمان محمد القاضي / عنيزة / السعودية

٢ ــ محمد سعيد رشدان / الكويت

٣ ــ عائدة عرفان / حلب / سوريا

٤ ــ جميلة ضافر / بنت جبيل / لبنان

٥ ــ عياد موسى العوامى / طرابلس / ليبيا

٦ ــ حسين منجود ابراهيم / القاهرة / ج٠ع٠م

٧ ــ مصطفى عوف محمد / الخرطوم / السودان

٨ ــ نبيل موسى عوض / اليونان

المجتهد

والعلوم التي يجب عليه تحصيلها

بقلم : بدر المتولى عبد الباسط

عميد كلية الشريعة بالازهر سابقا والاستاذ بجامعة الكويت

■ عرفنا انه يشترط لصحة الاجتهاد ــ كماقال حجةالاسلام الغزالى ــ ان يكونالمجتهد محيطا بمدارك الشرع ، متمكنا من استثارة الظن بالنظرفيها (اى تحصيل ظن راجح عند النظر في ادلة الشرع) وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجبتأخيره .

وعرفنا ان مدارك الاحكام ــ هي ــ ادلتها ، وانها ترجع الى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ــ كادلة اصيلة ــ وهناك ادلة اخرى تبعئية اهمها ــ كما قلنا ــ العرف والاستصلاح ، وهو معرفة المصالح ، كما عرّفنا الحد الادنى مما يجب معرفته من هذه الادلة ، ولكن كيفية الانتفاع بهذه الادلة تحتاج الى ادوات لايستطيع الفقيه بدونها ان يبلغ درجة الاجتهاد ، وبدون هذه الادوات لا يكون الفقيه ــ حقا ــ فقيها بالمعنى الصحيح بل هو جامع للفقه عن غيره ومقلد له .

والاجتهاد مرتبة لايبلغها كل انسان ، بل من جمع ادواته واحسن استعمال تلك الادوات ، كأى فنان لا يبلغ درجة الاجادة في فنه الا اذا توفرت لديه ادواته واجاد استغلالها .

واولُ مدرَك من مدارك الاحكام الشرعية القرآن الكريم ، ثم السنة النبوية الشريفة .

واستنباط الاحكام منهما يتطلب .

اولا : معرفة باللغة العربية واساليبها معرفة تمكنه من فهم النص فهما صحيحا بكل انواع الدلالات التي يتضمنها النصعبارة واشارة ونصا ، وهو ما يعرف عند العلماء بالفحوى ، وكذا ما يدل عليه النص اقتضاء .

وليس من الضرورى ان يعرف هذه المصطلحات، فانها مصطلحات مستحدَثة ، ولكن المهم ان يعرف مدلولها .

كما يجب ان يميز بين العام والخاص ، والمطلق والمقيد ،والصريح وغير الصريح، والظاهر والخفي، والمتشابه والمحكم ، ليستطيع ان يحمل النص على ما يجب ان يحمل عليه من المعانى ، وان يتجنب التاويلات الفاسدة التى تجافي العرف اللغوى والعرف الشرعى .

وكما قلت ــ آنفا ــ لا يجب ان يعرف هذه المصطلحات ولكن يجب ان يكون خبيرا بمدلولاتها .

واشتراط معرفة اللغة العربية امر بدهى ، لايحتاج الى دليل او برهان ، ضرورة ان المصدرين الرئيسيين للاحكام هما الكتاب والسنة وهما عربيان .

وترجمة معانى القرآن الكريم والسنة ــ مهما

كانت دقيقة – لاتغنى الفقيه المجتهد عن معرفة اللغة العربية ، لان الترجمة تعبير عما فهمه المترجم من النص الاصلى ، وليست فهما للمجتهد نفسه للنص ، فيكون الفقيه – حينئذ – مقلدا للمترجم لا مجتهدا .

نعم الترجمة الصحيحة لمعاني القرآن والسنة تصلح مصدرا للثقافة العامة وتنويرا لاذهان غير العرب بما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية من معان سامية ومبادىء كريمة .

الى اى مدى يجب على المجتهد معرفة اللغة العربية ؟

ان تحديد المستوى الادنى لما يجب ان يصل اليه المجتهد لمعرفة اللغة العربية مشكلة ، ذلك ان الصحابة – رضوان الله عليهم – كان جلهم من العرب الخلّص ، بل ان القلة غير العربية كانوا مستعربين لانهم نشأوا في بيئة عربية خالصة ، ومع هذا فان قلة قليلة جدا – هم – الذين كانوا مجتهدين ، فـان المعروفين بكثرة الفتيا منهم لايتجاوزون العشرة الا قليلا ، واما المتوسطون فهم لايبلغون الاربعين ، المقلون لايتجاوزن المائة الا قليلا ، بينما الذين عرفوا من الصحابة ودخلوا في سجل التاريخ قد بلغوا مائة الف او يزيدون .

من هذا يتبين لنا ان تحديد المستوى اللغوى للمجتهد من المشكلات .

ومن المؤكد – كذلك – ان الاجتهاد ليس فهما للنص من الكتاب والسنة فهما سطحيا ، فان الاجتهاد – كما علمنا – بذل الجهد والطاقة في استنباط الحكم من دليله ، فاذا كان الدليـل واضحا ففهم الحكم منه لا يسمى اجتهادا .

وليس من الضرورى ان يكون مستوى المجتهد في اللغة العربية كسيبويه في النحو والاصمعى في متن اللغة ومعرفة غريبها ، ولا كمستوى عبد القاهر الجرجانى او الزمخشرى فى البلاغة ، فان هؤلاء قد تخصصوا في هذه العلوم ، وايجاب ان يكون المجتهد مثلهم مجتمعين تكليف بما لايطاق وتعجيز لطالب الفقه ان يكون مجتهدا وسدّ لباب الاجتهاد مع حاجة الامة الى فتحه للقادرين عليه في حدود المعقول والطاقة البشرية .

اذا فما هو الحد الادنى من المستوى اللغـوى للمجتهد ؟

حظ المجتهد من النحو

ان ادنى ما يطلب من المجتهد – من النحو – ان يعرف وجوه الاعراب المختلفة للنص الذى ينظر فيه ، فان بين الاعراب والمعنى صلة وثيقة ، فان المعنى على اعتبار اللفظ فاعلا غيرُ المعنى على اعتباره مفعولا ، كما ان المعنى يتغير تغيرا كليا اذا كانت الواو في نص من النصوص واو حال عما اذا كانت واو عطف ، انظر الى قوله – تعالى : «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق» فان المعنى على اعتبار الواو – في هذه الآية – واو حال النهى عن اكل متروك التسمية اذا كان الترك فسقا ، وهو لا يكون فسقا الا اذا ذكر اسم غير اسم الله ، وبهذا اخذ بعض الائمة كالشافعي – رضى الله عنه .

واما اذا اعتبرنا الواو للعطف فان النهى عن اكل متروك التسمية يكون نهيا مطلقا غير مقيد بكونه قد ذكر غير اسم الله عليه ، ويكون قوله – تعالى – « وانه لفسق » (١) اخبار ان ترك التسمية – في حد ذاته – فسق .

واذا كان متروك التسمية – سهوا – حلالا فذلك الحل ثابت بدليل آخر ، فانت ترى ان لوجوه الاعراب المختلفة مدخلا هاما في اختلاف المعانى المترتب عليه اختلاف الاحكام .

ومثال آخر يوضح لك اثر اختلاف الاعراب في اختلاف الاحكام قوله – تعالى – في آية الطهارة وهي قوله – تعالى – « يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » (٢) فـان نصب « ارجلكم » يرجـح العطف عـلى « وجوهكم » .

وعليه تكون وظيفة الرجل في الوضوء – هي – الغسل لا المسح ، وهذا ما ذهب اليه جمهور الفقهاء سلفا وخلفا ، واما جرُّ هذا اللفظ فانه يرجح ان تكون وظيفة الرجل المسح عطفا عـلى رؤوسكم ، وهـذا ماذهب اليه الامامية وبعـض الفقهاء .

---

١ – سورة الانعام من الآية ١٢١

٢ – سورة المائدة من الآية ٦

والامثلة في ذلك كثيرة ، ولو ذهبتُ اعدد اثر اختلاف المعنى باختلاف الاعراب لطال البحث، ولخرجت عن المنهج الذى رسمته لهذا البحث .

هذا وانكار اثر الاعراب في فهم المعنى الصحيح مكابرة .

حظ المجتهد من متن اللغة

واما الحد الادنى لمعرفة المجتهد لمتن اللغة وغريبها فان يكون عالما بمدلولات الالفاظ والمعاني التى وضعها لها العرب حتى لا يفسر لفظا بمعنى لم يوضع له ، فان العلم باية لغة ليس جمعا لحشد من الفاظ تلك اللغة وانما معرفة ما يدل عليه كل لفظ من المعانى ، مع فهم التركيبات اللفظية في كل لغة .

واذا كان لفظ له اكثر من معنى في استعمال العرب فعليه ان ينظر هل هذه الاستعمالات كلها حقيقية فيكون اللفظ مشتركا او ان بعض هذه الاستعمالات حقيقى دون البعض ، فاذا كان اللفظ من القبيل الاول ـ وهو ما يسميه العلماء مشتركا ـ فعلى الفقيه ان ينظر ـ مستعينا بالقرائن والادلة الاخرى ـ اى المعانى اقرب فيحمل عليه ، وهنا تختلف الانظار كما في قوله ـ تعالى ـ « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء (١) » فان لفظ قروء جمع للفظ « قُرء » وقد وضعه العرب للحيض والطهر ، فقد حمله بعض المجتهدين على المعنى الاول ومنهم الخلفاء الاربعة الراشدون وابو موسى الاشعرى وابن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ من السلف ، ومن الائمة المجتهدين ابو حنيفة ـ رضى الله عنه .

وممن ذهب الى المعنى الثاني عائشة ام المؤمنين وابن عباس ـ فى بعض الروايات ، وتبعهم الشافعى ـ رضى الله عنهم جميعا .

هذا مثل سقته ليتبين لنا وجوب احاطة الفقيه المجتهد لمدلولات كل لفظ في النص الذى ينظر فيه ليستنبط الحكم الشرعي .

ويكفي المجتهد ـ الآن ـ ان يطلع على القواميس التى جمعت حشدا عظيما من الفاظ اللغة العربية كلسان العرب او القاموس المحيط او المصباح المنير ، بل يكفيه مراجعة اى كتاب جمع غريب القرآن ككتاب غريب القرآن للسجستاني او غريب الحديث لا بن الاثير ، فاني اعتقد انه لا يوجد لفظ يصعب فهمه من آيات او احاديث الاحكام تركتها كتب الغريب .

ولا بد ان يفرق بين المعاني الحقيقية للالفاظ او بعبارة اوضح المعاني الاصلية وبين المعاني المجازية، وهي المعاني غير الاساسية ، حتى لا يتورط فيحمل النص على المعنى المجازى مع امكان حمله على المعنى الحقيقى ويساعده في ذلك ان يرجع الى الكتب المتخصصة في هذا اللون من الوان علوم اللغة ككتاب اساس البلاغة للزمخشرى .

وليس الرجوع الى مثل هذه المراجع كالرجوع الى التراجم ، فان التراجم تعبر عما فهمه المترجم من النص بخلاف كتب اللغة فان المؤلفين ليس لهم الا حظ الجمع والتنسيق ، وهذا جهد ليس بالقليل او الهين .

حظ المجتهد من البلاغة

هذا وادنى ما يجب ان يبلغه المجتهد في البلاغة ان يدرك السر وراء عدول الشارع عن تعبير بتعبير ، فان المعنى يتغير بتغير التركيب اللفظى ، فليس المعنى مع التأكيد كالمعنى بدونه ، ولا مع التقديم كما لو كان مع التاخير ، وليس المعنى للجمل الاسمية كالمعنى للجمل الفعلية ، ومثل ذلك يقال في الجمل الاخبارية والجمل الانشائية ، والعدول عن الايجاز الى الاطناب او العكس ، كل ذلك لاسرار ومعان لايستغنى عنها الفقيه المجتهد .

وهذا يتطلب من المجتهد ذوقا عربيا ، وكان هذا يكفيه قديما ، ولكنه ـ الآن ـ يتطلب ـ مع الذوق ـ علما بصناعة البلغاء .

نعم ليس من الضرورى ان يعرف المصطلحات ، ولا ان يصل الى مستوى كبار علماء البلاغة ولكن يجب ان يعرف كل ما يتصل بالنص الذى يستنبط منه الحكم ، ولاضرب بعض الامثلة التى تبين لنا مدى حاجة الفقيه المجتهد الى معرفة البلاغة ذوقا وصناعة .

قوله ـ تعالى ـ « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف (٢) » فان المعنى الاولى للجملة الثانية من الآية وعلى الاب نفقة

---

١ ـ سورة البقرة من الآية ٢٢٨

٢ ـ سورة البقرة من الآية ٢٣٣

وكسوة الوالدات بما هو متعارف عليه في بيئتهن ، ولكن المجتهد يقف متأملا امام هذا التعبير لماذا عدل النص القرآني ـ وهو قمة البلاغة ـ عن التعبير بلفظ « الاب » ـ وهو احصر ـ الى التعبير بلفظ «المولود له » وهو اطول ،والاصل ان لا يعدل عن الايجاز الى الاطناب الا لحكمة وسر .

المجتهد لايترك ذلك يمر بيسر وسهولة او عدم اكتراث ، او يقول : ان ذلك من قبيل التفنن في التعبير ، بل يقف متأملا ، ويفهم ان هذا التعبير يشير الى معنى دقيق ، هو ان الولد ـ ذكرا او انثى ـ كانه مولود للاب ، فهو ينسب اليه ، ولا ينسب الى امه ، وعند النظر الى كفاءته ـ نسبا لاعتبارات يحتمها العرف ، فكفاءته ـ من هذه الزاوية ـ تقدر بنسب ابيه لا بنسب امه ، والاب ـ وحده ـ هو الذي يتحمل نفقة ولده .

ومثال آخر ، قوله ـ تعالى ـ في آية المحرمات من النساء : الآية ـ ٢٣ ـ من سورة النساء « وامهاتكم اللاتي ارضعنكم » كان مقتضي الظاهر ان يقول : ومرضعاتكم ، ولكنه عدل عن ذلك الى التعبير بثلاث كلمات .

والمجتهد لا يقف مكتوف اليدين امام هذا العدول ، بل يغوص ليستنبط احكاما عدة ، منها ان للمرضعة حقا كحق الام من الرعاية والتبجيل ، ومنها ان المرضعة حيث اكتسبت وصف الامومة ، فاختها خالة ، وامها جدة وزوجها اما اب او زوج ام وهكذا .

ويمكن ـ كذلك ـ ان يفهم انالمرضعة لا تكتسب وصف الامومة برضعة او رضعتين بل لا بد ان تكون قد ارضعته رضاعا تتأهل به ان تكون اما ، كما فهم ذلك بعض المجتهدين ـ سلفا وخلفا .

ومثال ثالث : قوله ـ تعالى ـ « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (١) فان ظاهر هذا النص انه اخبار منالله ـ تعالى ـ ان لا يجعل سلطانا لكافر على مسلم او لجماعة الكفار على جماعة المسلمين ، وكلا المعنيين غير مراد ـ قطعا ـ والا لزم الكذب في خبره ـ تعالى ـ فقد وجدت ولاية للكافرين على المسلمين كافراد او جماعة ، وانما الفقيه المجتهد يفهم من هذا النص ان هذا نهي من الله ـ تعالى ـ لجماعة المسلمين ان يمكنوا الكفار من رقابهم والتسلط عليهم باتخاذ جميع الوسائل التي تحول بينهم وبين التسلط عليهم .

١ ـ سورة النساء من الآية ١٤١ .

وسر العدول عن الجملة الانشائية وهي النهي الصريح الى الجملة الخبرية ان ولاية الكافرين على المؤمنين امر ينبغي ان لا يكون .

هذه امثلة تبين ـ لنا ـ حاجة المجتهد الى ان يكون له معرفة وخبرة وذوق بالبلاغة العربية .

هذا هو المستوى الادنى لمعرفة علوم اللغةالعربية لمن اراد ان يبلغ المستوى الادنى للاجتهاد ، ومن اراد الرقي في هذه المرتبة التي يطمح اليها كل فقيه فليزدد من التبحر في اللغة وادابها .

ومعرفة هذه العلوم امر مستحدث في الامة بعد ان فسد اللسان العربي وبعد ان اصبحت العربية الاصيلة صناعة ، يتعلمها النشء مع تعلم العلوم الاخرى . واما الصدر الاول فقد كانوا في غنى عنها لسلامة لسانهم من اللحن ، وجودة ذوقهم في فهم اللغة واسرارها ، ومع هذا فلم يكونوا ـ كلهم ـ فقهاء ، لان الفقه ـ كما سبق ـ يتطلب مع التعمق في اللغة ذوقا آخر ومعرفة بامور اخرى سنعلمها ـ فيما بعد ـ .

ولهذه المناسبة اقول : ان كل من ينظر في نص قرآني او حديث نبوي ، ويريد ان يفهمه فهما صحيحا او يفسره تفسيرا قريبا من الصحة يجبان يصل الى الحد الادنى من الثقافة فياللغة العربية، والا كان حاطب ليل يخطيء اكثر مما يصيب ، ويكون في تفسيره لكتاب الله او سنة رسول الله متبعا للهوى جريئا على الله ورسوله .

حظ المجتهد من علم ما يقبل من الاحاديث وما لا يقبل

وثانيا : علم بما يقبل من الاحاديث وما لا يقبل، وما يقدم منها في الاستدلال وما يؤخر وذلك ان السنة لم تدون ـ بصورة جماعية ـ الا في مطلع القرن الثاني من الهجرة ايام حكم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وكانت قبله ـ يعتمد على نقلها بالمشافهة ، وعلى حفظها بالاستظهار القلبي ، لان السلف ـ رضي الله عنهم ـ خشوا ان تختلط السنة بالكتاب ، فلم يدونوا ـ في الجملة ـ الا القرآن الكريم ، واكتفوا في السنة بالحفظ والنقل الشفاهي ، ولما نجمت الفتنة في الامة في اواخر عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ودخل في الدين قوم لاحظ عندهم للايمان ، وانما دخلوه رغبة او رهبة مع اصرارهم على الكيد لهذا الدينحاولوا الكيد له بتحريف القرآن الكريم فلم يستطيعوا فسلكوا دربا آخر وهو الكذب على رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ ومنهم من حاول ان ينصر مذهبه السياسي او رأيه الفقهي ، فافتعل احاديث مكذوبة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأى عمر بن عبد العزيز ذلك ، وخشي ان يطول المدى على الناس ويبتعد العهد بين المسلمين وبين نبيهم ، فيصعب معرفة ما صح عنه وما لم يصح فاذن ـ بعد تردد ومشاورة ـ في تدوين السنة ، فشمر العلماء عن سواعد الجد في جمع هذه الاخبار ، وتنقيتها مما علق بها من شوائب ، ولما كان العهد قريبا تتبعوا الرواة واحدا واحدا ، وبينوا مراتبهم من العدالة والضبط فكانت الاحاديث على مستويات مختلفة من حيث القبول والرفض.

والحق الذى يجب ان يسجل بمداد الفخر ان لعلماء الحديث ـ على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم ـ دينا في عنق كل مسلم الى يوم القيامة ، فان الجهد الذى بذلوه لمعرفة ما زيف على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جهد لم تعرفه امة من الامم لتوثيق ما نقل عن انبيائها او عظمائها ، ونظرة واحدة الى كتب الرجال او ترجيح حديث على حديث تبين لك مدى الجهد الذى بذله هؤلاء العلماء في هذا المضمار .

ولقد كان المجتهدون في القرنين الاولين يسهل عليهم ان يتفردوا بمعرفة الاحاديث الصحيحة وغير الصحيحة وان يرجحوا حديثا على حديث عند التعارض لمعرفتهم بالرجال ، واما ـ الآن ـ فان معرفة ذلك ـ لطول العهد ـ تعتبر عسيرة ، بل في حكم المستحيل ـ عادة ـ ولهذا فانه يكفي الفقيه المجتهد ـ في عصرنا هـذا ـ ان يعتمد على كتب الصحاح التى تلقتها الامة بالقبول .

والحد الادنى لمعرفة ذلك ان يرجع الى مظان الحديث عن كتب احاديث الاحكام ، كنيل الاوطار للشوكاني ، ونيل المرام للصنعاني ، ونصب الراية للزيلعي ، وسنن ابى داود وسنن البيهقي ، وغير ذلك من كتب السنة الصحيحة التى تخصصت في نقل احاديث الاحكام ، ويدخل في هذا الباب كتاب المحلى لابن حزم . ويعجبني في الترجيح ـ في مثل هذه الاحوال ـ الكتب الآتية : المغنى لابن قدامة الحنبلي ، وفتح القدير للكمال بن الهمام الحنفي ، والمجموع لمحيى الدين النووي الشافعي ، ولا اقول ذلك على سبيل الحصر ، ولكن لتنوير الاذهان وتيسير الامر على من اراده .

والمشكلة في هذا الموضوع ـ هو ـ ترجيح خبر على خبر ، فان العلماء في هذا المضمار قد اختلفوا اختلافا كبيرا ، وغرض كل منهم ـ هو ـ ترجيح ظن على ظن بالطريقة العلمية ، ولكل عالم طريقته ، ومن اراد ان يستثير في هذا الموضوع فليرجع الى مباحث الترجيح في كتب اصول الفقه ، فانه سيرى العجب العاجب من هؤلاء العلماء ، ومدى اخلاصهم لهذا الدين ، ويرى انهم لم يبنوا اجتهادهم على الاهواء والاغراض .

ولم يحكمـوا ـ اولا ـ ثم يضعون القـواعد ـ ثانيا ـ بل كانوا امناء مع انفسهم ومع امتهم

حظ المجتهد من علم مواطن الاجماع

ثالثا : ان يعرف المجتهد مواطن الاجماع ، حتى لا يخرج عليه .

والحد الادنى في ذلك ان يبحث في المسألة التى ينظر فيها ، افيها اجماع ، فان كان فيها اجماع فلينظر في طريق نقل هذا الاجماع ، اهو التواتر ام خبر احاد ، وان كان الاجماع ثابتا بطريق يقيني اهو اجماع صريح ام سكوتي .

فان كان الاجماع نقل بطريق اخبار الاحاد او كان اجماعا سكوتيا وسعه ان يجتهد فيه بالاسلوب العلمي ، والا امسك لانه ـ حينئذ ـ يكون دليلا قطعيا ، ولا اجتهاد في مقابلة الدليل القطعي .

حظ المجتهد من معرفة انواع العلل المناسبة للحكم الشرعي

رابعا : ان يعرف انواع العلل المناسبة للحكم الشرعي اذا كان ممن يرى جواز الاعتماد على القياس عند عدم النص . كما هو رأى جمهور الائمة مع اختلاف في بعض التفصيلات .

واما ان اداه اجتهاده الى عدم الاعتماد علـى القياس ـ جملة وتفصيلا ـ فلا حاجة له الى معرفة انواع العلل مناسبة او غير مناسبة .

والقدر الذى يحتاجه المجتهد ـ كحد ادنى ـ من انواع العلل ان ينظر الى نوع العلة التى يرى بناء الحكم الشرعي عليها ، اهي علـة اعتبرها الشارع أم الغاها ام سكت عنها ، فان كانت من النوع الاول وسعه ان يدير الحكم عليها ، متى لم يجد نصا في المسألة ، وان كانت من النوع الثاني لم يسعه ان يبنى عليها حكما ، وان كانت من النوع الثالث فهي محل للاخذ والرد .

والرأى ـ عندي ـ ان لا يستقل برأيه ، بل

يشرك معه اهل الاختصاص في تحديد النفع والضرر، فان غلب الخير على الشر اخذ بها ، والا الغاها ، وليحذر الاغترار برأيه - منفردا - في هذه الحال، فان الانسان مجبول على ان لا يرى جانب الشر فيما احب ولا جانب الخير فيما يكره ، والاهواء تجرى من الانسان مجرى الدم ، وليكن اهل الاختصاص - بقدر الامكان - من الثقاة العدول او مستورى الحال على اقل تقدير ، حتى لا يكونوا متهمين في دينهم ، كما يجب ان لا يكونوا تحت سلطان تهديد او اغراء ، بل تطلق لهم الحرية في عرض آرائهم وبيان وجهة نظرهم ، ثم تاتى بعد ذلك مهمة المجتهد وهى المقارنة الصحيحة على هدى من قواعد الشريعة العامة .

العرف والاستصلاح

واما الحد الادنى لما يجب ان يعرفه المجتهد عن العرف او عن الاستصلاح فقد تحدثت عنه في مقال سابق بما اعتقد انه كاف لمستوى هذا البحث .

علم أصول الفقه وعلم الخلاف

هذا وقد عد العلماء من العلوم التى يجب ان يتقنها علم اصول الفقه ، وعلم الخلاف الذى تطور فيما بعد الى ما يعرف « بالفقه المقارن » . وذهب البعض الى عدم وجوب العلم بهما .

وقبل ان ابدى رأيي في الموضوع احب ان اعطى للقارىء صورة مجملة عن كل من هذين العلمين .

فاما علم اصول الفقه فهو علم بالقواعد التى يجب ان يلتزمها المجتهد في استنباط الاحكام حتى يكون استنباطه صحيحا ، وهذا العلم مستحدث في الامة الاسلامية ، فان المجتهدين القدامى كانت لهم قواعد ملتزمة في استنباط الاحكام ، ولكنها لم تكن مدونة ، الى ان جاء الامام الشافعى - رضي الله عنه - فدون رسالته المشهورة فكانت اول كتاب دون في هذا العلم ، والامام الشافعى ولد في سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مطلع القرن الثالث الهجرى .

ولا يعنينا ما يزعمه بعض المؤرخين من ان الشافعى مسبوق في هذا المضمار ، فان الواقع - الآن - ان اقدم ما الف في هذا العلم - هى - رسالة الشافعى.

واما علم الخلاف فهو - كذلك - مستحدث في الدين ، وهو علم يعرض لآراء المخالفين لرأى امام معين فينقضها ، ويكافح المؤلف عن رأى امامه. وهذا العلم املته العصبية المذهبية ، ولكنه مع تطور الزمن كان نواة طيبة للفقه المقارن .

والفرق بينهما ان علم الخلاف يعنى اول ما يعنى بنصرة مذهب معين ، مهما كانت وجهة نظر صاحب هذا المذهب .

واما الفقه المقارن فانه يعرض آراء كل مذهب بدقة وامانة ، كما يعرض وجهة نظر كل مذهب مستقاة من امهات مراجع كل مذهب ، ثم يقارن المؤلف بين هذه الآراء ويتخير رايا يترجح - عنده - دليله .

هذه صورة مجملة لهذين العلمين ، وللفقه المقارن والذين انكروا وجوب معرفة المجتهد لهذه العلوم بنوا رأيهم على ان هذه علوم مستحدثة ، وان المجتهدين القدامى ما كان لهم بها من معرفة ، وبعبارة اوضح ان العلم بها ليس شرطا لصحة الاجتهاد .

والذين رأوا وجوب معرفتها بنوا رأيهم على ان تصور مجتهد جاهل بهذه العلوم غير معقول .

وبعبارة اوضح ان معرفة هذه العلوم شرط لتحقق صفة الاجتهاد لا لصحة الاجتهاد .

فمن هذا يتبين لنا - ان النفى والاثبات لم يلتقيا عند رأى واحد ، ولكل من الرايين وجاهته وان وجود مجتهد - الآن - يجهل هذه العلوم غير متصور ، فان ملكة الاجتهاد لا تحصل عند الانسان الا بالممارسة والاطلاع على آراء الآخرين ، وهذا مشاهد في كل فن او صناعة او علم ، اذ لا يتصور مهندس لم يطلع على اعمال السابقين من المهندسين ، ولا طبيب لم يعرف منهج غيره من الاطباء ، وقل مثل هذا في كل شيء .

واما السابقون الاولون فقد اعفوا من ذلك لقرب عهدهم من صاحب الشرع -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك فان المجتهدين من التابعين انتفعوا بفقه الصحابة، وتابعو التابعين انتفعوا بفقه الصحابة والتابعين .

فلا شك ان هذه العلوم ضرورية لتربية ملكات الاستنباط عند من يريد ان يبلغ مرتبة الاجتهاد تلك المرتبة التى يرنو اليها المخلصون من العلماء، ويحاولون الوصول اليها بتحصيل ادواتها .

وهى - مع الاسف - مرتبة يدعى الوصول اليها كل دَعيّ لا حظّ له من العلم الا الدعاوى الكاذبة.

« فاما الزبد فيذهب جفاء، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ■■

بدر المتولي عبد الباسط

الانتظار

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

« انتظر ، فلم يحن الميعاد بعد » !.. « لقد طال انتظارى ، ولكنها لم تحضر » ! .. قل لي بربك ، ماذا تنتظر من مثل هذا الشاب ؟ » .. « واأسفاه ، انه لم يعد ينتظر شيئا من الحياة » ! .. الخ . كل تلك – وغيرها كثير – عبارات مالوفة تجرى على ألسنة الناس اجمعين ! انهم يقضون جانبا غير قليل من حياتهم فى الانتظار : فان مجرد كونك تعيش انما يعنى انك تنتظر شيئا من المستقبل ! والانتظار صورة من صور الانتباه الموجه نحو المستقبل . والحق أن الزمان ليس نسيجا مصنوعا من قبل ، بل نحن الذين ننسجه بايدينا ، أو – على الأقل – نحن نسهم بدور كبير فى صناعته ! .

وهناك صورتان مختلفتان للانتظار : فهناك الانتظار الصبور المتاني ، وهناك الانتظار المتلهف المتعجل . والأول منهما انتظار هادىء طويل الباع ، يعرف كيف يخضع لقانون التعاقب ، ويدرك أهمية التدرج عبر بعض المراحل ، فهو يرفض التحقق السريع المباشر ، ويثور على مبدأ الطفرة او الوثبة الخاطفة . ومثل هذا الانتظار – بطبيعته – انتظار واقعي يستند الى روح الشجاعة : لأنه يكره الأشياء الفجة التي تجيء قبل اوانها ، ويابى أن يجتني الفاكهة الخضراء التي لم تنضج بعد !

وأما الثانى منهما فهو ذلك الانتظار المتلهف المتعجل، وهو انتظار يريد دائما ان يتخطى المراحل المتوسطة ، ويابى الا أن « يحرق المحطات » كما نقول بلغتنا العامية ! انه انتظار شقي لا يكاد يكف عن التحسر ، فهو يقول لنفسه باستمرار : « واأسفاه ! ليس هذا بعد ما انتظره » ! انه انتظار يفرغ الحاضر من مضمونه ، وينتزع منه كل مذاقه ، دون أن يفطن الى انه بذلك يلقي حاضره لحساب مستقبله ! ولكنه في الوقت نفسه انتظار خامل خامد ، لا ينطوى على اي شكل من اشكال

ضريبة.. يفرضها.. علينا.. الزمان

النشاط ، لأنه انتظار كسول يرفض قانون الزمان ، وينسى أو يتناسى أن الأشياء الجميلة في هذه الحياة الدنيا تحتاج دائما الى فترة طويلة من النضج أو الاختمار ! ومثل هذا الانتظار يريد دائما أن يظفر الى النهاية السعيدة ، دون أن يمهد لها بالشروط الضرورية لظهورها ، وكأنما هو يزدرى الوسائل أو الوسائط ، أو كأنما هو يتوقع لهذه النهاية أن تتحقق بفعل قوة سحرية مجهولة ! .

وليس من شك في أن « الانتظار » قلما يخلو من الم أو عذاب : فان الصبر الذى يتطلبه هذا الفعل النفساني الشاق لا بد من أن يفرض على صاحبه قدرا غير قليل من مجاهدة الذات ! ان الانسان الذى « ينتظر » يضيق ذرعا بالحاضر ، ويتحرق شوقا الى المستقبل ، ولكنه في الوقت نفسه يعلم أن الحاضر لا بد أن يستغرق وقتا ، وان المستقبل لا بد من أن يحين في موعده ! ومعنى هذا انه لا بد لرقصة الحياة من أن تتناغم مع ذبذبات موسيقى الأشياء . ان كل شيء ــ في هذه الحياة ــ لا بد من ان يجيء في أوانه . وأنت حين تستقل القطار متوجها الى جهة ما من الجهات ، فلا بد لك من أن تملأ وقتك ــ اثناء فترة الانتظار ــ اما بالتطلع الى المناظر التي تقع عليها عيناك ، أو بمطالعة الصحف والمجلات ، الى أن يصل القطار ــ بعد فترة من الزمان طالت أو قصرت ــ الى المحطة التي تريدها ، وعندئذ تتحقق رغبتك ، ويتم تلاقيك مع الأشخاص الذين كانوا في انتظارك ! واذا كان من شأن الأطفال وبعض المرضى المقلقين الا يعرفوا « الانتظار » ، فما ذلك الا لأنهم عاجزون عن التناغم مع ايقاع الأحداث ، فهم يجيئون دائما قبل الميعاد أو بعده ، دون أن يكون في وسعهم الحضور في الوقت المناسب ! وهذا هو الحال أيضا بالنسبة الى أصحاب الحساسية الزائدة ، فانهم يجدون صعوبة كبرى في تحمل مرارة الانتظار ، نظرا لأن لديهم من رهافة الحس ما يحول بينهم وبين التأني أو الصبر . ولعل من هذا القبيل ما يروى عن الشاعر الفرنسي الفريد دى موسيه A. de musset حين كان طفلا ، من أن والدته اصطحبته يوما الى محل أحذية لتشترى له حذاء جديدا ، فما أن وضع البائع الحذاء الجديد على قدمي الطفل ، حتى صاح في والدته قائلا : « أسرعي يا أماه ، والا لأصبح الحذاء قديما ! » .

هل تكون الحياة البشرية سلسلة من « الانتظارات » ؟

... ولقد أرادت الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار ــ في كتابها المشهور « الجنس الثاني » ــ أن تصف لنا حياة المرأة ، فراحت تقول ان المرأة تعيش في هم مقيم ، وان حياتها سلسلة من الانتظارات اذ هي تنتظر الحب . وتنتظر الزواج ، وتنتظر ولادة الطفل ، وتنتظر من الرجل أسباب حياتها ومبررات وجودها . وليس من شك ــ عندنا ــ في أن ما تنسبه الفيلسوفة الفرنسية المعاصرة الى المرأة ــ وحدها دون سواها ــ يمثل في الحقيقة طابعا عاما للوجود البشرى : فاننا

جميعا ـ سواء أكنا رجالا أم نساء ـ نقضي الجانب الأكبر من حياتنا في الانتظار . وآية ذلك أن الطفل ينتظر ظهور أسنانه الجديدة ، وينتظر حلول العطلة الصيفية ، وينتظر معرفة نتيجة الامتحان الذى اداه ، وينتظر بلوغ سن الرشد ، وينتظر القيام بالرحلة التي وعده بها والده .. الخ . والشاب ينتظر الفراغ من الدراسة ، وينتظر الحصول على عمل ، وينتظر الاهتداء الى شريكة حياته ، وينتظر ولادة طفله الأول ، وينتظر الحصول على ترقية في عمله .. الخ . ونحن جميعا ننتظر طرد جيوش الأعداء من أراضينا وننتظر انتهاء فترة الحرب ، وننتظر عودة الرخاء بعد استقرار أسباب السلم ، وننتظر قيام العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص في مجتمعنا العربي الجديد .. الخ . وهكذا نرى ان سائر الأحداث الكبرى التي تقع لنا في حياتنا ، لا بد في العادة من أن تجيء مسبوقة بفترات (طويلة ام قصيرة) من الانتظار .. ولكن ، ماذا عسى أن يكون معنى الانتظار ؟ .

ان الانتظار ـ أولا وقبل كل شيء ـ دليل على انه ليس في وسع المرء أن يقنع بالحاضر ، بل هو لا بد من أن يمتد ببصره نحو المستقبل ، سواء اكان ذلك لخير يرجوه منه ، أم لشر يخشاه فيه . وليس من شك في أن موقف الانسان من المستقبل يحتمل الكثير من الاتجاهات الوجدانية ، ولكن بيت القصيد هنا انه لا بد لأحداث حياتنا من أن تبدو لنا مقترنةباحدىهاتينالعلامتين الحسابيتين : علامة الزائد (+) ، و علامة الناقص (ـ) . فالأمل يعني أنعلامة ناقص (ـ) يمكن أن تستحيل الى علامة (+) ، والخشية تعني ان علامة زائد (+) يمكن أن تتحول الى علامة ناقص (ـ) ، وهذا هو السبب في ان كل انتظار (سواء اتخذ طابع الأمل ام طابع الخوف) لا بد من أن يجيء مصبوغا بصبغة وجدانية . وقد كان الرواقيون يقيمون تفرقة واضحة بين الأشياء التي تتوقف علينا من جهة ، والأشياء التي لا تتوقف علينا من جهة اخرى . وكانت حجتهم في ذلك انه مهما يكن من حسن سير الأمور ، فانه لا بد من أن تواجه الذات فترة يكون عليها خلالها أن تقنع بالترقب والانتظار .ونحن نجد أنفسنا مضطرين الى الانتظار ، لأننا نعلم ان ثمة أشياء ليس لنا عليها يدان ! .

الانتظار ضريبة يفرضها علينا الزمان !

وقد وصف لنا برجسون ـ عند حديثه عن التعاقب في العالم المادى ـ هذه الظاهرة التي نحن بصددها فكتب يقول : « اذا كنت اريد أن أعد لنفسي كوبا من الماء المسكر ، فلا بد لي ـ سواء اردت أم لم أرد ـ أن انتظر ريثما يذوب السكر في الماء . وهذه الواقعة البسيطة مليئة بالدلالات . وذلك لأن الوقت الذى لا بد لي من أن انتظر خلاله ليس مجرد زمان رياضي ... بل هو زمان نفساني يتطابق مع حالة اللهفة الموجودة لدى . » (١) وواضح من هذه العبارة أن برجسون يقيم علاقة وثيقة بين الزمان الرياضي القائم على الساعات والدقائق ، والزمان النفساني القائم على الديمومة الباطنية الحية . والأمثلة كثيرة على ذلك : فان طبيب الاسنان الذى يريد أن يخلع ضرسا لا بد من أن يجد نفسه مضطرا الى الانتظار ريثما تأخذ عملية التخدير مجراها . والزعيم السياسي الذى يريد أن يقوم بثورة ، لا بد من أن يجد نفسه مضطرا الى الترقب ، ريثما تحين الفرصة المواتية للقيام بحركته السياسية . والرجل الاقتصادى الذى يريد أن يدخل تعديلا على ميزانية الدولة او تخطيطها الاقتصادى ، لا بد من أن يعد العدة لذلك قبل أن يحين موعد الاقتراع على الميزانية الجديدة ، وهلم جرا . وكل هذه الأمثلة انما تدلنا على انه لا بد لنا في العادة من الانتظار ، ريثما يحين الوقت المناسب للقيام بالعمل الذى نريد أن ننهض به . وربما كانت الميزة الأساسية التي يتميز بها كبار رجال الأعمال هي انهم يعرفون دائما كيف يختارون الوقت الملائم للقيام بالمشروعات او الخطط التي يعتزمون العمل على تحقيقها ، وكان لديهم حاسة خاصة تساعدهم على الاهتداء الى اللحظة المناسبة التي تكون في العادة مواتية تماما للعمل الذى يريدون القيام به . ولكن المهم هنا ان عملية الانتظار تنطوى على اعتراف ضمنى

(١) Bergson; '' L'Evolution Creatrice'' P. 10 .

بأن الانسان رهن بالظروف ، وان نشاطه متوقف على تحين الفرص الملائمة . ومعنى هذا انه لا بد لنا ــ سواء أردنا أم لم نرد ــ ان ندع الزمان الخارجي يقحم نفسه على زماننا الباطني ، وكأنه القوة الدخيلة التي لا بد لها من أن تعمل عملها في صميم ديمومتنا الخاصة . ولعل هذا هو السبب في أن فترات الانتظار كثيرا ما تبدو لنا طويلة مملة ، وكأن الزمان نفسه قد تمدد وتضخم ، حتى أصبح « الآن » نفسه « دهرا » ! وحين حانت لحظة الفراق ، صرخت جوليت في اذن روميو قائلة : ــ

« لا بد لي من أن أسمع صوتك في كل يوم من ايام الساعة ، فان في الدقيقة الواحدة اياما كثيرة ! » .

ولا شك أن الانتظار الملتهف المتعجل هو وحده الذى يرى في الدقائق اياما ، وفي الساعات أشهرا ، وفي الأيام دهورا ، لأنه لا يحسب الزمان بالثواني والدقائق والساعات ، بل بالآنات والآهات والتنهدات ! ومع ذلك فقد يجيء الحب نفسه ــ كما ورد في بعض قصص التوراة ــ فيجعل السنين تمضي كالأيام ، ! وهذا ما حدث بالنسبة الى النبي يعقوب ، فقد انتظر راحيل أكثر من سبع سنين ، لأنه كان يحبها . وهكذا كان انتظاره للحظة التلاقي بمثابة توقع هادىء جعله لا يستشعر مرور الزمن ، وكأن السنين نفسها قد استحالت الى أيام ! (٢) ومهما يكن من شيء ، فان الانتظار ــ هادئا كان أم محموما ــ لا بد من أن يبدو لنا بمثابة الضريبة التي يفرضها علينا الزمان . وكثيرا ما يكون تداخل زمان الآخرين مع زماننا الخاص هو المسئول عن احساسنا بوطأة الانتظار ، وكأننا نضيق ذرعا بذلك « الضيف الثقيل » الذى ليس لنا عليه يدان ! ولكننا جميعا نعرف أنه لا مفر لنا من تقبل هذه الضريبة الفادحة التي يفرضها علينا الزمان ، لأنه لا قبل لنا بالخروج على سلطان ذلك السيد المتجبر الذى يخضع له حتى أهل العروش وأصحاب التيجان ! وليس أثقل على نفس أي ملك من أن يجد نفسه مضطرا الى الانتظار (حتى لقد روى على لسان أحد ملوك فرنسا العظماء قوله : « لقد كدت أن أنتظر ! ») ، ولكن الملوك جميعا مضطرون مع ذلك الى أن ينتظروا ريثما يحل لهم خدامهم سيور أحذيتهم ، فضلا عن أنهم مضطرون الى انتظار العديد من الأمور الأخرى ...

ولكن « الانتظار » الحقيقي ليس بالضرورة مجرد ظاهرة سلبية

حقا أننا قد نتوهم أن « الانتظار » ــ بطبيعته ــ ظاهرة سلبية محضة ، ولكن التجربة كثيرا ما تشهد بأن فعل « الانتظار » قد لا يخلو من نشاط ايجابي . وآية ذلك اننا قد نقضي فترة الانتظار في الاستعداد لمواجهة الحدث المترقب ، أو في العمل على تهيئة الجو لملاقاة الشيء المنتظر . وانا حين آوى الى فراشي مبكرا ، طالبا الى منحولي ايقاظي في الموعد المناسب ، فانني عندئذ أكون قد عدلت عن الترقب أو الانتظار . وحين يكف المرء عن الانتظار ، فان معنى هذا أنه قد عدل عن مشروعه الأصلي ، أو أنه قد أدرك أن الحدث المتوقع لن يحدث أو أنه قد حدث بالفعل .. الخ . وأنت حين تكون على موعد مع أحد الأشخاص ، فانك تظل تترقبه وتنتظر قدومه . ولكنك اذا علمت أن الموعد قد تأجل ، بسبب مرض هذا الشخص ، أو بسبب أي ظرف آخر دعاه الى الغاء اللقاء المحدد ، فانك عندئذ لا تعود تنتظره . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان الانتظار ليس مجرد ظاهرة سلبية محضة ، بل هو موقف ايجابي ينحصر في تمثل الحالة المترقبة ، أو تصور الظرف المنتظر ، بحيث أن الشخص ليشغل وقته ــ أثناء فترة الترقب ــ بالعمل على تهيئة الأفعال التي ارجأ تنفيذها (أو ارجيء تنفيذها) . ومن هنا فان المرء كثيرا ما يعمد ــ أثناء فترة الانتظار ــ الى اداء دوره المترقب بطريقة عقلية مسبقة ، وذلك بان يضع نفسه في صميم الموقف الذى سيكون عليه أن يواجهه ، محاولا تصور الاستجابات التي لا بد له من القيام بها في اللحظة المناسبة ! ولكن مثل هذا التصور المسبق لكل تفاصيل الموقف قد لا يخلو من خطر : لأن من شأن هذا التوتر النفسي أن يرهقنا ويشل حركتنا ، فلا يلبث الحدث ان يفاجئنا على غير ميعاد بعد أن تكون قد فقدنا كل مقدرة على

---

(٢) سفر التكوين ٢٩/٢٠ (من العهد القديم) .

الاستجابة ! وقد يحدث في بعض الاحيان أن نكون على ميعاد مع شخصية هامة ، فنقوم باعداد كل عبارة سوف ننطق بها في حضرة تلك الشخصية ، ونكرر هذه العبارات لانفسنا مرة بعد اخرى ، ولكننا ما نكاد نجد انفسنا في حضرة تلك الشخصية ، حتى تتبخر الكلمات التي حفظناها بالامس عن ظهر قلوبنا ، حتى ليكاد الموقف يبدو لنا شيئا جديدا لم يكن في الحسبان ! ولعل من هذا القبيل ما يروى عن الشاعر الالماني هينى Heine ، في شبابه ، من انه كان على موعد ـ يوما ـ مع الشاعر الكبير جوته ، فظل ـ طوال الطريق ـ يعدد الكلمات الجملية التي سوف ينطق بها على مسمع من الشاعر الالماني الكبير ، ولكنه لم يكد يجد نفسه في حضرة جوته ، حتى ارتج عليه ، ولم يجد ما يقوله سوى ان فاكهة الكرز ـ على طريق فيمار Weimar ـ قد اصبحت ناضجة ! وليس بين المحبين من لم ينمق ـ يوما ـ عبارات جميلة يقولها للمحبوب عند الالتقاء به ، ولكنه ما كاد يجد نفسه في حضرة الحبيب حتى تجمدت الكلمات على لسانه، فاذا به أعجز عن ان ينطق بكلمة واحدة من كل ما تفنن في اعداده ! .

الانتظار الذي ما بعده انتظار !

وهنا قد يقال ان الانتظار لا يحمل دائما نفس الدلالة : فهناك انتظار سعيد يحمل معنى البشرى، وهناك انتظار اليم يحمل معنى الفاجعة . ولكن الحقيقة ان الانتظار رهن بالمستقبل ، فهو في العادة ثقة ضمنية في انفتاح الافق ، وايمان خفي بامكان تحقق شيء نحن؟ اليه . واما حين يصبح المستقبل طريقا مسدودا لا امل فيه ، فهنالك يكون الانتظار قد استحال الى توقع اليم . وهذا هو الحال مثلا بالنسبة الى الرجل المحكوم عليه بالاعدام : فانه يعرف سلفا ما ينتظره ، ومن ثم فانه لا يرى في المستقبل سوى طريق مغلق ، وهذا ما يجعله عاجزا عن وضع اية مشروعات (٢) . ومع ذلك ، فان بعض المحكوم عليهم بالاعدام ، يتمتعون بشجاعة ناصعة ، فهم يعبرون عن رغباتهم الاخيرة ، وهم يفكرون في مستقبل ذويهم . ولعل من هذا القبيل مثلا ما كان يفعله الرجل المحكوم عليه بالاعدام في رواية « الابله » L'Idiot لدوستويفسكي : فقد كان يقسم اللحظات الاخيرة المتبقية له على قيد الحياة من اجل التفكير في امور عدة ، كما كان يصنع من تلك الفترة القصيرة عالما صغيرا ، قائما بذاته ! .

« نحن نتوقع الموت ، ولكننا لا ننتظره » (سارتر)

والحق ان الوجود البشرى لا يملك الاستغناء عن التوقع ، والترقب ، والانتظار ، والاستباق : لانه لا يستطيع ان يكف عن التطلع الى المستقبل ، والنزوع نحوه ، وتوجيه الانتباه اليه ، والعمل على تحقيق مشروعاته فيه . وقد يقال احيانا اننا ننتظر الموت ، ولكن مثل هذا الانتظار لن يكون الا انتظارا لشيء لن يكون بعده انتظار ! ولهذا فقد رفض سارتر فكرة « انتظار الموت » ، وقال ـ على العكس من ذلك ـ « اننا جميعا نتوقع الموت ، ولكننا لا ننتظره بحال » . ومعنى هذا ان الموت ليس حدثا ننتظره ، بل هو واقعة مفاجئة تباغتنا دائما على غير انتظار ! وآية ذلك ان المحكوم عليه بالاعدام، حتى اذا ما حدد موعد تنفيذ الحكم فيه، قد يموت من ذبحة صدرية او اختناق في التنفس ، او لاي سبب آخر قبل الموعد المحدد ، او هو قد يظفر بالصفح او البراءة او تخفيف الحكم قبل ذلك .. الخ .

واما اذا قيل ان موت الشيخوخة هو موت منتظر ، نستعد له ونتهيأ لاستقباله فقد يكون في وسعنا ان نرد على ذلك بقولنا ان التجربة التي قد تتوافر في مثل هذه الحالة هي ـ على كل حال ـ تجربة الشيخوخة ، لا تجربة الموت . والشيخوخة كما يقول سارتر ـ لا تنتظر الموت (بمعنى الكلمة) بل هي تظل تحيا في الحاضر الذى هو سلسلة من الانتظارات ، والمشروعات ، والمطامح ، والآمال .. الخ . واما حين تجيء الصدفة فتطوى صفحة الرجل العجوز او الطاعن في السن ، فان مثل هذا الحدث لن يخول لنا الحق في ان نجعل من «موته» امكانية خاصة كان ينتظرها ، او حدثا باطنا كان يتوقعه . ولهذا يقول سارتر ان الموت هو دائما

---

(٢) يروى في هذا الصدد عن احد المحكوم عليهم بالاعدام انه سئل ـ قبيل تنفيذ الحكم فيه ـ عن رغبته الاخيرة ، فما كان منه سوى ان اجاب بقوله :« انني لارغب في تعلم اللغة الانجليزية » !!

سلب لكل امكانياتنا ، دون أن يكون في وسعنا أن نقول عنه انه داخل في دائرة امكانياتنا ! وما دام الموت سلبا لكل امكانية ، فليس من الصواب في شيء أن نقول أننا ننتظره ، لأن الانتظار يحمل معنى الامكانية التي تقبل التحقق في مستقبل قريب أو بعيد ، والموت استحالة كل امكانية ! .

ولكن الحياة لا يمكن أن تكون كلها مجرد انتظار !

لقد رأينا أن « الانتظار » مظهر من مظاهر اتجاه النظر البشرى نحو المستقبل ، ولكن من المؤكد أن « الانتظار » لا يمكن أن يكون هو الصورة الوحيدة من صور التطلع نحو المستقبل . وآية ذلك انه ليس يكفي ان نترقب المستقبل او ان نحلم به ، بل لا بد لنا من العمل على انتاجه أو تحديد معالمه . وربما كانت آفتنا الكبرى — في الشرق العربي — اننا كثيرا ما نقتصر على التطلع الى المستقبل او ارتقابه ، دون ان نأخذ على عاتقنا مهمة العمل على استحداثه او المساهمة في خلقه . والحق انه لو كان المستقبل شيئا جاهزا معدا من ذى قبل ، لكان في وسعنا منذ الآن ان نراه او ان نتطلع اليه ، ولكن المستقبل في الحقيقة عالم مجهول لا بد لنا من تعبئة كل طاقاتنا من اجل ارتياده بروح الأمل والشجاعة والايمان . فالانتظار الذى يقتصر على توقع حصول الأشياء (أو الأحداث) من تلقاء نفسها ، انما هو انتظار سلبي يجعل ان المستقبل — في جانب كبير منه — رهن بنشاطنا الخاص . والذين يقفون مكتوفي الايدى امام ما يقع تحت اعينهم من احداث ، مكتفين بترديد العبارات القائلة بحتمية النصر ، انما هم حالمون يقتاتون بالأماني ، او واهمون يعيشون على الاحلام؟ وهناك قوم قد الفوا حياة الانتظار ، فهم يحلمون بالمستقبل السعيد ، بينما تفلت الفرص من بين ايديهم كأنما هي قطرات الماء التي تتساقط من بين اصابع الطفل الصغير ! وليس من شك في ان الذين يقتصرون على الانتظار ، دون ان يسهموا باي عمل ايجابي في سبيل تقريب اليوم الموعود او تحقيق الأمل المنشود ، انما هم اناس يجرون وراء السراب، ولا يتطلعون الى شيء آخر سوى الضباب! .

وكثيرا ما نرى اناسا يقضون جانبا غير قليل من حياتهم في الانتظار ، لكي يجتنوا في آخر المطاف ثمرة فجة كان يمكن الحصول عليها دون ادنى انتظار ! ولما كان الأصل في « الانتظار » انه رفض للثمرة الفجة ، ورغبة في اجتناء الثمرة الناضجة ، فليس أمعن في الفشل من أن تكون الثمرة التي تجيء بعد طول انتظار مجرد ثمرة فجة تخلو تماما من كل نكهة او مذاق ! وربما كانت اقسى صورة من صور « خيبة الأمل » ، أن يلتقي المرء في خاتمة المطاف — وبعد طول انتظار — بشيء كان في وسعه منذ البداية الحصول عليه أو الظفر به . وهنا يشعر المرء بالزمن الضائع ، ويدرك انه قد بدد تلك المادة الثمينة التي تتألف منها كل حياته (الا وهي الديمومة Duree ، او الزمان الحي). والحق ان الحياة التي تضيع كلها في الترقب والانتظار ، دون أن تقترن باى عمل ايجابي في صميم الحاضر ، انما هي حياة تافهة قد تم فيها الغاء الحاضر الأكيد لحساب مستقبل مجهول غير مضمون . ونحن — في مجتمعنا العربي — كثيرا ما نتناسى أن الحياة لا يمكن أن تكون كلها مجرد انتظار ، ومن ثم فاننا كثيرا ما نضيع الفرص الذهبية ، دون أن نفطن الى أن ثمة أشياء لا يمكن ان تتكرر مرتين ! وليس من الحكمة في شيء أن يعلل المرء نفسه دائما بانه سيكون في وسعه غدا أن يتدارك ما فاته اليوم ، فان الغد يوم جديد ، وليس ما يضمن لك أن يحمل اليك هذا اليوم الجديد ما حمله اليك يومك المنصرم ! صحيح انه ليس في وسعنا — بطبيعة الحال — أن نحصل الآن كل شيء ، أو أن نعبيء — في يوم واحد — كل ما نحن في حاجة اليه ، ولكن من المؤكد انه قد يكون من الأفضل لنا اليوم أن نحصل شيئا ، بدلا من أن نظل نرتقب في الغد آلاف الأشياء ! .. اننا ننتظر أن نحصد ، دون أن نكون قد زرعنا ، وننتظر أن ننتصر ، دون أن نكون قد حاربنا ، ولكن الحياة لا بد من أن تجيء فتعلمنا — كما علمت من قبل غيرنا — أن مجرد الانتظار ، لا يمكن أن يحمل الينا الانتظار ، وان الاقتصار على الترقب — دون التاهب — لا يمكن أن يكون الا صورة من صور الانتحار ! . ■■

زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

١٠٠ دينار تبحث عن

■ مسابقة هذا العدد تتألف من عشرة أسئلة،وهي أسئلة تدور حول معلومات ليست بجديدة على القراء ، اكثرها نشر من قبل في اعداد سابقة من العربي ، والمطلوب ان تجيب اجابة صحيحة على ثمانية فقط من هذه الاسئلة العشرة لتحصل على احدى الجوائز .

(١) كتاب عربي قديم ، موضوعه التاريخ ،واشتهر بمقدمته ، اكثر مما اشتهر بمتنه . عنوان الكتاب هو : « كتاب العبر وديوان المبتدأوالخبر فيأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » . **فمن هو مؤلف هذاالكتاب :**

أ ـ ياقوت الحموى . ب ـ ابن خلدون . جـ ـ ابن خلكان .

(٢) عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص قائدان من ابرز قواد الفتوحات الاسلامية .. وقد قاما بأهم فتوحاتهما فيما بين سنة ٦٣٥ ـ ٦٥٠ميلادية . والمطلوب هو تحديد المنطقة التي تمت فيها فتوحات كل منهما : آسيا ام افريقيا .

(٣) نهر النيل يبلغ من الطول (٤١٥٧) ميلاوهو بلا ريب اطول انهار العالم . فما هو اعرض تلك الانهار ، واغزرها مياها :

الجانجس ، المسيسبي ، الدانوب ، الامزون ،الراين .

(٤) اللغة الاسبانية والبرتغالية والانجليزيةوالعربية ، هي من اللغات الواسعة الانتشار في العالم . والمطلوب هو ترتيب هذه اللغات حسبانتشارها بادئا بالاوسع انتشارا .

(٥) عدد الولايات التي تتكون منها الولايات المتحدة الامريكية هو (٥٠) ولاية ، فما هو عدد الولايات التي يتكون منها الاتحاد السوفييتي ؟

(٦) يقول العرب ، على سبيل التشبيه :

اطيش من فراشة ، اكبى من بصل ، اعطش من رمل ، ويقولون ايضا :

اسمع من .. ، احقد من .. ، ااسخى من ..

المطلوب ملء الفراغ بالالفاظ الصحيحة علمابان هذه الالفاظ قد ورد ذكرها في عدد من اعداد العربي السابقة .

(٧) رائد الفضاء الذى سبح في الفضاء لاول مرة في التاريخ عام ١٩٦٥ .. هل كان امريكيا ام سوفياتيا ؟

أصحاب الاجابات الصحيحة

(٨) عبادان بلدة بترولية في ايران . عددسكانها (٥٠٠٠٠) نسمة تقريبا ، ولعلها اقدم بلدة عرفت البترول في منطقة الشرق الاوسط .. فأين تقع « ابادان » ، المدينة الافريقية : في مالى ، او في تنجانيقا ، او في نيجيريا ، او فيملجاسي ، علما بان ابادان هذه مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ارباع مليون نسمة ، وهيفي طريقها الى أن تصبح مدينة بترولية عظيمة .

(٩) جبل افرست ، أعلى جبال العالم اطلاقا ،يبلغ من الارتفاع ٢٩.٠٢٨ قدما . ويقع في اواسط القارة الآسيوية ، وعلى الحدود بين قطرين ، فماهما هذان القطران :

ا : الهند / الباكستان ب : الصين / نيبال ، ج : التيبت / افغانستان / .

(١٠) منغوليا بلاد واسعة من بلدان آسيا ،مساحتها تعادل مساحة الهند تقريبا ، اما سكانها فلا يزيدون على مليون وربع مليون نسمة .تسميعاصمتها « اولان باتار » اى البطل الاحمر . فما هو وضع منغوليا السياسي :

١ ـ ولاية تابعة للاتحاد السوفياتي .

٢ ـ منطقة تابعة للصين الشعبية .

٣ ـ دولة مستقلة ذات سيادة بدليل عضويتهافي هيئة الأمم .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٥ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي:

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسا...



بريطانيا والسوق الأوربية



بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ في ٢٣ يونيو ١٩٧١ شهد العالم تحولا هاماً في السياسة والاقتصاد ، سيكون له آثاره على مستقبل الجماعة الدولية . فقد وافقت الدول الست الاعضاء في السوق الاوربية المشتركة ، وهى فرنسا ـ المانيا ـ ايطاليا ـ بلجيكا ـ هولندا لكسمبرج ، على قبول بريطانيا عضوا اصليا فى الاتفاقات المعقودة فيما بينها ، بشان الوحدة الاقتصادية الاوربية ، والتى تهدف الى تحقيق الوحدة السياسية عن طريق التوحيد الاقتصادى الشامل لاوروبا .

اتفاقات الوحدة الاقتصادية الاوروبية

وكان اول اتفاق عقد بين تلك الدول هو اتفاق الوحدة الاوربية للفحم والصلب الذى عقد في باريس سنة ١٩٥١ ، بناء على اقتراح من جانب فرنسا ادلى به وزير خارجيتها موريس شومان Schuman في مايو ١٩٥٠ ويتلخص هذا الاتفاق في وضع مجمع الصلب والفحم في فرنسا والمانيا تحت سيطرة عليا في شكل تنظيم مفتوح تدخله دول اوربا الغربية الاخرى . وفعلا انضمت الى الاتفاق ايطاليا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج . ودعيت بريطانيا للانضمام ولكنها اعتذرت في آخر الامر ، واعلن رئيس وزرائها آن ذاك « اتلى » Atlee ان بريطانيا لا تستطيع ان تربط نفسها بما يمكن ان تتخذه تلك السلطة العليا للفحم والصلب من قرارات في المستقبل .





ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا مجتمعا مع جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا ،في قصر الاليزيه بباريس

وفي ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ عقد في روما اتفاقان آخران بين الدول الست ، احدهما خاص بالوحدة الاوروبية للطاقة الذرية والآخر وهو الاتفاق الذى ينصب على الوحدة الاقتصادية الاوروبية . وهدف هذا الاتفاق اوسع بكثير من مجرد اقامة اتحاد جمركي اى سوق مشتركة بين الدول الاعضاء ، بل الهدف كما تقول المادة الاولى منه هو اقامة وحدة اقتصادية حقيقية اوروبية بين الاطراف المتعاقدة .

اما عن وسائل تحقيق هذا الهدف ، فهى انشاء سوق مشترك تسود فيه حرية انتقال السلع بل وحرية انتقال عناصر الانتاج من قوة عاملة ورؤوس اموال . ويتم فيه ايضا تقريب السياسات الاقتصادية للدول الاعضاءتدريجيا من اجل تحقيق التناسق فى تطور الانشطة الاقتصادية ، وتحقيق النمو المستمر المتوازن ورفع مستوى المعيشة بصورة مستمرة ، واقامة علاقات اكثر توثقا بين الدول الاعضاء . ومن اهم السياسات ، التى تعمل اتفاقية الوحدة على توحيدها ، السياسة الزراعية ، والصناعية ، وسياسة النقل ، والقوى المحركة ، والسياسة الاجتماعية ، وسياسة التوازن الاقتصادى .

ومن اسس الوحدة ايضا وضع سياسة متوسطة الاجل ، اى تخطيط التقدم الاقتصادى علىاساس من الحرية .

موقف بريطانيا من الوحدة الاقتصادية الاوروبية

كان « ونستون تشرشل » من اول الداعين الى ايجاد وحدة اقتصادية اوروبية ، تقوم على اساس المشاركة بين فرنسا والمانيا ، وله في ذلك خطاب هام القاه في زيورخ في سبتمبر سنة ١٩٤٦ .ولكنه لم يكن يرىأن تكون بريطانيا عضوا فىهذه الوحدة، بل يضعها فيها فى موقف المشجع والصديق .

وكان رفض بريطانيا للاشتراك في معاهدة باريس الخاصة بالوحدة الاوروبية للفحم والصلب في عهد حكومة العمال ، التى كانت متأثرة اذ ذاكبالاتجاهات الجناح اليسارى من الحزب ، الذى ما زال الى الآن يعارض دخول بريطانيا اتفاقات الوحدة الاقتصادية الاوربية .

ولم يقتصر الموقف البريطانى على مجرد رفض الاشتراك في اتفاقيات الوحدة الاقتصادية الاوربية الثلاث ، بل بذلت بريطانيا جهدا حثيثا لتحويل حركة التعاون الاقتصادى والتجارى الى وجهة تختلف عن فلسفة الوحدة الاقتصادية الاوروبية ، فدعت بريطانيا الى عقد اتفاقات لاقامة منطقة تجارة حرة ، تقوم على اساس تخفيض الرسوم الجمركية ثم الغائها على السلع الصناعية الواردة من الدول الاعضاء فى المنطقة ، اما علاقات كل دولة مع الدول الاخرى غير المنضمة للاتفاقية ، فتظل الدولة حرة بشأنها ، اى ان نظام منطقة التجارة الحرة لا يتضمن وضع تعريفة جمركية موحدة تطبقها كافة الدول المشتركة على الواردات من

العالم الخارجي ، حماية للسلع التي تنتجها الدول الاعضاء ، كما انها لا تستهدف توحيد السياسات الاقتصادية بين هذه الدول .

وانتهت جهود بريطانيا الى عقد معاهدة استكهلم سنة ١٩٥٩ ، اشتركت فيها الدنمارك والنرويج والسويد والبرتغال وسويسرا ثم انضمت اليها فنلندا . ولم تنجح جهود بريطانيا في ضم دول السوق الاوروبية المشتركة الى اتفاق منطقة التجارة الحرة .

وقد غيرت بريطانيا موقفها من اتفاقيات الوحدة الاقتصادية الاوروبية بعد ذلك ، اذ تقدمت بطلب الانضمام اليها في سنة ١٩٦٢ ثم اعادت الطلب مرة اخرى في سنة ١٩٦٧ وكررته في يونيو سنة ١٩٧٠ .

ولم يقبل طلب بريطانيا الاول ولا الثاني ، بسبب اعتراض فرنسا على دخولها السوق باعتبارها على حد تعبير الجنرال ديجول « لم يتم بعد نضجها الاوربي » .

ولكن الموقف الفرنسي قد تغير ، وقبلت دول السوق منذ ايام انضمام بريطانيا اليها ، بل قد ذهبت الى حد بعيد في تقديم التسهيلات التي تمكن بريطانيا من التغلب على الصعاب الكثيرة التي تصادفها ، لكي تلائم بين اوضاعها وبين ما يقتضيه نظام السوق من سياسات والتزامات ، ستطبق كلها على بريطانيا بعد تمام قبولها وبصفة خاصة بعد مضي فترة الانتقال التي اتفق عليها .

ايجاد حل لمشاكل الكمنولث البريطاني

ومن المشاكل الاساسية التي كاد يثيرها انضمام بريطانيا للسوق الاوروبية المشتركة . موضوع علاقاتها مع دول الكومنولث ، اذ يقضي نظام السوق بالزام الدولة العضو بوضع تعريفة موحدة تطبقها على الواردات من الدول غير الاعضاء في السوق وكان تطبيق هذا المبدأ على اطلاقه يؤدي الى الحاق الضرر بدول الكمنولث ، التي تصدر لبريطانيا المواد الغذائية وبصفة خاصة بلاد الكمنولث الفقيرة المصدرة للسكر ونيوزيلند المصدرة للزبد والجبن . وكانت دول السوق تتمسك في المفاوضات السابقة باحترام المبدأ المقرر في الاتفاقية ، ولكن رئيس الوزراء البريطاني هيث توصل مع الرئيس بومبيدو في اجتماعهما الاخير الى موافقة فرنسا على عدم تطبيق المبدأ في فترة الانتقال وهي خمس سنوات ، يسمح خلالها لبريطانيا باستيراد كميات اتفق عليها من دول الكمنولث وهي كميات تمثل نسبا كافية لعدم الحاق الضرر بهذه الدول الاعضاء في الكمنولث . اما بعد انتهاء فترة الانتقال فسيكون الامر محل بحث . ولكن يبدو ان دول السوق غير مستعدة لكسر مبدأ اساسي من المبادىء التي يقوم عليها بناء الوحدة الاقتصادية الاوروبية بالسماح باستمرار بريطانيا في اعطاء افضلية لدول الكمنولث .

ولا شك في ان قصر الاستثناء على بعض المنتجات سيؤدي الى انهاء التفضيل الذي كان مقررا لمنتجات الكمنولث في بريطانيا وبالتالي الى انهائه بالنسبة للمنتجات البريطانية في دول الكمنولث ما دامت منتجاتها تستثنى من ان تطبق عليها التعريفة الموحدة التي تأخذ بها دول السوق والتي تطبقها بريطانيا اذا ما اصبحت عضوا فيه ولكن يلاحظ ان كل ذلك سيتم تدريجيا . وكذلك سيتم تدريجيا الغاء بريطانيا للرسوم الجمركية المفروضة على الواردات من دول السوق .

السياسة الزراعية

تتبع بريطانيا سياسة في اسعار السلع الزراعية تقوم على اساس حرية استيرادها حتى تبلغ اسعارها في السوق البريطانية ادنى حد ممكن ، وفي نفس الوقت تساعد المنتجين الزراعيين البريطانيين عن طريق اعطائهم اعانات مباشرة تعوضهم عن انخفاض الاسعار في السوق المحلية .

وتتبع السوق الاوروبية المشتركة سياسة زراعية مناقضة تماما لتلك السياسة البريطانية ، اذ يوضع سعر موحد للمنتجات الزراعية الوطنية ، وهو سعر مرتفع نسبيا لانه يحدد من اجل ضمان مستوى معيشة مناسب للمزارعين ويحمى هذا السعر الداخلي من منافسة المنتجات الزراعية المستوردة ، كما يضمن تصريف الفائض من الانتاج الزراعي ، وتقديم الاعانات للمزارع . ويتم في الوقت الحاضر تحويل السياسة الزراعية ، عن طريق اجهزة الوحدة الاقتصادية الاوروبية ، من موارد مشتركة تأخذها من الدول الاعضاء .

وغني عن البيان ان انضمام بريطانيا الى السوق

سيقلب سياستها الزراعية التقليدية رأسا على عقب . وقد تقرر ان تعمل بريطانيا على ان تلائم بين اوضاعها وسياسة السوق خلال فترة الانتقال المتفق عليها .

السياسة النقدية ومشكلة الاسترليني

نصت اتفاقية الوحدة الاقتصادية الاوروبيةعلى التزامكل عضو باتباع السياسة الاقتصادية المؤدية الى توازن ميزان المدفوعات، وتوفير الثقة بالعملة، مع السعي الى الوصول الى درجة عالية من العمالة ، اى تشغيل العمال في ظل استقرار الاسعار . ولبلوغ ذلك تعمل الدول الاعضاء على تنسيقسياساتها وبصفة خاصة منالناحيةالنقدية، وعلى التعاون بين السلطات المالية المختصة بالميزانية ، وكذلك بين البنوك المركزية .

وفي سنة ١٩٧٠ وافق مجلس وزراء الوحدة على اقامة جهاز للتشاور المسبق ، كما وافق المجلس على اعداد نظام للمساعدة المالية لمقابلة الازمات النقدية التى قد تتعرض لها اية دولة من الدول الاعضاء .

فدول الوحدة الاقتصادية متجهة الى وضع سياسات موحدة ، والى تقديم المساعدات المتبادلة في سبيل تحقيق النمو والثبات الاقتصادى ، ومقابلة تقلبات العملة بل والى اقامة عملة موحدة بينما تتعرض بريطانيا لمشاكل اقتصادية داخلية ، بسبب قيام عملتها الاسترلينية بمهمة العملة الدولية ، وما يترتب على ذلك من احتفاظ العالم الخارجي لديها بارصدة نقدية كبيرة ، اى انها مدينة بمبالغ كبيرة للعالم الخارجي . فاذا ما طرا اى طارىء على الاوضاع الاقتصادية العالمية او البريطانية تحركت رؤوس الاموال هاربة من بريطانيا ، واضطرت الحكومة البريطانية الىاتخاذ الاجراءات والسياسات الكفيلة بمقابلة الوضع اما بفرض قيود على تحركات رؤوس الاموال او بتخفيض عملتها او بانتهاج سياسة داخلية ملائمة مع طلب المعونات المالية من الخارج ، الامر الذى يجعل عضويتها في السوق يؤدى الى التأثير في الاوضاع الاقتصادية في الدول الاخرى الاعضاء والى زيادة اعباء هذه الدول الاخرى في حل مشاكل الاسترليني ، التى يشاركون فعلا في حلها في



مظاهرات التأييد في لندن لدخول السوق الاوربية المشتركة

الوقت الحاضر . فمن المعروف ان الدولالاوروبية تشارك في تقديم الاموال لبريطانيا ، كلما تعرض الاسترليني لازمة ، ومن المعروف ايضا ان اتفاقية بازل Bale قد مكنت بريطانيا من ضمانالارصدة الاسترلينية المملوكة للدول الداخلة فى المنطقة ، ضد خطر تخفيض الاسترليني ، وذلك اعتمادا على الاموال التى شاركت الدول الاوروبية في وضعها تحت تصرف بريطانيا .

وكذلك فقد طلبت دول السوق الاوروبية المشتركة من بريطانيا ان تتعهد بالعمل على ايقاف الدور الذى يقوم به الاسترليني كعملة دوليه . تدريجيا . ووافقت الحكومة البريطانية على ذلك. بل يبدو انها بدات فعلا تتخذ الاجراءات لبلوغ هذا الهدف .

بريطانيا بين عظمة الماضي ومقتضيات الظروف الاقتصادية الحاضرة

كانت السياسة البريطانية التقليدية تقوم على

اساس ان مصالح بريطانيا لا تتحقق اذا ما قامت وحدة قوية في القارة الاوروبية . وكان مصدر الانعزالية البريطانية عناصر ثلاثة اساسية ، هي الموقع الجغرافي والثروة الطبيعية ، والاطلال على المحيطات الواسعة ، والنظر الى ما وراء البحار .

ولقد تغير الكثير من هذه العناصر ، فلم تعد القناة درعا لبريطانيا ضد الغزو الاجنبي ، بل اصبحت عقبة تعوق اتصالها السريع باوروبا ، وفقد الفحم ـ احد اعمدة الاقتصاد البريطاني التقليدي ـ اهميته كمصدر اساسي للطاقة ، وتضاءلت اهمية بريطانيا كدولة مسيطرة على تجارة الكمنولث والتجارة العالمية . واذا كان السوق النقدي والمالي البريطاني قد حافظ على الكثير من قدراته الفنية ، الا ان الصعوبات التي يواجهها الاقتصاد البريطاني قد جعلت قيام الاسترليني بوظيفة النقد الدولي امرا عسيرا يحتاج الى دعم الهيئات النقدية الدولية والدول الصناعية الكبرى . وكذلك وجدت الصناعة البريطانية نفسها تحت ضغط الاستثمارات الامريكية داخل بريطانيا نفسها ، هذا فضلا عن منافسة السلع الواردة من الخارج وعن صعوبات المنافسة في الاسواق الدولية .

وقد تغيرت ايضا اتجاهات التجارة الخارجية البريطانية ، فتزايدت اهمية دول السوق الاوروبية المشتركة تزايدا جعلها اول المناطق تجارة مع بريطانيا ، بينما تناقصت الاهمية النسبية لدول الكمنولث ، ففي المدة من سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٥ ، تزايدت صادرات بريطانيا ووارداتها مع العالم الخارجي بنسبة ٤٠٪ تقريبا . وفي نفس المدة زادت صادراتها الى دول السوق الاوروبية المشتركة بنسبة ٨٠٪ بينما تضاعفت وارداتها منها ، فارتفعت نسبة الواردات من دول السوق الى جملة الواردات البريطانية خلال تلك المدة من ١٢٪ الى ١٧٪ بينما ارتفعت نسبة الصادرات البريطانية الى دول السوق من ١٥٪ الى ٢٠٪ .

وتناقصت الاهمية بالنسبة للتجارة مع دول الكمنولث ، فانخفضت الصادرات البريطانية اليها من ٣٨٪ الى ٢٩٪ وانخفضت الواردات من ٣٦٪ الى ٣٠٪ .

وقد استمر تزايد الاهمية التجارية للسوق المشترك في المدة من سنة ١٩٦٥ الى سنة ١٩٧٠ ، اذ ارتفع نصيبها من الواردات البريطانية من ١٧٪ الى ٢٠٪ ، كما ارتفع نصيبها من الصادرات البريطانية من ٢٠٪ الى ٢٢٪ .

فاذا كانت بريطانيا تسعى في الوقت الحاضر لدخول السوق الاوروبية المشتركة، مضحية بعض الشيء بعلاقاتها الخاصة بالكمنولث، فلان العوامل الاقتصادية قد اتجهت بقوة في هذا الاتجاه .

وستشارك بريطانيا في ميزانية السوق خلال فترة الانتقال ، مشاركة معقولة حددت في السنة الاولى بنسبة ٨٫٦٤٪ وفي سنة ١٩٧٧ ، وهي آخر سني فترة الانتقال ، بنسبة ١٨٫٩٢٪ وهذه النسب اقل بكثير من النسب التي كان يجب تحديدها لو طبقت القواعد التي تطبق على الاعضاء الاصليين في السوق . ولا شك انه عند انتهاء فترة الانتقال ، وعندما يبدأ الاقتصاد البريطاني يستفيد من مزايا الوحدة الاقتصادية مع دول اوروبا الغربية ، فان بريطانيا ستحمل عبء اشتراكها كاملا ، وان كان قد اتفق ايضا على ان تحدد هذه النسب في السنتين الاوليين بعد انتهاء فترة الانتقال على نحو لا يزيد من نسبة المساهمة في الميزانية بزيادة مفاجئة . وتبلغ ميزانية السوق حوالي اربعة الاف مليون دولار في سنة ١٩٧٧ .

رد الفعل السياسي لقبول بريطانيا في السوق الاوروبية المشتركة

ترك قبول بريطانيا في السوق الاوروبية المشتركة رد فعل قوي داخل بريطانيا وخارجها ، والامر الآن بيد البرلمان البريطاني ليأخذ فيه قراره ، عندما تعرضه الحكومة عليه في اكتوبر القادم . وتؤدي النظرة الاولى الى القول بان الموافقة مضمونة ، ما دامت الاغلبية قد صوتت في سنة ١٩٦٧ بالموافقة على تقدم مستر ولسون رئيس وزراء بريطانيا اذاك بطلب الانضمام للسوق . فبلغ عدد من صوت بالموافقة ٤٨٨ صوتا ضد ٦٢ صوتا ولكن من المحتمل مع ذلك ان يتدخل الصراع الحزبي

في الموضوع ، وان كانت النتيجة النهائية فيما يبدو ستكون مع قبول الانضمام للسوق .

ويثير تقييم الآثار المترتبة على دخول بريطانيا بالنسبة لمستقبل الاقتصاد البريطاني مناقشات حادة بين الفنيين ، فمنهم من يرى ان الانضمام يلقي اعباء مالية على الاقتصاد البريطاني بسبب تكاليف السياسة الزراعية الاوروبية ، وبسبب مساهمة بريطانيا في ميزانية السوق ويعرض الصناعة البريطانية للمنافسة الخارجية في سوقها المحلي وفي اسواق الكمنولث ، هذا فضلا عن ان ما ستحصل عليه بريطانيا من مساعدات من دول اوروبا الغربية بعد انضمامها للسوق تستطيع الحصول عليها دون ذلك الانضمام ، وفضلا عن ذلك أن تنازل بريطانيا عن مركز الاسترليني كعملة دولية يعتبر تسليما بالمظهر الاخير لوجودها في مقدمة الدول المهيمنة على الاقتصاد العالمي .

ولكن غالبية الفكر الاقتصادي ترى ان انضمام بريطانيا يوسع نطاق حرية التجارة ويزكي المنافسة داخل السوق مما يقضي على المشروعات التي لا تقوم على اساس اقتصادي سليم ويقيم انشطة اقتصادية جديدة قادرة وفعالة ، في صورة صناعات حديثة وضخمة ، ومعامل للبحث والابتكار لزيادة انتاجية الصناعة لا على المستوى البريطاني فحسب، بل على مستوى القارة الاوروبية ذاتها ، وعن هذا السبيل وحده تستطيع بريطانيا ان تبلغ درجة التقدم التي تمكنها من الصمود للتكنية الامريكية واليابانية كذلك .

ومن الناحية الدولية سيخلق دخول بريطانيا في السوق قوة اقتصادية وسياسية ضخمة ، تزيد في حجمها الاقتصادي عن حجم الاتحاد السوفيتي، وان كانت تظل في مستوى اقل من مستوى الولايات المتحدة .

ولا تقتصر اهمية هذه الفترة الجديدة على حجم مواردها الاقتصادية الانسانية ، بل ان اهميتها تتزايد ايضا اذا ما ادخلنا في الاعتبار ان اتفاقات الوحدة الاقتصادية الاوروبية من بينها اتفاق خاص بالذرة ، ففي اوروبا دولتان ذريتان ، هما فرنسا وبريطانيا ، فهل سيؤدي الامر الى خلق قوة ذرية اوروبية موحدة ، وهل سيكون لالمانيا الغربية الحق في ان تضع اصبعها على زناد السلاح الذري وهو اخشى ما يخشاه الكثيرون . وما هو موقف الاتحاد السوفيتي ورد فعله في مثل هذه الظروف. وما هو اثر ذلك على تطور السياسة والاقتصاد في العالم ؟ .

وقد يتساءل المرء في النهاية ما هو اثر السوق الاوروبية المشتركة بعد انضمام بريطانيا اليها على الاقتصاد العربي ؟ وما هو موقفنا حياله ؟ وهل للاتجاه الى الوحدة السياسية الاوروبية آثاره البعيدة على مستقبلنا السياسي ؟ وهل نستطيع اتخاذ مواقف معينة امام هذا المد الاوروبي الجديد ؟ .

كل هذه اسئلة تطرح نفسها وتحتاج الاجابة عليها الى بحث وتحليل . ومعالجة خاصة في بحث مستقل ، ولكننا نظن ان ازالة الحواجز الجمركية وتحقيق التعاون على مستوى رفعة اوربا المعيشية، يزيد من الافادة من الموارد العالمية في هذه المنطقة الاوروبية اى انه يزيد من الناتج الاجمالي في جزء كبير وهام من العالم ، ومثل هذا التقدم في صالح البشرية . ومن ناحية اخرى فان التقدم في احدى بقاع العالم لا بد وان يمتد آثاره الى غيرها من بقاع اخرى وليست المنطقة العربية بمنأى من ان تفيد من النمو والتقدم المتزايد في اوربا الغربية .

ولكن لكي يتم هذا، لا بد وان تستبعد كل اسباب الاستغلال التي عهدناها في الماضي ، ولا بد ان يدرك الاوربيون وهم يشاهدون تطورهم الجديد صوب حدود اوسع وقدرات اعلى ، ان رخاءهم هم ايضا يرتبط برخاء غيرهم من الشعوب ، فانه قد حان الوقت الذي يجب ان تتجه فيه سياسة الدول الى خدمة مصالحها على مدى الزمن البعيد، فلا تقتصر على نظرة المصلحة الحاضرة الضيقة .

اما عن الوسيلة الفنية التي تمكن الانسان في كل البقاع من ان يكون عنصرا فعالا في تحقيق التقدم وفي المشاركة في جني ثماره فامرها مدروس معروف لا نريد التعرض له هنا . ونحسب ان الاحساس الدولي المتزايد في المسئولية عن الرخاء العام وعن المصلحة الوطنية باشكالها الصحيحة ، هو خير ضمان لبلوغ اسمى الاهداف الانسانية . ■■

الدكتور عبد المنعم الطناملي

أولاد موسى بن شاكر

وأثرهم في الحركة العلمية في العصر العباسي

بقلم: سليم طه التكريتي

■ لا يرد حديث الثقافة العربية الاسلامية حتى تبرز في المقدمة حركة نقل العلوم الاجنبية الى اللغة العربية ، تلك الحركة التى كانت من اخطر الحركات الفكرية التى شهدتها الامة العربية في اعظم عهد من عهود تطورها وتعاظمها . فقد استطاعت حركة النقل هذه ان تضع بين يدى القارىء العربى ما توفر لدى الأمم الأخرى من علوم ، وان تفتح امامه آفاقا واسعة من المعرفة شاركت مشاركة فعالة في توسيع مدارك العرب والمسلمين ووضع اسس الحضارة العربية الاسلامية التى بهرت العالم ولا تزال .

وقد بدات حركة النقل هذه في عهد الخلفاء الامويين ثم بلغت اوج عظمتها في عصرى الرشيد والمامون بانشاء « بيت الحكمة » الذى كان اعظم مجمع علمى شهدته القرون الوسطى .

ومع ان الخلفاء الامويين والعباسيين كانوا دعاة حركة النقل والحادبين عليها فقد ظهر عدد كبير من الافراد حاكوا الخلفاء في اهتمامهم الاصيل بتلك الحركة ورعاية العاملين فيها وانفاق الاموال الطائلة . وكان اولاد موسي بن شاكر على رأس العاملين على تنشيط تلك الحركة والباذلين في سبيلها اضخم الاموال .

فمن هم اولاد موسي بن شاكر هؤلاء ؟ وما هو الدور الذى لعبوه في النهضة العلمية في العصر العباسي ؟

موسى بن شاكر

لا نعرف عن موسي بن شاكر شيئا سوى انه لم يكن من اهل العلم والادب بل كان في شبابه قاطع طريق يترصد للمسافرين فيسلبهم اموالهم وانه كان يعيش في خراسان ، أو « مرو » ، في الوقت الذى التجا به المامون الى تلك المدينة بعد وفاة والده الخليفة هرون الرشيد .

وحين كثرت الشكاوى من غارات موسي على السابلة امر المامون باجراء تحقيق في الامر وحامت الشبهات حول موسى ولكن عددا من جيرانه وصحبه شهدوا بانهم كانوا يرونه كل يوم يؤدى صلاة المغرب والعشاء والصبح معهم في الجامع الكبير ، وبذلك انتفت التهمة عنه وتحولت الانظار الى سواه . وكان ذلك الحادث سببا في تعرف موسي بن شاكر الى المامون حيث قدمه البعض الى المامون باعتباره واحدا من المنجمين المعنيين بشؤون الفلك. وقد انتقل موسي بن شاكر الى بغداد بعد ان استتب الامر فيها للمامون فقويت صلته بالخليفة ونال الحظوة لديه بعد أن صنع له بعض الازياج الفلكية ، الامر الذى حمل المامون على ان يتولى رعاية اولاد موسي الصغار، محمد واحمد والحسن، وان يوكل امر العناية بهم الى اسحاق بن ابراهيم

المصعبي ، حتى اذا ما شبوا دفع بهم الى يحيى بن أبي منصور رئيس بيت الحكمة فتفتحت امامهم في تلك الاكديمية كل انواع المعرفة والعلوم ووسائل الدرس والاستفادة حتى برزوا في علوم الفلك والرياضيات والميكانيكا والهندسة والموسيقى والطب والحكمة .

أولاد موسى بن شاكر والحركة الفكرية

يبدو الدور الذى لعبه أولاد موسى بن شاكر في الحركة الفكرية في عصرى المأمون والمتوكل بارزا في ناحيتين رئيسيتين اولاهما اهتمامهم الكبير بحركة الترجمة لامهات الكتب العلمية والفلسفية من اللغات الاجنبية الى العربية ، وثانيتهما انصرافهم الى معالجة كثير من العلوم والمعارف ولا سيما في ميدان الرياضيات والميكانيك والفلك والموسيقى .

ففى ميدان الترجمة أبدى اولاد موسى من النشاط والرعاية والبذل ما ساعد هذه الحركة على الازدهار بحيث لم يمض وقت طويل حتى كانت كل العلوم التى عرفت لدى البابليين والمصريين والفرس والاغريق والهنود والاقباط والسريان وغيرهم ، قد تم نقلها الى العربية وانكب الدارسون والمحققون على ارتشاف مناهلها وهضمها وتحويلها في نهاية الأمر الى علوم عربية خالصة بما اضافوه اليها من مبتكرات جديدة وأدخلوا عليها من تحويرات .

بنو موسى في بيت الحكمة

ولم يلبث بنو موسى أن اصبحوا يشرفون في « بيت الحكمة » على دائرة العلوم الرياضية والفلك والميكانيك وغيرها . فقد كان محمد ، وهو أكبرهم واشهرهم ، يشرف على ما كان يترجم في بيت الحكمة من كتب الجبر والمقابلة . وكان لديه مترجمون ينقلون له الكتب التى كان يختارها لهم بنفسه ، وكتبة يكتبون بين يديه .

ولم يقف نشاط بنى موسى عند هذا الحد . فكانوا ممن ولعوا ولعا شديدا في اقتناء كتب الفلسفة والرياضيات والميكانيكا والفلك ولا سيما اليونانية منها . وكانوا قد شاركوا في البعثات التى أوفدها المأمون الى بلاد الروم بحثا عن الكتب العلمية فيها . فقد رحل محمد عدة مرات الى اليونان وآسية الصغرى ابتغاء الحصول على كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والميكانيك .

وعندما زادت ايراداتهم اخذ بنو موسى يرسلون البعوث ، على حسابهم الخاص ، الى البلدان الاخرى لاستخراج الكتب العلمية منها وجلبها الى بغداد ، فكانت لديهم عدة ايفادات في هذا الشان الى اليونان وآسية الصغرى وغيرها وكان من بين من انفذوه لهذا الغرض حنين بن اسحق العبادى الذى اصبح من كبار المترجمين .

وفضلا عن ذلك فقد كان لأولاد موسى الفضل في اكتشاف عبقريات عدد من العلماء والنقلة ورعايتهم والانفاق عليهم . فهم الذين اكتشفوا حنين بن اسحاق وقدموه الى المأمون وشملوه بعطفهم ، كما اسبغوا رعايتهم على اسحق بن حنين ، وابن اخته حبيش بن الاعسم ، وثابت بن قرة العالم الرياضي الشهير والمترجم القدير الذى جلبه محمد بن موسى من الشام الى بغداد ومكنه من أن يصبح من مشاهير العلماء الرياضيين في العالم .

وبلغ من اهتمام بنى موسى بحركة الترجمة انهم كانوا ينفقون على أعمال النقل وحدها مبلغ خمسمائة دينار في الشهر ، مستخدمين في ذلك عددا من حذاق المترجمين من امثال حنين بن اسحق ، وولده اسحق ، وحبيش بن الاعسم ، وثابت بن قرة وعيسى بن يحيى وغيرهم .

وقد يدهش المرء من سعة هذا البذل في ميدان العلم ولكن دهشته سرعان ما تزول حين يعلم ان محمد بن موسى ، كما قال « القفطى » صاحب « اخبار العلماء باخبار الحكماء » ، مضى عليه زمن كان مدخوله السنوى اربعين الف دينار ، وان الخليفة المأمون كان يدفع الى حنين بن اسحاق من الذهب زنة ما ينقله الى العربية مثلا بمثل ولذلك كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة واسطر متفرقة وعلى ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه .

والى جانب النقل انتجوا

اما في ميدان البحث العلمي فان بنى موسى قد انصرفوا الى معالجة عدد من العلوم والمعارف وعلى الاخص الرياضيات والميكانيكا والفلك والهندسة والموسيقى ، وأبدعوا في هذا المجال ايما ابداع ، ووضعوا النظريات والمبتكرات التى لم يسبقهم اليها احد . فقد تمرس محمد في الفلك والرياضيات والفلسفة والطب ونبغ احمد في علم الميكانيكا وبرز الحسن في علم الهندسة بصفة خاصة .

ولقد عمل اولاد موسى الثلاثة في دار الرصد التى اقامها المأمون في منطقة الشماسية في اعلى بغداد وزودها بمختلف الآلات وكبار علماء الفلك في زمانــه .

مرض خاص

وحين ذاعت شهرة بنى موسى وتدفقت الاموال الطائلة عليهم انفصلوا عن دار الرصد المأمونيــة وانشاوا لهم مرصدا خاصا في دارهم التى اقاموها عند باب « الطاق » في جانب الرصافة من بغداد .

واشترك بنو موسى في التجربة التى قام بها المأمون سنة ٨٣٢ م لقياس محيط الارض وانتدب لها اشهر علماء الفلك والارصاد حيث قام فريقان من هؤلاء الفلكيين باجراء القياسات الخاصــة بمحيط الارض في كل من برية « سنجار » في شمال العراق ، وصحراء « تدمر » في الشام .

مؤلفات بنى موسى

وضع أبناء موسى العديد من المؤلفات في ميدان الفلــك والطب والميكانيــكا والهندســة فقد عالج محمــد في كتبــه التــى وضعهــا موضــوعات فلكية مهمة لم يسبق ظهــور امثالها في اللغــة العربية . واشترك الاخوة الثلاثة في وضع كتاب يحتوى على قياس المساحات المسطحة والمستديرة. وقد اشتهر هذا الكتاب في اوربا ، بعد ان ترجمه جيرار الكريمونى ، باسم كتاب الاخوة الثلاثة في الهندسة .

ولم يقصر محمد اهتمامهعلى الفلك والرياضيات فحسب بل برع في الفلسفة والطب ايضا وشارك أخاه احمد في علم الحيل اى الميكانيكا .

اختراعات احمد بن موسى

وكان أحمد بن موسى اعجوبة زمانه في علــم الميكانيكا ، صاحب مخيلة مبدعة خلاقة لا تفتأ تقدم - دون كلل أو ملل - الاختراعات العملية ذات الفوائد المنزلية ولعب الاطفال ، والاثقال وغيرها . وكانت الآلات التى صنعها أحمد ، واطلق عليهــا المؤرخون العرب اسم الآلات الروحية ، تضم دنانا من الخمر تفرغ من ذاتها كميات معينة من الشراب تعقب كل كمية منها فترة استراحة محددة ، وآلات تمتلىء بالسوائل وتفرغها تلقائيا ، وقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائيا ويصب منها الزيت ذاتيا ، ولا تستطيع الرياح اطفاءها . وهنــالك معالف لاتستطيع سوى حيوانات من حجوم خاصة ان تصيب ماكلها ومشربها منها ، وآلات تحدث صوتا خاصا كلما ارتفع مستوى الماء فيها الى حد معين ، ونافورات تندفع مياهها الفوارة في صور شتى على الدوام ، وساعات معدنية واسطرلابات وغيرها.

وقد جمعت مخترعات احمد هذه في كتاب اشتهر باسم « كتاب حيل بنى موسى » احتوى على مائة تركيب ميكانيكى ، عشرون منها ذات قيمة علمية بشهادة اساتذة جامعة اكسفورد بلندن الذين اخرجوا كتاب « تراثالاسلام » في أوائل الاربعينات من هذا القرن .

والف احمد ايضا كتبا في علم الاثقال مبنية في اكثرها على المبادىء المنسوبة الى العالم « اهرن الاسكندرى » .

ونجح الحسن ، وهو اصغر الاخوة وأنبغهم في الهندسة ، في تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ، وهو ما لم يسبقه اليه أحد من قبل ، واستخدم الطريقة الشائعة الآن في انشاء الشكل الاهليلجى ، واحتساب مساحة المثلث اذا علم طول كل ضلع من اضلاعه .

وينسب الى بنى موسي أنهم كانوا يقولونبوجود « تفاعل » بين الاجرام السماوية ، وهذا التفاعل هو «الجاذبية» التى تربط كواكب السماء بعضها البعض .

اولاد موسى والفلك

وفي ميدان الفلك والرياضيات أنجز اولاد موسي احتساب الحركة المتوسطة للشمس ، واكملوا الزيج المصحح ، وحددوا مَيَلان وسـط منطقة البروج ، كما حددوا الفروق في حساب العرض الاكبر من عروض القمر . ووضعوا تقاويم دقيقة لمواقع الكواكب السيارة ، واكدوا ميلان المحور الذى تدور حوله الارض ، وحسبوا مدى بعد الارض وقربها من الشمس ، وكل هذه امور لم تكن معروفة لدى الاغريق . وقد اعتمد الفلكى الشهير ابن يونس المصرى في ارصاده الفلكية على ما حققه بنو موسي من انجاز في هذا المضمار .

وبنوا للمتوكل مرصدا

واشترك الاخوة الثلاثة في بنــاء مرصــد كبير وعجيب للخليفة المتوكل على الله اقامه في قصره بسامراء . وفي هذا المرصد صنع الاخوان محمد واحمد اسطرلابا مدهشا لا مثيل له كان دائرى

الشكل ويتحرك بالقوة المائية وكان هذا الاسطرلاب يحمل في وسطه صور الكواكب والنجوم ورموزها على شكل حيوانات . وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته من الاسطرلاب ، وكلما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في تلك الآلة .

مؤلفات بني موسى

اما المؤلفات التي وضعها ابناء موسى بن شاكر فهي كثيرة ومتنوعة تتناول ابحاث الفلك والهندسة والطب والميكانيكا والموسيقى والاثقال والفلسفة. فقد اشترك الاخوة الثلاثة في تاليف كتاب الفرسطون، على ما رواه ابن النديم صاحب الفهرست، وكتاب الآلات الحربية ، وكتاب الحيل .

ووضع احمد بالاضافة الى ذلك كتابا عن عدم وجود كرة تاسعة خارج الكواكب الثابتة ، وكتابا في المسالة التي القاها على سند بن علي ، وآخر في المسائل التي جرت بينه وبين سند بن علي .

ومن مؤلفات محمد ، غير ما شارك اخويه فيه ، كتاب حركة الفلك الاولى ، وكتاب المخروطات ، وكتاب الثلث ، وكتاب الجزء ، وكتاب اولية العالم ، وكتاب مائية الكلام ، وكتاب الشكل الهندسي ، وكتاب التقاويم لمنازل السيارات .

ومن مؤلفات الحسن كتاب الشكل المدور والمستطيل وكتاب مساحة الاكر ، وكتاب قسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية ، وكتاب وضع مقدار معين بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة.

جوستاف لدبون وأبناء موسى

ولقد اشاد كثيرون من علماء الغرب بجهود ابناء موسى ومآثرهم في ميدان العلم والحضارة فقال المؤرخ الفرنسي المعروف «غوستاف لوبون» صاحب كتاب حضارة العرب عنهم : « انهم عينوا بضبط لم يكن معروفا من قبلهم مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا تقاويم لأمكنة النجوم السيارة ، وعينوا بالضبط سنة ٩٥٩ م درجة عرض بغداد فقيدوها ٣٣ درجة وعشرين دقيقة » .

وقال المستشرق الانكليزي ديلاسي اوليري مؤلف « مكانة الفكر العربي في التأريخ » و « كيفية انتقال علوم الاغريق الى العرب » ،عن بني موسى: « ان العالم مدين لهم بمقالة في الهندسة السطحية والكروية ، وبمجموعة من المسائل الهندسية ، وبكتاب في الهندسة هو الذي ترجمه جيرار الكريموني

وقد ظل هذا الكتاب يستخدم لمدة طويلة (في اوربا طبعا) كمقدمة وافية في الهندسة » .

وعلى ما اصابه بنو موسى من شهرة وثراء ، وما اسهموا به في توطيد الحركة العلمية والفكرية في ازهى عصر من عصور الحضارة العربية الاسلامية، مع ذلك فانهم لم يتحرروا من خلة ذميمة لا تليق بالبشر بل العلماء والمفكرين هي خلة الحسد والحقد على من كان انبه منهم ذكرا وارفع منهم منزلة في ميدان العلم والمعرفة . فقد كانوا يكيدون لمثل هؤلاء ويوغرون عليهم صدور الحاكمين وذلك ما فعلوه تجاه علمين من اعلام الفكر العربي في ذلك الوقت هما سند بن علي الفلكي الشهير ، وابو يعقوب الكندي كبير فلاسفة العرب والمسلمين فلقد كاد اولاد موسى لسند بن علي لدى المتوكل فغضب هذا عليه وابعده من سامراء الى بغداد ثم اوغرا صدر المتوكل على الفيلسوف الكندي فحقد عليه وضربه واستغلا هذه الفرصة فاستولوا على كتب الكندي ، وهو في محنته تلك ، ونقلوها الى بيتهم وافردوا لها خزانة سميت بالكندية .

ولم تلبث خبيئة نفوسهم الدنيئة هذه ان انكشفت حين اوكل المتوكل الى محمد واحمد امر الاشراف على حفر نهر الجعفري فعهدا بامره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي اخطأ في حساب فوهة النهر ولما بان ذلك للمتوكل أرسل بطلب سند بن علي واحضر معه محمدا واحمد وأمره بان يدرس موضع الخطأ في النهر وهدد الاخوين احمد ومحمد بان يصلبهما على شاطىء الجعفري ان تحقق خطأ حسابهما فيه ، غير ان سند بن علي افهم الاخوين بانه سيقنع المتوكل بعدم وجود خطأ في النهر المذكور شريطة ان يردا الى الكندي كتبه . حتى اذا فعلا ذلك عاد سند الى المتوكل فاعلمه بان الاخوين لم يغلطا في حفر النهر .

وكان سند قد افهم ابني موسى ان الخطأ في النهر يستتر مدة اربعة اشهر بفيضان دجلة وان حياته وحياتهما بيد القدر اذا ما نقصت دجلة بعد ذلك وتاكد الخطأ وهنا تدخل القدر لانقاذ الثلاثة من موت محقق فقد قتل المتوكل قبل ان تنقص دجلة وينكشف الخطأ في حفر ذلك النهر . ويفترض بعض من درسوا موضوع هذا النهر وجود علاقة بين الخطأ فيه وبين اغتيال الخليفة المتوكل . ■■

بغداد ـ سليم طه التكريتي

طرائف

خصال اربع

● عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : من اعطى اربع خصال فقد اعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منهما : ورع يعصمه عن محارم الله ، وحسن خلق يعيش به في الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل ، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة .

اشعب

● خرج سالم بن عبد الله متنزها الى ناحية من نواحي المدينة ومعه اهله وحرمه فبلغ اشعب الطماع الخبر ، فوافاهم يريد التطفل ، فصادف باب البستان مغلقا ، فتسور الحائط عليهم.

البلاغة عند اهل الصناعة

● اجتمع قوم من أهل البلاغات فوصفوا بلاغاتهم عن طريق صناعاتهم . فقال الجوهري : احسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة ، ونظمته الفطنة ، وتضد جوهر معانيه في سموط الفاظه فاحتملته نحور الرواة . وقال العطار : اطيب الكلام ما عجن عنبر الفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم شمه ، وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة .

وقال الحداد : خير الكلام ما نصبت عليه منفخة الروية ، واشعلت فيه نار البصيرة ، ثم اخرجته من فحم الافحام ورققته بفطيس « المطرقة المظيمة » الافهام .

حكم

● خرج كسرى انو شروان متنزها فلقيه حكيم ، فساله كسرى عن احزم الملوك فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، واعرب لسانه عن ضميره ، ولم يختدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه . فقال كسرى : لا ، بل احزم الملوك من اذا جاع اكل ، واذا عطش شرب ، واذا تعب استراح ، ثم قال كسرى علمني من حكمتك ايها الحكيم ، قال : احفظ عني ثلاث كلمات . قال : هات . قال : صقلك لسيف ليس له جوهر من طبعه خطأ ، وبذرك الحب في الارض السبخة ترجو نباته جهل ، وحملك الصعب السير على الرياضة عناء .

عربيـة

الطماع

فقال له سالم . ويلك يا اشعب ، معي بناتي وحرمي ! فقال له اشعب : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وانك تعلم ما نريد ، فضحك منه وامر له بطعام اكله وحمل منه الى منزله .

معرفتك متفرقة

● دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من انت ؟ فقال له : يا امير المؤمنين ، ما رأيت لك هفوة قبل هذه،مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : ان معرفتك متفرقة، اعرف وجهك اذا حضرت في الوجوه ، واعرف اسمك في الاسماء اذا ذكرت ، ولا اعلمان ذلك الاسم هو لهذا الوجه، فاذكر لي اسمك تجتمع لي معرفتك

يتقعـر

● كان رجل من التجار له ولد يتقعرفي كلامه ويستعمل الغريب ، فجفاه ابوه استثقالا وتبرما مما كان يأتي به ، فاعتل ابوه علة شديدة اشرف منها على الهلاك فقال: اشتهي ان ارى اولادى فأحضروهم بين يديه . وآخر هذا حتى لم يبق سواه . فقالوا : ندعو لك بأخينا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلني بكلامه . فقالوا : قد ضمن الا يتكلم بشيء تكرهه ، فاذن له فلما دخل قال : السلام عليك يا ابت قل اشهد ان لا اله الا الله ، وان شئت قل اشهد انْ لا اله الا الله ، فقد قال الفراء كلاهما جائز والاولى احب الى سيبويه ، والله يا ابتِ ما شغلني عن زيارتك غير ابي علي القالي فانه دعاني بالامس : فاهرس واعدس ، وارزز واوزز ، وسكبج وسبج،وزربج وطبهج،وابصل وامصر ، ودجدج ولوزج. فصاح ابوه العليل قائلا : افرنقع عني فقد اهلكتني .

دجاجة باردة

● صحب الفاضري رجلا من قريش من مكة الى المدينة فقال القرشي : يا غلام اطعمنا دجاجة ، فأتى بها باردة . فقال :ويحك اسخنها . ورُفع غداؤهم ولم يؤت بالدجاجة، فلما كان العشاء ، قال : يا غلام عشاءنا. فلما اتاهم العشاء قال : هات تلك الدجاجة ، فأتى بها باردة :فقال : اسخنها . فقال : الفاضري : أخبروني عن دجاجتكم هذه امِن آل فرعون هي ؟ فاني اراها تعرض على النار غدوة وعشيا . فقال ويحك يا فاضري اكتمها علي ولك مني مائة دينار ، فقال : والله ما كنت لا بيعها بشيء .

العَرَبُ وَالمـلاحَة

شأنهم بالبحر قبل الاسلام كشأنهم من بعد إسلام

بقلم : الدكتور رياض محمود رويحه

■ قليلون هم أولئك الذين يعرفون ان العرب ظلوا سادة البحار واساتذة العالم في الملاحة اجيالا طويلة قبل الاسلام وبعده .

عرب الجنوب والاحساء

فعرب الجنوب و « الاحساء » جابوا الخليج العربى ، والبحر الاحمر ، والمحيط الهندى ، قبل الميلاد بقرون ، وتاجروا مع الشعوب الساكنة على شواطىء هذه البحار يوم كانت سفنهم بدائية لا تعدوا أن تكون مؤلفة من الواح خشبية تجمع بواسطة احبال ليفية تشد بعضها الى بعض ، ويسيرونها بواسطة مجاديف صغيرة كانوا يسمونها « المردى » ، او بواسطة شراع مثلث ، هو نفس الشراع الذى اقتبسه عنهم ملاحو البحر الابيض بعد الفتح العربى وظل مستعملا الى اليوم ، اذ كانت الشرع قبل ذلك التاريخ في هذا البحر مربعة الشكل ، وقد ظلت كذلك الى أن دخلت السفن العربية ـ ذات الشراع المثلث ـ البحر الابيض بعد الفتح العربى في صدر الاسلام .

كذلك عرب الشمال

وليس عرب الجنوب « والاحساء » وحدهم من بين سكان الجزيرة العربية الذين تفردوا بهذا النشاط البحرى ، بل ان عرب الشمال شاركوهم في هذا النشاط ايضا .

والطبرى يقول : ان « الأبلة »(١) كانت تسمى قبل الاسلام « ثغر الهند » لكثرة البضائع التى كانت تنقلها منها واليها ، ولكثرة الصلات البحرية بينها وبين الهند ، كما ان سكان « البتراء »(٢) اشتهروا بمثل هذا النشاط البحرى ايضا .

والشاطىء اليمنى في جنوب الجزيرة

والتاريخ يحدثنا ان الشاطىء اليمنى في جنوب

---

(١) الابلة : تقع على الشاطىء الشرقى للجزيرةالعربية في شمال الخليج العربى ويصب قربها دجلة والفرات .

(٢) البتراء : تقع على الشاطىء الجنوبى الشرقىلسيناء قرب خليج العقبة على البحر الاحمر .



وساقوا أساطيلهم البحرية إلى الأساطيل البيزنطية فهزموها هزيمة منكرة

الجزيرة العربية كان لفترة طويلة في القرن الاول للميلاد يزدحم بأرباب السفن والملاحين العرب ، وكان يسكن هذا الشاطىء قبيلة « حِمْيَر » التى عرف ابناؤها في هذا القرن بنشاطهم البحرى ، اذ كانوا على اتصال دائم بمدن « الصومال » و « اريتريا » والهند وفارس . وكانت مدينة عدن مركزا هاما للتبادل التجارى البحرى ولتبادل السلع بين الهند ومصر ، وقد كثر فيها عدد التجار من اليونان والرومان حتى انه اقيمت فيها كنيسة للنصارى – وقد يكون هذا في جملة الاسباب التى ادخلت المسيحية الى الجزيرة العربية فيما بعد – .

والعرب فى الحبشة والصومال

كذلك يحدثنا التاريخ ان « اكسوم » اى الحبشة اسسها عرب الجنوب الذين حكموا « الصومال » وما جاورها . وان « زنجبار » كان يحكمها سلطان عربى . وكل هؤلاء قدموا الى هذه البلاد واستوطنوها مع جاليات ضخمة من العرب عن طريق البحر بسبب نشاطهم الملاحى الذى كان سببا لانتشارهم فى اكثر البلاد والمدن الساحلية التى تقع على ساحل البحر الاحمر والمحيط الهندى وخليج فارس .

وأهل سبأ

والثابت الاكيد ان « السبئيين » اى سكان « سبأ » في جنوب الجزيرة العربية كانوا اسياد النقل البحرى بين آسيا واوربا في القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد اكتشف في « الجيزة » بمصر تابوت مكتوب عليه بالخط الجنوبى وباللهجة « المعينية » يرجع تاريخه الى سنة ٢٦٣ قبل الميلاد ، يدل على ان كاهنا عربيا في احد المعابد المصرية يدعى « زيد آل بن زيد » كان يستورد بسفينته المر وقصب الطيب من اليمن ، ويرسل اليها الاثواب الجميلة المصنوعة من البز المصرى . واغلب الظن ان زيدا هذا انما نصب كاهنا في مصر لحاجة المعابد اليه لتزويدها بالتوابل اللازمة لاقامة الطقوس الدينية .

كذلك عثر على نقوش – معينية سبئية – مكرسة لالهة عربية جنوبية في احدى جزر بحر « ايجا » حيث كان يوجد تجار عرب ، اذ كانت هذه الجزيرة



وتسمى ــ ديلوس Delos مركزا لتجارة الشرق مع بلاد البحر المتوسط في القرن الثاني قبل الميلاد.

وشعراء العرب ذكروا البحر والسفن

ولسنا بحاجة الى القول بان شعراء العرب في الجاهلية ذكروا في اشعارهم البحر والسفن ، كما وصفوا جريها في اليم ، وشبهوها بالهوادج المحملة على ظهور الابل في الصحراء . وحسبنا ان نذكر ــ على سبيل المثل ــ ابيات « طرفة » الذى عاش في الربع الثالث من القرن السادس الميلادى على الساحل الشرقي لجزيرة العرب ، اى في «البحرين» والتى وردت في معلقته المشهورة التى مطلعها :

« لخَوْلة » أطلال « ببرقة ثهمد »
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقد شبه فيها النياق وعليها الهوادج بالسفن وهى تمخر عباب اليم اذ قال :

كأن حدوج « المالكية » غدوة
خلايا سفين بالنواصف من « دَدِ »
« عدولية » أو من سفين بن « يامن »
يجورُ بها الملاّح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

فهذه الابيات لها دلالة قاطعة على ان سكان البحرين في الجزيرة العربية كانوا يتعاطون صناعة البحر . وان بين قراها بعض القرى التى اشتهرت بصناعة السفن امثال قرية « عدولى » . كما كان فيها بحارة مهرة مشهورون امثال « ابن ماجد » .

والعرب عرفوا الانواء الموسمية والابرة المغناطيسية

ولقد عرف العرب منذ القديم الانواء البحرية ومواعيدها، كما عرفوا الايام التى تهب فيها الانواء الموسمية ، وعينوا الايام الصالحة للملاحة ، حتى ان « المسعودى » يقول : ان التجار العرب كانوا يستعينون في اسفارهم بدليل بحرى سموه « رهماني » وهى كلمة فارسية تعني ــ دفتر ارشادات الملاحة ــ .

والعرب المسلمون هم اول من استعمل «الحك» اى الابرة المغنطيسية في الاسفار البحرية . وكان ذلك في القرن الحادى عشر للميلاد او قبله . كما ان البحارة الطليان هم اول من استعمله في اوربا بعدهم .

وعناية بالبحار من بعد اسلام

ولم يكن العرب بعد الاسلام اقل عناية بالبحر والملاحة منهم قبل الاسلام ، بل لقد زادت هذه العناية ، وتوسعوا في اعمال الملاحة فاتخذوا الاساطيل الحربية ، الى جانب السفن التجارية التى كانت تمخر عباب المحيط الهندى والبحر المتوسط بعد اتساع الفتح العربى والقضاء على الامبراطوريتين الرومية والفارسية .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلمين على النشاط والعناية بامر البحر ، واستغلاله ، والتمتع بخيراته الكثيرة التى هى من نعم الله على خلقه .

وصلات قريش ــ القبيلة العربية الشمالية ــ بالحبشة عن طريق التجارة البحرية قبل الاسلام وبعده اشهر من ان تعرف ، لا سيما ان النبى الكريم قد افاد من هذه الصلات حين امر المؤمنين بالهجرة الى الحبشة لما اشتد اذى مشركي قريش لهم . ولقد احسن « النجاشي » ملك الحبشة استقبالهم في مملكته ، وامنهم ولم يسلمهم حين طلب اليه وجوه قريش من المشركين دفعهم اليهم لينتقموا منهم ، وليردوهم الى دين الوثنية .

والتاريخ يروى لنا ايضا ، انه كان للجالية العربية الاسلامية التى سكنت الصين بسبب صلاتها التجارية البحرية معها امتيازات خاصة عند ملك الصين ، اذ منحهم حق احالة خلافاتهم الى قاضي منهم يحكم بينهم بمعزل عن القضاء الصيني، ولم تكن هذه الميزة لجالية غيرهم في ارض الصين .

وبلغ العرب كوريا

ولقد بلغ العرب في اسفارهم البحرية بلاد « كوريا » التى يسميها « ابن خرداذبة » « بلاد الشيلا » . ولقد وصفها فقال عنها : ان فيها الذهب الكثير ، وان من دخلها من المسلمين استوطنها ، وانه لا يعلم ما بعدها !!

وقصة ابن ماجد

ومن الثابت الاكيد ان العرب ظلوا سادة البحر في المحيط الهندي حتى سنة ١٤٩٨ للميلاد عندما دخل البرتغاليون مياه هذا المحيط .

ولعل من المفارقات المذهلة ان يكون دليلهم ومرشدهم في هذا البحر تاجرا عربيا مشهورا هو « احمد بن ماجد » اذ قاد سفينتهم من «ملندي» شرق افريقيا الى « كلكتا » فكان من سخرية القدر ان ملاحا عربيا مشهورا ساعد في القضاء على الملاحة العربية ، اذ لم يستطع العرب بعد ذلك ابعاد الشعوب الاوربية ، او منافستها في هذا المضمار .

وفي زمن عمر

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ « سنة ١٣ ـ سنة ٢٣ هـ » الموافقة « لسنة ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م » شنت اول غارة بحرية عربية من الشواطىء العربية على اعداء المسلمين. فلقد سير عمر حملة بحرية ضد الاحباش ردا على هجماتهم على سواحل الجزيرة العربية ، وكان ذلك في سنة ٢٠ للهجرة الموافقة لسنة ٦٤١ للميلاد فوصلت الى « ادولس » ولكنها لم توفق حين نزلت الى اليابسة لاسباب لا مجال لذكرها هنا .

وفي البحرين وعمان

كذلك استخدم العرب بعد الاسلام الساحل الشرقي « اى البحرين وعمان » لشن بعض الغارات البحرية في بعض حروب الفتح العربي ، فنقلوا بعض قواتهم المحاربة بحرا ، كما اصبحت بعض الغارات العربية البحرية فيما بعد جزءا من ـ الستراتيجية ـ العسكرية لجيش المسلمين عند بعض الولاة ، اما للغزو ، واما لرد غارات المغيرين كالاحباش والروم .

فعثمان بن ابى العاص الثقفى ـ والي البحرين في زمن خلافة عمر بن الخطاب ـ شن غارة بحرية جريئة من « عمان » على ساحل الهند عند مدينة « تانة » بالقرب من مدينة « بومباى » ، كما وجه اخاه ـ المغيرة بن ابيالعاص ـ الى «خور الديبل» عند مصب نهر السند سنة ٦٣٦ ميلادية .

ولما رجع جيش عثمان بن ابى العاص الثقفى من « تانة » ـ كتب الى الخليفة عمر يعلمه بخبر الحملة ـ اذ كان قد قام بهذه الغارة دون ان يستاذن الخليفة ـ فكتب اليه عمر يقول : يا اخا ثقيف ، حملت دودا على عود ، وانى احلف بالله ان لو اصيبوا لاخذت من قومك مثلهم !

والمشهور عن الخليفة عمر بن الخطاب انه كان يخاف على المسلمين من البحر ، ولذلك كان يأبى ارسالهم غازين او محاربين فيه ، ولم يفعل ذلك الا مرة واحدة كما ذكرنا انفا حين ارسل حملة بحرية لتاديب الاحباش الذين كانوا يغيرون على شاطىء الجزيرة .

وحكاية عمر مع واليه على الشام ـ معاوية بن ابى سفيان ـ معروفة مشهورة . فقد كتب معاوية الى الخليفة عمر يستاذنه فيغزو جزيرة ـ قبرص ـ كتب اليه يقول : يا امير المؤمنين ! ان بالشام قرية يسمع اهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم !! وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص .

عمرو يكتب الى عمر وصف البحر ، فيخشاه عمر

فكتب عمر بن الخطاب الى واليه في مصر ليصف له البحر ـ اذ كان عمر كما قلنا يخافه ويرهبه ، فكتب اليه والى مصر ـ عمرو بن العاص ـ يقول : انى رايت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركن خرق القلوب ، وان تحرك ازاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة . هى فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق[٣] .

فلما قرا عمر هذا الوصف المفزع للبحر كتب الى واليه معاوية ينهاه ويقول له : انا سمعنا ان بحر الشام يشرف على اطول شيء على الارض .. ! ويستاذن الله في كل يوم وليلة في ان يفيض على الارض فيغرقها .. فكيف احمل المسلمين على هذا الكافر المستصعب ؟! وتالله لمسلم أحب الي مما حوت الروم ، فاياك ان تعرض لى .. وقد تقدمت اليك بالا تفعل .. الخ .

هذه القصة ـ التى تلوح عليها دلائل الوضع ـ يتخذ منها البعض دليلا على ان العرب لم يكونوا امة بحرية ، والا لما جهل خليفتهم البحر واحواله،

---

(٣) برق : كفرح ، اى تحير حتى لا يطرف ، او دهش فلم يبصر .



فراح يسال عنه عامله على مصر عمرو بن العاص .

وجهل عمر بن الخطاب للبحر واحواله – على فرض صحة هذه الرواية – وعدم سماحه للمسلمين بركوبه غازين او فاتحين لا ينهض دليلا على قصر باع العرب بصناعة البحر، ولا يعنى انهم لم يكونوا سادة هذا البحر لفترة طويلة من الزمن قبل الاسلام وبعده .

استيلاء العرب على قبرص

على ان معاوية بن ابى سفيان الذى اخفق فى اقناع عمر بن الخطاب بالسماح له بغزو قبرص ، قد نجح ايام خلافة عثمان بن عفان – سنة ٦٤٤ – سنة ٦٥٦ م – باقناعه للموافقة على هذا الغزو وقد اشترط عليه الخليفة ان يصحب زوجه معه ليتاكد من ان غزو الجزيرة لا يشكل خطرا على الغزاة المسلمين كما زعم له واليه !

وفى سنة ٦٤٩ م غزا العرب جزيرة « قبرص » وفى السنة التالية استولوا على جزيرة « ارواد » وهذا يعنى ان العرب بدأوا يستعملون الاسطول البحرى فى غزواتهم وفتوحاتهم بعد أقل من خمس عشرة سنة من استيلائهم على الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط .

صار للعرب اسطول ضخم

ولم يمض على الفتح العربى واحتلال العرب لبعض شواطىء البحر الابيض المتوسط زمن طويل حتى شعر الولاة العرب بالحاجة الى اسطول عظيم يحمى شواطئهم من غارات الاسطول الرومى عليها. فلقد كان الاسطول البيزنطى يغير بين الفينة والفينة على سواحل سوريا وفلسطين ومصر ، فينال منها، ثم يقفل راجعا .

وفى برهة وجيزة صار للعرب اسطول ضخم يجوب المتوسط دون خوف او وجل من الاسطول البيزنطى الذى ظل حتى ذلك الوقت سيد البحر الابيض المتوسط من شرقه الى غربه .

بين الاسطول العربى والاسطول البيزنطى

وكان الحدث الفاصل فى تفوق الاسطول العربى على الاسطول البيزنطى فى هذا البحر ، هو معركة « ذات الصوارى » المشهورة ، وانتصار العرب فى هذه المعركة انتصارا بسط سيادتهم البحرية على البحر المتوسط دون منازع او مزاحم عدة اجيال.

ففى سنة ٦٥٥ ميلادية اقلعت من مصر مائتا سفينة عربية تحت قيادة والى مصر يوم ذاك « عبد الله بن سعد بن ابى سرح » وابحر من الشام عدد من السفن لا يقل عن هذا العدد يقودها « ابو الاعور السلمى » وكان غرض هذه السفن – على الغالب – النزول على ساحل « ليكيا » لاقتطاع شجر السرو لبناء السفن .

وتعرض لها الاسطول البيزنطى – وكانت عدته خمسمائة سفينة – فى عرض البحر ، والمؤرخون العرب يقولون ان العرب عرضوا على البيزنطيين القتال على البر ، فرفض البيزنطيون ذلك وآثروا الحرب فى البحر لثقتهم وكفايتهم وكفاية اسطولهم .. ولكن العرب فى اثناء المعركة البحرية استعملوا خططا تكتيكية جعلت المعركة شبيهة بمعركة برية ، اذ تشابكت السفن العربية بالسفن البيزنطية ، واخذ العرب يحاربون بالسيوف والنبال تماما كما يحاربون على اليابسة، وهذا الطراز من القتال كان يوافق الجانب العربى دائما .

على ان من الصعب الاعتقاد بان العرب حاصروا الاسطول البيزنطى جميعه فى مكان ضيق حين دارت المعركة فى عرض البحر وفى ساحة كبيرة منه ، بل الاقرب الى الواقع ان يكونوا قد دمروه فى عدة معارك وبشكل مجزأ ، كما اننا لا ننكر ان الملاحين القبط الذين كانوا يقودون بعض سفن الاسطول العربى القادم من مصر قد ساعدوا الجيش العربى على الانتصار ببراعتهم وحسن قيادتهم للسفن المحاربة ، وهكذا انهزم الاسطول البيزنطى انهزاما منكرا واغرقت اكثر سفنه ، ونزل العرب على ساحل « ليكيا » بعد المعركة ، واصبح اسطولهم منذ ذلك الحين السيد المسيطر على البحر المتوسط ، وراح يهدد – القسطنطينية – عاصمة البيزنطيين و « صقلية » الجزيرة التى غزاها الفتح العربى فيما بعد .

ومما يدعو للدهشة والعجب – كما يقول المؤرخون الغربيون – قيام العرب بهذه الاعمال الجريئة فى البحر المتوسط بمثل تلك الفترة الوجيزة من الزمن ، الامر الذى وقف عنده المؤرخون مشدوهين حائرين لا يملكون الا ان يعجبوا بهذه الامة الحية الناشطة التى ضربت المثل وقدمت

الدليل على ذكاء ابنائها وجرائهم ونبوغهم واسهامهم في اكثر النهضات التي يسعد بآثارها البشر اليوم.

وفي الاسكندرية

كذلك كان النشاط العربي البحري في العصور اللاحقة موفقا ظاهرا، فلقد ظلت مدينة الاسكندرية سوقا كبيرا ، وميناء عظيما ، كما كانت ايام الرومانيين قبل الفتح العربي ، وبعد هذا الفتح بعامين فقط ، اعاد عمرو بن العاص فاتح مصر فتح قنال « تراجان » سنة ٦٤١ – ٦٤٢ م – وشحن عن طريق هذه القناة عند ميناء « بابليون » عشرين سفينة من القمح تم ارسالها عن طريق البحر الاحمر الى ميناء المدينة « الجار » لاطعام اهل الحجاز الذين جاعوا بسبب القحط الذي اصابهم في ذلك العام . وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد كتب اليه يطلب النجدة لاطعام المسلمين من خيرات مصر .

والطبري يذكر ان المنصور جهز سنة ١٥٣ هـ جيشا في البحر لحرب « الكرك » اى الكيرج الذين كانوا قد اغاروا على « جدة » سنة ١٥١ هـ .

شاء الرشيد شق قناة السويس ولكنه عدل

كما ان الخليفة هارون الرشيد من بعده اراد – كما اراد عمرو بن العاص من قبله – ان يشق قناة مكان قناة السويس التي شقها المهندس الفرنسي « دلسبس » بعد عشرة قرون ونيف – سنة ١٢٨٦ هـ – سنة ١٨٦٩ م – ولكن الرشيد عدل عن هذه الفكرة للسبب نفسه الذي من اجله عدل عمرو بن العاص عن تنفيذها قبله ، وهو ان مثل هذه القناة لو فتحت ، ربما مكنت القوات البيزنطية من الاغارة على طريق الحج في البحر الاحمر . وعلى مكة والمدينة للاعتداء على الحجيج في موسم الحج .

ولا يظن احد ان في هذا الزعم اى جنوح الى الوهم او الخيال ، فقد اثبت الواقع فيما بعد صحة هذه المخاوف عندما احتل الصليبيون «ايلة» على خليج العقبة في القرن الثاني عشر للميلاد ، وشن « رينودى شاتيون » احد قواد الصليبيين سنة ١١٨٣م غارة كهذه من هناك .

احمد بن ماجد ودليله البحري

اما المؤرخون العرب الذين كتبوا عن البحر والنشاط العربي فيه فهم كثيرون ، ومخلفاتهم جميعها تدل على ان النشاط البحري العربي في المحيط الهندي ظل يتزايد حتى بلغ الذروة في القرن التاسع للميلاد . وبقي كذلك حتى القرن الرابع عشر حين وضع المرشد البحري العربي المشهور « احمد بن ماجد » دليله البحري الممتاز الذي استند فيه الى خبرته الشخصية والى معلومات من سبقه من المؤلفين العرب في هذا العلم واشهرهم « ابن خرداذبة » صاحب كتاب « المسالك والممالك » الذي وضعه سنة ٨٥٠ م . و « المسعودي » صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذي وضعه سنة ٩٤٧ م . وكتاب « التنبيه والاشراف » ايضا وقد وضعه سنة ٩٥٥ م .

كما ان « لليعقوبي » سنة ٨٩١ م و « ابن الفقيه» و«ابن رشد» سنة ٩٠٣ م و «الاصطخري» سنة ٩٥٠ م و « ابن حوقل » كتبا في الموضوع نفسه بعد هذا التاريخ بقليل .

وكان آخر كتاب عربي وضع بهذا الخصوص هو كتاب « المروزي » سنة ١١٢٠ م(٤) .

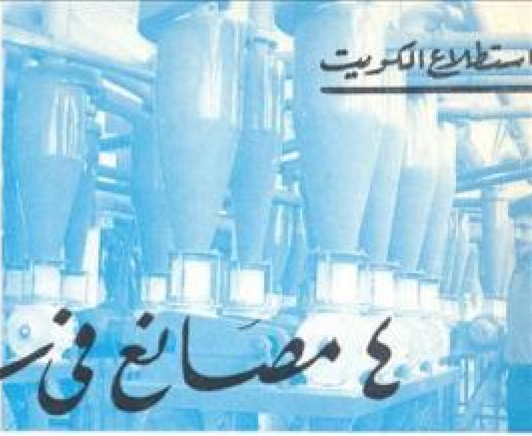
وبعد

وبعد .. فهذه لمحة موجزة عن العرب ونشاطهم البحري وطول باعهم في هذه الصناعة ، وضعناها بين يدي القارىء ليدرك عظمة هذه الامة التي قال المنصفون من مؤرخي الغرب عنها : « انها قادت العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني طوال الفي سنة على الاقل قبل ايام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة اربعة قرون تقريبا ، ورافقت المدنيات وطورتها ، وظلت في عداد الامم سيدة البحار حتى عصر البخار حين استعمل الاوربيون السفن التجارية فعجز العرب عن مجاراتهم لظروفهم التي لم تمكنهم من محاكاتهم يوم ذاك .. » . ■■

رياض محمود رويحة
اللاذقية – سوريا

---

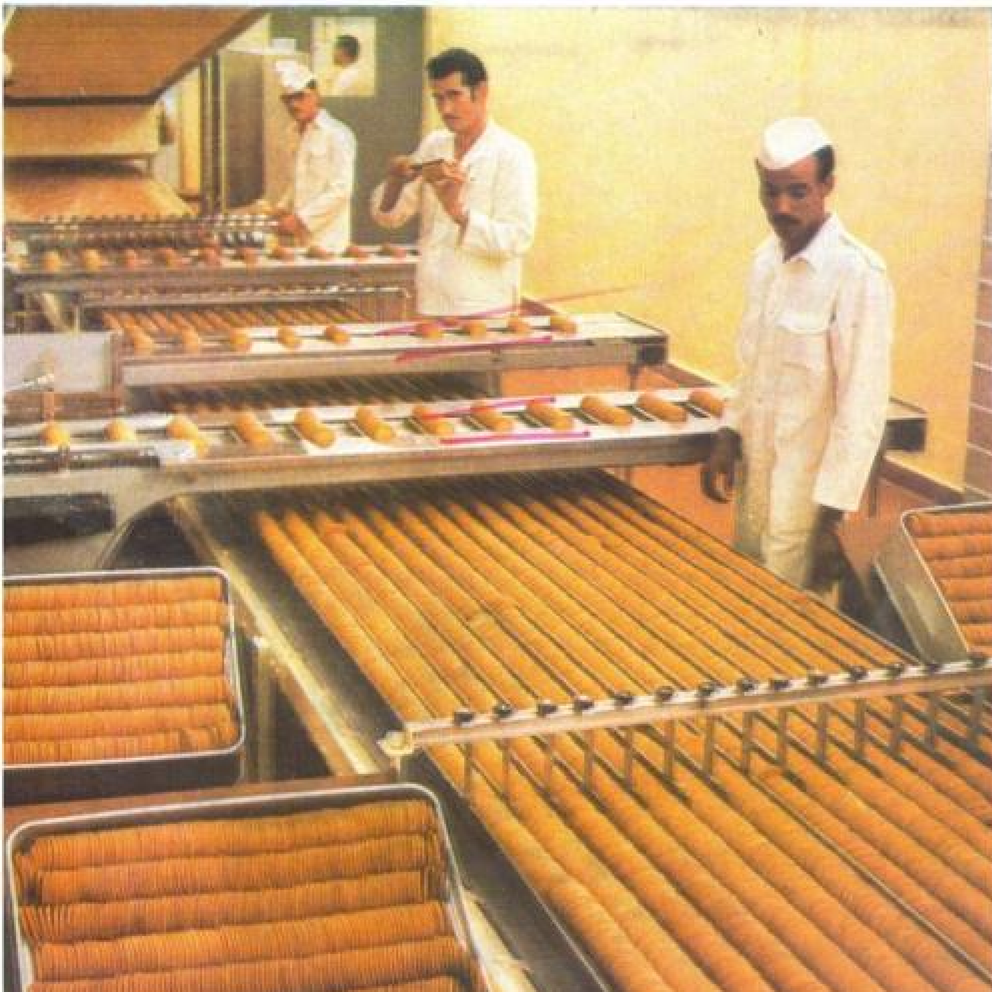
(٤) راجع كتاب « العرب والملاحة في المحيط الهندي » تأليف : جورج فاضلو حوراني



الى اليمين : بعد نصف ساعة من دخول حبة القمح الى المطحنة تصبح دقيقا ناعما ، ونرى هنا آلة فصل الهواء عن القمح ، وبجانبها المهندس عبد العزيز خالد البدر ، الذى تولى مسئولية ماكنات الطحن بعد تخرجه من جامعة سان فرنسيسكو في العام الماضي .

٤ مصانع في شركة المطاحن

تنتج الدقيق والخبز والمعكرونة والشعرية والبسكويت





بقلم

سليم زبال



الى اليمين : الوف قطع البسكويت تمر بجهاز التصفيف الآلي الذي يرتبها في صفوف طويلة ، قبل ان ينقلها الى ماكنات التغليف .. وفي الصورة العليا ترى اشرطة المعكرونة بعد أن تم تجفيفها ، تمر بالمرحلة النهائية قبل تقطيعها .. وبجانبها المهندس يوسف البحر الذي تدرب في مصانع المعكرونة بايطاليا .

• ألف طن من المعكرونة تأكلها الكويت سنويًا

• ٢٣١ طنًا من البسكويت لطلبة مدارس الكويت

■ رغيف الخبز .. نتذكره دائما عندما نجوع.. وخاصة في مشرقنا العربي ، حيث يصل استهلاكنا للخبز الى ارقام خيالية .. ففي الكويت مثلا ، حيث يصنع يوميا ما يوازي اربعة ملايين رغيف ، نجد ان متوسط استهلاك الفرد الواحد يزيد على خمسة ارغفة يوميا ..

وهذا الرقم يجعلنا نتساءل : هل حقا نحن نلتهم كل هذه الكمية من الخبز ؟ .. ام ان رخص ثمن الرغيف ، يجعل الفرد منا يأكل نصفه ويهمل النصف الباقي ؟ ..

شكوى من رداءة الخبز

ان هذه الكمية الكبيرة من الخبز الذي تستهلكه الكويت يجري صنعه في ٤٠٢ مخبزا وتنورا تعمل في البلاد .. وكان اصحاب هذه المخابز يستوردون الدقيق والطحين من المكان الذي يريدونه ، غير عابئين بنظافة او جودة .. وارتفعت اصوات الاحتجاج في مطلع الستينيات .. الاحتجاج على نوعية الخبز وانعدام نظافته ..

وسارعت البلدية تفرض الشروط الصحية على المخابز وتحتم عليها استعمال « العجانات الميكانيكية » بدلا من العجن باليد .. ولكن المشكلة بقيت دون حل ، لان الشكوى كانت تنصب على نوعية الدقيق اكثر من اي شيء آخر ..

الحكومة تساهم بمليون دينار

وامام استمرار الشكاوى ، لم تجد الحكومة مخرجا الا باصدار قانون تحظر فيه استيراد القمح والدقيق ، وتهدد كل مخالف بالحبس ٣ شهور او بغرامة ٢٠٠ دينار ..

وفي نفس الوقت صدر قرار آخر يقضي بتأسيس « شركة مطاحن الدقيق » بحيث تكون الجهة الوحيدة المسئولة في الكويت عن استيراد القمح وطحنه وتوزيعه على التجار والمخابز ... ووقفت الحكومة بكل ثقلها الى جانب الشركة الوليدة ، تدعمها وتسندها ، فاكتتبت بمبلغ مليون دينار قيمة نصف اسهم الشركة ، اما النصف الباقي فقد طرح في الاسواق ليكتتب به الجمهور ، فغطاه في اليوم الاول من طرحه .

نجاح فني باهر

وبدأت « شركة المطاحن » عملها بسرعة فائقة .. وقعت عقدا بمبلغ ٦٩٢ الف جنيه استرليني ، اشترت بها مكائن لتفريغ القمح من البواخر ، ومكائن لطحن القمح ، واتفاقا لبناء صوامع ضخمة لحفظ القمح ..وارسلت بعض الشباب الكويتي الى مطاحن انجلترا للتدرب هناك .. وعمدت الى بناء المباني اللازمة للآلات قبل وصول الآلات .

وبعد ٢٣ شهرا، اي في عام ١٩٦٥ بدأت التجارب على عشرة آلاف طن من القمح لاختبار مدى فعالية آلات التفريغ الآلية ، ومكنات الطحن ، وآلات التخزين .. وكانت النتيجة : نجاحا باهرا .

عندما تتكلم حبة القمح

ونفسح المجال قليلا امام حبة من حبات هذا القمح لتروي لنا قصة رحلتها من حقولها ودخولها الى المطحنة الآلية الجديدة .

ترى ما الذي ستقوله هذه الحبة لو قدر لها ان تتكلم ؟ .. تعالوا نستمع اليها سويا :

ــ كنت اتمايل بخيلاء مزهوة بلوني الذهبي ، فوق حقول القمح في استراليا .. وفجأة جاءت حصادة كبيرة حصدتني مع الملايين من صويحباتي حيث نقلونا الى مستودع هائل في سفينة خاصة ، وضعونا فيها واغلقوا علينا الابواب باحكام زائد خوفا علينا من البلل .

« وانطلقت بنا السفينة ، وبعد رحلة طويلة استغرقت ثلاثة اسابيع رفعوا المزاليج ، وفتحوا الابواب ، وسمعنا اصواتا ولهجات مختلفة غريبة ، ادركنا منها اننا قد عبرنا مياه المحيط الهندي ، ووصلنا الى الكويت ..

« ولم يتركوا لنا مجالا طويلا للتفكير ، فقد

اندس بيننا انبوبان كبيران ، شرعا على الفور بسحبنا بواسطة الهواء .. وما هى الا سويعات قليلة حتى كانت عنابر السفينة خاوية من كل حبة قمح .. ان قوة سحب الانبوبين تعادل ١٥٠ طناً في الساعة ، حسب ما سمعنا ..

الأقراص تتحلل

وتسترسل حبة القمح في حديثها قائلة :

« .. ومن عنابر السفينة خرجنا مباشرة الى مجموعة من الآلات المعقدة ، سارعت بنفض غبار السفر عن كاهلنا .. فشكرنا لها صنيعها .. ثم تابعنا سيرنا فوق حزام متحرك اوصلنا الى ميزان كبير ، وعندما انتهينا من عملية الوزن ، وفي اثناء رحلتنا على الحزام المتحرك الى المجهول ، دسوا بيننا اقراصا غريبة مستديرة ، قرأنا عليها اسم Hydrogene Phosphide ولم نكترث كثيرا لها ، لان الحزام المتحرك كان يصعد بنا الى ارتفاع شاهق زاد على ٣٠ مترا ، وعندها وجدنا انفسنا نتساقط بالملايين داخل مستودعات هائلة ، يسمونها سيلو Silos او صوامع الغلال ، يتسع الواحد منها لنحو ١٢٠٠ طن من القمح ..

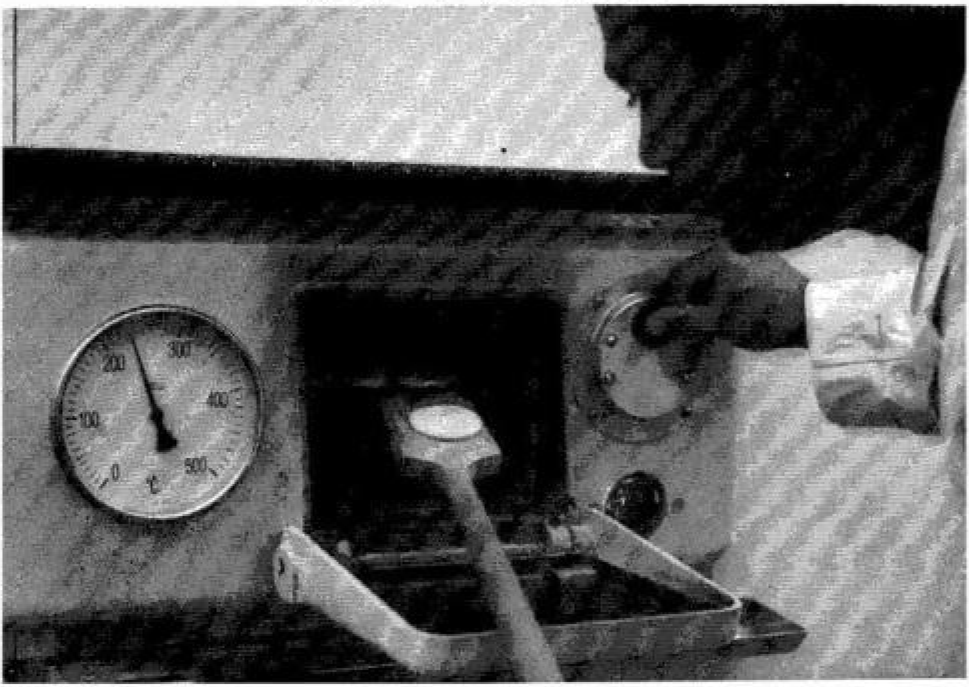
« واستقر بنا المقام في هذه الصوامع ، وفجأة بدأنا نستنشق رائحة غريبة .. رائحة منبعثة من الاقراص التى دسوها بيننا .. ونظرنا اليها ، فوجدناها تتحلل الى غاز عبأ جو الصومعة .. لقد وضعوها لمكافحة الآفات التى تظهر بيننا .. فشكرنا لهم سهرهم على صحتنا .. وعندما اغلقوا منافذ الصومعة رحنا في سبات هادىء طويل .. » .

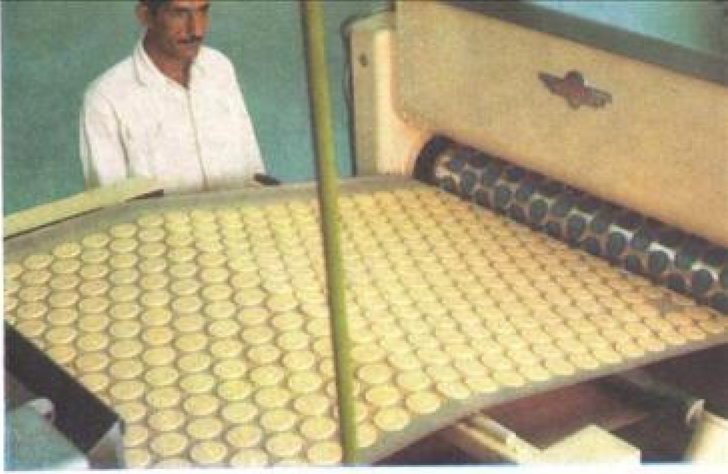
نظافة زائدة

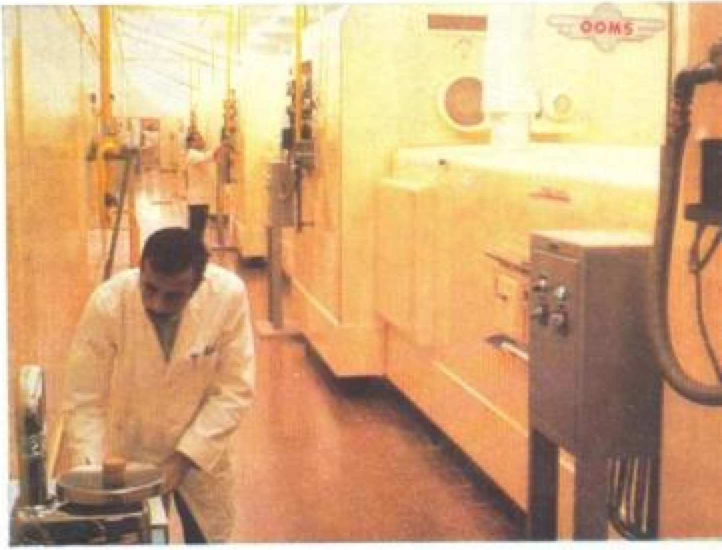
وبعد مضي ستة ايام عادت حبة القمح تكمل قصتها قائلة : « وفتحوا كوة صغيرة في اسفل الصومعة التي نمنا فيها ، فاندفعنا الى حزام متحرك نقلنا الى صوامع صغيرة اخرى ، بدأت تزيل عنا الاتربة والقشور المتساقطة .. وكان بجانبي جسم معدني صلب يؤلمني ، فما شعرت به الا وهو طائر في الهواء ، ليلتصق بمغناطيس قوى ، جذب اليه كل ما اندس بيننا من معادن غريبة ..

« وبعد فترة تركنا صوامع الغلال الصغيرة ليبدأوا معنا عملية تنظيف قاسية تمت على خمس

من خلال فتحة صغيرة في الفرن الطويل ، تتم مراقبة عملية خبز البسكويت ، الذى يتعرض لحرارة متفاوتة بين ٢٤٠ و ٣٥٠ درجة مئوية ، حتى ينضج تماما .









الى اليمين : ثلاث صور توضح مختلف المراحل التي تتم بها صناعة البسكويت، فبعد ان يعجن الدقيق مع السمن النباتي والحليب والسكر ومواد اخرى قليلة لمدة ١٥ دقيقة،تمر العجينة اليا بين اسطوانتين نحاسيتين .. تماما مثل عملية طبع الصحف ، مع فارق واحد ، وهو ان الاسطوانة تقوم بتقطيع العجين على هيئة دوائر صغيرة قطرها ٥سم وسمكها ٦ ملم .. وتطبع عليها الاسم المطلوب طبعه.وبعدها تنقل دوائر العجين على حزام متحرك معدني ، ينقلها الى فرن طوله ٤٠ مترا ـ الصورة الثانية ـ تتدرج درجة الحرارة داخله من ٢٥٠ الى ٢٤٠ درجة مئوية ، ويسير الحزام الناقل بسرعة خمسة امتار في الثانية ، داخل الفرن الطويل ، واحيانا بسرعة سبعة امتار ، يخرج بعدها العجين من الطرف الثاني للفرن ، وقد اصبح بسكويتا ساخنا شهيا ، ينقله حزام متحرك طويل مسافة ٦٠ مترا لتبريده ، قبل ان تبدا عملية تغليفه اليا بالورق الفضي وورق السلوفان **(الصورة الثالثة)**





هاتان الماكنتان الكبيرتان ، تقوم الاولى منهما – الى أعلى – بصنع ٣٧٠ طنا من المكرونة الطويلة سنويا .. بينما تقوم الثانية بصناعة المكرونة الصغيرة على اشكال مختلفة تبلغ الثلاثين شكلا ، حسب الرسم المطلوب .. وهذه الآلة بامكانها انتاج ٣٧٠ طنا من المكرونة الصغيرة سنويا ، اذا كان العمل لفترة ٨ ساعات فقط .. والصورة اليسرى توضح جزءا من المطبخ الآلي الذي ينتج ١٥ طنا من الخبز الافرنجي يوميا ، انه خبز نموذجي في نظافته ، وفي طريقة صنعه .

مراحل ، صعدنا ونزلنا خلالها خمسة طوابق بدفعنا تيار هوائي داخل انابيب ، شعرت بعدها وكأن رأسي يكاد يتفتت .. انني ارحب بالنظافة ، ولكنهم يبالغون كثيرا .. (خمس مرات وبأحدث المعدات !!) » .

استغاثة

ولهثت حبة القمح من التعب ، وتنهي سرد مغامرتها قائلة : « واثناء عمليات التنظيف التي اجريت لنا اخذنا حمامين واحدا للتنظيف ، وآخر لزيادة الرطوبة .. وضعونا بعدهما في مخزن صغير ــ مؤقتا ــ انتقلنا منه الى مكان رهيب به اسطوانتان : اسطوانة تمسك بنا داخل تجاويف فيها ، والاسطوانة الاخرى تدور فوقنا فتفقدنا وحدتنا وتفتتنا .. واستمرت الاسطوانتان تدوران ، ونحن ندور معهما ، وفي كل مرة تضيق المسافة بين الاسطوانتين ويزداد سحقنا .. وحاولنا الاستغاثة ، ولكن ما من مجيب ، فهذه العمليات تتم جميعا آليا ، داخل ماكينات مقفلة ، بعيدا عن سمع وبد الانسان ..

« وظلت عملية السحق والطحن تتوالى حتى تحولنا الى ذرات صغيرة متطايرة .. لقد اصبحنا دقيقا .

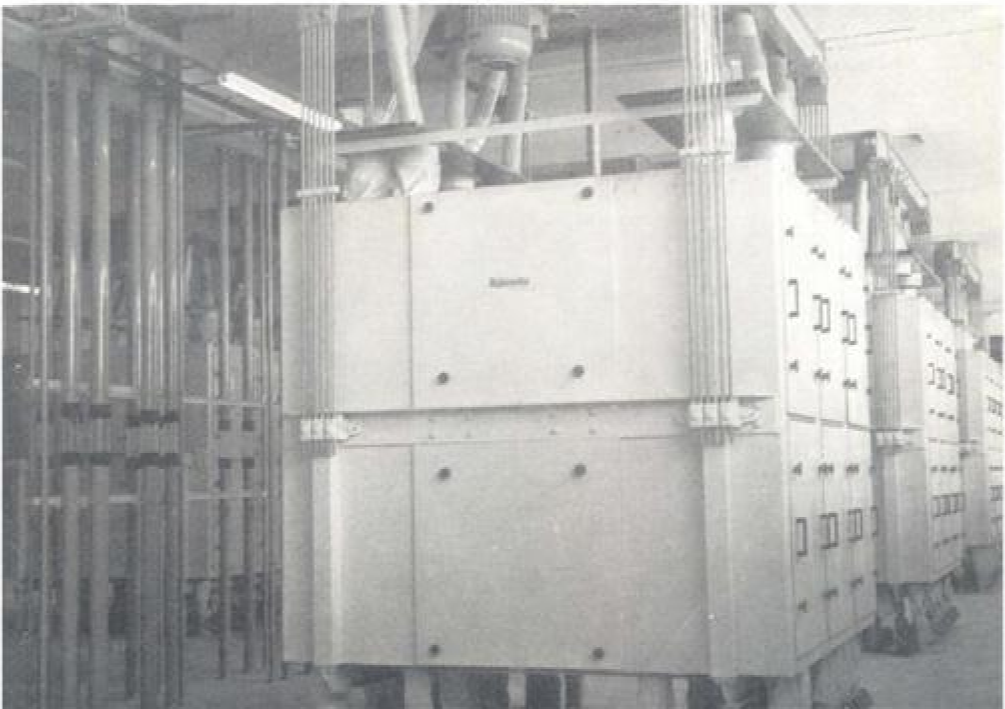
« وتخيلنا قصتنا قد انتهت عند هذا الحد ، ولكن تيار الهواء لم يتركنا نهدأ ، بل نقلنا الى جهاز كبير للتعقيم دار بنا بسرعة مخيفة ، قتل خلالها كل اثر للبكتريا .. وهدأ الجهاز ، وانتقلنا للاستراحة في مخازن صغيرة ، ثم واصلنا رحلتنا بعد يومين ثانية للتعقيم النهائي ، قبل ان يضعونا في اكياس قطنية يتسع الواحد منها لخمسين كيلوجراما .. وبعدها نقلوني داخل الكيس الى الاسواق ..

« لقد كنت من الرائدات الاوليات اللواتي ضحين بأنفسهن من اجل فتح الطريق امام سكان الكويت ليحصلوا على دقيق صحي نظيف للغاية ، تستعمله مخابزهم من اجل صنع رغيف افضل خال من كل الشوائب » .

ثلاثة انواع من الدقيق

وتسكت حبة القمح عن الكلام ، بعد ان روت

داخل هذه الخزانات المغلقة يتم نخل الدقيق وتقسيمه الى ثلاثة انواع .. كل هذا يتم آليا دون ان تلمسه يد او يراه انسان .



قصة رحلتها المثيرة بين آلات مطحنة الدقيق الكبيرة الحديثة .

والذى لم تذكره حبة القمح هو ان كل صنف من الخبز يحتاج الى نوع خاص من الدقيق .. الخبز العربى يحتاج الى دقيق نسبة النخالة فيه مرتفعة ، بعكس الخبز الافرنجى الذى يحتاج الى دقيق على اكبر جانب من النقاوة ، اما الخبز المحلى فيحتاج الى دقيق تتوفر فيه نسبة مرتفعة من النخالة .

النخالة من بقايا القمح

ومن بقايا عمليات الطحن ومن قشور حبات القمح تستخرج النخالة .. وهذه النخالة تقدم علفا للابقار ، لما تحويه من قيمة بروتينية عالية تزيد كمية ادرار الحليب وتحسن نوعية لحم الحيوانات المعدة للذبح .

والاقبال على هذه النخالة زاد عن كل التوقعات والاحتمالات ، حتى بلغ مقدار ما استهلكته اسواق الكويت ١٢ الفا و ٨٥٥ طنا من النخالة خلال عام ١٩٧٠ ونتيجة هذا الاقبال الزائد اضطرت شركة المطاحن الى الاعتذار عن تلبية طلبات التصدير الواردة من اليابان وغيرها من الدول .

مشاكل زيادة السكان ..

وهكذا بدأت شركة مطاحن الدقيق تسير على بداية الطريق ، ولم يكن كله مفروشا بالزهور ، فقد برزت عقبات وعراقيل ، كانت تتغلب عليها الواحدة بعد الاخرى .

وعندما زاد عدد السكان ، وزاد الاستهلاك عن كمية انتاج المطاحن ، سارعت بتركيب وحدة طحن جديدة ، استطاعت ان تواجه بها مطالب الاسواق التى قفز استهلاكها من ٣٦ الف طن دقيق عام ١٩٦٤ الى ٧٠ الف طن خلال عام ١٩٧٠ ، اما انتاج شركة المطاحن فيمكن ان يصل الى ١٠٧ الف طن عند الحاجة .

١٥ طنا من الخبز يوميا ..

واطمأن الناس وارتاحوا الى الدقيق الجديد النظيف .. ولكن طموح المسئولين عن شركة المطاحن ، كان اكبر بكثير من مجرد تقديم دقيق ونخالة .. كانت آمالهم ترنو الى تحقيق سلسلة مشاريع لخلق صناعات متكاملة مع المطاحن الجديدة .

وهكذا وبعد مرور ثلاثة اعوام على مولد هذا المصنع العملاق ، جاء المولود الثانى على هيئة مخبز آلى كهربائي كبير ، ينتج يوميا ١٥ طنا من الخبز الافرنجى المتنوع .. وعندما بدأ انتاج هذا المخبز فى عام ١٩٦٨ قالت شركة المطاحن : « ان احدى الغايات الرئيسية من انشائنا للمخبز المصرى ، هى جعله فرنا نموذجيا تجرى فيه تجربة الدقيق الذى تنتجه المطحنة يوميا ، مع تعريف المخابز والمستهلك على مستوى الجودة الذى يمكن ان يصل اليه الانتاج عند استعمال الدقيق المحلى » ..

والآمال كبيرة فى ان يتمكن هذا المخبز الحديث من انتاج الخبز العربى قريبا ..

الف طن من المكرونة والشعرية يستهلكها سكان الكويت سنويا

وما كاد يمر عام واحد على المخبز الآلى ، حتى جاء المولود الثالث لشركة مطاحن الدقيق على صورة مصنع للمكرونة والشعرية ، وقد بدأت آلاته تنتج اول خيوط من المكرونة فى نهاية عام ١٩٦٩ مكرونة طازجة مصنوعة من اجود انواع السميد .

لقد اقيم هذا المصنع بعد دراسة مستفيضة لاسواق الكويت ، اتضح منها ان استيراد المكرونة بلغ ١٠٢٠ طنا ، فى عام ١٩٦٨ وهذا ما شجع المسئولين على المضى فى مشروعهم .. وساندهم الجمهور فاقبل على شراء المكرونة بعد تردد بسيط ، لتعوده على شراء المكرونة المستوردة ، ولكنه عندما شعر بالجودة الكبيرة الموجودة فى المواد الاولية المصنوعة منها المكرونة المحلية ، اقبل عليها بحماس زائد حتى ان الماكنات تعمل حاليا بكامل طاقتها لتسد الطلبات المتلاحقة على المكرونة والشعرية .

ومصنع المكرونة يحتوى على ثلاث ماكنات ضخمة : ماكنة تنتج ٣٣٠ طنا من المكرونة الطويلة سنويا .. وماكنة تنتج ٣٧٠ طنا سنويا من المكرونة القصيرة ، باشكال يزيد عددها عن ٣٠ شكلا .. وماكنة تنتج ٣٧٠ طنا من الشعرية الرفيعة ..

اى ان مجموع الانتاج هو الف طن سنويا من المكرونة والشعرية ، على اساس العمل لثمانى ساعات يوميا ..

٢٣١ طنا من البسكويت
ياكلها طلبة مدارس الكويت

ان نشاط شركة مطاحن الدقيق جعلها تقيم مصنعا جديدا في كل عام تقريبا .. فبعد ان بلغ مولودها الثالث العام الاول من عمره ، جاءها المولود الرابع .. مولود حساس دقيق يحتاج الى مهارات خاصة للعناية به .. انه مصنع البسكويت ..

فالكويت كانت تعتمد كليا على استيراد البسكويت ، حتى بلغت كمية المستورد منه ٢٠٠٠ طن في عام ١٩٦٩ .

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠ بدات رياح التغيير تهب ، عندما شرع مصنع البسكويت المحلى في انتاج نوعين من البسكويت : نوع عجينته طرية لينة ، ونوع عجينته قاسية ، / مارى ـ بيتى فور وغيرها ..) .

وتبدا عملية صناعة البسكويت بخلط الدقيق المستخرج من القمح القليل البروتين مع السمن النباتى الخالص ، والحليب والسكر ، مع اضافات من النكهات الخاصة مثل الفانيليا .. تخلط كلها لتصبح عجينا يوضع فى جهاز آلى ينقلها فى رحلة طويلة عبر فرن طوله ٤٠ مترا ، لا تخرج منه العجينة الا وقد اصبحت قطعة بسكويت شهية (انظر تفاصيل صناعة البسكويت تحت الصور ص ٥٦) .

ويقوم مصنع البسكويت حاليا بتقديم ٢٣١ طنا من البسكويت الخاص لطلبة مدارس الكويت ، يحوى فيتامينات اضافية عن المعتاد .

اما اسواق الكويت فقد بدات تستهلك كميات كبيرة من هذا البسكويت المحلى ، بالرغم من المنافسة القوية التى يلاقيها من البسكويت الاجنبى ، ولكن البسكويت المحلى يتفوق على المستورد من عدة نواح ، اولها : قيمته الغذائية المرتفعة لاحتوائه على افضل المواد الاولية ، وخاصة السمن النباتى الخالص غير المخلوط باى نوع آخر .

وثانيها ان البسكويت المحلى يخرج طازجا الى الاسواق مباشرة بعد صنعه ، بعكس البسكويت الاجنبى الذى لا يصل للاسواق الا بعد مضي شهور عديدة من صنعه .

ان قدرة مصنع البسكويت المحلى هى ١٥٠٠ طن سنويا ، ينتجها عندما يعمل ٨ ساعات يوميا ، ولكن الكويت لا تستهلك اكثر من الفي طن سنويا ..

مدير شركة المطاحن يتحدث

وجلسنا الى المدير الادارى والتجارى لشركة المطاحن ، السيد بدر عبد المحسن الموسى ، نستمع اليه وهو يحدثنا عن الشركة ومشاريعها .. قال :

ـ اننا لم نعد نأبه كثيرا لفرض حماية جمركية من اجل ترويج بضاعتنا .. فقد ادرك الجميع مدى نظافة منتوجاتنا ، وما تحويه من مواد اولية تفوق تلك المواد الموجودة فى اجود الاصناف الاجنبية المماثلة .. لهذا انقلبت الآية واصبحت اكبر منافس للانتاج الاجنبي ، الذى بدأ يتزحزح من مكانته التقليدية في اسواق الكويت ، نتيجة طرح منتوجاتنا في الاسواق ..

وتابع المدير الشاب حديثه قائلا : « ولم يتوقف نشاطنا عند الاسواق المحلية فقط ، بل بدأنا نصدر انتاجنا للخارج ، الى اسواق المملكة العربية السعودية والبحرين ، وامارات الخليج .. وقريبا ستغمر منتجاتنا اسواق اليمن وتنزانيا بافريقيا ...

« وسياسة الانفتاح على العالم ، وتصدير منتجاتنا اليه ، جعلانا نضاعف الجهد والرقابة ، من اجل نوعية افضل تستطيع الصمود امام منافسة المنتوجات الاجنبية فى تلك الاسواق .

« ونتيجة لهذه السياسة اصبحت ماكنات انتاج الدقيق والمكرونة والشعرية والسميد تعمل على مدار الساعة لتلبية الطلبات الخارجية المتزايدة » ..

مصنع جديد فى الطريق

وينتقل السيد بدر عبد المحسن الموسى الى الحديث عن مشاريع المستقبل فيقول :

ـ وفي نفس الوقت الذى كنا نعمل فيه على تحسين انتاجنا ، كانت تجرى دراسات ميدانية عن الزيت والسمن النباتي وكمية استهلاكهما في الكويت ... ومن نتيجة هذه الدراسة اقتنعنا ان اقامة مصنع لانتاج هذين النوعين الاساسيين هو امر ضرورى ...

« وسوف يشهد عام ١٩٧٢ بداية العمل في تركيب آلات هذا المصنع ، الذى نأمل ان يبدأ انتاجه فى نهاية عام ١٩٧٣ .

« وسوف تكون طاقة هذا المصنع ٢٥٠٠ طن



خبز نظيف .. وحلويات نظيفة ، مصنوعة من اجود انواع المطحون في شركة مطاحن الدقيق الكويتية .. لقد تم القضاء على شكوى سكان الكويت من رداءة الدقيق باسلوب عملي رائع .

من الزيت النباتي المكرر ، و ٩٠٠٠ (تسعة الاف طن) من السمن النباتي الخالص .... كلها سوف تستخرج من اجود انواع الحبوب المحتوية على الزيت ، التي سوف نستوردها من الخارج ».

« خبرتنا تحت تصرف اخوتنا »

وينهي المدير الاداري والتجاري حديثه قائلا :

ـ ان تنظيم العمل ودراسته جعلا شركتنا تحقق ربحا قدره ٤٠٪ من قيمة كل سهم ، ولكن القانون ينص على دفع ١٠٪ فقط للمساهمين ، والباقي يضاف الى راس المال لتحسين المعدات والانتاج .. وانشاء المشاريع الاخرى .

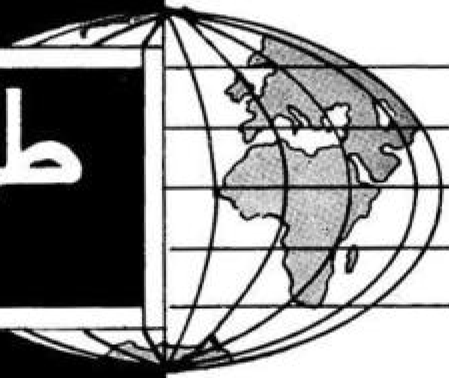
« انها خبرة اكتسبها ابناؤنا نتيجة احتكاكهم المباشر مع الخبراء الاجانب ... واليوم كاد ان يكون جميع المهندسين في شركتنا من ابناء الكويت والدول العربية ..

« وعندنا حاليا تسعة من شباب البحرين يتدربون في مصانعنا ، وقريبا سوف يسافرون الى البحرين لتحمل اعباء العمل في شركة مطاحن الدقيق البحرينية ، التي ستبدأ عملها في مطلع العام القادم .. والتي تساهم شركتنا بنسبة ٢٠٪ من راس مالها .. » .

لقد حققت شركة المطاحن الهدف الاساسي الذي انشئت من اجله .. وهو تامين الدقيق النظيف لاهل الكويت .. لكنها لم تقف او تتجمد عند هذه النقطة ، بل انطلقت تعمل وتعمل ... حتى اصبحت اربعة مصانع عاملة في شركة واحدة ناجحة ..

سليم زبال

طرائف غريبة



رجل عظيم

● عندما بلغ الشاعر الايطالى « تاسو » Tasso ، (١٥٤٤ – ١٥٩٥) ، قمة مجده جاءه بعض اصدقائه يقولون له : « لقد أصبحت الآن في مركز تستطيع بفضله ان تنتقم من الرجل الذى أساء اليك ! » .

وقال الشاعر الايطالى الشهير : « اننى لا أريد ان اتسبب في اذية احد ، ولكن هناك شيء واحد اريد ان انتزعه منه انتزاعا ! » .

وسأله أصدقاؤه في لهفة : « وما هو هذا الشيء ، هل هو شرفه ام ثروته أم حياته ! والله ان اخترت لتختارن له الموت ، فهو رجل لا يستحق ان يعيش ! » .

وهنا قال تاسو في هدوء : « اخطأتم ايها السادة ، فان ما اريد ان افعله ، هو ان احاول ان انتزع منه تلك الروح الشريرة التى تسيطر عليه .. ولن اترك وسيلة الا وسوف ألجأ اليها لكى اضيف لاصدقائي صديقا جديدا !! » .

اروع صور الحياة

● سألوا الفنان البلجيكى الكبير روبز فيليسن Rops Felicen (١٨٣٣ – ١٨٩٨) : « ما هى اجمل واروع صور الحياة من حولك ؟ » .

قال : « صورة الام التى وضعت مولودها الصغير لتوها ، ثم مدت يديها وهى راقدة فى فراشها ، لتحتضن هذا المخلوق الجديد الذى امضت تسعة اشهر من حياتها ، تنتظر وصوله الى هذه الدنيا ؟ » .

قالوا : « ثم ماذا ؟ » .

قال : وصورة الجراح الذى امسك بمبضعه وراح يعمل فى هدوء وثقة بعد ان انتصف الليل او كاد ، محاولا ان يعيد الحياة لانسان حملوه اليه بين الموت والحياة !

واخيرا صورة المدرس الذى بقى وحده بعد ان انصرف كل تلاميذ المدرسة ومدرسيها عائدين الى بيوتهم ، لانه وعد بعض تلاميذه ، ان يشرح لهم ما صعب عليهم فهمه !

الفلسفة .. والحرية

● الفيلسوف الاسباني المولد الشهير جورج سانتيانا George Santaiana (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) ، قضى حياته الطويلة يجوب اقطار الارض ، الى ان استقر به المطاف اخيرا فى امريكا ، حيث عمل استاذا للفلسفة بجامعة هارفارد ، ثم رحل بعدها الى فرنسا ليكتب وينشر فلسفته فى الكتب !

سالوه وكان قد تقدم به العمر « الم تشعر بالحنين يوما لبلدك ؟ » .

فقال : « ان كل قطرة فى دمى تصرخ من اعماقى ان عد الى بلدك ! ولكن ماذا عساى ان افعل فى ظل القيود التى فرضها رجال السلطة على عقول الناس ، حتى اصبحوا اقرب الى قطيع الاغنام الذى يسوقه صاحبه الى البرارى ليرعى ، ثم يعود به فى نهاية اليوم الى حظيرته لينام !

« اننى اعيش بقلبى ودمى فى بلدى ، ولكن هكذا هى الحياة .. انك تحسبان قدميك مثبتتان فى الارض التى تنتمى اليها ، بينما تحلق روحك فى الافق المائلة من حولك بحثا عن تلك النسمات الطليقة حيث تستطيع ان تتنفس فيها بحرية وتفكر وتكتب بعيدا عن كل قيد يكبل حريتك ! » .

الناس تفنى واعمالهم تبقى خالدة

● روى احد اساتذة جامعة كمبريدج فى انجلترا القصة التالية : « كنت عضوا فى لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه التى تقدمت بها احدى الخريجات ، وكان موضوع الرسالة ، عملاق الادب الانجليزى وليام شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) ، وبدا اعضاء اللجنة يناقشون صاحبة الرسالة فيما كتبت ، وفيما قرات عن هذا الشاعر الاديب الكبير .. وكانت قد اطالت واسهبت فى الحديث عن روائع شكسبير واعماله الادبية التى خلدت ذكراه ، فحللت شخصيات رواياته ، وحاولت عن طريق تحليلها هذا ان ترسم صورة لشخصية شكسبير نفسه !

وعندما اوشكت مناقشة الرسالة على الانتهاء ، نظر رئيس اللجنة الى صاحبة الرسالة وقال : « لقد حدثتنا طويلا عن اعمال شكسبير ، ولكنك نسيت ان تذكرى لنا شيئا عن حياة الرجل نفسه ! » .

وارتبكت صاحبة الرسالة ، ولكنها ما لبثت ان استردت بعض ثقتها بنفسها ، وهى تسمعنى اقول لرئيس اللجنة فى تحد : « هل تستطيع انت ان تذكر لنا شيئا عن حياة شكسبير الانسان ! »



واجفل رئيس اللجنة ، وراح يفكر ثم عاد يقول وكأنه تذكر شيئا : « حقيقة لقد عرفنا هذا الرجل العملاق من خلال اعماله الخالدة ، لكننا لم نعرف عن حياته او نشأته الكثير ! ولكن الا يكفينا ما قراناه عن اعمال هذا الاديب الكبير .. ان الرجال تذهب ، ولكن اعمالهم تبقى وهى الخالدة دوما فى بطون الكتب والتاريخ » .

في سبيل موسوعة علمية ٣

صورٌ يُستفادُ منها عِبَر

بقلم الدكتور أحمد زكي



صحراء
تخضر بالنبت من بعد اصفرار

● صحراء ، قد لا يصيبها الماء السنوات المتصلة ، ثم يحدث ان يصيبها المطر الغامر ساعة من الزمان ، فاذا هذه الصحراء الجرداء تضج بالحياة وتخضر بالنبت وبالزهر من بعد اصفرار . انها البذور رقدت فى هذه الرمال وظلت تنتظر الماء . فلما جاء الماء من السماء رَبَت وازدهرت . ثم يموت النبت ويترك وراءه البذور تنام فى الرمل دهرا طويلا تنتظر المطر ليعيد اليها الحياة . صبر للحياة اى صبر . وتشبث بها اى تشبث ، حتى على قلة موارد الحياة .



نبات يأكل اللحم

● هذه النباتات تأكل الحشرات ، انها تغريها بالرحيق الذى يغطى قوائمها ، ولها شكل النفير ، فاذا هى حطت عليه لم يكن فى استطاعتها الفرار ، فهى تأخذ تنزلق فى الداخل رويدا رويدا حتى تختفى . انها لهذا النبات طعام مستساغ . وللنباتات من آكلات اللحوم حِيَل اخرى غير هذه تصيد لها ضحاياها . انها الحياة ، فيها معان للرحمة غير ما يفهم الانسان .

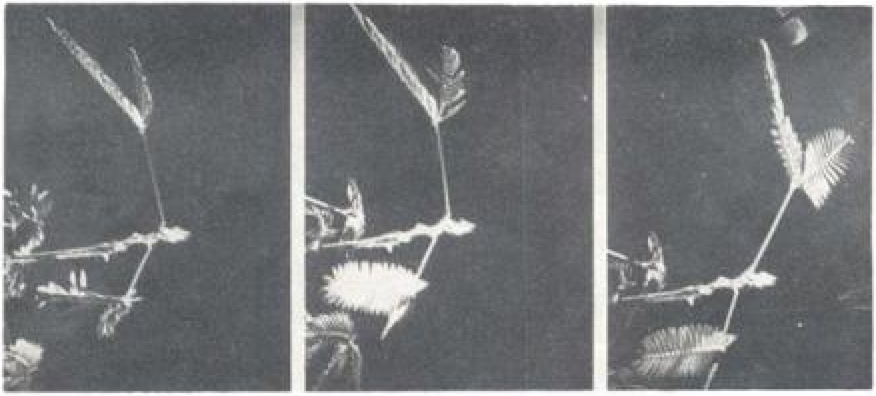


جوزة سقطت فى الرمل

● جوزة سقطت على الرمل . مدت جذورها فى الرمل ، وارتفعت بساقها واوراقها الى السماء . اما غذاؤها فقد اودعه صانع البذرة فى البذرة ، منه تتغذى الساق والاوراق . وبفرغ هذا الغذاء ، فيأخذ النبات يعتمد على نفسه فى تحصيل مؤونة الحياة . انه الجذر الذى ضرب فى الارض ، فأخذ يمد النبات بالماء . ويصعد الماء الى الورق ، وهناك يبدأ التمثيل الخضيرى فى اشعة الشمس ، ومنه ينتج السكر الابسط غذاء للنبات . وكذا الانسان يعتمد طفلا على ما فى ثدى امه ، حتى يقدر فيستقل فيتزود لنفسه بنفسه . وليس من الطبيعى ان يظل يتزود من ثدى امه كل عمره ، ان هذا شاذ فى الطبيعة ، الجيل يتزود من الجيل حتى يستطيع ان يقف على رجليه ، ثم عليه بعد ذلك السعى . وكل ساع لا بد واصل .

للبذور أعمار

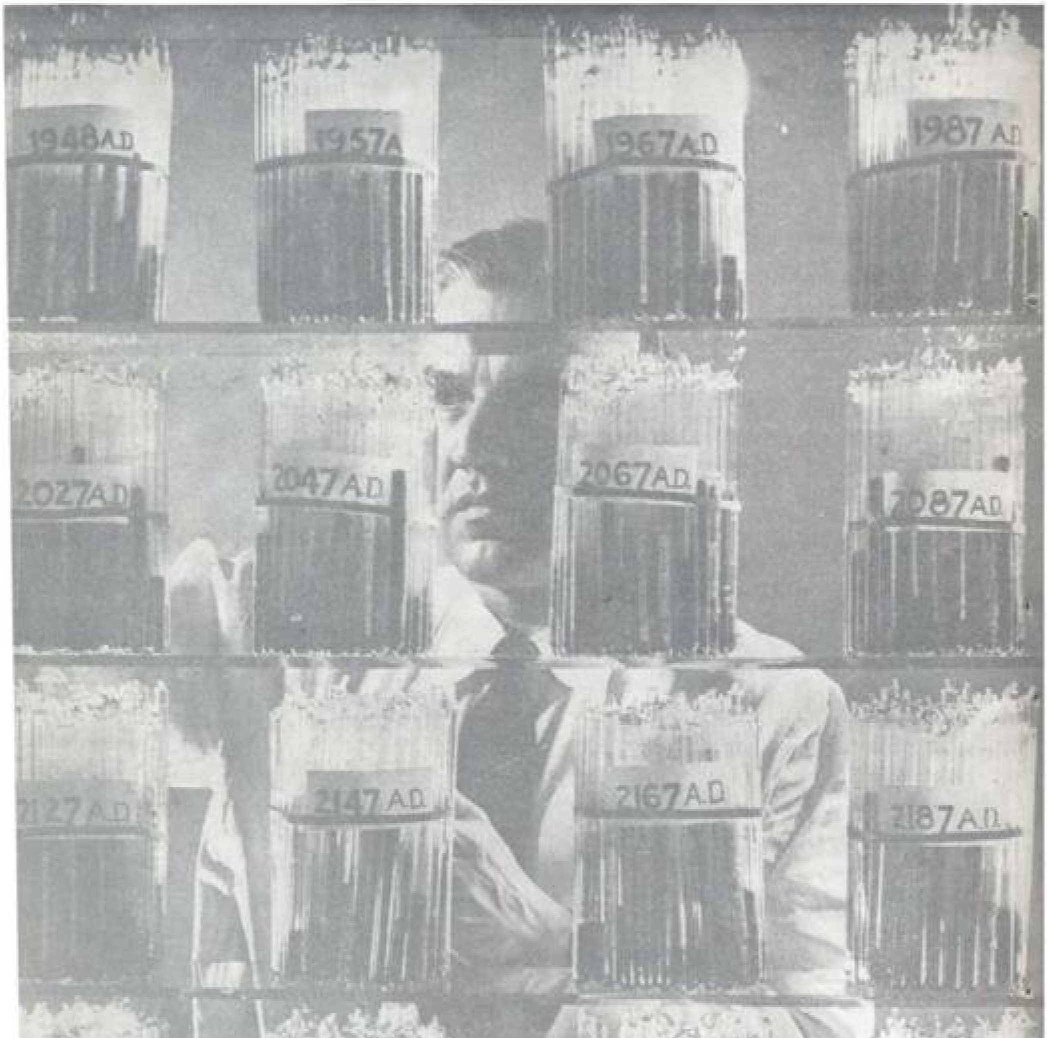
البذور العادية ، وسائر الحبوب ، يمكن ان تختزن السنة والسنين ، ثم تصيبها رطوبة الماء فتفسدها وتذهب بالذي بها من حياة . الا ان يكون للبذرة قشرة صلبة ، والا ان يختزن البذر والحب على الجفاف والبرودة معا . وقد دلت التجارب على انه مع الجفاف والبرودة تظل البذور والحبوب حية ما بين العشرة من السنوات والخمسة والعشرين . ونسأل عالما من ذوى الاختصاص هل تستطيع البذور ان تعيش فوق ذلك ، العشرات والمئات من السنين ؟ فيأخذنا الى حيث نرى ما فى الصورة المرفقة : انابيب وضع فيها هذا العالم البذور جافة فى انابيب مغلقة ، واختزنها على الجفاف والبرودة ، ووضع عليها السنة التى يريد ان يمتحن فيها حيويتها ، بعض عام ٢٠٢٧ ميلادية وبعض عام ٢٢٨٧ ، وفوق ذلك . وهو بدأ التجربة عام ١٩٤٨ ، ودل فحصه للبذور التى فتح انابيبها اليوم انها عاشت فى المتوسط ١٠ سنين . على الاقل . والتجربة لا زالت قائمة . لا ليحظى هو بنتائجها ، فهو لن يعيش هذا القدر من السنين ، ولكن ليحظى بها ابناؤه، او احفاده، او رجال لا صلة له بهم قط . علماء كانوا من كانوا . ان العلم هو الكاسب آخر الدهر . « زرعوا فأكلنا ، ونزرع ليأكل مَن يجيء بعدنا » .



حس" ولا أعصاب

هذا هو النبات الحساس Sensitive Plant ، ونسميه بالعربية احيانا بالشجرة المستحية ، من خصائصها اذا انت مسستها انضمت وريقاتها بعضها الى بعض على الغصين الواحد ، ثم انضم الغصين الى الغصين من بعد اتساع وانفراج . وقد يمتد هذا الى الاغصان جميعا فتحسب ان الذبول اصاب النبات كله . ويحدث هذا كله فى ثانية . ولكن يعود النبات ، وتعود اوراقه وغصيناته الى حالتها الاولى من السعة والانفراج بعد زمن قد يطول فى سائر النباتات الحساسة الى الساعات . ويعلل العلماء ذلك بان كل ورقة من النبات يعمدها عند اتصالها بالغصين انتفاخ به ماء . وكذلك يعمد الغصين عند اتصاله بالغصن انتفاخ به ماء . وانت تمس النبات بيدك فتخل من هذا الاتزان المائى ، ويتخلى الماء عن قامة الورقات والغصينات فيسقط بعضها فوق بعض . دورة مياه يتصل بعضها ببعض ؟ واحاسيس هذه ؟ ولكن اين الاعصاب ؟

● صور يستفاد منها عبر





اشجار عملاقة

● وهي عملاقة اطوالا ، عملاقة اعمارا ، وموطنها كلفورنيا California Red Lof Woods اما طولها فهي تبلغ مئات الاقدام. واما اعمارها فقد تبلغ ٣ آلاف عام.

معنى هذا ان منها ما وجد قبل المسيح عليه السلام. لو انها استطاعت ان ترى ، واستطاعت ان تسمع ، واستطاعت ان تسجل ، لكانت سجلا من اصدق سجلات التاريخ واحفلها. على ان لا يكون لها عقل الانسان.

ومن الجمال ما قتل !

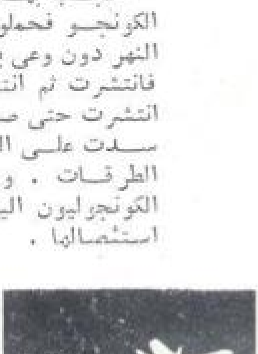
● زهرة الهاياسنث Hyacinth او الزهرة الياقوتية.

اعجب بها سكان الكونجو فحملوها الى النهر دون وعي بخواصها فانتشرت ثم انتشرت ثم انتشرت حتى صارت وباء سدت على القوارب الطرقات. ويعجز الكونجوليون اليوم عن استئصالها.

نباتات متطفلة

● في الصور الثلاثة الى اسفل نبات قائم بساقه واوراقه. وبذرة في التربة الى جانبه ، لم تلبث ان تنبتت وخرجت منها ساق رفيعة ، لم يمض عليها غير ١٢ ساعة حتى احست بان بالقرب منها نباتا قائما فاتجهت اليه. ولم يمض غير يوم بعد ذلك حتى كانت هذه الساق الضئيلة الرفيعة قد وصلت الى ساق النبات الاكبر والاغلظ. والتفت حولها. وتعود تنظر اليها بعد اسبوع فتجدها قد قطعت صلتها بالارض. انها الآن ضيفة على النبات الاكبر ، تتغذى من ساقه بعد ان ضربت فيه بأشباه جذور من عندها.

هذا مثل من تطفل النبات على النبات. التطفل اذن ليس مقصورا على الانسان ، ولا هو مقصور على الحيوان فهو كذلك في النبات.









بطولاتٌ أدبيّة

محمود بيرم التونسي

١٨٩٢ - ١٩٦١

الأديبُ الشعبيُّ الثائرالكبير

بمناسبة مرور عشرة أعوام على وفاته

بقلم : طاهر ابو فاشا

■ عاش « بيرم » معنا سبعة وستين عاما قبل ان يضع القلم ، ويطوى صفحته ، وينفرط الحبّة الاخيرة من عقد حياته ، وقد عاش في هذه الستين معارك شعبنا السياسية والاجتماعية على المستويين : الاقليمي الوطني ، والقومي العربي .

وقد قُدِّر لهذا الفنان العظيم أن يعيش طفولة جافة في مسقط راسه بالاسكندرية ما بين « الكتاب » والدكان ، ومسجدى ابى العباس والبوصيرى، وسلخ صباه عاملا ، وصبيّ بدال « بقال » .. ولكنه بعد سنوات من القلق يستقر نهائيا ، ويركن الى صناعة القلم .

وعرف « بيرم » للقلم قيمته ، وقدّر شرف الكلمة ، فارتبط منذ أول وهلة بالجماهير . وتبنى قضاياها عندما وقف الى جانب الشعب ضد المجلس البلدى الذى كان يسيطر عليه الأجانب في الاسكندرية ، فنظم قصيدته المشهورة :

يا بائعَ الفِجلِ ، بالمليم واحدةً

كم للعيالِ ، وكم للمجلس البلدى؟

فألهب بهذه القصيدة ظهورَ السادة الذين ارهقوا الشعب ، كما ألهب بها وجدانات الجماهير التي راحت تردّدها في كل مكان . فذاعت ، وانتشرت ، وتجاوبت اصداؤها من اقصى مصر الى اقصاها كما كانت تسرى وتنتشر الحان سيد درويش في هذه الفترة .



وكانت هذه القصيدة خطوة حاسمة في حياة بيرم .

فقد نبهته الى انه لم يخلق الا ليكون القيثارة التي يعزف عليها الشعب المصري آلامه ، وأحلامه .

لم سمي بالتونسي

سمي « التونسي » لأن جده لأبيه ـ الشيخ مصطفى بيرم ـ كان تونسياً . نزح الى مصر ، واقام بالاسكندرية وتعاطى فيها تجارة المنسوجات ، وتزوج فتاة من بنات الاسكندرية ، فانجبت له ثلاثة أولاد . أحدهم « الحاج محمد مصطفى بيرم » والد محمود بيرم . وموضوع هذه الكلمة .

وكان « الحاج محمد » مزواجاً . مات بعض زوجاته في حياته ، ومات هو عن اثنتين احداهما والدة شاعرنا محمود بيرم .

بيرم في المعهد الديني

وتسترعي نجابة الطفل انظار أبيه وافراد أسرته ، ويرى الحاج محمد أن يسلك الطفل في طريق العلم، ويلحقه بكتاب « الشيخ جاد الله » في حي السيالة المعروف بالاسكندرية،ويجد الطفل في شيخ الكتاب من القسوة ما يكرهه الكتاب اليه . فيرتد الى الدكان ليسير على درب أبيه وجده في تجارة المنسوجات . ولكن اباه يابى الا أن يسير الفتى في طريق المعرفة ليكون عالماً فقيها ، فيلحقه بالمعهد الديني وكان مقره مسجد ابي العباس .

يموت أبوه ويتنكر له بنو عمومته

وكان المفروض ان يقطع بيرم طريقه في سلك التعليم الى نهايته ، يساعده على ذلك ذكاؤه اللماح ، وحافظته القوية ، وشيء من المطالعات سبق به اترابه في هذه السن المبكرة ـ ولكن . وقع له حادث قطع عليه طريقه ، وغير خط حياته . فقد مات أبوه وهو ما زال في الرابعة عشرة . ويضطر الفتى الى الانقطاع عن المعهد ، ويرتد الى الدكان ويتنكر له بنو عمومته . ويخرج من تجارة أبيه صفر اليدين ، ويحاصره الفقر ، وتضيق به سبل الرزق ، فيشتغل عاملاً ، ويعمل صبياً في دكان بدال « بقال » لم يستقر به طويلاً ، وتموت امه ، وتترك له صبابة من مال يحاول أن يستثمرها . فيفشل . ويفلس .

ويبدأ بيرم يواجه الحياة وحيداً ، محروماً من العطف والحنان ، فقيراً لا سند له . ولا معين .

موهبته لم يكشف بعد عنها

ولكن الفتى يشعر في قرارة نفسه انه يملك موهبة لم يكتشف بعد عنها . وانه ليجد ارهاصاتها في حلقات الدروس التي كان لا ينقطع عن غشيانها ـ بل ربما كان انصرافه اليها واحداً من الأسباب التي أدت الى فشله في التجارة ـ هذا فضلاً عن انكبابه على القراءة . فهو قارىء ممتاز يهضم ويتمثل ما يقرؤه في قدرة عجيبة . وبحسبك أن تعلم انه قرأ « الفتوحات المكية » لابن عربي في هذه الفترة المبكرة من حياته ، وهو كتاب ينوء ، ويعيا به وينوء فيه كبار العارفين.

كان الفتى يجد كل هذا في نفسه ، ويحس به ، ولكنه لا يجد طريقه اليه .

وقد نبهته الى هذه الحقيقة تجربة مثيرة مرت به ، تلك التي أشرنا اليها في صدر هذه الدراسة ، فقد كان مجلس بلدى الاسكندرية ـ كما قلنا ـ في يد الأجانب، وكانت له سلطة وصولة حتى اعتبر دولة داخل الدولة . وتململت الاسكندرية من ثقل الضرائب المختلفة التي كان يفرضها بحجة النهوض بعمران الثغر ، ولم يكن بيرم ، ولا أسرته بنجوة من فداحة هذه المظالم ، وقد عانى منها هو شخصياً أثناء محاولاته التجارية الفاشلة ، فنظم قصيدته الساخرة اللاذعة التي أشرنا اليها وجعل قافيتها في جميع أبياتها من كلمة واحدة هي « المجلس البلدى » زيادة في التشخيص والسخرية :

قد أوقعَ القلبَ في الأشجانِ والكمدِ
هوى حبيب يُسمّى« المجلس البلدى »

وفيها يقول بيرم فيما يقول :

أمشي وأكتُمُ أنفاسي مخافةَ أن
يعدَّها عاملٌ للمجلس البلدى
إذا الرغيفُ أتى ، فالنصفُ آكلُهُ
والنصفُ أتركُهُ للمجلسِ البلدى
كأنَّ أمّيَ بَلَّ اللهُ تربتَها
أوصتْ. فقالت: أخوكَ المجلس البلدى
أخشى الزواجَ إذا يوم الزفافِ أتى
أنْ يَنْبَرِي لعروسي المجلسُ البلدى
وَرُبَّما وَهَبَ الرحمنُ لي ولداً
في بَطْنِهَا يَدَّعيهِ المجلسُ البلدى
وإنْ أقمْتُ صلاتي قلتُ مفتتحاً
اللهُ أكبرُ . باسمِ المجلسِ البلدى
أستغفرُ اللهَ حتى في الصلاةِ غدَتْ
عبادتي نصفُها للمجلسِ البلدى

★ ★ ★

يا بائعَ الفجلِ بالمليمِ واحدة
كم للعيالِ وكم للمجلسِ البلدى

★ ★ ★

ومع أن هذه القصيدة ليست من أطايب بيرم ، فهي انتاجٌ مبكر يدخل في باب المحاولات الأدبية لشاب ناشىء من شُدَاةِ المتأدبين . الا انها احدثت دَوِيّاً شديداً ، وكان لها صدىً بعيد ، فقد وقعت على الجرح ، واصابت ما في نفوس الجماهير الذين وجدوا فيها متنفساً لمعاناتهم من ارهاق هذا المجلس البلدى ، ولهذا راجت على السنة الناس من مختلف الفئات والطبقات ، فحفظوها ، وتناشدوها ، وكتبها الخطاطون في لوحات عُلّقت في الأماكن العامة ، وانشدها المنشدون ـ على الذكر ـ في مولد ابى العباس ، وقام بتشطيرها بعض الشعراء ، وخمَّسها بعضهم، وادَّعاها اكثرُ من شاعر . فارسلها بيرم الى جريدة الأهالي وكانت صحيفةً مشهورة يحررها ويصدرها بالاسكندرية عبد القادر حمزة (١) ، فنشرها موقعةً باسمه « بيرم التونسي » . وتساءل الناس : مَنْ بيرم ؟ واذا بيرم ذلك الفتى القليل الذى يواجه الحياة مجرداً الا من هذا الاستعداد المتفجر .

مجلة المسلة

كان رواج هذه القصيدة على هذا النحو شهرةً فاجئةً تهبط على بيرم . فانطلق في طريق الفنِّ الأدبي وثباً وقد انفتح له فجاةً فدخله من اوسع الأبواب .

وبدهى ان قصيدة المجلس البلدى لم تكن اول أعمال بيرم . فقد سبقتها محاولات ، نشرها في عام ١٩١٦ . وبعضها اجود من قصيدة المجلس البلدى. ولكن الرواج والنباهة حظوظ ـ ايضا ـ وقد بلغ من رواج هذه القصيدة ان بيرم عندما أصدر مجلته « المسلة » قدم نفسه لقرائها منسوبا الى هذه القصيدة ، فكتب عنوانها على الغلاف : « المسلة. لصاحبها محمود بيرم التونسي . صاحب قصيدة المجلس البلدى » .

وكانت هذه القصيدة مورداً من موارد رزقه في هذه الفترة . فكلما عضَّته الحاجة طبع منها بضع مئات ، وراح يوزعها بنفسه ، فيتخاطفها منه الناس ، وكان يكرر طبعها كلما احتاج ، فيتجمع له من ذلك ما يردُّ عنه شبح الجوع .. بل كان طبعه ، ونشره ، وتوزيعه لهذه القصيدة تجربة وجَّهته وقادته الى اصدار مجلة « المسلة » .

وانما سماها « المسلة » رمزاً الى مسلة الاسكندرية الأثرية ، وقد رسمها على غلاف المجلة ، وكان صدور العدد الاول منها في الرابع من مايو

(١) الاهالي في ١٩١٧/٣/٢٥

وابعدوه ، ونفوه ـ ولكنهم لم يسكتوه . بل لعلهم قد زودوه باسباب شخصية للسخط والثورة ، الى حنينه لهذه الأرض التي شقي فيها وبها .

ولن يعدم الطائر غصناً يصدح من فوقه . فجعل يترجم كل ذلك في روائعه ، ويرسلها من فرنسا الى مجلات الشباب . والنيل . والفنون . والامام .

لقد أبعدوه عن مصر . ولكنه لم يبتعد عنها ، ولم يستطيعوا ان يمنعوا صوته أن يعبر البحر ، ويخترق الحدود ، ويجد سبيله الى قلوب الجماهير .

فرنسا تنفي بيرم الى تونس

وفي عام ١٩٣٢ . كانت فرنسا تمر بازمة مالية . وانتشرت فيها البطالة والتعطل . فاتجهت سياستها الى ترحيل كثير من المغتربين الى بلادهم التي كانت تقع في دائرة النفوذ الفرنسي ، فكان ممن شملهم ذلك بيرم ، فقد نفته السلطات الفرنسية الى تونس مرة أخرى .

ان بيرم من الناحية الثورية يتشبه ـ من بعض الوجوه ـ الثائر الاسلامي العظيم السيد جمال الدين الأفغاني . فحيثما كان يحل السيد جمال الدين كان ينشر افكاره الثورية ، وكذلك كان بيرم . حيثما حل شرع قلمه ليترجم عن شعور الجماهير ، ويصور احوال المجتمع ومتناقضاته . فما كاد يستقر في تونس حتى كان في الجبهة التي تقاوم الاستعمار والاستغلال . فجعل يشارك في تحرير بعض صحفها ، ولم تتسع هذه الصحف لأفكاره وآرائه، فاصدر مجلة سماها « الشباب ». وتضيق به السلطات الفرنسية في تونس ، فتغلق مجلته ، وتقبض عليه ، وتخرجه من تونس منفياً ، وينتهي به المطاف في الشام .

بيرم في دمشق

وفي دمشق يقبض عليه المعتمد الفرنسي ويامر بنفيه مرة أخرى الى فرنسا ، ويضعونه في سفينة لتنقله من اللاذقية الى مارسليا مارة ببورسعيد فالاسكندرية .

وفي بورسعيد وقفت السفينة لتتزود بالمئونة والوقود . ووقف بيرم ينظر الى الارض التي يتعشقها والدموع تجول في عينيه ، واذا احد « البمبوطية » ـ تجار السفن ـ من أبناء بورسعيد يستوقفه بكاؤه الصامت ، وان هي الا كلمات بينهما حتى يقوده الى الشط ، وقد حمله من علاقيه فحسبه الحراس زميلاً لهذا «البمبوطي» ولم يسائلوه .

على هذا النحو تيسر لبيرم ان يتسلل مرة اخرى الى وطنه وقد اصبح رجلاً يناهز الخامسة والاربعين ، وينوء برصيد ضخم من الام الغربة وتجارب الحياة . فقد كان ذلك في صيف عام ١٩٣٨ بعد أن قضى في منافيه نحو عشرين عاماً .

في بور سعيد السفينه
رسيت تفرّغ وتملا
والبيّاعين حوّطونا
بكارت بوستال وعمله
لكن بوليس المدينه
ما تزغش من جنبه نمله
يا بور سعيد والله حسره
ولسّه يا اسكندريه

★★★

هتف بى هاتف وقال لى
إنزل . ومن غير عزومه
إنزل . دى ساعة تجلى
فيها الشياطين في نومه
إنزل . دا ربك تملى
فوقك وفوق الحكومه

خَطَيْتْ في سَتر المُهَيْمِنْ
لِلْبَرّ يا حَكْمِداريّه .

★ ★ ★

واقُول لكم بالصَّراحَه
اللّي فْ زَمَانّا قَلِيلَه
عشرين سَنَه في السِّيَاحَه
واشُوفْ مَنَاظِر جَمِيلَه
ما شُفْت يا قلبي رَاحَه
في دِي السِّنِينْ الطويلَه
إلاَّ امَّا شُفْت البَرَاقِع
واللِّبْدَه والجِلاَّبِيَّه . .

وهكذا عاد الى مصر اديبا فقيرا . مستخفيا كما يقول :

نَزَلْت في مصر مستخفي فقيرْ وأديب
دخلت لو كانده مفتوحه لِكُل غريب
تعَلّق الحاج سَالِم نِعْمَة الله حَبِيب
راجل مِعَلّم .مِكَمّل .تربية كتاتيب

وتطارده عيون الحكومة، ويضمنون له الأرصاد ، ويشير عليه بعضهم أن يسترضي السَّراى في بعض اشعاره فكم شفعت اشعار الاعتذار لأمثاله .. فكان غاية ما وصل اليه انهم تغاضوا عن وجوده ، فاقام في مصر بصفة غير رسمية . الى ان قامت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ فمنحته الجنسية المصرية في عام ١٩٥٤ .

وكانت الأيام قد أخذت منه ، بعد أن تقدمت به السنّ ، وأكله مرض « الربْو » ولكنه ظل الى آخر لحظة من حياته وهو في مكانه من صفوف المناضلين الشرفاء من حملة الأقلام الحرة الجريئة، أصحاب الكلمات القوية المضيئة حتى فارقنا الى جوار الله يوم الثلاثاء من يناير عام ١٩٦١ . فمات واقفا ـ كما يقول العسكريون ـ .

فنّ بيرم

ان محمود بيرم التونسي المصري ـ هو قضية ذات شِقَّيْن :

اولهما : بيرم نفسه . حياته التي عاشها بالعمق والعرض كنموذج لكفاح الفنان الحر ، وكانت آثار بيرم الأدبية افرازا لهذه الحياة ... وما زلنا نقول : ان بيرم ـ نفسه ـ درامة لم تكتب الى اليوم .

وثانيهما : التراث العظيم الذى تركه بيرم . واضاف به الى مأثوراتنا الشعبية رصيدا باقيا يحتاج الى تخطيط ، وتمويل ، وجهود تتضافر للنهوض بتقريب هذا التراث وكسْر الحواجز بينه وبين الشعب .

★ ★ ★

ولقد كان بيرم ذا ثقافة عربية واسعة ، وهو يكتبُ بالفصحى ايضا . ويُجيد ، واستمعْ اليه في هذه المناجاة الصوفية العذبة :

قد دَعَاكَ المكروبُ في غَسَقِ الليل
وقَد نامَ كلُّ حيٍّ سِواكا
رَبِّ أنتَ اللطيفُ بالبَرِّ والعاصي
مُجيبٌ لِكُلِّ عَبدٍ دعَاكا
لكَ لُطْفٌ في الخطبِ لو أمعنَ
المكروبُ في وَقْعِهِ يكادُ يَراكا
أنا مُستَمْسِكٌ بِحَبْلِكَ في اليَمِّ
إذا الكائِدُونَ مَدوا الشِّبَاكا

ولو قد آثر بيرم أن يتجه الى الكتابة بالفصحى لجاء أدبه شعبيا ايضا ، اذ يمكن اعتبار الادب شعبيا اذا تحدّث عن قضايا الشعب ، وعالجها وطبَّ لها . وان لم يكتب بلغة الشعب العامية .. ولكن بيرم آثر ان يكتب للشعب بلغة الشعب البيئية ما دام قد تبنى قضايا الجماهير .

طاهر أبو فاشا



رجاء

■ أفنيتَ حتى مهجتى بَدداً ، فهاتِ لىَ البقيَّه
فبقيّ عزّتْ علىّ ، وان تكن أمْستْ شقيَّه
عزّتْ لأنك ملؤها ، في كل عرق أو خليَّه
فأنا وأنتَ : أنا ، كلانا واحدٌ ، أختوا بليَّه
ظلانِ من ركْبِ الرحيل على لظى الأرض العتيَّه
دعنا على الدرب الطويل معاً فغايتنا قصيَّه
سرْنا عليه لعله يُبقى على الذِكرَ النديَّه
فأنا شريككَ في الحياة وخير ما بى من سجيَّه
أنى أحبكَ بعد حبي للذى خلق البريَّه

★ ★ ★

يامن نوى في خاطرى وأضاءَ عُلياهُ الخفيَّه
وأقامَ في خلدى الجمالَ وكان نجوايَ الشجيَّه
وأذاع في عمرى السلامَ فشاعَ في روحى التقيَّه
انى وُلدْتُ بمقلتيكَ وكنتُ ادمعها السخيَّه
وظلالُ هدْبك كُنّ لى أمناً وآمالاً سنيَّه
لاتُلْقِني من أصْغرَيْكَ بلا عتاب أو رويَّه
هبنى أسأتُ كما زعمتَ — وما أسأتُ — فقل خطيَّه (١)
دعنى الرفيق على الطريق فإنّ لى نفساً أبيَّه
مرّتْ بجنات الخطايا واانثنتْ عنها نقيَّه
دعنى أعيش كما تريد وخلّ عن روحى الفتيَّه
انى وهبتُ لكَ الصباح فلو تركتَ لى العشيَّه ■■

وهيب دياب

---

(١) خَطيَّة : خطيئة (بعد تليين الهمزة) يقولها الشامى مستعطفا .

دَولَةُ الخزر

دولةٌ غريبةٌ عاشت أربعة قرون، أسلم عامّتها، وتهوّد ملوكها وخاصّتها، وانقرض شعبها منذ القرن الثاني عشر.

بقلم : نجدة فتحي صفوة

الوزير المفوض سابقا .. بغداد

■ نزحت الى المنطقة الجنوبية من روسيا في القرن السادس الميلادي قبائل بدوية قادمة من الشرق ، فاستقرّت فيها ، واقامت دولة قوية اتسعت رقعتها ، وازدهرت تجارتها ، واثرت في مصائر ما جاورها من الأقطار وما نأى ، وعاشت اربعة عصور انقرضت بعدها ، فلم يعد لها ذكر ، ولم يعرف لشعبها اثر . وهذه الدولة هي دولة « الخزر » التى تعود اهميتها التاريخية الى عدة اعتبارات : فهي التي وقفت في وجه الامبراطورية البيزنطية ، وقاومت الخلافة العربية ، وحدّت من انتشار الاسلام في روسيا ، وكانت أول من أدخل اليهودية الى تلك البلاد .

فما قصة دولة « الخزر » البائدة ؟

وممن تألف شعبها ؟

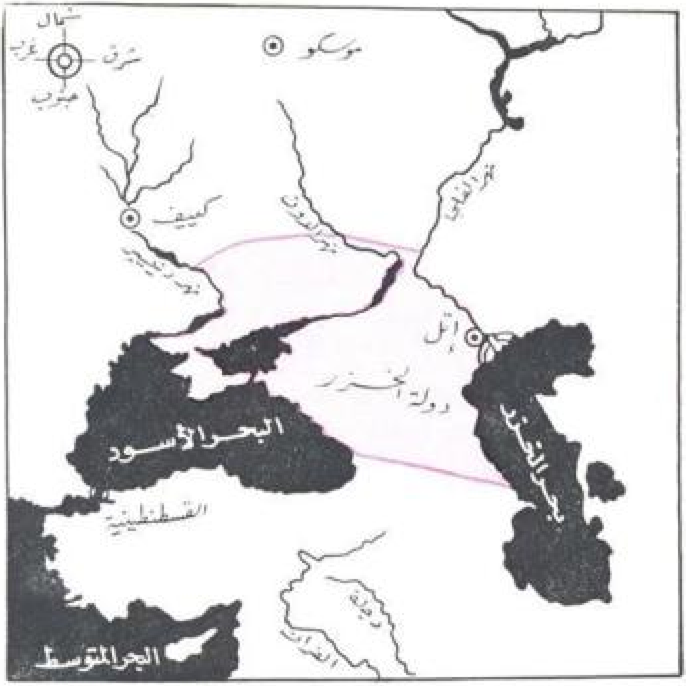
وكيف اعتنقت اليهودية ؟

الخزر والبلغار

شهد جنوب روسيا ـ أو المنطقة التى تعرف بمنطقة السهوب Steppls ـ اقواما عديدة تعاقبت على غزوها واستيطانها منذ اقدم الأزمنة . ومن اوائل هذه الأقوام « القوط » Goth ـ وهم قبائل المانية نزلت من الشمال ـ ثم « الهون » Huns ـ وهم قبائل بدوية تركية ـ مغولية جاءت من آسيا في أواخر القرن الرابع الميلادى فهزمت القوط ـ ثم أعقبهم « الافاريون » ، حتى اغارت على المنطقة أخيرا ، في القرن السادس ، قبائل بدوية نشأت عنها فيما بعد دولتا « الخزر » اليهودية Jewish Khazars ، و « البلغار » المسلمة .

وهذه القبائل لا يعرف أصلها على التحقيق ، وان كان الاعتقاد السائد انها من اصل تركي ـ مغولي . وقد اصبحت للخزر دولة قوية امتدت في منطقة واسعة من بحر الخزر (بحر قزوين) ونهر الفلجا شرقا ، الى شبه جزيرة « القرم » ونهر « دنيبير » غربا .

ولا تزال معلوماتنا قليلة عن الوقت الذى انفصل فيه البلغار عن اخوانهم الخزر ، وعن كيفية هذا الانفصال . ويبدو أن قبائل « البلغار » لم ترغب في الخضوع لدولة « الخزر » التى كانت اقوى منها واكبر ، فاضطرت الى المهاجرة ، وانشطرت قسمين ذهب أوّلهما الى شمال بلاد الخزر ، وقد استقرّت تلك المجموعة في حوض نهر الفولجا (أونهر « اتل » كما تسمّية المصادر العربية) واسست هناك دولة « بلغار الفلجا » واعتنقت الاسلام . اما المجموعة الثانية فقد اتجهت غربا الى منطقة الدانوب السفلى ، فاخضعت القبائل السلافية التى كانت فيها ،



دولة الخزر في القرن التاسع الميلادى

واندمجت بها ، واقامت لها دولة على الارض التى احتفظت باسم « بلغاريا » حتى اليوم .

دولة تجارية

وقد ذكرت دولة الخزر للمرة الاولى سنة ٦٢٧ م . بوصفها حليفة قوية للامبراطورية البيزنطية في حروبها مع الفرس . وكانت عاصمتها في البداية في سهوب القفقاس الشمالية ، ثم نقلت في مطلع القرن الثامن الميلادى الى مدينة « اتل » في مصب نهر « الفولجا » وقرب موقع مدينة « استراخان » الحالية .

واصبحت دولة الخزر دولة مستقرة وآمنة نسبيا ، وبالرغم من أن بعض الخزر اكتسبوا في عهود استقرارهم شيئا من الخبرة في الزراعة وتربية المواشي وصيد الاسماك ، فان اهتمامهم الرئيسي كان موجها الى التجارة . وقد ساعد دولة الخزر موقعها الجغرافي على مفترق الطرق ان تكون مركزا تجاريا دوليا مهمّا . ويقول المستشرق دنلوب « من الواضح ان ازدهار دولة الخزر ورخاءها اعتمدا على موقعها الممتاز على طرق التجارة أكثر من اعتمادها على مواردها (١) » . وقد انشأ الخزر على هذه الطرق تجارة نشيطة بين الشرق الاقصى والبحر الاسود من جهة ، وبين الخلافة العربية في الجنوب ، والشمال السلافي ، من جهة اخرى . وكانت واردات الدولة تعتمد على المعاملات التجارية ، وكذلك على الاتاوة التى فرضتها على الشعوب المجاورة لها ، والواقعة تحت نفوذها . وقد ازدادت تلك الاتاوة كلما اتسعت رقعتها نحو الغرب في السهوب الروسية .

وكان زعيم الخزر يحمل اللقب التركي « خاقان » ، وكانت السلطة قسمة بينه وبين قائد الجيش الملقب « بك » ـ فالسلطة الشكلية في شؤون الدولة والدين كانت بيد الاول ، على

(١) D.M. Dunlop, The History of the Jewish Khazars, Princeton, 1954, P. 27 .

حين ان الثاني كان يمارس السلطة الفعلية . وذكر ياقوت في معجم البلدان أن مدة حكم الملك ــ أو الخاقان ــ لا تكون أكثر من اربعين سنة ، فاذا جاوزها يوما واحدا قتلوه وقالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه (١) . وذكر المسعودى في « مروج الذهب » انه اذا اجدبت الارض أو نابت بلدهم نائبة أو اغارت عليهم أمة من الامم أو فاجاهم أمر من الامرر نفرت الخاصة والعامة الى قائد الجيش (البك) فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان فاقتله أو سلمه الينا لنقتله ، فربما فعل ذلك ، او دافع عنه (٢) .

البحث عن دين سماوي

اختلط الخزر بسكان البلاد من « السلاف » ، كما كان يزورهم التجار المسلمون والمسيحيون واليهود ، فانتشرت هذه الديانات بينهم بعد ان كان معظمهم وثنيين قبل ذلك . وفي القرن الثامن كان « الخاقان » وحاشيته والطبقة الحاكمة قد بلغوا درجة من التحضر والاستنارة ارادوا معها التخلي عن وثنيتهم واعتناق احد الأديان السماوية التي تؤمن بالتوحيد . وكان التجار من الامبراطورية البيزنطية يبشرون بينهم بالمسيحية ، والتجار المسلمون يدعونهم الى الاسلام ، كما ان اليهود الموجودين في مناطق القفقاس والقرم ــ القريبة منهم ــ يحسنون اليهم اليهودية . واصبح للاسلام والمسيحية اتباع كثيرون بين الخزر ، ولكن « الخاقان » كان مترددا في قبول واحدة من هاتين الديانتين . ويرى المؤرخ « فرنادسكي » ــ وهو اكبر أساتذة التاريخ الروسي المعاصرين واوثقهم ــ ان تردد الخاقان ربما كان لأسباب سياسية . فقد كانت هاتان ديانتي الدولتين الفاتحتين : الامبراطورية البيزنطية والخلافة الاسلامية ، فتخوف أن يتبع اعتناق احداهما نفوذ سياسي أجنبي أيضا ، فحل المشكلة باختيار ديانة محايدة هي « اليهودية » التى لم تكن تعلق بها اية خيوط سياسية (٣) ، فاعتنقها هو واسرته ومعظم افراد الطبقة الحاكمة والغنية ، ويقال ان عدد الذين تهودوا مع الملك بلغ اربعة الاف (٤) .

وهكذا تهودت دولة الخزر ــ أو بالأصح حكومتها ــ لأسباب سياسية وليس بسبب اعجاب حكامها بتعاليم الديانة اليهودية ، أو تفضيلهم اياها على سواها من الأديان السماوية ، كما ذكرت بعض المصادر اليهودية (٥) .

وضع شاذ

أدى تهود الطبقة الحاكمة في هذه الدولة الى وضع غريب شاذ . فقد كانت اكثرية السكان من المسلمين ، كما كان بينهم عدد من المسيحيين والوثنيين ، ولكن الملك والطبقة الحاكمة والغنية ــ وهي تمثل اقلية عددية ضئيلة ــ كانت تدين بعقيدة تختلف عن عقيدة شعبها ، والناس في هذه الدولة لم يكونوا « على دين ملوكهم » . ومع ذلك ، فان اعتناق هذه الطبقة الديانة اليهودية كان سببا في انتشارها التدريجي بين الشعب الخزرى (٦) .

واول من اعتنق اليهودية من ملوك الخزر هو « بولان » ، وذلك في حدود سنة ٧٤٠ م . وكان

(١) ياقوت الحموى « معجم البلدان » ، لايبزك ١٨٦٧، ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٢) المسعودى « مروج الذهب » ، بيروت ، ١٩٦٥ ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) Cecrge Verradsky, A History of Russia, New Haven & Lordon, 1964, P. 28.

(٤) انظر مثلا : Solomon Grayzel, A History of the Jews, Philcclphia, 1364, P. 280 — 1.

(٥) The Stardard Jewish Encyclcpedia, (Ed. in Chief : Cecil Roth) London, 1966, P. 1125.

(٦) ان تهود الخزر من الادلة التاريخية التي تفند زعم القائلين بأن اليهود يمثلون جنسا نقيا لم يدخله عنصر غريب ، وان اليهود جميعا يتحدرون من سلالة واحدة هي سلالة اسرائيل ، كما أنه يفند الخرافة القائلة ان اليهودية ليست من الأديان التبشيرية ، وان ابناءها لم يحاولوا نشرها بين غيرهم من الشعوب .

معاصرا للخليفة هرون الرشيد والامبراطور شارلمان .

وقد تزوج الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس كبرونيموس (٧٤١ – ٧٧٥ م) أميرة خزرية ، وتولى ابنه العرش باسم الامبراطور ليون الرابع (٧٧٥ – ٧٨٠ م) ولقب بـ « الخزرى » نسبة الى امه .

ويقال ان يزيد بن أسيد السلمي ، والي ارمينية ، تزوج خلال ذلك الوقت ابنة ملك الخزر تلبية لرغبة الخليفة المنصور .

وسمع حسداى بن شبروط ، الطبيب اليهودى في الاندلس ، بوجود دولة يهودية في تلك المنطقة ، فتراسل مع آخر ملوكها « يوسف » ، وكان ذلك في عهد الحكم الثاني . وقد روت بعض المصادر نصوص الكتب المتبادلة بين حسداى وملك الخزر ، ولكن صحة هذه الوثائق كانت موضوع نقاش كثير بين الباحثين ، ومعظمهم يرى انها موضوعة.(١)

حروب مع الفرس ثم مع العرب

وقد اشتبك الخزر – منذ منتصف القرن السابع الميلادى – في سلسلة من الحروب مع الفرس ثم مع العرب الذين نازعوهم السيطرة على القفقاس ، وقد تمكن العرب من ردهم في كل مرة.

وفي سنة ٧٣٧ م . دبّر العرب حملة قوية اسفرت عن هزيمة منكرة للخزر ، فاكتسحوا القفقاس الشمالي (ما وراء النهر) وتغلغلوا شمالا حتى نهر الدون ، وأسر العرب في هذه الحملة قرابة عشرين الف أسير سلافي أرسلوهم الى سورية .

وأغار الخزر لآخر مرة على اقاليم الخلافة التى على الحدود في عهد هرون الرشيد عام ١٨٣ هـ . ويقول « الطبرى » ان الباعث على هذه الغارة كان فشل المحاولة التى رمت الى تحالف الدولتين بزواج الفضل بن يحيى البرمكي من ابنة ملك الخزر . (٢)

عربيّ يزور بلاد الخزر في القرن العاشر الميلادى

وفي المصادر العربية اشارات كثيرة الى الخزر ودولتهم . وقد روى المسعودى في «مروج الذهب» ان جيش الخزر الذى اغار على البلاد الاسلامية كان على رأسه قائد خوارزمي ، على حين انه كان في حرس ملك الخزر فيما بعد جنود مسلمون من خوارزم لم يرضوا بالقتال في صفه الا بعد ان سُمح لهم بالبقاء على الحياد كلما أعلن ملك الخزر الحرب على المسلمين . (٣)

على أن أهم مصدر عربي عن الخزر ودولتهم – ولعله أهم مصدر عنهم على الاطلاق – هو رسالة « ابن فضلان » الذى أرسله الخليفة العباسي « المقتدر بالله » في سفارة الى مملكة البلغار – على الفلجا – في مطلع القرن العاشر الميلادى .

وكان ملك البلغار أرسل الى عاصمة الخلافة العباسية رسولا ، وطلب الى الخليفة ان يمده بالعون تجاه ضغط الخزر على بلاده من الجنوب ، وأن ينفذ اليه من يعرّف شعبه بشعائر الاسلام – الذى اعتنقوه منذ عهد غير بعيد – ويبنى لهم مسجدا ، ويقيم لهم حصنا يتحصنون فيه من الخزر واعتداءاتهم . وكان طلب هذه الدولة الناشئة من الخلافة العباسية القوية المزدهرة اشبه بالمساعدات الفنية والعسكرية التى تطلبها الدول النامية في أيامنا هذه من الدول الكبرى .

وقد استجاب « المقتدر » لطلب ملك البلغار فارسل اليه سفارة أو وفدا كان «احمد بن فضلان» عضوا بارزا فيه ، فدون في وصف هذه الرحلة رسالة أصبحت مرجعا مهما نقل عنه المؤلفون المسلمون والغربيون فيما كتبوه عن «بلغار الفلجا» وكذلك عن الخزر الذين مرّ الوفد ببلادهم في طريقه الى بلاد البلغار . ولعل هذه الرسالة هي الوصف الوحيد الذى دبّجته يراعة شاهد عيان عربي لتينك الدولتين .

---

(١) The Standard Jewish Encyclopedia, P. 1125 .

(٢) الطبرى « تاريخ الامم والملوك » ج ٣ ص٦٤٧ .

(٣) المسعودى ، ج ١ ص ٢١٢ – ٢١٣

وتحدث ابن فضلان في رسالته عن الخزر فقال ان لملكهم مدينة عظيمة على نهر « اتل » ، وهي جانبان : في أحدهما المسلمون ، وفي الآخر الملك وأصحابه . وأشار الى اعتداءات الخزر على البلغار المسلمين فقال انهم كانوا يفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة ، وان ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك البلغار ، ويتزوجها غصبا ، والخزرى يهودى ، وابنة الملك مسلمة . (١)

الحياة في بلاد الخزر

وروى ياقوت في « معجم البلدان » اخبارا اخرى فيها معلومات مهمة (٢) ، منها أن دولة الخزر كان « فيها خلق كثير من المسلمين ، يقال انهم يزيدون عن عشرة آلاف مسلم ، وان لهم نحو ثلاثين مسجدا » . والشعب يتألف من المسلمين والنصارى ، وفيهم عبدة الأوثان ، وأقل الفرق هناك اليهود ، على أن الملك وخاصته منهم . والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان ، ويسجد بعضهم لبعض عند التعظيم . وجريدة جيش الملك اثنا عشر ألف رجل . وتحدث عن موارد الدولة فقال : « انها من الارصاد ، وعشور التجارات ، على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر » ، وذكر انه كان « للملك تسعة من الحكام ، من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان ، اذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء ، ولا يصل أهل الحوايج الى الملك نفسه » وقال : « ان الغالب على قوتهم الأرز والسمك ، وما عدا ذلك مما يوجد عندهم يحمل اليهم من الروس وبلغار وكويابه » (٣) .

وتروى المصادر العربية أيضا انه كان في « اتل » العاصمة مسجد جامع له مئذنة شامخة . وبلغ ملك الخزر في عام ٣١٠ هـ . (٩٢٢/٩٢٣ م .) ان معبدا لليهود قد دُمّر في بعض البلاد الاسلامية، فما كان منه الا أن هدم مئذنة المسجد ، وقتل المؤذن ، ولم يمس المسجد نفسه بسوء مخافة ان تدمّر جميع المعابد اليهودية في البلاد الاسلامية . (٤)

الشعب الخزرى

أما عن الشعب الخزرى وصفاته ، فقد روى ياقوت : « انهم لايشبهون الاتراك ، وهم سود الشعور . وهم صنفان ، صنف يسمّون قره خزر (أى الخزر السود) وهم سمر يضربون بشدة الى السواد كأنهم صنف من الهند . وصنف بيض ، ظاهرو الجمال والحسن » .

وقال في لغتهم : « ان لسانهم غير لسان الترك والفارسية ، ولا يشاركه لسان فريق من الامم » (٥)

وأما كتابتهم ، فقد ذكر ابن النديم في « الفهرس » ان « الخزر تكتب بالعبرانية » (٦) .

اتساع دولة الخزر وامتداد سلطانها

وتشير الحوليات الروسية بوضوح ـ شأن المصادر العربية ـ الى أن مملكة الخزر في القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) كانت أقوى بكثير من مملكة « البلغار » وان سلطان الخزر امتد كثيرا من ناحية الشمال الغربي (٧) حتى شملت حمايتهم الروس المجاورين ، وكان أمير

(١) رسالة ابن فضلان (حققها ونشرها الدكتور سامي الدهان) دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤ .

(٢) ذكر ياقوت انه نقل هذه المعلومات عن رسالة ابن فضلان ، غير ان تحقيقات عدد من الباحثين دلت على أن نصف ما رواه ياقوت لم ترد فيها ، وربما نقلها عن مصادر أخرى ، وفاته أن يشير الى ذلك .

(٣) كويابه : هي مدينة « كييف » ـ عاصمة اوكراينا ـ كما تسميها المصادر العربية .

(٤) ياقوت ، مجلد ٢ ص ٣٦٩ .

(٥) ص ٤٣٨ .

(٦) ابن النديم « الفهرس » ، القاهرة ١٩٢٩، ـ ١٩٣٠ ص ٢٩ .

(٧) بارتولد (في دائرة المعارف الاسلامية)مادة : بلغار (الطبعة العربية) مجلد ٤ ص ٨٨ .

كييف يدفع لها الاتاوة ايضا . وفي هذه الفترة كانت اول دولة روسية تتكون بتوحيد القسم الجنوبي من قبائل السلاف المتمركزة حول « كييف » مع القبائل السلافية من الشمال الشرقي . وكان مقر « الخاقانية» الروسية قبل ذلك في مدينة « تموتوروكان » وكانت في البداية تحت حماية الخزر ، وتعتمد عليها في تسيير تجارتها . ولكن الخزر تضعضعوا بنتيجة الحملات العربية ـ خاصة بعد سنة ٧٧٩ م . ـ ثم ضعفوا بعد الهجوم العربي سنة ٨٢٥ م . فاعتمد الروس على أنفسهم ، واستعانوا بقوات الشماليين ، فاعلنوا استقلالهم ، واتخذ أميرهم لقب « خاقان ـ روس » مقابل « خاقان الخزر » وسيطروا على التجارة .

واحس الخزر بالخطر ، فاستعانوا بالبيزنطيين لبناء حصون على نهرى الدونتز والدون . وقد انشاوا بمعونتهم قلعة على نهر الدون ـ سميت « ساركل » ، وبهذه الطريقة سيطروا على طرق التجارة الى الشرق . وفي خلال عشر سنوات استولى « الخزر » على « السلاف » الموجودين في منطقة (اوكا) وسيطر اتباعهم على منطقة كييف . واضطرب وضع الروس ، وحاولوا التفاهم مع الامبراطورية البيزنطية ، فلم ينجحوا في ذلك (١) .

تكوين اول دولة روسية « امارة كييف ـ روس »

وفي أواخر القرن التاسع الميلادى (سنة ٨٨٢م.) اتجه « أوليغ » أمير « نوفغورود » الى الجنوب ، واستولى على « كييف » ووحدها مع امارة « نوفغورود » في الشمال ، وبذلك قامت أول دولة روسية موحدة ، هي دولة « كييف ـ روس » التى دامت ثلاثة قرون ، وكان مركزها مدينة كييف .

وكانت المهمة الرئيسية التى تواجه هذه الدولة هي توسيع التجارة ، لانها كانت اساس اقتصادها، وكان من نتائج ذلك ، او من مقتضياته ، التوسع الاقليمي . وقد قام « اوليغ » بحملات عسكرية عديدة معظمها كان موجها الى الامبراطورية البيزنطية ، وقد هدد القسطنطينية مرارا .

وخلف « أوليغ » على العرش ابنه « ايغور » الذى خاض حربين طاحنتين مع بيزنطة ، وخلف « ايغور » ابنه « سفياتوسلاف » وهو لا يزال طفلا فاقيمت امه وصية على العرش ، فلما شب وتولى الحكم سنة ٩٦٠ م . استأنف سياسة التوسع الاقليمي ، وعادت الحملات العسكرية ، فكان اهمها توجيه ضربة قاصمة الى دولة الخزر ، فسقطت قلعة « ساركل » بيد الروس ، ثم العاصمة « اتل » وبعدهما المدينة الثانية في البلاد وهي « سمندر » .

سقوط دولة الخزر وانقراض شعبها

ولم تدم دولة الخزر بعد ذلك اكثر من نصف قرن آخر ، وقد انتقل مقرها الى شبه جزيرة القرم ، حتى أسقطها نهائيا « ماستيسلاف الاول » بمعاونة البيزنطيين في سنة ١٠١٦ ميلادية ، فهرب ذوو قربى الخاقان الاخير الى اسبانيا ، والتحقوا بأبناء دياناتهم فيها ، وتشتت الشعب الخزرى . فقد انضم بقايا الخزر في القرم ـ في اقوى الاحتمالات ـ الى الجاليات اليهودية القديمة الموجودة فيها ، وبذلك انتقل قسم كبير منهم الى امارة « كييف » ، كما تغلغلوا في داخل روسيا ، واعتنق بعضهم المسيحية ، ودخل آخرون في الاسلام ، وانصهروا تدريجيا في القوميات الاخرى ، ولم يعرف لشعب الخزر أثر منذ القرن الثاني عشر . وهكذا بادت دولة الخزر ، بعد ان سادت حوالى أربعة قرون ، واندثرت آثارها ، ولم تبق من شعبها بقية . ■■

نجدة فتحي صفوة

---

(١) الدكتور عبد العزيز الدورى « الجغرافيون العرب وروسيا » ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ ، بغداد ١٩٦٦ ص ٦ . S. M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland, Philadelphia, 1946, Vol. I. P. 28 — 29 .

صفحة في اللغة

صيغة تفاعيل

قالت المعاجم أن لها في اللغة كلمات أربع لا نظير لها ؟!!

بقلم : عبد الستار فراج

■ اما هذه الكلمات الاربع فهي .

(١) تباشير كل شيء ، أوله ، كتباشير الصباح والنَّوْر - أي نوَّار النبات .

(٢) والتعاجيب : العجائب .

(٣) وتفاطير النبات أوائله ، وكذلك التفاطير البَثْر يخرج في وجه الغلام والجارية - حب الشباب .

(٤) والتعاشيب الضروب من النبت والقِطَع المتفرقة منه .

وقد قالت بعض كتب اللغة كاللسان والتاج في مادة (بشر) ان هذه الكلمات الاربع لانظير لها .

واذا حاولنا ان نبحث عن نظائر لهذه الكلمات في كتب اللغة نفسها التي نصت على القول السابق نجد فيها الفاظا كثيرة على وزنها ومن نوعها ، اما في موادها الخاصة بها ، واما جاءت عَرَضا في شرح لفظ آخر في مادة غير مادتها .

ونعني بذلك هذا النوع من الالفاظ التي يحتمل ان يكون مفردها « تفعيل » .

ولئن عجبنا من قولهم ان هذه الاربع لانظير لها فان العجب أيضا ينتابنا من قولهم عن بعض هذه الالفاظ انه لا واحد لها من لفظها مثل ما قالوه في تباشير وتعاجيب .

اما سبب ذلك فهو ان الرواة لم يحيطوا من اللغة بكل شيء ، واليك الدليل .

تهاويل وتصاوير وتزايين

ففي مادة (هول) نجد الفاظا ثلاثة ، أولها « التهاويل » وقالوا انها جمع تهويل . وهو ما هالَكَ من شيء ، والتهاويل أيضا زينة « التصاوير » والنقوش والوَشْي والسلاح والنبات والحَلْيِ ، واحدها تهويل ، والتهاويل الالوان المختلفة ، ويقال للرياض اذا تزينت بنَوْرها وازاهيرها من بين أصفر وأحمر وابيض وأخضر : قد علاها تهويلها ، وفي الحديث « ينتثر من ريشه التهاويل » أراد بالتهاويل « تزايين » ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة ، مثل تهاويل الرياض . ويرى بعضهم أن التهاويل واحدها « تهوال » .

فنحن نرى هنا الكلمات تهاويل وتصاوير وتزايين وردت في مادة واحدة .

التفاريق

وفي مادة (فرق) نجد لفظ تفاريق ، ويحكون أن امرأة كان لها ولد شديد الضَّرامة مع ضعف أسرودرقة ، وكان قد والبَ فتى فقطع الفتى أنفه ، فاخذت امه ديته . ثم والب آخر فقطع الآخرُ شفته ، فاخذت امه ديتها فصلحت حالها ، فقالت تخاطب ابنها هذا الذي كان سببا في صلاح حالها .

أشْهَدُ بالمَرْوةِ يوماً والصفا
أنكَ خيرٌ من تفاريق العصا

قال ابن الاعرابي : العصا تكسر فيتخذ منها ساجور ، فاذا كُسِرَ الساجور اتخذت منه الاوتاد ، فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تُصَرُّ بها الاخلاف . فهذه هي التفاريق التي تنتج من العصا .

التلافيف ، والتلابيب

وفي مادة (لفف) في أرض بني فلان تلافيف من عُشْب ، أي نبات ملتف .

ومن هذا ما يقال في اصطلاح الطب «تلافيف المخ» .

وفي مادة (لبب) « أخذت ، بتلبيبه وتلابيبه : اذا جمعْتَ ثيابَه عند نحره وصدره ثم جررته » .

وفي مادة (وكد) : التأكيد والتواكيد : السُّيور التي يشد بها القربوس الى دفتي السَّرْج» وقيل انها من الجموع التي لا مفرد لها » .

وفي مادة (أسر) (١) تأسير السرج : السيور التى يؤسر بها .

وفي مادة (سخن) والتساخين المراجل ، والتساخين أيضا الخفاف ، وفي الحديث « فامرهم ان يمسحوا على المشاوذ والتساخين » المشاوذ العمائم .

وفي أساس البلاغة في مادة (مجد) « وهو أهل التماجيد » .

التفاتيح والتفاقيح

وفي للسان والتاج مادة (فهد) : والفهد : النرجس اذا كان جَنْبَذاً لم يتفتح . فاذا تفتح فهي التفاتيح والتفاقيح .

وفي مادة (فقح) قالا : كلّ نَوْر تفتح فقد تفقح ، وكذلك الورد وما اشبهه من براعيم الأنوار، وتفقحت الوردة ، تفتحت . ومع ذلك لم يذكرا التفاتيح ولا التفاقيح .

وفي مادة (ضعف) : وتضاعيف الشيء : ما ضُعّف منه .

وفي مادة (روح) : التراويح تَرْويحة ، وهي المرة الواحدة من الراحة .

وفي مادة (مرد) والتمراد بيت صغير يُجعل في بيت الحَمام لبيضه ، فاذا جُعِلَت نسقا بعضها فوق بعض فهي التماريد ، وقد مَرّدَها صاحبها تمريداً وتِمراداً .

واذن فالتماريد يحتمل أن واحدها تمريد ، كما أن واحدها تِمْراد .

وقال الزمخشرى عن كتابه الكشاف في التفسير :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد
وليس فيها لعمْري مثلُ كشّافي

وفي مادة (برح) : التباريح : الشدائد ، وتباريح الشوق : توهجه .

مفرد تفاعيل

ومن نظرتنا الى بعض ما جاء ، نلحظ أن الواحد من تفاعيل يغلب عليه أن يكون على وزن « تفعيل » وقد نص على ذلك في التهاويل ويفهم أيضا مما سبق كلمة التباريح في مادة (برح) ، وكل ما قالوا عنه انه ليس له واحد ، مثل التباشير والتعاشيب والتعاجيب والتصاوير والتزاين والتقاطير يحتمل أن واحده علىوزن تفعيل ويؤيد ذلك أن الزمخشرى جمع التفسير على تفاسير ، وأن هناك الفاظا يستعملها الناس على هذا النهج ، لعلها لم تدوّن في كتب اللغة ، ولا يحول دون فصاحتها شيء مثل :

أيام التحاريق . وتقاسيم العود ، والتسابيح ، والترانيم ، والتعاويذ وتصاريح العمل ، وتراكيب القول ، والتحاليل الطبية ، والتصانيف ، والتواريخ ، والتواليف ، والتصاريف ، وهكذا .

والتحابيش لم تذكر بنصها ، في مادة حبش ولكن جاء المفرد تحبيش وهو بمعنى التجميع .

وكذلك يستعملون التضاريس وتكاليف المعيشة . والتقارير والتمارين .

وقد يكون بعضها مفرده « تفعيلة » ، مثل ما قالوه في ترويحة ، ولا يمنع أن يكون مفرد التراويح الترويح ، تشبيها لها بالتهاويل والتفاسير والتلابيب .

ان الباحث في الكتب ، والمتتبع لما يقوله الناس ويستعملونه ، سيجد من ذلك الفاظا لعلها كثيرة .

وهذا لا يمنع أن « تفاعيل » تكون جمعا أيضا لما كان على « تِمْثال وتماثيل ، وتمساح وتماسيح، وتبال وتنابيل ، وتمراد وتماريد وتِسْخان وتساخين ، وقيل ان تساخين جمع تَسْخان .

تنور وتنانير

اما تَنور وجمعه تنانير ، فالذى عليه أكثر اللغويين أن وزنه فَعّول وان تاءه اصلية ، ولهذا وضعوه في مادة (تنر) ، وقال ثعلب : ان تنور وزنه تفعول مأخوذ من مادة (نور) . وعقّب عليه ابنُ سيده بقوله : « وهذا من الفساد بحيث تراه ، وانما هو اصل لم يُستعمل الا في هذا الحرف ، وبالزيادة وصاحبه تَنّار » .

والذى جعل بعض اللغويين ينصون في بعض الالفاظ انه لا واحد لها ، هو تطبيقهم لقول القائل ان المصادر لا تجمع الا في القليل .

جمع مازاد على أربعة أحرف

ولا يفوتنا ان نذكر ان كل ما زاد على أربعة أحرف ولم يسمع له جمع فانه يجمع قياسيا جمع مؤنث سالما ، تقول : اسطبل واسطبلات ، وحمّام وحمّامات . وقد طبق الناس هذا في كل مصدر جاء على تفعيل أو غيره مما استخفوا صيغته في استعمالهم ، مثل تامينات وتأثيرات وتسهيلات وتطبيقات وتعريفات وتنبيهات وتهديدات مما لا يُحْصَى من هذا الوزن ، وكذلك من غيره امكانات ، اعلانات ، وتصوّرات وتاملات . ■■

---

(١) الاسر : الخلق وتكوين الجسم .

ركن الأسرة والمرأة

الزواج

أعظم تحديات الحياة !

متى وكيف يكون الرجل مستعداً لمواجهة هذه التجربة الكبرى ؟

● أعظم تحد فى الحياة ، هو هذا الذى يواجهه الرجل فى أعظم تجربة له فى الحياة تجربة الزواج ! ..

« توماس كارليل »

■ ترى متى يكون الرجل مستعدا لقبول هذا التحدى ؟

وهل هناك صفات خاصة يجب ان يتميز بها الرجل لخوض هذه التجربة .. تجربة الخروج من حياة الوحدة والتقيد برباط الزواج ، بكل ما يحيط به من واجبات والتزامات ؟

ولنستمع الى هذه القصة اولا قبل ان ننقل راى الباحثين ..

قالت الفتاة لابيها ، وكانت جميلة ، ذكية مثقفة ، لم يبخل عليها والدها بجهده وعرقه وماله ، لكى يجعل منها سيدة صغيرة تستطيع ان تحتل مكانها فى المجتمع .. قالت الفتاة تحدث اباها الذى قرات فى مكتبته الفنية العامرة ، وتعلمت من كتبه الكثير من حقائق الحياة : « لا اريد ان اتزوج منصباً يا ابى .. ولا اريد ان اتزوج شابا مفتونا .. فانا ابحث عن رجل يحبنى ويفهمنى ويحمينى !! » .

ولم تنقض فترة طويلة على هذا الحديث الذى دار بين الاب والابنة ، عندما تلقت رسالة حملها اليها البريد ، وتوقعت الفتاة وهي تقلبها بين يديها ، ان تجد فيها من كلمات الوله والهيام ، ما تجده كل فتاة جميلة من هؤلاء المعجبين الذين احترفوا مطاردة الحسان ، فى كل مكان تتاح لهم فيه فرصة التعارف والاختلاط !

رسالة من رجل كبير

وجلست تقرا الرسالة ، فلم تجد فيها من كل هذا الذى تصورته شيئا .. فهي ليست برسالة، كما توقعت وانما هي دعوة من رجل فاضل كتب اليها يقول : « علمت انك عدت من الخارج بعد ان حصلت على نصيب لا باس به من العلم والثقافة . لا بد انك سمعت عن الحركة التى بدات فى البلاد ،

تلك التى تدعو الى تحرير المرأة ، ومنحها حق الانتخاب .. انك لا شك ترغبين في الانضمام الى هذه الحركة ، وقد يهمك بعد هذا ان تعلمي انني أؤيد منح المرأة هذا الحق ، فانا من دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل » .

وما كادت الفتاة تفرغ من قراءة هذا الخطاب ، حتى اسر عت الى والدها ، والقت بالرسالة امامه وهي تقول : « اريد ان القى هذا الرجل ! » .

لقاء ، وحديث

وكان اللقاء .. وجلست الفتاة تتحدث في حماس لمدة ساعة كاملة عن دورها في هذه الحركة ، وعن المظاهرات السلمية التى تقدمت فيها الصفوف داعية الى هذا الدور الجديد الذى ارادته لبنات جنسها !

أما هو فقد جلس ينصت باهتمام الى هذه الفتاة الصغيرة التى لم تكن قد تخطت بعد عامها العشرين، حتى اذا فرغت ، راح يحدثها بدوره عن رأيه في دعوتها وتحمسه لهذه الدعوة وأخيرا عن اعجابه الشديد بهذه الروح الشابة المنطلقة التى وقفت تتحدى القانون والتقاليد وتطالب بتحرير المرأة من قيود المجتمع .

وفي مساء هذا اليوم الذى تم فيه اللقاء بين الفتاة وصاحب الرسالة ، ذهبت الابنة الى ابيها في غرفة مكتبه وقالت : « لقد وجدته يا ابى ، وجدت الرجل الذى كنت ابحث عنه .. وانا اطلب موافقتك على زواجي به ! » .

امرأة عظيمة

ولم تكن هذه الفتاة سوى املين بانكهرست Emmeline Pankhurst (١٨٥٨ — ١٩٢٨) ، السيدة الشهيرة التى حملت لواء الدعوة الى منح المرأة الانجليزية حق الانتخاب السياسي فيبريطانيا منذ ستين عاما تقريبا .



اما الرجل الذى اختارته زوجا وشريكا لحياتها فلم يكن سوى الدكتور ريتشارد بانكهرست . Richard Fankhurst ، المحامى المعروف الذى بقى بلا زواج حتى بلغ الاربعين من عمره ، فكان يكبرها باكثر من عشرين عاما .. وقد عاشت معه حياة سعيدة هانئة انجبت له خلالها اربعة اطفال في اقل من ست سنوات بعد زواجهما الذى احتفلا به عام ١٨٧٩ !

ما الذى وجدته املين فى هذا الرجل ولم تجده في غيره من الرجال ؟

ماذا قالت املين ؟

كتبت في عيد زواجها العشرين تقول : « كنت واثقة ان ظنى لن يخيب . كان اول ما لفت نظرى اليه ، واثار اهتمامى به ، هو هذه الخشونة والصلابة اللتان تميزت بهما تقاطيع وجهه ، وكانما كان يريد ان يقول لى : « اننى استطيع ان اعنى بنفسي ، واستطيع ان اعنى بك وباطفالنا .. ولكن ثمة شيء آخر جذبني اليه .. هو حديثه الجاد الذى يوحى بالثقة والاطمئنان !

« لقد كان ريتشارد كثير الشبه بوالدى ، في تصرفاته وحركاته ، وحتى في نظرته الى كثير من امور الحياة .. وقد كنت اعبد والدى ، واتمنى ان أجد رجلا مثله ! » .

صورة الاب !

يقول عالم النفس فردريك برمنجهام Frederic Birmingham : « ان الفتاة تتاثر ، غير واعية ، بشخصية ابيها ، وخاصة اذا كان يخصها بحبه ورعايته ، وهى اكثر ميلا الى التعلق بوالدها في سنى الطفولة ، فاذا اجتازت هذه المرحلة وبدات تخطو الى المراهقة والشباب ، بدات تبحث عن فتى احلامها بين الرجال الذين يعبرون معها طريق الحياة في المدرسة او الجامعة ، او في مقر عملها بعد التخرج ، ولكن مع هذا تبقى صورة ابيها عالقة فى ذهنها فهى لا تكاد تلتقى برجل غريب ، وتشعر بينها وبين نفسها بأن شيئا ما في هذا الرجل يجذبها اليه ، حتى تعود ، الى المقارنة بينه وبين والدها ، اول رجل عرفته وهى طفلة ، وحملها بين ذراعيه ودللها وداعبها ، واستجاب لنزعاتها ورغباتها .. وهى تفعل ذلك مرة اخرى بلا وعى منها ! » .

الزواج هدف !

متى يكون الرجل مستعدا للزواج ؟

يقول برمنجهام : « ليست هناك سن معينة للزواج ، وانما هناك استعداد للزواج ، وهذا الاستعداد لا يتحقق الا اذا كان الرجل قد وضع الزواج في مقدمة اهدافه في الحياة . فهو يقبل على الدرس والتحصيل ويسعى ويكد ، حتى يكمل تعليمه الجامعى لكى يستطيع ان يشغل مركزا ممتازا في المجتمع الذى يعيش فيه ، ليكون جديرا بالفتاة التى تصورها في احلامه ، وتمنى لو انها اصبحت له زوجة وشريكة لحياته .. وقد يجدها سريعا ، وقد تمتد به الاعوام ، وهو ما زال يبحث عنها .. مثل هذا الرجل ، سواء تزوج شابا ، ام رجلا في منتصف العمر ، فمن المؤكد ان يكون زوجا صالحا وابا كريما ، لانه لم يتخل ابدا عن الهدف الذى حدده لنفسه في الحياة ، وهو تكوين بيت واسرة ، يعطيها من وقته وحبه ورعايته كل ما ادخره لهما ، طوال سنى بحثه عن نصفه الحلو التائه وسط طرقات الحياة ! » .

فالزواج هدف ، وهو عند المراة هدفها الاول والاخير فى الحياة .. فليس هناك امراة واحدة تستطيع ان تعيش بلا زواج .

القدر والمصير

اما عند الرجل ، فالحال يختلف ، فهو عند البعض هدف وغاية ، بينما هو عند غيرهم مسالة يتحكم فيها القدر والمصير ، وكثيرا ما ياتى الزواج مصادفة ، ومع هذا يكون زواجا ناجحا ، اذا كان الرجل مستعدا له عاطفيا وادبيا وماديا .. ولكنه ايضا كثيرا ما يفشل اذا لم يكن الرجل اهلا لهذه التجربة الجديدة في حياته ..

يقول برمنجهام : « ان اهم عامل من العوامل التى تلعب دورا رئيسيا في نجاح الرجل في تجربة الزواج هو ان يكون مهتما اهتماما حقيقيا ببيته وزوجته واطفاله ، ويوم يشعر الرجل بانه لا يحتمل ان يبتعد عن بيته ، ولا يطيق فراقه ويتلهف على العودة الى البيت بعد انتهائه من عمله ، وبعد الدقائق التى سيلتقى بعدها بافراد اسرته ، هؤلاء الذين اصبحوا اصدقاء ، وحلفاء وشركاء له في حياته ، يوم يشعر الرجل بهذا الشعور ، فهو قد نجح في تجربته ، وعرف كيف يسعد نفسه وبيته .

تحديات الزواج

« ان التحديات في الزواج ، تحديات حقيقية وكثيرة ، وهي تتطلب من ثقابة الفكر وسعة الصدر والادراك السليم ، الشيء الكثير .. هناك مثلا هذه الانسانة الرقيقة التي تعني به وتسهر على راحته وترعى بيتها واطفالها انها تختلف عنه في كل شيء .. في تفكيرها وفي تكوينها الفسيولوجي ، وفي نظرتها الى امور الحياة .. فاذا استطاع الرجل ان يدرك هذا كله ، وعرف كيف يعود نفسه على ان يتعلم ، ويعلم في الوقت نفسه وان يتخلى عن كبريائه ويقبل طوعا على مساعدة زوجته في شئون البيت ورعاية الاطفال ، دون ان يجد في ذلك حرجا او انتقاصا لكرامته فهو زوج ناجح استطاع ان يتغلب على بعض جوانب التحديات التي تواجهه في زواجه .

الخلافات في الزواج

ان الحياة بين الرجل وامراته في البيت لا تخلو من الخلافات .. وهذه المشاكل في الزواج ، هي بمثابة الملح في الطعام ، وكما لا يمكن ان يطيب مذاق الطعام بغير الملح ، كذلك لا يمكن ان تمضي الحياة الزوجية حلوة بغير تلك المنازعات والخلافات ، بشرط الا تتطور وتكبر بينهما !

ويقول برمنجهام : « ولكن اذا عرف الزوج ، كيف يعالج مشاكل الاسرة في هدوء ، وان يشرك زوجته في كل القرارات التي تمس حياتهم ، وان يعبر عن مشاعره في وضوح وصراحة ، فاذا اسعده تصرف بدر من امراته ، لم يحاول اخفاء سعادته ، واذا اغضبته بادرة منها ، عبر عن غضبه دون ان يكبته ويحمله في صدره ، اذا عرف الرجل ان يبقى على وسائل الاتصال الفكرى والروحى بافراد اسرته ، وان يكون مستعدا دائما لان يصفح وينسى ، فهو قد نجح مرة اخرى في التغلب على اكبر تحد يهدد كيان الاسرة » .

حساسية المراة

ان المراة انسان حساس ، اى شيء يرضيها واى شيء يجرحها ، فاذا عرف الرجل كيف يعبر عن مشاعره تجاه امراته ، وكيف يظهر لها تقديره لدورها الكبير في حياته معها ، ولا يفوته ان يثنى على ذوقها ، ويهمس في اذنها بكلمات الاعجاب والاطراء من وقت لآخر .. فاذا اعجبه طبق الطعام الذى قدمته له على مائدة الغداء سارع بشكرها على ما صنعت ، واذا رآها تلبس فستانا جديدا ، لم ينس ان يبدى اعجابه به ، واذا جاء عيد ميلادها ، قدم لها فيه هدية جميلة ، واذا جاءت اليه تذكره بعيد زواجهما ، فاجأها هو بسهرة هادئة يقضيانها وحدهما بعيدا عن البيت والاطفال .. اذا عرف الرجل كيف يشعر زوجته بتقديره لها ، فهو قد نجح في تخليص زوجته من هذا الشعور الذى يصيب كل امراة في بعض مراحل الزواج ، بأن زوجها قد بدأ يهملها وينساها !

الجرح الدامى

اما الجرح الذى يبقى داميا في قلب المراة ، فهو ذلك الذى يصيبها ، اذا احست يوما ان زوجها ليس امينا على حبه لها ، وليس وفيا لهذا الرباط الذى جمع بينهما تحت سقف واحد .

فالمراة لا تغفر ابدا لرجلها اذا شعرت ، وشعور المراة لا يكذب ، بانه يخونها ، او انه بدأ يمل حياته معها .

يقول برمنجهام : « ان هذا هو اعظم التحديات التى تواجه الرجل في زواجه على الاطلاق ، فاذا ادرك الرجل منذ اللحظة الاولى التى اختار فيها امراته ، انه تزوج هذه الفتاة لانه يحبها ، ولانه يريد ان يبنى أسرة وينشىء بيتا سعيدا ، واذا ادرك انه لم يتزوج امراة لكى تصبح له خادمة ومديرة لبيتـه ومربيـة لاطفاله .. استطاع ان يشعرها بقيمتها عنده ، وان يثبت لها انه على استعداد لان يضحى بحياته من اجلها ومن اجل اطفالهما ، بنفس القوة التى يريد بها ان يعيش من اجل اسعاد اسرته ..

متى يكتمل الزواج ؟

« واذا عرف الرجل بعد ذلك ، ان الحيـاة الزوجية لا تكتمل بهذا الحفل التقليدى الـذى يقام احتفالا بالزفاف ، وانما هى في الواقع تبدأ في هذا اليوم الذى يتم فيه عقد ذلك الرباط الذى يكبر معه الزوجان وينموان عاطفيا وماديا وادبيا ، ومع هذا النمو تزداد علاقتهما قوة وصلابة ، حتى لا يكون نصيب هذا الزواج الموت ، كما يموت كل شيء حى .. اذا عرف الزوج اخيرا كل هذا ، استطاع ان يتغلب على كل التحديات ..

تلك التى تواجه كل رجل في اعظم تجربة له في الحياة .. تجربة الزواج » . ■■

م٠ ن

أنباء الطب والعلم والاختراع

دليل جديد على تأثير التدخين على الرئة بالنسبة لصغار السن !!

● بالرغم من البحوث الطبية العديدةوالتى اثبتت ان للتدخين علاقة وثيقة بسرطان الرئة ، وبالرغم من التحذيرات الكثيرة التى نشرتها الاوساط الطبية فان انتشار عادة التدخين لم تتأثر الابدرجة ضئيلة . واثبتت الاحصائيات ان عدد المدخنين لم يقل الا بنسبة صغيرةخلافا لما كان متوقعا من قبل الهيئات الطبية بعد الحملة التى شنتها ضدالتدخين .

واليوم يأتى تحذير جديد يضيف الىخطورة التدخين عنصرا جديدا قد يؤدى فى النهاية الى ان يقلع عدد كبير منشباب اليوم وخاصة الشباب الصغار الذين يتراوح سنهم بين ١٥ و ٢٠ سنةعن هذه العادة الضارة .. وقد جاء هذا التحذير نتيجة بحث قام به فريق مناطباء كلية الطب بجامعة ييل Yale الامريكية على ٣٦٥ طالبا وطالبة تتراوحاعمارهم بين ١٥و١٩ سنة .. وكان من بين هؤلاء ٥٠٪ من الطلبةالذكور يدخنون بانتظام ، اما نسبة الفتيات اللواتي يدخن بانتظام من بين من اجريت عليهم البحوث فكانت ٣٧٪ .



وكانت نسبة الطلبة الذين يدخنون من ١١ الى ٢٠ سيجارة يوميا حوالي ٢٦٪ من مجموع الذكور ووصلت نسبة من يدخنون اكثر من ٢٠ سيجارة فى اليوم الى ٩٪ اما نسبة الفتيات اللواتى يدخن اكثر من ٢٠ سيجارة يوميا فلم تزد على ١٪ فقط .

وقد تم قياس حجم الزفير فى كل شخص من الاشخاص موضع التجربة وكان اهم جزء فى التجربة هو قياس حجم الزفير ودرجة خروج الهواء فى آخر عملية الزفير .. ومن المعروف ان درجة خروج الهواء فى هذا الوقت بالذات تعتمد على حجم الشعيبات الهوائية الصغيرة

« Alveoli » فى الرئة وليس على المجهود العضلى الذى يقوم به الفرد اثناء عملية التنفس ، ولهذا السبب فان اى ضيق ولو ضئيل فى الشعيبات الهوائية يتسبب فى تخفيض درجة خروج الهواء .

وعند اجراء التجارب على هذه المجموعة من الطلبة والطالبات ، وكانوا قد امتنعوا عن التدخين لمدة ٢٤ ساعة قبل اجراء التجارب عليهم ، اتضح ان درجة خروج الهواء فى آخر عملية الزفير تقل بنسبة محسوسة خاصة عند هؤلاء الذين يدخنون بانتظام وتزيد هذه النسبة كلما كان الشخص يدخن اكثر ، وهذا يدل فى الواقع على حدوث تلف فى الشعيبات الهوائية للرئة . وبالاضافة الى هذا التلف فانه لوحظ ان المدخنين من الصغار يصابون بسعال حاد ، وافرازات البلغم ، وقصر النفس .

ويقول الاطباء الذين اشرفوا على هذه التجارب ان خطورة النتائج لا تكمن فقط فى التلف الذى يصيب الشعيبات الهوائية ولكن ايضا فى ان هناك حقيقة علمية تقول ان الانسجة الشعبية للرئة تستمر فى النمو فى الانسان تدريجيا حتى يكتمل نموها فى سن العشرين . وهذا يعني ببساطة ان التدخين فى سن مبكرة قبل العشرين يؤدى الى توقف النمو الطبيعي لشعيبات الرئة علاوة على التلف الذى يسببه لها مما يؤدى الى عدم قيام الرئة بمهامها كاملة وعدم جدوى اى علاج .

ويعتقد اطباء جامعة ييل ان نتائج هذا البحث ستؤدى الى ان يفكر الشبان الصغار مرتين قبل اقدامهم على ممارسة عادة التدخين لما فى ذلك من خطر كبير على صحتهم .

غاز الاثيلين .. وتأثيره على نمو النبات !

● لقد كان اكتشاف تأثير غاز الاثيلين Ethylene على نمو النباتات مفاجاة كبيرة لعلماء النبات ويبدو من الابحاث التى تجرى الآن ان النباتات تقوم فعلا بانتاج هذا الغاز كمنظم لنموها ، وقد اصبحت هذه الظاهرة محل دراسة الكثيرين من علماء النبات آخيرا .

لقد كان من المعروف فى الماضى ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ان الغازات المستخدمة للاضاءة والدخان تؤثر تأثيرا ما على نمو النبات ، وفى عام ١٩٠١ اكتشف الدكتور نلجباو NelJebow ان المنصر الفعال فى هذه الغازات هو الاثيلين .. ولاحظ « نلجباو » ان نمو النبات الى اعلى يتاثر تأثرا كبيرا اذا ما تعرض لغاز الاثيلين ويؤدى هذا الى ان ينمو النبات افقيا لا رأسيا مما يدل على تأثره بالجاذبية .

ووجد هذا العالم ان كمية ضئيلة جدا تبلغ ٦ من الالف فى المليون من الاثيلين فى الجو تكفي لكي تقلل من درجة نمو النبات وتؤدى الى تقصير سيقانه وزيادة سمكها . وبالرغم من اختلاف تأثير الاثيلين على النباتات المختلفة الا ان اغلب النباتات الارضية تشترك فى ان الاثيلين يؤثر فى درجة نموها ، ويؤدى الى اصفرار اوراقها وسقوطها ، كما يؤدى ايضا الى النضج المبكر للثمار ، وذبول الازهار ، والى اعوجاج وتثنى سيقان هذه النباتات . وباختصار فان الاثيلين يؤثر عمليا فى كل عمليات النمو المتعلقة بالنبات ، وليس من الغريب بعد معرفة هذا كله ان مادة لها مثل هذا

التأثير على نمو النبات لا تكون من بين المواد التى يقوم النبات بانتاجها طبيعيا .

وفى منتصف الثلاثينات من هذا القرن تم اكتشاف حقائق هامة عن فسيولوجية الاثيلين ومن بين هذه الحقائق ان الهرمون النباتي المسمى اوكسين Auxin ، يؤدى الى زيادة انتاج الاثيلين . وقد ادى اكتشاف هذا الامر الى اثارة جدل علمي حول ما اذا كان من الممكن اعتبار الاثيلين هرمونا نباتيا ام لا .. ؟ وقد استمر هذا الجدل العلمي طوال مدة ٢٠ عاما ، ولكن عدم وجود الوسائل العلمية الفعالة خلال هذه المدة للكشف عن فسيولوجية الاثيلين وعمله داخل النبات ادى الى توقف الكثير من الابحاث وقصر اهمية اكتشاف تأثير الاثيلين على استعماله لانضاج الفواكه المبكر مما اكسبه اسم هرمون النضج .



وعاد الاهتمام العلمي لدراسة فسيولوجية الاثيلين فى اوائل العقد السادس من القرن العشرين بعد ان تمكن العلماء من اكتشاف طرق لتحليل الكميات الصغيرة جدا من الغازات . وادت الدراسات التى اجريت فى الستينات من هذا القرن الى معرفة ان الاثيلين تنتجه كل اجزاء النبات وتبلغ اعلى نسبة لانتاجه فى البراعم والاوراق الصغيرة والثمار الناضجة والزهور بينما تقل فى الاجزاء الاخرى للنبات ، وتم اكتشاف ان عملية سقوط اوراق النبات لها علاقة مباشرة بزيادة انتاج الاثيلين اذ لوحظ ان الاوراق الصفراء للنبات تحتوى على كميات اكبر من الاثيلين عن مثيلاتها الخضراء .

وبدراسة سرعة انتقال الاثيلين من جزء فى النبات الى الجزء الآخر اتضح ان هناك احتمالا ان اغلب هذا الغاز يخرج الى الهواء المحيط بالنبات وان كمية قليلة جدا منه هي التى تنتقل من خلية الى خلية .

ولا تزال دراسة تأثير الاثيلين تنتظر الكثير من الاجابات على الكثير من الاسئلة التى تتردد على اذهان علماء النبات .. ومن اهم هذه الاسئلة هو كيف يحدث تركيب كيماوى بسيط مثل هذا الكثير من التغييرات فى نمو النبات ؟!

ولا يفوتنا ان نذكر ان تركيب الاثيلين بسيط بحيث انه لا يحتوى الا على ذرتين من الكربون بينهما رابطة مزدوجة غير مشبعة ، وان كل ذرة من الكربون تحمل ذرتين من الايدروجين فرمزه الكيماوى هو اذا « ك ٢ يد ٤ » .

ساعات ناطقة تتحكم في حياة الانسان !!

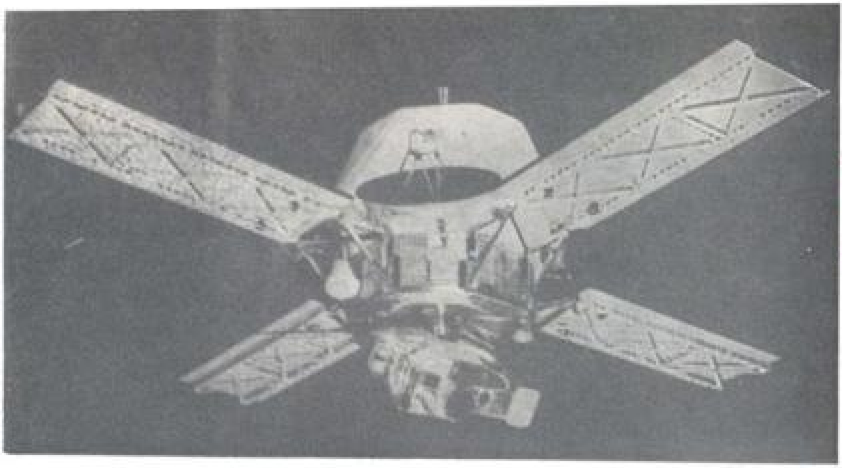
● التقدم العلمي الهائل الذى نشهده فى الابحاث العلمية المتطورة التى شملت كل ميادين الحياة لم يترك مجالا فى اى صناعة من الصناعات الا وطرقه باحثا عن تحسينات جديدة يدخلها على هذه الصناعة او عن اختراع جديد قد يقلب هذه الصناعة راسا على عقب . ولعل احدث البحوث التى اجريت اخيرا فى ميدان صناعة الساعات هي تلك البحوث التى قامت باجرائها شركة ماتسوشيتا Ma sushita اليابانيـة والمتخصصـة فى الصناعة الالكترونية . فقد استطاعت معامل البحوث التابعة لهذه الشركة ان تنتج ساعة جديدة هي مزيج بين جهاز للراديو وساعة متكلمة ، ويقوم من يريد معرفة الوقت بالضغط على زر مضىء فى اعلى صندوق الساعة وسرعان ما تنطق الساعة محددة الوقت بالضبط . ويمكن ايضا ضبط هذه الساعة المتكلمة بحيث تنطق فى وقت معين لتذكرك بموعد محدد . او لتقوم بايقاظك فى الصباح فى الوقت الذى تضبطه انت بنفسك ، ويمكن لهذه الساعة ايضا ان تكرر نطقها للوقت لمدة خمس دقائق بدون توقف وبذلك يتم ايقاظ كل ذى نوم ثقيل !! ولا يقتصر الامر على ذلك بل يمكن ضبط طبقات صوت الساعة ، فهؤلاء الذين يزعجهم الصوت العالي النبرات يمكنهم ضبط الساعة بحيث تنطق بصوت رقيق اقرب الى همسات العشاق .. وهؤلاء الذين لا يوقظهم سوى الاصوات المزعجة يمكنهم ضبط صوت الساعة بحيث يكون اقرب الى صوت صفارة الانذار !!

وينظر خبراء الادارة الى هذا الاختراع الجديد فى عالم الساعات نظرة كلها سرور وبهجة .. فهو فى نظرهم قد يكون نقطة البداية لتنظيم وقت كل العاملين



تحت ادارتهم ، وعندما يتم تطوير هذه الساعة المتكلمة بحيث تكون صغيرة الحجم ويمكن ارتداؤها على الرسغ بدلا من الساعات العادية يمكن لكل مسئول فى مؤسسة او شركة ان ينظم عمل مرؤوسيه عن طريق هذه الساعات المتكلمة .. ويذهب البعض فى الخيال الى اكثر من ذلك فيتصورون ما يمكن ان يحدث عن طريق هذه الساعات المتكلمة فى تنظيم حياة كل فرد على الارض فى المستقبل فيتصورون ان كل فرد يمكن ان يزود بساعة متكلمة تتحكم فى مستقبله عن طريق اشرطة مسجلة مبرمجة حسب درجة ذكائه وبها التعليمات التى تحدد لهذا الفرد منذ صغره طبيعة العمل الذى يصلح له طبقا لمواهبه الشخصية .. ويقول هؤلاء ان هذه الساعات يمكن ان تتحكم فى الحياة بحيث تلغى تماما ضياع اية دقيقة من عمر الانسان هباء . كل دقيقة ستكون محسوبة من قبل ومعد لها برنامج معين ما على الفرد سوى تنفيذه طبقا لاوامره المسجلة على الساعة التى يحملها !!

ترى اية حياة هذه التى يرسمها لنا خيال بعض العلماء !!



فى الطريق الى المريخ !

● اطلقت الولايات المتحدة مركبتى فضاء من طراز مارينر Mariner ، الى المريخ فى شهر مايو الماضى لكى تصلا الى مدار حول المريخ فى شهر نوفمبر وذلك فى محاولة للحصول على معلومات وافية عن هذا الكوكب بعد ان تقطعا حوالى ٢٨٧ مليون ميل . والخطة المرسومة لكل من المركبتين ان تدور كل منهما لمدة ٩٠ يوما فى مدار حول المريخ وان تكون الاولى سريعة فتقطع دورتها حول المريخ فى ١٢ ساعة والثانية ابطأ فتقطع دورتها فى ٢٠ ساعة ونصف .

ويقول المسئولون عن برنامج الفضاء الامريكى انه اذا ثبت نجاح المركبتين فان فترة بقائهما فى مدارهما حول هذا الكوكب قد تمتد الى حوالى سنة لجمع اكثر ما يمكن من المعلومات .

وتحمل كل مركبة اجهزة مماثلة للمركبة الاخرى وكل واحدة منهما مزودة بعدستين للتليفزيون ، وكاشفين يعملان بالاشعة تحت الحمراء، ومقياس للطبقات بقيس الاشعة البنفسجية

Ultraviolet Spectrometer

وسيتم ارسال المعلومات والصور من المركبتين اللتين تكلفتا حوالى ١١٥ مليون دولار الى الارض حيث يتم استقبالهما بواسطة اجهزة استقبال صنعت خصيصا لهذا الغرض .

ويتوقع المشرفون على رحلة مارينر الى المريخ ان تؤدى هذه الرحلة الى الكشف عن الكثير من المعلومات التى لا تزال سرا غامضا عن هذا الكوكب الاحمر ، فعلاوة على ان عدسات التليفزيون ستقوم بمسح سطح هذا الكوكب عن قرب معطية بذلك اول خريطة واضحة صحيحة للمريخ فان من اهم اغراض الرحلة معرفة وجود الماء على سطح هذا الكوكب وكذلك مقياس درجات الحرارة والضغط الجوى فى مختلف اجزائه ودرجة تركيز غاز الاوزون التى قد تعطى فكرة عن وجود حياة فوق هذا الكوكب .

ويقول العلماء ان نجاح هذه الرحلة الفضائية الطويلة قد يؤدى فى النهاية الى الكشف عن كثير من اسرار الفضاء الخارجى وخاصة ذلك الكوكب الملتهب وقد يساعد على ارسال اول رحلة مأهولة الى المريخ .

ولا يفوت ان نذكر ان الروس كذلك ارسلوا مركبتين الى المريخ .

●●

إِحْباطُ الحاجاتِ البَشَرِيَّةِ وَكَيْفَ يَسْتَجيبُ لَهُ صاحِبُها

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

يقضي الانسان ، طفلا وراشـدا ، اربعا وعشرين ساعة كل يوم في ارضاء حاجاته أو محاولة ارضاء هذه الحاجات . وحاجات الانسان جسدية واجتماعية وشخصية . وهكذا فاننا نرى الناس ياكلون ويشربون ويستريحون ، ويتوقون الى تقدير المجتمع ، ويبحثون عن اللذة ، ويحاولون اتقان حرفة من الحرف ، ويتشـوفون الى الحرية . والذي يلاحظ الأطفال الصـغار يلاحظ انهم لا ينقطعون عن طلب شيء أو آخر . اما الأطفال الأكبر سنا والراشدون فهم دائمو الانشغال يعملون على تحقيق اهدافهم التي تخفف من التوتر الذي تخلقه حاجاتهم . ومن واجب عالم النفس ان يلاحظ ان كل نشاط من انشطة الانسان يحاول ارضاء حاجة ما . وهكذا فالانسان ـ طفلا او راشدا ـ حين يكون متهيجا أو هجوميا أو متعاونا او جانحا او مجرما او قائما باي عمل من الاعمال فانه يكون عاملا على التكيف وقضاء الحاجات . وقد يكون العمل الذي يقوم به خيرا أو شرا ـ من وجهة نظر الأخلاق والمجتمع ـ ولكنه مع ذلك يحاول قضاء حاجة جسدية او شخصية او اجتماعية .

الحاجات الانسانية الاساسية

لقد وضع علماء النفس قوائم عديدة للحاجات البشرية . ويرى معظم علماء النفس ان الحاجات يمكن ان تقسم الى فئتين : (١) حاجات ذات صلة بالجسد و (٢) حاجات ذات صلة بالنفس . اما الحاجات الجسدية فتشتمل على الحاجة الى الهواء والماء والطعام والجنس واخراج الفضلات وتجنب الأذى الجسدي وسواها . اما الحاجات النفسية فمنها الحاجة الى الانجاز والحاجة الى التميز والحاجة الى الحب والعطف والحاجة الى

الاستقلال وغيرها من الحاجات الكثيرة الاخرى . ومعلوم أن فرويد ـ في اخريات أيامه ـ قال بان للانسان دافعين رئيسيين هما غريزة الحياة وغريزة الموت . أما ادلر فقد جعل الميل الى التفوق أهم الميول .

ويرى جمهرة علماء النفس أن الرضى عن الذات والاستمتاع بالحياة لا يكون الا بقضاء الحاجات الأساسية ، ما كان منها جسديا وما كان منها نفسيا .

وأهم ما في الأمر أن الحاجات اذا لم ترض فان الفرد يشعر بعدم الراحة والتوتر ويحاول القيام باعمال تعيد الى نفسه وجسده اتزانهما الذى أخلت به الحاجة غير المقضية . وهكذا فان الانسان الجائع يبحث عن الطعام ، والانسان العطش يبحث عن الشراب ، والانسان اللاغب يبحث عن الراحة ، والانسان البردان يبحث عن الدفء والانسان النكرة يبحث عن التميز واسترعاء انتباه من حوله اليه ، والانسان غير المحبوب يبحث عن حب الناس له وعطفهم عليه والانسان المحاط بعناية مبالغ فيها يبحث عن التحرر والاستقلال .

وحين تقضى الحاجة تحدث حالة من الاتزان الجسدى او النفسي وتستشعر النفس الرضى وتوقف نشاطها بهذا الصدد . وهكذا فان الانسان الذى يتناول وجبة من الطعام طيبة يكف عن البحث عن الطعام مدة ساعات ، ومثله المرؤوس الذى سمع من رئيسه ثناء على عمله فيكتفي به لأيام تطول أو تقصر . ومع ذلك فان الانسان دائم التوق الى الشعور بقيمته وتميزه وانتمائه الى الجماعة التي يعيش بينها . ومن هنا كانت الحاجات الاجتماعية والشخصية في توق مستمر الى الارضاء . وقلما يكون رضى الانسان عن نفسه كاملا ونهائيا .

الظروف التي تسبب الاحباط

كثيرا ما تحول حوائل دون تحقيق رغبات الانسان وقضاء حاجاته . والحياة مليئة بالظروف التي تقف عوائق في وجه مطاليب الانسان . وهكذا فان زيادة المطر قد تسبب السيول التي تحول بين الانسان وبين الحصول على طعامه . ومثل هذا صحيح عن قلة المطر وزيادة الجفاف التي تؤدى الى النتيجة نفسها . وقل الشيء نفسه عن زيادة الحرارة او زيادة البرودة اللتين تضايقان الانسان وتتعارضان مع حاجاته . والمجتمع نفسه قد وضع قيودا وزواجر ونواهي قد تكون في مصلحة المجموع ولكنها تتعارض أحيانا مع مطاليب الأفراد ورغباتهم . والأمر نفسه صحيح عن القوانين والأعراف والتقاليد التي كثيرا ما تقف في وجه رغبات الناس وحاجاتهم . ولا ننس الفقر الذى قال عنه الرسول الكريم انه كاد ان يكون كفرا ، وما يسببه هذا الفقر من حرمان واحباط . ثم أن العاهات الجسدية من عمى أو عور أو صمم أو قصر بصر أو عرج أو غير ذلك تحول بين الناس ـ أحيانا ـ وبين قضاء حاجاتهم وتنفيذ رغباتهم . وقل الامر نفسه عن المفاهيم والمثل والقيم والعقائد التى تكون للفرد والتى كثيرا ما تتضارب مع مفاهيم المجتمع ومُثله وقيَمه وعقائده .

الاحباط

وهكذا نستطيع تعريف الاحباط بانه التثبيط الذى يصيب جهود الفرد لارضاء حاجة أو حاجات بطريقة او باخرى بالرغم من الجهود المتكررة التي يبذلها هذا الفرد وما يرافق هذا التثبيط من مشاعر بعدم الرضى والضيق والعجز . والحق أن الشخص الذى يستشعر الاحباط يشعر بعدم الرضى ويكون في حالة من عدم التوازن ولذلك كان لا بد من شيء من التكيف لتخفيف التوتر وتمكينه من تقبل الوضع .

التكيف الذى يثيره الاحباط

وثمة أشكال للتكيف عديدة يقوم بها الأفراد الذين تحبط أعمالهم وهي تشمل المهاجمة ، المباشرة او غير المباشرة ، والتعويض والتصعيد والتقمص والتبرير والاضفاء والكبت والسلبية والتركز حول الذات والانسحاب والنكوص وغيرها . أما الشخص العُصابي او الذهاني فله طرقه الخاصة في مواجهة الاحباط وهي تشمل الهستريا والأفازيا (النسيان المرضي) والرُهاب والهلوسة وسواها . وسنحاول أن نمر ببعض هذه الاستجابات سراعا .

المهاجمة

المهاجمة : هي رد فعل انموذجي للاحباط . ويرى الكثيرون من علماء النفس ان الدافع للهجوم هو الاحباط . بيد ان الانسان لا يظهر الهجوم السافر دوما بل قد يكبته . ومع ذلك فان من الامور السوية ان يهاجم الانسان ما يحبط اعماله ويحول دون تحقيق رغباته وقضاء حاجاته . وتقول (كارن هورني Karen Herney) ان كبت كل المشاعر العادية والهجومية امر مضر من وجهة نظر الصحة النفسية ، ذلك بان هذا الكبت قد يقود الى القلق والعصاب . وهي تقترح انه من المفيد للانسان ان يعبر عن مشاعره العادية من حين الى آخر وذلك بقصد التنفيس .

على ان الهجوم قد لا يكون سافرا ومباشرا ولا سيما عند المتمدنين والمثقفين . وهكذا فان المعلم الذى تخاصم مع زوجه صباحا قد يصبح نكدا طوال النهار ويخاصم طلابه . والمرؤوس الذى لا يستطيع مهاجمة رئيسه قد يهاجم مراجعا يراجعه في امر من الامور ويجعل منه « كبش الفداء » . وفي كل الاحوال فان كبت الهجوم قد يسبب القلق وقد يجعل من الانسان فردا نكدا سيء التكيف مع من حوله .

التعريض

كل انسان يميل الى الشعور باهميته ، واذا لم يستطع الحصول على التميز بطريقة ما حاول التميز بطريقة اخرى . وهكذا فان الطفل الذى يسقط في دروسه يحاول – احيانا – ان يتميز بالرياضة وان يتفوق فيها . والرجل الذى اصيب بشلل الاطفال في طفولته قد لا يصبح في رجولته رياضيا بارزا ولكنه يصبح كاتبا مشهورا ، على ان بعضهم يصر على ان يتفوق فيما فشل فيه بالذات . ويرى علماء النفس ان الميل الى التعويض ينجم عن شعور بالحطة والنقص .

التصعيد

التصعيد في الواقع شكل من اشكال التعويض ويرى الفرويديون ان طبيعة التصعيد جنسية ، اما غير الفرويديين فيرون انه استبدال الرغبة غير المقبولة اجتماعيا او اخلاقيا برغبة مقبولة . وهكذا فان المراهق قد يصعد ميوله الجنسية ويستعيض عنها – مؤقتا – بميول فنية او رياضية او سواها.

التقمص

والتقمص (او التوحيد Identification) هو آلية يُرضي بواسطتها فرد ما احدى او بعض حاجاته الاساسية عن طريق توحيد ذاته مع ذات شخص آخر او جماعة اخرى او مؤسسة اخرى . وهكذا فان الاطفال يوحدون بين ذواتهم وبين آبائهم . والاب الذى فشل في حياته يوحد بين ذاته وبين ابنه ويجعل كل همه ان ينجح ابنه في الحياة ويحقق ما لم يستطع هو تحقيقه ولذلك فهو يرضى لرضاه ونجاحه ويغضب لفشله ويتألم .

التبرير

لما كان من الصعب على الانسان ان يعترف بفشله في الوصول الى اهدافه فانه يجد مبررات لهذا الفشل . وهكذا فان الطالب الذى يفشل في دراسته قد ينسب هذا الفشل الى تحيز معلميه او الى مرض اصابه او الى غير ذلك من المبررات . والحق ان التبرير آلية على جانب كبير من الاهمية ولولاه لكان العالم زاخرا بالمرضى العقليين . ان في التبرير حماية لصحة الفرد النفسية .

الاضفاء

ويسميه بعضهم بالاسقاط Projection وهو آلية ينسب فيها الانسان اخطاءه الى الآخرين ويسقطها عليهم . وهكذا فان الكثيرين من البخلاء ينسبون البخل الى من حولهم . والاضفاء في جوهره نوع من التبرير . ومعلوم ان الكثيرين منا ينسبون اخطاءهم الى الآخرين وهكذا فان الطفل الذى ينخرط في مقاتلة كثيرا ما يجعل الطفل الآخر مسؤولا عن هذا القتال .

الكبت

وللكبت كما هو معلوم مقام خاص عند فرويد

Froid واتباعه .وهو عملية يلجا الانسان بواسطتها الى دفع ما يزعجه الى عالم اللاشعور ، وهم يعتقدون ان اهم اسباب النسيان هو الكبت . وترى عالة النفس كارن هورني Karen Horney ان كبت المشاعر المعادية هو السبب الرئيسي للقلق والعصاب .

تكوين الرجاع المعاكسة

وهو عملية الاستعاضة برغبة معاكسة عن رغبة اصلية.ومثال ذلك ان سيدة كانت ترغب رغبة شديدة في عدم الانجاب . ولكنها حين ولدت كرهت الطفل ، وهذه الكراهية سببت لها شعورا بالاثم وذلك على اعتبار ان المفروض في الام ان تحب وليدها فما كان منها الا ان بالغت في الحرص على وليدها وحمايته . ونستطيع القول انه حين يلاحظ على شخص المبالغة في امر تافه والتحمس له فانه من الواجب الشك بوجود هذه الرجاع المعاكسة .

التركز حول الذات

الانسان الذى لا يشعر بالاطمئنان والرضى عن ذاته كثيرا ما يميل الى وضع نفسه في مركز الانتباه. انه قد يبدو معجبا بنفسه ويطرح عددا من الاسئلة ويتكلم بصوت عال ويحاول الظهور بمظهر الذكي صاحب النكتة ويقوم بكثير من الالاعيب. وامثال هؤلاء الناس كثيرون ومعروفون وهم موجودون بين الكبار والصغار ، الاغنياء والفقراء .

السلبية

ان بعض الناس سلبيون في كل شيء تقريبا ، كلمتهم المفضلة هي (لا) ، انهم سلبيون في البيت وفي العمل وفي المجتمع . ومعلوم ان بعض الاطفال يكونون سلبيين ومعنى ذلك انهم يستشعرون الاحباط والتثبيط ولذلك فان من واجب من يتعامل معهم ان ينتبه لذلك وان يعمل على تذليل المصاعب التي يلاقونها .

الانسحاب

بعض الافراد لا يكادون يواجهون صعوبة او يصادفون احباطا حتى ينكمشوا وينسحبوا . وقد يبدو لاول وهلة ان الانسحاب لا يحتاج من الطاقة الا قدرا ضئيلا يقل عما تحتاجه الاشكال الاخرى من اشكال المواجهة ولكن الانسحاب في الواقع مؤلم . وقد يقود الانسحاب الى احلام اليقظة ، كما انه قد يقود الى الكحولية وادمان المخدرات .

النكوص

والنكوص نوع من الانسحاب ، وهو آلية يرجع الفرد بواسطتها الى مستوى من النضج والتكيف اقل من مستواه الحالي وذلك حفاظا على تماسك شخصيته ووحدتها . وهكذا فان الراشد العاجز عن حل المشكلات التي تواجهه قد يلجا الى تصرفات وطرائق صبيانية وكذلك المراهق الذى يلجأ الى تصرفات كان يقوم بها حين كان طفلا صغيرا . ومعلوم ان الراشدين كثيرا ما ينفجر غضبهم على شكل نوبات كانت تحدث لهم حين كانوا أطفالا وأن المراهقين كثيرا ما يتصرفون تصرف الاطفال الصغار جدا . *وهذا ما نسميه بالنكوص .*

الهروب عن طريق العجز الجسدى

ان الفرد الذى يجد نفسه في وضع صعب او صراع نفسي قد ينسحب من هذا الوضع انسحابا يعتبره مناسبا عن طريق اظهار عوارض للعجز الجسدى . وبديهي ان هذا الاظهار للعجز الجسدى ليس مقصودا ولا شعوريا . والاسم الفني لآلية التكيف هذه هو الهستيريا . وهكذا قد يظهر عند الفرد اعراض للشلل او العمى او الصمم او غيرها من الاعراض . ان المرض يقدم للفرد فرصة للتخلص من المشكلة . والذى نحب ان نؤكده هو ان العضوية تكون سليمة ولكن العلة تبقى حتى تنحل مشكلة الفرد التي سببت عماه او صممه او شلله ومتى حلت المشكلة زالت الاعراض وعاد الفرد سويا .

التكفير أو التعويض

واخيرا هناك آلية يستعملها الكثيرون من الافراد

من اجل التكيف الشخصي والتخلص من الشعور بالاثم وهي تسمّى بالتكفير او التعويض . يقول احد علماء النفس : « حين تفشل جميع الوسائل في تخليص الفرد من صراعه المؤلم بخصوص فعل معذب للضمير فان الشخص قد يحاول ايجاد طريقة للتعويض عنه والتكفير عن السيئات . بيد ان الصعوبة التى تواجه الانسان هنا هي انه يحاول التكفير عن سيئاته دون ان يخسر تقدير المجتمع وعطفه وهو امر ليس بالسهل » .

وهكذا فان الطالب الذى اهمل دروسه او تجاوز قوانين المدرسة قد يشعر بقلق شديد من جراء اعماله هذه ولذلك فقد يستشعر الراحة عن طريق معاقبة ذاته بطريقة او باخرى . وهكذا فقد يلجا الطالب الى الصيام كفارة عن ذنوبه . ويقول احد المؤلفين انه يعرف طالبا في مدرسة ثانوية كان لديه شعور بالاثم قوي من جراء ممارسته للعادة السرية فما كان منه الا ان اخذ يخز ذراعه بالدبوس حتى ادماه .

التكيف العصابي والذهاني

ان اليات التكيف الاربعة عشر التى ذكرناها سابقا يلجأ اليها جميعها الاشخاص الاسوياء بمقادير ودرجات كبيرة او صغيرة استجابة لاحباطات الحياة المختلفة . وكلما كان الاحباط اكثر جدية زاد لجوء الفرد الى الية من هذا النوع يخفف بواسطتها من توتره النفسي . والاشخاص العصابيون Neuroticx او الذهانيون Psychoticx يلجاون الى نفس الآليات التى يلجا اليها الاشخاص الاسوياء ولكنهم يتجاوزون الحدود التي يصل اليها هؤلاء الاسوياء . ان الشخص العصابي مثلا قد ينسحب انسحابا كاملا من اجل ان يتجنب مواقف الصراع ، في حين ان انسحاب الفرد السوي يكون جزئيا وموقتا . والانسان الذهاني قد يحسب انه نابوليون او الاسكندر الكبير في حين ان الانسان السوي يعتقد احيانا انه « اعظم مما يحسب الناس الاخرون » .

وبالرغم من ان العصابيين والذهانيين يخضعون للقوانين العامة للسلوك ، شانهم في ذلك شان سواهم ، فانهم قد يلجاون الى طرائق وحيدة من نوعها في حل مشكلاتهم التكيفية .

واذا كان المجال لا يتسع لذكر جميع طرائق التكيف العصابية والذهانية وشرحها في مقامنا هذا فلا اقل من ان نشير اليها آملين ان نعود اليها .

ان من بين الطرائق المرضية التى يلجا اليها العصابي : الهستيريا ، وقد سبق ان شرحناها ، والرّهاب Phobia والقلق والحصار (او الوسواس) والالحاح Compustion والهجاس السوداوى Hypochondria وسواها .

اما الطرائق المرضيّة التى يلجا اليها الذهاني فاهمها فصام الشخصية Schizophrenia بانواعه وقد سبق ان تحدثنا عنه في « العربي » .

الخلاصة

ان الاحباط ناشيء عن الوقوف في وجه الرغبات ومنع قضاء الحاجات ، والانسان السوي يلجا الى طرائق عدة في مواجهات عددنا اهمها ، اما الانسان غير السوى فتظهر عنده اعراض امراض اشرنا اليها . ■■

دمشق فاخر عاقل

نباهة صبى

● قال الجاحظ : دخلت الى صديق لي اعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معى غلام يحفظه ، ثم خرجت واذا فوقه صبي ، فقلت : اتركب حماري بغير اذنى ؟ قال : خفت ان يهرب فحفظته لك . قلت : لو هرب كان احب الي من بقائه . فقال الصبى : ان كان هذا رايك في الحمار فاعمل على انه قد هرب وهَبْهُ لي واربحْ شكرى فلم ادر ما اقول .



اعرف وطنك أيها العربى

واحة جديدة فى قلب صحراء مصر
مديرية التحرير
(القطاع الشمالى)

استطلاع
منير نصيف

تصوير
اوسكار مترى





هذه الأرض كانت منذ سنوات قليلة مضت جرداء **لا حياة فيها ولا ماء** .. اما اليوم فقد تحولت الى حقول ومزارع خضراء تنبض بالحياة ، انها ثلاث صور تحكي قصة كفاح الانسان العربي مع الارض .. **الصورة الى اليمين** لفتاتين تتطلعان الى وجه الصحراء الاخضر الجديد **والصورة العليا** لفتاة من البادية جاءت لتعمل في المشتل ، الذي يعنى بانتاج وتجويد مختلف انواع شجيرات الفواكه التي تزرع في هذه الواحة الجديدة، **اما الصورة السفلى** فهي لآلة رش الحقول بالمبيدات الحشرية .

■ على الطريق الممتد من القاهرة الى الاسكندرية مخترقا الصحراء الغربية .. وفى قلب تلك المنطقة الصحراوية البعيدة التى تكسوها الرمال ، وتنتشر فوق سطحها الاعشاب البرية والكثبان الرملية .. فوق هذه الارض الصفراء القاحلة الجرداء ، شاهدنا لاول مرة معالم الحياة الجديدة التى قامت لتروى قصة من قصص كفاح الانسان العربى من اجل حياة افضل وخير اوفر ..

هناك ، وعلى بعد ١٥٠ كيلو مترا شمالى غرب القاهرة ، عاصمة مصر ، واربعين كيلو مترا جنوبى ثغر الاسكندرية على شاطىء البحر المتوسط ، قامت مديرية التحرير الجديدة بقطاعها الشمالى ، موضوع هذا الاستطلاع ..

قصدنا اليها بالسيارة التى وضعتها اخبار اليوم تحت تصرف بعثة العربى ، طوال الرحلة ، وانطلقت السيارة بنا تنهب الطريق نهبا من القاهرة عبر الصحراء الواسعة المترامية على الجانبين .. رحلة طويلة مملة لا تملك الا ان

(١) قصدنا القطاع الجنوبى لمديرية التحرير ، وهو القطاع الاكبر والاخطر ، ولكن حالت دون ذلك الحوائل .



تشعر خلالها بالوحدة والرهبة معا ، وانت ترى نفسك وحيدا على الطريق المتعرج الممتد امام عينيك في ارتفاع وانخفاض ، كما تمتد الافعى بجسمها الطويل وهي تزحف على بطنها في تلو وانحناء .. فقد هربت السيارات هربا من الطريق الصحراوي بعد انشاء الطريق الزراعي الفسيح الذي يربط بين القاهرة ومعظم مدن الدلتا حتى شواطىء البحر المتوسط ..

لقاؤنا الاول

واقتربنا من مشارف الحياة الجديدة التيقامت على الضفة الشرقية للطريق الصحراوي .. وكان لقاؤنا الاول بهذا اللون الجميل الذى تهفو اليه النفوس ، لون الزرع الاخضر ، وقد احتضنته اشجار الجزورينا التى ارتفعت بقامتها العالية وفروعها الصلبة ، لتصد الرياح والعواصف عن الاغصان اللينة والثمار الطيبة ..

ووصلنا اخيرا الى تلك الواحة التى قامت في قلب الصحراء .. ومن فوق مئذنة المسجد الصغير الذى يقع في مدخل قرية الناصر ، احدى القرى النموذجية التى اقيمت في القطاع الشماليلمديرية التحرير ، رأينا لاول مرة ، هذا اللقاء بينالحقول الخضراء ورمال الصحراء الصفراء وقد امتدت امامنا جنبا الى جنب على مرمى البصر .. هناك صحراء قاحلة لسعتها الشمس باشعتها الحارقة ، وهنا ماء وارض ارتوت من بعد ظمأ طويل فاثمرت واكتست بلون الخضرة .. لون الحياة ..

نموذج للحياة الجديدة

وفي قرية الناصر التى تقع على طريق السيارات الصحراوي مباشرة ، رأينا نموذجا مصغرا للحياة الجديدة التى قامت في القرى المركزية الثلاث ، التى يتألف منها القطاع .. اما القريتان الاخريان فهما قريتا الصداقة والثورة .. ان كل قرية منها تعتبر مركزا لعشر قرى سكنية صغيرة تحيط بها .. وتقع كل مجموعة من المجموعات الثلاث وسط منطقة من الارض الزراعية تبلغ مساحتها ۲۰ الف فدان .. وبذلك تكون مساحة الارض المتزرعة في القطاع الشمالي لمديرية التحرير هي ٦٠ الف فدان ، تتبع كلها محافظة البحيرة .

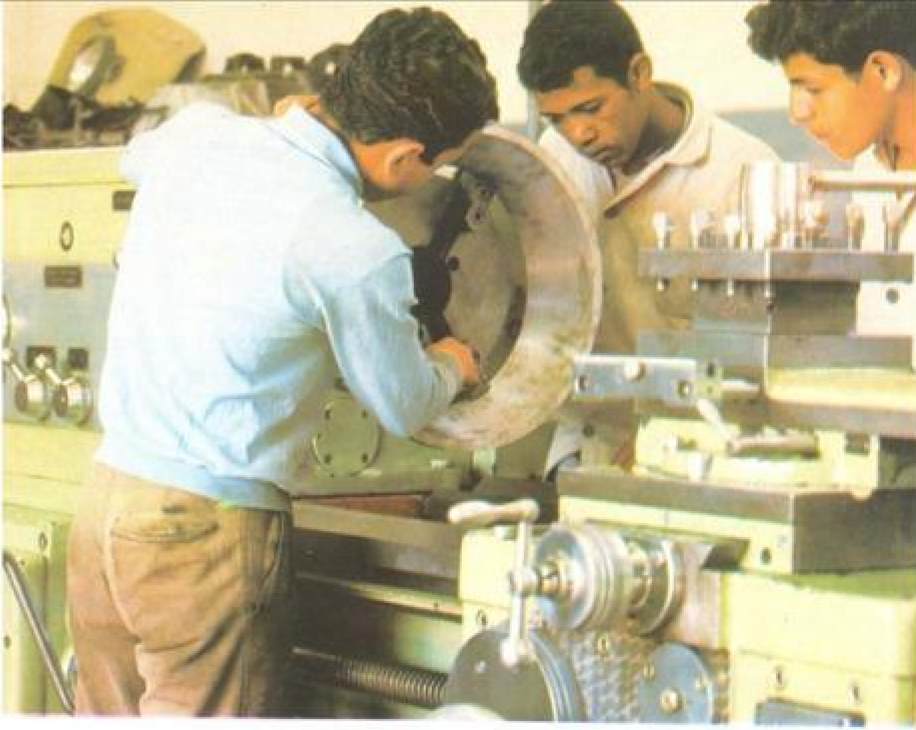
ولكن لا بد لنا هنا من وقفة قصيرة نعرض فيها بايجاز هذا المشروع الكبير الذى اقام الحياة في تلك المنطقة الصحراوية ، طبقا للسياسة التى تبنتها وزارة استصلاح الاراضي في مصر ، وهي التى تدعو الى التوسع الافقى ، او بمعنى آخر زيادة الرقعة الزراعية في البلاد عن طريق اضافة اراضي بور جديدة لم يسبق استصلاحها منذ فجر التاريخ ، وتحويلها الى اراض زراعية وتحسينها وتطويرها على مدى السنين ، حتى يمكن بعد ذلك تحقيق سياسة التوسع الراسي فيها عملا بسياسة وزارة الزراعة ، التى تسعى دوما الى مضاعفة غلة الفدان من الارض ..

تعمير الصحاري

وقد نجحت تجربة تعمير الصحارى في العديد من المناطق الصحراوية في مصر ، نذكر في مقدمتها ، الوادى الجديد (انظر استطلاع العربي العدد رقم ۹۹) . والقطاع الجنوبي لمديرية التحرير الذى بدأ استصلاحه واستزراعه في عام ١٩٥٢ ،ومريوط وغيرها .. وكان الدافع الاساسي لهذا التوسع ،



مسجد الناصر ، احد المساجد الجديدة التياقيمت في مديرية التحرير ، ويقع هذا المسجد في احدى القرى النموذجية الثلاث،وهي تشرف على الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية .



مركز تدريب هيئة تعمير **الاراضي** ، الذى يتخرج فيه العمال والفنيون القادرون على تشغيل وصيانة الالات الزراعية بمختلف انواعها ، وقد ظهر فى الصورة بعض الطلبة وهم يستمعون الى شرح مدرسهم فى كيفية تشغيل آلة الخراطة ، **اما الصورة السفلى** فهي لمجموعة من الطلبة اثناء درس في تفاصيل تركيب محركات الجرارات والالات الزراعية .







الصورة العليا لطلبة مركز التدريب اثناء حصة عملية في الحقل ، وقد جلسوا حول مدربهم، يرقبون بعض زملائهم الذين يقومون بالتدريب على قيادة الجرارات التي تستخدم في جر مختلف انواع المحاريث التي تستخدم في تقليب التربة وتفتيتها بعد الحرث .

اما الصورة الاخرى الى اليسار فهي لآلة حصاد ودرس وتذرية القمح ، وقد وقف الطلبة حولها يستمعون الى شرح مدربهم في كيفية تركيب اجزائها وتشغيلها .



عنيت الدولة بتوفير السكن الصحي للعمال الزراعيين الذين يعملون في المزارع الحكومية التى انشئت في صورة شركات ومؤسسات ، وفي الصورة احد المعسكرات السكنية التى اقيمت على الطريق الصحراوي ، على بعد ٤٨ كيلو مترا من الاسكندرية ، وتكلف بناؤه ١٢٠ الف جنيه ، وقد اعد لاستقبال ١٥٠٠ عامل زراعي يوميا ، ويقيم العمال في هذه المساكن بالمجان ، وتقدم لهم ثلاث وجبات كاملة مقابل ثمن رمزي هو اربعة قروش ، يدفعها العامل الزراعى من اجره اليومي الذى يصل في المتوسط الى ٣٥ قرشا مصريا ، ويجد العامل في هذه المعسكرات كل ما يحتاج اليه من رعاية صحية واجتماعية وترفيهية . وفي مديرية التحرير ستة معسكرات لايواء العمال الزراعيين .

واضافة اراضي جديدة الى الرقعة الزراعية في مصر ، هو الزيادة المستمرة في تعداد السكان من ناحية ، وقد بلغ اليوم ٣٤ مليون نسمة . وتوفر مياه الرى بعد قيام السد العالى والتحكم في مياه النيل .

ونعود الى القطاع الشمالى (موضوع استطلاعنا اليوم) . لقد بدا التفكير في انشائه بعد نجاح تجربة استصلاح الاراضي واستزراعها في القطاع الجنوبى ، الذى بلغت مساحة الارض المستزرعة فيه حتى اليوم ما يزيد على المائة وثلاثين الف فدان .

وفي مقدمة العوامل التى ساهمت في تحقيق هذا المشروع الجديد، توافر الخبرة التى اكتسبتها تلك المجموعة الهائلة من الشباب المثقف العامل الذين دربوا على هذا النوع من العمل وهو الذى كان مقصورا من قبل على الشركات الاجنبية ، ولمصلحة فئة محدودة من المواطنين ..

المدرسة الاولى

وهكذا يمكن ان نقول ان مديرية التحرير كانت المدرسة الحقيقية لاستصلاح الاراضي واستزراعها في مصر ، فهى التجربة الرائدة .

٦٠ الف فدان

لقد بدا استصلاح القطاع الشمالى في اواخر عام ١٩٥٧ ، واستزرعت الارض التى شملتها عملية الاستصلاح وهي ٦٠ الف فدان ، ابتداء من عام ١٩٥٩ . وتكلف المشروع حوالى ١٥ مليون جنيه ، الا ان هذا المبلغ قفز الى ٢٣ مليون جنيه في ميزانية عام ١٩٧١/١٩٧٠ ، بعد اضافة ٤٠ الف فدان جديدة ، بدا العمل فعلا في استصلاحها تمهيدا لاستزراعها .

وفي مبنى صغير يتالف من ثلاثة طوابق يتوسط حديقة جميلة التقينا بالمهندس عمر عبد العزيز ، المدير المسئول عن القطاع الشمالى لمديرية التحرير، وكان يجلس وسط اكداس من خرائط مسح التربة، وخرائط المشروعات الجديدة للاسكان والمرافق العامة ومياه الرى وغيرها .. قال : « لقد عاصرت العمل في القطاع الشمالى منذ بدايته .. جئت مع اول فاس ضربت في الارض ، ومع اول قطرة ماء خرجت لتروى الصحراء الظامئة . لقد عشت التجربة من اولها .. وكان عملا شاقا متواصلا لا يعرف الهدوء ابدا .. ولكن ما اروع ان يجنى المرء ثمرة كده وكفاحه ، مهما طال به الانتظار ..

قلنا للمهندس عمر : « حدثنا عن هذا العمل .. عن الايدى التى شاركت فيه ، والتجارب التى قمتم بها ، والثمار التى جنيتموها ! » .

بداية الطريق

قال : « نحن ما زلنا في بداية الطريق ، ولو ان النتائج التى حققناها حتى الآن ، فاقت كل ما كان متوقعا لها . ولكن قبل ان احدثكم عن ثمار هذا المشروع ، سأقدم لكم صورة سريعة لهذه الارض التى تنبض اليوم بالحياة .. ارض التوسع الزراعى في قلب الصحراء ..

« ان هذه الارض تنقسم الى قسمين .. القسم الاول للاراضي البستانية التى تزرع بشتى انواع الفاكهة وهذه مزارع حكومية ، لكى تضمن الدولة توحيد نوعية الفواكه التى تعد كلها للتصدير ..

« اما القسم الاخر ، فهو يشمل الاراضي التى تزرع بالخضراوات والمحاصيل والمراعى .. وهذا القسم الاخر ما زلنا نخوض فيه عدة تجارب حتى اليوم.. التجربة الاولى ، هى تجربة تمليك الارض للمزارعين.. والثانية تاجير الارض للعمال الزراعيين والتجربة الثالثة ، انشاء مزارع حكومية في صورة شركات ومؤسسات يعمل فيها العمال الزراعيون موظفين في الدولة ، مقابل أجر يومى بحد ادنى قدره ٢٥ قرشا ، الى جانب الخدمات السكنية والصحية والاجتماعية والثقافية التى تقدم لهم..

« وفي التجارب الثلاث ، الزراعة موجهة ، حتى يمكن المحافظة على احتياجات الدولة للاستهلاك المحلى ، والتصدير ، وضبط الميزان التجارى للصادرات بقدر الامكان ، وفي اطار الخطة العامة » .

ثلاث مناطق زراعية

ومضى المهندس المسئول يكمل حديثه ، قال :
« هناك ثلاث مناطق زراعية في القطاع ، كما تعلمون ، وفي كل منطقة من هذه المناطق قرية مركزية تحيط بها عشر قرى سكنية صغيرة تابعة لها.

« وسأحدثكم عن الزراعة في كل منطقة من هذه المناطق الثلاث ، التى تبلغ مساحة الارض التابعة لكل منها ٢٠ الف فدان ..

« هناك منطقة الناصر » ، حيث تتركز مزارع العنب ، بمختلف انواعه ، وقد بلغت مساحة بساتين العنب ٦ آلاف فدان ، وسوف يستمر



المهندس عمر عبد العزيز ، المدير المسئول عن القطاع الشمالى يناقش المشروعات الجديدة على الخرائط مع اثنين من المهندسين الزراعيين .. لقد عاصر المهندس عمر التجربة منذ بدايتها ..

تتركز مزارع العنب في منطقة الناصر بمديرية التحرير ، حيث تبلغ مساحة بساتين العنب فيها اكثر من ستة آلاف فدان ويضم الفدان الواحد حوالى الف شجرة عنب ، وفي الصورة فريق من العمال الزراعيين ، وهم يقومون بعملية تقليم اشجار العنب ، وهى عملية تجرى سنويا ابتداء من اول يناير حتى آخر فبراير . ويبلغ طرح الشجرة الواحدة من اشجار العنب خمسة كيلو جرامات ونصف في المتوسط .. ويبدأ موسم العنب في منتصف يونيو ويستمر حتى منتصف اكتوبر .



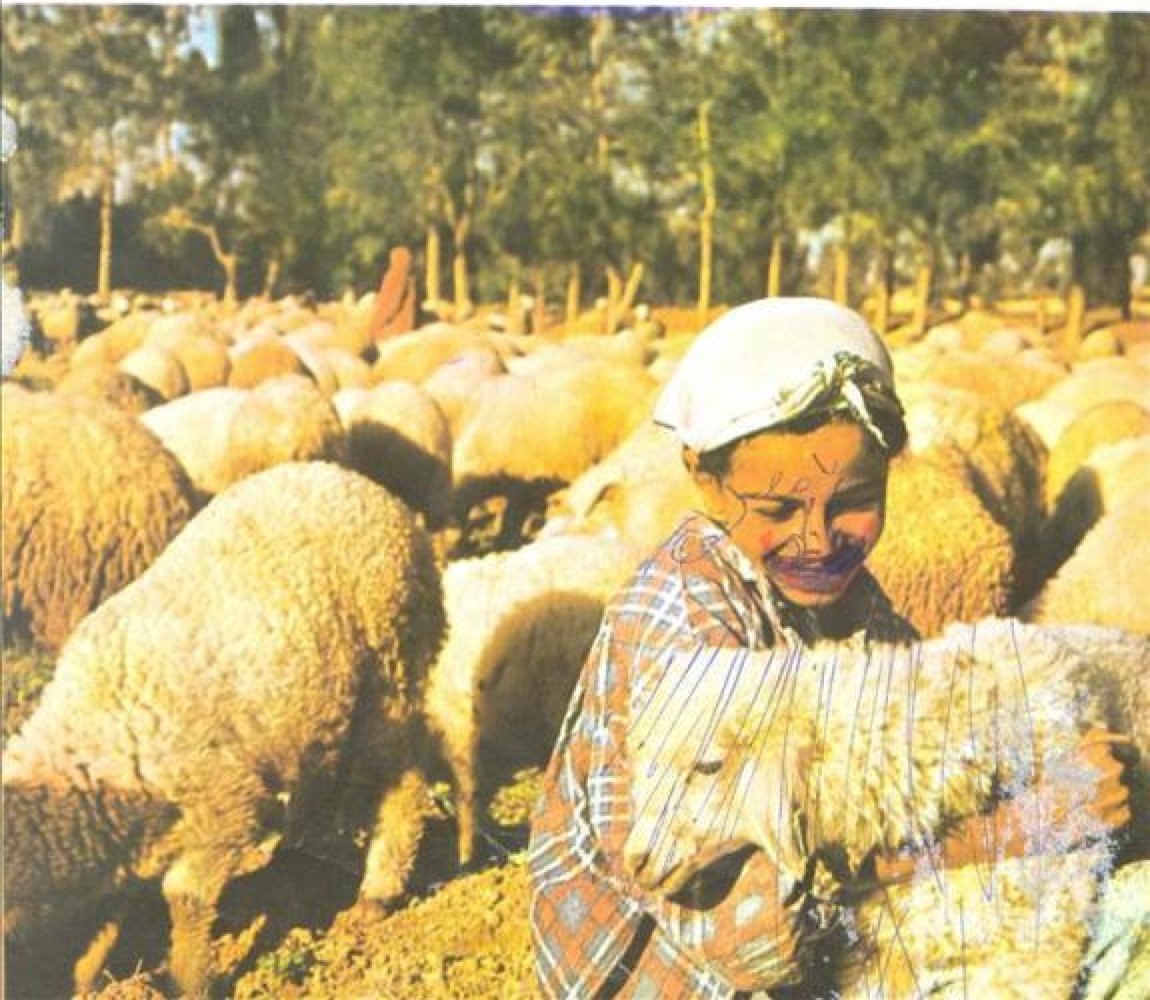


الاكتفاء الذاتي من بين الاهداف الاساسية التى يسعى محافظ البحيرة الى تحقيقها في مختلف قرى مديرية التحرير ، **والصورتان على يمين ويسار هذا الكلام** ، لفرعين من فروع الجمعية الاستهلاكية في المزرعة الالية ، ويجد الاهالى في هذا السوق المركزى كل ما يحتاجون اليه من مواد غذائية وسلع .



الصورة السفلى (الى اليمين) لفلاح من المنتفعين مع زوجته وابنته داخل البيت الذي اعطى لهم بالمجان مع قطعة ارض مساحتها خمسة افدنة ، بينما ظهرت في **الصورة (الى اليسار)** اعداد كبيرة من رؤوس الاغنام التي لا بد من وجودها في اراضي الاستصلاح لضمان تحسين خواص التربة ، وفي مديرية التحرير ما يزيد على ١١ ألف رأس من الاغنام .







مجموعـة مـن الموظفين والموظفات بادارة شئون العاملين بمديرية التحرير .. وهم يقيمون جميعا في المساكن التى اعدت لهم . سألناهم : « كيف تجدون الحياة هنا ؟ » ، قالوا : « ان المحافظة توفر لنا كل ما نحتاج اليه .. اننا نعيش حياة هادئة بعيدا عن صخب المدن وضجيجها .. حياة الريف الحديث ، اننا سعداء بواحتنا الجديدة ، ثم لا تنسوا اننا نستطيع ان ننتقل الى دمنهور او الاسكندرية في اقل من ساعة ، بفضل المواصلات المنتظمةالسريعة التى وفرتها لنا محافظة البحيرة».

التوسع فيها حتى تصل الى عشرة الاف فدان . وقد بلغ انتاج المثمر منها عام ١٩٧٠ ، ستة ملايين كيلو جراما من العنب ، وقيمته ٢٠٠ الف جنيه .

« اما المنطقة الثانية فهى منطقة الثورة وتتركز فيها زراعة الموالح ، وقد بدات بشائر اثمارها عام ١٩٧٠ ، وبلغ مجموع ما انتجته هذه المنطقة ٨٠ الف كيلو جرام ، قيمتها ٢٤ الف جنيه . على انه يجب ان نلاحظ هنا ان مساحة الارض المنزرعة بالموالح لا تتجاوز حاليا ٥٥٠ فدانا ، سيتم توسيعها الى ١٥ الف فدان .

المزرعة الآلية

بقيت المنطقة الثالثة ، وهى منطقة «الصداقة»، تلك التى تستخدم فيها المكنات الزراعية باكفأ صورها واكبرها .. فقد حلت الآلة محل العامل الزراعي في كل مراحل الانتاج .. وتختص هذه المنطقة بزراعة الخضروات والمحاصيل ذات الانتاج العالى والمميزات والخواص الجيدةالتي استنبطتها الادارات الفنية بوزارة الزراعة، او الاصناف التى كان يتم استيراد تقاويها في الماضيمن الخارج بالعملة الصعبة ، والهدف من ذلك هو نشر هذه الاصناف على مناطق التركيز في مختلف انحاء مصر ، لضمان سلامة عملية التوسع الراسي .. وقد تم بالفعل انتاج تقاوى محاصيل وخضر بلغت قيمتها نصف مليون جنيه عام ١٩٧٠ ، سترتفع الى مليون جنيه في خطة العام الحالى ١٩٧١ . وقد تم تسليم هذه التقاوى كلها لوزارة الزراعة لتوزيعها على مختلف المناطق الزراعيةفيالجمهورية بعد تغطية احتياجات المناطق التابعة للمؤسسة » .

وتركنا المهندس عمر مع الخرائط والمهندسين الزراعيين الذين جاءوا يبحثون معه في مشروعات القطاع وسير العمل ، فقد كنا على موعد مع المهندسين العاملين في المزرعة الآلية .. وهى تبعد بضعة كيلو مترات عن مقر الادارة العامة للقطاع..

مدينة صغيرة

وصلنا اليها برفقة احد المهندسين الشبانالذين يعملون فيها .. مدينة صغيرة جميلة تحيط بها المزارع من كل ناحية وتنتشر فوق ارضها المساكن الحديثة ، ومن بعيد تظهر الرمال الصفراء التى لم تصل اليها بعد يد الاصلاح ..

هنا فيلات المهندسين ، وعلى مقربة منها في الناحية الاخرى مساكنالعمال والموظفين..والطرق بينها ممهدة مرصوفة ، واشجار الكافور والحور تنتشر في كل مكان ، تبث فيه الزرع الاخضر ، لتحميه من الرياح والعواصف المحملة بالرمال .. حقول خضراء واسعة زرعت بالبازلاء والطماطم والبطاطس وغيرها ..

ووسط هذا كله برزت الآلة ، تلك التيساهمت في تحويل هذه الارض القاحلة الجرداء الى مزرعة نموذجية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ..

راينا الآلة تعملفيتقليب التربة وحرثها ورايناها تحصد وتذرو .. ثم رايناها اخيرا وهى ترش الزرع بالمبيدات لتنقذه من الآفات والحشرات ..

حظيرة الاصلاح والصيانة

واخيرا راينا الحظيرة الكبرى التى اصطفتفيها الجرارات والآلات فوق مساحة من الارض تزيد

على ٢٢ فدانا غطى جزء كبير منها ، وجعلوا منه ورشة لاصلاح هذه الآلات وصيانتها ، تحت اشراف خمسة من المهندسين الفنيين المصريين واكثر من مائة عامل فنى ، يقيمون كلهم فى المساكن التى اعدت لهم ولاسرهم فوق ارض المزرعة .

استقبلنا المهندس عادل طاهر سليمان فى بيته الذى يعيش فيه بالمزرعة مع زوجته واطفاله الثلاث .. فيلا جميلة انيقة تتالف من خمس غرف ومطبخ وحمامين وحديقة كبيرة تحيط بالبيت ..

قال لنا المهندس عادل : « اننى اسكن فى هذه الفيلا بالمجان ، حتى النور والماء لا ندفع مقابل استهلاكنا لهما اجرا .. ان زوجتى ايضا تعمل مشرفة اجتماعية فى المزرعة . لقد تخرجت فى كلية الزراعة فى عام ١٩٥٩ ، وعملت فى السودان الشقيق حيث رحت انتقل بين الدويم وستار وجزيرة ابا فى اعالى النيل ، واخيرا عدت الى مصر ، حيث عملت فى منطقة ابيس وفى كوم امبو ، واخيرا فى مديرية التحرير القطاع الشمالى . وما كاد يصدر قرار نقلى اليها منذ عام تقريبا ، حتى اصدرت وزارة الشئون الاجتماعية قرارا بنقل زوجتى التى لحقت بى مع اطفالنا بعد وصولى ببضعة اسابيع .

اكتفاء ذاتى

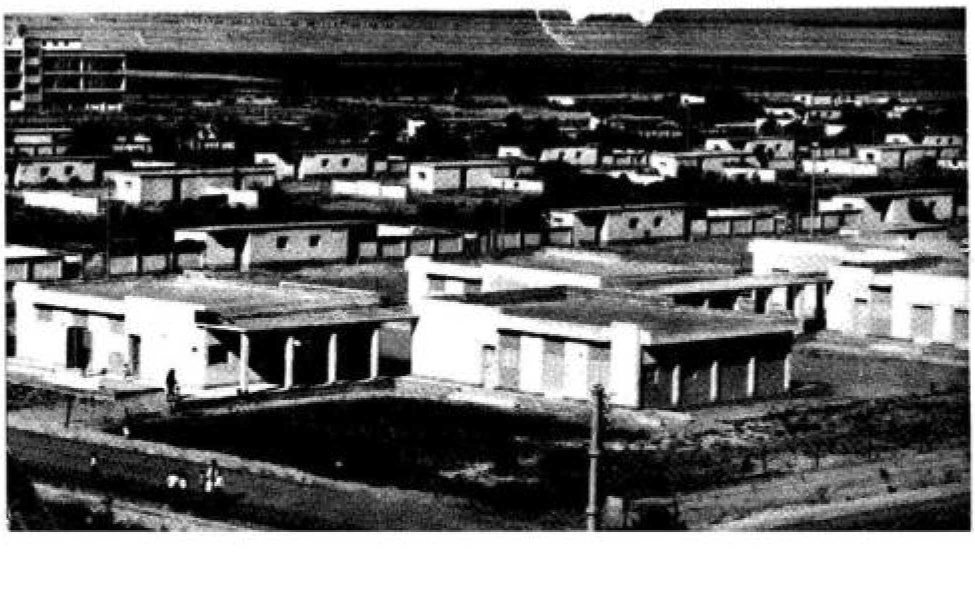
« اننا نحيا حياة هادئة فى هذه البقعة من ارض الوطن . ونحن نجد فى المزرعة كل ما نحتاج اليه من مأكل ومشرب ، فعندنا اكتفاء ذاتى .. فهناك مبنى السوق التجارى الذى يضم جمعية استهلاكية ومحلا لبيع الخضر والفواكه ومتجرا للاقمشة ، ومخبزا وصالون حلاقة للرجال وآخر لتصفيف شعر السيدات .. واخيرا مستشفى صغيرا واطباء متخصصين ومدرسة ابتدائية ومكتبا للبريد ومركزا للشرطة .. اننا نعيش وسط مجتمع صغير حقيقة ، ولكنه لا يختلف كثيرا عن الحياة فى اى مدينة اخرى من مدن مصر » ..

واسرة المهندس عادل ليست الاسرة الوحيدة التى تعيش فى المزرعة الآلية ، فهناك عشر اسر اخرى ، اما عدد الآنسات العاملات من المهندسات والمشرفات والمدرسات ، فيبلغ ضعف عدد الامهات العاملات » .

هدية الشعب الروسى

لقد بدأ العمل فى المزرعة الآلية فى شهر اغسطس من عام ١٩٦٥ ، عقب توقيع اتفاقية بين جمهورية مصر العربية وبين الاتحاد السوفيتى ، تقضى بان

منظر عام لجانب من المزرعة الآلية أو قرية الصداقة ، تلك التى تستخدم فيها المكنات الزراعية بأكفا صورها .. وقد ظهر فى الصورة المساكن التى انشئت للمهندسين والعمال ، واحد المجمعات السكنية ، ولا يزال العمل جاريا فى اضافة المزيد من المساكن والمرافق العامة ، التى تتطلبها التوسعات الجديدة لاستصلاح الاراضى واستزراعها .





وبدأت الصحراء القاحلة تنبض بالحياة بعد قرون عديدة من الجفاف .. **وفي الصورة العليا** جانب من الفيلات التي شيدت للمهندسين العاملين مع أسرهم ، **إما الصورة التى الى اليسار** فهي لمهندس مع زوجته وطفليه ، داخل الفيلا التي يسكنها بالمجان ، **والى أسفل (الى اليمين)** اطفال السيدات العاملات في احدى دور الحضانة التى انشئت في مديرية التحرير ، بينما يظهر **في الصورة (الى السيار)** مجموعة من المهندسين والمهندسات يتدارسن المشروعات على الخرائط في احدى قاعات النادى الذى شيد خصيصا لهم .







بقدم الشعب السوفيتي هدية للشعب المصري تتكون من المعدات والآلات الزراعية اللازمة لانشاء مزرعة كبيرة كاملة متكاملة .. وقد بلغ عدد هذه الآلات ٣٠٠ وحدة . وفي خلال السنوات الست الماضية، نجح القائمون على هذا المشروع الجديد في بناء هذه المزرعة النموذجية الواقعة غرب ترعة النوبارية التي تعتمد عليها كل اراضي القطاع في امدادها بمياه الري ، وهي الترعة التي تتفرع من الرياح البحيري .

قال لنا المهندس المسئول عن القطاع : « ان المزرعة الآلية ستصبح نموذجا لما سوف يتبع في استصلاح تلك المساحة الكبيرة من الارض التي يجرى اعدادها الآن بالقرب من المزرعة ، والتي تزيد مساحتها على ٢٠٠ الف فدان من الاراضي الصحراوية التي اثبتت التحاليل خصوبة تربتها وصلاحيتها للزراعة .

وتركنا المزرعة لنكمل جولتنا في بقية انحاء القطاع ..

مصنع الرجال

قال لنا مرافقنا : « سترون الآن مصنع الرجال .. هؤلاء الذين يقومون على ادارة وصيانة تلك الآلات والمعدات الزراعية التي تعمل في اراضي المزرعة الآلية وفي كل بقعة اخرى حلت فيها الآلة محل الايدي المكافحة العاملة في الارض منذ الاف السنين » .



جانب من مركز تدريب هيئة تعمير الصحارى الذى انشىء في عام ١٩٦٦ ،عقب وصول الآلات والمعدات الزراعية من روسيا ، ويتولى المركز رعاية الطلبة الذين يلتحقون به منذ لحظة وصولهم حتى يوم تخرجهم ، وفي الصورة بعض طلبة المركز اثناء مراجعتهم لدروسهم بين الحصص العملية والنظرية امام احد مباني الورش الميكانيكية .

وذهبنا الى المصنع .. الى مركز تدريب هيئة تعمير الاراضي .. ورحنا نجول بين ارجاء المباني التى قامت وسط الحقول والمزارع التى امتدت في كل اتجاه .. ورافقنا المهندس محمد رشاد الملا المسئول عن المركز ودخلنا المباني والمنشآت والورش وقاعات الدراسة النظرية والعملية . وقد خصص كل قسم منها لدراسة جانب من جوانب التدريب على ادارة وصيانة الجرارات والآلات الزراعية بمختلف انواعها .. انها مدرسة تحتل فيها الآلة المقام الاول .. فهي المادة الاولى في برنامج التعليم والتدريب ..

قال لنا المهندس المسئول : « لقد بدأ العمل في انشاء هذا المركز في نهاية عام ١٩٦٦ ، عقب وصول الآلات والمعدات من روسيا وكان الهدف المباشر من انشائه هو خلق جيل من العمال والفنيين القادرين على تشغيل هذه الآلات واصلاحها وصيانتها ..

معهد التدريب

« وقد بدأت الدورة الاولى في عام ١٩٦٧ ، وكان عدد الطلبة الذين التحقوا بها حوالى ١٨٠ طالبا جاءوا الينا من مختلف انحاء المحافظة ،ولكن فترة هذه الدورة الاولى كانت قصيرة لان معظم الذين التحقوا بها كانوا يعملون فعلا في شركات استصلاح الاراضي قبل ذلك ولم تكن الآلة غريبة عليهم ، فقد دربوا على تشغيلها وصيانتها ..

« لقد وضعنا شروطا خاصة للطلبة الراغبين في الالتحاق بهذه الدورات ، في مقدمتها ان يكون الطالب حاصلا على الشهادة المتوسطة او الاعدادية .. ولكننا ما لبثنا ان عدلنا عن توافر هذا الشرط ، وقبلنا الراسبين في هذه الشهادة بشرط ان يجتازوا اختبارا خاصا في الاستعداد للعمل الفنى ، ثم ما لبث مركز التدريب ، ايمانا منه بتوفير العلم الفنى لكل طالب يظهر استعدادا خاصا لهذا التدريب ، ان قرر اعطاء الفرصة لاى عامل ممن يعملون في مجال الزراعة الآلية ، واعد المركز برامج خاصة لتدريسها لهم وتدريبهم فنيا ، وبرامج اخرى لمحو اميتهم في الوقت نفسه ، في غير ساعات العمل في المساء ..

« ان المركز يتولى رعاية الطالب منذ اللحظة الاولى التى يلتحق فيها بهذا المعهد حتى يوم تخرجه .. فقد اعددنا لهم مساكن صحية داخل المركز الذى يحتل اليوم مساحة من الارض تزيد



في المشغل الذى انشىء بمديرية التحرير للفتيات من بنات المزارعين،وقفت مدرسة الاشغال اليدوية تشرح لثلاثة من تلميذاتها فن التطريز . وقد تم انشاء هذا المشغل منذ ثلاثة اعوام ، وتدفع التلميذة مبلغا رمزيا لا يتجاوز ٢٥ قرشا شهريا مقابل دراستها فيه .

على المائتى فدان، خصص منها ١٦٠ فدانا للمزارع التجريبية ، والباقى للمباني والمنشآت ، والمرافق العامة ..

رعاية صحية واجتماعية

« ويجد الطلبة في هذه المدينة الصغيرة ، كل ما يحتاجون اليه ، فتقدم لهم الوجبات الغذائية بالمجان ، كما يوفر المركز لطلبته كل الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والترفيهية ..

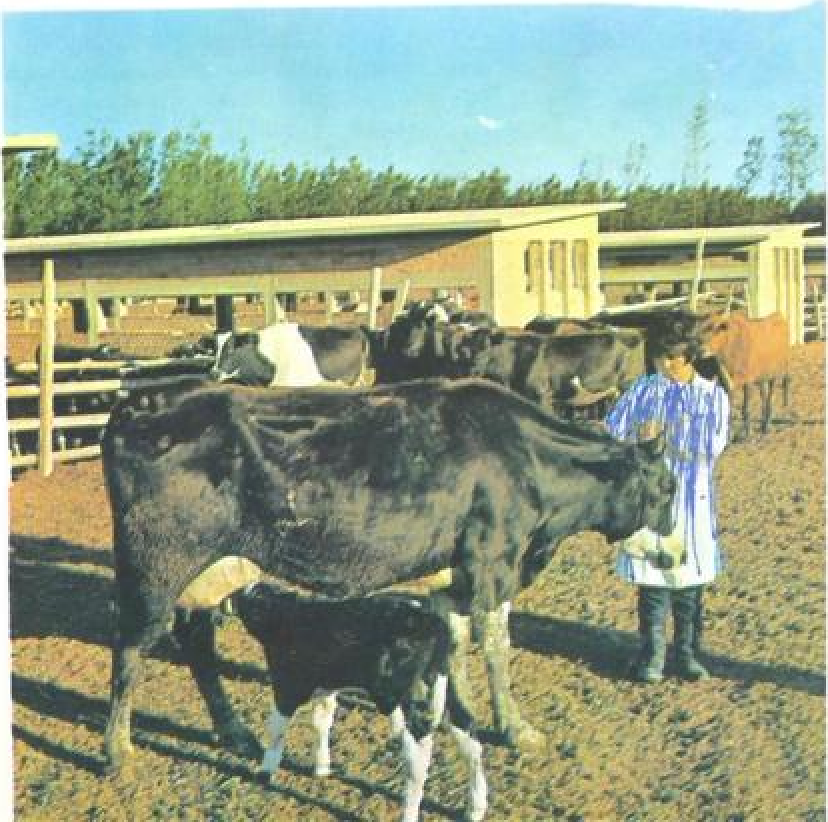
« لقد بلغ عدد الطلبة الذين تخرجوا من مركز التدريب والتحقوا بالعمل في مختلف القطاعات بمحافظة البحيرة وغيرها من المحافظات اكثر من الف ومائتى عامل فنى حتى الآن ..

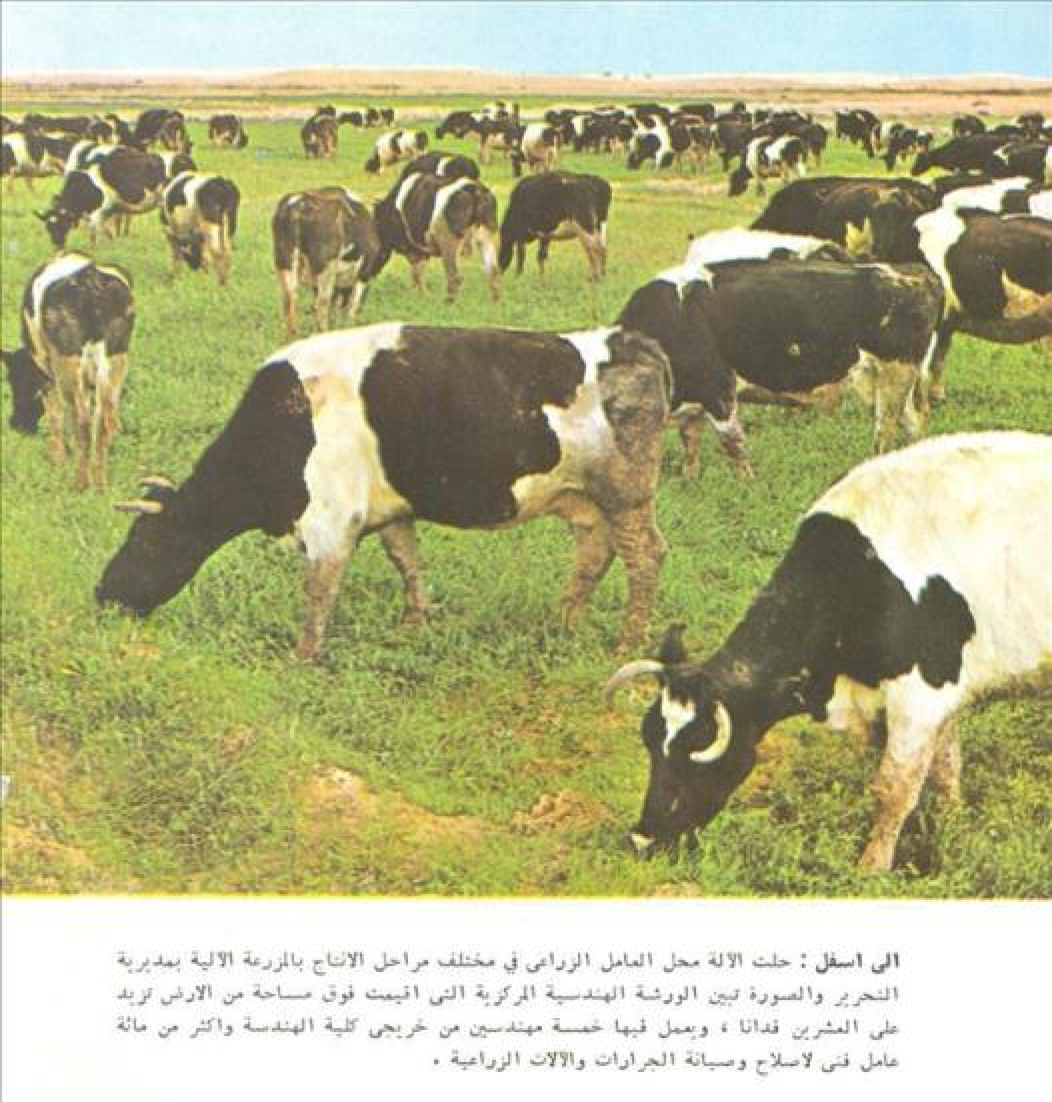
« على ان نشاط المركز لا يقتصر على تدريب واعداد العمال فحسب ، بل لقد وجهنا اهتماما خاصا بالمهندسين من خريجي كلية الهندسة المتخصصين في مختلف فروع الميكانيكا والكهرباء .. وهؤلاء تعقد لهم دورات تدريبية كاملة في ورش المركز المختلفة،الهدف منها ربط النظريات العلمية بالتطبيق العملي ، وذلك تمهيدا لالحاقهم بمواقع العمل في شتى انحاء البلاد .. وقد تخرج من

قطيع من الابقار المهجنة يرعى في حقول البرسيم ، وهناك ما يزيد على عشرة آلاف راس من الابقار في مختلف انحاء القطاع الشمالي لمديرية التحرير .



نجحت زراعة اشجار الزيتون في مديرية التحرير ، **وفي الصورة العليا ،** عامل زراعي يرش الاشجار بالمبيدات الحشرية . **اما الصورة السفلى فهي** لاول مهندسة زراعية تخصصت في الانتاج الحيواني ، وكانت اول فتاة تعين في مديرية التحرير ، وترى وهي تقرأ رقم احدى الابقار التي وضعت صغيرها لتوها ، لكي تعود الى السجل الخاص بها وتعرف تاريخها .





الى اسفل : حلت الآلة محل العامل الزراعى في مختلف مراحل الانتاج بالمزرعة الآلية بمديرية التحرير والصورة تبين الورشة الهندسية المركزية التى اقيمت فوق مساحة من الارض تزيد على العشرين فدانا ، ويعمل فيها خمسة مهندسين من خريجى كلية الهندسة واكثر من مائة عامل فنى لاصلاح وصيانة الجرارات والآلات الزراعية .





احدى المهندسات الزراعيات اللواتي يعملن في مديرية التحرير ، تشرف على عملية جمع البرتقال في الاقفاص توطئة لارساله الى معامل تعبئة الفواكه للتصدير او للاستهلاك المحلي .. لقد جاءت المرأة الى مديرية التحرير ، لتعمل جنبا الى جنب مع الرجل في هذا الميدان الجديد من ميادين البناء والتعمير

المركز حتى الآن ما يزيد على المائة مهندس ميكانيكى ومهندس كهربائي ، الى جانب ١٥٠ مهندسا زراعيا حضروا دورات مماثلة » ..

المرأة فى الصحراء

لقد انتهت جولتنا في مديرية التحرير او كادت، فهل نسينا شيئا ؟ نعم نسينا .. نسينا المرأة التى التقينا بها في هذه الواحة التى قامت في قلب الصحراء .. في قرية القاهر ، وفي المزرعة الآلية ، وفي كل مكان .. المهندسات الزراعيات اللواتى يعملن جنبا الى جنب مع زملائهم في الحقول ، والفتيات المثقفات العاملات في المكاتب،وفي المدارس وفي المستشفيات ..

لقد بلغ عدد المهندسات اكثر من عشرين فتاة رايناهن في الحقول وفي مزارع تربية المواشى والدواجن ، وعند قنوات الرى ، يعملن في هدوء وصمت من الفجر حتى غروب الشمس ..

سألناهن : « كيف تجدن الحياة هنا ؟ » .

قالت المهندسة الزراعية وفاء السيد ، وكانت اول فتاة تخصصت في الانتاج الحيوانى :

« لقد تخرجت من كلية الزراعة عام ١٩٧٠ ، وفوجئت بتعيينى في مديرية التحرير .. وجئت الى هذه المنطقة ، ولم يكن في راسي اية صورة لما سوف تكون عليه الحياة هنا ! لقد احسست برهبة في الايام الاولى لعملي،وهو شعور طبيعى ، ولكننى ما لبثت ان شعرت بعد مضي بضعة اسابيع من وجودى هنا وسط زميلاتى وزملائي ، اننى اعيش بين اخوتى واهلى .. لقد كان هناك عمل كبير ينتظرنى ، ولكن روح التعاون التى لمستها بين العاملين في المزرعة خففت عنى العبء الذى يشعر به كل عامل في مجال عمله الجديد » ..

هؤلاء هم ابنائي

ثم قالت : « اننا نشرف على اكثر من عشرة الاف رأس من الابقار و ١١ ألف رأس من الاغنام. هؤلاء هم ابنائي ! » ..

قالت هذا ، ثم مدت يديها تحتضن عجلا صغيرا ولدته امه لتوها !

ووقفنا نتأمل المهندسة التى اختارت الانتاج الحيوانى ، مجالا لدراستها وعملها ، واصبحت تشرف على هذا العدد الكبير من الابقار والاغنام وصغارها .. لقد كانت ترتدى المعطف الابيض ، والحذاء الطويل المصنوع من المطاط .. والقفاز الذى يغطى يديها الناعمتين .. كان كل شيء فيها يؤكد انها فتاة عاملة مائة في المائة .. ولكنها مع هذا لم تنس انها امرأة .. فقد بدا شعرها مصففا تصفيفا جميلا ولم تنسأن تتخذ من اسباب الاناقة ما يأتلف والمرأة .. فالمرأة هى المرأة اينما كانت ومهما اختلفت طبيعة عملها ..

في بيوت المهندسات

ودعينا لزيارة المساكن التى خصصت لسكنى المهندسات فيمديرية التحرير .. بيوت صغيرة جميلة توافرتفيها كلوسائل الراحةوالتسلية .. كلها مضاءةبالكهرباء،ومزودةبالمياهالحلوة الجارية..



السيد على فوزى يونس محافظ البحيرة ، قال لنا : « ان كل مولود جديد في حاجة الى رعاية .. وقد اولينا جانبا كبيرا من اهتمامنا بهذه الرقعة الخضراء الجديدة وبالحياة فيها » ..

وفي المساء يلتقى العاملون والعاملات في النادى الاجتماعى والرياضي الذى انشىء خصيصا لهم ، حيث يجتمعون لمشاهدة برامج التلفاز ، ولعب الشطرنج والبلياردو .. والاستعداد ليوم عمل جديد ..

محافظ البحيرة يتحدث

وعدنا بدورنا نستعد للرحيل الى دمنهور ، عاصمة مديرية البحيرة حيث قضينا اسبوعا ، كنا نخرج فيه كل صباح الى مديرية التحرير،ولا نعود اليها قبل ان تغيب الشمس في المساء .. وذهبنا نشكر الرجل الذى يسر لنا مهمة استطلاع هذه المنطقة التابعة لمحافظته ، وقدم لنا كل التسهيلات التى كفلت لنا انجازها ، السيد على فوزى يونس محافظ البحيرة ..

قال يسألنا : « ماذا رأيتم ، وكيف كانت رحلتكم ؟ » .

وجلسنا ننقل له انطباعاتنا ومضينا نتحدث ونصف له ما رأينا ، وفي النهاية قال :

« ان كل مولود جديد في حاجة الى رعاية .. ومن اجل هذا اوليت جانبا كبيرا من اهتمامى بهذه الرقعة الخضراء الجديدة وبالحياة فيها .. اننا نعمل من اجل توفير كل وسائل الراحة للعاملين في هذا القطاع . ان هناك الآن ما يزيد على عشرين الف نسمة يعيشون ويعملون فيالقطاع الشمالى وحده لمديرية التحرير .. ومن المنتظر ان يتضاعف هذا العدد قريبا بعد استصلاحواستزراع الاراضي الصحراوية الجديدة .. ومهمتنا الآن تنحصر في توفير الخدمات لهذه الاعداد الجديدة الوافدة من المواطنين ..

اهم المشروعات

وقال المحافظ : « ان اهم المشروعات التى بدأنا في تنفيذها بالفعل ، تتلخص فيما يلى :

انشاء خطوط منتظمة تربط ما بين محافظة البحيرة ، ومدينة الناصر ، عاصمة القطاعالشمالى لمديرية التحرير .. فهناك خط مباشر سريع بين دمنهور والناصر ، وخط ثان بين ابو المطامير والناصر ، وخط ثالث بين الاسكندرية والناصر .

« اما المشروع الثانى ، فيعنى بتعميم الجمعيات الاستهلاكية في كل قرى القطاع ، وتوفير السلع والمواد التموينية الاساسية حتى يتحقق الاكتفاء

الى اعلى هكذا اصبح الطريق الذى كان صحراويا ، بين القاهرة والاسكندرية ، لقد كست الخضرة لون رماله الصفراء الكالحة ، فعادت الحياة الى الطريق المهجور.

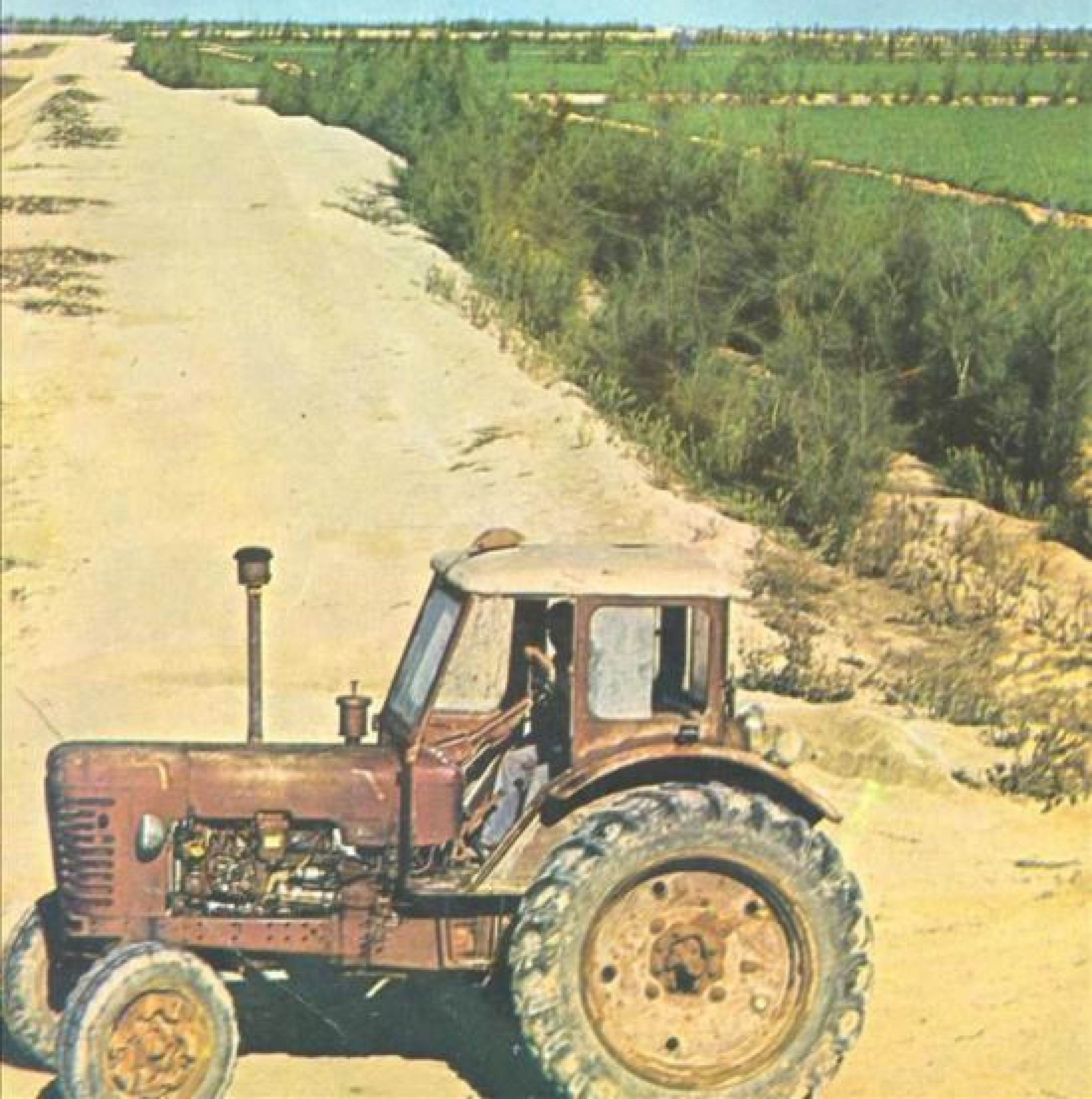




الى اسفل : تعتمد الزراعة في القطاع الشمالي لمديرية التحرير على مياه ترعة النوبارية ويبلغ طولها ٨٤ كيلو متراً ، وهي تتفرع من الرياح البحيرى ، كما تمت خلال هذا العام ١٩٧١ ، عمليات التوسع في ترعة النصر التى تبدأ امام القناطر الخيرية بالقرب من القاهرة ، لتساهم في رى الاراضي المستصلحة الجديدة التى ستضاف الى القطاع الشمالى .



اللقاء بين الحقول الخضراء ، ورمال الصحراء الصفراء .. أرض قاحلة لسعتها الشمس بأشعتها الحارقة .. وأرض ارتوت بعد ظمأ طويل ، فأثمرت ، واكتست بلون الخضرة .. لون الحياة . ثم الآلة .. تلك التي صنعها الانسان ، ثم طوّعها لخيره ورفاهيته .. تجربة في تزريع الصحارى ، وما أكثر الصحارى في وطننا العربي .



الذاتي لسكان هذه المنطقة جميعا .

« اننا نهتم الآن بحل مشاكل المنتفعين بالارض الجديدة وتوفير متطلبات الانتاج .. ان كل شكوى تصلنا تلقى اهتماما مباشرا ، حتى نضمن استمرار التوسع في استزراع واستصلاح المزيد من الاراضي ، وحتى لا يشعر هؤلاء العاملون بالغربة في هذه المناطق الجديدة .. فنحن نريد ان يشعر كل فلاح وعامل بانه قد ارتبط بهذه الارض .. ان عمليات استصلاح الارض الجديدة لا يجب ان تتوقف ثانية واحدة . ان الخضرة يجب ان تتسع مساحتها مع كل يوم على وادي النيل ، وينبغي الوصول الى الحد الذي تصبح فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق ضفافه الى حياة خلاقة لا تهدر هباء ولا تضيع » .

وتركنا دمنهور ، عائدين للقاهرة بالسيارة عبر الطريق الصحراوي ، ونحن في غبطة مما رأينا .. تجربة في تزريع الصحراء المصرية قد ينتفع بها في تجارب اخرى تقوم لتزريع الصحاري العربية ، وما اكثر الصحاري في وطننا العربي .

ثمة شعور انتابنا والسيارة تنطلق بنا عائدة عبر الطريق الطويل .. لقد فارقنا الشعور بالملل الذي احسسنا به في طريق الذهاب .. وان الطريق الصحراوي لم يعد صحراويا .. لقد اكتست جنباته بلون الخضرة .. لون الحياة ..

منير نصيف



لايزال العمل مستمرا لتحسين وسائل صرف مياه الري بالقطاع الشمالي ، والصورة لاحد هذه المصارف الجديدة التي تصب في المصرف العام بالقرب من ميناء الاسكندرية .



ياعيونى

■ ياعيونى ! متّعينى بالنظر ... واجتلى الحسن ، إذا الحسن خطر
واجمعى العالم في نافذتى ... واكشفى الكون على مد البصر
ما جمال الكون واللون إذا ... غاب عن معناهما هذا النظر ؟
ياعيونى ! متّعينى كى أرى ... كل شئ في وجودى المختصر !
وأرى الحسن على كرسيه ... في حياة ، في نبات ، في حجر
وأعب الكون ، على أجتلى ... ما توارى من سناه ، وظهر
أنت . . . إن أشرقت فالكون سنا ... وإذا أغمضت ، فالعيش ضجر
وإذا حلقت في زهر السما ... راحت الأهداب تهمى بالدرر
وإذا أطرقت في زهر الربا ... فاذا الكوة غصت بالزهر
يالها من كوة سحرية ! ... تلتقى فيها أعاجيب الصور

***

أنت عين الله ، في مرآتها ... يتجلى كل شىء بقدر
أنت في الطفل سلام طاهر ... غمر البيت شعاعاً ، فبهر
أنت في الأم حنان ساهر ... كيف لا يرعى النبوغ المنتظر ؟
أنت في الحسناء توق حذر ... آه يا حسناء لو يغنى الحذر

***

أنت للشاعر لمح خاطف ... لو أملت الطرف عنه ما شعر
أنت للفنان وحى خالق ... وانسجام عبقرى ، مبتكر
أنت في العاشق طرف واجم ... غلب الحسن عليه ، فانبهر
سفر مابين أرض وسما ! ... كيف جبت الكون من غير سفر؟
أنت . . . ما أنت سوى معجزة ... حار في تكوينها كل البشر ■■

خليل الهنداوى

مُسلِماتٌ خالِداتٌ

زُبَيْدَةُ

أُمُّ جَعْفَر ..

بقلم : سنية قراعة

■ اعوام سعيدة هانئة ، تعد على اصابع اليد الواحدة ، كانت قد مرت على انشاء بغداد الشامخة العظيمة التى بناها ابو جعفر المنصور ،لتكون عاصمته وحاضرة خلافته .

خمسة اعوام مرت منذ انشاء بغداد ، وان المنصور اليوم وهو في « قصر الذهب » ليسمع ضجة بعيدة وجلبة تشمل ابهاء القصر ودهاليزه وطرقاته ، ثم تتعالى في آثارها همهمة وصيحات فرح وتبريك ..

راح ابو جعفر المنصور يسائل نفسه عما يمكن ان يكون قد حدث اليوم في قصر الذهب .. واية انباء سعيدة أتاه عماله ساعين اليه بالبشرى، ولم يطل امير المؤمنين امد التساؤل اذ طرق الباب حاجبه بعد لحظات ليحمل اليه بشرى ميلاد حفيدته .. وأولى بنات ولده جعفر ..

وملأ امير المؤمنين ابو جعفر المنصور فم حاجبه بالذهب لقاء هذه البشرى التى جاءه بها .. ثم راح يستعد لينتقل فورا من قصر الذهب الى قصر الخلد ليرى حفيدته ويباركها ويتمنى ان تكون كما تصورها ان تكون ..

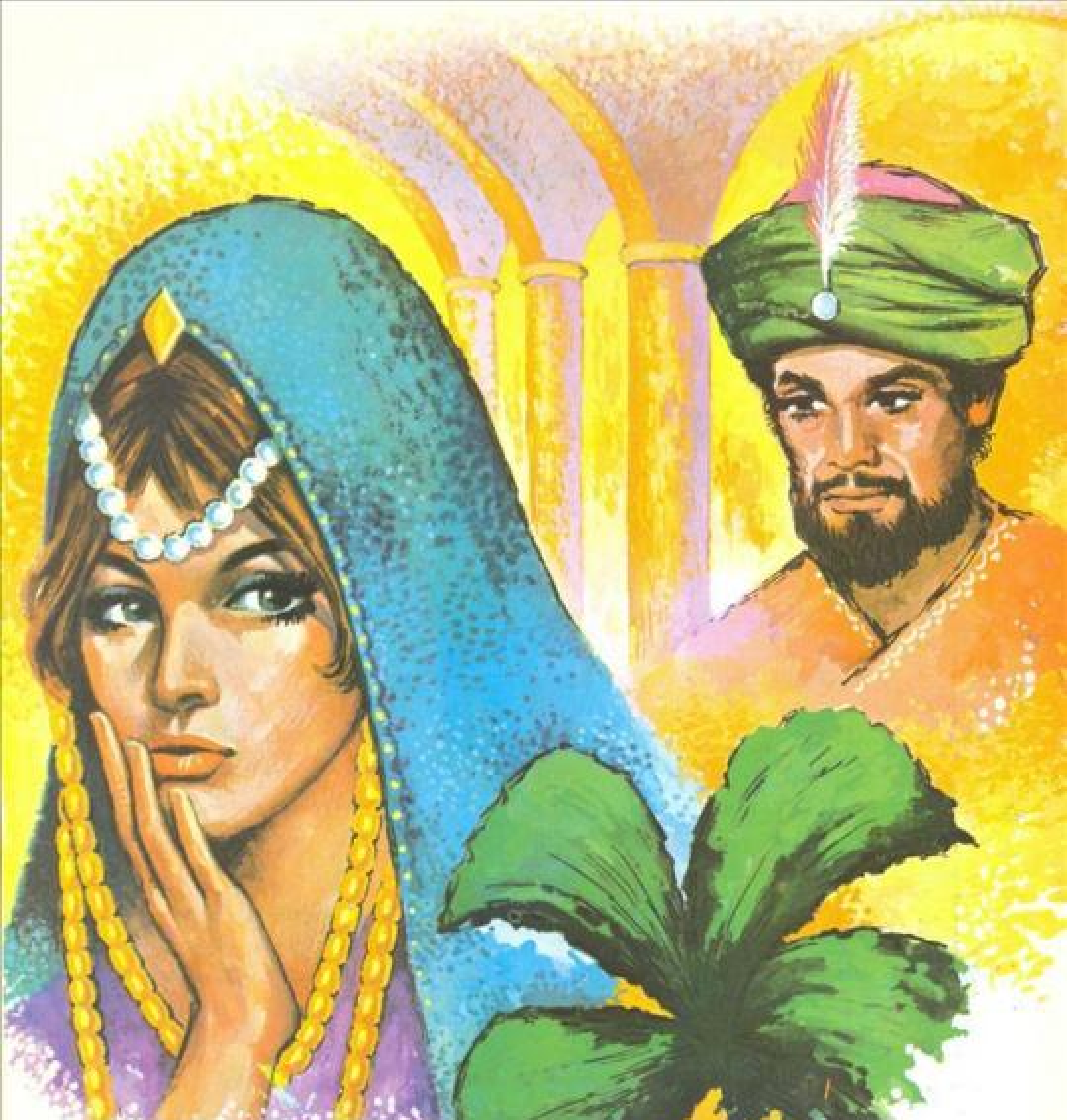
ووصل المنصور الى قصر الخلد ثم اسرع في غمرة فرحته الى حيث كانت الصغيرة الغالية « أمة العزيز » .. فمال عليها يقبلها ثم حملها بين يديه وراح يتطلع في محاسنها وهو سعيد ، اذ قد جاءت على الصورة التى تمناها تماما ! واذا به يسأل عن اسم الوليدة ، فلما قيل له : انهم تخيروا لها اسم « أمة العزيز » قال : بل سموها « زُبَيدة » .. فهى كما ترون بضة نضرة فيها حسن لم يعهد من قبل على مثيلاتها من الصغيرات ..

فسموها «زبيدة» كما اراد جدها ، ثم كنيت بعد ذلك باسم « ام جعفر » ..

وهكذا .. وفي مرابع العز والجاه درجت الصغيرة ثم شبت ونمت وترعرعت على خير ما تمناه لها أهلوها فعهدوا بأمر تربيتها وتثقيفها وتلقينها مبادىء الدين الى فقهاء لهم مكانتهم ، فراحت تتزود منه بما جعل مداركها تتسع وجعل لها نظرة فاحصة ورأيا ثاقبا تميزت به رغم صغر سنها ..

كانت زبيدة تشعر وهى طفلة انها شيء عظيم في عالم عظيم ، وانه لكي تستمر في مدارج العظم والسمو عليها أن تتحلى بالتواضع والكرم ، وتغرس في أحناء القلوب حبها .

ولقد أحس اهلوها بما كانت تفيض به نفسها من آمال واحلام، فراحوا يعدون لها العدة ويمهدون لها الطريق لتصل الى حيث تريد .



بريشة أحمد الوردجي

ولما توفي جدها المنصور وتولى بعده عمها « المهدى » لم يقصّر ابدا في رعاية بنت اخيه زبيدة فانزلها خير منزل واعدها لتكون شريكة لحياة ولده « هارون » .

كان صدرها يجيش بالآمال الجسام ..وكانت تتطلع ولطالما تمنت لو انها كانت رجلا ، اذن لعرفت كيف تروض الزمن وتجعله عبدها المطيع . ولكن الله ارادها انثى ! وانها لتحنى راسها امام هذه الارادة وهى تؤمن في قرارة نفسها ان الانثى انما خلقت لتؤدى اخلد وانبل واعمق الاعمال في تاريخ البشر ، اذ كانت هى البانية وهى الراعية وهى مصدر الحنان وهى سر الوحى وروح الالهام.

كانت زبيدة تتمنى .. وكانت امانيها تتعاظم وتتعالى متسامية نحو آفاق بعيدة ، ولكنها لم تكن لتحب التمادي في الخيال ولا الافراط في اسلام افكارها الى مجرى التخيلات ، فكانت تقف بهذه الأماني الغالية عند حد محدود ، وكانت ترى أن البداية الحقة لن تكتمل فعلا الا يوم يتم زواجها من « هارون » وليكن بعد ذلك ما يكون .

وخيّل الى زبيدة أن البداية الغامضة التي كانت تكمن في احناء خيالها بدأت تتجسد ذات يوم وقد خرج عمها المهدى لحرب الروم ، وخرج معه ولده الرشيد ليخوض الى جانب ابيه نيران هذه الحرب الضروس ، لتأديب الروم وايقاف مطامعهم عند حدود لا يجب ان يتعدوها ، فلا يجرؤ جريء منهم بعد ذلك على مهاجمة التخوم العربية واشاعة الفوضى والسلب والنهب فيها ، وكأنه ليس على العرب ولا على وطنهم الكبير راع أمين وحارس يقظ يقف لأولئك الروم العادين بالمرصاد ..

خرج أمير المؤمنين محمد المهدى الى حرب الروم ومعه ابنه هارون وقد أحست زبيدة ان اليوم المرجو قد بدأ فعلا مع هذا الخروج ، وانه سيقدر للأمنية الغالية ان تتحقق ولو مع بدايتها على الأقل ، خاصة وقد حالف النصر الجيش العربى الذى سار من فتح الى فتح وجحافل الروم تندحر امامه في كل موقعة كانت تتصدى له فيها .

وصالحت « ايرين » ملكة الروم امير المؤمنين المهدى على الجزية والخضوع ، واعتذرت عما سلف ، وتعهدت بعدم العودة الى ما كان السبب في قيام هذه الحرب الضروس ، وعاد امير المؤمنين مع ولده هارون الى بغداد التي خرجت تستقبل الفاتح الظافر والجندى العربى الغالب الذى أيده الله بنصره وأعز معه مكانة ولده هارون ، فقربه الى القلوب وجعله فارسا مغوارا من فوارس العرب كانت تشخص اليه الأبصار وتتعلق عنده آمال الأجيال القادمة التي كانت تأمل على يديه الخير كل الخير ، خاصة وقد تمرس بفن الحرب وتتلمذ على يد أبيه المهدى العظيم ..

وبدأ الضباب ينقشع عن البداية التي تصورت زبيدة مَقْدمها وقد بدأت تبين معالم اليوم المرجو واذا بالحالمة تفيق على الحقيقة وقد أبى امير المؤمنين المهدى الا أن يعزز الأفراح التي شملت البلاد بفرحة كبرى أسعدت قلب أحب الناس اليه .. قلب زبيدة بنت أخيه جعفر وقلب ولده هارون الرشيد .. فزوجهما في حفل رائع زفت فيه العروس الى رجل احلامها الرشيد وكان ذلك عام ١٦٥ الهجرى .

واحست زبيدة بان احلام الامس الهائلة قد بدأت تتصاغر امام الحقيقة التي بدأت تعيش فيها يوم تزوجت هارون الرشيد ! واحست ان اليوم الذى تمنته قد وقف امامها وفي موعده المحدد الدقيق .. اليوم الذى ستعمل فيه وتعمل .. ولن يكفيها ابدا ان تكون شريكة الرشيد فحسب، بل عينه التي ترقب ، واذنه التي تتسمع ، ويده التي ترتفع .

وبالرغم من ان هارون الرشيد لم يكن ولي عهد المهدى كانت زبيدة تؤمن بان هناك غدا مشرقا ينتظر هارون ، وان دلائل هذا الغد وبشاراته طالما تبدت في رعاية المهدى لهارون دون ولده الاكبر « الهادى » حتى لقد قرب هارون على الهادى وخصه ببره وعطفه والكثير من اسراره .. واعتمد عليه في عديد من أخطر وادق امور الدولة ...

والغريب ان احساس زبيدة بان الغد سيكون لهارون دون أخيه بقي ، برغم ان اخاه قد ورث اباه بعد موته واصبح اميرا للمؤمنين .. ولكن زبيدة رغم ذلك لم تفقد الامل ، وكانت لا تزال مع كر الايام تتطلع الى مقدم الغد الذى ترجوه ...

وانتهت أيام أمير المؤمنين « الهادى » ، واذا بالحظ الضاحك يسرع الى باب زبيدة ام جعفر ، ليدقه ويقول لها ان اليوم الذى طالما تخيلت مقدمه قد توقف امامها بمواكبه وأبهته .. وانها اليوم لم تعد زوج أمير عباسي فحسب ، بل شريكة لأمير المؤمنين هارون الرشيد ! .

وضحكت زبيدة ترد للحظ ضحكته ، وكانما كانت مع أصداء ضحكتها الهائلة هذه تهمس الى نفسها همسة انتظمها حديث طويل ، خيل اليها انها راحت خلال لحظاته تحدث هذه النفس وتوصيها وتقول لها اذا كان الحظ قد دق بابك فعلا ، فعليك أن تظلي حيث انت ، واياك ان تقدمي على فتح بابك الوحيد لتخرجي منه الى ما تتصورينه مجال امانيك العذبة .. ذلك لان الخيزران ام الرشيد لم تزل في مكانها العتيد وانها لن الجاه والمقدرة والقوة والمنعة ، بحيث تستطيع ان تسحق من يفكر في ان ينتزع من بين يديها مقود سلطانها على ابنها الباقي هارون الرشيد .. وراحت زبيدة تشرف على ادارة املاكها وضياعها

الواسعة وتمدها بالزرع والسقيا لتنتج أبهى وانضر الثمار والغلات ، ولم تقصر في نفس الوقت في العمل بالتجارة ، فكان لها نشاط ظاهر في ميادينها المتعددة ، عن طريق وكلاء اخلصوا في العمل لصالحها وراحوا بشتى الوسائل يعملون على تنمية ثروة زبيدة الضخمة التي كانت قد ورثتها عن أبيها جعفر بن أبي جعفر .

وحدث ذات يوم أن اقدم أحد وكلاء أم جعفر على شراء صفقة من الابل من صاحبها ، ولم يعطه ثمنها في حينه وأرجاه الى موعد قريب يدفع له فيه ثمن ابله ، ونظرا لمكانة وكيل أم جعفر لم يستطع صاحب الابل ان يمتنع عن قبول شروط الوكيل في تأجيل ثمن ابله .. ولما حل موعد الوفاء وذهب التاجر ـ وكان من أهل خراسان ـ ليتسلم ثمن ابله من الوكيل كسابق وعده ، عاد هذا يماطل ويسوف ويرجيء ويعتذر ويختلق مواعيد ويحدد آجالا بعضها قريب وبعضها بعيد ، حتى ضج الرجل بالشكوى ولكنه وقف موقف الحيرة ولم يعرف لمن يشكو ، وعرض الأمر على بعض معارفه ، فنصحه بأن يقيم دعوى اثبات دين امام القاضي العادل « حفص بن غياث » ...

واستطاع القاضي العادل حفص بن غياث وعن طريق ذكائه وبراعته أن يحصل على اعتراف بمديونية أم جعفر عن طريق وكيلها للرجل الخراساني ، فكان أن اقدم أول ما أقدم على اصدار أمر بحبس وكيل أم جعفر حتى يوفي الدين لصاحبه ..

وبلغ الأمر زبيدة فثارت ثائرتها واعتبرت ما حدث اهانة يجب أن يكفر القاضي حفص بن غياث عنها باصدار أمره فورا بالافراج عن وكيل أم جعفر ، ولكن القاضي أبى .. وأبى أيضا الا أن يثبت الدين والمديونية ويقرن حكمه بموجب الدفع ! فلم تجد زوج الرشيد الا أن تغرى زوجها بعزل القاضي ، فاطاعها دون أن يحقق الأمر أو يعرف سر ما كان ..

واسرع رسول أم جعفر الى قاعة المحكمة ليسلم القاضي قرار عزله ، والرجل العادل منهمك في اثبات ذلك الدين بسجلات الدولة ، وكانت حكمة الاسراع أن يحول دون القاضي واثبات الدين بصفة قاطعة في السجلات الرسمية ..

واحس القاضي بالأمر الجلل ساعة أهل عليه الرسول وناداه ، فلم يجبه وجعل يرجئه ويسرع في تحرير سند المديونية حتى أتم اثباته ، ثم التفت الى الرسول القادم بقرار عزله وتسلم الأمر وكان شيئا لم يكن ، ثم ترك مكانه وأسرع الى الرشيد ليقف معه موقفا كان حفص بن غياث أقدر الناس على الوقوف فيه لاثبات حقه في القضاء دون تدخل كائن ، كان من كان ، مهما علت مكانته في مثل هذه الأمور الدقيقة التي سوف يحاسب الله عليها القاضي ويحاسب عليها أمير المؤمنين ..

وعرف الرشيد جلية الأمر .. وثار وغضب ، واعتذر لحفص بن غياث وراح يترضاه ، وسحب قرار العزل الذى اصدره وتوسل الى الرجل أن يعود الى مكانه في القضاء ، فمثله يجب أن يظل حيث هو .. ومثله من يجب عليه أن يرد الخارج على الشريعة ولو كان أمير المؤمنين نفسه .. ثم أسرع الرشيد الى زبيدة يعنفها وكان له معها موقف اعتذرت فيه وتراجعت ، وأسرعت تترضى القاضي العادل بدورها ، وامرت بدفع دين التاجر الخراساني ، وحرمت على وكلائها بعد ذلك أن يبخسوا الناس اشياءهم أو أن يشتروا باسمها بضائع يرجئون دفع قيمتها ..

ولما خلا الجو من الخيزران بعد أن وافاها أجلها المحتوم ، لم تشعر أم جعفر وحدها بأن السلطان قد واتتها مواكبه ، وأن السيادة والمجد اصبحا ملك يمينها ، بل شعر بذلك قبلها أمير المؤمنين هارون الرشيد نفسه ، اذ كان يرى في أمه سحابة داكنة تحجب عنه ممارسة كافة سلطاته ، وتقحم نفسها على شتى أموره وتبرم ما لا يريده وتفسخ ما يريد ..

ووجدت زبيدة أن المسرح قد خلا لها وحدها فبرزت فيه بمواهبها العديدة وذكائها النادر وكرمها الفياض ، فقد كانت تجزل العطاء وتسرف في منح الهبات رغبة منها في جمع القلوب حولها وربطها اليها برباط التقدير والحب والاحترام ..

كانت لبقة .. وكانت ذكية .. وكانت ذات عقل راجح ، عرفت به كيف تملك أعنة الرشيد زوجها ، حتى كان لا يطيق فراقها وكانت تحلو له دواما صحبتها ومجالستها .

وقد انجبت أم جعفر لزوجها الرشيد « محمدا الأمين » الذى كان بلوغه مبلغ الشباب من الأسباب الخطيرة التي حولت تفكيره الى المجال السياسي ، فراحت تراقبه في حذر وفطنة وذكاء لتتعرف مسارى تياراته المتباينة لتصل بها وبولدها الى حيث كانت تريد ..

وكان اكره ما تكرهه زبيدة ان يصرف الرشيد بعض اهتمامه وعطفه عن ولدها الآخر « عبد الله المأمون » .

كانت زبيدة تشعر بكراهية الوزراء البرامكة .. الذين عزت مكانتهم وعظم نفوذهم في دولة الرشيد، حتى صار جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد وكأنه امير المؤمنين غير الرسمي ، لا يبرم امر الا بموافقته ، ولا تقر كبيرة من الامور الا وهو راض عنها ، وكان الرشيد هو الرجل الثاني في الدولة بعد جعفر البرمكي ..

وبدأت زبيدة تعمل .. وبدأت توغر صدر زوجها على البرامكة ، بأسانيد لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها .

وبدأ الرشيد يرى بعيني زبيدة ويحس بقلبها ويستجيب لمشاعره التي كانت صدى لمشاعر كراهيتها للبرامكة .. فرأى ما لم يره من قبل .. وهاله ان ولاته وقادة جيشه وكبار رجال دولته كانوا في اغلب الاوقات ينصرفون عن بابه الى باب وزيره ، كما رأى ايضا كيف ان الاموال والهدايا والهبات كانت ترد محملة من الامصار لتذهب الى بيت جعفر دون ان يفكر من ارسلوها في ارسالها الى بيت المال او الى ولي امرهم امير المؤمنين الرشيد ..

وتنفست زبيدة الصعداء يوم فتك الرشيد بالبرامكة وقضى عليهم .. وبدأت تشعر عن ايمان عميق ان الرياح قد واتت ولدها الامين وانه اصبح اليوم وحده وبلا منازع في قلب ابيه ، وان المأمون قد فقد دعاته وانصاره ومن كانوا يروجون له ويشيدون بذكائه ويتحدثون عن كرمه وجوده وفضله ، حتى لقد بلغت الجرأة ببعضهم ان كانوا يرمون الامين وهو ولي العهد بالغباء والغفلةوالجبن والتخاذل ، وانه دون المأمون في كل شيء ..وانه من الجرم في حق النبوغ ان تكون ولاية العهد للامين دون المأمون لانه اسن منه وانبغ !

وصار الامر الى ولدها محمد الامين الذى بويع بولاية العهد في حياة ابيه وبويع من بعده اخوه المأمون الذى كان يحكم اقليم خراسان

ولقد شاءت الظروف بعد ان اصبح محمد الامين اميرا للمؤمنين ان يخلع اخاه المأمون عن الولاية لتكون لابنه من بعده ، واذا بالامور تضطرب ،واذا بالفتنة التي استنامت طويلا تخرج من مكمنها وتكشف عن وجهها ، واذا بالمأمون ينطلق كالاعصار الجارف من خراسان وينتهي الامر بمقتل الامين .

ولما مات الامين مقتولا ودانت الدنيا لعبد الله المأمون بدأت زبيدة ام جعفر تفيق من الحلم الذى كانت تعيش فيه وراحت تنظر في اسى وتحسر الى صروح امانيها وقد تهاوت واندثرت ، فعرفت وبعد فوات الوقت انها كانت تبني قصورا على الرمال.. قصورا من ورق لم تلبث ان اكتسحتها رياح الحوادث وذهبت ابادید ..

كانت زبيدة كاتبة ، وقعت في ظهر كتاب ورد اليها من احد عمالها : ان اصلح كتابك والا صرفناك عن عملك . فتأمله ذلك العامل فلم يظهر له فيه شيء ، فعرضه على بعض اخوانه فرأى فيه الدعاء لها : وادام كرامتك . فقال : انها تخيلت انك دعوت عليها ، فان كرامة النساء دفنهن . فغير ذلك واعاد الكتاب اليها ، فقبلته .

ولم تقصر زبيدة عطفها على الشعراء والمغنين والاطباء بل شملت به الفقراء والمساكين وارباب التقوى والصلاح والعلماء . وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ، ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن .

وكان الكرم من اظهر صفاتها ، وكانت لها على جهات البر اياد وآثار ، فقد انشأت من مالها الخاص مسجدا ، كما انها اشتركت بمالها في عمارة عديد من الاماكن في البلد الحرام .. واليها تنسب عين الماء الجارية التي تعرف باسم « عين زبيدة » .

ان التاريخ حين يروي سيرة زبيدة يقف امامها مطاطىء الرأس مأخوذا بالجلال والكرم والشجاعة والنجدة والتمسك بالعروبة وبعد النظر .. فقد كانت تقية نقية .. سباقة الى المكارم .. تسارع الى الخيرات وتمد اليد في سخاء الى كل من كان يطلب نداها من اصحاب الحاجات ، فاسهمت في كل ميدان من ميادين النشاط في دولة الرشيد حتى استطاعت عن جدارة ان تخلد اسمها في صحائف العصر العباسي بمداد من ذهب ، فقد كانت مسلمة من انبل واعظم المسلمات الخالدات .

■■

سنية قراعة



الطفل ذو الخصية الواحدة
يستطيع الانجاب عندما يبلغ سن الشباب

● عندي طفل ولد بخصية واحدة ، وقد نصحني طبيب جراح بعمل عملية لانزال الخصية الاخرى ، فهل تنجح هذه العملية ؟ وهل بامكان هذا الشخص ان يتزوج وينجب اطفالا ؟

ــ عادة تنزل الخصية في الشهر الثامن او التاسع من الحمل بحيث يولد الطفل بخصيتين ، ولكن هناك حوالى ٣٪ من الاطفال قد يولدون بخصية واحدة ، ثم تنزل الخصية الاخرى فى الاسابيع الاولى بعد الولادة ، وهناك نسبة ضئيلة من الاطفال الذين يكبرون ويظلون بخصية واحدة او حتى بدون خصية ، وفى هذه الحالة اما ان تكون الخصية غير موجودة او تكون موجودة ، وتوقفت اثناء نزولها فى الممر الطبيعى لها او تكون ضلت الطريق وخرجت اثناء نزولها الى مكان آخر .

ويجب علاج هذه الحالة فى سن مبكرة قبل الخامسة او السادسة من العمر ، وذلك باعطاء الطفل هرمونات تسمى Gonadotropic Hormones فقد تنزل الخصية فى خلال شهر من العلاج ، فاذا لم تنزل بعد شهرين يمكن تكرار العلاج مرة اخرى ، فاذا لم تنزل نلجا لعمل عملية جراحية لانزال الخصية ، وعادة يفضل عمل العملية بين عمر ٦ الى ١٢ سنة ، وعادة بعد سن الخامسة تبدا الخصية المعلقة فى الضمور وتفقد وظيفتها فى افراز السائل المنوى تدريجيا ، وقد تكون ضامرة من الاصل ، ولذلك كلما كان عمل العملية الجراحية مبكرا كان افضل قبل ان تضمر الخصية وحتى يمكنها الاستمرار فى النضج بعد نزولها والاستمرار فى وظيفتها .

وفى بعض الحالات القليلة قد تنزل الخصية عند سن البلوغ نتيجة زيادة افراز الهرمونات ولكن يكون قد ضمر جزء كبير منها عند هذه السن ، وحتى فى الشخص البالغ اذا ظلت الخصية معلقة ولم تنزل يفضل عمل عملية لانزالها حيث ان الخصية المعلقة او الغير نازلة لها مضاعفات اكثر من غيرها مثل السرطان او العدوى او الالم او حدوث فتق معها .

ويمكن للشخص الزواج وممارسة الحياة العادية الطبيعية ، وكذلك انجاب الاطفال اذا كانت الخصية الواحدة الموجودة سليمة وطبيعية ، اما اذا كانت هى الاخرى ضامرة فان الامل يصبح ضعيفا فى انجاب الاطفال .

كيف تتخلص من تجاعيد الوجه ؟!

● انا شاب في الرابعة والعشرين من عمري مصاب ببعض تجاعيد بسيطة في وجهي ، وقد وصفوا لي كثيرا من الكريمات لازالتها ، فهل تفيد في ازالة التجاعيد ؟

ـ التجاعيد تحدث عموما نتيجة ضمور في خلايا الانسجة والطبقة الدهنية من الجلد ، كما ان التغيرات التي تحدث في العضلات السطحية خاصة في الوجه تؤدي الى بعض التجاعيد وبالتالي تغير من شكل الوجه ، وهذه التغيرات عادة تصحب الشيخوخة ، او التعرض المتواصل للشمس والرياح كما يحدث للبحارة والمزارعين حيث يكون الجلد في العادة جافا ، وقد تتكون عليه بعض القشور الخفيفة . وقد تكون التجاعيد ما هي الا نتيجة نهائية لبعض الامراض الموضعية .

اما التجاعيد العميقة التي تحدث في الجبهة ، بين الحواجب ، على الزوايا الخارجية للعين وعلى جوانب الفم ، فهذه تحدث بسبب التواء الجلد تبعا للعضلات الموجودة تحته، ونادرا ما تكون التجاعيد وراثية .

العلاج : اولا يجب علاج اى مرض موضعي قد يؤدي الى هذه التجاعيد ، ولعلاج التجاعيد نفسها يلجأ بعض الناس الى طرق مختلفة مثل الكي والخدش حتى يحدث التهاب سطحي مؤديا الى ندبة خفيفة تكون افضل منظرا من التجعيد الموجود. اما من ناحية الكريمات والمراهم الموضعية فقد ثبت ان استعمال المراهم المحتوية على فيتامين ا تفيد كثيرا في كلا الجنسين كما ان هناك كثيرا من المراهم المغذية للجلد منتشرة في الاسواق ، وعادة تستعمل هذه المراهم مرة او مرتين يوميا مع التدليك الخفيف باصابع اليد . كما ان هناك بعض مراهم التجميل الخاصة التي لها لون الجلد فكل بشرة لها مرهم يشبه لونها ، وهذه ليس لها اى تأثير سوى انها تغطي فقط التجاعيد حتى لا تبدو للناظر اليها ، ثم يزال المرهم في المساء عند النوم . وتوجد الآن مراهم محتوية على هرمون Ostrogen بنسبة بسيطة ، وتستعمل بكثرة في الجلد الجاف المجعد خاصة عند النساء ، واعطت نتائج حسنة الا انه يجب استعمال هذه المراهم في مواضع محددة ومساحات ضيقة حتى لا يمتص هرمون الاستروجين مؤديا الى مضاعفات غير مرغوب فيها . وهناك بعض العمليات السطحية لازالة هذه التجاعيد مثل التسلخ السطحي . وهذه يجب عملها بواسطة الاخصائي حتى تؤدي الى نتيجة ايجابية .



الانيميا المنجلية مرض وراثي

● قال لي الطبيب بعد فحصي انني اعاني من مرض الانيميا المنجلية فما هو يا ترى هذا المرض وهل من علاج لمثل هذه الحالة ؟ .

ـ الانيميا المنجلية ـ Sickle Cell Anaemia هي فقر الدم ـ الذي يحدث نتيجة لتكسر الكرات الدموية الحمراء ، لانها تحتوى على مرض خلقي في الهيموجلوبين ، وهو ما يسمى بهيموجلوبين S ولوجود هذا النوع من الهيموجلوبين ، يعطي الكرة الحمراء

ارتفاع ضغط الدم وتأثيرة على العيون !



● والدتي عمرها ٥٠ سنة ، وهي مريضة بضغط الدم المرتفع ، انحنت لتلتقط بعض الاغراض من على الارض ، ولما اعتدلت ، قالت انها لا ترى شيئا بعينها اليسرى ، فهرعنا بها الى طبيب العيون الذى قال : انها مصابة بنزيف داخل العين ، واعطانا بعض الادوية ، ونصحنا باستشارة طبيب باطنى لعلاج مرض ضغط الدم .. فما رايكم ؟

ـ النصيحة التى قدمها لكم طبيب العيون هي نصيحة قيمة ومخلصة ، اذ ان العلاج الحقيقى هو علاج مرض ضغط الدم المرتفع الذى سبب النزيف داخل العين ، وحيث ان الوالدة افادت بأنها لا ترى بعينها اليسرى بعد الحادث الذى أصابها ، فمعنى ذلك أن النزيف ، اما انه كان شديدا لدرجة انه غطى الشبكية او انه كان خفيفا ، ولكنه حدث فى منطقة البقعة الصفراء ، وعلى اى حال ، فان النتيجة تتوقف على ما يحدث بعد امتصاص هذا النزيف، فاذا لم يترك اثرا فان الرؤية تتحسن تدريجيا ، أما اذا تسبب فى تليف انسجة الشبكية ، فان الأمل ضعيف فى حدوث اى تحسن .

ولا يوجد للاسف ، اية ادوية لعلاج هذه الحالة ، وعلاج ضغط الدم العالى هو لمنع حدوث نزيف آخر بنفس العين او بالعين الأخرى ، ولمنع حدوث مضاعفات اخرى فى القلب والكلى والمخ على سبيل المثال .

شكلها المنجلى وبدلا من أن تكون حياة الكرة الحمراء ما يقرب من ١٢٠ يوما فانه فى حالة الانيميا المنجلية تكون قصيرة حوالي ثلاثة اسابيع ثم تتكسر بكميات كبيرة مما يسبب فقرا فى الدم مع ارتفاع فى نسبة المواد الصفراوية به Serum Bilirubin وترتفع تبعا لذلك درجة الحرارة ، وتحدث آلام شديدة فى الجسم خصوصا فى العظام وفى منطقة الطحال وفى البطن وفى الساقين . وتكون هذه الآلام شديدة وتحتاج الى مسكنات مثل البثدين ، وبعد أن تزول النوبة نرى ان نسبة هيموجلوبين الدم تنخفض مما يستدعى اعطاء المريض دما لتعويض ما فقده .

وفى بعض الحالات نعطى السوائل كمحلول الملح ، وبيكربونات الصوديوم ، ولكن كل هذا وجد انه لا يفيد كثيرا ، والعلاج دائما هو تعويض الدم عندما تنخفض نسبةالهيموجلوبين تحت ٥٠٪ .

والمرض وراثي ينتقل من الآباء الى الأبناء وليس له فى الوقت الحاضر علاج . والوقاية منه خير سبيل ، وذلك بأن نمنع زواج المصابين به .

■■

أوليا جلبي

ابن بطوطة الترك



رحلة كبرى، اتسمت بدقة منقطعة النظير، زار بها صاحبها بلاد الفرس، والقوقاز والعراق، وسوريا، والحجاز، ومصر، وعدداً كبيراً من بلاد أوروبا حتى السويد.

واستغرقت ٤٠ عاماً، وتركت للتاريخ سجلاً حافلاً.

بقلم : محمد اديب غالب

■ اذا كان الرحالة العربي العالمي ابن بطوطة المغربي قد خلف لنا تراثا خالدا في اسفاره التي كانت تطالع بالمدارس الثانوية الى عهد قريب :

فان « ابن بطوطة التركي » اوليا جلبي(١) قد وفاه حقه المستشرق بارتولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) يوم كتب عنه يقول : « ومن الآثار ذات الاصالة التي دونت باللغة التركية وصف رحلة اوليا جلبي الذي يفوق كثيرا آثار الجغرافية العربية الكلاسيكية فى غزارة مادته الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية على الرغم من انه قد اعمل فيه خياله بصورة كبيرة »(٢) .

ثم كرر بارتولد هذا الحكم على اوليا جلبي بايجاز في كتابه « الحضارة الاسلامية » فقال : « ان اوليا جلبي يفوق من حيث وفرة المادة وغزارة المعلومات مصنفات خيرة الجغرافيين العرب على الرغم من جنوحه الواضح الى الخيال »(٣) .

وجاء بعد ذلك المستشرق كراتشكوفسكي (١٨٨٣ ـ ١٩٥١) ليؤكد قول بارتولد قائلا : « اما من حيث ثقافته الجغرافية فقد كان بلا شك اكثر قراءة واطلاعا من ابن بطوطة ولجا اكثر منه الى استعمال المصادر الادبية »(٤) .

اسمه ولقبه

هو اوليا جلبي بن درويش بن محمد من مواليد

---

(١) جلبي : تلفظ بين الجيم والشين وهي اقرب الى لفظ الشين . وهي كلمة تركية معناها : لطيف او مهذب ، وفي اصطلاح اهل العراق السيد . والعامة في الديار الشامية تقول : « فلان شلبي » بمعنى لطيف المعشر ، او انيق المظهر .

(٢) Bartold, Iet.Izuch. Vostoka 2, P. 114 .

(٣) Bartold, Kult, Mus. P. 140 .

(٤) تاريخ الادب الجغرافي العربي .

اسلامبول « القسطنطينية »(٥) ومن اصل تركي والذى راق للكثير من المؤلفين الترك وغيرهم ان يلقبوه بـ « ابن بطوطة التركى » حيث برز الى حد كبير في محيط الجغرافيا والرحلات الكبرى ، مما جعله ان يحمل لقبا آخر باسم « سياح‌عالم » وما زالت الدوائر العلمية في تركيا تطلقه عليه الى يومنا هذا .

كان‌جده محمد حاملا للواء السلطان‌محمد الثاني الفاتح واشترك في فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ . اما والده درويش فقد كان جواهرى « قويومجي باش » البلاط السلطاني وكان في معية السلطان سليمان القانوني في بعض حملاته العسكرية . كما ان والدة « ابن بطوطة التركى » كانت‌اختا للصدر الاعظم . ولقد عرف عن اسرته انها عاشت اعمارا طويلة اذ بلغ جده من العمر العقد الرابع بعد المئة ، كما ان والده مات عن مئة وسبعة عشر عاما .

مولده ونشاته

اما رحالتنا فقد ولد عام ١٠٢٠ هـ ـ ١٦١١ من اصل رفيع ، لكنه لم يشا ان يلتحق بالجيش ولا بالبلاط الذى كان قريبا منه طول حياته . ولقد ظهرت لديه منذ البداية بعض الميول العلمية نحو الدراسات القرآنية . ففى عام ١٠٤٥ هـ ـ ١٦٣٦ نلتقي به ، حافظا للقرآن الكريم بمسجد ايا صوفيا ، وهناك نجد السلطان مراد يجلبه الاهتمام بالحافظ فيضمه الى حاشيته ومرافقته دون ان يعين له عملا رسميا في البلاط .

لم نـراه يلتحق بالجيش النظامي بمرتبة « سباهى » ولم يكن له حظ الترقية في سلك الرتب الوظيفية ، وقد يرجع ذلك الى اتجاهاته كرحالة ، وصوفي ، ومجاهد في‌سبيل الحملات التي كانت تدور يومئذ بين الشرق والغرب على ارض اوروبا الشرقية والوسطى .

عصر الرحالة

لو دققنا النظر في العصر الذى عاشه الرحالة بالذات ، لوجدنا ان العثمانيين الاتراك في ذلك الحين ، كانوا يمثلون مجرى القوة والاندفاع الحضارى الاسلامى بكل ظواهره وتجاربه . ولقد استطاع هذا الاندفاع البشرى العثماني ، ان‌يتحرر اولا من الجهالة القَبَلية التى لم تكن تعرف في جانكيزيتها وتيموريتها ، الا القتل والخراب والتدمير . فاذا بها بين ليلة وضحاها ترتقى الى القمة الاسلامية السامقة ، في‌المعتقدات‌التوحيدية ، والموازين والقيم الاخلاقية ، فتتحرر الامة التركية بفضل الاسلام من عبودية العبيد للعبيد ، وترفع في آسيا الصغرى صيحة التوحيد مجلجلة صافية عالية « الله اكبر الله اكبر » .

من تلك الحقيقة التاريخية التى هذه بعض ملامحها ، يوم ظلت الامبراطورية العثمانية الاسلامية طوال القرنين السادس والسابع عشر(٦) دولة من اعظم دول الغرب واقواها ، ان لم نقل اعظمها واقواها على الاطلاق . وكانت ادارتها الحكومية منتظمة تنظيما محكما تهدف الى الخير العام وتوفيره للرعية . وكانت تثق بولاء شعبها واخلاصه لها ، ذلك الشعب الذى يعتبر الطاعة والنظام من ارفع الفضائل الذى ينالها المرء في حياته . اما جيشها النظامي فقد كان احسن الجيوش تدريبا ، وكانت مدفعيتها احسن مدفعية تملكها اية دولة وكان اسطولها يسيطر على البحر الابيض المتوسط كله .

الرحلة الكبرى

من تلك الملامح الاسلامية اتسمت رحلة اوليا جلبى بدقة منقطعة النظير . والتى استغرقت اربعين عاما . نجد رحالتنا يجوب الآفاق تارة في لباس امام او مؤذن ، او قارىء (حافظ) للقرآن

---

(٥) ان اليونانيين المحدثين سموا عاصمتهم باسم مشوه الاصل « استانبول » اما الاتراك فقد غيروا الاسم الى اسلامبول اى ، « مستودع الاسلام » Mazas, Alexandre, Les Hommes Illustres De L'Orienr Vol. 11. P. 383 (Paris 1847)

(٦) في المعاهدة المعقودة بين السلطان محمود الثالث وبين هنرى الرابع ملك فرنسا سنة ١٥٩٧ ، تبدا المعاهدة هكذا : « انا السلطان الذى بفضل نعم الله وآلائه التى لا تحصى ، وبفضل قوة الخالق العظيم وبفضل معجزات نبيه الاعظم ، امبراطور الاباطرة الظافرين ، موزع التيجان على اعظم ملوك الارض ، خادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وحاكم القدس الشريف وحاميها . الخ » France, Ministers Des Affairs EtranGeres - Turquit, Vol. I (1494 - 1644)

الكريم . ومرة نجده كاتبا للسر فى معيته شخصيات من كبار رجالات الدولة ، وطورا مبعوثا خاصا لهؤلاء الى العاصمة . وقد ساقته اسفاره الطويلة السنين ، الى بلاد الفرس والقوقاز والعراق وسوريا والحجاز ومصر وجنوبى روسيا والافلاق والبوسنة والنمسا والمجر ، والى اعماق البلاد الالمانية ، والسويد وبولندا ، وآخر تاريخ فى وصف اسفاره هو عام ١٠٨٩ هـ ـ ١٦٧٨ ولهذا يفترض انه قد توفى عقب ذلك فى عام ١٠٩٠ هـ ـ ١٦٧٩ ولم يكتب له الحظ من العمر الطويل ، كما كتب لاسلافه من الآباء والاجداد القريبين منه .

اسلامبول وضواحيها

قام رحالتنا « ابن بطوطة التركى » باسفاره التى بدأت منذ عام ١٠٤١ هـ ـ ١٦٣١ عندما اخذ يتجول حول المواضع التى تحيط باسلامبول وموانعها . وقد كرس فيما بعد من وصفه لتلك المواقع من الجزء الاول من مؤلفه الضخم الذى يقع فى عشرة اجزاء ، والتى انتظمت فى شكل يوميات ، وبوصف مسهب لاطول رحلة بلغت فى ضخامتها واسلوبها القصصي السنين الطويلة .

بروسه وازمير

ونستطيع ان نتتبع طريق رحلته فى الجزء الثانى الذى يتناول فيه الكلام بالتاريخ المفصل عن بروسه (١٠٥٠ ـ ١٦٤٠) وازميد (نيقوميدية) ورحلته الى باطوم ، وطرابزون وبلاد الابازة(٧) Abkhazia ، (١٠٥٠ هـ ـ ١٠٥٤ هـ = ١٦٤٠ ـ ١٦٤٤) والحملة على كريت (١٠٥٥ هـ ـ ١٦٤٥) ، ورحلته الى ارضروم واذربيجان ، وكرجستان Georoia واماكن اخرى (١٠٥٦ هـ ـ ١٠٥٨ هـ = ١٦٤٦ ـ ١٦٤٨) .

سوريا وفلسطين

يصف رحلته فى الجزء الثالث الى سوريا وفلسطين وارمية وسيواس وكردستان وارمينيا (١٠٥٨ هـ ـ ١٠٦٠ هـ = ١٦٤٨ ـ ١٦٥٠) والروملى ، خاصة منطقتى بلغاريا ودبروجه (١٠٦١ هـ ـ ١٠٦٢ هـ = ١٦٥١ ـ ١٦٥٢) وفى عام (١٠٥٩ هـ ـ ١٦٤٩) ادى « ابن بطوطة التركى » فريضة الحج ولكنه ارجأ وصفها الى الجزء التاسع من مصنفه .

العراق وايران

وفى الجزء الرابع يصف لنا مدن وان وتبريز وبغداد والبصرة (١٠٦٥ هـ ـ ١٠٦٦ هـ = ١٦٥٥ ـ ١٦٥٦) .

فى الحملات والبعثات

يحتوى الجزء الخامس خاتمة وصف رحلته السابقة من والى البصرة ، ووصف رحلته الى وتشاكوف Ochakov (قرهمان) والحملة العثمانية ضد راكوتشي Rakoczi ، والغارة على روسيا وذلك عام ١٠٦٦ هـ ـ ١٠٦٨ هـ ١٦٥٦ ـ ١٦٥٨) ثم الحملة على العصاة بالاناضول ورجوعه من بروسة عن طريق الدردنيل الى ادرنة (١٠٦٩ ـ ١٠٧٠ هـ = ١٦٥٩) . ويلى هذا وصفه للسفارة الى البغدان Moldavia، والحملة على ترانسلفانيا والبعثة الى البوسنة والحملة على دلماسيا ثم رجوعه الى صوفيا (١٠٧٠ هـ ـ ١٠٧١ هـ = ١٦٦٠) .

محاصرة ايوار

ويحتوى الجزء السادس وصفا لانشغال الرحالة فى الحملة على ترانسلفانيا والبعثة الى البانيا ورجوعه الى اسلامبول (١٠٧١ هـ ـ ١٠٧٢ هـ = ١٦٦١ ـ ١٦٦٢). والحملة ضد المجر ومحاصرة ايوار ورحلته فى النمسا والمانيا وهولندا حتى بلوغه بحر الشمال . كما ان هذا الجزء يحتوى على صور حية ، وتفاصيل مغربة غريبة عن جيوش التتار البالغ عددها (٤٠٠٠٠) جندى ، وعن استيلاء العثمانيين مع هذا الجيش القوى على مدينة ايوار وبعض قلاع المجر الاخرى، وتمضيتهم الشتاء بقشلاق بلغراد (١٠٧٣ هـ ـ ١٠٧٤ هـ = ١٦٦٣ ـ ١٦٦٤) . ثم البعثة الى بلاد الهرسك ، والحملة على الجبل الاسود وكانجة Kaniza بالمجر وكرواتيا .

القوقاز ودنكرك

وقد خصص الرحالة الجزء السابع لوصف النمسا والمجر والبغدان والافلاق والقريم

---

(٧) الابازا Abaza قبيلة تنتسب الى الابقازيا Abkhazia (الجزء المركزى للقفقاس) واكثر احفادهم قد هاجروا الى سوريا (حمص ، القنيطرة ، دمشق ، منبج) والى الاردن (عمان ، الزرقاء).

والداغستان وغيرها من نواحي القوقاز(٨) ودشت قبجاق واستراخان والطريق الى ازاق Azov ويضم هذا الجزء وصفا لفيينا واوربا الوسطى حيث بلغ الرحالة مدينة دنكرك وعلى ما يبدو ان « ابن بطوطة التركي » كان ضمن حاشية السفير قره محمد باشا عام ١٠٧٥ هـ ــ ١٦٦٤ والتي كانت تضم مئة وخمسين شخصا . ثم لم يلبث الرحالة ان اتم تجواله منفردا بروح من الشجاعة النادرة، ولم يرجع الى اسلامبول الا بعد ثلاثة اعوام ونصف ، وذلك في سنة (١٠٧٠ هـ ــ ١٦٦٨) مجتازا في طريقه بلاد السويد وبولندا وروسيا والقريم .

كريت وسلانيك

ويصف في الجزء الثامن القريم ابتداء من ازاق ثم كريت وسلانيك والروملي بما في ذلك ادرنة ، كما انه يصف في هذا الجزء اشتراكه مجاهدا في حملة ضد كريت ثم في الحملة ضد الينا . Lemainotes.

في الحج

وفي الجزء التاسع افرد الرحالة وصفا شيقا لحجه في ١٠٥٩ هـ ــ ١٦٤٩) منذ بدايتها من اسلامبول فالاناضول وسوريا والحجاز .

في مصر والسودان

وفي الجزء العاشر الاخير يحتوى وصفا لمصر مع استطرادات تاريخية مفصلة ، ثم الكلام على السودان والحبشة .

كتاب الرحلة

يقول موردتمان (١٨٥٢ ــ ١٩٣٢) عن كتاب الرحالة اوليا جلبي « تاريخ سياح » او « سياحتنامه » والذى يعد من خيرة المستشرقين العارفين لتاريخ تركيا : « يجب الاعتراف بان كتاب الرحالة التركي ذخيرة لا تنفذ في جميع ما يمس الحياة الاجتماعية والادب الشعبي والجغرافيا وانه يعرض كل هذا في كتابه باسلوب يمتاز بالبساطة والحيوية معا » .

كما ان تتشنر يقول : ان كتاب ، «سياحتنامة» يعد من اهم الوثائق التي تصف العصر الذى عاش فيه الرحالة اوليا جلبي ، فهو مصدر تاريخي في المكانة الاولى بالنسبة لتلك الفترة ويقدم لنا في ذات الوقت وصفا للبلاد والشعوب التي راها لا يدانيه فيه احد ، وهو معين لا ينضب في تفاصيله التي تمس جميع مظاهر الحضارة البشرية » .

الرحالة الصوفي

وقبل ان ننهي بحثنا عن اوليا جلبي يجب ان لا ننسى ان اسمه وحياته وليد المدرسة الصوفية التركية فمصنفه الفذ الفخم بالمعارف ، يتضمن الى جانب الاحصائيات والمداخل التاريخية والاوصاف الجغرافية والملاحظات الشخصية الدقيقة التي يتميز بها بدرجة عالية من حب الاستطلاع ، يتضمن الكثير من الحكايات التي تتصل بكرامات الاولياء والصالحين . وهو يبرز بمعطيات البراءة والقداسة الاسلامية يوم كان رئيس الدراويش المولوى ، ويسمى « جلبي افندى » ، يقوم بمراسيم تنصيب سلطان عرش الامبراطورية العثمانية والتي كانت تقام في مسجد الصحابي ابو ايوب الانصاري والقائم عند طرف القرن الذهبي خارج اسوار اسلامبول .

الخاتمة

من كل ما تقدم تتبين ان « ابن بطوطة المشرقي » اوليا جلبي (١٠٢٠ ــ ١٠٩٠ هـ الموافق ١٦١١ ــ ١٦٧٩) لم يكن ذلك الرحالة التركي الاسلامي فحسب ، بل كان في ذات الوقت صوفيا مجاهدا عالما يقف في المستوى القريب من الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة . ولقد حظيت رحلته « تاريخ سياح » في الاوساط العلمية المعاصرة ، كحدث هام قائم بذاته ، وذلك لانها كانت تمثل اهمية خاصة وقد تم تحليل ما وصفه الرحالة بدقة توجت بالابحاث والشهادات العديدة المركزة ، التي قام بها المستشرقون نحو مصنفه الطريف في كل جانب من جوانبه الوصفية .والعلمية المختارة . ■■

محمد اديب غالب

طرابلس / لبنان

---

(٨) البلاد الداغستانية تشمل المناطق الشرقية لقفقاسيا جمعاء . وهي بلاد حصينة بطبيعتها حصينة بقوة اهلها وغيرتهم الوطنية ، واليهم يرجع الفضل في قهر وعرقلة سير الغزاة الفاتحين . وقد كافحوا او حافظوا على استقلالهم وبقائهم بشجاعة وبسالة لا مزيد عليها ، ونالوا بذلك افخر الشرف .



أنت تسأل .. ونحن نجيب

اسقاط الجنسية وسحبها

● كثيرا ما نسمع أن دولة اسقطت الجنسية من أحد رعاياها أو سحبتها من آخر . فما معنى هذا الاسقاط والسحب ؟

محمد محمود عبد الله
الموصل / العراق

ـ لتوضيح معنى اسقاط الجنسية عن الفرد او سحبها ، لا بد لنا ان نعرف اولا ان الدولة هي التى تملك اعطاء الجنسية ، ولا يحق لأى دولة ان تتدخل لدى دولة اخرى في مسائل الجنسية ، فهذه المسائل تدخل فى النطاق الخاص للدولة .

ومن الواضح ان كل دولة تتمتع بحرية كاملة في تشريعها لجنسيتها اكسابا وتجريدا .

والدولة تجرد الشخص من جنسية سبق ان منحتها اياه ، وذلك بالسحب .

ولكن الدول لم تقتصر على هذا النوع من التجريد ، بل عمدت الى توسيع هذا الاجراء ليشمل الوطني الاصيل ايضا ، ويسمى هذا النوع من التجريد بالاسقاط .

والخلاصة ، انه بينما السحب اجراء تلجا اليه الدولة لتجريد المتجنس من جنسيتها ، نجد ان الاسقاط اجراء تتخذه الدولة لتجريد الوطنى الاصيل من جنسيتها .

ويحمل تجريد الفرد من جنسيته ، سواء بالسحب او الاسقاط ، دائما معنى الجزاء ،

اسطورة اوزيريس لها في التاريخ اصول

● ايزيس واوزيريس اسمان نسمعهما في التاريخ المصرى القديم هل كانوا فراعنة في مصر ، ام كانوا آلهة ام غير ذلك ؟

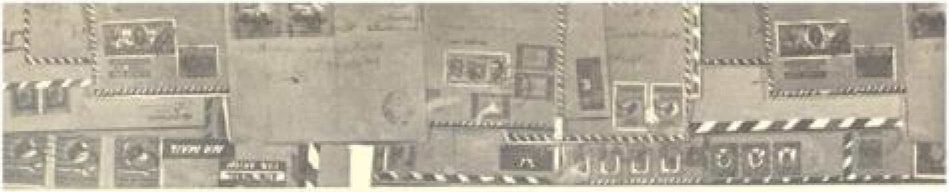
مجدى وهبه ـ تونس

ـ اسطورة اوزيريس اسطورة فرعونية قديمة كتبت حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م . وهي كأغلب الاساطير المصرية القديمة لها علاقةوثيقة بالمعتقدات الدينية وبعبادة الشمس وتقديس نهر النيل .

وتقول الاسطورة ان اوزيريس هو ابن اله الارض الذى ينحدر من سلالة اله الشمس رع . وقد اصبح اوزيريس ملكا على مصر وعلم شعبها كيف يزرع وكيف يصنع الخبز والنبيذ . وتزوج اوزيريس من اخته ايزيس وتعاونا سويا لنشر الحضارة في البلاد .

وكان اوزيريس محبوبا لدى شعبه واثار هذا الحب حقد اخيه « ست » الذى اخذ يفكر في التخلص من اخيه والاستيلاء على عرشه .

واستطاع « ست » ان يدبر حيلة لكي يتخلص من اوزيريس حيث اقنعه بان ينام داخل نعش قام باغلاقه عليه والقائه في النيل .. وحمل التيار النعش المقفل والقى به في مكان يسمى بيبلوس على شاطىء سوريا . وهرعت ايزيس للبحث عن جثمان زوجها واخيرا عثرت عليه واحضرته الى مصر .. ولكن « ست » قام بتقطيع جثمان اوزيريس قطعا صغيرة ونثرها في طول البلاد وعرضها .. وقامت ايزيس بالبحث عن اجزاء زوجها المقتول ولاقت الاهوال في سبيل جمعها واحدة بعد الاخرى .. وبعد طول عناء استطاعت



كعقوبة لبعض الجرائم ، تلك التي يمكن رد اسبابها الى عدم ولاء الشخص للدولة ، او عدم صلاحية الفرد لأن يكون عضوا في مجتمع الدولة .

وقد وجه الى نظام التجريد بالاسقاط نقد شديد ، وذلك بسبب ما يؤدى اليه هذا النظام من انعدام للجنسية بالنسبة للوطنيين الاصلاء ، في الوقت الذى تستطيع فيه الدولة ان تستعيض عن هذه العقوبة بعقوبة او جزاءات اخرى ، قد تكون اكثر ردعا بالنسبة للوطني الاصيل الذى يظهر بمظهر عدم الولاء ، كمصادرة امواله او حرمانه من بعض الحقوق الهامة ، وبهذا تظل الدولة محتفظة بقدرتها على احكام رقابتها على من تشك في ولائه من رعاياها .

اما اجراء التجريد بسحب الجنسية من المتجنس ، فهو اكثر استساغة ، لأنه اجراء توقعه الدولة عندما تتبين عدم ولاء هذا الاجنبي المتجنس بجنسيتها ، او عدم صلاحيته لأن يبقى عضوا في مجتمعها بسبب خطورته على كيان الدولة ، ففي هذه الحالة تجد الدولة مبررا كافيا للرجوع في هذا التجنس الذى كانت منحته .

والفرد الذى تجرده الدولة من جنسيتها عن طريق الاسقاط او السحب لا يستطيع استردادها، اللهم الا اذا رات الدولة ان مبررات هذا التجريد قد زالت ، فترد اليه جنسيته ، وفي هذا تملك الدولة سلطة تقديرية .

اما من فقد جنسيته بالتغيير ، اى بمحض ارادته ، عن طريق اكتساب جنسية اخرى ، فانه يستطيع استرداد جنسيته الاصلية ، اما بقوة القانون ، واما بتوافر شروط معينة .

(ع . ي)

هذه الزوجة الوفية ان تجمع كل اجزاء جسد اوزيريس . ثم قامت بمعونة بعض الالهة وبسحرها باعادة اوزيريس الى الحياة الابدية ، واصبح اوزيريس الها بعد بعثه وعاد مرة اخرى الى الارض حيث قام بتعليم ابنه « حورس » ومساندته ضد عمه « ست » واستطاع حورس في النهاية التغلب على عمه والاستيلاء على عرش ابيه .

ويقول المؤرخون ان هذه الاسطورة تمثل بعض الاحداث التاريخية في مصر الفرعونية .. فالصراع بين اوزيريس وست يشبه الى حد كبير الصراع الذى كان قائما بين حكام مصر العليا ومصر السفلى . وموت اوزيريس ثم عودته الى الحياة يرمز ايضا الى جفاف النيل وفيضانه .

(م . ط)



مدن السودان ومصر ومواقعها من شواطىء النيل

● لاحظت في خريطة الوطن العربي التي وزعتها مجلة العربي هدية مع عددها السنوي الخاص ان اغلب مدن الجمهورية العربية والسودان تقع على الضفة الشرقية للنيل فهل هناك سبب لهذا . وما هو ؟!

سليم عبد الله ـ الكويت

ـ لهذه الظاهرة التي لاحظتها اسباب تاريخية وعوامل جغرافية واقتصادية ولعل الاسباب التاريخية اهم بكثير من العوامل الجغرافية .

واهم الاسباب التاريخية هو ان قدماء المصريين كانوا يعيشون مع الشمس بل وعبدوها في فترة من فترات تاريخهم القديم . والملاحظ ان مدنهم كانت دائما تقع شرق النيل في حين مقابرهم ومعابدهم الجنائزية كانت كلها في غرب النيل . لانهم كانوا يعتقدون ان الشمس وهي رمز الحياة في شروقها ترمز للموت في غروبها ، ولذلك كان الفراعنة يدفنون موتاهم في الغرب بينما يعيشون ويقيمون مدنهم في الشرق وينقلون موتاهم في مواكب جنائزية عبر النهر ، والدليل على ذلك هو ان اغلب الآثار الفرعونية القديمة مثل الاهرامات ومعابد الكرنك ودندرة وحتشبسوت ، وهي مقابر كلها ، تقع على الضفة الغربية للنيل . وكان لهذا الاعتقاد تأثيره الذى امتد عبر آلاف السنين .. ونشأت اجيال وراء اجيال لتجد ان العمران دائما في شرق النيل .. فسارت على ما سار عليه الآباء والاجداد حتى بعد ان زالت معتقدات هؤلاء الاجداد وحلت محلها معتقدات وعادات جديدة .

اما العوامل الجغرافية والاقتصادية فهي تتلخص

بين العملة من ذهب والعملة من ورق

● وقع في يدي منذ ايام جنيه من ذهب ،احمر اللون ، قيل لي انه الجنيه الانجليزي(الاسترليني) وقد تأملته بدقة وشوق . فهو اول عملة ذهبية وقعت عليها عيني ،وأسفت كل الاسف لاستبدالهم الجنيه الورق بها . وتساءلت : متى يا ترى حدث هذا الإستبدال .. وما كان الدافع عليه .. فهل عندكم على سؤالي من جواب ؟

عادل سماره ـ سوريا

ـ لعلك تظن ان النقود الورقية قديمة ، وان تداولها يعود بنا الى ايام الثورة الصناعية ، او حتى قبل ذلك... والحقيقة هي ان النقودالورقية لم يكن لها وجود البتة في تلك العهود ، وانما وضعت موضع التداول في اكثر دول العالم في اوائل القرن العشرين .

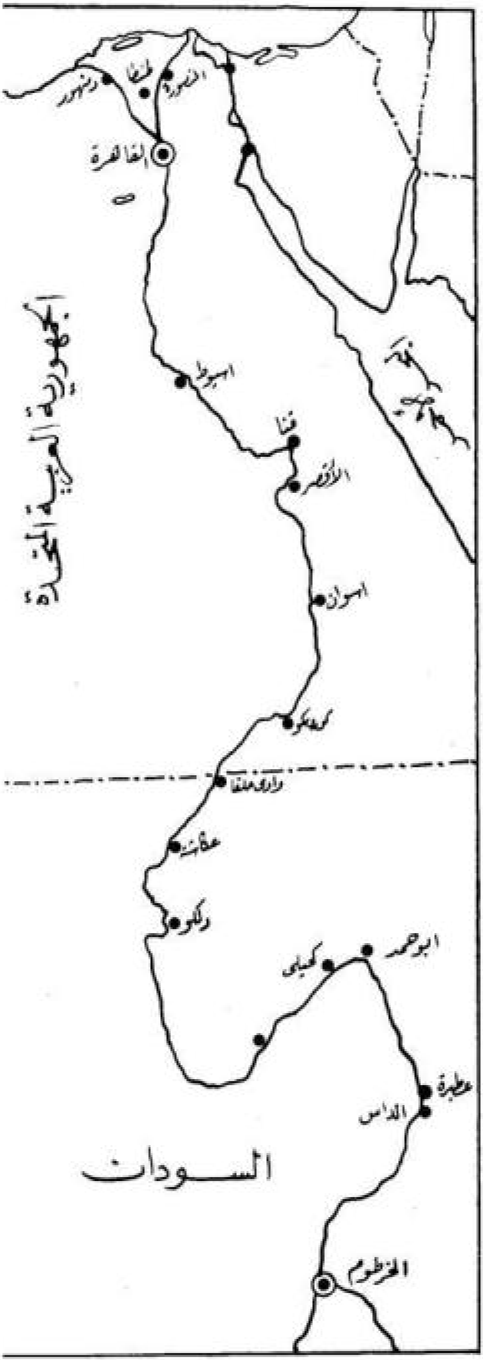
وكانت بريطانيا هي الرائدة بين دول اوربا في هذا الصدد ، وقد كانت صاحبة الامبراطورية الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس . وقد ظهرت النقود الورقية فيها لاول مرة سنة ١٩١٤ اى في مستهل الحرب العالمية الاولى . وعمدت حكومة لندن في تلك الاثناء الى سحب العملة الذهبية من اسواقها ، ومن سائر الاسواق الاخرى التي خضعت لنفوذها من قريب او بعيد . ولا يخفى ان بريطانيا وجدت في تلك المبالغ الطائلة ، بل الكنوز ، عونا كبيرا لها على خوض غمار الحرب .

على ان اقدام بريطانيا وغيرها من دول اوروبا على اصدار العملية الورقية لا يعني انها الغت عملتها الذهبية . فقد بقيت هذه العملة موجودة الى جانب العملة الورقية حتى سنة ١٩٣١ ، حين صدرت القوانين التي اوقفت التعامل بالنقود الذهبية بصورة نهائية . والاهم من ذلك هو ان

في وجود نهر النيل نفسه كفاصل طبيعي بين الشرق والغرب وفي وعورة الناحية الغربية للنيل وعدم وجود الامكانيات الاقتصادية لربط الضفتين بعدد كاف من الكبارى ينقل العمران القديم على الضفة الشرقية الى الضفة الغربية . واذا نظرنا الى السودان مثلا فاننا لا نجد كوبريا واحدا على النيل شمال الخرطوم حتى حلفا وفي الجمهورية العربية ايضا فان عدد الكبارى الموجود على النيل لا يتيح تعمير الضفة الغربية للنيل .

ولعل في المشروعات الجديدة التى تدرس الآن في كل من السودان ومصر ما يؤدى الى تعمير الضفة الغربية للنيل .

(م . ط)



خريطة تبين أن اغلب المدن في الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان تقع على الضفة الشرقية للنيل .

تلك القوانين الفتمها يعرف بقاعدة الذهب Gold Standard واستبدلت بها ما يمكن تسميته بقاعدة بدائل الذهب Gold Exchange Standard وتشترط القاعدة الاولى الاعتماد على الذهب نفسه غطاء للنقود الورقية بينما تسمح القاعدة الثانية بالاعتماد على عملات اخرى بدلا من الذهب كالدولار مثلا ، تكون هي تعتمد على الذهب .

والغطاء ضرورى ، كما لا يخفى ، لكل النقود الورقية . اذ ان قيمة هذه النقود ليست في ذاتها وانما في غطائها .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى ان فكرة تداول النقود الورقية كانت من ابتداع الولايات المتحدة الامريكية وقد سبقت بريطانيا في اصدار العملة الورقية بنحو نصف قرن . اذ كان ذلك ابان حربها الاهلية (١٨٦١ ــ ١٨٦٥) .

(ى . ز)

الموسوعة البريطانية أهي بريطانية حقا ؟

● اختصمت انا وصديق على الموسوعة البريطانية التي كان من حظي شراؤها حديثا .. قال صاحبي انها امريكية .. وقلت انها بريطانية ، بدليل اسمها .. فأينا على حق ؟

ـ حقا ان الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britanica ليست بريطانية في الوقت الحاضر . فهي امريكية ومقرها الرئيسي في مدينة شيكاجو ، بالقرب من جامعة شيكاغو الشهيرة ، التي تمتلك نحو ١٦٪ من اسهم الموسوعة الرئيسية .

على ان العلاقة بين هاتين المؤسستين لا تقتصر على النواحي المالية . فجامعة شيكاجو تتعاون ومحررى الموسوعة الى حد كبير . فهي تضع في متناول هؤلاء المحررين ، الذين لا يقل عددهم عن المائة ، حصيلة خبراتها وثمرة بحوثها ، فضلا عن المراجع والمخطوطات والكتب القيمة التي تزخر بها مكتباتها . ولعل لجامعة شيكاجو الفضل الاكبر ، كما يقول البعض ، في ان الموسوعة البريطانية تحتل مكان الصدارة بين شتى الموسوعات في العالم .

فالموسوعة البريطانية تبيع في مختلف بلاد العالم ما بين ١٥٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ نسخة في السنة الواحدة ، والنسخة الواحدة تتألف من عدة مجلدات (٢٤ مجلدا على وجه التحديد) ويبلغ عدد صفحات المجلد الواحد من هذه المجلدات نحو الف صفحة من الحجم الكبير . ويقدرون مجموع عدد الكلمات التي كتبت بها مواضيع الموسوعة البريطانية اجمالا بنحو ٤٠ مليون كلمة .

وقد لا يخفى ان لهذه الموسوعة ميزات اخرى اهم واخطر من كبر حجمها . فهي تتصف بسعة النطاق بحيث لا يكاد يخطر ببالك موضوع الا وتجد في الموسوعة البريطانية ذكرا له مفصلا كان ام موجزا . وهي تتصف ايضا بالوثوق ، بحيث يمكنك الاعتماد على ما تجده فيها من معلومات وآراء .

غير ان الموسوعة البريطانية ليست في منأى عن المآخذ . وقد تجمع عدد من هذه في كتاب ظهر في نيويورك قبل بضع سنوات بعنوان « اسطورة الموسوعة البريطانية » بقلم الدكتور هارفي اينبايندر .

وتجدر الاشارة الى ان اكثر المآخذ التي اخذها النقاد ، كالدكتور هارفي وغيره ، على الموسوعة البريطانية ، انما تدور حول مقالاتها العلمية ، وتنتقد ما تتعرض له هذه المقالات من قدم ، على مر السنين . فالعلوم في تقدم سريع ، ومكتشفاتها ومخترعاتها في تلاحق سريع ايضا ولا مفر للمسئولين عن الموسوعة البريطانية من تنقيح مقالاتها العلمية بالسرعة التي يقتضيها هذا التلاحق وذاك التقدم .

ولا عجب اذن ان كانت اسرة تحرير الموسوعة البريطانية ماضية في اعداد نسخة جديدة منها ، منقحة ومعدلة ، وفق ما تقتضيه آخر التطورات . وستصدر هذه النسخة الجديدة في اواسط السبعينيات ، كما يؤكد بعض المطلعين . ذلك ان المسئولين عن الموسوعة يتكتمون كثيرا في هذا الصدد وذلك بالنظر الى ما يخشونه من كساد في مبيعاتهم الحالية ، اذا هم اذاعوا خبر النسخة المنقحة المرتقبة .

ولا يفوتنا ان نذكر بعد هذا ان الموسوعة البريطانية يزيد عمرها على قرنين . فقد اسسها رجلان اسكتلنديان في ادنبرة عام ١٧٦٨ . ولم تلبث ان انتقلت الى لندن ، حيث بقيت الى سنة ١٩٠١ ، حينما انتقلت الى امريكا . وهكذا اصبحت الموسوعة البريطانية اصلا امريكية مقرا ومالا وقلما وصناعة . ■■

(ي ز)

أمراض شائعة

الحمل ومرض السكر

بقلم: الدكتور سامي عمران

■ ان من الخطأ الجسيم الظن بأن اكتشاف المواد السكرية في البول اثناء الحمل يؤكد الاصابة بمرض البول السكرى المعروف Diabetes Mellitus .

والواقع انه في حوالى ٩٠٪ من حالات الحمل الطبيعي يكتشف السكر في البول ولا شيء غير هذا من مرض السكر في وقت أو آخر من شهور الحمل التسعة .

ولما كان مرض السكر قد يؤدى الى العقم فان نسبة الاصابة به بين النساء القابلات للحمل هي كنسبة واحد في الالف ، كما ان ٥٪ فقط من مريضات السكر يستطعن الحمل والانجاب .

انواع السكر

المواد السكرية المكتشفة اثناء التحليل الروتيني للبول في الحمل على نوعين :

١ ـ سكر لبن Lactose ،

وهذا النوع من السكر يظهر في البول في اسابيع الحمل الاخيرة وفي ايام الرضاع الاولى واحيانا اثناء الولادة وليست له اية دلالة مرضية بل يدل على ازدياد في نشاط غدد الثدى .

٢ ـ سكر جلوكوز

ويدل ظهور هذا النوع في بول الحامل على واحد من احتمالات ثلاث :

* الاحتمال الاول : يتعلق بالجهاز الهضمي ويسمى « سكر الجهاز الهضمي » Alimentary Glycosuia ومن المعروف فسيولوجيا ان الشخص الطبيعي في امكانه ان يتناول من الجلوكوز ما مقداره ٤٠٠ جم من غير ان يصحب ذلك اى زيادة في نسبة السكر في الدم (١١٠ ـ ١٣٠ مجم / ١٠٠ سم٣ دم) .

اما اثناء الحمل فان الجلوكوز يمتص من الجهاز الهضمي باسرع مما يختزن الزائد في الكبد والعضلات ونتيجة لذلك ترتفع نسبته في الدم عن الحد الطبيعي . هذه الحالة طبيعية وكثيرة الشيوع في الشهور الاولى من الحمل وربما كان لازدياد نشاط بعض الغدد الصماء : كالغدة الدرقية والكظرية وفوق الكلوية علاقة بذلك .

* الاحتمال الثاني : ويتعلق بالكلية ويسمى « بالسكر الكلوى » Renal Glycosuria وسببه هبوط في المعدل الكلوى للجلوكوز Renal Threshold الذى يكون في الاحوال العادية ١٨٠ مجم جلوكوز / ١٠٠ سم ٣ دم ، اما في الحمل فقد لوحظ انه في حوالي ٤٥٪ ، من حالات الحمل الطبيعي يهبط هذا المعدل الى ١٤٠ مجم٪ ، ونتيجة لذلك يتسرب الجلوكوز الى البول اذا تجاوزت نسبته في الدم هذا المعدل .

* اما الاحتمال الثالث والاخير : فهو ان تكون الحامل مصابة فعلا بمرض البول السكرى .

من هذا نرى انه بالرغم من ان المواد السكرية شائعة الظهور في اغلب حالات الحمل الطبيعي ، الا ان مرض البول السكرى المعروف لا يشكل الا جزءا ضئيلا منها .

الصور الاكلينكية للسكرى اثناء الحمل

١ ـ في هذه الفئة يكون السن كبيرا نوعا : الحامل بين الخامسةوالثلاثين والخامسة والاربعين من العمر ، تميل المريضة الى البدانة ويزيد وزنها عن المعتاد . وبالرغم من ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم الا ان هرمون الانسيولين موجود في البلازما ، ولا تعانى المريضة من اى نقص فيه . مثل هذه النوع غير منتشر لقلة الحمل في هذه السن المتاخرة نسبيا .

٢ ـ اما الفئة الثانية فنصادفها بين حديثات السن من الحوامل ويتميز هذا النوع بنزول مستمر في وزن الجسم وبانعدام هرمون الانسولين تماما من الدم وبارتفاع مستوى الجلوكوز فيه ارتفاعا كبيرا *Hyperglycaemia* ، ومثل هذه المريضة يلزمها الانسولين لكى تعيش . ومعظم حالات مرض السكر التى نصادفها اثناء الحمل تنتمي لهذا النوع .

تشخيص مرض السكر اثناء الحمل

ظهور اعراض السكر المعروفة ، كازدياد مرات التبول ، والشعور الدائم بالعطش ، والحكة الجلدية وخاصة الحكة المهبلية ، ونقص وزن الجسم المستمر .

مخبريا : باكتشاف الجلوكوز او الاسيتون في البول او بواسطة منحنى السكر في الدم الذى يتخذ شكلا مميزا لمرض البول السكرى .

اثر الحمل فى مرض السكر

ـ تزداد اعراض المرض ، اذا اصيبت المراة بمرض السكر قبل الحمل ، كان يزداد التبول والعطش وفقدان الوزن .

ـ يكون هناك ميل خاص لتكوين المواد السامة اثناء الحمل مثل الكيتون Ketosis التى تكون بمثابة جرس خطر يدق منذرا باقتراب غيبوبة السكر الرهيبة Diabetic Cona . ومما يزيد في هذا الميل كثرة القىء في اول الحمل والتهابات الحمل المختلفة كالتهاب حوض الكلية Pye'itis of Pregnancy

ـ صعوبة السيطرة على مرض السكر اثناء الحمل لعوامل كثيرة تتعلق بالحمل نفسه ، مما يستوجب الحذر التام والدقة البالغة في ضبط جرعة الانسولين التى تحتاجها المريضة لسرعة هبوط السكر في الدم Hypoglycaemia .

تأثير مرض السكر فى الحمل

المراة الحامل اذا اصيبت بمرض السكر اثناء الحمل نتج عن ذلك ازدياد الاستعداد للاصابة بالامراض والحالات الآتية اثناء الحمل :

ـ الحكة المهبلية : التى تسببها فطريات خاصة Vaginal Thrush .

ـ الحمل التسممى : Toxaemias of Pregnanacy ، وهي حالة خطرة قد تهدد حياة الام والجنين وتصل نسبة الاصابة بها بين مريضات السكر الحوامل الى ٢٠٪ (بالمقارنة الى حوالي ٣ ـ ٥٪ فى حالات الحمل غير المصحوب بالسكر) .

ـ الاستسقاء الامنيوسى Hydramnics .

وتبلغ نسبة ٣٠٪ في حالات الحمل المصحوبة بمرض السكر (بالمقارنة الى ١ ١/٢ ٪ من حالات الحمل العادى) .

التهابات الكلية والتهاب شبكية العين

ويحدث هذا بعد ١٥ ـ ٢٠ سنة من الاصابة بمرض السكر بسبب تكلس وتخثر الاوعية الدموية الدقيقة في الكلية وشبكية العين . ومن فعل هذه الاحوال قد يرتفع ضغط الدم ارتفاعا كبيرا اثناء الحمل ، او يهدد الحمل وقد يتطلب هذا انهاء الحمل فورا .

الاخطاء التى يتعرض لها الجنين فى مريضات السكر الحوامل

ـ يزيد وزن الجنين عن الحد المالوف مما قد يؤثر في عملية الولادة .

ـ بالرغم من كبر حجم الجنين الا انه جنين ضعيف ، مرهف ، ناقص النمو ، غير تام النضج ، لا يصمد في كثير من الاحيان لعملية الولادة .

ـ قد يتسبب مرض السكر في موت الجنين داخل او خارج الرحم .

ومن العوامل التى تساعد على موت الجنين : وجود الحمل التسممي ، ارتفاع ضغط الدم ، صعوبة التحكم في مرض السكر ، ارتفاع نسبة العيوب الخلقية في الجنين حيث (تبلغ ٥٪) ، كما

يساعد الاستسقاء الامنيوسي على انهاء مبكر للحمل (قبل تسعة اشهر) ، هذا بالاضافة الى كبر حجم الجنين الذى قد يسبب صعوبة في الولادة ، كما تزداد فرص اختناق الجنين اثناءها بسبب تحجر رئته في بعض الاحيان .

ومن المعروف ان نسبة السكر في دم الجنين تهبط هبوطا حادا عقب الولادة مباشرة مما قد يسبب وفاته في الايام الاولى بعد الولادة .

لكل هذه الاسباب والعوامل تجد ان نسبة خسارة الجنين داخل الرحم او الطفل حديث الولادة ، تبلغ حوالي ٤٠٪ وهي نسبة مرتفعة جدا لم يؤثر فيها استعمال عقار الانسولين وغيره كعلاج ، ولكنه بتعميم مراكز رعاية الامومة ، وازدياد نسبة العملية القيصرية في مثل هذه الحالات ، وانهاء الحمل مبكرا قبل ميعاده باسبوعين او ثلاثة ، انخفضت هذه النسبة الآن الى حوالي ٢٥٪ .

فترة السنوات التي يتوالى فيها الحمل قد تكشف عن مرض السكر

تركز البحث في الآونة الاخيرة على فترة هامة تمتد من ١٥ ـ ٢٠ سنة قبل الاصابة بمرض السكر اذ لوحظ ازدياد مطرد في معدل وزن الجنين ـ وخاصة ما زاد عن ١٠ ارطال ـ حملا بعد حمل حتى يعلن مرض السكر فعلا عن وجوده . كما لوحظ انه في نفس الفترة ترتفع نسبة الوفاة بين الاجنة والاطفال حديثي الولادة كلما اقتربت الحامل من الاصابة بمرض السكر ، اما درجة الاخصاب فتكون ثابتة لا تتغير . وقد جلبت هذه الفترة اهتمام العلماء والاطباء على اساس انه بالامكان تشخيص مرض السكر قبل وقوعه بعدة سنوات . ويتم ذلك بملاحظة النساء اللواتي ينجبن اطفالا يزيد وزنهم عند الولادة عن المعدل الطبيعي بالنسبة لهن او بالنسبة للوسط الذى يعشن فيه ، او اللاتي لديهن استعداد وراثي للاصابة بمرض السكر . وقد وجد فعلا انه باتباع هذه الطريقة امكن اكتشاف كثير من حالات السكر قبل ظهورها بعدة سنوات . ونتيجة لذلك تحسن الوضع بالنسبة للجنين وبالنسبة للام في نفس الوقت .

لا يوجد اى مبرر طبي بانهاء الحمل واجهاض المريضة في الاشهر الاولى بسبب مرض السكر فقط ، ونادرا ما يلجا الاطباء لتعقيم المريضة بعد الولادة اللهم الا اذا كانت هناك مضاعفات خطيرة كارتفاع عال ومستمر في ضغط الدم مثلا .

طريقة الولادة

١ ـ هناك الآن قانون شبه سائد ، في جميع مراكز التوليد ومستشفياتها في كل انحاء العالم تقريبا بانهاء الحمل بواسطة العملية القيصرية : Caesarean Section ، في نهاية الاسبوع السادس والثلاثين او اول السابع والثلاثين من الحمل . فقد وجد ان هذه هي خير طريقة ، وهذا هو انسب وقت للحصول على جنين حي لم يزد وزنه عن المألوف ، حيث انه بعد هذا الوقت يصبح الجنين في خطر حقيقي ، وربما تعرض للموت داخل الرحم بسبب قصور المشيمة عن متطلبات الجنين : كبير الحجم ، ضعيف الاجهزة ، غير تام النمو والنضج ، اى الطفل المبتسر Premature

٢ ـ لا يسمح للجنين بالولادة طبيعيا الا اذا كان هناك عيب خلقي واضح في الجنين شريطة انتفاء وجود اى ضيق في عظام الحوض قد يسبب ولادة عسرة طويلة الامد وخيمة العواقب بالنسبة لمرض السكر والام .

٣ ـ تزود الام بكمية كافية من الجلوكوز والانسولين قبل وبعد الولادة .

رعاية ما بعد الولادة

هذه الرعاية هامة جدا بالنسبة للام وكذلك بالنسبة للطفل الضعيف المعرض للاصابة بالالتهابات المختلفة وخاصة الالتهابات الرئوية الخطيرة التي قد تودى بحياته في الايام الاولى .

من كل ما سبق نرى ان مرض السكر ليس بالشيء الهين بالنسبة للام ، ومضاعفاته خطيرة ، وتاثيره على الحمل والولادة قد يكون وخيم العاقبة في كثير من الاحيان ، وفرصة الجنين في الحياة قد تكون ٥٠٪ اى ان نصف الاطفال عرضة للموت سواء داخل الرحم او في الايام القليلة الاولى بعد الولادة . لذا يجب العمل على اكتشاف المرض مبكرا ، وعلى مراكز رعاية الامومة التي ترعى الام اثناء الحمل ان تبذل ما في وسعها من جهد وعلم ورعاية حتى تصل بسفينة الحمل المقدسة الى بر السلامة والامان . ■■

سامي عمران



تَحِيَّةٌ عابِرَة

بقلم : ثروت اباظه

كان عدلي يفرح اشد ما يفرح حين يمر بالاطفال فيلقى عليهم التحية فيستقبلونها بالفخر والاعجاب والاكبار ، ان عدلي جميعه يلقى عليهم التحية ويعتبرهم رجالا يستحقون منه هذا الاكرام ، وكان هذا الشعور بالفرح في نفوس الاطفال يسكب سعادة مزغردة في قلب عدلي ، ويشعره انه ما زال فتى الليل ذا الصيت الضخم الذى تهتز لذكره افئدة الناس فى قريته وجميع القرى المجاورة . وكان هذا الشعور يسليه عن نظره الذى يعلم انه اصبح ضعيفا وهو يعلم انه يجب ان يذهب الى طبيب يعالج له ما يفقده من بصر ولكنه يخشى ان يتسامع الناس بهذا فتسقط هيبته ، ويزول مجده الذى اصبح في مهب الرياح منذ توقف عن الاعمال المجيدة التى تعود ان يقوم بها . فهو لم يقتل احدا منذ ثلاث سنوات ومجده يوشك ان يصبح نسيا ، فانه لولا فرحة الاطفال بتحيته لاصبح بلا امجاد على الاطلاق .

وهو يخشى ايضا أن تعرف حبيبته هنية ان نظره قد ضعف فينكمش حبها له وتفضل عليه زوجها عبد الباقي فهو اذن يبقى على سره دفينا في العميق العميق من صدره لا يطلع عليه احد .

خرج عدلي من داره في اول الليل وراح يتحسس طريقه الى دار عبد الباقي ، فالليلة موعد . كان عبد الباقي في الحقل يروى الارض وسيظل هناك الى ساعة متاخرة من الليل . فالفرصة مواتية لعدلى ان يذهب الى هنية .

استقبلته هنية في بشاشة ودخلا الى حجرة النوم .

لم يطل بهما المقام في الحجرة فقد سمعا صوتا .

ـ عبد الباقي

ـ هل ترك الغيط

ـ اخفض صوتك

ـ ايهمك امره

ـ زوجي

ـ وانا عدلي

ـ انه زوجي

وذهل عبد الباقى مما يرى

ـ عدلي

واخرج عدلي مسدسه من جيبه ولم يتكلم ، واطرق عبد الباقي والثورة توشك ان تمزقه تمزيقا ، ولم يجد شيئا يفعله الا ان يخرج من البيت هائما على وجهه ، وتاه به الطريق وطال به السير لا يعرف مكانه من القرية وهي قريته ، ولا يعرف موقع قدميه على الطريق وهى طريقه. وكلما افاق تذكر زوجته الخائنة ومسدس عدلي



فيعود الى الضياع . وينسلخ الليل وتطلع الشمس ولكن الظلام ما يزال يحيط به ويتلفت حواليه آخر الأمر فيتبين له ان قدميه قد سحبتاه الى مراب قريب من المدينة .

في المدينة يعرف طريقه .... يعرفه في اصرار وحزم .... انه الآن يعرف ما يريد ... ويعرف الطريق .

– بلغني انك تسلف

– بفائدة عشرة في المائة

– في السنة ؟

– في الشهر

– اعطني عشرة جنيهات

– لكم شهر ؟

– حتى اجمع القطن .

– لمدة ثلاثة شهور ؟

– نعم

– وقع على هذه الكمبيالة

ـ هات الفلوس

ـ توقيعك غير واضح

ـ اوقع ثانية

ـ خذ الفلوس

ـ هذه سبعة جنيهات ؟!

ـ خصمت الفائدة

ـ آه ... اذن مزق هذه الكمبيالة واكتب كمبيالة اخرى بخمسة عشر جنيها . وسار طريقه .... انه يعرف طريقه .

ـ اريد مسدسا

ـ هل معك رخصه ؟

ـ بكم هذا المسدس ؟

ـ ان كان معك رخصة فهو بثمانية جنيهات

ـ وان لم يكن معي ؟

ـ فهو باثنى عشر جنيها

ـ والرصاص ؟

ـ بجنيه

ـ اسمع اريد هذا الرصاص مملوءا بضعفي ما يحمله من بارود .

ـ مر على بعد ساعة

وحين عاد الى القرية لم يذهب الى البيت ، فما عاد له بيت . ذهب الى حقله وبات ليلته في العراء .

وفي الصباح راح يهيم على وجهه محاذرا ان يقترب من بيوت القرية حتى اقتربت الشمس من المغيب ، فهو يسير الى بيت مسعود حيث يعلم ان عدلى يسهر كل ليلة وينتظر مترقبا .

حين خرج عدلى سار خلفه بضع خطوات ثم اخرج مسدسه واطلق منه رصاصة . ونظر اليه عدلى هالعا ، فاطلق رصاصة اخرى ، وثالثة حتى افرغ المسدس جميعه . وعدلى واقف على قدميه لم يتحرك . فهو مسمر الى الارض ، شاخص الى قاتله لا يكاد يحس بقدميه من الهلع . وهذا الرصاص يتدافع من المسدس . وعبدالباقى أشد هلعا ودهشا من عدلى ان الرصاص لا يصيب مقتلا .. وحين ينتهى الرصاص يظل عدلى مسمرا في هلعه ، يفيق عبد الباقى الى موقفه فيسارع بالجرى الخائف المفزع ، ويظل يجرى ويجرى حتى تجد قدماه الطريق الى المدينة ويظل يهيم بها شاردا ذاهلا ، فما يصبح الصبح وتفتح الابواب المغلقة حتى يسارع الى الرجل الذى باعه المسدس .

ـ ما هذا الرصاص ؟

رصاص بلا بارود

ـ لماذا فعلت هذا ؟

ـ عرفت انك تريد ان تقتل

ـ وما شانك ؟

ـ وعرفت انك لست قاتلا محترفا

ـ وما شانك ؟

ـ ليس في العالم شيء يستحق ان تفقد من اجله حياتك او حريتك .

ـ شرفي

ـ طلقها

ـ شرفي

ـ ان طلقتها سيصبح شرفها هى وليس شرفك انت .

ويصمت عبد الباقى حينا ويجلس ويجتذب من اعماقه نفسا بعيد الاغوار .

ـ عجيبة

ـ احس الآن بالراحة

ـ حقا ؟

ـ لقد قتلته

ـ هل قتلته ؟

ـ انا قتلته ولكن هو لم يمت

ـ اذا فانت فعلت ما تريد

ـ لقد قتلته

ظل عدلى مسمرا وتقاطر الناس الى صوت الرصاص فوجدوه واقفا جامدا في موضعه لم ينتقل وراحوا يسألون وهو شارد .. ذاهل .. هزوه .

ـ قتلنى

ـ ليس بك جرح

ـ ولكنه قتلنى

ـ من ؟

وتطايرت القصة في ارجاء القرى جميعا واصبح القوم ولا حديث لهم الا هذا الحادث ، فانهم هناك يترقبون مثل هذه الحوادث بشغف ، يتسقطون انباءها ويمضغون حديثها ، فانهم هناك لا يجدون الكثير من وسائل التسلية ولا عزاء لهم عن هذا

الا الحديث .. لن يتركه عدلي .. سيجعل من جثته غربالا .. سنسمع الكثير في الايام القليلة القادمة .. وسنروى الكثير في الايام القليلة القادمة .. ونقول .. ونروى ونتحدث ونتسلى .

وتمر الايام ويزداد التوقع والتشوق ، وعدلي وحده يعلم انه لن يستطيع ان يصنع شيئا ، ان يده لا تعرف طريقها الى الطبق الذى ياكل منه الا بالتحسس .

ويمر بالناس فترنو اليه العيون في ترقب وتوقع ، وفي اكبار ايضا ، فهو الرجل الذى تعلقت به امالهم ان يمدهم بموضوع للحديث يعينهم على الملالة شهرا او ربما شهرين .. انهم يتوقعون وهو يعلم انهم يتوقعون ولكن كيف .. لعله يستطيع ان يستاجر قاتلا .. انها اذن النهاية .. عدلي الذى عاش عمره جميعا يستاجره الناس للقتل يستاجر هو الآخر . اذن قد مات عدلي .

وتمر الايام وتصبح اسابيع وما تلبث ان تصبح شهورا ويحس الناس بخيبة الامل فقد فتر حديثهم عن حادثة عبد الباقي وهم يريدون ان يبدأوا حديثهم عن عدلي لقد خاب املهم .. خاب املهم . ولكن عدلي ما يزال يمر بالناس ويلقى التحية وقد اصبح الرجال يستقبلون هذه التحية بنغمة فاترة فيتظاهر عدلي بانه لم يلحظ هذا الفتور . ويمر بالاطفال فيسعد بالنغمة الرحبة المليئة بالاعجاب والاكبار ويشعر انه ما زال ذا مجد وشموخ .

حتى كان يوم .. ياله من يوم .

مر بالاطفال وكان من بينهم محمد بن عبده ابو السيد .. وكانت هذه الثلة من الاطفال قد عودته ان ترد تحيته في اعجاب شديد يزيد على اعجاب الجماعات الاخرى من الاطفال .

– السلام عليكم يا رجالة

وتخافتت الاصوات وهي تقول :

– سلام

سلام فقط .. اين اذن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيد الرجال ، اذن الاطفال ايضا قد اصابتهم عدوى الفتور .

ولكن انتظر ما هذا ؟

انه لم يكد يخطو خطوتين حتى سمع صوتا .. انه يعرفه .. يعرف الصوت . قال الصوت :

– جاءتك خيبة يا عدلي

ويضحك الاطفال ، ولا يملك عدلي نفسه فينقلب اليهم .

– ولد يا محمد كيف تقول هذا ؟

– اصلك هايف ولا مؤاخذة يا عم عدلي

– قتلت ثلاثين رجلا ولا يمكن ان انتهي الى قتل الاطفال .

– تستطيع ان تقتل رجلا اذا شئت يا عم عدلي

– والله لن اقتل الا اباك

– انا شتمتك .. انما غيري قتلك ، ولم تمد اليه يدا . جاءتك خيبة يا عم عدلي .

وثار عدلي وهاج وعلا صوته وصرخ . لقد اعماه الغيظ عن ادراك الموقف فتجمع الناس ووجد القوم اخر الامر حديثا يسليهم عن الملالة .

ولكن عدلي لم يطق .. حياته اهون من ضياع مجده .

انتظر عبد الباقي في الطريق وتحرى ان يكون ملاصقا للمكان الذى يمر به عبد الباقي .. ومر عبد الباقي واطلق عدلي رصاصة ، وثنى باخرى قبل ان يقفز اليه عبد الباقي فيرميه هو ومسدسه ارضا .. ويصرخ عبد الباقي في طلب النجدة ، ويأتي الناس ويبلغ الحادث الى الشرطة والنيابة. وحين يأتون الى مكان الحادث يقرر وكيل النيابة حفظ القضية ضد عدلي والسبب ان المكان الذى اطلق منه عدلي الرصاص على عبد الباقي لا يسمح بالخطأ ، فلو انه اراد قتله لما اخطاه فقد كانت المسافة مترا واحدا . فالشكوى كيدية يحاولون بها سجن عدلي . فالاعمى وهو اعمى لا يمكن ان يخطىء من هذه المسافة القريبة .

ووجد القوم اخر الامر شيئا يتحدثون فيه .. واصبح عدلي اخر الامر اسطورة خزي وخذلان .. وبعد شهور كان عبده ابو السيد يسير بحماره فاذا بعدلي يمسك برقبة الحمار .

– حاول ان يقتلني عتاولة المجرمين يا عبده يا ابو السيد ، فلم يستطيعوا ، ولكن ابنك يا عبده يا ابو السيد قتلني .. فوضت امرى الى الله .. فوضت امرى الى الله . ■■

ثروت اباظة

الشعراء الصعاليك

في العصر الأموي

بقلم : الدكتور حسين عطوان
الجامعة الاردنية ـ عمان

■ الصعلوك في اللغة هو الفقير الذى لا يملك من المال ما يُقيمه ويُقيم أهله، امّا في الاستعمال الادبى في العصرين الجاهلى والأموى فهو الفقير المتمرّد على فقره ، الساعى الى اكتساب قوته ، واثبات وجوده ، الحريص على شرفه وكرامته .

وقد ضعفت حركة الصعلكة في صدر الاسلام ضعفا شديدا،وهو ضعف هيّأت له عوامل كثيرة، فقد حل الاسلام جميع المشاكل التى اثارت الصعاليك الجاهليين اجتماعية كانت او اقتصادية، وسوى بين الناس كافة ، وكفل لكل انسان حقّه في الحياة الكريمة ، كما وضع الحدود المختلفة لمعاقبة السارق ، وقاطع الطريق ، والخارج على الجماعة ، والمفسد في الارض ، صيانة للأمن وحفاظا على ارواح الامة واموالها .

ويظن بعض الدارسين انّ حركة الصعلكة لم تظهر الا في العصر الجاهلى ، امّا في العصر الأموى فتلاشت واختفت .

والحق انّ حركة الصعلكة عادت الى الظهور في العصر الأموى ، ولعل اختلال الأوضاع الاقتصادية، واضطراب الاحوال السياسية ، والتمسك بالروح الجاهلية والعصبية القبلية هى اهم الأسباب التى ادّت الى نشأة الصعاليك في العصر الأموى .

الأوضاع الاقتصادية

اما من الناحية الاقتصادية فلم تكن الأموال التى ترد الى بيت المال في عهد بنى امية قليلة ، بحيث لا يتمكنون من الانفاق منها على وجوه الخير وعلى صالح الجماعة ، وما يعود على الأمة بالمنفعة ، فقد كان يرد الى بيت المال ملايين الدنانير من الصدقات والخراج والغنائم . غير ان بعض العمال والسعاة الذين كانوا يجمعون هذه الأموال اتهموا بالخيانة وباستصفاء الاموال لانفسهم ، كما أن بعض الخلفاء الأمويين ـ وخاصة عبد الملك بن مروان ـ تأثروا في تطبيق النظام المالى وجباية الصدقات والخراج بالسياسة ، اذ اساءوا اساءة بالغة الى القبائل التى ناصبتهم العداء ، ووقفت في الصفوف الثائرة

وَسَائِلَةٍ أَيْنَ ارْتِحَالِي وَسَائِلِ
وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهْ
مَذَاهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عَرِيضَةٌ
إِذَا ضَنَّ عَنْهُ بِالنَّوَالِ أَقَارِبُهْ

عليهم ، بفرضهم الصدقات الباهظة عليها ، وبتشددهم في استيفائها منها دون مراعاة لظروفها فسواء اجدبت ارضها او اخصبت ، او افتقر ابناؤها او حسنت حالهم فقد كان عليها ان تؤدي ما فرضوه عليها من الاموال . واذ تاخر شيخ من شيوخ هذه القبائل في دفع ما كتب على قبيلته من الصدقات كان السعاة يضربونه ضرباً مبرحا وينكلون به اشد انواع التنكيل ، وما يزالون به حتى يدفع ما طلبوا منه .

وشكوى شعراء القبائل من ظلم عمال الصدقات وعنتهم ظاهرة سجلتها الشعراء الاموبون ، ورفعوا بها القصائد الطويلة الى الخلفاء والعمال، وقصيدة الراعي النميري اللامية التي رفعها الى عبد الملك بن مروان يشكو فيها من عسف عماله مشهورة ، وقصيدة عمرو بن احمر الباهلي التي انشدها ليحيى بن الحكم بن ابي العاص والي المدينة لعبد الملك بن مروان يتظلم فيها من ارهاق السعاة لقومه مذكورة .

وبجانب ذلك لم يفرض الامويون في العطاء لفقراء القبائل التي عادتهم ولصعافها والمحتاجين منها ممن نص القرآن الكريم نصا صريحا على ان لهم فيها حقا معلوما .بينما كانوا يختلفون الصدقات من انصارهم ، ويتساهلون في جمعها منهم، ويجزّون عليهم الاموال الطائلة لكي يظلوا اوفياء لهم . ومعاوية بن ابي سفيان هو اول من سن هذه السنة للخلفاء الامويين ، اذ يقول ابو الفرج الاصفهاني : « انه كان يفرض في العطاء لاهل اليمن » .

اما العدنانيون فكان يمنعه عنهم ولا يجزيه عليهم .

واهم من ذلك ان الصعاليك الامويين لم يكونوا بعيدين عن هذه المظالم ، بل كانوا واعين لها ، بصيرين بها ، ساخطين على الامويين بسببها . ولعل اشهر صعلوك اموي ندد بسياسة الامويين المالية الجائرة هو مالك بن الريب المازني التميمي الذي وصفه ابن قتيبة بانه « كان فاتكا لصا يقطع الطريق » اذ يقول :

أَحقا على السُّلطانِ أَمَّا الذي لَـه
فَيُعْطَى وأَمَّا ما عليه فَيَمْنَـعُ

وما أنا كالعَيْرِ المُقيمِ لأهْلِهِ
على القَيْدِ في بَحْبُوحَةِ الضَيْمِ يَرْتَعُ

واذا كان شعراء القبائل قد اكتفوا من العمل لدفع المظالم عن قبائلهم برفع رقاع الشكوى الى الخلفاء والعمال فان الشعراء الصعاليك الأمويين لم يقنعوا بالتنديدِ بالسياسة الاقتصادية الفاسدة لبني امية ، فقد ثاروا عليهم ، ومالوا الى استخلاص حقوقهم وتحقيق وجودهم بسيوفهم ، واذا هم يكوّنون طبقةً من الصعاليك الفقراء الذين اتخذوا من التمرّدِ والثورة وسيلةً الى حياتهم وكسب اقواتهم . ومن اشهرهم في هذا العصر مالك بن الرَّيْبِ التميمي ، وشظاظ الضبي ، وابو حَرْدَبَة التميمي ، وابو النشناش التميمي ، وغويث احد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وجَحْدَرُ بن مالك الحنظلي .

الأحوال السياسية

ومعلوم منذ زمن بعيد ان الأمويين قرّبوا القبائل اليمنية ، واستعانوا بابنائها للقضاء على خصومهم السياسيين كالخوارج والشيعة والزبيريين ، اما القبائل العدنانية وخاصة القبائل القيسية فابعدوها عن السياسة ، ولم يَعْتَدّوا بها ، كما كانوا حربا عنيفة عليها .

وكان لهذه السياسة الأمَويّة المضطربة التي تنازع فيها الحكم اكثرُ من حزب ، والتي كان الامويون يتصدّون فيها دائما للقضاء على اعدائهم – اثرها على بعض الصعاليك الأمويين المتمرّدين ، فقد مضوا ينكرون على الأمويين سياستهم الفاسدة وينتقدونها نقدا دقيقا .

ومن ابرز الصعاليك الأمويين الذين انشاتهم الاحوال السياسية المضطربة عبد الله بن الحجاج من قيس عيلان ، وعُبَيْدُ الله بن الحُرِّ الجُعْفِيُّ من مذحج . اما عبد الله بن الحجاج فيصفه ابو الفرج الاصفهاني بانه « شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي الباس والشجاعة والنجدة فيهم » ، كما يقول فيه ايضا انه « كان شجاعا فاتكا صعلوكا من صعاليك العرب متسَرّعاً الى الفتن » . وليس من شك في انه لم يتصعلك ولا تسرع الى الفتن الا لانه راى الأمويين قد ارهقوا قبيلته من امرها عسرا ونكلوا بها في موقعة مَرْجِ راهط تنكيلا شديدا . ومن اجل ذلك كان يَميلُ الى كل من يخرج عليهم نكايةً بهم واغاظة لهم وتشفّياً منهم ، اذ خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص بدمشق على عبد الملك بن مروان ، فلما ظفر به عبد الملك هرب الى عبد الله بن الزبير بمكة وكان في جيشه يقاتل معه جيش الحجاج الثقفي حتى قتل .

وكان عُبَيْدُ الله بنُ الحر الجعفي اشهرَ ذكرا وأبْعدَ خطرا ، وكان للاوضاع السياسية اثرها الواضح على تصعلكه وتوجيه حركته التي تحولت الى ما يشبه الثورة العارمة . فقد كان في صدر حياته – كما يقول الطبري – رجلا من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاةً واجتهاداً ، فلما قتل عثمان بن عفان انتصر له وانضم الى معاوية بن ابي سفيان ، ولم يلبث معاوية ان تشكّك في ولائه ووفائه ، فانفصل عنه . وما هي الاّ انْ يموت معاوية ويثور ابن الزبير بمكة وتضطرب الأمصار على بني امية حتى يقنط من صلاح الامة وانصاف الامويين لقريش ، وينادى ابناء الحرائر ، فياتيه خَليعُ كل قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس خرج بهم الى المدائن ، فلم يَدَعْ مالاً للسلطان قدم من بلاد الجبل الا استولى عليه واخذ منه عطاءه وأعْطِيَةَ اصحابه الذين خرجوا معه والذين ظلوا بالكوفة . ومضت حياته على هذا النمط : يسيطر على الامصار ، ويطرد عمالها منها ، ويجبي خراجها ويوزعه على صعاليكه ، ويحارب كل من تصدى له من الامويين كعبيد الله بن زياد ، ومن الشيعة كالمختار الثقفي ، ومن الزبيريين كمصعب بن الزبير الى ان غدر به قائد من قادة مصعب بن الزبير على الكوفة .

التمسك بالروح الجاهلية

اما من الناحية الاجتماعية فقد آمنت كثرة القبائل العربية بالاسلام ، وانقادت لنظمه

وقوانينه ، وتخلت عن كثير من تقاليدها الجاهلية، وخاصة العصبية القبلية . غير انّ ايمانها وخضوعها وتحللها من عاداتها الموروثة لم يعجب نفرا من ابنائها ممن تمكنّت الروح الجاهلية منهم واستحكمت في نفوسهم ، فاخذوا يطالبونها بالمحافظة على عاداتها وتقاليدها القبلية ، وبالخروج على النظام ، ورفض الانصياع لقوانين الدولة التي تتحكم في رقابهم ، وبالانتصار لهم سواء كانوا ظالمين او مظلومين على شاكلة ما كانت تفعل في الجاهلية . ولم تستجب لهم بل اعتقدت بان عهد الفوضى قد ذهب وانّ من الخير لها ان تلتزم بالنظام ، وبلغ من تمسكها بالقانون انها كانت تخلعهم وتتبرأ منهم اذا تعددت جرائمهم ، ومضت تتعاون مع الدولة لا بخلعها لهم واعلانها انها لا تحتمل جرائرهم فحسب ، بل ايضا بمساعدتها لشرطتها وسعاتها للقبض عليهم وانزال العقوبة بهم ، مما زادهم سخطا عليها ، وجعلهم يهجونها هجاءً لاذعا يصمونها فيه بالضعف والتخاذل والتقاعس ، ومما اجبرهم على الخروج منها والالتجاء الى الصحراء للاختفاء فيها عن عيون السلطان الذين يبحثون عنهم ويتربصون بهم للقبض عليهم ومعاقبتهم. واذا هم كرفاقهم من الصعاليك الفقراء لا يجدون مكانا آمنا تتوفر لهم فيه الحياة المطمئنة والمعيشة التي ينشدونها الا في مجاهل الارض وقفار الصحراء التي لا يصل السعاة اليها ، ولا تسيطر الدولة عليها . واذا هم لا يجدون وسيلة الى كسب ارماقهم الا بقطع الطرق والاغارة على القوافل .

ويكثر ممثلو هذه الطبقة من الصعاليك الأمويين المنبوذين في قبائلهم ، المطاردين من الدولة كثرة يطول معها احصاؤهم ، غير ان من اشهرهم يَعْلَى الأحول اليشكري ، الذي خلعه قومه وتبرأوا من جرائره الى العرب ، فانضم الى اللصوص واخذ يغير على احياء العرب ويقطع السابلة ، والأحَيْمِر السعدي اللص الذي كان كثير الجنايات فخلعه قومه وخاف السلطان فخرج الى الفلوات وقفار الارض ، وعبيد بن ايوب العنبري اللص الخبيث الذي نذر السلطان دمه وخلعه قومه ، فاستصحب الوحوش وانس بها وانست به ، والقتّال الكلابي الذي غلب عليه هذا اللقب لتمرده وفتكه ، والذي كانت عشيرته تبغضه لكثرة جناياته وما يلحقها من اذاه ، ولا تمنعه من مكروه يلحقه .

وعلى اختلاف هذه الطبقات الثلاث التي تألف منها الصعاليك في العصر الأموي ، وتباين الاسباب التي حملتهم على التصعلك ، جمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد ، وعاشوا جميعا في الصحراء او في المناطق التي لا يمتد اليها نفوذ الدولة ، خارجين على قبائلهم وثائرين على الدولة ومتخذين الغزو والاغارة للسلب والنهب وسيلةً الى تحصيل اقواتهم ، ومؤمنين بانهم لا يرتكبون خطأ ، بل يحافظون على حياتهم ويحققون الكرامة والعزة لأنفسهم .

لكل طبقة مشكلة

وكان لكل طبقة من الصعاليك الأمويين مشكلة ، كما كان لصعاليكها رأيٌ فيها ، امّا الصعاليك الفقراء فكان الفقر اهمّ قضية شغلتهم ، وسعوا الى التغلب عليها بالاغتصاب والانتهاب ، دون اكتراث للمهالك ، او خوف من الموت لانهم فضّلوا الحياة الكريمة على الحياة الذليلة ، وفي ذلك يقول ابو النَّشْناش التميمي احد الصعاليك الفقراء الذين ظهروا في عهد مروان ابن الحكم :

وسائلةٍ أينَ ارتحالي وسائلٍ
ومَنْ يسألُ الصعلوكَ أينَ مَذاهبُهْ
مَذاهبُهُ أنَّ الفِجاجَ عريضةٌ
إذا ضَنَّ عنه بالنَّوالِ أقاربُهْ
لِيُدْرِكَ ثأرًا أو ليكسبَ مَغنَمًا
ألا إنَّ هذا الدَّهرَ تَتْرى عَجائبُهْ
فَعِشْ مُعْذِرًا أو مُتْ كريمًا فإنَّني
أرَى الموتَ لا يُبْقي على مَنْ يُطالبُهْ

الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال ، والنوال : العطاء ، وتترى : متتابعة ، ومُعْذِرًا : مبديا العذر والحجة .

مشكلة الصعاليك السياسيين

امّا الصعاليك السياسيون فكان الظلم السياسي اهمّ مشكلة استولت على تفكيرهم ، وعملوا على التخلص من اعبائها بالثورة على الامويين ومحاربتهم ، ابتغاء القضاءِ عليهم واقامة دولة الصعاليك التى لا فَرْقَ فيها بين وضيع ولا بين فقيرٍ وغني . وفي ذلك يقول ابو حَرْدَبَةَ رفيقُ مالك بن الرَّيْب متمنيا لو امدّهُ الله بالأبطال المغاوير الذين يتمكن بهم من الاطاحة بالامويين وحكمهم :

فَهَلِ الالهُ يُشيعُنِي بِفَوارسٍ
لِبَنِي أُمَيَّةَ في سِرارِ جَمِيرِ

السّرار : آخر ليلة من الشهر ، وابن جمير : الهلال في تلك الليلة .

وكان عُبَيْدُ الله بنُ الحُرِّ الجُعفيُّ على ما يُنْسَبُ اليه من الفتك والسطوة لا يَسْتَكْبِرُ على صعاليكه ، بل يعاملهم معاملة حسنة ، ويُسَوّي بينهم وبين نفسه لا في خوضه المعارك معهم ، بل ايضا في اقتسام ما يغنمون من الأموال بالتساوي والانصاف ، وفي ذلك يقول :

أقولُ لِفتْيانِ الصَّعالِيكِ أَسْرِجُوا
بأموالكم أَوْ تَهلكُوا في الهَوالِكِ
إذا ما غنمنا مَغْنَمًا كان قِسْمَةً
ولم نَتَّبِعْ رَأْيَ الشَّحِيحِ المُتَارِكِ

مشكلة سريان الروح الجاهلية

امّا الصعاليك الذين اشاعهم سريانُ الروح الجاهلية في نفوسهم ، واستبدادُ الحمية الاعرابية بهم ، فكانت اخطرُ مشكلة صادفتهم مشكلة تحلّلِ قبائلهم من العصبية القبلية ، فاخذوا يَحضّونها على ان تتماسك ولا تَذْعِنَ للسلطان ، ولا تستكين للقانون ، فلما لم تستمع اليهم امعنوا في ذمّها واتهامها بالجبن والعجز ، واشادوا بالقبائل التى لم تستسلم للدولة ، وانما تمردت عليها ، ونوهوا بسادتها واتخذوهم مثلا يحتذى . وفي ذلك يقول القتال الكلابي متبرمًا من عشيرته لقعودها عن مساندته ومتمنيا لو كان ينتسب الى غيرها من العشائر التى تنتصر لأبنائها ، وتفتك باعدائها ، دون مراعاة للقانون او خوف من عقاب السلطان :

ياليتني والمُنَى ليستْ بنافعةٍ
لمالكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارِ
مِنْ مَعْشرٍ بقِيَتْ فيهم مكارِمُهُمْ
إنَّ المكارمَ في إرثٍ وآثارِ
لا يتركون أخاهم في مُوَدَّأَةٍ
يُسْفَى عليه دَليكُ الذلِّ والعارِ
ولا يَفِرونَ والمخزاةُ تَقْرَعُهُمْ
حتى يُصيبوا بأيدٍ ذاتِ أظفارِ

مالك وحصن وسيّار : من شجعان بني فزارة ومتمردِيهم ، والمودّأة : المهلكة الدّاليك : الناعم .

شعر الصعاليك صور جوانب حياتهم

ولا يتسع المقام للحديث عن موضوعات شعر الصعاليك الامويين لكثرتها وتنوعها . غير ان شعرهم صوّر كل جوانب حياتهم : كاسباب تمردهم وثورتهم ، او مطاردة الدولة لهم ، او التجائهم الى الصحراء ومعايشتهم لحيوانها .

او اغارتهم على القبائل والاسواق والقوافل ، او العذاب الذى كان يصب عليهم اذا ما وقعوا في قبضة العمال .

ومن طريف اشعارهم ونادرها مما لا نعثر عليه عند غيرهم من الشعراء الرسميين الامويين ، وصفهم لحياة السجن القاسية ، وما كانوا يكبلون به من قيود ثقيلة ، ويشدون اليه من اوتاد مضروبة ، وما كانوا يلاقون من العقاب الشديد بالضرب والجلد ، وما كانوا يحسونه من الالام النفسية المريرة لانفصالهم عن احبابهم واهلهم واولادهم وازواجهم ، ومنع الحراس لهم من زيارتهم وحنينهم اليهم والى الحرية حنينا فياضا . ومن ذلك قول جَحْدَرِ بنِ معاويةَ العكلي وقد حُبِس بسجن دَوَّار باليمامة ، يصوِّر فيه تفرعه الى الله أن يصفح عنه ، وينجيه من الهلاك ، ويصور فيه ايضا ما يعاني هو ورفاقه من المسجونين من الشدة والضيق والعذاب النفسي :

إنى دَعَوْتُكَ بالإلهَ مُحَمَّدِ
دَعْوى فأَوَّلُها لِيَ استغفارُ
لِتُجيرَنى من شرّ ما أنا خائفٌ
رَبَّ البريةِ ليس مثلَكَ جارُ
كانت منازِلُنا الّتى كُنَّا بها
شتّى وألّفَ بينَنا دَوَّارُ
سِجنٌ يُلاقي أهلُهُ من خوفِهِ
أزْلاً ويُمنَعُ منهم الزُّوَّارُ

وقولُ السَّمْهَرِيّ بن بشر العكلي يصف تملكه بمنزله وزوجه التى تزوره في المنام وهو مقيد بالقيود القوية المثقلة على رجله ، ويصف كذلك خوفه من الموت ، وامله في ان يفلت منه :

ألا أيُّها البيتُ الذى أنا هاجِرُهُ
فلا البَيْتُ مَنْسِيٌّ ولا أنا زائِرُهُ
ألا طَرَقَتْ ليلى وساقي رَهينَةٌ
بأشْهَبَ مَشْدُودٍ علىَّ مَسامِرُهُ
فإنْ أَنْجُ يا ليلى فربّ فتى نَجا
وإنْ تكن الأخرى فشيءٌ أحاذِرُهُ

ومن اشعارهم ما تحدثوا فيه عن توبتهم ، بعد ان تقدمت بهم السن ، ورجعوا عن الفتك والسفك واخلوا يتمنون على الله ان يغفر لهم ، ولا يعذبهم ، لانهم انما اقترفوا الذنوب والجرائم وهم صغار لا احلام لهم تردعهم ، ولا دين عندهم يزجرهم ، ومن ذلك قول عبيد بن ايوب :

يارَبِّ عفوكَ عن ذى تَوْبةٍ وَجِلٍ
كأنَّهُ من حذارِ النَّاسِ مَجنُونُ
قد كان قَدَّمَ أعمالاً مُقارِبَةً
أيَّامَ ليس له عقلٌ ولا دِينُ

وقولُ يزيدَ بن الصقيل العُقَيليّ الذى كان لصا يسرق الابل ثم تاب وقتل في سبيل الله :

ألا قُلْ لِرُعْيانِ الأَباعرِ أهمِلُوا
فقدْ تابَ عمَّا تعلمون يزيدُ
وإنَّ امرأً يَنْجُو من النَّارِ بعد ما
تزَوَّدَ من أعمالها لسَعيدُ

اهملوا : اسرحوا ابلكم .

وواضح ان حركة الصعلكة لم تضعف ولا توقفت في العصر الاموى ، وانما ظهرت من جديد كما ظهرت في العصر الجاهلي ، وان اختلفت بعض الاسباب التى انشات الصعاليك الامويين عن الاسباب الى انشات الصعاليك الجاهليين ، لتغير طبيعة الحياة ، وتبدل نظام الحكم ، مما استتبع اختلاف المشاكل التى كانوا يعانون منها والغايات التى كانوا يسعون اليها . ■■

حسين عطوان



روبنز

الرسام البلجيكي الذي جمع بين الفن والسياسة

بقلم : يوسف زعبلاوي

■ لعل اول ما يلفت النظر فى سيرة الرسام البلجيكي بيتر بول روبنز Peter Paul Rubens (١٥٧٧ — ١٦٤٠) هو صلاته الوثيقة بملوك اوربا وامرائها فى مطلع القرن السابع عشر . فقد كان رسام البلاط لامراء مانتوا Mantua ، وتوطدت الصداقة بينه وبين فيليب الرابع ملك اسبانيا ، وقد اصبح روبنز مستشاره الخاص فى شراء اللوحات الفنية . وقل مثل ذلك فى ملك الانجليز شارلز الاول ، وملكة فرنسا ، ماري دى مادينى Marie de Madi:i فقد كان روبنز رسامهما الخاص . اما حكام بلجيكا ، وكانوا من الاسبان آنذاك ، فكان روبنز رسامهم الدائم بلا منازع .

غير ان صلات روبنز بالحكام لم تقتصر على الناحية الفنية . فقد احتل الفنان مناصب دبلوماسية واضطلع بمهمات سياسية ، واظهر من الكفاية فى هذا المجال ما لا يتوقعه المرء من رسام ملهم وفير الانتاج .

ومن اطرف ما يذكر فى هذا الصدد مساعيه الدائبة لاعادة هولندة الى حظيرة العرش الاسبانى . فقد كلفه الحكام الاسبان بهذه المهمة واندفع فى ادائها وكأنه فى غفلة تامة عن حقائق التاريخ وعن استحالة العودة بعقاربه الى الوراء . اذ كانت هولندة قد دانت بالمذهب البروتستانتي وانسلخت عن نفوذ اسبانيا الكاثوليكية ، بخلاف بلجيكا التى بقيت على ولائها للحكم الاسبانى والمذهب الكاثوليكى .

وبلغ الحماس بروبنز لتحقيق هذه الرغبة الواهية ان عرّض نفسه للاهانة الشخصية حينما فاجأ سفير هولندة فى لندن بزيارة خاصة سنة ١٦٣٠ ، محاولا اقناعه بالعمل على فتح باب المفاوضات مع اسبانيا من جديد . الا ان روبنز فشل فى هذه المهمة ، كما لم يفشل فى غيرها ، ولو كان التوفيق حليفه لما اعتزل السياسة نهائيا فى غضون سنة بعد ذلك .

وتحتل لوحات روبنز السياسية ، على قلتها ، مكانا مرموقا بين لوحاته ، التى كثيرا ما اتخذت من جمال المراة موضوعا لها . ونخص بالذكر من تلك اللوحات لوحة « اهوال الحرب » Horrors of War ، الموجودة حاليا فى المتحف الوطنى فى لندن . وتظهر قارة اوربا الى اليسار من هذه اللوحة على



هيئة امرأة مرتدية ثوبا اسود . ويظهر فى اوسط اللوحة مارس ، اله الحرب ، وفينوس الهة الحب ، وقد اخذت هذه تشد باله الحرب وتحاول منعه من المضى فى مهمته . ويظهر فى اعلى اللوحة وجوه واجسام تمثل الجوع والمرض ، ويظهر فى اسفلها وجوه واجسام اخرى تمثل الدمار والفوضى .

ويعتبر روبنز فى طليعة رسامى اوربا فى القرن السابع عشر . وهو يذكر عادة مع كبار فنانى ذلك القرن امثال فيلاسكيز ورمبراند وبرنيني Bernini . ويذهب الكثيرون الى ان لروبنز الفضل الاكبر فى تطوير ونشر اسلوب الباروك فى الرسم ، وقد شاركه فى ذلك برنينى الذى ذكرنا.

وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد ان فن ميخائيل انجلو وتيتيان ، وهما من اساطين عصر النهضة كما هو معروف وكذلك فن كارافاجيو Caravaggio والكراتشى The Carracci وهم من اقطاب اسلوب الباروك .. هذان النمطان المتباعدان فى الفن قد التقيا بل اتحدا فى رسوم روبنز ولوحاته .

ولا عجب فقد زار روبنز ايطاليا سنة ١٦٠٠ ، حينما لم يبلغ من العمر سوى ٢٣ سنة ، وبعد حصوله على لقب استاذ Master فى فن الرسم ، بسنتين فقط . وامضى فى البلاد التى انجبت ليوناردو وروفائيل وانجلو حوالى ثمانى سنوات ، اى حتى سنة ١٦٠٨ حينما رجع الى انفرس او انتورب Antwerp .

اضف الى ذلك ان روبنز زار اسبانيا ، اول مرة اثناء اقامته فى ايطاليا سنة ١٦٠٣ ، ثم زار باريس واقام فيها نحو ثلاث سنوات اى ١٦٢٢ — ١٦٢٥ . وعاد فزار اسبانيا مرة ثانية سنة ١٦٢٨ حينما عينه الملك فيليب الرابع امينا عاما لمجلس الملك Privy Council الخاص بالبلاد الواطئة Netherlands .

وامضى روبنز بعد ذلك فترة فى لندن (١٦٢٩ — ١٦٣٠) عمل اثناءها سفيرا مفوضا Envoy ، لدى الملك شارلز الاول . وقد ظفر الفنان فى تلك الاثناء بوسام الفروسية واصبح يحمل لقب سير Sir ونال كذلك شهادة الماجستير الفخرية M. A. من جامعة كمبردج .

وتوفى روبنز فى انفرس سنة ١٦٤٠ عن عمر يناهز ٦٣ عاما . ■■

جرت عادة الكثرة الكاثرة من مؤرخينا ان يكتبوا تاريخنا على انه تاريخ حكام ومعارك ، ولم تهتم الا القلة القليلة منهم بالبحث في التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، وحالة الزراعة ، وما الى ذلك من الشئون التي هي في صميم حياة الناس في العصر الذي يؤرخون له - وهذا الكتاب الذي تقدمه للدكتور عبد العزيز الدوري ، اضافة طيبة للدراسة التي سبق ان قدمها في عام ١٩٤٨ بعنوان « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » .

مقدمة في :

التاريخ الاقتصادي

بقلم : الدكتور عبد العزيز الدوري

عرض بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ وهذا الكتاب الذي بين ايدينا ، « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي » ، في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الكبير ، وقامت بنشره « دار الطليعة » ببيروت ، وهو في حقيقته رسالة متصلة ، ولكنه قسم الى فصول تيسيرا للقارىء . وفصوله هي : الأمة والجهاد ، التحول الاجتماعي ، الاسلام والقبلية والارض ، المجتمع التجاري وازدهار المدن ، التسلط الاجنبي والاقطاع العسكري ، الركود الاقتصادي والتخلف والاقطاع الجديد . وتلي هذه الفصول خاتمة ، وثبت بالمراجع العربية والاجنبية .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه : « ولا اريد بالصفحات التالية ان ازيد على ما توصلت اليه البحوث الحديثة ، وانما اردت أن أرسم مخططا اوليا لتاريخنا الاقتصادي بين القرنين السابع والتاسع عشر للميلاد ، رغم ما في ذلك من مجازفة تفرضها سعة الموضوع ، وكثرة الثغرات فيه ، وما ينطوي عليه من تعقيد . انها محاولة لاعطاء خلاصة تحليلية للتاريخ الاقتصادي العربي، تتلمس خطوطه الرئيسية دون ان تنتهي الى نظرية ما ، ولكن مثل هذا العرض يؤدي بالضرورة الى مجموعة من الآراء تبرز من خلاله » .. وهذا الوصف للكتاب ، صحيح ودقيق .

ونحن نستطيع ان نوجز المعالم الكبرى في الكتاب على النحو التالي :



١ ــ كان القرن الاول للهجرة (السابع للميلاد) قرن تكوين الامة وتعبئتها للجهاد ، وفترة الهجرة الكبرى للقبائل الى الامصار ، وانتقالها من حياة الترحل الى الاستقرار .

٢ ــ وكانت الفترة الثانية (القسم الاكبر من القرن الثاني للهجرة ــ الثامن للميلاد) فترة الاهتمام بملكية الارض ، وفيها ظهرت الملكيات الكبيرة وفيها ايضا ظهر الموالي كقوة جديدة بانتشار الاسلام ، كما برزت العصبيات القبلية بعنف حتى انتهت الحال بالثورة العباسية .

٣ ــ وتمتد الفترة الثالثة من انتصار العباسيين الي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادى) ، وهى فترة نمت فيها المدن ، وازدهرت التجارة والصيرفة وتوسعت الملكيات الكبيرة في الارض ، وظهرت راسمالية تجارية صيرفية والى جانبهاايضا قامت حركات شعبية ثورية .

٤ ــ وتمتد الفترة الرابعة من تسلط البويهيين (اواسط القرن الرابعالهجرى ــ العاشر الميلادى) الى بداية السيطرة العثمانية . وفي هذه الفترة انحرف خط التطور الاقتصادي : فتراجع النشاط التجارى ، وضعفت المؤسسات النقدية ، وعاد الناس الى الاعتماد على الزراعة . واخطر من هذا كله ظهور الاقطاع العسكرى الذى اخذ بالانتشار حتى عم المنطقة كلها . وكانت هذه الفترة ايضا بداية النهاية لكيان العرب السياسي وحريتهم ، وذلك بسبب تسلط العناصر الاجنبية ، من بويهية وتركية . وشهدتهذه الفترة الحروب الصليبية .

٥ ــ والفترة الاخيرةهى فترة السيطرة العثمانية وفيها ركدت الحياة الاقتصادية في البلاد العربية ، حيث سيطر البرتقاليون على طريق التجارة الى الهند بعد ان ضربوا الملاحة العربية في المحيط الهندى . ودخل الاستعمار الغربى ليسيطر على البلاد العربية، ويقسمها الى ولايات ويرسخالتخلف فيها ، ويجعلها تعيش على هامش الاحداث العالمية.

هذه هى المعالم الكبرى في الكتاب . ونتنقل بعد هذا الى شيء من التحليل والتفسير يوضح ما سبق ذكره .

الحياة الاقتصادية
فى صدر الاسلام والعصر الأموى

لقد احدثالاسلام ثورة شاملةفيالحياة العربية : فهو قد رفض العصبية القبلية واحل مكانها مفهوم الامة ، واكد على الوحدة بدلا من التجزئة ، ودعا الى الجهاد فيسبيل العقيدة بدلا من الغزو ، وجعل القانون « او الشريعة » هى الحكم في شئون الناس لا العرف القبلي ، واكد على العدالة الاجتماعية وهاجم الاستغلال والجشع ، وحث على الاستقرار بدلا من حياة التنقل والبداوة .

وهكذا نجد ان حياة الامة قد نظمت على اسس جديدة ، وكان الجهاد في سبيل نشر العقيدة على راسها ، ولاجل هذا انشئت دواوين الجند ، وفرضت الاعطيات للمجاهدين حتى لا يشغلهم شيء عن الجهاد . واذا كان الخليفة الاول لرسول الله قد ساوى بين الناس في الاعطيات فان الخليفة الثاني جعلها متدرجة حسب السبق في الاسلام ، والبلاء في سبيله ، والحاجة .

وفي ظل ظروف الفتحنظمت الضرائب : من خراج

وجزية ، وزكاة . فاهل البلاد المفتوحة يدفعون الخراج والجزية ، واما المسلمون فيدفعون الزكاة . والخراج هو ضريبة يدفعها غير المسلم عن ارضه الملك ، وهذا لا يقل عن الخمس ، ولا يزيد عن النصف . ومقابل هذا كان المسلم يدفع عن ارضه الملك ما يوازى العشر . وكان غير المسلم يدفع الجزية ، وهى ضريبة كان يدفعها مقابل دفاع المسلمين عنه ، وهناك حوادث كان فيها غير المسلم (الذمى) يعفى من الجزية اذا حارب فى صفوف المسلمين . اما الزكاة فهى ضريبة كان يدفعها المسلمون لمساعدة الفقراء منهم .

هذا هو التنظيم الاقتصادى الذى شاع فى صدر الاسلام فى ظل الفتوح . وقد جلبت الفتوح معها مشاكل اقتصادية : فقد رافق الفتوح هجرات كبيرة من القبائل العربية الى الامصار المفتوحة . وقد اعتادت هذه القبائل على الغنائم الكثيرة التى كانت من نصيبها بسبب مشاركتها فى الجهاد ، ولهذا فانها اخذت تتململ عندما فرض عليها ان تكتفى بعطائها من ديوان الجند ، بعد ان توقفت موجة الفتح . ومما زاد فى تذمرها ان الاراضى المفتوحة لم توزع عليها ، وبقيت بيد اصحابها يزرعونها . ونظرت هذه القبائل ايضا ، فوجدت ان السلطة انتهت الى قريش ، وليس لها هى الا دور ثانوى . يضاف الى هذا كله ان عرب المدن ، وبخاصة قريش ، وهم تجار ، وجدوا فى البلاد المفتوحة آفاقا جديدة للتجارة ، فنشطوا ، واصبحوا من اصحاب الثروات الطائلة . وزاد فى تذمرهم ان الخليفة عثمان رضى الله عنه ، قد اقطع الاراضى الشاسعة لعدد من اقاربه .

فى ظل هذا كله نستطيع ان نفهم الثورة على الخليفة عثمان بن عفان ، وهى ثورة كان الجانب الاقتصادى فيها بارزا جدا .

وقد ارتفعت اصوات مسلمة محذرة منذرة من هذا التفاوت الكبير بين الناس ، حيث تكدست ثروات طائلة فى ايدى فئة قليلة ، وقالت : ان الاسلام يدعو الى التسوية والعدالة . وكان اعلى هذه الاصوات واقواها ، صوت ابى ذر الغفارى .

★ ★ ★

وكانت الفتوح عاملا هاما فى تدمير الاقطاع القديم فى البلاد المفتوحة ، حيث كانت الارض اقطاعيات للاسر الحاكمة والنبلاء ، ورجال الدولة . وكانت هناك ايضا مساحات شاسعة مخصصة للمعابد ، وكانت نسبة كبيرة من الفلاحين تعيش فى شبه عبودية لمالك الارض ، فلما فتح المسلمون هذه البلاد اعتبرت هذه الاقطاعيات ملكا لبيت المال ، يتصرف الخليفة فيها كما يشاء ، على ان يعود انتاجها الى بيت المال كما ان المسلمين حرروا الفلاحين من عبودية الارض وجعلوا الفلاح مسئولا عن ضرائبه بصورة مباشرة .

وبسبب انتعاش الحياة الاقتصادية فى المدن ، اخذ كثير من الفلاحين يتركون اراضيهم ، ويهاجرون الى المدينة . مما فتح المجال امام بعض العرب لاستملاك هذه الاراضى . واخذ بعض الخلفاء يقطعون بعض اقاربهم وانصارهم الاراضى الشاسعة وهكذا نجد ان طبقة جديدة من اشراف القبائل ظهرت على انها طبقة ارستقراطية من اصحاب الاملاك الشاسعة .

وقد اضر هذا الوضع الجديد بواردات بيت المال حيث انتقل كثير من الاراضى الخراجية ، الى ايدى المسلمين ، واصبحت اراضى عشرية . وزاد فى ازمة الخزينة انتشار الاسلام ، وبهذا قل عدد الذين يدفعون الجزية .

★ ★ ★

وقد حدث فى زمن عبد الملك بن مروان تعريب دواوين الخراج ، وتبعا لذلك تعريب النقد ، وتعريب المصطلحات المالية بحيث اصبحت العربية لغة فى الدواوين .وكان لهذا الاجراء آثار اقتصادية هامة : ففيه تاكيد على كيان الدولة المالى وتدعيم لاقتصادها . وتعدت الدولة مرحلة التعريب هذه الى اعادة النظر فى اوزان النقد ، ووضع وزن خاص جديد للدينار العربى الذى اصبح هو العملة المتداولة ، بعد ان كان التداول بالدينار البيزنطى وبالدرهم الساسانى ، هو الشائع . وبهذا الاجراء فتح المجال امام الدينار العربى ليكون عملة ذات شان دولى فى المعاملات التجارية والمالية .

وخطا عبد الملك بن مروان خطوة اخرى فى تقوية خزينة الدولة بان فرض الضريبة النقدية على الارض بدلا من الضريبة العينية ، وفرض جزية دينار واحد على كل راهب ، وكان الرهبان قبل هذا لا يدفعون جزية . ويبدو ان السبب الذى جعل عبد الملك يتخذ مثل هذا الاجراء ان عددا كبيرا من الذميين التحقوا بالرهبنة تحاشيا لدفع الجزية . وقام الحجاج ، والى عبد الملك على العراق ، بفرض

الخراج على الارض التى كانت اصلا خراجية ، والتى اصبحت ارضا عشرية بانتقالها الى ايدى المسلمين . ولعل هذا هو السبب فى ان العرب فى الكوفة قاموا ، اثناء ثورة ابن الاشعث (٨١ – ٨٢هـ/٧٠١م) ، بحرق سجلات الاراضي فى الديوان ، ليدعوا بعد ذلك ان اراضيهم كانت عشرية لا خراجية .

★ ★ ★

وجاء عمر بن عبد العزيز، الخليفة التقى النقى الورع ، فراى ان كثيرا من هذه التنظيمات الضريبية لا تتفق ومبادىء الاسلام ، ولهذا حاول اعادة تنظيم الضرائب فى ضوء مفاهيم الاسلام : فالاراضي المفتوحة (ارض الخراج) ملك للامة تديرها الدولة باسم الامة ولمصلحتها ، والماء والمعادن ملك للامة تستثمرها الحكومة مباشرة ، او تسمح للاخرين باستثمارها مقابل دفع الخمس لبيت المال واعتبر الوقود والكلا ملكا مشاعا للامة . اى ان مصادر الثروة الطبيعية هى ملك للامة .

واتخذ عمر بن عبد العزيز اجراءات فى اطار المفاهيم الاسلامية ، فاعفى المسلم من دفع الجزية مهما كانت حداثته فى الاسلام ، وقرر ان الارض الخراجية تبقى خراجية ، سواء ملكها مسلم او ذمى . ولكن قصر خلافة عمر بن عبد العزيز لم تترك المجال لاصلاحاته لكى ترسخ وتتوطد .

الموالى فى الدولة الاسلامية

وقد كان من نتائج الفتوح ، وانتشار الاسلام ، ظهور قوة جديدة هى قوة الموالى ، اى المسلمين من غير العرب . وقد عنى الموالى من سكان المدن بالاشتغال بالتجارة ، والصيرفة ، او بالعلم . وكان منهم الباعة والصناع ، واصحاب الحرفة المتنوعة. ويبدوا ان العرب لم يكونوا يحفلون بهذه الحرف وذلك بسبب انصرافهم الى الحكم ، والادارة والجهاد . وهكذا نرى ان عددا كبيرا من الموالى كان يحتل مكانة مرموقة فى المجتمع يضاف الى هذا ، ان الوظائف كانت مفتوحة امامهم .

وكان اصحاب الحرف والصنايع يعيشون فى اسواقهم الخاصة بهم ، ولكل حرفة او صنعة مكانها . واذا نظرنا فى تخطيط المدن الاسلامية الجديدة كالكوفة والبصرة والقيروان وواسط ، نجد ان الاسواق الرئيسية قد قامت جنب المسجد الجامع . وكانت الحكومة تشرف على الاسواق وتعين لهذا المنصب موظفا عرف باسم « العامل على السوق » ، ومهمته مراقبة الاوزان والمكاييل وجباية بعض الضرائب على المبيعات ، واستيفاء اجور الحوانيت التى كانت تشيدها الدولة وتؤجرها للعاملين فى السوق .

ان كل ما مر يدحض ما جاء به بعض الباحثين من ان الموالى كانوا فى حالة تذمر دائم بسبب احتقار العرب لهم ، ومعاملتهم معاملة سيئة ، وبسبب ارهاقهم بالضرائب .

العصر العباسى
عصر المجتمع التجارى وازدهار المدن

ان اختيار موقع مدينة بغداد نفسه يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام العباسيين بالتجارة : فهى قد اقيمت فى موقع وسط بالنسبة للمواصلات البرية والمائية . وتنظيم المدينة يدل على الاهتمام بالاسواق ، وتخصيص محلات مناسبة لها . وعمل العباسيون على دعم التجارة الخارجية وتشجيعها واهتموا بتنظيم الضرائب واخضاعها للاسس الاسلامية ولاجل هذه الغاية وضع لهم ابو يوسف كتابه المشهور فى الخراج ، وكانوا هم الذين طلبوا منه ان يفعل ذلك .

وقد بلغ تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ذروته فى القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) . واول شيء نلاحظه نمو المدن ، وتطور الحياة فيها ، وامتزاج الناس من مختلف الالوان والاصول ، واتساع الاسواق ، وازدياد نشاط اصحاب الحرف والصنايع وظهور تنظيمات تعبر عن تكاتفهم وتعاونهم . وفشت فى هذه الفترة النسبة الى الصنعة او الحرفة ، بالاضافة الى النسبة الى المدينة والقبيلة . وهذا بدوره زاد من اهمية العامة ، لان اصحاب الحرف منهم .

وفى هذا العصر ثبت لكل حرفة ، عرفها الخاص بها ، وهو عرف كان مقبولا لدى القاضي والمحتسب وعليه يعتمدان فى فض المشاكل التى كانت تنشا بينهم . ويتدرج الفرد من « مبتدىء » فى الحرفة ، الى « صانع » ، الى « استاذ » . وكان لاهل كل حرفة زيهم الخاص بهم . ولهم

شيخ او رئيس تعترف به الحكومة ، وقد تختاره هي احيانا . وكان لأهل كل حرفة رابطة تجمع بينهم ، على اختلاف اديانهم ، وذلك من اجل ضمان مستوى جيد للصناعات ، وتحديد الاسعار ، والدفاع عن حقوقهم . وكان اصحاب الحرفة الواحدة يتكاتفون ضد السلطة لحماية مصالحهم ، ومن امثلة ذلك ثورة صناع المنسوجات القطنية والحريرية في بغداد سنة ٣٧٤ هـ ، حين فرض البويهيون ضريبة العشر على هذه المنسوجات ،ولم تهدأ الثورة الا بعد ان الغيت الضريبة . وكانوا يشاركون في المناسبات العامة فيحتفلون احتفالا خاصا بهم ، وينظمون المواكب .

★ ★ ★

وهناك جانب اخر يدل على انتعاش الحياة الاقتصادية ، هو التجارة : فقد امتد النشاط التجاري من العراق حتى وصل الى المغرب الاقصى والاندلس وشرقي افريقيا،غربا . وامتد شمالا حتى روسيا وحوض البلطيق ، وشرقا حتى الهند والصين وكوريا . وسيطر التجار المسلمون في هذه الفترة على الطرق البحرية والبرية المؤدية الى هذه البلاد . وكانوا يجلبون الذهب والرقيق من شرقي افريقيا والرقيق والفرو والدروع والسيوف من اوروبا الشرقية وبلاد الترك ، والمسك من التبت ، والثياب الحريرية والورق من الصين ، والبسط والسجاد من ارمينيا ،والتوابل والاحجار الكريمة والعقاقير والرماح والكافور من الهند .

وكان للتجار المسلمين وكلاء ومراكز تجارية في مختلف الجهات : في الهند ، وسيلان ، والصين ، وبلاد الخزر ، وسومطرة .. وكان التعامل اما بالمقايضة او بالنقد مباشرة .

وهكذا نشأت طبقة من التجار تمتلك الاموال الطائلة ، وقد بلغت ثروات بعضهم الملايين .

وكانت التجارة حرة ، ولكن الدولة كانت تعامل التجار الاجانب معاملة دولهم لرعايا دولة الخلافة، من حيث الضريبة . ولا شك ان مما جعل التجارة تزدهر هذا الازدهار ، الرخاء الاقتصادي الذي كانت تنعم به الدولة ، والرخاء جعل افراد الامة قادرين على شراء ما يجلبه التجار ، وبخاصة الخليفة والأمراء وكبار موظفي الدولة ، حتى ان ابن خلدون اطلق على الدولة اسم « السوق الأعظم للتجارة » .

★ ★ ★

وبسبب ازدهار التجارة ، نشطت المؤسسات المالية والصيرفية . وقد قام الصرافون بدور هام في تنشيط التجارة لانهم كانوا يقومون بتسليفهم، وتسديد الحسابات بين التجار دون حاجة الى ان يقوموا بالدفع مباشرة في كل صفقة تجارية.وكانوا يستعملون في معاملاتهم ما عرف باسم « السفاتج » (جمع سفتجة) للدفع في البلاد الاخرى ، وهذه كانت تقوم بما تقوم به الحوالات المالية اليوم . وكانت هذه السفاتج تقبل حتى خارج حدودالدولة الاسلامية . وظهرت ايضا مؤسسات صيرفية كانت تقوم بدور البنوك في ايامنا هذه . واذا كان الاسلام يحرم الربا واخذ الفائدة فان التجار والصيارفة قد وجدوا الحل في بعض المخارج الفقهية لتيسير بعض انواع التعامل .

★ ★ ★

وظهر هذا الازدهار الاقتصادي ايضا في الزراعة، وملك التجار اراضي زراعية واسعة بسبب ثرواتهم الطائلة. وهذه الثروات أعانت على تطوير الزراعة.

ولكن علينا ان نذكر انه الى جانب هذا الثراء الطائل ، كان هناك فقر مدقع . وهذا التباين ادى الى قلق اجتماعي ، كان من نتيجته ان شهد القرن الثالث الهجري قيام حركة العيارين والشطار ، وثورة الزنج ، وحركة القرامطة والاسماعيلية . وحركة العيارين والشطار يمكن وصفها بانها ثورة العامة على الطبقة الغنية المترفة . اما ثورة الزنج فكانت نتيجة لتوسع الاقطاع في منطقة البصرة ، فهي ثورة الرقيق المجلوبين من افريقيا للعمل في الارض على اسيادهم .

هذا الازدهار الرائع الذي بلغته الدولة العباسية في ظل الحكم العربي.ولكن عندما خضعت الدولة لسيطرة الاجانب في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اخذ هذا الازدهار بالتراجع . وعلى هذا فاننا نستطيع ان نقول ان القرن الرابع الهجري شهد قمة التطور الاقتصادي ، كما شهد بداية التراجع في الحياة الاقتصادية ، وذلك بعد ان تعرضت دولة الخلافة للتجزئة نتيجة الحركات الانفصالية ، وبعد ان دخل البويهيون بغداد

(٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ليقيموا حكما وراثيا في قلب الخلافة .

التسلط الاجنبي وبدء الاقطاع العسكري

كان الغزو البويهي ذا آثار بعيدة في حياة العرب ، فقد كان بداية السيطرة الاجنبية في البلاد العربية ، وبداية التدهور الاقتصادي ، وبداية نشوء اقطاع جديد هو الاقطاع العسكري . واساس هذا الاقطاع العسكري ان البويهيين بدلا من ان يدفعوا لجنودهم المرتبات ، اقطعوهم الاراضي والقرى . وقد ادى هذا النوع من الاقطاع الى تاخر الزراعة ، لان الجند تركوا ادارة اقطاعاتهم لوكلاء ينوبون عنهم . ولم يكن الجنود ووكلاؤهم يهتمون الا بجمع المال ، دون ان يبذلوا اى جهد للعناية بالارض ، وتحسين قدرتها الانتاجية . ويبدو ان اعتبار الارض ملكا للجيش الغالب ، كانت نظرة مألوفة فى بلاد الديلم التى جاء منها البويهيون .

وكان من نتيجة السيطرة البويهية ايضا ، تدهور التجارة والصيرفة بسبب تعرض التجار للمصادرات والضرائب الكثيرة . وقد بلغ تخلف البويهيين الحضارى درجة جعلتهم يتلاعبون بنسبة المعدن الثمين في النقد ، ظانين انهم بهذا يوفرون مالا على الخزينة من فرق المعدن الثمين ، ولكنهم بعملهم هذا قضوا على ثقة الناس بالنقد الذى يصدرونه ، وبهذا قل استعمالهم له في معاملاتهم .

وجاء السلاجقة فساروا سيرة البويهيين والقزنويين في الاقطاع العسكرى ، وزادوا فجعلوا الاقطاع العسكرى وراثيا ، بعد ان كان لفترة محدودة من الزمن . واجتياح المغول الخلافة العباسية (٦٥٦ هـ ــ ٧٣٦ هـ / ١٢٥٨ ــ ١٣٣٥ م) وفصل العراق عن بقية البلدان العربية . وفي زمنهم استمرت الحالة الاقتصادية في التدهور ، وتوسع الاقطاع ، واهملت الاراضي لكثرة الضرائب. وهجرها اهلها ، واستحال كثير من المدن الى خرائب بسبب ضعف سيطرة الحكام وعجزهم عن حفظ الامن ، مما عرض المدن لغزو البدو ، الذين كانوا ايضا يقومون بقطع الطرق التجارية ، وسلب التجار اموالهم .

وجاء المماليك (٦٤٨ ــ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ م ــ ١٥١٧ م) فحكموا مصر ، وضموا سوريا ، وتابعوا معركة الايوبيين ضد بقايا الصليبيين حتى استولوا على آخر معاقلهم في عكا سنة ١٢٩١ م . كما انهم وقفوا سدا ضد تقدم المغول ، اذ احرزوا عليهم اول انتصار اسلامى في معركة « عين جالوت » سنة ١٢٦٠ م . وهكذا انتقل مركز الثقل في العالم العربى الى مصر . وفي زمنهم بقي الاقطاع العسكرى هو المعمول به ، وكانت الارض المقطعة تتناسب وما يستطيع ان يقدمه الامير من جند لجيش السلطان . ولكنهم ادخلوا تعديلا على الاقطاع العسكرى : فهم قد ابطلوا الوراثة فيه ، وكانوا يقومون بمسح الارض واعادة توزيعها بين فترة واخرى لتاكيد سيطرتهم على البلاد ، كما انهم اخذوا منذ مطلع القرن الرابع عشر يوزعون اقطاعات المقطع في عدة اماكن .

وجاءت الضربة القاصمة في نهاية القرن السادس عشر حين سيطر البرتغاليون على المحيط الهندى ، وقضوا على التجارة العربية في البحار الشرقية .

الاقطاع الجديد

وفي سنة ١٥١٧ م انهى الاتراك العثمانيون حكم المماليك ، ودخلوا سوريا ومصر ، وامتد سلطانهم الى شمالي افريقيا حتى مراكش . وفي سنة ١٦٣٩ تمت لهم السيطرة التامة على العراق . وهكذا اصبح جل العالم العربى تحت السيطرة العثمانية .

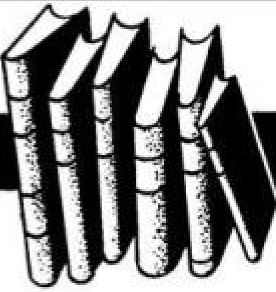
وقد اخذ العثمانيون نظام الاقطاع المملوكي ، ولكنهم ابطلوا صفته العسكرية : فالارض تعطى لمن يديرها كامانة ، فهو يشرف عليها ويرسل واردها الى المركز بعد ان ياخذ منه مرتبه .

★ ★ ★

وبعد هذا العرض لابرز مظاهر الحياة الاقتصادية في التاريخ العربى منذ صدر الاسلام الى حكم الاتراك العثمانيين ، نلاحظ ان الحياة في المجتمع كانت ، في فترات الانحطاط خاصة ، تخرج عن التعاليم الاسلامية . وقد كان المبدا الاساسي في المجتمع العربى الاسلامى هو مبدا العدالة : العدالة في السياسة والتشريع ، وفي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، وعدم التفاضل بين الناس الا بالعمل .

ومن عرضنا السابق نلاحظ انه حدثت انحرافات خطيرة تناقض هذا المبدا الاسلامى الخالد .

محمود السمرة



من الكتب التي وصلتنا

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ الجزء الأول

الناشر : وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت .

تاليف : الحافظ ابن حجر احمد بن علي العسقلاني .

تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي .

● كتاب من رياض السنة المطهرة وهو يهم ذوى العناية بعلم الحديث وذوى الاهتمام بالعلوم الشرعية وهواة الثقافة الدينية ، فهو مرجع يعين اولئك وهؤلاء على تخريج الاحاديث ونقدها، والكتاب اريد به انتخاب الاحاديث الزائدة على ما في الكتب الستة المشهورة ومسند احمد ، وهو فوق هذا محاولة لجمع السنة النبوية ليكون ذلك سبيلا الى صنع موسوعة حديثة .

وموضوع هذا الكتاب هو استعراض لأحاديث ثمانية مسانيد كاملة هي : مسانيد الطياسي والحميدى وابن ابي عمر ومسدد وابن منيع وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن ابي اسامة واضاف اليه من مسند ابي يعلى ومسند اسحاق بن راهويه فاستخراج الاحاديث الزوائد فيها على ما في الكتب الستة ومسند احمد ثم رتب تلك الاحاديث على ترتيب الابواب الفقهية خلافا لترتيب المسانيد المستمد منها .

وهذا الكتاب اغنى ما الف من كتب السنة ثروة واغزرها فائدة لا حتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماما وعلى شيء كثير من زوائد مسندين آخرين ثم لجمعه في مكان واحد على الترتيب الفقهى ما كان مبددا في ثمانية امكنة بل عشرة من غير مراعاة لهذا الترتيب ولاشتماله في كثير من المواضيع على بيان درجة الحديث من صحة وضعف واتصال وانقطاع .

الطريق القومي لتحرير فلسطين

اعداد : جبهة التحرير العربية .

الناشر : دار الطليعة ـ بيروت ـ لبنان .

● ان الفكر الجديد الذى دخل ساحة المقاومة مع الرصاصة الاولى لجبهة التحرير العربية ساهم منذ البدء في توضيح الطريق امام المقاومة وتفتيح الافاق في وجهها وحمايتها من العزلة والاختناق .

والفكر هو الذى يعطى العمل الفدائي الوجهة ويعطيه المقاييس ويعطيه القدرة على التثبت من سلامة كل خطوة يريد ان يخطوها ، ولا شك ان توحيد المنظمات داخل المقاومة وتعيين موقع المقاومة من الثورة هو المنطلق الرئيسي لنجاح القضية الفلسطينية .

والمقاومة بكونها تحديا للحركات الوطنية في ان ترتفع الى مستواها مسؤولة عن وضع صيغة النضال الثورى التى تجعل كلا من العمل الفدائي والحركات الوطنية يسير بقوة الاثنين معا .

الأوائل

تاليف : ابو هلال العسكرى

تحقيق : محمد السيد الوكيل .

الناشر : اسعد طرابزوني الحسني المدينة المنورة ـ السعودية

● كتاب من كتب التراث العربي القديم يمزج الأدب الذى تستمتع العقول بتحصيله والتاريخ الذى تتوق النفوس الى الوقوف على حقائقه . والكتاب يدرس اوائل الاعمال ومتقدمات الاسماء والافعال ، ذلك لأن اكثرية الخاصة وجل العامة لهجون بالسؤال عن الاوائل ، وعن اعمالهم ، بل ان الناس لم يجدوا كتابا يجمع هذه الفنون ويحوى تلك الضروب باخبارها وشرح وجوهها وابوابها ، الا نتفا متفرقة في تضاعيف الصحف .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عشرة ابواب تحدث في الباب الاول عن ما كان من قريش ، من اوائل الاعمال وابتداءات الامور في الجاهلية ، وما حدث بمكة منها . اما الباب الاخير فيتناول اشياء مختلفة رويت عن العرب والعجم ، ولم ينفرد كل نوع منها بنفسه ، فجعلها بابا واحدا .

فلسطين قبل وبعد

تاليف : الدكتور يوسف هيكل

الناشر : دار العلم للملايين

● دراسة مستفيضة عن مشكلة فلسطين منذ بدايتها ، فالمؤلف يحاول ان يطلع القارىء العربي في مختلف البلاد العربية على حقائق تتعلق بفلسطين قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧ ويقول ان حرب حزيران كانت خطوة للوصول الى ما تهدف اليه الصهيونية في بناء دولتها من النيل الى الفرات على حساب الامة العربية ، وان حرب حزيران هزيمة لم يتم فيها قتال فكيف وقعت تلك الكارثة ؟ وهل كانت هناك اشارات تحتم وقوع ما حدث ؟ وماذا عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هل هو في صالح القضية العربية او ضدها وما هي مراميه وكيف ينبغي ان نفهمه على حقيقته ؟ ثم لماذا تساند الولايات المتحدة الامريكية مواقف اسرائيل وما هي مصالحها في ذلك ؟ وهل يخدم ذلك حقيقةالمصالح الامريكية .

ثم يتحدث المؤلف عن المقاومة الفلسطينية لماذا ظهرت ومن هم اعداؤها ، وما واجب العرب تجاهها، ثم ما هي فكرة قومية المعركة التى تم عرضها في مؤتمر طرابلس .

طبقات الشافعية ـ الجزء الأول

تاليف : جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى .

تحقيق : عبد الله الجبورى .

الناشر : رئاسة ديوان الاوقاف ـ بغداد .

● كتاب في الفقه الاسلامى لعالم فقيه عاش في القرن الثامن الهجرى ، وقد اعتمد المحقق على عدة نسخ لهذا الكتاب مثبوتة في مكتبات العالم ، وقد سبق الاسنوى كثير من الفقهاء ممن كتبوا عن طبقات الشافعية .

والكتاب يتناول اعلام الفقهاء الشافعية ، فقد بدأ المؤلف بالترجمة للامام الشافعي ، ثم ترجم لاصحابه ، الذين عاصروه واخذوا عنه فذكر مواليدهم ووفياتهم واعمارهم وبلادهم وشيوخهم ، وما غلب عليهم من الفنون وشيئا من شعرهم وتصانيفهم ومناصبهم التى باشروها . وقد رتب تراجمهم على حروف المعجم ، مبتدئا باول حرف في اللفظ الذى يحصل عندُ التعريف ، والشهرة اسما كان او لقبا او نسبة او صفة او نحوها ، وقد استقى مصادره ومادة كتابه ، وهى تتكون من كتب الطبقات وكتب التاريخ والمشيخات .

ادب الطف
او شعراء الحسين

تاليف : جواد شبر .

الناشر : دار الصادق ـ بيروت ـ لبنان

● يدرس هذا الكتاب القصائد التي قيلت في رثاء سيد الشهداء الحسين بن علي بن ابي طالب بعد مقتله في كربلاء منذ القرن الاول الهجرى حتى القرن الرابع عشر والكتاب يعتبر موسوعة ادبية يضم بين دفتيه تراجم طائفة كبيرة من شعراء الشيعة ونتاجهم الفكرى ثم المراثي الكثيرة التى قيلت في الحسين واهل بيته وفي موقعة كربلاء ، ثم دراسة تحليلية لحياة اكثر هؤلاء الشعراء المغمورين منهم ومن كان له نصيب من الشهرة .

البراهين الحسية
على تقارض اللغتين السريانية والعربية

بقلم : اغناطيوس يعقوب الثالث

الناشر : مطابع الكريم الحديثة ـ جونيه ـ لبنان

● اتحف المؤلف المكتبة العربية بهذا الكتاب القيم ، وقد ضمنه بحثا وافيا وكافيا عن الصلات الجوهرية ما بين اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية .

وهو كتاب شيق في محتوياته ، مبتكر في اسلوبه وطريقة بحثه ، سدّ حاجة ملحة عند اللغويين الباحثين في « اللغات السامية » اذ وفر عليهم عناء البحث والتنقيب . ذلك ان المؤلف بذل جهدا كبيرا ، وعملا شاقا في مختلف المصادر والمراجع حتى تمكن من ابراز كتابه هذا .

معجم المؤلفين العراقيين

تاليف : كوركيس عواد .

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ العراق .

● الجزء الثانى والثالث لمعجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين يحصى مؤلفاتهم ونتاجهم الفكرى باللغة العربية والانجليزية والكردية مرتبة حسب الترتيب الهجائي . كما يسهل على القارىء الرجوع اليها .

■■

من غرائب القضايا

«قضية تشبورن»

انتحال شخصية لاغتصاب لقب وثروة

بقلم : حسن الجداوي

■ موضع الغرابة – في هذه القضية – ان رجلين مختلفين كل الاختلاف . احدهما بدين والآخر نحيف . احدهما متعلم والاخر جاهل او يكاد . احدهما كما قال الشاعر « بادره النعيم فصاغه بلباقة » والاخر عاش في الفقر المدقع وشظف العيش. احدهما ابن بارون انجليزي ولد في باريس ودرس فيها ثم في الكلية الحربية بلندن ، والاخر ابن قصاب محترم – لان كل صناعة محترمة – ولد في ضاحية صغيرة من ضواحي لندن وعمل في دكان ابيه ... رجلان لم يسيرا في طريق واحد ، ولا اخترق احدهما خط حياة الآخر . هاجرا في وقت متقارب ولكنهما عاشا على مسافة آلاف الاميال بعضهما عن بعض . فلما مات احدهما حاول الاخر – الذى بقي على قيد الحياة – ان يدعى انه الاخر ، ليستولي على لقبه وثروته . ورفع دعوى شغلت بها المحاكم سنوات طويلة . ونظرت في مئات الجلسات . وترافع فيها محامون فطاحل شغلوا فيما بعد مراكز رؤساء القضاء .

ترافع احدهم ثلاثا وخمسين جلسة ، واستمرت مرافعته في بعض الجلسات ثماني عشرة ساعة بغير انقطاع . وانقسم الرأى العام في هذه القضية ، وتحمس فريق لابن القصاب ، وتبرعوا له بالاموال ليستمر في دعواه . وتقدم مئات الشهود ليشهدوا لصالحه .. ولخص رئيس القضاة وقائع القضية في ثمانٍ وعشرين جلسة . ونشرت جريدة التايمز اللندنية – الضتينة بصفحاتها – وقائع الجلسات والمرافعات في الفين وخمسمائة عمود .

ولنبدأ القصة من اولها .

في عام ١٨٢١ توفي سير هنرى تيشبورن سليل اسرة انجليزية عريقة وغنية ونبيلة يرجع لقبها الى اكثر من سبعة قرون عن ثلاثة ابناء ، توفي اكبرهم عام ١٨٤٥ معقبا ست بنات ، ولم يرزق اصغرهم الا بابنة واحدة اسمها كاترين . وهكذا انتقل اللقب الى الابن الأوسط الذى لم يرث شيئا من الثروة – تبعا للنظام الانجليزي . وكان هذا الابن – جيمس – قد سبق وتزوج في باريس بفتاة فرنسية جميلة وغنية ... ولكنها ابنة غير شرعية للورد سيمور وتنتمي الى اسرة بربون وقد نجحت بعد قضايا شغلت المحاكم طويلا في استرداد جزء كبير من ثروة آل بوربون .

ومع ذلك فان اسرة تيشبورن اعتبرت ان زواج الابن قد الحق العار بها وادى ذلك الى ان يستقر الابن جيمس في باريس . مبتعدا بزوجته عن حياة الارستقراطية الانجليزية المتزمتة في العهد الفكتورى . ولم يكن ذلك ليغضب زوجته التي كرهت لندن بقدر حبها لباريس .

وبعد سنة ونصف من الزواج انجب ابنا اسماه روجيه دشن في كنيسة المادلين . وهو بطل قضيتنا هذه . وقد امضى روجيه سنيه الاولى مدللا من



... وأسرع الى باريس حيث استقبلته بالأحضان .. واعتقد انه حقق مطلبه وان اللقب والثروة الطائلة قد اصبحت في متناول يده .

امه مهملا لدروسه . لا ترفض له امه طلبا . ذلك ان زوجها ، وان كان رجلا طيبا ، الا انه كان منصرفا الى لعب الورق ومطاردة النساء ، فصرفت الأم كل حبها الى ابنها ولم تكن تضيق عليه . اليس هو الوريث المنتظر للقب وثروة اسرة تيشبورن . اليس ابوه سير جيمس تيشبورن .

وكان روجيه على قدر كبير من الذكاء ولكنه قلق لا يعرف الاستقرار ، فتنقل بين جميع مدارس باريس ، يفصل من الواحدة بعد الاخرى . وتجد امه له الأعذار في كل مرة . ولما سدت جميع ابواب

المدارس في وجهه عينت له مدرسين خصوصيين .

وفكر آل تيشبورن ان هذا الوريث للقب يجب ان يتلقى تعليما انجليزيا يؤهله لحمل اللقب وزعامة الاسرة ـ وكان حقدهنا على زواج سير جيمس بفتاة فرنسية قد خفت حدته فارسلت تدعو الأب للاقامة في انجلترا ، ولكنه فضل ان يبقى في فرنسا ، وارسل ابنه ليلتحق بالمدارس الانجليزية ، وفيها التحق باكاديمية ستند هرست الحربية الشهيرة .

وبعد بضع سنوات فيتر ابتعاد روجيه عن حضانة امه من اخلاقه ، ولكنه لم يكن ينسجم كثيرا مع زملائه من الانجليز ، فصار يتجنب الاختلاط بهم ويقضي اكثر اوقاته مع سيّاس الخيل فاصبح بذلك موضع سخرية زملائه ، وكثيرا ما قامت بينه وبينهم معارك ، يضربهم ويضربونه . وانتهى به الأمر الى مقابلة سخريتهم بهز الاكتاف والاعتكاف في غرفته يدخن غليونه ويقرأ كتب السياحات والمغامرات . وقد عزى تصرفه هذا الى انه وقع على رأسه اثناء الركوب وبقى ساعات طويلة في حالة غيبوبة .

وجاء والداه لزيارته فنزل الأب والابن في ضيافة اسرة تيشبورن ، واضطرت الأم للنزول في فندق لأن الاسرة لم تكن تستطيع استقبالها ... الى هذا المدى وصل التزمت الانجليزي في تلك الايام ...

وفي هذه الاثناء قام كيوبيد (اله الحب) بدوره بين روجيه وكاترين ابنة عمه التي بلغت الخامسة عشرة فلما الحق روجيه بالفرقة السادسة الخيالة التي كان مزمعا ارسالها الى الهند ، جمع روجيه شجاعته وتقدم يطلب يد ابنة عمه . ولكن طلبه رفض باباء وشمم كما يقولون . ليس فقط لما علق بمولد امه ، ولكنه لانه تربى تربية فرنسية فيها الكثير من الحرية جعلته مفلوت اللسان لايتحرج من حكاية قصص ونكات مكشوفة ويتلفظ بكلمات محرمة في الصالونات الانجليزية . وكانت صدمة لم يكن يتوقعها . فقرر ان يغترب . واستقال من الجيش . ولكنه لم ينس حبه لابنة عمه . وبدأ يبثها حبه في خطابات قال في آخر خطاب منها « انني اقسم لكاترينتي العزيزة انني سوف اعود لانجلترا في نهاية اكتوبر سنة ١٨٥٤ او يناير ١٨٥٥ فاذا لم تكن قد تزوجت او خطبت لاتزوجها . اما اذا كانت قد تزوجت او حتى خطبت فسوف ابقى في منفاي عشرة او خمسة عشر عاما ادعو لها بالسعادة فان سعادتي في ان اراها سعيدة » .

وجمع ما تيسر له من مال واقترض من اقاربه وركب مركبا شراعيا مع خادمه . وكانا الراكبان الوحيدان بها ، وذهب يبحث عن الثروة في امريكا الجنوبية . وعند وصوله الى « فالباريزو » تلقى رسالة تنبئه بوفاة والد كاترين . وفكر في ان يعود ليطلب يد كاترين ولكنه تذكر ان المعارضة في زواجه كانت من ام كاترين لا من ابيها فقرر ان يستمر في رحلته يدرس ويعمل واخذ يتنقل بين بلاد امريكا الجنوبية . بلاد تشيليه ، وبلاد تحطه الى ان عاد من جديد الى البرازيل ، ومنها كتب الى والده الذي كان قد استقر في انجلترا يقول له انه بسبيل انهاء بعض الاعمال ثم العودة الى انجلترا .

وفي ٢٠ ابريل ١٨٥٥ ركب مركبا اسمها « لا بيللا » حمولة خمسمائة طن ، مرت على ميناء كنجستون في جزيرة جامايكا . وترك الجزيرة بمركبه في ٢١ ابريل قاصدا ليفربول ولم يسمع عنها بعد ذلك ، فقد بلعها اليم جسما وبحارة وركابا . وعثر على بعض بقاياها . وانتهى التحقيق الذي اجرى باعتبارها مفقودة نهائيا ، ودفعت شركة اللويد ، شركة التامين ، التعويضات . وادت المصيبة الى تقارب بين ابوى روجيه ، فجاءت الأم التي كانت قد بقيت في باريس الى لندن واقامت في قصر تيشبورن واعتبر الناس جميعا ان روجيه قد مات ، الا امه ، فقد بقيت تنتظر الاخبار من جميع انحاء العالم ، وتستقبل في القصر كل من يدعى ان لديه اخبارا عن المركب لابيللا وقائدها القبطان بيركوت . واصبحت موضع حديث البحارة في جميع الموانى ، يتحدثون ـ فيما بينهم ـ عن خبل السيدة العجوز التي تبحث عن ابنها . ولما كثر عدد المترددين الافاكين الذين يدعون ان لديهم معلومات لتستقبلهم الام وترحب بهم في القصر ، ضاق صدر زوجها فامر بعدم السماح لهم بالاتصال بزوجته اعتقادا منه بانها اصيبت بالجنون ..

ومضت الايام .

وفي عام ١٨٦٠ تزوجت كاترين ، فقد مضت سنوات على غياب ابن عمها وذابت في خيوط الشمس ذكراه .

وفي سنة ١٨٦١ تزوج اخ روجيه الصغير (الذى

ورث اللقب والثروة التي كانت تعود الى روجيه لو لم يمت) . وقبلها مات سير جيمس فاسرعت زوجته بالعودة الى فرنسا واستقرت في منزل صغير لتكرس وقتها كله في البحث عن ابنها (الغائب) فقد بقيت مصممة على ان قلبها يؤكد لها انه لم يمت وسيعود اليها . وبلغ من قوة ايمانها انها كانت تنير حديقة منزلها في كل ليلة حتى لا تتعثر خطوات روجيه اذا عاد اثناء الليل من رحلته .

ونشرت في صحف القارات الخمس اعلانا نصه :

« ستمنح مكافأة سخية لمن يقدم معلومات عن مصير روجيه شارل تيشبورن الذى ترك ريو دى جانيرو في ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٥ على المركب « لابيلا » التي غرقت بجميع محتوياتها في الاطلنطيق . ولم تصلنا من وقتها اية معلومات عنه . ولكن المشاع في انجلترا ان قسما من البحارة والركاب قد انقذتهم مركب اتجهت بهم الى ملبورن فيما يقال . ان روجيه شارل تيشبورن يكون قد بلغ الثانية والثلاثين ، ضعيف البنية ، متوسط القامة ، اشقر الشعر ، ازرق العينين وهو ابن المرحوم سير جيمس ووريث لقبه وممتلكاته . ترسل المعلومات الى ليدى تيشبورن برقم ١٤ شارع ماتورين بباريس » .

واستمر هذا الاعلان ينشر من وقت لآخر في كبريات الصحف العالمية من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٥ . لم توقف النشر ... فقد ظهر روجيه بعد طول الانتظار ... بلحمه ودمه .. او هكذا ادعى شخص في خطاب تاريخه ١٧ يناير سنة ١٨٦٦ ، ارسله الى الأم الوالهة من مدينة واجا واجا باستراليا . ملأ قلب الأم سعادة واثبت لها انها كانت على حق وان قلبها كان دليلها .

قرأت الخطاب بقلبها – لا بعقلها – وكان نصه :

« امي العزيزة . بعد انقضاء هذا الوقت الطويل منذ خطابي الأخير في ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ اجد عسيرا أن ابدأ خطابي هذا . انني شديد الاسف لما سببته من آلام وقلق بعدم كتابتي لكم . ولكن لسكوتي هذا الطويل اسبابا يعرفها رجل اعمالي وانا حريص على ان احتفظ بها سرا ولن ابوح بها كتابة الا مشافهة لك . لقد اضطررت للعيش في ضنك وشظف . ولكن كوني على ثقة انني لم افعل ما لا يتفق مع شرف اسمي . لقد كنت يائسا .ذلك كل ما في الأمر .

انني اذكر لك بعض وقائع معروفة لك ولي لاقنعك بشخصيتي . مثل الحسنة السمراء التي بجانبي وموضوع ورق اللعب في برايتون . وتأكدي يا امي العزيزة ان ذكراك لم تبارحني لحظة . ارجو ان لا يعلم احد في هذه البلاد بهذه الأمور . ولكنني مصمم على ان اعود اليك . فارجو ان تبعثي الي بما يمكنني من دفع اجرة الطريق وتسديد بعض ديوني التي تزيد على مائتي جنيه . وفي عزمي ان احضر عن طريق البحر والبر تحت اسمي الحقيقي ولكن لا بد يا امي العزيزة ان تمكنيني من ذلك » .

وفي ورقة اخرى ضمن نفس الظرف (الغلاف) شرح باختصار كيف انقذ من غرق « لابيلا » وانه لم يكن الوحيد الذى نجا . واعترف انه حين ركب المركب كان في حالة سكر كامل . وكان ذلك – ان لم تخنه الذاكرة – يوم ٢٠ ابريل ، وان عدد الذين ركبوا معه سبعة عشر . وان البحر ظل هادئا لمدة اربعة ايام ولكن الماء بدأ يتسرب بكثرة . وهاج البحر ولم تفلح الطلمبات ، وقرر القبطان ترك المركب وركب ستة منا في زورق نجاة ، وكان من حظنا ان لحقتنا مركب اسمها – فيما اذكر – اوسبرى – حملتنا الى استراليا .

وهذا الخطاب مجموعة من المتناقضات . لذلك بدأ الشك يتسرب الى عقل الأم . الأم التي طالما استقبلت في قصر تيشبورن الافاكين الذين كانت ترحب بهم . بدأت تشك – أو لعلها خشيت ان تصدق – وقالت للمقربين منها . « ليس هذا خط روجيه ». « ولا اعرف ماذا يقصد بالحسنة السمراء أو لعبة ورق اللعب » وما الذى جعله يحتمل عيشة الضنك التي يعترف بانه عاشها ؟؟ .

ولكنها – مع ذلك – ردت على مرسل الخطاب ودعته في ردها « عزيزى المحبوب روجيه » وارسلت اليه مائتي جنيه اردفتها بمائتين وخمسين ثم باربعمائة بناء على طلبات مكررة منه . وكان في كل مرة يتقدم بتفصيلات عن حياته طوال السنوات الاثنى عشر . فقد عمل قصابا في واجا واجا وعاش على « قد الحال » . ولكنه راض عن مصيره . وانه تزوج من فتاة اسمها مارى آن بريانت من اصل متواضع . أمية لا تقرأ ولا تكتب . ولكنها رقيقة هادئة ومخلصة . وقد انجبت لنا ابنة واحدة . وانه اعتقد – كيف ولماذا لا احد يدرى ؟ – ان جميع افراد اسرته قد ماتوا ولذلك استمر كل تلك

المدة لا يكتب او يبعث باخباره وغير اسمه الى كاسترو .

ويقول في تلك الورقة الثانية : « وكان يمكن ان ابقى على هذه الحال لولا ان وقع نظري على الاعلان المنشور . فما كاد يقع نظري عليه حتى شعرت بتبدل كامل في حياتي وارتباط بوطني واسرتي وحياتي السابقة . وكرهت حياتي التي احياها في المنفى . واعتبرت ان (كاسترو) قد مات وانني عدت الى حقيقتي تيشبورن . وابعث لك بصورتي ومنها تحكمون على مقدار ما زاد في وزني ... الى الملتقى القريب يا اماه » .

★ ★ ★

كان تاثير الصورة على الأم قويا . لقد رات صورة ابنها حيا بعد ان اعتقد الجميع انه قد مات . لقد وجدت ايمانها الذى عارضت به جميع الناس يتحقق . لقد عرفت ابنها تماما واكتشفت في الصورة جميع الملامح العزيزة التى لم يمحها طول الغياب من ذاكرتها .... لقد انمحت كل الشكوك التي راودتها باديء الامر . وكتبت له تخطره عن استلامها للصورة بكلمات كلها حنان وحب. وقالت في خطابها ان باستراليا خادمين سابقين لاسرة تيشبورن احدهما بستاني اسمه جيلفويل والآخر سايس خيول اسود اسمه بوجل .

يالها من مسكينة . انها في لهفتها لتحقيق املها بدات تمد من ظنته ابنها بالمعلومات التي كان يجب ان يعرفها ـ فكان يتخذ من كتاباتها سلما يرقى اليـه .

بحث صاحبنا ـ وسنطلق عليه من الآن اسمه الذى ادعاه (روجيه) تحقيقا لرغبة امه حتى تنقشع عن عينها الغشاوة ـ عن الرجلين واستدعاهما الى واجا واجا وحصل منهما بكل سهولة على شهادة قررا فيها انهما تعرفا من الوهلة الاولى على (سيدهما) . وكان الاول البستاني يكسب قوت يومه ولا يفكر في ترك استراليا فعاد الى عمله . اما الثاني فكان بائسا وله زوجة وولد فالحقه روجيه بخدمته ومناه بانه سياخذه واسرته معه الى انجلترا ... وادرك صاحبنا ما يريده القصاب منه فاخذ يروى له جميع المعلومات التي يعرفها عن اسرة تيشبورن وهو يستمع ويدون في ذاكرته كلما يسمع ويهز راسه ويقول « اذكر ذلك تماما » .

★ ★ ★

وركب روجيه وزوجته وابنته وبصحبتهم بوجل وزوجته وابنه مركبا وجهتها ميناء الهافر . اسرع الى باريس حيث استقبلته امه (؟) بالاحضان . واعتقد انه قد حقق مطلبه وان اللقب والثروة الطائلة قد اصبحت في متناول يده .

★ ★ ★

ولكن الرواية لم تكن قد تمت فصولها . فقد ورث اللقب والثروة الابن الاصغر الذى تزوج وانجب ابنا هو الآن حامل اللقب ، يفقده اذا صح ان القادم من وراء البحار هو صاحب الحق الشرعي فرفضوا الاعتراف به .

وكانت زوجة سير جيمس (امه) تمده بالمال في انتظار ان يضع يده على الثروة ولكن شاء حظه العاثر ان لا تطول حياتها ـ لعل قلبها لم يحتمل ما غمرها من سرور ـ وانقطع بذلك ما كانت تقبضه من نفقة وربع مدى حياتها . فلم يبق امام روجيه الا ان يلجا للقضاء .

وقد لجا عنيفا فقدم بلاغا ادعى فيه ان وفاة امه لم تكن طبيعيـة وطلب استخراج جثتها لتشريحها كما طلب تشريح جثته اذا مات لانه ـ فيما ادعى ـ لا يجهل ان مبلغ الف جنيه قد عرض على احد خدامه ليدس له السم في الطعام .

واطلع القاضي على شهادة الاطباء المبينة لاسباب الوفاة ورفض هذا الطلب .

ولم يقف خصومه مكتوفي الايدى فبعثوا برجل اسمه ماكنزى الى استراليا ليجمع معلومات عن شخصية غريمهم وقام الرجل بتحريات واسعة وعاد بشهادات تثبت ان كاسترو كان يعمل في استراليا قبل تاريخ وصول روجيه الهاواننزواجه بان مارى بريانت قد عقد مرتين مرة في عام ١٨٥٩ امام قسيس ويستفالى ومرة في عام ١٨٦٦ امام الكنيسة الكاثوليكية ـ اي بعد ان اكتشف كاسترو ان اسرة تيشبورن كاثوليكية .

واستطاع ماكنزى ان يحصل على مفكرة بها بيانات بخط كاسترو منها عنوان قصر تيشبورن ـ في غير موضعه الصحيح . كما كتب اسم تيشبورن عشرات المرات كما لو كان كاسترو يريد ان يرسخ ذلك الاسم في عقله . كما وجد فيها جملة منقولة اتخذها كاتبها شعارا له تقول :

« ينقسم الناس الى فئتين ! اصحاب عقول وليس لديهم المال . واصحاب مال بدون عقل وجدوا لمصلحة الفئة الاولى » .

واكتشف ماكنزى ان قصابا آخر اسمه شوتييه

كان في واجا واجا كان يعرف كاسترو وانه مثله من ضاحية قريبة من لندن اسمها وابينج . فجمع الكثير من المعلومات عنه - لانه كان قد ترك استراليا - وانتقل الى وابينج بحثا عنه ولكنه لم يجد له اثرا بل وجد اثرا لقصاب آخر صديق له اسمه اورتون له ابن هاجر الى استراليا في حوالي سنة ١٨٥٠ ولكنه لم ينجح في عمله ولم يجمع ثروة الا في الايام الاخيرة حيث ظهرت على اسرة اورتون بعض مظاهر الثراء التي لم تعتدها من قبل . واستجوب ماكتزى اخوة اورتون فقالوا ان احد اخوتهم يملك ضياعا واسعة في استراليا قد عاد اخيرا وانه يدفع لهم ايرادا شهريا .

★ ★ ★

وتتبع الخصوم هذا الخيط الجديد وايقنوا ان آرثر اورتون هو الأفاك الذي عاد تحت اسم كاسترو ويدعى انه روجيه المفقود . فمن هو آرثر هذا ؟ .

انه الابن الثاني عشر لاسرة مكونة من ثمانية ذكور واربع بنات . كان ابوه جورج اورتون قصابا محترما في وابنج . وهو من مواليد ٢٠ مارس ١٨٣٤ اي انه يكبر روجيه بخمس سنوات . درس دراسة اولية في احدى مدارس الضواحي ولم يتم تعليمه لاصابته بمرض الرعشة على اثر حريق شب في المنزل المجاور . فالتحق بمركب شراعي متجها الى فالباريزو حيث وصل في يونيو سنة ١٨٤٩ ووقع في غرام راقصة هجر من اجلها مركبه ... وبعد ثلاث سنوات عاد الى لندن حيث تزوج بها - وليس بواجاواجا بماری آن بريانت وفي اغسطس سنة ١٨٥٢ هاجر الى استراليا .

وآمن آل تيشبورن ان هذا هو النصاب الذى جاء يدعى انه روجيه تيشبورن رغم سوابقه ليحرمهم من اسمهم ولقبهم وثروتهم الطائلة . بينما انقسم الناس في لندن وفي الامبراطورية البريطانية بين انصار للاسرة وخصوم وشغلت الصالونات والنوادى والصحف باخبار القضية ودارت المراهنات حولها .

★ ★ ★

بدات القضية في اليوم العاشر من مايو سنة ١٨٧١ واستمرت حتى ٢٨ يناير ١٨٧٥ .

جاءت في البداية مجموعة من الشهود الذين جمعهم آرثر اورتون من نوع شهود المحاكم المتطوعين الذين يشهدون بما لا يعلمون . اولهم خادمه اثناء التحاقه بالفرقة السادسة الذى اقسم اليمين واكد انه عرفه من النظرة الاولى عن طريق مشيته وتقوس ساقيه وانفراج ركبتيه وحركة عينيه .

وثانيهم رجل اسكتلندى لم ير روجيه الا مرة واحدة على رصيف مارسيليا قبل واحد وعشرين سنة واكد انه هو الذى رآه .

وعدد كبير من الشهود الآخرين قارب عددهم المائة منهم من جاء لمصلحة ومنهم من جاء مندفعا بحماسه وجميعهم لم يصمدوا امام استجواب محامي الأسرة وبدا للمحلفين انهم ليسوا بالشهود العدول .

★ ★ ★

وبدا استجواب روجيه (او اورتون) ووجهت اليه اسئلة كثيرة من القاضي ومن محامي الخصوم عن حياته قبل أن يهاجر وعن تصرفاته وتنقلاته اثناء اقامته الطويلة في القرية واتخذ هو موقفا واحدا امام تلك الأسئلة التي تستهجن تصرفاته قائلا « اما أنه نسي . او انه ليس من حقهم الاستغراب لتصرفاته وعزا ما في تصرفاته من شذوذ الى علمه بزواج ابنة عمه بعد ان تعاهدا على الزواج ملمحا الى انه حدث بينهما ما كان يجب ان لا تنساه » .

واحدث ذلك التلميح ضجة في القاعة مما حمل محامي الأسرة الى ان يتحداه اذا كان يجرؤ ان يقول ان كاترين التي اصبحت الآن ليدى رادكليف قد اباحت له نفسها .

فتردد قليلا كمن يستعيد ذاكرتهاو يقدر خطورة اجابته ثم قال : نعم .

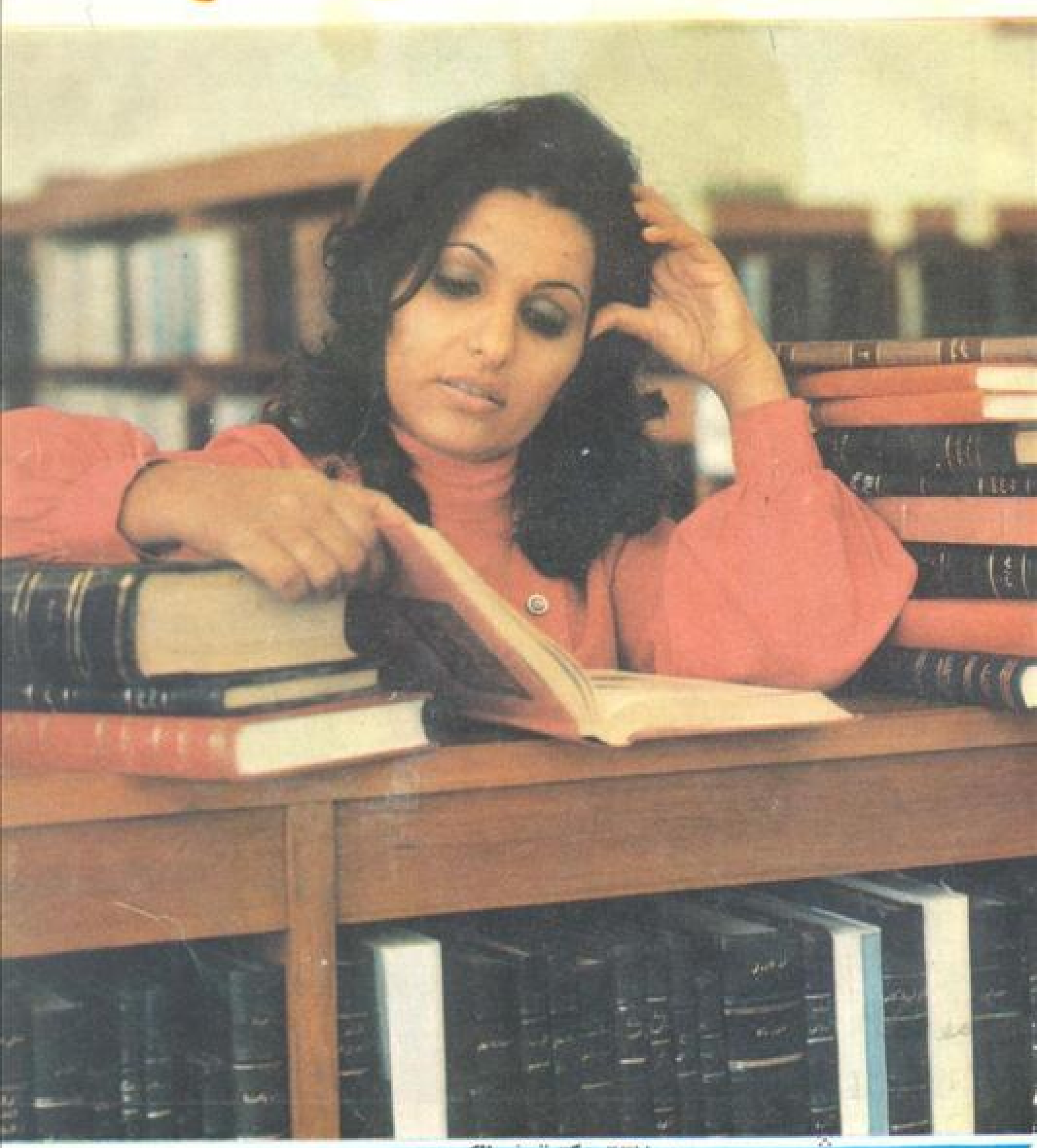
وهنا صاحت ليدى رادكليف التي كانت بالجلسة بصوت حانق : هذا كذب .. كذب .

وتعددت اسئلة القاضي له فلم يستطع الاجابة على الكثير منها .

فهو لا يذكر اسم القسيس الذى عمده . واكد انه لم يلتحق باى مدرسة في باريس . ولا ذكر اسم فتاة من اللاتى راقصهن . وذاكرته عن وقائع جرت اثناء الدراسة بيضاء . وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة تامة فامه فرنسية وعاش حياته الاولى في باريس ومع ذلك لا يعرف كلمة واحدة

العربي

العدد ١٥٦
رمضان ١٣٩١
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٧١



بين ٢٣٧ مكتبة في الكويت
مكتبة بالنساء خاصة

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



من روائع الفن العالمي :

● لوحة شهيرة للرسام الاسباني جويا رسمها سنة ١٨٠٥ واكتفى بتسميتها « صورة انطونيا زارات » .. وقد كانت انطونيا هذه ممثلة بارزة وابنة الكاتب المسرحي جيل زارات . وكانت حسناء في الثلاثين من عمرها حينما واصلت جلساتها لرسمها الفنان . واللوحة موجودة حاليا في ارلندة وتبلغ مساحة الصورة ٨١٫٩ سم × ١٠٢٫٥ سم .

(انظر صفحة ١٤٢)

عزيزي القارئ

● قالوا لنا دخلت البحرين ودخلت قطر هيئة الامم المتحدة ، فوجبت التهنئة .

وسكتوا وسكتنا .

وقالوا بعد أيام ، ودخلت « عمان » هيئة الأمم المتحدة ، فوجبت التهنئة .

وسكتوا وسكتنا .

سكتنا عن تهنئة ، لأن التهنئة لا تكون الا على الخير الكثير ، يأتي او هو يرتجى .

ونظرت في خير يناله اعضاء هذه الهيئة الاقدمون ، دع الاعضاء الاحدثين ، فوجدت انها هيئة يتمثل فيها شر المجتمعات الانسانية ، وابعدها عن ديمقراطية .

انها هيئة تضم مائة وثلاثين عضوا ، وزادوا واحدا . في حكم القانون اعضاء متساوون . ولكن الاقطاع فيهم شر من اقطاع كان في القرون الوسطى . منهم دول قليلة أسموها بالدول الكبرى ، واستحوا فلم يسموا خلق الله الباقين بالدول الصغرى . وسياسة الهيئة هي سياسة ما يرى النقباء الأربعة او الخمسة . وأسميتهم نقباء لما ذكرت المثل العربي الذي يقول :

« يا بخت من كان النقيب خاله »

واسرائيل ، وهي ليست من الدول الكبرى في شيء ، هي كبيرة ، لان النقيب الاكبر ، في الامم المتحدة ، خالها . ولقد كونت الولايات المتحدة ، في هيئة الامم المتحدة ، توابع ، كما تتبع الكواكب الشمس . جذبها اليها ، لا قانون نيوتن ، ولكن القانون الانساني الذي يقول: ان المال اقوى جاذب . وكالمال القوة ، قوة علم ، أو قوة حرب .

الولايات المتحدة اليوم، هي في الأمم المتحدة اليوم عصبة"، هي عصبة أمم في هيئة أمم متحدة.

رأت أولا تدخل الصين الهيئة سنوات ، فما دخلت . وقالت أمم كثيرة في الهيئة العالمية : لا تدخل .. ثم رأت هذا العام ان تدخل . وبقدرة قادر ، قالت نفس تلك الأمم : لا بأس ، فلتدخل !

فهل بعد كل هذا يكون هناك مجال للتهنئة بدخول هيئة أمم كهذه ! !

ان تكن بعد كل هذا تهنئة ، فللأخوة العرب الثلاثة ألف تهنئة ، وتهنئة !

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 156 November 1971 P. O Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



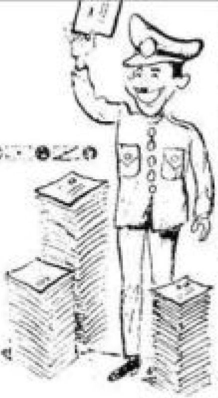
صورة الغلاف

● ٢٠ مكتبة عامة .. و ٢١٧ مكتبةمدرسية تنتشر في جميع انحاء الكويت .. وفي منطقة الدسمة احدى ضواحيالكويت ، مكتبة عامة خاصة بالنساء تحوي عدة آلاف من الكتب والمجلداتهذه صورة منها .

(أنظر الاستطلاع ابتداءمن صفحة ٥٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥ قرشا ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

في سبيل موسوعة علمية

● في كل عدد جديد تطلع علينا العربي بموضوعاتها الدسمة في العلم والادب والتاريخ ومختلف فروع الثقافة . ان المواد التي تنشر في هذه الابواب تصنع كتبا كم نتوق لرؤيتها كاملة لكل ما نشره العربي وسينشره . لماذا لا تصدرون كتبا تحوى الموضوعات العلمية واخرى للموضوعات الادبية وثالثة للتاريخ وهكذا .. نرجو ان تحققوا لنا هذه الامنية .

محمد سعد ـ السعودية

العربي : ليس هذا بمطلب جديد ، فقد تلقيناوما زلنا نتلقى مئات الخطابات من القراء من مختلف ارجاء الوطن العربي ، يرجون ويلحون في الرجاء بان نجمع لهم مواد العربي في كتب ، لا سيما العلمية ، وتحقيقا لهذا تقدم احد الناشرين العرب ، وله هواية بالعلم ودراية ، فاستأذن لطبع ما نشرته العربي تحت باب « في سبيل موسوعة علمية » ، وقد علمنا ان هذا الكتاب الجديد قد اوشك على الصدور ونرجو ان يتبع هذا الكتاب بكتب اخرى تجمع ما نشر العربي من مسلسلات في العلم والادب والتاريخ ، كما ذكرتم .

الاندماج الاقتصادى

● لاحظت في عدد تموز ١٩٧١ في مقالة الاندماج الاقتصادى على المستوى الاقليمي للكاتب اسماعيل العربي ان هناك خطأ وقع في الايضاح بالخارطة الخاصة بالاتحاد الجمركي لافريقية الوسطى ، حيث اشير على الخارطة المذكورة ان من جملة هذا الاتحاد الكونغو بشطريها في حين ان الكونغو (برازافيل) وحده هو الصواب لانه ضمن المجموعة الفرنسية المكونة للاتحاد .

ياسين الشيخلي ـ بغداد

اقتراحات من القراء

● استجابة لما دعونا القراء اليه من ارسال اقتراحات تتصل بالموضوعات والابواب المنشورة بالعربي ، وبهدية العام الجديد ، وصلتنا من الكثيرين منهم اقتراحات قيمة ، ولكنها لم تخرج عن الاقتراحات التى سبق ان ارسلوها الينا فى الاعوام الفائتة .

ونحن نسدى الشكر الى من تكرموا بارسال المقترحات .

« العربي »

خطأ مطبعي

● جاء في مقال الدكتور حسين مؤنس الذى نشر فى العدد ١٥٤ من العربي تحت عنوان : اقرأ باسم ربك الذى خلق « الآية الكريمة من سورة المدثر وهي : « ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر » . ولكن فكبر كتبت فبكر ، وهو خطأ مطبعي لا شك في ذلك ، لذا وجب التنويه .

احمد ممتاز الجلاد
دمشق / سوريا

ربط العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية

● منذ ايام قليلة شاهدت على شاشة « التلفاز » ندوة كان يديرها السيد الدكتور عبد المنعم أبو العزم وكيل وزارة البحث العلمي وجاء ذكركم في سياق حديث سيادته كأحد اعمدة العلم ودعائمه واثار سيادته قضية ما من شك في انها ستحظى منكم باهتمام يشفع لنا في المطالبة باشباع نفوسنا في مجاله وكان محور المناقشة مدى ارتباط العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية ومدى مساهمة التكنية في تطوير العلوم الانسانية ووجدت نفسي تلقائيا اكتب لسيادتكم مناشدا عرض الموضوع في سلسلة من المقالات على نمط سلسلة مقالات « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » .

ج٠ع٠م　　سعد حسين عيسى

كربلاء والنجف الاشرف

● سبق لمجلة العربي ان قامت باستطلاع العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف ، في العدد رقم ٤٢ الذى صدر في اول مايو من عام ١٩٦٢ ، اى منذ عشر سنوات او نحو ذلك . ومنذ ذلك التاريخ حدثت تغييرات كثيرة في المدينتين المذكورتين ، فقد ازدهرتا ونشطت حركة العمران فيهما ، حتى اصبحتا من المدن الهامة في العراق . انني اقترح على بعثة العربي ان تقوم بزيارة جديدة تستطلع فيها هاتين المدينتين في ثوبهما الجديد .

عبد الرضا مزهود الشيلاوى

العراق / النجف الاشرف

اقليدس لم يكن انجليزيا

● في الصفحة الثانية من عدد ابريل ١٩٧١ نشرتم لوحة تمثل العالم اليوناني القديم « اقليدس » وقد ذكرتم تحتها بالنص « .. الكتاب الذى وضعه في اصول الهندسة وسماه The Elements » .

هلا صححتم بالله عليكم ، هذه الخطيئة .. فاقليدس لم يضع كتابه المشهور باللغة الانجليزية بل باللغة اليونانية القديمة . واراهن بمبلغ الفدينار على ان اقليدس لم يعرف اللغة الانجليزية ... فهذه اللغة لم تكن موجودة بعد في عهده ..

محمد عبد الرحيم عثمان

خبير هندسي ـ كندا

العربي : انك تؤكد في رسالتك حقائق معروفة بل مسلما بها .. فالكل يعرف ان اقليدس المفكر ، او العالم اليوناني القديم الذى عاش ودرس في الاسكندرية ، حوالي سنة ٣٠٠ ق.م ، لم يعرف الانجليزية ، ولم يضع كتابه « Elements » في اللغة الانجليزية .. حقا لقد اغفلنا عنوان الكتاب الاغريقي الاصلي (Stoicheia) .. الان اكتفاءنا بذكر اللفظ الانجليزي Elements ، الذى يؤدى معنى ذلك العنوان والذى يقوم مقامه في الغرب ، ليس بخطيئة ، ولا يجوز ان يفهم منه بأى حال ان اقليدس وضع كتابه باللغة الانجليزيه .. ولو اننا كتبناه بالعربية وقلنا « العناصر » لجاءنا منك خطاب تستنكر فيه ان اقليدس كان يعرف العربية .

(البقية على صفحة ١٧٤)

حديث الشهر

الأُسْرَةُ بَيْنَ عَصْرَيْن:

- الأُسْرَة ماعَتْ عند الرّوس، ثم عادَتْ إلى تماسُك.
- التَّبعيةُ الفكريَّة، عبوديَّة لا ترضاها العقول، إلّا عند عَجْز.
- الصِّناعة فكّكتْ روابطَ الأُسْرة القديمة، لِتَصْنَع منها أُسَرًا حديثة.
- والمرأة عمِلَتْ، وكسبَتْ، وتحرّرَتْ.
- تحرُّر المرأة لا يعني فساد آدابٍ لها.
- الطّلاقُ لا يهدمُ الأُسْرة، ولا الإباحيّةُ الحاضرةُ بقاضيةٍ عليها.

إِنَّ الأُسْرة باقِيَةٌ مَا بَقِيَ طَيْرٌ قادرًا على بِنَاءِ عُشٍّ لم يَتعلم كيف يَبْنِيه ، أَوحيوانٌ وحشٌ يطلبُ جُحرًا يَطوِيه ، أَو إِنسانٌ يَأْوِي إِلى كَهْفٍ يَسكُنهُ أَوْبيتٍ يَحتَوِيه

زراعيٌّ قديمٍ ، وَصِناعيٌّ حَديثٍ

بقلم رئيس التحرير

■ كان شابا مليئا بكلّ جديدٍ من الآراء مما ينتشر في هذا العصر الحديث. وعلم أن هناك لليمين اهلاً ، ولليسار اهلاً ، وربط أهل اليمين بالتخلف ، وربط أهل اليسار بالتقدم ، والتخلف عنده ركودٌ وخمودٌ ، واليسار عنده حركةٌ ونشاطٌ ، وصار ينتمي ، في أكثر ما ينتمي من آراء ، الى آراء اهل الحركة والنشاط .

وتحدثتُ اليه ، فوجدتُ انه يرى في الأسرة ، انها نظامٌ وحدات يجمعها مجتمعٌ قديم ، وبما ان المجتمعَ القديم صائر الى الزوال ، واذن فمعه الأسرة لا بد زائلة ، لمجرد انها بعض القديم .

قلت له : ان تكن الجدّة هي التى تفريك بزوال الأسرة ، فاعلم أنّ زوال الأسرة ، راى غاية في القدم ، واذن فليس هو مما تنفتق عنه الآراء الحديثة في شيء .

قال كيف كان ذلك ؟

افلاطون ورايه فى أمر الأسرة

قلت : اقرأ جمهورية افلاطون ، فستجد فيها نظاما للدولة فريدا . وتجد أن الدولة عنده هى ذات الخطر الأكبر فى حياة الناس ، ومن أجل هذا لا بدّ من الغاء كل ما ينافسها فى الخطورة

والسيطرة. والأسرة من أكبر منافسيها، واذن وجب الغاؤها أو على الأقل اضعافها . وهو يقترحُ للدولة أن يكون حكامها من رجال ونساء يختارون من الصفوة . وأن يكون هؤلاء النساء زوجات بالمشاع للحكام الرجال جميعا ، فلا يختص رجلٌ بامرأة . وما يلدْنَ من اطفال يكونون أطفال الجميع على المشاع أيضا ، فلا يعرف والدٌ مَن ابنه ومَن بنته ، ولا تعرفُ والدةٌ ، ولا يعرف ولدٌ مَنْ أبوه ومَنْ أمه .

استمعَ الشابُ وسكتَ .

وأردتُ أن أزيدَه ، فسألته : أيّ الدول الحاضرة اليوم هي في نظرك أكثرُ يسارية . ففكرَ ثم قال على شيء من استحياء ، لعلها روسيا .

قلت : سألتك وأنا أعلم أن جوابك سيكون الروسَ ، فاستمع لما صنع الروس ، هؤلاء اليساريون ، في أمر الأسرة .

الروس الثورة ، وما صنعوا في أمر الأسرة

ان الثورة الروسية قامت في عام ١٩١٧ ، وكانت نظرتها الى الأسرة تنمُّ عن استخفاف بها ، وعدم ادراك لخطورتها، ونتجت هذه النظرةُ بسبب المزاج الثوريِّ ، الذي كرهَ في عنفه كلَّ النظم التي كانت قائمةً في عهد القياصرة ، ومنها الأسرةَ ، وبسبب الرغبة العامة الجامحة للتحرر من كلِّ قيد . وقضت الثورة عند ذلك بأن يتزوجَ مَنْ يشاء مَنْ يشاء ، ويسجل، أو يتعايشُ الاثنان فيصبح المسجل كالمتعايش . وفي عام ١٩٢٩ مات رجلٌ فتسابقت امرأتان تدّعيان الارث فيما خلّف ، ولم تكونا زوجتين للرجل الراحل ، ولكن ثبتَ أن كليهما تعايشت واياه زمنا تعايشَ الزوجين ، فقضت المحكمة العليا لهما باقتسام الميراث . وكانت النتيجة الطبيعية لهذه النظرة للزواج ، فللأسرة ، أن لم يكد يكون



افلاطون .. جعل النساء شركة بين الرجال ، وبذلك دعا الى اباحية مطلقة وفصل بين الامهات واولادهن ، وجعل الاولاد ، اولاد الدولة .

هناك فارقٌ بين الولد ينجبه الرجل في زواج ، والولد ينجبه في غير زواج .

والطلاق من بعد زواج ، أباحته الثورة ، بلا عائق ، كان هذا العائقُ ما كانَ . يكفي أن يذهب الرجل أو تذهب المرأة ، الى وكيل الحكومة فتطلب الغاء زواجها ، أو يطلب . ويقع الطلاق على الفور . ولا هو يسأل عن سبب ، ولا الزوجة تسأل عن سبب .

ثم يأتي عام ١٩٤٤ فينقلب رأي الروس في الزواج وفي الأسرة . انقلبوا ، وهم اليساريون ، بعد تمويع معنى الأسرة تمويعا دام أكثر من ثلاثة عقود من الزمان . ففي هذا العام، عام ١٩٤٤، صدر القانون الذي يحرم أن تحلَّ المعايشة بين الرجل والمرأة محلَّ الزواج، وأن الزواجَ ، والزواج المسجل وحده ، هو الأسلوب الوحيد الذي يَعبرُ عن علاقة المرأة بالرجل .

والطلاقُ أصبح لا يؤذن به بمحض طلبه ، فقد وجبَ على المحكمة أن تعمل على اصلاح ذات البين بين الزوجين أولاً . وزيدَ رسمُ الطلاق زيادةً كبرى ، ووجبَ اعلان طلبه في الصحف المحلية . فاذا أخفقت المحكمة في اصلاح ذات البين، فقد يؤذنُ لها بايقاع الطلاق . ومع هذا. ففلسفة الروس اليوم انما هي كراهة



لينين .. بدات الثورة الروسية فى امر الاسرة ، باباحة الطلاق اباحة مطلقة ، ثم ربطته بروابط كثيرة حفاظا على الاسرة .

الطلاق . وقد وجهت المحكمة العليا الى المحاكم عام ١٩٤٩ مكتوبا تلومهم فيه على شيء وقع من التساهل والميل الى ارضاء الزوجين بالطلاق ، وذكرتهم بان الطلاق لا يعطى الا لاسباب قاهرة ثابتة تحققت المحاكم من قيامها، وبحيث اصبح استمرار الزواج معها لا يؤدى الى الهدف منه من حيث المحافظة على كيان الاسرة ورعاية اطفالها .

الحق لا يعرف يسارا أو يمينا

انصت الشاب الى قولى هذا كله ، ومع هذا ظل ساكتا يفكر . فرايت ان ازيده خشية أن يخطىء الهدف من كلامى ، ويحسب انى اصبحت معه يساريا . ولست ابالى أن اكون يساريا، أو اكون يمينيا،لأنى لا افهم معنى محددا لليسارية ، ولا لليمينية . كل يدعى الهدى ، وعندى أن هدى الطريق لا يكون دائما فى اتجاه واحد . والهدى قد يسلك اليه الانسان سبلا ذات اتجاهات أربعة او ما شئت من اعداد .

قلت : أردت أن أزيد هذا الشاب صفاء رأى ، فقلت له : اذكر أن الذى استخف بأمر الأسرة فى ثورة عام ١٩١٧ كان يساريا ، وأن الذى اعترف بثقل وزن الاسرة فى المجتمع فى عام ١٩٤٤ ، وأن استقرار الاسرة لا بد منه لاستقرار المجتمع ، كان ايضا يساريا . كلاهما اعتمد الفكر مفتاحا للحل . وأخطأ الفكر اولا ، واصاب الفكر اخيرا ، حتى لكاد أن يكون يمينيا ، وحتى لقال الروس بما قال به الرسول : « أبغض الحلال عند الله الطلاق » . أما خطأ الفكر أولا فلامتزاجه بشائبة من عاطفة جامحة هى كراهة الظلم الذى كان قبل الثورة ، والمجتمع الذى كان ، وبالتبع كل ما كان، ومن ذلك الاسرة . وأما اصابة الفكر آخر الامر فقد اعان عليها ما كسب الروس من خبرة فى ربع القرن الذى مضى بين الرأيين .

وسكت وسكت الشاب .

التبعية الفكرية
عبودية لا ترضاها العقول
الا عند العجز

وعدت أسأل الشاب عن فحوى ما استفاد واستفدت من هذا الحديث .

قال : عرفت أن الروس كرموا الأسرة ، وهذا كنت لا ادريه .

قلت : حديث الأسرة والروس انما جاء عرضا ، وانما الراى الذى اردتك أن تعيه وأن تحذره ان تسمع براى ، وتعلم ان اليساريين يقولون به ، فتدعى لهذا الراى التقدم ، ثم تسمع براى وتعلم ان اليمينيين يقولون به، فتدعى لهذا الراى التاخر. واحذر من عكس ذلك، رفع راى يقول به اليمينيون ، وخفض راى يقول به اليساريون. انها التبعية الفكرية والعبودية العقلية التى يلغى فيها الرجل، وتلغى المراة ،عقلها وفكرها ، لتستعيض بهما فكرا وعقلا غيرهما . واهل اليمين كثيرا ما يتحدثون عن الاستعمار الفكرى، وتسالهم ، فتعلم انهم انما يقصدون الاستعمار اليسارى . واهل اليسار كثيرا ما يتحدثون عن التخلف الفكرى ، وتسالهم، فتعلم انهم يقصدون الاستعمار الفكرى اليمينى . وان كان لا بد من

استعمار فليستعمر الرجل نفسه ، من راسه يخرج الفكر ليبنى ، ومن راسه يخرج الفكر ليزرع . ومن راسه يخرج الكفر ويخرج الايمان، ومنه يخرج الضلال والهدى . وليس لدى المرء اداة هدى الا عقله ، فان ضلّ من بعد اجتهاد صادق فما على المرء بعد ذلك من سبيل . الا أن يمنّ الله عليه بالفكر الذى يكشف خطأ الفكر ، ويقيه العثرات .

قال الشاب : هذا كلام طيب ، ولكنا الى الآن لم نقض فى امر الأسرة شيئا . هل نظام الأسر نظام باق على الزمن او هو زائل مع ما زال من نظم هذه الحياة عبر الايام .

قلت : اظننا قضينا اننا لا نستطيع ان نقضى فى امر الأسرة ، هل تبقى أم تزول ، بسبب قدم او حداثة. فالشجر قديم وباق ، والشمسُ قديمة وباقية ، والحياة نفسها قديمة وباقية . وقضينا كذلك باننا لا نستطيع أن نقضى فى امر الأسرة ، بقائها والزوال ، بناءً على ما يقول اهلُ يسارٍ او اهل يمين ، وانتهينا الى أن لا دخلَ ليسارية أو يمينية فى الحكم على الأمور . وهذه قواعدُ ثابتة اساسية فى الحكم ، لا فى امر الأسرة وحدَها ، ولكن فى سائر ما ننظر فيه من أمور .

وقطع الحديث قاطع

وفى تلك الساعة استأذنَ بالدخول الينا مَنْ قطعَ علينا الحديثَ . والحق انه كان قد طالَ حتى استبانت نهايته.

ولكن تراءى لى مع هذا ان امر الأسرة، هل هى باقية مؤسسة راسخة الكيان فى المجتمعات الانسانية ام هى الى زوال، ما لا يجوز أن يقف الانسان به عند الحد الذى وقفنا عنده ، لا سيما وقد ظهرت فى المجتمعات الانسانية ، ولا سيما الغربية ، نذرٌ تكاد تنذرُ بفناء الأسرة ، فبذهاب الاستقرار فى هذه المجتمعات.

الأسرة القديمة فيما قبل التصنيع

واستأنفتُ الحديثَ بالأسرة القديمة فى بلاد الغرب ، اى قبلَ عصر التصنيع والحضارة الحاضرة، وتشبهها فى اصول الصفات ، الأسرة الريفية الحديثة فى بلاد الشرق وبلاد العرب ، وهى لم تعرفْ بعدُ ما العهدُ الصناعى ، ولم تتأثرْ بمطالب الصناعة والصناعيين .

الأسرة القديمةُ كانت مؤلفةً من رجل زوج وامراة زوجة ، واولاد ثلاثة او خمسة او عشرة . ويكبر الأولاد ويتزوجون وتتسع لهم الدار . جمعتهم جميعا لحمةُ الأرض ، وشركةُ الحياة ليلاً ونهارا. وتوزعت الواجبات بينهم. فالأب وهو العامل الأول ، والكاسب الأول ، ومَغداه ومَراحُه خارجَ الدار . وهو الراس المدبرُ ، وهو الناصح، واليه ترجع الأمور . والزوجة الأم لها البيتُ كله ، فيه مَغداها ، وفيه مَراحها . والاولاد ، الذكورُ ، فى الدار يتعلمونَ ، او فيما هو قريب من الدار . وان كبروا وتاهلوا فلهم فى الدار عشٌ مأمون . وان لم يكن فعش من الدار قريب، تمتد اليه الرقابة ، رقابة رب الأسرة الكبير ، وهى تصبح على السنين مشاركةً ، ومعاونةً وولاءً للأسرة دائما .

وحاجات العيش كانت تعينُ كلها على ربط الأسرة الكبيرة وضمّ نسيجها فى تلك العصور ، عصور ما قبل العصر الصناعى الجديد . فكل شىء تمكن صناعته فى البيت ، فالبيت مصنعه . رغيف العيشُ يعجن ويخبز فى البيت . واللبن يحلب فى البيت من عنزة او بقرة، واللحمُ يجزؤه الجزار عن قرب . وتبحث عن المطاعم فى القرية او المدينة القريبة فلا تكاد تجدُ من ذلك شيئا . وقد تجد الخانَ ولا تجدَ الفندقَ لان الضيوف تنزل فى البيوت .

وكالطعام فى الأسرة فكذلك اللباس . يصنع فى البيت . ويغسل ويسوّى فى البيت . والركوبة ، لكل بيت ركوبته ،



الاسرة القديمة فيما قبل التصنيع،حاجات العيش كانت تعين كلها على ربط افرادها،جمعتهم جميعا لحمة الارض وشركة الحياة.

ولكم سمعنا ونحن صغار عن مدرسين مشهورين اعلام كانوا ينتقلون الى مدارسهم على الحمير والبغال ، هى حميرهم او بغالهم ، ولها فى المنازل كما لأبناء آدم مأوى .

والأسرة يكسب كاسبوها فيوضع الكسب كله فى حصيلة واحدة . ولا كاسب عند ذلك غير الرجال .

والأسرة كانت تحمل اسما واحدا يجوب به كل اعضائها فى القرية ، أو فى المدينة ، قبل العصر الصناعى ، وهى تحمل مع هذا الاسم كل ما بلغته الأسرة فى بيئتها من مكانة. كرجل القبيلة يتنقل ومعه اسمها ، فهو تميمي أو مازني ، ويكال له من احترام بقدر ما لاسم يحمله من مكانة .

والأسرة القديمة كانت فى حقيقة امرها اسرا ، يجمعها الى جانب المكان الواحد، والزمان الواحد ، العيش الواحد ، والطعام الواحد ، واللباس الواحد ، والعمل الواحد أو المتشابه ، وتجمعها الحظوظ المتقاربة ، وهى من حيث العلاقات الأدبية والالتزامات الروحية ، كانت كتلة متضامنة واحدة،ان اصابتها مَحْمدة اشترك فيها الجميع ، أو مذمة مست كل افرادها .

والسيادة فيها كانت للذكور،وللاناث المحل الثانى . وكل راض بعيشه . للرجل السيادة ومعها السعي ، وتبعة الرزق والعيش ، وللمراة أن تطيع . وهى تعفى من قلق الكسب وخطر التحيل لالتقاط ثمار للحياة ليست دائما بالدانية . ورضي الرجل بنصيبه لأنه عليه نشأ ، وما عرف حالا غيره . ورضيت المراةبنصيبها لأنها عليهانشأت، وما عرفت غيره نصيبا .

ثم تبدلت الحياة بدخول الصناعة

ثم تبدلت الحياة بدخول الصناعة ، ولكن رويدا رويدا .

ومع الصناعة حضارة لا شك جديدة مست كل نواحي العيش ، وكل مكان فى الحياة ، وكل زمان ، والفكر دخلت اليه هذه الحضارة الصناعية التكنية الحديثة فكونت من الانسان ، انسانا غير انسان ذلك الزمان .

الصناعة
فككت روابط الأسر القديمة

الصناعة فككت كل تلك الروابط القديمة ، ومنها روابط الأسرة القديمة. فلو أنك قرنت أسرة قديمة بأسرة من أسر أهل الغرب حديثة (وانا هنا اتكلم

عن الحضارة الحديثة وهى فى درجة الاكتمال ، لا الكمال ، التى وصلت اليها، واذن لا بد من ضرب الأمثال من أهل الغرب) لوجدت الأسرة قد اختزلت اختزالا عظيما . كلُ صناعات البيت خرجت عن البيت ، ووجب ان تخرج ، والا فيمَ كانت المصانع ؟ وصار لانتاج حتى الرغيف مصنع ، ولانتاج اللبن مصنع ولكل سائر الحاجات مصنع ، أو متجر ، يخدمُ ، لا العشر من الأسر ولا المائة ، ولكن المئات والألوف. حتى لياكل بعض أهل أوروبا رغيفَ الخبز وما رأوا فى حياتهم حبا للقمح قط .

وعمل المنزل الكثير المتشعب الذى اجتمعت عليه الأسرة المركبة القديمة ، وفيه تعاونت ، قد خرج عن نطاق الأسرة الى المصانع .

والمصانع احتاجت الى عاملين، ومنها ما احتاج الى عاملات ، الوفا الوفا ، فخرج اليها العاملون والعاملات . والمصانع لا تنتقل الى العاملين والعاملات، واذن انتقل العاملون والعاملات الى المصانع ، فتفرقت الأسر وتقطعت اربا .

ومع الصناعة جاءت التجارة

والصناعة لا تتقدم الا ومعها التجارة . فكان التجار ، وكانت البنوك ، وكانت الأسواق ، وتباعدت وتشتت . وطلبت العاملين والعاملات ، فخرجوا وخرجن اليها ، وزاد هذا الأسرَ القديمة تفرقا وتشتتا وتمزقا .

ومع الصناعة والتجارة جاء التعليم

والصناعة لا تزدهرُ الا ومعها الفنون ، ولا فنونَ الا ومعها التعليم . واذن شاع التعليمُ رويدا رويدا ، حتى عمَ . فأخرجت المدارس ، وأخرجت الجامعات على السنين ، بل على القرون، أجيالا من المتعلمين من الرجال والمتعلمات من النساء .

حشوَ الرؤوس اذن تغيرَ ، وتغيرت مطالبُ القلوب وآمالها .

والمواصلات كان لها نصيب كبير فى تشتيت الأسر

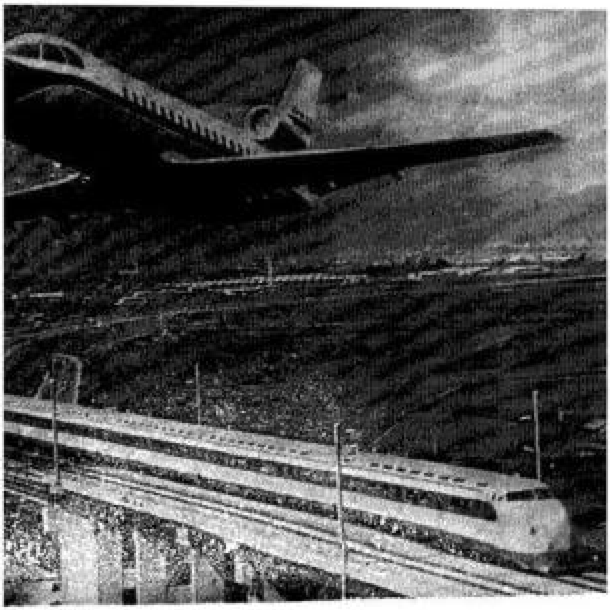
وباتساع الصناعة ، واتساع الحضارة ، كان لا بد من ابتداع صنوف جديدة من المواصلات ، تربط الأطراف. فكانت السكك الحديدية ، وكانت السيارات ، وكانت الطائرات . واشرعة السفن تحولت الى مراجلَ تتدافع فيها النار والبخارُ . واصبح توزع العمال بالانتقال ، لا فى الأحياء المتباعدة بالمدينة الواحدة ، ولكن كذلك بين المدن ، فزاد هذا فى تشتيت الأسر ، وزاد فى تباعد افرادها .

والمرأة عملت ، وكسبت واستقلت وتحررت

وأثر كل هذا كان ابلغ على النساء منه على الرجال . فالرجل شقي وكسب



كان الخبز تصنعه الاسرة في البيت ، ثم اصبح بعض الصناعات القومية العامة .



والمواصلات كان لها نصيب كبير في تشتيت الأسر .

طول عمره . أما المرأة فكان هذا أول عهدها بأن تشقى وتكسب . وكان هذا أول عهدها بأن تقول لا عندما لا ترضى شيئا . وكان لقولها لا فى نفسها فرحة كبرى . كانت بشرى لها بميلاد عهد جديد ، صدقت البشرى أو لم تصدق .

بقيت فى أسرتها وعملت ، أو خرجت عن أسرتها وكسبت واستقلت ، وكان لنقلتها الجغرافية هذه ، ونقلتها الاقتصادية من حيثانها صارت كاسبة . كان لهذين أثر بالغ فى نظرتها للحياة .

تحررت المرأة من بعد قرون من الاستبداد طالت ، لقيت فيها الزوج المستبد الخير حينا ، ولكنها لقيت الزوج المستبد المتحكم المتعجرف أكثر الاحيان. وما نفع أكثر الرجال فى ذلك دين ، ولا نفعت شهامة ، وخيم الجهل على الامم فسد مسالك الرحمة دون النساء . حتى فى الاغريق ، وهم سادة الامم عقلا ، شقيت المرأة أكبر الشقاء . كانت كما مهملا . والرومان لعبوا بها لعب الاطفال بالعرائس ، والنصرانية سنت الرهبنة ، لرجال ونساء ، بعدا للرجال عن شرور الاجساد . وجاء الاسلام ، وقال الرسول رفقا بالقوارير ، وقد عشت ما عشت ، فوجدت أكثر الرجال من رمى بقارورته فحطمها عند الغضب .

تحرر المرأة
لا يعنى فساد آدابها

وأهل الحفاظ من الناس ، لا سيما من العرب ، لا يسمعون بتحرر المرأة الا ويفهمون منه الخروج عن المعروف المرسوم من الآداب . والحرية درجات ، وقد يبلغ من الحرية أن يشنق الرجل نفسه ، ولسنا نلوم الحرية من أجل ذلك . وقد كان فى البيئة العربية ، قديمها والحديث ، نساء فاقت الرجال فى أدب ، وزادت عليهم فى حصافة ، وغلبتهم ارادة حتى لقد ساستهم واتبعوا . وهن فى حريتهن هذه البالغة لم يرمهن أحد بسوء ، ولا شانتهن فى حريتهن واستقلالهن عيب .

ومع كل هذا
ظلت الأسرة وحدة المجتمع الراسخة

ومع كل هذا التغير والتبدل ، وتمزق الاسر وتشتتها ، بقيت الاسرة الى اليوم هى وحدة المجتمع التى لا تتبدل . كانت الاسرة القديمة مركبة ، أعنى مؤلفة فى

حقيقتها من أسر كما ذكرنا ، فتبسطت . واصبحت الاسرة زوجا وزوجة . وما أنجبا من أولاد هم فى العادة قلة . والزوجة أم تقوم على تربية اطفالها ، حتى اذا بلغوا عهد الذهاب الى المدرسة ، وفرغت الام منهم ، فأغلب الظن انها تصبح كزوجها ، زوجة تعمل كاسبة . واعان على ذلك ان أكثر حاجات العيش يحملها البائعون الى أبواب الدور أو قريبا منها . حتى الملابس لها فى خارج الدور ، فى الاسواق مفاسلها ومكاويها . ونظافة البيت سهلتها فى البيت كل اداة تدار بالكهرباء . والثلاجات تحفظ بها الاطعمة لأيام وأسابيع . كل شيء مهيأ لخروج المرأة الزوجة للعمل والكسب ، ولكن من بعد أداء وظيفتها فى اطراد النسل . وهذه الوظيفة تأتي أولا .

الاسرة اذن باقية ، والزواج باقٍ ، ولكن على حال من الديمقراطية لم تمارسها الاسر القديمة كثيرا . حتى الزوج ، لا تختاره الاسرة الحديثة لابنتها وتلزمها به ، ولا تختار الزوجة لابنها . انه ، وانها ، فى حركة الحياة ونبضها لا بد مصادفين أرواحا متجاذبة ، واخرى متنافرة ، وتتصافق وتتشابك الاذرع ، وتسلك الى طريق الزواج مسلكا قريبا ، يتحقق به أمل كل فتاة فى الحياة ، ذلك الزواج ، واقامة بيت الاسرة الذى تتم فيه أكبر عمليات الخلق وأشرفها وأكرمها عند الله ، فيما نعرف من ظواهر هذا الوجود .

أسر
لا أسماءَ لها اليوم ولا ألقاب

والاسر القديمة اظهرها انه كان لها اسماء طنانة رنانة ، تتردد اصداؤها فى اماكن فى الريف ، والمدن الريفية عدة . فأسرة الطحاوى ، واسرة السخاوى ، واسرة عرابى ، والفخرانى ، قد تضم المئات والآلاف . ولكن الاسرة فى المدن الكبيرة فى عصر الحضارة الصناعية الحاضرة ، فقدت كل اسم رنان يشيع . فهذا بيت محمد علي ، وهذا بيت عبد الحافظ اسماعيل ، وهذا بيت حسن عبد الرزاق . اسماء شائعة بمعنى أنها لا تدل على مسميات بذاتها . فقد تجد من بيوت حسن عبد الرزاق مائة بيت فى المدينة الواحدة ، لا صلة للقرابة بينها أصلاً .

فصلة القربى هذه ، صلة الدم ، التى كانت رابطة من اكبر الروابط فى ربط الأسر الكبيرة القديمة ، ذهبت بها الأيام . ولعلها خيراً فعلت . فهى كانت تطغى على صلة الزوجية ، فكثيرا ما كانت تستباح الزوجية فى سبيل الولاء لقربى الدماء .

والمرأة عملت ، وكسبت ، واستقلت ، وتحررت ، وفي حدود الأدب ، تحررت





واسماء الاسر ضاعت . فهذا رجل اسمه محمد علي . وفي حيه عشرون اسمهم محمد علي ، لا ينتمون الى اسرة واحدة .

الطلاق
لا يهدم الأسرَ
ولكن يصححُ اخطاءَها

ورأى الراءون فى ظاهرة الطلاق الشائعة اليومَ ، فى البلاد المتحضرة ، بلاد الصناعة ، انها دليلٌ على قرب انحلال الأسر فى البيئات الصناعية المتحضرة الحاضرة .

ونعم ، طالبَ أهل الغرب باباحة الطلاق حتى ما تكون له حدودٌ يقف عندها . وانتصرت هذه الحركة فى كثير من الولايات الامريكية ، وكثير من الدول الاوروبية ، على درجات متفاوتة . وكان آخرها اباحة الطلاق فى ايطاليا ، وهى معقلُ الكثلكة التى تقول ما معناه أن الزواج رابطةٌ ربطها الرب ، وما ربطه الرب ، لا يجوز أن يحلّه انسانٌ .

وليس فى حركة اباحة الطلاق هذه ما يدل على أن الناس انصرفوا عن الزواج وعن الأسرة ، فهم يريدون التحرر منها . ولكن دلالتها أن أهلَ أوروبا ضاقوا فى العهد الحديث كثيرا بما أصاب بعض الزيجات من فشل . وقد قضى على الزوجين الفاشلين ، غير الهانئين ، أن يظلاّ على هذا الاتصال الزوجي مع مافيه من شقاء للزوج والزوجة . وقد يتعدى أثره كذلك لمن أنجبا من بنين وبنات .

والزواج ككل شيء فى الدنيا ، ينجحُ ويفشل ، وتكون مصالحات ، ويظل الفشل قائما لأن هذا الزواج الذى نحن بصدده قد يجمع من التناقض فى الطبائع جمعَ النار بالحطب ، فلا يكون منهما الا اشتعالٌ . والحكمة آخر الأمر انما تكون فى الحيلولة بين الحطب والنار .

وليس معنى هذا ، أن بناء الاسر فى خطر . فالى جانب عشر من الاسر فيها الصياحُ والصراخ ، نجدُ الف أسرة لا تكاد تسمع فيها صوتا ، الا حفيف الشجر اذ يهتز بورقه ، والا هدير الماء اذ يترقرقُ فى غدرانه . فبيتُ الزوجية ان افتدح وخرجَ منه شرر أحيانا ، فالأغلب انه مصنع تصنع فيه المحبة وتربو وتزكو .

والاباحية
ليست بقاضية على الأسر

ومن الناس من اتخذ من الاباحية السارية اليوم فى امم الغرب ، امم الصناعة والمدنية الحاضرة ، دليلا على اقتراب زوال عهد الاسر من المجتمعات الانسانية .

وليس حديثي هذه الساعة فى الاباحية ، فحديثها يطولُ . لهذا ادعُ ذكرَ ما بين الاباحية والاخلاق ، واقصرُ قولى على ما بينها وبين الاسرة والزواج .

والاباحية تتشبه بالحيوانات ، وهي صنوفٌ . صنفٌ منها ، أن يتصل الشاب بالشابة فى غير زواج ، وأن يطولَ اتصالٌ . فهذا كثيرا ما أدى الى حال كحال الاسرة ، وانتهى بالزواج . الا أن يكونَ قد وقف العنادُ الفكرى العقائدى فى سبيل ذلك ، كما وقف لدى الكاتب الفرنسي ، فيلسوف «الفكر الوجودى» ، بول سارتر Jean Paul Sartre .

وصنفٌ من الاباحية يتبدلُ فيه الصاحبان ، فلا يكونُ فيه استقرار . وهذا فيه الفرم كلُّ الفرم على المرأة .



الاباحية ، ان مست الشباب ، فهي عاهة من عاهات الشباب طارئة ذاهبة .. تعطف بالشاب آخر الامر الى المرأة والاسرة وهدوء البيت ، فى الرجولة والكهولة والشيخوخة.

فتقدم السن يفعل بالمرأة ما لا يفعله بالرجل . ومآل هذه المرأة التى تتبدل ، هو موضع القمامة فى المجتمعات .

على أن هذا الاتصال الاباحي ، ان يكن مهربا للرجل ، فهو مهرب الى حين . فالجنس فى الحياة ليس كل شيء . والجنس ينطفيء لهيبه على السنين . وهو اشد لهبا بين العشرين والثلاثين . ثم يبحث الرجل عن طمانينة الحياة بتقدم السن فيفتقدها : الصحبة الصادقة ، المشاركة فى السراء والضراء . الأنس فى الوحدة ، فى غربة وغير غربة ، وفى وحدة النكبات ، فى كل هذه لا يكون لارتواء الشهوة مكان ، ولا لراويها ، ولا لراويتها . وفى الازمات تتراءى الشهوة على حقيقتها : انها الانانية . وانها انانية الرجل خاصة . وانها الكراهة الخبيثة فى قلب المرأة .

وكم عرفنا رجالا ، ظلوا فى مدارج الرياح والاهواء سنين طوالا ، ثم بردت الريح من بعد دفء ، فاذا هم بالزواج يتدثرون ويستدفئون . ولكن بعد أن خلفوا الكثير من الضحايا على طول الطريق ، وبئس الطريق .

ومع كل هذا لم تتأثر الاسرة ، فى المجتمع الصناعي الحضارى الحاضر ، بشيء مما ذكرنا تأثرا فادحا . دلت على هذا الاحصاءات القريبة التى اجروها فى البلاد الصناعية المتقدمة . فاباحة الطلاق لم تهز مكان الاسرة فى المجتمع . ولو انها فعلت لكانت اباحة الطلاق بين اهل الشرق ، والعرب خاصة (والطلاق عندهم كما يفعل الكثيرون ، كلمة تخرج من فم الرجل الى امرأته) لكانت هذه الاباحة سببا فى اهتزاز مكان الاسرة بين اهل الشرق والعرب .

وكذا الاباحة . يغالبها فى طبع الانسان خصائص لا يمكن ان يتخلص منها لأنها معجونة فى كيانه . فهو لا يستطيع ان يستعير طبع الكلاب طويلا ، فيلقي بشهوته ، كما يلقي الكلب ببوله ، وهو عابر سبيل . فالشهوة للبقاء لا للهرب . والحياة ذكرى . والحياة تمسك بالايام وتعلق . والانسان منا ذاهب ، يعمل فى الارض لارساء اقدام لاحق . وشر الذاهبين من قدروا وما لحق بهم احد .

لا . لا . ان الاسرة باقية ما بقي طير قادرا على بناء عش ، لم يتعلم كيف يبنيه ، أو حيوان وحش يطلب جحرا يطويه ، أو انسان يأوي الى كهف يسكنه، أو بيت يحتويه . ●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٥٤

الآرامية كانت لغة المسيح

■ مسابقة العدد ١٥٤ تناولت معلومات عامة في مجالات شتى من المعرفة ، وجاءت بعض اسئلتها علمية بحتة لا مجال للتخمين او الاعتماد على الذاكرة في حلها ، لذلك تأرجحت الحلول بين خطأ وصواب ، فأخفق من اعتمد على التخمين او الذاكرة .. وافلح من اعتمد على المراجع العلمية في حله للمسابقة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ــ اللغة التي كان يتكلمها السيد المسيح هي اللغة الآرامية .

٢ ــ الشاعر هو حافظ ابراهيم ..

٣ ــ المادة التى تضاف الى الصلب كي لا يصدأ هي الكروم .

٤ ــ بريطانيا هي التى تحكم جبل طارق الآن .

٥ ــ يوجد نحو ٢٥٠ الف نوع من الخنافس .

٦ ــ موقعة ميسلون جرت بين العرب في سوريا بقيادة الشهيد البطل يوسف العظمة والقوات الفرنسية المعتدية . وقد استبعدنا هذا السؤال من المسابقة لما وقع فيه من خطأ اثناء الاجازة الصيفية وغياب المسئولين .

٧ ــ السلحفاة هي اطول تلك الحيوانات عمرا .

٨ ــ الحقيقة ان للذبابة عينين كبيرتين ، وبينهما من فوقهما عادة ثلاث عيون صغيرة كثيرا ما تنضمر في سائر هذه الحشرات .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها : خالد محمد اليتيم / حمص / سوريا .

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها : عبد الرحمن محمد شمس الدين / الفروانية / الكويت .

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها : عثمان ابراهيم العسولي / نيويورك / امريكا .

٨ جوائز قيمتها (٤٠) دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ــ سناء حاتم حموري / الرياض / السعودية .

٢ ــ عبد الرزاق احمد محمد الذكير / البصرة / العراق .

٣ ــ عقلة محمد مبيضين / عمان / الاردن .

٤ ــ فايز عودة الياس / بيروت / لبنان .

٥ ــ تحية عبد الرحمن عطية / مصر الجديدة / مصر .

٦ ــ محمد حسن القماطي / البيضاء / ليبيا .

٧ ــ الأمين حسين نور / الخرطوم / السودان .

٨ ــ احمد محمد مجاهد شيباني / عدن / اليمن الديمقراطي .

وسترسل الجوائز للفائزين ■■

العمل العمل !

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ اعتبر الفلاسفة القدامى أن الصفة المميزة للانسان هي العقل ، وقد اعتبروا العقل ملكة طبيعية منشؤها التكوين الخاص الدقيق للدماغ البشري ، كما اعتبروا ان العقل يساعد الانسان على الفهم والمحاكمة . ولذلك كله عرف الفلاسفة القدماء الانسان بانه « كائن عاقل » Homo Sapiens . ولكن الفيلسوف اليوناني انكساجورس Anaxagoras نبه الى أن العقل الانساني انما هو محصول عمله اليدوي . وقد مال أكثر المفكرين والفلاسفة في القرن الماضي الى تخصيص المقام الأول في حياة الانسان لنشاطه العملي. ولذلك فهم لم يعتبروا العقل الا واسطة لتحقيق الأهداف العملية وصنع الآلات النافعة . وقد كان في مقدمة المدافعين عن هذه النظرية الفيلسوف الافرنسي (هنري برجسون) Henri Bergson (١٨٥٩ – ١٩١٤) وكذلك الكاتب الافرنسي (بول فاليري) Valery (١٨٧١ – ١٩٤٥) وقد قالا ان الصفة الجوهرية للانسان هي انه « كائن عامل » Homofabes . ان عقل الانسان - في رأيهما قد تكون لأن له يدا تصنع الآلات . ويلاحظ (مار) الروسي أن الأقوام البدائية كانت تشعر بهذه الفكرةشعورا غامضا ولذلك فانها كثيراً ما كانت تمثل الاله ، خالق الكون ، في صورة يد .

فالعمل اذن ، أي القدرة على الانتاج ، هو العامل الأساسي في خلق الحضارة البشرية . وهذا ما دفع (كارل ماركس) الى القول بأن الحياة الاجتماعية في نظامها وفي جميع مظاهرها مرتبطة بالحياة الاقتصادية وخاصة لطرق الانتاج ووسائله ولما ينشأ عن ذلك من علاقات بين البشر .

والحق ان الناس جميعهم عمال ، سواء أكانوا يفلحون الأرض او يضربون الحديد او يكتبون القصص ، ذلك بأن كل هذه الأعمال ترمي الى : (١) كسب العيش . (٢) صنع مواد جديدة لها قيمة اقتصادية (٣) خدمة المجتمع .

ولو أمعنا النظر لوجدنا ان الفرق بسيط - في جوهره - بين العامل العادى الذى يحمل الحجارة والتراب وبين المهندس الذى يصمم البناء ويشرف على تنفيذه . ذلك بأن العامل والمهندس - ومثلهما كل انسان آخر - يخدمون انفسهم ويخدمون المجتمع .

الانســان عــاقل والانســان عــامل

كــل مــن يعمــل بعقــله أو بيــده فهو عــامل

تقســيم العــمل صــار اليــوم ضــرورة

تقســيم العــمل بــين الــرجل والمــرأة

العــمل يقــوّم الأخــلاق و يــثبتها

أدخِــلوا العــمل فى المــدرسة ، كل مدرسة

وهكذا يكون العمل ــ في اساسه ــ كل نشاط انساني مهما كان شكله ونوعه . اما في علم الاقتصاد فالمقصود بالعمل الجهد الذى يبذله الانسان لانتاج شيء مفيد يساعد على قضاء حاجاته او حاجات غيره . وهذا العمل هو الوسيلة الطبيعية التي نحصل بواسطتها على ما نحتاج اليه في حياتنا المادية وحياتنا المعنوية .

والبشر بحاجة دائمة الى العمل لاستثمار خيرات الطبيعة وصنع المواد اللازمة لقضاء حاجاتهم . وكلما تقدمت الحضارة زادت الحاجة الى العمل وتنظيمه .

أنواع العمل

تجمع الأعمال البشرية بين النشاط العقلي والارادى من جهة وبين الجهد العضلي من جهة اخرى ، ومن الصعب ان نجد عملا عقليا صرفا او عملا يدويا محضا . وبالرغم من ذلك فان من الممكن التفريق بين العمل الجسدى وبين العمل العقلي . أما العمل الجسدى فنقصد به العمل الذى يتوقف بالدرجة الأولى على قوة عضلات العامل ومهارته البدنية . وأما العمل العقلي فهو الذى يحتاج ــ أكثر ما يحتاج ــ الى استخدام الفكر واعمال العقل .

وفي الميدان الاقتصادى يتجلى العمل العقلي باشكال مختلفة من مثل الاختراع والادارة والتنظيم والمراقبة والدعاية . ولهذه المظاهر المختلفة للعمل تأثير كبير على الانتاج يفوق كثيرا اهمية العمل العضلي .

ويميز علماء الاقتصاد عادة بين العمل اليدوى والعمل الميكانيكي . ويقصد بالعمل اليدوى ذلك الذى يستخدم فيه العامل يديه،ومثال ذلك عمل النجار واستخدامه للمنشار والمخرطة . اما العمل الميكانيكي (او الآلي) فهو الذى يقوم به العامل بمساعدة الآلات التي تتحرك بقوة غير قوته كقوة البخار او الكهرباء او سواهما . ومعلوم ان العمل في النصف الثاني من قرننا العشرين اتخذ شكلا جديدا وهو ما يسمى بالأطمطة Automation وهي تكنية يستطاع بها جعل العمل يجرى تلقائيا او اتوماتيكيا وكذلك تشغيل الأجهزة ، وذلك طبعا بالوسائل الالكترونية .

وتتوقف القدرة على العمل الجسدى لدى الفرد على نمو جسده وسعة صدره ووزن جسمه وقوة عضلاته وسرعة حركاته وسهولتها ، ونوع غذائه

ومقداره وعنايته بالرياضة البدنية وقواعد حفظ الصحة وغير ذلك . أما في مستوى الأمم فهي مرتبطة بعدد السكان وصحتهم .

على أن هذه القوة الجسدية لم يعد لها مكان هام في حضارتنا الحديثة حيث تلعب القدرات الفكرية الدور الأهم وتتوقف عليها الحياة الاقتصادية . وواضح أن القدرات الفكرية تتوقف على الذكاء والذاكرة وحسن الفهم والابداع والاختراع وما الى ذلك من قابليات عقلية .

وبديهي أن العمل لا يمكن أن يصبح منتجا حقا ـ من الوجهة الاقتصادية ـ الا اذا تم تنظيمه بصورة عقلية علمية وامتاز اصحابه باخلاق خاصة من مثل الاجتهاد والمثابرة والشعور بالواجب والنزاهة واحترام العمل والسرور به . ومن هنا كان ما نلاحظه من ان الذين ينجحون في العمل ليسوا اولئك الذين يمتازون بالنبوغ بل الذين يتصفون بالاجتهاد والمثابرة ولو كانت مواهبهم العقلية متوسطة . هذا ويمكن القول بأن جميع المزايا العقلية لا تفيد في الحياة الاقتصادية اذا لم تدعمها نظرة معينة الى الحياة ، نظرة ترى ان الانسان انما وجد في هذا الكون من اجل العمل، وانه لا يستطيع تحقيق اهدافه في الحياة الا عن طريق العمل والقيام بالواجب .

تقسيم العمل

يقوم الاقتصاد في البلاد المتمدينة على أساس من تقسيم العمل الذى بلغ في وقتنا الحاضر درجة عظيمة من الاتساع وأدى الى نتائج خطيرة جدا . لقد كان البشر قديما ـ ولا يزالون في المجتمعات البدائية ـ يسعى كل فرد منهم الى قضاء حاجاته القليلة بنفسه ولذلك فهو يقوم باعمال عدة متنوعة

أما في المجتمعات المتمدنة ـ حيث ازدادت حاجات البشر ازديادا هائلا . فقد اضطر الناس الى تقاسم الأعمال واختصاص كل واحد منهم بعمل معين . ولقد كان تقسيم العمل في المجتمعات القديمة محصورا في نطاق ضيق .. كما هو الحال في بعض المجتمعات الريفية المعاصرة ـ اما في المجتمعات الحديثة فقد اتسع تقسيم العمل وتشعب حتى بلغ حدودا بعيدة جدا .

وابسط مظهر من مظاهر تقسيم العمل واقدمها هو تقسيمه بين الرجل والمرأة ضمن الأسرة ، وهو تقسيم قائم عى أساس من اختلاف الجنسين اختلافا فسيولوجيا . ويرى بعض العلماء ان الفرق في القوة الجسدية هو أساس هذا التقسيم. فالمرأة ـ في رأيهم ـ أصغر جسما واضعف قوة ولذلك فهى تقوم بالاعمال التى لا تتطلب جهودا كبيرة ويذهب آخرون الى القول بأن هذا مخالف للواقع اذ تدل جميع الظواهر على أن الرجال لم يكونوا في مبدأ تطور الجماعات البشرية أقوى من النساء ، وتجمع الدلائل على ان المرأة البدائية لا تقل سرعة ومهارة في الحركة عن الرجل ولذلك فهي كثيرا ما تشاركه في محاربة الحيوانات المفترسة وقتال الأعداء . ثم اننا اذا أمعنا النظر في الأعمال التي اختص بها كل من الجنسين نجد انها لم توزع حسب الصعوبة أو السهولة وانما حسب نبل الأعمال وحقارتها ، فالرجل ينصرف الى الصيد والقنص والقتال ، باعتبارها أعمالا شريفة تضمن للرجل السيطرة والسيادة على المرأة التى يترك لها شئون البيت وحراثة الأرض وغير ذلك من الأعمال (الحقيرة) . ومعلوم أن المرأة الحديثة في المجتمعات المتقدمة ثارت على هذا كله وغزت كل الأعمال التي يمارسها الرجل دون استثناء بما في ذلك الحرب .

ومن مظاهر تقسيم العمل تقسيمه بين الطبقات، وهنا تتجلى فكرة السيطرة والاستثمار بصورة واضحة . ففي الهند القديمة كان المجتمع مقسوما الى طبقات هي (١) طبقة البراهمانيين وهم رجال الدين (٢) طبقة المحاربين و (٣) طبقة التجار والمزارعين و (٤) طبقة الخدم و (٥) طبقة المنبوذين . وفي المجتمع اليوناني كانت الفلسفة من اختصاص السادة اما العمل اليدوى فكان من اختصاص العبيد .

وبخلاف نظام الطبقات يقوم تقسيم العمل وتوزيع الوظائف في المجتمعات الحديثة على اساس الاستعدادات الفردية والمواهب الشخصية. وليس هناك اليوم ما يرغم الافراد على ممارسة مهن آبائهم كما كان الامر في فرنسا مثلا قبل الثورة . ان التقدم الاقتصادى الصحيح يقتضي ان يباشر كل فرد العمل الذى يستطيع ان يتقنه وان ينتج

فيه اكثر ما يمكن . ومعنى هذا ان يكون توزيع العمل حسب المواهب والاستعدادات الفردية . وفي البلاد الحديثة مؤسسات للتوجيه والانتقاء المهني ، تنتقي لكل مهنة اصلح من يصلحون لها وتوجه كل فرد نحو اصلح مهنة له .

والعمل الحديث مقسم الى اجزاء دقيقة مدروسة يمارس كل عامل جزءا معينا منه وفي هذا فوائد اقتصادية وله مضار نفسية كتب عنها الكتاب المعاصرون وعالجها المفكرون المعنيون .

قيمة العمل الاخلاقية

ليس العمل وسيلة للانتاج والتقدم المادى فحسب بل هو كذلك من الوظائف الاجتماعية التى لها تأثير كبير في الحياة الاخلاقية والتى ينشأ عنها الكثير من الواجبات والحقوق . ان الانتاج لا يخرج في جوهره عن ان يكون عملا انسانيا . وحتى لو نظرنا في الحاصلات الطبيعية لرأينا ان اكثرها ، او على الاقل تلك التى تفيد في قضاء الحاجات الانسانية ، لم يبرز من الطبيعة بصورة عفوية وانما بجهود البشر وعملهم . انه لم يكن من الممكن ان ينبت القمح او العنب مثلا لولا ان افرادا من البشر ـ يمكن اعتبارهم عباقرة ومخترعين مجهولين ـ انتخبوا بعض النباتات الوحشية واعتنوا بتربيتها تدريجيا .

وخيرات الطبيعة التى نعيش عليها مثل خصب الارض واستخلاص المعادن والافادة من قوة الماء والهواء والبخار والكهرباء لم تكن لتصبح منابع لولا ان العقل البشرى قد اهتدى الى معرفة صفاتها المفيدة وتوصل الانسان بجهوده الى استثمارها .

وهكذا نرى بانه في العمل تتجلى شخصية الانسان . ان العمل المفيد يقتضي استخدام اسمى المواهب ، والعمل احسن وسيلة للتعبير عن جوهر الشخصية واظهار السطوة على عناصر الطبيعة واستثمارها لمصلحة الانسان . ومن خلال العمل تظهر عبقرية الانسان وقدرته على الاكتشاف والابداع والاختراع . وقديما قيل « ان النبوغ عرق جبين » .

ومن هنا كانت للعمل كرامة عظيمة لانه هو الذى يضمن لصاحبه استقلاله ويساعده على تامين حاجاته بنفسه حتى لا يكون عالة على غيره . ومن هنا كان واجب المربين ـ آباء وامهات ومعلمين ـ في ان يعرفوا للعمل قيمته ويحترموا كرامته التى لا تختلف عن كرامة الانسان نفسه . ولقد اخطأ الفلاسفة والمربون القدامى الذين كانوا يميزون بين العمل الفكرى والسياسي الذى يختص به (الاحرار) والذى يعترفون له وحده بالكرامة وبين العمل الجسدى الذى يقوم به (العبيد) والذى ليس له في نظرهم اية كرامة . لقد كان كل من افلاطون وارسطو نفسيهما يعتبران جميع الاعمال الاقتصادية ـ بما في ذلك الصناعة والتجارة ـ من اعمال العبيد الحقيرة . وظل هذا الراى سائدا في القرون الوسطى والى زمن الثورة الفرنسية ، كما ظل سائدا بين (الاشراف) في اوروبا الذين كانوا يفاخرون بانهم يعيشون دون ان يعملوا شيئا . وما زالت بقاياه ـ مع الاسف ـ عالقة في اذهان الكثيرين من (وجهاء) شعبنا العربي .

هذا ولا يمكن ان تكون للعامل كرامة اذا لم يتمتع بالحرية . وقد كانت هذه الحرية مفتقدة في الازمنة القديمة وكان العبيد والاقنان ـ وهم الفلاحون الذين كانوا تابعين للارض التى يولدون فيها ويخضعون لسلطة صاحبها ـ يقسرون على اعمال لا يريدونها ولا يرغبون فيها . اما في عصورنا الحديثة فقد اعلنت حرية العمل واصبح في استطاعة العامل ان يعمل حيث يريد وبالعمل الذى يريد وذلك بالاتفاق مع صاحب العمل مقابل اجر معين . ولكن هل يكفي اعلان حرية العمل حتى يصبح العامل حرا حقا . وهل صحيح ان لكل عامل اليوم حريته في العمل ؟ اننا نترك للقارىء الحصيف ان يجيب عن هذين السؤالين بنفسه ، وعلى ضوء ما يجرى في كثير من اقطار الدنيا .

على اننا لا نحب ان نترك هذا القسم من حديثنا قبل ان نشير الى ان العمل حق وواجب . ان من واجب الانسان ان يعمل ولا يجوز لاى انسان ان يتوقف عن العمل الا في حالة المرض او التقدم في السن او العجز . والشخص الذى يعيش في

المجتمع ويتمتع بخيراته ورفاهيته دون ان يساهم هو ايضا في الجهود اللازمة للارتقاء بهذا المجتمع ليس سوى حشرة طفيلية . ان العمل وظيفة اجتماعية يجب على كل فرد ان يقوم بها بمنتهى الاخلاص والتفاني والنزاهة .

على ان العمل حق لكل فرد ومن واجب المجتمع ان يهيء لكل فرد عملا يقوم به ويعتاش منه ولكل انسان حق المطالبة بالعمل . والحق ان مشكلة عصرنا الحاضر هي ان بعض الناس يرغبون في العمل ويجدون في اثره ولكنهم لا يجدونه . ومن واجب الحكومات الواعية ان تهيء لكل مواطن عملا يليق به وبكفاءاته ويؤمن له عيشا كريما يحفظ له كرامته ويقضي حاجاته ويبقي على ماء وجهه .

التربية والعمل

بعد هذا الذى قدمنا عن العمل واهميته وقيمته في تكوين الشخصية البشرية نلتفت الى المدرسة والى البيت والى واجبهما في تحبيب الطفل بالعمل وتنمية الشعور باحترامه .

في التربية قول مشهور ينص على « اننا نتعلم العمل بالعمل » ومعنى هذا انه لا يكفي ان نقول للحدث او المراهق او الشاب ان عليه ان يعمل وان يحب العمل ويحترمه ، ولكن لا بد لنا من ان نحمله على القيام بالاعمال الفعلية من اجل ان يعرف قيمة العمل ويحب العمل ويحترمه .

والحق ان مجتمعنا العربي ما زالت فيه بقايا من احتقار للعمل - اليدوى خاصة - والاعتقاد بان الوظيفة المكتبية اشرف من العمل في المعمل او الحقل . والحق ان تربيتنا ما زالت نظرية وبعيدة عن العمل والتطبيق العملي . والحق بعد ذلك ان المدرسة الحديثة تعمل جاهدة على التقريب بين النظر والعمل وادخال العمل الى مناهجها وبرامجها وطرائقها .

ولو نظرنا الى المدرسة الحديثة في الشرق او في الغرب لوجدنا ان العمل جزء لا يتجزأ من عملها اليومي وبرامجها الاسبوعية ومناهجها العامة والخاصة .

وحين نتحدث عن العمل لا نقصد العمل في المختبرات العلمية او الاشغال اليدوية كاعمال الورق والورق المقوى والخشب وامثالها فحسب ، وانما نعني العمل الحقيقي الفعلي ، العمل في المعمل والمصنع والمشغل والعمل في الحقل والمزرعة .

وحين ننادى بوجوب ممارسة العمل فلا نقصد درجة معينة من درجات المدارس فالعمل يجب ان يكون جزءا من منهاج المدرسة الابتدائية وكذلك المدرسة الاعدادية والثانوية والجامعة . واذا كان صحيحا ان طبيعة العمل ونوعه يختلف من مدرسة الى مدرسة فانه اصح ان العمل الفعلي يجب ان يكون جزءا من دراسة كل طالب .

والواقع ان المدرسة الحديثة لا تكتفي بضم مخابر ومشاغل وورشات الى ممتلكاتها وانما تحمل طلابها على ممارسة جزء من نشاطهم التعلمي في الحقل والمزرعة والمصنع والمعمل .

ان هذه هي الوسيلة الوحيدة لحب العمل واحترامه والايمان بكرامته كما انها الوسيلة الوحيدة للتعليم الصحيح والتقريب بين العلم والعمل ومسايرة عصرنا الحديث القائم على العمل .

وبديهي ان نشيرهاهنا الى ان ما ندعو اليه مختلف عن التعليم المهني ، ان الذى ندعو اليه هو ادخال العمل الى المدرسة ، كل مدرسة ، ايا كان نوعها واية كانت درجتها .

ويبقى ان نشير الى الدور الذى يجب ان يلعبه البيت ومن فيه من مربين في تحبيب الطفل بالعمل واحترامه له واقباله عليه . وبديهي ان اول شرط لذلك كله هو ان يحترم الابوان العمل والعمال وان يفهموا انه لا فرق بين ان يعمل الانسان بيده او بعقله وان كل عامل - ايا كانت درجته - يلعب دوره في بناء وطنه ودفعه الى امام . ■■

فاخر عاقل

مسابقة العربي

١٠ أسئلة علمية

المطلوب الإجابة عن ثمانية منها

١ ـ الانسجة التى يستخدمها الانسان بعضها نباتي وبعضها حيواني وبعضها كيماوى صناعى .. فانسب الاربعة التالية الى أصولها :

قطن ـ صوف ـ حرير ـ نايلون .

٢ ـ العملة النقدية ، كثير منها الآن يصنع من الورق المطبوع . وكانت قديما ، من أدناها الى أعلاها ، تصنع من المعادن . وكان أعلاها وأغلاها الدينار الذهبي ، وهو يصنع من الذهب ومعه معدن آخر عادة ، ليعطيه قوة فوق قوة الذهب **.. فما هذا المعدن ؟**

٣ ـ الورق ، أصبح اليوم أصنافا مختلفة ، بعضها الرخيص وبعضها الغالي ، ومن الرخيص ورق الصحف والجرائد ، ومن الغالي الورق الذى يحبّر فيه الناس رسائلهم ، لا سيما تلك التى لها عندهم قيمة ذاتية كبيرة ، ولهذين الصنفين من الورق مصدران مختلفان ... كلاهما نباتى ، فما هذان **المصدران ... الرخيص والغالي .**

٤ ـ الارض تدور في فلكها حول الشمس ، فتتم قطع هذا الفلك في نحو ٣٦٥ يوما ، وهي تسير في هذا الفلك بسرعة في الثانية هي بالتقريب :

٦٠ ميلا أو ١٨٫٩ ميلا او ٢٫٥ ميلا .

فاى هذه السرعات هي الصحيحة ؟

٥ ـ الامراض المعدية تنتقل من مريض الى مريض بواسطة : **أ ـ الفيروس ، ب ـ المكروب .** فأى هذه الامراض ينتقل بالفيروس وايها ينتقل بالمكروب : **الملاريا ـ الكوليرا ـ ذات الرئة ـ الدوسنتاريا ـ الكلب .**

٦ ـ الاغذية تمر في الجهاز الهضمي ، بالمرىء ، فالمعدة ، فالاثنى عشرى ، فالمعى الدقيق ، فالمعى الغليظ . **فاى جزء من هذا الجهاز يقوم بالنصيب الاكبر من الهضم وامتصاص الطعام المهضوم ...**

٧ ـ المفرقعات الحديثة،اذا أرادوا تقدير قوتها قالوا أنها تساوى ٦٠ مرة من قوة ت.ن.ت أو مائة مرة أو الف مرة ، **فما هو هذا الـ : ت . ن . ت:**

أ ـ بارود اسود .

ب ـ مواد فسفورية مخلوطة بمواد اكسجينية .

ج ـ مادة عضوية بنزينية متفاعلة مع حامض الازوتيك .

٨ ـ جوف الارض ، يقول العلماء ، انه مؤلف من شيء مصهور هو :

حديد ، جرانيت ، بخار ماء تحت ضغط عال . فايها الصحيح ؟ ! .

٩ ـ النحاس ، احمر واصفر . احدهما عنصر خالص ، والآخر نحاس مضاف اليه معدن آخر . **فايهما غير الخالص وما المعدن الآخر الذى أضيف اليه ؟! .**

١٠ ـ وعاء شكله شكل مخروط قائم ، صيرنا قاعدته هى العليا ، ثم ملأناه الى حافته بالماء ، **فكم لترا من الماء احتوى ، علما بان قاعدة المخروط قرص قطره ٢٠ سم وارتفاع المخروط ٣٠ سم ؟ .**

شروط المسابقة .. وجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٦ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٥٦

طرائف

مماكسة

● ساوم مُزَبِّد المديني رجلا « خفافاً .. يبيع الخفاف » في نعل. فقال الرجل : ابيعك اياها بعشرة . فقال المديني : والله لو كانت من جلد بقرة بني اسرائيل ما اخذتها باكثر من درهم .. فقال له الرجل : والله لو كانت دراهمك من دراهم أهل الكهف ما بعتها لك .

طفيلي

● قيل صَحِبَ طفيلي رجلا في سفر فقال له الرجل : امض فاشتر لحما ، قال : لا والله ما اقدر ، فمضى هو فاشترى اللحم ، ثم قال له : قم فاطبخ، قال : لا احسن الطبخ ، فطبخ الرجل ثم قال له : قم فاثرُد ، قال : والله انا

يشرب شراب اهل الجنة

● لما حبس الامين ابا نواس دخل عليه الفضل بن الربيع ، وكان يتعهد المحبوسين ، ويسأل عنهم وكانت فيه غفلة. فأتى ابا نواس وقال : ما جرمك حتى حبست حبس الزنادقة ؟ ازنديق انت ؟ قال : معاذ الله . قال : اتعبد الكبش ؟ قال : ولكني آكله بصوفه . قال : اتعبد الشمس ؟ قال : والله ما اجلس فيها من بغضها فكيف اعبدها !قال : افتعبد الديك قال : لا والله بل آكله ، ولقد ذبحت الف ديك ، لان ديكا نقرني مرة فحلفت الا اجد ديكا الا ذبحته. قال : فلاي شيء حُبست ؟ قال : لاني اشرب شراب اهل الجنة ، وانام خلف الناس . قال : وانا ايضا افعل ذلك ،ثم ذهب الى الامين فقال : ما تحسنون جوار الله تحبسون من لا ذنب له، سألت رجلا في الحبس خبره فقال كذا وكذا ، وعرّفه بكل ما جرى بينه وبين ابي نواس . فضحك الامين وامر بتخليته للحال .

بين الرشيد والمأمون

● دخل الرشيد على المأمون في مكتبه فوجده وقد امسك بكتاب يقلبه بين يديه . فقال له : ما هذا بيدك ؟ فقال :بعض ما تشحذ به الفطنة ، وينبّه به من الغفلة ، ويؤنّس به من الوحشة . فقال له ما تحب ان اهدى لك ؟ قال : حسن رأيك .

فقال الرشيد : الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله اكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه .

عربية

الضرائر

● قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر : كيف تقدر على جمعهن ؟ قال : كان لنا شباب يصابرهن علينا . ثم كان لنا مال يُصبرهن لنا ، فلما ذهب الشباب والمال بقي لنا خلق" حسن" فنحن نتعاشر به ونتعايش .

كسلان

كسلان ، فثرد الرجل ، ثم قال له : قم فاغرف ، قال : اخشى ان ينقلب على ثيابي ، فغرف الرجل ، ثم قال له : قم الآن فكل ، قال الطفيلى ، قد والله استحييت من كثرة خلافى لك ، وتقدم فاكل .

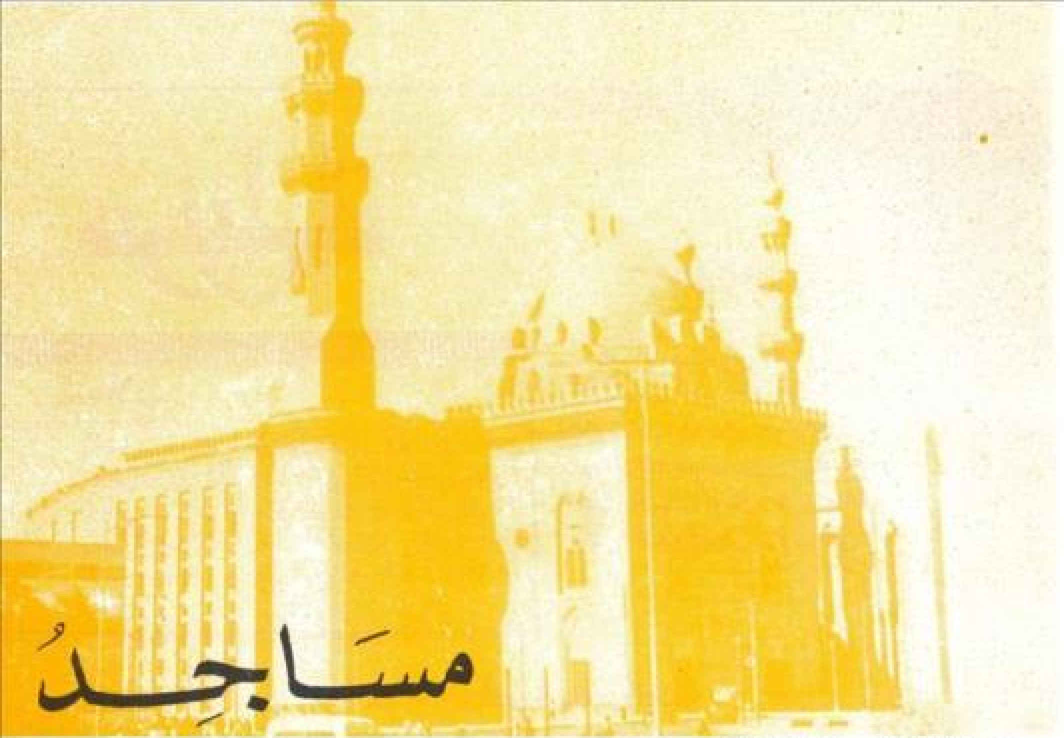
دعاء غير مستجاب

● كان المنصور العباسي قبل ان يتولى الخلافة ينزل على ازهر السمان ، وكان عالما بالحديث من اهل البصرة . فلما استخلف المنصور صار اليه ازهر فقال له المنصور : ما اقدمك ؟ قال : حاجة يا أمير المؤمنين على اربعة آلاف درهم ، ولى دار متهدمة ، واريد البناء لابني محمد ، فأمر له بأربعة آلاف درهم . وقال : يا ازهر ، لا تأتنا طالب حاجة . قال : افعل . فلما كان بعد ايام عاد فقال : يا ازهر ما جاء بك ؟ . قال : جئت مسلما يا أمير المؤمنين . قال : انه ليقع في نفسي انك ما اتيت الا لما اتيت له في المرة الاولى ، وامر له بأربعة آلاف درهم . وقال : لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلما . قال : نعم .

ثم ما لبث ان عاد فقال يا ازهر ما جاء بك ؟ . قال : دعاء كنت سمعت امير المؤمنين يدعو به فجئت مستمليا لآخذه عنك . فقال : لا تكتبه لانه غير مستجاب، لانى دعوت الله به ان يريحنى منك فلم يستجب لى ثم صرفه ولم يعطه شيئا .

اذا رأيت

● قال بعض الاذكياء : اذا رايت رجلا قد وقف على باب داره وهو يقول (وما عند الله خير وابقى) فاعلم ان في جراره وليمة لم يدع اليها ، واذا رايت قوما يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون (وما شهدنا الا بما علمنا) فاعلم ان شهادتهم لم تقبل ، واذا تزوج الرجل فسئل عن حاله ، فان قال : مارغبنا الا الصلاح ، فاعلم ان زوجته قبيحة .



مساجد الإسلام

مسجد السلطان حسن في القاهرة . بني من سنة ١٣٥٦ حتى ١٣٦٣ ، وهو مسجد ومدرسة وروضة (ضريح) في آن واحد . انه مجموعة معمارية رائعة تمتاز بفخامة البناء وضخامته وارتفاع جدرانه . مآذنه نماذج للمآذن المصرية في اجمل صورها . القبة ذات الاقواس المدببة تعتبر من معالم الطراز المعماري المصري .

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ المساجد بيوت الله سبحانه ، يبنيها العبادبشيء من فضله ويوقفونها على عبادته ، ليعبروا بذلك عن شكرهم اياه وليستزيدوا من فضله .وقد قال سبحانه في سورة النور (سورة ٢٤ ، آيات ٣٦ ـ ٣٨) :

« في بيوتٍ أذِنَ الله أن تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمُه ، يُسبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصالِ . رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة . يخافون يوما تتقلب فيه القلوبُ والأبصار . ليجزِيَهم الله أحسنَ ما عملوا ويزيدَهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وكل مكان نظيف يخصص للصلاة ويقصر عليها فهو مسجد ، ولا يشترط في المسجد بناء ولا هيئة معمارية ، ومن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَت لي الارض مسجدا وطهورا » حتى الجدران لا ضرورة لها ، فقد اتخذ المسلمون في الاجيال الاولى مساجد هي قطع من الارض فصلوها عن غيرها بخندق يصونها من ولوج الناس اليها دون طهارة ويمنع كذلك دخول الحيوانات اليها ، ومثال ذلك مسجد الكوفة الاول الذى لم

■ المسجد فكرة وروح قبل ان يكون مبنى وشكلا .

■ المسجد قلب الجماعة الاسلامية النابض ورمز وحدتها .

■ في عمارة المساجد عناصر اساسية خمسة والباقي زيادات .

■ انشاء المساجد كان دائما معادلة عسيرة الحل وفق المعماريون المسلمون الى الخروج منها بنجاح يدعو الى الاعجاب .

عقيدة الاسلام سهلة واضحة لاتعقيد ولا تكلف فيها ، والذين يعجبون بوضوح الاسلام وبعده عن التكلف يعجبون بهذه المساجد المبسطة ، لانها مجرد اماكن طاهرة مصونة مما يشوب طهارتها يقف المؤمن فيها بين يدى ربه .

وقد قرات كتابا لطيفا لقس كاثوليكى هو الاب بركروى Berguereuil ، قضى سنوات طويلة في افغانستان كتب بعدها ذلك الكتاب يسجل فيه خلاصة تجاربه في ذلك البلد الاسلامى الجميل ، وقد جعل عنوانه « الخبز والملح Le pain et le sal فكان اكبر ما مسّ قلبه وترك في نفسه وقعا عميقا مناظر هذه المساجد الساذجة والمسلمون يؤدون صلواتهم فيها في خشوع لا يجده ذلك القس في ضخام الكاتدرائيات . وقد قال في بعض صفحاته انه كان ذات مرة في حافلة تتوقل جبلا

وَالمُسْلِمِينَ فى شَتَّى العُصُور

■ ليست لدينا مدارس معمارية ولا طرز عامة وانما طرز محلية تطور كل منها في حدود الاصول الفنية في منطقته .

تكن له جدران ، وفي بلاد الاسلام جميعا مساجد ليس لها جدران او عمد او سقوف وانما هي مساحات صغيرة مصونة عما حولها باى صورة من صور الصيانة تفرش بحصير او نحوه ليقوم الناس فيها بصلواتهم . وفي بعض مساجد الاسلام الاولى لم يعرف الناس حتى فرش الارض بالحصير ، فكانوا يفرشون الارض بالحصى (الزلط الصغير) الجاف النظيف فاذا اتسخ رفعوه واستبدلوا به غيره .

وهذه المساجد البسيطة ترمز ببساطتها الى جانب هام من جوانب العقيدة الاسلامية ، فان

دائرة على ممر ضيق يدور بالسفح ويطل على حالق لا يقل عمقه عن الفى متر ، فلما بلغت الحافلة متفسحا من ذلك المصعد المخوف اوقف السائق السيارة تحت حائط الجبل ، ومضى الركاب معه الى فسحة لا تزيد مساحتها على عشرة امتار مربعة بارزة في الفضاء كانها شرفة معلقة بين السماء والارض ، وتوضا الرجال من مسيل ماء كانه الثلج برودة ثم وقفوا صفوفا في هذه الشرفة المطلة على الموت ووجوههم الى القبلة .

كانت تلك هي صلاة المغرب ، وقد جلس بركروى يرقبهم في اروع صلاة رآها في حياته . فلما فرغوا من الصلاة وعادوا الى اماكنهم قال القس لجاره : اما كان احسن لو انتظرتم فصليتم المغرب مع العشاء عند الوصول ؟ اما انتم على سفر ؟ فقال الرجل وهو يشير الى الهاوية : والله ما يحفظنا من التردى فيها الا هو سبحانه فكيف نتأخر عن موعد لقائنا معه ؟

المسجد النبوى فى المدينة ، أبو المساجد جميعا

ورمز البساطة المطلقة في مساجد الاسلام هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، شرع الرسول في بنائه في الشهور الاولى من استقراره في المدينة ، وكان مجرد الانتهاء من ذلك المسجد ايذانا بقيام الجماعة الاسلامية ، فقد اصبح لها مركز يتجمع المسلمون فيه وحوله ، ولقد بُني المسجد لاقامة الصلوات ولكنه لم يلبث ان اصبح قلب الجماعة النابض ورمزا ملموسا لوحدتها ، فان المسجد بيت الله ، ولكنه بيت المسلمين ايضا هناك يتلاقون ويتجمعون ويتبادلون الراى ويحسون بوحدتهم احساسا مباشرا .

وعندما ابتنى الرسول صلوات الله عليه حجراته في ركن من صحن الجامع ، اصبح المركزَ السياسي للجماعة كلها ، فان نبيها ، وقائدها يقيم هناك ويجتمع فيه باصحابه ويتبادل معهم الراى ويتخذ ما يرى من القرارات . هنا كان يفد الناس ليتعرفوا اخبار جماعتهم ويتلقوا تعليمات رسولهم الكريم،اىان ذلك الانشاء البسيط الذىسنصفه كان في واقع الامر حدثا هائلا في تاريخ البشر : كان ايذانا بميلاد جماعة الاسلام وقيام دولته . كان نقطة البداية لملك الاسلام الشاسع ، وكان ايضا منبع الحضارة الفكرية الاسلامية بشتى فروعها ، فهنا كان المسلمون يسمعون آخر ما أُوحِيَ الى نبيهم من آى القرآن الكريم ، وهنا ايضا كانوا يجتمعون باهل الذكر منهم يسالونهم فى امور دينهم ودنياهم ، وهنا ايضا ـ سواء في الجامع او في جلساته وسط صحابته ـ القى الرسول الكريم بالجانب الاكبر من حديثه النبوى الشريف .

ومعنى هذا ان المسجد لم يكن مجرد مكان لاقامة الصلوات ، بل اصبح منذ انشائه جزءا من بناء الجماعة الاسلامية،فكما ان الانسان لا يستطيع ان يتصور اسلاما بغير مسلمين فكذلك لا يمكن ان تقوم جماعة اسلامية بدون مسجد يؤدى لها الوظائف الدينية والسياسية والاجتماعية التى اشرنا اليها .

انشاء مسجد جامع فى بلد معناه دخول القطر كله فى دار الاسلام

ولهذا كان اول ما جرى الفاتحون المسلمون على عمله بعد اتمام الفتح العسكرى لاى بلد هو انشاء المسجد الجامع ، لان قيام هذا المسجد معناه



جامع السليمانية في ادرنة في تركيا . بني فيما بين سنتي ١٥٦٧ و ١٥٧٤ ، وهو من اجمل نماذج الفن التركي العثماني . انشأه المهندس سنان باشا الذى يعتبر من اعاظم المهندسين فى تاريخ الاسلام ، فقد بنى نحو ٣٧ مسجدا ، ومثل هذا العدد من القصور بالاضافة الى مدارس واضرحة وقناطر . لاحظ المآذن التركية الرائعة الضاربة في الجو كأنها صواريخ . لاحظ كذلك كثرة القباب ما بين كبيرة وصغيرة ، وكاملة ونصفية .

امتداد الجماعة الاسلامية الى ذلك البلد ودخوله في نطاق دولة الاسلام .

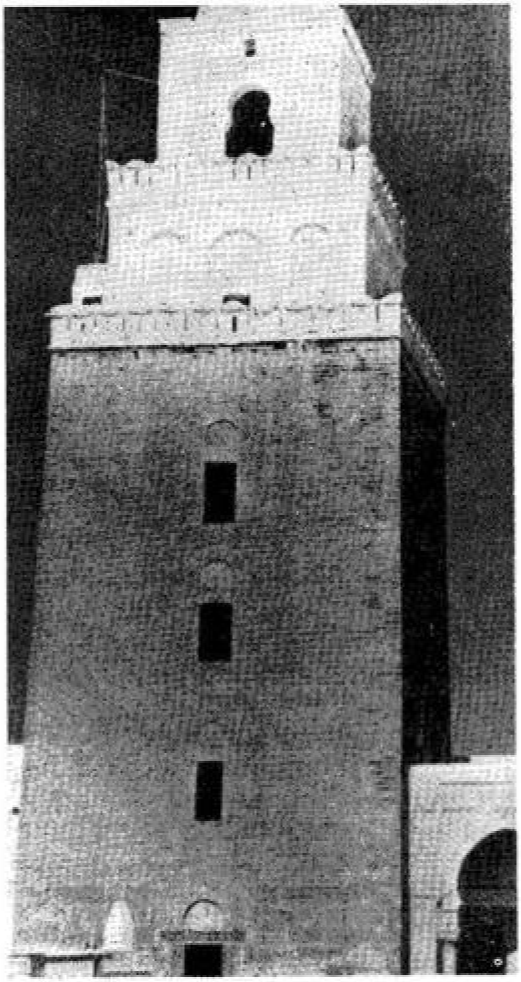
ومن القواعد الاساسية التي سار عليها بناة دولة الاسلام الكبرى انه لا يمكن التخلي عن قطر يقوم في عاصمته مسجد جامع ، فاذا لم ينشيء المسلمون مسجدا جامعا في قلب قطر من الاقطار لم يكن عليهم بأس بالارتداد عنه اذا اضطرتهم ضرورات عسكرية او سياسية الى ذلك ، ومن امثلة ذلك ان انشاء عقبة بن نافع للمسجد الجامع في القيروان فيما بين سنتي ٥٠هـ/٥٥ه ٦٧٠ - ٦٧٥ اصبح الزاما للدولة الاسلامية بالمحافظة على ولاية افريقية وهي تقابل الجمهورية التونسية اليوم ، فاصرت على ذلك رغم الثورات المتوالية التى قامت في هذه الناحية وكلفت المسلمين الوفا من الشهداء حتى استقرت قواعد الاسلام في البلاد ثم امتدت حتى شملت المغرب كله .

قبل ذلك - سنة ٣١/٦٥١ - كان عبد الله بن سعد بن ابى سرح قد فتح شمال السودان بانتصاره في واقعة دنقلة ، ولكنه لم ينشيء عقب انتصاره مسجدا جامعا فيها ، ومعنى ذلك انه لم تقم في شمال السودان اذذاك جماعة اسلامية ، ونتيجة لذلك لم تكن الدولة الاسلامية ملزمة بمواصلة الفتح في السودان ، فتاخر فتحه واسلامه كثيرا .

في ايامنا هذه عندما يفتحون بلدا يرفعون على عاصمته راية الفاتح دليلا على النصر والسيادة ، اما المسلمون فقد كانوا اذا فتحوا بلدا انشاوا فيه مسجدا جامعا دلالة على أن البلد اصبح جزءا من دار الاسلام ومركزا من مراكز جماعته . النتيجة السياسية التى تترتب على ذلك هي ان جماعة الاسلام الكبرى تصبح مسئولة عن ذلك الجزء الجديد من دار الاسلام . كان انشاء المسجد الجامع اعلانا لسيادة دين الله سبحانه ولم يكن معناه قط سيادة الغالبين على المغلوبين . في خطب الجمعة الاولى التى القيت في الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان لانجد اشارة قط الى انتصار او فتح او غلبة وانما نجد فيها شكرا لله سبحانه على ان فتح هذا البلد او ذاك للاسلام .

ومن هنا فان وجود المسجد الاقصى في القدس الزام للمسلمين جميعا باستعادة القدس واقليمها كله وهو فلسطين .

هذا واجب يحتمه الاسلام على المسلمين جميعا فرادى وجماعات .



مئذنة المسجد الجامع في القيروان ، نموذج للمآذن في الجناح الغربي لعالم الاسلام . هناك يسمون المئذنة صومعة ويجعلونها بناء مستقلا بنفسه عند الجدار الخلفي المواجه للقبلة من المسجد .

المسلمون ما كانوا يحولون الكنائس الى مساجد

هذا يكفي ليعطيك فكرة عن المعنى البعيد لانشاء مسجد جامع في عاصمة بلد فتحه المسلمون او في بلد اختطوه ليكون عاصمة او مصرا كما كانوا يقولون .

كانت المساجد الاولى كلها تحمل هذا المعنى رغم انها كانت ابسط مساجد بناها المسلمون في تاريخهم .

ولم يكن المسلمون الاول يلجأون الى اتخاذ الكنائس مساجد جامعة في البلاد التي فتحوها . كل ما تقرأه عن ذلك غير صحيح وهو من اختلاق كتاب العصور المتأخرة او من اختلاق بعض المستشرقين من امثال ليوني كايتاني Leone Caetan ول . كريسويل K.Creswell ممن عز عليهم ان يسلموا بان المسلمين ابتدعوا عمارة مساجدهم على نحو فريد يجمع بين البساطة المطلقة والوفاء بالفرض ، ويفتح الباب امام التجديد والابتداع .

فلا في بيت المقدس ولا في دمشق ولا في مصر او المغرب ، او الاندلس استولى المسلمون على كنيسة وحولوها الى مسجد .

ولقد اكثر الناس الكلام فما زعمه المقري المؤرخ من ان المسلمين عندما دخلوا قرطبة شاركوا المسيحيين كنيستها ، ثم اشتروا النصف الباقي عندما جاء عبد الرحمن الداخل وانشأوا جامعهم .. الى آخر هذا الكلام الغريب الذى لا يزال يردده بعض المؤرخين المحدثين .

وقد اراد الاثرى الاسباني فيليكس ايرناندث Felix Hernondes ، ان يتحقق من ذلك فقام بحفائر في كل ناحية من نواحي مسجد قرطبة وذهب مع العمق الى عشرة امتار فما وجد اثرا لاى بناء سابق ، لاكنيسة ولا غير كنيسة ، وقرر هذه الحقيقة المهندس الاثرى ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbas في كتابه الكبير عن الفن الاسلامى الاندلسي في عصرى الامارة والخلافة .

وبعد ذلك بسنوات ذهبنا مع نفر من الاثريين وحفرنا وحققنا فما وجدنا الا ان الارض التي قام عليها الجامع ارض بكر لم يسبق فيها بناء .

وماذا كان يحوج المسلمين الى تجشم عناء التفاوض مع المسيحيين على اخذ جزء من كنيستهم في حين ان انشاء المسجد على ارض عذراء ابسط واسهل واقل تكاليف ثم هو لا يؤلم مشاعر احد من الناس ؟

حقا لقد انشأ المسلمون مساجد في مواضع ابنية قديمة مهجورة ــ كالمعابد الوثنية مثلا ــ لكي يستفيدوا من جدرانها وارضها المبلطة بالحجر ، وهذا امر لم يعارض فيه مسيحي أو قس ، لأن هذه المباني كانت خرائب مهجورة على اى حال ، ولقد استسهل العرب ذلك احيانا . لانهم كانوا يجدون في هذه الخرائب اعمدة واحجارا تعينهم على العمل .

وقد اثبت باحثون آخرون عدم صحة هذه الادعاءات فيما يتصل بمساجد اخرى غير مسجد قرطبة ، وقد تكلم عن ذلك بتفصيل الاثرى المعروف د . احمد فكرى في مدخل كتابه الجليل عن مساجد القاهرة ومدارسها .

ونستثني من ذلك ما فعله الاتراك العثمانيون في الاستانة ، وبعض ما فتحوه من بلاد الدولة البيزنطية .

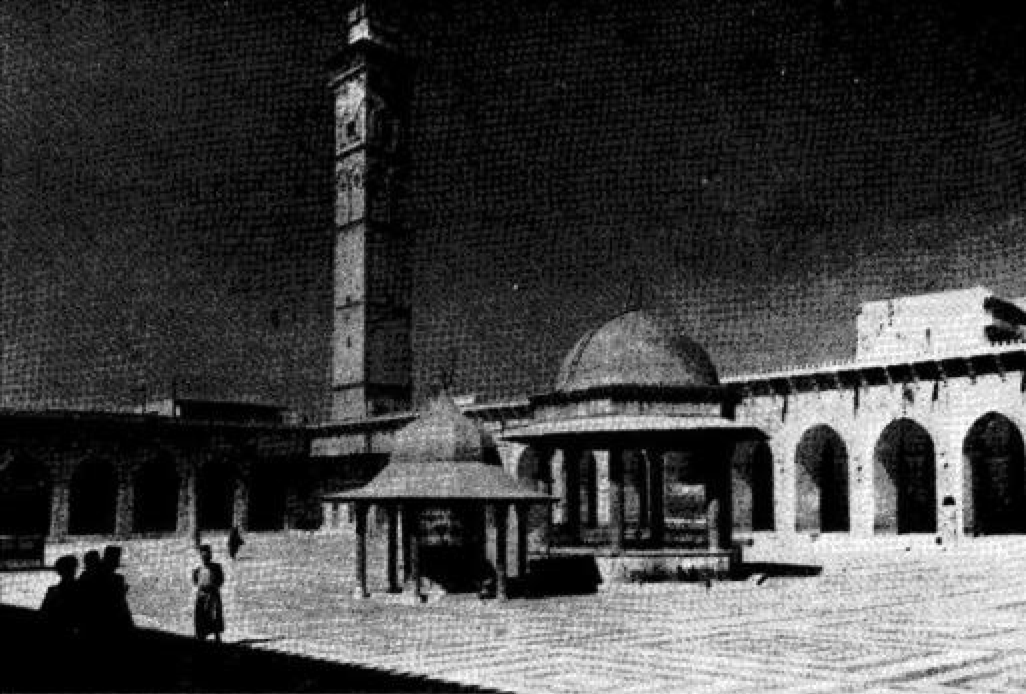
ولكن هذا رد فعل لما كان الاسبان يعملونه بمساجد الاندلس التي وقعت في ايديهم .. كان هذا معاملة بالمثل جرى عليها خلفاء العثمانيين في ظروف تاريخية معينة . ولكنه لم يكن قاعدة اسلامية عامة .

تفاصيل عن ابى المساجد

ولكي نزيد هذه الحقيقة وضوحا نعود الى ميلاد المساجد الاسلامية بادئين بابيها جميعا وهو المسجد الاول الذى انشأه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد شهور قليلة من هجرته ووصوله اليها بعد ظهر الثاني عشر من ربيع الاول من العام الهجرى الاول (٢٤ سبتمبر ٦٢٢) .. لقد كان وصول الرسول الاعظم الى قباء ثم انتقاله بعد ذلك الى دار ابي ايوب الانصارى في منازل بني عدى بن النجار في وسط سهل المدينة الذائد ، كان هذا ايذانا بقيام الجماعة الاسلامية في المدينة .. فقد التف المسلمون حوله وتقاطر عليه نقباء الانصار ورؤوس المهاجرين يتلقون توجيهاته ويبادلونه الرأى في تنظيم امر الجماعة الجديدة .

ومن أول الأمر استقر راى الرسول على انشاء مسجد للجماعة لتقيم فيه صلواتها وليكون مركزا ملموسا لوحدتها وقد اختار الرسول للمسجد قطعة ارض كانت مهملة ينبت فيها عشب وحشي وشجيرات صغيرة تسمى الغرقد ، وكانت فيها منخفضات يتجمع فيها ماء آسن ، وقد اتخذ الناس في بعض نواحيها قبورا ..

قام الرسول مع اصحابه بتنظيف هذه الارض وتسويتها ، ونقلت القبور الى مكان بعيد شرقي



صحن المسجد الجامع في حلب الذي كمل بناؤه في القرن الثالث عشر . انه من الطراز السلجوقي المبكر ويمتاز بمئذنته الرائعة الفريدة في بابها في عالم المساجد . الصحن كله مبلط ببلاطات كبيرة من الرخام تتوسطه ميضأة بديعة تقوم تحت جوسق ذي قبة .

موضع المسجد ، وقد عرف هذا المكان ببقيع الغرقد واصبح مقبرة للمسلمين ، واول من دفن فيه عثمان ابن مظعون .

ويقال ان الرسول الكريم اشترى هذه الارض من صاحبيها ، وكانا غلامين يتيمين تحت وصاية ابى امامة اسعد بن زرارة . وهذا ايضا غير صحيح لاننا سنجد هذين الغلامين بين المقاتلين في بدر بعد شهور قليلة ، ولم يكن الرسول يسمح للغلمان بالاشتراك في الحرب ، ومعنى هذا ان هذه الارض لم تكن ملكا لغلامين يتيمين او غير يتيمين ، وانما هي كانت ملكا للمجاهد الجليل ابى امامة اسعد بن زرارة . وكان يصلى فيها مع اصحابه قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وعلى اى حال فقد كان الاتفاق بين الرسول واهل المدينة يعطيه الحق في التصرف في اى قطعة ارض مهملة لا ينتفع بها احد . وقد حث الرسول اصحابه على استصلاح هذه الاراضى وكانت كثيرة جدا وكان لذلك اثر بعيد في نهوض العمران في المدينة .

وكانت مقاييس المسجد اول الامر ٧٠ ذراعا في ٦٣ ، والذراع المقصود هنا طوله ٥٢ سنتيمترا ، اى ان مساحة الجامع الاول كانت على وجه التقريب ٣٥×٣١٫٥ مترا ، اى انه كان مربعا اقرب الى الاستطالة .

وقد جعل الرسول من اول الأمر للجامع قبلة ، اى اتجاها محددا يجعل المصلون جميعا وجوههم قبالته . وكانت القبلة الاولى تجاه بيت المقدس . ونعتقد ان جدار القبلة هذا ـ وطوله ٣١٫٥ مترا ـ هو اول ما بنى ، فقد حفروا له اساسا عمقه متر ونصف وبنوه بالحجارة المنضدة اى المصقولة ، اما بقية الجدران فكانت من اللبن اى الطين غير المحروق ، وقد قامت هي الاخرى على اساس حجرى .

وكان ارتفاع الجدران حينما يقول المؤرخون « بسطة » اى طول رجل مبسوط القامة ، وهو تعبير معناه متران تقريبا .

في نصوص اخرى نجد ان ارتفاع الجدران كان ٣٫٥ مترا . وهذا القول الثاني ينطبق على ارتفاع المسجد بعد ان وسعه الرسول وزاد فيه .

في ناحية القبلة جعل الرسول عريشا او ظلة تقوم على جذوع تقوم بوظيفة الاعمدة ، ثم سقفوها بعوارض من خشب جذوع النخل ايضا وطرحوا عليها السعف والجريد .

وضعت جذوع النخل ثلاثة صفوف موازية لجدار القبلة ، في كل صف تسعة جذوع بين كل نخلة ونخلة ٣ امتار تقريبا .

في صدر المسجد ايضا حددوا موضع المحراب وعلموه بعلامة مميزة ، والى جانب المحراب بنوا جزءا مرتفعا ليقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم اذا خطب . هذه هي بداية المنبر .

وفتحت في جدران هذا المسجد ثلاثة ابواب : واحد في الجدار الشرقي قرب جنوبه ، والباب الثاني يقابله في الجدار الغربي ، اما الباب الثالث فكان في وسط نفس ذلك الجدار الغربي .

ومعنى هذا ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة كان يضم في صورته الاولى العناصر الآتية .

١ ـ ساحة واسعة مكشوفة هي التى تعرف بالصحن في مصطلح المساجد .

٢ ـ جزء معروش او مغطى من تلك الساحة يقع في ناحية القبلة ، هذا الجزء هو الذى نسميه عادة بيت الصلاة .

٣ ـ قبلة محددة يجعل المصلون جميعا وجوههم ناحيتها عند الصلاة . كانت هذه القبلة تتجه اولا نحو الشمال اى نحو بيت المقدس بالنسبة للمدينة ، ثم حولت القبلة الى الجنوب ، اى نحو الجدار الجنوبي المتجه نحو مكة المكرمة وبيتها الحرام (بالنسبة للمدينة) .

٤ ـ موضع محدد في جدار القبلة يقف تجاهه الامام وهو المحراب .

٥ ـ شيء مرتفع الى يمين المحراب ليقف عليه الخطيب في صلوات الجمع والاعياد وهو المنبر .

وهذه العناصر الخمسة : الصحن وبيت الصلاة والقبلة والمحراب والمنبر هي الاجزاء الرئيسية التى لا يمكن ان يخلو منها مسجد .

وكل ما عدا ذلك فزيادات وعناصر اكمال اتت فيما بعد ، وهي لا تدخل في صلب المساجد .

فالمئذنة مثلا ليس من الضرورى وجودها في كل مسجد . ايام الرسول كانوا يؤذنون من اعلى بيت مجاور ، هو بيت السيدة حفصة ام المؤمنين .

والميضاة كذلك عنصر اضافي ، لان المفروض ان المسلم يذهب الى المسجد متوضئا . وعلى الرغم من تصور كثير من المسلمين لأهمية وجود الميضاة في المسجد فاننا نقرر ان وجودها اضر بالمساجد بصورة عامة وكان من العقبات التى حالت دون المحافظة على نظافة المساجد كما ينبغي . وقد آن ان نتحلل من التزام الميضاة الآن بعد ان دخل الماء النقي كل بيت . ومن المؤكد على كل حال ان اوضاع الميضات وطرق التطهر والاغتسال والوضوء لا تضمن الطهارة الكاملة .

والمقصورة كذلك عنصر لا يدخل في تكوين المسجد . وتتخذ المقصورات عادة في صدر المسجد وتخصص ليصلى فيها اهل السلطان .

وكذلك القباب لا تعتبر اجزاء اساسية فى المساجد .

ومعنى هذا ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم احتوى على العناصر الاساسية للمساجد ، وعلى الرغم من التطور الشامل الذى مر فيه فن بناء المساجد عند المسلمين الا ان احدا لم يضف بعد ايام الرسول عنصرا اساسيا .

ولن نمضى في التاريخ لمسجد الرسول ، فهذا تاريخ طويل ، ولكن يكفى ان نذكر هنا ان الرسول زاد في مسجده زيادة كبيرة في السنة الثامنة للهجرة ، فاضيفت اليه خمسة امتار في الشرق وعشرة امتار في غربه وخمسة عشر مترا في الشمال.

ونتيجة لذلك اصبحت مقاييس المسجد ٤٥ × ٥٠ مترا ، اى ان مساحته اصبحت ٢٢٥٠ مترا مربعا تقريبا ، وهي تحتل نصف فدان على وجه التقريب. وعندما حوّلت القبلة الى الجنوب امر الرسول بانشاء عريش او ظلة اخرى عند جدار القبلة الجديدة. اي أن بيت الصلاة انتقل من الشمال الى الجنوب . وكانت مقاييس بيت الصلاة الجديد وطريقة بنائه هى نفس مقاييس القديم وطريقة بنائه .

وقد سمي بيت الصلاة القديم الصُفّة ، وكان يأوى اليها نفر من اتقياء المسلمين احبوا ان يعيشوا دائما في بيت الله وعلى مقربة من رسوله الكريم ، وهؤلاء هم اهل الصفة .

ويظن الكثيرون ان اهل الصفة كانوا من الفقراء الذين عاشوا هناك على احسان اخوانهم المسلمين.

وذلك غير صحيح . فعندما نقرأ اسماء اهل الصفة على ايام الرسول نجد انه كان فيهم نفر من

قدامى اصحاب الرسول ممن لا يوصفون بالفقر فقط ولا يرضون بان يعيشوا على احسان الغير . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرضى عن المؤمن أن يعيش على جهد الغير ، وله احاديث كثيرة تنهى عن ذلك ، فكيف يرضى ذلك لنفر من صحابته الاعزة عليه من امثال ابى ذر الغفارى وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت ؟ .

ولم يصل احد الى تحديد الجهة التى اقام الرسول فيها حجراته التى عاش فيها مع ازواجه امهات المؤمنين ، واقرب الآراء الى الصحة ـ دون تأكيد ـ انها كانت صفا من تسع غرف متجاورة بلصق الجزء الجنوبي من الجدار الشرقي ، ويدخل اليها من الباب الشرقي .

ولم تكن الغرف متصلا بعضها ببعض بل كانت ابوابها كلها تفتح على صحن الجامع. وجدير بالذكر انه لم تكن لها ابواب من خشب بل ارخيت عليها ستر تقوم مقام الابواب .

اى ان سكن الرسول الاعظم كان مفتوحا دائما ، ولو اراد انسان ان يدخل من باب المسجد ويفضى الى مخدع الرسول لفعل دون ان يجد صعوبة . ولهذا ـ اعتقد ـ حرص اهل الصفة على ان يقيموا على مقربة من رسول الله ، فقد ارادوا الا تطمئن جنوبهم الا على مقربة من باب الداخل والخارج وخاصة في سكون الليل .

المساجد الجامعة الاولى

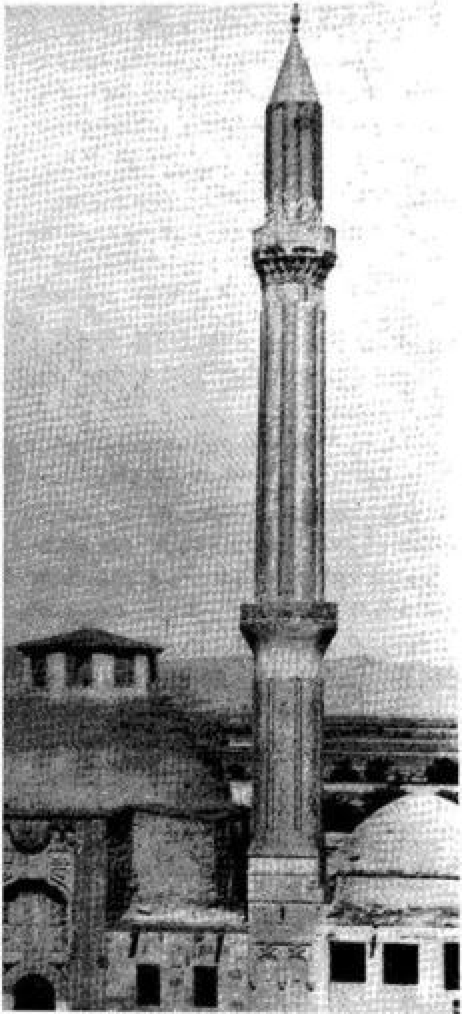
وعلى غرار مسجد الرسول قامت في المدينة المنورة مساجد كثيرة على أيامه صلى الله عليه وسلم ، وقد عد السمهودى عددا كبيرا منها في كتابه الفريد : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى (القاهرة ١٩٠٩) .

وعلى طرازه أيضا قامت المساجد الجامعة الأولى في عواصم البلاد التي فتحها المسلمون على ايام الخلفاء الراشدين وبني أمية وأهمها :

مسجد البصرة ، أنشيء سنة ٦٣٥/١٤ على يد عتبة بن غزوان . أقام سوره أولا من قصب أي من البوص ، ثم بناه أبو موسى الاشعرى باللبن ، ثم بناه زياد بن أمية بالحجر سنة ٦٦٥/٤٤ .

ومسجد الكوفة ، أنشيء سنة ٦٣٦/١٥ أو ٦٣٨/١٧ على يد سعد بن ابى وقاص . لم يكن له جدار أول الأمر ثم عمل له جدار من قصب ، ثم بنى باللبن ، ثم بالحجارة سنة ٦٧٠/٥١ .

وثالث المساجد الجامعة مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط ، بني سنة ٦٤٢/٢١ وتاريخ هذا



مسجد ومدرسة انجى في قونية في تركيا . انشيء هذا المبنى الجميل سنة ١٢٥٨ وهي السنة التى خربت فيها بغداد على يد المغول . انه نموذج لطراز العمارة السلجوقي . لاحظ المئذنة الجميلة التى تعتبر من اوائل المآذن التركية . انها محلاة بخطوط من القاشاني الأزرق ذى البريق . لاحظ كذلك القبةالكبيرة يعلوها طاق جميل للنور . هذه القبة تقوم فوق المدرسة .

المسجد طويل،فقد وسع وهدم وبنى مرارا عديدة. والمسجد الحالي لا يمت في عمارته الى المسجد الأول بصلة ، وهو حديث البناء .

ورابع المساجد الجامعة مسجد عقبة بن نافع في القيروان ، بناه ذلك الفاتح العظيم فيما بين سنتي ٥٠ و ٥٥/٦٧٠ و ٦٧٥ وقد مر هذا المسجد أيضا بأدوار شتى في تاريخه ، ولكن هيأته الحالية أصيلة ترجع الى أيام ابراهيم بن احمد تاسع امراء بني الأغلب على افريقية ، وقد تمت سنة ٨٧٥/٢٦١ .

وخامس المساجد الجامعة هو المسجد الاقصى في القدس . وبناؤه يرجع الى ايام عمر بن الخطاب ، ولكن ليست لدينا فكرة عن صورته الأولى . وقد أعاد بناءه بالحجر عبد الملك بن مروان سنة ٦٥/٦٥٨ ، اما الذى اعطاه صورته التاريخية التي ظل محافظا عليها رغم التجديد واعادة البناء المتكررين فكان الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧/٧٠٦ . والوليد من أعاظم البنائين في تاريخ الاسلام .

وهذه الخمسة الى جانب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هي آباء مساجد الاسلام كلها .

ويلي ذلك المسجد الجامع بواسط وقد بناه الحجاج بن يوسف سنة ٨٤/٧٠٣ .

والمسجد الجامع الأموى في دمشق ، وهو من بناء الوليد بن عبد الملك فيما بين سنة ٨٧/٧٠٦ سنة ٩٦/٧١٤ .

وبعد ذلك تأتي الوف المساجد التي بناها المسلمون على طول تاريخهم .

ومعظم هذه المساجد الجامعة الأولى مرت في انشائها الأول بالمراحل التقليدية الثلاث : مرحلة كانت جدرانها فيه من القصب ، ثم حل اللبن محل القصب ، ثم حل الآجر او الطوب المحروق أو الحجر محل اللبن . وهذه المراحل تعيّن تطور العمران في عالم الاسلام . وتاريخ كل مسجد من هذه انما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، لأن المسجد ليس مجرد مكان للصلاة ، بل هو قلب الجماعة الاسلامية النابض ورمز وحدتها ومجمع أهلها .

وقد رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم أسرع بانشاء مسجده الجامع حتى تأخذ الجماعة الاسلامية هيأتها الملموسة .

عمارة المساجد تجمع بين نقيضين البساطة والفخامة

وعلى الرغم من التطور البعيد الذى مرت فيه مساجد الاسلام ، من ميلادها الى اليوم ، الا انها ظلت تحتفظ بعناصرها الرئيسية الخمسة التي اكتملت لها أيام الرسول .

وقد واجه المعماريون المسلمون مشكلة عويصة كان عليهم ان يجدوا لها حلا اذا ارادوا أن يسيروا الى الأمام بأساليب بناء المساجد على نحو يتمشى مع ما وصلت اليه دولة الاسلام من ملك شاسع وتطور حضارى واسع المدى .

فلم يكن من الممكن أن تصبح دولة الاسلام امبراطورية تمتد من حدود الصين الى الأطلس وتظل مساجدها الجامعة سياجات من القصب أو اللبن تدور حول مساحات من الأرض بعضها مغطى بسقائف تقوم على أعمدة من جذوع النخل ، ولم يكن من الممكن كذلك ان تدخل على المساجد عناصر لا تتفق مع طبيعتها ، أو عناصر تتعارض مع بساطتها ، لأن هذه البساطة تعبير ملموس عما تمتاز به العقيدة الاسلامية من وضوح وسهولة وبُعد عن التعقيد .

فكيف اذن يستطيع المعمارى أن يجد حلا يجمع بين البساطة والفخامة ، وهما في واقع الأمر نقيضان ؟ .

معادلة عسيرة استطاع المعماريون المسلمون حلها بنجاح يدعو الى الاعجاب .

لقد كانت اقامة الكنائس مشكلة يسيرة الحل على المعماريين النصارى ، لأن الكنيسة بناء معقد مركب ، فهي مكان للصلاة وفيها سجل للاحوال الشخصية لرعاياها ، وفيها مكتب أو مكاتب للاسقف أو القس ومساعديه ، وفيها مخازن للذخائر وادوات اقامة الطقوس من صلبان وكئوس واجراس وكتب مقدسة وكتب صلوات وملابس لكل مرحلة من مراحل الطقوس ، وفي الكنيسة أيضا خلوات للاعتراف وغرف لتغيير الملابس ومساكن للقس أو الشماسة أو القوَمَة وما الى ذلك .

أي أن المعمارى الذى يضع تصميم كنيسة يجد امامه متسعا للابتكار والتشكيل ، أضف الى ذلك

ان الكنائس ترحب بالتصاوير والتماثيل وكل ما يساعد على تجسيم العقيدة ..

اما المساجد فلا تقبل شيئا من هذا على الاطلاق.

واذن فالفخامة ينبغي ان تنصب على اشكال العناصر الأساسية الأولى وكذلك على المواد التي تبنى بها .

والصور المبتكرة والزخارف وأشكال الزينة ينبغي أن تقتصر على العناصر غير الرئيسية : الأعمدة والبوائك والشبابيك والأبواب والسقوف والمآذن والقباب وما الى ذلك .

وهنا ينبغي ان نقرر ان المعماريين المسلمين وفقوا في أعمالهم توفيقا فاق كل ما كان متصورا .

طرز المساجد الاسلامية

وهنا نقف أمام باب الطرز المختلفة للمساجد .

والطرز جمع طراز (مثل كتاب وكتب) ويراد بها الهيأة العامة للشكل المعمارى للمبنى والاشكال الخاصة للعناصر الرئيسية والصور المبتكرة للعناصر الثانوية .

وهنا ينبغي ان نقرر ان تاريخ عمارة المساجد لم يمر في أطوار عامة يسود في كل منها طراز بعينه في مساجد الاسلام كلها كما نرى في الطرز الرومانية والقوطية والرينيسانس والركوكو او الباروك وما الى ذلك من مراحل تطور عمارة الكنائس في الغرب.

ولكن الذى لدينا طرز محلية ، فهناك طراز اموى هو في الحقيقة طراز شامي . وهناك الطراز المصري الذى سار في طريقه من جامع عمرو الى ان وصل الى جامع محمد علي في القلعة مارا في تطوره بمراحل واضحة اهمها المرحلتان الفاطمية والمملوكية .

وهناك الطراز العراقي الذى يعرف عادة بالطراز العباسي ، واقدم ما بقي لنا من نماذجه الاولى جامع سامرا ومسجد ابي دُلَف . وقد مر هذا الطراز في مراحل شتى في تاريخه الطويل .

وهناك الطراز الايراني الذى بلغ ذروته وارفع صور جماله في مساجد العصر الصفوى الرائعة .

وهناك الطراز الهندى او المغولي نجده في مساجد الهند واضحتها مثل جامع قطب منار في دلهي وضريح التاج محل في اجرا .

وهناك طراز الملايو الذى نجده فيما يلي الهند شرقا حتى جزائر اندونيسيا وجنوبي الفليبين .

وهناك الطراز التركستاني الرائع الذى نجده في بخارى وسمرقند وطشقند وما اليها .

وهناك الطراز التركي العثماني الذى يروع النفس في مساجد الاستانة وبروسة وادرنة وما اليها .

وهناك طراز العمارة المغربية الذى ولد في جامع عقبة في القيروان وتطور بعد ذلك تطورا رائعا كما نرى في مساجد المرابطين والموحدين والسعديين والعلويين في بلاد المغرب الأقصى جميعا .

وهناك الطراز الأندلسي وقد مر هو الآخر في أطوار شتى وتاريخ طويل .

ومن المستحيل علينا في هذا الحديث عن المساجد ان نعطى ولو فكرة يسيرة عن خصائص كل طراز من هذه .

وقبل أن نختم هذا الحديث لنا رجاء الى اساتذة العمارة الاسلامية .. انهم جميعا مشكورون على ما يؤلفون ويكتبون .

ولكننا بحاجة الى كتاب مختصر لا يزيد على ٤٠٠ صفحة يقدم للقارىء العربي العام كل ما يحتاجه من المعلومات عن المساجد عامة وعن الطرز المختلفة. نريد كتابا محلى برسوم بالريشة توضح لنا الاجزاء والتفاصيل وصورا جيدة واضحة مطبوعة على ورق جيد بدلا من هذه الصور الباهتة والكليشيهات المهزوزة التي تجدها في كل كتاب يؤلفونه . نريد صورا بالأبيض والأسود وأخرى بالألوان . نريد كتابا كهذه التي تجد منها عشرات في مكتبات الغرب عن تاريخ الفن المعمارى عندهم وأصوله .

باختصار نريد كتابا واضحا خاليا من التكلف وجميلا أيضا يشترك في عمله متخصص في تاريخ الفن الاسلامي ومهندس معمارى ورسام يعرف كيف يرسم ورسام بالالوان يعرف كيف يلون ، ومصور فوتوغرافي يعرف كيف يصور ، وبعد ذلك نستحلفكم بالله – مطبعة تعرف كيف تطبع كتابا جميلا وناشر يبيعنا اياه بثمن رحيم . ■■

حسين مؤنس

أُسائلُ عنكِ آذارا ؟

[اليها في ذكرى الخامس عشر من آذار ١٩٤٢]

■ أسائلُ عنكِ آذارا ... لعلَّ لديهِ أخبارا ؟
فني آذارَ جرَّبنا الـ ... ـهوَى والحبَّ والنارا !

∴

كتمنا الحبَّ أعواماً ... تجاوزنَ الثلاثينا !
وقلنا : في غدٍ ننسَى ... وأيُّ غدٍ سيُنسينا ؟
وجاءَ غدٌ بنكبتِهِ الـ ... ـتي عمَّتْ فلسطينا
وهزَّ كيانَنا هزّاً ... عنيفاً كادَ يُرْدينا
فلم ننسَ الذي كانتْ ... تتوقُ لهُ أمانينا
وحبُّكِ لم يزلْ في القلـ ... ـبِ مرتبطاً بماضينا
أحيّيهِ إذا حلَّتْ ... بنا ذكرَى تلاقينا
وأنتِ حبيبتي مُذْ كنـ ... ـتِ أمسِ ولاتزالينا
يسامحُكِ الإلهُ فكم ... ذرفتُ الدمعَ مدرارا !
أسائلُ عنكِ ما أصبحْـ ... ـتُ أو أمسَيتُ آذارا !

∴

ألا ما أجملَ الذكرَى ... نعيشُ بسحرِها حينا !
تُجمّعُنا علَى بُعْدٍ ... فتبهجُنَا وتُحيينا !
أراكِ هناكَ حولَ الدا ... رِ حائرةً تطوفينا



بقلم : احمد غازى النمرى

وهذا طيفُكِ المحبو … بُ يخترقُ البساتينا
أناديه : تعالَ إليَّ … ما أحلى تدانينا
فيومئُ أنّهُ آتٍ … ليُعْطيَني رياحينا
أراهُ مُقْبِلاً ولقدْ … جنَى ورداً ونسرينا
وقدّمَ لي أزاهيرَ الرَّ … بيعِ وقالَ : يكفينا !
وغابَ ولم تعدْ عيني … تراهُ وأغلقَ الدارا !
هنالكَ عدتُ أدراجي … أسائلُ عنكِ آذارا !

∴

هجرْنا القدسَ وانفردتْ … بها أيدي أعادينا
ومجدُ جدودنا الغالي … أضعناهُ بأيدينا !
مساجدُنا ، كنائسنا ، … متاجرُنا ، مبانينا
لماذا لم نمُتْ في ظلِّـ … ـها غُرّاً ميامينا ؟
دفاعاً عن منازلنا … دفاعاً عن أراضينا
تركناها ووَلَّيْنا … وقد ظلّتْ تنادينا
وصبَّ اللهُ لعنتَهُ … فقالتْ : ربِّ آمينا
فحلّتْ لعنةٌ كبْرى … بقاصينا ودانينا !
ألاَ ليتَ الدماءَ جرَتْ … إلى الوديان أنهارا !
وما ولّتْ جموعُ الشعـ … ـبِ يوم الهَوْلِ أدبارا ! ■■

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه.
وقدرة الله تتمثل في بديع صنعه.

للنباتات هرمونات كما للحيوانات هرمونات

وهي تربط بين الحيوانات والنباتات

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ ضع بذرة في الارض ، واسقها ،واصبر عليها ، تجدها تنبت . معنى هذا انها تخرج ساقا ، تصعد من بطن التربة ، وتتجه دائما ناحية السماء ، وتخرج جذرا او جذورا تهبط نازلة في الارض .

واسالك عن هذا . وانت تقول لي ان صعود الساق بورقها التي حملت او تحمل الى السماء كان ضرورة ، لان هذه الاوراق الخضراء تستمد غذاءها من غاز اكسيد الكربون الموجود في الهواء ، ومن الماء، وانها تؤلف من هذين المركبين سكرا هو اصل غذاء النباتات جميعا ، وان هذا لا يحدث الا في ضوء الشمس ، والشمس في السماء لا في باطن الارض ، ومن اجل هذا اتجهت سيقان النباتات بأوراقها ناحية السماء حيث توجد طاقة الشمس ويوجد الهواء .

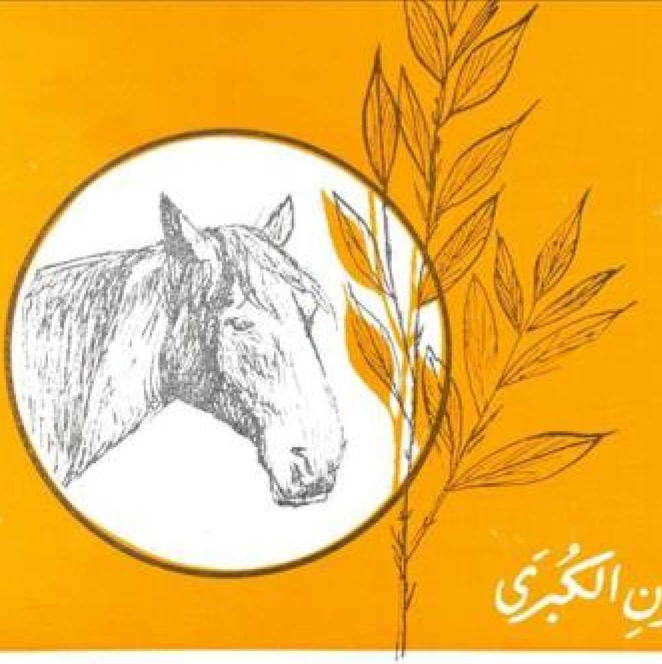
ولقد صدقت .

ثم انت تعرج على الجذور ، فتقول انها اتجهت نازلة في الارض ، لان في الارض الماء ، وان في باطنها الاملاح التي تحتاجها النباتات للغذاء . هذا فضلا عن ان عماد النبات في الارض جذوره، تجعل له في الارض اساسا يعتمد عليه ، كما يكون للمنازل اساس ، ويكون لكل قائم على سطح البسيطة اساس .

وهنا ايضا تكون صدقت .

ولكنك اخبرتني عن الهدف الذي من اجله تصعد الساق ، ويهبط الجذر ، ولكنك لم تذكر لي كيف يصنع النبات ليصعد بالساق ، وكيف يصنع ليهبط بالجذر .

وانت تتوجه بعد ذلك الى النبات



فى وحدة الكون الكبرى

● بـذور النباتـات تنبت فى الارض ،
فسيقان تصعد الى السماء ، وجذور تهبط فى التربة
فمن علمها ان فى السماء الهواء ؟
ومن علمها ان فى التربة الماء ؟

● والنبات ، نضعه فى الظل ، فيميل باوراقه وفروعه نحو الشمس
فمن علمه علم الكيمياء الذى يقول :
« ان الشمس مصدر الحياة فوق هذه الارض » .

تسأله كيف يصنع ذلك . وتسال النبات ولا تجد منه غير الصمت .

ان الهدف الذى ذكرت ان النبات يستهدفه ، بصعوده وهبوطه ، هو نفسه لا يعرفه . وهو اذن لا يعرف الوسيلة او الوسائل التى توسل بها الى هذا الهدف او الاهداف .

كذلك جسمك انت . يجرى فيه ما يجرى ، ولا تكاد انت تفهم لهذا الذى يجرى فى جسمك غاية، الا اقامة الحياة، ولا تكاد تفهم حتى ما يتوسل به الجسم الى هذه الغاية ، او الغايات من وسيلة او وسائل. لانك انت ما صنعت الجسم . ولا خططت له كيف يكون .

وكذلك النبات ما صنع جسمه بنفسه ، ولا خطط لجذر فيه او ساق، ان يصعد او يهبط .

ستقول انك تعلم اليوم عن جسمك الكثير الذى كنت تجهله بالامس ؟

ولقد صدقت فى هذا ايضا . انه العلم الحديث الذى علمك .

وكذلك هو العلم الحديث الذى علمنا

كيف تصعد الساق ، وكيف يهبط الجذر . ومن قبل ذلك علمنا ، لماذا يصعد الساق ويهبط الجذر ، طلبا للشمس والهواء ، او طلبا للملح والماء .

ان الذي يجرى فى اجسام النباتات ، واجسام الحيوانات ، فيه من التعقل والتدبر ، ومن العلم ومن الفن ، ما لو وكل امره الى النبات او الحيوان نفسه ، او حتى الى الانسان ، ولو كان ارسطو فيما زعموا له من سعة فهم وحدة ذكاء واتساع افق ، لفسدت هذه الاجسام ، بسبب عجز من وكلت اليهم ادارتها عجزا مريعا .

ان فى الاجسام الحية جميعا من فن وعلم ، وحيل شتى ، وظواهر غامضة وغير غامضة، تجرى كلها معا على تسق لا يحدث به نشاز ابدا ، وفى ادارة الاجسام الحية جميعا حصيلة من واجبات تعجز حتى العقول الانسانية عن فهمها ، دع القيام بها ، لهذا كان اول تدبير الخلق ان توضع كل هذه الحصيلات العلمية الفنية فى كنه الاجسام ، بعيدة عن عقول اربابها ، صفرت او كبرت ، وان يؤذن لها ان تدور وتعمل بقدرة قادر ، وحدها ، تلقائيا . حتى لا يكاد يدرى بها العقل القائم على الجسم الذى تعمل فيه مهما بلغ من سمو فى المراتب البشرية .

كدت ان اقول ان للنبات عقلا

لقد كدت ان اقول ان النبات به من العقل ما يدرك به السبب فى توجيه ساقه الى اعلى ، وتوجيه جذوره الى ادنى ، واذن فهو يقوم بهذا التوجيه . وجاز ان يكون فى هذا تفسير بسيط مريح لنا ، نحن بنى الناس .

هذا اذا توسعنا فى معنى العقل حتى يشمل تلك الظواهر التى نسميها بالغرائز ، كخوف الصبى من شعلة عود الكبريت .

ولكن ، حتى لو صح ان نسمى امثال هذه الغرائز عقلا فى لغتنا الانسانية، فانه يشق علينا ان نحمل العقل ، اى عقل ، بما يجرى فى جسمك او جسمى ، وما يجرى فى جسم شجرة زيتون او عود يحمل قمحا، ذلك لان الذى يجرى هناك احداث واعمال وانجازات اشق واكثر واوسع مما يتسع لها العقل الانسانى مهما كانت مكانته من الفطنة وقدرته على الاستيعاب ، فكيف بعقل للحيوان لو انه كان .

تدرك هذا مما سوف نذكره توا ، مما توسل به النبات من وسائل تدعو بعضه الى ان يسمو الى السماء ، وتدعو بعضه الآخر الى ان ينحط فى بطن ارض .

الهرمون
جسم خالوه ، قبل ان يكتشفوه

منذ عام ١٨٨٠ خال بعض علماء النبات ، من تجاربهم فى تنمية النباتات ، ان هناك مركبات كيماوية يصنعها النبات فى جهة من جسمه ، بمقادير غاية فى الصغر ، وان هذه المركبات تدور فى جسم النبات الى حيث تنمو الازهار او تنمو الجذور فتنشطها وتحفزها على النمو فتنمو .

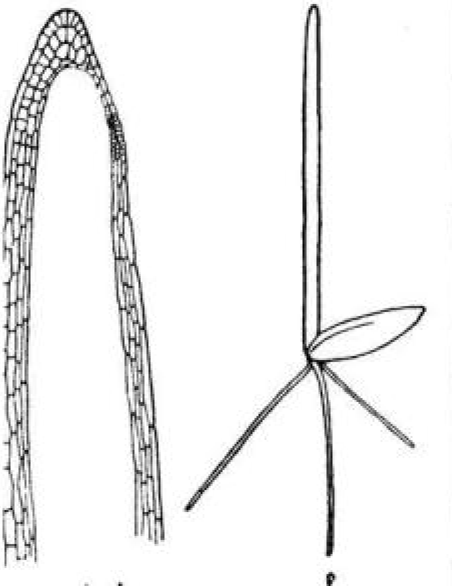
ومن عام ١٨٨٠ الى عام ١٩١٠ . زاد هذا الرأى وثوقا عند العلماء لاتفاقه مع خبرتهم فى البحوث التى قاموا بها فى تلك الفترة .

وفى نحو عام ١٩٠٥ اطلق علماء يقومون بتجارب فى الحيوان اسم هرمون Hormone على هذا الشىء الذى خالوا انه موجود فى الحيوانات .

والهرمون لفظ اغريقى معناه المنشط ولم يلبث علماء النبات ان اخذوا هذا الاسم عن علماء الحيوان لما خالوه من وجود مثل ذلك فى النباتات ، من اجسام حافزة منشطة للنمو .

الكشف عن الهرمونات فى النباتات

اكثر علم العلماء عن هرمونات النباتات جاء نتيجة ابحاث قاموا بها على الاعشاب، وعلى الاخص على عشب الشوفان oats ،



رسم ايضاحى لبذرة في الارض (أ) ، تنبتت ، فخرجت منها الساق عالية ، وخرجت الجذور فغاصت في التربة . والساق هنا هي ساق نبات الشوفان وهو وليد ، وهي عبارة عن غمد Coleoptile ، يحمى بداخله الورق الجديد حتى لا يتاذى وهو خارج من التربة الخشنة لرقته . والى جانب الرسم (أ) رسم مكبر (ب) لذروة الغمد ، وفي الذروة يتولد الهرمون الذى يعطى النماء لخلايا النبات الذى تحته .

وحدث انهم اثبتوا من تلك التجارب وجود هذه الهرمونات ، وذلك بالكشف عن آثارها اولا. ثم هم بعد ذلك كشفوها، وفصلوها،واثبتوا كل صفاتها، وحللوها وكشفوا عن تركيبها . ومن بعد ذلك هم ركبوا منها بالتخليق فى المختبرات ما ركبوا .

الكشف عن وجود الهرمون خبيئا فى قمة الساق

فى الصورة المرفقة بذرة الشوفان قد تنبتت فى الارض ، وخرجت منها الجذور وذهبت الى اسفل فى الارض هبوطا ، وذهبت الساق (وهى فى اول امرها غمد يحتوى الاوراق ويحميها Coleoptile) فوق سطح الارض صاعدة .

والذى صنعه العلماء ، او بعض الذى صنعوه ، انهم قصوا الذروة من هذه الساق ، وازاحوا الذروة عن الساق ، فاذا بالساق يقل نموها .

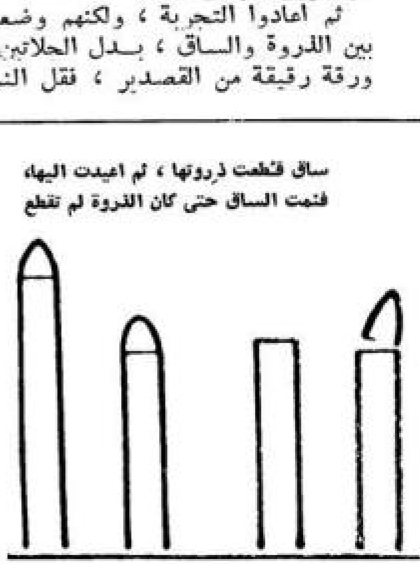
عندئذ ردوا الذروة الى الساق ، فعاد النمو اليها .

ثم وضعوا بين الذروة والساق طبقة من الجلاتين ، فاستمر النمو . ذلك لان الهرمون ، المفروض انه فى الذروة لا فى الساق ، استطاع ان ينفذ الى الساق عن طريق الجلاتين .

ثم اعادوا التجربة ، ولكنهم وضعوا بين الذروة والساق ، بدل الجلاتين ، ورقة رقيقة من القصدير ، فقل النمو حتى اختفى أو كاد . ذلك لان الهرمون لم يستطع الوصول من الذروة الى الساق ، فالقصدير لم يأذن للهرمون ان يصل الى الساق كما فعل الجلاتين .

وبوضع الذروة ، على الساق لتغطى نصف قطرها فقط ، مالت الساق الى ناحية عكس الناحية التى غطت فيها الذروة بعض مقطع الساق . والتفسير ان الذروة ، بالهرمون الذى فيها ، نشطت خلايا الساق فى هذا الجانب ، ولم تنشطها فى الجانب الآخر . فكثرة الخلايا فى جانب دون جانب،امال الساق الى الجانب قليل الخلايا . ويسمى هذا بالميل او الانحاء السالب Negative Curvature .

ساق قطعت ذروتها ، ثم اعيدت اليها، فنمت الساق حتى كان الذروة لم تقطع



الكشف عن الهرمون واستخراجه

حدث بعد ذلك ان استخرج الكيماوي كوجل Kogl ، وهاجن شمت Haagen Smit ثلاثة مواد لها قدرة كبيرة في حفز النبات على النمو ، كانت احداهما أكسين أ Auxin A ، والثانية اكسين ب Auxin B ، والثالث هترو اكسين Heteroauxin ، واذ اكتشفا وجود الاكسين الاول بمقدار لا بأس به في بول الانسان فصلاه على هيئة بلورات نقية (عام ١٩٣١) . وحللاه ودرسا جزيئه فكان رمزه الاولى ك ١٨ يد ٣٢ أ ٥ . ثم اكتشف كوجل واصحابه الاكسين الثاني فاسموه (ب) واسموا الاول (أ) عام (١٩٣٢) وحصلوا عليه من زيت حرثومة الذرة ثم اكتشفوا الاكسين الثالث ، واثبتوا انه حامض رمزه ك ١٠ يد ٩ أ ٢ ن (١٩٣٤) .

وهم اشتقوا لفظ اكسين من اللفظ اليوناني اكسو Auxo ، او فعله Auxien ، ومعناه يزيد والزيادة هنا هي زيادة نمو النبات .

وقد كشفوا عن وجود هذه الاكسينات في شتى النباتات وهي تصنع لا شك بها مثلما تصنع في الشوفان من حيث الحفز على النمو .

وقد ركب الكيماويون من هذه المواد مشتقات لها في المختبرات الكيماوية كانت حافزة على النمو كذلك على درجات مختلفات .

الانتحاء الضوئي
او انحناء النبات ناحية الضوء

تلك خاصية معروفة في النباتات من قديم . فلو انك وضعت اصيصا به نبات ، في حجرة قليلة الضوء ، ووضعته بجوار نافذة يدخل منها نور الشمس ، اذن لمال النبات بفروعه واوراقه ناحية الشمس .

وتسأل الرجل العادي عن سبب ذلك فيقول لك ان النبات يطلب الحياة من الشمس ، وتسأله هل للنبات ارادة وفكر بهما يعرف ضرورة الشمس لحياته فيقول لك : لا ، انما هي الغريزة ، وانها حكمة الله .

ونسأل الرجل الكيماوي ، او من درس الكيمياء ، فيزيد لك هذه الظاهرة تفسيرا ، اذ هو يحكي لك عن التمثيل الخضيري ما يحكي ، ويقول لك ان الاوراق تصنع غذاء النبات (وغذاء الحيوانات بالطبع) من ثاني اكسيد الكربون في الهواء ، تجمعه الى ما يصل اليها من الارض من ماء ، تصنع من كليهما السكر الابسط الجلوكوز ، الذي هو اول خطوة في صنع الاعقد من الغذاء . ثم هو يزيدك تفسيرا فيقول ان ضوء الشمس دخوله ضروري في هذا التركيب ، وتخليق الجلوكوز . ومن اجل ذلك مال النبات الى الشمس باوراقه .

هذا لا شك زيادة تفسير ، وهو تفسير علمي صحيح .

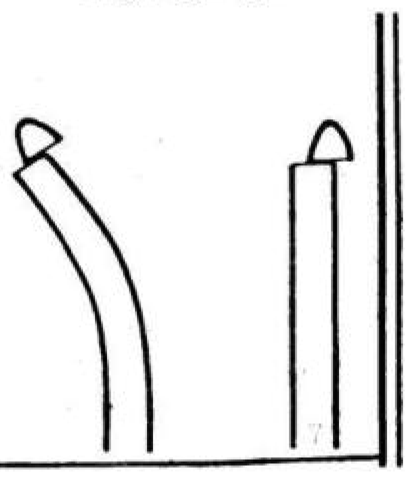
وهو من العلم المكرر الشائع .

ولكن يبقى السؤال من غير جواب : هل عرف النبات كل هذا ؟

سؤال يبقى بدون جواب .

ثم يتدخل العلم بعد ذلك ليزيد هذه العملية تفسيرا .

ساق قطعت ذروتها ، ثم اعيدت الى الساق بحيث تغطي نصف القطع ، فنمت الساق ولكنها مالت الى الناحية الاخرى .





وفي هذه الصورة انحنى الاصيص على جانبه ، وقد أعطى ظهره للجهة الواحدة التى جاء منها النور ، فانحنت الساق انحناء كبيرا ناحية النور .

التفسير العلمى لانتحاء النبات ناحية الشمس

انا عرفنا الاكسين . وانه يزيد فى نمو الخلايا حيث يكون من جسم النبات. كل هذا ثبت ثم يبحث العلماء فى النبات، كيف يميل ناحية الشمس .

وصل العلماء الى ان للضوء تأثيرا كبيرا فى صنع هذه الظاهرة،واثبتوا ان الاشعة القصيرة فى طيف الشمس (البنفسجية والزرقاء) لها الاثر الاكبر فى احداث هذه الظاهرة ، اما الاشعة الطويلة (الحمراء) فلا يكاد يكون لها تأثير .

ووجدوا أن حساسية النبات كبيرة لهذه الاشعة حتى اذا قلت شدتها كثيرا ، وان النبات يستجيب (بالميل نحو الاشعة) حتى اذا هى بلغت ـ شدة هذه الاشعة ـ من الضعف جزءا من الف من ضوء القمر البدر . ووجدوا ان الميل فى هذه الحالة يحتاج تمامه الى ساعات كثيرة . وتزيد شدة الضوء فتقل الساعات ، وتزيد الشدة فيقل الزمن الذى يتم به الميل حتى يبلغ كسرا من الثانية .

ويخرج العلماء بان هذا الميل نحو الضوء ، يحدث بسبب أن الهرمون الناتج فى الساق،عند دخول الضوء الى النبات من جانب واحد ، يختل مقدار انتاجه وتوزعه فى النبات . لقد كان ينتج فى النبات بالسوية فى كل ناحية منه ، فلما استقل جانب من النبات بالضوء ، قل الهرمون الناتج فى هذا الجانب ، وكثر فى الجانب الاكثر اظلاما . ومعنى هذا ازدياد نمو الخلايا فى هذا الجانب المظلم ، فازداد حجمه ، بالنسبة لحجم الجانب المضىء ، واذن انحنت الساق ناحية الضوء . وبهذا تقترب الاغصان والاوراق من مصدر الحياة الاول ، الشمس .

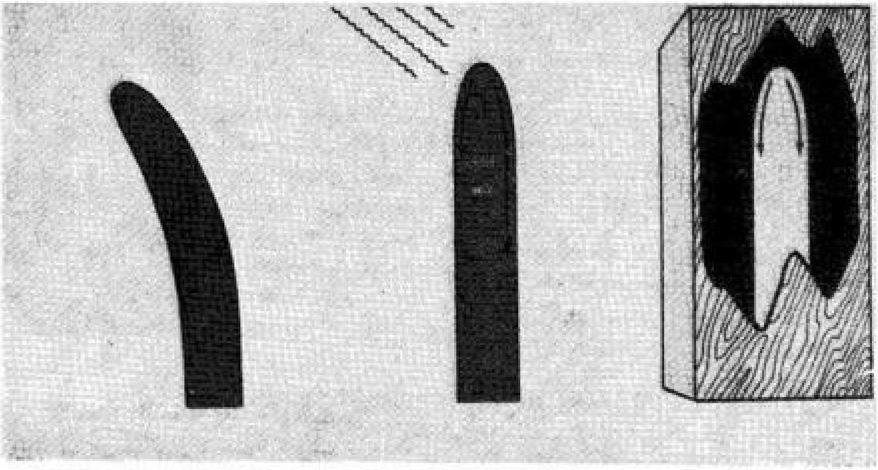
الانتحاء الارضى للنباتات

وكالانتحاء الضوئي للنبات ، فكذلك الانتحاء الارضى .

وننظر فى الانتحاء الارضي للساق فنجد ان الساق دائما تصعد الى السماء على الرغم من جاذبية الارض . اما الغاية الحيوية من ذلك فظاهرة وسبق أن

بذور مستنبتة" ، جاءها الضوء من اليسار فمالت سيقانها كلها الى اليسار .





ساق النبات تبقى قائمة مستقيمة اذا تساوى توزع الضوء من حولها كما ترى فى الصورة اليمنى . اما اذا هو جاء من ناحية دون ناحية ، مال الهرمون في النبات الى الجانب البعيد عن الضوء ، فزاد نمو خلاياه ، فانحنى النبات بسبب ذلك ، ومالت ساقه ناحية الضوء كما ترى في الصورتين ، الثانية والثالثة . والخطوط المتموجة ترمز الى اشعة الضوء . والسهم الاسود الذى هو في داخل الساق يدل على اتجاه ميل الهرمون في الساق .

ذكرناها وكررناها . ولكن المطلوب الآن ان نعرف كيف يفعل النبات ذلك .

يفعله تماما كما فعل فى الانتحاء الضوئي .

اى ان النبات ينتج الهرمون بمقادير منتظمة فى ذروة الساق ، على كل مقطع الساق ، فينمو مقطع الساق بدرجة واحدة وفقا لطبيعة النبات وحاجة حياته .

واذا نحن غصبنا النبات ، غصبنا ساقه ، بان جعلناها فى وضع افقى ، تغير توزع الهرمون فى الساق فزاد نمو الخلايا فى ناحية ، وانقصه فى ناحية ، فنشأ عن ذلك تحفز فى النبات دائم ليصعد الى السماء متى ازلنا عنه الاكراه الذى فرضناه عليه .

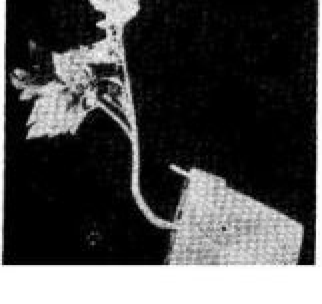
فعل العلماء ذلك بان جاءوا بساق (صغيرة لينة طبعا) فوضعوها غصبا فى وضع افقى كما فى الشكل المرفق ، وبحثوا فوجدوا ان الهرمون ، الاكسين ، يتركز فى النصف الاسفل من الساق اكثر من النصف الأعلى .

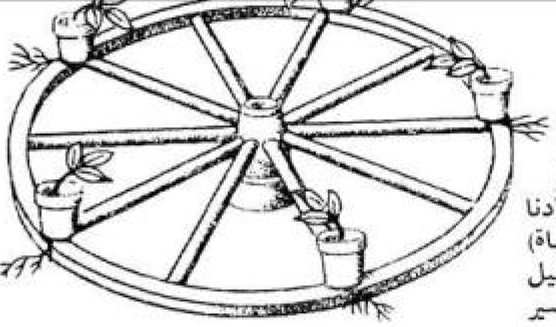
ومعنى هذا أن نمو الخلايا يكون اكثر فى النصف الاسفل من الساق وهى افقية ، واقل فى النصف الاعلى .

ومعنى هذا ان النبات اذا ترك فى حريته وهو على هذه الحال استقام راسيا وصعدت ساقه تنحو ناحية السماء معارضة قوة جاذبية الارض .

فهذه هى ظاهرة الانتحاء الارضى ، والانتحاء من فعل انتحى ناحية ما اى مال اليها .

في الصورة انحنى الأصيص الذى به الزرع على جانبه ، فما لبثت الساق ان انحنت وارتفعت راسيا ، فهذا طبعه ، يجرى عكس الجاذبية اذا لم يمنعه مانع .





في هذه الصورة استبدلنا قوة الطرد المركزية بقوة الجاذبية الارضية . ولما دارت العجلة بسرعة وعليها الأصص بالنبات الذى فيها ، اتجهت السيقان الى ناحية عكس قوة الطرد (وقوة الطرد انما تطرد الى خارج العجلة) ، اما الجذور فاتجهت في اتجاه قوة الطرد كما فعلت مع قوة الجاذبية الارضية .

زادنا العلم تفسيرا وزادنا اسبابا ولكنه لم يصل الى اعمق الاسباب

وهنا لا بد ان نوضح ان العلم زادنا تفسيرا لما بين النبات والشمس (والحياة) من علاقة ، اولا بتفسير ظاهرة التمثيل الضوئي Photosynthesis ثم بتفسير ظاهرة الانتحاء الضوئي ، ثم بتفسير ظاهرة الانتحاء الارضي .

ولكن بقى السؤال الاصيل من غير جواب :

كل هذه العلميات تحتاج الى علم (هو علم الكيمياء) والى فن (لا يتصل بعلم الارض وحده ولكن كذلك بعلم السماء)، والى تدبير واحكام . وهذا كله يحتاج الى العقل فى اكبر مراقيه .

وسوف تعود فتقول انها الغرائز ، وسنقول معك انها الغرائز .

ولكن اذا نحن ادركنا ان الغرائز تتضمن كل هذا العلم ، وكل هذا الفن ، وكل هذا التدبير والضبط والتنظيم ، وجب ان نضع الغرائز فوق العقول ، فهى اثمن من العقول احتواء ، وادق ضبطا ، واوسع حيلة ، وهى فى العلم اعمق .

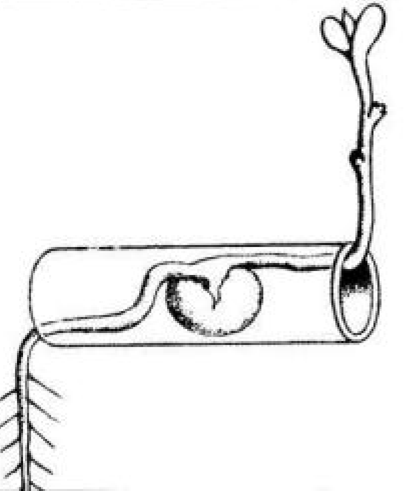
بين ابداع الصنعة وشمول الوحدة

حديثنا هذا ، كان حديث الصنعة ، صنعة الخلق ، فى ابدع واروع صورها ، لا بما تضمنته من عمليات كيماوية غاية فى الدقة ، ولكن كذلك فيما كان بين هذه العمليات جميعا من ترابط وتوافق ، وبين ما تهدف اليه جميعا من الوفاء بأهداف الحياة ، فى ضبط عجيب ، وربط اعجب .

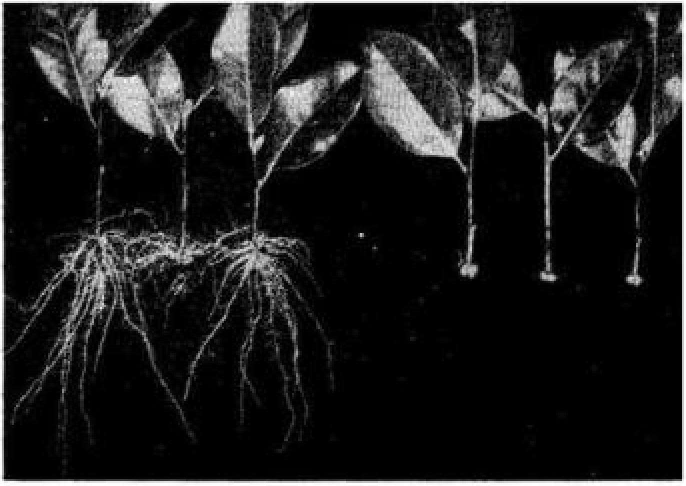
الوحدة وهرمونات النباتات

بقي شمول الوحدة .

وقد سبق ان تحدثنا عن هرمونات الانسان ، وفى هذا الحديث الحاضر تحدثنا عن هرمونات النبات .



بذرة النبات اذا دفنت في التربة ، وارتوت بالماء ، تنبتت ، وصعدت ساقها الى اعلى ، ونزل جذرها الى اسفل . فاذا نحن عوقنا هذا بان وضعنا البذرة (والتربة معها) فى انبوبة افقية كالتي ترى في الصورة ، فقد فرضنا بذلك على الساق ان تنمو غصبا افقية ، وكذا الجذر. حتى اذا هما بلغا حافة الانبوبة ، رجع كلاهما الى طبيعتهما ، فذهبت الساق الى اعلى ، ونزل الجذر الى اسفل . الساق تذهب عكس الجاذبية ، والجذر يذهب وفقا لها .



البهشية او الهولى Holly ، نبات ، اذا قطعت منه جزءا ، ثم اردت ان تنبته بوضع ساقه ، حيث قطعت ، فى الماء ، فقلما تنبت الساق جذورا . ولكنها تنبت الجذور الكثيرة اذا وضعت فى الماء شيئا من الهرمونات النباتية. انها تحفز الجذور على النمو حفزا .

وفى شمول الوحدة نقول ان الهرمونات ـ كما راينا ـ منتشرة فى النباتات كما هى منتشرة فى الانسان .

وقد ذكرنا من هرمونات النباتات المواد المعروفة بالاكسينات. ولكن يوجد فى النبات من الهرمونات مواد كثيرة اخرى غير الاكسينات . وهى جميعا توجه النباتات وتحكم اعمالها الكبيرة والكثيرة ، وذلك بمقادير منها تنطلق فى النبات غاية فى الصغر . وهذه هى صفة الهرمونات الاولى .

والفرق بين هرمون الانسان وهرمون النبات ان هرمون الانسان تصنعه اعضاء متخصصة تعرف بالغدد الصماء او اللاقنائية ، اما فى النبات فالهرمون تصنعه خلاياه ، مادة كيماوية ، تجرى فى النبات حتى تستقر حيث يراد منها استقرار .

هرمونات الانسان تمتد لتشمل الحيوان

اما عن الهرمونات فى الحيوان فما اشبهها بهرمونات الانسان . وهى تقوم بضبط عمليات الحياة فى اجسام الحيوانات الفقارية جميعا كما تقوم فى جسم الانسان وذلك طول حياتها . والغدد الهرمونية موضوعة فى الحيوانات الفقارية فى مثل مواضعها فى جسم الانسان . وبلغ من شبهها بهرمونات الانسان اننا نستخدم بعضها عند الحاجة لسد عجزها فى جسم الانسان. ومن ذلك اننا نستخدم الخلاصة المستخرجة من الغدد الدرقية للخنازير لتعويض ما فى الانسان المريض من عجز فى افراز هذه الغدة. وكذلك الانسولين نستخرجه من الابقار وغيرها لمرضى المرض السكرى .

وقد يوجد الهرمون فى الانسان والحيوان ذى الفقار على السواء ، ولكن قد يختلف عمله فى هذا عن ذاك . ومعنى هذا ان حاجة الحيوان غير حاجة الانسان، او ليست مثلها تماما ، فوجب ان يتغير واجب العمل مع ان الهرمون واحد . ومعنى هذا بالطبع ان الهرمون قد تكون له كفايات متعددة .

اما عما دون الحيوانات الفقارية ،اى ما يختص بالحيوانات غير ذات الفقار ، فقد كشف العلماء عن وجود الهرمونات فى الكثير منها . وجدوها فى الحيوانات القشرية وفى الحشرات ، وكشفوا عن عملها ، فمنها ما يتحكم فى المواد الصابغة فى الجلد ، ومنها ما يوقت لانسلاخ الجلد .

على ان ابحاث الهرمونات ابحاث فى عمومها حديثة ، لم يفرغ العلماء منها بعد ، وهم فيها قائمون وكل يوم يأتى فيها بجديد .

●●

احمد زكى

أمراض شائعة

استئصال اللوزتين

بقلم: الدكتور محمد الزعفراني

■ تكون اللوزتان جزءا من حلقة الغدد الليمفاوية التي تقع عند مدخل البلعوم وتقومان بوظيفتهما الدفاعية بتنقية الهواء والمأكولات من الجراثيم بعد دخولهما الدورة الدموية أو الليمفاوية.

وهذه الوظيفة الدفاعية تدوم ما دامت اللوزتان سليمتين.

وتقع اللوزتان على جانبي البلعوم في نهاية الفم. وفي بعض الاحيان يحضر احد المرضى الى العيادة للكشف عليه متسائلا ان كان عنده لوزتان ام لا. وطبعا اللوزتان جزء من التكوين الطبيعي للجسم ولهما منافعهما وقد تصاب اللوزتان بالتهاب حاد وهذا شيء طبيعي اما اذا تكرر هذا الالتهاب على فترات قصيرة بالرغم من العلاج فقد يسبب احدى المضاعفات الآتية:

١ – التهاب الكلى.

٢ – التهاب في المفصل أو العضلات.

٣ – ضعف في صمامات القلب أو في عضلاته.

٤ – دمامل في الجلد.

وتنتج هذه المضاعفات من وجود بؤرة متعفنة في اللوزتين، وفي هذه الحالة يجب استئصال اللوزتين منعا للاضرار التي تنتج عن ذلك.

وتجرى عملية استئصال اللوزتين عندما يصبح وجودها اكثر ضررا للجسم من منافعها. وتجرى هذه العملية تحت التخدير وفي بعض الاحيان بالتخدير الموضعي. ويستخدم التخدير الكلي في حالات الاطفال اما في الكبار فقد نستخدم التخدير الكلي أو الموضعي. ولكل منهما مزاياه فالتخدير الكلي اكثر راحة للجراح وكذلك للمريض فهو يخلصه من الوهم والخوف وكذلك يعطي للجراح فرصة اكبر للعمل لو حدثت اية مضاعفات اثناء العملية مثل النزيف الحاد. ونحن نفضل هنا استعمال التخدير الكلي في معظم الحالات الا اذا عز وجود طبيب التخدير فيمكن استخدام التخدير الموضعي. وللتخدير الموضعي بعض المزايا فيقل فيه النزف اثناء الجراحة وكذلك تجنب المريض بعض المضاعفات التي يمكن ان تحدث بعد اعطاء المخدر الكلي.

وافضل طريقة لاستئصال اللوزتين هي طريقة التشريح والمقصود بطريقة التشريح هو ان تنزع اللوزتان من غشائهما او تقشر فلا تترك اي بقايا وبهذه الطريقة يمكن للطبيب ان يتحكم في الاوعية الدموية فلا يخشى النزف.



وفى الماضي كانت اللوزتان تقصان او تخلعان مثل الاسنان بآلة تسمى المقصلة. وقد اندثرت هذه الطريقة ولو انها مازالت تستعمل فى بعض بلاد العالم ، واما اندثارها فبسبب انها كانت تترك بقايا بعد العملية فى كثير من الحالات فيضطر الطبيب الى استئصالهما فيما بعد .

دواعي استئصال اللوزتين هي ما يلي :

هناك دواع كثيرة لاستئصال اللوزتين تتلخص فى :

١ ـ الالتهاب المتكرر بالرغم من العلاج وقد يتعرض المريض نتيجة لذلك للمضاعفات مثل امراض القلب او الكلى او المفاصل .

٢ ـ التضخم الشديد فقد يكون كبر حجم اللوزتين بدرجة تعوق البلع او التنفس او تؤثر فى الصوت .

٣ ـ وجود بؤرة تعفن فى اللوزتين ، وفى بعض الاحيان قد لا يشعر المريض بأى ألم فى اللوزتين أو التهاب بهما وعلى الرغم من ذلك تكمن الجراثيم الخبيثة فى ثناياها وتسبب بؤرة تعفن فتوجد فجوات باللوزتين يتكون بها صديد يظهر بعضه فى الفم عند الضغط عليها ويسبب رائحة كريهة (البخر) ويسرى البعض الاخر الى الدورة الدموية او الليمفاوية مسببا اعراض كثيرة مثل :

أ ـ روماتيزم فى المفاصل .

ب ـ تآكل فى صمامات القلب .

جـ ـ التهاب بالكلى .

د ـ ارتفاع ضغط الدم .

هـ ـ امراض العينين مثل التهابات القرنية او الشبكية او عصب النظر .

و ـ الامراض الجلدية مثل الاكزيما ، الدمامل ، وحب الشباب .

٤ ـ ظهور غدد درقية بالرقبة وسببها دخول جرثومة الدرن الحيوانى فى ثنيات اللوزتين وعادة تاتى الاصابة عن طريق اللبن غير المبستر ، فان لم تستأصل اللوزتان استمر دخول جرثومة السل

وقد تصيب اعضاء اخرى من الجسم .

٥ ـ وفى بعض الاحيان تستأصل اللوزتان لحملهما جرثومة الدفتريا والميكروب المسبحي او ان تكون بهما اورام حميدة او خبيثة او فيهما او فى احدهما جسم غريب وتعذر اخراجه مثل شوكة السمك او قطعة من العظم او غيرهما .

٦ ـ تكرر خراج اللوزتين .

اسئلة واجوبة عن استئصال اللوزتين

وهناك بعض الاسئلة التي تدور حول عملية استئصال اللوزتين والاجابة عنها :

س ١ : هل الافضل اجراء الجراحة صيفا او شتاء ؟

ج : يحدث اجراؤها فى فصل الصيف والشتاء على سواء واذا لم يكن بد من التفضيل فان فصل الصيف أفضل، ونعنى بذلك الصيف المعتدل وليس الحار جدا المصحوب بارتفاع فى درجة الرطوبة مثل الصيف فى الكويت وذلك لأن تجلط الدم فى الحرارة المعتدلة أسرع منه فى البرودة ولأن الكمادات الباردة على الرقبة تطيب فى الحر اكثر منها عندما يكون الجو باردا .

س ٢ : ما هي السن التى يمكن فيها اجراء العملية ؟ وهل فى اجرائها للكبار خطر ؟

ج : يمكن اجراء العملية فى جميع الاعمار ولكن عادة يكون الحد الادنى (٤ سنوات) والحد الاقصى (٦٠ سنة)

س ٣ : هل تؤثر جراحة استئصال اللوزتين فى الصوت ؟

ج : لاشك ان الصوت يتحسن ويصبح حلو الجرْس بعد أن كان اجشا غليظا بيد انه قد يمضى بعض الوقت قبل ظهور هذه النتيجة .

س ٤ : هل تؤثر الجراحة فى الغناء بالنسبة لمحترفيه ؟

ج : المبتدىء فى الغناء يستفيد منها فانها تكسب صوته مزيدا من القوة والعذوبة ، أما من احترف الغناء فقد يحتاج لاجراء تمرينات صوتية حتى يعتاد الوضع الحديث .

س ٥ : ما اسباب حدوث النزف بعد بضعة ايام من جراحة ناجحة ؟

ج : قد يرجع ذلك الى احد الاسباب الآتية :

أ ـ النوم فى حجرة سيئة التهوية .

ب ـ تناول الاطعمة الجافة والمجروشة والحارة والحريفة .

جـ ـ الاسراف فى استعمال الفرغرة او علك الاسبرين .

و ـ الاجهاد البدنى والجنسى .

س ٦ : هل تجوز الجراحة للحوامل ؟

ج : احيانا قد تكون ضرورية جدا بحيث يصعب تأجيلها ولكن الافضل ارجاؤها لما بعد الوضع وذلك للقىء او ضيق التنفس الذى قد ينجم عنها .

س ٧ : هل يجوز استئصال اللوزتين بالكى ؟

ج : من الافضل تجنب هذه الطريقة للاسباب الآتية :

أ ـ انها تجرى على جلسات متباعدة وهذا يستغرق اضعاف وقت الجراحة .

ب ـ لان كل جلسة تعتبر بمثابة جراحة قائمة بذاتها نظرا للتفاعلات التى ستنشأ عنها والالتهابات والآلام التى تصاحبها وما فى ذلك من الارهاق للمريض .

جـ ـ لو تلوث الجرح يحدث نزيفا ثانويا يصعب التمكن من ايقافه .

د ـ احتمال حدوث التصاقات ليفية وهذه قد تختفى تحتها بؤر تزيد الحالة سوءا .

هـ ـ استحالة استئصال اللوزتين بالكى استئصالا كاملا دون ترك بقايا منها .

و ـ الصعوبة الشديدة التى تواجه الجراح بعد ذلك لو أراد استئصال البقايا . ■■

دكتور محمد الزعفراني

رئيس وحدة جراحة الاذن والحنجرة

مستشفى الصباح ـ الكويت

مكتبات الكويت

٢٣٧ مكتبة

يتردد عليها ١٧٢ ألف قارئ سنويًا

بين مدرسية وعامة



في الكويت ٢٠ مكتبة عامة مختلفة من مكتبات للاطفال ، الى مكتبات للشيوخ والكبار .. وفي **الصورة السفلى** السيدة عزيزة البسام ، امينة مكتبة الدسمة النسائية ، توجه بعض الاطفال فى مكتبتهم الخاصة .. وفي **الصورة اليسرى** الاستاذ محمد صالح التركيت الذى قضى ٣٦ عاما أمينا للمكتبة العامة ، يراجع بعض الكتب في المكتبة العامة ..





■ المسئولون عن تراثنا العربي .. اكرموا الكتاب واعطوه قدره ورفعوا منزلته .. وعرفوه بانه جوهرة تشع نورا يبدد ظلمات الجهل والتخلف .

وكم احرانا ونحن نبنى اليوم انفسنا من جديد، ان ياتي هذا البناء ، مرتكزا على العلم والمعرفة ، ولن يكون هذا ميسورا الا بتيسير تداول الكتاب ليصبح في متناول كل يد ..

٢٣٪ من السكان فى المدارس !

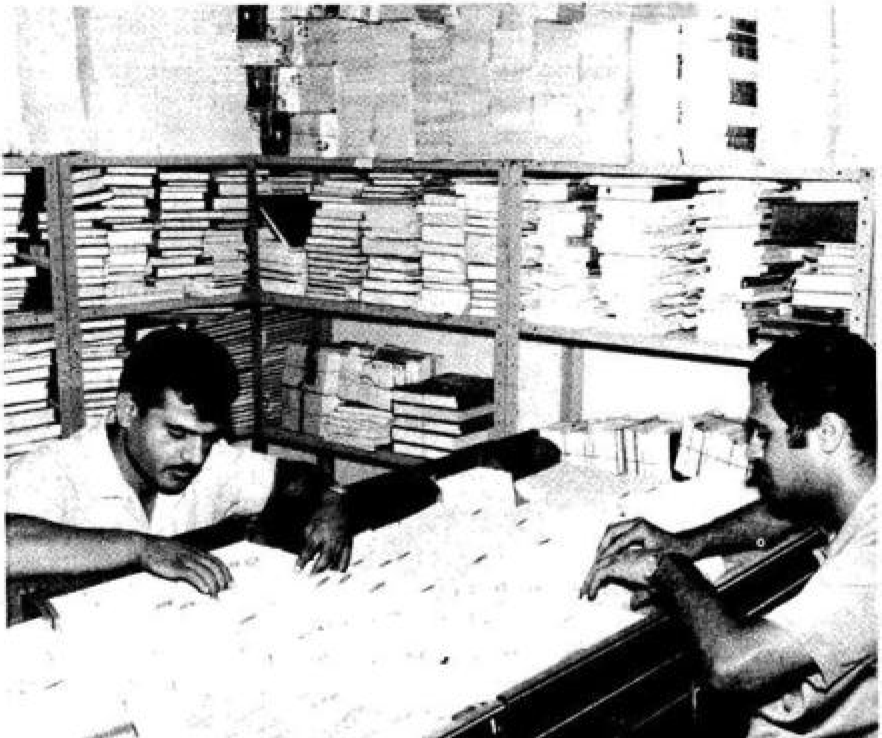
والكويت تمر اليوم بمرحلة جديدة .. مرحلة التنمية الثقافية ، تخوضها بعد ان قطعت شوطا كبيرا ناجحا في مراحل التنمية العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ..

والمعركة الثقافية الجديدة معركة شاقة طويله متشعبة الاطراف .. تخوضها ضد التاخر العلمى، فنسبة الامية في الكويت ما زالت ٤٩ر٣٪ بالرغم من الجهود الجبارة المبذولة لتخفيض هذا الرقم .. جهود امتدت الى كافة المجالات .. التعليم جعلوه الزاميا بالنسبة للجميع، وفرضوا العقوبات الرادعة على الذين يتخلفون .. والذين فاتهم القطار ، فتحوا لهم ٤١ مركزا مسائيا لتعليمهم، حتى اصبح ٢٥ر٨٪ من مجموع سكان الكويت يتعلمون في مختلف معاهدها ومدارسها .

مكتبات بالجملة

ولم يتوقف تثقيف الشعب على المدارس ، بل انطلقوا يفتحون لـه المكتبات .. مكتبـة عامة جديدة في كل ضاحية من ضواحى المدينة .. ومكتبة مدرسية في كل مدرسة حكومية .. واحصوا عدد المكتبات فى الكويت فوجدوها ٢٠ مكتبة عامة و ٢١٧ مكتبة مدرسية ..

امين المكتبة الفنى هو الوحيد الذى يستطيع ترتيب سجلات الكتب وفهارسها وفق نظام ديوى العشرى الحديث ، الذى تم تعديله في ادارة المكتبات المدرسية ، ليتلاءم مع الوضع في الوطن العربى ، من ابراز للتراث والادب والتاريخ العربى .





اجتماع لبعض أمناء وأمينات المكتبات المدرسية في غرفة رئيس القسم الاستاذ محمد عبدالحليم عبد العزيز والى يساره جلست الآنسة عادلة عبد الله التركيت ، خريجة قسم المكتبات بجامعة القاهرة .

نظرتنا الى المكتبة

والمكتبات في الكويت ما زالت في عمر الزهور .. وحالها لا يختلف كثيرا عن حال المكتبات في معظم البلاد العربية التى زرناها .. ما تكاد تتعمق قليلا بين خباياها ، حتى تفاجأ بعلامات استفهام تتلاحق امام عينيك : .. ما هى نظرتنا الى المكتبة ؟ .. وما هو دور امين المكتبة ؟ .. هل نحن شعب يقرأ ؟ .. وماذا نقرأ ؟ ..

المؤسف ان الصورة المرتسمة في اذهان معظمنا عن المكتبات انها : قاعة كبيرة فيها كتب انيقة فوق ارفف طويلة .. ومقاعد ومناضد .. وبطاقات صفت بجوار بعضها البعض .. وفي صدر القاعة يجلس امين المكتبة .. والمفروض في هذا الامين ان يساعد قراء المكتبة ، ولكن الروتين الحكومى جعله يجلس كحارس من حراس المكتبات ، كل همه الحيلولة دون ضياع الكتاب او تلفه ، مخافة اقتطاع ثمنه من مرتبه في آخر الشهر !

من يكشف اسرار الكتب ؟

ويؤكد الدكتور احمد بدر مستشار مكتبات جامعة الكويت ان المكتبة لم تعد في عصرنا هذا ، هى للمظاهر او الاشكال المادية ، كالمبنى والاثاث والكتاب الذى يوضع على الرف ، فهذه لها اهميتها التى لا تنكر ، ولكن الاهم منها هى المعلومات وزاد الانسانية من الفكر والمعرفة المختبىء بين دفتى الكتاب ..

• ودور امين المكتبة هو ابعد ما يكون عن دور الحارس او امين المخزن ، فدوره علمى فنى ثقافي ، ولا يستطيع تأدية هذا الدور الا من كان مؤهلا ومتدربا بدرجة تسمح له بارشاد الاستاذ الجامعى ، والمعلم ، والطالب ، والجمهور على اختلاف مستوياته التعليمية والعلمية والثقافية .. يرشدهم الى ما فى الكتب من اسرار ويقدم لهم المعلومات بمجرد طلبها ..

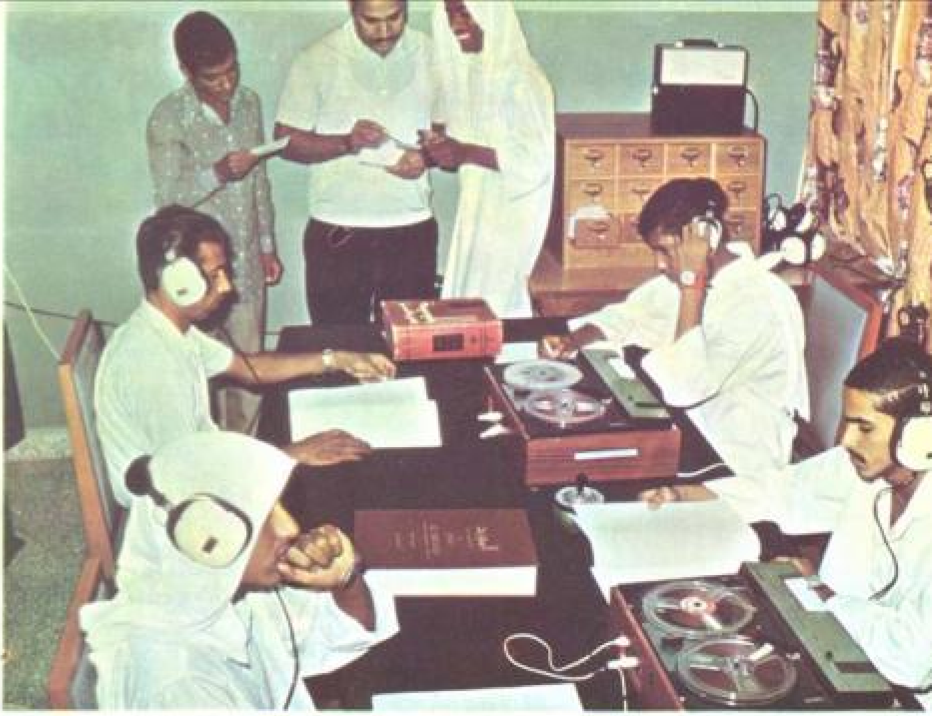
والواقع ان غياب الامناء المؤهلين هو السبب

الى اليمين : تضم مكتبة الجامعة ، قسمي التصوير والوسائل السمعية والبصرية .. ويضم هذا القسم معملا حديثا يقوم بتصوير الكتب والمستندات والمخطوطات بطريقة المايكروفلم والمايكروفش ، كما ترى في الصورة اليمنى .

الى اسفل : الاطفال يطالعون في مكتبتهم الخاصة بالدسمة .. ان مكتبات الاطفال هي المدرسة الاولى التي يتخرج فيها قراء المكتبات الكبرى .









تضم مكتبة كيفان العامة ، مكتبة سمعية وبصرية ، يقصدها القراء للاستماع الى المحاضرات العامة المسجلة على الاشرطة .

الى اليسار : تشجيعا لطلبة الجامعة على تكوين مكتبة منزلية خاصة ،تقوم ادارة مكتبات جامعةالكويت بتقديم مكتبة خشبية ومجموعة من الكتب الى الطالبات والطلبة المستجدين . وترى هنا الآنسة كافية رمضان تتسلم مجموعتها المكتبيةالخاصة، بمجرد التحاقها بالجامعة، اما اليوم فقد تخرجت واصبحت معيدة ، وارتفع عدد الكتب في مكتبتها المنزلية من ١٥ كتابا الى ٥٠٠ كتاب .

المباشر في تدهور مكتباتنا العربية وقلة الانتفاع بمحتوياتها .

وهذا ما حدا بجامعة القاهرة منذ ١٥ عاما الى افتتاح قسم للمكتبات يتخرج منه متخصصون في الوثائق والمكتبات .

ضياع الكتاب ، حياة له !

ويتحدث الدكتور عبد العال سالم مكرم، استاذ اللغة العربية عن المكتبات قائلا : « ان مكتباتنا العربية في حاجة الى انقلاب فكرى كبير ، حتى تؤدى رسالتها على اكمل وجه نحو طلاب المعرفة في وطننا العربى الكبير .. ولا شك ان النظرة الضيقة حول المحافظة على الكتاب ، وعدم تيسيره لطلاب المعرفة لا تتلاءم مع وثبتنا الكبرى في عصر التحديات والتكنولوجيا والمعرفة ..

« ان قيمة الكتاب في استعماله ، وكلما امتدت له الايدى كان ذلك دليلا حيا على ان الكتاب ادى رسالته في هذا المضمار .. حتى ولو ضاع الكتاب واختفى من المكتبة ، فان هذا الضياع حياة له ، لانه لا بد ان يستقر في يد تعرف قدره ، وتنزله المنزلة اللائقة ، وذلك بالتهام ما فيه من معرفة ، لتخرج هذه المعرفة بعد ذلك نورا يضيء ما حوله من ظلمات » ..

١١٠ آلاف قاريء للصحف !

وانتقلنا الى المكتبة العامة المركزية في الكويت لنتحدث الى الاستاذ يوسف ملا حسين مدير عام المكتبات بوزارة التربية ، نسأله عن القاريء الكويتي ماذا يقرأ في المكتبات ، وما مدى اقباله على القراءة ، فقال : « في العام الماضي ١٩٧٠ كان عدد المترددين على المكتبات العامة ١٧٢١٨٠ قارئا، طالعوا من الكتب العلمية فقط ٤٢٠٢ في حين وصل اقبالهم على الكتب الادبية الى اكثر من عشرين الف كتاب .. وكان عدد قراء الصحف والمجلات ١١٠ آلاف شخص ..

« اما الاستعارات الخارجية فلا تتم الا بعد دفع ثلاثة اضعاف ثمن الكتاب كتأمين له، لصيانته من التمزيق والضياع ، لان القاريء ما زال الى اليوم لا يحترم الكتاب .. ولكن هذا لا يمنع من ان نتغاضى عن التأمين بالنسبة للباحث والاديب الذي يقدر الكتاب ، على ان يعيده بعد ١٥ يوما من استعارته » ..

تدهور الكتاب من تدهور القاريء !

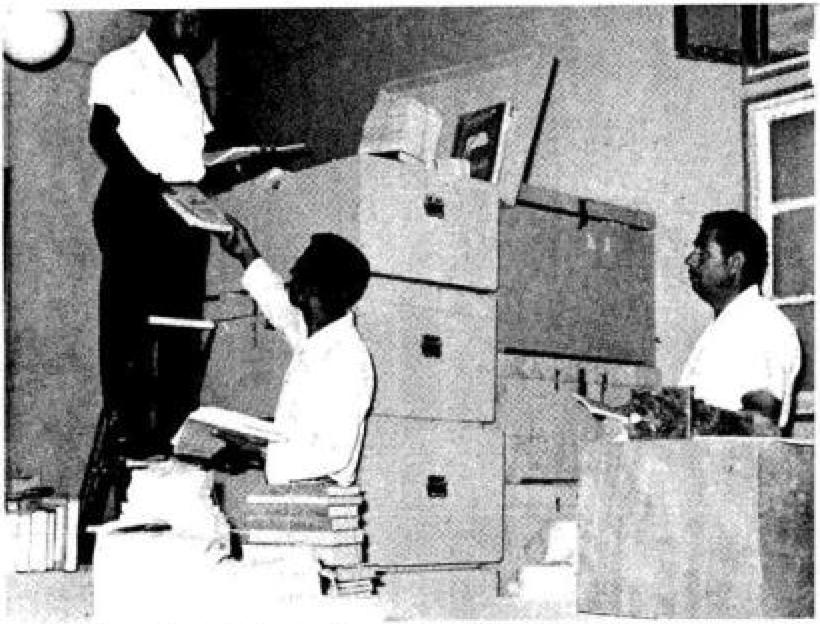
اما القاريء الكويتي القديم فيتحدث عنه الاستاذ محمد صالح التركيت ، الرجل الذى قضى ٣٦ عاما مديرا للمكتبة المركزية العامة، قبل ان يتقاعد في العام الماضي ، يتحدث عنه قائلا : في الماضي كان عندنا في الكويت قراء يهتمون بقراءة الكتب والمراجع ، امثال فهد العسكر ، وعبد الله الصانع ، والشيخ عبد العزيز حمادة .. كانت قراءاتهم للكتب الدسمة القيمة ، ولم تكن عندنا كتب خفيفة ، اما اليوم فانت مضطر لوضع الكتب الخفيفة ، حتى لا تغلق المكتبات العامة ابوابها نتيجة تدهور مستوى القاريء » ..

اول مكتبة في الكويت

ويعود الشيخ محمد بذكرياته الى الماضي فيقول : « واول مكتبة انشئت في الكويت كانت المكتبة الاهلية ، اقيمت عام ١٩٢٢ من تبرعات الاهالي ومساعداتهم فبلغ عدد كتبها ١٥٠٠ كتاب .. ولكن عندما تسلمتها وزارة التربية واسندت الى ادارتها كان عدد كتبها ٢٠٠ كتاب فقط .. اما اليوم فقد تركتها وعدد كتبها اكثر من مائة الف كتاب ، ولها ١٩ فرعا في مختلف انحاء البلاد » ..

مكتبة نسائية واحدة !

ورواد المكتبات العامة جميعهم من الذكور ، بالرغم من ان نظام المكتبات يسمح للمرأة بدخول المكتبات الى جانب الرجل ، ولكن ربة البيت في الكويت لم تتعود الخروج بعد من منزلها الى المكتبة ، فضلا عن ان طاقم المكتبات العامة كله من الرجال ، مما يسبب لها حرجا ، هذا الى جانب ان نسبة الامية بين الاناث ترتفع الى ٧٢٫٧٪ في حين انها لا تتعدى ٤١٫٧٪ بين الرجال .. لهذه العوامل وغيرها نجد ان هناك مكتبة عامة واحدة للنساء ٧٠٪ من مجموع المترددات عليها من الطالبات ، ومجموع عدد المترددات على المكتبة ٩٥٢٢ امرأة ، استعرن في العام الماضي ٥٢٢ كتابا لمطالعتها في منازلهن ، وطالعن ٤١٤٤ كتابا داخل



توزع الكتب الجديدة على مكتبات المدارس داخل صناديق كبيرة ، يضم الواحد منها نحو ٢٥٠ كتابا .. وتتم عملية التوزيع ثلاث مرات خلال السنة الدراسية .

المكتبة .. اى ان هناك نحو خمسة آلاف امرأة جئن لمطالعة الصحف ، او مراجعة الواجبات ..

راى المرأة

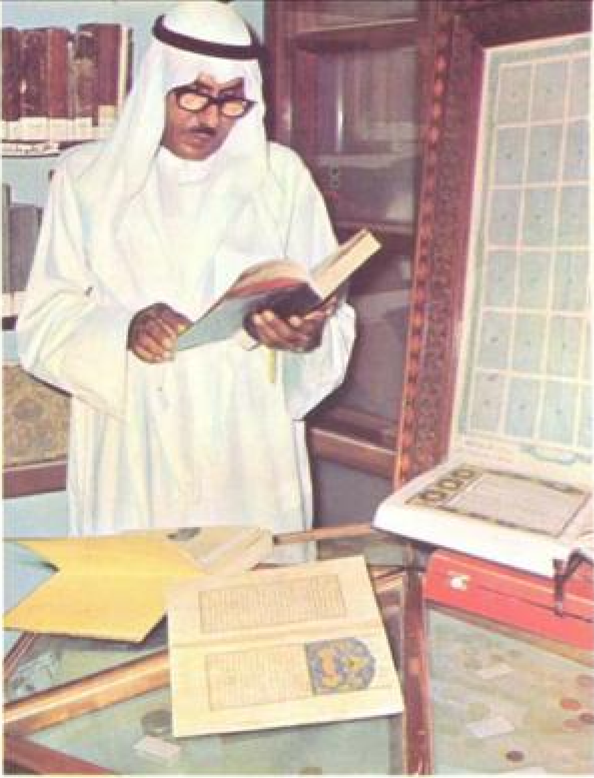
وتتحمس السيدة الشابة عزيزة البسام امينة مكتبة الدسمة النسائية ، وتعزو قلة الاقبال على القراءة والمكتبات الى تدهور محتويات الكتاب نفسه فتقول : « الذى يوجد الهوة والنفور بين القارىء والكاتب ، هو ان حياتنا العربية تنادى وتؤمن بأشياء محددة ، بينما كتابنا في واد آخر ، ابعد ما يكونون عن مشاكلنا وواقع حياتنا ، لهذا كانت اغلب كتاباتهم غريبة عن واقعنا العربي الذى نعيشه .. وياليت الحال ينقلب ويصبح المترجم العربى مؤلفا عربيا خالصا ، ينقب ويبحث ويعالج اوضاعنا ومشاكلنا ..

« لقد اصبح كتابنا يكررون انفسهم ، فلم يعد القارىء يعثر على جديد في كتاباتهم فبدأ يبتعد عنهم ، وبالتالى يبتعد عن الكتب العربية وعن مكتباتنا » ..

٢١٦ مكتبة مدرسة !

ونترك المكتبة العامة وفروعها التسعة عشر تبحث عن القراء ، والامناء الاكفاء ، والكتاب النافع ، ونتجه الى المكتبات المدرسية ، حيث القارىء الدائم موجود ، ولكنه غائب في اغلب الاحيان !

وجلسنا الى الرجل المسئول عن هذه المكتبات الاستاذ محمد عبد الحليم، انه يعمل عملا متواصلا يوميا ، ويرد على مكالمات ثلاثة تليفونات مرة واحدة لا تتوقف عن الرنين.. طلبات واستفسارات عن كل شيء ، اثاث وكتب وفهارس وغيرها تأتيه من جميع مدارس الكويت ، تعالوا نستمع اليه وهو يقول : « في هذا العام ١٩٧١ اعددنا ١٧ مكتبة لـ ١٧ مدرسة جديدة، فقفز مجموع مكتباتنا المدرسية الى ٢١٧ مكتبة .. ونحن نتبع خطة خمسية متجددة لتجهيز مكتبات للمدارس التى تفتح كل عام من اعداد الاثاث والكتاب والفهارس اللازمة وتعيين الامناء وغير ذلك ، لهذا ترانا نعمل حاليا على استكمال اعداد ٥٥ مكتبة احتياطية لتكون جاهزة للاستعمال بمجرد افتتاح اى مدرسة جديدة خلال السنوات الخمس القادمة » ..



الى اليمين : تمتز المكتبةالعامة المركزية بثلاثة مجلداتمخطوطة لصحيح البخاري ، أهداها لها المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح امير الكويت السابق .. وفي الصورةالسيد يوسف ملا حسين ، يطالع احد هذه المجلدات الثمينة .

الى اسفل : قاعة المطالعة الرئيسية في المكتبة العامة بالكويت ، وقد احتشدت بجمهور القراء والمطالعين ، أن الصحف والكتب الادبية تأتي فيمقدمة الاستعارات.. والبعض يأتي الى المكتبة لمراجعة واجباته المنزلية في هذا الجو الهادىء الذي يسود محراب العلم والمعرفة .





منذ ٤٥ عاما والحاج محمد احمد الرويح في جلسته هذه .. انه اول صاحب مكتبة لبيع الكتب في الكويت كان يستورد خمسة أعداد من المصور واللطائف المصورة ، وكان يتعامل في الكتب مع أدباء وكتاب الكويت .. اما اليوم فقد تطورت البلاد وانتشرت المكتبات في جميع انحاء البلاد واصبح الحاج محمد الرويح يبيع القرطاسية اكثر من بيع الكتب ..

الارنب ديدى والدوائر الالكترونية !

ويتابع رئيس قسم المكتبات حديثه قائلا :
« وعدد الكتب الموجودة حاليا في مكتباتنا المدرسية يزيد على مليون وخمسين الف مجلد وكتاب وكتيب ، تتنوع مواضيعها : من قصة الارنب ديدى الذى اكل الخس والجزر في روضة الطفل ، الى قصة السيتولوجيا والوراثة السيتولوجية (علم تركيب الخلية) الى نظريات الدوائر الالكترونية ، وغيرها من الكتب العلمية .. الموجودة فى مكتبات المدارس الثانوية والمهنية .

« وفي كل عام نشترى كتبا جديدة بمبلغ ٧٠ الف دينار نقوم بتوزيعها على ٢١٧ مكتبة .. ان هدفنا هو تقديم الكتاب المناسب للقارىء المناسب في الوقت المناسب ، ابتداء من التلميذ فى رياض الاطفال حتى تخرجه من معهدى المعلمين والمعلمات والمدارس الثانوية » ..

المنهج الدراسي هو المشكل الاساسى !

وحضرنا اجتماعا ضم عددا كبيرا من امناء المكتبات المدرسية .. ان لكل منهم نظرته الخاصة، كونها نتيجة احتكاك سنوات مع الطلاب في المكتبات .. « المشكل الاساسي عندنا يكمن في المنهج الدراسي العربي، فهو مرتبط ارتباطا كليا بالكتاب المدرسي، وبمقدار ما يحفظه الطالب من سطوره عن ظهر قلب ، وهذا على طرف النقيض من منهج الدول الاجنبية المتقدمة ، الذى يعطى الطلاب قسطا كبيرا من الحركة، فيطلب منهم ابحاثا يستخرجونها من بطون الكتب الخارجية غير المدرسية ، التى هى منبع الثقافة الحقيقية لانها توسع مدارك الطالب وتفتح ذهنه .. » **هذا ما قالته اول كويتية خريجة قسم المكتبات بجامعة القاهرة الآنسة عادلة عبد الله التركيت ، التى عملت في توجيه وتدريب امينات المكتبات المدرسية .**

تلميذات مدرسة ابتدائية في الكويت ينمين مواهبهن بمتابعة الصور الملونة والمعلومات المبسطة الموجودة في مكتبة مدرستهن تحت اشراف المدرسة وامينة المكتبة .





تقوم ادارة المكتبات المدرسية ، بتزويد مكتباتها الـ ٢١٧ بالكتب الجديدة مع فهارسها مطبوعة على بطاقات خاصة .. ونرى هنا ماكنة الطباعة التى تطبع من كل بطاقة ٤٠٠ نسخة باسم المؤلف و ٢٠٠ نسخة باسم عنوان الكتاب .. بينما جلس اثنان من فنيى المكتبات ينظمان البطاقات .

مطلوب وقت للاطلاع !

وتتوالى الآراء والافكار ، فيقول الاستاذ سلامة عجمى : « الاطلاع والتدريب على استعمال المكتبة يحتاجان الى وقت ، اما الاكتفاء بتخصيص ٤٥ دقيقة كل اسبوعين ، يدخل خلالها الطالب الى المكتبة ليقرأ قراءة حرة ، فهذا غير كاف بالمرة » ..

ويعقب الاستاذ عبد المنعم ابو زيد امين مكتبة ثانوية خيطان على هذا بقوله : « لهذا اقترح ان يكون التدريب في المكتبة داخلا في صلب المنهج الدراسي ، يُمتحن فيه الطالب كأى مادة اخرى » ..

الابحاث تدفع الطالب الى المكتبة

والظاهرة الواضحة في المكتبات المدرسية هى قلة الاستعانة بمراجع المكتبات في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ولكن في معهد ودار المعلمين تنقلب الآية ، وفي هذا يقول امينا المكتبتين محمد سعيد المليح ، واحمد محمد عيسوى : « يختلف الوضع في معهد ودار المعلمين عن الوضع في المدارس الثانوية وما قبلها ، فهنا يطلب الاستاذ من التلميذ ابحاثا ، عليه ان يعدها ويبحث عن معلوماتها في كتب خارجية غير مدرسية ، لهذا يتجه الطالب الى المكتبة ، فنعمل على مساعدته ، وارشاده الى الكتاب النافع اللازم من بين ٢١ الف كتاب موجود في مكتبتى معهد ودار المعلمين » ..

الروتين فى عصر التحديات !

ويتحدث امناء المكتبات المدرسية واحدا بعد الآخر – وعددهم ٢٨٢ امينا وامينة ، ٢٧ منهم متخصصون والباقى غير متخصص ، و٧٠ منهم غير متفرغين اى يعملون امناء مكتبات الى جانب عملهم الرئيسي وهو التدريس – يتحدث هؤلاء الامناء أحاديث يروون فيها تجاربهم ومتاعبهم واهمها : النظرة الضيقة .. نظرة الروتين والمحافظة على المنهجة التى ينظر بها اليوم ، في عصر اسموه عصر التحديات .. لقد نمى القرآن

الكريم على الذين يحملون الكتب من غير ان ينتفعوا بها ، فشبههم بالحمار الذى يحمل اسفارا دون ان يدرى ما فيها قال تعالى : « ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا » ..

مداعبات الارقام

وتتبع قسم المكتبات المدرسية في الكويت مكتبة مركزية لوزارة التربية ، وهى المكتبة التى تخدم اسرة التربية من مفتشين وخبراء ومدرسين وطلاب بعثات . وتضم ٢٥ الف كتاب اغلبها تربوى وتعليمي ..

اما المكتبات المدرسية فمجموعها ٢١٧ مكتبة موزعة على هذه الصورة :

ـ ٢٣ مكتبة ثانوية و ٤ في دور ومعاهد المعلمين والمعلمات ، **تحوى كل منها كتبا ومراجع يصل عددها الى ١٠ آلاف نسخة في المتوسط .**

ـ ٨١ مكتبة متوسطة **تحوى كل منها اكثر من خمسة الاف نسخة في المتوسط .**

ـ ٦٢ مكتبة ابتدائية **تحوى الواحدة منها أربعة الاف نسخة فى المتوسط .**

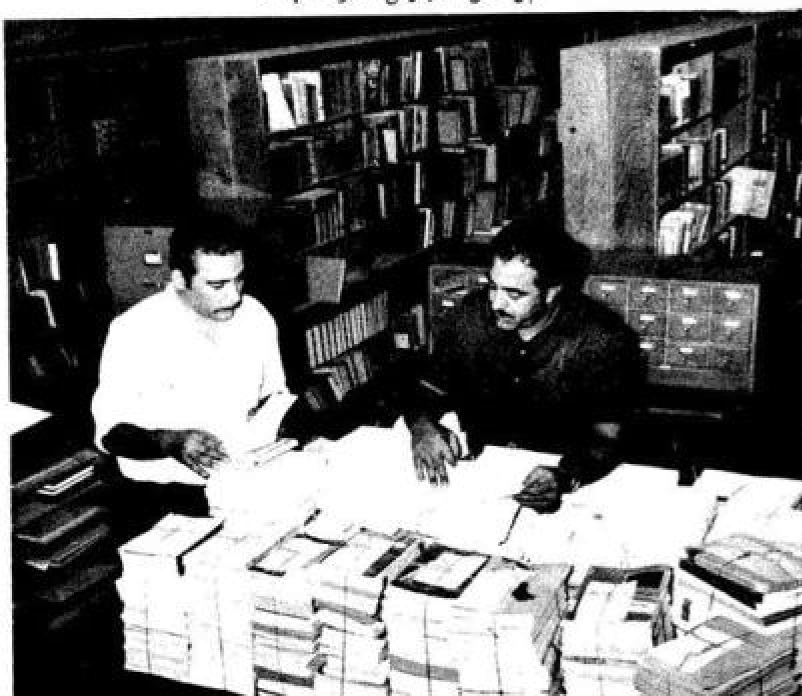
ـ ٤٦ مكتبة رياض اطفال **تحوى المكتبة الواحدة في المتوسط اكثر من ١٥٠٠ نسخة من الكتب المبسطة والمصورة للاطفال ..**

مكتبة مجانية لطالب الجامعة !

ونترك المكتبات المدرسية تحاسب امناءها حساب الملكين وتزيد عدد كتبها ، ونتجه الى رأس مكتبات الكويت .. مكتبة الجامعة .

اروع ما في هذه المكتبة الجامعية هو هديتها لابنائها الطلبة والطالبات المستجدين : مكتبة خشبية ، مع مجموعة كتب تكون نواة لمكتبتهم المنزلية الخاصة،يعملون على توسيعها واستكمالها حتى تتحول الى مكتبة عامرة تصبح لهم مرجعا علميا وثقافيا دائما .. وقد بلغ عدد الكتب التى

أمينا مكتبة وزارة التربية كامل شاهين ويوسف القصام يقومان باستلام مجموعة جديدة من الكتب ، قبل عمل الفهارس اللازمة لها .



قدمتها مكتبة الجامعة حتى نهاية العام الماضي الى الطلاب الجدد ٢٠ الف كتاب ، ثمنها اكثر من ٤٠ الف دينار ..

سبع مكتبات فى مكتبة !

ومكتبة الجامعة ليست مكتبة واحدة ، وانما هى سبع مكتبات في مكتبة ! .. واحدة مركزية كبيرة ، وثلاث للطلبة ، وثلاث للطالبات .. واختلاط الجنسين مسموح به في المكتبة المركزية فقط ..

وهذا التكرر فينوعية المكتبات قفز باعداد الكتب الى ١٥٠ الف كتاب لا تحمل اكثر من ستين الف عنوان ..

ويقول الاستاذ سليمان فلتدر ، مراقب مكتبات الجامعة : « تمتز مكتبة الجامعة بقسم التصوير والوسائل السمعية والبصرية الموجودة فيها . فهذا القسم يضم احدث ما وصل اليه العلم من الات التصوير والعرض بطريقة المايكرو فلم والمايكروفش ، الى جانب اجهزة التصوير الجاف الحرارى والتصوير الملون ، وماكنة طباعة الماليتيت .

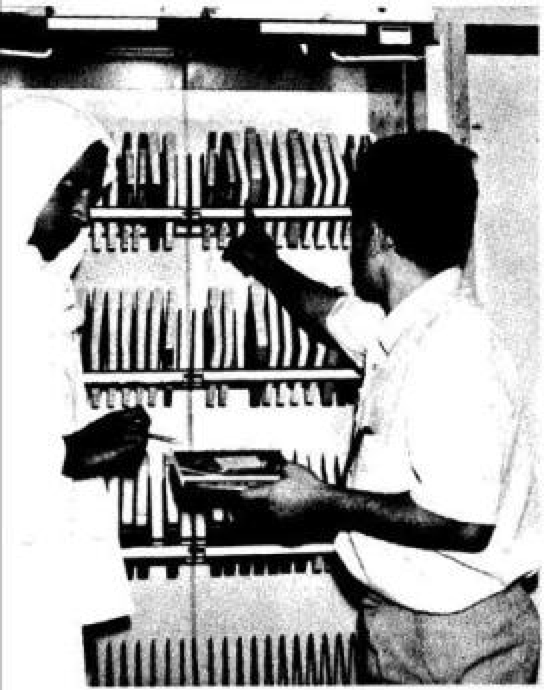
« وتقوم ادارة المكتبة بشراء كتب ومراجع ودوريات بمبلغ مائة الف دينار سنويا .. ويعمل في مكتباتنا ٢٩ فنيا متخصصا في كافة فروع المكتبات ..

« وفي العام الماضي ١٩٧٠ بلغ عدد الذين استفادوا من الاطلاع في مكتبة الجامعة ١٣١ الف قارىء ، استعاروا ٨٥ الف كتاب ، استمارة خارجية » .

مركز للتراث القومى فى الجامعة

وفى هذا العام ١٩٧١ صدر قراران من مجلس الوزراء الكويتي يوصي فيهما جامعة الكويت بتوسعة مكتبتها ، لتخصيص جزء منها لانشاء مركز للتراث القومى ، يجمع فيه وثائق الكويت والخليج العربى والجزيرة العربية .

ونترك مكتبة الجامعة تبحث وتنقب عن الوثائق



قارىء يبحث عن أحد الاشرطة المسجلة لمحاضرات الموسم الثقافي في المكتبة العامة السمعية والبصرية بكيفان .

والتراث ، ونسأل عن مقدار ما تستورده الكويت من كتب ، فنجد انها استوردت ما وزنه ١٧٠٠ طن من الكتب في العام الماضي ، و١٤ طنا من ورق الاستنساخ و ٢٤ طنا من ورق الكربون و ٦٦٩٩ طنا من ورق الطباعة ، يستهلك الجزء الاكبر منه في طباعة الثلاثين جريدة ومجلة التى تصدر من الكويت وتطبع في ١٧ مطبعة عاملة فيها.

وتتولى بيع الكتب في الكويت ١٤٥ مكتبة الا ان الكثير منها يبيع الادوات القرطاسية ..

منطقة حضارية

ان العام القادم ١٩٧٢ هو العام الدولى للكتاب

.. والكويت تستعد من الآن لاستقباله بنشاط وهمة ..

وفي وزارة الاشغال مشروع لانشاء منطقة حضارية تطل على مياه الخليج اللازوردية ، تضم مباني للمتحف والمسرح ودارا للكتب .. لقد انتهت الدراسات الخاصة بالمتحف.. اما الباقي فما زال تحت الدراسة ..

لا جديد تحت الشمس !

ان الاقبال على شراء الكتب وفتح المكتبات في الكويت ، يذكرنا بماضينا المجيد ، فقديما « ارسل خليفة قرطبة رجاله وسماسرته في كل انحاء الشرق ليجلبوا له الكتب حتى يزيد روائع مكتبته .. والخليفة العزيز في القاهرة حوت مكتبته ١٦٠٠,٠٠٠ مجلد ، فكانت بذلك اجمل واكمل دار للكتب ضمت ٦٥٠٠ مخطوط في الرياضيات ، و ١٨ الف مخطوط فى الفلسفة ، ولم يمنع هذا قط ابنه من بعده من ان يبنى مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة الى جوار المكتبة القديمة » ..

وتتابع المستشرقة الالمانية زيغريد هونكة كلامها عن المكتبات العربية القديمة في كتابها الرائع المترجم « شمس العرب تسطع على الغرب » **فتقول :** « وعند وفاة الوزير المهلبي عام ٩٦٣ م . ترك مجموعة كتب مكونة من ١١٧,٠٠٠ مجلد ، واستطاع زميله الشاب ابن عباد ان يجمع في مكتبته ٢٠٦,٠٠٠ كتاب ، وجمع احد قضاته ١٠٥٠,٠٠٠ مجلد .. ولم يكن بعض الوزراء يخرج الى رحلة الا ومعه حمولة ثلاثين جملا من الكتب تصحب ركبه .

« ونمت دور الكتب في بغداد نمو العشب في الارض الطيبة ، ففى عام ٨٩١ م . احصى مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد بأكثر من مائة ، وبدأت كل مدينة تبنى لها دارا للكتب يستطيع عمرو أو زيد من الناس استعارة ما يشاء منها ، وان يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ..

« ولقد خصصت المكتبة « النظامية » ، وهي المدرسة العليا الشهيرة ببغداد ، ما يعادل مليونا ونصفا من الفرنكات الذهبية لشراء الكتب والمخطوطات سنويا .

« ان عشق الكتاب لم يكن وقفا على حفنة من العلماء فقط ، بل كان هواية العرب على اختلاف طبقاتهم ، فكل متعلم من اكبر كبراء الدولة الى بائع الفحم ، ومن قاضي المدينة الى مؤذن المسجد، هو مشتر دائم عند بائع الكتب ..

« ان مكتبة كمكتبة النجف في العراق ، كانت تحوى في القرن العاشر ، ٤٠ الف مجلد ، بينما لم تحو اديرة الغرب سوى اثنى عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية ضياعها !! » .

هكذا كان شغف اجدادنا بالكتاب فاين نحن من ذلك الماضي ؟

المطلوب من الجامعة العربية ان تتحرك

لقد ارسلت الجامعة العربية بعثات الى بعض الدول بحثا عن المخطوطات العربية القديمة .. وصورت العديد من المخطوطات وهذا عمل طيب يحتاج الى مضاعفة الجهد لدراسة تراثنا المخطوط المكدس في دور كتب الدول المختلفة ، العامة والخاصة .. ان تراثنا المخطوط اكثر من تراثنا المطبوع حتى اليوم .. لهذا لا بد من نشر الصالح منه .. لان الامة التى لا ترتبط بماضيها، لا حاضر لها..وبالتالى من لا حاضر له،لا مستقبل له ..

قصة اخرى سنعود اليها

ولكن هل انتهى الحديث عن المكتبات فى الكويت؟ لا ، انه لم ينته !

ان هناك جانبا هاما لم نتطرق اليه في استطلاعنا هذا .. انه ذلك المجهود الفردى الذى قام به ادباء الكويت ورجالاتها .. هؤلاء الذين عشقوا الكتاب فافتنوه ، واقاموا في منازلهم مكتبات خاصة ، راحوا يبحثون وينقبون فيها ، ويفتحون ابوابها لكل من سعى ويسعى الى العلم والمعرفة..

انها قصة اخرى ، وهى قصة طويلة ، سوف نعود الى الحديث عنها في عدد مقبل باذن الله. ■■

س • ق •

شعر الملاحم في الأدب العربي

- في الجاهلية : اعتمد على التهويل والأساطير
- في صدر الإسلام : بلغ قمته على يد المتنبي وأبي تمام الطائي

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

■ تعني كلمة (ملحمة) في اللغة العربية الوقعة العظيمة . وقيل موضع القتال . وفي الحديث (اليوم يوم الملحمة) . والجمع ملاحم .

قالت العرب .. (الحم فلان الشعر) ، اي حاكه ونظمه واحكم اجزاءه .

اما معناها الذي اصطلحنا على ان يكون مقابل لفظ Epic في الادب الغربي فهو القصيدة التي اتسمت بالحديث عن الابطال . وتعتمد على الخيال المجنح ، وتصور بطولة المحاربين . وتتميز كذلك بالطول ، وتحكي قصص الاحداث التاريخية ، ويتجلى فيها تدخل الآلهة .

والشعر الملحمي الذي نتحدث عنه ، او شعر الملاحم ، هو شعر الملحمة بمعناه العربي ، اي شعر الحروب .

ادوار الملحمة

لقد خضع الادب العربي ـ كغيره من الاداب العالمية ـ لعوامل النشأة والتطور والازدهار ، وسار متأثرا بالبيئة في ظهوره ، مشربا بالوانها واصباغها المتنوعة ، تلك الاصباغ التي يضفيها كل

عصر على ثقافته ، وكل مجتمع على حياته ، وكل جيل على افكاره وعاداته ، فتلقفها خيال الشاعر ليجعلها عنصرا للقول ، وميزة للعمل الفني ، وروحا للموسيقى الوجدانية .

وعلى هذا الاساس يمكن تقسيم الملحمة في الشعر العربي وفق المراحل التالية :

١ ـ دور النشأة :

ظهرت بوادر الشعر الملحمي في الجاهلية ،حيث نشأ الشعر بين حمحمة الجياد وصليل السيوف والتغني بالابطال والحروب . وان الشعر في هذا الدور اعتمد على اشياء لفظية ومعنوية . فهو في لفظه طويل ، تبلغ القصيدة من قصائده آلافا من الابيات وهو في معناه يذكر الحروب والمحن وبلاء الابطال فيها ، ولكنه يذكر الآلهة ويستوحيهم مايريد ان يقول ، ثم هو في معناه ـ اجتماعي ـ يفني شخصية الشاعر فناء تاما في الجماعة التي يصفها من جهة والجماعة التي ينشدها من جهة اخرى .

وقد سجل العرب في جاهليتهم كثيرا من ايامهم واخبار حروبهم وابطالهم . هذا عمرو بن كلثوم يمثل قوة تغلب في حرب البسوس التي دامت اوارها مشتعلة طويلا ، فقد جعل تغلب رحى عظيمة تطحن الاعداء بشقيها طحنا . وقد ملأوا البر بابطالهم حتى ضاق بهم ، وقد ملأوا البحر بالسفن كذلك ، وهم ابطال الابطال تخشى الجبابر حتى من صبيهم الفطيم :

متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرقي نجد ... ولُهْوَتُها قُضاعةَ أجمعينا

يقول فيها :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً ... أبينا أن نقرَّ الذلَّ فينا

ويقول ايضا :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤهُ سفينا

ويقول :

إذا بلغ الفطام لنا صبي ... تخرُّ له الجبابر ساجدينا

اما النابغة الذبياني ـ الذي يمثل قوة الغساسنة في العرب ـ وباسهم فيها ، فيقول ان جموع مقاتليهم لم تعد زاحفة في الارض ، بل في الارض والسماء ، وان النسور تحولت من مرافقة الذؤبان التي تتصيد في البيداء ، لتصبح بين صفوف الرجال في مواقعهم الحربية :

إذا ماغدوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
يصاحبنهم حتى يغزن مغازهم ... من الضاريات بالدماء النوائب
جوانح قد أيقنَّ أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عرض الخطي فوق الكتائب

ووصف الجاهليون الخيل ، واولوها كل عناية واحترام ، لأن الخير معقود بنواصيها، كما قيل ، وقد عنوا بانسابها وتفاخروا بها ، حتى ان اكثرها كانت لها اسماء معلومة ، وتضرب بها الامثال بالسرعة وانتصاب القمة وعراقة الاصل ، لانها مصدر قوة لهم في كرهم وفرهم .

ومن الشعراء الذين استنطقوا الجواد في كرهم وفرهم الشاعر العربي البطل عنترة بن شداد العبسي ، حيث قال :

الخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني ... فرّقتُ جمعَهُمُ بضربة فيصلِ
إن يلحقوا أكرُرْ ، وإن يستلحموا ... أشدُدْ ، وإن يُلفَوا بضنكٍ أنزلِ (١)

---

(١) ان يستلحموا : اي ان يدخلوا الحرب فلايجدوا لانفسهم مخلصا منها . والضنك : الضيق

والخيلُ ساهِمةُ الوُجوه كأنّمـــا تُسقى فوارِسُها نَقيعَ الحنظلِ (٢)

٢ ــ دور التطور :

ولما جاء الاسلام ، كان هذا الدين الجديد مبعثا لتطور الملحمة الشعرية ، حيث اضفت تعاليمه الروحية المقدسة على الابطال روحا تتسم بالاستماتة فى خدمته ، وراحوا يتهافتون فى سوح القتال فى سبيل الذب عنه واعلاء رايته ، وكانت كتائب الفاتحين تصول وتجول وتتسع مجالاتها حتى بلغت الهند والاندلس .

وهذا كعب بن زهير ، يحكي معركة بدر الكبرى ، وكيف تكاثر فيها الاعداء وتكالبوا ، وحين التحم معهم المسلمون ، نصرهم الله ونصر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وكان معه الاوس ، واخواله بنو النجار ... وغودر زعماء قريش ، ابو جهل وعتبة وغيرهما صرعى فى ميدان القتال . وقد جعلهم الله وقودا لنار جهنم :

فلمـا لقيناهم ، وكلٌّ مجاهـــد لأصحابه مستبسلُ النفسِ صابرُ
شهدنا بأن الله لا ربَّ غيـــرهُ وأن رسول الله بالحق ظاهـــر
وقد عرّيت بيضٌ خفاف كأنهـا مقابيس يُزهيهـا لعينـك شاهر
بهنّ أبدنا جمعهـم فتبـددوا وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكُـبّ أبوجهل صريعـا لوجهه وعُتبةُ قد غادرنه وهو عاثـــر
فأمسـوا وقود النار في مستقرها وكلٌّ كفور في جهنم صائـــر
وكان رسول الله قد قال : أقبلوا ، فولّوا ، وقالوا :ــ إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكـوا بـه وليس لأمر حمّه اللهِ زاجـر (٣)

وها هو ذا بشر بن ربيعة يصف حرب القادسية التي دارت رحاها بين العرب والفرس سنة ١٦ هـ ، وكانت اعظم وقائع المسلمين ، وكان سعد بن ابي وقاص يقود تلك الحرب :

تَذَكّر هـداكَ الله وقع سيوفنا بباب قُديسٍ والمكرُّ ضريـــرُ
عشية ودَّ القومُ لو أنَّ بعضهـم يُعارُ جناحَيْ طائرٍ فيطـــير
إذا برزت منهم إلينا كتيبـــةٌ أتونـا بأخرى كالجبـال تمـور
فضاربتُهم حتى تفـرّقَ جمعهُم وطاعنتُ . إني بالطعانِ شهيـرُ

٣ ــ دور الازدهار :

ولما انغمس العرب فى غمار الحضارة العباسية وترف العيش ، اذا العقول غير العقول ، واذا المجد العربي الاصيل تستفزه الشعوبية الغازية ، واذا بالحركة الفكرية يطلق لها العنان .

وفى هذه الغمرة وظروفها المتضاربة ، بكل مايدور فيها ، يواكب الشاعر القائد ، وهو يصد هجمات الأعداء ، لينسج حوله وبه اساطير المجد والحماس ، ليشيد صرح الملحمة الواقعية والاصطناعية .

كان المتنبي ينفخ فى مزامير الحرب ويدق طبولها ، وكان ابو تمام يحد الحسام ، ويوقد جذوة التلاحم ، ويرفع بنود الهوس والقتال .

---

(٢) ساهمة الوجوه : متغيرتها . ونقيع الحنظل : عصارته ، والحنظل نبات مر المذاق .
(٣) حمه الله : قدره الله .

والالتحام بين المسلمين والروم ، عرف في شعرالمتنبي وابي تمام والبحترى وغيرهما ممن سبقوا المتنبي ، ولكن هؤلاء الشعراء لم يفرغوا لهذا الفن كما فرغ له المتنبي ، ولم يبرعوا في اوصاف المعارك كبراعة المتنبي ، لان اغلبهم لم يحضر تلك الوقائع والملاحم على عكس المتنبي ، فوصفوا ما اداه السماع ، والمتنبي وصف ما اداه العيان ، لانه كان يرافق سيف الدولة الحمداني ـ حامي الثغور الاسلامية ـ في ملاحمه مع الروم البيزنطيين.. وكان جهاده للروم جهادا متصلا ، ونضاله نضالا عنيفا .

والمعروف من اخبار المتنبي انه لما اتصل بسيف الدولة ، سلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، ثم صار يصحبه في غزواته الى بلاد الروم ، ويصبر معه في مقام الطعن والضرب ، وقد التحم المسلمون والروم في وقعة بالقرب من بحيرة (الحدث) ، فدارت الدائرة على سيف الدولة وتشتت جنده ، وهلكت اتباعه ، ولم ينج منهم الا سيف الدولة بنفسه وستة انفار احدهم المتنبي ، واخذت الروم عليهم الطرق ، فاخترقوهم ونجوا ، ولذلك نجد المتنبي ابدع كل الابداع في وصف القتال والتلاحم ، حتى ان ابن الاثير صاحب المثل السائر قال في المتنبي (انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها ، واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ..) .

ومن روائع القصائد الملحمية للمتنبي ، تلك التي وصف بها سيف الدولة :

اتوكَ يجرون الحديد كأنهم ... سَرَوْا بجيادٍ مالهنَّ قوائمُ
إذا برقوا لم تُعرَف البيضُ منهمُ ... ثيابُهُمُ من مثلها والعمائم
خميس بشرقِ الأرض والغرب زحفُه ... وفي أذُنِ الجوزاء منهُ زمازمُ
تَجمَّعَ فيه كل لِسْنٍ وأمَّةٍ ... فما تُفهِمُ الحُدّاثَ إلا التراجمُ

الى ان يقول :

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنكَ في جفنِ الردى وهو نائم
تمرُّ بكَ الأبطال كَلمى هزيمةً ... ووجهُكَ وضاحٌ وثغرُكَ باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنُّهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضممتَ جناحيهم على القلبِ ضَمّةً ... تموتُ الخوافي تحتها والقوادم
بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ... وصار إلى اللَّبّاتِ والنصر قادم
حقَرْتَ الرُّدينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلبَ الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق (الأحيدبِ) كُلِّه ... كما نُثِرَتْ فَوقَ العروسِ الدراهم

الملحمة العربية :

وكان لاستيلاء العرب على (عمورية) الاثر الكبير على تفكير العرب انذاك ، فوصفوها ب (الملحمة العربية) . وعن هذه الملحمة يحدثنا التاريخ : ان المعتصم لما بلغه ان اسيرة عربية لدى الروم هي واطفالها ، استغاثت (وامعتصماه) وبلغ المعتصم خبر استغاثتها ، اهتز من كرسيه ، وصمم ان يدك حصن عمورية . فخرج من (طرطوس) على رأس جيش عرمرم بلغ قوامه مائة وثلاثين الفا من الجنود ، ثم نصح المنجمون المعتصم الا يتقدم لفتحها الا وقت نضوج التين والعنب لبرودة الطقس والثلوج فيها ، غير ان المعتصم ضرب بهذه النصيحة عرض الحائط وتقدم اليها وحاصرها

لمدة اثني عشر يوما ، الى ان تمكنت قواته من اقتحام حصونها واسوارها المنيعة ، ونهبتها ودمرتها ، وقتلت اكثر اهلها ، واستولت على كثير من المغانم ، ثم احرقتها في النهاية . وكان ذلك عام ٢٢٣ هـ .

ولما عاد المعتصم الى (سامرا) احتفل باستقباله، ومدحه ابو تمام الذى صحبه فى الملحمة بقصيدة عصماء تعد من اروع ملاحم الشعر العربي :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ ... في حده الحد بين الجدِّ واللعبِ
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية ؟ أم أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

وكان حصاد هذه المعركة تسعين الفا من المحاربين ، والوفا غيرهم اكلتهم شفرات السيوف، والوفا غيرهم جثوا على ركبهم يطلبون الامان :

تسعون ألفا كآساد الشّرى نضجت ... جلودهم ، قبل نضج التين والعنبِ

ولا بد للشاعر ان يهنيء المعتصم على هذه المعركة الحاسمة التي بلغت من النجح فوق ما يطلب من الثار . ولابد ان يمدح فيه العزم والاصرار، ورد الكرامة من العدو الذى دمر المدن الآمنة وروع السكان الآمنين فى منازلهم :

لم يغز قوماً ، ولم ينهض إلى بلد ... إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجب
خليفة الله ، جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب

ولا بد لأبي تمام ان يجد شبيها لهذه المعركة بالنسبة الى انها كانت معركة فاصلة قطعت آمال الروم واقعدتهم زمنا طويلا عن التحرش بالحدود، فيراها اشبه شيء بمعركة بدر التي كانت الحاسمة بين الشرك والاسلام ، وبين قريش والرسول صلى الله عليه وسلم :

إن كان بين صروف الدهر من رَحِم ... موصولة أو ذِمام غير مُنقضبِ
فبين أيامك اللاتى نَصُرتَ بها ... وبين أيام (بدر) أقرب النسبِ

خاتمة

نستخلص مما تقدم ان الشعر الملحمي عرف فى الجاهلية ، بانه قصص حماسي يعتمد فى خياله التهويل والتعظيم ، مبني على الخوارق ،مشحون بالبطولات الاسطورية ، التي تصور عالما تتطاحن فيه فيالق القدر وعفاريت الجن . وكان قاصرا عن البناء الملحمي العالي ، نتيجة لسذاجة الجاهليين الفطرية وبديهيتهم فى القول ، وبعدهم من التعمق فى المعاني والتفكير فيها .

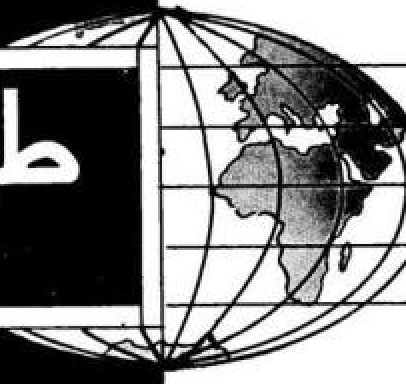
وفى صدر الاسلام تابع الشعر الملحمي خطوه مع شيء من التطور متأثرا بتعاليم الدين الاسلامي، ثم بلغ قمته فى عصر الحضارة العباسية ، على يد كبار الشعراء مثل ابي تمام الطائي والمتنبي .

واذا انعمنا النظر فى ما بعد عصر أبي تمام والمتنبي ، نجد الشعر الملحمي يكاد يختفي تماما من صفحات الادب العربي ، اذ لا يبدو له اثر ،حتى قيام النهضة العربية المعاصرة ، حيث هب فيها الشعراء منفجرين طاقات جديدة من طاقات قديمة ، ومزجوها بالروح الرومانتيكية الحديثة بيد انها لم تبلغ القمة بعد .

■■

عبد الجبار محمود السامرائي
جلولاء/العراق

طرائف غربية



اضخم اعباء الحياة



● كان الفيلسوف البريطاني الشهير برتراند راسل (١٨٧٢ – ١٩٧٠) ، يحمل فوق كتفيه آلام واحزان البشرية كلها .. تلك الآلام التي قضى حياته في محاولات لتخليص العالم منها .. ولكنه كان سعيدا بهذا العبء الذي ظل يحمله، وخاصة عندما كان يحس بان هناك صوتا يستجيب لندائه كلما دعا الى السلام ونبذ العنف !

ساله شاب صغير يوما : « قل لي يا مستر راسل ، ما هو اكبر عبء يحمله الانسان في هذه الحياة ؟ » .

وراح الفيلسوف الكبير يفكر برهة ثم قال : « عندما يشعر الانسان يا بني انه لا يحمل عبئا على الاطلاق !

فالفراغ هو اضخم حمل في حياة الانسان رجلا كان ام امراة !! » .

شعوب الارض .. فئات ثلاث !

● كتب جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau ، كاتب فرنسا الشهير (١٧١٢ – ١٧٧٨) يقول : «انني اقسم شعوب العالم الى ثلاث فئات : « هؤلاء الذين يصنعون الاحداث ، وهم قلة ضئيلة بين شعوب الارض ، وهؤلاء الذين يقفون متفرجين على هذه الاحداث وهي تمر امامهم ولا يحركون ساكنا واخيرا هؤلاء الذين لا يدرون من امرهم ومن امر هذه الاحداث شيئا !

سألوه : « اي الفئات الثلاث اجدر بالحياة ؟

فقال : « صانعو الاحداث ، فنحن في حاجة الى المزيد منهم ، لانهم وحدهم الذين يستطيعون ان يغيروا وجه التاريخ ! » .

بين تلميذ واستاذ !

● شارل فرانسوا جونود Charles Francois Gounod (١٨١٨ – ١٨٩٣) ، الموسيقار الفرنسي الشهير ، كان له مدرسة تضم مجموعة من الشباب الموهوب الطموح الذى كان يحلم بغزو هذا العالم الذى كان جونود يتربع فوق أعلى قمة فيه .. عالم الموسيقى ..

وكان جونود قاسيا فى معاملته لتلاميذه ، حتى انه كان يضطرهم فى بعض الاحيان الى اعادة عزف اللحن الواحد لأكثر من مائة مرة لكي يصلوا به الى مرتبة الجودة التي ينشدها ..

وكان هذا التكرار يثير الملل والتمرد فى نفوس بعض تلاميذ الموسيقار الكبير ، الى ان حدث يوما ان القى احدهم بآلة الكمان على الارض فحطمها ، ثم تقدم من استاذه وقال له فى لهجة يشوبها التحدى :

« اعتقد انني اجدت عزف هذه المقطوعة ، اجادة تامة ، ولن اعود الى تكرار عزفها مرة اخرى .. ثم هناك شيء آخر اريد أن أقوله لك يا سيدى .. لقد جعلتني اكفر بالعلم والتعليم .. لا معلمين ولا تقاليد بعد اليوم ! انني اشعر بانك تسحق شخصيتي سحقاً ! » .

ووقف جونود يستمع الى تلميذه المتمرد فى هدوء بعد أن طلب الى باقي زملائه ، التوقف عن العزف ثم نظر اليهم وقال فى لهجة يشوبها التأثر . « انني اشعر بانني فقدت اليوم ابنا لي ، ولكن ما حيلتي اذا كان هذا الابن يؤمن بوجود عالم من الابناء فقط دون الآباء ! » .

وبكى التلميذ الثائر ، وفجأة تقدم من استاذه ، ثم انحنى على يده يقبلها ويغسلها بدموعه ! .

حياة الرجل فى رأى شيللي

● الشاعر الانجليزي المعروف شيللى Shelly (١٧٩٢ – ١٨٢٢) ، سألوه يوما : « حدثنا عن حياة الرجل » .

قال : « الرجال سواء .. هم يستوون فى شيء واحد .. انهم ليسوا ملكا لأنفسهم .. وانما هم ملك للآخرين .. ملك لامهاتهم وملك لزوجاتهم وابنائهم ، واخيرا ملك لكل الذين عرفوهم فى حياتهم ..

فى السنوات العشرين الاولى من حياة الرجل ، تسأله امه : « الى اين انت ذاهب يا بنى ! » .

ويتزوج الرجل ، ولكنه يبقى اسير المراة ، وان اختلفت حياته معها ، فقد تعود ان يأخذ عندما كان يعيش مع امه ، ولكنه هنا مع امرأته يعطى ولا يكف عن الاعطاء ، ومع هذا يبقى السؤال التقليدى : « الى اين انت ذاهب ؟ ولماذا تأخرت ! » .



وفى النهاية يموت الرجل ، فيحملونه الى مقره الاخير .. ويبقى السؤال الحائر ، لا على لسان امه وزوجته وابنائه فحسب ، بل فى اذهان كل الذين خرجوا يشيعون جثمانه : « الى اين هو ذاهب .. نعم الى اين ؟ » .

جوته والإسلام

بقلم : الدكتورة درية فهمى

استاذة الادب الفرنسي بجامعة الاسكندرية سابقا

لم يكن جوته شاعرا كبيرا فحسب بل كان ايضا وبصفة خاصة حكيما عظيما ومثلا رائعا لتلك الانسانية السامية الجميلة » .

هكذا قال عنه هنرى لشتنبرجر Henri Lichtenberger العالم بتاريخ المانيا فى السطور الاولى من بحثه الذى وضعه فيه منذ سنوات قليلة . وقد يبدو من الصعب ان نعرف ماهية عظمة جوته بكلمات ابلغ من هذه الكلمات . وهل يعلم الباحث ان هذه « الانسانية السامية الجميلة » لم تبد فى مظهرها الانسانى الواسع الا لانها استقت عدة مرات من ينابيع الشرق المليئة حيوية ؟

ناحية مجهولة من نواحى الالهام عند جوته

هذه ناحية غير معروفة تمام المعرفة من نواحى الفكر والالهام عند جوته ، فان اكثر المؤرخين الفرنسيين والانجليز الذين قاموا بدراسة حياة الشاعر الالمانى العظيم قد اهملوا هذه الناحية ، ولم يخصصوا لها الا صفحات معدودات وان كانوا قد فطنوا الى تنوع هذه العبقرية العالمية الا انهم ارادوا ان يدخلوها فى عبارة واحدة وصورة واحدة طبقا لعقيدتهم ، فصوروا لنا جوته بروتسطنتيا، وجوته كاثوليكيا ، وجوته تابعا لمذهب الوهية الكون ، فتلميذا للاديان الوثنية القديمة. ولكن واحدا منهم لم يفكر فى ان يصور لنا جوته مسلما فقد كان فى استطاعة الباحث ان يجد فى آثاره جميع العناصر اللازمة لهذا البحث ! فلنا اذن شرف القيام بهذا الواجب .

رجل متسامح يقتبس من كل معين

ويجب ان نقول قبل كل شيء ان جوته كان رجلا متسامحا كل التسامح لا يجهل شيئا مما يتعلق بالانسان . فقد اعتكف على الحضارات كلها بنفس الروح العاطفية السمحة وحاول ان يفهمها جميعا ، وان يقتبس من كل منها ما يستطيع ان يضيفه الى كنز الحكمة الذى كان يدخره فى نفسه. فكان يعد من الطبيعى الا يتحدث الناس لغة واحدة،والا يرتدوا زيا واحدا ، والا يروا الحقيقة على صورة واحدة . وهذا سر صفائه الشهير الذى سيطر به على عصره وسيطر به على نفسه .



كان جوته رجلا متسامحا كل التسامح لا يجهل شيئا مما يتعلق بالانسان . ويرجع أول اتصاله بالاسلام الى عهد شبابه حوالى عام ١٧٧٣ عندما كان مترددا في شأن الطريق التى يسلكها .

أبوه وامه ومعلموه

وقد وضعته تربيته الاولى في مدرسة السماحة واظهرت له ان الناس لا يفكرون جميعا بنفس الطريقة . وابوه لوثرى مدقق . لكنه غير ميال الى التصوف . وامه دينة وديعة مشبعة بشاعرية التوراة ، ومعلموه يتبعون مذهب التشكك وقد قال احدهم « وفي الله أيضا أجد عيوبا » .

وكان جوته في شبابه مع ولعه بالمعرفة واحترامه لوالديه ومعلميه يثق كل الثقة في اولئك وهؤلاء ، ويعرف لهم الجميل لما قاموا به من جهود في سبيل نهضة عقله ودفعه في اتجاهات مختلفة .

فى منزل اهله

وكان يرقب الرواد من الطبقة الوسطى ، والتجار الذين يترددون على منزل والده،ويتحدث الى الصبية في الشوارع . وعندما ادت مصادفات حرب السبع سنوات الى المجىء عند والده بضابط فرنسي لعوب طائش خفيف النفس حفظ بينه وبينه أواصر الصداقة مدة من الدهر .

رحلاته فى طلب العلم

ثم عندما رحل الى ليبزج طالبا للعلم اظهر الرغبة نفسها في معرفة الناس ومختلف الآراء التى يتبادلونها او يصدمون بها .

وفيأسفاره الطويلة عرف المانيا وفرنسا وايطاليا وجنى من كل حضارة احتك بها خير ما فيها من امور .

وكان يقتبس في الوقت نفسه من دور الكتب كل ما كانت نفسه الوثابة تستطيع ان تقتبسه . كما كان ملما كل الالمام بالعلوم والآداب بتعلم اللغات الميتة على اختلافها بما فيها لغة التوراة العبرية.

جوته يؤلف قصيدة روائية حماسية بطلها محمد

ويرجع اول اتصاله بالاسلام الى عهد شبابه حوالى سنة ١٧٧٣ عندما كان مترددا في شان الطريق التى يسلكها . وكان يقوم في الوقت نفسه بأبحاثه العلمية ومحاولاته في الشعر . وأين يجد صورة للشعر وتعبيرا ابلغ مما يجده في القرآن ؟ فياخذ في قراءته وفي مطالعة رحلات المسافرين الذين عرفوا الحضارة الاسلامية ثم يفكر فيتاليف قصيدة حماسية عظيمة بطلها محمد .

وفولتير اتخذ محمدا بطلا ، ليسيء الى الاديان

وقد كان « فولتير » قد اتخذ محمدا منذ عدة

سنوات بطلا لاحدى تمثيلياته . ولكن التمثيلية كانت رديئة والبطل مبغضا الى حد يبعده عن الحقيقة . ولم يكن فولتير في الواقع يبغض الاسلام او يريد ان يجاهد في سبيل الدين ولكنه كان يريد ان يهاجم مؤسسي الاديان والتشيع على اختلافهم ، فهم في نظره رجال يملأ قلبهم الطموح ، يبغون فرض حكمهم المطلق متخذين مخافة الله عدة لهم ووسيلة . فلم يتخذ فولتير محمدا ولم يكلفه بالقيام بهذا الدور المنكر الا للتهرب من قسوة الرقابة الدينية في ذلك الحين .

في قصيدة جوته : ان محمدا نبي اوحى الله اليه من روحه

اما مشروع جوته فهو يختلف عنه كل الاختلاف فقد اقدم على موضوعه بروح سمحة كل السماحة تنفح فيها نفحة حماسية خالصة . فمحمد في نظره نبي حقيقي اوحى الله له من روحه والهمة قداسة رسالته وجلالتها الالهية . فالمأساة التى تدور في نفس النبي هى مأساة عدم امكانه جذب اتباعه في طريق النور التى يدفعه الله فيها . ومن ثم فقد اضطر ان ينزل الى مستواهم وان يهبط الى دنيويات الحياة المادية وكلما ازداد سلطانه قوة ازدادت نفسه حسرة وظلمة .

ولم يتم جوته روايته ولم يبق منها الآن سوى قطعة صغيرة . وربما شعر جوته انه لا يستطيع ان يمكث على القمة التى بلغها . على انه ترك لنا عناصر مطولة لهذه الرواية وجد في وضعها على حد تعبيره « متعة وسرورا عظيمين » .

تبدأ الرواية بمحمد تحت قبة السماء ليلا

وتبدأ الرواية بمقدمة ملؤها العظمة والشاعرية . فنرى النبي واقفا وحده تحت قبة السماء ينظر الى النجوم تتألق الواحدة تلو الاخرى فتبدو له كل واحدة منها آلهة فيقدم لها نشيد العبادة . فاذا ما ظهر المشترى ملك الكواكب خصه بصلاته وحده . فيظهر الهلال بدوره فيخصه ايضا بالصلاة والعبادة . واخيرا لاح الفجر واشرق الصبح فاخذت نفس محمد وقد طابت وانتعشت تقدم له صلاته الاخيرة .

وحينئذ يفطن انه لا بد له من ان يعلو في الارتفاع حتى يبلغ الى الكائن الواحد الأزلى الذى يعزى اليه وجود الشمس والقمر والنجوم .

وكان جوته يأسف كل الاسف لفقده هذه القصيدة وقد فكر ان يعيدها على شكل اغنية . وفي اعتقاده انها تتناسب والموسيقى بسبب تنوع تعابيرها . فكان يتخيلها على لسان قائد قافلة يتغنى بها بينما كانت اسرته ورجال قافلته يصحبونه فيرددون عليه الغناء . ومن دواعي الدهشة ان احدا من كبار الموسيقيين الرومانتيكيين الالمان لم يقدم له معاونته فيسمح بتحقق هذا المشروع العظيم . وهنا يبدو بوضوح مدى الاسف الذى يشعر به المرء لعدم اتصال اواصر المؤالفة بينه وبين « بيتهوفن » .

ثم كانت الرواية تقص كيف هدى محمد زوجه وتلميذه عليا الى الاسلام ثم حاول ان ينشر عقيدته في قومه ثم قام بهجرته وانتصاراته وتطهير الكعبة الا انه حين اراد ان يواصل الجهاد بين الناس اضطر الى استخدام الأساليب التى يفهمونها وهى القوة والاقناع . واخيرا لم يسترد صفاءه واتصاله بالوحى الالهى الا في الفصل الاخير فيحدد مبادىء الدين لتلاميذه واتباعه وينظم البلاد ثم يتوفاه الله .

لم يصل الينا من هذه الملحمة الرائعة الا قطعة واحدة هى نشيد في مدح النبي وضعه جوته على لسان علي ، وحسبه ان يشعرنا بالأسف الشديد لعدم استئناف جوته عمله واتمام موضوعه .

بين جوته ونابليون

لم تلبث تجارب اخرى ان اجتذبت جوته والهت على نفسه الشغوفة بمعرفة كل شيء . فزالت رؤية النبي امام شبح فرتر Werther الشاب الشاحب فتشغل جوته به عن غيره ، وطال به الامد فلم يرتو فيه من ينابيع الحكمة الشرقية المقدسة .

ثم عاد اليها بعد ذلك بدافع من الالم والاسى حين كان مع ذلك على قمة المجد والشرف وحين اشتدت عليه وطأة الدهر والايام فاثقلت كاهله القوى . وكان نابليون حينئذ قد دوخ اوربا بأسرها ، ثم ها هو يرى الهزيمة للمرة الاولى في صقيع روسيا فتنسحب فلول جيوشه المنهزمة الى المانيا حيث اخذت الشعوب المغلوبة على امرها تنهض لتقف امام الغازى . فها هى الجيوش الفرنسية في سكسونيا التى دمرتها ، وليبزج التى اشعلت فيها النيران ، ترى النصر الذى طالما رافق اعلامها قد حاد عنها للمرة الثانية .

ولكن جوته لم يشعر باى فرح لتحرير وطنه بل لم يجد نفسه جديرة بان تشعر باى فرح .

فنفسه لا تهتز الا لما تجلبه الحروب معها من آلام وعذاب للابرياء والضعفاء ، وقلبه يرفض ان يصغى الى الاصوات التى تتحدث اليه عن الشرف والحريات الجرمانية . ولم يشعر بأى حقد نحو المنتصر ، فقد عامله نابليون احسن معاملة واكرمه كاحد امراء الفكر . فقبل جوته منه نيشان الشرف ورفض ان يوافق على انه كان من الواجب للقضاء على القائد العظيم ان يدمر كل هذا الجمال وان يضحي بكل هذا العدد من الارواح البشرية .

وامام هذا الصراع الهائل لم يشعر جوته للمنتصرين والمهزومين الا بالشفقة واحيانا النفور ولم يكن له الا رغبة واحدة هى انقاذ رفاهيته المهددة . لذلك غض نظره عن كل ما يحيط به من فظائع وتناسي الحاضر المفجع ليلجأ الى ماض مشرق مبتسم يملؤه الصفاء والنور يجد صورته مضيئة ساطعة في قصائد شعراء الفرس حافظ والفردوسي .

وكلنايعرف ابيات الشاعر الفرنسي « تيوفيل جوتييه » Theophile Gautier في مقدمة مجموعة قصائدة Emaux et Gamées ، حيث يقول :

في ابان حروب الامبراطورية
بين قصف المدافع المدوية
كتب جوته « الديوان الشرقى الغربى »
وهى واحة منعشة يتنسم فيها الفن

جوتة يرفض ان يكون الشاعر متحزبا

وكثيرا ما يتحدث الناس في زماننا عن الكتاب والشعراء المتحزبين ويسلمون بانه منواجبالشاعر ان يحدد موقفه ويتحزب وان يقحم نفسه في محيط السياسة وان يقول كلمته في الحوادث الخطيرة التى تمس وطنه . لكن جوته يخالف هذا المبدأ كل المخالفة . بل لا يتخذ على نفسه الا تعهدا واحدا وهو ان يخدم الجمال دائما وفوق كل شيء . فهو كما قال الكاتب الفرنسي رومان رولان عن نفسه في ابان حرب اخرى « يتبوأ مكانا عاليا فوق عامة الناس » . ورومان رولان يعد الى حد ما تلميذا لجوته .

وقد اخذ بعض الناس على جوته هذا واتهموه بالانانية وانعدام الروح الوطنية وبات مافي هذا الاتهام — من جهل لكل ما تتطلبه هذه العزلة من الصفاء وحب للجمال — خاليا من الغرض ، وفيآخر الامر من ثقة ثابتة في مستقبل البشرية . فهو يريد ان يؤمن ان البشرية — بالرغم من الحروب والتعصب المثير — قد جعلت للسعادة وان الصفاء غايتها الطبيعية وليس الالم . وان الحب والشباب والجمال هى الموضوعات الوحيدة التى يجد فيها الشاعر الصفاء الكافي لتهتز له قيثارته .

على ان جوته لكي يتماشي والفظائع التى تحيط به ينغمس بشدة في هذا الجو الشرقى الذى يتعزل به عما في زمانه من بؤس . فيبدأ كما فعل عندما كتب رواية « محمد » بالقراءة المتصلة عن الشرق وعاداته وتقاليده . ويغذى رغبته وحبه الوثاب الى المعرفة بكل ما يقع تحت يده من مذكرات المسافرين . الا انه في هذه المرة قام بأعظم من ذلك فقد اخذ في الرابعة والستين من عمره يدرس اللغة العربية ، وكم كانسروره عظيما يوم استطاع ان ينقل بيده مخطوطا عربيا . واخذ يتخاطب مع المستشرقين المشهورين امثال فون هاميز الالمانى Von Hammez وسلفيستر دىساسي Sylvestre De Sacy الفرنسي . وقيل انه حاول ان يتعاطى المخدرات ليغذى احلامه الشرقية . الا انه كان غيورا على صفاء ذهنه وحدة ذكائه حتى يتمادى في الخوض في « هذه الجنات الصناعية » . ثم كانت مخيلته من القوة في الارتقاء وتصوير الاحلام ما جعلته في غنىعن تنشيطها بوسائل اصطناعية.

محادثاته مع صديقه اكرمان

ونجد في محادثاته مع « اكرمان » Eckermann آثارا عديدة عن دراساته للشرق ولكل ما يتعلق به وعن حبه له ورغبته فى فهم الاسلام . وقد اظهر بصفة خاصة اعجابا عظيما للتربية الدينية التى تعطى لشباب المسلمين .

وقد قال فيها « انهم يبثون قبل كل شيء في اذهانالشباب — كقاعدةللدين — العقيدة الراسخة بان الانسان لا يصيبه شيء الا وقد قدره له سلطان الهى منظم لكل شيء . فها هم قد اصبحوا مسلحين لمدى الحياة وها هم قد اصبحوا راضين لا يكادون يحتاجون لشيء آخر .. ثم يبدا المسلمون تربيتهم الفلسفية بهذه السنة وهى « لا يوجد شيء لا نستطيع ان نقطع بعكسه » هكذا يمرنون اذهان الشباب فيكسبهم ذلك مرانة كبيرة في التفكير » .

« ولكن اذا استطاع المرء ان يؤكد عكس كل رأى حينئذ يتولد الشك في نفسه ويتساءل ايهما هو الحق . والراحة منعدمة في الشك لان الشك

يدفع العقل الى البحث والتنقيب والى الخبرة التى اذا قيدت الى حلها المقنع نتج عنها اليقين وهو الهدف الذي يجد فيه الانسان راحته التامة».

« ونحن نرى اذن ان هذا المذهب لا يفتقد الى شيء واننا لا نفوقهم بشيء رغم تعدد مذاهبنا ولا يستطيع احد ان يتقدمهم بشيء » (محادثة يوم الاربعاء الثاني من شهر ابريل سنة ١٨٢٧) .

كتاب الديوان الغربي جوته شرقي

وهكذا نرى ان جوته بعد ان كتب الديوان بمدة طويلة وفي آخر سني حياته ما فتيء يرنو الى الصفاء والسماحة واليقين التهائي التى وجدها في الاسلام .

فقد نشأت اذن القصائد المجموعة تحت عنوان « الديوان الغربي » من التاملات التى قام بها جوته فى ابان حروب نابليون . ولقد زعم في هذا الكتاب انه قطف اجمل زهور الحكمة الفارسية . وفي الواقع اننا نجد فيه كثيرا من الشباب واللطافة والرقة . ولكن قال احد النقاد « ان الجو وحده هو الشرقي في هذا الكتاب ، فشخصية المؤلف الغربي تظهر فيه بكل وضوح . فالصور شرقية والشعور غربي . ومع ذلك فقد تبع القافلة بكل رفق عبر الصحراء واصغى الى اناشيد « البربل » الحزينة على ضفاف الينابيع البراقة ، وجمع سنة محمد بكل اخلاص ، وسُرَّ لسماع نبرات حافظ الفارسي فكان الجمع الذى وفق اليه من هذا كله من خير ما يمكن ان يوفق اليه احد .

فان كان جوته قد ظل في هذا الجو وان كان قد اطلق المجال لكآبته في بعض الاحيان فهذا شيء طبيعي !

ويتكون « الديوان الشرقي الغربي » Westostlicher Divan ، وهو مجموعة من الشعر الغنائي ، من اثنى عشر بابا وهي : المطرب، وحافظ، والحب، والتامل، والحزن، والأمثال ، وتيمور ، وزليخة ، والخمر والتشابيه ، والفرس، والجنة .

وقد كتب في صدر باب « حافظ » وهو استاذه ومرشده في رحلته العاطفية هذه خلال الشعر الفارسي ، قال : « فليكن العالم الزوجة وليكن العقل الزوج فمن عرف حافظ قد حضر هذا الزواج » . زواج العقل والشعر زواج جوته والشرق هذا ما حاول ان يؤديه « الديوان الشرقي الغربي » وان المعجبين بجوته متحدون جميعا في اعجابهم بنضارة هذا الاثر العظيم الذى اولده قلم شاعر تجاوز الستين ، وترك وراءه حياة حافلة بالتجارب المتنوعة. ومن الصعب نقل هذه القصائد الى لغة اخرى لما فيها من خفة ورقة يبدو من العسير نقلها الى لغة غير اللغة التى وضعت فيها.

ويبدو ان الموسيقى هى الشيء الذى تتطلبه ولم تجده حتى الآن .

ان « الديوان » اليوم اثر قد طواه الدهر وانساه ، فقد القت به « آلام فرتر » والنسختان المختلفتان من « فوست » ، وغيرها من روائع آثار جوته في ظل النسيان . ومع ذلك فمن تاريخ نشرها يبدأ تاريخ ادخال الصبغة الشرقية في الفن الالمانى وفي الفن الرومنتيكى الاوروبى اجمع .

وحذا الشعراء حذو جوته

وقد حذى حذوه كثير من الشعراء الغنائيين الالمان واخذوا يقلدون الشعر الشرقي مع تفاوت في النجاح امثال « روكير » Ruckert و « بلاتين » Platin فكان الشرق لهم بمثابة تخلص من الحاضر ونسيان آلامه ومثل للانسجام السامي والحكمة السامية ثم اخذ الموسيقيون يسلكون الطريق التى عبدها الشعراء ، فالف شومان هذه الآية الرقيقة التى سماها « الجنة والجنية » Le Paradis et la Feri .

واخذ الشعراء خارج المانيا يتصرفون الى سحر الشرق وخياله واحلامه وقام بيرون Byron وكولريدج Colorige وشاتوبريان ChateauBriand ولامارتين Lamartine وجوتييه Gautier يجنون الزهور في حديقة « سعدى » تلك الزهور التى اوحت الى «مرسلين ديبورد فالمور» Marceline Desbordes Valmore الشاعرة الرقيقة الحزينة اجمل قصائدها وارقها .

وهكذا كان جوته في كل ما يتعلق بالرومنتيكية الرائد العبقرى الفذ . استطاع عقله الذى كثيرا ما وصفوه بانه اوروبى ان يتخلص من حدود اوروبا ويندفع الى الشرق مع ماله من ميل الى معرفة كل شيء والى حب كل شيء حيث يشعر بانه في وطنه كما يشعر بذلك في ايطاليا وفي فرنسا، فهو في وئام واخاء تام مع جميع الذين يتطلعون من وراء بؤس العالم الحاضر وآلامه الى الحكمة الالهية والجمال الأزلى . ■■

باريس — درية فهمي



ركن الاسرة والمرأة

ابحث عن نفسك ..

عندئذ تتكشف لك فيها كفايات عنك خافية، وطاقات في أطوائها قابعة كامنة.

بقلم : منير نصيف

■ **هل نعرف انفسنا ؟**

سؤال قلما توقفنا عنده ، ونحن نعيش في دوامة هذه الحياة بكل ما فيها من صور ، وبكل ما تحويه من اسرار !

ولكن لماذا لا نعرف انفسنا ؟

يقول الفيلسوف الكبير ارسطو : « ان البحث عن النفس ليس من اصعب الامور فحسب ، بل هو من ابغضها الى نفس الانسان ، ذلك المخلوق الغريب الذي يحاول دائما أن يهرب من نفسه ، ويهرب من الواقع أبدا ! » .

الهرب من النفس

يقول العلماء ان الناس ـ رجالا كانوا ام نساء ـ قد ابتكروا على مر السنين ، أساليب متنوعة غريبة ، للهرب من انفسهم .. فنحن اليوم نستطيع أن نشغل كل وقتنا ، وأن نملأ شتى جوانب حياتنا ، وان نزحم رؤوسنا بمختلف مشاكل الحياة ، حتى يصعب علينا بعد هذا كله، ان نجد لحظة واحدة ، يمكن ان نخلد فيها الى التامل والتفكير ، في نفوسنا ، ومحاولة التعرف على هذا العالم الغريب الذي يكمن في أعماقنا .

وقد تجيء هذه اللحظة في وقت او في آخر ، في مرحلة او في أخرى من مراحل حياة الانسان ، ولكننا كثيرا ما نحاول الهرب منها لاننا لا نريد ان نعرف حقيقة انفسنا ..

فهل معنى هذا ان الانسان يعيش ويموت ، دون أن ينتهز هذه الفرصة يوما ، لكي يعرف نفسه ؟

كيف وجد نفسه ؟

يقول سومرست موم ، الكاتب البريطاني الشهير : « لقد قضيت سني شبابي ، أبحث عن شيء ضائع لا أعرفه ، لقد كنت حائرا بين دراسة القانون الذي عشقته بالوراثة عن أبي وجدي ، وبين دراسة الطب .. ولكنني كنت اعرف انني لن اصبح محاميا ناجحا في يوم من الايام ، فقد كان الكلام بالنسبة لي عبئا ثقيلا(١) ودرست الطب ، ولكنني لم اصبح طبيبا .. وعندما بدأت افكر في هذا المستقبل المظلم الذي ينتظرني ، وامسكت بالقلم لاول مرة لاسجل تلك الخواطر التي كانت تتنازعني ، احسست بانني قد وجدت هذا الشيء الضائع الذي قضيت سنوات طويلة أبحث عنه .. لقد وجدت نفسي ! » .

وكما نجح كاتب بريطانيا الكبير في أن يجد نفسه ، نجح الكثير من الرجال والنساء ، في التخلص من هذا الشعور الذي يسيطر علينا .. الشعور باننا غرباء عن انفسنا .

مشكلة أبدية

فالبحث عن النفس ، والحيرة في معرفة حقيقة هذه النفس وقدراتها وطاقاتها ، هي المشكلة التي يعاني منها كل انسان منذ تلك اللحظة التي يرى فيها النور ..

الطفل يعيش سنوات حياته الاولى حائرا لا يعرف ماذا يريد ، ولا ماذا هم يريدون به .. والشاب الذي بدأ يخطو اول خطواته في الطريق الطويل نحو المستقبل المجهول ، هو ايضا لا يعرف عن ميوله واتجاهاته الا هذا القدر اليسير الذي تنبيء عنه نتائج امتحاناته ، في المواد التي يدرسها .. فهو اليوم يريد ان يصبح مهندسا ، وهو في الغد اميل الى الادب وفروعه ، ثم هو بعد سنوات قليلة ، لا يريد هذا ولا ذاك ، فهو بدأ يرى اشياء كثير غريبة في هذه الدنيا وهو يريد ان يدرس ويتعمق في هذا الذي قدمه اليه اخوه الانسان ، في شتى مجالات العلم والمعرفة .

المرأة أكثر صراحة وقدرة

والفتاة هي الاخرى .. انها حائرة ماذا تصنع بنفسها وبمستقبلها .. ولو ان العلماء يؤكدون انها اكثر اقترابا من فهم حقيقة نفسها من الرجل، بالرغم من تلك القيود التي تعيش في ظلها ، والتي يفرضها المجتمع على تصرفاتها وحتى على اسلوب تفكيرها ..

فالمرأة اكثر صراحة مع نفسها من الرجل ، واكثر قدرة على التفكير فيما تريد وفيما لا تريد من نفسها ومن الناس ومن المجتمع الذي تعيش فيه .. وهي وان كانت في بعض المجتمعات مغلوبة على أمرها ، الا انها لم تفقد في يوم من الايام الثقة بنفسها ، ولولا هذه الثقة لما استطاعت المرأة ان تقتحم دنيا الرجل ، ولما نجحت في ان تصل الى ما وصلت اليه في شتى مجالات الحياة..

متى وكيف يستطيع الانسان ان يجد نفسه ؟

ليس هناك في الواقع اجابة محددة على هذا التساؤل .. فمحاولة اكتشاف النفس ، محاولة صعبة في حد ذاتها ، اذا نحن جعلنا منها هدفا ورحنا نبحث ونفكر فيما نحن فيه وفيما نحن مقبلون عليه من أحداث ..

تجديد النفس

ويرى العلماء ان اكتشاف النفس ، لا يتحقق الا عن طريق تجديد النفس ، وهذا التجديد ، يكمن في قدرة المرء على التخلص من « الروتين » الذي يتحكم في اسلوب حياته ، سواء اراد ذلك أم لم يرد !

ففي بعض الاحيان نجد اننا قد اكتشفنا انفسنا

(١) كان سومرست موم مصابا بالتأتأة ، وكان يجد صعوبة في اخراج الكلمات .

بالرغم منا ، عندما يطرأ تغيير جذري على الطريقة التي الفناها وتعودنا عليها في حياتنا ، كأن نترك حياة العزوبية الى الزواج ، او ننتقل الى الحياة في مدينة اخرى غير تلك التي عشنا فيها وتعودناها وعرفنا اهلها .. او عندما نلتحق بعمل جديد يختلف عن العمل الذي قضينا فيه جانبا كبيرا من سنوات عمرنا ..

او عندما توجه الينا الدعوة لتأدية واجب الدفاع عن بلدنا ووطننا ..

في الحرب

عندئذ نجد الرجل ، قد خلع لباسه المدني ، وارتدى حلته العسكرية ، ثم وقف مودعا زوجه وابناءه وحياة البيت الناعمة ، سائرا في هذا الطريق الذي رسموه له ، الى ساحة الشرف والقتال ، حيث نصبت الخيام وصفّقت المدافع واتحدت العزائم على الدفاع عن النفس وعن أرض الوطن الى آخر قطرة دم .

هنا ، يتحرر الانسان من الحياة التي الفها ، ومن العادات التي ترسبت في نفسه وتمكنت منه ، وسيطرت على حياته ، ومع هذا التحرر ، سوف يدرك ، وربما لاول مرة ابعاد هذا السجن الذي كان يحبس نفسه فيه ، والذي نسجوه له من حوله بخيوط من الحرير الناعم ، اشبه ببيت العنكبوت !

والمرء في هذه المرحلة من مراحل التغيير التي طرأت على حياته ، سوف يكتشف في نفسه ايضا قدرات وطاقات هائلة لم يكن يعلم بوجودها من قبل .

وفي غير الحرب

ولكن هل يجب ان ننتظر حتى يحدث هذا التغيير في اسلوب حياتنا وطريقة عيشنا لكي نكتشف حقيقة انفسنا ؟

وكيف السبيل اذن الى البحث عن النفس ومعرفتها ؟

هل من وسيلة تساعدنا على التعرف على ما في داخل نفوسنا ، والتخلص من روتين الحياة التي نحياها ، بحيث نستطيع ان نفعل ذلك دون ان نبذل في سبيله جهدا قد يدفعنا الى الهرب من محاولتنا هذه ، ما دمنا نميل الى الهرب دائما من انفسنا كما يقول ارسطو ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، نتوقف قليلا لنرى ما حدث لهؤلاء الذين تغيرت صورة حياتهم في ظروف عادية ، بغير حرب ، فاكتشفوا انفسهم من خلال محاولتهم لتدريب هذه النفس على السير في هذا المجرى الجديد ..

ماذا حدث للرجل الذي ترك بلده وبيته واهله واصدقاءه ومعارفه ، وذهب ليعيش مع افراد اسرته في بلدة اخرى لا يعرفون عن طابع الحياة فيها شيئا ؟ !

التخلص من العادة

لقد احسوا بانهم غرباء ضائعون في هذا البلد الجديد ، وهذا الاحساس هو الذي يخلق القدرة على تجديد النفس ، فلا بد لهذه الاسرة ان تعيش، ولكنها تعرف ان هذا العيش لن يصبح ممكنا ، الا اذا استطاع كل فرد من افرادها ان يكيف حياته بهذا المناخ الجديد ، ويتأقلم .

وعندئذ فقط يبدأ افراد هذه الاسرة يتخلصون من العادة التي تمكنت منهم وسيطرت عليهم وصبغت تصرفاتهم وسلوكهم بهذا الروتين الذي لم يتغير لسنوات طويلة .. فاسلوب الانسان في الحياة لا يعدو ان يكون اكثر من سلسلة من العادات التي تمكنت منه فصار عبدا لها ..

وهكذا تتغير حياة هذه الاسرة .. حياة الاب وحياة الام والابناء .. وفي هذا الانتقال من حياة الى حياة اخرى جديدة ، سوف يكتشفون ابعادا جديدة لميولهم واتجاهاتهم وتطلعاتهم للمستقبل .. ولكن ماذا يحدث اذا لم يطرأ هذا التغيير في حياة الاسرة ؟

الروتين مظلوم !

ونعود الى السؤال الذي طرحناه ، كيف السبيل الى البحث عن النفس ومعرفتها ؟ هل يمكن للمرء ان يجدد نفسه ، وهو حبيس هذا

« الروتين » اللعين الذى تمكن منه فلم يعد يترك له فرصة لتجديد نفسه وتغييرها ؟

والواقع ان الروتين يقتل النفس ، ويخنق القدرة على التفكير والتجديد والابتكار ! ولكننا لا نستطيع أن نلوم الروتين وحده في هذا الذى يصنعه بنا ، لسبب واضح ، وهو ان هذا الاسلوب من الحياة الذى لا يتغير هو من صنعنا نحن ، ونحن وحدنا الذين نملك القول الاول والاخير ، في تقبل الحياة فى ظل تلك العادات التي تمكنت منا ، او رفضها ، وبالتالى بذل كل محاولة ممكنة للتخلص من الروتين،وتغيير اسلوب حياتنا كلما حانت الفرصة لهذا التغيير .

الرحلات والاسفار

من هنا كانت الرحلات والاسفار من اهم العوامل التى تساعد على التخلص من روتين الحياة .

رحلة قصيرة تقوم بها الاسرة في عطلة نهاية الاسبوع ، او نزهة في قارب صغير في مياه النهر او حتى الممارسة لنوع من انواع الرياضة كالسباحة او لعب التنس او حتى المشي على الاقدام لمسافات طويلة في الامسيات ، كل هذه وسائل يمكن أن تساهم في التخفيف من اثر الروتين على حياة المرء ، في مختلف مراحل حياته ..

الكتاب اقدم مدرسة

ثم هناك القراءة ، وهى اقدم واكبر مدرسة تعلم فيها الانسان .. وهو قد تعلم في الكتب ان المرء يسير في طريق الحياة ، دون ان يعلم على وجه التحديد ، ما هى حقيقة طاقاته وقدراته .

يقول الفيلسوف الامريكى الكبير ايمرسون : « اننا لم نكتشف ابدا ما الذى يجب ان نعلمه لابنائنا فى المدارس .. فنحن نقدم لهم عصارة فكر الانسان ، بدلا من ان نعلمهم كيف يفكرون .. اننا نعطيهم زهورا فوق طبق من فضة ، بدلا من أن ندربهم على زراعة الزهور . اننا نتخم عقولهم بنتاج من سبقهم من الآباء والأجداد بدلا من ان توجههم الى افضل وسيلة للتفكير والانتاج ! » .

انطلاق القدرات

وفي الكتب التى يقرأها هؤلاء الصغار عندما يكبرون ، خارج اسوار المدرسة، سوف يكتشفون اشياء كثيرة وحقائق غريبة ، غابت عنهم ،ولكنهم طالما تاقوا لمعرفتها .. وقد يكتشفون مع هذه الحقائق انفسهم ، وحقيقة قدراتهم واتجاهاتهم !

ان الطاقات والقدرات التى يتمتع بها المرء ، ايا كان ، ليست دائما معدة للانطلاق لتصنع به ويصنع بها ما يريده لنفسه ، وهى تظل كامنة خامدة داخل نفوسنا ، لان ظروف حياتنا وعملنا ، لم تتطلب خروجها من مكامنها .

ومن اجل ذلك ، فان استكشاف هذه القدرات والمواهب ، لا يجب ان يترك لظروف الحياة التى نعيشها .. لا بد لنا من ان نبحث عنها في كل فرصة وفي كل مناسبة تتاح لنا ، الى آخر يوم في حياتنا .. والكتاب الذى نختاره نحن ، ولا يفرض علينا ، هو وسيلتنا الاكيدة لاكتشاف هذه القدرات .

لقد كان توماس اديسون تلميذا خائبا في طفولته ! هكذا كان يؤكد له مدرسوه . وهو لم يتخرج من الجامعة ولكنه كان يعشق كتب العلوم والهندسة ، ومن خلال قراءته لهذه الكتب،استطاع أن يكتشف الطاقات الهائلة الكامنة داخل نفسه ، واستطاع أن يقدم للبشرية من المخترعات العظيمة ما خلد اسمه !

الحب اعظم سلاح

يقول ايمرسون : « لو عرف الناس ما يفعله الحب فى حياتهم لتغير العالم وتغير معه وجه التاريخ .

« ان الحب هو السلاح الوحيد الذى يستطيع ان يحمله كل رجل وامرأة وطفل لقتل هذا العدو الذى يتربص بهم « الملل » ، ذلك الشعور الذى ينمو حتى يصبح « غولا » نتيجة لروتين الحياة الذى لا يتغير .. ولا شيء يقضي على الشعور بعزلة النفس ، وبقسوة الحياة ، سوى الحب نحمله في صدورنا للناس .. كل الناس ! » .

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

مستقبل غامض لمحادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية

● تعود قراء الصحف فى العالم ان يقرأوا بصفة منتظمة تصريحات مبالغا فيها للسياسيين العالميين عن اهمية اتفاقيات تحديد سباق التسلح فى العالم. واحدثت تصريحات الرئيس الامريكى نيكسون المتفائلة الاخيرة عما اسماه بنقطة تحول فى محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية التى تدور بين روسيا وامريكا ضجة فى صحف العالم بالرغم من انه من الواضح انها مبنية على مجرد الوصول الى اتفاق للدخول فى مفاوضات حول عقد اتفاقية لتحديد عددى للصواريخ الدفاعية والهجومية ذات الرؤوس النووية .

وقد نشرت مجلة العالم الجديد والعلوم New Scientist and Science Journal مقالا عن هذا الموضوع قالت فيه :

« ان دلت التعليقات الصحفية ، ذات التوقعات المفرقة فى التفاؤل ، حول تصريحات نيكسون على شىء ، فانما تدل على نقص فى ادراك او فهم للخطر الحقيقى لسباق التسلح النووى ولنوع الاتفاق المطلوب الوصول اليه للتقليل من هذه المخاطر .

ان هناك الآن ٣ عوامل جديدة اثرت فى التكنية العسكرية وتهدد باحداث اختلال فى الميزان الاستراتيجى الحساس القائم الآن بين القوى العظمى . وهذه العوامل هى اولا التحسينات التى ادخلت على فاعلية الصواريخ العابرة للقارات وزيادة الاعتماد عليها، وثانيا زيادة الدقة فى هذه الصواريخ ، وثالثا : انتشار الصواريخ ذات الرؤوس المتعددة والتى تستطيع اصابة عدة اهداف فى وقت واحد وهى تلك الصواريخ المسماة ميرف Mirv وهذه العوامل الثلاثة تدل على احتمال ان كلا من روسيا وامريكا قد تمتلك، لاول مرة، قدرة حقيقية على توجيه ضربة اولى ساحقة ، وذلك فى خلال السنوات القليلة القادمة . ولا يلوح فى الافق الآن ان هناك اى اتفاق فى محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية يستطيع ان يوقف الوصول الى هذا الموقف الخطير جدا .

ومن المتوقع أن الاتفاق الذى وصفه الرئيس نيكسون وهللت له الصحف لن يؤدى الى اقناع الكثير من الدول التى وقعت على اتفاقية منع انتشار الاسلحة الذرية ان هناك اجراءات فعالة اتخذت نحو نزع السلاح الذرى . يجب علينا ان نتوقع ان عدم وجود مثل هذه الاجراءات سيؤدى الى زيادة عدد الدول التى تمتلك قوة ذرية .

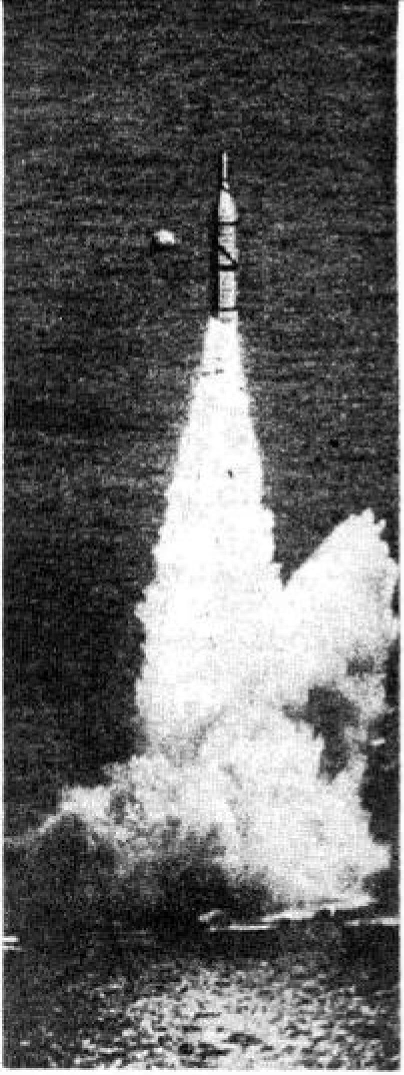
والخطر المتوقع، خلال الفترة القصيرة القادمة ، نتيجة للتقدم المرئى فى التكنية الذرية العسكرية ، ولانتشار الاسلحة الذرية يكمن فى زيادة احتمالات نشوب

حرب ذرية شاملة نتيجة حادث غير مقصود ، او نتيجة خطأ فى التقدير او حتى نتيجة لحظة جنون .. ويمكن ان نقول انه اذا استطاعت محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية التقليل من هذا الخطر الرئيسى فانها تكون بذلك قد استطاعت تحقيق تقدم اكثر مما نتوقعه منها الآن .

وعلى الاقل فانه يجب ان يتم تجميد انتشار الاسلحة الجديدة ، والوصول الى اتفاق يمنع ادخال تحسينات جديدة على الاسلحة الذرية وبعد ذلك عقد اتفاق سريع ينص على تخفيض المخزون من الاسلحة الذرية فى كل الدول الذرية .

وتساعد المفاوضات للوصول الى اتفاق شامل لوقف التجارب على الاسلحة الذرية فى اقناع الدول الصغرى على حسن نوايا الدول العظمى بالنسبة للوصول الى نزع السلاح الذرى ، وذلك لان التجارب التى تجرى الآن على الاسلحة الذرية تحت الارض انما هى فى الواقع تجارب لزيادة الكفاءة النوعية لهذه الاسلحة وهذا يعنى ببساطة الغاء الفائدة التى كانت مرجوة من اتفاقية وقف التجارب الذرية فوق سطح الارض » .

ان دول العالم ، صغيرها وكبيرها تنظر الآن الى محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية نظرة امل ورجاء ، وان كان يشوب هذه النظرة الكثير من القلق وعدم التفاؤل .



العلم يكشف للشعب
ما يصنع له نوابه فى البرلمان

● كيف يمضى النائب وقته فى البرلمان ؟

كم سؤال يوجهه للوزراء بالنيابة عن ناخبيه ؟

ما موقفه من القضايا الحيوية التى يبحثها البرلمان ؟

هذه كلها اسئلة يهم الناخبين فى البلاد الديمقراطية معرفة الاجابة عنها حتى يستطيعوا تقييم ممثليهم فى البرلمان .

وقد اقترح الدكتور مارك فرانكلين Mark Franklin محاضر العلوم السياسية فى جامعة ستراثكليد Strathclyde ، استعمال الحاسبات الالكترونية Computers ، فى البرلمان الانجليزى لمتابعة

مختلف أوجه النشاط داخل اروقة البرلمان ، وكذلك متابعة نشاط كل نائب على حدة . وبالرغم من ان هذا الاقتراح يبدو سهلا للوهلة الاولى الا ان هناك صعوبات فنية كثيرة تقف حائلا دون تنفيذه ومن اهم هذه الصعوبات ان نشاط النواب فى البرلمان البريطانى متفرع ومبعثر فى وثائق عديدة داخل المجلس ولكى يستطيع اى انسان ان يتابع هذا النشاط فعليه الرجوع الى أكثر من جهة داخل المجلس والى اكثر من محضر من محاضر الجلسات واللجان المختلفة وغيرها من وثائق المجلس .

وبالرغم من ذلك فان باستطاعة الحاسبات الالكترونية تنظيم هذه العملية بدقة متناهية اذا ما تم تلقينها المعلومات المطلوبة بدقة ايضا .

وعن طريق تنظيم جهاز وظيفى مختص يمكن عمل ارشيف كامل عن اعمال النواب منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن ويصبح فى متناول اى ناخب ان يعلم كل شيء عن اعمال النائب الذى انتخبه من قبل وبذلك يستطيع ان يحكم له أو عليه ، فيعيد انتخابه او ينتخب غيره .

ويقول الدكتور فرانكلين انه يمكن التغلب على كل المشكلات التى تقف عائقا امام تنفيذ فكرته .

ويبقى هذا السؤال :هل يوافق البرلمان البريطانى على تنفيذ هذه الفكرة ؟

فى الماضى اثبتت الاحداث أن البرلمان فى انجلترا كان دائما يعارض فى نشر ما يدور فى قلبه على الجمهور ، ولكن كلما قلت السرية فى الحكومة كان هذا لخير المحكومين .

ويتساءل البعض الآن .. لماذا لا تنفذ هذه الفكرة .. وتصبح الحاسبات الالكترونية رقيبا جديدا على تصرفات اعضاء البرلمان الانجليزى ؟

الدغدغة .. فى رأى علماء النفس !!

● يبدو ان الدغدغة اصبحت امرا يستحق البحث ويحمل فى طياته اشياء أخرى غير الضحك والانتعاش !!

لقد قام فريق من علماء النفس بجامعتي اكسفورد وشيفلد بنشر تقرير عن ابحاث اجروها لمعرفة السبب فى ان الشخص لا يضحك عندما يدغدغ نفسه ! وقد استخلصوا من بحثهم هذا ان الدغدغة ليست بالبساطة التى يتصورها الانسان .

وفى الماضى استرعى نظر العالم النفسانى الكبير تشارلز داروين Charles Darwin ، ان عملية دغدغة الانسان لنفسه لا تكون بنفس الفعالية فى اثارة الضحك مثلما يقوم انسان آخر بعملية الدغدغة لنفس الشخص . ولكن بحوث داروين اقتصرت فى هذا المجال على القيمة البيولوجية للضحك والدغدغة . .

اما ابحاث الفريق الجديد من علماء النفس والذى يتكون من الدكاترة ويسكرانتز Weiskrantz ، ودارلنجتون Darlington ، من جامعة اكسفورد واليوت Eliot من جامعة شفيلد فقد اجريت لتحليل العمليات التى تتم داخل الجسم عند تعرضه للدغدغة مسببة الضحك .

وقد استعان هؤلاء العلماء بفريق من ٣٠ متطوعا اجريت عليهم تجارب عديدة بواسطة آلة ميكانيكية تقوم بدغدغتهم بينما يقوم العلماء بتسجيل ردود الفعل فى كل واحد منهم . وقد اجريت على كل فرد من المتطوعين ٣ تجارب تختلف كل واحدة منها عن الاخرى ، فى التجربة الاولى يستسلم المتطوع لمن يجرى عليه التجربة تماما ولا يقوم بأى عمل . وفى التجربة الثانية يقوم الشخص الذى تجرى عليه التجربة بتحريك جهاز الدغدغة وتتم التجربة الثالثة بأن يقوم العالم النفسانى بتحريك جهاز الدغدغة بينما



تكون يد المتطوع على يد الجهاز التى تقوم بدغدغته .

وبتحليل نتائج التجارب الثلاثة اتضح ان عملية الدغدغة تكون ذات فعالية كبيرة فى اثارة الضحك عندما لا يكون للشخص الذى تجرى عليه التجربة اية علاقة بالدغدغة ، وتقل هذه الفعالية الى درجة كبيرة اذا قام الشخص نفسه بتحريك جهاز الدغدغة ، اما عندما يضع يده على يد الجهاز فان الفعالية تقل ولكن ليس بنفس الدرجة التى تصل اليها عندما يقوم هو فعلا بادارة الجهاز وتشغيله .

وقد استخلص العلماء المشتركون فى التجربة من هذه النتائج ان هناك عاملين رئيسيين يمنعان او يقللان من الضحك عندما يقوم الانسان بدغدغة نفسه .. اولهما أن حركة ذراع الشخص وهو يدغدغ نفسه تؤدى الى نوع من الشعور السلبى تجاه الدغدغة نتيجة هذه الحركة .. والعامل الثانى هو اشارة الامر التى تصدر من العقل عندما يقرر الشخص ان يبدأ عملية دغدغة نفسه .

ويقول الدكتور ويسكرانتز ان هذه النتائج قد لا تكون دقيقة تماما لاحتمال ان يكون بعض من اجريت عليهم التجارب قد قاموا بالغش ولو قليلا ، دون شعور منهم ، عند تحركهم اثناء اجراء التجارب عليهم وخاصة فى حالة وضع يدهم على يد الآلة اثناء دغدغتهم .

ويأمل العالم النفسانى البريطانى ان يتمكن هو وفريقه من اجراء تجارب اكثر دقة فى القريب لكشف كل اسرار عملية الدغدغة !!



طاقة من اندماج الذرات

● مصدر القوة الذرية الموجودة اليوم فى الدول النامية يتخذ صورتين (أ) صورة القنبلة الذرية كالقنبلة اليورنيومية ، وفيها تنشطر الذرة اليورنيومية التى وزنها الذرى (٢٣٥) فتعطى تلك الطاقة الهائلة المدمرة التى ظهرت آثارها اول ما ظهرت فى القنبلة التى اسقطها الامريكان على مدينة هورشيما فى الحرب العالمية الثانية ، فى اغسطس من عام ١٩٤٥ ، وهدمت ما هدمت من مباني المدينة ، وذهبت بما ذهبت من ارواح الضحايا .

فهذه هي الصورة التى بها انشطار الذرة لا ضابط له ، ولا يتحكم فيه احد .

ثم تلا ذلك (ب) الصورة الاخرى لانشطار الذرة التى فيها نتحكم فى سرعة الانشطار ، فيسير على هوادة ، وبغير انفجار ، وبالسرعة التى يعطينا فيها المقدار النافع من الطاقة من غير دمار .

فهذه هى الطاقة النافعة من انشطار الذرية ، ومنها تنتج الكهرباء مثلا .

اما الطريقة الاخرى ، فهي التى تكون من اندماج الذرة Atomic Fusion . نواة ذرة من الذرات الخفيفة ، مثل ذرة الادروجين او نظائره ، تندمج بأخت لها ، وينتج عن هذا الاندماج تفاعل كيماوى تكون حصيلته تجمعات اخرى من البروتونات والنيوترونات (والبروتون والنيوترون منهما تتألف نويات الذرات) ومعها خروج طاقة هائلة ، هي الطاقة التى خرجت عند اطلاق القنبلة الادروجينية وهي كانت اقوى من القنبلة الذرية ، قنبلة انشطار الذرة ، واقوى كثيرا .

بقي على العلماء ان يهدئوا من هذا التفاعل الاندماجى ، كما هدءوا من التفاعل الانشطارى لليورنيوم .

بعد الطاقة من انشطارها •••••



ان تحقيق هذا سيكون فتحا على الانسانية ليس كمثله فتح ، لأن الذرة التى سوف تستخدم للاندماج هي ذرة الادروجين الثقيل ، وهي التى تتألف نواتها من ذرة واحدة من البروتون ومعها ذرة من النيوترون . وهذا الادروجين موجود فى الماء الذى تشربه وفى ماء الارض جميعا ، وهو ليس من الصعب الحصول عليه كما هو صعب الحصول على اليورنيوم .

وقد عمل الباحثون سنوات لتهدئة التفاعل ، فماكادوا ان يصلوا .

والخبر الجديد اليوم هو ان العلماء فى منطقة لوس الاموس ، وهي المنطقة التى شهدت انتاج القنبلة الذرية فى الحرب العالمية الثانية ، أتموا بناء جهاز جديد وهو جهاز يعتمد على ما سبق ان اعتمد عليه العلماء ، وذلك لحصر الذرة المراد ادماجها ، وهي متاينة ، اى متفككة المحتوى ، فى شبه زجاجة ، وحصرها فى اوسط الزجاجة فهى لا تمس جدرانها . والذى يحبسها تطبق هذا الحيز الذى نسميه بالزجاجة بنطاق مفناطيسى شديد ، تهرب منه الذرات الى أوسط الزجاجة .

واذ نطلق قوة المجال المفناطيسي عليها تندمج فى اصغر حيز وبذلك ترتفع درجة حرارتها ، حتى اذا بلغت الدرجة العالية المنشودة حصل الاندماج .

والدرجة المنشودة هي بضع عشرات من الملايين من الدرجات لبعض الذرات ، وهي بضع مئات من الملايين لذرات اخرى .

والطريقة الجديدة فى هذا الجهاز الجديد المسمى Scyllac هي تسليط قوة المجال المفناطيسي على الذرات المتاينة (ويسميها العلماء السيرم Serum ، وهو المصل ، كسيرم الدم ، وهو لفظ اغريقى معناه كل ما سال من شيء ، كمصل الدم الابيض وشرش الجبن) بعنف ، ولكن على دفعات ، وبذلك قد يتحقق البلوغ بالمصل تلك الدرجات العالية .

وهو اذا بلغها ، واندمجت الذرة بالذرة عندها ، اخرجت من الطاقة فوق ما اخذت ، واذن هي تسير نفسها بنفسها ، وتكون كذرة اليورانيوم عندما تنشق .

بدأ العلماء فى تشغيل هذا الجهاز ، ولم يذهبوا بعيدا .

وهم يقدرون ، اذا هم نجحوا ، ان لا يصلوا الى استخدام هذه الطاقة الجديدة الهائلة تجاريا ، الا فى عام ١٩٩٠ فما بعده . ••

ابن زيدون

بقلم : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

■ ولد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي فى « قرطبة » سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م ، فى بيت من بيوت أعيانها وفقهائها ، فأبوه فقيه من سلالة بنى مخزوم القرشيين ، التي كان لها شرف فى الجاهلية ووصلته فى الاسلام ، وجده لأمه ، صاحب الأحكام الوزير أبو بكر محمد ، فهو من بيت حسب ونسب ، ولقد احتلت أسرتا الشاعر لأبيه وأمه فى المجتمع الأندلسى مركزا جليلا وخطيرا ، فوالده كان ذا جاه عريض ، ومال وضياع ، وله المشورة المحترمة فى « قرطبة » ، وجده لأمة تولى القضاء بمدينة «سالم»، ثم أحكام الشرطة والسوق فى « قرطبة » .

نشأته

نشأ ابن زيدون فى مدينة « الرصافة » التي بناها عبدالرحمن بن معاوية « الداخل » ، وسماها بهذا الاسم تشبيها لها برصافة جده هشام فى « دمشق » ، وعندما توسم فيه والده المقدرة على الانتفاع اهتم به ، وأحضر له الأساتذة والعلماء والفقهاء ، ليلقنن مبادىء الشعر واللغة ، وقراءة القرآن وكتابة الحساب وتعلم النحو والصرف ، وذلك على الطريقة المتبعة فى ذلك الوقت .

غير أن الموت قصف حياة هذا الوالد ، وولده بعد صغير لم يتعد الحادية عشرة من عمره ، فكفله جده وتـولى تربيته ، فتتلمذ على أيدى كبار الأساتذة والعلماء ، وأخذ يغترف من بحور العلم ، شأنه فى ذلك شأن كل راغب من أبناء « قرطبة » مال الى التعلم ، واشتاقت نفسه اليه . ولم يرد ابن زيدون أن يفوته ما يلقى فى جامعة « قرطبة » الكبيرة من الدروس وضروب التعليم ، فأمها وغذى عقله وروحه كغيره من شباب عصره بألوان المعارف والثقافة ، والعلوم والآداب .

لقد كان نبتة صالحة ، غذاها العلم فأنتجت شهي الثمر ، نظم الشـعر وهو فى العشرين من عمره . وقد كان لموت القاضى الفقيه ابن ذكوان أثر كبير فى حياة ابن زيدون ، فاقد رثاه بمرثية بليغة على قبره ، فذاع صيته وطارت شهرته فى « قرطبة » كلها .

صاحبُ ولّادة ابنةِ الخليفة المُستكفي. غنَّى بحبّها، وحُبّ قرطبة. وبأفراح حياته وأحزانها شعرًا خالدًا لا يفنى.

ابن زيدون وحبه لولادة

اتصلت حياة ابن زيدون بحياة ولادة بعرى لا تنفصم ، وبرباط قوى لا ينقطع ، وابتدات معرفته لها وسنه لا تتجاوز الثلاثين .

اما ولادة فهي تنتسب الى اعرق بيت مالك ، فهي زهرة من زهرات البيت الأموى ، وتنتمي الى عبد الرحمن الناصر اشهر خليفة تولى حكم « الاندلس » من بنى أمية ، وأبوها الخليفة المستكفي بالله . ويجمع المؤرخون على وصف أبيها بالتخلف والضعة والانغماس في الملذات . وفي بيت هذا الخليفة نشأت ولادة ، واغلب الظن انها ابنة سكرى المورورية ، الجارية التى استبدت بالمستكفي . ويظهر ان أبا ولادة اعتنى بها فأحضر لها المعلمين والمثقفين ، فتفتحت مواهبها كما تتفتح الزهرة . وعندما مات أبوها خلا لها الجو ، فاصبح بيتها قبلة للادباء والشعراء . وكان ابن زيدون من جملة الشعراء الذين يقصدون منتداها الأدبى ، وفي هذا المنتدى توطدت بينهما أواصر الصداقة ، ووقع في شراك حبها .

كانت بيضاء البشرة ذات شعر اشقر وجمال فتان ، بارزة الصدر ، دقيقة الخصر ، ممشوقة القوام ، طويلة العنق ، ذات خال أسود في خدها ، وقد لهج ابن زيدون بوصف جمالها .

مفضّض الثّغر له نقطةٌ
من عنبرٍ في خدّه المذهّب

وكانت تجمع الى جانب جمالها الفتان وثقافتها الواسعة ، ذكاءً وقادا ، وروحا فنية موهوبة ، وسرعة بديهة ، مع ما امتازت به من الرقة والعذوبة في الحديث ، بحيث تملك سامعها عندما تتحدث اليه ، « وكانت من الأدب والظرف وتنعيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب » .

لقد أحب ابن زيدون ولادة حبا ملك عليه كل حواسه ، وسيطر على جميع مشاعره ، وشغله عن كل شيء ، وأنساه كل فجيعة ، فكان لا ينساها حتى في أوقات الخطوب والمحن ، وقد فجر هذا الحب في نفسه ينابيع من الشعور الفياض انسابت فيه قصائده الغرامية ، فجاءت من أروع ما صيغ في الحب من بسمات ومن دموع ، ولكننا لا نستطيع

وكان يتمتع الى جانب مواهبه الادبية بأكبر نصيب من الثقة بنفسه ، والاعتداد بمكانته وأدبه ، والاعتزاز بمواهبه وعبقريته ، في ترفع وإباء ، حتى لكأنما يجرى في عروقه دم الملوك ، على انه كان الى جانب ذلك سليم العقيدة صافي النفس .

وقد رافقت الفتنة ابن زيدون من سن الخامسة حتى سن الثالثة والثلاثين ، غير أن تلك الفتن والاحداث التي وقعت لم تكن لتلهيه عن طلب العلم ، والتدرب على شئون السياسة في نفس الوقت ، وقد اجمع الدارسون لحياته وما مر بها ، ولشعره على انه قد اشترك اشتراكا فعليا في الفتنة التي وقعت في « قرطبة » بل لقد كان من زعمائها ، غير ان اخباره في تلك الفترة يسودها الغموض ، وهذا ما يجعلنا لا نتعرض لها بالرغم من تأثيرها العميق على حياته كلها .

بيد انني استطيع أن أجزم بأن ابن زيدون كان يشايع ابن جهور ، ويؤيده في سياسته ، وانه كان الى جانب كفايته ومواهبه من ابرز انصاره ومؤيديه ، الأمر الذى جعل ابن جهور يستوزره ، ويعتمد عليه كل الاعتماد في ادارة شئون المملكة ، ويستعين برأيه وأدبه في صلته بالملوك ومراسلتهم والسفارة اليهم ، وكان توليه الوزارة سنة ٤٢٢ هـ ، وسنه لا تتجاوز الثمانية والعشرين عاما .

ان نحدد متى كان اللقاء الاول الذى تطارحا فيه الغرام ، واظهر كل منهما ما فى قلبه للآخر ، وان كنت ارجح ان اللقاء الاول الذى تقابلا فيه منفردين بعيدا عن مجلسها الأدبى هو ما جاء فى كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، فهو يصف لنا هذا اللقاء على لسان ابن زيدون فيقول : « قال ابو الوليد كنت فى ايام الشباب وغمرة التصابى، هائما بغادة تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء وساعد القضاء ، كتبت الي :

ترقبْ إذا جنّ الظـلام زيارتـي
فإني رأيت الليل أكـتم للسـر
وبي منك مالو كان بالبدر ما بـدا
وبالشمس لم تطلع وبالليل لم يسر

وذهب فى الموعد المضروب ، وباح كل منهما للآخر بحبه ، وشكا كل منهما ما بقلبه ، « فلما انفصلنا صباحا انشدتها ارتياحا :

ودّع الصبرَ محبٌّ ودّعـك
ذائع من سره ما استودعـك
يقرع السن على أن لم يكـن
زاد في تلك الخطا إذ شيعـك
يا أخا البدر سناء وسنـا
حفظ الله زمانـا أطلعـك
إن يطُل بعدك ليلى فلكـم
بتُّ أشكو قصر الليل معـك

ومرت الأيام وهما يعيشان فى اهنأ سعادة واجمل عمر ، يتساقيان كؤوس الهوى ، ويعبان من شذى النعيم ، تغمرهما ظلال الحب ودفؤه .

على ان هذه الأيام لم تدم طويلا ـ وهذه هي سنة الحياة ـ ، فحدثت بينهما جفوة ، وانقطعا عن التلاقي ، فكتبت ولادة اليه :

ألا هل لنا من بعد هـذا التفـرق
سبيل فيشكو كل صب بما لقِي ؟
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا
أبيت على جمر من الشوق مُحرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعـة
لقد عجل المقدور ما كنت أتقـى
تمر الليالى لا أرى البين ينقضـى
ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا
بكل سكوب هاطل الوبل مُغدق

فرد عليها بقوله :

لحـا الله يوما لست فيـه بملتـق
محياك من اجل النـوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة ؟
وأى سرور للـكئيب المـؤرَّق ؟

ولم تطل مدة الجفاء بينهما ، بل رجعا الى ما كانا عليه ، وعادا الى سابق عهدهما ، بيد ان الجفاء سرعان ما رجع ثانية بينهما ، فقد حدث فى احدى الامسيات ، وابن زيدون جالس مع ولادة ، وجاريتها عتبة تغني لهما ، ان طلب ابن زيدون من الجارية ان تعيد له صوتا غنته بدون امر ولادة ، فظنته يغازل جاريتها ، فخبت الابتسامة من فـوق شفتيها ، وظهر عارض التجهم ، وغضبت غضبا شديدا ، وضربت جاريتها عتبة وكتبت اليه رسالة تقول فيها :

لو كنت تنصف في المـودة بيننـا
لم تهـو جاريـتي ولم تتخـير
وتركت غصنا مثمرا بجمالـه
وجنحت للغصـن الذى لم يثمـر
ولقـد علمتَ بأنني بدرُ السـما
لكن ولِعتَ لشِقوتـي بالمُشتِرى

اذن فالمودة بينهما لم تكن صافية ، بل كان الجفاء يشوبها حتى فى ايام اللقاء ، وانصرفت ولادة

عن ابن زيدون انصرافا كليا ، ولم تجد معها الوسائل والطرق التي خاضها ابن زيدون ليعود لسابق عهدهما ، ولم تشفع له رسائله الرقيقة او العنيفة على السواء ، واغلب الظن ان غيرتها لم تكن السبب المباشر في جفاء ولادة ، بل هناك سبب آخر قد يكون له أكبر الأثر في هذا الجفاء ، هو انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة وما ترك من اثر سيىء في ولادة وهي بنت خليفة اموى .

لقد حدثت القطيعة بين الاثنين ، وسمحت ولادة لمحب جديد بالدخول في حياتها ، ولم يكن هذا المحب الجديد شاعرا مرهفا ، وانما كان الوزير الخطير ابا عامر بن عبدوس ، ونشأت العداوة بينه وبين ابن زيدون ، وازدادت عنفا ، وكانت حافزا لابن زيدون على انشاء رسالته الهزلية المشهورة ، التي تعتبر اكبر مغنم ظفر به الادب العربي من هذه المنافسة ، كما كانت حافزة له على انشاء بعض القصائد التي يهدد فيها ابن عبدوس ويتوعده ويسخر منه .

أثرت هِزبر الشَّرى إذ ربض
ونبهته إذ هدا فاغتمض
حذارِ حذار فإن الكريـ
ـم إذا سيم خسفا أبى فامتعض
وإن سكون الشجاع النهو
س ليس بمانعه أن يعض
وإني ألين لمن لان لي
وأترك من رام قسري حرض (١)
وكم حرك العجب من حائن (٢)
تغادرته ما به من حبض (٣)

ولقد دفعه حرصه على الاستئثار بولادة ان يتهمها في وفائها وفي خلقها ، حتى لا يشاركه في اعجابه بها احد ، ولا ينال حبها سواه ، فهو يفضل مزاحمه ، ويظهر تبرمه بها واعراضه عنها ، ويود أن يصل اليها هذا التبرم والاعراض ، فتهزها دوافع الغيرة وترجعها اليه ، ويكتب لها كثيرا من القصائد ذاكرا حبه ، متشوقا لايامه السعيدة التي قضاها معها ، ولكنها تصم اذنيها ، وتغلق قلبها ، فقد صممت على عدم الرجوع اليه ، فليكتب رسالات ، ولينظم شعرا ، فان كل هذا لن يؤدى الى نتيجة معها .

ولكن ابن زيدون لا يستطيع أن ينساها ، فانها وان اصغت لكلام الحساد والوشاة وهجرته ، وتركت قلبه يئن ، فانه سيذكرها دائما وسيحفظ عهد حبه طالما كان له في الحياة عمر .

لئن قصر اليأس منك الأمل
وحال تجنّيك دون الحِيَل
وناجاك بالإفك فيّ الحسو
دُ فأعطيتِه جهرة ما سأل
وراقك سحر العدا المفترَى
وغرك زورهم المفتعل
وأقبلتهم فيّ وجه القبول
وقابلهم بِشرُكِ المقتبل
فإن ذمام الهوى لن أزا
ل أبقيه حفظا كما لم أزل

ثم يخبرها بانها اذا استمرت في دلالها عليه فسيضطر لوداعها الى غير رجعة ، وهذا الموقف الذى سيتخذه سيكون مكرها عليه ، لانها هي التي اصرت على ذلك ، واذا كانت قد سلته فسيحاكيها في سلوانها ، ويقلدها في انصرافها عنه .

عليك السلام سلام الوداع
وداعُ هوىً مات قبل الأجلْ
وما باختيار تسلَّيتُ عنـ
ـك ولكنني مُكرَه لا بطل
ولم يدر قلبي كيف النزو
ع إلى أن رأى سيرة فامتثل

---

(١) لا يقوى على القيام .　(٢) من قرب حينه .　(٣) بقية حياة .

وهو الى جانب هذا لن يبوح بما بينهما من اسرار ، وسيحتمل فى سبيلها مالا يحتمل ، وسيظل على عهده مهما اشتطت ولادة واستبدت .

بيني وبينك مالو شئت لم يَضِع
سرٌّ إذا ذاعت الأسرار لم يذع
ياباَئعا حظَّه مني ولو بُذلت
لى الحياة بحاسي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما
لا تستطيع قلوب الناس يستطع
تِهْ أحتملْ واستطلْ أصبرْ وعزَّ أهُنْ
ولّ أقبلْ وقلْ أسمعْ ومرْ أطع

سجن ابن زيدون

كان المجتمع الاندلسي فى عهد ملوك الطوائف يموج بشتى الوان الدسائس ، ويضطرب بمختلف انواع فنون المكائد ، من اثر الانقلاب السياسي واضطراب نظم الحكم ، فالجاسوسية تنتشر فى كل مكان ، وتتناول جميع الامور ، حتى الامور الشخصية والاحوال الفردية ، ومن ذلك ما ذكر بعض المؤرخين انه كانت فى « قرطبة » جارية تحب فتى من القرشيين ، وكانت تكتم حبها خشية ان ينتشر خبره ، وهذا الامر على تفاهته وصل الى الوزير ابن زيدون ، فلم يحتفل به لان الكل متغلغل فى هذا الطريق ، وكانت الجارية تقرض الشعر ، فجاشت نفسها بهذا البيت وامتنع عليها ما تريد

يامعطشي عن وصال كنت وارده
هل منك لى غلة إنْ صحتُ واعطشي

فذهبت الى ابن زيدون ، وطلبت منه ان يزيد على هذا البيت شيئا ، وهي تعتقد انه لا يعلم بأمرها ولا بما هي عليه من حب الفتى القرشي ، فامسك بالقلم منتهزا فرصة الروىّ وكتب :

كسوتني من ثياب السُّقم أسبغها
ظلماوصيرتمن لُحفالضنى فُرُشي
جفني إذا التذت الأجفان طيب كرى
جفا المنام وصاح الليل ياقرشي

لقد خلق حب ابن زيدون لولادة ومكانته لديها اعداء له وحسادا ، كما كانت مكانته عند ابن جهور ، ومنزلته لدى الملوك فى سفاراته ، ومركزه العام الذى كان يطغى على مركز كل وزير ، كل هذا كان داعية للحسد وتدبير المؤامرات ضده . انه لم يصل الى ما هو فيه من مجد ورفعة الا بثقة ابن جهور فيه ، فليعمل حساده واعداؤه على زعزعة هذه الثقة ، ولكن كيف يصلون الى هذا ؟ ، وباى اسلوب ؟ .

ان ابن جهور احس بمكانة ابن زيدون عند الملوك الذين كان يذهب اليهم فى سفاراته ، فهم يحتفون به كل الاحتفاء ، ويحسدون ابن جهور على الاختصاص به ويودون لو طال وجوده بينهم ومدّ في سفاراته أياما أخرى ، والواقع ان هؤلاء الملوك على ما كان بينهم من مظاهر المودة والمجاملة والمراسلة والسفارات ، كان بعضهم دائما فى حالة توجس من بعض ، فقد علمتهم الفتن والاضطراب الا يطمئنوا او يحسنوا الظن باحد ، فهم على حذر دائم ويقظة مستمرة ، وابن جهور لم يكن لتفوته ملاحظة اهتمام ملوك الطوائف بابن زيدون، ولكن كان يصرفه عن الاهتمام بذلك الثقة المطلقة بولاء ابن زيدون ، وما كان يسمعه منه من قصائد فى الاعتراف بنعمته والاخلاص فى مودته ، بيد ان الوشاة والحاقدين عليه حينما عملوا عملهم واحكموا تدبيرهم ، اصبحت ملاحظات ابن جهور على ابن زيدون بمثابة الشواهد والادلة ، خصوصا ان اعداء ابن زيدون ابلغوا ابن جهور انه يعمل على اعادة ملك الامويين متخذين من قصة حبه لولادة الاموية دليلا يضاف الى الشواهد والادلة الاخرى .

واخيرا لفقوا له تهمة اغتصاب عقار ، وسيق من اجل هذه التهمة الى المحاكمة ، وحكم عليه القاضي ابن المكوى بالسجن .

واغلب الظن ان الامير ابن جهور كان من الموحين بهذا الاتهام – تهمة اغتصاب العقار – ووجد فيه الفرصة المناسبة للتخلص من ابن زيدون ، فعزل ابن ذكوان من ولاية القضاء ، وهو صديق ابن زيدون ، وولى مكانه ابن المكوى في محرم سنة ٤٣٢هـ ، الذى حكم على ابن زيدون بالسجن على الفور لموجدة قديمة بين الاثنين .

ويقضى الشاعر ما ينوف عن خمسمائة يوم سجينا حائرا ، ويستعطف ابن جهور ويناشده العفو ، ولكن كل هذا يذهب دون فائدة .

لقد اثار السجن في نفسيته عاصفة فنية ، أثارتها آلامه ، فاخذ يئن انينا جميلا ، ويفتن في هذه الآلام ، فتارة يصفها ويعبر عنها بالشعر ، وتارة بالنثر ، وكانت نفسه من النفوس المرهفة الاحساس ، الدقيقة الادراك ، فهى تتأثر بكل شيء وينطبع فيها ما حولها من المباهج والاحزان ، غير ان خواطره في العزة والشمم والفخر كانت تختلط بدموعه ، فتجعل مدحه لابن جهور أو عتابه مدحا لنفسه هو واعتزازا بكبريائه .

ولكن اليأس كان يستبد به احيانا ، خصوصا بعدما طالت عليه مدة السجن ، فيستسلم للقضاء ويوحى لنفسه بان هذه هي سنة الحياة ، ويقلب امامها صفحات الايام فلا يفزع من الاحداث التى لحقت به ، ولا يرى فيها موضع غرابة او استنكار فيصبح الزئير الصارخ انفاسا هادئة ، يشيع فيها الاطمئنان والرضا .

وهكذا يتماوج بين اليأس والرجاء ، والغضب والصبر ، وكانه في عراك دائم بينه وبين نفسه ، ويرى ذلك واضحا في القصيدة الشهيرة الفياضة بالالم واللوعة والحزن ، والتى بعث بها الى صديقه الوزير الكاتب ابي حفص بن برد ، والتى جاء ذكرها في قلائد العقيان ومطلعها :

ما على ظنّيَ بَــــاسُ
يجرح الدهــر وياســو
ولقد ينجيــك اغفــا
ل ويرديك احـتراس
والمحاذيــر سهـام
والمقاديــر قيـاس
وكذا الدهــر إذا ما
عز ناس ذل نـاس
نلبس الدنيـا ولكـن
متعـة ذاك اللبـاس

وتعاوده الحيرة ويخالطه الحزن فيقول :

أنا حيران وللامـــ
ـر وضـوح والتبـاس
ما ترى في معشر حـا
لوا عن العهـد وخاسـوا
أذؤب هامـت بلحمـي
فانتهـاش وانتهـاس

ثم يعاوده الرضا والامل :

إن قسا الدهـر فللمـا
ء من الصخر انبجـاس
ولئن أمسيـت محبـو
سا فللغيـث احتبـاس

ثم تعتاده الحسرة من ذل كبريائه وهو الذى كان يرى في نفسه معنى قدسيا يسكن الدم واللحم ، ويسمو بها على هذا الافق المظلم المحدود .

فتأمل كيف يغشـى
مقلـة المجـد النعـاس

ويُفَتّ المسك في الستر
ب فيوطا ويداس

ولكن الامل يتغلب عليه في النهاية ، فيحاول ان يسلي صديقه :

وأدر ذكرىَ كاسا
ما امتطت كفك كاس
واغتنم صفو الليالي
إنما العيش اختلاس
وعسى أن يسمح الدهـ
ـر فقد طال الشمّاس

والواقع ان ظلام السجن والمعاملة التي لقيها فيه قد كسرت من حدته وروضت نفسه على الانكسار ، وان" الهمه" ذلك الحكمة في شعره .

ومن سجنه ـ ايضا ـ ارسل الى ابن جهور رسالته الجدية ، يستعطفه فيها ، وارسل معها قصيدة يمدحه فيها ، وذكر في القصيدة انه مكث في السجن خمسمائة يوم .

أَقَصبْر مئينَ خمسا من الأيا
م ناهيك من عذاب أليم

فرار ابن زيدون من السجن

لم يلق ابن زيدون من ابن جهور رغم استعطافه له الا الجفاء ، فلم يعف عنه رغم توسلاته التي ذهبت عبثا ، ويعز عليه ان تطوى حياته بين جدران السجن ، يعاني من ظلامه ظلام الحس والنفس ، فيتحايل على ان يفر ويهرب من هذا الجحيم الذى حكم عليه ان يعيش فيه ، ويفر من السجن في غضون سنة ٤٣٣ هـ ، بعد ان اخفقت وسائله وتوسلاته، وليس بمستبعد في ان يكون ابو الوليد، ابن جهور قد ساعده على الهرب كما يزعم بعض المؤرخين ، فقد كان صديقه ، وكان يزوره في السجن ، ويذهب ابن زيدون الى « اشبيلية » ، ويجد هناك صدرا رحبا ، فقد أدناه المعتضد منه، وقربه اليه ، وغمره بعطفه ، بيد ان نفس ابن زيدون كانت متعلقة بموطن هواه ومسرح صباه ، فظلت نفسه تجذبه الى « قرطبة » ، فكتب الى ولادة قصيدته النونية الخالدة :

أضحي التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

ولم يطق ابن زيدون البقاء بعيدا عن « قرطبة » فعاد اليها ، وظل هائما على وجهه في نواحيها وهو يضطرب ويضيق بين الحيطة والحذر ، وقد تنكر له كل شيء ، فهو يشكو الغربة وما هو بغريب ، ويندب الاصدقاء الذين تخلوا عنه وما هم ببعيد ، ومع كل هذا لا ينسى ولادة ، بل يتضاعف حنينه اليها وحبه لها ، ولا يفتا يذكرها في كل قصائده باللوعة والحسرة ، ويظهر ان ابن عبدوس قد انتهز فرصة المحنة التي لحقت بابن زيدون ، ـ والتي كان له فيها نصيب ـ ، فشتغل بولادة وشغلت هي به ، وهذا امر ما كان يعاني منه ابن زيدون في محنته ، ثم استقر به المقام مختفيا في ضاحية « الزهراء » ، ولم يكن احد يعرف مكانه الا اخلص الناس اليه من اصدقائه ، وهم قليلون بعد محنته، فيراسلهم ويستشفع بهم لدى ابن جهور ، ومن « الزهراء » ارسل الى ولادة قصيدته العاطفية التي يتشوق فيها الى لقائها ، ويصف لها فرط قلقه ، ويعاتبها على اغفال عهده :

إني ذكرتُكِ بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله
كأنه رقّ لى فاعتل إشفاقا

العفو

ولم يزل ابن زيدون بابي الوليد يستشفع به الى ابيه ابن جهور حتى شفع له وعفا عنه ، وظهر ابن زيدون بعد اختفائه ، وتوثقت المودة بين ابن زيدون وابي الوليد ، فيمدحه ويمدح اباه ، ثم لم يلبث ابن جهور أن توفى فى سنة ٤٣٥ هـ ، ويتقلد ابنه زمام الامور ، فيتألق نجم ابن زيدون ويرتفع، ويقربه ابو الوليد منه ويعينه للنظر على اهل الذمة.

أزمة أخرى

وفى عام ٤٤٠ هـ نكب بنو ذكوان ، وهي الاسرة التي ينتسب اليها استاذ ابن زيدون القاضي ابو بكر ابن ذكوان ، اثر محاولة بعضهم الوثوب على السلطان فى « قرطبة » ، وحاطت الشبه بابن زيدون ، فارسل الى ابي الوليد قصيدة يظهر من خلالها قلق الشاعر ، وعدم اطمئنانه لمستقبله ، وينفي فيها عن نفسه الاشتراك ولو من بعيد فيما فعله بنو ذكوان .

ويرسله ابو الوليد سفيرا الى « مالقة » ، فيطيل الثواء هناك ويتقرب من اميرها ، فيعتب عليه ابو الوليد هذا التصرف ، ويعزله عن السفارة بينه وبين أمراء « الاندلس » ، ويتهدده ان رجع الى « قرطبة » بعد ان أوغر خصومه صدر ابي الوليد ضده ، فيقصد ابن زيدون « بلنسية » ويستقبله اميرها استقبالا حسنا ، غير انه لا يقيم بها طويلا ، فيتجه الى « بطليوس » فى الغرب بعد مدة قضاها فى « طرطوش » ، ويلقى من اميرها كل احتفاء ، وفى هذه المدينة ينظم قصيدة تصور صبابته وشوقه ، وحبه وهيامه ، فالتنقل والرحيل لم ينسياه او يشغلاه عن هواه ، فهو فى حنين دائم وتلهف مستمر .

يادمعُ صُبَّ ما شئت أن تصوبا
ويا فؤادى آن أن تذوبا
إذ الرزايا أصبحتْ ضُروبا
لم أر لى في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوقُ الحشا ندوبا
في الغرب إذ رحتُ به غريبا
عليل دهر سامَنى تعذيبا
أدنى الضنا إذْ أبعدَ الطبيبا

فى اشبيلية

واخيرا استقر به المقام فى « اشبيلية » ، بعد ان تأكد برسائل ارسلها الى خواص المعتضد والمعتضد نفسه من انه سينزل على الرحب والسعة ، وقد احتفى به المعتضد احتفاء رائعا ، وولاه الوزارة ولقبه بذى الوزارتين ، وقد بقي ابن زيدون وزيرا للمعتضد حتى توفى سنة ٤٦١ هـ ، وتولى مكانه ابنه المعتمد .

وكان المعتمد شاعرا محبا للادباء ، لا يستوزر وزيرا الا ان يكون اديبا شاعرا ، ولقد وثق بابن زيدون ثقة مطلقة تقديرا لادبه وشعره ، بيد ان حساده وعلى راسهم ابن عمار حاولوا الايقاع به لدى المعتمد ، وسعوا فى النكاية به ، ولكن المعتمد لم يستمع للوشاة ، ولم يصدق ما قيل فى ابن زيدون ، وكان لهذا الصنيع اثره فى نفس شاعرنا فمدحه بقصيدة عرض فيها بحساده ووصفهم بالبغاة :

قل للبغاة المنبضين قِسيَّهم
ستَرون من تُصميه(١) تلك الأسهمُ
ما كان حلم (محمد) ليحيله
عن عهده دَغِل (٢) الضمير مذمَّم

(١) تصيبه اصابة قاتلة . (٢) فاسد حاقد .

وتمضي الايام بابن زيدون مفعمة بالمسرة ، والهناء ، ولا يعكر صفوها الا اطياف حب قديم دائم في القلب ، ولم تنسه حظوته العظيمة عند المعتمد « قرطبة » او تقلل من شوقه اليها .

الرجوع الى قرطبة

وفي عام ٤٦٢ هـ هاجم ملك « طليطلة » المأمون ابن ذي النون « قرطبة » ، يريد احتلالها ، فاستنجد ابو الوليد بن جهور بالمعتمد ، فبعث اليه جيشا يقوده احد ابنائه ، فانسحب جيش المأمون بينما نزل جيش المعتمد في ضاحية المدينة، واخذ يتصل باهالي « قرطبة » محرضا اياهم على الثورة حتى ثاروا على ابي الوليد ، فانتهز الجيش الاشبيلي الفرصة واستولى على « قرطبة»، ونودي بالمعتمد ملكا عليها .

واغلب الظن ان ابن زيدون كان يغري المعتمد بالاستيلاء على « قرطبة » ، لان حنينه كان يلح عليه فهي موطنه ومنبت طفولته ومصدر هواه الذي خرج منه كاسف البال حزين النفس مشردا ، فهو يود أن يرجع اليها عزيز الجانب مرهوب السلطان ، ويضاف الى هذا ما كان يصل اليه من انباء تؤلمه في نفسه وفي قرابته ،على يد ابي الوليد بن بن جهور، على الرغم مما كان بينه وبينهم من صلات ، فمن الطبيعي أن يعمل على الانتقام منهم .

وهكذا يرجع ابن زيدون الى « قرطبة » سعيد النفس قرير العين برؤية وطنه واهله ، وتقبل الدنيا عليه ويرتفع حظه ، ويبلغ من الحظوة عند المعتمد ما يجعل وزيريه ابن مرتين وابن عمار يسعيان في ابعاده والكيد له ، وتساعدهما الظروف ، فتحدث فتنة في نهاية عام ٤٦٢ هـ في « اشبيلية » ، ويبعث المعتمد من « قرطبة » جيشا جرارا للقضاء على تلك الفتنة في مهدها بقيادة ولده الحاجب سراج الدولة ، ويسول ابن عمار وابن مرتين للمعتمد ارسال ابن زيدون مع الجيش ، املا في ان تنجح مهمة سراج الدولة بدون اراقة دماء لما لابن زيدون من محبة في قلوب اهل « اشبيلية » ، غير ان الواقع لم يكن قصد الوزيرين سوى ابعاد ابن زيدون عن « قرطبة » ليصفو الجو لهما ، وينفردا بالمعتمد خصوصا بعد ان غطت عليهما شعبية ابن زيدون الكبيرة التي كان يتمتع بها في « قرطبة » .

النهاية

كان ابن زيدون مريضا ، وعلى الرغم من مرضه غادر « قرطبة » بصحبة سراج الدولة وجيشه قاصدين « اشبيلية » ، وترك خلفا له في الوزارة ابنه ابا بكر ، ولكن المتآمرين ظلا يلحان على المعتمد حتى ارسل الابن وراء ابيه ، وكأنما اراد القدر ان يشهد الابن موت ابيه ، ويعتني بتشييعه ودفنه في « اشبيلية » .

والواقع أن هذه الرحلة كانت سببا في وفاة ابن زيدون ، اذ كانت حالته الصحية تسوء يوما بعد يوم ، فمات بعيدا عن المدينة التي عشقها واحبها في ١٥ من رجب سنة ٤٦٣ هـ ، وكان لنبأ موته في « قرطبة » رنة أسى ، وحزن أهلها عليه حزنا شديدا .

★ ★ ★

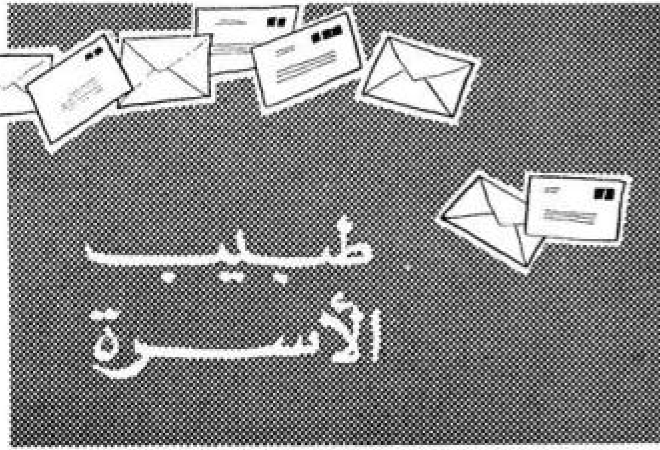
وهكذا تنطوي حياة شاعر ملأ الافاق شدوا ، وهز المسامع لحنا ، واطرب العواطف غزلا وحبا ، وروع القلوب اسى ودمعا .

تنطوي حياة مجاهد روعته الايام ، وطاردته الخطوب ، وتقاذفته البلاد والممالك ، فلا يستقر به المقام في مكان واحد .

تنطوي حياة في عالم الفناء ، لتبدأ حياة خالدة، حياة ادب فذ رفيع ، وفن رائع خالد على مر العصور والايام .

■■

محمد رجاء حنفي عبد المتجلي





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

القشـــور على البشـــرة .. تصاحب الجلد الجاف

● اعانى من قشور فى جميع انحاء جسمى، وقد قيل لى انه طفح جلدى، وهو غير مؤلم ، ولكنه يشوه الجسم ، فما هو هذا المرض وطريقة علاجه ؟

ــ يكون الجسم عادة قشورا خفيفة ودقيقة ، ولكن اذا حدث اضطراب فى البشرة نتيجة بعض الامراض تزداد هذه القشور زيادة ملحوظة ، وقد تكون القشور جافة او دهنية مختلفة فى الشكل والحجم واللون تبعا للمرض ، فقد تكون بيضاء او صفراء او فضية او بنية .

ومن الملاحظ دائما ان القشور تصاحب الجلد الجاف ، وجفاف الجلد قد يكون وراثيا مثل مرض Ichthyosis حيث يكون الجفاف شديدا والقشور كثيرة ، وقد يكون الجفاف مكتسبا نتيجة الضعف العام وسوء تغذية الجلد او ضعف نشاط الغدد الدهنية والعرقية نتيجة اضطراب الهرمونات، او استعمال عقاقير الخارصين والذهب او اضطراب تمثيل الماء والبروتين فى الجسم او جفاف الجلد فى الاشخاص المسنين . وتختلف درجة الجفاف والقشور تبعا للمرض المسبب وشدته ففى الضعف العام والهزال نتيجة امراض مزمنة او سوء التغذية تكون القشور سطحية ودقيقة مثل الردة . وعادة تخف حدة الجفاف والقشور تلقائيا فى الصيف حيث الحرارة والرطوبة ، وتزداد فى الشتاء .

وهناك الكثيرات من النساء تشتكين من هذه القشور التى قد تصحبها بعض الحكة خاصة فى المساء ، او بعد الحمام ، وذلك نتيجة شدة سخونة المياه ، وطول فترة الاستحمام مع كثرة استعمال الصابون والاصباغ والعطور بشكل ملحوظ مما يؤدى الى جفاف الجلد وظهور القشور ، كما ان استعمال مساحيق الصابون والمذيبات الكيماوية يؤدى كذلك للجفاف .

العلاج : المهم هو علاج السبب الرئيسى ، ويلاحظ ان اعطاء فيتامين أ بكميات كافية ، وكذلك فيتامين ب المركب ، كما ان اعطاء خلاصة الغدة الدرقية بنسبة ضئيلة تؤدى الى تحسن ملحوظ . هذا ويجب الاقلال من استعمال الصابون فى الغسيل والحمام .

كذلك استعمال حمامات محلول ملح ٣٪ والجلوس فيها لمدة ربع الى نصف ساعة يوميا ، وكذا المراهم المحتوية على الملح بنسبة ١٠٪ تفيد كثيرا لازالة الجفاف والقشور .

ومن الضرورى دهن وتدليك الجلد يوميا بالمراهم الملينة المحتوية على اللانولين والزيوت وكذلك الكريمات المرطبة Cold cream ومن المراهم المعروفة طبيا Lubriderm Cream وكذلك Mandle Cream وغيرها كثير من مستحضرات التجميل .

الفطر مرض معد سريع العدوى

● هناك احمرار في فخذى يتسع تدريجيا وكلما عالجته عاودني ثانية ثم اصيب ولدى بنفس المرض ، واخبرني البعض انه فطر ، فما هو هذا المرض، وهل هو معد ؟

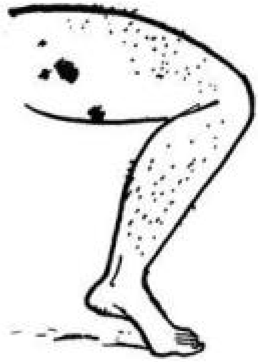
ــ انه فعلا مرض فطرى معد ينتشر بين الذكور اكثر من الاناث ويسمى Tinea Cruris . وعادة تكون الاصابة به عبارة عن رقعة دائرية تختلف في الحجم من اقل من ١ سم ، الى عدة بوصات وتتكون الرقعة على الفخذين ويكون لونها محمرا او ذا صبغة بنية، ونجد ان اللون فى وسط الرقعة يخف تدريجيا ، ولكنه يزداد عند الطرف حيث يمتد المرض ، وحيث توجد بعض القشور والبثور الصغيرة ، وقد لا يشكو المريض من اى اعراض سوى هذا الاحمرار المتزايد او يكون هناك بعض الحكاك. ونظرا للاحتكاك والحرارة والعرق قد يزيد الالتهاب وتزداد الحكة مما يضطر المريض الى سرعة البحث عن علاج . وتشخيص المرض سهل نظرا لشكله المعروف ولمكانه المحدود ، كما انه يمكن العثور على الفطر

النظر خلال الجزء الاوسط للنظارة الطبية يقضى على الزوغ البصرى

● والدى شيخ مسن عمره حوالى ٧٠ سنة ، اصيب بضعف في قوة الابصار ، وقال الطبيب الاخصائي انه مصاب بالسد (اعتام عدسة العينين) واجريت له عمليتان ، وبعدهما اصبح يرى بوضوح بنظارة طبية ، ولكنه يشكو احيانا من اختفاء بعض الاشياء التى حوله عن ناظره ثم عودتها للظهور مرة اخرى ، كما انه يخاف المرور عبر الابواب ، ارجو توضيح ذلك وهل هناك علاج ؟

ــ فى ظنى ان والدك اجريت له عملية استخراج السد مع المحفظة Intracapsular Cataract Extraction والسد هو ما يعرف باسم الماء الابيض، وبعد هذه العملية يحتاج المريض الى نظارة طبية ذات عدسة لامة قوية ، وتحتاج المواءمة Adaptation لهذه النظارات بعض الوقت ، اذ انها تسبب مضايقات شديدة لا تلبث ان تزول باتباع التعليمات والارشادات الصحيحة . وما يشكو منه والدك ناتج مما يعرف بالزوغ البصرى الدائرى للعدسات وفى حالات العدسات اللامة القوية فان الخطوط





فى القشور والبثور الموجودة فى طرف الرقعة . والمرض يميل الى الازمان والمعاودة نظرا لان المريض يعدى نفسه بنفسه .

العلاج : ان المهم هو المواظبة على استعمال الدهانات حتى بعد اختفاء المرض تماما لبضعةاسابيع حتى لا يتردد المرض ثانية علاوة على تطهير الملابس الداخلية باستمرار ، وكيها واستعمال الصابون المطهر ومنع الاحتكاك الشديد وتجفيف العرق باستمرار .

والدهانات المضادة للفطر كثيرة،ومنها الاستيرول ودهان اليود ودهان جاديت، وقد يحدث بعض التقشير اثناء العلاج فنلجأ الى دهان معتدل او نستعمل بعض الدهانات الملطفة خاصة اذا كان هناك التهاب او حكة شديدة ، كما يمكن استعمال بودرة الستيرول خاصة بعد شفاء المرض كوقاية من عدم تكراره .

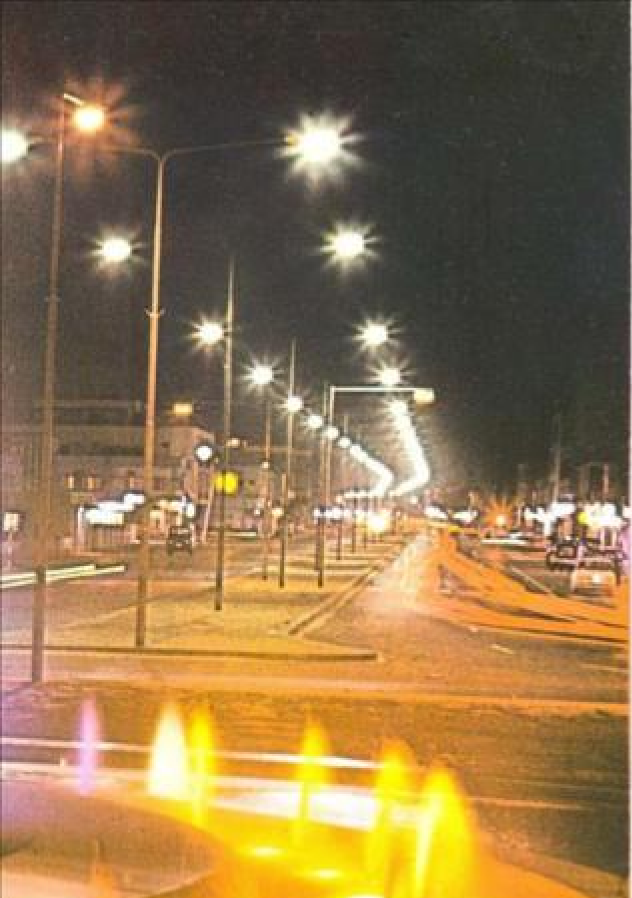
المستقيمة تبدو منحنية الى الداخل فاذا تصورنا بابا فان جانبيه الراسيين سوف ينحنيان الى الداخل اى جهة فتحة الباب ، وجانبيه الافقيين ايضا سوف ينحنيان الى الداخل ، وبذا تبدو فرجة الباب ضيقة جدا ظاهريا ، ويعتقد المريض الذى يستعمل هذه النظارات ان مثل هذا الباب لن يسمح له بالمرور خلاله ويخشى الانحباس فيه ، ولذا يتردد او يرفض المرور عبره، ولكن اذا تم تشجيعه ومر من خلاله بسلام مع توضيح السبب ، فانه لن يلبث أن يمر من الابواب بدون خوف ، ايضا يجب ان يتعلم النظر خلال الجزء الاوسط من عدسات النظارات ، وان يحول كل راسه الى الجهة التى يريد النظر اليها ، وليس عيناه فقط. اما عن حالة اختفاء المرئيات من امامه فهى حالة ناتجة من الزوغ البصرى المنشورى .

وهذا الزوغ البصرى المنشورى ينشا عند التطلع خلال الجزء الخارجى للعدسة ذات القوة الكبيرة، ويؤدى هذا الى حدوث حلقة عمياء تشمل الجزء المركزى لميدان النظر وهذه الحلقة العمياء المتحركة ، تتحرك فى اتجاه مضاد لحركة العين ، مثلا اذا كان المريض يتحدث الى شخص امامه ثم تطلع المريض الى اليمين خلال الجزء الخارجى لعدسة نظاراته ، فان الشخص الذى كان يتحدث اليه يختفى عن ناظره لتحرك هذه الحلقة العمياء الى اليسار كى تشمل المتحدث اليه ، ايضا هذه تسبب مضايقات كثيرة مثل تعثر المريض فى الاثاث او الارض غير المستوية السطح او عند هبوط الدرج فانه قد يعمى عن احدى الدرجات ، ويسقط .

ايضا من عيوب هذه النظارات القوية ظهور الاجسام اكبر من حجمها الطبيعى بنحو الثلث ، والالتباس فى تقدير المسافات ، والرؤية المزدوجة .

ننصح والدك بالنظر خلال الجزء الاوسط للنظارة الطبية ، وان يلتفت بكل الراس ، وليس بالعينين فقط عند النظر الى احد الجانبين او الى اسفل او اعلى فاذا لم تتحسن حالته يرجى مراجعة الطبيب الاخصائى فربما اشار عليه بلبس عدسات لاصقة او باجراء عملية تركيب العدسة داخل الغرفة الامامية للعين .

■■





ابتسم .. انت فى الشارقة.. حيث تدفق مياه النوافير يعكس راحة البال على وجوه المواطنين .. رغم القفزة الجبارة من البداوة الى الحضارة ..

اعرف وطنك أيها العربي

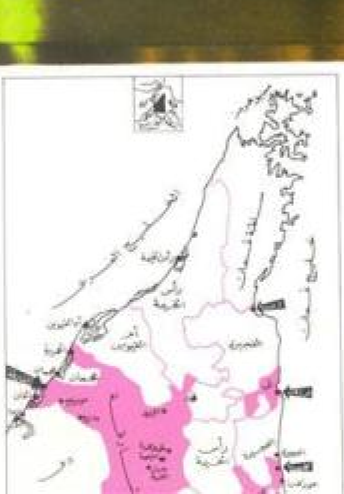
الشارقة

صورة من صور الحياة الجديدة، في إحدى إمارات

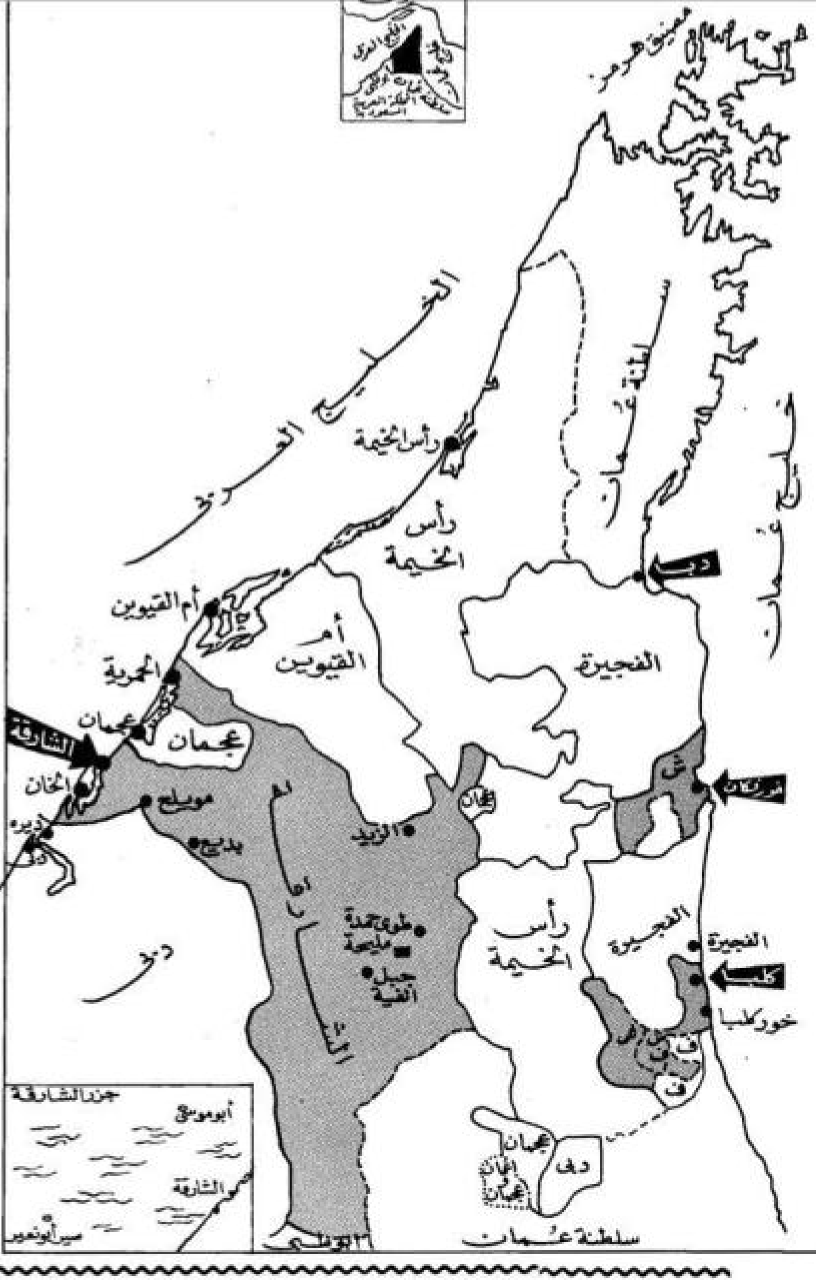


استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار متري



الاتحاد الوليد، بالخليج العربي

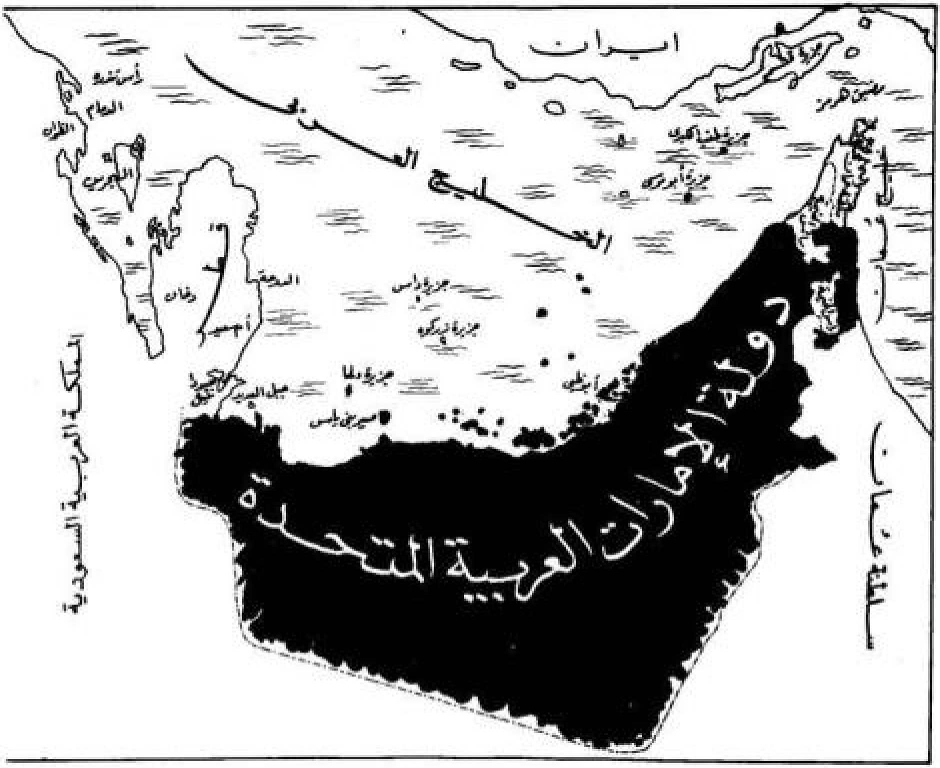


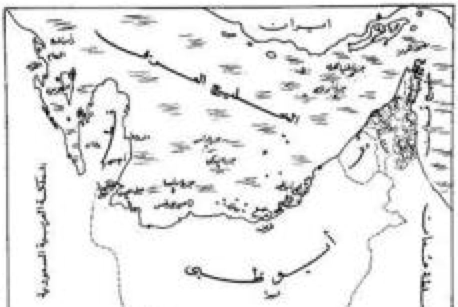
خريطة مكبرة لحدود امارات ساحل عمان قبل قيام الاتحاد السداسي .. ويلاحظ التقسيم الغريب فيها وكأنها رقعة شطرنج .. والاجزاء المظلمة فى الخريطة تمثل امارة الشارقة المقسمة الى أربعة أجزاء جزء يطل على الخليج العربى ، وثلاثة جيوب تطل على خليج عمان..

■ تسعة حكام لتسع امارات عربية تطل على مياه الخليج اللازوردية اجتمعوا في اوائل سنة ١٩٦٨ ميلادية ووقعوا اتفاقية مولد اتحاد الامارات العربية ..

وهلل الناس وصفقوا ، فالوحدة خير من الفرقة ، وانتظر العرب نهاية القصة ، ولكن الاتحاد ظل يدور حول نفسه .. وتفاقمت الخلافات واتسعت شقتها .. خلافات على اتفه الاسباب فى كل المجالات ..

واقترب الموعد النهائي لجلاء القوات البريطانية ، فدب الحماس ، وتلاحقت الاحداث النهائية فولدت دولة الامارات العربية صبيحة يوم ١٧ يونيو من سنة ١٩٧١ ميلادية ..





أول خريطة تنشر لدولة الامارات العربية المتحدة ، المؤلفة من امارات : ابو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة .. ومجموع مساحتها ٣١٥٠٠ ميل مربع تقريبا ، تكون أبو ظبي الجزء الاكبر منها (٢٦٠٠٠ ميل مربع) .. ويبلغ عدد سكان الدولة الجديدة حوالي ١٥٥ ٥٠٠ نسمة (احصاء ١٩٦٨) ... اما امارة راس الخيمة التي يحتمل انضمامها للاتحاد ، فمساحتها ٦٥٠ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٥٠٠ ٢٤ نسمة .

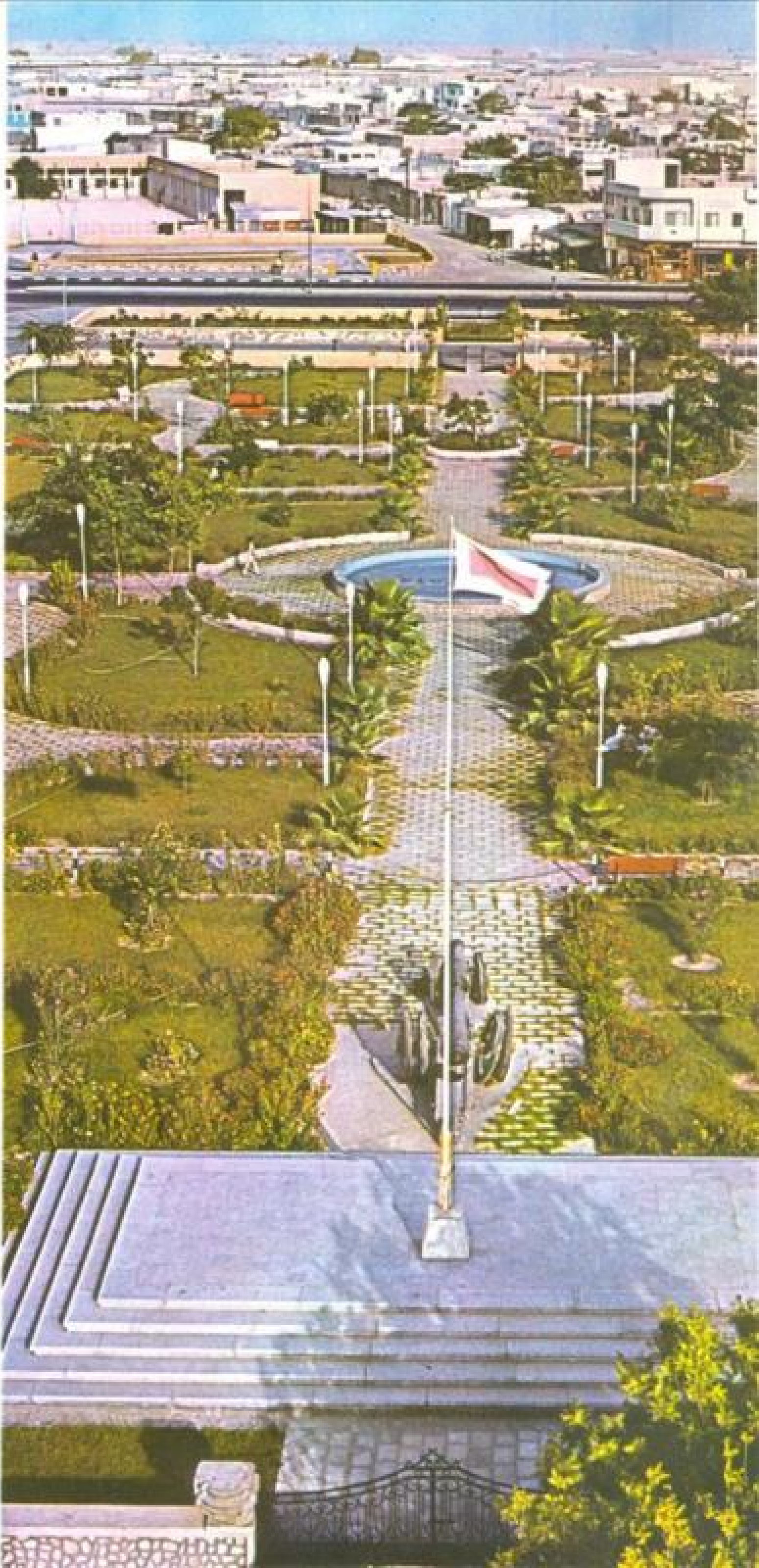
البعض كان يفضلها دولة تساعية .. والبعض الآخر كان يريدها سداسية .. ولكنها هكذا جاءت ، دولة سداسية مكونة من ابوظبي(٤٦,٥٠٠ نسمة) (١) ودبي (٥٩,٠٠٠ نسمة) والشارقة (٣١,٥٠٠ نسمة) وعجمان (٤,٢٠٠نسمة) وام القيوين (٣,٧٠٠ نسمة) والفجيرة (٩,٧٠٠ نسمة) .

لقد تخلت ثلاث امارات عن الاتحاد : راس الخيمة (٢٤,٥٠٠ نسمة) اعترضت على دستور

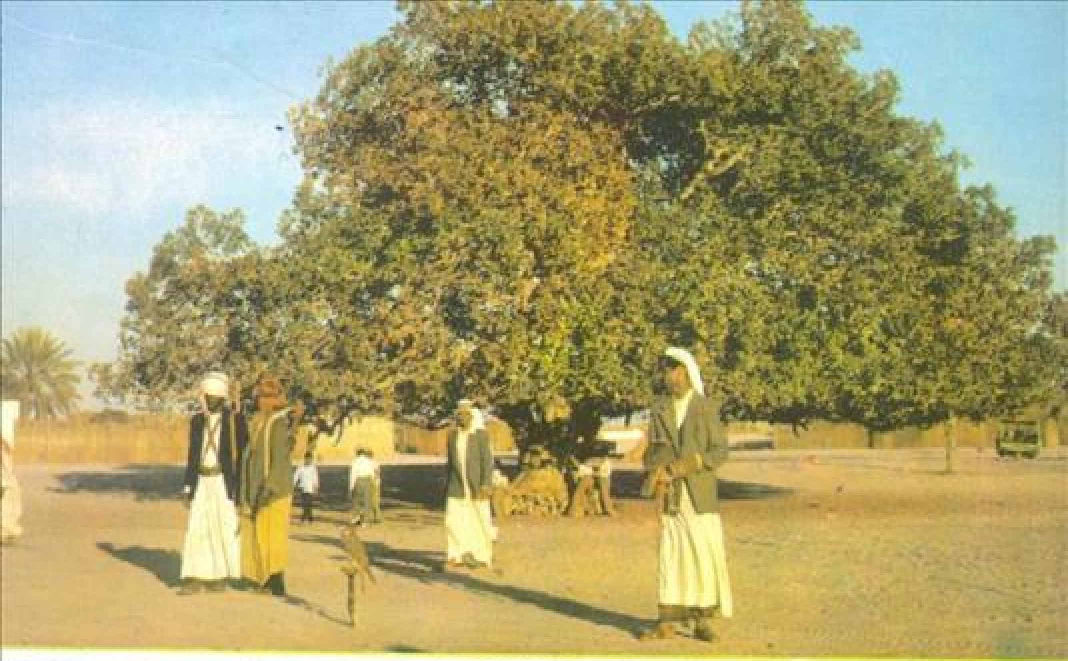
---

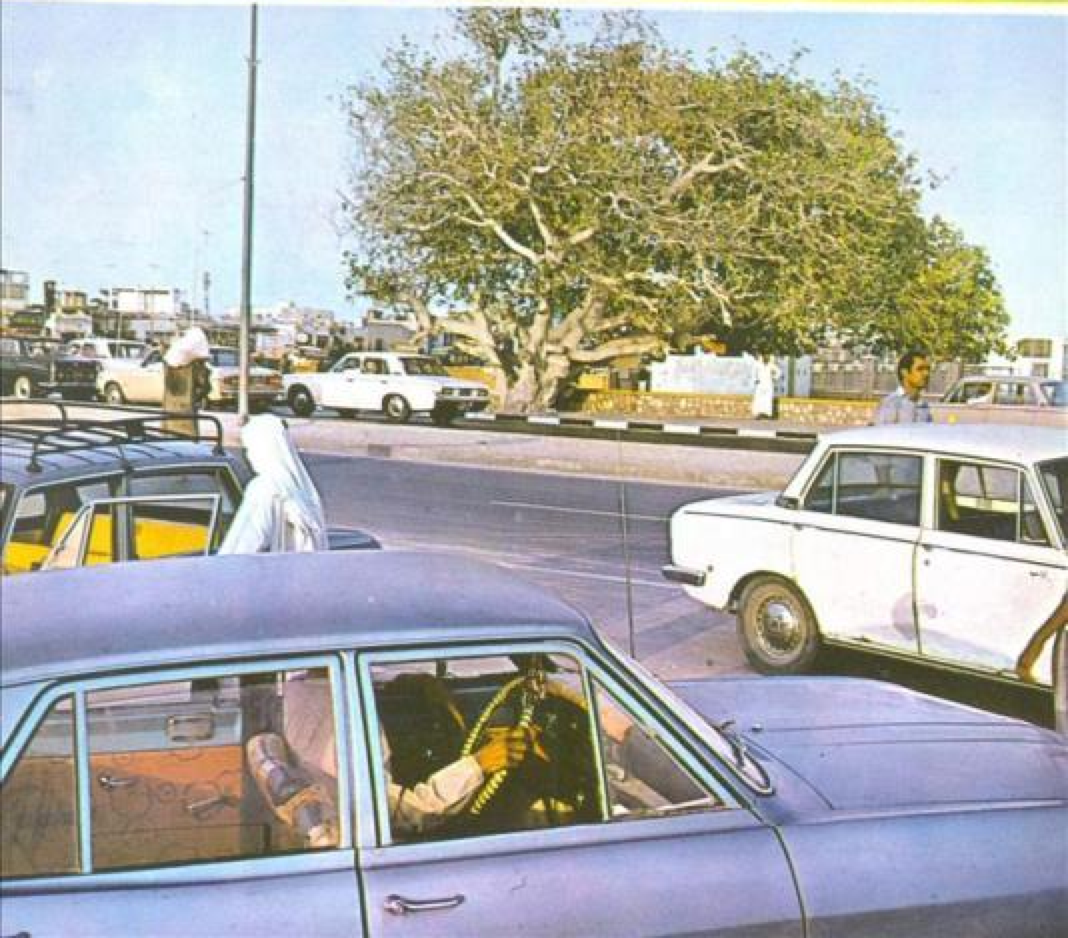
١ ــ عدد السكان طبقا لاحصاء ١٩٦٨ الرسمي ومما لا شك فيه ان العدد قد زاد كثيرا اليوم .

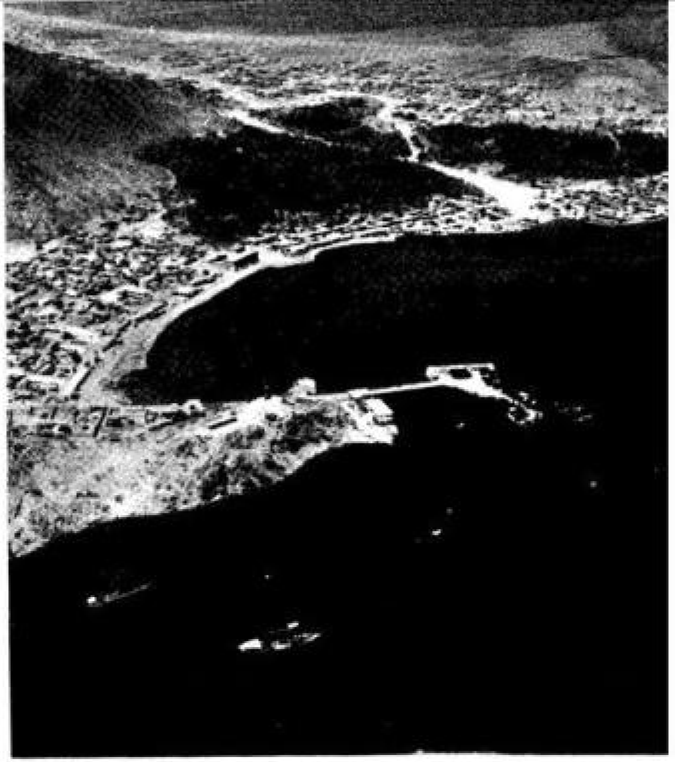
الى اليمين : منذ بضع سنوات، كانت هذه الساحة صحراوية قاحلة ، تحولت الى حديقة عامة غناء ، هي بمثابة الرئة لمدينة الشارقة الحديثة.



الى اليسار : عشر سنوات مضت بين التقاطنا لهاتين الصورتين .. انها نفس الشجرة .. شجرة الدولة ، اشهر شجرة في ساحل عمان .. كان الناس يأتون للاستراحة تحت ظلالها مع صقورهم .. اما اليوم فأصبحت شجرة الدولة تحتل ناصية شارعي العروبة والزبد المزدحمين بحركة المرور الزائدة ..ولم يعد الشعراء يتخذونها مصدر الهام وابحاء..انها سنة التطور ..







منظر جوي رائع لميناء خورفكان الطبيعي المطل على خليج عمان ، انه ميناء المستقبل ، الذي سيكون له شأن كبير .



واحة الزيد .. ارتبطت مع الشارقة بطريق أبو ظبي .. انها منطقة خصبة للغاية .

الاتحاد فانسلخت عنه .. اما البحرين (٢١٦٫٠٧٨ نسمة) فقد كانت فكرة الاستقلال قد اختمرت في ذهنها فاعلنته في صباح يوم ١٤ اغسطس ١٩٧١ واعترف بها العالم على الفور ودخلت الجامعة العربية والامم المتحدة واصبحت دولة مستقلة ..

ولم تتأخر قطر (١٠٠٫٠٠٠ نسمة) عن البحرين كثيرا ، فاعلنت استقلالها هي الاخرى ، ودخلت الجامعة العربية والامم المتحدة .

وحتى لايساء فهم هذا الاستقلال لم ينس المسئولون في الدولتين المستقلتين الوليدتين ان يذكروا الناس بتكرار كلمة الاتحاد ، « وكيف انه ضرورة مصيرية تحتمها مصلحتنا المشتركة وتقتضيها الروابط العميقة و .. و .. » حتى اخر القصة المعتادة ..

الاستطلاع الثالث

ان امارات الخليج العربي تمر اليوم بفترة انتقالية حاسمة .. ففي مطلع العام القادم - ١٩٧٢ - تسقط المعاهدات الابدية التي عقدتها بريطانيا عام ١٨٢٠ مع مختلف الامارات .. وتنسحب القوات البريطانية من قواعدها في المنطقة ..

والجلاء العسكري البريطاني يعني في الدرجة الاولى الجلاء عن القاعدة البريطانية الضخمة الموجودة في الشارقة منذ عام ١٩٤٠ .

والشارقة هي بلد الاصالة والعراقة .. ففيها عاش القواسم الذين وصلت قوتهم في يوم من الايام الى درجة جعلتهم يسيطرون على ساحل الخليج العربي عند مدخله ويفرضون الضرائب على كل سفينة تمر بمضيق هرمز ..

لقد قصدنا اليها في ثالث زيارة ، قبل مولد الاتحاد باشهر قليلة ، فقد سبق ان زرناها مرتين واستطلعناها في العددين رقم ٢٠ و ١١٤ من العربي وفي كل مرة نستطلعها نجد شيئا جديدا يستحق التسجيل .

« شبابنا هم ثروتنا الحقيقية .. »

وعندما طرنا اليها في هذه المرة لم نصدق اعيننا .. هل هذه هي الشارقة التي عرفناها .. تغير





معبـد اقيم على نفقـة الشيخ زايد حاكم بدأت المزارع لتنتشر فيها على نطاق واسع .

« برلين » ساحل عمان .. انها قرية دبا المقسمة الى ٣ أقسام : البيعة لسلطنة عمان ، والحصن للشارقة ، وستبرير للفجيرة ..

مذهل نقل السكان من حياة البداوة الى حياة القرن العشرين في فترة واحدة .

ولكن قبل أن نبدأ استطلاعنا هذا دعونا نستمع أولا الى حاكم الشارقة وهو يحدثنا عن بلده :

انا نعتز ونفخر بالنهضة التعليمية في بلادنا ، وبشبابنا الجامعي ، وببعثاتنا الطلابية الى جامعات العالم ، والتي بلغ عدد افرادها نحو ٨٠ مبعوثا ..

ان هؤلاء الشباب هم نواة ثروتنا الحقيقية ..

ويستطرد الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم امارة الشارقة الذى يعمل ١٦ ساعة يوميا :

« ولكن نشر التعليم وحده لا يمكن ان يؤدى الغرض المرجو منه الا اذا واكبته حياة جديدة متطورة تتناسب مع تفكير الخريجين والمثقفين الجديد ، وتتجاوب مع طموحهم ونظرتهم البعيدة .. ان الواحد منهم لن يقبل ابدا العيش ثانية تحت سعف النخيل في المشيش ، لهذا ابنى، واعمر واخطط للمستقبل وليس لليوم فقط ، حتى لا تلعننى الاجيال القادمة .. » .

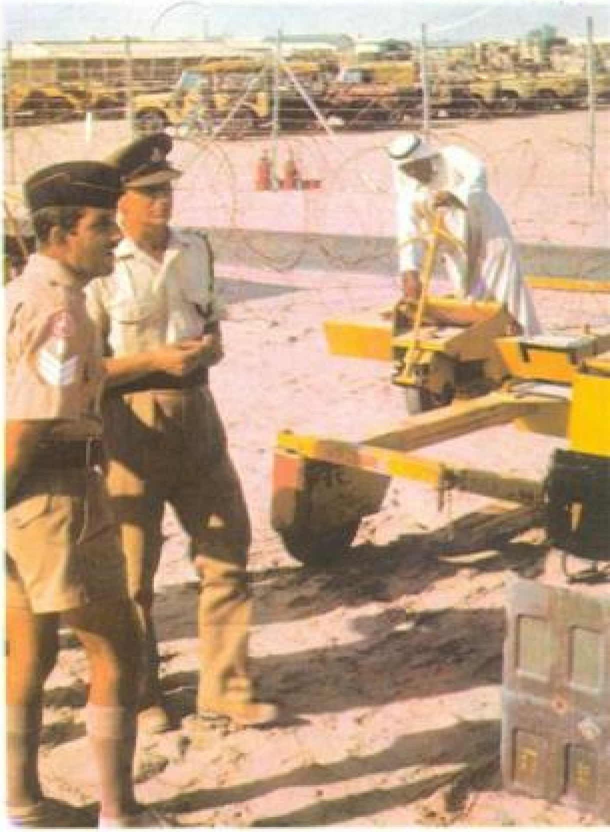
وينهى الامير الشاب حديثه بقول مأثور لاحد كبار المخططين يقول فيه : « العقل هو الذى يصنع المدنية .. والمدنية هي التى تصنع العقل .. » **ويعلق الشيخ خالد على هذا بقوله :** وهكذا سوف تنمو عقول الجيل الصاعد من ابناء الشارقة في بيئة متفتحة متطورة ، تسمح لهم بنشر الرخاء والازدهار في مختلف ارجاء الشارقة وساحل عمان، وفق اسلوب من الحياة حديث .. » .

وتركنا الشيخ خالد ، مع آماله العريضة التى بدأت تتحقق في اطار هذا الاتحاد الجديد ، الوليد وخرجنا نطوف بارجاء المدينة . شوارع فسيحة طويلة معبدة ، وعمارات شاهقة مرتفعة ، احتلت مكان المنازل التي شيدت بالطين ، وقادتنا أقدامنا الى القاعدة البريطانية انها تقع في مدخل مدينة الشارقة ، فتمتد امتدادها من ناحية الجنوب الغربي ..

ورقة صغيرة

وحاولنا الدخول الى القاعدة ، فاقتادونا تحت الحراسة الى القائد الاعلى ، الذى رحب بنا وقال مبتسما ببراءة : « لا مانع لدى ابدا من

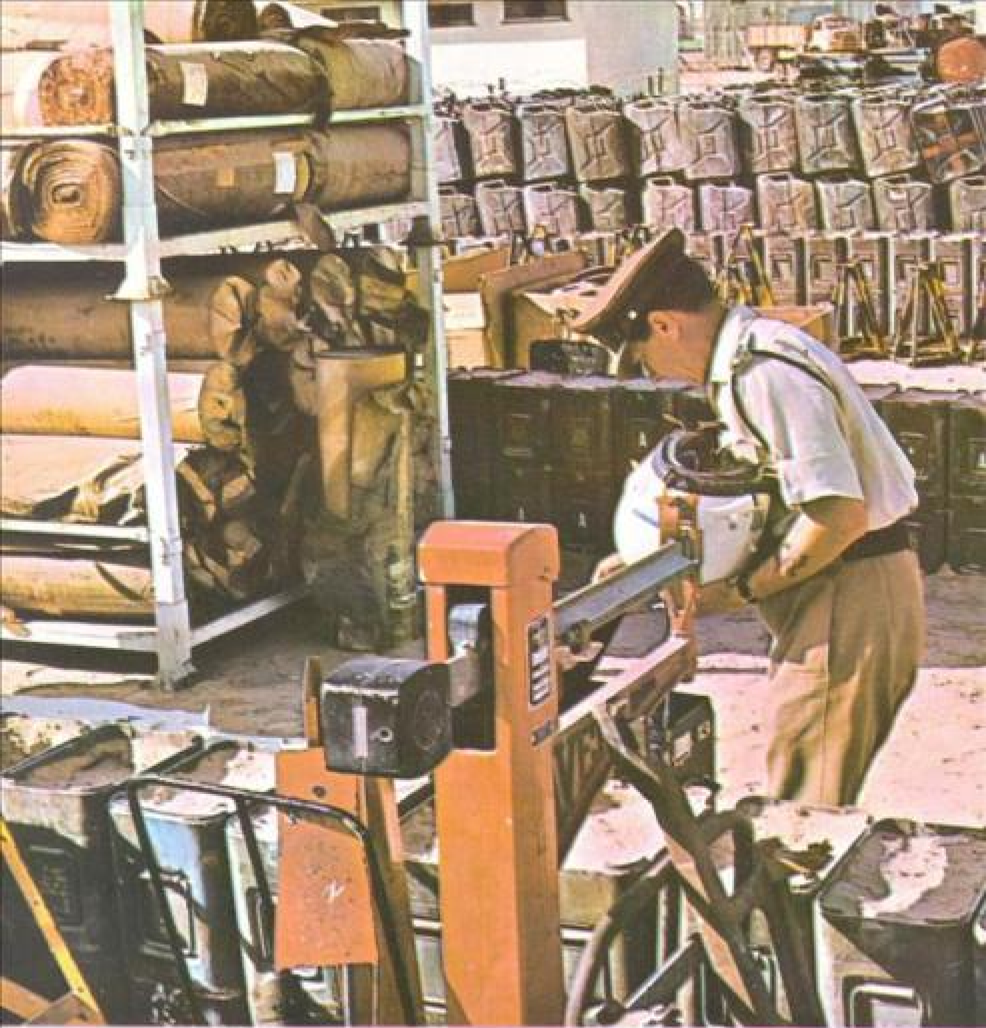




بدأت منذ اكتوبر ١٩٧٠ عملية بيع مخلفات القاعدة البريطانية ، استعدادا لجلاء القوات البريطانية في نهاية عام ١٩٧١ عن منطقة الخليج .. ونرى هنا بعض الضباط البريطانيين يتتبعون العملية ..



الى اليمن : مدينة الاشباح.. هكذا تحولت القاعدة البريطانية بعد أن تركتها القوات العسكرية البريطانية .. وفي الصورة العليا اثنان من الضباط يقومان بوضع المخلفات استعدادا لبيعها لأهالي المنطقة .. ونتيجة لعمليات البيع هبطت أسعار الشاحنات من ١٠ آلاف ريال الى اربعة آلاف.





الى اليسار: مدفع «الرقاص» الاثري الذي يرجع تاريخه الى عهد الشيخ صقر بن خالد (١٨٨٣–١٩١٤) كانت طلقاته تصل من الشارقة الى دبي فيهتز لها فأسموه «الرقاص». وهو اليوم قطعة اثرية .

تسهيل مهمتكم .. لكن لا بد من ورقة صغيرة بالموافقة على التصوير من دار الاعتماد البريطاني .. » .

وكان الكابتن لبقا ولكنه كان باردا حتى اننا شعرنا بلسعة الحر عندما تركناه وبدانا نشق طريقنا الى مقابلة المعتمد البريطاني .. انه « غير موجود » ومشغول جدا بعمليات النقل والانتقال .. وقابلنا مساعده ، وكان الرد : « سأرسل برقية الى مركز القيادة في البحرين ، ولكنني لا اعتقد بانهم سيوافقون .. فقد سبق ورفضنا السماح لمندوبي مجلتي لايف وتايم بالدخول الى القاعدة وتصويرها .. لهذا لا اعتقد انهم سيسمحون لكما .. عاودا الأتصال بنا ثانية على كل حال .. » .

المقوقس بن حسون فى الشارقة !

وذهبنا الى فندق سبا ذى الخمسين غرفة المكيفة الهواء ، وكنا ندفع ١٠٠ ريال ـ اى عشرة جنيهات استرلينية تقريبا ـ نظير النوم في غرفة مستقلة ذات سريرين ، مع الوجبات الثلاث .

وجلسنا في البهو الكبير .. اناس من كل مكان يتحدثون .. ويذيعون كل ماخفي من اسرار .. فليس فى الامارات السبع كلها سر مجهول لا يلوك تفاصيله الناس !

وتحركت فينا الحاسة السادسة كما يقولون وبدانا نرهف السمع .. مجموعات تجلس في كل مكان .. اشخاص جاءوا من اركان العالم الاربعة الى الشارقة يتحدثون الى ابنائها ويتهامسون معهم .. في مطالب واحاديث غريبة شيقة .. هذا يطالب بحق استغلال القاعدة الضخمة بعد جلاء الانجليز ، ويؤكد كلامه بالعربية والانجليزية قائلا:

« تعاوننا معكم سيكون درجة اولى First Class !! » .

« اوف .. حر كثير عندكم .. كيف تطيقون هذا الحر .. لماذا لاتهاجرون من هنا ؟! » .

وعلى اريكة كبيرة جلس رجل كبير يتحدث قائلا: « سنصدر عددا خاصا من مجلتنا التى تغطى العالم كله ، نتحدث فيه عن الشارقة وسنخلد اسمكم ونجعلكم اشهر من المقوقس بن حسون ..!» .

وسالنا عن المقوقس بن حسون عند اهل الذكر، فلم نجد له اثرا !؟!

مضاربات بالاراضى !

وفي وسط الدهشة كان احدهم يروى قصته بصوت عال وكيف انه اشترى منذ ثلاث سنوات قطعة ارض في الشارقة بثمن بخس لا يزيد عن ريال للقدم المربع الواحد ، وبعد فترة عرضوا عليه سبعة ريالات للقدم ، ولكنه رفض واصر على عشرة ريالات .. وتمسك بالثمن . ودارت الدنيا دورتها ، وطار المشترى ، وبقى هو يلعن طمعه وجشعه !!

وقد بلغت المضاربات الجنونية باراضي الشارقة حدا جعل من الضرورى انشاء دائرة خاصة بالاراضي .. لمسح الارض وتحددها ، وتحل مشاكل البيع والشراء والتسجيل ، وتصدر سندات الملكية .. وتم تعيين ٢٤ مواطنا يمثلون احياء الشارقة وضواحيها ، وجعلوها لجنة مستقلة للاراضي ، للتخفيف عن دائرة الاراضي والمساحة ، التى تعرضت لضغط هائل لم يتوقعه المسئولون .. فالجميع يريدون شراء اراض في الشارقة ، والقانون يعطي تسهيلات وضمانات كبيرة للمواطنين العرب .. فاى عربي باستطاعته شراء الارض التى يريدها في الشارقة ..

ونتيجة لهذه التسهيلات بدات في ١٩٦٩ معركة اتفقوا على تسميتها ب « معركة الاراضى » .. العرب في الشارقة يشترون .. ومن خارج الشارقة تحويلات وشيكات كلها اثمان لقطعة ارض في الشارقة ، وقدروا قيمة ما اشتراه العرب بمبلغ ٢٠ مليون ريال تقريبا ، اشتروا بها خلال عام ١٩٦٩ ارضا مساحتها خمسة ملايين قدما مربعا ..

وهكذا ارتفعت اثمان الاراضي في الشارقة من ريال الى سبعة ، ومن ٣٠ الى ١٥٠ ريالا في وسط المدينة (كل ١١ ريالا = جنيها استرلينيا تقريبا).

وليست كل الاراضي تباع في الشارقة ، انما هناك اراض مقسمة الى قطع مساحتها ١٠ آلاف قدم مربع ، يقدمها حاكم البلاد مجانا للمواطن العربي الذى يريد اقامة عمارة تجارية او سكنية او مشروع صناعي في الشارقة ..

ان ايمان ابناء الشارقة بعروبتهم جعلهم يطلقون اسم « العروبة » على الشارع الرئيسي الذى يقطع عاصمتهم .

ابتسم .. انت فى الشارقة !

وتركنا الفندق الذى يستضيف الدبلوماسيين والوزراء واتجهنا الى مدينة الشارقة .. يا الله .. هل هذه هى الشارقة ؟ مصابيح تبرق

.. وفلورسنت ملون يشع من كل مكان .. وسيارات فاخرة تنهب الارض في كل اتجاه .. واضواء مبنى السينما تغمر المكان .. فتقرأ على ضوئها عبارة مكتوبة على لافتة عند مدخل المدينة ، تقول :

« ابتسم انت في الشارقة .. »

وابتسمنا .. وشعرنا بارتياح داخلي غريب .. فانت هنا تشعر بان الانسان العربي الاصيل ما زال موجودا لم يبدله زيف الحضارة بعد .. « ابوابنا ..ووطننا..وصدورنا مفتوحة للاهل والاحباب».

ومجرد جلوسك مع « الشرقاوى » وتناولك الفوالة ، اى الحلوى التى تقدم قبل القهوة ، من موز وبرتقال ولوز وحلوى مسقطية وشوكولاته وبطيخ ، مجرد تناولك لتلك الفوالة معه يعني أنك اصبحت صديقا عزيزا ..

« والشرقاوى » ، هو ابن الشارقة الذى يلقاك محييا مرحبا في كل مكان .

« نعالج النفوس بالنافورات » !

ووقفنا امام نافورة كبيرة رائعة ، تطلق المياه عالية ، فتنعكس عليها الاضواء الملونة المتعددة .. قال لنا حاكم الشارقة : « انني أشعر بارتياح عندما أرى الناس يقفون أمامها ويتطلعون لمياهها الراقصة ، لانني عندما اتطلع الى وجوههم ألمح عليها راحة البال وراحة النفس .. ولهذا انشأنا نافورة في كل ميدان .. اننا نعالج النفوس بالنوافير » ..

وتركنا النافورة وانطلقنا في شارع العروبة الرئيسي .. كان طريقا رمليا لا يزيد عرضه عن ١٥ قدما عندما زرنا الشارقة لاول مرة ، فاذا به اليوم طريق معبد عرضه ١٢٠ قدما ، تخترقه السيارات في اتجاهين.وتضيئه المصابيح الكهربائية منذ عام ١٩٦٨ فتقلب ليله الى نهار ..

حسرة في غير محلها

ويتحسر بعضهم على ايام زمان .. ايام كانت الجمال والصقور تمرح وتسرح في الشارقة ، فاصبحت اليوم تجفل وتهرب من الطرق المعبدة الساخنة التى تتسابق عليها طوابير السيارات والدراجات ، تنفث الغازات من عادمها في وجه الجمال والجمالين ..

« ان روعة الماضي لن تعود ابدا .. كان كل منا



لاول مرة يوضع قانون للبلدية في يناير ١٩٧١ ولد على اثره مجلس بلدى مكون من ٢٢ شخصا اختيروا من خيرة رجال الشارقة .. لقد قام المجلس بأعمال طيبة حتى الآن ، ولكن المطلوب تحمل مسئوليات العمل في جميع اطراف الشارقة بجراة ووعى اكثر





خمس سنوات مرت على الشيخ خالد بن محمد القاسمي وهو يعمل على بناء الشارقة الحديثة: « المال غير موجود .. ولكننا لا نتجمد وانما نعمل ونتحرك .. اننا على ثقة تامة من وجود النفط تحت أراضينا .. ولكننا لا نريد خسارة الوقت، حتى لا تلعننا الاجيال القادمة»







طائرة مدرسة الطيران تحلق فوق خور الشارقة الذى افتتح في الشهر الماضي بعد انغلاق دام أكثر من عشرين عاما ..

الى اليمين : يقولون دائما ان دخل البترول هو الذى شيد المدن في امارات الخليج .. ولكن هنا ـ في الشارقة ـ شيدوا مدينة رائعة دون أن يكون لديهم قطرة واحدة من النفط !!

الى اليسار : اقامة مصنع في الشارقة ، معناه مجاورة مناطق استهلاكية ضخمة في طور النمو .. وهذا اول مصنع للرخام في المنطقة **يصنع الرخام** ، ويصنع **٥ آلاف بلاطة** يوميا .

يعرف الآخر لاننا كنا قلة فاصبحنا اليوم وسط مجتمع واسع من كثير من الاجناس .. » .. وكان روعة الماضي في حرية الصراع بين رجل ورجل دون تدخل الشرطة !

وهذا الكلام قد يكون فيه بعض الصحة ، فمما لا شك فيه ان مجتمع البادية : الفة واستقرار ، ونخوة وشهامة ، وحياة رتيبة تحت ظلال خيمة عتيقة .. ولكنه في نفس الوقت مجتمع يعيش دائما تحت رحمة الطبيعة : عاصفة هوجاء تقتلعه، ومطر مدرار يجرفه .. وفترة جفاف تهلكه ..

ويقولون ان تحول السلطة في الشارقة ، من البداوة الى المدنية قد حرم ابن البادية من الكثير من حقه في حكم نفسه .. الا انهم يتناسون ان هذا التحول جعل ابن البادية يتمتع بنصيب من الرخاء والطمأنينة والاستقرار لم يتمتع بها من قبل ..

نخطط لخمسين سنة قادمة

لقد تنبه الشيخ خالد الى ان الشارقة تدخل عصرا جديدا متطورا ، فسارع الى الاتفاق مع شركة عالمية للتخطيط ، اعدت مخططا تنظيميا للمدينة..وفي نفس الوقت استعار خبيرا سودانيا اسمه مختار التوم ، لتطوير البلدية ، واختار معه ٢٢ من اعيان البلاد ليصبحوا اعضاء في المجلس البلدي ..

وبدأت عمليات تخطيط واسعة النطاق للمناطق الحديثة والقديمة ، وانتقل العمل من الخرائط الى الشوارع ، فتحولت الشارقة عام ١٩٦٩ الى ورشة عمل هائلة ، وانتهت المرحلة الاولى بظهور طرق طويلة معبدة مضاءة . وعلى الاثر بدأت العمارات ترتفع الى عشرة طوابق انها شارقة الغد التي ستمتد شرقا حتى الحدود مع عجمان ، وجنوبا على طول طريق الزيد ..

وقال لنا الاستاذ مختار التوم خبير البلدية :

« اننا نخطط لخمسين سنة قادمة .. نخطط لسكنى ١٢٠ الف شخص في مدينة الشارقة فقط .. ويتضح لك ضخامة هذه الارقام اذا علمت ان عدد سكان الامارة كلها حاليا هو حوالي ٥٠ الف نسمة فقط !

« ان بلدية الشارقة ، رغم ارتفاع ايرادها من ٣٠٠ الف ريال عام ١٩٦٦ الى نحو مليوني ريال في العام الماضي ، وجدت نفسها عاجزة عن تغطية نفقات المشاريع والانشاءات التي تقوم بها ، فاصيبت ميزانيتها بعجز يغطيه حاكم البلاد .. »

الرمال المتحركة تقضي على مركز الشارقة !

ومدينة الشارقة تقع على خور (خليج صغير) مثلها في ذلك مثل بقية مدن ساحل عمان ، وكان هذا الخور مصدر رخائها وامجادها التجارية .. ولكنها بدأت تفقد مركزها التجاري الممتاز عندما تدهور اللؤلؤ الطبيعي عام ١٩٣٠ اثر اختراع اللؤلؤ الصناعي..الا ان مأساة الشارقة الحقيقية كان سببها الرمال البحرية المتحركة التي سدت مدخل الخور في وجه السفن واللنشات .. ومنذ عام ١٩٥٠ والتفكير يدور دائما حول تنفيذ مشاريع لاعادة فتح الخور .. ولكن شيئا من هذا لم يتم، حتى كان عام ١٩٦٨ عندما وقع حاكم الشارقة خالد بن محمد القاسمي اتفاقية مع شركة عالمية لاعادة الحياة الى الخور ..

وبدأ العمل في الشركة حثيثا متعبا .. فقد



المبنى الجديد لمطار الشارقة الدولي .. سيمتد ويكبر حتى يشمل القاعدة الجوية البريطانية ، بعد الجلاء عنها في نهاية العام.

اقام الناس اكواخا لهم فوق الرمال التى سدت الخور ، وكان لا بد من تعويضهم واجلائهم عن هذه الرمال ، وعلى الفور بدات الشركة تزيل عشرات آلاف الاطنان من الرمال المكدسة وتنسف الصخور القاسية ، وتصب الاسمنت والحديد لعمل مراس للمراكب .. وبعد مرور سنتين من العمل الشاق افتتح خور الشارقة في الشهر الماضي (اكتوبر ١٩٧١) .

وبدات ١١ سفينة ولنشا حمولة الف طن ترسو لاول مرة على ارصفة بلغت اطوالها ١١٠٠ قدم وعمق مياهها ١٨ قدما وقت المد و ١٢ قدما وقت الجزر .. انها المرحلة الاولى في اعادة الحياة الى خور الشارقة ، وقد بلغت تكاليفها مليون جنيه استرليني ..

ميناء خالد

والى جانب هذا الخور يمتد ميناء الشارقة الكبير الذى يتسع لرسو سفينتين حمولة كل منهما ١٠ آلاف طن وفي الميناء منطقة حرة لخدمة المنطقة كلها . اما البضائع التى تدخل الشارقة فالضريبة عليها بسيطة موحدة بنسبة ٢ ½ ٪ فقط ..

وفي العام الماضي ١٩٧٠ احتلت مواد البناء المركز الاول في الواردات ، فقد كانت حركة التفريغ في الميناء حسب الارقام الرسمية التالية : ١٧٠ الف طن من الاسمنت ، و ١٦٠٠٠ طن من الاخشاب ، و ٣٤٠٠٠ طن من الحديد و ٣٢٠٠ طن من الرخام..

ان الشارقة تبنى نفسها .. وميناء خالد هو النافذة التى بدات تطل منها على الخارج ..

الشارقة في سطور

وتتميز الشارقة بموقعها الاستراتيجي الممتاز وسط امارات عمان السبع..وهي الوحيدة التى لها حدود مشتركة مع كل الامارات بالاضافة الى سلطنة عمان ..

ومساحة الشارقة ٢٦٠٠ كيلو متر مربع ، وهذا يجعلها ثاني اكبر الامارات السبع مساحة ، بعد ابو ظبي .

ويصر المسئولون على تقدير عدد سكان الشارقة باكثر من خمسين الف نسمة . متعللين بان احصاء ١٩٦٨ لم يكن شاملا للبدو في الامارة . وكان هذا الاحصاء يحدد عدد سكان امارة الشارقة ب ٣١٥٠٠ نسمة ، منهم الثلثان اى ٢٠٦٠٠ يعيشون في العاصمة ، والثلث الباقي وعدده ١٠٩٠٠ نسمة يعيشون في بقية اجزاء الامارة .. وقدروا عدد القبائل في الشارقة ، بسبعة وعشرين قبيلة ، اكبرها القواسم ..

جيب في الشارقة

وارض الشارقة مقسمة الى اجزاء اربعة متباعدة .. الجزء الرئيسي يطل على مياه الخليج العربي ، وهو سهل منبسط يمتد من الشاطىء الى الداخل حوالى ٥٠ كيلو مترا .. وعلى هذا الساحل تقع العاصمة الشارقة ، وقرى الحمرية والخان والزيد وغيرها .. وفي وسط هذا الجزء من ارض الشارقة ، تقع امارة عجمان كالجيب الصغير .

المستقبل لخورفكان

واذا كانت عجمان تمثل جيبا على ارض الشارقة المطلة على الخليج العربي ، فان الصورة تنعكس في الضفة الاخرى المطلة على ساحل عمان ، حيث تتحول اراضي الشارقة الى ثلاثة جيوب منفصلة عن بعضها باراض تابعة لامارتى الفجيرة ورأس الخيمة (انظر الخريطة) .

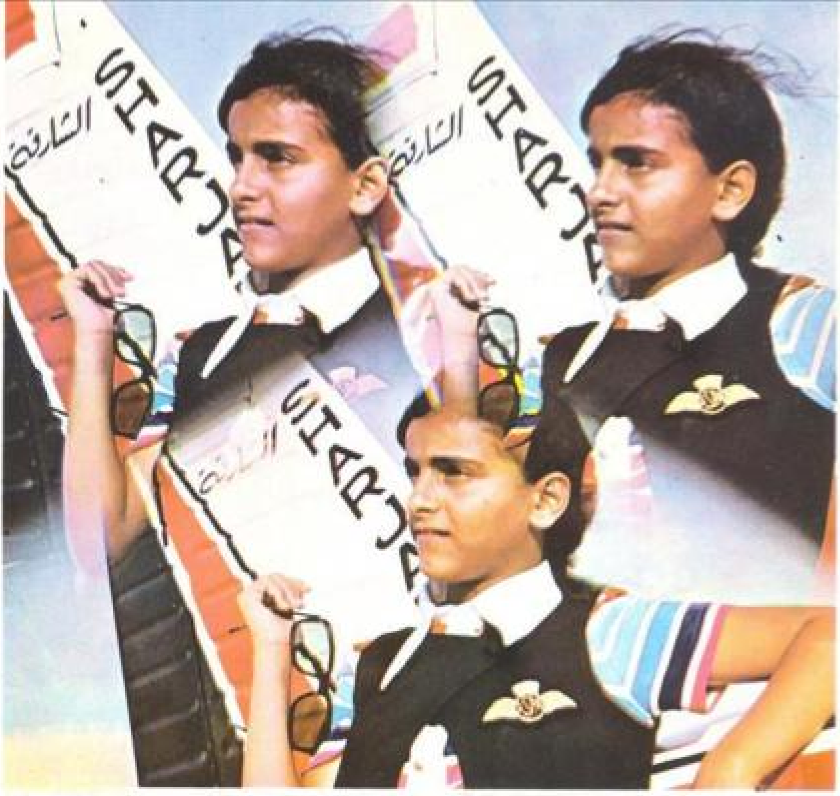
واشهر هذه الجيوب : خورفكان .. الميناء الطبيعي الذى لا يعادله ميناء في طول الساحل الممتد من مسقط حتى راس مسندم ..

انه ميناء المستقبل الذى يتسع لرسو سفن حمولة ٣٠ الف طن ، ظل قابعا في عزلة اضطرارية لعدم وجود طرق توصل اليه ، اما اليوم فقد بدأ الاتصال يتم بالميناء .. ومتى تم تنظيم هذا الميناء ووصله بشبكة طرق معبدة فانه سوف يقضي تماما على موانىء الخليج ، اذ ستقف عنده السفن الكبيرة وتفرغ بضائعها على ارصفته دون حاجة الى دخولها للخليج العربي ، واضاعة وقتها في رحلة لا داعي لها ..

وخورفكان ليست بلد المستقبل فقط ، ولكنها بلد الماضي كذلك ، فقد جاءها البرتغاليون في منتصف القرن السادس عشر ومثلوا باهلها اشنع تمثيل كما سبق وذكرناه في استطلاعاتنا السابقة..

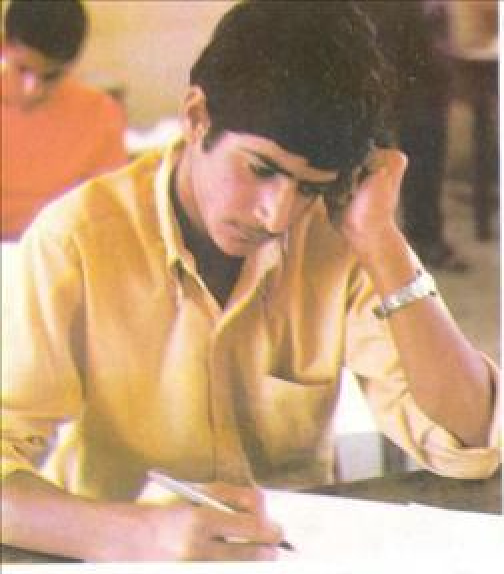
برلين خليج عمان !

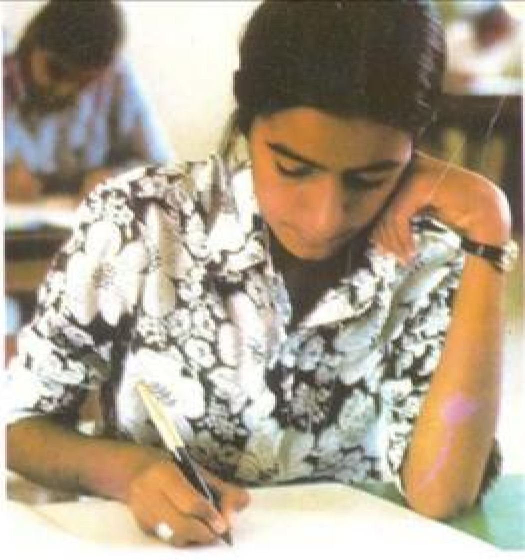
والى الشمال من خورفكان تقع دبا .. او برلين ساحل عمان ، فهي مقسمة بين ثلاث امارات: الشارقة وسلطنة عمان ، والفجيرة ، والفاصل بينهما ليس حائطا ، وانما طرق رملية ! وتقع دبا



هل تريد ان تصبح طيارا مدنيا ؟.. اذهب الى الشارقة .. وهناك التحق بمدرسة الطيران لمدة ثلاثة شهور تتخرج بعدها طيارا مدنيا بشهادة معترف بها دوليا .. وهذه الشهادة تعطيك الحق في متابعة دراستك لتصبح طيارا تقود طائرات تجارية .. ويقول الكابتن ديب مدير المدرسة: ان منطقة الشارقة هي افضل مكان للتدريب على الطيران لخلوها من الجبال وحركة الطيران المتزايدة .. ان الطائرات المدنية الصغيرة اصبحت منتشرة في كل انحاء اوربا وامريكا .. وفي احصاء اخير اتضح ان كل خمسة بيوت في امريكا تملك طائرة خاصة ، تتنقل فيها من منطقة الى اخرى داخل البلاد وخارجها .. * ويقوم بالتدريس في المدرسة طيارون باكستانيون اكفاء وتملك المدرسة ثلاث طائرات .. وهناك غرف خاصة للطلبة القادمين من الخارج .. وفي الصورة العليا ترى الآنسة لبنى خالد السلطان كريمة رئيس دائرة الموانيء وهي من طالبات المدرسة المبتدئات ..







٦٠٠٠ طالبة وطالب ، يتلقون تعليمهم في مدارس الشارقة ، لقد تبنت الكويت التعليم في امارة الشارقة منذ عام ١٩٥٣ الى اليوم .. ومما يذكر ان هناك ٢٦ طالبا وطالبة من ابناء الشارقة يكملون تعليمهم العالي في جامعة الكويت ..

الى اسفل : ٧٢ طالبا يتلقون تعليما صناعيا متقدما في المدرسة الصناعية بالشارقة .. ومما يذكر ان هناك ثلاث مدارس صناعية في امارات ساحل عمان تضم ٣٠٠ طالب . وعميد هذه المدارس كلها هو سالم حميد الغماي من أبناء الشارقة الذين تخرجوا من مدرستها الصناعية ، واكمل دراسته الصناعية في السودان وانجلترا ..







٢٠٩٢ طالبة يتلقين تعليمهن في مدارس الشارقة .. وتقوم بمهمة تعليمهن ١١٦ معلمة ، منهن ١١ فتاة من الشارقة نفسها ٥ تخرجن كأول دفعة من معهد المعلمات وخمس يدرسن وهن حاصلات على الثانوية العامة .

تقوم الكويت ببناء اكبر ثانوية وستبلغ تكاليفها مليوني ريال،

على خليج رملي ساحر ، ذكره الرحالة بيلجريف في القرن التاسع عشر بقوله : « يضارع خليج دبا خليج نابولي بجماله وروعته .. »

والجيب الثالث للشارقة هو منطقة كلهـا ارض زراعية خصبة للغاية تقع جنوب خورفكان ، ما زال اهلها يزرعون التبغ على الاسلوب القديم مستعملين الاسماك سمادا لزراعتهم ! .

دقيق او طحين السمك

والسمك في خليج عمان متوفر ،وبكميات خيالية وقد اجرت شركتان : امريكية وكندية عمليات مسح استغرقت ٦ شهور للثروة السمكية في مياه خليج عمان المرتفعة الحرارة ، وكانت هذه العمليات ضرورية لمعرفة امكانية نجاح انشاء مصنع لطحن السمك وتحويله الى طحين في قرية خورفكان .

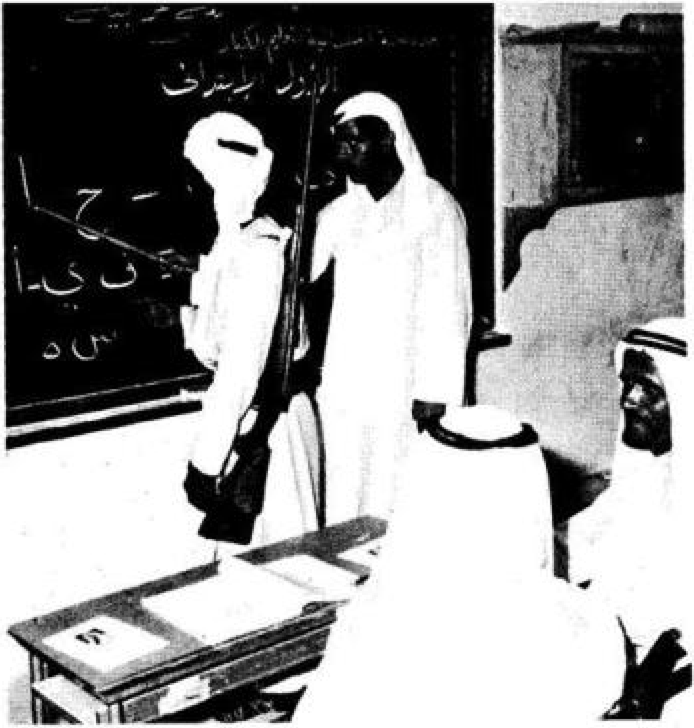
ان هذا المشروع سوف تبلغ تكاليفه عشرة ملايين دولار ، وهو لن يؤثر على الثروة السمكية الهائلة ، حتى لو تم يوميا اصطياد عشرات الالوف من اطنان السمك .. فالاسماك موجودة في مياه خليج عمان بكميات خيالية .. ومما يذكر ان مجموع ما يصطاده الصيادون في الامارات السبع مجتمعة ، لا يزيد عن ٣٠٠٠ طن سنويا فقط !!

مسلسل قصة النفط

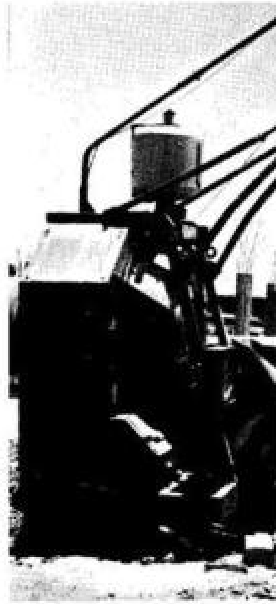
واحتمالات العثور على النفط تحت مياه خليج عمان بدات تدغدغ العواطف بالرغم من ان الشركة المسئولة لم تحفر بئرا واحدا حتى اليوم في المنطقة ..

والحديث عن النفط في الشارقة مضي عليه ٥٠ عاما وهو يثير الشجون والاعصاب .. فاول مرة ورد فيها اسم النفط كان في عام ١٩٢٢ في عهد الشيخ خالد بن احمد القاسمي . الذى ارسل خطابا للمقيم البريطاني يخبره فيه ان الشارقة لن تعطى حق التنقيب عن النفط في بلادها الا للشركة التى تختارها بريطانيا ..

وظل كل شيء هادئا حتى عام ١٩٣٥ عندمـا بدأت الشركات العالمية تتعاقب على الشارقة ، الواحـدة وراء الاخـرى وكانـا نشهد مسلسلا



التعليم للجميع .. وفي المساء تفتح المدارس ابوابها ثانية لمن فاتهم سن التعليم ، ونرى هنا حارس المدرسة القاسمية : عيسى عثمان ، يستمع الى الاستاذ فهد ابراهيم جلال من بعثة البحرين ، وهو يقرأ له ما كتبه



في الخليج ستضم ٤٧ فصلا وينتهي العمل فيها في ١٩٧٢ .

سينمائيا بدأته شركة ارسي ، احدى فروع الشركة البريطانية الايرانية للبترول ، باخذ حق التنقيب عن النفط في كل امارات الساحل عام ١٩٣٥ ولكنها بعد عام واحد تنازلت عنه لشركة اخرى كانت اكثر حماسا ، فبدأت تدفع لحاكم الشارقة ٨٢٢ روبية ونصف شهريا قبل ان يتفجر البترول ، معللة نفسها بانها ستشترى الطن الواحد من النفط المأمول استخراجه بسعر مقطوع قدره ثلاثة روبيات فقط !

ولكن هذا الحماس كان ظاهريا ، اذ لم تهتم الشركة كثيرا بالتنقيب ،وبعد عامين ١٩٣٨ تنازلت شركة تنمية نفط امارات الخليج عن حقها .. وحفرت الشركة الجديدة بئرا يتيمة عام ١٩٥٨ لم تعط اى نتيجة ، وثارت ثائرة حاكم الشارقة وتحت الحاحه وضغطه تخلت الشركة عن حقوقها في كل امارات الساحل ، ما عدا ابو ظبي ودبي ..

وحلت شركة ميكوم مكانها عام ١٩٦٠ وبدأت عملية حفر داخل البحر على مسافة ٢٠ ميلا عن ساحل الشارقة ، فلم يعثروا على النفط .. واتجهوا الى اليابسة ، فحفروا في منطقة الجزيرة فعثروا على نفط من النوعية الممتازة ، ولكنهم ادعوا بانه ليس بكميات تجارية .. وانتهت اعمال هذه الشركة بانتهاء امتيازها عام ١٩٦٧ .

الحفارة اليتيمة !

والغريب ان اهل الشارقة جميعا يعتقدون اعتقادا جازما بوجود النفط تحت اراضيهم ،وانه لا بد سيرى النور في وقت قريب .

وفي عام ١٩٦٨ جاءت شركات جديدة اثارت ضجة حولها ، عندما بدأت تتحدث عن الاساليب المتطورة الحديثة والآلات الالكترونية التى ستمكنها من التنقيب والكشف عن النفط قبل نهاية عام ١٩٧١ .

وشعر اهل الشارقة بفرحة داخلية عارمة .. كيف لا والازدهار النفطي الذى طالما انتظروه اصبح على الابواب ؟

وبداوا يتصرفون في بعض امورهم وكان النفط قد تدفق من تحت اراضيهم .. ولكن سرعان







النظام الاجتماعي في الشارقة يمر بمرحلة تبديل جذرى .. فانتشار التعليم من ناحية ، وانفتاح البلاد من ناحية أخرى ، جعلا الافكار الجديدة تدخل الى هذا المجتمع الذى كانت العصبيات العائلية ، والتكتلات القبلية ، هي السائدة والمسيطرة فيه ..





وعلى هاتين الصفحتين ترى في الصورة اليمنى قاعة الطعام في فندق سبأ وقد امتلأت بعائلات المدرسين والمدرسات ، والعاملين الاجانب في البلاد .. والصور الثلاث الاخرى تبين القديم والجديد فى شوارع الشارقة .. وبينهما فتيات المدارس مرتديات الزى الرسمى المحتشم ..

ما ارتسمت خيبة الامل على الوجوه .. اذ تمخض الجبل الكبير عن فأر صغير .. فالحفارة التي تمتلكها الشركة ذات الاجهـزة الالكترونية ـ ١ ـ ثبت انها حفارة لا تستطيع الاندفاع الى اكثر من ١١ الف قدم تحت سطح الارض ، بينما مكامن النفط موجودة حسب قول الجيولوجيين على عمق ١٥ الف قدم !!

ليس هذا فحسب ، وانما توقفت الشركة عن الحفر في الشارقة بعد البئر الاول ، وانتقلت الحفارة اليتيمة لتبحث عن النفط في ام القيوين ورأس الخيمة .. انها حفارة واحدة خصصوها لتبحث عن النفط في ثلاث امارات ، في حين ان نفس الشركة تستعمل ١١ حفارة للتنقيب عن النفط في سلطنة عمان .. مثلا !!

اما قصة البحث عن النفط تحت مياه الشارقة فهي اكثر اثارة والما من قصة النفط تحت اليابسة .

واحتمالات وجود النفط تحت مياه الخليج العربي ، احتمالات طيبة ومشجعة للغاية وخاصة حول جزيرة ابو موسى .. تلك القطعة العزيزة على قلب ابناء الشارقة وقلب كل عربي ، انها جزء لا يتجزأ من تراب الشارقة ، ولم تبدأ شركة النفط البحرية في عملياتها حول الجزيرة الا بعد أن حصلت على خطابين من وزارة الخارجية البريطانية في شهري ١٠ و١١ من عام ١٩٧٠ تؤكد فيهما أن جزيرة ابو موسى تابعة للشارقة ، ولا سيادة لاحد عليها الا الشارقة .

واطمأنت الشـركة وبدأت تستعد للحفر ، ولكنها اصطدمت بشركة اخرى حصلت من امارتي ام القيوين (٢٧٠٠ نسمة) وعجمان (٤٢٠٠ نسمة) على امتياز التنقيب عن النفط في ابو موسى ومياهها باعتبارها تابعة لهما !!

وانتقلت المشكلة برمتها الى محاكم الولايات المتحدة وصدر الحكم لصالح شركة الشارقة البحرية ، ولكن الشركة الاخرى استأنفت الحكم ، وهو الآن معروض امام المحاكم العليا في الولايات لابداء الرأي النهائي فيه !!

قصة او مأساة عربية تؤكد لنا مدى أهمية قيام اتحاد الامارات ليقضي على مثل هذه النزعات الفردية الضيقة التي تصيب المنطقة بافدح الاضرار !!

اكبر قاعدة صيانة

وقبل سفرنا بيوم واحد جاءت موافقة قيادة البحرين على السماح لنا بتصوير صورة بيع مخلفات الجيش البريطاني .

ودخلنا القاعدة .. انها مدينة كاملة متكاملة ، وليست بقاعدة .. فيها ١٢٠٠ منزل كلها مكيفة الهواء ، تتسع لسكنى اكثر من خمسة الاف نسمة ، ومحطة كهربائية خاصة تعادل قوتها قوة محطتي الشارقة ودبي مجتمعتين ! و ٢٠٠ خط تليفون داخلي .. وخزانات ماء هائلة تتسع لمليون و ٨٠٠ الف جالون .. ومستشفى كبير يتسع لخمسين سريرا تعالج فيه كل الامراض .. ونادٍ انيق جميل يضم حوضا للسباحة ومطاعم وملاعب .. كل هذا الى جانب مدرج المطار الهائل ، ورادار يعمل ليل نهار ، وورشة صيانة حديثة لمختلف انواع الطائرات ، تضم معدات قيمتها اكثر من ستة ملايين جنيه استرليني .

تجري حاليا ـ بتكتم شديد ـ مفاوضات بشأنها بين حكومة الشارقة وشركة طيران مدنية عالمية لتحويلها الى مطار مدني كبير حديث ، يضم اكبر حظيرة صيانة للطائرات المدنية والحربية في الشرق الاوسط .

كما تجري مفاوضات مع شركات الطيران العربية والعالمية لعقد اتفاقيات تسمح بمد خطوط طيران مباشرة الى الشارقة ..

كدمات في الطرق

وانفتاح الشارقة لم يقتصر على الجو والبحر ، وانما امتد الى البر ، اذ يجري حاليا شق طريق يربط سلطنة عمان بالشارقة ، مارا بساحل الباطنة عبر وادي حام الى مسافي والزيد والشارقة .. والانتهاء من شق هذا الطريق الحيوي الهام سيجعل من الشارقة نقطة التقاء شبكات الطرق الكبرى في ساحل عمان ..

اخوة ابناء الخليج

وعندما بدأوا في اطلاق الاسماء على الشوارع ، كان اسم الكويت في مقدمة الاسماء ، وفي هذا قال لنا حاكم الشارقة « ان هذه التسمية هي اعتراف منا بمجهود الكويت الرائع في المنطقة .. فقد ادت الكويت دورا مشرفا في بلادنا .. فهي التي وضعت اللبنة الاولى للتعليم في بلادنا .. وهي التي ساعدتنا وما تزال تساعدنا من ناحية الصحة .. »

واتجهنا الى الشيخ بدر محمد احمد الصباح



مدير مكتب الكويت في الامارات ، نسأله عن دور الكويت في المنطقة .. وكان جوابه دعوتنا الى مأدبة غداء في منزله الانيق ، اشبعنا خلالها اكلا شهيا .. ولكننا خرجنا اكثر ما نكون جوعا .. جوعا من ناحية المعلومات والبيانات ، اذ اكتفى الشيخ بدر بالقول : « نحن هنا بين اخواننا .. انها اخوة ابناء الخليج بكل معانيها .. والذى يدور بين الاخ واخيه شيء خاص ليس للنشر ابدا .. »

سن القبول ٧ سنوات للتخفيف على المدارس

واتجهنا الى دائرة التعليم في الشارقة .. دائرة حديثة يترأسها شاب خريج من ابناء الشارقة ، جلسنا نستمع اليه فوجدناه يتدفق حيوية ونشاطا وآمالا كبارا .. انه الشاب عبد الله عمران الذى بدا حديثه بقوله :

« الاقبال على التعليم في الشارقة فاق كل التقديرات ، وللتخفيف من حدة هذا الاقبال ، رفعنا سن القبول الى ٧ سنوات بدلا من ست .. ان عندنا ستة آلاف طالب وطالبة يتعلمون في مدارس الشارقة ، وعندنا في نفس الوقت اربعة آلاف طالب وطالبة في حاجة الى مدارس جديدة تستطيع ايواءهم » .

ويستطرد عبد الله عمران قائلا :

« حتى الكبار اصابتهم عدوى التعليم ، ففتح لهم حاكم البلاد مدارس ليلية على نفقته ، هي الاولى من نوعها في ساحل عمان ، يتعلم فيها اليوم ١٨٠ امرأة و ٢٧٠ رجلا .. كما فتح مدارس لتعليم ابناء مناطق الزيد والحمرية ودبا وخورفكان وجزيرة ابو موسى ..

« اما الكويت فقد شيدت حتى اليوم تسع مدارس في الشارقة بين ثانوية ومتوسطة وابتدائية ، وتقوم حاليا ببناء أكبر ثانوية للبنين تكاليفها مليونى ريال لتضم ٤٧ فصلا ، وسينتهى بناؤها في أوائل عام ١٩٧٢ » .

وينهي رئيس دائرة تعليم الشارقة حديثه بقوله :

– ولدينا حاليا بعثات معلمين عرب يتولون التدريس على نفقة حكوماتهم .. لدينا ٢٥٠ مدرسا من الكويت و ٣٦ من جمهورية مصر العربية و ٢١ من ابو ظبى و ١٣ من قطر و ٩ من البحرين و ٥ مدرسين من المملكة العربية السعودية .. »

٧ آلاف قضية في السنة

والذى يثير العجب في الشارقة هو انها تبنى نفسها رغم انعدام الامكانيات المادية تقريبا ..

« حقيقة ان النفط لم يظهر في بلادنا بعد ، ولكننا لا نتجمد ، وانما نعد العدة لاستقباله عندما يتفجر .. »

وانطلاقا من مبدأ مشاركة الشعب في مسئولية ادارة البلد انشأ الحاكم ١٢ دائرة حكومية ، وزع عليها مختلف الاختصاصات ، وبدأت بعض هذه الدوائر تعطى نتائج ايجابية مذهلة ، مثل دوائر الاراضي والمساحة ، والبلدية ، والمعارف ودائرة العدل ، فقديما كان الحاكم يجلس بنفسه يستمع الى شكاوى الناس ويفصل فيها .. اما اليوم فقد اصبح في الشارقة جهاز قضائي متكامل : محاكم شرعية ومحاكم مدنية ، ومحكمة استئناف ، وخمسة قضاة .. واعترفت بريطانيا بهذه المحاكم فنقلت اليها اختصاصات محاكم الاجانب التى كانت تتولاها ..

وفي عام ١٩٧٠ بلغ عدد القضايا التى تم الفصل فيها في محاكم الشارقة اكثر من سبعة الاف قضية حقوقية وجزائية وشرعية !

تغيير في أسلوب الحياة

لقد تخيلنا هذا الحاكم وكأنه مثال كبير .. نحت عملا رائعا .. نحت مدينة كاملة .. اعطاها كل ما في قلبه ووجدانه من حب وجهد وتضحية .. رأيناه يعمل صباحا ومساء ، يحاول استخراج اقصى ما يمكن من اقل ما يمكن . وفي يوم الجمعة عندما يستريح الناس يفتح الشيخ خالد ابوابه لاستقبالهم والحديث معهم في مجلس شورى مفتوح ..

ان الذى يحدث اليوم في الشارقة شيء فريد .. كفة النجاح فيه راجحة على كفة الجمود ..

والتغيير ليس في المبنى والمكان ، بقدر ما هو في الانسان في اتجاهه .. في هدفه .. في اسلوب حياته .. تغيير سيجعل من الشارقة جوهرة في جبين دولة الامارات المتحدة الوليدة .. ■■

سليم زبال

الأصل في تعليم العرب.. أن يكون

بقلم : الدكتور عزة مريدن

عميد كلية الطب السابق بدمشق

■ الضجة التى قامت فى بعض البلاد العربية وتقوم ، حول تعريب التعليم ، بين المفكرين المصلحين ، وبين العلماء والمسؤولين ، ليست الاولى من نوعها ، فلقد سبقتها ضجة مماثلة او اشد حماسة فى ايام الوحدة بين سورية ومصر ، انتهت الى قرار تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة العربية ، حتى جاء فى المادة الثامنة من القانون (١٨٤) المتضمن تنظيم جامعات الجمهورية العربية المتحدة ما يلى : اللغة العربية هي لغة التعليم ، ما لم يقرر مجلس الجامعة، فى احوال خاصة ، استعمال لغة اخرى ، على ان الاستدراك الاخير ، لايعني اكثر من الالحاح على ضرورة معرفة اللغات الأجنبية ، والا فان الاصل فى تلك المادة ، ان يكون التعليم باللغة العربية ، لغة البلاد الاصلية ، التى كانت ومازالت من اقوى لغات العالم، فى قدرتها على النحت والاشتقاق والتعريب والتصريف .

ولقد طلب الي وقتئذ ـ وكنت عميدا لكلية الطب بجامعة دمشق ـ ان احاضر عن نتائج التجربة التى عانيناها فى تعليم الطب باللغة العربية ، منذ تأسيس كلية الطب حتى ذلك اليوم ، فلبيت الطلب ، وحاضرت على مدرج دار الحكمة بالقاهرة ، مثبتا بالحجج والبراهين الدامغة ، نجاح هذه التجربة ، واوردت فى محاضرتي ما يفحم المعارضين ، وما يوضح ان لغتنا الحبيبة ، قادرة على الاضطلاع باعباء التعليم الطبي والعلوم الاخرى .

وقد زعم احد المعارضين وقتئذ ان سبب التعليم باللغة العربية فى غير بلاد العرب ، يوم كانت الدنيا كلها تتغنى فيه بقوة العرب وامجادهم وبطولاتهم ، يكمن فى قوة الفتوحات العربية آنذاك ، وان القوة وحدها هي السبب الاول والاخير ، فى نشر التعليم بلغة العرب ، فى البلاد التى استولوا عليها ايام فتوحاتهم ، ولقد

بالعربيَّة

رددت هذا الزعم ، واجبت المعارض بان هذه الحجة التى ظنها الى جانبه ، كانت فى الواقع حجة عليه ، فهل كان يريدنا ان نعتقد ان القوة اياها ، هي التى كانت السبب فى تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة الانكليزية فى البلاد المصرية ؟ ولقد شد أزرى آنئذ علماء ولغويون فطاحل ، من اساتذة كلية الطب وغيرهم كانوا من شهود المحاضرة ، مؤيدين ما ذهبت اليه .

ولقد ابنت آنذاك ، ان كثيرا من علماء عصرنا الذهبي ، ممن لم يكونوا فى الاصل عربا ، قد اختاروا اللغة العربية للتعبير والتاليف ، والتعلم والتعليم ، لما تبين لهم من قدرتها على حسن الاداء ، وغناها بالمفردات والصيغ والاوزان ، وتمكنها من متابعة التيار الحضارى والعلمي من نواحيه كافة ، ولما كنت من الذين حملوا لواء الدفاع عن تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة العربية ، مستندا الى ماضى العرب المجيد ، حينما كانت العلوم كلها ، تدرس باللغة العربية، والى النجاح الذى لاقته هذه التجربة فى جامعة دمشق ، منذ نصف قرن حتى اليوم ، احببت ان ادلي بدلوى بين الدلاء ، ذاكرا ما اعتقد بصواب منطقه وقوة حجته .

فى مؤتمر الادباء العرب الثاني المنعقد فى لبنان فى شهر ايلول من عام ١٩٥٦ ، قال عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين : لقد اثبتت اللغة العربية انها لغة طامحة حريصة ، تسيغ وتهضم كل ما تستطيع ان تلقاه أمامها من انواع البحث والعلم والحضارة على اختلاف فروعها ، فكل ما كتبه اليونان والرومان، أساغته اللغة العربية ، وحولته الى ثقافة واحدة .

ويقول العالم (تارو) : لقد كانت العلوم أول نشأتها يونانية ، فارسية ، هندية ، فاقتبسها العرب وترجموا جميع ما وقعت عليه ايديهم الى اللغة العربية ، وطبعوها بطابعهم ، واضافوا اليها الكثير من مبتكراتهم وآرائهم ، ولما استيقظ الغرب ، انتقلت هذه العلوم من اللغة العربية على يد التراجمة آنذاك .

ويقول العالم(لوكلرك) لم يكد ينقضي القرن الثامن حتى كان العرب قد ملكوا جميع علوم اليونانيين ، وحتى اضافوا اليها الكثير مما ابتكروه او نقحوه او جدّدوه ، وحتى اجتمع لهم فى خزانة قرطبة وحدها ، زهاء (٦٠٠ الف) مجلد ، فى مختلف العلوم والفنون ، واللغة والآداب ، فليت شعرى كيف استطاع العرب وقتئذ ان يملكوا جميع العلوم اليونانية ؟ والى اى لغة ترجموها ان لم تكن اللغة العربية ، وكيف امتلات بطون هذه الكتب بالعلم ومصطلحاته ؟

وكيف كان يعبر اساطين الكيمياء والرياضيات والطب والجبر والفلك عن بحوثهم وآرائهم ، وهل عجزت اللغة العربية عن نقل جميع المصطلحات العلمية او وضع مصطلحات جديدة او نحتها او تعريبها .

ويقول السير (ويليام اوسلر) : لئن ضاع معظم اصول العلوم اليونانية ، فان العرب قد حفظوها ثم مالبثوا ان جودوها وزادوا عليها ، ثم انتقلت عنهم الى البلاد الغربية .

ويقول (سارطون) : انه لعمل عظيم جدا أن ينقل العرب علوم اليونان وفلسفتهم ، وأن يزيدوا عليها حتى أوصلوها الى درجة مرموقة من النمو والارتقاء .

ويقول (سيديو) : ان العرب كانوا اساتذة اوربا كلها فى جميع فروع المعرفة ، فقد انتشرت علومهم فى مصر وسورية ابان الحروب الصليبية ، كما انتشرت من صقلية ونورماندیا وجنوبي ايطاليا فى عهد بنى الاغلب ، وانتشرت من الاندلس ، وهى اكبر مركز للتصدير ، بواسطة التراجمة والرواد الذين اموها من بلاد الغرب ينهلون العلم من منابعه الثرة الدافقة ، فى ظلال الحكم العربي السمح ، والمع هؤلاء الرواد (جوبر) المولود فى (اوفرنيا) والذى رقي فيما بعد ، لرتبة البابوية باسم (سلفستر الثاني) وذلك لطول باعه فى العلم الذى اخذه عن العرب فى الاندلس ، وهو الذى نقل الارقام العربية الى اوربا وسهل بذلك علم الحساب والجبر والفلك .

وكانت طليطلة واشبيلية وقرطبة وغرناطة ، منائر تتألق بالعلم فى غضون الحكم العربي ، وحينما سقط الفردوس المفقود ، كان اسقف طليطلة ، يجمع العلماء فى قصر الزهراء ، لترجمة الكتب العربية ، تمهيدا لتدريسها والافادة منها ، فقد نقل (ليونارد) كتب الجبر والطبيعة ، وأمر (روجه الأول) فى صقلية ان تكون كتب الادريسي المرجع العلمي المعتمد ، وحينما افل نجم العرب عن صقلية وحكمها النورمانديون ، وجدوا ان لا مناص لهم من تعلم اللغة العربية ، وقربوا العلماء العرب للانتفاع بهم ، وحافظوا على آثارهم ، ودعا حاكم صقلية بعدئذ (روجه الثانى) الشريف الادريسي هذا ، للتأليف فى الفلك ، فوضع له كتابه الشهير : (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) ، وحث الامبراطور (فردريك الثاني) على دراسة علوم العرب ، حتى كان ابناء الفيلسوف (ابن رشد) يقيمون فى بلاط الامبراطور، ليعلموه دروس النبات والحيوان . ولم تذكر المراجع التاريخية شيئا عن اللغة التى كانت تلقى بها هذه الدروس ، ولكن المسألة لاتعدو ان تكون احد امرين ، فاما ان تكون هذه الدروس قد اعطيت باللغة العربية ، وهذه مناسبة قوية للتدليل على فضل لغتنا الحبيبة واضطرار الغربيين لتعلمها ، ليستطيعوا دراسة العلوم العربية واما ان تكون قد اعطيت باللغة الأجنبية ، وهذا دليل آخر ، على أن اللغة العربية مرنة كريمة معطاء تأخذ وتمنح وتتطور ، ولا تعجز عن نقل ما فيها الى لغات غيرها ، كما لم تعجز من قبل عن نقل ما عند الآخرين اليها .

ولعل استشهادى باقوال واعمال المستشرقين والعلماء والتراجمة الغربيين ، كاف لاقناع الجاحدين والمترددين ، بفضل لغتنا وقدرتها على حمل الرسالة العلمية ، اليوم وغدا والى الابد ، مثلما حملتها فى الماضى ، يوم كانت بلاد العرب ، كعبة القصاد

ومنارة الهدى ، يؤمها المتعطشون للعلم والمعرفة من كل حدب وصوب .

اما الحجة التى يتذرع بها انصار التعليم باللغة الاجنبية ، وهي مسالة المصطلحات العلمية والاسماء الجديدة التى نشأت بسبب تطور العلوم واتساعها ، فقد كفانا العلامة اللغوى المرحوم الامير مصطفى الشهابي مؤونة النقاش فيها ، وذلك حينما وضع كتابه القيم عن المصطلحات العلمية ، ففيه آراء ثمينة عن كيفية وضع هذه المصطلحات ، وطريقة ترجمتها من اللغات الاجنبية ، والسبيل الى توحيدها فى الاقطار العربية كافة . ولقد تطورت العلوم فى جميع فروعها ، ونشأت عن هذا التطور وجوه جديدة للقول فيه ، وصفا وتعريفا ، وشرحا وتصنيفا ، فكان لا بد من ان تنمو اللغة وتزداد مفرداتها ، بوضع المصطلحات العلمية ، وضمها الى صميم اللغة العربية ، ولئن نمت اللغة العربية فيما مضى من الزمن ، بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب فهل من الصعب اليوم ان تنمو بعد تطور العلوم ، بهذه الوسائل نفسها ، وفوق ذلك ، فان العلوم المختلفة تدرس فى البلاد الاجنبية بلغات اهلها ، فكيف نستسيغ هذه الدراسة ، نحن العرب ، بلغة غيرنا ، حتى تلك الامم ، التى هي دوننا قدما وثقافة وعراقة فى اللغة والادب والعلم والعدد ، لا يسمح لها تمسكها بقوميتها ولغتها وواجبها الوطني ، ان تدرس العلوم بغير لغتها .

على ان الاقرار بضروره التعليم باللغة العربية فى البلاد العربية ، لايعني الاكتفاء بالدراسة بها وحدها ، بل لا بد من الرجوع الى ما قيل او كتب فى غيرها من اللغات ، فى الكتب والمجلات ، اذ ان التوسع والاطلاع على كل مستحدث وجديد ، تفرضه ضرورة متابعة الركب العلمي ، السائر بخطى حثيثة نحو الامام ، وهذا ما يوجب معرفة لغة او لغتين اجنبيتين معرفة كافية ، حتى تخرج علومهم ومعارفهم ، من افقها الضيق المحدود ، الى الآفاق العالمية التى يجب ان تكون فيها ، ولكن الفرق يظل واضحا بين تعلم اللغة الانكليزية او الفرنسية او سواهما ، وبين التعليم باحدى هذه اللغات ، فى بلد ووطن غير بلدها ووطنها ، فهما امران مستقلان ، ولا رابطة تلزم بالضرورة ، ان يتصل هذان الموضوعان بل هما يتممان بعضهما بعضا .

واذا قدر للتاريخ ان يعيد نفسه فى يوم من الايام ، واصبحت للغرب علومهم ومبتكراتهم ، فكيف سيأخذ عنا الآخرون ؟ الم يأخذوا فى الماضي بترجمة كتبنا وثقافتنا من لغتنا العربية الى لغاتهم الاجنبية فلماذا نحرم على انفسنا اليوم ، ما حل لغيرنا فى الماضى ؟ وسبيلنا الى ذلك ان تتبنى كل الدول العربية ، المصطلحات التى يقدمها مجمع اللغة العربية ، الذى يضم علماء ولغويين ، من البلاد العربية كافة ، وكذلك تلك التى ينشرها المكتب الدائم للتعريب ، المنبثق عن جامعة الدول العربية ، والذى يشرف عليه فى المغرب ، العلامة اللغوى الاستاذ (عبد العزيز بن عبد الله) .

واني لأخلص من جميع ما ذكرت ، الى ان الضرورة القومية تفرض علينا فرضا ، ان نجعل التعليم فى بلادنا ، بلغتنا ، وان ننشىء ابناءنا واجيالنا القادمة ، على الفخر والاعتزاز بلغتهم ، وبمقدرتها على اساغة العلوم واستيعاب الثقافات . ■■

دمشق ــ عزة مريدن



العجوز .. والطيف !

■ فى بهمة الليل ، سرت متحسسا طريقى .
الظلام اكداس ، بعضها فوق بعض .
العتمة تشيع فى نفسى ، فتغشى عينى .
الهواء حبيس كثيف ، يجثم على صدرى .
وبعد لأى اهتديت الى دارى .
لم استطع ان اشعل النور ..
لا كهرباء .. حتى لا اعواد ثقاب .
دارى خربة مهدمة .
وانتحيت فيها ركنا انشد الراحة .
ولكن ليس ثمة من راحة .
بل ليس ثمة من تعب !
انه شىء مبهم ، يرسب فى قرارة وجدانى :
احساس بالخواء .
وعن كثب من النافذة المحطمة ، جلست على مقعدى القديم .. وامامى انقاض مكتبى .
واعتمدت رأسى بيدى .
ورغبت فى ان اغفو ..
ولكن النوم كان عصيا .
واتحدت ظلمات نفسى وظلمات الطبيعة من حولى .
ضياع يا له من ضياع !
وتهاوى رأسى من بين يدى .
واسترسلت ابكى ..
ظللت وقتا طويلا اذرف الدمع .
وكلما امتد بى البكاء ، اشتد بى النزوع الى العويل .
اهلى .. اين هم ؟
اموالى .. اين هى ؟



قصة من الشعر المنثور

بقلم محمود تيمور

مجدى .. كبريائى .. عمرى ..
لم يعد لى من شيء .
واستشعرت بعد طول البكاء وخما يتثاقل على جسدى ، فكدت اغيب عن وعيى .
وتادى الى سمعى على حين بغتة خفق اجنحة ، ورفيف ريش ..
علوت بهامتى أتلفت ..
كان عصفور يتواثب فى خفة امامى ، على المكتب .
تبينته بعد جهد ، وسط القتام السائد .
انبعث العصفور يشدو ، متساوق النغم .
كان شدوه حنونا ، اخذ بمجامع قلبى .
اصغيت له ، منتشيا به .
كان رفيف اجنحته يطلق ومضات ، فى ضوئها استبان لى شكله :
ريش مختلف الوانه ، كأنما هو قوس قزح .
ومنقار ناصع بياضه ، كأنه قطعة من عاج .
وخصلة على الجبين تتهدل خيوطا من حرير ..
ان العصفور يغدو حيالى ويروح .
يتقافز على كتفى رشيق الخطا .
يقف على راسى ، يداعب شعرى .
وما لبث يتنقل مواصلا شدوه الرخيم .
وطال اصغائى له ، وتجاوبت فى قلبى خفقات حنين ..
واخيرا لمحت العصفور على ضوء رفيف الاجنحة يقترب من كفى ..
واستقر على يدى ..
شد ما هو خفيف الوزن ، لا أكاد أحس له وقعا ..
ووجدتنى ادنيه من فمى .
ولامس منقاره شفتى .
يا للرعشة التى هزتنى ..



واحسست العصفور يلقى فى فمى بحبات رقاق .
اكانت حبات قمح ، ام حبات ارز ، ام لا ادرى ما هى ؟
انها حبات حلوة المذاق .
ما كان اشهاها فى فمى بعد صيامى المديد .. صيام اعوام !
واخذ العصفور يتطاير ثم يعود نحوى ، ليلقمنى من حبه الشهى .
ودبت فى اوصالى حياة .
واستطاعت عيناى أن تجلو عن المرئيات غواشى الظلمات ..
ومن الأعماق البعيدة ، انبثق طيف نورانى ..
واذا هو يقترب منى ..
طيف غادة ، جسدها شعلة وهاجة ، عليها غلالة قرمزية ، ومن راسها تنساب خصائل شعرها المواج .
سارت فى خطو وئيد ، يرف على فمها ابتسام ، ويتضوع منها عطر .
قالت فى صوت منغم ، وهى تدور حوالى :
ـ لماذا انت جالس هكذا ؟
ـ انى شيخ هرم ، هده الضياع !
ـ كم عمرك ؟
ـ الوف سنين !
ـ عمر مألوف فيمن هو على غرارك ..
ـ وهن جسمى ، واشتعل الراس شيبا .
ـ انه راس عامر بتجربة الزمن ، وحكمة الايام .
ـ اشعر بدنو اجلى .
ـ ستضيف الى عمرك الوفا من السنين اخرى .
ـ لقد مللت الحياة ..
ـ طبيعة الحياة التجديد .. وسيغريك بالحياة جديدها ..
ـ انى هالك !
ـ لقد صارعت الزمن فى ماضيك ؟ وستصارعه فى مستقبلك .. سنة الحياة ، بل معجزتها الخالدة .
ـ لقد اصبحت الحياة عقيما ، لا تتمخض عن معجزات .. ■■

ـ المعجزة فيك انت .. ايها العجوز ! .. اطلبها تستجب لك .. انها لا تجيئك من خارج ..

.. صمت ، وتأمل ..

ـ الا تعرف لماذا زرتك أيها العجوز ؟

ـ انى منصت لك ..

ـ لأنى أحبك .. متولهة بك .

ـ فتاة نضرة تحب شيخا فانيا ..

ـ انها سنة الحياة .. تجمع بين المتباعدين ، وتؤلف بين الضدين ، ليتحقق التآلف والوفاق .

ـ وماذا تحبين منى ؟

ـ غضون وجهك ..

ـ .. .. ؟ !

ـ انها كتاب حافل بالبطولات العظام .

ـ لقد عفى الزمن على تلك البطولات .

ـ انت مستطيع احياءها ، بل مستطيع ان تخلق بطولات تصلها بما سبق .

ـ .. .. ؟ !

ـ لن يعجزك أن تبنى ما انهدم ، وتبعث ما ظننته فى عدم .. فافتح عينيك للنور ، واملأ رئتيك بالنسيم .

وهنا ارتفع شدو العصفور ، وألفيت الغادة تتوسط القاعة ، وبدأت تحرك قدميها رفيقة هينة .

كانت ترقص فى رشاقة ، وذراعاها يتمايلان فى الهواء ، كأنهما جناحان لطائر ..

ووجدتنى أتطلع اليها فى ابتهاج ، وهى تبعث الى بابتسامات لطاف ، والنغم العذب يغلف كيانها الساحر ..

كنت أرنو اليها ، امتع ناظرى بطيفها اللألاء .

ظلت هى كذلك حينا ، وأنا سادر فى متعة ، غائب فى نشوة .

ومن بعيد ، ترامت على سمعى مع بواكير النسيم هتفات تثير المشاعر ، وتراءت لعينى على تباشير الضوء صروح تتعالى شواهق .

ثم صافح سمعى اذان تتجاوب أصداؤه فى الفضاء .

انه اذان الفجر الجديد ..

وتطلعت الى النافذة فاذا خيط ابيض يتبين فى الأفق ، متسللا الى الحجرة ..

واذا الغادة والعصفور يتزايلان فى ضوئه على مهل ، يمتصهما غور المكان !

■■

محمود تيمور

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيبُ

هل الجنيه الاسترلينى والدولار هما العملتان الصعبتان فقط فى العالم ؟

● الدولار والاسترلينى عملتان صعبتان تستعملان في التجارة الخارجية .. فهل هناك عملات صعبة اخرى غيرهما ؟
كمال حسين ابراهيم ـ السودان



ـ كل عملة حرة هى عملة صعبة .. والعملة الحرة هى تلك العملة التى لا يكون هناك قيود مفروضة على التعامل بها واستبدالها بعملات اخرى خارج حدود بلادها .. ومن هذا يتضح لك ان هناك عملات حرة كثيرة غير الدولار والاسترلينى نذكر لك منها على سبيل المثال لا الحصر الدينار الكويتى ـ الليرة اللبنانية ـ الفرنك السويسرى ـ المارك الالمانى الغربى وغيرها وغيرها .. ونزيدك

أردْتُ عَمْراً .. !!

● هناك مثل يقول : « أردْتُ عَمْرا وأراد الله خارجةً » فما مناسبة هذا المثل ، وما فحواه رحمك الله ؟
فارس سلطى ـ الزرقاء

ـ اما عَمْرو في هذا المثل فهو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمى ، المشهور بالدهاء ، اسلم سنة ثمان من الهجرة. وخارجة ، هو خارجة بن حُذافة بن غانم القرشيّ العَدَويّ ، من الذين شهدوا فتح مصر ، وكان أميرَ رُبْعِ المَددِ الذين أمدّ بهم عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه عَمْرَو بن العاص في فتح مصر ، وكان على شرطة مصر في إمْرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان. وقيل انه كان قاضيا لعَمْرو بن العاص بمصر . وكان ثلاثة من الخوارج قد اتفقوا على أن يقتلوا سيدنا عليا بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ، وأجمعوا على أن يكون ذلك في ليلة واحدة في صلاة الصبح .

فاما سيدنا علي بن ابى طالب فاصابه عبد الرحمن بن مُلْجِم المُرادى فقتله غيلة في صلاة الصبح بالكوفة .

واما الحجاج بن عبد الله الصريمى ويعرف بالبُرَك فانه توجه الى دمشق ، فضرب معاوية بسيفه وهو في الصلاة ، فجرح أليته ولم يقتله.

واما دادَوَيْه ، وهو رجل من بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، وقيل انه مولىً لهم، فانه ترَصّد



ايضاحا فنقول ان العملات الحرة هي تلك العملات التى يتم التعامل فيها رسميا في عمليات الاستيراد ودون حاجة الى اتفاقيات نقدية خاصة . وغالبا ما يكون مركز العملة الحرة ثابتا في الاسواق نتيجة لمتانة مركز غطائها الذهبي او الاقتصادي . اما عندما تفرض قيود على التعامل بعملة بلد ما في الخارج فانها تصبح غير حرة ، وهذا الاجراء تضطر اليه كثير من الدول النامية لحماية نقدها من التدهور نتيجة لاختلال ميزان مدفوعاتها وعوامل اقتصادية كثيرة اخرى . والعملات الحرة لها اسواق دولية اهمها في جنيف ونيويورك وتتجدد سعر هذه العملات يوميا في هذه الاسواق ، فهي بين هبوط وصعود دائم في حدود ضيقة عادة نتيجة مختلف العوامل الاقتصادية او العالمية التى تؤثر في سوق المال . وهي عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

م.ط

لعمرو بن العاص ، لكنّ عمرو بن العاص قيل انه اصابه شيء في بطنه في تلك الليلة المتفق عليها ، فتخلف في منزله ، واستخلف خارجةَ ليصلي بدله ، فتقدم دادويه من خارجة وهو يظنه عمرو ابن العاص ، فقتله . فلما قتله اُخِذ واُدخل على عمرو بن العاص،فقال : مَنْ هذا الذي ادخلتموني عليه ؟ فقالوا : عمرو بن العاص . فقال : ومن قتلت ؟ فقالوا : خارجة . فقال : اردتَ عمراً واراد الله خارجة .

وكان عمرو يقول : ما نفعني بطني قط الا تلك الليلة .

هذا وقد قال ابن عبدون في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس ملوك بَطَلْيَوس :

وليتها اذ فَدَتْ عَمْراً بخارجةٍ
فدَتْ عَلِياً بمن شاءَتْ من البَشَرِ

ع.ف

اسكتلنديرد : ماهو عمل هذه الدائرة الحقيقي

● ما هو عمل اسكتلنديرد ؟ هل هو الاستخبارات السياسية ؟ ام المباحث الجنائية ؟ ام ماذا ؟ . .

خليل زكا ــ الموصل

ــ اسكتلنديرد هي قوة بوليس العاصمة البريطانية او ، ان شئت الدقة ، هي قوة بوليس لندن الكبرى Graeter London ، البالغ عدد سكانها نحو ٨ ملايين نسمة . انها احدى قوى البوليس المائة وثمانية وخمسين العاملة في شتى انحاء بريطانيا . ولعل اسكتلنديرد ، او قوة بوليس المتروبوليتان Metropolitan Police كما تسمى رسميا ، لعلها اكبر تلك القوى جميعا . فهي تضم نحو ٢٠٠٠٠ رجل بوليس ، اى ما يقارب ٢٧٪ من مجموع رجال البوليس في بريطانيا البالغ عددهم نحو ٧٥٠٠٠ رجل .

وتقوم اسكتلنديرد بنفس الاعمال التى يقوم بها البوليس عادة . فهي تشرف على حركة السير والمرور وتحافظ على الامن والنظام وتمارس اعمال الخفر والنجدة ، وتقوم بملاحقة المجرمين ، الى غير ذلك من اعمال .

على ان اسكتلنديرد ، وان شابهت غيرها من قوى البوليس من حيث الاعمال التى تقوم بها ، فانها تختلف عنها من حيث المستوى الرفيع الذي بلغته في ممارسة تلك الاعمال . فهي تعتبر رائدة في هذا الميدان ، وقد توافر لها من الخبرة والكفاية فيه ما لم يتوافر لغيرها . هذا اذا لم نقل ان قوى البوليس الاخرى ، البريطانية وغير البريطانية ، كثيرا ما ترجع الى اسكتلنديرد ، تطلب مساعدتها وتتلمس ارشادها ، ولا سيما في القضايا الغامضة والجرائم المستعصية .

لا عجب اذن ان كانت دائرة الجريمة Crime Department او دائرة « C » كما يرمزون اليها ، هي اشهر دوائر اسكتلنديرد الاربع



واخطرها . ويعزى ذلك الى الاساليب المتطورة التى تعتمد عليها هذه الدائرة في محاربة الجريمة.

وحسبنا ان نشير هنا الى ثلاثة من تلك الاساليب،او بالاحرى الى الشعب التى تعمل بها دائرة الجريمة .

فهناك شعبة الارشيف الجنائي Criminal Records ، وهى التى اشتهرت بفهرسها الفريد الخاص بالمحكومين والمطلوبين . اذ ان هذا الفهرس لا يشمل فقط الاوصاف المألوفة من طول ووزن ولون شعر وعيون وما الى ذلك . فهو يشمل ايضا ما يمكن تسميته باسلوب المجرم الخاص فى ارتكاب الجرائم .

والمقصود بهذا الاسلوب الملابسات او الافعال التى لا علاقة مباشرة لها بالجريمة والتى تصدر عن المجرم اثناء ارتكابه اياها ، كالتدخين مثلا ، وعدد السجاير التى يدخنها المجرم في فترة الجريمة ، ومقدار ما يدخنه من كل منها ، وهكذا . فقد ثبت ان هذه المعلومات الجانبية وامثالها قد تساعد على اكتشاف المجرم ، حتى في الحالات التى تنطمس فيها المعالم الاساسية للجريمة .

وتجدر الاشارة هنا الى الشفرة الخاصة بالبصمات التى استحدثتها اسكتلنديرد وطورتها. فهذه الشفره تصنف شتى البصمات وتقسمها الى فئات مختلفة . وهى تميز بين هذه الفئات بتحديد المواصفات المشتركة بينها تحديدا دقيقا يسهل معه الحديث عن البصمات وكانها السيارات . وهكذا اصبح فى مقدور قوى البوليس المختلفة في العالم ان تتبادل المعلومات عن البصمات دون الحاجة الى تبادل صور هذه البصمات . وهذا امر غريب وقد بدا في السابق مستحيلا بالنظر الى ان صفة البصمات المميزة هى في انها تختلف من انسان لانسان ، ولا تتشابه اثنتان منها الا في حالات نادرة جدا ، قدروها بحالة واحدة فى كل (٢٤٠٠٠) مليون حالة .. !

نأتى الآن الى ما يسمى بغرفة الاستعلامات Information Room . ولعل العمل الذى تقوم به هذه الغرفة هو من ابرز ما اشتهرت به اسكوتلنديرد اجمالا . ذلك ان رقم ٩٩٩ الذى يديره ابن لندن للاستنجاد بقوة بوليس سكوتلنديرد انما هو رقم الغرفة المذكورة . واذا علمنا ان الوقت الذى يفصل بين طلب النجدة وبين وصولها الى طالبها ، لا يكاد يجاوز بضع دقائق معدودة ، ادركنا الدور الخطير الذى تلعبه غرفة الاستعلام التى ذكرنا .

ولا يتسع المجال بعد هذا للحديث عن شعب اخرى من شعب دائرة الجريمة كشعبة المباحث الجنائية C.I.D. مثلا، وقد لا يتسع لاكثر من التلميح الى معهد الدراسات الجنائية والمختبرات الكيماوية والصحيفة اليومية التابعة لاسكتلنديرد . ولا بد من التلميح ايضا الى ان اسم اسكوتلنديرد انما هو الاسم الذى اطلقه أهل لندن على المقر الاول الذى شغلته رئاسة قوة البوليس هذه ، لدى انشائها سنة ١٨٢٩ . وكان ذلك بسبب فناء Yard كان وراء ذلك المقر ، اشتهر بين اهالى لندن باسم الفناء الاسكتلندى Scotland Yard وذلك نظرا لقربه من قصر اسكتلندة الذى كان لملوك اسكتلندة ايام كانت هذه دولة مستقلة . والغريب ان قوة بوليس المتروبوليتان تخلت عن مقرها الاول ولكن اسم سكوتلانديرد لم يتخل عن مقرها الثانى . فقد انتقل معها الى هذا المقر الثانى الذى شغلته اعتبارا من اواخر القرن الماضي والذى اصبح يعرف منذئذ باسكوتلنديرد الجديد New Scotland Yard .

ى.ز

الملاكمة ... متى عرفت وماهى قوانينها واحكامها .. ؟

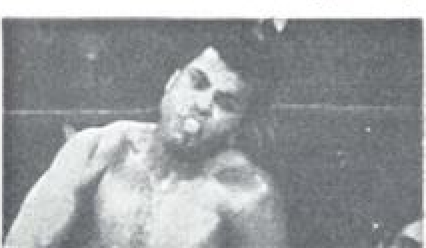
● انا من هواة رياضة الملاكمة ، تلك الرياضة التى تثير اهتمام الملايين من الناس في شتى انحاء العالم ، وخاصة بعد ظهور الملاكم المسلم العالمى محمد على كلاى. ولكننى لا اعرف الكثير عنها .. عن قوانينها واصولها وتاريخها ، فهل لكم ان تقدموا لنا نبذة قصيرة عنها ؟

صالح فلاح/الكويت

ـ الملاكمة من اعنف انواع الرياضة فى العالم . ويرجع تاريخ هذه الرياضة الى عصر قدماء الاغريق واليونانيين الذين مارسوا نوعا من القتال كثير الشبه برياضة الملاكمة اليوم ، الا انه يختلف عنها، لان المتبارين والمتقاتلين كانا يستخدمان قبضات ايديهم عارية بلا قفازات . الى ان كان عام ١٩١٧، عندما نصّب رجل انجليزى يدعى جيمس فيج James Figg ، وكان يعمل فى احد المسارح المتنقلة،نصب من نفسه بطلا،واقام حلبة للملاكمة فى ساحة توتنهام كورت Tottenham Court كان يدرب فيها الكثير من تلاميذه الهواة ، ويتحدى الوافدين لمنازلته . وكان يتبع اسلوبا عنيفا فى ملاكمة خصومه .

وحتى هذا التاريخ ، لم يكن الملاكمون ، او المقاتلون يعرفون القفازات ، كما لم يكن لهذه الرياضة قوانين مرعية ، فقد كان مسموحا للمتبارين ان يستخدما كل الوسائل فى سبيل انزال الهزيمة بالخصم وتحقيق النصر من اجل الفوز بالجائزة المرصودة للفائز ، حتى العض والرفس والامساك بالخصم وحمله والقائه على الارض ، كلها اساليب كان مسموحا بها فى ذلك الوقت ، وكانت المباراة تستمر ساعات طويلة ، واستمرت اطول مباراة ست ساعات و ١٥ دقيقة.

ثم تطورت الملاكمة ، وجاء احد تلاميذ المقاتل جيمس فيج ، ليضع اول قوانين مكتوبة للملاكمة ، ويبتكر القفازات ، ولو ان استخدام هذه القفازات كان مقصورا على التدريبات وحدها ، فقد استمرت المباريات تجرى بدون قفازات .



الى ان كان عام ١٨٦٦ عندما انشىء نادى الهواة الرياضى فى انجلترا ، ووضع اعضاء هذا النادى وفي مقدمتهم جون تشيمبرز John Chambers، قواعد مباريات الملاكمة بالقفازات ، وهى التى اصبحت بعد ذلك اساسا لكل القوانين التى تسير عليها مباريات الملاكمة اليوم .

وحددت هذه القواعد الاوزان العشرة للملاكمين، وهى التى لا تجيز لأى ملاكم ان يدخل فى مباراة مع ملاكم آخر الا اذا كان من نفس الوزن .

وقد اصبحت الملاكمة الآن توصف بأنها « فن الدفاع عن النفس » ، وان اتصفت بالعنف والقسوة ، حتى ان اصواتا كثيرة ارتفعت مطالبة بالغاء هذه الرياضة .

وقد حاول المشرفون على هذه الرياضة ان يضعوا القوانين التى تحرم الضربات التى تشكل خطرا على حياة الملاكم ، فمنعت القوانين الضرب تحت الحزام ، كما منعت توجيه اللكمات الى منطقة الكليتين او الظهر ، او الضرب بالقفاز وهو مفتوح .

ويعتمد تفوق الملاكم على التقيد بقوانين الملاكمة وعلى توجيه الضربات الصائبة ، وعلى احكام الدفاع عن نفسه ، واخيرا على حركة قدميه فوق حلبة الملاكمة .

اما النصر ، فيتحقق عن طريق « النقط » اى عدد الضربات الصائبة التى توجه الى الخصم ، ويحتسبها الحكم لصالح الملاكم الفائز ، او الضربة القاضية ، وهى تلك التى لا يستطيع الملاكم المهزوم ان يقف بعدها على قدميه عندما ينتهى الحكم من العد حتى رقم عشرة ، او الضربة القاضية الفنية، التى يصاب فيها الملاكم اصابة بالغة تعرض حياته للخطر او يصبح عاجزا عن الدفاع عن نفسه اذا ما استمر فى المباراة .

م . ن

سور الصين

● تسمع كثيراً عن سور الصين وتعرف انه قديم ولكننا لا نعرف شيئاً عن ماضيه، متى انشيء؟ ومن بناه؟.. ارجو أن تحدثونا عن ذلك في بابأنت تسأل ونحن نجيب.

سليم لحدان ـ القامشلي

ـ سور الصين العظيم سور ضخم للغاية. فهو طويل ويمتد مسافة ١٥٠٠ ميل (٢٤٠٠ كيلو متر) على حدود الصين الشمالية والغربية. وهو مرتفع، وعلوه متفاوت، الا انه يبلغ ٢٠ قدما بالمتوسط. وتتجلى ضخامة هذا السور في انه مزدوج ولا يقتصر على جدار واحد. ويصل بين جداريه الداخلي والخارجي ممر او سطح مبلط (انظر الصورة). اضف الى ذلك ان عددا كبيرا من الابراج الحصينة تتخلل سور الصين وقد تقصر المسافة بينهذه الابراج احيانا بحيث لا يزيد بعد البرج الواحد عن البرج الذي يليه على ١٠٠ ياردة.

وسور الصين العظيم قديم في التاريخ. انه من آثار الزمن القديم التى صمدت واحتفظت بكيانها

سور الصين العظيم تم بناؤه حوالى عام ٢١٠ ق.م ويمتد هذا السور مسافة ٢٤٠٠ كيلو متر.



حتى الوقت الحاضر. شأنه في ذلك كشأن الاهرامات، وان كان ما يبلغه من العمر (٢٢٠٠ سنة) لا يكاد يساوى نصف عمرها: (٥٧٥٠ سنة).

فقد استكمل بناء هذا السور فيما بين سنة ٢٢٨ ـ ٢١٠ ق.م ولا يعرف بالضبط متى بنيت اجزاء ذلك السور التى كانت قائمة آنذاك،والتى يعود بناؤها الى اقدم عصور التاريخ. الا ان تلك الاجزاء كانت قليلة وغير متصلة وكانت في الغالب مبنية من طين.

وبقيت تلك الاجزاء على هذه الحال حتى ظهور الامبراطور شيه هوانج تى Shih Huang Ti وقد تزايدت في عهد غارات قبائل هسيونج نو Hsiung - nu وكانت تستوطن المناطق الواقعة الى الشمال والشمال الغربى من الصين. ولو ذكرنا ان هؤلاء هم اسلاف قبائل الهونى Huns التى اجتاحت اوربا فيما بعد، في القرنين الرابع والخامسبعد الميلاد، لما استغربنا الغارات المتعاقبة بل الحروب الدامية التى شنوها على الصين، بقصد السلب والتدمير.

وبلغت هذه القبائل من القوة والشراسة ما لم تبلغه القبائل الاخرى التى اغارت على الصين من الجنوب والشرق والشمال الشرقى،والتى ما لبثت ان خضعت لحكمامبراطورها المباشر او غير المباشر. كان لا بد اذن منسور عظيم يكبح جماح تلكالقبائل المغيرة وقد تعذر كسر شوكتها والسيطرة عليها.

وهكذا عمد الامبراطور شيه هوانج الى تدعيم ما كان قائما من اجزاء السور ووصل بعضها ببعض واعادة بناء الكثير منها، وكذلك الى بناء اجزاء جديدة، اطول واقوى من تلك القديمة حتى كان سور الصين العظيم.

ولفظ «عظيم »هنا ليس نعتا منا. فقد سماه اهل الصين وغيرهم على هذا النحو منذ القدم.

ى.ز



زاوية الجرواشني

تستور
بلد الموريسكيين الأندلسيين

بقلم : محمد عبد الله عنان

▪ اتيح لي اثناء وجودي بتونس في ربيع سنة ١٩٧٠ ، أن ازور بلدة من بلدانها ، تمتاز بخواص تاريخية مؤثرة ، وتتصل باوثق الصلات ، بذكريات الامة الاندلسية الشهيدة .

هي بلدة تستور ، مثوى البقية الباقية ، من اعقاب الموريسكيين او العرب المتنصرين ، الذين قضت اسبانيا باخراجهم من اراضيها ، في اواخر سنة ١٦٠٩ (١٠١٨ هـ) .

وتستور بلدة متوسطة الحجم ، تقع بولاية باجة على ضفة نهر مجردة ، الذي يصب في البحر المتوسط ، على قيد سبعة وسبعين كيلو مترا ، من شمال غربي مدينة تونس . وهي احدى بلاد عدة ، انشيء معظمها في تلك المنطقة ، على يد الموريسكيين المنفيين ، الذين نزلوا بالاراضي



سقوف مدينة تستور

التونسية . وما زال عشرات الالوف من اعقابهم ، يعيشون بها حتى اليوم ، في ظروف واحوال تميزهم عن بقية اخوانهم التونسيين .

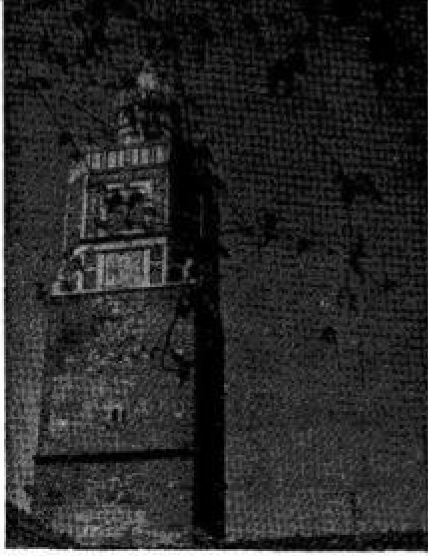
من هم الموريسكيون

ويجب قبل ان نتحدث عن تستور ، وعن خواصها التاريخية والاجتماعية ، ان نقول كلمة عن اولئك الموريسكيين ، الذين قاموا بانشائها ، وانشاء غيرها من البلاد والمحلات التونسية الجميلة الزاهرة . فالموريسكيون هم بقايا الامة الاندلسية المغلوبة ، الذين ارغمتهم اسبانيا على التنصر ، بعد أن سقطت في يدها غرناطة ، آخر القواعد الاسلامية بالاندلس،في سنة ١٤٩٢ ، بأعوام قلائل، وتحولوا بفعل الضغط والاضطهاد المطبق ، من امة مسلمة الى طائفة نصرانية كاثوليكية ، واطلق عليهم اسم الموريسكيين Moriscos اى العرب الاصاغر ، ويسمون في الاصطلاح التاريخى ، (بالعرب المتنصرين) .

وقد لبث أولئك الموريسكيون ، يعيشون تحت النير الاسبانى المرهق ، زهاء مائة عام اخرى ، وهم يعانون أروع ما يعانيه الشهداء ، من ضروب الاضطهاد والذلة ، تطاردهم السلطات المدنية والدينية ، ولا سيما محاكم التحقيق الشهيرة(١) باقصى انواع المطاردة ، وترغمهم تباعا ، على ترك عاداتهم وتقاليدهم الاسلامية ، ولغتهم وأسمائهم وثيابهم العربية ، حتى تقضي بذلك على تراثهم الدينى والحضارى ، وعلى اخص مقوماتهم المادية والمعنوية.وبالرغم من انهم كانوا في الظاهر نصارى، يشهدون القداس ، ويتكلمون القشتالية كانوا في سرائرهم مسلمين ، يتعلقون أشد التعلق ، بعقيدتهم الدينية الاصيلة ، ويزاول الكثير منهم سرا ، شعائر دينه ، من الصلاة والصوم ، وتلاوة الكتاب العزيز . وكانت اسبانيا تنظر الى وجودهم في ارضها – وهي ارض آبائهم وأجدادهم من قبل – بعين السخط العميق ، وتعتبرهم عنصرا دخيلا بغيضا ، يجب التخلص منه ، وذلك بالرغم من أنهم كانوا ، من افضل عناصر السكان ، نشاطا وخلقا وكفاية ودماثة وأمانة.واخيرا قررت الحكومة الاسبانية ، تحت ضغط الكنيسة ، ان تتخلص منهم نهائيا ، وان تجليهم عن أراضيها . وكان ذلك في سنة ١٦٠٩ ، في عهد الملك فيليب الثالث. ففى ٢٢ سبتمبر من هذا العام ، صدر مرسوم النفى النهائي للموريسكيين او العرب المتنصرين، وهو ينوه بخياناتهم ، واتصالهم باعداء اسبانيا ، واخفاق كل الجهود التى بذلت لتنصيرهم،وضمان ولائهم . وينص على نفيهم جميعا الى بلاد البربر (المغرب) . وبناء على ذلك فانه يجب على جميع الموريسكيين ، من الجنسين،أن يرحلوا معاولادهم

---

(١) هى المحاكم التى تعرف خطأ بمحاكم التفتيش .



صومعة الجامع الاعظم

في ظرف ثلاثة ايام ، من نشر هذا القرار ، من المدن والقرى، الى الثغور التى يعينها لهم مامورو الحكومة والموت عقوبة المخالفين ، وان لهم ان ياخذوا من متاعهم ما يستطاع حمله على ظهورهم. وان السفن قد اعدت لنقلهم الى بلاد المغرب . وسوف تتكفل الحكومة باطعامهم اثناء السفر . ونص المرسوم على تفاصيل وأحكام كثيرة اخرى ، وفقا لمختلف المناطق،التى يعيش فيها الموريسكيون.

حياتهم في المنفى

وبدا خروج الموريسكيين ، وفقا لهذا القرار ، من مختلف الثغور الاسبانية ، في اكتوبر سنة ١٦٠٩ (رجب سنة ١٠١٨ هـ) . وخرجت جموع كبيرة منهم ، من ثغور بلنسية ودانية ، وثغور اسبانيا الجنوبية . وسافرت جموع كبيرة منهم ، على السفن الحكومية ، في مناظر مبكية ، من البؤس والمهانة والجوع . وسافر منهم الوف كثيرة من الأغنياء والموسرين ، على نفقتهم الخاصة . والقت السفن بمعظم المنفيين ، الى ثغور المغرب ومدنه المختلفة . ونزل معظمهم بتطوان وسلا والرباط ووهران وتلمسان وفاس ، والجزائر والثغور التونسية . ويقدر عدد من غادر اسبانيا من الموريسكيين المنفيين بنحو ستمائة الف . وهلكت منهم الوف كثيرة خلال السفر ، من الجوع والمرض والاعتداء . وقد عاد معظم الموريسكيين ، الذين نفوا الى افريقية والشرق ، الى الاسلام دين الآباء والأجداد ، ولم تخمد مائة عام من التنصير المغصوب ، والارهاق المستمر ، جذوة الاسلام في نفوسهم .

تلك هي قصة الموريسكيين او العرب المتنصرين، وتلك هي مأساة نفيهم من اوطانهم القديمة ، في ربوع الاندلس . وقد قصدت من أولئك المنفيين جموع كبيرة الى شواطىء تونس . ونزلت منهم في الداخل الوف كثيرة ، يقدرها البعض بنحو ثمانين الفا . واليك ما يقوله ابن دينار المؤرخ التونسي ، عن مقدمهم الى البلاد التونسية، وقد كتب تاريخه بعد مأساة النفي بنحو سبعين عاما ، وذلك في حوادث سنة ١٠١٧ هـ (وصحتها ١٠١٨ هـ) .

« وفي هذه السنة والتى تليها ، جاءت جالية الاندلس من بلاد النصارى،نفاهم صاحب اسبانية، وكانوا خلقا كثيرا ، فاوسع لهم عثمان داى في البلاد ، وفرق ضعفاءهم على الناس ، واذن لهم ان يعمروا حيث شاءوا فاشتروا الهناشير ، وبنوا فيها ، واتسعوا في البلاد ، فعمرت بهم ، واستوطنوا في عدة اماكن .

اهم بلدانهم

« ومن بلدانهم المشهورة سليمان ، وبلى ، ونيالوا ، وقرنبالية ، وتركى ، والجديدة ، وزغوان ، وطبربة، وقريش الواد ، ومجاز الباب ، والسلوقية ، وتستور ، وهى من أعظم بلدانهم وأحضرها، والعالية وغير ذلك ، بحيث تكون عدتها أزيد من عشرين بلدا ، فصار لهم مدن عظيمة ، وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ، ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين ، وصاروا يعدون من أهل البلاد » .

واذن فقد كانت تستور ، وقت ان كتب ابن دينار تاريخه ، في اواخر القرن الحادى عشر الهجرى (اواخر القرن السابع عشر الميلادى) . من أعظم بلدان الموريسكيين ، في تلك المنطقة ، من الاراضي التونسية . وهى ما تزال كذلك الى اليوم ، وان كانت بمضي الزمن ، قد فقدت كثيرا ، من عناصرها الموريسكية القديمة . والواقع ان تستور تذكرنا بخططها ومظاهرها العمرانية، بالمدن الاندلسية الصغيرة . وقد كنا نشعر شعورا غامضا ، ونحن نتجول في دروب تستور ، اننا نتجول في دروب مدينة اندلسية . ونحن نستطيع ان نقول دون تردد ، ان تستور تشبه بخططها وشارعها الكبير ، ودروبها الجانبية ، ومنازلها

البيضاء (وهو اللون الاندلسي المفضل) مدينة استجة الاندلسية ، الواقعة على نهر شنيل فرع الوادي الكبير ، على مقربة من جنوب غربي قرطبة، بدروبها ومنازلها البيضاء ، ذات الطابق الواحد والطابقين . ومن مظاهر التخطيط الاندلسي ، في تستور ايضا ، ان كثيرا من منازلها ، يحتوي على الفناء الاندلسي الداخلي ، وقد غرست به النخيل او اشجار النارنج والورود . وقد وقفنا على هذه الحقيقة ، حينما صعدنا الى اعلى صومعة الجامع الاعظم ، والقينا منها نظرة على تستور ، فاذا بها مربعة التخطيط والفناء الاندلسي بمختلف اشجاره، يتوسط معظم منازلها البيضاء .

الجامع الاعظم

واعظم صروح تستور التاريخية ، هو الجامع الاعظم . وقد انشيء وفقا للرواية المتعارفة سنة ١٦٣٠ م (١٠٣٩ هـ) ، اي بعد انشاء البلدة بنحو عشرين عاما، وقام على انشائه محمد تافارينو، احد زعماء الجيل الثاني من المهاجرين . وهو مسجد كبير الحجم يقع صحنه في داخله ، وتحيط به العقود من الجهات الاربع ، تقوم كلها على اعمدة رومانية ، أخذت بلا ريب من الاطلال الرومانية القريبة . وليست به اية نقوش او زخارف . وله صومعة اندلسية ضخمة عالية ، اشبه بأبراج الاجراس الموريسكية في اسبانيا ، يصعد اليها بسلم داخلي ، وبها زخارف ساذجة في الدور الاعلى . وقد رسمت فوق واجهتها العليا ساعة (مزولة) ترى عن بعد ، وتسير من اليمين الى اليسار ، خلافا للوضع المألوف . وفي صحن الجامع ، دولاب به نسخة خطية من صحيح البخاري ، محبوسا عليه ، في عدة اجزاء ، كتبت في صفر سنة ١٠٦٧ هـ ، على يد « محمد بن بلنسين الاندلسي التاستوري » مما يدل على ان تستور كانت تسمى من قبل « تاستور » ثم تطور اسمها بمضي الزمن الى رسمه الحالي .

وتضم تستور من السكان نحو عشرة الاف نفس. وبالرغم من انها كانت في بداية عصرها الاول ، منزلا للاندلسيين الموريسكيين دون غيرهم ، فانها اليوم الى جانب سكانها الموريسكيين الاصليين ، تضم سكانا من التونسيين ، وعرب جبل وسلات القريب من مدينة القيروان وقلة ضئيلة من اليهود . ويوجد اليوم في تستور نحو مائة اسرة من اصول موريسكية محققة ، وعدد آخر من عائلات يرجح انها ترجع الى اصل موريسكي . وهم ما زالوا يحملون اسماءهم الموريسكية القديمة ، لا يرضون عنها بديلا ، لانها برهان ارومتهم الاندلسية العزيزة . وقد وقفنا من سجل بلدية تستور ، على قائمة الاسماء الموريسكية ، من اهل تستور واليك بعض ما نقلناه من هذه الاسماء :

برفينو ـ برتيلة ـ البنتور ـ بلنسين ـ بلانكو ـ بكيل ـ بومست .

ومن اسماء الأسر الحالية الموجودة بها اليوم :

منظر عام لبلدة تستور





مجموعة من الزليج بدار الثقافة
المنشأة على الطراز الاندلسي



صومعة جامع
سيدي عبد اللطيف

جبيس ـ الحورشي ـ رمتانة ـ كامش ـ كاشيمي ـ لكانتي ـ مركيكو ـ مورشكو ـ مدينة ـ ساكتة ـ هنديلي ـ هشيش ـ ماركو ـ باتيس ـ الكوندي ـ سريسو ـ فليبو ـ .. الخ .

وهذا هو بالضبط ما نلاحظه في مدائن الغرب ، التي نزل بها الموريسكيون ، مثل تطوان والرباط وسلا ومراكش وفاس وغيرها ، ففي هذه المدن تكثر العناصر الموريسكية ، التي تحتفظ باسمائها الموريسكية القديمة ، مثل أسر بركاش ونكيطو ، وملاط ، ومرينو وبلانيو ، وكريسبو ، وفرتون ، وقديرة ، وبونو ، وفلوريش ، ومانينة ، ومدينة ، وموراريش ، وغيرها . وتحتفظ هذه الاسر باسمائها الموريسكية القديمة ، كذلك اعتزازا بأرومتها الاندلسية .

مميزات الاسر الموريسكية

وتمتاز الأسر الموريسكية بتستور ، كما تمتاز في غيرها من بلاد المهاجرين الاندلسيين ، عن باقي السكان ، بتفوق واضح ، في مستواها الاجتماعي والثقافي والفني والمهني ، وتزاول معظم هذه الاسر الموريسكية الأعمال الزراعية،ولا سيما زراعة البساتين . وقد ذكرنا فيما تقدم ان تستور تقع في وادي مجردة ، ومن المرجح أن وقوع هذه البقعة، في هذا الوادي الخصب،هو الذي حمل الموريسكيين المهاجرين ، على النزول بها ، وتعميرها ، وتعمير غيرها من المحلات القريبة ، مثل بلدة مجاز الباب الموريسكية ، التي تقع على مقربة من تستور . ونحن نعرف ان الاندلسيين ومن بعدهم اعقابهم الموريسكيين ، كانوا من ابرع الشعوب في الزراعة، وغرس الحدائق، والخبرة بشئون الري والصرف. ويوجد على الضفة اليسرى من نهر مجردة ، عدد من المزارع والحدائق النضرة ، معظمها لأهل تستور الموريسكيين . وقد انشات محافظة باجة اخيرا ، قنطرة على نهر مجردة ، لتسهيل اتصال الاهالي بمزارعهم وحدائقهم ، وتسهيل المواصلات بصفة عامة بين ارجاء المحافظة كلها .

ويحتفظ اعقاب المهاجرين الاندلسيين ، بهذا التفوق اينما وجدوا ، وفي سائر البلاد والقرى التي انشأوها ، ونزلوا بها . وقد كان لنشاطهم، وتفوقهم المهني والفني ، آثار طيبة في البلاد التونسية ، واقتباسها من تفوقهم، وبراعتهم الفنية والحرفية . وقد ادخلوا بها كثيرا من نماذج العمارة والزخرف ، وانشاء الطرق ، وغرس الحدائق ، والانتاج الزراعي ، والملابس والاطعمة وغيرها ، وهو ما لم يفت المؤرخ أن يشير اليه ، وما يشهد في نفس الوقت لعثمان داي، وحكام تونس المعاصرين لمأساة النفي ، والذين استقبلوا المهاجرين بترحاب وسعة صدر ، بحسن التصرف ، وبعد النظر ، فضلا عن نبل العاطفة ، وجميل الشعور والتضامن الاسلامي العميق .

محمد عبد الله عنان

من روائع الفن العالمي

جويا

رسام اسبانيا الشهير

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يعتقد الكثيرون ان جويا ، رسام اسبانيا الشهير ، هو فى طليعة الفنانين الذين انجبهم النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، من حيث الاصالة والابداع . هذا على الاقل هو رأى فالنتين كاردريرا Velentin Carderera صديق جويا وكاتب سيرته ، وقد استهل هذه السيرة بالرأى الذى ذكرنا .

اسم جويا كاملا هو دون فرنسيسكو جويا لوسينتس Don Francisco Goya Y. Lucientes وقد ولد سنة ١٧٤٦ في احدى مدن الاراجون ، المملكة الاسبانية المعروفة آنذاك .

وكانت دراسته الاولية للفن في اكاديمية سان لويس في سرقوسة Sarapossa ، حيث الم بمبادىء الرسم واستعمال الالوان الزيتية . ولكن حب جويا العميق للرسم ما لبث ان دفعه الى روما لاستكمال دراسته فيها . وكانت روما تزخر بطلاب الدراسات الفنية من الاسبان آنذاك . وقد اختلف جويا عن هؤلاء فى انه لم يكن معتمدا على مخصصات البلاط الاسباني كما كانوا في الغالب، ولم يفرط ، كما فرطوا ، باى وقت كان في وسعه ان ينفقه في التحصيل والدراسة . ولا عجب فتلك هي حال من يجمع بين موارد الاهل المحدودة وبين الموهبة الفذة .

ادرك جويا موهبته تلك وذهب الى ابعد الحدود في الاستجابة لها . ولم يسمح لنفسه ، بالرغم من ذلك ، او لربما بسبب ذلك ، بان تجرفه التيارات ، سواء تيارات الجماهير ، او تيارات النظريات التى سادت بين معاصريه من الفنانين . فقد راح جويا يشق طريقه ، ويناضل في سبيل الهدف الذى وضعه نصب عينيه : رائده في ذلك استكمال مواهبه وكفاياته واستلهام فطرته ووجدانه . ولا ريب في ان هذا هو الفارق الثاني والاساسي الذى ميز جويا عن غيره من طلبة الفن في روما .

ولم تطل اقامة جويا في عاصمة الفن. فقد غلبته على امره عاطفته نحو ابويه، فعاد الى الوطن للعيش معهما وعدم الافتراق عنهما ما امكنه ذلك . وهكذا انتهى عهد الدراسة وبدأ عهد الانتاج الفني ، او بالحرى ، المرحلة الاولى من حياته الفنية .

ويغلب على فن جويا في هذه المرحلة طابع البساطة وعدم التكلف ويغلب على لوحاته فيها طابع الصدق . ولعل هذه اللوحات لم تتسم بمثل الحيوية التى اتسمت بها لوحاته المتأخرة ، الا انها فاضت بالامانة والاخلاص ، واول ما يذكر من انتاج جويا في هذه المرحلة الصور التى رسمها لمصانع السجاد الملكية . ولعلها هي التى مهدت السبيل للفنان الناشىء . الا ان اللوحة التى اسماها « صلب المسيح » هي اشهر ما انتج في تلك الاثناء .

اما المرحلة الثانية والاخطر في حياة جويا الفنية، فتتميز بانصرافه لدراسة الرسامين الكبيرين فلاسكيز ورامبراند ، دراسة واسعة . وقد اخذ جويا عن فنان هولنده الشهير اسلوبه فى الحد من الاعتماد على الضوء في رسم ما رسم . واخذ عن رسام اشبيليا واسبانيا الاول غير المنازع ، ما شاع في لوحاته مما يشبه العثير ، او كأنه الضباب الرقيق الذى انتشر .

ومن اشهر لوحات جويا في هذه المرحلة لوحة « اسرة شارلز الرابع الملكية » وهي موجودة حاليا في المتحف في مدريد ، حيث يرقد افراد هذه الاسرة ، رقادهم الاخير .

وتبدا المرحلة الثالثة من حياة جويا الفنية بسفره الى باريس سنة ١٨٢٤ . فقد اعتلت صحته وضعفت قواه فالتمس من الملك ان يزور العاصمة الفرنسية . ولم يطل امد هذه المرحلة نظرا لان حياة جويا لم تمتد طويلا بعد ذلك فقد وافته المنية في مدينة بوردو الفرنسية عام ١٨٢٨ . ■■

أبو الفتح البُستي

مُعلِّم الصِّبْيَة ... الـــذى شارك فى تأسيس الدَّولة الغزنويَّة

بقلم : محمد الخولى

■ بالرغم من أن كثيرا منا يحفظ أبياتا من القصيدة النونية في الحكمة التي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه ، غير محض الخير ، خسران

تلك القصيدة التي كان يحفظها التلاميذ في شتى بقاع العالم الاسلامي لعموم فوائدها وجليل عوائدها ـ كما يقولون ـ الا أننا لا نكاد نظفر بشيء من المعرفة عن صاحبها أبي الفتح البستي .

والواقع ان ذلك الرجل الذى كان وزيرا بارعا وشاعرا مبدعا يقل الحديث كثيرا عن حياته وأخباره في المراجع التي ترجمت لرجال عصره ، وكل ما لدينا من ذلك ترجمة واحدة ساقها صديقه ومعاصره أبو نصر العتبي في تاريخه المسمى بالتاريخ اليميني ، وعنه ساقها بنصها صديق له آخر هو أبو منصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر بعد أن وشحها بقدر من اشعاره ، ثم نقلتها بتصرف قليل او كثير المراجع التالية بعد ذلك . حتى المستشرقون الذين عرفوا بسعة الاطلاع والتقصي ، ترجم ثلاثة منهم ، هم بروكلمان ويهان فلك وبراون ، ترجموا لأبي الفتح ، فلم يضيفوا جديدا على ما ذكر في المراجع السابقة .

غير أننا سنحاول استنادا على تلك المراجع وعلى ديوان الشاعر نفسه ، وما جمعناه من شعره الذى تناثر في بطون الكتب ، أن نرسم صورة نرجو أن تكون متكاملة لذلك الرجل الذى شارك في تأسيس الدولة الغزنوية وأدى لها أجل الخدمات .

مولده ونشأته

ولد أبو الفتح في مدينة بُسْت الواقعة الآن في بلاد افغانستان ، وكانت آنذاك مدينة جليلة خرجت كثيرا من العلماء الأعلام كابن حيان البستي وابن سليمان الخطابي . ويذكر بروكلمان أن مولده كان في عام ٣٦٠ هـ ، لكن ذلك ليس صحيحا ، فأبو الفتح كان تلميذا للمحدث الشهير ابن حيان البستي ، وابن حيان توفي سنة ٣٥٤ هـ فكيف تتلمذ عليه قبل ولادته بست سنوات ، كذلك فان ناصر الدين سبكتكين حينما افتتح مدينة بست سنة ٣٦٥ هـ كان أبو الفتح آنذاك وزيرا لأميرها ولا يصح أن يكون وزيرا وسنه خمس سنوات ، ولكننا نرجح أن تكون ولادته بين عام ٣٣٠ و ٣٣٥ هـ . ولسنا ندرى شيئا عن نشأته الأولى أو صدر شبابه

الا ما ذكره الثعالبي عرضا في « تتمة اليتيمة » من انه بدأ حياته معلما للصبية في بست ، ويبدو انه لم يقض في عمله هذا مدة طويلة ، اذ لا يلبث ان نراه كاتبا في ديوان الأمير ، ويظهر في عمله الجديد مقدرة وبراعة تؤهلانه للترشيح للوزارة . لكن أبا الفتح يرفض هذا المنصب لما يحيط به من دسائس ، ونراه يقول :

حرشوني على وزارة بست
ورأوها من أرفع الدرجات
قلت لا أشتهي وزارة بست
انني لم أمل بعد حياتي

لكنه لم يلبث أن قبل ذلك المنصب وان كان ضيقا به نادما عليه ، وهو يعبر عن ذلك بقوله :

وزارة بست وزرها قاصم الظهر
ومدتها منذ الغداة الى العصر
فلا تخطبنها انها ضرة النهر
وبغيتها روح العمولة في المهر

وعلى أي حال فلد استمر أبو الفتح وزيرا لأمير بست حتى ادى تطور الأحداث فيها الى استيلاء الأمير سبكتكين على تلك الولاية وطرد أميرها منها .

استيلاء سبكتكين على بست

أما قصة استيلاء سبكتكين على بست فهي تتلخص في أن اميرها المدعو « باي توز » لم يكن في الحقيقة أميرا شرعيا للبلاد ، بل كان مغتصبا لها من اميرها المدعو « طغان » ، ولقد ذهب هذا الأخير الى ناصر الدين سبكتكين أمير غزنة واتفق معه على مساعدته في اعادة امارته المسلوبة اليه في مقابل كمية من السلاح وقدر من المال يدفعه اليه بعد اعادته الى عرشه .

وفعلا تحركت جيوش سبكتكين الى بست والتقت بظاهرها بجيوش باي توز فلم تصمد هذه طويلا وولت الأدبار وعلى راسها باي توز وحاشيته ومن بينهم أبو الفتح .

وأعيد طغان بعد ذلك الى عرشه في بست ، وعسكر سبكتكين بها في انتظار اقتضاء ما اتفقا عليه .

الا أن طغان التوى في تنفيذ هذا الاتفاق فدفع هذا سبكتكين الى أن يغلظ له في القول ، فثار هذا وأمسك بسيفه وضرب يد الأمير ضربة شخبت منها بالدم ، فضرب الآخر ضربة انتصف بها لنفسه ، ثم أمر جيشه بتطهير الناحية من طغان وحاشيته ، فتم له ما اراد وأصبحت بست خالصة له .

موقف سبكتكين من أبي الفتح

صحب أبو الفتح أميره باي توز في فراره حتى أعيته صحبته ، ولم يجد مفرا آخر الأمر من أن يستأذنه في التخلف عنه فاذن له ، فعاد أبو الفتح الى بست وعاش متواريا ، الا ان الأمير دل عليه فاستحضره ، ويبدو انه كان على علم بمقدرة أبي الفتح الديوانية فقرر أن يسند اليه أمر ديوانه . ويقول العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية : ان الأمير استحضره ومناه ، واعتمده لما كان قبل معتمدا له، اذ كان محتاجا الى من هو في مثل كفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ، ولقد قبل أبو الفتح هذه المهمة شاكرا ، لكنه طلب من الأمير أن يمنحه فترة من الوقت قبل ان يكل اليه أمر ديوانه ، وذلك خوفا من أن يتهم بالعمل لأميره المخلوع وذلك لقرب عهده به ، فوافق الأمير في اعجاب على ما طلبه ، وأشار عليه بناحية « الرخج » التي تشتهر بمتنزهاتها الجميلة ، فذهب اليها أبو الفتح وقضى بها ستة اشهر في أسعد حال وأهنأ بال .

أبو الفتح رئيسا لديوان الانشاء

والواقع أن سبكتكين كان في حاجة الى أبي الفتح ربما أكثر من حاجة أبي الفتح اليه ، فهذا الرجل الحصيف الذى كان قد تعدى الخمسين من عمره ، حينما اسندت اليه امارة غزنة ، كان عارفا بالرجل بصيرا باختيار معاونيه منهم .

وكان قد تولى هذه الامارة وأحوالها مضطربة وخزائنها خاوية ، فاصلح أمورها ونظم جندها ، لكنه لم يجد وسيلة لدفع أرزاق هؤلاء الجند الا وسيلة محفوفة بالمخاطر حقا ، وهي الهجوم على تخوم الهند المجاورة وافتتاح حصونها ، وكان لشجاعته وبسالته وبثه روح الايثار والتضحية في جنده ، وحثهم على فتح هذه البلاد لرفع راية الاسلام فيها أكبر الأثر في انتصاره في كل موقعة دخل غمارها مما قوى عزمه ورفع شأنه وملأ خزائنه بالمال .

لكنه رغم ذلك كان حاكما محليا محدود الشهرة بين الامارات العريقة المحيطة به ، قد يكون أغنى وأقوى منها ، غير انه كان يفتقر الى اللسان البارع الذى ينوه بانتصاراته ويذيع أحداث وقائعه ببيانه ومنطقه .

ولذا فانه ما يكاد يعثر على ابي الفتح بشهرته الواسعة ، وبادبه وخبرته الطويلة في اعمال الديوان حتى يتمسك به ويعتبره على حد قول العتبي أخلص صفاياه من فتح بست وسرعان ما يسند اليه أمر ديوانه .

جهود البستي في خدمة الدولة

لم يفرد احد من الذين ترجموا لأبي الفتح حديثا عن جهوده في خدمة الدولة ، فالعتبي في تاريخه والثعالبي في يتيمته اشارا فقط بعبارات سريعة غامضة الى بعض تلك الجهود ، اما المستشرقون الذين كتبوا عنه فلم يشيروا بكلمة واحدة الى هذا الموضوع ، ولعل ندرة الاشارات الواردة في المصادر عنها هي التي صرفتهم عن الحديث عن ذلك .

لكن ذلك لا يعني أن ينتفي التساؤل عن هذا الأمر ، وبخاصة وان البستي يشير في شعره الى ان له من الكتبما اغنى عن الجيوش ، فهو يقول :

كتب الأمير كتائبا في المعركة
والرأى منه طبيب داء المملكه
واذا رمى بالظن أمرا مشكلا
اضحت ستور الغيب عنه منهتكه

ولا جدال في انه كان يعني بكتب الأمير كاتبه اي انه يعني نفسه ، فاذا ما حاولنا ابراز الدور الذى قام به مستندين الى النزر القليل من النصوص والى ديوانه لامكننا ان نقول : انه في الوقت الذى كان فيه الأمير سبكتكين منصرفا الى فتوحه المظفرة في الهند ، كان على أبي الفتح كاتبه ورئيس ديوانه ، وهو منصب أشبه بوزير الخارجية في عصرنا الحاضر ، ان يحمى ظهره من أن يطمع في بلاده طامع أو يعتدى عليها معتد ، وذلك انما يتم بتوثيق العلاقات بينه وبين الامارات المجاورة . وتحقيقا لهذه الغاية فقد راح ابو الفتح يوطد علاقاته بأمراء هذه النواحي ، فنراه يمدح خلف بن احمد الصفار امير سجستان أكبر الامارات المجاورة لغزنة بقصيدة طويلة وببعض مقطعات شعره ، ومنها قوله :

خلف به احمد أحمد الاخلاف
اربى بسؤدده على الاسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد
لكنه مرب على الآلاف
أضحى لآل الليث اعلام الهدى
مثل النبى لآل عبد مناف

كما نراه كذلك يمدح بنى فريغون امراء الجوزجان ، ويبدو انه أرسل اليهم في سفارة ناجحة اذ نراه يقول :

بنى فريغون قوم في وجوههم
نور الهدى وضياء السؤدد العالى
كأنما خلقوا من سؤدد وعلا
وسائر الناس من طين وصلصال
يا سائلي ما الذى حصلت عندهم
دع السؤال وقم فانظر الى حالى

كذلك فقد مدح أبو الفتح قابوس بن وشمكير امير طبرستان واشاد بتاديبه للعصاة الخارجين عليه في بيته هذا المشهور :

لا تعصين شمس العلا قابوسا
فمن عصى قابوس لاقى بؤسا

وكانت العلاقات بين أبى الفتح والصاحب بن عباد وزير البويهيين في الرأى متينة وثيقة ، والمكاتبات ورسائل الود كثيرة التبادل بينهما .

اما صلته برجالات الدولة السامانية ، وهي التي كانت تتبعها امارة غزنة ، فقد كانت في غاية المودة والتقدير ، وبخاصة بينه وبين وزير السامانيين العتبد أبى علي الدامغاني الذى تربع في دست الوزارة مدة قيل انها بلغت خمسة وعشرين عاما ، الى جانب صلاته العديدة بالعلماء والادباء في هذه الدولة وغيرها مما يطول ذكره .

أثر هذه الصلات في خدمة الدولة

لا جدال في أن هذه الصلات التي ارتبط بها أبو الفتح مع رجالات عصره كان لها أثر كبير في خدمة الدولة التي كان يرأس ديوانها .

ويتضح ذلك في انه حينما سادت الأمور فيالدولة السامانية وخرج عليها ولاتها وقواداها ، واضطر الأمير نوح بن منصور الساماني الى طلب النجدة من الأمير سبكتكين واليه على غزنة بعد ان الجىء الى الفرار عن عاصمة بخارى وهرب معظم جيشه . في هذه الآونة نرى سبكتكين يستعد للدفاع عن الدولة وتاديب العصاة ، وكان اثنان منهم وهما أبو علي الحسن ابن سيمجور وفائق الخاصة قد استقلا بخراسان ، ويدرك سبكتكين انه أمام عدو قوى فيطلب معونة جيرانه من الامراء بواسطة كاتبه أبي الفتح ، وعلى الفور يجد استجابة من خلف بن احمد أمير سجستان ، وكذلك من بنى فريغون امراء الجوزجان ، في حين ينضم قابوس ابن وشمكير الىجانب ابن سيمجور ،

وتخرج هذه الجيوش الجرارة الى ظاهر بلخ لتحتدم المعركة بينها فترة طويلة بلا ترجيح ظاهر .

المفاجاة المذهلة

وبينما المعركة في شدة احتدامها اذ تحدث المفاجاة المذهلة فيامر قابوس بن وشمكير ابنه دارا بالانهزام عن جيش ابن سيمجور والانضمام الى سبكتكين ، وهنا تحدث المفاجاة اثرها فيقع الاضطراب والخلل في جيش ابن سيمجور في حين تقوى جيوش سبكتكين وتنقض كالبزاة على الفريسة التي شلها الخوف ، فلا يجد ابن سيمجور بدا من الفرار بما خف من جيشه ، ويدخل سبكتكين خراسان دخول الفاتح المظفر .

ونتيجة لهذا الانتصار الذى حفظ للدولة وحدتها فان الأمير يخلع على سبكتكين لقب ناصر الدولة وعلى ابنه محمود لقب سيف الدولة مع توليته خراسان وهو لم يتعد العشرين من عمره .

مهمة أخرى لأبي الفتح

الى هنا ويبدو أنأبا الفتح قد آن له انيستريح بعد أن أدى مهمته بنجاح ، الا ان القدر كان ما يزال يدخر له مهمة أخرى .

اذ انه بينما كانت الجيوش المتحالفة تعود الى بلادها سعيدة بالنصر والغنيمة ، كان خلف بن احمد الصفار أمير سجستان تلسعه عقارب الغيرة لما وصل اليه سبكتكين وابنه من مكانة رفيعة ، وقد خشي من مغبة ارتفاع نجم هذا القائد الذى كان يحرز من الانتصارات المتوالية في الهند ما كان يقوى جيشه وعزمه ، وها هو ذا يضم اليها انتصارا كبيرا داخل الدولة السامانية وليس في اطراف الهند التي ما كان يعبا بها احد ، ولهذا فاننا نراه يصرح بندمه على مشاركة سبكتكين في تلك الحملة ، ثم نراه يراسل ايلك خان ملك بلاد الترك لاجتياح امارة غزنة والاستيلاء عليها .

وتصل هذه الانباء الى سبكتكين فتدفعه نخوة الاقتدار الى الأمر باعداد الجيوش لتاديب خلف والاطاحة به ، الا أن أبا الفتح يتدخل لمنع هذا ، ويشرح العتبي هذا الموقف بقوله : فثناه كاتبه أبو الفتح عن ذلك ، واراه أن بعض البلاغاتزور ، وان القابل لها كالقائل ماخوذ بها موزور . ثم أن أبا الفتح كاتب خلفا بما بلغ أميره عنه ، فرد هذا منكرا حدوث شيء منه . فاغدق عليه سبكتكين كثيرا من هداياه ، واستمرت الحال بينهما على الملاطفة .

هذه لمحة سريعة عن بعض جهود أبي الفتح في خدمة الدولة ، ولا شك ان له جهودا أخرى كثيرة اغفل المؤرخون ذكرها ، لكنها في الواقع قد اسهمت في تأسيس الدولة الغزنوية التي صارتامبراطورية عظيمة فيما بعد ، ورفعت من مكانة ابى الفتح لدى معاصريه ولدى اميره على وجه الخصوص ، ويتضح هذا من اشارة العتبي في تاريخه الى أبي الفتح بقوله : كاتب الأمير وصاحبه .

أبو الفتح الأديب

الى جانب ما كان يمتاز به أبو الفتح من براعة سياسية وحنكة وكياسة ، فقد كان عالما كبيرا وأديبا بارعا،ويذكر الثعالبي أنه كان طبيبا ومنجما وحاسبا وفقيها ومحدثا ، هذا الى جانب براعته الانشائية فى تدبيج الرسائل وشعره الرقيق البديع الصنعة . ولقد كان لأبي الفتح مؤلفات في سائر الفنون ، الا أن يد الزمان لم تبق من ذلك الا نتفا يسيرة من رسائله وديوان شعره الصغير .

واذا ما أردنا النظر في هذا الشعر فان أول ما يسترعى انتباهنا فيه هو انه من جهة معانيه واغراضه مملوء بمعاني الحكمة والايمان بالله والحث على خلال البر والاحسان ، ومن جهة الفاظه فان الصنعة البديعة وبخاصة الجناس تغلب عليه وتتفشى فيه مع رقة هذه الألفاظ وسهولتها ، مما جعل كثيرا من أبياته شهيرة سيارة ، ومنها قوله :

اذا مَليكٌ لم يكن ذا هِبَه
فدعْه فدولته ذاهبه

وقوله :

الى حتفي سعى قدمي
أرى قدمي اراق دمي

وقوله :

تنازع الناس في الصوفيّ واختلفوا
قِدْماً وظنوه مشتقا من الصوف
ولستُ أمنح هذا الاسم غيرَ فتى
صافَى فصوفي حتى لقب الصوفي

وقوله :

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله
وليس له ذكر اذا لم يكن نسلُ
فقلت لهم نسلى بدائع حكمتي
فان لم يكن نسلٌ فانّا بذا نسلو

والبراعة هنا في استعمال الجناس واضحة جلية ، والواقع ان أبا الفتح كان يملك مقدرة فذة في اكتشاف الألفاظ المتشابهة وتطويعها للمعاني التي يريدها ، ولننظر الى لفظ « الجواريا » الذى أورده في أربعة معان مختلفة في رشاقة ويسر ، في قوله :

أنست بأيام الشباب وظلها
وآنست دهرا في جوار الجواريا
فلما رأيت الشيب يبسم ضاحكا
بكيت فاخجلت العيون الجواريا
وقلت غدا زندي بشيبي كابيا
وكنت أراه يقدح الثلج واريا
فظن ربا بالدموع سفحتها
وما بدموع قد مراها الجَوَى ريا

وقوله في الشيب أيضا ، وهو يستعمل فيه شتى ضروب الجناس :

دعني فان غريم الشيب لازمني
وذا زمانك – فامرح فيه – لازمني
مضى الشباب بما أحببت من منح
والشيب وافى بما ابغضت من مِحَن
فما كرهت ثوى عندي وعنفني
وما حرصت عليه منذ عَنّ قَنِي

الى غير ذلك من مقطوعاته الرقيقة البديعة الصنعة التي يطول بنا الأمر لو أوردناها كلها .

رأى النقاد في شعره

يُعجَب النقاد القدامى كثيرا بأبي الفتح وشعره ، ويصفونه بصفات الاكبار والتقدير ، فيقول الثعالبي : هو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس البديع التأسيس ، وكان يأتي فيه بكل ظريفة ولطيفة . ويقول ابن كثير : له في المجانسة اليد الطولى ومبتكرات أولى . ويقول ابن الجوزى عنه : هو الشاعر المشهور ، كان يقصد التطابق والتجانس في شعره . ويعجب عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة بأبى الفتح ويشيد بهذا البيت من شعره :

ناظِراهُ فيما جنى ناظراه
او دَعاني أمت بما أودَعاني

الا ان النقد الحديث لا يوافق على هذه الآراء ، والواقع بعد ذلك أن أبا الفتح ابن بيئة أغرمت بهذا النوع من التعبير ، وهو قد وفق توفيقا كبيرا دال على المقدرة الفائقة لتطويع أصعب خامة عرفها الانسان لمشيئته وهي الكلمات والألفاظ .

خاتمة أبي الفتح

ظل ابو الفتح يتمتع بمنزلة سامية مع أميره ناصر الدين سبكتكين قرابة العشرين عاما حتى توفي الأمير سنة ٣٨٧ هـ ، وتولى بعده ابنه محمود بن سبكتكين . وقد اتضعت منزلة أبي الفتح لديه ، ولا ندرى السبب في ذلك اذ لم يذكر المؤرخون شيئا عن ذلك قط . والواقع أن أبا الفتح لا يبدو انه ارتكب ذنبا أغضب عليه الأمير ، وكل ما في الأمر ان السلطان محمود كان يمثل القوة العاصفة ، فهو قد قضى على الدولة السامانية كلها بعد ثلاث سنوات من حكمه ، كما قضى على كل الامارات المجاورة وامتلكها ، وافتتح من بلاد الهند وخصومها ما لم يكن أحد يحلم بالوصول اليه ، فلم يكن والحالة هذه في حاجة الى السياسة التي يمثلها ابو الفتح . وأحل محله آخرين من الوزراء والقواد ، الا أن أبا الفتح يأسَى لما وصل اليه حاله من الابعاد ويخاطب أميره قائلا :

سيدى أنت لا تخِل بخِل
لم يكدّر لورد وُدّك شربا
وتذكر سوابقى ان فيهن
لسرح الآمال مرعى وأبا
رب شعر لما مدحتك فيه
سار في العالمين بعدا وقربا
فكأني أودعته فلك الشمـ
ـس فعم البلاد شرقا وغربا

ثم يرفع صوته بالشكوى قائلا :

واذا شمت الكفاية قوما
في مِضَمّ البيان لم يلحقوا بي
فلماذا حرمت من غير عجز
ولماذا عوقبت من غير حوب
صادق الوعد والوعيد جميعا
ولسان الحكيم غير كذوب

ويكثر أبو الفتح من شكاواه هذه التي لا تجد مجيبا ، بل يبدو أنها أحدثت أثرا عكسيا في السلطان محمود الذى لم تُعرَف عنه سعة الصدر ، فيصدر أمره أخيرا بنفي الشاعر الى بلاد الترك . وفي عام ٤٠٠ هـ ، وفي سهول اوزجند توفي الشاعر البارع والوزير الذى أدى لبلاده أجل الخدمات ، ولم يكافأ في آخر حياته الا بالجحود والنكران .

■■ محمد الخولي
معهد المخطوطات – جامعة الدول العربية

ندوة توفيق البكرى صاحب كتاب صهاريج اللؤلؤ

بقلم : انور الجندى

■ كانت ندوة السيد توفيق البكرى تعقد فى دار البكرى فى الخرنفش (وكانت سراى عباس الاول) من قبل ، وهى آية من آيات الترف والثراء والابهة ، وكانت القاعة الكبرى فيها غاية فى الرواء والفخامة ، مفروشة بانفس الطنافس ، مذهبة السقوف والجدران .

فى الندوة

وقد تصدرها ذلك الرجل النحيل الجسم الواسع العينين ، الذكى اللماح ، وقد حفلت ندوته باعلام مصر من رجال الادب والسياسة والوزراء والامراء وفى مقدمتهم السيد على يوسف صاحب المؤيد ، وفارس نمر مدير المقطم ، والشيخ الشنقيطى ، وحمزة فتح الله ، وابراهيم المويلحى ، وسليم سركيس ، وكانوا يسمرون حتى ساعة متاخرة من الليل .

ويتناول المجلس مختلف الاحاديث .

فاذا اطال المجلس وتطاول انتقل البكرى مع زواره الى مائدة حافلة ، فلا يزالون ياكلون ويسمرون حتى يمضى الهزيع الاول من الليل . ولقد كانت تحفل القاعة فى بعض المناسبات الاسلامية بمشايخ الطرق الصوفية اذ كان يلى رئاسة ثلاثة الوية : لواء السادة البكرية ، ولواء السادة الصوفية ، ولواء نقابة الاشراف .

البكرى ، مؤلفا ومحدثا وكاتبا وشاعرا

وقد تالق منذ عام ١٨٩٢ عندما ولى الخديو عباس حلمى الثانى عرش مصر ، وكا له رفيقا فى الصواسة ، وكان قد برز فى مختلف مجالات السياسة والادب : مؤلفا ومحدثا وكاتبا وشاعرا .

وكان السيد قد احرز حظا من التعليم العصرى واللغة الفرنسية ودرس العلوم العربية والشرعية ، وحظى بصداقة الشيخ محمد عبده امام العصر او الشيخ المفتى كما كان يقال عادة ، وحضر دروسه الخاصة فى جامع عابدين ، كما تلقى دراسات فى غريب اللغة العربية وآدابها على الشيخ محمد محمود الشنقيطى الكبير .

وقد تقدم بعد اتمام دراسته الى الازهر الشريف حيث اجازه الشيخ الانبابى بعد امتحانه وجاء فى اجازته العالية :

« أجازه ولدنا فخر السلالة الهاشمية وطراز العصابة الصديقية بعد ان قرأ على رسالة الاوائل للشيخ عبد الله البقرى ونبذة من الاصول والفقه والتفسير فيما لاح لى كوكب فلاحه وفاح لى بشر مسك صلاحه ، رأيته اهلا لتلك الصناعة ، وجديرا بتعاطى هاتيك البضاعة حيث افاد واجاد ، وكشف عن المعانى النقاب ، واراد الاقتداء فى اخذ الاسانيد من سلف فبادرت بطلبه باعطائه بلوغ اربه » ١٨٩٢ الامضاء

وقد عرف له قدره فى مجال الدراسات الادبية بعدد من اراجيز العرب املاها وشرح غريبها ، وكان كتابه (صهاريج اللؤلؤ) هو اعظم اعماله ، وقد اصدره عام ١٩٠٦ .

واهم كتبه فى الدراسات الاسلامية : كتابه (المستقبل للاسلام) اصدره عام ١٩٠٢ ردا على ما اثاره بعض المستشرقين وفى مقدمتهم مرجليوث من شبهات ، وله الى ذلك شعر ونثر كثير ، كانت تحفل به الصحف . وقد جرى فى كتاب صهاريج اللؤلؤ على نسق الادباء القدامى فى السجع



والجناس والصناعة اللغوية ، صور فيه جوانب من حياته ورحلاته الى باريس واستانبول .

وقد صور سليم سركيس في لقاء له مع السيد البكرى عام ١٩٠٥ اسلوب حياته الادبية فقال : ادخلنى الى غرفة مكتبه وقد ملأتها طاولة مستطيلة طولها اربعة امتار حافلة بالكتب والاوراق والاكياس لأن سماحة السيد يضع اوراقه وآثاره القيمة في اكياس صغيرة ويكتب غالبا بقلم رصاص وغالبا يدخن وهو يكره الكلام اثناء اشتغاله بالكتابة .

ومما قال ان له آثارا اكثر من كل كاتب مصرى ولكنه يبخل ، بنشر كتاباته » .

ويقول الدكتور زكى مبارك : ان اكبر اثر تركه البكرى هو كتاب صهاريج اللؤلؤ ، وهو اثر كاف في الدلالة على ان صاحبه كان مرشحا للجنون منذ امد بعيد فانه لم يتفق لكاتب في اللغة العربية ان يظفر بذلك الحظ من الذكاء ، وما ظن القارىء برجل تمثلت لذهنه ألوان التشبيهات والاستعارات والكنايات في اكثر العصور الادبية حتى استطاع ان يحولها على اسلة قلمه الى ملك خاص لا ينازعه فيه مكابر ولا حسود .

ولقد كان لندوة البكرى تاريخ ، فقد وسمت فيها صفحات من تاريخ الادب ، وملامح من تاريخ السياسة ، وابرز حدثين ادبيين فيها هما : رسالة حفنى ناصف الشهيرة وقصيدة المنفلوطى في هجاء الخديو بتحريض من البكرى .

خطاب حفنى ناصف الى السيد البكرى

ولقد كان خطاب حفنى ناصف الى السيد البكرى من ابرع صفحات الادب ، وقد ظلت قصته حديث الناس وما تزال ، ويصور الخطاب جانبا من ندوة البكرى وسلوك السيد مع زواره واصدقائه يقول : « كتابى الى السيد السند ، ولا اجشمه الجواب عنه ، فذلك ما لا انتظره منه ، وانما اسأله ان ينبسط الى قراءته وينتزل الى مطالعته .

« زرت السيد ويعلم الله ان شوقى الى لقائه كحرصي على لقائه ، فسألت عنه فقيل لى انه خرج ليودع زائرا وهو عما قليل حاضر ، فانتظرت رجوعه وترقبت طلوعه ، فلم أزل اعد اللحظات واستطيل الاوقات ، حتى بزغت الانوار ، وارتج صحن الدار ، وجاء السيد في موكبه فقمنا لاستقباله ، فمر يتعرف وجوه القوم حتى حاذانى ، وكبر على عينه ان يرانى ، فغادرنى ومن على يسارى ، واخذ في السلام على جارى ، وتكرر القعود والقيام ، وانا في هذه الحال اوهم جارى انى في دارى ، واظهر للناس ان شدة الالفة تسقط الكلفة .. الخ » .

وتتلخص القصة في ان حفنى ناصف كان قد تحدث الى السيد في الادب وطال بينهما السجال، ومما قاله حفنى ناصف للسيد :

ان عليه ان يترك الشعر ، لانه لم يبرع فيه وليس من عمله ، وانما هو بارز في البلاغة والنثر.

ولكن السيد رفض هذا الرأى وغضب .

هنالك تحداه حفنى ناصف ان ينظم كل منهما قصيدة على الفور، وأن يحكما حكما في القصيدتين ليقرر ايهما السابق والمتفوق . واشترط على السيد أن تكون القصيدة في « الغزل » . ووافق البكرى . فلما انتهى البكرى من قصيدته ، وكان حفنى قد انشأ قصيدته ، تلاهما واحدة بعد اخرى ، ثم اعترف للبكرى بالسبق والفوز ، واسرع فمزق القصيدتين وانهى الموقف . ولكن حفنى احتفظ بقصيدة البكرى ، وارسلها للخديو، بعد أن كان الخلاف قد وقع بينهما . فاستغلها الخديو . وكانت هذه اشبه برد على قصيدة « قدوم » التى اتهم البكرى بانه المحرض عليها .

فكان من نتيجة ذلك اعراض السيد عن حفنى ناصف ، وخطاب ناصف الى البكرى على النحو الذى جاء به من العتاب !

قصيدة الهجو

وكانت قصيدة « قدوم » قد ظهرت في ٤ نوفمبر ١٨٩٧ على صدر جريدة (الصاعقة) التى كان يصدرها (احمد فؤاد) في نفس يوم عودة الخديو من مصيفه من الاستانة وفي مطلعها هذه الابيات :

قدوم ولكن لا اقول سعيد
وملك وان طال المدى سيبيد

تذكرنـا رؤيـاك ايـام" انـزلت
علينا خطوب" مـن جدودك سـود
رمتنـا بكم مقدونيا فاصابنا
مصيب بسهم وبالبلاد شديد

الى ان قال :

كأني بقصر الملك أصبح مائدا
من الظلم والظلم المبين مبيد
ويندب في اطلاله اليوم ناعبا
له عند ترديد الرثاء نشيد

وقد هزت القصيدة دوائر القصر والاستعمار في مصر ، واتهم السيد (توفيق البكرى) بانه هو الذى حرض المنفلوطى على نظم القصيدة ، بل قالوا ان له مشاركة فيها . وفي التحقيق اعترف مصطفى لطفى المنفلوطى واحمد فؤاد بان الاول هو المنشيء للقصيدة عدا المطلع وبيتين في وسطها ، ولكنه كان يابى أن يقول انهما للسيد البكرى . وقال الثانى ان السيد البكرى هو المغرى على انشاء القصيدة وطبعها . اما السيد فقد انكر في التحقيق معرفة المتهمين ، وقد شغلت القضية الصحف خلال عام ١٨٩٨ انهارا كثيرة ، واياما متعددة ، ولما كان توفيق البكرى قد اختلف مع الخديو قبل هذه الحادثة فقد جرت محاولة لتفتيش منزله . وقد كانت الندوة في خلال هذه الفترة تضم كثيرا من اصدقاء الشيخ من المحامين والعلماء الذين كانوا يتحدثون طويلا عن هذا الموقف.

وقالت الصحف ان البيتين اللذين اضافهما البكرى هما :

اعباس ترجو ان تكون خليفة
كما ود آباء ورام جدود
فيا ليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الارض حين تسود

وقد شغلت القصيدة النساخ الذين نسخوا منها عشرات بل مئات .

حتى لقد اراد احد الكتاب ان يعيد نشر القصيدة في الصحف فشطرها واضاف اليها ما يزيد عليها ووضع الاصل بين اقواس على هذا النحو الذى قام به الشاعر عثمان الموصلى ونشرها سركيس في مجلته :

(قدوم ولكن لا اقول سعيد)
على فاجر هجو الملوك يريد
لاضرابه بيت من اللؤم عامر
(وملك وان طال المدى سيبيد)

وفهم الناس أن المقصود هو نشر ما بين الاقواس وهو نص القصيدة الاصلية .

التصوف

وكان مجال التصوف من ابرز مجالات ندوة البكرى فقد كان بحكم زعامته الصوفية ورئاسته للالوية الثلاثة مبرزا في هذا المجال . ولقد كانت تحفل داره في المناسبات الاسلامية برؤساء الطرق وقد حلقوا حوله في نسق عجيب ، بطبولهم ودفوفهم وبخورهم يتلون « دلائل الخيرات » بصوت مرتفع متناسب في نغماته واوزانه ، وكانت تقبل كل طريقة بعد اخرى ومعها اعلامها ومصابيحها ودفوفها ، ثم تتهادى من باب الدار وخلفها رجالها ذوو العمائم الخضراء يجهرون بالاذكار والاوراد ، فيتحولون الى الحديقة الفسيحة فاتحين الطريق لثانية وثالثة .

وقد عنى السيد البكرى في ندواته بطرح موضوع اصلاح الطرق الصوفية وكان للامام الشيخ محمد عبده توجيهات في هذا الصدد . وكانت الصحف لا تتوقف عن الحديث في هذا الامر يحمل لواءه السيد رضا في المنار والشيخ عبد العزيز جاويش في جريدة (العلم) .

وكان السيد البكرى قد التقى بالسيد جمال الدين الافغاني في الآستانة وتحدث معه في هذا الشان وكان لاجتماعه به اثر بعيد في نفسه ، وفكره ، وقد اشار اليه في كتابه « صهاريج اللؤلؤ » .

كما اشار الى ان هذا اللقاء كان عاملا اساسيا في كتابة فصول كتابه (المستقبل للاسلام) وفيه تحدث عن الدور الذى لعبته الطرق الصوفية في نشر الاسلام خلال القرن التاسع عشر في افريقيا .

وقد كان دائما يردد في ندوته ان اهم أسباب انتشار الاسلام هو خدمة دعاته (الصوفية) ويقول انهم جمعية في الامة الاسلامية مرتبة النظام ، منظمة الهندام ، يبلغ عددها مائتا مليون من النفوس فهم اكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكر في الصين ، ولا الطوائف الدينية في اوربا ، وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الاسلامية قياما عجيبا.

والصوفية في الحقيقة هى القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامى فتراهم في افريقيا وفي الصين والهند واواسط آسيا ، بل في جزر المحيط يدعون الى الاسلام ويدخلون الأفواج

فيه على مدى الايام ، حتى ان الخطوط التى ترسم في افريقيا لبيان حدود الاسلام وراء خط الاستواء تنتقل متقدمة الى الجنوب في كل عام ، وذلك من اثر فتوح مشايخ الصوفية في مجاهل افريقيا ، وما دخل المستعمرون قرية من قرى الكونغو الا وجدوا الصوفية قد سبقوهم الى نواصيها .

ولقد واجه السيد البكرى حملات الصحف والكتاب عليه ، ورد عليهم مؤكدا اهمية التصوف مستشهدا بكتابات الامام الغزالى واشار الى اهتمام الكتاب الغربيين بالصوفية .

مجمع اللغة العربية

وقد كان من ابرز موضوعات ندوة البكرى : موضوع اللغة العربية. فقد جرت مسامرات طويلة خلال ليالى متعددة عن تلك الآراء حتى حملها المهندس « ويلكوكس » في خطابه الذى القاه في حديقة الازبكية تحت عنوان « اللغة العربيةاساس التاخر » وهو الخطاب الذى ارجع تأخر المصريين الى اللغة العربية الفصحى ودعاهم الى اتخاذ اللغة العامية كوسيلة للتقدم ، ثم كانت كتابات القاضي ولور ، وغيره من دعاة ما اطلق عليه اللغة المحكية .

ثم صح العزم على اتخاذ موقف ، فدعا السيد البكرى علية الباحثين والعلماء في سرايه بالخرنفش وتحت رئاسته . وقد عقد هذا الاجتماع خريف عام ١٨٩٢ ، وحضره محمد عبده ، والشنقيطى الكبير ، وحسن الطويل ، وحمزة فتح الله وحفنى ناصف وحمد بيوم وحمد المويلحى ، وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر الذى اطلق عليه من بعد « مجمع اللغة العربية » الاول .

وقد استطاع المجتمعون اقرار بضع كلمات عربية بديلا لمثلها من الكلمات الاجنبية وهي كلمات : مرحى : بدلا من (برافو) ـ مدرة : بدلا من (افكاتو) ـ مسرة : بدلا من (تليفون) ـ عم صباحا : بدلا من (بون جور) ـ عم مساء : بدلا من (بون سوار) ـ بهو : بدلا من (صالون) ـ قفاز : بدلا من (جوانتى) ـ وشاح : بدلا من (كردون) .

الحديث عن الجامعة الاسلامية

وكان من اهتمامات ندوة البكرى الحديث عن الجامعة الاسلامية ، فقد استقبل البكرى عالما فاضلا قدم من التركستان هو (اسماعيل غصبر نسكى) يدعو الى الجامعة الاسلامية فاحتفل به وعرفه به رواد ندوته وسمح له في ان يصور فكرته ، وقد اقترح السيد على يوسف على السيد البكرى ان يعقد له اجتماعا عاما في فندق (الكونتننتال) وليشرح فكرته لاهل الراى وقد حرص البكرى ان يقرر دائما كلما اثير موضوع الجامعة الاسلامية :

« ان الجامعة الاسلامية منذ القديم جامعتان : دينية وسياسية ، اما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهى العقيدة الاسلامية اولا واخوة الاسلام ثانيا ، والقبلة التى تتجه اليها وجوه المسلمين مرارا في كل يوم . اما الجامعة السياسية التى يخشاها الافرنج فغير موجودة لفقدان الرابطة في كل امر سياسي » .

ولقد كان السيد يتحدث في فخر عن لقائه للسيد جمال الدين الافغانى في الاستانة عام ١٨٩٢ وعن لقائه للسلطان عبد الحميد الذى انعم عليه بدرجة وزير ، وقد تحدث عن ذلك في كتابه (صهاريج اللؤلؤ) والمستقبل للاسلام .

اهتمامه بالشعر والشباب من الشعراء

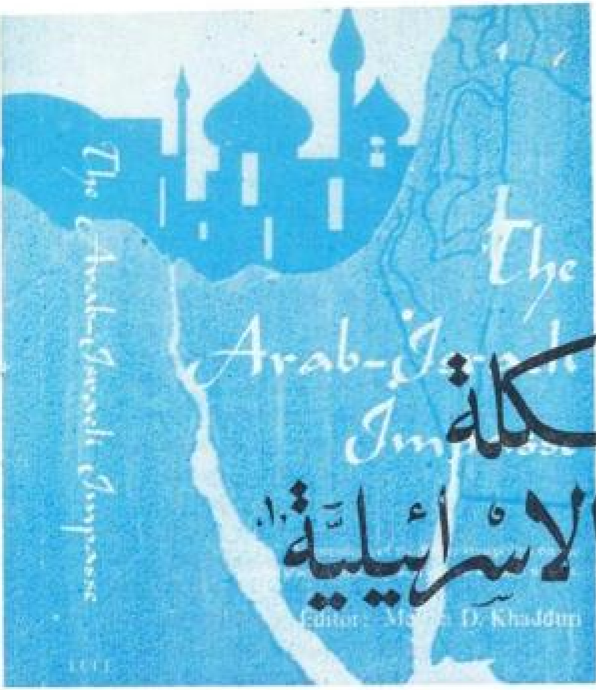
وكان للسيد اهتمام بالمتنبى وشعره ومعانيه وكان يحفظ كثيرا منها ويرددها ، كما كان يسمح للشعراء الشباب ان يرودوا ندوته وينشدوه من شعرهم ، وكان يوجههم وكان اقوى صداقته : لعلى يوسف صاحب المؤيد ، وفارس نمر مدير المقطم . وكان كثير المطالعة ، وقد حوت مكتبته آلافا من الكتب العربية والفرنسية ، وكان حفيا بأن يضيف اليها كل جديد وخاصة في الموضوعات التى اولاها اهتمامه :

وهى دراسات البلاغة والشعر واللغة العربية والاسلام والتصوف .

وقد امتدت ندوته في سراى الخرنفش من عام ١٨٩٢ تقريبا (وهو العام الذى تولى فيه مشيخة الطرق الصوفية ومشيخة السادة البكرية ونقابة الاشراف) الى حوالى عام ١٩١٢ وهو العام الذى اضطربت فيه اعصابه على اثر الخلاف الذى وقع بينه وبين الخديو ، فنقل الى مستشفى العصفورية قريبا من بيروت ، فاقام به حتى عاد عام ١٩٢٨ الى القاهرة ، وقد عاد متهدم البنية منهوك القوى فلم يلبث طويلا معتزلا الناس ، حتى توفي عام ١٩٣٢ . ■■

القاهرة ـ انور الجندى

كتاب الشهر



المشكلة العربية الاسرائيلية [1]

في اغسطس (اب) من عام ١٩١٤ ، نشرت جريدة « جون بول » John Bull الاسبوعية مقالا للكاتب المشهور اتش . جي . ويلز H. G. Wells عنوانه « الحرب التي ستنهي الحرب » . وفي عام ١٩١٩ علق بعض الكتاب الاوروبيين الساخرين على معاهدة فرساي قائلين : « انها معاهدة السلم التي ستنهي السلم » وقد كانت هذه المعاهدة بالنسبة للعرب كما وصفها اولئك الكتاب الساخرون . ومنذ ذلك التاريخ بدأت متاعبنا الحقيقية مع الاستعمار والصهيونية العالمية . وما نحن فيه اليوم ليس سوى نتيجة لما خططوا له ، وتم الاتفاق عليه في تلك المعاهدة . ولكن الغربيين لا يرون عدالة موقفنا لانهم كانوا دوما اسرى الدعاية الصهيونية القاهرة .

ونحن نعرف انه ما ان بدت الازمة في الافق في مايو « ايار » ١٩٦٧ ، حتى بدا سيل من الكتب والمجلات يظهر معلقا على الازمة واسبابها وما يمكن ان يترتب عليها من نتائج . ومن سوء الحظ ان الكثرة الساحقة من هذه المنشورات تعرض وجهة النظر الاسرائيلية وتتبناها دون نظر الى حقوق العرب ، وما اصابهم من ظلم . ولم يكتب الا القليل جدا عن الاسباب الحقيقية لهذا الصراع ، وعن آثاره بالنسبة لمصالح الدول الغربية في المنطقة . ولهذا كانت الحاجة ماسة الى تقديم دراسات موضوعية تحاول ان تقيم هذا النزاع العربي – الاسرائيلي ، بعيدا عن الاهواء ، واساليب الدعاية السياسية .

وانطلاقا من هذه الغاية ، قامت جامعة مواد هذا الكتاب ، السيدة مجديا خدوري ، باختيار هذه المقالات الاثنتي عشرة ، التي كتبها اقلام رجال من الاعلام الثقات عرفوا بتحررهم وموضوعيتهم ، وصلتهم الطويلة بموضوع البحث ، وذلك من اجل ان تساعد القارىء المهتم بالقضية على تكوين راى متزن وموضوعي . والسيدة مجديا خدوري مؤهلة تماما للقيام بهذا العمل : فهي عراقية المولد ، درست في بغداد ، وبيروت ، وستانفورد ، وطوفت في البلاد العربية والاوروبية

(1) Majdia D. Khadduri (Editor) . The Arab — Israeli Impasse, Washington, 1968 .

تحرير : مجديا خدورى

عرض : الدكتور محمود السمره



وامريكا . وهي زوجة الاستاذ مجيد خدورى الاستاذ في جامعة جونز هوبكنز .

وهذه المقالات متنوعة ، لا يجمع بينها سوى اطارها الكبير وهى انها تتحدث عن الصراع العربى – الاسرائيلي . ولم يكن يخطر ببال انها في يوم من الايام ستنضم الى بعضها بعضا في كتاب واحد ، وهي المقالات التى نشرت في مجلات متعددة . والقيمة الاولى للكتاب انه ينشر في امريكا ، لكي يطلع القارىء الامريكى على حقيقة ما يجرى في المنطقة ، وهي حقيقة ضاعت في خضم الدعاية الاسرائيلية التى حجبت عن الامريكيين الوجه الآخر للقضية .

نظرة عامة فى الكتاب

ويبدأ الكتاب بثلاث مقالات تتناول الخلفية التاريخية للعرب ، والازمة الحالية ، وهي باقلام: سيرجون غلوب Sir John Bago Glubb ،والمؤرخ المشهور ارنولد توينبي Arnold Toynbee والسياسي البريطاني المعروف انطوني ناتنغ Anthony Nutting .وتتلوها ثلاث مقالات عنحرب ١٩٦٧ باقلام: السياسي الامريكي تشارلس يوست Jost ممثل امريكا السابق في هيئة الامم ، والدكتور جون بادو Badeau الذى كان رئيسا للجامعة الامريكية في القاهرة ثم سفيرا لامريكا في الجمهورية العربية المتحدة ، وثالثة ماخوذة من مجلة فرنسية هي ,, Le Nouvel Observateur "

ويروى يوست في مقاله بالتفصيل الاحداث التى ادت الى حرب الايام الستة . ويرى جون بادو ان العرب يتكلمون كثيرا ولكن الكلام عندهم لا يعني الفعل ، اما الاسرائيليون فالصلة وثيقة عندهم بين الكلام والفعل . وهذا ما كان يجهله العالم الغربي عن العرب . وفي رأيه ان الامريكيين لا يفهمون وجهة النظر العربية ، كما ان العرب لا يفهمون الامريكيين . ويحلل البرت حورانى ، الاستاذ بجامعة اكسفورد ، الواقع العربي تحليلا جيدا ، ويؤكد على ان العرب لا يكرهون اليهود لانهم يهود ، ولكنهم يرفضون رفضا قاطعا الصهيونية ومقامها في بلادهم .

ويروح مقالات دون كوردتز Don Cordtz ، والمربيرجر Elmer Berger ، وجان لا كوتيه Jean La Couture ان الاحوال لن تستقر في منطقة الشرق العربي ، بسبب الاخطاء الفاحشة في السياسة الامريكية ، مما ادى الى تدهور صورة امريكا في نفوس العرب لتحيزها الفاضح لاسرائيل. وهم يدعون المسؤولين الامريكان الى اعادة النظر في سياستهم هذه .

وبعد هذه الاشارة السريعة الى بعض مقالات الكتاب ، نقف بشيء من التفصيل عند بعضها .

غلوب : لقد فرضنا نوعا من الرقابة على تاريخ العرب

ونبدأ بمقال سير جون باجوت غلوب Sir John Bagot Glubb ، وهو في اصله محاضرة كان

قد القاها في « معهد الشرق الاوسط » بوشنطن في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ . وهذا بعض ما ورد في مقاله :

يقول غلوب : « انني اريد ان اعرض عليكم هذا المساء وجهة نظر في ازمة الشرق الاوسط مغايرة لتلك التى تقراونها كل يوم في الصحف . وفي رأيي اننا لن نفهم الحاضر الا اذا وعينا الماضي . وهذا التاريخ البشرى الذى يمتد عبر خمسة آلاف سنة ، شهد امبراطوريات شادها الفراعنة والاشوريون ، والبابليون ، والفرس القدماء ، والاسكندر الاكبر واليونان ، والرومان، والعرب ، والعثمانيون ، ثم البريطانيون. وتشترك كل هذه الامبراطوريات في صفة واحدة هي انها جميعا حكمت مصر . واذا بحثنا عن السر في هذا، وجدنا لذلك سببين ، اولهما : ان مصر ومنطقة الشرق الاوسط هى الطريق الوحيد الذى يصل اوروبا ودول البحر المتوسط بالمحيط الهندى ، والهند ، والشرق الاقصى ، واندونيسيا ، واستراليا .

وثانيهما ان الشرق الاوسط هو المركز الذى يصل بين اوروبا وآسيا وافريقيا ، وهى قارات العالم القديم الثلاث المعروفة . ولهذا فان من كان يستولى على مصر ، كان يستطيع ان يتحرك منها نحو اوروبا ، أو آسيا ، أو افريقيا ، ويستطيع في الوقت نفسه ان يقطع الطريق من اى من هذه القارات الى اى قارة اخرى .

ولا اريد اليوم ان استعرض تاريخ هذه الخمسة آلاف سنة ، ولكنى اطوى القرون لاصل الى القرن السابع الميلادى، حين خرج العرب المسلمون من بلادهم مجاهدين فاتجهت جماعة منهم شرقا الى الامبراطورية الفارسية ، واحتلت ما يعرف اليوم بافغانستان وسهول شمالى الهند . واتجهت جماعة اخرى شمالا فوصلت الى ما يعرف اليوم بالارض السوفييتية ، وشمالى التبت الى ان وقفت عند حدود الصين . واتجهت جماعة ثالثة الى الغرب، فاستولت على سوريا وفلسطين ومصر وشمالى افريقيا ، ثم قطعت جبل طارق لتستولى على اسبانيا ، ومنها تتوغل في الارض الفرنسية لتقف على بعد ٢٥٠ ميلا من شواطئ انجلترة . وهكذا في زمن قصير نجد ان هؤلاء القوم قد استطاعوا ان يهزموا اقوى امبراطوريتين في عصرهم، هما الامبراطورية البيزنطية والفارسية ، ويقيموا امبراطورية تمتد من المحيط الاطلسي الى حدود الصين .

وفي هذه الفترة من التاريخ كانت اوروبا تتطلع الى الامبراطورية العربية ، كما يتطلع العرب اليوم الى اوروبا : فقد كانت تلك الامبراطورية هى مركز الصناعة ، والعلوم ، والآداب والتجارة. وكانت هى المسيطرة بسفنها على البحار المعروفة، حتى ان كاتبا اوروبيا معاصرا قال : « لا يستطيع اى اوروبى ان يُسَيِّر في البحر الابيض المتوسط حتى ولو لوح خشب ، الا باذن من العرب » واذا ارادت اوروبا ان تحصل على اى نوع من المصنوعات، فان عليها أن تشتريه من البلاد العربية .

وقد دامت سيطرة العرب الكاملة على العالم القديم ، الذى كان معروفا آنذاك ، مدة مائتين وخمسين سنة ، وهى المدة نفسها التى عاشتها الامبراطورية البريطانية ، ثم اخذت في الانقسام الى دول عديدة .

ورغم الحركات الانفصالية فان العرب بقوا مدة مائتين وخمسين سنة اخرى قادة الفكر في العالم : فهم رواد العلم الحديث ، لانهم هم الذين علمونا الارقام التى نستعملها والتى ما زلنا نسميها باسمهم، فكانوا واضعي اسس الرياضيات. وكانوا لقرون طويلة قادة العالم في الطب ، والكيمياء ، وعلم الحيوان . وهم الذين نقلوا صناعة الورق من الصين الى اوروبا عن طريق الاندلس . وقاسوا محيط الارض قبل ان تصل اوروبا الى الايمان بان الارض كروية بستمائة سنة . ولم يستطع العرب ان يحققوا هذا المستوى الحضارى الرفيع ، الا لانهم سيطروا على منطقة الشرق الاوسط ، وتبعا لذلك سيطروا على الطرق البحرية والبرية المعروفة . وكانت نتيجة سيطرة العرب على هذه الطرق ان حَصَرت اوروبا ضمن حدودها ، ولم تجد لها حياة الا في الزراعة .

وهكذا نرى انه خلال اربعة آلاف وخمسمائة سنة من تاريخ الامبروطوريات الانسانية البالغ خمسة آلاف سنة ، كانت مصر وسوريا تقودان الحضارة الانسانية ، ولم تتخليا عن هذا الدور الا في الخمسمائة سنة الاخيرة . وهذه الحقيقة تفتح عيوننا على ان جهلنا بالتاريخ الانسانى جعلنا نظن ، خطأ ، اننا نحن صفوة الجنس البشرى ،

بينما كان العرب في الماضي في مثل موقفنا اليوم منهم .

وقد يقول بعضكم : « قد لا يكون ما تقوله عن العرب صحيحا ، فنحن لم نسمع بمثل هذا الكلام من قبل » . وانا اجيبكم باننا في الغرب قد فرضنا نوعا من الرقابة على تاريخ العرب ، هو ابشع ما عرف من انواع الرقابة ، لاننا عندما نكتب التاريخ لابنائنا ، نحذف عامدين هذه الصفحات الباهرة منه ، لان العرب كانوا الامة الوحيدة في العالم التى استطاعت ان تغزونا في عقر دارنا ، وتفرض حصارا علينا طيلة خمسمائة سنة . ان الكراهية التى يحملها الغرب للعرب هي التى املت عليه أن يقف منهم هذا الموقف .

لقد بدأت كفة اوروبا بالرجحان قبيل عام ١٥٠٠ ، وفي سنة ١٤٩٢ بالضبط ، حين اكتشف كولمبس امريكا ، وفي سنة ١٤٩٧ حين دار فاسكودي جاما حول راس الرجاء الصالح ،ليصل الى الهند بمساعدة ملاح عربي اسمه احمد بن ماجد . وهكذا ملات السفن الاوروبية المحيط الهندى ، وسيطرت على الملاحة فيه ، ومنه سيطرت على مداخل البحر الاحمر والخليج العربي ، وحصرت العرب فيهما . وحدث الشيء نفسه في البحر الابيض المتوسط . واذا بالحال ينقلب الى ضده : فالحصار الذى كان العرب قد فرضوه على اوروبا ، وبسببه عاشت اوروبا في ظلمة القرون الوسطى ، قد اصبح حصارا يفرضه الاوروبيون على العرب . وبهذا انتهت العصور المظلمة في اوروبا ، لتبدأ في البلاد العربية .

وقد ادرك نابليون بونابرت قيمة الشرق العربى، ومصر خاصة ، في صراعه مع بريطانيا ولهذا لم يهاجمها في ارضها ، بل قاد اسطوله الى مصر والشرق العربى ، ولو نجح في السيطرة على المنطقة لقضي على الامبراطورية البريطانية بقطعه لخطوط مواصلاتها الى الهند . ويروى سير هدسون لو Sir Hudson Lowe حاكم جزيرة هيلانة ، حيث كان الامبراطور اسيرا ، ان نابليون قال له :

« ان الشيء الذى لا يمكن ان انساه هو ان مصر هي اكثر بلدان العالم اهمية لمن يريد السيطرة على العالم » . ونحن لا ننسي الصراع الذى دار بين بريطانيا وفرنسا للسيطرة على مصر،ولا صراع الدول الاوروبية في الحرب العالمية الاولى من اجل السيطرة على منطقة الشرق الاوسط . وقد نشبت بين روسيا والعثمانيين احدى عشرة حربا في القرن التاسع عشر ، كانت روسيا تهدف من ورائها الى الخروج الى البحر الابيض المتوسط ، ومنطقة الشرق العربى .

توينبي : بقوة السلاح البريطاني قذف بجسم غريب في فلسطين

وبعد هذا نقف عند مقال المؤرخ البريطاني المشهور ارنولد توينبي Toynbee الاستاذ بجامعة لندن ، وصاحب المؤلفات العديدة . وهو يبدا بعرض وجهة النظر اليهودية ، ثم ياخذ في الرد عليها ، وفي نهاية مقاله يقترح حلا للمشكلة . وهو في رده على الموقف الصهيوني يرى انه في عام ١٩١٨ كان ٩٠٪ من سكان فلسطين من العرب ، وفلسطين هي وطنهم منذ القرن السابع الميلادى. وفي عام ١٩١٨ وبقوة السلاح البريطاني قذف في وسطهم بجسم غريب ، رغم الاحتجاجات العربية. وبمساعدة بريطانيا ايضا ، بنى اليهود الغرباء قوة عسكرية تفوق كثيرا قوة عرب فلسطين . وعندما حققت بريطانيا لليهود هذا التفوق، تركت البلاد تحت رحمة الصهاينة،الذين اجبروا العرب بأساليب عدة ، منها القتل والارهاب ، على ترك ديارهم ، وبهذا اصبح ٩٠٠٫٠٠٠ من عرب فلسطين لاجئين ، يعيشون حياة بؤس قاتل . ومن بقي منهم تحت الحكم الاسرائيلي اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية .

والعجيب ان يعامل اليهود العرب بهذه الطريقة وهم الذين نعموا في ظل الامبراطورية العربية بالمعاملة الممتازة وتولوا المناصب العالية ، حتى كان منهم وزراء . وكان العرب هم الذين سمحوا لليهود بأن يعيشوا في فلسطين بعد ان فتحوها ، وكان ذلك لاول مرة بعد خمسمائة سنة . وعندما فتحوا الاندلس حرروا اليهود من ظلم الاسبان . وسجلات التاريخ حافلة بهذه المعاملة الطيبة التى نعم بها اليهود في ظل الحكم العربى . واذا كان اليهود قد قاسوا الكثير على ايدى المانيا الفازية، فانه كان على المانيا ان تعوض اليهود عما فقدوا باعطائهم دولة في بلادهم ، على الراين مثلا . واذا كانت الدول الغربية تشعر مع اليهود ، وتتعاطف

معهم بسبب ما حل بهم ، فبامكان بريطانيا او امريكا ان تفتحا بلادهما لهم . اما ان يدفع الثمن شعب لا يد له البتة في هذه الجريمة ، فأمر مناف للعدل .

وفي رأى تويتبى ان المانيا ، وبريطانيا، وامريكا، هي التى خلقت هذه المشكلة التى قد يمتد خطرها ، فيهدد العالم بمواجهة بين الدولتين الكبيرتين .

انطونى ناتنغ : المأساة الفلسطينية منذ وعد بلفور الى اليوم

وهذا هو عنوان مقال انطونى ناتنغ ، وزير الدولة البريطانى للشؤون الخارجية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) الذى استقال اثناء حرب السويس احتجاجا على تصرف حكومته، وله عن العرب كتاب «العرب» (١٩٦٤) . وهذا المقال في اصله محاضرة كان قد القاها ناتنغ في نيويورك في الثانى من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٧ ، امام المؤتمر الثالث والعشرين للمجلس اليهودى الامريكى . وهو هنا يرى : ان وعد بلفور الذى اعطته بريطانيا لليهود في ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩١٧ كان اساس البلاء . ويستعرض في مقاله المواقف المتخاذلة التى وقفتها الحكومة البريطانية امام الضغوط الصهيونية ، في كل مرة حاولت فيها ان توقف النشاط الصهيوني في فلسطين. ويبدو ان بريطانيا التى اتخذت وعد بلفور ستارا تخفى وراءه طموحها الحقيقى الى حكم فلسطين من اجل حماية قناة السويس بطريق مواصلاتها الى الهند ، قد وجدت نفسها بعد حين اضعف من ان تقف في وجه المنظمة الصهيونية . ولهذا حالفت المنظمة الصهيونية ، وساعدت في قيام دولة اسرائيل لتكون قاعدة لها في المنطقة ، تحافظ من خلالها على مصالحها في الشرق العربى . وقد عبّرت هذه السياسة البريطانية عن نفسها بوضوح في حرب السويس ١٩٥٦ . وفي حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ضمت اسرائيل اليها اراضي من ثلاث دول عربية ، مخالفة بذلك دستور الامم المتحدة . ويبدو انها لا تعتزم الانسحاب من الاراضي التى احتلتها ، وهى تقيم فيها المستعمرات ، ولا تلقى بالا لأى قرار من الامم المتحدة ومجلس الامن ، لا يتفق مع مخططها التوسعى ، هذا المخطط الذى اكد للعرب ان اسرائيل تريد ان تقيم دولة تمتد من النيل الى الفرات . وفي رأى ناتنغ ان الولايات المتحدة الامريكية وحدها هى القادرة على جعل اسرائيل تعيد النظر في موقفها ، وهى مدعوة لان تبذل جهدها من اجل حل هذه الازمة ، التى اذا لم تحل ، هددت العالم كله بحرب عالمية مدمرة .

المر بيرجر : مشاكل رجال السياسة الامريكية في الشرق الاوسط

وهذا هو عنوان المحاضرة التى القاها المر بيرجر Elmer Berger في امريكا في ١٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٧ . والمر بيرجر هو مؤسس المجلس الامريكى لليهودية American Council For Judaism في عام ١٩٤٣ . وقد طوف كثيرا في الشرق الاوسط، وله مؤلفات كثيرة منها « المعضلة اليهودية » The Jewish Dilemma .

ويبدأ بيرجر محاضرته بقوله : « انه لا شيء يثير الدهشة اكثر من موقف الولايات المتحدة الامريكية من النزاع العربى ـ الاسرائيلى . واذكر بهذه المناسبة انه في عام ١٩٤٨ حذر وزير الدفاع الامريكى ، جيمس فوريستال Forrestal ، بأن السياسة التى تتبعها امريكا في الشرق العربى ستؤدى الى القضاء على كل مصالحها في المنطقة » . ويذكر فوريستال في مذكراته انه قال لوزير الخارجية الامريكية جيمس بيرنس Byrnes ما يلى : « ان من المفجع ان يسيّر سياستنا الخارجية نفر من اليهود في هذه البلاد ، لا لشيء سوى انهم يدفعون معونات مالية للحزب » .

وكتب المؤرخ الدكتور جورج لنكزوسكى Lenczowski في عام ١٩٥٨ يقول : « ان وقوع السياسة الامريكية في اخطاء متتالية في الشرق الاوسط ، سببه الخلاف القائم بين البيت الابيض ووزارة الخارجية : فوزارة الخارجية تنطلق في نظرتها الى المشكلة من مصلحة امريكا في المنطقة ، اما البيت الابيض فيعمى عن هذه المصالح ، ويرى في اسرائيل موضوعا يستطيع عن طريقها ان يُرضى المتنفذين من الصهاينة في امريكا ، لان رئيس الولايات المتحدة يأمل عن هذه الطريق ان يكسب اصوات اليهود وأموالهم في انتخابات الرئاسة » .

ويذكر المر بيرجر ان شهادات قُدمت امام لجنة

الشؤون الخارجية في الكونجرس التى يرأسها السناتور فلبرايت ، بلغ عدد صفحاتها اكثر من ثلاثمائة ، وكلها تثبت بالدليل القاطع ان ملايين الدولارات التى تبرع بها الشعب الامريكي لمساعدة اليهود المحتاجين في اسرائيل ، قد انفق جلها في امريكا من اجل الدعاية لاسرائيل ، وتشويه صورة العرب في اذهان الامريكيين ، هذا مع العلم ان هذه التبرعات معفاة من الضرائب لانه قيل انها ستنفق على مشروعات انسانية في الخارج . فهل الدعاية لاسرائيل ، وخداع الشعب الامريكى ، واعطائه معلومات كاذبة ، من الاعمال الانسانية ؟!.

ثم يتساءل الر بيرجر : « هل سياسة امريكا في الشرق العربى تخدم المصالح الامريكية ؟ » ثم يأخذ في تحليل مصالح امريكا في المنطقة ليثبت ان مثل هذه السياسة تضر ، ولا شك ، بهذه المصالح . ويمكن تلخيص مصالح امريكا في الشرق العربى في ثلاثة امور ، هى : ١) عقد صداقات مع دول الشرق العربى ، بسبب موقعها الاستراتيجى لتستطيع ان تقف امام المد الشيوعى ، وبهذا تحول دون مواجهة بين الدولتين الكبيرتين . ٢) عقد صداقات مع دول المنطقة بسبب موقعها على طرق المواصلات العالمية . ٣) عقد صداقات مع دول المنطقة لانها غنية بالنفط .

واذا كانت هذه هي مصالح امريكا في الشرق العربى ، فان عليها ان تصادق الدول التى تستطيع تحقيق هذه المصالح لها ، وهى الدول العربية ، بينما لا تستطيع اسرائيل ان تحقق لامريكا ايّا من هذه المصالح . وما تفعله سياسة البيت الابيض هو استعداء شعوب المنطقة عليها ، بسبب مؤازرتها دون تحفظ ، ودون حدود ، لاسرائيل .

جان لاكوتيه : آفة العرب كثرة الكلام وقلة العمل

ونجد جان لاكوتيه ، الصحفى المعروف في جريدة (لوموند) الفرنسية ، يحاول ان يبرز في مقاله كيف ان اسرائيل ، بسياستها الحالية ، انما تحفر قبرها بنفسها . ان الكثيرين من الصحفيين ، الذين شهدوا حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، وهو منهم ، قد دهشوا لتراص صفوف الاسرائيليين قبل نشوب الحرب ، وهدوء اعصابهم ، واستعدادهم الممتاز للحرب . وقد دهش هؤلاء الصحفيون اكثر لما رأوا من الاسرائيليين بعد انتصارهم : فقد امتلأت نفوسهم غرورا ، وانك لتحس في حديث كل من تقابل منهم اعتقاده بان الله مع الاسرائيليين لانهم هم شعبه المختار ، وايمانه بان قوة اسرائيل العسكرية هى الضمان الوحيد لبقائها . انهم شعب اصبح يعبد القوة ، ولا يؤمن الا بها . وفي رأى لاكوتيه ان هذين المنطلقين الخاطئين ، وهما : الايمان بانهم شعب الله المختار ، والاعتقاد بان القوة العسكرية هى الفيصل في كل الامور ، سيؤديان في النهاية الى سقوط اسرائيل . ولكن يبدو لى ان رأى لاكوتيه في ان القوة العسكرية ليست هى التى تحسم المواقف ، مخالف لواقع الشعوب في عصرنا . صحيح ان الانسان قد بنى كل هذه الحضارة الرائعة ، ولكنه في غرائزه بقي ذاك الانسان الاول الذى كان يحيا في بيئة : السيد فيها هو الاقوى . واذا كان الانسان قد تقدم كثيرا في ميدان العلم والتكنولوجيا ، فان هذا التقدم لم يرافقه بالنسبة نفسها تقدم في الاخلاق والمثل .

وينتقل لاكوتيه بعد هذا الى القول : ان الصحفيين الذين يعيشون في الشرق الاوسط يرون ان اكبر عيب في العرب هو الانفصام التام ، في حياتهم ، بين القول والعمل . ثم هناك اختلافهم فيما بينهم ، وتخلفهم في ميدان التكنولوجيا .. انهم على نقيض الاسرائيليين تماما .

دنيس بيلى : العرب هم الهنود الحمر

وآخر مقال في هذه المجموعة بقلم دنيس بيلى Denis Baly ، وهو استاذ انجليزى عاش في فلسطين من عام ١٩٣٧ الى ١٩٥٤ ، وهو الآن استاذ جغرافية الشرق الاوسط بكلية كنيون Kenyon بولاية اوهايو .

ويبدأ بيلى مقاله قائلا : ان صورة اسرائيل في ذهن الفرد الامريكى هى : انها دولة صغيرة تهددها عشرات الملايين من العرب بالفناء . ويرى الامريكيون في الاسرائيليين صورة منهم عندما هاجروا الى امريكا ، فوجدوها قاحلة بسبب كسل سكانها الاصليين من الهنود الحمر ، ولكنهم بجدهم ونشاطهم وكفاءتهم احالوها الى جنة . وكما

انتهى الامر بالهنود الحمر الى القتل ، او العيش في معسكرات خاصة بهم لا يخرجون منها ، كذلك فانهم يرون ان العرب لا يستحقون اكثر من هذا . وقد ساعد على رسم هذه الصورة للاسرائيلي والعربي ذكاء الدعاية الصهيونية ، وسوء الدعاية العربية التي كانت ضارة بهم الى ابعد الحدود . ويرى (بيلي) انه عاش بين العرب سبعة عشر عاما ، فلم يجدهم كسالى ، او غير اكفاء ،وعكس هذا هو الصحيح . ولكن اذا كانت لهم اخطاؤهم في ادارة بلادهم ، فسبب ذلك انهم حديثو عهد بالاستقلال ، بعد قرون طويلة خضعوا فيها لحكم اجنبي متخلف .

« وقد افزعني ، وهزّ انسانيتي ، رد فعل الامريكيين لحرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ ، كما قرأته في الصحف والكتب التي صدرت عن الحرب، وكما شاهدته على شاشات التلفاز ، ذلك لانها جميعا تعبر عن وجهة نظر جانب واحد فقط ، دون ان يدور بخلد الامريكيين ان هنالك فريقا آخر يستحق ان نستمع الى رأيه . وقد كان السرور غامرا لانتصار الاسرائيليين في الحرب ، حتى لقد اطلق عليها بعضهم اسم « الحرب المقدسة » واعتبروا النصر السريع الذي احرزته اسرائيل معجزة جديدة جاد بها الله على شعبه المختار .. اما انا فلا اشارك الناس موقفهم هذا . وفي يقيني ان حرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ لم تحل اية مشكلة ، بل ان الوضع اصبح اكثر خطورة لان كلا الفريقين يؤمن انه لا مفر من القتال ، وانه مستعد للهجوم عندما يرى الفرصة مواتية له .. وكلا الفريقين يحاول ان يحصل على احدث اسلحة الحرب ، واكثرها قدرة على التدمير .

ونحن نستطيع ان نلاحظ التصاعد في العنف، وفي نوع الاسلحة ، اذا استعرضنا في اذهاننا حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ واغراق المدمرة ايلات ..

ولا يرى العرب انهم في صراعهم هذا يجابهون اسرائيل فقط ، بل العالم الغربي باكمله ، واليهودية العالمية بكل امكانياتها الاقتصادية والسياسة وقدرتها على تسخير العالم الغربي لخدمة السياسة الاسرائيلية . صحيح ان اسرائيل متقدمة على العرب في ميدان العلوم والتكنولوجيا، ولكن الزمن كفيل بتضييق هذا الفارق بينهما .. هذا الفارق الذي سببه خضوع العرب للحكم الاجنبي المتخلف نحو ستمائة سنة ، مما جعلهم عاجزين في ميدان السياسة،لا يحسنون الاستفادة من خيرات بلادهم ، وموقعها الاستراتيجي ، واعدادهم الكبيرة .. ورغم كل هذا فانهم ي.. انهم قادرون على تذليل الصعاب التي تعترض طريقهم ، وان قدرهم ان يستمروا في الصراع من اجل استرداد ما احتل من اراضيهم .

ويبدو انه وسط دوامة الدعاية الصهيونية ، لا يستطيع الغرب ان يقتنع بقناعة العرب بان اسرائيل دولة توسعية ، رغم ان الشواهد على ذلك كثيرة . ان اسرائيل تعلن انه ليست لديها اطماع توسعية ، ولكنها في الوقت نفسه تخطط لعدوان جديد . وقد يبدو هذا الرأي مضحكا لتلك الفئة من الغربيين التي تؤمن ان العرب هم المعتدون ، ولكن يكفي ان اذكر هذه الفئة بان اسرائيل اعلنت في هذه البلاد انها محتاجة لمياه نهر الاردن ، ونهر الليطاني ، من اجل مشروعات الري في النقب . والماء هو حياة الناس في البلاد التي يقل فيها الماء .. وهو كذلك بالنسبة لسكان هذه المنطقة . وللناس الذين اسعدهم الحظ فلم يحسوا بقيمة الماء في حياة الناس ، اسوق القصة التالية : في ٣١ اغسطس (آب) ١٩٦٥ ، وعندما حدثت ازمة الماء في نيويورك والولايات المجاورة ، قال كبار المسؤولين في نيويورك لوزير الداخلية : « ان المئتي مليون غالون من الماء العذب التي تصب يوميا في نهر دلاور Dilawire ليست ماء ، بل دما يسيل من اجسادنا » . واشير ايضا الى ما ورد في كتاب اسرائيل السنوي لعام ١٩٢٥ حيث ورد فيه : « ان دولة اسرائيل قد قامت على جزء بسيط من ارضنا التاريخية » . وقبل حرب ١٩٦٧ اصدرت اسرائيل ٢٦ خريطة تفصيلية « لدولة اسرائيل » كان منها عدة خرائط لاراض لم يكن الاسرائيليون قد احتلوها حتى ذلك الحين. والامثلة على هذا كثيرة » .

فهل يبقى ، بعد هذا ، شك في نوايا اسرائيل التوسعية ؟ ! ■■

محمود السمرة

الجاحظ ولغة الجماهير



الجاحظ - دائرة معارف عصره وصحافته السيارة - هو أول من تنبه إلى حقيقة الاتصال بالجماهير، فقعد لها القواعد والأصول، ووضع لها المعالم والحدود ..

بقلم : فاروق شوشة

■ ينظر الكثيرون الى القرن العشرين باعتباره القرن الذى شهد اعظم الثورات في مَجالَيْ :
وسائل المواصلات Means of Communication
ووسائل الاتصال بالجماهير Mass Media

واذا كانت وسائل المواصلات قد تطورت عبر العصور والقرون ، بدءا من سفينة الصحراء ، فسفينة البحار والقطار والطائرة والهاتف والبرق منتهية بالاقمار الصناعية وسفن الفضاء ، فان وسائل الاتصال بالجماهير تعنى اساسا الصحافة والسينما والاذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية ..

ولقد احدثت وسائل الاتصال بالجماهير هذه ، آثارا بعيدة المدى ، في لغتنا الحديثة ، منطوقة او مدونة ، على السنة الناس وعلى اقلامهم .. وهى آثار آن الاوان لكى نتعرف على ظواهرها ومظاهرها ، ونتأمل عن كثب ابعادها وزواياها .. فهى - من جهة - تمس صميم حياتنا الفكرية والادبية ، ثم هى تغوص في حقيقة ارتباطنا بتراثنا العربى وانتمائنا اليه ، وهى اخيرا تضع ايدينا على حقيقة المشاكل الكبرى التى تواجهها لغتنا العربية في عالمنا الجديد المتغير ، في مجالات الترجمة والتعريب ، وفي مواجهة مصطلحات العلوم الحديثة والفاظ الحضارة (الفاظ الحياة العامة) وفي

ميادين تطوير متن اللغة ونحوها نحتا واشتقاقا وتوسعا وقياسا .. .. واخيرا في مجال ارساء قواعد علم جديد لبلاغة عربية عصرية جديدة ، تتمثل جوهر التراث ، وتستوعب روح العصر ، وتفى باحتياجات الذوق الادبى المعاصر ..

لغة الاتصال بالجماهير

ونتيجة لهذا الربط الحتمى بين القرن العشرين ، من ناحية ، ووسائل الاتصال بالجماهير من ناحية اخرى ، عَمّقَ الظن الشائع بأن لغة الاتصال بالجماهير ، التى اصطنعتها الصحافة لنفسها في أول الامر لتكون شيئا آخر غير لغة التراث السلفية المحافظة ، وغير لغة التعبير الأدبى التى تقوم على الالوان والظلال وتستند الى العاطفة والانفعال والشعور ، وغير لغة المشتغلين بالعلوم والبحوث التجريبية ـ ثم تبنتها أجهزة الاتصال الأكثر حداثة كالسينما والاذاعة والتليفزيون ، عمق الظن الشائع بأن هذه اللغة من مستحدثات هذا القرن ..

صحيح أن لغة الاتصال بالجماهير قد ازدهرت في وطننا العربى مع مطالع القرن العشرين ، وقام رجال الصحافة الرواد ، بدور بارز في سبيل تأصيل هذه اللغة ، وتعميق اتصالها بموضوعات الحياة الحديثة ، وجعْلِها لغة مجتمع يقرأ قبل أن تكون لغة كتاب يتْلى ، وفي خوض الصراع الطويل المرير مع المحافظين المتشددين من سدنة اللغة ، الذين توهموا أن في تطويع اللغة لروح العصر ، وتطوير أساليبها وتراكيبها ، وتوسيع اهابها وتجديد معانيها ـ مروقا وعصيانا وتمردا على القديم المألوف .. لكن الذى لم يلتفت اليه أحد ، أن لهذه اللغة ـ لغة الاتصال بالجماهير ـ في أدبنا وتراثنا العربى أصولا بعيدة .. أبعد بكثير من مطالع القرن العشرين .. ولئن كان الجاحظ ـ شيخ العربية وأديبها الكبير ـ هو احد أمثلتها البارزة ، الا أنه ليس المثل الوحيد ، فهناك رسائل اخوان الصفا والرسائل الديوانية ، وأدب المقامات ، وأدب المعاملات بين الخلفاء والولاة والقواد وحكام الأقاليم .. كل ذلك يشكل النبع الأول الذى تفجرت منه لغة الاتصال بالجماهير ..

رواد على الطريق

لقد ورثنا مع مطالع عصر النهضة والانبعاث لغة قادمة من عصور الانحطاط والضعف والتخلف .. جسدا بلا روح ، وثوبا تقليديا فضفاضا يخفى العجز عن التجديد ، بل والعجز عن محاكاة القديم والارتفاع الى مستواه ، لغة جامدة ، ابتذلت على أيدى الوراقين والناسخين وكتاب الشروح والذيول والحواشي ومصنفى المختصرات وناظمى القواعد والمتون ممن تزخر بهم عصور التخلف ..

ثم أتيح لهذه اللغة أن تواجه « صدمة » الصحوة ، مع الحضارة الحديثة الوافدة ، وهنا يبرز دور الرواد الأوائل الذين واجهوا صدمة التعامل الأولى مع الحضارة الحديثة ـ وكل ما في جعبتهم لغة جامدة موروثة ـ وفي طليعة هؤلاء الرواد : رجال الصحافة ، وعلماء المجامع العربية ، وأساتذة التعليم ، وخطباء الثورات العربية ، والكتاب والأدباء .. وفي مكان الصدارة من هذه الطليعة : رفاعة رافع الطهطاوى الذى دعا الى الحضارة الحديثة ، وانشا مدرسة الألسن ، وواجه بنفسه مشكلة التعريب والفاظ الحضارة وهو يضع كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» الذى يعد وثيقة متقدمة للغة الاتصال بالجماهير ، والى جانب هذه المحاولة الرائدة لرفاعة الطهطاوى كانت هناك جهود فارس الشدياق في لبنان وعلي مبارك ومحمد عبده في مصر ، والمجامع العلمية المتخصصة كمجمع البكرى الذى سبق مجمع اللغة العربية بوقت طويل ، ثم تتابعت مواكب الرواد ، كل منهم يضيف لبنة الى بناء اللغة ، وشراعا الى سفينتها ، ولونا الى تنوعها وثرائها ، أنستاس الكرملى وبهجت الأثرى وابراهيم اليازجى وعيسى المعلوف ويعقوب صروف وأنيس المقدسي وحسن القاياتى وحافظ عوض وانطون الجميّل ولطفى السيد ومنصور فهمى وعبد القادر حمزة وفارس نمر وتوفيق دياب والدكتور هيكل والزيات والمازنى والعقاد والدكتور طه حسين والدكتور احمد زكى والدكتور حسين فوزى .. وغيرهم من حملة المشعل وفرسان الكوكبة .

صدمتان حضاريتان .. والحل واحد !

هذه الصدمة مع الحضارة الحديثة ، التى تمخضت عن لغة الاتصال بالجماهير ، تذكرنا



ابنُ النبيه المِصْرى

بقلم : عمر الاسعد

■ سادت لدى سائر الأدباء نظرة خلاصتها الحكم على ما يسمى بعصور الدول المتتابعة بالجمود والعقم الفكرى والأدبى معا ، وخلو هذه العصور من الابداع والاصالة الذاتية . وهذه النظرة القائلة بنضوب هذه العهود تنوقلت من غير قصد في الغالب ، بعد أن لقنها متناقلوها عن مبتدعيها من خصوم اللغة والأدب ممن أرادوا ادخاله في متاهات يدور بها ما شاؤوا له ذلك . فكان هذا الرأى أبعد ما يكون عن السداد ، للناظر المتأمل بشيء من الروية وانعام النظر .

واذا خصصنا من تلك العصور ، العصر الذى عاش فيه الشاعر الذى نتحدث عنه ، وهو عصر الايوبيين في مصر وبلاد الشام ، وقعنا على انموذجات حية خصبة لأدب رفيع لا يزال تحت الركام ، يحتاج الى جهود المخلصين من الباحثين لبعثه واخراجه الى النور من جديد . فقد قل من عرف من غير المتخصصين ابن التعاويذى وابن الساعاتى وابن عنين ، أماثيل لشعراء اعلام يستحقون أن تنشر آثارهم ويتداولها عامة دارسي الأدب ونقاده .

صحيح أن شاعرنا موضع الحديث قد تميز عنه كثيرون بكثير من الميزات وجاوزه مراحل في الابداع والابتكار . ولكن شعره نموذج لعصره من حيث كونه صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والأحداث التاريخية الجارية آنذاك .

ابن النبيه ثالث ثلاثة

يجيء على بن محمد بن النبيه المصرى أحد شعراء القرنين السادس والسابع من حيث الفترة الزمنية ، وسطا بين شاعرين مصريين شهيرين ، علمين من أعلام الشعر في ذلك العصر امتاز كل منهما بميزات قادته الى طريق الاشتهار والنبوغ، هما ابن سناء الملك المتوفى سنة ستمائة وثمان للهجرة[1] والبهاء زهير المتوفى سنة ستمائة وست وخمسين[1]. وقبل أن نعرف علامات تلك الشهرة ينبغي تحديد موقع شاعرنا بين هذين . فأين يقف منهما ، وما

(١) معجم الأدباء لياقوت ٩) : ٢٦٥ — ٢ (وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ — ١٨ .

مناحي تفكيره الادبي ، ومدى تأثره القريب بمعاصريه ، وتأثره البعيد بالمذاهب الشعرية السابقة وآحاد الشعراء من ممثلي تلك المذاهب ؟

حياته ومولده

اشار ابن خلكان (٤) في ترجمة الأشرف موسى ابن العادل الأيوبي ، ممدوح ابن النبيه ، في معرض الحديث عن الشعراء الذين مدحوه ، اشارة عابرة نبهتنا الى امكان تحديد تاريخ تقريبي لمولده . وهي قوله : (والكمال ابن النبيه ، وكانت وفاته سنة تسع عشرة وست مئة ، بمدينة نصيبين الشرق ، وعمره تقديرا مقدار ستين سنة ، كذا أخبرني صهره بالقاهرة) . ومنه نستنتج انه ولد سنة خمس مئة وستين او قريبا منها .

ويمكن قسمة حياته الى فترتين متفاوتتين ، أولاهما تضم النشأة الأولى التي لا نعرف عنها شيئا كثيرا . وتبدأ معرفتنا به من خلال بعض التآليف الأدبية(٤) التي ضمت ما كان يدور في مجالس الأدباء من نوادر وفكاهات واجازات شعرية على البديهة. وقد سلخ فترة حياته الأولى ـ وهي معظمها ـ في مصر ، مسامرا للقاضي الفاضل وبعض ذوي الشأن ، مادحا لهم بمقطعات صغيرة أثبت بعضها في ديوانه . وتمتد هذه الفترة من ولادته الى مطلع القرن السابع ، حيث انقطعت أخباره في مصر ، ليسمع صوته في الديار الجزيرية مادحا للملك الاشرف بدءا من ذلك التاريخ يدل على ذلك بعض الأحداث التي ارخ لها في أوائل شعره في الأشرف ، والتي جرت أوائل المئة السابعة الهجرية .

ويخالف ابن النبيه صاحبيه في انه اختص في ثانية فترتي حياته ، بالأشرف موسى بن العادل فقد كان كاتب الانشاء لديه بين سنتي ست مئة وست مئة وتسع عشرة . وهما سنة انتقاله من مصر الى بلاد الشام وظهوره في بلاطه ، وسنة وفاته على ما ذكر اكثر من ترجم له (٥) . وقضى جل هذه الفترة في نصيبين من الجزيرة الفراتية حيث كان الاشرف ملكا على الديار الشرقية .

ثقافته

سكتت المصادر التي ترجمت للشاعر عن ذكر أشياخه وأساتذته فلم نعرف منهم احدا . ولكنا نعرف أنه تلقى نصيبا حسنا من الثقافة ، انعكس في شعره وأهّله ، لأن يكون صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف . وهو منصب يستلزم قدرا غير محدود من المعرفة ، ومزيجا من الشعر والنثر وأخبار الأدب وعلم الدين . والحق ان مستلزمات هذا المنصب الادبية اشياء صناعية جافة ، صبغت هذا اللون من الشعر بصبغة خاصة ، تميز بها شعر الهواة من اصحاب دواوين الانشاء والترسل الذين اضطروا الى القفز من قطار الادب الرفيع لعدم لقيانهم اماكن مخصصة لهم فيه. ومستلزمات هذا المنصب ايضا احاطته بقيود لو بَرِئ منها، واطلق لشياطين شعره سراحها ، وترك طبيعته على سجيتها ، لأتى انتاجه ثمرا أطيب وأكلا انضج . الا ان الصلة التي ربطت بين الملك الأشرف وشاعره ، جعلت هذا كثير الحب له دائم الفخر به ، دائبا على ذكر فضائله ومدح فعاله، مستعطفا اياه اذا توهنت عرى محبته ، قائلا في ذلك شعرا ملائما .

اما قصة تلقيبه بالقاضي كما في عنوانات بعض نسخ ديوانه ، فقد سكتت عنها المصادر جميعا ، وتضافرت على اغفالها وعدم الاشارة اليها . ولعله لقب بذلك جريا على العادة المتبعة آنئذ في اطلاق هذا اللقب على جملة كتاب ذلك العصر . يؤيده ما اورده القلقشندي(٦) من (أن كتاب الزمان يطلقون هذا اللقب والالقاب المتفرعة منه كالقضائي والقاضوي على أرباب الأقلام في الجملة ، سواء كان صاحب اللقب متصديا لهذه الوظيفة او غيرها ، كسائر العلماء والكتاب ومن في معناهم . وعلى ذلك عرف العامة أيضا) .

---

٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤٤١٨ ـ ٤) مثل كتاب بدائع البدائه لابن ظافر الازدي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ .

٥) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦ : ٢٤٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥ : ٨٥ ، وفوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ١٤٣ . وخالفهم السيوطي في حسن المحاضرة ١ : ٣٢٦ ، فجعل وفاته سنة ٦٢١ هـ .

٦) صبح الاعشى ٥ : ٤٥١ ، والالقاب الاسلامية للدكتور حسن الباشا ص ٤٢٤ .

ديـوانه

قسم الشاعر ديوانه الى ثلاثة اقسام جعل لكل منها اسما :

١ ـ الخليفيات : ونسبه الى الخليفـــة العباسي الناصر لدين الله احمد بن المستضيء بن المستنجد ومدحه فيه في ثلاث قصائد ، ورثى فيه احد ابنائه في واحدة .

٢ ـ العادليات : ومدح به الملك العادل محمـد ابن ايوب اخا صلاح الدين في قصيدتين اثنتين ونسبه اليه .

٣ ـ الأشرفيات : ويشكل هذا القسم جـل الديوان واكثره في مدح الاشرف الذى نسبه اليه ايضا

طبع الديوان مرتين الاولى في بيروت ســـنة ١٢٩٩ هـ ، والثانية في مصر سنة ١٣١٣ هـ بعناية عبد الله فكرى الذى قام بصنعة شروح لبعض الكلمات والتعابير .

ابن النبيه ، بين ابن سناء الملك ، والبهاء زهير

عرف ابن سناء الملك بناحيتين اطارتا صيته ، كان فيهما اسبق شعراء عصره فيما هو معروف . اما الاولى فهى انه اول من جمع الموشحات ونظم فيها وبوبها في « دار الطراز » الذى شهر به ، فشاع عنه كونه وشاحا اكثر منه شاعرا ، مع ان له ديوان شعر ضخما .

والذى يلفت نظر دارس ديوان ابن النبيه ، موشحة وزجل ابتهما الشاعر فيه ، ونظمهما في ممدوحه في وقت يوازى الفترة التى عرفت فيها الموشحات والازجال واشتهرت على يد ابن سناء الملك وابن قزمان في الشرق والغرب . وهى ظاهرة تلفت النظر في ظهور هذين الفنين في الشام ومصر والاندلس جميعا ، وتقلل من فضل سبق ابن سناء الملك للموشحات واشتهاره بها .

واول موشحة ابن النبيه غزل مطلعه :

قـل لـمن يلـــوم   في مهفهـــف اسمر
غصـــنه قـــويم   في كثيبـــه الاعفـــر
ثغـــره النظيـــم   ســـكر على ســـكر

آه لو سقانى ، اطفى حر نيرانى
درر ثمينة، في الياقوت مكنونة(٧)

ومطلع الزجل :

الزمـــان ســـعيد" شوانى
والحبيب حـــلو وشيـــق

والربيـــع بســـاط اخضـــر
والشـــراب اصـــفر مروق

والناحية الثانية التى عرفت عن ابن سناء الملك ، هى انه رمى شعره بزاوية من زوايا العقم وقلة المرونة ، حتى ان الابتكار اقتصر فيه على ادخال الاصطلاحات العلمية وتعابير علـــوم الدين وكثرتها كثرة ملحوظة(٨) .

وقد نهج ابن النبيه هذا النهج ايضا ، فبث في صفحات ديوانه كثيرا من المصطلحات المذكورة ، بل انه ضمن في قصيدة واحدة آيات من ســـورة المزمل من الكتاب الكريم ، حشد في كل بيت منها آية او اثنتين ، وظلت رغم ذلك مقبولة خفيفة الوقع رائقة الصدى :

قمت ليـل الصـدود الا قليـــلا
ثـم رتلت" ذكـركم ترتيـــلا

ووصلت السهاد تبّتل وصـــلا
وهجرت الرقـاد هجـرا جميـلا

مسمع" كل" عن كـلام عـذولى
حين القـى عليـه قـولا ثقيـلا

وفؤاد" ، وقد كان بين ضـلوعى
اخـذته الاحبـاب اخـذا وبيلا

قـل لراقـى الجفـون ان لجفنـى
في بحـار الدموع سبحا طـويلا

بان منى نصحت فى اثـر العيـ
س ارحمونى وامهلـــوهم قليلا

اما بها الدين زهير امير شعراء عصره رقة شعر

---

٧) هو موشح اقرع يبدا ببيت لا بقفل . وبيته من ثلاثة اجزاء وقفله من اربعة .

٨) ينظر كتاب ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر للدكتور عبد العزيز الاهوانى .

وعذوبة لفظ وبساطة تعبير ، فلعل ابن النبيه شاركه تلك الرقة والعذوبة ، وحمل بذورها معه الى الشام ، واضاف اليها جمال السبك وحلاوة التعبير ، فاشتهر بقصائد جميلة مفتنة لا تزال مثالا لشعر الغزل المائع . من ذلك قصيدة يمدح بها الاشرف موسى ، صدرها بالتغزل بالساقي ومداعبته ووصف ضروب حسنه وبهائه :

أمانا أيها القمر المطل
على جفنيك أسياف تسل

يزيد جمال وجهك كل يوم
ولي جسد يذوب ويضمحل

وما عرف السقام طريق جسمي
ولكن دل من أهوى يدل

أيا ملك القلوب فتكت فيها
وفتكك في الرعية لا يحل

قليل الوصل يقنعها فان لم
يصبها وابل منه فطل

ومن ذلك ايضا مطلع قصيدة يستعطفه فيها وقد وجد عليه ، قال فيه :

افديه ان حفظ الهوى او ضيعا
ملك الفؤاد ، فما عسى ان اصنعا

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى

هل في فؤادك رحمة لمتيم
ضمت جوانحه فؤادا موجعا

هل من سبيل أن أبث صبابتي
أو أشتكي بلواي أو أتضرعا

مناحي تفكيره الأدبي

ويمكن أن نضيف الى خصائص ابن النبيه السابقة خصيصة أخرى ، انفردت بها مرثاته الفريدة في ديوانه ، وهي التي رثى بها أحد أبناء الخليفة الناصر العباسي ، تلك هي قدرته على نقل مشاعر الحزن والأسى الى نفس القارىء عن طريق مخاطبة العقول ، لا بسرد صفات المرثي على ما درجت عليه اكثر مراثي الأدب العربي ، بل بانشاء فلسفة خاصة للحياة والموت تجلت في صورة حسنة من صور التعبير :

الناس للموت كخيل الطراد
فالسابق السابق منها الجواد

والله لا يدعو الى داره
الا من استصلح من ذي العباد

والموت نقاد على كفه
جواهر يختار منها الجياد

والمرء كالظل ولا بد أن
يزول ذاك الظل بعد امتداد

مأتمه في الارض لكن له
عرس على السبع الطباق الشداد

طرقت يا موت كريما فلم
يقنع بغير النفس للضيف زاد

ثم يلتفت الى مخاطبة الخليفة والد المرثي ، فيهدىء روعه ويسبغ عليه بعض الصفات التي يقتضي ان يتحلى بها في مثل هذا المصاب ، ويذكره انه بشمائله وصفاته يعوض خسارته ، ويعزيه بأن فقد ولده لم يفقده ولاء الرعية كلها :

خليفة الله اصطبر واحتسب
فما وهى البيت وأنت العماد

في العلم والحلم بكم يقتدى
اذا دجا الخطب وضل الرشاد

أنت سماء طلعت زهرها
لا ينقص الأفل منها ميداد

وأنت لج البحر ، ما ضره
ان سال من بعض نواحيه واد

حبك فرض في قلوب الورى
وابن الولا يعدل بابن الولاد

ولا ندري لماذا قصر الشاعر القول على المدح ، فخلا ديوانه من غير هذه المرثية ، ما دام وصل في الرثاء الى مرحلة اثارة عواطف القارىء بالمصاب ، وتوجيه أحاسيسه الى الخطب الأليم .

ولقد افتن شاعرنا فنونا من القول لطيفة ، لا يتجاوزها القارىء دون أن تترك من شاعريته أثرا في النفس . فكما نقرا هذين البيتين في الخمر ، فيعجبنا فيهما جمال الصورة وما ألقي عليها من

الظلال والحركة والالوان ، فكانت عناصر افتنها الغناء :

بكرٌ ، اذا ابن سماء مسّها لبست
ثوب الحَبَاب حياءً منه والتحفت
تشعشعت في يد الساقي وقد مزجت
كأنها بنصال الماء قد ذُبحت

كذلك يعجبنا من مدائحه لوحات رسمها من خلائق ممدوحيه ، واطلق فيها لشاعريته العنان. فمنها مدحُ الملك العادل من خلال وصف قلعة الطور التى بناها فلفت نظره اليها شموخها واشرافها وهيبتها .

الملك العادل من آثـــــه
لقد رأى موسى على الطور
كأنه تـاج على مَفرق
لما استدارت شُرَفُ السور
يزاحم النجمَ له مَنكِبٌ
كالنجم في الرفعة والنور
كأنما أوقفته حارسا
ينظر من عكا الى صور

ويحاول احيانا ان يميز اسلوبه بالقوة ، فيأتي بالتعبيرات الفخمة ويسبغها على المعانى الجليلة كما في مدح الاخوين الاشرف والمعظم صاحب دمشق :

ملكان حلا من العلياء في شرف
سامٍ اشمُّ منيع المرتقى وَعِرُ
حيث النوال قريب المجتنى خَضِل
ومنهل الفضل سلسال الندى خضر
لكم جيوش اذا جاشت غداة وغىً
بمثلها من جيوش الله تنتصرُ

ولدى الشاعر في حكاية قوة الجيش وضخامته وشجاعة افراده ، نماذج تشخيصية معبرة :

وجيشٍ لعين الشمس كحل بنقعِهِ
اذا رَمّدت من لمع اسيافه البتْرِ
واسد على جرد لها مثل صبرهم
اذا ما تجلى الموت في الحلل الحُمْرِ
دماء أعاديهم شراب رماحهم
وأجسامهم هدىً الى الذئب والنسر

القدوة الشعرية

جعل الشعراء ديدنهم ترسم خطا السابقين ولحوقهم في كل ما يأتون ويذرون . فلقد نصب كل شاعر من شعراء العصر لنفسه اماما مقتدى ، انصرف الى مراجعته ودرسه والاستلهام منه ، ثم صب شعره في قوالب افنع نفسه بجدتها وجودتها . كذلك كان غزل ابن النبيه . لقد نحا فيه منحى التجديد، وثار على ما تواضع عليه الشعراء من بكاء الطلول ومناجاتها. وانصرف عن ذلك الى الاغراق في الشراب والتفنن في وصف الخمرة . فهو في هذا تلميذ النواسي لا ريب . ولنستمع اليه ينشد :

حسبك ، لا يُغني سؤال الديار
نصرِّفُ الهمَّ بصرف العقار
واستنطق العيدان ان كنت ذا
لبٍّ ، فما تنطق صُمُّ الحجار
البمُّ والزير وكأس الطلا (٩)
أولى بمثلي من سؤال الديار
تشعشعها الساقي فقلنا له
هل جمد الماء وذاب النضار

اما مذهبه الشعرى في الحياة ، الذى يدعو اليه في اكثر من مناسبة ، فهو التكسب ليس غير، يلمح اليه حينا ويصرح به احيانا ، كحديثه عن الاشرف ثم مخاطبته :

يعطي الجزيل ويعلوه حيا كرم
كأنه سائل من كان أعطاه
فاغنِني يابن ذي المجد العلىّ ولن
كن مُسعِدًا في الذى أرجو وأخشاه

وبعد

هذه نظرة شديدة الاختصار الى هذا الشاعر الايوبي وشعره ، تجاوزنا فيها الحديث عن احداث عصره السياسية والاجتماعية ، آملين ان يتوفر على دراسة العصر وشعرائه محبو الادب والمعنيون بـه. ■■

عمر الاسعد

---

٩) البم : الوتر الغليظ من العود ، يقابله الزير . وهما فارسيتان معربتان .

رسالة إلى ولدى ..

بقلم : خليل هنداوى

■ أدعوك يا وَلَدى　　فى القرب والبُعُدِ
تمضى وتتركنى　　وحدى ، بلا مَدَدِ
قد كنت متكئاً　　بل كنت معتمدى

★ ★ ★

لو رحتَ تبصرنى　　والداءُ فى جسدى !
والنور شحَّ على　　عينى من السُّهُدِ
وأنا هنا وهنا　　فى يأسىَ الأبدى
ألقاك فى حُلُمى　　وأراك ملء يدى
لو رُحْتَ تُبصِرنى　　لَرثيْتَ يا سندى

★ ★ ★

قد كان فى قفصى　　كالطائر الغَرِد
أطلقته سفهاً　　منى ، ولم يَعُدِ
ورفعته ، فإذا　　سقْفٌ بلا عَمَدِ
حتى فقدْتُ به　　« روحى » إلى الأبدَ

★ ★ ★

قَبلته بفمى　　طَوّقته بيدى
والدمع منحبسٌ　　والنار فى كبدى







« هل نلتقي بغد ؟ »   أواه ! مات غدى

★ ★ ★

إني جنيت على نفسي   . على ولدى
لما قذفت به   في ذلك البلد
لاينحني أحد   فيه على أحد
الكل منفرد   أو شبهُ منفرد
يتصارعون على   دنيا من النكد

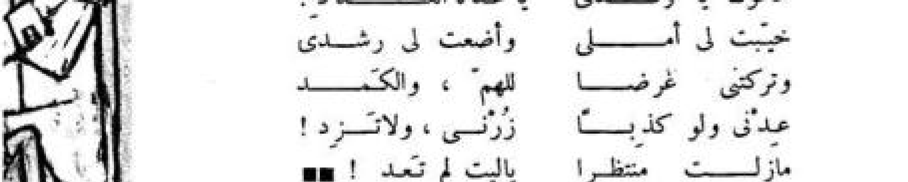
★ ★ ★

عش أنت مغتبطاً   بالعيشة الرَّغد
واسحب بُرودك في   زهْوٍ على بُرد
إن كنت تمكُر بي   فالله في الرصد
من يَشْقِ والده   كأس الجفا يَرِدِ

★ ★ ★

أدعوك يا ولدى   يا عُدَّة العُدَدِ !
خيّبت لي أملي   وأضعت لي رشدى
وتركتني غرضا   للهمّ ، والكَمَد
عِدْني ولو كذِباً   زُرْني ، ولاتَزِدِ !
مازلت منتظرا   ياليت لم تَعِدِ ! ■■

خليل هنداوى



محنة الآخرين

قصة قصيرة للكاتب الروسى: انطون تشيكوف



■ في عام ١٨٧٦ حلت بأسرة أنطون تشيكوف كارثة مالية ترجع الى سوء تصرفات والده الذى أفلس تماما وتراكمت عليه الديون فعرض البيت الذى كان يملكه في تاجنروج ـ وهى بلدة روسية نائية ـ للبيع وفاء لبعض الديون ثم اضطر الى الفرار الى موسكو هروبا من السجن ، والى هناك تبعته زوجته واولاده الثلاثة مايكل وميشا وايفان ، واضطر انطون الى ان يبقى في تاجنروج ليواصل الدراسة بمدرستها العليا وكان في السادسة عشرة من عمره .

وفي موسكو قاست العائلة ذل الفقر وهوان العيش اذ اضطرت الى ان تعيش في مسكن قذر مظلم يقع في حى تقيم فيه بقايا موسكو ، وعانت العائلة قسوة الجوع نهارا ولذعات البرد ليلا اذ كانت العائلة كلها تنام على الأرض الصلبة الرطبة الجرداء .

والى جانب الكارثة تعرضت العائلة لمحنة أخرى هى الخيانة ، فقد تقدم صديق للعائلة عارضا انقاذ المنزل الذى كانت تقيم فيه العائلة ، وذلك بدفع المستحق عليه من ديون وقد فعل ولكنه استولى على المنزل لنفسه .

وعاش انطون تشيكوف في تاجنروج بعد أن شهد رحيل أبيه وامه واخوته وحلول المالك الجديد ، عاش يعانى آلام الوحدة والحرمان وتبدد جو البيت الى غير رجعة بكل ما كان يشتمل عليه من أساليب وعادات درج عليها واعتادها ، وقد ترك هذا الحادث أثرا لا يمحى في نفس تشيكوف ومن هنا تكثر مواقف الفراق في قصصه .

وعرض عليه المالك الجديد الذى سلبهم الدار حيلة وخداعا ان يظل مقيما لديه في مقابل ان يضطلع بتدريس بعض اقاربه ، وقبل تشيكوف



... لقد كانا في طريقهما لشراء ضيعة « ركن خيالي » صغير ، كانا يدبران امره منذ زواجهما ، ان المستقبل كان يلوح لكليهما بازهى الامال ..

هذا العرض اذ لم يكن هناك مكان آخر يذهب اليـه .

وفي هذه الظروف القاسية المؤلمة عاش انطون تشيكوف ولكنه واجه الموقف بشجاعة ورجولـة وروح انسانية نادرة تنشد وتتلمس - وسط كل هذه العوامل الداعيـة الى اليأس ـ النواحي الطيبة في الحياة ، وقد تعرض انطون تشيكوف في اول الامر لسخرية ومهاجمات بعض التافهين من اهل البلدة ولكنه اجبر الجميع ، بما فيهم صاحب الدار ، على احترامه اذ كانت تتسم تصرفاتـه كلها بالهدوء والحزم دون ما تحدٍ .

وكان تشيكوف قبل الكارثة التي حلت بعائلته يحلم بالحرية ، وكانت الحرية عنده هي التخلص من جبروت والده الباطش القاسي المستبد ، فلما جاءت جاء معها الالم والهوان والتحقير والفقر ... ولكنها الحرية .

ولا يعرف الكثير عن السنوات الثلاث التـي قضاها تشيكوف في تاجنروج (١٨٧٦ – ١٨٧٩) ولكن من المقطوع به انه عكف على تنميـة ذاتـه وشخصيته في الوقت الذي كان يواصل فيـه الدراسـة كطـالب ، ويقـوم باعطـاء الدروس الخصوصية للطلبة وبيع ما لا لزوم له من البقية الباقية من الاثاث المتبقي لديه حتى يستطيع ان يرسل بعض النقود الى عائلته في موسكو .

وفي عام ١٨٨٦ كتب هذه القصة التي يصور فيها عزلة الانسان في محنته ، وانصراف كل امرىء الى غاياته واهدافه الخاصة دون اكتراث لمشاعر الآخرين .

القصة

ستيفان كوفاليوف شاب حديث التخرج في كلية الحقوق ، ولم تكن الساعة قد اربت على السادسة صباحا حين استقل عربته وفي صحبته عروسه ، وانطلقا في احد الطرق الريفية ، ولم يكن قد سبق له او لعروسه ان استيقظا في مثل ذلك الحين من البكور ، وشعرا ان روعة الصباح الصيفي الساكن تشبه بضع صفحات من احدى قصص الأساطير ، ان الأرض المكسوة بالخضرة وقد تلألأت من فوقها قطرات الندى ، كانت جميلة تنبض بالسعادة ، وقد ارتمى ضوء الشمس الذي تقطعه الظلال فوق ارض الغابة وتألق على صفحة النهر المتلالىء ، وكانت هناك طراوة في الهواء اللازوردي البالـغ الشفافية حتى لكان يبدو ان كل دنيا الخالق قد برزت لتوها من حمام منعش وتجدد نشاطها الى اوفى حد .

كان ذلك اسعد صباح لدى آل كولياكوف في شهر العسل كله ، كما اعترفا بذلك فيما بعد بل اسعد صباح في حياتهما كلها . لقد كانا يثرثران بلا انقطاع ويضحكان ضحكات صاخبة بلا سبب ، واستمرا في ذلك دون أي احتشام حتى انتهى بهما الامر الى الشعور بالخجل امام الحوذي . ان السعادة كانت تبتسم لهما في الحاضر والمستقبل ايضا ، لقد كانا في طريقهما لشراء ضيعة « ركن خيالي » صغيـر كانا يدبران امره منـذ يوم زواجهما ، ان المستقبل كان يلوح لكليهما بازهى الآمال . اما هو فقد كانت لديه احلام عن وظيفة بالهيئة المشرفة على الاقليم ، وعن الزراعة وفق الأساليب العلمية وكل الأعمال والمسرات المقترنة بحياة الأرياف التي سمع وقرأ عنها الكثير ، اما هي فكانت تفتنها الامور الخيالية تماما : الرحلات على سطح البحيرة ، الدروب الصغيرة المظلمـة والليالي العطرة .

ولم يفطنا ـ مع الضحك والحديث ـ الى انهما قطعا مسافة الاثنى عشر ميلا الى ضيعة المستشار القيصري مايكلاف التي كانا ذاهبين لمشاهدتها . كان هناك نبع ماء عند اسفل التل تماما ومن فوقه يقوم المنزل الذي تكاد تخفيه اشجار البتولا ، ان السقف الأحمر كان يبدو وقد احاطت به الأشجار الكثيفة ، والمنحدر الخصب التربة تتناثر فوقه الشجيرات .

وقال كوفاليوف حين كانا يعبران مجرى الماء :

ـ منظر لا بأس به ... المنزل فوق التل ومجرى الماء عند اسفله ، ياله من شيء لطيف جدا جدا ولكن ـ يا فيروتشكا ـ درجات السلم ليست على ما يرام ، انها تشوه المنظر .. انها بشعة واذا ما اشترينا الضيعة لا بد لنا بالتأكيد ان نستبدلها بدرج من الحديد الزاهر .

وقد احبت فيروتشكا ايضا المنظر ووثبت على

السلم ، وهي تترنح من أثر الضحكات البهجة ، وتبعها زوجها وسار كلاهما وهما يلهثان الى الحديقة وكانت ملابسهما قد فقدت تناسقها ، وكان اول شخص يقع بصرهما عليه فلاح ضخم الجثة كثيف الشعر ، عليه امارات الندم والاكتئاب وقد جلس تحت سقيفة الباب ينظف حذاء طفل .

وساله كوفاليوف :

ـ هل السيد مايلكوف موجود ؟ اذهب واخبره ان الناس الذين يرغبون في شراء الضيعة قد قدموا ليلقوا عليها نظرة . وحملق الفلاح في كوفاليوف وزوجته في دهشة بلهاء ودلف في بطء ، لا الى الدار ، بل الى المطبخ وكان بناء منفصلا عن المنزل وسرعان ما برزت من نوافذ المطبخ وجوه ، كل منها اكثر نعاسا من الآخر .

وسمع همس :

ـ لقد وصل المشترون .. يا رب ، انها ارادتك ، ضيعة مايلكوف تباع ؟. انظر .. يا لهما من زوجين صغيرين .

ونبح كلب في مكان ما ، وعلت صرخة القرد عندما يدوس شخص ما فوق ذيله ، وسرعان ما انتقلت عدوى الفزع الذي اصاب الخدم الى صغار الدجاج والأوز والديكة الرومية التي كانت تتهادى في نواحي الضيعة ، وبعد قليل برز من المطبخ شخص يشبه الخدم وضيق من عينيه وهو ينظر الى آل كوفاليوف ، واخذ يرتدي سترته وهو يجري نحو المنزل ، وكانت كل تلك الانفعالات تبدو مضحكة لآل كوفاليوف ، ولم يعد في وسعهما ان يمتنعا عن الضحك .

وقال كوفاليوف وهو يتبادل النظرات مع زوجته :

يا لها من وجوه مضحكة .. انهم ينظرون الينا كما لو كنا من المتوحشين .

واخيرا برز من الدار رجل صغير الحجم ذو وجه حليق شديد الضمور وشعر اشعث ومسح قدميه المحشورتين في خفين ممزقين مطرزين .. فعل ذلك وهو ينحني وابتسم ابتسامة مريرة وحملق في الضيفين القادمين بلا موعد .

وبدأ كوفاليوف الحديث وهو يرفع قبعته :

ـ السيد مايلكوف ؟ اسمح لي ان اقدم نفسي ، كل من زوجتي وانا قرا بيان بنك الأراضي الذي يقول ان ضيعتك معروضة للبيع وقد اتينا لمعاينتها ومن المرجح ان نشتريها ، فهل تتكرم وتتيح لنا ان نلقى عليها نظرة .

واعترى مايلكوف الارتباك وعلت وجهه ابتسامة مغتصبة ، وفي حيرته ازداد شعره تشعثا وارتسم على وجهه الحليق مزيج من الخجل والحيرة الى حد جعل كوفاليوف وفيروتشكا يتبادلان النظرات السريعة مرة اخرى ولا يستطيعان اخفاء البسمات، وتمتم مايلكوف قائلا :

ـ يسعدني ان أراكما .. انني رهن خدمتكما ، اجئتما من مكان بعيد يا سيدى ؟

ـ اننا قادمان من كوفكوفو .. لدينا مسكن صيفي هناك .

ـ هكذا .. مسكن صيفي .. شيء جميل .. معذرة .. معذرة .. لقد استيقظنا توا ولم نرتب المكان بعد تماما .

وقاد مايلكوف الزائرين الى مؤخرة المنزل وهو يبتسم في مرارة ويفرك يديه ، ووضع كوفاليوف نظاراته على عينه واتخذ هيئة السائح الخبير حين يشاهد بعض الأماكن المأثورة واخذ يتفحص الضيعة بادئا بالمنزل وكان بناء من الحجارة ومن طراز عتيق بالغ التعقيد ، ذا واجهات تحمل رسومات حربية وسباعا ، وقد تسلخ طلاؤه ، وكان السقف في حاجة ماسة الى طبقة من الطلاء اما زجاج النوافذ فقد حال لونه واصبح خليطا من الوان عدة وذلك بفعل الزمن ، وقد نمت الحشائش في الشقوق التي تتخلل درج السلم ، كل شيء كان متداعيا ومشعثا ، ولكن المقبلين على الشراء راقهم المنزل في عمومه فقد كان ذا طابع شعري متواضع ، حسن الموقع ، مثله مثل الخالة العذراء التي تقدم بها السن ، وامامه على بعد خطوات من الباب الرئيسي بركة ماء تتلألأ في الشمس ، وكان [illegible] م بها بطتان ولعبة على هيئة قارب وكانت [illegible] محاطة بعدد من أشجار البتولا متساوية الطول والتخانة .

وقال كوفاليوف وهو يضيق من عينيه في الشمس :

ـ آه .. عندكم بركة ايضا .. هذا شيء لطيف .. هل فيها أسماك ؟

ـ نعم يا سيدى .. كان فيها ايضا أنواع اخرى غير ما تحتويه حاليا ولكنها ماتت عندما توقفنا عن تنظيف البركة .

وقال كوفاليوف بلهجة الاستاذية :

ـ شيء سيء للغاية ، يجب تنظيف البركة كلما امكن ذلك ، ويزيد من أهمية الأمر أن الطمى ونباتات الماء من المخصبات الممتازة للحقول ، أتعرفين يا فيرا ؟ عندما نشترى هذه الضيعة سنقيم كوخا صيفيا على سطح البركة فوق دعائم وقنطرة ، لقد رأيت مثل ذلك الكوخ الصيفى في مسكن الأمير افتنوف ..

وتمتمت فيرا في عذوبة :

ـ يمكننا تناول الشاى في الكوخ الصيفى :

ـ طبعا .. وما هذا البرج ذو الطرف المستدق؟

واجاب مايلكوف :

ـ انه خاص بالضيوف .

ـ انه يبدو نابيا على وجه ما ، اننا سوف نهدمه وعلى وجه العموم أشياء كثيرة هنا لا بد أن تهدم .. أشياء كثيرة .

وفجأة سمع بوضوح بكاء امرأة ونظر آل كوفاليوف في اتجاه المنزل ولكن في تلك اللحظة نفسها فتحت نافذة بعنف ولفترة قصيرة برقت عينان كبيرتان مبللتان بالدموع من وراء الزجاج المختلط بالألوان ، ويبدو أن المرأة التى كانت تبكى قد خجلت من دموعها فاختفت وراء الستار وهى تغلق النافذة .

وبدأ مايلكوف يتحدث بسرعة وهو يقطب من وجهه المجعد بشكل ملحوظ ، واضح المرارة أكثر من أى وقت مضى .

ـ ألا تريدان رؤية الحديقة والمبانى الخارجية؟؟ ان اهم شيء ـ كما تعرفان ـ ليس المنزل بل الاراضى المحيطة به والأشياء الأخرى .

وذهب كوفاليوف وعروسه لرؤية الحظائر والمبانى الخارجية ، وقد طاف المحامى الحديث التخرج حول كل مبنى ، عاينه وتشممه واظهر لمن معه معرفته بالزراعة واستعلم عن مساحة الضيعة بالفدان وعدد الاغنام وأنحى باللائمة على روسيا من أجل ازالتها غاباتها ، ووبخ مايلكوف من أجل كمية السباخ الكبيرة التى اضاعها وتناول غير ذلك من الموضوعات واسهب في الحديث ، ومن حين الى حين كان ينظر الى فيروتشكا زوجته التى لم تحول عيناها عنه كانها تقول لنفسها :

ـ يا لذكاء رجلى هذا .

واثناء معاينة مخزن الحبوب سمع صوت بكاء مرة اخرى .

وسالت فيروتشكا :

ـ ارجو ان تخبرنى من الذى يبكى ؟

واشاح مايلكوف بيده وادار وجهه وعندما تحولت الشهقات الى بكاء عصبى متواصل تمتمت فيروتشكا :

ـ عجيب .. كما لو كان هناك من يضرب أو يغتال شخصا ما .

وقال مايلكوف :

ـ انها زوجتى .. كان الله في عونها .

ـ ولكن لماذا تبكى ؟

ـ امرأة ضعيفة يا سيدتى ، لا تحتمل أن ترى دارها تباع .

وسالت فيروتشكا :

ـ لماذا تبيعها اذا ؟

ـ نحن لا نبيعها يا سيدتى ، البنك هو الذى يبيعها .

ـ غريب . ولماذا تسمح له ؟

والقى مايلكوف نظرة دهشة على وجه فيروتشكا المتالق وهز كتفيه وقال :

ـ لا بد من دفع فوائد على الرهن : الفان ومائة

من الروبلات كل عام ومن أين لنا هذا ؟ ذلك ما يجعلها تبكي، النساء ضعيفات كما تعلمين، انه ليحزنها ان تفقد منزلها ، انها حزينة من اجلي ومن أجل الأولاد ، كما تشعر بالخجل امام الخدم وادار وجهه ناحية كوفاليوف ثم اضاف :

ـ لقد راق لك ان تقول قرب البركة ان هذا لا بد ان يهدم وذاك ان يبنى وكان ذلك بمثابة سكين نفذت الى قلبها .

وفي طريق العودة عند مرورهم امام الدار رات فيرا في النافذة راسا حليقا لصبي في المدرسة العليا وفتاتين صغيرتين ، وكان من الواضح انهم ابناء مايلكوف : ترى فيم كانوا يفكرون وهم ينظرون الى المشترين ؟؟ يبدو ان فيروتشكا كانت تدرك ما يدور في رؤوسهم من افكار ، وعندما ركبت العربة للعودة كان الصباح النضير والركن الخيالي قد زال كل سحرهما لديها وقالت لزوجها :

ـ ان كل هذا لا يليق اطلاقا .. وفي الحقيقة لماذا لا نعطيهم مبلغ الألفين والمائة روبل ؟؟ دعهم يعيشون في ضيعتهم .

وضحك كوفاليوف ..

ـ يا لك من ذكية .. انني آسف من أجلهم طبعا ولكنها غلطتهم، من أجبرهم على رهن الضيعة؟ ولماذا اهملوها الى هذا الحد ؟؟ غير جدير بنا ان ناسف حقا من اجلهم .. اذا ما أحسن شخص رعاية هذه الضيعة بمهارة فادخل فيها الفلاحة العلمية وقام بتربية المواشي لجعل من هذا المكان شيئا طيبا للغاية .. ولكن هؤلاء المتلفين .. انهم لم يفعلوا شيئا .. هو في الغالب سكير ومقامر .. هل لاحظت قدح الشراب الخاص به ؟ وهي سيدة من الطبقة العليا ومبذرة .. انا أعرف امثال اولئك الناس .

ـ كيف تعرفهم يا ستيوبا ؟

ـ يمكنني ان أعرف ، انه يشكو من عجزه عن دفع فوائد الرهن ، كيف يحدث الا يستطيع أن يكافح ويجمع الفين من الروبلات ؟ لو ادخلت الفلاحة العلمية واستعملت الأسمدة وظفرت الماشية بالتربية ، واذا ما ادخلت في حسابك الظروف المناخية والاقتصادية تستطعين ان تكسبى عيشك من فدانين اثنين .

وظل « ستيوبا » يتحدث طوال الطريق حتى البيت ، وكانت زوجته تستمع اليه وتؤمن بكل كلمة يقولها ولكن فرحتها السابقة تبددت ، انها لم تستطع أن تكف عن التفكير في ابتسامة مايلكوف المقتضبة والعينين الكبيرتين المخضلتين بالدموع التي لمحتهما ..

وفيما بعد عندما ذهب ستيوبا مبتهجا الى المزاد واشترى الضيعة ودفع مهر زوجته ثمنا لها كانت هي مكتئبة ، ان خيالها لم يكف عن تصور مايلكوف وعائلته وهم يركبون احدى العربات ويغادرون بيتهم القديم باكين ، وكلما ازدادت الصور التي رسمها خيالها بؤسا وتاثيرا ، كلما ازداد ستيوبا انشراحا .

كان يتحدث بمزيد من الثقة في النفس عن الزراعة طبقا للاساليب العلمية ، وكان يرسل في طلب الكتب والمجلات الزراعية ويجعل من مايلكوف موضوعا لسخريته ، وكانت خططه الزراعية تنتهي دائما بالتفاخر الجرىء للغاية والمخجل للغاية .

ـ سوف تشاهدين .. انا لست مايلكوف ، سأريك كيف تكون الزراعة .. سوف افعل ذلك حقا .

وعندما انتقل آل كوفاليوف الى ضيعة مايلكوف المهجورة كان اول ما لاحظته فيروتشكا بضع مخلفات أثيرة تركها السكان السابقون : برنامج دراسي خطته يد طفل ، عبارات بالقلم الرصاص على الحائط « فتاشا عبيطة » ، عصفور مفرد يطير الى النافذة ليتناول فتاته المعتاد واشياء شبيهة بذلك ..

وكان جزء كبير من الضيعة في حاجة الى طلاء أو كساء جديد من الورق ، وجزء كبير لا بد من هدمه حتى تنمحي ذكرى محنة الآخرين .

■■

ترجمة : نصرى عطا الله

بقية بريد القراء



بين البستي والرندي

● قال الاستاذ المحقق عبد الستار فراج في مقاله القيم « الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى » المنشور في عدد يوليو ١٩٧١ (رقم ١٥٢) من مجلة العربي الغراء :

... وقد يأتي (الدميري) ببعض القصائد الطوال النادرة مثل قصيدة ابي الفتح البستي التي بلغت ٥٦ بيتا والتي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران

هكذا ذكر اولها واذكر اننا نحفظ مطلعها كما يأتي :

زيادة المرء في دنياه نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

هذا قول الاستاذ فراج حفظه الله ، ويبدو لي أن المطلع الذي يحفظه انما هو :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يُغرّ بطيب العيش انسان

وهو مطلع قصيدة اخرى ، بالوزن والروي نفسه . لشاعر آخر هو ابو البقاء صالح بن شريف الرُّندي آخر ادباء الاندلس في مرثاته الشجية الشهيرة لذلك الفردوس المفقود ، وهي واردة بتمامها في نفح الطيب للمقري وفي الحلل السندسية لشكيب ارسلان ، ونشر مطلعها مع بعض ابياتها في مقال لظافر القاسمي (الفردوس المفقود) في العدد ٦١ من العربي (ديسمبر ١٩٦٣).

اختلف في تاريخ وفاة البستي ، ويرجع لها خير الدين الزركلي في الاعلام سنة ٤٠٠ هجرية ويرد قول ابن كثير في البداية والنهاية حيث ذكره في وفيات سنة ٣٦٣ هجرية . ومع اني لا اجد فيما تحت يدي من مراجع ترجمة لابي البقاء الرندي تبين تاريخ وفاته ، فانه لا شك متأخر كثيرا عن البستي باعتباره آخر ادباء الاندلس ، وارجح انه حفظ قصيدة البستي واستعار منها لمرثاته الوزن وشطرين على الاقل . ففي قصيدة البستي البيتان :

لا تحسبن سرورا دائما ابدا
من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده
ان كنت في سنة فالدهر يقظان

وفي قصيدة الرندي :

هي الامور كما شاهدتها دول
(من سره زمن ساءته ازمان)

يا غافلا وله في الدهر موعظة
(أن كنت في سنة فالدهر يقظان)

واضيف ان خير الدين الزركلي في « الاعلام » ذكر في هامش ترجمته لعلي بن محمد البستي ان شكيب ارسلان في الحلل السندسية نسب قصيدة « زيادة المرء ... » الى الرندي . والحقيقة ان القصيدة التي اوردها امير البيان هي قصيدة الرندي بمطلعها « لكل شيء اذا ما تم نقصان ... »

العربي : مع الشكر نذكر ان صالح بن شريف الرندي توفي حول سنة ٧٠٠ هـ وذلك ان صاحب كتاب الذيل والتكملة ، المتوفي سنة ٧٠٣ ، يذكر انه كتب اليه باجازة مارواه والفه .

سالم علي سالم
شركة نفط الكويت

● ●

الدراسات العلمية

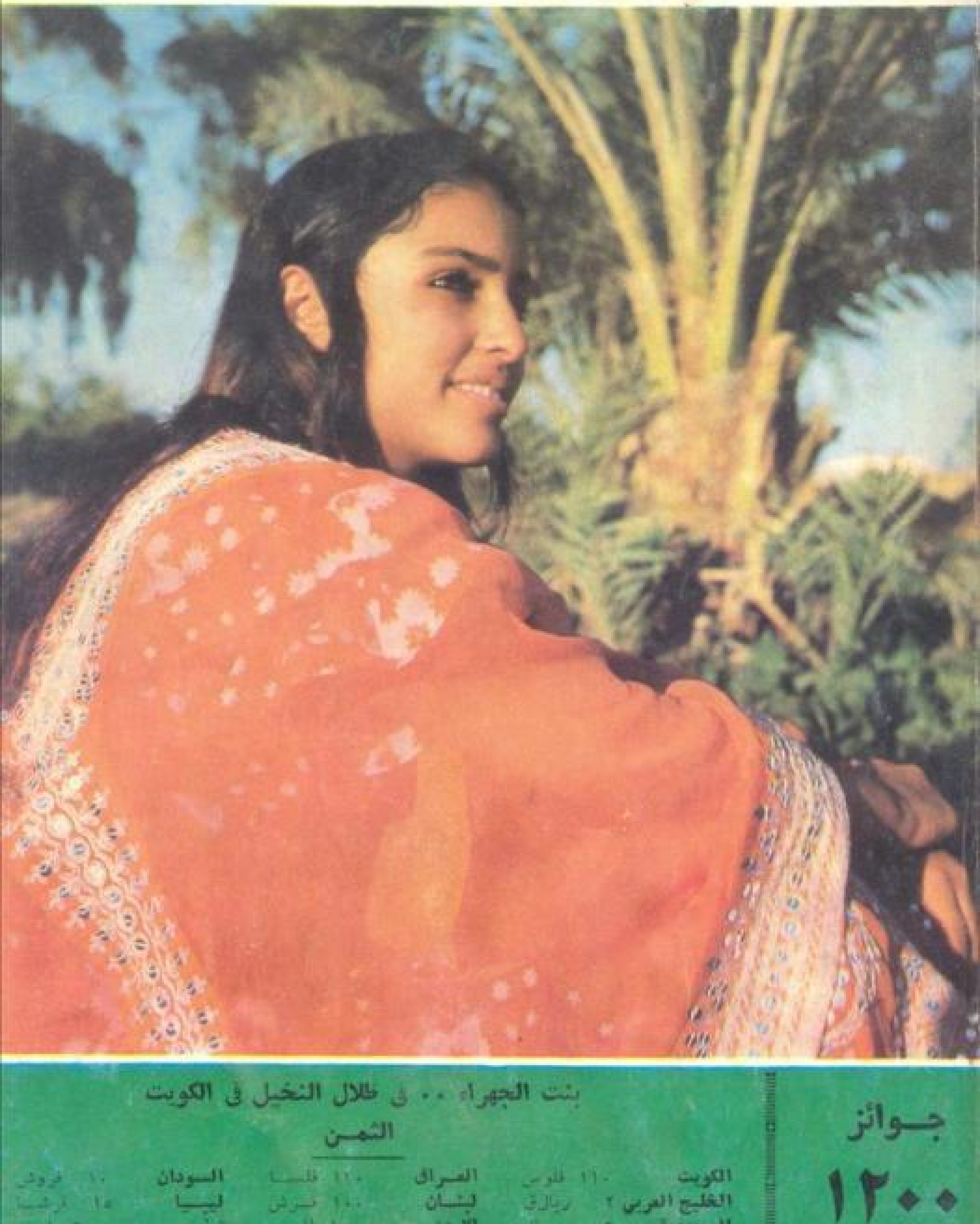
● انني الاحظ بمرور الوقت ان مجلتي العزيزة العربي تزيد من نشر المقالات والموضوعات الأدبية ، حتى أصبح كل عدد منها يحوي ثلاثة مقالات في الأدب ، وربما اكثر ، وبذلك تقل المساحة المخصصة لنشر الموضوعات العلمية المتعددة الجوانب . المنى لو امكن اختصار بعض المقالات الأدبية ، حتى يفسح المجال لنشر المزيد من البحوث والدراسات العلمية التي يستفيد منها قراء هذا العصر .. عصر العلم والتكنية .

جاسم محمد
البصرة / العراق

● ●

العربي

العدد ٢٥٧
شوال ١٣٩١
ديسمبر
(كانون الاول) ١٩٧١



بنت الجهراء .. في ظلال النخيل في الكويت

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	العراق	١٢٠	فلسا	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	ريالان	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الأردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	سوريه	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
اليمن	٢٫٥	ريال	ج٠ع٠م٠	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم



● لوحة للفنان الفرنسي هلير جرمان ديجا Hilaire Germain Dages (١٨٣٤ – ١٩١٧) . ولد في باريس ونال شهادة البكالوريا ودرس الآداب الكلاسيكية ، ثم كاد ان يباشر دراسة القانون ، ولكنه ما لبث ان انصرف الى الفن ، فتخصص في الرسم على يد كبار اساتذته آنذاك . وقد عاصر ديجا الانطباعيين Impressionists ، وصادق مونه ورنوار وغيرهما منهم ، وتأثر بأسلوبهم ، واخذ عنهم بحيث اصبح انطباعيا مثلهم في نظر اكثر النقاد . وقد تخصص في رسم مشاهد لرقص الباليه .

(انظر صفحة ١٠٦)

المال يشتري كل شئ؟

عزيزي القارئ

● ظلت الولايات المتحدة اكثر من عشرين عاما تمنع الصين الشعبية من أن تحل محلها المرسوم لها فى مجالس هيئة الامم المتحدة ، يعينها فى ذلك الكثرة ممن اصطفتهم من اعضاء هذه الهيئة من أمم .

● واحتفظت الولايات بمكان الصدارة فى هيئة الأمم بما كان لها من قوة ، وما كان من مال وفير تنفقه عليهم اعانات تنفق فى عدة حرب أو شئون اقتصاد .

● وفى هذا العام الحاضر تغير وجه السياسة الأمريكية ، فرأت ان تأذن بدخول الصين الشعبية فى هيئة الأمم ، وتبقى على الصين الوطنية فيها . فلما تقدمت بذلك الى الجمعية العمومية لهيئة الأمم ، وجرى التصويت على ذلك ، وافقتها فى دخول الصين الشعبية ، ولكن خذلتها فيما يختص بصديقة العمر ، الصين الوطنية .

● كان رد الفعل لهذا الخذلان فى الولايات المتحدة شديدا ، لا سيما فى مجلس الشيوخ ، فاذا به يحجب اموال العون عن الأمم ، وعلى الأخص عن هيئة الأمم المتحدة نكاية بها ، وجزاء بما اقترفته من خذلان . وهو يعلم بأن الولايات اذا منعت عن هيئة الأمم عونها لم تجد الهيئة ما يكفى ليقيم اودها ، فتقوضت .

● المال عند الولايات المتحدة يشترى كل شىء . حتى ديمقراطية الرأى التى يجب أن تتمتع بها مجالس هيئة الأمم ، يجب ان تخضع لما تدر عليها الولايات من عون . ان الصداقة عندهم شراء بمال .

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وادب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

سياسة :

اجتماع :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 157 December 1971 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانـــــات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● مدينة الجهراء من أحدث مدن الكويت ، تجرى فيها الآن نهضة عمرانية شملت شتى مرافق الحياة ، والجهراء احدى المناطق القليلة التى اشتهرت بالزراعة في صحراء الكويت منذ القدم ، ولا تزال البساتين قائمة فيها حتى اليوم ..

وهذه الصورة لفاطمة ابنة مختار الجهراء تجلس بثوبها الوطني تحت اشجار النخيل ، وعلى وجهها ابتسامة ثقة بالمستقبل .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥ قرشا ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

جامعة الهواء ايقظت طموح الشباب العربي

● جاءتنا خطابات كثيرة تسأل عن جامعة الهواءالتى تناولها بالحديث رئيس التحرير في اول سبتمبر ١٩٧١ ، وقد دلت هذه الكثرة علىما ايقظته هذه الجامعة في قلوب الشباب منطموح كان نائما فاستيقظ ، والحق ان جامعاتنا العربيةضاقت عن ان تستوعب الجزء القليل من شبابنا المتعلم الذى يريد ان يستكمل علمه ومعرفته ،فلما طلعنا عليهم بخبر هذه الجامعة الحرة ألتى تراسل بالبريد وبالراديو وبالتلفاز وبوسائل‌اخرى ، ولا تمنع شبابا سائرا في طريقه لكسب الرزق ، من ان يبقى في هذا الطريق ، لما طلعنا عليه بخبر هذه الجامعة ، كان رد الفعل الشديد، رغبة في معرفة عنوان هذه الجامعة .

ولكن هـذه الجامعة ، مع الاسـف ، جامعـةانجليزية ، اقليمية ، لا يتسع مجالها لخارج حدودها ، واذن فهى لا تعين من يسكنون وراءالبحار ، لم يبق اذن امام هذه الرغبة الجائحة ، الا ايقاظ رجال التربية في البلاد العربية الىاستكمال جامعاتهم الرسمية بجامعات للمراسلات، اسوة بجامعة الهواء الانجليزية. او لعلهم يتخذون‌مثلا لجامعاتهم من غير انجلترا ، فهذه الجامعات ، كما ذكر رئيس التحرير منتشرة في كثير من الامم ،فهى في روسيا ، وهى في فرنسا وهى في استراليا، وهى في نيوزيلندة وغيرها .

« العربى »

★ ★ ★

تصـــويب

● ظهرت بعض الاخطاء فيمقالي المنشور بالعربى في عدد اكتوبر الاخير ، ارجو التفضل بتصحيحها بالشكل الذى ترونه مناسبا .

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٣٦	١	٢٨	كاد	كان
٣٦	٢	١٦	تستثنى	لا تستثنى
٣٦	٢	٢٧	تحويل	تمويل
٣٨	١	١٤	الفنية	الفنية
٣٨	١	٣٦	بالنسبة	النسبية
٣٩	٢	١٥	المعيشية	الغربية

د . عبد المنعم الطناملى
المستشار برئاسة مجلس الوزراء ــ الكويت

يقترح اعادة ذكر سؤال المسابقةعند نشراجابته

● ان مجلة العربىالغراء الهادفة تصلنا باعداد محدودة وتنتهى بمجرد وصولها الى المكتبات لكثرة الراغبين في قراءتها والاطلاع عليها. وكان من نتيجة ذلك اننا لا نتمكن من شراء بعض الاعداد ، وعندما يسعدنا الحظ ونمتلك عددا من المجلة نبدأ بقراءته صفحة صفحة ، وعندما نصل الى نتيجة مسابقة العدد الذى سبقه ولم نره نجد ان الاسئلة مجاب عليها ولكن لا نعلم نص السؤالالذىلدينا اجابته. فهل لكم أن تعيدوا نشر السؤال باختصار عند نشر الاجابة الصحيحة عليه .

عبد الرحمن راشد الجدوع
المملكة العربية السعودية ــ حائل

أخطاء المنجد تداركوها

● قرات كثيرا في العربي وغيرها عن اخطاء معجم المنجد في اللغة للاب لويس اليسوعي ، ولكني لم ار من لاحظ على جامعه من انحراف وابتعاد عن جادة الصواب في كثير من الاصطلاحات الدينية البحتة ، واغفال وتعريض وتافف عند ذكره معاني الالفاظ الدينية الاسلامية . مثال ذلك :

ـ المسيح : لقب الرب يسوع ابن الاله المتجسد !!

ـ العذراء : لقب السيدة مريم والدة الاله المتجسد !!

ـ المصطفى : لقب بولس الرسول !!

عبد الله بن يحيى العلوي ـ القاهرة

العربي : اطلع رئيس التحرير على رسالتكم ، وحاول ان يجد هذه الامثلة التي ذكرتموها في الطبعات الجديدة من المنجد ، فلم يجد لها اثرا ، فلعل اصحاب المنجد تداركوا الامر ، وقد احسنوا .

العربي

العدد السنوي الممتاز
يصدر في أول يناير
ومعه هدية كالعادة

العصر الأموي

● قرات في العدد ١٥٥ من (العربي) الزاهرة عنوانا بارزا (الشعراء الصعاليك في العصر الاموي) بفتح الهمزة والذي ارجحه ان الأموي نسبة الى بني امية فالاصح ان يقال الاموي (بضم الهمزة لا فتحها) .

وقد يكون الامر خطأ مطبعيا او قد اكون انا على خطا ، وفوق كل ذي علم عليم .

بسيم الذويب ـ بغداد

العربي : الضم والفتح صحيحان، الاول قياسي والثاني سماعي . وهناك وجه ثالث هو أُمَيِّيّ وقد قال به سيبويه وغيره .

صبيحة ملكة قرطبة

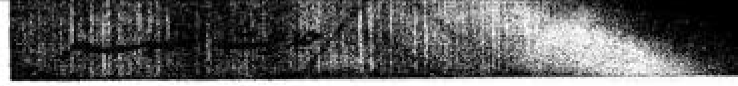
● اطلعت في عدد اغسطس على مقال السيدةسنية قراعة عن صبيحة ملكة قرطبة فوجدت به بعض اخطاء كان يمكن استدراكها لو رجعت الى أى مرجع من مراجع التاريخ الاندلسي المأثور ، سواء أكان من المراجع القديمة او من المراجع الحديثة او كتب المستشرقين .

من ذلك ما ذكرته السيدة في مقالها عن المنصور« واتجه الشاب الطموح الى الشمال الافريقي الذى عاد سلطانه الى بني الاغلب وقد انتقل الفواطم الى مصر ورأى ان يربط قدره بقدر تلك البلاد ، وان يتقدم لخطبة أسماء ابنة الامير الاغلبي زعيم القبائل هناك وسيد العشائر والحاكم المتصرف صاحب المجد والسلطان » .

وابن عذارى يقول في الجزء الاول من البيان المغرب ان انقراض دولة الأغالبة كان سنة ٢٩٦ اى قبل ان يولد المنصور بن ابي عامر ، ولست ادري على من اعتمدت السيدة في تقريرها ان المنصور تزوج « اسماء ابنة الأمير الأغلبي » والصحيح ان المنصور تزوج أسماء ابنة القائد الأندلسي الشهير غالب الناصري في قصة معروفة .

وتقول السيدة في مقالها وهي تتحدث عن سياسة السيدة صبيحة في تصريف أمور الدولة « حتى لا تدع بذلك فرصة اى فرصة لشارلمان وامراء الاقطاع المتربصين أن يجدوا ثلمة ينفذون منها الى تحقيق ما كانوا يطمعون فيه . ولست ادرى من شرلمان هذا الذى تقصده فشارل الاكبر او شارلمان حفيد شارل مارتل لم يكن معاصرا للسيدة صبيحة، وانما كان معاصرا لعبد الرحمن الداخل ، وقد غزا الأندلس في عهد الداخل ، واضطر الى العودة والانسحاب ، وأصيبت مؤخرة جيشه بكارثة كان من ضحاياها صديقه الأثير رولان .

علي أدهم



أَسْمَوْهُ ...

إِعْلَامًا

وَمَا هُوَ إِلَّا مُوَاصَلَاتٌ
بَيْنَ أَرْوَاحٍ وَأَفْهَام
مِنْ بَعْدِ مُوَاصَلَاتٍ
بَيْنَ أَجْسَامٍ وَأَجْسَام

بقلم رئيس التحرير

قضى ابن بطوطة فى رحلاته ربع قرن .
ولو أنه قام بالذى قام به بوسائل إعلام اليوم، لأنجز ما أنجز فى عام .

الناس راضون عن الإعلام وغير راضين، لأنهم يمثلون طرفى زمان ، حديث وقديم . إنه اختلاف أكثره اختلاف ثقافة واختلاف أمزجة .

■ اخبرني صديقي بأنه ذاهب الى بلد من بلاد غرب اوروبا ، وانه هناك سوف يقيم الى حين . قلت وانا ايضا طريقي لا يلبث ان يأخذني الى هذه الارجاء . وكأني والله بك لاحق لأراك هناك وارى كيف استقر بك وبأهلك المقام .

ولحقت به على مثل ما خلت، ووجدته استقر هو وزوجته وولده الواحد وأبنته الواحدة فى المدينة الغربية بغير كثير عناء . وجلسنا نتحدث ذات ليلة . قال انه رغم استقراره البادي يحس هو وأهله بالغربة الشديدة والانقطاع . انهم حلوا فى هذه المدينة الواسعة الزاخرة بالناس وكأنهم حلوا فى بقعة فى صحراء لا حياة فيها ولا نماء .

ووجدت الى جانبه ورقة عظيمة مفتوحة ، فمد يده اليها فاذا بها خريطة لهذه المدينة . تنظرها بعينك فتحس كأنما امتلأ بها صدرك حتى ضاق ، لما تعبر عنه الخريطة من شوارع ومسالك. قال صاحبي اني انظر الى هذه الخريطة كما ينظر الأمي الى صفحة فى كتاب ، هي سطور امامه كثيرة ، ولكن لا معنى لها . اني انظر الى هذه الخريطة بعيني ولكن نظر الاعمى الذى لا يرى منها شيئا ولا يفهم شيئا .

قلت لصاحبي ، هذه الخريطة هي اول وصلة لك بالمدينة . لا تستطيع قراءتها اليوم ، ولكن تستطيع غدا ، حين تتعلم كيف تقرأ ، وعندئذ تزول عنك أميتها ، ثم تصبح لا ترى لنفسك حاجة اليها الا فيما ندر .

وسألته : هل عرفت اين السوق القريبة ، واين تشترى اللحم والخضار ؟

قال : نعم عرفنا بالسؤال ، سؤال الناس ، وما كان اسرعهم اجابة واحرصهم على عون ، كأنهم احسوا

بأننا غرباء ، ومنهم من تطوع ودلنا على خير الاماكن التي منها نشتري .

وسألت : وماذا عرفت غير الاسواق ؟

قال : عرفت اين الصيدلية القريبة ، واين الطبيب القريب ، والمستشفى ، ومركز الشرطة ، وعرفت السيارات العامة ومسارها ، لا سيما تلك التي تحملني الى عملي والى اوسط المدينة ، وعرفت وعرفت .

قلت : كفاك هذا الآن ، ولا تحاول ان تلتهم المدينة التهاما . انت اليوم تذهب اليها تتعرف عليها ، وهي غدا تأتي اليك لتهديك طرقا ، وتهديك سبلا اخرى .

وعرّجت على صاحبي بعد اشهر

وحدث ان عرّجت على صاحبي هذا ، وقريبي ، بعد بضعة اشهر . ولما اجتمعت بالأسرة بدات اسألهم عن حال هذه الصحراء التي شكوا منها الانقطاع والعزلة منذ نصف عام . فجرت على الوجوه ابتسامة . وعلمت انهم اصبحوا يعلمون عن هذه المدينة ، غير الصغيرة ما يكاد يساوي ما يعلمون عن مدينتهم في وطنهم . وبقصد التفكه قام صاحبي فأحضر نفس الخريطة ، خريطة المدينة ، التي كان بسطها لي عند زيارتي الاولى . وقال لي وهو يبتسم : لقد تعلمت قراءتها وزالت عني أميّتها . وتابع يقول : ولقد صدقت ، فقد كانت هذه الخريطة ، بيننا وبين المدينة والناس ، اول سبيل من سبل الوصال .

ثم استدرك يقول ، اعني المواصلة .

الوصال والمواصلة

قلت لا بأس عليك ، فالوصال ، والمواصلة ، شيء واحد . وهما مصدر للفعل واصل يواصل . وجمع المواصلة المواصلات . والسيارات العامة اسموها سبيلا من سبل المواصلات ، وكذا القطارات والطيارات سبلا من سبل المواصلات ، لانها تصل بين البلد والبلد ، وبين اهل البلد واهل البلد . وخريطتك هذه وصلت بينك وبين المدينة ، فهي سبيل من سبل المواصلات . وهي شيء لا يركب ، وانما هو يرسم وينشر ويقرأ . وليست كل سبل المواصلات بالشيء الذي يركب . فان تكن اكثر ما اصطلح عليه الناس من مواصلات تحمل اجساما وابدانا ، فمن المواصلات ما يحمل افكارا وافهاما .

وتابعت اسأله ان يحدثني عن غير هذه الخريطة سبيلا الى وصال .

في النادي

قال التقاؤنا بأهل هذا البلد اصدق سبيل لمواصلة ، وعلى الاخص لقاؤنا اياهم في النادي الذي جمعت المهنة وجمع العمل فيه بيننا وبينهم . فليس كالحديث انتقال علم ، وانتقال فكر ، وتعرف على هويات الناس وأمزجتهم . والناس كالقواميس ، تفتح منهم اقربهم الى ما تشاء لتعلم ما تشاء .

والسير في الأسواق

قلت ثم ماذا ؟

قال : السير في الاسواق ، تملأ فيها عينك ، وتملأ فكرك ، وتملأ قلبك بالذي ترى . ان كل سوق مسرح ، وكل قائم بسوق ممثل لاعب ، سواء حمل طفلا ، او حمل سلة ، او هرول مسرعا ، او مشي بطيئا متكئا على عصا .

وكالاسواق المساجد والكنائس . وكالمساجد والكنائس ، الاعراس والمآتم . كلها سبل للتعرف الى الناس وعلى الناس . سبل للتواصل . سبل تتواصل فيها الافكار والعواطف .

قلت هذا جميل ، ولكن هذه اشياء لا يطلبها المرء خاصة ليعلم ، وانما هي تأتي في الحياة عرضا .

وصحيفة الصباح

قال : نعم . نعم . ولكن هناك ايضا سبل المواصلات الدائمة الراتبة التى وصلتنى بهذا البلد فعرفته عرفان بلدى الاول . فاول هذه المواصلات صحيفة الصباح . ان صحيفة الصباح وصلتنا بالناس والاحداث . وصلتنا بأحداث الدنيا ، حتى الامور الخطيرة التى تحدث فى بلادنا البعيد . ووصلتنا ايضا بناس هذه المدينة التى نعيش فيها وباحداثها. ان فى هذه البلاد صنفين من الصحف . صحف قومية تتصل بالوقائع على مستوى العاصمة والدولة والعالم ، وصحف

الأسواق، قديما وحديثا ، هى اكثر المواضع وصلا للناس بالناس ، فيها الأعين ترى ، والآذان تسمع ، والعقول تعى وتحفظ .



محلية ، تتصل بالوقائع على مستوى المدينة والمدن المتجاورة . وكلتاهما ادت لنا خدمات فى التعرف على هذا البلد كبيرة كثيرة . ان صحيفة الصباح لرجل هذه الحضارة الحاضرة فى موضع من الخطورة كالموضع الذى يضع فيه افطاره . والناس هنا يعنون بشئون مدينتهم عنايتهم بشئون عاصمتهم ودولتهم ، وربما يكونون بها اكثر عناية.

مع ابن بطوطة

وتركت مدينة صاحبى هذا ، وانا افكر فى حال دنيانا هذه الحاضرة ، بما استجد فيها من طرق مواصلات لا تحصى واقارن بينها وبين دنيا الناس التى كانت منذ مئات من السنين .

وذكرت فيما ذكرت ، ابن بطوطة ، الرحالة العربى المغربى عندما خرج من موطنه طنجة فى القرن الرابع عشر ، يريد زيارة بيت الله ، فاذا به يأخذ يطوف فى المعروف من الارض ، والمشهور وغير المشهور من البلاد ، قرابة ربع قرن من الزمان قبل ان يعود الى موطنه الاول . وساءلت نفسي كيف كان المسكين يصنع. لا خرائط ولا صحف، ولا نوادي يرتادها الناس . كانت كل اداة مواصلة بينه وبين العشرات ، او لعلها المئات ، التى زارها من مدن العالم ، انما هى عينه فيما يرى ، او هى اذنه فيما يسمع . والاخبار بين البلد والبلد هى ما تتناقله بين البلد والبلد الخيل والجمال . وهو نفسه ما انتقل الا على مثلها ، من خيل وجمال .

وكان ينزل فى البلد ، فيتصل بقاضيه، أو فى المسجد بامامه ، ويدور فى الناس يرى ما يصنعون ، ويستمع الى ما يقولون .

وقضى فى ترحاله بضعة وعشرين عاما. وخلت لو انه عاش اليوم مستظلما ، نفس تلك المدن التى استطاع فى ذلك

الزمان البعيد ، فالقدر الذى استطلع، لما استغرق بوسائل المواصلات اليوم ، اكثر من عام بل لاستغنى بوسائل المواصلات اليوم بشتى صنوفها عن الكثير من الترحال . مستطلع الامس كان لا بد ان يرحل الى البلد الذى يريد ان يستطلع . ومستطلع اليوم ، بوسائل الاستطلاع الحاضرة ، جاز ان ينتقل اليه البلد الذى يريد ان يستطلع ، وان يصف منه اكثر مما وصف ابن بطوطة او صاحبه الايطالى الذى حضر بعض زمانه ، ورحل مثل ترحاله ، ذلك ماركو بولو Maco Polo ، وموطنه فينسيا Venice .



ماركو بولو الرحالة الشهير ، وهو اكبر رحالة اوربى سافر الى الشرق الأقصى . ومثله الرحالة العربى ابن بطوطة . وكان ابن بطوطة أعلم بالمناطق الشرقية التى مر بها ماركو ابولو . وماركو بولو ، عايش ابن بطوطة ، ولكنه كان اسن منه .

مواصلات الامس ومواصلات اليوم

مواصلات اليوم، واعنى بها مواصلات ما بين العقول والافهام ، تضم الكتب والنشرات، وتضم الصحف والمجلات ، وتضم الصور المتحركة والسينما ، وتضم الاذاعة ، وتضم التلفزة .

وليس شيء من هذا يشترك فيه الزمن القديم والحديث غير الكتب . وحتى هذه كانت تنشر استنساخا بالقلم ، فلم تكن ابتدعت المطابع . والصحف لم يكن لها وجود .

والمطبعة لم يخترعها مخترعها الاوروبى جوتنبرج الا فى نحو عام ١٤٤٠ ، ومضى وقت طويل بعد ذلك قبل ان تصبح اداة للنشر .



صارت الصحيفة اليومية في الأوطان الغربية ، وكذا في كثير من الاوطان الشرقية ، بعض روتين افطار الصباح ، وتكاد تكون جزءا منه .

الصحافة

الصحافة ، وقد استندت اول ما استندت على الخبر ، بدأ الشعور بالحاجة اليها فى عصر النهضة فى اوروبا، عندما نشأت المدن وامتدت ، وانتشرت التجارة بينها ، وكانت هناك حاجة ان يعلم بعضها اخبار بعض . ونقلت الاخبار

مع المسافرين اولا اعتباطا ، ثم مع عربات البريد تجرها الخيل من بلد الى بلد . وخرجت اول الصحف ، لا يومية ، ولا اسبوعية ، ولكن كلما تجمع من الاخبار قدر ذو بال . وكان اصحاب المطابع بذلك ، هم اول صحفيين . وظهرت اول صحيفة يومية منتظمة فى لندن عام ١٧٠٢ .

واخذت طرق الطبع تتحسن ، ووسائل انتقال الخبر تتسهل . واخترعت السكك الحديدية ، واخترع التلغراف وتحسنت صناعة الورق . وهذا كله مكّن للصحف أن تحتل مكانا راتبا ثابتا من حياة الجمهور ، حتى لكانت صحيفة التيمس اللندية تطبع ٥٠٠٠ نسخة فى اليوم فى عام ١٨١٥ ، وكان هذا رقما عظيما سبقت به سائر صحف العالم عند ذاك .

وكانت هذه الصحيفة تباع بسبعة بنسات ، منها ٤ بنسات ضريبة للحكومة .

وكان فى هذا ، وفى غيره ، الدليل على ان الحكومات ، منذ وُلدت الصحافة ، لم تنظر الى الصحافة نظرة عطف وود . لا سيما تلك الصحف التى مالت الى الاستقلال فى الرأى ، او تلك التى لم ترد ان تكون لسان حال الحكومة القائمة .

واتخذ الوزراء من الرشوة اداةيرشون بها رؤساء التحرير ، لينشروا ما يودونه فى صحفهم . فان لم يفعلوا ضايقوهم فى عيشهم ، او كان السجن اسرع وسيلة الى هدف .

حتى فى البلاد التى لم يحكمها حكم دكتاتورى ، راى حكامها أن الجمهور صنفان ، مثقف وغير مثقف ، وان الجمهور المثقف هو وحده الذى له الحق فى الاهتمام بأحداث البلاد ، وان جاز فابداء رأى فيها . ومن اجل هذا هم



عربة البريد يجرها عدد من الخيل .. هذه هى العربات التى عرفتها انجلترا واوربا فى القرون الوسطى ، وكانت تحمل البريد من شمال البلاد الى جنوبها وتستغرق فى ذلك الأيام،وتحمل فيما تحمل الاخبار خاصةوعامة.

فرضوا الضرائب على الصحف ليقل توزيعها على الآخرين .

ودار الزمان ، وفعلت التكنية فى القرن التاسع عشر ما فعلت ، وفى القرن العشرين جاء اللاسلكى ، وكان سبقه التلغراف ، وجاءت السيارة والطيارة ، وشتى وسائل النقل ، من ناقلة جسم او ناقلة فكر ،وكلها صنعت من الصحف شيئا لم يكن يخطر على بال مَنْ عاش فى مثل زمان ابن بطوطة وماركو بولو . وبلغ ما يباع من الصحيفة الواحدة فى اوروبا وامريكا مئات الالوف والملايين .

ففي انجلترا يبلغ توزيع بعض الصحف اليومية الشعبية ٤ ملايين فما فوقها .

ويُعَدُّ القرن الحاضر ، القرن العشرون ، هو عصر انتشار الصحف انتشارا جماهيريا عظيما ، لا سيما فى الدول الصناعية . ففى هذه الدول صارت عادة قراءة الصحيفة فى الصباح بعض روتين اليوم .

وقد احصوا منذ سنوات قليلة ، كم يباع من الصحف لكل الف من السكان . وخرجوا بالارقام الآتية :

ببريطانيا ٥٧٣ صحيفة ، فى السويد ٤٦٢ ، فى اليابان ٤٠٠ ، فى الولايات المتحدة ٢٧٧ ، فى المانيا الغربية ٢٧٧ ، فى فرنسا ٢٤٤ ، فى روسيا ١٠٧ ..



صورة الهوائي في محطة «ام العيش» بالكويت وهى من احدث الوسائل واسرعها لنقل الاخبار من بقعة في الارض الى بقعة اخرى فيها ، وذلك عن طريق الاقمار الصناعية ، وتحمل كذلك الصور ومنها نقلت صور الهبوط على القمر لاول مرة .

ومن بعد الصحف جاءت السينما من صامتة وناطقة وجاءت الاذاعة وجاء التلفاز

وكلها اشياء، يذكرها رجل الجمهور، وامراته، فلا يذكران منها الا انها أصوات وصور ، وقصة وخبر ، ومسلاة من مسالى الانسان فاخرة . وهما لا يريان ما اختفى وراءها من تكنية شتيتة ، عظيمة ، معقدة ، بارعة ، قضي الانسان فى تخريجها نحو قرن من الزمان . ان الجمهور لا يرى من العلم البارع ، ومن التكنية العظيمة ، الا فصلها الاخير ، ويراه فى اقصر صوره واخصرها . وهو لا يحرجه ان يفهم منها او لا يفهم . تماما كالرجل الضخم ، يركب السيارة الضخمة ، وتتعطل منه بسبب غاية فى البساطة ، فيصلحه له مصلح ، ولكنه لا يفهم ما حدث فيه من اصلاح ، وهو لا يحاول فهمه . وهو اذ يدخل سيارته الفخمة لا يرى منها غير المقاعد الوثيرة، والنوافذ الزجاجية التى تفتح وتغلق بضغط زر من الازرار .

وسبقت السينما الاذاعة ، وسبقت الاذاعة التلفاز .

السينما بدات فى نحو اوائل هذا القرن . والاذاعة بدات ما بين العقد الثانى والثالث منه ، والتلفاز بدأ قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم عاد الى الظهور بقوة بعد انتهائها . وعاد كما يعود الماء الزاخر وقد انصدعت فى اعالى النهر سدوده .

وغلب التلفاز السينما ، وغلب الاذاعة .

ذلك انه اختطف منهما الصورة ، واختطف الصوت (من كلام ، وموسيقى وغير ذلك) ، ثم هو فوق ذلك دخل المنازل دون ان يستاذن على اهلها . وهم لا يدفعون لدخوله ثمنا ، او لا يكادون . وفى وسعك ان تمنعه من دخول ، ولكنه دائما حاضر عند الباب .

ولكن ليس معنى هذا ان السينما اغلقت ابوابها ، او ان الاذاعة حطمت ابواقها . ذلك ان فى كل منهما صفات . ليست فى التلفزة ، تؤمن وجودها رغم شعبية التلفاز . ودليل ذلك اننا ما زلنا نفتح الرديو لنسمع الاخبار ، نستمع الى حديث سياسى خطير ، او اغنية من اغنياتنا المرموقة ، او محاضرة من وزن ثقيل . ليس شيء من هذا مكانه التلفاز . ان الانسان هنا يريد ان يتركز على الصوت ، ولا شيء غير الصوت ، وما يتضمنه الصوت من قيم .

وكذا السينما ، لا نزال نخرج اليها ، الى شاشتها الكبيرة ، وهى تطل علينا واسعة مديدة فى الدور الواسعة . وتفتح جناحيها فتح النسر جناحيه ، تحمل لنا بينهما صور المعارك والحروب فى ميادينها الشاسعة ، او صور المهرجانات العظيمة والذى بها من فخامة وابهة .

ادوات مواصلة ،
ولكن فى اى شيء ؟

واسمينا الكتب ، والصحف ، والسينما ، والاذاعة ، والتلفاز ، ادوات مواصلة ، واسماها اخواننا الاوروبيون من قبلنا Mass Communication اى مواصلة الجماهير ، او المواصلات الجمهورية او الجماهيرية . اى انها تحمل شيئا من طرف الى طرف . اما الطرف الذى تحمل اليه فهو جمهور الشعب على اختلاف طبقاته وتعدد مراتبه . اما الطرف الحامل ، فهو المؤلف فى الكتاب ، او الصحفى فى الصحيفة ، او الاذاعى فى المذياع ، والتلفازى فى التلفاز .

اما الشيء المحمول الى الشعب فألف صنف وصنف . اننا لا نكاد نحصى الاصناف التى تنقلها المواشي والسيارات والقاطرات والطائرات والسفن من بخارية وغير بخارية ، من طعام وكساء

العدد القادم
عدد ممتاز

وبناء وحاجات حياة وادوات مدنية ، ومكنات صناعية . وكلها مواد توضع فى الميزان فتثقل به .

اما الذى تحمله المواصلات الجماهيرية الفكرية ، مما تنتج المطابع من كتب وصحف ، وما تنتجه دور السينما والاذاعات والتلفازات من كلمات وصور ، فتبلغ عند العد الف صنف وصنف . ولكنها صنوف لا توضع فى الميزان ولا تثقل بهاالموازين ، ولا تخف . ذلك انها معان لا مادة لها . انها طاقة ، والطاقة حياة ، والحياة تركب الاجسام . والاجسام توزن ، والحياة لا وزن لها .

ومن هذه المعاني صنوف المعرفة . ويدخل فيها كل ما يدرس فى المدارس والجامعات . وهي اقسام ، تنقسم الى اقسام . من اقسامها الكبرى اللغة والأدب . والعلوم الطبيعية النظرية واخواتها التطبيقية . والطب وفروعه والانسانيات ومنها التاريخ والمجتمع والفلسفة والتربية وعلم النفس . ومنها الفنون ومن الفنون القصص . وابواب من الثقافات عديدة شتيتة اخرى .

وهذه الصنوف ستقول انه يتضمنها المنشور من الكتب .

ولكن كذلك من الصحيح ان يتضمنها المنشور من الصحف . ان الصحيفة اليومية اساسها الخبر . ولكن جاءها من بعد الخبر الراى . ثم جاءتها الثقافة الوانا كثيرة ، لا سيما صحف الاحد فى اوروبا .

بالطبع بعض صنوف الثقافة امس بالصحافة من بعض .

كذلك انت تنظر فيما تعرض دور

السينما فتجدها تتركز على القصة . وقد تكون قصة تاريخية وقد تكون اجتماعية اجرامية . وقد تكون حبا وشعرا وعاطفة . ولا يخلو شيء من ذلك من تثقيف . ان لم يكن تثقيف عقل، فهو تثقيف عاطفة ، وارهاف حس .

والى جانب هذا ، فالسينما تأتيك بالعلم ، وتأتيك بالفن صريحا أو مغلفا .

الاذاعة والتلفاز اوسع من السينما ، يكاد يدخلهما كل شيء ، مع مراعاة تخصصهما، فالاذاعة لها الصوت وحده، والتلفاز له الصوت والصورة معا . وفى امر التلفاز ، لا يكاد يوجد شيء يذاع على طلبة فى دور العلم يمتنع اخراجه فى التلفاز ، وعلى وجه أكمل . وهل ادل على هذا من جامعات الهواء التي اتخذت من التلفزة خاصة صالة محاضرات متسعة يحضرها فى الوقت الواحد عشرات الالوف من الناس ، او مئاتها .

التسلية
معنى غلب على المواصلات الجماهيرية

سألت رجلا من رجال الاعلام ، ما صفة البرنامج الأول الذى تضمن له النجاح ؟ قال : ماذا تعني بالنجاح ؟ قلت كثرة المشاهدين .. قال : ان يكون للبرنامج فى مراتب التسلية مرتبة ذات بال ...

جواب لا شك صادق اذا ما اعتبرنا كثرة المشاهدين ..

ان رجل الجمهور يفتح التلفاز عادة فى ساعة استرخاء من بعد عمل . وهو يشاهده وهو فى حال بين اليقظة والمنام. يستمع الى موسيقى هادرة أو يرى رقصة فكاهية ساخرة . فاذا انفتح التلفاز على شيء من الجد ، فما اسرع ما يغلقه . والمغلقون هم كثرة من الجمهور أو قلة ، وفق ما يكون موضع التلفاز من سطح الارض ، ومن نوع الامة التى هو فيها ، وفى اى مستوى هي من مستويات الثقافة فى أرجاء هذه المعمورة، وما أقل ما ترتفع مستوياتها وما أكثر ما تنخفض .

والتسلية : لفظ يطلق عادة على الشيء الاجوف الذى قد يمتع ولا يشبع . وتحاول ان تمضغه فكأنما تمضغ هواء . ويذهب عنك فتنساه . واكثره الذى يذهب عن الرجل الفارغ بثقل زمانه .

ولست أعيب على رجال الاعلام ان يتخذوا المسلاة لنجاح برامجهم هاديا . فالمشاهد حر فى ان يشهد المشهد المذاع او ان لا يشهده . لا شيء يغصبه على ان يشهد . ونحن قد نشهد عرضا للتلفزة فلا نرضاه ، ولكن يرضاه السواد من الناس .

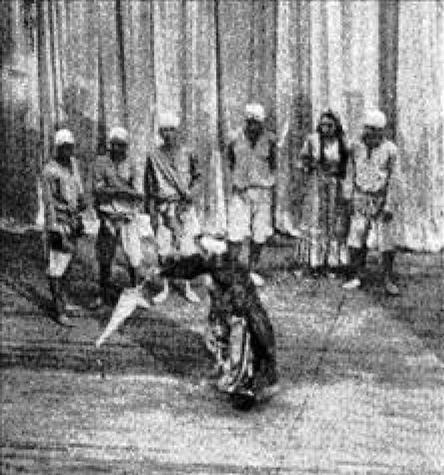
ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو ، هل تكون التسلية الصفة الأرجح فى البرامج ، والصفة الدائمة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه ، هل ادوات الاعلام يجب ان تسير وراء الجمهور ، ليرضى الجمهور عنها ، أم هي مأذونة احيانا بأن تتقدم الجمهور ليتبع ؟

سؤال ، على اى صيغة كانت اجابته، يخلف فى جمهور المشاهدين قوما غير راضين .

راضون عن الاعلام وغير راضين

لهذا ، ولأشباه هذا ، لم أجد فى بلاد العرب بلدا الا ساخطا على ما فيه من أجهزة اعلام ، تعمل فى البلد فى داخل البلد ، ولصالح البلد . من أجهزة نشر




السراويل لم تكن يوما من المأثورات الشعبية
التى تستحق العرض على الخشبات المسرحية

هي الكتب ، الى صحافة ، الى سينما ، الى اذاعة وتلفزة .

والسبب اختلاف الثقافات لا سيما فى البلد العربي الواحد من الوطن العربى .

فى المأثورات الشعبية

واضرب مثلا بالمأثورات الشعبية : انها بدعة جديدة من بدع الغرب جاءتنا . ونريد أن نحييها فى السينما ، وفى التلفاز مقلدين . ويشهدها المشاهد المثقف احيانا وهو يتصبب عرقا من خجل وخزى شديد ، ويراها مشاهدون آخرون منا فيرون فيها فخر الماضي وعزته .

وتسأل المثقفين : فيقولون ان يكن فنا حقا ، فقد اندفن ، فما بعثنا رمائم المقابر ؟!

عندهم انه ، ان كان مأثورا شعبيا كريما ، فلينشر ، والا فظلمة النسيان به أولى .

رايان مختلفان ، يعبران عن عاطفتين ، كل منهما صادق . اختلفا لاختلاف النشأتين فى البلد العربى الواحد .

ولكن ، مأثور شعبى كهذا يجب ان لا يخرج عن حدود وطنه . فاذا هو خرج أضر بالبلاد من الوجهة الاعلامية ضررا لا يفهمه الا المثقفون .

وكالمأثورات الشعبية الأغاني

بمعنى ان لها كارها وحامدا .

والكاره يقول لك انها اغان ملوكة لا فن فيها ، وهي تكاد تملأ زمن الاذاعة والتلفاز ، فاغلب الظن انك اذا فتحت المذياع عشر مرات ، فسوف تجد أول ما يخرج منه الاغنية الشعبية ، ثماني مرات فى كل عشرة .

انها المادة التى تملأ خانات البرامج حين لا يكون هناك ما يملأها .

وهي أغان عن الحب . وهو نوع من الحب الذى لا يمت بصلة الى حب هذه الايام . انه حب يتحدث عن العذول ، وعن الحبيب المغاضب . وانه الحب الذى بلغ بصاحبه حد الموت . فالقلب يدق ، والكبد قرحي من الحب . وتنظر الى المغنى أو الى المغنية فلا ترى فى

الوجوه والاجسام غير الصحة وغير البدانة . وقد يغني المغني اغنية حزينة، وتنظر اليه فاذا على وجهه بهجة الفرح غامرة . ومعان للحب نزلت اليهم من عصر عنترة بن شداد ، ومجنون ليلى ، لا تتفق مطلقا مع الجو الذي يغني صاحبنا فيه أو صاحبتنا اليوم . ثم ان احباب اليوم اذا ضاق بهم الحب لم يهرعوا الى الغناء ولم يفهموا من هذه المعاني شيئا .

انه غناء ان مَت الى قرن فهو القرن العاشر ، أو معان فهي معاني القرن العاشر تغنى على مسارح للألوف والملايين ، هم شهود اهل القرن العشرين .

واستثني مقاصد للغناء عليا ، لا تزال تلمع ، من بعض نجوم الغناء ، الحين بعد الحين .

وكان الغناء فى الاذاعة صوتا ، فلما صار فى التلفاز صوتا وصورة ، افسدت الصورة الصوت . وتمنى الكثيرون من المشاهدين لو عاد المغنون ، ولا سيما المغنيات ، الى الاذاعة التى لا ترى . انه العَوْد الذي يقال فيه «والعود احمد» .

هذه آراء سمعتها من رجل عربي مثقف ، فى امر الغناء العربي الشائع فى الاذاعة العربية وتلفازها .

ولو انك استنطقت رجلا كريما ، قديما عتيقا ، منقوعا فى ماضي بلده العربي ، لو انك استنطقته تتعرف على رايه فيما قال مواطنه هذا ، لصب عليه اللعنة من كل دلو عظيم ..

اختلاف ثقافة . واختلاف أمزجة .

وبينهما يقف رجل الاعلام فى حيرة ، بين طرف زمانه ، عتيقه والحديث .

قنوات
لا قناة واحدة

اني لو استرسلت فى هذا الامر ما انتهيت الى غاية ، وحسبي أن أقول انه لا مخرج من هذا الحرج الا انشاء قناتين لكل من الاذاعة والتلفاز ، واحدة للزمان العتيق واهله ، والاخرى للزمان الحديث واهله .

ان الصحافة لا تجد هذا الحرج . فالصحافة انقسمت الى صنفين ، صنف شعبي ، وصنف فوق ذلك (فهي قنوات) حتى الصحافة اليومية فى بلاد الغرب تجدها على مستويات عدة . فالتيمس والابزرفر والتلغراف فى انجلترا ، فوق المستوى الشعبي ، وتوزيعها اقل . والديلي ميل ، والديلي اكسبرس ، والديلي ميرر ، صحف يومية شعبية ، وتوزيعها أوسع كثيرا .

والكتب ، وهي من أثبت دعائم الاصلاح ، مستوياتها لا تعد . حتى الاطفال لهم كتبهم .

وبانشاء قناتين او اكثر سوف تتمكن الاذاعة ويتمكن التلفاز ، وهما اوسع أدوات الاعلام ساحة وباحة ، من القيام بواجبهما الاول الذى يستفاد من لفظ الاعلام .

ان الاعلام من العلم . والمدارس والجامعات تعطي العلم . والدنيا تعطي العلم . والاذاعة والتلفاز جامعتان عظيمتان يظل يستمد منهما تارك الجامعة بعد تركها ، علما وادبا وفنا ، وخبرة حياة ، ليس شيء منها من الصنف الذى تعطيه المدارس والجامعات عادة .

ان أجمل شيء فى الحضارة الحاضرة، العلم والمعرفة والاستنارة اجمالا . واخطر ما فى العلم والمعرفة والاستنارة مصدرها . ومن أخطر هذه المصادر ، مصادر الكلمة المذاعة والصورة المذاعة ، بهما تخلق خلقا جديدا ، وبهما تتغير مقادير الشعوب

●●

احمد زكي



اتِّفاق بِرْلين ..

حَدَثٌ مِنْ أَحداثِ الدُّنيا عَظيم • ضَمِنَ سَلام الأَرضِ إِلى حِين •

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ وقع خلال عام ١٩٧٠ ، تطور خطير وحاسم ، في صميم المشكلة الالمانية ، وفي ميدان السياسة الدولية ، وذلك حينما عقد ميثاق بعدم الاعتداء بين روسيا السوفيتية والمانيا الغربية ، تم توقيعه في موسكو في ١٢ اغسطس سنة ١٩٧٠ . وينص هذا الميثاق على وجوب المحافظة على السلام ، واعادة الموقف في اوربا الى حالتـه الطبيعية ، والعمل على تنمية العلاقات السلمية بين الدول الاوربية كهدف رئيسي للدولتين المتعاقدتين ، كما ينص على تعهد الدولتين بتسوية منازعاتهما بالطرق السلمية ، والامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ، وينص اخيرا على التزام الدولتين باحترام الحدود القائمة ، واحترام وحدة وسلامة اراضي الدول الاوربية بحدودها الحالية ، ولا سيما بالنسبة لبولونيا والمانيا الديمقراطية ..

ومعنى ذلك ، وهو اهم بنود الميثاق ، هو ان المانيا الغربية تعترف وتقر حدود المانيا الشرقية ، التى حددت نتيجة لهزيمة المانيا في الحرب العالمة الثانية ، بنهر « أودر » وامتداده نهر « نيسى » ومعنى ذلك ان المانيا الغربية تترك وتعترف لروسيا وبولونيا بما استولتا عليه من اراضي المانيا القديمة، ومنها بومرانا وبروسيا الشرقية ، وهي اراض يسكنها اكثر من عشرة ملايين من الالمان .

ومعنى ذلك اخيرا ، ان المانيا الغربية نبذت امانيها الدفينة ، في تحقيق الوحدة الالمانية وبعث المانيا الكبرى ، وربما كان ذلك مدى اجيال .

ولم يمض على عقد الميثاق السوفيتي الالماني نحو ثلاثة اشهر اخرى ، حتى عقدت المانيا الغربية في منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٧٠ مع بولونيا معاهدة بعدم الاعتداء ، ونبذ استخدام القوة ، مماثلة للميثاق الذى عقدته مع روسيا ، واعترفت فيه كما اعترفت في الميثاق الروسي ، باقرار حدود بولونيا الغربية كما هي على خط نهر اودر ــ نيسي ونص على ان تتبادل الدولتان التمثيل السياسي ، كما اتفقتا على وضع المواطنين الالمان السابقين المقيمين في بولونيا ، وتسهيل هجرة من شاء منهم العودة الى المانيا .

كان رائد هذه السياسة الالمانية الجديدة هو المستشار فيلي برانت رئيس حكومة المانيا الغربية (الاتحادية) وقد ابدى في الاضطلاع بها شجاعة نادرة ، لان الاعتراف ببتر هذه الرقاع الضخمة من اراضي المانيا العريقة ، وضمها الى روسيا وبولونيا ، يعتبر من اخطر الامور القومية . وقد كان برانت في الواقع ، مذ كان رئيسا لحكومة برلين الغربية ، كلما برزت مشكلة برلين ، يصرح بان حل هذه المشكلة لا يمكن ان يتم الا في نطاق تسوية المشكلة الالمانية ذاتها .

ومن ثم ، فانه ما كاد يعقد الميثاق الروسي الالماني ، والمعاهدة الثانية البولونية ، حتى ظهر ما يبشر بان مشكلة برلين قد بدات تدخل في دور التسوية . فقد اجتمع على اثر ذلك سفراء الدول الاربع الكبرى ، وهي التي تحتل برلين ، في برلين ذاتها لبحث هذا الموضوع ، وتعددت اجتماعاتهم مدى اشهر ، وانتهت اخيرا بوضع مشروع اتفاقية لحل مشكلة برلين من سائر نواحيها .

ويجدر بنا قبل ان نتحدث عن الحلول التي انتهت اليها الدول الاربع الكبرى لمشكلة برلين ، ان نوضح طرفا من عوامل هذه المشكلة ، ونواحيها الجغرافية والسياسية والاستراتيجية .

اصول المشكلة

والواقع ان العوامل الجغرافية تلعب في مشكلة برلين اعظم دور ، فقد سقطت برلين والمانيا الشرقية كلها في ايدي الروس في ٢ مايو سنة ١٩٤٥ ، قبيل تسليم المانيا النهائي بايام قلائل ، وانفرد الروس في البداية باحتلال عاصمة الريخ القديمة ، ولكن روسيا تنازلت بمقتضى اتفاق



ومن الواضح ان موقع برلين على هذا النحو ، فى قلب منطقة الاحتلال الروسية ، يضع مواصلاتها الحيوية مع الغرب ، تحت رحمة الروس ، وهذه هى اول نقطة حساسة فى المشكلة ، وقد ظهرت خطورتها بصورة عملية حينما وقع الخلاف بين روسيا والحلفاء ، حول نظام العملة فى المدينة ، وقام الروس بمحاصرة قطاعها الغربى فى يونيو سنة ١٩٤٨ ، واضطرت الدول الغربية للمحافظة على خطوط مواصلاتها مع المدينة المحصورة ان تقيم جسرا جويا قوامه آلاف الطائرات ، واستمر هذا الحصار المرهق نحو عام ، حتى انتهى الروس الى رفعه فى مايو من العام التالى .



الهير فيلى برانت
مستشار المانيا الغربية

خاص عقد بينها وبين حلفائها ، عن القطاع الغربى لمدينة برلين ، وهو يشمل نحو نصف مساحتها ، الى حلفائها الغربيين ، وذلك نظير حصولها على اجزاء من مقاطعتى سكسونيا وتورنجيا ضمت الى منطقة احتلالها . وهذا هو أصل الاحتلال الرباعى لمدينة برلين .

وتقع برلين فى قلب منطقة الاحتلال الروسية ، وهى التى غدت فيما بعد « جمهورية المانيا الديمقراطية » وتمتد هذه المنطقة فيما بين بحر البلطيق شمالا وحدود تشيكوسلوفاكيا وبفاريا جنوباءوالى نهر أودر ــ نيسىشرقا ، والى ما وراء نهر الالب غربا ، وتضم خمسا من ولايات المانيا السابقة هى مكلنبورج ، وبراند نبورج ،وسكسونيا وتورنجيا ، وتبلغ مساحتها ٤١،٤٧٨ ميلا مربعا ، ويبلغ سكانها ستة عشر مليونا ونصف مليون من الانفس .

وتحتل روسيا من برلين قطاعها الشرقى ، وهو يتكون من ثمانية اقسام من اقسامها القديمة تبلغ مساحتها ١٥٤ ميلا مربعا ، وسكانها نحو مليون ومائة الف نفس . ويحتل الحلفاء الغربيون قطاعها الغربى وهو يتكون من اثنى عشر قسما ، تحتل امريكا منها ستة ، وبريطانيا اربعة ، وفرنسا قسمين ، وتبلغ مساحتها ٨٥ ميلا مربعا ، وسكانها نحو مليونين ومائتى الف نفس .

نظم الحكم فى برلين

وكانت روسيا وحلفاؤها قد اتفقوا عقب النصر، على ان يكون حكم برلين المحتلة على يد مجلس من قواد الدول الاربع . ولكن هذا النظام لم يلبث ان عطل والغى ، لما نشب بين روسيا والحلفاء من خلاف عمدت روسيا على اثره ، وذلك فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، الى انشاء مجلس بلدى خاص لبرلين الشرقية يتولى حكمها . ورد الحلفاء الغربيون على ذلك بان وضعوا من جانبهم لحكم القطاع الغربى دستورا خاصا بدأ تطبيقه منذ سنة ١٩٥٠ . وهو ينص على ان برلين تعتبر مدينة ودولة معا ، وانه يجرى حكمها وفقا للنظام البرلمانى ، على يد برلمان منتخب (بند ستاج) ويتولى الحكم مجلس تنفيذى (بند سرات) يتكون من عمدة المدينة كرئيس (وهو رئيس حزب الاغلبية) ، ونائبه واحد عشر شيخا (وهم بمثابة الوزراء) .

واما عن علاقة برلين بالمانيا الغربية (الجمهورية الاتحادية الالمانية) فان الدستور الاتحادى يعتبر برلين ضمن الاراضى التى يشملها تطبيقه ، وينص دستور برلين الصادر سنة ١٩٥٠ ، من جهة اخرى على ان برلين هى « ولاية » من ولايات الجمهورية الاتحادية ، تطبق عليها قوانينها . بيد ان قواد الحلفاء الغربيين قد احتفظوا لانفسهم بنص يقرر ان برلين لا تعتبر محكومة بواسطة الجمهورية الاتحادية ، وانه لن يكون لها نواب فى البرلمان الاتحادى ، وان كان يحق لها ان تشترك فى اجتماعاته

على يد ممثلين عاديين . وطبقا لما تقدم فان برلين مثل باقي الولايات الاتحادية ، لها ممثل في بون العاصمة ، وللجمهورية الاتحادية من جانبها ممثل في برلين ، وهذه العلاقة المتبادلة القائمة بين برلين الغربية والجمهورية الاتحادية ، ليست علاقة افلاطونية ، وانما هي بالعكس علاقة عملية فعالة. ويكفي أن تعلم ان الجمهورية الاتحادية تقدم الى برلين الغربية كل عام اعانة تبلغ نحو الف وخمسمائة مليون مارك لتقوم بانفاقها في اعمال الانشاء والتعمير دون قيد ولا شرط، وان الجمهورية الاتحادية تحصل كذلك على ٨٢٪ من صادرات برلين .

برلين الغربية والشرقية

وقد زار كاتب هذه السطور برلين غير مرة ، قبل الحرب وبعدها . والذين يعرفون برلين ما قبل الحرب لا يرون اليوم من صروحها واحيائها القديمة في برلين الحالية سوى لمحات ضئيلة . والواقع ان برلين الغربية ، هي اليوم مدينة جديدة بكل معاني الكلمة ، وقد استحالت احياؤها القديمة في فترة قصيرة من خرائب وركام مؤذية ، الى مدينة من اعظم المدن الاوربية تغص بالاحياء الفخمة والصروح العالية المحدثة ، والشوارع العريضة والمنشآت والمتاجر العظيمة من كل ضرب ، وقد خلعت عنها الثوب البروسي القديم الذي خلعته مدن المانية كثيرة اخرى جددت بعد الحرب . وتعتبر برلين الغربية من حيث الانتاج والنشاط من اعظم مدن المانيا الصناعية ، ويشتغل من سكانها المليونين ، ثلاثمائة الف في مختلف الصناعات ، ويبلغ قيمة انتاجها الصناعي في العام ، اكثر من سبعة آلاف مليون مارك .

وتضم منطقة برلين الشرقية من السكان نحو مليون من الانفس وقد قام الروس فيها كذلك باعمال التعمير ولكن بنسبة تقل عن نظيرتها في القطاع الغربي . واعظم اعمال التعمير الروسية ، هو اقامة شارع ستالين الشاسع (وهو اليوم شارع كارل ماركس) على انقاض شارع فرانكفورت القديم ، وهو الآن افخم شوارع المنطقة الشرقية. بيد انه مما يلاحظ ان الحركة قليلة في هذه المنطقة وما زالت توجد بها خرائب كثيرة .

اسوار حول برلين الشرقية

وقد كان من اثر الخلاف المتكرر بين الحلفاء الغربيين والروس على مشكلة برلين ، ان اضطربت علائق القطاعين الشرقي والغربي ، وشدد الروس الحجر على سكان المنطقة الشرقية ، ومنعوهم من مغادرتها ، كما شددوا في منع سكان القطاع من دخول القطاع الشرقي ، لزيارة اقاربهم وقضاء مصالحهم المتبادلة .وترتب على ذلك حالة عصبية في القطاعين وكثر فرار الالمان من القطاع الشرقي الى القطاع الغربي بكافة الوسائل ، لما يلاقونه من الشدة والارهاق ، واستعمل الروس اشد الوسائل لقمع هذه الحركة ، ولكنهم اخفقوا . وعمدوا في النهاية الى وسيلة مثيرة حاسمة ، هي ان اقاموا حول القطاع الشرقي من سائر نواحيه ، اسوارا من الاسمنت المسلح ، يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة امتار (اغسطس سنة ١٩٦١) وكان لهذا الاجراء اسوأ وقع لدى سكان القطاع الغربي ولدى الحلفاء ، وزادت بسببه حالة التوتر بين القطاعين .

وقد كان آخر مظهر من مظاهر مشكلة برلين هو ما وقع من احتجاج الروس بشدة على عقد برلمان المانيا الغربية (البند ستاج) في برلين الغربية (اوائل سنة ١٩٦٩) وقيامهم بقطع المواصلات البرية الموصلة الى برلين .

تسوية مشكلة برلين

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات لعقد ميثاق عدم الاعتداء بين روسيا والمانيا الغربية ،كانت الدول الاربع الكبرى ، الاتحاد السوفيتي وامريكا وبريطانيا وفرنسا ـ قد بدأت اتصالاتها في محاولة جديدة لتسوية مشكلة برلين. واستغرقت المفاوضات بين سفراء الدول الاربع سبعة عشر شهرا ، منذ مارس سنة ١٩٧٠. وساعد عقد الميثاق الروسي الالماني ، والمعاهدة الالمانية البولونية ، على دفع المفاوضات وتقدمها ، وفي يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧١ ، اعلن في برلين بان سفراء الدول الاربع قد نجحوا في الوصول الى اتفاق بشأن مشكلة برلين ، وان هذا الاتفاق قد ارسل الى الحكومات المعنية لاقراره قبل اعلانه في يوم ٢ سبتمبر ، وان الاتفاق المذكور يتضمن الاسس الآتية :

أولا : قبل الاتحاد السوفيتي أن تضطلع الدول الثلاث بالمسئولية العليا لحرية مرور قوات الحلفاء الغربيين ، وكذلك مرور المدنيين عبر اراضي جمهورية المانيا الشرقية .

ثانيا : يمكن لسكان برلين الغربية ان يجتازوا اسوار برلين الشرقية الى اراضي المانيا الشرقية وكذلك يحق لسكان برلين الشرقية ان يعبروا الى برلين الغربية .

ثالثا : يحق للهيئات الفيدرالية فى بون التى لها مقار فى برلين الغربية ان تحتفظ بها ، ومع ذلك فان هذا لا يعنى انتماء برلين الغربية الى المانيا الاتحادية سياسيا ، ومن ثم فانه لا يجوز للمؤسسات الفيدرالية مثل رياسة الجمهورية والبرلمان الاتحادى (البند ستاج) ان تمارس اعمالها الدستورية فى برلين .

رابعا : يمكن لسكان برلين الغربية الذين يحملون جوازات سفر من المانيا الاتحادية ، ان يستعملوا هذه الجوازات للسفر الى بلاد حلف وارسو .

خامسا : يحق للاتحاد السوفيتي ان يفتتح قنصلية عامة فى برلين الغربية ، وتعتمد هذه القنصلية من جانب السلطة العسكرية فى القطاع الذى تقام فيه .

وفي اليوم الثالث من سبتمبر تم في برلين توقيع اتفاقية برلين ، من ممثلى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

وقد نوه فى الاتفاقية بتعهد الدول الاربع بالعمل من اجل ازالة التوتر ، والحيلولة دون حدوث تعقيد فى المنطقة ، والاتفاق على الا يقع تهديد او استخدام للقوة فى المنطقة ، وان تسوى المنازعات فيما بينها بالوسائل السلمية ، كما نص على انه لن يطرأ فى المنطقة اى تغيير على الموقف الحالى من جانب واحد من قبل احدى الدول الاربع . ويعلن الاتحاد السوفيتي من جانبه بانه لن تقوم اية عوائق فى سبيل عبور الافراد والسلع بالطرق البرية والسكك الحديدية والممرات البحرية من المانيا الغربية وبرلين الغربية ، وهي تقع داخل اراضى المانيا الشرقية (الديمقراطية) .

وتعلن الدول الغربية الثلاث من جانبها بان برلين الغربية لا تعتبر جزءا من المانيا الغربية ، وانها لا تحكم برلين الغربية .

وينص الاتفاق اخيرا على ان تتولى المانيا الغربية الشئون القنصلية لسكان برلين الغربية عند سفرهم الى الاتحاد السوفيتي ، كما انها تمثل برلين الغربية فى المجال الدولى ، ويقيم الاتحاد السوفيتي له قنصلية عامة فى برلين الغربية .

وهكذا تحققت المعجزة ، واستطاعت الدول الاربع الكبرى ، بعد نحو ربع قرن من الخلافات المستمرة بين الاتحاد السوفيتي والدول الغربية، ان تصل الى الاتفاق على تسوية مشكلة برلين .

وقد كان لهذا الاتفاق اصداء عميقة فى المجال الدولى ، ولا سيما في المانية الغربية ، التى يحبوها الاتفاق بطائفة من المزايا الحيوية ، ومن الواضح ان اكبر الفضل فى تهيئة الجو للتفاهم بين روسيا والدول الغربية ، يرجع قبل كل شيء الى سياسة الهر فيلى برانت ، وجهوده في العمل على تحقيق التقارب بين الشرق والغرب ، والاعتراف بالواقع فيما يتعلق بالاوضاع التى خلفتها الحرب العالمية الثانية ، والتى لم يك ثمة مندوحة من التسليم بها ، وهى جهود اتسمت بكثير من الشجاعة ، وضبط العواطف ، وبعد النظر . وقد استحق برانت من اجل ذلك تقدير سائر المحافل الدولية، وكان من اثر هذا التقدير ان منحته لجنة نوبل جائزة نوبل للسلام عن عام ١٩٧١ ، وصرحت السيدة ازى ليونايس رئيسة اللجنة ، بان برانت منح الجائزة لمساهمته الاساسية فى تقوية احتمال التطورات السلمية ، لا فى اوربا وحدها ، ولكن فى العالم كله .

هذا وقد اذيع اخيرا ، انه قد حدثت على اثر توقيع اتفاق برلين بعض خلافات ، فى مداه وفى وسائل تطبيقه بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية، بيد انه مهما كان من شان هذه الخلافات فانه لاريب ان الامر يرجع قبل كل شيء الى موقف الاتحاد السوفيتي ، وهو الذى يسيطر فى الواقع على المانيا الشرقية ، ويوجه سياستها ، وهو المسئول عن تنفيذ الاتفاق الذى قام بعقده مع الحلفاء الغربيين . ■■

محمد عبد الله عنان

وحدةُ اللهِ تتراءى فى وَحدةِ خلقِهِ

وَقُدرةُ اللهِ تتمثَّل فى بديعِ صُنعِهِ

الهَضمُ والتَّغذِيَة

لهُمَا أجهِزةٌ أربعةٌ أعوان

الكَبِدُ، الرِّئتان، القَلبُ، الكُليتان

■ سبق أن تناولنا الهضم ، والجهاز الهضمي فى الانسان ، فى شيء من الاسهاب النسبي ، لنكشف عما فيه من ابداع فى آلة ، وما به من استهداف غاية ، وما توسل به الى بلوغ هذه الغاية من وسائل ، سهلة بحسبانها من ابداع الخلق ، عسيرة ، معجزة اذا نحن نسبناها الى ما قدر ويقدر ويصنع الانسان وهو فى اوج ما وصل اليه من علم ، وما بلغ اليوم وما قد يبلغ غدا من تكنية .

ولقد كان فى الامكان ان نواصل فى تناول اجهزة الجسم الاخرى ، بمثل هذا الاسهاب ، ولو نسبيا ، ولقد كان هذا يحمد فى ذاته هدفا ، ويحمد وسيلة ، ويزيدنا اطلاعا على ما فى الخلق من صنع بديع وتدبير فائق .

ولكن الانسياق فى هذه الرغبة ، ومع اغرائها ، يجعل من الحديث فى وحدة الخلق حديثا واسع الشعب ، متمددها ، ومتطاولها حتى ليصعب بعد ذلك ضم اطرافه فى سبيل المقارنة الاخيرة التي لا بد منها لاظهار الوحدة القائمة فى صنوف ما خلق الله من أحياء .

لهذا ، رأينا ان نمر سريعا ، وخطفا ، فى سائر اجهزة الجسم ، جسم الانسان ، لتتجمع لنا من ذلك فقط الحقائق الأولى التي لا بد من تجمعها عندما نجرى النظر فى خلائق الله ، من اكبر خلقه ، وذلك هو الانسان ، الى ادنى خلقه فى الحيوان ، تلك هي الحيوانات التي تتألف من الخلية الواحدة المفردة التي تطلب العيش وتحيا الحياة وحدها فى الماء . ومن الحيوانات ، راسها والذيل ، ننتقل الى النبات ، ونربط بينه وبين الحيوانات فى سلسلة من الخلق واحدة .

إنَّ أجسامنا ضُمِّمتْ على مُسْتوًى من الخلق ، من دونه مُسْتَويات أفهامنا .

وينام الجسمُ ويذهبُ الوعْيُ عن صاحبه ، ووعْيُ الجسمِ النائمِ قائمٌ يُرَقِّب ، إنَّه في غيرِ حاجةٍ إلى يقظة الصَّحْو ، يقظةِ صاحبه .

أجهزة أربعة

وهذه الاجهزة التي نعالجها سريعا وخطفا ، لنتابع المسيرة الكبرى ، هي أجهزة اربعة :

الكبد بحسبانها مختبر الجسم الاكبر .

الرئتان والتنفس .

الكليتان والتبول .

القلب والدورة الدموية .

وكل هذه يمكن اعتبارها متممات لجهاز الهضم والتغذية .

ولقد سبق لنا أن شرحنا اكثرها في « العربي » ، في « صفحة الطب المصور » فليرجع اليها من يشاء ليزداد وثاقة .

الكبد

والكبد تكاد تكون حقا جزءا من جهاز الهضم والتغذية .

انها اكبر غدة في جسم الانسان ، وهي تزن في جسم البالغ ما بين ٣ و ٤ ارطال . اما موضعها من البطن فهي في الجانب الايمن منه . تحت الحجاب الحاجز ، ويكاد يماثل موضعها موضع المعدة في الجانب الأيسر من البطن .

وهي تحتوي ، والجسم ساكن هادئ ، على نحو ربع ما في الجسم من دم .

وسموا الكبد بمختبر الجسم الكيماوي الأكبر ، وذلك لكثرة ما تقوم به من تغييرات كيماوية فيما يصل اليها من دم ومن غذاء . ولا بد ان نذكر دائما ان الحياة كيمياء .

ان الدم يصل الكبد عن طريقين . الطريق الأول : الشريان الكبدي Hepatic Artery ، وهو يمد الكبد بالذي تحتاجه من دم ومن اكسجين ، والطريق الثاني الوريد البابي Portal Vein ، والباب هنا انما هو باب الدخول الى الكبد . ان الاوعية الدموية التي

امتصت الأغذية المهضومة من المعا وسائر الجهاز الهضمي ، وتبلغ اطوالها نحو ٣٠ قدما ، تتجمع مع غيرها لتصب في وعاء مركزي واحد ، هو الوريد البابي . وهذا يصب في الكبد ، وهو يدخل جسم الكبد فيتفرع فيها الى اعداد هائلة من فروع تجري بالذي بها من دم بين خلايا الكبد . وخلايا الكبد هذه تقف لهذا الدم والذي فيه بالمرصاد . انها لا تأذن بمرور كل شيء فيه . ثم هي تظل تجري في الغذاء الداخل اليها تفاعلات كيماوية لا بد منها هي بعض واجباتها .

ان الكبد تصنع المرارة ، وتختزن ما تختزن منها في الحويصلة المرارية ، وهي تنصب آخر الأمر في الاثنى عشري لتعين على الهضم . ولكنها لا تهضم فليس فيها خميرة هاضمة .

ومن وظائف الكبد اتلاف ما لا خير فيه من كرات الدم الحمراء . والكبد تصنع بروتينات بلزمة الجسم ، وكذلك تصنع المواد اللازمة في الدم لتجليطه وتجميد جروحه فلا ينسكب من الجلد بدون توقف . والكبد تحول السكر الى جليكوجين Glycogen وبذا تختزن منه لصالح الجسم ما تختزن . فان احتاج الجسم الى السكر، زوّدته الكبد به من مخزونها هذا! . والكبد تختزن كذلك الدهن والبروتينات . والكبد تحول الدهن والبروتين الى سكّريات ، وتحوّل سكر الحليب الى سكر العنب اي الجلوكوز . وهي تفصل النشادر من الحوامض الامينية المستمدة من البروتينات . وهي تحول النشادر من بعد ذلك الى البولينة التي تخرج في البول . والكبد تصنع الأملاح التي تصحب الصفراء فتعين على الهضم .

ونستطيع ان نمضي ونعدد الشيء الكثير عن وظائف الكبد ، ولكنا بذلك نوغل في الكيمياء العضوية ايغالا .

والقدماء نسبوا الى الكبد أمزجة نفسية كثيرة ، وضعت الكبد لا شك في احترام الناس موضعا عاليا ممتازا ، ودلّت الأبحاث ، على انه موضع كاذب ، الا ان تكون الكبد الصحيحة مصدرا للصحة ، فللصفو والبهجة ، أو تكون الكبد المريضة مصدرا للمرض ، فللاكتئاب والحزن .

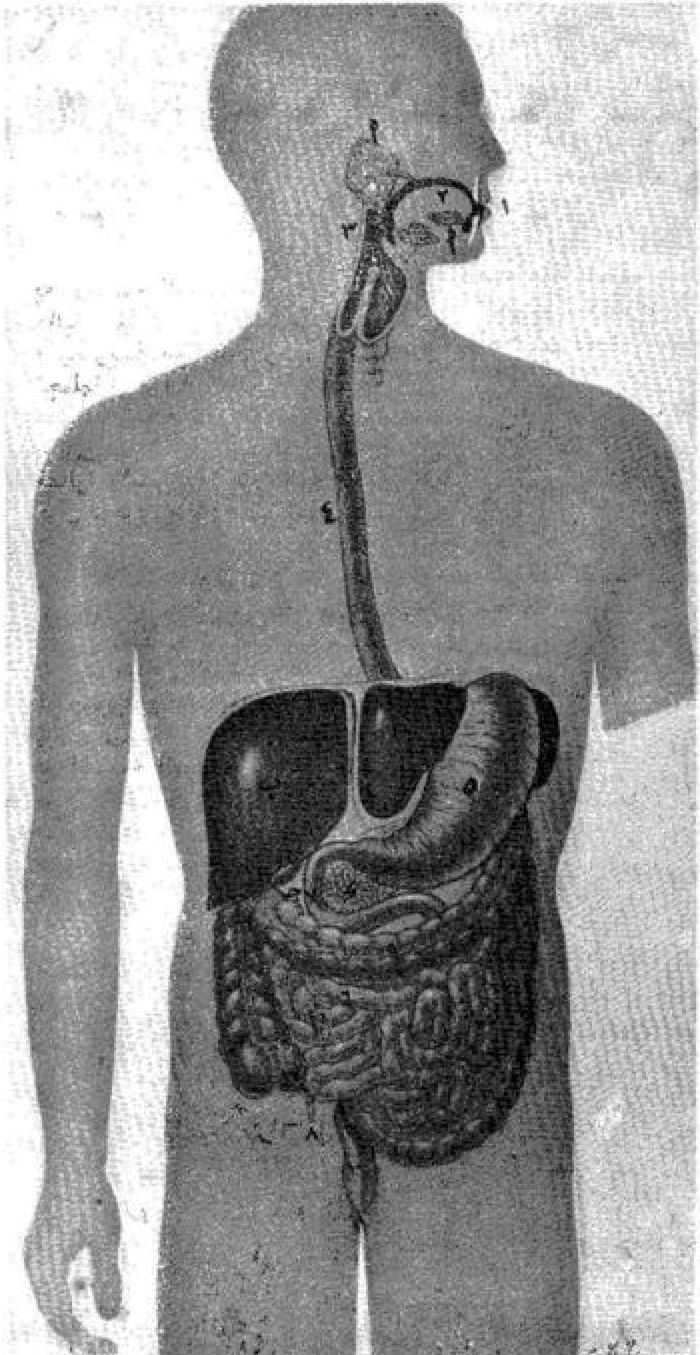
وربط العرب الكبد بالحب . فاذا اشتد العشق عندهم فهو المرض ، وهو مرض الكبد خاصة :

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح
اباها عليَّ الناس لا يشترونها
ومن يشترى ذا علّةٍ بصحيح

الرئتان
عاملان في التغذية اساسيان

اذا ذكر الانسان الغذاء والأغذية ، ذكر اللحم وذكر الخبز وذكر السكر والسمن . فاذا ذكرنا الاكسجين ، اكسجين الهواء ، بحسبانه غذاء ، تردد السامع ، لأن هذا معنى قل ما يجرى به في المطبخ لسان . والحق انك تستطيع ان تصبر على اللحم والخبز وكل ما ذكرنا من الاغذية وما لم نذكر ، الأيام الطويلة ، وتستطيع ان تصبر على الماء ، الساعات الكثيرة والأيام القليلة ، اما عن الاكسجين فدقائق معدودة ينحبس فيها اكسجين الهواء عنك تطفىء منك شعلة الحياة .

وسمينا الحياة شعلة . وما أصدقها تسمية . فالشعلة احتراق . وهو احتراق جسم كالزيت او الشمع (هو طعام المصباح) ، وتخرج منه الحرارة والنور . وهو احتراق لا بد له من اكسجين الهواء . انه يؤكسد مادة الشمع بالزيت ويعطي الحرارة والنور . ومن نتائج الاحتراق غاز ثاني اكسيد الكربون . وكذا الجسم، تحترق وتتأكسد الاغذية في انسجته الباطنة ، بالاكسجين الداخل اليها عن طريق الرئتين ، لتعطي للحياة شعلتها . تعطي للحياة طاقتها وتعطيها نشاطها . وهي طاقة من حركة ، وهي



صورة الاحشاء

١. الفم

٢. اللسان

٣. البلعوم

٤. المرىء

٥. المعدة

٦. المعا الدقيق

٧. الاثنى عشرى

٨. الزائــــدة الدودية

٩. المعا الغليظ

١٠ المستقيم

١١ الاست

(أ) الغدد اللعابية

(ب) الكبد

(ج) الحويصلــة الصفراوية

(د) البنكرياس .

طاقة من حرارة . وهي طاقة كيماوية تختزن في الجسم اختزانا حتى يحتاج الجسم اليها في صنع خلايا وانسجة به ، بليت ، ووجب استبدالها . فهي طاقة مختزنة من اجل تخليق مادة للجسم جديدة .

كل هذه لا تتم الا بالاكسجين، تحترق به الاجسام السكرية والنشوية والدهنية غالبا ، واولا ، ثم تليها تبدلات الجسم الكيماوية من هدم وبناء ، تلك التي نجملها في قولنا ان الحياة كيمياء . وهي عمليات يجملها العلماء في قولهم Metabolism . وترجمه علماء العرب فقالوا الأيض . وهي كلمة تحتاج الى قرن لتجري مالوفة على السنة العرب .

والرئتان
مدخل الاكسجين الى الجسم

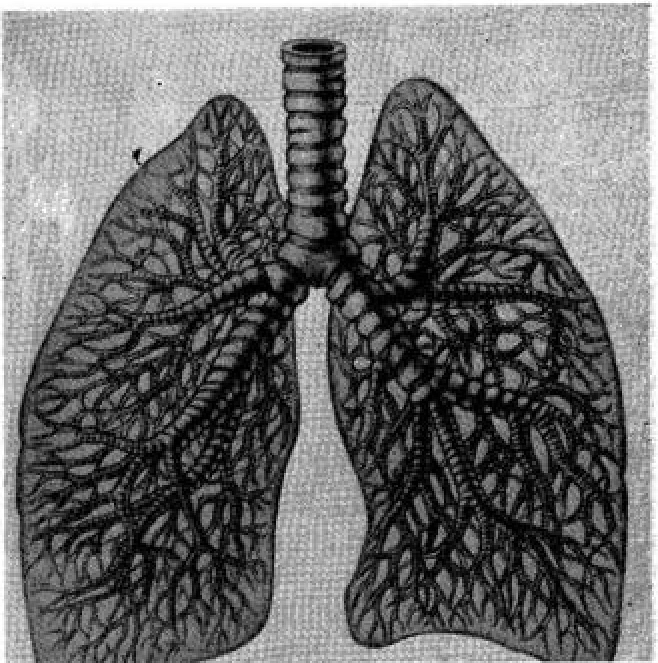
يبدأ مدخل الهواء الى الجسم بالفم ، فالحنجرة وفيها الحبلان الصوتيان Vocal Cords اللذان ينتجان الكلام ، ثم القصبة الهوائية ، وتتفرع فرعين ، فرع يذهب الى الرئة اليمنى ، وفرع يذهب الى اليسرى . ويتفرع كلاهما الى شُعَب ، وانشعب الى شعب اصغر فأصغر ، ويخرج من الشعب شبه اكياس هي التي تمتلىء بالهواء من داخل الرئة ، وخارج الكيس تجرى اوعية الدم الدقيقة ، ، وهو الدم الذى يأتي من سائر الجسم ، وحينما يلتقي الدم بالهواء عند هذه الحدود ، اى جدران هذه الحويصلات الرقيقة ، يأخذ هيمجلوبين الدم من الهواء الاكسجين ، ويفرغ في هذا الهواء بعض ما به من ثاني اكسيد الكربون (نتيجة احتراق الأطعمة في خلايا الجسم ، وهو نفس نتيجة احتراق الشمعة في الهواء كما ذكرنا) . ويتجدد هواء الرئتين بالتنفس . ويتجدد الدم الواصل اليهما .

وهنا يقف الرجل العالم مأخوذا بحقيقة ما يجد .

قلنا يتجدد دم ويتجدد هواء .

أما تجدد الدم فبالدورة الدموية الجارية ، وهذه سبق ان وصفناها ، وقد نعود .

ولكن ما تجدد الهواء ؟ .



الرئتان
والقصبة الهوائية
وما تفرعت اليه
من شُعَب

الا فاعلم أن الرئة مضخة هـواء عظيمة . كالمنفاخ تنفخ به بيديك .

ان الرئة (مع القلب) تملأ الصدر كله ، وجدرانها تلتصق بجدران الصدر التصاقا . وفى أسفل الصدر ، وبين الصدر والبطن، يوجد الحجاب الحاجز . وتضم الرئتين من جانبيهما اضلاع الصدر .

والآن يمكن تفسير حركة المضخة الهوائية . حركة المنفاخ :

ان الحجاب الحاجز يشد نفسه الى أسفل ، بينا العضلات الموكلة باضلاع الصدر تعمل على اتساع القفص الصدرى. وكلا الشيئين يزيد فى حجم الرئتين فيزداد ما يدخل اليهما من الفم من هواء . ويرتخي الحجاب الحاجز ، وترتخي عضلات الأضلاع فيهبط القفص، ويصغر الصدر، ويزيد ضغط الهواء فيه، فيخرج انفاسا حارة ، وحرارتها من حرارة الدم الذى اتصلت به .

وبعود الصدر الى اتساع . ويعود الى ضيق . وهكذا دواليك .

وتظل هذه المضخة الهوائية تعمل ، دون ارادة الانسان ، ما عاش ، عاما ، او عشرة اعوام ، او مائة عام !! .

ومسئولية الحجاب الحاجز فى التنفس اكثر من مسئولية الاضلاع وعضلاتها .

وانت تسكن فيجرى التنفس بسرعة هادئة معلومة لا تكاد تحس انت بها ، ولكنك تجرى فتجد ان التنفس قد زاد ، اردت ذلك او لم ترد . حتى لتلهث وتخطف انفاسك من الهواء خطفا . ان الجسم زاد بالحركة احتراقه ، فزاد فى دمه ثاني اكسيد الكربون ، فأصدر امره بأن تزيد عدد الأنفاس وكم يجب ان تزيد .

ونقول أصدر أمره

فمن أصدر ؟

لا شك أن المصدر للامر ليس انت .



الحُجَيرات التى انتهت اليها شعب الرئتين . وهي ذات جدران رقيقة يحيط بها الدم خارجها في شعيراته الدموية . وهنا يحصل الدم من الحجيرات على الاكسجين ، ويفرغ فيها ما تحمل به من ثاني اكسيد الكربون .

سعة الرئة

ومن عجب أن الفرد منا يحمل رئتيه ولا يعرف كم سعتهما . ولا كم من الهواء ، فى اليوم الواحد ، يمر بهما ؟

ولفهم ذلك يجب ان نعود الى اصل من اصول الحياة . ان الأصل فى الحيوانات البسيطة ، البسيطة التركيب جدا ، التي تتألف من عدة من خلايا ، ان يدخل اليها الاكسجين عن طريق الجلد . وحتى الحشرات ليست فى حاجة الى جهاز تنفس ، ولا الى دورة دموية ولا الى رئة فيها ، وذلك لأن الحشرات من صغر الجسم بحيث انها تعتمد على انابيب تحمل الهواء تجرى متفرعة فى جسم الحشرة فتبلغ غايتها وهي ليست بعيدة .

ولكن فى الحيوانات الكبيرة ، وعلى

راسها الانسان ، كبر الحجم كبرا بالغا بالنسبة للسطح ، فلم يكن بد من جهاز كامل مختص بالتنفس يخلق فيها . ولتعويض السطح المفقود وجب ان يكون جهاز التنفس الجديد ذا سطح عظيم حين يلتقي بالهواء .

لهذا نجد ان شعب الرئتين ، بعد تفرعهما ، ثم تفرعهما ، ثم تفرعهما ، تنتهي الى حجيرات رئوية ، تمتلىء بالهواء ، كثيرة العدد كثرة جعلت من سطوحها التي تلتقي عندها بالدم ، تزيد على سطح جسم الانسان كثيرا ، حتى لتبلغ نحو خمسين مثلا من هذا الجسم . وقد قدر بعضهم مساحة سطح هذه الحجيرات الرئوية فكانت بين ١٠٠ و ١٢٥ مترا مربعا .

اما ما يتنفسه الشخص البالغ العادى فى اليوم وهو ساكن فيبلغ نحو ٣٣٠٠ جالون (الجالون نحو ٤ ونصف لتر) ، وهو يتنفس فى الدقيقة ما بين ١٦ و ١٨ تنفسا ، ومعنى هذا ان النفس يستغرق ٤ ثوان او دون ذلك قليلا .

والشخص اذ يتنفس يترك وراءه دائما بعد كل نفس خمسة اسداس من الهواء ، ثم يتنفس فيترك خمسة اسداس من تلك الخمسة الاسداس ، وهلم جرا .

وفى المخابىء التي لا يتجدد هواؤها لا يستطيع ساكنوها البقاء فيها الى الابد . وضربوا مثلا لذلك مخبأ سعته ٤٢٠٠٠ قدم مربع (٤٠ قدما × ٤٥ قدما × ٢١ قدما) يستطيع ٦٥٠ شخصا ان يظلوا به ٣ ساعات ، وهم ساكنون . فاذا تحركوا لم يحتملوا البقاء فيه اكثر من نصف هذا الزمن .

القلب والدورة الدموية وعلاقتهما بالجهاز الهضمي والتغذية

ان القلب والدورة الدموية يقومان فى الجسم بشيء يشبه ما تقوم به وزارة المواصلات فى المدينة الواحدة لا سيما فى الدولة الاشتراكية .

ان المدينة قد يكون بها الطعام كثيرا ، والخبز واللحم والماء كثيرا ، ولكن اين هذا كله من الناس فى منازلهم ، لا سيما فى البلد الكبير . لا بد ان ينقل كل هذا الى الشوارع والأزقة والحارات ، وحيثما كان بيت .

والجسم ، هو نسبيا شيء متعدد الجنبات ، متباعد الأطراف . والطعام يهضم فى القناة الهضمية . وهذه القناة، رغم انطواء الجسم عليها ، هي خارج الجسم . وجدران هذه القناة تمتص الطعام المهضوم . وهو يظل حيث هو اذا لم يات شيء يحمله الى الاذرع والرجلين والبطن والصدر والراس ، وكل خلية فى الجسم تحتاج الى غذاء والى ماء . والذى يقوم بحمل كل هذا الى ابعد مكان فى الجسم ، انما هو الدم ، فى دورته الدموية ، تلك التي يقوم على ادارتها ودفعها القلب من حيث هو مستقر فى مكانه من الصدر .

والدم يندفع خارجا من بطين القلب الايسر ، عن طريق شريان الجسم الاكبر (الأورطة أو الوتين) وهو يتفرع ، ثم تتفرع فروعه ، وتعود تتفرع هذه الى ان تدق أوعيتها فينتشر ما فيها فى خلايا الجسم حيثما تكون ، وهناك يعطى الدم الخلايا ما يعطي من طعام وأكسجين وحاجات اخرى ، ويأخذ منها كل ما فرغت منه من نفايا هي بقايا ما جرى فيها من كيمياء الحياة . ومن اهمها ثاني اكسيد الكربون احد نواتج الاحتراق . ويعود تجمع الدم فى نوع من الشعيرات دقيق جديد ، هي الأوردة ، وتكبر ثم تكبر اوعيتها ، وتتجمع فى اوعية اكبر ، وتتهيأ للوصول الى القلب ليضخها فى الجسم فى دورة جديدة .

ولكن ، بهذا الدم الآن أوضار كثيرة

صورة ايضاحية ترينا حقيقة ان القلب قلبان ، الايسر ويضخ الدم الى الجسم كله عن طريق الشرايين ، وينتهي الدم بعد ذلك الى القلب الايمن ، وهذا يضخه الى الرئتين ليتصفى ويتزود بالاكسجين ، ثم يعود الى القلب الايمن ، لتبدأ منه بالضخ دورة ثانية

لا بد من تصفية الدم منها ، من أهمها ما ذكرنا من ثاني اكسيد الكربون . اذن تصل الأوردة بدمها الى نصف القلب الأيمن (لا القلب الايسر الذى كان خرج منه هذا الدم) ، وهذا يعود يضخها ، لا فى الجسم ، ولكن الى الرئتين حيث يتصفى الدم من اكسيد الكربون اساسا ، ويتزود بالاكسجين ، ثم هو يعود ، وهو لا يزال تحت دفعة النصف الأيمن من اللقب بل دفعاته ، بل دقاته ، يعود الى القلب الأيسر وقد تصفّى مما ذكرنا ، فيضخه الى الجسم ، الى كل أجزائه . وبهذا تتم دورة واحدة بالدم كاملة . وتتلو الدورة دورة فدورة فدورة ، الى نحو ٧٠ دورة فى الدقيقة .

والحقيقة أن القلب قلبان .

انه مضختان . مضخة تضخ الدم من بطين القلب الأيسر عَبْرَ الشرايين ، ثم الأوردة فالى القلب الأيمن . ومضخة تضخ الدم من بطين القلب الأيمن ، عبر الرئتين وما بهما من شُعَب وحُوَيصلات هواء ، الى القلب الأيسر .

والقلب الأيسر هو المضخة الكبرى ، لأن حمله أثقل .

والقلب الأيمن هو المضخة الصغرى ، لأن حمله أخف .

وتسأل : وما الابداع فى كل هذا ؟ .

والجواب : ان كل هذا ابداع .



الدورة الدموية وانت ناظر اليها من أمام

فى الأحياء الصغيرة الدنيئة اقترب الغذاء من خلايا الجسم التي تتغذى ، بسبب صغر هذه الأجسام ، فلم تكن هناك حاجة لدورة تحمل الغذاء بعيدا ، ولا تحمل عن الخلايا فضلات الحياة ، ولكن ، اذ طالت ابعاد الجسم ، وطالت شوارعه ، وتعددت حاراته ، وتشابكت أزقته ، وجب الوصول الى كل جزء حيٍّ فيه بدورة كالتى وصفنا ، تدق شعيراتها آخر الأمر حتى تدخل كل

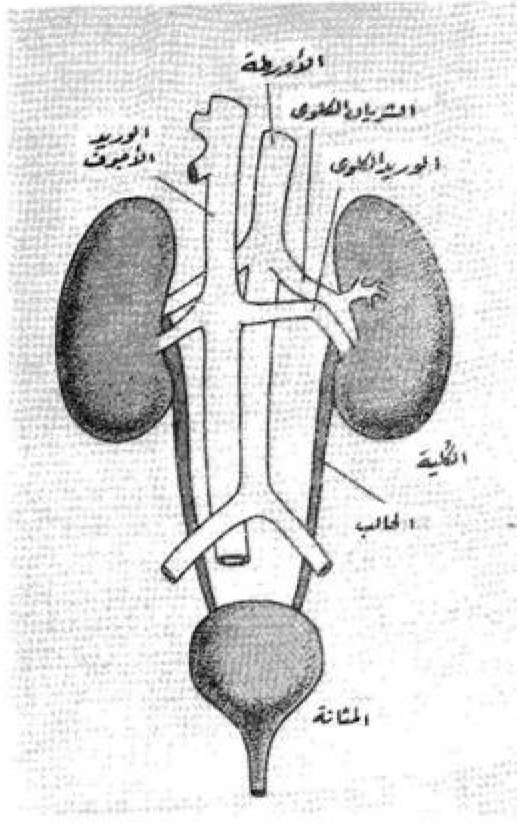
الأزقة ، وتدخل حتى الأكواخ . وكان لا بد للدورة من محرك فكان القلب لها محركا .

وهذا القلب عمل حتى قبل ولادة الطفل . وهو يظل يعمل طول عمر الرجل حتى اذا هدف الى المائة من السنين فما فوقها . لا هو بالساعة التي تملأ بادارة زنبركها . ولا هو بمحرك السيارة الذى يتوقف عند فراغ بنزينه . اعط الجسم الطعام ، ثم انس ما يجرى فيه . ولا تحاول ان تفهم كيف يجرى ، فالى الآن لا يفهم سرّ ذلك العلماء .

والكليتان هما الدم مصفاتان يستخلصان منه اوضاره

ان للعيش ، كل عيش ، فضلة .

الكليتان والمسالك البولية



والحياة لا بد لها من غذاء . ولكن يتبقى من الغذاء بعد اجراء الحياة فضلة، وفضلات ، لا تنفع الحياة فى شيء ، ومنها ما يضر ، فلا بد من التخلص منها ليخلص للجسم صفاؤه .

من اجل هذا صمّم مصمّم الأجسام، لأجسام بني الناس ، جهازا بهذه التصفية خاصا ، هو جهاز التبول .

وجهاز التبول يتألف من الكليتين ، يخرج منهما حالبان ، يصبّان البول فى المثانة البولية ، ومن هذه يخرج البول الى خارج الجسم .

والفن والابداع اكثره فى الكليتين :

ماذا تأخذان من الدم اذ يمر بهما فى دورته العادية ، وماذا تتركان ؟ وكم تأخذان ، وكم تتركان ، ومن علّمهما أن هذا المأخوذ ضار ، وان هذا المتروك نافع ، وانه بهذا القدر الذى تتركه نافع ، فان هو زاد عن هذا القدر ، اخذت منه الزائد الذى يضير .

امور لو دخلنا فيها لطال بنا المقال . ونحن نبغي الايجاز، وقد سبق ان تناولنا هذا الموضوع فى « العربي » باسهاب فيه غناء × .

ولنضرب مثلا للذى تقي الكليتان الجسمَ منه من اضرار .

ذلك مثل البروتين (مادة اللحم) وما تتحول اليه فى الجسم . ان البروتين يتحول الى حوامض امينية فيها المجموعة المكونة من ذرة نتروجين وذرتي ادروجين . وهذه اذا انفصلت بالتحول تكوّن النشادر ، وهو غاز يتألف من ذرة نتروجين وثلاث ذرات ادروجين . والنشادر فى الجسم سام . فالجسم يتخلص منه بتحويله على الفور الى

(×) راجع « العربي » العدد ١٢٤ مارس ١٩٦٩ .

المادة المعروفة بالبولينة او اليوريا Urea (والكبد هي التي تقوم بهذا التحويل) وهذه المادة لا تضر بالجسم مثل النشادر ، ولكن لا بد من تخليص الجسم منها حتى لا تتراكم . والكليتان تقومان بذلك ، حتى لا يزيد مقدار البولينة في دم الرجل السليم على نحو ٤٠ مليجراما في كل مائة سنتيمتر مكعب من الدم . والطبيب يرسل بدمك الى المختبر للتحليل عند المرض ليتأكد من ذلك . وتتلف الكليتان ويزيد مقدار البولينة في الدم زيادة لا يوقفها شيء فتكون انذارا بالموت .

ومثل آخر .

مثل السكر في الدم .

ان الكليتين تقومان على مراقبته . فان زاد مقداره عن حد معلوم في الدم ، هو عادة نحو ١٧٠ مليجراما في المائة سنتيمتر مكعب من الدم ، قامت الكليتان بفرز الزائد عن ذلك في البول . وكان هذا دليلا على اختلال تحول السكر في كيمياء الجسم ، بنقص الانسولين .

كل هذا يجري ، وانت لا تدرى .

ويجري ولا تكاد تعلم كيف يجرى . وظواهر نردها الى ظواهر اخرى ، فأخرى ، وتبقى الظواهر الأخيرة بدون تفسير .

اتساق في اكتمال واكتمال في اتساق

اجهزة خمسة ، بدأناها بالهضم وجهازه ، واتبعناها بأجهزة اربعة هي للهضم اعوان ، ومع العون اكتمال . ولا يكاد يتصور انسان وجود جهاز من هذه الخمسة بدون وجود الاربعة الآخرين . فلا معنى لوجود كبد دون جهاز هضم . ولا معنى لوجود كليتين دون دورة دم . ولا حاجة لوجود دورة دم اذا لم يكن هناك طعام مهضوم يراد توزيعه، واوضار في الدم يراد تصفيتها .

ثم مع التعاون اتساق في العمل عجيب . واحتفاظ كل بواجباته ، وادائها في زمانها ، اعجب .

كل جهاز يقظ حاضر لكل طلب ، في ليل وفي نهار ، وفي كل ساعة . وكل دقيقة وثانية . وينام الجسم ويذهب الوعي عن صاحبه ، ووعى الجسم قائم يراقب . ان الجسم في غير حاجة الى وعي اليقظة الذي يتمتع به صاحبه الانسان ، الا بمقدار .

والجسم ، في وعي منام او وعي يقظة . لا يطلب من صاحبه الانسان العون في حال . وكيف يطلب منه العون فيما لا يفهم . ونقول : نحن لا نفهم ، فليفهم عوضا عنا الاطباء . والطبيب العالم الحق اول معترف بجهل . اول معترف على الاقل بينه وبين نفسه . ومن اجل هذا كان ضيق الناس بالاطباء، يستثنى اهل الجراحة منهم في كثير من الامور .

ان اجسامنا ضُمّمت على مستوى من الخَلْق ، من دونه ، ومن دونه كثيرا، مستويات أفهامنا .

وننظر الى الاجسام ، وهي غامضة ، فنعجب ، ونحمد ، ونسمي ما بها ابداعا . ونبحث ، ونكشف الغامض ، او نكشف طرفا منه ، فتنكشف لنا صفات مُنحت للمواد جميعا ، وقوانين عمّت الكون ، ارتدت من هذا الغموض رداء كثيفا ، فاختفت، ونكشف طرف الرداء، فنعود نعجب ، ونحمد ، ونعود نسمي ما نرى ابداعا . الا انها هنا تسمية من كشف وعرف ، ولو عرف القليل . وكان الابداع الذى احسسناه على الغموض ابداعا اثاره العجز عن فهم . والعجز دائما يطاطىء راسه تسليما للقوة ، ولو غامضة ، واعجابا بها .

●●

أ . ز



دُمْيَة..

بقلم : خالد العدسانى

■ ودُمْيةٍ لحمٍ ودمْ　　بعثتُها من العدمْ
ألبستها الحرير والد　　مقّس والحرير الأعتمْ
نفختُ في آمالها　　روحا بأحلام جمّة
ألهتُها في خاطري　　وفي خيالٍ مضطرم
سجدتُ في محرابها　　رتلتُها قلبا لفمْ
فبادلتني بالودا　　د والعطاء والكرم
حتى إذا يوم مضى　　ورسختْ لها قدم
خانت أمانيّ ولم　　تحفظ لها عهدا ولمْ
ما أسرع النسيان ممن ليس تعنيه القِيَمْ
بان الخفا وعرّيت　　بعض خرافات الوَهَم
وإذْ بها كدمية　　صيغتْ من الطين الأَصم ■■

خالد العدساني

نتيجة مسابقة العدد ١٥٥

سعدٌ في العراقِ وعمْرو في مِصْر

■ قامت مسابقة العدد ١٥٥ على اسئلة تدورحول معلومات مختلفة سبق ان نشر العربي اكثرها في اعداد سابقة ، ولكن الملاحظ ان القراء لم يتنبهوا الى ذلك فانعكس هذا على اجوبتهم لهذه المسابقة فجاءت كثيرة الاخطاء كما ان عدد الرسائل الواردة كان قليلا بالنسبة الى مسابقاتنا الماضية .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... لابن خلدون .

٢ ـ عمرو بن العاص اشتهر بفتوحاته في افريقيا . أما سعد بن ابي وقاص فكانت فتوحاته في آسيا .

٣ ـ اعرض الانهار واغزرها مياها هو نهر الامزون .

٤ ـ اللغات الاوسع انتشارا بالترتيب :الانجليزية ثم الاسبانية ثم العربية واخيرا البرتغالية .

٥ ـ عدد ولايات الاتحاد السوفيتي ١٥ ولاية .

٦ ـ أسمع من فرس ، أحقد من جمل ، أسخى من ديك .

٧ ـ رائد الفضاء الذى سبح في الفضاء اول مرة كان روسيا .

٨ ـ آبادان مدينة افريقية تقع في جمهورية نيجيريا .

٩ ـ جبل افرست يقع بين نيبال والتبت .

١٠ ـ منغوليا دولة مستقلة ذات سيادة .

الفائزون بالجوائز

❋ **الجائزة الاولى** وقيمتها ـ/٢٠ دينارا فازبها : **اشرف ابراهيم منصور** ـ القاهرة / مصر .

❋ **الجائزة الثانية** وقيمتها ـ/٢٠ دينارا فازبها : **ابو العيد الطاهر الفقهي** ـ طرابلس/ليبيا .

❋ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ـ/١٠ دنانير فازبها : **عبد الله شرف شيبان** ـ تعز ـ اليمن .

٨ جوائز قيمتها ـ/٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **سعد ابراهيم السامرائي** ـ بغداد/العراق .

٢ ـ **عمر صالح فهد اليوسف** ـ الدمام / السعودية .

٣ ـ **وليد شراب** ـ كيفان/الكويت .

٤ ـ **ابو الصديق ايوب** ـ الجزائر

٥ ـ **محمد وليد صبري ظاظا** ـ عمان/الاردن .

٦ ـ **موفق محمد علي الموعد** ـ دمشق/سوريا .

٧ ـ **الصديق زلفاني** ـ فرنسا .

٨ ـ **منال محمد السقاف** ـ عدن .

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

الجَهْرَاء

مَدِينة كويتيّة قامتْ فَوقَ





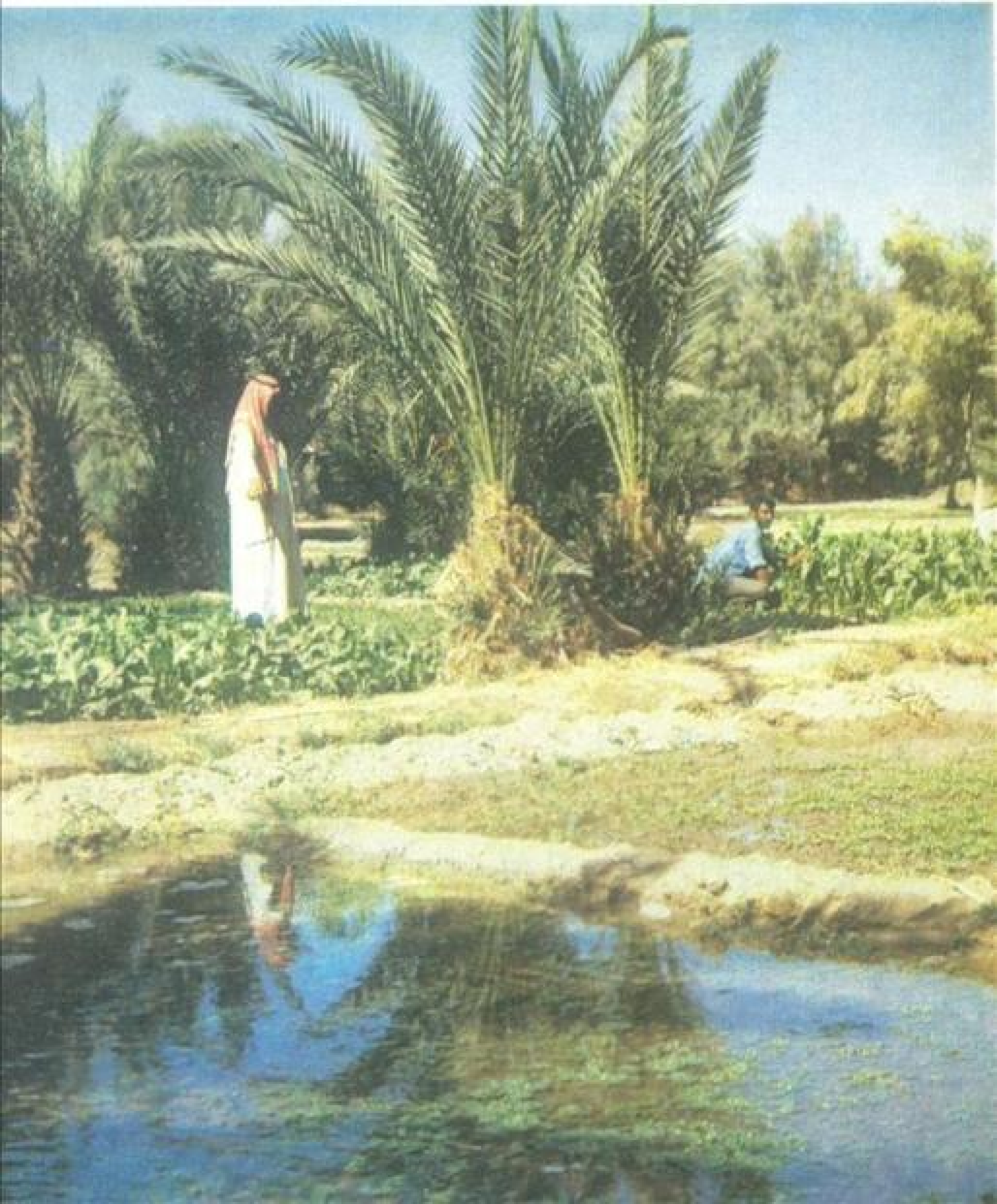


ثلاث صور تحكي تاريخ الجهراء وحاضرها .. الصورة العليا (الى اليمين) تبين جانبا من المباني الحديثة والقديمة بالمدينة ، وقد ظهر في مقدمة الصورة القصر الاحمر الذي دارت فيه وحوله معركة الجهراء المعروفة في التاريخ ، والصورة التي تحتها لآثار بيت قديم، هي بعض او كل ما تبقى من مدينة كاظمة التي تغنى بحبها شعراء العرب في الجاهلية والاسلام .. اما الصورة الثالثة الى اليمين فهي لمزرعة في الجهراء ،حيث تزرع بعض انواع الخضراوات، وسط اشجار النخيل التي تكثر في المدينة .

استطلاع
منير نصيف

تصوير
فهد الكوح

أنقاضُ مدينةٍ عربيةٍ عريقة





قامت المباني الحديثة في الجهراء ، ومع هذه المباني ارتفعت اشجار الكينا والجزورينا وغيرها من مصدات الرياح التي تحمي المدن من الرياح المشبعة بالاتربة . وفي الصورة جانب من الفلات الحديثة التي شيدها اصحابها في مختلف انحاء مدينة الجهراء .

■ قال صاحبنا ، وكان شيخا بلغ الثمانين من عمره أو كاد : « أهلا بكم في مدينة الجهراء » . واستضافنا في بيته ، وقدم لنا اقداح الشاي والقهوة المرة وهي عادة عند العرب قديمة في اكرام الضيف ، وجلس يحدثنا عن هذه المدينة الكويتية، القديمة الحديثة ، عن ماضيها وعن تاريخها وعن أصلها وفصلها ، بقدر ما يذكر ، وبقدر ما امتد به العمر ، وبقدر ما سمع من قصص رواها له الآباء والاجداد الذين سبقوه في العيش فوق هذه البقعة الطيبة من الارض التي تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا شمالا من قلب مدينة الكويت النابض .

قال : « ان الجهراء هي ام الكويت » وهي حفيدة كاظمة .. هل تعرفون كاظمة ، تلك المدينة الجميلة التي تغنى الشعراء بها ، وجاء ذكرها في قصائدهم كلما دب الحنين في قلوبهم الى نسمات هوائها البارد وذكرياتهم فيها ، وفي ارضها الخضراء ! كاظمة هذه هي الأصل .. هي ام الجهراء والكويت. عودوا الى كتب التاريخ وسوف

تلميذات المرحلة الابتدائية بمدرسة الجهراء المشتركة للبنات ، وقد وقفن في طوابير بفناء المدرسة قبل بدء اليوم الدراسي . وقد شيدت مباني المدرسة على أحدث طراز ، وتضم هيئة التدريس ٦٥ مدرسة اقامت لهن وزارة التربية الكويتية مساكن خاصة بهن في الجهراء .





أحدث مسجد شيد في مدينة الجهراء ، وقد بناه الحاج عبد المحسن البسام السبيعي من أهالي المدينة وهو يقع في شارع القصر الاحمر ، ويتسع لاكثر من الفي مصل ، وتكلف بناء المسجد حوالي ٢٢ الف دينار ويملك الحاج عبد المحسن مزرعة في الجهراء ، يزرع فيها شتى انواع الخضراوات .

تجدون فيها فصولا عن كاظمة وعن الشعر الذى قيل في كاظمة » !

ماذا تقول الكتب

وعدنا الى الكتب .. رحنا ننقب في بطونها ونبحث . قال ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان : « كاظمة جون على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، وبينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب (اى دون العذب) واستسقاؤها ظاهر ، (اى غير بعيد الارشية) » .

وجاء وصف كاظمة في « صبح الاعشى » ، اذ قال : « كاظمة جون على ساحل بين البصرة والقطيف في سمت الجنوب من البصرة مسيرة يومين ، واربعة ايام عن القطيف » !

وقلنا : فلنذهب الى كاظمة لنرى ما بقى منها : وذهبنا .. انطلقت بنا السيارة داخل منطقة صحراوية ، لا ترى فيها من حولك سوى تلك الاعشاب البرية التى تنتشر على طول الطريق .. ولكن ما هو هذا الطريق الذى سلكناه بالسيارة ؟ انه لا يعدو ان يكون اثرا لعجلات العديد من سيارات ابناء الكويت في رحلة الذهاب الى كاظمة والعودة منها .. وكم من مرة اردنا التوقف لنعود من حيث اتينا عندما امتدت بنا الرحلة ولم نجد لوجهتنا غاية .. ولكن كلمات مصورنا ، وهو من ابناء الجهراء ، كانت تطمئننا وتؤكد لنا اننا لن نضل طريقنا ، لانه يعرف كاظمة ، وقد زارها كثيرا ، وليس في الكويت من لا يعرف طريقه الى كاظمة من ابنائها .

ومن بعيد، وكنا قد قطعنا نحو عشرة كيلو مترات او ما يزيد قليلا،رفع ابن الجهراء اصبعه وقال : هناك : « هل ترونها ؟ » .

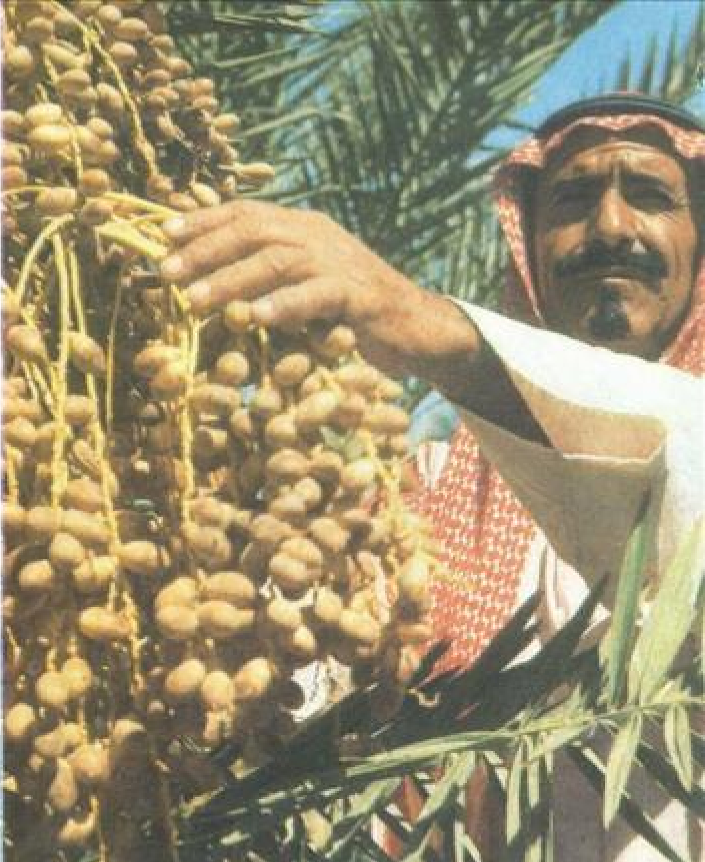
هذه هى كاظمة

ولم نر شيئا .. رأينا الخليج ومياهه الهادئة ، وآثار مبان قديمة مهدمة،ولا شيء اكثر من هذا ..

وقال مرة اخرى : « هذه هى كاظمة ! » .

ونزلنا من السيارة .. الهواء عليل جميل ، فيه برودة لم نعهدها منذ تلك اللحظة التى تحركنا فيها قبل نصف ساعة تقريبا من الجهراء في عز الصيف .. وعلى الشاطىء انتشرت شباك الصيادين ، وقد رقدت في مكانها تنتظر عودتهم اليها ، لتغوص معهم في الماء بحثا عن السمك .. ثم ماذا ؟ لا شيء اكثر من هذا ..

هذه هى كاظمة او ما تبقى منها .. وهى تقع في الشمال الغربى من مدينة الكويت على ارض لها شبه لسان (رأس) ، داخل البحر ، وتبعد عن مدينة الكويت بحرا ما يقارب الخمسة والعشرين كيلو مترا .. ارض منبسطة لا ترتفع عن سطح البحر الا قليلا .. كل شيء فيها اصبح فى ذمة



الى اليمين : اشجار النخيل في الجهراء قصيرة القامة ، وثمارها حلوة دانية ، حتى ليستطيع المرء ان يقطفها وهو واقف في مكانه .

الى اسفل : الطريق من الجهراء الى قلب مدينة الكويت ، طريق معبد فسيح ، لا يزيد طوله على ثلاثين كيلو مترا .. وفي الصورة لافتة تشير الى المنطقة التي وقع عليها الاختيار لانجاز مشروع اوسعة المدينة عن طريق بناء ٢٥٩٣ بيتا لاسكان البادية .. ويجري العمل اليوم على قدم وساق لاتمام هذا المشروع الكبير .





الى اليسار : الميدان الرئيسي في المنطقة القديمة من الجهراء حيث اقيم سوق المدينة ، وقد ظهرت في الصورة مئذنة احد المساجد التي شيدت في الجهراء وبلغ عددها ثمانية ، والعمل يجري لبناء المزيد من بيوت الله في هذه المدينة القديمة الحديثة .



المشتل الزراعي الذي يعمل فيه المتخصصون على تجويد واستنباط اصناف جديدة من الفواكه والزهور التي توزع على الجهراء ومختلف المناطق الزراعية الاخرى في الكويت .



الى اليسار : جانب من السوق القديم في الجهراء ، ويجري العمل الآن في بناء جمعية تعاونية استهلاكية ، تقدم كل السلع الضرورية والكمالية لسكان المدينة وبقيامها سوف يتحقق الاكتفاء الذاتي للجهراء .

التاريخ .. حتى قبر مظهر ، جد عبد الملك بن قريب الاصمعي راوية الادب ، الذى قيل انه مات ودفن في كاظمة ، بحثنا عنه ، فلم نجد له اثرا .. ومظهر هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتنق الاسلام دينا ، كذلك لم نجد اثرا لقبر جد الفرزدق ، وقد دفن في كاظمة .

ذكرى عزيزة قديمة

وعدنا من حيث أتينا ، ونحن نلقى نظرة أخيرة على هذه الأرض التي تغنى بحبها شعراء العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، عدنا وفي النفس حسرة وفي القلب غصة .. الم يكن جديرا بهذه البقعة من الارض العربية القديمة ان تمتد اليها يد الاصلاح لتصنع منها شيئا .. ماذا لو حولوا شواطئها الهادئة الجميلة ، وما اكثر الشواطىء المهجورة في الكويت ، الى مصيف يقصدون اليه هربا من حر الصيف .. لو انهم فعلوا لاحيوا ذكرى قديمة عزيزة .. ذكرى مدينة دخلت التاريخ .

لقد اطلنا في الحديث عن كاظمة ، التي اصبحت اليوم اثرا من بعد عين ، ولكنها أم الجهراء ، كما قدمنا ، وهل يستطيع المرء ان يتحدث عن الفرع دون الاصل ..

الجهراء هي كاظمة ؟

يقول الاديب الكويتي المعروف احمد بشر الرومي : « ليس من المعقول ان يشتهر موضع ، الا اذا كان ذا ماء وفير ، واعز ما في الصحراء الماء . والجهراء لا تبعد عن كاظمة باكثر من بضعة كيلو مترات ، وانا اعتقد ان الجهراء هي التي كانت تدعى كاظمة قديما ، حيث ان ما مر في وصف كاظمة « في كتب التاريخ » ينطبق على الجهراء تماما ، وبما ان الوصفين متقاربان ، وبما انني ، لم أجد للجهراء اثرا فيما تتبعته من مصادر قديمة ، سواء باسمها الحالي ، او باسم آخر ، فلا بد ان تكون الجهراء هي كاظمة » .

انتهى كلام المؤرخ البشر .

وللتوفيق بين ما ذكره المؤرخون من ان كاظمة كانت جونا على البحر على مقربة من البصرة ، وبين ما يراه الاستاذ احمد البشر ، قد يرى الرائي ان الجهراء الحالية وقد كانت هي كاظمة ، كانت ممتدة فعلا الى البحر ، فهي في طريق الذاهب من النطيف الى البصرة .

واحة في الصحراء

ذهبنا الى الجهراء ، فوجدناها واحة في قلب صحراء الكويت الساخنة، كثيرة الماء، لقد اكتست أرضها بلون الخضرة ، وقامت مزارع الخضر والطماطم وبعض انواع البقول بين اشجار النخيل التي تحتضنها في رفق ، وهو نخيل قصير القامة طيب الثمر .. وكثرت زراعة البرسيم الذى يقدمونه علفا للحيوانات .. وانتشرت القنوات الصغيرة بين الحقول ، وهي تنقل اليها الماء الذى تستخرجه الآلات من جوف الارض ، فالجهراء غنية بمياهها الجوفية، وهي ليست مياها عذبة، ولكنها صالحة للزراعة لضآلة نسبة الملوحة فيها ..

وسرنا بين حقولها ومزارعها التي تعتمد فيما تزرع على ما يقدمه لها المشتل الزراعي الذى اقاموه في الارض الفسيحة الواقعة بجوار مستشفى الصباح .. وهناك يرعون الشتل الجديدة ، ويعملون على تجويدها واستنباط اصناف جديدة من الفواكه والزهور ، التي يوزعونها على مختلف المناطق الزراعية في الكويت ، والجهراء بصفة خاصة .. واهم ما يعنى به المشرفون على الزراعة

بدوي يرعى اغنامه .. لقد ساقها امامه من الصحراء حيث اقام عشته التي يعيش فيها ، الى قلب مدينة الجهراء .. ولكنه لم ينس أن يحمل معه ماءه وزاده .. لقد بدأت حياة المدينة تشده اليها .. ولن يمضي وقت طويل حتى يترك هذا الرجل حياة التنقل والترحال ، ليستقر أخيرا في نطاق المجتمع الحضاري ، وهو هدف حكومة الكويت ، وكل الحكومات العربية .







كان اول عمل قام به الدكتور عبدالرزاق العدواني وزير الصحة الكويتي ، عقب توليه منصبه هذا العام ، ان قام بزيارة للوحدة الصحية المجمعة في الجهراء وما كاد يلمس بنفسه المجهود الذي يبذله الاطباء والممرضات لمواجهة الزيادة المستمرة في عدد المترددين على المجمع للعلاج ، حتى وعد ببناء مجمع آخر في المستقبل القريب ، كما أمر بتدعيم هيئة الاطباء المعالجين

في الكويت ، هو مصدات الرياح ، مثل اشجار الكينا والمطاط ، والجزورينا ، تلك التي قامت ، وما تزال تقام حول المزارع وعلى اطراف المدن لتحميها من الرياح المشبعة بالاتربة او (الطوز) ، كما يسميها أهل الكويت .

أين اليوم من الامس

قلنا لمن التقينا بهم من أهل الجهراء اثناء جولتنا بين ارجائها ، لتقدم صورة للحياة في هذه المدينة الكويتية ، التي اصبحت اليوم تضم ما يزيد على الاربعة والثلاثين ألف نسمة ، قلنا : « لا شك ان هذه الارض الخصبة عندكم ، وما تحويه من مياه وفيرة ، تنفرد بها الجهراء عن بقية مدن الكويت وقراها ، ترى هل يكفي ما تزرعونه من خضر لاستهلاك سكان مدينتكم ؟ » .

قالوا : « اين اليوم من الامس .. لقد كان انتاج مزارعنا يكفينا ، ويكفي اهل الكويت كلها ، كانت الكويت تعتمد على الجهراء ، في مدها بما تحتاج اليه من خضراوات ، وعلف للماشية .. ولكن اين نحن اليوم مما كنا عليه في الماضي ، لقد كان هذا قبل عصر النفط ، وقبل ان تتحول الكويت الى بلد مستورد لشتى انواع الخضراوات والفاكهة من مختلف الدول العربية الشقيقة ، بعد ان تضاعف عدد سكانها عدة مرات .

« ان الزراعة تكاد تندثر عندنا وما ترونه اليوم لا يعدو ان يكون تعلقا بمهنة توارثها بعض ابناء الجهراء عن آبائهم .. انه تراث نريد ان نصونه ونحفظه ، فنحن لا نستطيع ان نتخيل الجهراء بدون خضرة وبدون نخيل .. اننا نزرع اليوم ونحصد ، لمجرد اننا نريد ان نرضي نزعة في نفوسنا متأصلة ..

مدينة جديدة

« انكم ترون اليوم مدينة جديدة ، جديدة في مبانيها ومعالمها .. مدينة تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي اقامها أجدادنا منذ مئة وخمسين عاما او نحو ذلك عندما تدفقت المياه من أول بئر حفروها في ارض الجهراء ، فاصبحت ملتقى للقوافل في طريق ذهابها وايابها ! . »

ومضينا نكمل جولتنا في المدينة .. لقد تحولت الجهراء في اقل من خمس سنوات ، الى مدينة حديثة ازدحمت بالعمارات السكنية الجديدة

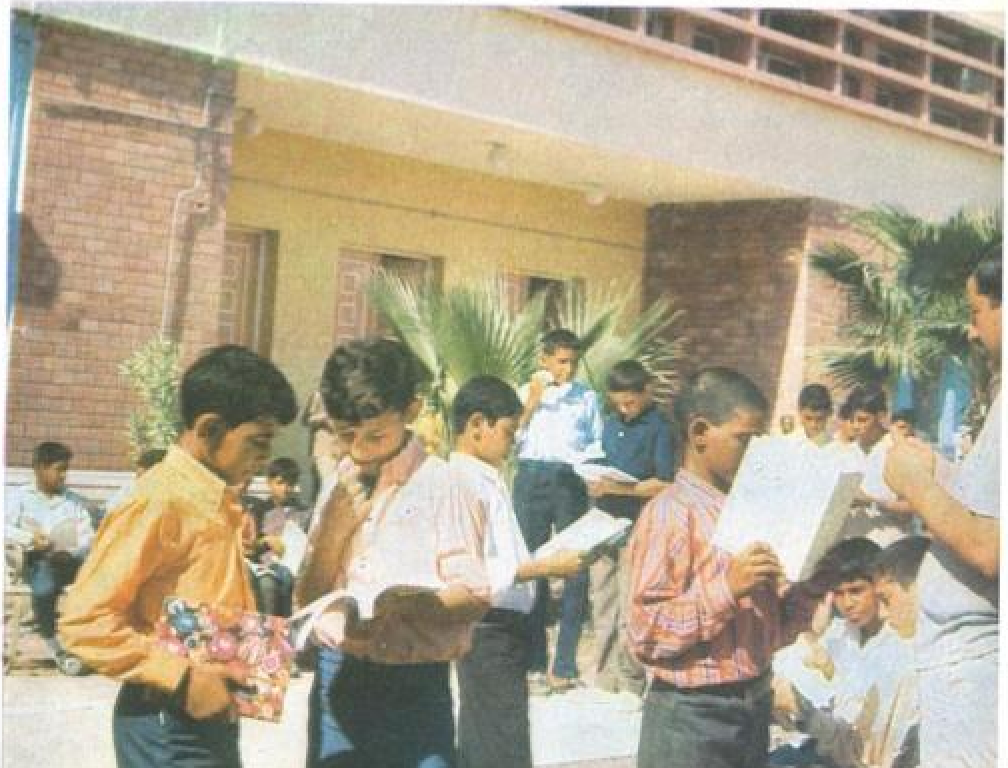


ناظرة مدرسة الجهراء المشتركة للبنات تراجع
أسماء الطالباتمع احدى المدرسات الكويتيات
وهي الآنسة فوزية عبد العزيز العجيان .



نادي الشهداء الرياضي في الجهراء ، وهو
ناد رياضي اجتماعي ثقافي ، تكلف انشاؤه
اكثر من ٦٠ الف دينار كويتي .

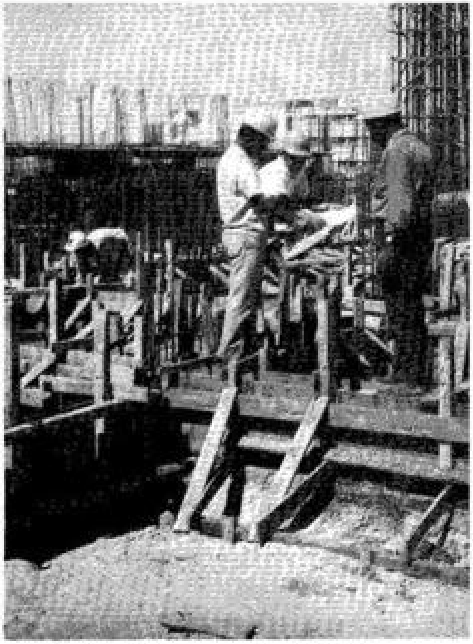
بعض طلبة مدرسة الجهراء المتوسطة للبنين ، يراجعون دروسهم في حديقة المدرسة ، ويناقشون
اساتذتهم فيما صعب عليهم فهمه .. وتضم المدرسة اليوم ١٢٦١ طالبا بالمرحلة المتوسطة وحدها .

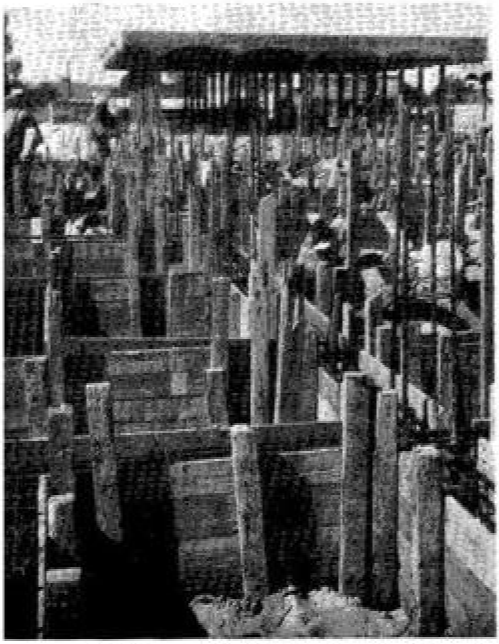




تضم مدرسة الجهراء المشتركة للبنات اكثر من ١٥٠٠ طالبة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كما يوجد بها صف واحد ثانوي يضم ٣٢ طالبة ، والاتجاه الآن الى اضافة صف ثانوي جديد كل عام ليوفر على الطالبات مشقة الذهاب الى المدارس الثانوية بمدينة الكويت **والصورة العليا** للطالبات بعد انتهاء اليوم الدراسي ، وقد خصصت وزارة التربية سيارات خاصة لتقلهن من المدرسة الى منازلهن وبالعكس **والصورة السفلى** لمجموعة من الطالبات في مكتبة المدرسة اثناء حصة القراءة والاطلاع .







حركة البناء والتعمير تجرى اليوم على قدم وساق في مختلف انحاء المدينة لتوفير المزيد من الاكتفاء الذاتي لاهالي الجهراء . وفي الصورة (**الى اليمين**) ، المهندسون وهم يشرفون على سير العمل في بناء اول دار للسينما تقام في الجهراء ، وسينتهي العمل فيها خلال الاشهر القليلة المقبلة ، اما الصورة الاخرى (**الى اليسار**) فهي لجانب من المباني التي لم تستكمل بعد ، للجمعية التعاونية الاستهلاكية ، التي ستوفر على الاهالي مشقة الذهاب الى مدينة الكويت لشراء حاجياتهم .

والفلات الجميلة ، وكل المرافق العامة الحيوية ، التي تحقق لها شيئا من الاكتفاء الذاتي .. مدارس ابتدائية ومتوسطة للبنين والبنات، ومركز للبريد ، ومحطة للاطفاء وفروع صغيرة لبنوك الكويت الكبرى ، ومخفر للشرطة ، ومستشفى ، أو وحدة مجمعة تضم عيادات لطب الاسنان والعيون وقسم للولادة ورعاية الامومة ، ومختبر وصيدلية..ولعل المستشفى ، هو المرفق الوحيد الذى اصبح غير قادر اليوم ، بالرغم من استمرار العمل فيه خلال الاربع وعشرين ساعة بلا توقف ، على مواجهة الاطراد المستمر في عدد المرضى الذين يترددون عليه يوميا للعلاج .. فقد انشىء المستشفى فى عام ١٩٥٦ ، عندما كانت الجهراء قرية صغيرة ، لم يكن يزيد عدد سكانها على الخمسة آلاف نسمة .

٣٤ الف نسمة

أما اليوم ، وبعد هذا التوسع الكبير الذى تشهده المدينة في عدد الانفس الذين بلغوا ٣٤ الف نسمة ، كما قدمنا ، ومع حركة العمران الضخمة التي شملت كل مرافق الحياة فيها ، فقد أصبح المستشفى عاجزا عن تأدية رسالته على الوجه الاكمل .. حقيقة ان المستشفى يهتم بالحالات العاجلة ، بينما يترك لمستشفى الصباح ، الذى يبعد عنه بحوالي عشرين كيلو مترا تقطعها سيارة الاسعاف فى ثلث ساعة ، مهمة العناية بالحالات الاخرى ، ولكن بالرغم من هذا ، فهو لم يعد قادرا على مواجهة الزيادة المستمرة فى عدد المترددين عليه يوميا .

بناء وتعمير

وقد زار الدكتور العدواني وزير الصحة الكويتي مستشفى الجهراء عقب توليه لمنصبه مباشرة ، ووقف بنفسه على ما يعانيه المستشفى من نقص ، فوعد بانشاء مستشفى جديد فى المنطقة الجنوبية من المدينة ، كما امر بزيادة عدد العاملين من الاطباء والمضمدين والممرضات على الفور .

يقول سكان الجهراء « ان يد الاصلاح لم تمتد الى هذه البقعة من ارض الكويت الا منذ خمس سنوات او نحو ذلك ، عندما كان اهلها يعتمدون اعتمادا كليا على اسواق الكويت ، فى شراء كل

ما يلزمهم من حاجيات ، حتى الصحف اليومية والمجلات ، كانوا يقطعون من اجل الحصول عليها ستين كيلو مترا ذهابا وايابا .

اما اليوم ، فقد تغير الحال ، واستطاع المسئولون في الدولة ان يعوضوا سكان الجهراء ما فاتهم ، ان حركة البناء والتعمير تشمل كل نواحي الحياة فيها.. مستشفيات جديدة ومدارس جديدة .. ومئات من المساكن الحديثة يجري العمل في تشييدها على قدم وساق .. مساكن لذوى الدخل المحدود انتهى العمل في بناء العديد منها ، وما يزال العمل جاريا لاستكمال ما تبقى فيها.. ودار جديدة للسينما تقيمها شركة السينما الوطنية الكويتية وستكون اول دار في الجهراء ، فلم يكن فيها سينما من قبل ، وسوف تفتح في الشهر السادس من العام المقبل عام ١٩٧٢ ، وجمعية تعاونية استهلاكية ، ضخمة ، هي الاخرى سوف ينتهون من بنائها خلال السنة القادمة ، وسيجد فيها اهل الجهراء كل ما يحتاجون اليه من سلع وكماليات ..

اسكان البادية

ثم مشروع اسكان وتوطين البادية ، وهو مشروع ضخم ، يعمل في انجازه الان مئات المهندسين والعمال ، انه مشروع توسيع مدينة الجهراء الذى يقوم بتمويله بنك التسليف والادخار الكويتي .. لقد اعتمد لهذا المشروع مبدئيا مبلغ مليونين من الدنانير ، ولكن النفقات الفعلية لانجازه سوف تصل الى خمسة ملايين دينار . وهو يشمل بناء مايزيد على الفين وخمسمائة بيت ، وبناء مدارس ابتدائية ومسجد ، ومستوصف ، وسوق مركزي وحدائق عامة ، الى آخر ما هناك من المرافق الحيوية التي ستجعل من هذه المنطقة مدينة صغيرة ، قائمة بذاتها ، وتعتبر امتدادا لمدينة الجهراء .. اما هذه المساكن الجديدة فسوف تؤجر للبدو من العاملين في الحكومة الكويتية مقابل اجر رمزى لايزيد على ثلاثة دنانير في الشهر ، على ان يصبح البيت ملكا لمستاجره بعد سداد ثمنه .

وسوف يتم تسليم الدفعة الاولى منها وهي تتالف من خمسمائة بيت في الشهر المقبل من العام الجديد ١٩٧٢ ، وسيتم تسليم بقية المساكن تباعا على مراحل ، كل مرحلة تستغرق ستة اشهر ، ويتم بعدها تسليم خمسمائة بيت جديد وهكذا..

بين الترحال والاستقرار

ان مشروع توطين البدو في الكويت ، هو جزء من الاتجاه العام المتزايد في كل البلاد العربية ، لنقل البدو من حياة الحل والترحال ، الى حياة الاستقرار ..

ومن هنا بدا الاهتمام بتوفير السكن الصحي اللائم للبدو ، تمهيدا لتحضيرهم ، بحيث يصبحون مواطنين لهم كل حقوق المواطن وواجباته وبذلك يصبحون جزءا لا يتجزأ من الوحدة القومية .

وهذه العملية .. عملية توطين البدو وتحضيره عملية معقدة ، فهي ككل العمليات الاجتماعية التي تستهدف تغيير الناس ، تحتاج الى جهد كبير ، حتى يكون التغيير جذريا ، بحيث يشمل كل القيم والاتجاهات والسلوك والعادات .. وهو امر لا يمكن تحقيقه بين يوم وليلة .. فهو يحتاج الى وقت ، والى دراسة متخصصة لطبيعة هؤلاء القوم الذين لم يعرفوا الاستقرار يوما في حياتهم ..

ولقد اهتمت حكومة الكويت منذ اكثر من عشر سنوات بتوطين البادية ، وبذلت في سبيل ذلك كل الجهود لتوطينهم وتوفير سبل الاستقرار وبث الطمانينة الى نفوسهم .



الحاج محمد مرزوق التقينا به في الجهراء ، فجلس يحدثنا عن تاريخها وتاريخه .. لقد ناهز الثمانين من عمره ، واشترك في معركة الجهراء المعروفة في تاريخ الكويت ، وحج الى بيت الله الحرام ثلاث مرات وهو اليوم اب لستة اولاد وخمس بنات ، كلهم تزوجوا ، وهو جد لاكثر من ثلاثين حفيدا .. انه يعيش على المعاش الذى تصرفه له وزارة الشئون الاجتماعية ، ويحمد الله على ما رزقه . لقد عاصر الحاج مرزوق الكويت في ماضيها وحاضرها الحديث .. وهو سعيد بالحاضر المشرق .

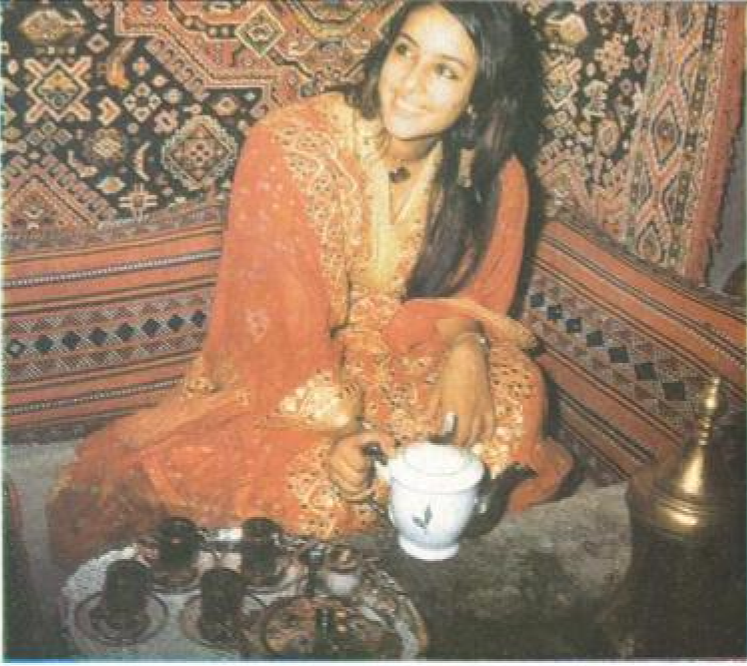


الحاج عثمان مزعل السعيد ، مختار الجهراء ، في بيته يدخن الارجيلة ، قال لنا بعد ان استقبلنا مرحبا : « ان ازالة العشش التي يسكنها البدو والتي تنتشر في اطراف الجهراء وبقية مدن الكويت ، هي اهم مشروع تعنى به حكومة الكويت في الوقت الحاضر » .

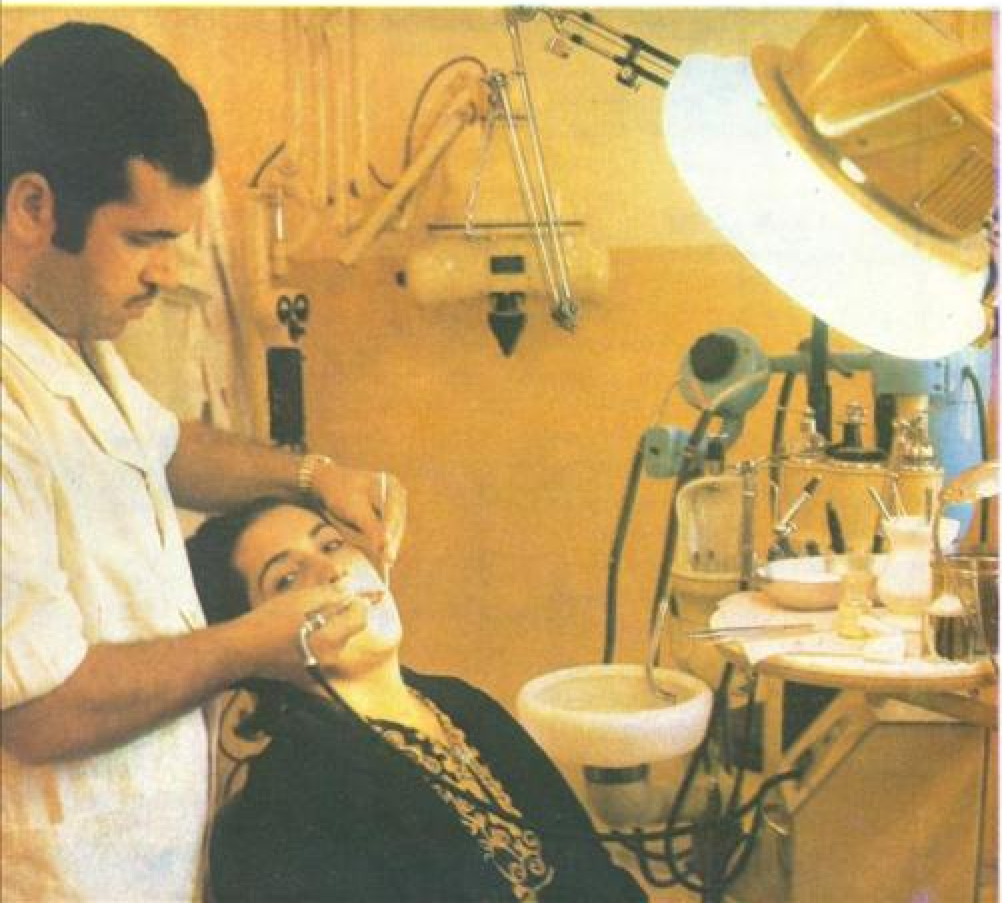


زودت مدينة الجهراء بكل المرافق الحيوية الهامة ، وفي **الصورة العليا** رجال الاطفاء وقد اصطفوا امام سياراتهم في تمريناتهم اليومية ليكونوا دائما على اهبة الاستعداد لمواجهة اى طارىء .

عيادة طب الاسنان في الوحدة المجمعة لمدينة الجهراء ، وهي تضم الى جانب عيادة الاسنان ، عيادة للعيون ، وقسما للولادة ورعاية الامومة ، ومختبرا .. وتهتم الوحدة حاليا باستقبال حالات الولادة والحالات المستعجلة ، اما بقية الحالات الاخرى فتحول الى مستشفى الصباح .



بالملابس الوطنية ، جلست هذه الفتاة الكويتية من بنات مدينة الجهراء تعد اقداح الشاي العربي ، لتقديمها للضيوف مع القهوة العربية المرة .. فالعرب يكرمون الضيف بالشاي والقهوة ، كما هو معروف .





جانب من المساكن الحديثة التي شيدت لذوي الدخل المحدود في الجهراء . يقول مختار المدينة : « انني أتوقع أن تصبح مدينتنا من أجمل مدن الكويت وأكبرها خلال السنوات القليلة القادمة » .

ازالة العشش

يقول مختار الجهراء ، الحاج عثمان مزعل السعيد : « ان حكومة الكويت تهدف الان الى ازالة العشش التي يسكنها البدو ، كما فعلت وما تزال تفعل في المناطق الاخرى من الكويت ، ولكن هذا امر لايمكن تحقيقه ، الا اذا وفرت الحكومة السكن الصحي لهذه الاسر التي يعمل معظم رجالها موظفين في الحكومة الكويتية . ومن اجل ذلك شرع المسئولون في استكمال مدينة اسكان البادية ، وهو مشروع ضخم كما رأيتم . وعندما ينتهي العمل فيه ، سيكون معظم سكان البادية الذين يعيشون الان في الخيام والعشش المنتشرة في الصحراء المحيطة بمدينة الجهراء ، وعددهم لايقل عن ستة آلاف نسمة ، قد انتقلوا للعيش في المساكن الصحية الجديدة » .

قلنا : « ما رأيك في وصف الجهراء بالمدينة المنسية ؟ »

لا .. لم ينسوها

قال : « اذا كانت يد الاصلاح والتعمير قد تأخرت بعض الشيء ، فليس معنى هذا انهم نسوا الجهراء . ان اعادة بناء الكويت كلها ، لم تبدأ الا منذ خمسة عشر عاما او مايزيد على ذلك قليلا .. وعندما جاء دور الجهراء حاولوا ان يعوضوها ما فاتها ، وقد رأيتم بانفسكم المشروعات الضخمة التي يجري العمل في انجازها على قدم وساق ، من رصف وتعبيد للطرق ، وعمليات توصيل لمياه المجاري، وبناء المساكن الحديثة ، وانشاء المدارس، والمستشفيات ، وبناء اول دار للسينما في المدينة، وغير ذلك من انجازات اخرى تحققت بالفعل خلال السنوات القليلة الماضية ، وفي مقدمتها مشروع اسكان رجال القوات المسلحة . والشرطة الى آخره » .

انا ابن الجهراء

واختتم المختار حديثه معنا بقوله : « انا ابن الجهراء ، لقد كان جد جدي وشقيقه وابن عمهما ، هم اول من حلوا بهذه المنطقة منذ اكثر من مائة وخمسين عاما ، لقد كان ثلاثتهم من المزارعين ،وفي الزراعة لابد من البحث عن الماء ، وقد بحثوا عنه، وحفروا الارض ، وكان ان ظهرت اول بئر للماء ، فقالوا : « لقد جهرنا البئر واجتهرناها » اى كسحوا البئر ، وكانت من قبل مدفونة .. ومن هنا اسموها الجهراء ..

« لقد عاصرت الجهراء ، كما ترون ، كما عاصرها آبائي واجدادي من قبلي ، وانا اعيش اليوم لأرى قريتنا الصغيرة ، وهي تنمو وتكبر وتزدهر .. انني اتوقع ان تصبح الجهراء في خلال السنوات القليلة المقبلة ، من اكبر مدن الكويت واجملها » . ■■

منير نصيف

١٠ أسئلة من هنا.. وهناك، وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تتألف من عشرة أسئلة من هنا وهناك ، والمطلوب ان تجيب عن ثمانية منها اجابة صحيحة ، لتفوز باحدى الجوائز التي يقدمها العربي لقرائه مع كل عدد جديد .

١ ـ الاخطلان شاعران عربيان ، سمي احدهما الاخطل وسمي الآخر الاخطل الصغير .. فمن هما هذان الشاعران وما هو العصر الذى عاش فيه كل منهما ..

٢ ـ شهر رمضان شهر تميّز من بين الشهور بأن نزل القرآن الكريم في أواخره .. في ليلة القدر .. ولكنه تميز باحداث أخرى .. منها مولد سيدنا علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان ذلك في ٢٢ رمضان ، ومنها وفاة السيدة خديجة، وكان في ١٠ رمضان .. ومن تلك الاحداث أيضا غزوة بدر وفتح مكة .. ففي أى يوم من أيام رمضان وقع كل من هذين الحدثين الاخيرين !

٣ ـ طيْوان أُخرجت من هيئة الامم ، وحلّت محلها الصين الشعبية .. فأين توجد طيوان هذه وما اسمها القديم .. ؟

٤ ـ وادي الموت اقليم اشتهر بجفافه وجدبه وحرارته بين أقاليم الولايات المتحدة الامريكية . وقد بلغت درجة الحرارة فيه في أحد أيام الصيف الماضي ١٢٧ درجة فهرنهيت ، وبلغت في اليوم نفسه في احدى مدن المكسيك ٥٠ درجة سنتغراد ، فاى المكانين كان أشد حرارة .. ولماذا .. ؟

٥ ـ قصيدة مطلعها :

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ
مزجْتَ دمعاً جرى من مُقلةٍ بدمِ

فمَن قائلها ؟

٦ ـ المادة التي يسميها الكيماويون : كلوريد الصوديوم ، طعمُها :

أ ـ حلو كالسكر

ب ـ مرّ

جـ ـ طعمها مالح

د ـ لا طعم لها .

٧ ـ الحرس السويسرى الشهير ، أين يوجد وما هي مهمته :

أ ـ يوجد في سويسرا ويقوم بحراسة مقر رئيس الدولة السويسرية

ب ـ يوجد في سويسرا ومهمته هي حراسة ضريح بطل سويسرا المعروف وليم تل

جـ ـ الحرس السويسرى لا يوجد في سويسرا وانما في الفاتيكان حيث يقوم بحراسة مقر البابا

٨ ـ العود آلة موسيقية وترية ، كم عدد أوتاره ؟

٩ ـ نيويورك هي الولاية الاولى من حيث الصناعة والتجارة والولاية الثانية من حيث الاتساع بين الولايات المتحدة الامريكية ، اذ تبلغ مساحتها نحو ٥٠ ألف ميل مربع . اما سكانها فيقاربون ١٨ مليونا .

فما هي عاصمة ولاية نيويورك هذه ..

١٠ ـ قالوا ان سرعة طائرة الكونكورد البريطانية الفرنسية ، تعادل ٢ ماك . ونسأل عن ماك هذه فنعلم انها سرعة الصوت. فكم تكون هذه السرعة ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١٥٧ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة العدد ١٥٧

في سبيل موسوعة علمية

الارض

بين التسطح والتكور

■ لو انك اوقفت اليوم صبيا فى طريق، فى اية مدينة ، وهو خارج من مدرسته ، وباغته بهذا السؤال :

الارض هذه التى نعيش عليها ، هذا الكوكب ، سطحه مستو او مستدير ، او بلغة اخرى ، هذه الارض مبسوطة هى كالبساط المفروش ، ام هى كرة مكورة ؟

اذن ما تردد فى الجواب فقال :

انها كرة مكورة . .

وغير ذلك لو انك كنت استوقفت رجلا كهلا ، عالما نحريرا ، فى عصر من عصور القدماء ، حين كان اسم الفلسفة يملأ الارض فلا يكاد يترك فيها فراغا، وسألته هذا السؤال نفسه .

اغلب الظن انه يتردد .

فقد اختلفت العصور القديمة فى امر الارض اختلافا كبيرا . عاشوا عليها طويلا ، وماتوا كثيرا ، وفى تربتها دفنوا،

عرف قدماء الإغريق أن الأرض كرة، وقاسوا قطرها ومحيطها، ومع هذا ظلت أعين باصرة كثيرة في الناس تنكر تكورها، حتى غلبت العقول البصيرة آخر الدهر القلوب فلم يعد هناك موضع لإنكار.

بقلم الدكتور أحمد زكى

وجهلوا اول صفات هذه الارض، مستوية هي ام مكوّرة .

* * *

بالطبع صبى اليوم يعرف عن عصره الكثير ، ويعرف عن ارضه الكثير . انه لا يحتاج اليوم ليثبت لك ، او لنفسه ، كروية الارض ، بمنظار يرقب به السماء ، او يقيس به انحراف النجوم وزواياها كما فعل القدماء . ان عنده ان السفن قد قطعت محيط هذه الكرة شقا لبحارها ، وان الطائرات قد لفت حول الارض فاكملتها دورة من بعد دورة ، واخيرا جاءت الاقمار الصناعية فدارت مع الارض حيثما دارت ، ورأيناها تذهب وتعود .

اختلف الزمن ، واختلف علمه ، واختلفت اداته .

والامر السهل اليوم ما كان اعسره بالامس .

دول قديمة من بنى الناس صنعت الكثير فى الارض . فى سطح الارض . ولما ارادت ان تجمع سطح الارض كله فى نظره ، اعجزها البصر .

شكل العالم
فى نظرة القدماء من بنى الانسان

واذا نحن ذكرنا القدماء ذكرنا المصريين منهم ، وذكرنا اهل الرافدين ، وذكرنا الهند والصين . وكل من كان له تاريخ حمل الينا عقائد الناس فى ارض وسماء . وعلى كثرة ما صنع هؤلاء الاقوام فى شئون المعارف الفلكية عامة ، فهم عندما جاءوا يصورون لنا الارض ، وما حولها من شموس وكواكب ونجوم ، ذهب



قدماء المصريين تصوروا الأرض الها متكئا ، هو الاله كب ، وقد غطته الخضرة ، وتصوروا السماء الهة وقد انحنت بقوامها الرشيق فوق الأرض ، وقد ساعدها على البقاء في وضعها هذا اله الجو . أما اله الشمس ، وهو المصور في القاربين ، فهو يعبر السماء كل يوم الى ليل الموت.



اختلف الهندوس في تصورهم صورة الأرض ، ولكن طائفة منهم اعتقدت ان الأرض تحملها الفيلة، وتتحرك الفيلة ، فتحدث الزلازل . والفيلة تقف فوق سلحفاة ، وهي الحيوان الذى تجسد فيه الاله وشنو . وهي استقرت فوق الثعبان المعروف بالكبرا ، وهو عندهم رمز الماء .



بابل تصورت الأرض جبلا أجوف،حمله واحاط به البحر . وفي داخل هذه الأرض استقر عالم الأموات ، في ظلامه ومع غباره . وفوق الأرض استدارت السماء متينة صلبة ، وعبْرَ السماء سارت الشمس والقمر والنجوم .

الخيال بهم بعيدا . وكانت أحلام المنام أفعل فى آرائهم من منطق اليقظة .

والكثير منهم تصور الارض قرصا مفرطحا ، أو شبه قرص ، عام فوق الماء . وعلاهُ ماءٌ ، وفوق هذا الماء دارت الشمس ودارت النجوم . خيال خبيص !!

فى القرن السادس فقط قبل الميلاد دخل المنطق فى تصوُّر الناس شكل الارض

والحق ان المنطق لم يدخل فى تصور شكل الارض (والدنيا) الا فى اوائل القرن السادس قبل الميلاد . ومن الطريف ، ان يذكر الانسان هذا القرن فيذكر انه القرن الذى ظهر فيه بوذا وظهر كنفوشيوس . وكان دخول المنطق فى تصوير الارض (والدنيا) على يد الاغريق .

كان عندهم ان الارض مفرطحة كما

عند سائر الامم . ثم بانت لهم ملاحظات دخلت اليهم بالشك فى هذا التصوّر البسيط الظاهر .

لاحظوا ان النجوم التى يراها الناظر الى السماء تختلف باختلاف مكانه من سطح الارض . فالناظر الى السماء فى اليونان يرى من النجوم ، جملة ، شيئا يختلف عما يراه وهو فى مصر . ومن امثلة ذلك نجوم المجموعة المعروفة «بالدب الاكبر» . هذه يراها الانسان فى اليونان كاملة تدور حول النجمة القطبية دورة تامة . اما فى مصر فانها تغطس فى دورانها وتختفى فى رمال الصحراء . فدلت هذه الظاهرة فيما دلت على انحناء سطح الارض .

اول القائلين بانحناء الارض

وكان اول القائلين بهذا فيلسوفهم أناكسى مندر Anaximander . والغريب انه قال بانحناء سطح الارض من جنوب الى شمال ، اى فى حدود الظاهرة التى رآها . اما انحناء سطح الارض ايضا من شرق الى غرب فمسألة اخرى . اى انه خال الارض اسطوانة التف سطحها وطال من جنوب الى شمال . وهو لم يذهب من ذلك الى القول بانحناء سطح الارض من شرق الى غرب ، ولعل هذا كان بسبب العقيدة الدينية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، أن الغرب هو موطن الناس من بعد موت(١) .

اول من قال بكروية الارض

ينسب هذا الى الفيلسوف الاغريقى فيثاغورس(٢) Phythagores ، وهو قد ولد فى أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وكانت له شهرة ملات الآفاق .

على انه يقال ان برمينيدس Parmenides ، وهو من اتباع فيثاغورس ، وعاش حول عام ٥٠٠ قبل الميلاد ، هو صاحب فكرة كروية الارض . ولكن اختلط الامر فنسب هذا الرأى الى فيثاغورس ، بسبب شعبية فيثاغورس الهائلة ، ولأنه عاش طويلا حتى لحق بأوائل القرن الخامس . فهو عايش تلميذه برمينيدس . وجرى منطق برمينيدس فى شأن كروية الارض هكذا :

قال لو كانت الارض ذات شكل غير شكل الكرة لتقوضت وتداخل بعضها فى بعض . والكرة هى الشكل الواحد الذى توازنت كل اجزائه وتماثلت ، فكانت اثبت الاشكال جميعا واكملها اتزانا .

ثم ان السماء عنده ، كان يراها كرة ، وتدور هذه الكرة بنجومها ، وتختفي نجومها عند حافة الأرض لتظهر من جديد فى المشرق عند الشروق من الحافة الاخرى المقابلة ، وهذا يدل على كروية الأرض . وبذلك تخطى برمينيدس الصعوبة التي كان يلقاها من يقولون بتفرطح الأرض ، اذ كانوا يسألون : واين

---

(١) والفيلسوف اناكسي مندر فلكي اغريقي عاش بين عام ٦١١ وعام ٥٤٧ قبل الميلاد . وهو من مدينة ميليتس Miletus على ساحل آسيا الصغرى اليوم في قبالة اليونان . وهي مركز علم اغريقي قديم ، وفيها ولد اناكسي مندر ، واستاذه الشهير تاليس Thales ، الذى اعتبره الاغريق منشىء علم الهندسة الاغريقية وعلم الفلك والفلسفة فيهم .

(٢) ليس في التاريخ الشيء الكثير المعروف عن فيثاغورس . انه ولد في السنوات الاولى من القرن السادس قبل الميلاد ، وعاش فوق التسعين عاما حتى لحق بالقرن الخامس . وزار مصر وبابل ، وعاد الى موطنه بجزيرة ساموس Samor عند الساحل الايوني (آسيا الصغرى الآن) واختصم مع الفرس ، فخرج عن بلده الى بلدة كروتونا Crotona على الساحل الايطالي . وهناك تكونت حوله اخوة عظيمة ، فذاع صيته وكبراسمه . ولكن في ختام حياته كان له من القوة الروحية بين القوم هناك ما أزعج رجال السياسة ، فنفوه من كروتونا ، ونفوا تلاميذه ، واحرقوا المكان الذى كانوا يجتمعون فيه . وكان من اثر ذلك ان ازدادت سلطة فيثاغورس على الاجيال القادمة بعد وفاته .

تذهب النجوم عندما تغرب والأرض قرص مفرطح ؟ !! .

هذا القول نسبه البعض الى برمينيدس ، لا الى أستاذه فيثاغورس . على ان مؤرخي العهد النصراني الذي جاء من بعد ذلك بقرون ، عادوا فنسبوا هذا الراي الى فيثاغورس . والذي يهمنا انه ، في عصر فيثاغورس ، كان في الاغريق من راى ان الارض كرة،لا قرصا مفرطحا كما سبق أن رآى قدماؤهم .

والاجرام السبعة تدور في افلاك سبعة

ولقد ذهب فيثاغورس الى ابعد من ذلك ، فزعم ان الاجرام السبعة المتحركة في قبة السماء ، وهي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، انما هي اجرام تدور حول الأرض في افلاك سبعة ثابتة .

وافلاطون اعتمد كروية الأرض

كان للوصول الى الحقائق عند الاغريق طريقتان : طريقة البحث عن اصول ثابتة عامة شاملة في الحياة ، يستوثقون منها ، فاذا هم فعلوا ، طبقوها حيثما شاؤوا من ظواهر الكون . وطريقة اخرى هي المشاهدة والملاحظة بالعين .

وقد اهتدى افلاطون الى كروية الأرض ، واكثر اعتماده على الطريقة الاولى .

قال ان الله خلق الكون . والله اكمل شيء . فاذا خلق شيئا فانما يخلقه على مثاله كاملا . وهو خلق الأرض . وهو لا بد شكلها على اكمل صورة ، واكمل صورة ، هي صورة الكرة . هي اكثر الأشياء تماثلا واتزانا وجمالا . واذن فالأرض كرة .

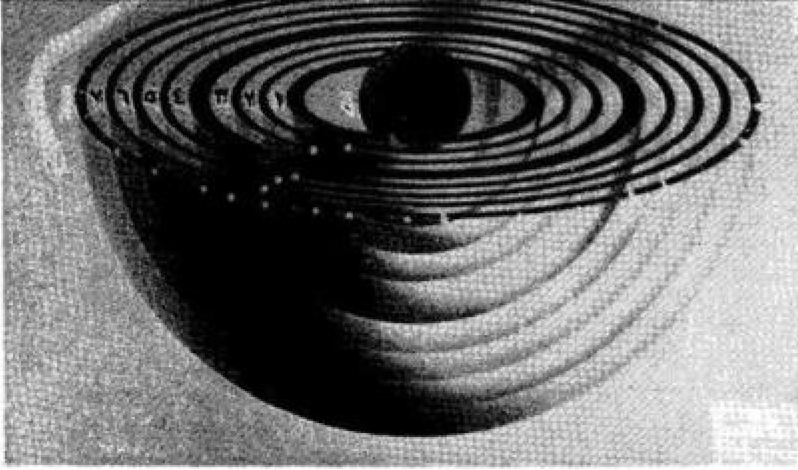
وزاد افلاطون فقال : والله اعطى اجرام السماء هذه حركتها ، واكمل الحركة الدائرة . فالكواكب تسير في دوائر .

وافلاطون عاش بين القرن الخامس والرابع قبل الميلاد (٤٢٧ ؟ ــ ٣٤٧) .

وارسطو قال بكروية الأرض

وقال ارسطو بما قال افلاطون .





اغلفة كروية سبعة ، في اوسطها الأرض كرة . وسار في الغلاف الاول القمر وعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل.وزحل هو أبعد الكواكب دارا.هكذا خال القدماء.

وظهرت فى عهد ارسطو حجة قوية اخرى على كروية الأرض . ذلك أن الشمس عندما تلقي بضوئها على الأرض ترمي بظل لها من ورائها . ويأتي القمر عند الخسوف يمر بهذا الظل فترتمي صورته سوداء على القمر ، ولها حرف منحنٍ ، هو فى حقيقته ليس الا صورة من سطح الأرض المنحني ... اى الكروى .

وصور ارسطو حركة الدوائر كما صورها افلاطون .

وجعل الأرض مركز الدنيا ، وحولها دارت الاجرام المتحركة السبعة (والشمس والقمر كانا من عدادها) .

وارسطو عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) ، فهو عايش استاذه افلاطون زمنا .

الأرض ليست كرة فحسب بل هي ايضا تدور حول نفسها

انه هرقليدس Heraclides ، كبير كبراء علم الفلك فى الاغريق ، هو صاحب هذا الرأى . قال به فى غمرة رأى آخر قال به فلكى آخر : ان الأرض تدور حول كتلة من نار (ولو قال الشمس لصدق) ، وكان يريد من ذلك فيما يريد ان يفسر كيف ان السماء كلها بنجومها لا تدور حول الأرض ، وانما الأرض هي التي تتحرك فتتراءى السماء وكأنها تتحرك حولها .

فرفض هرقليدس دوران الارض حول كتلة النار هذه . وقال فلنقل ان الأرض تدور حول محورها ، فهذا ابسط وايسر .

ولكنه كان اقتراحا لم يبق على الزمان طويلا .

وهرقليدس عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد .

العالم الفلكي أرستاركس

ومضى الاغريق على تصور افلاطون وارسطو للأرض والعالم نحو قرنين من الزمان .

حتى جاء الفلكي ارستاركس Aristarchus .

وهو ولد فى عام ٣١٠ قبل الميلاد . اى بعد وفاة ارسطو باثنى عشر عاما .

وتدل المأثورات التاريخية على انه رأى ان الارض تدور على محورها دورة كاملة .

وهو ارتأى ان الشمس ثابتة فهي لا تدور ، وان النجوم ثابتة فهي لا تدور . انما الأرض هي التي تدور ، فتتراءى لنا الشمس وتتراءى النجوم كأنها جميعا تدور .

هو ارتأى ان الأرض تدور حول الشمس، لا الشمس تدور حول الأرض. وان الشمس هي مركز الدوران لا الأرض .

آراء سابقة لأوانها ، لم يهتد اليها العلم الا بمجيء العالم الفلكي البولندى الكبير كوبرنيك Copernicus وقد عاش بين القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادى (١٤٧٣ – ١٥٤٣ م) .

وما بين القرن الثالث قبل الميلاد ، والقرن الخامس عشر ، ظل العلماء عند راى افلاطون وارسطو فى تصور الارض واجرام السماء : الارض كرة ، وهى المركز ، وحولها تدور الاجرام السبعة : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل .

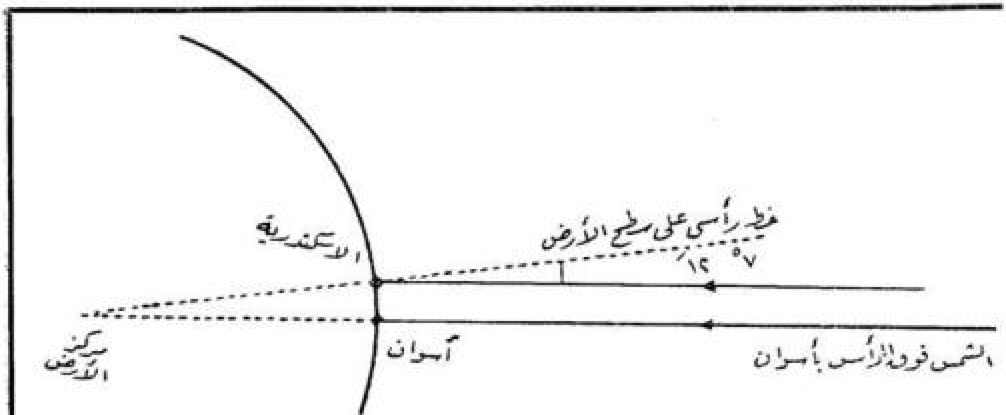
اغريقيٌ اسكندريٌ
قاس محيطَ الأرض وقطرَها
وصدَق قياسا

كان هذا فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .

اما الفلكي فاسمه اراتوستينس Eratosthenes . وهو بعد ان أيقن بأن الأرض كرة ، راح يطبق عليها علم الهندسة .

كان هو فى مدينة الاسكندرية ، فى شمال مصر ، حيث كان ترعرع العلم الاغريقي زمانا وانتعشت الفلسفة ، وظلت هكذا الى ما بعد مولد المسيح عليه السلام .

وكانت هناك ، فى جنوب مصر ، مدينة سيئين Syene ، عند نهر النيل (وهي ما نعرفه اليوم بمدينة اسوان Aswan) ، وكانت على بعد من الاسكندرية يبلغ نحو ٥٠٠٠ ستاديوم Stadium بالمقياس



■ هكذا قاس الفلكي الاغريقي الاسكندرى محيط الارض .
فى أسوان كانت الشمس فى رأس السماء عمودية على سطح الأرض ، بينما هى فى الاسكندرية مالت عن هذا الرأس بمقدار ٧ درجات و١٢ دقيقة . والمسافة بين أسوان والاسكندرية ٥٠٠ ميل . اذن فمحيط الارض ٢٥٠٠٠ ميل

الاغـريقي ، وهو المقياس الذى تقاس به الرحلات ، ومقداره ١٥٧ مترا . اى ان البعد ما بين المدينتين كان نحوا من ٥٠٠ ميـل .

وعرف صاحبنا انه عند تمام الظهر ، عند استواء النهار بالليل ، بين الربيع والصيف ، تنير الشمس فى اسوان بئرا حتى قاعهـا . ومعنى هذا انه فى تلك اللحظة تكون الشمس عمودية فوق سطح الأرض هناك .

وقام هو فى تلك اللحظةبرصد الشمس فى الشمال ، فى الاسكندرية ، فوجدها تميل عن الخط الراسي العمودى بمقدار ٧ درجات و ١٢ دقيقة ، اى بما يساوى ١/٥٠ من محيط الأرض .

وبعملية هندسية بسيطة ، ظاهرة فى الرسم المرفق ، اهتدى الى طول محيط الأرض .

يلاحظ من هذا ان خطـوط رصـد الشمس فى الزمن الواحد خطوط متوازية دائما ، مـن اى موضـع مـن الارض رصدناها ، لأن الشمس بعيدة بعـدا كبيرا .

ومن الرسم ترى ان الزاوية عند مركز الأرض هـي ايضـا ٧° ١٢´ ، واذن فالمسافة بين الاسكندرية واسوان وهي ٥٠٠ ميـل مضروبة فى ٥٠ مرة (وهي ٧° ١٢´/٣٦٠) = ٢٥٠٠٠ ميل ، وهي محيط الارض .

وهو رقم قريب جدا من رقم نعرفه اليـوم .

وبقسمة هذا الرقم على ٣ر١٢ (نسبة محيط الكرة الى قطرها) خرج الفلكي المذكور بالرقم ٧٨٥٠ ميلا ، وهو رقم لا يقل عن الرقم المعروف لقطر الأرض باكثر من ٧٠ ميلا .



الفلكى البولندى كوبرنيك
وهو الذى احل الشمس محل الارض ، مركزا تدور حوله الكواكب : عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل . (١٤٧٣ - ١٥٤٣)

بطليموس الاسكندرية

وتمتد مدرسة الاسكندرية الى ما بعد ظهور المسيحية ، ويظهر الفلكي الشهير بطليموس Claudius Ptolemaeus بالاسكندرية وهو عاش فى القرن الثاني الميلادى ، ولم يكن نصرانيا . وهـو صـاحب الكتاب الشهير فى الفلك الذى عرفه العرب واسمه المجسطى Almagest .

وبطليموس هذا كان آخـر الفلكيين الاغريق . وهو آمن بدوران الكواكب والشمس والقمر فى افلاك دائرة ، وانها تدور حول الأرض ، فالأرض هي المركز . ولكن حركة هذه الاجرام حول الأرض لا تستقيم مـع دورانها حـول الأرض تماما ، فمنها من يقترب ، ثم يبتعد ، ثم يقترب ، وهو فى الدورة الواحدة ، او

هكذا يتراءى . وابتدع بطليموس صورا يفسر بها هذا النظام الكبير التعقد ، ومع هذا فهو عاش الى القرن السادس عشر ، حين جاء كوبرنيك ، واستبدل بالأرض الشمس ، مركزا تدور حوله الارض والكواكب .

الأرض في العصر المسيحي الأول

عاد الآباء المسيحيون ، في العصر الاول ، الى فرطحة الأرض .

وممن قال بفرطحتها القديس اوغسطين Saint Augustins ، وهو عاش في ختام القرن الرابع المسيحي .

وقد جاء في الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الاصحاح الأول عدد ٦ الى ١٠ عن الجلد :

« وقال الله ليكن جلد في وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد ، والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك .

« ودعا اللهالجلد سماء ، وكان مساء ، وكان صباح يوما ثانيا .

« وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكانواحد ،ولتظهر اليابسة، وكان كذلك .

« ودعا الله اليابسة ارضا ومجتمع المياه دعاه بحارا .

« ورأى الله ذلك انه حسن » .

وبنى القديس اوغسطين تصوره للدنيا على ما ورد في الكتاب المقدس : فالسماء محاطة بالماء ، والأرض مفرطحة . وهناك ماء فوق السماء ، وما تحت الأرض .

والراهب كسماس

وجاء بعد القديس اوغسطين الراهب كسماس ، وكتب كتبا اثنى عشر عنونها : الرد على القوم الذين ، رغم ادعائهم المسيحية ، يؤمنون بما يؤمن الوثنيون ، من ان السماوات مكورة . وفي الكتاب الأول يذكر هذا الراهب ان الدنيا جزيرة مفرطحة في اوسط الدنيا ، يحوطها الماء ، من كل جهاتها . وعلى بعد منها توجد جزيرة اخرى هي الجنة. وهو يذكر ان العالم له شكل الاسطوانة اذا تنصفت * .

والظاهر أن الكنيسة الشرقية كانت احفظ لما خلف اليونان من الكنيسة الغربية .

الأرض في العصر الاسلامي الأول

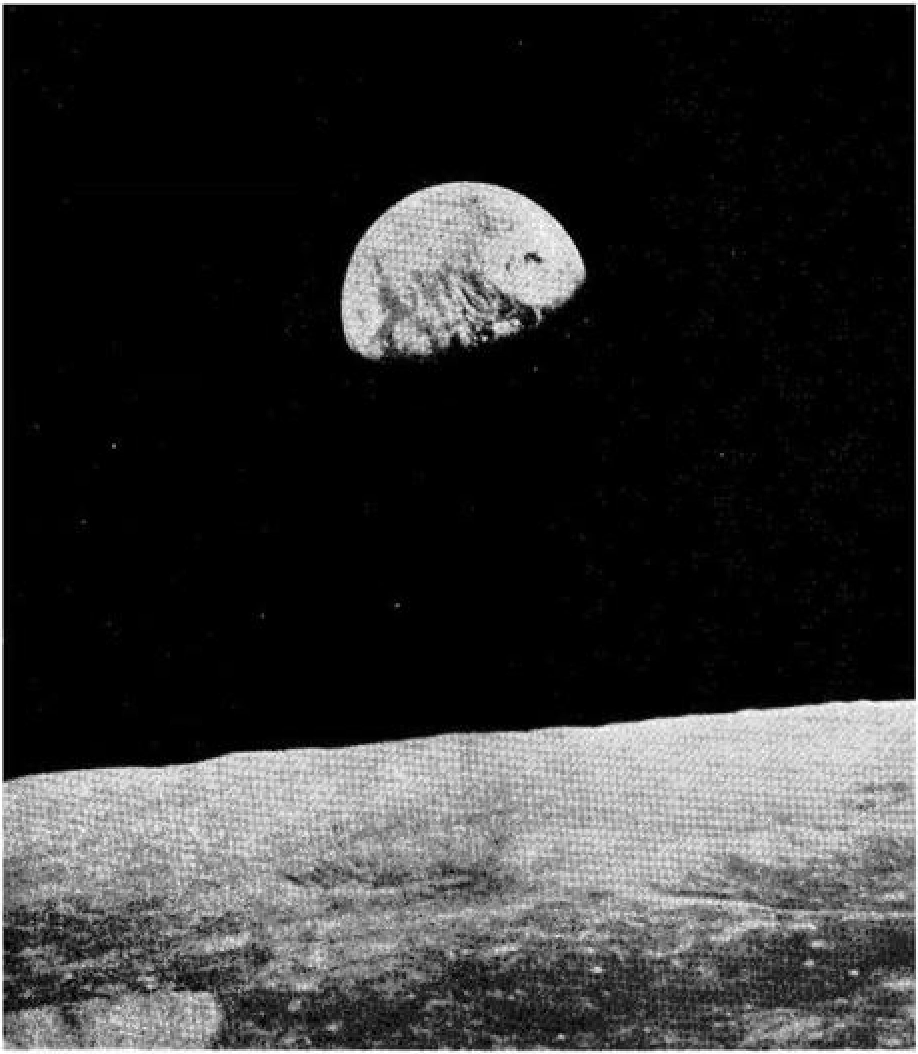
لقد سكت القرآن عن الأرض ، ما شكلها ، وعن السماء ما يدور بها وكم يدور . لم يأت فيه عن هذا الأمر شيء صريح ، ولا هو ناقض كروية الارض وقد شاورت في هذا الرأى علماء اجلاء ، فأقروني على ما قلت . ذلك على الرغم مما امتلأ به الكتاب الكريم من الحث على النظر في السماء واستجلاء اجرامها .

ثم جاء عصر الترجمة ، لا سيما في العصر العباسي ، فترجم العلم الاغريقي الى العربية ، وكان هذا بدء النهضة العلمية ، لا العلمية العربية فحسب . فالنهضة العلمية الأوروبية انما بدأت حين انتقل ما ترجم العرب عن الاغريق . وما استحدثوه أنفسهم ، الى اوروبا ، لا سيما عن طريق الأندلس .

والذى ترجم ، وانتهى امره الىاوروبا من مؤلفات الاغريق ، ضاعت اصوله الاغريقية التي نقل منها العرب . فلم يكن بد من الترجمة من العربية الى اللغات الأوروبية .

والحديث عن الفلك العربي ، في العصر العباسي ، والذى بعده ، حديث شهير . ولكن وقف فيه العرب حيث وقف

* رأى القديس اوغسطين والراهب كسماسمنقول عن كتاب للدكتور Jean Charon العالم الفزيائي في مؤسسة البحوث الذرية بفرنسا Cosmology



الارض وقد صورها رجال الفضاء وهم فوق سطح القمر فكانت كرة يراها واضحة ضعيف البصر والبصيرة.

الاغريق من حيث كروية الارض وانهـا مركز الدنيا .

واذكر اني قرات للبيروني مناقشة : هل الارض ثابتـة ، والسمـاء تـدور بنجومها حولها ، ام ان الارض هي التى تدور ، والسماء ونجومها ثوابت ؟ .

واذكر ان البيروني قال : انهما فرضان متشابهان ، والحركة هنا شيء نسبي .

فان كان هناك جرمان فى الفضاء ، يدور احدهما حول الآخر ، لم تستطع ان تقول مَنْ يدور حول مَنْ . .

ولو انه زاد فقال ، ان الاصغر يدور ، والاكثر يسكن ، وان هذا فـرض من البساطة التي يفرضها العلم ، لكان اقرب الى الصواب .

●●

أحمد زكى



يافجر

بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

■ أشقاءٌ ولكنْ في شقاقٍ ... وأحبابٌ ولكنْ لاتلاقي
متى يلتامُ صدعٌ كاد يقضي ... على آمالنا الغُر العتاقِ
ويسلُبنا جنى زرعٍ سقته ... سيولُ نضالنا بدمٍ دِهاقِ
إلى أن أينعت منه ثمارٌ ... تكاد تذوبُ شوقاً للمذاقِ
فلا نستطيع مدَّ يدٍ إليها ... كأنَّ الغصنَ في السبع الطِّباقِ

★ ★ ★

لكمْ يافجرُ ترهقنا الليالي ... ونحن من التلهُّف في احتراقِ
كطفلٍ في القماطِ فما يُلاقي ... سبيلاً للثُّدي من الوثاقِ
فكيف نُلام إن سالت مآقٍ ... بدمعٍ أسىً تحدَّر في انطلاقِ
وكيف نُلام إن ضاقتْ صدورٌ ... بهم كم يَشُدُّ على الخناقِ
أيجنِي اللومَ شادٍ قد تغنّى ... بما في النفس من ألمِ الفراقِ

★ ★ ★

متى يافجرُ يجلو عن حمانا ... ظلامٌ بات ممدودَ الرواقِ
ترى تُستكثر اللُّقيا علينا ... ونحن نكاد نَضنَى في السباقِ
فكم سالتْ لحبك من نفوسٍ ... كرامٍ لاتهون على الرفاقِ
وكم ولّى لأجلك من شبابٍ ... بشاشتُه على قدمٍ وساقِ



وكم طفلٍ رأى فينا أباه   يُساق إلى الرَّدى شرَّ المساق
وكم زوجٍ غدتْ من غير بعلٍ   فليس لها من الأحداثِ واقِي

★ ★ ★

متَى يافجرُ تطلُع في رُبانا   فقد عزَّ اللقاءُ على المُلاقِي
أتبقَى خلفَ أفقِك لاتُبالِي   ونحن نذوب من حرِّ اشتياقِ
أتُطمِعُنا وتُخلِفنا كأنَّا   نُطيقِ الصبْرَ في ليْلِ المحاقِ
فهلاَّ جِئتنا والنَّبْضُ فينا   قوىً في اندفاعٍ وادفاقِ
فما يُغْنِي الوِفاقُ إذا تفانَتْ   قُوىَ الأحبابِ في نكدِ الشقاقِ
لكم أشفقْتَ من عبثِ الصبَايا   بشيْخٍ ليس يُجدِي في العِناقِ
إذا مدَّت إليه يداً فتاةٌ   رأى في المدِّ شدّاً للرِّباقِ
فلا يلْقَى بها إلا عذاباً   وإن كانت من الحُورِ الرِّقاقِ

★ ★ ★

سنبقَى أعيُناً يافجر ترْنُو   وترقب خيْطَ نُورِك في انبثاقِ
فلم نفقدْ رجاءً بعْدُ فينا   يُحدِّثنا بأن الخير باقِي
وأن الشرَّ دوْماً في زوالٍ   وإنْ بلغتْ به النفْسُ التراقِي
وإنْ كثرتْ لصولته الضحايا   وإن سالتْ بمذبحها السواقِي
سنبقَى نرقب الآفاقَ حتى   يلوح سناكَ أو تفنَى المآقِي ■

محمد عبده غانم



■ استعرض الاستاذ « عبد الستار فراج » فى مقاله المنشور بالعدد ١٤٧ من مجلة (العربى) ما قام به المستشرقون من جهود بتبويبهم وفهارسهم للاحاديث النبوية ، واثنى على الخدمات التى قاموا بها فى هذا السبيل ، وابدى تقديره لهؤلاء المستشرقين على جهودهم المشكورة فى خدمة الحديث النبوى ، الذى يعد المصدر الثانى للتشريع والفقه الاسلامى ، بعد القرآن الكريم ، وخلص من ذلك الى الدعوة لوضع كتاب جامع للاحاديث النبوية يجمع ويرتب ترتيبا دقيقا ، وينقل فيه كل نص للحديث الواحد ، من كل مؤلف من مؤلفات الحديث التسعة التى اشار اليها فى مقاله المذكور .

وهذه الدعوة الخالصة الصادقة ، تستحق كل عناية من جانب العرب والمسلمين ، حكومات وهيئات ومجامع علمية ، وبالاخص اننا اليوم اصبحنا ولدينا المال اللازم لمثل هذه المشاريع ، كما اننا لا تنقصنا الخبرة والمعرفة والثقافة الواسعة من جانب علمائنا والمتخصصين منهم على وجه الخصوص .

والذى نريد ان نوضحه فى هذا المقال ، هو مدى الدور الكبير الذى قدمه لنا علماء الحديث من سلفنا الصالح فى جمع الحديث من كتب السنة المعتمدة ، وترتيب ذلك فى مؤلف واحد ، للتيسير على الباحث العثور على اى حديث يريد الوصول الى معرفة طرقه ، وقوته وضعفه .

ونحن لانجازف ونزعم ان علماء الحديث قد اكملوا هذه الناحية الهامة ، او انهم فرغوا منها واوفوها حقها ، فهذا امر لا نقوله ، ولعل العذر للسابقين ، قلة الامكانات لديهم فى ذلك الزمان ، فلم يكن للطباعة وجود ، كما انهم لم يستعملوا الارقام فى كتبهم ، ولكنهم رغم ذلك كله قد وضعوا مؤلفات تيسر او تقرب على الباحث العثور على ما يريد من الاحاديث ورواياتها المختلفة .

عناية العلماء بعلم الحديث من الوجهة العامة

وقد قام علماء الحديث بجهود كبيرة ، وبحوث

للامام الحافظ مجد الدين بن الأثير

بقلم
حسين محمد علي الصاف

مستفيضة ، ودراسات نافعة ، ومؤلفات ضخمة ، لعلم الحديث ، كانت ــ على وجه العموم ــ الاساس لكل الجهود التى قام بها المستشرقون ، وستقدم العون للمشروع الذى دعا اليه الاستاذ (فراج) ، بل ستكون المرجع الذى يمكن الانتفاع به ، والاعتماد عليه ، لا سيما اذا عرفنا ان علماء الحديث قد بلغوا الذروة من العلم والمعرفة بالحديث وطرقه ، مع دقة التحرى والتمحيص ، وانهم قد ذهبوا في الامور الى ابعد مما نتصوره ، ويكفى ان نذكر انهم توسعوا في علم الحديث ، ونوعوه الى علوم كثيرة ، وفرعوه الى فنون متنوعة ، واصبحت مؤلفاتهم في هذه العلوم اكثر من ان تحصى ، ويكفى ان نشير الى ان كل فرع من فروع علم الحديث قد كتبت فيه المؤلفات العديدة، وكل مؤلف منها فى اجزاء ضخمة ، وللتدليل على ذلك نذكر ان الامام عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى الف فى « الجرح والتعديل » ــ وهو فرع من فروع الحديث ــ كتابا في ستة اجزاء (مجلدات) ، هذا عدا غيره من العلماء الذين الفوا في هذا الفرع ، وهكذا في سائر فروع الحديث .

كتاب جامع للاحاديث النبوية

ونعود الآن الى الموضوع المقصود بالذات من هذا المقال وهو جمع الاحاديث النبوية في كتاب واحد .

وقد سبقت محاولات في ذلك كان من اجلها ــ فيما نعلم ــ كتاب (جامع الاصول من احاديث الرسول) للامام الحافظ مجد الدين ابن الاثير المتوفى عام ٦٠٦ هـ ولا اعلم ان كان هذا الكتاب قد طبع ام لا ، ونوجد منه نسخة خطية في مكتبتي الخاصة كتبت عام ٩٦٧ هـ .

جامع الأصول

وقد جمع ابن الاثير ــ في كتابه المذكور ــ كتب الحديث الستة ، المعروفة (بامهات الحديث الست) وهي (١) صحيح البخارى (٢) صحيح مسلم (٣) سنن أبى داود (٤) جامع الترمذى (٥) سنن النسائى (٦) موطأ مالك .

ومن المفيد ــ ونحن بصدد جمع كتب الحديث ــ ان نذكر ان ابن الاثير ذكر فى كتابه ، انه اعتمد على كتابين ــ فى جمع الحديث ــ وهما (كتاب الجمع بين الصحيحين) للامام الحُمَيدى (وكتاب التجريد في الجمع بين الصحاح) لرزين بن معاوية الاندلسي المتوفى عام ٥٢٠ هـ وقد جمع رزين هذه الكتب الستة في الحديث الآنفة الذكر .

ويقع كتاب (جامع الاصول) في خمسة اجزاء كبيرة (مجلدات) وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة اقسام ، سماها « اركانا » ، والقسم الاول (او الركن الاول) في المبادىء . والقسم الثانى « او الركن الثانى » في المقاصد . والقسم الثالث « او الركن الثالث » في الخواتم .

وسنعرض فيما يلى الاقسام الثلاثة بايجاز لان العرض الوافي لا يتسع له المقام .

القسم الاول

ويتضمن القسم الاول (او الركن الاول) المبادىء وهى تنقسم الى خمسة ابواب .

وهى اشبه بمقدمات مهد بها الدخول الى الكتاب .

وذكر في (الاول) الباعث على عمل الكتاب ، وبيّن مبدأ جمع الحديث وتاليفه ، وانتشاره ، واختلاف اغراض العلماء المتقدمين فى تصنيف كتب الحديث ، واقتداء المتاخرين بالسابقين ، واختصاراتهم لكتبهم وتاليفها ، ثم بيّن الغرض من جمع كتابه .

ثم ذكر في (الباب الثانى) كيفية وضع الكتاب،

وما يتصل بها من الاسانيد والمتون ، والابواب ، والفصول الى آخر ذلك .

ثم ذكر في (الباب الثالث) بيان اصول الحديث، واحكامها وما يتعلق بها من طرق نقل الحديث وروايته الى آخر ما هنالك . ثم ذكر « الجرح والتعديل » وما يتصل به من فروع . ثم ذكر « النسخ » وحدّه، واركانه ،وشرائطه ، واحكامه. ثم بيّن اقسام الصحيح من الحديث الخ ...

ثم ذكر في (الباب الرابع) الائمة الستة اصحاب كتب الحديث التى جمعها في كتابه وهم : مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذى ، والنسائي ، وترجم لكل منهم .

ثم ذكر في « الباب الخامس » أسانيد الكتب المودعة في كتابه .

القسم الثاني

اما القسم الثاني (او الركن الثانى) ففى المقاصد ، وهو اهم اقسام الكتاب ، ويضم اكثر اجزائه . ويتضمن هذا القسم نقل نص متون جميع الاحاديث الواردة في كتب الحديث الستة المشار اليها ، مشيرا عقب كل حديث الى مَنْ رواه منهم ، واذا كان هنالك اختلاف في الرواية بيّن ذلك الاختلاف ، وأورد نص الروايات المختلفة ، ولتيسير البحث وتقريبه رتب موضوع الاحاديث على حروف المعجم ، اذ انه من المعروف أن الاحاديث كلها تدور حول مواضيع معروفة ومقاصد واغراض معينة ، مثل « الصلاة » و « الزكاة » و « الصوم » و « الجهاد » و « الايمان » و « الاسلام » و « الخلافة » الى غير ذلك من المواضيع ، وكتب الحديث تسمي كل « موضوع » باسم « كتاب » فهم يقولون « كتاب الصلاة » و « كتاب الزكاة » و « كتاب الصوم » و « كتاب الجهاد » الخ وهذه الكتب قد تستمل على ابواب وفصول قد تتجاوز العشرات الى المائة ، وقد تقل عن ذلك تبعا للموضوع .

فالمؤلف وضع كل « موضوع » في الحرف الذى يبتدىء به ، ولنضرب مثلا « حرف الخاء » خصّص له خمسة كتب ، هي : كتاب (الخُلق) وكتاب (الخوف) وكتاب (خلق العالم) وكتاب (الخلافة والامارة) وكتاب (الخلع) .

وبعد أن يورد الاحاديث التى تختص بهذه الكتب ، يورد مَنْ رواها من اصحاب الكتب الستة ، ويبين اختلاف الروايات عندهم ، ويورد نصها . بعد هذا كله يوضح أن هناك مواضيع وابواب أخرى في حرف « الخاء » ولم ترد في حرف الخاء (وقد رايت انه لم يخصص للخاء الا خمسة كتب) ـ فيقول (الخيار) في كتاب البيع من حرف الباء (الخُمسُ) في كتاب الجهاد من حرف الجيم ، (الخمر) في كتاب الحدود من حرف الحاء ، وكتاب الشراب من حرف الشين (الخاتم) فى كتاب الزينة من حرف الزاى (الخضاب) في كتاب الزينة من حرف الزاى (الخلوق) في كتاب الزينة من حرف الزاى . (الختان) في كتاب الزينة من حرف الزاى (الخيل) في كتاب السبق والرمي من حرف السين . (الخلوة بالنساء) في كتاب الصحبة من حرف الصاد . (الخوارج) في كتاب الفتن من حرف الفاء .

ثم ياتى (بشرح غريب حرف الخاء) .

ويشرح غريب الالفاظ التى وردت في الاحاديث في الكتب الخمسة التى خصصها لحرف الخاء .

وينبغى ان نذكر ونحن بصدد شرح غريب الحديث ، ان لابن الاثير كتابا يسمى (النهاية في غريب الحديث) وان ابن منظور صاحب المعجم الكبير (لسان العرب) جمع كتابه المذكور من خمسة كتب ، أحدها كتاب (النهاية) لابن الاثير ، ومن هذا نعلم ان ابن الاثير كان ايضا من ائمة اللغة ، كما هو من ائمة الحديث .

والآن وقد اوضحنا طريقة المؤلف بهذه الامثلة من حرف الخاء ، فقِسْ على ذلك جميع الحروف من « الهمزة » الى « الياء » فهو يخصص لكل حرف كتبا ، ويسرد بعد كل كتاب الاحاديث الواردة في ذلك الموضوع مع ذكر اختلاف رواياتها، ثم يتبع ذلك بالابواب والمواضيع التى كان ينبغى ان ترد في ذلك الحرف ولم ترد فيه ، ويحيلك الى مواضعها في الحروف الاخرى ثم يتبع ذلك بشرح غريب ذلك الحرف ، حتى تنتهي جميع حروف المعجم ، مع العلم أن بعض الحروف كحرف « الصاد » مثلا قد شمل ما يقرب من جزء كامل من اجزاء (جامع الاصول) لانه يحتوى على مواضيع مثل (كتاب الصلاة) و (كتاب الصوم) وما يتفرع عنهما من ابواب وفصول كثيرة .

القسم الثالث

اما القسم الثالث من الكتاب (او الركن الثالث) ففي الخواتم .

ويضم الجزء (المجلد) الخامس كله من الكتاب، ويشتمل على ثلاثة (فنون) كما سماها .

(فالفن الاول) في ذكر الاحاديث المجهولة المواضع وقد قال المؤلف في تعريف ذلك « انه قد يعرض للانسان في بعض الاحاديث اشتباه فيشذ عنه موضعها من الكتاب ، وقد اشرنا في – مقدمة الكتاب – الى اننا استخرجنا من تلك الاحاديث – التي ربما اشتبه موضعها – كلمات هن اشهر ما فيها ، كان الحديث يعرف بها ، فانه لا يخلو الانسان ان يعرف من ذلك الحديث كلمة يستدل بها ، وقد اثبتنا تلك الكلمات في هذا الكتاب على ما سبق على الهوامش مُنتقاة على حروف المعجم ، واشرنا في مقابلها الى الموضع الذى قد جاء ذلك الحديث فيه ، فاذا احتجت الى حديث يشتبه عليك مكانه ، فاطلب الكلمة التى تستدل بها عليه في حرفها واقرأ ما بازائها ، واطلبه منه تجده هناك بعون الله » .

ثم وضع فهرسة الاحاديث المجهولة مرتبا على حروف المعجم .

(واما الفن الثاني) ففي الاسماء ، والكُنى ، والابناء ، والالقاب والانساب ، وفيه كما يقول المؤلف « ذكر الصحابة ، ذكرهم وانثاهم ، ومَنْ بعدهم من التابعين وغيرهم ، ممن له ذكر او رواية في الكتاب ، وذكر من ورد اسمه في الكتاب من جاهلي او قديم ، او اسم قبيلة ، او كُنْية ، او لقب ، او نسب مرتبا على حروف المعجم . وقد قسمنا كل حرف من الحروف الى فصول اقتضاها ما ورد فيه من الاسماء ، (فالفصل الاول) منها في الاسماء ، وفيه قسمان ، القسم الاول في الرجال ، والقسم الثاني في النساء وكل قسم منها او احدها ينقسم الى فرعين او ثلاثة فروع (الاول) في اسماء الصحابة (والنوع الثاني) في اسماء التابعين ومَنْ بعدهم ، (والفرع الثالث) في اسماء الجماعة غير مَنْ ورد في الفرعين المقدمين ، من جاهلي او قديم او غيره ، وربما جاء في آحاد الحروف من النساء واحدة أو اثنتان فنضيفها الى اسماء الرجال ولا نفرد لها فصلا » .

(والفصل الثاني) من الحروف يشتمل على الكنى ، فان كان ينقسم الى ما انقسم اليه الفصل الاول قسمناه ، والا سردناه فصلا واحدا .

(والفصل الثالث) يشتمل على الابناء ، ويجرى حكمه مجرى فصل الكنى .

(والفصل الرابع) يشتمل على الالقاب ، ان كان في الحرف القاب ، وهو قليل ، وربما جاء من الالقاب ، اللقب الواحد أو الاثنان ، فاضفناه الى فصل الكنى ، لانه اشبه به .

(والفصل الخامس) يشتمل على الانساب ، اما الى قبيلة ، او بلد ، او صنعة او الى غير ذلك . وقد التزمنا في ترتيب الاسماء والكنى والالقاب والانساب تقديم الحرف الاول من ترتيب حروف المعجم ، ووضعها بعد الابتداء بالحرف الاول الذى هو اول الكلمة ، ثم نلتزم ذلك في الحرف الثاني والثالث ان امكن ، فان استوت الاسماء اعتمدنا ذلك في الآباء ، فان استووا التزمناه في الاجداد ، ولا نعتبر بمن تقدم زمانه او تأخر ، ولا نقدم المفضول على الافضل ، بل نقف مع الحروف ... وكذلك فعلنا في الكنى والابناء ، فالتزمنا الاسم الذى اضيف اليه الاب والابن كما تراه مفصلا مرتبا ان شاء الله) .

وعلى هذا النحو يسوق الاسماء والكنى والابناء والالقاب ، والانساب ويذكر عقب كل اسم نبذة وافيه تبين كلما يتصل بهذا الاسم .

(واما الفن الثالث) ففي فهارس الكتاب ، ويتضح من هذه الفهارس ان الكتاب قد اشتمل على : مائة واثنين وثلاثين كتابا ، ومائة وواحد وثلاثين بابا وخمسمائة وثلاثة عشر فصلا ، ومائتين وواحد وتسعين فرعا .

الخلاصة

وبعد ، فهذه بعض الجهود ، التى قدمها بعض سلفنا الصالح ، في سبيل جمع الحديث النبوى وترتيبه وتبويبه ، والتى نرجو ان تكون المرجع والاساس للمشروع الذى دعا اليه الاستاذ (عبد الستار فراج) .

وهذا ما اردنا عرضه ، مع قصورنا وقلة بضاعتنا في هذا المضمار ، فضلا عن بُعد بلادنا عن المطبوعات ، وعن دور الكتب الكبرى للمخطوطات ، ولكنها ملاحظات ذكرناها لعل فيها تذكرة نافعة والله الموفق .

حسين محمد علي الصافي
الجمهورية العربية اليمنية

بين العقل و

بقلم : عبد الله زكريا الانصارى

رئيس رابطة الادباء الكويتيين

■ ان اهم ميزة تميز الانسان عن غيره من المخلوقات هى العقل، والعقل هو الميزان الصحيح الذى تزن به الانسان الناجح ، ولم نر انسانا ناجحا في هذه الحياة دون ان يكون العقل مسيطرا على تصرفاته ، وتصرفات الانسان التى لا يتحكم فيها العقل ، تؤدى به الى الفشل الذريع ، ذلك ان العقل ينظر الى واقع الامور مجردا عن الانفعالات النفسية التى كثيرا ما تؤدى الى الخطأ ، والعقل كما يقول اصحاب اللغة انما هو التثبت في الامور، والتثبت في الامور هو التفكير فيها تفكيرا عميقا قبل الاقدام عليها ، ولقد سمّي العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ، اى ان العقل يمسك بصاحبه ويحبسه حبسا عن اى تورط يدفعه الى الهلاك ، ولما كان معنى العقل ، هو الفهم والادراك ، اذا فانه يحبس صاحبه ويمسكه عن التصرف في اى امر من الامور الا بعد ان يدرك هذا الامر ويفهمه فهما كاملا على حقيقته ، فاذا فهم هذا الامر وادركه بعقله اقدم عليه اقداما دون خوف او وجل ، مطمئن البال ، مرتاح الخاطر ، هادىء النفس ، ويقول المتنبى :

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثانى

اى أن الرأى النابع من العقل هو في الدرجة الاولى عند الانسان العاقل ، اما الشجاعة فتجىء بالمنزلة الثانية بعد العقل ، وما هى فائدة الشجاعة اذا استطاعت ان تتحكم في العقل عند اى انسان ؟ ان مثل هذه الشجاعة تقود صاحبها حتما الى الهلاك ، اما الرأى فهو الذى يمسك بصاحبه عن اى تورط يقوده الى الهلاك ، واذا كان العرب الاوائل يفسرون كلمة العقل بحبس النفس وردها عن هواها ، وان تفسيرهم هذا استمدوه من عقل البعير بجمع قوائمه ، ادركنا قيمة العقل عندهم ، ووضعه بالدرجة الاولى في امورهم ، وعقل البعير بتجميع قوائمه ، كعقل اللسان وحبسه ، كلاهما يؤدى الى المعنى المقصود . اذ ان عقل البعير اى تجميع قوائمه بربطها ، يمسك به عن الانطلاق على غير هدى ، والانطلاق على غير هدى يؤدى الى الضياع ، وفي ذلك خسارة لا شك فيها ، وعقل اللسان اى حبسه ، يمسك به ايضا عن الانطلاق في كلام غير محمود ان لم يكن هذا الكلام صادرا بعد تفكير وان لم يكن موزونا بميزان العقل ، والكلام غير المحمود يؤدى بصاحبه الى الزلل الذى قد ينتج عنه الضياع والهلاك .

العاطفة .. مزاياها وعيوبها

وبجانب العقل هناك العاطفة ، والعاطفة بقدر ما تشتمل على المزايا الطيبة ، تشتمل على العيوب ايضا ، والعاطفة كثيرا ما تفلت من العقل ، اى

العاطفة

في عالمنا العربي المعاصر

انها كثيرا ما تخرج عن نطاق العقل، وتدفع بصاحبها الى التصرف والاندفاع، بعيدا عن الروية والتفكير، والروية والتفكير من نتاج العقل طبعا، اما العاطفة فان الروية والتفكير لا يستطيعان التحكم فيها او حتى التأثير عليها في كثير من الحالات ، الامر الذى قد يدفع بصاحبها الى الهلاك والدمار ، واذا كان للعاطفة مزايا جميلة حسنة ، فان لها مضار ومساوىء في كثير من الاحيان ، واجمل تفسير للعاطفة هو ذلك التفسير الذى جاء في المعجم الوسيط من انها اى العاطفة « هى استعداد نفسي ينزع بصاحبه الى الشعور بانفعالات معينة ، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة او شيء » . لكن ترى كيف يكون هذا النزوع المشحون بانفعالات معينة ، وكيف يتم هذا السلوك الخاص حيال فكرة او شيء ، اذا كان سلوكا متأثرا بمشاعر وانفعالات نفسية معينة ؟ لا شك ان هذا السلوك وهذا النزوع قد يدفعان بصاحبهما الى امر نافع مفيد وقد يدفعانه ايضا الى امر ضار غير نافع يؤدى به الى الهلاك . فاذا كان هذا النزوع والسلوك صادرين عن انسان يستعمل عقله وتفكيره في اموره التى يصرفها ، فانهما بلا شك يؤديان الى نتيجة حسنة طيبة . اما اذا كانا صادرين عن انسان لم يستعمل عقله وتفكيره في اموره فانهما بلا شك يؤديان الى نتيجة سيئة . وكل انسان في هذه الحياة لديه بجانب العقل ، العاطفة ، فالعقل والعاطفة في كل انسان ، والناس مستويات مختلفة ، وموازينهم مختلفة ، ونظرتهم الى الامور مختلفة ، والعقل والعاطفة يتصارعان فيهما ، فاذا تغلب احدهما على الآخر اختلفت موازينه في اموره وفي تصرفاته وانفعالاته النفسية ، ودفعته الى سلوك خاص حيال اى فكرة يريدها او شيء يبغيه، ان خيرا فخير وان شرا فشر .

فاقد العقل ، وفاقد العاطفة

ان العقل والعاطفة من طبيعة البشر ، ومن مميزات الانسان ، والانسان الذى يخلو من العقل، يفقد ميزة الانسان العاقل ، ويخرج من عداد الناس العاملين في هذه الحياة ، بل يفقد قيمة الحياة نفسها ، ويعيش على هامشها بعيدا عن امورها وعن الناس الذين يعيشون افراحها واتراحها ، لانه يكون بفقده العقل فاقدا لكل مقاييس الحياة ، ولكل المقاييس التى تتحكم في تصرفاته حيال نفسه وحيال الناس وحيال الحياة . والانسان الذى يخلو من العاطفة ، يخلو من كل ميزة من ميزاتها الخيرة ، كحب الخير ، وبغض الشر ، والعطف على الضعيف ، والشفقة على المظلوم الى غير ذلك من الامور التى ترتفع بالانسان عن غيره من المخلوقات الاخرى ، والتى تميزه عن الحيوانات الضارية المتوحشة ، ولا نعتقد ان هناك انسانا يخلو قطعيا من العاطفة ، قد تقل العاطفة فيه ، وتصل الى درجة واطئة ، لكنها مهما كلف الامر لا تصل الى درجة الصفر حسب اعتقادنا ، فاذا كان معقولا ان يفقد الانسان عقله ، فانه من غير المعقول ان يفقد عاطفته ، ولا ندرى مدى صحة اعتقادنا هذا ، وربما رأى علماء النفس رأيا غير هذا الرأى، لكننا نستمد رأينا مما نشاهده في الانسان وفي الحيوان

ايضا ، فالحيوان لا يفقد عاطفته ، اذ ان كثيرا من الحيوانات التى نشاهدها نرى العاطفة لديها قوية ، بل ان بعضها تكون العاطفة لديها عالية ، بالرغم من انها لا تعقل ، ولا تتمتع بالعقل الذى يتمتع فيه الانسان ، واذا صح ما ذهبنا اليه من ان الحيوان لا يفقد العاطفة، فما بالك بالانسان الذى ميزه الله تعالى بالعقل . قد تنقلب موازين العقل وتختل موازين العاطفة لدى الانسان ، فتدفع به اما الى الحكمة واما الى التهور ، فاذا زادت نسبة العقل في الانسان دفعته الى التروى فى الامور والحكمة فيها ، واذا زادت نسبة العاطفة فيه ادت به الى التهور والاندفاع الاهوج في حل مشاكله واموره .

موازين العقل والعاطفة

وهذه النسب في العقل وفي العاطفة ليست متساوية بين الناس ، ولهذا نراهم مختلفين في تصرفاتهم ، وفي اعمالهم ، وفي مدى نجاحهم في حياتهم ، وفي درجة فشلهم في امورهم واعمالهم ، واختلاف الناس فى عقولهم وفي عواطفهم من مشيئة الله تعالى في خلقه (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين) . فلو تصورنا مثلا ان موازين العقل والعاطفة متساوية بين الناس، وان الناس مثلا متشابهون في كل شيء ، وفي تصرفاتهم وفي اعمالهم ، وفي حركاتهم وسكناتهم ، فماذا تكون النتيجة ؟ نعتقد ان النتيجة ستكون ركودا وجمودا ، والركود والجمود يؤديان الى الفساد والى الموت ، والموت ضد طبيعة الحياة ، ذلك ان مثل هذا التشابه يقتل الحافز الى الابداع والتغلب على الآخرين ، والاتيان بكل جديد ، وتركيز العقل والتفكير على التجديد والاختراع ، والوصول الى معرفة اسرار هذا الكون العظيم ، وتلك اهم الحوافز التى تدفع بالانسان الى تعمير هذا الكون ، واستخراج كنوزه ، بل ان عدم التشابه في كل شيء بالانسان من طبيعة الحياة ، وطبيعة الحياة هى التغير والتطور ، والانسان يتغير ويتطور مع تغير الحياة وتطورها ، بل ان الانسان نفسه يغير ويطور الحياة التى يحياها ، والا اصبح جامدا ميتا ضد طبيعة الحياة . ولهذا ترانا نرى المستويات الشاسعة بين الناس ، بعضهم بلغ ارقى مستوى في حياته ، وبعضهم ما زال يتعثر في حضيض الحياة ، بعضهم دفع به الطموح الى الكشف عن اسرار الكواكب الاخرى، والبعض الآخر ما زال يبحث عن لقمة عيش يسد بها رمقه ، وبعضهم من الذين اختلت او اختلفت درجات العاطفة لديهم يحرقون حاصلاتهم الغذائية حتى لا تؤدى كثرة انتاجها الى هبوط مستوى اسعارها في ميزان التجارة ، وبعضهم يموتون جوعا بالمئات ، بل بالآلاف لعدم استطاعتهم الحصول على ما يقتاتون به ، من غذاء يمسك بهم عن الموت ، والغريب في الامر ان مثل هؤلاء الناس الذين يكافحون الموت ، ما فتئوا يدفعون بموجات وموجات من البشر ، ويتركونها تصارعه بدون عتاد ، وبدون استعداد يمكنها من التغلب عليه ، ويتركونها في معمعة الحياة القاسية المريرة، انها العاطفة بلا شك ، العاطفة الراجحة موازينها على موازين العقل .

لكن ترى ما هو مدى استطاعة الانسان التحكم في عقله ، او في عاطفته ؟ وهل يقدر الانسان ان يتحكم في عقله ، وهل يستطيع ان يتحكم في عاطفته؟ لا شك ان الانسان لا يستطيع ان يزيد من درجات عقله ، ولا يقدر ايضا ان يقلل او ينقص من درجات عاطفته التي خلقها الله تعالى في كيانه ، لكنه يستطيع ان يستعمل عقله ويتحكم به ويفكر تفكيرا عميقا قبل ان يقدم على امر من الامور ، لا سيما اذا كان هذا الامر خطيرا ، او يؤدى الى عواقب وخيمة في حالة فشله ، كما انه يقدر على ان يكبح جماح عاطفته ، ويروضها حسبما تمليه مصلحته ومصلحة مجتمعه ، اذا كانت عاطفته ستدفع به الى الهلاك ، وكثيرا ما دفعت العاطفة الى الهلاك . ان الانسان العاقل هو الذى يروض نفسه ويطوعها على تقبل الحياة مرها وحلوها ، وهو الذى يستطيع ان يتحكم في عواطفه ، ويخضعها لارادته، ولا يتركها تفلت على غير هدى، بل انه الذى يستطيع ان يستفيد من ميزات العقل الذى وهبه الله تعالى .

تباين وتضارب

اننا عندما نتكلم عن العقل وعن العاطفة ، كأنما نتكلم عنهما ونحن نشعر بالالم والاسى من جراء ما نسمع وما نرى هنا وهناك حولنا ، من عواطف منطلقة ، ومشاعر مندفعة بدون اتجاه محدد بالعقل والحكمة . عواطف متعاكسة متضاربة ،

ومشاعر مختلفة متباينة ، وكلها تذهب هباء ، قبض الرياح ، بل لعلها تترك آثارا سيئة على النشء وعلى الجيل الذى يتطلع الى وضعه المضطرب ، وينظر الى هذه السهام الطائشة التى تئز أزيزا في اذنه ، وينتظر الدعوة التى تدفع به الى معترك الحياة موحد الرأى ، صاف الذهن ، واضح الهدف ، عارفا الغاية التى يندفع اليها ، والمبدأ الذى يعمل له ، والنتيجة التى يصل اليها . ان العاطفة والعقل اللذين نشاهدهما في عالمنا العربى غير متوازنين ، وعالمنا العربى عالم واحد ، لكن الانسان العربي الذى يعيش في هذا العالم العربى ، مضطرب الفكر والرأى ، مهتز العاطفة والشعور ، من كثرة ما يرى التراشق حوله ، والتشكيك في وحدته وفي تراثه وفي حضارته وفي تاريخه ، والسبب هو اختلال موازين العقل وموازين العاطفة لدى المتحكمين في مقدراته ، والقابضين على أزمته ، والمسيطرين على اموره ، وفي هذا الجو المضطرب المحموم الذى يعيش فيه ، هناك بعض الفئات التى شمرت عن ساعد الجد ، لتخوض هذه المعمعة ، وتدخل فيها مع الداخلين ، وتنشر فيها شباكها ، علها ترجع منها بحصيلة .

ان الفرد العربى يكاد يتوه ويضيع في هذه الفلسفات والمبادىء الطارئة عليه ، وكلها تضرب فى اتجاه غير اتجاه الاخرى ، فالفلسفة الواحدة تتفكك وتتوزع الى عدة تفسيرات والى عدد من الفلسفات ، والمفسرون القيمون عليها يتخبطون في تفسيرها ، عن قصد او عن غير قصد ، والايدى الخفية تندس بين هؤلاء وأولئك ، عن طريق مباشر ، او غير مباشر لتساعد على ذبذبة الفكر العربى وتمزيقه ، وكلما هبت رياح الوحدة التى تريد ان تدفع هذه التيارات المتعاكسة المتضادة في اتجاه واحد ، هبت رياح اخرى معاكسة تتحكم فيها العاطفة ، وتتشنج المشاعر ، ويضيع العقل ، وفي نفس الوقت يروح العدو يعمل عمله بعيدا عن العواطف ، ويستعمل عقله لاشعال نار الفتنة بين ابناء الامة الواحدة ، بواسطة الحرب النفسية طورا ، وتارة بواسطة مريديه واتباعه . يشن الحرب النفسية بواسطة الاجهزة التي يسيطر عليها في الخارج ، بل وفي الداخل ايضا ، وبواسطة مريديه واتباعه الذين ينفذون ما يُملى عليهم بكرة واصيلا .

الافادة من التجارب

العجيب حقا ان تمر علينا كثير من الدروس القاسية ، والعبر البليغة المرة ، التى تمثلت في الهزائم والنكسات ، ولم نستطع ان نستفيد منها في التحكم بعقولنا وعواطفنا ،بل ما زلنا نسمع التصريحات التى تدعو الى الرثاء ، والخطب التى تثير السخرية ، والادعاء الذى يخلو من العقل والمنطق ،والتعليقات التى لا نجد فيها الا العواطف المشبوبة الهوجاء ، والحماس الذى لا يثير الا السخرية ، فالذين يدعون للوحدة ، ويعلقون على رؤوسهم شعاراتها ، تتشنج اعصابهم حينما يشعرون برياحها تهب عليهم ، والذين ينادون بالحرية نراهم يبطشون بها ويمثلون بجثتها تمثيلا، بعضهم خفية واستحياء ، وبعضهم علنا بكل صلف وكبرياء . والذين يتبجحون بالعدالة الاجتماعية ، يقتالون العدالة ، ويشوهون سمعتها بتصرفاتهم ، وبالترف الذين يعيشون فيه ، في بطونهم وفوق ظهورهم . اما الذين يبكون على الديمقراطية ، وعلى العدالة ، فهم اول من أساؤوا الى الديمقراطية ، واول من قلبوا العدالة . والذين تألموا وتمزقت احشاؤهم على اولئك الذين لاقوا مصيرهم العادل من جراء ما ارتكبوه من جرائم ، ومن محاربة للخط العربى الوحدوى السليم ، ما زالوا يخشون محاكمة الوحدويين امام الجمهور العربى ، وما زالوا يخجلون من التحدث بصدق وصراحة عن الرجال الشرفاء الذين امدوهم بالعون المادى والمعنوى ، وضحوا في سبيل دفعهم بكل شيء الى الصفوف الاولى لخوض معركة المصير العربى، فاذا بهم يزايدون ويخادعون الشعب العربى الذى يعرفهم ويعرف كل شيء عنهم .

ان العقل العربى مدعو الى الحضور بعد الغيبة الطويلة ، والعاطفة العربية مدعوة الى الاتزان بعد الانفلات الطائش الذى سارت وما تزال تسير فيه. ان العقل العربى عليه ان يعود الى الرؤوس قبل أن تفرغ ، والعاطفة العربية عليها أن تهدأ وتتمهل قبل أن تضيع الامة ، وقبل أن يستفحل الداء ويعز الدواء ، وقبل أن نضيع فى هذه المتاهات التى خلقها لنا الاعداء ، ورحنا نحمل راياتهم السوداء من بعدهم . ■■

عبد الله زكريا الانصارى

أضواء جديدة على ...

جبران

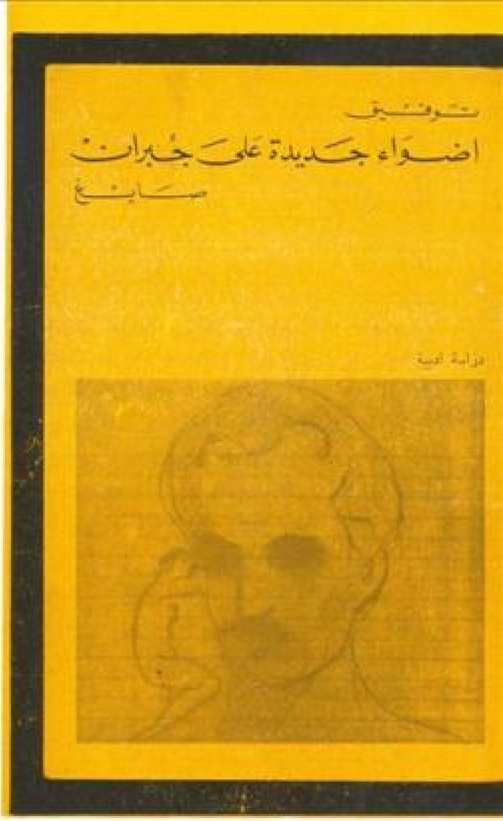
من خلال رسائله الى ... المرأة التي كانت راعيته حتى قضى نحبه

بقلم : توفيق صايغ

عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب جديد عن جبران خليل جبران يختلف عن كل الكتب التى صدرت عن الاديب والشاعر المهجرى المعروف ، فى انه وثيقة يمكن الاعتماد عليها عند دراسة جبران . وهذا الكتاب ينقض كثيرا من اخبار جبران التى اعتبرها الذين درسوه حقائق مسلما بها . وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٦٦ عن الدار الشرقية للطباعة والنشر ببيروت .

وقصة هذا الكتاب أن المرحوم الاستاذ توفيق صايغ قرأ في احدى صحف الادب الامريكية الاسبوعية « ان عددا من الرسائل المتبادلة بين جبران وسيدة امريكية موجودة الآن لدى مكتبة جامعة من الجامعات في امريكا . » ، ثم هداه البحث الى أن الرسائل موجودة في مكتبة جامعة نورث كارولينا ، وانها موجهة الى مارى هاسكل. وكل من اطلع على حياة جبران يعرف أن هذه السيدة الامريكية ، التى عرفت جبران في بوسطن منذ عامه الحادى والعشرين ، هى التى رعته ، وأمدته بالعون المالى ، حين كان فى أمس الحاجة الى العون : فقد خصصت له ٧٥ دولارا مساعدة شهرية منها له ، لم تقطعها عنه ، وهى التى أرسلته على نفقتها الى باريس ليدرس الفن ، وهى التى طلب اليها أن تتزوجه فرفضت لايمانها بانه سيكون زواجا فاشلا . وقد بقيت هذه



السيدة صديقته الاثيرة الى يوم وفاته . ومن هنا كان لهذه الرسائل قيمة كبيرة عند المهتمين بدراسة جبران .

وتضم الرسائل الموجودة في مكتبة جامعة نورث كارولينا ٣٢٥ رسالة من جبران الى ماري هاسكل، وزهاء ٣٠٠ رسالة من ماري هاسكل الى جبران ، كتبت بين عامي ١٩٠٨ و ١٩٣١ . وآخر رسالة فيها هي رسالة من ماري كتبتها اليه قبل وفاته بأربعة أيام .

وقد قرأ الاستاذ توفيق هذه الرسائل ، ثم اخذ مقتطفات منها ، وضمها الى بعضها بعضا في ثلاثة فصول هي : جبران وماري ، جبران والوطنية والسياسة ، جبران : حياته الثقافية . وفي الكتاب صور لبعض رسوم جبران . وقبل ان نعرض لما في هذه الفصول ، اود ان اشير الى المعالم البارزة في حياة جبران ، كما وردت في مؤلفات الذين كتبوا عنه ، لنرى كيف تختلف هذه الصورة الشائعة عن صورته في هذه الرسائل .

جبران كما عرفناه

وقد اختلف الدارسون في جبران : فهو العبقري الذي قلما يجود الزمان بمثله في كتاب بربارة يونغ « هذا الرجل من لبنان » ، وهو الفاسق المفسد للاخلاق في كتاب « جبران خليل جبران » للاب الياس زغيب ، وكتاب « محاولات في درس جبران » لأمين خالد . ويبقى كتاب ميخائيل نعيمة « جبران خليل جبران » اكثر الكتب التي كتبت عن جبران امتاعا ، وان اتهمه البعض بان كثيرا من اخباره من نسج الخيال .

ولد جبران في قرية بشري اللبنانية في ١٨٨٣/١٢/٦ من عائلة فقيرة ، وفي سنة ١٨٩٥ حملت الأم أولادها الاربعة (بطرس وسلطانة ومريانا وجبران) الى بوسطن ليسكنوا في حي الصينيين ، افقر أحياء المدينة . واشتغل الاخ الاكبر في التجارة ليعول العائلة ، وادخل جبران في مدرسة هناك . وفي المدرسة لفتت موهبته التصويرية معلميه ، وفي خريف عام ١٨٩٨ عاد جبران الى لبنان ليدرس العربية في معهد الحكمة مدة أربع سنوات عاد بعدها الى بوسطن ليرى ان مرض السل حصد اخته سلطانة ، ثم لم يلبث الموت أن أخذ اليه أمه وأخاه الأكبر بعد أن فتك المرض اللعين بهما ايضا . ولم تبق له سوى اخته مريانا ، تشتغل بالابرة ليل نهار، وتذيب نور عينيها من أجل أن تنفق عليه ، وهو منصرف الى رسومه وكتابته . وفي أول معرض لرسومه تعرف الى ماري هاسكل ، وهي صاحبة مدرسة في المدينة ، فاحتضنته ورعته اعجابا منها بموهبته .

وفي عام ١٩٠٥ صدر له أول كتاب وهو « الموسيقى » ، ثم تلاه « عرائس المروج » و « الارواح المتمردة » وفي سنة ١٩٠٨ سافر الى باريس ليتخصص في فن الرسم على نفقة ماري هاسكل ، ويذكر جبران انه تتلمذ في باريس على يد الرسام المشهور رودان Rodin ، ولكن معرفة جبران برودان مشكوك فيها . وعاد الى بوسطن . وفي سنة ١٩١٢ انتقل الى نيويورك ، واستقر

فيها . وصدرت له « الاجنحة المتكسرة » ، وديوان شعر بعنوان « المواكب » ، هو ديوانه الوحيد ، وقد صدر مزينا برسوم من ريشته ، و « العواصف » . وفي نيويورك أسس ، مع اصدقاء له ، رابطة أدبية عرفت باسم « الرابطة القلمية » .

ومنذ عام ١٩٢٠ انصرف الى التاليف باللغة الانجليزية ، فاصدر ثمانية كتب في ثمانية اعوام ، درت عليه دخلا طيبا جعله ينسى الشقاء الذى نشا فيه . واشهر كتبه هو كتاب « النبي » فقد وضع فيه كل آرائه بعد أن نضجت .

وفي ١٩٣١/٤/١٠ توفي جبران ، ثم نقل جثمانه ليدفن في دير مارسركيس بلبنان .

هذه هي الخطوط العريضة في حياة جبران ، اشهر أدباء المهجر قاطبة .

والآن ماذا في هذه الفصول الثلاثة في هذا الكتاب الذى نقدمه ؟

جبران ومارى

ان الاستاذ توفيق صايغ اكتفى بأن نقل الينا من الرسائل خلاصة للعلاقة بين جبران ومارى ، دون تعليق والذى نستنتجه ان جبران كان يتصور اشياء لا يتصورها الاسوياء ، وأن مارى كانت امرأة ساذجة . وتبين لنا هذه الرسائل ان صلته بها كانت أشبه بصلة الابن بامه .

وجبران الذى نعرفه يأخذ صورة أخرى في هذه الرسائل : فهو يروى لمارى أن أجداده جاؤوا دمشق في القرن التاسع ، وكانوا حكاما اشداء ، شنق ثلاثة منهم ، وتوجه بعضهم الى جبل لبنان في القرن الثاني عشر ، وحكموه بحزم وقوة . وجده لابيه ثرى ارستقراطي كبير يحتفظ في داره باسود كما يحتفظ الانسان عادة بكلاب . وجده لأمه ، الذى نعرف أنه خورى بسيط ، يصبح هنا مطرانا بسعة اطلاعه ، وحبه البحث والدراسة ، ويتكلم لغات عدة . وجدته لأمه كانت ابنة أغنى رجل في لبنان . ويفيض في وصف بيته في بشرى ، وما فيه من أثاث فاخر ، وتحف نادرة . ويحدثها عن أمه الأمية التي لم تكن تعرف القراءة ، فاذا بها هنا رفيعة الثقافة ، تتكلم الفرنسية والايطالية والاسبانية والانجليزية ، عدا العربية . ويذكر لها أن والده كان احد افراد حاشية الامبراطور غليوم ، عند زيارته الى سوريا ، وأنه هو نفسه كان يعرف الامبراطور معرفة جيدة .

واذا كانت أم جبران قد ارتحلت بأولادها الاربعة الى بوسطن لسببين : هربا من الفقر ، وهربا من قسوة الأب الذى لم يكن يحسن سوى شرب الكأس ، فان جبران هنا في هذه الرسائل شاب غني يذهب الى المدرسة ، ويزامل أبناء أغنى سوريا ، وينفق المال يمنة ويسرة .

ويحدثها عن أدبه : فهو قد بدأ يكتب الشعر في سن العاشرة، وقصائده هذه التي كتبها في سن مبكرة يغنيها المئات في سوريا ومصر . وما أن بلغ الثالثة عشرة من العمر حتى كانت قد نشرت عنه المقالات العديدة في الصحف العربية ، وصدرت الكتيبات عن انتاجه ورسومه . وعرض على مارى لوحة رسمها في سن الخامسة عشرة ، وقال لها معلقا على اللوحة : « اني ابو التكعيبية » !!!

ويجمح بجبران الخيال ، فاذا به يؤكد لها أن عنده شعورا واعيا بأنه عاش حياة بشرية قبل عصره هذا ، وأنه عاش مرتين في سوريا ، ومرة في كل من ايطاليا ، واليونان ، ومصر ، والهند ، وفارس . وعاش مرات في بلاد الكلدان . وتسأله مارى : كم قرنا في المستقبل يعي الآن ، وكم قرنا في الماضي ، فيرد بكل ثقة : انه يستطيع أن يرى بعد ٥٠٠ عام في المستقبل بوضوح اكثر مما يرى ما بعد ٢٠٠ عام، ويرى بعد ألف عام أوضح من ٤٠٠ عام ، « اما أبعد من ألف عام فلا أشعر أني أستطيع أن أرى ... » أما الماضي فبوسعه ان يعيش فترة النهضة فيه بيسر شديد ، لكن الفترة الايسر عليه هي قبل الفي سنة .

ويحق لنا أن نتساءل : ولماذا أرهق جبران نفسه في خلق حياة جديدة فرارا من حياته الواقعية ؟ وفي رأيي أن جبران الذى لم يكن راضيا عن فقره وعصره وظروفه وبيئته ، وعليها جميعا ثار ، خلق لنفسه حياة من صنع خياله . وآمن بالتقمص لأن فيه تعويضا عما فاته في واقعه .

ومن مبالغات جبران أيضا حديثه عن السيد المسيح الذى وضع عنه كتابه « يسوع ابن الانسان » بالانجليزية : فهو يتحدث الى مارى عن علاقته الشخصية به ، وكيف أنه يظهر له مرارا في رؤاه وأحلامه « لا أقل من مرتين في العام الواحد ـ لكنه لا يراه مطلقا أكثر من أربع مرات في العام الواحد . » وقد رآه لأول مرة عندما كان عمره أربع عشرة سنة ونصف السنة ، وهو على ظهر الباخرة العائدة به الى سوريا . وهو دائما

يظهر له على صورة لا تتغير « لا يشبه أبدا اية من الصور المعروفة له ... ففي الصور يبدو على الدوام وكأنه قد خرج لتوه من الحمام ، بشعره المسوّى جيدا . اما انا فاراه في يوم قائظ ــ دوما اراه في منتصف النهار ، وعلى قدميه غبار ، وفي يده عصا ، وشعره منكوش ، يرتدي ثوبا رمادي اللون ، ذا حاشية بلون الغبار ، وقد تهرّأ وحفة في أسفله . » وهو قوي البنية « أما عيناه فاني مستعد أن أعطي اى شيء لو اني استطيع ان أخبرك عن عينيه وجلده ، فانا لم اشهد مثل لونهما على بشرى ابدا . ان عينيه ليستا بالحزينتين ولا بالمرحتين ، لكنهما مليئتان بالحياة والحيوية والعمق والراحة والبعد والبساطة .... » .

ويبدو أن ماري كانت تحب أن تسمع منه مثل هذه الاحاديث ، ولهذا نجده يسهب في الوصف ، ويعود الى هذا الموضوع في رسائله دون أن يمل التحدث عن المسيح . وهنا أذكر ان جبران ذكر مرة أن اكثر من اثروا في حياته هم : السيد المسيح ، والنبي محمد ، وعلي بن ابي طالب .

ويتمنى الشاعر الحالم لو أن المسيح زاره كل مرة ، فيكتب الى ماري قائلا « آه يا ماري ، يا ماري ، لماذا لا يمكنني أن أراه في أحلامي كل ليلة ؟ » فتجيبه : « كم انت عزيز ، ياطفلي ، لأنك اخبرتني عن حلمك عن يسوع ، وعن شعورك في اليوم التالي . ان ذلك كينبوع ماء عذب عميق يتفجر . » .

★ ★ ★

ومن الموضوعات التي يطرقها في رسائله : الزواج . وله عليه مآخذ ، ويعترف أن له بعض المنافع اذا تنظّم . ومن مآخذه عليه قوله : ان الازواج الآن يرون بعضهم بعضا أكثر بكثير مما يجب ، لكن هذا سيتبدل بعد خمسمائة سنة من الآن . ولكن لماذا حدّد الفترة بخمسمائة سنة بالذات ؟ لاندري . وعناصر الزواج الناجح ، في رأيه ، أن يقوم على التفهم ، لا على الحب ، وان يكون لكل من الزوجين عمله الخاص ، وحياته الخاصة به ، وأن يعيشا كشخصين ولا يحاولا ان يعيشا كشخص واحد ، وعليهما أن يناما في غرفتين منفصلتين . وهو يقول انه معني بموضوع الزواج ، وسيضع دراسة عنه قبل وفاته ، ولكن يبدو انه لم يتمكن من وضع هذه الدراسة .

ورأى مرة مواكب من العمال خارجة من اماكن عملها ، فكتب اليها يقول : « هذه المواكب تبعث في الحزن ، لأنها مواكب عبودية ، ان الاثرياء لأن بوسعهم التحكم في العمل مقابل دفع أجور زهيدة ، فاذا تحكمت النساء بالحمل ، فانهن سينجبن عددا اقل من الاطفال ، وسيكون لزاما على المستخدمين ان يدفعوا اجورا اعلى ، ولن يظل المستخدَمون عبيدا ... ان الراسماليين والحكام يريدون ، عن وعي أو غير وعي ، أن تزداد الولادات والانجابات ، لانهم يريدون مزيدا من العمال الذين يدفعون لهم أجورا رخيصة . » .

ولا توافقه ماري على رأيه هذا ، وحجتها أن هذه الصلة بين طبقة العمال هي متعتهم الوحيدة في الحياة ، فهل يحرمون حتى من هذه المتعة ؟

جبران والوطنية والسياسة

واذا كان خيال جبران الجامح قد خلق له حياة لا صلة لها بالواقع ، فانه جعله ، ايضا ، يتخيل لنفسه دورا وطنيا هاما في الحركة الوطنية السورية . ويبدأ الوطن يشغل باله ، ويحتل حيزا من رسائله ، في مطلع عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٩ . وهو في هذه الرسائل شديد النقمة على الاتراك العثمانيين ، ويبدو أن السنين لم تغيّر من رأيه فيهم . انه يكتب اليها في ابريل (نيسان) ١٩١١ عن « انحطاطية الاتراك المطلقة » لانهم القوا القبض على زعماء الثورة الدرزية ، وشنقوا ثلاثة منهم . ويكتب اليها في الشهر التالي قائلا : « انني أحاول أن ابشّر بين السوريين بالاعتماد على الذات . اني أريد هؤلاء القوم المساكين أن يدركوا أن الكذبة الجميلة رديئة رداءة الكذبة البشعة ، وهذه الكذبة الجميلة هي اعتمادهم على الحكم الجديد في تركيا . اريدهم أن يعرفوا أن عرش السلطان الجبار مبني على رمل رطب . لماذا يركعون أمام صنم ملوث ، ما دام ثمة فضاء لا حد له بوسعهم أن يحدّقوا فيه أبصارهم ؟ »

وعندما اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١١ ، نرى جبران يكتب اليها قائلا : انه يخشى أن يميل المسلمون العرب الى تركيا لانها مسلمة ، والحقيقة أن هذه الحرب قد تكون الطريق الى تحرّر السوريين من حكم الاتراك . وعندما تقصف ايطاليا بيروت بالقنابل ، يكتب الى ماري أن

« قصف الايطاليين لبيروت بالقنابل قد اظهر للسوريين أن تركيا لا تبالي بهم ... ان كل شيء يؤول بالسوريين الى كره الاتراك هو شيء جيد ».

وعندما نشبت الحرب التركية البلقانية، ابتهج جبران أملا أن تؤدى هذه الحرب الى تجزئة الامبراطورية العثمانية ، وتحرر العرب : « انى ارجو ، وأتضرع الى الله ، أن تؤول هذه الحرب الى تجزئة الامبراطورية العثمانية ، كيما تحيا من جديد دول الشرق الادنى المسكينة المنسحقة ، كيما تفتح الام سوريا عينيها الحزينتين وتحدق من جديد في الشمس » .

ويكتب في احدى رسائله الى مارى بانه عاكف على كتابة شيء « قد يقلب العالم العربي كله بأسره ضدى . لكني مستعد لذلك . لقد صرت معتادا على أن اسمّر على الصليب . » وهكذا نراه يتصور نفسه مسيحا جديدا يقدم نفسه فداءً للآخرين !!

وعند ما بدأت فكرة الحكم الذاتي لسوريا تراود أذهان زعمائها ، كتب اليها بانه هو منشىء هذه الفكرة ، والموجه لها . وينشط الداعون الى هذه الفكرة ، ويقررون الاجتماع في مؤتمر يضمهم في باريس ، ويرسلون دعوة الى جبران لحضور المؤتمر ، ولكنه يرفض الحضور ، لاختلافه معهم في الرأى : انهم يريدون أن يحصلوا على الحكم الذاتي عن طريق الدبلوماسية ومساعدة الدول الاوروبية لهم . وجبران يريد الثورة ! ثم ينعقد المؤتمر ، فيكتب بأن المؤتمر قد فشل ، والسبب في فشله أن الاعضاء « يتكلمون كشعراء ويتصرفون كرجال أحلام والنتيجة هي قصيدة ـ حلم . » والعجيب ان يصدر هذا القول عن جبران وهو سيد الشعراء الحالمين .

وتندلع نار الحرب العالمية الاولى ، ويعود الى الحديث عن « كتابه المفتوح الى الاسلام » وكيف أن بعض أصدقائه في الوطن كتبوا اليه بانه بهذا الكتاب قد وقع وثيقة موته بيده « لكني لا أعبأ . وان لم يسمح لي بالعودة الى وطني ففي وسعي ان أذهب الى بلد آخر . » ويصف كتابه بأنه « رسالة بسيطة الى جميع المسلمين ، تفسر باسلوب نبوى ، لماذا الحكومة التركية مدمرة للاسلام اجتماعيا وسياسيا . »

وتحمله أحلامه الى آفاق أبعد فنجده يتحدث في رسائله عن اقامة امبراطورية عربية:«انك تعرفين أن احلاما من أحلامي ، وواحدا من الاشياء التي أريد ان أكرس وقتي لها ، هو اقامة امبراطورية عربية . وأتوقع أن أكرس يوما ما بضع سنوات على الاقل لهذا الحلم . لو كانت لي المؤهلات لافادت فائدة قصوى ، ذلك ان العالم العربي يؤمن في ككاتب . حتى أعدائي يؤمنون بي . لو كان لي التكنيك العسكرى لكان هذا شيئا عظيما . ولكنت أحببت ذلك . »

ويتصور جبران ان الدولة العثمانية ترى فيه خطرا عليها ، ولهذا فهي تتآمر عليه ، وتسعى الى قتله : « انني أعرف انني أقوم بخدمة ، ولذلك فان ثمنا جديدا قد وضع لراسي . ان هذا لا يهمني ، وانت تعرفين أن هذه الامور تافهة بالنسبة لي . » وتروى مارى في مذكراتها لآخر عام ١٩١٧ أن جبران جاء لقضاء عيد الميلاد في بوسطن ، وفي هذه الزيارة كشف لها عن ذراعه ، وأراها ندبة فيه ، قال لها : انها أثر جرح نجم عن رصاصة اطلقت عليه حينما كان في باريس يخطب منددا بالاتراك ، وان محاولة اغتياله هذه دبرها الاتراك للتخلص منه . والغريب أن جبران يحدثها عن هذه الحادثة بعد مرور نحو ثماني سنوات عليها ،وهو الذى كان يكتب اليها عن أتفه الحوادث التي تقع له .

ويحلق به خياله ليصل به الاوج عندما يكتب اليها في ٧ نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٢٨ قائلا : « لقد أخبرت اهالى جبل لبنان انه ليست لى رغبة في أن أعود اليهم ، وأتولى الحكم فيهم . انهم يريدوننى ان افعل ذلك ، وانت تعرفين ، يا مارى ، انى مشتاق لوطنى وان فؤادى يحن الى تلك التلال والوديان . لكن من الافضل ان ألبث هنا واشتغل » .

وبعد ان بلغ به خياله الدرجة التى ليس بعدها درجة في تصوير دوره السياسي ، نراه ينحط على الارض فجاة فيكتب اليها في ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٩ قائلا : « ان مسؤولياتى في الشرق قد انتهت » . لقد تكسر جناحا خياله السياسى ، فلم يعودا قادرين على حمله الى الآفاق البعيدة ، بعد الآن .

جبران : حياته الثقافية

ونحن اذا حاولنا ان نبحث في هذه الرسائل عن نظرية لجبران في الادب والنقد ، فاننا سنفشل

فهو ليس له سوى آراء متناثرة هنا وهناك . وحكمه على الادباء الذين يشير اليهم انما هو حكم قائم على التذوق والاستمتاع ، لا على نقد منهجي متبصّر ممحص .

واول ما نلمسه في هذه الرسائل هو اعجابه البالغ بشكسبير ، وحبه لنيتشة وبليك . وقد كتب الدارسون كثيرا عن اثر نيتشه وبليك في جبران ، وليس المقام هنا مقام التحدث عن هذا الجانب من جبران .

والى جانب تعليقاته العابرة على الادباء والفنانين ، يكتب اليها عن الادب العربى ، معتزا به فهو « اعظم ادب على وجه الارض . والعرب هم الامة التي تحظى باعجابه اكثر مما تحظى به امة اخرى » . ويفخر باهتمام العرب بالشعر ، ويقول لها : « ان لدى كل راع عربى احساسا بالشعر يفوق ما لدى افضل شاعر فرنسي » . !! ويحدثها عن اللغة العربية ودورها في الادب ، ويقول : « ان العرب ابتدعوا لغة وادبا ابعد بكثير مما ابتدعته اية امة في اوروبا ، ذلك لان اللغة العربية هي لغة الادب الفارسي ايضا ، والادب الارمنى ، والادب التركى ، فحيثما تصنع هذه الامم ادبا ، فانها تستخدم هذه اللغة » . ولكن كيف ؟ ومتى ؟

وفي هذه الرسائل اشارات كثيرة الى امين الريحاني ، وهو هنا يبدو لنا في صورة غير التى نعرفها : ان أمين الريحانى لم يحدث له قط ان حظى بامراة صديقة .. لقد كانت حياته موحشة. وجبران ومارى لا يثقان بآراء الريحانى فيما يختص بالناس ذوى الاخلاق « لان الريحاني ليس عنده شيء منها . » وهو يبذل جهده لان يمقته الناس ، ولا بد أن عدد أصدقائه الحقيقيين قليل جدا ، ولعل السبب في مراجه هذا انه كان يعاني من آلام التهاب العصب دون انقطاع . ويخبر جبران مارى بان الريحاني كان يعيش بمفرده ، برفقة امه واخته ، في مكان منعزل على الجبل « ولا اعتقد انه كان يحادثوما كثيرا . » ونقع في احدى الرسائل على هذه العبارة : « انه لا يمكن الوثوق بالريحاني . »

ويتحدث في هذه الرسائل كيف انه راى في أحلامه جميع الرجال العظام تقريبا ، وخاصة الشعراء منهم. لقد حلم بكيتس وشيلي ، وبأولهما اكثر من الثانى . وحلم ببليك ، ولكن اقل مما حلم بكيتس وشيلي . وحلم بشكسبير مرارا عديدة : « ان هذه الاحلام حقيقية ، لكنها ليست مؤثرة كما هى احلامى عن المسيح » . ويقول لها انه كان من عادته ان يحتفظ بدفتر يسجل فيه احلامه باللغة العربية ، لكنه اقلع عن ذلك منذ سنين ، وان يكن قد احتفظ بالدفتر .

★ ★ ★

وفي هذه الرسائل اشارات الى رجال الموسيقى الذين يعجب بهم ، ويستمع الى مقطوعاتهم ، وبيتهوفن عنده « اعظم البشر جميعا ، واكثرهم غموضا . انه يظل سرا غامضا ، ولا اعرف كيف ابدع هذه الآثار الخالدة ، ولا كيف اكتشف تلك الاعماق والقمم الغريبة التي لا ارى كيف يمكن تخيلها » .

وهو شديد الشغف بالموسيقى العربية ، التى يؤكد لمارى انها « اروع موسيقى في العالم » وعندما تقول له مارى : « اتمنى لو يتاح لى سماعها » . يجيبها بسرعة : « لا تستطيع الاذن الغربية سماعها » . ويقول لها في مناسبة اخرى : « ان الموسيقى العربية ابعد شأنا من اية موسيقى اخرى » .

★ ★ ★

ويتحدث في الرسائل باسهاب عن طريقته في الكتابة ، وعن كتبه وكيف الفها ، وعن مكانته العالية التى يحتلها في الادب العربى . ولكننا هنا، واخيرا ، نقف عند نقطتين :

فهو يكره تثقيف نفسه ، ويبرر هذا تبريرا عجيبا « فهو قد نُصح بالدرس ، لكنه كان يابى خشية ان يقضي الدرس على فرديته وعبقريته ».!! ونحن نعرف ان دراسة آثار الخالدين ، وقراءتها، تزيدنا فهما بالحياة ، والانسان ، والفن ايضا .

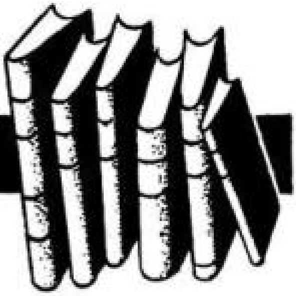
وهو يكتب الى مارى قائلا : « انى أومن ، يا مارى ، ان المستقبل لن يكون قاسيا على نتاجي .. انا اعرف ان في الادب العربى اشياء كثيرة اعظم من آثارى ، ولكنى اقول بصراحة ان آثارى هى اكبر آثار في اللغة العربية اليوم » .

وفي رأيى ان حاضر قراء العربية اليوم،لا يتفق تماما مع تفاؤل جبران .

هذا هو جبران في رسائله ،

وهى رسائل مثيرة ، يتمنى عشاق جبران لو انها لم تر النور . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية

تأليف : محمد عبد الرحمن مرحبا .

الناشر : مكتبة الفكر الجامعي ـ بيروت ـ لبنان

● دراسة عن الفلسفة اليونانية منذ بداياتها الى ان انتقلت الى الفلاسفة الاسلاميين ، ثم ان الكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام يتناول القسم الاول مدخل الى دراسة الفلسفة عامة ايا كانت هذه الفلسفة ففيه يجد القارىء بعض المقدمات الفلسفية واكتناه حقيقتها ومعرفة وظيفتها والفائدة التى تعود علينا من دراستها ثم الفرق بين الفلسفة والعلم .

اما القسم الثاني فيبحث في الفلسفة اليونانية، ثم مقارنة بينها وبين الفلسفات الاخرى ، والمؤلف يلح على اهميتها بالنسبة الى سائر الفلسفات ، ثم يعرض للاطوار التى مرت بها والمراحل التى قطعتها حتى انجبت سقراط وافلاطون وارسطو .

اما القسم الثالث فيدرس كيف وصلت الفلسفة الى العرب واهم كتبها المنقولة واشهر النقلة . ثم يتناول مشكلة الفلسفة الاسلامية وامكانية وجودها ، ثم ينتقل الى الكلام عن الفارابي وابن سينا والمعرى والغزالي وابن رشد وابن خلدون .

ببليوغرافية
الادب العربى المسرحى الحديث

تأليف : الدكتور صالح جواد الطعمة .

الناشر : مطبعة العاني ـ بغداد ـ العراق .

● هذا الكتاب فهرس منظم يتضمن ما نشر في المجلات العربية الصادرة بين ١٩٤٥ ـ ١٩٦٥ من مقالات ومسرحيات تدرس المسرح العربي . وذلك لما للمسرح من أهمية وزيادة الاقبال على دراسته واتساع افقه وتعدد موضوعاته واساليبه في فترة ما بعد الحرب العالمية ، وظهور جيل جديد من الكتاب الذين خطوا خطوات اكثر جدية وجراة في مواجهة العقبات او معالجة المشكلات التى تعترض قيام فن عربي للمسرح واضح المعالم والاهداف .

وهذا الفهرس يحاول الاستعانة باكبر عدد ممكن من المجلات العربية ويراعى تباين الاقطار العربية المختلفة في الاتجاهات والايدلوجيات ويعطى صورة شاملة لأوجه النشاط المسرحي في العالم العربي .

وهذه المجلات مجلات مجمعية وجامعية مثل مجلات المجامع اللغوية في بغداد ودمشق والقاهرة ومجلات جامعات بغداد والقاهرة والاسكندرية وعين شمس ، ثم مجلات تابعة لوزارات عربية مختلفة ثم مجلات ادبية وثقافية عامة .

صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصر

تأليف : محمد اسد شهاب .

الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان .

● كتاب يسلط الضوء على تاريخ اندونيسيا المعاصر ويكشف اسرار احداثها المعقدة والمتلاحمة في السنوات الاخيرة ، ويسجل كذلك كفاح الشعب الاندونيسي وتطلعاته للحرية والازدهار .

كما ان الكتاب يبرز فشل ثورة الشيوعيين للاستيلاء على السلطة وما صاحبها بعد ارتكاب ابشع جرائم القتل والتعذيب التى تمت في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ وتنفيذ المخطط للاستيلاء على الحكم في البلاد وتصفية العناصر غير المرغوب فيها .

والكتاب يتناول كيف دخلت الشيوعية الى اندونيسيا ثم الثورة الشيوعية الاولى في سبتمبر ١٩٤٨ وثورة ١٩٦٥ والدور الخطير الذى لعبته الصين الشعبية .

كما يعرض الكتاب لحياة سوكارنو وبعض زعماء اندونيسيا ويعرض كذلك للاسباب التى ادت الى فشل الشيوعية في اندونيسيا .

■■

■ أمراض شائعة

اللوكيميا

أو سرطان الدم

بقلم : الدكتور أحمد حافظ يوسف

دكتوراه أمراض الدم Ph. D. London

■ كان الطبيب الألمانى الشهير رودلف فرخو (Virchow) أول من أطلق اسم Leukemia « اللوكيميا » علىهذا المرض في عام ١٨٤٨ . وكلمة لوكيميا معناها الدم الأبيض أو الدم الذى يشبه اللبن لكثرة ما يحوى هذا الدم من كريات بيضاء. ولقد وصف فرخو نوعين من اللوكيميا : طحالية ولمفاوية اعتقادا منه بأن تضخم الطحال أو الغدد اللمفاوية في المريض هو السبب في صنع الكريات البيضاء الزائدة .

واللوكيميا هى أمراض غير معروفة السبب وتتميز بزيادة ثابتة فيعدد الكريات البيضاء نتيجة انقسامها بصورة غير طبيعية وغير منتظمة . والخلايا اللوكيمية تكون دائما غير مكتملة النضوج وغير طبيعية من حيث الشكل والتكوين ، وهى





تظهر عادة في الدورة الدموية كما انها تغزو نخاع العظام وانسجة الجسم الاخرى .

وتنقسم اللوكيميا من حيث مدة المرض الكلينيكية الى لوكيميا حادة ولوكيميا مزمنة ومن حيث نوعية الخلايا اللوكيمية الى :

لوكيميا جذعية نخاعية Myeloblastic, Myelocytic

لوكيميا لمفاوية Lymphoblastic, Lymphocytic

لوكيميا أحادية النواة Monocytic

وقد يصعب في بعض حالات اللوكيميا الحادة تحديد نوعية الخلايا اللوكيمية وهذا ما يطلق عليه اسم لوكيميا جذعية غير مميزة .

واحيانا قد لا يزيد عدد الكريات البيضاء في الدم عن معدله الطبيعي في حين أن فحص نخاع العظام قد يؤكد وجود مرض اللوكيميا وهذا النوع يعرف باسم لوكيميا لا لوكيمية Aleukemic Leukemia .

وهناك انواع نادرة من اللوكيميا تصيب الكريات الدموية الحمراء Erythro - Leukemia أو الخلايا الأم للصفائح الدموية Megkaryocytic Leukemia

السن

ليس هناك سن معينة لمرض اللوكيميا ، فقد يصيب الاطفال كما يصيب الكبار من كل الأعمار ولكن يمكن القول بأن نسبة اللوكيميا الجذعية النخاعية في الكبار اكبر بكثير من نسبة اللوكيميا اللمفاوية . كذلك فانه يندر اصابة الاطفال باللوكيميا المزمنة التي تظهر عادة بعد سن الثلاثين. ورغم أن اللوكيميا اللمفاوية الحادة هي النوع الذي يصيب الاطفال عادة الا أن هذا لا يمنع أن يصابوا بالانواع الاخرى سالفة الذكر .

أسباب اللوكيميا

في الوقت الحاضر ليس لدينا معلومات كافية للتأكد من طبيعة هذا المرض او سببه في الانسان. وللتعرف على حقيقته ذهب الباحثون الى دراسة جوانبه المختلفة وخرجوا من بحوثهم بنظريات تحاول تفسير طبيعته .

النظرية الأولى

تعتبر اللوكيميا نوعا من الاورام الخبيثة التي تصيب الانسجة الدموية واللمفاوية . ويمكن تلخيص الدلائل التي تتفق وهذه النظرية فيما يلي :

أ ـ ان خلايا اللوكيميا غير ناضجة وغير طبيعية مشابهة تماما الخلايا السرطانية .

ب ـ توالد هذه الخلايا يبدو بلا هدف ويصعب على الجسم السيطرة عليه او تنظيمه .

هـ ـ خلايا اللوكيميا تغزو الاعضاء غير الدموية وتعرقل وظائفها المختلفة .

د ـ وجود كروموسومات شاذة داخل خلايا اللوكيميا يتفق مع طبيعتها غير الحميدة .

النظرية الثانية

تربط بين اللوكيميا وبين انواع معينة من الفيروسات ، ورغم تمكن فريق من العلماء من احداث هذا المرض في الفئران والقوارض السليمة بواسطة تلك الفيروسات الا أن الدور الذي تلعبه هذه الفيروسات في احداث اللوكيميا عند الحيوانات لا يزال مجهولا .

وتستجيب كل خلية لهذه الفيروسات بطريقة مختلفة عن الاخرى فبعض هذه الخلايا تقضي على الفيروس قضاء تاما . والبعض الآخر يتحول الى خلايا لوكيمية .

أما في لوكيميا الانسان فقد فشلت كل المحاولات لايجاد اى ناقل معد لهذا المرض . ولكن العالم بيركت (Burkett) وجد في عام ١٩٦٢ أن السركوما اللمفاوية (اى السرطان المفاوى) منتشرة بصورة وبائية في بعض مناطق وسط افريقيا .

وبما انه يمكن الربط بين هذا المرض وبين اللوكيميا ، فان هذه الملاحظة تزيد من احتمال وجود هذا العامل المعدى .

النظرية الثالثة

كانت وليدة دراسات مستفيضة عن شذوذ الكروموسومات عند مرضى اللوكيميا . وتحاول هذه النظرية ايجاد عامل وراثي مسبب لهذا المرض . ورغم انه قد يصاب اكثر من فرد بهذا

المرض في بعض الاسر الا انه من غير المعروف ان الأمهات المصابات باللوكيميا ينجبن اطفالا مصابين بهذا المرض عند ولادتهم . كذلك فانه رغم تعدد حالات اللوكيميا الخلقية عند الاطفال (أى الاطفال الذين يولدون وهم مصابون بهذا المرض) فانه لم يثبت ان اما واحدة لهؤلاء الاطفال كانت تشكو من اللوكيميا .

ومن المعروف أن بعض شذوذ الكروموسومات يكون مصحوبا بأمراض خلقية كالمنغولية Mongolism حيث يوجد كروموسوم زائد عن العدد الطبيعى وأن استعداد المنغولى للاصابة باللوكيميا يصل الى حوالى عشرين مرة استعداد الشخص العادى . وبما أن حالات اللوكيميا الجذعية النخامية المزمنة تتميز هى الاخرى بوجود شذوذ كروموسومى داخل الخلية اللوكيمية ويدعى كروموسوم فيلادلفيا ، فانه يمكن القول بأن سبب كل من اللوكيميا والمنغولية يرجع الى الشذوذ الكروموسومى المذكور .

النظرية الرابعة

ليس هناك شك في أن التعرض لكميات كبيرة من الاشعاع يمهد لمرض اللوكيميا عند بعض الاشخاص . وتأكيدا لهذا كانت نسبة الاصابة باللوكيميا مرتفعة جدا بين الأحياء الذين نجوا من التفجير الذرى في هيروشيما خصوصا بين القريبين من مركز التفجير . كذلك فان المعرضين للاشعة كالعاملين في هذا الحقل والمرضى الذين يعالجون بالاشعة هم اكثر من غيرهم تعرضا للوكيميا . ويعتقد البعض أن تعرض الجنين داخل الرحم للاشعاع قد يسبب اصابته بهذا المرض نتيجة احداث شذوذ في الكروموسومات .

وهناك عوامل أخرى اتهمت بأنها مرسبة لمرض اللوكيميا مثل التقيحات Sepsis واستعمال المضادات الحيوية كالكلورامفنيكول والفينيل بوتازون. ولكن هذه العوامل لا تبرز كثيرا في تاريخ مرض اللوكيميا. وبما أن التكوين الجسمانى كالطول والوزن عند المرض يكون عادة طبيعيا فان احتمال وجود عامل غذائي مسبب لهذا المرض أمر مستبعد .

اللوكيميا الحادة

تصيب اللوكيميا الحادة الكبار والصغار على السواء وقد تكون من أحد الانواع الثلاثة السالفة الذكر . وتتميز اللوكيميا أحادية النواة الحادة عن غيرها بأنها نادرة نسبيا وتصيب الكبار فقط كما انها تحدث تضخما في اللثة وتقيحات ملتهبة في غشاء الفم المخاطى .

ومن الاحصائيات اتضح أن اصابة الاطفال باللوكيميا الحادة تكثر عادة في السنين الخمس الاولى من عمرهم وان الذكور اكثر تعرضا لها من الاناث .

ورغم تشابه حالة المريض الكلينيكية في كل الانواع الا انه من المستحسن معرفة نوع اللوكيميا للتنبؤ بمدى استجابته للعلاج . فمثلا من الاسهل الحصول على فترة مهاودة في اللوكيميا اللمفاوية عنه في اللوكيميا الجذعية النخامية .

أعراضها

ان الاعراض المختلفة للوكيميا الحادة تستوجب من الطبيب استبعاد هذا المرض الخطير بعمل فحص دم على الاقل في معالجة اية مشكلة مرضية . ولقد نتج عن التهاون في هذا الامر تعريض بعض مرضى اللوكيميا لعمليات جراحية لم يكونوا بحاجة اليها مثل عملية استئصال اللوزتين بسبب تضخم مطرد في حجمها او عمليات استكشاف بالبطن نتيجة التهابات بغدد المساريقات اللمفاوية Mesenteric Adenitis .

وأهم أعراض اللوكيميا الحادة في الكبار هى : توعك ، ارتفاع في درجة الحرارة ، آلام في العظام والمفاصل ، نزيف والتهابات بالفم والحنجرة . وقد يتضخم الطحال والغدد اللمفاوية لدرجة بسيطة أو متوسطة خصوصا في اللوكيميا اللمفاوية.

أما في الاطفال فاهم الظواهر المرضية هى : ارتفاع في درجة الحرارة ، تضخم في الغدد اللمفاوية ، آلام بعظام الاطراف . كذلك تكثر الشكوى من النزيف في صورة فرفورية Purpura أو رعاف أو نزيف من اللثة .

اللوكيميا المزمنة

أولا : اللوكيميا الجذعية النخامية المزمنة

هذا المرض يصيب الانسان عادة بين سن الاربعين

والخمسين كما أنه يصيب الذكور والاناث على السواء . والخلايا المصابة تكون عادة الخلايا البيضاء الحبيبية Granulocytic Series خصوصا الخلايا المشكلة النوى Polymorphs . وتضخم الطحال هو العرض المميز لهذا المرض واحيانا يكون العرض الوحيد . اما تضخم الغدد اللمفاوية واستعداد المريض الزائد للنزيف فليس من الصفات المعروفة كثيرا في هذا المرض خصوصا في مراحله الأولى . وينتهى هذا المرض عادة بصورة حادة تودى بحياة المريض . وكما ذكرنا تتميز اللوكيميا الجذعية النخامية المزمنة بوجود كروموسوم فيلادلفيا داخل الكريات الدموية البيضاء وخلايا النخاع فقط . وعدم وجود هذا الشذوذ الكروموسومى في خلايا انسجة الجسم الاخرى يرجح انه صفة مكتسبة وليست وراثية او خلقية .

ومنذ بداية هذا المرض يتراوح عمر المريض اقل من سنة الى عشر سنوات وفي المتوسط ثلاث سنوات .

ثانيا : اللوكيميا اللمفاوية المزمنة

هى اكثر انواع اللوكيميا المزمنة انتشارا وهى تصيب الرجال اكثر من النساء وتظهر عادة بعد سن الاربعين . والعرض المميز لهذا المرض هو تضخم الغدد اللمفاوية مع تضخم بسيط او متوسط في حجم الطحال . واحيانا تظهر على المريض اعراض جلدية كالحكة والهربس المنطقى Herpes Zoster واصابة الجلد بخلايا لوكيمية كما انه يكون عرضه للالتهابات الرئوية المتكررة نتيجة انخفاض نسبة الجلوبولين Gamma - Globulin .

قد لا تسبب اللوكيميا اللمفاوية المزمنة اية أعراض مرضية وفي أحوال كثيرة يتم اكتشاف المرض بمحض الصدفة عند فحص دم المريض لسبب لا يتعلق باللوكيميا . ومثل هذا المريض لا يحتاج لاى علاج سوى مراقبته الى أن يظهر المرض أعراضا كزيادة حجم الغدد اللمفاوية والطحال أو الى أن يظهر تدهور متزايد عند فحص دمه كهبوط نسبة الهيموجلوبين . وقد يعيش مريض اللوكيميا اللمفاوية المزمنة لسنوات طويلة بدون حاجة الى علاج .

علاج اللوكيميا

ليس هناك علاج شاف معروف يقضي على اللوكيميا حتى الآن ولكن الهدف من العلاج المستعمل حاليا هو :

١ - السيطرة على المرض وادخاله في فترة مهاودة وذلك بارجاع كل من دم ونخاع المريض الى حالتهما الطبيعية . ويرجع الفضل في ذلك الى اكتشاف الادوية التى تحبط انقسام الكريات البيضاء المتزايد .

٢ - التغلب على الأعراض المرضية حتى يعيش المريض حياته بصورة طبيعية .

٣ - تفادى وعلاج المضاعفات التى قد تنشا عن المرض خصوصا الأنيميا والنزيف والالتهابات.

٤ - محاولة اطالة عمر المريض بقدر الامكان املا في أن تسفر الابحاث الجارية في هذا المجال عن علاج يقضي على هذا المرض . وبما أن استجابة اللوكيميا للعلاج تختلف من شخص لآخر فانه من الصعب تحديد طبيعة او مدة هذه الاستجابة عند أى مريض .

العلاج الاساسى

ومن أهم الادوية النوعية التى تستعمل في علاج اللوكيميا الحادة نذكر الفنكرستين Vincristine سيتوزين ارابنوسيد Cystosine Arabinoside ، ٦ ميركبتوبيرين 6 Mercapto - Purine اسباراجينيز Asparaginase ، هرمونات قشرة الكظر الستيرويدية Adreno Cortical Steroid Hormones ، والميثوتريكسيت Methotrexate .

واختيار النوع المناسب من الادوية المذكورة يتوقف على سن المريض وشدة المرض وقت تشخيصه . أما فترة مهاودة المرض فقد تستمر اياما أو شهورا أو سنوات .

وفي حالات اللوكيميا الجذعية النخامية المزمنة فيفضل استعمال دواء الميليران Myleran لقوة فعاليته وقلة مضاعفاته . كذلك تستعمل هرمونات قشرة الكظر الستيرويدية و ٦ - ميركبتوبيرين ، اما في حالة عدم استجابة المرض للادوية فيمكن اشعاع



جامع شندى .. احد المعالم البارزة في المدينة التي تكاد تخلو من المباني المرتفعة . اذ ان اغلب مبانيها تتكون من طابق واحد .

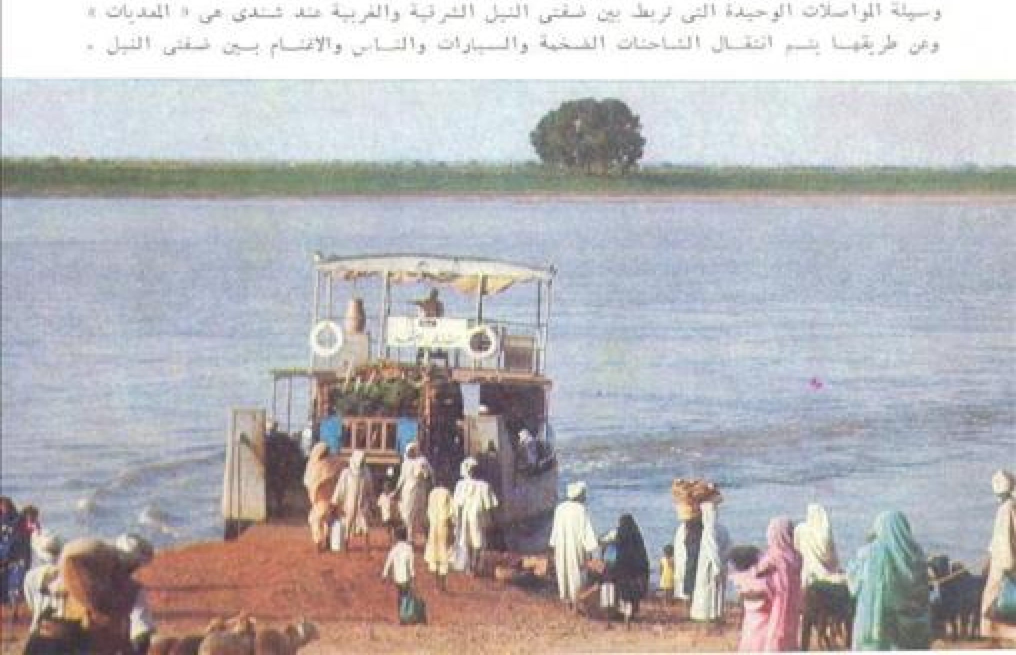
اعرف وطنك أيها العزيز

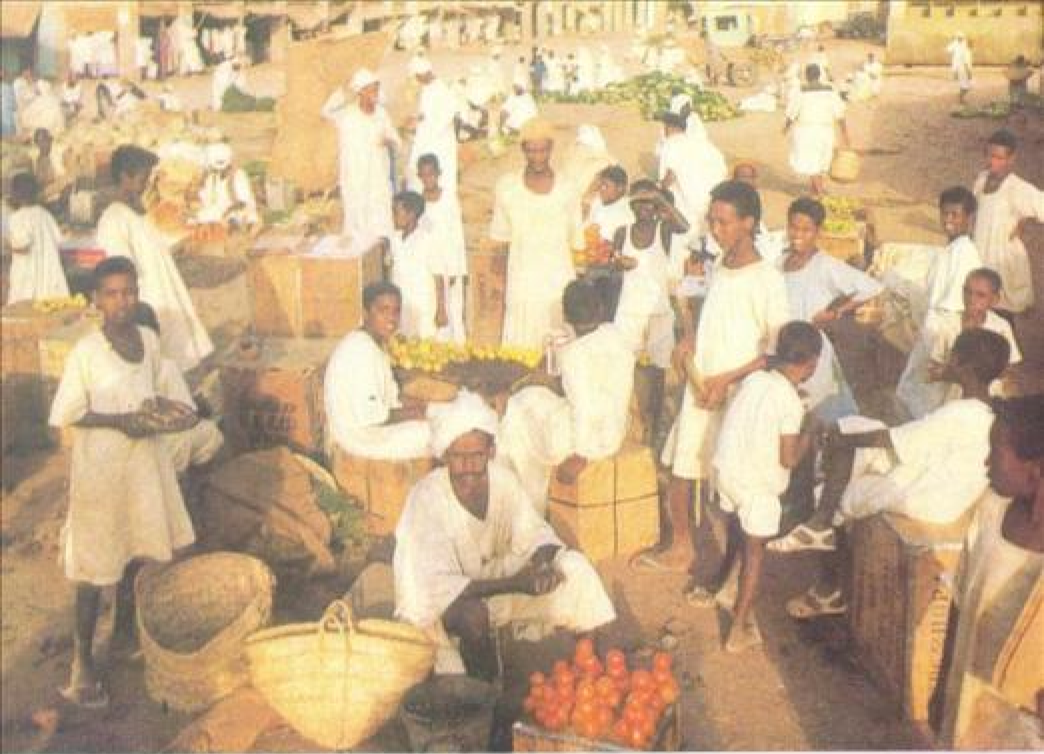
شَنْدي

مَدينة سُودانيَة لهَا في التَّاريخ مَجدٌ قَديم

استطلاع : **محمد طنطاوى** تصوير : **عبد الناصر شقره**

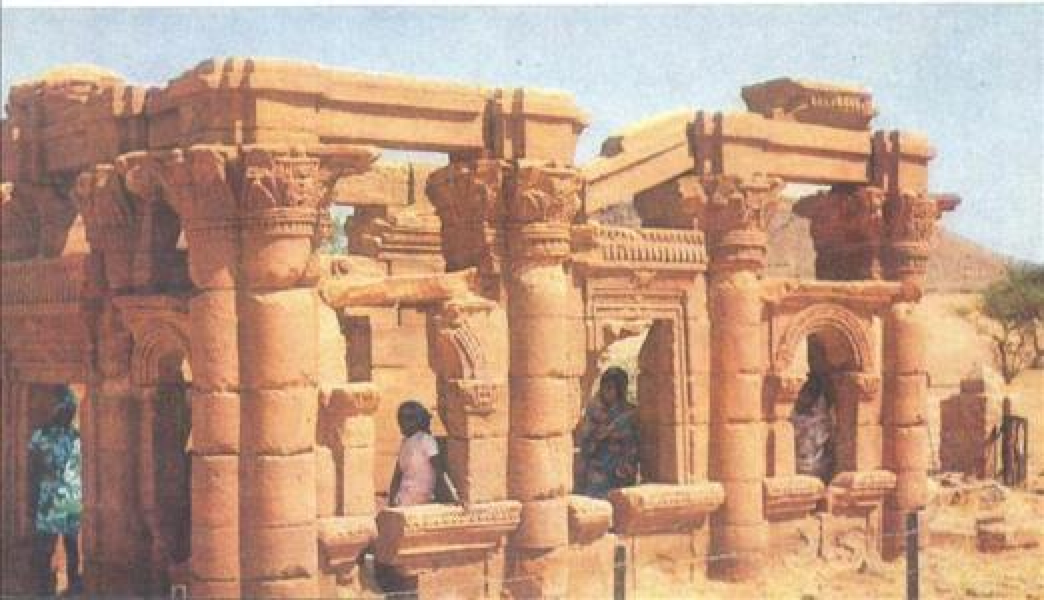
وسيلة المواصلات الوحيدة التي تربط بين شقتي النيل الشرقية والغربية عند شندي هي « المعديات » وعن طريقها يتم انتقال الشاحنات الضخمة والسيارات والناس والاغنام بين شقتي النيل .





سوق مدينة شندى ويقع في وسط البلدة وتباع فيه المنتجات الزراعية والخضراوات التى تأتى الى شندى من المزارع المحيطة بها . واسعار هذه المنتجات رخيصة بالنسبة لاسعارها في البلاد العربية الاخرى .

الكشك الرومانى في منطقة النقعة وهو بناء اثرى من الطراز الرومانى القديم لم يعرف تاريخه بعد الا انه من المرجح ان يكون قد اقيم في اوائل القرن الثانى بعد الميلاد ، وهذا البناء الاثرى بالذات قد طبعت صورته على ظهر العملة السودانية الورقية من فئة الجنيه .



■ تاريخ السودان ، تاريخ قديم عريق .. وقد أثبتت الحفريات الاثرية وجود حضارات يعود تاريخها الى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد . والمنطقةالتى قامت فيها المدنيات الاولى للسودان تقع في اقليم دنقلا وحلفا ، وهى منطقة محدودة ، فالزراعة محصورة في شريط ضيق على شاطىء النيل ولذلك بدات هجرة الناس الى الجنوب ، وبدات هذه الحضارات القديمة تمتد جنوبا حتى شملت منطقة « شندى » التى تعتبر الآن من اغنى المناطق الاثرية في السودان .. وظهرت في هذه المنطقة حضارة تعرف بالحضارة المروية نسبة الى عاصمتها مروى (قرية البجراوية الآن) .

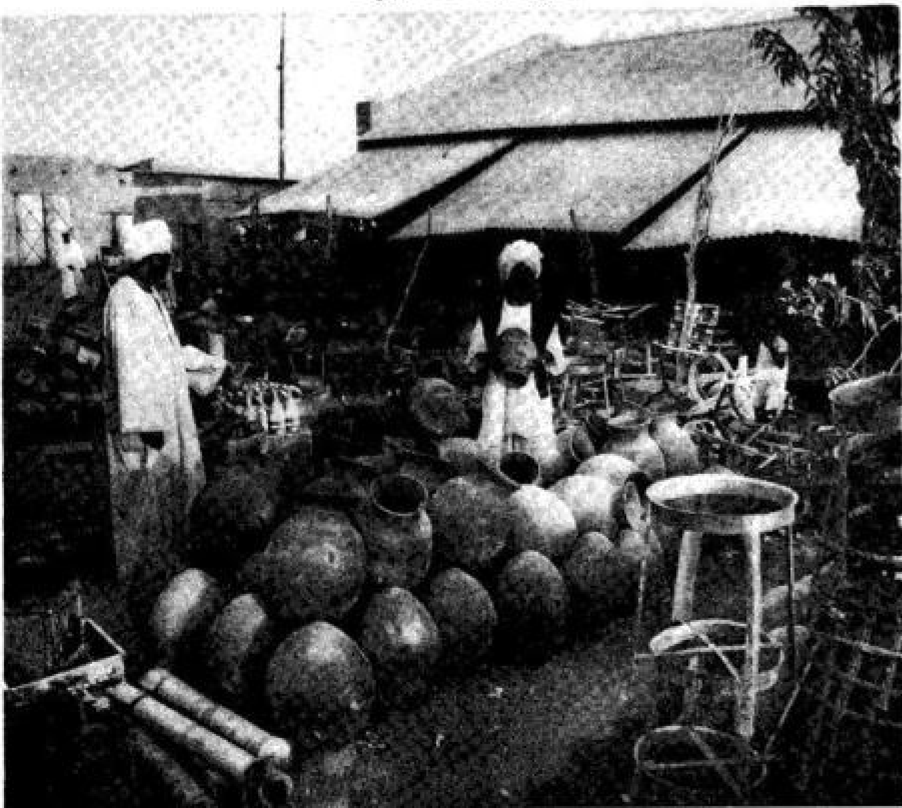
فى الطريق الى شندى

والطريق من الخرطوم الى شندى طريق وعر يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ كيلو متر يقطعها قطار



منطقة شندى مترامية الاطراف وتضم اكثر من ٢٠٠ قرية ، ووسيلة المواصلات بين هذه القرى والمدينة هى هذا الاوتوبيس المفتوح والاوتوبيسات هناك مزدحمة دائما بسبب قلتها ووعورة الطرق..

تنتشر في شندى صناعات صغيرة بيئية .. ومن أهم هذه الصناعات الصغيرة صناعة «الأزيار» الفخارية. ويقبل على شرائها سكان المنطقة المحيطة بالمدينة وهى تتميز بلونها الاسود ويقولون انها تعطى لماء الشرب نكهة خاصة مميزة .



السكك الحديدية في أكثر من ست ساعات يمر فيها بصحارى واسعة على مدى البصر .. ورحلة القطار من الخرطوم الى شندى هي ٦ ساعات من العذاب .. التراب يملأ ممرات الركاب حتى يكاد يمنعهم من التنفس وعندما يتحرك القطار يسير نحو خمس عشرة دقيقة أو أكثر قليلا ثم يقف في محطة من المحطات الصغيرة التى لا ترى فيها أثرا للحياة سوى عدة منازل لا تزيد على أصابع اليد الواحدة متناثرة حول رصيف المحطة ..

قبائل رحل ، وقبائل مستقرة

ومنطقة شندى منطقة مترامية الاطراف تبلغ مساحتها ٤٣٨٧٢ كيلومترا مربعا ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٢٥٠ الف نسمة حسب آخر تعداد رسمى (عام ١٩٥٦) وتضم منطقة شندى أكثر من ٢٠٠ قرية يقيم فيها أكثر من ٨٠٪ من عدد سكان المنطقة .

اما بقية السكان فهم عرب رحل أو شبه رحل يعتمدون في معيشتهم على تربية المواشي وعلى الزراعة المطرية .. وأهم القبائل المتنقلة التي تقيم في منطقة شندى هي الحسانية والفادنية والعالياب .

أما أهم القبائل المستقرة في المنطقة فهم الجعليون والشايقية . وسكان مدينة شندى وهي المدينه التى أطلق اسمها على المنطقة المحيطة بها يبلغ تعدادهم ١٦٥٠٠ نسمة حسب الاحصاء الرسمي الاخير اما حسب تقدير المسئولين في المجلس البلدى فانه يصل الآن الى حوالي ٢٢ الف نسمة .

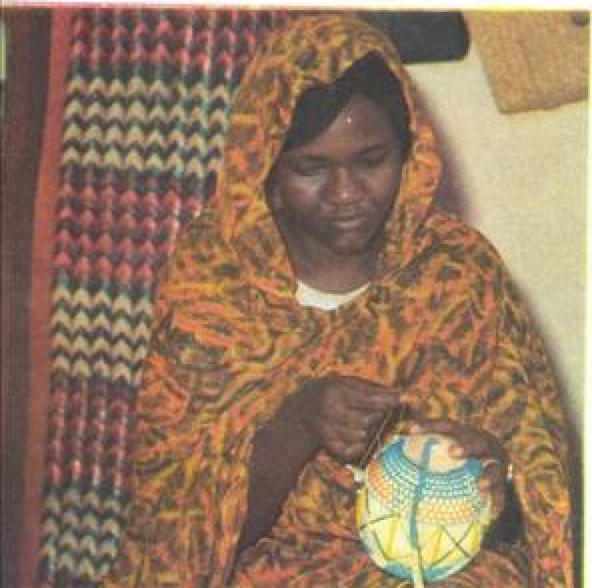
بلدة تاريخية

وشندى بلدة صغيرة ، ولكنها مشهورة في تاريخ السودان قديمه وحديثه .. وهي تكتسب أهميتها الآن بوصفها اقرب مدينة تجد القبائل الرحل في أسواقها مجالا للتجارة ، ببيعون ويشترون ..

في قلب سوق مدينة شندي وقف هذا الفتى وهو من قبيلة الجعليين يناول جمله غذاءه بيديه .. وغذاء الجمل يتكون من الذرة الرفيعة الحمراء اللون ..



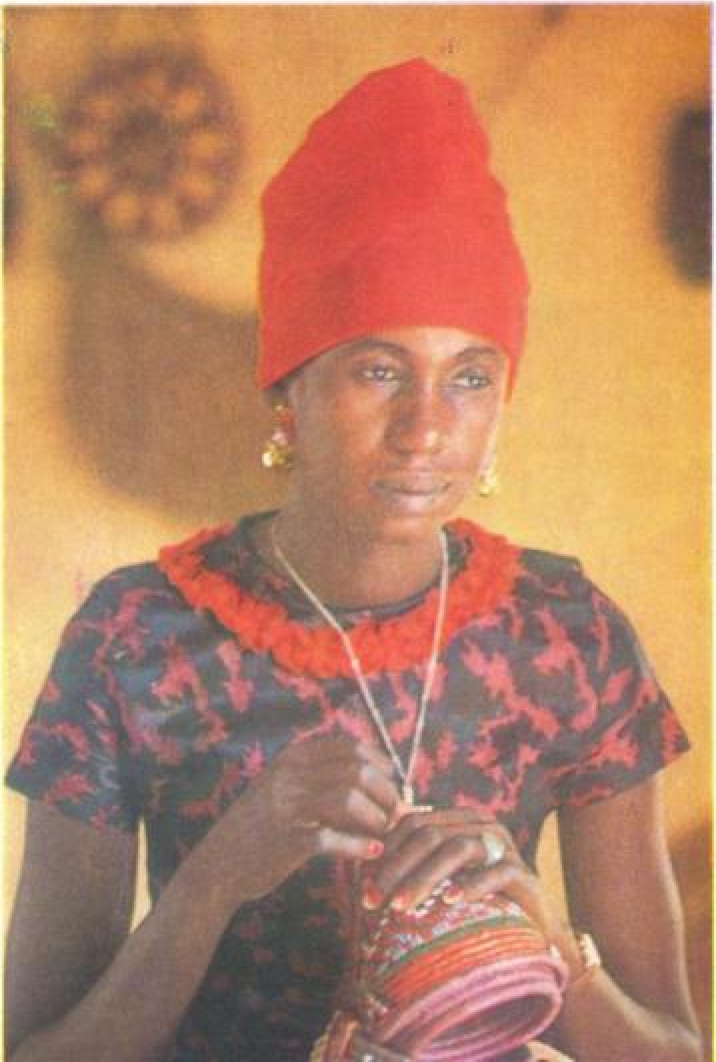




في المركز القومي للتنمية الاجتماعية يتم تدريب الباحثات الاجتماعيات اللواتي يأتين من جميع مديريات السودان على الصناعات اليدوية الريفية التي تتوفر صناعاتها في مختلف القرى السودانية وذلك حتى يتمكن من تدريب سيدات القرى على مثل هذه الصناعات التي تؤدي الى زيادة دخل الاسرة ورفع مستواها الاجتماعي والاقتصادي .

باحثتان اجتماعيتان من قبيلة الجعليين التى تقطن منطقة شندى تتدربان على بعض الاعمال اليدوية في المركز القومي للتنمية الاجتماعية .





من جنوب السودان ومن المديرية الاستوائية بالذات جاءت هذه الباحثة الاجتماعية لتتلقى دروسا خاصة بالتنمية الاجتماعية وما يتعلق بها وهى تمضي ١٠ شهور في المركز القومي للتنمية الاجتماعية ثم تعود بعدها الى مديريتها حيث تقوم بخدمة مجتمعها لتطبق ما تلقته من مهارات ونظريات اجتماعية .

يبيعون الجمال والاغنام ويشترون الذرة والماكولات والاقمشة ..

وشندى هي البلدة التي يقصدها السياح الذين يريدون زيارة آثار السودان التاريخية والتى تقع على مسافات قريبة من المدينة لا تتعدى الستين كيلو مترا .

وتعتبر المدينة الآن مركزا من مراكز الاشعاع الاجتماعي والحضارى بالنسبة للريف السوداني كله ، فمنذ عام ١٩٦٠ افتتح هناك المركز القومي للتنمية الاجتماعية الذى انشأته وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع هيئة اليونسكو ، والغرض منه اعداد مرشدين اجتماعيين للعمل على رفع مستوى المجتمع الريفي من جميع النواحي الاقتصادية والثقافية والصحية .



٣ من أهالي القليعة يقومون ببناء مدرسة للقرية .. ان كل واحد من أهل هذه القرية قد شارك في وضع حجر في هذا البناء

الاهالي يساهمون في نهضة بلدهم

ومدينة شندى هى في الواقع مثال لكل المدن

مجموعة من الفتيات السودانيات اللواتي يقضين دورة تدريبية في المركز القومي للتنمية الاجتماعية في شندى لقد اتين من جميع مديريات السودان وهن يعشن في قسم داخلي ملحق بمبنى المركز وفي الصورة بعض هؤلاء المتدربات يتناولن غداءهن في مطعم المركز .





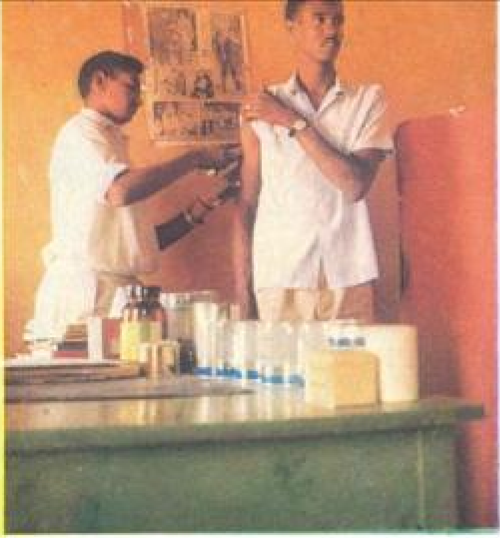
اجتماع لمجلس قرية القليعة نظمه المرشد الاجتماعي بها ، وحضرته المرشدة الاجتماعية واعضاء المجلس لمناقشة مشروعات العون الذاتي التي يقوم بها الاهالي على نفقتهم لرفع مستوى معيشتهم .

الصغيرة في شمال السودان ، فبالرغم من انخفاض مستوى المعيشة وعدم وجود مصانع أو شوارع ممهدة ، أو مطاعم حديثة أو فنادق مريحة الا ان هناك احساسا بين المسئولين عن شئون المدينة من موظفي الادارات الحكومية المختلفة بضرورة القضاء على كل نواحي التخلف ، والعمل على رفع مستوى المعيشة بين السكان عن طريق استغلال الامكانيات الطبيعية للمنطقة . ويشارك هؤلاء المسئولين في شعورهم ابناء البلدة انفسهم والذين بدأوا يترجمون احاسيسهم واشواقهم نحو التقدم ترجمة عملية بانشاء صناعات حديثة في المنطقة ..

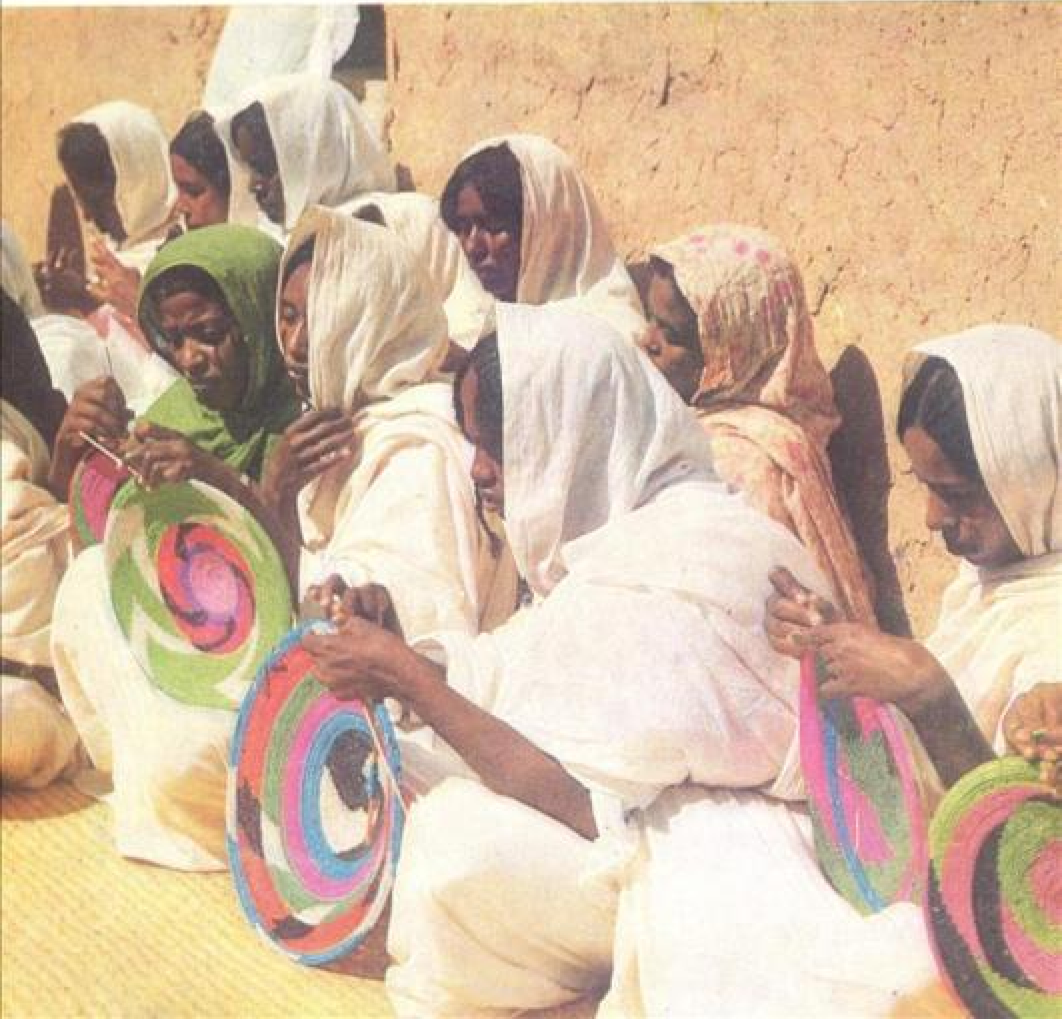
مصنع الكمال !

ومن ابرز أمثلة المساهمة الشعبية في هذا المجال هو مشروع مصنع نسيج « الكمال » .. وهو المصنع المكني الوحيد في المنطقة،والذى يقوم بانتاج اقمشة الأثواب الملونة التي ترتديها الفتيات السودانيات ويعتبر الزي القومي للفتاة السودانية. ولهذا المصنع قصة طويلة نترك سردها لبطلها كمال الدين احمد ، وهو صاحب المصنع ومؤسسه :

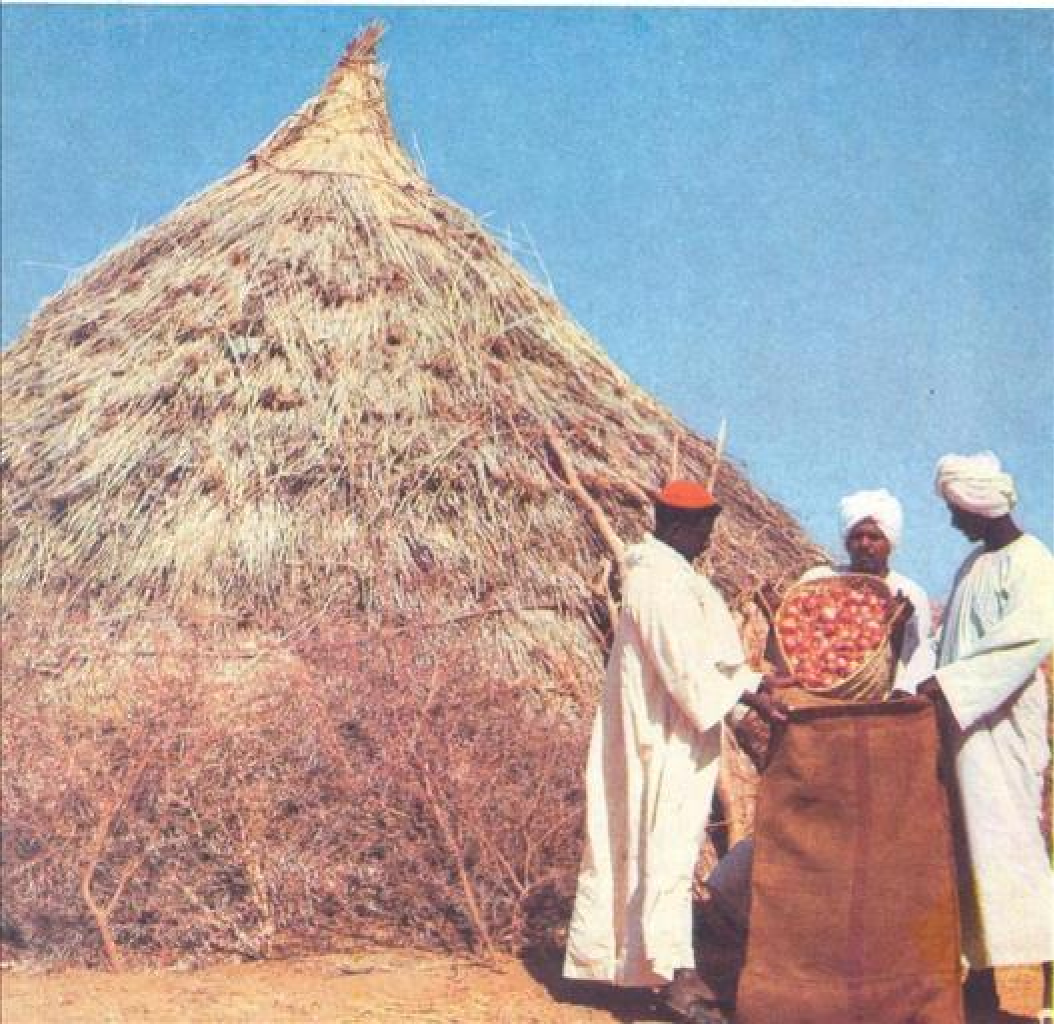
« منذ عام ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٤٣ ، كنا مجموعة من التجار من أهالي قرية النوراب التى تبعد عن شندي حوالي ٣٠ كيلو مترا على الضفة الغربية من النيل ، وقد مارسنا تجارتنا في مدينة كسلا ولكن كانت هناك فكرة تراودني دائما ، وهي العودة الى بلدي الصغير وانشاء مشروع صناعي فيها للعمل على رفع مستوى أهالي هذه المنطقة الذين يزيد عددهم عن ٥٠ الف نسمة .. وبدأت احلم بانشاء مصنع للنسيج في قريتي « النوراب » وعرضت المشروع على زملائي التجار ، فرحبوا به في البداية ولكن بتكرار الاجتماعات والدراسة تخلوا



٤ صور من قرية القليعة تبين أوجه التقدم التى تحققت في القرية نتيجة جهود باحث وباحثة في اقامة نظام تعاونى بين سكان القرية .. **الصورة العليا الى اليمين** عيادة طبية تقوم بخدمة اهل القرية ؛ **والصورة السفلى** سيدات القرية يقمن ببعض الاشغال اليدوية التقليدية التى تدر عليهن دخلا اضافيا ، **والى اعلى اليسار** العيادة البيطرية المتنقلة التى تشرف على رعاية الثروة الحيوانية في المنطقة ، **والى اسفل اليسار** مخازن محصول البصل والتى يستخدمها اهل القرية كلهم في تخزين محصولهم .







جميعا عن المشروع بحجة ان القرية بعيدة عن العمران وليس هناك طرق صالحة تؤدى اليها .. ولم اكن في وضع يسمح لي بان أقوم بتحقيق حلمي وحدي وتركت كسلا وذهبت الى ام درمان ، ومنها ذهبت الى القاهرة حيث عملت في الاستيراد والتصدير ، واستطعت ان اجمع بعض المال وعدت احلم من جديد بالمصنع في قرية النوراب ، واستطعت في عام ١٩٥٠ ان احقق حلمي بانشاء المصنع بآلات يدوية .. وبعد عشر سنوات أي في عام ١٩٦٠ تحول المصنع الى مصنع مكنى مزود باحدث آلات النسيج ، وبمحطة كهرباء تمده بالقوى الكهربائية اللازمة لادارة الآلات ، واصبح انتاجه حوالي ٧٥٠ الف متر في العام الواحد .. ومع دخول الصناعة الى هذه المنطقة قلت هجرة ابنائها للبحث عن العمل واصبحت هناك كهرباء في القرية، وبجزء من ارباح المصنع بنيت مستشفى مركزيا جديدا تكلف ٧٠ الف جنيه ، وتبرعت بمبلغ ١٠ آلاف جنيه للمساهمة في انشاء طريق ممهد يربط بين أم درمان والفضلاب غرب ، وهو مشروع يحيى عددا كبيرا من قرى الضفة الغربية للنيل التي تعاني من الاهمال بسبب وعورة مواصلاتها .. » .

اهتمام بالزراعة والثروة الحيوانية

وكما يعمل الأهالي من جانبهم على النهضة ببلدهم فان الحكومة السودانية تقوم الآن بتنفيذ مشروعات كثيرة للنهضة بمنطقة شندى كلها .. ومن أهم المشروعات الحكومية مشروع استصلاح الاراضي وزراعتها ببساتين المانجو والموالح . وهناك الآن ٢٤ الف فدان مقسمة الى ٤ قطع كل قطعة منها ٦ آلاف فدان تقوم الهيئات الزراعية الحكومية بزراعتها بالمانجو مستعملة في ذلك احدث الطرق العلمية . وفي نفس الوقت يقوم تفتيش الزراعة في منطقة شندى بتشجيع الاهالي على زراعة الفواكه فيمدهم بالشتلات باسعار اسمية والارشادات مجانا . ونتيجة لذلك بلغت مساحة الاراضي المنزرعة فواكه في المنطقة حوالي ٥٠ الف فدان .

وتهتم الحكومة السودانية بالثروة الحيوانية في منطقة شندى . ولما كانت المنطقة واسعة ، وبها عدد من القبائل الرحل ، فان الاحصائيات الدقيقة عن اعداد الثروة الحيوانية غير متوفرة ، ولكن الارقام التقريبية تقول ان في شندى حوالي ٣٠ الف راس من الابقار ، و ١٠٠ الف راس من الاغنام ، و ١٥ الف راس ماعز وحوالي ٦ آلاف من الجمال .

ويتم تصدير ٢٧ الف راس من الاغنام سنويا الى السعودية ، وحوالي ٢٠٠٠ جمل الى الجمهورية العربية المتحدة . وكذلك عدد كبير من الابقار .

المركز القومى للتنمية الاجتماعية ودوره في الريف السودانى

يقطن أكثر من ٩٠٪ من الشعب السوداني خارج المدن ، وتوجد في المساحات الواسعة خارج المدن عادة اماكن متخلفة تعاني من الثالوث الرهيب الجهل والفقر والمرض ، علاوة على سوء استغلال الطاقات والموارد الطبيعية . ومن هنا نشأت اهمية الدور الذى يلعبه المركز القومى للتنمية الاجتماعية في شندى والذى يقوم باعداد المرشدين الاجتماعيين وتدريبهم حتى يصبحوا قادرين على تحريك المجتمعات المتخلفة وتنظيمها لتغير من طرق حياتها التقليدية ، ولتستغل الطاقات والامكانيات المعطلة .

تدريب المرشد الاجتماعي

ويتحدث السيد النور عبد السيد النور مراقب المركز عن دور المركز في اعداد المرشدين الاجتماعيين فيقول « ان المركز يهدف الى تزويد الدارسين بالمعلومات وشتى وجوه الخبرة والمهارة في فترة الدراسة وهي تستمر ١٠ شهور وتنقسم الى ثلاث مراحل.. المرحلة الأولى للدراسة النظرية ويتلقى فيها الدارس ١٨ مادة تتعلق بفن التنمية الاجتماعية وما يتصل بها من خدمات فنية كالبيطرة والتعاون والزراعة بالاضافة الى ما يتخلل هذه المرحلة من تدريب على بعض الخبرات والمهارات كالوسائل السمعية والبصرية والصناعات الريفية اليدوية .

اما المرحلة الثانية فهي مخصصة للعمل الميداني للتدريب على كيفية تطبيق النظريات التي درسها المرشدون في المرحلة الأولى .

وتتناول المرحلة الثالثة فن البحث الاجتماعي .

ويقبل المركز في كل عام دفعة من ٣٠ باحثا او باحثة اجتماعية ، كلهم مختارون من بين مدرسى المدارس الابتدائية في مختلف مديريات السودان . ويشترط في كل واحد منهم ان يكون قد امضى

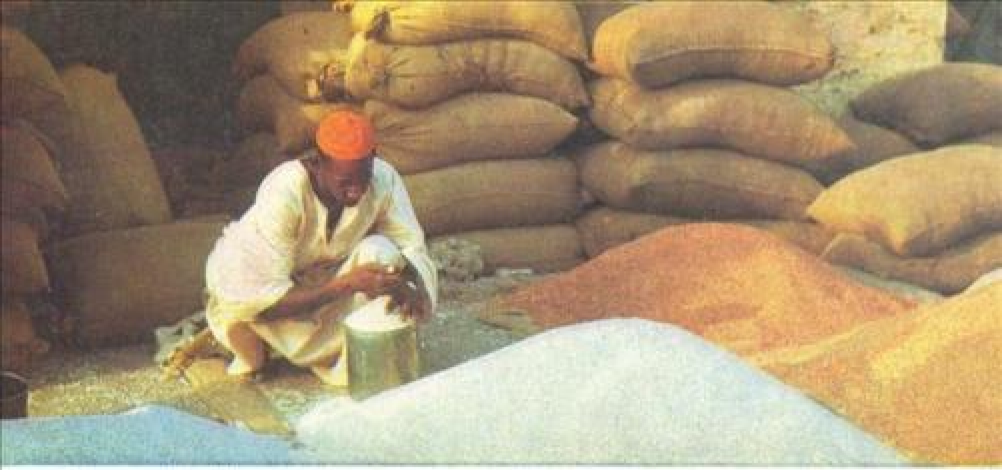


بئر بناجة .. اسم بئر ماء في صحراء شندي حيث تتجمع القبائل الرحل لتسقى اغنامها ومواشيها وابلها ثم يملأون قربهم الجلدية بالماء لتقيهم عطش الصحراء اثناء تجوالهم المستمر في الصحارى الواسعة التى يستغلون اعشابها كمرعى لاغنامهم .

في التدريس بالمدارس الابتدائية في انحاء السودان المختلفة مدة لا تقل عن ٥ سنوات .

الجعليون والشجاعة !!

وتتميز قرى منطقة شندي بطابع خاص ، فاغلب سكانها من قبائل الجعليين أو الشايقية،وقد قامت بعثة العربي بزيارة لقرية صغيرة تسمى القليعة وتبعد ١٠ كيلو مترات عن مدينة شندي . وهذه القرية بالذات كل سكانها البالغ عددهم ١٢٠٠ من الجعليين ، والجعليون قبيلة عربية لا تزال تحتفظ بتقاليدها القديمة واعتدادها بالنفس ولا يزالون يتناقلون قصة الرجل الجعلى الذى تهشمت ساقه تهشما تاما واضطر الطبيب العربي الى بترها في مكان الحادث لانقاذ حياته فلم تصدر من فمه صرخة



الذرة الرفيعة محصول رئيسي يعتمد عليه اهل السودان كغذاء اساسي وهناك انواع متعددة الالوان من هذا المحصول فهناك ذرة صفراء واخرى حمراء وثالثة بيضاء ناصعة البياض ورابعة ذات لون ابيض يميل الى الصفار قليلا .

مصنع الكمال للنسيج يمثل المساهمة الشعبية لرفع مستوى المعيشة في منطقة تندى اصدق تمثيل وقد اقيم هذا المصنع في قرية بعيدة عن العمران وبعد نجاحه تحولت القرية التي كانت شبه مهجورة الى قرية نموذجية تضم مستشفى ومدارس وتضاء بالكهرباء .





تمتاز المنطقة المحيطة بشندى بخصوبة اراضيها وصلاحيتها لزراعة الفاكهة وفي الصورة مزرعة مانجو نموذجية يشرف عليها تفتيش الزراعة ، وتبلغ مساحة الاراضي المزروعة بالفواكه في منطقة شندى اكثر من ١٥٠ الف فدان .

تأوه واحدة أثناء عملية بتر ساقه وزغردت النساء تحية لشجاعته . فلما سمع الزغردة اصر على أن يقوم الطبيب ببتر ساقه الأخرى تدليلا على شجاعته وتحمله للآلام !! .

التطور الاجتماعي يتم بمعونة الأهالي

وفي قرية القليعة يقوم مرشد اجتماعي ومرشدة اجتماعية بالاشراف على تطوير القرية .. وقد روى لنا المرشد الاجتماعي انه بدأ عمله والبلدة ليس فيها من مرافق الحياة الحديثة أي شيء .. ولم تمض على وجوده سنتان الا والقرية فيها مدرستان ابتدائيتان واحدة للبنات والاخرى للبنين، وانشئت فيها جمعية تعاونية ، ودخل التليفون الى القرية لأول مرة ، كما دخلتها المياه النقية ، وانشأت الجمعية التعاونية محلا للجزارة ، وأخيرا أنشيء فيها أيضا مركز للاسعافات السريعة يشرف عليه مضمد من وزارة الصحة ويزوره أحد الأطباء مرة في الاسبوع .

كل هذا تم بمعونة الأهالي وبتعاونهم وبواسطة توجيهات المرشد الاجتماعي لهم .

أما المرشدة الاجتماعية فقد قامت بتعليم نساء القرية الصناعات اليدوية والخياطة ، والتدبير المنزلي ، واستطاعت بعد صبر طويل أن تقضي على كثير من العادات القديمة كالاعتقاد بالسحر والشعوذة والزار .. وانشأت أيضا فصلا لمحو امية النساء كبيرات السن .

ويقول أحد سكان القرية عن هذه النهضة : « انها ليست الا البداية بعد ان لمسنا مدى ما نستطيع أن نحققه عن طريق تعاوننا » .

معبد الاله آمون في منطقة المصورات الصفراء، وقد ظهرت على جدرانه رسومات تشبه تماما تلك الرسومات التي توجد على الآثار والمعابد الفرعونية القديمة الموجودة في مصر .



في الطريق الى الآثار القديمة

تعتبر منطقة شندي من أهم المناطق الأثرية في السودان كله كما ذكرنا ، وعلى بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا من جنوب شرق المدينة تقع منطقة « المصورات الصفراء » وكانت تعتبر في عهد المملكة المروية القديمة مكانا مقدسا يحج اليه كل ابناء السودان .

والطريق الى المصورات الصفراء طريق وعر غير ممهد يمر وسط أشجار الشوك والأعشاب البرية .. ولا يصلح للسير فيه سوى عربات «اللاندروفر» وعندما ركبنا السيارة كنا نتوقع ان لا تستغرق الرحلة أكثر من ساعة للوصول الى منطقة الآثار .. ولكن يبدو اننا كنا متفائلين أكثر من اللازم .. فقد استغرقت الرحلة أكثر من ساعتين ونصف بسبب وعورة الطريق وعدم وضوح ملامحه .. ووصلنا الى السياج الأعظم وهو قصر الملك ومعبد الاله آمون ، وقمنا بزيارة معبد الأسد (أبدماك) اله الحرب عند قدماء السودانيين ، وقد أعيد بناء هذا المعبد في الفترة ما بين عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعود تاريخه الى عهد الملك المروى ارنخاماني في عام ٢٢٥ ق.م ويعتبر أول معبد بني لتقديس الاله « أبدماك » ..

وفي هذه المنطقة توجد مجموعة من التماثيل وصور الأفيال التي تدل على أنها كانت منطقة غنية بالحيوانات المتوحشة مثل الأفيال والأسود .

بئر بناجه .. وبئر الترك

بعد أن قمنا بزيارة معبد آمون ومعبد الأسد ، عدنا مرة أخرى الى السيارة اللاندروفر والى الطريق وسط أشجار الشوك .. والأعشاب . وذلك لزيارة منطقة أثرية أخرى تسمى منطقة النقعة . وفي الطريق شاهدنا وسط الصحراء تجمعا كبيرا لعدد من رجال القبائل الرحل مع مواشيهم وجمالهم واغنامهم .. لقد اجتمعوا جميعا حول بئر تسمى بئر بناجه وبدأوا يدلون



واحد من اهرامات منطقة البجراوية (مروى القديمة) وهذه الاهرامات هى التى دفن فيها الملوك والملكات الذين حكموا المنطقة عام ٢٥٠ ق.م حتى عام ٣٢٠ م .

قربهم الجلدية الى البئر ويشدونها بواسطة حمارين لتخرج مليئة بالماء الذى يحمل لهم ولحيواناتهم الحياة .. وفي النقعة شاهدنا معبد آمون الذى بناه الملك « تنك اماني » والملكة اماني تارى في عام ١٢ ق.م .

وشاهدنا بناء أثريا من الطراز الروماني القديم، وهو البناء المطبوعة صورته على العملة السودانية الورقية من فئة الجنيه ، ولم يعرف بعد تاريخ هذا البناء الا انه من المرجح أن يكون قد بنى في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ويعتبر مثالا للتأثير الروماني على الفن المروى القديم .

اهرامات البجراوية

وفي منطقة البجراوية (مروى القديمة) تقع اهرامات البجراوية الشهيرة في السودان .. وهذه الاهرامات تنقسم الى ٣ مجموعات رئيسية هي :

١) المجموعة الشمالية ودفن بها الملوك والملكات الذين حكموا المنطقة منذ عام ٢٥٠ ق.م حتى عام ٣٢٠ م .

٢) المجموعة الشرقية وتسمى باهرامات الوزراء وفي الحقيقة فهي مدافن الامراء والعائلات المالكة .

٣) المجموعة الجنوبية وهي أقدم مجموعة من هذه الاهرامات وقد دفن فيها الملوك الذين حكموا منذ عام ٢٧٥ ق.م وحتى عام ٢٥٠ ق.م .

وفكرة الاهرامات السودانية ماخوذة اصلا من اهرامات مصر الشهيرة .

شندى المستقبل

بعد ان شاهدنا الآثار التي تحيط بمدينة شندى وتتناثر في الصحراء . تبادر الى الذهن سؤال واحد محدد .. هو لماذا لا تستغل هذه المنطقة الغنية بالآثار سياحيا ؟! .

وعندما طرحنا هذا السؤال جاء الجواب المنطقي .. ان المنطقة في حاجة الى مشروعات أخرى ماسة وملحة وعاجلة وعندما تتم هذه المشروعات الحيوية من تمهيد طرق الى نهضة زراعية الى تصنيع الى تعليم سيصبح الباب مفتوحا لتحويل المنطقة الى بقعة يؤمها السياح من جميع انحاء العالم ..

وبعدها فقط ستعود شندى الى مجدها القديم .. ■■

محمد طنطاوى



الخدمة الاجتماعية

• تحتاج إلى علم أصيل وفن رصين

بقلم : خالص العياشي

■ ترتبط الخدمة الاجتماعية في أذهان الكثيرين بأعمال البر والاحسان ، وايتاء الصدقات ،وتقديم العون للمحتاج ، والمريض ، والعاجز واليتيم .

ويردد بعض الناس ان الخدمة الاجتماعية ليست مهنة ، ولكنها واجب انساني حثت عليه جميع الاديان ، ومارسه الانسان لمعاونة اخيه الانسان منذ بدء الخليقة .

ونسمع آخرين ينادون بان الخدمة الاجتماعية نشاط انساني يقوم به الانسان دونما حاجة الى اعداد او تخصص . فالآبـاء ، واعضـاء الاسرة الواحدة ، والاطباء ، والمعلمون ، ورجال الدين .. كل هؤلاء يقومون بدور ايجابي في خدمة المجتمع مع انهم لم يتدربوا على الخدمة الاجتماعية ، ولم يتمرسوا بفنونها في المدارس المهنية المعدة لهذا الغرض .

وفي راى هذا الفريق ان المعيار الصحيح الذى يمكن اتخاذه اساسا للتمييز بين الاعمال التى تعتبر من الخدمـة الاجتماعية ، والاعمال التى لا تعتبر كذلك ، انما هو الدافع من وراء العمل ، والنوايا التى ينطوى عليها .

وبمقتضى هذه النظرة اعتبرت الخدمة الاجتماعية « جهودا تنطوى على الاخلاص ، وتقوم على اسلوب منظم يوجه نحو الافراد الذين تأخر تقدمهم بسبب ضعف صحى ، او اضطراب في علاقاتهم العائليـة او الاجتماعية » .

ولا مراء في أن الدافع الذى يبعث المرء على اتيان الخير او اسداء النصح للغير ، هو الجوهر الحقيقى لكل عمل انسانى ، وهو الذى يضفى على هذا العمل قيمته الانسانية .

وما لم يثق الانسان الذى يتلقى العون من انسان آخر بأن معونته خالصة من الشوائب ، منزهة عن المآرب .. لا يستطيع ان يتقبل هذا العون . وعندما تضطره ظروفه لقبوله ، فاغلب الظن انه لن يفيد منه الفائدة المرجوة ولن يكون له في نفسه الاثر المستحب .

المساعدة بدافع المحبة

على ان توافـر الدوافع الطيبـة ، والنوايا الصالحة .. ليس هو كل ما يهم في التعامل مع اناس يتخبطون في مشاكلهم،ويتعثرون في خطاهم. فالمساعدة التى يسديها الوالد لولده ، او المعلم لتلميذه ، او الصديق لصديقه ، بدافع من المحبة والغيرة . يمكن ان يكون لها نفعها اذا ما كان الشخص المرغوب في مساعدته يتمتع بشخصية سوية . اى اذا كان ينظر للحياة نظرة ايجابية ، ويرغب في التعاون من اجل ايجاد حل للمشكلة التى يعانى منها ، ان كانت لديه مشكلة ما .

ولكن الملاحظ بوجه عام ، ان كثيرا ممن تستدعى احوالهم اسداء العون والنصح لهم ، هم اناس يعانون من اضطراب الشخصية . فالاشخاص الذين يتعذر عليهم التعامل مع غيرهم من الناس ، والشاكـون ، والمتهيبـون ، وغيـر المتعاونين ، وأولئك الذين يخرجون عن المألوف .. انما يعانون جميعا من سوء التوافق النفسي .

وامثال هؤلاء لن تنفع معهم نصيحة رائدهـا الصدق او معونة مبعثها الاخلاص وربما انقلبت النصيحة اساءة والمعونة مضرة بالنسبة اليهم .

ولنضرب لذلك مثلا بعربة اقودها بمهارة لانى بطبعى اتجاوب بسرعة ، كما أن نظرى سليم يميز



• وليدة عاطفة الخير يهديها السبيل فكر مستنير

الرؤية بوضوح ، فضلا عن كوني اتقن استخدام ادوات القيادة .. وكل هذا حسن وجميل طالما كانت العربة تسير دون ان يطرا عليها خلل ما . ولكن حينما يصاب احد اجهزتها بخلل ، لن يكون في وسعي الا القعود مكتوف اليدين ، حتى يهرع لنجدتي من هم اكثر مني خبرة في شؤون ميكانيكية العربة .

وهكذا الحال بالنسبة للعلاقات الانسانية . اذ قد تكفي النوايا الطيبة وحسن الادراك في التعامل مع شخص طبيعي وفي وضع سليم .

لكن قدرا كبيرا من الخلل يمكن ان يدب في نفوس البشر . وكلما كبر الخلل اشتدت الحاجة الى المعرفة والتخصص ، والى الخبرة والمهارة لعلاجه واصلاح امره .

وفي مقدورنا ان نذهب الى ابعد من ذلك ، فنؤكد بان الضرر كثيرا ما يصدر عن انسان خالص النية ، كريم المقصد . وبوسعنا ان نسوق هنا بعض الامثلة العملية على ذلك :

الخطأ من الحكم على الامور

قد تضيق زوجة شابة ذرعا بحياة الزوجية الجديدة عليها ، وتحس بانها قد خدعت ، وان زوجها لا يفهمها .. فتانس الى راى صديقة تزين لها هجر زوجها ، والسعي الى العمل مستقلة عنه وربما لا يمضي اكثر من اسبوع واحد ، حتى يكون الزوجان الشابان قد سويا خلافاتهما ، وصفا الجو بينهما .

وفي حالة كهذه ، لم يحدث ضرر كبير في الواقع ، اللهم الا ما يمس سمعة الصديقة ومكانتها ، ولكن من يدري ؟ فقد تتطور الامور الى اسوا من ذلك وتنتهي الى انفصال الزوجين عن بعضهما .

او لنفرض ان سيدة نقية السريرة ، هالها ما رات عليه منزل احد جيرانها من حيث قذارة غرفه ، وبؤس اهله .. فبذلت جهدها ونفوذها في ابعاد اطفال تلك الاسرة عن دارهم والحاقهم باحدى دور كفالة الاطفال .

ترى ؟ هل علمت تلك السيدة الخيرة ايهما اشد عذابا وايلاما للاطفال : بقاؤهم في مسكنهم الوضيع ، حيث المفارش المتسخة ، والوجبات الرخيصة ، وندرة وسائل اللعب .. ام عيشهم في جو تتوافر لهم فيه كل اسباب النظافة والعناية والترفيه .. بينما يبقون محرومين من عطف آبائهم وامهاتهم ، ودفء الحياة في بيوتهم ؟ ..

هنالك عشرات الامثلة للمواقف التي يمكن ان يخدع فيها الانسان ذو النوايا الطيبة ، والعواطف السخية ، ويخطئه الحكم على الامور .

ولهذا كان لا بد لمن يريد ان يتصدى لمهمة مساعدة الناس ان ينتحل الفكر العلمي في تناوله للمواقف الانسانية .

العاطفة .. رجل اعمى

وقد ساق لنا الفيلسوف الالماني « شوبنهاور » تشبيها طريفا في هذا المعنى ، يستند الى قصة المقعد والاعمى المشهورة ، اذ شبه العاطفة بالرجل الاعمى ، والفكر بالرجل المقعد .

فمن الواضح ان العاطفة كالرجل الاعمى ، تملك قوة السير والحركة ولكنها محرومة من نعمة البصر . انها تعجز عن رؤية الطريق فلا تستطيع

ان تعين الاتجاهات التى يجب ان تسير نحوها .

واما الفكر شأنه كالرجل المقعد ، يتمتع بباصرة حادة ، يرى الطريق وكل ما يحيط بالطريق ، فيستطيع ان يعين الاتجاهات التى يجب ان يسير نحوها،ولكنه محروم من قدرة الحركة فلا يستطيع ان يسير نحو الاماكن التى يشاهدها بعينيه مع انه يدرك وجوب التوجه نحوها وضرورة الوصول اليها .

كذلك فن الخدمة الاجتماعية ، انها وليدة عاطفة الخير،يهديها السبيل فكر مستنير ،يقودها بخطى وئيدة في ضوء فهم شامل لنوازع النفس البشرية ، ودراية تامة بطرق البحث العلمى ، ومعرفة بصيرة بأساليب العمل مع الافراد ، والجماعات ، والمجتمعات .

تطور الخدمة الاجتماعية

وهذا هو التصور الحديث لطريقة الخدمة الاجتماعية كما عبر عنها عالم الاجتماع الفرنسي (رينيه ساند Rene Sand) حين قال : انها وضع الشعور والميل الاجتماعى موضع التنفيذ ، مع الاستنارة ببحوث العلوم الاجتماعية .

بيد انالخدمة الاجتماعيةلم تصل الى ما وصلت اليه من تطور وتقدم في عصرنا هذا ، الا بعد ان قطعت طريقا طويلا ، حافلا بالتجاربوالمصاعب، مليئا بالنجاح والفشل . اذ كان عليها ان تطور فلسفتها وان تحور اسلوبها باستمرار ، تبعا لتطور الفكر الفلسفى والسياسي لكل مجتمع وكل عصر .

فمنذ ان استقر الانسان في الارض ، وانشأ المزارع والقرى ، اتجهت الانظار نحو المالك الذى يملك الارض ويدير شؤون الجماعة ، باعتباره المسؤول الاول عن مهمة الغوث الاجتماعى .

وفي العصور التى سادت فيها تعاليم الاديان كانت الوظيفة الأولى للخدمة الاجتماعية هى منح الصدقات والمعونات . وكانت المؤسسات والهيئات الدينية هى المسؤولة عن هذه المهمة .

وبدءا من القرن السابع عشر ، ظهرت في العالم الاوروبى لاول مرة ، فكرة مسؤولية الدولة تجاه رعاياها ، وبخاصة أولئك الذين يشكون من علة ما ، والذين يعيشون في ظل اوضاع غير انسانيه ـ وذلك عندما صدر في انكلترا عام ـ ١٦٠١ ـ قانون الفقراء الشهور بقانون الملكة اليزابيث .

ومنذ ذلكالحين استمرتفكرة مسؤولية الدولة تجاه رعاياها تنمو وتتقدم تدريجيا حتى بلغت اوجها في عصر النهضة الاوروبية «عصر الاستنارة» حيث حلت فكرة « العدالة الاجتماعية » محل الاحسان الديني وحيث اصبحت شؤون الرعاية الاجتماعية للمواطنين مسؤولية الدولة اكثر مما هى مسؤولية الافراد والهيئاتوالمنظمات الدينية.

احترام الفرد كانسان

فكان القرن الثامن عشر اخوجنا من الفكرة الضيقة التى اساسها المساعدة بالاحسان الى فكرة حديثة ، واسعة الأفق ، وهى فكرة احترام الفرد كانسان ، والايمان بالعدل الاجتماعى ، وبذلك خطت الانسانية خطوة واسعة الى الامام .

وهذه الفلسفة الجديدة المتطورة انعكست صورتها في مرآة التشريعات الجديدة التى تقوم على فكرة الديمقراطية،وعلى انالمجتمعالديمقراطى اسرة كبيرة يوشج الصلة بين افرادها تواد وتراحم وتعاطف ، بالاضافة الى مصالح مشتركة تفرض عليهم التعاون على تأمين الحياة ، وترفيه العيش، وان على هذا المجتمع اتاحة الفرصة لكل مواطن لينال حقه من العلم والعمل ويبلغ اقصى ما تسمح به مواهبه حتى يؤدى واجبه كمواطن اكملما يكون الاداء . فاذا اقعده عن هذا الواجب مرض أو عجز أو عاهة ، اخذت امته بيده ، وتعهدته بالرعاية الرؤوم ، وهى حين تفعل ، انما تؤدى اليه حقه عليها ، لا تسدى اليه يدا ، ولا تتصدق عليه بفضل نوال .

ومن حقنا نحن معشر العرب مسلمينومسيحيين ان نباهى بأن مجتمعاتنا الشرقية كانت اسبق الى اقرار مبادىء العدل الاجتماعى وحقوق الانسان . وذلك حينما اقامت الدولة الاسلامية نظاما كاملا للرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعى كان بمثابة تتويج للمبادىء الانسانية التى اعلنتها الديانة المسيحية ، وتكملة لنظامها الاجتماعى الذى يقوم على اعتبار الصدقة حقا للفقير،لا منحة متفضل ، ولا هبة محسن .

اهم مميزاتها اليوم

على ان اهم ما يميز الخدمة الاجتماعية فيالقرن العشرين موضوعيتها وتناولها العلاقات والمشكلات الانسانية بأسلوب البحث العلمى . فلم تعد

لتقنع بتقديم ما يمكن تسميته بالمعونة المسكنة او الملطفة ولم تعد لترضى بالحلول الوقتية وانما غدت تبحث عن المعونات العلاجية الشافية التى يمكن ان يكون لها صفة الديمومة والتى تصلح ان تكون اساسا في النهوض بشخصية الفرد والجماعة والمجتمع وتحقيق اقصى درجة من الفاعلية والانتاجية لكل منهم .

وما من خطة يرسمها الاخصائي « وهو الشخص المؤهل علميا وعمليا في طرق العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية » الا وتكون مسبوقة بدراسة علمية وافية لطبيعة الموقف الذى يستلزم المساعدة وللعوامل المتداخلة فيه .

وقريب وجه الشبه من هذه الناحية ، فيما بين مهنة الخدمة الاجتماعية ومهنة الطب . فهذه تعالج آفات البدن ، وتلك تعالج آفات المجتمع . والاخصائي الاجتماعي شأنه كالاخصائي الطبى لا يكتفى بدراسة الاعراض الظاهرة للمرض ، ولا يقنع باعطاء الدواء المسكن ، بل يذهب بعيدا في البحث وراء العوامل الحقيقية للمرض مستعينا بمنهج البحث العلمى ووسائله .

تضافر المهن الاخرى

على ان الخدمة الاجتماعية حينما تتصدى لمشكلات المجتمع لا تستطيع ان تقف وحيدة في الميدان ، اذ لا بد ان تتضافر معها مهن أخرى كثيرة ، كالطب ، والزراعة ، والهندسة ، والقانون ..

هذا ولما كان للقانون قوته وسلطانه في المجتمع فلا مندوحة من ان تشفع الدراسة العلمية والخطط العلاجية ، بتشريعات وقائية واصلاحية تدعمها ، وتمكن لها في التنفيذ . على ان تستوحى احكامها من حاجة المجتمع ومصلحته . فخير القوانين ما سد نقصا او جاء صدى لحاجة .

وهذه التشريعات الوقائية والاصلاحية انما هى بمثابة عملية تسلح اجتماعي ، تساعد الخدمة الاجتماعية على دخول معركتها ضد اعدائها التقليديين : الفقر ، والجهل ، والمرض .

فتشريع اجتماعي يحد من الطلاق وتعدد الزوجات ، أصوَنُ لوحدة الأسرة ، واسلم لبنائها ، واجدى عليها من قانون يحدد النفقة لاولاد حيارى بين أب مطلق وام حاضنة .

وتشريع يسقط حق الآباء في الولاية الشرعية على بنيهم ، اذا ساءت بهم القدوة ، وتضاءلت منهم العناية .. أجدى على الامة من انشاء مؤسسات للمتشردين والجانحين من الاطفال الذين خاب حظهم في ابوة صالحة كريمة .

وتشريع يوفر للعمال في مصانعهم اسباب الوقاية من امراض المهنة وحوادث العمل ، انفع لهم وللامة من صرف الاموال الطائلة لتعويضهم عن نواحى العجز والقصور التى يصابون بها ، فضلا عن الاموال التى تستلزمها اقامة المؤسسات الاجتماعية المختصة بتأهيل العاجزين ولو ان هذه المؤسسات لا غنى عنها لاى مجتمع طالما ان مصادر الاصابة بالعاهات متعددة ، متنوعة ، وغير مقتصرة على اصابات العمل .

تنسيق الجهود

والخدمة الاجتماعية في كفاحها ضد عوامل التفكك والتخلف الاجتماعي ، اشبه بالجيش المحارب ، فهو لكى يكتب له النصر ، لا بد له من تنسيق جهود وحداته المختلفة لبلوغ الهدف المشترك .

فتنسيق جهود الهيئات المعنية بخدمة المجتمع ، اهلية وحكومية ، ضرورى لتماسك المجتمع ونهوضه . وتكاتف جهود الوحدات الاجتماعية المختلفة غنم لكل منها ييسر مهمتها ، ويشد ازرها فيما هى بسبيله من وجوه الاصلاح . فالمدرسة لا تؤتى ثمارها المرجوة على اكمل وجه ما لم تجاوبها الاسرة ، وتردد صداها البيئة ، ويعكس تعاليمها المجتمع .

واذا حاولنا تحديد دور الخدمة الاجتماعية بالنسبة للمجتمع — بصفة عامة وبصورة مبسطة — يمكننا ان نشبه المجتمع بجسم الانسان ، ونشبه الأنظمة الاجتماعية الموجودة فيه (كالنظام العائلي ، والنظام التعليمي ، والنظام الحكومى) باجهزة الجسم (كالجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز العصبى) .

العوامل التى ادت الى ظهورها

وكان مما ساعد على نشوء مهنة الخدمة الاجتماعية في القرن العشرين تضافر عدد من العوامل دفعت بها خطوات واسعة الى الامام منذ بداية القرن . ونستطيع ان نجمل هذه العوامل في الآتى : —

١ — تقدم العلوم الانسانية ، وتطبيق منهج

البحث العلمي في ميادينها على اوسع نطاق ، منذ أواخر القرن الماضي .

٢ - اجتهاد رواد الخدمة الاجتماعية منذ أوائل هذا القرن ، في نقل وترجمة الحقائق والمعطيات الانسانية الى مبادىء عملية تطبيقية . وبتعبير آخر ، وضع هذه الحقائق الانسانية في خدمة الانسان نفسه .

٣ - التوسع الكبير في الاخذ بفكرة مسؤولية الدولة في الرعاية الاجتماعية لمواطنيها ابتداء من مطالع العصر الحديث .

٤ - الدور الفعال الذى لعبته الخدمة الاجتماعية خلال فترتى الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٠ ، والحرب العظمى الثانية وما بعدها .. مما جعل المجتمعات تقدرها حق قدرها ، وتحلها ارفع منزلة .

هذا ، واعتبارنا الخدمة الاجتماعية مهنة يقتضينا تحليل مقومات المهن بوجه عام، ومقارنتها بالمقومات الخاصة بمهنة الخدمة الاجتماعية .

اولا - يتصف العمل في محيط المهن عموما ، بانه عمل فكرى قبل كل شيء . وينطبق هذا القول على الخدمة الاجتماعية باعتبار ان العمل في ميدانها يعتمد على دقة الملاحظة والتفكير والتحليل (تحليل المعلومات والبيانات المتصلة بظاهرة اجتماعية معينة والربط فيما بين هذه المعلومات) ، من اجل تكوين صورة تشخيصية تصلح ان تكون اساسا لخطة عملية في معالجة الظاهرة .

ثانيا - تقوم كل مهنة على مبادىء ومثل خلقية معينة ، وتتطلب من المنضمين اليها سلوكا مشرفا لمهنتهم . والخدمة الاجتماعية من اشد المهن صرامة في هذا المطلب ، فهى تفترض فيمن يعمل تحت لوائها ان يحمل صفات ومميزات معينة، كالاستقامة والصبر ، والقدرة على ضبط الانفعال، وحب الناس ، والتمتع بالروح الغيرية .. فضلا عن القواعد المسلكية التى ينبغي أن يلتزم بها ، والتى اهمها :

أ - الحفاظ على سرية المعلومات المتعلقة بالاسر والافراد الذين يتلقون العون من احدى الهيئات الاجتماعية .

ب - المحافظة على دقة المواعيد .

جـ - احترام كرامة الناس وتقبلهم بصرف النظر عن اعتبارات الجنس واللون والمعتقد .

د - عدم اطلاق الاحكام العاجلة على الآخرين ، وعدم توقيع اللوم عليهم .

هـ - الحياد التام ازاء المواقف التى تعرض لهم .

ثالثا : تحظى المهن جميعا ، وبخاصة الانسانية منها ، كالطب والقضاء والتعليم والارشاد الدينى باحترام وتقدير جميع فئات المجتمع وهيئاته . وما اظن ان الخدمة الاجتماعية والقائمين عليها يستحقون نصيبا من الاحترام اقل من ذوى تلك المهن . ولكن لا يجب ان يفوتنا ان درجة التقدير التى تتمتع بها مهنة ما تحددها عوامل مختلفة اهمها :

أ - مدى تجاوب المهنة مع ارضاء الصالح العام.

ب - درجة الوعى الاجتماعي والثقافي المتوفرة لدى الجمهور فيما يتصل باهمية الخدمات التى تقدمها هذه المهنة للمجتمع .

جـ - المكافاة المادية التى تعود بها المهنة على أصحابها . فكلما كانت هذه المكافاة كبيرة حظيت المهنة بتقدير اجتماعي اكبر .

رابعا - للخدمة الاجتماعية كما لبقية المهن مجالات وميادين يعمل فيها اختصاصيوها . وكما أن الطبيب يعمل في عيادته الخاصة ، وفي المشافي العامة والمراكز الصحية ، كذلك يعمل الاخصائي الاجتماعي في مكاتب ودوائر الخدمة الاجتماعية الملحقة بالمدارس ، والمستشفيات، ومعاهد اصلاح الاحداث المنحرفين ، وفي السجون ، وفي مراكز انعاش الريف ، وفي المؤسسات المعنية برعاية الاسرة والطفولة ، وفي المصانع ، وفي مؤسسات التأهيل المهنى لذوى العاهات،كالمكفوفين وغيرهم.

خامسا - ومما يضفى على الخدمة الاجتماعية صفتها المهنية ، كون العلاقة التى تقوم فيما بين الاخصائي الاجتماعي وعميله (فردا او جماعة او مجتمعا محليا) علاقة مهنية مجردة عن الاهواء الشخصية ولها صفة الموضوعية .

سادسا - ولعل اخص ما تمتاز به الخدمة الاجتماعية كمهنة انسانية ما تضفيه على العاملين في مجالاتها من مشاعر الرضا والسعادة . وانى لأذكر الكلمة التى قالها لى احد اخوانى طلبة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بدمشق اثر عودته من زيارة قام بها لمريض كان يتتبع حالته الصحية والعائلية .. قال : ان الانسان ليستشعر سعادة كبرى حينما يساهم بقسط في اسعاد الآخرين .

الخدمة الاجتماعية كعلم وفن

ان القول بان الخدمة الاجتماعية علم وفن لأمر يحتاج الى كثير من التحليل والتفصيل . وحسبنا في هذا المجال ان نورد المبررات الرئيسية لاعتبار الخدمة الاجتماعية علما « وفنا » .

فمن الممكن اعتبارها علما لسببين رئيسيين :

اولاهما ـ انها في تشخيصها لاى موقف انسانى تعمد الى تفسير المعلومات والحقائق المتصلة بالموقف في ضوء معطيات العلوم الانسانية .

ثانيهما ـ كونها تستخدم طرائق في مساعدة الناس منسجمة مع طريقة البحث العلمي .

وتتضمن كل طريقة من طرائق الخدمة السير وفق خطوات اساسية ثلاث هي :

أ ـ الدراسة الاجتماعية للموقف .

ب ـ التشخيص الاجتماعي للموقف .

جـ ـ تصميم الخطة العلاجية للموقف .

ومما هو جدير بالذكر ان الوسائل التي يستعين بها الاخصائيون الاجتماعيون في دراستهم للمواقف والعلاقات الانسانية هي نفسها المستخدمة في مجالات العلوم الانسانية .

« فالمقابلة الشخصية » التي تستخدمها الخدمة الاجتماعية في مجال العمل مع الافراد بوجه خاص، هي احدى وسائل البحث المطبقة في ميدان علم الاجتماع وهي ما يعرف بمنهج « بحث الحالة الفردية Case Study » .

« واساليب القياس السوسيومترى » التى ابتدعها العالم الايطالى « مورينو » حوالى عام ١٩٣٧ ، اقتبستها الخدمة الاجتماعية من علم النفس الاجتماعى ، وطبقتها في مجال العمل مع الجماعات . وذلك كوسيلة لملاحظة وقياس علاقات وتفاعلات اعضاء الجماعة واتجاهاتهم ، ومعرفة درجة تماسك الجماعة او تفككها الى غير ما هنالك مما يعين الاخصائي الاجتماعى في رسم خطة مساعدته لجماعته ، وتحديد دوره معها .

« ومنهج المسح الاجتماعى » اخذته الخدمة الاجتماعية عن علم الاجتماع واستخدمته على نطاق واسع في الدراسات والعمليات المتصلة بانهاض المجتمعات المحلية في الريف والحضر .

دور الاخصائي الاجتماعى

ومن الممكن اعتبار الخدمة الاجتماعية فنا ، لانها تعتمد في ممارسة اسلوبها المهنى والعلمى على شخصية الاخصائي الاجتماعى وطريقته في الافادة من معارفه وفي تكريسها لخدمة الاخرين . ومن البديهى ، ان يكون لكل اخصائي اجتماعى باعتباره انسانا متميزا ، طريقته في التعبير وقدرته على التأثير .. مما لا يشاركه فيهما اى انسان آخر . وليس معنى هذا ان كل اخصائي اجتماعى يتصرف وفق هواه ، وعلى سجيته الخاصة .. اذ ان هنالك مبادىء وتوجيهات عامة مرتبطة بالاسلوب المهنى للخدمة الاجتماعية . وهذه المبادىء والتوجيهات هى ميدان تدرب الاخصائي الاجتماعى خلال سنوات اعداده في المدارس المختصة .

واذا علمنا بان البشر مختلفون في كل شيء .. في امزجتهم ، وفي استجاباتهم ، وفي ميولهم ، وفي قدراتهم .. ادركنا انه يتعين على الاخصائي الاجتماعى ان يواجه في كل يوم وفي كل ساعة حالة جديدة وموقفا فريدا . الامر الذى يتطلب منه ان يكيف شخصيته ومعارفه ومهارته لكل حالة جديدة .

لكل هذه الاسباب نجد ان تطبيق مبادىء واسلوب الخدمة الاجتماعية على الانسان، يتطلب ادراك وحساسية الفنان .

وبعد ، فليست الخدمة الاجتماعية علما « متكاملا » بذاته ، (فما يزال العاملون في ميادينها في طور اختبار صحة افتراضاتهم بواسطة اساليب البحث المعروفة في ميدان العلاقات الانسانية) .

وليست هى كذلك فنا « خالصا » ، وانما يتعاون في اطارها كل من اسلوب العلم واسلوب الفن ويمتزجان امتزاج الماء بلون الاناء الذى يحتويه . والخدمة الاجتماعية كما اراها ، اخيرا ، مهنة تتضمن علما وفنا،وتقدم بواسطتها المساعدة لمن يجد صعوبة في التكيف ويحتاج الى هذه المساعدة ، كما انها المساعدة التى يعطاها من هم في حالة تكيف اجتماعى سليم حتى لا يصبحوا في حالة سوء تكيف . وذلك بواسطة الاخصائيين الاجتماعيين وعن طريق المؤسسات والهيئات المعنية بالرعاية والتنظيم الاجتماعى . وذلك في حدود اهداف المجتمع وثقافته . ■■

خالص العياشي

مدير تخطيط المنطقة الشمالية (حلب)

القطر العربى السورى

رقصة الباليه

صورة في الذروة من الفن المسرحي أداة تعبيرها الحركة وحدها.

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ فنّ « الباليه » ، كما لا يخفى ، لون من الوان الرقص الشائعة في الغرب . يدل على ذلك اسمه المشتق من الاصل الايطالي Eal.are ، ومعناه : يرقص . الا ان هوة سحيقة تعزل رقص الباليه عن سائر انواع الرقص ، عزلا كاد ان يكون تاما . ولو انت نظرت الى حركاته لشعرت بانها من الرشاقة والنبل ما يبتعد بها كثيرا عن حركات الرقص العادى .

فالباليه ذو طابع غريب ومميّز حقا . يظهر ذلك في وقوف الراقصين وسيرهم ورقصهم على اطراف اصابع القدم . ويظهر ايضا في الحركات التى تعتمد اعضاء في الجسم وعضلات لم يالف الانسان استعمالها بقصد الحركة . ونذكر الورك على سبيل المثال . فهو بمثابة المحور لكثير من حركات الباليه ، يمكّن الراقص من مدّ ساقه في شتى الاتجاهات على زاوية مستقيمة او شبه مستقيمة .

على ان هذه الحركات الغريبة معيّنة وثابتة ، تحددها قواعد واصول نمت وتطورت على مدى قرون . وهى اما حركات رئيسية ، وهذه قليلة ، لا يتجاوز عددها الخمس ، واما حركات فرعية ، وهذه كثيرة لا يكاد يعرف لها عدد . وتحتل الحركة المعروفة بالارابسك Arabesque ، مكانة مرموقة بين هذه الحركات جميعا . اما تسميتها بهذا الاسم فلعله يعزى الى اقتباسها اصلا عن الرقص الاندلسي .

ولا يخفى ان حركات هذا شانها لا بد وان يكون اداؤها صعبا ، بل مستحيلا ، ما لم يعتمد على اساس من الدراسة الجدية الرصينة والمران الطويل . فمعاهد الباليه تشترط في المنتسبين اليها الجسم المرن القوى ، والاذن الموسيقية ، فضلا عن صغر السن ، وهو ، عند البدء : ١١ ــ ١٢ سنة في الذكور و ٩ ــ ١٠ سنوات في الاناث . وهى تخضع طلابها لبرنامج حافل بالتدريبات الشاقة المضنية ، يجرونها تباعا يوما بعد يوم ، طوال سنوات عديدة ، بحيث يتسنى لهم اتقان حركات رقص الباليه ، والبلوغ بها حد الكمال .

وهو ابعد ما يكون عن الاثارة الجنسية والتعبير عن الغرائز والميول . انه يبرز جمال حركة الانسان ، ليتذوقها ويستمتع بها الانسان . ويتمّ هذا وذاك في تجرد وتنزه عن كل مبذول .

غير ان رقص الباليه يعبر ايضا عن احاسيس وافكار وحالات نفسية ، وفق ما تقتضيه طبيعته من حيث هو فن مسرحي . فهو والاوبرا والاوبريت اشقاء . اذ كلها تروى لنا قصصا وحكايات من فوق خشبة المسرح وكلها تستعين على ذلك بالموسيقى الكلاسيكية الرائعة . ولكنها تختلف في اداة التعبير التى تعتمد عليها في سرد تلك القصص . فالاغنية هى واسطة التعبير في الاوبرا ، والاغنية التى يتخللها الحوار والحديث هى تلك الواسطة في الاوبريت . اما في الباليه فاداة التعبير هى الحركة الراقصة المطلقة التى لا يرافقها نشيد ولا كلام .

ونضرب مثلا على ذلك بالباليه الشهيرة « بحيرة البجع » Swan Lake ، وهى التى وضع موسيقاها تشايكوفسكى Tchaikovsky ، الموسيقار الروسي المعروف . انها تتالف من اربعة فصول غير طويلة . يظهر في اولها الامير زيجفريد وهو يحتفل بعيد ميلاده الواحد والعشرين ، في حديقته . ولكنه بادى القلق ، ولا يحد من قلقه ظهور عدد من البجعات او الفتيات الجميلات ، وقد اخذن يرقصن من حوله ، ويرفرفن باجنحتهن من فوقه . وفجاة يخطر ببال الامير الصيد ، فيتوخى فيه الخلاص من قلقه وكآبته ، ويدعو اصدقاءه الى مشاركته الصيد .. صيد البجع ..



حركة فرعية مشتقة من احدى الحركات الخمس الرئيسية . لاحظ ان وزن الجسم كله انما تحمله القدم اليسرى . فاليمنى كعبها مرفوع .. لاحظ أيضا انحناء الجسم في اتجاه الساق الممدودة .

ويبدأ الفصل الثاني ، وما اسرع ما يتحول الصيد الى غزل وهيام . اذ يكتشف الامير ان البجعات لم تكن طيورا وانما كانت فتيات مسحورات ، وان زعيمتهن ، أوديت ، هي ايضا مسحورة . وتؤدي اوديت من الرقصات والحركات الرشيقة المعبرة ما يوحي لزيجفريد بذلك . ولا يلبث الامير ان يهيم بحب اوديت .

ثم يبدأ الفصل الثالث بظهور الساحر الذي مسخ اوديت ورفيقاتها . لقد تخفى هذا الماكر الخبيث فظهر على هيئة فارس وجعل ابنته اوديل، التي كانت بصحبته ، تبدو وكأنها اوديت . من ذلك لشر آخر جديد كان يبيته للبجعات . فالظاهر ان مسخهن على هذا النحو لم يكن كافيا لارواء غليله .

وانطلت الحيلة على الامير ، وظن ان ابنة الساحر هي حبيبته أوديت ، وقد انفك عنها السحر لسبب او آخر . وهكذا راح زيجفريد يراقص ابنة الساحر رقصة « البجعة السوداء » الشهيرة بحركاتها المتنوعة ، وعددها ٣٢ حركة . ولم يقف الامير عند حد الرقص ، بل اقدم على طلب يد ابنة الساحر.وهنا يتدخل الاب ويشترط يمين الولاء .. فيقسم زيجفريد هذا اليمين .. فيما تدوي الموسيقى بعنف وصخب .. وفي لمح البصر يختفي الساحر وابنته .. وتظهر اوديت عن بعد ، وهي ترفرف بجناحيها ، ووجهها يعتصر اسى والما .

عندئذ يبدأ الفصل الرابع وتظهر البجعات يرقصن رقصات حزينة بل يائسة . ولكن الامير زيجفريد لا يلبث ان يظهر ثانية ، فيتقدم من اوديت طالبا الغفران . ولم تتردد سيدة البجعات في العفو عن امير الاحلام .. ثم غاص الحبيبان في البحيرة ، وتحطمت بذلك عقدة السحر عن اوديت وزميلاتها . وتنتهي الباليه بالزواج بين الامير زيجفريد واوديت .

اما عن تطور رقص الباليه في التاريخ فيمكن القول بان بداية هذا الرقص تعود الى حوالى منتصف القرن الثامن عشر .

وتجدر الاشارة هنا الى ان رقص الباليه اقتصر في ذلك الزمن على البلاط الملكي وقصور النبلاء . ومن طريف ما يذكر ان الملك لويس الرابع عشر كان من هواة هذا الرقص بل من راقصيه المبدعين !! الا ان رقص الباليه ما لبث ان اختفى من فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول لدى اندلاع الثورة الفرنسية ١٧٨٩ . يستثنى من ذلك دولتان هما : روسيا وامريكا .

فقد بقي هذا الفن حيا في امريكا حيث ظهرت الراقصة الشهيرة ازادورا دنكان Isadora Duncan في مطلع القرن العشرين . ولم تكن ازادورا هذه راقصة فحسب ، بل كانت مفكرة ومجددة ايضا . الا ان نظرياتها ومقترحاتها لم يكن لها اثر يذكر حتى زارت هذه الراقصة روسيا .

ذلك ان رقص الباليه الذي لم يتوقف في روسيا منذ البدء ، بل نما وتطور في موسكو وبطرسبورغ حتى اصبح فنا روسيا خالصا ، او كاد ، واصبح الروس زعماءه بلا نزاع . لا عجب اذن ان وجدت افكار ازادورا الامريكية سبيلها الى التطبيق في بطرسبورغ حيث كان فوكين Michel Fokine في اوجه .

ولم يكد يمضي عام واحد على هذا التعاون الروسي الامريكي حتى ظهرت نتائجه الطيبة سنة ١٩٠٨ وخاصة في رقص الراقص الروسي المبدع نيجنسكي Nijinsky ، الذي يعتبر على راس راقصي الباليه في كل زمان ومكان . قلنا الراقصين ولم نقل الراقصات . اذ ان مكان الصدارة بينهن قد احتلته انا بافلوفا Anna Pavlova .

لم يقف الروس عند تزعم فن الباليه في بلادهم بل تخطوا حدودهم الى فرنسا وبريطانيا وايطاليا وغيرها حيث ساهموا في تاسيس رقص الباليه أو تطويره مساهمة فعالة . ■■

القومية والدولة

بقلم : الدكتور احسان هندى

■ تحتل كلمة « القومية » اليوم فى صحفنا واذاعاتنا وكتبنا وجميع وسائل اعلامنا مكانا لا تحتله اية كلمة اخرى ، فلا تكاد تفتح صحيفة ما ، أو تستمع الى محطة اذاعة عربية الا وتقرأ هذه الكلمة او تسمعها عدة مرات . وهذه الأهمية ليست وقفا على الشعوب العربية بل اننا نجد الامر نفسه لدى جميع الدول النامية تقريبا ، وخاصة تلك التى تخلصت من الاستعمار منذ مدة قليلة فالتفتت الى تاريخها ، وابتدات تركز الدراسات حول شخصيتها القومية الخاصة .

وسنحاول فيما يلى تعريف القومية بشكل دقيق ثم تبيان الفروق بينها وبين الكلمات الاخرى التى تتصل بها :

١ ـ تعريف القومية : ان الاتيان بتعريف جامع مانع لكلمة « القومية » ليس بالامر السهل مطلقاً اذ ان هذه الكلمة هى ، ككل الاسماء المجردة ، مفهوم نظرى يصعب تعريفه بالدقة المطلوبة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية نجد ان اعطاء تعريف للقومية يتاثر كل التاثر بنظرة صاحب التعريف الى اركانها الاساسية، ولذا فقد اختلفت التعاريف المعطاة الى القومية ، وتعددت بتعدد النظريات القومية على الأقل .

مفهومان لكلمة القومية

ثم يجب ان نشير هنا ايضا الى انه هنالك مفهومان اساسيان ومتميزان لكلمة « القومية » :

أ ـ المفهوم العملى : والقومية حسب هذا المفهوم هى الوجود التاريخى الاجتماعى والثقافي السياسي الذى يميز امة من الامم عن غيرها ، فالقومية العربية حسب هذا المفهوم العملى هى وجود الامة العربية الذى يميزها عن غيرها منذ ان ظهرت كلمة « العرب » للوجود وحتى الآن .

ب ـ المفهوم النظرى : والقومية بهذا المفهوم هى الفكرة التى تعبر عن هذا الوجود وتجسده فى اجلى مظاهره خلال مرحلة معينة من مراحل التاريخ .

وهذا المفهوم الاخير ، الذى يعبر عنه احيانا بما يسمى « نظرية القومية » هو مفهوم قابل للتعديل والتطور والتبلور ، بعكس المفهوم الأول الذى لا يزول الا بزوال الامة .

وسيتوضح هذا المفهومان اكثر اذا قلنا بخصوص القومية العربية : ان الامة العربية بدات بالظهور كأمة متميزة فى التاريخ منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة ، ولذا فالقومية العربية حسب المفهوم العملى موجودة منذ ذلك الوقت كوجود تاريخى يميز الأمة العربية عن غيرها . واما القومية العربية

عناصر ثلاثة:

شَعبٌ وَأرضٌ وَسِيادَة

حسب المفهوم النظرى فهى المبدأ الذى يعبر عن هذا الوجود ،،او هى النظرية التى تحدد ابعاد هذا الوجود وهى بهذا المعنى لم تظهر الا منذ قرن من الزمن لا أكثر ، وتبلورت في النصف الاول من القرن العشرين مارة بجملة مراحل من التطور كما هى الحال بالنسبة لبقية القوميات جميعا .

والقومية في لغتنا العربية مشتقة اصلا من كلمة « قوم » والقوم هم من يقومون الى القتال قومة الرجل الواحد ، فمعناها اللغوى الاصلى يرادف مفهوم « العصبية القبلية » تقريبا . واما الآن فالمفهوم الاجتماعى ـ السياسى للقومية ـ وخاصة فيما يتعلق بالقومية العربية ـ قد ابتعد عن العصبية القبلية واصبح يدل على « مجموع الصفات المميزة والعناصر المقومة للامة » كفكرة ، وعلى رابطة الولاء التى يحس بها الفرد تجاه امته كحالة شعورية .

القومية والامة

واول ما نلاحظه من الشيء القليل الذى قلناه حتى الآن ـ هو العلاقة الوثيقة بين مفهومى « القومية » و « الامة » ولا غرابة في ذلك حتى ان المصدر اللغوى للكلمتين واحد في اغلب اللغات الاجنبية ككلمتى (امة Nation) و (قومية Nationalisme) الفرنسيتين ، وهما مشتقتان من فعل (الولادة Naitre).واذا شئنا الحصول على تعريف علمى مقبول للقومية نقول : « هى الرابطة التى تجمع بين افراد الامة الواحدة وتشد بعضهم الى بعضهم ، وتشعرهم بانهم متميزون عن غيرهم من الامم بجملة ميزات ثقافية او حضارية او تاريخية او سياسية » .

واما القومية العربية بشكل خاص فيمكن تعريفها بانها : « عقيدة نابعة من اعماق الذات العربية ، ومن تفكير كل عربى بان الامة العربية امة متميزة ذات خصائص اصيلة ثابتة وطابع معين » .

هذا فيما يتعلق بالقومية ، واما بالنسبة للامة فان افضل تعريف لها ـ في رأينا ـ هو التعريف الذى اقترحه العالم الامريكى « مالا دوغال » في كتابه (عقل الجماعة Group Mind) حيث يقول عن الامة انها « تتالف من افراد يشعرون بانهم متماسكون تماسكا طبيعيا بروابط لها عندهم من القوة والصدق بحيث يكون في ميسورهم ان يعيشوا بالسعادة والهناءة اذا كانوا معا ، ويصابوا بالضيم اذا تفرقوا ، ويرفضوا كل خضوع وانقياد للشعوب التى لا تشاركهم هذه الروابط » .

وقد اخترنا هذا التعريف دون غيره للامة وذلك لانه مرن ، ويمكن انطباقه بدقة على أية امة كانت لانه لا يتورط بتحديد المقومات الاساسية للقومية بل يترك ذلك لظروف كل امة وخصائصها واهدافها. فهذه « الروابط » التى يشير اليها التعريف يمكن ان تكون « اللغة » اذا كانت الامة تعتنق النظرية الالمانية في القومية ، ويمكن ان تكون « المشيئة الواحدة » اذا كانت الامة تعتنق النظرية الفرنسية، ويمكن اخيرا ان تكون « المصالح الاقتصادية » اذا كانت الامة تعتقد بصحة النظرية الماركسية ـ اللينينية في حقل القوميات .

الامة العربية

فاذا حاولنا تطبيق هذا التعريف على « الامة العربية » بحسب واقع هذه الامة وتطلعاتها حاليا فان التعريف الذى نقترحه للامة العربية هو التالى ـ

« الامة العربية هى الجماعة البشرية التى يعيش افرادها ضمن الحيز الجغرافى العربى ويتميزون عن غيرهم بتكوين نفسى خاص ناتج عن لغة مشتركة ، هى اللغة العربية ، وتاريخ واحد وتراث ثقافى وروحى واحد ومصالح واحدة مشتركة تجد تعبيرا لها في وحدة الآمال والاهداف » .

وقد حاولنا في هذا التعريف التركيز على الاركان الاساسية للقومية العربية التى تتمثل الآن باللغة

العربية ، وبالتاريخ الواحد ، وبالتراث الثقافي الواحد ، وبالمعتقدات المشتركة، ثم اخيرا بالمصالح الاقتصادية والسياسية الواحدة .

ومن المستحسن هنا ان نحدد نقاط الاختلاف والتشابه بين مفهومى « القومية » و « الامة » من جهة ، وبين جملة مفاهيم اخرى تقترب كثيرا او قليلا من هذين المفهومين مثل «وطن» و «دولة» و « شعب » و « جنسية » وغير ذلك . ويهمنا قبل كل شيء – في هذا المجال – ان نضع حدا فاصلا بين مفهوم « الامة » ومفهوم « الدولة » وسيقودنا ذلك الى استعراض بقية المفاهيم التى تتفرع عنهما او تتعلق بهما .

عناصر ثلاثة

الدولة – كما يعرفها علماء الحقوق والاجتماع – هى « جماعة من البشر يعيشون في ارض مشتركة، مؤلفين هيئة سياسية مستقلة ذات سيادة » (١) .

فالدولة كما نستخلص من هذا التعريف تستلزم وجود ثلاثة عناصر اذن :

١ – السكان : اى وجود جماعة من الناس ، قلوا او كثروا ، يعيشون معا .

٢ – الارض : اى وجود حيز جغرافي في معين تحتله هذه الجماعة من الناس .

٣ – السيادة : اى السلطة المنبثقة عن السكان لتنظيم حياة الجماعة .

والعنصر الأول من هذه العناصر الثلاثة يطلق عليه في بعض الاحيان اسم « الشعب » وعلى هذا فالشعب هو العنصر الديموغرافي (السكانى) الذى يشكل الدولة ، ومن هنا لا يعتبر من الخطا قولنا « الشعب السورى » و « الشعب المصرى » و « الشعب الجزائرى » طالما انه هناك « دولة سورية » و « دولة مصرية » و « دولة جزائرية »، ولكن من الخطا القومى الفادح ان نقول « الامة السورية » او « الامة المصرية » او « الامة الجزائرية » لانه ليست هناك الا امة واحدة في جميع هذه الدول الا وهى الامة العربية .

واما العنصر الثانى من عناصر الدولة ، وهو الارض ، فيطلق عليه عاطفيا اسم « الوطن » فالوطن ليس هو الا ارض الاباء والاجداد . ومن هنا يتبين لنا الفرق الواضح بين مفهوم «الوطنية» من جهة ومفهوم « القومية » من جهة ثانية ، فالوطنية هي شعور الحب والولاء الذى يكنه الفرد (المواطن) تجاه قطعة من الارض هى (الوطن) ، واما القومية فهى شعور الحب والولاء الذى يكنه الفرد نحو جماعة مع البشر هى « الامة » .

واما العنصر الثالث – السيادة – فهو الذى يبين لنا الفرق الدقيق بين مفهومى الامة والدولة، وذلك لان عنصر « السيادة » ضرورى تماما لوجود الدولة ولكنه ليس ضروريا لوجود الامة ، اذ ان المذهب القومى يدعو الى ان يكون لكل « امة » واحدة (دولة) واحدة ذات سيادة ، ولكن الواقع هو غير ذلك في كثير من الاحيان حيث نجد ثلاثة انواع من الامم :

ثلاثة انواع من الامم

١ – الدولة – الامة او الامة – الدولة Etat - Nation وهى الدولة التى تنطبق فيها الحدود السياسية الواقعية على حدود الامة من الناحية الديموغرافية .

وهذا الشكل هو الشكل المثالى في المجتمعات القومية ، وغيره – مع بعض التجاوز – في عدد محدود من الدول مثل : فرنسة – ايطاليا – السويد – المانيا ..

٢ – الدولة التى تحوى اكثر من امة : وهنا تجتمع اكثر من امة داخل نطاق دولة واحدة ، اى ان الحدود السياسية ، الدولية تكون اوسع من الحدود القومية ، المثالية ، بحيث تحتوى الدولة على امتين فما اكثر كما هى الحال في بلجيكا ، التى تحتوى امتين هما الفاللون – والفلامنك ، وفي سويسرة حيث تتعايش ثلاث قوميات – الطليان والالمان والفرنسيون – وفي يوغوسلافيا التى تضم ست قوميات مختلفة ، وفي الاتحاد السوفييتى الذى تعيش فيه حوالي عشرين قومية او اكثر (وكلمة قومية ترادف كلمة امة في هذا المضمار) .

٣ – الامة المجزاة في اكثر من دولة : وقد ينعكس الوضع السابق فترى الامة الواحدة موزعة على عدة دول ، ويكون ذلك حين لا تفلح الامة في توحيد نفسها ولم شتاتها فتكون الحدود المثالية – القومية – العاطفية اوسع بكثير في هذه الحالة من الحدود السياسية الدولية – الواقعية ،وذلك كما هو الحال في الامة العربية التى تضم حاليا

---

(١) من كتاب « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » لساطع الحصرى ص ٩ .

(١٥) دولة مستقلة وعددا من المشيخات والمحميات والمستعمرات ، ومساحات من الاراضي المقتطعة والمغتصبة من قبل سلطات اجنبية .

وبما ان « الوطنية » هي عاطفة الولاء تجاه الوطن المتمثل بارض الدولة ، والقومية هي عاطفة الولاء تجاه الامة،ولذا فهاتان العاطفتان لا تنطبقان على بعضهما تماما الا في حالة واحدة من الحالات الثلاث السابقة ، وهي حالة الامة ـ الدولة .

والتاريخ لا يرينا ـ وخاصة قبل القرن التاسع عشر ـ تطابقا تاما بين «الوطنية» وبين «القوميه» اى بين « الدولة » وبين « الامة » ، وما الحركات القومية التى ظهرت منذ ذلك الوقت وحتى الآن الا نوع من « ثورة الامم على الدول » ، واستهدفت في بعض الاحوال انفصال الامة عن الدولة التى كانت تحكمها ، وسعت في احوال اخرى وراء توحيد شعوب الامة التى كانت موزعة بين دول متعددة لتكون دولة قومية واحدة » (٢) .

وخلاصة القول في مجال الفروق بين « الامة » و « الدولة » انه لا يزال هناك موجب للتمييز بين هذين المفهومين وذلك لاختلاف الواقع السياسي عن النظرة القومية المثالية التى تستهدف ان يكون لكل امة دولة خاصة بها . ولكن في انتظار ذلك نجد ان كيان الامة لا يتوقف على تشكل دولتها العتيدة ، لان الامة تكون موجودة ولو لم تكن قد تمكنت من تشكيل دولتها القومية لاسباب خارجية او داخلية ، او اذا كانت قد توصلت لاستقلالها ثم فقدته ، وكذلك في حال كون الامة مجزأة وموزعة على عدة دول مستقلة لم تتوحد بعد .

وبهذا الشكل نكون قد اوضحنا الفروق الدقيقة بين جملة مفاهيم يتصل بعضها ببعض هي :

القومية، والامة ، والدولة ، والوطن، والشعب، ولم يبق بعد الا بيان الفرق بين كل من «القومية» من جهة ، و « الجنسية او التابعية » من جهة ثانية :

فالقومية Nation علاقة عاطفية ذات مفهوم اجتماعي ، واما الجنسية او ـ التابعية Nationalite فهي رابطة ذات مفهوم حقوقي .

الانتماء لقومية معينة

ونوضح هذه الفكرة اكثر فنقول : ان الانتماء لقومية معينة هو انتماء عقائدى مبنى على العقيدة والشعور ولا يحتاج لاى نواح شكلية لاظهاره ، بينما نجد الانتماء لتابعية او جنسية معينة هو انتماء شكلى قانونى (يشبه العقد) بوسع كل طرف فيه (الدولة من جهة ومواطنها من جهة ثانية) فصمه والتحلل منه .

ولذا نجد انه من الجائز ان يجد انسان ما نفسه يحمل جنسية معينة بينما هو ينتمى في قرارة نفسه الى قومية تناصب دولته العداء كما هو الحالة بالنسبة لعرب فلسطين في المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ حيث انهم شكليا يحملون الجنسية الاسرائيلية في الوقت الذى لا يزالون يدينون فيه بالولاء للقومية العربية من الناحية العاطفية (٣) .

وعلى هذا يجوز ـ من جهة اخرى ـ ان يكون للانسان احيانا اكثر من جنسية واحدة وقد يصبح في حالات معينة « بلا جنسية Apartheid » ولكن القومية لا تتعدد ولا يعقل ان تسقط ، وان كان بعض المفكرين لا يعتبرون مجرد الانتساب السلبي الى قومية معينة مبررا لاعتبار شخص ما « قوميا » ويصرون على ان يكون هذا الشخص مؤمنا بقوميته ويعمل من اجل رفعتها وتحقيق اهدافها لكى يستحق هذا اللقب .

وهذا يقودنا اخيرا الى ايضاح فرق اخير بين « القومية » كفكرة، و « القومية » كمبدأ : ففكرة القومية هي مجرد نظرية تحمل طابع السلبية في مفهومها ، واما المبدأ القومي فهو ذو مفهوم ايجابى لانه اعتناق للفكرة القومية ، او بالاحرى هو « وضع هذه الفكرة في حيز التطبيق ومجال العمل » .

ونامل ان نكون بهذا الشكل قد حررنا مفهوم « القومية » مما يتصل به من مفاهيم اخرى في مجال النظرية القومية بشكل عام والقومية العربية بشكل خاص . ■■

احسان هندى

---

(٢) من « ماهى القومية » لساطع الحصرى ص٣٤

(٣) اما سكان المناطق العربية المحتلة في سنة ١٩٦٧ فلا يزالون من الناحية القانونية الدولية يتبعون جنسيات بلدانهم الاصلية (مصريون ـ اردنيون ـ سوريون) لان الاحتلال الحربي عمل مؤقت لا يؤثر على جنسية السكان .

فنان اكتشف نفسه في الظلام

■ هذه قصة فنان لم يكتشف نفسه الا عندمافقد نور عينيه في الثانية والستين من عمره . انه يرويها عن نفسه ، بقلم صديق له بعد مرور ستسنوات على ذلك اليوم الذى تحول فيه كل شيء حوله الى ظلام ، فتصور أن الحياة قد انتهتبالنسبة له..انها قصة الرسام الامريكى المشهور « جوردان » Jordan C.W.E.،(١٨٨٠ - ١٩٦٢)الذى قال بعد ان فقد بصره : « اننى لم اصب بالعمى عندما مرضت عيناى .. وانما عميت حقاعندما فشلت طوال هذه السنوات التى انقضت من عمرى،في اناكتشف حقيقة نفسي ومواهبي ! »

كانت السماء ملبدة بالغيوم فى صباح ذلك اليوم من ايام شهر اكتوبر ، وكنت راقدا في فراشي اقرأ عندما احسست بومضة قوية داخل راسي ، وفجاة اختفى الكتاب الذى كنت امسك به بين يدى ، واختفت الغرفة كلها عن ناظرى .. ووجدت نفسي في النهاية اعيش فى قفص من الظلام الذى يلف كل شيء من حولى .

كنت اعرف ان هذا اليوم آت لا محالة ، فقد افقدنى مرض الجلوكوما Glaucoma ، احدى عينى ، وحذرنى الاطباء من احتمال فقد عينى الاخرى ، بعد أن بدا المرض اللعين يزحف اليها ، ولكننى لم ابال كثيرا بتحذيرهم ، كنت اقول لنفسي لو اننى تجاهلت هذا التحذير ، ونسيت مرضي ، فربما استطعت ان اتغلب على مخاوفي ، ثم من يدرى ، الا يمكن ان يخطيء الطب ابدا .. لقد كنت احب الحياة ، واريد ان انعم بها مهما قست علي .

كنت ما ازال اتعلق بالامل في ان يكون ما حدث لى هو ظلام مؤقت ، لا يلبث ان يزول ، ويعود النور الى عينى المريضة،الى ان قضى الطبيب في النهاية على املى الاخير الذى رحت اتشبث به في يأس !

ووجدت نفسي اغوص بجسمي وكياني في هوة سحيقة يلفها البؤس والالم . لقد كنت فخورا دائما بتلك الروح الاستقلالية التى نعمت بها طوال ايام حياتى .. واحسست بالالم يعصر قلبى عصرا ، وانا ارى حياتى كلها تنهار !

لقد فقدت وظيفتى ، حيث كنت اعمل محاسبا متنقلا لاحدى شركات الفنادق الكبرى .. وليس لى في هذه الدنيا انسان واحد استطيع ان اتكيء عليه ، فقد عشت حياتى بلا زواج حتى بلغت الثانية والستين من عمرى .. حتى اقاربى لم اعد اعرف عنهم شيئا .. لقد اصبحت وحيدا في هذا الظلام الذى يحتوينى !

الرحلة الى الظلام

ولكن حدث ما توقعه الاطباء ، لقد تمكن المرض من عينى الثانية ، وحملونى الى المستشفى ، التى لم تكن تبعد كثيرا عن بيتى ، ولكن الرحلة بدت طويلة كئيبة مظلمة ، حتى لقد خلتها دهرا ،

العالم الذى افتقدته

وانقضت اسابيع طويلة ، احسست خلالها بان عقارب الزمن قد توقفت ، فلم تعد تتحرك كما كانت تفعل قبل ان تلفنى الدنيا بهذه السحابة السوداء .. كنت احس بايدى الاطباء والاصدقاء



● قصة المراة التي اتخذ منها شريكة لحياته فاستعان بعينيها هي ليرى الدنيا.

● عادت اليه الحياة عندما اكتشف انه فنان ، وان في داخل نفسه قدرات لم تتح لها الفرصة للانطلاق، الا عندما اصبح ضريرا بعد ان ناهز الستين من عمره.

تلمسني وتربت على كتفي مواسية مشجعة .. وكنت اسمع اصواتهم تصل الى اذني ، ولكنها كانت دائما تبدو لي وكأنها اتية من بعيد من عالم آخر لا تربطني به اية صلة .. عالم النور الذي افتقدته ولم أعد أرى منه شيئا ..

ولم اكن اجد شيئا افعله ازاء هذا الذي يحدث من حولي ، الا ان اجلس صامتا هادئا لا ابدي حراكا لساعات طويلة من النهار او الليل ، بعد ان استويا عندي ، دون ان يغمض لي جفن للحظة واحدة .

خوف ورهبة

الى ان حان الوقت اخيرا الذي كان يتحتم علي فيه ان اغادر المستشفى، واحسست بخوف شديد يملأ نفسي ويسيطر على مشاعري .. لقد الفت هذا المكان، ولكنهم يريدون مني ان اتركه ليستفيد منه غيري .. ولكن الى أين ؟ !

لن يكون لي سوى معاش بسيط ، لا يكاد يكفي ضرورات الحياة ، وفيما عدا ذلك ، فليس هناك شيء استطيع ان اعتمد عليه .. لقد كنت اعيش في بلدة صغيرة بولاية وست فرجينيا ، لم اكن اعرف من اهلها سوى عدد قليل من الناس ..

وقررت ان انتقل الى بلدة اخرى ، الى سافانا بولاية جورجيا ، حيث قضيت جانبا من سني شبابي ، وعرفت عددا من الاصدقاء .. وقلت لنفسي : « من يدري فقد اجد بينهم من يذكر هذه الصداقة القديمة ، ويمد لي يد العون في وحدتي والمي ! »

واستقر بي المقام اخيرا في هذه البلدة الجديدة.

ولكن ماذا عساني افعل بحياتي ، وفكرت في ان اكتب فربما استطاع القلم ان يترجم ما كان يعتمل في صدري من احاسيس وانفعالات .. لقد كنت اريد ان اكتب قصة حياتي !

سكرتيرتي دوروثي

ونشرت اعلانا صغيرا في الصحف ذكرت فيه انني ابحث عن سكرتيرة تعمل معي نصف الوقت ، ولم انس ان اقول في الاعلان انني رجل ضرير يخطو بسرعة الى الشيخوخة ، وان الاجر الذي سوف ادفعه لسكرتيرتي الجديدة لن يكون مغريا ، لان امكانياتي المادية محدودة .

وكانت مفاجأة لي ، عندما تقدمت اكثر من اربعين فتاة يطلبن الوظيفة .. ولم اشأ ان استعين بأحد لكي يختار لي سكرتيرتي، لقد جلست وحدي في غرفة مكتبي ، ورحت اتبادل بضع كلمات مع عدد من الفتيات اللواتي جئن يعرضن خدماتهن علي . ولم اكد افعل ذلك حتى اكتشفت انني قد وجدتها !

قالت سكرتيرتي دوروثي تسألني بعد ان اتفقنا على الاجر ومواعيد العمل : « ولكن لماذا اخترتني أنا بالذات ، ماذا وجدت في ولم تجده في الاخريات؟ »

قلت : « نعومة صوتك ورقتك.. لقد احسست من خلال حديثك معي انك انسانة طيبة القلب ، وانا في حاجة الى انسان يساعدني ويشجعني ويشفق علي .. »

وصدق حدسي ، لقد كانت دوروثي تعطف علي، ولكن سرعان ما تحول هذا العطف الى حب . ولكنني رفضت ان اصدق في بداية الامر ! هل

يمكن ان تحب فتاة لم تتجاوز عامها الثلاثين شيخا محطما في مثل سني ؟ !

فشلت في الكتابة

ومرت الايام ، وفشلت في الكتابة ، لم استطع ان اكون كاتبا كما كنت اريد .. ولكن دوروثي لم تفشل في ان تزيل الشكوك من راسي ، وان تقنعني بانها تحبني حبا صادقا نقيا ، وانها تريد ان تشاركني حياتي بكل ما فيها من مرارة والم !

وتزوجت دوروثي ، ولم اعد اشعر بالوحدة بعد هذا اليوم ، ولكن ما اكثر تلك اللحظات التي كنت اشعر فيها بانني قد ظلمت هذه الفتاة المسكينة وانا اراها تسير معي الى هذا الجحيم المظلم الذى اعيش فيه .

وعدت احاول الكتابة من جديد ، ولكن الفشل ظل يلازمني .. واخيرا ايقنت انني لن اصبح كاتبا ابدا .. لقد كان الفراغ المظلم اللانهائي امام عيني ينعكس على عقلي فيشله عن التفكير . وكانت دوروثي تحاول ان تخفف عني هذا الالم الهائل الذى كنت اشعر به عندما اجد نفسي عاجزا عن ان افعل شيئا ، وكانت محاولاتها تنجح احيانا ، وتفشل في كثير من الاحيان ، فتشتد ثورتي على نفسي ، وعلى دوروثي ، التي لا تلبث ان تتركني وحدى حتى اهدأ ، ثم تعود الي لتجدني نادما على ما فعلت .

وحدثت المفاجأة

وفي احد الايام سمعتها تقول لي بعد ان اقتربت مني وامسكت براسي بين يديها تداعبني : « ساخرج في نزهة قصيرة ، وقد تركت لك على المنضدة الصغيرة بجوارك ، قلما وورقا ، فربما اردت ان تسجل شيئا في وحدتك ! »

وودعتني وذهبت .. وعدت اغوص في مقعدى الفكر ، وابحث بعيني في هذا الظلام الكئيب من حولي ! ومضت بضع دقائق ، قبل ان امد يدى واتحسس موضع القلم والورق اللذين تركتهما لي دوروثي . واخيرا امسكت بالقلم ، وشعرت برجفة تسرى في اصابعي .. ترى ماذا انا فاعل به ؟

ومددت يدى الاخرى ، وامسكت بالورق ، واردت ان اسجل شيئا ، أى شيء ، اعبر به عما يملأ قلبي من حب لهذه الفتاة التي ضحت بحياتها ومستقبلها من اجلي ، انا الشيخ الضرير البائس ،

حتى اذا عادت فاجأتها به فربما صفحت عني .. ولكنني لست بكاتب ، ولا انا بشاعر ، فماذا اقول لها ؟

ورسمت في الظلام !

وعدت الى القلم ورحت احركه فوق الورق ، وفجأة احسست بشيء غريب..ان اطراف اصابعي تطوف بالقلم في سهولة ويسر ، ولكن لا لتكتب ، وانما لترسم خطوطا لا اعرف من اين بدات ولا الى اين تنتهي .. وشعرت بحساسية غريبة تدب في هذه الاصابع التي لم تعرف سوى الارقام خلال عملي كمحاسب .. ترى ماذا افعل الآن ؟ ليتني تعلمت الرسم في صباى ، فلو انني فعلت ، لاستطعت ان ارسم لدوروثي شيئا .. اى شيء .. ولكنني لا اذكر انني حاولت مرة واحدة ان امسك بالقلم او الفرشاة لارسم ..

وعدت اغوص في مقعدى من جديد ، والقلم ما زال في يدى ، ورجعت بذاكرتي الى الوراء ، الى الماضي البعيد ، منذ ثلاثين عاما او اكثر .. لقد شاهدت يوما منظرا جميلا شدني اليه شدا ، واستوقفني طويلا ، وانا اشق طريقي في الريف عائدا الى بيتي .. منظر المياه المتدفقة من الجبل، ومن حولها غابة الصنوبر .. ترى هل استطيع ان اسجل هذا المنظر بقلمي الآن .. لم لا احاول ؟

وعدت الى الورق ، ورحت افرغ فيه ما علق في ذاكرتي ، وانا لا ادرى ماذا صنعت يداى ، ولكن ثمة شعور غريب سيطر على في تلك اللحظة التي انهمكت فيها بكل حواسي في تصوير المياه الهادرة واشجار الصنوبر .. لقد احسست ان بصيصا من الضوء يشع من رأسي !

وعادت دوروثي اخيرا .. وما كدت احس بعودتها حتى مددت اليها الورق الذى رسمت عليه في الظلام . وقلت : « ماذا ترين هنا ؟ »

لوحة رائعة

وسادت فترة من الصمت ، قطعتها هي اخيرا سائلة :

« من الذى صنع هذا ؟ »

قلت لها : « انا يا عزيزتي ! ماذا وجدت ؟ »

قالت : « انها لوحة رائعة رسمها فنان يرى الجمال ويتذوقه ! »

ومددت يدى بسرعة ابحث عن ورقة بيضاء

جديدة ، ثم امسكت بقلمي ، ورحت ارسم وارسم .. لوحة ولوحتين وثلاثا .. ودوروثي جالسة امامي على مقعدها ترقب في صمت .. لقد كان كل همي ان ترى دوروثي كيف رسمت لوحتي الاولى في غيبتها .. لقد جلست في هدوء ارسم الخطوط ، واقيس المسافات باصابع يدي ، واملأ الفراغات بالضوء والظلال .. كانت محاولة غريبة ، ولكنني احسست وانا اقوم بها ، ان الظلام الذي ظل يحبسني منذ ان فقدت نور عيني ، لم يعد ظلاما فارغا اجوف .. لقد استطعت ان ارى مرة اخرى .. ارى بعقلي بدلا من عيني .

الحياة تعود الي

ومنذ تلك اللحظة بدات اشعر بالحياة تدب في اوصالي .. ومضيت في محاولاتي ، يوما من بعد يوم . لم اترك القلم من يدي ابدا ، تدفعني الرغبة في اكتشاف تلك القدرة العجيبة التي ظلت كامنة في داخلي دون ان اوفر لها فرصة الانطلاق في يوم من الايام . وكنت اخطيء كثيرا .. ولكن اخطائي كانت بمثابة تحد لي .. وكان مجرد الاستجابة لهذا التحدي ومحاولة اصلاح الخطأ يجددان في نفسي الرغبة في الاستمرار .. وهكذا بدات اشعر بانني حي ، وبدات احب هذه الحياة الجديدة رغم انف الظلام الذي يحتويها ..

وبدات اطور اسلوبي في الرسم .. كان هذا التطور يسير ببطء ولكن في ثقة لم تخل من الم .. كنت ابدأ بالتركيز في الموضوع الذي اريد ان ارسمه ، وكان ذلك يستغرق من وقتي ساعات طويلة ، ربما امتدت في كثير من الاحيان الى ايام ، فاذا شعرت بان ذهني قد استوعب الصورة بكل تفاصيلها والوانها ، قمت من مقعدي واتجهت الى القلم والورق لاسجلها كروكيا اولا ثم اعرضها على دوروثي فاذا اعجبتها ، القيت بالقلم جانبا ، وامسكت بالفرشاة .. وكانت زوجتي تقف بجانبي تقدم لي الالوان التي اطلبها ، والتي اريد ان استخدمها في لوحتي ..

دوروثي تعلمني

وشيئا فشيئا ، بدات دوروثي تعلمني كيف اعثر على الالوان دون معاونتها ، كانت تضع لي الالوان الرئيسية في مكان ، والالوان الفاتحة في مكان ثان ، والالوان القاتمة في مكان ثالث وهكذا .. ومع الايام ، استطعت ان احفظ مكان كل لون ، وكانت فرشاتي تطاوعني ، وكانها هي الاخرى قد حفظت مكان اللوحة والالوان .

ومضيت ارسم وارسم .. اللوحة بعد اللوحة . لقد اصبحت رساما .

كنت اعلم ان كل شيء في نجاحي كرسام يتوقف على مدى ما استطيع ان اتذكره من صور مرت بي في حياتي قبل ان يحتويها الظلام ، وكنت اصحو من نومي في صباح كل يوم ، واظل مستلقيا على فراشي ساعات طويلة محاولا ان استعيد هذه الصور وانقلها معي من الماضي الى الحاضر ، الذي اعيش فيه .

وجاء الناس ليروا لوحات الرسام الضرير . ومن احدى المدن الكبرى تلقت دوروثي عرضا من احد كبار الموسرين يعرض شراء كل انتاجي .

ومرت تلك السنوات الاخيرة من عملي كرسام بسرعة ، فما أسرع ما تمضي ايام النجاح ، واصبح لنا طفل جميل ، كان سلوانا في حياتنا الجديدة الحلوة .

اقول لطفلي

وكنت احمل طفلي ، واشعر في بعض الاحيان وانا الفه بذراعي فوق صدري انني اريد ان اقول له : « عش يا بني كل لحظة من لحظات حياتك .. ان الله وهبك نعمة البصر ، لا لترى ما يدور حولك من صور جميلة فحسب ، بل لترى ما في داخل نفسك اولا .. سوف تكبر غدا وتصبح رجلا .. حاول دائما ان تجد نفسك ، كن متعطشا دائما ، ثم لا تنس انك حي .. تذوق الجمال الذي يملأ الدنيا من حولك .. ثم احتفظ بكل صورة في قلبك وفي ذاكرتك .. لا تأخذ الامور على علاتها .. ولكن حاول دائما ان تجدد حياتك وتطورها !

« ان هناك لحظات يا بني ستمر بك في حياتك ، وقد تتصور خلالها انك قد فقدت رغبتك في الاستمرار في هذه الحياة .. ولكنك اذا استطعت ان تصمد ، وان تتشبث بها ، فسوف يتحرك في داخلك حتما شيء ما ، ومع هذا الشيء سوف تجد نفسك تتطلع الى حياة جديدة .. وسوف تجد هذه الحياة حتما ! »



أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

الملثمون اصلهم من حِمْيَر ..

● قرات عن الملثمين في كتب التاريخ ، فهل لكم ان تذكروا لنا شيئا عن اصلهم .. وسبب تلثمهم .. ؟ اعنى بذلك القوم الذين يقيمون في الصحراء الكبرى ويسمونهم الطوارق .

سليم قاقيش ـ الكويت

ـ اصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا ، وهم اصحاب خيل وابل وشاه ، يسكنون الصحارى الجنوبية اى جنوبى المغرب ، وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب ، وبيوتهم من الشعر والوبر ، واول من جمعهم وحرضهم على القتال واطمعهم في تملك البلاد عبد الله بن تاشفين الفقيه .

وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، فلذلك سموا الملثمين، وذلك سُنّة لهم يتوارثونها خَلَفاً عن سلف ، وسبب ذلك ـ على ما قيل ـ ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد ، تفعله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صارت تفعله عامتهم .

وقيل كان سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم ، فيطرقون الحي فياخذون المال والحريم ، فاشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ، ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زى النساء، فاذا اتاهم العدو وظنوهم النساء يخرجون عليهم .

ففعلوا ذلك،وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم، فلزموا اللثام تبركا به ، بما حصل لهم من الظفر بالعدو .

وقيل ان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدوٍّ لهم ، فخالفهم العدو الى بيوتهم . ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ انه العدو ، امروا النساء ان تلبس ثياب الرجال وتتلثم وتضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وقد تقدم المشايخ والصبيان امامهن ، واستدار النساء بالبيوت ، فلما اشرف العدو راى جمعا عظيما ، فظنه رجالا ، وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت . والرأى ان نسوق النَّعَم ونمضي . فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم . فبينما هم في جمع النعم من المراعى اذ اقبل الرجال الى الحى ، فبقى العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو خلقا كثيرا ، وكان مَنْ قتلته النساء اكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سُنّة يلازمونه ، فلا يُعرَف الشيخ من الشاب . ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا .

ومما قيل في ذلك :

قومٌ لهم دَرَكُ العُلا من حِمْيَرٍ
وان انتموا صِنهاجةً فهمُ همُ
لمّا حَوَوْا احرازَ كلِّ فضيلة
غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثموا

(ع . ف)

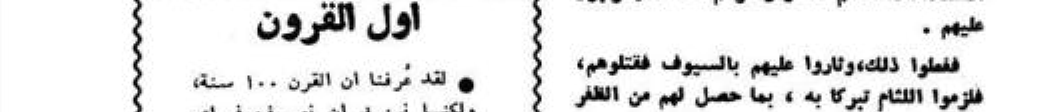
اول القرون

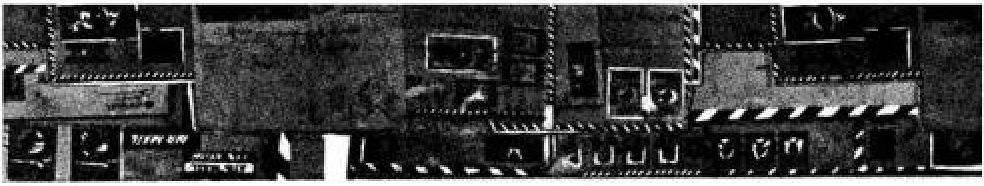
● لقد عُرفنا ان القرن ١٠٠ سنة، ولكننا نريد ان نعرف في اى سنة بدأ القرن العشرون .. ؟

على محمد ـ الكويت

ـ بدا القرن العشرون في يوم اول يناير سنة ١٩٠١ ، كما بدا القرن الثامن عشر في يوم اول يناير سنة ١٧٠١ ، كما بدا القرن الاول يوم اول يناير سنة ١ ميلادية.

●●





ابناء يعانون من تعنت الآباء

● مشكلتي ، هي مشكلة الابناء الذين يعانون من تعنت الآباء ، هؤلاء الذين لا يستطيعون ان يتحركوا الا بمقدار ما يسمح به آباؤهم ، فهم ممنوعون من مغادرة البيت الا باذن ، فاذا غادروه فلا بد ان يعودوا في ساعة معينة . حتى تصرفاتهم واعمالهم وسلكهم ازاء الآخرين ، لا بد ان تخضع كلها لرقابة الوالدين ، وخاصة الاب ، الذى يصر على ان يعرف كل شيء عن حياة ابنه الخاصة ، سواء كان طفلا ام حتى شابا في الجامعة . كيف نواجه هذه القيود التي نعيش في ظلها ، هل هناك كلمة تستطيعون ان توجهوا بها الى الابناء والآباء على السواء ، من اجل تضييق تلك الهوة السحيقة التى تفصل بينهم ، فتجعل الابن يتصور ان والده عدو له ! وتدفع الاب الى التمادى في سطوته وسيطرته على ابنه وهو يرى منه ذلك التحدى الواضح في الكثير من تصرفاته ؟

محمد عثمان عبد الرحمن
الخرطوم ـ سودان

اننا لا نستطيع ان نلوم الابناء وحدهم ، كما لا نستطيع ان نضع المسئولية كلها على عاتق الآباء ، في موقف التعنت هذا الذى يقفه البعض منهم تجاه ابنائه .

فالابن مسئول ، لانه لم يستطع ان يكسب ثقة والده ، ولم يستطع ان ينمي شخصيته بصورة تبعث على احترام ابويه له ، وهي امور لا يمكن ان تتحقق ، الا اذا كان الابن صادقا في تصرفاته ، امينا في علاقاته مع الناس ، مقبلا على الدرس والتحصيل دون حاجة الى نصيحة او توجيه ، الا في حالات الضرورة القصوى ، عندما يشعر هو انه يواجه مشكلة او مازقا يحتاج فيه الى نصيحة من هم يكبرونه سنا وتجربة في الحياة .

مثل هذا الابن ، لا نظن انه يعانى من التعنت والسيطرة والقيود التى تحدثت عنها ، وشكوت منها ، فهو غالبا ما يجد في والده صديقا واخا كبيرا يلجا اليه في الشدائد .

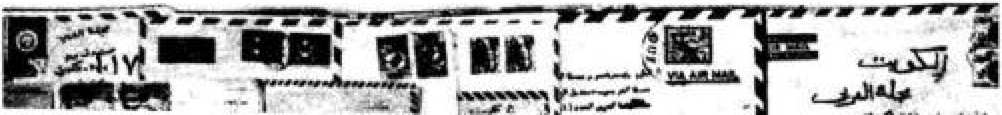
ولكن بعض الابناء يفشلون فيما ينجح فيه غيرهم ، وهؤلاء في حاجة الى رقابة ليس في ذلك شك . والخلاف هنا ليس على مبدا وجود هذه الرقابة التى لا بد منها ، ولكن على طريقة فرضها عليهم ، والاسلوب الذى يتحتم على الاب ان يسلكه لكى يحقق الهدف الذى يرجوه .

فلا بد للاب في مثل هذه الحالة ، ان يحاول من جانبه ان يكسب صداقة ابنه ، وثقته به . وبهذا يطمئن اليه ابناؤه ويفتحون له قلوبهم ، ويلجاون اليه في كل متاعبهم ومشاكلهم .. وبذلك يستطيع ان يراقب تصرفات ابنائه دون ان يشعرهم بانه رقيب عليهم .

ان الهوة التى تتحدث عنها ، لا تحدث الا عندما يشعر الابناء ان كل وسائل الاتصال مع آبائهم قد قطعت .. ولكن اذا ادرك الابناء ان آباءهم ليسوا اعداء لهم ، فالاب هو الانسان الوحيد الذى يريد ان يرى غيره ينعم بنصيب اكبر من النجاح الذى حققه هو في حياته .. انه يريد ان يرى ابنه احسن منه .

اذا ادركوا هذا فلم تعد هناك هوة بين الآباء والابناء كما تقول .

(م . ن)



بوتان في الامم المتحدة

● لقد انضمت الى عضوية الامم المتحدة دولة بوتان .. فما هي مساحة هذه الدولة وما هي اهم مواردها وكم يبلغ عدد سكانها وما هو نظام الحكم فيها ..

حامد مهدي سالم ـ سوهاج ـ ج.م.ع

● تردد ذكر دولة بوتان Bhutan مؤخرا بمناسبة انتسابها الى عضوية الامم المتحدة ، وقد تم ذلك في الاجتماع الاول من اجتماعات الجمعية العمومية في دورتها السادسة والعشرين التي انعقدت في الخريف الماضي .

ولعلنا لم نسمع كثيرا بهذه الدولة قبل ذلك . ولا عجب فبوتان دولة نائية منزوية . انها تقع شرق جبال الهمالايا ، وتحدها الهند وسكيم والتبت من الجنوب والغرب والشرق، على التوالي (انظر الخريطة) .

ثم ان بوتان دولة صغيرة . فعدد سكانها لا يزيد على ٧٥٠٫٠٠٠ نسمة ، وهم يعيشون في رقعة جبلية تبلغ مساحتها ١٩٠٠٠ ميل مربع ، ويعتمدون في رزقهم على تربية الخيل وزراعة الارز والذرة ، ولكن بقدر محدود .

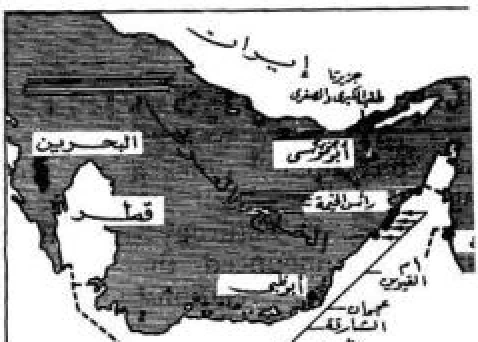
وبوتان فوق ذلك دولة متخلفة . وحسبنا ان نذكر انها الدولة الوحيدة في العالم التي لا وجود للهاتف فيها ، وان جيشها ما زال يعتمد على سلاح الاقوام البدائية : القوس والنشاب !

وتجدر الاشارة الى ان بوتان خضعت لحكم بريطانيا منذ سنة ١٧٧٤ ، ولنفوذها المحدود اعتبارا من سنة ١٩١٠ . واستمرت تبعيتها لبريطانيا حتى سنة ١٩٤٩ ، حينما حلت الهند محل الحكومة البريطانية في رعاية بوتان وفي تقديم العون المالي لها ، وقد رفعته الهند حتى اصبح ١/٢ مليون روبية سنويا .

الجزر الثلاث

● اين تقع الجزر الثلاث ، ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى .. وما هي اهميتها من الناحية الاقتصادية ..

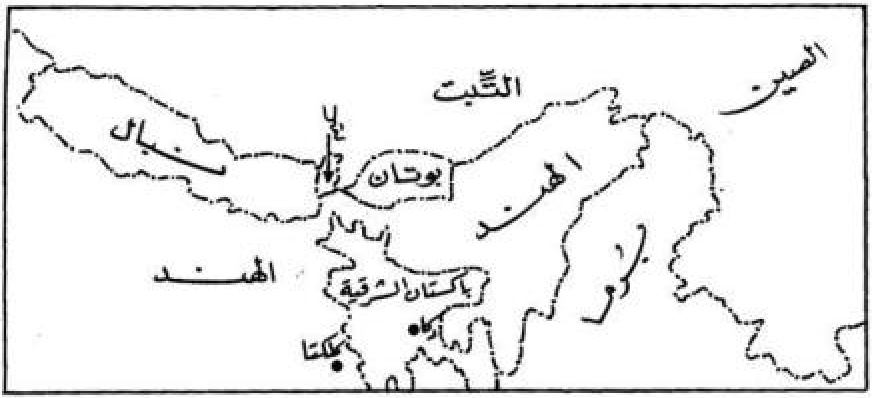
اكرم محمد موسى
ثانوية الفحاحيل/الكويت



ـ تقع الجزر الثلاث في عنق الخليج العربي ، غير بعيد عن ساحل عمان .. (انظر الخريطة) . واكبرها ، كما هو معروف ، هي جزيرة ابو موسى ٧ كيلو مترات × ٥ كيلو مترات تقريبا ؛ وكان العربي قد نشر استطلاعا وافيا عنها (راجع عدد اكتوبر ١٩٦٨) . وجزيرة ابو موسى هذه غنية بالمعادن ، ولا سيما اكسيد الحديد .

ويؤكد الخبراء انها غنية بالبترول ايضا . شأنها في ذلك شأن الجزيرتين الاخريين ، طنب الكبرى وطنب الصغرى .

(ى ق)



بقى ان نذكر ان نظام الحكم في بوتان نظام ملكي. وقد سادها هذا النظام اعتبارا من سنة ١٩٠٧ ، حينما نصّب اهلها حاكمهم المهراجا ملكا عليهم . وبقى هذا النظام وراثيا ومطلقا حتى سنة ١٩٦٩ ، حينما اصبح ديمقراطيا واصبح الملك مسؤولا امام مجلس الامة الذى اصبح يتمتع بسلطة تعيينه واعفائه اذا اقتضت الضرورة .

ونذكر اخيرا ان عاصمة بوتان هى تمفو Thimphu ، والدين السائد فيها هو البوذية .

ولا ندرى ما صنف الحياة التى فيها . ومن الناس من يخال انها لا بد ان تكون حياة بدائية فيها الراحة وفيها الامن وفيها الرضى بما عرف الناس وبما لم يعرفوا .

(ى ز)

لعنة الفراعنة
بين الحقيقة والخيال

● تجدد الحديث اخيرا عن لعنة الفراعنة بمدوفاة عالم الآثار الفرعونية البريطاني البروفيسور والتر ايمرى اثر أزمة قلبية حادة هاجمته اثناءعمليات الحفر للبحث عن قبر امحوتب اله الطب القديم . فما هى هذه اللعنة وهل هى حقيقة امخرافة ؟

ابراهيم مصطفى ـ بنى غازى
ليبيا

ـ ادى البحث عن الآثار الفرعونية الى الحديث عن لعنة الفراعنة وكان لاكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في عام ١٩٢٢ ابلغ الاثر في تردد الحديث عن لعنة الفراعنة في مختلف انحاء العالم . فبعد اكتشافمقبرة توت عنخ آمون توفىاللورد كارنارتون وهو الذى مول ابحاث العالم الاثرى البريطاني كارتر للبحث عن هذه المقبـرة ، وكانت وفـاة كارنارتون على اثر لدغة بعوضة بعد ثلاثة اسابيع من اكتشاف المقبرة . وبدأ الحديث عن لعنـة الفراعنة والحديث عن المعتقدات المصرية القديمة التى تقول بان « الكا » او قرينالانسان عند قدماء المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة وذلك لحمايتها من اى عبث بها . ويقول بعض الاثريين ان ازعاج المومياء يفصل « الكا » عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذى سبب هذا الانفصال . وساعد علىانتشار هذا الاعتقاد انالكابتنريتشارد

بيتيل الذى ساعد في فتح قبر توت عنخ آمون مات فجأة اثناء نومه في عام ١٩٢٩ وانتحر والده بعد ذلك بعام بان قفز من النافذة ، وفي عام ١٩٥٦ انتحرت ارملته . وقد بلغ عدد من لاقوا حتفهم بطريقة غامضة في فتح مقبرة توت عنخ آمون حوالى العشرين شخصا من المصريين والبريطانيين .

وقد ذكرت الانباء ان البروفيسور ايمرى وعمره ٦٧ عاما كان يحمل في يده تمثالا صغيرا لاله الموت عند المصريين القدماء قبل ان تهاجمه النوبة القلبية التى قتلته بوقت قصير .

ويبدو انلعنة الفراعنة شيء سيظل يتحدث عنه الناس طويلا لما يحيط بها من اساطير وملابسات . ولكن الواقع ان هذه اللعنة غير موجودة بدليل ان عددا كبيرا من مكتشفى الآثار المصرية القديمة لا يزالون يعيشون بيننا حتى الآن ، وكثير منهم ايضا مات موتة طبيعية غير مفاجئة .

(م . ط)

البليون والترليون

● قرأت في العدد (١٤٨) من مجلة « العربى » ان نفقات العالم للاسلحة تقدر بترليون دولار ، وهذا المبلغ يساوى مليون مليون ، وعلى حد علمى ان البليون يساوى مليون مليون ، فأيهما الاصح ؟

محمد خليل الرجبى ـ الاردن

ـ الترليون هو مضاعف المليون ، وهو في فرنسا كما في الولايات المتحدة مليون مليون ، ولكنه في بريطانيا وفي المانيا هو مليون مليون المليون .

اما البليون،فهو مضاعف الالف وهو في الولايات المتحدة ، كما في فرنسا ، عبارة عن الف الف الف (او ان شئت الف مليون) . وهو في بريطانيا والمانيا الف الف الف الف (او ان شئت مليون مليون) .

ومن اجل هذا الاضطراب يعبر الناس بالمليون والالف فيقولون الف مليون او مليون مليون او نحو ذلك .

وعند الفرنسيين المليار ، وهو عبارة عن الف مليون .

●●

الرز وقصته في العالم

● ما هى اكبر دولة منتجة وما هى اكبر دولة مصدرة للأرز في العالم ؟

سعد عبد الله الهنداس
الجبيل ـ السعودية

● الرز هو أحد الاغذية الاساسية التى تعتمد عليها البشرية . بل انه يحتل في الكثرة المقام الاول بين هذه الاغذية جميعا ، بما فيها القمح .. ذلك ان الرز هو الغذاء الأساسى لاكثر من نصف سكان الارض ، وهو الغذاء الوحيد للكثيرين من هؤلاء ..

لا غرابة اذن ان بلغ مجموع محاصيل العالم من الرز سنة ١٩٦٩ نحو ٢٧٠ مليون طن . وتنتج الصين الشعبية نحو ثلث هذا المجموع (٩١ مليون طن) وتنتج الهند نحو ربعه (٦٢ مليون طن) . اما بقية الكمية فموزعة على كثير من الاقطار في آسيا وامريكا وافريقيا . واليك فيما يلى بيانا باهم تلك الاقطار ، وبمقدار ما انتجت من الرز في السنة المذكورة ، ١٩٦٩ .

باكستان	٢١ر٢٦٧ر٠٠٠	طن
اليابان	١٧ر٥٠٤ر٠٠٠	طن
اندونيسيا	١٦ر٥٨٠ر٠٠٠	طن
تايلند	١٠ر٧٧٢ر٠٠٠	طن
البرازيل	٥ر٦٠٠ر٠٠٠	طن

غير ان الانتاج شيء والتصدير شيء آخر . فالهند ، مثلا ، وهى الدولة الثانية انتاجا للرز ، لا تصدر منه شيئا ، بل انها تستورده بكميات بلغت ٥٤٣ر٠٠٠ طن في السنة التى ذكرنا . ويصدق ذلك ايضا على اليابان واندونيسيا ، وقد استوردتا من الرز في السنة السالفة الذكر ٥٣١ر٠٠٠ طن و ٤٣٦ر٠٠٠ طن على التوالى ، ولا يخفى ان هذه الظاهرة انما تعزى الى كثرة سكان تلك الاقطار من جهة ، والى استهلاكهم الكبير للرز من جهة ثانية .

اما الدولة التى تحتل المكانة الاولى في تصدير الرز في العالم فهى الولايات المتحدة الامريكية . تليها تايلند فالصين الشعبية . وتأتى جمهورية مصر العربية في المرتبة الرابعة.واليك بيان ذلك :



	الكمية المصدرة	المحصول سنة ١٩٦٩
الولايات المتحدة الامريكية	١ر٧٥٤ر٠٠٠ طن	٤ر١٤١ر٠٠٠ طن
تايلاند	١ر٢٦٢ر٠٠٠ طن	انظر ما سبق
الصين الشعبية	١ر١٣٢ر٠٠٠ طن	انظر ما سبق
جمهورية مصر العربية	٥٣١ر٠٠٠ طن	٢ر٥٨٦ر٠٠٠ طن .

(ى ز)

حائر بين العلوم والاداب !

● أنا طالب في المرحلة الثانوية ، حصلت هذاالعام على شهادة الصف الاول الثانوى ، واذن فلا بد لى من التخصص في العام الدراسي المقبل ، فاما ان اتجه الى القسم العلمى او الادبى . ولكننى لا ادرى ماذا افعل بنفسى ، اننى في حيرة،وسبب حيرتى ان ميولى تتجه الى القسم الادبى ، بينما درجاتى في المواد العلمية ممتازة .. فماذاافعل ؟ ان المستقبل اكثر اشراقا امام طلبة القسم العلمى ، فنحن نعيش في عصر العلم والتكنية ،ولكن ماذا افعل بهذا الميل الطبيعى في نفسي الى الادب وكل ما يتصل به ؟ ترى هل اجد عندكم حلالهذه المشكلة ؟

سالم احمد مبارك باسعيد ـ الكويت

ـ هذه مشكلة شائعة بين الطلبة ، اذا صح لنا ان نسميها مشكلة . فهى في واقع الامر ليست بمشكلة ، على الاطلاق . فنحن لا نجد تناقضا بين ميولك وقدراتك . فانت تستطيع انتلتحق بالقسم العلمى ، ما دامت درجاتك في العلوم ممتازة ، وفي نفس الوقت ترضى ميولك الادبية عن طريق القراءة والاطلاع .

اكمل دراستك العلمية ، فهذا هو طريقك الطبيعى ولا تحمل هم ميولك ، فسوف تجد لها منطلقا بعد تخرجك . فالاختبار الحقيقى لنجاحك في الحياة،لن يجىء قبل التخرج وممارسة عملك.

والعلم والادب لا يتعارضان .. نعرف عالما كبيرا معاصرا ، يفكر بعقل علمى ، وله في العلم بحوث ودراسات مستفيضة ، وهو الى جانب ذلك كاتب يكتب في شتى فروع الادب ، كاروع ما يكتب في الادب .

والتاريخ حافل بامثال هذا الرجل العالم الاديب ، في الشرق وفي الغرب على السواء .

ثم لا تنس بعد هذا ان تستعين بنصائح اساتذتك، فنصائحهم لا شك تفيدك في تقرير مستقبلك ، فالاساتذة يبنون احكامهم في العادة على كفاية الطالب وميوله من ناحية،وامتحان اسواق الارزاق عند التخرج من ناحية اخرى . ثم يجب الا تنسى بعد هذا ان الميول التى تؤدى الى الفقر ميول خادعة .

(م . ن)

طرائف غربية

الفيلسوف فولتير ، كان أعظم الصحفيين

● الصحفي والمعلق الامريكي الشهير والتر ليبمان Walter Lipman . سألوه يوما : « من هو اعظم الصحفيين الذين صادفتهم خلال فترة عملك الطويلة فى الصحافة ؟ »

فقال : « كنت اتمنى ان القاه ، ولكنه سبقنى الى المجيء الى هذا العالم بأعوام طويلة ، انه فولتير » Francois Marie De Voltaire (١٦٩٤ — ١٧٧٨) كاتب فرنسا وفيلسوفها .. لقد كان هذا الرجل أعظم رجل امسك بالقلم ليكتب ، وينشر ما يكتب فى الصحف . لقد كان شجاعا لم يرهبه السيف ، فقد كان يؤمن بأن قلمه أقوى من كل سلاح يسلط على رقبته .. كان ناقدا بارعا ، ومناصرا للحق مهما كانت المخاطر التى تحيق بكشفه لهذا الحق . كنت أتمنى ان يعيش فولتير ليرى ثورة الشعب فى فرنسا على الطغيان .. تلك الثورة التى غذاها ورعاها قبل مولدها .. فلم تكن عظمة هذا الكاتب الفيلسوف تكمن فيما قدمه من مؤلفات فى الادب فحسب وانما فى شجاعته وقدرته وسخريته من كل شيء لا يتفق مع المبادىء التى آمن بها ، ومن كل انسان يحاول ان يفرض سطوته .. ولكنه مات قبل أن يرى هذه الثورة .. مات فى نفس العام الذى رحل فيه جان جاك روسو فقد كان الاثنان على موعد مع الموت . كما كانا على موعد مع الحياة .

فولتير



التعليم اولا

لا يمكن لاية حكومة ديمقراطية تعتمد على التايد الشعبى فى حكمها ، ان تستمر وتحيا وتزدهر الا اذا اعتمدت على شعب متعلم ..

« وودرو ويلسون »



دانتي

بين شكسبير ودانتي

● سمع شكسبير Shakespeare يوما ما كتبه احد أصدقائه من كلمة القاها أمام جمع من الادباء والشعراء بمناسبة بلوغه عامه الستين من العمر .

قال الصديق فى كلمته : « لقد اجتمعنا اليوم لنكرم أبا الادب والمسرح الانجليزى ! »

وكان شكسبير غائبا ، فقد أقعده المرض يومها عن الحضور ، فلما بلغه ما قيل فى وصفه ، عندما قصدوا اليه فى بيته يحملون اليه الزهور ، دمعت عيناه ، ثم طلب الى المهنئين ان يجلسوا ، ومد اليهم يده فاذا بها تحمل «كتابا» ، وقال شكسبير : « هذه هى الكوميديا الالهية The Divine Comedy هل تعرفون من هو صاحبها ؟ انه دانتى اليجرى Dante Alighiere (١٢٦٥ — ١٣٢١) ، اعظم شاعر أنجبته ايطاليا ، وأعظم أديب عرفته أوربا .. وأعظم انسان ظهر فى عصر الظلام ، لقد ولد هذا الرجل العملاق ومات عندما كان العالم الغربي يصارع أعداء التحرر فى القرون الوسطى .. وعندما ظهر ذلك البصيص من الضوء الخافت الذى أعلن فجر التعاليم الجديدة التى اخذت تنير طريق الشعوب فى هذا العصر المظلم ، كان دانتى يحمل الشعلة ويتقدم بها الصفوف .. لقد كان دانتي هو الرجل الذى ذهب الى السماء ، ولكنه لم يبق فيها ، فقد ظل يعود الى الارض بعد اجيال طويلة من موته ، ليضيء للناس طريقهم كلما اشتد الظلام من حولهم .. »

وانتهى شكسبير من حديثه ثم نظر الى الحاضرين وقال : « لا تنسوا دانتى اليجرى ايها السادة فهو الذى حمل الشعلة التى حررت انسان القرون الوسطى من الخوف ! »



امنية بطل

● جو لويس Joe Louis ، بطل العالم الاسبق فى الملاكمة للوزن الثقيل ، تلقى يوما دعوة لزيارة كلية الهندسة بجامعة ايوا Iowa ، عقب فوزه مباشرة في احدى المباريات العالمية .

وفي اثناء طوافه بورش الكلية ، فوجىء الملاكم البطل ، باحدى الطالبات ، وكانت تدرس الهندسة الميكانيكية ، تقترب منه وتقول : « هل تسمح لي بان اوجه اليك سؤالا ؟ »

وقال البطل : « بكل سرور ، وانا مستعد للاجابة عليه فورا ! »

وقالت الطالبة : « اريد منك ان تصف لي شعورك عندما يتحقق لك الفوز على خصومك في المباريات ؟ »

وقال جو لويس : « ولماذا لا تسالينني عن شعورى وانا ازور كليتكم ؟ هل تعرفين فيم افكر في هذه اللحظة . انني كنت اتمنى لو انني استطعت ان افعل شيئا نافعا بهاتين اليدين بدلا من توجيه اللكمات الى وجوه الناس ! »

من
تراثنا
العربي



بلنسية في زمن العرب



محكمة المياه في بلنسية في زمن العرب

أنظمة الريّ فيها ...

بقلم
الدكتور فيصل دبدوب
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

"ومحكمة المياه" القائمة إلى اليوم

■ ان من اعظم الاماني التي كانت تراود خاطري زيارة الفردوس المفقود (الاندلس) وقد حقق لي الله تلك الامنية ، فشاهدت بام عيني ارضها وسواحلها وكورها ومزارعها ومدنها وقصباتها واهلها في حواضرهم وارياقهم ،وعاينت سحنهم واشكالهم وعاداتهم واخلاقهم ، وتجولت في متاحفها الشهيرة وزرت خزائن الكتب المهمة فيها ، واطلعت على آثار اجدادنا ومخطوطات تراثنا وآثارنا الباقية ، وبعض معالم الفن العربي في طراز العمارة وقد تبين لي بعد ان زرت هذا القطر بان اسبانيا في حاضرها مدينة للعرب بتراثها الحضاري وطابعها الحياتي (البايولوجي) الذي يلوح على سحن ابنائها وتراكيب اجسامهم ويظهر في وفرة انتاجها الزراعي وجودته. وكمثال على اثر الحضارة العربيه على اسبانيا رايت ان اتحدث الى القراء عن انظمة الري ومحكمة المياه في بلنسية فانها خير شاهد على ما اقول .

وصف الاندلس

لابد لي قبل الدخول الى صلب الموضوع من الدوران حوله للاحاطة به فاشير الى ما قاله بعض اعلام الجغرافية من العرب الاوائل في وصف الاندلس .

قال البكري في المسالك والممالك « يذكر ان اسمها في القديم (ابارية) من وادي (ابرة) ثم سُمّيت بعد ذلك (باطقة) Eatica من وادي (بيطي) Baetis، وبيطي هو الاسم القديم للوادي الكبير Gvadal Aviar نهر قرطبة ، ثم سميت (اشبانية) من اسم رجل فلكها بالقديم اسمه (اشبان) ، وقيل انها سُمّيت (بالاشبان) لما سكنوها في اول الزمان على حرمة النهر وما والاه ، وقال قوم ان اسمها انما هو في الحقيقة (اشبارية) مسماة (اشبرش) وهو الكوكب المعروف بالاحمر ، وسُمّيت بعد ذلك بالاندلس من اسماء (الاندليش) الذين سكنوها على ما ياتي ذكره . والاندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، اهوازية في عظيم جباياتها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملي الفلسفة . وكان من ملوكهم الذين اثروا الاثار بالاندلس (هرقلش) وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس ، وصنم جليقية ، والاثر في صنم طركونةالذى لا نظير له (انظر جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك لابي عبيدة البكرى تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي ص ٥٧ ــ ٧٠) .

وقال المقرى في نفح الطيب « تشابه اسبانيا بلاد الشام بسحر مناخها وصفاء هوائها ، واليمن بمناخها المعتدل صيفا وشتاء ، والهند بعطورها الزكية الرائحة وبلاد فارس باهمية مكوسها ، وعدن بمنتوجات سواحلها » .

بلنسية في غابرها وحضارها

لما استولى العرب على بلنسية لم يجاروا الاسبان في اطلاق هذا الاسم Valencia عليها بلفظة الأسباني «فاصيح (بلنسية) واوردوه بهذا الرسم في تواليفهم التاريخية والجغرافية ، فقد جاء في معجم البلدان لياقوت « بلنسية بباء وسين مهملة وباء خفيفة ، كورة ومدينة مشهورة بالاندلس ، وهي برية وبحرية ذات اشجار وانهار وتعرف بمدينة التراب » . وجاء في نزهة المشتاق « بلنسية من قواعد الاندلس ، في مستو من الارض ،

عامرة القطر كثيرة التجارة والعمارة ، بينها وبين البحر ثلاثة اميال مع النهر الذى يسقى مزارعها ، ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة » (انظر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص ١١٧) .

قال الحميرى في الروض المعطار « بلنسية في شرق الاندلس بينها وبين قرطبة عن طريق بجانة ستة عشر يوما ، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما . وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الاندلس في مستو من الارض ، عامرة القطر كثيرة التجارات ، وبها اسواق وحط واقلاع ، وبينها وبين البحر ثلاثة اميال ، وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها ، وسورها مبني بالحجر والطوابي ، ولاهلها حسن زي وكرم طباع ،والغالب عليهم طيب النفوس والميل الى الراحات ، وهي في اكثر الامور راخية الاسعار كثيرة الفواكه والثمار جامعة لخيرات البر والبحر ، ولها اقاليم كثيرة ».

وبلنسية اليوم ثالثة مدن اسبانيا اهمية ، لا يفوقها سوى مجريط (مدريد) وبرشلونه ، وهي مركز ولاية تسمى باسمها ، وفيها جامعة ودار اسقفية ، ومعامل متنوعة الانتاج وبينها وبين البحر مسافة لا تزيد على ثلاثة اميال وبجانبها نهر يسمى نهر توريا Turia وقد سماه العرب النهر او الوادى الابيض وعلى هذه التسمية اطلق عليه الاسبان اسم Gwadlviar (انظر دائرة المعارف البريطانية الجزء ٢٢ ص ٩٤٧ ـ ٩٤٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص ١١٩).

وان المسافر لا يرى بلنسية حتى يصير في وسطها وذلك من كثرة جناتها التى تغطيها ، ومع هذا فالنظر يسرح منها الى مسافة عشرين كيلو مترا في الجبال التى في غربها . ويرى قلعة (مربيطر) في شمالها وجبل (القنت) في الجنوب الشرقي منها ، هذا ومنظر قبابها المرصعة بالزليج الازرق والابيض والمذهب حين تنعكس عليها اشعة الشمس منظر رائع حقاً يخلع على المدينة بهاء الحواضر العربية العريقة ، القاهرة وبغداد ودمشق .

كان الاقدمون يقولون « بلنسية قطعة سقطت من السماء » وقال عنها ياقوت في معجم البلدان « وكم من بلدة في الارض تتمنى ان يكون لها جنان بلنسية ونخيل البصرة » (انظر معجم البلدان لياقوت الحموى الجزء الاول ص ٩٠)) وجاء في دائرة المعارف البريطانية « بلنسية هي المدينة الثالثة في اسبانيا ، وهي عاصمة لمقاطعة بنفس الاسم ، مناخها معتدل ، وشتاؤها ليس بقارس ، وعدد سكانها حسب احصاء عام (١٩٥٠م) (٦٧/٩٨٩) نسمة ، لها مرسى يقال له غراو Grave واهم صادراتها البرتقال والليمون والكتان والحرير والرز ، وتصدر كذلك الالات والمراوح الاسبانية الشهيرة وانواع الخمر والانسجة الكتانية والحريرية والمخرمات المطرزة ، والزليج الذى اشتهرت به منذ زمن العرب والذى ما برح الاسبان يسمونه في لغتهم Azulejos » .

ترتبط المدينة بمجريط (مدريد) بخط حديدي طوله (٩٠) كيلو متر ، على انه لو كان الخط مستقيما لما زاد عن ثلاثمئة كيلو متر . هذا ولم تفقد المدينة مكانتها التى تبوأتها زمن العرب ، بل زادها الدهر اهمية بخلاف قرطبة وطليطلة ، وقد اطلق على المدينة بلدة (السد Cid) نسبة لمغامر قشتالي ظهر في زمن ملوك الطوائف ذلك الزمن الذى اذنت فيه شمس العرب بالمغيب عن الاندلس .

ان الذين وضعوا حجر الاساس لبلنسية هم الرومان عام (١٢٩ قبل المسيح) ثم دمر بعض احيائها بومبي Pompei ثم عادت الى رونق الشباب في عهد القيصر اغسطس باعادة تشييد ما اندثر من معالمها واضافة احياء جديدة اليها وسقطت المدينة بيد القوط الغربيين Visigoths عام (٤١٣م) ثم انتقلت الى حوزة المسلمين عام (٧١٤م) = (٦٩ هـ) وذلك بعد ان فتحها طارق هي والمدن التى تجاورها مثل (ساقونية) و (شاطبة) و (دانية) وقد غلبت عليها وعلى اعمالها العروبة بنزول القيسية في ارباضها (انظر الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث ص ٥٠ ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص ١١٩) .

هذا واستمرت بلنسية طيلة عهد الاسلام من اعظم المراكز العربية في جزيرة الاندلس وقد اصبحت عام (١٠٢١م) عاصمة لمقاطعة مستقلة بعد ان انفرط عقد الخلافة الاموية في قرطبة . ومن اشهر من حكمها انذاك عبد العزيز المنصور

حفيد الحاجب المنصور ، ثم داهمتها الفوضى عام (١٠٨٠م) من جراء الفتن الداخلية ومطامع الاسبان بالاستيلاء عليها ولظهور السد الكمبيادور Cid El Campeador الذى نوهنا عنه ، (وكلمة سد محرفة من كلمة سيد العربية والكمبيادور تعني في القشتالية القديمة المقاتل) وقد استولى السد على بلنسية بعد ان تغلب على جيش المرابطين سنة (١٠٩٤م) فسميت المدينة بلنسية السد Valanc de cid ، وبعد موته عام (١٠٩٩م) تولت زوجته (شيمان) Chimene حكم المدينة وقيادة جيش زوجها المكون من المرتزقة ، فلم تقو على صد جيش المرابطين ، فحملت جثة زوجها وغادرت المدينة مكرهة بعد ان اشعلت فيها النيران عام (١١٠١م) فدخلتها جيوش المرابطين ، وحينذاك توقفت مغامرات الاسبان في تلك الانحاء الى حين ، ثم سقطت المدينة بيد الاسبان نهائيا عام (١٢٣٨م) ولم تعد الى حظيرة الاسلام (انظر مواقف حاسمة في تاريخ المسلمين لمحمد عبد الله عنان (ص ٢١٢ - ٢٢٣) ودائرة المعارف البريطانية (الجزء ٢٢ ص ٩٤٨) .

كانت بلنسية حافظة مسحتها العربية الى العصر الاخير حيث تبدلت فيه هيئتها وغلب فيها طراز البناء الجديد فلم يبق منها على الهيئة القديمة سوى آثار معدودة ، فقد هدموا السور سنة (١٨٧١م) ولم يبق غير برجين مشرفين على الحارة القديمة ، وقد جعلوا مكان السور حدائق فاصلة بين البلد القديم والحارات الجديدة . والبلد القديم ما زال يحتفظ بشيء من الطابع العربي بطراز بعض ابنيته وضيق ازقته وتعرجها واصمية جدرانها لخلو معظمها من النوافذ الا بعض الكوى التي تطل على الازقة من عل . (انظر الآثار الاندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان ص ٦٨ - ٧٢) هذا ولبلنسية مرفأ يقال له غراو وقد اشرنا اليه وآخر يقال له كابانال Cabanal والاول اهم واعمر .

اعظم شوارع بلنسية اليوم شارع خوسية انطونيو Avenida De Jose Antonio ومن اقدم خطط بلنسية شارع الرصافة وحي الرصافة Calle De Ruzafa ويذكرنا هذا الاسم برصافة قرطبة الشهيرة وقد ورد في الروض المعطار بانه كان في بلنسية ايام المسلمين حي يسمى بهذا الاسم ، اقول ربما كان موقعه في نفس هذا المكان (انظر الروض المعطار ص ٥٢) .

سواقي بلنسية

لقد حول العرب بلنسية الى بستان حقيقي رغم ان تربتها ليست فائقة الجودة كما ان ميزات مناخها ليست افضل المميزات الزراعية ، اذ ان نسبة هطول الامطار فيها منخفضة جدا (٤٨٠ ملم في السنة) ، ولكن عرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها الغزير نهر توريا او الوادى الأبيض كما سماه العرب منذ الف سنة او اكثر فانشاوا السواقي Acequia العديدة تروي الاراضي القاحلة بمياه النهر فاحالتها الى جنات تجرى من تحتها الانهار ، ولبلنسية نهر آخر اصغر من النهر الابيض يسمى نهر Jucar . ان السواقي التي اوجدها العرب ما زالت باقية حتى ايامنا هذه وهي تشكل عملا هندسيا رائعا بشهادة ابرز الشخصيات الفنية الحديثة .

قال الدكتور (روزية) رئيس جامعة لوزان من سويسرة مشيدا بهندسة الري العربية في بلنسية « لقد طوفت بلاد الاندلس ، ورايت آثارها الباقية من عهد العرب ، فاعجبت بها كل الاعجاب ، ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية ، فان اهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين ان تقيم ارقى مما انشا ابناء جنسكم (يعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذى دك كثيرا من المعالم في ارض الاندلس على نسف هذه السدود على وادى الابيض وغيرها ، والا لهلك ذلك الاقليم عطشا . ومن الاسف ان مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها فقبح من قضوا عليها » . (انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . الجزء السابع من المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٢) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية : « ان اتقان اعمال الري والاساليب الزراعية الراقية التي صيرت بساتين وحدائق بلنسية ذات شهرة عظيمة تعود الى العرب ، ويعود اليهم كذلك ايجاد غابات النخيل فيها وزراعة البرتقال وجلبة

من الشرق اليها ونشر زراعة الكروم في ضواحيها » . (انظر دائرة المعارف البريطانية الجزء ٢٢ ص ٩٤٧) . وجاء في دائرة المعارف الاسلامية « قال احد المحققين المنصفين من الافرنج ومن عجب انه في مدى القرون السبعة التي انقضت منذ خروج مدينة بلنسية من يد المسلمين لم يستطع الاسبان ان يضيفوا الى ذلك النظام الهندسي شيئا ولا ان يدخلوا عليه تعديلا من عند انفسهم ، اذ انه اليوم على وضعه الذي ابتكره العرب قبل تلك القرون الكثيرة » (انظر دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، المجلد الرابع ص ١١٧)

فلا عجب اذا ان اصبحت بلنسية اليوم عباره عن بستان كثير الخصب وافر المنتوجات ، تلك المنتوجات الزراعية التي حازت تقدير واعجاب المستهلك داخل اسبانيا وخارجها . ان هذه الجنة العربية التي يرجع عهدها الى اكثر من الف سنة يجري فيها سبع سواق تشير اسماؤها الى مصدرها العربي وهي : ساقية قورات Coarte وابن عشار ومسلطة Mislata وفهارة Favara على الضفة اليمنى ، وساقية الترمس Tormos ومصالة Mastalla وراسكانيا Rascania . على الضفةاليسرى للنهر ويتفرع منها قنوات وافرة تنقسم بدورها الى فروع عديدة تشمل بقعة واسعة من اراضي الري مساحتها نحو عشرة الاف هكتار (انظر الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث ص ٢١٣ ــ ٢١٤).

وعلى ذكر السواقي اقول بان الكنيسة الكبرى في بلنسية قائمة في محل هيكل قديم تحول بعد النصرانية الى كنيسة ثم بعد دخول الاسلام الى جامع ، ثم لما استرجع الاسبان بلنسية اعادوا الجامع كنيسة وكان ذلك عام ١٢٦٢م ، وفي هذه الكنيسة جرس عظيم يقال انه يدق لتعريف ساعات السقيا للبساتين ، ومن اعلى برج الجرس يشرف الانسان على جميع بساتين بلنسية ويرى جبال بني قاسم Benicasim وقد انشىء برج الجرس في نهاية القرن الرابع عشر منفصلا عن الكنيسة وهو شاهق يبلغ ارتفاعه خمسين مترا . ان شعب الاقنية لا ينتهي عددها وهي متشابكة لا يعلم مبتداها ولا منتهاها الا اصحاب البساتين. وعلى كل حال لا يبقى من الارض الداخلة في هذه الغوطة التي تشبه غوطة دمشق شبر واحد دون شرب ، وكل هذا يجرى ترتيبه المتناهي في الدقة من ايام العرب ، هذا واذا ما اشتد الحر في القيظ فان مياه النهر الابيض لا يبقى منها شيء تقريبا في فصل الصيف جاريا الى البحر بل تشربها كلها البساتين ، وان الانسان ليحار عندما يدخل تلك الجنان ويرى ما فيها من الجداول راكبا بعضها فوق بعض ، منها ما هو معلق في الفضاء ومنها ما هو انفاق في الجبال او المرتفعات ولكل قناة من الاقنية الكبرى السبع التي ذكرناها يوم تفتح فيه لسقيا البساتين المتعلقة بها فتجرى المياه منها الى القنى الصغار التي لا يحصى عددها ، وسقيا البساتين بالساعات ، ولهذه الاقنية هيئات اي نقابات خاصة لادارة امورها كل قناة لها هيئة ينتخبها اصحاب البساتين . وفي السنين التي يكون الجفاف فيها شديدا يحق لاعضاء نقابات المياه ان يغيروا القواعد المرعية بحسب المصلحة عائدا ذلك الى رايهم فيؤخرون المياه لاجل زراعات دون اخرى ، ويغيرون ساعات السقيا ان شاءوا ويحق لهم بحسب الامتيازات القديمة الممنوحة لهم من الملك خايمي الاول فاتح بلنسية ان يامروا اصحاب القرى العالية التي تنحدر منها المياه ان يسدوا مجارى المياه التي يسقون منها مدة اربعة ايام واربع ليال متواليات فيتجمع حينئذ من المياه ما ينفقون به الموسم . واذا امتنع اهالي القرى المذكورة عن اجابة هذا الطلب فان نقباء المياه يراجعون الوالي وعلى هذا ان ينفذ طلبهم وهذا النظام يرجع الى سنة ١٢٣٨م حينما فتح خايمي الاول ملك ارغون مملكة بلنسية فامر انذاك ان تكون هذه المياه تابعة للبساتين دون ادنى بدل ولا ضريبة مقتفيا بذلك اثر الانظمة والقوانين العربية التي كانت سائدة قبل احتلاله المدينة .

يزعم جوسه Josset صاحب كتاب اسبانيا والبرتغال المصور ان العرب اخذوا هذه التراتيب عن الرومان سواء كان ذلك في اسبانية او في شمال افريقية . والحقيقة خلاف ذلك فان العرب اينما وجدوا اتقنوا فن توزيع المياه على الاراضي ولم يقلدوا فيه غيرهم وان كونهم غادروا بلنسية وهذه التراتيب فيها على اجمل وجه هو ثابت فبقي هناك قضية هل اخذوها عمن سلف ام لا ؟ هذا ما

سوف نطلع عليه بعد قليل في حديثنا عن محكمة المياه (انظر الحلل السندسية الجزء الثالث صفحة ٢١٥) .

محكمة المياه في بلنسية

يطلق على محكمة المياه اليوم Tribunal de la Aguas ، وان هذه المحكمة الطارفة التليدة تقام في العراء كل خميس من كل اسبوع في مدينة بلنسية منذ تاسيس المحكمة من قبل العرب حتى اليوم وانتخب يوم الخميس من بين ايام الاسبوع لتجرى فيه محاكمات المياه لانه اليوم السابق للعطلة الاسلامية (الجمعة) ، ويتم اجتماع المحكمة امام باب الرسل من الكنيسة الكبرى المسماة (Santissima Maria اى مارية عالية القداسة) وهي كتدرائية بلنسية التى كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب . تتالف المحكمة من سبعة قضاة ينتخبهم الشعب من بين هيئات (نقابات) الاقنية السبع ، قاض عن كل ساقية .واختصاص هذه المحكمة هو الفصل في الدعاوى الناتجة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الاكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذى يعتبر نفسه مغبونا فيقدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ويجوز احضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكتفى غالبا بسرد الواقع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجرى بصوت منخفض بين اعضاء المحكمة ، يعلن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف . لمحكمة المياه ميزات نادرة ، تجرى المحكمة في العراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية وعلى القضاة ان يرتدوا اللباس الرسمي ـ وهو عبارة عن قباء اسود ـ (وهذا الزى تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية بالنقد المتداول ولكنه يجب الاشارة الى قيمتها بالليرات القديمة. ويتقاضى الرئيس عادة كمية من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل خاص مشهور ببلنسية يكلف باعدادها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان محكمة المياه انشاها العرب وقد قام بخلقها الخليفة الاموى الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية انذاك عبد الرحمن بن حبال ، وقد تاسست هذه المحكمة في اواخر عام (٩٦٠ م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر ، وعندما استولى الملك خايمي الاول على بلنسية احترم هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما احترمها جميع الحكام الذين استلموا زمام الامور في اسبانيا حتى يومنا هذا واعترف التشريع الاسباني بشرعية المحكمة وشرعية قوانينها اعترافا صريحا (انظر الحلل السندسية الجزء الثالث ص ٢١٣ ـ ٢١٥ ودائرة المعارف البريطانية (الجزء ٢٢ ص ٩٨)) .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان القوانين التى تطبقها المحكمة مقتبسة باكثرها من قوانين الرى التى كانت سارية في بعلبك في القرن الثامن الميلادى ومن احكام شريعة (حمورابي) (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) واحكام شريعة (اورنمو) (٢١١٣ ـ ٢٠٩٦ ق.م) الملك السومرى الذى سبقت شريعته شريعة حمورابي بنحو من ثلاثمائة عام (انظر الرى والحضارة في وادى الرافدين / الجزء الاول / للدكتور احمد سوسه ص ٥٧) ، وهذا يعني ان اقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كتدرائية ـ مسجد ـ بلنسية .

ان قوانين بعلبك وشرائع (حمورابي) و (اورنمو) دخلت الى اسبانيا عن طريق الجيش العربي الذى جاء لنصرة طارق بن زياد وشارك في فتح بلنسية التى استوطن فيها فيما بعد .

لقد كان عام (١٩٦٠ م) عام الذكرى الالفية لتاسيس « محكمة المياه » ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العدل الاسباني وبصحبته وزراء الزراعة والاشغال العامة ، وقد اشاد الخطباء في تلك الاحتفالات الباهرة بالحضارة العربية وبمآثر العرب الرائعة في الاندلس ، ومما يلاحظ ان تكفر الاسبان عن خطاياهم التى ارتكبوها ضد العرب قد جاء متاخرا جدا .

في خلال الحرب العالمية الثانية كان احد سفراء الدول العظمى بمدريد ذا ثقافة عالية وميل شديد الى الدرس والتنقيب في الابحاث التاريخية، حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشاتها ، وبعد ان اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر ان هذه المحكمة خالدة الى الابد ، ويظهر ان العرب لم يتركوا الاندلس نهائيا بعد .

اقول اجل ، ان هذه الحكمة خالدة خلود التراث العربي في الاندلس ، وباقية بقاء السمرة العربية الظاهرة على ملامح الاسبان في الفردوس المفقود .

وبعد

فان (البرخت كوتزة) يقول « ان تاريخ السومريين والبابليين القدماء لا يمكن ان يفهم كما يجب ما لم يردد وضوحا نظام الري كما كان عليه في تلك الازمان » (انظر الري والحضارة في وادي الرافدين لاحمد سوسة الجزء الاول الصفحة الاولى) . واقول بان ما قاله (كوتزة) ينطبق على الحضارة العربية في الاندلس الى حد بعيد . فنحن ان اردنا أن نفهم اثر العرب على اسبانيا من وجهة النظر الحضارية لا يمكننا ان نستقصي هذا الاثر بشكل ينطبق والعلم الحديث ما لم ندرس انظمة الري وهندسته وتشريعاته ، والزراعة وما يتعلق بها في الغابر عند العرب وفي الحاضر عند الاسبان لكي نحدد ونثمن فضل العرب الحضاري على التمدن الاسباني ، وهو ما حاولنا اثباته في هذا البحث بدراستنا لكورة مهمة من كور الاندلس هي اقليم بلنسية ذلك الاقليم المتميز بطابعة الزراعي الممتاز .

مراجع البحث

١ ـ دائرة المعارف البريطانية الجزء (٢٢) طبعة عام ١٩٥٩ م .

٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) المجلد الرابع القاهرة عام ١٩٣٧ م .

٣ ـ الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث .

٤ ـ المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي دار الارشاد . بيروت ١٩٦٨ م .

٥ ـ الروض المعطار لابي عبد الله الحميري المنشور بعناية الاستاذ ل . برفنال القاهرة عام ١٩٣٧ م .

٦ ـ نفح الطيب للمقرى ، طبعة محيي الدين عبد الحميد القاهرة عام ١٩٤٩ م .

٧ ـ معجم البلدان لياقوت الحمى طبع دار صادر بيروت عام ١٩٥٥ م .

٨ ـ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام لمحمد عبد الله عنان ، الطبعة الاولى عام ١٩٦٢ م .

٩ ـ الاثار الاندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان . الطبعة الاولى عام ١٩٥٦ مطبعة مصر .

١٠ ـ الري والحضارة العربية في وادي الرافدين . الجزء الاول لاحمد سوسة مطبعة الاديب البغدادية عام ١٩٦٨ .

١١ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء السابع من المجلد الثاني تموز عام ١٩٤٢ .

١٢ ـ مشاهداتي الخاصة ■■

فيصل دبدوب

تواضع عند الكرم

● اتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يساله فقال الحسن : ان المسالة لا تصلح الا في غرم فادح ، او فقر مدقع وحَمالة مفظعة . فقال الرجل : ما جئت الا في احداهن . فامر له بمائة دينار . ثم اتى الرجل الحسين بن علي فساله فقال : كم اعطاك ؟ قال : مائة دينار . فنقص دينارا . كَرِهَ ان يساوي اخاه .

ثم اتى الرجل عبد الله بن عمر رضي الله عنه فساله فاعطاه سبعة دنانير فقال له الرجل اني اتيت الحسن والحسين وقص عليه كلامهما وفعلهما به فقال عبد الله بن عمر : واني تجعلني مثلهما انهما غرّتا العلم غرّتا المال .

الشعر

رأى الأدباء من عرب وغير عرب في:

- **تعريفه**
- **غايته**
- **مهمته**
- **وظيفته**

بقلم: طلال سالم الحديثى

■ **مسالة تعريف الشعر مسالة معقدة لتشعبهاوتشابكها واضطراب الاراء حولها اذ لم يستقر راى النقاد والمتذوقين على تعريف مقنع للشعر سواءبالنسبة للشعر العربي او لشعر الامم الاخرى . وقد امتلات كتب النقد ومباحثه بتعريفات كثيرةلا حصر لها** (والباعث على كل هذا الخلاف هو اختلاف النظر الى الشعر ، فهو يرى من ناحيةعلى انه وظيفة اساسية من وظائف الحياة وجهد مبدع متكامل . ويرى من ناحية اخرى على انهعمل صناعى خارجي يقوم بحذق آلى خاص) (١) .

تعريف الشعر

وقد حاولت مرارا الاجابة على السؤال الآتى : ما هو الشعر ؟ وكنت اجيب وفي ذهنى طائفة من التعريفات منها انه (قول موزون مقفى يدل على معنى)(٢) **او** (ضرب من النسج وجنس من التصوير)(٣) **او** (ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيهالطبعوالرواية والذكاء ثم تكون الدُربة مادة له وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز)(٤). **او ان** (الشعر ليس عملا سهلا ساذجا كما يعتقد كثير من الناس . بل هو معقد غاية التعقيد ، هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد ما يزال النقاد منذ ارسطاليس يحاولون ان يصفوها بما يقيمون عليها من مراصد ومقاييس)(٥) .

وقد يكون الشعر كما عرفه اليوت Eliot ، بانه (ليس اطلاقا للانفعال ، لكنه هروب من الانفعال . انه ليس تعبيرا عن الشخصية ولكنه هروب من الشخصية)(٦) .

وعلى راى جونسون Johnson ، يكون الشعر هو الأدب الموزون وانه فن توحيد السرور مع الحقيقة

---

(١) الاسس الفنية للنقد الادبي ، دكتور عبدالحميد يونس ص/١٢٤ .
(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ص (١٥) .
(٣) الحيوان ، الجاحظ ج ١٣١/٣ .
(٤) الوساطة ، الجرجاني ص ١٥ .
(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دكتور شوقي ضيف ص ١٣ .
(٦) مناهج النقد الادبي ، ديفدديتشس ص ٢٢٠ .

باستخدام الخيال .. وجوهره الاختراع) . **او يكون كما يقول مل** Mill (اللفظ والمعنى حين تتزياهما العاطفة) . **او كما عرفه ماكولاي** Macaulay ، ب (انه فن استخدام الكلمة حيث ينتج عنها ايهام الخيال ، وانه الفن الذى يستخدم الكلمة لتؤثر نفس التأثير الذى يحدثه الرسام باستخدام الالوان) . **ويمكن ان نعتبره اداء فنيا بالالفاظ كما اعتبره روبرت فروست** Frost.

وقال كارليل عن الشعر بانه (الفكرة ذات الطابع الموسيقى) . **اما شيللى** Shelley ، **فعده** (تعبير الخيال عن نفسه) . **وعرفه هازلت** Hazlitt ، **بانه** (لغة الخيال والعاطفة) . **واما كولردج** Coleridge ، **فقد عرفه بقوله :** (الشعر نقيض العلم هدفه المباشر اللذة وليست الحقيقة). **وقال عنه ادجار آلان بو** Peo **بانه** (خلق الجمال الموزون) . **واعتبره راسكين** Ruskin ، (ايحاء العواطف النبيلة)(٧) .

تعريفات للشعر غير مقنعة

هذه التعريفات(٨) على الرغم من تعددها واقتراب بعضها من بعض في احيان قليلة تبدو غير مقنعة لانها في الاصل تحاول تحديد شيء ليس من خاصيته ولا من طبيعته التحديد .

ان في الشعر (خصوصيات) لا نجدها في النثر. هذه الخصوصيات هي التى تجعلنا امام شيء نسميه الشعر وآخر نسميه النثر . ان القصيدة هي بمثابة فيض شعورى هائل نحسه وراء الكلمات التى تكون الاطار الموسيقى لهذا الفيض والذى يحتاج بدوره الى حدة انفعالية يتغلغل بواسطتها الى المتلقى او القارىء . وقد ينطبق تعريفى هذا على النثر انطباقه على الشعر وهو لهذا قاصر عن اعطاء المتلقى فكرة واضحة عن الشعر .

ان للشعر في اذهاننا صورة خاصة تميزه عن النثر الا اننا في الغالب لا نحسن توضيحها . فما قلناه ليس هو ما اردنا قوله . وبسبب من عدم خضوع الشعر لتحديد مقنن بقى مجال النظر في تعريفه مفتوحا وسيظل .

ويبدو ان هذه المسألة قد دفعت بعض النقاد الى تجنب وضع تعريف للشعر واستهجان هذه المحاولة اذ (من الخطأ البين ان يقسم النقاد الفن المتوسل باللسان الى شعر والى نثر فنى على هذا الاساس العجيب وهو ان الشعر هو الذى يختص بالموسيقى . اما النثر فمرسل عاطل عن هذه الموسيقى)(٩) . **فالادب في ظل هذه النظرة** (وحدة كاملة مهما اتسعت دائرته . وانه كغيره من الفنون الجميلة لا يختلف عنها الا في وسيلة التعبير وهى اللسان او اللغة المنطوقة ، وانه في شعره ونثره الفنى يقوم بالكشف عن التجربة لصاحبها ، ثم لمن يتلقاها ويتذوقها . وبهذا الفهم لاتجرد النثر الفنى من الموسيقى التى هى صفة اصيلة في اللغة المنطوقة قبل ان تكون خصيصة من خصائص الادب، ولا نقصر الموسيقى على الشعر وحده ، ويكون التفريق بينهما على اساس نفسي . فان الموسيقى في الادب ترتفع عن مجرد موسيقى لغوية لسانية وتستعين بدلالات اخرى غير مجرد دلالات المخرج ، والنبرة توجد في الترديد والمماثلة والمشاكلة والمقابلة والتوقف والاسترسال والايقاع ، وهى تصاحب الشعور المعبر عنه وتساير جيشانه ، وتحكى درجته ومقداره . فاذا زاد الانفعال ارتفعت النبرة وتداخلت وتعقدت ، واذا هدأ واقترب من التأمل خفت هذه النبرة وانبسطت . فالشعر هو الجانب الذى يحكى هداة هذا الانفعال . وتقف في منزلة بين المنزلتين انفعالات متوسطة بين العنف والهدوء تأخذ من خصائص الشعر ومن خصائص النثر الفنى على السواء . والمقترب من النثر هو (النثر الشعرى) . ولا يمكن ان توضع حدود وتعاريف جامعة كما يذهب المنطق في ميدان الفن الجميل ، ولا يمكن أن ترسم خطوط فاصلة بين نوع ونوع في هذه الفنون)(١٠) **ويبدو لى ان نظرة الدكتور عبد الحميد يونس هذه الى الموضوع نظرة**

---

(٧) الاقوال التى لم ترقم ترجمها بتصرف الدكتور داود سلوم في كتابه النقد الادبي الجزء الاول ص ١٤٧ .

(٨) لعل القارىء يلاحظ اننى لم اعمد الى ترتيب آراء النقاد بتسلسل تاريخى . والحق انه كان من الاجدى اتباع هذه الطريقة لولا نظرى الى دلالة القول فقط .

(٩) الاسس الفنية يونس/١٢٣ .

(١٠) الاسس الفنية ، يونس/١٢٥ .



اليوت .. الشعر عنده ليس تعبيرا عن الشخصية ولكنه هروب من الشخصية

صائبة جديرة بالملاحظة ليس لانها تجنبنا جدلا ليس بذى نفع وحسب وانما لواقعيتها ولتصيبها من دقة النظر واقترابها من طبيعة هذا الفن المتجدد .

ان الشعر قد وصل في هذا العصر الى حد من التعقيد والسمو بموضوعاته واهتماماته . وجدير بهذا الجدل ان يوجه الى الشعر نفسه قضاياه وظواهره . يقول ديتشس (وقد تجيء عصور يكون فيها الشعر او الادب بمنجاة من الهجوم فينتجه اربابه في طلاقة ووفر فيقدمونه الى جمهور يرى فيه ، راى التسليم ، جزءا طبيعيا من مدنيته ، وفي مثل تلك العصور ينتحى الدفاع الفلسفي عن الشعر وتحل محله المعالجة التطبيقية ، فيتجه النقاد الى ابراز القيمة في الاثر الادبي الواحد ، والى التحدث عن طرائق التجديد في الكتابة،والى دراسة اسرار الصنعة الادبية وتعليم المتأدبين كيف يمتلكون ناصية فنهم)(١١) .

غاية الشعر ، مهمته ، وظيفته

بعد ان القينا نظرة على تعريف الشعر نحاول ان نلقى نظرة اخرى على غاية الشعر ومهمته ووظيفته . فلست اشك مطلقا في اهمية هذا الموضوع بالنسبة الى الشعر في هذا العصر الحديث . ذلك ان بعضنا فيما يبدو قد اخذ يحدد موقفه من الاشياء بقدر ما تعطيه او بقدر ما ياخذ منها . ولا اريد ان اجزم بحداثة هذا الموضوع او ان اقصره على الشعر الحديث ، ذلك انى وجدت في كتب الادب القديمة اشارات افصحت او هدفت الى الافصاح عن هذه المهمة والغاية . الا ان النقاد العرب الاوائل لم يحفلوا بالموضوع احتفالهم بقضية الاوزان والقوافي ، وتقسيم الشعراء الى طبقات وفحولة الشعراء وايهم ارهب واطرب . ومهما يكن من شيء فقد وجدنا اشارات غير قليلة الى الموضوع وهي جديرة بالتامل لانها تضع امامنا بوضوح تفهمهم للشعر ونظرتهم اليه. واضع امام القارىء سؤالا للحجاج القاه على المساور بن هند . سأله : لم تقول الشعر ؟ فاجابه وقال :

« اسقى به الماء وارعى الكلا وتقضى لى به الحاجة وان كفيتنى تركته »(١٢) .

من خلال هذا القول يتبين لنا ان فكرة التكسب بالشعر هي التى كانت تدور في راس هذا الشاعر. فبشعره يطلب ما هو في حاجة اليه وبشعره تتعلق احلامه وامانيه . ثم هو – اى الشعر – في نظره وسيلة الى غاية فان كفاه اياها احد فانه قادر على ان يسكت وينقطع عن قول الشعر .

ان هذا الفهم السيء لمهمة الشعر وغايته مقرون الى مفاهيم اخرى خاطئة سيطرت على الشعر العربي في اعصره الاولى ، اضافة الى اغفال قيمة احاسيس الشاعر وتركيز مطالبه كلها برغبات مادية بحتة ينصرف الى تحقيقها .

وثمة قول آخر نذكره هنا هو قول عمر بن الخطاب (رض) عن الشعر . قال : « الشعر يسكن به الغيظ وتطفأ به النائرة(١٣) ، ويتبلغ به القوم ويعطى به السائل(١٤) » .

---

(١١) مناهج النقد ، ديتشس/٢٦٣ .

(١٢) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء، الراغب الاصفهاني ج ١ س/٣٦ .

(١٣) نارت نائرة : هاجت هائجة.القاموس المحيط ١٤٢/٢ .

(١٤) محاضرات الادباء للاصفهاني .

الشعر لا يقتصر على المطالب المادية

ويبدو ان هذا القول اقرب الى فهم طبيعة الشعر من القول الذى سقناه آنفا . ذلك لانه لا يقتصر على المطالب المادية وحسب وانما يتعداها الى التاثير على النفوس فتجد في ظله مراحا ناعما يسكن به الغيظ وتطفا به الثائرة اضافة الى انه يمكن ان يحمل فكرة او رأيا او رسالة يتبلغ بهديها الناس. كذلك يعطى به السائل اذا ما رفعه في هذا المقام لنيل طلب او عطاء . واذا كنا نجترىء هذين القولين من (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء) فاننا نؤكد ان مثل هذه النظرة لا يمكن ان تعم شعر امة باجمعه ولا شعر فترة بأتمها وحسبنا ان نذكر الاصل تدعيما للتوع . فالشعر الحديث قطعا ليس وليدا غير شرعي للشعر العربي القديم وكأني بقائل هذا القول الباطل يريد نيلا من حقيقة تراث عربي ضخم غني وخصب .

ان جمع القرائن ذات الدلالات المعينة بعضا الى بعض يقوى شمولية النظرة الى الموضوع ويحد من تنافرها لتكون خيط الوصل بين الاشياء ،نشأتها وتطورها .وبعد أن ألقينا هذه النظرة القديمة لغاية الشعر ومهمته نستأنف النظر في ذات الموضوع عند المحدثين لكي نجمع بين النظرتين ونحاول التوفيق فيما بينهما .

اننا امام قول ل (كيتس) Keats يذكر فيه (ان وظيفة الشعر الحقيقية ليست الوعظ)(١٥) .

ان اعطاء هذه الوظيفة للشعر لا يفضي بالاساس الى ان يتجنب الشاعر تحميل شعره فكرة ما او آراء معينة . وهو يستطيع ذلك بجعل اسلوب شعره ليس وعظيا والا يلجا الى افعال الامر والنصائح . ولدينا اشعار كثيرة تحمل فكرة معينة الا انها لا تتبع هذا الاسلوب . ان الهدف البين الذى يحمله الشعر لا يعني ان يكون الشعر وعظيا بالضرورة وليست كل قصيدة تحمل هدفا واضحا هي قصيدة وعظية .

واذا ما وضعنا قولا آخر جنب هذا القول نرى تناقضا بيّنا يدعم راينا الذى ذهبنا اليه . تقول « اليزابث درو » : (ان الشعر فن وليس رسالة اجتماعية . ولكننا مع ذلك لا يمكننا ان نفصله من المعنى . فهو يبدأ بمعطيات خارجية ويصقلها في الداخل ويخلقها خلقا جديدا . وهو في النهاية تركيب لفظى له رسالته بمعنى ان الشاعر لا يعطينا زخرفة جرسية فقط)(١٦) . ان نظرة « اليزابث درو » الى الشعر تبدو واقعية ومنطقية اذا ما نظرنا الى الشعر بمنظار يبعده عن دائرة التهويمات الذهنية التي تنطلق من مركز اللاوعي عند الانسان.

العصر الحديث ضيّق من مجال الشعر

ويبدو ان العصر الحديث بمعارفه التي بلغت شاوا بعيدا في التقدم قد ضيق من مجال الشعر وبرهن على عدم جدواه لذلك يبدو توماس لف بيكوك Peacock ، متشائما في اطوار الشعر الاربعة اذ يقول : (ان الشعر قد ذهبت فائدته وانه في عصر المعرفة والعقل والاستنارة لا يأوى الا الى الخمول والخرافة)(١٧) . ولعل نظرة بيكوك هذه تنطلق من قصره رسالة الشعر على المجتمعات البدائية او غير المتقدمة . ان هذه النظرة بالغة السذاجة ذلك لان رسالة الشعر لا تنتهي عند حد معين بل لا تقف عند حد معين . ان الشعر كالثورة تركز هدفها في التغيير ، حتى اذا تم لها ما تريد انصرفت الى الداخل تبني وتصنع . ان مهمة الشعر لا يمكن ان تموت ذلك لانها مهمة ازلية تغذى الوجدان الانساني انى تقلبت به الحال .

---

(١٥) الشعر كيف تفهمه وتتذوقه ، اليزابث درو – ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(١٦) الشعر كيف تفهمه وتتذوقه ، اليزابث درو ص ١٠٤ .

(١٧) مناهج النقد ديتشس ص ١٧٥ .

ولعل شيللى Shelley ، يعطينا في قولة له ما يمكن ان ندعم به رأينا . يقول (ان الشعر ترافقه اللذة دوما ، وكل الارواح التى يسقط عليها تفتح أذرعها للقاء الحكمة التى تلتزم مع اللذة)(١٨). ولتوضيح هذه الفكرة نذكر لشيللى ايضا قوله (ان الشاعر لا يقدم صورة ناطقة للاخلاق بل انه يساعد على تحقيق الخير الاخلاقى بتقوية الخيال)(١٩) . ان شيللى يرسخ على ان للشعر غاية لكنه ضد الاسلوب المباشر والهدف البين : (الشاعر يسيء صنعا حين يجسد أفكاره من الخير والشر . اما الشعراء الذين كانت موهبتهم أقل عمقا على عظمها امثال « يوربيدس » و « لوكان » و « تاسو » و « سبنسر » فانهم كانوا دوما ينتحلون غايات اخلاقية وكان اثر شعرهم يتناقص تناقصا مطردا مع الدرجة التى يحملوننا فيها على أن نلتفت الى هذه الغاية)(٢٠) . فمن اليسير ان نجد تفاوتا بين آراء شيللى هذه والراى الآتى لارنولد Arnold ، (اما الشعر فان الفكرة بالنسبة اليه هى كل شيء . وكل ما عدا ذلك فهو عالم من الوهم أو الوهم العلوى . الشعر يربط انفعالاته بالفكرة والفكرة هى الواقع في حقيقته)(٢١) .

ان قول « آرنولد » هذا يتناقض تمام التناقض مع قول « كيتس » السالف ذكره وهو وان اتفق مع بعض الآراء التى ذكرناها آنفا الا انه يختلف وإياها في الاسلوب لكنها تلتقى جميعا في الغاية . ولرانسوم Ransome قول يجعل في الشعر موضوعا الا انه يجعل مهمته — اى مهمة الشعر — هى ان يقنعنا بان الموضوع الذى فيه يستحق الاهتمام.

الشعر ليس بالونا منتفخا بالهواء

ان الشعر لا يمكن ان يكون خاليا من الموضوع وهو ليس بالونا منتفخا بالهواء . هذه حقيقة يمكن ان نتفق عليها . لكن ما يباعد بين وجهات النظر هو مهمة الشعر وغايته ووظيفته . ان الشاعر يطرح موضوعه (مبدعا او محاكيا) بشكل ما من خلال انطباعاته الخاصة او يطرحه بالشكل الذى وعاه وليس هذا الشكل تكريرا لملامحه في الواقع. وانما يولد هذا الشكل ثانية بعد ان يكون قد اختزن في وعى الشاعر او لا وعيه وحمل اضافات تكون مرتكزا لما يريده الشاعر .

تقول اليزابث درو (فللشاعر طبيعتان انسانية وفنية . والشعر ينبع من مصدرين ، من جبرية غامضة تكمن في اللاوعى ، ومن تنظيم صناعى تام الوعى . فهو عملية تختلط فيها الحياة باللغة ويتزاوج فيها المعنى والمبنى ، ويلعب فيها كل من التنقيح والطبع دورهما)(٢٢) .

ان الموضوع الذى تتضمنه القصيدة لا يحدد دوما مهمتها ووظيفتها . كذلك فان تحميل الشعر رسالة ما لا يغض من منزلته ولا ينتقص من مكانته. اننى ارى ان الشعر لا يضيق ذرعا بان يكون موضوعه مشيرا الى غاية ما دام الشعر يرفع كـ (فن) بين يدى الانسان . والانسان هو الآخر لا يريد أن يصغى دوما الى شعر لا يهتم به وبآماله . الا اننى انكر على الشعر ان يكون وسيلة الى غاية شخصية او متلقا الى سلطة او فرد . ان الفن عامة والشعر خاصة يحفل بمعطيات ثرة يجب أن تخدم الانسان .. حريته وانسانيته وأمانيه . وعلى هذا تكون مهمة الشعر هى استشراف عالم الانسان بوسائل فنية تطرح ولا تفرض وتقترح ولا تحدد وتقول ولا تجزم . هى تكوينات ذاتية يمكن ان تشرك الآخرين في عالمها. او ان يدفعنا الشعر كما يقول (ييتس) Yeats (لنلمس العالم ونتذوقه ونسمعه ونراه ويعلمنا كيف ننصرف عن كل ما هو من نتائج العقل وحده بل عن كل شيء ليس نافورة تتفجر من كل آمال الجسم وذكرياته وأحاسيسه)(٢٣) . ■■

العراق — طلال سالم الحديثى

(١٨) نفس المصدر ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(١٩) ، (٢٠) نفس المصدر ص ١٨٩ و ٢٠١ .

(٢١) نفس المصدر ص ١٨٩ .

(٢٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث دروس ٢٥ ، ٣٩ .

(٢٣) نفس المصدر ص ٢٥ .

طرائف

أعجب من العجب

■ لقي احد الادباء ابا العيناء في السحر . فجعل يتعجب من تبكيره . فقال له ابو العيناء : سبحان الله اتشاركني في الفعل . وتتفرد بالعجب !

ثقل على

● قال الشعبي : لما مات على بن ابي طالب رضى الله عنه قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لابيه ، ثم قال : نِعْمَ اخو الاسلام كنت يا ابى ، جوادا بالحق ،

تَحرُّج وتأثم

● كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة يطلب اليه ان يجمع بين اياس ابن معاوية، والقاسم بن ربيعة الجوشني فيولى القضاء انفذهما. فجمع بينهما. فقال له اياس : سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة الحسن البصري وابن سيرين .

فعلم القاسم ان اياسا يهرب من القضاء . وانه ما اشار على عدي بسؤال فقيهي البصرة الا ليختاراه دون اياس . فقد كان اياس لا يأتيهما . . فقال القاسم لعدي : لا تسأل عني ولا عنه . فوالله الذي لا اله الا هو ان اياس بن معاوية افقه مني واعلم بالقضاء . فان كنت كاذبا ــ وقد حلفت ــ فما ينبغي لك ان توليني . وان كنت صادقا فينبغي لك ان تقبل قولي .

فقال اياس متحرجا متأثما : اي عدي . انك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجّى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف .

فقال له عدي : اما وقد فهمتها فانت لها . واستقضاه . « ولاه القضاء » .

★ ★ ★

ما ترى فيما ترى ؟

● قال الاصمعي : اصابت الاعراب مجاعة فمررت باعرابي قاعد مع زوجه على قارعة الطريق وهو يقول :

يا رب اني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما ترى

والبطن مني جائع كما ترى
فما ترى يا ربنا فيما ترى ؟

عربية

قريش

بخيلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حين الرضا ، عفيف النظر ، غضيض الطرف ، لم تكن مدّاحا ولا شتاما ، تجود بنفسك فى المواطن التى تبخل بها الرجال ، صبورا على الضراء مشاركا النعماء ، ولذلك ثقلت على اكتاف قريش .

يخاف الموت

● قيل لاعرابي : ما يمنعك ان تغزو ؟ فقال : والله اني لابغض الموت على فراشي فكيف امضي اليه ركضا .

نار اللــه

● شرب ابو دلامة يوما ، فأحضره الشرطى الى المهدى فقال : استنكهوه ففعلوا فوجدوا رائحة الخمر . فأحب المهدى ان يعبث به . فأمر الربيع ان يحبسه فى بيت الدجاج ويطبق عليه الباب ، ففعل ، ثم اخلى سبيله بعد يومين . واقيم بين يدى المهدى ، فقال : يا عدو الله اتشرب الخمر ؟ اما انى لاقيمن عليك الحد ولا تأخذنى فيك لومة لائم ، فانشأ ابو دلامة :

امير المؤمنين فدتك نفسى ... علام حبستنى وخرقت ساجى
اقاد الى السجون بغير جرم ... كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيرا ... ولكنى حبست مع الدجاج
أمن صهباء ريح المسك فيها ... ترقرق فى الاناء لدى المزاج
عقار مثل عين الديك صرف
كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى
لقد صارت من النطف النضاج

فسأل المهدى الحاضرين ماذا يعنى بنار الله ؟ فقال الربيع : يعنى بها الشمس فقال ابو دلامة لا يا امير المؤمنين ولكن نار الله الموقدة ، التى تطلع على فؤاد الربيع مؤصدة ، وعلى من أخبرك بانى عنيت بها الشمس مطبقة . فضحك المهدى وجلساؤه وعفا عنه .

★ ★ ★

اقيلونى

● قيل ان القلاخ بن حزن ، وكان احد شعراء الدولة الاموية ، قام يوم عيد الاضحى خطيبا فى احد مساجد دمشق ، فقال ، وقد ارتج عليه : الحمد لله الذى خلق السموات والارض فى ستة اشهر . فقيل له : انما خلقها فى ستة ايام ، فقال : اقيلونى فوالله لقد ظننت انى اقللت وكنت أريد اقول فى ست سنين .

العَقْلُ مكانه في فلسفة التربية

بقلم :
الدكتور سعيد اسماعيل على

■ عندما قارن الانسان بين نفسه وبين غيره من الكائنات الاخرى ، وجد انه يمتاز عنها بجوهرة ثمينة لا تملكها هذه الكائنات الاخرى ، هذه الجوهرة الثمينة هى « العقل » . صحيح انه يشترك معها في « الجسمية » ، الا ان ما يملكه من « عقل » يجعله يسمو عليها ويعلو .

وقد عكس الانسان هذه الفكرة عن نفسه على الطبيعة والكون كله . فتخيل الكون ذا عنصرين ، طبيعة مادية يكمن فيها او وراءها او فوقها عقل كبير يسيرها ويدبرها كما يسير عقل الانسان جسده ويدبره . والطبيعة التى هى من عنصر مادى هى الحواس التى تطور استخدامها فابتكرت لها الاجهزة والآلات العلمية ، وصنفت لها الطرق والمقاييس ، وما ذلك الا لتقترب قدر الامكان من المعرفة التى موضوعها العنصر الثانى من الطبيعة وهو العنصر العقلى الثابت اللامادى، فهذه المعرفة لا تعتمد على الحواس التى كثيرا ما تخدعنا ، وانما تعتمد على العقل . ومن ثم فاذا كنا نعتمد على منهج تجريبى علمى في معرفة الطبيعة المادية للكون، فاننا لا نستطيع ان نعتمد على نفس المنهج في معرفة الطبيعة الروحية والامور المثالية التى تكون الشطر الثانى من الكون .

ولو كان الامر امر نظرية في الفلسفة او في علم النفس فحسب ، لهان الامر ، ولكن تلك النظرية كانت تعكس واقعا اجتماعيا بدأ ظهوره منذ العصور الاولى للتاريخ ، وكون هذا الواقع حصنا حصينا احتمت به الفلسفة ، ووجد من اقطاب الفلسفة القديمة مثل افلاطون وأرسطو من دافع عنه خير دفاع فقد كان يزعم ان من يستطيع ان يتخذ من العقل هاديا ومرشدا في حياته من الناس عدد بسيط ، اما السواد الاعظم من الناس فكل ما يقومون به من عمل ينحصر في حدود الوظائف النباتية والحيوانية هذا بالاضافة الى أن ما يقومون به من نشاط فكرى ـ ان وجد ـ ليس من القوة بحيث يمكن ان يضبط او يتحكم ويسيطر على اهوائهم وشهواتهم الجسمانية . ان هؤلاء الناس لا يفترقون عن النباتات والحيوانات من حيث هم وسائل لغايات ابعد منهم . كل ما هناك من فرق فهو ان لديهم قسطا قليلا من الذكاء يمكنهم من ان يقوموا بما يكلفون به من اعمال . واذا فالطبيعة ، لا النظام الاجتماعى ، هى التى حتمت ان ينقسم الناس الى طبقات ، اسفلها هى طبقة العبيد التى تقتصر وظيفتها على تنفيذ ما ترسمه لها الطبقة الممتازة من غايات واهداف .

نوعان من التربية

اما الآثار السيئة التى تردد صداها في التربية نتيجة هذا الاتجاه فهى قيام نوعين من التربية ، تربية وضيعة آلية تؤهل لاعمال العبودية ، وتربية عقلية تؤهل الفرد لكى ينخرط في سلك طبقة المفكرين ذوى العقول الممتازة القادرة وحدها على التفكير ، اما النوع الاول فطريقته هى ان يدرب الناس بتمارين عملية حتى يستطيع المرء منهم ان

على مرّ القرون



ديوي



لوك

يقدر على معالجة الاشياء واستخدام الآلات التي يتوقف عليها انتاج السلع المادية واداء الخدمات للآخرين . والتدريب هنا لا يخرج عن كونه عملية اعتياد ومهارة آلية يتم بالتكرار والمثابرة على العمل دون حاجة الى اعمال الفكر او تشغيل الذكاء ، هذا على عكس النوع الثاني من التربية ، فهنا يكون الهدف هو تدريب العقل حتى يمكن ان يؤدي وظيفته التي هي المعرفة . وبالقدر الذي تبعد به هذه المعرفة عن الامور العملية والصناعة والانتاج بقدر ما تكون اكثر فاعلية وانجح سبيل لتدريب العقل .

لقد كان لهذه النظرية الغلبة والسيادة طوال العصور القديمة والوسطى . فلما جاءت العصور الحديثة وظهر فيلسوف مثل ديكارت مدعيا الثورة على الفلسفة القديمة ، وخاصة فلسفة ومنطق ارسطو ، نجد انه انقلب دون ان يدري الى مناصرة ما كانت الفلسفة القديمة تنادي به من شطر الانسان الى شطرين متمايزين : جسم مادي من جهة ، وعقل لامادي من جهة اخرى ، وان العقل هو الذي يكون حقيقة الانسان وجوهره ، فهو يقول عن الجسم : « اقصد بالجسم كل ما يمكن ان يحد بشكل ، وما يمكن ان يحتويه مكان ويشغل حيزا بحيث يقصي عنه اي جسم آخر ، وما يمكن ان يحس اما باللمس او بالبصر او بالذوق او بالشم ، وما يمكن ان يحرك على انحاء شتى » . (ديكارت : التأملات في الفلسفة الاولى ، التأمل الثاني ، الترجمة العربية للدكتور عثمان امين ، ص ٧٢) .

وعندما اراد ان يبحث عن حقيقة نفسه استحال في نظره ان تكون حقيقتها فيما اتى بذكره من صفات الجسمية ، « فهل استطيع ان اؤكد اني املك صفة من جميع الصفات التي قلت من قبل بانها تخص طبيعة الجسم ؟ افكر في الامر مليا ، واجيل هذه الصفات وادبرها في ذهني فلا اجد منها شيئا يصح ان اقول انه من خواص نفسي » . ثم يصف ما يظنه من صفات العقل او النفس فيجد من بينها صفة « التفكير » فيقول : « انا واجد هنا ان الفكر هو الصفة التي تخصني ، وانه وحده لا ينفصل عني .. واذن فما انا ـ على التدقيق ـ الا شيء مفكر ، اي ذهن او روح او فكر او عقل ». وبهذا دعم ديكارت ما كان قائما من ثنائية الجسم والعقل،وانهما من عنصرين متباينين لا يؤثر احدهما في الآخر . ويصف العالم التربوي «ديوي» Dewy هذه النظرية وغيرها مما يماثلها بانها فوق الطبيعي Super-Natural بمعنى انها مما يتجاوز حدود القوانين الطبيعية المعروفة .

تنمية التخيل والاستدلال والتصور

وشهدت التربية نتيجة لذلك صراعا احتدم حول مركز اهتمامها ، وهل هو العقل او الجسم ، الطفل او المادة الدراسية .. الى غير ذلك من ثنائيات قطعت اوصال الفكر الانساني واورثته صداعا فكريا ما كان اغناها عنه ! فمن ذلك نظرية توجه اهتمامها الى العقل وتعتبر ان كل نشاط يقوم به مثل : التصور والاستدلال والتخيل ، انما هو وظيفة لقوة معينة من قوى العقل،ووظيفة التربية هي ان تنمي هذه القوى او الملكات ، وخير طريقة لتنمية هذه القوى هي تدريب معين خاص ،

تماما كما تدرب اجزاء الجسم تدريبات معينـة فتقوى وتؤدى وظيفتها على الوجه الاكمل. ومشكلة التربية هنا هي في تحديد المواد الملائمة لتمرين وتدريب هذه القوى العقلية ، فدراسة الاعداد مثلا تقـوى ملكة الاستدلال ، ودراسة الشعر تقـوى الذاكرة.. الخ . و « جون لوك » Lock هو الذى وضع اسس هذه النظرية التى تعـرف بنظريـة التدريب الشكلى Formal discipline او تدريب الملكـات Training of Faculties والتى على اساسها اقام نظرة معينة الى عملية التعلم ، ومن هنا عده مؤرخو التربية ، الـرائد الاول لهـذا الاتجاه . لقد كان يظن ان التعلم لا يتم الا اذا حلل العقل ما يتلقاه من انطباعات حسية مـن العالم الخارجي وركبها على النحو الذى تتحلل به وتتركب في الطبيعة نفسها ، وبعبارة اخرى نجد انه يميز في هذه العملية بين جانبين رئيسيين : الجانب الاول هو العالم الخارجي وما يقدمه للفرد من احساسات تكون محتويات المعرفة، وفي الجانب الثانى العقل وما يتكون منه من قوى . هذا بينما يقول الدكتور « فريمان بتس » اننا لا نستطيع ان ننسب هذه النظرية الى « لوك » لو اعتبرنا آراءه في التربية قد ضمنت في كتابه Thoughts' Concerning Education .

والواقع ان هذه النظرية قد خانها التوفيق في نظرتها الى العقل وطبيعة الانسان ، وعلى الرغم مما لاقته من شيوع وذيوع لما تؤدى اليه مـن تزويد المربى بمهام محددة غير غامضة ولا مبهمة ومن ثم تيسر ـ الى حد ما ـ وضع اصول مفصلة للتدريس . Bode,Boyde : How we learn, Boston, 1940, P. 85 .

الا انه من الخطأ الزعم بوجود مثل هذه القوى التى تدعيها ، وانما الموجود حقيقة هو عدد من الميول الفطرية الاصيلة ومن الاساليب الغريزية في العمل ما يبلغ عددا كبيرا ودرجة كبيرة من التشابك والتعقيد يصعب معه حصرها في مثل هذا العدد القليل من القوى . وليس هذا فحسب ، بل انها ليست في واقع الامر قوى فكرية كامنة لا تتطلب الا المران حتى تبلغ الكمال ، وانمـا هى ميـول تستجيب بوسائل معينة الى ما يحدث في البيئة من تغيرات بحيث تحدث في البيئة تغيرات اخرى ، وهكذا حق عليها ما قاله « بود » Bode من انهـا نظرية عديمة الجدوى وغير معقولة Bode Fundamentals of Education, New York, 1921, P. 182

واذا كانت النظريات الـسابقة قد عيب عليها نظرتها الثنائية الى العقل والجسم، الفرد والمجتمع، الانسان والطبيعة ، فقد ذهبت نظرية اخرى الى تلافى هذا العيب بطريقة خاصة ، وكان ذلـك بتأثير الفلسفة المثالية الالمانية وعلى رأسها «هيجل» Hegel الذى كان يذهب الى ان هناك روحا مطلقا او عقلا مطلقا يحكم العالم ، بل هو حقيقة هذا العالم وهذا الوجود بحيث لا يصح ان تميز فيه بين فرد ومجتمع ، انسان وطبيعة . وكل فـرد يكمن فيه هذا العقل الكلي المطلق ، وانما في حالة استعداد وتهيؤ ، او ـ على حد تعبير ارسطو ـ موجود بالقوة . فجاء « فروبل » Froebel وقال بان واجب التربية هنا هو العمل على اكتشاف هذه القوى الكامنة في الطفل بحيث يستطيع ان يصل الى العقل المطلق ، وبذلك وضع للتربية هدفا بعيـدا يمكن ان يقـال عنـه بلغـة الفلسفة Transcendentol او متباعدا يبعد عـن الخبرة والادراك المباشرين . ثم ان هذا الهدف الكامل الشامل اذا وضعناه هدفـا للعملية التربوية ، فسوف يعمل على ابتلاع شخصيات الافراد .

والخبرة جزء من الطبيعة ، بحيث نستطيع القول ان العلم قد انتهى الى ما يسمى « تطبيع العقل » اى الى جعل العقل جزءا من الطبيعة ، وظاهره من ظواهرها .

ارسطو



فروبل



منهج العلم التجريبي

ولكن ما معنى هذا ؟ معناه ان ليس امامنا في دراسة الظواهر الا منهج واحد هو منهج العلم التجريبي ، فمهما كان هناك من اختلاف الظواهر الانسانية عن الظواهر الطبيعية،فان هذا الاختلاف لا يبلغ الى الحد الذى يجعلهما مختلفين في النوع، وانما الاختلاف هو في الدرجة ليس الا . ان اى موضوع تتناوله الدراسة هو نظر الى الطبيعة من احدى نواحيها ، وليس هناك من اختلاف يميز بين موضوعات طبيعية وموضوعات انسانية ، كلها متضمن في الخبرة ، وليس هناك من فرق بين خبرة وخبرة من حيث علاقتها بالانسان وقابليتها للبحث والنظر ، والخبرة لا تقبل انقساما بين شئون الانسان وبين الطبيعة ، فموطن الانسان هو الطبيعة ، وتحقيق اهدافه واغراضه انما يتوقف على الاحوال الطبيعية ، فالانسان يعيش بالتنفس الذى يحتاج الى ما في الطبيعة من هواء ، ويتغذى بما في الطبيعة من مواد يمكن ان تؤكل ، ويسير بقدميه على ارض الطبيعة ، وهكذا .

ولم يكن امام الفلسفة الا ان تضع في حسبانها هذه النتائج العلمية الخطيرة ، فلسنا في عصر تستطيع الفلسفة فيه ان تنعزل عن الحقائق التى يكشفها العلم وتقبع فيقوقعة العلم الخالص وتتعالى عن امور الحياة الجارية . ولقد تمثلت هذه الحساسية في فلاسفة آمنوا بنظرية التطور ، وجعلهم هذا الايمان الى العقل نظرة طبيعية ، وقد بدا هذا واضحا في ذلكالكتاب الذى وضعه « وليم جيمس » James بعنوان « اصول علم النفس » Principles of Psychology سنة ١٨٩٠ ، والذى يمكن انيعد فاصلا بين عهدين في ذلكالعلم، اذ اعتبر العقل فيه نمطا معينا من السلوك يعالج به الانسان بيئته على نحو يعينه على الحياة . فالعلامة الدالة على وجود العقل في اية ظاهرة سلوكية هى ان نلحظ استهدافا لغايات مستقبلة، واختيارا للوسائل المؤدية الى بلوغ هذه الغايات، وهذا ما عناه « جون ديوى » بقوله ان العقل يعنى القدرة على التنبؤ والقدرة على التحكم والضبط.

اخذ فلاسفة التربية الحديثة الفكرة التيذكرها وليم جيمس وغلوها ونموها حتى تخللت كل كتاباتهم ، وجعلت فلسفتهم تتميز عن سائر الفلسفات السابقة بتاكيدها على محو ما كان من ثنائيات مثل الجسم والعقل ، المادة والروح .. الخ ، بل ودعا البعض منهم الى ان تستبدل بكلمة « العقل » كلمة « الذكاء » Intelligence لان العقل يتميز فيالفلسفة التقليدية بالضرورةوالكلية والسمو على التغير ، اما « الذكاء » فمرتبط بالحكم، اى باختيار وسائل و ترتيبها لتحقيق نتائج معينة . وليس الانسان ذكيا بسبب حصوله على العقل الذى يدرك الحقائق الاولى البينة بذاتها ، بل بسبب قدرته على تقدير الاحتمالات فيموقف ما، وسلوكه طبقا لما قدره . وبوجه عام ، الذكاء عملى، والعقل نظرى .

الانسان مر بثلاث مراحل

ولكن ، كيف اصبح الانسان ذا سلوك ذكى ؟ يقول ديوى ان الانسان مر في ذلك بثلاث مراحل ففى المرحلة الاولى وهى المرحلة « الفيزيقية » كانت حرارة الارض شديدة بدرجة لا تسمح لاى كائن حى بالحياة فوقها ، حتى اذا بردت وتكونت البحار ونشات المادة البروتوبلازمية ، تكونت الكائنات البسيطة التى استطاعت ان تعيش في البحار الدفيئة ، ويقال انه حتى هذه الكائنات البسيطة نستطيع ان نميز فيها تفاعلا بينها وبين الظروف البيئية بحيث يمكن ان نميز بينها وبين سائر الاشياء الاخرى غير الحية ، وهنا نكون قد وصلنا الى المرحلة « السيكوفيزيقية » . ثم يزداد تعقد هذه الكائنات بارتقائها وتتحرك من المياه لتسكن على الارض وتنشا كائنات جديدة تستطيع ان تستجيب لما هو بعيد من الاشياء في المكان ثم في الزمان ، ومن ثم فان اوجه نشاط هذه الكائنات ذات المستوى العالى تتميز بالسرعة في النمو والتقدم وانتقاء الوسائل والادوات التى تمكنها من معيشة افضل، ونكون هنا قد وصلنا الى المرحلة التى يبدا فيها العقل بالبزوغ او الذكاء عندما يستعمل الانسان الرموز والمعانى ، وهذه المرحلة تسمى المرحلة « السيكلوجية » .

Dewey, J. Experience and Nature, P. 272

وعلى ذلك فانه يمكن القول ان « المعاني » تبرز خلال عملية التكيف التى تقدم بها الانسان ، ومن ثم فان وظيفتها هى « تعقيل السلوك الانساني ». ويضرب لنا « بود » مثالا يوضح به هذا المعنى فيقول ، ان الطفل حينما يرى شمعة ويمسكها

فتلسعه ، عندما يراها مرة اخرى ، لن يرى الشمعة مجرد شيء فيزيقي ، وانما سيراها مرتبطة بمعنى جديد هو « الاحتراق » او اللسع ، فيفهم لها معنى و « يعقلها » ، ولذلك فقد اعتبر ان وظيفة الاشياء في الاشارة الى ما يحدث في المستقبل هو ما يعني بالعقل ، انه اسم ، ولكن لا لمادة او لحالة عقليــة ، وانمــا لوظيفــة البيئــة . How we learn, P. 224.

وديوى نفسه يذهب الى ان العقل من حيث هو كائن ، ليس الا القوة على فهم الاشياء بواسطة استعمالها .

اما الدكتور « تشايلدز » Childs فلا يبعد عن ذلك حين يقول ان الانسان لم يلاحظ اشياء الطبيعة ويسميها فقط ، بل تعلم ايضا كيــف يستخدمها ، ومن خلال هـذا الاستخـدام ، استطاع ان يعمل على اعادة تشكيل هذه الاشياء لتكون اقدر على خدمته ، ولم يزد هذا الاختراع قدرة الانسان على السيطرة على الاشياء فحسب ، بل زاد من معاني الاشياء لدى الانسان وثـراء دنيـاه .

واذا كان العقل هو القدرة على فهم الاشياء واستعمالها ، فان اختراع الادوات والآلات يلعب دورا كبيرا في اثراء عالم الانسان بالمعاني والرموز ، ذلك ان الاداة تعني وسيلة للوصول الى نتائج معينة يمكن الوصول اليها بطريقة غير مباشرة ، وبالتالي تستخدم على مستوى العلاقات والتنبؤ . ان الدليل على ان الحيوان لا يفكر ، انما هو عدم استخدامه للادوات والبدائل التى يتوسل بها الى تغيير شكل الطبيعة . واللغة تعد اهم الادوات والوسائل التي تستخدم في سبيل هذا المضمار ، وما كان لها ان تصبح وسيلة ناجحة لو لم يكن استعمالها مبنيا على اساس الاستخدام الظاهر المحسوس للادوات او الوسائل المادية للتوصل الى النتائج . ومن هنا قرر الفيلسوف « ميد » ان العقل والنفس ان هما الا نتاج اجتماعي ، وان اللغة هي الوسيلة التي بها يتم نشوؤهما ورقيهما.

وما اثر هذا بالنسبة للفكر التربوى ؟ لقد لعب هذا الاتجاه التجريبى العلمى في تفسير العقل دوره بالنسبة للتربية وللحرية الانسانية .

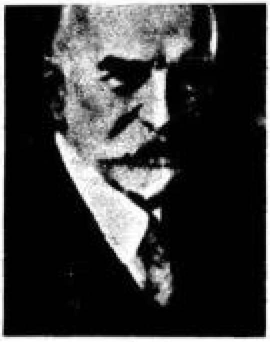
العقل ، ذكاء قائم على التجارب

فما دام « العقل » انما هو « ذكاء » قائم على اجراء التجارب ، وتوجيه ذكي لمناشط الانسان ، تتضح المهمة الاساسية التي القاها العلم الحديث على كاهله .. ان مهمته بناء على ذلك هي ان يحرر الانسان من عبوديته للماضي ، والتي ما نشات الا بسبب الجهل والمصادفات التى تبلورت فصارت عادات وعرفا . انه بذلك يبشر بمستقبل افضل ، ويعاون على تحقيق هذا المستقبل ، وهو بهذا المعنى ايضا يكسب الانسان قدرة على الابداع وثقة بنفسه وشجاعة لا تقف به وَجِلاً امام ظروف الطبيعة ، فهو بوضعه الخطط والافكار واخضاعها لمحك الخبرة والتجريب ، يلقي على الانسان مسئولية تحمل نتائج اعماله . ثم ان ذلك يدرب الانسان على حرية التفكير التى لا تجعله اسير الاعتقادات والآراء القطعية ، وانما على العكس من ذلك ، يكون الانسان مستعدا لان يتخلى عن افكاره لو اثبتت التجربة خطا الخطط والافكار الموضوعة ، فما يضعه الانسان من مخططات وما يصوغه من مبادىء يبغى الاهتداء بها في العمل الانشائي لا يمكن ان تعد عقائد جازمة ، وانما هى محض فروض تنتظر التطبيق العملى الذى يقرر اذا كانت سترفض او تصحح او توسع في ضوء مدى ما تؤدى اليه من نجاح او فشل في هداية خبرتنا العملية ، الهداية اللازمة .

وتتضح لنا تلك القيمة التي تفضي اليها فكرتنا عن العقل باعتباره توجيها ذكيا للخبرة كامنا فيها غير متعال عليها ، اذا قابلنا بينها وبين ما كانت تؤدى اليـه النظرية القديمة عن العقل المفارق للتجربة ، فتلك النظرية قد مالت بالعقل الى الاهمال والغرور وعدم الاكتراث للمسئولية ، والى الجمود . واذا كان علم النفس قد كشف لنا عن « حيل عقلية » تتذرع بها ـ بدون وعى منا بذلك ـ لتجعل سلوكنا يبدو في نظر انفسنا سلوكا حسنا، بينما هو غير ذلك في الحقيقة ، فكذلك لجات بعض المذاهب الفلسفية الى اتخاذ « العقل » وسيلة للتبرير والدفاع. فمن مبادئها ، ان ما يوجد في خبرة الواقع من شرور يمكن ان تختفي في «الكل العقلى » للاشياء . وان جزئية الخبرة وما تتصف

به من نقص يكسب الاشياء ما قد يكون لها من شرور . اما قولنا بان هذا الراى يؤدى الى الاهمال والغرور وعدم المسئولية العقلية ، فمرجعه الى ان المذهب العقلى بافتراضه ان مدركات العقل الكلية ذات اكتفاء ذاتى ، وانها فوق متناول الخبرة ، انما يعفى الانسان من مسئولية كبيرة ، ولهذا خطره ، اذ ان هذا الفرض يجعل الناس لا يهتمون بالملاحظات الجزئية ولا بالتجارب العملية .

واذا كان الذكاء له هذا الدور الفعال فى اعادة تكوين الظروف التى يعيش فيها الانسان وتحويلها الى ادوات وموضوعات تفيد فى تنظيم حياتهم الانسانية ، وبالتالى يعنى قدرة الفرد على التنبؤ واستخدام الاشياء والتحكم فيها وتوجيهها ، اذا كان هذا صحيحا ، فان التربية نتيجة لذلك تجد نفسها ملزمة بان تعمل على تنمية هذا الذكاء وباتاحة الفرص المتنوعة للمتعلم التى يجد فيها من الخبرات الحية المختلفة ما يساعد على توجيه نموه توجيها سليما . ولعل ما هو اخطر من هذا وذاك ، هو الافتراض الذى يقوم عليه هذا الراى من النظر الى العقل او الذكاء على اعتبار انه لا يوجد فطريا عند الانسان ، وانما هو يتعلمه ويكتسبه من خلال ما يمر به من خبرات ومواقف يتوسل فيها الانسان بما تحتويه بيئته من عناصر لتحقيق اهداف وآمال وغايات يسعى اليها .



ميد



جيمس

السبيل لتجديد المدرسة

على انه ما دام العقل يكتسب باكتساب معانى الاشياء عن طريق استعمالها واستخدامها ، فان المدرسة ملزمة بادخال الحرف والفنون العملية ، كالفلاحة ، والنسيج ، والنجارة ، واشغال الابرة ، واشغال المعادن ، والطبخ ضمن برامجها ، لا على ان تضاف كمواد مستقلة ، ولكن على ان تكون اسلوبا للحياة واسلوبا للتعليم ، اذ ينبغى ان تجعل نواة للعمل المدرسى كله ، وبذلك تجدد روح المدرسة ، وتحولها الى مجتمع صغير ، يعمل فيه التلاميذ ويتعلمون عن طريق العمل فيكتسبون من الاشياء معانى تزيد قدرتهم على الفهم وعلى السيطرة على مواد الطبيعة فتزيدهم بصرا وذكاء ، فليس المقصود من دراسة هذه الحرف والاشغال القيمة الاقتصادية لما ينتجه التلاميذ ، او مجرد اكسابهم مهارات فنية تنفعهم فى تمضية اوقات فراغهم ، او اعدادهم للاشتغال بتلك الحرف فى مستقبل حياتهم ، وانما المقصود ان تكون محاور لنشاط يؤدى الى فهم خصائص المواد الاولية والعمليات التى تجرى عليها فهما علميا .

ان الحرف والاشغال المختلفة ليست مجرد عمليات آلية ، وانما هى ضروب من النشاط تنطوى على افكار ومعان علمية واجتماعية كثيرة وينبغى ان ترمى دراستها الى ابراز هذه الافكار والمعانى، والوصول بالتلاميذ الى ادراكها وتقديرها فكل دراسة فنية لها ناحيتها الثقافية التى لا يصح فصلها عنها ، ومتى راعينا هذا ، فانه يمكن ان نتخذ منها اطارا تنتظم فيه دراسات تاريخية وجغرافية وعلمية واقتصادية وفنية.هذا بالاضافة الى ان الاشغال وثيقة الصلة بالاسلوب العلمى . كما يقول فلاسفة التربية المحدثون الذين يلفتون النظر الى ان العصر الذى كان فيه التقدم العلمى بطيئا هو الوقت الذى كان فيه العلماء يحتقرون الاعمال اليومية لما فيها من اضطرار الى الاشتغال بالاعمال اليدوية ، اما منذ بداية القرن السابع عشر وما تلاه من قرون، فقد ارتقى اسلوب التجربة حتى اصبح اسلوب المعرفة المعقول ، كلما كان مركز اهتمام الناس هو السيطرة على الطبيعة لمنافع الانسان ، واهم مدخل الى الاسلوب التجريبى ، هو الاشتغال بالحرف والاشغال التى تستعمل الادوات من اجل ملائمة الاشياء المادية لمصالح الانسان ومنافعه . ■■

سعيد اسماعيل على
كلية التربية ـ جامعة عين شمس

أدبنا العربي

ما أكثر الإبهام فيه..

من قصص، وشعر، ودراسات

بقلم : ألفة الادلبي

■ نلاحظ في بعض أدبنا العربي المعاصر ظاهرة الابهام والتعقيد في الاداء والمضمون على السواء. نجدها في نتاج كثير من ادبائنا المعاصرين لا سيما الشباب منهم . وتبدو اكثر ما تبدو في الشعر الحديث ، وفي القصة القصيرة ، وفي الرواية والمسرحية، واحيانا في طريقة تناول بعض الدراسات الفكرية والنقدية . وقد يقف القارىء العادي امامها حائرا ، لا يدري أكان القصور في فهمه هو ، أم في هذا الاداء المعقد المبهم الذي يلتبس عليه فهمه حتى يكاد لا يفقه منه شيئا ؟؟ ..

فقد يجد نفسه في بعض الاحيان في متاهات من رموز غامضة تبدو له كالاحاجي ، وصيغ غريبة عليه يخيل اليه انها لا تمت الى اللغة العربية الفصحى بصلة ، كما انها ليست من العامية التي الف تداولها . فما يكون منه الا ان ينحي الكتاب او المجلة جانبا يائسا حانقا . فاذا كان من هواة المطالعة الذين لا يعدلون بها هواية اخرى يعمد مرغما الى قراءات غير مجدية كتبت للتسلية فقط، فيروح يملأ بها وقت فراغه . ونخسر نحن قارئا جادا كان من الممكن ان نجعل منه المواطن الذي نريد : ثقافة ، وعقيدة ، ووعيا . وفي ذلك ما فيه من الفائدة لمجتمع نام كمجتمعنا العربي . لان هذا النوع من المواطنين يؤلف الغالبية العظمى من القراء في وطننا العربي الكبير الذين يمكن ان يعتبروا من انصاف المثقفين او دونهم . فاذا تيسرت لهم القراءات الجادة المفيدة في الادب والفكر تفتح وعيهم ، واصبحوا مع الزمن مثقفين بالفعل فلا شيء يصقل الثقافة وينميها كالادمان على المطالعة الجادة .

محاولة لحل الرموز

اما اذا كان هذا القارىء العادي المتوسط الثقافة من طويلي البال ، ومتوفري الذكاء ـ وهم لا شك قلة ـ تذرع بالصبر ، وراح يقرأ ويعيد ما يقرأ ، فاذا لم يفهم لجأ الى تحليل غيره من الكتاب والنقاد للاثر الادبي الذي بين يديه حتى يتاح له بعد لأي حل الرموز الغامضة ، والصيغ المعقدة ، فاذا كان الاثر الادبي لكاتب أصيل موهوب سرعان ما يشعر القارىء بمتعة مشاركة المؤلف في الجهد الذي بذل ، ويجد نفسه يكتشف عوالم جديدة كانت خافية عليه ، وفي هذا ما فيه من متعة وفائدة .

غير ان الواقع وفي ـ احيان كثيرة ـ يبوء هذا القارىء بخيبة كبيرة عندما يبذل الجهد ليصل في النهاية الى فكرة بسيطة ، وقد تكون بديهية لكن المؤلف ألبسها ثوبا اكبر منها ، وراح يسربلها

في التعقيد والغموض،والفذلكة في الاسلوب لتبدو على نصيب وافر من العمق والتفلسف ـ على حد اعتقاده هو ـ الامر الذى يلجا اليه كثير من الكتاب الناشئين من ذوى المواهب المحدودة يقلدون الكبار الاصلاء فياتي نتاجهم مسخا يسيء الى الادب والقراء على السواء .

التورية والتلويح

وقد يغتفر للاديب لجوؤه الى الرموز الغامضة المبهمة اذا كان مضطرا الى الخضوع لسلطة تحد من حريته فلا سبيل امامه عندئذ ليقول ما يريد ان يقول الا طريق التورية والتعمية والتلويح . ولكن اى فائدة نجنى نحن اذا كان الذين يفهمون هذا النوع من الادب في مجتمعنا العربي قلة تنحصر في فئة من المثقفين من ادباء ونقاد منصرفين الى تتبع الادب العالمي والمحلي،والى تطوره ، ومذاهبه العديدة التى تطالعنا كل يوم بلون جديد منه . هذا الادب يكتب اذن للخاصة ، وللخاصة فقط . وفي اعتقادنا ان في هذا شيئا كثيرا من الانانية ، انانية المؤلف الذى لا يهمه امر القراء بقدر ما يهمه رضى النقاد الجدد ، فهم الذين سيصنفونه في عداد الاصلاء والموهوبين،او الرواد والمجددين .

اقول الرواد لان هذه الموجة الجديدة جاءتنا من الغرب ، مع ان تراثنا الادبى القديم مليء بالادب الرمزى الذى لجا اليه ادباء قدامى كادباء المعتزلة وغيرهم، فقد عمدوا الى التورية والتعمية خوفا من السلطات المناوئة لمعتقداتهم آنذاك . او ادباء الصوفية ضنا بافكارهم السامية ـ كما كانوا يعتقدون ـ على العامة التى تسيء فهما . لكن الصلة انقطعت بيننا وبين هذا الادب الرمزى القديم . فنحن لا ننسج الآن على منواله ، ولو ان ادباءنا المحدثين كثيرا ما يستلهمون شخصياتنا التاريخية واساطيرنا ، وطقوسنا ، وتقاليدنا الشعبية فيتخذون منها رموزا لكن طريقة تناولها تاتى متاثرة الى حد بعيد بالطرق الغربية الحديثة، وليس في هذا التاثر ما يضير اذا جاء ملائما لنفسيتنا واذواقنا ، انما الذى يضير حقا هو ان ناخذه في سبيل المباهاة بالتجدد ولو جاء غريبا عنا ، او في سبيل التقليد والتبعية للغرب الذى ما يزال بيننا وبينه في مجال الثقافة هوة واسعة من الافضل ان تنصب عليها الجسور لنجتازها في هوادة وروية من ان نقفزها متجاهلين خطورة القفزة .

عندنا وعندهم

ان الانسان الغربى مؤهل لهذا الادب المعقد ذى الرموز الغامضة بالنسبة لاتساع ثقافته وشمولها اكثر من الانسان العربى . والتعقيد في الادب الغربى لم يات هكذا جزافا ، انما جاء صدى لتعقيد حياة الانسان في الغرب في هذا العصر المعقد عصر الفضاء . فمن شان الادب ان يعكس مميزات العصر الذى يكتب فيه ، بينما ما تزال حياة الانسان العربى اقرب الى البساطة على الرغم من تشابك مشكلاته وتنوعها .

ان مسئولية الاديب العربى كبيرة جدا في عصرنا الراهن . انها اكبر واخطر منها في اى عصر مضى ، بالنسبة لخطورة المعركة المصيرية التى تخوضها امتنا العربية ضد الصهيونية التى تعمل بشتى الوسائل التى تملكها على سلب وجودنا ، واقتلاع جذورنا من ارضنا ، ولما كان الاديب الحق هو الرائد الموجه وجب عليه الا يبدد مواهبه فيما لا يجدى شيئا على المعركة الضارية التى تخوضها امته . لا مكان من ادبنا الآن للعدمية والعبثية واللامعقولية التى هى ولا شك صدى للانحلال والضياع والانحراف الذى يعانى منه الغرب .

فيتحتم على الاديب العربي ليكون عطاؤه مجديا، وليضمن لادبه اكبر عدد ممكن من القراء ان يكتب ادبا واضح المعالم ، سهل الماخذ ، مع الحفاظ في الدرجة الاولى على الاداء الفنى . فالبساطة في الاداء لا تتنافى مطلقا مع عمق الفكرة وجديتها ومع اصول الفن الرفيع . وفي اعتقادنا ان هذا كله هو مما يحتاج الى جهد كبير والى موهبة واصالة . فالاديب الاصيل هو من استطاع أن يعمد الى تبسيط الافكار المعقدة وتقريبها من الاذهان ، ليجعلها على متناول الجميع الذين اختلفت ثقافاتهم مستعينا بموهبته الفنية التقنية التى قد لا تتوفر دائما لمن يعالجون قضايا الفلسفة والفكر كما تتوفر للادباء . ■■

دمشق ـ الفة الادلبى

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجنس .. والعلم .. !!

● بينما يقوم علماء الاجتماع والدين فى اغلب دول العالم بشن حرب عنيفة ضد الموجة الجديدة من الانحلال الجنسى بين البشر وما صاحبها من افلام وكتب رخيصة منحلة لا تعمل الا لاثارة الغرائز الجنسية .. نجد العلماء فى مختبراتهم يعملون فى نفس الوقت على استخلاص مواد كيماوية تثير الغرائز الجنسية فى الحيوان او الحشرات .. فى الحيوان لزيادة نسله وانتاجه ، وفى الحشرات لابادتها وقتلها .. وهكذا يكون الجنس سلاحا ذا حدين !!

فى امريكا استطاع علماء الحشرات ان يستدرجوا اعدادا ضخمة من ذكور الحشرات الضارة عن طريق وضع الرائحة التى تفرزها الحشرة الانثى فى مكان معين باحدى الغابات ويتبع الذكور هذه الرائحة فى لهفة وما يكادون يصلون الى ما كانوا يتصورون من متعة حتى تقتلهم الاشعة الحارقة من مصابيح تعمل بالاشعة فوق البنفسجية وتبيدهم عن آخرهم .

وفى انجلترا قام علماء معهد ابحاث اللحوم باكتشاف ان مادة الاندروتينون Androtenone ، هي الرائحة التى يفرزها الخنزير الذكر والتىتجعل انثى الخنزير فى حالة استعداد لممارسة الجنس .

وقد استطاع العلماء ان يقوموا بتعبئة هذه الرائحة فى بخاخات صغيرة يستطيع اى مربٍ للخنازير ان يستعملها وقت الحاجة . . فبخة واحدة من هذه الرائحة امام أنف انثى الخنزير المطلوب تلقيحها ، تجعلها فى حالة استعداد تام لممارسة الجنس . وفائدة هذه المادة انها توفر المال والوقت لمربي الخنازير عندما يقوم باستئجار خنزير ذكر لتلقيح الانثى ، وقد تمتنع الانثى عن ممارسة الجنس فيضيع على المربي نقوده ووقته !!

الاسلحة الكيماوية
هل يتفق العالم على منع استعمالها ؟!

● فى مؤتمر صحفي عقده ممثلو الحركة الشعبية لتحرير انجولا فى لندن مؤخرا ، اتهم ممثلو الحركة البرتغال وحكومة جنوب افريقيا ، باستعمال الحرب الكيماوية ضد انجولا الشرقية .

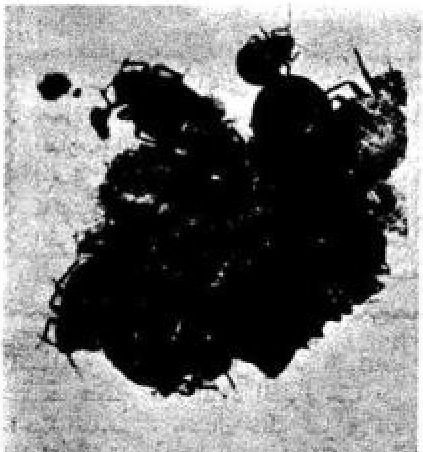
وقد عززوا اتهامهم هذا بصور التقطت فى مايو ١٩٧١ لحقول نبات المنيهوت Cassava فى اقليم شيومب Chiumbe وقد تجردت اشجاره من اوراقها نتيجة رشها بالاسلحة الكيماوية .

رائحة بق الفراش لها سبب علمي !!

● كان الكاتب الاغريقي القديم ارسطو فانس Aristophanes ، هو اول من وصف الرائحة الكريهة المميزة التي يفرزها بق الفراش .

واهتم العلماء بهذه الرائحة ، ليس لمعرفة نوعها ، ولكن لمعرفة لماذا يقوم البق بافراز هذه الرائحة الكريهة .

وقد كان الاعتقاد السائد بين علماء الحشرات ان هناك رائحة واحدة هي التي يفرزها البق وتتحكم في طريقة سلوكه ويستخدمها كوسيلة من وسائل الدفاع ضد اعدائه . ولكن الابحاث التي اجريت أخيرا اثبتت انه توجد على الاقل



رائحتان يفرزهما البق .. الاولى تفرز لتجميع البق في مجموعات صغيرة والثانية يتم افرازها كاشارة خطر فيقوم البق بالتفرق بعدها ..

ومن المعروف ان البق يتجمع في مجموعات صغيرة داخل شقوق .. وعند حدوث اى علاقة تدل على الخطر بالنسبة للبق فان هذه المجموعات من البق تتفرق بسرعة مخلفة وراءها رائحتها الكريهة التقليدية .

ويبدو ان هذه الرائحة لا تستعمل فقط كسلاح لابعاد الحشرات الاخرى المعادية للبق ولكنها ايضا تستخدم لتفريق البق بعضه عن بعض . وقد استطاع علماء الحشرات اثبات هذه الحقيقة لتفريق مجموعات من البق بهذه الرائحة فتفرقت بسرعة .

وقد لاحظ العلماء انه بعد ان يتفرق البق فانه يعود مرة اخرى الى التجمع في نفس المكان الذى كان متجمعا فيه قبل تفرقه .. وقد ادت هذه الملاحظة الى اكتشاف ان كلا من انثى وذكر البق يفرزان رائحة معينة داخل ملجئهما تعمل على تجميعهما مرة اخرى .

وباكتشاف هذه الرائحة وجد انها تدوم اكثر من الرائحة التى يفرزها البق في حالة التفرق عند الخطر بالرغم من ان رائحتها اقل قوة .

كما عرضوا ايضا فيلما سينمائيا التقطه مصور سينمائي يبين تأثير المواد المبيدة للاشجار على حدائق المانجو وحقول المنيهوت على حافة حديقة كاميا Kameya في انجولا .

وعرض ايضا في المؤتمر الصحفي بقايا لنبات المنيهوت من جذور واوراق ملونة بمبيدات الاشجار . واتهم اعضاء جبهة تحرير انجولا البرتغال وجنوب افريقيا باستعمال ٤ انواع من المواد الكيماوية المبيدة للاشجار سموا من بينها حامض الكاكوديل Cacodilic Acid ، والبيكلورام Picloram ، وهو مادة لها تأثير فعال ضد نبات المنيهوت بالذات وهو النبات الرئيسي الذى يعتمد عليه سكان انجولا ، في غذائهم وقد اثارت هذه الاتهامات الاهتمام مرة اخرى على الحاجة السريعة لعقد اتفاق دولى يحرم استعمال المبيدات

الشجرية فى الامور الحربية .

ان احتمال التوصل الى مثل هذا الاتفاق قد يزداد زيادة كبيرة اذا صادقت الولايات المتحدة الامريكية على بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ وهو تلك المعاهدة التى تحرم استعمال الغازات السامة او الخانقة او الوسائل المماثلة لهذه الغازات .. ولم يرد فى هذه المعاهدة اى استثناء بالنسبة للمبيدات الشجرية او الغازات المسيلة للدموع . ويميل الراى الدولى للتفسير الخاص بهذه المعاهدة الذى يقول انها تمنع استعمال اى مواد كيماوية ضد الاشخاص او النبات .

وتدور الآن مناقشات حول التصديق على هذه المعاهدة فى امريكا وايضا التصديق على التفسير الدولى المذكور .

وقد اتخذت الحكومة الامريكية عدة اجراءات خاصة بالاسلحة الكيماوية والبيولوجية بالاضافة الى محاولتها التصديق على معاهدة جنيف لعام ١٩٢٥ ، ومن بين هذه الاجراءات استنكارها للحرب البيولوجية واعلانها التخلى عنها ودعوتها الدول الاخرى لتدمير اسلحتها البيولوجية وقد بدأت فعلا فى التخلص من مخزونها من هذه الاسلحة ، كما اصدرت تعهدا بأن لاتكون هى البادئة فى استعمال الاسلحة الكيماوية . وتوقفت امريكا ايضا عن استعمال هذه الاسلحة فى فيتنام .

وتدور الآن مناقشات قوية حول ضرورة الاسراع فى الدخول فى مفاوضات لتوقيع اتفاقية دولية لتحريم استعمال المبيدات الشجرية وذلك بفصلها عن بقية المواد الكيماوية والبيولوجية الاخرى . وخاصة ان العامل الاخلاقى ظاهر تماما فى هذه المسالة .. فان التخريب المتعمد للبيئة، بالنسبة لشعب لمدة طويلة قد تصل الى عدة قرون من اجل الحصول على مكاسب عسكرية قصيرة الامد امر غير اخلاقى على الاطلاق .

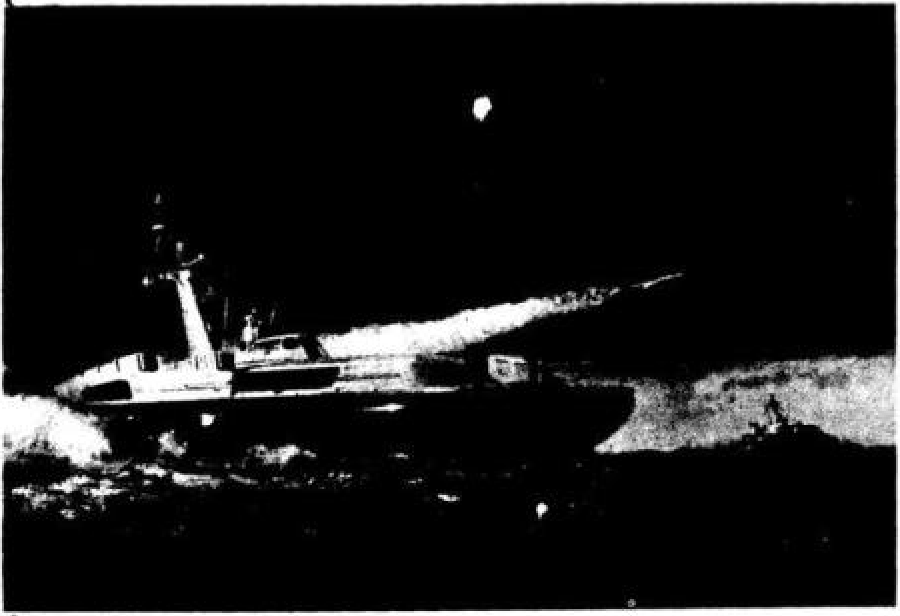
يبقى أمر آخر هام وهو ان المواد الكيماوية التى تستعمل ضد النباتات ليست بنفس قوة المواد البيولوجية من ناحية التدمير . وهناك خطر كبير فى انه اذا لم يتوقف استعمال المواد الكيماوية المبيدة للاشجار فى الحروب فان المسألة ستتطور الى استعمال المواد البيولوجية التى هى اشد فتكا وتدميرا .

وفى هذا الشأن يقول العالم البيولوجى ماتيوميسلسون Mathew Meselson وهو استاذ بجامعة هارفارد بامريكا : « اننا الآن فى وسط ثورة فى الكيمياء الحيوية ، والجزئيات البيولوجية التى قد تؤدى الى حصولنا على ادق المعلومات عن عملية الحياة ، وبالتالى فان حصولنا

قارب حربي جديد سرعته ٤٦ عقدة بحرية

● بعد النجاح الذى حققته شركة فسبر ثورنيكروفت Vesper Thornycroft فى بناء العبّارات التى يطلقون عليها اسم الهوفركرافت Hovercraft ، والتى اصبحت الآن تجوب مياه بحر المانش مقلة آلاف الركاب من شواطىء بريطانيا الى شواطىء فرنسا وبالعكس فى سرعة وراحة . بعد هذا النجاح بدأت هذه الشركة الآن فى عمل تصميمات لقارب حربى جديد ذى سرعة عالية لاعمال الدوريات البحرية، تستغل فيه مميزات العبّارات من ناحية السرعة وصغر حجم ماكينته .

وتمثل الصورة المرفقة شكل هذا القارب الحربى الذى تقوم الشركة الآن بعمل تصميماته . وستصل سرعة هذا القارب القصوى الى ٤٦، عقدة بحرية (ميل بحرى فى الساعة) لا يحتاج الا لماكينة قوتها ٥ آلاف حصان فى حين ان القوارب الحربية المعروفة الآن تحتاج الى ماكينة لاتقل قوتها عن ١٥ الف



حصان لكى تصل سرعتها الى نفس سرعة هذا القارب الجديد .

ويستطيع القارب الحربي الجديد ان يحمل ٢٢ طنا من الاسلحة من بينها ٤ صواريخ موجهة يبلغ مداها ٢٠ كيلو مترا . وتزعم الشركة المنتجة ان هذا القارب يستطيع الافلات من التوربيدات بسهولة نتيجة سرعته الكبيرة .

على هذه المعلومات سيؤدى الى تحكم الانسان فى كل ما هو حي ، بما فى ذلك هو نفسه ، وذلك بطرق لا يمكن التعبير عنها الآن ... ولكن يجب علينا ان نتعقل بالنسبة لخلق اى رغبة فى استعمال هذه المعلومات فى الامور الحربية .. » .

والتعقل يقتضينا من الآن ان نعمل فورا على منع استعمال المواد الكيماوية المبيدة للنباتات .

ويبدو ان الاصوات التى تتعالى الآن ، فى محاولات لمنع استعمال الكيماويات فى الحرب ، قد راعها ما حدث فى فيتنام نتيجة لاستعمال امريكا هذه الكيماويات .. فقد قامت امريكا برش ١/٧ مساحة اراضى فيتنام بالكيماويات المبيدة للنبات مما ادى الى تدمير نصف غابات المنغروف Mangrove ، وتقدر مساحتها بحوالى ٣٥٠ الف فدان وتعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر الوقود للاهالى . كما قضت ايضا على ٤ ملايين فدان من غابات الاخشاب الكبيرة والتى تعتبر مصدرا اساسيا بالنسبة للدخل القومي .

ترى هل يتم توقيع مثل هذه الاتفاقية قبل ان يرى الانسان يدمر حياته بيديه ؟! سؤال لا يزال بدون جواب حتى الآن !!

الاوربيون وقيود التجارة بين بلادهم !

● يعانى الاوروبيون منذ سنوات عديدة من العوائق والقيود التى تتعرض لها تجارتهم بين بلدانهم على اختلافها . وبذلك اصبحت دول اوربا لا تواجه فقط اختلاف اللغة والتعليم والمذاهب الدينية، بل تواجه ايضا اختلاف مستويات سلعة ما ، وتواجه اختلاف قوانين نقل الاموال من بلد الى بلد واختلاف القوانين التجارية وقوانين الضرائب وقوانين الشركات وغيرها . وقد تسببت هذه المشاكل فى خلق صعوبات عديدة امام كل شركة اوربية تريد ان تقوم ببيع منتجاتها خارج السوق المحلى لبلادها كما جعلت من الصعب جدا تحقيق اى عملية اندماج بين شركة صناعية أو تجارية فى اى بلد اوروبى وبين شركة مماثلة فى بلد اوروبى آخر .

وفى نفس الوقت نجحت الشركات المتعددة الجنسية وخاصة تلك الشركات التى من اصل امريكى فى ان تتخطى كل هذه العقبات بطريقة او اخرى، واستطاعت بذلك ان تحصل على ارباح كبيرة من السوق الاوروبية .

فشركة I.B.M الامريكية مثلا تتحكم فى سوق اوربا بالنسبة للحسابات الالكترونية Computers وكانت شركة فورد الامريكية للسيارات هى اول شركة تقوم بانتاج سيارة تشترك مصانعها فى دولتين اوربيتين فى صنع اجزائها الرئيسية ، بينما يقوم مصنع ثالث فى دولة ثالثة بصنع بقية الاجزاء .

وهناك ايضا الشركة العالمية للبرق والهاتف I.T.T الامريكية وهى تملك اسهم شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية فى اوربا الغربية .

وفى عملية التسويق نجحت شركة اسو الامريكية فى نشر شعار النمر فى مختلف دول اوربا وجعلت منه شعارا تجاريا لكل منتجاتها فى مختلف بلدان اوربا .

وقد ضربت الاستثمارات الامريكية المثل لاوربا فى كيفية تخطى العقبات التى تعوق تقدم التجارة بين بلدان اوربا ، وكيفية قيام التكنية الصناعية والاقتصادية فى اختراق الحدود بين مختلف البلاد .

ولكن ما الذى تستطيع دول اوربا ان تعمله الآن لكى تتخطى هذه الحواجز التى تقف عائقا امام تنشيط التجارة فيما بينها ؟ !

الجواب يكمن فى شيء واحد فقط وهو الغاء هذه العوائق ، وتشجيع عمليات اندماج الصناعة المتماثلة فى بلدان اوربا المختلفة ، والقضاء على القيود النقدية والقانونية .

وقد اقترح كريستوفر لايتون Christopher Layton فى بحث نشرته جامعة باث Bath ، انشاء وكالة أو هيئة تكون مهمتها احصاء الشركات الصناعية المتماثلة فى دول اوربا ودراسة امكانيات اندماجها سويا لتكون وحدات صناعية تستطيع ان تنافس كبريات الشركات الدولية وتستطيع كل شركة منها ان تستفيد بخبرة الشركات الاخرى مما يتيح مجالا اكبر للربح ولتحسين مستوى الانتاج .

ويقول لايتون انه بهذه الطريقة يمكن للشركات الاوربية ان تخترق حدود بلادها وان تصبح فعلا وعملا شركات ذات صبغة عالمية .

●●



« الظفرة » علاجها جراحة بسيطة فى العين !

● الاحظ وجود قطعة لحم حمراء في عيني اليمنى بدات من ناحية الانف، وتغطي الآن القرنية ، كما انه قد بدات في العين اليسرى نفس الحالة ، ولكنها لم تغط القرنية بعد ، واخشى ان تسبب لي العمى ، فما رايكم ؟

ـ هذه الحالة تسمى الظفرة Pterygism وهى طية مثلثة الشكل للملتحمة تحتل الفرجة بين الجفنين Interpalperal Tissue وتمتد من الجزء الانسى « الداخلى » او الوحشى « الخارجى » للملتحمة التى تغطى المقلة Bulber conjunctiva حتى قد تغطى القرنية . وراس المثلث هو الجزء الذى يغطى القرنية . والعنق هو الجزء الذى يقع على طرف القرنية Limbus وجسم الظفرة هو الجزء الذى يمتد من العنق حتى فوق العين الداخلى او الخارجى والظفرة تتكون من نسيج ضام يحتوى على انسجة مرنة ذات اتصال بالانسجة المبطنة للملتحمة والصلبة وهى تغزو القرنية اسفل الطبقة الاساسية للنسيج الطلائى Epithelism وتحطم غشاء بومان Bowman's membrane وفى البداية تحتوى الظفرة على عدد كبير من الأوعية الدموية ، وكذا تبدو حمراء كقطعة اللحم ، وحينما تضمر هذه الأوعية فان اللون يتغير الى اللون الابيض. والظفرة تنمو ببطء شديد ، وهى لا تغطى وسط القرنية الواقع امام البؤبؤ « انسان العين » الا نادرا وعلى هذا ، فهى لا تسبب العمى ، كما انها لا تسبب اية مضار للعين بخلاف شكلها غير المستحب . وسبب الظفرة غير معروف حتى الآن ، ولكن يلاحظ انها تحدث عند هؤلاء الذين يتعرضون كثيرا للرياح والغبار . وعلاج الظفرة يكون بواسطة اجراء عملية جراحية بسيطة ، ويحدث كثيرا جدا ان تعود الظفرة للظهور ، وتعالج باجراء عملية ثانية .

ما وصفناه هو الظفرة الحقيقية ، وتوجد حالة تعرف بالظفرة الكاذبة، وهى تحدث من التصاق طية من الملتحمة بالقرنية بعد اصابة الاخيرة بقرحة ، وتعالج بفصل الملتحمة من القرنية باجراء عملية صغرى .

فتحة الحجاب الحاجز وعلاقتها
بزيادة حموضة المعدة

● اعانى من حموضة مزمنة ـ وفي الآونة الاخيرة لاحظت الما في اسفل عظم القص خصوصا عندما اميل الى الامام لالتقط شيئا من على الارض ، ويزداد هذا الالم اذا كانت معدتى ممتلئة . فما هو السبب ؟ وما العلاج ؟.

ـ من وصفك يتضح لي أنك تعانى من اتساع في فتحة الحجاب الحاجز ، التى يمر منها المرىء ويصل الى المعدة ـ وفى هذه الحالة يبرز جزء من المعدة بجوار المرىء الى داخل القفص الصدرى وفى الحالات الشديدة ، تصعد كل المعدة الى الصدر ، وفى بعض الحالات الاخرى يكون الجزء السفلى من المرىء فقط والجزء العلوى من المعدة هما اللذان يزحفان داخل القفص الصدرى ، ويتبع ذلك أنه عندما تمتلىء المعدة وتزداد حموضتها ترتفع الى اعلى الصدر ، ويحدث الألم مع الاحساس بالحموضة التى ربما تصعد الى اعلى ويحس بها المريض حتى فى البلعوم ، ويلاحظ أن هذا يحدث فى الاشخاص قصار القامة ـ من ذوى السمنة المفرطة، وفى النساء اكثر من الرجال ، ويزداد حدوثها أثناء الحمل اى عندما يرتفع الضغط داخل البطن ضاغطا على المعدة الى اعلى .

وفى كثير من هذه الحالات لا يشعر المريض بعرض ويكتشف المرض عندما تعمل أشعة على المرىء والمعدة . ولكن عندما تزداد الحموضة ويلتهب الجزء السفلى من المرىء ـ ويميل الانسان الى الامام أو عندما يرفع ثقلا من على الارض، او ينام على وسادة واحدة غير مرتفعة خصوصا اذا كان العشاء متأخرا ، عندها يرتفع الحامض الى اعلى ويوقظ المريض من نومه مع الم شديد . وفى الحالات الاخرى يحس المريض وكأن الاكل يقف فى أسفل الصدر واعلى المعدة وربما يحس المريض بالم يشبه مرض



الذبحة الصدرية ـ اى بالم ضاغط خلف عظم القص ينتشر الى الذراع الايسر . ولكن هذا لا يزيد مع الاجهاد العضلي ، كما هو الحال فى الم الذبحة الصدرية ـ ويزول باخذ دواء يزيل الحموضة او يضيع تقلص المرىء .

والعلاج فى هذه الحالة : هو ان يبتعد المريض عن تناول الماكولات التى تهيج المعدة كالتوابل والمياه الفازية ـ ثم يتعاطى الدواء الذى يقلل من حموضة المعدة مثل سلكات الماغنسيوم والاقراص المضادة للحموضة ، والعشاء يكون مبكرا وبكميات قليلة ، والنوم على وسادتين عاليتين ، ثم علاج فقر الدم والسمنة المفرطة اذا وجدا . واذا لم يستجب المريض لهذه العلاجات لعدة شهور فانه من المحتمل ان تجرى عملية جراحية لتضييق فتحة المرىء وحتى تبقى المعدة فى البطن .

(الحساسية من اسباب
احمرار العين)

● ابنتى عمرها ثمانى سنوات منذ صغرها ، وهى مصابة باحمرار فى العينين مع حكة شديدة ودموع غزيرة ولم ينفعها اى علاج .

— ابنتك مصابة غالبا باحد امراض الحساسية ، والحساسية تنشأ من تعرض الجسم كله او بعض انسجته لمادة غريبة عنه يصبح الجسم بعدها حساسا لتلك المادة ، فاذا تعرض لها مرة اخرى يحدث تفاعل تختلف حدته ، واهم مظاهره العامة هي حدوث زيادة فى الدورة الدموية بالجزء المصاب مع استسف (اديما) وزيادة فى عدد كرات الدم حمضية التفاعل Cosinophils فى الدم والانسجة .

والحساسية فى الملتحمة تنشأ من مسببات كثيرة للحساسية بعضها من خارج الجسم مثل النباتات والغبار ومخلفات الحيوانات واحيانا الادوية مثل الايزرين والبنسلين والاطعمة او من داخل الجسم لبؤرات عفنة Septic Foci ، وهناك مرض مزمن يصيب الملتحمة والغشاء المبطن للجفون ، والذى يغطى المقلة .. يعرف بالرمد الربيعى ، وهو احد امراض الحساسية ، وسببه غير معروف تماما ، وهو يصيب الصغار والكبار على السواء ، وتزيد حدته فى فصل الربيع والصيف والخريف ، ويقل او يختفي تماما فى فصل الشتاء ، وخلال فترة النشاط «الحدة» . يصاب المريض برغبة شديدة فى حك العين مع دموع غزيرة وخوف من التعرض للضوء ، اذ تزيد هذه الاعراض مع احساس بسخونة وثقل فى الجفون وهذا المرض قد يصيب جزء الملتحمة المبطن للجفون Palpepral Conjunctiva او قد يصيب الجزء الذى يغطى المقلة Bulher Conjunctiva او كليهما ، والنوع الاول هو الاكثر شيوعا ، وفيه تظهر حليمات Papules مفرطحة ويابسة تنفصل عن جاراتها بأخاديد Furroms وتبدو الملتحمة كما لو كانت مرصعة بأحجار او حصى شبيهة بتلك التى كانت تستعمل فى رصف الشوارع . وتبدو الملتحمة بلون ابيض ضارب الى الزرقة . وفى النوع الثانى تظهر الحليمات حول القرنية مصحوبة باحتقان وافراز مخاطى والرمد الربيعى يشفى من تلقاء نفسه .

وعلاج امراض الحساسية بالملتحمة ، هو علاج للاعراض المصاحبة للمرض فقط ، حيث أن السبب الحقيقى يظل غالبا غير معروف ، وهذا هو السبب فى ان ابنتك لم تشف من مرضها . انصحك باستشارة طبيب للعيون ، اذ ان بعض هذه الحالات يلزمها علاج بالاشعة السينية او الجراحة .



قصة قصيرة

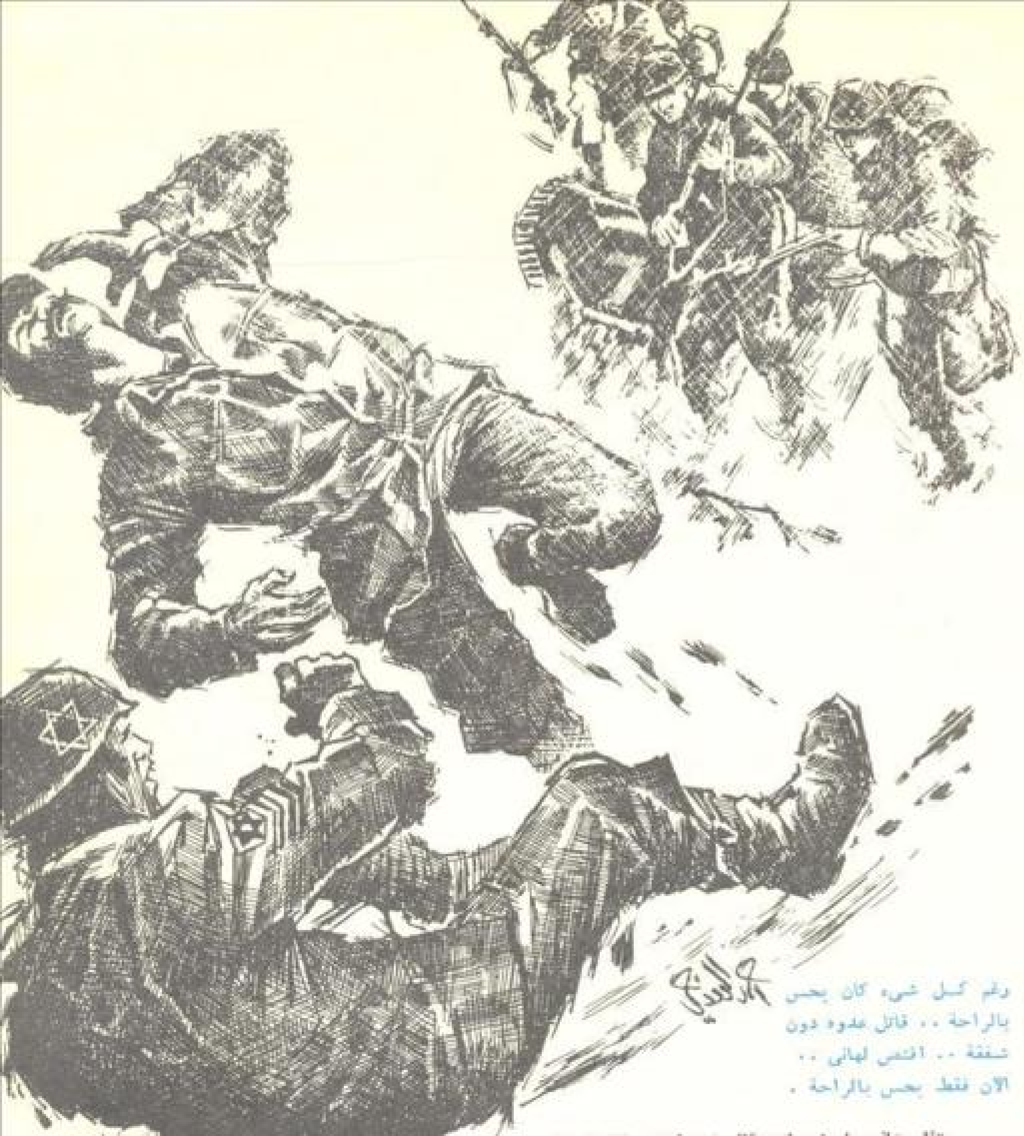
لعنة الأصابع الدامية

بقلم : السيد ابراهيم

■ العدو يحاول في جنون أن يقيم سدا رمليا هائلا .. يستغل لحظات الهدوء التى تشمل الجبهة ، ويحضر اعدادا كبيرة من سيارات (البولدوزر) ، ويعمل في همة لا تعرف الكلل ، ويظل في عمله الدؤوب محاولا ان يحمى ملاجىء افراده وان يموه على العيون التى ترصد تحركاته، وعندما يظن انه قد استطاع ان يقيم سده الهائل تدوى طلقات المدفعية عبر القنال من الضفة الغربية تسحق في عنف وبلا هوادة اوهامه واوكاره وتبدد تجمعاته وتدهم بموتها الاسود جنوده ورجاله، وتشاهد العيون المفتوحة العدو في لهاثه الدامي ومحاولاته الفاشلة .. ثم يعود الهدوء من جديد .. هدوء مشوب بالتوتر .. هدوء يفتقده العدو ولكن يتوهمه .. كيف يعرف الهدوء والعيون المفتوحة التى تحرق بسهامها وجود المحتل الغاصب لا تعرفه ؟ .. هذه العيون التى تشاهد صباحا ومساء جنود العدو تدنس ارض الضفة الشرقية .. هذه العيون الحاقدة .. كيف يتوهم العدو الغاصب انها تتركه في امان ؟ .. يصرخ «اسلام» وهو يقول لطاقم مدفعه : عمتر يا دفعة .. عمتر دا انت محظوظ .. وكأنما يتذكر شيئا .. أيوه محظوظ . أمثال فين الواد علوان ؟ .. تذكره فجاة .. كان يحبه .. يعزه .. يشكر له في اعماقه قدرته الخارقة على اصطياد افراد العدو .. قناص اذهل العدو .. فين علوان ؟ .. فين علوان ؟ .. كان يحبه ويحبه جميع الجنود .. هل يوجد فرد منهم ينساه .. كيف ينساه بعينيه الثاقبتين ونهمه الذى لا يشبع مهما اقتنص من جنود العدوان .. ويهبط علوان فجاة ويجده امامه .. تمام يا افندم .. ويتضاحك الجميع وهم يتطلعون بفخر نحو الضفة الشرقية .. علوان يقول : عظيم يااولاد الحلال .. عظيم .. عدونا لم يعد يعرف الراحة .. جندى يقول : عدونا ما زال يدنس ارض بلادنا .. عار علينا ان نجعله يعرف الراحة .. او يذوق لها طعما .

وتدوى المدفعية من جديد تسحق دون ما رحمة تحصينات ودُشَم العدو .. ويتطاير مع الانقاض ذراع واحد من جنودُ العدو .. ويشاهد علوان الذراع يسقط بجوار الجثة . ذراع واحد .. لقد شاهد عشرات الاذرع .. اذرع صغيرة غضة كانت تحمل اغصان الزيتون .. شاهدها والدموع في عينيه .. قفز الى ذهنه بسرعة البرق الخاطف .. بل وتجسد امام ذاكرته هانى ابن شقيقته .. اين هو الآن ؟ .. هانى الطفل الجميل .. لماذا تذكره الآن .. كان يحبه منذ مولده .. كانت ملامحه البريئة تعكس سعادة غامرة .. شفافة نابعة من قلب طاهر .. ظل ينمو وتنمو ملامحه البريئة حتى اصبح تلميذا في المدرسة الابتدائية .. كان تلميذا ذكيا .. مرات كثيرة دخل معه في حوار واعجبته ردوده .. هانى اللطيف .. تذكر ذلك اليوم الذى زاره فيه .. كان في اجازة قصيرة .. استقبله هانى فرحا وقال في سعادة : خالى .. وقعنا اربع طائرات .. شفتهم بعينى ..

بلدتنا قريبة من الجبهة .. مدرستها الصغيرة تحيط بها المزارع .. كان هانى يتابع الحرب مع العدو .. يسعد كلما سمع عن سقوط طائرة للعدو .. او اسر جندى .. كانت لديه نماذج للطائرات وكان يهوى متابعة اخبارها .. وعندما كان يساله عن رغبته وماذا يريد ان يكون عندما يكبر .. كان يقول بصوته الحلو : طيار .. علشان اموت الاعداء .. كان في قلبه الصغير حماس غير معقول .. حماس اجيال باسرها .. حماس يشده لكل ما هو جاد..وفي يوم عودته من الجبهة استقبله هانى فرحا وقال له : ستحضر معرض الرسم .. ستقيمه المدرسة غدا .. وتذكر علوان رده عليه : آسف يا هانى .. الاجازة قصيرة .. لم



رغم كل شيء كان يحس بالراحة .. قاتل عدوه دون شفقة .. انتقم لهاني .. الآن فقط يحس بالراحة .

يتألم هاني بل ضحك وقال : ساحضر لك لوحاتي التي رسمتها .. ووعده أن يحضرها في الغد .. وفي الغد .. ذهل الناس في بلده .. كانت اخبار الغارة التي قام بها التعصب على مدرسة هاني .. مدرسة (بحر البقر) .. وصلت الاخبار بسرعة البرق الى علوان الذى وجد نفسه يهرول في الطريق .. يخترق الحقول ويعبر القنوات .. كان لا يرى شيئا سوى هاني ، ويصرخ ولا يرى سوى هاني .. بعينيه الحالمتين وحديثه العذب .. هاني ماذا حدث لك ؟ .. كان يجرى وفي اعتقاده انه لا بد واجده سليما .. لم يكن يخطر على باله انه سوف يجده مصابا .. غريبة .. رغم ان الناس .. كل الناس قالوا ان المدرسة اصبحت انقاضا .. المدرسة اصبحت انقاضا .. وهو .. هاني وغيره .. كلهم اولادى ..

وجد نفسه يجرى .. يجرى بقوة لم يعهدها في نفسه .. احس انه يكاد يطير .. كان جسمه خفيفا وفجاة توقف .. وجد نفسه يخفي براحتيه وجهه .. شاهد عشرات الحرائق .. عشرات الجثث

.. انقاض ودمار .. لكن ما يراه الآن فظيع .. لا توجد مدرسة .. انما مجموعة من الانقاض .. جثث ممزقة .. مشوهة .. محروقة .. اطفال في عمر الزهور ليس لهم ملامح .. كراسات وكتب.. حقائب واحذية .. ملقاة في اهمال في كل ركن بعضها محروق وبعضها سليم .. تحرك في خوف .. وقف يتامل المذبحة .. كان ما يراه رهيبا .. دمعت عيناه .. انقبض قلبه .. اشتعلت النار في عروقه .. احس برجفة تشمل جسده كله ..صرخ .. كان هاني جثة وسط الانقاض .. هاني..هاني .. وركع بجواره على الارض الساخنة .. اخذ يقبله .. لم يعبا بالانقاض الملتهبة .. لم يعبا بالتسلخات التى ادمت اصابعه وهو يزيح الاحجار واسياخ الحديد التى تشابكت حول الجثةلتحميها من جبروت التعصب ولكن حرارتها اذابتها لرقتها .. احالتها الى جثة مشوهة .. بكى .. حمل الجثة الصغيرة واخذ يقبل كل جزء منها .. كان طعم الرماد المحترق يبعث في نفسه الالم .. هاني جثة مشوهة .. القتلة .. الاوغاد .. الثار .. الكلمة على كل لسان .. قتلة الاطفال .. جبناء .. ذهبوا بشبابهم الغض .. الثار .. كان عويل النساء يقطع القلوب ولكن صيحات الثار والالم الدفين في قلوبالناس جميعا .. كانت تمور وتمور في تحفز .. لم يشعر علوان بالاحداث التى تتوالى من حوله .. كان مذهولا .. لم ير رجال الشرطة ولا اجهزة الدفاع المدنى ولا رجال النائب العام ولا خبراء المفرقعات .. كان مشغولا بهانى .. بالامه .. بعذابه .. وافاق ليجد نفسه في بيته .. كيف عاد ومع من ؟ .. وهبّ واقفا .. اين هانى ؟ .. التفت نحو والد هانى .. اين هانى .. بكى .. وبكى الرجل ولكنه تماسك .. وقف صامدا .. ربت على كتف علوان وقال في ثقة .. علوان .. البقية في حياتك .. املنا فيكم .. في كل راجل علىخط النار.. كلنا مستعدون بارواحنا ثارنا كبير يا علوان .. البقية في حياتك .. وغلبه التاثر فاجهش بالبكاء ..

.. دورك الآن يا علوان .. واجبك الآن ان تثار يا علوان .. ان تكون يد الله التى تقتص من هؤلاء القتلة .. الثار يا علوان .. ثار يقدم لهانى وعشرات غيره .. ثار يقدم على مذبح شهداء بحر البقر .. شهداء كل مكان في مصر دنسه العدوان يجب ان نثار لكل مكان خربه العدو بقنابله .. يجب ان نثار لمدارس السويس وبور سعيد والاسماعيلية .. للمصانع .. للشهداء . .للزرع .. للشجر .. للحجر .. لكل ذرة هواء دنسها العدوان ..

واختفى علوان فجاة .. لم تنته اجازته .. عاد الى الجبهة .. عاد وكله حقد .. عاد يصب جام غضبه على الاعداء .. كان عمله كقناص يستغرق كل وقته .. ما ان يرى اى تحرك في جبهة العدو حتى يرصده ثم يقوم باصطياده .. وعندما نجح في اصطياد القائد الاسرائيلى احس براحة تدفىء قلبه .. احس بالنشوة .. احسّ انه اخذ بثار هانى .. وعرف كل من في الجبهة علوان القناص الماهر .. الصياد القدير .. ولكن علوان لم يكن سعيدا .. كان يحس بالفرح الطاغي عندما يرى العيون المفتوحة تصب نيرانها على العدو وتصطاد افراده وقواته .. ولكنه بعد كل معركة كان يجد نفسه حزينا .. كان يجد نفسه غير سعيد .. ما الذى ينقصه .. ما الذى يريده ؟ ..

كان يحس انه لم يشف غليله بعد .. وكلما رآه اخوانه حزينا احسوا انهم في حاجة لشد ازره .. كانوا يعرفون .. يحسون .. يشعرون .. يحقدون ولذلك كانوا يجدون انفسهم على استعداد لكل شيء من اجل ان يحس علوان انه ليس وحده .. انه قوى بهم .. بايمانهم .. وكانوا في اعماقهم يغبطونه على خبطاته الرائعة ضد العدو .. وكان قائد الفصيلة يعرف كل شيء .. وسال علوان ذات يوم .. ماذا تريد يا علوان .. الا يكفيك ما قمت به ؟ .. دمعت عينا علوان وقال بلهجة حاسمة .. انا لم افعل شيئا .. كان املى ان اقوم بعمل حقيقى .. ان اصطياد افراد العدو شيء سهل .. وقاطعه القائد قائلا..سهل ؟ .. هذا عمل صعب .. ورد علوان .. اقصد جهدا حقيقيا .. تعرضا حقيقيا للموت.. وصرخ القائد .. انت معرض للقتل في اية لحظة .. عملك خطر .. خطر جدا .. وابتسم علوان ابتسامة حزينة وقال .. انا فلاح .. تعرف قصدى .. لا بد ان اواجه العدو وجها لوجه .. لا بد ان اواجهه .

وابتسم القائد واسر له في اذنه ببضع كلمات وارتسمت معالم الراحة على وجه علوان .. وساله زميل .. هيه ؟

ولكن علوان انشغل في تنظيف بندقيته الرائعة ذات التلسكوب .. ظل ينظفها ويدللها .. ثم

اخذ في اعداد مهمته .. جهز نفسه تجهيزا جيدا .. كان يعرف انه على موعد مع العدو .. موعد اختاره له القائد ورضي به هو ليصفي حسابه .. وجاء الموعد بعد طول انتظار .. كان الوقت يمر بطيئا ثقيلا .. اجتمع به القائد واعطاه التوجيهات اللازمة ثم قال له بتاكيد .. كن حذرا .. حذار .. العدو خائن .. وتحت جنح الظلام تسلل علوان ومعه مجموعة من القناصة .. كانت مهمته خطرة .. ولكن الجميع كانوا سعداء .. عليهم ان يسبقوا وحدة من الوحدات الخاصة التي ستعبر القناة وعليهم اتخاذ مواقعهم ورصد تحركات العدو واصطياد افراده اذا اقتربوا في لحظة حرجة قد تعيق عملية العبور .

كان علوان سعيدا وهو يقود جماعته،وهو يتسلل عبر التلال ، ثم وهو يعبر القناة في صمت ، ثم وهو يختفي في الرمال على الضفة الشرقية .. وفي هدوء اخذ في اعداد رجاله للمهمة الصعبة .. وشقت سكون الليل طلقة مضيئة اطلقها العدو لكشف مواقع التسلل ولكي يطمئن قلوب جنوده .. لم يتحرك احد من افراد مجموعته .. حبسوا انفاسهم وفي الوقت المحدد تسللوا فرادى الى حيث اتخذوا مواقعهم في انتظار العدو .. وفي ساعة الصفر تحركت وحدة العبور وتابعتها قلوب مجموعة القنص .. تحرسها بخفقاتها وتتمنى لها عبورا ناجحا .. ولكن تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. سمع افراد المجموعة صوت مجنزرات للعدو تقترب وكشفت المنطقة قنابل مضيئة وتحركت قوات العدو في محاولة لوقف عملية العبور واصدر علوان اوامره بضرب المدرعات المتقدمة ، وانطلق الرصاص في صمت يخترق اجساد العدو ويعيق تقدمه .. واحدث الهجوم المفاجيء ارتباكا في صفوف العدو فحاول التراجع ، ولكن القناصة لم يتركوا فرصة لاحد..اشتعلت مدرعة واصطدمت بها اخرى وحاول الجنود الفرار ولكن الرصاص ما لبث ان التتهمهم قبل ان تسنح لهم فرصة .. واخذت وحدة العبور تضع اقدامها في ثبات على الضفة الشرقية .. وحاولت مجموعة اخرى من جنود العدو ان تقترب من المكان ولكن علوان ورجاله تصدوا لهم ودارت معركة حامية بالسلاح الابيض ولم يشعر علوان بنفسه الا وهو فوق صدر احد جنود العدو وخنجره في قلبه..صرخ علوان منتشيا .. لقد بدا حلمه الكبير يتحقق .. كان يهاجم افراد العدو وصرخاته المدوية تلقى الرعب في قلوبهم .. قاتل بضراوة وحقد .. وقاتل رجاله ببسالة .. وكلما سقط فرد منهم ازدادت رغبة علوان في مهاجمة الباقي .. قوات جديدة للعدو تسرع الى ارض المعركة وحدة العبور تتخذ مواقعها وتشتبك بعنف مع قوات العدو .. علوان يواجه العدو .. نسي نفسه .. تسلل الى صفوفهم .. انقض على افرادهم .. ورأى قائد قوات العدو يقترب فتسلل نحوه ثم انقض عليه ودار صراع رهيب .. كان القائد قوي البنية وحاول ان ينقذ نفسه .. قاتل بضراوة وسانده جندي آخر .. ولكن علوان صرع القائد واغمد خنجره في صدر الجندي .. ثم .. تذكر هاني .. كان سعيدا ولكن دموعه خانته .. جرت دون وعي .. دون ارادته . حاول منعها .. غامت الدنيا امام ناظريه .. لم يشعر باقتراب احد افراد العدو .. تنبه في اللحظة الاخيرة .. اغمد خنجره في قلبه .. لم يكن وحده .. كانت وراءه مجموعة من افراد العدو .. اشتبك معهم .. لم يستسلم .. قاتل في شجاعة .. كان يرى هاني امام عينيه وهو يقاتل .. هاني سعيد .. علوان يقاتل في ضراوة .. يصرخ في غضب .. يصرع خصومه .. يتسلل وراء احد الجنود الفارين .. يلحقه .. يطعنه .. هدوء غريب شمل ارض المعركة .. اين انا ؟ .. ادار بصره فيما حوله .. احس بسكون غريب .. كانت ارض المعركة مضرجة بالدماء .. الحرائق في كل مكان..طلقات الرصاص تدوي في جميع الجهات .. كان في رقدته يحاول ان يعرف موقعه .. اكتشف انه داخل خطوط العدو .. لا بد ان يعود الى وحدته ..

رغم كل شيء كان يحس بالراحة .. قاتل عدوه دون شفقة .. اقتص لهاني .. الآن فقط يحس بالراحة .. حركة خفيفة بجواره .. تحفز في غضب .. كان احد افراد العدو .. قبض عليه .. اغمد خنجره في صدره .. لكن شحنة غادرة من الرصاص انطلقت تعربد ومزقت صدر علوان .. علوان يسقط مضرجا بالدماء .. ابتسامة مضيئة يشرق بها وجهه رغم الالم .. كان يبتسم..ملامحه تنطق بالراحة .. صورة هاني امام عينيه .. ضحكاته .. تطلعاته .. وفي محاولة جاهد ان ينطق اسم هاني .. هاني .. انتظرني .. انتظرني .. انا قادم اليك .. سازف اليك البشرى . ■■

السيد ابراهيم

مجالس جمال الدين الأفغاني

بقلم : انور الجندى

■ مازال الحديث عن مجالس جمال الدين الافغاني يتردد على اقلام الكتاب دون ان يكشف جوهر الموضوعات والمسائل والقضايا التى كانت تثار في هذه المجالس ، ولا ذلك الاسلوب الذى تدار به، وقد تردد اسم (قهوةمتاتيا) على انه هو المكان الذى كان ينعقد فيه مجلس جمال الدين او ندوته ولكن المراجعات الواسعة التى اجريناها في الصحف والدوريات القديمة تكشف عن ان جمال الدين كانت له مجالس كثيرة ، من بينها (قهوة متاتيا) وكان منزله في خان ابى طاقية بحارة ام الغلام بجوار المسجد الحسيني من هذه المجالس، كما كانت له مجالس في بيوت اصدقائه وتلاميذه كما عرفت له مجالس في الجزيرة دار فيها حوار بينه وبين تلميذه ابراهيم اللقاني . غير ان (قهوةمتاتيا) كانت بالفعل اهم هذه الاماكن واحفلها بالتلاميذ والمعجبين ، وتقع قهوة متاتيا في مواجهة حديقة الازبكية قريبا من (البوستة العمومية) في ميدان العتبة ، ويوجد مكانها الان مقهى غير انه لا يحمل الاسم القديم . وقد ظلت قهوة متاتيا الى وقت طويل بعد غياب السيد جمال الدين مقرا للصحفيين واصحاب الاقلام ، وكان من روادها : عبد القادر المغربى وعبدالحميد الزهراوى، وحسين وصفى رضا ، وامام العبد ، ومحمد الشربتلى الصحفى الذى كان يحرر اربع او خمس صحف ومجلات اسبوعية في وقت واحد !

مذكرات ابراهيم الهلباوى

اما اروع مجالس جمال الدين فقد سجلها « ابراهيم الهلباوى » (١) في مذكراته وكان من رعيل سعد زغلول ومحمد عبده ومن تلاميذ الازهر في هذه الفترة التى قضاها جمال الدين الافغانى في مصر بين عامي (١٨٧١ ـ ١٨٧٩) يقول : كنت طالبا في الازهر الشريف لم اتجاوز العام السادس عشر حين نزل السيد جمال الدين مصر واقبل عليه الادباء والمتنورون يستمعون الى احاديثه العلمية ويحضرون في مجالسه ودروسه ، وكان الشيخ محمد عبده من هؤلاء الذين اعجبوا بالسيد وتشيعوا له ، فحقدت عليه وصرت اتربص به وباخوانه الدوائر ، لانى كنت اعتقد كما يعتقد اشياخى الذين تاثرت بهم بان السيد جمال الدين رجل ملحد ، نزل مصر ليضل الناس ويجمع حوله شيعة ينشرون الحاده وضلاله ، حتى اصبح قذى في عينى ، لا استطيع رؤيته ، وصرت اتوخى ان تقع هنة من السيد جمال الدين او احد اتباعه لاشفى بها حقدى عليهم . فقد كان السيد جمال الدين يسكن في ذلك الحين منزلا بعمارة العنانى بشارع ام الغلام وكنت مع ثلاثة من زملائي طلبة الازهر نسكن في غرفة من هذه العمارة ايضا . فذات ليلة دخل علينا احد الضباط ومعه جندى من البوليس واشار الينا مخاطبا الجندى : من ضربك من هؤلاء الثلاثة ، فنظر الجندى الى كل منا متفقدا فلم يجد بيننا غريمه ، فالتفت الى الضابط ونفى له ان يكون الضارب احدنا ، وانباه ان ضاربه يبدو على وجهه ملامح العجم . فما سمعت كلمة عجم حتى طرت فرحا ، وقلت في

---

(١) ابراهيم الهلباوى محام مشهور بدفاعه في قضية دنشواى وقد كفر عن ذنبه ذلك بالدفاع عن ابراهيم الوردانى بعد مقتل بطرس وكان نقيب المحامين .



قال : " تأخرنا سببه : التعصّب وهو سوء فهم الدين . والاستبداد وهو انصياع الأمّة لرأي مستبدٍ واحد . "

نفسي : لابد ان يكون السيد جمال الدين او خادمه (ابو تراب) هو الضارب ووجدت في ذلك فرصة سانحة للكيد للسيد جمال الدين وسرعان ما تقدمت لارشاد الضابط الى مسكنه بالعمارة .

ذهبت مع الضابط والجندى الى مسكن السيد جمال الدين فما اقتربنا من غرفته حتى قال لنا : اخلعوا نعالكم .. فامتثلنا لامره ، ودخلنا عليه ، فدعانا الى الجلوس ، ثم عرض الضابط عليه شكوى جنديه ، فانباه السيد ان الضارب هو خادمه (ابو تراب) لانه وهو متوجه الى المقهى وجد الجندى خارجا منه وكان لابسا ملابس عادية وبيده لفافة كبيرة بها شيء ظهر للخادم انه متاع مسروق فهجم عليه يريد ضبطه ، فكانت مشادة بينهما ادت بالخادم الى ضرب الجندى واخذ اللفافة منه قسرا . ولكنه ما لبث ان راى انه اخطأ في حدسه ووجد ان ما بداخل اللفافة (جراية) حملها الجندى الى ضابطه حتى دفعها اليه . واعتذر عما بدر منه وصافحه قبل ان يبرح . فسال الضابط الجندى عما يقوله السيد جمال الدين في هذه الحادثة فانباه بصحته ، وكان السيد جمال الدين يتحدث في عبارة فصيحة واسلوب بليغ الاثر في نفسي وبدات افكارى تتغير . وكنت لم اجتمع به قبل ذلك مطلقا . وبينما نحن جالسون حول السيد : ساله الضابط قائلا : أصحيح يا فضيلة الاستاذ انه كان في صدر الاسلام طائفة تزعم أن عمل البر وتعمير اماكن العبادة يغني عن الايمان بالله واقامة الشعائر الدينية .

يقول الهلباوى : وقبل ان ينطق السيد بالجواب ظننت انه سيعجز عن الرد وقلت في نفسي : اذا وجدت مثل هذه الطائفة فلن اوجد لها اخبار مدونة . ولكن السيد رحمه الله قال للضابط فورا : نعم ، ثم التفت الي وقال : اتحفظ القرآن ايها الشيخ . قلت : نعم . قال : فاقرا هذه الطائفة منصوص عليه في آية من القرآن الكريم ونطق ببعض جمل من هذه الآية فتذكرت نصها وهو : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين) . عند هذا تبينت ان الرجل على علم غزير وذكاء واسع وانمحت من ذهني تلك الاوهام والاكاذيب التى كنا نتلقاها عن مشايخنا » ا . هـ .

تلاميذ الافغاني ومريدوه

وقد كان جمال الدين ينطع وقته نهارا في الطالعة والاعتكاف ويخرج بعد الغروب متوكئا على عصاه فيقصد قهوة متاتيا فيتحلق حوله عدد كبير من الشباب المثقف فما يزال يتحدث اليهم حتى الهزيع الاخير من الليل ، يسالونه احيانا ويبتدىء الكلام احيانا اخرى عارضا للاحداث ومعلقا عليها ، او مستعرضا بعض قراءاته في الفلسفة والتاريخ والاجتماع .

وقد وصف هذا المجلس « الصحفي سليم عنحورى » فقال : « ان الفئة التى كانت تتالف

حوله على هيئة نصف دائرة فيها اللغوي والشاعر والمنطقي والطبيب والكيماوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي ، وانهم كانوا يتسابقون على القاء ادق المسائل عليه وبسط اعوص الاحاجي عليه ، فيحل اشكالها فردا فردا ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها ، واحدا واحدا بلسان عربي لا يتلعثم ولا يتردد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال، فيدهش السامعين ويفحم السائلين، ولا يدع هذا الشان شانه حتى يشتمل راس الليل شيبا فيقفل الى داره بعد ان ينقد صاحب المقهى كل ما يترتب له في ذمة الداخلين في عداد ذلك المجمع الانيق » .

وقد كان في مقدمة هؤلاء الاشياع والتلاميذ الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني واديب اسحق ، وابراهيم المويلحي وسليم نقاش وعبد الله نديم وعلى مظهر وعبد السلام المويلحي ومحمود سامى البارودي والشيخ الزرقاني والشيخ ابو الوفا القوني وعبد الرحمن البرقوقي والشيخ حسني الطويل وعلى يوسف صاحب المؤيد من بعد .

وكان يولي اهتمامه الى اصحاب الصحف والاقلام وخاصة اصحاب جريدة مصر ومرآة الشرق وجريدة التجارة ، ممن استطاع ان يحصل لهم على تراخيص باصدار صحفهم ، وكانت مادتها في الاغلب مما يتحدث به في هذه المجالس ، وتدور حول الحرية والدستور والعدل الاجتماعي مما كان يردده، وكان لا يكتب شيئا مما يقول بل يلقى ما يريد على امثال ابراهيم اللقاني « وقلما يراجعه ويصلحه فيجيء منذ اول وهلة مسبوكا مفرغ المعاني بقوالب لفظ لا ينقص عنها ولا يزيد » (٢) . وكانت هذه الكلمات تنشر احيانا تحت توقيع « ابن وضاح » . وكان يتحدث عن الرابطة الاسلامية والاشتراكية والفلسفة المادية ويعرض لمواقف اوربا من العالم الاسلامي وحركات التحرر والمقاومة ، ويدعو المصريين الى العمل من اجل التحرر من الاستبداد والنفوذ الاجنبي معا .

شجاعة الافغاني وجراته

وكان جريئا في نقده لاسماعيل وحكومته ،وكانت له دعوة الى تجديد الازهر ، ودعوة اخرى الى اصلاح اساليب الكتابة ، وقد علم تلاميذه ذلك الاسلوب الجديد الذى ينفذ الى الموضوع دون مقدمات متحررا من الزخرف فكانت هذه الصحف والكتابات بحق تطورا جديدا في الاسلوب العربي.

وكان جمال الدين يتحدث الى مختلف الثقافات والطوائف والمذاهب لا يتحرج ويرى انه يقول الكلمة دون ان يسال عن اثارها القريبة . ولم تكن كلماته في مجال الاديان وحدها بل في مختلف مجالات الثقافة والفكر والفلسفة !

وكانت لجمال الدين جلسات مع الدكتور شبلي شميل مترجم مذهب دارون ، ومن الطبيعي ان احدا منهما لم يستطع ان يقنع الاخر،ولكن الدكتور شميل حفظ في مذكراته لجمال الدين انطباعات طيبة حيث قال عنه : ان جمال الدين كان من لوامع عصره عالما واسع الاطلاع على علوم الاقدمين وفلسفتهم ذا ذكاء مفرط وادب رائع على شجاعة من القول لا تصدر الا عن نفوس كريمة .

وكان ذا حديث طلي شهي ، لا يمل سامعه مع فصاحة عربية في التزام القواعد واختيار الافكار ولكنها ممزوجة ببعض لكنة أعجمية ، وانما وقعها على الآذان كان محبوبا . وبالرغم من انه لم يعرف لغة من لغات الافرنج فانه كان ذا مقدرة عجيبة على التحصيل حتى انه ليستفيد منك الشيء الجديد ويصبه في قوالب العلوم المختص فيه » .

ولقد حفلت مجالس جمال الدين بالاحاديث والتوجيهات والمساجلات وكانت كلها تدور حول فكرته الرئيسية التى كان يعرضها دائما ويجرى حولها البحث : « تحرير الشرق من اسار الاستبداد ، وتحرير الاسلام من آثار التقليد ، وكان مما يقوله ويردده دائما في مجالسه :

الفرقة داء الشرق

«لقد خصصت جهاز دماغي لتشخيص داء الشرق وتحري دوائه ، فوجدت ان اقتل ادوائه وما يعترض سبيل توحيد الكلمة فيه داء انقسام اهله ولشتت ارادته واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف» فاذا اقتنع سامعوه وتلاميذه وتطلعوا اليه كان يقول : « علينا قلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية على غير وجهها ، وحملهم القضاء والقدر على معنى

(٢) عبارة سليم عنحوري في ترجمته لجمال الدين

يوجب ان لا يتحركوا بطلب مجد او للتخلص من ذل ، علينا ان نحرر العقول من قيد الجمود ونطهر العقيدة ونخلص البلاد من نفوذ اوربا خصوصا نفوذ انجلترا وتخليصها من استبداد الملوك والامراء ، علينا بناء روح الكرامة للمسلمين واشعار اهل الشرق بغيرتهم وحقهم في الحرية وزعزعة صرح الظلم » .

وكان يقول : « ان فهم بعض الاحاديث الشريفة على اننا في آخر الزمان هو مما يثبط الهمم في السعي وراء الاصلاح فلابد من فهم القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم الى ما فيه سعادتهم » .

وكان جمال الدين في مختلف مجالسه واحاديثه مثيرا للمشاعر موقظا للقلوب ، لا يخاف في الحق شيئا ، وكان مما يعطي كلماته قوتها ، ذلك المظهر البسيط ، الجبة الواحدة ، والانقطاع عن الشهوات والنظر الى المال نظره الى التراب ، لا يتناول منه الا ما هو ضروري للحياة ، كريما باذلا لا يهاب شيئا .

وقد وصف الشيخ محمد عبده الذي شهد مجالسه كلها في مصر اسلوبه فقال : « ان له سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كان كل معنى خلق له ، وان له قوة على حل ما يعضل منها وكانه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفك عقدها ، وله لين في الجدل وصدق في صناعة الحجة لا يلحقه فيها احد » .

كما اشار السيد عبد القادر المغربي وقد شهد مجالسه في مصر وفي استانبول الى قدرته في الجدل فقال بانه كان يعمد الى الحجة البليغة من اقرب طرقها فيفجأ بها خصمه فيفحمه ويقطع عليه حجته ، وانه كان يناقش بعض الاوربيين مرة في المفاضلة بين الشرق والغرب فافحم السيد خصمه بنبرة حادة وقال : كفى الشرق شرفا ان قام منه رجل مازالت امم اوربا تعبده الى اليوم وكان يسأل احيانا في مجلسه عن المرأة والزواج ، وهو ممن عزف عنه فكان يقول : « ان معرفتي بما تتطلبه الحكمة الزوجية من معاني العدل وعجزي عن القيام بامره دفعني ان اتقي عدم العدل ببقائي عزبا عن ان اتأهل واكون ظالما » .

وقال احد تلاميذه في مجلسه : هل تفاديا من الخوف من عدم العدل يجوز ان يخالف الانسان طبيعته .

مساواة المرأة والرجل

فابتسم السيد وقال له : ان الطبيعة احكم منك فهي تدبر نفسها ومن ترك شيئا عاش بدونه .

فاعترض آخر وقال : ومساواة المرأة بالرجل وحقوق المرأة . وهنا قال : لا اظن ان ضجيج بعض الناشئة في الشرق والمتفرنجين منهم يقصدون بطلبهم مساواة المرأة مع الرجل في « التكوين » ذلك لانه ممتنع بل مستحيل ، فاذا صح هذا الامتناع من هذه الوجهة فلا مناص من ان تبقى المرأة كما هي امرأة تكوينا والرجل رجلا ، اما اذا قصدوا المساواة من حيث المذاهب الفطرية فهذا اثر الاكتساب فيه ضعيف فالشاعر والشاعرة اذا كان في نظرتهما حسن التصوير وسعة الخيال مع صفاء في السليقة برعا في الشعر . وان لم يكونا كذلك وانصرفا الى اوزان الخليل تعلما واكتسابا فلا يخرجا الا وازنا ووازنة . وعندي انه لا مانع من السفور اذا لم يكن مطية للفجور . واضاف : والمجتمع الانساني انما قام على دعامتين او يقوم بالمجتمع عاملان : المرأة والرجل : فلنأخذ الرجل ونبحث في تكوينه وخلقه وتركيبه ، فنرى في اعضائه ووجوده ما ليس في المرأة ، وفي كلا التكوينين من ناقص وزائد لا يُعَدّ بالنظر الى الفطرة نقصا ولا كمالا ، لان الطبيعة احكمت صنعها في ذلك واجادت في تكوينها (فتبارك الله احسن الخالقين) .

وفي مجال الحرية والوطنية كانت احاديثه الكبرى وندواته الواسعة ومناقشاته المستفيضة مما يرويه كثير من تلاميذه امثال : سليم عنحوري ومحمد عبده ومحمد المخزومي ولطفي جمعة وكان دائما يردد :

امجاد التاريخ الاسلامي

« لا بد من انهاض الدولة الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى يلحق الشرق بالامم الراقية فيعود لهم مجدهم » .

وكان يحدث عن امجاد التاريخ الاسلامي والعربي وبطولات رجاله واعلامه ، فاذا امتد الحديث الى الرابطة بين بلاد العالم الاسلامي قال

في حماسة : لا التمس ان يكون مالك الامر في الجميع شخصا واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكني ارجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى جهده لحفظ الامر ما استطاع ، ويعتقد ان حياته بحياته ، على ان تكون اول صيحة تبعث على الوحدة وتوقظ من الرقدة ، صادرة من اعلاها مرتبة ، واقواها شوكة . » .

وقد اجمع الذين شهدوا مجالس جمال الدين على ان مجلسه كانت له شارات معينة وشعارات لاتكاد تتغير يجعلها جمال الدين مدخلا لدعوته واحاديثه ونهاية لها . فهو اذا اقسم قال : « وعزة الحق وسر العدل » . ويردد دائما « الحقائق لا تزول بالاوهام والجبن لا يغني والشجاعة لاتفقر » . وكانت عباراته دعوة حارة الى الكرامة والعزة والتضحية :

احقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا ، الذل وصحيح العالم ضدان لايجتمعان ، لاخير في حق لاتدعمه قوة ، وما مات احد في حب امة الا واحيته ، ولا امة بدون اخلاق ، ولا اخلاق بغير عقيدة ، الف قول لا يساوي في الميزان عملا واحدا ، الاسد لا يعدم فريسته اينما ذهب ، الحرية تؤخذ ولا تعطى ، من اعتقد ان لا حياة الا في هذه الفانية فقد خسر الاولى والآخرة ، الازمة تلد الهمة ....

احقر صناعة لنحات انفع من تقعر النحاة

وفي مجال الكتابة والبحث يقول :

تطويل المقدمات دليل على سقم النتائج ، وليس في كل اختصار بلاغ ، والتكلف للسجع ينفر منه الطبع ، ويحسن وقعه اذا جاء عفوا ، احقر صناعة لنحات انفع من تقعر النحاة ، كان المقصود من النحو ان يكون آلة فصيّره جمود النحاة غاية ، مقبرة العلوم خزانات الكتب ، العربية وسعتها البدو في البراري وضيقها الحضر في المدن والامصار . » .

ولقد كانت هذه الندوات والاحاديث تنشر في الصحف التي يتولاها تلاميذ الافغاني كما كانت تنشر اخباره ، عندما كان ينتقل الى الاسكندرية ليعقد مجالسه او يلقي خطبه وهذا نموذج مما نشرته جريدة مصر في ٢٣ نوفمبر ١٨٧٨ .

« في عشية الجمعة وفد على الاسكندرية سيدنا فهرست كتاب الكمال ، وفذلكة حساب الجلال ، استاذنا الاجل الفيلسوف الاكبر السيد جمال الدين الافغاني ، فابتسم له الثغر عن درر الهناء به وغرر الثناء عليه ، وسعى اليه النبهاء والوجهاء وما من جارحة فيهم الا تود لو كانت اذنا فتلتقط درره وجواهره ، او عينا لتتجلى مطالعة مناظره وقد اعد له (جبريل افندى المجلع) نجل (بارودى دي فنشى) مادبة فائقة الحسن والظرف تاخذ باللب والطرف ، جامعة لمحاسن الكمالات وكمالات المحاسن ، متوفرة اسباب الهناء والسرور، كاملة وسائل الانس والحبور » وكان مما قاله جمال الدين في مجلسه هذا :

« ان الهرمين والمسلات واعمدة الكرنك تفقا باصابعها الدهرية اعين المعترضين الذين يَرْمُون الشرقيين بالهمجية والنقص في الفطرة ، وان تلول نينوى واطلال صور وبعلبك ومنفيس وشبيبة ما بقيت الا لتثير الغبار على ابصار المفكرين الذين ينظرون الينا بعين الاستخفاف والاحتقار » .

« لن تجد لتاخرنا غير سببين اصليين : هما التعصب والاستبداد . اما الاول فهو عبارة عن سوء استعمال الدين ، اما الاستبداد فهو ان تكون امة من الامم مقيدة بسلسلة راى واحد » .

« ان العلم سلطان عادل كريم ، اذا حل ببلد قوم تبعه الغنى والثروة ، لانهما لا يتحصلان الا بالتجارة والزراعة والصناعة التي لا تحصل الا بالعلم . » ا . هـ .

ولم يلبث جمال الدين ان ترك مصر عام ١٨٧٩ ومضى ، ليعقد مجالسه في باريس وطهران واستانبول ويضيف الى احاديثه تجارب جديدة وتبقى اهدافه ودعوته الى الحرية والكرامة والتجديد دائمة مستمرة . ■■

انور الجندى

المراجع : جريدة مصر والتجارة ٨٧٢ – ١٨٧٩ . – جريدة مصباح الشرق ١٨٧٩ – جريدة الظاهر ١٣٢١ هـ مجلة المنار ١٩٠٥ – الجامعة ١٩٠٦ – مجلة البيان ١٩١١

وجعل الملك شمس الدين المرتاب في أمر الوثوب على عرشه ـ يتباعد حيث اراد الابن ان يتقرب .

وراع الابن أن يتباعد عنه أبوه وأن يتغاضى على هذه الصورة من صــــور الاهمال المتعمد في الوقت الذى كانت فيه شقيقته رضية هي الاثيرة المقربة حتى لقد داخل ركن الدين شعور بأنها لا بد قد أوغرت عليه صدر أبيه ودست له عنده دسيسة كاذبة صدقها فأبعده ، وراح والشك يملأ قلبه يراقب تصرفاته في ريبة وحذر .

لقد كاد الامير يجن ويخشى أن يستبد به غضبه فيخرج على جادة التعقل ويقدم على أمر قد يكون فيه قاطعة ما بينه وبين أبيه ، فصبر على مضض وأخذ ينظم خطة تراجعه الى منطقة الظلال من جديد ليبتعد عن هالات الضوء التي كانت تعيش فيها رضــية وحدها ، ولكن كره أن يتراجع او ينسحب في صمت ودون ان يحس به أحد خاصة رضية أخته ...

لقد أصبح يبغضها اليوم من كل قلبه وانه لا يخفى كراهيته هذه لها بل كان يتعمد اظهارها والبوح بها أمامها فكانت تلاينه وتلاطفه وتؤكد له انه واهم يخدع نفسه وانه لا توجد في الدنيا من تحبه بعد أبيه أكثر من أخته التي تتمنى له الخير وترجو أن يقدر مركزه ويشعر بعظيم مكانته وان يعد نفسه ليأخذ مكانه وهو جدير بأن يشغل ذلك المكان العظيم وذلك بأن يغير من طباعه ويروض من شراسته ويكون لين العريكة كبير القلب ، لا يضمر حقدا ولا بغضاء لكائن من كان ، وان يتذوق حلاوة الحب والسماح ، وان يبدأ بأن يمنح الناس حبه ليمنحه الناس حبهم فيجد نفسه في النهاية يعيش في جو من المودة والاخاء والحب النابع من القلوب .

واستمرت رضية الكبيرة القلب تقول لركن الدين وتقول ، وهي ترجو أن تجد كلماتها صدى في أعماق نفسه ، ولكنه كان بعيدا عنها بعواطفه ، فثار عليها ولم يستطع أن يكتم عواطفه ازاءها فراح يقول لها رأيه فيها في صراحة حتى لقد تطور به الموقف الثائر فاذا به يهددها ويتوعدها ويقسم أنها لن تفلت من عقابه في يوم من الايام !! .

وبلغت رضية ذروة الحلم في ردها على شقيقها الثائر وكرهت أن تقف منه مثل موقفه منها ، ولم تجد غير ان تنسحب تاركة اياه الى احقاده وتبرمه ، وهي تسأل الله له الهداية والتوفيق ...

وركب ركن الدين رأسه ، وحاول شقيقه معز الدين ان يروض من ثورته ويكبح جماح كراهيته لأخته الطيبة بلا جدوى ، واذا به يرى في معز الدين هو الآخر عدوا قد سارع بالانضواء تحت راية رضية كي يتخلصا منه ، فيخلو له الجو أو لرضية ويكون هو أو رضية صاحب الأمر من بعد ابيه !! .

كان الأب المسكين ينظر حواليه في أسى وهـو يرقب أبناءه الثلاثة وبنته ثم يعود بالفكر الى شعبه ، ثم لا تلبث أن تشغله الأهــواء والمطامع المتربصة بالجميع ... يود لو يصيح عسى أن توقظ صيحته اولئك الغافلين ولا جدوى ...

واستمرت عجلة الأحداث في مسيرها ، وركن الدين حيث شاء لنفسه ان يكون ، ورضية ومعز الدين معها حيث شاءت لها صــــوالح دلهي ان يكونا ، فوقفا الى جانب ابيهما وراحا يشدان آزره ، ويعينانه على مهام الملك وتبعات الحكم ما وسعهما الأمر ...

وظلت عجلة الوجود في انطلاقتها العاصفة خلال زوابع الدنيا وأعاصير الحياة ثم اذا بها تتوقف فجاة ذات يوم ، وقد ارتفع صوت الناعي يحمل الى اسماع شعب دلهي نبأ وفاة الملك شـــمس الدين ...

وان كان الحزن قد شمل القلوب جمعاء لموت الراعي الصالح ، فان هذه القلوب لم تشعر بحزن لموت الملك ، يقاس الى جانب الحزن من أجل دلهي نفسها ، فقد اشفق الشعب على بلده ، وكره ان تمزقه الاحقاد والثورات الداخلية ، وان ينقلب اهلوه على بعضهم بعضا فيفسحوا بذلك الطريق للعدو المتربص بهم ...

لقد مات شمس الدين ، ولم يخلف موته عرشا خلا من صاحبه ، بل خلف مشكلة رهيبة قاسية بددت وحدة الآراء في البلد الواحد وجعلت الناس شيعا وأحزابا .

وتعددت الآراء ...وأبى الناس ان يجتمعوا على أمر واحد فيه المخرج والخلاص الذى كانوا يرجونه جميعا اذ أصر شعب دلهي بأسره على أبعاد ركن الدين عن العرش ثم ...

ثم استقرت الآراء جميعها على ابعاد عدو الشعب عن شعبه ..

لقد أرادوا رضية .. وأراد بعضهم معز الدين .. وانقسمت الآراء قسمين كان لكل أنصار ومعارضون .

واتجهت الأنظار الى رضية التي صارحت الشعب وأولي الأمر فيه بكراهيتها للتحزب والانقسام وطالبت بتوحيد الرأى فاجمعوا على ان تكون هي الحكم ، وأن تكون صاحبة الكلمةالفاصلة في المشكلة التي طال امدها ، وعليهم بعد هذا وفي رضاء تام ان يقبلوا ما تشير به ...

وتجمعت الجموع حول رضية واتجهت العيون كلها مرتبطة بشفتيها لتقول كلمتها الأخيرة التي ستضع الأمور في نصابها ...

وتكلمت رضية .. ووصل الى اسماع الناس جميعا صوتها العميق تقول انها ترى أن أصلح الناس للحكم ولتولي عرش دلهى هو ... شقيقها الأكبر ركن الدين ...

ودوت أصداء الدهشة في جوانب قاعة العرش، بل في طول دلهى وعرضها وتساءل الناس في عجب عما جعل رضية تحول دفة الأمور في جانب ركن الدين ـ وهو من تعلم ـ ليخلف والده على عرشه.

وراحت جموع الشعب تقنع نفسها انها لم تحسن الاصغاء وان رضية لم ترشح ركن الدين للعرش بل أقرت ابعاده عنه ولكن رضية عادت تصر على رأيها وتتمسك به ، وهي تؤكد ان ركن الدين أجدر الناس بعرش ابيه واليقهم له .

وضغط ركن الدين على يد أخته التي مدتها اليه ... ضغط عليها في قوة صورها خيالها انها التعبير عن الشكر والامتنان في الوقت الذى لم تكن فيه غير تعبير عن حقده الذى فشل في اخفائه .

وأخذت الأيام تمر .. وجثم على دلهى سكون مريب .. وانصرف ركن الدين الى مباشرة شئون رعاياه في دهاء من اراد ان يثبت للشعب انه معه .. ثم .. لما وثق أن الأمور قد بدأت تتحول في صفه اتجه بمجامع افكاره نحو رضية الكبيرة القلب صاحبة الافضال عليه فراح يضع خطته للتخلص منها ...

وقد يكون التخلص من عدو لصاحب سلطة أمرا سهلا هينا لا يستغرق أكثر من دقائق محددة ، ولكن رضية لم تكن كغيرها من الناس يقدم عدوها على الفتك بها ثم يسدل الستار وكان أمرا خطيرا لم يحدث !! .

لم تكن رضية من هذا النوع الهين الشأن من الناس ... لم تكن ممن اذا اختفى وجوده لا يثير هذا الاختفاء قلقا وريبة وتساؤلا ، لذلك فكر ركن الدين وفكر في خطة مثالية تضمن له أن يتم هذا الاختفاء وسط جو من الثقة والطمأنينة ، بأن يعد لها مثلا موكب خروج للصيد تصحبه فيه فاذا انطلق الفوارس وراء الفرائس يتصيدونها ... وتربصت الضوارى بالصائدين فليس أهون من أن تمتد يد خفية تدفع رضية عن ظهر جوادها الذى يجمح هاربا وقد تركها لأحد الضوارى الجائعة الشرسة التي تتقدم للفتك بأولئك الصائدين الذين أتوا مقاتلين لقتلها أو ازعاجها على الأقل !!.

وراقت الفكرة الى ابعد حد لركن الدين ، وراح يعد العدة لتنفيذها ، وان يحيط هذا التنفيذ بكل ما يكفل ابعاد الريبة عنه ، ومن هنا اراد الا يخرج معها الى الصيد أو في صحبة حاشيته هو وبطانته بل ... وان يكون معهما شقيقاه معز الدين وناصر الدين ...

وأسرع الشقيق الحاقد الأسود القلب ينفذ خطته وراح يتقرب من أخيه معز الدين وكانت قد قامت بينهما جفوة عرف بدهائه كيف يزيل آثارها ... وتلاقى ركن الدين ومعز الدين حول مائدة شراب افرط ركن الدين في تناول كئوسه فانطلق لسانه وتكلم ، وظن انه عن طريق صراحته هذه يضاعف من اطمئنان معز الدين اليه ويجذبه الى جانبه بالأمنيات ، ولكن معز الدين ثار وهدد واقسم أن يقطع كل صلة يمكن أن تصله بقاتل شرير مثل شقيقه ركن الدين ، وهم بترك القاعة متوعدا ، واذا بركن الدين يغلبه شيطانه ويصور له انه لو ترك معز الدين القاعة فسوف تصل انباء المؤامرة الى رضية فتكون الطامة . وتكون ثورة الشعب . وتكون نهاية طاغية فاسق شرير ..

وارتفع صوت ركن الدين متوسلا ينادي شقيقه معز الدين ليعود ، ولكن معز الدين استمر في تباعده ، فاذا بالدم يفور من عيني ركن الدين

ويجرد سيفه ويسرع خلف شقيقه فيطعنه في ظهره طعنة أردته قتيلا ولكن بعد أن نطق ببضع كلمات مبهمة عن المؤامرة ضد رضية الطيبـة للتخلص منها !! .

وضجت دلهي .. وتراجعت رضية في حذر من كانت تعرف ان الواجب يقضي عليها بأن تتوارى مؤقتا ، فقد خرج الوحش الرهيب من مكمنه ، وفقد اتزانه وتعقله ، واقسـم ليرتكبن الفظائع والأهوال ، ولن يقف في طريقه احد على الأطلاق وانه ما دام قد بدأ بأخيه معز الدين فسوف تكون الضحية الثانية ولا جدال !! .

وتوارت رضية .. وتركت القصر ، واستطاعت أن تختفي عن عيون شـقيقها الذى كانت تتابعه وظلت تترصده وتترقب تحركاته وهي تحصي عليه كل صغيرة وكبيرة ...

كان القاتل التعس قد فقد اتزانه ، وكان يعرف أن صمت الشعب وانصرافه عنه انما هو صـمت يوحي بأنه يخفي في طياته سرا ، ومن هنا اوحى اليه بعض أعوانه أن يسارع بمخالطة شعبهفيتقرب منه ويغدق عليه ، فينسوا ما كان ولا يذكروا غير الحاضر الذى يعيشون فيه ويروا في ركن الدين ملكا عادلا كريم العطاء !! .

وراقت الفكرة لركن الدين وثبت لديه أن التظاهر بالصلاح والتقوى انما هو خير وسيلة لتملك القلوب ، فأحب ان يخرج الى الصـلاة الجامعة، وان يقف وشعبه في المسجد الجامع وكأنه منهم ..

وراحت رضية ترقب حتى كان وقت خـروج الطاغية القاتل للصلاة واذا بصوت يرتفع من فوق أحد القصور القديمة المجاورة للمسجد ، وكان في الصوت نبرة استنجاد ، عرف الناس فيها رضية التي يحبونها .

وكانت تصرخ .. وكانت تستغيث .. وكانت تلجأ الى عدالة شعب طالبته بأن يأخذ بدمشقيقها البرىء معز الدين من قاتله ، وان يحميها هي من بطش ذلك القاتل الذى قصر عنه القانون !! .

ودارت الدنيا بجموع الشعب وعادت تبدى لهم صورة ركن الدين الطاغية وكيف انه اراد ان يقطع اليد التي امتدت اليه بالخير والاحسان ، وعادوا ينظرون اليه نظرتهم الى وحش مفترس يكره الشعب ويتربص به وانه على الشعب أن يبدأ بالتخلص منه قبل أن يتحصن ، ويحتمي بجاهه فتكون الطامة ويكون اذلال الشعب ...

وعلا صوت رضية يطالب بالثأر واجراء عدالة الله .. وثار الشعب مستجيبا لها .. وتحركت جموعه اللجبة الغاضبة التي هزها من الأعماق صوت رضية الهالع الوجل وهي تذكره بالماضي .. بأبيها الملك شمس الدين .. بأيامه الســعيدة الهانئة .. بأيامها هي في ظله وقد دأبت على حب الشعب ورعايته ..

وهاج الشعب ، وبلغ منه الغضب اشــده ، ورضية مستمرة في صياحها تزمجر وتقول انهـا مدت يدها الى شقيقها القادر ركن الدينوأوصلته الى الملك بعد ان وقف الشعب ضده . فكان الجزاء ان مد يده فقتل شقيقه وسفك دمه بغير حق ، وانه يعمد بعد هذا ، ليعد العدة لاغتيالها هي ، وهذا شر جزاء في عدالة القادرين الذين لا يرعون عهد الله ، ويخونون من آمنهم على انفسـهم واموالهم ...

وتقدمت رضية تطالب بدم معز الدين لأنهـا أصبحت ولية هذا الدم ..

وانطلق الشعب .. واحاط بالقاتل وجاء به الى رضية وأسلمها اياه !! .

وتلاقت الوجوه مرة ثانية .. وجه المجرم وقد غمرته غبرة الاذلال والخوف ، ووجه أخته رضيـة وقد اضاءته نورانية حب العدالة ، والمطالبـة بالحق ...

وانهار الطاغية أمام من كاد لها واراد التخلص منها ، وسدت المسالك في وجهه ولم يعد يرى غير جلاديه ينتظرون سماع كلمة من رضية ...

وفجأة .. ركع الملك ركن الدين امام شقيقته متوسلا نادما .. راجيا ان تمنحه فرصة اخيـرة وسوف يطيعها ويعمل برأيها ولو طلبت اليه ان يتنازل عن عرش دلهي ...

وضحكت رضية ساخرة منه فما طالبت بعرش ولا سلطان ولا هي طمعت في جاه أو منصب ، فقد عرض عليها العرش من قبل فابت ان تقبله ووهبته للقادر الخائن الذى لم يرع الود ولم يحترم صلة الدم وأبى الا آن يغدر ويقتل .. !! .

وعلا صوت الشعب يسأل رضية ان تقول في المجرم كلمتها النهائية وان تامر جزاء ما اقترف من الاثم والعدوان ، ولكنها أبت ان تستجيب لطلب الشعب وقالت انها ولية دم معز الدين أخيها ولهذا فانها لا تحكم ولكنها تكل المجرم الى شريعة الله وحكم الله وليس على القضاة من الذين يحترمون العدالة الا ان يقولوا في ركن الدين قولهم وينفذوا فيه الشريعة وما تقضي به ...

ولما كان لا بد للقاتل ان يقتل ، فقد حكم بموت ركن الدين الطاغية ملك دلهى وما أسرع ما نفذ فيه حكم الله ..

وهكذا ..وبفضل رضية الباسلة اختفى الطاغية وتنفس الشعب الصعداء .. وهنا اتجهت العيون الى رضية مرة أخرى لتحمل اعباء الحكم ، وتكون ملكة على دلهى تسوس اهليها بالحب والعدالة والصفاء والمساواة ، ولكن رضية التي رفضت العرش باديء ذي بدء ، عادت ترفضه مرة أخرى فقد كان أخوها الأصغر ناصر الدين أحق منها بالعرش وأجدر بالملك ...

ولكن ناصر الدين كان حدثا صغيرا ، ولم تكن سنه لتسمح له في أن يحكم او يقيم ميزان العدالة ...

وأمام الظروف القاهرة واجماع الشعب نزلت رضية على مطالب الشعب وقبلت ان تحكم دلهى باسم أخيها ناصر الدين وصية عليه حتى يبلغ رشده وتعده الاعداد الكامل لتحمل تبعات الحكم والسلطان .. وكان ذلك في ١٢٣٦ ميلادية .

وبدأت رضية بنت السلطان شمس الدين تباشر شئون الحكم في دلهي نائبة عن شقيقها ناصر الدين ، فكان عهدها عهد الخير والبركة والسعادة والاستقرار ، فاولت المظلومين ما كانوا في حاجة اليه من امن وعدل ، ورعت اليتامى وساعدت المحتاج واعانت الفقير ومدت يد العون الى كل من كان يطلب العون ...

ولم تقف جهود رضية عند هذا الحد، بل وجهت عنايتها الى انشاء بيوت الله وتعميرها ، كما انشأت السبل ، وملاجيء الضعفاء والعجزة ، واجرت عليهم الرزق والقوت ، وفتحت أبواب الأمل امام كل من كان في حاجة الى الأمل ليسير في موكب الحياة !!! .

وبقيت رضية العادلة تحكم بالعدل وتامر بالاحسان حتى خيم الهدوء على دلهى وتذوق الناس جميعا حلاوة الاخاء والمساواة .

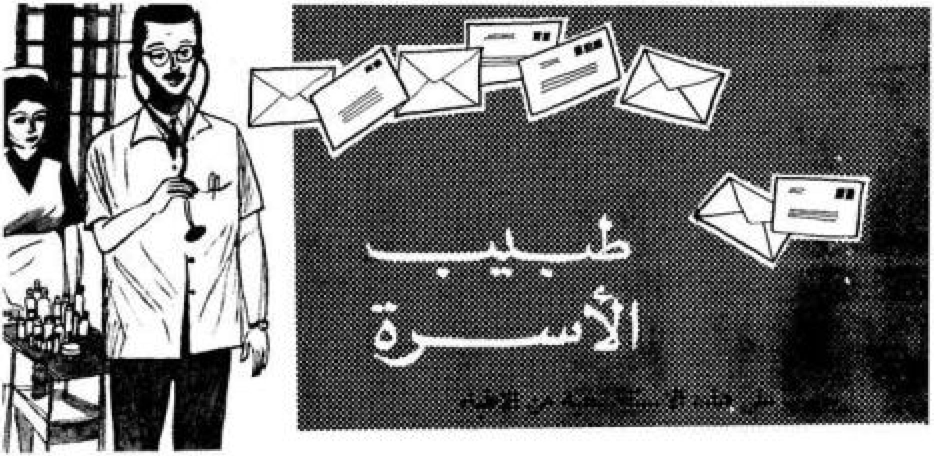
ولكن .. هل ارتضت كل النفوس مثل هذا التوفيق الباهر لرضية المحبوبة !! .

كانت هناك عيون ترقبها وتحاول جاهدة ان تنال منها ولكن .. كيف يمكن لهذه العيون ان تقع على نقيصة او تكشف خطأ ورضية ما عرفت غير طاعة الله وخدمة الشعب ورغم هذا لم تسلم رضية من اجتراء بعض الحاقدين عليها فاشاعوا عنها قول السوء ونسبوها الى ما هي بريئة منه..

وسمعت رضية بكل ما حدث .. وعرفت ان بعض الحاقدين ارادوا النيل من سمعتها فحز ذلك في نفسها وبدأت تبغض المجتمع وتتحاشى الناس الذين أبوا أن يتركوا لها العرض السليم والاسم الطاهر جزاء على ما قدمت من خير ، واصرت على أن تهجر المجتمع وتهجر الناس وتترك ملك دلهى لصاحبه ناصر الدين وكان قد بدأ يسير في مراحل الشباب ...

وكما تقدمت « رضية » لتحمل أمانة الحكم في ثبات وقوة واعتداد وكبرياء تركت الحكم في اصرار وكبرياء ، وعكفت على خلوتها وتعبدها لتسدل ستارا بينها وبين الناس فلا تراهم ولا تسمعهم ولا تحس بهم ، بل بقيت في جو روحي خلصت نفسها فيه الى الله .. وعبادة الله .. وحب الله . ■■

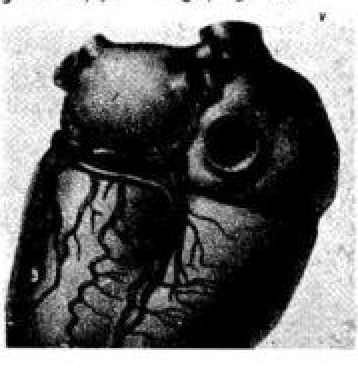
القاهرة ــ سنية قراعة



نبضات القلب الزائدة لها اسباب عدة

● يشكو من احساسه بنبضات زيادة مع الاحساس بتوقف في القلب لفترة مع عدم انتظام في دقات القلب وتعتريه من آن الى آخر فما السبب وما العلاج ؟

ـ هذه الدقات الزيادة هي التي يعبر عنها بـ (Extrasystoles) وهي دقات تعترض الدقات الطبيعية المنتظمة للقلب وتأتي بعدها فترة دون دقة ثم يعاود القلب دقاته الطبيعية وتعترض هذه الدقات الزيادة كل ثلاث او اربع دقات او خمس دقات او اكثر من ذلك وهي اما ان تحدث في سن متقدمة بعد ان يصاب القلب بالمرض من جراء انسداد شرياني القلب ـ او تصلب شرايين القلب أو روماتيزم القلب او ارتفاع ضغط الدم ـ وهي تحتاج للملاحظة الشديدة اذ ربما تتحول الى ذبذبات كثيرة في البطين وتؤدي الى هبوط في القلب . اما اذا حدثت في سن مبكرة ـ فأسبابها اضطراب في حركة عضلة من عضلات القلب ولكن لا تدل على مرض فيها . وهذا يرجع الى اضطرابات نفسية او زيادة في التدخين ـ أو ازدياد الغازات في البطن والمعدة والضغط على القلب ـ او زيادة تعاطي الشاي والقهوة والمشروبات الكحولية .



والعلاج في حالات عدم وجود مرض عضوي بالقلب هو البعد كل البعد عن المسببات التي سردتها كالمشروبات والتدخين وغيرها وتناول العشاء مبكرا حتى لا تتاح الفرصة لتجمع غازات وضغط على القلب اثناء الليل ـ وعلاج الامساك ان وجد .

فاذا لم يستجب المريض للعلاج اعطى مهدئا كأقراص الفاليوم او الليبريوم او اللومينال ـ فاذا كانت الدقات الزائدة أو غير الطبيعية كثيرة وتعكر صفو حياة المريض يرى الطبيب في مثل هذه الحالة ان يعطي مريضه اقراص مثل الاندرال وما شابهها .

اما في حالات المرض العضوي للقلب فعلاج المرض المسبب يقلل من حدوثها .

القولون المتقرح ..
اعراضه وعلاجه

● **تعتريني نوبات مصحوبة باسهال ومخاط به آثار من دم في البراز، وهذه تمكث لفترة ثم أكون طبيعيا . وبعد فترة طويلة تحدث نفس الاعراض ، وقد حللت البراز عدة مرات وقيل لي انك تعاني من التهاب القولون المتقرح فما هو هذا المرض ؟ وما علاجه ؟ .**

من وصفك للمرض يلوح لي انك تعاني من مرض القولون المتقرح ، وهو مرض يصيب القولون في سن ما بين ٢٠ ـ ٤٠ سنة ، ونادرا ما يحدث بعد سن الستين ، ويصاب القولون في معظم اجزائه باحتقان شديد مع افراز كمية كبيرة من المخاط ـ وكذلك تحدث به تقرحات في أجزاء عدة منه تنزف دما ، وتحدث المضاعفات في هذه التقرحات فتغزوها الميكروبات وتسبب صديدا على هذه التقرحات ينزل مع البراز ، وهذا سبب نزول كميات كبيرة من المخاط والدم والصديد عند حدوث نوبات حادة .

والسبب المباشر لهذا المرض غير معروف ، ولكن هناك احتمال على أن هذا يرجع الى مرض نفسي يؤثر على القولون ـ او ان هذا يكون نتيجة لوجود تفاعل بين مواد غريبة تدخل الجسم أو تفاعلات بين مركبات الجسم المختلفة .

وعلاوة على ظهور الاسهال وما به من مخاط ودم وصديد فان المريض يشكو من آلام ومغص في منطقة القولون أسفل البطن ، وينتج عن نوبات الاسهال نقص

لا تستعمل مركبات الكورتيزون الا تحت اشراف الطبيب المعالج

● **أصبت بمرض الروماتيزم فوصف لي الطبيب علاج مركبات الكورتيزون واشار على احد الاصدقاء بعدم استعمال الدواء لانه ضار ـ فهل هناك حقا خطورة في استعمال هذا الدواء ؟.**

ـ ان لكل دواء خطورته اذا استعمل بكميات كبيرة ولمدة طويلة خصوصا اذا لم يكن ذلك تحت اشراف الطبيب . ولمركبات الكورتيزون هذه الخطورة ، لذا كان يجب الاحتراس في استعمالها فلا تستعمل الا بأمر الطبيب وتحت ملاحظته ، لانه في بعض الاحيان ، يؤدي الى مضاعفات خطيرة خصوصا اذا كانت الكمية المستعملة كبيرة ولمدة طويلة .

وربما كانت هذه المضاعفات بسيطة ـ كظهور حبيبات على الجلد ، وتورم في الجسم وزيادة في الوزن والتي سرعان ما تزول عند توقف الدواء ـ ولكن في بعض الاشخاص الذين عندهم استعداد لمرض السكر ـ يظهر السكر في البول ، وكذلك يرتفع ضغط الدم ، وربما ادى الى تقرحات بالمعدة ونزيف فيها .

واذا استعمل في كبار السن فانه يزيد من ليونة العظام مع وجود آلام بها تزداد عند الحركة .

ولوحظ انه اثناء استعمال مركبات الكورتيزون ان الجروح لا تلتئم بسهولة وتبقى لمدة طويلة ـ وكذلك الكسور في العظام .

فى الفيتامينات ، وما يصحب ذلك من اعراض وكذلك يحدث فقر فى الدم ، ونقص فى بروتينات الدم وقد تعترى المصاب نوبات شديدة من الاسهال ويتبع ذلك فقدان لأملاح الدم واهمها البوتاسيوم والصوديوم ، ويسبب ذلك فى انهاك شديد وهبوط فى ضغط الدم ، والاحساس بالتعب عند القيام بأى مجهود عضلى .

ويتأكد هذا المرض بفحص البراز عدة مرات للتأكد من خلوه من الطفيليات والميكروبات وكذلك بفحص الشرج والقولون بالمنظار الخاص ، وعمل الأشعة اللازمة .

والعلاج يتلخص فى اعطاء المهدئات للمريض اذا كان من النوع الذى يتأثر نفسيا ـ وكذلك اعطائه المواد التى يفقدها المريض من دم اذا كان فقر الدم شديدا ، او مركبات الحديد والفيتامينات والبوتاسيوم وزيادة البروتينات فى الطعام ، على أن يكون هذا الطعام لا يحتوى على كمية كبيرة من الاليـاف التى تسبب الاسهال ، ثم علاج المغص بالمركبات المختلفة كالبلادونا وغيرها . والاسهال يعالج بأقراص الكودايين او مركبات الافيون التى يصفها الطبيب .

واذا حدث التهاب بميكروبات فيعالج المريض بالمضادات الحيوية كالبنسلين والتراميسين وغيرها او بمركبات السلفا .

ولعل العلاج الذى يؤثر على هذه الحالة هو مركبات الكورتيزون ، والتى افادت كثيرا من المرضى ـ وذلك بأخذها على هيئة اقراص او استعمالها كحقن شرجية . وفى بعض الحالات الشديدة والتى لا تستجيب للعلاج الدوائى او تتعرض لمضاعفات يعمل لها عملية جراحية .

وفى بعض الحالات عند اللذين عندهم استعداد للاضطرابات النفسية تظهر عليهم علامات الاكتئاب ـ او الابتهاج الذى لا مبرر له .

ولعل من اخطر المضاعفات هو ان مركبات الكورتيزون اذا استعملت تخفى وراءها اعراض امراض اخرى ـ ولا يحس المريض بهذه الاعراض ، فمثلا مريض عنده التهاب حاد بالمرارة ، واخذ مركبات الكوتيزون يحس بتحسن كبير ، ولكن ربما انفجرت المرارة وسببت اضرارا جسيمة . لذا يجب الاحتراس فى استعمال الكورتيزون اذا كان عند المريض اعراض لأى مرض آخر خصوصا الالتهابات الحادة .

وكذلك اذا اوقف استعمال الكورتيزون دفعة واحدة دون ان تقلل الكميات ببطء الى ان يوقف الدواء ، فان كل اعراض المرض التى اعطى من اجلها الكورتيزون تعود كما كانت بل وعلى اسوأ صورة ـ لذا كان التوقف عن الدواء دون استشارة الطبيب من الخطورة بمكان .

من هنا يجب أن يكون استعمال هذه المركبات بحذر .



الإحصاء

أساء إليه غير خبرائه ..

بقلم : محمد عدنان وديع

■ « هناك ثلاثة انواع من الكذب : الكذب ، والكذب الاسود ، والاحصاء . » قال هذه العبارة، رجل السياسة البريطاني « دزرائيلي » Disraeli في القرن التاسع عشر .

وفي نفس المعنى كتب « ستيفان ليكوك » يقول « في الازمنة الغابرة ، لم تكن توجد احصاءات ، مما اضطر الناس الى الكذب ، لسد الفراغ والنقص ، ومن هنا نشأت المبالغات الضخمة ، في الادب القديم : الجبابرة ، المعجزات ، العجائب ... لقد سدوا الفراغ بالكذب ، ونحن الآن ، نسده بالاحصاءات ، والنتيجة واحدة » .

وفي عام ١٩٦٢ قال « خروشوف » الزعيم السوفيتي لاعوانه من الفنيين والاحصائيين « نحن بحاجة الى القمح لا الى احصائياتكم الخاطئة » .

هذه كلمات قاسية من رجال ذوى شهرة في التاريخ ومكانة ، في علم ، هو علم الاحصاء ، اصبح اليوم ذا خطر كبير في كل مرفق من مرافق البحوث ، سواء منها الانسانية والاجتماعية وحتى العلمية الطبيعية . هؤلاء القوم ما قالوا ما قالوا الا استجابة لما وجدوا ، من مناقضة نتائج بعض الاحصاءات لما عرفوا عن حقائق الامور ، تلك التي جاءتهم من مصادر اخرى ، هي عندهم اوثق ، وهم بها اخبر واعلم .

ولا بد من الاقرار بأن للاحصاء ، في يد غير الخبراء اخطاء ، وكذلك في يد المشتغلين الذين يطبقون الاحصاء بطريقتهم الخاصة التي تبلغهم النتيجة التي يرجونها ، لا التي يؤدى اليها الاحصاء الصادق . وللاحصاء متاهات ، ومواضع للزلل ، لا تخفى على الخبير ابدا ، نحاول هنا ان نكشف عن بعضها ، احقاقا للحق ، وازالة للبس ، وكشفا عما يستطيع الاحصاء بلوغه فلا نبلغه اكثر مما يدعيه هو لنفسه .

١ ـ عدم دقة التعاريف

ان التعريف المحدد لكل لفظ احصائي وسيلة لا بد منها للتخلص من الخطأ : واول ما يتوجب تعريفه الوحدات الاحصائية ، بحيث يمكن ، بنتيجة هذا التعريف ، استبعاد الوحدات التي لا تعتبر جزءا من المجتمع الاحصائي . وليس شرطا أن ينطبق هذا التعريف على المعنى اللغوى الشائع للكلمة طالما انه يناسب الدراسة المعنية بدقة . فكلمة « مسكن » مثلا قد تشمل احصائيا ، البيت المبني ، والكوخ ، والكهف ، والخيمة ، والعوامة (في النهر او البحر اذا استعملت لسكن الاسرة الدائم) . وقد لا تشمل بناء السجن او المستشفى حتى لو اقام

وكذلك المستغلون العارفون لأخطائه

المرء فيهما فترة طويلة من حياته . وكذلك كلمة « عاطل عن العمل » يجب تفسير المقصود منها وهل تشمل ام لا ، العاطلين عن العمل جزء الوقت، او من يعمل لدى الاسرة بدون اجر وهل تشمل ذوى البطالة المقنعة ....

وحين قال « خروشوف » للامريكيين « اننا نخرج ١.٦ الف مهندس في العام ، اى ثلاثة اضعاف ما تخرجه الولايات المتحدة » لم يكن يتحدث بدقة العالم ، لان تعريف المهندس لم يكن واحدا ، من حيث سنوات الدراسة ، ومواد الدراسة والامتحانات ... فلا تجوز المقارنة ، بين كلمة مهندس بالمفهوم السوفييتي والمفهوم الامريكي .

وينبغي ان تكون التعاريف محددة من حيث الزمان ، فان كلمة « جامعة » في القرون الماضية تختلف عن «جامعة» العصر الحديث ، وكذلك كلمة « آلة حاسبة » في الاربعينيات من هذا القرن تختلف من كل الوجوه عن كلمة « آلة حاسبة » في السبعينيات وقل الامر نفسه على كلمة « مدير » او « طبيب » .

٢ ـ اخطاء وحدات القياس

هناك من الوحدات الاحصائية ما لا يمكن عده ، ولا بديل عن قياسه ، بالوزن ، او الطول ، او الحجم ، او القيمة ، ووحدات القياس نفسها غير مرضية في بعض الاحيان ، دون تعريف واضح، فكلمة « طن » تختلف من حيث الوزن بين الطن المترى والطن الانكليزى والطن الصغير . وكذلك ، كلمة « ميل » وكلمة « ليرة » الايطالية تختلف عن « الليرة » السوريه ، وهذه تختلف عن الليرة اللبنانية ، كما تختلف قيمة الدينار الجزائرى عن الدينار الكويتى . اضافة الى ان وحدة النقد نفسها ، تختلف قيمتها الحقيقية بين وقت وآخر، وخصوصا من ذلك التناقص المستمر في قيمتها الشرائية ، نتيجة لارتفاع مستوى الاسعار الذى يشكل سمة من سمات هذا العصر .

وتبرز ، في بعض الحالات ، مشكلة عدم كفاية الوحدات البسيطة ، فاذا قالت شركة النقل «أ» انها نقلت الف طن من البضائع وعشرة الاف مسافر خلال شهر شباط مثلا ، فلا يجب ان نتصور انها اكثر نشاطا من الشركة « ب » التى نقلت ثمانمائة طن وخمسة الاف مسافر ، بل يجدر بنا ان نستعلم ، قبل ذلك ، عن المسافة التى تم النقل عليها في كل من الشركتين . ولهذا برزت الحاجة الى فكرة « الطن الكيلومترى » و « الراكب الكيلومترى » ، وهذه الوحدة تعنى نقل راكب واحد مسافة كيلو متر واحد ، او نقل راكبين مسافة نصف كيلو متر .. ولا يكفى فقط ، معرفة عدد السياح الذين زاروا بلدا ما ، بل من المفضل، ان نعرف الليالى السياحية التى قضاها اولئك السياح في ذلك البلد ، لان سائحا يقضي ليلتين يوازى سائحين يقضي كل منهما ليلة واحدة (على الاقل من الناحية المالية) .

٣ ـ اخطاء العينة

كثيرا ما يجد الباحث الاحصائي نفسه عاجزا

عن دراسة كامل وحدات المجتمع الاحصائي وبالتالي ينتقي (بالاساليب المعروفة احصائيا) « عينة ممثلة » لهذا المجتمع من حجم يتلاءم مع الامكانيات المخصصة للدراسة ، من مال ، وجهاز بشري ، وآلات . ومن ثم يقدر « الثوابت » الاحصائية Constant ويتخذ القرارات اللازمة . ويمكن ان تتعرض العينات الى نوعين من الاخطاء :

أ ـ اخطاء المصادفة Hasard

قد لا تحتوى العينة على نفس خواص وتركيب مجتمعها الاحصائي وذلك نتيجة لتدخل قوى الحظ والصدف في عملية انتقاء العينة . وغالبا ما يتم معالجة هذا النوع من الاخطاء عن طريق تحديد مستوى الدلالة Seuil de Signification واحتمالات الخطأ المسموح به ، وهو طريق فني لاتخاذ القرارات ، لا اجد مبررا للدخول في تفاصيله . او ان تعالج هذه الاخطاء عن طريق تكبير حجم العينة لان احتمال تكرر الصدف الشاذة يقل كلما زادت الوحدات المدروسة .

ولصغر العينات مخاطر كثيرة

وكثيرا ما نواجه حالات من الكذب او الايهام تعتمد على حجم عينة صغيرة . فاذا قال احد الادعياء « تسابقت مع بطل العالم في السباحة ، وكان ترتيبي الثاني في نهاية السباق » . فقد يكون كلامه صحيحا ، ولكنك لو سألته كم كان عدد عدد المتسابقين واجابك ، انا والبطل فقط ، فان بامكانك ان تستنتج ان كلمة (الثاني) في الترتيب لا تصور ترتيبا متقدما ، بل يمكن استبدالها بكلمة (المرتبة الاخيرة) التي تعطي للموقف صورة اكثر واقعية ، وتمنع المغالطة التي اعطتها الكلمة الاولى رغم انها صحيحة من حيث المعلومات ، ولكنها جزء من الحقيقة ، والسكوت عن الجزء الآخر الذي هو عدد المتسابقين ، اضافة الى صغر هذا العدد ، اعطى انطباعا موهوما ، اراده القائل ، وتورط بقبوله السامع .

واذا جاءك ابنك ، في يوم من الايام ، قائلا : بابا ، لقد تغير ترتيبي في الفصل هذا العام ، فاصبح التاسع ، بعد ان كان الرابع والعشرين في العام الماضي . فاسأله قبل ان تقول له مرحى ، كم عدد تلاميذ فصلك هذا العام ، فقد يجيبك : « تسعة فقط » .

وتشمل مخاطر العينات الصغيرة ، استعمال النسب المئوية المحسوبة منها . فلنفرض ان عينة مكونة من ثلاثة اساتذة اخذت من هيئة تدريس جامعة ما ، وكان في هذه العينة زوج وزوجته ، وهي استاذة ايضا ، بالاضافة الى استاذ ثالث عازب . ان من المغالطة القول ان ٦٧٪ من اعضاء الهيئة التدريسية متزوجون من زملائهم ، او القول ان ٣٣٪ منهم عازبون ، فان قولا كهذا يوحي بغير الحقيقة ، على ابسط تقدير .

لنفرض ايضا ان طلبة القسم النهائي في كلية ما عددهم اربعة ، بينهم طالبة متزوجة وفي حالة حمل ، اليس القول ان ٢٥٪ من طلبة القسم في حالة حمل صحيحا ؟ انه صحيح من حيث المعلومات ، بيد انه يوهم السامع بكبر ظاهرة الحمل بين طالبات القسم ويبالغ في وزنها الحقيقي .

ب ـ اخطاء التحيز

لنفرض ان صحيفة تريد معرفة الرأي العام للشعب الامريكي حول قضية الشرق الاوسط ، وبعد ان اعدت الاستمارة ، ارسلتها بالبريد ، الى عينة كبيرة من الاشخاص انتقتها عشوائيا Aléatoire من سجل اصحاب المصارف والبورصة وحملة الاسهم في مدينة « نيويورك » . اننا لا يجب ان نفاجأ اذا وردت معظم الاجابات بالتأييد لوجهة النظر الصهيونية ، نظرا لكون معظم يهود امريكا يتمركزون في مدينة « نيويورك » وفي قطاع المصارف والمال بشكل خاص . ولهذا فان العينة لم تكن ممثلة للشعب الامريكي ، ومن الممكن ان تتغير نتيجة الاستفتاء اذا اخذت العينة من سجلات نقابات العمال الامريكيين ، رغم ان هذه العينة ، كسابقتها ، لا تمثل المجتمع الامريكي ، بل تمثل قطاعا محدودا له ميزاته ووجهات نظره .

وكمثال آخر ، لنفرض ان مؤسسة الاسكان

ترغب بانشاء نوع من المساكن الشعبية،ذات الكلفة الرخيصة ، نظرا لاستعمالها مواد اولية جديدة وبسيطة ، وارادت ان تحصل على آراء المواطنين حول هذه البيوت ، والمواصفات التي يرغبون فيها،فقامت من اجل ذلك بسحب عينة عشوائية، من اطار يحوي اسماء اصحاب السيارات الخاصة في تلك المدينة ، فان من الطبيعي ان لا تكون اجابة غالبية افراد العينة ـ اذا اجابوا ـ في صالح هذه الابنية الرخيصة ، وان لا تعكس المواصفات التي يرغب بها اولئك الناس المهتمون حقيقة بمثل هذه البيوت ، والمستفيدون المقبلون منها .

٤ ـ عدم مراعاة ميزات المقاييس الاحصائية نفسها

كثيرا ما يستعصي على غير الخبير فهم الدور الذي يلعبه كل مقياس احصائي ، فمثلا ، ان فكرة المتوسطات ، من اكثر الافكار ضرورة واستعمالا في الاحصاء حين تبرز الحاجة الى التعبير عن مجموعة ارقام برقم يمثل نزعتها المركزية العامة . وهناك العديد من المقاييس لها تختلف بالنتيجة وبالدقة. واذا اخذنا الوسطين الاكثر استعمالا ، والمتازين بالصفات الرياضية الواضحة ، وهما الوسط الحسابي والوسط الهندسي فانهما قد يعطيان نتائج شديدة الاختلاف ، وخصوصا عند بعد المفردات بعضها عن البعض . فلو كان لدينا ، مثلا ، القيم ١٠ و ١٠٠٠ فان وسطهما الحسابي=

$$\frac{١٠ + ١٠٠٠}{٢} = ٥٠٥$$

ووسطهما الهندسي = ١٠ × ١٠٠٠ = ١٠٠

والفرق واضح بين هذين المتوسطين ـ لنفس الارقام ـ بالاضافة الى ان الـ (٥٠٥) و (١٠٠) ليسا بممثلين جيدين للقيم الاصلية ١٠ و ١٠٠٠ .

ان القيمة التمثيلية التي يأخذها مقياس النزعة المركزية ، وليكن الوسط الحسابي ، ترتبط ، بالضرورة ، بمقدار التشتت فلو اخذنا مجموعتي القيم التاليتين :

أ ـ	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
ب ـ	١٧	١٦	١٩	٤٢	٦

فان الوسط الحسابي لكل منهما يبلغ (٢٠) . واذا كانت هذه القيمة تمثل المجموعة (أ) احسن تمثيل ، فذلك يعود الى انعدام التشتت فيها . بينما تقل القيمة التمثيلية للوسط (٢٠) في المجموعة (ب)لوجود التشتت . ويمكن القول ان الثقة التي توضع في مقياس النزعة المركزيةتتناسب عكسا مع التشتت .

وثمة نقطة اخرى ، جديرة بالاشارة ، وهي ان « البيانات » المدروسة غالبا ما تكون مبوبة في جدول تكراري ، وصحة الوسط المحسوب من هذا الجدول ، مرتبطة بحسن انشاء الجدول نفسه ، وحسن انتقاء طول الفئات وحدودها ، نظرا لاضطرار الباحث لافتراض ان نقطة وسط الفئة ممثلة لكل بيانات الفئة من اجل الحسابات اللاحقة ، فاذا كان هذا الفرض غير صحيح فان الاخطاء تكبر وتتضخمباستمرار العمليات الحسابية المتتالية . وربما كان انتقاء فئات غير متساوية في الطول ، في بعض الاحيان ، محاولة مقصودة من منظم الجدول لابراز اهمية احدى الفئات ، او لاخفاء هذه الاهمية ، لسبب من الاسباب .

٥ ـ اهمال جانب من الدراسة

لنفرض انني ارغب باختبار مقدرة تلميذين ، من مستوى معين ، فسألتهما في الحساب مثلا ، فحصل اولهما على عشر نقط ، والآخر على ثمان ، فلا استطيع ان اقول ان الاول اقدر من الثاني ، حيث اني لم اختبرهما الا في موضوع واحد مما يمكن ان تشمله كلمة مقدرة . فلم اختبر بعد قدرتهم على المحاكمة، او سرعة البديهة .. الخ .

ويلجأ الباحثون عند تنظيم الجدول التكراري ، في بعض الاحيان ، الى ترك الفئة الاخيرة مفتوحة، وذلك لسرية الاجابات او لعدم امكانية حصر حدودها العليا ، كالدخل والملكية والاعمار .وهذه الفئة المفتوحة قد تشمل مجالا واسعا لا يملك القارىء الحقيقة فيه . فاذا صنفت الدخول في بلد ما في الفئات التالية :

١٠٠ واقل من ٢٠٠

٢٠٠ واقل من ٤٠٠
٤٠٠ فما فوق

فان الفئة الاخيرة قد تشمل الدخل ٤٠١ ، والدخل ٥٠٠ ، والدخل ١٠٠٠٠٠ وحدة نقدية ايضا ، وهذا جانب من جوانب البلبلة،وقد تكون متعمدة ، لان كل الارقام السابقة اكبر من ٤٠٠ وحدة ، وبهذا يسهل اخفاء ارتفاع الدخول الفاحش . وعندما يقوم باحث آخر باغلاق الفئة المفتوحة من أجل حساب الوسط الحسابي مثلا ، فانه سيرتكب خطأ ـ وهو يعرف هذا ـ يرتبط مداه بمقدار اقتراب اغلاق الفئة من الحقيقة .

٦ ـ سوء تفسير النمو بالقيم المطلقة

قد تعمد بعض الحكومات الى ابراز زيادة الدخل فيها ، وتستنتج من ذلك زيادة في رخاء مواطنيها المالى ، ولكنها تغفل ان هذه الزيادة قد تكون ظاهرية ، لا تعود للنمو الاقتصادى بقدر ما هى نتيجة لارتفاع مستوى الاسعار ، وبذلك قد تخفى نقصا في الدخول الحقيقية، نتيجة انخفاض القيمة الشرائية لوحدة النقد . ويمكن التغلب على هذا المحذور بحساب الدخل بالاسعار الثابتة (بقسمة الارقام بالاسعار الجارية على الرقم القياسي للاسعار) .

ثم ان زيادة الدخل القومى بالارقام المطلقة قد لا تماشي زيادة عدد السكان ، وبالتالى فان الدخل الفردى في هذه الحالة سينخفض رغم زيادة الدخل القومى . كما قد تكون زيادة الدخل القومى مصحوبة بسوء في توزيع هذا الدخل على الفئات التى ساهمت بانتاجه ومن ثم ، لا يمكن القول ان ارتفاعا قد حصل في معيشة المواطنين . وقد تختلف مساهمات القطاعات المختلفة في الدخل القومى فتتغير نسب مساهمتها ، فقد تنقص مساهمة القطاع الزراعى النسبية رغم ان زيادة قد حصلت في ناتج هذا القطاع (معدل الزيادة في هذا القطاع اقل من معدل الزيادة العامة) . هذا عدا عدم دلالة الارقام المطلقة ـ والنسبية ايضا ـ على المحتوى ، اى عدم دلالة الكم على الكيف ، وهذا من مساوىء الاهتمام بالارقام دون رؤية نوعية الوحدات المعبر عنها بالارقام ، كجودة الانتاج الصناعى مثلا ، او مستوى المعلومات التى يحملها خريج المدارس الثانوية ...

٧ ـ خطر مدّ بيانات الحاضر الى المستقبل Extrapolation

اذا كان معدل الزيادة في سكان بلد ما ٢٪ خلال العشرين سنة الماضية ، فمن الممكن ، مبدئيا ، الافتراض ان هذا المعدل سينسحب على المستقبل اذا وثقنا ان المعطيات الديموغرافية التى صنعت هذا المعدل ـ كمعدل الولادات ، ومعدل الوفيات، للكبار وللاطفال ، ومعدل الزواج والخصوبة .. ستبقى ثابتة . ولكن الا يجافي هذا الثبات الواقع الملموس من تغير في كل مظاهر الحياة ، ديموغرافيا واجتماعيا ، وبالتالى هل تنسج الحياة، بالضرورة على منوال الماضي ؟ . وبهذا الصدد يمكن ان نضيف خطورة مدّ البيانات ـ ضمن الزمن الواحد ـ على مجتمعات مختلفة، دون مراعاة الحدود الطبقية للتجربة ، فمثلا، اذا وجدنا بنتيجة دراسة سابقة لانفاق مجموعة من الاسر العمالية ذات الدخل المتراوح بين ٢٠ الى ٦٠ دينارا شهريا، اذا وجدنا ان هذه الاسر تنفق ٧٠٪ من دخلها في المتوسط على الغذاء ، فان من العبث تطبيق هذه النسبة على اسرة برجوازية دخلها الشهرى ٢٠٠٠ دينار .

واذا تبين لنا من دراسة الارتباط بين ظاهرتين انه ياخذ شكل الخط المستقيم فاننا نستطيع استنادا الى معادلة مستقيم الانحدار التنبؤ بالنسبة لبيانات مشابهة ، بالقيمة التى ستاخذها الظاهرة التابعة « المتغير التابع Variable dépendante » اذا تغيرت قيمة الظاهرة الاساسية « المتغير المستقل Indépendante » . لكن هذا التنبؤ قد لا يكون صحيحا خارج حدود البيانات التى حسبت منها ثوابت مستقيم الانحدار نفسه، لانه ليس هناك ما يضمن ان العلاقة التى كانت من النوع الخطى (المستقيم) ستبقى مستقيمة خارج حدود البيانات ، ام ستغير شكلها ، وربما اتجاهها ايضا .

٨ ـ الخلط في ايجاد علاقات الارتباط

في دراسة جرت في الولايات المتحدة ، تبين وجود ارتباط وثيق بين زيادة رواتب القسس وبين زيادة مبيعات الخمور . وبالطبع ، فان هذه النتيجة (التي قصد منها السخرية بطرق الارتباط) تمثل محاولة مرفوضة من الاساس ، لانها عمدت الى وضع ظاهرتين غير مرتبطتين موضع الدراسة. وان الارتباط الذي ظهر رقميا يمكن اعادته الى ان كل من هاتين الظاهرتين تخضع الى عوامل متعددة ساهمت برفع قيمتها بشكل مستقل . لذا يجب الاحتراس من استعمال اساليب الارتباط في دراسة ظواهر يستبعد ، منطقيا، ان تتبع احداها الاخرى بعلاقة مباشرة ، كان يدرس الارتباط بين ارتفاع اسعار البطاطا وبين زيادة اللقطاء ، او بين ازدياد نفقات ابحاث الفضاء وزيادة مبيعات لعب الاطفال..

٩ ـ تحميل النتيجة الاحصائية

تفسيرات غير منسجمة معها

رغبت ادارة احدى المجلات بمعرفة الاشخاص الذين يقرؤون المجلة ، فكلفت احد ضباط الشرطة المتقاعدين باجراء دراسة حول هذا الموضوع . وباشر هذا الضابط عمله بالخطوات التالية :

١ ـ جمع المجلة من بيوت عدد كبير من الناس.

٢ ـ فحص عدد البصمات المختلفة الموجودة على كل نسخة .

٣ ـ حسب متوسط عدد البصمات المختلفة . فتبين له ان بكل نسخة اربع بصمات مختلفة بالمتوسط فاستنتجت الادارة ان الذين يقرؤون المجلة من الغلاف الى الغلاف اربعة امثال المشتركين فيها . الا ان هذا التفسير لا ينسجم مع نتيجة الدراسة التي تقرر ان المجلة قد مسكت من قبل اربعة اشخاص ، ولا تثبت ان هؤلاء قد طالعوها بالكامل ام لا .

وعلى العموم فاني لا ازعم لنفسي القدرة على كشف كل وسائل الخطا ـ المتعمد او غير المتعمد ـ في الاحصاء والاساليب الاحصائية ، ولكنها محاولة لتبيان المتاهات التي يمكن ان يتعرض لها القارىء بتاثير من الباحث المغرض، او غير الخبير، حين يستعمل الاحصاء الذي هو ـ كعلم ، او كطريقة علمية ، تتعامل بالارقام ـ له نقاط ضعفه وحدودها التي يعرفها الاحصائي الخبير ، كما يعرف اين يجوز له ان يتدخل فيفترض، او يقدر، او يحلل ، واين يعطي ثقته ، وبذلك لا يحمل الاحصاءات عبء ثقة لا تقدر على حملها ، بحكم عوامل النقص المتعددة التي تشوب العمل الاحصائي بدءا من جمع البيانات ، ومرورا بمراحل تبويبها وعرضها، ثم تحليلها وتفسيرها ، واستخلاص النتائج منها . ومع كل هذا ، فان كلمة انصاف لا بد ان تقال في جانب الاحصاء ، فهو ، رغم كل المحاذير ، ـ التي من الممكن التغلب عليها ، بشكل ، او بآخر ـ احد اعمدة حضارة هذا العصر ، ويشهد له بذلك ، التوسع الكبير والانتشار في قطاعات الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي والادارة الحكومية ، وفي الابحاث العلمية والنفسية والبيولوجية والاجتماعية ، وفي مراقبة جودة السلع احصائيا ، والحكم على ما تعتبر شحنات مقبولة ، او مخالفة للمواصفات ، ضمن حدود من الثقة . وكذلك دوره في حسابات الانتاجية والارقام القياسية لمختلف الظواهر المتغيرة . وقد ساعد على تطوره ذلك التقدم الهائل في الالات الالكترونية ، وما قدمته للاحصائي من دقة في العمل وسرعة كبيرة . وهو ، بهذا ، ليس وسيلة لسد الفراغ ، الذي كان يُسد بالكذب كما قال « ليكوك » ، وليس مرادفا لكلمة « الكذب » كما عبر « دزرائيلي » ، وانما هو مجموعة من الطرق العلمية ، تضع تحت تصرف الباحثين في مختلف المجالات ، الاداة العلمية التي تمكنهم من اتخاذ القرارات على الشكل الذي يخفض امكانية الوقوع بالخطا الى اقل قدر ممكن ، ومعرفة اماكن الزلل واحتمالات الوقوع فيه ، وهذا حسبه ، في الوقت الحاضر . ■■

الجزائر ـ محمد عدنان وديع

• مِنْ حِصَادِ التَّأمُّلات



■ أين ألقاكَ ؟ لم تعد بقريبِ   فرّق الموت بيننا يا حبيبي
أتخلفتَ عن لقائي وعهدي   بك جمّ الوفاء والترحيب؟
وتلاشيت مثل باقة ورد ....   بعثرتْها ريح الشمال الغضوب
لم يزل سحرها يجوب البراري   سائلا عن عبيرها المكسوب !

***

كم تشبثتُ بالخيال هروبا   من همومي .. فماحماني هروبي ..
في غمار الحياة نحن نسينا   مالها من مخالب ونيوب
أوَ نبغي طولَ الحياة لتمضي   بجنّا عمرنا رياحُ المغيب؟!
ليس من غالب يطيق بقاءً   بين أنيابها ولا مغلوب
أخذتنا على رجاء وردّتنا   إلى حيرة وشك مريب
لم يلن قلبها على أبد الدهر   ولا فضّ سرها لأريب
وارتمينا على رؤاها عطاشا   وجرينا خلف السراب الكذوب
سرُّ نفس .. تُجيب داعي عيش   طالما صادفته غيرُ مجيب !!

***

صور .. لم تزل تلوح لعينيَ   وأهفو لسحرها المجلوب
كم توهمتُها خيالا يوافيني   متى شئته سخيّ الطيوب



وإذا ما دنوت منها تراجعتُ ... ودامى أشواكها في جيوبى
تلك ألوانها تظلل فكرى ... ثم ترتدُّ من معانى الشحوب
وصداها في خافقي بحَّةُ ... التائه ألقى عصاه بين الدروب
أى غال أضاعه فتعنَّى ... في تحرٍّ عنه وفي تنقيب؟!
ما لأهدافه تَشُوق على البعد وتغدو هزيلة من قريب؟!
ظمأ الروح ما شفَتْه الليالى ... في اقتناص المجهول . والمحجوب
أبدا . . كان فى مجال سباق ... وصراع مع الحياة رهيب!
أى دنيا شدت رؤاه لنجواها ... وأُفق طلق الشعاع رحيب ؟
رحلة الشوق لم يعد بعد منها . . ... طال في شطها انتظار الغريب

***

لاتلمه إذا تعثَّر يوما ... مجفلا من خياله المشبوب
فمراميه كم تشظَّى عليها ... من جناح . . وكم هوى من صليب
يمسح اليوم جرحه في أناة ... واعتداد المجرب الموهوب
لوتأملته لأكبرت فيه ... بسمة السُّخر في تحدى الخطوب! ■■

نور الدين ابو ريشه

قصة في رسالة
من أب إلى ولده

من قلبي ...

بقلم : نصري عطا الله

■ ولدي الحبيب :

اكتب اليك استجابة لمشاعر واحساسات لم يملأ صدري بها الا ما لاحظته من تغير طرأ عليك اخيرا ... تغير تناول عواطفك وافكارك وكل نواحي حياتك كأنك قد خلقت خلقا جديدا . انك تحب يا ولدي ولا تحاول أن تنكر ، فهذا البشر الذي تفيض به قسمات وجهك ، وهذه الأغنيات الحلوة النابعة من أعماقك والتي تترنم بها في صوت مترع فرحا ولهفة وحنينا ، وهذه البهجة التي تتمثل في حديثك وحركاتك ولفتاتك ، وكل هذه الرقة في معاملتك للناس كأنك تريد أن تهبهم جميعا السعادة والهناء ... ثم ذهولك أحيانا عن كل من حولك وانطلاقك الى سماوات بعيدة .. بعيدة ، تعيش فيها بفكرك وخيالك ومشاعرك .. انك تظن اذ تطوي السر في قلبك انه خاف على الجميع في حين انه واضح كل الوضوح ، واضح في لمعة عينيك وما يرتسم على وجهك من انفعالات عميقة وانت جالس بيننا ، ولكن بجسدك فقط ، في حين ان روحك تهيم في آفاق سحرية مع تلك التي اختارها قلبك من بين البنات ، ثم هذه الحيوية المتوثبة المتدفقة ... ان روحا كريمة وهبت روحك من عزمها وبأسها ، ونفسا حنونا مزجت شبابها بشبابك وهكذا اختمر فيك السر الالهي واستبان . انك تحب يا ولدي والحب هو الميلاد الثاني ... انك تحب يا ولدي والربيع الذي أينع في قلبك يرسل من حوله عطره ودفئه وانغامه يغمر بها الخريف الذي في قلبي فيملأه نعمة وبعيد اليه بعض شبابه وحرارته ، وما شباب قلبي المستجد الا انت ، فانت امتداد لحياتي على هذه الارض التي لن تلبث ان تطويني في جوفها بعد حين قد لا يطول ...

ومالي غاية من كتابة هذه الرسالة الا أن تسعد في حبك وتجنى منه أطيب الثمار واحلاها ، فهل تتأمل يا ولدي نصائح ابيك الذي يعمر قلبه الاخلاص لك والذي قضى فوق هذه الارض سبعين عاما انضجته خلالها التجارب ... ؟

... كانت لي يا ولدي تجارب مثل تجاربك ولكن الزمن تبدل ، وما كان محرما علينا اصبح مباحا لكم ، فقد انتشرت الحريات واستفاضت ، وللحرية تكاليفها واعباؤها ومآسيها ، وما أود يا ولدي أن تتحول فرحتك التي تنعم بها الآن الى الم وندم ودموع ، وعهدي بك حيّ الضمير ولكنني اخشى عليك سورات الشباب .



واذا قلت لك ان مدرسة الحب هي المدرسة العليا فان قلبك سيوافقنى على ما اقول فما من شك انك تشعر ان حبك يصبغ حياتك كلها صياغة جديدة ، ويجعلك تشعر ان الكثير مما كنت تعتقد استحالته اصبح ممكن التحقيق ، ذلك لانه عندما نحب ، وعندما نحب فقط ، تستيقظ الحياة من سباتها وتروح تفتش عن اعماقها ، وتحلق لتجوب سماواتها ، .. وبدون حب نحن مقيدون بتراب الارض .

وليس هذا كل ما اريد ان اقوله لك ، بل اننى اسطر لك هذه الرسالة ، لاذكرك باشياء واحذرك من اشياء ، واقص عليك بعض تجاربى وكل املى ان تنتفع بما سأقصه عليك وتتجنب الاخطاء التى وقعت انا فيها ثم ندمت ، ولولا اننى اصلحت اخطائي قبل فوات الاوان لبقيت فريسة الندم حتى الموت ...

لعلك سمعت وقرأت ـ وما اكثر ما يكتب وما يقال ـ ان المرأة هى اللغز الاكبر الذى يحير العقول ويدهش الالباب ، وانها الملاك الرحيم والشيطان الرجيم ، فيها نور النهار وظلمة الليل،

رقة النسيم وهول العاصفة ، حرارة النار وبرودة الثلج ، سذاجة الحمل ودهاء الأفعى ، وفيها من العسل طعمه ومن العقرب لدغتها ، ومن الورد لونه ومن البحر عمقه ومن النهر قسوته ... الى آخر ما قيل مما لا يحصيه عد ...

لعلك قرأت كل هذا أو لاحظته بنفسك وتعجبت أين الصواب وأين الخطأ ؟ .. ألا فاعلم يا ولدى انها كل ذلك واكثر منه ...

اتراني زدتك حيرة على حيرة ؟ أرجو الا تعتقد ذلك فما أردت الا ان ارسم لك معالم الطريق الواضح المستقيم ...

وقعت مرة على قول جميل هز اعماقي وما زالت ذاكرتي تعيه وتحرص عليه ، ولا أدرى من قاله ولكنه في نظرى من أحكم الحكماء ، قال ذلك القائل : انالمرأة هيالعمل الوحيد غير الكامل الذى تركه الله للرجل ليتمه أو يبدله ...

ألا توافقني أن ذلك القول صحيح في كل حرف من حروفه وانه مفتاح كل تلك الاوصاف المتناقضة التى وصفت بها المرأة ؟؟

ان التى ربطت بين قلبها وقلبك بشر مثلك ومثلى ومثل كل الناس ، لاشك يا ولدى انك ستعارضني وتقول انها ملك من السماء ، فذلك هو أقل ما يفعله الحب بقلوبنا وعيوننا ، وليس ذلك وهما على اطلاقه ، فلا تظن ان الحب اعمى كما يقال بل ان الحب وحده يبصر ما لا يبصره غيره من حقائق في هذا الوجود . فانت وحدك تستطيع ان تنظر الى فتاتك وتراها على حقيقتها كما خلقها الله ، اما الناس فسينظرون اليها كما ينظر الناس الى سائر الناس ، نظرات سطحية لا ترى شيئا ، واذا رات فلن ترى الحقيقة لانها نظرات مادية دنيوية تمليها الاهواء والمصالح والرغبات ، وانت تعرف ان كل هذه المطامع والاغراض تسدل على العين ستارا فلا تجعلها ترى الا ما تريد ان ترى ، اما انت وهى فكل منكما يرى الآخر على حقيقته : تتفاهمان بلغة العيون وتتبادلان بها معانى أرق واسمى من ان تتناولها الالسنة ، فتحس وانت تطل في عينيها أن الحب معجزة تعز على الالفاظ ... تتأمل قسماتها وملامحها فتحس أن السر الالهى قد اختمر في قلبها وشاع في كل جوارحها وتالق في وجهها فاضفى عليها ذلك السر القدسى وجعله أعمق وأروع وأفتن من كل ما في الحياة والطبيعة والفن من روائع ومعجزات ، ان الحب ليس اعمى يا ولدى بل انه يبصر ما لا تراه العيون وذلك يؤكد لك ان الحب معجزة تتجدد على مر الايام .من الحب صاغ الله هذا الكون الكبير ، ومن الحب صاغ نواميسه وسننه التى لا تتبدل ، فاذا ما حل الحب فيقلبك أصبحت الوشائج بينك وبين الكون اقوى واعمق واشمل ، ذلك لأن الحب هو تآلف ارادة المخلوق مع ارادة الخالق وهل هناك اسمى من ان تحل ارادة السماء في قلب ابن الارض ... الا تحس مصداق ذلك في قلبك يا ابنى ؟

انى لا أوافقك على أن التى تحبها ملك من ملائكة السماء ، انها بشر مثلنا أى جسد وروح .. ذلكما العنصران اللذان تواجدا معا كي يظلا متنافرين الى الأبد ومن تنافرهما ائتلفت حلاوات الحب ومرارته واصبح لذة وألما ، شفقة وقسوة ، حنانا وبغضا ، احتراما واحتقارا ، غفرانا وغيرة ، دهشة ولهفة واشتياقا .

فهل فكرت أى طريق تختار ، أى هذه العناصر ستنعم أو تشقى به ؟ ازرع شوكا يا ولدى ولكن لا تغالط نفسك ، لا تنتظر أن تجنى غير الشوك . أو ازرع وردا طاهرا نقيا واروه من اخلاصك وحنانك وآمالك وثق انك ستجنى منه سعادة وهناء ومحبة وحنانا وتضحية واخلاصا . واعلم ان الفتاة تحاذر كل رجل الا من تحب ، انها في يده مثل العجينة الرخوة ، لا عن غواية أو شهوة ، ولكن بحكم تكوينها وطغيان عواطفها : ان كل لمسة او نظرة أو كلمة من الحبيب تروى ظما قلبها وتسعدها والامر يختلف كل الاختلاف عند الرجل بحكم تكوينه المختلف وقدرته على السيطرة على نفسه .. الى حد كبير ... وهو المسئول اولا ـ اذا كان يحب حقا ـ عن حماية زهرة الحب من الوقوع في وحل الشهوات .

وساحدثك الآن عن تجربة مرت بى وتركت في نفسي اعمق الآثار ... كنت في ذلك الحين في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من عمرى، ولم يكن قد مضى على اشتغالى بالتدريس اكثر من عام ، وكان من اتصل بى قد عرف حبى واخلاصي لمهنتى .

ويوما ما عهد اليّ بتدريس احد الطلاب في منزله مساعدة له على اجتياز امتحان الملحق ... وكانت هى أخته ، وظل الحب ينمو في قلبينا حذرا متمهلا حتى تمكن تماما ... وملأ كل فراغ قلبينا

... ولم نعد نكتفي باللقاء في منزلها ... ذلك اللقاء الصامت المحاذر بل كنا نلتقي خارج المنزل ونقضي خلوات طويلة سويا .

وكانت فتاة ساذجة طيبة القلب ، وضعت كل ثقتها فيّ ، واحبت عيوبي واخطائي قبل ان تحب صفاتي الأخرى ، وكانت تطيعني كظلي ولا تختلف معي الا عندما اعمد الى تاخير موعد بيننا يوما او اثنين فتثور وتصر على تقديمه يومين أو ثلاثة .

ومرّت الايام وكان يبدو عليها القلق احيانا ، ولكنها لم تكشف لي يوما عن مخاوفها ، بل لم تفعل اكثر من انها كانت تدعو الله أن يزيدني توفيقا ونجاحا حتى تتحقق كل آمالي .. وآمالها ... هذا في الوقت الذي بدأتُ أخرجها فيه من دائرة آمالي ، ولا أدري لماذا ؟ ذلك هو الالتواء الذي ابتليت به الطبيعة الانسانية ولا تدري له علاجا او تفسيرا . انني افكر في أمرها الآن في شيخوختي الهادئة وأؤكد لنفسي ولك انه من المستحيل ان تعثر على قلب واحد مثل قلبها بين كل الف قلب . كان قلبها مليئا بالاخلاص العميق الوطيد الذي لا ينفد ولا يتبدل ولا يتزعزع . ألم يكن في ذلك ما يدعوني الى اكبارها في هذه الدنيا التي تطفح بالغدر والخيانة والتقلب ؟

ولكن دعني أقص عليك ما حدث ... لقد بدأ الملل يتسرب الى قلبي ، وخلقت لنفسي الاف التعلات للتخلي عنها : بدأت اكتشف ان جمالها لم يكن رائعا فتانا ... ان انفها كبير نوعا ما ... ان هناك اقواسا داكنة تحت عينيها ، وان شفتيها رقيقتان اكثر مما يجب،ووجنتيها غائرتان شيئا ما.

وبدأت الاحظ في كثير من الضيق ان ثقافتها ليست من النوع الرفيع ... انها لا تستطيع ان تناقشني في كل شيء أو تفهم كل ما أقوله لها .. ونسيت أنني كنت اكبرها بعشر سنوات على الاقل وانني انفقت كل عمري في القراءة ... لقد نسيتُ قلبها الذي لا مثيل له بين القلوب .. ان مرور الزمن اسقط من بيننا الكلفة وشيئا فشيئا بدأ يسقط من حسابنا الحياء . وأحب ان اسارع واخبرك اننا لم نقترف اثما او نقع في خطيئة ، وكنت أحس تماما وهي بجانبي ان الرغبات قد استيقظت في دمها وأصبحت تقض مضجعها وتحرمها من السلام . كان ذلك ظاهرا جليا في ضيقها ، وعصبيتها ،كما كانت تشكو لي أحيانا سأمها وكآبتها ونوبات البكاء دون أن تفطن الى سر ذلك التغير الذي طرا على حياتها ، ودون أن تدرك انني كنت المجرم الأثيم الذي سبب لها كل ذلك .

ودامت العلاقة بيننا فترة اخرى بقوة الاستمرار وحده .

واضمرت لها في نفسي احتقارا هائلا ، واصبحت اشمئز من تصرفاتها واحاديثها وحركاتها ... ولم اقل لنفسي انني كنت شريكها والسبب الاول في كل ذلك ، كنت اريدها ان تتصرف تصرفات الملائكة الاطهار في الوقت الذي كنت أدق فيه على اعصابها دقات عنيفة واشحن دمها بكل ما يثير الرغبات ...

ثم أتى يوم قاطعتها فيه ورفضت أن أراها ... وظل قلبها حتى ذلك الحين باقيا على ولائه واخلاصه لي ، ولكنني عميت عنه كما عميت عن ضميري ، ورضيت لنفسي الظلم والانانية والحماقة . وحاولتْ بكل ما في وسعها أن تسترضيني فلم تستطع وتمثل فيها حينذاك ذل الحب وسلطانه ... أرسلت لي اصدقائي الذين سبق ان قدمتها لهم وارسلت لي اختها عدة مرات وبعثت لي بعشرات الرسائل التي لم افضها .. بل كنت اعيدها مغلقة مع اختها ... شمخت وتجبرت ولم أكترث لما سببته لها من ذل وهوان ودموع ، ومع ذلك لم استطع ان اطرد صورتها من خيالي .

وكنت قد اتجهت اتجاها آخر ... وساقني التيار الى بعيد ولم تكن العودة سهلة ، ولم اكن أريدها برغم خيالها الذي كان يلازمني خطوة خطوة ..

نقلت قلبي يا ولدي بين الحسان ... وكنت اقول لنفسي كل مليحة بمذاق .

هذه هيفاء لا يثبت عودها اللدن على حال من فرط الرقة . وتلك ملفوفة القوام مشرئبة الصدر مشيتها موسيقى لحنتها السماء . واخرى فمها دقيق رقيق ... ورابعة كانت ضحكتها تثير في قلبي فرحة الدنيا . والعيون يا ولدي ... هل استطيع ان أحدثك عن العيون ؟ لو استطعت لعرفت كنه الحياة وسر الوجود : العيون السود، وسحرها الآسر الفتاك .. والعيون الكهرمانية وسرها العميق الذي لا يدرك كنهه .. كنت احدق في عيونهن وأحس انني تائه في بحر الظلمات ، غريق ولا يفكر في النجاة .

لم افكر يوما في الاثم ـ ولعل بعض الفتيات تخلين عني من أجل ذلك ـ ولا تعجب ـ ، ولكن روحي كانت تهتز ، وما زالت ، امام الجمال بمختلف صوره وأشعر في قرارة نفسي وانا أتامل حسناء .. انني اصلي ، ومرت الايام وانا غارق في مغامراتي ولا أبحث عن الشاطيء .

ولكن شبح الملل بدأ يلوح في افق خيالي من جديد ... كنت احس بان شيئا ما ينقصني ... ترى ما هو ؟؟؟ ... هناك نقطة حائره بدات تتململ في اعماق ضميري ... ورحت رغما عني اسعى وراء ذلك المجهول لعلني اظفر به واحظى بالسعادة التي انشدها لنفسي .

وبدات تتضح لي معالم شيء ما ...

لم يكف طيف الحبيبة الأولى عن زيارتي بين حين وآخر .. ظل مخلصا وفيا كما كانت هي مخلصة وفية .. كان يذكرني بها وبطبيعة الحال ـ ومهما حاولت صده وابعاده ـ كنت اجد نفسي استعيد ذكرى أيامي معها ، واذ بالماضي والحاضر يجريان معا في خاطري . ولا بد من المقارنة . وشيئا فشيئا تأكدت في نفسي حقيقة غابت عليّ طوال تجاربي الماضية .

تأكدت أن كل من عرفت من فتيات بعد الحبيبة الأولى لم يستطعن أن يقدمن لي لحظة واحدة من لحظات السعادة الهنيئة التي طالما احسست بها مع تلك التي تمردت على حبها .. لقد كانت علاقتي بها علاقة حب ، أما العلاقات التالية فلم تكن حبا على الاطلاق ، ذلك ما اكتشفته .. لقد كنت أمتع عيني بأولئك الفتيات كما كنت أمتع نفسي بمنظر العصافير الملونة مثلا ، أو صنوف الازهار في الربيع . ولكن قلبي لم يشاركني في تلك العلاقات مشاركة جدية . وهكذا كانت تمضي سريعا دون أن تخلف في النفس أثرا . أما حبي الأول فقد زهدت فيه لأني لم اصنه ، عبثت به وشوهت صورته ولذا ضقت ذرعا به . أدركت ذلك . اكتشفت كل هذا وشعرت بالقلق ووخز الضمير وتحققت اني ضيعت بارادتي أثمن وأجل ما اشتملت عليه حياتي ..

ومضت بضعة أسابيع دون أن تهدأ عواطفي أو تستقر ، وأحيانا كانت خيالاتي الاثيمة تعربد في رأسي وحسي وتذكرني بها في كل ساعة ، وكنت أحس أنها تعاني مثل ما أعاني بل وأكثر .

وفجأة أخذ ضميري يستيقظ شيئا فشيئا ، ثم أخذت افكاري تستقيم وتعتدل ـ ولا تعجب لذلك فعنصر الخير كامن في كل نفس ـ ثم ادركت فداحة ما اقترفت من اثم في حق تلك الفتاة المسكينة التي وثقت بي ثقة عمياء .. والتي كانت تعيش في سلام مع نفسها وقت أن عرفتها ، فخلقت بين عواطفها وارادتها حربا لا تهدأ ، وسممت تفكيرها وهونت عليها التبذل ، واحسست بمسئوليتي واضطهدني ضميري : وكنت في اعماق نفسي أخشى أن تقع فريسة سهلة لذئب من ذئاب البشر .. ألا تستطيع أن تكبح جماح نفسها اذا وقعت في يد شاب عابث .. لو حدث ذلك وعلمت به لظللت طول العمر تعسا شقيا فالجرم الحقيقي هو أنا ..

واشتقت من جديد أن أعرف ماذا فعلت بها الأيام وتمنيت أن ألقاها . وكنت يائسا من ذلك ، فاقل ما كان ينتظر منها أن ترفض حتى أن ترد على التحية ، فقد قاطعتها بطريقة تجرح الكرامة جرحا لا يبرأ .

ولكن الأقدار استجابت لرغبتي الصادقة فقد قابلتها في الطريق يوما ما ، وابتسمت في وجهها دون وعي مني فابتسمت ، وكانت جلسة طويلة أعقبتها جلسات .

تصور يا ولدي أنها قالت لي دون تصنع أو افتعال ان الحب باق في قلبها كما هو لأنني لم أوذها أو أضرها في عفافها .. هل قرأت أو سمعت أن الحب يغتفر كل شيء .. ان هذه العبارة تظل تطن في الرأس طنينا لا معنى له حتى تصادف مثل هذه التجربة فتحس بقلبك يهتز اجلالا واكبارا لمثل ذلك الاخلاص النادر في دنيا تموج بالآثام والشرور .

وبعد أن استأنفنا علاقتنا قلت لها :

ـ قد تنصحك أختك بالابتعاد عني بعد ما كان مني ؟

فقالت لي بنفس البراءة والبساطة :

ـ وهبها فعلت .. أتراها تستطيع أن تمنعني .؟

وأفعم قلبي الندم وانا استمع اليها .. ثم قصت على أنه قد جاءها خطيبان ولكنها رفضت لأنها أصبحت كافرة بالرجال .. بسببي ، ولكنها لم تكفر بي ، فانظر كيف يسمو منطق الحب على منطق التجربة والأمر الواقع ..

تأمل يا ابني كيف يفترض الحب في الطبيعة البشرية النقاء التام ، يفترض الخير كله ويؤمن

به ايمانا كاملا ويسعى لتحقيقه ، ويرفض الاعتراف بالشر حتى حين يكون الشر امرا واقعا يصطدم به ويتعثر فيه .. ذلك هو الحب يا ابنى .. كأنه يقول ان البشر والملائكة سواء بسواء ، وكأنه يدفع البشرية الى الامام ملايين السنين .

هكذا علمتنى فتاتى قداسة الحب ، روضت قلبى المتمرد حتى دان لها ، وشفتنى من الحماقة والرعونة فكان ذلك هو الميلاد الثانى الذى حدثتك عنه في مستهل هذه الرسالة ، فقد شعرت حقا اننى بعثت بعثا جديدا .

وبدأنا نبنى من جديد على انقاض ماض فيه ما يسر وما يسوء ، واشتقت الى أن أكفر عن ذلك الماضي فوجهت همى الى تلك الغاية .

وكانت تجربة ثمينة : لقد سألت نفسي أتراني استطيع أن أحيى فيها الانسان النبيل كما سبق ان أيقظت فيها الحيوان الاهوج ؟؟

اننى لم احاول ان انكر ان لها جسدا ـ مثل كل انسان ـ له رغباته ، ولكن لكل شيء وقته وأوانه ، واشعرت نفسي انه الى جانب ذلك الجسد ، قلب وروح وعواطف طيبة تنتظر الروح التى ترويها من حنانها لتستيقظ وتنمو وتثمر أطيب الثمار .

وقد نجحت التجربة والحمد لله .

وفرحت لأننى افلحت في اصلاح ما افسدت .

واعترفت بغلطتى لنفسي .. وكنت قد ظننت حين انصرفت عنها أنها قد فسدت وتدهورت ولم تعد الا جسدا يشتهى فاذا بى أوقن بعد التجربة ان الامر على عكس ما تصورت : لقد نضجت عواطفها الاخرى ، ورأيت فيها الوداعة والرقة والحنو والتحشم ، والرغبة في الحياة الهادئة النظيفة ، برغم البركان المحموم الذى ظل يضطرم في اعماقها فترة طويلة .. والتقت عواطفنا وأمانينا مرة اخرى بعد ان طهرتها التجربة القاسية النافعة التى مرت بنا .. وهنا أعلن الحب سره ، كشف لنا عن معجزته الخالدة : في تلك الآونة فقط اكتشفت نفسي .. شعرت بآفاق حياتي تتسع . آنست في أعماقى من المشاعر والاحساسات ما لم اعهده قبلا قط .. تفتحت مواهبى وتضاعف نشاطى واصبحت حياتى اغنى واخصب وأسعد مما كانت عشرات المرات .. احسست اننى ارقى وانبل مما كنت ، ووطدت عزمى على المحافظة على مستواى والا اقدم ابدا على ما يخدش كرامتى او يزعزع ثقة الفتاة التى ركنت الى ، وباختصار عرفت سعادة الحياة وتمنيت ان يشركنى فيها جميع أهل الارض او ان ارشدهم اليها وأبوح لهم بسرها ، وسرها هو الحب اذا أبقينا له قدسيته وطهارته .

وشرعت أقيس أسس حياتى الجديدة بعزيمة لا تكل ودارت الايام وأصبحت زوجا ورب اسرة سعيدة .

تلك الفتاة التى حدثتك عنها يا ولدى هى أمك فهل رأيت أعف وأنبل منها ؟ هل رأيت اكثر منها اخلاصا لى ولك ولسائر اخواتك ؟ لقد كانت نعم الرفيق الأمين الذى شاركنى معركة الحياة في حلوها ومرها ، لقد تحملت معى الاعباء ولم تحاول يوما ان تكلفنى فوق طاقتى بل كانت على استعداد دائم للتضحية من أجل راحتى وهنائى ، وسعادتك أنت وأخوتك .

وما زلت الى الآن التمس زاد روحى في عينيها الكهرمانيتين الواسعتين ، احدق في صفائهما العجيب الذى لم ينل منه الزمن فتهزنى الطيبة والاخلاص ..

تأمل وجهها يا ولدى .. لقد انتشرت فيه التجاعيد وترهلت قسماته ، التى يحيط بها الشعر الأبيض يكمل قصة الزمن وزحفه الذى يتمهل .. تأمله مرة اخرى لترى كيف تشع الروح من خلال المادة . لو تمعنت في وجه امك بضع لحظات فلسوف تنسى أنه من لحم ودم وتستغرقك المعانى العريقة العميقة التى تشع من قسماتها التى عايشت الزمن ما يقرب من ستين عاما .. هذه المعانى الكبيرة التى تصنعها التجارب من القلب الطيب والروح النبيل والافكار السليمة لها جمالها الروحى العريق مثلها مثل الخمر الجيدة المعتقة لا يصنعها الا الزمن وحده .. اذا قلت لك اننى انظر الى وجهها الآن في جمال الخريف واستمتع به متعة لا تقل عن كل ما استمتعت به في ربيع الشباب فصدقنى يا ولدى وارجو ان يمتد بك العمر حتى تدرك وتتذوق فتنة الخريف هذه ، فتنة الثمرة الناضجة التى لا وظيفة لها الا ان تهب نفسها ، كما تستمتع الآن بفتنة الربيع ، فتنة الزهر المتوهج والعطر الذى يسكر القلب والروح .

والدك ■■

القاهرة نصرى عطا الله

عدد ممتاز
٢٣٢ صفحة - الثمن كالمعتاد

العربي

العدد ١٤٦ - ذو القعدة ١٣٩٠ - يناير (كانون الثاني) ١٩٧١



كردية من العراق

هدية بالمجان: خريطة الوطن العربي + العربي الصغير



من روائع

الفن العالمي

● لوحة «الطاهية» للفنان الاسباني فلاسكيز Velasques ١٥٩٩ - ١٦٦٠ ، وتمثل هذه اللوحة الموجودة حاليا في المتحف القومي في ادنبرة ، عاصمة اسكتلندة ، ثروة انتاج الفنان في فجر حياته الفنية ، وقد أكمل رسمها سنة ١٦١٨ .

(انظر صفحة ١٧٦).

عزيزي القارئ

● مضى على ظهور ((العربي)) ، بحلول أول ديسمبر هذا الماضي (كانون الاول) اثنا عشر عاما كاملة ، فنحن اذ نحتفل في أول يوم من عام ١٩٧١ بعيد ميلاد ((العربى)) ، فانما نحتفل بعيد ميلاده الثاني عشر . ومن الطريف ان تأتينا رسالات من صغار الأعمار يقولون ويقلن ، انهم ولدوا مع ((العربى)) حين وُلد .

● ولا نزال واقفين بالعربي عند ١٥٠ الف نسخة نصدرها في الشهر العادي ، وعند ٢٥٠ الف نسخة نخرجها في أول العام . وما زالت الأسواق تطلب المزيد مضاعفا ، ولا يزال ((العربي)) يباع بضعف ثمنه في بعض الاقطار ، ولا نزال نعجز وتعجز وسائل الطبع الحاضرة عن الوفاء بحاجة الاسواق .

● و ((العربي)) يحاول دائما ان يبتعد عن أن تكون له صفة الصحافة اليومية ، التى تعتمد على الخبر ، وعن الصحافة الأسبوعية ، ليبقى أكثره للثقافة وقيمها الدائمة خالصا . ولا نزال عند أبواب الثقافة ثابتة ، ثابتة العنوان ، مختلفة المحتوى . وبعض رأى أن الصحافة لا تحيا الا على التغيير ، واقترحوه علينا ، قلنا ماذا نضيف وماذا نحذف . قالوا : اضيفوا بابا التعارف ، وبابا للرياضة البدنية ، وبابا لنجوم السينما ، وبابا لتعليم الجنس . قلنا هذه لا تنسجم مع ما نحن فيه ، ومع هذا فلها صحفها . وسألنا : فماذا نحذف .. وهنا احتار طالبو التغيير . فحمدنا الله ان الحيرة وقفت بهم عند أبوابنا الثابتة فلم يجرأوا على تغيير شيء منها .

● ومع هذا فنحن لم نقف أبدا بصورة ((العربي)) عند صورتها الاولى . انما هو تطور مستمر لا فجاءة فيه . ومن ذلك أن صورة الغلاف ستتبدل من العدد القادم . ستختفي صورة المرأة العربية ، لتحل محلها صور يرى الكثير انها أكثر اتفاقا مع دنيا العرب ، دنيا الرجال .

فلك يا قارىء العربى ، تحية العام ، ومزيدا من التوفيق باذن الله .

((المحرر))

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

تربية وعلم نفس :

عـــروبة :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

سياسة واقتصاد :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 146 January 1971 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

طبع من هذا العدد الممتاز

٢٥٠,٠٠٠ نسخة

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٢٢٨٤ ويكتب على الغلاف اشتراكات العربي .

بريد القراء



نبدأ بريد القراء هذا بالخطابات التى مست وتمس برنامج العربى من حيث مقالاته وما يراه القراء فى امرها . ونعتذر عن ان القراء يتحدثون دائما عن رئيس التحرير ، ورئيس التحرير يقول ان العمل ، عمل جماعى ، كل له فيه نصيب .

مزيدا من العلم !

● انا من قراء مجلة « العربى » المحببة ،ونتيجة متابعتى لقراءتها منذ سنوات تكون فى خاطرى بعض الافكار حولها ، اعرضها الآن عليكم :

١ ــ العلم : وانت الذى أنميت فينا الحب له ، وبينت حاجتنا اليه ــ نريد منه المزيد ، نريد احداث ابواب علمية جديدة فيه ، او احياء ابواب سابقة كباب « صفحة من الطب المصور » الرائع ، وذلك بحذف الزائد من المقالات الادبية والتاريخية . نريد لمجلتنا أن تكون « علمية » اولا، ثم « جامعية » بعض الشيء ثانيا . وهذا الطلب الاخير اصر عليه ، وكلى أمل بانكم ستحققونه قريبا ، لسبب انتم اعلم منا به وهو : قلة المجلات العلمية وضعف مستواها .

٢ ــ المواضيع الفلسفية قليلة فى المجلة ، فكل عدد يجب ان يحوى على الاقل مقالا فى الفلسفة .

٣ ــ المواضيع الادبية والتاريخية اصبحت تطغى على المواضيع الاخرى . وعلى سبيل المثال : احتوى العدد الاخير (١٤٠) على حوالى (٧) مقالات فى الادب والتاريخ . ان مقالا واحدا او اثنين يكفى ، بينما تحل محل المقالات الاخرى مقالات علمية كما ورد فى الاقتراح الاول .

٤ ــ حديث الشهر ، باب لا يستغنى عنه .

٥ ــ فى كل عدد تكفى قصة واحدة سواء كانت موضوعة او مترجمة او من غرائب القضايا .

٦ ــ « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه » باب رائع وعظيم نرجو أن تعودوا اليه ، بعد أن جاءتنا الاعداد الاخيرة خالية منه .

٧ ــ المواضيع الفلكية التى باشرتم بنشرها منذ العدد (١٣٩) مواضيع هامة ، وحاجتنا اليها ماسة ، لذلك نرجو الاستمرار فيها .

على بشار حسين ــ القامشلى

الزواج المبكر

● قرات حديث الشهر لرئيس التحرير بعنوان « الطعام والجنس » فى العدد ١٤٠ من مجلة العربى وليس المجال هنا مجال مديح . فانا مهما كتبت ، ومهما قلت ، فلن استطيع ان اوفى تلك الاحاديث حقها .. ولكن الامر الذى اريد ان ارفع اللافتات من اجل تاييده وتاكيده ، هو تلك الحلول التى وردت فى هذا الحديث القيم ، لمشكلة الجنس والزواج .. قلتم : لا داعى للزواج ان ينتظر تأهل الزوج لكسب . فما دام الزوجان فى مدرسة او جامعة ، فالعائل لكل منهما هو العائل القائم .»

راى ، لو طبق ، لاستطاع مجتمعنا ان يحقق بفضله ما يصبو اليه من رقى وتقدم، فهو الوسيلة الوحيدة لصيانة اخلاق شبابنا وبناتنا .

طالب فى جامعة مدريد باسبانيا

ليبيا فى عهد الثورة

● لا تنسوا ليبيا الثورة ، اننا نرجو ان نرى قريبا على صفحات مجلتنا الكبرى « العربى » استطلاعا لمدينة من مدن ليبيا فى عهد ثورتها المباركة .. انه رجاء نتقدم به نحن ابناء طرابلس لمجلة العربى . مجلة كل عربى .

فتحى القمودى
طرابلس ــ ليبيا

(بين أستاذ .. وتلميذ)

● انني معجب ايما اعجاب بهذا الاسلوب العلمي المبسط الذى يعرض به رئيس التحرير ادق المشاكل العلمية ، وقد كان للمقالات العلمية التى قرأتها للدكتور احمد زكي ، اكبر الاثر في توجيه حياتي ، فقد عشقت العلوم والتحقت بكلية العلوم ، وتخرجت بدرجة الامتياز وعينت معيدا بالجامعة التي كان الدكتور زكي مدرسا لها ، ثم سافرت الى اوروبا وحصلت على الماجستير في العلوم الجيولوجية ، ثم الدكتوراه ، وبعدها عدت الى الجامعة لاعمل فيها مدرسا بقسم الجيولوجيا .

وطوال هذه الفترة ، فترة دراساتي ، لم يفتني قراءة شيء من مقالات رئيس تحرير العربي وكتبه .. واود ان اسجل هنا ان الفضل الاول والاخير في اجتيازى لهذا الطريق يرجع اليكم .. وقد طرقت اخيرا باب الصحافة لاكتب ، ولم يكن غريبا بعد هذا ان انحو نحو استاذى الذى تأثرت به وتتلمذت على يديه دون ان يعرفني ، فرحت أقدم المقالات العلمية باسلوب مبسط ، محاولا ان اقلد طريقته في الكتابة .

علي صادق عبد الواحد ــ القاهرة

★ ★ ★

اكتبوا لنا موضوعات اقتصادية

● ان مجلة العربي تكتب في مختلف فروع العلم والأدب والفلسفة والثقافة الى آخره ، ولكنني اعتقد ان هذه المجلة العظيمة التى سارت بفضل جهودكم الجبارة خطوات سريعة قوية الى الامام ، ينقصها في رايي فرع هام الا وهو فرع الاقتصاد ، نرجو ان تقدموا لنا موضوعات اقتصادية مدروسة، على غرار ما تقدمونه لنا من موضوعات في شتى مجالات العلوم والحياة ، كما ارجو ان تقدم لنا العربي تحت باب الدين والاسلاميات ، تفسيرا لبعض الآيات القرآنية من كتاب الله .

عبد الله عبد الكريم عبد الله بنغازى ــ ليبيا

(العربي في اندونيسيا)

● كان لقاؤنا لاول مرة بمجلة العربي ، عندما عاد بعض الاصدقاء الى ارض الوطن ، قادمين من المملكة العربية السعودية ، بعد تادية فريضة الحج الى بيت الله الحرام . وشعرت بمتعة ما بعدها متعة وانا اقرأ هذه المجلة العظيمة وما حوت من مقالات وموضوعات ثقافية وعلمية وادبية . حقا انها درة ثمينة لا تقدر بمال . قولوا لي بالله عليكم كيف احصل عليها ؟ لماذا لا تعينون وكيلا لتوزيعها في اندونيسيا ، هذا البلد الاسلامي ، حتى تيسروا عملية اقتنائها لكل من يريد ان يتخذ منها صاحبا له .

عمر سالم با جوبرث
جاوه الوسطى ــ اندونيسيا

★ ★ ★

مأساة زوجـة

★ ★ ★

● اود ان اعرض مأساتي كاملة وارجو ان تنشروها لكي يكون في نشرها عظة ودرسا للكثيرين من ذوى القلوب المتحجرة . قبل ان ابدا قصتي اود ان اتساءل لماذا وجدت المرأة .. اهي وجدت من اجل ان تكون متعة في البيت يتلذذ بها الزوج كما يشاء ؟ ام انها خلقت اساسا من اجل الامومة؟!

ولابدا في سرد مأساتي التي تتلخص في انني تزوجت من قريب لي ، زواجا اجبرني عليه الاهل. واستمر هذا الزواج ١٥ عاما ، ولم ننجب اطفالا ، ليس بسبب عيب فيّ ، ولكن لان زوجي هو الذى لا ينجب ، وبدأ شعور الامومة فيّ يتحرك كلما مرت السنون وكلما بدا الامل في شفاء زوجي يتضاءل ويتضاءل . وبدأت أفكر في ان احصل على الطلاق منه فانا أريد ان اقوم بالدور الطبيعي الذى من اجله خلقت المرأة .. اريد ان اصبح اما ولكن الزوج القاسي يرفض الطلاق ويتمسك بي .. وانا الآن يائسة من حياتى انني اعيش في جحيم اريد الخلاص منه فما الطريق الى ذلك ؟

المعذبة : ق

العربي : الاسلام يبيح الطلاق في مثل هذه الحالة . وكذلك تبيحه المسيحية . راجعي أحد المحامين .

(البقية صفحة ١٨)

إنْ تَكُنْ مَاتَتِ الوَحْدَة

فَلْتَحْيَ أُجْزَاءُ

حَدَثُ الشَّهْرْ

ما اسرائيل
الا عرض لمرض
كثير الاعراض

ان تسال
عن المرض
فهو التخلف

ارضكم فراغ فراغ
ايها العرب
فاملأوها ما استطعتم
بثروة من بشر

فرقوا بين العرب بقولهم
راسمالية واشتراكية ،
وجمهورية وملكية ،
وضلوا السبيل بالذى قالوا

الكاملة الشاملة ،

فى ظل العروبة ، متكاملة

بقلم رئيس التحرير

● علّموا الشعوب العربية
ان الوحدة
تجمع بين السباع والنعاج
والسباع لا بد آكلة

● وعلموا الشعوب العربية
ان الوحدة
غنم واستغلال

● وحلت
محلّ الوطنية العربية
اقليمية" ضاريـة

● ولاسرائيل نقول :
مصر وحدها تبلغ ٥٠ مليونا
عام ٢٠٠٠ م ، فماذا انتم
فى هذا البحر المتلاطم
من البشر فاعلون

■ هذا اول العام الجديد قد اقترب . ويسالونني : متى تكتب كلمة هذا العدد ؟

واسال بدوري : وفيم تقترحون ان اكتب ؟

ويقولون : وهل فى غير حاضر الناس ، ومستقبل الناس ، يكتب الكاتب ، وقد آذن عام بغروب ، وآذن عام باشراق .

السنون سواسية

قلت : ما كان عام يؤذن باشراق ، ليختلف عن عام يؤذن بغروب ، والسنون سواسية .

ورحت اؤكد لهم ان عاما هم اليوم فيه ، لا يختلف فى كنهه عن عام وُلد فيه اجدادهم ، او ماتوا فيه، ولا عن عام ولد فيه نابليون ، او سجن فيه ، او مات فيه . ولا عن عام بُعث فيه محمد او رُفع فيه عيسى الى السماء . وكدت اذهب الى آدم لاقول انها سنون سواء . انما الناس هم الذين يجعلون من السنين الابيض والاسود ، وما بين ذلك من شيات . وهي الوان لا تخرج يوما ، عن تصورهم الى ارض او سماء .

الطبيعة ما اجملها

الطبيعة نظيفة ، والطبيعة جميلة ، والطبيعة منعشة ، استطيع ان أحس انا اليوم انفاسها بمثل ما أحس نوح ، لو خرجت وحدي اليها كما خرج نوح فى بكور الصباح : ظلمة تدور رويدا رويدا فى وعاء عظيم من ضياء . واشعة هي فى اول امرها ضعيفة صفراء ، تأخذ تتصاعد بيضاء حتى تنال كبد السماء . وريح رُخاء ، باردة عليلة ، والعلة لا تستحب الا فى ريح . وشجر وقنن ، وطير غرد . كلها خلائق مثلنا نحن ، احفاد لآباء قديمة واجداد .

الى المائدة فالصحف

ثم ادخل الى مائدة الافطار ، بعد استشراف الطبيعة واستجلائها . انها الصحف ، وانه الخبر ، يكشف عن وجه الحياة الآخر ، حياة الناس . ليس فى طبع الطبيعة الخيرة ما يبرر كل هذا الذى اقرا ، ولكن فى طباع الناس . ونريد ان نتعزل ، وتأبى علينا طبيعتنا اعتزالا . ذلك لاني انا الناس ، وانت الناس ، فكيف تخرج عن جلودها الناس .

قيمٌ فى الحياة تغالي فى تقديرها

واعود فاقول لعل الانسان منا ، عندما يمارس الحياة ، يعطي لها فوق قيمتها . وهي تغريه برفع القيم ، قيمها هي . ان الحياة تربطه بالدنيا باربطة كالفولاذ شداد حداد .

ان الانسان جزء من الطبيعة ، ولكنه يخرج بحياته « المجتمعة » عن جوهر الطبيعة . الطبيعة سكون وسكوت ، وحياة الانسان « المجتمعة » لجبٌ وصخب . والطبيعة فى سكوتها وسكونها تصنع ما يعجز عن صنعه الانسان اللجب الصاخب .

الرجل على الفطرة يمارس الحياة والموت معا

والرجل على الفطرة يمارس الحياة ويمارس الموت معا ، وعلاقة ما بين الحياة والموت واضحة عنده ، كاختلاف الليل الأسود المظلم عن النهار الأبيض الضاحي . وكما انه لا يبالي ان يغشاه ليل بعد وضوح نهار ، فكذلك هو لا يبالي ان يغشاه موت من بعد غشية حياة . حب الحياة لا يستعبده ، وكراهة الموت لا ترهبه .

خروج العرب الى الدنيا

والمؤرخون يتحدثون عن ظاهرة خروج العرب من صحرائهم ، وانفتاحهم على الدنيا ، او انفتاح الدنيا لهم ، والواقع انه لم يمض قرن فقرن حتى ملكوا الدنيا . ملكوا اكثر واخطر ما عرف منها ودان لهم اباطرة ودانت ملوك .

واختلف المؤرخون فى سر هذا .

والسر عندي ، أولُ السر ، هو الفطرة التى كان عليها العرب ، اعني ممارسة الحياة والموت معا . يخرج الرجل منهم لغزو وهو لا يعلم يموت ام يعود . فاذا مات فالاكفان حاضرة ، والترحم حاضر ،وفى جنة الخلد،وانا لله وانا اليه راجعون.



نجح العرب القدامى في الخروج الى الدنيا وفتح أكثر المعمورة ، لأنهم مارسوا الحياة والموت معا ، فان سقط منهم في المعارك ساقط ، فالأكفان حاضرة ، والترحم حاضر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

واليوم العرب ، بحكم الدعة المتطاولة على القرون ، فقدوا الصحراء وروح الصحراء ، وتباعد ما بينهم وبين الفطرة . ومارسوا الحياة كثيرا ، ومارسوا الموت قليلا ، ومنهم من لم يمارسه قط . ونشأ في العالم اقوام غيرهم كانت عندهم روح المغامرة ، فغلبوهم ، واستعمروهم واذلوهم . وما المغامرة الا ممارسة الحياة والموت معا .

فانت اليوم ، انْ تجد في العرب نكوصا ، فسر ذلك كله ، سرُّه اولا ، هو استمراؤهم حلاوة الحياة ، في ادنى صورها ، وارخص قيمها ، واذل جوانبها ، والهرب من ميادين الصراع خشية ان يصيبهم سهم خارج قد يؤدى بهم الى فقدان هذه الحياة ، ولو تعيسة .

فلعل الشاب الذى كتب يسألنى ، ما سر ضياع العرب هذه الضيعة ، واجد في هذا الذى اذكره سببا .

ما ظاهرة لها سبب واحد وانما هي اسباب

ولكن الاسباب يتمخض بعضها عن بعض ، ويشتق بعضها من بعض . ويلتحم السببان فيكونان كأنما كانا شيئا واحدا . وما في ظاهرة انسانية سبب واحد ، ولكنّ بها اسباب .

ما اسرائيل الاّ عرض لمرض كثير الاعراض

وضياع العرب يربطه الرابط ، في الأيام الحاضرة ، باسرائيل وبمن وراءها .

يكتب اليّ قارىء يقول : لولا اسرائيل لكان العرب بخير .

والحق ان اسرائيل لم تكن سببا لمرض ، بل هى عرض . ان الجسم المريض قد تظهر اعراضه ، بدُمّل يظهر في عنق ، او قرحة تبين في معدة ، او جلطة تتخثر في دم شريان . وهى كلها اعراض لخلل قائم في الجسم . ان لم يكن هذا ، كان ذاك . وكذلك اسرائيل دمل في عنق ، ولو شفينا منه فسوف يظهر على التحقيق ، في الجسم غير السليم ، دلائل على الداء الدفين ما اكثرها .

ان تسأل عن المرض فاعلم انــه التخلف

وان تسأل عن المرض فاعلم انه التخلف ، وعجز أكثر العرب عن مجاراة الحياة الحاضرة . خذ اى مرفق من مرافق الحياة ، مما يوزن ويقاس ، او مما يعقل ويتخال ، او من احاسيس تهدى الحياة حينما تعجز العقول عن هدى الحياة ، ودُرْ في الوطن العربى من راسه الى اذياله ، وتفقد ما فيه من ذلك ، ثم درْ في العالم المدنى الحضرى الحاضر ، وقس مرفقا وجدته شرقيا بمثيل او شبيه لــه

غربي ، يتبيّن لك معنى التخلف الذى نحن فيه ومقداره .

والمرفق هو كل ما تتكىء عليه لتقيم حياة نافعة .

اجْرِ هذه المقارنة في زراعة . اجرها في صناعة. اجرها في تعليم وتثقيف ، في مدرسة او جامعة . اجرها في نظام شارع ، ونظام مسكن ، ونظام حيّ ونظام مدينة وعاصمة . اجرها في شرطة او في جند . اجرها في محاماة او قضاء . اجرها في متجر او سوق . اجرها في جنازة او عرس . واجرها في نجاح او عند خيبة . يتبين لك ما اعنى من فروق واضحة بينة .

لو أن العالم الحاضر خيِّر

ولو ان العالم المدنى الحاضر عالم خيِّر ، يأذن للعاجز أن يعيش الى جانب القادر،ويأذن للضعيف ان يعيش الى جانب القوى ، ويأذن للفقير ان يعيش الى جوار الغنى ، ويأذن للمتخلف القاعد أن يعيش غير بعيد من المتقدم الناهض ، لجاز للعرب ان يعيشوا طويلا بلا جهد يبذل من أجل تحسين حال ، والناس قد تمرغ في الجهل ناعمة فيه راضية به .

ولكن العالم المدنى الحاضر عالم غير خيِّر . انها امم قد تكون خيِّرة فيما بين اهلها . ولكنها لا تخرج عن حدودها حتى تكشف من انفسها عن ناب ومخلب .

انه عالم يحتقر الضعف ، ويحتقر العجز ، ويحتقر الجهل والفقر ، والذين يقعون فريسة هذه الأشياء ثم يستصرخون باسم العدل واسم الحق ، وباسم الشريعة ، من وضعية وسماوية ، لا يجدون في هذا العالم المدنى الحاضر آذانا تسمع .

ويعتدى القوى على الضعيف . ويستنجد الضعيف ان كان له صوت يبلغ المدى . واذن تتردد له اصداء ، لأنه لكل صوت لا بد من صدى . يرددها الضعفاء مساعدة ومساندة ، واحتسابا ليوم يستغيثون فيه . وتضيع كل الاصداء هباء . أما الاقوياء من الامم فالمعونة مرهونة بمصالحهم . فان اصاخوا ففي نفع لهم . رهن ان اصاخوا ، او لم يصيخوا ، ليس في نفوسهم غير احتقار الضعف ، واحتقار العجز، واحتقار هذه الانسانية المهترئة التى لا تجد العون من انفسها ، فانطلقت تصرخ في طلب العون وهى لا تدرى من اى جهة يجيء .

ارض الله

ويقول الضعيف هذه ارضي ، وهذا مغتصبها . وفي ضمير القوى معنى يؤمن به قلبه ، ولا يخرج الى لسانه ، لو البسناه ثوبا من الكلم لكان : ما هذه الارض بأرضك ولو عشت فيها الف عام . انها ارض الله. وهى للقوى في كل زمان وكل مكان.

يقول هذا لنفسه القوى ، ويؤمّن على قوله سائر اقوياء الارض .

ويذكرني هذا بمحاورة حضرتها بين عربى وامريكى .

قال الاول فيما قال ، يحكى عن عرب فلسطين ، كيف تستسيغون ايها الأمريكان أن يزيح الصهاينة اهل فلسطين ، ازاحة هكذا بالجملة ، عن أرض ظلت ارضهم الوف الأعوام ؟!

وابتسم الأمريكى .

وساله العربى : لم تبتسم ؟

ولم يُحِر الأمريكى جوابا .

فابتسمت انا وقلت لصاحبى العربى :صاحبنا

ازاحة السكان عن اراضيهم ، بالجملة ، عمل مارسه الامريكان في القارة الجديدة منذ دخلوها ، فمن الصعب تعاطفهم مع اهل فلسطين على ما حلّ بهم من ازاحتهم بالجملة عن فلسطين .



يبتسم لانه هو هو اول من يستسيغ الازاحة بالجملة ، وقد مارسها قومه في القارة الامريكية حقبا طوالا .

اغتصاب واغتصاب

وخلوت بهذا الصحفي الامريكي من بعد ذلك . وجرى بيننا حديث افصح واجرا .

عدنا الى حديث الارض المغتصبة ، فاخذ الصحفي يفسر وجه الخلاف بين اغتصاب واغتصاب ، من غير طائل . وقال عن امريكا انها كانت الارض الواسعة ، وكان فيها الهنود الحمر قلة لا تكاد تبين في تلك الآفاق المترامية . وابوا ان يشاركهم في العيش مشارك . وان يملأ الفراغ معهم على السلام ، مالىء .

الهلال الخصيب

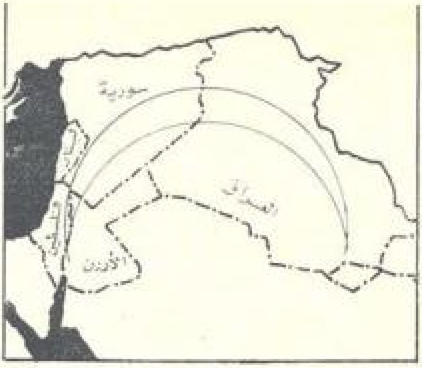
قلت : فماذا كان عند العرب من فراغ ارض يغرى بان يملاه من غير العرب مالىء ؟

قال : ان الاسرائيليين احتوا فلسطين لقمة سائغة اولى وهم يعلمون أن وراء حدودها القائمة الارض المترامية التي سماها اهل السياسة بالهلال الخصيب Fertile Crescent وهم يرونه الآن من وراء الحدود فيتحلب له ريقهم . وهو خصيب باعتبار ما يأمل الطامعون فيه ان يكون من بعد اغتصاب . انه خصيب بخصوبة أرضه ، خصيب بوفرة مائه ، ما هو كائن منها وعلى الاكثر ما سوف يكون . وخصيب خِصْب صناعة ، بما فيه من وفرة زيت ، ما هو كائن منه وما يرجى أن يكون . هلال خصيب به اليوم بضعة ملايين يرجو الطامعون أن يملأه منهم ، ومن أنسالهم واعوانهم ، على الدهر ، عشرات الملايين .

ارضكم فراغ ايها العرب

واستمر يقول :

ارضكم فراغ ايها العرب ، والطبيعة تأبى الفراغ . ان علم الفزياء علمنا ان القارورة ، تفرغ منها هواءها ، تظل تطلبه حتى يعود اليها . وما تكاد تغفل عن سدادها برهة حتى يندفع اليها الهواء ، وهو صارخ ، كانما هو يلعن القوم الذين كانوا اخرجوه . وكذا الارض ، لا سيما الخصبة ، وفراغ



الهلال الخصيب، وهو يشمل العراق، وسورية، ولبنان ، وفلسطين المحتلة .
وهو ، في تعريف آخر عند الافرنج ، يمتد من سهول العراق ذات الرواسب الغرينية ، عبر سورية ، ثم يهبط الى الساحل الشرقي للبحر المتوسط تجاه وادي النيل . وهو مطمع الطامعين، لقلة سكانه ، وكثرة احتمالات الحياة فيه في العصر الحضاري ، التكنى الحاضر .

الناس منها ، وتكالب الناس عليها . لا سيما وأهل الاحصاء اليوم يتحدثون عن عام ٢٠٠٠ م ، وانفجار السكان فيه ، وان في ذلك العام لن يجد الرجل له على سطح الارض مكانا لاكثر من قدميه .

« مهاجرون » « وانصار » وعروبة ومحبة ، ولكن من بعيد

وهنا ساد صمت رحت برغمي اذكر فيه مواقع كثيرة من الوطن العربي بها حقا فراغ غير قليل . وذكرت محاولات شتى ، كانت ترمى الى ملء فراغ العرب هذا بالعرب ، ينقلون من حيث الضغط كبير الى حيث الضغط صغير ، ويتمازج «المهاجرون» و« الانصار » وما أسرع ما ينصهرون معا ، فاللغة واحدة ، والثقافة واحدة ، والدين واحد . وحتى اذا اختلف ، فما اشبه المسيحية الشرقية بالاسلامية ، وكلاهما عليه مسحة عربية . وهم عندئذ يتعاونون على فلاحة أرض ، واقامة صناعة ، واثراء جانب غير ماهول من وطن واحد .

ذكرت محاولات قديمة من ذلك لم تتجاوز مجالات الرأى الى مجالات العمل . وذكرت كيف اطلق اعداء الوطن العربي الصيحة ، خارج هذا الوطن وداخله ، بأن هؤلاء القادمين انما يقدمون ليشاركوا اهل البلاد في خيراتها ، ولو لم يكن بها خيرات تذكر . ونسوا ان هؤلاء

القادمين انما يجيئون ومعهم أرجل قوية للسعي ، وسواعد مكشوفة للعمل ، ووجوه تعودت أن يجرى منها العرق صبيبا على المشقة . ثم هي ، وهذا هو الأخطر ، سواعد للدفاع عندما يغزو البلاد غاز .

وذكرت ما سمعت عند ذاك وما خبرت . ورأيا خرجت به عند ذاك عن عروبة العرب طريفا : انها عروبة ومحبة على بعد ، أما عن قرب ، فهي التنافر . انها تنافر البروتونات او الالكترونات عندما تتقارب وعليها شحنة كهربائية ، موجبة او سالبة ، واحدة .

ورأى آخر خرجت به عندذاك عن عروبةالعرب. ان قلب العربي ربما يكون اكثر ائتلافا بقلب الأعجمي منه بقلب العربي ، بسبب هذه الحقيقة الفزيائية السالفة الذكر التى لا يمارى فيها احد: ان الشحنات تتنافر اذا تشابهت ، وتتجاذب اذا اختلفت .

المهاجرون هم الخاسرون

وذكرت ما كان لى من رأى عندئذ في أمر « المهاجرين » . ذلك انهم هم الخاسرون ، وان بلادهم أشد بضياعهم خسارة . فالناس في كل بلد قوة ، والكثرة عزة . الكثرة فقر ورءوس أهل الحكم عاجزة عن فكر وعن تخطيط ، وعن ابتداع واختراع واشتراع ، وهي غنىً وثروة في بلد كاليابان ، مائة مليون على قليل من الارض ،قليل من مصادر العيش،ولكنه بلد عرف كيف يفكر وكيف يدبر ، وكيف يحمل هذه الكثرة البشرية معه لتحتل صفوفها الأولى بين اقدم الامم صناعة فوق ظهر هذه الأرض ، واكثرها زراعة ، وأكملها مدنية، واطولها باعً حضارة .

الوطن العربي اكثره الصحراء

ان أول ما يبهر الناظر الى الوطن العربي ، في خريطة من خرائط الدنيا ، سعته وامتداده . انه يمتد من الخليج العربي شرقا ، الى المحيط الأطلسي غربا . فهو بذلك أعرض من أوروبا . وهو يمتد من البحر المتوسط شمالا ، الى ما قارب خط الاستواء جنوبا ، فهو بذلك ساوى امتداد أوروبا في هذا الاتجاه بل زاد عليه قليلا .

ثم ان عدد سكان هذا الوطن ، الذي له هذا الطول والعرض ، لا يكاد يبلغ عدد سكان فرنسا وبريطانيا مجتمعتين . وانت لا تذهب في هذا الوطن من بلد فيه الى بلد الا تلقتك الصحراء جافة واسعة،كالبحر ، ترفض الحياة ، الا عَبْرا. وطن كهذا ، التشتت فيه أكثر من التجمع ، والتقاطع فيه اكثر من التواصل . والذاهب فيه ، من طرف الى طرف ، أيسر عليه الى اليوم ان يتخذ من أوروبا اليه مَعْبرا . وهذه المجلة ، مجلة « العربي » ، لا تصل من الكويت الىالرباط مثلا الا بعد ما بين شهر وشهرين ، وطريقها اليها البحار لا الصحارى .

الوطن العربي ما كان يوما وطنا واحدا

وهذا الوطن الواحد ما كان يوما ، في أيام العرب الخالية ، وطنا واحدا ، بمعنى انالحكم فيهكان واحدا ، فالعاصمة واحدة ، والحاكم واحد ، حتى في الوقت الذى كان فيه شان العرب منالرفعة ما كان . كانت دول شرقية ، وكانت دول غربية . وتكبر الدولة ثم تكبر حتى اذا بلغت حجما ، هو الغاية ، كانت كالبالون الذى بلغ النهاية ، وجب عليه أن يتفرقع . والدولة الكبيرة قد تصبح دولا صغيرة ، ليعود الزمن الى تشكيلها دولا أخرى لها حكام آخرون ، متحابون ، أو متصارعون .

ولست أدرى أن الواقع قد اختلف اليوم عن أمسه البعيد كثيرا .

سلوا دول الوطن العربي كم بينها اليوم من استعداد لالتحام وطني كامل

انها اليوم بضع وعشرة دولة ، هي الدول العربية ، هي التى تؤلف على الاستقلال الوطن العربي ، فاسالوها كم بينها اليوم من بوادر استعداد لالتحام وطنى كامل . اسالوها على الصعيد الرسمي ، أو على الصعيد الشعبي .

أما على الصعيد الرسمي ، فان لم تكن هناك خصومة ، فجمود وفتور . وان كان التقاء فالتقاء على ريبة .

أما على الصعيد الشعبي ، فالكراهة قائمة بين الشعوب . كانت المحبة هي السائدة يوما . وكان

معنى الوحدة « الشاملة » يثير الجماهير ويصرخون مطالبين بها . ثم مضت السنوات بطيئة ، فاذا كل هذا يتبدل . يتبدل الا عند طلبة المدارس الصغار ، والا عند من ظلوا صغارا على كبر . والا جهات كان همّها دائما المحافظة على الشعارات ولو بليت اعلامها واهترأت حتى تمزقت .

علموا الشعوب انالوحدة الشاملة أخذ وعطاء، وهذا حق . ولكن علموهم أيضا أن الوحدةالشاملة ستجمع بين السباع والذئاب والنعاج ، وانالنعاج لا بد مأكولة .

وعلموا الشعوب التى عندها ما تعطى ، ظاهرا، وليس عندها ، ما تأخذ ، ظاهرا ، بأن الوحدة غرم عليها واستقلال .

وقامت في كثير من البلاد، مقام الوطنية العربية، اقليمية جارفة ، يتحسسها الانسان أينما سار في الوطن العربى . وكلما زادت الاقليمية ضراوة ، زاد رجال الاعلام في تغطيتها بالشعارات القديمة ، كقولهم : امة واحدة ، ووطن واحد ، حتى يظل من شبوا على هذه الشعارات يغطون في نومهم فلا يوقظهم احد .

وكان أكثر الدول العربية حظا من كراهة بين سائر هذه الدول ، تلك الدولة التى ظنوا أنها أسبق ، اذا تحققت الوحدة ، الى الصدارة .

وناصبوها العداء،حتى وهى اليوم تكاد تكون الدولة الواحدة القائمة تدفع عن الجدار العربى الباقى خشية أن ينهار ، والذى بانهياره تتحطم مصالح العرب في كل الأرجاء .

الاعلام العربى

وحب الدار وحب الاهل والجار ، طبع في الناس قديم . ولكن ان تزيد في هذا الحب حتى ينقلب كراهة للغير ، فطبع في الناس كذلك قديم ، ولكنه طبع ذميم .

اننا نتحدث عن الاعلام العربى ، وعن حاجتنا الى الاعلام العربى في شتى أرجاء البلاد المعمورة ،لا سيما أوروبا وامريكا . والرأى عندى اننا احوج الى الاعلام العربى في البلاد العربيه نفسها . اعلام ينفى كل هذه المزاعم الشائعة ، التى يطلقها المطلقون عن نوايا شعب عربى تجاه آخر ، أو زعيم تجاه زعيم . أو أحداث يلفقونها تلفيقا تجرى على ألسنة الناس مجرى الوقائع الصادقة ، يزيد في احتمال صدقها أن الصحف العربية ، جميعها تقريبا ، وهى واقعة تحت الرقابة الشديدة ، تتجنب أن تخوض فيها .

والمذاهب العقائدية دخلت بين العرب تقطع ما بينهم من صلات

ولست أبرىء دولة دون أخرى في هذا المجال. الكل لهم في كل ما وقع من جفاء ، مما ذكرت ، نصيب .

ودخلت المذاهب العقائدية بين العرب تقطع ما بينهم من صلات . فهذا مجتمع اسلامى ، وهذا مجتمع اشتراكى .

وتسأل المجتمعَيْن عن الفقير ، فيقول كلاهما انه اخ صديق .

وتسأل عن حظ الفقير في الحياة، فيقول كلاهما، حظ منقوص .

وتسأل ما الذى ينقصه، فيقول كلاهما ، ينقصه التعليم ، وبالمجان يكون . وتنقصه الفرص تتاح له في التقدم كسائر الخلق ، حتى اذا بلغ بكفايته كرسى الرياسة في الامة لوجب أن يجلس عليه .

وتسأل هل يباح استغلال رجل ذى مال رجلا لا مال له ، فيقول كلاهما : بأن الاستغلال مقيت ، وربما كان الاسلام أكثر مقتا له ، فالمال في الاسلام مال الله ، وما الأغنياء الا خلفاء عليه الى حين . (انفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه) .

وتسأل وتسأل ..

ويأتيك الجواب في أكثر المسائل واحدا . وربما كان الاسلام أقسى جوابا ، الا مسلما ، عنده خزائن الأرض ، وخال أنه مخلد ، فاسلم مهمة الافتاء الى ماله .

وقد كتب قوم كثيرون في هذه الأمور ، وأساءوا. انهم لم يكتبوا ليجادلوا بالتى هى احسن . انه السباب كان أحب اليهم من الفكر الهادى ، فكان التهجم المزرى بالكرامة ، وكان منه المأجور . وقد وقع هذا في كلا المعسكرين فلم ينتفع به احد . وانما زاد الناس خصومة . والناس لم تتعود بعد على ان تستمع للرأى الرزين والصوت الواطىء . انها ما تزال تتكوكب على الصوت الصارخ،والهجاء أمتع لأسماعهم وأشرح لصدورهم .

الاشتراكية غير الشيوعية

ان الاشتراكية غير الشيوعية ، لا جدال في هذا.

ان الاشتراكية اشراك الغنى للفقير في بعض منافع المال .

والاشتراكية منازل عدة كمنازل القمر ، تبدأ بالمحاق ، ثم يكون رُبعا ، فنصفا ، فبدرا كاملا ، فما بين هذه المنازل من درجات .

ونقول للغنى المسلم هذا ، فبعض يفهم ، ويعلم ان الاسلام انما بدا شركة بين المسلمين . ولقد صدق الرجل الطيب الذى يتحلب قلبه عصير اسلام ، أعنى به أحمد شوقى حينما قال يخاطب رسول الله :

الاشتراكيـون انت امامهـــــم ،
لولا دعاوى القوم والغلـــواء

ومن المؤمنين المسلمين من نقول لهم هـــذا ، فيتشيحون بايديهم ، دليل قلة الصبر ، ليقولوا في عنف : هم والشيوعيون سواء .

ونذكر لهم انجلترا بحسبانها بلدا بلغ مـن الاشتراكية أكثر مما بلغت دول عربية،فلا يجيبونك بلا او نعم .

ولقد نظرت في امرهؤلاء ، فوجدت بعضا جمد عنده معنى من الاشتراكية كرهه ، أو أصيب فيه ، فهو لا يريد أن يتحول عنه ، وبعضا لو طبق الاسلام فأعطى الفقير حقه من تعليم وتدبير ورفعة شان ، ومن مساواة فرص ، لهاله ذلك تماما كما يهوله لو فعلت الاشتراكية المعتدلة للفقير مثل ذلك . المسالة عنده ، ليس باسلام ، ولا باشتراكية ، وانما هو غرم يخشاه من كليهما .

ورجل مسلم نرى عارض في مثل هذا ، علمت أن اسلامه يقف عند الخروج بالزكاة من ماله ، فهو لا يزكى .

واقول هذا لا حنقا على هؤلاء ، ولا محـاباة لاولئك ، ولكن تمجيدا للمعنى الكبير الذى أحاط الله به ، سبحانه ، الفقر والفقير عندما قـال لنبيه : « الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ، فاما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث » .

وهى حديث بنعمة الله كشركة الفقير في نعمة الله .

انها الاشتراكية الاسلامية .

وملكية وجمهورية

ومما زاد الخلاف بين الدول العربية فمنعها ان تكون دولة واحدة ، أن هذه دولة ملكية ، وهذه جمهورية .

ولقد نظرت في الأمر طويلا ، وخبرت على الدهر حكومات كثيرة ، من ملكية وجمهورية ، في النطاق العربى ، فلم اجد فرقا بين نظام ونظام .

مثل واحد استثنيه ، تلك اليمن في عهد مـن اسموهم بالائمة . فبئس العهد الــذى حضرناه وبئس الائمة .

هناك ملكيات عربية نفعت ، وهناك ملكيات عربية اضرت . وهناك جمهوريات من حيث فردية الحكم كالملكيات ، بل أشد فردية . ومن الجمهوريات ما أحسن ، ومن الجمهوريات ما أساء . ومـن الجمهوريات ما أساء فوق ما كان يظن أن تسيء بمثله جمهورية او ملكية .

وبسبب هذه الفوارق تصبح الوحدة الوطنية في الوطن العربى غير ذات موضوع . وليس الفرق في اختلاف الاسمين ، ملكى وجمهورى ، ولكن الفرق في اختلاف الواقعين ، ولو توحدت الأسماء .

والفرق ليس فقط اختلافا على وحدة حكم ، ولكن على تقبل هذا النوع او ذاك من الحكومات .

وبعض الشعوب العربية بلغ من التخلف ، ومن سوء الحال على التخلف ، انه لا يبالى من يحكم ، ولا كيف يحكم .

وان يكن أهل الحكم أحيانا عظمة في حلـوق الشعوب ، فكثيرا ما كانت الشعوب على التخلف ، عظمة في حلوق حكامها .

اختلاف يمنع من ائتلاف

انها صنوف من الاختلاف، تمنع من ائتلاف ، اما ان تعالجها بحكمة ، والا فعلى العروبة والاسلام كليهما السلام . ومن ذلّ في الدنيا ، ولو عـن جهالة ، فما له والله في الآخرة من خلاص .

فلتكن الوحدة العربية الشاملة أملاً يرجى

في هذه الأجواء العربية الحاضرة لا يمكن أن تكون هناك اليوم وحدة شاملة كالتى زعموها .

وفي هذه الأجواء العربية الحاضرة لا تقبل الدول العربية ، حكومات وشعوبا ، ان تكون هناك وحدة كاملة كالتى وصفوها .

ومع هذا التخاذل القائم اليوم في كل ارجاء الوطن العربى ، وهو اليوم الذى فيه القضيـة العربية معروضة على محكمة الاقدار، فاما السلامة

التجربة الاولى في الاتحاد المتجزىء ، جمعت بين دولها الثلاث الجغرافيا ، ونرجو أن تجمع بينها الاهداف



بو رقيبة



بو مدين



الحسن الثاني

واما الدمار ، لا يمكن أن تكون هناك وحدة كالتى احتلوها .

ومع انصراف اكثر الشعوب العربية ، عن شئون الوحدة القومية، وتلهيهم بالمنافع الاقليمية، لا يمكن ان تكون هناك وحدة كالتى خالوها .

لا يمكن ان تكون هناك وحدة اندماج ، تكون فيها للعرب حكومة واحدة تنظر في شتى امورهم ، وتدفع عنهم غائلة الأيام ، من الخليج الى المحيط.

الى هذا يجب ان ننتهى ، وبهذا نصرح ، ولا نخدع الناس .

ان شر الساسة الخادعون .

يبقى بعد ذلك ان تظل الوحدة الكاملة الشاملة املا ، عسى أن تخطىء الآراء ، وتتغير بمالا نستطيع ان نتنبأ الاحوال .

وتبقى الدول العربية تجمعها الجامعة العربية، يجرى فيها النقاش العربى حيا ، على اتفاق احيانا ، أو على اختلاف أحيانا . وعلى التعاون الكامل تسديه دولة لأخرى ، وعلى المسارعة عند الضرورة الى سد الثغور اذا دهم العرب من نوائب الدهر داهم .

وصلة العروبة لا يمكن أن تزول ، كما انها ، على التقدير الحاضر للامور ، لا يمكن أن تنتهى الى وحدة ، كتلك التى نعتها بالكاملة الشاملة . تلك الوحدة التى بدأت على التجربة ثنائية ، عام ١٩٥٨، فلم تستمر ٣ سنوات حتى انفصلت عراها.

ان لم تكن وحدة واحدة شاملة كبيرة فلتكن وحدات مجزاة صغيرة

ضخامة الوحدة العربية الكبرى تفزع كل ناظر فيها ، وهى وحدة ، ان تأهل لها العرب عاطفة غامرة ، فهم لم يتأهلوا لها كبْحَ اهواء ، ومغالبة طموح ودُرْبةً في ادارة ، وعلما وتكنيكة . ومن لم ير رأيى فليدر فى البلاد العربية كما درت ، وليسمع ما سمعت .

وغير ذلك الوحدات الثلاثية او الرباعية بين البلاد المتقاربة . المتقاربة جغرافيا ، أو المتقاربة اهدافا .

وقد بدأ العرب في هذا السبيل بتجربتين .

التجربة الأولى

التجربة الأولى تجربة المغرب العربى الكبير : المغرب والجزائر وتونس . لقاءات جرت وتجرى بينهم لا يخطىء الناظر اليها الغاية منها . وهى الى اليوم على ما أحسب في دور التحضير . اما أن يكون لها اعلان أو لا يكون ، فذلك أمر يكشف عنه الغد القريب أو البعيد . انه الحذر يغرى بالتأنى .

على ان الوحدة قد تتم عناصرها ، او الكثير منها قبل أن تسمى .

التجربة الثانية

اما التجربة الثانية فتجربة الأوسط العربى : ليبيا ، والسودان ، ومصر ، وبينها تقارب جغرافي، فان انضمت اليها سورية زادتها تقارب اهداف .

التجربة الثالثة

اما التجربة الثالثة فواقعة لا محالة ، ولكن من بعد أن تتبين امور هذه الحرب القائمة . ونستطيع ان نتنبأ بكيف تكون هذه التجربة الثالثة ، او على الأصح كيف يجب أن تكون . ولكن الصمت عن ذلك خير .

وسبب الصمت انه يوجد في سبيل هذا الاتحاد، وعلى سواحل الخليج خاصة ، عقبات لا بد أن تزاح من الطريق ، وهى أسهل ازاحة من عقبات كثيرة عرفناها . فان لم يزحها أهلها ، فمن يدرى، فلعل روح هولاكو تعود فتظهر في المشرق من جديد. فان ظهرت او ظهر ، فهو لا يدرى ما القوانين الدولية، ولا يعرف ما القواعد المرعية ، وليست عنده من قديم حرمة" للملكية ، فهو ان امتلك فانما يمتلك بطشا واغتصابا . وهو ان فعل فانما يكون قد فعل



التجربة الثانية في الاتحاد العربي المتجزىء ، جمعت بينها الجغرافية والاهداف ، فان انضمت اليها سورية كادت الحلقة أن تنغلق .

كما فعل الاسكندر الاكبر : نظر الى العقدة ، واعجزته الحيلة فلم يدر كيف يحلها، فاذا به يقوم الى سيفه ويهوى بحده البتار اليها ، فيقطعها أسهل قطع ، ويعفى نفسه والقائمين حوله من حيرة .

محاذير الوحدة الكاملة الشاملة هي محاذير الوحدة المتجزئة

والذى قلناه في الوحدة الكاملة الشاملة ، وما فيها من تعثر قائم كائن والوحدة متجزئة . كذلك ما سوف تواجه به من اخطار ، من داخل البلاد ومن خارجها . وندرى أن الاتحاد غير الوحدة ولكن الاتحاد اقرب الى الاتفاق في الداخل . أما في الخارج ، فأعداء البلاد عندهم الوحدة والاتحاد سواء . كل مظاهر القوة للعرب تزعجهم ، فهم يدبرون لتكون كفة العرب الدنيا ، وكفة الاعداء العليا . وقد يتخذون من أهل البلاد ذرائع . وفي كل البلاد دائما قلة من الناس لا تحرجها النعمة القاهرة تحملها اليهم ، على صينية من ذهب ، يد الأعداء ، ولو كان في ذلك للكثرة من أهلهم وأبناء جلدتهم الفقر والتعاسة والضياع .

كلمة للاسرائيليين

بقيت كلمة اقولها للاسرائيليين ، وقد فرغت توا من قراءة مقال الموسيقى الالمانى العالمى الكبير فجنر Wagner ، الذى كتبه عام ١٨٥٠ م ، وعنونه « الخطر اليهودى » ، وملاه من الكراهة بقدر لا يستطيعه الا قلب رهيف حساس .

ولست أرى رأى فجنر كله فيما ذهب اليه من اسباب كراهة ، ولكنه على كل حال ذكر من صفات اليهود ما أراه لا يزال فيهم الى اليوم . واشباه لهذه الصفات لم يذكرها جعلت يهود الدنيا دائما بمعزل عن محبة الناس . وموقف اليهود اليوم من العرب ، والظهور بالاستعلاء عليهم ، صدقت حوافز هذا أو لم تصدق ، ليس من الاشياء التى تكسب عطف الناس . واستخدام يهود الولايات المتحدة في ارغام هذه الدولة الكبرى للاستجابة الى مطالبهم ، وتطويعها غصبا حتى يركبوها مطية سهلة الى اهوائهم ، ليس ، على الزمن المتطاول ، مما يكسب قلوب الناس .

ثم العرب يا بنى اسرائيل . ذكر قائدكم عنهم ، انهم دول قد انفصم عراها ، وأن زعيم كبرى دولهم خلف وراءه دولة أصابها الضعف والخذلان ، وان الزمن من اجل هذا يعمل لصالحكم ، فلتصبروا ، وتصابروا ، وتراوغوا حتى تتثبت حدود اليوم على أوضاعها الحاضرة حيث وضعكم البغى والعدوان .

أما عن العرب وانفصام عراهم ، فلا ننكر انهم اختلفوا ، ولكن اختلافهم لا يمكن ان يبلغ ابدا ذلك الحد الذى تبغون . وقد رأيتم كيف أن لعل رأيا صرح به قائدكم ، كان من بعض الأسباب التى بها تغيرت في العالم العربى ، فجاءة ومن بعد ذلك الأمور .

أما عن ضعف دولة عربية كبرى بعد ذهاب زعيمها ، فحلم من احلام اليقظة ، قد تستيقظون منه قريبا على فزع عظيم .

ومهما يكن من حاضر هذا الزمان ، فماذا لكم بعده ، ومصر وحدها تبلغ في عام ٢٠٠٠ م أكثر من ٥٠ مليون نسمة ، فماذا أنتم في غد هذا الزمان ، في هذا البحر المتلاطم من البشر العربى ، تلك الأجيال الجديدة الصاعدة ، فاعلون .. ●●

احمد زكي

١٩٧٠/١٢/٢

نتيجة مسابقة العدد ١٤٤

نورد فيما يلي الاجابات الصحيحة لاسئلة المسابقة المنشورة في العدد ١٤٤ :

١ ـ الثورة الأمريكية سبقت الثورة الفرنسية ، اذ انتهت الثورة الأمريكية سنة ١٧٧٦م . ولم تبدأ الثورة الفرنسية الا سنة ١٧٨٩م.

٢ ـ هلفيسيا اسم ثان لسويسرا يظهر على طوابعها خاصة .

٣ ـ الكوبرا : ان نطقت الباء P فهى لب جوز الهند المجفف في لغة التجارة العالمية .. وان نطقت بالباء B فهى الاسم الافرنجي لنوع من الحيات .

٤ ـ السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء في سنة ، وهى بالتقريب ٦ مليون مليون ميل .

٥ ـ يمثل الرسم علم المملكة المغربية .

٦ ـ سرعة الباخرة تساوى نحو ٢٢ ميلا في الساعة ، لان العقدة البحرية تساوى ٦٠٨٠ قدما ، بينما الميل به ١٧٦٠ × ٣ = ٥٢٨٠ قدما .

٧ ـ ينسج العنكبوت خيوطه من مادة حريرية .

٨ ـ عاصمة نيوزيلندا القديمة هى أوكلند .

٩ ـ ولد فيليبوس العربى ، أحد اباطرة الرومان في حوران بسوريا .

١٠ـ هاراكيرى : اسم الطريقة التى ينتحر بها اليابانيون .

١١ـ الطريقة الثالثة التى تدور بها كرتنا الارضية هى تلك الدورة التى تقوم بها بالاشتراك مع سائر المجموعة الشمسية .

١٢ـ قائل البيت هو مؤيد الدين الأصفهانى ، المشهور بالطغرائى في قصيدته المشهورة .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : فاطمة هناء مخلوف ـ طرابلس ـ لبنان .
- الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها : محمد فراج سعيد ـ الخرطوم ـ السودان.
- الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بهاعبد الرسول ابراهيم محمد سهوان ـ البحرين .
- ٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير :

١ ـ قصي مصطفى العبيدى ـ بغداد ـ العراق.

٢ ـ فرج الله جبرائيل قبعين ـ الزرقاء ـ الاردن.

٣ ـ عبد الله عبد المحسن العيسى ـ الفيحاء ـ الكويت .

٤ ـ محمد ابراهيم الرحيبى ـ الهيئة الفنية للتخطيط ـ طرابلس ـ ليبيا .

٥ ـ حامد أنس محمد حسن ـ البنك الأهلى المصرى ـ القاهرة ـ ج.ع.م.

٦ ـ عبد العزيز محمد العمرى ـ الظهران ـ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ ليلى بالحسن ـ مونجيل ـ رادس ـ تونس.

٨ ـ احمد محمد مراد شاكر ـ دبى ـ الخليج العربى .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد .



الكُليَّة العَسْكريَّة

في الكويت

- مَصْنَع الرِّجال ..
في حين العَرَبُ أَحْوَجُ لِلرِّجال .

استطلاع : منير نصيف تصوير : عبد الناصر شقرة



كان يوما تاريخيا في حياة الكويت عندما تخرجت الدورة الاولى في الكلية العسكرية بالكويت ، وقد شرف حفل التخرج صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة . وفي الصورة العليا الى اليمين سموه يتقبل درع الكلية العسكرية من رئيس الاركان العامة للجيش اللواء مبارك العبد الله الجابر الصباح ، بينما يظهر سموه في الصورة العليا وهو يسلم درع التقدير العام لاحد الطلبة المتفوقين ، وقد ظهر مع سموه الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع ، والعقيد صديق محمد طه مدير الكلية العسكرية بالوكالة .

الى اسفل : طلبة الكلية العسكرية في ساحة التدريب اثناء تدريبهم على النظام المنضم بالسلاح .



■ وجاء اليوم اخيرا .. وكان يوما خالدا في تاريخ القوات الكويتية المسلحة، عندما تخرجت أول دفعة من الضباط الكويتيين الشباب في الكلية العسكرية بالكويت ..

وكان هذا اليوم ، هو يوم ٤ مايو من عام ١٩٧٠ .. يوم وقف سمو أمير الكويت ، والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة يبارك هذا الشباب الصاعد من ابنائه .. ابناء الامة وحماة الوطن ، ويسلم الشهادات للخريجين والجوائز للمتفوقين..

وكنا بين المئات الذين شهدوا هذا اليوم الكبير من حياة الكويت ، وفي حياة جيش الكويت ..

لقد بدأ مصنع الرجال انتاجه ، كما أعلن رئيس الاركان العامة للجيش اللواء مبارك العبدالله الجابر الصباح ، في الكلمة التي القاها في هذه المناسبة التاريخية .

وتركناهم بعد ان سجلنا بالكلمة والصورة برنامج هذا اليوم الحافل في حياة ذلك الجيل الصاعد من ابناء الكويت .. هؤلاء الشبان الذين وضعوا لتوهم أقدامهم على بداية الطريق .. لقد وقفوا في ثبات يتطلعون الى طريق المجد والشرف .. طريق التضحية والفداء من أجل وطنهم وأرضهم وترابهم ..

تركناهم ، ولكن الى لقاء آخر .. الى اليوم الذي تستأنف فيه الكلية العسكرية دراستها بعد انتهاء العطلة الصيفية وتواعدنا ، ثم افترقنا ..

في مصنع الرجال

ومر الصيف ، وعاد الطلبة الى كليتهم ، وفتحت الكلية ابوابها لتستقبل الفوج الجديد من ابناء الكويت الذين تتوافر فيهم شروط الالتحاق بالكلية ، ممن صمموا على أن يكون الجيش هو ميدان عملهم ، وهو حياتهم ومستقبلهم .. وجاءوا، وجئنا معهم لنستمع الى قصة انشاء هذه الكلية الوليدة .. ولنرى ، ويرى معنا كل مواطن عربي، كيف يعد الرجال في مصنع الرجال للذود عن استقلال وطنهم الصغير والكبير والدفاع عن حرية امتهم واستقلالها وامنها .. نقول هذا ولا ننسى ما قام به أخيرا لواء اليرموك الكويتي الذي يرابط على جبهة القتال عند قناة السويس ضد العدو من تضحية وفداء واستشهاد .

مع مدير الكلية بالوكالة

وفي منطقة هادئة تحتضنها الاشجار العالية التي تحجب عنها حرارة الشمس الحارة ، ووسط مجموعة من الثكنات الصغيرة التي تنتشر حول الميادين الفسيحة التي خصصت ليتدرب فيها طلبة الكلية .. وفوق الارض المرصوفة التي لا تنقطع

في ساحة التدريب بالكلية ، يرى بعض الطلبة الضباط في التدريب بالسلاح تحت اشراف أحد مدربيهم من الضباط الكويتيين





آمر سرية الطلبة الضباط النقيب فهد أحمد الجابر الصباح يتوسط آمري الفصائل الثلاث ، يناقش معهم على الخرائط مناطق التدريب للطلبة بعد أن قرأ عليهم الأمر اليومي .

طوابير الطلبة عن الضرب فيها بأحذيتهم الثقيلة .. من مهاجع النوم الى ميادين التدريب .. ومن غرف المحاضرات الى ساحة العرض .. وسط هذا المكان الذى يوحى كل شيء فيه بنظام دقيق صارم لا يتغير ولا يتبدل رحنا نشق طريقنا الى مكتب المقدم وجيه المدنى ركن التوجيه المعنوى بالعمليات الحربية ، الذى قدمنا بدوره الى مدير الكلية العسكرية بالوكالة ، العقيد صديق محمد طه حيث جلسنا نستمع الى القصة من اولها .. قصة انشاء اول كلية عسكرية فى الكويت وفى منطقة الخليج العربى ..

قصة الكلية العسكرية

قالوا لنا : « لقد شكلت وحدات الجيش الكويتى على غرار احدث الاساليب العسكرية المتبعة فى بقية جيوش مختلف دول العالم .. ولكن رئاسة الأركان العامة للجيش كانت تعتمد فى الماضى على البعثات العسكرية التى توفد للخارج ، وكانت تنتظر انتهاء افراد هذه البعثات من دراساتهم وتدريبهم ، حتى اذا فرغوا منها ، وعادوا الى بلادهم عينتهم ضباطا فى مختلف قطاعات الجيش ..

« ثم كانت النكسة التى المت بالامة العربية كلها .. نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، عندما وجد المسئولون فى الجيش الكويتى ، ان الاعتماد اعتمادا كليا على نظام البعثات للخارج ، لا يساعد على ايجاد العدد الكافي من الضباط الذين يحتاج اليهم الجيش ، بعد ان ازدادت الحاجة الى العسكريين المؤهلين ، والمتخصصين فى مختلف الاسلحة ، نتيجة لتوسع الجيش فى ظل الظروف الراهنة ..

« لهذا ، وبناء على توجيهات صاحب السمو امير البلاد والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة ، صدر القرار الوزارى رقم ٤٣ بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٤ ، اى بعد اربعة اشهر تقريبا من العدوان الاسرائيلى المدبر على الامة العربية ، وهو يقضى بانشاء اول مدرسة عسكرية لتدريب الطلبة الضباط على مختلف الفنون العسكرية .

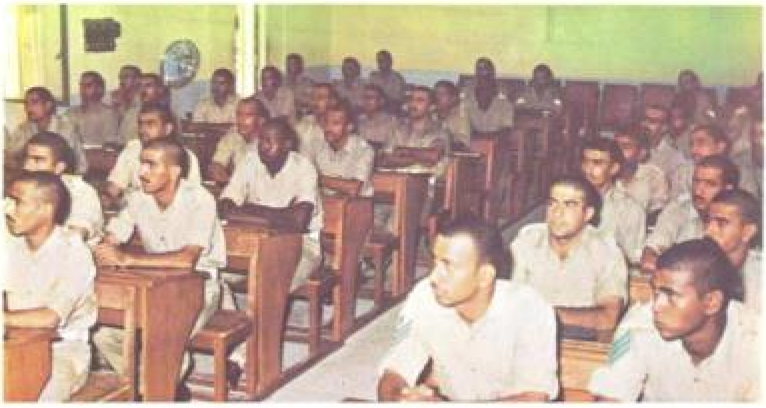
نجل أمير الكويت يضرب المثل

ولم تكد تنقضى بضعة اسابيع على صدور قرار انشاء المدرسة العسكرية ، حتى كانت الدراسة



مدير الكلية العسكرية بالوكالة في قاعة الاجتماعات ، وقد ظهر معه في الصورة اعضاء هيئة التدريب بالكلية .

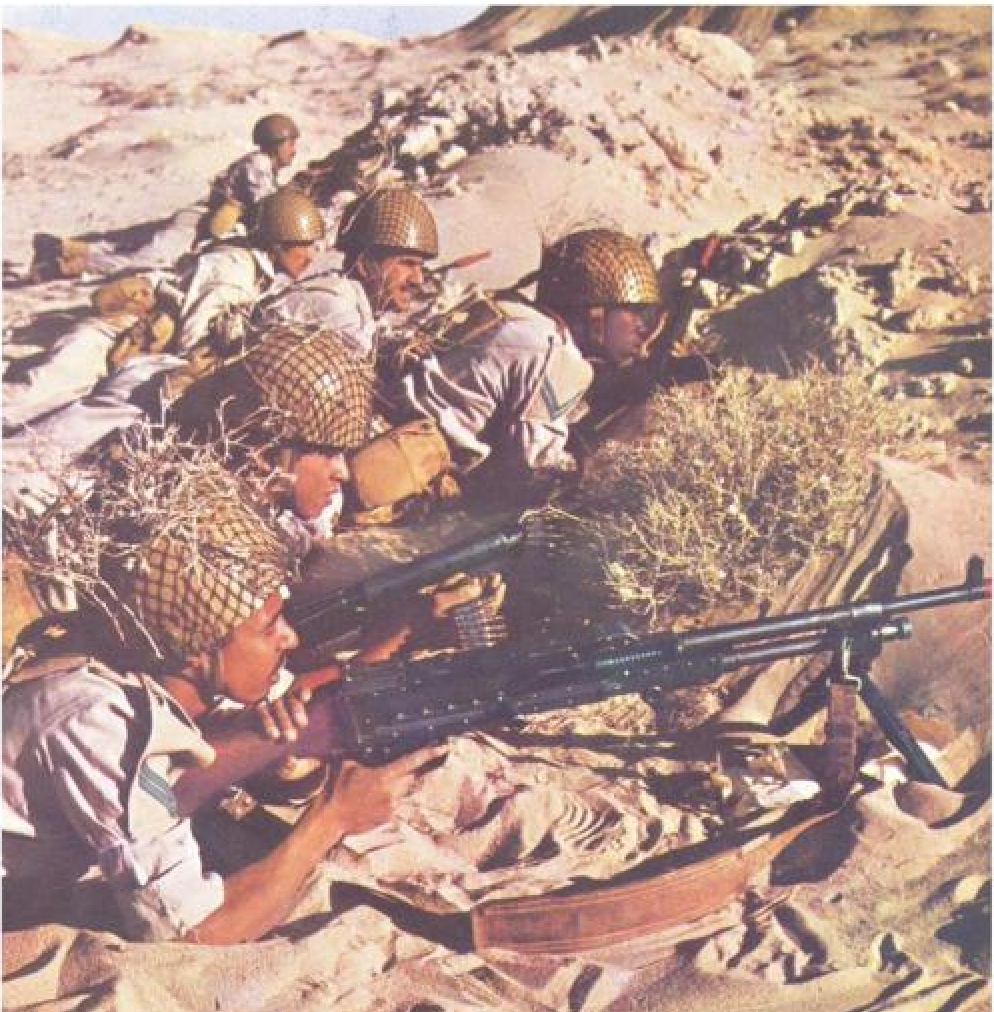
الطلبة الضباط في احدى قاعات المحاضرات ينصتون باهتمام الى محاضرة نظرية يلقيها عليهم احد المدربين الضباط .





الى اليسار : مجموعة من طلبة الصف المتقدم بالكلية يلتفون حول « الطاولة الرملية » وهي عبارة عن صورة طبق الاصل لأرض المعركة ، وقد ظهر المدرب وهو يستمع لاحد الطلاب وهو يلقي أوامر العمليات .

الى اسفل : مجموعةمن الطلبة بملابس القتال اثناء التدريب الميداني .



طالبان يتدربان على اطلاق المدفع المضاد للمدرعات في ساحة التدريب بالكلية ، بينما جلس بعض زملائهم يرقبون عملية الاطلاق



قد انتظمت فيها في اليوم العاشر من شهر اكتوبر عام ١٩٦٧ ، وكان اول طالب يلتحق بالمدرسة الجديدة هو علي صباح السالم الصباح ، نجل سمو امير الكويت والقائد الاعلى لقواتها المسلحة. لقد اراد الأب القائد ان يجعل من ابنه مثلا يحتذى به كل الشباب الكويتي المثقف .

وضرب الابن « علي » بذلك مثلا ساميا لابناء وطنه ، اذ عبر عما يجيش في صدره من حماس للدفاع عن ارضه ووطنه ، فما كان من ابناء امته الا ان تدافعوا هم ايضا للالتحاق بالمدرسة الوليدة ، وقد هزهم ما رأوه من ابن اميرهم وقائدهم .

وكانت النكبة التي تعرضت لها الجيوش العربية قد صنعت بهم ما صنعت .. فجاءوا وقد امتلأت صدورهم حماسا للقتال والثأر واسترداد الارض المحتلة ..

وتحقق الامل اخيرا

غير ان هذه المدرسة ، لم تكن في الواقع سوى النواة الاولى لانشاء الكلية العسكرية ، اذ ما لبث ان صدر مرسوم أميري بانشاء الكلية بتاريخ ١٤ اكتوبر من عام ١٩٦٨ ، ولم تلبث الدراسة ان بدأت في الكلية العسكرية الجديدة بعد صدور القرار بأيام قليلة في اليوم الثاني من شهر نوفمبر من نفس ذلك العام ..

وهكذا تحقق الامل الذى ظل يراود رجال الجيش والقوات المسلحة في الكويت منذ سنوات بعيدة مضت ..

اول دفعة من الضباط

وهكذا بدأت الكلية العسكرية تقوم بعملها في اعداد ضباط الجيش الكويتي وقادته في المستقبل .. وفتحت الكلية ابوابها لتستقبل اول دفعة من الطلبة الضباط الذين قامت بتدريبهم واعدادهم طبقا لأحدث المناهج المتبعة في الكليات العسكرية في مختلف الدول المتقدمة ..

وكان افراد هذه الدفعة هم انفسهم الذين تخرجوا في شهر مايو من العام الماضي..اول ضباط



الطلبة الضباط يتدربون على كيفية استعمال الهاون وهو من أسلحة الاسناد المتوسطة .

من الكويت ،يتخرجون في الكويت وفي الكلية العسكرية التى انشاها ابناء الكويت ..

هذه نبذة سريعة عن قصة انشاء الكلية التى اصبح الالتحاق بها والانضمام اليها ، املا يراود كل شاب اختار طريق الفخار ، طريق الشرف ، طريق الجندية ..

اختيار العناصر الممتازة

وقد حرص المسئولون عن ادارة الكلية العسكرية في الكويت على اختيار العناصر الممتازة من بين المئات من الشبان الذين يتقدمون في بداية كل عام دراسي ليكون لهم شرف خدمة بلدهم ووطنهم ..

وما ذلك ، الا لايمانهم بان الجيش القوى القادر على الذود عن ارضه لا يقاس بكثرة ما لديه من جنود ، ولا يقاس بوفرة ما يملكه من سلاح ، وانما يقاس بما يتمتع به جنود هذا الجيش من روح معنوية عالية ، وبما يتميزون به من صفات سامية، ثم بقدرة جنوده على استخدام ما لديهم من اسلحة بمهارة وكفاية تامة في ميدان القتال .. فكل شيء يملكه الجيش من اسلحة وعتاد يمكن ان يشترى بالمال ، الا الجندى نفسه ، وما هو عليه من روح معنوية عالية تؤهله لاستخدام هذا السلاح والذود به عن وطنه حتى يذوق الموت ..

القسم

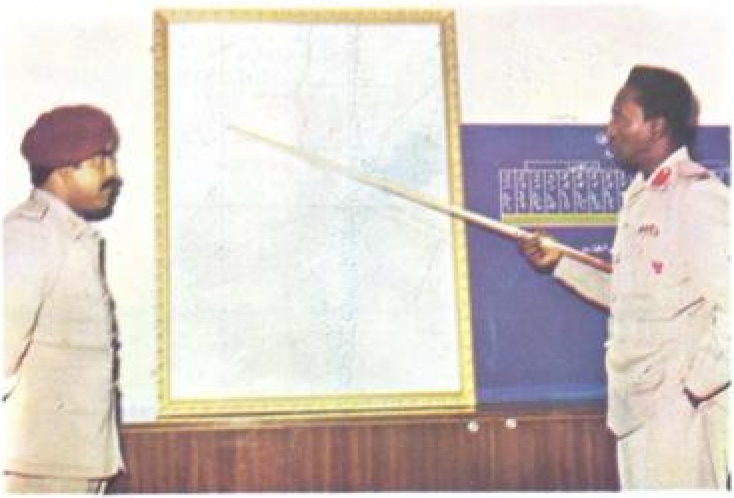
ولعل في قسمهم العظيم ، القسم الذى يؤديه كل الطلبة الضباط عند انتهائهم من الدراسة في الكلية وتخرجهم ، لعل في هذا القسم ، المعنى الكبير الذى قصدناه ..

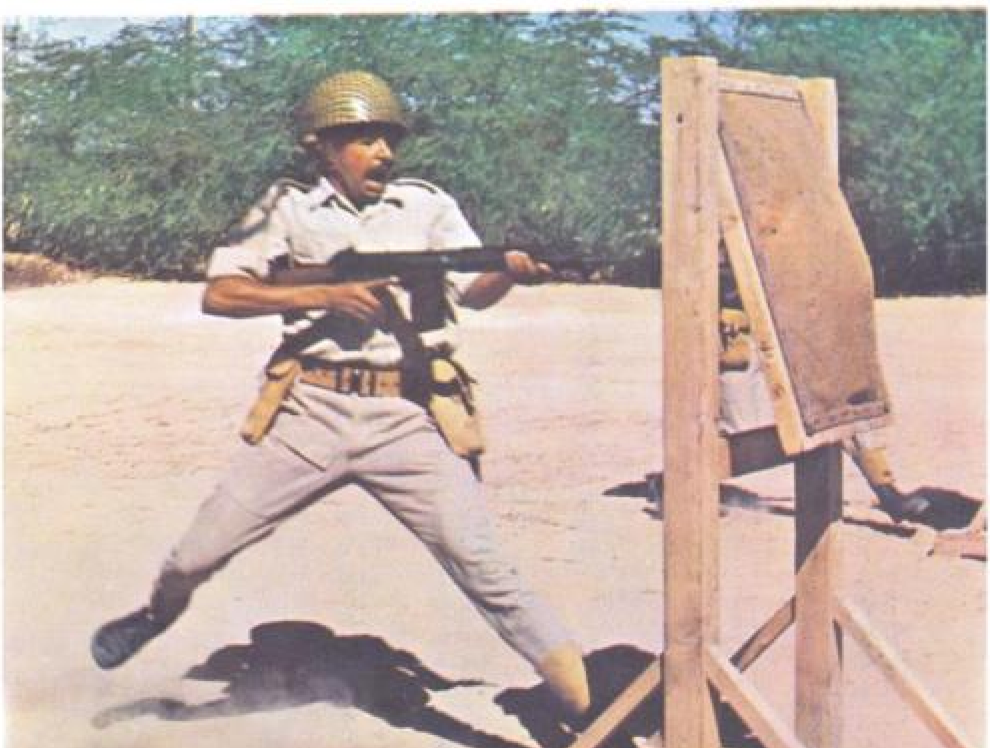
فيقول الضابط قبل ان يتسلم شهادة التخرج امام القائد الاعلى للقوات المسلحة او من ينوب عنه .. يقول :

« اقسم بالله العظيم ، اقسم بالله العظيم ، اقسم بالله العظيم وبذمتي وشرفي ، باعتبارى عسكريا في الجيش الكويتى ، ان اكون وفيا لدولة الكويت ، امينا على حقوقها ، مخلصا لاميرها



الى أسفل : مدير الكلية العسكرية بالوكالة يشرح لضابط التعبئة بالكلية النقيب فهد احمد الجابر الصباح طوبوغرافية مناطق التدريب التعبوي على خريطة لدولة الكويت .







مجموعة من الطلبة الضباط اثناء التدريب الميداني ، وهم يقتحمون موقعا للعدو تحت ستار من الدخان .



الى اليسار : اجتياز الموانع ، جزء من التدريب العنيف الذى يدرب عليه طلبة الكلية وقادة جيش المستقبل .

الى اليمين : التدريب على القتال بالسلاح الأبيض ، ويرى احد الطلبة الضباط وهو يطعن دمية «شاخص» يمثل العدو .



استخدام السلك المعلق في اجتياز الموانع من بين التدريبات العنيفة التي يدرب عليها الطلبة ، ويرى أحد طلبة الكلية بكامل ملابس القتال وعتاده ، وهو معلق في السلك ، بينما وقف زملاؤه ينتظرون دورهم.

المعظم ، مطيعا لجميع الاوامر الحقة التي تصدر الي من رؤسائي ، منفذا لها في البر والبحر والجو، داخل وخارج البلاد ، وأن أضع نفسي ومواهبي في خدمة الكويت ، وأن أحمي علمها ، واحفظ استقلالها وسلامة أراضيها ، معاديا من يعاديها ، مسالما من يسالمها ، محافظا على شرفي وسلاحي ، لا اتركه قط،حتى اذوق الموت ، والله على ما اقول شهيد » .

شروط الالتحاق

من أجل هذا وضعت الكلية شروطا لا بد من توافرها في كل طالب يتقدم للالتحاق بها ، وفي مقدمة هذه الشروط ، ان يكون محمود السيرة ، والا يكون قد سبق الحكم عليه في أية جريمة مخلة بالشرف او الامانة ، مالم يكن قد رد اليه اعتباره، وان يكون أعزب غير متزوج ، وان يكون لائقا صحيا للخدمة العسكرية ، بكل ما فيها من حياة خشنة قاسية لا تمت الى الحياة المدنية التي اعتادها بصلة .. والا يقل عمره عند الالتحاق بالكلية عن ١٨ عاما ، ولا يزيد على الخمسة والعشرين ..

ثم باقي الشروط الخاصة بتمتعه بالجنسية الكويتية ، وحصوله على شهادة الثانوية العامة او ما يعادلها

ماذا يدرسون ، وكيف يدربون ، وما هي صورة الحياة التي يعيشها طلبة الكلية العسكرية داخل ثكناتهم ومعسكراتهم ؟

قضينا ثلاثة أيام بين الطلبة الضباط ومدرسيهم ومدربيهم في الكلية .. لقد اولت رئاسة الاركان العامة للجيش اهمية كبرى لدعم هذه الكلية الوليدة فاختارت لها هيئة للتدريس تضم صفوة

ضباط الجيش الذين تلقوا دراساتهم وتدريباتهم، وتخصصوا في مختلف فروع الجيش واسلحته في الكليات العسكرية في الوطن العربي وفي خارجه .

هؤلاء الضباط الاكفاء ، هم الذين يعدون طلبة الكلية العسكرية الكويتية للمهمة الكبرى الملقاة على عاتقهم ، يعاونهم في اداء هذا الواجب المقدس اعضاء البعثة العسكرية التى قدمتها الحكومة السودانية الشقيقة ، والذين يسهمون بخبرتهم في هذا المعهد الوطنى الجديد ..

مدير الكلية بالوكالة يتحدث

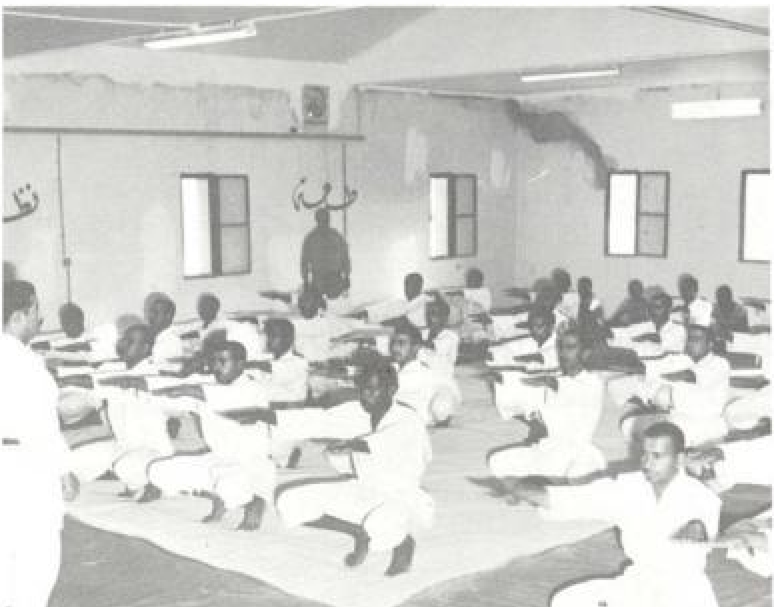
قال لنا مدير الكلية بالوكالة ان الطالب عندما يبدأ حياة جديدة منذ تلك اللحظة التى تعلن فيها قبولنا له بعد ظهور نتيجة الفحوص الطبية ، والاختبارات الاخرى التي تجرى عليه .. وهى حياة لا تمت الى حياته المدنية الاولى بصلة ، فهو يخضع لنظام خاص في نومه وصحوه وتدريبه وتعليمه .. نظام يعتمد اساسا على الطاعة لكل ما يصدر اليه من تعليمات واوامر .. فالطاعة هى دستور الجندية ..

برنامج الدراسة

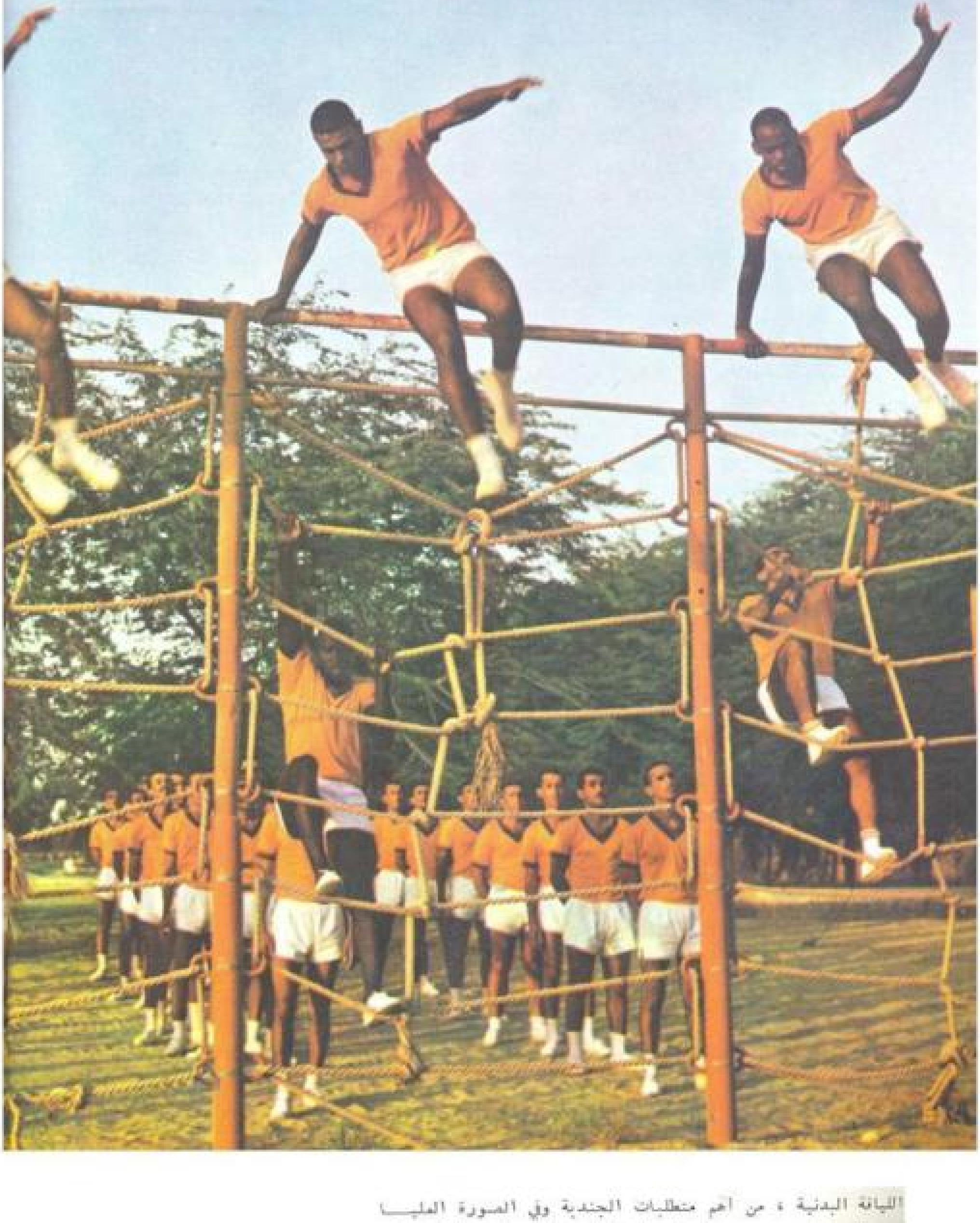
ويمضي مدير الكلية بالوكالة فيقول : « أما برنامج الدراسة في الكلية، فهو ينقسم الى قسمين، دراسة اكاديمية ، وتشمل اللغات والرياضيات والتاريخ والجغرافيا العسكرية فوق المستوى الثانوى وكذلك القانون الدولى والثقافة العامة الخ .. ثم الدراسة العسكرية وتشمل تدريب المشاة، والتدريب على استخدام الاسلحة الخفيفة والمتوسطة ومهارة الميدان ، ثم التعبئة وفن القتال، وقراءة الخرائط والبوصلة والتدريب على اصول الاتصال بواسطة اجهزة اللاسلكي ، وهندسة الميدان ، وفن قيادة الآليات الخفيفة وصيانتها واخيرا دراسة الشئون الادارية في السلم والحرب على السواء ، والقوانين العسكرية والضبط والربط .. الى غير ما هنالك من مواضيع شتى يحتاجها الطالب في حياته العسكرية .

هيئة التدريس بالكلية من عسكريين ومدنيين

« وتقوم وزارة التربية في الكويت بانتداب اساتذة متخصصين لتدريس الطلبة ، العلوم الاكاديمية ، اما الدراسة العسكرية فيقوم بها اعضاء هيئة التدريس من ضباط الكلية ، وتضم هذه الهيئة العسكرية كبير المعلمين من السودان



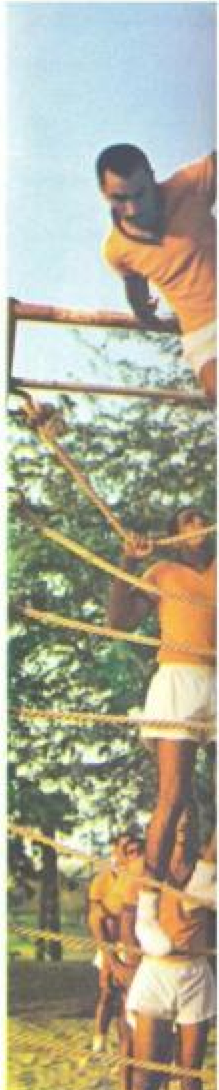
الطلبة الضباط في قاعة التربية البدنية اثناء احد التمارين في المصارعة اليابانية «الجودو»



اللياقة البدنية ، من أهم متطلبات الجندية وفي الصورة العليـــا
بعض المستجدين يتدربون على اجتياز الموانع بملابس التربية البدنية.



الى اليسار : امير الكويت وهو يسلم علم الكلية لاحد الطلبة ، وقد وقف بجوار سموه سعادة رئيس الاركان العامة للجيش .





الى اليسار : عزم وتصميم في هذه التحية العسكرية التي يؤديها احد طلبة الكلية بسيفه في حصة التدريب بالسيف .

الشقيق الرائد ابراهيم يوسف ويعاونه في هذه المهمة النقيب الكويتي حمد الشاهين القائم ثم امر سرية الطلبة ، والمشرف على ادارة شئون الطلبة ومساعد ضابط التعبئة فهد احمد الجابر الصباح .

سألنا النقيب فهد : « صف لنا يوما في حياة طالب الكلية العسكرية ؟

عمل فى عمل فى عمل

وقال الضابط الشاب في حماس : « وماذا تتوقعون ؟

ان حياة الطالب داخل ثكنات الكلية كلها عمل في عمل في عمل .. انه يصحو من نومه قبل شروق الشمس ، وفي اقل من نصف ساعة يكون قد اعد نفسه تماما للتدريبات البدنية ، التي تستمر لمدة ساعة كاملة ، يتناول بعدها طعام الافطار ، ثم يستعد منجديد للتدريبات العسكرية داخل ساحة التدريب في الكلية ، او في مناطق التدريب داخل الكلية وخارجها ..

ثم ينتظم الطالب بعد ذلك في قاعة المحاضرات، وتنتهى الدراسة الصباحية في الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فيتناول الطالب طعام الغداء ، ثم يستعد من جديد للدراسة المسائية التى تبدا في الرابعة والنصف بالتدريبات البدنية مرة اخرى ، فاللياقة البدنية ، كما تعلمون ، في مقدمة الصفات التي يجب توافرها في الطالب الضابط وتشمل هذه التدريبات مختلف العاب القوى والفروسية .

« وهكذا يمضي اليوم ، وهو يوم مليء بالعمل والنشاط والتدريب والدراسة ..

فاذا اتى المساء ، وخلا الطالب بنفسه ، راح يستعيد دروسه ، ويعد ملابسه وتجهيزاته النظيفة لليوم التالي ، ثم يتناول عشاءه ، ويستمع الى اوامر اليوم الذى يليه » ..

مدة الدراسة عامان

وهكذا تمضي الحياة في الكلية العسكرية بالكويت مدة عامين كاملين ، يتمتع فيهما الطلبة باجازاتهم الاسبوعية التى يقضونها مع اهلهم وذويهم ، الى جانب العطلات الرسمية الاخرى في المناسبات والاعياد، ثم العطلة الصيفية الطويلة في نهاية العام الدراسي ..

ان الدراسة تستمر عامين، يتخرج بعدها الطلبة ضباطا برتبة ملازم في الجيش .. ثم تاتي بعدهم دفعة ثانية وثالثة وهكذا .. ويمضي المصنع الكبير في انتاج الرجال .. في اعداد جيش المستقبل .. ولا يقتصر دور الكلية في تخريج الضباط واعدادهم للخدمة في القوات البرية بل تقوم ايضا بتدريب الطلبة الضباط لسلاح الطيران والذين يمضون عاما دراسيا في التدريب الاساسي في الكلية العسكرية ثم يلتحقون بسلاح الطيران الاميري حيث يقوم السلاح بتأهيلهم للطيران .

طريق المجد والشرف

هذه هى قصة الكلية العسكرية في الكويت .. التى اصبح الالتحاق بها ، كما يقول مديرها بالوكالة، املا يراود كل شاب اختار طريق الفخار، طريق الشرف ، طريق الجندية ..

فالجيش هو درع الوطن ، وهو سلاحه ، وهو حاميه من كل طامع ومن كل معتد .. ثم ما هو الجيش بعد ذلك .. انه الشعب ممثلا في هؤلاء الشباب الذين وهبوا انفسهم وارواحهم فداء للوطن.

واذا كانت الامم والشعوب تحيا وتسود بقوة جيشها ، كذلك الجيش لا يمكن أن يرقى وينهض الا بقوة الشعب وارادته .. فالجيش من الشعب، والشعب من الجيش ، ولا حياة لاحدهما بدون الآخر . ■■

منير نصيف

الطلبة الضباط في النادي الخاص بهم بالكلية العسكرية ، وهم يستمعون الى نشرة الاخبار ، بعد يوم حافل بالعمل والتدريب .



المفاعلات الذرية

أصبحت تهدد العالم بأخطار جسيمة

■ هكذا هي الدنيا .

خير يأتي ، يستبشر به الناس استبشارا كبيرا ، ويدر على الناس ما يطيب لهم ، عاما من بعد عام ، وتجري السنون ، فتبدأ تظهر لهذا الخير نذر للشر قد يكونون هم مصدرها . ويقف الانسان مترددا امام هذه النذر : هل يمنع الخير الذى كان ، ام يتحيل للشر ليمنعه كله ، او يمنع منه بعضا ويأخذ بعضا .

انه لم يمض على ابتهاج الناس بدخولهم العصر النووى غير سنوات قليلة ، بحسبانه عصر رخاء للمجتمع الانسانى كله . ولا تزال كلمات الرئيس ايزنهور التي قالها فى السنة التى اسميناها سنة « الذرة من أجل السلام » حية في الذاكرة . قال : « ان الطاقة الذرية لا تفتأ ان تتحول سريعا الى خادم لكافة البشر كفىء امين » .

ولا شك ان السبب في تحول الكثير من الناس العارفين اليوم عن الذرة ، وادراك اخطارها ، انما هو الانتشار السريع للمفاعلات النووية التى تستخدم الذرة وقودا لها لانتاج الكهرباء ، طاقة العصر الصناعى الكبرى .

عدد المفاعلات بالولايات

ولنضرب مثلا بالولايات المتحدة . ففيها انشىء اول مفاعل نووى ، أو ان شئت ذرى ، او ان شئت يورنيومى ، فالمفاعل انما يفاعل بانشقاق ذرة اليورنيوم . اقول فيها انشىء اول مفاعل نووى ، في ولاية بنسلفانيا ، في عام ١٩٥٧ ، في وقت لم يكن يسمع الكثيرون فيه باسم القوة النووية . وفي العشر من السنوات التى تلت اقيم فى الولايات ١٧ مفاعلا نوويا جديدا . وفي ختام هذه العشر من السنين ، اى في عام ١٩٦٧ كانت الهيئات المختصة بانتاج الكهرباء في الولايات قد ارتبطت بانشاء ٦٠ مفاعلا جديدا غير ما سبق .

حجم المفاعلات بالولايات

اضف الى ذلك حجم المفاعلات . فمنذ زمن قريب لم يكن بين المفاعلات ما قدرته تزيد على ٥٠٠ مليون وط من الكهرباء . والآن معظم المفاعلات المطلوب في الولايات اقامتها تزيد على هذه القدرة ، واكثر من ١٢ منها سوف تزيد على ١٠٠٠ مليون وط .

وموضع المفاعلات

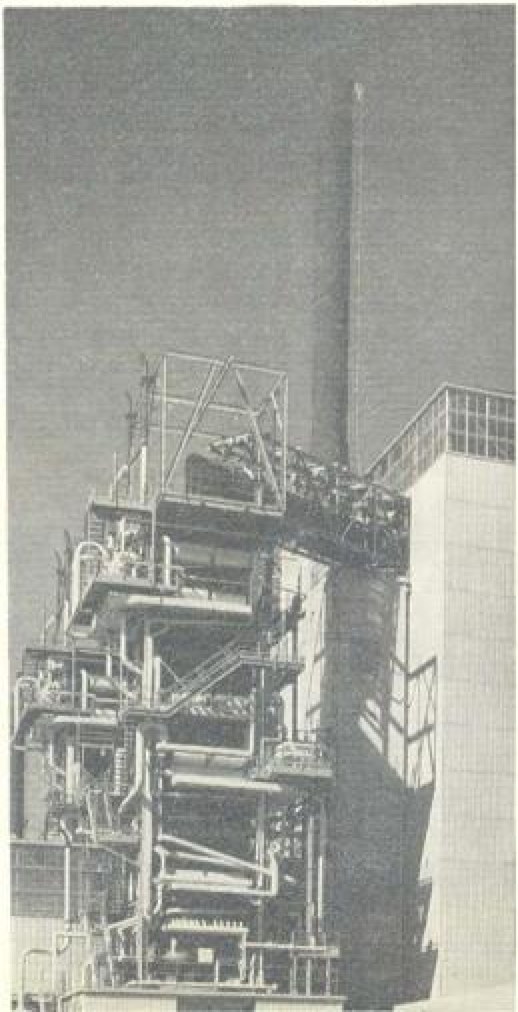
اضف الى ذلك ان المفاعلات ازمع القائمون عليها اقامتها قريبا من حيث السكان كثرة ، ففى الولايات سوف يقيمون مفاعلا نوويا فى ولاية نيويورك فى منطقة عدد سكانها ، في دائرة مركزها المفاعل النووى ونصف قطرها ١٥ كيلو مترا ، يبلغ ١٥٥٠٠٠

نسمة . وكذلك في بريطانيا يزمعون اقامة مفاعل قدرته ١٢٠٠ مليون وط لا يبعد عن بلدة هرتل بولز Hartel Pools غير ٣ كيلو مترات . وكان في تخطيط بعض المفاعلات ما يقضي ببنائها في اوسط المدن .

زيادة المفاعلات سببها الحاجة الملحة الى الكهرباء

وهذه الزيادة في المفاعلات انما جاءت من الزيادة

محطة كولدر هول بانجلترا وهي أولى المحطات النووية المكتملة التي أنتجت الكهرباء من الذرة



الملحة البالغة الطارئة من الكهرباء . كل امة تريد الكهرباء ، وتريدها بمقادير خيالية .

انه في عام ١٩٨٠ سيبلغ استهلاك العالم من الطاقة ضعف ما كان يستهلكه في عام ١٩٦٠ . وفي عام ٢٠٠٠ سوف يبلغ استهلاكه خمسة اضعاف ذلك المقدار .

وبما ان الكهرباء هي ايسر الطاقات تحولا عند الاستخدام ، فسوف تكون حاجة العالم منها اكثر من حاجته الى غيرها من صور الطاقات .

ان مصادر الكهرباء اليوم في الولايات المتحدة قادرة في الوقت الحاضر على انتاج ٣٠٠٠٠٠ مليون وط ، تزيد الى اكثر من ثلاثة اضعاف في عام ١٩٩٠ لتبلغ مليون مليون وط .

وسوف تصعد حاجة العالم ، عام ٢٠٠٠ ، الى نحو ثمانية مليون مليون وط . ومعنى هذا اقامة ما ينتج ٥٠٠ مليون وط كل عام .

والكهرباء تنتجها الذرة ، وينتجها الفحم والزيت ومساقط الماء ، ولكن حاجة العالم من الكهرباء سوف تقع على عاتق الذرة ، على عاتق نواتها ومفاعلاتها .

ولهذا سببان :

اولهما : اننا في حاجة الى الفحم والى الزيت لانتاج الكيماويات البترولية والمركبات العضوية منها ، وقد خطونا بكيمياء البترول خطوات واسعة .

وثانيهما انه ، في ختام السنوات الثمانينية من هذا القرن ، ستهبط كلفة انتاج مقدار كيلو وط ساعة من الكهرباء الى ٠٫٣ من السنتيم . وقد يكون هذا ارخص من انتاج مثله عن طريق الفحم والزيت بمقدار ٠٫١ من السنتيم . فان تحقق هذا نقلب انتاج الكهرباء من الذرة تقلبا كبيرا ، اذ سيكون من استخدامها بدل الفحم والزيت وفر عظيم يبلغ في الولايات المتحدة وحدها ٥٠٠ مليون دولار في السنة الواحدة .

المفاعلات في بضع وعشرين دولة

من اجل كل هذا لن تمضي سنوات خمس حتى تبلغ قدرة المفاعلات النووية القائمة في العالم ١٣٠٠٠ مليون وط ، ينتجها ٢٨٦ مفاعلا ، موزعة على ٢٢ دولة او اكثر .

ولن تمضي سنوات عشر حتى تبلغ قدرة المفاعلات

في العالم ......٣٠٠٠ مليون وط ، تنتجها مفاعلات في اكثر من ٣٠ دولة .

اما الدول التي تكون فيها المفاعلات ، فالدول الغنية ، يستثنى من ذلك الهند ، فعندها اليوم في مخططاتها اقامة مفاعل نووي .

وهذا امر يؤسف له ، لان الدول الفقيرة احوج الى الكهرباء وهي سبيلها الى النمو . والكهرباء عماد الصناعة . والسبب في ذلك ان المفاعل النووي لا يفي من الوجهة الاقتصادية الا اذا تجاوزت قدرته ٥٠٠ مليون وط . ونستطيع ان نضرب مثلا باليونان وتشيلي واسرائيل ، فقدرة الشبكة الكهربائية في هذه الدول تقل عن ٢٠٠٠ مليون وط ولهذا السبب ليس بالمستطاع عندهم اقامة مفاعل يعطي كهرباء يستطيع بها ان ينافس كهرباء ينتجها الفحم او الزيت .

ولكن الحديث في هذا لا يقف عند هذا . فالصعوبات دائما يدار حولها ، ويكون لها حلول . ولهذا حديث آخر .

ما الذي ازعج العارفين من الذرة

ازعجهم ما سوف يتخلف من هذه المفاعلات ، عندما تكثر ، وتتزايد على السنين ، من مواد مشعة ، عرف الناس عنها كيف تفعل بالناس .

وهم يقدرون انه في العشرين سنة القادمة سوف يتخلف من هذه المفاعلات ٦٠٠٠ طن على الاقل ، كلها منتوجات من الانشطار الذري ، وستكون على صورة سوائل يبلغ مجموعها نحو ١٥٥٠٠٠ متر مكعب . وهي تنتج اثناء مضيها في تحللها الذري نحو ١٢٠٠ مليون كيلو جول Kilo Jules من الحرارة في الساعة الواحدة . وفي عام ٢٠٠٠ سيبلغ مقدار هذه النفايا ١٦٠٠٠ طن .

فماذا يصنع الناس بهذه الدواهي .

يدفنونها في الارض .

يقبرونها في الماء .

كل له مخاطره . ويضيق المقام عن استطراد .

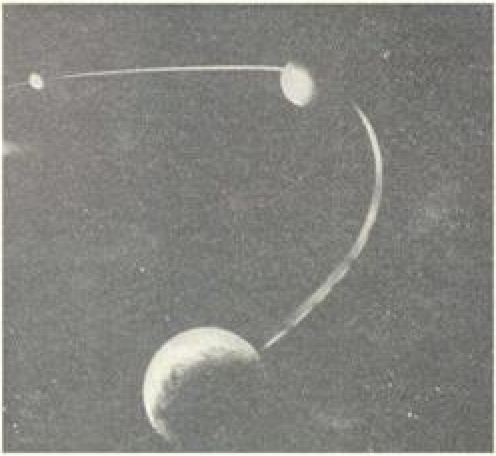
مركبة فضائية
تمر
بالزهرة وعطارد معا
عام ١٩٧٣

نعم . انها مركبة فضائية تطلق من الارض لتمر بالزهرة اولا ، ثم بعطارد اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الشمس .

وتأخذ من كلا الكوكبين ، عن قرب ، صورا تلفازية لأول مرة . كذلك هي تقيس درجة الحرارة التي بهما ، ومغناطيسيتهما ، واشعاعاتهما ، ومحتويات اجوائهما .

اما طريق سير المركبة الفضائية فيظهر واضحا من الشكل المرفق .

تطلق المركبة بالصاروخ من الارض ، في زمن هو



المركبة الفضائية تترك الارض الى الزهرة، وتجذبها الزهرة فتزيد سرعتها . وتمضي المركبة وقد زادت سرعتها الى عطارد . وعند كلا الكوكبين تجرى من التجارب العلمية وتأخذ من الصور الفوتغرافية والتلفازية ما تشاء ، وترسل ذلك الى الارض

اصلح الأوقات حسابا ، لتسير ناحية الزهرة .

والزهرة تجذب المركبة حينما تقترب منها حتى يكون بعدها عنها في حدود ٥٢٠٠ كيلو متر . وهي عندئذ ، وبسبب هذا الجذب ، تزيد في سرعة المركبة حتى تبلغ ١٦٠٠٠ كيلو متر في الساعة . وهي تتجه بعد ذلك نحو عطارد . والمركبة تسير نحو عطارد وتقترب منه بحيث يكون قربها منه لا يزيد على ١٠٠٠ كيلو متر .

انها اصابة عصفورين بحجر .

ولكن كيف تمكنا من ذلك ؟

ان الصاروخ الذي يستخدم في هذه التجربة هو اطلس ـ سينتور Atlas - Centaur ولو اننا اطلقنا المركبة ناحية عطارد مباشرة لاحتجنا الى صاروخ قوته اكثر من ضعف هذا الصاروخ .

فنحن اذ نجعل المركبة تمر بالزهرة اولانستفيد من قربها منها ، ذلك لان الزهرة سوف تجذب المركبة فتزيد في سرعتها بحكم هذا الجذب بحيث تبلغ بها السرعة الواجبة لبلوغ عطارد لو جاز لنا اطلاق المركبة من عند الزهرة .

وبالطبع سوف يستخدم العلماء القايمون على ارض الولايات المتحدة توجيه المركبة حتى تسير على النحو المراد .

والمركبة سوف تطلق في اكتوبر او نوفمبر من عام ١٩٧٣ ، وتصل الى الزهرة في فبراير ١٩٧٤ ، وتصل الى عطارد في اواخر مارس الذي يأتي بعد ذلك .



امريكا

تنزل بنفقات بحوث فضائها

وتغير من صفات بحوثها المقبلة

- الاقلال من ارسال الرجال في المركبات الى الفضاء .
- الاتجاه ببحوث الفضاء الى ما يفيد اهل الأرض .
- مركبة فضاء تذهب من كوكب الى كوكب .
- حافلة يركبها الناس الى الفضاء . ■ ٢٠٠٠٠ دولار ثمن التذكرة ذهابا وايابا

هذا التغيير في سياسة الفضاء كان لا بد منه . اولا بدافع الاقتصاد والنزول بنفقات الولايات المتحدة الى الارقام التي تناسب الأحوال الاقتصادية القائمة ، وثانيا لما اكتسبه الخبراء ، خبراء الفضاء ، وغير الفضاء من التجارب الماضية . وما أعطت من فوائد وما قصرت ، أو غفلت عنه من اهداف . وثالثا للنكبة الأخيرة التي نكب بها الفضاء الأمريكي ، نكبة ابولو ١٣ .

وفي سبيل ذلك ، أنشأ رئيس الولايات لجنة من

العلماء تنصح الرئيس فيما يتبع من سياسة في هذه المجالات .

الاقلال من رجال الفضاء

وكان مما ارتأته هذه اللجنة ان تتطامن الولايات في برنامج فضائها للسنوات السبعينية في هذا القرن الحاضر ، وذلك بان تتجه اكثر فاكثر الى استخدام الآلات والأدوات الاوتوماتيكية في جمع المعلومات المطلوبة عن اجرام السماء . فقد تحقق عندها ان وجود الانسان في المركبات الفضائية ليس من الضرورة الملحة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في برنامج الفضاء في العشر القادمة من السنوات .

وكان من جراء ذلك ، او واكب ذلك ، ما قررته ادارة الفضاء بالولايات عن المباعدة في الزمن بين اطلاق مركبات ابولو Apollo الباقية . فهي كانت خططت لاطلاق ابولو الى الرقم ١٩ . فرات ان تكتفي بارسال مركبتين فضائيتين اثنتين ، لا اكثر ، في السنة الواحدة ، حتى يفرغ برنامجها .

وقد وافق رئيس الولايات على ما رات اللجنة العلمية الناصحة من ذلك ، ولكنه مع هذا تنبا بان الولايات المتحدة ستنتهي آخر الأمر بارسال رجال الى المريخ ، وضرب لذلك موعدا محتملا هو عام ١٩٨٦ .

وهذا ينزل بالنفقات نزولا كبيرا .

الاهتمام ببحوث تعود بالخير على أهل الأرض

واللجنة ارتات فوق ذلك ان الفوائد المجنية من اعمال الفضاء هي فوائد علمية تكنية خالصة ، ولكن مع هذا ففائدتها تفوق هذه الفوائد العلمية التكنية الى ما هو اعلى واضخم ، وما هو احق بزيادة النفقة عندما تتيسر الأمور .

مع هذا فاللجنة نصحت بان تتجه بحوث الفضاء الان اكثر فاكثر الى ما يفيد الناس فوق هذه الأرض وضربت مثلا لذلك بدراسة الاجواء ، بغية تسجيلها ، وبغية تحسينها ، وكذلك دراسة المواصلات الفضائية والكشف عن الموارد . وذكرت اللجنة أن الأقمار الصناعية تستطيع ان تقدم للانسان خدمة جليلة ، بان تمين في ضبط خطوط مرور الطائرات في السماء بعد الذى ينذر من زحام لا شك واقع بينها . وضربت لذلك مثلا طريقا للمواصلات الجوية بين اوروبا وامريكا عبر المحيط الاطلسي ، تهيمن عليه الاقمار الصناعية ، ويمكن انجازه في السنوات الثلاث او الأربع القادمة .

مركبة تسير بين الكواكب من كوكب الى كوكب

وترى اللجنة ان في أواخر هذا العقد الحاضر ، العقد السبعيني ، سيتمكن رجال الفضاء من ارسال مركبة فضاء تمر بشتى الكواكب ، وهى كلما مرت بكوكب ، فاقتربت منه ، زاد هذا الكوكب في سرعة المركبة ، ثم هي تبتعد عنه لتصل الى كوكب ثان ، فتقترب ، وتزيد سرعة ، وتبعد الى ثالث ورابع حتى تمر بالكواكب الاخرى ، عدا الكوكب الأبعد بلوتو . تماما كما وصفنا في الصفحات الماضية . مركبة فضاء تذهب الى الزهرة ومنها الى عطارد . وتقترب منهما ولا تمس ايهما ، ولكنها تزداد سرعة .

انشاء محطة فضائية ، للبحوث ، تدور حول الارض

واللجنة ترى انشاء محطة فضائية ، تظل تدور حول الأرض . اليها يذهب الرجال ليقضوا بها اياما أو اسابيع ، ثم يعودون الى الأرض . وهم في ذهابهم وعودتهم يركبون ما يشبه الحافلة الفضائية ، تذهب بهم وتعود . وتذهب بالعلماء خاصة يجرون ابحاثهم فيها . وبرجال الفلك خاصة حيث يرصدون الافلاك في جو خال من الهواء .

وهذه الحافلات الفضائية تكون مما تستعمل المرة بعد المرة بعد المرة .

وقد قدروا ان وضع مركبة بلا رجال ، في فلك يبعد عن سطح الارض بضع مئات من الاميال ، يتكلف رفعها اليه نحو ١٠٠٠ دولار لكل رطل من وزنها . ووضع مركبة تزامن الارض في دورانها Synchronous (على بعد ٢٢٣٠٠ ميل بين سطح الأرض) يتكلف عشرة امثال هذه النفقة . ولكن اذا امكن ارسال حافلة تتردد بين الارض والسماء، فالأرض ، فالسماء ، مائة مرة قبل ان تستهلك ، وذلك الى فلك غير بعيد من الأرض ، فان نفقة ارسال رطل تهبط الى نحو ١٠٠ دولار . وعندئذ تكون نفقة سفر انسان الى مثل هذا الفلك ، ذهابا وعودة ، تتكلف فقط نحو ٢٠٠٠٠ دولار .

صَفحةٌ وِجْدانيَّة كتبها :

شارل ديجول

وَهوَ في عُزْلَتِهِ بِبَيْتِهِ الرِّيفِيّ *



هذه صفحة وجدانية ، رائعة ، كتبها الجنرال « دي جول » الاديب ، لا الجندي ولا السياسي ، وهي اشراقة روحية يتجلى فيها الصراع النفسي العنيف بين اليأس والرجاء ، والشك واليقين ، وهي نفحة عبقة من نفحات الطبيعة ، لتخذ منها درسا رائعا نبيلا .

واما الغاية من تعريب هذه القطعة فهي أن يقرأها قراء العربية على اختلاف أمزجتهم ، وعقائدهم لانها أبلغ درس لهم في محنتهم ، يلتمسون فيها العزاء ، ويستمدون منها الرجاء ، حتى يؤمنوا : « بأن لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة »

قال دي جول :

« هذا منزلي !

« في هذا الخضم من صخب الرجال ، وجلبة الاحداث ، كانت العزلة تجربتي ، وهي الآن رفيقتي .

« وباية رفيقة اخرى يرضى الانسان ، وهو يواجه التاريخ ؟

« ان هذا الحقل من مقاطعة « شمبانيا » يسوده الهدوء : آفاق واسعة ، موحشة ، كئيبة . وغابات وزروع واعشاب قائمة ، وبقايا جبال تعاورها القِدَم ، مهترئة ، قائمة ! وقرى هادئة ، شحيحة الموارد ، لم يَتبدّل شيء خلال الوف السنين من روحها ، ومن مكانها .

« هكذا شان قريتي !

« انها قائمة ، مركوزة على سطح جبل ، تشرق فيه ربوة كثيفة الشجر ، وحولها حقول مترامية يزرعها الفلاحون . وهم — على الرغم من اني بعيد عن فرض نفسي عليهم — يحيطونني بصداقة صامتة .. واما أُسَرُهم فانا اعرفها حق المعرفة ، واحترمها واحبها .

« ان الصمت يملأ بيتي . ومن زوايا الحجرة التي اقضي فيها اكثر ساعات النهار ، اكتشفت الابعاد المتناسقة ، باتجاه الغروب .

« وعلى امتداد خمسة عشر كيلو مترا ، ما من بناء يبدو ، وعلى السهل المترامي ، والغابات المتناثرة ، يتابع بصري مشهد السفوح المنبسطة .

« ومن نقطة مشرئبة ، من حديقة المنزل ، اوغل نظري في الاعماق المدهشة ، تزحم الغابة المكان ، كما يلطم البحر حيزوم السفينة .

« وفي المساء ، الح الليل يلف الطبيعة بسدوله واذ ذاك — وانا امعن النظر في النجوم — ازداد ايمانا بتفاهة شؤون هذه الدنيا !

« ولا ريب ، ان الرسائل والصحف والراديو تنقل انباء العالم الى متنسكي ، وخَلَلَ زياراتي

---

* العربي : بينا ننشر هذا المقال لرئيس فرنسا السابق ، شارل دي جول ، يأتي نعيه في يوم ١٠ نوفمبر ١٩٧٠ . كان يتسلى في بيته بالنظر الى التلفاز ، هادئا مستقرا ، فاذا بقدر الله يجيئه ، فيميل ، ويصبح ذكرى لا تنسى في تاريخ فرنسا ، وتاريخ اوروبا ، وتاريخ العرب . فقد كان لهم صديقا وكان صادقا . جاءه الأجل وقدام عامه الثمانين الا أياما .

المتناوبة لباريس كنت استقبل زائرين ، كانت احاديثهم تجلو لي الطريق التي تتجه اليها النفوس.

« وفي أثناء العطلات كان اولادنا واحفادنا يمتعوننا بشبابهم النضير ، ما عدا ابنتنا « آن » التي غادرت هذا العالم قبلنا .

« ولكن .. كم من ساعات تمرُّ بي ، وأنا اطالع، واكتب ، أو أحلم ، دون أن يخفف أيُّ وَهْمٍ ، وأيُّ حلْمٍ ، من مرارتي الساكنة الصماء !

« ومعذلك ، وفي الحديقة الصغيرة التي طالما ذرعتها سيرا الوف المرات ، كنت أرى ان الاشجار التي يعرِّيها البرد من اوراقها ، قلَّ الاَّ تعود الى الاخضرار ثانية ، وان الازهار التي غرستها زوجتي ، تزهر من جديد ، وبعد أن ذبلت .

« ان منازل القرية هي منازل هرِمة" ، قديمة متداعية ، ولكن .. ها هي ذي يخرج منها فجأة لفيف من الفتيات والفتيان الضاحكين للحياة .

« وعندما اتجه ، في نزهاتي ، نحو احدى الغابات المجاورة للقرى القريبة من قريتي ، احس ان اعماقها الظليلة ، القاتمة ، تغمرني بالحنين . ولكن .. بغتة" ، يذكرني غناء عصفور ، او بزوغ الشمس على اوراق الشجر ، او تفتح الازهار في الاجمة ، بان الحياة ـ منذ ظهرت على سطح الارض ـ تخوض معركة قاسية ، لم تخسر فيها أبدا .

واذ ذاك اشعر بعزاء دفين يغمر كياني !

« وما دام كل شيء يبدأ من جديد ، بصورة دائمة ، فان الذي قمت به سيكون ـ عاجلا او آجلا ـ منبتا زخارا لاندفاعات جديدة من بعدي .

« وبمقدار ما كانت تتقدم بي السن نحو الشيخوخة ، كانت الطبيعة تزداد اقترابا مني .

« وفي كل سنة ، وخلال توالي الفصول الاربعة التي هي دروس اربعة ، تأتي الطبيعة الي بحكمتها تحمل العزاء لنفسي .

« فهي ، في الربيع ، تنشد قائلة

« لـيكن ما كان في الماضي ! فـانا لا ازال في البداية ، كل شيء مشرق عندي بالرغـم من الكوارث . انني فتيـّة ، وفتية مثلي هذه الاشجار المبتورة . وانني لجميلة ، بالرغم من هذه الحقول الملأى بالحصى . فالحبُّ يقذف في عروقي دما وثقة همآ من الروعة والقوة بحيث لا ينضبان ابدا»

« وهاهي ذي في الصيف تعلن قائلة :

« يا لعظمة خصوبتي ! بجهد كبير يخرج مني كل ما يغذي الكائنات . ان كل حياة تتوقف على حرارتي فهذه الحبوب ، وهذه الثمرات ، وهذه القطعان السارحة التي تغمرها الشمس بنورها ، هي جميعها عمل ناجح لا يستطيع شيء ان يهدمه» .

« ان المستقبل لي منذ الآن ! »

« وهاهي ذي في الخريف تتنهد قائلة :

« ان مُهمتي قد اشرفت على النهاية .. لقد أعطيت ازهاري ، وحصيدي وثماري ، والان اراني انكمش ، واخلو بنفسي الى نفسي »

« انظروا ! كم انا جميلة ، بعد هذا كله ، بردائي الارجواني المتألق تحت النور الوهاج ! »

« ولـكن .. وا اسـفاه ! ان الريح والبـرد سيصلان قريبا لينتزعا عني ردائي »

« ولكنه سيأتي يوم يزهر فيه على جسدي العاري ، شبابي الجديد . »

« وهاهي ذي الطبيعة في الشتاء ، تئن صامتة :

« ها انا الان مجدبة ، عاقر ، متجمدة ... »

« كم من أشجار واعشاب ودواب ، وطيور منحتها الحياة من صدري ، واحببتها بكل قلبي ، تموت الان على صدري الهامد الذي لا يستطيع تغذيتها ، ولا تدفئتها ! »

« هل ابرم القدر ، يا ترى ، حكمه النهائي ؟ وهل هو انتصار الموت الى الابد ؟ »

« كلا .. ثم كلا . ها ان عملا صامتا يُنجَز تحت أرضي الفاقدة للحياة ، الساكنة في اعماق الظلمات . انني لاشعر بالعودة الرائعة ، عودة النور ، عودة الحياة »

« فيا ايتها الارض العجوز التي تخَرّتك القرون، واذابتك الامطار ، وخرّبتك العواصف ، وانهكتك الزروع ، انك مستعدة دائما ، والى ما لانهاية ، لانتاج ماينبغي انتاجـه ، من اجـل ان يتعاقب الاحياء عليك . »

« وانت ، يا فرنسة العجوز ! يا من حملت اعباء التاريخ وحدك ، والخنتك الحروب والثورات بالجراح ، وتأرجحت ، دون انقطاع ، بين الشروق والافول ، انك لتنهضين من كبوتك ، قرنا بعد قرن ، بفضل عبقرية التجديد .

« وانت ، يا أيها الرجل الكهل ، يا من عركتك المحن ، ومالت عنك الاعمال ، فبتَّ تشعر بالبرودة الابدية تدنو منك ... انك لا تيأس ابدا من ترقب قبس من نور يشع وسط الظلام . »

خليل الهنداوي ـ حلب

المرأة فى المجتمع الإسلامى

(٣)

نتائج عشر

ناقشها ولم يخالفها علماء بارزون

فى أسبوع الفقه الإسلامى

عام ١٩٦٧

بقلم : الشيخ زكريا البرى

■ فى المقال الاول (العربى العدد ١٤٢) لخصت رسالة المراة داخل الاسرة وخارجها ، وفى المقال الثاني (العربى العدد ١٤٤) عرضت وجهتي النظر فى منح المراة الحقوق السياسية وتولي الوظائف العامة او منعها منها .

وفى هذا المقال الحاضر اذكر النتائج العشر التي انتهيت اليها فى دور المراة فى المجتمع ـ بصفة عامة ، فى بحث القيته فى اسبوع الفقه الاسلامى الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٧ ، باشراف المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، وقد اشترك فى مناقشته فقهاء بارزون من البلاد العربية والاسلامية من غير ان يخالف أحد منهم مخالفة جوهرية .

النتائج العشر

وتتلخص هذه النتائج في الامور التالية :

اولا : ان المراة تشارك الرجل في الحياة الاجتماعية ، وان كلا منهما يكمل الاخر في المجتمع كما يكمله في الاسرة ، وان العلاقة بينهما هي التعاون والتكامل لا التكرار والمماثلة .

ثانيا : ان المساواة الشاملة الكاملة بين النوعين ليست ممكنة ، لاختلاف خصائص كل منهما وقدراته وكفاياته ، وليست في صالح المجتمع نفسه ، الذى



(لا)



(نعم)

يحتاج الى وضع الشخص المناسب في المكان المناسب .والله سبحانه وتعالى يقول « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسالوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما »

يقول عطاء بن ابي رباح : نزلت الاية في النهي عن تمني ما لفلان ، وفي تمني النساء ان يكن رجالا .

ويقول البلخي : فلا تتمنى المراة ان يكون لها ما للرجل .

ثالثا : ان المراة اولى من الرجل ، واكثر تحقيقا لخير المجتمع ، في مزاولة بعض الاعمال العامة ، ومن ذلك اشتغالها طبيبة او ممرضة نسوية ، او قابلة ، او مدرسة في المدارس والكليات النسوية ، او ضابطة في الشرطة النسوية ، او اخصائية اجتماعية في المحيط النسائي .

رابعا : ان بعض الاعمال لم تتهيا لها المراة جسميا ونفسيا ، ومن ذلك اشتغالها ضابطة عامة في الشرطة ، او حارسة ليلية .

خامسا : ان بعض الاعمال لا ينبغي لها ، كوظائف « السكرتيرية » الخاصة ، للرؤساء من الرجال ، فانها بطبيعة عملها ـ تقتضي الانفراد والخلوة والسرية ، مما يؤدى الى مواقف الريبة، ومظان التهمة ، من غير ضرورة ولا حاجة ، ومن غير مصلحة خاصة ولا عامة . والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « دع ما يريبك الى مالا يريبك » .

الشريعة الاسلامية وخروج المراة من بيتها

سادسا : ان الشريعة الاسلامية لم تحرم على المراة الخروج من بيتها ، في ادب واحتشام ، لشئون دينها ودنياها ، بل اباحت لها الخروج لعباداتها من صلاة وحج ، والرسول ـ صلى الله

عليه وسلم - يقول : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله » ويأمر باخراج ذوات الخدور يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين . كما اباحت لها الخروج لشئونها وشئون اسرتها واعمال المجتمع التى تصلح او تتعين لها .

وهذه اسماء بنت ابي بكر ، وزوج الزبير ، تقول : كنت انقل النوى على راسي من ارض الزبير ، فجئت يوما والنوى على راسي ، فلقيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه نفر من اصحابه فدعا لي .

وقد اشترك بعض الصحابيات مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الغزوات : كأم عمارة ، في غزوة احد ، وام سليم في غزوة حنين ، وامية بنت قيس في غزوة خيبر .

سابعا : ان التقاء الرجل بالمراة في ميادين الحياة والعمل التقاء عاديا غير متكلف ، في حدود الاداب والاعراف الطاهرة - لا يحرمه الاسلام ، وانما المحرم هو الانفراد والخلوة وما يتصل بها ، وما تجر اليه من ريبة وفساد ، وبخاصة تحت ستار العمل .

يقول الماوردي في الاحكام السلطانية ، وهو يتحدث عن اعمال المحتسب الذى يراقب الاداب : « واذا راى وقفة رجل مع امراة في طريق سابل لم تظهر منهما امارات الريب لم يتعرض لهما بزجر ولا انكار ، فما يجد الناس بدا من هذا . وان كانت الوقفة في طريق خال ، فخلو المكان ريبة فينكرها ، ولا يعجل بالتاديب عليهما ، حذرا من ان تكون ذات رحم ، وليقل : ان كانت ذات رحم فصنها عن مواقف الريب ، وان كانت اجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك الى معصيته ، وليكن زجره بحسب الامارات » .

الملاءمة بين العمل والواجب الأسري

ثامنا : ان عمل المراة في الخارج يجب الا يكون على حساب زوجيتها وامومتها واسرتها ، والا تسيء استعمال حقها في العمل، لان جميع الحقوق في الاسلام - للرجال والنساء - منحة من الشارع منوطة بالمصلحة ومرتبطة بها ، وليست متعا شخصية للهو والعبث ومجرد الاستعمال .

ويمكن الملاءمة بين واجب المراة في الاسرة وعملها في الخارج عند الحاجة الشخصية او الاجتماعية ببعض التشريعات في شروط التوظف ومواعيد العمل واحكام الاجازات والاجور والتقاعد .

تاسعا : ان الاعتماد المطلق على دور الحضانة والمربيات والخادمات في تربية الاولاد - يضعف روابط الاسرة ، ويؤدى الى مفاسد محققة بالجيل المقبل ، قادة المستقبل ، وآباء الغد وامهاته .

وقد ظهر من التجارب ان الطفل الذى تتناوب تربيته عدة حاضنات تختل شخصيته وتتفكك ، ولا تنمو فيه مشاعر الحب والحنان .

التبرج المسرف

عاشرا : ان زى المراة وما يتصل به من تبرج وتكلف في ابراز المفاتن ، واثارة الغرائز ، وما وصل اليه الامر في ذلك من قلب الاوضاع وعكسها ، بحيث اصبحت المراة لا تتزين لزوجها داخل بيت الزوجية ، وانما تتزين للمجتمع ، وتقضى في ذلك اوقاتا طويلة ضائعة على اسرتها ومجتمعها - هذا الزى والتبرج الذى يرتبط في الاذهان بعمل المراة - مسالة منفصلة ، لانه لا تلازم بينهما ، فهو اولا يعم المراة العاملة في الخارج وغير العاملة ، ثم ان بعض السيدات العاملات قد تحلين بزينة الادب والحياء - ولو نسبيا - فلم يسرفن في هذا المجال .

وهو بعد هذا ، امر لا يخالف في حرمته فقيه ، ولا ينازع في اضراره اجتماعي امين ، وهو من الامراض التى انتقلت الينا من بلاد متحللة في هذا المجال ،وتاثر بعض رجالنا ونسائنا بثقافاتها

وتقاليدها ، ثم فرضت دور الازياء ومن وراءها على باقي الناس متابعتهم .

وليس هناك مصلحة ـ ولو وهمية ـ من هذا التبرج المسرف ، وواجب المرأة ان تخرج الى المجتمع ـ حين تخرج ـ كانسانة لا كانثى ، فان انسانيتها للمجتمع ، وأما انوثتها فلزوجها ، وعليها ان ترجع في ذلك الى آداب دينها ، وتقاليد قومها ، وان تعلم ان بعض البلاد التي تشترك فيها المرأة مع الرجل في ميادين الحياة العامة ، تخرج فيها المرأة الى المجتمع فتكون رجلا ، ثم ترجع الى بيتها فتكون انثى . ونحن اولى بذلك اذا احتكمنا الى ديننا وتقاليدنا .

ملابس المرأة والحرية الشخصية

ولا يصح الاحتماء في قضية لباس المرأة بالحرية الشخصية ، التي يتحدث عنها في هذا المقام اصحاب الاغراض المريضة وصاحباتها . فان ذلك الاحتماء لا نقول : انه حق يراد به باطل ، بل انه باطل يراد به باطل ، ففرق بين الحرية والفوضى ، هو الفرق بين الالتزام والانطلاق ، بين الصلاح والفساد ، بين الخير والشر .

وحرية الرجل لم تجعله يعرى جسمه ، ويكشف عورته .

وقد وصل حال امر الزى في بعض البلاد الى الحد الذى اضطر ويضطر رجال التشريع والحكم ـ وهم الذين يسوسون الدنيا ويحرسون الدين والاخلاق الفاضلة ـ الى التدخل عن طريق التشريع والقانون ، حين لا تجدى التربية والتوعية والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحين تعم البلوى ، وتنتقل العدوى من المرضى الى الاصحاء ، وتشيع المسئولية والتبعة ، ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، ويحدث للناس من الاقضية بمثل ما يحدثون من الفجور .

وبخاصة اذا ما لاحظنا ان سيطرة الاسرة لسى افرادها في مجال تكوين العادات والآداب قد ضعفت وانتقلت هذه السيطرة الى المجتمع بسلوكه العام وبصحافته واذاعاته المسموعة المرئية ووسائل الاعلام فيه ـ وطنية واجنبية ـ وقد دخلت في كل بيت ، وخلا لها الجو في هذا المجال .

وان الاسلام يتطلب في الزى ان يكون ساترا للجسم ، يحميه من العوارض الجوية ، ولا يعوقه عن الحركة والنشاط والعمل . والله سبحانه وتعالى يقول : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ويقول سبحانه : « يايها النبي ، قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما » .

بين الافراط والتفريط

وان الامر في بعض البلاد الاسلامية قد انتهى الى الافراط في التضييق على المرأة وامتهان شخصيتها ، بقدر ما انتهت بلاد اخرى الى التفريط في هذا المجال . وكلا طرفي قصد الامور ذميم .

وبخطوة من اولئك الى الامام ، وبخطوة من هؤلاء الى الوراء ، يلتقيان عند حكم الله ، وادب الاسلام ، وفطرة الله التي فطر الناس عليها « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . ■■

زكريا البرى

النَّسْر

■ أنت باقٍ ولم تزل في الوجودِ   فـي قلوبٍ وفي عيون سـودِ
الجماهيرُ نُورها أنت في الليل   وإلهامُها إلى المنشود
حبُّها حبُّ عابدٍ قدم النفس   وأهدى العنان للمعبود
ما شكت دربَكَ الطويلَ وقد كا   نت تُمنِّي الخُطى بدرب جديد
أنت علَّمتها الصعود إلى المجد   وعلمتها احتمال الصعود
إن تبديت صفَّق النيل زهواً   وانحنى كل شامخ للسجود
وإذا ما خطبت أصغت لك الدنيا   وحُييت بالهتاف الشديد
وقفت خلفك الجماهير لاتر   هب حقدا من شانئٍ أو حسود
وجدت فيك ذلك القائد الصُّلـب   وأغلى رجائها المعقود
وسرت في الدجى وكنت نشيدا   عبقريا لفكّ شتى القيود

★★★

يا أبا خالد! وفاء الجماهير   وفاءٌ مُبّرأٌ من جحود
عصرت قلبها العروبة دمعا   وتهاوت في يومك المشهود
وادلهمَّ الفضاء واسودت الأرض   وما كان في الأسى من مزيد
يا أبا خالد فقدناك لكن   لست والله عندنا بفقيد
العهود التى قطعنا بَواق   نحن أرباب مبدأ وعهود
ولنا في غد هجوم وثارا   ت ونصر من العزيز الحميد
إن خسِرنا فكم هزمنا جيوشا   ورفعنا البنود فوق البنود



كبوةُ الغدر لن يسجلها التـا   ريخ ، نصراً لحفنة من يهود
والفتوحاتُ نحن أهلُ الفتوحا   تِ وفنُّ الحروب صُنْعُ الجدود
أين كوهين يوم سرنا إلى الشا   م وجُدنا بألف ألف شهيد
وأعدنا عروبةً لفلسطين   وقلنا للروم يا روم عودى
هذا الأرضِ أرضنا وبنوها   هم بنو قومنا الأباة الأسود

★ ★ ★

حلَّق النسر في الفضاء المديد   وتهادى فوق السحاب البعيد
لم يَخف سطوة الصواعق والبر   ق ولاهزّه احتدام الرعود
ومضى مُصْعِداً يشق جناحاه   الرزايا في عزمة من حديد
يصفع المستحيل يهزأ بالبُعْدِ   ويطوى الحدود بعد الحدود
وسرى الرعب في الكواكب حتى   غرقت في تخبط وشرود
ما لهذا العنيد ؟ كيف تحدى   كل صعب ؟ وما مدى ذا العنيد ؟
لاتخافى كواكبَ الكون فالنسرُ يعانى من قلبه المكدود
فهو إن طاول السِّماك فقد آن   له أن يؤم دار الخلود
وهوى النسرُ والكواكب تبكيه   ودوّى نعيُه في الوجود
فلقد كان رائعاً في البطولا   ت وقد كان رائعاً في الصُّمُود

الكويت ـ أحمد السقاف

طــرائف

● كتب المنصور العباسي الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فاجابه ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولاعندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك. فكتب اليه المنصور . تصحبنا لتنصحنا . فكتب اليه الصادق : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

زهد في

● قال سويد بن غفلة : دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب بعد ان بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره ، فقلت :

نباهة شاب

● بعث السلطان محمود الغزنوي كتابا الى الخليفة القادر بالله يتهدده بخراب بغداد ، وان يحمل تراب بغداد على الفيلة الى غزنة . فبعث اليه برسالة فيها كلمة « الم » وليس سوى ذلك ، فتحير السلطان وعلماؤه في حل الرمز وجمعوا كل سورة في القرآن في اولها « الم » فلم يهتدوا الى الجواب المناسب. وكان في جملة كتّاب السلطان شاب لم يعبأ به . فاستأذن بحل الرمز ، فاذن له . فقال : ألم تهدده بالفيلة قال : نعم . قال : فكتب اليك الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل . فاستحسن السلطان جوابه وقرّبه .

أفحمتهم المرأة

● بنى بعض اكابر البصرة دارا ، وكان في جواره بيت لعجوز يساوي عشرين دينارا ، وكان محتاجا اليه في تربيع الدار فبذل فيه مائتي دينار فلم تبعه فقيل لها ان القاضي يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيعت مائتي دينار لما يساوي عشرين دينارا ، فقالت : لم لايحجر على من يشتري بمائتين مايساوي عشرين دينارا ، فأفحمتهم . وترك القاضي البيت في يدها حتى ماتت .

عربيـــة

متاع الحياة

يا أمير المؤمنين بيدك المال ولست ارى فى بيتك شيئًا مما يحتاج اليـه البيت . فقال يابن غفلة ،ان البيت لايتأثث فى دار النقلة ، ولنا دار نقلنا اليها خير متاعنا ، وانا عن قليل اليها صائرون .

● قال الجاحظ كنت جالسا عند احد الوراقين ببغداد فاقترب مني ابو العباس احمد بن يحيى وكان من ائمة النحو في عصـره فسالني : القلبي معرفة او نكرة يا جاحظ ؟ فقلت : ان كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وان كان فى الصحراء فهو نكرة فقال ابو العباس ما فى الدنيا اعرف منك بالنحو .

سهم الجود

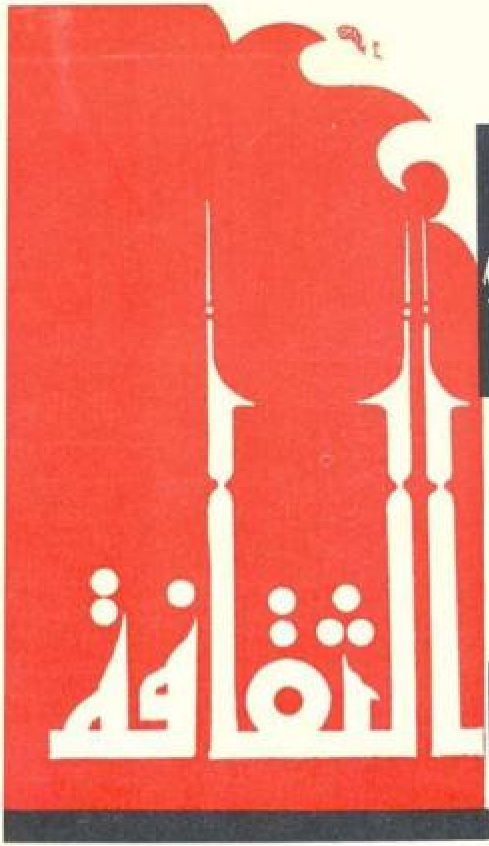
● دخل اعرابى على الفضل بن يحيى وسأله ان يجود عليـه بقليل من المال ، فاقترح أحد الحاضرين ان يأخذ الفضل سهما من كنانته ، ويركبه فى كبد قوسه، ويومىء الى الاعرابي ايماء ، فان رد على نفسه ببيت من الشـعر فقد استحق العطاء . والا فان العطاء لم يصادف محله. فوافق الفضل على ذلك الاقتراح . وبالفعل بادر الى الســـهم وركبه فى قوسه ، وأومأ به الى الاعرابي قائلا رُدَّ سهمي ببيت من الشعر فأنشد الاعرابي :

لقوسك قوسُ الجود والوفر والندى وسهمك سهمُ العزِّ فارمِ بهـا فقرى

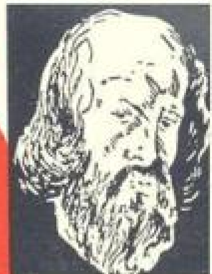
فهز هذا البيت من الفضل أوتار جوده فضاعف له العطاء .

●●●●●●●●●● التجربة أولا ●●●●●●●●●●

● قيل ان رجلا مدح رجلا فى وجهه فقال له : يا عبد الله ، لِمَ مدحتني ؟ اجرَّبتني عند الغضب فوجدتني حليما ؟ قال : لا . قال : اجربتني عند السفر فوجدتني حسن الخلق ؟ قال : لا . قال : اجرَّبتني عند الامانة فوجدتني امينا ؟ . قال لا ، فقال لا يحل لاحد ان يمدح احدا ما لم يجربه فى هذه الاشياء الثلاثة .




أندريه جيد


الغزالى


جاليليو


هتلر

بقلم : الدكتور حلمى اللحام

■ لشدّ ما يتألم الباحث حين يجري أمام خياله صور أولئك الذين حرمهم الجهل الاستمتاع بأسمى نعمة في الوجود : نعمة الأبجدية . وعلى الرّغم من الجهود المزعومة في بلادنا لمحو الأميّة، فما يزال ملايين الأميّين يسرحون ، كالماشية في المرعى ، وقد ضربت بينهم وبين نور العلم حُجُب كثيفة ، لم تقوَ الحكومات ، ولا الجمعيّات الخاصّة على ازالتها . وسيحمل كلّ عربيّ ، سواء أكان حاكما او محكوما ، عار بقاء الأميّة المنتشرة في بلاد العروبة من محيطها الى الخليج ، الى ان تمحى من وجودنا محوا . . .

أميّة وأميّة

على أنّ هناك أميّة من لون آخر ، ليس خطرها اقلّ من خطر الأمية الاولى . واذا كانت أمية الحرف سببا رئيسيا في بقاء الامة في مستوى يمنعها من اللّحاق بركب الأمم المتحضّرة ، فانّ أميّة المتعلّمين هي التي تبارك الأمية الاولى وتشجّعها وتؤاخيها ، ولعلّ هذه التسمية أن تثير حنق فريق من أصحاب الاجازات العليا وامتعاضهم ، فما دامت الدولة قد شهدت لهم في وثيقة ذات أختام وتواقيع ، أنّهم « مجازون » فلا عليهم اذا هم اغلقوا الكتب الى الأبد ، واقاموا بينهم وبين التفكير ستارا صفيقا ، وانصرفوا الى اعمالهم اليوميّة الرّتيبة ، والى أحاديثهم

والفكر

- أُمِّيَّةٌ وأُمِّيَّةٌ .
- القُوَّةُ قائمةٌ فوقَ الحقّ والسَّيفُ فوقَ الرَّأي .
- الذكاءُ يَصْدأُ فلا بُدَّ مِنْ صقلِه .
- رجلُ الفكرِ بينَ كُتُبِه .
- الفِكرُ ليسَ وقفاً على الفلاسفةِ .
- لا فِكرَ إلاّ مَعَ الحُرِّيَّةِ .

المكرورة التافهة ،والى مفاهيم المكتظة الصاخبة. انهم لا يقرؤون ولا يفكرون ولا يملأون فراغهم الا بما هو افرغ منه ، لانهم يتوهمون انهم احاطوا بالعلم من جميع اطرافه ، وتقلبوا من المعرفة في مختلف اعطافها . ومن المؤسف ان يكون هؤلاء هم كثرة المتعلمين ، وأن يكون الذين شذّوا عن « قطيعهم » ضئيلي العدد ، محدودي القدرة . ومن حقّ المرء ان يتساءل متى يتاح لمتعلمينا ان يفرّقوا بين ما حفظوه في مدارسهم ومعاهدهم ، وما اشتروا به علامات نجاحهم ، وبين ... الثقافة ، التي ينبغي أن تكون هي هدفهم ومآربهم .

وليست الثقافة مقتصرة على المعطيات التى نتلقاها رأسا من الكتاب ومن الأستاذ ، فهذه المعطيات ليست سوى مفاتيح اذا ملكناها امكننا أن ندخل بها الى حرم الثقافة ، هذا العالم الرّحب الذى نحسّ فيه اننا متشوّقون الى ملاحظة ما يحيط بنا ، والى التفكير الدّائب في الاحداث ، والاندماج في الاشياء ، والبحث المتصل عن فكرة جديدة نستكشفها ، وعن احساس طريف لم يكن لجوارحنا عهد بمثله ..

الثقافة متطلعة طامحة

والثقافة الرّصينة متطلعة طامحة قلقة ، تنطلق من الشكّ الذى عرفه وغرف من ينابيعه « جيد » André Gide ، والذى أسّس قواعده « ديكارت » ، والذى انطلق منه ، قبلهما بقرون علاّمتنا « الغزالى » ، وتجعل منه ، على حدّ تعبير أحد المفكرين « ملح الفكر » ، هازئة بالمعرفة المجترّة التى تظفر بالاعجاب الواسع فى المجتمع المريض ، معتمدة على المعرفة الشخصية العميقة ، التى تقنع برضى فئة ضئيلة ، لانها هى

التي تقودها الى الفكر الخِصْب الجريء الحر . واذا كانت دعوى « غاليليو » قد استكشفت اسلوبا آخر للحصول على المعرفة ، هو اسلوب القمع والقهر ، فان هذا الأسلوب لم يمنع الارض من أن تدور حول نفسها وحول الشمس ، وظلّ عالم « ايطاليا » ، على الرغم من ركوعه ، وقد تجاوز السبعين ، امام محكمة تفتيش روما ، وانكاره مكرها ، ما سمّوه كفره وزندقته ، وعلى الرّغم من مكابدته التعذيب الذي افقده بصره ، ـ ظلّ رمزا للفكر المجاهد المنتصر ، وطوى النسيان مَن عذّبوه وظلموه .. ولقد يمكن،كما يقول الفيلسوف « آلَن » Allen ، أن يجهل المرء أنّ الارض تدور ، ويحيا مع ذلك ، حياة جديرة بالانسان ، ولكن لن يكون انسانا مطلقا من يؤمن ، ومن يناصر من يعتقدون أنّ من الطبيعيّ أن تقام الأدلة على دوران الارض بفصيلة الدرك والشرطة ..

القوة فوق الحق ، والسيف فوق الرأي

وما أكثر، مع ذلك ، من لا يزالون يجعلون القوّة فوق الحقّ ، والسيف فوق الرأى . واذا كان قد غدا بعيدا عهد وزير المامون، اسحق بن ابراهيم ، الذى حاكم الامام « ابن حنبل » على رأيه المناقض لرأى الخليفة في موضوع خلق القرآن ، وعاقبه ، فانّ عهد وزير «هتلر» ، « غوربنغ » ، الذى كان يردّد هذا القول : « كلّما حدّثني احد عن الذّكاء شَهَرْتُ مسدّسي » ليس ببعيد ، واذا تلفّتنا اليوم ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، في مشرق الارض ومغربها ، وقع بصرنا على من يتنافسون في قصّ أجنحة الفكر ، والمحاسبة الجائرة على الرأى ، وتشريد المفكرين . ومن هنا نجد أنّ ولادة مفكّر امر عسير ، غالي الثّمن ، اذ انّ كلّ ما في الوجود يتضافر للحيلولة دون مصافحته النّور : البيت ، المدرسة ، التّقاليد ، المجتمع ، و .. السلطة . وليس أيسر من أن يصنع المرء ما يصنع النّاس ، وأن يردّد ، كالببّغاء ، ما يقولون ، ففى هذا اراحة ظاهرة للاعصاب ، والتماس للسّكينة ، وهرب من الجهد الذى يسبّبه ما حاول « سقراط » نشره من تعاليم ، بحواره ، وهو يطوف في الأسواق،وبغصّة حياته التى انتهت بكأس السمّ القاتلة ، ليهيب بكلّ فرد أن يخلق فكرته الذّاتية ، ويكافح بها ، ويموت ، مثله ، من أجلها ..

على أنّ الثّمن الذى يدْفَع حتى يولد مفكّر ، مهما يكن باهظا ، لا يذهب سدى ، ويظلّ هذا العقل المدرّب المستنير ، صاحب الملكة المميّزة ، والحسّ النّاقد ، والابتكار الخصب ، هو الحصن المنيع الذى يقى المجموعات البشريّة آثار نشوة العظمة الجماعية ، وسطوة السلطة السياسية ، ويظلّ ابدا هو ابّ هذه الحضارة الانسانية ، والشيء الذى يحقق به الانسان معنى وجوده على سطح الكرة الارضيّة ..

للفكر والتفكير شرائط لا بد من توافرها

ويتوهّم مع ذلك ، كثير من المتعلّمين ، انهم دون أن يدفعوا أيّ ثمن مرهق ، مفكّرون . ومن بينهم فريق حسن النيّة ، يحسب أنّ الفكرة الجيّدة ضالّته ، وانّه يبحث عنها في كلّ مكان ، ولكن حسن النيّة لا يكفى ، والتّفكير فن يتطلّب، كسائر الفنون ، شرائط لا بدّ من توافرها حتّى يستقيم مخلوقا كاملا ..

من شرائط الفكر تركيز الذهن

واذا كان لا ريب في أنّ عمل الفكرة يتكيء على التركيز الذهنى ، فانّ في انطلاقها دائما ، كما يقول « برغسون » Henri Bergson ، تأثرا خالصا صافيا .. وانّ في جذر كلّ فكرة لهزّة تمرو ادقّ أوتار الروح ، كما انتفض العصفور بقلب الفطر، شعورا بالتجاوب بين النّفس وبين ما حرّك ملكاتها ، وأثار اعجابها ، وايقظ دهشتها ، وهذا يقتضي صاحب الفكر أن يحيا من وقت لآخر ، لحظات يوهم نفسه في خلالها انّه انّما يهبط على الارض من رحلة الآفاق ، فينظر الى الاشياء بعين بريئة معجبة ، ويحاول بقوى حدسه وتخيّله وحزْره ، أن يفهم باسلوب جديد يحرّك فيه الاستغراب والقلق ، ويصقل ، في الوقت نفسه ، ذكاءه .

والذكاء يصدأ ، فلا بد من صقله

وغنىّ عن التاكيد ، بَعْدُ ، أنّ صقل الذّكاء باستمرار ، لئلاّ يتحوّل الى ناعورة تدور حول نفسها ، امر ضرورىّ غاية الضرورة ، بالقياس الى رجل الفكر . ونظرة عجلى الى الاستاذ الذى يقتات من مادّته المحفوظة ترينا كيف ان معرفته تقف عن النموّ ، وأنّ نشاطه الذهنى يخبو شيئا فشيئا حتّى ليكاد ينطفيء ، وأنّ ذكاءه يصدأ من طول مُقامه في العمل الرتيب . وتعجبنى كلمة لـ « جول لوميتر » Jules Lemaitre يقول

فيها : « خير تلميذ لى هو الذى ليس من رأيى ».
واظنّ انه يقصد من ذلك هدفين : أولهما تعويد الطالب استخدام الآلة التى يحملها فوق كتفيه ، ولو اداه هذا الى مخالفة راى استاذه ، وثانيهما انّ هذه المعارضة تدعو الأستاذ الى اليقظة الدائمة ، والى تجنّب الاعتماد على ما حفظ وما كرّر .
فالتلميذ المستقلّ الرّأى يبنى شخصيته بيديه فيبقى هو ايّاه ، ويذكّر استاذه ، دون أن يريد ، بواجبه فى شحذ تفكيره شحذا متصلا ، ليكون أهلا لما نذر له حياته .

والتدريب الذهنى يعدى بفائدته اكثر من مجال

والتدريب الذهنىّ فى أىّ اتجاه يتعدى بفائدته اكثر من مجال . وانّ ايّة محاولة جدّية ، كما تقول « سيمون فيل » ، لحلّ مسالة هندسية معقدة مثلا ، ولو لم تؤد بعد جهد ساعة وبعض الساعة ، الى أىّ حلّ ، تكون قد ادّت ، دون شعور صاحبها ، الى تقدّم من دقيقة الى دقيقة فى اتجاه آخر أعمق ، وأدقّ سرا . انّ نورا جديدا فى النفس قد شعّ ، فى هدوء وعمق ، سيبدو أثره ، فيما بعد ، فى موطن من مواطن الذكاء قد يكون غريبا كلّ الغرابة من الاتجاه الذى جهد فيه الفكر !!

والحوار مع عقل كبير

هذا ، والحوار مع عقل كبير ، يبقى المصدر الأول والأعظم لتحريك الذّهن . وما أحوج المثقف والمتعطش الى الثقافة الى ان يصطفى مؤلفا كبيرا يستحبّ مصادقته وعشرته ساعة كلّ يوم ويتحسّن فى بادىء الأمر ، أعنى فى مطلع كلّ لقاء جديد ، أن يكون موقفه حياله ، موقف الاعجاب والاجلال والخشوع ، يلتمس عنده، أوّل ما يلتمس ،تحريك الفكر ، وفتح باب من أبواب التفكير .
فاذا شاع فى النفس جوّ الصفاء ونهيئات لولوج عالمها الخاصّ ، عاد الكتاب فنام فى موضعه من رفّ المكتبة ، وبدأ نقاش يهدأ مرّة ، ويعنف اخرى بين أفكار تصطرع فى دماغه مؤتلفة من أفكار « استاذه » ، ومن افكار شتى متناقضة ، فاذا انقطع النقاش بدأ حوار داخلىّ فى أعماق الضمير ، فها هى ذى أسئلة تطرّح ، وأجوبة تمدّ أعناقها ، وها هى ذى مشكلات تعرّض ، وحلول تلوح فى عالم من ضباب ، والعقل فى حواره هذا المتصل ، يلد الفكرة الحيّة تدفعها الفكرة .
والكتب الجيّدة ، بعد ، كلها صالحة لتحرّك العقل ، اذا أحسنت قراءتها . ومن أجود ما قيل فى هذا المعنى ما رواه الجاحظ فى كتابه الحيوان من قول ابى اسحق: « انّ الكتب لا تحيى الموتى، ولا تحوّل الأحمق عاقلا ، ولا البليد ذكيا ،ولكنّ الطبيعة اذا كان فيها أدنى قول ، فالكتب تشحذ وتفتق ، وترهف ، وتشفى .. »

رجل الفكر بين كتبه

وما أحلى هذه الهنيهات ، يجلس فيها رجل الفكر الى مكتبه ، والفجر لمّا يبزغ بعد ، وضياء مصباحه الأثير لديه ، يرسل أشعته الهادئة الناعمة على الورقة البيضاء امامه ، وهو غارق فى تامّل عميق ، يفرح بالافكار المزدحمة من حوله ، كالعصافير فوق بيدر القمح ، وهو يحاول اقتناص ما يعجبه منها ، يختار اختيارا صعبا ، لذيذا ، ويزن ، بميزانه الدّقيق الحسّاس ، كلّ خاطرة ، وكلّ هاجس ، لا يستسلم لاية حركة من الحركات الحادّة ، ولا يقبل ما يأتيه عن طريق حواسه ، دون أن يقارنه بالاضداد ، ويحلل عناصره ليتبيّن له السطحىّ من العميق ، والخطأ من الصواب ، والحقّ من الباطل ، وليصدر بعدئذ حكمه وتقديره ورأيه ..

الوزن عماد التفكير

فالوزن هو عماد التفكير ، ولا يخدعنك هؤلاء الخطباء الذين يتدفقون بالكلام كالسّيل الهادر ، لا يقوّمونه ولا يزنونه ، فليس وراء كلامهم ، فى الأغلب ، فكر ،والخطاب الذى يقصد به الى الاثارة الآنيّة العابرة مثال للكلام الذى يجدر بالعاقل ان يتجنّبه ، مهما يجرّ عليه ذلك من غضب ، فما يكره اكثرّ رجال السلطان شيئا كالفكر ، كأنما هم يخشون بأسه ، ويتفادون غضبه . ولو قد عاد هؤلاء الى أنفسهم ، فى اعتكاف محاسبة وجدانية لادركوا انّ دورهم فى مسيرة الانسانيّة ، بعد زمن يسير من تألق نجومهم ، دور ضئيل محدود .

كتب فى التاريخ يجب ان تختفى

واظنّ أنّ الكثير من كتب التاريخ ، ينبغى ان تختفى من الوجود لتحلّ مكانها ، كتب تاريخ جديدة ، مكتوبة باقلام مفكرين . ولئن طغى آنذاك استياء محبّى الصخب ، وهاجت غرائزهم المولعة

بالألق العابر ، فانّ الحقّ سيرضى اذ يحتلّ صفحات التاريخ الجديدة رجال العلم والأدب والفنّ الذين يسهمون ، كلّ يوم ، بل كلّ ساعة انبل اسهام في نسيج الحضارة الانسانية من جديد .

النعيم الأبله الذى يتذوقه اخوة الجهالة

ايكون هذا حلما ؟؟ يحتمل ! ولكنه حلم كم احبّ ان يتحقق ، لينال الفكر مكانه الذى اغتصبه الجهل .. ، والى ان يرقى البشر في هذه المصاعد المثالية ، فلنحاول نحن ما استطعنا ان نعنى بالعلم كيفا ، وان نجعله وسيلة الى تدريب عقولنا واعدادها للبحث الشاق المتصل ، غير آبهين لهذا العناء يتكبّده ذوو العقول ، ولا مفتونين بهذا النعيم الأبله يتذوّقه اخوة الجهالة .. هذين الشقاء والنعيم اللذين وصفهما المتنبى في بيته الجميل هذا :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويارُبّ شقاء خير من نعيم .. فلا فرح حقيقيا يمكن ان يقتطف بدون الم .. ولا بدّ دون الشهد من ابر النحل – كما يقول المتنبى نفسه – .

حوار طريف بين صاحب فكر وافكاره

وانى اودّ ان اضع بين يدى الذين يرهبون مشقات التفكير هذا الحوار الطريف بين احد كبار مفكرى العصر وشعرائه ، وبين الافكار ، فلعلّ في هذه اللوحة البارعة ما يحبّب الى بعضهم عذاب الفكرة (١) .

.. وبصف الشاعر نفسه ، حين استيقظ مع الوردة ، واخذ يمشي في « روحه » ، بخطى رائعة، مجنّحا بالنّفة ، فيحيّى افكاره المتناثرة ،واحدة هنا تتألق ، واختها هناك تتثاءب ، ثم يسألهنّ جميعا : « ماذا صنعتنّ هذه الليلة ، اساتذة الرّوح ، يا من دفعكنّ السأم ان تتشبّهن ببنات اللذة .. »

فتجيبه « الافكار » :

« نحن دائما ناصعات السيرة ،
« لم يخنّ وجودنا المستمرّ ابدا سطح حجرتك
« كنّا هنا ، غيرُ بعيد منك
« ولكننا كنّا اشبه بعناكب خفيّة
« في ظلمات ذاتك .
« ألست الآن نشوان من الفرح
« بان ترى الف شمس من حرير
« تنسلّ من حلَك الظلام
« لتشرق في حنايا الغامضة .
« لقد ألقينا على هوَى فراغك السحيقة
« خيوطنا الوليدة الدقيقة
« وسلكنا طبيعتك العارية
« في نسيج هفهاف
« فغدوتَ متاهتنا تختلج (٢) .

التفكير ليس وقفا على الفلاسفة

ومن السذاجة الظنّ بانّ التفكير وقف على الفلاسفة والمتفلسفين ، واذ كان هؤلاء واولئك يعانون من تهكم القرّاء ما يعانون ، فلعلّ طائفة منهم قد أسهمت في تبرير ذلك بما أحاطت به الفكر الفلسفيّ من غيبيات وطلاسم ، كما انّ لدى بعض قادة الاحزاب ومفكريها من الرموز والمصطلحات والتعابير ما يعطى أسوأ صورة عن الفكر ، وما يخيف أوساط الناس منه ..

على انّ في وسع كلّ من أعطى نصيبا من المعرفة والذكاء ، في حدود طاقته ، أن يكون على حدّ تعبير احد العلماء ، مرآة مفكرة ، تعكس صورة للوجود على شكلٍ ما ، ليس هو بالضرورة شكل الصورة التى تنعكس في المرايا الاخرى ، لانّ الصور اذا تماثلت جعلت الناس أشباحا لا أرواحا ، وتماثيل لا عقولا ، وأرقاما صمّاء لا قلوبا . فالفكر هو الذى يمنح صاحبه لحنه الخاصّ في سمفونية الوجود الكبرى ، وهو الذى يتيح له ان يغنى عالم الفكر بآراء ، مهما تكن متواضعة ، فقيمتها في انها شخصية ، ذوات طابع خاصّ .

ونحن في شرقنا العربى

ونحن ، في شرقنا العربيّ ، ما نزال نزداد بعدا عن القضايا الفكرية ، زاد نفورنا منها انفتاح العصر الحديث المذهل على كلّ ما يتصل بالحسّ ، وبالجنس بوجه خاصّ ، واندفاعه المخيف مع

---

(١) اعتاد « فاليري » ، خلال خمسين عاما ، أن يستيقظ كلّ صباح في الساعة الرابعة ، فيفيء الى « دفاتره » التي جمعت خلاصة آرائه ، والتي طبعت ، بعد وفاته ، مرسومة بخطّ يده ..

(٢) القصيدة جميلة ، لم يبق من روعتها بعد ترجمتها نثرا ، الاّ ما يبقى من الموسيقى اذا ترجمت كلاما ..

السرعة التى تلتهم كلّ شيء . الغرب انجرف مع مشكلات الحسّ ، ووراءه تراث ضخم من العلم والمعرفة والحضارة ، واخذته تهاويل السرعة ، والآلة عنده في أوج انتاجها ، وعصفت بنا نحن معضلات المدنيّة ، ونحن لم نتهيّأ لها ولم نستعدّ ، وسحقتنا السرعة ، ونحن في مستنقع الجهل ، فتذرّعنا بها لئلاّ نتمزّق شيئا ، ويرانا ، مع ذلك ، الرّاؤون ، نقضي ساعات متطاولة على رصيف مقهى يتثاءب فيه ضجرنا ، لا ندرى من ايّ شيء . وما بقينا امّة تهمل الفكر فسيصعب علينا كسب أيّة معركة في ايّ مجال .

لقد اخذنا من الغرب مذاهبه ، تنحرف تارة الى اليمين ، وتتّجه طورا الى اليسار ،فمسخناها مسخا ، وتعلّقنا بما راق لنا منها ، وبما فتننا من قشورها ، واحاط بنا عدوّ مدرّب ، حديث الاساليب والوسائل،ماكر الطويّة فحاربناه بالوهم والخيال وامجاد التاريخ ، وسيّرنا في شؤوننا كلّها على غير هدى ! ..

ولن يكتب لنا ان ننتصر في معاركنا الدّاخلية والخارجية ، ما لم نستضيء في أعمالنا بضياء الفكر ، الفكر الذى يمدّ جذورا خصبة في تربتنا، وينبثق خيوطا مشعّة في أجوائنا ، الفكر الموهوب الذى يرفع الفكرة الى مستوى الخلق والاختراع.

الفكر هو ابن الثقافة اليقظة

وهذا الفكر هو ابن الثقافة اليقظة الحيّة المتطوّرة .

الثقافة التى تبدأ بنفس المثقف ذاتها، فتعجنها عجنا بما آمنت به .

الثقافة التى تدعو الى تغيير المجتمع المريض وتحريره من التخلّف العلميّ والاقتصادى والحضاريّ ، وانقاذه من الاستغلال ، دون أن تكون في هذا خادمة لمذهب بعينه تتقوّقع ، فلم يبق في الامكان أن يمسّه تعديل .

الثقافة المعطاء المؤمنة بانّ أجمل صفات المثقف أنّه لا يتّسم بالأنانية والأثرة ، ولا يلذّه شيء كما يلذّه أن يعطى من ذاته . لأن معنى وجوده يكمن في العطاء ..

الثقافة التى هى اتّزان وتوازن . لا صلة لها بالحناجر المبحوحة من الصياح ، ولا بالأعطاف المتلوّية من البلاغة ، انّ المثقف لا يعتبر الكلام الاّ تعبيرا عن فكرة انضجهافي ذهنه ، والشكل الا غلافا لمحتوى صادق صحيح ، والشعار ، اذا كان شعارّ الا رمزا لما طوى عليه ضميره من مبدأ ..

الثقافة التى هى علم وعمل ، فالمفكر يؤثر أن ينطفىء الفكر ، ويخرس صوته على أن يقول ما لا يريد أن يراه واقعا امامه ، وما لا يعمل بكلّ قواه على انفاذه ، واخراجه من الكلام المجرّد الى عالم الحقائق ..

الفكر لا يتحدد الا اذا سكن الاحرف

واذا كانت الثقافة الحيّة هى التى تلد الفكر ، فالفكر هذا هو تعبير ، وما بقيت الفكرة هواجس تختلج في الضمير ، فانّها تظلّ صورا سابحة في السحاب ، تبدو وتختفى كدخان اللفيفة ، والكلام هو الذى يحدّد معالمها ، فاذا كان كلاما شفويّا وضح الفكر بعض الوضوح، وامكن نقله والاستفادة منه ، بعض الشيء . على أنّه لا يكمل ولا يتحدّد كلّ التحديد الاّ متى سكن الاحرف ، وتجسّد فيها (٣) ، ففى هذا الاخراج المادىّ صوغ للفكرة ينسّق عناصرها ، ويحاول جعلها دقيقة اقصى الدقة الممكنة وقابلة للتداول أيضا .. ومن هذه الصلة الوثيقة بين الثقفة والفكر تظهر ضرورة مقدرة المثقف على التعبير ، فكلّما قوى في هذا المجال اكتسب فكره دقّة ، وكان امكان انتشاره أوسع ، واحتمال بقائه اقوى . واذا عجز المفكر عن التعبير نامت أفكاره في صدره ، فاصبح طاقة مهدورة ، وما افظع ماساة ضياع القوى في بلاد هى في أمس الحاجة الى ايّة طاقة وايّة قوّة ..

الفكر الحى مع الحرية

والفكر الحيّ مع الحريّة ، فكما انه لا ينمو ولا يمكن ان يبدع الا في جوّ حر ، وكما أنّ الفكرة امّا ان تكون حرّة او لا تكون ، فانّ الفكر يدافع عن الحرّية في جميع اشكالها . واذا كافح من اجل حقوق الفلاح والعامل والفقير والمريض ـ وهو خائن لثقافته انّ لم يكافح ـ فانّه لا يرضى أن يشترى هؤلاء خبزهم ودواءهم بثمن كرامتهم . انّه يريد اعطاءهم الخبز والحريّة .. ، الفكر الحيّ لا يمكن أن يكون الاّ مع الانسان ، كلّ الانسان .. ■■

حلمي التّحام

---

(٣) كان « الآن » يقول : « بالكلام نستهلك فكرتنا استهلاكا؛أمّا بالكتابة فاننّا نصادقها ، ونتلقاها » ..

مسابقة العربى

١٢ سؤالاً

■ تتكون مسابقة هذا العدد من اثنى عشر سؤالا .. اجاباتها كلها نشرت فى أعداد مجلة « العربى » التى صدرت خلال عام ١٩٧٠ .

والمطلوب منك الاجابة على عشرة اسئلة ، على الأقل ، لكى تفوز باحدى الجوائز ، التى يبلغ مجموع قيمتها ..١٠ دينار .

١ حقوق الانسان : **اعلنها الاسلام قديما ، واعلنتها الثورة الفرنسية والامم المتحدة حديثا .. ففى اى سنة اعلنتها الأمم المتحدة ؟**

٢ الجواهر الثمينة **تنقسم الى جواهر مادتها عضوية المنشأ ، وجواهر مادتها لا عضوية . والعضوية هى التى تنشأ بفعل الحياة على سطح الارض او فى البحر ، أما الجواهر غير العضوية فتنشأ من أشياء لا حياة فيها ، وتوجد اكثرها على شكل بلورات . * والمطلوب منك ان تذكر امام كل نوع من الجواهر الآتية عضوية هى أم غير عضويـة** :اللؤلؤ ـ الياقوت ـ الزمرد ـ الفيروز ـ المرجان ـ الكهرمان .

٣ أبو حيان التوحيدى : **فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، الف رسالة فريدة فى نوعها ، انتقى فيها خير ما قيل فى الصداقة والصديق ، واستغرق تاليف هذه الرسالة فترة طويلة ، امتدت من سن شباب التوحيدى حتى أواخر حياته ...** فما اسم هذه الرسالة ؟

٤ «داء الملوك» :**مرض معروف من قديم الزمان ، ذكره ابقراط فى كتاباته ، ووصفه الرازى وصفا دقيقا منذ اكثر من الف سنة .. فما هو الاسم العلمى العربى الذى يعرف به هذا الداء .**

٥ الخشب **يتالف من السليولوز والخشبين .. احدهما يضم الآخر ضما ليتنتج مادة الخشب الرصينة .. فايهما الضام ، وايهما المضموم ، وبالضام نعنى المادة التى تقوم بالضم لصاقا .**

٦ مصطفى الشهابى ، **علم انطوى من اعلام علم الحياة .. الف كتبا فى الزراعة وفى الدواجن ، كما الف معجما لمصطلحات الالفاظ الزراعية جمع فيه بين المصطلحات الفرنسية والعربية .. وهو أول من اقترح لفظا عربيا سائرا لمادة النبات الخضراء المسماة « الكلوروفيل » ، فما هو هذا اللفظ العربى ؟**

إذا تعذرت عليك الإجابة فراجعها في أعداد "العربي" الاثني عشر لعام ١٩٧٠

٧ الصابون لفظ لم يعرفه العرب .. وكانوا يستخدمون ورق السدر وانواعا من العشب غسولا به اغتسلوا ، اجساما وثيابا ، فمن اى المواد يصنع الصابون اليوم ؟

٨ اغادير : خربتها الزلازل عام ١٩٦٠ ولم تمض تسع سنوات على خرابها حتى ظهرت مكانها مدينة رائعة حديثة ، وتحقق هذا القول الذى قيل بعد وقوع الزلزال : « لئن حكمت الاقدار بخراب أغادير ، فان بناءها موكول الى ارادتنا وايماننا » .. فمن هو قائل هذا القول ؟

٩ البن .. كانت اليمن مصدر العالم من البن الى ختام القرن السابع عشر الميلادى .. بعد هذا التاريخ بدأت اليمن تستبدل شجرة البن بشجرة ثانية كثيرة المساوىء والأضرار .. فما اسم هذه الشجرة ؟

١٠ الشمس : جرم من اجرام السماء ، متوسط الحجم ، متوسط الضياء هو اقرب النجوم الينا . اذكر اقرب جرم سماوى متقد هو الثانى في قربه من الارض

١١ العقد الفريد : كتاب كتبه رجل من أهل المغرب العربى ، ولكن المادة التى احتواها حصلها من أدب أهل المشرق العربى .. فما اسم مؤلف هذا الكتاب ؟

١٢ عملاقان من عمالقة الهند ، أحييا فيها الثقافة الروحية . فكان ما كان فيها من استقلال وحرية . فمن هما هذان العملاقان ؟

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٦ » .
٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧١ .
٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .
... وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٤٦

الإنسان كَيْفَ يُواجِهُ

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ ماذا يكتب الكاتب العربي ، حين تكون الثقافة القومية عنده هي موضوع النظر ، سوى أن يلتمس لها موضعا بين ثقافات عصره .

المسايرة كيف تكون

فتسايرها بما يجعلها متفقة مع روح العصر ، وتخالفها بما يحفظ لها كيانها المتميز ؟ واما المسايرة فادنى درجاتها ان نشارك ابناء عصرنا همومهم ومشكلاتهم ، بحيث تكون المسائل الرئيسية المطروحة للبحث ، هي نقطة الالتقاء التى يجتمع عندها المفكرون جميعا ، كل بوجهة نظره ، فالذى يجعل العصر الفكرى المعين عصرا واحدا ، ليس هو أن تتفق اجابات المفكرين عن الاسئلة المطروحة ، بل هو ان تكون الاسئلة المعينة الواحدة مطروحة للجميع ، اما ان يكون موضوع البحث الرئيسي في هذا الركن من اركان العالم هو كذا ، وفي ذلك الركن هو كيت ، فعندئذ لا يكون الركنان كائنين في عالم واحد بالمعنى التاريخي ، برغم انهما واقعان في عالم واحد بالمعنى الجغرافي لهذه العبارة ، وانظر نظرة الطائر الى عصور الفكر المتعاقبة ، تجد ان سقراط وافلاطون وارسطو يكونون عصرا فكريا واحدا ، لان المسائل الرئيسية الموضوعة عندهم للبحث واحدة ، لا لانهم اتفقوا في الراى حولها ، وتجد جماعة المتكلمين في تاريخ الفكر الاسلامي يكونون مدرسة واحدة ويعيشون معا فى عصر فكرى واحد ، لان امهات المسائل التى عرضوها للنظر واحدة عندهم جميعا على وجه التقريب ، لا لانهم اجابوا كلهم عنها بجواب واحد ، وكذلك قل في جماعة الفقهاء وجماعة الفلاسفة . وكذلك ايضا قل في تاريخ الفكر الاوربي الحديث منذ النهضة الى يومنا ، فكان للقوم في كل قرن من زمان مسائل رئيسية تنشأ ، فيختلفون في حلولها ، لكن يتفقون في جعلها موضوع البحث والنظر ، فيكونون بهذا الاتفاق ابناء عصر فكرى واحد .. وعلى هذا الاساس نفسه ، نقول ان الفكر العربي في عصرنا انما يساير عصره الفكرى ، لا بكونه يردد الاجابات التي يجيب بها سواه في هذا الجزء او ذاك من اجزاء العالم ، بل هو يساير عصره بان يشارك زملاءه المفكرين في مشكلات بعينها انشأتها لهم جميعا ظروف العصر الواحد وحوادثه .

المخالفة كيف تكون

تلك هي المسايرة ، واما كيف يجيء الاختلاف بما يحفظ لثقافتنا العربية كيانها المتميز الفريد ، فذلك واضح فيما أظن ، فالامة العربية تتكلم لغة خاصة بها ، ليست هي الانجليزية ولا الفرنسية ، ولالفاظ اللغة وطرائق تركيبها جذور عميقة في طريقة الانسان عندما يتناول الطبيعة

الطبيعة ؟

المواجهة عند المفكر الغربي مواجهة للطبيعة تنتهي بالمعرفة .

والمواجهة عند المفكر العربي في مواجهته للمجتمع الانساني تنتهي بالقيم .

من حوله بكل ما فيها ومن فيها ، فانظر ــ مثلا ــ في اختلاف لغة عن لغة في التعبير عن الزمن ، تجد فروقا شاسعة في اللفتة العقلية عند اصحاب اللغتين ، فقد يكون موضع الاهتمام عند فريق هو ان تجيء « الافعال » في اللغة دالة على الضبط الزمني بين حادث سبق وحادث لحق ، على حين يكون موضع الاهتمام عند فريق آخر هو مضمون الاحداث لا ترتيبها الزمني ، او انظر الى اختلاف لغة عن لغة في العناية بان يجيء ترتيب الالفاظ دالاً بذاته على ترتيب اجزاء الفكرة ، فاللغة التي لا تتغير اواخر كلماتها في الاعراب تعتمد كل الاعتماد في تنظيم الفكرة على ترتيب اللفظ ، واما اللغة التي تتغير اواخر كلماتها في الاعراب فاكثر مرونة وحرية ، لانها تستطيع ان تقدم وان تؤخر ، معولة في فهم الفكرة ، لا على ترتيب لفظها بل على شكل اواخر كلماتها ، ففي الاولى دقة العلم وفي الثانية ليونة الشاعر ، الاولى اقرب الى الالات الحاسبة الحديثة ، التي تسير عملياتها في طريق واحد لا اختيار فيه ، ومن ثم تاتي دقة النتيجة والثانية اقرب الى الكائنات الحية لها ان تختار اكثر من طريق ما دام الهدف واضحا امامها .

الكاتب العربي يختلف اختلافا يحفظ له كيانه المتميز

اقول ان الكاتب العربي اذ يشارك معاصريه همومهم ، فهو قمين ان يختلف في طريقة التفكير وطريقة الحل ، اختلافا يحفظ له كيانه التميز ، اولا ، لان له لغته الخاصة بكل ما تؤدي اليه تلك اللغة من اسلوب في تناول المشكلات ، وثانيا ، لان لامته وضعا خاصا وضعتها فيه ظروف التاريخ الحديث ، ذلك انها غلبت على امرها امدا طال هنا وقصر هناك ، والذي غلبها على امرها كان اما حامل سلاح لم تحمل هي مثله ، واما حامل علم لم تحمل هي ما يشبهه ، فاذا ما ازاحت عن كاهلها هذا العبء واخذت تحمل السلاح وتحمل العلم ما استطاعت اليهما من سبيل ، فهل يعقل ــ والحالة هذه ــ أن ينظر الغالب والمغلوب الى مسألة بعينها ، فينظرا اليها بعين واحدة ؟! انذا اخذت الغالب القديم نظرة تشاؤم الى المستقبل بعد ان فقد سلطانه وهيلمانه ، يلزم ان ينظر المغلوب الى المستقبل بهذا التشاؤم نفسه ، مع انه في سبيله الى ان يكون ذا هيلمان وسلطان ؟ ائذا نظر شباب الغالب القديم الى آبائه فيئس من حكمتهم التي بليت ، وخرج عليهم مثل هذا الخروج الجامح الذي نشهده كل يوم اشكالا والوانا ، يلزم ان ينظر شباب الامة التي هي في طريقها الى الخروج من محنتها ، الى آبائه نظرة اليأس نفسها مع ان الاباء هنا هم الذين حملوا لهم الوية النصر في المعارك ؟ انه ليكفي الكاتب العربي ان تكون احداث العصر قد القت في وجهه شيئا اسمه اسرائيل ،

لتكون وجهة نظره الى مشكلات العصر وحوادثه مختلفة اشد اختلاف مع زملائه الكتاب من الجماعات التى اقترفت في حقه هذا الجرم ، حين ينظر معهم الى مسائل العصر وحلولها .

والكاتب العربي قمين كذلك ان يخالف المفكرين المعاصرين اذ يشاركهم النظر في الامور المطروحة للبحث ، لا لانه مختلف بحكم لغته - اى بحكم اسلوب تفكيره - ولا لانه قد وضع في ظروف سياسية واجتماعية شاذة فحسب ، بل لانه ايضا يرث تاريخا غير التاريخ الذى يرثه الاخرون ، فهذا التاريخ يحمل الينا على موجه تقاليد ، قد نقبلها وقد نرفضها وقد ندخل عليها تعديلا ، لكننا في جميع هذه الحالات منشغلون بها انشغالا ينعكس على طريقة النظر - هكذا يساير الكاتب العربي عصره اذ يسايره ، وهكذا يتخذ لنفسه موقفا فريدا اذ يختلف عن معاصريه بما يحفظ له شخصيته وكيانه .

العلاقة بين الانسان والطبيعة

ومن المسائل المعروضة في المناخ الفكري لعصرنا ، مسألة العلاقة بين الانسان والطبيعة ، ما حقيقتها وعلى اى نحو تكون ؟ وليس الموضوع ابن اليوم ، فهو من الموضوعات القليلة التى ما انفكت قائمة تتحدى المفكرين ، ويكون لكل عصر طريقته في معالجتها ، مستضيئا بمبادىء مما يكون قائما شائعا عندئذ ، فقد يكون من هذه المبادىء الاولية الشائعة في عصر معين ان كل ما في الكون حياة واحياء ، وانه ليس في الكون الفسيح جماد مواد ، واذن فالانسان بالنسبة الى بقية الكائنات الحية درجة عليا في سلم متدرج ، يختلف ادراكه عن ادراكها في درجة الوضوح فقط ، لا في انه هو وحده المدرك وبقية الكائنات صماء بغير ادراك ، وقد تكون المبادىء الاولية الشائعة في العصر المعين نقيض ذلك ، بان تفترض ان كل ما في الكون - انسانا وغير انسان - مجموعات ذرية ، تجتمع على صورة ما فتكون كائنا معينا ، ثم تجتمع على صورة اخرى فتكون كائنا آخر ، واذن فالانسان بالنسبة الى بقية الكائنات في هذه الحالة تشكيل بين صنوف منوعة من تشكيلات المادة ، له خصائصه التي يمكن ان تقاس بالعلم وتضبط قوانينه ، وقد تكون المبادىء الاولية الشائعة هي رفض هذا التجانس بين الانسان وغيره - حيوانا أو جمادا - فلئن كانت النظرة الاولى قد جانست بينهما في الحياة والادراك ، والنظرة الثانية قد جانست بينهما في عناصر التكوين المادية ، فالنظرة الثالثة تابى ان تجانس بينهما في شيء ، وتجعل الانسان في منزلة وحده دون سائر الاحياء والاشياء ، ولكل نظرة من هذه النظرات نتائجها التى تظل تتسع حتى تشمل اوضاع الحياة جميعا .

فلما جاء عصرنا هذا الذى نحياه ، وجد مسرح الفكر في هذا الموضوع لا يكاد يشغله الا اصحاب نظرة ازدواجية تقابل بين الانسان في طرف ، والطبيعة في طرف ، لكنه سرعان ما تبين ان مثل هذه النظرة قد لا تتسق مع الفزياء النووية التى تسود عصرنا ، ولا مع النظريات القائمة بالنسبة الى تطور الاحياء ، فاخذ فلاسفته يميلون شيئا فشيئا الى ان يحلوا ضربا من الوحدانية بين الانسان والطبيعة محل الازدواجية القديمة ، على اختلاف بينهم في الطريقة التي يوحدونها بها، ففريق يختار في هذا التوحيد تعقيلا للطبيعة ، اى ان يجعل الطبيعة عاقلة في سيرها كالانسان سواء بسواء ، وفريق آخر يختار تطبيعا للعقل ، اى ان يجعل العقل ظاهرة كاية ظاهرة اخرى في الطبيعة ، يبحث بالمنهج العلمي نفسه الذى تبحث به سائر الظواهر .

لكننا نريد مزيدا من الشرح ، لنرى بعد ذلك : اى موقف يحسن بالمفكر العربى ان يقفه من الامر ، فيساير الزملاء في موضوع البحث ، وينفرد دونهم بوجهة النظر ؟

مواجهة الذات العارفة بالشيء المعروف

كانت المواجهة الاساسية بين الانسان والطبيعة، التى ظفرت بالعناية من فلاسفة الغرب بصفة عامة ، وفي القرون الحديثة البادئة من عصر النهضة الاوروبية بصفة خاصة ، مواجهة الذات العارفة بالشيء المعروف ، فالانسان يدرك ما حوله ثم يتصرف على اساس ادراكه ، وسؤالهم الرئيسي هو : كيف يتاح للانسان ان يدرك ما يدركه ؟ أبالحواس يدركه ، ام بالعقل المحض ، ام باداة اخرى لا هي مرهونة بحاسة ولا عقل ، كالحدس مثلا ؟ (الحدس هو المصطلح الفلسفي لما قد تسميه « البصيرة ») ، وكان هذا السؤال يتضمن فيما يتضمنه ان الذات الانسانية



جاليليو



ديكارت

وهي التى تعرف ، والطبيعة المحيطة بالانسان وهي التي تعرف (بضم التاء وفتح الراء) جوهران مختلفان ، قوام الذات روح الطبيعة مادة ، وفي ادراك الروحاني للمادي صعوبات تحتاج من الفلاسفة الى توضيح ، ما دام الطرفان ـ الطرف العارف والطرف المعروف ـ على هذه الدرجة كلها من الاختلاف .

والعجيب انه لا الاقدمون ، ولا فلاسفة العصور الوسطى ، قد تنبهوا تنبها كافيا لما ينطوي عليه هذا الموقف العرفاني من مشكلات نظرية ، فلم يقفوا عنده لا طويلا ولا قصيرا ، اذ افترضوا افتراض التسليم بان الجهاز الانساني من حواس ومن عقل قادر على ان يصور لنا الاشياء والحوادث كما هي في عالمها الخارجي ، حتى ظنوا ان ما في « الاذهان » يصور ما في « الاعيان » تصويرا حرفيا ـ كما قد يقال ـ فيكون الشيء او الحدث الذى وقع ، محاذيا لفكرتنا الذهنية عنه محاذاة تامة ، ففكرتي عن القلم الذى في يدى صورة دقيقة للقلم نفسه ، وجاءت النهضة الاوروبية بما حملته معها من مجموعة العلماء الافذاذ ، وفي طليعتهم جاليليو ونيوتن ، وبما ساير هؤلاء العلماء من فلاسفة كبار ، مثل ديكارت وجون لوك ، وعندئذ فقط تنبه المفكرون ـ علماء وفلاسفة على السواء ـ للمشكلة الكامنة في هذه المقابلة بين الاذهان والاعيان .

الأشياء التي تعرف بها الأشياء ليست كلها من الأشياء

ولعل جاليليو كان اول من صاح بالتحذير ، اذ اشار الى ان الصفات التى نعرف بها الاشياء ليست كلها في الاشياء ، بل منها ما هو في الاشياء ومنها ما خلقناه نحن بعقولنا خلقا ، واطلق على الصنف الاول الصفات الاولية ، وعلى الصنف الثاني الصفات الثانوية ، وكان تقسيما غاية في الاهمية والخطورة ، لانه مهد الطريق بضربة واحدة امام اقامة علم موضوعي لا دخل للذات الانسانية فيه ، وذلك لانه ـ هو وكل من جاءوا بعده ـ جعل العلم مقصورا على الصفات الاولية التى هي في الاشياء نفسها ، واخرج من مجال العلم الصفات الثانوية التى تنتحلها الذات من عندها انتحالا ، فلو كان الذى بيدك برتقالة ـ مثلا ـ فشكلها الكرى وثقلها وعددها صفات في البرتقالة نفسها ، واما لونها الاصفر وطعمها عند مذاقها فصفات ابتكرها جهازك الادراكي ابتكارا ، ومن ثم فلا شان للعلم الموضوعي به ، نعم . قد ينبعث من البرتقالة موجات « ضوئية » ذات اطوال تترجمها عينك واعصابك ودماغك « لونا اصفر » ، فاذا اراد العلم ان يبحث ، فبحثه ينصب على موجات الضوء ، لا على اللون الاصفر ، وهكذا قل في سائر الصفات الاولية التى هي من اختصاص العلم لموضوعيتها ، وسائر الصفات الذاتية التى تخرج من دائرة العلم لذاتيتها .

التقسيم الى الموضوعي والذاتي

ولقى هذا التقسيم اهتماما كبيرا من رجال العلم والفلسفة جميعا ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر ، لانه في الحقيقة تقسيم يرسى الدعائم القوية لعلم فزيائي يقوم باقل درجة ممكنة من تدخل الذات وخصوصياتها بكل انواعها ، حتى لقد الفنا ـ الى يومنا هذا ـ التقسيم الى الموضوعي والذاتي ، الفا يتعذر معه أن نمحوه ، كما يحاول بعض فلاسفة عصرنا هذا جهدهم كله أن يمحوه ، لانه لم يعد تقسيما يتفق مع معطيات العلم الفزيائي نفسه ، في صورته الذرية الجديدة .

البدء بالأنا عند ديكارت

وكلنا يعرف وقفة ديكارت المشهورة ، التى ميز فيها بين الذات من جهة والطبيعة من جهة اخرى ، فالاولى فكر خالص ، والثانية امتداد خالص ، فهو حين قال قولته التى لم يعد بين المثقفين مثقف لا يحفظها ، قولته :

« انا افكر ، فانا اذن موجود » اراد بها ان « الانا » او « الذات » قوامها فكر ، قوامه



جون لوك



كنط

عقل ، وهي تدرك نفسها بنفسها ، ولا تحتاج في ادراكها هذا الى برهان ، وواضح ان هذه الانا المفكرة لا يداخلها شيء من مادة حتى ولا بدنها نفسه ، لان البدن مندرج مع بقية العالم الطبيعي، وليس هو من دنيا الفكر الخالص . وبهذه الانا المفكرة ، يستطيع أن يبرهن على كل موجود آخر مما يقوم على وجوده برهان عقلى ، من ذلك وجود الله ، ووجود الطبيعة .. على ان ما يهمنا نحن من هذا كله ، هو هذا التباعد بين طرفي العارف وموضوع معرفته .

جون لوك يؤكد التفرقة بين الصفات الموضوعية والذاتية

وكان الفيلسوف الانجليزى جون لوك هو اول فيلسوف يجعل هذا الموقف ذا الطرفين موضوعه الرئيسي الذى لا يكاد يكون له موضوع سواه ، وعن طريقه هو ، شاعت التفرقة الحادة بين الصفات الاولية التى هي موضوعية فى الاشياء ، والصفات الثانوية التى هي ذاتية في الانسان ، ثم كان بعد ذلك ما كان من تاريخ الفلاسفة ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فليس منهم واحد لم يتناول هذه التفرقة — في عملية المعرفة — بين ما هو ذاتي وما هو موضوعى — الا انهمتناولوها على وجوه مختلفة ليست هي موضع اهتمامنا في هذا المقال ، الا واحدا ، ظهر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وكانت له في الموضوع وقفة بلغت من العمق حدا جعله طرازا منالفلاسفة فريدا ، واعنى به عمانوئيل كنط Kant .

الفيلسوف كنط جعل العلم الطبيعي كله من صنع العقل ، الا بقية تبقى

فلقد عاد « كنط » الى القول بان ماقي الطبيعة يقابل ماقي العقل ، ولكن على اساس جديد لم تالف مثيلا له فيمن سبقوه جميعا ، وذلك لانه جعل الطبيعة التى هي موضوع العلم الطبيعي بجميع اقسامه ، من صنع العقل وصياغته ، فما يصوغه العقل في قوالبه المجبولة في فطرته (ويسمون هذه القوالب « مقولات ») يصبح عند الانسان « طبيعة » خارجية يقيم علمه على اساسها ، واما البقية التى تبقى ، اعنى ما ليس يجد سبيلا الى تلك القوالب العقلية ، فهو « الاشياء في ذاتها » — بمصطلح كانت — التى لا يعلم عنها الانسان شيئا سوى انها هناك ، فما يزال — حتى في هذه الحالة — الطرفان قائمين يواجه احدهما الاخر : فعقل من جهة ، وطبيعة من جهة اخرى ، يحاول الاول ان يعرف الثانية بما اعد في فطرته من اجهزة الادراك .

ويتركنا « عمانوئيل كنط » والعالم بين ايدينا شطران : احدهما حقيقي خارجي لا نعرفه لانه لا ينساق في اجهزتنا العقلية ، والاخر ظاهرى — بمعنى انه هو الظواهر التى تلقطها حواسنا بحكم استعداداتها الادراكية ، ثم تحيلها الى مقولات العقل ينسجها مفهومات وقضايا : فلئن كان العالم الطبيعي الذى هو مجال الفكر العلمي، خلقا خلقناه لانفسنا بعقولنا ، او قل انه بناء اشرف على تصميمه وتشييده العقل الانساني ، فان هذا العالم الطبيعى الذى أسلس للعقل قياده ، ليس هو كل الحق ، بل بقي من حقيقته جانب فوق متناول الانسان هذا اذا اقتصر الانسان على عقله النظرى .

الفيلسوف هيجل يذهب بتعقيل الطبيعة الى آخر الشوط

فيجيء هيجل Hegel ليتمم هذه العملية — عملية تعقيل الطبيعة — الى آخر شوطها ، فهو يتفق مع سالفه « كنط » في ان مهمة الفلسفة الاولى هي أن تجعل العالم معقولا — اى جاريا مجرى القوانين العقلية — لان ذلك يجعل العالم والذات العاقلة التى تدركه حقيقة واحدة متجانسة ، لكنه يختلف عن سالفه في رفضه ان يفرق بين الحقيقي والظاهر ، بان يقول — كما قال كنط — انالاشياء فيذواتها ممتنعة علىادراكنا، واننا لا ندرك بالحواس والعقل الا ظواهرها ، يرفض هيجل هذه التثنية التى تجعل المعرفة العقلية مقتصرة على وجه من الكون دون وجه ،

قائلا ان الكون كله « معقول » لا فرق فيه بين باطن وظاهر ، بل ان العالم الواقعي والفكر العقلى المنطقى اسمان على مدلول واحد ، فالواقعة هي فكرتها ، والفكرة هي واقعها ، كل ما هنالك من فرق هو ان الجانب الواقعي بمثابة التعبير الذي يفصح عن فكرته العقلية .

فلاسفة العلوم الأحدثون يرفضون الازدواجية

ونسرع الخطى حتى لا يطول بنا الطريق ، لنصل الى فلاسفة العلوم في عصرنا هذا ، وفي مقدمتهم « وايتهد » Whitehead و « رسل » Brtrand Russell ، فتراهم — على ضوء الفزياء الحديثة وما تقتضيه — يرفضون الازدواجية التى تشق الطبيعة نصفين : نصف قائم في الواقع، ونصف آخر ماثل في اذهاننا عن النصف الاول ، وليس النصفان متشابهين ، فكاننا اذ نزعم معرفة الطبيعة الخارجية لا نزيد على كوننا نتلقى مؤثرات منها ، لنطهوها « معرفة » في اذهاننا طهوا يجيء في نهاية الامر وفق مزاج الطاهي ، بغض النظر عن حقيقة المؤثرات الاولى التى جاءت الينا عن طريق حواسنا — يرفض فلاسفة العلم المعاصرون هذه الازدواجية ، ويضعون « المعرفة » في صورة اخرى تجعل الخط موصولا بين الشيء الخارجي وبين فكرتنا الداخلية عنه ، ويسمون هذا الخط الموصول « خطا سببيا » حيث لا يكون في هذا الخط الموصول فاصل يفصل الاصل الذى بعث مؤثراته فينا ، عن الصورة التي تكونت عنه في عقولنا ، وبذلك تسد الفجوة الفاصلة بين الطبيعة الخارجية وبين الذات العارفة ، فافرض — مثلا — انك تبصر ضوءا آتيا الى عينيك من مصباح ، فليس تحليل الموقف هنا هو ان « شيئا » قائما في الخارج هو الذى نعرفه ، وان ذاتا في الداخل هي التى تؤدى عملية المعرفة، بحيث يكون هنالك فاصل بين الشيء من جهة وفكرتنا عنه من جهة اخرى ، بل ان اشعة الضوء تنبعث في موجات تعرفها الفزياء ، حتى تصل الى العين ، وهنا يواصل خط الاحداث سيره بغير قطيعة فاصلة بين خارج وداخل ، كل ما في الامر ان نوع الاحداث يتغير حين يسير خط الاحداث في طريقه من جهازنا العصبي والى الدماغ ، الامر كله احداث تعقبها احداث ، وهذه بدورها تتلوها احداث ، حتى تنتهي العملية التى نقول عنها انها « معرفة » . مع ملاحظة هامة وخطيرة ، لعلها من ابرز ما يميز الفلسفة المعاصرة كلها ، وهي انه لم يعد امامنا « طبيعة » هناك و «عقل» هنا ، يختلفان جوهرا ، بل اصبحت الطبيعة والعقل كلاهما من جنس واحد ، هو «الاحداث» — او قل هو الحركة التى تتبدى بها الذرات المكونة للطبيعة والعقل معا — والقسمة بينهما هي قسمة في التخصصات العلمية وحدها ، فالفزيائي يختص بالاحداث التى تقع في مسار الضوء بادئا من المصباح واصلا الى العين ، والفسيولوجي (عالم وظائف الاعضاء) يختص بالاحداث التى تقع على طريق الاسلاك العصبية. وعالم النفس يختص بآخر الطريق ، حين يقال عن تلك المرحلة من مراحل السير ، انه « فكرة » الانسان عن شيء رآه .

وضرب آخر من فلسفة العصر : فلسفة هوسرل

لكن عصرنا فى الوقت نفسه ، يشهد ضربا آخر من الفلسفة ، يقر هذا الاتصال المتحم بين الذات العارفة والشيء الذى تعرفه ،ويرفض ان يكون بين الطرفين فاصل يضيق او يتسع ، لكنه يتصور هذا الاتصال على صورة اخرى ، اخذ بها « هوسرل » Husserl في فلسفته التى يطلق عليها اسم « الفينومينولوجيا » — او تحليل الظواهر — فلقد ثار هوسرل هذا واتباعه —ولنلحظ هنا ان الوجوديين المعاصرين جميعا من اتباعه بطريق مباشر او غير مباشر — ثار على التقليد القديم الذى كان يقتضي الفصل بين ذات الانسان العارفة والاشياء التى تعرفها ، فهو تقليد نشأ عن فهم خاطيء لطبيعة العقل ، اذ صوروه وكانه صندوق يحتوى على صور ذهنية وافكار ، ومن هنا اخذوا يسألون : من اين لهذا الصندوق محتواه ؟ وما العلاقة — من تشابه او تباين — بين ذلك المحتوى وبين العالم الواقع ؟ وحقيقة الامر عند هوسرل هى أن العقل ما هو الا « مشير الى كذا .. » أو « قاصد نحو كذا .. » أو « ملتفت الى .. » ولاضرب لك مثلا موضحا ، فاقول : افرض انك رأيت رجلا سائرا متجها الى .. » الى

مكان لا تدريه ، فتسأله : الى اين ؟ فهل انت في هذه الحالة تفرق بين سير الرجل واتجاهه ؟ ام انهما عندك شيء واحد ؟ ان سيره هو اتجاهه ، انه اذا اجابك عن سؤالك : الى اين ؟ بقوله : لست ادرى ، ضحكت منه ، لانه لا يعقل ان « يتجه الى ... » ثم لا شيء ! ، وهكذا « العقل » في فاعليته ، هو « اتجاه نحو .. » هو « وعي ب ... » فاذا وجدت انسانا يدعى انه « يفكر » لكن افكاره لا تنتهي الى « شيء » فاعلم انه كان حالما او عابثا ، ومن هنا تاتي الركيزة الاولى في فلسفة هوسرل – اصطلح بعض كتابنا على تسميتها بالظواهرية ، او الظاهراتية ، ولكن اخشى استخدام اى من هاتين الكلمتين مخافة ان يختلط الامر باتجاه فلسفي آخر وهو ايضا معاصر ، واسمه الافرنجي فينومينالزم ، اى الرأى بان الانسان لا يدرك من الاشياء الا مجموعة ظاهرات تظهر للحواس ولا شيء وراء ذلك . اقول انه من هنا تاتي الركيزة الاولى في فلسفة هوسرل ، وهي « القصدية » ويعنى بها أن كل وعي هو وعي بشيء ، كل فكرة هي فكرة عن شيء ، وهكذا لقد اخذ هوسرل على ديكارت قولته : « انا افكر . » دون أن يذكر لنا في اى شيء يفكر ، لان الفكر بغير شيء يتعلق به ضرب من المحال .

بطل السؤال القديم : هل افكارنا تطابق الواقع أم لا

ونحن اذا ربطنا الاواصر بين الوعي وما يعيه ، بطل السؤال القديم : هل افكارنا تطابق الواقع اولا تطابقه ، وذلك لانني اذ اكون على وعي بهذا القلم الذى في يدى بصرا ولمسا ، فقد اصبحت انا والقلم حقيقة واحدة ابان لحظة الوعي به ، فاذا سألني سائل : ما الذى يدلك على ان القلم موجود فعلا ؟ اجبته : لاني اراه والمسه ، وفي هذا الجواب ما ينبغي ان يقطع كل شك بعد ذلك ، فليس عالمي منفصلا عن وعيي به ، لاني طالما اعيه فانا اعيشه . ان التحليل النظرى وحده هو الذى يفتت الحقيقة ، اذ الحقيقة كما نحياها أمر آخر غير تحليلها ، فربما نظرت الى وردة حمراء ، فيقول لي التحليل ان هذا الذى تراه وردة واحمرار اضيف اليها ، لكن الذى اراه في الحقيقة ليس حاصل جمع الوردة على لونها مع التفرقة بين المفردات التى جمعت ، بل هو وردة حمراء دفعة واحدة ، وفي لحظة وعيي بالوردة الحمراء ، لا نكون اثنين ، بل نكون كيانا واحدا .

ومن هنا تبطل التفرقة القديمة بين صفات اولية كائنة في الاشياء نفسها ، وصفات ثانوية هي من صنع عقولنا – تلك التفرقة التي سادت القرن السابع عشر بصفة خاصة ، وكان لها اثرها البعيد في دنيا الفزياء عندئذ – اذ قصر العلم نفسه على الصفات الاولية وحدها ، ولم يكن لهشان بالصفات الثانوية ، على اعتبار انها جانب ذاتي يدل على صاحبه ولايدل على العالم الموضوعي ، أما على يدى هوسرل فهذه التفرقة غير مفهومة ولامقبولة ، فادراكي للوردة الحمراء ، وامتزاجي بها في كيان واحد ساعة الوعي بها ، ليس فيه ما هو اوّلى وما هو ثانوى ، ليس فيه ماهو موضوعى وما هو ذاتي ، هو لحظة حية لاتقبل التحليل ، ليس في العالم الخارجي وردة تبعث موجات ضوئية ، وفي الذهن صورة لها ترجمت الموجات الضوئية الى لون احمر ، لاليس الامر هكذا ، بل ان وعيى بهذا الجزء من العالم الخارجي حقيقة متصلة ، فالاشياء حقائقها هي ظواهرها في وعينا ، وليست هي بكوّمات من الصفات يتكوم بعضها فوق بعض في صندوق اسمه « عقل » . واختصارا فقد ضمت فلسفة تحليل الظواهر عند هوسرل ، ما كانت الفلسفة عند سواه قد بعثرته اشتاتا بعضها خارج وبعضها داخل .

ماذا يقول المفكر العربي لو شارك مفكرى الغرب

هذه « عينات » موجزة مما يقوله مفكرو الغرب ، لو طرحوا على انفسهم مشكلة المواجهة التي يواجه بها الانسان الطبيعة ، ما عناصرها ؟ وانهم ليطرحون هذه المشكلة بالفعل ، كما طرحها اسلافهم ، لكنهم ربما ازدادوا بها اليوم عناية واهتماما ، فماذا يقول مفكر عربي لو اراد المشاركة في البحث والرأى ؟ هب جماعة من اولئك الفلاسفة جلست على مائدة للحوار ، واجلست معها مفكرا عربيا سمع ما دار بينهم من نقاش حول علاقة الانسان بالطبيعة ، ثم طلب منه ان يدلي هو الآخر برأيه ، شريطة ان يصدر فيه عن ثقافة عربية

اصيلة غير مجلوبة له من هنا او هناك ، فماذا تراه قائلا ؟ .

علاقة العربي بالطبيعة ، علاقة الفاعل بما ينصب عليه فعله

احسبه يبدأ الحديث باعتراض يتناول به الأسس والجذور ، فزملاؤه من فلاسفة الغرب ، لم يستوقف انظارهم شيء في العلاقة بين الانسان والطبيعة بمقدار ما استوقفتهم عملية « المعرفة » كيف تتم للانسان حين يكتسب عن بيئته علما ؟ فاذا اتسع معهم نطاق البحث ، جاءت السعة بمثابة الفروع المشتقة من ذلك الأصل والاساس ، الذي هو « المعرفة » كيف يرتبط بها الطرفان : الانسان العارف والطبيعة التي هي موضوع معرفته ؟ اقول انني اظن أن صاحبنا العربي يبدأ حديثه باعتراض على اساس البحث والنظر ، لأنه – على ضوء ثقافته التقليدية العريقة – يرى أن العلاقة الاساسية الأولى ، التي يواجه الانسان بها الطبيعة التي حوله ، ليست هي علاقة العارف بموضوع معرفته ، بل هي علاقة الفاعل بما ينصب عليه فعله ، او قل انها ليست علاقة العقل بالمعقول بل هي عنده أولا علاقة الارادة بالفعل المراد .

الطبيعة في الثقافة العربية مسرح للحركة والنشاط

الطبيعة في الثقافة العربية مسرح للحركة والنشاط والفاعلية ، اكثر منها موضوعا للنظر المجرد ، وحتى المعرفة العقلية النظرية ، انما ينظر اليها على ضوء الثقافة العربية على انها فاعلية اريدت ، فالارادة لها الاولوية المنطقية عنها تتفرع سائر الجوانب ، ويكفي ان نقول ان القرآن الكريم هو كتابنا الذي نهتدي به ، لنقول بالتالي انه مصدر التشريع ، اي مصدر القوانين والأوامر والنواهي ، وهي كلها من قبيل الفعل لا من قبيل الفكر المجرد ، ولقد وردت في هذا الكتاب الكريم مجموعة من القيم – الأسماء الحسنى قد ينظر اليها على انها دالات على قيم – المنظمة للسلوك ، سلوك الانسان مع اخيه الانسان ، وسلوكه مع سائر الكائنات ، وكل هذا هو بالنسبة للسالك«طبيعة»



رسل



هيجل

تحيط به ، ويراد له أن يتصرف ازاءها على خير الوجوه .

ولقد تبدو مجموعة القيم السلوكية هذه ، متنوعة مفرقة الى درجة ربما غابت معها الوحدة التي تضمها جميعا في نسق واحد مرتب ، فيه الأعلى وفيه الأدنى ، بمعنى ان تكون هنالك قيمة – اي معيار او مقياس للسلوك – اعم واشمل من قيمة اخرى ، وبحيث تأتي هذه الأخرى بمثابة النتيجة المتفرعة عنها ، وفي هذه الحالة تكون مهمة الفيلسوف العربي – بدل أن يتناول افكارا عقلية ليرى كيف جاءت وعلى اي نحو تتساق في بناء واحد – أن يتناول قيما ليرى كيف يتصل بعضها ببعض اتصال الاعم بالاخص ، لتكون في النهاية مرشدا عمليا لسلوك الانسان في محيطه الاجتماعي والطبيعي على حد سواء ، وان وحدانية الله نفسها لا اظنها تفهم فهما جيدا الا اذا استتبعت في ذهن من يفهمها وحدانية في مجموعة القيم ، اعني تنسيقا لها ، من شأنه أن يسدد السالك نحو الهدف ، اذ لو كانت متنافرة متناقضة فيما بينها ، لأدت بالسالك الى تمزق وتشتت وضلال ، بل ان كلمة « الاسلام » نفسها تتضمن تسليم الانسان ارادته لارادة الله ، اي أن يجعل ارادته في خدمة ما اراده له الله من فعل يؤديه .

محور المواجهة عند المفكر العربي هو الأخلاق

فاذا كان محور المواجهة بين الانسان وما يحيط به عند مفكري الغرب هو « العلم » ، فمحور المواجهة عند المفكر العربي هو « الأخلاق » – وانا استعمل هذه الكلمة هنا « لتعني مبادىء السلوك الصحيح تجاه مختلف المواقف . على أن المواقف « الاجتماعية » أولى عنده بالنظر والتقنين ، فمن اهم الاضافات التي اضافتها الثقافة العربية

ـ صادرة في ذلك عن العقيدة الاسلامية ـ تنظيمها لأخلاقية الفعل ، بعد أن كانت الاخلاقية قبل ذلك مقصورة على النية والضمير ، ولنلاحظ هنا ان اخلاقية الفعل لا تنفي أخلاقية الضمير ، بل تضاف اليها لتزيد عليها ، فبدل أن تصفو النية ثم يقف الانسان عند هذا الحد ، تطالب أخلاقية الفعل بنقل النية الى فعل يؤدي أخلاقية النية تجعل من الفرد الانساني فردا ممتازا في فرديتـــه ، واما اخلاقية الفعل فتخرج الفرد من فرديته لتجعله مواطنا صالحا ، أي لتجعله عضوا نافعا في جماعة. في اخلاقية الضمير ليس هنالك من حكم الا الضمير نفسه ، اذا استراح ورضي عن صاحبه كان صاحبه سعيدا راضيا ، وحسبه جزاء أن يرضى عن نفسه لانه ارضى ضميره ، ولا عبرة عندئذ لوقعه على الناس الآخرين ، واما في اخلاقية الفعل فلا يكفي أن يستريح الضمير ويرضى ليكون الفرد ساميا ، بل لا بد أن توضع النية الحسنة على محك الفعل، ومحك الفعل عادة هو الآخرون ، هو المجتمع ، هو الانسانية وبغير هذا الطرف الخارجي لا تتم للموقف اخلاقيته .

واذا انت امعنت النظر قليلا في ذلك ، الفيت نتيجة هامـــة تلزم عنه ، هي ضرورة الوجـــود الاجتماعي ليكمل الفرد ، وبذلك تكون الثقافة العربية الاصيلة قد اضافت هذا البعد الاجتماعي الى حياة الأفراد ، لا ليكون عرضا من اعراضها ، بل يكون ضرورة للوجود الانساني المتكامل ، ومن هنا كانت عزلة الزاهد او المتصوف شيــئا لا ينسجم مع الروح العربية ، انسجامه في الثقافات الاخرى . ولما كان تنظيم الفعل في مجتمع يحتاج الى « قانون » يضع له الحدود ، كان التشريع ، أو كان « الفقه » ورسم الحدود لما يجوز وما لا يجوز للانسان ان يفعله ، من اهم وأعظـــم نتاج الثقافة العربية . وأكرر مرة أخرى ، أن احتكام الفاعل الى قانون أو شرع ، لا ينفي احتكامه الى ضميره ، بل يضـــيف اليه ، فالاكتفاء بمحكمة الضمير وحدها ، قد لا يلزم الانسان بالانغماس في حياة العمل . ان العـــلاقة بين الحالتين هي كالعلاقة بين آلة تنظر اليها وهي ســاكنة ، ثم تختبر صلاحيتها وهي تعمل ، فلا تتحقق الحالة الثانية الا اذا تحققت قبلها الحالة الأولى . لكن العكس غير صحيح ، أي انه قد يكتفي في الآلــة بحالة سكونها ، فلا ندري ماذا تكون في دنيا العمل، وهكذا قل في اخلاقية الضمير وحده ، ثم اخلاقية الفعل المبنية على موافقة الضمير .

الفعـــل
هو حجر الزاوية من وجهة النظر العربية

الفعل وديناميته ، لا العلم المجرد في ثباتـه وسكونه ، هو حجر الزاوية من البناء الانساني من وجهة النظر العربية ، وأحسب أن ذلك قد انعكس في اللغة العربية وطرائق بنائها ، فهي تبدأ الجملة « بالفعل » وتعقب عليه بالفاعل ، على خـــلاف اللغات الأوروبية التي تبدأ جملتها بالفاعل ، ثم تلحقه بالفعل ، نحن نقول « جاء » زيد أكثر مما نقول « زيد » جاء ، وهم يعكسون ، ولما كان الفعل يتم في الأغلـــب عن ارادة ، ثم لما كانت الارادة توشك أن تنحصر في الانسان دون سائر الكائنات في العالم المخلوق ، كانت المواجهة التي تشغل الثقافة العربية ، ليست هي مواجهة الانســـان بعقله للطبيعة بخصائصها ابتغاء الوصـــول الى قوانين العلوم الطبيعية ، وانما هي مواجهة الانســـان بارادته للمجتمع الانساني في فاعليته ، وأوجه نشاطه ، ابتغاء المشاركة في فعل موحد يوصل الى أهداف ترضي عنها القيم العليا ، فقطب الرحى عند فلاسفة الغرب هو احكام العقل ، وقطب الرحى عنـد المفكـر العربـي هو قيم الســلوك ، والخير كل الخير في أن تضم هذه الى تلك ، فاذا كان الغرب ينقصه ما يكمله ، فنقصه في القيم التي تدمج الفرد في جماعة الانسانية دمج التعاطف والتعاون ، واذا كان العربي ينقصه ما يكمله ، فنقصه في قضايا العلـــوم التي هي الوســيلة للسيطرة والامساك بزمامها ، ولا عجب ان شهد التاريـــخ الفكـرى حركتين سارتا في اتجاهين متضادين ، فمن اقليمنا سارت ديانات الى الغرب وانتشرت ، بما تحمله تلك الديانات من رســالة

القيم ، ومن اقليمهم سارت الينا علوم ، بما تحمله تلك العلوم من وسائل التصرف في ظواهر الطبيعة.

ثقافة العربي تميزت بالشعر

لقد تميزت ثقافة العربي ـ ابرز ما تميزت به ـ بالشعر وغيره من فنون الأدب التى تستطيع ان تدرجها مع الشعر في مقولة فنية واحدة ، وما الشعر ؟ انه ـ في صميمه ـ تعاطف مع كائنات الدنيا ، ومعايشة لها . ان الشاعر لا يقف ـ كما يقف العالم ـ من الأشياء على مبعدة لينظر اليها في ذواتها دون أن يسقط ذاته هو عليها ، كلا ، بل الشاعر يتعمد أن يرى نفسه في ماء البحر وفي نجوم السماء وفي زرع الأرض ، وكانما هي جميعا افراد معه في اسرة واحدة . فتامل معي هذه المفارقة العجيبة : اذا نظر العلماء الى الانسان حولوه الى شيء ليبحثوه بحثا علميا موضوعيا ، واذا نظر الشعراء الى الأشياء حولوها الى اناسي يتبادلون معها الحديث ! وذلكم هو نحن في نظرتنا ... الطبيعة بغير ناس لا تكاد تشغلنا ، والناس عند المفكر الغربي يكادون يتحولون الى طبيعة .

الوجودية في شعبتها المؤمنة

واستطيع أن استثني من تيارات الفلسفة المعاصرة تيارا واحدا ، بين نظرته ونظرتنا وشائج قربى ، هو تيار الفلسفة الوجودية في شعبتها المؤمنة ـ فللوجودية شعبتان : مؤمنة وملحدة ـ لأنها فلسفة (بشعبتيها معا) تركز على أن يكون الانسان فاعلا حرا مسئولا عن فعله ، فلا تغني نفس عن نفس في مسئولية الفعل شيئا . وأما التيارات الأخرى جميعا ، يقرا عنها العربي المتقوع في ثقافة عربية اصيلة ، فيحس كأنه في جو غريب عنه ، يحس كأنه يتنفس دخانا لا هواء طلقا ، ولكاتب هذه السطور تجربة حية في ذلك ، فقد انتهت به ثقافته « الانجليزية » في ميدان الفلسفة الى اختيار احد التيارات العقلية العلمية ، واعتقد في صلاحيته ، هو تيار التجريبية العلمية ـ او الوضعية المنطقية ـ وكتب في شرحه الكتب والفصول ، لكنه لحظ عن كثب كيف كانت تصادف تلك النزعة التحليلية العقلية غير أهلها ، فاذا تحدث في الوجودية او في فلسفة برجسون مثلا ، فهنا ترهف الاذان لتسمع .

لقد راى امام من ائمة الفقهاء المسلمين ـ هو ابن تيمية ـ ان معرفة الله من حيث هو ماهية ، مستحيلة على الانسان، وانه لا سبيل امام الانسان لمعرفة الله الا بمعرفة ارادته التي كشف عنها لانبيائه ، والتي ينحصر واجب العباد في طاعتها وما ارادة الله الا مجال القيم التي يراد لسلوك الانسان أن يسير على مقتضاها . ولما كان هذا السلوك المراد يغلب أن يكون ذا صلة بحياة الآخرين في المجتمع ، كانت فكرة « الامة » ذات اهمية بالغة ، والذى يجعل من مجموعة الناس امة واحدة ، ليس هو انهم يعيشون على رقعة جغرافية واحدة ، ولا انهم يستدبرون تاريخا مشتركا ، ولا انهم يتكلمون لغة واحدة ، بل هو ـ عند ابن تيمية ـ المشاركة في « فعل » ، وبهذه المشاركة ، يجاوز كل فرد حدود نفسه ، لينفتح على الآخرين الذين هم شركاؤه في فعل واحد . وليس بي حاجة الى ذكر الموقف الراهن « للامة » العربية ازاء الوجود الاسرائيلي ، تاييدا لراى ابن تيمية ، فالامة العربية في هذه الحالة لا تتوافر لها صفة « الامة » الا وهي في حالة فعل مشترك .

لقد كدنا ننسى أن موضوع المحاورة الذى اجتمع من أجله جماعة من مفكرى العصر ، هو مشكلة بلغت حدتها في عصرنا ، وهي علاقة الانسان بالطبيعة حين يواجهها ، ما اصلها وما فصلها ؟ وكدنا ننسى كذلك اننا افترضنا وجود مفكر عربي مع تلك الجماعة ، ليشارك بالرأى من وجهة نظر عربية اصيلة ، فماذا عساه يقول على سبيل الاضافة المفيدة. فزعمنا انه يغير من زاوية النظر ، فالمواجهة عندهم مواجهة للطبيعة تنتهي بعلم ، والمواجهة عنده مواجهة للمجتمع الانساني تنتهي بالقيم ، فيدرك كل من الفريقين باى طابع يتميز ، وما الذى ينقصه ليكتمل الانسان انسانا . ■■

زكي نجيب محمود

في سبيل موسوعة علمية

الصاروخ

سلاح القرن العشرين

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ كنا صغارا ، اذا ذكرنا الحرب ، ذكرنا معها البنادق يحملها الجند ، يطلقونها بالرصاص ، فتصيب أجسام الجند الآخرين ، أو لا تصيبهم .

وذكرنا مع البنادق المدافع .

وما المدفع الا أنبوبة تدخل اليها قذيفة ، رأسها قنبلة ترسلها لتنفجر فى الأعداء ، وجسمها شحنة نفجّرها داخل المدفع عند أطلاقه ، طبعا لا نقصد بها الأعداء ، ولكن نقصد بها أن تحمل هذا الرأس ، هذه القنبلة، بعيدا الى الأعداء. انها القوة الدافعة Propellant . اننا عندما نطلق المدفع ، **انما نطلقها هى** ، فتتحول الى غاز كثير ، تضيق به أنبوبة المدفع، فيدفع القنبلة خارج هذه الأنبوبة بسرعة فى الهواء ، الى العدو . ومن أجل هذا الدفع سُمّى المِدفع مدفعا . انه آلة الدفع .

وكبرنا ، وجاءت الطائرات ، فحملت القنابل الى الأعداء حملا . نسقطها عليهم من الجو اسقاطا ، وتعفى المدافع من ذلك .

وزدنا أعمارا، فدخلنا عصر الصواريخ. عصرها الحديث . فالصواريخ قديمة قديمة .

الصواريخ قديمة الأعمار

ان الصواريخ ، أول ما ظهرت فى



- الفرق بين الصاروخ والمدفع
- بالون الاطفال يفسّر عمل الصاروخ
- محرك الصاروخ خزانات ثلاث
- وقود الصاروخ سائل وصلب
- راس الصاروخ المتفجر تقليدى وذرى
- اجهزة توجيه الصاروخ
- قذائف تعبر ما بين القارات
- قذائف قارّية تخرج من بطن البحار
- الصواريخ تحل محل المدفعية
- عصرنا عصر الصواريخ، والالكترونيات والآلات الحاسبة ، معا .
- قذائف صاروخية ضد الطائرات العالية
- قذائف صاروخية ضد الطائرات المنخفضة .
- القنابل الطائرة بداها الألمان
- البحرية المصرية تغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات .
- قذائف موجّهة ، اضداد الدبابات .

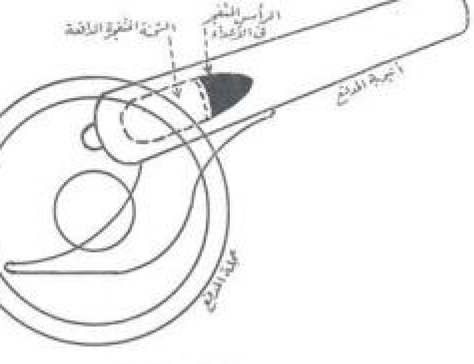
بلاد الصين . بذلك يحدّثنا المؤرخون من رجال الغرب. وهى انتقلت من بعد ذلك الى العرب . ومن العرب انتقلت الى اوروبا .

واغلب الظن ان هذه الصواريخ الصينية الأولى لم تكن صواريخ بالمعنى الدقيق . فلعلها كانت سهاما بها رؤوس ملتهبة تطلق بواسطة الاقواس فى الأعداء، شأن كل سهام .

ويذكر الذاكرون واقعة كان لهذه السهام فيها أثر بالغ بمدينة تسوتنج بالصين ، وذلك فى عام ٩٩٤ ميلادية .

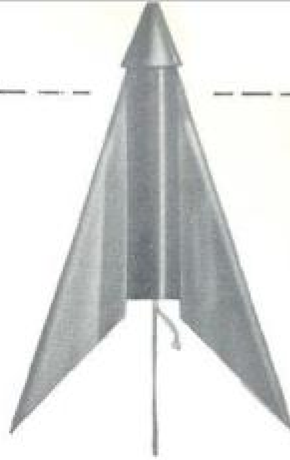
على أن القرن الثالث عشر لم يأت حتى كانت الصواريخ ،بمعناها المعروف ، شائعة فيه .

والذين يصفونها يقولون انها كانت انابيب حشوها مسحوق البارود الأسود (خليط من النترات ومسحوق الفحم النباتى والكبريت)، تربط الى السهام،



رسم ايضاحى للمدفع

وفتحاتها فى اتجاه هو عكس اتجاه السهام، ثم يشعل المسحوق فتخرج منه الغازات التى تدفع بالسهم الناحية الأخرى ناحية الأعداء . فرأس السهم وحده هو كان الراس الجارح أو القاتل ، لا سيما اذا



صاروخ قديم،حشوه من البارود ، وراسه مدبّب ، يعمل في الهدف ان يكن انسانا عمل السهم الجارح . وبه زعانف تعمل على توجيهه بان تثبّته في الاتجاه الذى يُطلق اول مرة فيه .

هم دهنوه بدهان سام مما عرفوا من ذلك عند ذلك .

وتقدم الزمن فاستبدل السهم بأن كان للانبوبة التى حشوها بالبارود الأسود سن حادة ، تصل الى الرجل من الرجال الاعداء ، فتدخل فى جسمه وتجرح وتمزق .

وعانت كل هذه الصواريخ من صعوبة تصويبها الى حيث يراد لها أن تذهب .

وفى سبيل احكام تصويبها صنعوا لهذه الصواريخ صفائح كالزعانف تثبتها فى مسارها . وآخرون جعلوا فى فوهة الصاروخ من اسفل شبه عجلة ، انصاف اقطارها صفحات مائلة ، تخرج الغازات من الصاروخ فتديرها هى والصاروخ بسرعة ، يكون من نتيجتها تثبيت الصاروخ فى مساره .

على اننا لا نريد أن نواصل التاريخ الى اكثر من هذا ، فقد أخذت الصواريخ تتقدم بعد ذلك بفعل رجال كثيرين من شتى الأمم ، حتى اذا جاء القرن العشرون وتثلث ، وصلت فيه المانيا الى مركز الصدارة فى شئون الصواريخ ، وذلك فى الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن .

وكان من أثر ذلك فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ما كان .

الصــاروخ

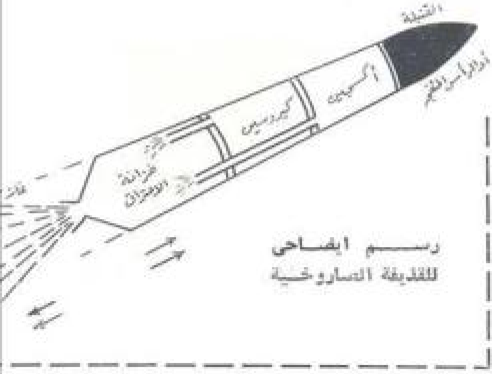
والصاروخ يتالف ، كقذيفة المدفع ، من شحنة دافعة ، ومن راس متفجر يُرسل ليتفجر فى الأعداء . والشحنة الدافعة هى هى التى تحمل هذا الراس المتفجر الى الأعداء ، سواء كان هذا الراس قنبلة من المتفجرات التقليدية العادية، اوكان قنبلة ذرية او ادروجينية .

غير ان هذه الشحنة الدافعة تصاحب الراس المتفجر حينا فى مسيرته الى الأعداء .

وهذه الشحنة الدافعة وقود يحترق ، ومعه اكسجينه: بترول مثلا (كيروسين) ، سائل ، ومعه اكسجينه ، وهو سائل ايضا . كلٌ فى خزانة ، ويلتقي الاثنان فى انبوبة اشبه شىء بانبوبة المدفع ، هى خزانة الاحتراق . وتحترق المقادير الكبيرة منهما فى وقت قصير ، ويتولد عن هذا الاحتراق مقادير من الغازات عظيمة تماما كما يحدث فى المدفع . وتريد هذه الفازات تحت ضغطها الهائل أن تخرج

صاروخ قديم ، كالسابق تماما ، وانما توجيهه يكون بان الفوهة التي في مؤخرته ، التي يخرج منها الغاز ، بها ريش ثلاث مائلة كما في المراوح والطربينات ، فاذا خرج غاز الصاروخ مندفعا ، أدار الريش ، ودار معها الصاروخ على محوره ، وهذا الدوران يثبّت اتجاهه عند انطلاقه .





رسم ايضاحي
للقذيفة الصاروخية

من الانبوبة ، انبوبة الاحتراق ، او خزانة الاحتراق ، فلا تجد الا مخرجا لها ضيقا تخرج منه . والصاروخ يسدد بحيث تخرج هذه الغازات، لا فى اتجاه الاعداء ، ولكن عكسَ اتجاههم تماما . ويكون لخروج هذه الغازات من هذا المخرج الضيق ، بسرعة هائلة ، ردُّ فعل فى الصاروخ . رد فعل يدفع بكل هذا الصاروخ فى ناحية هي عكس الناحية التي خرج واتجه اليها الغاز . والغاز بخروجه هكذا ، رفس الصاروخ بما حمل فسار من الناحية الأخرى ، الى الاعداء .

ويظل هذا الرفس دائما ، والدفع قائما ، وما خرج من خزانة الاحتراق غازات .

الفرق بين المدفع والصاروخ

ان المدفع ، يدفع قنبلته بعيدا ، بواسطة غازاته . ولكن هذا الدفع ينتهى بمجرد خروج القنبلة من انبوبة المدفع . وتبقى انبوبة المدفع الغليظة الثقيلة حيث هى فى مكانها من الارض تنتظر قذيفة اخرى تنطلق منها .

اما الصاروخ ، فالدفع فيه قائم وهو طائر . لأن غازاته الخارجة من خزانة الاحتراق تظل تدفعه فى عكس اتجاهها .

كاد الصاروخ أن يكون مدفعا طائرا ، يطير بقنبلة ، وقوة دافعة ، الى حين .

والمدفع قذيفته ابطأ من قذيفة الصاروخ . ان الصاروخ اسرع بنحو عشر مرات .

بالون الأطفال يعمل عمل الصاروخ دافعا ، رافعا

هذا بالون من مادة مطاطة (بالصفحة التالية) ، مملوء بالهواء ، لهذا انتفخ لما نفخناه بالهواء . جدرانه من الداخل واقعة تحت ضغط هذا الهواء ، وهو ضغط متساو فى كل ناحية ما دام الصبى قد امسك بيده فوهته يمنع هواءه أن يخرج منه .

ثم هب ان الصبى أرخى أصابعه ، فأذِنَ للهواء بالخروج . فماذا يحدث ؟

عندئذ تختلف الضغوط الواقعة على جدار البالون الداخلى . تبقى منها التى تدفع البالون الى اعلى والتى تدفعه الى الجوانب (وهذه الأخيرة متعادلة ينفى بعضها بعضا) . اما التى تدفعه الى أسفل فلا يكون لها وجود .

واذن يبقى من هذه الضغوط ضغط واحد فعّال هو الذى يعمل فى جدار البالون الى اعلى ، فهو اذن يدفع البالون الى اعلى .

والنتيجة من خروج الهواء (الغاز) مندفعا الى أسفل ، هى تحرك البالون مندفعا الى اعلى (فى اتجاه ضد اتجاه الغاز) .

وهذا هو عمل الصاروخ تماما : يخرج منه غاز الاحتراق مندفعا فى اتجاه ، ليحركه هو فى عكس ذلك الاتجاه .

الصاروخ بعيد المدى

بعد هذه المقدمة التى تعطى فكرة مجملة عن عمل الصاروخ ، نتجه الى صورة الصاروخ الكبيرة التى تصحب هذه الكلمة .

انه صاروخ روسى بعيد المدى. وسواء كان روسيا،او كان أمريكيا . فالصواريخ اليوم أشباه . على الأقل فى ظاهرها .



وسوف ندور على اجزاء هـــــذا الصاروخ ، واحدا من بعد واحد ،نشرح عمله بتفصيل اكثر .

محرك الصاروخ

هو أهم شيء فيه . ذلك لأنه القوة الدافعة له ، المحركة اياه ، تلك الحركة السريعة التي لولاها ما سمي الصاروخ صاروخا .

وقد ذكرنا أن الصاروخ به خزانة للوقود السائل ، الكيروسين ، واخرى للأكسجين ، وثالثة للاحتراق ، وتخرج غازات الاحتراق مندفعة ، تحت ضغط كبير ، من مخرج ضيق، فتعطى الصاروخ الحركة في عكس اتجاهها .

فهذا هو المحرك Engine ، محرك الصاروخ .

أجسام الصواريخ تصنع من اللدائن

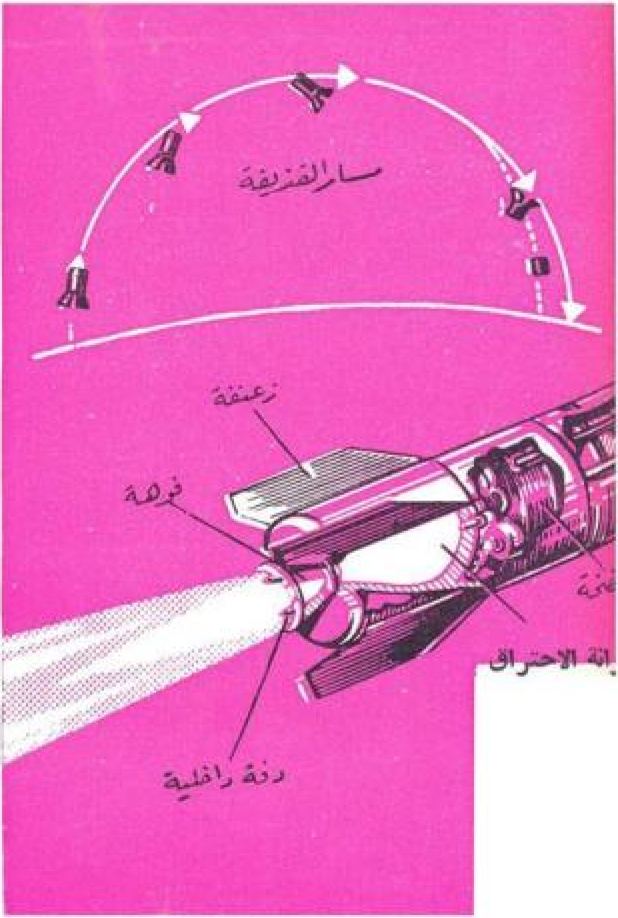
وتصنع أجسام هذه الخزانات من اشابة ، شديدة الصلابة ، من معدن التيتانيوم Titanium واخيرا دخلت



البالون وقد حبس الصبى هواءه فتوزع ضغط الهواء على جوانبه بالتساوى .



البالون وقد اطلق الصبى هواءه ، فلم يبق من ضغوط هوائه عاملا الا الضغط الذى يدفعه الى اعلى ، بينا يخرج منه الهواء الى اسفل .



صورة ايضاحية عامة للقذيفة الصاروخية الروسية ، عند راسها القنبلة وعليها غلافهـا الذى يحميها . وعند ذيلهـا الغازات مندفعة تدفع الصاروخ الى اعلى :
ومع الصورة مسـار منتحن يوضح كيف تسير القذيفة في الجو، وكيف يهبط راس القذيفة وحده ، والصاروخ وحـده ، كلاهما في النصف الثانى مـن المسار بحكم الجاذبية وحدها.

اللدائن فى صنع أجسام الصواريخ بنجاح، وكان من ذلك أن خـف وزنهـا ، وزاد المدى الذى يرسله اليه وقودها .

سرعة الصاروخ من سرعة غازه

وسرعة الصاروخ تتوقف على مقدار الغاز الخارج من فوهة خزانة الاحتراق، وعلى سرعة خروجه . ونقول بالتقريب انه كلما تضاعفت سرعة خروج الغاز من هذه الفوهة الضيقة تضاعفت سرعة الصارخ فى انطلاقه . وتبلغ سرعة الغاز النافث ما بين ٢ر٢ و٧ر٢ كيلو مترا فى الثانية ، ينتج عنها قوة نفاثة تحمـل الصاروخ الى ابعاد بعيدة .

ضـخ الوقود والمؤكسد الى خزانة الاحتراق

ويدخل الى خزانة الاحتراق فى الثانية الواحدة من الزمان بضع مئات مـن الكيلوجرامات من الوقود والأكسجين ، تضخهما فى خزانة الاحتراق مضخـة طربينية Turbopump ، لاسعافها بهما ، وهى تقع بين خزانتي الوقود والأكسجين وبين خزانة الاحتراق .

الضغط والحرارة فى خزانة الاحتراق

اثناء عمل المحرك وانطلاق الصاروخ

يبلغ ضغط الغاز فى خزانة الاحتراق ما بين ٥٠ الى ٦٠ ضغطا جويا ، بينما تبلغ درجة الحرارة ما بين ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ درجة مئوية ، وهى درجة عالية يلطف منها ان جدار الخزانة جداران من بينها يمر الوقود السائل والاكسجين قبل دخولهما خزانة الاحتراق ، فيأخذان من حرارتها فيهدئانها ، ثم يدخلان الى الاحتراق .

يتنوع الوقود ويكون سائلا او صلبا

وذكرنا ان الوقود السائل هو الكيروسين . والكيروسين صنوف ذات درجات . ولكنه ايضا قد يكون الوقود من الكحولات او غيرها من المحروقات .

والمؤكسد،ذكرنا انه الاكسجين السائل، وقد يكون غيره ، كان يكون حامض الازوتيك المركز مع اضافات به خاصة .

وقد يستعاض عن الوقود والمؤكسد بمزيج صلب من الاثنين ، يتشكل على صورة مكعبات،يملأ بها جسم الصاروخ. وهو عندئذ يقوم مقام خزانة الاحتراق ، وفيه يحترق .

للصاروخ زعانف

وتراها فى الرسم ملتحمةبجدار خزانة الاحتراق من خارجها . وهى صفائح تشق الهواء شقا والصاروخ منطلق ، فتعطيه اتزانا ، فيصعب عليه ان يميل فى مساره الى يمين او الى يسار . كذلك هم يجعلون للسهام عندما يطلقونها من اوتارها زعانف لمثل هذا الغرض .

والاسم احسبه مأخوذ من زعانف السمك ، فزعانف السمك، لا سيما التى تعلو ظهر السمكة وهى منطلقة فى الماء ، تجنب السمك أن يميل ، وتعطيه ثباتا فى اتجاه هو بدأ به .

ولا حاجة الى أن تكون زعانف الصواريخ كبيرة ، لانها عندئذ تقاوم بقوة كل محاولة لتصحيح اتجاه الصاروخ بواسطة الاجهزة الموجهة اياه اذا هو حاد فى مساره . وسوف نتحدث عن هذه الاجهزة الموجهة .

رأس الصاروخ المتفجر

هو القنبلة التى يراد بالصاروخ ان يحملها الى الاعداء لتتفجر فيهم أو فى مصانعهم او اجهزة حربهم Warhead وتكون من الناسفات التقليدية أو قنبلة نووية. وهى مغطاة بغطاء مخروطى الشكل احتواها . وهذا المخروط عليه غشاء لمقاومة الحرارة العالية التى سيعانيها المخروط عندما يقترب فى هبوطه من الارض ، ويمر فى طبقات الهواء الكثيفة القريبة من السطح . ان درجة حرارته عندئذ قد تبلغ ٧٠٠٠ درجة مئوية .

مسار الصاروخ ومنحنى القذيفة فى الهواء

انك لو قذفت حجرا فى الهواء ، لعلا الى غاية ، ثم اخذ ينحدر فى شبه قوس الى ان يضرب الأرض .

وهذه المسيرة جزؤها الأول اكتسب طاقة من يدك ارتفع بها ، واخذت جاذبية الارض تنقص منها حتى فرغت ، ثم تولت الجاذبية وحدها بعد ذلك الهبوط بها الى سطح الأرض .

وكذا القذيفة الصاروخية . حملتها طاقة محركة الى اعلى ، ضد الجاذبية. وظلت تحملها الى أن فرغت الطاقة وتغلبت الجاذبية وحدها . فأخذت القذيفة تهبط الى الارض (كل منجسم الصاروخ ورأسه بعد أن انفصلا ، كما ترى فى الصورة)، فى خط منحن ، وفقا لقانون علم الحركيات أى الميكانيكا .

وفى الصواريخ بعيدة المدى يطلق الصاروخ رأسيا ، وذلك لكى يخترق طبقات الهواء الأكثف سريعا ويصل الى الجزء الاعلى من الغلاف الجوى حيث كثافة الهواء غاية فى القلة . وبسببذلك يكون صعود القذيفة فيه أسرع .

والمدى الذى تعلو اليه القذيفة ، وتذهب اليه فى الارض بعيدا ، يتوقف على قوة الصاروخ وما فيه من وقود .

ومسار القذيفة يرسم قبل اطلاق الصاروخ بدقة ، ويوضع له برنامج تنفذه به اجهزة التوجيه فى الصاروخ على ما سوف نصف من ذلك . والصاروخ يضبط سير نفسه وفقا لهذا البرنامج (الا ان تأتى اوامر ضبط حركته ومساره بالراديو من مراقبيه فى الارض) .

ثم يقف الضبط والتوجيه ، وينفصل الصاروخ عن راس القذيفة ، ويمضى هذا الاخير الى الهدف المتصور المحسوب سابقا وهو غير متأثر الا بما تأثر به قطعة الحجر يرميها راميها فتأخذ تهبط الى الارض . اى لا يتحكم فيها الا ما يتحكم من قوانين القذائف العادية Ballistic .

اجهزة التوجيه وضبط حركة الصاروخ

هنا ندخل فى أشق ما فى الصاروخ من علم ومن حيلة .

ان الصاروخ يطلق فى اتجاه محسوب ، على كثرة العوامل التى تعمل فيه ، ليصل الى هدف بعيد . ويوضع فيه من الحافظات لاتزان السير كل مستطاع . ومن هذه الزعانف التى سبق ذكرها . ولكن يوضع فيه ايضا ، فى الجزء المسمى فى الصورة « عقل الصاروخ » اجهزة حساسة تحس بكل ما يخرج بالصاروخ عن مداره المحسوب ، وتحس بمقداره ، وهى تعطى اوامرها تلقائيا الى اجهزة لضبط السير ، وهذه تقوم بالتأثير فى عوامل الحركة بالقدر الذى يصحح الاتجاه .

ويسمى هذا النظام بالتوجيه الذاتى Inertial Guidance ويجرى كله فى القذيفة ذاتها .

ولكن قد تأتى أوامر التوجيه الى اجهزة الصاروخ التى تصلح ما اصاب المسيرة من انحراف ، قد تأتى من رجال فى الارض ، هم القائمون على رقابة الصاروخ . وهم يرسلون اوامرهم الى اجهزة الاصلاح بواسطة الاشعة اللاسلكية من الارض .

ويسمى هذا النوع من التوجيه « بالضبط من بعيد » LongDistance Control Guidance

ومن هذا يتضح أن التوجيه يتألف من قسمين ، قسم ينظر فى المسيرة ، كم حاد الصاروخ عنها ، وقسم يقوم بالتصحيح .

دفة الصاروخ

دفة السفينة ، او سكانها ، هما شيء واحد . انها الصفيحة التى فى مؤخرة السفينة ، اذا استقامت راسية فى المستوى الذى فيه محور السفينة على طولها ، جرت السفينة قدما فى خط مستقيم . ولكن اذا مال الملاح بدفته يمينا او يسارا ، جرت السفينة يمينا أو يسارا .

وكالسفينة الطائرة .

وكالسفينة والطائرة ، الصاروخ .

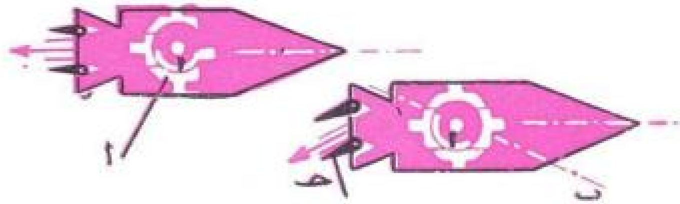
انظر فوهة محرك الصاروخ فى الصورة حيث يخرج غاز الاحتراق الحار مندفعا هناك تجد صفحات ، هى الدفات ، اذا استقامت ، خرجت الغازات مستقيمة ، وجرى الصاروخ مستقيما فى نفس استقامتها . ولكن ان مالت ، أمالت الغازات الخارجة فانحرف الصاروخ فى مساره ، قليلا أو كثيرا .

وهذه الدفات هى وسيلة اجهزة التوجيه الاولى فى تصحيح مسار الصاروخ اذا هو حاد . ان الأوامر تصدرها الاجهزة الحساسة الى الاجهزة التى تحرك الدفات فى الاتجاه المطلوب وبالقدر المطلوب ، لتصحح الوضع .

ونرفق فى الصفحة التالية رسمين يوضحان كيف اختل المسار وظهر اختلاله ثم تصحيحه ، وفى الصورة الثانية نراه عندما تصحح .

قذائف بها اكثر من صاروخ واحد

وطبيعى أن تكون هذه للقذائف الابعد



صورة ايضاحية فقط ، تفسر الرابطة بين جهاز التوجيه ، في القذيفة الصاروخية ، والدفة التي بداخل الفوهة التي يخرج منها الغاز مندفعا من الصاروخ . في الصورة اليمنى ، دائرة بيضاء هي بعض جهاز التوجيه ، تجد فيها مشيرها الأسود منحرفا عن اوسط الدائرة الى اليسار ، دليل انحراف الصاروخ . ولتصحيح ذلك انحرفت صفائح الدفة عند الفوهة ج ، ليصلح اتجاه الغاز الخارج اتجاه القذيفة . وفي الصورة اليسرى عودة القذيفة الى اتزانها . عاد المشير الى مكانه ، وعادت الدفات الى مكانها واستقامت .

مدى .

ومن امثلة هذه القذائف قذائف ما بين القارات Intercontinental Ballistic Missiles ويرمز اليها بالحروف I. C. B. M. .

ومداها الوف الأميال .

وهي عبارة عن صاروخ،مرتبط فوقه بآخر . ثم بآخر . وكل منها صاروخ كامل . ويفرغ الصاروخ من عمله فينفصل ليشتغل الثاني ، وينفصل ، وهلم جرا .

قذائف ما بين القارات

هي لا شك اكبر القذائف ، واخطر القذائف ، وابعد القذائف الحربية مدى، فمداها يزيد على ٥٠٠٠ ميل ، وهي اوسع القذائف تدميرا ، تدمير سكان ، ومساكن ، وتدمير صناعات وزراعات ، وتخريب مساحات من الارض واسعة . وفي رؤوسها بالطبع القنابل الذرية او القنابل الادروجينية تفعل كل هذا .

وبسبب تدميرها هذا الشامل صنعتها الأمم القادرة على صنعها ، مثل امريكا وروسيا ، ولكن ابقتها ، بل ابقت العدد العديد منها جاهزا، ولكن بدون استخدام.

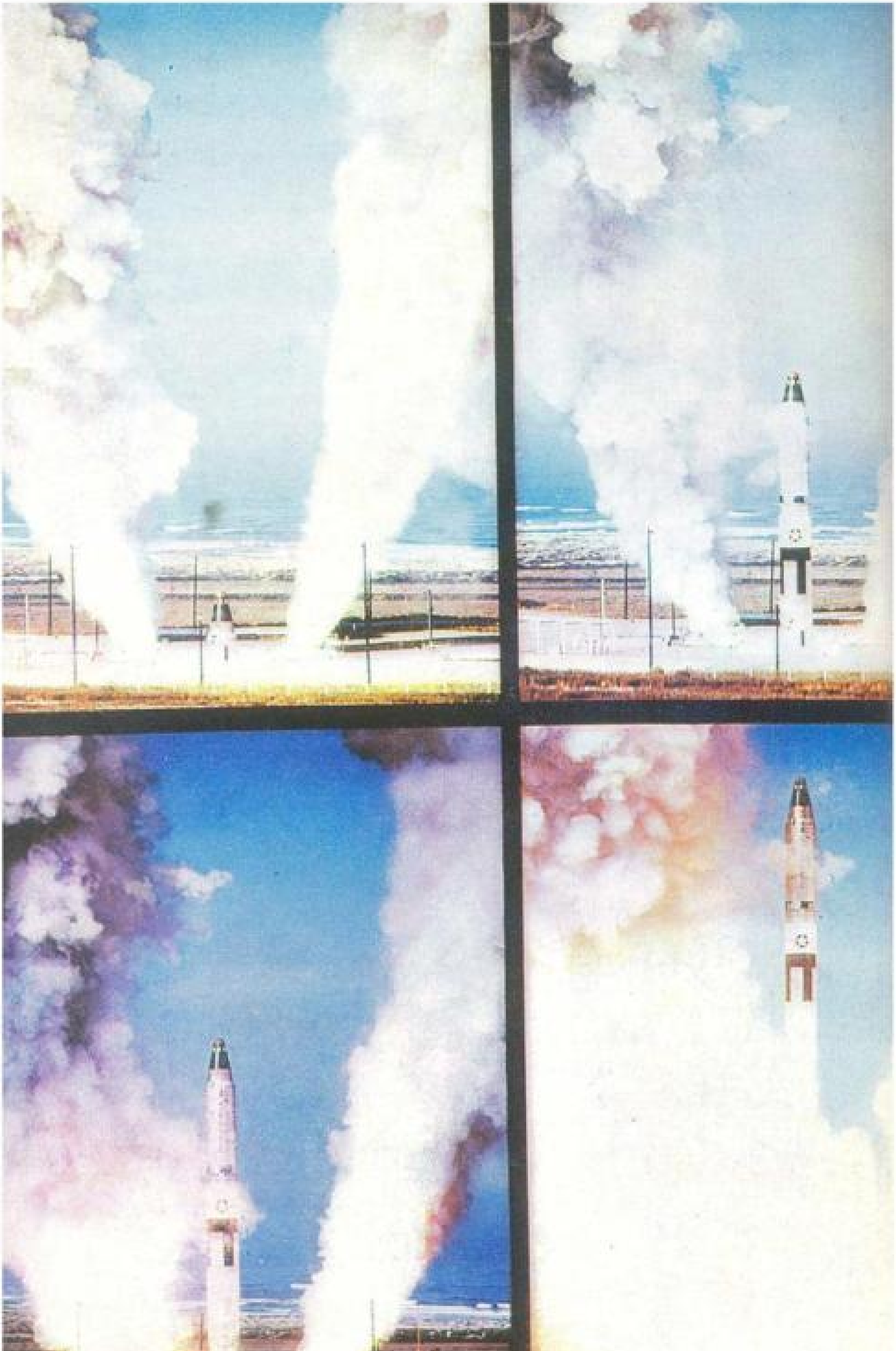
القذيفة الصاروخية الأمريكية تيتان الثاني TitanII وهي تخرج من مخبئها الذي يحميها في الارض . انها تطلق وهي في الارض فتطل براسها ، ثم تظهر بجسمها، ثم تفوت سطح الارض ، وترتفع في الجو طولها ١١٥ قدما ، ومداها ٥٠٠٠ ميل .

(صور اربع)

فهذه القذائف الى اليوم ؛ مع كل ما تناله كل عام من تحسين ، ليست الا تهديدا بحرب . فهي على هذا الوضع ، والى اليوم ، مانعة حرب اكثر منها خادمة حرب . انها رادعة عن قيام حرب ، ففيها الدمار للطرفين . ونقول الى اليوم ،لأننا ندري أن الجنون يصيب الناس ، ولكن لا ندري متى وأين .

ومن القذائف عابرة القارات التي صنعتها الولايات المتحدة القذيفة المعروفة باطلس Atlas والأخرى المعروفة بتيتان Titan وكلاهما اسمان من أسماء أساطير آلهة الاغريق .

وهاتان القذيفتان الصاروخيتان كلاهما وقودهما سائل ، ومعنى هذا أن ما



يطلقانه من طاقة شيء عظيم . ولكن يقابل هذا ان الوقود السائل يزيد في تعقيد تركيب الصاروخ . هذا فوق ما في الصاروخ من تعقيد تركيب بسبب ما به من اجهزة تحس خطأ يصيب مسيرة الصاروخ في الجو ، واجهزة تقوم بتصحيح المسار Guidance System . فهكذا هي عابرات القارات ، لا بد ان تحتوي على اجهزة للتوجيه تلقائية كاملة . ونجد مع هذه الكلمة ٤ صور من الصاروخ تيتان وقد اطلقوه من مخابئه تحت الارض (في الصفحة السابقة صفحة ٧٧) .

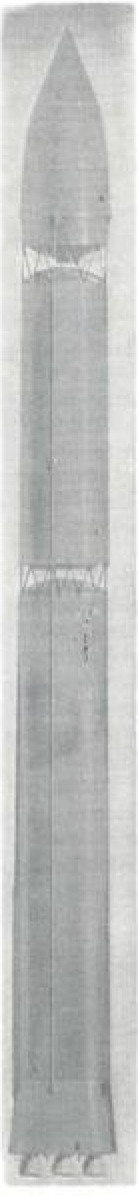
وكان من نتيجة ذلك ان ابتدعت الولايات المتحدة صاروخا عابرا للقارات اصغر وابسط ، ومن بساطته ان وقوده صلب لا سائل . فهذا هو الصاروخ المسمى مينيوت مان Minute Man الشهير .

والقذيفة الجديدة المسماة مينيوت مان الثاني Minute Man II (على فكرة ، اللفظ الانجليزي معناه الرجل الصغير) طولها بلغ فقط نحو ٦٠ قدما بعد ان كان طول التيتان ١١٥ قدما ، وهي تزن فقط ٧٠٠٠٠ رطل ، بعد ان كان وزن التيتان ٣٣٠٠٠٠ رطل ، وهي تحمل قنبلتها الادروجينية الى اكثر من ٧٠٠٠ ميل . وهي تحمل أجهزة للتوجيه ذاتية خاصة بها . وهي ، كسائر القذائف ذات الوقود الصلب ، على استعداد لانطلاق على الفور .

ويذكر الذاكرون ان الولايات المتحدة عندها من هذه القذيفة الف ، وزعتها على ستة مراكز للدفاع .

وقد ذكر الرئيس نكسون في كتابه «سياسة الولايات المتحدة في السبعينيات» الصادر من حين قريب ، ان قذائف الولايات المتحدة العابرة للقارات سوف تبلغ في اواخر عام ١٩٧٠ ، (١٠٥٤) قذيفة . بينا ذكر ان قاذفات روسيا ستبلغ في اواخر نفس العام ١٢٩٠ قذيفة .

ويصحب هذه الكلمة صورة للصاروخ مينيوت مان ، عند انطلاقه ، كشفت عن بعض اجزائه ، فهو يتالف من صواريخ ثلاثة بعضها فوق بعض (صفحة ٨١) .



القذيفة الروسية الكبرى ، اسكراج Scrag العابرة بين القارات ، مداها الآلاف من الأميال . وهي تحمل قنبلة ادروجينية الى الاعداء ، وهي من القذائف المخيفة التي تترك مساحات كبيرة من الأرض عارية من الحياة والأحياء .

كذلك تجد مع هذه الكلمة (الصفحة المقابلة ٧٨) صورة لعابرة القارات الروسية المسماة اسكراج Scrag والمظنون انها من آخر ما هدفت اليه روسيا من قذائف .

والمفهوم ان عملها خطير .

القذائف الصاروخية عابرة القارات تنقل الى البحار

ذكرنا ان القذائف عابرة القارات يحرص اصحابها عليها فيخبئونها في بيوت لها في بطن الأرض خشية أن يصيبها الأعداء . ومع هذا يساورهم القلق دائما عليها ، فهي عندهم فارق ما بين الموت والحياة . وعندهم انه من يدري ، فلعل العدو، بطريقة ما ، يصل اليها فيخربها . ويزيد هذا الاحتمال ان مواقع هذه القذائف ، هذه الصواريخ، ليست بالسر المكتوم فكل يعرف اين هي .

واذن ، لزيادة الاطمئنان ، نراهم خرجوا بصواريخهم وقذائفهم الى البحار . وبنوا الغواصات خصيصا لينطلق منها الصاروخ الشهير المسمى بولارس Polaris ، وهي تحت الماء . وينطلق منها كانما ينطلق من فوق سطح الارض ، كل شيء محسوب ، وكل شيء مقدر .

والغواصات تتحرك فلا يدري احد اين موقعها في يوم معين . وما اوسع البحار . وهي تقترب من الاعداء وقد لا يحسون بها ، فتكون املك للدمار .

ان قذيفة بولارس تحمل راسها النووي ومعه الصاروخ ، وهو مؤلف من صاروخين ، احدهما فوق الآخر . والوقود صلب . وهي تحمل جهاز توجيه وضبط ذاتي كامل فتصحح هي نفسها بنفسها كل انحراف عن مسارها المرسوم .

والقذيفة تطلق من الغواصة ، من انبوبة تحتويها ، تدفعها الى اعلى غازات تخرج من تحتها من صاروخ في الغواصة صغير . وهي بهذا تنطلق الى سطح الماء . وعند مغادرة الماء فقط يأخذ صاروخها الادنى في الاشتعال ويتعلق بها في الفضاء .

ويذكر الامريكان ان البحرية الامريكية تمتلك ٤١ غواصة نووية ، أي تسير بقوة الذرة . يحمل كل منها ١٦ قذيفة بولارس ، بعضها مداه ٢٨٧٥ ميلا ، وبعض مداه ١٧٠٠ ميل .

ومرفق بهذه الكلمات (صفحة ٨٢ و ٨٣) صور غواصة وقد اطلقت قذيفة بولارس في الماء حتى كادت تصل الى سطحه .

وهناك قذيفة جديدة ، اسمها بوسيدون Poseidon ، سوف تحل محل بولارس ، ولهذه القذيفة الجديدة اكثر من راس نووي ، وبعض هذه الرؤوس لا يحمل ناسفا ، وانما هو لتضليل الاعداء .

اما بولارس فلفظ هو اسم للنجمة القطبية ، واما بوسيدون ، فهو في الاساطير الاغريقية أخ زيوس Zeus رب الارباب ، رب البحار .

وعند الروس غواصات ذرية وقذائف نووية ، ولكنهم لا يذكرون عن ذلك شيئا .

ولكن جاء في كتاب الرئيس نكسون الذي ذكرناه آنفا ان عند الامريكان هذا العام الحاضر ٦٥٦ قذيفة تقذف من غواصات ، بينا عند الروس ٣٠٠ . وقد يكون هذا صحيحا لان دخول الروس الى هذا الميدان تلا على الارجح دخول الامريكان . ولكن نكسون قال انهم سائرون في ازدياد .

الصواريخ تحل محل مدفعية الحروب في شتى اغراضها وصورها

ما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى بدأ التأهل للحرب العالمية الثالثة .

وكان من أول ما اتجهت اليه العيون ، القذيفة الصاروخية V2 التي رمى بها الألمان لندن ، وفتكوا فيها بالقدر الذي فتكوا . وكذلك الى قنابلها الطائرة

٧١ التي قذفوا بريطانيا منها بما قذفوا .
واستفاد الأمريكان من صنع الألمان .
وكذلك استفاد الروس .

ودخل العالم بعد ذلك بحق عصر الصواريخ ، من كل صنف .

وقد ذكرنا من أنتجة هذا العصر أكبرها ، وأضخمها ، وأخطرها ، تلك القذائف عابرة القارات .

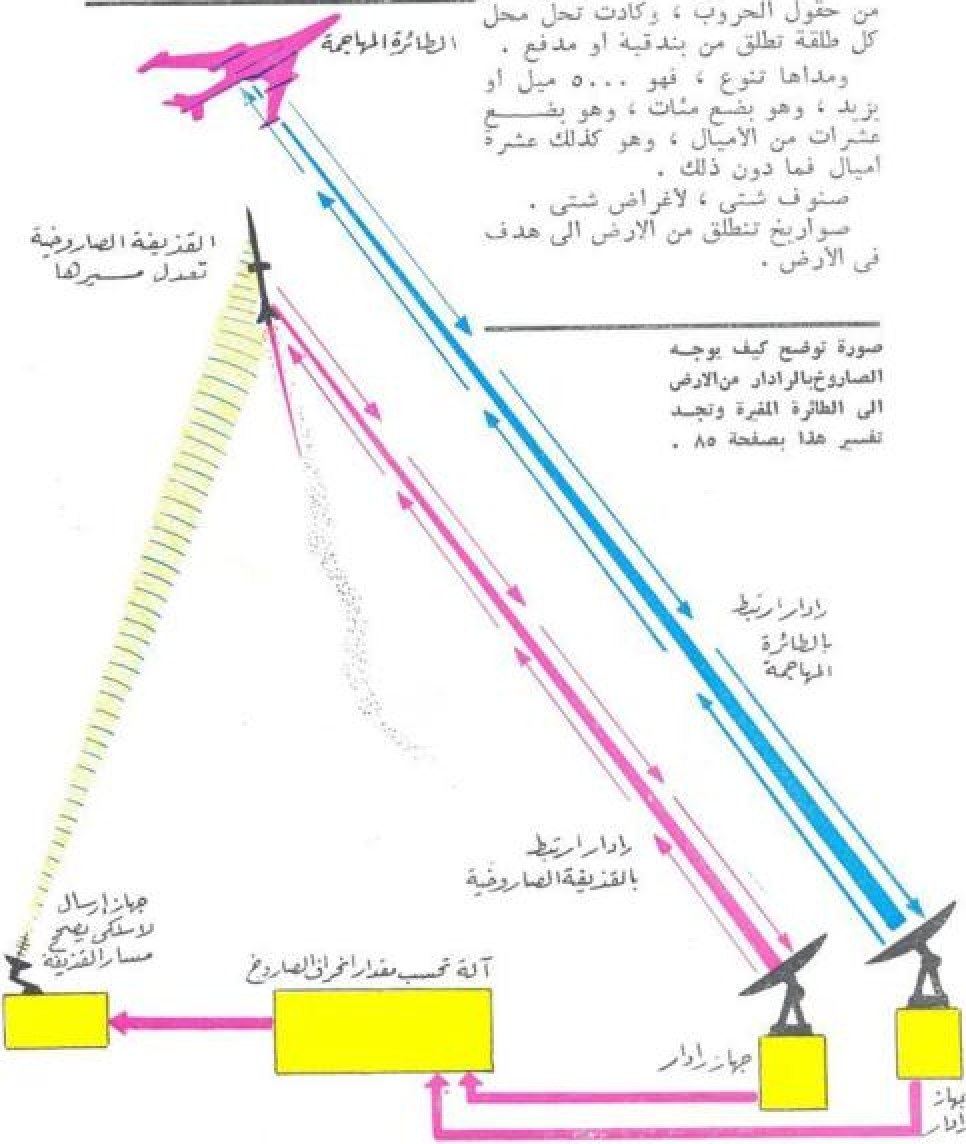
ولكن الصواريخ انتشرت في كل حقل من حقول الحروب ، وكادت تحل محل كل طلقة تطلق من بندقية او مدفع .

ومداها تنوع ، فهو ٥٠٠٠ ميل او يزيد ، وهو بضع مئات ، وهو بضع عشرات من الأميال ، وهو كذلك عشرة أميال فما دون ذلك .

صنوف شتى ، لأغراض شتى .

صواريخ تنطلق من الارض الى هدف في الأرض .

القذيفة الصاروخية الأمريكية المسماة: مينيوت مان) Minuteman ، وهي التي حلت محل الصاروخين الكبيرين اطلس وتيتان . وهي قذيفة تحمل القنبلة النووية بين القارات، ومداها زاد على ٧٠٠٠ ميل . وصاروخها يتألف من ٣ صواريخ بعضها فوق بعض .وهي تخبأ في مساكن لها تحت الارض . ومنها تطلق ، أو هي تحمل على عربات لا يعرف لها الأعداء مستقرا .



صورة توضح كيف يوجه الصاروخ بالرادار من الارض الى الطائرة المغيرة وتجد تفسير هذا بصفحة ٨٥ .





القذيفة بولارس ، وقد أطلقتها غواصـة ، وهى تحت الماء . انها تحمل قنبلة نووية ، وصاروخها مؤلف من صاروخين ، احدهما فوق الآخر . والوقود صلب ، فهى اذن تطلق على الفور . وتقترب الغواصة من أهدافها ما تشاء ، ما استطاعت أن تتستر فلا يدرى بوجودها الأعداء .

وصواريخ تنطلق من الأرض الى هدف فى الجو .

وصواريخ تنطلق من الجو الى الأرض .

وصواريخ تنطلق من الجو الى الجو .

وكل من هذه الصنوف هى الأخرى انواع شتى ، واحجام واوزان شتى ، واجهزة للاطلاق شتى .

ويضيق المقام عن استيعاب .

لهذا سنذكر من ذلك طرفا .

عصرنا هذا
عصر الصواريخ والالكترونيات
والآلات الحاسبة معا

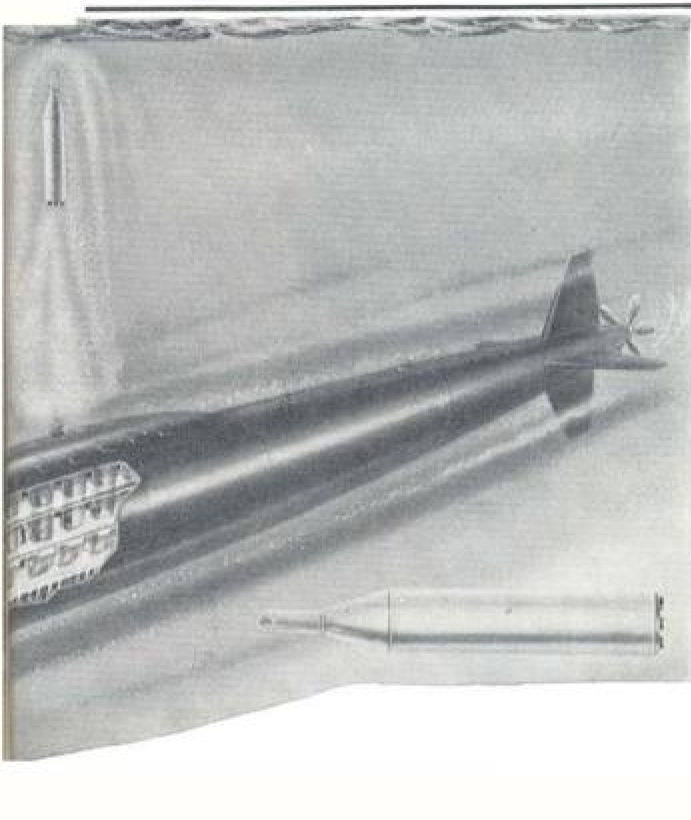
ونصف هذا العصر بعصر الصواريخ .

واصدق من هذا أن نصفه بأنه عصر الصواريخ Rockets والالكترونيات * Electronics والآلات الحاسبة Computers معا .

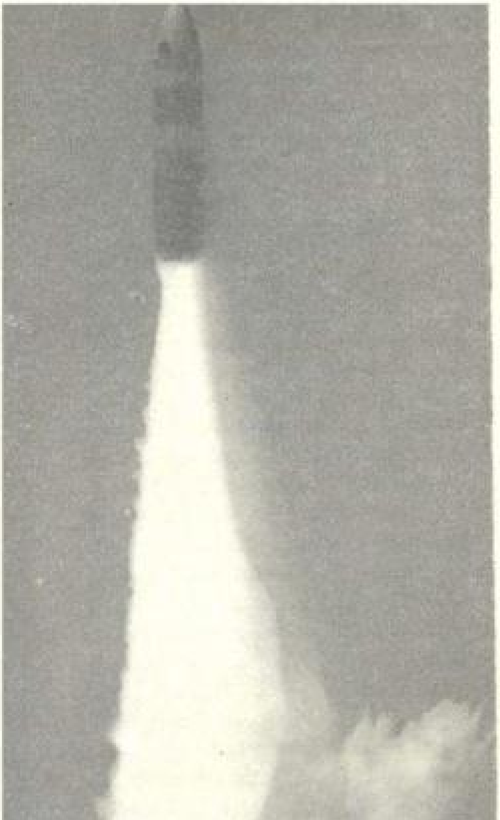
ان التكنية لعبت دورا عظيما فى بناء الصواريخ ، ولكن الالكترونيات ركبت لهذه الصواريخ أعينا تصيب بها . انك ترسل الصاروخ ، بلا أجهزة توجيه ولا ضبط مسار ، فيذهب الصاروخ فى الهواء ، او فى الماء ، أعمى ، ان أصاب هدفا ، فحمدا لله ، وان لم يصب ، فما على الأعمى من عتاب .

ان الالكترونيات ترسم للصاروخ المجال الذى يجب ان يسير فيه .

* نسبة الى الالكترون ، وهو جسيم صغير يدخل فى تركيب الذرات ، يحمل شحنة كهربائية سالبة ، وهو الذى يجرى فى الاسلاك فندرك ان تيارا كهربائيا جرى بها . وللالكترونات خواص كثيرة تدرس ويستفاد منها عندما تنفصل عن اسلاك الكهرباء التى تجرى فيها . والالكترون هو الذى اعطى لنا الرديو والتلفزيون والاشعة السينية والمجهر الالكترونى ، والآلات الحاسبة وغيرها .



غواصات من الغواصات الأمريكية التى تحمل ١٦ قنبلة من قنابل بولارس ، تطلقها من البحر لأهداف بعيدة ، وعند الولايات المتحدة اليوم منها ٤١ غواصة ، وقودها ذرى . وعند الروس امثال لها .



القذيفة التى اسمها بوسيدون Poseidon وهى شبيهة بالقذيفة الصاروخية بولارس ، وتطلق من الغواصات. ولكن مداها اوسع ، وراسها يحمل مقدارا أثقل وزنا . وراسها يحمل اكثر من قذيفة ، بعضها متفجر ، وبعضها للتضليل ولا ينفجر .

وبالالكترونيات نحس به اذا هو حاد . وبالالكترونيات ، يصدر الجهاز من ذات نفسه أوامر لحركات تجرى فى الصاروخ من شأنها أن تصلح ما اختل من مساره.

ومن هذه الأجهزة ما كأنه يصوب بصره على الهدف كما يصوب الرجل عينه . والهدف يتحرك ، والصاروخ وراءه . ولن يفلت منه حتى يلتقى به . وهو التقاء الدمار .

واجهزة التوجيه صنفان ، صنف كامل التوجيه ، يحس بالخطا من ذات نفسه ، ومن ذات نفسه يصححه ، وهذا هو التوجيه الذاتى ، ويعرف باسم Inertial Guidance كما سبق ان ذكرنا وكررنا . وصنف آخر يعين فيه رجال مختصون بذلك ، قابعون فى مراكز خاصة بالارض . هم يرقبون ويرقمون ويحسبون ، ويدركون الخطا . ومن كل هذه الأرصاد ينتهون الى نوع التصحيح ومقداره ، ثم هم يرسلون أوامرهم الى اجهزة الصاروخ الضابطة فتتحرك وفق ما يريدون وبالقدر الذى يريدون .

وكل هذه حسابات لا بد أن تتم فى ثوان . وهنا يأتى مكان الآلات الحاسبة . انها تأتى بجواب اعقد المسائل فى اقصر وقت . فلولا هذه الحاسبات الحسّابات ما امكن ملاحقة صاروخ فى مسيره .

ونزيد هذه المعاني تفصيلا فنقول :

ان الجديد والأهم ، والأخطر فى امور



هذه الصواريخ هو امكان هدْيها وقيادتها وتوجيهها حتى تحط على الهدف الذى هى تريده .

ان الصاروخ عندما ينطلق، يطلق بقدر الامكان فى الاتجاه الذى يؤدى به الى غايته، بعد حساب كل العوامل التى سوف تعمل فيه . وهذه العوامل تتألف من المحرك الصاروخى وهو يعمل ، ثم جاذبية الارض بينا المحرك الصاروخى يعمل ومن بعد أن يتوقف . والبرنامج الذى ينفذ به جهاز التوجيه فى القذيفة الصاروخية يتضمن الوقت الذى يبطل فيه عمل محرك الصاروخ ، وكذا مكانه.

ومن بعد توقف عمل محرك الصاروخ تأخذ الجاذبية تعمل وحدها فى القذيفة تماما كما تعمل الجاذبية فى حجر ترميه فى الهواء ثم هو يعود فيسقط الى الارض.

ولكن هناك الريح التى قد تهب فتؤثر فى سير القذيفة الصاروخية . وهناك جسم الصاروخ ، فقد لا يكون متماثل الشكل حول محوره وإذن هو يميل عن جانب الى جانب . حتى فوهة الصاروخ قد لا يكون تماثلها كاملا فيخرج الغاز مندفعا منها فيميل بها وبالصاروخ عن خط سير محور الفوهة الذى هو فى نفس الوقت محور القذيفة الصاروخية.

كل هذا الميل يحتاج الى تصحيح . وهو قبل التصحيح يحتاج الى ان يكشف عنه وان يقدر .

ولهذا طريقتان :

طريقة التوجيه التلقائى Automatic or Inertial Guidance وطريقة التوجيه من الارض كما ذكرنا .

اما الطريقة الأولى فتتضمن مرجعا يكون فى الصاروخ ثابت الاتجاه لا يتأثر بحركة الصاروخ ، وبه يقارن المسار الواقع القائم فعلا ، لينكشف بذلك الانحراف ان كان وقع . والذى يقوم بهذا الكشف أدوات حساسة يحملها الصاروخ نفسه Sensors . والذى تجده هذه الأدوات الحساسة تنقله الى الآلات الحاسبة Computers ، وهى تقارنها بالمسار المرسوم وتقدر مقدار الانحراف ان كان ، ثم هى ترسل كل هذا الى آلات الضبط والربط ، وهى تحرك الدفات ، التى بفوهة خزانة الاحتراق بالصاروخ ، الى أى من الاتجاهات الاربعة ، فتغير بذلك من اتجاه الغازات الخارجة المندفعة ، فترد بذلك الصاروخ الى مساره الصحيح .

وهذه الأدوات كلها والآلات توجد مع الصاروخ فى التوجيه الذاتى الكامل .

وقد يشارك فى التوجيه بعض رجال فى الارض ، يرقبون حركة الصاروخ ، ويكون معهم بعض هذه الادوات ، كالحاسبات وغيرها ، وعندئذ هم يرسلون اوامر هذه الحاسبات الى آلات تعديل اتجاه الصاروخ ، بتعديل دفاته ، وهى بالصاروخ نفسه .

ويتضح من كل هذا اعتماد التوجيه على ثلاث : التكنيات فى تصميمه ، والالكترونيات ، والحاسبات فى توجيهه .

اجتمعت هذه الثلاث فى عصر واحد ، ولو تخلف احداها ما كان للصاروخ مثل هذا الخطر .

بقى ان نتحدث عن المرجع الذى يكون فى الصاروخ ، ذلك الذى يعين الاتجاه الثابت الذى لا يتأثر بحركة ، ولا حتى حركة الصاروخ نفسها .

وبقى ان نتحدث عن الآلات الحاسبة كيف تحسب ، وتحسب فى لمحة .

وبقى ان نتحدث عن آلات الضبط والربط التى تنتهى بتحريك الدفات الداخلة فى فوهة الغازات .

ولكن دون هذا يضيق المقام ، ولو ان علمه علم تصاحبه لذة العرفان .

ولنضرب مثلا لنوع من هذا التوجيه نتخذ له صورة منشورة بصفحة ٨٠ . انها صورة توضح نوعا من التوجيه ، يساعد القذيفة على الالتقاء بالهدف الذى يراد تدميره . فهذه طائرة العدو فى السماء . وقد اطلقنا اليها اشعة رادار

فانعكست عليها وارتدت الينا ، ونحن نظل بالرادار نتابعها . وقذفنا بالقذيفة الصاروخية اليها ، وربطناها بشعاع من رادار آخر مرتد كذلك الينا . ومن الرادارين تذهب المعلومات الى الآلات الحاسبة وهى تقدر فى أقصر وقت كم يجب أن ينحرف الصاروخ حتى يلتقى بالطائرة . وهى ترسل الأمر بمقدار هذا الانحراف الذى ينحرفه الصاروخ لصندوق البث اللاسلكى ، وهذا ينقله الى الآلات التوجيه التى بالصاروخ فتتحرك وتطيع . ويلتقى الصاروخ بالطائرة ويتفجر فيها ويذهب بها .

قذائف ضد الطائرات المغيرة

كانت الحاجة دائما قائمة للدفاع ضد الطائرات المغيرة التى تحمل القنابل لتلقيها .. وكان امرها محتملا لما كانت سرعتها متوسطة ، وكانت قنابلها من الناسفات التقليدية . ولكن حدث فى السنة الأخيرة من الحرب العالمية الماضية ان ظهرت الطائرات المقتنبلة النفاثة . فزادت بذلك سرعتها ، واستطاعت ان تصعد فى الجو الى ارتفاع ٥٠٠٠٠ قدم أو أزيد من ذلك.

وفوق هذا وذاك ظهرت القنابل الذرية فاستطاعت ان تحملها هذه الطائرات النفاثة .

كان من نتيجة ذلك ان ابتدعت الولايات المتحدة قذيفة صاروخية ضد هذه الطائرات . صاروخها صاروخان معا ، أولهما وقوده صلب ، والثانى وقوده سائل . فهذه هى القذيفة نيك ـ اجاكس Nike - Ajax

يصحبها بالطبع نظام للتوجيه، يتضمن شعاعين من الرادار Radar ، أحدهما دائم الاتصال بطائرة العدو هذه المغيرة ، والآخر بالقذيفة الصاروخية التى اطلقت من الارض لتلقاها وتدمرها . ولدى رجال الأرض المدافعين آلة حاسبة تتلقى الاشارات من الرادارين ، وتحسب كم يكون توجيه القذيفة لتلتقى بالطائرة . وهى عندئذ ترسل الاشارات اللاسلكية عبر جهاز ارسال لاسلكى الى أجهزة الضبط فى القذيفة فتحول مجراها الى ان تلتقى بالطائرة المغيرة . وعندئذ تؤمر بالانفجار اشبه شىء بالذى سبق ان وصفناه .

وعند الروس قذائف كهذه ، تطلق من الارض الى الجو ، يشملها نظام للتوجيه Guidance كالذى ذكرنا . ومن هذه



صاروخ يطلقه رجل واحد من انبوبة يحملها على كتفه، ليحمى به كتيبته مما تصادف من طائرات للعدو تسير على مستوى منخفض، فى حيث لا توجد قوات اخرى غيره للدفاع . وهو اشبه شىء بالبازوكا يطلقها على الدبابة جندى واحد.

القذيفة الروسية التي يسميها الامريكان Guide Line ، وقد استخدمت بكثرة في الحرب الفتنامية .

ولعل القذيفة التي اشتهرت في حرب فتنام باسم سام ٢ ، شبيهة بهذه ، او لعلها هي هي .

قذائف ضد الطائرات التي تطير منخفضة فوق سطوح المنازل

لقد اتقن علماء الحرب ، وتكنيئوها ، امر القذائف الصاروخية التي تنال من الطائرات المغيرة ، التي تطير عالية في السماء . فاضطرت هذه الطائرات بسبب ذلك الى ان تنخفض بطيرانها حتى تكاد تمس سطوح المنازل في المناطق الآهلة ، او سطوح الشجر في الغابات ، وذلك حتى لا تكشفها صحيفة الرادار وهي قادمة . وهي بهذه المفاجأة لا تعطي لأجهزة الرادار الوقت الكافي ، حتى القصير ، لتربط رادارها بالطائرة المهاجمة ولتطلق قذيفتها الصاروخية اللازمة وما يتلو ذلك من عمل دفاع .

وجب على المدافعين عندئذ ابتداع قذيفة صاروخية اخرى تدفع بها شر هذه الطائرات المقبلة النفاثة المنخفضة .

ونجح الأمريكان في ذلك .

ونجح الروس في ذلك .

والذي نجح فيه الأمريكان سموه الصقر الأمريكاني American Hawk (في الصورة السفلى) . وأخص ما فيه ان نظام التوجيه فيه به رادار يستطيع ان يتلقى كل ما ينعكس اليه من موجات اللاسلكي ، من رؤوس بيوت أو رؤوس شجر وغير ذلك ، وكذلك من الطائرات وهي تتحرك ، ولكنه من الدقة بحيث يميز بين المتحرك منها والثابت .

وهذا لا شك ما صنعه الروس ، ولعلها هي القذيفة التي اشتهرت باسم سام ٣ ،



الصاروخ الامريكي الصقر American Hawk ، وهو للدفاع ضد الطائرات المنخفضة ، وبه رادار خاص يفرق بين الصور التي تظهر في لوحته من اجسام كالطائرات المتحركة ، واخرى كاسطح المنازل ورؤوس الشجر ثابتة .

Sam 3 عند قناة السويس ، وخشيها العدو أن تمنع طائراته من العبور الى ما وراءها ، الى بطن الوادى ، الى الأعماق من مصر .

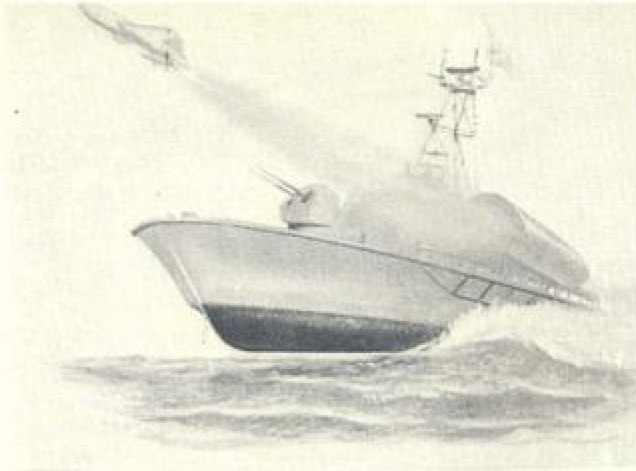
قنابل طائرة

سبق ان ذكرنا ان الامريكان والروس ورث كلاهما عن الالمان قذيفتين للهجوم والفتك بالأعداء . احداهما عرفت بالحرف V1 ، وهو اختصار للفظ الالمانى Vergeltungswaffe ، أى سلاح الانتقام ، والثانية عرفت بالحرف V2 وجاءت بعد الأولى من حيث الزمان . ونزيد هنا فنقول ان الامريكان والروس كلاهما تركز عليهما ، فى أول عهدهما بالصواريخ الحديثة ، يبحثونهما ، ويقلدونهما ، ويحورونهما بمساعدة العلماء الالمان الذين كان لهم فضل تصميمها وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

اما القذيفة الأولى V1 فقد عرفت باسم القنبلة الطائرة ، وكانت فى الواقع طائرة نفاثة ولا طائر بها ، تحمل فى أنفها ، اى فى مقدمتها ، ٢٠٠٠ رطل من المتفجرات وكانت سرعتها ٤٠٠ ميل فى الساعة . وقد أرسل الالمان منها ، من شاطئ فرنسا ، نحو ٨٠٠٠ قذيفة ، هدف أكثرها لندن . ولم يفرغ الالمان من هذه القذيفة حتى بداوا بالقذيفة V2 ارسلوا منها الى لندن نحو ١١٠٠ قذيفة . وكانت هذه قذيفة صاروخية حقا ، وقودها الكحول ، والاكسجين مؤكسده . وبها مضخة تدفع الوقود . وكذلك كان بها نوع من التوجيه ، ولو انه كان غير ناجح ، فقلما وقعت القذيفة فيما دون ٣ او ٥ اميال من هدفها . والمعروف ان هذه القذيفة حملت عند رأسها طنا من المتفجرات . وكانت سرعتها ٣٠٠٠ ميل فى الساعة ، ولكن مداها كان فقط ٢٠٠ ميل .



الصاروخ الامريكى ، ميس Mace A. ، وهو عبارة عن قنبلة طائرة ، شكلها شكل الطائرة ولها اجنحتها . وهى تحمل على عربة تنطلق من فوقها ، تجرها عربة اخرى تذهب بها الى مواقع اطلاقها .



صورة القارب والصاروخ الذى اغرق المصريون به المدمرة الاسرائيلية ايلات فى عام ١٩٦٧ .

واشتق الروس والالمان من القذيفة V 2 سائر قذائفهم ، ومنها ما ارتفع بالأقمار الاصطناعية فدارت حول الارض كما فعل الروس اول مرة .

ولكنهم اشتقوا كذلك من V1 القذيفة التى اسموها قنبلة طائرة .

ومن احدث القنابل الطائرة التى صنعها الأمريكان القنبلة الطائرة المسماة Mace-A وبهذه القذيفة جهاز للتوجيه كامل فيه الجزء الذى يحس بخروج الصاروخ عن مساره ولو بقدر صغير ، ويتضمن الجهاز ذا الحلقة الدوارة الثابتة الاتجاه المسمى جيروسكوب Gyroscope ، ومعه اجهزة لقياس « العجلة » Accelometer ويتضمن الحاسبات ، ويتضمن كذلك المحركات التى تتولى تلقي الاوامر الناتجة عن هذه الاحساسات السابقة ، وهى تقوم على الفور بتنفيذها ، ووضع القذيفة مرة أخرى فى مسارها الصحيح المطلوب .

ومع هذه الكلمة صورة من هذه القذيفة محمولة على عربة اطلاقها (صفحة ٨٧) ، تجرها قاطرة أخرى ضخمة عظيمة تنتقل بها حيث يراد اطلاقها .

وكما للامريكان فكذلك للروس .

ومن قنابل الروس تلك القنبلة الطائرة التى رمت بها البحرية المصرية المدمرة الاسرائيلية ايلات ، وهى فى عرض البحر المتوسط ، فاغرقتها . وهذا حديثها .

اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات

اغرق المصريون ، فى ٢١ اكتوبر من عام ١٩٦٧ ، المدمرة الاسرائيلية ايلات Eilat وكانت على بعد ١٢ ميلا فى البحر المتوسط من بورسعيد . رموها بقذائف صاروخية نالتها مباشرة ، فاغرقتها فى دقائق .

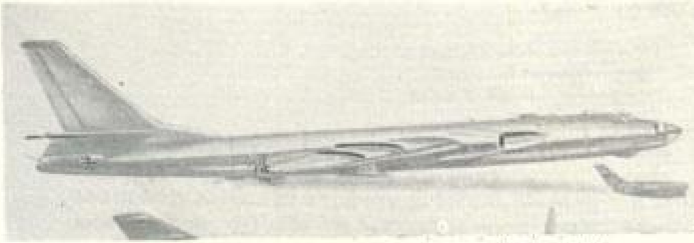
اما السفينة التى استخدمها المصريون ، فقارب سريع من قوارب الخفر ، صنعه الروس .

اما القذيفة فطائرة صغيرة ، بلا طيار ، يسميها رجال الغرب Styx 20 تمييزا لها . ولها جناح طوله عشرون قدما . وهى تحمل المتفجرات التى تنفجر عند اصابة الهدف .

والذى حمل هذه الطائرة الى هدفها انما هو صاروخ ، وضع فى اسفلها ، وارتبط باسفلها ، واطلق . فاخذت هذه القذيفة الطائرة سبيلها الى المدمرة .

ويرى البعض ، بسبب هذه الاصابة الناجحة ، على بعد ١٢ ميلا ، ان هذه القذيفة تحمل جهازا هاديا موجها ، من نوع ما .

وعند الروس قذائف اكبر من هذه ، واحدث ، واقدر على اغراق .



طائـرة مقتبلة روسـية Tu 16 تحمـل قذيفة تحت كل جنـاح من أجنحتها ، وتراها في الصـورة وقد اطلقت القذيفة على الهدف ، وهو بعيد ، فلم تجازف هي باقتراب .

الطائرات
صارت حوامل القذائف الصاروخية تنطلق منها الى ارض او بحر

لقد كانت الطائرات تحمل القنابل التقليدية الى الأعداء وتسقطها فيهم . وحتى القنبلة الذرية ، قنبلة هيروشيما ، حملتها طائرة امريكية كبيرة مقنبلة ، وعلى المدينة اسقطتها . وحتى الالمان ، في أواخر الحرب العالمية الثانية ، عندما أرسلوا القنبلة الطائرة V1 محملة بالناسفات الى انجلترا ، حملتها الى انجلترا طائرة مقنبلة ، واطلقتها وهي لا تزال بعيدة عن هدفها . ان هذه الطائرة الحاملة لم تجرأ ، والدفاع الانجليزي الى السماء قائم ، أن تخاطر باقتراب .

وتقدم الزمن وجرت السنون فتمطات الطائرات المقنبلة عن غاياتها ، وبهذا انذرت ، عندما تقدمت وسائل الدفاع ضد المغيرات من السماء . فمن رادار حديث ينذر بالطائرة المغيرة ، وهي بعيدة . ومن قذائف صاروخية ضد هذه الطائرات . ومن طائرات مقاتلة توجهها الى غاياتها أجهزة رادارية حديثة ، تحمل صواريخ تنطلق وعينها قد رصدت وتحررت على الطائرة المغيرة فهي تتبعها حيثما تكون ، فلا تتركها حتى تصيبها وتسقطها .

كان عندئذ لا بد من تحول .

وتحول الأمريكان ، وتحول الروس ، وتحول حتى البريطانيون ، الى تحويل الطائرات هذه الكبيرة المقنبلة ، او التي هكذا كانت ، الى طائرات تحمل الصواريخ وتدلقها قبل ان تصل الى اهدافها ، في ارض كانت الأهداف او في بحر .

فهي بهذه تتجنب المخاطرة بنفسها ، وهي بهذا تستطيع ان تتخير مكان اطلاقها واتجاهه فلا يعرف العدو من اين تنطلق فيذهب الى مكانها ليخربه .

وفي الصورة المرفقة طائرة مقنبلة من هذا الطراز روسية ، هي Tu 16 ، وقد انطلقت منها قذيفة من الاثنتين اللتين حملتهما تحت جناحيها .

وللامريكان في هذا المجال مثل ما للروس .

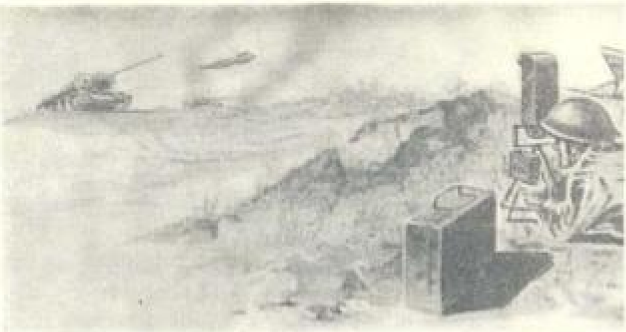
قذائف
أضداد" للدبابات

الدبابات كالطائرات ، كلاهما اداتان من ادوات الحرب خطيرتان . للاولى الأرض ، وللثانية السماء .

لهذا كان من أخطر القذائف الصاروخية ، واشد المحاربين المدافعين حاجة اليها ، قاذفات الدبابات . واليوم لا يكاد يخلو جيش حديث ليس بين جهازه حصيلة جاهزة من هذه القذائف الصاروخية .

وهي ليست بالقذائف الضخمة .

ومن امثلتها البازوكة Bazooka ، وهي عبارة عن صاروخ يطلق من انبوبة يحملها

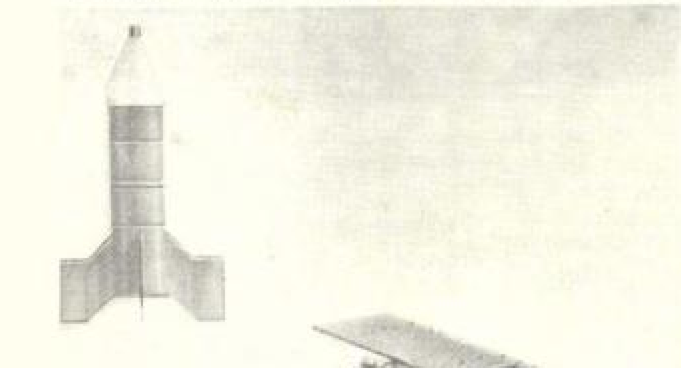


صورة صاروخ امريكي اسمه Vigilant وهو صغير ، يستهدف الدبابة فيخترق جسمها الفولاذي اختراقا قبل ان ينفجر . وهو موجه بواسطة اشارات تصل اليه عن طريق سلك يصل بينه وبين جهاز التوجيه عند الجندي الواحد الذي اطلقه .

على كتف جندي واحد . ويطلقه فيصيب الدبابة . ويستخدمه الرجال من الجند عندما يصادفهم في طريقهم دبابات لا بد من ازاحتها من طريقهم (راجع ما ذكرناه عنها في العربي العدد ١٢٢) يناير ١٩٦٩ .

وقذائف اضداد الدبابات تمتاز اليوم بالشيء الذي لم يكن بها بالامس : ذلك جهاز التوجيه وهديها الى الاصابة بالاشعة اللاسلكية . مثال ذلك ان مطلق القذيفة لا تنقطع صلته بها عند مغادرتها اياه . انها تظل موصولة بالرادار . بها الاجهزة التي تحس اذا هي حادت عن مسارها المطلوب ، وتحس بمقداره ، وتبلغ ذلك للحاسبات Computers ، وهذه تحسب في لحظة كم تكون الحركة التي تأمر بها جهاز الحركة في القذيفة ليقوم بها حتى يظل محتفظا بهدفه ، حتى يبلغه ، وينفجر فيه ، في الدبابة .

المسألة اليوم مسألة توجيه . مسألة رادار . وما الرادار الا نبضات اشعة لاسلكية متقطعة . والا اجهزة للحركة



صواريخ روسية ، ضد الدبابات ، من آخر طراز ، اربعة ، محمولة على سيارة تنتقل بها مع الجند المشاة لتحميهم من دبابات العدو. وهذا الصاروخ يعرف باسم سجر Sagger .



الصاروخ الأمريكى «المسمى (انيسْت جون Honest John . انه من قوة النسف، ومن سعة الموضع الذى يناله النسف حيث ينزل فى العدو ، بحيث لا يحتاج الى جهاز توجيه .



صاروخ روسي، يحمل راسه مقدارا كبيرا من متفجـر تقليدى قوى ، او متفجر نووى ، يطير به صـاروخ فرد" ، او صـاروخان احدهما فوق الاخر «ومداه ما بين ١٥ الى ٣٠ ميـلا الى الأعداء . وليس لـه جهاز توجيه ، الا ما فى فوهته . يخرج منها غاز الصاروخ من ريَش كالتى فى المراوح ، تدور بالصاروخ على نفسه «فيعطيه الدوران" اتزانا فى اتجاهه . وهذا يكفيه توجيها لانه ينسف مساحة من الارض عظيمة . ويلاحظ انه ينتقل ويذهب على العجلات حيث يُراد له الذهاب

تؤمـر وتطيـع . وتسـمى كل هـذا بالالكترونيات .

وفى الصورة مثل لعربة تحمل ستا من القذائف الروسية أضداد الدبابات ، ويلاحظ ان فوقها غطاء يحميها عند التنقل . والعربة تجرى فى الأرض وفى الماء .

قذائف صاروخية لا حاجة الى توجيهها

وهـذه يقصـد بهـا تدمير الأماكن الحصينة .

وهى اذ تدمر ،تدمر مساحات واسعة، لا سيما اذا هى حملت راسا نوويا . فهى اذن فى غير حاجة ماسة الى توجيه ، ولو كان مداها ١٢ ميلا فقط .

ومن هذه ما يسميه الأمريكان Honest John ، وهي فى الصـورة المرفقة محمولة على عـربة اطـلاقها ، تجرهما عربة اخرى .

وفى الصورة الأخرى قذيفة روسية ، تحملها عربة حاملة لها ، مطلقة اياها ، تسـير فى الأرض اليابسـة وفى الماء . وتستطيع أن تحمل قنبلة نووية الى نحو ١٥ ميلا .

عصر المدفعية ، يمارسـها الأعداء بالقنابل التقليديـة ، يتراجع ، وتحل محله المدفعية الصاروخية .

افبعد كل هذا لا تقول :
الصـاروخ
سلاح القرن العشرين
بلا منازع . .

●●

أحمد زكى

مصالح أمريكا الاقتصادية

فى .. الشرق الأوسط و.. شمال أفريقيا

- ١٧٠٠ مليون دولار دخل امريكا الصافى فى عام واحد من استثماراتها المباشرة فى المنطقة .
- اغلاق قناة السويس كلف دول اوروبا الف مليون دولار فى عام واحد !!
- الفسفات والكوبلت والمنجنيز والقطن والكروم ثروات اخرى غير البترول .
- فى عام ١٩٨٠ ستضطر امريكا الى استيراد البترول من الشرق الاوسط .

بقلم : محمد طنطاوى

■ منذ اقل من ربع قرن كانت اهمية منطقة الشرق الاوسط تنحصر فى موقعها الاستراتيجى بين القارات الثلاثة اوربا وافريقيا وآسيا . وكونها ايضا سوقا لمنتجات الدول الصناعية المتقدمة، وممرا تعبره هذه المنتجات الى الدول الأخرى الافريقية والآسيوية ؛ علاوة على انها مصدر للمواد الخام والمحصولات الزراعية لدول اوربا التى كانت تستعمر اجزاء كبيرة من المنطقة .

ولكن هذه الصورة تغيرت بسرعة بعد عام ١٩٤٨ وخاصة بعد أن اشتدت حاجة العالم للبترول نتيجة لحركة التعمير التى بدأت فى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية .. واصبحت هناك اهمية أخرى للشرق الاوسط وشمال افريقيا (١) .

ولنبدأ قصة البترول فى هذه المنطقة منذ بدايتها لكى نستطيع أن نتتبع الدور الهام الذى لعبه وسيلعبه البترول بالنسبة لدول هذه المنطقة الحساسة من العالم ..

---

(١) تشمل دول الشرق الاوسط كل من : ايران وتركيا الى جانب الدول العربية وامارات الخليج.

بداية اهتمام أمريكا ببترول الشرق الاوسط

في العشرينيات من هذا القرن كانت الولايات المتحدة الامريكية تقوم بانتاج ٨٠٪ من احتياجات العالم البترولية .. ولكن زيادة استهلاك احتياطى البترول الأمريكى اثناء الحرب العالمية الأولى أدى الى خشية نفاد هذا الاحتياطى في سنوات قليلة . ومنذ ذلك الوقت بدأت حاجة امريكا الملحة للحصول على امتيازات لشركاتها للتنقيب عن البترول في الشرق الأوسط . وفي عام ١٩٢٥ قامت شركة ستاندارد أويل نيو جيرسي ومعها سوكوني موبيل بالاشتراك مع عدة شركات اوربية بانشاء شركة البترول التركية ، والتى أصبحت تسمى فيما بعد بشركة بترول العراق .

ومنذ هذا التاريخ بدأ السباق بين شركات البترول على منطقة الشرق الأوسط ، وبدأت الاكتشافات البترولية تتوالى في المنطقة . ولكن الاستغلال التجارى على نطاق واسع كان بطيئا نتيجة لتوتر الموقف الدولى والاستعداد للحرب العالمية الثانية فى ذلك الوقت من الثلاثينيات في هذا القرن .

وحتى عام ١٩٣٨ كانت بريطانيا لا تزال تحصل على ٥٧٪ من احتياجاتها البترولية من امريكا ، و١٨٪ من ايران،و٤٪ من بقية دول الشرق الاوسط ، وكان انتاج الشرق الأوسط كله في ذلك الحين لا يزيد على ٣٢٠٠٠٠ برميل (٢) بترول يوميا ، وهو ما يعادل ٦٪ فقط من الانتاج العالمى .

وبدأ التطور الهائل فى الانتاج بعد عام ١٩٤٨

ولم يبدأ تطور الانتاج البترولى في منطقة الشرق الأوسط الا بعد عام ١٩٤٨ . وفي خلال ١٠ اعوام أى في عام ١٩٥٨ وصل انتاج المنطقة من البترول الى ٤٫٣٠٠٫٠٠٠ برميل يوميا .. وفي عام ١٩٦٦ تفوق الشرق الأوسط على أمريكا لاول مرة بالنسبة لانتاج البترول . وبالرغم من حرب يونيو عام ١٩٦٧ وصل انتاج الشرق الاوسط البترولى الى ١٠٫١٥٠٫٠٠٠ برميل يوميا وهو ما يمثل ٣٣٪من انتاج العالم كله فيما عدا الكتلة الشرقية (الدول الشيوعية) .

وفي عام ١٩٦٨ وصل انتاج الشرق الاوسط من البترول الى ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ برميل يوميا ، وفي عام ١٩٦٩ ارتفع هذا الانتاج ليسجل رقما قياسيا جديدا هو ١٢٫٢٦٩٫٨٧٨ برميل يوميا .

اما في شمال افريقيا فان التطور البترولى كان أكثر سرعة عن مثيله في الشرق الاوسط . وقد تم اكتشاف البترول بكميات تجاريه في الجزائر في عام ١٩٥٦ ووصل الانتاج الى ١٠ الاف برميل يوميا في عام ١٩٥٨ . وفي ليبيا تم اول اكتشاف تجارى للبترول في عام ١٩٥٧ ولكن الانتاج لم يبدأ الا في عام ١٩٦١ .

وفي عام ١٩٦٧ أصبح انتاج دول شمال افريقيا ٢٫٥٨٥٫٠٠٠ برميل يوميا . وارتفع هذا الرقم عام ١٩٦٨ ليصبح ٣٫٢٥٠٫٠٠٠ برميل يوميا ، ثم ارتفع مرة أخرى في عام ١٩٦٩ حيث أصبح ٤٫٢٧٩٫١١٢ برميل يوميا .

استثمارات أمريكا فى المنطقة

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٦ انفقت شركات البترول الامريكية ٢٨ الف مليون دولار على انتاج ونقل وتكرير وتسويق البترول ومشتقاته في مختلف أنحاء العالم . ومن هذا المبلغ كان نصيب الشرق الاوسط ٢٨٥٠ مليون دولار ، وكان نصيب شمال افريقيا ١٥٠٠ مليون دولار . وفي عام ١٩٦٦ أصبح البترول يمثل ٣٠٪ من مجموع استثمارات امريكا الخارجية في العالم كله ، ولكنه كان فى نفس الوقت يقل ٤٥٪ من الدخل الكلى للاستثمارات الامريكية الخارجية المباشرة كلها .

وقد بلغ دخل الولايات المتحدة الأمريكية من استثماراتها البترولية في العالم كله عام ١٩٦٦ مبلغ ١٨٠٠ مليون دولار ، كان منها أكثر من ١١٠٠ مليون دولار من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

استثمارات غير مباشرة

ويوجد الى جانب الاستثمارات المباشرةالامريكية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا استثمارات أخرى غير مباشرة تتمثل في شراء الدول للبضائع الاستهلاكية الأمريكية ، والخدمات ، وأجور موظفى شركات البترول العاملة فى المنطقة ، والمنتجات

---

(٢) الطن المترى = حوالى ٧٫٦١ برميل .

البترولية الكيماوية . الى جانب أن عددا كبيرا من الامريكيين العاملين في الشركات الامريكية بالمنطقة يحولون مبالغ كبيرة من رواتبهم الى الولايات المتحدة .

وفي عالمنا الحالى تتشابك اقتصاديات امريكا مع اقتصاديات كندا وأوربا الغربية واليابان وتتداخل بشكل يجعل مصالح دولة ما هى نفسها مصالح الدولة الأخرى .. ولعل أصدق دليل على هذا التشابك بين المصالح الاقتصادية لهذه الدول يتمثل في عمليات التمويل الدولى والنظام النقدى. فعندما تحدث أزمة للجنيه الاسترلينى ، فان هذا يهدد الدولار .. والضغط على الفرنك الفرنسى قد يخلق صعوبات امام كل العملات الصعبة الاخرى .. وهكذا .. ومن هذا التشابك ينشأ اهتمام آخر غير مباشر لامريكا في منطقة الشرق الأوسط .

وقد بلغ دخل أمريكا الصافي من استثماراتها المباشرة وغير المباشرة في الشرق الاوسط عام ١٩٦٦ حوالى ١٧٠٠ مليون دولار وذلك بعد خصم كل ما دفعته الولايات المتحدة بصفة مساعدات لدول هذه المنطقة .

امريكا ستضطر الى استيراد البترول من الشرق الأوسط

تقوم الولايات المتحدة الامريكية حاليا بانتاج ٨٠٪ من احتياجاتها المحلية للبترول وقد بلغ انتاج امريكا في عام ١٩٦٩ ما يقدر به ١٠,٨١٧,٠٠٠ برميل يوميا .. ولكى تسد امريكا باقى حاجتها فانها تقوم باستيراد البترول من دول امريكا الجنوبية وخاصة فنزويلا التى تمدها ب ١٧٪ من احتياجاتها .. وتستورد امريكا ايضا الثلاثة في المائة الباقية من الشرق الاوسط .

ويمكن لامريكا في حالة الضرورة القصوى ان تقوم بزيادة الانتاج المحلى للبترول ولكن سيتم ذلك على حساب زيادة محسوسة في متوسط تكاليف البترول المنتج ، وايضا على حساب الاحتياطى البترولى المتناقص في الولايات المتحدة .

وقد ثبت ان احتياطى البترول المكتشف في امريكا قد انخفض من كميات تقدر بانها تكفى استهلاك امريكا ١٢ عاما ونصف في عام ١٩٤٨ الى كميات تكفى ١٠ سنوات فقط حاليا .

واذا فرضنا ان مجموع ما تستورده أمريكا للبترول سيظل كما هو اى بنسبة ٢٠٪ من استهلاكها الكلى فان منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية O.E.C.D، قد قدرت ان امريكا ستحتاج لاستيراد ٢,٩٠٠,٠٠٠ برميل بترول يوميا في بداية السبعينيات ، ويصل هذا الرقم ، في تقدير المنظمة المذكورة الى ٣,٧٠٠,٠٠٠ برميل بترول يوميا في عام ١٩٨٠ . واذا فرضنا مرة اخرى ان نسبة زيادة انتاج العالم الغربى للبترول ستظل كما هى اى حوالى من ٣ الى ٤٪ سنويا ، وفى نفس الوقت كانت نسبة زيادة استيراد الولايات المتحدة للبترول تتراوح بين ٥و٦٪ فان هذا يعنى ببساطة ان بترول الشرق الاوسط ستزداد اهميته بالنسبة لامريكا في السنوات القادمة وخاصة ان نسبة زيادة انتاج البترول في المنطقة تصل من ١٠ الى ١٥٪ سنويا .

اما اذا نظرنا الى التطور التكنولوجي الحديث، وما يتطلبه هذا التطور من زيادة ضخمة في استهلاك البترول فان افتراضات منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ستصبح افتراضات اقل ما يقال عنها انها متواضعة . ولكى نضرب مثلا واضحا على ذلك فلناخذ الطائرات الضخمة الحديثة والتى تستهلك في كل رحلة تقطعها آلاف الجالونات من البترول . مما يسبب زيادة الاستهلاك البترولى في دول الغرب وخاصة امريكا .. وتقدر كثير من البحوث ان نسبة هذا الاستهلاك تزداد سنويا بما يقدر بحوالى ٩٪ من الاستهلاك العام بسبب ضرورات الصناعة الحديثة.

وبعمليات حسابية يتضح ان امريكا قد تضطر في اوائل الثمانينيات من هذا القرن الى استيراد اكثر من ٥٠٪ من حاجتها البترولية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

بترول الشرق الاوسط لأوربا واليابان

اما بالنسبة لاوربا الغربية واليابان فان الاعتماد على بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا يعتبر اعتمادا حيويا مباشرا .. ومن المحتمل ان هذا الاعتماد سيزداد ايضا في المستقبل خاصة وان استهلاك البترول في زيادة مستمرة .. في عام ١٩٥٩ كان البترول مصدرا ل ٣٠٪ من الوقود والطاقة اللازمين لاوربا ، وفي عام ١٩٦٤ اصبح البترول هو المصدر ل ٤٥٪ من هذه الطاقة اللازمة لاوربا . وكان البترول ايضا مصدرا ل ٥٦٪ من احتياجات اليابان للطاقة . ومن المعروف انه لا توجد في اى من اليابان او دول اوربا الغربية حقول للبترول تكفى احتياجاتهم الملحة للبترول كمصدر للطاقة .

وفي عام ١٩٦٧ كانت اوربا تقوم باستيراد ٩,١١٠,٠٠٠ برميل بترول يوميا منها ٦,٩١٥,٠٠٠

من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، وفي نفس العام كانت اليابان تقوم باستيراد ٢ر٤٠٥ر٠٠٠ برميل بترول يوميا منها ٢ر٢٥٠ر٠٠٠ برميل بترول يوميا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا .. وهي نسبة تصل الى ٩٠٪ من احتياجات اليابان كلها .

ومن هنا تظهر اهمية بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا لكيان الاقتصاد الغربي كله ، فان انتاج اليابان واوربا الصناعي يساوي تقريبا الانتاج الصناعي للولايات المتحدة الامريكية .. واى تاثير على اقتصاديات اوربا او اليابان يؤثر بالتالي على اقتصاديات امريكا نفسها .

وعلاوة على هذا فان للولايات المتحدة الامريكية مصالح اقتصادية مباشرة من مبيعات بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا لليابان واوربا . وعلى سبيل المثال فان ٦٣ر٥٪ من البترول الذي استوردته اليابان في عام ١٩٦٧ من الشرق الاوسط هو من انتاج شركات بترول امريكية ، وكذلك فان ١٨٪ من مجموع مبيعات المنتجات البترولية في فرنسا يعود لشركات امريكية ايضا . ويمثل بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا اكثر من ثلثي البترول الذي تنتجه الشركات الامريكية خارج امريكا .

احتياطي ضخم .. وتكاليف اقل

ويمتاز بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا برخص تكاليف انتاجه التي تبلغ ثلث تكاليف الانتاج في الولايات المتحدة .. وسدس تكاليف الانتاج في الابار الجديدة بالاسكا . ومن هذا يتضح اهمية هذا البترول من الناحية التجارية ايضا . وتمتلك المنطقة ٧٦٪ من احتياطي البترول المعروف في العالم بينما لا يزيد احتياطي البترول في امريكا عن ١٠٪ فقط من احتياطي العالم . ويبلغ احتياطي البترول في الشرق الاوسط في نهاية عام ١٩٦٩ ما يقدر ب ٢٢٩ر٦٤٠ر٥٥٠ر٠٠٠ برميل ويبلغ الاحتياطي لدول شمال افريقيا في نفس الوقت ٤١ر٤٤٤ر٢٠٠ر٠٠٠ برميلا في حين ان احتياطي الولايات المتحدة في عام ١٩٦٩ هو ٢٩ر٦٣١ر٨٦٢ر٠٠٠ برميلا ، وهذه الارقام ان دلت على شيء فانما تدل على ان بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ستتزايد اهميته على مر السنين .

اغلاق قناة السويس كلف دول اوربا الف مليون دولار في سنة واحدة

بالاضافة الى اهتمام الولايات المتحدة الامريكية بانتاج البترول في الشرق الاوسط ومصالحها الواسعة في هذا الميدان ، فان لها اهتمامات كبيرة ايضا بطرق نقل هذا البترول المستخرج من المنطقة . وتحت الظروف الطبيعية ، فان اهم طريق لنقل البترول في العالم هو قناة السويس . ولقناة السويس اهمية خاصة بالنسبة لدول اوربا فحتى اغلاق القناة في يونيو عام ١٩٦٧ كان ٤٠٪ من البترول و ٣٠٪ من المواد الغذائية و ٧٥٪ من مواد النسيج و ٩٠٪ من المطاط ، و ٥٠٪ من المعادن اللازمة لدول اوربا الغربية تمر في القناة في طريقها الى تلك البلاد .

ولما اغلقت قناة السويس نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ استطاعت شركات الملاحة ان تواجه المشكلة بتغيير خط سير ناقلات البترول الى طريق راس الرجاء الصالح . وازدادت مسافة الرحلة من الشرق الاوسط الى اوربا بمقدار ٧٠٪ .. وتبعا لذلك ازدادت تكاليف الشحن زيادة كبيرة .. ولم تكف ناقلات البترول الموجودة في ذلك الوقت لنقل الكميات الكافية من البترول اللازم لدول اوربا فقامت شركات الملاحة بتحويل عدد كبير من سفن الشحن العادية الى ناقلات بترول على وجه السرعة . وازدهرت حركة بناء ناقلات البترول العملاقة .. ولكن كل هذا قد كلف شركات الملاحة والدول المعنية الكثير من المال والوقت .

وقد قدر بنك انجلترا ان اغلاق قناة السويس في السنة الاولى قد كلف ميزان المدفوعات البريطاني ٢٥٠ مليون دولارا .

وقامت الحكومة الفرنسية بدفع مبلغ ١٣٥ مليون دولار كتعويض لشركات البترول الفرنسية عن خسارتها بسبب زيادة تكاليف نقل البترول الناتجة عن اغلاق القناة وذلك في السنة الاولى من اغلاقها .

وقدرت زيادة تكاليف نقل البترول المستورد الى المانيا الغربية بحوالي ١١٠ ملايين دولار في السنة الاولى ، وازدادت مصاريف ايطاليا بحوالي ١٢٥ مليون دولار . وبعملية حسابية يتضح ان اغلاق قناة السويس للسنة الاولى قد كلف اوربا حوالي الف مليون دولار !!

وبالرغم مما يقال حاليا من ان اهمية قناة السويس قد تناقصت بسبب بناء الكثير من ناقلات البترول العملاقة الا ان الحقيقة هي خلاف ذلك تماما ، فان زيادة حاجة امريكا ودول الغرب

للبترول المنتج في الشرق الاوسط ، وزيادة انتاج الشرق الاوسط من هذه المادة الحيوية والتى تقدر بحوالي ١٥٪ سنويا .. كل هذا يحتاج الى زيادة كبيرة جدا في عدد ناقلات البترول اذا استمر اغلاق القناة وحتى السفن العملاقة وغيرها والتى يجرى بناؤها الآن لن تكفى لسد حاجة العالم من البترول الا اذا اعتمدت على قناة السويس كطريق مائي حيوى .

دور دول الشرق الاوسط في الحركة المالية الدولية

يعتبر الدور الذى تلعبه دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا في مجال الحركة المالية الدولية ، دورا هاما بالنسبة لامريكا وغيرها من دول أوربا الغربية .

وتحتفظ دول هذه المنطقة باحتياطي ذهبي ونقدى تقدر قيمته بحوالي ٢٥٠٠ مليون دولار ، ومن بين هذا المبلغ عملات صعبة قيمتها تصل الى ٢٢٠٠ مليون دولار . واغلب هذه العملات من الدولار والاسترليني .

والى جانب هذا الاحتياطي الرسمي ، فان هناك الكثير من رؤوس الاموال الخاصة والمملوكة لرعايا دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا مودعة في بنوك امريكا وأوربا ، وفي استثمارات أمريكية او اوربية .. وتقدر هذه الاموال بآلاف الملايين ايضا .

اى ان منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا قد تستطيع ان تحدث هزة دولية في الاسواق المالية العالمية اذا ما ارادت هذا .. ويضاف الى هذا ايضا ان دخل المنطقة من البترول فقط يزداد سنويا ، حتى انه قد يصل في بداية ١٩٨٠ الى عشرة آلاف مليون دولار ، وقد وصل دخل المنطقة من البترول الى أكثر من ٥ آلاف مليون دولار في عام ١٩٦٩ .

الغاز الطبيعي الشرقى ... ثروة لم تستغل بعد

أثبتت الاكتشافات البترولية الاخيرة في منطقتي الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، انه يوجد بهما ثلث الاحتياطي العالمي المعروف بالنسبة للغاز الطبيعي . وبالرغم من ان الاستغلالات الصناعية للغاز الطبيعي لم تبدا بعد في اكثر دول المنطقة ، الا ان الانتاج التجارى بدأ على درجة لا بأس بها في كل من الجزائر وايران .

وهناك مشروعات تحت التنفيذ ، أو قيد البحث ، لتسييل الغاز واستعماله في الصناعات البترولية الكيماوية في مختلف انحاء المنطقة .

مصادر أخرى للثروة في المنطقة غير البترول

الى جانب الثروة البترولية ، والتى تكون الجانب الاكبر من مصالح امريكا الاقتصادية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، توجد ايضا بالمنطقة ثروات أخرى ، ففي المغرب توجد ثروة من الفسفات تجعلها اكبر دولة مصدرة للفسفات في العالم . وتعتبر المغرب ايضا الدولة الثانية في العالم بالنسبة لانتاج الكوبلت ، والسادسة بالنسبة لانتاج المنجنيز ، وكلها مواد هامة بالنسبة لامريكا .

والجمهورية العربية المتحدة هي اكبر مصدر للاقطان طويلة التيلة في العالم كله .

وتركيا هى ثالث أكبر دولة منتجة للكروميت (خامة الكروم) ..

وتعتبر دول المنطقة كلها من اكبر المصادر الرئيسية للخضر والفواكه الطازجة لاوربا في الخريف والشتاء والربيع .

★ ★ ★

هذا بحث سريع لاهتمامات امريكا ومصالحها الاقتصادية في دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وقد اعتمد هذا البحث على الارقام والاحصائيات التى وردت في تحليل عن مصالح امريكا في الشرق الاوسط صدر في عام ١٩٦٨ عن المعهد الامريكي للبحوث السياسية العامة . كما اعتمد ايضا على آخر احصائيات قامت شركات البترول بنشرها عن أعوام ٦٨ ، ٦٩ .

ومن هذا البحث تتضح بصورة جلية الاهمية الاقتصادية المتزايدة لبترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ليس بالنسبة لأمريكا وحدها ولكن بالنسبة لبقية دول العالم كله .. وتتضح ايضا أهمية هذا البترول بالنسبة لدول الشرق الاوسط التى يمكنها ان تجعل منه وسيلة من أمضى وسائل التطور والتقدم وملاحقة العصر الحديث .. والحصول على مقدار أكبر من العدالة الدولية التى لم يحظ العرب منها الى اليوم بطائل. ■■

محمد طنطاوي

صفحة في اللغة

تحقيق المخطوطات ضرورة لإحياء التراث العربي

بقلم : عبد الستار فراج

■ في التراث العربي كثير من المخطوطات ما تزال بحاجة الى النشر والتحقيق ، طبقا للقواعد الصحيحة السليمة .

ولسنا بصدد بيان شروط التحقيق ، الا ان اهم ما يتطلبه هو ثقافة واسعة واطلاع على المراجع ، ومعرفة مظان البحث ، وكيفية الاهتداء الى النصوص التي تتصل بالكتاب المراد تحقيقه ، مع خبرة بالفن الذي يدور حوله الكتاب ، حتى لا يظهر شيء من هذه الكتب بادي النقص مملوءا بالتحريف .

واي قيمة لكتاب يكون محرف الكلمات ، مختل الاوزان في الشعر ، او فاسد الضبط ، او كثير الغموض ؟.

ومن قبل كانوا يستطردون في تاليفهم . فتاتي أمور مهمة عرضا . يمليها الحديث ذو الشجون . لهذا كانت فهرسة الكتب المحققة أهم ما يعنى بها في نشر التراث . والا لقلت الفائدة المرجوة منه . فليس كل احد يرضى ان يضيع وقته في كل مرة ليبحث عما تناثر بين ثنايا الكتاب المحقق ، وبخاصة اذا كان متعدد الاجزاء .

لهذا كان مما يبعث على الرضا والاطمئنان ان يسهم في تحقيق الكتب من لهم قدر كبير من الثقافة وقدرة على الدراسة والاستيعاب .

ومما يضاعف السرور أن تمتد هذه الرغبة في احياء التراث الى جميع الأقطار العربية لتبرز لنا ما أثمرته قرائح العلماء في كل بقعة ، وفي كل لون من ألوان العلوم والفنون ، مما ظل في مخطوطاته قابعا في ثنايا المكتبات العامة والخاصة ، ويخشى عليه عوادي الايام وطوارق الحدثان .

وفي كتاب « متنوعات محمد الفاسي » الذي صدر سنة ١٩٦٧ بمناسبة مرور عشر سنوات

على تأسيس جامعة محمد الخامس قائمة بأبحاث ومؤلفات الاستاذ محمد الفاسي « محمد بن عبد الواحد الفاسي الفهري » تجاوزت المائة والثمانين ، ما بين كتب مؤلفة ومقالات طريفة وكتب محققة . وهذا محصول عظيم بالنسبة لرجل شارك في أعمال كثيرة ، منها السياسة والادارة قد تشغله عن الكتابة والتأليف . ومن هذه الأعمال انه كان مدير تلك الجامعة .

ومن الكتب المهمة الجديرة بالتنويه ما هو خاص بالرحلات لما فيه من طرافة ودقة ملاحظة ووصف للاقاليم وذكر للعلماء .

وابناء المغرب كانت لهم ولا تزال مجالات واسعة في كل العلوم الدينية والعربية ، كما كان لهم مجال كبير ونصيب وافر في فن الرحلات . ومن ذا الذي لم يسمع عن رحلة « ابن بطوطة » التي طبعت مرات وبعدة لغات .

وبين أيدينا بعض الكتب التي حققها الاستاذ نذكر منها :

١ ـ « أنس الفقير وعز الحقير » : لمؤلفه ابن منقذ المتوفى سنة ٨١٠ هـ وقد طبع سنة ١٩٦٥ . ويمتاز هذا الكتاب بانه رحلة قصد بها مؤلفها زيارة أولياء وقته،والوقوف على أضرحة الصالحين، والمهم فيه هو ما شاهده المؤلف بنفسه من اتصالاته الشخصية برجالات التصوف في عهده وذكر اخبارهم ومجاهداتهم والاشارة الى ما تمتاز به سيرة كل واحد منهم . والكتاب يرينا الحياة الصوفية في المغرب في القرن الثامن الهجرى .

٢ ـ « أنس السارى والسارب » ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي ، يذكر فيه رحلته الى الحجاز سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠م) ، ويصف المراحل التي قطعها والمناهل التي وردها ، والبلاد والمدن التي اجتازها ، وقد ملأ رحلته بمقطوعات شعرية وقصائد ووصف ما رآه من آثار ومشاهد وطبع سنة ١٩٦٨ .

٣ ـ الرحلة الابريزية الى الديار الانكليزية :

مجمع اللغة العربية والمصطلحات العلمية

نشرنا بافتتاحية العربي بعدد اول نوفمبر ١٩٧٠ ان مجمع اللغة العربية في القاهرة صاغ من المصطلحات اللازمة اعدادا غفيرة قاربت مائة الف مصطلح ، ووعدنا بتفصيل ذلك . وهاك هو التفصيل :

بلغ ما اخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة الى اليوم نحواً من ٣١٧٠٠ مصطلح ، في شتى العلوم والفنون، وهي المصطلحات التي أقرتها نهائيا مؤتمرات المجمع السنوية ، وهي غير المصطلحات التي لا تزال في لجان المجمع المختلفة الكثيرة لم تنته منها ، وهذه قد تبلغ نحو ضعف ما اقرته المؤتمرات .

وهذه المصطلحات في الاحياء والطب والرياضة والهندسة والفزياء والكيمياء

ومؤلفه أبو الجمال بن الطاهر بن عبد الرحمن . وعنوان الكتاب من وضع الأستاذ محمد الفاسي ، اذ ان المؤلف لم يضع له عنوانا . وقد أحسن في اختياره للعنوان قياسا على رحلة كانت في زمن المؤلف نفسه الى فرنسا عنوانها « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » .

والرحلة الابريزية هي انطباعات أحد رجال المغرب الذي ينتقل من حياة هادئة لها عاداتها وتقاليدها ، الى حياة جديدة عصرية حافلة بالآلات والمصانع والوان المدنية الزاهية ، فيصف كل ما يشاهده منذ ركوبه الباخرة من طنجة الى

والصيدلة والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والموسيقى والاجتماع وعلم النفس والقانون والاقتصاد والجيولوجيا وغيرها .

واقول اخرجها المجمع ، ولا اقول صاغها ؛ فالكثير منها كان معروفا فاقرته اللجان بعد فحص والمؤتمرات .

والسؤال الذى يفرض نفسه : **لمَ لمْ يطبع المجمع كل هذه المصطلحات معا وينشرها فى معجمات ؟ والجواب** : ان المعجم لا يصلح لنشر الا عند تمامه . والمجمع آخذ فى نشر بعض هذه المعاجم التى كادت تتخذ شكلا قريبا من اكتمال .

ولقد فتح المجمع بابه واسعا لكل من يريد أن يتزود من مصطلحاته؛ فخرجت معاجم جديدة حوت مما اخرج المجمع من المصطلحات الكثير ، وفى هذا يقول صديقنا الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، امين عام المجمع ، فى كلمته امام مؤتمر المجمع لعام ١٩٦٨ :

« ... واظنكم تذكرون تلك الحركة التى يضطلع بها « مكتب التعريب » فى الرباط ، فقد وقفتم على الكثير من ثمارها ، ورايتم انها جمعت مئات المصطلحات في شتى العلوم والفنون ، وبدا لكم انها تعول التعويل كله على ما اقره مجمع اللغة العربية من قبل .

« وامامي اليوم مثل اخر يستلفت النظر ، وهو ما ظهر في لبنان في العام الماضي من معجمات ، فقد نشر منها ثلاثة ، تكاد تدور كلها حول المصطلح العلمي . اولها « قاموس حتى الطبي » ، وثانيها « المصطلح » للاستاذ حسن السمران ، وثالثها « المورد » للاستاذ منير بعلبكي .. » .

والذى يعنيني منها هنا هو ان اصحابها يعلنون جميعا فى صراحة انهم اخذوا عن مجمع اللغة العربية ، وافادوا منه .

وبهذا اصابت مجهودات المجمع نشرا وانتشارا .

ان رجع ثانية . وهى رحلة دامت سبعين يوما ، وكانت تلك الرحلة سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٦٠ م) وطبع الكتاب سنة ١٩٦٧ . وهى رحلة طريفة فى قدمها .

٤ ـ واكبر هذه الكتب كتاب « رحلة العبدرى» المسماة « الرحلة المغربية » ومؤلفه العبدرى يصف زيارته سنة ٦٨٨ هجرية للحجاز وبيت المقدس ، وما شاهده فى طريقه منذ قيامه من المغرب ، وتراه يهتم بالعلم والعلماء والأدب والأدباء ووصف العادات والمجتمعات ، ويحفل كتابه بالقصائد والمقطوعات .

وهذه الكتب حققها الأستاذ منفردا ، ما عدا الكتاب الاول « أنس الفقير » فقد شاركه فى تحقيقه « ادولف فور » الذى كان استاذا بكلية الآداب واننا لنجد في كل كتاب مقدمة مشتملة على دراسة وافية ، كما وضع لكل كتاب فهارس للموضوعات والاعلام والالفاظ الاصطلاحية ، وأسماء الكتب ، مما يستلزم أن يصحب الكتب المحققة لتيسير الوصول الى ما فيها . هذا الى جانب ما تجده بهوامش الكتب من شرح أو توضيح ليجلو ما غمض، وما لا يستطيع الاكثرون الوصول اليه . فكان فى عمله من المحسنين . ■■

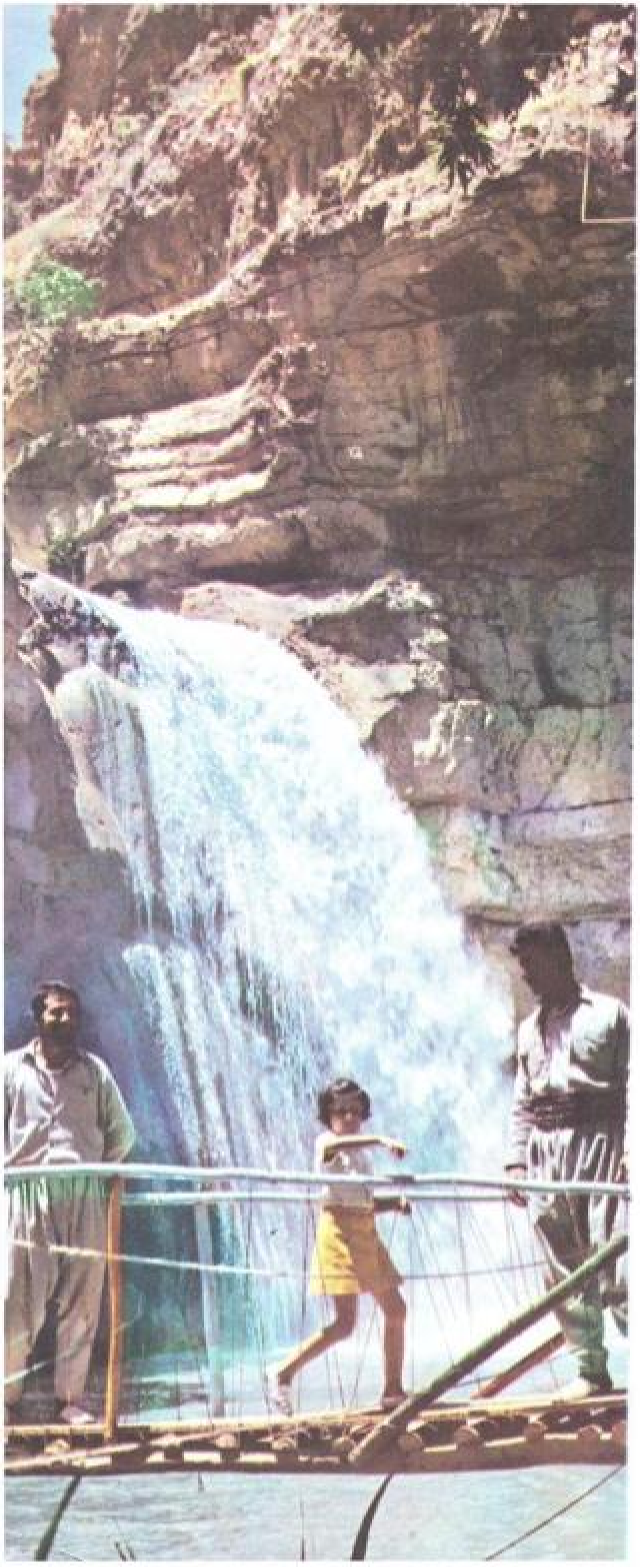
عبد الستار احمد فراج

اعرف وطنك أيها العربي

الأكراد







استطلاع : سليم زبال

تصوير : أوسكار متري

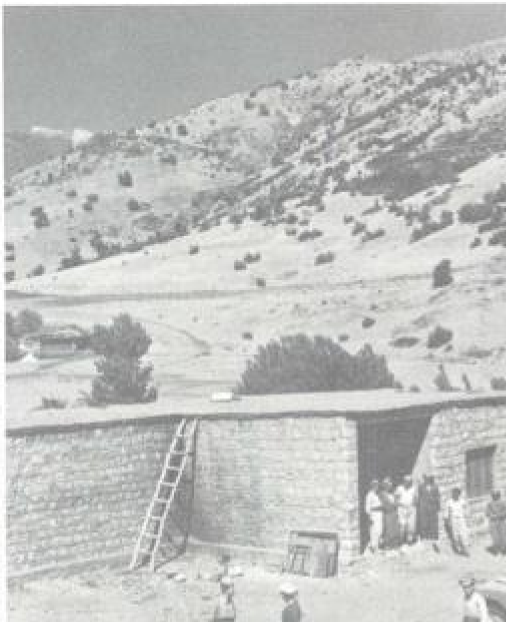


بدا السلام يرفرف فوق شمال العراق بعد معارك طاحنة متقطعة ظلت مستمرة منذ عام ١٩٣٣ واصبح بالامكان التوجه لمقابلة الملا مصطفى البارزاني زعيم الاكراد ، ورجاله الاشداء البيشمرجة(الصورة العليا) .. كما انفتحت الطرق المؤدية الى مصايف الشمال ، حيث الطبيعة الرائعة والشلالات المتدفقة ، وخاصة شلال كلي على بك (الصورة اليسرى).

« عندما تطبق بيدك على عصفور صغير ، يسعى الطير المسكين جاهدا للتخلص من قبضتك فيحاول ان يرفرف بجناحيه ويضرب بساقيه محاولا النجاة .. وهكذا كان حالنا نحن الاكراد ، مشابها تماما لحال العصفور المسكين .. ومع ذلك قالوا عنا اننا قتلة وسفاكو دماء واهل حرب ، في حين اننا حملنا السلاح لندفع به الخطر عن انفسنا .. اننا لم نكن نسعى ابدا للحرب ، انما سعينا دائما للسلام .. »

بهذه المقدمة بدأ زعيم الاكراد الكبير الملا مصطفى البارزاني حديثه عندما جلسنا نستمع اليه ..

من هو هذا الرجل الاسطوري ؟ ثم ما هي قصة هؤلاء القوم الذين يتزعمهم ؟ من هم الاكراد ؟ وكيف وأين يعيشون ؟ ثم ما هي تقاليدهم وعاداتهم ؟ وآمالهم وآلامهم ؟ لقد عشنا بينهم أسبوعين ، لننقل لك هذا الاستطلاع من قلب تلك المنطقة الجبلية الرائعة ، حيث يعيش الاكراد ..



قصر السلام .. الاسم الذي يطلقه الاكراد على هذا المبنى الصغير المتواضع القائم في منطقة ناوبردان ، اي بين الجسرين ، قرب الحدود الشمالية مع ايران .. ففي هذا المبنى دارت مفاوضات السلام التي استمرت ثلاثة أشهر ، بين الاكراد والحكومة العراقية وانتهت بتوقيع بيان ١١ مارس (آذار) ١٩٧٠ ومما يذكر أن جدران المبنى الداخلية مغطاة بالنايلون الاخضر ...

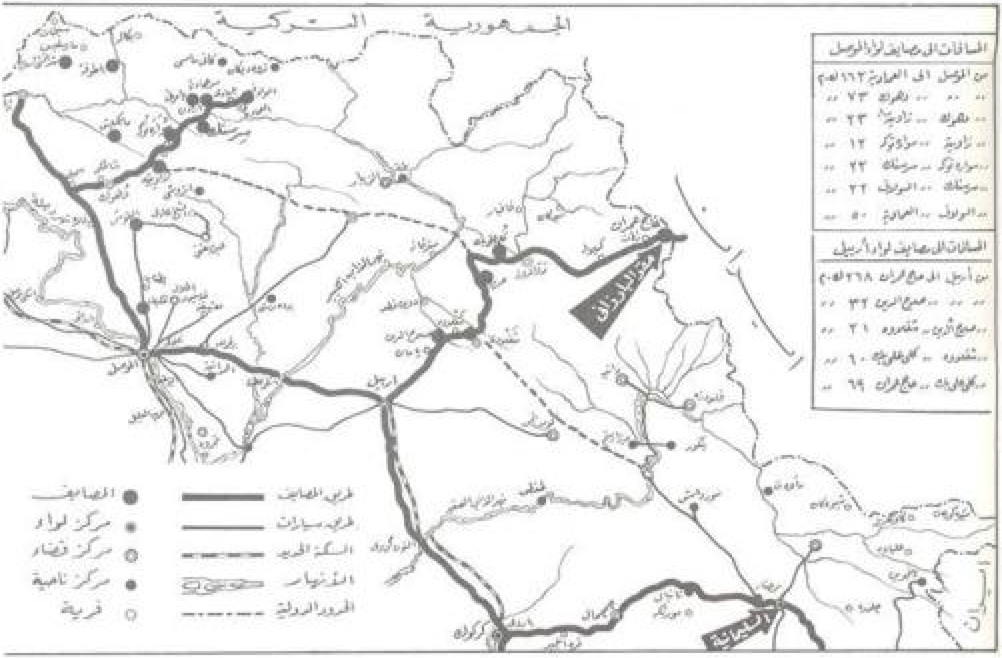
كانوا .. فاصبحوا

ثورة بعد ثورات .. ودمار وخراب .. وهجرات من الارض الطيبة الى الكهوف والجبال هربا من جحيم النار .

واستمر الحال على هذا المنوال سنوات طوالا ، حتى كان صباح ١١ مارس (آذار) ١٩٧٠ وفي هذا اليوم ساد الجبال هدوء لم يكن يخطر على بال .. وبدأت الجبال والوديان تردد أصداء الالحان بدلا من صفير الرصاص .. انها أصداء الأغاني والاهازيج وزغاريد الافراح .. والتف الناس حول المذياع يكادون أن يحتضنوه ، وهم يستمعون الى صوت المذيع مرددا بيان مجلس قيادة الثورة العراقي وخاصة عندما قال :

« لقد تم الاعتراف بالوجود الشرعي للقومية الكردية ، وأصبح الشعب العراقي مكونا من قوميتين رئيسيتين ، هما القومية العربية ، والقومية الكردية ، ضمن الوحدة العراقية .. وسوف يكون أحد نواب رئيس الجمهورية العراقية كرديا ، كما سيتمتع الاكراد بالحكم الذاتي في إطار الجمهورية العراقية .. واللغة الكردية ستصبح اللغة الرسمية الى جانب اللغة العربية ، في المناطق التي غالبية سكانها من الاكراد ، كما ستدرس اللغة الكردية في بقية انحاء البلاد ، باعتبارها لغة ثانية ، في الحدود التي يرسمها القانون .. » .

ويتابع المذيع كلامه : « وقد صدر عفو عام عن جميع الذين اشتركوا في أعمال العنف ، كما فتحت المدارس أبوابها للطلبة الذين اضطروا الى ترك الدراسة بغض النظر عن أعمارهم .. وسوف يكون عيد النوروز ـ الكردي ـ عيدا وطنيا في جميع انحاء الجمهورية » .



خريطة توضح المنطقة الشمالية من العراق حيث يعيش معظم الأكراد .. انها منطقة مصايف طبيعية من الدرجة الأولى ، ولكنها تحتاج الى عمل متواصل للنهوض بها .. ويقيم الملا مصطفى البارزاني في مصيف حاج عمران ، الواقع على الحدود العراقية ــ الايرانية .. ويرتفع هذا المصيف ١٧٨٠ مترا فوق سطح البحر .. والثلوج تغطي قمم جباله صيفا وشتاء،وتنخفض حرارته في الشتاء الى ١٥ درجة تحت الصفر

النزول من الجبل

وهكذا حل السلام الحقيقي لاول مرة في شمال العراق ، وبدأ الثائر ينزل من قمة الجبل الى المدينة والقرية.. يرقص رقصة الراسة الحماسية ويسير مختالا بزيه الوطني « الشوخيد رانك والكيلاو والجمانا » اى السروال والسترة ولفة الراس .. يتجول في الشوارع والطرقات ، متطلعا الى المعروضات والحوانيت ، ولكنه لا يشترى منها كثيرا ، وانما يكتفي بشراء أسياخ الكباب ، يأكلها على ناصية الطريق وهو واقف بجانب عربة البائع المتجول .. بينما الكلاب الضخمة ، ذات الفرو الثقيل تنتظر قطعة العظم من البائع ، لتتقاتل عليها .

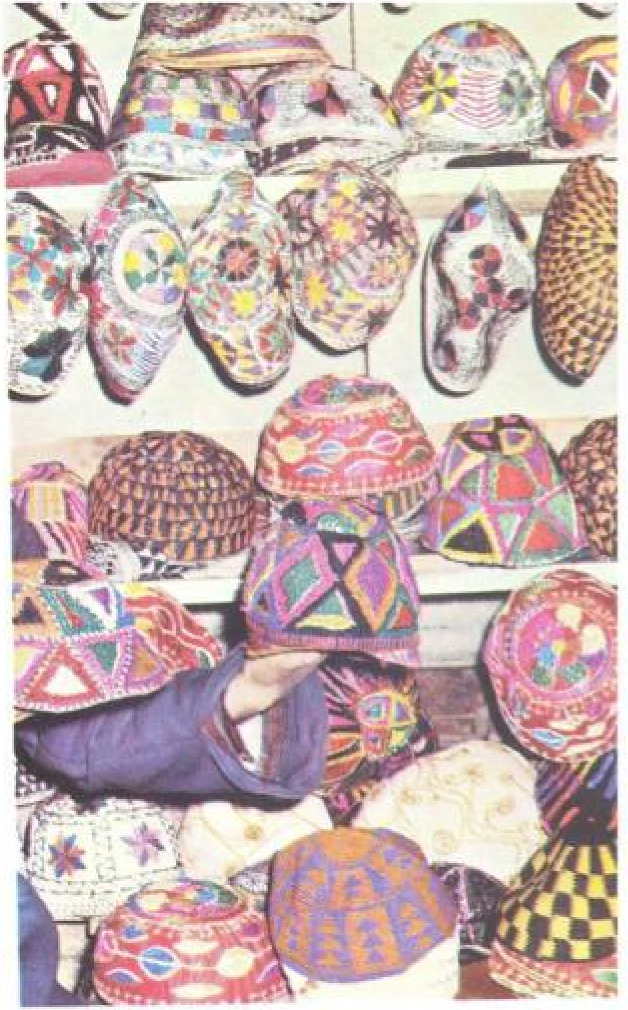
وعندما يتعب الكردى من التجوال ، يجلس على كرسي في أحد المقاهي ، يلعب الدومينو مع اخوانه، ويحتسي الشاى ، ويتفرج على الرائحين والغادين، الذين يتفرجون بدورهم على الجالسين في المقاهي .. وتميل الشمس الى الغروب ، فيبدأ في شرب العرق المسيح والبيرة المثلجة ، وتدور راسه من تاثير الخمر ، فيتخيل انه خمر السلام الذى طالما اشتاق اليه ، وهو متربص داخل الكهف فوق الجبل ..

لقد كانت مدن شمال العراق اشبه بثكنة عسكرية، اما اليوم فقد عاد الأهالي يملاون شوارعها ومقاهيها ، انهم يعيشون في فراغ كبير منذ ان حل السلام ..

لقد جعلنا من هؤلاء المحاربين رجال سلام .. سلام جاء لقوم فرغوا من حرب ، ولم يؤمن لهم من بعد حرب ، عمل سريع بشغل الفراغ .. انها فترة الانتقال من الحرب والدمار الى السلام والبناء . .

نصيب الأكراد من السلام

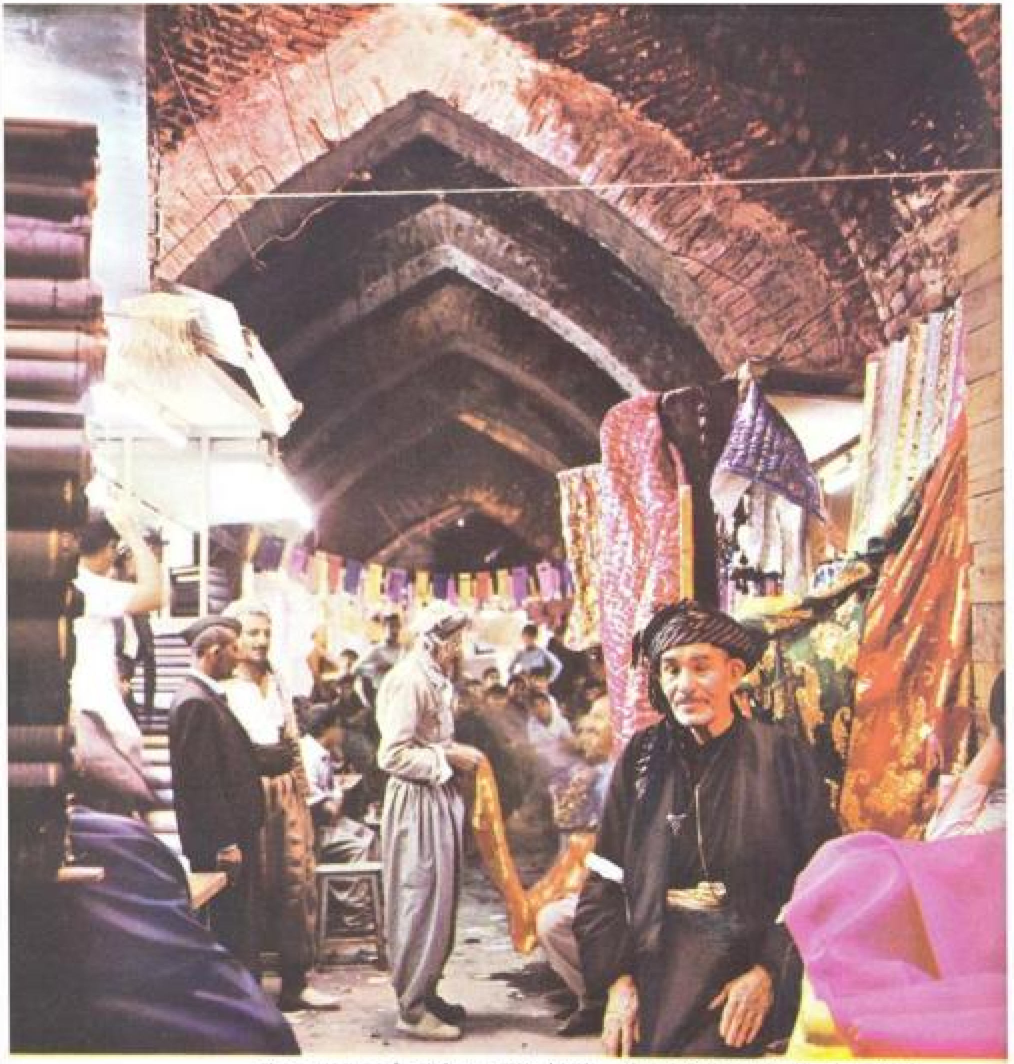
وعندما يقولون لك : ان السلام حل لاول مرة في شمال العراق ، بعد حرب استمرت ١٠ سنوات لا تصدقهم !! لان الحروب لم تتوقف في تلك المنطقة



الى اليمين : يعشق الاكراد ارتداء الملابس ذات الالوان الصارخة المتعددة .. ولكن هذه الالوان اقتصرت عند الرجال على «الكلاو» أى طاقية الراس ، التى تباع الواحدة منها بحوالى ٥٠ فلسا . ومن الطريف أنهم ما زالوا يرددون في المنطقة قصة الكردى الذى صعد الى المشنقة لتنفيذ حكم الاعدام فيه ، وقبل أن يشد الجلاد الحبل، سأل المتهم عن رغبته الأخيرة فنظر الكردى عاليا واجابه : **اريد ابدال حبل المشنقة بحبل ملون !!**

الى أسفل : واجهة احدى محلات المجوهرات في السليمانية ، وهى تزخر بالمصوغات المصنوعة من الذهب والفضة ..





ما زالت أسواق السليمانية على نفس النمط القديم ، الذي أقيم عند بناء المدينة عام ١١٩٩ هـ ـ ١٧٨٤ م ويسكن السليمانية حاليا حوالي ١٢٠ ألف نسمة .

الى أسفل : في الاحتفالات والاعياد ، تضع المرأة فوق رأسها طاقية تسمى « فيست » .. وهي على أنواع وأشكال عديدة ، تزينها الجنيهات الذهبية الخالصة ..



منذ ٢٥٠٠ سنة .. حروب متتالية .. ودمار شامل متعاقب ، حل بشمال العراق .

احتلها الاسكندر الاكبر ، ودمرها هرقل الروم، وجاءها التتار ايام جنكيزخان فعاثوا فيها دمارا وتخريبا .. وبعد فترة وجيزة اهتزت المنطقة ثانية على وقع حوافر خيل تيمورلنك ، الذي احرق ودمر ما تبقى قائما .

وانتهت الحرب العالمية الاولى على سلام ، وكان نصيب الاكراد من هذا السلام تقسيمهم الى ثلاثة اقسام : جزء تحت سيطرة تركيا ، وآخر تحت حكم ايران ، وثالث تحت حكم العراق .

وثارت ثائرة الاكراد فتميعت حركاتهم لا سيما في تركيا وايران .. وفي العراق - حيث يتركز استطلاعنا هذا - بدأ البارزانيون ثورتهم الاولى عام ١٩٢٣ اعقبوها بثورة ثانية عام ١٩٣٤ وثالثة ورابعة في عامي ١٩٤٢ و١٩٤٧ ثم ثورتهم الاخيرة التي بدأت عام ١٩٦١ وانتهت في مارس ١٩٧٠ باعلان بيان السلام .

مصير البيشمرجة

ونتيجة لهذه المعارك والثورات ، اصبح لدى الاكراد قوة مسلحة عدد افرادها نحو ٢١ الفا من « البيشمرجة » .. اى المحاربين المسلحين ، الذين يكونون شبه جيش نظامي ، انهم من ابناء الشعب الاقوياء .. وحدث بعد ذلك ان تم الاتفاق بين الاكراد والحكومة العراقية على تحويلهم الى حرس للحدود ، وشرطة في البوليس ، وجنود في الجيش النظامي العراقي .

التاريخ والأساطير

والسؤال الذي يردده المرء هو : من اين جاء هؤلاء الاكراد ، وما هو أصلهم ؟ والواقع ان أصل هؤلاء الاكراد الاشداء شغل تفكير العديد من المؤرخين الذين خرجوا بنظريات متضاربة ، تجعل الانسان يعتقد ان الاكراد جاز ان يكونوا قد جاءوا من اي مكان .!

اما أبو القاسم الفردوسي صاحب الشهنامة ، وهو الذي امضى في تأليفها ٣٥ عاما ، فيذكر اصل الاكراد بقصة اسطورية ، أورد فيها اسم الملك ازدهاق (الضحاك) والحيتين اللتين خرجتا من منكبيه تقتاتان من ادمغة الناس ، ثم كيف اشفق السيافان على الناس، فكانا ينقذان كل يوم رجلا ، حتى اجتمع فوق الجبال عدد كبير منهم ، انحدر من نسلهم الاكراد!

ورغم اختلافات المؤرخين وأساطير الفردوسي ، الا ان الاكراد يشكلون شعبا مميزا ، له اسلوب خاص يعتمد على اصول حضارية قديمة .. ولو كان لجبل بيرامكرن لسان ، لروى قصة السلف الذي لم يترك شيئا للخلف ، حتى يكتب تاريخا صحيحا عن الاكراد .. والواقع ان الشعب الكردي لم تتح له فرصة يستريح فيها ليتعرف على أصوله .

في الطريق لمقابلة البارزاني

وقررنا التوجه لمقابلة زعيم الاكراد الملا مصطفى البارزاني ، وبدأنا نستعد للرحلة الطويلة ... لان الزعيم الكردي يعيش في منطقة حاج عمران *. المصيف البعيد النائي ، على رأس جبل قرب الحدود الشمالية مع ايران .. وانطلقنا من السليمانية ، الى كركوك ، الى اربيل ، الى مصيف صلاح الدين .. الطريق جبلي معبد ممهد فسيح ، وبعدها يستمر في الارتفاع متعرجا متلويا خطرا ، فيمر على سلسلة مصايف طبيعية رائعة : شقلاوه، كلي على بك راوندوز كيلاله . وتسير السيارة وسط غابات من اشجار البلوط والعفص والسنديان والجوز واللوز .

ومع اقترابنا من مقر زعيم الاكراد .. لم نعد نسمع ضحكات مرافقنا كاكا انور *، كان مرحا ضاحكا طوال الرحلة .. وعندما اقتربنا من مقر زعيمه البارزاني خيم على وجهه نوع من الرهبة والجمود .. وفي قرية كيلاله اتجه الى حلاق القرية وطلب منه قص سوالف شعره الطويلة ، « اذ لا يجوز لنا نحن الاكراد ، من ناحية الاحترام الشخصي مقابلة زعيمنا بسوالف طويلة » .. هكذا قال لنا مرافقنا كاكا انور توفي .

وسألناه : « هل تحبه كثيرا ؟ »

فاجابنا : « انى لا أحبه فقط ، وانما اضعه في مرتبة تقرب من العبادة !! »

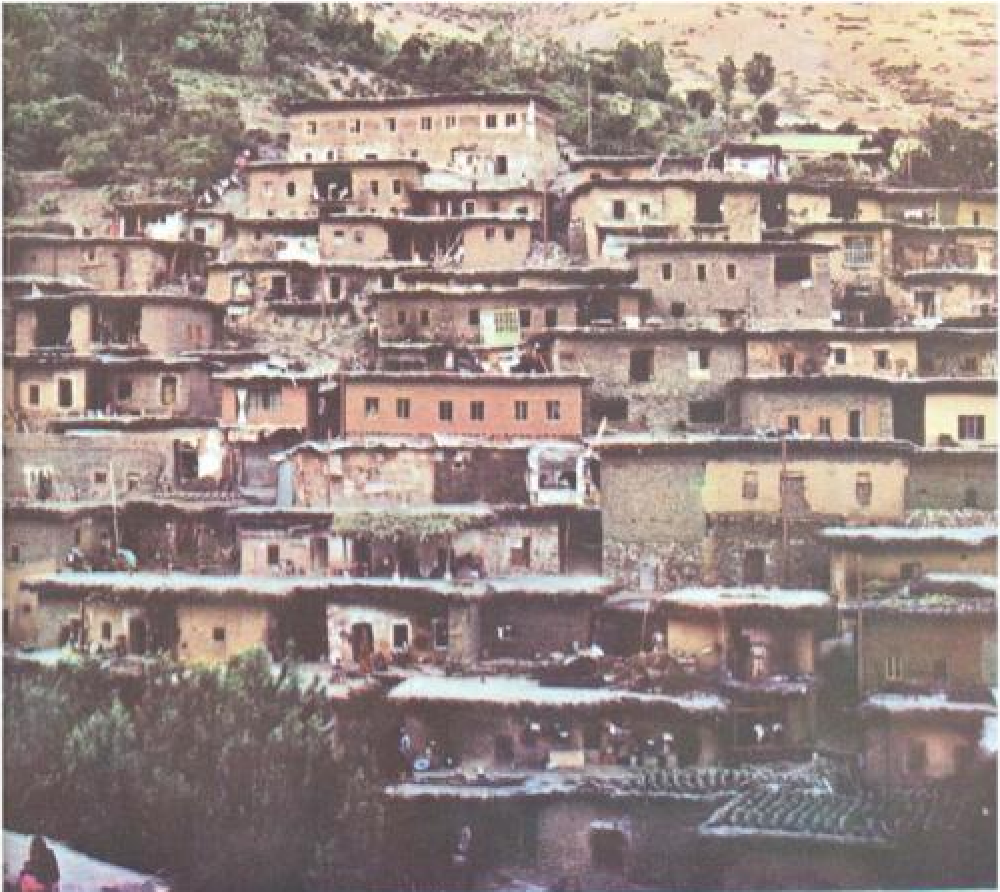
في مقر قيادة البارزاني

ووصلنا الى ناو - بردان اى بين الجسرين ، انها مقر قيادة البارزاني ، ومركز المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني المكون من سبعة اشخاص : ٣ مهندسين وطبيب ومحام ، وخريج كلية الشريعة وعميد ركن في الجيش العراقي .



اجتماعات شعبية مفتوحة ، ظلت تنعقد بعد بيان ١١ آذار (مارس) لتوعية الشعب الكردي ببنود هذا البيان .. وفي الصورة العليا نرى محافظ السليمانية السيد شكري صبري الحديثي ، والى يمينه مسعود البارزاني نجل الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني ، والى يمين المحافظ جلس الدكتور محمود عثمان الطبيب الخاص للزعيم الكردي ورئيس وفد المفاوضات الكردي .. لقد أجاب هؤلاء المسئولون وغيرهم ، على عشرات الاسئلة التي تدفقت عليهم من الجماهير (الصورة اليسرى) ..





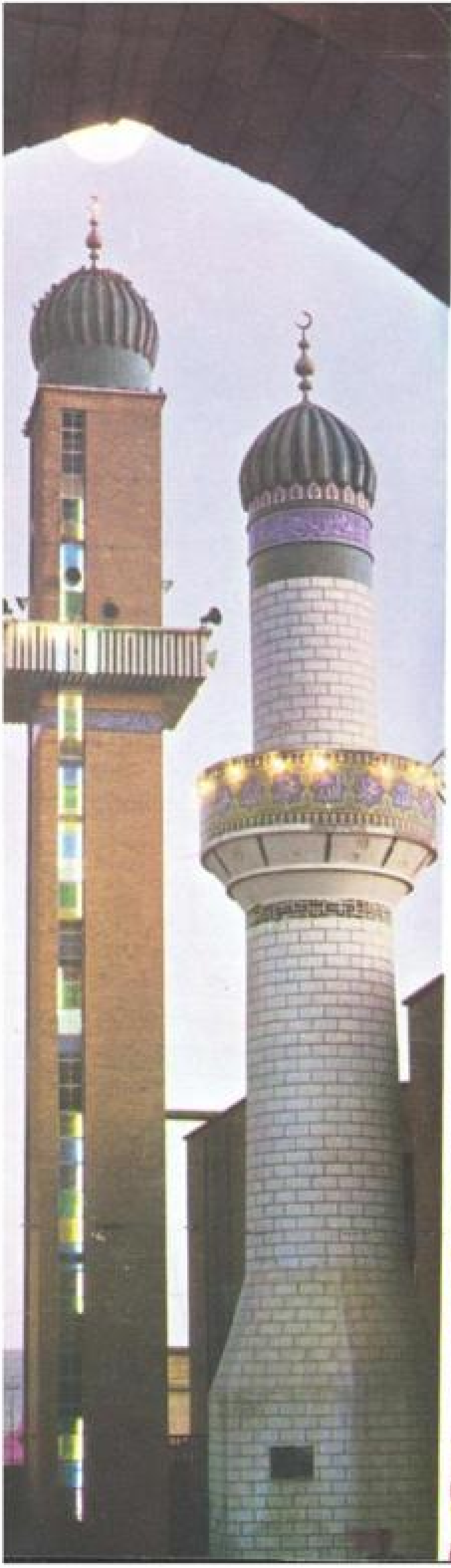
تتميز القرية الكردية الجبلية بطابعها الخاص .. منازلها ترتفع فوق بعضها بحيث أن سطح المنزل السفلى يستعمل شرفة للمنزل الذى يعلوه !! وجميع واجهات المبانى تطل على الجنوب ، لوقاية المنزل من رياح الشمال !!

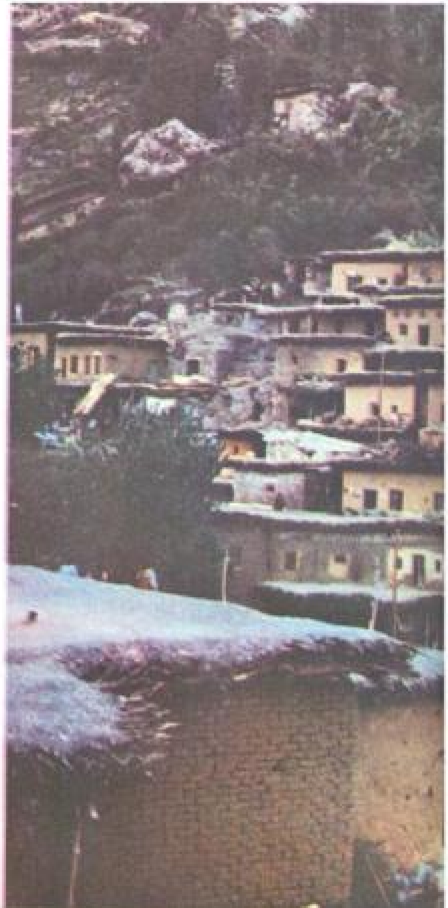
الى أسفل : لوقف القتال .. وبدأ الاكراد عملية بناء منطقتهم التى عزلتها المعارك عن العالم .. وهذه مجموعة منهم تعمل فى بناء مستشفى السليمانية .

الى أسفل : أسقف مبانى بعد سقوط الأمطار ،



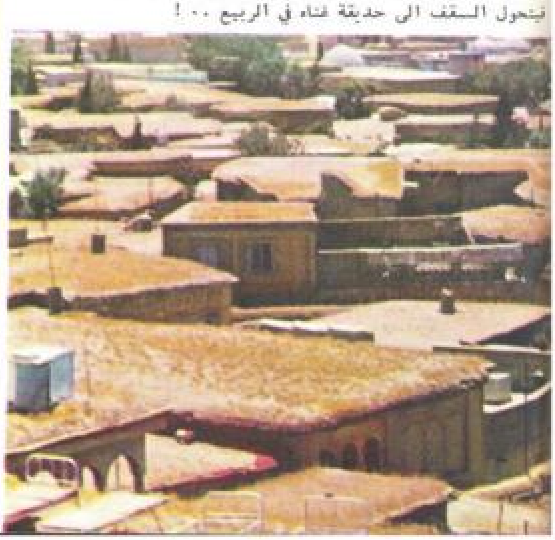






الى اليسار : مئذنتا جامع كاكا احمد ، الاولى شيدت
ام ١٧٨٥ والثانية جديدة ، شيدت عـــام ١٩٤٦ .

السليمانية .. واغلبها مصنوع من طين ولبن ، تنمو عليها الاعشـاب
يتحول السقف الى حديقة غناء في الربيع .. !



المنطقة تحيط بها الجبال العالية من كل جانب، ورجال البيشمرجة منتشرون في كل مكان بمدافعهم الرشاشة الحديثة وزيهم الرسمي الشوخدرانك .

ورحب بنا السيد علي عبد الله عضو المكتب السياسي واخذنا الى مقر القيادة ، نفس المكان الذي جرت فيه المفاوضات بين الملا مصطفى البارزاني وجماعته ، وبين صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي .

وجلسنا في هذه الغرفة .. كراسي عادية ملاصقة للجدران ، الحائط غير مدهون ، وانما اكتفوا بتغطيته بنايلون اخضر يكشف عن الاحجار والجص .. ويأتي رجل طويل فارع يحمل صينية كبيرة عليها نحو ٤٠ علبة سجائر اجنبية ، يضعها على طاولات صغيرة بجانب كل كرسي .

ودعانا عضو المكتب السياسي لتناول الطعام .. فوجدنا مائدة طويلة عامرة بما لذ وطاب ، وتناولنا الغذاء وقوفا مع بعض كبار المسئولين ورجال البيشمرجة .

البارزاني كما رأيناه

وبعد الغداء ركبنا سيارة عضو المكتب السياسي، واتجهنا الى حاج عمران لمقابلة الزعيم الكردي الكبير .

الحفارات والتراكتورات تعمل بنشاط زائد لتوسعة الطريق الجبلي الضيق ، انها هدية الحكومة العراقية للملا مصطفى البارزاني ، بعد توقيع بيان السلام في ١١ آذار .

ووصلنا الى حاج عمران .. واستقبلنا الرجل الكبير على باب منزل صغير ، ودعانا للدخول الى قاعة متوسطة بها مقاعد ولرة ملاصقة للجدران الاربعة .. انه لم يعد شابا مثلما كان عندما اشترك في اول ثورة بارزانية عام ١٩٣٢ ان عمره اليوم ٧١ سنة رغم ان اتباعه يقولون لك انه لا يزيد عن ٦٦ سنة يسير بتؤدة وبطء ، يضع الخنجر ذا المقبض الخشبي في حزامه الازرق العريض (البشتين) .. وعلى راسه الجامانا الحمراء ، رمز البارزانية ، انفه معقوف كالصقر، شعره الابيض يكاد يتغلب على الاسود .. عندما يقرأ يضع النظارات على عينيه .. وعندما يتحدث – وهو يتحدث العربية بطلاقة – يستعين بيديه للتعبير عن فكرته ، ويخرج خنجره من غمده ، ليؤكد لنا ان الاكراد حملوا السلاح دفاعا عن انفسهم ..

والبارزاني متأثر جدا بنشأته ، فقد درس فترة من الوقت العلوم الدينية ، لهذا لقبوه بالملا دون سائر اخوته *. وهو يؤكد كلامه بآيات من القرآن الكريم . ومن الاشياء الاخرى التي لاحظنا تأثيرها في البارزاني، طبيعة الارض الساحرة المحيطة به..

ومن وحي هذه الطبيعة أجابنا عندما سألناه عن حاله وحال الدنيا ؟

اذ قال بفلسفة عميقة : « حياة الانسان مثل هذه الجبال ، وأشار الى الجبال العديدة المحيطة بنا – بعضها مرتفع وبعضها منخفض ، وهذه الخضرة التي امامك ، هي الربيع .. وبعد فترة تنزل الثلوج .. ثم يأتي الصيف .. وهكذا طبيعة البشر وعقليتهم مختلفة متغيرة متبدلة مثلها مثل الطبيعة تماما . ونحن أسماء مشتقة من مصدر واحد .. ووجودنا على هذه الارض ضرب من الوهم ، وليس حقيقة .. لقد وصل كثيرون الى مراتب عليا في التفكير مثل ستالين وروزفلت ولكن البقاء ليس لأحد .. ان مصيرنا كلنا واحد .. مهما اختلفنا وتباينت مراتبنا في هذه الدنيا » ..

الكردي بشر وانسان

واتجهنا بسؤالنا ناحية التاريخ ، فسألناه عن حقيقة أصل الاكراد ، وعن ما يقوله بعض المؤرخين من انهم من نسل الجن .

فأجابنا متأففا : « ان ما كتب الى الآن عن الاكراد ، لا يمثل الا عشرة في المائة من الحقيقة .. ان كل من أمسك قلما يمكنه الكتابة ، وهو قد يكتب طيبا أو سيئا .. ان الذي يكتبونه ليس وحيا نازلا من السماء ، وانما من وحي مخيلتهم المريضة .. ان الكاتب مثل هذه الجبال – مثلما قلت لك – والوديان المحيطة بنا ، شاهقة ومنخفضة .

« اما اذا كان يهمكم معرفة أصلنا فاكتب أن الكردي بشر وانسان ، من نسل آدم وحواء ، واذكر قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ويتذكر الزعيم الكردي شيئا فيعود ويقول متعجبا : « اما القول بأننا من نسل جن ، فهذا دليل على أن العقل البشري قاصر .. ان الذي خلقنا يعرف ماهيتنا ،



عندما ذكرنا ملاحظتنا لناظرة ثانوية بنات السليمانية ، من أن المطبخ الكردي فقير في أنواع طعامه ـ اذ لم نأكل في الفندق الا اللحم المشوي والجاجيك ، أي اللبن مع الخيار .. سارعت بتكذيب هذا ، ودعتنا للذهاب مع المدرسات والطالبات الى منطقة سرجنار الطبيعية الجميلة للاكل .. وهناك افترشت المدرسات والطالبات الارض ، ووضعن فوقها من أصناف المأكولات ما جعلنا نؤمن بأن المطبخ الكردي يحوي الذ المأكولات وأطيبها ، خاصة الأنواع المطبوخة بعصير الرمان مع اللوز والجوز والزبيب !!

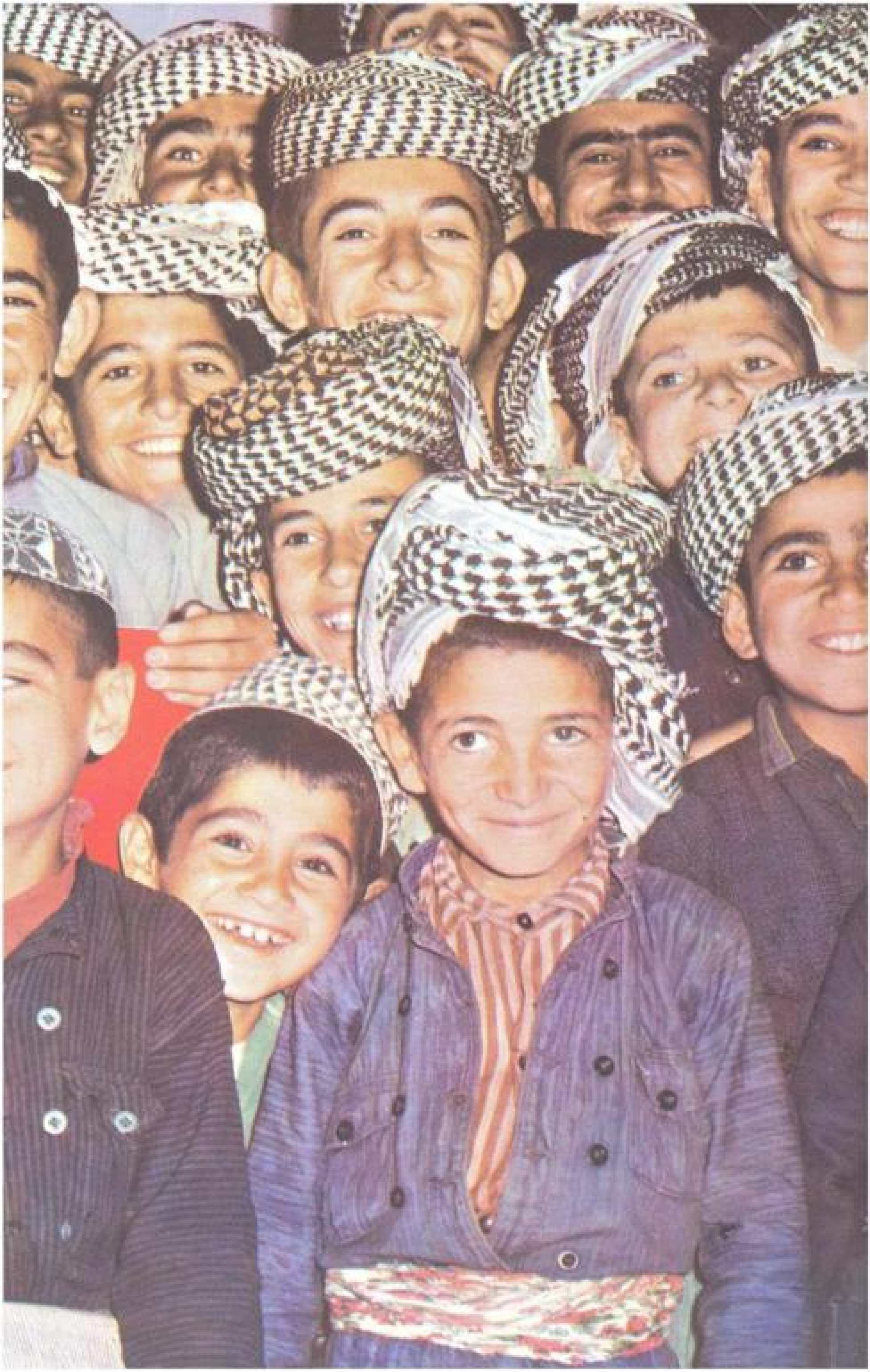




الى أسفل : هذا هو زعيم الاكراد .. الملا مصطفى البارزاني .. يعتبره الاكراد اسطورة،ورمزا لقوتهم وعزتهم .. انه يحمل على كاهله ٦٦ عاما كلها ثورات ومعارك لا تتوقف من أجل حياة أفضل للاكراد .. وعندما يتحدث الزعيم الكردي يستشهد دائما بآيات من القرآن الكريم ،والى جانب زعامته السياسية ، يتولى رئاسة الطريقة النقشبندية ، وهي طريقة دينية لها اتباع كثيرون بين الاكراد ..



الى اليسار : وجوه لصبية أكراد .. انه الجيل الذي سينعم بالسلام في شمال العراق .. والكردي انسان سريع الانفعال .. شجاع .. كريم النفس .. يكرم الضيف ، ويحبه ، اذا اتخذك صديقا فانه يصادقك من قلبه،،واذا عاداك،لا يبالي بشيء في سبيل انتقامه .. خاصة اذا اعتقد انه على حق ، وهو يعتقد دائما انه على حق !!



أما نحن فلا نعرف أكثر من كلمة « ولد فلان ومات فلان » .

ثروة .. هجرة .. وتفاؤل

قلنا : ما هي أهم مشاكل الاكراد في نظركم ؟

فرفع الزعيم الذى قاد خمس ثورات نظارته من على عينيه ونظر الينا وقال بالم زائد : «انـنـا شعب جائع عار .. لا صناعة عندنا ولا أى شيء .. اننا فقراء نعيش فوق منطقة مليئة بالخيرات» .

وسألناه : ما هي قصة هجرتكم التى قمتم بها عام ١٩٤٨ والتى يعتبرها الاكراد أشبه بمعجزة ؟

فاجابنا الرجل متضايقا : « احب ان أقـول لكم انى عبد من عباد الله الفقراء ، نشأت في هذا الجبل ، أطالـع شروق الشمس ثم غروبها وراء الجبل كل يوم ..

امـا قصة هجرتنا ، فقد خرجنا من العـراق وكان عددنا ٥٠٣ أشخاص بعد المعارك العـديدة التى خضناها .. واتجهنا لايران ثم دخلنا العراق، ثم دخلنا تركيا وايران ، ثم عدنا لتركيا ثانية حتى وصلنا الى روسيا ، كنا نسير بأعدادنا الكبـيرة مختفين بين الجبال ، متطاردين من رجال الجيش، وكثيرا ما حدثت مصادمات بيننا وبين جيوش الدول التى مررنا بها ، حتى وصلنا بسلام الى روسيا .. ومكثنا هناك حوالى ١٢ سنة ، تزوج خلالهـا العديد من رجالنا ، وعندما قررنا العودة وصـل عددنا الى أكثر من ألف شخص .. »

وعدنا نسـألـه : هل أنت متفائل من تطـور الاحداث في منطقتكم ؟

واحس الرجل الكبير بان عليه أن يجد الاجابة المناسبة ، فقال بدبلوماسية زائدة : « الانسان يحببه الأمل والتفاؤل ، وهو دائمـا يفكر في الخير والتقدم » .

وودعنا الرجل الذى شعرنا انه من أكثر الناس وداعة ، ولكنه اصر على الخروج معنا ليرينا الدبين الصغيرين اللذين اصطادهما بعض أتباعه في الجبال . ثم بدانا رحلة العودة الطويلة حتى السليمانية التى استغرقت ١٢ ساعة بالسيارة .

عـدد الأكراد

ترى كم هو عدد الاكراد ؟

والاجابة الصحيحة على هذا السؤال تتوقف على الاجتهاد والتقدير التقريبى ، اذ لا توجد احصائيات رسمية ..

وفي مقر المكتب السياسي للحزب الديمقـراطى الكردستانى ، اجاب عضو المكتب المهندس على عبد الله على هذا السؤال بقوله :

« تقدر عدد الاكراد في العالم بهذه الاعداد :

- في كردستان العراق مليونان من الاكراد .
- في كردستان ايران ٤ر٥ الى ٥ ملايين كردى .
- في كردستان تركيا ٧ ـ ٨ ملايين .
- في سوريا حوالى نصف مليون .
- في روسيا ١٢٥ الف .

ورغم احترامنا لتقديرات عضو المكتب السياسي الكردستانى ، الا ان رقم ١٥ مليونا رقم مبالغ فيه اذ ان اصدق التقديرات تقول ان عددهم لا يزيد على عشرة ملايين كردى باى حال من الاحوال .

دولة لا وجود لها

وكلمة كردستان التى رددها عضو المكتب السياسي

مركز مدينة السليمانية التجارى ، وفي وسطه ارتفعت مئذنتا جامع كاكا أحمد .. ان السليمانية مرشحة لأن تلعب دورا كبيرا في النهوض بشمال العراق .. ففيها المحافظة والجهاز الادارى ، والجامعة والمصانع ، وحياة كلها حركة ونشاط ..





اربعة من رجال « البيشمرجة » اى القوات الكردية المسلحة .. البارزانيون لفقط يرتدون لفة الراس الحمراء ، وبقية الثوار تضع لفافة رأس سوداء .. ويبلغ عدد « البيشمرجة » ، ٢١ الف شخص مسلح .. وهم قوة كبيرة ستتحول الى شرطة وجنود في الجيش ، وحرس يحمي حدود العراق ..

بكثرة هى اسم لدولة لا وجود لها على الخرائط ! ولا يعترف بها الا الاكراد انفسهم ، اذ يعتبرونها وطنهم القومي الكبير .. فتراهم يستعملون اسم كردستان بكثرة ، فهناك اتحاد نساء كردستان ، والحزب الديمقراطى الكردستانى،ومطعم كردستان، ومقهى كردستان وغيرها الكثير ..

ويقدرون مساحة كردستان هذه ـ المقسمة بين ثلاث دول ـ بما يزيد عن نصف مليون كيلو متر مربع من الارض الجبلية .

ومن اشهر مدن كردستان ارضروم وتبليس في تركيا ، وكرمنشاه وسودجى بولاق او مدينة القمر فى ايران .. والسليمانية واربيل فيالعراق .

مدينة خالية من جمال الهندسة

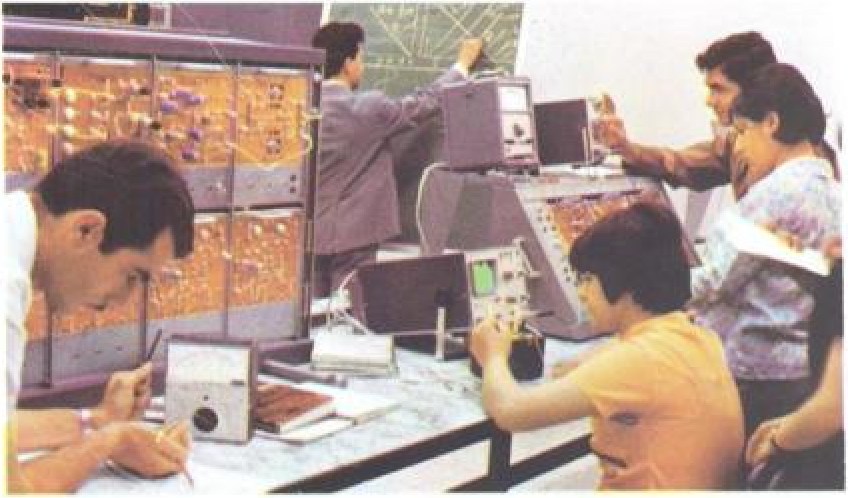
ومدينة السليمانية في العراق هى مركز الاكراد، ومهبط امالهم .. انها مدينة لم يطنب اى من الرحالة في وصف جمال مبانيها ، بل على العكس قال بعضهم : « انها مخيبة للامال .. أغلب مبانيها انقاض .. والباقى مبنى بالطين .. »

والواقع أن الحياة في السليمانية توقفت عدة مرات وخاصة بعد مجاعة ١٩١٨ التى مات بسببها اكثر من ثلثى عدد السكان ، « حتى تكدست جثثهم في الشوارع وداخل المنازل ، لا تجد من يدفنها ! . »

ولكن سرعان ما دارت عجلة الزمان،وبدأ الناس يخرجون من الحى القديم في السليمانية « محلة كانى اسكان » اى منطقة عين الغزال حيث اسقف المنازل مصنوعة من الطين ، وجميع فتحات النوافذ والأبواب مطلة على الجنوب خوفا من رياح الشمال الباردة ، ومن رياح الراشيا السوداء التى تنقل الاتربة معها ، وهى اشبه برياح الخماسين والطوز ، والهبوب في بقية بلادنا العربية .

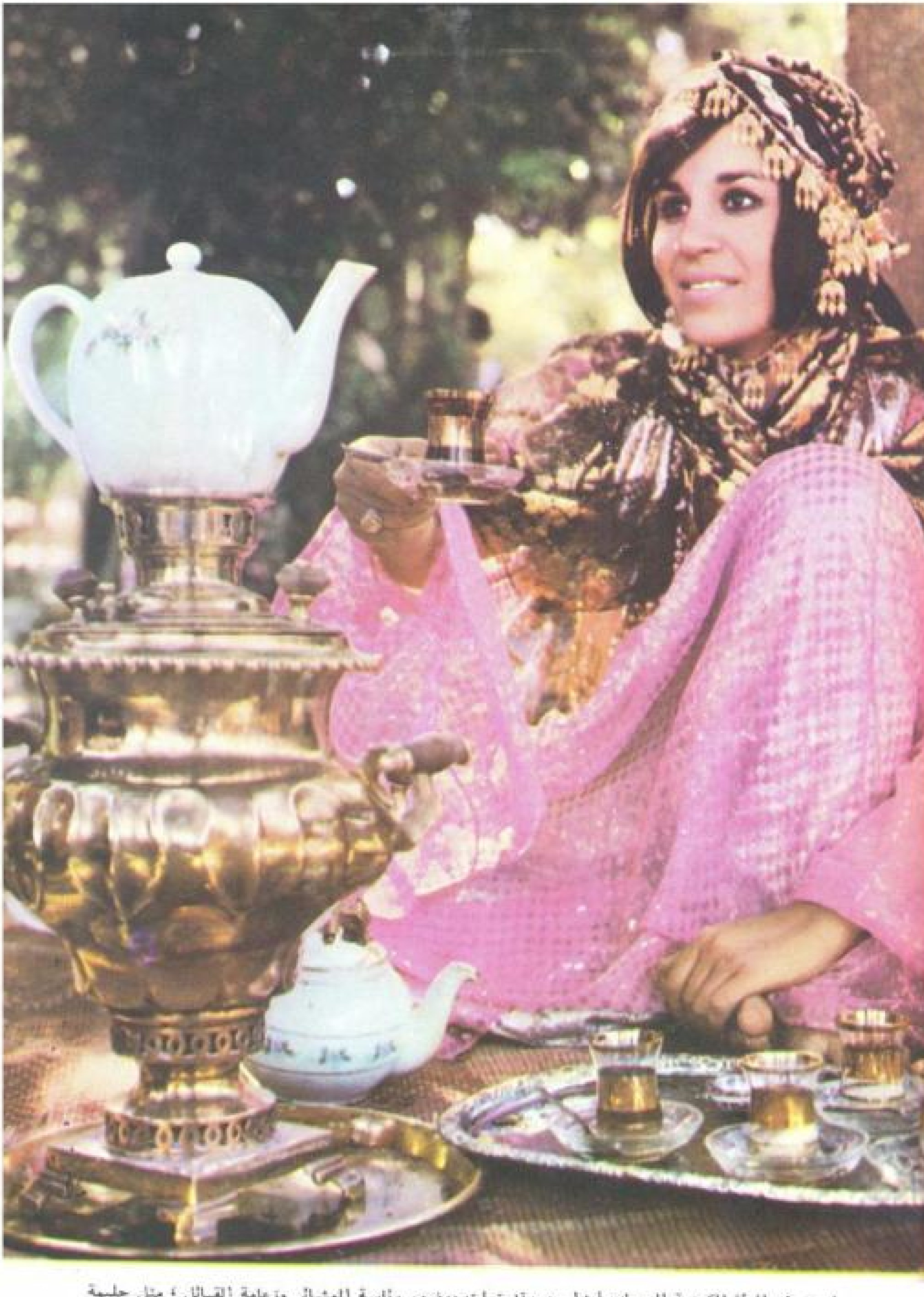
لقد خرج الاهالى من الحى القديم كانى اسكان واتجهوا صوب محلة ولكندى ، اسم للشاعر الكردى الكبير .. انهم يحبون الشعر والادب ، « وقصة مَم، زين » هى من اروع ما كتب منقصص الحب التى تنافس قصة روميو وجولييت .

لقد شيدت الدور في السليمانية الجديدة ، على احدث طراز ، واصبحت فتحات ابوابها ونوافذها تطل على كل اتجاه ، وتوقف بناءالسقف بالطين ، ليحل محله الاسمنت والحديد .



انتقلت الفتاة الكردية من العمل في المنزل الى الدراسة في جامعة السليمانية ، والعمل في مصنع التبغ الكبير الموجود هناك .. ونراها في الصورة العليا تتدرب في مختبر الهندسة الالكترونية الى جانب زميلها الجامعي .. وفي الصورة السفلى تعمل على اعداد التبغ الخام للتصنيع ..





لم تعرف المرأة الكردية الحجاب ابدا .. وقد تولت بعضهن رئاسة العشائر وزعامة القبائل ، مثل حليمة خان وكوخا نرجس وغيرهما .. وفي ايام الجمع تنطلق العائلة الى سفوح الجبال ، قرب منابع المياه ، وترتدي المرأة زيها الملون الجميل ، وتقوم بصنع الشاي مستعينة بالسماور .

الكيلوجرام وطلقات الرصاص

وامتد التطور الى وحدة الأوزان فاصبح التعامل بالكيلوجرام والجرام ، بعد ان كانت طلقات الرصاص تستعمل بدلا من الأوزان . كل ١٠٠ طلقة تعادل ما زنته كيلوجراما واحدا !

لقد كانت السليمانية مركزا لصناعة البنادق والذخائر ، اما اليوم فتقبع هادئة صابرة تحت ظلال جبل جوجا الكبير ، الذى نزعوا أشجاره فاصبح عاريا من الناحية المطلة على السليمانية ، اما الناحية الاخرى من الجبل ، فما زالت كلها مغطاة بالاشجار ، لم يقطعها احد ..

ضوء ورحابة ، وتاهيل وترحيب

والقريب ان السليمانية التي ترتفع ٩٠٠ متر عن سطح البحر تعتبر مصيفا لسكان بغداد



يقصد الأكراد ، رجالا ونساء ، ضريح كاكا احمد أبن الشيخ معروف النودهي المتبرك به .. وكاكا أحمد كان عالما دينيا كبيرا ، وشخصية اسلامية مرموقة في المنطقة ، وشيخا للطريقة القادرية، يجمع بين العلم والطريقة، وله مؤلفات في العلوم الاسلامية

العاصمة ، في حين أن سبعة مصايف تحيط بالسليمانية نفسها ، ولكن للأسف لا يوجد الا طريق يؤدى الى مصيفي سرجنار وبيرامكرون اللذين يبعدان ١٥ و ٢٠ دقيقة عن السليمانية .. اما احمداوا وبيارة وطويلة وباخاكون وسرجت ، فالوصول اليها يحتاج الى قوة وجلد للتمكن من تسلق الجبال ..

حسرة !!

وعشنا اسبوعا في السليمانية ، اتصلنا خلاله بالمسئولين ، وزرنا المصانع والمدارس والأندية والجمعيات ، وفتح لنا الناس قلوبهم ومنازلهم فخلنا انفسنا بين اهلنا واحبابنا .. ان المنظر الخارجي للمدينة لا يعبر عما في داخل بيوتها ، ففي هذه البيوت ضوء ورحابة .. وفي أهلها تاهيل وترحيب يجعلانك تتمنى العيش طول العمر بينهم، وعندما تطلب القربى منهم ، يجيبونك بلهجة جادة :

— اذا أردت الزواج من بناتنا فيجب أن تعيش بيننا .. وعلى كل حال ان كل فتياتنا يتزوجن عندما يبلغن الرابعة عشرة ، وزواجهن من غير الكردي نادر جدا ..

وصدقنا قولهم ، حتى كانت زيارتنا لثانوية بنات السليمانية، اذ بينما كنا نتحدث مع الطالبات والمدرسات جاء على لساننا ان جميع الفتيات الكرديات اللواتي بلغن الرابعة عشرة متزوجات .. فارتفعت الاصوات الناعمة مستنكرة قائلة :

لقد بلغنا الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، والمدرسات جاوزن العشرين ، ومع ذلك لم يتقدم أحد للزواج منا .. انهم يكذبون عليكم .. انهم يريدوننا أن نظل أسرة واحدة نتزاوج فيما بيننا ولكن ازمة العوانس بدأت تتفشى بيننا ، ولا مانع عندنا من الزواج ، والترحال مع أزواجنا الى بلادهم ..

« عيبة ... عبا »

لقد تبدل حال المرأة الكردية وتغير تغيرا شاملا، فبعد أن كان المثل الكردى يقول « عيبة عبا » أى ارتداء العباءة عيب ، أصبحت المرأة الكردية لا تسير خطوة في الطريق الا والعباءة تغطيها ، مما أوجد صراعا داخل المجتمع الكردى : البعض يصر على العباءة ، والبعض ينادى بخلعها ، ولكن الأغلبية تؤيد بقاءها .

وكان يقال ان « المرأة الكردية تقف على قدميها



اللغة الكردية سهلة التعليم ، مثلما تلفظ تكتب .. ولكن المشكلة هي في عدد المدرسين المؤهلين لتعليمها .. وفي الاربع سنوات الاخيرة تم ترجمة ١٠٠ كتاب في مختلف العلوم والفنون الى اللغة الكردية .. ومما يذكر أن هذه اللغة تكتب بالحروف العربية كما تكتب بالحروف اللاتينية .. واسماء الرجال تميل الى القوة ، مثل : شيركو (أسد الجبل) دلير (شجاع) آمانج (الهدف) وبعد بيان ١١ اذار كثر اطلاق اسم آشتى « اى السلام » على المواليد الجدد .. وترى هنا الاستاذ عبد الرحمن عبد الكريم يقوم بتفسير آيات من القرآن الكريم ، لطلبة الفصل الثامن في المعهد الاسلامي بجامع كاكا احمد .. اما تعليم اللغة الكردية فلم يكن قد بدأ عندما كنا هناك ..

من الخامسة صباحا حتى الحادية عشرة ليلا تقوم بجميع الاعمال المنزلية : تحلب الماعز، وتصنع الزبد والجبن والخبز ، وتاتى بالمياه من بئر القرية الذى قد يبعد نصف ساعة عن منزلها ، وتغزل صوف الماعز بمغزل اليد .. وتطهى الطعام في المنزل .. وخاصة الدوينا وهو الطبق الرئيسي في الريف ، ويتكون من البرغل المخلوط باللبن المخمر ، يجففونه في الصيف ، لياكلونه في الشتاء مخلوطا بالماء الساخن والسمن ، والجوز .. اما في المدن فقد تناولنا ما لذ وطاب من افخر انواع الماكولات ذات الاسماء الغريبة والمذاق الطيب مثل: القابولى بارش ، اى الرز مع عصير الرمان واللحم المفروم والزبيب واللوز .. ثم « الباردا بـلا » اى الكباب المحشي باللوز والزبيب ، و « الفوزنى بانيجان » ، أى الباذنجان بالطماطم واللحم والفلفل .

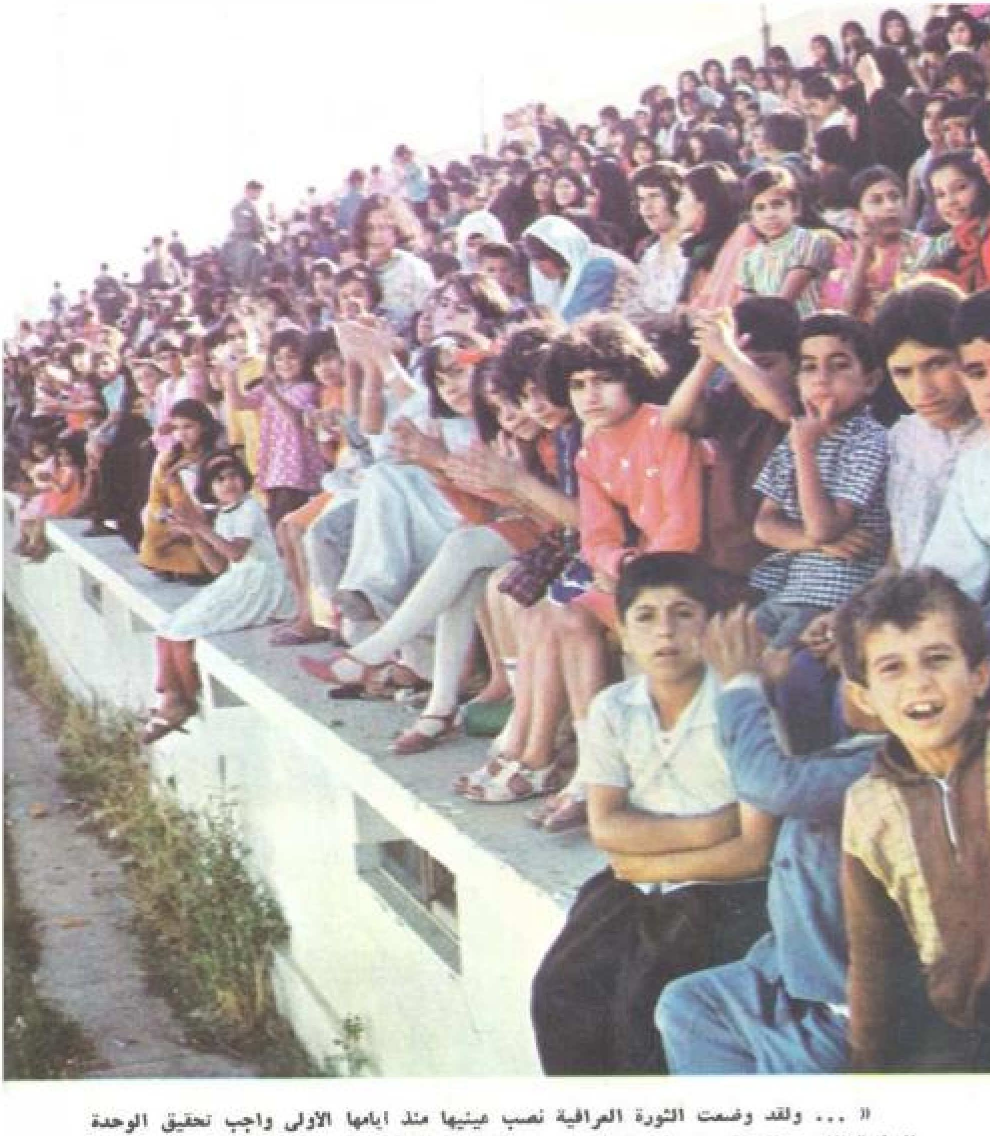
يوسف الأول

والمرأة الكردية لا تعرف شيئا عن راتب زوجها ، كذلك الزوج لا يعرف شيئا عن امور المنزل .

والعيب كل العيب اذا ساعد الزوج زوجته في الشئون المنزلية .. وقد حدث ان قام احدهم بكسر هذا التقليد ، فانتشر اسمه وذاع صيته ولقبوه بيوسف الاول ، واصبح كل شخص يخاف قليلا من امرائه يطلقون عليه لقب « يوسف » .. وتوفي يوسف الاول فسار في جنازته عشرة الاف شخص ، وظل المنصب شاغرا حتى عثروا على شخص اخر يساعد زوجته ويخافها ، فاطلقوا عليه اسم «يوسف الثانى » ..

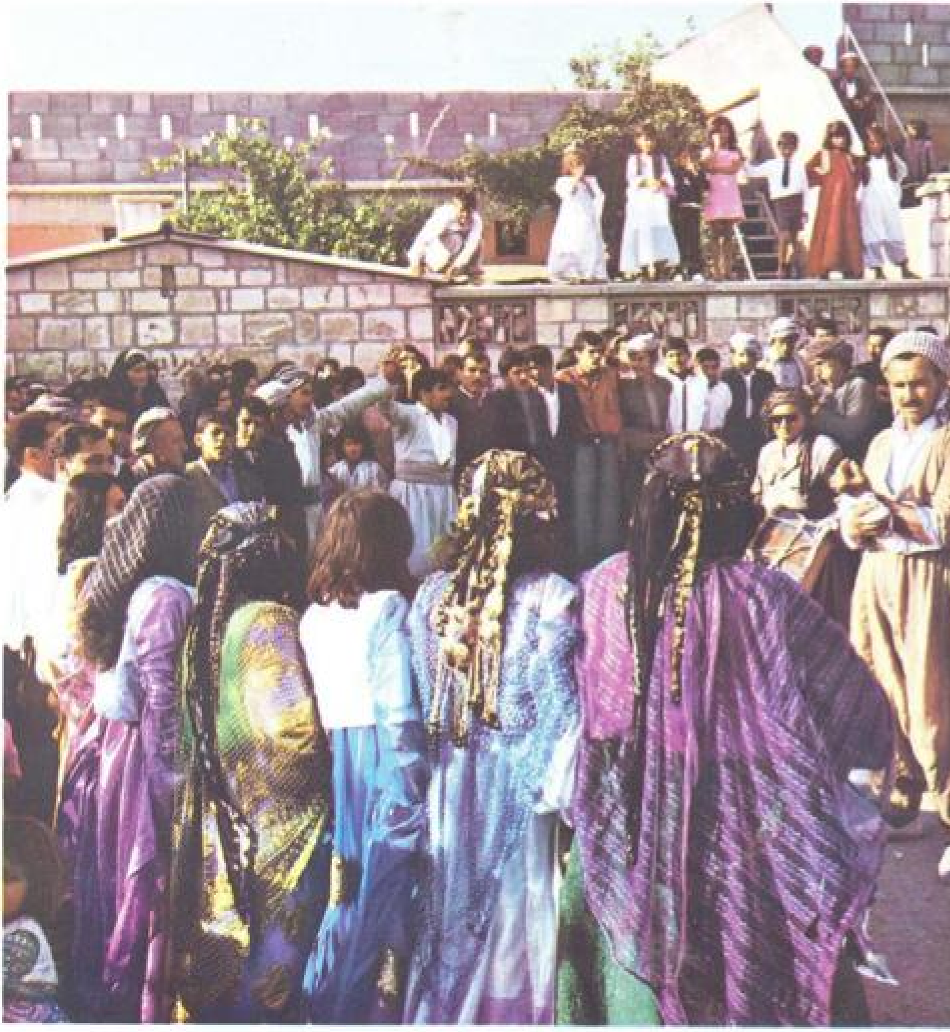
توقف عقارب الساعة

ان المجتمع الكردى يتطور بسرعة ، والمراة بدا تعليمها سنة ١٩١٦ على يد مليحة شيخ سلام ، ولكنها اصيبت بنكسة عندما عارض المتزمتون تعليمها فتوقفت عقارب الساعة من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٢٦ لتعود وتندفع من جديد .. واليوم ارتفع عدد طالبات الابتدائى في مدارس السليمانية الى عشرة الاف طالبة .. وفي الثانوى الى الفى طالبة ، وفي معهد المعلمين الى ٥٠ طالبة ، بينما تضم جامعة السليمانية ٧١ طالبة في كلية العلوم و٨ طالبات في



« ... ولقد وضعت الثورة العراقية نصب عينيها منذ ايامها الأولى واجب تحقيق الوحدة الوطنية للشعب العراقى دون اى تفريق بسبب الجنس او اللغة او الدين او المنشا الاجتماعى ، لكى يستطيع العراق أن يتجه بكل طاقاته وامكاناته الى المعركة القومية المصيرية .. معركته معالصهيونية .. »

هكـذا جاء الحل السلمى للقضية الكردية التى تحولت الى معضلة شبه مستعصية ، بعد أن حل العنف في معالجتها محل الحوار الأخوى الذى تستوجبه طبيعة حل المشاكل الوطنية .. وكانت فرحة الاكراد بالحل السلمى لقضيتهم تفوق الوصف .. فعقدوا الاجتماعات العامة وجلسوا فوق المدرجات يستمعون الى المناقشات والبيانات من القادة والمسئولين . (الصورة العليا) وفي كل القرى انعقدت حلقات رقص « الشابى » الرقصة الوطنية الكردية .. الراقصون يمسكون بأيديهم ويقفون في صف طويل ، وعازف الناى وقارع الطبل في الوسط ، وينطلق اللحن وتتحرك الاقدام الى الامام والخلف .. وينضم راقصونجدد الى الصف الطويل ، وينسحب آخرون ، ويتبدل نافخ الناى عندما يتعب ، كل ذلك دون الاخلال بنظام رقصة « الشابى » التى ترقص مختلطة ، اى الرجال والنساء معا ، او كل جنس على انفراد ، كما ترى في الصورتين اللتين على الصفحة التى الى اليسار .





كلية الهندسة ، و١٢ في كلية الزراعة .. انها الكليات الثلاث التي تتالف منها جامعة السليمانية حيث يتلقى ٧٧٠ طالبا وطالبة تعليما مختلطا .

الطلاق نادر

لقد تركت المراة الكردية اعمالها التقليدية الرتيبة ، وتخرجت في الجامعات . طبيبة ومهندسة وموظفة .. الى جانب العمل في مصنعي الاسمنت والتبغ للمراة العادية ، التي اصبحت تؤمن ان عملها كفيل بحل مشكلة العوانس ، لانها بالعمل تصبح قادرة على مساعدة زوجها في تحمل اعباء الزواج الباهظة .

ومما يذكر ان حالات الطلاق شبه نادرة في المجتمع الكردي ، وقالوا لنا : لقد مرت ٤٠ سنة دون ان تقع حالة طلاق واحدة في مدينة العمادية !

جامع كاكا أحمد

والى ضريح كاكا احمد تقصد المراة الكردية تطلب وساطته حتى يلبى الله ما تتمناه ، وكلمة « كاكا » كثيرة الاستعمال عند الاكراد ، وهي تعني الاخ الاكبر .

وجلسنا الى فضيلة الشيخ محمد عمر الكرداغي شيخ جامع كاكا احمد ، نستمع اليه وهو يحدثنا عن الجامع وصاحب الجامع .. قال :

ـ هو جامع بكل معنى الكلمة ، اذ يصلي فيه كل جمعة نحو ١٠ آلاف شخص ، تلقى عليهم خطبة الجمعة بالعربية والكردية ، لاننا شافعيو المذهب ، وهذا يقتضي أن تكون اركان الخطبة باللغة العربية ، لغة الدين الاسلامي ..

القادرية .. والنقشبندية

ويتابع الشيخ الكرداغي حديثه بقوله :

« وكاكا أحمد كان شيخا للطريقة القادرية ، وهي طريقة لها اتباع كثيرون في العراق ، وهم يتبعون الشيخ عبد القادر الجيلاني المدفون في بغداد ، انها نفس الطريقة الجيلانية .. وهناك كثيرون من الاكراد يتبعون الطريقة النقشبندية المنسوبة الى الشيخ محمد بهاء الدين ، المشهور بشاه نقشبند ، والمدفون في بخارى باوزبكستان السوفييتية .. والنقشبندية اصلها يرجع الى سيدنا ابو بكر الصديق وسلمان الفارسي ، وقاسم ابن محمد بن أبي بكر ، والامام جعفر الصادق ، وهي تهتم بالتفكر والذكر القلبي .. بينما الطريقة القادرية تهتم بالذكر الجهري ، وترجع بأصلها الى سيدنا علي بن أبي طالب والشيخ حسن البصري، ومعروف الكرخي .

والطريقتان سنيتان مائة بالمائة ، أي على السنة والجماعة ..

« وينهي الشيخ الكرداغي كلامه بالحديث عن المعهد الاسلامي فيقول : « ويضم الجامع معهدا اسلاميا يتعلم فيه ٢٨٠ طالبا ، يمنحون عند تخرجهم شهادات معروفة « بالمنمنمة » .. وهي اجازة تتكون من ٦ صفحات كاملة ، تبدأ بالصلاة والسلام،ومقدمة في مدح العلم وذم الجهل، ثم يذكر المعلم اسمه بتواضع ويبين أن فلانا الطالب



من الاكلات المحببة لدى الاكراد في القرى أكلة الدوينا.. انها خليط من اللبن المختمر مع البرغل، توضع في العراء لتجف تحت أشعة الشمس .. وفي الشتاء تخلط بالماء الساخن والسمن والجوز وتؤكل في الصباح ..



١٢٠ ألف طن من الاسمنت الممتاز ينتجها هـذا المصنع في السليمانية .. ان خام الاسمنت الموجود في الجبل القريب يكفي المستهلكة ١٠٠ سنة قادمة .

استجازه في العلوم الاسلامية ؛ وانه بعد ان اجرى له اختبارا ، اجازه في نقل معلوماته الى العامة والخاصة ، بشرط أن يتحلى بالايمان والاخلاص والتقوى ونبذ التعصب .. ويقول : قد أجزته كما أجازني فلان عن فلان عن فلان ، الى أن يصل الى سيدنا على عن الرسول عن جبريل عن الله جل جلاله الذى علمنا ما لم نعلم » .

عشر سنوات عجاف

ومما يذكر أن هناك ٧٠ مسجدا وجامعـا في السليمانية ، كانت وما تزال دور عبادة وعلم ، يقوم فيها الامام بامامة الناس في الصلاة وارشادهم وتعليمهم .

وعندما سألنا الشيخ الكرداغي : « هل أنت متفائل أم متشائم بالنسبة لمستقبل المنطقة ؟ »

أجابنا قائلا : « أنا متفائل لعدة أسباب ، أولا لأننا لا نيأس من رحمة الله تعالى .. ثانيا : نرى الاكثرية الساحقة من الناس ملوا الايام الرهيبة التى عاشوها خلال تلك السنوات العشر العجاف التى مرت بهم . ثالثا : لكل من السلطتين الحكومية والكردية قوتهما وجرأتهما التى تمكنهما من تنفيذ وتطبيق بيان مارس « آذار » .

واذا كانت هناك جماعة متضررة من السلام ، فلا بد أن تعمل بشتى الاساليب لاعادة الحرب والدمار الى المنطقة ، ولكن لا أعتقد أن الله يمكنهم من ذلك .. انهم قلة قليلة جدا ، بحيث أنهم لا يستطيعون رفع رؤوسهم الا في الحانات ، ولا يستطيعون التحدث الا وهم سكارى » .

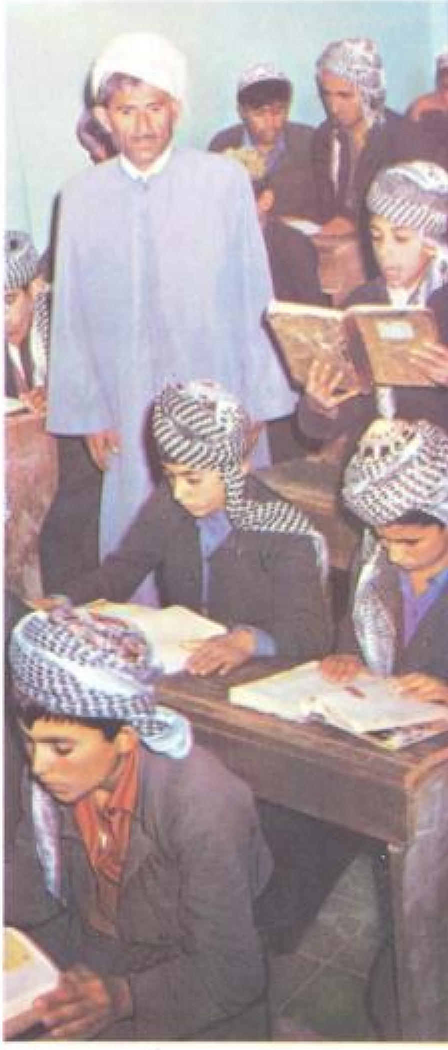
نريد وقتا كافيا

ويرتفع صوت الوزراء الاربعة الاكراد قائلين : الناس يريدون استعجال المشاريع ورؤيتها قائمة بسرعة ، وهذا من حقهم .. ولكننا نريد خدمة المنطقة بصورة صحيحة .. لقد تكونت هيئة من ذوى الاختصاص طبقا لنصوص البيان للنهوض بالمنطقة الكردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة .. لهذا قررنا عمل مشاريع آنية وأخرى مستقبلة ..

كما فتحت مناقصة انشاء مصنع للسجاير في اربيل ، ومصنع للسكر في السليمانية .. واجريت الدراسات الأولية لمعمل الالبان ، وحقل للدواجن في اربيل ، ومصنع للمربى وعصير الفاكهة في دهوك ، كما تقرر ربط شمال العراق بشبكة كهربائية سوف تكلف مليوني دينار .

لماذا نطالب بالاصلاح السريع

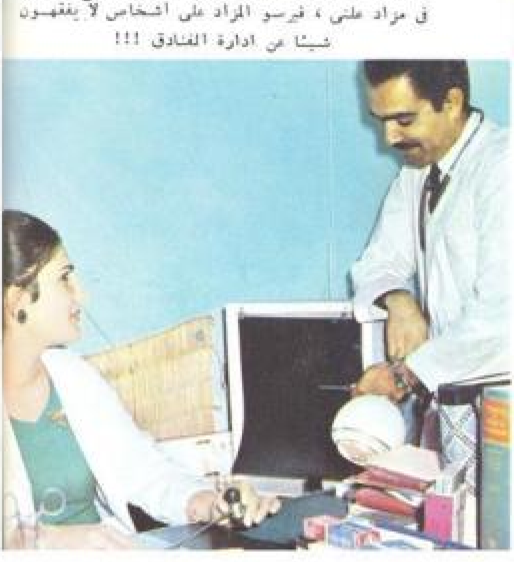
ويتحدث الينا الدكتور محمود عثمان (٤١ سنة) الطبيب الخاص للملا مصطفى البارزاني ، ورئيس وفد المفاوضات مع الحكومة ، فيقول : « ان وضعنا الاقتصادى بعد ١٠ سنوات من القتال هو دمار وخراب وبطالة وأمية وعائلات منكوبة .. ومن أجل هذا نطالب بتحسين الوضع الاقتصادى سريعا ؛ اننا لن نتقدم ابدا اذا سار كل شىء تحت ظل الروتين الثقيل ؛ اننا نطالب بعمل استثنائى سريع للمساعدة في حل بعض مشاكلنا .. ان مشاريع العمل الشعبى لا يمكن أن تصنع كل شىء .. لا بد من مشاريع جادة .. لا بد من تصنيع المنطقة .. والمشكل رقم واحد في نظرى هو تطبيق بيان ٣٠ آذار .. ان هناك أعداء كثيرون للحل



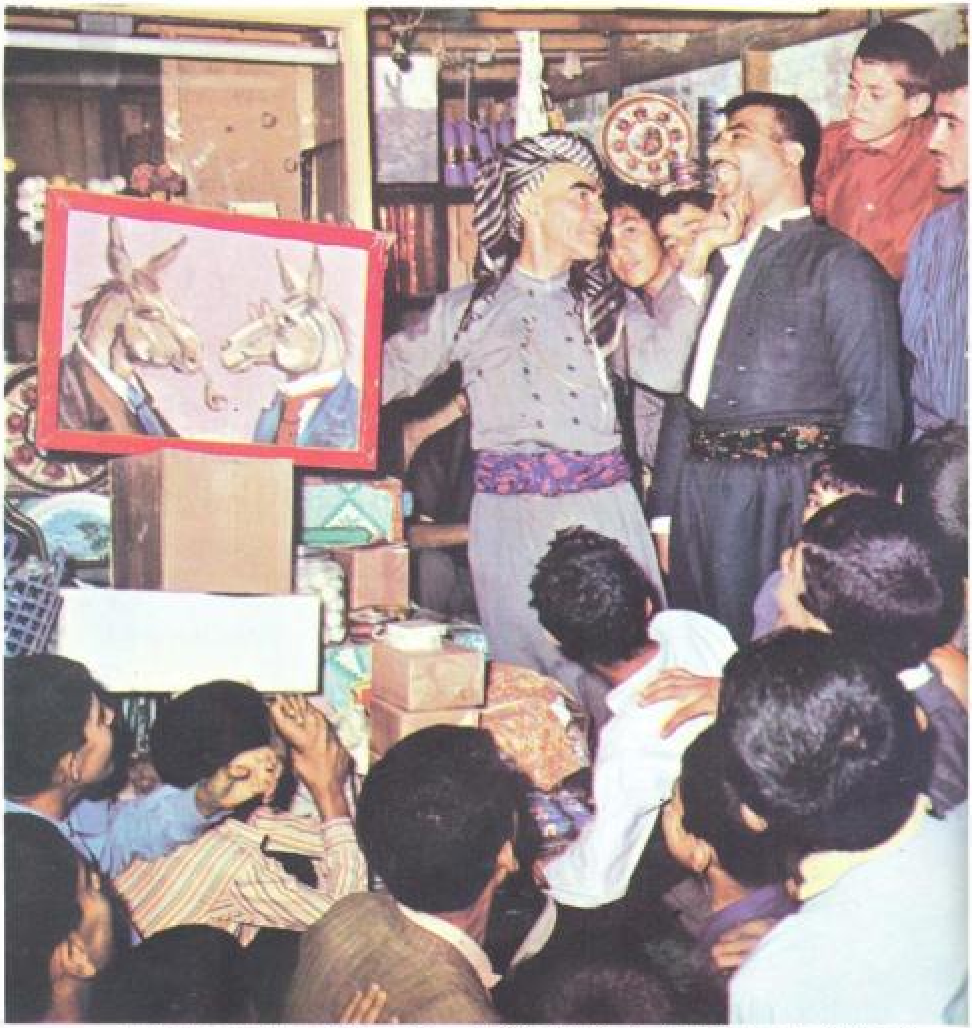


فندق كركوك .. الفندق الوحيد في شمال العراق الذي يمكنك التمتع فيه بمتابة كاملة ، أما بقية فنادق الشمال ، فان مصلحة المصايف تطرح ادارتها في مزاد علني ، فيرسو المزاد على اشخاص لا يفقهون شيئا من ادارة الفنادق !!!

في جامع كاكا أحمد ، معهد اسلامي يضم ٢٨٠ طالبا ، يتلقون علومهم حتى الثانوية العامة ، وبعدها يلتحقون بكلية الامام الاعظم في بغداد ، أو بجامع الأزهر بالقاهرة.



الى اليسار : « نريد مستشفيات ... نريد اطباء » .. ان السل والملاريا هما المرضان الأكثر انتشارا بين الأكراد .. وهناك عدد كبير من الاطباء الاكراد الذين نرى هنا اثنين منهما : الدكتور اميد مبارك ، وزوجته الدكتورة ناسك توفيق .



يتمتع الكردي بروح مرحة ، تميل الى الدعابة والفكاهة .. وقد وصلت الأمور بعثمان محمد نادر الى تكوين حزب للحمير في السليمانية تحت شعار : **يا حمير العالم اتحدوا** .. ان له فروعا في العراق ولكنه يهدف الى فتح فروع أخرى في مختلف أنحاء العالم .. وترى هنا « رئيس الحزب » يفحص اسنان احد الأعضاء الجدد .. اذ تنص شروط الالتحاق ، أن تكون أسنان العقل جميعها موجودة في مكانها !

الى أسفل : ماكنة حصد القمح تعمل في سهل شهرزور ، أخصب سهول شمال العراق ..



السلمي .. ونحن ندرك أنه من الصعب اجراء تحويل سريع في أجهزة ظلت تعمل للحرب منذ عشر سنوات وتحويلها الى أجهزة تعمل من أجل السلام في شهور .. اننا لسنا متشائمين ، ولكن تفاؤلنا يعتمد على مدى تجاوب سياسة الحكومة نحو حاجة المنطقة .. اننا نؤمن أن طريق الحرب ليس هو طريق النجاح والازدهار . »

نقص في الخبرة

ومشكلة اعمار الشمال لا نظل بمفردها ، لان المشكلة ليست اقامة المشاريع ، وانما تتمثل في تكوين الاطارات اللازمة لادارة هذه المشاريع . ناخذ مثلا قطاع الفنادق .. انها منطقة عشائرية، وكل من يأتي للمدينة يحل ضيفا على صديقه او قريبه من نفس العشيرة .. لهذا لا توجد فنادق كبيرة .. ومع ذلك فان القليل الموجود يقوم على ادارته اناس يشبهون تماما اخوانهم مديري الفنادق في الجمهورية العربية اليمنية !! تنقصهم الخبرة واللياقة واللباقة .

المسئول عن المصايف والسياحة يتحدث

واتجهنا الى مدير عام المصايف والسياحة السيد علاء الدين بكري ، وعرضنا عليه ما شهدنا ، فجمع مساعديه وتقبلوا النقد بصدر رحب وقال لنا المدير العام متألما :

ـ لقد فتحنا أبواب الشمال العراقي بعد انغلاق دام عشر سنوات فوجدنا المنشآت السياحية والطرق في حالة سيئة للغاية .. أضف الى ذلك أن صناعة السياحة عندنا في العراق بدائية .. والسبب عدم اهتمام الحكومات السابقة بهذه الصناعة ، أضف الى ذلك القوانين القديمة التي كانت تحتم طرح المنشآت السياحية الحكومية في مزادات علنية ، والذي يدفع أكثر من غيره يتولى ادارة الفندق دون اعتبار لمدى فهم هذا الشخص للمهنة الفندقية .. حتى الموسيقى كان القانون يمنع عزفها في المطاعم .. وقد بدأنا نصعد السلم من أول درجاته ، فقررنا انشاء مدرسة فندقية ، وافتتحنا في جامعة المستنصرية معهدا ، مدة الدراسة فيه سنتان ، لتخريج



فتحت المصايف في شمال العراق أبوابها بعد انغلاق دام عشر سنوات .. وهذه بعض الفيلات في مصيف صلاح الدين ، تؤجر للعائلات الراغبة في قضاء صيف هادىء في جو لطيف بارد ...



سهل شهرزور .. لقد شهد هذا السهل مرور جحافل جيوش هرقل والساسانيين وغيرهم .. أما اليوم فهو سهل زراعي خصب يمتد مسافة ٤٥ كيلو مترا بين سلسلتين من الجبال الشاهقات ، ومتوسط عرضه ١٥ كيلو مترا .. وفي القسم الأوسط من سهل شهرزور تقع مدينة السليمانية ، التي كان يسميها الناس قديما شهرزور.. ومما يذكر أن بعض الاكراد يعتقدون ان يوم الحشر سوف يكون في هذا السهل !!

المتخصصين من الجنسين في ادارة الفنادق والمنشآت السياحية .. »

ويتابع مدير المصايف والسياحة كلامه فيقول :

ونحن لن نتقيد من الآن فصاعدا بأعلى العطاءات المقدمة في المزادات لادارة الفنادق ، بل سيصبح القياس هو الكفاءة وحسن الادارة .

كما اقترحت مصلحة المصايف طلب شركات عالمية اجنبية لبناء المصايف الحديثة .. وطلبنا شمول العرب بقانون تمليك الارض السياحية مجانا » .

اسمنت .. وتبغ

والى جانب صناعة السياحة توجد بعض الصناعات الكبيرة ففي مدينة السليمانية مصنعان كبيران ، واحد لانتاج الاسمنت ينتج ١٢٠ الف طن سنويا .. ومصنع ثان لتصنيع التبغ ، ينتج ٧١/٢ مليون سيجارة يوميا ..

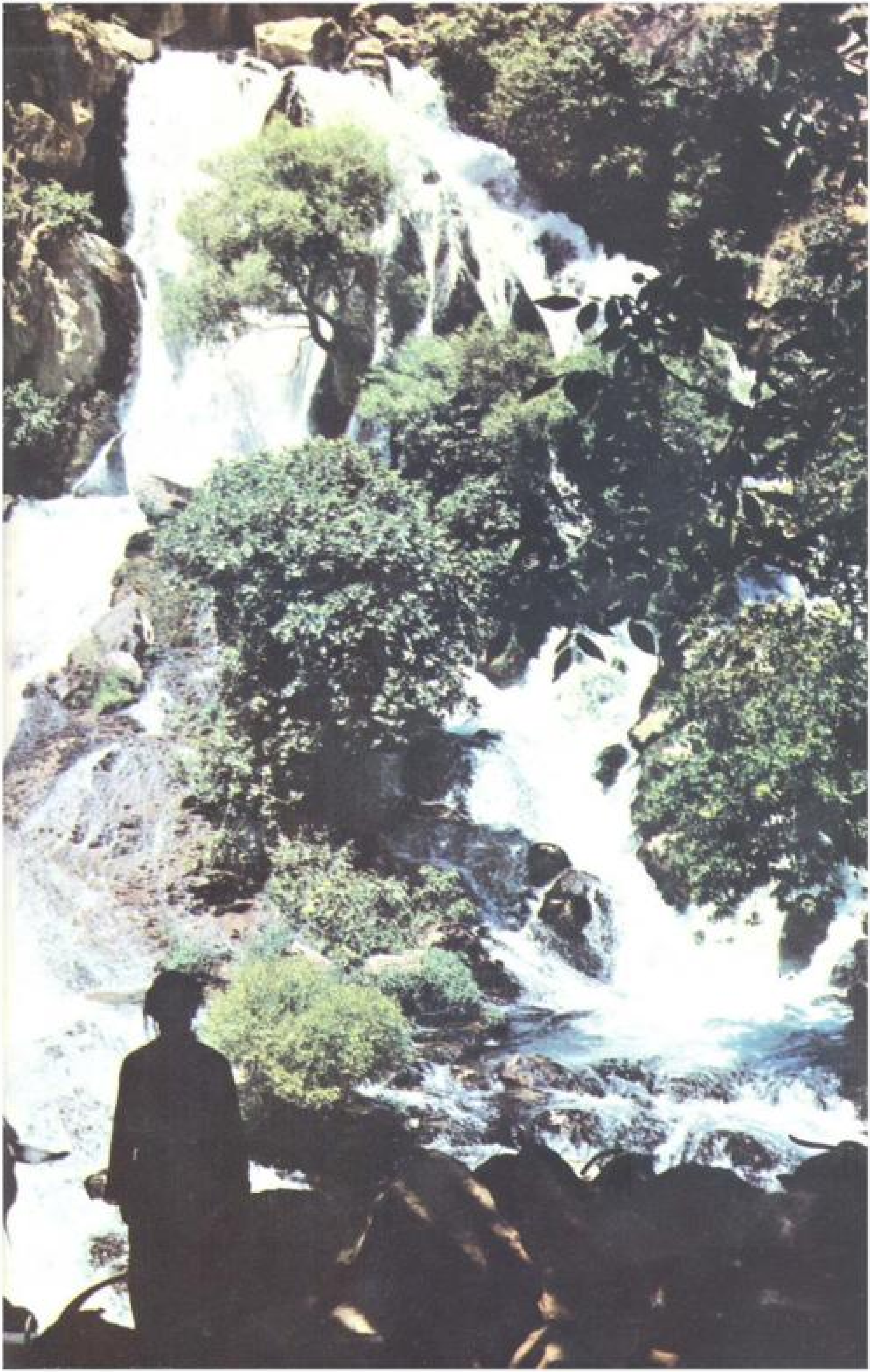
اما التبغ فهو ثروة المنطقة الشمالية من العراق يزرع في كل مكان فيها ، اكثر مما يزرع محصول آخر ، لأن محصول التبغ يباع للمصنع في الحال .. انه اشبه برأسمال نقدي ..

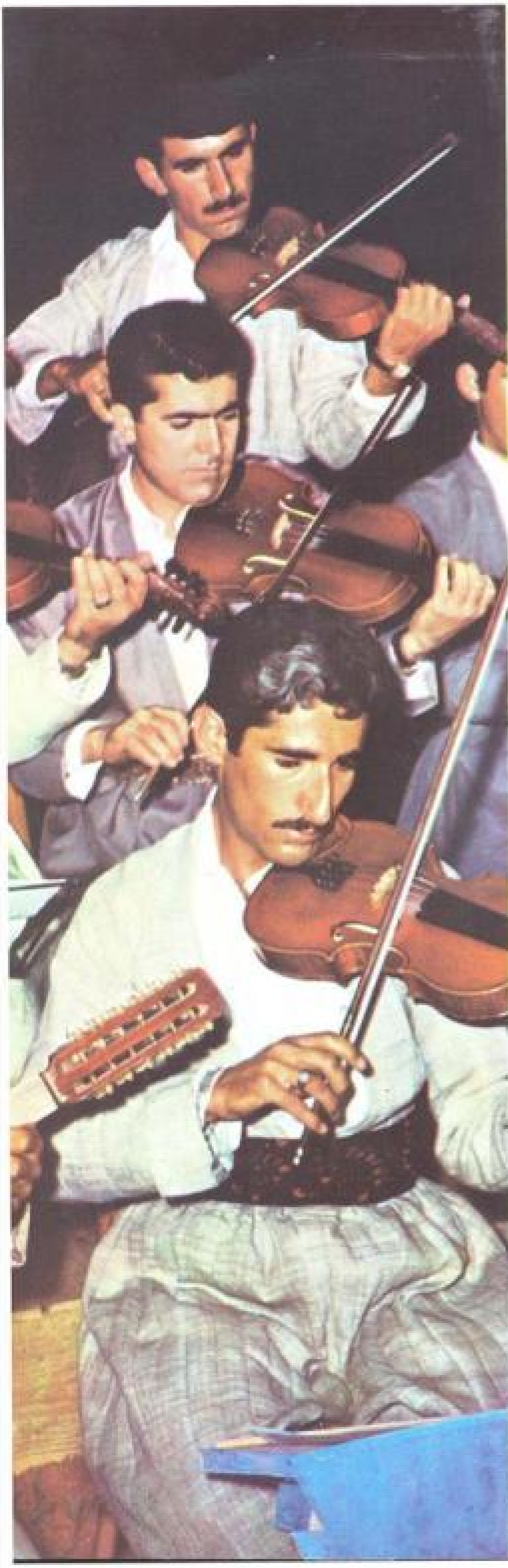
سخاء وتقاعد

ويقول الاهالي ان اول من زرع التبغ هم أجدادهم منذ ٢٥٠ سنة زرعوه في منطقتي شمشار قرب السليمانية ، وفي سهل شهزور ، ذلك السهل الطويل المتد ٤٥ كيلو مترا بين سلسلتي جبال شاهقة ، أشبه ما يكون بسهل البقاع في لبنان .. انه سهل الخير لكثرة المياه فيه ..

وعلى جانبيه سلاسل جبال بيرامكرون وبارانان وسيجرما ، نظر اليها مرافقنا كاكا انور وقال :

ان الثروات ليست في الوادي الخصيب بقدر ما هي في هذه الجبال .. الحديد والاسبست موجودان بنسبة عالية تصل الى ٨٠٪ في بعض الجبال ، وحيثما صعدت تجد الاحجار ذات الالوان المختلفة .. اسود وابيض واخضر واصفر .. انها ثرواتنا المدفونة .. »

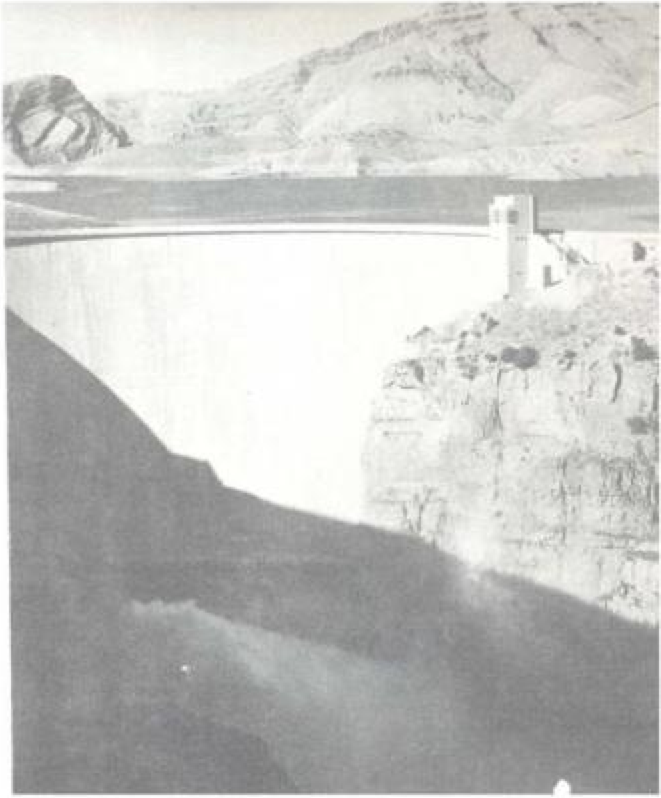






الى اليمين : لمن تتدفق المياه؟ مئات الينابيع تتدفق منها المياه العذبة .. مثل نبع سرشاوا الرائع الذى تراه في الصورة .. ولكن الوصول الى هذا الشلال استغرق ست ساعات سيرا على الاقدام ... ان المنطقة رائعة الجمال ولكنه ما زال جمالا طبيعيا لم تستطع يد الانسان أن تستغله بسبب الثورات .. والوحيدون الذين يتمتعون بمنظره هم الرعاة مع ماعزهم !!

الى اليسار : اكسبت الطبيعة المواطن الكردى جسما قويا .. وفي نفس الوقت اكسبته لوراثه سمة جعلتنا نفكر فيه دائما كمحارب .. ولكنه في الواقع يتمتع بحساسية زائدة ورهافة وبميل زائد للطرب ، حتى خرجنا بانطباع : **ان كل كردى موسيقار** .. انه يتفاعل مع جمال الطبيعة المحيطة به ، فيلحن ويعزف أعذب الالحان وأرقها .. وقال لنا افراد فرقة **موسيقى السليمانية** ان امنيتهم الوحيدة هى القيام بجولة في الاقطار العربية للتعريف بالفن الموسيقى الكردى .



سد دوكان العظيم ، يحجز امامه ٧ مليارات متر مكعب من المياه .. لقد كانت الميزانية المخصصة لبناء هذا السد ٢٥ مليون دينار ، لم ينفق منها الا ١١ مليون دينار فقط ، فجاء السد ناقصا،وضاع على المنطقة قوة كهربائية تقدر بأكثر من ١٠٠ الف كيلواط سنويا .. كما ان الارض الزراعية لم تستفد من البحيرة الكبيرة بسبب عدم اقامة شبكة ري الاراضي ... جرى كل هذا ايام الحكومات السابقة،اما اليوم فيجري العمل لتكملة منشآت هذا السد ، الذي شيد عام ١٩٥٩ حتى يساعد على ازدهار المنطقة .

والواقع ان ثروات شمال العراق ظاهرة للعيان، فكيف الحال اذا تم التنقيب عنها ؟

لقد أنعم الله على المنطقة بسخاء طبيعي زائد ، وبقدر سخاء الله كان تقاعد او تقاعس ابنائها عن العناية بها ..

لمن تتدفق المياه ؟

ويحتج الاهالي على هذا القول متعللين بالظروف التي مرت بها المنطقة ، ويقولون : « ان مدينتنا السليمانية مظلومة.. لقد شيدوا سددوكان العظيم على مسافة ٤٠ كيلو مترا من مدينتنا .. شيدوه بارتفاع ١١٦ مترا على الزاب الصغير احد روافد نهر دجلة ، وقالوا انهم سيولدون منه سنويا قوة كهربائية مقدارها مائة الف كيلو واط ، وانتهى بناء السد عام ١٩٥٩ ثم تعطلت الامال .. اما اسبابها فعند العارفين .

ويتحدث اهل السليمانية عن ارباح مصنعي الاسمنت والتبغ..مئات الالوف من الدنانير سنويا .. ومع ذلك لم يقم المصنعان بأي مشروع لخدمة السليمانية او حتى مساعدة بلديتها الفقيرة ..

عبء هائل على كاهل المسئولين

ان الحساسية الزائدة في المنطقة ، والوعي الكبير المنتشر فيها ، والرغبة الجامحة في رؤية كل شيء قبيح يتحول الى جميل في غمضة عين .. كل هذا يلقي عبئا هائلا على كاهل المسئولين هناك.

ان شمال العراق يعيش اليوم فترة انتقال صعبة للغاية، مليئة بالحساسية الزائدة .. تحتاج الى التعاون والتكاتف ، والعمل الجاد ، بعيدا عن السفسطة واللغو .. ومما يبشر بالخير ان التفاؤل الكبير يسود المنطقة ، لأن الجميع ـ سواء كانوا عربا او أكرادا ـ يؤمنون ايمانا راسخا بأن اسلوب العنف ليس هو طريق الازدهار .

حمى الله العراق ، وشمال العراق .

سليم زبال

هـذا المقال لم ينشره المرحوم العقاد في حياته ، وقد أرسله لنا ابن أخيه الأستاذ محمود أحمد محمود العقاد وكيل ورثة المغفور له كاتبنا الكبير .



أَحْسَن .. حِمَار

قصة بقلم : عباس محمود العقاد

■ كان سائحا في بلدته

لانه منذ فارقها وهو في الخامسة عشرة لم يكن يعود اليها الا مرة في كل خمس سنين ، او مرة كل عشر سنين ، فيعيش فيها اياما ، كما يعيش السائح القادم من القارة الاوربية او القارة الامريكية : يوما في النيل ، ويوما في الصحراء ، ويوما عند أودية الجبال التي تهبط من السيول ، ويوما عند المتحفات والآثار ، الى آخر هذه المنازه والرحلات التي يعرفها كل من عرف البلدة الخالدة : أسوان ! .

وكان يجد في هذه الرحلات من المتعة النفسية ما لا يجده السائح الغريب ، لأنه يجمع في نزهته بين ذكرياته الشخصية وذكريات التاريخ .

وانه لفي طريقه الى الخزان يوما اذا به

يلتفت الى جانب المسلة الناقصة أو المسلة المهجورة فيراها ... !

نعم يراها هي بعينها

هي هي الفتاة الروسية الراقصة التي طالما نظر اليها في فندق « الكتاراكت » وتمنى أن يراها في جلسة هادئة ليتعارفا .

رآها هناك وليس معها أحد غير الترجمان ورسول الفندق الصغير وسائق الحمار الذي تركبه ، ولا يدري من تركبه لانه حمار .

وكانت آية في الجمال الفخم المتين ، طويلة باسقة الطول ، صحيحة الجسم ، ينضح خداها بوهج الصحة ، رشيقة لا تذكرك رشاقتها بالحلية الدقيقة التي يخشى عليها الكسر السريع ، أو بالتمثال الانيق الذي تميل به نسمة ، ولكنها الرشاقة التي تحترم وتهاب .

رآها هي بعينها في أوسع مكان لفرص التعارف : في الصحراء !

وانه ليخدع نفسه اذا هو أوهمها انه رأى الفتاة على سبيل المصادفة والاتفاق العجيب .

كلا . لم تكن مصادفة ولا اتفاقا عجيبا تلك المقابلة في جانب المسلة المهجورة .

لانه كان في فندق الكتاراكت « ليلة أمس » على خلاف عادته في السهر خارج النزل ليزور بعض الاصحاب .

وكانت الفتاة الروسية تحيي ليلتها التي دعيت لاجلها من القاهرة ، فرقصت وأبدعت ، وراحت وهي قبلة الانظار ، بل قبلة الانظار وأصحابها جميعا ... لانهم احاطوا بها يهنئونها ويتقربون منها ، وهي تبتسم وتتخلص الى طريق الشرفة الصخرية المطلة على النيل .

ثم جاءها مدير الفندق ومعه ترجمان وقال لها :

«هو ذا يا آنسة أبرع ترجمان في البلدة يصحبك غدا في زيارة الآثار الشرقية وهو بانتظار أمرك في الصباح . » قالت ضاحكة : «والحمار؟»

قال ضاحكا أيضا : « نعم يا آنستي ، لقي بهذه المسألة أيضا . سيكون معك أحسن ترجمان في البلدة ، وأحسن حمار ! »

فلما رآها في اليوم التالي ، لم تكن المقابلة محض مصادفة لا يعلم بها قبل لحظتها ، ولكنها كانت كذلك لا تخلو من عنصر المصادفة السارة ، لان الصحراء واسعة ، ومواقع الفرجة فيها متعددة ، والوقت من الصباح الى الضحى ليس بالوقت القصير ، فمن الممكن أن يخرج الى هذا الجانب في الصحراء عشرون ولا يلتقون ، ومن الممكن أن يخرج اثنان ويلتقيان .

فهي اذن مقابلة عجيبة قد اجتمع فيها سرور المصادفة وسرور الانتصار وبقي شيء ، شيء واحد .

بقي كل شيء في الحقيقة ..

بقي التعارف المنشود الذي بغيره تصبح هذه المقابلة حسرة ، ويزول كل ما فيها من السرور فكيف السبيل اليه ؟

هو متحفظ جدا في هذه المواقف ، وان شئت فقل انه خجول في مقابلة الغرباء من الرجال أو النساء . وهي بطبيعة الحال فتاة مدللة تشعر بعزة الجمال ، وتجرى على الاداب الاوربية في هذه المناسبة ، وفرصة التعارف واسعة جدا على التحقيق

ولكن المسافة بين المتعارفين اوسع من فرصة التعارف ، أوسع من الصحراء ، وان الفرصة لتوشك أن تفلت آخر الابد بغير أمل في التجديد .

اذا بأحسن حمار في البلدة يمهد سبيل التعارف أحسن تمهيد .

لانه جمح على غير العادة ، بل جمح على حسب العادة التي اعتادها كل حمار أصيل ! فان هذه الحمير الاصيلة لا تحتمل النخس اليسير ، وقد تستحثها الى الجرى بأقصى سرعتها بهزة صغيرة في الركاب ، فتأتي بالسرعة التي يعجز عنها الحمار البليد ، ولو انهالت على رأسه الف عصا ، واندس في خاصرته الف مهماز .

وفي تلك اللحظة كان السائق الغبي يقرب الحمار الى الفتاة الروسية لتركبه ، فنخسه على سبيل الاستعجال ، فكانت هي النخسة المباركة التي لم ينتظرها أحد من الواقفين ، لانه جمح وانطلق في الصحراء ، وانطلق وراءه الصبي ليعيده الى الطاعة ، فوقفت الفتاة مدهوشة ، وهي تقول للترجمان كأنها تؤنب الفندق ومديره في شخصه : أهذا أحسن حمار في البلدة ؟ »

فارتبك الترجمان ولم يدر ما يقول ، أو لعله قد ألهم أن يقول أفضل ما يقال في تلك المناسبة ،

فاقسم لها انه لاحسن حمار حقا « وان لم تصدقى يا مدام فاسألى الاستاذ ! »

قالت وقد اغربت فى الضحك : وما شأن الاستاذ بهذا ؟ »

فمضى الترجمان فى اعتذاره وهو يقول :

« نعم يا سيدتى . انه من اهل البلدة ، وانه يعرف حميرها جميعا وطالما ركب هذا الحمار بعينه ، وخرج به الى هذا المكان ، والى كل مكان فى اسوان . وعلى فكرة يا سيدتى ! ان الاستاذ ليعرف كل قطعة من قطع الآثار كما يعرف بيته ، فاسأليه فيما كنت يا سيدتى تشكين فيه من كلامى عن هذه الآثار . اسأليه ... أليس كذلك يا استاذ ؟ »

بارك الله فيك يا هذا الترجمان !

انك حقا لاحسن ترجمان فى البلدة، وفى العالم !!

★ ★ ★

اتصل التعارف بهذه المناسبة الصحراوية المضحكة ، وعاد الحمار الى الطاعة ، مشكورا على عصيانه ، وتبادلا الحمارين ، ليقيم لها الدليل على اطمئنانه الى الحمار المتهم بالجموح ، وقضيا بقية الرحلة معا ، وسمع منها الكثير واسمعها الكثير .

علم منها من هى فى بضع كلمات : هى روسية احبت رومانيا وتزوجت به ، وعاشت معه سنتين فى بلده ، ثم افترقا . وعرفت طريقها الى الفن على اثر هذا الفراق ، وعلمت منه من هو فى بضع كلمات : هو من اهل هذه البلدة ومن محبى القراءة ، وهى وطنه الذى لا ينقطع عنه ، اذا انقطع زمنا عن وطن من الاوطان .

وادهشته وادهشها .

ادهشته لانها وهى الفتاة الراقصة اللاهية تعرف الادب الروسى الحديث كانها طالبة فى جامعة من الجامعات الكبرى تخصصت فيه .

وادهشها لانها لم تكن تتوقع وهى قادمة الى اسوان أن تعرف انسانا من اهلها تتحدث اليه عمن تحب من كبار الكتاب الروسيين ، ولا سيما « دستيفسكى » .. وأن يتم ذلك كله بفضل حمار وعلى غير انتظار !

لك الله يأيها العزيز دستيفسكى ! .. كم وددت لو قبلت لحيتك الكثة من عارضيك الى ذقنك فى ذلك الصبح البهيج .

★ ★ ★

وعلم منها انها ستسافر غدا لتقضى يومين فى الاقصر ، ثم تعود الى القاهرة . وعلمت منه انه عائد الى القاهرة بعد اسبوع .

واخذت منه رقم التلفون وعنوان البيت ،وقالت وهى تودعه عند باب الفندق : « انتظر منى تلفونا بعد بضعة أيام » .

ــ الى اللقاء فى القاهرة .

ــ فى القاهرة . فى القاهرة .. الى اللقاء .

★ ★ ★

ومضت الأيام وهو لا يصدق انها تتكلم كما وعدت ، وان كانت لهجتها الجادة ومحياها الحزين يوحيان اليه انها ليست ممن يلغو ويهزل بالمواعيد ..

ثم دق جرس التلفون ذات صباح: « من المتكلم؟»

هى بعينها ، هى الفتاة الروسية التى كان ينتظرها ولا يصدق انه يسمع صوتها مرة اخرى. ولم يعرفها بصوتها كما عرفها بلهجتها الانجليزية الضعيفة التى كانت تخلطها بكلمات فرنسية تبدو عليها مسحة اللغة الروسية من بعيد .

ــ ماذا . فلانة ؟

ــ نعم فلانة . كيف انت ؟ متى عدت الى القاهرة ؟

ــ منذ يومين .. عود سعيد يا صديقتى !

قالت : « شكرا . اذن لم اتأخر كثيرا فى الكلام » .

قال : « بل كثيرا جدا .. يومان يا انستى ليسا بالشىء اليسير فى الانتظار » .

قالت : « هاها .. بهذه السرعة ؟ اذن متى اراك ؟ » .

قال : « غدا الساعة الخامسة . اتوافقك هذه الساعة ؟ » .

قالت : « كل الموافقة . اذن غدا الساعة الخامسة .. الى اللقاء » .

★ ★ ★

وفى وسع القارىء أن يتخيل لهفة الانتظار فى الصباح .

فمن الصباح كان « الأستاذ » في حدود الموعد المنظور عند الغروب ، وكان من عادته أن ينام قليلا بعد الظهر ، فلم ينم في ذلك اليوم .

وحانت الساعة الثالثة وهو في موقف الانتظار .

ومضى نصف ساعة ، ومضت ساعة ، ومضت عشر دقائق ، وتم ربع ساعة بعد الرابعة واذا بجرس الباب يدق !

ماذا ؟ قبل الموعد بخمس واربعين دقيقة ؟ ما الذي أعجلها ؟ ولماذا لم تبلغ بالتلفون ؟؟ أهي رغبة منها في المفاجأة ؟ أهو تعديل في مواعيدها وسهراتها الراقصة قد اضطرها الى هذا التبكير .

في خطواته بين المكتب والباب دارت في رأسه كل هذه الخواطر كأنها صورة واحدة يلمحها مرة واحدة في كتاب وكان مع ذلك سعيدا جدا بهذه الاختلاف في المواعيد ، على فرط كراهته لكل اختلاف في المواعيد .

وفتح الباب وهو يرسم في عينيه صورة الوجه الذى ستراه عيناه بعد لمحة خاطفة فأى وجه رأى ؟

نعوذ بالله .. آخر وجه كان يفكر فيه أقل تفكير في تلك اللحظة المباركة .

وجه رجل ثرثارة سريع اللسان في الكلام ، بطيء الحركة في الجلوس ، يحسن أن يبدأ الكلام في كل مكان ، ولا يحسن ابدا أن ينتهي منه ، ولو نبهته بكل وسيلة تنبيه في قدرة الآدميين .

تسكت ولا ترد عليه وهو يتكلم فلا يبالى ، وتقاطعه وتخرج من الحجرة وهو يتكلم فلا يبالى ، وتعرض عنه وتتشاغل بنقل هذا الكرسي أو رفع هذه المنضدة فلا يبالى ، وتفعل ما تشاء فلا يبالى ما دمت لا تقبض بيدك على لسانه ، ولا تمنعه أن يحركه بين شدقيه .

والمهم عنده أن ينفض ما في صدره بغير توقف ولا مناسبة كيفما كان موضوع الكلام .

وليس مهما أن ترد عليه أو تعقب على ملاحظاته واسئلته التى يوجهها ولا ينتظر جوابها ، فهو على التحقيق لا يصغى اليها ولا يسمعها ولا يفكر في معناها .

انما يقول ويقول ويقول .

حتى يفرغ مما يقول وأنت لا تدرى متى يحين موعد الفراغ .

★ ★ ★

جزاك الله يا هذا .. وفي هذه اللحظة دون غيرها !

فكيف الخلاص ، وكيف الاعتذار ؟ ومتى ينتهى هذا الثرثارة اذا سُمح له بالابتداء .

وبدأ القصة الأبدية بعد دقيقة واحدة من تاريخ دخوله الميمون ، وعند الله وحده علم الدقيقة التى ينتهى فيها الكلام .

وكان الاستاذ في زياراته السابقة يطيل صبره عشر دقائق أو ربع ساعة اذا كان لديه متسع من وقت الفراغ ، ثم يبدأ بعملية التشاغل فلا تنجح العملية قبل نصف ساعة .. على أهون تقدير .

ولكنه في هذه الزيارة بدأ العملية في الدقيقة الاولى .

خروج من الحجرة ورجوع ، ومحادثات في التلفون ، ولا حديث ، وقراءة في هذه الصحيفة ثم القاء الصحيفة وسائر الصحف بضجر وتأفف لا تحفظ فيه، واعراض ومقاطعة واقتضاب وسكوت . ولا فائدة .

ما العمل ؟ ما الحيلة ؟ كيف الخلاص من هذه البلوى ؟

بعد ربع ساعة كأنها آناء الجحيم ، خطرت له خاطرة أخيرة ، وهى الخروج من المنزل كله لاكراه هذا الثرثارة على الخروج معه ، ثم يعود في الوقت المناسب .

فلبس على عجل ، وعاد مهرولا يقول له وهو لا يملك أن ينتظر جوابه : « معذرة يا صاحبى اذا اضطررت الى النزول .. انى على موعد في المدينة ، ولا بد من الذهاب اليه الآن .. الآن بغير ابطاء » .

فهم أن ينهض من مكانه وهو أقرب الى الجلوس منه الى النهوض ، وقال متراخيا : « أضرورى جدا هذه المواعيد في هذه الساعة ؟ » .

ــ نعم ضرورى جدا . ضرورى جدا . لامؤاخذة!

وسبقه الى الباب فلم ير الثرثارة بدا من اللحاق به ، وهبط السلالم متباطئا كان له املا

في اقناع الاستاذ بالعودة .. ولا ضرورة لهذه المواعيد في هذه الساعة !

ولم يتقدما في الطريق خطوات حتى لمح الفتاة مقبلة من بعيد ، ورآته ، فاستغربت ، ووقفت في مكانها مبهورة ..

يا للطامة الكبرى !

لم يفته أن يحزر ما جال بخاطرها في تلك اللحظة .. جال بخاطرها ولا شك انه استخف بها ولم يحفل بميعادها ، ولم يكلف نفسه عناءالانتظار للقائها ، وهي التي يتهافت على لقائها عشرات ، وينتظرون الايام .

فمن حقها أن تدبر راجعة ولا تسأل ..

ولحظة واحدة وقد كانت تهم أن ترجع ، ويالها من لحظة قد تنتهي بها حياة ذلك الثرثارةالبغيض، فلم يتردد الأستاذ أن ترك ذلك الثرثارة فجأة بغير استئذان وبغير تمهيد .

وصاح به وهو يعدو راجعا الى البيت : « نسيت المفتاح ! نسيت المفتاح ! نهارك سعيد».

قال : « هل أنتظر ؟ » .

فلا يذكر الاستاذ أجابه أم لم يجبه ، وقفز على السلالم حتى فتح الباب ووقف ونبضه يكاد أن يقف .. بالانتظار خمس دقائق مضت وكانت ضحكات الفتاة الروسية الرنانة المجلجلة تسمع في الطريق .

لأنها عرفت الحكاية بتفصيلها . وتصورت الموقف بجميع محرجاته ومفاجآته، واسترسلت في الضحك بغير انقطاع .

قال لها ، وهي أول مرة يجترىء فيها عليها : « على رسلك يا بلهاء .. ان الشارع كله يسمع هذه الضحكات » .

وتحرك فعلا الى النافذة يقول لها مازحا : « انظري .. ان الشارع يمتليء بالسامعين والمتفرجين ! » .

فماذا رأى ؟

من السهل على القارىء أن يحزر الآن ماذا رأى الاستاذ ، وماذا رأت الفتاة ، وهما ينظران الى الشارع الذي ليس فيه أحد .. الا صاحبنا الثرثارة يخطو أدراجه الى المنزل ليستعجل الأستاذ في النزول .

فما هو الا أن وقع نظر الأستاذ على وجهه حتى أخذ هو يضحك كما كانت تضحك الفتاة ، ولكنه ضحك فيه كثير من الحنق والدهشة والمجازفة .. المجازفة بكل ما يقوله ذلك الثرثارة وكل ما يلفظ به ، وكل ما يرويه للعارفين وغير العارفين .

قال لها : « يا فلانة ! لا أرى خيرا في الانتقام من هذا الثرثارة ولا في تبكيته والسخرية منه الا في أن تفتحي أنت له الباب في هذه المرة » .

فتلقفت الاقتراح مسرورة بدورها « الفني » فيه ، وكانت أسرع من صاحبنا الى جرس الباب ، ففتحته ، ولبثت هنية تصغي الى ما يقول وتتعجب اذا ابتدا كيف يكون الانتهاء !

وقد كان في وسع صاحبنا أن يفهم مرة واحدة فينقلب الى الطريق قبل أن يسأل ، ولكنه كان أمينا لطبعه غاية الأمانة ، فسأل هذه الخادمة المسكينة الشاخصة بين يديه : « هل الأستاذ موجود ؟ » .

قالت : « الأستاذ نقل من هذا المنزل ! »

قال متعجبا : « يا عجبا .. منذ متى ؟ انني كنت هنا من خمس دقائق » .

قالت : « وهو قد نقل من خمس دقائق ليس الا » .

وأغلقت الباب ، وعادت تستأنف ضحكها وهي تقول : « انه لا يخجل . وهو يغيظ » .

قال الأستاذ: « بل خجل هذه المرة والله أعلم » .

فنظرت اليه مقهقهة بعينيها الواسعتين ، وصاحت به : « أهذا هو الخجل ؟ فماذا كان صانعا لو لم يتفضل بالخجل ؟ » .

قال : « يسألك أن تصحبيه الى منزل الاستاذ الجديد !!! » .

■■

عباس محمود العقاد

طرائف غربية



ديجول .. والبطل الزائف !

● يروى عن الجنرال ديجول، الرئيس الفرنسي الراحل ، واحد ابطال المقاومة ضد قوات الاحتلال النازى ، انه كان يجلس يوما في مادبة عشاء اقيمت تكريما له في لندن ، والمقاومة الفرنسية قائمة ضد الالمان ، عندما قفز احد الجنرالات الفرنسيين من مقعده ، وراح يروى قصة هروبه من ايدى قوات النازى وطال حديث الجنرال حتى كاد يستغرق الوقت كله ، من موعد تقديم اطباق الحساء في بداية العشاء حتى آخر طبق من الحلوى .. !

واستبد الغيظ بديجول، اذ كان يعلم ان الجنرال بطل هذه القصة كانت تحوم حوله الشبهات ، حتى قيل انه كان من بين الذين تعاونوا مع قوات الاحتلال الالمانية .

وقرر ديجول ان يفعل شيئا ليخرس هذا الرجل ويجعله يكف عن سرد تفاصيل قصة بطولته الخرافية .. فقام من مقعده ، وقال له مقاطعا : « معذرة ، ولكن هل لك يا سيدى ، وقد رويت لنا قصة هروبك ، ان تذكر لنا شيئا عن قصة وقوعك اسيرا في ايدى الالمان ؟ »

وساد المكان صمت رهيب ، ثم ما لبث « الجنرال البطل » ان تهاوى على مقعده ، وقد احمر وجهه غضبا ، دون ان ينبس ببنت شفة ، وهنا رفع ديجول كاسه ، وقال في هدوء : « لنشرب جميعا نخب فرنسا ! » .

دموع .. ودموع !

● عشق المؤلف الامريكي هنرى تورو Henry Tnoreau (١٨١٧ — ١٨٦٢) الطبيعة ، وكان يقضى جانبا كبيرا من نهاره يتأملها من حوله ، وكثيرا ما كان يصطحبه صديقه ايمرسون Emerson ، فيلسوف امريكا الشهير في نزهات خلوية بين احضان الطبيعة الصامتة .

ساله ايمرسون يوما : « ماذا تجد في هوايتك هذه ؟ »

فقال تورو : « أجد الحياة في اجمل صورها .. هل ترى هذه السحب والغيوم وهي تتجمع في كبد السماء وسط الرعد والبرق والمياه المتساقطة .. انني لا أجد منظرا اروع من منظر توقف هطول المطر وانقشاع السحب بعد ان تتسلل اشعة الشمس من ورائها لتملأ الدنيا بحرارتها ودفئها ! »

وهنا قاطع ايمرسون صديقه بقوله :

« حقا .. ما اعظم الشبه بين ما يحدث في السماء ، وما يحدث في وجوه الناس .. وهل هناك أروع من منظر الابتسامة وهي تعود الى وجه باك حزين امتلأت عينا صاحبه بالدموع ؟ »



ذكريات طفولة !

● قالت اليانور روزفلت ، Eleanor Roosevelt زوجة فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق ، قالت تصف طفولتها : « لم اكن فتاة جميلة .. وكنت اخجل من نفسي .. اخجل من الفساتين التى البسها ، والتى كانت تلبسها عمتي من قبلي ، اخجل من جهلي بالرقص ، وعجزى عن التزحلق على الجليد ، اخجل من تصرفاتي التى كانت تختلف عن تصرفات بقية الفتيات من صديقاتي واخيرا اخجل من الناس الذين لم يكن احد منهم يشعر بوجردى ابدا ! وهكذا عشت حياتي فتاة خجولة منطوية على نفسها ..

« الى ان جاء اليوم أخيرا ، عندما تقدم شاب صغير وسيم يدعوني للذهاب معه الى حفلة راقصة .. وذهبت ، ورقصت وعندما انتهى الحفل ، قال الشاب يسألني : « هل تقبلين ان تصبحى زوجة لي » ؟

« وتزوجنا ، ولم يكن هذا الشاب الصغير سوى فرانكلين روزفلت ، الرجل الذي ترددت اسرتي كثيرا فى الموافقة على زواجي منه ، لانه لم يكن ناجحا فى عمله !! »

دروس التاريخ !

● سألوا المؤرخ الأمريكى الشهير تشارلز اوستن بيرد (١٨٧٤ ـ ١٩٤٨) ما هى الدروس التي يمكن استخلاصها من التاريخ ؟

فقال بيرد : انه يستطيع ان يجيب على هذا السؤال في اربع جمل .

ـ ان الزعماء الذين تحطمهم الآلهة ، تبدأ بان تصيبهم بجنون السلطة .

ـ ان طاحونة الآلهة تسحق ببطء ، ولكنها تسحق بقوة وعنف !

ـ ان النحلة تسرق رحيق الزهرة ، وهى تلقحها ، دون ان تدرى انها تلقحها .

ـ ان النجوم لا ترى الا عندما تشتد ظلمة السماء !

أزمة الحرية

بين اقصى اليمين وأقصى اليسار

● يقول سان يات سن Sun Yat Sen الزعيم الصينى الكبير ومؤسس جمهورية الصين (١٨٦٧ ـ ١٩٢٥) : « اننا نستطيع ان نفهم السلوك السياسى ، اذا وزعنا الآراء والافكار ، ولكن لا على خط مستقيم ، وانما على خط دائرى ، بحيث يلتقى طرفاه فى النهاية .. ذلك لأن تجارب السياسة علمتنى ان اللقاء حتمى بين اقصى اليمين واقصى اليسار ، فكلاهما يؤمن بقمع الآراء ، وكلاهما لا يستطيع ان يعمل الا فى جو من الحرية المخنوقة ، العنف رائدهما ، والخلط بين الهرطقة والفكرة الجديدة سياستهما . لا فرق عندهما بين الشعور بالسخط وبين الخيانة ، كل صوت يرتفع معارضا لا بد من اخراسه مهما كان الثمن .. ان الحرية فى ازمة ، والديمقراطية فى محنة . ولا سبيل لاحيائهما الا عن طريق السير فى اوسط هذين الطرفين » .



الغرور

حال تعتري الرجال والنساء شباباً وكهولاً أزواجاً وعزاباً

■ يحدثنا الفيلسوف الامريكي رالف ايمرسون Ralf Emerson (١٨٠٣ — ١٨٨٢) في كتابه السلوك في الحياة Conduct of Life ، عن الغرور وعن علاقة هذا الشعور بمختلف اطوار الحياة عند الرجل والمرأة يقول :

الغرور الوان

« الغرور غرور مظهر ، وهو يصيب الفتى المراهق او الفتاة الجميلة ، اذا احس او احست أن هناك شيئا يميزهما عن الاخرين ، سواء كان هذا الاحساس له ما يبرره أم كان مجرد وهم صوره له خيالهما !

وبينما نحن نعلم ان اعمار الرجل خمسة : طفولة ، فمراهقة ، فرجولة ، سواء في العزوبية أم في الزواج ، ثم منتصف العمر فالشيخوخة ، نجد انها عند المراة ثلاثة فقط ، فهي طفلة ثم انثى حيث تبقى انثى الى ان تبلغ سن الشيخوخة عندما تفشل في اخفاء آثار السنين على وجهها !

« لهذا تكون فترة الغرور عند المراة أطول منها عند الرجل ، الذى قد تنتهي مرحلة شعوره بالغرور بانتهاء المراهقة ..

غرور الفكر

« ولو أن هناك غرورا آخر يصيب الرجل احيانا في الطور الثالث من عمره ، أى في سن النضوج ، وهو غرور الفكر ، عندما يتصور انه يسمو بفكره ورأيه على فكر غيره من الناس ! وقد يبدو غريبا أن يصدر هذا من رجل بلغ مرحلة الرجولة والنضوج ، ولكن اذا نحن توغلنا في سبر اغوار طبيعة النفس البشرية ، وجدنا أن كل رجل يصاب بالغرور في فترة او في اخرى من فترات حياته العملية والفكرية .. وهو غرور يتصل اتصالا مباشرا بطموح الانسان في الحياة ولولا هذا الغرور ما توصل كثير من الباحثين والعلماء الى ما توصلوا اليه من اكتشافات علمية ومخترعات انقذت الانسانية واحدثت ثورة في حياة الجنس البشرى .

ولولا غرور اديسون الذى ظن في وقت من الاوقات انه يفوق استاذه علما ومعرفة لما اصبح هذا الشاب مخترعا ، قدم للبشرية عشرات المخترعات التى ربطت بين اطراف العالم .

« ولولا غرور مدام كورى ، لما كان اكتشاف الراديوم .. لقد قفزت هذه السيدة البولندية الاصل من نومها ذات صباح لتقول لزوجها : « لقد رأيت نفسي في المنام وانا احمل شعلة أضيء بها الطريق للملايين الذين تبعوني ! » ثم حزمت حقائبها ، ورحلت مع خطيبها الفرنسي الى باريس لتكمل علومها وابحاثها !

«ولولا غرور الدكتور صاموئيل جونسون لما صدر اول قاموس في اللغة الانجليزية .. كان في الثامنة والثلاثين من عمره ، عندما وقف يقول لاصدقائه :



اعجب برنارد شو بسيدة المجتمع فى لندن ، وأعجبت به، وكان وراء الاعجابين ترتيب وتنظيم وبناء أسرة، فلما التقيا لأول مرة ، اصطدم غرور برنارد شو ، بغرور السيدة ، فتفجر ما بينهما .. قال شو بعد ان تزوج من غيرها : ((لقد كنت والله غبيا مغرورا)).

« اليوم بدأت في انجاز العمل الذى شغل كل تفكيري منذ سنوات طويلة ، ساضع أول قاموس انجليزى ، وساضعه وحدي ، ولن يستغرق اصداره اكثر من ثلاث سنوات ! » .

كبرياء واعتداد بالنفس

وسخر اصدقاؤه منه ، وقال له زميله الدكتور ادامز : « ان اربعين باحثا من اعضاء الاكاديمية الفرنسية ، قضوا ما يزيد على الاربعين عاما في اصدار اول قاموس فرنسي ! »

وابتسم جونسون في كبرياء ، وقال في لهجة يشوبها الغرور ، وقد ازداد وجهه انتفاخا ، « هذا هو بالضبط الفرق بين الرجل الفرنسي والرجل الانجليزى ! »

حقيقة لم يستطع جونسون أن يفرغ من اعداد قاموسه في ثلاث سنوات ، فقد استغرق من وقته وعمره أكثر من ثماني سنوات ، الا انه استطاع ان يسجل بذلك رقما قياسيا ، اذا قورن بالوقت الذى استغرقه اصدار القاموس الفرنسي !

ولكن هناك لونا آخر من الغرور لا يمت الى الطموح بصلة .. غرور المرأة الجميلة كما قدمنا ، تلك التى تعرف أن الله قد حباها نصيبا اكبر من الجمال ، فتفاخر بجمالها ، وتبالغ في اظهاره ، حتى انها تترفع عن الجلوس أو الحديث مع اية امرأة اخرى دونها فتنة وجمالا .. فاذا مشت حاكت الطاووس في مشيته ، واذا جلست ، تصورت انها تجلس على عرش يسمو على كلما عداه من عروش.

« ولكن ليس معنى هذا ان كل امرأة جميلة تصاب بالغرور .. فالتاريخ يحدثنا عن نساء كن يتمتعن بجمال آسر ، وبالرغم من هذا فقد كن أكثر تواضعا من اقبح نساء العالم .

الجمال والغباء

تقول الباحثة النفسية مارجريت كلارك Marguerite Clark ، في كتابها « لماذا أنا متعبة ؟ Why So Tired » ، ان المرأة الغبية وحدها هى التى تصاب بالغرور ..

ويتحدث أيمرسون عن غرور الشباب او غرور المراهقة فيقول : « ان نعومة الحياة التى تتوفر للبعض منا في هذه السن المبكرة ، هى الباعث الاساسي على الاصابة بالغرور ، ولكن يجب الا ننسى اننا نساهم بطريق او بآخر في تشجيع الشباب على الغرور عن طريق تركهم للعبث بأنفسهم ومستقبلهم وبحياة الاخرين ..

غطرسة الغرور

وفي حياة الدكتور جونسون ، ذلك الاديب الانجليزى العملاق ، صور مماثلة لهذا الغرور الذى يتسم بالغباء أحيانا والغطرسة احيانا .. وقد رواها عنه أصدقاؤه ، كما جاءت على لسانه هو في

كثير من الاحيان ، فكان يرويها وهو يضحك من نفسه ويسخر من تفكيره وتصرفاته . روى انه دخل مسرحا في احد الايام ، وكان قد حجز لنفسه مقعدا قبل بدء الحفل ، ولكنه ما كاد يصل حتى فوجيء برجل غريب يحتل مقعده . فوقف امامه وقال : « الا تعرف انك تجلس على مقعد الدكتور صموئيل جونسون ؟ » .

فأجاب الرجل في هدوء : « لا ، ولكنني اعرف انني لا اجلس على المقعد الذى حجزته لنفسي ، لانه يقع في نهاية الصفوف الخلفية ، ولكن الامر يستوى عندى ، سواء كان صاحب هذا المقعد هو الدكتور جونسون او غيره من الرجال ! »

فما كان من الكاتب الكبيرالا ان امسك بالرجل والمقعد معا ، ثم قذف بهما فوق خشبة المسرح !!

غرور القوة

لقيه يوما بعض قطاع الطرق ، وكان في طريق عودته الى بيته في المساء ، وتجمعوا حوله يريدون ان يسرقوا ما يحمله من مال ! فصرخ فيهم : « سوف اصرعكم جميعا بضربة واحدة ! »

فانقضوا عليه وراحوا يوسعونه ضربا وركلا ، ولم ينقذه من ايديهم سوى رجل الشرطة الذى تصادف مروره في تلك اللحظة !

حتى عندما بلغ الستين من عمره ، وكان في باريس حيث سافر اليها لقضاء عطلة قصيرة ، واصيب بانفلونزا حادة الزمته فراشه ، وجاء احد اصدقائه ليزوره في غرفته بالفندق ، وكان يصغره سنا بعشر سنوات ..

قال الصديق : « انى ارثى لحالك ، فيبدو ان العمر قد تقدم بك ، ولم تعد قادرا على تحمل برد باريس !! »

وارغى الدكتور جونسون وازبد ، وقرر ان يثبت لصديقه هذا انه اكثر منه شبابا وقوة وحيوية حتى في مرضه .. قال له يتحداه في غرور : « ان السماء تمطر في الخارج ، ومع هذا فانني على استعداد لادخل معك في سباق في الجرى تحت مياه المطر ! »

قال له صديقه : « لقد جننت ! »

وقال جونسون : « ربما .. ولكننى مصمم على تحديك ! »

وبدأ السباق ، وفاز جونسون ، ولكنه نقل في اليوم التالى الى المستشفى مصابا بالتهاب رئوى حاد .

مع برنارد شو

يقول برنارد شو فيلسوف بريطانيا الساخر : (١٨٥٦ ــ ١٩٥٠) « لولا غرورى وغبائي ، لكنت قد اصبحت زوجا للمراة التى ملكت علي حسي ومشاعرى ! »

ثم يروى شو بعد ذلك قصة هذا اللقاء يقول : « كان قد انقضى على بداية الحفل الذى اقامه صديقى سيدنى ، تكريما لى ، ساعة او يزيد ، وكان المدعوون قد جاءوا وازدحمت بهم قاعة البيت الكبير في احدى ضواحى لندن ، وقد وقفوا في مجموعات صغيرة احيانا ، كبيرة احيانا يتجاذبون اطراف الحديث . وما اكثر الاحاديث التى تدور على السنة الناس ، وخاصة اذا كانوا من أهل الفكر والعلم والأدب .. وقد كانوا كلهم ينتمون الى هذه الفئة من المفكرين الذين عاشوا في تلك الحقبة من الزمن والقرن التاسع عشر يوشك على الرحيل .. لقد جاءوا مع نسائهم ليكرمونى .

« وكان يمكن أن يمضي الحفل في هدوء .. لو ان المحتفى به كان حاضرا بينهم .. ولكن الذى حدث انني تأخرت في الحضور ، كما كانت عادتى دائما كلما دعيت الى حفل ، حتى لو كان الحفل من اجلى ..

« وبحث الجميع عن صاحب البيت ، ليسألوه ماذا حصل بصديقه .. ولكنهم لم يجدوه هو الآخر .. فقد كان صديقى سيدنى ، يقف أمام باب البيت الخارجي ينتظر .. وقد عقد يديه وراء ظهره،وراح يقطع ارض الحديقة جيئة وذهابا، وقد استبد به شعور بالقلق والغيظ معا .. لقد كان سيدنى المسكين يعرف خصالى ، ومن بينها ، كما قلت انني اتعمد ان أصل متأخرا ، لكى الفت اليّ الانظار ، ومع هذا فقد كان يحبنى ، لانني كنت صديق عمره وزميل طفولته .. ثم انه كان بعد هذا يفخر بصداقته لى ، فما كدت اشفى من المرض الطويل الخطير الذى أصبت به في بيته حتى قرر أن يقيم هذا الحفل تكريما لى بمناسبة ابلالى من مرضي ..

ولم تطل وقفة سيدنى وب Sydney Webb **اذ سرعان ما ابصر عربة قادمة من بعيد ، ولم تلبث العربة ان توقفت ، ونزلت منها في هدوء مادا له يدى مصافحا ..**

قال سيدنى يرد تحيتي : « أما كان يجدر بك أن تبكر قليلا .. ان الجميع ينتظرون وصولك ! »

واجبت في هدوء : « أعرف ذلك ! » .

ــ اذن هيا بنا ..

ــ مهلا .. فلا بد لى أن اصلح من شانى .. لقد كانت الرحلة شاقة ومتعبة .. هل أجد عندك مرآة لا اريد أن أبدو كريهـا امام تلك الوجـوه النضرة الجميلة !

ــ توجد مرآة بالقرب من الباب الخلفي .

ــ اذن سندخل من الباب الخلفي !

ودرت على عقبى ، ورحت اشق طريقى وسط اشجار الحديقة الباسقة في هذا الوقت من ربيع عام ١٨٩٨ .. وهى نفس السنة التى احتفلت فيها بزواجى مكرها من المراة التى سهرت على راحتى في مرضي الآنسة شارلوت باين تاونشند Charlotte Payne Townshenp لقد التقيت بها في بيت صاحبى سيدنى ، حيث قضيت الاسابيع الطويلة راقدا على فراش المرض ، وكانت ترفض أن تفارقنى لحظة واحدة ..

« ودخلت الحمام لاغتسل واصلح من رباط عنقى وتسريحة شعر رأسي الأشعث ولحيتـــى الســوداء المدببة .. ولما شعرت بالاطمئنان الى ان كل شيء يبدو في مكانه الطبيعي.. خرجت أبحث عن سيدنى ، ولكننى ما لبثت أن وقفت بضع لحظات اتلصص من وراء احدى الستائر ، فقد كنت ابحث عن وجه معين بين المدعوين الذين امتلأت بهم قاعة الاستقبال الكبيرة ..

ووجدت ما كنت أبحث عنه ، فقد نظرت الى صاحبى وقلت : « تستطيع أن تعلن عن وصولى ، ولكن هل ترى هذه المرأة الجميلة التى تقف وسط هذين الشابين المغرورين .. اياك ان تنسى أن تقدمنى اليها ! » .

ــ من ، مسز باتريك كامبل ؟!

ــ تماما ..

★ ★ ★

ودخلت أخيرا .. واتجهت الانظار الى وسارعت شارلوت وكانت في مقدمة المدعوين تمد الى يديها في لهفة وتسألنى من حالى وأحوالى ..

ولكننى ابتسمت لها ابتسامة باردة ومضيت اشق طريقى وسط المدعوين ، واوزع الابتسامات هنا وهناك ، دون أن ارفع عينى لحظة واحدة من مسز كامبل التى كانت تقف في ثوبها الاســـود الانيق ، وقد جمعت شعرها في خصلة كبيرة رفعتها فوق رأسها في كبرياء وتحد .

ومـا كـدت أقترب ، حتى وقفت على بعد خطوات قصيرة منها وشبح ابتسامة خبيثة يظهر على وجهى .. وقطع الصمت صوت صديقى سيدنى وهو يقدمنى ..

قال : « السيد جورج برنارد شو .. ! » .

وتكلمت أخيرا فلت موجها كلامى اليها : « اننى اعرف انك كنت تتحرقين شوقا للقائى .. ترى ماذا يجرى في رأسك الصغير الآن ، بعـد ان لقيتنى !! » .

وفاظها ما صدر منى فقررت أن تلقى علىّ درسا .. قالت وهى تحاول أن تكتم غيظها وتحتفظ بابتسامتها موجهة حديثها الى صاحب البيت والحفل وكأن شيئا لم يكن ..

ــ قل لى يا سيد سيدنى ،وماذا يصنع صديقك هذا من اجل عيشه ورزقه ؟!

واستبد الذعر بسيدنى المسكين ، فقال على الفور ، وهو يتوقع حدوث عاصفة : « لا شك انك تمزحين يا مسز كامبل ! » .

ــ بل انا جادة ، وانى انتظر جوابك !! »

ــ ولكن ..

ــ ولكن ماذا ؟ أرجوك أن تقول لهذا المغـرور اننى لست سعيدة ابدا بلقائه ! ثم ما لبثت أن غادرت الحفل ، واتجهت الى الخارج تبحث عن عربة تعود بها الى بيتها ..

★ ★ ★

اما انا فقد عدت الى صاحبتى شارلوت ، ولم تنقض بضعة أسابيع على هذا اليوم حتى كنا قد أصبحنا زوجين ولكننى لم أنس مسز كامبل ابدا .. لقد اصبحنا صديقين،فيما بعد واستمرت صداقتنا لسنوات طويلة مقبلة !

كتب شو بعد ذلك يروى ما حدث بعد هـــذا اللقاء العاصف بينه وبين صديقته التى ظل يبثها لوعته في رسائله لها ، قال : « لقد أصابنى الغرور في تلك الليلة ، وما أكثر اللحظات التى كنت أشعر فيها بغرورى وقبالى لقد اعترفت لى في رسالتها التى بعثت الى بها تهنئنى فيها بزواجى ، قالت انها كانت فعلا تتوق للقائى، ولكنها راحت تقرعنى.

قالت : « لم أكن أتصور ان يعجز الرجل الذى استطاع أن يهز مشاعر الناس بفكره وقلمه ، عن فهم طبيعة المرأة .. لقد صور لك غرورك انك تستطيع ان تكشف سر المرأة دون أن تحسـب لكبريائها حسابا..ألم اقل لك انك غبى مغرور!!».

■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

هجرة العلماء والمهندسين الى الولايات المتحدة

● ضجت دول اوروبا ، وضجت بريطانيا خاصة ، من هجرة نسبة كبيرة من علمائها ومهندسيها ، لا سيما الشباب منهم ، الى الولايات المتحدة ، عاما بعد عام .

اما سبب الشكوى : فان هذه الامم تعلم شبابها شتى فروع العلوم ، وتنشئهم فى سائر فنون الهندسة ليحل جيل جديد محل جيل قديم ، فى خدمة الامة ، استمرارا لنهضتها ، او على الاقل ابقاء لها على ما هى عليه من مستويات العيش فى الحياة المدنية الحاضرة .

فنزوح هؤلاء الشبان ، بعد ختام تعليمهم ، وايضا بعد بلوغهم من النضج حدا يحمدون عليه ، وبعد ان تتكلف الدول فى تعليمهم ما تتكلف من جهود ومن نفقات ، يثيرون غضب اممهم . ان هذه الامم تزرع ليجنى غيرها ثمار زرعها .

ودل البحث على ان الامة الاولى التى تجنى ثمار هذه الدول اول جانية ، واكثر جانية ، فى هذا المجال ، انما هى الولايات المتحدة الامريكية . وان الخاسرين سائر امم اوروبا وافريقيا وآسيا ، وامريكا اللاتينية .

وانك واجد مع هذه الكلمة خريطة لهذه الامم ، ومع كل امة عدد من فقدتهم من العلماء والمهندسين بالنزوح الى الولايات ، وذلك فى عام ١٩٦٩ . وبين قوسين عدد من فقدتهم العام السابق اى عام ١٩٦٨ .

وسوف تلحظ ان عدد النازحين قد تناقص فى عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ ، وذلك فيما يختص بامم اوروبا . اما سبب ذلك فليس قلة الراغبين فى الهجرة ، وانما كان هذا لان الولايات المتحدة استمعت الى شكوى البلاد الاوروبية فعدلت من قانون الهجرة اليها بحيث يجعل شروط الهجرة من هذه البلاد اليها أشد ، واذن فالعدد النازح قد قل .

مؤتمر

ولقد راى بعض اهل الراى ان يهيئوا لاجتماع يعقد فى جامعة هرفرد ، جامعة الولايات المتحدة الشهيرة ، يحضره من يتيسر لهم حضوره من المهاجرين ، لينظروا فى امر هذه الهجرة ، ما اسبابها ، وما دوافعها ، وهل هى للخير يجنى منها ، ام لغير الخير ، واختصارا ليستمع الناس لما يقول هؤلاء المهاجرون .

دوافع الهجرة

ومن حصيلة النقاش المنشور نعلم ان الدافع الاول للهجرة يتلخص فى ان هؤلاء المهاجرين انما دفعهم الى نزوحهم عن اوطانهم قلة الاجر . ثم قلة المال المبذول للبحوث العلمية ، وعموما ضيق

دائرة التقدم الشخصي فى هذه الاوطان، ووجود العكس من ذلك فى الولايات المتحدة .

قال مهاجر من كندا الى الولايات : « تسالونى عن سبب مجيئى الى الولايات، انى جئت بسبب عرض سخى لم استطع ان ارفضه . »

وقال مهاجر ايطالى : « انى قطعت المحيط الاطلسي مرتين ، ذهابا وجيئة ، وذهابا وجيئة ، وراء المال ، للبحث العلمى . جئت اولا عام ١٩٥٩ لادرس فزياء الفضاء، وقضيت فى الولايات ثلاث سنين . وعدت الى ايطاليا . ثم عادت الموارد هناك تنضب ، فرجعت الى الولايات استكمل بحثى . كنت وراء هذا المال دائما .

واسباب كثيرة اخرى ذكرها هؤلاء العلماء المهاجرون دافعا للهجرة التى كانت .

اما هل هم يودون البقاء فى الولايات المتحدة بعد ان عاشوا فيها ، فقداختلفت فيهم الآراء . بعض يقول بالبقاء ، وبعض يقول بالرجوع من حيث جاءوا .

قال فنان ايطالى : ان بقائى فى الولايات سيظل دائما مؤقتا . اننا نحس كما لو احس النبات بانه ليس له جذور تمسكه بالارض .

فشل المهاجرين فى اندماج

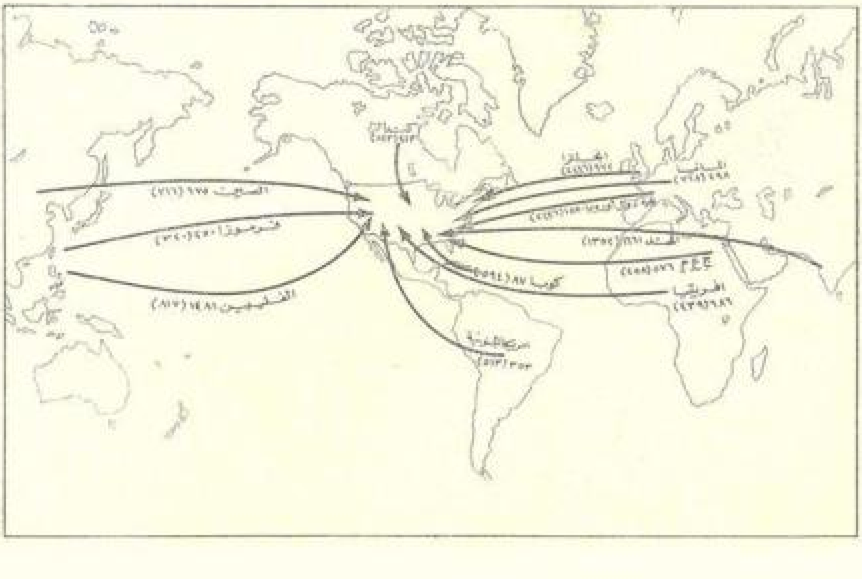
وقال آخرون ان المهاجرين والعلماء فشلوا فى ان يندمجوا فى المجتمع الامريكى. وزعم آخرون ان هذا انما وقع لان هؤلاء القوم لم يقبلوا منذ حلوا فى الولايات المتحدة ان يكون بقاؤهم فيها دائما .

وقال ايطالى : ان المهاجرين من اوروبا يميلون دائما الى الاجتماع باضرابهم من مواطنيهم . فالفرنسيون يجتمعون بالفرنسيين ، والايطاليون بالايطاليين ،كل لهم مجتمعهم الصغير ، وهم قوميون لا شك فى هذا . وليس بين هذه الطوائف تعاون .

وقال فرنسى : انى استطعت بسهولة ان اتقدم فى مهنتى هنا حيث اعمل . اما فى المجتمع فكل شىء لا يفتأ يذكرك بانك لست امريكيا .

وقال فزيائى المانى : لقد اردت ان اجد

خريطة ترينا كم من المهاجرين العلماء والمهندسين خرجوا من بلاد اوروبا واسيا وافريقيا وامريكا ، وذهبوا الى الولايات وذلك فى عام ١٩٦٩ اما الرقم الذى بين قوسين فعدد المهاجرين فى عام ١٩٦٨ .



سبيلى فى المجتمع الامريكى، ولكنى وجدت ان هذا الامر ليس من السهولة بمكان .

وبين البريطانيين كثيرون يودون العودة الى بريطانيا ولكن عددهم اكثر من عدد فرص العمل المعروضة عليهم هناك .

الحرية

ومع هذا فقد امتدح الكثيرون الحرية التى وجدوها فى الولايات . الحرية الفردية . قال انجليزى : ان الذى يغرى بالحياة فى هذه البلاد ما بها من حرية . ولعل ما بهذه البلاد من حرية فى مجتمعاتها اكثر من اى حرية يجدها الانسان فى دول اوروبا .

ونلاحظ ان هذا الانجليزى قال دوا اوروبا ، ولم يقل انجلترا .

وقال المانى : ان القيود بهذه البلاد اقل كثيرا من غيرها . ولقد وجدت عندى الحرية فى خلق ما اشاء لحياتى من اسلوب دون ان يتدخل احد فى ذلك لتعديله او تضييقه .

زيادة الهجرة من مصر والهند

ونلاحظ من الخريطة زيادة الهجرة من مصر والهند ، فافريقيا ، والفلبين ، فى عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ . بخلاف ما وقع فى دول اوروبا .

معرض اوساكا في اليابان

● هو احدث المعارض العالمية ، وقد اقامته اليابان ، فى هذا العام ، عام ١٩٧٠ ، ليضرب الارقام القياسية التى كانت لما سبق من معارض عالمية .

اما بناؤه فتكلف نحو ٨٥٠ مليون جنيه استرلينى . واما عماله فبلغوا عشرة آلاف عامل . واما مساحته فامتدت الى ما زاد على ٧٠٠ فدان . واما موقعه فعند سفح تل يبعد ٤٠ دقيقة بالسيارة عن مدينة اوساكا .

واشترك فى المعرض نحو ٧٦ دولة ، وقدروا زائريه يوميا بنحو ٤٢٠٠٠٠ نسمة ، وذلك مدة انعقاده وهى ستة اشهر بداوها فى الربيع من هذا العام .

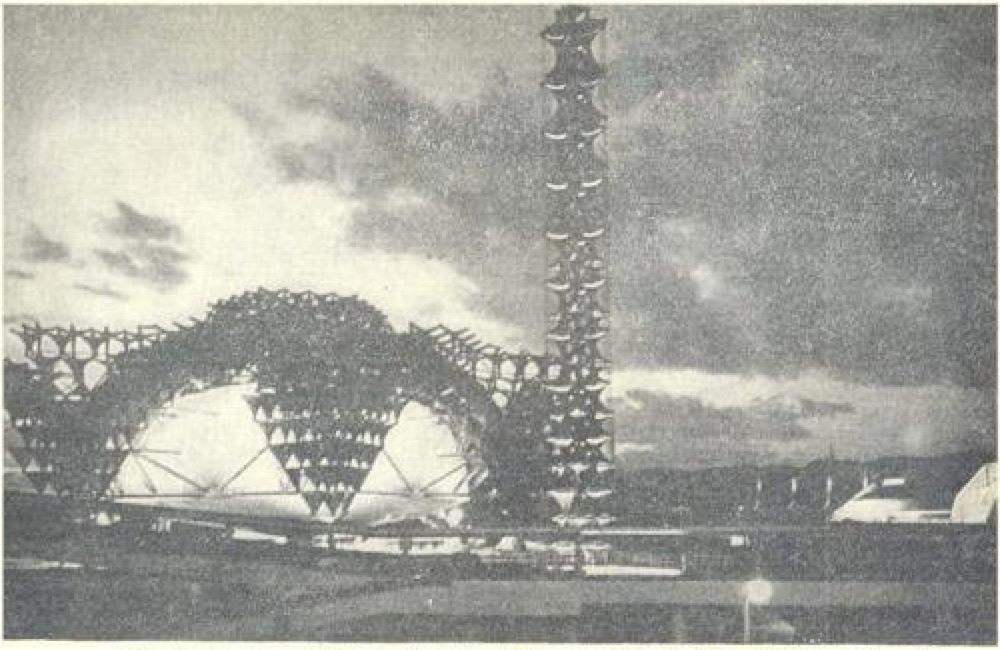
ويمثل هذا المعرض فترة من الفترات الحاسمة فى تاريخ اليابان العلمى والتكنى والصناعي .

ذلك ان الحرب العالمية الثانية تركت اليابان فى حالة من السوء كبيرة ، ما كان يرجى معها ابدا ان تسترد اليابان عافيتها، وان تسترد علمها وصناعتها ، وان تسترد ثقتها بنفسها بهذه السرعة التى كانت .

انها ٢٥ عاما منذ انتهت الحرب العالمية الثانية قضتها اليابان فى لعق جروحها وتضميد اصاباتها ، والبدء من جديد فى انشاء ما كان تهدم . وامضت ربع القرن هذا تعمل وتعمل وتعمل حتى ظهرت اليوم مصانعها الجديدة ومصاهرها، وحيث يصنع الحديد والفولاذ ، وحيث تصنع السفن الجبارة ، كل هذا ظهر فى افق اليابان ، بعيده والقريب ، فغطى على ما كان من ساحات مديدة من خراب .

وانتاجها القومى ظل يزيد ، فى اتصال حتى بلغ ١٠ فى المائة ، زيادة العام عن كل عام سبق ، وذلك فى العشرين من السنوات الماضية .

واليوم سبقت اليابان امم الغرب من اوروبا كلها بهذا الانتاج ، وسوف تصل حصيلة انتاجها القومى فى عام ١٩٧٥ الى ٢٠٠٠٠ مليون جنيه استرلينى ، وعندئذ سوف تساوى حصيلة بريطانيا وفرنسا والمانيا مجتمعة ، وعندئذ سيكون لليابان فى ميزان مدفوعاتها فائض مقداره ٥٠٠٠ مليون جنيه استرلينى .



المجموعة الصناعية الكهربائية الالكترونية ، المعروفة باسم توشيبا Toshiba لها بمعرض اوساكا جانب كبير عجيب ترى في الصورة بعض عمارته ، وقد بنوها وجعلوا بناءها تركيبا لمادة كربونية مؤدرجة وقصدوا بذلك ان يرمزوا الى ما هدفت اليه المجموعة المذكورة وكذا المعرض من تقدم الانسانية بالعلم

واليابان بدات نهضتها هذه ، من بعد حرب ، بان قررت ان تنتفع باسرع ما يمكن من علم الاجنبي ، وتجارب الاجنبي ، وخبرة الاجنبي ، فاخذت تستورد كل هذا فيما يتصل بصناعة الفولاذ ، وصناعة المنسوجات ، والسيارات والكيماويات والالكترونيات ذات الاستهلاك الشعبي ، والمفاعلات النووية والطائرات .

واذنت للاستغلالات الخارجية ان تدخل اليابان بقدر ما خططت وقدرت ، ولم تاذن لاستغلال يدخل الى صناعة توجد اصلا في البلاد .

وكانت اليابان تعتمد على العلم الاجنبي والتكنية الاجنبية ، والتقليد ، واشتهرت بهذا في العالم . فكانت مقلدة اكثر منها مبدعة . ولكن كل هذا تغير اليوم . اصبحت في غناء عن اقتراض . ورات ان تستقل مالها في احياء علمها ، واحياء تكنيتها ، واغدقت على البحوث الصناعية والخطط التجريبية الكثير .

ويقول الخبراء الذين نروي عنهم ان لليابان اليوم احلاما هي عندهم رهينة بالتحقق في السنوات القادمة . وهم لم يكادوا يتركون صناعة من صناعات العالم ، الا وكان لهم فيها مطمع .

يرد الخبراء كل هذا الى التثقف المنتشر في اليابان ، وان الامية في اليابان لا تزيد على ٢ في المائة . ثم هم يردون كل هذا الخير الى صفتين عجيبتين في العامل الياباني . اما الصفة الاولى فالوطنية البالغة يذكيها فيهم الى اليوم ذكرى النكبة التي كانت فيهم . وهم يذكرون هوريشيما ويتالمون لها كما لو كانت وقعت بالامس القريب . اما الصفة الثانية فاقبال عمال اليابان على العمل اقبالا شديدا تدفعهم اليه عاطفة متقدة .

ان اليابان بلد لا تزيد مساحته عن ايطاليا ، ولكن به من السكان ١٠٠ مليون نسمة !

ولعلى قد سمعت ايضا ان العرب ١٠٠ مليون نسمة !



زهرات البصل صورها المصور عن قرب

الكبريت فى البصل سبب حرافته

● البحوث الزراعية انواع ، وكل نوع له اختصاص ، واهل اختصاص .

ولعل اهم البحوث الزراعية او من اهمها بحوث المحاصيل وتكثيرها ، لان لها علاقة بجوع الناس وشبعهم .

ولكن كذلك مذاق الاطعمة له خطره . انه عامل فى هضم الطعام .

لهذا لا يستغرب احد قيام رجال باحثين مختصين فى بحث طعوم الأطعمة ومذاقها ونكهتها .

ففى المحطة القومية لبحوث الخضراوات بانجلترا National Vegetable Research Station يوجد بين رجالها رجال مختصون ببحث هذه الطعوم والمذاقات .

ومن بعض ما بحثوا اخيرا بحث البصل ومذاقه .

قاموا بتحليل مكونات البصل من زيوت طيارة ، واثبتوا ان بالبصل مركبات عضوية تحتوى على الكبريت عنصرا فيها .

وبتحليل عينات من البصل توصلوا الى ان نكهة البصل تزداد بازدياد مقدار الكبريت فيه .

عندئذ ظهر ان بحثين سبقاهما فى هذا الشان ، واحد من الهند ، والثانى من ايطاليا . وكلا البحثين توصلا الى القول بأن نكهة البصل تقل عندما يقل مقدار الكبريت فى تربة الأرض التى ززع البصل فيها .

وفى ايطاليا ثبت ايضا ان نكهة البصل هبطت عندما استخدموا كلوريد النشادر سمادا للارض ، وزادت عندما استخدموا كبريتات الصديوم مكان كلوريد النشادر .

عندئذ قام رجال محطة البحوث البريطانية بزراعة البصل زراعة تجريبية ، جعلوا التربة فيها رملا خالصا نقيا ، والمكان الذى زرعوا فيه كان بيتا زجاجيا ، ولكن جعلوا الكبريت فى الاسمدة المختارة واستخدموا السماد بالمقادير العادية ، قليلا ، او كثيرا ، فى هذه التجارب وعلى درجات خمس .

ودل تحليل البصل الناتج على قلة ما احتواه من الكبريت عندما قل الكبريت فى التربة ، وزاد حينما زاد .

والطعوم جمعوا لها طائفة من الحكام يتذوقون ، وجمعوا لهم صنوف البصل الناتج ، فتذوقوها ، واجمعوا على ان النكهة تزيد كلما زاد مقدار الكبريت فى البصل .

وطائفة قليلة من المحكمين ارتضوا البصل الأقل نكهة والاقل حرافة ، لانهم استطابوه على هذه الدرجة ، ولانه لا يجرى دمع العين بكثرة .

واذن قد انفتح الباب لتجارب الحقول ، وانتاج ما ترضى به الأسواق من محاصيل . فلا يصير انتاج البصل فوضى ، مرة حارا دامعا ، ومرة هادئا غير دامع .



حقل من البصل ، علت زهوره فى الهواء . ونبات البصل يختلف طوله ، وقد يبلغ ٤ اقدام طولا

أمراض شائعة

سوء الهضم



بقلم
الدكتور محمد أبو شوك

■ من منا لم يتنبه سوء هضم فى يوم من الأيام، اذا لم يكن فى معظم الايام، حتى ولو كان صحيح البدن معافى ، يكفى أن يدعى الى وليمة فاخرة ، تحوى ما لذ وطاب من طعام وشراب فلا يجد فى نفسه الا ان يملأ جوفه من هذا وذاك فلا يلبث أن يشكو من عسر فى الهضم او سوء فيه، وصدق رسولنا الكريم حين يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وحين يقول « المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء » .

ما هو سوء الهضم

سوء الهضم عرض لامراض عدة تصيب المعدة واعضاء" اخرى من الجسم ، وهذه الاعراض تختلف باختلاف الامراض التى تصيب أعضاء الجسم ، بل وتختلف من شخص الى آخر في الوصف والحس والتعبير ، ولو جمعنا هذه الاوصافوالاحساسات، قدر المستطاع لتكونت عندنا فكرة عن سوء الهضم او عسر الهضم .

وهذه الاعراض هي : الاحساس بالشبع ، وعدم تحرك الطعام من المعدة ، ثقل في منطقة المعدة ، الاحساس وكان هناك ورما او جسما غريبا يملا المعدة ، الاحساس بعدم الراحة بعد الطعام ، مع الشعور بغثيان ، وفقدان الشهية ، حرقة في المعدة تطفو الى اعلى ، الاحساس بالانتفاخ ، والميل الى القيء ، والام مختلفة فى اعلى البطن .

وعلىهذا المحور تكون الاوصافوالاحساسات كل

يصورها حسب ما يحس وما يشعر ، وما على الطبيب الا أن يسمع ويدون ثم يكشف ويمحص الى ان يجد سببا لهذه الاعراض .

اسباب سوء الهضم Dyspepsia

اولا : أسباب تتعلق بالمعدة :

١ ـ التهاب المعدة الحاد والمزمن

٢ ـ قرحة المعدة أو الاثنى عشر

٣ ـ سرطان المعدة

٤ ـ سوء الهضم العصبى

ثانيا : أسباب تتعلق بالاعضاء التى تجاور المعدة :

١ ـ التهاب الحويصلة الصفراوية .

٢ ـ حصى الحويصلة الصفراوية

٣ ـ التهاب واحتقان الكبد

٤ ـ التهاب الزائدة الدودية

٥ ـ التهاب المعى الدقيق أو المعى الغليظ

● تعاطي المشروبات الكحولية وتناول المشروبات الغازية والشاي والقهوة بكثرة والافراط في التدخين من أسباب عسر الهضم .





● ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه

٦ ـ القولون الحساس (الهائج)

٧ ـ التهاب البنكرياس

ثالثا : الأدوية التى تؤثر على المعدة بشكل خاص والتى تؤثر على الجهاز الهضمى بشكل عام .

هذه بعض الأسباب التى تسبب عسر الهضم ، والتى اغفلت بعضها لقلة حدوثها ـ ولكى اوفر على القارىء عناء التفكير فيها أرى من الواجب على أن اركز على المهم منها ، والكثير الحدوث لكى نتلافى تلك الاسباب ، وبذلك يصلح هضمنا ، وترتاح ابداننا .

ولست أسعى من وراء مقالى هذا أن أجعل القارىء يحس فى نهايته انه يعانى من هذه الأمراض ولا يأتى على آخرها الا ويرسل رسالة لى ـ أو يسعى مسرعا الى طبيبه ـ فالعاقل من قرأ وتثقف، وأبعد عن نفسه الوهم والوساوس ـ او اخذ مما يقرأ قدرا يعينه على فهم صحة بدنه ، دون اقلال ولا غلواء ، فلا يهمل ولا يتغالى .

ولنأخذ امراض المعدة

فالتهاب المعدة الحاد ينتج من تناول المواد التى تهيجها وتؤثر على اغشيتها وتسبب بذلك اضطرابات تحرك المعدة وفى افرازاتها مما يسبب بالتالى سوء الهضم ، وعلى سبيل المثال الاطعمة الحريفة وغير الناضجة أو شديدة الحرارة ، او شديدة البرودة ، الأكلات الدسمة والزائدة عن الحاجة والتى تسبب حساسية عند المريض كالبيض والسمك

والاسراع في بلع الطعام دون مضغه المضغ الكافي ، والمشروبات الكحولية ، وتعاطي المشروبات الغازية بكثرة ، والشاي والقهوة ، والافراط في التدخين .

ولا ننسى المواد التى تؤخذ بسبيل الخطأ ، كالمواد السامة والاحماض ، والمواد الكاوية .

هذه امثلة ليست على سبيل الحصر ـ وغيرها كثير ـ وما احرى كل فرد منا ان يجد لنفسه ما يضره من أطعمة ويبتعد عنها لتسلم معدته ويسلم هضمه ـ وبذلك يوفر على نفسه التداوى والدواء ـ ويوفر على طبيبه الجهد الذى يبذله ليهتدى الى سبب العلة .

واذا ما اهملنا ، وزادت نسبة الحموضة في المعدة ـ كنا عرضة لقرحة المعدة والاثنى عشر . وكثير منا يعرف أعراضها وآلامها التى تحدث بعد تناول الطعام مع الاحساس بحرقة والشعور بالقيء ـ وهذا الألم يخف او يزول بالقيء او تعاطي بيكربونات الصودا ـ او المواد المضادة لزيادة حمض المعدة او القيء ـ ثم ظهور هذه الاعراض واختفاؤها تماما في مدد مختلفة الى ان تسوء الحالة فيصبح الألم وعسر الهضم ملازمين للمريض باستمرار .

بفحص المريض وعمل الفحوصات المخبرية والشعاعية يصل الطبيب الى التشخيص ووصف العلاج اللازم الذى أهم ما فيه هو « الحمية » والابتعاد عن المواد التى تزيد من حمضية المعدة .

سرطان المعدة

ولمحة خاطفة عن سرطان المعدة أريد منها ان لا يهمل المريض او اهله عندما يصاب بهذا المرض ـ اذ ان المرض لو اكتشف في بدايته ، هان علاجه ـ ونجا المريض . ومن اعراض سرطان المعدة الذى يحدث بعد سن الخمسين ان يفقد المريض شهيته للاكل ـ دون ما سبب ظاهر ـ ولفترة طويلة تتجاوز الثلاثة اسابيع، مع الشعور بالضعف العام، هنا يجب ان يعرض على الطبيب اذ من الممكن اكتشاف المرض والأمل في العلاج في هذا الوقت .

سوء الهضم العصبي

ونجيء سوء الهضم العصبى الذى يلعب اكثر الأدوار ـ خصوصا ونحن نحيا في أيامنا هذه كما يقول القائل : على أعصابنا ـ عدم الرضا بالحاضر، والخوف على المستقبل، والجحود والتنكر للماضي، والغضب لأتفه الاسباب وعدم التسامح والغيرة والحسد ، والسرعة في كل شيء ، حتى في تناول الوجبات وقضاء الحاجة ، ثم السهر والانهاك والجشع والعمل المتواصل والقلق . وغير ذلك كلها تثير الأعصاب ، ومن أهم الاعضاء التى تتأثر بذلك المعدة ـ فيزداد افرازها ـ وتزداد الحموضة تبعا لذلك ، فتأتى الآلام التى لا تفارق صاحبها ما دام لا يرتاح له بال أو تهدأ له نفس . وما زيادة عسر الهضم في أيامنا وزيادة قرحة المعدة والاثنى عشرى الا لأن هذا التوتر العصبى لا يفارقنا ، بل ويزداد بمر الايام ، وما أحوجنا لكى نتغلب على هذا للراحة، والتسامح، والقناعة والتوكل على الله دون تواكل والعمل بنظام وتؤدة ، وقضاء العطل وأيام الراحة في جو كله هدوء وطبيعة هادئة جميلة تريح النفس وتزيل التوتر العصبى .

أمراض الاعضاء المجاورة للمعدة الحويصلة الصفراوية

ثانيا : أمراض الأعضاء التى تجاور المعدة وهذه تؤثر على المعدة وتسبب سوء الهضم ، فالتهاب الحويصلة الصفراوية او وجود حصى بها يجعلها تعجز عن عملها وبالتالى لا تعطى المادة الصفراوية التى يتطلبها الطعام اذا زادت نسبة الدهنيات به ـ لذا نرى أن مثل هؤلاء المرضى علاوة على ما يصيبهم من مغص وألم مرارى ـ نرى انه يحدث لهم عسر هضم خصوصا مع الطعام الدسم ، ويكون مصحوبا بانتفاخ في البطن مع امساك شديد. والعلاج في هذه الحالة ينصب على الحويصلة الصفراوية اما بتنشيط عملها أو ازالتها اذا كانت تحتوى على حصى يسبب آلاما للمريض ويقلل من عمل الحويصلة .

الكبد والزائدة الدودية

ولا يخفى على مرضى الكبد ما يسببه ذلك من عسر في الهضم اذا كان الكبد محتقنا ـ أو ملتهبا ـ الطعام لا يبارح معدته ويبقى بها وكأنه حجر . فتقل شهية المريض ـ ويضعف ، ويحس وكأن

علاوة على عدم استساغته للمواد الدهنية ،وتألمه منها اذا تجاسر وتناولها .

ومما يجدر ذكره ما يحدث للمريض من فقدان للشهية والام في منطقة المعدة وقيء وغثيان عندما يصاب بالتهاب في الزائدة الدودية سواء كان ذلك حادا او مزمنا .

القولون الحساس

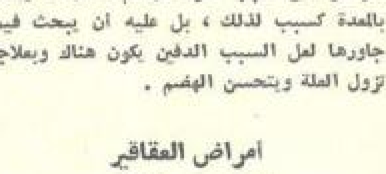
وعلى راس القائمة يجيء القولون الحساس ـ والتهاب القولون وما يسبب ذلك من الام في البطن تدور وتنتقل من جهة الى اخرى مع الانتفاخ الشديد ـ والغازات التى يسمع صوتها ـ والامساك الشديد ، الذى يعقبه في بعض الحالات فترات من الاسهال ، كل ذلك يؤثر على الهضم ويؤثر على حركة المعدة وافرازاتها ويجيء مريض القولون يشكو من عسر في الهضم ، وفقدان للشهية .

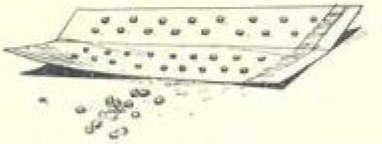
من هنا نرى أنه من الواجب على الطبيب لكى يتوصل الى سبب سوء الهضم ، أن لا يكتفى بالمعدة كسبب لذلك ، بل عليه ان يبحث فيما جاورها لعل السبب الدفين يكون هناك وبعلاجه تزول العلة ويتحسن الهضم .

أمراض العقاقير

ثالثا : واخيرا وليس آخرا أمراض العصر ـ أمراض الأدوية والعقاقير ، وقد أفردت لها هذا السبب ـ علما بانه كان من الممكن ان يكون مع الأسباب التى تؤثر على المعدة ، ولكنى تعمدت ذلك لاهمية هذا الموضوع . ذلك بان كثيرا منا يتناول

● تعاطى أقراص الاسبرين قد يسبب نزيفا معويا.





● اذا وجدت السيدة أن حبوب منع الحمل تسبب لها عسرا في الهضم وجب عليها أن تخبر طبيبها بذلك .

كثيرا من الادوية اما من تلقاء نفسه أو بوصفة من صديقه او جاره ، أو بوصفة من طبيبه وهو لا يعلم أن معدته لا تتحمل ذلك . بل وفي بعض الاحيان ، وارجو أن يكون ذلك قد تضاءل كثيرا ، وصفات يصفها مدعى الطب ، كل هذه تؤثر على المعدة ، وتسبب سوء هضم شديدا والاما بارحة في منطقة المعدة وربما في بعض الاحيان تسبب ما هو اخطر من ذلك مثل قرحة المعدة والنزيف منها ، ولقد وجد في انجلترا مثلا أن ١٠٪ من النزيف المعدى سببه تعاطى أقراص الاسبرين . وهناك اقراص أخرى تسيء الى المعدة ايما اساءة مثل الاقراص التى تستعمل للآلام الروماتيزمية كأقراص البيوتازوليدين Butazolidine ، وأقراص مركبات الكورتيزون Cortisone ثم هذه الاقراص المختلفة التى تستعمل كمسهل فتربك بذلك الامعاء ومعها عملية الهضم .

وهناك عقاقير اخرى كثيرة تؤثر على المعدة ، أرانى في غنى عن سردها .

وتجيء اقراص منع الحمل لتتوج هذه العقاقير التى تؤثر على المعدة خصوصا وقد ازداد استعمالها في ايامنا هذه فتجد سيدات كثيرات يشكين من التهاب في منطقة المعدة ـ والاحساس بالقيء والغثيان ـ وعدم تحرك الطعام ـ مع ما يصحب ذلك من صداع بالراس شديد وتوتر بالاعصاب وغير ذلك من مضاعفات هذه الحبوب .

وقصدى من وراء ذلك انه يجب عدم الاسراف في تعاطى الادوية ثم استشارة الطبيب ، واذا حدث وان تألم المريض بعد اخذ الدواء وجب عليه اعلام طبيبه بذلك حتى يصف له الدواء الذى يمنع حدوث



● تجنب كثرة تناول المواد النشوية والسكرية لتنجو من عسر الهضم .

ذلك وان يقلع عن اى دواء سبب له نزيفا من المعدة ويخبر طبيبه بذلك لكي لا يصفه له مرة ثانية .

اما بخصوص حبوب منع الحمل فاذا وجدت السيدة أن تلك الحبوب تسبب لها عسرا في الهضم وجب عليها أن تخبر طبيبها بذلك لكي يغير لها نوع الحبوب ، والتى يقل تاثيرها على المعدة ، فتنجو من مضاعفاتها .

سوء الهضم نتيجة لبعض الاغذية

واخص بالذكر هنا هذه الأطعمة التى اذا تناولها الانسان احدثت عنده سوء هضم مع ظهور أعراض الحساسية ، مثل : طفح على الجلد او حكة به او بالعينين ، او تورم بالجفون خاصة ، والوجه عامة .. وفي بعض الحالات يكون القيء والاسهال، وفي الحالات الشديدة ، ارتفاع في درجة الحرارة او اعراض الربو ، وفي حالات كثيرة يعرف المريض هذه الاطعمة ويتجنبها ، مثل البيض والسمك واللبن وغيرها ، لذا كان من واجب من يشكو من حساسية لنوع من الطعام ، أن يتجنبه فيسلم من عسر الهضم الذى يعانيه .

ولا يفوتني في هذا المجال أن أذكر نوعا من عسر الهضم نتيجة لتناول كميات كثيرة من المواد السكرية والنشوية، يعرف باسم Carbohydrate Despepsia أى سوء هضم المواد النشوية والسكرية ، ويتميز بتخمر هذه المواد في الامعاء ، وتجمع كميات كبيرة من الغازات ، مع الاحساس بامتلاء البطن وانتفاخ ، واحداث أصوات تنتقل من مكان الى آخر داخل البطن ، تكون في بعض الحالات مصحوبة بعدم الاحساس بالراحة ، ربما يزداد الى مغص شديد يسبب الارق للمريض .. ومع هذا تخرج غازات كثيرة من البطن ، مع براز حمضي شديد الحموضة ، يسبب حرقة في فتحة الشرج .. ومع خروج البراز والغازات يشعر المريض براحة بعض الشيء .. ولكنه سرعان ما تعود المتاعب بعد فترة ، اثر تناول وجبة غنية بالمواد السكرية .

ويلاحظ عند الذين يعانون من هذا النوع من عسر الهضم انهم يتجشاون كثيرا ، ويعانون من الامساك ، مع نوبات من الاسهال من آن الى آخر ومما يزيد حالة المريض سوءا أنه دائما يشعر بالتعب الشديد عندما يقوم بمجهود عضلى لا يستلزم هذا التعب ، وفي بعض الاحيان يكون مضطربا مع الشعور بدوار واضطراب في ضربات القلب وتوتر بالاعصاب .

والامتناع عن تناول الأطعمة النشوية والسكرية بعض الوقت ، ثم الرجوع اليها تدريجيا ، مع تزويد المريض بالادوية التى يتغلب بها على الامساك : كالاجارول والكاثورمال وغيرها ، الى جانب الخمائر التى تساعد على هضم المواد النشوية وهي كثيرة مثل التاكاديستيز Takadiastase وبانتوزيما Pantozyma وفستال Festal .. ثم تناول المهدئات التى لها اهميتها في هذه الحالة ، للتغلب على الاضطرابات التى يعانى منها المريض .

ارجو أن اكون قد ألممت بهذا الموضوع الذى طالما سئلت كثيرا عنه .. راجيا أن يفي بما يدور بخلد القارىء وآملي أن يبتعد كل منا عما يسبب له سوء الهضم حتى يسلم جسده ويسعد في حياته . ■■

محمد ابو شوك

ضَمِيرٌ مُعَذَّب

للدكتور حسان حتحوت

حالف الحقَّ والهدى فتعذبْ   هل تراهُ عن السبيل تنكّبْ
كلما حرّكَ التّهاةَ بقول الـ   حقّ صاح الجميع فيه : تأدبْ

★ ★ ★

زعم الناس أنه أكثر السَّـ   ـب وما عابهم بشيء ولا سب
إن حُسْنَ الجميل في صمته يَشْـ   ـتمِ قبحَ القبيح في كل مذهب

★ ★ ★

قام بالحق ينشد الحق يوما   فأجابوا طلبت أعدل مطلب
ثم ولّى نصف النهار فولى الـ   ـعهد والوعد والكلام المهذب

★ ★ ★

ربِّ ثار العباب واصطخب المو   ج وضاق الفضا فرحماك يارب
كاد هذا الطوفان يُغْرِق من لم   يستلمْ مركبَ النفاق ويركب

★ ★ ★

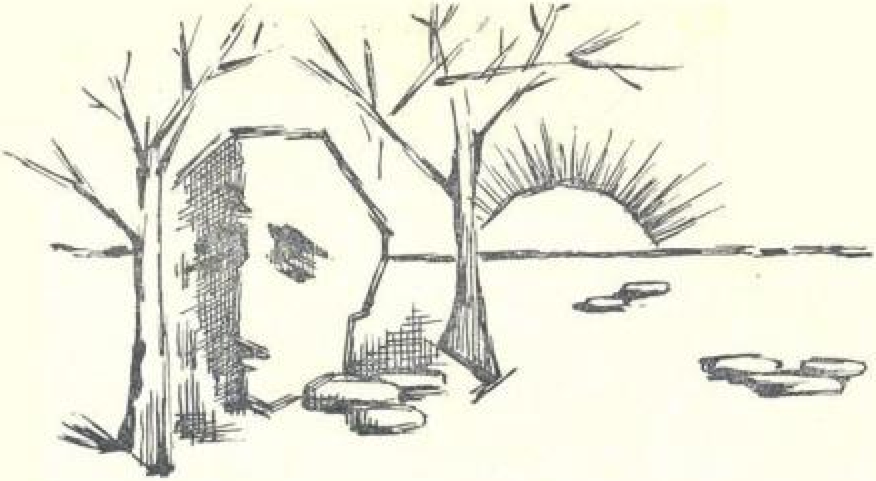
ربِّ إن اللئيم أسعده اللؤْ   م وإني بما تحب معذب
ظلموني لأنني عبدك المخلص   لا عبدُ سطوةٍ أو مَنصِب

★ ★ ★

قد تناءيتُ بالإباء عن السَّبْـ   ـق وغيري بذلّه يتقرب
أترانا في البحر تطفو النفايا   ت على السطح واللآلئْ ترسب ؟

★ ★ ★

ألأنّي يا خالقي لستُ أرضى   بك شِرْكاً يضيع حقي ويذهب ؟
أنت حسبي وأنت وحدك حسبي   وليَبُؤْ ظالِمِي بما ليس يحسب



خلتُ هذا الرفيق يحفظ عهدا ثم ألفيته يخون ويكذب
ومن الناس من نفاقٍ ولـؤمٍ من إذا قلّب الأمور تقلّب

★★★

أنا في الخلقِ أشبه الخلق شكلا بيْدَ أن الفؤاد فيهم تغرَّب
زهرة رِيُّها الوفاءُ ولكنْ أقفر الروض من وفاء وأجدب

★★★

أكلَ الناس بالمذلة عيشا وأنا اخترت أن أجوع وأسغب
أفطر الصائمون في مغرب الشمس وصومي قد طال من غير مغرب

★★★

أيها الناس لم أهُن أيها النا س فنحّوا كؤوسكم..لست أشرب
أنا إن شيبت الموارد بالذلّ فوِرْدُ المنون عنديَ أعذب

★★★

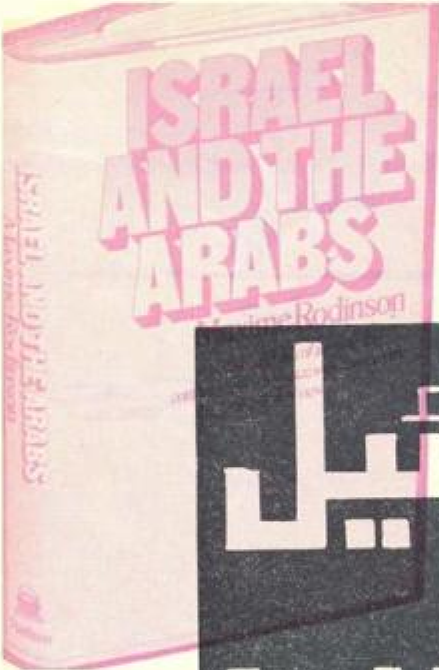
خالقَ الناس كن مجيري من النا س وإني غُلِبْتُ يارب فاغلب
بالهي وأنت حولي وعوني غَضِبَ الحق بين جنْبَيَّ فاغضب

★★★

سطوة البغي تملأ الصعب والرحْبَ ومالي سوى سبيلك مهرب
ربِّ كن لي على الطغاة فإني غالبٌ إن أكن بكفك أضرب

★★★

ربِّ فيك المرام والقصد والغا ية والحب والمنى والمأرب
إن تكن راضيا فلست أبالي شرَّقَ الحظ عندهم أم غرَّب



● كتاب الشهر

« وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ » .

قرآن كريم

اسرائيل والعرب

تاليف : مكسيم رودنسن **عرض بقلم : الدكتور محمد على الفرا**

■ الكتاب الذى نقدمه الآن هو « اسرائيل والعرب » للكاتب الفرنسي « مكسيم رودنسن Maxim Rodinson » . ويتسم الكتاب بالروح الموضوعية ويحاول مؤلفه ان يظهر حقيقة القضية الفلسطينية ، وجوهر النزاع العربى الاسرائيلى بامانة ونزاهة . وهو يفعل ذلك باسلوب هادىء شيق ، ونظرة بعيدة الغور ، معتمداً في ذلك على وثائق تجمعت لديه ، ومستعينا بطول خبرته في البلاد العربية . اضف الى ذلك انه يتقن اللغة العربية وبعض اللغات السامية الاخرى كالاثيوبية والعبرية . والأهم من ذلك كله هو ان المؤلف يهودى . ولد في باريس سنة ١٩١٥ من اب يعتبر احد المؤسسين لاتحاد العمال اليهود في باريس . هذا وقد شغل المؤلف بعد تخرجه من السوربون عدة وظائف في الجيش الفرنسي ودار الآثار ، ومارس التدريس بعد ذلك في كل من سوريا ولبنان ، وأخيرا ، وبعد ان طاف بكثير من البلاد العربية ، عاد الى فرنسا سنة ١٩٤٧ ، والى التدريس في السوربون حيث شغل ، ولا يزال يشغل ، منصب أستاذ اللغة الاثيوبية واللغات اليمانية الجنوبية القديمة .

والكتاب في الأصل صدر بالفرنسية في عام ١٩٦٨ ، وترجم الى الانجليزية في العام نفسه ، في كل من لندن ونيويورك . وهو يقع في ثمانية فصول وخاتمة ، هذه عناوينها : القومية اليهودية والقومية العربية ، من القومية الى الأوطان ، اسرائيل في أول عهدها ، ظهور الاشتراكية العربية ، اسرائيل تلين ، العرب والعالم ، من مرحلة عدم الاشتباك الى النزاع المسلح .

اما الأزمة ، او حرب سنة ٦٧ ، فتشكل موضوع الفصل الثامن من الكتاب ، اى الفصل الاخير قبل الخاتمة .

بوادر القومية اليهودية

يمكن القول ان القومية اليهودية بدات في الظهور

في مكانين مختلفين ، هما : اولا : في منطقة نهر الفولجا الأدنى ، حيث كان لليهود في الماضي دولة الخزر . وقد اتخذت هذه القومية شكل حـــزب سمى آنذاك ، « الحزب الاشتراكى اليهودى في الامبراطورية الروسية » او « البوند » Bund . كان ذلك سـنة ١٨٩٧ ، في اعقـاب الاضطهادات المتلاحقة التى تعرض لها اليهود في روسيا ، اثر اغتيال القيصر الاسكندر الثانى سنة ١٨٨١ ، على يد احد المواطنين اليهود .

اما موطن القوميـة اليهودية الثـانى فكـان في النمسا ، بلد الصحفى اليهودى المعروف « تيودور هرتزل » Theodor Herzl . فقد استغل هذا حادثة الضابط اليهودي دريفوس Dreyfus الذى اتهم بخيانة الجيش الفرنسي،فراح يكتب ويجتذب الرأى العام اليهودى العالمى بكتاباته عن « الدولة اليهودية » . فاستقطب هرتزل من حوله الكثير من زعماء اليهود ، وخاصة يهود الروسيا ، مما ساعد على عقد اول مؤتمر لليهود في بازل سـنة ١٨٩٧ ، حيث أرسى الأساس النظرى لتلك الدولة اليهودية . وقد اعقب ذلك المؤتمر تهجير اعداد غفيرة من اليهود الى فلسطين بغية انشاء المستعمرات وبقصد الاستيطان . ولاقت هذه الهجرات تشجيعا من كل الشعوب الأوروبية التى لم تكن تحسـب للعرب ، سكان فلسطين الاصليين ، اى حساب . وهذا يرجع ، فيما يرجع اليه ، الى الفكرة الخاطئة التى تسيطر على اذهان اهل الغرب ، والتى تعتبر كل بلد خارج القـارة الأوروبية فراغـا فكريـا وحضاريا ومن واجب الأوروبى ان يملأ هذا الفراغ بفكره وحضارته !

والقومية العربية

في الوقت الذى بدأت فيه القومية اليهوديـة تتبلور كحركة سياسية وتخطو الخطوات العملية لانشاء الدولة اليهودية المقترحة في فلسطين بـدأ عرب فلسطين يتأثرون بمؤثرات ايديولوجية او ما يسمى بالقومية العربية . وكان ذلك في اعقاب الحركات التحررية التى ظهرت في الامبراطورية العثمانية،والتى انتهت بعزل السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٩٠٨ ، وادت الى تعصب الأتـراك لقوميتهم ، وتنكرهم لاخوانهم العرب ، زملاء الامس في الكفاح ضد العهد البائد . وكان من نتيجة هذا التعصب والتنكر ، الذى صحبه شيء من البطش والاضطهاد ، ان دخلت القومية العربيـة مرحلة جديدة من حياتها فانصرفت الى مطالبة الاتراك بالحرية ، ولو ضمن اطار الدولة العثمانية .

بريطانيا تمهد لقيام اسرائيل

وعلى الرغم من انحياز العرب الى جانب الحلفاء ضد الاتراك في الحرب العالمية الأولى ، وبالرغم ايضا مما وُعِدوا به من استقلال لدى انتهاء الحرب لصالح الحلفـاء ، فقـد تنكرت انجلترا لعهدها المقطوع للعرب ، واصدرت في الثانى من نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور المشهور ، الذى يخول بموجبه اليهود انشاء وطن قومى لهم في فلسطين . وحينما استتب الأمر لانجلترا في البلاد المقدسة عينت اول مندوب سام لها السير هربرت صموئيل وهو يهودى صهيونى من المتحمسين لقيام الدولة اليهودية . وقد فتحت في عهده ابواب فلسطين على مصراعيها لكل يهود العالم ، وهكذا ارتفعت نسبة اليهود من مجموع سكانها من ١٧٫٧٪ في ١٩٣١ الى ٢٨٪ في ١٩٣٩ . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ان ثار عرب فلسطين على هذا الغزو اليهودي لبلادهم . الا ان الدولة البريطانية المنتدبة عملت كل ما في وسعها لمساعدة اليهود لبلوغ اهدافهم . فالاحزاب البريطانية ، وخاصة حزب العمال ، كان يتعاطف مع الحركة الصهيونية . اما داخل فلسطين فيقول المؤلف ان الادارة البريطانية كانت تشعر احيانا بالعطف على العرب ، ولكنها كانت مكلفة بتنفيذ مخطط مرسوم ، ولم يكن لها وزن او تأثير في سياسة الحكومة البريطانية بلندن ، وقد كانت ترضخ لمطالب الصهاينة ورغباتهم .

انسحاب بريطانيا من فلسطين

سمحت بريطانيا لليهود في فلسطين بانشاء وكالة لهم تدير شئونهم وترعى أمورهم ، وكانت هذه بمثابة دولة داخل دولة ، وامدها يهود العالم بكل مقومات الحياة والقوة ، وساعدتها دولة الانتداب بالتدريب العملى كي تتسلم مقاليد الحكم والادارة في اليوم الموعود . وكان للوكالة اليهودية تنظيمات تشرف على شؤون الصحة والتعليم فضلا عن الجيش الذى كان متمثلا في عصابات ، اهمهـا الهجاناه والارجون وشترن .

وفي ١٤ فبراير ١٩٤٧ اعلن بيفن وزير خارجية بريطانيا آنذاك عن عزم بلاده على الانسحاب من فلسطين . وفي ٢٩ نوفمبر من ذلك العام أوصت

الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وتدويل منطقة القدس مع ربط الاقسام الثلاثة في وحدة اقتصادية .

وحينما اقترب موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين اشتدت ضراوة القتال بين العرب واليهود ، كل يريد أن يستولى على اكبر قدر ممكن من الاراضي . ويذكر ان القوات البريطانية التى بدات تتركز في المدن الفلسطينية استعدادا للرحيل والتى تعهدت بالتزام الحياد ، كانت تحابى العرب حينا واليهود أحيانا . ولم يحدث بينها وبين اليهود اشتباك الا حين دعت الضرورة لذلك ، وحين سعى اليهود الى احتلال المزيد من المناطق التى نص مشروع الأمم المتحدة على أن تكون عربية ، كمدينة يافا التى نجح اليهود أخيرا في احتلالها. ويذكر المرء هنا كيف ان القوات البريطانية قبل واثناء انسحابها من المدن والمراكز الهامة في فلسطين ، حرصت وعملت على تسليم تلك المدن والمراكز الى اليهود .

الغرب يسيء فهم العرب

على أثر هزيمة عام ١٩٤٨ قامت عدة انقلابات في الوطن العربي تريد اصلاح الأوضاع . وكان الغرب ينظر اليها نظرة شك وارتياب ، ويخشى من تقارب بين العرب وبين الاتحاد السوفييتي ، على الرغم من أن زعماء العرب كثيرا ما أوضحوا للغرب أهدافهم وآمالهم في أن يعيشوا احرارا كراما في بلادهم . وهنا يقول المؤلف « ان الخطأ الجسيم الذى وقع فيه خبراء الشرق الاوسط في الدول الغربية هو في انهم لم يفهموا الآمال العربية على حقيقتها . فالعرب كانوا يرون الخطر الذى يتهددهم من التوسع الصهيوني . اما بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي فكانوا يشعرون بأن لا مصلحة لهم في عداء دولة كبيرة لا تشكل خطرا عليهم . وكانوا يرون ايضا بان على دول الغرب ان تضغط على اليهود كي يقبلوا قرارات الامم المتحدة . ولا يحق للغرب على كل حال أن يلزمهم (اى العرب) بالدخول في أحلاف لا ناقة لهم فيها ولا جمل » .

ولا يلام العرب طبعا حينما ولوا وجوههم نحو الشرق ، طالبين السلاح الذى منعه عنهم الغرب. هذا السلاح يحتاج اليه العرب لا ليعتدوا به على غيرهم بل ليحرروا به ارضا اغتصبت منهم ، وليعيدوا به شعبا طرد من وطنه وداره. والنتيجة هي مزيد من اساءة للعرب ، ومزيد من سوء فهم لأهدافهم ، واتهام زعمائهم بالهتلرية ، ثم مزيد من الدعم لاسرائيل . فالولايات المتحدة كان دورها مد اسرائيل بالمال والسلاح ، وفرنسا قامت بانشاء مفاعل ذرى لاسرائيل في النقب ، والمانيا قامت بتدريب الجنود اليهود في بلادها .

بن جوريون يدور في دوائر ثلاث

يقول المؤلف ان سياسة بن جوريون التى سارت عليها اسرائيل ، ولا تزال تتبعها ، تدور في ثلاث حلقات ، أو دوائر متصلة . فالدائرة الاولى هى الدول الكبرى ، وسبقت الاشارة اليها ، والدائرة الثانية ، هى الدول المحيطة بالبلاد العربية مثل ايران وتركيا ، والدول الافريقية كالحبشة وغيرها ، وهدف هذه الدائرة هو ضرب طوق حول البلاد العربية،تنفذ منه اسرائيل متخطية الحصار الذى تفرضه الدول العربية عليها . والدائرة الثالثة ، هى دول افريقية وبعض دول العالم الثالث . وقد استغلت اسرائيل الصهيونية في ربط هذه الدوائر بعضها ببعض لتنفيذ الأهداف والمطامع اليهودية ، معتمدة في ذلك على الدعاية ضد العرب وتشويه سمعتهم .

أسباب ظاهرة وأخرى باطنة لحرب ٦٧

ثم يتناول المؤلف بالسرد والتحليل سير الاحداث في البلاد العربية واسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ ، كتزايد الحركات الفدائية من الاراضي السورية ، وغطرسة اسرائيل واصرارها على زراعة واستغلال الأراضي المجردة من السلاح بينها وبين سوريا . ثم أعمال اسرائيل العدوانية والانتقامية في الاراضي السورية والاردنية ، وأخيرا تفاقم الأزمة حينما اطلقت اسرائيل تهديدها في ١١ مايو باحتلال دمشق واسقاط نظام الحكم فيها . ويرى المؤلف أن هذه ليست الأسباب الحقيقية لحرب ١٩٦٧ ، وان الأسباب الرئيسية انما تكمن في رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل لاسقاط حكومة سوريا ، بعد أن ازدادت المخاوف من انتشار النفوذ الروسي ، واتخاذ اللاذقية كميناء او محطة للسفن الروسية في البحر المتوسط . الأمر الذى أقلق الأمريكان ، وقد نجحوا في احداث انقلاب في اليونان وها هم يدبرون لانقلاب ثان في سوريا ، بعد ان اقترب الاسطول السادس من السواحل الشرقية للبحر المتوسط .

اشارات لاسلكية من الاسطول السادس

ادرك الروس الخطر المحدق بسوريا ، ونبهوا مصر ، وطلبوا منها ضرورة الاستعداد والتيقظ . وبعد ذلك التقطت السفن الحربية في البحر المتوسط اشارات لاسلكية تبادلها الاسطول السادس واسرائيل ، ودلت تلك الاشارات على نية الطرفين في العدوان . وقيل ان المعلومات عن العدوان سرقت من اسرائيل بواسطة جنرال فرنسي. ولكن المؤلف يميل الى الاعتقاد ان هذه كلها كانت عمليات مدبرة ومقصودة لجر مصر والعرب الى حرب ليسوا مستعدين لها بخلاف اسرائيل التى كانت تخطط لها منذ زمن بعيد . وزاد احتمال هذه الحرب ان تغلب فريق الصقور في اسرائيل بزعامة موشي ديان وبيرس على الفريق الآخر الذى يتزعمه رئيس الوزراة آنذاك ليفي اشكول ، وقد ساعدهم على ذلك ضعف شخصية اشكول ، وقصر نظره ، وضعف حجته ، وعدم قدرته على الكلام والاقناع بعكس سلفه بن جوريون .

الصهيونية حركة استعمارية

ان اليهود حينما جاءوا الى فلسطين لم تكن في نيتهم الاقامة والعيش مع عرب فلسطين ، وكان هدفهم اقامة دولة وتشريد شعب ، ولذلك قاومهم العرب واعتبروهم غزاة استعماريين . ولو كانت نية اليهود مجرد البحث عن مكان يعيشون فيه لرحب بهم العرب كما رحبوا بغيرهم من اقوام طردوا من ديارهم في ظروف رهيبة قاسية . فالأرمن مثلا بعد اضطهاد الأتراك لهم وجدوا من العرب كل حسن وفادة واستقبال . وها هم اليوم يحتفظون بلغتهم وتراثهم وحضارتهم مع انهم يعيشون في أرض عربية وفي محيط من العرب .

الاضطهاد القديم لا يبرر اضطهادا جديدا

ويقول الكاتب اذا كان لليهود الحق في انشاء دولة لهم بعد أن تعرضوا لاضطهاد أوربا لهم فليس هناك من سبب يدعو العرب أن يكونوا الضحية . فاذا كانت أوربا تريد أن تكفر عن أخطائها نحو اليهود ، فالمنطق يقتضي أن تتنازل هي عن جزء من أراضيها لهم ، ليقيموا عليه دولتهم ، لا أن تتكارم وتسخى وتكفر عن ذنوبها على حساب العرب. واذا كان اليهود انفسهم قد تعرضوا للظلم والاضطهاد الاوربيين فليس هناك من داع يدعوهم الى أن يمارسوا مثل هذا الاضطهاد على الشعب العربي الذى لم يسىء اليهم بل كان دوما كريما معهم . كان من الاولى أن يوجه الانتقام الى المنتقم لا الى البرىء . ان الصهيونية وان نجحت اليوم في خلق الدولة اليهودية فانها اقامتها على اسس غير سليمة . فالقوة التى اعتمدت عليها لن تدوم الى الأبد ، وحظوظ الامم في صعود وانخفاض . فكما فشلت الدولة الصليبية أن تبقى وتدوم في ارض العرب ، فان اسرائيل ستلقى نفس المصير الذى لاقته هذه الامارات اللاتينية في فلسطين . ان الصهيونية ، كما يقول المؤلف ، لم تحقق اهدافها الكاملة بعد ، ما دامت دولة اسرائيل ، من وجهة النظر الصهيونية ، هى المرحلة الاولى من مراحل ابعد مدى : منها بعث العنصر اليهودى من جديد، من بعد تشريد .

القوة لا تكفى لخلق دولة

كثيرا ما تدعى اسرائيل انها اسهمت كثيرا في تطوير الشرق الاوسط اقتصاديا وتكنولوجيا وحضاريا . ومن العجيب أن ينساق في هذا التيار المضلل أهل الغرب ، وهم يدافعون عن اسرائيل ، ويبررون لقيامها معتقدين أن انشاء هذه الدولة المتقدمة حضاريا واقتصاديا هو من حسن طالع الشرق الاوسط . ان مثل هذا القول ينطبق الى حد ما على حالة الاستعمار الاوروبى حينما كان يدعى بانه ما قام باحتلاله للبلاد المتخلفة الا لأجل تطويرها وتحضيرها ، وكأنه رسول الحضارة والتقدم . ورغم استنكارنا للاستعمار فان اوجه الشبه في هذا المجال مفقودة،فالاستعمار الاوروبى، رغم قيامه بعملية التحضير (وهى تخدمه في الدرجة الاولى) فانه تعرض لقيام الكثير من الثورات والحركات التحررية في البلاد التى استعمرها . وكانت النتيجة ان ذهب المستعمرون ، وعادوا من حيث جاءوا . اما اليهود فما جاءوا ليذهبوا وانما ليقيموا الى الأبد . وهم لم يسمحوا لأبناء البلاد الاصليين حتى بمشاركتهم في العيش معهم ، بل طردوهم الى خارج بلادهم . ثم ان العرب في نفس الوقت لم يكونوا بحاجة الى تحضيرهم وتطويرهم ، وهم في غنى عن خبرات اليهود وجهودهم ما داموا على مقربة من أوربا وتحت تصرفهم خبرات الشعوب المتقدمة في الغرب عامة .

الحجة التاريخية واهية

ان تمسك اسرائيل بسند تاريخي هو انفلسطين كانت موطنا لليهود قبل الفين من السنين ، امر لا يقبله العقل . ولو جاز لنا واخذنا به لوجب على كل شعب ان يبحث عن اصله وموطنه ، وهو مبدأ خطير ، ولو طبق لتغيرت ولا شك خريطة العالم السياسية . فالانجليز وهم احفاد السكسون ليسوا أصلاء في انجلترا التي كانت ارض الكلت.

سياسة الامر الواقع غير مجدية

وان سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل بتاييد من قوى العالم الكبرى هي ايضا سياسة خاطئة . فاسرائيل ، ومن ورائها القوى المؤيدة ، تطلب من العرب الاعتراف بها اولا وقبل ان تستجيب لاى شيء من مطالب العرب . سياسة الامر الواقع هذه هي مبدأ « بن جوريون » الذى لا يريد ان تتنازل اسرائيل عن شبر واحد من اراضي احتلتها رغم تصريحاته بخلاف ذلك ، ولا تسمح بعودة فلسطيني واحد طرد من وطنه ودياره . واليوم يطلب من الدول العربية الاعتراف باسرائيل قبل ان تنسحب اسرائيل عن الارض التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ ، وحينما يرفض العرب ذلك يتهمون بمخالفةالعرف والأخلاق الدولية . ولا يخفى ان سياسة الامر الواقع الاسرائيلية هذه انما قامت على القوة لا على اى أساس خلقي .

ويقول المؤلف ان على اسرائيل ان لا تتعجل أمر الاعتراف بها من جانب العرب ، بل تبدأ هي اولا باظهار النوايا الحسنة وتحقق شيئا من مطالبهم العادلة .

نظرة الى المستقبل

ويضيفالكاتبالىذلكقوله اناسرائيل مدينةفي وجودها الىعوامل قوية سبقالتعرض لها،ولكنمن الجائز أيضا ان عوامل أخرى قد تؤدىالى هدمها. فلو افترضنا أن التهديد الخارجي لاسرائيلسيزول ويختفي فان الصراع في داخل اسرائيل سينشط حينئذ ويلعب دوره في اضعاف اسرائيل .فالعناصر الرجعية ودعاة التوسع سيفقدان بهذا ما لديهم من أوراق رابحة كانوا يستغلونها في استقطاب الشعب اليهودى وتوجيهه الى الخطر الخارجي . وبديهي أيضا أن حدة اللاسامية ستضعف في اوروبا وامريكا ، وهذا بدوره سيحد من الهجرة اليهودية الى اسرائيل ويشجع على الهجرة بالاتجاهالمعاكس. ومن شأن هذا وذاك في المدى البعيد أن تفقد الصهيونية قوتها ، ويحرج مركزها ، بحيث تكف عن القيام بدور رأس جسر للدول الامبريالية ، وتتخلى عن سياستها العدوانية ، وتندمج في منطقة الشرق الاوسط . وسيضطر اليهود في تلك الحال الى التعايش السلمي مع العرب في دولة واحدة قائمة على قوميتين.ولو شاءتاسرائيل لسارتعلى هذا الطريق ولوجدت أن الشرق الاوسط يتقبلها. ولحلت بذلك مشاكل اليهود القديمة بدلا من ان تضيف اليها مشاكل أخرى أشد خطرا واكثر استعصاء . ■■

الكويت ــ **محمد على الفرا**



مِنَ الكتب التي وصلتنا

البترول العربي في المعركة

تأليف : جان ديو بريه

ترجمة : الدكتور صلاح دعبول

الناشر : ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ــ الجمهورية العربية السورية .

● وهكذا فالبترول الذى كان عبئا على العرب يمكن الآن ان يصبح قوة في يدهم ولئن كان مصدر ازعاج لهم فهو الآن معجزتهم ، ولئن كان قيدا لهم فهو الآن في طريقه لان يصبح سبيلا الى حريتهم ذلك لانه دخل المعركة ولانه عوضا على ان يكون سلعة للمتاجرة والمضاربة في يد الاحتكارات فهو الآن في طريقه ليندمج في اقتصاديات العرب وليسهم في التقدم الحقيقي للمجتمع العربي وليصبح سلاحا للدفاع القومي والسلامة العامة .

مصر والعرب عبر التاريخ

تأليف : محمود توفيق الحفناوى

الناشر : دار الفكر العربى ـ القاهرة

■ هذا الكتاب تأليف محمود توفيق الحفناوى استاذ علم الحياة والوراثة فى كلية العلوم بجامعة القاهرة . وعميد كلية الزراعة سابقا واول وزير فنى لوزارة الزراعة .

وهذا الكتاب جمع بين التاريخ والعلم فالمؤلف يعتقد ان التاريخ انما كان سردا لفتوحات الملوك ومغامرات القوات ثم اخـذوا يفسرون احداثـه بناء على النظريات الاقتصادية وهو اتجاه صحيح ولكن المؤلف رأى عوامـل كثيرة اثرت فى التاريخ وغيرت من اتجاهاته وكثير من هذه الاثار كان مما ينسب الى العلم .. ففى المعركة التى دارت بين المصريين ولويس التاسع في الحروب الصليبية لعب فيتامين ج دورا هاما فى هزيمة الجيش الصليبى .

كذلك لعبت البعوضة او البرغوث او القمل ادوارا كبيرة فى معارك الاسكندر ونابليون وجنكيز خان وهى قتلت من الجند اضعاف ما قتله السلاح .

وبالكتاب غير ذلك من طرائف كثيرة مما لا يجده الانسان فى كتاب شامل جامع .

درر العقد الفريد

تأليف : ابن عبد ربه الاندلسي .

الناشر : مكتبة الحياة ـ عمان ـ الاردن .

● مختصر لكتاب العقد الفريد يجمع خير ما قاله العرب في ضروب شتى من المعرفة في العلم والادب والفن والتاريخ والشعر والخطب والالحان والنساء وصفاتهن ثم طائفة من الطرف والنوادر واخبار البخلاء والطفيليين الى جانب بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاصيل البلدان والكتاب وعصر بني أمية وقسما من ادب الدولة العباسية .

صبيحة النهار

تأليف : عبد المجيد لطفي .

الناشر : مطبعة العربي ـ النجف ـ العراق

● مسرحية اجتماعية في فصول ثلاثة .

بابل الخاطئة

تأليف : محفوظ ايوب .

الناشر : دار الاجيال ـ دمشق ـ سوريا .

● قصة طويلة تجمع بين الرواية والمسرحية .

فهد العسكر
حياته وشعره

تأليف : عبد الله زكريا الانصارى

الناشر : المطبعة المصرية ـ الكويت

■ دراسة وافية لاحد شعراء الكويت المجددين الذين آمنوا بضرورة مسايرة الشعر لتطور الزمن ومواكبة العصر . وما يمتاز به شعره من التحرر من قيود الصنعة واتجاهه نحو التجديد .

وقد تناول فهد العسكر فى شعره شتى الاغراض فقد كان كثير التغنى بالجمال ومفاتنه وبمشاهد الطبيعة كما كان يصف الوان الحياة وينظم فى وصف افراحها ومجالسها وندامائها بالاضافة الى مدحه وهجائه وفخره ورثائه . كما يمتاز شعره بصورة كثيرة للقومية وحث الامة العربية على النهوض وتحطيم القيود والسير نحو العز والمجد .

ثم الشكوى في شعر فهد ، الشكوى المريرة من الحياة والمجتمع والناس وهذه الشكوى كثيرة في شعره حيث ان هذه الشكوى وهذه الاشجان اثارتا عاطفة الحب لهذا الشاعر عند الكثيرين من الناس حيث احبوه وشاركوه فى آلامه ولوعته .

والكتاب فوق ذلك يعطى صورة واضحة عن الشاعر فهد العسكر وعن حياته فى طفولته وشبابه وبيئته البيتية التى تربى فى احضانها ، وبيئة الكويت التى كان يعيش فيها ثم فصول اخرى عن نفسيته وفقد بصره ومدرسته الشعرية .

ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة

تأليف : الدكتور علي جواد الطاهر .

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد

● مجموعة من الملاحظات التى وجدها المؤلف في الموسوعة العربية الميسرة وهي هفوات او اغلاط او اوهام وقع بها عدد من كتاب مواد هـذه الموسوعة ، والهدف من ذلك هو توجيه القـراء وكتاب مواد الموسوعة الى التحقيق الدقيق فيما كتبوه كي يتفادوا هذه الاخطاء عند اعادة طبع الموسوعة .

صـور الحياة

تأليف : ضياء سعيد .

الناشر : المطبعة الحيدرية النجف ـ العراق .

● مجموعة قصص قصيرة . ■■





ضمور العضلات وضعفها Myotonia

● انا شاب في العشرين من عمري ،ولكن للاسف لااشعر بقوة او نشاط اقراني من الشباب الاصحاء ، فمنذ عدة سنوات وعضلاتي في ضعف مطرد ، اصبحت بطيء الحركة ، وضعفت يداي حتى عن حمل كتبي وادواتي المدرسية اخبرني الاطباء ان ما اعاني منه هو مرض عصبي يصيب العضلات ، فما هو هذا المرض ، وما هو علاجه .. ان كان له اي علاج ؟

ــ ان ما اصبت به هو واحد من مجموعة الأمراض العصبية النادرة التي تصيب الجهاز العصبي المضلي Neuro Muscular Apparatus معظم هذه المجموعة وراثي عائلي .

وكثير منها يبدأ في سن مبكرة ويلازم المريض حتى طور الشباب وربما الكهولة ، وهي في تطورها تتقدم ببطء ،ولكن باطراد وربما ادت الى شلل العضلات المصابة .

السبب المباشر غير معروف لنا حتى الآن ، ولكن بفحص العضلات المصابة بواسطة المجهر وجد ان بعض الخلايا العضلية منتفخ ومتورم ، وبعضها الآخر ضامر ومنكمش ، كما انه وجد في بعض الأنواع ان الخلايا العصبية الموجودة في النخاع الشوكي او المتصلة به ، والتي تتصل وتغذي او تستقبل من العضلات المصابة ، وجد انها في حالة تحلل وتلف . يعتمد التشخيص ومعرفة نوع المرض بواسطة الفحص الدقيق لحالة العضلات ومعرفة التاريخ المرضي الشخصي والعائلي



بدقة ، كذلك كيفية استجابة العضلات المصابة للتنبيه الكهربائى وفحوصات كثيرة معقدة .

العلاج : ما دام السبب المباشر غير معروف ، فالعلاج الحاسم لم يوجد بعد ، ولكن بعض الآتى يفيد : العلاج الطبيعى كالتدليك والتنبيه الكهربائى .

* العلاج بواسطة الهرمونات او الفيتامينات فى بعض الحالات .

* الراحة وتجنب الاجهاد مع العناية بتقوية الجسم عموما .

* ثم ما يضيفه الطبيب من عقار .

كبر الثديين فى البلوغ Gynaecomastia

● ابلغ من العمر ٢٨ عاما ، لاحظت كبراوتضخما غير عادى في الثديين منذ البلوغ ، وقد طمانني احد الاطباء بان هذا من علامات البلوغ ، وسوف تزول سريعا ، وعالجنى لمدة ثلاثة اشهر بدون فائدة ، فهل من علاج ، وما سبب هذه الحالة ، وهل لا بد من ظهورها عند كل شاب بالغ ؟



ـ أن ما تشكو منه مرض يسميه الاطباء « جينيكو ماستيا » او تضخم الثديين فى الذكور ، ولهذا المرض اسباب كثيرة منها :

ـ اختلاف فى الكروموسومات ، وفى عوامل الوراثة فى الانسان .

ـ ازدياد نسبة هرمون الأنوثة فى الدم .

ـ تليف الكبد أو تلفه لسبب او لآخر مما يعطل وظيفته فى حفظ نسبة هرمون الأنوثة ثابتا فى الدم عند حد معين لا يتعداه ، ويتخلص من الزائد عن هذا الحد باستمرار بواسطة التفاعلات الكيماوية المعقدة التى تتم داخل هذا المعمل الذى هو الكبد .

وهذا المرض يحدث عادة او فى اغلب الأحيان عند البلوغ لانه فى هذا الوقت يحدث تغير كبير فى نسبة افراز الهرمونات ويحتاج البالغ دائما لكبد صحيح وسليم لمواجهة هذه الزيادة وحفظ توازن هرمونى الذكورة والأنوثة فى الدم ؛ فاذا كان الكبد به تلف كبير نتيجة لدوسنتاريا اميبية كبدية مزمنة ، أو بسبب مرض اليرقان او غيره من الاسباب زادت نسبة هرمون الأنوثة فى الدم عن هرمون الذكورة وتسبب ذلك فى تضخم الثديين .

والعلاج : اولا : اجراء فحوص شاملة لمعرفة حالة الكبد الوظيفية ، وعلاج الكبد بالعلاج المناسب .

ثانيا : تحليل الكروموسومات اذا كان هناك اى اختلاف فى نظامها وعددها .

ثالثا : وقف اى علاج قد يكون به هرمون الأنوثة .

وهناك الجراحة التجميلية لازالة الجزء المتضخم واعادته للحجم الطبيعى .

لم أحمل منذ خمس سنوات

● انا زوجة في الخامسة والعشرين من عمري حملت مرتين بعد زواجي رزقت فيهما بطفلتين جميلتين . وقد أصبت بحمى عقب ولادتي الثانية مباشرة وشفيت منها تماما ، ولكن لي الآن خمس سنوات لم انجب خلالها ، ولما عرضت نفسي على احد الاطباء المختصين افادني - بعد الكشف والفحوص - بأن ما يمنع الحمل عندى هو انسداد ابواق فالوب فما هي هذه الحالة وهل لها من علاج وأين يكون .

- من الجائز جدا أن تكون الحمى التي اصبت بها بعد ولادتك الثانية مباشرة قد سببت لك هذه الحالة وابواق فالوب ما هما الا انبوبتان شعريتان توصلان ما بين الرحم والمبيضين ، وليتم الحمل لا بد وان تكون هذه الابواق مفتوحة تماما وخالية من اى عائق او مانع يقف حجر عثرة امام ماء الرجل أى السائل المنوى .

وكذلك عند الولادة او الاجهاض - او حتى الحيض العادى - يكون التجويف الرحمى مفتوحا ومتصلا بالهواء الخارجي فيحدث احيانا لسبب أو آخر، وخاصة بسبب الجروح والتشققات الدقيقة التى تحدث اثناء الولادة ، ان تتمكن بعض الميكروبات والجراثيم من الصعود من خارج الجسم خلال التجويف الرحمى الى قنوات فالوب الدقيقة وتصيبها بالالتهاب الذى ينتج عنه انسدادها ثم عدم الانجاب ونسميه عقما ثانويا كذلك الذى قد تشكين منه .

ولعلاج هذه الحالة لا بد من التأكد اولا من زوال الالتهاب تماما ثم تجرى عملية نفخ للابواق وهي عملية سهلة وبسيطة ويمكن اجراؤها مرة او مرتين ونسبة نجاحها هي ٨٠٪ .

وفي حالة عدم الحمل تصور الابواق اشعاعيا بواسطة صبغة معينة لتحديد نوع ومكان الانسداد ، ثم يجرى لك نوع مناسب من جراحة « ابواق فالوب » ، وهي ولو انها دقيقة وتحتاج لخبرة واسعة ، الا انني اعتقد انه يمكن اجراؤها في اى مكان في الوطن العربي .

لا تقلق من « الصدفية »

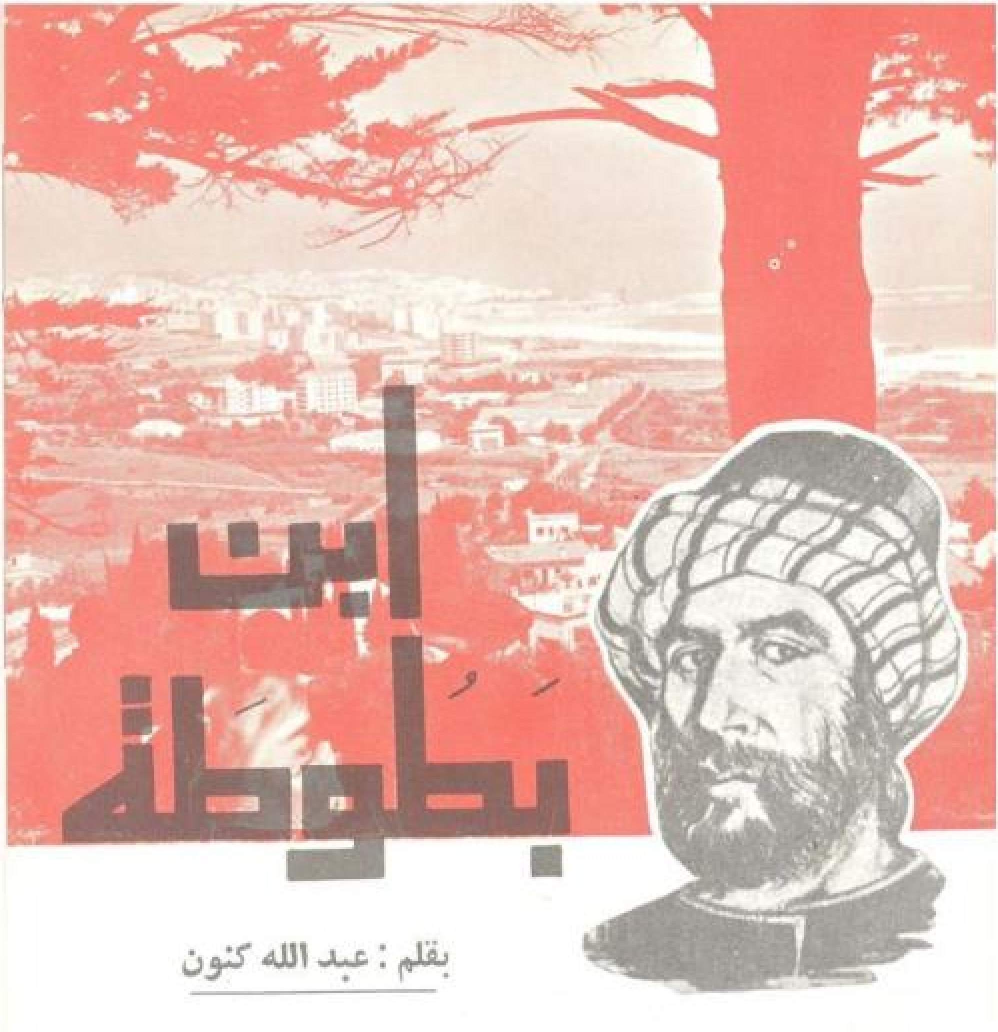
● اصبت منذ نعومة اظفارى بمرض جلدى غريب يظهر على هيئة قشور تتراكم فوق جلد القدمين والكفين ويمكنني ان ازيلها بدون الم مخلفة وراءها طبقة حمراء من الجلد كأنها حرق حديث . وقد اخبرني احد الاطباء انى مصاب بمرض « فما هو هذا المرض وما هو علاجه ؟ علما بان الفحوص التى اجريتها كلها سلبية » .

- ان ما وصفته بدقة وذكاء في خطابك هو في الواقع مرض جلدى مزمن له اطوار حادة احيانا ويسميه الاطباء «بالصدفية» لظهور اصداف او قشور على الجلد وهذا المرض يصيب الجنسين على السواء ما بين سن ١٥ ، ٣٥ سنة وعند ازالة هذه القشور يبدو الجلد تحتها محتقنا لامعا ناعما به بقع دموية صغيرة . وهو يصيب جلد الاطراف عادة ، وقد يصيب فروة الراس وجلد العصعص ، وقد تتقصف الاظافر وتتشقق . وفي طور المرض الحاد يشعر المريض بحكة قوية وقد تصاب المفاصل في بعض الاحيان .

سبب هذا المرض غير معروف حتى الآن ويرجح ان يكون ناتجا عن اضطراب تمثيل المواد الدهنية ، او الفيتامينات القابلة للذوبان في المواد الدهنية .

ويجب عليك أن تعرف أن هذا المرض لا يؤثر على مجرى حياتك ولا يؤثر في نشاطك العام فلا داعي للقلق ، ونفذ ما يأمرك به طبيبك المعالج . ■■

ابن بطوطة



بقلم : عبد الله كنون

■ الرحالة العالمي ابن بطوطة هو من مواليد مدينة طنجة ، ومفاخر هذا البلد الأمين ، بل من مفاخر العرب والمسلمين على العموم ، فانه لم يقم من بينهم ، على كثرة الرحالين فيهم ، من جاب ما جابه ابن بطوطة من بلاد الشرق والغرب ، ودوّن مشاهداته فيها ، وترك لنا مثل رحلته الممتعة ، التي لم تفقد قيمتها حتى في عصرنا هذا .

ولقد باهى به الرحالة الألماني ستيزن Seetzen الرحالين الاوربيين ، فهو علم مفرد حتى بين الاجانب .

ولئن كنت كتبت عنه اكثر من مرة ، فان من دواعي سروري أن اكتب عنه من جديد ، لمجلة العربي التي تشبهه في جوب البلاد ، وضرب الرقم القياسي في الانتشار من بين المجلات العربية .

أسرته

ينتمي ابن بطوطة الى اسرة علمية من اهل طنجة ، ظهر فيها القضاة ومشائخ العلم ، وقد أشعر بذلك قوله في الرحلة ، لما خيّره ملك الهند بين وظائف الوزارة والكتابة والقضاء : «اما الوزارة والكتابة فليست شغلي ، واما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي » وكان احد ابناء

عمومته بلى قضاء مدينة الرندة ببلاد الاندلس لما دخل اليها في رحلته .

وهذه الأسرة اصلها من قبيلة لواتة ، وهى احدى القبائل المغربية التى نبغ فيها كثير من العلماء والفضلاء .

اسمه

واسمه الكامل ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي ، عرف بابن بطوطة ، بفتح الباء وضم الطاء الاولى مع التخفيف ، حسبما هو جار على الالسنة وتلقيناه من شيوخنا ، وبعضهم يشددها استنادا لما في تاج العروس ، من انه على وزن سفّودة .

مولده ونشأته

وقد ولد في طنجة يوم الاثنين ١٦ رجب عام ٧٠٣ (٢٤ برابر ١٣٠٤) ونشأ بها ، ولم يغادرها قبل رحلته فيما نعلم ، فهو اذن قد تلقى دراسته على مشائخها ، وتكوّن تكوينا صالحا في علوم العربية والفقه والتصوف ، يدلنا على ذلك انه اخذ خطيب البصرة باللحن ، وجعله عبرة لتغير الاحوال حتى صارت المدينة التى الى اهلها انتهت رياسة النحو ، لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة . كما يدلنا على ذلك توليه قضاء الركب التونسى للحج فور انفصاله عن المغرب ، اما جنوحه الى لقاء مشائخ الصوفية والاخذ عنهم في رحلته ، فهو ايضا مما يدلنا على ما قلناه عن نوع دراسته .

وعلى كل حال فهو قد اشتغل بطلب العلم منذ صباه ، واشبع نهمته من قبل ان يتجه الى الرحلة ، فنحن لا نراه في تجوله يقصد احدا من اهل العلم للدراسة عليه ، الا ان يكون على سبيل التبرك واتصال السند كما هى عادة المشائخ ورجال العلم . ونعتقد أن ذلك مما اعانه على رحلته الطويلة ، فان الرجل اذا كان من اهل العلم تمهد امامه السبيل ووجد الناس في خدمته كلما حلّ وارتحل .

يضاف الى ذلك تربيته الدينية التى جعلت منه رجلا قوى الايمان ، شديد الصبر على المكاره ، واثقا بالعناية الالهية ، مما كان له اكبر الاثر في اتساع رحلته واقدامه على المخاطر بشجاعة وثبات ، ولا ادل على متانة دينه من ان باعثه الاول على الرحلة ، كان هو ارادة الحج واداء هذه الفريضة التى لا تجب على الفور ، كما اشار لذلك في اول رحلته ، لا سيما وهو شاب امامه متسع من الوقت للقيام بهذه العبادة ، لكنه كان شابا نشأ في عبادة الله ، فلا غرو اذا سعى مبكرا لاستكمال قواعد دينه .

ومما يذكر من العوامل التى ساعدته على طول الرحلة انه كان ذا اخلاق اجتماعية ، سريع التأقلم اى التكيف بطبيعة الاقليم الذى يستقر به والاندماج في اهله ، ومواطاتهم على عاداتهم ومالوفاتهم حتى يصير كانه واحد منهم ، وكانما وُلِد بين ظهرانيهم وعاش معهم زمنا طويلا . ولعل لبلده طنجة التى هى طريق رئيسى بين الشرق والغرب ، وملتقى لمختلف الاجناس والعناصر ، وطبيعة اهلها المرحة المنشرحة دخلا في ذلك ، وهذا العامل هو الذى سهل له التغلغل في الاوساط المختلفة ، وجعل رحلته سجلا مهما للحياة الاجتماعية في اكثر البلاد التى زارها .

رحلته الكبرى

ونقول رحلته الكبرى لانه رحل ثلاث رحلات (الاولى) وهى الكبرى قضى فيها ٢٥ سنة ، وهى التى زار فيها معظم اقطار العالم . (والثانية) انما كانت بضعة اشهر زار فيها مملكة غرناطة من بلاد اسبانيا . (والثالثة) دامت مدة عامين ، وكانت الى افريقية السوداء .

ومعلوم ان قصده الاول كان هو الحج ، وكان خروجه من طنجة في يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥ (١٣٢٥) وله من العمر اثنان وعشرون عاما ، وذلك في ايام السلطان ابى سعيد المريني الاكبر .

في تونس

وقد دخل مملكة تلمسان ، وسلطانها يومئذ ابو تاشفين بن ابى حمّو ، ومنها انتقل الى تونس ، وكانت خاضعة للحفصيين ، فمرض في الطريق ، ولكنه تحامل على نفسه حتى وصلها ، وضعف وحصل له شعور بالغربة فبكى وسرعان ما استأنس وتجلد فلم يعرف الضعف بعد . وكان نزوله في تونس بمدرسة الكتبيين ، وذكر من

اعلامها ابن القفتاز وابن عبد الرفيع وابن قداح الهوارى ، وقال عن هذا الاخير ان من عوائده انه كان يستند كلّ جمُعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه الناس فى المسائل ، فاذا افتى فى اربعين مسالة انصرف .

فى مصر

وغادر تونس فى ركب الحاج التونسى قال : وكان اكثره من المصامدة ـ يعنى اهل الدولة ـ فقدمونى قاضيا بينهم . وهذا دليل على مكانته العلمية ، وتزوج فى الطريق ، ووصل الركب الى طرابلس فى ذى القعدة من السنة . فمكثت بها حتى دخلت سنة ٧٢٦ ، وفى اواخر محرم منها انفصل عن الركب وسافر فى جماعة من المصامدة الى مصر ،فوصلوا الى الاسكندرية فى اولى جمادى الاولى ، ويخصتها الرحالة بوقفة طويلة بصف مشاهداته فيها وبذكر بعض علمائها الذى لفت نظرَه على الخصوص بعمامته التى كانت تملا المحراب .

وتجول فى الاقاليم المصرية ، ووصف بعضها وصفا دقيقا وقارن بين الحالة الاقتصادية فى مصر والمغرب . وفى مدينة دمياط شاهد عجبًا ، وهو انه اذا دخلها احد لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بطابع الوالى ،فمن كان من الناس معتبرا طُبِع له فى قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يُطبَع على ذراعه فيستظهر به . وهذا الاجراء الذى يشبه ما نسميه اليوم بتاشيرة المرور ، لا شك انه مما كان يفرضه موقع المدينة الحربى .

وركب الرحالة النيل من مدينة سمنوط متصعدا الى مصر التى بهرته بعظمتها ، وقد وصف مشاهدها ومعالمها وذكر اشياء من اخبار امرائها واخلاق اهلها ، وكان سلطانها يومئذ محمد الناصر بن قلاوون وقد اثنى عليه وحمد سيرته ، ثم ذكر القضاة فقال ان اعلاهم منزلة هو القاضى الشافعى ، وكان اذ ذاك هو البدر بن جماعة الشهير ، وذكر العلماء ايضا فكان من بينهم ابو حيان النحوى الغرناطى .

وسافر من مصر متوجها الى الحجاز بطريق الصعيد ، وفى قوص عاصمة هذا الاقليم راى



قبر ابن بطوطة فى طنجة

العالِمَ ابن دقيق العيد ، وكان هو الخطيب بها فاثنى عليه بالفصاحة وقال : لم أر من يماثله الا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبرى ، وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطبى ، فحصر خطباء العالم الاسلامى فى وقته فى ثلاثة .

ومن صعيد مصر
قصد الحجاز ، فما استطاع

وواصل رحالتنا سفره فى صعيد مصر الى مدينة ادفو ثم ركب النيل الى مدينة العطوانى ومنها دخل الصحراء مع جماعة من الاعراب الى مدينة عيذاب التى كان يقصد الابحار منها الى جدة، لكن ميناءها كان متعطلا بسبب حالة الحرب التى كانت قائمة بين صاحبها والسلطان الناصر ، فرجع عوده على بدئه مع قافلة الاعراب ، وقطع الصحراء ثانية الى الصعيد وانحدر فى النيل الى مصر ، وقصد الشام فاخترق شمال مصر كما اخترق جنوبها ، ووجد على الحدود مركزًا للتفتيش لا يجاوزه احد الا ببراءة خاصة بعد بحث واستنطاق من طرف العمال والكتاب والخبراء حتى انه ليوجد فيه موظف مغربى يتحقق من

مغربية المسافرين ، وبذلك لا يختلف هذا المركز عن اي مركز من نوعه على الحدود بين بلادين مختلفين في عصرنا هذا .

والرحالة يعلل ذلك بما كانت عليه العلاقات السياسية من توتر بين ملوك مصر والمغول الحاكمين في العراق .

في فلسطين

ويصل رحالتنا الى غزة ثم ينتقل منها الى الخليل فالقدس ، ويصف المسجد الاقصى وقبة الصخرة ويذكر بعض مشائخ القدس ، ثم يغادرها فيتنقل بين عدة مدن الى أن يصل الى صور فيقول : وهي خراب وبخارجها قرية معمورة ، واكثر اهلها ارفاض . ولقد نزلت بها على بعض المياه أريد الوضوء فاتى بعض اهلها ليتوضا فبدا بغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ، ثم مسح بعض راسه فاخذت عليه في فعله فقال ان البناء يكون ابتداؤه من الاساس .

في لبنان وسورية

ويواصل الرحالة سيره الى بيروت فطرابلس فحلب ، ويتوه بها كثيرا ويذكر من وجد بها من العلماء ومنهم ابن الزملكاني ، ويمر بعد ذلك بانطاكية ثم بحصون الاسماعيلية « ويقال لهم الفداوية وهم سهام الملك الناصر ، بهم يصيب من يعد عنه من أعدائه بالعراق وغيرها » كما قال . ثم يمر بمنازل النصيرية ويتحدث عنهم ، وبجبل لبنان فيصفه بخصب التربة وجمال الطبيعة، ومن لبنان يصل الى بعلبك فيصف من خيراتها ومصنوعاتها الشيء الكثير .

في دمشق

ويصل الى دمشق فينزل بها في مدرسة المالكية التي تعرف بالشرابشية ، ويصفها أبلغ وصف ويتجول فيها ، ويتحدث عن الجامع الاموي باسهاب ، وعن غيره من المعاهد والمدارس والمزارات وعن الأوقاف الخيرية التي اوقفها اهل دمشق على السابلة والمحتاجين ، وتجهيز البنات الفقيرات واعانة العاجزين من الحجاج وفكاك الأسرى واصلاح الطرق ، ويذكر ان لطرق دمشق رصيفين في جنبيها يمر عليهما المترجلون ويمر في وسطها الركبان .

ويذكر من لقي بها من العلماء ومنهم ابن الشحنة، سمع عليه البخاري في اربعة عشر مجلسا بقراءة البرزالي واجازه اجازة عامة ، كما اجازه غيره من اعلامها .

في الحج

ويغادرها مع الركب الحجازي قاصدا معان ويصل المدينة المنورة عن طريق الصحراء ، فيزور الروضة المشرفة ويشفي غليله من مشاهدها وماثرها ثم يقصد مكة لاداء فريضة الحج . وهكذا يحقق امنيته بعد عام وخمسة اشهر من مفارقة بلده ولكنه اكتسب في هذه المدة حب السفر والتجول في البلدان ولذلك نراه يغادر مكة في ٢٠ من ذي الحجة ، اي بعد الانتهاء من مناسك الحج مباشرة ، صحبة الركب العراقي . وكان ركبا حافلا يحتوي على جمع كبير من العراقيين والخراسانيين واجناس الاعاجم ، وهو مزود بالشيء الكثير من المؤون والادوية والاشربة والذخائر ، واميره من الموصل يدعى البهلوان وقد قرب رحالتنا واكرمه ، ويعجبك حديث الرحالة عن الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد ، وخاصة عن مصانع المياه في الصحراء وسير الركب ليلا وقد اوقدت المشاعل امام القطار فصار الليل نهارا .

في العراق

ويترك رحالتنا الركب العراقي في النجف بعد ما يزور مشاهد أهل البيت ، فيقصد البصرة عن طريق واسط ، ويصف المدينة العربية الشهيرة ، ويقص حكاية خطيبها اللحانة التي اشرنا اليها من قبل .

في فارس

ثم يجوب شط العرب ويخترق بلاد فارس ، لما كان من عادته انه لا يعود من طريق سلكها ما امكنه ذلك ، فلذا يؤخر زيارة بغداد ، ويتقدم في بلاد العجم ، فيزور مدينة تستر ويحل بها ضيفا على شيخها صدر الدين من ذرية سهل بن عبد الله التستري ، قال « وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر . »

وزار ايضا مدينة اصبهان ووصف من تراه اهلها ما يُقضى منه العجب ، ثم زار شيراز ، وذكر من غريب امورها اجتماع النساء لسماع الوعظ فى المسجد الاعظم بايديهن المراوح فى اعداد تبلغ الالف والالفين ، ولاحظ تعظيم العجم لاهل العلم ، وان الفقيه عندهم انما يخاطب بمولانا ، وان ملوكهم ربما سموا ابناءهم باسماء بعض العلماء ، وذكر ممن لقيه بشيراز من العلماء الشيخ مجد الدين بن خداد وانه سمع عليه مسند الامام الشافعي ومشارق الصغاني . وزار بها قبر الشاعر سعدى المشهور وقال « انه كان اشعر اهل زمانه باللسان الفارسى وربما الم فى كلامه بالعربى » .

فى الكوفة وبغداد

ثم دخل البرية قاصدا الكوفة ومنها توجه الى بغداد دار السلام عاصمة الرشيد ، وكان يوجد بها فى رجب ٧٢٧ حين سمع مسند الدارمى على الشيخ سراج الدين القزوينى ، ولم يُطِل الكلام عليها لانها كانت فى ادبار من امرها ، الا انه تبسط فى الكلام على ملكها ابى سعيد بهادر الذى عرف انه يريد الحج من جديد فامر له بالزاد والركوب فى السبيل مع المحمل ، ولما كان الموسم لا يزال بعيدا فانه زار تبريز واعجب بسوقها الجامعة وخاصة سوق الجواهر التى حار بصره لما راى من انواعها وهى بايدى مماليك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة واوساطهم مشددة بمناديل الحرير ، وهم بين ايدى التجار يعرضون الجواهر على نساء الاتراك قال : « فرايت من ذلك كله فتنة » .

حجته الثانية ، والثالثة والرابعة

وبعد ان عاد فزار الموصل وديار بكر ، لحق بالركب العراقى وكان اميره هو البهلوان سابق الذكر ، فاعتنى به غاية الاعتناء ، ووصل مكة وحج ثانية عام ٧٢٧ واستقر بها متجاورا حتى حج ثالثة * عام ٧٢٨ ورابعة عام ٧٢٩ وكانه كان يتدارك ما فرّط منه فى الحجة الاولى من قِصَر الاقامة بمكة ، اذ عجّل بالسفر منها مع الركب العراقى . وفى حجة ٢٨ لقى اناسا من بلده طنجة، ومن قَصْر المَجاز ومن القَصْر الكبير جلهم من الفقهاء كما قال ، فتعرف منهم اخبار المغرب .

الى اليمن ، فالصومال ، فاليمن

ثم فارق مكة وركب البحر من جدة لاول مرة متوجها الى اليمن عبْر سواكن فطاف بارجاء القطر العربى العريق ولم يغفل ان يسجل التشابه بين اليمنيين والمغاربة فى كثير من الاحوال ، ذهاباً مع الراى الذى يقول بان اصل هؤلاء من عرب اليمن . وابحر بعد ذلك من عدن الى مدينة زَيْلَع بالصومال ولاحظ عليها شدة القذارة ثم توجه الى مُقدِيشو عاصمة البلاد ولقى سلطانها ، وذكر من غريب احوالها انه عندما تصدح الموسيقى الرسمية لا يتحرك احد ولا يتزحزح من موضعه ، ومن كان ماشيا وقف ، كما هو الحال الان فى كثير من البلدان حينما يُعزف النشيد الرسمى ، وهكذا لا جديد تحت الشمس كما يقال .

حجته الخامسة

وعاد الى اليمن عبر ظفار ثم عرّج على هُرمز وسيراف والبحرين ووصف مغاصات اللؤلؤ فيما بين تلك البلاد ورجع ادراجه فعبر الى القطيف مجتازاً باليمامة صوّب مكة ، حيث حج للمرة الخامسة سنة ٧٣٢ وذكر ان الملك الناصر بن قلاوون حج تلك السنة .

عودته الى
مصر ، فالشام ، فآسيا الصغرى

وبعد هذه الحجة يستقبل ابن بطوطة القسم الاكبر من رحلته ، ومع انه مر عليه منذ خروجه من بلده نحو ٨ سنوات ، فانه ما استوحش ولا تقاعس بل جدد العزم وعقد النية على دخول الهند وبلاد آسيا الوسطى والشرق الاقصى وسائر البلاد التى لم يزرها من قبل . وقد اراد ركوب البحر الى اليمن قصد الهند فلم يجد مركبا ولا رفيقا ، فعاد الى مصر بطريق الصعيد ثم الى الشام عن طريق بلبيس ، وركب البحر الى العلايا بجنوبى آسيا الصغرى ، قال : « وهى اول بلاد الروم » فجاس خلالها وتحدث عن امرائها، وكان الاتراك حينئذ لم يستكملوا وحدتهم السياسية، فحديثه عنهم فى هذه الحقبة له اهمية كبيرة . ومما يلفت النظر وصفه لمنظمة الفتيان التى كانت منتشرة فى هذه البلاد وتعرف بالاخية ،

وهي تشبه الكشفية في عصرنا ، وتغلب عليها الصبغة الدينية والخلقية . ولها اعتناء كبير باكرام الضيف وتسلية الغريب . وشعارهم لبس السراويل رمزا لما يأخذون به من التزام الصيانة والعفة . وقد اتصل بهم رحالتنا واكرموه واعتنوا به ، وهذا مما يفسر لنا ما كان يجده من التسهيلات والمعونة المادية والادبية على مواصلة رحلته الطويلة ، مع اتصاله ايضا بالأمراء والرؤساء الذين كانوا يمدونه ولا شك بما هو في حاجة اليه من النفقات والأسباب الضرورية للسفر .

الى القريم وبلاد البلغار

وانتقل رحالتنا الى شبه جزيرة القريم من ثغر صنوب بشمالي آسيا الصغرى ، ثم الى ازاق فبلاد البلغار التي وصلها في رمضان ، قال : « فلما صلينا المغرب افطرنا وأذّن بالعشاء في اثناء افطارنا فصليناها وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك . وكذلك يقصر النهار بها في فصله » . وفي هذه البلاد الفسيحة ركب العربات لأول مرة وأكل لحم الخيل وذاق البُوزة وهي نوع من النبيذ . وبما أن أهل البلاد احتناف فانهم لم يكونوا يتحرجون من شربها كما قال . واتصل بالسلطان محمد ازبك خان وحظي عنده حتى أرسله بمعية احدى زوجاته الى القسطنطينية لزيارة أبيها ملك الروم ، فأتيحت له فرصة زيارة العاصمة البيزنطية الشهيرة ، ولم تكن فتحت بعد .

الى خوارزم وبخارى وخراسان وافغانستان

وعاد الى مدينة السرا عاصمة السلطان اوزبك ثم ذهب منها الى خوارزم فبخارى وسمرقند وترمذ فخراسان فافغانستان الى الهند . ويطول الامر لو وقفنا معه في كل هذه البلاد وتتبعنا ملاحظاته عنها وعن اهلها .

في الهند

وقد وصل الى الهند في محرم سنة ٧٣٤ ، وفي الحين أعلم به ملك الهند محمد شاه بن تغلق ، حسب النظام المتبع في هذه البلاد ، لا يجاوز احد حدودها حتى يرفع به الى الملك ، فصدر الامر باكرامه والاعتناء به . وفي شوال من السنة اتصل به وحظي عنده وعرض عليه أن يوليه بعض المناصب فاختار ولاية القضاء لانها شغله وشغل آبائه كما سبق القول ، وبقي فيها الى سنة ٧٤٢ ، وقد مكنته اقامته هذه المدة كلها في الهند وولايته القضاء أن يتعرف احوالها وشؤونها السياسية والاقتصادية ، ويتبطن حياتها الاجتماعية وعوائد اهلها مما جعل القسم الذي يختص بالهند من رحلته ، وهو يكاد يستغرق الجزء الثاني منها ، مرجعا هاما للمؤرخين والباحثين في تاريخ الهند وحضارته .

وفي جمادى الآخرة من عام ٧٤٣ ترك الهند على رأس سفارة عظيمة الى الصين ، وبرغم الاستعدادات الكبيرة التي اتخذت لهذه السفارة فانها تعوّقت ، وطوّحت الاقدارُ برحالتنا الى جزائر ذيبة المهل (ولديف) في المحيط الهندي ، حيث أقام عاما ونصف عام عند سلطانتها خديجة بنت جلال الدين وولي هناك القضاء أيضا ، فاستطاع بحكم ذلك أن يتحدث عن حياة أهل هذه الجزائر حديثَ العارف المطلع .

في الصين

ثم غادر هذه الجزائر متوجها الى الصين عن طريق سيلان ، فبنغالة فالملايو فسومطرا فالزيتون وهي من موانيء الصين الواقعة على المحيط الهادي ، وتعرف الآن بتشيوان تشئو . وتوغل في داخل البلاد التي تقع على مقربة من الساحل حتى وصل خان بالق التي هي بكين عاصمة الصين الآن . ومع انه لم يتجول في الصين كما جاب الهند فانه لم يُخلِ رحلته من اخبار هامة عن هذه البلاد ولا سيما أحوال المسلمين بها . وتحدث عن براعة الصينيين في فن التصوير وصناعة الفخار وعن تعاملهم بأوراق النقد وادخارهم الذهب والفضة بشكل سبائك كما هو الحال في المدنية الحديثة .

اما حديثه عن امن الطريق وسهولة المواصلات والتحفظ على اموال الناس وتنظيم الملاحة التجارية فشيء لا يقل عما هو معروف الآن .

وفي الشرق على العموم كانت الطرق حسبما يروي مقسمة الى مراحل يجد فيها المسافر كل ما يحتاج اليه وبعضها كانت عليه التحصّب فيها

عدد الاميال التي قطعها المسافر والتي بقيت عليه. وهذا فضلا عن الامان التام .

ومن الصين الى المغرب

ومن الصين ينكفىء رحالتنا راجعا الى المغرب عن طريق سومطرا فالهند فاليمن فبلاد العجم فالعراق فالشام فمصر الى ان يصل الى مكة في شعبان ٧٤٩ فيقيم بها الى ان يحج للمرة السادسة ويسافر الى المدينة المنورة ومنها الى القدس ثم الى مصر فالمغرب ، اذ يدخل عاصمة فاس أواخر شعبان عام ٧٥٠ (١٣٤٩) بعد أن قضى في رحلته هذه ٢٥ سنة .

رحلته الى اسبانيا

ولم تستقر النوى برحالتنا حتى بدا رحلته الثانية الى مملكة غرناطة من اسبانيا الاسلامية او الاندلس ، وذلك لئلا يفوته هذا القسم من العالم الاسلامي،مع انه برؤية من بلده ومستمع. وقد خرج من بلده طنجة فمر بسبتة ومنها انتقل الى جبل طارق ، ثم مر بمدينة رُنْدة وكان القاضي بها احد اقربائه ، ثم مدينة مالقة ثم العاصمة غرناطة ، وكان ملكها حينذاك ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن نصر ، ولقي بها من الاعلام ابا القاسم الشريف شارح مقصورة حازم ، والفقيه ابا القاسم ابن لب وابا البركات ابن الحاج ، وابا القاسم ابن عاصم وسواهم .

رحلته الى افريقية السوداء

وعاد الى المغرب ولم ينشب أن شرع في رحلته الثالثة الى بلاد السودان ، وفي سجلماسة اخذ اهبته لهذه الرحلة ، والتحق برفقة يراسها احد رجال مَسُوفة وذلك في محرم ٧٥٣ فوصل الى تَغَازى بعد ٢٥ يوما ومنها استانف الرحلة عَبْرَ الصحراء الى مدينة ايوا لاتن وهي اول عمالة من السودان ، ثم فارقها متوجها نحو مالي عاصمة البلاد ، فلقي سلطانها منسى سليمان ولم ينل منه خيرا الا انه وصفه بالعدل والاستقامة ، ثم توجه الى تيمبكتو ومنها الى تكدا . وفي تنقلاته بين هذه المناطق وصل الى نهر النيجر فظنه النيل، ورأى التمساح في بعض ضفافه «كانه قارب صغير»

ومن المحقق انه جاب في هذه الرحلة اماكن لم يصلها سائح قبله ووصفها وصفا معجبا .

وفيما هو يُوالي رحلته وافاه أمرُ السلطان أبي عِنان المَرِيني بالرجوع الى المغرب ، فكرّ راجعا الى سجلماسة عن طريق تُوات ، وفي نهاية عام ٧٥٤ وصل الى فاس بعد ان قضى في هذه الرحلة عامين كاملين وبحساب ذلك مع رحلته الكبرى يكون قد صرف زهاء ٢٨ سنة في التنقل والتجوال.

وأمره السلطان باملاء رحلته على الكاتب ابي عبد الله بن جُزَي ، وهو وَلَدُ المفسر الشهير ابي القاسم بن جُزَي . فقام بما أُمِر به من ضمّ اطراف الرحلة وترتيبها وتصنيفها وسماها (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار) وانتهى من ذلك في ذي الحجة عام ٧٥٦ .

ويظهر انه في بعض المواضع انما أملى رحلته من حفظه وذاكرته ، فلذلك قد لا يضبط التاريخ وقد تقع له بعض الاوهام ، ولكنه بكل وجه كان مُتحريا وصادقا فيما يخبر به ، وان عَجِبَ الناس من بعض حديثه .

ثم ينسدل حجاب كثيف على حياته

وينسدلُ حجاب كثيف على حياة رحالتنا بعد هذا التاريخ ، وقد عاش اكثر من عَقْدَيْن من السنين المُوالية له ، فلم نعرف عنه شيئا بعد ما صحبناه قرابة ثلاثين سنة ، وشاطرناه افراحه واتراحه،وتملينا باحاديثه المعجبة ، واستمتعنا بنكته وملاحظاته الطريفة ، والذي نستطيع ان نقوله هو انه دخل سجن الوظيف فلم يخرج منه حتى توفي . والمعروف انه مات وهو يتولى القضاء ببعض البلاد كما يقول ابنُ مَرْزوق . ومن رسالة أثبتها لسانُ الدين بنُ الخطيب في كتابه « نُفاضة الجراب » كان أرسلها الى رحالتنا ، يلتمس منه المساعدة على شراء قطعة أرض بمَحلّ حكمه ، نفهمُ انه كان على قضاء (تامسنا)، الناحية المعروفة اليوم بالشاوية فهي الآنَ مكانٌ وفاته التي اختلف فيها ايضا بين سنة ٧٧٧ وسنة ٧٧٩ (١٣٧٧) رحمه الله رحمة واسعة. ■■

طنجة : عبد الله كنون

قصـــة :



مَن الوَالِـدُ ؟

من أولى بالطفل : الأب الذى أنجبه ثم تخلى عنه ، أم الرجل الذى أخـذه وتبناه ، ووهبه الحب وقدم له البيت والأسرة والاطمئنان والمستقبل ؟

بقلم :
الدكتور حسين مؤنس

حديث عهـد بالعمـل فى النيابة . لم يكـن قد مضى علي فى هذا العمل الشاق الممتع غير سنتين ، وكنت قد اخترت ان ابدا العمل فى الريف لانني كنت شديد الشوق الى العمـل القضـائي الهادىء بعيدا عن ضجة العاصمة ومشاغلها . اختاروا لي مركز بني مزار بمديريـة المنيا ، لان وزير العدل كان استاذا لي فى الكلية فيما مضى وكان مركز بنـي مزار فى حاجة – كما قال – الى وكيل نيابة نشيط طموح وذكي ، لان الحوادث كانت متتابعة هنـاك ، وكانت ملفاتها تتكدس وتتضخم ، والجرائم لا تتوقف بالملفات بل بالاحكام ، والاحكام تقوم على التحقيقات السريعة الحاسمة الذكيـة الجريئة .

والحق انني تخوفت عندما صدر قرار تعييني هناك ، لانني خشيت الا استطيع تحقيق ذلك الامل العريض الذى وضعه فيَّ الوزير ، ولكني تمالكت وقررت ان اجمع كل قواى للنهوض بالعبء ، وعزمت على ان اقيم بصفة دائمة في مركز عملى بدلا من السكن في القاهرة ، والذهاب الى بنـي مزار اربعة ايام في الاسبوع كما يفعل غيرى ، واتخذت لى سكنا متواضعا مطلا على النيـل قريبا من المحكمة ومبنى الادارة ، واجتهدت زوجتي حتى جعلت من البيت البسيط شيئا جميلا يطيب فيه المقام والعمل .

.. يا عطيات لا داعى لهذا الكلام ، لا نريد ان ننشر مشاكل .

فقالت له محتدة :

ـ اسكت أنت فانك لا تعرف كيف تتكلم ولا تفهم شيئا ، وما اخذوا ابننا الا بسبب سوء تصرفك ..



وقد خاب رجائي خلال السنة الاولى من العمل ، اذ توالت علينا قضايا كلها عقد لا تحل : جريمة قتل مزدوجة في غيط قصب في زمام سيلة الشرقية دون أدنى بصيص من نور . سرقة شونة البنك في منشاة اليوسفي واصابة الحارس بعيار ناري في فخذه . تسميم مواشي في زمام مطاى ، اطلاق النار على ناظر محطة كوم والي .. الى آخره ، وكل واحدة من هذه جرجرتني من فراشي في عز الليل ، ولا احد يتصور سواد الليل المخيف في قرى بني مزار ، ولا أنسى ما حييت موكبنا المحزن ونحن نسير فيه في الظلام البهيم بسيارة فورد متهالكة عمرها اثنان وعشرون سنة بالتمام والكمال يسوقها السائق زكي خضير الذى لا يرى شجرة الجميز في عز النهار ، والى جانبي خفير متخصص في النوم العميق في السيارات ، والمخبر غبريال شنودة الذى لا نسمعه الا قائلا : تمام يا افندم ! كده يا افندم ! مضبوط يا افندم ..

وقد تداركني الله برحمته اوائل الصيف فعثرنا على المجرمين في حادث شونة البنك ، عثرنا عليهم مصادفة ولا فضل لاحد منا في ذلك ، ولكننا زعمنا

في تقريرنا اننا تتبعنا المجرمين ساعة بساعة لمدة شهرين حتى تم القبض عليهم ، فرضيت عني الوزارة الى حين .

وبينما كنت استعد لقضاء شهر اجازة بعيدا عن ميدان العمل المتعب جاءت قضية سخيفة معقدة لا رأس لها ولا ذنب ، ولكن كان لابد من تناولها بسرعة وحزم ، لانها تعلقت برجل من اجل رجال المركز واكثرهم نصيبا من حب الناس ، وهو الحاج امين عبد الله عبد الجواد تاجر القطن الكبير وصاحب المزارع الواسعة في زمام كفر الشيخ ابراهيم .

ولم يكن لهذا الرجل الا ولد وحيد اسمه رشدي . كان غلاما لطيفا وسيما في الحادية عشرة من عمره ، وكان نجيبا كثير النشاط يصاحب والده في كل مكان ، وكنا جميعا نحب رشدي ونعامله كابن لنا ، وكان القاضي يحبه حبا شديدا لانه كان رفيق اولاده في المدرسة والبيت . ولم يسلم الرجل وابنه من السنة القرويين ،فكنا نسمع بين الحين والحين ان رشدي ليس ابنه ، وانما هو تبناه ، لان زوجته عفيفة هانم كانت عقيمة لا تنجب الاطفال ، حينما يتقولون ..

وفي ذات صباح في اوائل مايو استدعاني القاضي الى مكتبه ، وعندما دخلت عليه وجدته مهموما مشتغل الفكر ، وكان الضجر باديا على وجهه ، لانه كان حريصا على الا يبقى في بني مزار اكثر من ثلاثة ايام في الاسبوع ،وقد فوجيء بهذه القضية واتصل به المحافظ وطلب اليه ان يخف الى البلد من القاهرة ، لان الحاج امين كان مهموما جدا ، فلم يسعه الا الاسراع بالمجيء .

قال لي ان رجلا شريرا نزل مركز بني مزار من ايام ومضى يقول في كل مكان انه والد رشدي، وانه كان قد استودع الحاج امين ذلك الغلام بعد مولده بشهور قليلة ، لانه اتهم في قضية سرقة واعتداء على رجال الامن فحكموا عليه بالسجن اربع سنوات ، وبعد ان دخل السجن ساومه الحاج على أن يتنازل له عن الطفل فرفض ، فادعاه الحاج لنفسه ، وتعقب الرجل وزوجته في كل ناحية من نواحي القطر ، فلا يخرج الرجل من السجن حتى يعود اليه ، وتمكن اخيرا من الافلات من قبضته واختفى في الاسكندرية حيث جمع ثروة طيبة ، وعاد الآن ليطالب بابنه .

وللوهلة الاولى احسست ان هذا الرجل نصاب محتال ، وانه ليس بوالد رشدي ولا تربطه به صلة ، انما هو رجل يريد ان يبتز شيئا من المال من الحاج امين . وقد اوصاني القاضي بالرفق في التحقيق لان ذلك الرجل فيما يبدو ليس هينا ولا هو يقف في الطريق وحده ،انما هو عضو في عصابة او شلة اشقياء لا يعجزون عن الضرر والايذاء .

وارسلت في طلب هذا الرجل فاتاني في مكتبي تصاحبه امراة قال انها زوجته . وقد استبشعت هيأته لاول ما دخل علي ، فقد سبقه الي عطر ثقيل بلدي ضاق منه صدري ، ثم دخل فاذا هو رجل بدين ابيض احمر الوجه قد صبغ شعر راسه بصباغ اسود ظاهر للعيان ، وفتل شاربيه وانهض طرفيهما الى اعلى وملأ فمه اسنانا ذهبية، وكان يرتدي «بدلة» بيضاء تركها مفتوحة لتكشف عن قميص ذي خطوط ورباط رقبة احمر صارخ الحمرة ، وعلى راسه طربوش طويل فاتح الحمرة قد اماله الى اليمين ، ولبس في اصابعه خواتم ذات فصوص كبيرة وامسك في يده منشة وفي اليد الاخرى سيجارة .

اما المراة التي معه فلا يمكن ان تكون سيدة اطلاقا ، فهي مصبوغة الشعر منفوشة الوجه ، تلبس ملابس اوروبية لا تنسجم عليها منها قطعة واحدة . وكانت في يدها اساور من ذهب وفي اصابعها خواتم وفي صدرها عقود ، وكانت تمضغ لبانا وتنظر اليك في جراة ووقاحة .

وقد قدمها لي الرجل على انها ام رشدي ، وجلس قبالتي يضحك لا ادري لماذا ، ثم عرض علي سيجارة اعتذرت عنها ، فقال :

ـ هل تسمح بان تطلب لنا قهوة .. لقد تعجلنا المجيء اليك لكي نفرغ من هذه المسالة وناخذ ابننا ونمضي !

قلت له : اظن ان الاحسن ان تقص علي قصتك كاملة ...

فوضع رجلا على رجل وقال : قصتي قدم بها محامي مذكرة الى سعادة المحافظ ، وسعادة المحافظ احالها الى سعادة القاضي ، وليس لدي ما اضيفه اليها ..

ولم اكن قد سمعت بهذه المذكرة ، فقلت له :

ـ سأقرأ هذه المذكرة طبعا ، ولكن يستحسن ان آخذ اقوالك .

ـ تاخذ اقوالي ؟ وهل انا متهم ؟

ـ لم اقصد ذلك ، انما اردت ان اسمع الحكاية منك ..

وتردد الرجل ، فاندفعت المرأة تقول في ضيق صدر ظاهر :

ـ ومالك لا تريد أن تتكلم . ابننا يريدون سرقته منا ثم نخاف ان نفتح افواهنا .. اى مصائب هذه ؟ فنظرت اليها طويلا وقلت :

ـ ولماذا لا تحكى الحكاية انت ؟ اليس رشدى ابنك ؟

ـ ابن من اذن ؟ ابن هذه العجوز العقيمة ..؟ فقال لها الرجل :

ـ يا عطيات لا داعي لهذا الكلام ، لا تريد ان نثير مشاكل .

فقالت له محتدة :

ـ اسكت انت فانك لا تعرف كيف تتكلم ولا تفهم شيئا ، وما اخذوا ابننا الا بسبب سوء تصرفك ..

ـ سوء تصرفي انا يا عطيات .. انا ..

وسرني ان اراهما يتشاتمان ، فتركتهما على سجيتهما ، وادركت من الحديث ان هذا الرجل لعبة في يد هذه الشيطانة ، وان معركتنا الفاصلة ستكون معها ..

قلت لها : تفضلي انت تكلمي ، فيبدو انك تعرفين الحكاية احسن من زوجك ..

فنظرت الى زوجها وقالت : عن اى حكاية تسأل ؟ هذا الولد ..

فصرخ زوجها : قلت لك اننا لا ينبغي ان نتكلم ما دمنا قد قدمنا الشكوى ، هكذا قال لنا المحامي .. هل نسيت ذلك ؟ وسكتت المرأة،وساد صمت ، فقلت :

ـ اظن انني مضطر الى اصدار امر بحبسكما لمدة ٤ ايام رهن التحقيق ...

فنظر الي الرجل في فزع وقال :

ـ تحقيق ؟ اى تحقيق ؟ ..

ـ التحقيق في البلاغ الكاذب الذى تقدمت به .

وناديت دسوقي افندى الكاتب ، وقلت له :

ـ اكتب امر قبض تحفظى على هذين الشخصين، وابلغ السيد المأمور ، ودعني اكلم القاضي بالتلفون .

ونهض الرجل واقفا وقال :

ـ يا سعادة البيه .. انك لا تستطيع ان تفعل ذلك ، لاننا سبق ان قابلنا البيه المأمور وشرحنا له الامر ، واظن انه لن يفهم ابدا هذا الامر بالقبض علينا ..

قلت مخاطبا دسوقي افندى :

ـ افعل ما أمرتك به . البوليس لا دخل له في اعمال النيابة .. دعني اكلم القاضي ..

فبدأ الخوف يدب في نفس الرجل ، فاقترب مني وقال وهو ينظر الى دسوقي :

ـ لا لزوم يا دسوقي افندى .. يا سعادة البيه ماذا فعلنا ؟ اننا نطالب بابننا الذى سرقوه منا فتضعوننا في السجن ؟ هل هذه عدالة ؟

ـ نعم هذه هي العدالة .. هذا الغلام ليس ابنك ولا صلة لكما به ، وقد الحقتما ضررا بليغا بأسرة محترمة وهددتما مستقبل ولد برىء ..

ـ ارجوك يا سعادة النائب .. لا لزوم لهذا الان .. دعنا اولا نتحدث الى الحاج امين ،وسترى بنفسك ..

ـ انتما ابتعدا تماما عن الحاج امين . ليس امامي في الحقيقة الا ان احبسكما اربعة ايام حتى استطيع ان احصل على الحقيقة منكما ومن غيركما .. هذه مسائل خطيرة تتعلق بكيان اسر محترمة ومصالحها ، ولابد من الحزم فيها ..

ونفذنا ذلك الامر ..

★ ★ ★

عندما نقلت خبر ما فعلت الى القاضي بدا لي انه لم يسترح لتصرفي . فهمت من كلامه انني تعجلت وانه لا حق لي في الامر بحبس الرجل وامرأته لمجرد انهما قدما بلاغا كاذبا .. ثم انه لم يثبت لي ان البلاغ كاذب ..

واضاف القاضي :

ـ يستحسن ان ترى بنفسك الحاج امين ، فربما عرفت منه وجها ثانيا للحقيقة ..

وبالفعل عندما رأيت الحاج امين رأيت للحقيقة وجها آخر ..

قال بعد صمت طويل :

ـ يابني .. انني اشكرك على تأييدك لي ، ولكن ينبغي ان اصارحك بما لم اقله لاحد الا الان : رشدى في الحقيقة ليس ابننا ..

ـ يا الهي .. اذن هذا الرجل صادق ..

ـ لا ليس صادقا .. الحقيقة انني اشك في انه هو والد الطفل الذى تبنيناه ..

ـ كيف ؟ الم تعرفه من قبل معرفة شخصية ؟

ـ لا ، ولكن الذى حدث ان زوجتي اشتاقت للولد شوقا شديدا بعد تسع سنوات من زواجنا ، وكانت تعمل عندنا اذ ذاك خادمة لها اخت سيئة الحظ ، تزوجت رجلا شريرا لا يخرج من سجن الا دخل آخر ، وقد انجبت منه في فترة من فترات بعده عن السجون غلاما ، ثم عادوا فحبسوه ،

فضاقت المرأة بولدها ، وفي ذات يوم تعرفت برجل اعجبها واعجبته فهربت معه تاركة ابنها لخادمتنا ، وعندما زارت اباه في السجن وحدثته بما وقع قال انه لا يريد الغلام ..

فرضته علينا فتبنيناه . .

ـ الم تحرروا وثيقة بذلك ؟ الم تقوموا باى اجراءات رسمية ؟

ـ لم نستطع ، فان الوالد لم يلبث ان فر من السجن ، وبهذا اصبح الطفل في الهواء ولم نستطع عمل اى اجراء رسمى ، لان هذه الاجراءات تتطلب اوراقا او شهادات شهود عن موقف الطفل وحالته ، ولم تكن هناك وسيلة لذلك ، فقمنا بقيد الطفل على انه ابننا . كانت سنه اذ ذاك نحو خمسة اشهر .

ـ وهذا الرجل الذى يدعى ابوة الطفل ..

ـ لا ادرى من امره شيئا .. ربما كان هو اباه .. وربما كان زميلا له في السجن عرف القصة واراد ان يفيد منها .. الحقيقة انني لا ادرى .. لا ادرى ..

وسكت قليلا ثم قال :

ـ ولكنى اريد منكم ان تساعدوني على الاحتفاظ برشدى . انه الان حياتي وحياة عفيفة ، وانت ترى في اى ظروف يعيش واى مستقبل نعد له .. ارجوكم .. ارجوكم ..

★ ★ ★

وحكيت ذلك كله للقاضى فقال بعد تفكير :

ـ لم يحسن الحاج امين باعترافه بالحقيقة .. كان يستطيع الصمت ، ولم تكن هناك وسيلة لتأييد كلام هذا الدعى ...

ـ اننا لم نأخذ منه اعترافا مكتوبا ..

ـ لا يهم ، نحن اهل العدالة ، ما دمنا قد عرفنا الحقيقة فلا يمكننا ان نحكم الا بمقتضاها..

ـ والعمل ؟

ـ اذا اثبت هذا الرجل ان الغلام ابنه فلا بد ان نحكم له به ..

ـ ولكن هذا يضيع مستقبل رشدى ..

ـ نعم .. ولكن القانون هو القانون ، ووالد الغلام اولى به ، وهو كما ترى رجل قادر ماليا على تربيته ..

ـ ولكنه غير اهل اخلاقيا ..

ـ هذه مسألة يصعب على القانون تحديدها..

ـ وقال لي بعد ان اشعل سيجارة :

ـ لابد ان تفرج عن الرجل .. لقد تصرفت خارج القانون ولكني اعذرك .. حاول ان تجرى معه بعض التحقيق ، ويمكنك ان تطلق سراحه قبل ان يهبط الليل وتثبت في الدفاتر انك اكتفيت بهذه التحقيقات ، ولا لزوم للحجز ..

قلت : سافعل ذلك ، ولكن لي اليك رجاء ..

ـ وما هو ؟

ـ هو ان تطلب الى الحاج امين ان يلزم الصمت الى الغد ...

ـ لك علي ذلك ..

وامسك بسماعة التلفون وادار رقم الحاج امين ، فرد خادم يقول انه ذهب مع الحاجة عفيفة ورشدى الى القاهرة .

ـ حسنا فعل ..

★ ★ ★

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما دخلت على ذلك الرجل في غرفة السجن . كان مضطجعا ، فنهض واقفا وقال :

ـ اهلا وسهلا يا سعادة البيه .. هل هذا يرضيك ؟

ـ انت اضطررتني الى ذلك ..

وابن دولت ؟ زوجتي اقصد ؟

ـ اطلقنا سراحها .. لم نجد اى دليل يبرر حبسها ..

فبدا خوف شديد على وجهه وقال :

ـ اطلقتم سراحها ؟ واين ذهبت ؟ لابد انها فرت بالمال ..

ـ اى مال ؟

فاستدرك وقال :

ـ لا شيء .. لا شيء .. اقصد انها لم تترك لي شيئا انفق منه اذا خرجت ..

ـ ولماذا تعتقد انها فرت .. ؟

ـ لم اقصد انها هربت .. اردت ان اقول انها لابد ان تكون قد ذهبت الى بيتنا في دمنهور..

ـ دمنهور ؟ حسبت ان بيتكم في الاسكندرية ..

ـ لنا بيتان ..

ـ لماذا لا تقول الحقيقة وتريحني لكى اطلق سراحك .. من هذه المرأة ..؟

ـ زوجتي ..

ـ لا ، ليست زوجتك ..

ـ سبحان الله .. زوجتي والله ..

ـ ومتى تزوجتها ؟

ـ من ثلاثة اعوام ..

ـ اذن فهي ليست ام رشدى ..

ـ لا .. ليست ام رشدى .. أم رشدى ماتت ..

ـ وانت .. هل انت ابوه ؟ ..

ـ نعم ابوه .. انجبته لم ادخلوني السجن ، فاخذوه .

ـ ولماذا تريده الان ؟

ـ لانني ابوه .. انا انجبته ..

ـ هذا ليس ثابتا عندى ، ومع ذلك ، فمجرد الانجاب لا يعطيك هذا الحق .. ان اى كلب ينجب بطريقتك هذه .. تصور مصير هذا الولد لو لم ياخذه اولئك الناس .. انهم هم الذين ربوه واحبوه وسهروا عليه وتعبوا فيه وانفقوا عليه .. هذا هو الذى يعطي حق الابوة فعلا .. اما الانجاب .. مجرد الانجاب فاى مشقة تحملتها فيه ؟

فنظر الي في ضجر شديد وقال :

ـ مالى انا يا اخي وهذه الفلسفة .. كل الذى اعرفه هو انني والد هذا الغلام وانا اولى به من اى انسان .. ولكن هذا ليس هو المهم الان .. المهم هذه المراة اللعينة التى هربت بالمال .. انكم تخربون بيتى بهذا الحبس ، وساخرب بيوتكم ..

ـ اى مال هذا الذى تتحدث عنه ..

ـ كل ما عندى .. كل ما جمعت .. انه معنا في غرفة لوكاندة نيقولا ـ والان لابد انها هربت الى زوجها القديم ..

ـ ومن اين اتاكم هذا المال .. ؟

ـ من التجارة .. هل هذا حرام ايضا .. ؟

ـ لا ليس حراما ، ولكنك تكذب .. لقد اعترفت هي لنا بكل شيء قبل ان نطلق سراحها ..

فنظر الي الرجل واجما وقال :

ـ اعترفت .. بماذا ؟

ـ بكل شيء انت تعرف ..

ـ وهل اعترفت لكم بانها هي التى دبرت موضوع رشدى وحرضتني على المطالبة به لكي نفوز بشيء من المال من الحاج امين .. هل اعترفت لك بانها اخذت من الحاجة عفيفة الفي جنيه ليلة امس ؟

ولم اكن اعرف من ذلك شيئا ولكنني قلت :

ـ كل هذا عرفناه ، وعرفنا ايضا شغلك القذر في الاسكندرية ..

ـ ليس شغلى .. انه شغلها هي ، هي التى تعمل في التهريب .. اقسم لك انني اسير تحت يدها .. اتركني ارجوك لكي الحق بها واستخلص مالى ..

ـ لن اطلق سراحك حتى تكتب لى اعترافا صريحا بان هذا الولد ليس ابنك ولا تعرفه وان ما زعمته كان تدبيرا من امراتك ، وقرر انها اخذت الفي جنيه من عفيفة هانم ..

ـ اكتب لك ما تريد واطلق سراحي ارجوك ..

وكتب لي ما طلبت وانقذنا رشدى من براثن هؤلاء الاشقياء ..

وكانت المراة لا تزال محبوسة في سجن النساء فاستمدنا منها الالفي جنيه ، واستكتبناها اعترافا بانها هي التى دبرت امر الاحتيال على الحاج امين .

وقبل ان اطلق سراحهما ذهبت الى القاضي واطلعته على كل شيء ، فابتسم وقال :

ـ هذا حسن جدا .. انقذت الغلام الطيب ..

قلت :

ـ الان سنحيل هذه الاوراق لنيابة الاسكندرية لكي يواصلوا التحقيق مع هذا الرجل وزوجته في امر المال الذى جمعا ..

فنظر الي مبتسما وقال :

ـ يا بنى .. قمنا بواجبنا في اختصاصنا فدعهما يذهبان الى الشيطان واحفظ اوراق القضية ..

ـ ولم لا يستمر التحقيق ؟

ـ قد يؤدى هذا الى اثارة موضوع رشدى مرة اخرى .. ونحن ما صدقنا ان افلتناه .. الا تريد ان نقوم بالاجازة ؟ اسرع اذن واطلق سراح الاثنين وقل للعساكر يرافقونهما حتى يخرجوهما من زمام المديرية ..

وعندما كنت عند الباب التفت اليه وقلت :

ـ ولكن .. اريد ان اسالك : هل تعتقد ان هذا المحتال هو والد رشدى ؟

فنظر الي طويلا وقال :

ـ اغلق الباب اولا ، واقترب مني .. واقتربت منه ، فوضع يده على كتفي وقال :

يغلب علي ظنى ذلك .. ولكنى لا استطيع ان اؤكد لك شيئا ، ولا اريد ان اتاكد .. نعم .. ربما كان هو والده .. ولكنه لا يستحقه ، مصلحة رشدى تقضى بان نقف عند هذا الحد .. اليس هذا رأيك ؟

■■

حسين مؤنس

فِيلاسْكيز

رَسَّام أَسْبانيا الأوّل غَيْر مُنازع

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ على كثرة ما انجبت اسبانيا من فنانين رسامين ، فان فيلازكيز يحتل مكان الصدارة بينهم . ويصدق ذلك على الذين عاصروه ، وعاشوا في القرن السابع عشر مثله . ولكنه يصدق بخاصة على الذين جاءوا من بعده ، وقد اقتفوا اثره في معظم الحالات ، وتأثروا باسلوبه واتجاهاته . وقد بلغ من تأثر الرسامين الاسبان بفيلازكيز ان اعتبره بعض النقاد صاحب مدرسة ، بل مؤسسة مدرسة فن الرسم الاسبانى الحديث .

ومهما يكن من امر فقد كان فيلازكيز رسام البلاط الاسبانى منذ فجر شبابه وحتى وفاته . ولم يكن يسمح لاحد بشغل هذا المنصب الا اذا كان ذا موهبة اصيلة بارزة وكفاية ممتازة . ولعل في كلمات روبنز Rubens ، الرسام الهولندى الشهير ، خير دليل على ما تمتع به رسامنا من نبوغ ، اذ قال : « ان فيلازكيز هو أعظم الرسامين الاحياء . . » والمقصود بالاحياء هنا ، كما لا يخفى ، الرسامون الذين كانوا احياء في النصف الاول من القرن السابع عشر ، حوالى سنة ١٦٢٨ ، وهى السنة التى اجتمع فيه الرسامان في مدريد . وحسبنا ان نذكر ان المتحف القومى National Gallery في لندن ، اشترى احدى لوحات فيلازكيز في سنة ١٩٠٥ بمبلغ ٤٥٠٠٠ جنيه استرليني . لا عجب اذن ان تكون اللوحة التى اخترناها لصفحة (٢) من هذا العدد هى احدى لوحات فيلازكيز ، وان تكون سيرة حياة هذا الفنان الكبير هى الموضوع الذى سنحاول الالمام به بايجاز في هذه الكلمة .

ولد فيلازكيز في مدينة اشبيليا سنة ١٥٩٩ . وكان اسمه الكامل Diego Rodriguez de Silva y Velazquez . والطريف ان الاسم الذى اشتهر به رسامنا ، والذى حملته عائلته ، اى فيلازكيز ، انما اخذه الفنان عن امه لا عن ابيه ، وذلك جريا على تقليد شاع في اسبانيا انذاك . وكان ابواه برتغاليي الاصل ، وقد اتجهت رغبتهما منذ البدء الى اعداد ابنهما لمهنة المحاماة التى كان يمارسها الاب .

وقد مضيا فعلا في هذا السبيل . وراح فيلازكيز يدرس الفلسفة واللغات وهو فتى صغير . ولكن تلك الجهود لم تستمر طويلا . اذ لم تلبث مواهب فيلازكيز وميوله الفنية ان برزت وطغت .

وما اسرع ما استجاب الابوان ، وما اسرع ما عهدا بابنهما الى باتشيكو اشهر اساتذة الفن والرسم في اشبيليا انذاك . وكان فيلازكيز في الحادية عشرة من عمره حينما التحق بهذا الاستاذ الشاعر الفنان ، وانتسب الى معهده الذى كان اشبه بالمتاحف الفنية والمجالس (الصالونات) الادبية منه بالمدارس التقليدية . اضف الى ذلك ان التلميذ لازم استاذه وشاركه العيش في بيته . ولا يخفى ان المهمة التى اضطلع بها باتشيكو لم تقتصر على تعليم الفتى اصول الفن والرسم . فقد اخذ الاستاذ على عاتقه تثقيف فيلازكيز ثقافة فكرية وادبية عامة ، وعمل على تهذيبه وتنمية شخصيته ، فضلا عن صقل مواهبه الفنية .

وما لبث فيلازكيز أن لمع واظهر من الكفايات النادرة ما أسَرَّ استاذه وشده اليه شدا . ولو قرات كتابات باتشيكو عن هذه الفترة لشعرت وكان معهده الكبير الشهير لم يكن فيه الا طالب واحد هو فيلازكيز . ومهما يكن فقد كان فيلازكيز بالفعل الطالب الوحيد بين طلاب باتشيكو الذى استحق ، في نظر استاذه على الاقل ، اولاه اياه هذا من عناية ،



تخلد هذه اللوحة ، التى تعرف باسم « استسلام بريدا » ، النصر الذى احرزه القائد الاسبانى سبينولا Spinola على مدينة بريدا الهولندية ، سنة ١٦٢٥

وما أحاطه به من حب وتقدير .

وامتد عهد التحصيل والدراسة خمس سنوات او ستة ، وتخرج فيلازكيز سنة ١٦١٧ حاملا لقب استاذ، وكذلك Pintor de Imagineria . بيد انه لم يبتعد عن استاذه باتشيكو بعد ذلك ، وانما ازداد قربا منه وارتبط به بالمصاهرة . اذ تزوج ابنته جوانا سنة ١٦١٨ وقد انجبت له الاطفال وعاشت معه حتى النهاية في هناء ووئام . ولا عجب فقد جمع الحب بين فيلازكيز وجوانا قبل أن يجمع بينهما الزواج .

وتجدر الاشارة الى أن فيلازكيز رسم لوحة الطاهية في نفس السنة التى تزوج فيها – اى سنة ١٦١٨ . وتجدر الاشارة ايضا الى أن هذه اللوحة تظهر مدى الاهتمام الذى بدا فيلازكيز يوليه وجه الانسان آنذاك . وقد لا يطرب المرء للنظر الى وجه المرأة العجوز التى ترى في الصورة . الا ان احدا لا يستطيع أن ينكر ما يتجلى في هذا الوجه من اتقان وابداع . ومثل ذلك ، بل وأكثر من ذلك يقال في وجه الفتى ، الوجه الآخر في اللوحة .

ويذكر هنا ان هذا الفتى الذى كثيرا ما نراه في لوحات فيلازكيز الاولى ، هو بارجا Pareja الذى اختاره فيلازكيز من بين ابناء الريف ،بسبب ما تحسسه في قسمات وجهه وفي ملامحه . وقد استأجر الفنان هذا الصبى وأسكنه معه في بيته ، وراح يدرس وجهه دراسة فنية دقيقة ، ويرسمه مرارا ، طوال السنوات الست الأخيرة من حياته في اشبيليا .

اما البيض المقلى وسائر الاشياء التى تراها في اللوحة فلا ترمز الى اكثر من أن لوحة الطاهية هى من نوع من أنواع الرسم معيّن يسمى الحياة الساكنة Still Lifes او Bodegone وقد تمثلت في هذا اللون من الرسم نزعة بعض فنانى القرن السابع عشر الى رسم الأشياء العادية ،التى يراها الانسان هنا وهناك ، لا سيّما في المطابخ . وتمثلت فيه كذلك رغبتهم في الانطلاق والاقدام على الرسم ، بدافع الميل الى الرسم ، لا بقصد الأجْر وبناء على تكليف الغير .

وجدير بالذكر ان تلك النزعة كثيرا ما التقت بتيار الفن الجارف الذى طغى على فنانى القرنين السابع عشر والثامن عشر جميعا ، والذى يسمى Baroque . والمجال لا يتسع هنا للحديث عن هذا التيار ونكتفى بالاشارة الى انه ظهر في اعقاب تيارات عصر النهضة الفنية ، وأنه ركز اهتمامه على الطبيعة ، قبل المواضيع الدينية ، وانه استهدف اثارة مشاعر الناظر الى الانتاج الفنى ، رسما كان أم نحتا أم غير ذلك .

بقى علينا بعد هذا أن نشير الى السنوات العديدة التى قضاها فيلازكيز في مدريد وقد بلغت ستا وثلاثين . فقد كان فناننا في هذه الفترة الرسام الخاص للملك فيليب الرابع الذى لم يلبث ان اتخذ منه صديقا حميما ، ثم عينه مراقبا عاما لبلاطه ، ثم فارسا من فرسان سنتياجو ، حتى كلفه آخر الامر بالاشراف على تأسيس متحف فنى كبير في مدريد .

ويذكر هنا أن فيلازكيز زار ايطاليا في هذه الفترة مرتين ، الاولى بقصد الاطلاع والثانية من اجل شراء التماثيل للمتحف الذى ذكرنا . ويذكر ايضا ان روبنز ، الرسام الهولندى الشهير الذى اعتبر رسامنا فيلازكيز في طليعة رسامى عصره ، كما اسلفنا ، قد زار مدريد في تلك الأثناء . الا انه زارها بوصفه سفيرا لبلاده . ولما اعرب السفير عن رغبته في زيارة آثار اسبانيا ومتاحفها لم يجد الملك خيرا من فيلازكيز لكى يكون المرشد الدليل للفنان السفير .

وفيما عدا هذه الزيارات فقد امضى فيلازكيز الجانب الأعظم من فترة اقامته في العاصمة الاسبانية في أعمال الرسم . وقد كثر انتاجه وتعددت اللوحات التى رسمها في تلك الفترة وقد شهدت بحق ذروة نضوجه .

وتوفى فيلازكيز عام ١٦٦٠ عن عمر يناهز الستين.

يوسف زعبلاوى ■■



أنت تسأل .. ونحن نجيب

الصحراء الأسبانية .. صحراء عربية لاشك فيها

■ سمعنا عن خلاف قام حديثا بين دول المغرب العربي والصحراء الاسبانية ، بسبب مصادر للثروات كبيرة كانت غير معروفة ثم اكتشفت .. فما هو سر هذا الخلاف ؟ وما هي هذه الثروات ؟ لقد قيل انها الذهب .. وقيل انها البترول .. وقيل انها الفحم .. فما هي الحقيقة .. وما هي صلة اسبانيا بهذه الصحراء ؟

احمد الفلاييني ـ دمشق

ـ ترجع صلة اسبانيا بهذه الصحراء الى ما قبل بداية هذا القرن العشرين ، فقد تم الاتفاق بين الدول الكبرى ـ في ذاك الوقت ـ على تقسيم مناطق النفوذ فيما بينها بالتراضي .. انجلترا تحتل وادي النيل .. ايطاليا تحتل ليبيا .. فرنسا تحتل بلاد المغرب العربي ، وتعطى اسبانيا منطقة في جنوب المغرب ، واخرى في شماله ، لحماية شواطيء اسبانيا من الجوار الفرنسي في المغرب .

وقد بدأ احتلال الصحراء الغربية الجنوبية من المغرب في عام ١٨٨٤ بنزول قوات اسبانية في منطقة فيلا سسنيروس على ساحل المحيط الاطلسي .. ومن هذه البلدة انطلقت القوات الاسبانية تحتل بقية اجزاءالصحراء ، وفي عام ١٩١٢ تم تخطيط حدود الصحراء البرية اللاصقة للمغرب والجزائر وموريتانيا . وكان الطرفان المتفاوضان هما اسبانيا وفرنسا ، والاخيرة كانت تحتل بلاد المغرب في ذاك الوقت .. وكانت الصحراءبعيدة عن مركز السلطان في الرباط ، لهذا لم تصادف القوات الاسبانية مقاومة تذكر ، عند نزولها ، اذ كان اهل المنطقة من القبائل الرحل .. وظل الحال على هذا المنوال حتى ظهر في شمال الصحراء الغربية المحتلة زعيم ديني كبير هو الشيخ ماء العينين .. شيد بلدة سمارة واقام فيها جامعا ، وقلعة وسوقا للبدو ،

ولم تستطع القوات الاسبانية احتلال هذه البلدة الا في عام ١٩٣٤ .

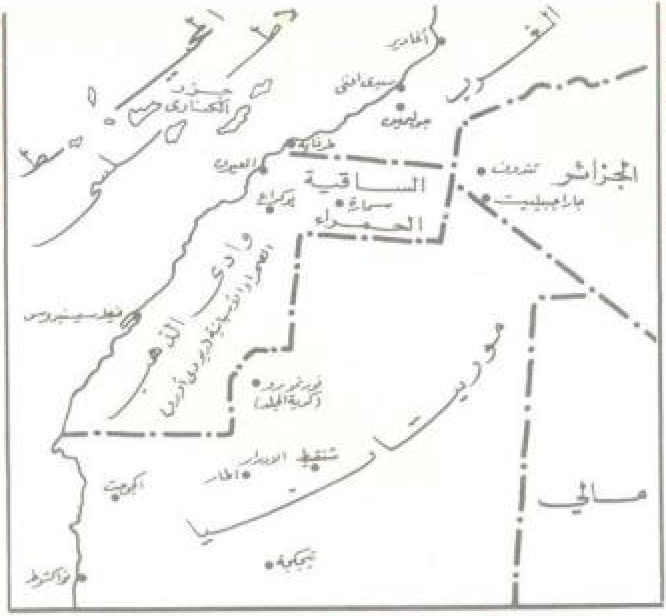
وظلت المنطقة تعيش بعيدا عن الاضواء حتى عام ١٩٥٧ عندما قام الاهالي بثورة ضد الاحتلال الاسباني ، استولوا خلالها على اغلب المراكز .

ولم يسكت الاسبان طويلا على هذه الهزيمة

صورة نشرتها مجلة جيو جرافيكال في عدد سبتمبر ١٩٧٠ الاسبانية . لقد اعترفت اسبانيا بحق ابناء الصحراء







توضح هذه الخريطة ، موقع الساقية الحمراء ووادى الذهب ، وبقيــة الاســماء التي وردت في الاجابة على سؤال القارىء .

المفاجئة فجلبوا قوات حربية كبيرة ، واستعانوا بسلاحهم الجوى لفرض سيطرتهم ثانية على الصحراء كلها ، التي كانت مكونة من اقليمين : اقليم الساقية الحمراء ، واقليم وادى الذهب ..

وبعد سيطرة الجيش على البلاد ، وحدوا الاقليمين في اقليم واحد جعلوا عاصمته مدينة العيون ، واصبحت المنطقة تعرف باسم « Rio De Oro » اى نهر الذهب ، في حين انه لا يوجد فيها لا نهر ولا ذهب ..

وهكذا اصبح الاحتلال الاسبانى دامغا في كل مكان .. ولكن رغم حكم الحديد والنار ، قام الاهالى اخيرا بثورة دموية يوم ١٧ يونيو ١٩٧٠ اطلق خلالها الاسبان النار على « آخوة الصحراء » فسقط عشرات الشهداء الابرياء .. وسارع الاسبان بطلب نجدات عسكرية جديدة من اسبانيا، اقاموا لها الثكنات في مدينة العيون وفي جميع اطراف الصحراء التي تبلغ مساحتها ١٠٠ الف كيلو متر مربع ، يعيش عليها ٢٨ الف نسمة .

لقد كانت اسبانيا تامل في العثور على النفط في تلك الصحراء ، ولكن الشركات الامريكية اعلنت انها لم تعثر على اى اثر للنفط ، وانها خسرت مئات الملايين من الدولارات في سبيل البحث عنه . واتجه بحث الاسبان عن الثروة خارج الارض ،

(البقية على الصفحة التالية)

تحتها : تدير شئون الصحراء الفرقة الاجنبيــة «مصيرهم» ولكن لم تفعل ما يؤيد اقوالها..









أنت تسأل .. ونحن نجيب

الصحراء الاسبانية (بقية)

وبعد فترة بسيطة عثروا في منطقة بوكراع ، في شمال الصحراء ، على اكبر منطقة فوسفات في العالم مساحتها نحو ٢٥٠ كيلو مترا مربعا ، وتحوي نحو ١ر٧٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طن من خام الفوسفات ، مع كمية احتياطي تحت الارض تزيد عن ١٠ الاف مليون طن ، على ما قدروا !! وفي الحال بداوا في بناء مرسى كبير في مدينة العيون ، يمتد عدة كيلو مترات داخل مياه المحيط الاطلسي، لنقل الفوسفات الخام الى مختلف انحاء العالم وخاصة الى المعامل في اسبانيا . وينتظر البدء بتصديره عام ١٩٧٢ بعد أن تنتهي اقامة المنشات التي ستتكلف نحو ٢٠٠ مليون دولار ..

لقد ظلت اسبانيا تلعب دورا غريبا في المنطقة ، وتقول ان هناك اكثر من دولة تطالب بالصحراء الاسبانية : المغرب من ناحية ، وموريتانيا من ناحية أخرى .. وانها ازاء هذا الوضع لا يمكنها الجلاء عن الصحراء بالرغم من ان الامم المتحدة اصدرت قرارين سنة ١٩٦٥ و١٩٦٧ يقضيان باجراء مشاورات بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا تحت رقابة الامم المتحدة ، من اجل عمل استفتاء شعبي، يقرر فيه شعب الصحراء الاسبانية مصيره .

ولكن هذا الاستفتاء لم يتم ابدا الى الآن .. بل على العكس بدات محاولات مشبوهة ترمى الى اجتذاب اهل الصحراء نحو اسبانيا باغرائهم بشتى الوسائل . مثل الاعلان عن مشروع كبير للاصلاح الاجتماعي والعمراني والصحي في البلاد وفي نفس الوقت بدات سلطات الاحتلال توزع المناصب الادارية الكبيرة على ابناء الصحراء، من اجل دفعهم للمطالبة بقيام دولة مستقلة في الصحراء الاسبانية ، تكون مرتبطة بمعاهدات مع اسبانيا ..

ولكن الاجتماع الاخير الذى عقده ملك المغرب مع رئيسي جمهوريتي الجزائر وموريتانيا في نواذيبو بموريتانيا ، واصدارهم بيانا يساندون فيه سكان الصحراء الاسبانية الذين يناضلون من أجل حريتهم، وانشائهم للجنة دائمة تضطلع بمهمة تصفية الاستعمار من منطقة الصحراء المحتلة ، كل هذا وضع اسبانيا في موقف دبلوماسي حرج ..

ولكن اكتشاف هذه الكمية الهائلة من الفوسفات، الى جانب الثروة السمكية التي تقدر بنحو ٥ الاف طن سنويا ، وغيرها من الثروات المخبوءة .. كل هذا سيجعل اسبانيا تزداد تشبثا وتمسكا بأرض ليست هي أرضها .

ان اسبانيا بلد صديق للعرب ، وكم بودنا ان تعترف سلميا بسيادة المغرب على اراضيه ..

وكان ظننا ان المساعي المبذولة الآن لاغراء اسبانيا بالاعتراف بعروبة هذه الصحراء وتبعيتها وفقا لما ارتاته الامم المتحدة وما تطالب به الدول العربية المجاورة .. كان ظننا ان هذه المساعي المبذولة ناجحة ان شاء الله ..

ولكن اسبانيا اقترحت اليوم اجراء استفتاء بين

أئمة .. ضربوا

● اسمع ان احد ائمة المذاهب الاربعة في عهد العباسيين ضرب ضربا موجعا من أجل خلاف في مسألة كلامية ، فمن يا ترى هذا الامام ، أهو أبو حنيفة او ابن حنبل ؟

صبرى عبد العزيز ـ القاهرة

ـ الحق ان اغلب ائمة المذاهب ضربوا واولهم الامام ابو حنيفة ، لكن ضربه كان في آخر عهد بنى امية ايام مروان بن محمد ، والذى ضربه هو يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري امير البصرة والكوفة ، ولم يكن ذلك في مسالة كلامية وانما اراده ان يلى القضاء بالكوفة فامتنع أبوحنيفة عن القبول ، فضربه مائة سوط وعشرة ، كل يوم عشرة أسواط وهو مُصِرّ على الامتناع . فلما رأى ذلك تركه وخلى سبيله . وكان ضربه في الكوفة في موضع يعرف بالكناسة . وقد عاش الامام ابوحنيفة مدة في ايام العباسيين وتوفى سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٣ ، على ان ابا جعفر المنصور العباسي اراد ايضا أن يولى ابا حنيفة القضاء فامتنع . ثم اراده أن يتولى قضاء الرصافة فامتنع ، فقال له : ان لم تفعل ضربتك بالسياط . قال : اوتفعل ؟ قال نعم ، فقعد في القضاء يومين . اما ابن خلكان فيقول في احدى رواياته « قيل كانت وفاته ببغداد في السجن ليلى القضاء ، فلم يفعل . ويزيد على هذا قوله « هذا هو الصحيح » .

والامام مالك بن أنس أيضا ، سُعِيَ به الى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس، وهو عم ابى جعفر المنصور ، وقالوا له انه لا يرى

بالسِّياط !

ايمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ودعا به وجرّده وضربه بالسياط ، ومُدّت يده حتى خُلِعت كتفه . فلم يزل بعد ذلك الضرب في علوٍّ ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حَلْيٌ به ، وكان ذلك في سنة ١٤٧ هـ . وذكر بعض المؤرخين انه « ضرب سبعين سوطا لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان . »

وظل الامام مالك في علو قدر حتى توفي سنة ١٧٩ هـ . بالمدينة في أيام هارون الرشيد .

اما الامام احمد بن حنبل فهو الذى ضرب من اجل مسألة كلامية ، وكانت ولادته وكل حياته في عهد العباسيين . وقد نشأت في ايام المأمون مناقشة كلامية حول القرآن هل هو مخلوق او قديم غير مخلوق . وكان على رأس القائلين بخلقه القاضي احمد بن ابى دُوَاد ، وعلى رأس الممتنعين عن القول بخلق القرآن الامام احمد بن حنبل ، واشتعلت الفتنة وامتدّت ، ومات المأمون وتولى المعتصم ، وصار أحمد بن أبي دواد صاحب الكلمة النافذة لدى الخليفة ، ودُعِيَ الامام أحمد بن حنبل الى القول بخلق القرآن فلم يُجِب «فضُرِب وحبس » وهو مُصِرٌّ على الامتناع ، وكان ضربه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ٢٢٠ هـ . ثم زالت المحنة،وعاش الامام أحمد الى سنة ٢٤١هـ . حيث توفي فيها ، وقُدِّر عدد من حضر جنازته من الرجال بحوالى ثمانمائة الف ، ومن النساء حوالى ستين الفا .

ع. ف.

أهل هذه الصحراء .. وهو شيء ليس فيه جديد ، فهو نفس قرار الامم المتحدة .. وان يكن فيه جديد فالتأخير .. وان يكن لا بد للتأخير من تفسير ، فيجد المرء هذا التفسير فيما مهدت له أسبانيا خلال السنوات الثلاث الماضية من التجهيز لهذا الاستفتاء ، وذلك بانفاق عشرات الملايين من الدولارات ، واغراء الطامعين من أهل الصحراء بالثراء الكبير الذى سوف تدره أسبانيا عليهم لو أنهم صوتوا لها ، أو صوتوا لاستقلال يكون فيه الاسبان سادة !!

(س . ز)

وكالة المخابرات الامريكية تم انشاؤها منذ عام ١٩٤٧ فقط !

● ارجو ان تكتبوا لنا عن تاريخ انشاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية . وكيف تعمل هذه الوكالة التى امتدت مؤامراتها لتشمل جميع أنحاء العالم ؟

هشام عبد الوهاب ــ القاهرة

ــ انشئت وكالة المخابرات المركزية الامريكية Central Intelligence Agency (C. I. A) في عام ١٩٤٧ . وقد جاء في قرار انشائها انها قد اسست لكى تقوم بتحليل وتفسير وجمع المعلومات العسكرية والسياسية التى تهم الامن القومى الامريكى . وتعمل هذه الوكالة تحت امرة مجلس الامن القومى الامريكى .

وتتلخص اختصاصاتها المعلنة طبعا في :

١ ــ ان تقدم النصح لمجلس الأمن القومى الامريكى فيما يختص بمسائل السلام والحرب .

٢ ــ أن تربط وتنظم كل الأقسام والوكالات التى تعمل في مثل ما تعمل في مجال المخابرات .

٣ ــ أن تجمع وتربط وتقيم وتوزع المعلومات السرية على الاقسام والوكالات المعنية التى تعينها الحكومة الأمريكية .

وقد تشعبت وكالة المخابرات المركزية وامتدت شبكات عملائها الى جميع أنحاء العالم وخاصة بعد نشوء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشيوعى ، وانتشار حركات التحرر بين البلدان المستعمرة . كما تشعب عملها ايضا ليشمل تدبير الانقلابات العسكرية والمؤامرات في دول أمريكا اللاتينية والدول النامية على وجه الخصوص .

ولوكالة المخابرات المركزية الامريكية تأثير كبير على رسم سياسة امريكا الخارجية التى ترسم بناء على التقارير التى تقدمها هذه الوكالة . وتعتبر المخابرات المركزية دولة داخل الدولة بما لها من نفوذ على جميع سلطات الحكومة الامريكية . أما ميزانيتها السنوية فهى تزيد على عدة مئات من ملايين الدولارات .. وان كان ليس لدينا الرقم الصحيح لها .

(م. ط)

اللجوء السياسي ينقسم الى ثلاثة انواع !

● نسمع كثيرا أن شخصا طلب حق اللجوء السياسي في دولة من الدول ، فما هو حق اللجوء هذا . وهل هناك قانون ينظم هذا الأمر ؟

فادية سلطي ــ الزرقاء

ــ حق اللجوء السياسي هو الحماية التي تعطى بواسطة دولة ما لشخص من غير مواطنيها وذلـــك لكي تحميه من دولته الاصلية . ولا يوجد اى حق قانونى بالنسبة لطالب اللجوء السياسي تجـاه اى دولة يطلب منها حق اللجوء ، كما انه ليس هناك اى التزام لاية دولة على قبول لجوء اى شخص اليها . اى ان منح اللجوء السياسي لشخص ما هو عمل من أعمال الدولة المعطية لا يجبرها عليـه احد .

ولتنظيم عملية اللجوء السياسي نصت المـادة الرابعة عشرة من اعلان حقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ على القواعد الخاصة بما يسمى بحق اللجوء، كما نص القانون الدولى على ان يستثنى اللاجىء السياسي من تطبيق اتفاقيات تبادل المجرمين التى تكون الدول اطرافا فيها .

ويستثنى من حق اللجوء السياسي كل من :

١ ــ قاتل رئيس الدولة .

٢ ــ الفوضويين .

٣ ــ المتعاونين مع الأعداء في زمن الحرب .

٤ ــ مجرمى الحرب ومرتكبى اى جرائم ضد الانسانية .

وينقسم اللجوء السياسي الى ٣ أنواع :

١ ــ داخل أراضي الدولة Te ri Tor il وهـذا يحدث عندما يطلب شخص ما حق اللجوء اثنـاء وجوده في أراضي الدولة التى يطلب منها هذا الحق .

٢ ــ اللجوء الدبلوماسي Diplomatic ، وهو النوع الذى يطلب فيه الشخص منحه حق اللجوء في سفارة الدولة التى يريد أن يلجأ اليها في بلد من البلدان ، أو في احدى السفن الحربية أو التجارية التابعة لهذه الدولة اثناء وجودها في اراض اجنبية . ومن الناحية القانونية لا يوجد اى نص في القانون الدولى يسمح بحق اللجـوء

جامعة باريس كانت تدرس كتب

● قرأت في سيرة الدكتور طه حسين أنه تخرج من جامعة السوربون بعد تخرجـه من الأزهر .. وعلمت أن السوربون هذه مدرسة قديمة مـن مدارس جامعة باريس .. فهل تتكرمون بأن تحدثونا عنها وعن قدمها ومكانتها .

سامية المهدى ــ الاسكندرية

ــ السوربون ليست جامعة ولكنها كلية . فهى احدى كليات جامعة باريس . وهى بلا نزاع أشهر تلك الكليات واقدمها . اذ يعود تأسيسها الى حوالى منتصف القرن الثالث عشر ، وقد تـم انشاؤها على يد روبرت دى سوربون ، أحـد ممثلى البابا في باريس آنذاك .

وجدير بالذكر أن جامعة باريس كانت موجودة ومشهورة قبل ذلك ، في النصف الاول من القرن الثانى عشر ، حين لم يكن في اوربا جامعات أخرى . وقد يستثنى من ذلك جامعة بولونيا الايطالية التى اشتهرت بتدريس الطب منذ القرن العاشـر الميلادى . الا أن جامعة بولونيا هذه لم تكن جامعة بالمعنى الدقيق ، في نظر الكثيرين ، وقد اقتصرت على تدريس الطب وافتقرت الى الفروع الثقافية ، ولم تعن بتدريس الآداب والعلوم والفنون وهـى الفروع التى اشتهرت وتميزت بتدريسها جامعـة باريس .

ومن طريف ما يذكر هنا أن بعض كتب التدريس



ابن رشد فى الماضى البعيد



مبنى جامعة باريس ، والى اليمين صورة ابن رشد كما تخيلها رسام « العربى »

التى اعتمدتها جامعة باريس فى تلك الأيام وحتى اواسط القرن السادس عشر ، كانت كتبا عربية ترجمت الى اللغة اللاتينية . ولا يخفى أن هذه الكتب كانت بدورها معربة عن كتب اليونان ،امثال ارسطو وجالينوس وافلوطين وغيرهم . الا أن بعض تلك الكتب تضمنت من التعليقات والشروح ما حظى ببالغ الاهتمام والتقدير .

وبصدق ذلك بخاصة على شروح ابن رشد لكتب ارسطو ، وقد اعتبرت تلك الشروح ، طيلة قرون ، التفسير الصحيح ، بل المرجع الوحيد لنظريات ارسطو وتعاليمه . ويتجلى ذلك اكثر ما يتجلى فى احد المراسيم الملكية التى صدرت عن الملك لويس الحادى عشر سنة ١٤٧٣ ، وقد نص ذلك المرسوم على وجوب المضى فى تدريس كتب ارسطو فى جامعة باريس ، ونص كذلك على وجوب اعتماد الأساتذة والمدرسين ، فى تفسيرهم لتلك الكتب ، على احد شروح ثلاثة من شروح ارسطو العديدة .

وكان شرح ابن رشد هو الشرح الاول الذى ذكره المرسوم .

اما الشرحان الآخران فكانا لالبرتوس ماجنوس Albertos Magnus وتوما الاقوينى Thomas Aquinas على التوالى .

وتجدر الاشارة الى ان هذين الاخيرين كانا من بين الأساتذة البارزين الذين درسوا فى جامعة باريس . وقد حقَّ لهذه الجامعة ان تفاخر غيرها من الجامعات بسجلها الحافل بأمثال هؤلاء الاساتذة ، وقد ضمَّ هذا السجل فيمن ضمَّ القديس بونافنتورا والفيلسوف البريطانى روجر بيكون .

ولا بد من التنويه بعد هذا كله بأن جامعة باريس ما زالت تحتفظ بمكانة مرموقة فى الوقت الحاضر . هذا بالرغم من أنها واحدة من مجموع ٢٢ جامعة فى فرنسا وان طلابها الذين يجاوزون الستين الفا لا يشكلون سوى العشر تقريبا من مجموع طلاب هذه الجامعات الفرنسية اجمالا،وقد بلغ عددهم نحو ... ٥١٠ طالب .

(ى. ز)

الدبلوماسى . ولكن العرف جرى على جواز أن يتم منح حق اللجوء الدبلوماسى فى حالات الحرب الأهلية والاضطرابات لحماية ارواح من يلجا الى دور السفارات فى مثل هذه الحالات .

٣ ــ اللجوء المحايد .

وهو حق قوات دولة من الدول المشتركة فى حرب من الحروب فى اللجوء الى اراضى دولة محايدة على ان يظلوا بها طوال مدة الحرب . وهو ايضا يشمل حق السفن الحربية فى اللجوء الى الموانىء المحايدة أثناء الحرب ، على أن لا تزيد مدة مكوثها عن ٢٤ ساعة ــ الا فى حالات العطل والتلف التى تستدعى وجودها لأكثر من هذا الوقت .

(م. ط)

 (بقية المنشور على صفحة ٧)

منذ عشرين عاما

السيد رئيس التحرير :

وقع في يدي عدد من مجلة « الهلال » ، نشر منذ عشرين من السنوات ، وبه افتتاحية لكم . قرأتها ، فكأنما أقرأ لكم ما تسطرونه في مجلة « العربي» اليوم . فهل هذه السنوات العشرون لم تغير من مفاهيم الحكم عندكم شيئا ؟

أما المقال المذكور فاقتبس منه أوله ، وأكتفي بذلك :

« سألني سائل : أي نظام من أنظمة الحكم تفضل ؟ » .

« وأخذت أجري بفكري على الانظمة جميعا ، فوجدت الى أقصى اليمين الدكتاتورية ، ووجدت الى أقصى اليسار الديمقراطية . والناس تكره الدكتاتورية لأول وهلة ، والناس تحب الديمقراطية لأول وهلة . ونظرت فعرفت من الدكتاتوريات دكتاتوريات حبيبة صالحة . ونظرت فعرفت من الديمقراطيات ديمقراطيات كريهة طالحة . ووجدت دكتاتوريات هي أقرب الى الديمقراطية ، ووجدت ديمقراطيات هي أقرب الى الدكتاتورية ، بمعنى تلك الأحب ومعنى هذه الأقبح . »

« وخرجت بما يخرج به كل رجل غير ذي ميل ينظر في شأن من الشئون الانسانية . خرجت بأن العبرة ليست بالشكل ولكن بالجوهر ، وأن الناس كثيرا ما تتخذ الاشكال لتهتدي . وقد تهتدي بالأشكال حينا ، ثم تتغير الظروف ، فيصبح الشكل قيدا تتقيد به العقول وتعتقل الأفهام »

« ان الحكم الصالح هو الذي يرضى به الناس بدءا وانتهاء . »

ابراهيم دعيج

خطأ مطبعي وجب تصحيحه

● في العدد ١٤٣ من العربي وفي باب حضارات سادت ثم بادت ، وتحت عنوان الطوب عند قدماء المصريين ورد في الصفحة ١٢٣ ما يلي :

« وجدير بالذكر ان لفظ Abode في اللغة الانجليزية ولفظ Adobe في الاسبانية يدلان على نفس المعنى الذي يحمله اللفظ الفرعوني . »

واود ان الفت انتباهكم الى ان اللفظ الانجليزي المقصود هو Adobe ، وليس Abode ...

محمد ابراهيم احمد المبارك ــ الظهران ــ

العربي : اللفظ الانجليزي المقصود هو ، كما تقول Adobe ، لا Abode ، والخطأ خطأ مطبعي كما لا يخفى وقد ساعد على الوقوع فيه تشابه الكلمتين . وبهذا استقام ما قصدنا اليه .

مجلة العربي في امريكا

● نحن الطلبة العرب في أمريكا نسأل : « هل هناك من وسيلة لاقتناء مجلة العربي او الاطلاع عليها على الاقل ؟ » فهي والله خير منهل وافضل مرجع لتراثنا العربي في الحاضر والماضي .

ان الاشتراك في المجلة يرهق جيب الطالب الذي يضطر الى العمل في كثير من الاحيان لتوفير نفقات تعليمه ، وفروا لنا العربي ولا تحرمونا منها .

ايهم العمر ــ نيويورك

شاهان شاموكيليان ــ كليفورنيا

العربي : ان مجلة العربي ترسل الى الكثير من الجامعات والمؤسسات العلمية وروابط الطلبة العرب في امريكا وغيرها من دول العالم ، كما ترسل ايضا للسفارات الكويتية في هذه الدول وذلك لكي يتسنى لاكبر عدد ممكن من العرب المقيمين في الخارج الاطلاع عليها .





SM-130

يمتاز باحتوائه على ١٧ ترانزستور و ٩ صمامات ثنائية .



SM-290

أفضل جهاز لامتلاك متعة الاستماع .

مكتب لبنان :
غرفة رقم ٥٠٣ ، الطابق الخامس
عمارة شاكر وعويني ، ميدان
رياض الصلح ، شارع موريس باريس
بيروت ، لبنان ، هاتف ٢٩٧٤٤٧

توشيبا
Toshiba
TOKYO SHIBAURA ELECTRIC CO., LTD.
Tokyo, Japan
طوكيو شيبورا اليكتريك كومباني ليمتد
طوكيو - اليابان

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإرشاد والأنباء فى الكويت

أول يناير ١٩٧١

العدد السادس عشر

من الأعمال المختارة

موليير - ١

- مدرسة الزوجات
- نقد مدرسة الزوجات
- ارتجالية فرساى

ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص



مجوهرات الحاج علي الاربش واولاده

شارع عبد الله السالم - هاتف : ٣٢٨١٦ - صندوق بريد : ٤٣٩ كويت


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830.
قف! وانتبه
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
GENEVE
بوم اى مرسييه
أشهر إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة ـ رائعة في الجمال ـ أوتوماتيكية
آلتها مرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة بدون تعبئة
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص.ب ١٤٦ الكويت ـ تلفون المعرض ٣٣٧٧٠


بإمكانك ان توصله بسيارتك
هذه الليلة . خذها في نزهة بالسيارة .
وخذ معك هذا المسجل الكاسيت النقال موديل TRQ-290
الخاص بالسيارة . بامكانك أن توصله بولاعة
السجاير المثبتة في سيارتك . وبالاضافة الى
ذلك يمكنك أن تخرج المسجل من السيارة
إلى حيث أردت .
فهو يعمل على بطاريات المصباح الكهربائي أيضاً ،
وعلى الطاقة الكهربائية العادية بطبيعة الحال ، بروعة
فائقة ، إذ يعود ذلك إلى نظام الدائرة الصغيرة
المدموجة IC'S . جمال هذا الجهاز الصغير في شكله
البديع . ويتميز باللونين الأسود والفضي . أوصل
مسجل TRQ-290 بسيارتك الليلة . وقد ترغب أن تأخذ معك
أيضاً جهاز راديو مزود بأربع موجات قصيرة وعادية ومميز
بهوائي مفرط الطول . الموديل WH-1060 ذو هوائي تلسكوبي
في طول تقريبا ١٥١ سم . أو قد ترغب في جهاز يجمع
راديو من ثلاث موجات ومسجل كاسيت معاً .
الموديل SCT-1150 فسيكون لك
عالم موسيقى نقال خاص بك .
TRQ-290
SCT-1150
WH-1060
هيتاشي
HITACHI

أحبُّ الرَّجُل الذي
يَعتني بمظهره

وَهو يستعمِل دهان
الشعر ڤازلين .





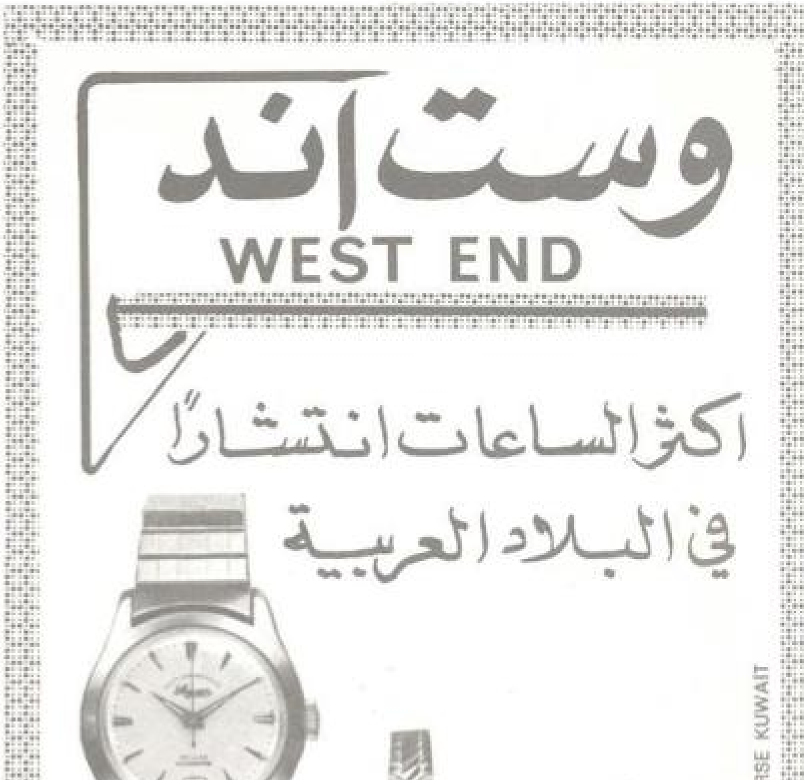
أصبح بامكانكم الآن
حيازة مسجل ستريوفوني كامل في بيوتكم

الآن وقد نزل المسجل
الستريوفوني ٧٠٠٠ SD الى الاسواق
اصبح بامكانكم الاستمتاع
بجهاز ستريوفوني كامل في بيوتكم
من انتاج "سانسوي".
ثلاثة محركات، اربع رؤوس،
شريط ذو اربع قنوات مع
انطلاق مزدوج، لا مثيل له في
الاسواق نسبة الى قوته وسعره،
وسهولة استعماله، وهو مجهز
بطريقة لم تظهر في غيره من
الاجهزة حتى الآن. ينفرد
بحمايته ومحافظته على الاشرطة
المسجلة، وكغيره من منتجات
"سانسوي" الشهيرة فانه يتمتع
بالجودة والدقة التي
اشتهرت بها مصانع "سانسوي".
شكل انيق وتجهيز دقيق،
مكبرات للصوت صافية تشنف
الآذان.

اذا كنت ترغب شراء جهاز
ستريوفوني كامل يحوز على رضاك
فما عليك الا ان تتوجه فورًا
الى اقرب موزع لـ "سانسوي"
وتطلب اليه ان يريك ما لديه من
منتجات سانسوي الستريوفونية.

Sansui

Kuwait: **MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O. Box 146, Kuwait / Jordan: **JORDAN AUTO PARTS** P.O. Box 281, Amman / Iran: **TEHERAN ELECTRIC CO., LTD.** Aluminium Bldg. Shah Av., Teheran / Southern Yemen: **BHICAJEE COWASJEE LTD.** Steamer Point, Aden / Bahrain: **AMBASSADOR STORES** P.O. Box 237, Bahrain Is. / Qatar: **AHMAD ALUTHMAN & BROS.** P.O. Box 218, Doha / Trucial States: **VITHALDAS V. & SONS** P.O. Box 105, Dubai, P.O. Box 784 Abu Dhabi / Morocco: **ETS. GEORGES BAYLE** 61, Bd. Lalla Yacout, Casablanca / Lebanon: **KAMERA PHOTOCINE** P.O. Box 2248, Beirut / Saudi Arabia: **AHMED ALI BADOGHAISH** P.O. Box No. 65, Alkhobar, P.O. Box 815 JEDDAH, P.O. Box 238 RIYADH / Libya: **BROTHERS TRADING CO.** P.O. Box 733, Tripoli / Muscat-Oman: **YAHYA MOHAMMAD NASIB & BROS.** P.O. Box 22 / **SANSUI ELECTRIC CO., LTD.** 14-1, 2-chome, Izumi, Suginami-ku, Tokyo, Japan


وست اند
WEST END
اكثر الساعات انتشاراً
في البلاد العربية
UNIVERSE KUWAIT
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
الوكيل العام بالشرق الاوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
الكويت • ساحة الصفاة ت ٣٣٥٨٥





جربوا بسياراتكم حول العالم واذهبوا حيثما شئتم مع راديو السيارات المتقن هندسياً في ٨ موجات! إنه "كلاريون" المصنوع بإشراف الخبراء في راديوات السيارات، بطرازه RE-707 A، الجديد كلياً، يوفر لكم ٧ اختيارات مثيرة من الموجات القصيرة SW، بالإضافة الى الموجة المتوسطة الاعتيادية MW، وهذا كله مجرد بداية مؤثرة فقط!

لقد صمم قوياً ليحقق قمة في الأداء وطواعية لحياة أطول، حتى، كانت قيادتكم للسيارات فوق أكثر الطرق وعورة. ان طراز RE-707 A موثوق بصورة استثنائية، وتوفر دوائره الحديثة والصلبة الالتقاط الواضح القوي من اي مكان على الاطلاق. كما أن الدرجة العالية من الانتقاء والحساسية المتناهية تؤمن الرضى التام أثناء الاستماع حتى أن أحدث أجهزة (الدوائر المتكاملة) "IC" قد تم ادخالها على تكوينه النهائية مؤثرة معاً ولتسارعوا الى مشاهدة فوراً والاستماع الى هذا الطراز المذهل RE-707 A الجديد كلياً.

CLARION

CLARION SHOJI CO., LTD.

3-5 Chome, Kojimachi, Chiyoda-ku, Tokyo Tel: (265) 2931

دع نقودك تربح فائدة مأمونة

٧٪

في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان توزع مبالغ اضافية في الحساب في اي وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

والربح ٧٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٣،٨٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب حساب رقم AO.182

لم تعد في حاجة إلى شريط ميكروفون للتسجيل



23HA-909

إن جهاز الراديو والتسجيل كاسيت الفخم صنع سانيو موديل **23HA-909** مزود بميكروفون مثبت به يعمل بدون شريط ومجهز في داخله ببطاريات كادنيكا **CADNICA** القابلة لاعادة الشحن. تمكنك من اذاعة الأصوات الملتقطة عبر مكبرات الصوت الخاصة بالجهاز أو تسجيلها على أحد الأشرطة، وهو مزود أيضاً بميكروفون آخر ذي شريط للاستعمال اذا دعت الحاجة.

• ٤ موجات (AM/SW1/SW2/FM) • مجموعة مفاتيح معدة لاستقبال ٣ محطات FM • يعمل على الطاقة الكهربائية أو البطاريات • مجموعة تجهيزات متكاملة.

SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك كومباني ليمتد - اليابان

العربي

فهرس سنة ١٩٧٠

من العدد ١٣٤
إلى العدد ١٤٥

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
١١ عاما من حياة العربي : بداناه ٠٠٠ر٤٠ نسخة وهذا العدد ٠٠٠ر٢٥٥ نسخة ، ومجموع ما بيع حتى الآن ١٢ مليون نسخة / بين العربي وكتابه / بين العربي ورقبائه / خطورة الرأى الحر في ازمة العروبة	١ /٧٠	١٣٤	٦
الولاء : ولاء الانسان لنفسه / الانانية وولاء الانسان لنفسه / ولاء الانسان لاهله / ولاء يجتاز الحياة الى ما بعد الوفاة / الولاء للوطن / الولاء في الاسلام / الولاء في الدولة الحديثة	٢ /٧٠	١٣٥	٨
فقر وغنى : ما الفقر / حظوظ الامم من فقر وغنى / لا دفع للفقر الا بزيادة الانتاج فوق الزيادة في السكان / موارد البلاد الطبيعية تدفع الفقر ، وكذلك طرق المواصلات والرساميل	٣ /٧٠	١٣٦	٨
القومية والدين : رباطان لا ينحلان ابدا / مشكلة القومية والدين تمتزج بمشاكل الارض كلها / القومية في اليهودية / القومية والمسيحية / تفكك الكنيسة وقيام القوميات / الاسلام بين الدين والقومية / الخشية من الاديان ظهرت في دساتير الامم / الوحدة العربية والجامعة الاسلامية / جامعة سياسية للدفاع عن العقيدة	٤ /٧٠	١٣٧	٨
الجامعات بين قديمها والحديث : الجامعات في الهند / وفي الفلبين / الجامعات في امم متخلفة / الجامعات في الامم المتقدمة / جامعات انجلترا / جامعة لندن / جامعات الطوب الاحمر / الجامعات الجديدة / لجنة روبنس للتعليم العالى / عصر تغيير وتبديل	٥ /٧٠	١٣٨	٨
هذا شهر حزيران / في ذمة التاريخ / نحن اليوم خير" حالا" مما كنا بالامس/ الاعلام العربي / حرب متطاولة تاذن باصلاح عربي كثير / الحرب المتطاولة قد تصير حربا فتنامية ثانية	٦ /٧٠	١٣٩	٨
الطعام والجنس : اصلان من اصول الحياة لا يعبث بهما عابث / لكل ذكر ولكل انثى في قدسية الخلق نصيب / لاداعي للزواج ان ينتظر تاهل الزوج لكسب	٧ /٧٠	١٤٠	٨
الصفقات السياسية : مناط النظم جميعا هو نظام الحكم القائم / كم تعلم الشعوب مما يجرى فيها / وكم تعلم الصحافة / الرجل السياسي ابكم اصم؟ / صراحة ام لا صراحة عند مخاطبة الجماهير / النجاح اولا ثم الاصلاح/ التعمية في القول / الديمقراطية تحتاج الى شعب مثالي / الوعي السياسي شيء عظيم / مراكز القوة في الدولة / صناعة الحروب	٨ /٧٠	١٤١	٨
حيثما نظرت ففي الكون غموض وابهام / ابهام سببه العقل العاجز / النفس المطمئنة والنفس القلقة / لا بد للحياة من اكتمال	٩ /٧٠	١٤٢	٨

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
تقطبت الارض فدارت على قطبين شمالي وجنوبي ، وتقطب اهل الارض فداروا على قطبين امريكي وروسي / في اوائل هذا القرن / الحرب العالمية الاولى / موقف امريكا / وموقف روسيا / احداث اليوم / عملاقان اثنان لا ثالث لهما / مراتب العملقة والقزامة / العمالقة اتخذوا من العلم والتكنية سلما / الحرب العالمية الثانية قلبت موازين الامم / العالم اليوم في تطور	٧٠/١٠	١٤٣	٨
من وحي رحلة في المغرب العربي في صيف عام ١٩٧٠ / اللغة العربية انشقت الوطن العربي شقين ، شق ينطق بالضاد وشق ينطق بغير الضاد .. فذلك قضاء الله لا دافع له	٧٠/١١	١٤٤	٨
ديمقراطية مريضة : حرية قد تصبح فوضى / وازرة هى اليوم تحت التراب / تمييز الفقر تخذيل للفقير عن ان يصبح ذا غنى / حماية العامل عند الاساءة / ومعنى خاطىء : ان الحياة على الديمقراطية ايسر / لا عمل الا بعد ثقافة وتدريب / الحياة لا تجنى ثمارها خطفا / الديمقراطية نظام لا فوضى / الحياة قيود واغلال / الشبهات خفاف وجسام والعاملون مراتب / الرأى الحر / الديمقراطية جميلة .	٧٠/١٢	١٤٥	٨

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الجاحظ نصير المرأة	ظافر القاسمى	٢ /٧٠	١٣٥	٦٦
اللغة : منها تبدأ ثورة التجديد	زكى نجيب محمود	٣ /٧٠	١٣٦	٩٧
تولستوى ــ زيارة الى بيتـه	نجدة فتحى صفوة	٣ /٧٠	١٣٦	١٠٤
الشيخ رضي الدين الحسن الصغاني	د. محمد اسماعيل الندوى	٣ /٧٠	١٣٦	١١٢
الوضوح والغموض فيما يكتب الكتاب والشعراء والفلاسـفة	على ادهم	٤ /٧٠	١٣٧	٨٨
جمال الديـن الصرصرى	خليل الهنداوى	٤ /٧٠	١٣٧	٧٥
التجديد في الشعر ، ظاهرة في الادب العربي قديمة	د. محمد محمود الدش	٤ /٧٠	١٣٧	٩٦
اللغة العربية بين عاميتها والفصحى	باعزيز بن عمر	٤ /٧٠	١٣٧	١٢٥
مصطـفى الشهـابي	على حيدر التجارى	٥ /٧٠	١٣٨	٨٢
الالتزام في الشعر العربي المعاصـر	محمد احمد العزب	٥ /٧٠	١٣٨	٨٧
باريس تستيقظ في خاطرى ذكريات عطرة	د. حلمى اللحام	٥ /٧٠	١٣٨	٩٥
مالك بن الريب	د. حسين عطوان	٦ /٧٠	١٣٩	٩٣
نـدوات لها تاريـخ	انور الجندى	٦ /٧٠	١٣٩	١١٠
المشيب في الشعر العربي	على القاسمى	٦ /٧٠	١٣٩	١٤٠

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
ابو بكر بن عمار	محمد عبد الله عنان	٧/٧٠	١٤٠	٧٦
شارلز ديكنز	محمد طنطاوي	٧/٧٠	١٤٠	٨٥
الاغاني ، لابي الفرج الاصفهاني	عبد الستار فراج	٧/٧٠	١٤٠	١٢٠
تعريب العلم في البلاد العربية	د. عبد الحليم منتصر	٨/٧٠	١٤١	٣٤
البحتري	د. حسين عطوان	٨/٧٠	١٤١	١٠٤
القصة ودورها في المجتمع	محمد طنطاوي	٨/٧٠	١٤١	١٥٦
العنصر الوجداني في شعر الحروب قبل الاسلام	د. فخر الدين قباوة	٩/٧٠	١٤٢	٨٨
العقد الفريد لابن عبد ربه	عبد الستار فراج	٩/٧٠	١٤٢	٩٧
الوزير المهلبي	حسن الأمين	٩/٧٠	١٤٢	١٤٢
نبتة الصبار .. وزهرة البنسيه	سنية قراعة	١٠/٧٠	١٤٣	٢٣
سلفاتوري او النفس الطيبة	علي ادهم	١٠/٧٠	١٤٣	٧٢
الفكاهة في الشعر العربي	طاهر ابو فاشا	١٠/٧٠	١٤٣	٧٦
الامالي لابي علي القالي	عبد الستار فراج	١١/٧٠	١٤٤	١١٩
اللغة العربية اطول لغات الارض عمرا	د. محمد محمود الدش	١٢/٧٠	١٤٥	٦٧
عيون الاخبار لابن قتيبة	عبد الستار فراج	١٢/٧٠	١٤٥	١١٨

شعر وشعراء

الموضوع	الشاعر	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
فديتك هل نسيت القدس .. !	احمد غازي التمري	١/٧٠	١٣٤	٧١
مروءة العرب	لابي فراس الحمداني	١/٧٠	١٣٤	١٣٣
الاخطل الصغير في احياء ذكراه	احمد السقاف	٢/٧٠	١٣٥	٥١
كان	مصطفى عبد الرحمن	٢/٧٠	١٣٥	١١٢
ملك	د. عاتكة الخزرجي	٣/٧٠	١٣٦	٨٣
النازح	انور العطار	٣/٧٠	١٣٦	١١٠
الى روح أمي	سليمان العيسى	٤/٧٠	١٣٧	٨٥
دعاء الحب	احمد غازي التمري	٤/٧٠	١٣٧	١٠٧
« الانتقام ، لا »	عبد المنعم عواد يوسف	٥/٧٠	١٣٨	٢٧
لقد ازفت يابني الاكرمين	احمد السقاف	٦/٧٠	١٣٩	٣٨
لاتلوميني	عبدالمنعم عواد يوسف	٦/٧٠	١٣٩	٧٥
خاطرة فدائي	سعيد محمد العبد	٧/٧٠	١٤٠	١٣٩
الى طولكرم	راضي صدوق	٨/٧٠	١٤١	٢١
الضريرة	انطون عيد	٨/٧٠	١٤١	٨٣

صفحة فى اللغة

تاريخ

تاريخ أشخاص عرب

تاريخ أشخاص غير عرب

دين ورجال دين

تربية وعلم نفس

مجتمع واجتماع

فلسفة

سياسة واقتصاد

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
بيوت الله في الكويت	بقلم : محمد طنطاوى تصوير : عبدالناصر شقرة	٧٠/١١	١٤٤	٥٢
خفر السواحل عمره ثلاثون عاما	بقلم : محمد طنطاوى تصوير : عبد الناصر شقرة	٧٠/١٢	١٤٥	٥٢

الاستطلاعات العربية المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
جربه ـ الجزيرة التونسية	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ١	١٣٤	١٠٠
دمنهور	المستطلع : منير نصيف المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٢	١٣٥	٧٦
مصايف سورية	المستطلع : منير نصيف المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٣	١٣٦	٦٠
تافراوت : سجن النساء الكبير	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٤	١٣٧	١٠٨
مطماطة : مدينة تحت الارض	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٥	١٣٨	١٠٨
اغادير :	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٦	١٣٩	٥٢
البصرة :	المستطلع : منير نصيف المصور : عبدالناصر شقره	٧٠/ ٧	١٤٠	٥٢
البحرين :	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٨	١٤١	٥٢
صنعاء :	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/ ٩	١٤٢	١٠٨
المنصوره :	المستطلع : منير نصيف المصور : اوسكار مترى	٧٠/١٠	١٤٣	٩٢
قطر :	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/١١	١٤٤	٩٢
تعز :	المستطلع : سليم زبال المصور : اوسكار مترى	٧٠/١٢	١٤٥	٩٢

أنباء الطب والعلم والاختراع

بقلم الدكتور أحمد زكي

امراض شائعة

طبيب الأسرة

بقلم نخبة من الأطباء

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه

بقلم الدكتور أحمد زكي

فى سبيل موسوعة علمية

بقلم الدكتور أحمد زكى

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
مجرتنا (درب اللبانة) / النجوم الثنائية / المجموعات النجمية / المجرات اكبر تلك المجموعات مجرتنا/ مجرات السماء الف مليون مجرة/اشكال المجرات	٨ /٧٠	١٤١	٣٨
الجواهر الثمينة: الجواهر طبيعية او مخلقة او اصطناعية/تركيبها الكيماوى/ الجواهر الطبيعية عضوية وغير عضوية / الوان الجواهر من اسباب جمالها / التماع الجوهر ...	٩ /٧٠	١٤٢	٤٨
طعام الانسان : يختزنه له النبات اختزانا / اصول الطعام ثلاثة / الحبوب تحتل المرتبة الاولى / البقول: البسلة / الفول / العدس / النقل : البندق واللوز الخ / الفجل واللفت والجزر / البطاطس / الخس والكرنب / والسبانخ ...	١٠/٧٠	١٤٣	٤٢
البن .. والقهوة شرابه : استزراع البن، اين بدا والى اين وصل / القهوة وكيف انتشر شربها / زراعة البن / البن، ورقته وزهرته وثمرته / حصاد البن / انواع البن / معالجة ثمرة البن لاخراج الحب / تحميص البن / الكافئين في شتى الاشربة / مركبات يتالف منها البن / البن الذائب في الماء / البن الخالى من الكافئين / البن : انتاج العالم منه ...	١١/٧٠	١٤٤	٤٤
الكيماويات البترولية : زيت وزيت / اصول البترول العتيقة / البترول الخام بمظهره العام / تركيب البترول / المتوالية البرافينية / كيف انفتح باب البترول للكيماويات البترولية / تحطيم البترول او فرقعته / كيمياء الفحم الحجرى وكيمياء البترول / الكيماويات البترولية ما هى / النشادر / اليوريه / المطاط الصناعى / النيلون / صناعات اخرى كثيرة / الكيماويات البترولية والدول العربية ...	١٢/٧٠	١٤٥	٣٢

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
واق الواق / تحويل التاريخ الهجرى الى ميلادى / جيوش امريكا وقواعدها فى مشارق الارض ومغاربها / الراديكالى ومبدا التغيير / للسن احكام / الارض وكرويتها ...	١ /٧٠	١٣٤	١٨٢
الاستعمار البرتغالي في افريقيا / الاتفاق التجارى بين روسيا وايطاليا / اوناسيس الثرى اليوناني الكبير / شهادة ال . G.C ...	٢ /٧٠	١٣٥	١٥٤
حركة التعاونيات فى بريطانيا / السادية / كلمات لبركليس / الامتحانات فى الصين / عرف العرب صناعة الورق واقاموا لها المصانع / سباق الماراثون ...	٣ /٧٠	١٣٦	١٥٦
تقلقل امريكا الاقتصادى في العالم / ويلي براندت وسياسة المانيا الجديدة / كيف تستطيع اكمال تحصيل تعليمك الجامعي في الخارج دون ان ترهق ميزانيتك/هكذا خربت الجرذان سد مارب / منارات جديدة تعمل بلا عمال ...	٤ /٧٠	١٣٧	١٥٦

عروبة

قصص وجرائم

قام باعداد رسومها احمد الوردجي

كتاب الشهر

بقلم الدكتور محمود السمرة
إلا ما ذكر خلاف ذلك

ركن الأسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
لماذا لا يتزوج الرجل	٧٠/١٠	١٤٣	١٣٦
صيحة تطلقها شاعرة الى بنات جنسها	٧٠/١١	١٤٤	٧٨
بيتهوفن : عبقرى تزوج فنه	٧٠/١٢	١٤٥	٨٠

حضارات سادت .. ثم بادت

بقلم يوسف زعبلاوى

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
طلائع الزراعة فيما بين النهرين	٧٠/ ١	١٣٤	١٨-٤٢
هيرودوتس : ابو التاريخ	٧٠/ ٢	١٣٥	١٤٨-٢
نزهة في أحراش البردى	٧٠/ ٣	١٣٦	١٥٤-٢
ملحمـة جلجاميش	٧٠/ ٤	١٣٧	١٥٤-٢
هوراس .. شاعر روما الكبير وصديق فرجيل	٧٠/ ٥	١٣٨	١٥٤-٢
علم الغيب عند اليونان	٧٠/ ٦	١٣٩	١٣٨-٢
من امجاد الملك رمسيس الثانى	٧٠/ ٧	١٤٠	١٢٧-٢
حمورابى ملك بابل ومشرعها العظيم	٧٠/ ٨	١٤١	١٥٣-٢
المسرح اليونانى القديـم	٧٠/ ٩	١٤٢	١٤٧-٢
الطوب عند قدماء المصريين	٧٠/١٠	١٤٣	١٢٣-٢
الزراعة والمزارعون في حياة الرومان	٧٠/١١	١٤٤	١٥٣-٢
الصناعة في العصور الحجرية الحديثة	٧٠/١٢	١٤٥	١٢٣-٢

العربي

العدد ١٤٩
صفر ١٣٩١
ابريل
(نيسان) ١٩٧١



محصول الارض .. وابتسامة تبشر بمستقبل لجنوب السودان زاهر

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس ب	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٢٫٥ شلن	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن العالمي

● هذه لوحة ، بل جزء صغير من لوحة اخرى كبيرة لرسام النهضة الإيطالي الشهير ، رفائيل .
اما اللوحة الأم ، وهي لوحة جدارية من نوع الفرسكو Fresco ، فقد رسمها رفائيل على احد جدران الفاتيكان وسماها « مدرسة آثينا » ..

اما هذا الذي ترى فهو اقليدس كما تخيله رفائيل ، وقد بدا منهمكا في تدريس طلابه اصول الهندسة . كان ذلك في الاسكندرية (٣٠٠ ق م) . وقد اشتهر اقليدس بالكتاب الذي وضعه في اصول الهندسة وسماه The Elements وهو الكتاب الذي اعتمد عليه العالم بطليموس فيما بعد ، والذي كان في طليعة الكتب اليونانية التي ترجمت الى العربية حوالي القرن الثامن الميلادي .

عزيزي القارئ

الموقف العربي يتلخص هذه الساعة فيما يلي :

(أ) أعطت الجمهورية العربية المتحدة في سبيل السلام غاية ما يعطي المعطي ، دون ان يجعل من السلام استسلاما .

(ب) لم يعط العدو شيئا ، ولم يعد بشيء ، اعتمادا على ما عنده من سلاح تكدس ، وعلى ما وعده الأحباب اياه من زيادة منه ، ومن التعويض عن كل ما يخسر من طائرات يستخدمها في تخريبه بلاد العرب . غير المعونات الاقتصادية التي لا حد لها .

★★★

والذي نريد ان نلفت اليه النظر اليوم ان العدو يرفض قيام قوات من الدول الكبرى عند الحدود ، فيما بينه وبين العرب ، في حين ان الدنيا وجدت في هذا الضمان كل الضمان ، وانه يفي بالأمن الذي يطلبه العدو وهو قابع فيما اغتصب من بلاد .

والحقيقة في هذا الامر عند العدو ، هي غيرها عند سائر الناس .

عند سائر الناس ، ان الحماية مطلوبة لاسرائيل من العرب .

وعند اسرائيل ان هذه الحماية . حماية للعرب من غزو مقبل للبلاد العربية تعتزمه اسرائيل .

★★★

اسرائيل لا يمكن ان تحيا الا بأن تتوسع .

ولا توسع الا بغزو .

وحالة العرب اليوم . وغدا ، وبعد غد ، تغري كل غاز بغزو .

ان الحدود لا تحمي احدا ، ولكن يحمي الناس ما داخل الحدود .

٨ مارس ١٩٧١ — المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

ادب ولغة :

استطلاعات مصوره :

عروبة :

تربية وعلم نفس :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 149 April 1971 P. O. B 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● بعد الاستقلال ترك الاستعمار جنوب السودان في حالة اقتصادية واجتماعية اقل ما توصف به انها سيئة .. وتعاقبت حكومات ما بعد الاستقلال والجنوب على حاله بسبب المشاكل التي خلفها الاستعمار .. واخيرا بدات الحكومة الحالية في عمل مشروعات اقتصادية وزراعية واجتماعية للنهوض بالجنوب ، وتمثل صورة الغلاف واحدة من سكان مدينة « ملكال » اللواتي استفدن من مشروعات الزراعة الآلية الحديثة وهي وسط حقل من حقول الذرة الرفيعة « Millets » (انظر الاستطلاع ص ١٠٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

العربي في تشيكوسلوفاكيا

● تلقينا بكل سرور عددين من اعداد مجلة العربي القراء لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٧٠ ، وكانت هذه اعظم هدية تقدمونها الى ابنائكم الطلبة العرب الذين يتلقون علومهم في الخارج ، فما ان وصلت بين ايدينا حتى رحنا نتسابق على قراءتها ، وكل واحد منا يريد ان يلتهمها التهاما ..

وكم كان سرورنا اعظم عندما عرضنا مجلتنا « العربي » على اصدقائنا التشيك المستشرقين بجامعة براغ وجلسنا نستمع الى كلمات الاطراء والاعجاب بالمجلة وما حوته من موضوعات علمية وثقافية وادبية دسمة .

لم لا يفوتنا ان نوجه تحية خاصة لرئيس التحرير استاذنا الدكتور احمد زكي ، على مقاله القيم من وحي رحلته في المغرب العربي ، وماحواه هذا المقال من عرض وتحليل لوضع اللغة العربية في هذا الجزء من وطننا العربي ، وموقف هؤلاء المتفرنسين الذين يتهمون العربية ، زورا وبهتانا ، بالتقصير ، ويقولون انها لغة التخلف والمتخلفين ، ناسين او متناسين ، انهم بهذا التجنى ، انما يدافعون عن جهلهم بلغة اجدادنا ، وخوفهم من اى سياسة جادة في مجال التعريب .

لقد كان مقالكم موضوع مناقشة جادة ومثمرة مع فريق من الطلبة المغاربة الذين يتلقون علومهم معنا في جامعة براغ ، وقد ايد غالبيتهم كل كلمة جاءت في مقالكم القيم .

رابطة الطلبة اليمنيين
جامعة براغ ـ تشيكوسلوفاكيا

ابواب العربي في كتب

● لاحظت ان مجلتكم مقسمة الى ابواب عديدة طب وعلوم وادب ولغة وشعر وشعراء ، وركن الاسرة والمراة .. الخ .. فهل يمكن تجميع ما نشرته المجلة منذ صدورها تحت كل باب واعادة اصداره في صورة كتب وبالتالى يمكن لمن فاته اعداد كثيرة من مجلتكم فرصة اخرى لقراءة هذه الموضوعات . لان الكثيرين ، ونحن في عصر العلم والتخصصات ، يرغبون في نوع معين من ابواب المجلة وسوف يتيح لهم تنفيذ هذا الاقتراح شراء الكتاب الذى يحوى كل ما نشرته المجلة في اى باب من الابواب الثابتة .

نبيل حليب عوض الله

جائزة في الطريق

● انني من قراء مجلة العربي .. تلك المجلة التى يجد فيها القارىء كل ما يبحث عنه .. وقد فزت في احدى مسابقات العربي وهي المسابقة ١٤٣ لعدد اكتوبر ١٩٧٠ وقد نشرتم اسماء الفائزين في العدد رقم ١٤٥ ديسمبر ١٩٧٠ وكان من ضمن الاسماء المنشورة اسمى ، ولم يصلنى حتى الآن قيمة الجائزة فما راى سيادتكم في ذلك .

يوحنا شنوده غزاوى
الاسكندرية : ج.ع.م

العربي : قيمة جائزتك في الطريق .. ونشكركم على الكتابة الينا ، ونرجو من كل من لا تصله المكافاة ان ينبهنا الى ذلك بعد مرور فترة من الزمن معقولة .



يمتدح تغيير صورة الغلاف

● اختفت صورة المرأة من غلاف العربي ، فنحمد الله الذى هداكم الى ذلك . فلم تكن العربي تعتمد يوما على وضع صورة فتاة جميلة على واجهتها ، لكى تضمن الرواج والتوزيع .. فنحن نشترى العربي ، لانها المجلة الوحيدة التى تقدم لنا من الغذاء الفكرى ما لا نجده في اية مجلة اخرى . ثم لنا رجاء آخر ، حاربوا التدخين ، وامتنعوا عن نشر الاعلانات عن مختلف انواع التبغ ، فقد افزعنا ما قرأناه من تقارير العلماء عن اخطاره على المدخنين .

عبد الله محمد الطابي
الظهران ـ السعودية

.. وآخر يحتج !

● كيف تضعون صورة رجل مكان امرأة ـ كيف بربكم تنادون بتحرير المرأة مما هي عليه من (الظلم ـ الحجاب ـ دنيا الرجال) ثم تأتون بعكس ما تقولون ـ لم لاتفعلون بما تقولون ـ انني اعتقد تمام الاعتقاد بان مجلتكم هي حقيقة نصيرة للمرأة العربية في كل مكان ، وهي تدخل كل بيت ، لان كل ما فيها نابع من القلب والبيئة العربية ـ ولذلك يوافق كل رجل عربي على ادخال هذه المجلة بيته فتطل منها الفتاة والفتى أيضا على دنيا قد لا يعرفان منها شيئا . اتركوا صورة المرأة مكانها على الغلاف .. ولا تنسوا أن الله جميل يحب الجمال .

محمد عبد المنعم ابراهيم
القاهرة

خريطة الوطن العربي اخطاء بها مزعومة

● لاحظت خطأ في خريطة الوطن العربي ، فقد فاتكم ذكر المنطقة المحايدة الواقعة بين دولة الكويت والمملكة العربية السعودية .. لهذا ارجو تصحيح هذا الخطأ . محمد سليمان ـ قطر

علم سلطنة عمان

● في الهدية المرفقة بالعدد الاخير من مجلة العربي ـ عدد ١٤٦ ـ صور لاعلام الدول والامارات العربية مع معلومات عن عدد سكانها ، غير انني لاحظت ان صورة علم سلطنة عمان لم يدخل عليها التعديلات التى طرأت ، فقد صدر مرسوم منذ مدة حول شكل العلم الجديد للسلطنة ولكن اغلب الظن ان العربي لم تكلف نفسها عناء البحث عن ذاك التعديل فنشرت صورة العلم كما كان في السابق .

محمد نور الصالح / دبي

العربي : فيما يختص بالسؤال الاول نقول انه في ٢١ يناير ١٩٧٠ وقعت اتفاقية تقسيم المنطقة المحايدة بين البلدين الشقيقين الكويت ، والمملكة العربية السعودية واصبح الخط المار في منتصف المنطقة المحايدة هو الحدود الجديدة . وعند خط التقسيم الجديد اقيمت مراكز جمركية تابعة للدولتين .

اما عن السؤال الثاني فنحن نعلم أن علم سلطنة عمان استبدل من قطعة حمراء كاملة الى علم يحمل رسما للخنجر العربي ومستطيلين واحد ابيض والآخر اخضر . حدث هذا يوم ٢٠/١٢/٧٠ وكذلك اصبحت العملة المتداولة هناك هي الريال السعيدى ، وقيمته تعادل الجنيه الاسترليني .. وذكرنا كذلك اسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وقد تغير الى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . ولكن هذه التغييرات حدثت كلها بعد الانتهاء من طبع الخريطة . واننا اذ نرحب بكل ملاحظة على الخريطة ، نرغب في ان نوضح للقراء ان خريطة الوطن العربي التى قدمناها هدية مجانية مع عدد يناير ١٩٧١ احتوت على عشرات التعديلات ، ادخلناها على الخريطة السابقة التى قدمناها مع عدد يناير ١٩٦٩ .

حديث الشهر

يَطلبُونَ الحُرِيَّةَ والأصْلُ فى الحَيَاةِ القيُودُ

بقلم رئيس التحرير

رايت ابنا يختصم مع ابيه .
ورايت اخا يختصم مع اخيه .
وصديقا مع صديق .

وتحتد الخصومة بينهما على امر ، لا يزيدهما النقاش فيه الا بعدا ، وينتهى الامر بافتراق او ما يشبه افتراق ، فاذا احدهما ، ويغلب ان يكون الاصغر سنا ، يحسم النزاع فيصرخ قائلا : **انا حر افعل ما اشاء ..**

والحق ان الالتجاء الى الحرية فى آخر اى نزاع يعطى صاحب الخصومة مظهرا من مظاهر النصر يسمعها السامع فيميل بطبعه الى مناصرة من يصرخ بها ، لا سيما اذا هو لم يكن قد تابع مجرى النقاش من اوله الى آخره . الهاتف باسم الحرية دائما تسمعه وتتبعه الآذان .

واقصد بالاذان آذان الناس لا آذان البقر .

ان الابقار لا تفهم معنى الحرية ولا اضدادها من المعانى . وهى لو فهمت ، لعرفت ان الحياة ربطتها بألف قيد وقيد ، منعت عنها الحرية . وان هذه القيود مع هذا اعطتها الحياة . ان حياتها على الوحشية كانت حرة الى حد بعيد . واما وقد استؤنست ، فقد دخلت الطاعة بحيث لا يكون لها عند العصيان ، عصيان صاحبها ، مطعمها

- الإنسانُ مُقيَّدٌ قبلَ أن يُولَد، وبعدَ أن يُولد، وإلى أن يموت. ويَضيقُ بالقيدِ، فيطلبُ الحريّةَ، معَ القيدِ.
- التّقاليدُ قيودٌ تُعينُ النّاسَ على حملِ أثقالِ الحياةِ.
- الانسانُ مجبورٌ مختارٌ. كالسّجينِ، في رجليهِ القيدُ، وفي رجليهِ، معَ القيدِ، الحركةُ المحدودةُ.
- الحريّاتُ مَطبوعةٌ، ومَصنوعةٌ. وفي الحضارةِ حُريّاتٌ مَصنوعةٌ حشوُها القيد.

وآويها ، اذا هو امتنع عن ايوائها واطعامها ، الا الهلاك .

والانسان صاحب فهم ، وصاحب نباهة وفطنة ، ومع هذا فما اكثر ما تستبد به معاني الحرية ، فتجعله يغفل عن قيود كثيرة ، قيدته بها الحياة ، تكاد تكون في كثرة ما تقيدت به الأبقار .

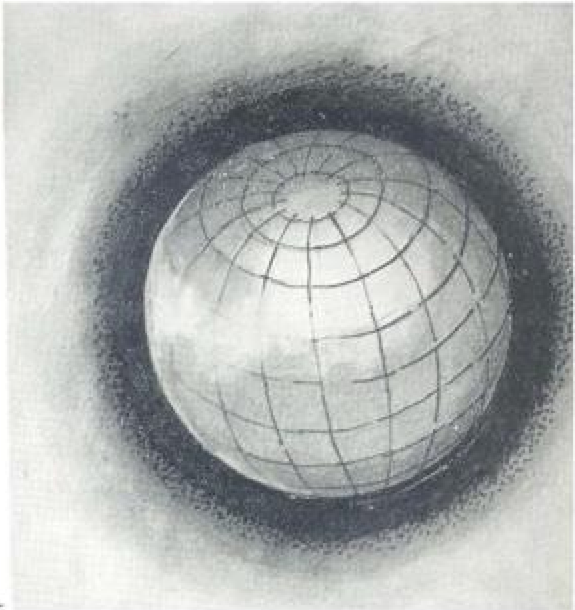
الجاذبية
اول القيود التي تمنع الحرية

واول هذه القيود قيد قيدته به حياته على هذه الارض . **انها الجاذبية الارضية** ، اول القيود التى تمنع من الحرية .

ان الجاذبية شيء فرض عليه فوق مشيئته . وهي ضرورة كان لا بد منها للحياة اصلا وفرعا . كان لا بد ان يرتبط الانسان بتربة هذه الارض لأن منها غذاءه . وكان لا بد له من ان يحيا في هذا النطاق الضيق من الهواء الذى تمنطقت به الارض لأن منه انفاسه . وعلى هذا النطاق من الهواء ، فرضت ايضا الجاذبية لانه لو طار هذا النطاق الهوائي عن الارض كما طار عن القمر لما تمهدت الحياة على هذه الارض لانسان او حيوان ، او حتى لنبات . فالنبات يتنفس . وفضلا عن ذلك ، فالنبات من هذا الهواء يصنع جسمه ويبني كيانه ، غذاءً للحيوان والانسان معا .

قيد الجاذبية فرض على الانسان ، وكان لا بد ان يفرض ليكون الانسان في مأمن من هلاك .

ومع هذا ضاق به الانسان . ضاق بالضرورة الاولى التي لولاها ما كانت له كينونة . وراح يطلب الحرية . يقلد



اول قيد للانسان : جاذبية الارض . انها تجذبه ليبقى يتنفس من هوائها ، وليشرب من مائها . وهو لو انطلق بعيدا فى الفضاء لهلك .

الطير فى طيرانه فى الهواء . ويطمع فى المزيد من الحرية فيغزو الفضاء حيث لا ماء ولا هواء ، ولكنه يحمل معه الماء ، ويحمل الهواء . ويفرغان فتقضي عليه الضرورة بالعودة الى الكوكب الام ، الى الارض . ويعود راضيا ، لانه يحس بانه نال شيئا من الحرية ولو بضع ساعات ، ولو اياما .

انه ضيقٌ يضيق به الانسان .

وهو ضيق اودعه فى جبلته الرحمن .

وهو باذن الله يطير . وهو باذن الله يغزو الفضاء . وهو باذن الله يكسر ما قيده الله به من قيد .

والناس تخرج من ارحام امهاتهم وفقا لمخططات مرسومة هي قيود محتومة

والمراة تحمل ولدها ، من نطفة منها ، ومن نطفة من ابيه . ويدعو الوالدان ان يكون ولدهما ذكرا ، او يدعوان ان يكون انثي ، وهو دعاء بعد الاوان ، وقد التقتْ النطفتان . ولقد علم القدَرُ أيكون المولود ذكرا او تكون انثي حتى قبل ان تلتقى النطفتان . انه قراهما ، وقرا المخطط الذى حمله كل منهما ، وعلم ما يكون فى الغد ، ان هما التقيا .

وياخذ الجنين يتالف ، وياخذ ينشأ ، فى بطن امه نحوا من مائتين وسبعين يوما ، اى نحوا من ٦٥٠٠ ساعة او ٣٩٠ر٠٠٠ دقيقة ، وفى كل دقيقة من هذه هو يزيد ، كما يزيد بناء البيت طوبة او طوبتين فى كل دقيقة ، ويجرى بناء الجنين ، لا اعتباطا كما يظن الناس ، ولكنه يجرى ، كالبيت الذى يبنيه البانى ، وفقا لرسم هو حامله ، وهو دائما متابعه ، لا يخرج عنه قدَرَ أنملة ، يسارا ، ولا قدر انملة يمينا .

والقدَر ، الذى يقرا مخططات البناء ، هذا الذى يجرى فى الارحام ، يستطيع قبل ان يتم البناء ان يصف لك الطفل كم طوله ، وكم عرضه ، وكم لحمه وكم عظمه ، وما وجهه وما صفته ، من قمة راسه الى اخمص قدمه . وهو يصف لك الطفل قبل ان يولد ، يصفه من المخطط ولا شيء غير المخطط ، كما تعطي رسم البيت الذى تنوى بناءه الى

المهندس فيستطيع ان يصف لك البيت ما يكون ، وكيف يكون . وانت تبنيه بعد ذلك فيكون كما وصفه الواصف العارف .

فانت خرجت من رحم امك لا كما تريد .. وانا ما خرجت كما اريد لك . انها القيود تتابعنا من يوم نولد الى يوم نموت .

وهي قيود انفس كما هي قيود اجسام

وباني الأجنة في ظلام ارحامها لم يبن جسما فحسب ، فهو بنى نفسا وجسما معا . ان رسومها هي ايضا في هذه المخططات ،من كروموسومات وجينات. ان الولد يأخذ من امه وابيه جسدا ، وهو يأخذ من امه وابيه خلجات النفس جميعا . وان هو اخذ من سابق اجداد، فعن طريق أبويه هؤلاء . كل شيء في سجلهما هما مرقوم .

الحياة جبر والحياة اختيار

وقالوا ان الحياة جبر ، يسير فيها السارى سير من يؤمر فيطيع . انه في الحياة مقيد ، انه مجبور على سلوك هذا الطريق او ذاك .

وان صح ما قال هؤلاء ، وطلبوا للجبر جابراً ، فهم واجدو بعضه في تلك المخططات التي تضمنتها تلك النطف التى سكنت ارحام الامهات .

وقال قوم بأن الحياة اختيار . ولكن لم يقل احد ان الحياة اختيار كلها .

ان الايمان بأنها اختيار هو الذى حفزَّ بني الناس على القيام لتكسير هذه القيود . وظني ان الذى صنع هذه القيود جعل منها ما يهون كسره ، حفزا على مداومة التكسير والتحطيم . ويكون هذا المخطط الجديد هو فوق المخططات جميعا ، مخططا يشمل الاحياء جملة ، والانسان خاصة ، يرسم له طريقا في السير هو مسيرة فوق المسيرات جميعا، يتحسسها من الناس القلة ، اولئك الذين خالوا انهم مسئوا بعض مشارف العرفان الخافية . وما أحسوا بالمس حتى انقطع المساس .

ومن بعد قيود الأرحام قيود الطفولة

ويخرج الطفل من بطن امه ، من الظلام الى النور ، ليمارس الحياة .

انه لا يعرف شيئا عن الحياة اصلا ، دع عنك ممارستها .

انه ما عرف الطعام ،وما عرف الكلام، وما عرف المشي .. المشى ؟ ! انه ما عرف حتى القعود والقيام . انه كتلة اقرب ما تكون الى قطعة من جماد .

وتقوم بتعليمه امه ، يعينها ما أودعه الله في الطفل من غرائز .

ان الام لا تعلم الطفل كيف يأخذ اللبن من ثديها . انها تمس فمه بحلمة ثديها فتقوم الغريزة على الفور تستجيب . ويأخذ الطفل يمص ويمص . من علمه المص ؟ لا احد . انه من الاشياء التى لا تعلم . وهو من الاشياء التى لا يتسع حتى الوقت لتعليمها . فوجب ان يولد الطفل وهو يعلمها . ولكن نعود نسأل : **ومن علمه ؟**

والذى علمه المص هو الذى علمه البلع ، وعلم معدته الهضم ، وعلم هذه المكنة الحية كيف تجرى الحياة في غفلة من الطفل ومعزلا عن وعيه .

ويشتد الطفل كل يوم وتزيده الام حركة ، وتزيده استقامة ، وتزيده ترويضا .

ويتعلم كيف يقعد ، ويتعلم كيف



يولد الطفل ، وتمس شفتاه حلمة الثدى ، فيمتصان اللبن ،
من علمه المص ؟
انها الغرائز وُلد بها لتحميه في غياب الفكر والوعي .

يقف ، ويتعلم آخر الامر كيف يمشي . تعلمه الام وتقوم الغرائز تؤازرها .

ويتعلم الطفل الكلام . انه ما عرف قط ما الكلام . ولكن الغريزة استعدت لتعينه فيما لا يعرف ، وتتفتح اذناه لكل صوت يسمع . ويتعلم الكلمات ، ثم الجمل ، وما اشقها على البالغ ، فكيف بالطفل . وفي نحو الثالثة او الرابعة يصبح يستطيع الكلام واضحا مفهوما .

ولكن اين القيود من كل هذه ؟

انها كلها قيود . التعليم : **افعل** هكذا . والتعليم : **لا تفعل** هكذا . والبهجة والسرور للأم عندما يصنع الطفل ما تريده ، والصياح والغضب عندما يفعل غير ما تريد . انها بكل ذلك، هي وابوه ، واخوته كلهم يشكلون للطفل عادة السلوك عنده . وهو بها يتقيد .

واللغة ، اللغة ! انها القيد كل القيد.

انها ليست بالالفاظ فحسب ، ولا هي بالمعاني فحسب . ولكن فيها التوجيه كل التوجيه ، وفيها التقويم للأشياء والاعمال ، فهذا قبيح ، وهذا حسن . وعادة الفكر تتكون من الكلام .

ان الاسرة بتعليمها اللغة للطفل انما تبدأ بتشكيل شخصيته . **والتشكيل قيد .**

حتى المشي ، تعلمه اياه الام
ان الطفل ، يصنع منه البيت ، والمدرسة ، والبيئة ، الانسان البالغ .
وليس له الخيار فيما هو صائر اليه رجلا



وهو اذ عرف لغته هذه انما انتمى . كان قبل اللغة انسانا مطلقا ، فصار انسانا خاصا . عربيا . او هنديا او روسيا او صينيا . صار صنفا من الناس . **والتصنيف قيد .**

ومن الطفولة الى الصبا

ويصبح الطفل صبيا فيزداد تشكيله.

ان الطفل ، وقد ولد صفحة بيضاء ، قد امتلأت صفحته ، وقد دخل دور الصبا ، بالكثير من معاني الاشياء ، الطيب منها وغير الطيب ، والجائز منها وغير الجائز ، في الافعال والاقوال ، وفي الحركات .

ولكن هذا لا يكفي .

هذا بعض ثقافة الاقوام .

وفي الصبا يزداد الطفل استيعابا لهذه الثقافة . ثقافة هذا المنزل بالذات، او ثقافة هذه المدينة . ثقافة البيئة حيثما كان .

وفي سنوات الصبا هذه ترى صحيفته ، التي كانت بيضاء في اول الطفولة ، تزداد امتلاء ، الكثير منها صوّر لازمة الاتباع لانماط العيش جميعا : اسلوب الطعام ،اسلوب القيام، اسلوب السلام ، اسلوب الرزق . ووجوه ما هو حق وما هو باطل ، فيما ارتاته هذه البيئة خاصة .

وصاحب الصحيفة يرضاها . انها التقاليد القائمة في البيئة . وهي تقاليد تتصل بعمل يد ، ومشية قدم ، وحركة قلب ، وعمل فكر . وهي لحماية الفرد في الحياة كما ارتأتها خبرة القوم ، ممن سبقوا ، والاشياخ ممن بقوا . تماما كما كانت الغرائز حماية للطفل من عجز يواجهه ، وقد خرج لاول مرة من بطن امه الى الدنيا .

والتقاليد قيود

وتقول التقاليد تختلف من بيئة لبيئة ، ومن امة لامة ، ومعنى هذا انها تختلف القيود .



والطفل ، لا يعرف العد والحساب ، فتنقل الام الى راسه علم العد والحساب . وراسه يقبل كل شيء يودع فيه .

ومن القيود راحة

ومن القيود راحة .

يدخل عليك الزائر فتقوم له ،وتبسط له يدك ويبسط ، وتقول اهلا ومرحبا . وتقول : تفضل ، فيجلس . وتدعو له بفنجان قهوة وانتما تتحدثان .

سلوك مرسوم . شاع حتى كاد ان يكون واحدا عند كل امة ، مع اختلاف . تعلمه الناس فرفع عنهم المشقة التي كانوا لا بد هم ملاقوتها في ابتداع الطريقة التي يلقون بها الزائرين كل مرة .

ويقيم قوم عرسا ، وتدعى انت اليه . وتدلك التقاليد ، وهي قيود ، كيف تفعل . وهو طريق واحد في السلوك

تسلكه ، قد تعاب اذا سلكت غيره .
وترحب بهذا القيد لانه رفع عنك عنتاً كثيرا .

من اجل هذا يقبل الناس الكثير من التقاليد ، من القيود ، فى أخطر مما ذكرنا من مرافق الحياة .

وهي قيود حقا لأنك لا تستطيع ان تخرج عليها .

لست حرا فى ان تسلك فيها اى مسلك تشاء .

هي راحة ، وهي قيد فى آن .

والتقاليد
قيود تعين الانسان على الحياة

نعم . هذا عندك ظاهرها . وهي هكذا فى اكثر ما هي قائمة فيه .

ودليل ذلك ان تتصور ، ان التقاليد والاعراف الغيت بين يوم وليلة ، وان تنظر بعد ذلك كيف كانت تسير الحياة عند ذلك ، فى بيت ، او شارع او سوق ، او ما تشاء فى حيث يجتمع الناس ، وفى اى شيء يتعامل الناس . انها اذن الفوضى .

التقاليد ، في عرس وفي مأتم ، وفي كل مواقف الحياة ، تسهل على الناس كيف يصنعون



والصبي قد ينشأ بعد ذلك
فنجد انه رهين الفقر
ونجد انه رهين الجهل

وهو ما اختار فقرا .

وهو ما اختار جهلا .

انه ولد على حصير فى بيت فقير ، وولد حرا لا عبدا .

او هو ولد فى الجهل ، والجهل اخ الفقر . فلا علم عند اب ولا علم عند ام . والبيئة بيئة آمية لم تعرف ما الكتابة والقراءة قط . وهي بيئة حرة تفعل بحياتها ما شاء لها الجهل ، وما شاء لها الفقر .

والفتى لم يكن اختار لنفسه هذه البيئة مولدا او سكنا . وهو لو اراد ان يلوم احدا على ما هو فيه لم يجد من يلوم .

والجهل قيد .

والفقر قيد .

والناس تحس الفقر قيدا ، ولكنها ابطأ فى ان تحس الجهل قيدا .

وفى المدارس
وفى المعاهد والجامعات
قيود وقيود

والدراسة تبدأ ، فتستغرق طول فترة الصبا ، وتمتد فتستغرق سنوات الطالب اذ هو غلام يافع ، واذ هو شاب بالغ . سنوات طويلة يقضيها فى دور التعليم . فيها يتعلم الكتابة والقراءة واللغة والحساب ، وطائفة شتى من فروع العرفان . مواد لها برامج لم تكن من صنع الطالب ، ولا من صنع ابيه او جده . وهو يبدأها مُسلما نفسه اليها ، والى مدرّسها . ويقوم المدرس فيشكلها ، ادبا وعلما ، على هواه . وهو مدرس يصنع من تلاميذه جميعا فى هذا التعليم بالجملة ، ما يصنع الحذّاء بجلده .

يصنع منه احذية شتى ، تختلف طولا وعرضا ، وتختلف ضيقا وسعة ، ولكنها مصنوعة كلها على طراز واحد .

ويخرج الصبي من الروضة ، الى الابتدائي ، الى الثانوى ، وهو يتشكل في ادواره هذه الثلاثة اشكالا عدة ، تتصل بعقل وعادة عقل ، وتتصل بفهم وعادة فهم ، وتتصل بخلق فهذا محمود وهذا مذموم ، وتتصل بفن ، فهذا جميل وهذا قبيح ، وتتصل بتقدير القيم للأشياء والاعمال ، فهذا حسن وهذا قبيح .

ويخرج الطالب من ثانويته بشخصية صنعها من داروا عليه من رجال التربية ، فكانت كالتمثال من الرخام ، نحتته ومثلته عشرات الأزاميل لعشرات من النحات ، فخرج جامدا جمود التماثيل ، من حيث انها مقيدة باشكال رؤوسها ، واطوال اعناقها ، وابعاد اضرافها .

ومن بعد الثانوية يقف الطالب عند باب الجامعة ، اى جامعة .

وهو عندئذ يقبل او لا يقبل .

فاذا قبل فقد يكون قبل في كلية لا يكون لنفسه بها موضوع دراسة . ويريد كلية الطب ، فاذا به يجد نفسه في كلية زراعة . ويريد ان يدرس الهندسة فاذا به في فصل من الطلاب يتعلم معهم اسباب التضخم المالي وكساد الاسواق .

وحتى بعد بلوغ هذا الطالب ما بلغ ، نجده لا يزال يخاصم الأخ ، ويخاصم الصديق ، ويختلف مع الناصح ، وحجته وفصل الخطاب عنده : **انا حرٌ افعل ما اريد ! ؟**

فعل الدهر به ما فعل ، ودار به الدهر ، على هوى الدهر ، ما دار ، ولا يزال يحسب انه حر يفعل ما يريد .

وهو حر يستطيع الحركة ، ولكن

المدارس تصنع من تلاميذها جميعا ، في هذا التعليم بالجملة ، ما يصنع الحذاء بجلود حذائه . انه طراز واحد .





طالب دخل كلية الهندسة ، وقد اراد ان يدخل كلية الآداب ، تراه وقد جلس الى الآلة يكتب شعرا .

بالقدر الذي يستطيعه المسجون في زنزانته . انه يتحرك فيها ولكن في حدود .

وظني انه ربما يستطاع على هذا النحو حل معضلة الجبر والاختيار ، تلك التي حار فيها الفلاسفة منذ عهد بعيد . انه الجبر يكون بالدخول غصبا في زنزانات الحياة . ولكن في الزنزانات حركة ، تجريها ارادة حرّة . فهذا ما نريده عندما نقول ان الحياة اختيار .

انهم الطلقاء الذين يتحركون في قيودهم .

وعندما يدق الطالب ابواب الرزق في الأسواق

ويتخرج الطالب من بعد فراغ من دراسة ، يطلب الرزق . يطلب الطعام والكساء ، والعمل . وما احدٌ في هذه الأيام بطاعمٍ او كاسٍ الا اذا عمل .

ان طالب العمل قد يجد العمل وقد لا يجد .

والذي يجد العمل يقبله مختارا او غير مختار .

وصاحب العمل يتخير ، وقل ان يتاح لطالب العمل اختيار .

والمجتمعات والحكومات والدول تزيد الناس قيودا

هذه القيود التي ذكرنا تلازم الناس حيثما يكونون ، في قرية او مدينة . وهي تلازمهم ايضا في العواصم . ولكن المجتمعات الانسانية ، حيثما كبرت ، احتاجت الى تنظيم .

الانسان في حياته مجبور مختار ، الدهر يحبسه في زنزاناته ، فهو فيها مُجبر محبوس ولكنه فيها حر يسير فيها ما يشاء .



والنظام لا يكون الا بقواعد ترسم وقوانين .

وكل **قاعدة قيد** ، وكل قانون .

والدولة الواحدة قسموها الى هيئات ثلاث ، هيئة للتنفيذ ، وتعرف باسم الحكومة ، وهيئة للتشريع وتتمثل فى البرلمانات ، وهيئة للقضاء وهى تقيم العدالة فى المحاكم .

وتنظر فيما تصنع الهيئة التشريعية طول العام ، فتجدها تشرّع ، ثم تشرع ، ثم تشرع ، اى تصدر القانون تلو القانون .

وكل قانون انما هو قيد مرسوم ، يتقيد به المواطنون .

قيود مطبوعة وقيود مصنوعة

والقيود التى سبق ان ذكرناها فى هذه الكلمة ، قيود يحملها الانسان معه ، عند ميلاده ودخوله هذه الدنيا . فهى مطبوعة ، وقيود اخرى ، كقيود القوانين الوضعية والشرائع ، فهي قيود مصنوعة .

والقيود المصنوعة يقع فيها الخطأ كما يقع الصواب . والقيود المطبوعة لا يمنع من مطبوعيتها ان يحاول الناس النظر فيها ، فالناس قد تقص شعورها ، والشعر شيء مطبوع .

وان تكن القيود طبعا ، فالتحرر من القيد كذلك طبع فى الانسان ، فهما طبعان يتزاحمان ، كما يتزاحم الحلم والغضب ، والحب والكره ، والشجاعة والجبن فى قلوب الناس .

ومن الناس من يطلب التحرر من الحكومات جميعا ، وتلك هي الفوضى ، ولها مذهب معروف ، ويعرف اصحابه بالفوضويين ، ولسنا منهم .

ومن الحريات ما يعرف بالحريات المدنية

ومن الناس من يطلب تحرير الكلمة المكتوبة ، فى كتاب او مجلة او صحيفة .

ومن الناس من يطلب تحرير الكلمة المسموعة فى خطبة او فى مسرح او فى اذاعة او تلفاز .

ومن الناس من يطلب أن يكون الناس احرارا فى غدوهم ورواحهم ، يذهبون الى حيث يشاءون ، ويعودون عندما يودون .

ومن الناس من يطلب ان يتحرر من استغلال صاحب مال او صاحب سلطان .

ومن الناس من يطلب ان يتحرر من خوف ، وان ينعم فى بيته ، وفى مغداه ورواحه ، بالأمن ، ومن الناس من يريد ان يتحرر من جوع ومن عرى .

ومن الناس من يريد ان يتحرر من بطالة ، ويطلب العمل فيجده .

كل هذه مطالب للحرية .

واسموها بالحريات المدنية ، لان امورها لا تتبين خطورتها للانسان ، الا فى المدينة ، وهي تزداد خطورة فى المدينة ذات الحضارة ، وفى الدولة ذات الادارة تلك التى ملكت من امور الناس ما تستطيع به ان توزع بينهم العدل اقساما ، أو توزع الظلم والجوْر .

وهي حريات يرى صغار الناشئين ان نوالها من أيسر الامور . وتسأل عنها الخبراء ، فيحدثونك عنها ، ويقولون لك انها ، **ما دامت حريات ، فهي لا بد ان تكون تحررا من قيود . وما دامت الحرية المطلقة لا تاتلف وهذه الحياة ، فهي اذن حريات حشوها القيود .**

وبهذا يصدق ما اخترناه عنوانا لهذه الكلمة : **ان الأصل فى هذه الحياة القيود ...**

ولعل لنا فى امر هذه الحريات ، الحريات المدنية ، وما بها من قيود ، عودة .

●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤٧

«الجيرالدا» اسم مئذنة أشبيلية

■ المعلومات التاريخية الجغرافية كانت طابع مسابقة العدد ١٤٧ من «العربي»، حيث بلغت الرسائل الواردة للمسابقة ما يقارب الثمانية آلاف رسالة، كانت معظم اجاباتها صحيحة، وهذا يدل على ان «العربي» نجحت في اداء جزء من رسالتها القومية، وهو تعريف الفرد العربي بأجزاء وطنه الكبير.

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، واسماء الفائزين بالمسابقة:

١ ـ دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية يطلق عليها: **الفيحاء**.

٢ ـ في بغداد انشا المستنصر بالله الخليفة العباسي، جامعة ذاع صيتها وانتشر، واسم هذه الجامعة: **المستنصرية**.

٣ ـ اسم المنطقة التي تغمرها مياه فيضانات دجلة والفرات: **الأهوار**.

٤ ـ المئذنة التي تقع في وسط اشبيلية والتي بناها يوسف بن عبد المؤمن لتكون صومعة لمسجده الذي اندثر، تعرف اليوم باسم: **الجيرالدا**.

٥ ـ اسم سلسلة الجبال التي تصل بين تونس والجزائر والمغرب: **اطلس**.

٦ ـ اسم الجزيرة التي تتوسط مدخل البحر الاحمر عند باب المندب: **جزيرة بريم**.

٧ ـ اسم عاصمة جمهورية اليمن الشعبية: **عدن**.

٨ ـ الاسم الشعبي الذي يطلقه أهل الكويت على الرياح المحملة بالاتربة هو: **الطوز**.

٩ ـ بغداد عاصمة الرشيد تقع على نهر: **دجلة**.

١٠ـ **نعم** توجد حدود مشتركة بين السودان وليبيا.

١١ـ **لا**. لا يوجد بلد عربي ليس له ميناء يطل على البحر.

١٢ـ تقع هذه الواحات في: **الجمهورية العربية المتحدة**.

١٣ـ الجبل الاخضر اسم يطلق على جبلين في: **عمان وليبيا**.

١٤ـ سهل البقاع في لبنان يسير في وسطه نهر: **الليطاني**

١٥ـ سبتة ومليلة مدينتان ما زالتا تحت وطأة الاستعمار: **الاسباني**.

١٦ـ كل هذه الموانىء تطل على: **البحر الاحمر**.

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى: وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها: **حسن حسين محمد**/أم درمان/ السودان.

الجائزة الثانية: وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: **عبد الله عبد المغنى** / تعز /اليمن.

الجائزة الثالثة: وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها: **سالم علي محمد سالم** / صبراته/طرابلس/ليبيا.

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من:

١ ـ **انتصار ابراهيم القزاز** / بغداد / العراق.

٢ ـ **اسماعيل ابراهيم اسماعيل حسن** /الكويت.

٣ ـ **فاروق عبد الرحمن عفان** / المدينة المنورة/ السعودية.

٤ ـ **هشام حسين الموسوى** / البقاع / لبنان.

٥ ـ **محيى الدين محمد عبد الكريم مصطفى** / السلط / الاردن.

٦ ـ **أشرف شوقي الجمل** /القاهرة/ج٠ع٠م.

٧ ـ **هند زهدى عاشور**/دير الزور/سوريا.

٨ ـ **مصباح مرزوق** / عنابة / الجزائر.

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها. ■■

١٠ اسئلة .. و ١٠٠ دينار جوائز

■ هذه مسابقة نرجو ان تسهل عليك . فان صعب عليك منها شيء ، فاستعن بما لديك من مراجع ، او بالمراجع الانسانية التى حولك ، كأخيك وابيك . فالمتعة كل المتعة في هذا البحث ، بالاضافة الى الجائزة اذا حصلت عليها .

والمطلوب هو الاجابة على ثمانية من الاسئلة العشرة التالية :

١ ـ شاعر عربي مشهور احتوى ديوانه على قصيدة رائعة ، ترجمت الى عدة لغات اجنبية ، منها بيت" نصفه الاول :

سر" ان اسطعت في الهواء رويدا ...

فما هو النصف الثاني من هذا البيت ، وما اسم هذا الشاعر ...

٢ ـ ما هي اكبر شبه جزيرة في العالم :

١ ـ اسبانيا

٢ ـ شبه الجزيرة العربية

٣ ـ شبه جزيرة الملايو

٣ ـ التعابير السابقة تسم الانسان :

١ ـ عضاً بالاسنان

٢ ـ وخزاً بالانياب

٣ ـ لعثاً باللسان

٤ ـ حفصة وعائشة زوجتان من زوجات النبي (صلعم)

فمن كان والد كل منهما ....

٥ ـ الطرف الجنوبي من افريقيا يسمى رأس الرجاء الصالح ، **فما اسم الطرف الجنوبي من امريكا الجنوبية ؟**

٦ ـ رحالة وعالم جغرافي ، ولد في سبتة في الاندلس عام ١١٠٠ م وعاش في باليرمو ، عاصمة صقلية ، برعاية ملك صقلية آنذاك ، روجر الثاني . وقد صنع عالمنا لهذا الملك كرة من الفضة تمثل الكون وقرصاً من الفضة ايضاً يمثل العالم ... واشتهر بكتابه الذى سماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .. » .

فمن هو هذا العالم الجغرافي .. ؟

٧ ـ ما هو الابنوس ..

١ ـ مادة حجرية صخرية

٢ ـ خشب اسود قاس

٣ ـ مادة حيوانية بحرية

٨ ـ أى ثلاث من الدول الست التالية ، اعضاء في هيئة الامم ، وأى ثلاث ليست اعضاء في المنظمة الدولية :

المانيا الغربية ـ روسيا البيضاء ـ اليابان

اكرانيا ـ المانيا الشرقية ـ فتنام الجنوبية

٩ ـ **اصفهان ، بخارى ، همذان ، القيروان**

هذه المدن الاربع احتلت مكانة مرموقة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية ... الا ان احداها تختلف عن الثلاث الاخرى بحيث يميل الانسان الى افرادها وحدها .. فما هي هذه المدينة .. ؟

١٠ ـ ما هو الطائر **بين طيور هذه الارض الذى يبيض اكبر بيضة في العالم ؟**

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

« مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت» مسابقة العدد ١٤٩ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مايو (أيار) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى **٣٠ دينارا** . الجائزة الثانية **٢٠دينارا** . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة العدد ١٤٩



التَّضَخُّم النَّقْدِى

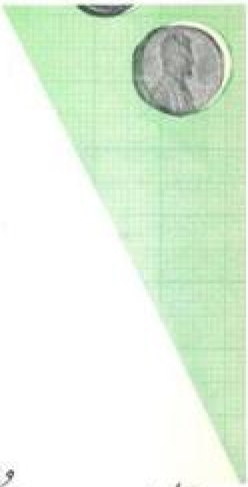
بقلم : الدكتور عبد المنعم القيسونى

■ لا يكاد يوجد موضوع يجذب انتباه الناس ويحتل جانبا هاما من تفكيرهم ومن احاديثهم مثل موضوع التضخم ـ والناس فى حديثهم اليومى لا يتناولون موضوع التضخم بالاساليب والاصطلاحات الفنية المعقدة التى يعالج بها الاقتصاديون هذا الموضوع الخطير ، بل ان كثيرا منهم يشكون من اعراضه ونتائجه دون أن يعلموا انهم يتحدثون عنه . فهم يتكلمون عن ارتفاع الاسعار ، وعن نقص المرتبات والاجور ، ويعقدون المقارنات المستمرة بين الاسعار الجارية والاسعار التى كانت سائدة فى « الماضى السعيد » ، ويشكون من ايجار المساكن وعدم توافرها ومن زيادة المصروفات فى شتى النواحي : الصحية ، والتعليمية ، والترفيهية الى آخر ما هنالك .

ويندر ان نجد مجتمعا لا يشكو من مظاهـر التضخم سواء كان غنيا او فقيرا وسواء كان في المدن الصاخبة أو في الريف الهادىء الوديع ، وفوق الجبال الشامخة او في الوديان المطمئنة الجميلة . ان الشكوى من بعض طبائع البشر ، الا انما ينصب منها على الاسعار والاجور والشئون الاقتصادية بوجه عام يحتل مكانا بارزا يسترعى النظر ويستلزم العناية المستمرة من اولى الامر .

وقد تصور الاقتصاديون بعد الحرب العالمية الثانية انهم قد توصلوا الى العلاج الحاسم للمشاكل الاقتصادية ، وانهم قد تغلبوا على اضطراباتها الدورية ، وملكوا زمام الامر ، وحاولوا





ظاهرة خطيرة في التطورات الاقتصادية الأخيرة

دون تعاقب فترات الرواج وفترات الكساد .ولكن ظهر بوضوح ـ خصوصا في السنتين الاخيرتين ـ ان هذه المشاكل الاقتصادية قد زادت حدتها . فقد اضطربت البورصات العالمية ، وتعرضت للخطر بعض العملات الرئيسية ، وعمت الاضرابات كثيرا من الدول الراسمالية ، واشتد سخط الرأى العام في كثير من الدول ، فسقطت حكومة العمال في المملكة المتحدة ، ومرت حكومات اخرى بفترات عصيبة لاسباب مالية واقتصادية .

والواقع أن متابعة الابحاث الاقتصادية الاخيرة والاطلاع على التقارير السنوية للمؤسسات النقدية الدولية الرئيسية ، مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، يظهر بوضوح مدى القلق الذى يسيطر على اذهان الخبراء والمسئولين بسبب التضخم النقدى الذى يجتاح العالم في الوقت الحالى والذى صاحبته اعراض ومظاهر لم تقترن في الماضى بفترات التضخم .

وارجو ان نلقى معا نظرة على بعض جوانب هذا الموضوع ونحاول ان نتبين اهميته وخطورته.

تعريف التضخم النقدى

اذا حاولنا قبل أن نسترسل في الحديث عن التضخم وأسبابه وآثاره ان نعرف التضخم تعريفا مبسطا بعيدا عن التعقيدات الفنية المختلفة امكننا ان نقول انه عبارة عن اختلال في العلاقة النسبية بين القوة الشرائية المتاحة للحكومة والافراد من جهة ، وبين السلع والخدمات المتاحة للبيع من جهة اخرى . ونحن نعلم جميعا ان الاسعار تتحدد عادة نتيجة لتفاعل العرض والطلب، وان زيادة الطلب او زيادة القوة الشرائية (مالم تصاحبها زيادة مماثلة في المعروض من السلع والخدمات) تؤدى حتما الى ارتفاع الاسعار كما ان نقص الطلب يتبعه انخفاض في الاسعار . فاذا فرضنا اننا نبدأ دراستنا بسنة معينة نطلق عليها اسم سنة الاساس ، وأن القوة الشرائية (أو الطلب) معروفة لنا ، وان المعروض من السلع والخدمات معروف أيضا ، وأن أسعار هذه السلع والخدمات محددة عند مستوى معين نتيجة لتفاعل العاملين السابقين ، فان اى اختلال في العلاقة بين هذين العاملين لابد ان ينعكس اجلا

او عاجلا على مستوى الاسعار . والتضخم أو الضغوط التضخمية تنشأ نتيجة لزيادة القوة الشرائية زيادة تفوق في اهميتها زيادة المنتج والمعروض من السلع والخدمات .

والقوة الشرائية تتأثر بعوامل مختلفة ، ويمكن للحكومات والبنوك والافراد ان يعملوا على زيادتها او خفضها فعملوا بذلك على زيادة مجمل الطلب في الدولة أو على خفضه . فان قامت الحكومة مثلا بزيادة الانفاق على التنمية او على الخدمات أو على التسليح (دون ان يصاحب ذلك زيادة مماثلة في ايراداتها) فانها تخلق ضغطا تضخميا يساعد على رفع الاسعار . وكذلك اذا توسعت البنوك في قروضها ، أو زاد ما ينفقه الافراد من دخولهم أو من مدخراتهم ، فان مجمل الطلب الكلى في الدولة يزداد وترتفع تبعا لذلك الاسعار .

اما المعروض من السلع والخدمات فيتأثر بما يتاح للدولة من موارد وبطريقة استخدام هذه الموارد . فان كانت الدولة غنية بالموارد ، وان كانت الاستثمارات الجديدة موجهة توجيها سليما بحيث يؤدى حسن استغلال الموارد الى زيادة مستمرة في الانتاج ، فان ذلك يساعد على خفض الاسعار . والعكس بالعكس .

أسباب التضخم النقدى العالمى فى السنوات الاخيرة

بعد هذا التعريف المبسط يمكن أن نستعرض أهم اسباب التضخم النقدى في العالم خلال السنوات الاخيرة :

(١) لاشك أن السنوات العشر الاخيرةشهدت تطورا هائلا فى معظم الدول النامية بالعالم . فبعد ان كانت هذه الدول مستعمرات مغلوبة على امرها نالت معظمها استقلالها وبدأت توجه اهتمامها نحو تنمية اقتصادياتها ورفع مستوى المعيشة فيها ونشر الرفاهية بين شعوبها .

والتنمية الاقتصادية تستلزم بطبيعة الحال التوسع في الانفاق العام والخاص لاقامة المصانع الجديدة واستصلاح الاراضى وشق الطرق ومد السكك الحديدية واقامة المدارس والمستشفيات و ......

وقد ادركت الدول النامية انه لا يمكنها استكمال مقومات استقلالها دون ان تعتنى عناية خاصة بالتنمية الشاملة في اراضيها ، فاندفعت في هذا الطريق ، وساعدها على ذلك ان الرأى العام العالمي والمؤسسات الدولية ، وحركات التكتل بين الدول النامية ذاتها ، ابرزت الاهمية المتزايدة لسلوكها هذا السبيل وشجعتها على الانطلاق فيه . وهذا التوسع الكبير فيالاستثمارات ادى الى زيادةكبيرة في الطلب على الموارد والسلع والخدمات المختلفة . ولم يصحب ذلك من التقدم ، زيادة مماثلة في الانتاج . فالدول النامية كانت في المراحل الاولى من التقدم وكان بعضها يتعثر في خطواته هذه الاولى ، والبعض الاخر كان يعانى من صعوبات شديدة تواجهه في الداخل والخارج . وكان كل هذا عاملا هاما في ظهور الضغوط التضخمية فى الدول النامية ذاتها ، كما انه ساعد الى حد ما على زيادة الطلبالعالمي على السلع والخدمات .

(٢) ولقد صحب التوسع في الاستثمار في الدول النامية توسع آخر كبير في الدول المتقدمة . فالاختراعات والاكتشافات الحديثة المتلاحقة ، وضرورة ادخالها بسرعة في عمليات الانتاج ، استلزم ذلك انفاق المبالغ الطائلة علىالاستثمارات الجديدة اللازمة لمجاراة التكنيه المتطورة . وفي الوقت ذاته قامت الدول المتقدمة سواء في أوربا الشرقية او اوروبا الغربية ، بعمل تكتلات اقتصادية وبازالة ما بينها من الحواجز الجمركية والتجارية والنقدية ، فساعد هذا على توسيع الاسواق الكبرى بدرجة ملحوظة كانت حافزا قويا الى التوسع في الاستثمارات داخل هذه التكتلات لخدمة الطلب المتزايد في الاسواق الكبيرة .

(٣) وقد شهدت السنوات الاخيرة ايضا زيادة ملحوظة في السكان لم يسبق للبشرية ان شاهدت مثيلا لها ، وترجع زيادة السكان بصفة خاصة الى الاكتشافات الطبية الاخيرة التى ساعدت في التغلب على كثير من الامراض والاوبئة كما ترجع الى العناية بالخدمات الطبية في الدول

المختلفة مما ادى الى ارتفاع معدل الزيادة في السكان ارتفاعا ضخما .

وقد صاحب هذه الزيادة السريعة في عدد السكان في العالم زيادة ضخمة في مطالب الشعوب واحتياجاتها المختلفة . وبعد أن كانت الناس تقنع بالانفاق المعتدل وتعمل على ادخار جزء هام من دخلها اصبح معظمها يسارع الى انفاق كل ما اتيح له من دخول ، بل والى التوسع في الانفاق مستعينا بقروض المصارف . وقد دفع الناس الى التوسع الجارف في الانفاق عدة عوامل ، منها انتشار طرق المواصلات وطرق الاعلام الحديثة التى ساعدت الناس في شتى انحاء المعمورة على الاطلاع على مستويات المعيشة في أرقى الدول ، والتعرف على مختلف السلع والخدمات المتاحة للافراد في الدول الراقية ، والمطالبة بالتمتع سريعا بمثيلاتها بدلا من التوسع التدريجي البطيء في طلباتها . كما ساعد على زيادة الطلب في شتى الدول انتشار روح جديدة من القلق والاضطراب النفسى بين الناس بعد التوسع في انتاج اسلحة الحرب والتدمير الشامل. لقد ادى هذا الى عدول الناس عن التوسع في الادخار لخوفهم من عدم امتداد العمر بها الى السن التى تتاح لها فيها فرصة الانتفاع بمدخراتها .

(٤) وقد ساعد أيضا على زيادة الطلب في دول كثيرة ما شهدناه في السنوات الاخيرة من قيام نقابات العمال بالمطالبة المستمرة بزيادة الاجور . وقد انتشرت الاضرابات في كثير من الدول الغربية في الثلاث السنوات الاخيرة بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وارتفعت الاجور في بعض الاحيان بنسبة تفوق كثيرا نسبة الزيادة في انتاجية العاملين مما ادى الى ارتفاع الاجور وارتفاع الاسعار معا . وفي كثير من الدول الاخرى اتخذت الاجراءات المناسبة لتحقيق العدالة في توزيع الدخل بين الناس مما ساعد على زيادة القوة الشرائية في أيدى الطبقات العاملة وزيادة الانفاق الكلى في كل دولة .

(٥) واخيرا فهناك عامل هام ساعد على زيادة الضغوط التضخمية بدرجة ملحوظة في السنوات الاخيرة وهو توسع الدول الرئيسية في الانفاق على التسليح وكذلك النفقات الهائلة التى تقتضيها رحلات الفضاء . وهذان العاملان (التسليح ورحلات الفضاء) ، وان كانا يختلفان من حيث الهدف ، الا انهما يشتركان في نتيجة واحدة ، وهي انهما يؤديان الى سحب موارد هامة من الموارد التى كانت متاحة لاشباع طلبات الجمهور وتوجيهها نحو أغراض غير انتاجية مما يؤدى الى تناقص نسبى في المعروض للاستهلاك من السلع والخدمات في ذات الوقت الذى يزداد فيه الطلب نتيجة لزيادة الانفاق الحكومى على التسليح وعلى رحلات الفضاء .

نتائج التضخم

واذا انتقلنا الان من دراسة اسباب التضخم الى دراسة بعض نتائجه فيمكن ان نجملها فيما يلي : ـ

(١) ان التضخم وما يصاحبه من ارتفاع مستمر في الاسعار يخل بالتوازن الاجتماعى داخل الدولة ، فهو يسيء الى اصحاب الدخول الثابتة الذين تقل القيمة الحقيقية لمرتباتهم وأجورهم ومعاشاتهم نتيجة للارتفاع المستمر في الاسعار بينما تثرى طبقات أخرى من التجار والوكلاء الذين ينتفعون من ارتفاع أسعار بضاعتهم ،وهذا الاخلال بالتوازن الاجتماعى داخل الدولة كثيرا ما تنشا عنه اضطرابات اجتماعية وسياسية مختلفة ، فنقابات العمال بعد أن ازدادت قوتها زيادة كبيرة في الاحقاب الاخيرة لا يمكن ان ترضى بانخفاض القيمة الحقيقية لاجور اعضائها ، فتسوء العلاقات بين العمال واصحاب العمل وتنتشر الاضرابات في المصانع ، وكثيرا ما يطالب العمال ـ احتياطا للمستقبل ـ بزيادة في أجورهم تفوق كثيرا الارتفاع في الاسعار مما يؤدى الى ارتفاع تكاليف الانتاج والى الاضرار بقدرة الدولة على التصدير والمنافسة في الخارج . وقد تؤدى الاضطرابات الاجتماعية واضرابات العمال الى شلل في دولاب العمل ، أو الى ازمات سياسية تختلف في شدتها حسب الظروف كما حدث في ايطاليا في العام الماضى عندما تعاقبت الحكومات المؤقتة في جو بعيد عن الثبات والاستقرار ، وكما حدث في المملكة المتحدة اذ سقطت حكومة العمال

في الانتخابات نتيجة لثورة ربات البيوت على الارتفاع المطرد في تكاليف المعيشة .

(٢) ان الدول النامية تصاب باضرار بليغة نتيجة لما يحدث من تضخم في الدول المتقدمةويمكن ان نوجز آثار التضخم في الدول المتقدمة على اقتصاديات الدول النامية في ثلاث نقاط رئيسية :

أ) ان الدول النامية في حاجة مستمرة الى استيراد الكثير من السلع والخدمات من الدول المتقدمة سواء اكان ذلك الوفاء بحاجاتها الاستهلاكية أو للمساهمة في اغراض التنمية ، ويؤدى ارتفاع الاسعار في الدول المتقدمة الى ارتفاع « مستورد » في تكاليف المعيشة وفيتكاليف التنمية في الدول النامية والى زيادة الاعباء الملقاة عليها دون ما ذنب جنته .

ب) ان التضخم في الدول المتقدمة كثيرا ما يصاحبه ارتفاع في اسعار الفائدة وتدهور فيشروط الاقراض في تلك الدول . وهذه الظاهرة تنعكس ايضا على الدول النامية التى تحتاج الى قروض من الدول المتقدمة لتنمية مواردها ولدعم استثماراتها فترتفع بالتالي تكلفة التنمية وتزداد صعوباتها فيها .

جـ) ان بعض الدول النامية تحتفظ باحتياطياتها النقدية في الاسواق المالية للدول المتقدمة ويؤدى التضخم والاضطرابات النقدية التى تعانى منها الدول المتقدمة الى فقدان جانب هام من القيمة الحقيقية لتلك الاحتياطيات . وتتمثل هذه الخسارة في صورتين مختلفتين ، فمن جهة ترتفع أسعار السلع والمعدات والآلات التى يمكن للدول النامية شراءها من الخارج فتقل بذلك القيمة الحقيقية لاحتياطياتها النقدية ،ومن جهة اخرى تتدهور في كثير من الاحيان الاسعار الجارية للاوراق المالية التى تستثمر فيها الدول النامية احتياطياتها الخارجية (كما حدث فيالعام الماضي) فتمنى الدول النامية بخسارة اضافية فوق الخسارة المترتبة على ارتفاع الاسعار .

(٣) ومن الاضرار الرئيسية الاخرى للتضخم انه يعرقل الخطوات المنشودة في طريق التعاون الاقتصادى الدولى . وعلى سبيل المثال فان مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الذى انعقد في جنيف سنة ١٩٦٤ والذى وضع دستورا جديدا للعلاقات الاقتصادية بين الدول نادى ـ فيما نادى به ـ باعادة تقسيم العمل الدولى بين الامم ، وبقيام الدول المتقدمة بمد الدول النامية بما يعادل ١٪ من دخلها القومي في شكل قروض واعانات مختلفة لمعاونتها على التنمية الاقتصادية.

ولا شك ان هذه التوصيات وغيرها يصعب تحقيقها في جو تسوده الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة . فمن العسير على الدول المتقدمة ان تقنع الرأى العام بها بضرورة اعادة تقسيم العمل الدولى وبالتخلي تدريجيا عن بعض الصناعات التقليدية كصناعات النسيج والجلود والاثاث للدول النامية في الوقت الذى تعانى فيه من الاضطرابات الداخلية الاقتصادية والاجتماعية . كذلك يصعب عليها في مثل ذلك الجو ان تقنع الرأى العام فيها بتخصيص ١٪ من دخلها القومى لاعانة الدول النامية او لمدها بالقروض اللازمة للتنمية . والمشاهد فعلا ان نسبة ما قدمته الدول المتقدمة الى الدول النامية خلال السنوات الاخيرة قد اخذ يتناقص فعلا رغم ازدياد ثراء الدول المتقدمة . كما ان نصيبالدول النامية في التجارة الخارجية قد تناقص في السنوات الاخيرة .

(٤) ومن نتائج التضخم الاخرى انه كثيرا ما يسيء ، الى الانشطة الاجتماعية في الدولة .فمن الملاحظ ان الاعتمادات المخصصة للنواحي الاجتماعية والصحية والتعليمية في ميزانيات الدول المختلفة لا تتزايد بنفس سرعة الاعتمادات المخصصة للنواحي العسكرية والانتاجية مما يؤدى الى ضغط النشاط الموجه للنواحي الاجتماعية خلال فترات التضخم وارتفاعالاسعار.

علاج التضخم

هناك وسائل مختلفة لعلاج التضخم نادى بها الاقتصاديون على مر العصور ، منها وسائل نقدية كرفع سعر الفائدة ، وضغط القروض المصرفية . ومنها وسائل مالية كخفض الانفاق الحكومي او

زيادة الايرادات المالية بفرض ضرائب ورسوم جديدة . ومنها ايضا تجميد الاجور والمرتبات .

وقد اختلف الاقتصاديون اختلافا بينا في الاهمية النسبية لكل وسيلة من العلاج فنادى بعضهم باتباعها جميعا ونادى البعض الاخر باتباع هذه او تلك من الوسائل السابق الاشارة اليها . كذلك اختلف الاقتصاديون في السياسة التى تتبع نحو الانتاج الكلى للدولة خلال فترات التضخم فمنهم من ينادى بالتوسع في الانتاج واتاحة الامكانيات المالية والنقدية للشركات والمصانع لزيادة انتاجها حتى تتوافر السلع في الاسواق ويزداد العرض فتنخفض الاسعار ، ومنهم من ينادى بضغط القروض والحد من الامكانات المالية حتى يمكن التغلب على المغالاة في الاندفاع نحو استثمارات جديدة والمغالاة في طلب زيادات متتالية في الاجور والاسعار ليؤدى ذلك — في نظرهم — الى اعادة الاستقرار في الاحوال الاقتصادية عند مستوى تكون فيه الاسعار اكثر اعتدالا .

ولا ادخل هنا في هذا الجدل الطويل ولكنى ارجو ان اشير الى ثلاث نقاط اعتقد انها يمكن ان تساعد في علاج التضخم وفي بث الثبات والاستقرار في الاحوال الاقتصادية :

اولا : يجب أن تعمل الدول الكبرى على خفض ما تنفقه على التسليح وان تستخدم الموارد — التي تضيع هدرا في هذا المجال — لانتاج السلع والخدمات التي يمكن أن تساعد على رفع مستوى المعيشة وعلى نشر الرفاهية ، وبدلا من أن يعيش العالم فيما يطلق عليه العسكريون اسم « توازن الرعب النووى » يمكن أن يسعى العالم الى حياة يتمتع فيها « باطراد الرخاء الاقتصادى » . كذلك يجدر بالدول الكبرى أن تؤجل رحلات الفضاء او ان تمد فترات تنفيذها على آجال طويلة وان تستخدم الموارد التى توجه لهذه الرحلات في اغراض انتاجية تساعد على رخاء البشرية .

كذلك يجب التخلى عن الحروب الاستعمارية التى تشنها الدول الكبرى والتى تضيع فيها كثير من الموارد الهامة ومحاولة العمل على التعايش السلمي في جو من الاخاء والاستقرار .

ثانيا : يجب أن تعمل الدول الكبرى بجد واخلاص على تنفيذ ما تعهدت به في شتى المؤتمرات الدولية الاقتصادية من مد يد المساعدة للدول النامية باتاحة القروض والاعانات لها لدعم الاستثمارات فيها ، وكذلك بفتح اسواقها امام منتجات الدول النامية ، وأيضا بالتخلى عن بعض الصناعات التقليدية لصالح الدول النامية ، وبالاختصار باتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق تعاون دولى فعال يساعد الدول النامية على حسن استغلال مواردها وعلى زيادة انتاجها وعلى التوسع في تجارتها الخارجية . ويجدر بالدول المتقدمة ان تدرك ان تقدم الدول النامية وزيادة الانتاج فيها يساعد على زيادة الرخاء العالمى ، ويفتح بدوره اسواقا جديدة هامة امام منتجات الدول المتقدمة ذاتها . فالتقدم في الدول النامية لا يعنى انتقاصا من ثراء الدول المتقدمة بل يساهم في زيادة الرخاء العالمى لما فيه المصلحة المشتركة للدول المختلفة كبيرها وصغيرها، ويساهم في زيادة السلع والخدمات المتاحة في العالم فيساعد بذلك على مكافحة التضخم وعلى بث روح الاستقرار في الاحوال الاقتصادية .

ثالثا : واخيرا يبدو لى أننا لا يمكن أن نهمل النواحى الروحية والاخلاقية في الموضوع وان نتصور ان الامر يقتصر على انتاج مادى وعلى علاقات حسابية بين العرض والطلب ، ان الموضوع في نظرى يمتد الى ابعد من ذلك ولا يمكن علاجه علاجا شافيا طويل الاجل الا اذا ادرك الناس مسئوليتهم المعنوية والادبية تجاه المجتمع الذى يعيشون فيه ، وتجاه المجتمعات الاخرى التى تشترك معهم في هذه المعمورة ، والا اذا تغلب الناس في بعض المجتمعات المتقدمة ماديا على الغرور الذى يغشاهم ويعمى بصائرهم نتيجة للتقدم المادى السريع الذى احرزته والا اذا مدت يد العون والمساعدة باخلاص واخاء في الله الى المجتمعات الاقل حظا في التقدم والانتاج. انها بذلك لا تساعد فقط على زيادة الانتاج المادى في العالم وعلى زيادة رخاء البشرية وانما تسمو بالعلاقات بين الناس الى المستوى الذى يرضي العلى القدير وتساعد على نشر روح من الاطمئنان والاستقرار ليس فقط في العلاقات بين الدول ولكن ايضا في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية داخل الدولة ذاتها . ■■

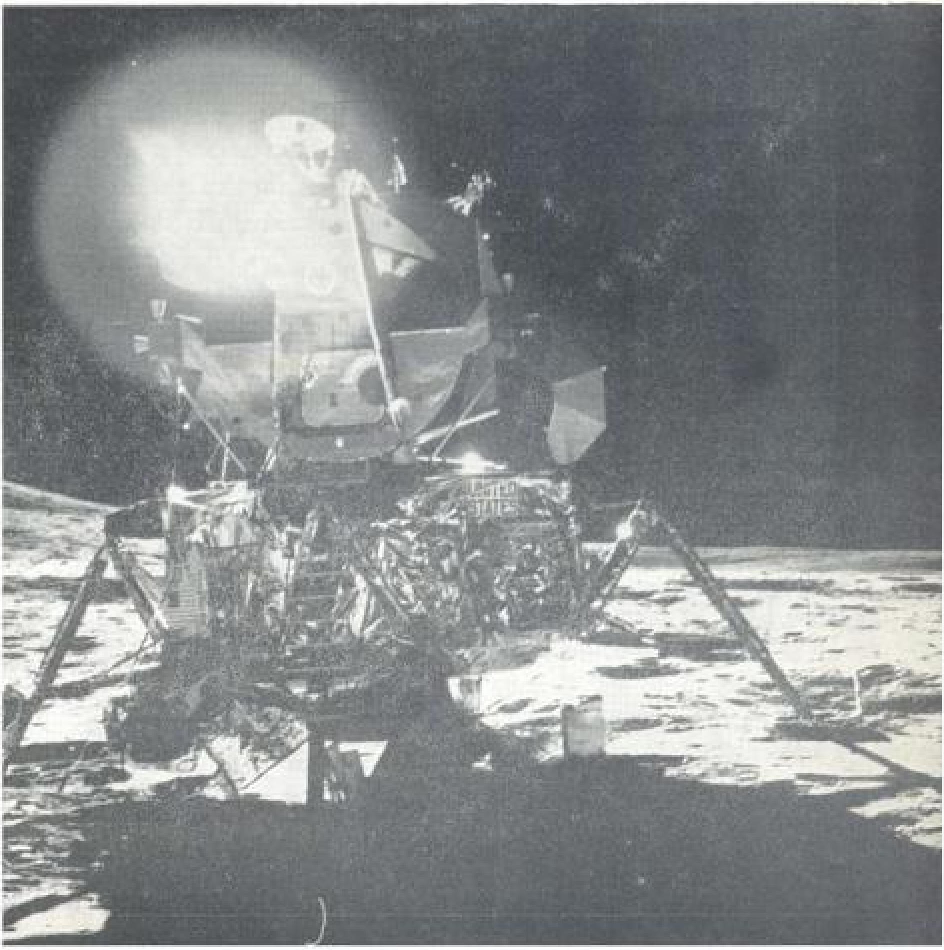
عبد المنعم القيسوني

إلى القمر

ركن الفضاء

■ هبط الانسان على سطح القمر لأول مرة فى الشهر السابع من عام ١٩٦٩ ، وقد كان حمل الرجال اليه صاروخ امريكي عظيم اطلقوه فى اليوم السادس عشر من ذلك الشهر ، وقد

المركبة القمرية لمركبة الفضاء ابولو ١٤ وقد ظهر عليها انعكاس اشعة الشمس التى وصفها رائدا القمر بانها اكسبت المركبة لمعانا اشبه بالماس .



رحلة أبولو الرابعة عشرة وهبوط الرجال على سطحه للمرة الثالثة

وصفنا هذه الرحلة الجبارة الأولى فى « العربي » ، بعدد اول يناير عام ١٩٧٠. وذكرنا هناك من تفاصيل الرحلة ، وصورها ، ما لا بد من الرجوع اليه لفهم كل رحلة من رحلات القمر تتلو ، واستشعار خطورة هذه الخطوة الجبارة التى خطاها الانسان ، ذلك الاستشعار



قائد رحلة ابولو ١٤ الن شبرد يقف بجانب العلم الأمريكي الذى وضعه على سطح القمر يوم ٥ فبراير الماضي فور نزوله من المركبة القمرية ليمشي على سطح القمر .

الذى لا يمكن ان تبليه الالفة ، ويبليه التكرار على الزمان .

كانت هذه الرحلة الحادية عشرة التى تضمنها مشروع ابولو لبلوغ القمر .

وجاءت بعد هذه الرحلة الاولى لهبوط الرجال ، الرحلة الثانية عشرة لابولو ، وكانت شبيهة بالرحلة التى سبقت . ونجحت هذه كما نجحت تلك (١٤ ــ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٩) .

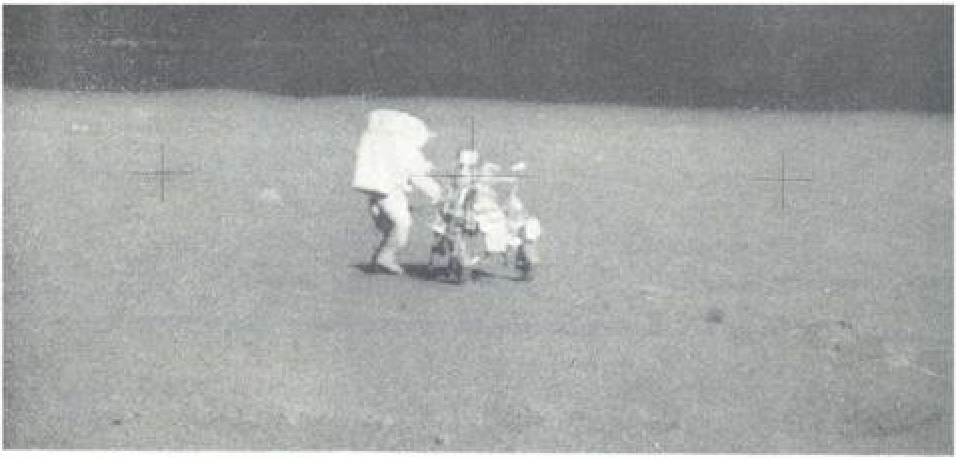
ثم جاءت الرحلة الثالثة عشرة لابولو ، وقد صاحبها الحظ السيىء ، فاخفقت من حيث هبوط الرجال على سطح القمر ، وعادت بهم الى الارض ، وقد ترجح الأمل فى نجاتهم بين نعم ولا (١١ ــ ١٧ ابريل ١٩٧٠) .

انه الوعاء الذى به الاكسجين مضغوط فى المركبة ، وتماس كهربائي ، نتج عنهما فرقعة هائلة ، ذهبت باكثر هذا الغاز الثمين الذى احتاج اليه رجال الفضاء للتنفس ، فصار الهدف ، لا النزول على القمر ، ولكن الوصول الى الارض قبل ان يموت الثلاثة الرجال اختناقا .

وجاءت رحلة ابولو الرابعة عشرة هذه تؤكد ان المثابرة واجبة فى كل عمل عظيم . وان العظمة فى ان يخطىء الرجال ، او ان يخطىء الحظ ، ثم ان يكون من ذلك لهذه الاخطاء تصحيح . ومن الاخطاء يتعلم الناس .

واصلحوا ما كان افسد الرحلة ١٣ بان غطوا كل الاسلاك الكهربائية بغطاء يمنع التماس الكهربائي .

واصلحوا بالطبع اشياء اخرى ، فى



رائد الفضاء ادجار متشل يقوم باستخراج احد الاجهزة اليدوية من العربة المخصصة لحمل هذه الاجهزة وذلك اثناء جولته الثانية على سطح القمر في منطقة مرتفعات فرا ماورو Fra Mauro .

تركيب السفينة الفضائية خبروها غير التي ذكرنا ، وربما كانت اقل شأنا .

وعدا ذلك فقد اطلقوا السفينة الفضائية لرحلة ابولو ١٤ بنفس الأسلوب المعروف، وعلى نفس التوقيت، وبنفس التدبير ، والمواصلات بين ركاب السفينة ورجال المراقبة فى الأرض ، حتى بلغت السفينة القمر ، وهبط رجلان من الرجال الثلاثة على سطحه بسلام .

اجراءات جرى بعضها بعد بعض ، فى مواعيد موقوتة ، يطول بنا الحديث جدا لو اننا اعدنا ذكرها ووصفها هنا . وفى استطاعة القارىء ان يعود الى كل هذا الوصف مفصلا ، لرحلة ابولو الحادية عشرة ، فى عدد « العربي » لأول يناير عام ١٩٦٩ كما سبق ان ذكرنا .

ونجحت الرحلة فى كل ما ذهبت اليه، ولم يصادفها ما وقف بها عن السير فى

آثار عجلات عربة الآلات اليدوية التى استعان بها رواد الفضاء بعد نزولهم من مركبة القمر .. وتظهر هذه الآثار بادئة من عند المركبة التى تقف على سطح القمر .





ظل احد رواد ابولو ١٤ وهو يلتقط صورة لبعض صخور القمر وقد ظهرت في الصورة مطرقة يبلغ طولها ٣٥ سم ، كما ظهرت ايضا حقيبة جمع العينات .

خطتها كاملة مثل ما صادف الرحلة السابقة لها ، رحلة ابولو ١٣ .

ومع هذا لم يخل الامر من متاعب .

ولا داعي للدخول فى هذه المتاعب .

ويكفي ان نقول انها متاعب كانت غير منتظرة . مركبة قيادة تفك ويراد ربطها بالمركبة القمرية ، ويصعب الالتحام او يتعذر . او حاسبة Computor تتولى احداث اجراء من بعد اجراء ، فى اطراد خاص . فاذا بها تعكس هذا الاطراد ، ويكتشف ذلك فى حينه ، وتنجو الرحلة بذلك من الفشل .. وو ...

والذى نريد ان نلفت اليه النظر ، خاصة بهذه المتاعب ، انها كانت تقوم ، فيعلم بها رجال مركز القيادة على سطح الارض ، من رجال السفينة وهم فى اعماق الفضاء ، ويتعاونون جميعا فى حل كل معضل ، كانما كانوا يتباحثون فى الامر فى حجرة واحدة ، مع ان بينهما مئات الالوف من الكيلومترات .

ونزل رجلان من رجال الفضاء الثلاثة على سطح القمر بعد ان هبطت بهما المركبة القمرية على سطحه .

هبطا بالمركبة على بعد يزيد نحو ٨٠

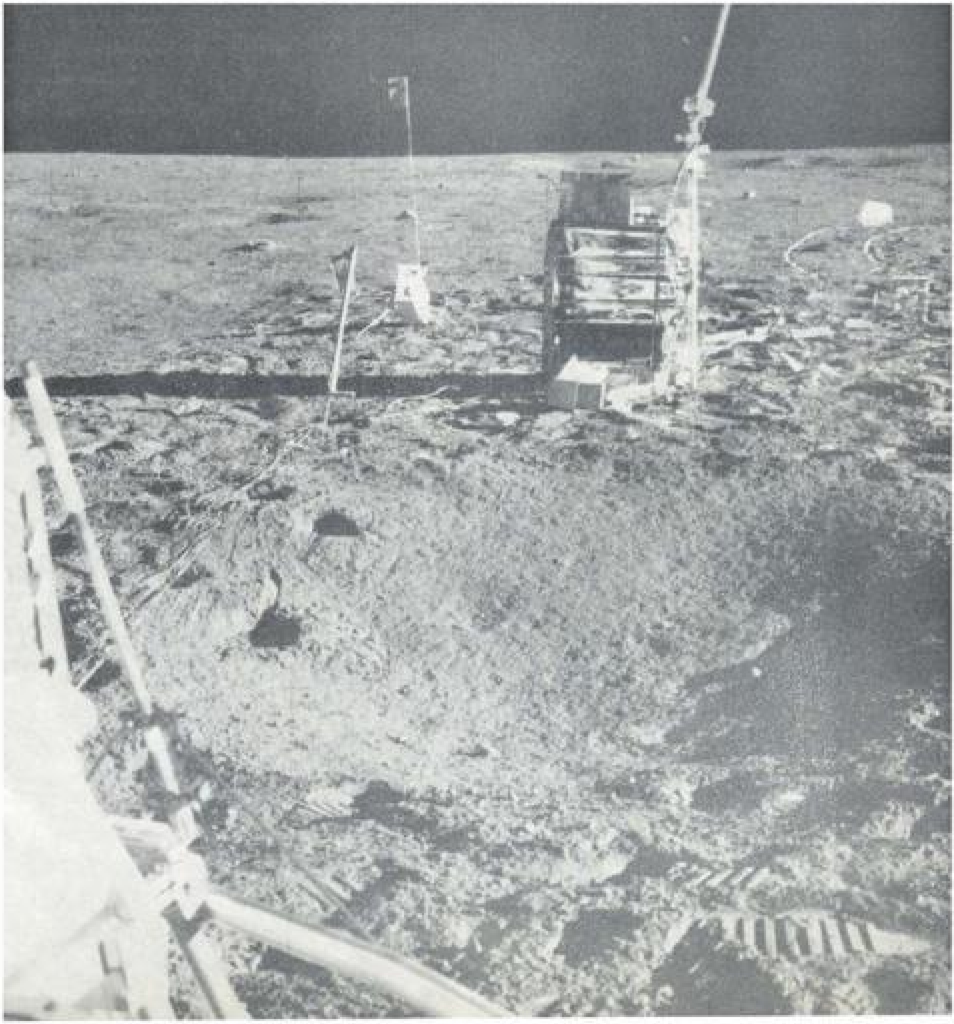
قدما فقط عن الموضع الذى ارادا النزول فيه ، بين فوهتين فى ارض القمر .

وما بدأ السير حتى لاحقتهما المتاعب رجل الفضاء شبرد Shepherd ، وهو اقدم الثلاثة واسنهم ، يكتشف ان انبوبة البول فى ثوبه الفضائى قد التوت ، وان الراديو الذى بالثوب لم يعد يؤدى عمله. وصححا كل ذلك ، انه ثوب كلفته ١٠٠,٠٠٠ دولار .

ومن المتاعب انهما ارادا فتح الهوائي الذى يرسل بحديثهما بالراديو الى الأرض ، وكان على شكل مظلة تنفتح وتنغلق ، ولكن الهوائي رفض ان ينفتح . ثم اطاع .

ومع كل هذا قام رائدا الفضاء بما ارادا ان يعملاه على سطح الأرض ، أرض القمر .

المحطة الرئيسية للاجهزة التى اقامها الرواد على سطح القمر ، ويتم عن طريقها تزويد اجهزتهم بالطاقة ، وايضا بث المعلومات المرسلة منهم الى الارض .... ويظهر في الصورة بعض الاجهزة الاخرى التى اقيمت بالقرب من المركبة القمرية.





رواد ابولو ١٥ المزمع اطلاقها الى الفضاء في ٢٥ يوليو القادم يقومون باختبار العربة الميكانيكية التي سيقومون باستعمالها على سطح القمر لكي يتمكنوا من قطع مسافات طويلة عليه واحضار عينات مختلفة من المنطقة المسماة « هادلي ريلتي » Hadley rille وقد تمت هذه التجربة في مركز الفضاء في هيوستون بولاية تكساس .. ويظهر في الصورة من اليسار جيمس اروين ، وديفيد سكوت وهما اللذان سيهبطان على سطح القمر ، ثم الفريد وردن الذى سيقود المركبة الأم . وتبلغ اقصى سرعة للعربة الميكانيكية وهي تعمل بواسطة بطاريات ، حوالي ١٢ كيلو مترا في الساعة .

علمَ الولايات المتحدة كان اول ما رشقاه في تربة القمر .

وسارا على السطح ما سارا ، وجمعا من صخوره ما جمعا . جمعا ٥٠ رطلا منها . وصعدا الى فوهات القمر ما صعدا ، وحملا من ترابه المتصاعد ما حملا .

وادرك رجال المراقبة ان الرائدين ظهر عليهما التعب بصعودهما الى حافة احدى الفوهات ، وانهما صمما على الصعود لبلوغ القمة . فأمروهما بالكف عن ذلك ، وبالنزول من حيث صعدا قاطعا .

وكانا حملا من الاجهزة العلمية اجهزة ذات بال ، بقصد تركها تعمل على سطح القمر ، وترسل الى اهل الارض بالراديو ما تنتهي اليه من نتائج في الشهور التالية . فهذه فرّقها الرائدان على السطح كما وجب .

وانتهت الرحلة فوق سطح القمر ، بعد ان استغرقت نحوا من ٢٤ ساعة ، وآن اوان العودة ، فانطلقا بنصف المركبة القمرية الى سماء القمر ، وداراحوله حتى ارتبطا بمركبة المراقبة وفيها زميلهما الثالث الذى كان ينتظرهما وهو يدور حول القمر ، وبها انطلقوا جميعا الى الارض سالمين .

وفى الصور المرفقة شيء مما سجلت العدسات

●●

ا ٠ ز

في سبيل موسوعة علمية



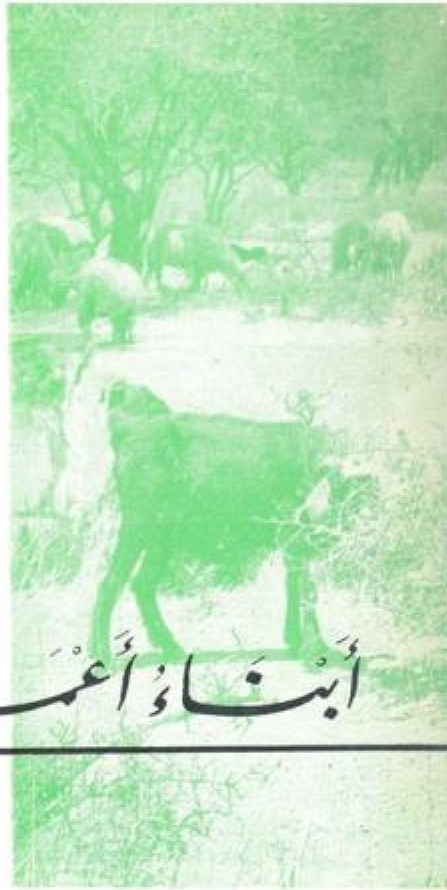
المعيز

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ هذه الحضارة ، حضارة المدن ، بعدت بالرجل المدني عن ظواهر الريف واصول الحياة فيه ، حتى ليحيا ويموت ، وقد فاته ان يرى الكثير من اصول العيش . حدثت مرة سيدة ذات ثقافة فى اوروبا عن الخبز ، وما اسرع ما ادركت انها لم تر القمح قط فى حياتها ، بدات قصة الرغيف عندها من دقيق القمح ، فهذا اول ما عرفت منه . وعرفت بالطبع نهاية القصة ، حين يخرج الرغيف من افرانه ، وهي نهاية « تكنية بديعة » حيث هى تقطن فى اوسط المدينة من قارة الحضارة الحاضرة الكبرى .

والحضارة ، حتى فى شرقنا هذا ، اخذت تباعد بين الرجل الذى نشا فى المدينة الكبيرة ، وكثير من اصول العيش التى مقرها وماواها الريف .

ونحن ، فى المدينة الكبيرة فى الشرق ،



أبناء أعمام الشياه
وكلها أغنام



مزارع يحلب ماعزه
وقد رفعها عن الارض ليمتلك ثديها .
وللمعيز اجهزة كهربائية للحلب كالتي للبقر .

ما اكثر ما ترى الحصان والحمار ، وهما للجر وحمل الاثقال فاذا طلبنا رؤية البقرة ، وجدنا الطريق اليها اقل سهولة من رؤية حصان او حمار ، ونحن اذا طلبنا ، في المدينة الكبيرة ، رؤية الشاة بعد ذلك كان الطريق اليها عسيرا .

واذا جئنا للمعيز كان الطريق اليها اكثر عسرا .

والمَعيز (أو المَعز او المِعزى) هي والشياه ابناء اعمام . ويقال للشياه ايضا الضان . ويجمع المعيز والشياه قولك الغنم والاغنام .

والمعيز والشياه والابقار ، كلها حيوانات مستأنسة من آباء لها ، وحشية على الفطرة ، تعطي الانسان اللبن والجلد واللحم ومنافع اخرى . وقد جعلت الحضارة الحاضرة من تربيتها صناعات مدروسة ، واستولدت منها ذريات انفع ، وانسال اوفق . وهي جميعا من الحيوانات المجترّة .

ولم يصل الينا بعد ، نحن اهل الشرق ، عن هذه الانسال الا العلم القليل ، وعن ممارسة تربيتها وتنشئتها وتصنيع هذه التربية الا الاقل . فعند اكثر قومنا كل حيوان صغير ، له قرن وعليه صوف ، خروف . وكل حيوان

صغير ، له قرن وعليه شعر ، ماعز .

وعند غيرنا ، ممن انتزعوا منا السبق الى التحضر ، ان الشياه صنوف . وحتى الماعز ، وهو في علم الحيوان نوع واحد Species ، له انسال مختلفة Breeds عدة ، لها في اقتصاد الاقوام مكان ذو بال .

بين الماعز والشاة

لا يكاد يختلف احد على ماعز وشاة اذا هو رآهما . سيقول على الفور ان هذه ماعز او هذه شاة (والماعز تطلق على المذكر والمؤنث من المعيز . وكذا الشاة تطلق على المذكر والمؤنث على السواء . وقد تقول الماعزة والمعزاة تعني انثى المعيز . وتقول في الشاة هذا خروف وهذه نعجة اذا اردنا التحديد) .

والمعيز تختلف عن الشياه بأن الذكور من المعيز لها لحية على الذقن ، ولأكثر الاناث . والذيل قصير ويتجه الى اعلى ، بينا الشياه لها ذيل عادة اطول وقد يملؤه الشحم فيكون آلية . وقرون للمعيز تصعد من رؤوسها الى عل ، بينا قرون الشياه تدور مائلة الى جوانب رأسها .

وجسم الماعز اصغر عادة من جسم الشاة ، وهو قد يزن مائة رطل فما فوق ذلك .

وجسم الماعز يغطيه الشعر ، وهو يمتد على استقامة عادة ، اما جسم الشاة فيغطيه الصوف وفتائله غير مستقيمة .

ومن لطيف ما يذكر ان جمال الدين محمد الدميري (٧٤٣ ـ ٨٠٨ هـ) وصف المعيز في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » فقال :

« المعز نوع من الغنم خلاف الضأن ، وهي ذوات الشعور والأذناب القصار . وهي تفضل على الضأن بغزارة اللبن ، وثخانة الجلد ، وما نقص من آلية المعز زاد في شحمه ، ولذلك قالوا آلية المعز في بطنه . ولما خلق الله جلد الضأن رقيقا غزر صوفه ، ولما خلق جلد الماعز ثخينا قلل شعره ، فسبحان اللطيف الخبير » .

طعام المعيز

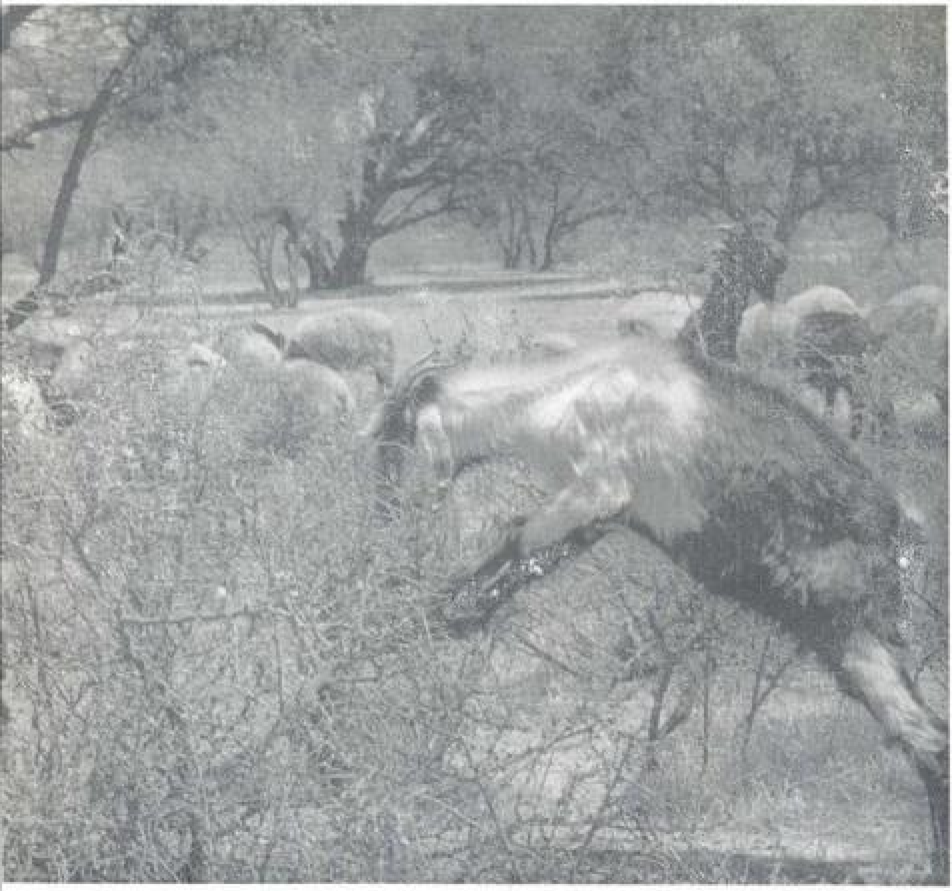
فرق واضح بين ما تأكل المعيز وما تأكل الشياه . فالشياه تفضل الرعي على الحشائش في المراعي المعشبة ، وحتى على سفوح التلال ، وكثيرا ما يحتفظ أصحاب الأملاك الزراعية الواسعة بقطعان من الشياه كبيرة لتقوم بأكل هذا العشب فتجعله قصيرا مستويا .
والمعيز تأكل العشب ، وتأكل عيدان الشجيرات والأشجار . وكذا اوراقها وكل ما نالته قواطعها . وهي ترتفع الى ما تأكل من الشجر ولو علا . وتأكل الشوك .

والمعروف عن المعيز انها تعيش وتجد قوتها في حيث تموت سائر الحيوانات جوعا ، لأنها تأكل كل ما تجد من مواد لا تأكلها سائر الحيوانات ، حتى ورق اللف تأكله وورق الصحف ، واذا وجدت علبة عليها بطاقة التصقت على العلبة بصمغ ، فصلت البطاقة لتلعق الصمغ عند الحاجة .

المعيز عامل للتخريب عظيم

ومن اجل هذا كانت المعيز سببا للتخريب كبير ، اذا ما اطلقت كما يطلقها البدو ، تسعى لتجد طعامها حيثما تجد .

قال عالم الاحياء السويسري الشهير كارل فوجت Karl Vogt ان المعيز تصيب الغابات بأضرار لا يصيبها بمثلها اى حيوان آخر . وهو يرى ان « المدنيات القديمة التي قامت حول البحر المتوسط في الزمان القديم اصابها من الاضرار ، بسبب المعيز ، الشيء الكثير . وان الذى أصاب غاباتها من التلف ، وجبالها من التعرى ، وما ادى اليه ذلك من



ماعز ياكل كل شيء حتى الشوك

جفاف وقلة مطر ، انما يعزى الى ما قامت به المعيز حينذاك من تخريب .

وهو يرى انه لا يجوز مطلقا ترك المعيز سائبة ، تذهب حيث تشاء . انها عندئذ تدخل الحدائق فتاكل ما فيها ولا تذر ، لا تفرق بين رخيص وغال ، ولا بين ورق وزهر ، حتى اسوار الخضرة تقضمها عند الضرورة قضما .

ويؤكد قول هذا العالم الاحيائي كل زائر زار شمال افريقيا ، وذهب حيث الحضارة تلتقي حافتها بحافة البداوة ، ورأى ما صنعته المعيز هناك من تخريب .

المعيز حيوانات ثمينة ، ولكن لا بد عليها من رقابة دائمة .

نطلقها فى البدو نعم ، ولكن لا حيث الحضارة قائمة ، وكل شيء فى الحضارة لا بد ان ينتظم تحت لوائها .

المعزاة تلد الواحد والثلاثة

ويتصل الذكر من المعز بالانثى فتحمل ، ويطول حملها نحو ٢١ اسبوعا اى نحو ٥ اشهر ، وهي عندئذ تلد الولد الواحد او الاثنين او الثلاثة ، وهي تكبر وتعيش نحوا من ١٥ عاما .

وولد المعز يعرف بالجدي ، وهو صغير . وهو يعرف بالانجليزية بلفظ Kid . وهو قريب اللفظ من الاسم العربي ، وقريب المعنى ، فمعناه الماعز الصغير ، وفي العامية الانجليزية يطلق لفظ Kid على الطفل ، وعلى الاطفال Kids .

والجدي الوليد يستطيع ان يقف على رجليه بعد ساعات من ولادته ، فاذا صعدت امه جبلا تبعها وصعد معها .

والجدي برج من ابراج السماء واسمه Capricorn . وهذا لفظ لاتيني . ويترجم الى الانجليزية فيكون برج الماعز (Caper معناها ماعز ، و Corn معناها قرن) وبرج الجدي هو العاشر في دائرة الابراج وتدخله الشمس عند انقلاب الشمس الشتائي ، وهو في شمال الارض اقصر نهار واطول ليل ويقع في نحو ٢٢ ديسمبر .

المعزاة اللبون (كثيرة اللبن)

المعيز ، منها الوحشي ، ومنها المستأنس . والمفروض ان المستأنس استأنسوه اصلا من ماعز بلاد فارس .

والماعز المستأنس Capra hircus نوع واحد ، ولكنه سلالات مختلفة . ومن هذه السلالات ما يمتاز بلبنه ويربى من اجله ، ومنها ما يمتاز ويربى لصوفه . ومنها ما يقصد لجلده .

والمعيز اللبون . اى كثيرة اللبن ، التى تربى من اجل لبنها ، هي المعيز المسماة بمعيز توجنبرج Toggenburg ، وهي مقاطعة ووادٍ في سويسرا ، وكذلك معيز سانه Saane وهو نهر في سويسرا ايضا . فالسلالتان سويسريتان .

كذلك من المعيز التي تربى لألبانها المعيز النوبية Nubian وموطنها مصر والحبشة ، وهى اكبر من السلالة السويسرية ، ولونها يتراوح بين الأسود والبني الغميق والاسمر الضارب الى الصفرة . وشعرها اقصر وانعم . ولها آذان طويلة .

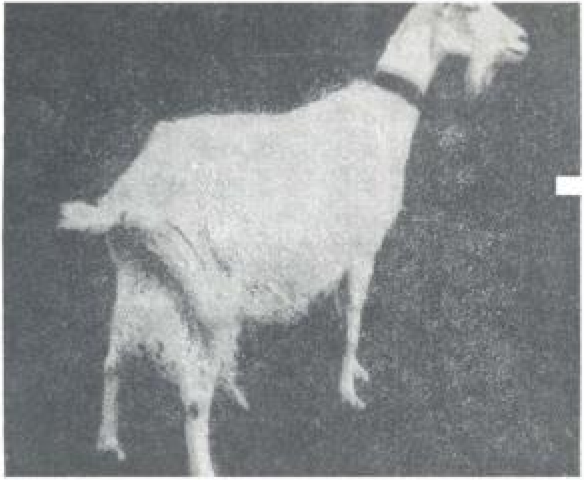
والمعزاة تدر في اليوم ما بين ٤ الى ٦ ارطال من اللبن ، لمدة عشرة اشهر من السنة الواحدة .

واللبن الناتج كريات دهنه اصغر منها في لبن البقر . والجبن الناتج منه انعم من جبن لبن البقر . من اجل هذا كان اللبن والجبن الناتج من لبن المعيز اسهل هضما .

وتفتت دهن هذا اللبن ، وصغر كرياته ، يجعل من العسير فصل قشطته

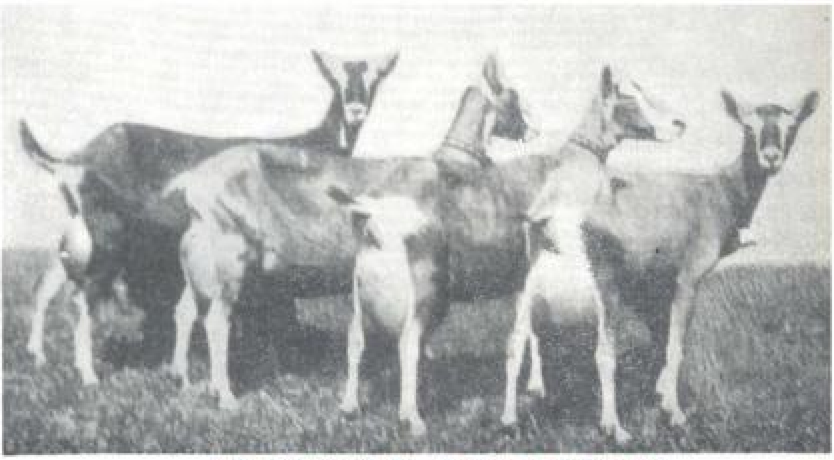


معزاة التوجنبرج
وموطنها سويسرا . وفروتها بنية ، وقد تبلغ لون الشكلاطة عمقا وعلى وجهها ، من ناحيتيه ، شريط ابيض وهي من المعيز الشهيرة بالبانها



معزاة سانه

ولونها ابيض ، وموطنها سويسرا ، وهي شهيرة بالبانها



اربع معزات توجنبرجية معا . انظر اثداءها مليئة باللبن

(اوقشدته) عن سائر اللبن ، الا ان نستخدم لذلك الآلات الفاصلة .

والمعيز لا تأكل من الطعام الكثير اذا هي قورنت بسائر الحيوانات المستأنسة. وهي لا تحتاج الى المكان الكبير الرحب . وقد سميت بسبب هذين الأمرين ببقرة الرجل الفقير .

الماعز الذكر له رائحة

وهي رائحة غير مستحبة ، وهي ليست في الماعز الانثى ، ليست في المعزاة. واللبن من الانثى ، فيجب البعد به عند الحلب عن الذكور .

المعيز مصدر للصوف

وهي سلالات تربى من اجل صوفها . واشهرها سلالتان : ماعز انقرة بتركيا بآسيا الصغرى ، وماعز كشمير .

اما ماعز انقرة ففروته متلوية ، وهي



معيز أنقرة

لها فرو سميك له مس الحرير ، يصنع منه النسيج المعروف بالموهير . نلاحظ فيها قرونها المفرطحة الملتوية واذانها المتدلية .

كثيرة الشعر ، وهو شعر ابيض اللون وله مس الحرير ، ومنه يصنع القماش المتين المعروف بالموهير Mohair .

وهذا الماعز يربى بكثرة فى تركيا ، وفى تكساس من الولايات المتحدة ، وفى جنوب افريقية .

واما ماعز كشمير ، ويوجد ايضا فى بلاد التبت Tibet ، فمن شعره تصنع الشيلان الشهيرة المعروفة بشيلان كشمير ، وهي شيلان غالية الثمن ، ذلك لأن الشال الواحد الذى طوله متر ونصف وكذا عرضه ، يحتاج الى جزءات عشر من هذا الشعر . وهو ينسج باليد ويستغرق نسجه نحو عام . ومن هذه الشيلان ما بلغ ثمنه ١٥٠٠ دولار .

جلود المعيز

وجلود المعيز متينة ، ومنها تصنع الاحذية والقفازات ، وكذلك جلود الكتب .

ومن جلود ماعز انقرة تصنع كذلك السجاجيد ، وحينئذ يستبقى الشعر على هذه الجلود .

وجلد الماعز الصغير ، جلد الجدى Kid Leather (وهو ولد الماعز كما قدمنا) جلد من امتن الجلود واطراها وانعمها ،



ماعز كشمير وهو ماعز نادر، وصوفه ناعم وهو غالي الثمن





اسرة ماعز وحشي اسيوى (ايبكس) ، الذكر وله قرنان عظيمان جميلان منحنيان، والانثى وهي تلد ولدا واحدا ، هو الذى الى جانبها . وذلك في الربيع . والولد يتبع امه حتى من ساعة ولادته ويتسلق معها الجبل .

وهو مادة طيبة لصناعة الجلد المعروف بالسويد Suede Leather .

وفى الاسواق اشياء تصنع من الجلد يطلق عليها انها من جلد الماعز ، وهي فى الحقيقة مصنوعة من جلد الكلاب والفئران .

لحم العنز

انه كلحم الضأن طعما ، لا سيما الصغير منه .

ويقل اكل لحمه فى الولايات المتحدة الامريكية .

الماعز الوحشي

الماعز الوحشي ، وهو غير المستأنس Wild Goat ويعرف بالايبكس Ibex .

وهو يعيش فى اعالي جبال الالب Capra Ibex . وجبال البرانس بين اسبانيا وفرنسا ، وكذلك فى جبال آسيا Capra sibirica وجزيرة العرب Capra sinaitica .

وهو يلتزم مساكنه هذه ، ولا ينزل عنها ، وهي فوق خط الثلوج ، الا للقوت ، فهو يرعى فى الغابات المرتفعة .

ومن لطيف ما يلاحظه الناظر الى الماعز الوحشي ان قدميه الاماميتين اقصر من قدميه الخلفيتين ، وهذا يسهل عليه طلوع الجبل .

وفى الخريف ، وعند قرب انتهائه يأخذ كل حيوان منها اليفة له ، مستعينا بقرنيه فى الصراع الناشىء على الانثى . ويبقى الاليفان معا طول الشتاء حتى يولد لهما الولد الواحد . وهو واحد لا غير . وهو يولد بعد ٩٠ يوما من اللقاء الاول . واذن تكون ولادته فى الربيع .

●●

احمد زكى



التعليم المتخلف

في البلاد العربية

يواجه التعليم في البلاد العربية ـ ولا سيما تلك التي تنطلق حديثا في هذا المجال ـ تحديان قاسيان :

اولهما انها تريد اللحاق سريعا بركب الدول المتقدمة ، والقضاء على الهوة الكبيرة التي تفصلها عنها ، وانها تتوسل بالتعليم والمزيد منه سبيلا لهذا الهدف .

وثانيهما أن ما لديها من امكانات مالية ومادية وبشرية يقصر عما ترجوه من تقدم سريع في هذا الميدان .

الهوة المتعاظمة بين البلدان المتقدمة وبين البلدان السائرة في طريق النمو :

اما فيما يخص التحدي الاول ، فمن الامور التي غدت بدهية ومكرورة ، أن نشير الى ما بين البلدان المتقدمة والبلدان السائرة في طريق النمو (ومنها البلدان العربية) من هوة تزداد اتساعا يوما بعد يوم ويتسع معها الخرق على الراقع .

واذا لم نشأ أن نمضي بعيدا في وصف هذه الهوة القائمة في شتى جنبات الحياة ، فحسبنا أن نشير الى بعض معالمها في ميدان التربية وحدها :

لقد استطاعت الدول المتقدمة جميعها أن تعمم التعليم الابتدائي الالزامي منذ سنوات بعيدة يرجع معظمها الى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على أبعد تقدير . بل ان بلدا كالدانمارك استطاع أن يعمم التعليم الالزامي منذ عام ١٨١٧ . كما استطاع بلد كاليابان ان يحقق هذا الهدف منذ عام ١٨٨٦ ، واستطاعت انكلترا ان تبلغه منذ عام ١٨٧٠ ، وبلغته فرنسا عام ١٨٨٢ . وكثير من هذه الدول المتقدمة اليوم وصلت الى جعل التعليم الثانوي نفسه حتى الثامنة عشرة من العمر تعليما عاما والزاميا . وهكذا تنصب جهود معظمها اليوم على التوسع في التعليم العالي وتيسيره لأكبر عدد ممكن ، وكادت تبلغ نسبة الطلاب في هذا التعليم لدى بعضها ٥٠٪ من مجموع الطلاب



هل من الممكن أن يقوم تعليم بدون صف، وبدون مدرسة ذات جدران، بل وبدون معلم؟

بقلم : الدكتور
عبد الله عبد الدائم

لا تنهض به الأساليب التقليدية

الذين هم في سن التعليم العالي (كما في الاتحاد السوفياتي والسويد والولايات المتحدة) . هذا فضلا عن تعليم الكبار وعن شعارات التربية المستمرة لجميع الناس طوال مراحل العمر ، وعن شعارات التربية لملء أوقات الفراغ في الشيخوخة وما قبلها ! في مقابل ذلك نجد أن الدول العربية لم تبلغ بعد مرحلة تعميم التعليم الابتدائي على جميع الاطفال الذين هم في سن هذا التعليم (بين السادسة والثانية عشرة من العمر). وتدل الارقام ان حوالى ١٠ ملايين طفل في سن التعليم الابتدائي مايزالون خارج هذا التعليم ، في جملة الوطن العربي ، وأن متوسط معدل الزيادة السنوية في هذا التعليم لاتجاوز في الجملة ٦٫١٪ خلال هذا العقد الاخير من السنوات . اما التعليم الثانوى والعالي فلا شك أن مايقدم فيهما من خدمات مايزال مقصرا جدا عن الشاو المطلوب ، رغم ان نسبة التزايد في أعداد الملتحقين بهذين التعليمين تفوق في السنوات الاخيرة نسبة التزايد في التعليم الابتدائي .

وتتفتح الهوة وتتعاظم اذا اطللنا ببصرنا نحو المستقبل ونحو السنوات التي تنتظرنا حتى نهاية هذا القرن :

فالدراسات التحسبية Prospective التى غدت قائمة على قدم وساق والتي تحاول ان تتبين صورة المستقبل في أواخر هذا القرن ، ترينا ان البلدان المتقدمة تطمح الى مراتب من التقدم في التعليم وسواه ، تصل بها الى مرحلة جديدة من الحضارة ، تعرف بحضارة مجتمعات مابعد الصناعة ، بل تصل بها الى حضارة مختلفة في النوع لا في الدرجة فحسب عن حضارتها الحالية. ومن توقعات مثل هذه الدول المتقدمة أن تبلغ عما قريب يوما يؤدى فيه التقدم الآلي بل الاوتوماتي وماوراءه من ثورة صناعية ثانية (هي ثورة العقول الالكترونية) الى ولادة مجتمع يبلغ متوسط الدخل لدى الفرد فيه بين ٥ آلاف و ٢٠ عشرين الف دولار في العام ، مع هبوط كبير في عدد ساعات العمل اليومية وفي عدد ايام العمل السنوية . بل هم يتحدثون منذ اليوم عن عهد ليس ببعيد ،

لايعمل فيه الانسان طوال سني حياته اكثر من ٤٠ الف ساعه .

وفي مقابل ذلك تبين التنبؤات والاسقاطات التي تجريها على البلاد العربية ، فيما لو تابعت خطوات سيرها الحالية ولم تحدث انقلابا جذريا في حياتها وسرعة خطوها ، ان هذه البلدان لن تكون في نهاية القرن الا في عداد الدول التي تحبو لدخول مرحلة الصناعة والتصنيع ، كما تبين أن التعليم الابتدائي نفسه لن يكون في معظمها قد انتشر وعم ! واذا كانت بعض البلدان العربية ، التي أصابت حظا من التقدم التعليمي منذ سنوات بعيدة ، تأمل (في كثير من الصبر) في تعميم التعليم الابتدائي حوالي عام ١٩٨٠ (كما أوصى بذلك مؤتمر وزراء التربية العرب الذي انعقد في مراكش في بداية عام ١٩٧٠) ، فان بعض الدول العربية الاخرى لاترجو – اذا هي تابعت سيرتها الحالية ولم تفكر في احداث تغيير جذري في اساليب تعليمها – ان تتمكن من تعميم التعليم الابتدائي قبل نصف قرن على احسن تقدير (بل لابد لها من أمد أطول من هذا بكثير من أجل تعميمه لدى الاناث) . وتصدق هذه الحقيقة الاخيرة على بلدان عربية كثيرة كالسودان وليبيا واليمن بشطريها والسعودية والعراق والمغرب وسواها .

الامكانات المالية والمادية والبشرية محدودة فوق ذلك

وفوق هذا وذاك ، فالامكانات المالية والبشرية لدى معظم الدول العربية تقصر حتى عن بلوغ هذه المنزلة المتواضعة وعن الوصول الى هذا الهدف البسيط وغير المقبول ، هدف تعميم التعليم الابتدائي خلال الثلث الباقي من هذا القرن ، فضلا عن أهداف التوسع في التعليم الثانوي والعالي وتعليم الكبار .

فعلى الرغم من الخدمات التربوية المحدودة التي تقوم في معظم هذه البلدان ، نجد أن ماينفق على التعليم فيها كبير ومتعاظم بالقياس الى ميزانيتها العامة والى دخلها القومي . فلقد تضاعفت ميزانية التربية في العديد من هذه الدول خلال السنوات الثلاث الاخيرة وحدها (كما حدث في ليبيا والسودان والجزائر) . وأصبح ماينفق على التعليم من ميزانية الدولة في بلد كالسودان اكثر من ١٦٪ من مجموع ميزانية الدولة ، وحوالى ٥٪ من الدخل القومي . بل ان بلدا كالبحرين ينفق على التعليم اكثر من ٢٨٪ من ميزانية الدولة ، كما تنفق السعودية اكثر من ٦٪ من الدخل القومي على هذا التعليم . وفي بلد كالعراق نجد ان ماينفق على التعليم يبلغ حوالي ربع ميزانية الدولة وحوالى ٦٪ من الدخل القومي (وهي نسبة عالية جدا) ومع ذلك فالخدمات التعليمية لم تشمل بعد في المرحلة الابتدائية اكثر من ٦٠٪ من الطلاب الذين هم في سن هذه المرحلة ! وفي بلد كالجمهورية العربية اليمنية ينفق على التعليم الابتدائي وحده مايقرب من ٨٪ من ميزانية الدولة رغم ان نسبة الطلاب في هذا التعليم لاتجاوز ٦٪ من مجموع من هم في سن التعليم الابتدائي !

ان نسبة ماينفق على جملة التربية في البلدان المتقدمة لا يجاوز ٧٪ من الدخل القومي لدى اكثرها تقدما ، مع خدمات تربوية واسعة وكثيفة . في حين أن ماينفق على التربية في معظم البلدان العربية يتحلق حول ٦٪ من الدخل القومي ، مع خدمات تربوية محدودة لاتغطي حاجات التعليم الابتدائي نفسه . فما عسى أن يكون عليه الامر لو حاولت هذه البلدان العربية أن تخطو في السنوات المقبلة خطوات أوسع في طريق التعليم؟ ماعسى أن تكون نسبة ميزانية التربية الى جملة ميزانية الدولة ؟ وهل يمكن أن تخصص التربية وحدها ما يجاوز ثلث ميزانيتها العامة ؟ وماعسى ان تكون نسبة ماتخصصه للتعليم من جملة الدخل القومي ؟ هل ترتفع بهذه النسبة الى رقم غير معقول فتبلغ حوالى ١٠٪ من مجموع هذا الدخل؟

سبيل الحل

امام هذين التحديين الكبيرين تجد الدول العربية نفسها . انها تريد اللحاق بالركب المغذ في سيره ، وتجاوز الهوة المتعاظمة بينها وبين سواها ، غير أنها في الوقت نفسه لا تجد الموارد المالية اللازمة لذلك ، وان افترضنا جدلا أنها وجدت المال ، فمن العسير عليها أن تجد الرجال ، نعني العناصر البشرية اللازمة لهذا التوسع السريع في التعليم . وان قدر لها أن تجد المال والرجال ، فمن العسير أن تجد الامكانات المادية ، من أبنية وتجهيزات وسواها ، بنفس القدر من السرعة .

وهكذا تبدو الصورة امامها مرة قاسية . ان طموحها من أجل تعميم التعليم الابتدائي (حتى خلال سنوات طويلة لا يسمح بمثل طولها منطق التطور في العصر) ، يصطدم بالصعوبات المالية والمادية والبشرية . ولو جاز لها أو لبعضها ان تفكر في تأخير هذا التعميم حتى نهاية القرن ، فانها واجدة في هذا المطلب نفسه امرا ادا لا تسمح به امكاناتها المالية وسواها .

أفتقبل اذن هذا الواقع المرير ، وترتضي لنفسها ان تجهد وتجهد ، فيما يقترب من اليأس ، لبلوغ مثل هذا الشأو المقصر ومثل هذا الهدف الهزيل ، هدف تعميم التعليم الابتدائي في أواخر هذا القرن، وأن تكون في واد ، والعالم المتقدم في واد آخر ينشيء حضارة مابعد الصناعة ويخلق نوعا جديدا من الحضارة والبشر ؟

لا شك أن الجواب على هذا التحدي ينبغي ان ينطلق من منطلقة : ان ما يومىء اليه هذا التحدي في وضوح واصرار هو أنه لا بدّ من التفكير بأساليب تعليمية جديدة ، تمكن مثل هذه البلدان من تحقيق مطلبين في آن واحد : مطلب التقدم السريع في التعليم واللحاق بالركب في وقت معقول بالقياس الى سير الزمن وخطى العصر ، ومطلب الحصول على مثل هذا التقدم السريع بامكانات مالية ومادية وبشرية قليلة .

ومثل هذين المطلبين لايبدوان اليوم أمرا معجزا ، بعد تقدم الوسائل التعليمية وبعد طرح مشكلات التربية من زاوية جديدة . ولعل البلدان السائرة في طريق النمو (وبينها البلدان العربية) مدعوة قبل غيرها الى ابتاع وابتداع مثل هذه الاساليب الجديدة في التعليم ، ولعلها المرشحة قبل سواها لان تكون الرائدة في هذه الشعاب الجديدة ، ما دامت الحاجة تفتق الحيلة ، ومادام نقص الامكانات المالية وسواها لايسده الا الابداع البشري والتفكير في تسليط العقل التربوي المبدع على مشكلات الواقع الصعبة .

بعض معالم الأساليب التربوية الحديثة

اما الحديث عن هذه الاساليب التربوية المبتكرة التي من شأنها أن تحقق نموا متزايدا في التعليم مع نفقات أقل ، فأمر لاتتسع له حدود هذه الكلمة ، ولعله يحتاج الى مقال برأسه بل اكثر من مجلد .

وحسبنا ان نقول موجزين ان شعار الاساليب التربوية الحديثة اليوم هو الشعار الذي سرى في شتى ميادين الحياة المعاصرة ، نعني شعار الاستخدام الامثل للامكانات المتاحة ، شعار الوصول الى افضل مردود واجود مردود باقل المواد الممكنة .

ومثل هذا الشعار يستلزم امرين ، ثانيهما اهم من اولهما في نظرنا : أما الامر الاول فهو القضاء على مافي نظام التعليم القائم من هدر وضياع (بسبب الرسوب الكبير وبسبب التسرب الكبير) ، ذلك الهدر الذي يؤدي في كثير من البلدان العربية الى ظاهرة نعرفها جميعا وهي ان اقل من نصف من يدخلون المرحلة التعليمية يتخرجون منها فعلا في نهايتها . بل ان بلدا كاليمن (الشمالي) يخرج من التعليم الابتدائي اقل من ١٠٪ من عدد الاطفال الذين يدخلون هذا التعليم ! وبلد كالعراق يخرج من التعليم الابتدائي عددا لايزيد على نصف الذين يدخلونه في السنة الاولى، الامر الذي يزيد في نفقات التعليم وكلفته ،بحيث بلغت هذه الكلفة رقما غريبا لا نجد له مثيلا ، اذ وصل متوسط كلفة الطالب في التعليم الابتدائي ٣٦ دينارا عراقيا (عام ٦٨/٦٩) ! ولا شك ان القضاء على مثل هذا الهدر الكبير مطلب اساسي في بلاد لاتتوافر فيها الامكانات المالية ، فضلا عما يحمله هذا الهدر من معان تتصل بضعف مستوى التعليم ومحتواه .

واما الامر الثاني الذي يستلزمه شعار الاستخدام الافضل للامكانات المتاحة — وهو كما قلنا أساسي أكثر من الاول — فهو التفكير في طرائق تعليمية غير الطرائق التقليدية المألوفة ، تؤدي الى أن نعلّم اعدادا أكبر وان نقدم تعليما افضل بأعداد من المعلمين اقل وبأبنية مدرسية اقل عددا وبامكانات مالية اقل بالتالي .

ورائد البحث عن هذه الطرائق التعليمية الجديدة ، أنه لابدّ من اعادة النظر في اطار التعليم الشائع ، وهو اطار قوامه — منذ الازل — صف ذو جدران ومعلم وطلاب . والسؤال الذي يطرح اليوم بشدة وحدة : من قال لنا ان هذا الاطار اطار منزل لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ او ليس من الممكن أن يقوم تعليم بدون صف ، وبدون مدرسة ذات جدران ، بل بدون

معلم ؟ افلا نستطيع ان نلجأ ـ ولا سيما في المناطق الريفية النائية وفي المناطق الجبلية والقرى المتناثرة ـ الى تعليم أفضل ، لايستند بالضرورة الى وعاء الصف الثابت ، ولا يعتمد بالضرورة على نسبة ثابتة بين عدد الطلاب وعدد المعلمين ؟ افلا نستطيع مثلا أن نلجأ الى تعليم قوامه المدرسة ذات المعلم الوحيد وذات الصفوف المديدة مع وسائل تعليمية أفضل ؟ افلا نستطيع أن نلجأ الى مدرسة في الهواء الطلق كما يقال ، عن طريق وسائل البث الجماعية كالراديو والتلفزيون وسواهما ، بحيث نضع برامج تعليمية منظمة لمنطقة باسرها دون ما لجوء الى صف أو معلم الا في النذر اليسير ؟ أو ليس من الممكن أن نلجأ الى وسائل التعليم الذاتي (أن يعلم الطفل نفسه بنفسه) عن طريق برامج وكتب معدة سلفا لهذه الغاية ، وعن طريق مايشبه التعليم المبرمج ؟ أليس من الاجدى أن نقيم تعليما محوره العمل ومحوره تعلم مهنة معينة ، في البيئات الزراعية والصناعية ، بحيث يتعلم الطفل وهو يعمل وينتج، وبحيث نقيم تعليما يسد نفقاته بنفسه ، كما أراد زعيم الهند غاندي فيما سماه بالتربية الاساسية؟

اسئلة كثيرة من هذا النوع تطرح نفسها اليوم. ولا تعني الاجابة عليها أن نتبنى بعض الحلول الجاهزة التي طبقت في بلدان أخرى ، بل تعني أولا وقبل كل شيء أن نفيد من التجارب التي تمت في بعض البلدان لنكيفها ولنبتكر طرقا أصلح لمشكلات بلادنا بل لمشكلات كل بلد وكل منطقة .

المهم في الامر ألا نؤخذ بالقوالب الجامدة وألا نضع التعليم في حذاء صيني يضيق عليه ويكاد يخنقه . والتفكير في مثل هذه الاساليب الجديدة قدر مفروض علينا على أية حال لسببين :

أولهما هو الذي أشرنا اليه عبر هذه الكلمة ، وهي أننا لن نستطيع بالطرائق العادية التقليدية أن نجاوز الهوة وأن نفذ الخطى وأن نقطع الشوط .

وثانيهما أن مثل هذه الطرائق الجديدة لاتؤدي الى زيادة مردود العملية التعليمية والى تخفيض نفقاتها فحسب ، بل تؤدي ـ وهذا أهم ـ الى تقديم تعليم أجود من حيث مستواه ومحتواه ومن حيث ملاءمته لاغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ان المربين في بلداننا والمشرفين على توجيه الحركة التربوية مدعوون الى التفكير جديا في الخروج عن الاطار التقليدي ـ حيث يلزم ذلك ـ وفي ابتداع طرق وأساليب جديدة ، متأسين بالتجربة العالمية ومستجيبين قبل هذا لمطالب مجتمعهم ومشكلات بيئاتهم الخاصة . وهم مدعوون الى مثل هذا التفكير المبدع اليوم قبل الغد ، لأن مشكلات التعليم لاتمهل ، وقد يصلون فيها (ان لم يكونوا قد وصلوا فعلا) الى طريق مسدودة . ومن حق بلادهم عليهم ألا يجعلوا المشكلات تتعاظم ويصعب رتقها ، وأن يبدأوا بمعالجة نظام التعليم اليوم على ضوء مشكلاته وصورته في الغد . فلم يعد من الجائز ، في عصرنا هذا ، أن نفكر بالحاضر على ضوء الماضي ، بل لابدّ من نظرة مستقبلية جديدة ، قوامها التفكير في الحاضر على ضوء المستقبل . ان من واجب المربين أن يقصوا على أنفسهم وعلى بلادهم قصة الغد وأن يحكوا لها تاريخ الغد لا تاريخ الامس ، وأن يبنوا عملهم الحاضر على ضوء ما تقدمه صورة الغد .

ان صورة الغد ـ فيما لو استمرت الاتجاهات الحالية في التعليم ـ صورة قاتمة صعبة كما رأينا. ومن حق الاجيال علينا أن نتذرع بالخيال ـ الخيال العلمي ـ وألا تعوزنا القدرة على تقري المستقبل والتحوط له . وعصرنا كله هو عصر السيطرة على المستقبل ، عصر ابتكار المستقبل كما يقال . ولايتم ذلك الاّ اذا تنبأنا بصورة هذا المستقبل عن طريق مد الاتجاهات الحالية واسقاطها في المستقبل ورؤية نتائج ذلك المد والاسقاط ، وذلك من أجل اتخاذ التدابير اللازمة التي تغير من هذا المستقبل وتصوغه على طراز جديد .

وواضح أن صورة المستقبل ـ كما رأيناها بايجاز في خاتمة هذه الكلمة ـ تشير الى موقف يتطلب مبادرة جادة لاجتنابه . ولن تكون هذه المبادرة الا ان نقتحم ميدانا جديدا خصبا ، هو ميدان اعادة النظر في اطار التعليم وأساليبه التقليدية ، من أجل ابتكار نظام أقدر وأنجع ، يتيح لنا اللحاق بالركب ، ولا يدعنا في موقف العاجز أو اليائس أمام ضخامة الهوة وضعف القدرة . ■■

بيروت ـ عبد الله عبد الدائم

حبة واحدة شهريا لمنع الحمل

● حبوب منع الحمل هي من امضى وسائل تنظيم النسل ولكنهـــا لا تؤدى مفعولها كاملا الا اذا تذكرت المـــراة ان تتناولها فى المواعيد المقررة طوال فترة العادة الشهرية المحددة لهـــا يوميا . وبالطبع فان تناول حبوب منع الحمل يوميا يعتبر فى راى الكثيرين من المتخصصين فى تنظيم النسل العيب الرئيسى فى هذا النوع من العلاج .

ويتم الآن اجراء تجارب على عـــدة انواع من موانع الحمل الهرمونية قد تؤدى الى ظهور حبوب جديدة لمنع الحمل لا يكون تناولها يوميا ضرورة حتميـــة لضمان عدم الحمل . وقد اعلن اخيرا عن التقدم الذى حققه العلماء فى هـــذا الميدان .

ومن اهم ما اعلن اخيرا تقرير نشر بواسطة الطبيبين لوتفين B.E. Lotvin وبرمان E. Berman عن حبة جديدة تتناولها المراة مرة واحدة فى الشهر لتقيها مـــن الحمل . وقد اجريت التجارب على هذه الحبوب الجديدة فى المكسيك . . والعنصر الفعال فى هذه الحبوب اصطنعوه مـــن هرمون الاستروجين Oestrogen واسموه Quinestrol وهـــو ذو مفعـــول باق على مرور الزمن . فهو يمتص بعد ابتلاعه بواسطة مخزون الجسم من الدهنيات ، وهى تقوم بدورها بافرازه تدريجيـــا وببطء .

ويتلخص التأثير البيولوجى لهـــذا الهرمون فى منع تبييض البويضـــة Cvulation وبذلـــك يمنـــع التلقيـــح .

ويؤدى استعمال الكونيسترول وحـــده الى اختلال الدورة الشهرية لدى المراة وهذا قد يسبب قلقا نفسيا لديها . ولهذا السبب فهو يعطى مع مادة البروجستاجن المصنعة Progestagen والتى تسمى اسيتات الكونجستانول Quingestanol Acetate والتى تقوم بتنظيم الدورة الشـــهرية لدى النساء ، وبذلك يتم القضاء على القلق النفسى الذى قد يعترى من تستعمل هذه الحبوب الجديدة .

وقد اعلن لوتفين وبرمان انهما قد قاما بتجربة حبوبهما الجديدة على ٢٠٠ امراة قامت ١٠١ منهن باستعمالها لمدة سنة على الاقل وظهر ان الآثار السيئة لهذه الحبوب لا تتعـــدى نفس الآثار التى تسببها حبوب منع الحمل العادية والتى تستعمل الآن ، بينما تبلغ فعاليتها فى منع الحمل ١٠٠٪ .

البيضة الانسانية في المختبرات العلمية
انضاجها ، ثم تلقيحها ، ثم اعدادها
لتوضع في رحم المرأة التى جاءت منها
ليكون حمل وتكون ولادة

● ان الذى يجرى فى بيضة الانثى من بني‌الناس، محجوب عن رؤية‌الناس، لانه يجرى فى ظلمات البطون والارحام . وقد كشف العلماء عن كثير من هذا المجهول بدراسة هذه الظواهر فى الحيوانات ، مثل الأرنب والفار ، وعلموا من ذلك الكثير .

ومن بيضة الحيوانات انتقلوا الى بيضة الانسان .

وقد علموا ان‌الطفلة الانثى حين تولد، تولد وبها كل حصيلتها فى الحياة من البويضات غير الناضجة Oocytes . وقد أتمت اول تطور لها وذلك بانقسامها انصافا Meiosis . بمعنى ان كروموسوماتها ينقسم كل منها الى نصفين . وهي تبدأ هذا الطور الأول وتتمه بين الشهر الرابع ، والشهر السابع من حياة الجنين .

ثم هي تدخل فترة مديدة تعرف بالفترة الشبيكية Dictyotene Stage وفى هذا الدور تتخذ نواة البيضة اشكالا متميزة ، وتسمى عندئذ بالحويصلة الجرثومية Germinal Vescile . ثم تبقى البويضة غير الناضجة على هذا الحال سنوات عديدة ، تبدأ من قبل ان تولد الطفلة حتى‌تأخذ تنضج‌عند البلوغ .

ومعنى هذا ان البويضة قد تبقى على هذه الصورة الاخيرة ، مدة اربعين عاما ، تنتظر النضج والخروج من المبيض .

وعند البلوغ تعود البويضة تتخذ للنضج اشكالا جديدة ، تساعد على اتمامها الهرمونات الخاصة بها ، وذلك كل شهر .

وعند الزواج يتم بالطبع التلقيح .

وقد استطاع العلماء اجراء كل هذه الاشياء ، والمرور بالبويضة الانسانية على كل هذه الاطوار ، وفى زجاج المختبرات لا فى ارحام النساء . واتموا حتى تلقيح البويضات بالحيوان المنوى من الذكور .

وهم صنعوا كل هذا لغايات .

ومن غاياتهم الواضحة تجنيب النساء اللاتي لا ينجبن بسبب خطأ عندهن يحدث فى طور من هذه الأطوار ، او بسبب موت اجنتهن وهن فى بطونهن لخلل يتصل بهذه الأمور .

انهم عندئذ يستخرجون من المراة بويضتها ، وهى فى طور من اطوارها ، ويجرون عليها ما وجب حتى تنضج اذا لم تكن قد نضجت، ويجمعونها بالحيوان المنوى المأخوذ من الزوج . وهي بعد تلقيحها تر'د' الى رحم الأم . فقد تلد العاقر ، وقد يكون اطفال للمحرومات من الاطفال .



صورة بيضة امراة ، عقموها في المختبر بحيوان منوى ، ثم اخذت تنمو ، فلما بلغت اربعا من الخلايا ، اخذت صورتها بالفوتغرافية ، والتقسم الذى يعقب هذا ينتج ٨ خلايا . وهلم جرا.

كساح الاطفال
سببه احتجاب الشمس عنهم

● ان اول وصف لكساح الاطفال ، فى انجلترا ، كان فى عام ١٦٥٠ . وفى هذا الوقت كان بدء استخدام الفحم الحجرى ، وامتد استخدامه فى اوروبا عندما بدات الحركة المسماة بالثورة الصناعية. ومعها امتلأت الأجواء بدخان الفحم .

وازدحمت المدن بالعمال الفقراء ، فى الحارات الضيقة ، والمنازل المتلاصقة ، والطرقات التي لم تكد تدخلها الشمس.

وقالوا عندئذ ان الكساح سببه نقص فى الغذاء .

ونعلم نحن اليوم انه انما كان ويكون بسبب نقص فى ضوء الشمس .

ونعنى بذلك ، هذا الجزء من اشعة الشمس المسمى بالفوق البنفسجي ، وهو الاشعاع الضرورى للجسم ، والذى هو فيه يخلق الهرمون الذى اسمه كلسى فيرول Calci Ferol . هذا الذى يجرى بعد ذلك فى الدم ، فيعين فى تكليس عظم الانسان ، لا سيما الانسان الناشىء ، ونعنى به الطفل النامي .

فبدون هذا الهرمون لا تتكون مركبات الكلسيوم فى العظام . ولكن بتعريض الاطفال للشمس ، او ادخال القليل من هذا الهرمون الى اجسامهم ، امتنع

فيتامين ج له قضية

● ليس أحد فى العالم العلمي ، امريكيا كان او غير امريكي ، لا يدرى من هو الدكتور باولنج Linus Pauling انه الكيماوى الشهير الذى نال جائزة نوبل مرتين ، مرة جائزة الكيمياء ، والمرة الثانية جائزة السلام .

فهذا الرجل الكبير يرى ان تعاطي مقادير كبيرة من فيتامين جـ Vitamin C تمنع من البرد .

واجتمع جماعة من الصحفيين الذين ينقلون أخبار العلم فى مؤتمر الرابطة الامريكية المنعقد منذ زمن غير بعيد فى مدينة بسطن ، وجادلوا صاحبنا العالم فى نظريته هذه ، وهم فى شك مما يقول كبير . وكان رأيهم الغالب يجمع بين التكذيب والصبر على ما يقول . ورأى بعضهم ان رجلا عالما ، فى مكانته هذه المرموقة ، من حقه احيانا أن يلعب دور المغفل فيهم . ولكن العجيب ان من هؤلاء المشككين من ترك قاعة النقاش فاذا بنا نجدهم فى الاسواق عند الصيادلة يتزودون بمقادير هائلة من هذا الفيتامين .

وهذا مثل من التناقض يقوم فى مواقف الناس من الشيء الواحد . قبول ومعه الرفض. فينقضى على الناس عشرات من السنين يقوم قوم فيها بالدعاية البالغة للفيتامينات وترديد ما لها من فضائل ، فهي تشفي من مرض البرى برى ، كما تشفي من عضة البرغوث ، حتى ادت هذه المبالغة الى قيام ريبة فى امر هذه الفيتامينات .

كذلك يحاول المعلنون ان يأتوا بالدلائل العلمية على ما يقولون ، بدون ان يحذروا من ضعف الدليل الذى به يأتون . وقد كان من جراء شيء كهذا وقع منذ سنوات ان خرج كتاب صغير الى الاسواق عنوانه : كيف تستخدم الاحصاءات فى الكذب على الناس .

ولكن قد يظهر بعد كل هذا الدليل العلمي الصحيح الصادق فيقلع الشاكون عن شكوكهم .

ولعل شيئا من هذا هو الذى وقع



انه الكساح ، بسبب سوء تشكيل العظام ، ويحدث بسبب نقص في الهرمون المكلس المسمى كلسي فيرول ، وهو يتخلق في الجسم بفعل من شعاع الشمس . وفي الصورة اليسرى ، رسم باشعة س لعظمتي ذراع طفل عمره سنة ونصف ، على الصحة ، والى جانبها صورة مثلها للعظام بعد ان نالها الداء . ويمنع من كل هذا ضياء الشمس يدخل الى بيوت الناس .

★★★

الكساح عنهم ، وجنبناهم العجز الذى يطرأ بعدم استطاعتهم استخدام الاطراف . وجنبناهم كذلك كل ما كان يطرأ على الاجسام وعظامها من الصور البشعة .

ومع كل هذا نجد كتب الطب الى اليوم تتحدث عن فيتامين د ، وتقول انه بسبب نقصه في الجسم ، يحدث الكساح ؟ !!

لما اصدر الدكتور باولنج ، منذ اسابيع ، كتابه الذى عنوانه : « فيتامين جـ والبرد العادى » Vitamin C and the Common Cold

فما كاد هذا الكتاب يظهر حتى اشترى الناس كل ما في الصيدليات من هذا الفيتامين . وكان من جراء ذلك ان مدير مصلحة الغذاء والعقاقير بالولايات المتحدة ، عندما سمع بذلك اسف ان تذهب بدعة كهذه باموال الناس في غير طائل . أما الدكتور باولنج فقد بنى ايمانه بهذه الفيتامينات على ثلاثة امور :

١ ــ انه عندما تناول جرعات كبيرة من هذا الفيتامين هو وزوجته ، لاحظ هبوطا بينا في عدد اصابات البرد التى اصيبا بها ، وكذلك في قوتها .

٢ ــ جاء بقائمة من ابحاث عن اشخاص ، قاموا بتعاطي الفيتامين ، فنتج عن ذلك انهم كانوا اقل اصابة بالبرد من امثال لهم لم يتعاطوا من هذا الفيتامين شيئا . وكان من هذه الحالات الذى ذكرها حالات ذكرها آخرون ليثبتوا ان نظرية فيتامين جـ هذه نظرية لا اصل لها . وذكر الدكتور باولنج كذلك دراسات اخرى تدل على ان هذا الفيتامين يساعد على التئام الجروح ، ويمنع آلام الظهر وبعض صنوف السرطان التى تصيب المثانة . وهو يزيد في النشاط الذهني ان لم يزد في مقدار الذكاء .

٣ ــ وهو يقترح ، بدون دليل ، ويعترف بأن اقتراحه بدول دليل ، ان فيتامين جـ ربما يؤدى عمله هذا ، بان يشجع انتاج الانترفيرون Interferon ، ذلك المطهر العام للفيروس في الاجسام .

والناقدون لراى باولنج في امر هذا الفيتامين ، يذكرون ان الدراسات التى ذكرها باولنج سندا لنظريته دراسات صحيحة ، وان تعاطي مقادير كبيرة من هذا الفيتامين لمدة طويلة لا تعرف عواقبه ، وقد تدرس هذه العواقب بعد .

على كل حال لا يزال الصيادلة الى اليوم مغتبطين لكثرة ما يبيعون .



ماذا نتعلم فى الجامعة

● يقول وليام كورى William Cory (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) استاذ الشعر الغنائي بكلية ايتون Eton : « اننا نخطىء عندمانتصور اننا نلتحق بالجامعة سعيا وراء العلم والمعرفة وحدهما ، فنحن نتعلم فنونا أخرى لا تقل اهمية عن المعلومات التى نقراها فى الكتب ..

« اننا نتعلم فن الانصات وقدرةالتعبير عن النفس .

« ونتعلم فن التأثير على افكار الناس واقناعهم بما نؤمن به .

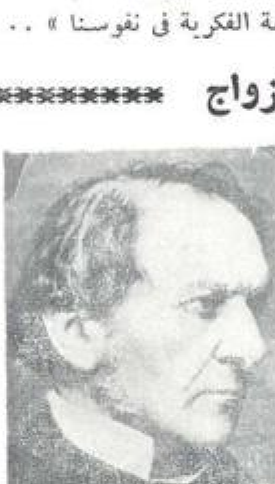
« ونتعلم فن الاعتراض او الموافقةعلى الاراء والمقترحات التى تطرح امامنا، ولكن باسلوب جامعى .

« ونتعلم فن انجاز اعمالنا فى الوقت المحدد لنا .

« ونتعلم كيف نتذوق ما نقرا ، وكيف نفرق بين الغث والثمين فى قراءاتنا .

« واخيرا كيف ننمي الشجاعة الادبيةوالشجاعة الفكرية فى نفوسنا » ..

الاستقلال .. والزواج



● كان من عادة وليام ايوارت جلادستون William Ewart Gladstone ، الذى تولى رئاسة الوزارة البريطانية عدة مرات (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨) وكان من السياسيين البارزين الاحرار ، ورئيسا لحزب الاحرار البريطاني ، أن يرد على بعض الخطابات الخاصة التى ترد اليه من افراد الشعب ، والتى كان يحرص دائما على الاطلاع على اكبر عدد ممكن



ضمير يستيقظ

يروى عن هنريك جوهان ابسن Henrik Johan Ibsen ، الشاعر والكاتب المسرحي الشهير (١٨٢٨ - ١٩٠٦) ، ان احد اصدقائه من كبار رجال السياسة فى الحكومة النرويجية ائتمنه يوما علي سر خطير يتعلق بالضرائب الجديدة التي ستفرض على سلع معينة بمناسبة تقديم الميزانية الجديدة للبرلمان ، وطلب اليه الا يبوح به لاحد .

ولكن ابسن ما كاد يخرج من بيت صديقه ، حتى التقي بطريق الصدفة ، بصديق آخر له يعمل رئيسا لتحرير صحيفة كبرى بمدينة اسلو ، العاصمة ، واستطاع الصحفي بمهارته ان يستدرج ابسن فى الحديث وينتزع منه اسرار الميزانية الجديدة انتزاعا !

وامتد الحديث بين الرجلين ، وفجأة اكتشف الكاتب النرويجي ان القطار الذى سيقله الى بيته فى الريف فاته ، فاضطر الى الذهاب الى اقرب فندق ليبيت فيه ليلته !

ودخل غرفته لينام ، ولكن النوم هرب من عينيه ، وعاد يضيء النور ، فاذا به يقرأ فى لافتة صغيرة علقت فوق سريره: « اذا لم تستطع النوم ، فلا تلومن الفراش ، فهو فراش وثير ، حاسب ضميرك اولا ، وتأكد انك لم تفعل شيئا يسيء الى احد !! » .

وتذكر ابسن قصة السر الذى اؤتمن عليه وافشاه ، فاسرع يرتدى ملابسه ، وقصد فورا الى مكتب صديقه الصحفي وراح يرجوه الا ينشر شيئا مما سمعه منه !

فقال رئيس التحرير : « صمتي الذى تريد يكلفك مبلغا يساوى عشرة آلاف دولار ! » .

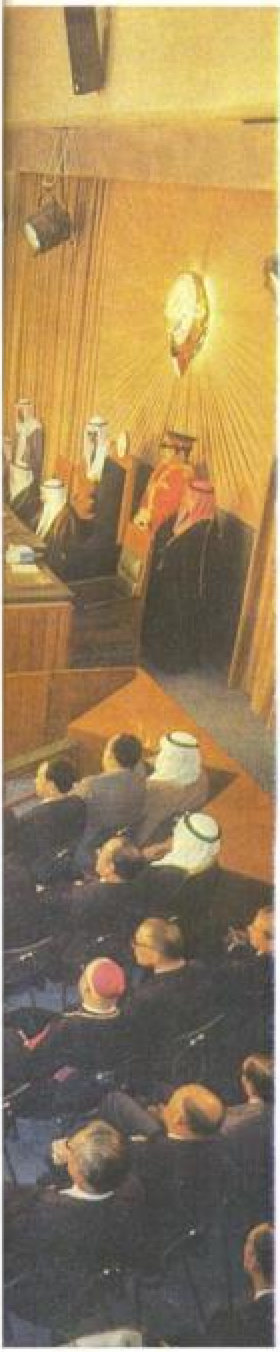
ولم يتردد الكاتب النرويجي لحظة واحدة . اخرج دفتر شيكاته وحرر شيكا بالمبلغ ، ثم عاد مسرعا الى غرفته بالفندق لينام !!

منها . جاءه خطاب يوما ، يحمل فيه صاحبه ، وكان نائبا سابقا فى البرلمان ، على سياسة جلادستون التى تدعو الى منح ايرلندا الحكم الذاتي .. وهي سياسة طالما نادى بها رئيس الوزارة البريطانية الأسبق ، ولكنه لم يعش ليرى ثمار جهوده !

وجلس رئيس الحكومة يرد على الخطاب ، قال : « هل تستطيع ان تفرض نفسك على امرأة لا تريد ان تقاسمك العيش ؟ كيف يكون موقفك اذا عدت يوما الى بيتك وقالت لك امرأتك انها لم تعد تحبك ، وانها تريد ان تستقل بحياتها ، لانها لاتحتمل الحياة معك تحت سقف واحد !

هذا هو بالضبط مطلب الشعب الايرلندى ، وانا لا أؤمن بان هناك زواجا يمكن ان يدوم تحت الضغط والتهديد ! »

استطلاع
الكويت



مَجلِسُ الأُمَّةِ الكُوَيْتِيّ

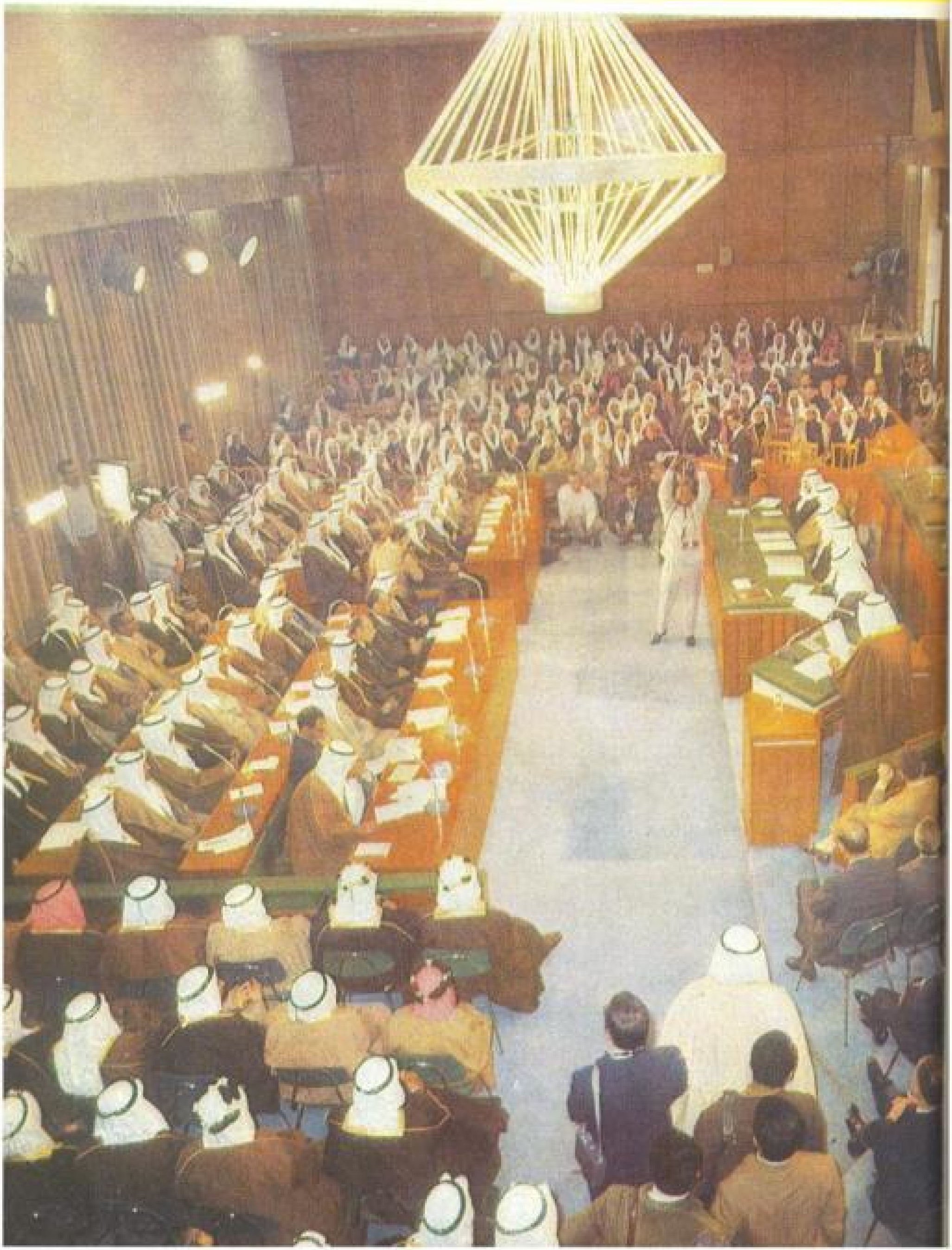
افتتاح الفصل التشريعي الثالث له

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار مترى



في صباح يوم ١٠ فبراير شباط ١٩٧١ توجه سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح الى مجلس الامة لافتتاح الدور الاول من الفصل التشريعي الثالث .



■ « ابنائي .. امامكم اعمال كثيرة وهامة .. فعلى الصعيد العربي تمر امتنا بفترة من اخطر الفترات .. ويتمثل ذلك في معركة المصير التي تمتنا جميعا .. وعلى الصعيد الاقليمي ، في خليجنا العربي ، هناك تطورات منتظرة سوف يكون لها آثرها في تحديد مستقبل هذه المنطقة ، الذي نرجو أن يكون مستقرا ومزدهرا .. انى ادعوكم الى العمل يدا واحدة .. وقلبا واحدا .. لخير بلدنا وامتنا ، ومن اجل تهيئة مستقبل افضل للاجيال الصاعدة من ابنائنا واحفادنا .. »

كانت هذه من الكلمات التى افتتح بها صاحب السمو امير دولة الكويت الشيخ صباح السالم الصباح دور الانعقاد العادى الاول من الفصل التشريعي الثالث لمجلس الامة ، وهو يتحدث الى اعضاء مجلس الامة الخمسين الجدد ، الذين انتخبهم الشعب من بين ١٨٣ مرشحا تقدموا للانتخابات الرابعة النيابية في تاريخ الكويت ..

كبار رجال البلاد يشهدون حفل الافتتاح

كان النواب يجلسون في مقاعدهم الى جانب اعضاء مجلس الوزراء الجديد .. وحولهم الشيوخ ورؤساء المجالس النيابية السابقة وكبار رجال الدولة من وزراء سابقين ، ورجال جيش وشرطة ووكلاء وزارات .

وفي الاماكن المخصصة للسلك الدبلوماسي جلس سفراء الدول من فرنسا وانجلترا وروسيا وامريكا والسعودية والفاتيكان ومصر وايران وغيرهم .. جلسوا كلهم يستمعون الى كلمة الامير والخطاب الاميرى الذي جاء بعده .

روح الأسرة الواحدة

وقبل ان تبدأ الجلسة دخل رجل جليل كبير السن يسير متكئا على عصاه ، ما كاد يلمحه الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، المستشار الخاص لامير الكويت ، حتى تقدم اليه يساعده ويقدم له مقعده ليجلس عليه .. انه « ابو عبد الله » عبد الرحمن الرومى ، الرجل الذى يحمل ذكريات نحو تسعين عاما فوق كاهله ، ومع ذلك يصر على حضور حفل الافتتاح لكل دورة .. يحضرها متفرجا معتزا بها ..

انها روح الاسرة الواحدة التى اشتهرت بها الكويت ، والتى تربط بين افرادها حكاما ورعية ..

ذكريات أول مجلس

وعندما بدأ سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد في تلاوة الخطاب الاميرى ، تعاقبت الذكريات ، ورجع القدماء الحاضرون من اهل الكويت بالذاكرة الى الماضي ، ورجعنا معهم الى عام ١٩٢١ عندما تاسس اول مجلس استشارى في الكويت في عهد حاكم البلاد العاشر المرحوم الشيخ احمد الجابر ، والد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الحالي ..

لقد كان المجلس الاول مكونا من اثنى عشر عضوا يمثلون اعيان الكويت ووجهائها .. وتم اختيار هذا الرعيل الاول من ممثلى الشعب دون انتخاب رسمي .. بالاختيار ومناصحة اهل الرأى .. اما اسماؤهم فهى :

الحاج حمد العبد اللـه الصقر .. الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، عبد الرحمن السيد خلف النقيب .. هلال بن فجحان المطيرى .. الحاج شملان بن على بن سيف .. الشيخ عبد العزيز الرشيد .. خليفة بن شاهين الغانم .. احمد الفهد الخالد .. احمد بن صالح الحميضي .. مرزوق الداود البدر .. ابراهيم بن مضف .. مشعان الخضير الخالد ..

لقد بدأ هؤلاء الاعضاء اجتماعاتهم بحماس زائد ولكن هذا المجلس الاستشارى لم يعمر طويلا ، اذن سرعان ما نشب الخلاف والمشاحنات بين اعضائه ، فانفض سامرهم بعد شهرين فقط من انعقاد مجلسهم الاستشارى الاول ..

الخطاب الأميرى يستعرض السياسة العربية والمحلية

وتنقطع الذكريات بصوت ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وهو يقرأ في نبرات قوية الخطاب الاميرى فيدين دولة العدوان ثم يقول : « لقد اوضحنا اكثر من مرة اننا لن نوافق على اى حل لقضية فلسطين لا يرضى عنه الشعب العربى الفلسطيني ، صاحب الحق الاول في هذه القضية » .

ويتحدث الخطاب الاميرى عن الاحداث الاليمة التى وقعت في الاردن الشقيق فيقول : « ان ما يجرى في اى قطر شقيق من احداث تؤثر في قدرته على الصمود تجاه عدونا المشترك هو مما يعنينا جميعا .. »

ثم يتحدث الخطاب الاميرى عن الوحدة الرباعية

بين الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان وسوريا فيقول : « اننا نبارك الخطوات التى اتخذت لقيام الاتحاد الرباعي وكل تقارب ممالل بين الدول العربية نحو الوحدة الشاملة او الاتحاد الشامل من اجل مجابهة ما يتهدد امتنا من اخطار ، واعلاء شأنها في العالم .. »

وينتقل الخطاب سريعا يوضح موقف الكويت تجاه بقية الاحداث ، من تأييد كامل لقيام اتحاد بين الامارات العربية التسع في الخليج العربي .. ثم يتحدث عن حرص الحكومة على تقوية الجيش وتدريبه وتزويده بالعتاد .

ويتابع الحديث عن السياسة الداخلية فيتحدث عن التشريعات الجديدة اللازمة للمحاكم ، وعن قانون البلديات ، وعن تنظيم الادارة الحكومية ، ومراعاة احلال ابناء الكويت من خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة في الوظائف الملائمة لهم ، ليحملوا عبء المسئوليات الوطنية الملقاة على عاتق جيلهم . ثم يتحدث الخطاب الاميرى عن تحسين اوضاع العمال والمستخدمين وصغار الموظفين من ابناء البلاد .. وعن زيادة فئة العلاوة الاجتماعية لجميع العاملين في الدولة .. ورفع غلاء المعيشة لاصحاب معاشات التقاعد من الكويتيين ..

ثم يتابع الخطاب الاميرى الحديث عن المخطط الهيكلى ، وعن زيادة عائدات النفط ، وعن افتتاح مركز الدراسات المصرفية لاعداد موظفين مدربين على اعمال المصارف .. وعن اشتراك الكويت في صندوق الانماء العربى ، وعن الحركة الاقتصادية والتجارية ، وعن دعم الحكومة لحركة التصنيع في الكويت وتشجيع الصناعات الوطنية وفتح آفاق لها .. وحماية المستثمرين المحليين من شركات الاستثمار التى تتعامل بالاوراق المالية في البورصات الاجنبية .

ثم يتطرق الخطاب الاميرى الى الخدمات العامة فيقول : « ان سياستنا فيما يتعلق بهذا الموضوع تتلخص في تحقيق المزيد من العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين في كافة المجالات ، من صحة وتعليم وكهرباء وماء ومواصلات سلكية ولاسلكية .. »

مجلس يضم الكفاءات

ويختتم سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد تلاوة الخطاب الاميرى بهذه الفقرة ، موجها حديثه الى النواب خاصة :

ــ ان المواطنين الذين اولوكم ثقتهم في الانتخابات العامة يتطلعون الى مجلسكم هذا ، الذى يضم كفاءات وثقافات وتخصصات متنوعة ، استكمل بها صفته التمثيلية الشاملة ، ويرون فيه تعبيرا صادقا عن احاسيسهم ورغباتهم ، ومرتكزا لآفاق جديدة حافلة بالآمال والاعمال .. كما تتطلع الحكومة الى التعاون مع المجلس الى ابعد الحدود ، على اساس الصالح العام والثقة والاحترام المتبادلين بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، وتأمين الحريات العامة لجميع المواطنين .. »

و « شاورهم فى الأمر »

وهذا المجلس الجديد الذى جاء محققا لآمال

ازدحمت قاعة مجلس الأمة بالنواب والوزراء والمدعوين ، حتى لم يعد هناك موضع لقدم .. ومما يذكر أن هناك مشروعا لاقامة مبنى حديث كبير لمجلس الأمـة .





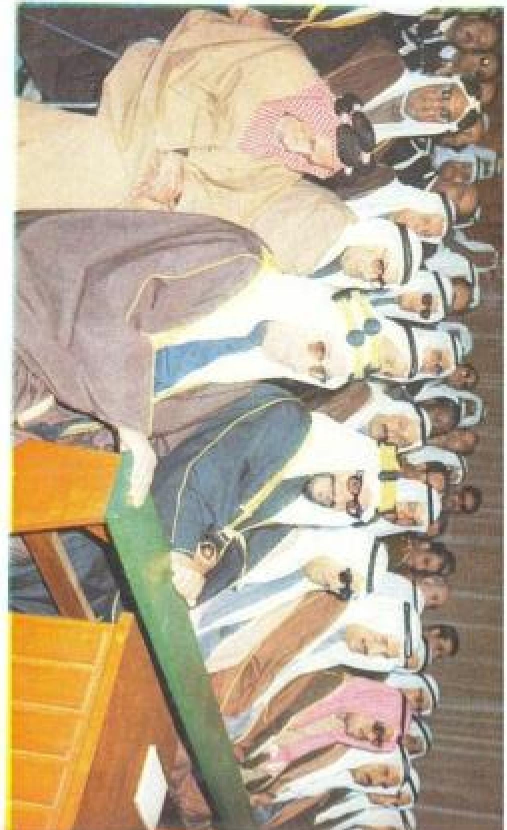
سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، يرفع يده محييا النواب والوزراء ، عند دخوله الى مبنى مجلس الامة ، الذي ترى صورته الخارجية في الصورة السفلى .

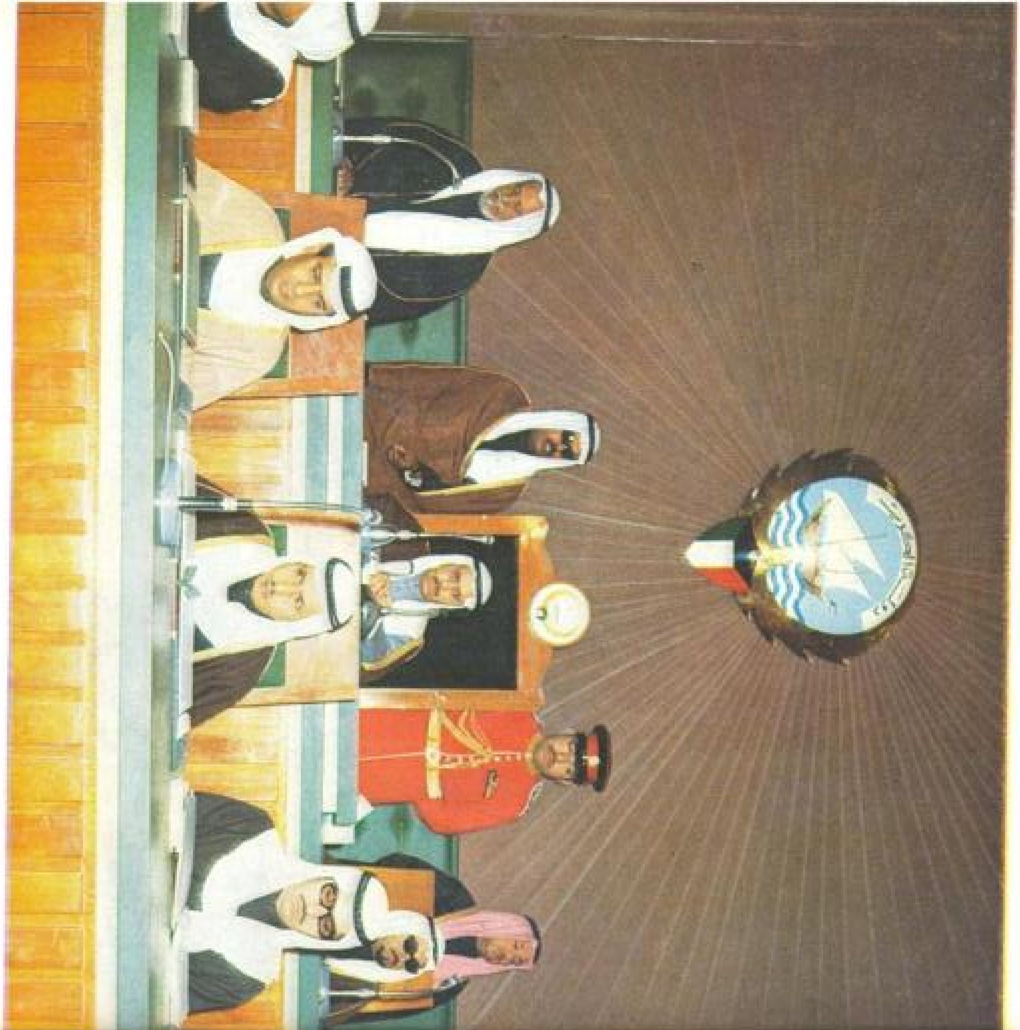


الصورة السفلى : سمو امير الكويت يستمع الى كلمة الترحيب من محمد الوسمي السديران ، اكبر اعضاء المجلس سنا .. والى يسار سموه جلس سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد ، بينما وقف خلف سموه الشيخ خالد الاحمد الجابر رئيس الديوان الاميري ، والشيخ سالم الحمود الصباح كبير المرافقين العسكريين ، والسيد محمد درويش العرادي وكيل الديوان الاميري . وفي وسط الصف الامامي جلس سالم المضف امين عام المجلس والى يمينه عبد اللطيف الفليج مساعد الامين العام .



كبار رجال الكويت من رؤساء مجالس ووزراء سابقين .. وقد جلس بينهم – في مقدمة الصف الثاني « ابو عبد الله » عبد الرحمن الرومي ، الذي يصر على حضور جميع حفلات الافتتاح ..





الشعب والحكومة على حد سواء،لم يكن الا وليد حياة نيابية حديثة في الكويت، جاءت امتثالا لقوله تعالى « وشاورهم في الامر » واستشرافا لمكانة من كرمهم في كتابه العزيز بقوله « وامرهم شورى بينهم » .واستجابة لسنة التطور والافادة من مستحدثات الفكر الانساني ..

انتخاب اول مجلس تأسيسى

وقد مرت الحياة النيابية في الكويت بمراحل مختلفة خلال العشر سنوات الماضية .. وهذه الحياة النيابية الحديثة بدات بصدور مرسوم اميرى يوم ٧ اكتوبر ١٩٦١ يدعو ابناء الكويت الى انتخاب اول مجلس تأسيسي .. وتقدم لهذه الانتخابات ٧٤ مرشحا تنافسوا على ٢٠ مقعدا ، وبلغت نسبة الناخبين الذين ادلوا باصواتهم ٨٥٪ من مجموع عدد الناخبين . وعقد المجلس التأسيسي اول جلسة له يوم ٦٢/١/٢٠ .. وكان الهدف الاول للمجلس هو وضع دستور لدولة الكويت ..

وبعد عشرة شهور من المناقشات الحادة توصل اعضاء المجلس التأسيسي الى وضع الصيغة النهائية للدستور . وفي ١١ نوفمبر ١٩٦٢ صدق امير الكويت المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح على هذا الدستور، الذى تجمع مواده المائة والثلاثة والثمانون بين حسنات الحكم الرئاسي ، وحسنات الحكم البرلماني المعمول بهما في الدول المتحضرة .

أول مجلس أمة ..

وكان مولد الدستور بداية عهد جديد للبلاد اذ اجريت على الفور انتخابات جديدة . كانت اول انتخابات برلمانية يخوضها المواطنون . كانت حامية الوطيس من اجل اختياره ٥٠ نائبا لاول مجلس للامة ، من بين ٢٠٤ من المرشحين الذين تقدموا للانتخابات ..

وعقد هذا المجلس جلسته الافتتاحية في ٢٩ يناير ١٩٦٣ وتتابعت جلساته في خمس دورات عادية ودورة استثنائية ، ووافق على العديد من القوانين والميزانيات والاتفاقيات .. وانتهى عمر المجلس الاول في ٢٨ يناير ١٩٦٧ .

ثاني مجلس للأمة

واجريت الانتخابات الثانية لانتخاب مجلس امة في ٢٥ يناير ١٩٦٧ وقد تقدم اليها ٢٢٥ مرشحا فاز منهم ٥٠ عضوا، عقدوا من الجلسات ٢٠٢ خلال فترة اربع سنوات ، وانتهى عمر المجلس الثاني في ٦ فبراير ١٩٧١ .

ثالث معركة انتخابية تختلف عن سابقتيها

ومنذ شهرين فقط اجريت انتخابات مجلس الامة الثالث ، اى هذا المجلس الحالى الذى نتحدث عنه . واختلفت هذه المعركة الانتخابية عن سابقتيها بوجود عناصر شابة ، اذ خاضها خريجون كويتيون كانوا موضع ترحيب الشعب .

وبلغ مجموع عدد المتقدمين للانتخابات ١٨٣ مرشحا ، كان التنافس شديدا بينهم ، وكانت المجلات الاسبوعية تصدر الملاحق اليومية ، فتزيد من احتدام المعركة بذكرها للتوقعات والتنبؤات ، مع نشر دعايات وبرامج المرشحين ، ووجهات نظر المواطنين ..

المرأة تفشل فى المعركة وتنجح فى الندوة !

ومن قلب المعركة الدائرة ، ارتفع صوت المرأة مطالبة بحقها في الانتخاب ، ولكن صوتها لم يلق اذنا صاغية ، فاتجهت الى منبر الاجتماعات والندوات .. فاقيمت ندوة في جامعة الكويت اشتركت فيها المرأة وبعض اساتذة الجامعة وعدد غفير من طلاب الجامعة .. وبعد نقاش ومجادلات اسفرت النتيجة عما يلى :

١ — من الخطأ اطلاق تسمية (مجلس الامة) على مجلس لم تساهم المرأة في تكوينه عن طريق المعركة الانتخابية ، مع العلم ان كلمة « امة » تشمل الجنسين .

٢ — ان احتكار الرجل لهذا الحق دون المرأة هو اقرار ضمني بتفوقه عليها ، وطعن في مقدرتها لتفهم جانب هام من جوانب الحياة ، هو الجانب السياسي !

٣ — ان في الواقع الذى تعيشه الدول التى منحت المرأة هذا الحق شاهدا على كفاءة المرأة ودرايتها في ميدان الانتخابات ، ومن ثم فلا مبرر هناك اطلاقا لحرمان المرأة عندنا من هذا الحق..!

وهكذا صوت ٧٥٪ من حاضرى الندوة الى جانب حق المرأة في الانتخاب ، ولكنها رغم هذا النجاح



السفراء وقناصل الدول العربية والاجنبية في الكويت ، جلسوا في المكان المخصص لهم بقاعة مجلس الامة الكويتي ، يشهدون حفل افتتاح المجلس الجديد ، ويستمعون الى الخطاب الاميرى .

الذى حققته ، واعترف به الرجل في الندوة الجامعية ، بقيت كما هي غير قادرة على التعبير عن رأيها السياسي او اعطاء صوتها ..

ترحيب بنتائج الانتخابات

وبدأت الانتخابات .. وتجمعت اصوات اكثر من ٤٠ الف ناخب في صناديق الاقتراع .. وكانت ساعات فرز الاصوات ، ساعات قلق وترقب ظلت مسيطرة على الناخبين والمرشحين حتى اعلنت النتائج .. نتائج رحب بها الجميع ، فقد دخلت المجلس عناصر جديدة تحمل افكارا جديدة تعكس تطلعات الشعب وآماله في تحقيق حياة نيابية حديثة مثالية ..

لقد سقط في الانتخاب بعض الاسماء لاشخاص لامعين ، ودخل المجلس ٢٧ نائبا جديدا من مجموع ٥٠ نائبا .. كانت الانتخابات نزيهة حيادية ، حتى ان الذين خانهم الحظ في النجاح اشادوا بنزاهتها .

تخفيض سن الناخبين

وترتفع اصوات بعض الشباب معلقين على الانتخابات بقولهم : « اننا نريد الادلاء بأصواتنا ولكن القانون يقف حائلا بيننا وبين تحقيق هدفنا ، اذ انه لا يسمح بالانتخاب الا اذا بلغنا سن ٢١ سنة ، ونحن نطالب بتخفيض سن الناخبين الى ١٨ سنة ، كما حدث في بريطانيا وغيرها من الدول .. ونحن نعتمد على المجلس الجديد لتحقيق هذا.

الآمال كلها معقودة على المجلس

وهكذا اصبحت آمال الشعب معلقة بهذا المجلس الجديد .. الذى ضم وجوها عركتها الحياة والتجارب ، ووجوها شابة فتية متحمسة ، وفي الجلسة الاولى للمجلس الجديد استطاع النواب الجدد اكتساب ثقة واصوات اخوانهم القدامى ، الذين انتخبوا الشباب لرئاسة وعضوية اغلب لجان المجلس .

قلب نظام الجلسات

وفي الجلسة الاولى ايضا حدثت مفاجاة ، عندما وقف النواب يطالبون بتغيير مواعيد عقد الجلسات وجعلها مسائية بدلا من انعقادها صباحا ، حتى لا تعوق الوزراء عن اعمالهم خلال ساعات العمل في الصباح ، وتتيح الفرصة امام المواطنين لمتابعة اعمال المجلس .. وقد وافق المجلس على ذلك ..

استهلال طيب

وكان احسن استهلال لأعمال المجلس الجديد هو موافقة لجنته المالية على المرسوم بقانون الذى أصدرته الحكومة خلال عطلة المجلس ويتضمن هذا القانون الموافقة على الانضمام الى صندوق الانماء العربي ، الذى تساهم فيه الكويت بثلاثين مليون دينار كويتي .

ومما يذكر ان انشاء هذا الصندوق جاء نتيجة اقتراح قدمته الكويت الى جامعة الدول العربية ، وهو يهدف الى الاسهام في مشروعات الانماء





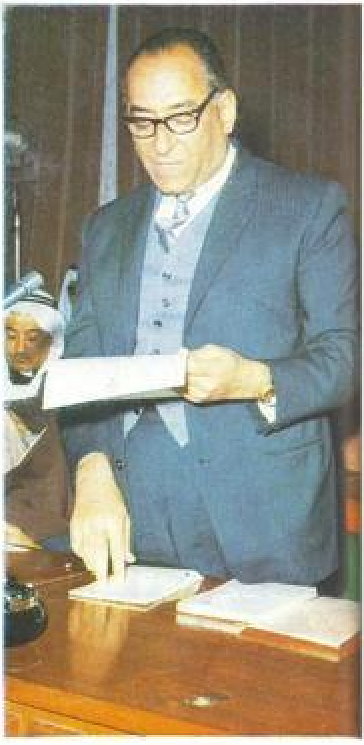
الى اليمين : وزير خارجية الكويت ، ووزير الاعلام بالنيابة الشيخ صباح الاحمد الصباح ، يؤدي اليمين الدستورية التي اقسمها كل اعضاء مجلس الامة فردا فردا ، ونصها : « اقسم بالله العظيم ان اكون مخلصا للوطن وللأمير، وان احترم الدستور وقوانين الدولة ، واذود عن حريات الشعب ومصالحه وامواله ، وأؤدي اعمالي بالامانة والصدق »



الى اليمين : سمو الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت، يعلن افتتاح الدور الاول من الفصل التشريعي الثالث لمجلس الامة بالنطق السامي الذي جاء فيه : « ... واني على يقين من ان مجلسكم سيجد من الحكومة كل تفهم وادراك لتمكينه من القيام بواجباته الدستورية على اكمل وجه وان الحكومة من جانبها ستجد من مجلسكم تعاونا صادقا للقيام بمسئولياتها كاملة .. ومواصلة السير بالبلاد نحو المزيد من الرخاء والتقدم في شتى الميادين .. » والى يسار سموه وقف سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح ، الذي نراه في الصورة التي الى اليسار يلقي الخطاب الاميري



الشيخ سعد عبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع ، يضع البطاقة التي ادلى فيها بصوته عند انتخاب رئيس المجلس ، والى يساره جلس الدكتور عبد الرزاق العدواني وزير الصحة الجديد ..



الى اليمين : الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة في الوزارة الجديدة يتلو اليمين الدستورية ..

الاقتصادى والاجتماعى في الدول العربية ، عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية ذات الطابع الاستثماري ، بقروض تحمل شروطا ميسرة ..

وراسمال هذا المشروع ١٠٠ مليون دينار كويتي، تساهم فيه الدول العربية جميعها بنسب متفاوتة .. وسوف يكون مقر الصندوق الدائم في مدينة الكويت .

تجربتنا البرلمانية بدأناها جديدة في أسلوب « الشورى »

وجلسنا الى رئيس مجلس الامة السيد خالد صالح الغنيم ، نستمع اليه يحدثنا عن التجربة البرلمانية التى مرت بها الكويت فيقول :

ـ طالما وصفت تجربتنا البرلمانية بانها تجربة « رائدة » ، وهذا عين الحقيقة في شانها ، كما انها حقيقة مزدوجة الحد ، لانها ان حملت معنى الاعتزاز بها من جانب، فهى تحمل معنى المسؤولية من جانب آخر .

اما كونها حقيقة تاريخية فمرده اننا فور استكمال الاستقلال بمعاهدة ١٩٦١ ، لم نتردد في الاخذ باسلوب العصر الحاضر في شان اسلوب « الشورى » وكيفية الخروج بها من نطاق العموميات والمبادىء العامة الى حيز الواقع المحدد المعالم . الموفور الضوابط ، المحكم الجزئيات .

فالشورى في جملتها حكم اسلامى عام امر الله تعالى به في كتابه العزيز ، واكدته السنة النبوية الشريفة قولا وفعلا واقرارا ، كما التزمه السلف الصالح طوال فترات الحكم الاسلامى الرشيد حيث ساد الهدى الاسلامى في الحكم والادارة بل وفي كل ضروب الحياة . ولعله لا يخفى ان هذه الضوابط والجزئيات الكافلة لمبدا الشورى مجال خصب للاجتهاد والتطور والتجديد حسب مقتضيات الجماعات والعصور ، اجتهادا يؤكد الشورى ولا يخرج عليها ، وتطورا يثبت اقدامها ولا يجافيها . وبهذا الحرص آثر الكويت الاخذ بالأسلوب النيابى ـ اى الانتخابى ـ للتعبير المحكم الصادق عن ارادة الشعب ، كما فضلنا في ظل هذا الأسلوب الأخذ كذلك بالنظام البرلمانى ـ الذى يحقق رقابة مستمرة يومية على الحكومة ، وبهذه الرقابة يفضل النظام الرئاسي السائد في الأمريكتين حيث تنفرد كل سلطة بوظيفتها وتستقل في عملها الى حد بعيد تكاد تختفى معه الرقابة الشعبية المستمرة واليومية على اعمال الحكومة .

ومعروف أن الاسلام لا يعفى أى حاكم من الرقابة او النقد ، في اى وقت ، ولا بالنسبة لأى عمل . ولهذا كانت « الديمقراطية البرلمانية » التى آثرناها على غيرها ، اكثر ما يكون النظام تجاوبا مع أحكام الاسلام وتعاليمه .

على هذا النحو كانت تجربتنا البرلمانية التى بدأناها سنة ١٩٣٦ جديدة في أسلوب «الشورى» وضماناتها ، لا في ذات مبدأ « الشورى » الاسلامى العريق .

هذه التجربة البرلمانية الكويتية قلت انها ، مدعاة للاعتزاز من جهة ، وللشعور بالمسؤولية من جهة أخرى . فاعتزازنا بها انما يعنى الاستمساك بما وراءها من معان دينية وقيم أخلاقية وسياسية، كما اعنى بالاعتزاز ايضا اننا نحمد الله تعالى على نعمة التوفيق في تخيرنا لاسلوب الحكم سنة ١٩٦٢ . واننا نسجل ، على مر الزمن ، شكرنا لكل من اسهم في انطلاق هذه المسيرة البرلمانية وتقويمها، واخص بالذكر والشكر تلك اليد الطولى التى كانت للمغفور له الامير الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح الذى حقق للكويت الاستقلال ثم الحكم الديمقراطى السليم ، وهذه الجهود المتواصلة التى بذلها حضرة صاحب السمو الامير المعظم الشيخ صباح السالم الصباح لتوطيد الاستقلال وتوكيد الشورى والتجربة الديمقراطية.

على أن الاعتزاز ليس كل شئ في هذه التجربة، فالى جانبه نشعر بعظم المسؤولية القائمة على عاتق الكويت حكاما ومحكومين ، فنجاح التجربة في مسيرتها المتواكبة رهن بحرصهم على تكامل ذلك النجاح ، وذلك رهن بتكاتف الجميع والتفاهم حول المعانى والقيم التى اشرت اليها ، وهذا كله لا يكون الا بالكثير من التضحية وانكار الذات .

ويسعدنى كل السعادة أن أذكر للحقيقة والتاريخ أن خبرة السنوات التى عاشتها تجربتنا البرلمانية للآن قد جاءت مشرفة لما مضى ، مطمئنة للحاضر ، مستبشرة بما هو آت .

« من الشذوذ حرمان المرأة من حقوقها السياسية » !

وعدنا نسأل رئيس المجلس الجديد عن رأيه في اعطاء المرأة الكويتية حقوقها السياسية ، فقال :

ـ لقد ترك الدستور موضوع حقوق المرأة السياسية الى قانون الانتخاب ، وقد رأى هذا



بعد الانتهاء من القاء الخطاب الاميري جرت معركة انتخابية سريعة بين الاعضاء لاختيار رئيس للمجلس لفترة الاربع سنوات القادمة .. ونرى هنا الوزراء والاعضاء يدلون بأصواتهم ، وقد جلس بينهم السيد خالد الغنيم الذى فاز على منافسه ، فأصبح رئيسا للمجلس الجديد .

القانون الصادر سنة ١٩٦٢ أن يقصر هذه الحقوق في هذه المرحلة على الرجال دون النساء . ولم يكن غريبا أن يتقرر ذلك سنة ١٩٦٢ حيث كنا على أبواب الاخذ بالاسلوب الانتخابي العام الشامل لاول مرة في تاريخنا . اما الآن وقد تطورت الكويت فكريا وحضاريا وعمرانيا ـ بخطوات جبارة ـ في تلك الفترة القصيرة نسبيا ، فانني ارحب باعادة النظر في هذا الموضوع والعمل على اعطاء المرأة حقوقها السياسية ، ويكفي قولنا « حقوق المرأة » ففي هذا اللفظ ذاته معنى ضرورة « الوفاء » وأداء الحقوق الى أصحابها .

ولا يفوتني في هذا الشأن ان اذكر ان المرأة الكويتية تسهم فعلا في مختلف مجالات الحياة العامة في الكويت الى درجة اصبح من الشذوذ بمكان الاصرار على حرمانها من الحقوق السياسية ، وخاصة فيما يتعلق بالكويتيات المثقفات . ويكفي في هذا الخصوص أن يلقى المرء نظرة على نصيب المرأة الكويتية في الوظائف مثلا ، وفي التعليم وخاصة في الكليات الجامعية ، وكذلك في الصحافة والاذاعة والتلفاز وغيرها . وعليه أرى من الخير ان نكون واقعيين وأن نتوج اصلاحاتنا السياسية والدستورية بانصاف المرأة ، نصف المجتمع ، باعطائها حق الانتخاب وحق الترشيح على السواء .

« تخفيض سن الناخبين الى ١٨ سنة محل نظر المجلس الحالي »

اما تخفيض سن الناخبين الى ١٨ سنة ، فقد اكتفى السيد خالد صالح الغنيم بالقول :

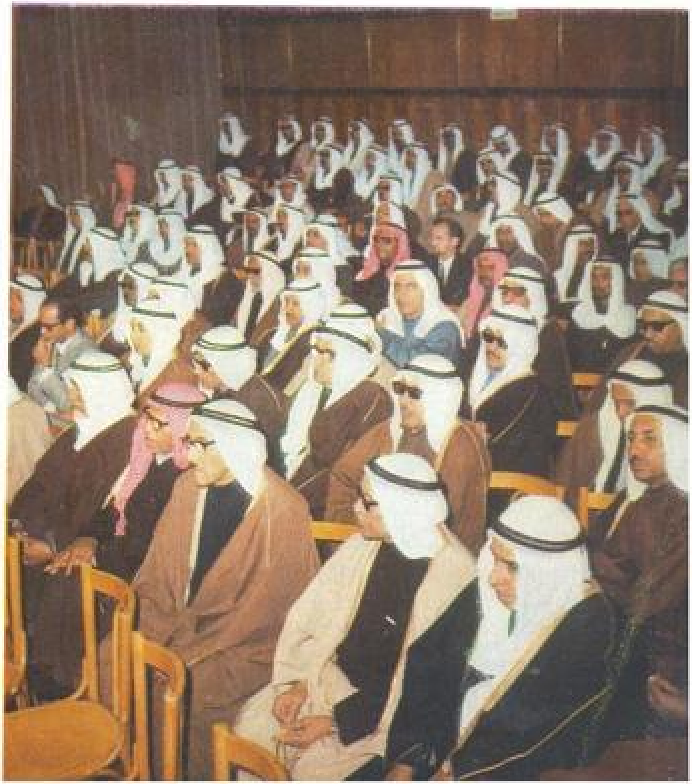
ـ هذا الموضوع محل نظر حاليا في مجلس الأمة ولجانه ، واوثر الا اخرج به عن نطاقه الجاري ، والذي سيعرفه المواطنون قريبا من خلال متابعتهم لأعمال المجلس ولجانه ، والجميع حريصون أشد ما يكون الحرص على تحقيق ما فيه الخير لبلدنا العزيز .

« مجلس الشيوخ يخلق ازدواجية غير مستحبة »

وسألنا رئيس المجلس عن رأيه في الرأي القائل

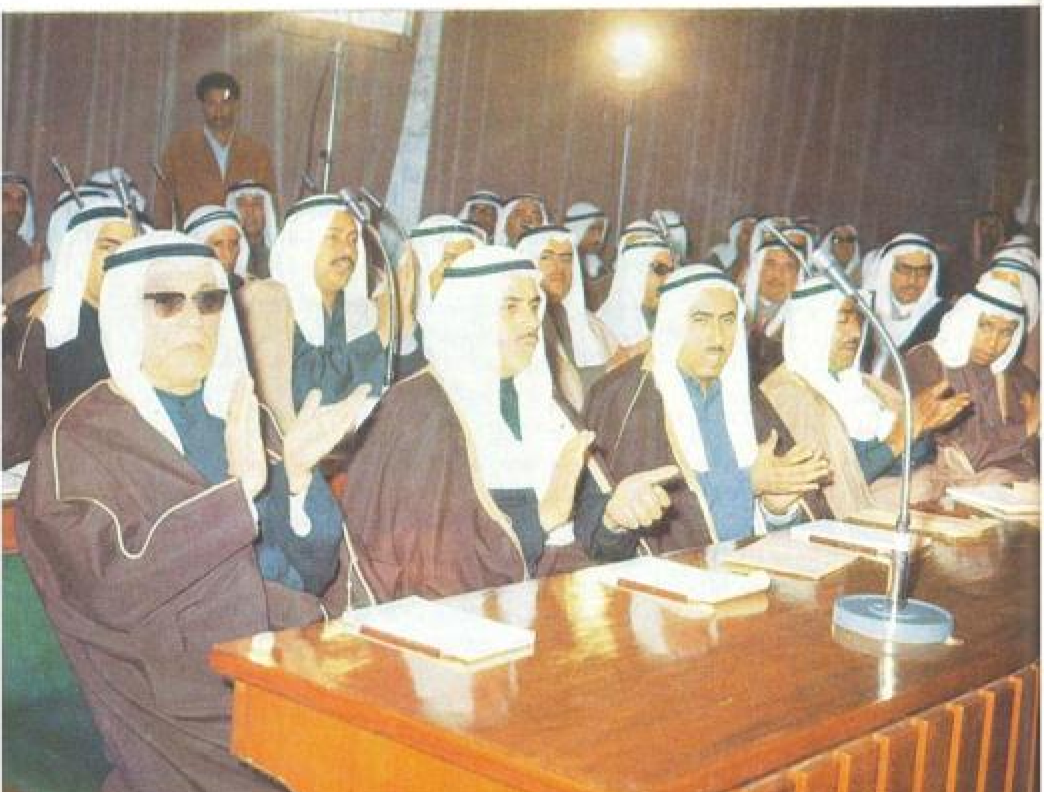


يتألف مجلس الامة من خمسين عضوا يختارهم الشعب بطريق الانتخاب العام السري المباشر وفقا لقانون الانتخاب .. ويعتبر الوزراء غير المنتخبين بمجلس الامة ، اعضاء في هذا المجلس بحكم مناصبهم .. ومدة انعقاد مجلس الامة اربع سنوات ميلادية ، من تاريخ اول اجتماع له .. وقد اجتمع مجلس الامة الحالي في اول جلسة له ، يوم ١٠ فبراير (شباط) ١٩٧١ وفي الصورة التي فوق هذا الكلام ، والصورة التي الى اليسار يبدو بعض اعضاء مجلس الوزراء في مقدمة الصفوف ، وقد جلس خلفهم بعض اعضاء مجلس الامة .. اما الصورة التي الى اليمين فتوضح بعض المدعوين الى حضور حفل افتتاح المجلس ..





بعد الانتهاء من الاستماع الى الخطاب الاميري اجتمع النواب لاختيار رئيس للمجلس ، ونائب للرئيس ، وامين للسر .. وقد فاز بالرئاسة السيد خالد صالح الغنيم ، الذي كان يتولى منصب نائب الرئيس في المجلس السابق .. ونراه هنا في وسط الصورة والى يمينه يوسف المخلد نائب الرئيس ، والى يساره سامي المنيس امين سر المجلس .



بضرورة انشاء مجلس للشيوخ الى جانب مجلس الامة ، فقال :

ـ بخصوص اقامة مجلس شيوخ في الكويت ، اود ان يلاحظ ان مجلس الامة الحالى فيه تطبيق بصورة خاصة ـ لفكرة مجلس الشيوخ ، ولكن ضمن اطار مجلس الامة الواحد . ذلك لان المقصود الاساسي من « المجلس الثانى » ـ اى « مجلس الشيوخ » ـ هو ان يوجد مجالا لاعضاء معينين الى جانب مجلس النواب المنتخب كله بالطريق الشعبى . وقد يكون كل اعضاء المجلس الثانى معينين او بالوراثة (كما في انجلترا) وقد يكون بعضهم معينا والبعض الاخر منتخبا . مع جعل الاغلبية فيه للمنتخبين او للمعينين حسب رغبة كل دولة وظروفها . ومن هذا القبيل مجلس الشيوخ المصرى قديما ، ومجلس الاعيان في الاردن للآن ، وفي العراق قبل الثورة ، وفي غيرهما .

ويلاحظ ان هذه الازدواجية ـ المعروفة بنظام المجلسين ـ لم تعد مستحبة في عصر السرعة الحالى لما فيها من ازدواجية ، واضاعة للوقت والجهود ، وتعطيل للمشروعات ، وزيادة في النفقات ، بل وخلافات قد تشتد احيانا بين المجلسين .

لذلك اراد دستورنا ان ياخذ باهم مزايا مجلس الشيوخ ، مع تفادى هذه المآخذ ، وذلك بان اوجد اعضاء معينين في المجلس الحالى بحكم وظائفهم ، وهم الوزراء . ولا شك في انهم من خيرة من يمكن ان يشملهم التعيين في نظام المجلسين ، فاصبحوا في دستور الكويت اعضاء كالاعضاء المنتخبين تماما يعملون معهم في المجلس الواحد جنبا الى جنب كابناء في اسرة واحدة .

وانني لا ارى ـ في الوقت الحاضر ـ الاخذ بفكرة مجلس للشيوخ .

انادي بضرورة الاسراع في انجاز الاتحاد البرلماني العربي

اما عن مقدار انعكاس نشاط المجلس الجديد وتفتحه على البلاد العربية وتعاونه مع برلماناتها فقد اجاب رئيس المجلس بقوله :

ـ ما من شك في ان المجلس الجديد سيتابع المسيرة ويسهم بقسط وافر في التعاون مع البلاد العربية الاخرى وبرلماناتها . ونحن في كل وقت ، وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ امتنا بصفة خاصة احوج ما نكون ، واشد ما نكون استمساكا بهذا التعاون . كما يسعدنى ان اسجل في هذه المناسبة ما حققناه من تفاهم وتضافر عربيين خلال المؤتمرات الدولية العديدة للبرلمانيين مما اعلى صوت العرب فوق مزاعم اسرائيل ومناوراتها . والقى الاضواء مركزة على جوانب الحق والعدل في قضيتنا الاولى ـ قضية فلسطين ـ وكان لذلك من غير شك اثره الفعال في الراى العام العالمى الذى ظهر حينا طويلا فريسة لاكاذيب الصهيونية ودعاياتها . وهذا يجعلنى انادى بسرعة انجاز الاتحاد البرلمانى العربى وباحاطته بكل اسباب التوفيق والنجاح . ولقد اتاحت لى رئاستى لبعض وفودنا البرلمانية الى تلك المؤتمرات الدولية فرصة طيبة للمس هذه الحقائق جميعها وادراك المزايا الكبيرة الكافية من ورائها ، كما اسعدتنى حقا بصداقة الكثيرين من اخواننا البرلمانيين العرب من رؤساء الوفود العربية واعضائها ، مما احرص شخصيا عليه واعتز به كل الاعتزاز .

كلمة تذكارية اميرية في سجل الزيارات

وعند خروج صاحب السمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح من قاعة المجلس ، اتجه الى قاعة الاستراحة حيث سجل الكلمة التالية في سجل الزيارات :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« نبدأ اليوم فصلا تشريعيا جديدا من عمر هذا المجلس وفي حياتنا النيابية ونرجو ان تعود سنواته الاربع على الجميع باليمن والبركات .

« وينبغى الا تثنينا الظروف الراهنة الدقيقة التى تجتازها امتنا العربية، ويجتازها معها شعب الكويت ، كجزء لا يتجزأ منها ، عن مواصلة العمل البناء في كافة الميادين . فالعمل هو السند المتين الكفيل برفع شأن بلادنا ، وفتح آفاق الرجاء امام ابنائها . ولنتوكل بعد ذلك على المولى العلى القدير ، الذي لا يضيع اجر من احسن عملا » .

***

وهكذا بدأت صفحة جديدة في دورة تشريعية ثالثة تبشر بديمقراطية صحيحة ، من أجل حياة افضل وحرية كريمة دائمة . ■■

سليم زبال

الإدارة الحديثة

في أجهزة الحكم وحاجة العرب إليها

بقلم : أحمد خالد علام

تنشأ الحكومات والوظائف العامة لخدمة الناس . وكان شكل هذه الحكومات في الماضي بسيطا حيث كانت حياة الناس بسيطة مبنية على الفطرة لا تعقيد فيها . فكثيرا ما قرأنا عن حاكم يقود بنفسه جيشه في غزواته وحروبه ، أو يجلس بين رعيته يقضي بينهم في منازعاتهم وينفذ احكامه في الحال ، أو يرسل عماله الى الولايات التابعة له يجبون الضرائب ويرجعون اليه بما جمعوه من مال .

واستمرت البساطة في اجهزة الحكم حتى اوائل القرن الماضي حين فاجأتها الثورة الصناعية بالانقلاب الهائل في شتى نواحي الحياة ــ الامر الذى ادى بدول الغرب الى سرعة تطوير هذه الاجهزة وانشاء المئات من الوحدات الحكومية المختلفة لمواجهة هذه الثورة ولخدمة الناس في مختلف النواحي .

وكان من سوء حظ الامة العربية ان نوبة النعاس (أو فترة الضعف) التي انتابتها بدات عند بدء الثورة الصناعية واستمرت هذه الغفلة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ــ فاذا ما استيقظت امة العرب من سباتها والتفتت حولها وجدت ان الفرق في اجهزة الحكم بها وبين مثيله في دول الغرب شاسع ، وان الغرب كان في نفس الوقت يطور اجهزته الى احسن بسرعة كبيرة لا تقارن مع معدل تغير الزمن ــ هذا بالاضافة الى ان العادات والتقاليد الموروثة في جهاز الحكم العربي كانت تقف في سبيل اى تغيير او تحسين بشكل ملموس .

على كل بدات حكومات العرب باصلاح ما فاتها في نظم الادارة ــ وتفاوتت درجات الاصلاح بكل امة حسب قدرتها وامكانياتها ومستوى العلم والتكنية بها ــ الا انه على العموم لا يزال المشوار امام هذه الحكومات طويلا والجهد شاقا لخلق ادارة حديثة بجهاز الحكم حتى يؤدى خدماته للجمهور على الوجه الاكمل .

فلا يزال جزء كبير من وقت العمل الرسمي يصرفه بعض الموظفين دون الاستفادة منه في خدمة الدولة ــ ولا يزال الجمهور يقاسي ويعاني من الروتين الحكومي عند استخراج رخصة او الحصول على بيان ــ والاجهزة الميكانيكية وغيرها سرعان ما يصيبها التلف وتصبح مستهلكة بعد فترة قصيرة من شرائها نتيجة لسوء تشغيلها وصيانتها ــ ومستويات الخدمة بالمؤسسات العامة كالمستشفيات مستويات ضعيفة ــ هذا مع العلم ان كثيرا من هذه المصالح الحكومية يديرها فنيون ذوو كفاءة عالية في تخصصاتهم الفنية الا انه ينقصهم فن الادارة الحديثة لادارة هذه المصالح .

ولقد ظهرت هذه الحقيقة المرة في احد فروع الحكم (فرع الدفاع) في حرب العرب مع اسرائيل ونتيجتها المحزنة التى كان من ضمن اسبابها ان طرق الادارة والتشغيل والصيانة والتموين (اى العمليات الادارية) في جهاز الدفاع لم تكن في مستوى يؤهلها لتحقيق نصر .

واذا ما نظرنا الى الامم التي سبقتنا في فن الادارة الحديثة في جهاز الحكم وجدنا ان امريكا على راس قائمة هذه الدول . ويرجع ذلك الى عدة اسباب احدها ان جهاز الحكم في امريكا يعتمد على كثير من المؤسسات العامة المستقلة (غير المستقلة)

تساعد الحكومة في مختلف فروعها . فتقوم بمعاونتها في حل مشكلاتها الادارية والبحث عن التحسينات الممكن عملها ثم مساعدتها على تنفيذ هذه الاصلاحات.

فحبذا لو ان امة العرب قامت بانشاء مؤسسة عامة ـ على هذا القرار ـ مستقلة عن الحكومات يكون غرضها خدمة الادارة العامة ـ اى مساعدة الاجهزة الحكومية في رفع مستويات خدماتها للجمهور . يكون لهذه المؤسسة مجلس ادارة من بعض موظفي الحكومات العربية ثم يكون لها هيئة فنية دائمة من الموظفين ذوى الخبرة والكفاءة في الادارة الحديثة (على ان تستفيد المؤسسة في الوقت الحاضر بخبرة الدول التي سبقتنا في هذا المجال) ويكون لهذه المؤسسة مثل هذه الاختصاصات.

١ ـ عمل الدراسات اللازمة لانشاء برامج تحسينية في ادارة المصالح الحكومية المختلفة .

٢ ـ الدراسات اللازمة للاعمال الادارية والمالية والمستخدمين كالمخازن والحسابات والموظفين .

٣ ـ دراسات خاصة لمصالح الدولة المختلفة مثل المدارس العامة ـ المستشفيات العامة ـ الخدمات الاجتماعية ـ الامن العام ـ الزراعة ـ المشروعات العامة .

٤ ـ دراسة المرافق العامة : طرق تشغيلها وادارتها وصيانتها ورفع مستوى خدماتها للجمهور.

٥ ـ دراسات خاصة للمديرين والرؤساء المسئولين والهيئات التشريعية والقضائية في مجال الادارة العامة .

٦ ـ تمرين الموظفين العموميين اداريا .

٧ ـ المساعدة في تخطيط القوانين واللوائح الخاصة في المجالات الموضحة سابقا من الناحية الادارية .

٨ ـ التعاون مع مراكز الابحاث والمؤسسات العلمية على اصدار النشرات اللازمة في الادارة الحديثة في جهاز الحكم في مختلف فروعه وتوزيع هذه النشرات على نطاق واسع على الموظفين واساتذة الجامعات وغيرهم .

وعلى سبيل المثال وبشيء من التفصيل تقوم المؤسسة بمثل هذه الخطوات عند مساعدتها لمصالح الحكومة المختلفة :

المدارس العامة

دراسة مناهج وطرق التعليم ومدى تحصيل التلميذ ومقارنتها بالمقاييس العامة للتحصيل التي تصدرها الهيئات العلمية .

دراسة اهداف البرامج الخاصة المتعلقة بمشاكل البيئة والمجتمع المحلي مثل التعليم الفني ومجالاته المختلفة ومدى صلاحية المناهج وطرق التعليم في حل هذه المشاكل .

معاينة مواقع سكن التلاميذ وبعدها عن المدرسة ـ ومعدلات الولادة والوفيات واحتياجات الفصول في المستقبل .

دراسة السياسة العامة لادارة الاوجه غير التعليمية للانشطة المختلفة مثل مواصلات التلاميذ والموظفين ، وصحة التلاميذ .. الصحة العامة . وطرق استعمال غرف الطعام والمعامل والمكتبات ودرجات الاستفادة منها .

دراسة كيفية صيانة مباني المدرسة والارض الملحقة بها ومدى الاستفادة بهما في الاغراض الاخرى كخدمة المجتمع المحلي .

دراسة القوانين واللوائح المعمول بها في نظام المدرسة ماليا واداريا وفنيا .

وعلى ضوء هذه الدراسات تقوم المؤسسة بعمل التقارير والتوصيات اللازمة ومناقشة هذه التوصيات مع المسئولين ثم مساعدتهم على تنفيذ هذه التوصيات وان تكون الهيئة بعد ذلك على اتصال دائم بالمسئولين لمساعدتهم لاصلاح ما يظهر من عيوب اثناء التنفيذ وبعده .

المستشفيات العامة

دراسة خدمة المستشفى للجمهور في السنوات الاخيرة وعدد المرضى وطبيعة الامراض واحتياجات المستقبل من فنيين واجهزة وادوات وامكنة وغيرها .

دراسة العمليات الجارية بالمستشفى في كل اوجه الخدمات من الناحية التنظيمية والادارية وطريقة العمل والخطوات اللازمة لتادية كل خدمة على حدة ـ مثل الخطوات المتبعة في مقابلة المرضى والكشف عليهم والعمليات وصرف الادوية وطريقة استهلاكها ـ وسلسلة المسئوليات وغيرها .

تقييم الموقع العام للمستشفى بالنسبة للمنطقة التى يخدمها ـ وكذا مواقع الاقسام داخل المستشفى نفسه ومدى صحة موقع كل قسم بالنسبة للخدمة التى يؤديها والاقتراحات الممكنة بتعديل مواقع بعض هذه الاقسام حتى تؤدى خدماتها بطريقة افضل .

دراسة طريقة تشغيل الاجهزة الميكانيكية والصحية وصيانتها .

كيفية صيانة مباني المستشفى والحدائق والارض الملحقة بها ومدى الاستفادة من كل على حدة .

مجلس المدينة « البلدية »

دراسة القوانين واللوائح التشريعية التي تنظم جهاز مجلس المدينة الاداري .

دراسة نظام مجلس المدينة بوجه عام وزيارة المكاتب المختلفة المالية والادارية والفنية . ودراسة كل وحدة من وحداتها على حدة كالعوايد والمجاري والحدائق وعلاقة الوحدات ببعضها .

بحث مشاكل كل وحدة على حدة وطرق الادارة والتشغيل والصيانة في عمليات المياه والانارة وغيرها ومستويات الخدمة التي تؤديها للجمهور على اساس مقارنتها بالمقاييس العامة ومدى تشغيل هذه العمليات اقتصاديا مع عدم المساس بمستوى الخدمة .

دراسة عوايد البلدية في السنوات الاخيرة والاقتراحات الخاصة بتحسينها ومدى اثر ذلك على المواطنين والهيئات الاخرى التجارية والصناعية ومشاكل التحصيل .

دراسة جهاز الامن المحلي مثل المركز او النقطة او القسم وطريقة توزيع الاشخاص والمسئوليات في هذه الوحدات وكيفية التغلب على المشاكل المحلية ومدى فعالية الطرق التي تستخدمها هذه الوحدات .

دراسة توزيع الاجهزة والمعدات الميكانيكية كعربات المرور والنجدة والحريق والاجهزة الخاصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية ومدى كفاية هذه الاجهزة وكيفية ادارتها وتشغيلها وصيانتها .

دراسة النظم الخاصة بأعمال التقارير عن الحوادث الجنائية والمرور والحريق وتحليل الحوادث واسباب مخالفة القوانين ونشوب الحرائق ومدى اثر الوسائل الجديدة ان وجدت .

دراسة مشاكل رجال الامن وخبراتهم وتدريبهم وتعليمهم وطريقة معاملتهم للجمهور وشروط التحاقهم وساعات العمل والراحة والطوارىء والترقيات والاجازات وخلافه والتحسينات الممكن عملها .

المشروعات العامة

دراسة علاقة المصلحة مع مصالح الدولة الاخرى فيما يختص بمشروعات هذه المصالح التي تقوم المصلحة بتنفيذها وحجم هذه المشروعات .

دراسة علاقة الاقسام الداخلية بالمصلحة ببعضها كاقسام تصميم المشروعات والرسم والتنفيذ والمقاولات والعقود والحساب والخطوات المتبعة من البدء في تصميم المشروع حتى طرحه في المناقصة العامة وترسيته على المقاول .

زيارة المشروعات الجاري تنفيذها على الطبيعة والاطلاع على دفاتر المرور والتفتيش والتقارير الخاصة بالعملية واعمال كل من الملاحظ الفني والمهندس ومدير الاعمال وسلسلة المسئوليات .

دراسة برنامج تنفيذ المشروعات وخطوات التنفيذ وصرف المستحقات للمقاولين واستلام المشروع بعد اتمامه ومتابعة الاستفادة منه وسلامته .

دراسة كيفية استلام المواد والاجهزة بمختلف انواعها وطريقة تخزينها وكيفية استعمالها .

دراسة ومراجعة الميزانية وطرح العمليات في المناقصات العامة والعقود وقوائم الاسعار والقوانين واللوائح المعمول بها .

وتتبع خطوات مماثلة في علاج مشاكل الادارة وتحسينها في باقي مصالح الحكومة الاخرى .

والخلاصة :

ان مثل هذه المؤسسة، لو انشئت ، يمكنها ان تؤدي دورا فعالا في خلق ادارة حديثة في جهاز الحكم بالدول العربية وذلك بتقديم خدماتها لمصالح الدولة ومساعدتها في رفع مستوى خدماتها للناس. فاذا ما طلبت مصلحة حكومية مساعدة من هذه الهيئة لحل مشكلة ادارية بها فان المصلحة تكون في هذه الحالة قد احضرت لمشكلتها فنيين — على مستوى عال من الكفاءة والخبرة في شؤون الادارة الحديثة يندر وجودهم في كل فروع الحكومة — خالين من روتين العمل اليومي الذي يستهلك وقت الموظفين العموميين . ويقوم هؤلاء الفنيون بالبحث والمعاينة والدراسة والتحليل وعمل التقديرات والتوصيات اللازمة بالتحسينات الممكنة ومناقشتها مع المسئولين الرسميين ثم مساعدتهم على تنفيذ هذه التوصيات .

هذا بالاضافة أن هؤلاء الفنيين يمدون (أثناء مساعدتهم للمصلحة) موظفي المصلحة بخبراتهم وبما قاموا به في الماضي في وحدات الحكومة الاخرى وطريقة تغلبهم على المشاكل الادارية وكيفية انشائهم ادارة حديثة بكل من هذه الوحدات . ■■

أحمد خالد علام

شبكة الفسو

شعراء شعبيون

الشاعر :

والشاعر :

والشاعر :

■ ثلاثة شعراء مصريين كانوا فى عصرهم صورة الشعب المصرى ظرفا وادبا وثورة ، وهم كغيرهم ممن عاشوا للشعب وفى الشعب فضاعت اخبارهم وطمست آثارهم ولم يصلنا منها الا النزر القليل ، وهذا الذى وصلنا على ضآلته يرينا جانبا من حياة الجماهير فى هاتيك العصور وما انطوت عليه معايشهم ، وما كانوا يعالجون به امورهم من تمازح وتندر ، ومن هزل هو فى جوهره الجد كل الجد .

وراق وحمامي وجزار

هؤلاء الشعراء الثلاثة هم : سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الورّاق الذى عرفه ابناء جيله باسم السراج الوراق ، ونصير الدين الحمّامى الذى عرفوه باسم النصير الحمامي ويحيى بن عبد العظيم الجزار ، الذى عرفوه باسم « ابو الحسن الجزار » .

ولقب كل واحد من هؤلاء ماخوذ من مهنته فقد قالوا عن الوراق انه كان يكتب الدرّج لوالى مصر ، فاساس مهنته الورق ، ونصير الدين كان يشتغل في حمّام عام ، ويحيى كان جزارا يبيع اللحوم .

وهكذا نرى ان الثلاثة كانوا يمتهنون مهنا بسيطة ، تجعلهم من هموم الشعب في الصميم .

واذا كنت قد خصصت هذا المقال بالجزار فلا بد من الالمام اولا بكل واحد منهم ثم بما كان يربط بينهم من روابط الادب وعلائق الشعر وبما كانوا يتشاكون به من نوائب الزمن ومتاعب الحياة . فان اجتماع مثل هؤلاء الثلاثة في وقت واحد وتوثق الصداقة بينهم شيء فريد كان لا بد له ان ينتج ما انتج .

مساجلات بينهم

فمن ذلك أن السراج كان يقيم في «الروضة» في القاهرة ، فكتب اليه النصير الحمامي :

كم قد تردّدت للباب الكريم لكي   ابلّ شوقي وأحيي ميّت اشعاري
وانثني خائبا مما اؤمله   وانت في « روضة » والقلب في نار

فاجابه السراج :

الآن نزهتني في روضة عبقت   انفاسها بين ازهار وانمار
اسكرتني بشذاها فانثنيت بها   وكل بيت اراه بيت خمّار
فلا تغالط فمن فيها السّراج ومن   اولى بأن قال : ان القلب في نار

الجزّار
الحمّامي
الورّاق

بقلم

حسن الأمين

وكتب الوراق الى الجزار في عيد الأضحى :

اجبتُ بعيد النحر من كان سائلي	عن الحال في عيدي وقد مرّ ذكره
اذا بطل الجزّارُ والعيد عيده	فلا تسأل الورّاق فالعذر عذره

ويبدو انهم كانوا اذا لم يداعب بعضهم بعضا داعب كل منهم نفسه بنفسه ،فان السراج كان اشقر ، ازرق العينين فقال :

من رآني والحمارُ مركبي	وزرقتي للروم عرقٌ قد ضرب
قال وقد ابصر وجهي مقبلا	لا فارسُ الخيل ولا وجهُ العرب

وقال السراج ايضا :

بنيّ اقتدى بالكتاب العزيز	وراح ليبرى سميا وراجا
فما قال لي افٍ مذ كان لي	لكوني ابا ولكوني سراجا

السراج والضياء

ومن طرائفهم ان السراج خاطب من اسمه ضياء الدين :

امولانا ضياء الدين دمْ لي	وعش فبقاء مولانا بقالي
فلولا انت ما اغنيت شيئا	وما يغني السراج بلا ضياء

ويبدو أن ضياء الدين هذا كان ممن تستقضي به الحاجات ويقصد للعطايا والملمات ، فقصده السراج بهذا القول مستغلا تناسب الاسمين ليهزه بهذا التناسب ، ولكن ضياء الدين لم يكن ليهتز للادب ويستثار بالشعر فخاب رجاء السراج فيه فعاد يقول :

وما انا سائر في ليل خطب	تساوى الصبح فيه والمساء
فلا انا مثلما ادعى سراجٌ	ولا هو مثلما يدعى ضياء

وهكذا دلنا الشاعر بهذا القول المرير على ما كان يكابده في حياته وهل اوجع من السير في ليالي الخطوب التي لا يضيء فيها سراج الامل ولا يشرق ضياء الرجاء .

السراج والشمس والبدر

والتقى السراج بمن اسمه شمس الدين ومن اسمه بدر الدين فقال :

لما رأيت الشمس والبدر معا ... قد انجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا ... وقلت ماذا موضع السراج

وقال السراج ايضا موريا بصناعة الوراقة :

يا خجلتي وصحائفي سود غدت ... وصحائف الابرار في اشراق
وموبخ لي في القيامة قال لي : ... اكذا تكون صحائف الوراق

ويظهر أن آمال السراج كثيرا ما خابت في الرجال فكان يعود للذم بعد المدح متذمرا شاكيا :

مدحته جهدي فما اهتزّ من ... قولي وقال الناس كم تتعبِ
فقلت أرجو زبدة قال لي ... فانك ، اين اللبن الطيبِ

ثم يوغل في ذلك :

ومبخل بالمال قلت لعله ... يتندّى وظني فيه ظن مخلف
جمعَ الدراهمَ ليس جمع سلامة ... فأجابني لكنه لا يصرف

الشعب الطيب

على انه حين يرى البادرة الطيبة والفعل الجميل ، وحين يواسيه الناس ويعطفون عليه يعود معترفا بالفضل مثنيا على الاحسان :

مرضت في حي قوم ... ما منهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا ... على اختلاف المعاني

وكلمة « عادوا » الأولى من العيادة ، والثانية من العود بمعنى العطاء ، والثالثة بمعنى الرجوع . وهو في هذا القول لم يخص شخصا بعينه ، ولا اثنى على كبير قوم ، بل شمل سكان حي باكمله . قدر له أن يقيم بينهم وأن يمرض عندهم ، فعرفوا حقه فقال ما قال ، ولنا هنا أن نستدل على طيبة الشعب وكرم جماهيره ، وعلى ما كان يتحلى به ذلك الشعب من تقدير للأدب وتعاطف مع الشعراء حتى اذا مرض واحد منهم فقير لم يهملوه بل عاملوه بما أنطقه بالذى نطق ، على العكس من الكبراء الذين شكا منهم الشاعر واضطر الى ذمهم أفرادا أحيانا وجماعات أحيانا :

يا بني الآمال قد خاب الرجا ... وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال في بحر المنى ... وحلت منا فأين الرؤساء

السراج والشيب

ولما أدركه الكبر واشتعل رأسه شيبا قال :

وقالت يا سراج علاك شيب ... فدع لجديده خلع العذار
فقلت لها نهار بعد ليل ... فما يدعوك انت الى النفار
فقالت قد صدقت وما سمعنا ... بأضيع من سراج في نهار

هموم الحمامى

أما النصير الحمامي فقد ضمّن همومه بيتين من الشعر ارسلهما الى صديقه الجزار :

مذ لزمتُ الحمّام صرتُ به ... خلاً يدارى من لا يداريه
اعرف حرَّ الاسى وبارده ... وآخذ الماء من مجاريه

ولا اعرف صورة للكرب أبلغ من هذه الصورة ، فهذا شاعر مرهف الحس رفيع النفس يفد اليه الثقيل السمج ، والفظ الغليظ ، فيهب مرحبا ويندفع مؤهلا بمن لو كان الأمر اليه لتناولهم باللطم وعاملهم بالصفع ، أو على الأقل : لقعد عن استقبالهم وابتعد عن أحوالهم ، ولكنه وهو « الحمامى » ذو المهنة العامة مرغم لا على مداراة من لا يستحق المداراة فحسب ، بل على مداراة من يتناولونه بزرايتهم فلا يدارونه بل يشتطون عليه .

ظل يدارى من لا يداريه ، هكذا كان أمر هذا الشاعر ، فلا بدع أن يكون أساه فوق أسى الناس،

فاذا عرف الناس الأسى الحار وحده فهو قد عرف اسى لم يعرفه احد من الناس الى جانب الاسى الحار الذى عرفوه : عرف الأسى البارد ! .. وهو اذا كان في مهنته « يأخذ الماء من مجاريه » فلم يكن يأخذه ليروى ظما ويبل اواما ، بل ليزيد هذا الماء من لوعته فيثير ببرودته طورا وحرارته طورا الأسى باردا طورا وحارا طورا آخر ..

وهمـــوم الجـزار

وقد تأثر صديقه الجزار بهذا القول فاجابه مواسيا ، داعيا اياه الى الصبر :

حسن التأني مما يعين على ... رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار في جزارته ... يعرف من أين تؤكل الكتف

ولكن صاحبنا الجزار هذا اذا كان عرف بتجاربه ولطول ما مارس وعانى ، اذا كان قد عرف من أين تؤكل الكتف ، فقد كانت معرفته نظرية بحتة لم تصل به الى حد التطبيق والعمل ، فهو حقا يعرف من أين تؤكل الكتف ، ولكنه لا يأكلها ، بل يدعها للمستطيعين الذين يقدرون على دفع الثمن مهما غلا ، اما هو فله منها المعرفة وله منها النظر والتامل ، وليس منها وحدها بل من كل ما كان يوجد فى يديه من لحوم ، فلم يكن مستطيعا ان يتخير شيئا من اطايبها لنفسه :

أصبحت لحّاما وفي البيت لا ... أعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقري ومن فاقتي ... من التذاذ الطعم بالشحم
جهلته فقرا فكنت الذى ... « أضله الله على علم ».

ويتأمل بين الحين والحين حاله فيقول مثل هذا القول :

أكلف نفسي كل يوم وليلة ... هموما على من لا أفوز بخيره
كما سوّد القصّار في الشمس وجهه ... حريصا على تبييض أثواب غيره

لا يتحاســدون

ونحن نرى أن هؤلاء الشعراء قد خرجوا على ما عرف من تحاسد الشعراء المتعاصرين وتنافسهم ، فتالفوا وتوثقت بينهم روابط من الود والزمالة جعلت منهم اخوانا متحابين واصدقاء متراسلين يثنى بعضهم على بعض ويؤازر بعضهم بعضا فسمعنا الوراق يثنى على الحمامى :

شاقني للنصير شعر بديع ... ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه ... « قلت نعم المولى ونعم النصير » .

ويصاب الوراق برمد فيهدى اليه الجزار تفاحا وكمثرى ويكتب معها اليه :

أكافيك عن بعض الذى قد فعلته ... لان لمولانا علىّ حقوقا
وان حال منك البعض عما عهدته ... فما حال يوم عن ولاك وثوقا
بنفسج تلك العين صار شقائقا ... ولؤلؤ ذاك الدمع عاد عقيقا
وكم عاشق يشكو انقطاعك عندما ... قطعت على اللذات منه طريقا
فلا عدمتك العاشقون فطالما ... ألمت لاوقات المسرة سوقا

وفي هذه الأبيات اقرار بفضل واعتراف بجميل مما يشعر بتعاون على الدهر وتآزر في الحياة عدا عما فيها من مدح وتقدير .

الجـــزار

وصاحبنا الجزار ولد سنة ٦٠١ هـ. وتوفي سنة ٦٧٢ هـ على قول «١» أو سنة ٦٩٧ على قول آخر «٢» ودفن بالقرافة . وقد ورث الجزارة عن ابيه فهو فيها عريق ، وعلى غير عادة الآباء الذين هم في حال مثل حال ابيه ، فقد شجعه ابوه على نظم الشعر ، وصحبه الى الشاعر ابى الأصبع ليسمعه شعره . ويبدو انه كان لا يزال في طور الصبا لم تكتمل له ادوات الشعر اكتمالا صحيحا ، فقال له

---

(١) أعيان الشيعة (٢) شذرات الذهب

ابو الاصبع « انت عوّام ماهر » . فسر الاب الأمي بهذا القول ، ولما سئل ابو الاصبع عما يعنيه بكلمته قال : « انه ينتقل في الشعر من بحر الى بحر » . ويفهم من قول صاحب الشذرات انه امتهن الجزاره اول امره ثم تخلى عنها وتفرغ للشعر وللمدح بخاصة . ولا يفهم من الشذرات انه عاد فتخلى عن الشعر راجعا للجزارة ، ولكن اقوال الشاعر تدل على ان تعاطيه الشعر لم يستمر ، بل رجع جزارا كما بدأ ، رجع شاكيا ذل المديح وهَوَانَ المدّاح وان هناك من لامه على هذا الرجوع وهو صديقه شرف الدين فقال له :

لا تلمني يا سيدي شرف الدين اذا ما رأيتني قصابا
كيف لا اشكر الجزارة ما عشت زمانا واهجر الادابا
وبها صارت الكلاب ترجّيني وبالشعر كنت ارجو الكلابا

ثم يكرر هذا المعنى ويؤكده :

لا تلمني بصنعة القصاب ... فهي أزكى من عنبر الاداب
صار فضلي على الكلاب ومذ ... كنت اديبا رجوت فضل الكلاب

ويصفه صاحب الشذرات بهذا القول : « كان جزارا ثم استرزق بالمدح وشاع شعره في البلاد وتناقلته الرواة وكان كثير التبذير لا تكاد خلّته تسد » .

جزارة وشعر وفقر

واذا كان قد عاد للجزارة فان ذلك لم يمنعه عن قول الشعر ، بل لم يمنعه عن المدح بين الحين والحين، وعن الاشارة الى شاعريته والى جزارته معا ، هاتين المهنتين اللتين يبدو انهما لم تغنيا عنه لا مجتمعتين ولا متفرقتين .

يا اميرا يرجى ويخشى لبأس ... ونوال في يوم حرب وسلم
انت موسى ، وقد تفرّعَنَ الخطب فقرّقه من نداك بيم
ليَ من حرفة الجزارة والا ... داب فقر يكاد يُنسيني اسمي

ويطيل شكاياته الى من لا يرحم ولا يعطف ثائرا على مجتمعه الذى سيطر فيه اهل الثراء فاشتغلوا بثرائهم عن التفكير بالفقراء ومعالجة فقرهم ، مصرحا ان ما يكتمه من سوء أحواله هو اضعاف ما يبديه خوف الشامتين :

أطيل شكاياتي الى غير راحم ... وأهل الغنى لا يرحمون فقيرا
وانكر عيشي للورى خوف شامت ... كذا كل نحس لا يزال شكورا

جِدّ

وينتقل شاعرنا بين الجد والهزل فهو طورا جادّ جدية صارمة ياخذ نفسه بها اخذا كاملا حتى ليخيل اليك انه ليس ذاك الشاعر الفكه المزاح ، وحتى لتحسب ان رجلا من نوع آخر هو الذى يقول في رثاء الحسين بن علي عليهما السلام :

ويعود عاشوراء يذكرني ... رزء الحسين فليت لم يعد
او ان عينا فيه قد كحلت ... بمسرة لم تخل من رمد
يوم سبيلي حين اذكره ... أن لا يدور الصبر في خلدي

شاعر الكنافة

اما حين يسترسل في لطائفه وفكاهته فانه ينغمر فيهما انغمارا ينسيه كل وقار ويبعد به عن كل جد، فقد كان مولعا بالكنافة محبا لها ، وكانت عزيزة المنال عليه لما تتقاضاه من مال ، فاذا اقبل رمضان ولم يصب منها شيئا قال :

فمالي أرى وجه الكنافة مغضبا ... ولولا رضاها لم أرد رمضانها
عجبت لها في هجرها كيف أظهرت ... عليّ جفاءً صدّ عني جفانها
ترى اتهمتني بالقطايف فاغتدت ... تصد اعتقادا أن قلبي خانها

ومــد قاطعتنــي ما ســمعت كلامهــا … لان لســاني لــم يخــالط لســانها

وبلغ به الشوق الى الكنافة ولا وصول له اليها . فبعد ان كان يناجيها هى ويتوسل اليها نفسها يعود مستجديا صديقه شرف الدين مطالبا له بها ، لا يرى غيرها جائزة على الشعر ومكافأة على المدح :

أيا شــرف الــدين الــذى فيض جــوده … براحتــه قــد أخجــل الغيــث والبحرا
لئــن محلــت أرض الكنــافة انــنى … لارجــو لهــا من سحب راحتــك القطرا
فعجــل بهــا جــودا فمــالى حاجــة … ســواها نبانا يثمــر الحمــد والشكرا

حتى اذا تراءت له في خياله أو أبصرها امامه عيانا دعا لها الطف دعاء ورجا لها اظرف رجاء . فالكنافة لا بد لها من القطر أو من السكر ، أما اذا اجتمعا معا فذلك غاية المقصود ومنتهى المطلوب ، فاذا وقف الشعراء على الديار وسألوا الله لها الرى واغداق المطر ، وقف هو على الكنافة وقال :

ســقى الله أكنــاف الكنافة بالقطــر … وجــاد عليهــا ســكرا دائم الــدر

ثم يتذكر الحرمان ، ويتذكر « المخلل » الذى هو ادامه وحلواه فيصرخ من الاعماق :

وتبــا لاوقــات المخــلل انهــا … « تمــر بــلا نفــع وتحســب مــن عمــرى »

ثم ينطلق في تغزله بالكنافة متجاوزا اياها الى حلوى اخرى يسميها « القاهرية » ، ويجيب على الحاح زوجته بمطالبته بها :

ولــى زوجــة أن تشــتهى قاهــرية … أقــول لهــا ما القاهرية في مصــر ! ...

مداعبـــــات

وقد يحلو لبعض المتادبين ان يداعبه كما جرى لما مات حماره فكتب اليه بعض اصحابه حاسبا انه يستطيع النيل منه :

مــات حمــار الاديب قلت لهــم … مضــى وقــد فــات منه مــا فاتا
مــن مــات في عــزه اســتراح ومــن … خلــف مثــل الاديب مــا ماتا

ولكن رد الجزار كان حاسما :

كــم مــن جهــول رآنــى … امشــى لاطلــب رزقــا
فقــال لى صــرت تمشــى … وكنــت تمشــى وتلقــى
فقلــت مــات حمــارى … تعيش انــت وتبقــى

وعندما كان يرى تعاظم المتعجرفين وترفع المتكبرين كان لا يرى في السخرية من الدهر الذى جعل منه وهو الشاعر جزارا ، لا يرى خيرا من ان يقول :

الا قــل للــذى يســأل … مــن قــومى وعــن أهلــى
لقــد تســأل عــن قــوم … كــرام الفــرع والاصــل
ترجيهــم « بنــو كلــب » … وتخشــاهم « بنــو عجــل »

وبنو كلب وبنو عجل هما قبيلتان كبيرتان من العرب ، وهو في مهنته ترجوه الكلاب وتخشاه العجول.

وضايقته يوما امرأة فقال فيها :

لــو برزت صــورتها في الدجــى … ما جــسرت تتصــورها الجــن
كأنهــا في فرشهــا رمــة … وشــعرها مــن حولهــا قطــن
وقائــل قــل لهــا ما سنهــا ؟ … فقلــت ما في فمهــا ســن

ومن طرائفه انه بعد أن ترك الجزارة الى الشعر ، خرج يوما للنزهة مع رفقة له فرغبوا بشراء لحم فكلفوه بذلك لخبرته ، فعاد اليهم باردا لحم ، فلما تعجبوا من ذلك قال لهم : « لما رآنى صاحب اللحم عرف بى زميلا قديما له ، فاقسم على بان اقطع اللحم بيدى من حيث اريد ، فنسيت نفسي وغلب على لؤم الجزارين » .

هذه لمحة عن شاعر يمثل جماهير شعبه التمثيل الصحيح ، وما اكثر هؤلاء الشعراء الذين عفى عليهم الزمن واغفلهم مؤرخو الادب فضاعوا وكانوا الاجدر بالحفظ . ■

بيروت ــ حسن الأمين

طرائف

الاخلاء الثلاثة

● قال أحد الحكماء: للمرء ثلاثة أخلاء : خليل يقول لهأنا معكحيا وميتا وهو عمله ، وخليل يقول له انا معك حتى تموت وهو ماله ، وخليل يقول له انا معك حتىباب قبرك ثم اخليك وهو ولده .

العاقل ، والأحمق

● قال أيوب بن القرية : **الناس ثلاثة** : عاقل واحمق وفاجر . **فالعاقل** : الدين شريعته، والحلم طبيعته والرأى الحسن سجيته . اذا نطق

أغبط الناس

● قال زياد بن ابيه لجلسائه : من اغبط الناس عيشا ؟ قالوا : الامير وجلساؤه . فقال : ما صنعتم شيئا . ان لأعواد المنابر هيبة ، وان لقرع لجام البريد لفزعة . ولكن اغبط الناس عندى ، رجل له دار لا يجرى عليه كراؤها ، وله زوجة صالحة قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما لايعرفنا ولا تعرفه . فان عرفنا وعرفناه اتعبنا ليله ونهاره وافسدنا دينه ودنياه .

● ● ● ● ● ● ●

فيها كلف وخنس

● قال الاصمعي كنت عند امير المؤمنين الرشيد اذ دخل رجل ومعه جارية للبيع ، فتأملها الرشيد ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف في وجهها (الكلف حمرة تعلو الوجه) وخنس في انفها (الخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة) لاشتريتها ، فانطلق بها . فلما بلغت الستر ، قالت : يا امير المؤمنين اردني اليك انشدك بيتين حضراني ، فردها فانشدت تقول :

ما سلم الظبيُ على حسنه — كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبي فيه خنس بيِّن — والبدر فيه كلفٌ يُعرف

فاعجبته بلاغتها فاشتراها ، وقرب منزلتها ، وكانت احظى جواريه عنده.

عربية

... والفاجر

... اصاب ، واذا سمع وعى ، واذا كلم اجاب . **والاحمق :** اذا تكلم عجل ، وان حدث وهل ، وان استنزل عن رايه نزل. **واما الفاجر :** فان ائتمنته خانك وان صحبته شانك .

لم السؤال

خطب ابو القطوف الى قوم امرأة لهم فاجابوه ، وقالوا ان لها من الضياع خمسا ومن البيوت عشرة ومن الاموال عشرين الف دينار ومن الذهب والفضة الكثير . فما مالك انت؟ قال : ان كنتم صادقين فان مالها هذا يكفيني واياها ما عشنا ويزيد ، فما سؤالكم عن مالي ؟!

مكارم الاخلاق

خطب ثلاثة اخوة من العرب الى عمهم ثلاث بنات له ، فقال مرحبا بكم ، لا اذم عهدكم ، ولا استطيع ردكم . خبروني عن مكارم الاخلاق . فقال الاكبر : الصون للعرض ، والجزاء بالقرض . وقال الاوسط : النهوض بالثقل ، والاخذ بالفضل . وقال الاصغر : الوفاء بالعهد ، والانجاز للوعد قال : احسنتم في الجواب ووفقتم الى الصواب .

● ● ● ● ● ● ● ●

اشترى القتل لنفسه

قيل ان بلال بن ابي بردة كان في حبس الحجاج ، وكان كل من مات في الحبس رفع خبره الى الحجاج فيأمر باخراجه وتسليمه الى اهله . فقال بلال للسجان : خذ مني عشرة آلاف درهم ، واخرج اسمي الى الحجاج فاخذ السجان المال ورفع اسمه الى الحجاج فقال الحجاج : مثل هذا لا يجوز ان يخرج الى اهله حتى اراه ، هاته . فعاد السجان الى بلال فقال : اوص بوصيتك . قال : ما الخبر ؟ قال : ان الحجاج قال كيت وكيت ، فان لم احضرك اليه ميتا ، قتلني . وعلم اني اردت الحيلة ، فلا بد ان اقتلك خنقا . فتوسل اليه الا يفعل ، ولكن لم يكن الى ذلك طريق . فأخذه السجان وخنقه واخرجه الى الحجاج ، فلما رآه ميتا سلمه الى اهله فأخذوه . وقد قيل ان بلالا اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه .

زراعة الأسنان

بقلم : الدكتور زهير جميل

ماجستير بطب الاسنان ـ بغداد

■ من ابرز احداث هذا العصر في المجال الطبي ، التقدم الحاصل في زراعة اعضاء سليمة وجديدة في جسم الانسان عوضا عن الاعضاء المريضة التالفة ، وقد كثر الحديث في السنين الاخيرة عن زراعة القلب والكلى ، وما تحقق في هذا المضمار من نجاح باهر بحيث دفع الناس الى التساؤل عن مدى امكان تعميم هذا النجاح في اعضاء الجسم الاخرى .

زراعة الاسنان زراعة قديمة

قد يجهل البعض ان عملية زراعة الاسنان كانت اسبق من عمليات القلب والكلى ، ويمكن ان نعزى هذا الجهل الى ان زراعة الاسنان اقل اثارة بالنسبة للناس من زراعة القلب وذلك لان اهمية الاسنان بالنسبة للحياة الانسانية لا ترقى الى اهمية القلب والكلى . الا ان الاسنان تحظى باهتمام خاص من قبل العاملين في مجال طب الاسنان لاهميتها من الناحية الصحية ، ومن قبل الناس لاهميتها الجمالية .

ذهاب الاسنان يسيء الى التغذية ومظهر الوجه

ان فقدان الأسنان يسبب عدم انتظام مضغ الطعام ، وهذا له تأثير كبير على صحة الانسان حيث تتحمل المعدة نتائج ذلك بصورة خاصة مما يؤدى الى عدم استفادة الانسان من المواد الغذائية التي يأخذها استفادة تامة ، ويرهق المعدة في عملية هضم الطعام . كما ان فقدان الاسنان كافة يؤثر من الناحية الجمالية لانه يسبب ظهور التجاعيد في الوجه بحيث يبدو الشخص متقدما في السن اكثر من اقرانه . في حين يؤدى فقدان الأسنان الأمامية الى تشويه ملحوظ في مظهر الوجه .

الأطقم الكاملة والجزئية

لكل هذه الأسباب اهتم المختصون في مجال طب الاسنان بمعالجة مشكلة تعويض الأسنان المفقودة ، وتوصلوا الى طرق عديدة لتحقيق ذلك ، منها الجسور الذهبية الثابتة و « الطقوم » الجزئية والكاملة المتحركة ، الا ان بعض الناس يشكو بين حين وآخر من ضيقه « بالطقم » الكامل أو « بالطقم » الجزئي المتحرك ، وذلك لاسباب عديدة ، بعضها نفسي وبعضها صحي ، ومن حالات مرضية كالتقيؤ Vomiting والغثيان Nausea .

ولذلك يطالب المريض بأسنانه طبيب الاسنان

بزراعة أسنان صناعية له . وقد نجح بعض الباحثين والاختصاصيين فى العقدين الاخيرين فى صناعة أسنان صناعية تثبت فى عظم الفك لتعويض الأسنان المفقودة .

زراعة الأسنان الطبيعية سبقت زراعة الأسنان الصناعية

وقبل ان نتحدث عن هذا الانجاز العلمى علينا ان نشير الى زراعة الأسنان الطبيعية وذلك لان هذه العملية قد سبقت بوقت طويل محاولةزراعة الأسنان الصناعية . فقد نجح العديد من الاختصاصيين من أطباء الأسنان فى نقل وزراعة الأسنان الطبيعية ، وتمارس هذه العملية بعدة طرق ناجحة فى العديد من بلدان وجامعات العالم فى الوقت الحاضر . وسنصف ما كان منذلك اولا.

الاسنان اسماؤها ومواضعها من فم الانسان

ونبدا لأجل الايضاح بذكر أسماء الأسنان ومواضعها من الفم .

ان مجموع الأسنان فى فم الانسان البالغ (اثنان وثلاثون) سنا موزعة بالتساوى على الفكين الأعلى والأسفل . والاسنان فى كل من الفكين متناظرة حيث يوجد ثمانية اسنان فى الجهة اليمنى من كل فك تناظرها ثمانية أسنان أخرى من نفس النوع والشكل فى الجهة اليسرى . ولهذه الأسنان الاثنين والثلاثين أسماء وتواريخ ظهور مختلفة تبين فى الجدول التالى :

اسم السن	تاريخ الظهور التقريبى بسنوات العمر
القاطعة الاولى	٦ – ٨
القاطعة الثانية	٧ – ٩
الناب	٩ – ١١
الضاحك الأول	٩ – ١١
الضاحك الثانى	١٠– ١٢
الضرس الأول	٦
الضرس الثانى	١١ – ١٣
الضرس الثالث ويسمى (سن العقل)	١٧ – ٢٣

طرق زراعة الاسنان الطبيعية

هناك طرق مختلفة عديدة لزراعة الاسنان الطبيعية يمكن تفصيلها فيما يلى :

زرع السن الطبيعية فى نفس الفم
Autotransplantation of Teeth

يطلق هذا المصطلح على العمليات التالية :

(العملية الاولى) – عملية قلع ونقل السن من موقعها الطبيعى فى فم المريض الى موقع سن اخرى فى فم المريض نفسه . ان هذه العملية منتشرة فى الوقت الحاضر فى امريكا واوربا ولعل عملية نقل الضرس الثالث (سن العقل) من موقعه الى موقع الضرس الاول هى أكثر هذه العمليات شيوعا ، وذلك لأن الضرس الاول هو أول الأسنان الدائمة النافعة التى تظهر فى الفم فى السنة السادسة من عمر الانسان ، وحيث ان الاهتمام بنظافة الأسنان فى مثل هذه الفترة من الطفولة صعب جدا ، ولأن العلاج المبكر لهذه السن عند اصابتها صعب أيضا نظرا لصعوبة اقناع الطفل بالذهاب الى طبيب الاسنان ، لذلك يكون هذا الضرس أكثر الأسنان واسرعها عرضة للتلف او القلع . وحيث ان الضرس الثالث (سن العقل) هو اقل الأسنان اهمية أثناء المضغ ، وهو لا يحتاج الى ما يعوضه عند فقدانه ، لذا برزت فكرة تعويض الضرس الأول بالضرس الثالث .

وتتلخص خطوات هذه العملية بما يلى : –

ا – الاختبار الصحيح للمريض والضرس المطلوب لهذه العملية بعد الفحص الاشعاعىالكامل والدقيق بحيث يتقرر استحالة علاج هذا الضرس بكافة الطرق الاعتيادية .

ب – يجب أن يكون الضرس الثالث فى دور التكوين وأن تكون جذور الضرس قد بدات فعلا بالتكوين ولا يزال الضرس غير ظاهر فى الفم .

ج – يتم قلع الضرس الاول أو الثانى بصورة تامة وبهيا موضعه لاستقبال الضرس الجديد .

د – يتم اخراج الضرس الثالث من موضعه بعملية خاصة حيث من الضرورى المحافظة على الكيس السنى الذى يحيط به The Dental Sac

هـ – يتم نقل الضرس فى نفس الوقت الىموضع

الضرس الاول ويدفن داخله ويحافظ عليه باحدى الطرق المتبعة فى مثل هذه العمليات .

ح ـ بعد مرور أشهر قليلة يبدأ هذا الضرس بالنمو بصورة طبيعية فى موضعه الجديد .

(العملية الثانية) ـ عملية قلع السن لسبب مرضى واعادتها بعد علاجها خارج الفم الى نفس موضعها فى الفم وتسمى هـذه العملية بالذات

Intentional Replantation of Teeth

وتتلخص خطوات هذه العملية بما يلى : ـ

أ ـ يتم اختيار السن لهذه العملية بعد أن يكون علاجها داخل الفم غير ممكن نهائيا وان تكون حالة تاج السن مشجعة لاعادتها الى موضعهـا بعد معالجة جذورها المريضة .

ب ـ تقلع السن من موقعها الطبيعي وتتـم معالجة جذورها خارج الفم باسرع ما يمكن . وحيث يجب معالجة السن واعادتها الى موضعها فى اقل من نصف ساعة للمحافظة على حيويـة الانسجة المحيطة بالجذور .

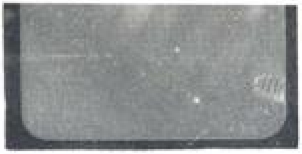
ج ـ بعد اعادة السن الى نفس موضعها الطبيعي فى الفم تثبت باحدى الطرق المناسبة ولمدة ستة اسابيع تقريبا .

د ـ يتم رفع المثبت وتكون السن فى هذه الحالة قد ثبتت فى موضعها . ويمكن المريض استعمالها بصورة طبيعية واعتيادية .

وفيما يلى التصاوير الشعاعية التى توضـح خطوات هذه العملية والتى أجريتها لاحد المراجعين قبل ما يزيد على السنتين هذا مع العلم اننـى أجريت عدة عمليات من هذا النوع أولها كانت عام ١٩٦١ .



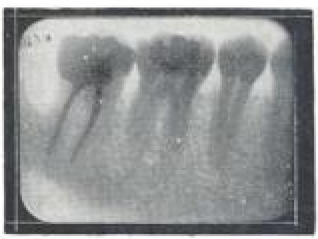
الضـرس الثانى المصـاب فى وضعه الطبيعى فى الفك الأسفل



بعـد قلـع الضـرس ويظهر موضع الضرس خاليا



بعد علاج جذور الضرس واعادته الى نفس موضعه فى الفك كذلك يظهر السلك المعدنى المستعمل لتثبيت الضرس



بعد سنتين من تاريخ عملية زرع السن .

زرع السن الطبيعية فى فم آخر

يطلق هذا الاصطلاح على عملية نقل السن من فم احد الاشخاص وزرعه فى فم شخص آخـر ، حيث يتم نقل الاسنان التي لا تزال في دور التكوين والنمو ، وتؤخذ عادة من الاطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٧ ـ ٩) سنوات والذين يحتاجون الى عملية تقويم الاسنان حيث يتم قلع بعض الاسنان لتقويم البعض الآخر ، ويمكن خزن هذه الاسنان فى محلول خاص :

Hank's Blanced Salt Solution

وفى درجة حرارة معينة تبلغ (٢م) ويمكن خزن هذه الأسنان فى هذا المحلول مدة ثلاثة اسابيع وقد تصل الى ستة اسابيع . وقد نشر الدكتور Cserpfalvi عام ١٩٦٣ مقالا فى مجلة اطباء الاسنان الامريكية

عن عشرات الحالات الناجحة التي اجراها لنقل اسنان من شخص لآخر .

زراعة الاسنان الصناعية

ان قولنا زراعة الاسنان الصناعية قد سبب التباسا عند المرضى حيث ان معظمهم يتصور ان بالامكان غرس او زرع اسنان صناعية في عظم الفك عوضا عن الاسنان المقلوعة . الا ان الواقع العملي لعملية زرع الاسنان في الفك والمستعملة حاليا هو غير ذلك .

لقد حاول العديد من الاختصاصيين في طب الاسنان حل مشكلة تعويض الاسنان المفقودة باسنان صناعية تثبت في عظم الفك ورغم عدم التوصل حتى الآن الى الطريقة المثلى في تعويض الاسنان المفقودة الا انه بالامكان الآن اجراء عملية تثبيت اسنان صناعية في الفك عوضا عن الاسنان المفقودة .

هناك ثلاث طرق مستعملة في الوقت الحاضر لهذا الغرض سنأتي على ذكرها جميعا ، وايا كانت الطريقة المستعملة فان هذه العمليات لا تزال محدودة التطبيق ومقتصرة على بعض الاختصاصيين وذلك راجع الى الملابسات العديدة التي قد تحصل اثناء وبعد هذه العملية .

الطريقة الأولى

Subperiosteal Implant Prosthesis

يمكن استعمال هذه الطريقة في حالة تعويض بعض او جميع الاسنان المفقودة ، اي عمل طقم جزئي او طقم كامل ثابت في الفك . ويمكن تلخيص الخطوات العملية لهذه الطريقة بما يلي : ــ

بعد الفحص الكامل والتصاوير الشعاعية الضرورية يتم اختيار المريض الملائم لهذه العملية ويتم فتح اللثة بصورة جراحية خاصة على امتداد الفك في حالة فقدان جميع الاسنان او على امتداد منطقة الاسنان المقلوعة في حالة تعويض بعض الاسنان فقط .

ب ــ تؤخذ طبعة لعظم الفك الذي تم رفع اللثة عنه وذلك بواسطة احدى المواد المستعملة لهذا الغرض ثم تخاط اللثة وتعاد الى وضعها الطبيعي وبعد هذه الخطوة تبدا الخطوات المختبرية العديدة والدقيقة جدا والتي توجزها بما يلي : ــ

١ ــ يصنع قالب بواسطة الطبعة السابقة مشابه تماما لعظم الفك .

٢ ــ تصنع قاعدة معدنية مشبكة ورقيقة جدا من معدن خاص يعرف بـ Chrome Cobult وتمتد هذه القاعدة على طول عظم الفك المراد تعويض الاسنان المقلوعة منه ، وتاخذ هذه القاعدة شكل سطح عظم الفك تماما ، وتبرز من هذه القاعدة نتوءات او ارتكازات خاصة الى الجهة العليا .

٣ ــ تصنع قاعدة ثابتة خاصة على امتداد القاعدة الأولى على أن يكون بالامكان تثبيتها فوق النتوءات او الارتكازات البارزة من القاعدة المشبكة عند الحاجة .

٤ ــ يثبت فوق القاعدة الثانية طقم اسنان كامل أو جزئي بحيث يكون ملائما لفم المريض من ناحية الحجم والشكل .

٥ ــ بعد اكمال كافة الخطوات المختبرية يعاد فتح اللثة مرة ثانية وتوضع القاعدة المشبكة فوق عظم الفك وتخاط اللثة فوقها وتبقى النتوءات فقط بارزة من اللثة في حين تبقى بقية اجزاء القاعدة تحت اللثة .

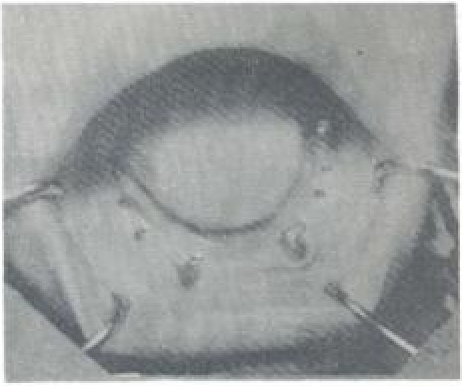
٦ ــ بعد مرور مدة مناسبة "تثبت" هذه القاعدة فوق عظم الفك . عند ذلك يمكن تثبيت القاعدة الثانية والتي تحمل الاسنان المطلوبة فوق النتوءات البارزة من القاعدة الأولى من خلال اللثة وبذلك يتم تعويض الاسنان المفقودة باسنان صناعية ثابتة .

الطريقة الثانية

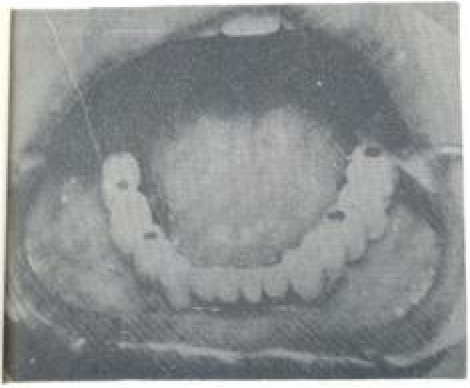
Intra - Osseous Implant Prosthesis

ان أهم اختلاف بين هذه الطريقة والطريقة الأولى هو انه في الطريقة الأولى القاعدة المعدنية تثبت فوق عظم الفك وتحت اللثة، اما الطريقة الثانية فتعتمد على غرس اوتاد معدنية ثابتة Implant Post داخل عظم الفك . ويمكن تلخيص الخطوات العملية لهذه الطريقة كما يلي :

١ ــ بعد الفحص الشعاعي الدقيق لفم المريض



صورة رقم (١) من مجموعة الدكتـــور « Linkow »
توضح الأوتاد المعدنية المغروسة فى عظم الفك الاسفل
والبارزة فوق اللثة لتحمل الاسنان الصناعية



صورة رقم (٢) من مجموعة الدكتـــور « Linkow »
الاسنان الصناعية مثبتة فوق
الأوتاد لتعويض أسنان الفك الاسـفل

يقرر الطبيـب نوع وعدد الأوتاد التي يجب أن تغرس داخل عظم الفك .

٢ ـ يتم حفر عظم الفك بواسطة آلة خاصـة من خلال اللثة بعمق وحجم معينين يناسبان تماما الوتد الذى سيغرس فى هذه الحفرة .

٣ ـ بعد غرس الأوتاد اللازمة في الفك تصنع فى المختبر رؤوس معدنية خاصة تثبت فوق هذه الأوتاد المغروسة بعظم الفك والبارزة من اللثة .

٤ ـ تصنع فى المختبر قاعدة معدنية على امتداد المنطقة المراد تعويضها لتحمل الاسنان الصـناعية فوقهـا .

٥ ـ تثبت هذه القاعدة مع الاسـنان المثبتة فوقها على الرؤوس المعدنية الخاصة والتي يمكن تثبيتها فوق الاوتاد المغروسة فى الفك وبذلك يمكن عمل اسنان صـناعية ثابتة تكون قاعدتها فقط (التي هي عبارة عن أوتاد معدنيه) مغروسـة فى عظم الفك .

وفيما يلى يجد القارىء داخل البرواز الذى على الصفحة المقابلة التصاوير الشعاعية للخطوات الضرورية المتبعة فى تثبيت سن صـناعية واحدة بواسطة وتد معدني .

الطريقة الثالثة

Artificial Tooth Implant

هذه الطريقة هي اقصر الطرق عمرا وأحدثها ولا يزال استعمالها مقتصرا على البحوث الجامعية وخاصة فى جامعة بوسطن فى امريكا حيث تجرى منذ ما يزيد عن ثماني سنوات عشرات التجارب ابتدات على القرود أولا ثم طبقت على الانسان وقد سجلت عدة حالات ناجحة لزراعة الاسنان الصناعية بهذه الطريقة حيث مضى عليها أكثر من خمس سنوات وهي ثابتة فى الفـك . وتتلخص هذه الطريقة بزراعة سن صناعية مصنوعة من مادة اكريلية Acrylic ومشابهـة تماما للسن الطبيعية في عظم الفك . وفيما يلي الخطوات العملية لهذه الطريقة :

١ ـ عندما يتقرر بصـــورة نهائيـــة وبعد الفحوصات الشعاعية قلع سن معينة لعدم امكانية علاجها ، تؤخذ طبعة للاسـنان لعمل قالب خاص مشابه تماما لاسنان المريض .

٢ ـ يتم قلع السن ويصنع فى المختبر حالا سن صناعية مشابهة تماما للسن المقلوعة من حيث طول وشكل الجذور .

٣ ـ يهيا موضع السن المقلوعة The Socket لاسـتقبال الســن الصناعيـــة الجديـدة وتغرس هذه السن داخل الفك فى نفس موضع الســن الطبيعيـة التي تم قلعها وتثبت باحدى الوسائل المستعملة لهذا الغرض .

٤ ـ بعد مضـــي عدة أسـابيع تكون السن الصناعية المغروسة أو المزروعة فى عظم الفـك قد ثبتت فى موضعها ويمكن استعمالها بصوره عادية .

ملاحظات حول زراعة الاسنان الصناعية

يؤكد اكثر الباحثين في مجال زراعة الاسنان الصناعية بانه في حالة فقدان بعض الاسنان فقط يكون من الافضل جدا عمل اسنان تثبت بواسطة الاسنان الطبيعية المتبقية في الفم اي صنع جسور ذهبية ثابتة كما هو معروف .

وهنالك انواع عديدة من هذه الجسور افضلها النوع المعروف Cast Cold Bridge With Facing ، وفيها يمكن اخفاء الذهب بواسطة مادة ثانية وبصورة تامة بحيث تكون السن الصناعية مشابهة للسن الطبيعية من حيث الشكل واللون . وهذه الجسور الثابتة عادة يكون عمرها اطول ومشاكلها اقل من زرع اسنان صناعية ثابتة في عظم الفك .

كذلك في حالة فقدان الاسنان الطبيعية كافة وعندما يكون الفكان بصورة جيدة وصالحة لعمل طقم كامل متحرك اعتيادي فمن الافضل عدم التفكير فورا بزراعة اسنان صناعية في عظم الفك ، وانما عمل طقم اعتيادي ومن النوع الجيد وذلك لتفادي العملية الجراحية والمضاعفات الاخرى والتكاليف الباهظة لعملية زراعة الاسنان الصناعية .

اما في الحالات الخاصة والتي يكون فيها صنع الطقم الاعتيادي المتحرك او صنع الجسر الذهبي الثابت غير ممكن ، فعند ذلك تكون طريقة زراعة الاسنان الصناعية حلا لمشكلة المريض وعدم حرمانه من الاسنان الصناعية .

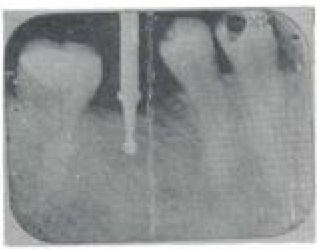
ان عملية زراعة الاسنان الصناعية الى الآن لا تعتبر الطريقة الفضلى في تعويض الاسنان المفقودة لانها ليست بالعملية السهلة المعتادة . انها تتطلب عملا جراحيا ومختبريا دقيقا جدا ، كما انها باهظة التكاليف ومحدودة التطبيق في الوقت الحاضر . ■■

زهير جميل

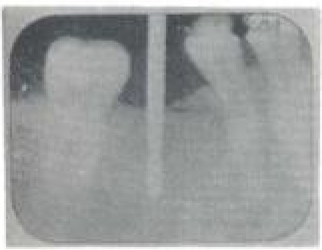
الخطوات الضرورية المتبعة في تثبيت سن صناعية واحدة بواسطة وتد معدني



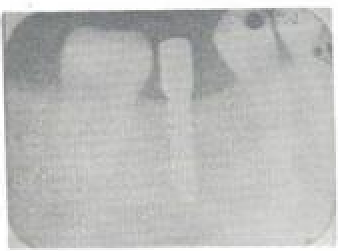
(١)



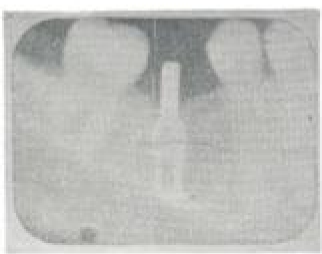
(٢)



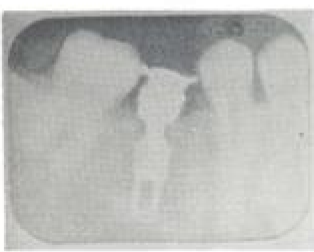
(٣)



(٤)



(٥)



(٦)



أنا وأنتَ .. !

للشاعر : فاروق شوشة

■ من جديدٍ تشابكَتْ أيدينا   واختلجنا جوانحاً وعيونا
وابتسمْنا من بعدِ طولِ التأسّى   ونسينا وجهَ الحياةِ الحزينا
بعدما دارتِ الليالى علينا   فغفرْنا عذابَها والأنينا
وعرفْنا أنَّ الهوى .. ياحبيبى   لم يزلْ نابضاً كما كان فينا

★★★

فرّقتْنا الأيامُ شرقاً وغربا   وشربنا الفراقَ مُرّاً وصعبا
ما الذى كان كامناً في الحنايا   أيقظ النارَ فى الفؤادِ فلبّى
قد رسمْنا على الطريق خطانا   كيف يمحو الزمانُ خطْواً ودربا
وأرانا على المدَى ياحبيبى   يحتوينا الضّنَى فنزدادُ حُبّا

★★★

ذاكرٌ أنتَ خطوتيْن !   يومَ كُنّا كطائريْن
نقطعُ الليْلَ بالمُنَى   نلْمَسُ الفجْرَ باليديْن
وأنا ، أنتَ ، والهوى   قُبلةٌ بيْن عاشقيْن
إن تكنْ غِبْتَ مَرّةً   فأنا ذُبْتُ مرّتيْن !

★★★

من جديد .. وأنت زادى وذخرى   وصدى خافقى ، وواحةُ عمرى
والليالى التى تقضّتْ سراعاً   بعضُ قلبى ، وبعضُ نفسى وفكرى
وحدّثتْنا الأشواقُ حتّى غدوْنا   طيفَ حب ، فكيف تُصبحُ غيرى؟



أنا حسبي ، أنّي وضعتُ حياتي بين حِضْنِ الهوى وسلَّمتُ أمري

★★★

المواعيدُ والفِكَرْ والحكاياتُ والسَّهرْ
(والعهودُ) التي جَرتْ بينَنَا .. يَشهدُ القمرْ
كلُّها الآنَ .. لم تَزلْ تملأُ السمع والبصر ..
قلْ لمن باتَ مثلَنا طابت الكأسُ والوتر !

★★★

من جديدٍ ندقُّ باب هوانا ونرى الكونَ عُشَّنا وصبانا
ونُعيدُ الحياةَ حُلْماً نديّاً مثلما كانتِ الحياةُ وكانا
من جديدٍ يعود صوتُ الأماني وتُعيدُ الدروبُ وَقْعَ خُطانا
كيف أنساكَ ياتميمةَ عمري سحرُ عينيكَ يقهرُ النّسيانا !

★★★

لاتقلْ كانَ .. وانقضى ! إنَّما نحنُ .. مامضى
نحنُ ذكرى توسَّدت خافقينَا فأغمضَا
وغدٌ مُشرقٌ الخُطى يغمرُ العُمْرَ بالرِّضا
نحنُ حبٌّ مخلَّدٌ نتحدَّى بهِ القضا

فاروق شوشة

عالم الإسلام ... والعروبة ...

أمام العدوان الصليبي الطويل المدى

بالثبات والإصرار على تحرير الوطن الإسلامي من المعتدين.

وبالسير إلى الأمام في طلب الموت دون إضاعة الوقت في عد القتلى.

كسبت أمم العرب والإسلام معركتها وخرجت سالمة من محنتها الكبرى.

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ لندع جانبا ـ لحظة من الوقت ـ النظر الى الحروب الصليبية على انها كانت عدوانا جماعيا منظما وطويل المدى من العالم المسيحي على العالم الاسلامي ، ولننظر اليها على انها مجرد حادث تاريخي له اسبابه ومقدماته . ولندع جانبا ايضا الأسباب التقليدية كما تذكرها كتب التاريخ عندنا ، وهي كما يلي على وجه التقريب .

الأسباب التقليدية ، للحروب الصليبية

ـ ادعاء الغربيين ان السلطات الاسلامية المشرفة على الأراضي المقدسة في فلسطين تتعرض بالأذى والعدوان لحجاج النصارى وتحول بينهم وبين اداء واجبهم الديني .

ـ خوف الروم (البيزنطيين) من تقدم السلاجقة المطرد في آسيا الصغرى وتهديدهم الدولة البيزنطية المسيحية بالزوال ، مما دفع بالغرب

المسيحي الى الاسراع لانقاذ ذلك البلد المسيحي الذى كان بعضهم يتصور انه كان درعا يقي بقية العالم المسيحي من خطر التقدم الاسلامي .

ـ تطلع الكثيرين من امراء الاقطاع والاشراف فى اوروبا الغربية الى الغزو وانشاء امارات واملاك مسيحية فى البلاد الاسلامية .

ـ رغبة الكنيسة الكاثوليكية فى تحقيق ما كانت تطمع فيه من سيادة العالم المسيحي بتوجيهه نحو حرب دينيـة واسـعة المدى يشرف عليها رجال الكنيسة .

ـ الحماس الديني ، اذ ان الكثيرين من النصارى حملوا شارة الصليب على صدورهم ، وساروا لحرب المسـلمين مدفوعين بحماس ديني حقيقي ورغبة صادقة في انتزاع السيطرة على مهد المسيح من ايدى المسلمين ، والانتقام من المسلمين الذين انتزعوا من العالم المسيحي بلادا واسعة كالشام ومصر والمغرب والاندلس وجزائر البحر الأبيض .

ـ وأخيرا : تطلع الجمهوريات الايطالية التجارية مثل جنوة والبندقية وبيزة الى السيطرة على التجارة وطرقها وأسواقها فى البحر الأبيض وانتزاع التجارة الآسيوية من أيدى المسلمين الذين كانوا يحتكرونها منذ بداية القرن الثامن الميلادى على الأقل .

لندع ذلك كله جانبا ـ برهة من الوقت ـ فانه معروف متوارد الذكر فى الكتب . ولنحاول ان نذهب الى أبعد من ذلك ، فنسأل :

هل هذه الأسباب كافية لكي يتحرك الغرب المسيحي ويقوم بهذا العدوان الضخم الطويل المدى ؟ .

ولنوضح هذا السؤال بسؤال آخر : لنفرض أن العالم الاسلامي كان خلال النصف الثاني من القرن الحادى عشر الميلادى موحدا قويا ، تتولى اموره دول حريصة واعية ومتأهبة للدفاع ، فهل كان من الممكن ان تفكر أوروبا ـ او غيرها ـ فى العدوان عليه وغزو أراضيه ؟ .

الجواب قطعا بالنفي .

السبب الرئيسي للغزو الصليبي تفرق المسلمين

فالسبب الرئيسي فى وقوع الغزو الصليبي هو



الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شادى الايوبي ، الذى توج حركة التحرير العربية بانتصاره الخالد فى حطين سنة ١١٨٧ وانقاذ بيت المقدس

تفرق بلاد المسلمين ، والمنازعات التي كانت قائمة بين المسيطرين على دولها ، والفوضى المحزنة التي عمت بلاد الشام نتيجة لهذه الخلافات والمنازعات.

لقد شهدت بلاد الشام والأراضي المقدسة تيارا متصلا من الحجاج النصارى خلال النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، لان الكثيرين من أهل العالم المسيحي كانوا ينتظرون أن تقوم القيامة ويطوى بساط الدنيا وينصب الميزان للحساب على رأس المائة الحادية عشرة للميلاد . كانوا قد انتظروا تلك القيامة على رأس الألف سـنة من مولد المسيح ، وباع الكثيرون املاكهم وتصدقوا باثمانها وقضوا العام الأخير المكمل للألف فى صلاة وعبادة . ثم لم تقم القيامة ، وقال القائلون ان الله أمهل البشر مائة سنة ليتوبوا عن ذنوبهم ، فلما اقترب الموعد الجديد تصدق الكثيرون باموالهم وخرج المئات للحج الى مولد السيد المسيح عليه السلام.

وقد وجدوا بالفعل بعض المتاعب والمضايقات فى الشام وفلسطين ، ولكنهم لم يلقوا ذلك لانهم كانوا نصارى بل لان الاحوال كانت مضطربة

فاسدة يقاسي منها المقيم والزائر والمسلم والنصراني على السواء .

ولكن ضعف البلاد واضطراب امور حكومتها استوقف نظرهم ، وتساءل الكثيرون منهم : كيف تترك هذه البلاد بايدي اولئك الناس الذين لا يحسنون القيام عليها ولا يستطيعون الدفاع عنها ؟ .

راهب متحمس يتنبه لنقطة الضعف في المسلمين
و « بابا » ذكي طموح ينتهز الفرصة ويشعل النار
ودولة مضيّعة تفتح الباب للغازين

فذلك هو بطرس الناسك، ذلك الراهب الفرنسي المثير للعواطف ، المؤجج للحماس ، الحافل القلب بالحقد على المسلمين ، الطامع في السيطرة وقيادة الجماهير ... لقد قام بطرس برحلة للحج الى بيت المقدس وادهشه ما رأى من ضعف بلاد الاسلام ، فعاد الى الغرب وزار روما ونبه اذهان البابوية الى ضرورة انتهاز الفرصة السانحة ، فان بلاد المسلمين في حالة يرثى لها من الضعف ، ولا بد من الاسراع بحملات عسكرية لاستخلاص الاراضي المقدسة من ايديهم . ثم هو ذهب الى فرنسا واخذ يطوف ببلادها داعيا في حماس شديد الى الاسراع بحرب المسلمين .

واستجاب لدعوته الناس بسبب ما رأوه من ضعف الجبهة الاسلامية وما توقعوه من فتح سهل يملكون به الاراضي المقدسة اولا ، ثم يفوزون بخيرات البلاد الاسلامية ثانيا . ولقد كانت خطبة البابا اوربان الثاني في المجمع الديني الذي عقد في مدينة كليرمون Clermont Ferrand في فرنسا في نوفمبر ١٠٩٥ صريحة في هذا المعنى ، فقد جاء فيها « وليست هذه الحرب للفوز بمدينة واحدة فحسب ، بل هي اقاليم آسيا بجملتها ، مع غناها وخزائنها التي لا تخفى ، فسيروا نحو القبر المقدس ، وخلصوا الأرض المقدسة من ايدي الغاصبين ، وتملكوها أنتم من دونهم ، فهذه الارض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا » .

وكان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الأجنبي ، وقد تصوروا ان الصليبيين اذا أزاحوا السلاجقة عن الشام خلا الجو للفاطميين ليستعيدوا سلطانهم عليه ! .

وجدير بالذكر ان بعض المؤرخين يقولون ان الفاطميين فعلوا ذلك لأنهم كانوا شيعة والسلاجقة كانوا سنة ، وهذا غير صحيح . فلا دخل للشيعية او السنية في موقف الفاطميين ، وانما الحقيقة ان هذه الدولة كانت بلاء على الاسلام والمسلمين من يوم قامت في المغرب ثم انتقالها الى مصر بعد ذلك ، وقد سير سياستها خلفاء ووزراء في غاية الأنانية والبعد عن التفكير في مصير الجماعة الاسلامية . وخلال خلافة الحاكم (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) فقدت هذه الدولة الفاطمية معظم ما قامت عليه من أسس معنوية وخلقية ، وانفصل الخلفاء ورجالهم عن الجماعة الاسلامية انفصالا محزنا ، ولم يعودوا يمثلون الا انفسهم ، ولا دخل لمصر او الشام او للشيعية او السنية في تصرفاتهم.

وفي المعسكر الغربي
ولدت دول جديدة قومية واعية
وتحقق تقدم صناعي واقتصادي
وتضاعف عدد السكان

وخلال هذه الحقبة بالذات - اي طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، اي العاشر والحادي عشر الميلاديين ، كانت اوروبا الغربية تخرج من الفوضى الى الاستقرار ، وفي كل من فرنسا والمانيا وانجلترا قامت بيوت مالكة جديدة ذات سياسات مرسومة واهداف قومية واضحة .

ففي فرنسا ظهر الكونت اودو Eude Comte de Paris في باريس وما حولها وعمل هو خلفاؤه من بعده على توحيد السلطة في فرنسا، والقضاء على كبار الأمراء الاقطاعيين ووضع حد لمساوئهم . وفي سنة ٩٨٧ انتقل العرش الى بيت هيو كابيه Hugh Capet ، الذي اخذ لقب الملك ، وسعى جاهدا هو وخلفاؤه الى اقامة فرنسا موحدة قوية ذات طابع قوي واضح . وقد نجح ملوك هذا البيت نجاحا عظيما واستمروا يحكمون فرنسا فوق القرون الستة فلم ينته ملكهم الا سنة ١٥٨٩ ، وفي خلال هذه القرون خرجت فرنسا من ظلمات العصور الوسطى الى نور العصر الحديث .

وفي انجلترا بدأ عصر جديد مع الغزو النورماني على يد وليام الفاتح سنة ١٠٦٦ ، فقد اقر وليم وملوك البيت النورماني من بعده النظام وحكم

القانون في البلاد ، وحكموا الى سنة ١٤٨٥ أى الى نهاية العصور الوسطى تقريبا .

وفي المانيا قامت الامبراطورية الرومانية المقدسة على يد اوتو الكبير Otto der Grosse ، حفيد هنرى الصيد سنة ٩٦٢ ، وتولى ملوك بيت الهوهنشتاوفن Hohenstaufen ، الحكم في المانيا وجزء كبير من ايطاليا ، واستمر هذا البيت يحكم ـ على حظوظ متفاوتة من التوفيق وعدم التوفيق والقوة والضعف الى القرن التاسع عشر .

وكانت البابوية تشق طريقها في حزم واصرار وعناد ، وتبسط سلطانها على روما ووسط ايطاليا ، وتطالب بالحق في سيادة العالم المسيحي ، فلما فشل البابوات في ذلك اقنعوا بالمطالبة بالسيادة الروحية وحق التوجيه . ولقد تمكن البابوات رغم كل شيء من قيادة اوروبا وتوجيهها نحو حرب المسلمين في الاندلس والشام وحوض البحر الابيض .

واستطاع النورمان أن ينشئوا لهم دولة في جنوب ايطاليا ، ومن سنة ١٠٦١ بدأوا في محاربة المسلمين في صقلية . وما أن حلت سنة ١٠٩١ حتى كانوا قد قضوا على الحكم الاسلامي في تلك الجزيرة الكبيرة ، فكانت صقلية الاسلامية أول ما سقط من بلاد الاسلام في الحرب الطويلة التي نشبت بين العالمين الغربي والشرقي . في كل هذه البلاد التي ذكرناها قامت نهضات اقتصادية واجتماعية في ظلال النظم السياسية القوية التي ذكرناها ..

انتعشت المدن بعد طول ركود ، وأخذت باريس ولندن وكولونيا وفرانكفورت وامستردام وبازل وزيوريخ وروما وغيرها كثير تتحول الى مراكز تجارة وصناعة . وفي هذه المدن تجمع الصناع والتجار واشتروا حقوقا مدنية من الملوك والأمراء ، وأمنوا على انفسهم واموالهم ، وقامت نقابات التجار والصناع تعمل في نشاط ، فكثر المال فيها وارتقت الصناعات ، واخذت هذه المدن تقود المجتمع الأوروبي من فوضى الاقطاع الى انتظام الدول ، وكانت المدن التجارية الايطالية انشط الجميع ، اذ لم يكن هناك سلطان سياسي يحد من تقدمها او يفرض عليها الجبايات الثقيلة ، فنشأت الموانيء الضخمة في البندقية وجنوة وبيزا وامالفي Amalfi وغيرها ، وفي هذه الموانيء قامت دور



لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٥ ـ ١٢٧٠) الذى قضى خير سنوات حياته محاربا في سبيل عقيدته الكاثوليكية .. وقد قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر ، ثم الحملة الصليبية الثامنة على تونس . وتوفي في تونس بعد هزيمة هذه الحملة ، ورفعته الكنيسة الى مقام القديسين ، ولهذا فهو يعرف عادة بسان لويس .

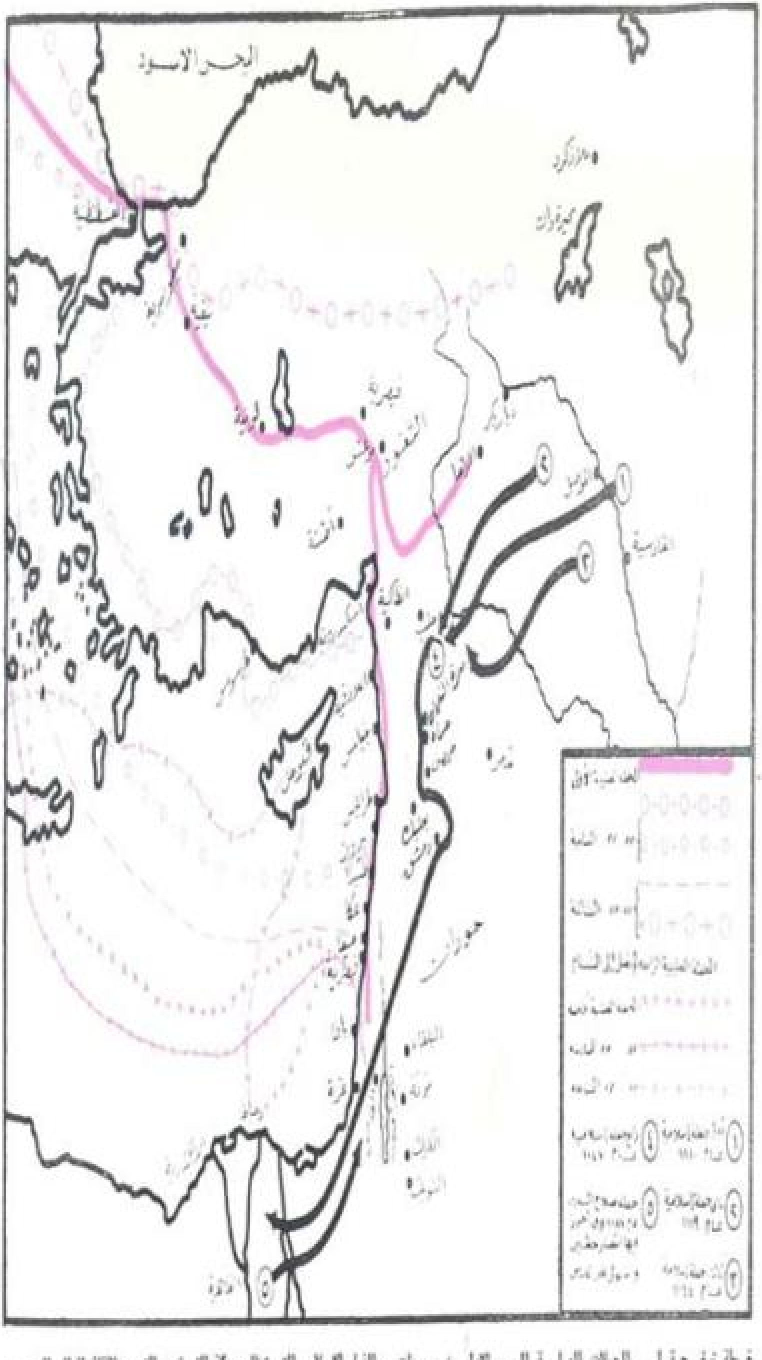
الصناعة (الترسانات) . وبنيت السفن الكبيرة وانتظمت خطوط الملاحة فتدرب رجال البحر وكسبوا مهارات كبرى ، وانشئت المخازن والمصانع والمصارف ، وشيئا فشيئا سيطرت هذه المدن ـ او الجمهوريات ـ الصغيرة ، على تجارة البحر الأبيض وتطلعت الى السيطرة على متاجر آسيا .

لا غرابة اذن في ان تشهد أوروبا خلال القرنين العاشر والحادى عشر تطورا اجتماعيا بعيد المدى.

تضاعف عدد السكان وكان لا بد لهذه الزيادة السكانية من موارد رزق وميادين كسب ونشاط .

وخطت صناعة السلاح خطوات واسعة الى الامام ، فاتقن الحدادون والنجارون في غرب أوروبا ووسطها صناعة السيوف الجيدة والدروع المتقنة والحراب المتينة والاقواس القوية والات الحصار والمنجنيقات والكباش والسلالم مما لم يعرفه العالم من قبل .

وهذه كلها كانت عضلات قوية اشتدت بها قوة



خريطة توضيحية لسير الحملات الصليبية السبع الاولى ، وموجات رد الفعل الاسلامي التي تمثل حركة النهوض والتجمع لانقاذ العالم العربي من العدوان الصليبي . اجتهدنا في تبسيط خطوط سير الحملات حتى يمكن استيعابها في خريطة واحدة ، وكذلك الامر بالنسبة لمراكز رد الفعل الاسلامي وخطوط سير جيوش التحرير التي قادها زعماء النهضة العربية الاسلامية ، وقد اقتصرنا منهم على خمس تكلمنا عن اعمالهم بالتفصيل في صلب المقال ، وهم مودود صاحب الموصل ، ونجم الدين ايلغازي ، وعماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين يوسف .

أوروبا ، وهذه القوة هي التي حفزتها على الهجوم على عالم الاسلام ...

النتيجة الطبيعية : توغل الصليبيون في البلاد دون صعوبة ، وانشأوا ثلاث امارات في انطاكية ، وطرابلس ، والرها واقاموا مملكة بيت المقدس

والآن وقد عرفنا الحالة التي كانت عليها كل من الجبهتين الاسلامية والمسيحية عشية وصول أول حملة صليبية الى ارض الشام فانت تستطيع ان تتصور بنفسك ما كان لا بد أن يحدث .

في شعبان ٤٩٠ هـ يونيو ١٠٩٧ دخلت الحملة الصليبية الأولى أراضي سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى واخترقتها ودخلت شمال الشام وبدأت حصار انطاكية بعد أربعة شهور .

وملك الأمراء واصحاب السلطان في الشام الفزع فلم يبدوا اى مقاومة حقيقية . كل المقاومة التي حدثت قام بها أفراد الشعب العربي ما بين متطوعة خرجوا للفداء واهل مدن ثبتوا للحصار . مات من هؤلاء واولئك الوف بعد الوف .

ولكن تخاذل الأمراء كسر ظهر المقاومة ، فسقطت عواصم الساحل ، وانشأ الصليبيون امارة انطاكية في رجب ٤٩١ هـ ١٠٩٨ م .

وفي شوال ٤٩١ هـ سبتمبر ١٠٩٨ توغلت قوات صليبية في نواحي أعالي الفرات واحتلت الرها وانشأت فيها امارة الرها الصليبية .

وفي شعبان ٤٩٢ هـ يونيو ١٠٩٩ بدأ حصار القدس . كان أصحاب السلطان هناك رجال الفاطميين . انسحبت قواتهم دون قتال الى عسقلون . بقي في الميدان أهل البلد ومن انضم اليهم من المتطوعة . دافعوا عن بلدهم الى آخر رمق . اقتحم الصليبيون الأسوار وقتل من المدافعين نحو ٧٠,٠٠٠ عربي . وانشئت مملكة بيت المقدس الصليبية . وبعد ذلك بقليل في ٥٠٢ هـ ١١٠٩ أكمل الصليبيون احتلال نواحي طرابلس وانشأوا فيها الامارة الصليبية الرابعة .

بهذا وبدون مقاومة من أهل الدول التي كانت قائمة اذ ذاك وجنودها الكثيرين ، وضع الصليبيون قدما ثابتة في أرض الشام ، فملكوا الساحل كله وجزءا كبيرا من اراضي الشام وفلسطين بما في ذلك كل شمالي فلسطين والقدس وملكوا أيضا أعالي الفرات واصبحوا يهددون كل الدول الاسلامية القائمة تهديدا مباشرا .

وفي نهاية العقد الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كان الموقف العام في الشمال وشمال العراق مخيفا : عدو غالب متأسد يواجه حكومات عاجزة خائرة القوى تجتهد في المحافظة على مصالح أصحابها .

ثم ظهر قادة الكفاح المنظم ، وبدأت حرب التحرير سلسلة من الأبطال ، من شرف الدولة مودود الى صلاح الدين ، حطمت حصون المعتدين واستعادت القدس وكل فلسطين ..

ولكن ، اذا كانت تلك الدول قد انهزمت فان الشعب العربي الاسلامي لم يهزم ولم يشأ ان يعترف بالهزيمة .

وهذا كلام لا نقوله لمجرد رفع القوى المعنوية ، بل لانه حقيقة تاريخية تثبتها البينات ، ونحن نؤمن بأن العلم ينبغي أن يقوم على الحقيقة وحدها وأن تزييف التاريخ يخدم الأعداء ولا ينفع الأصدقاء ..

فان الصليبيين لم يتقدموا في ذلك الطريق الطويل من شمال آسية الصغرى الى جنوب القدس الا على أجساد الشهداء . الوف بعد الوف من العرب قتلوا مدافعين عن انطاكية وطرابلس ومعرة النعمان وصور وصيدا والقدس وغيرها .

ولم يكف المتطوعة عن الاغارة على طوابير القوات الصليبية في الطريق : فيخطفوا رجالها ويرموها بالسهام المصمية . هنا برزت الى الميدان جماعات الفدائيين القاتلين الذين يسميهم مؤرخونا بالتركمان .. وقد كان التركمان بالفعل هم الذين علموا العرب والمسلمين فن القتال على الخيول الخفيفة السريعة والرمي بالسهام من وراء كل صخرة او شجرة في الطريق ، وتعلم شباب العرب ذلك ونبغوا فيه ..

بعد قليل شعر المغير المعتدى انه محاصر فيما احتل من البلاد . كان رجاله لا يستطيعون السفر

من مكان لمكان الا جماعات محروسة . وقد كان دعاة الحروب الصليبية يزعمون أن المسلمين يهددون أمن الحجاج النصارى في مسيرهم من الساحل الى بيت المقدس ، فأتوا واحتلوا الأرض ليجدوا بعد ذلك ان طريق الحجاج قد أصبح اقل امنا مما مضى ، واصبحوا مضطرين الى تنظيم قوافل حراسة مستمرة لتامين الطريق من الساحل الى القدس مما كان يكلفهم مالا وجهدا عظيمين .

وبعد سقوط القدس اشتدت الصيحة للجهاد.

في كل بلاد الشام والعراق ظهرت جماعات « المستنفرين » يخطبون في المساجد وعلى قوارع الطرق والأسواق ، يهيبون بالناس أن يحملوا السلاح وينفروا لتحرير البلاد . وذهبت جماعات منهم الى بغداد وحاصرت قصر الخليفة العباسي ، وارغمته على الظهور ، فعاقبوه عقابا شديدا ، واهانوا الأمراء ورجال الدولة وطلبوا منهم سرعة النهوض لمواجهة الأعداء .

وعلى هذا النداء المترامي والجهاد الباسل الذي قام به جمهور الناس صحا بعض أصحاب الأمر ونهضوا يستعدون للكفاح المنظم .

وظهرت في شمال العراق والموصل ثم في حلب وبقية الشام بعد ذلك طلائع النصر : رجال افذاذ عملوا على توحيد الصفوف وتكوين قوات عسكرية للجهاد والتحرير وارتفعت راية الجهاد . ولم تنخفض بعد ذلك حتى تمام التحرير . وسنذكر اسماء قادة الجهاد دون تفصيل لأن المجال لا يتسع .

ـ شرف الدولة مودود أمير الموصل . تحت رايته سار أول جيش للتحرير من الموصل الى ارض الشام في سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ ـ ١١١١ م.

ـ نجم الدين ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين. على يده كسب المسلمون أول نصر عسكري على الصليبيين في الميدان . حدث هذا عند بلدة قسطون جنوبي حلب سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م عندما انتصر مودود ورجاله على جيش صليبي كبير يقوده أمير انطاكيـة . وقد تمزق الجيش الصليبي اربا وقتل أمير انطاكية ومئات من فرسانه وأسر المسلمون مئات أخرى ، فانكسرت أسطورة القوة الصليبية التي لا تغلب ، وتشجع الأمراء في كل مكان ، وهبت رياح النصر على المجاهدين في ارض العروبة والاسلام .

ـ توفي نجم الدين ايلغازي في رمضان ٥١٦ هـ/نوفمبر ١١٢٢ م وحمل راية الجهاد من بعده نور الدين بلك الذي استطاع ان يهزم قوات جوسلين Joceline ، أمير الرها وبولدوين الثاني Baldwin II ، ملك بيت المقدس ، وياسر هذين الزعيمين الصليبيين ويضعهما في سجنة في ربيع الأول ٥١٧ هـ ابريل ١١٢٣م . هنا خطت حركة التحرير خطوات حاسمة الى الامام اذ ان أسطورة الصليبيين لم تتحطم فقط بل بدأ الخوف يملأ قلوبهم من ناحية المجاهدين . وقد ضم نور الدولة بلك حلب الى امارته، وأستشهد في ربيع الثاني ٥١٨هـ/مايو ١١٢٤م وهو يحارب الصليبيين عند منبج . وقد قال وهو يلفظ آخر انفاسه : « هذا موت لكل المسلمين » مما يدل على انه كان يشعر فعلا انه يقود الجبهة الاسلامية كلها في الجهاد .

ـ وتولى القيادة بعده آق سنقر البرسقي صاحب الموصل وحلب سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م .

ـ وخلفه في القيادة ابنه عماد الدين زنكي في ربيع الاخر ٥٢١هـ/مايو ١١٢٧م وعلى يده تمت أول خطوة حاسمة من خطوات التحرير وهي القضاء على امارة الرها الصليبية في اعالي الفرات سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م. في أعقاب هذا النصر العظيم انضمت الى جبهة الكفاح الوف بعد الوف من المقاتلين المجاهدين . لم تعد القوات النظامية وحدها هي التي تخوض المعارك ، وانما خاضتها بنجاح قوات المجاهدين . هذه القوات الفدائية التي تكونت في كل بلد في الشام والموصل ووسط العراق .

كانت تقوم في الحقيقة باعظم جانب من القتال. في كثير جدا من الاحيان كانت قوات الامراء النظامية تتسلم البلاد من المجاهدين الذين يكونون قد قضوا على مقاومة الصليبيين .

ـ توفي عماد الدين زنكي شهيدا في ربيع الثاني ٥٤١هـ/سبتمبر ١١٤٧م. خلفه في القيادة ابنه نور الدين محمود ، ذلك المجاهد الذي لا يكل . لقد وهب حياته كلها للجهاد وقضى ٢٢ سنة في الميدان حطم فيها قوات الصليبيين تحطيما ، وقضى على الحملة الصليبية الثانية ، ووحد الشام والموصل في جبهة النضال . وتوج اعماله بالقضاء على الفاطميين وضم مصر بمواردها العظيمة الى معسكر الجهاد .

وقد توفي نور الدين في ١١ شوال ٥٦٩هـ/١٥ مايو ١١٧٤م وقام من بعده نائبه على مصر صلاح الدين

يوسف بن نجم الدين ايوب الذى توج الجهاد العربي الاسلامي بنصر حطين في ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ يوليو ١١٨٧م واستعادة القدس في الشهر التالي وقضى نهائيا على مملكة بيت المقدس . بعد ذلك ضعفت امارتا انطاكية وطرابلس ضعفا شديدا واستطاع صلاح الدين ان يطمئن الى انه اكمل حركة التحرير واستعاد للاسلام بلاده المسلوبة .

والفضيلة الكبرى لصلاح الدين انه اخذ عن نور الدين فكرة الجهاد المطلق حتى التحرير التام وسار بها الى الامام وجعلها سياسة ثابتة لكل دول الاسلام في الشرق العربي . وكما استفاد نور الدين الى اقصى حد من قوات المجاهدين الاحرار فقد عرف صلاح الدين كيف ينتفع بها الى درجة تدعو الى الاعجاب . ومن الحق ان نقرر ان جانبا كبيرا من الفضل في نصر حطين يعود الى المجاهدين الذين اهلكوا الجيش الصليبي بالغارات المتتابعة ليلا ونهارا اسبوعا بعد اسبوع . وعلى صخرة صلاح الدين العاتية تحطمت الحملة الصليبية الثالثة . وقد ابدى صلاح الدين من الشهامة والنبل وعلو الهمة ما جعله موضوع اعجاب الصليبيين والاوروبيين جميعا .

ولكن الذى اضعف جانب صلاح الدين كانوا قواده ورجاله . لقد خيبوا ظنه بعد الاستيلاء على القدس ومال معظمهم الى الراحة والتمتع بثمرات النصر . وبعد أن كان صلاح الدين يقول لكاتبه ابن شداد وهو يشير الى امواج البحر : انني لن استريح حتى اركب هذه الامواج واعبر هذا البحر واغزوهم في بلادهم ، اضطر الى عقد صلح الرملة الذى تنازل للصليبيين فيه عن جزء من الساحل يمتد من صور الى حيفا ، وسمح لهم بدخول القدس للحج متى ارادوا .

وتوفي هذا البطل العظيم في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ/٤ مارس ١١٩٣م بعد ان سجل اسمه في سجل الخالدين في تاريخ البشرية جمعاء .

وتخلى خلفاء صلاح الدين من الأيوبيين عن الجهاد ، ولكن أمة العرب والاسلام بقيت في الميدان ، وسارت على طريق بطل حطين العظيم

لم يخلف صلاح الدين من رجاله او من افراد بيته من يقاربه ولو في جزء قليل من ملكاته وصفاته . وعلى قدر ما كان صلاح الدين نعمة على العرب والاسلام كان خلفاؤه الايوبيون مجموعة من الورثة السفهاء . حتى اكابرهم من امثال الملك العادل الذى خلفه على السلطنة لم يكن اكثر من متآمر ماكر اناني ، ولم يكتب سطرا واحدا في صحيفة الجهاد . اما ابنه الكامل فكان نكبة على الجهاد والمجاهدين ، وكان مستعدا للتسليم حتى في القدس (وقد فعل) في سبيل الاحتفاظ بكرسي السلطنة .

ولكن ، اذا كان البيت الايوبي قد غادر ميدان الجهاد بعد صلاح الدين العظيم فان امة الاسلام والعروبة تلقت الراية وبقيت في الميدان .

وفي حوادث الحرب الصليبية الخامسة نرى مصداق ذلك بكل وضوح .

كانت وجهة هذه الحملة مصر ، ونزلت القوات الصليبية عند دمياط في صفر ٦١٥هـ/ مايو ١٢١٨م فوقع الملك العادل ورجاله في حيرة كبرى ، لانهم كانوا يتحاشون القتال بكل وسيلة . وفي اثناء هذه الفوضى تقدم الصليبيون واستولوا على دمياط بعد ان استشهد من اهلها الوف كثيرة . في ذلك الوقت مات العادل وخلفه ابنه الكامل .. وبينما كان هذا الرجل يتفاوض مع الصليبيين ليتنازل لهم عن القدس وعسقلان وجَبَلَه واللاذقية في مقابل جلائهم عن مصر كانت قوات المجاهدين من شتى نواحي مصر تتجمع في شرق الدلتا . في مقدمة المحتشدين للقتال متطوعين في سبيل الله والوطن كان اتباع الطريقة الشاذلية . كان اتباع ابى الحسن الشاذلي يقاتلون في سبيل الله في نواحي المغرب الاوسط . وعندما انتشرت الطريقة في مصر اصبح رجالها من المصريين من رجال الجهاد .

وخلفَ المريدين من الصوفية المجاهدين اقبلتْ الوف المصريين. وتشجع الايوبيون فثبتوا وصمموا على القتال .

وهذه الالوف من المجاهدين المصريين هم الذين قطعوا جسور النيل ليغرقوا قوات الصليبيين .

وامام طوفان الماء وطوفان الناس بدأ الصليبيون يتراجعون نحو الشمال هناك كان المجاهدون في انتظارهم فتخطفوهم من كل جانب ، وانتهى الامر بخروجهم من مصر دون قيد او شرط .

ولا يستطيع احد ان يقول ان رجال الايوبيين

هاجموا الصليبيين بدافع من شجاعتهم ، فقد راينا مليكهم يتفاوض مع الاعداء ويعرض عليهم كل ما فتحه صلاح الدين في سبيل الجلاء عن مصر وتركه يتمتع بعرشه التعس .

ثم ان فكرة قطع الجسور كانت فكرة مصرية بحتة . ولو عرفها الايوبيون ورجالهم لنفذوها بدلا من ان يجثوا على ركبهم على ذلك النحو المعيب .

وكذلك كان الحال في الحملة الصليبية السابعة التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا على مصر ونزلت دمياط في صفر ٦٤٧هـ/يونيو ١٢٤٩م هنا نجد الايوبيين دون قيادة . لان الملك الصالح توفي والصليبيون يحاصرون دمياط ، فدبرت الامر امرأته شجرة الدر حتى يأتي ابنه توران شاه من الموصل .

في هذه المناسبة ايضا كان الذي قضى على الصليبيين هو ثبات المجاهدين في شمال شرقي الدلتا . لقد تولى المعركة بعد ذلك بيبرس البندقداري ، وكان اذ ذاك رئيس المماليك البحرية ، مماليك الصالح ايوب ، وهو وزملاؤه هم الذين قادوا الهجوم المنظم بعد ان كان المتطوعون المصريون قد انهكوا قوى العدو انهاكا تاما .

وعندما فتح المصريون جسور النيل مرة اخرى تقرر بصورة نهائية مصير هذه الحملة الصليبية السابعة . اضطر الاعداء الى التسليم ووقع لويس التاسع في الاسر (المحرم ٦٤٨هـ/ابريل ١٢٥٠م) .

وتشجع بيبرس بهذا النصر ، فكان همه بعد ان اصبح سلطانا هو القضاء على بقايا الصليبيين في الشام .

وفي يده سقطت امارة انطاكية في ٦٦٦هـ/١٢٦٨م .

وروع الملك لويس التاسع ، وكان قد عاد الى فرنسا من زمن وقرر ان يقوم بحملة صليبية ضخمة على بلد اسلامي عربي آخر هو تونس .

وتلك هي الحملة الصليبية الثامنة .

وفي ذي القعدة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م نزلت قوات الصليبيين ساحل تونس عند قرطاجنة .

وكان سلطان تونس اذ ذاك هو المستنصر الحفصي ، وكان رجلا شهما باسلا فقرر أن يلقن لويس التاسع وأخاه الاخير شارل دانجو درسا ..

وسار بجيشه للقاء العدو وانضمت اليه الوف من المتطوعة ومقاتلي الموحدين ، وقاد المسلمين القادة محمد بن الحسين ، ويحيى بن ابي بكر ، ويحيى بن صالح . وبعد قتال مرير ادرك اليأس الصليبيين فبدأوا يفكرون في التسليم . ومات الملك لويس التاسع وهو يقاتل في سبيل النصرانية فتوجته الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد قديسا : القديس لويس او سان لوى .

ورجع الصليبيون بالهزيمة في ربيع الاول ٦٦٩هـ/اكتوبر ١٢٧٠م .

والى هنا نقف بقصة الحروب الصليبية فهي مسرفة الطول ..

ولكنك رايت في ذلك العرض الموجز كيف كان الخطر جسيما ، حتى لقد تزعزع ايمان الكثيرين في حقوق بلادهم ودينهم ومالوا الى التسليم .. ولكن شعوب العروبة والاسلام ظلت مكانها . تحملت الخسائر والهزائم دون أن تتنازل .

وثباتها هذا شجع الزعماء المخلصين على السير للتحرير فبدأ الكفاح ، وقد اشتركت فيه امم الاسلام والعروبة باوفر نصيب .

حقا ان كتب التاريخ لا تعطينا تفاصيل وافية عن نصيب الشعوب ، لان كل مؤرخي تلك العصور كانوا مؤرخي ملوك وسلاطين .

وانتصاراتنا الكبرى في الحروب الصليبية انتصارات شعوب .

وبفضل توجيه الامة العربية الاسلامية نهض سلاطين المماليك لاكمال عمل صلاح الدين ونور الدين .

استطاع ركن الدين بيبرس ان يزيل من الوجود امارة انطاكية سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م . وفي مارس ١٢٨٩م استولى السلطان سيف الدين قلاوون على امارة طرابلس ووضع حدا لتاريخها .

وفي ١٨ مايو ١٢٩١ م سقطت عكا في يد الاشرف خليل بن قلاوون وبسقوط عكا تمت تصفية العدوان الصليبي .

طال امد العدوان مائتي سنة ، ولكننا صبرنا وثبتنا وخذلنا العدوان ، وحررنا ارضنا .. بعد ٢٠٠ سنة ! ■■

حسين مؤنس

الرمزية في الأدب العربي

الرمزية الحديثة أهم مذهب أدبي بعد الرومانتيكية في العصور الحاضرة

بقلم : الغزالي حرب

■ يختلف معنى « الرمزية » في الأدب العربي القديم ، عن معناها في الأدب العربي الحديث .

اما معناها في الأدب العربي القديم ، فيمت بصلة قرابة أو نسب الى المعانى اللغوية التى ذكرتها معجمات اللغة للرمز ، ومن هذه المعاني :

الايماء والاشارة بالعين أو الحاجب او الشفتين او الفم ....

وفي فقه الثعالبي : الرمز هو الاشارة بالشفة دون غيرها ......

وفي القرآن الكريم : « قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا » اى اشارة بنحو يد أو رأس ... ومن معانى الرمز : كل ما يشير الى شيء آخر ، ويقال لذلك الآخر مرموز اليه ، وجمعه رموز ، ومن ذلك قول الشاعر :

« وقال لي برموز من لواحظه » .

وجاء في أساس البلاغة « للزمخشرى : » ويقال: جارية غمازة بيدها ، همازة بعينها ، لمازة بفمها ، ومازة بحاجبها .. ودخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا » ..

وجاء في لسان العرب من كلام طويل :

« الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير ابانة بصوت ، انما هو اشارة بالشفتين » .

وفي ظلال هذه المعانى اللغوية لكلمة « الرمز » نتبين ان الرمزية في الأدب العربي القديم ، تعبير غير مباشر ، باى اسلوب من اساليب المجاز كالتشبيه او الاستعارة او الكناية او نحو ذلك ، ونستطيع ان نذكر من امثلة الأدب الرمزى بهذا المعنى القديم ما يأتى :

اقاصيص نسجها الخيال حول بعض الامثال

أ ـ الاقاصيص التى نسجها الخيال العربي حول بعض الامثال العربية التى قيلت بلسان حيوان او نبات او جماد ، لتوضيح تلك الامثال، والكشف عن هدفها او مغزاها .. مثل الفصوصة المثل المقول بلسان الافعى : « كيف اعاودك وهذا أثر فأسك » ! والمثل المقول بلسان الثور الاسود : «أكلت يوم أكل الثور الابيض» والمثل الجامع بين الأرنب والثعلب والضب « في بيته يؤتى الحكم» .

اقاصيص الحيوانات والطيور

ب ـ قصص او اقاصيص الحيوانات والطيور التي يرمز القصاصون بها في شعرهم او نثرهم الى بعض الشخصيات او الحوادث او المعاني او ما الى ذلك ، كما نرى في كتاب « كليلة ودمنة » نثرا او شعرا ، و « الصادح الباغم » شعرا لأبي يعلى محمد بن محمد العباسي المعروف بابن الهَبّارية والمتوفى سنة ٥٠٤ هـ .

ومن هذا القبيل في عصرنا الحديث ما ترجمه محمد عثمان جلال (١٨٢٨ ـ ١٨٩٨ م) شعرا من امثال « لافونتين » La Fontain وهي اقاصيص شعرية انطق بها بعض الطيور والحيوانات للعظة والعبرة ـ كما يدل على ذلك اسمها « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » وما قاله احمد شوقي من الاقاصيص الشعرية التي تبلغ (تسعة وسبعمائة بيت في خمس وخمسين قطعة) ، ولغة الشاعر فيها غير لغته في سائر شعره ، وانه لباب يسمح فيه للشاعر ان يترخص ، وأحسبه في بعض ما قصّ من هذه الحكايات الشعرية كان يرمز لبعض ما مرّ به من كيد الناس له في حياته ، ويعرض به . وما قاله احمد شوقي ايضا في مسرحيته « كليوباترا » تحت عنوان « نشيد الموت » الذى تغنى به « ابياس » شادي الملكة بعد مصرع انطونيو .. وفي هذا النشيد رمز شاعرنا احمد شوقي الى الموت بزورق صيغ من الجزعر ، وصنع شراعه من الفضة ، وجرت مياهه تحته فضة ذائبة :

يا موت مل بالشراع
واحمل جريح الحياة
سر بالقلوع السراع
الى شطوط النجاة
شراعك الفضي
في لجة التبرى
كالحلم في الغمض
يجرى ولا يجرى

ومن الشعر الرمزى بهذا المعنى القديم بعض الاشعار الصوفية قديما وحديثا ، واشعار رواد ادب المهجر ولا سيما جبران خليل جبران وايليا ابو ماضي ، وميخائيل نعيمة ، وامين الريحاني ... وقد ذهب الاستاذ مارون عبود الى ان جبران خليل جبران هو الذى انشا في لغة الضاد مدرسة الرمزية ... وهذا ما نختلف معه فيه ، لان رمزية جبران وكذلك رمزية ادباء المهجر ليست الا رمزية بالمعنى اللغوى او الادبي القديم ....

الرمزية بمعناها الفني الحديث

اما الرمزية بمعناها الفني الدقيق الحديث فقد عرفت ـ اول ما عرفت ـ في فرنسا وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وظهرت بواكيرها في « ازهار الشر » لبودلير Baudelaire عام ١٨٥٧ ، وقد شهد له فيتكور هوجو بانه قد « زود الفن برعدة جديدة » ثم ظهرت في الشعر العربي ـ اول ما ظهرت ـ في شعر اديب مظهر ، وسعيد عقل ، ومن اليهما في لبنان ... كما ظهرت في شعر بشر فارس وحسن كامل الصيرفي ومن اليهما في مصر ... وسترى في ضوء الامثلة الآتية لهؤلاء الشعراء الرمزيين بالمعنى الفني الحديث لكلمة « الرمزية » ان البون شاسع بين الرمزية الحديثة التي هي سمة كلية للاسلوب ... والرمزية القديمة التي هي سمة جزئية للكلمة او العبارة ... وقد مثلنا لها بما تيسر فيما مر بنا .. ونمثل لها ايضا بما اعتبره مارون عبود وعيسى الناعورى من الرمزية بمعناها الحديث وما هو الا من الرمزية بمعناها القديم ـ كما أرى ـ :

امثلة من رمزية جبران

كلمة « الغاب » التي رمز بها جبران الى الحياة المتحررة من الوهم والنفاق والظلم ، وكلمة « البحر » التي رمز بها الى الطموح اللانهائي ، وكلمة العاصفة التي رمز بها الى قوة جبارة فوق القوى الانسانية... والحكايات الشعرية المهجرية الرمزية التي يكفينا منها هنا قول ابى ماضي :

قال الغراب وقد رأى كَلَفَ الورى
وهُيامهم بالبلبل الصدّاح
لِمْ لا يهيم بي المسامع مثله ؟
ما الفرق بين جناحه وجناحي ؟
اني اشد قوىً وامضى مخلبا
فعلام نام الناس عن تمداحي ؟
أمفرّق الاحباب عن احبابهم
ومكدّر اللذات والافراح
كم في السوائل من شبيه للطلا
فعلام ليس لها مقام الراح ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها
السرّ كلّ السرّ في الارواح

فليس من الدقة في الحكم ، ان تعتبر جبران خليل جبران او غيره من شعراء المهجر ابا او رائدا للرمزية بمعناها الفني الاصطلاحي الدقيق .. لانها لم تظهر بهذا المعنى الا في مطالع الربع الثاني من القرن العشرين ، وقد ظهرت ـ اول ما ظهرت ـ في شعر أديب مظهر الذى أعتبره الرائد الاول للرمزية الفنية الحديثة في الشعر العربي، وقد نقل الاديب اللبناني صلاح لبكى قصيدة أديب مظهر « نشيد السكون » في كتابه « لبنان الشاعر » ص ١٧٤ ، ١٧٥ وهى اول قصيدة في الشعر العربي تمثل الرمزية الحديثة ـ فيما تمثل ـ بجمعها بين « النشيد » و « السكون » للايحاء وهو كالجمع بين النقيضين ومطلعها :

أعِدْ على نفسي نشيد السكون
خلّتوا كمشرّاق النسيم الاسود
واستبدل الاناات بالادمع
واسمع عزيف اليأس في اضلعي
واستبقني بالله يا منشدي

ومنذ عام ١٩٢٣ اخذ الشاعر اللبناني الآخر سعيد عقل بنشر قصائده الرمزية في بعض المجلات اللبنانية .

كما أخذ الشاعر اللبناني الثالث صلاح لبكى ينشر بعض قصائده الرمزية التى ظهرت عام ١٩٣٨م وحسبنا منها « ارجوحة القمر » .

رمزية بشر فارس

ومنذ عام ١٩٢٤ اخذ بشر فارس ينشر في مصر بعض القصائد الرمزية التى تراها في مجلدات مجلة « المقتطف » ومنها « الذكرى » « والسم » و « الخريف في برلين » كما اخذ الشاعر المصرى الآخر حسن كامل الصيرفي ، ينشر بعض مقطوعاته الشعرية الرمزية التى تراها مثلا في ديوانه « الالحان الضائعة » الذى قدمه الدكتور احمد زكي ابو شادى بقوله « الصيرفي شاعر مبتدع بعيد الخيال ، رومانطيقى النزعة غالبا ، رمزى احيانا » ومن قصائده الرمزية في هذا الديوان « موت البلبل » و « السحابة المفترة » و « ظمآن » ومن قصائده الرمزية في ديوانه الآخر « صدى ونور ودموع » قصيدته « غيرة » ص ١٥٥ ومطلعها :

قالت الزهرة للطائر ما هذا البريق
من عيون مزقت أضواؤها الستر الصفيق ؟

وختامها :

حيث الاقدار في الدهر بألباب البرايا
كم وراء القدر العابث بالناس خفايا

رمزية علي محمود طه المهندس

وشاعرنا علي محمود طه المهندس ، تظهر رمزيته احيانا قليلة في اعتماده على ما يسميه الرمزيون والنقاد « التراسل بين الحواس ، والتجارب بين الماديات والمعنويات » فللعشب والندى والظلال موسيقا أصاخ لها بسمعه الرهف في بعض قصائده بديوانه « شرق وغرب » والضياء ـ وهو شيء منظور ـ قد ارتشفه الشاعر كما يرتشف الشراب في مطولته الشعرية الاسطورية « ارواح واشباح » ص ٨٠ وما بعدها . ومن هنا قال الدكتور محمد مندور ان هذا الشاعر ، يصدر في شعره احيانا عن المذهب الرمزى ، ويجمع بين المتناقضات في شعره كما صنع « بودلير » من قبله :

أ ـ فكما اختار «بودلير» لديوانه اسم ازهار الشر «اختار شاعرنا المهندس للشر زهرة في قوله» :

واغرس في قلبه زهرة
من الشر راوية نامية

ب ـ وكما جمع « بودلير » بين النور والقتامة في قوله :

« النور القاتم » جمع المهندس ـ وباله من جمع شاذ ـ بين «القمة» و «الهاوية» في قوله :

وأحفر بعد الردى قبره
هناك على قمة الهاوية

وللدكتور محمد مندور الحق كل الحق ، في تساؤله ـ وهو الناقد الادبي الذواقة ـ « ما قمة الهاوية ؟ وهل لها حقيقة صورة واضحة في خيال الشاعر ، ام هى صنعة المذهب ؟ » .

رمزية الهمشرى

ومن الاشعار الرمزية لشاعرنا المصرى المرحوم عبد المعطى الهمشرى مطولته الشعرية « شاطيء الاعراف » وقصيدته « النارنجة الذابلة » التى منها قوله يناجيها :

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي
وأنا أراعي الافق نصف مغمض
خنقت جفوني ذكريات حلوة
من عطرك القمرى والنغم الرضي
فانساب منك على كليل مشاعري
ينبوع لحن في الخيال مفضض

وعفت عليك الروح من وادى الاسى
لتعب من خمر الاريج الابيض

ورمزية ابراهيم ناجى

وشاعرنا الدكتور ابراهيم ناجى له من الاشعار الرمزية قصيدته المشهورة « العودة »، التى منها :

موطن الحسن ثوى فيه السأم
وسرت أنفاسه في جوه
وأناخ الليل فيه وجثم
وجرت أشباحه في بهوه

وقصيدته « زازا » التى يقول فيها مخاطبا حبيبه الذى هجره ــ وما اقسى وما الذ هجر الحبيب :

لا تكلني لذلك الابد الاسود
في قاع مزبد اللج قاتم
لا تكلني لهوة تعصف الاشباح
في جوفها وتعوى السمائم
لا تكلني الى جناح عقاب
في شلوعى محلق الرعب جاثم

رمزية ابى ريشة

وما اروع القصائد الرمزية لشاعرنا السورى عمر أبى ريشة .

منها قصيدته »الخزان الاكبر« وقد رمز بالخزان الاكبر الى العقل الباطن ، الذى يعمل عمله، ويحدث أثره ، حيث يقف الادراك وقد مهد عمر ابو ريشة لهذه القصيدة بقوله :

« رآها في مدريد » ، وفي لحظة خاطفة ، شعر انه عاش مع عينيها الوحشيتين في عصر من العصور ، وقذف عقله الباطن ، هذا الخزان الاكبر ، أثر ذلك الشعور الخفى بالكلمات التالية: النيل ، المعبد ، الكهان ، سالها اذ شعرت شعوره فظننته يهذى :

عيناك سوداوان وحشيتان
أثرا في طرفيهما عمرى
فكم طوانى في مداه الزمان
وما طوت نجواهما صبرى

وقصيدته « بلبل » التى مهد لها هى الاخرى بكلمة أبى عثمان الجاحظ مؤلف « الحيوان » :

« البلبل لا يتسل في قفص » **وقد رمز شاعرنا المبدع بهذه القصيدة الى نفسه ، وكيف حالت الايام والظروف دون تحقيق آماله في الدنيا فزهد فيها ، ورغب عن اتخاذ شريكة له في هذه الحياة اشفاقا منه على ابنائه من هذه الشريكة ان يصيبهم ما أصاب اباهم من الذل والهوان ، فليكن في حياته كهذا البلبل الذى :**



علي محمود طه

طوى المنى نوحا ولكنما
لم يغنه النوح ولم يجده
فعاف دنياه ولم يتخذ
عشا ولم يحمل سوى زهده
كأنه من طول ما مسه
من عبث الدهر ومن كيده
أبى عليه الكبر ان يورث الافرا
خ ذل العيش من بعده

الرمزية فى نظر العقاد

وقد سئل الاستاذ عباس محمود العقاد عن الرمزية فقال رحمه الله ــ كما في كتابه « يسالونك » ص ٨٥ بعدها :

« الرمزية قديما في العالم لان الناس عرفوا الكتابة بالرموز ، قبل أن يعرفوا الكتابة بالحروف ، ولان الكهانات الاولى ، كانت تستأثر باسرار الدين ، وتضن به على العامة ، فكانت لا تعبر عنها احيانا الا بالرموز ، ثم ظهر بين المسلمين وغيرهم ما يعرف بعلم الشريعة ــ وهو ما يبدو على ظواهر الاشياء ــ وعلم الحقيقة ــ وهو ما ينفذ الى بواطن الاسباب ، المغيبة عن العقل ، المكشوفة للبصيرة » ..

ثم قال العقاد : « لكن المقصود بالرمزية في [illegible]دب الحديث ، هو تلك المدرسة التى راجت في أوائل القرن الحاضر وظهرت في فرنسا على أعقاب مدرسة « البرناسيين » أصحاب القول بجمال القالب والعكوف على المحاسن الظاهرة في اساليب الشعر والنثر وصياغة العبارات ، وعندهم ان الصقل المحسوس هو آية الجمال والبلاغة في جميع الفنون ..



ابراهيم ناجي



عمر ابو ريشة



عباس محمود العقاد

فلما راج مذهب البرناسيين هذا في اواخر القرن الماضي ، ظهر الرمزيون يعارضونه ويغلون في انكاره ، ويذكرونهم بما نسوه من اسرار المعانى التى لا تبرز على وجوه الكلمات ، وينبهونهم الى جمال الوحى والايمان الذى اهملوه في سبيل الصقل المحسوس والرونق البارز على صفحات الاساليب . وقد كان الرمزيون على حق لولا الغلو الذى يندفع اليه اصحاب كل مدرسة جديدة يتصدون لحرب المدارس الاخرى فيذهبون من اقصى النقيض الى اقصى النقيض ، فالاديب لا يستغنى عن الوحى والاشارة ، وأبلغ الفن مايجمع الكثير في القليل ، ويطلق الذهن من وراء الظواهر القريبة الى المعانى البعيدة التى تومىء اليهـا الالفاظ ولا تحتويها بجملتها الا عـلى سـبيل التشبيه والتقريب .

ولكن هذه المدرسة غلت وتمادت في الغلو حتى قام من دعاتها من يجعل الغموض والتعمية غرضا مقصودا لذاته ولولم يكن من ورائه طائل ... فلم تعمر مدرستهم طويلا وسقطت في الادب الفرنسي كما سقطت في آداب الامم التى انتقلت اليها .. »

الرمزية الحديثة في كتاب الحاني

وجاء في كتاب (من مصطلحات الأدب الغربى) للدكتور ناصر الحاني ص ٤٦ ــ ٤٨ ــ أن هـذه الرمزية الحديثة تغالى في تقدير الجمال وتحرص على الوحدة بين العالم الخارجي والعالم الداخلى (عالم الوعى الباطن) ومن مساويها انها ابعدت الشعر عن الجماهير ومدركاتها .

وزكى طليمات يقول

وقال زكي طليمات :

« الرمزية احد الاتجاهات النفسية في الافصاح والتبين فهى وسيلة من وسائل التعبير عن خلجات النفس ، تتجاوز الرمز بشيء الى شيء آخر ، الى اظهار الغامض والمبهم والقائه في مغلفات الروح وتسجيل اصداء العقل الباطن » .

ملخص القول

ومهما يكن من اقوال في « الرمزية » فالذى اريد تقريره هنا في ايجاز ما يأتى :

١ ــ الرمزية الحديثة في الشعر الغنائى اهم مذهب ادبى بعد الرومانتيكية وقد احدثت في الادب المعاصر آثارا لا يستهان بها .

٢ ــ وهذه الرمزية الحديثة ، لم تنسخ القيم الجمالية النفسية في المذاهب الادبيـة السابقة عليها ، وانما افادت منها ، ثم اضافت اليها ثروة فنية جديدة ..

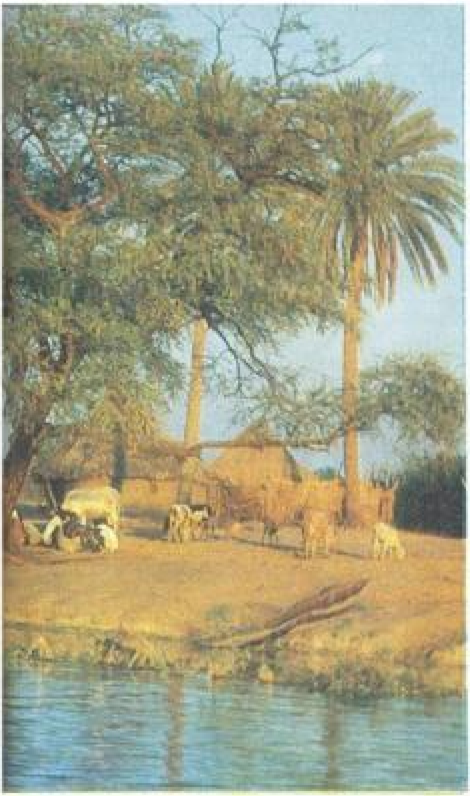
٣ ــ اسراف بعض الرمزيين وغلوهم بالجنوح الى الغموض والتعمية والالغاز اساء الى هذا المذهب الادبى ايما اساءة ....

٤ ــ رأى الاستاذ العقاد في الرمزية الحديثة رأى متزن معتدل وقور منصف ... وهو اقوم مثلا من الرأى الثائر لعزيز اباظة الشاعر الكبير الذى حمل في مقدمته لديوان (اصداء الحرية) لعبد الله شمس الدين حملة شعواء لا هوادة فيها على الرمزية الحديثة كائنـة ما كانت . فلا عجب انتصدى له الدكتور محمد مندور ذاهبا في توسط واعتدال ، الى ان الرمزية لا يجوز ان نرفضها كلية او نقبلها كلية وانما نرفضها او نقبلها حسب نصيبها من صدق التجربة الشعرية ، واخلاص صاحبها في نقل اثرها الى نفوس قرائه .... وبهذا الاتزان في الرفض او القبول .. نميز الرموز الفنية عـن الالغـاز ، كما نميزها عـن الهذيان والكذب ...

القاهرة ــ الغزالى حرب

اعرف وطنك

ايها العربي



مَلَكَ

عاصمة أعالي



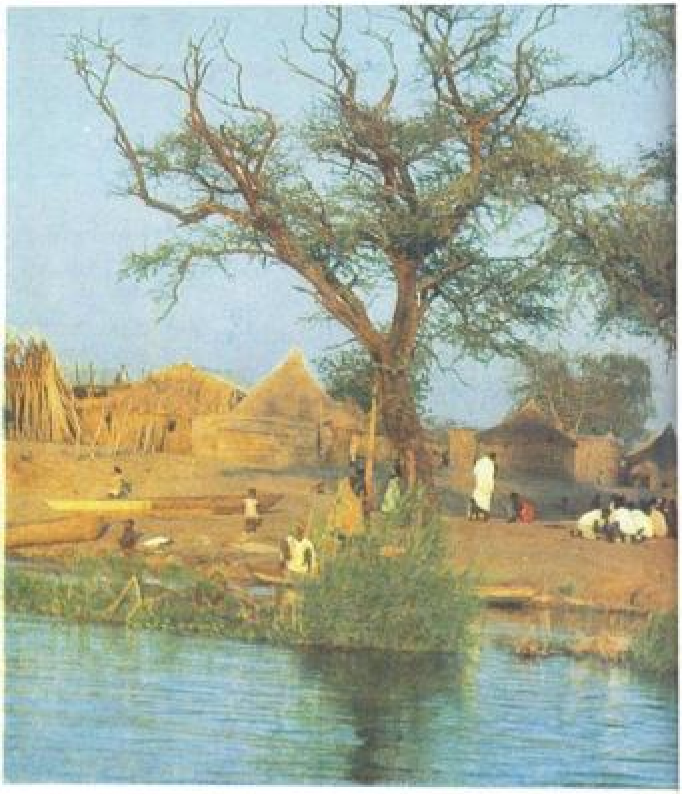
استطلاع

محمد طنطاوى

تصوير

عبد الناصر شقره

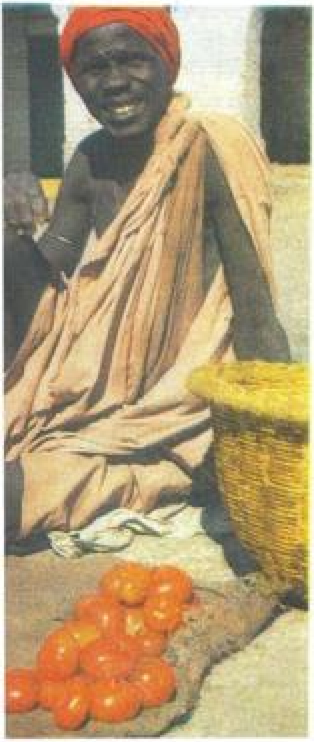




ـــال

النيل بالسودان

- التقاليد تعوق استغلال الثروة الحيوانية الهائلة
- مشكلة جنوب السودان حلها يكمن فى مشروعات التنمية والتعليم
- مستنقعات تضيع فيها من مياه النيل ٣٦ مليارا من الامتار المكعبة كل عام



عادات وتقاليد غريبة توارثها الابناء عن الاباء والاجداد تحكم القبائل التى تعيش فى مدينة ملكال تلك المدينة الصغيرة التى تقع على شاطىء النيل فى اعاليه، والاهالـى لا يزالـون يرتدون الازياء التقليدية التي يسمونها «اللاو».. او جلـود الفهـود ويزينون صدورهم بعقود الخرز الملون ويستعملون القوارب المصنوعة من شجر الدوم المجوف.. ويرسمون علامات قبائلهم على وجوههم لتميز كل قبيلة عن الاخرى ..

■ عادات وتقاليد غريبة .. توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد .. لغات ولهجات متعددة تختلف باختلاف القبائل .. ابقار بالملايين لا تباع ولاتشترى ولكن تستخدم بدل العملة الذهبية او الورقية مهورا للزواج ..

اكثر من مليون من البشر يعيشون عيشة رعوية بدائية لم تتغير بتغير الزمن .. ولم تتأثر بتفجير الذرة أو صعود الانسان الى سطح القمر .. ملايين الأفدنة من الأراضي الصالحة للزراعة لا يستغلها أحد وتترك لكي تنمو فيها الأعشاب والأشجار البرية .. أعشاب نيلية تتراكم على مجرى نهر النيل وفروعه المختلفة لتكون سدودا طبيعية وتجعل مجرى النهر يتشعب ويتشعب وتبدد الاف الملايين من الأمتار من مياهه التي قد تحمل الخير والبركة والعمران للصحارى الواسعة في شمال وادي النيل .. وتحول الاف الكيلو مترات الى مستنقعات غير صالحة للسكن .. مؤامرات تحاك في الظلام ، ويساندها الاستعمار ، لكي تفرق بين الأخوة بعضهم وبعض ، ولكي تقضي على المحاولات الجادة التي تبذلها الحكومة للقضاء على التخلف واستغلال الثروات الطبيعية التي انعم الله بها على هذه البلاد .

أين تقع ملكال من السودان ؟!

كل هذا وغيره رأته بعثة العربي في زيارتها لمديرية أعالي النيل وعاصمتها ملكال في جنوب السودان .. تلك المديرية التي تبلغ مساحتها ٢٣٦ر١٨٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حسب آخر احصاء تقديري ١ر١٢٠ر٠٠٠ نسمة (وسكان السودان ١٤ر٧٠٠ر٠٠٠) وهي تقع بين خطي العرض ١٢° و ٧° وبذلك تكوّن الجزء الشمالي من جنوب السودان وتحدها في الشرق مرتفعات هضبة اثيوبيا ، وفي الجنوب المديرية الاستوائية ، وفي الشمال والشمال الغربي مديريتا النيل الأزرق وكردفان وفي الغرب مديرية بحر الغزال .

بداية عزل الجنوب عن الشمال

وتمثل مدينة ملكال كل مشاكل جنوب السودان خير تمثيل ، وتبين بصورة جلية واضحة الجريمة التي ارتكبها الاستعمار البريطاني طوال اكثر من نصف قرن للفصل بين شمال السودان وجنوبه ، وعزل سكان الشمال عن سكان الجنوب ، واقامة سدود بين ابناء الوطن الواحد أساسها العمل على زيادة الفوارق الاجتماعية والثقافية والدينية بين السكان .

ولكي تستطيع أن تتفهم أبعاد هذه المشكلة التي تواجه السودان الآن لا بد لنا من عودة الى الوراء والى سرد قصة المخطط الاستعماري الرامي لفصل الجنوب عن الشمال والتي بدأت في نهاية عام ١٩٢٩ عندما وضع الحاكم البريطاني العام



تنقسم ملكال الى عدة احياء منها الحديث المبنى بالاسمنت والطوب الاحمر ومنها القديم المبنى بالقش على الطريقة التي يشتهر بها جنوب السودان ، واغلب سكان المدينة من قبيلة الشلك وتمثل الصورة احد الاحياء الحديثة في المدينة .

للسودان حينذاك سياسة جديدة تقوم على عدة اسس اهمها :

١ ــ الغاء تطبيق القوانين الحديثة واللجوء الى العرف والتقاليد كمصدر للتحكيم بين ابناء الجنوب .

٢ ــ العمل على تشجيع اللهجات المحلية وتثبيت الحياة القبلية بكل مظاهرها وعاداتها وتقاليدها .

٣ ــ نشر اللغة الانجليزية وجعلها لغة التفاهم الرئيسية بين القبائل الجنوبية المختلفة ومحاربة العربية .. وحتى الاسماء العربية .

٤ ــ محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال الى الجنوب وتشجيع العري والابقاء عليه .

٥ ــ نقل كل ضباط الادارة والحكومة المحلية الشماليين، واقصاء التجار الشماليين من الجنوب.

وتحدد يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٣٠ موعدا اقصى لاكتمال هجرة الشماليين من الجنوب . وبعدها صدرت التعليمات المشددة بعدم السماح لاى شمالي بدخول المديريات الجنوبية الا باذن خاص يصدر من السلطات البريطانية .

استغلال الديانات ، كعامل فرقة

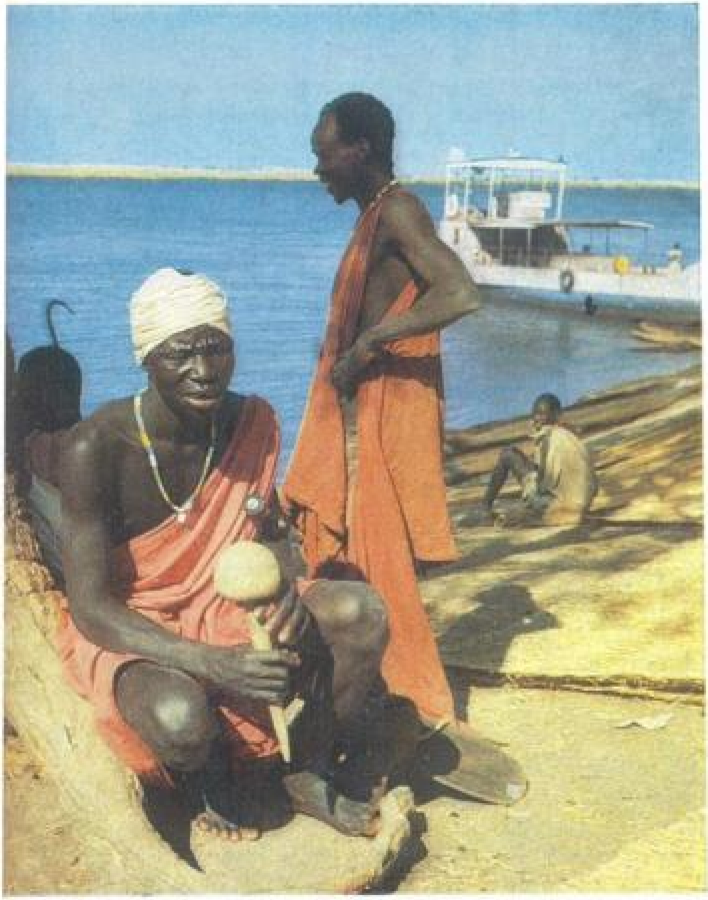
بعد ان تم طرد الشماليين من الجنوب ، بدا تنفيذ المخطط البريطاني . وبدأت الحملات الارهابية على سكان الجنوب من الذين اعتنقوا الدين الاسلامي وتسموا باسماء عربية .. وبدا فصل كل مسلم جنوبي من اى عمل حكومي يتولاه .. وفي نفس الوقت عهدت السلطات البريطانية الى الكنائس بالاشراف على مهمة التعليم الذى لم يكن يزيد عن التبشير للديانة المسيحية وتعليم اللغة الانجليزية . ولكي يزداد نفوذ الكنائس بين رجال القبائل وسكان الجنوب عمدت الادارة البريطانية الى تخفيض مرتبات العاملين الجنوبيين ، بحجة ان متطلبات الحياة لا تستدعي أجورا عالية ، واصبح أجر العامل اليومي لا يزيد عن ٣ قروش .. وازداد البؤس بين الجنوبيين نتيجة لانخفاض دخولهم .. وهنا تنفيذا لهذا المخطط الذكي ، تدخلت الكنائس وقدمت لهم المساعدات المادية والعينية وسدت النقص الذى نشأ عن تخفيض مرتباتهم .. وبذلك تم دعم سيطرة الكنائس على العاملين في القطاع الحكومي بالمدن .



خريطة تبين حدود مديرية اعالي النيل وعاصمتها ملكال وتبلغ مساحة المديرية ٢٣٦ر١٨٠ كيلو متر ولها حدود طويلة مع اثيوبيا من جهة الشرق .

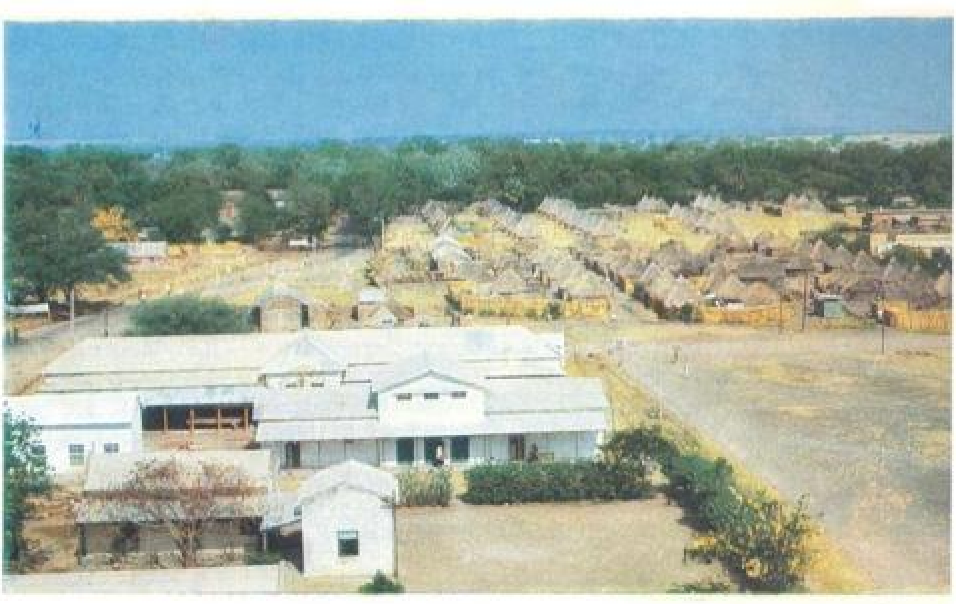
بداية التمرد بعد اعلان الاستقلال

استمر عزل جنوب السودان عن شماله حتى جاءت اتفاقية القاهرة في عام ١٩٥٤ والتي تم بمقتضاها الاتفاق على جلاء قوات الاستعمار من السودان . وهنا اراد الاستعمار ان يلعب لعبته التي مهد لها طوال ربع قرن وذلك باثارة الفتنة في جنوب السودان .. وفعلا استغلت بريطانيا الفرقة الجنوبية من الجيش السوداني وكلهم من ابناء الجنوب ، وضباطها كان اغلبهم من الانجليز ، لتفجير التمرد في شهر اغسطس عام ١٩٥٥ ، وذلك لكي تتخذ من هذا الحادث حجة للتدخل والغاء تنفيذ اتفاقية ١٩٥٤ . ولكن الحكومة السودانية تمكنت من السيطرة على الموقف بسرعة على اساس ان التمرد مشكلة داخلية بحتة وبذلك قطعت الطريق أمام التدخل الأجنبي .



الى اليسار : جلسة استرخاء على شاطىء النيل في انتظار المعدية التي تنقلهم من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية حيث تتناثر عدة قرى صغيرة على الشاطىء المقابل لمدينة ملكال .

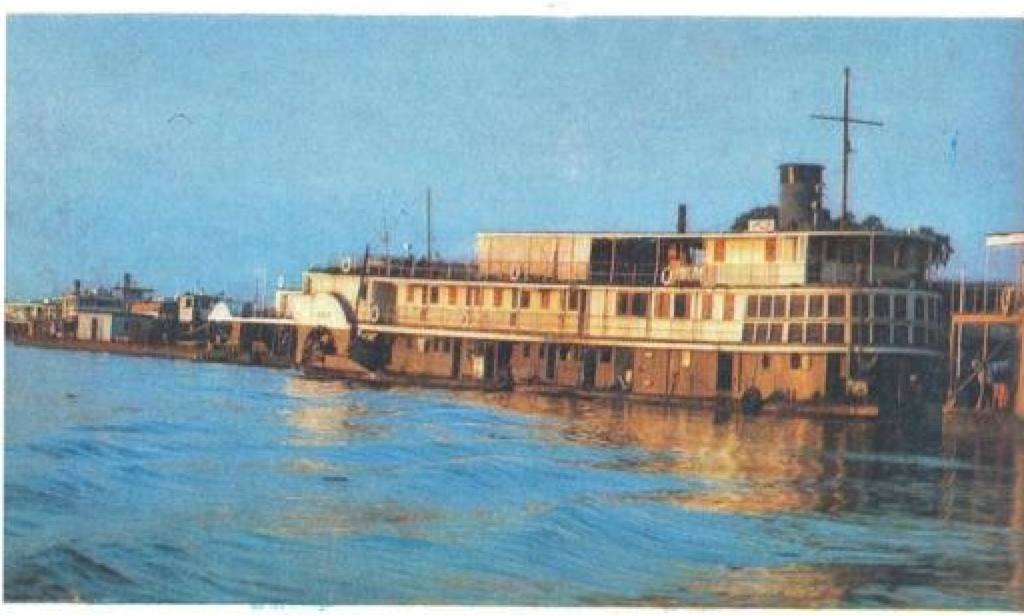
الى اسفل : صورة التقطت من فوق مئذنة الجامع الكبير وهي اعلى مبنى في مدينة ملكال وتبين المباني الحديثة ووراءها مباشرة الاكواخ المبنية من القش وكذلك الشارع الوحيد الممهد في المدينة .





الى اليمين : القديم والحديث جنبا الى جنب في احد شوارع ملكال .. اب يرتدى اللاو ويزين صدره بعقد ابيض دلالة على انه شيخ قبيلة .. وابنه الموظف يسير معه وهو يرتدى البنطال والقميص .

الى اسفل : البواخر النيلية من اهم وسائل المواصلات في جنوب السودان وفي ملكال ميناء نيلى هام يعتبر ملتقى طرق للبواخر القادمة من مدينة كوستى متجهة الى جوبا في اقصى الجنوب .





رجل عجوز من قبيلة الشلك يدخن غليونه المصنوع من الفخار اثناء تجواله في سوق المدينة

مشكلة الجنوب والحكم الوطني

تطورت مشكلة الجنوب بعد الاستقلال .. فبعد ان بذر الاستعمار البريطاني بذور الفرقه .. واقام ستارا حديديا بين الشمال والجنوب ، كان من الطبيعي أن تنمو هذه البذور وسط التربة الصالحة التي اصطنعها الاستعمار على أسس من من التفرقة الدينية والعادات القبلية والدعايات المشوهة عن استغلال الشمال للجنوب .. وكان من الطبيعي أيضا ان تزداد حدة التوتر بعد التمرد الذى قامت به الفرقة الجنوبية وكان من نتيجته قتل عدد كبير من الشماليين هم ونسائهم واطفالهم .. ومرت مشكلة الجنوب بمراحل عديدة ، واخذت تتفاقم نتيجة لأخطاء وقعت فيها الحكومات المتتالية التي تولت حكم السودان بعد الاستقلال .

بداية الحركات الانفصالية

لقد تم استقلال السودان ولم يكن في الجنوب سوى مدرسة ثانوية واحدة ، مع العلم بأن الجنوب بمديرياته الثلاثة يشكل نحو ٢٦٪ من مساحة السودان كلها : ويبلغ مجموع سكانه حوالي ٤ مليون نسمة (حسب الاحصائيات التقديرية الاخيرة) أما المدارس الابتدائية فان عددها لم يكن يتعدى العشرة .. وكلها تابعة للكنائس والبعثات التبشيرية . لم يكن هناك سوى عدد لا يزيد على اصابع اليد الواحدة من الجنوبيين الذين استطاعوا أن يكملوا تعليمهم الجامعي .. اللغة الانجليزية كانت هي لغة التفاهم الوحيدة بين مختلف القبائل .. فلكل قبيلة لغة خاصة بها لا تفهمها القبائل الأخرى .. الرعاية الصحية شبه معدومة .. والاعتماد على اطباء القبائل من السحرة هو الوسيلة الوحيدة للعلاج ..

ونتيجة للحالة الاجتماعية والثقافيةوالاقتصادية التي تردى اليها جنوب السودان خلال السنوات الطويلة من العزلة عن الشمال تحت حكم الانجليز ظهرت بعد احداث التمرد في عام ١٩٥٥ أصوات جديدة تحاول أن تجد مبررات سياسية لانفصال الجنوب عن السودان . وكانت تبنى حججها على أن التخلف الاقتصادى والاجتماعي في الجنوب يخلق هوة سحيقة بينه وبين الشمال لا يمكن تجاوزها عن طريق التكامل ولكن يمكن القضاء عليها عن طريق الانفصال .

كما ان هناك فروقا عنصرية ودينية وثقافية بين الشمال والجنوب تشكل عوائق ضخمة تحول دون تعايش القوميات في الجنوب والشمال في اطار بلد واحد .

المنظمات الانفصالية

وظهرت الى الوجود عدة منظمات انفصالية كانت اولاهـا منظمة السودان المسيحي Sudan Christian Association وقد اعلن قيامها عندما لجا بعض الانفصاليين الى اوغندا وكان على راسهم الاب ساترنيو وجوزيف اوهو ووليم دنج واتخذت هذه الرابطة من الدين ستارا .. واستغلت الطائفية الدينية سلاحا لتلقى العون المادى من المنظمات المسيحية في مختلف بلدان العالم.

ولم تمض ٩ شهور الا وتحولت المنظمة الى حركة سياسية تعمل في سفور لفصل جنوب السودان عن الشمال .

الصراع داخل المنظمات الانفصالية

وفى عام ١٩٦٣ تم انشاء حزب سانو وتم اختيار

ليوبولدفيل في الكنغو كنشاسا مقرا له . وتم انشاء أول تنظيم حربي تحت اسم « جيش تحرير السودان الجنوبي » وهو اساس منظمة «الانيانيا» الارهابيــة التي قامت بعمليات تخريبية ضــد منشآت الحكومة والبوليس في المناطق النائية .

وفي اكتوبر ١٩٦٤ دب الخلاف في حزب سانو (خارج السودان) وظهرت الى الوجود جبهة تحرير ازانيا وهي تضم الاعضاء المنشقين عن حــزب سانو ولكن الخلافات دبت مرة أخرى بين أعضاء الجبهة وفي مارس ١٩٦٨ تم تكوين حكومة جنوب السودان الانتقالية برئاسة اقري جادين و ١٥ وزيرا واعلنت انها تعتبر أن هناك حالة حـرب بين الجنوب والشمال وانها تؤمن بعدم جدوى حل مشكلة الجنوب سلميا .

ولم يمر عام الا وانشق وزير خارجية حكومة السودان الانتقالية على رئيس الحكومـة أقري جادين وكون حكومة جديدة اسماها حكومة النيل الانتقالية .

وفي عام ١٩٦٩ قامت المنظمات المسلحة الانيانيا بانقلاب عسكري على المنظمات السياسية الاخرى والف قائد الانيانيا حكومـة اسـماها حكومة « انيدى » وهي لفظة تعني الحرب . وكل هذه الحكومات تكونت وانشقت خارج حدود السودان.

ثورة مايو ومشكلة الجنوب

عندما قامت الثورة الســودانية بقيادة اللواء جعفر النميري في مايو ١٩٦٩ كان من اهم المشاكل التي تواجهها هي مشكلة الجنوب ، وقد سارعت الحكومة السـودانية الجديدة ولم يمض على توليها الحكم سوى اسبوعين بمنح جنوب السودان حق الحكم الاقليمي الذاتي في اطار السـودان الموحد ، كما اصدرت عدة قرارات بشان الجنــوب كان أهمها :

— استمرار ومد فترة سريان قانون العفو العام على كل متمرد يسلم سلاحه ويعود الى حظيرة الوطن .

— انشاء وزارة لشئون الجنوب يتولاها وزير من ابناء الجنوب .

— وضع برنامج اقتصــادى وثقافي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

— تدريب ابناء الجنوب على الاعمال الادارية تمهيدا لتوليهم السلطة .

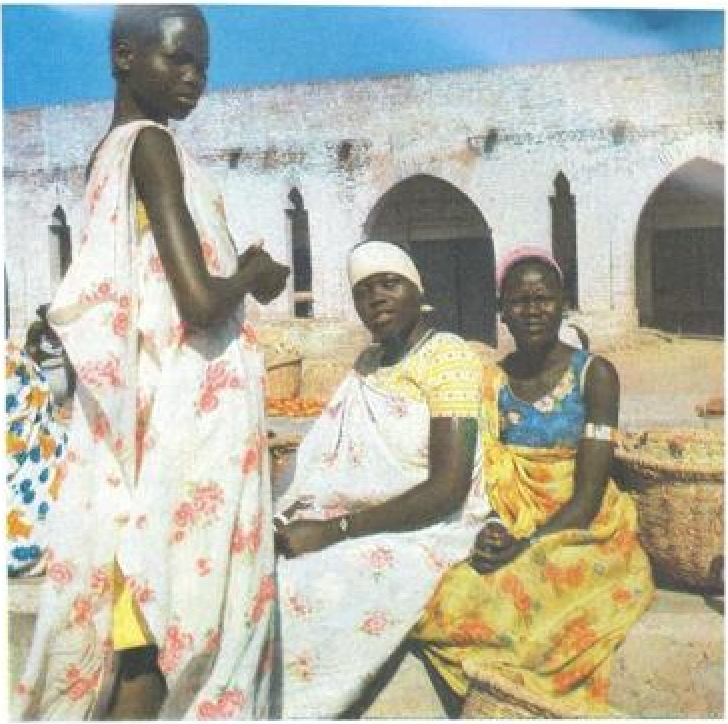
— المساواة في الاجور في الجنوب والشمال مع ازدواج العطلة الاسبوعية بحيث تشـمل يومي الجمعة والاحد مراعاة لمشاعر المسيحيين من أبناء الجنوب .

حديث مع وزير الاعلام السوداني

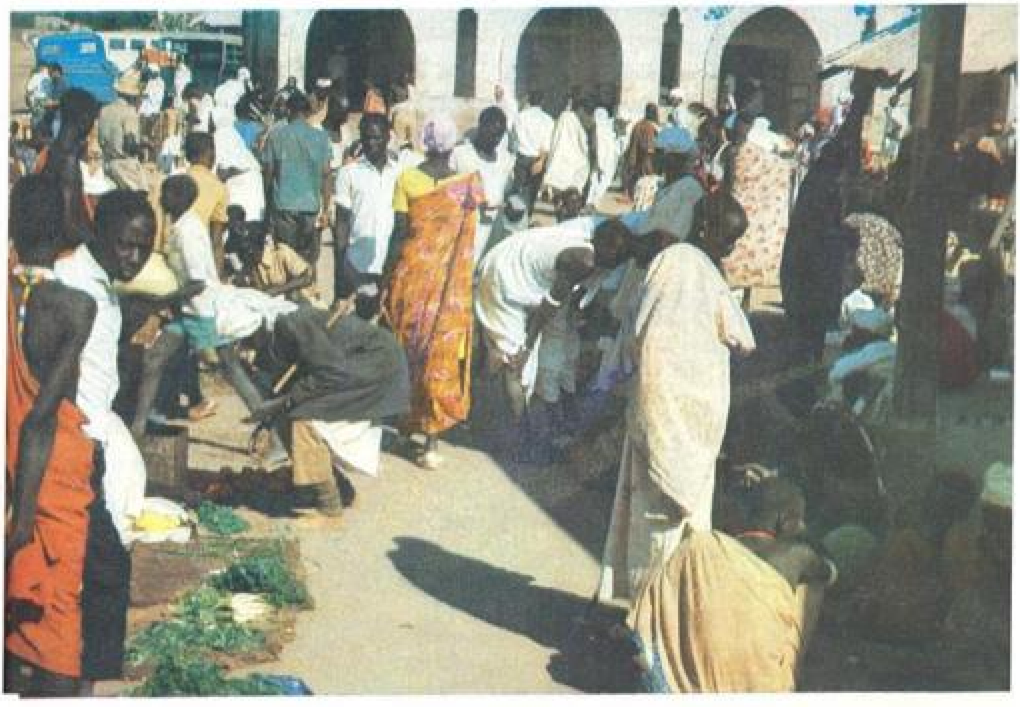
وقبل ان تطير بعثة « العربي » الى مدينــة « ملكال » عاصمة مديرية اعالي النيل التقت مع وزير الاعلام في حكومة السودان السيد عمر الحاج موسى .. ودار حديث طويل عن جنوب السودان .. وعن دور الدول الاستعمارية في اسـتغلال مشكلة الجنوب وتشـجيع المتمردين وامدادهم

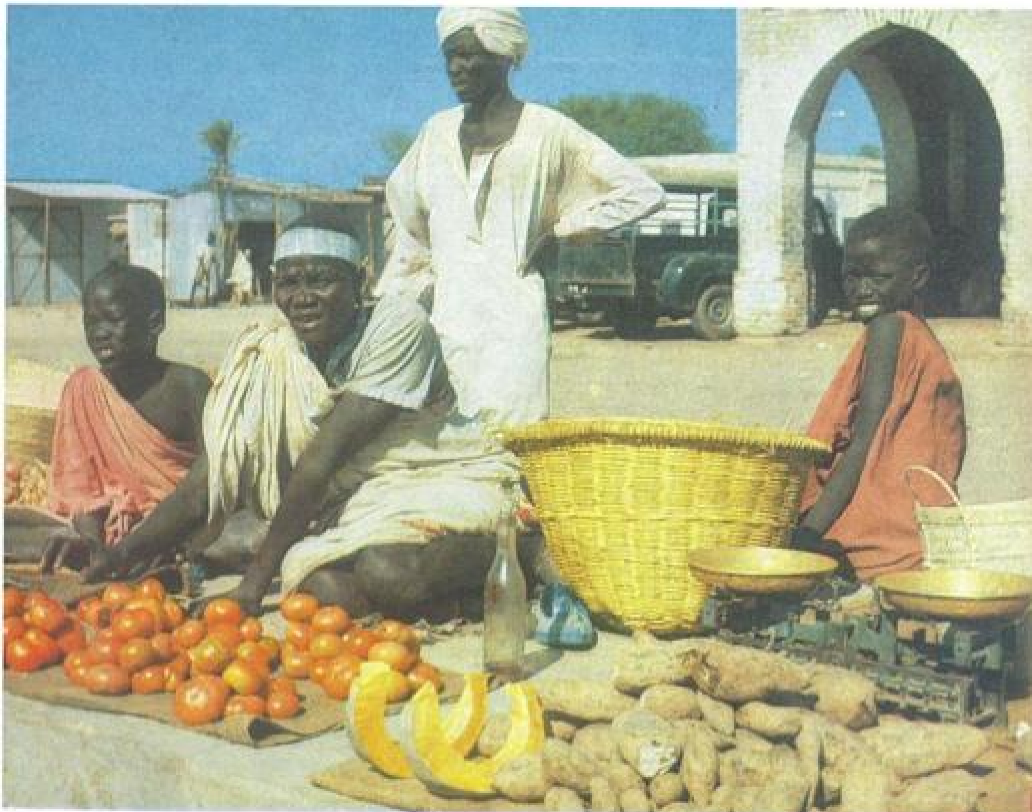


مشكلة اللغة .. مشكلة رئيسية في جنوب السودان وهناك عدد كبير من اهالي الجنوب لا يتقنون اللغــة العربية وهي اللغة الرسمية للبلاد وذلك نتيجة سنوات طويلة من الاستعمار ويتلقى هؤلاء الجنوبيون دروسا في اللغة العربية بعد الظهر في معهــد مايــو المخصص لتعليمهم اللغة العربية .



٤ صور تمثل سوق مدينة ملكال **الى اليمين في الصورة العليا** ثلاث فتيات يرتدين « اللاو » الملون جلسن يسترحن من عناء السوق .. **والى اسفل** عدد كبير من الاهالي يشترون ويبيعون وكل منهم يرتدي زيا مختلفا يبين اصله القبلي .. **والى اليسار** سيدة احضرت الطماطم والبطاطا والقرع من حقلها لتبيعها في السوق .. **والصورة السفلى** تمثل الخياط الذي يبيع القماش لزبائنه ثم يقوم بتفصيله فورا .







بالسلاح والأموال لكي تشغل السودان عن القضايا العربية وقضايا التنمية والتقدم .. وقال وزير الاعلام :

« ان المخطط الاستعماري في جنوب السودان يهدف الى الحيلولة دون استكمال بناء القوات المسلحة السودانية خاصة بعد أن أصبح السودان من دول المواجهة مع اسرائيل » .. واستطرد الوزير السوداني في حديثه قائلا : « ان الدعايات الاستعمارية التي تدعي ان هناك ضغطا دينيا على الجنوبيين المسيحيين لا أساس لها من الصحة . وسترون بأنفسكم كذب هذه الدعايات عندما تزورون الجنوب ..

ان الحكومة السودانية تقوم بحركة تعمير في الجنوب ومشروعات زراعية واسعة ، وتقيم المستشفيات والمدارس . والأمن يزداد استقرارا هناك يوما بعد يوم نتيجة لتعاون المواطنين الجنوبيين مع الجيش السوداني في مطاردة فلول الخارجين عن القانون .. » .

وأكد الوزير في نهاية حديثه ان القضاء على مشكلة جنوب السودان نهائيا بشكلها العسكري والاقتصادي والاجتماعي أمر سيتم في أقرب وقت ممكن .



عمر الحاج موسى وزير الاعلام السوداني تحدث بصراحة «للعربي» عن مشكلة الجنوب .

في ملكال .. عاصمة اعالي النيل

استغرقت الرحلة بالطائرة من الخرطوم الى «ملكال» حوالي الساعتين وربع الساعة وكان الجو حارا بالرغم من أننا وصلنا المدينة في الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر الماضي .. وملكال لا يزيد عدد سكانها عن ٢٥ الف نسمة (آخر احصاء رسمي تم في عام ١٩٥٦ يقول ان عدد سكان ملكال هو ٩٦٨٠ نسمة) وهي تقع على الضفة الشرقية للنيل الأبيض. ويخترق المدينة شارع رئيسي معبد وشارع آخر معبد أيضا هو شارع الميناء .. وهو الميناء النيلي الذي ترسو فيه البواخر النيلية القادمة من مدينة كوستي الى الجنوب وهي وسيلة المواصلات الوحيدة الدائمة والتي تربط بين الشمال والجنوب ، وتستغرق رحلة الباخرة من كوستي الى ملكال ٤ أيام ثم تستغرق ٤ أيام أخرى الى جوبا عاصمة المديرية الاستوائية .

اليوم أحد وهو يوم الاجازة الاسبوعية .. الكنائس مملوءة بالمصلين من أبناء الجنوب .. ويتولى القداس قساوسة جنوبيون يتلون مواعظهم باللغات القبلية المحلية .. المنازل جزء كبير منها مبني بالقش على الطريقة القبلية بينما الجزء الآخر مبني بالطوب والاسمنت .. سوق المدينة اشبه بالاسواق الريفية في مختلف البلدان العربية ، الباعة يجلسون على الأرض يعرضون بضاعتهم أمامهم .. كل شيء هنا رخيص كيلو اللحم ثمنه ١٢ قرشا ، الدجاج لا يتعدى ثمن الزوج منه العشرين قرشا ، السمك النيلي رخيص جدا .. الناس يرتدون أزياء غريبة بسيطة ويختلف الزي تبعا للقبيلة التي ينتمي اليها كل فرد ..

٣ قبائل رئيسية في اعالي النيل النوير ـ الدينكا ـ الشلك

يسكن مديرية أعالي النيل ٣ قبائل رئيسية هي :

النوير والدينكا والشلك وهي قبائل نيلية Nilotic . وهناك قبائل أخرى صغيرة العدد وأغلبها نيلية حامية Nilo Hamites وهم المورلي والأنواك والبرون . ولكل قبيلة لغتها وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية والدينية . وهناك أيضا خلافات قبلية تعود الى الماضي السحيق ولكن لا تزال آثارها باقية حتى الآن .

النوير لا يأكلون الدجاج !

تعتبر النوير من أهم القبائل التي تسكن مديرية أعالي النيل ويقدر عددهم بأكثر من نصف مليون

نسمة ، وتنقسم قبيلة النوير الى قبائل كثيرة داخل القبيلة .. ويعتقد النوير انهم نشأوا من الارض مباشرة ومعهم بقرة في مكان يعرف بـ « مار » في منطقة غرب النوير ، ويقال ان آثار الرجل الاول منهم وآثار بقرته لا تزال ظاهرة حتى الآن بالقرب من احدى الاشجار هناك . ورزق الرجل الاول بولدين احدهما يسمى « موتيجانق » وهو من الدينكا والثاني يسمى « موتيتفو » وهو من النوير . وكان الرجل يملك عجلا وبقرة وكان يحب ابنه الثاني النويرى فاعطاه العجل ، فلما سمع الدينكاوى بذلك صحا مبكرا واستولى على العجل ، وغضب الابن الثاني وشكاه لابيه فاشار عليه والده أن يترك ذلك العجل ولكنه قال : « يابنى انك ستعيش حياتك كلها تتعقب ذلك العجل وتريد الاستيلاء عليه » وذلك هو السبب في العداء بين النوير والدينكا وفي ان النوير لا يزالون يغيرون على الدينكا ويستولون على ابقارهم .

ويعمل النوير بالزراعة والرعي وهم يملكون قطعانا كبيرة من الماشية . واغلبهم لا يزال على ديانته الوثنية ... ويتميز النويريون بالشلوخ (جراحات التأمت وبقيت آثارها) الثلاثة المائلة قليلا على الجبهة ، ولهم عادات غريبة منها انهم لا ياكلون الدجاج على الاطلاق ما عدا الاطفال .. وان لا يزور زوج الابنة حماه او حماته اذا مرضا والا فانهما يموتان .. !!

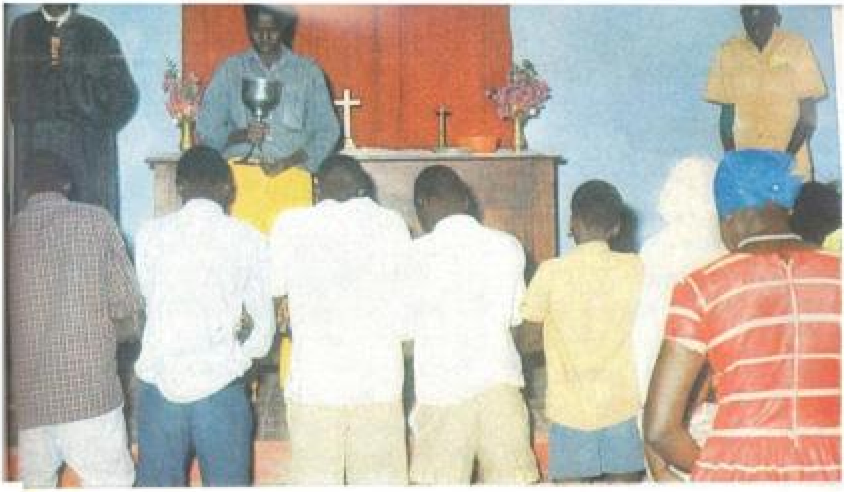
ويستطيع النويرى أن يتزوج اى عدد من النساء كيفما يشاء مادام يملك الابقار التي يستطيع دفعها كمهر لعروسه ..

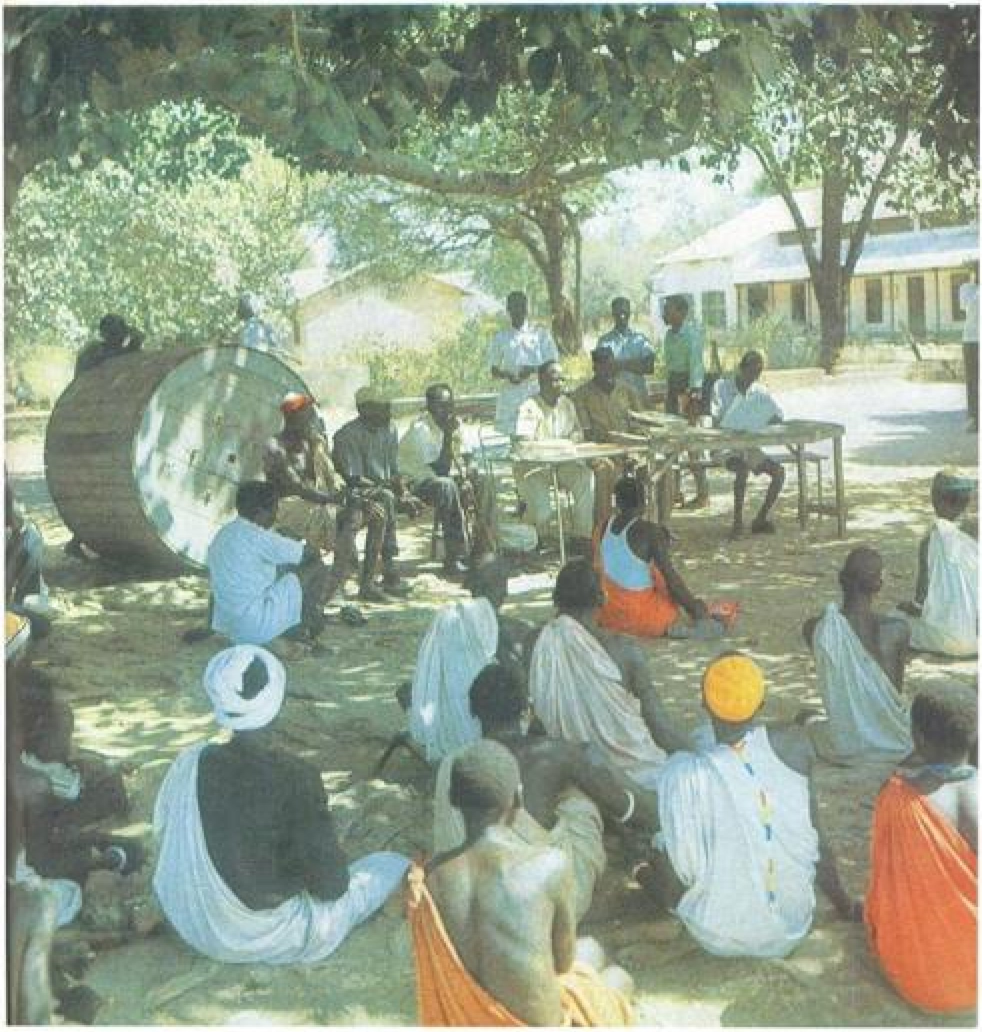
الدينكا أصلهم من قبائل الجعليين في الشمال

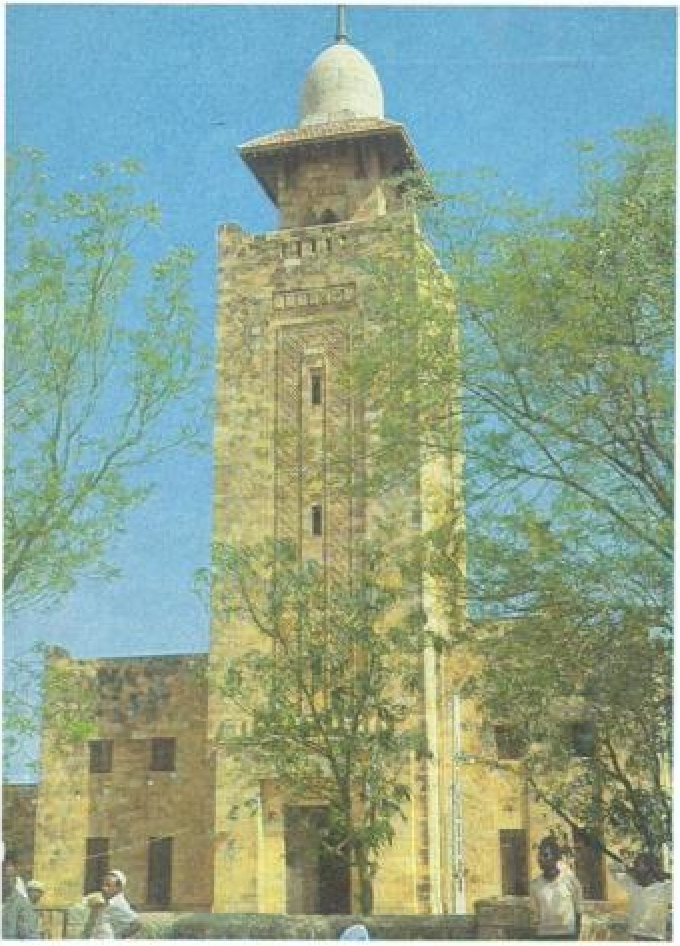
تعتبر قبيلة الدينكا من اكثر القبائل عددا في جنوب السودان ، وقد تكون اكبر القبائل في

الصناعات اليدوية التقليدية بدات في الانقراض في مديرية اعالي النيل ولهذا يقوم المشرفون على سجن مدينة ملكال بتدريب المسجونين على هذه الصناعات ثم يقومون بصرف الادوات مجانا لكل مسجون يفرج عنه حتى يستطيع ممارسة حياة شريفة تعود بالربح عليه







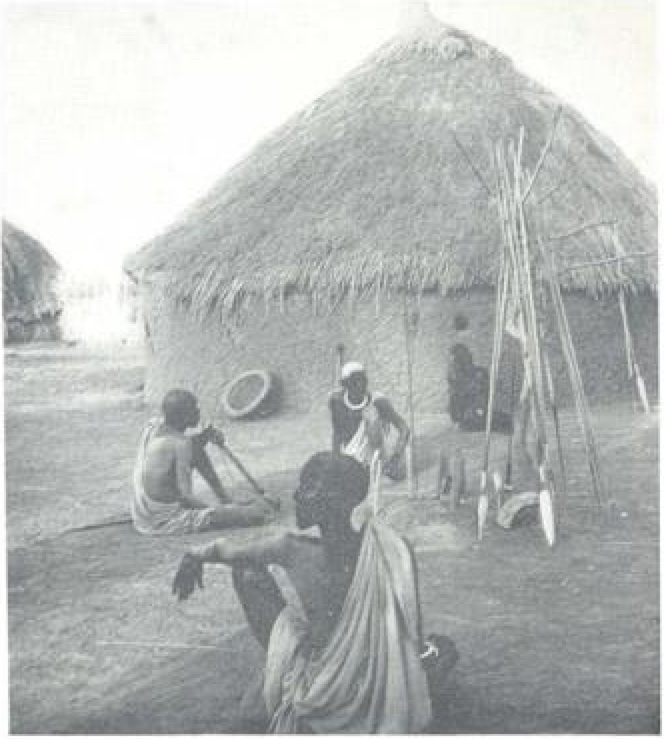


حرية العبادات في الجنوب متوفرة .. ولعل في هذه الصورة « **الى اليمين** » ابلغ رد على الدعايات الاجنبية التي تتهم حكومة السودان بمحاربة المسيحية في الجنوب .. عدد من المصلين يركعون اثناء القداس بينما يقوم القس وهو سوداني جنوبي بالقاء موعظته والقيام بطقوس الصلاة .. **والى اليسار** الجامع الكبير الذى انشاه الرى المصرى في الاربعينيات من هذا القرن وهو اكبر جامع في المدينة وبه مدرسة لتحفيظ القرآن ..

الى اليمين : مراعاة للتقاليد القبلية والعادات المتوارثة لقبيلة الشلك والتي تكون اكبر عدد من سكان مدينة ملكال سمحت حكومة السودان للقبيلة بان تقوم عن طريق محكمة خاصة بمحاكمة كل من يخالف القانون من افرادها وكذلك فض المشاكل والمنازعات التي قد تقوم بين افراد القبيلة .. وتنعقد هذه المحكمة في الهواء الطلق تحت ظل شجرة كبيرة على شاطىء النيل ويصدق على احكامها القاضي المركزى في محكمة ملكال الحكومية .



الى اليسار : جمهور غفير من المسيحيين الجنوبيين واغلبهم من قبيلة النوير بعد تأديتهم صلاة الاحد في احدى كنائس مدينة ملكال .



جلسة استرخاء في قرية « حلة » خاصة « بالشلك » . واحد يدخن الغليون والاخرون يجلسون على الارض يستريحون بعد عناء العمل وهو اساسا الصيد والرعي ، بينما وضعوا رماحهم امامهم.



جدل الخوص عمل يزاوله الش
عودتهم من المراعي الى مساكنهم ،، وي
«السافانا» ويقومون بجدله ليستعمل

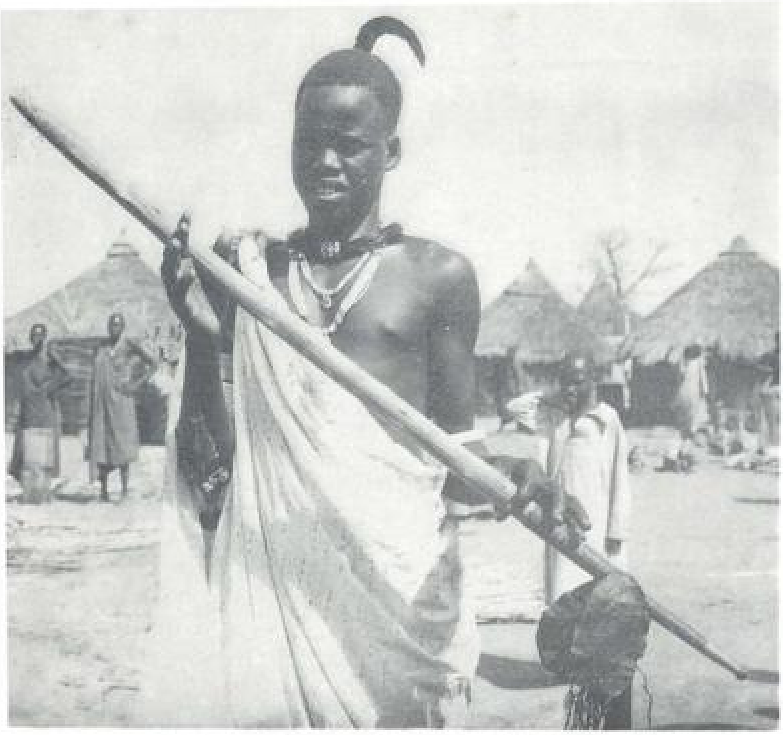
السودان كله ويبلغ عددهم اكثر من مليون نسمة وهم يسكنون اغلب انحاء مديرية بحر الغزال وانحاء اخرى من مديرية أعالي النيل . ويمتد اصل هذه القبيلة الى اماكن عديدة فهم جاءوا من شمال وشرق وجنوب السودان وتجمعوا ليكونوا قبيلة الدينكا .

اما الذين جاءوا من الشمال فهم يعودون باصلهم الى قبيلة الجعليين ويقولون ان جدهم شخص واحد كان يدعى « العباس » ورزق بولدين احدهما احمر والثاني اسود ، وكبر الولدان وكان العباس يملك ابقارا وبندقية فاعطى لابنه الاحمر البندقية ، واعطى الاسود بعض البقر . وشعر الابن الاسود ان ابقاره لا تجد الكلا الكافي لها في الشمال فنزح جنوبا حتى وصل الى حدود مديرية أعالي النيل وبقي في منطقة الرنك .. واصبح جد الدينكا الشماليين اما الدينكا الجنوبيون فقد اتوا من اوغندا .

وللدينكا لغتها ايضا ، وعاداتها ، وتقاليدها ، ودياناتها .. وهم يؤمنون بتعدد الزوجات ويتراوح مهر الفتاة ما بين ٣٠ بقرة الى ٢٠٠ بقرة .. وعندما يطلق الدينكاوي زوجته فان الابقار التي دفعت كمهر تعاد اليه ومعها ما ولدت !! وتعتقد الدينكا انه لابد لكل رجل ان يترك ابنا قبل ان يموت فاذا مات الشاب قبل ان يتزوج فان احد اقاربه يتزوج باسمه ويلد اولادا يحملون اسم الشاب المتوفي . واذا كان للرجل عدة اشقاء ماتوا ولم يتزوجوا فان عليه ان يتزوج لكل واحد منهم زوجة قبل ان يتزوج هو . ويتشابه النوير والدينكا في طقوسهم الدينية . وللساحر عندهم منزلة عظيمة ويطلقون عليه اسم «اليت» ويعتبرونه الوسيط بين الاله والناس. وتؤمن الدينكا بأن لكل واحد منهم روحا يطلقون عليه اسم «اتييب» ويعتقدون ان الاحلام التي يراها النائم ماهي الانتيجة لذهاب الروح الى افاق بعيدة والى تجوالها اثناء النوم . ويعتقدون ان الموت والمرض والمصائب تنزلها ارواح الاجداد بالاقارب اذا بدر منهم ما يسيء الى الاموات.



صغار والاطفال بعد الظهر عند
فضلون على هذا الخوص من
ترش اكواخهم والنوم عليه.



شاب من قبيلة الشلك يرتدي « اللاوو » ويتحلى بعقود الخرز التي تسمى بالسكسك ويضع ريشة ديك فوق راسه والريشة ترمز الى انه في سن الفتوة وانه يريد جذب الفتيات اليه .

وتعتقد الدينكا بوجود خالق يسمونه «أشيك» وروح ساحرة يسمونها « جوك » وانهما شيء واحد ولكن يسمى اشيك عندما يرزقهم بشيء طيب ويسمى جوك عندما يحل بهم اذى !!

الشلك يكونون أكثر سكان ملكال

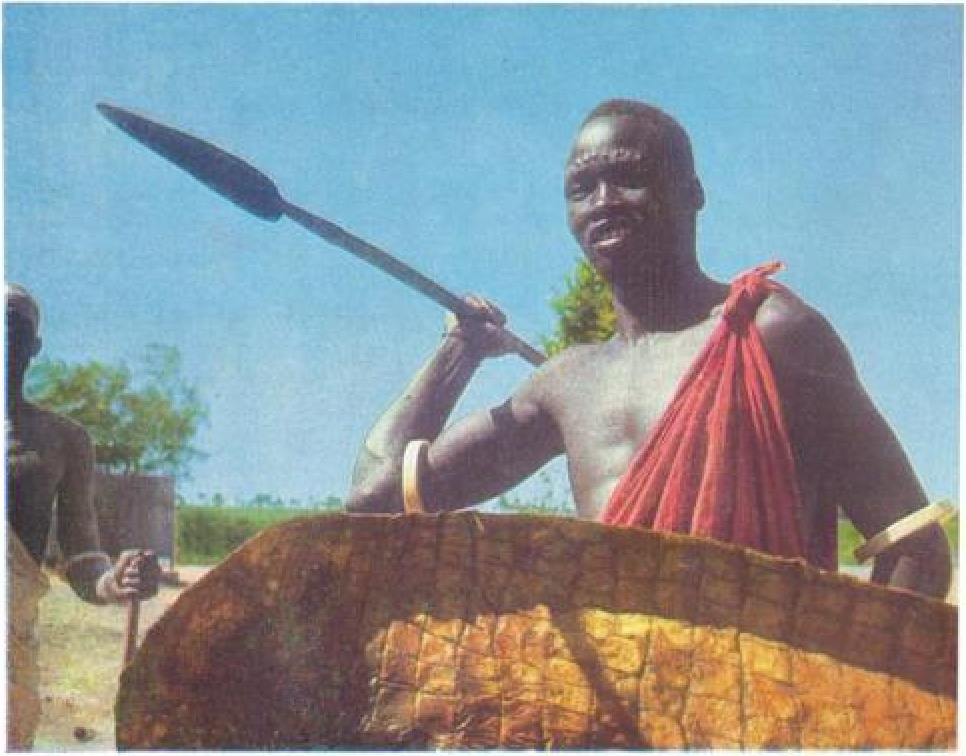
تكون قبيلة الشلك اكثر سكان مدينة « ملكال » وهم اقل من الدينكا والنوير في مجموعهم ولا يزيد عدد افراد القبيلة كلها عن ٢٠٠ الف .. ويمتاز الشلك من الرجال بملابسهم الحمراء التي هي عبارة عن قطعة قماش من الدمور الاحمر تربط من على الكتف وتستر جسم الانسان ويطلق على هذا الزى اسم « اللاوو » وترتدي النساء ايضا « اللاوو » ولكنهن يربطنه على كتفهن الايمن بينما يربطه الرجل من على كتفه الايسر . ويزين الرجال والنساء انفسهم بعقود من الخرز الملون يسمونها السكسك !!

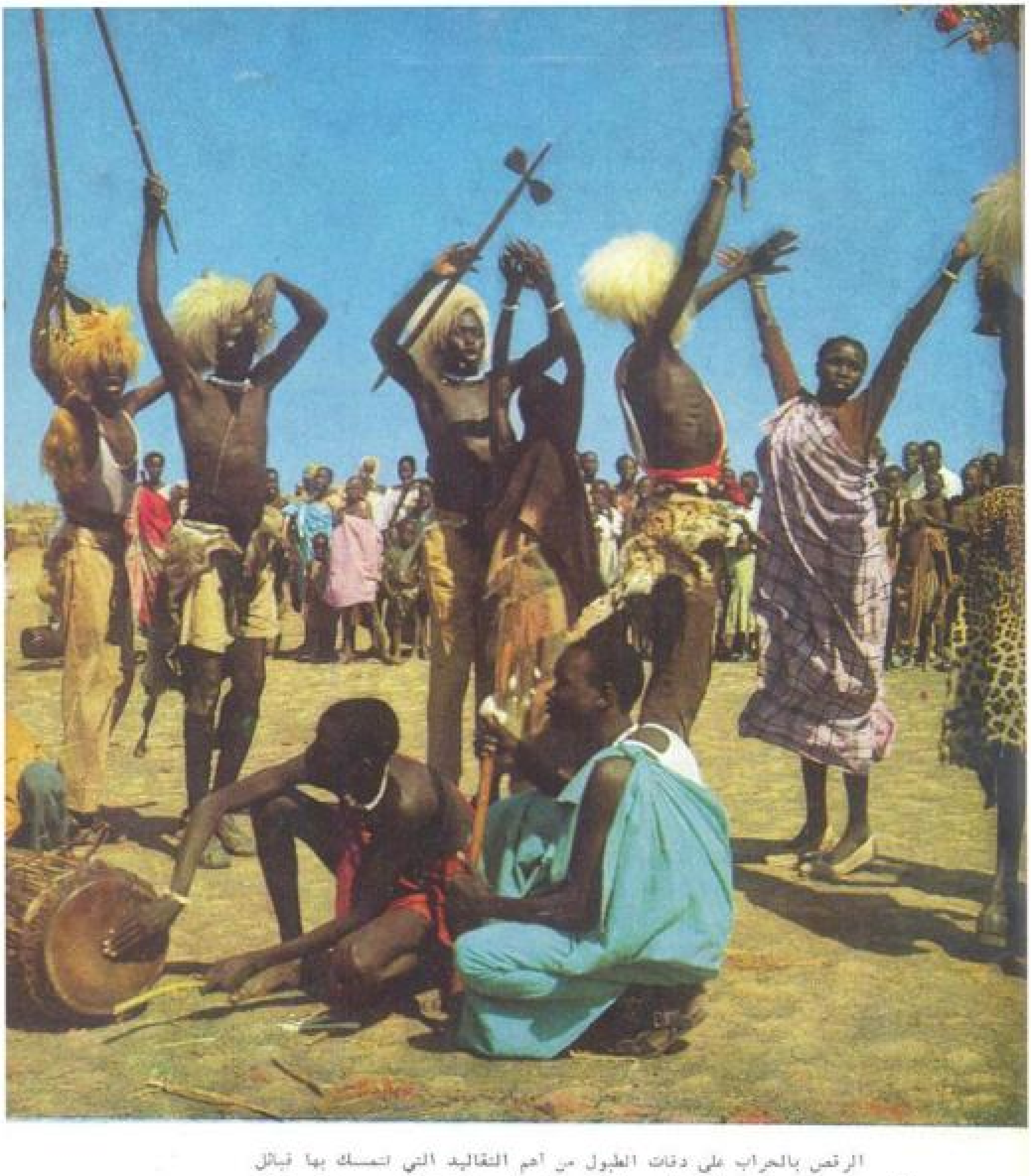
ولقبيلة الشلك مملكة عريقة ظلت قائمة لوقت طويل منذ عام ١٥٠٠ ميلادية حتى الآن .. ويطلق على ملك القبيلة لقب « رث » .. ويبلغ عدد زوجات الرث الحالي ٢٠٠ زوجة !

والشلك قبيلة تعتمد على الابقار وتعيش على صيد السمك .. وهم يؤمنون بان اصلهم بقرة بيضاء تدعى « ديانج ادوك » وان هذه البقرة هي جدتهم وان الاله « جوك » هو خالقها ومخرجها من النيل .. تقول الاسطورة ان البقرة « ديانج ادوك » انجبت طفلا آدميا اسمته « كولو » وانجب « كولو » ابنا اسماه « آمار » وولد « آمار » ابنا اطلق عليه اسم « ودامول » ورزق « ودامول » ابنا يدعى « اوكوا » وهو الذي انجب « نياكانجو » مؤسس قبيلة الشلك وزعيمها الروحي .

وكان لنياكانجو قوة خارقة في ادارة مملكته وفكر في زيادة رعاياه فاستعمل قوة السحر التي يقال انه يتمتع بها في تحويل الحيوانات الى







الرقص بالحراب على دقات الطبول من أهم التقاليد التي تتمسك بها قبائل الجنوب وتمارسها في الاحتفالات والاعياد وهذه الرقصات تتكون من عدة حركات ايقاعية تبين شجاعة المقاتلين وكيفية هجومهم على اعدائهم .. ثم تنتهي بانضمام النساء الى حلقة الرقص احتفالا بالنصر .



ادمين وكون لنفسه قبيلة كبيرة من التماسيح وافراس النهر والحيوانات المفترسة والابقار . وعندما كثر عدد قبيلته اعدم الممسوخين منهم حتى يجهل عامة الناس اصلهم واصبح في قبيلة الشلك اسرتان ، اسرة من الحيوانات وتدعى « كول » وهم عامة الشعب، واسرة ثانية تنحدر من نياكانجو وتدعى « كواريث » وتتميز « الشلك » بالعلامات التى في جباههم وتشبه العقد وهى تعمل للرجال والنساء على السواء ، وهم يعتقدون انها تجمل الوجه .. كما ان لها أصلا تاريخيا اذ انها تميز الفرد من الشلك عن بقية القبائل الاخرى .

تطور سريع

ومدينة « ملكال » وهى لفظة شلكاوية معناها « المقر المؤقت » تضم فروعا لكل ادارات الحكومة المختلفة . وهى مدينة هادئة ليس فيها اى مظهر من مظاهر الحضارة سوى السيارات واغلبها من نوع « لاندروفر » لكى تتحمل وعورة الطرق .. وسوى الانارة الكهربائية وشبكة المياه النقية . وبالرغم من عدم الاستقرار الذى تعرضت له كل مديريات الجنوب منذ الاستقلال حتى الآن ، وبالرغم من العزلة التى فرضت عليه طوال سنوات الاستعمار الا ان حكومة السودان تحاول الان جهدها أن تتطور بمدن الجنوب وملكال واحدة منها . حركة الانشاء والتعمير تسير على قدم وساق .. مستشفى جديد يبنى .. أجنحة جديدة في المستشفى القديم تقام .. مدرسة ثانوية عليا ستفتتح مبانيها الجديدة في العام القادم .. مشروعات للزراعة الآلية .. وحدات بيطرية ومعامل لتحضير الامصال الواقية ضد امراض البقر تفتتح .. معهد لتعليم اللغة العربية ينشأ في المدينة لتعليم الموظفين الجنوبيين اللغة الرسمية للبلاد ، أى العربية ، بعد ان حرمهم الاستعمار من تعلمها . بحوث اجتماعية للعمل على تغيير بعض العادات الضارة بين القبائل .. اتحادات للعمال وتنظيمات جماهيرية ونواد رياضية ودار للسينما .. كلها من معالم المدينة البارزة ..

نهضة تعليمية لمواجهة التخلف

لعل أهم مظاهر التطور في ملكال هو الاقبال على التعليم والمدارس فبالرغم من ان الجنوب لم يكن به اية مدارس سوى مدارس تابعة للكنائس ولا يزيد عددها عن اصابع اليد الواحدة وكان التعليم فيها باللغة الانجليزية فقط ، فان الحكومة بعد الاستقلال عملت على انشاء عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع انحاء الجنوب .. وفي ملكال الان توجد مدرسة ثانوية عليا للبنين ، ومدرسة ثانوية عامة للبنين ، واخرى للبنات و ٥ مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان ابتدائيتان للبنات وذلك عدا رياض الاطفال .

والتعليم لم يتحول الى اللغة العربية الا منذ عامين فقط ، بعد ان تمت تصفية كل المدارس التبشيرية في مديرية اعالى النيل .

ويقبل الاهالى على ارسال اولادهم الى المدارس .. وفي العام الماضي وبعد ان تقرر تغيير السلم التعليمي الى ٦ سنوات للدراسة الابتدائية و ٣ سنوات للثانوى العام و ٣ سنوات للثانوى العالى قام الاهالى بالتبرع لبناء الفصول المطلوبة في كل مدرسة لمواجهة هذا التغيير واشترك الطلبة والمدرسون في عمليات البناء ولم تتكلف الدولة اى شيء لمواجهة هذا التطور .

والتعليم يعتبر اساسا من أهم اسس التطور بالنسبة للمجتمع البدائى الذى يسيطر على مديرية اعالى النيل وقد قررت وزارة التربية السودانية تدريس الدين المسيحى باللغة العربية للطلبة المسيحيين في الجنوب .

وبالنسبة لتعريب التعليم كانت هناك مشكلة فالمدرسون من ابناء الجنوب لا يعرفون اللغة العربية ، واقامت وزارة التربية معهدا لهم لتعليم اللغة العربية على ان تصرف لهم مرتباتهم كاملة طوال مدة دراستهم في هذا المعهد .

أما موظفو الحكومة من الجنوبيين فقد اقيم لهم معهد مسائى خاص تدرس لهم فيه اللغة العربية واطلق على المعهد اسم معهد مايو وافتتحه الرئيس جعفر النميرى في عام ١٩٧٠ اثناء زيارته لملكال .

٢٠ مليون فدان قابلة للزراعة في اعالي النيل وحدها

تتميز مديرية أعالى النيل بانبساط ارضها وكلها سهول ضخمة من « السافانا » وينتشر في هذه السهول اسلوب من الزراعة المتنقلة ، يمارسها الشلك بالقرب من مياه النيل وحول قراهم ، فيزرعون الارض لمدة تتراوح بين عامين



الخدمات الصحية في جنوب السودان مجانية.. وفي مستشفى ملكال المركزى يوجد ٢٥٠ سريرا .. وعدد كبير من الاطباء الاخصائيين الذين يشرفون على علاج المرضى .. وسيتم افتتاح مستشفى جديد آخر في نهاية هذا العام .

او اربعة ثم يتركونها بورا ويقومون بزراعةمنطقة اخرى . وبعد ذلك يعودون الى الارض الاولى وهكـذا .

اما النوير فانهم يقومون بزراعة قطعة مـن الارض لمدة عام ، ثم ينتقلون الى قطعة اخرى لمدة عام يعودون بعده الى القطعة الاولى وعندما الى أن تجهد الارض فينتقلوا بقريتهم الـى ارض جديدة .

والدينكا تفضل الزراعة تحت ظل الاشجار وخاصة زراعة السمسم وهم يستمرون في زراعة الارض ٥ سنوات متتالية ثم يتركونها بعد ذلك للبحث عن أرض اخرى .

والزراعة في اعالى النيل زراعة مطرية بدائية لا تستعمل فيها الالات ، وهم يتخلصون مـن الحشائش التىتملا الارض بالحريق ..ولاتستعمل فيها الاسمدة ولذلك تجهد الارض خلال سنوات قليلة مما يضطر القبائل الى التنقل بحثا عـن اراضى جديدة .

واهم الزراعات هناك هى الذرة الرفيعـــة Common Millet والسمسم وبعض البقول .. ويزرع القطن في شـمال المديـريـة باقليم الرنك حيث توجد مشروعات للزراعة عن طـريق الرى الدائم بماكينات الضخ من مياه النيل . وتقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة في مديرية اعالى النيل وحدها بحوالى ٢٠ مليون فدان ، لا يزرع منها الا اقل من مليون فدان !!

مشروعات الزراعة الآلية

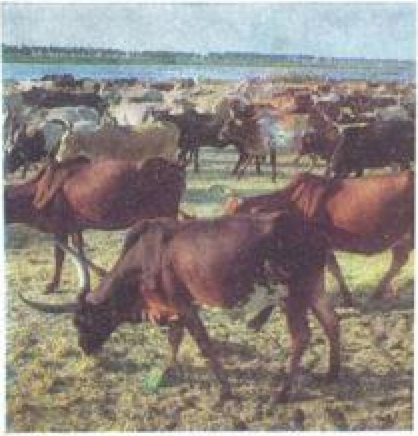
وقد تنبهت الحكومة السودانية الى اهمية الزراعة الآلية في هذه المناطق وعلى بعد ١٥ كيلو مترا من مدينة ملكال قامت بعثة « العربى » بزيارة مشروع جديد للاعاشة تبلغ مساحته ١٠ آلاف فدان مزروعة كلها بالذرة الرفيعة ويروى المهندس بدر الدين عبد الرحمن وهو المسئول عن المشروع قصة هذه الفدادين العشرة آلاف فيقول :

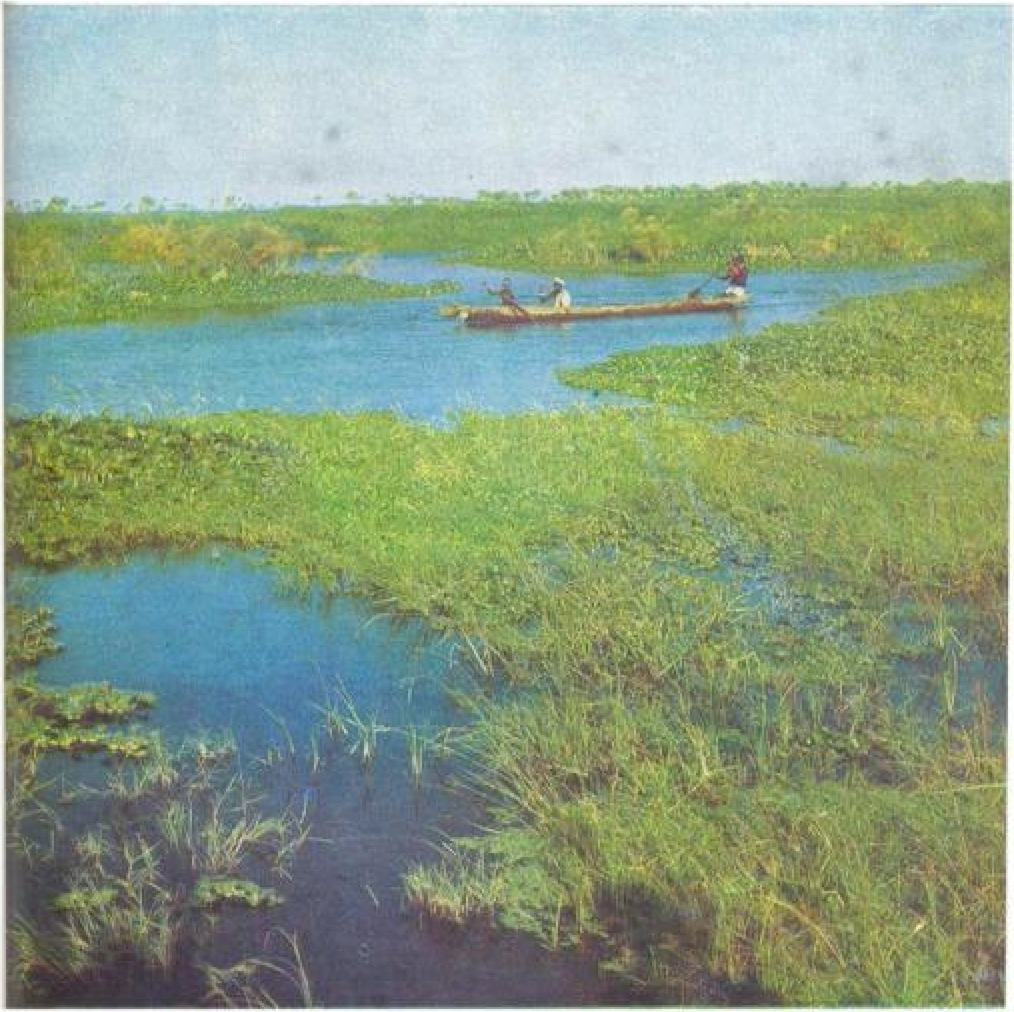
« بدأت قصة المشروع بعشرة آلاف جنيه تبرع بها اهالى الشمال لمساعدة منكوبى التمرد في المديرية ، وقررنا أن تستغل هذا المبلغ في تجربة مشروع للزراعة الآلية يعود بفائدة مستمرة على الاهالـى .. وبدأنا بخمســة آلاف فــدان .. واشترينا الآلات التى تتكون من بذارة ميكانيكية ويسمونها هناك زراعة Seed Driller وجرارات لحرث الارض اذ ان طبيعة الارض في المنطقة طينية صلبة ، وآلات لقص الحشائش « السافانا » التى قد يبلغ طولها في بعض الاحيان اكثر من مترين .. وزرعنا الارض بالذرة الرفيعة وتركنا للمطر مهمة الرى .. ونجحت التجربة .. وبدأنا هذا العام في زيادة المساحة الى ١٠ الاف فدان .. »

الف فدان نظير ١٠٠ جنيه

ويستطرد المهندس الزراعى الشاب في حديثه فيقول : « بعد ان نجحت التجربة راينا ان نطرح مشروعا جديدا على الاهالى.. اذ يمكن لاى شخص ان يتسلم الف فدان لمدة ١٦ عاما نظير ان يدفع للحكومة ١٠٠ جنيه فقط ، وعلى ان تكون لديه الالات الميكانيكية للزراعة ، وهى لن تكلفه اكثر من ٤٥٠٠ جنيه يمكنه الحصول عليها من ثمن محصول العام الاول .. وعلى سبيل المثال فان الفدان الواحد يعطى في المتوسط ٦ أجولة مـن الذرة وبحسبة بسيطة نجد ان المحصول من الف فدان سيبلغ ٦ الاف جوال ويبلغ ثمن الجوال

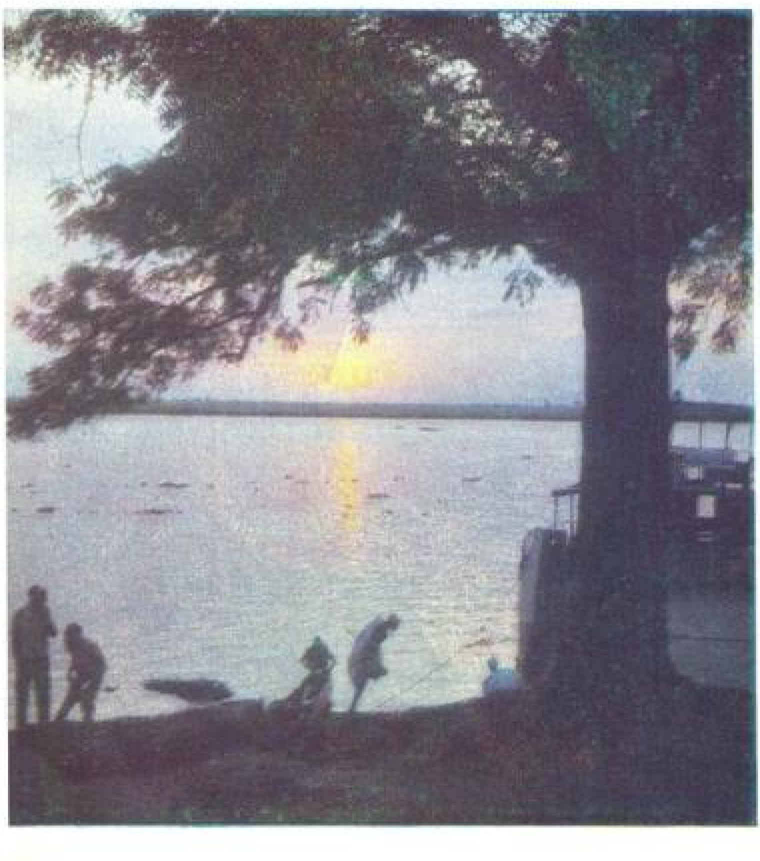








تمثل الصورة **الاولى الى اليمين** قطيعا من الابقار ذات القرون الكبيرة والتي يوجد منها اكثر من مليون راس في مديرية اعالي النيل **والصورة التي تليها** تبين الزراعة الالية التي بدات تدخل جنوب السودان لتطويره بعد الاستقلال .. **اما الصورة الثالثة** فهي لحقل من الذرة والى جانبه مباشرة اعشاب السافانا في ارض لم تزرع وتبلغ مساحة الاراضي البور القابلة للزراعة في اعالي النيل وحدها ٢٠ مليون فدان .



وسط اعشاب النيل وفي منطقة المستنقعات التي يضيع فيها ٣٦ مليار متر مكعب من مياه النيل سنويا ، قارب صغير مصنوع من شجر الدوم المجوف يشق طريقه حاملا ثلاثة من الصيادين من قبيلة الشلك .

منظر رائع للغروب على ضفاف النيل عند ميناء ملكال .



الذرة الرفيعة هي محصول رئيسي في مديرية اعالي النيل .. فمنه يصنعون الخبز والمريسة المشروب المفضل في السودان .. وتقوم القبائل بزراعة هذه الذرة زراعة مطرية بطريقة بدائية .



الزراعة الآلية بدأت تدخل جنوب السودانية باقامة مشروعات زراعية جديدة الالات ومنها « الزراعات الالية » التي تقوم

٢ جنيه اى ان دخل صاحب المشروع في العام الواحد يصل الى ١٢ الف جنيه !!!

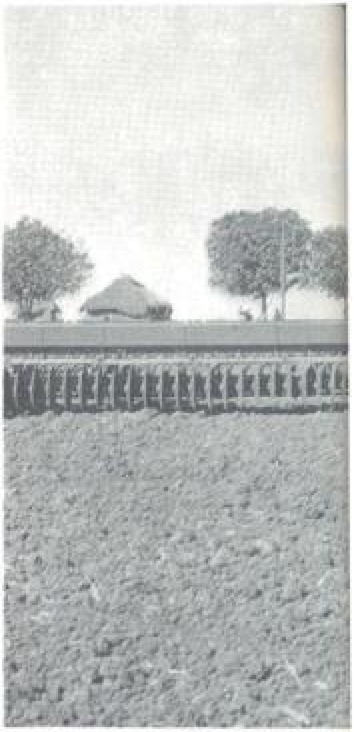
« عندما طرحنا المشروع على الاهالى لم يتقدم سوى عدد قليل جدا .. ولكن ازداد الطلب بعد ذلك حتى اصبح لدينا ٣٠٠ طلب لمشاريع آلية كل مشروع منها تبلغ مساحته الف فدان .. »

وعن المشروعات الزراعية الجديدة قال المهندس بدر الدين ان هناك الان تجربة جديدة لزراعة ٧٠٠ فدان بساتين مانجو وموالح .. وان تفتيش الزراعة يقوم بتوزيع بذور الخضراوات مجانا في مناطق الشلك والدينكا والنوير . كما ان هناك دراسة حول الاستفادة من ماكينات الرى النقالة لضخ المياه من النيل الى الاراضي العالية التى تقع على ضفتيه وذلك لكى تستمر الزراعة طوال العام . »

الثروة الحيوانية .. ثروة غير مستقلة

عندما تسير في شوارع مدينة « ملكال » فانك دائما ترى الابقار في كل مكان .. وبعد ظهر كل يوم تخترق كميات هائلة من الابقار ذات القرون الكبيرة المدببة شوارع المدينة عائدة الى حظائرها بعد ان ظلت في المراعى طوال النهار .. ويقدر عدد رؤوس الابقار في مديرية اعالى النيل وحدها بـ ١ر٥٨٤ر٠٠٠ راس . كما ان هناك ايضا ١ر٠٤٦ر٠٠٠ راس ماعز وحوالى ٦٠٢ الف راس غنم و ١١ مليونا من الدجاج . ولكن هذه الابقار لا تلعب الدور الاقتصادى الذى كان ينتظر منها ان تلعبه ، ويعود هذا الى عاملين رئيسيين اولهما يعود الى المناخ والثانى يعود الى النظام الاجتماعى السائد بين القبائل الرعوية . فظروف المناخ تحتم على الاهالى كثرة التنقل خصوصا في فصول الجفاف ، والتى تهب فيها الرياح وتجعل الكلا جافا .. وينتج عن هذا الترحال اجهاد الماشية وقد يتوقف نموها خلال هذه الفترة لان افراد القبائل لا يعنون بتخزين العلف اللازم لها .

اما العامل الثانى وهو العامل الاجتماعى فيعود



السودان بعد الاستقلال .. وتقوم الحكومة حول مدينة ملكال تستخدم فيها احدث توزيع البذور على الحقل توزيعا آليا .



الثروة الحيوانية من اهم الثروات في جنوب السودان .. والمحافظة عليها من أهم الاعمال التي يقوم بها الاطباء البيطريون هناك وقد قام هؤلاء الاطباء بتطعيم حوالي ٣٠٠ الف رأس من البقر ضد الطاعون

الى التقاليد التى تجعل من الإبقار مهورا لكل من يريد الزواج .. فكل فرد من افراد القبيلة لا يفرط في ابقاره باى حال من الاحوال وهو لا يتخذ منها طعاما الا في الاعياد والا عندما يقدم القرابين لآلهته. وهو عندما يدفعها مهرا فان والد العروسة هو الآخر يحتفظ بها حتى اذا حدث ان طلقت ابنته ، اضطر في هذه الحالة الى اعادة ما كان اخذه من الابقار الى الزوج . فهو يعتبر هذه الابقار امانة عنده .

وابقار الجنوب لا تدر كميات كبيرة من الالبان ولذلك فان هناك دراسات لعمليات تهجين لتحسين السلالات .. وهناك ايضا مشروعات لمصانع البان .. ولكن تقف امامها عدة عوائق اجتماعية ايضا .. فعدد كبير من القبائل يعتقد ان عملية حلب البقرة وشرب لبنها قد تجلب له الهلاك !!

وهناك امراض كثيرة تفتك بالمواشي في الجنوب اهمها الطاعون البقرى والالتهاب الرئوى البلورى، والحمى الفحمية .. ويقول الدكتور فؤاد رمضان حامد وهو المفتش البيطرى في اعالي النيل .. انه قد تم تطعيم حوالى ٣٠٠ الف رأس بقر ضد الطاعون البقرى في المديرية .. وانه قد تم انشاء معمل لانتاج الامصال الواقية ضد امراض الماشية في ملكال .. وان الاهالي الان اصبحوا يقبلون على تطعيم ماشيتهم بعد ان لمسوا اهمية هذا التطعيم في حمايتها من الهلاك .. وهناك الان وحدات متنقلة تقوم بعمليات التطعيم في مختلف انحاء المديرية . كما ان هناك دراسات اجتماعية تقوم بها وزارتا الثروة الحيوانية والشئون الاجتماعية للقضاء على العادات التى تقف عائقا دون استغلال الثروة الحيوانية الاستغلال الاقتصادى السليم .

منطقة السدود والمستنقعات ومشروع قناة جونجلي

في جنوب ملكال تقع السدود والمستنقعات الشهيرة والتى تجعل مجرى النيل يتشعب

ويتشعب ، وتبدد من مياهه آلاف الملايين من الامتار المكعبة سنويا .. وقد ازدادت المستنقعات بشكل خطير حتى ان هناك الان مشروعات لتهجير الاهالي من منطقة « فنجاك » التي حاصرتها المستنقعات من كل جهة وجعلت الحياة فيها شبه مستحيلة .. وقد بدأت حكومتا السودان والجمهورية العربية المتحدة في احياء مشروع « قناة جونجلي » وهو مشروع قديم ويتكلف نحو ٢٠٠ مليون جنيه . وينقسم هذا المشروع الى مرحلتين ، المرحلة الاولى تشمل اقامة قنطرة حجز على بحر الجبل ، ثم حفر القناة التي تبدأ على نهر الاتم وتصب في النيل الابيض بالقرب من مصب نهر السوباط .

وتتكلف هذه المرحلة الاولى حوالي ٦٠ مليون جنيه وتسمح بتصرف مياه قدره ٢٠ مليون متر مكعب يوميا اى ما يقدر بـ ٣ر٤ مليار متر مكعب مقدرة عند السد العالي . ويقدر لاتمام هذا المشروع ٥ سنوات .

اما المرحلة الثانية فهي مقترنة بمشروعات التخزين في البحيرات الاستوائية وتتضمن التعاون الفني بين كل من السودان واوغندا وكينيا وتنزانيا وبورندي وروواندا والكنغو كنشاسا . وتوفر هذه المرحلة ٧ مليار متر مكعب مقدرة عند السد العالي .

وهناك عدة مشروعات اخرى نصت عليها اتفاقية عام ١٩٥٩ بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وهذه المشروعات لو تم تنفيذها تستطيع توفير ٣٦ مليار متر مكعب سنويا تضيع في مناطق مستنقعات بحر الجبل والزراف وبحر الغزال والسوباط .

وقد بدأت فعلا الدراسات الجدية للبدء في تنفيذ هذه المشروعات .

كل ذلك علما بان القدر ان تستفيد منه الجمهورية العربية من خزين السد العالي حاليا سنويا هو ٥ر٧ مليار متر مكعب وما يستفيد به السودان هو ٥ر١٤ مليار متر مكعب وذلك في الفيضان المتوسط .

مشروعات التنمية هي الحل لمشكلة الجنوب

ونعود مرة اخرى الى مشكلة الجنوب .. والتى يحاول الاستعمار ان يجعل منها قضية دينية . ان عدد المسيحيين في الجنوب لا يزيد على ١٪ من مجموع السكان .. وحرية العبادات لهم متوفرة .. ولا توجد اية تفرقة دينية هناك .. لقد قابلت بعض القسس في ملكال وكلهم من الجنوب .. ان المشكلة الرئيسية في نظرهم تكمن في النهوض بالجنوب اقتصاديا واجتماعيا. وقابلت عددا آخر من الموظفين الجنوبيين ، وهم الطائفة القليلة المثقفة .. انهم يتطلعون الى اليوم الذى تستغل فيه ثروات الجنوب الملقاة تحت الاقدام .. مساحات شاسعة من الارض تريد من يزرعها .. وثروة سمكية هائلة لا تتطلب سوى مراكب الصيد الحديثة ومصانع التعليب وبعدها قد تكفى استهلاك عدة دول افريقية الى جانب السودان ..

وفي حديث عن مديرية اعالي النيل مع السيد مامون مصطفى نائب المحافظ .. كان الامل في المستقبل وفي مشروعات التنمية هو اساس الحديث .. فبعد ان تدهورت احوال الامن في عام ١٩٦٤ بدأت في التحسن .. نقاط البوليس اصبحت الان في كل مكان توفر الامن للمواطنين فقد تم افتتاح ٣٠ نقطة بوليس خلال ٥ سنوات .. وهناك في الخطة الخمسية الجديدة مشروعات ضخمة للتنمية ، وقروض ومنح من البنك الزراعى لاستغلال واستصلاح الاراضي .. الخدمات الصحية في زيادة مستمرة .. هذا العام سيكون هناك مستشفيان كبيران في ملكال وحدها . والان هناك مستشفى يضم ٢٥٠ سريرا .. المدارس يزداد عددها باستمرار .. اللغة العربية بدأت تحل محل اللغة الخليطة التي كانت سائدة طوال فترة الاستعمار .

ان ملكال تحاول الان اللحاق بالقرن العشرين بعد ان جعلها الاستعمار تعيش النصف الاول منه ، وكأنها لا تزال في عصور الظلام !!

بقى شيء واحد لكى تستطيع ملكال .. ومثلها كل مدينة في جنوب السودان. ان تعوض ما فاتها، وهذا الشيء هو التخلص من العادات والمعتقدات التى تعمل على تأخير نهضتها .. وهذا التخلص لن يأتى الا عن طريق التعليم والانفتاح على العالم الخارجي ، ومشروعات التنمية .. وهذا هو ما تفعله حكومة السودان الان .. وما رأيناه بأنفسنا خلال جولتنا في هذه المدينة الصغيرة .

■■

محمد طنطاوي



خضوع الآباء لمطالب الأبناء قضاء عليهم

دعوا أبناءكم يبكون اليوم بدلا من أن يعضوا في الغد أصابعهم ندما !

بقلم : منير نصيف

■ هل صحيح اننا نعيش فى مجتمع يحكمه ابناؤنا ؟

هل صحيح أن الابناء اصبحوا اليوم يسيطرون على الاباء ويتحكمون فى سلوكهم وتصرفاتهم وحتى نظرتهم لامور الحياة .

لقد كانت هذه الاسئلة وغيرها كثير عن مسلك الابناء ، وموقف الاباء ازاءهم موضوع بحث قام به فريق من العلماء والباحثين فى محاولة للتعرف على اسباب هذه الظاهرة الخطيرة .

ويؤكد عالم النفس الكبير ادوارد ليتين Edward Litin ، هذه الحقيقة المؤلمة ، التى قلبت حياة الاسرة راسا على عقب ، بعد أن جرد الابناء آباءهم من سلطاتهم الطبيعية . ولكنه لم يترك هذه الظاهرة الخطيرة بلا علاج ، فقد

حدد العلة ووضع اصبعه على موطن الداء ، ثم وصف له العلاج ..

سيطرة الابناء

يقول ليتين ان الابناء يوجهون تصرفات الاباء ويسيطرون عليهم بصورة مثيرة للقلق والانزعاج . فقد سخّر الابناء آباءهم لخدمتهم وتلبية طلباتهم وتنفيذ رغباتهم ، دون ان يسمحوا لاحد بان يبدى رايا او يجاهر بكلمة اعتراض .. وليت الامر قد اقتصر على خضوع الوالدين وحدهما لثورة الابناء وهبائهم ، فقد امتدت سلطاتهم واتسعت لتشمل الكثير من المجتمعات المتحضرة التي وضعت كل امكاناتها في خدمة افراد هذا الجيل الجديد من الشباب ، وتحقيق ما يتطلعون اليه من اسباب اللهو والتسلية !

الافراط في الحب

ما هو الدافع لهذه الظاهرة الخطيرة التي باتت تهدد المجتمع وتهز كيان الاسرة هزا ، حتى كادت تعصف به ؟ !

والجواب على هذا السؤال كما يؤكد ليتين ، يتلخص في عبارة واحدة .. انه الحب ! افراط الاباء في حب ابنائهم ، وخوفهم من ان يفقدوا حبهم لهم ، اذا هم اعترضوا على تصرفاتهم ، او اختلفوا معهم في الراى في اى موضوع او مشكلة تتصل بحياتهم ومستقبلهم !

وحب الاباء للابناء شعور طبيعى ، ولكنه يصبح غير طبيعى عندما يعجز الاباء عن التفرقة بين العاطفة والعقل ! فتجد الام تحنو على صغيرها وتتمادى في تدليله حتى تكاد تصبح له عبدة ليس امامها الا ان تستجيب لكل مطلب ولكل رغبة يبديها ! او نجد الاب حاملا طفلته ، وكانه يحمل الدنيا كلها بين يديه ، فلا تكاد تبدر منها اشارة يفهم منها ابتغاء شيء تشتهيه ، حتى يسارع الى تلبية طلبها ، وهو يتمنى لو انه استطاع ان ياتي لها بالقمر والنجوم لتلهو بهما !

اطفال .. ولكن كبار !

مثل هؤلاء الاطفال ، تجدهم وراء كل قرار يتخذه والداهم ، رغم حداثة سنهم ، وسذاجة تفكيرهم ! فهم الذين يختارون البيت الذى سوف تستاجره الاسرة او تمتلكه ، وهم الذين يشيرون على آبائهم بقضاء عطلة الصيف في المكان الذى يريدونه ، فقد ذهبوا اليه في العام الذى مضى وفي العام الذى سبقه ، وقضوا فيه وقتا ممتعا ..

ويذعن الآباء لرغبة ابنائهم ، بطريقة شعورية او لا شعورية ، حتى يتصور المرء احيانا ان هؤلاء الصغار هم الكبار الذين يامرون وينهون ، وان آباءهم هم صغارهم الذين يؤمرون ، فلا يملكون الا ان يطيعوا !

صور من حياتنا

حتى في حياتنا اليومية ، كثيرا ما نرى صورا لامثال هؤلاء الابناء والاباء .. فهناك الاب الذى يصطحب اولاده ليشترى لهم ملابس جديدة ، انه لا يختار ما يراه هو مناسبا لهم ، وانما تراه يقف متفرجا ، تاركا مهمة الاختيار لابنائه الصغار ، حتى اذا ما فرغوا من مهمتهم ، اخرج حافظة نقوده ليدفع الثمن !

وهناك الام التي تذهب الى السوق ومعها صغارها .. انها تمر على مختلف اقسام المتجر ، ولكنها لا تمد يدها لتاخذ شيئا .. انها تترك مهمة الانتقاء لابنائها ، فهم الذين يختارون علب الحلوى التي يحبونها ، والصابون الذى تعجبهم رائحته ، ومعجون الاسنان الذى يفضلونه على غيره .. اما مهمتها هي فتقتصر على دفع ثمن الاشياء التي انتقاها الاولاد ، وكثيرا ما تعود الى البيت وقد نسيت ان تشترى ما ذهبت الى السوق من اجله ! وامثال هؤلاء الابناء والاباء تبقى مشاكلهم صغيرة ما داموا صغارا لم يبلغوا بعد سن الشباب بطيشه ومشاكله .. فهى لا تعدو ان تكون مجرد صورة لطفل مدلل افسده حب والديه .

ثم تكبر المشاكل

ولكن ما ان يكبروا حتى تكبر معهم مشاكلهم وتتغير الصورة ، انها لم تعد صورة طفلة تبكى لان امها لم تجبها الى طلبها ، او طفل عنيد لا يريد

ان يفهم ان اللعب بالنار سوف يحرق اصابع يديه ..

انها الان فتاة في سن المراهقة ، وقد بدات عيناها تتفتح على دنيا اخرى جديدة ، تختلف تماما عن دنياها الصغيرة التى تركتها وراءها منذ سنوات قليلة مضت .. لقد بدات غريزة المراة تتحرك في داخلها ، واحست بهذا الشيء الجديد الذى يشدها الى الجنس الاخر ..

طيش الشباب

وتلتقى باول شاب يصادفها على هذا الطريق الجديد ، وتشعر بحلاوة هذا اللقاء ، ويحدث ما لا بد ان يحدث .. وتقع الفتاة في غرام فتاها ، وامير احلامها ، وهي واثقة تماما من ان والديها لن يعترضا على هذه الصداقة التى جمعت بينها وبين هذا الشاب الغريب ، فهما لم يرفضا لها طلبا طوال ايام حياتها معهما ..

وقد تكون علاقتها بصديقها ، مجرد علاقة بريئة ، قائمة على تبادل نظرات الود والاعجاب ، وقد لا تكون !

ثم يصحو الابوان في النهاية على الحقيقة التى يحتمل ان تكون قد ظلت خافية عليهم شهورا طويلة دون ان يكتشفا شيئا عنها .. وتبدا الام تتساءل ، وهي ترى هذا التغيير المفاجيء في حياة الابنه العاشقة .. ثم تكون المفاجاة عندما تصارحها ابنتها : « نعم يا امي .. انني احب ، واريد ان اتزوج هذا الشاب الذى احبه ! »

موقف الابوين

وتسر الام الى زوجها ووالد ابنتها ! ويتم اللقاء ، وربما لاول مرة ، بين والدى الفتاة وبين الشاب الذى اختارته ابنتهما ليكون زوجا لها .. ويفكر الابوان ، ولكن تفكيرهما لا يطول ، لان الابنة العاشقة لا تترك لهما الفرصة للتفكير في هدوء .. ان هناك اشياء كثيرة تحضرهما ،ولكنهما لا يستطيعان ان يجاهرا بها ، فهي مثلا لا تزال صغيرة لم تكمل تعليمها الجامعى بعد ، وربما كان الشاب الذى اختارته غير جدير بها ، فهو ايضا لم ينته من دراسته او ان الوظيفة التى يشغلها لا تدر عليه اجرا يكفى لمواجهة مطالب الحياة ومتطلباتها ..

ولكن ما حيلتهما وهما يريان ابنتهما متيمة بحبه ، وهي تؤكد لهما في كل مناسبة انها لن تجد السعادة التى تنشدها الا مع هذا الشاب الذى كان اول عابر يطرق باب قلبها الصغير !

ويوافق الابوان على الزواج ، ويباركانه ، فهما لم يتعودا ان يرفضا لابنتهما طلبا ، ثم ماذا يبغيان لها من هذه الدنيا غير تلك السعادة التى تتحدث عنها ، والتي تراها بعينيها البريئتين في حياتها المقبلة معه ! ؟

السحابة تنقشع

وتمر الايام ، وتفاجأ الصغيرة بحقائق الحياة ، فلا تلبث ان تدرك مدى الخطأ الكبير الذى ارتكبته في حق نفسها ، وفي حق والديها .. لقد اساءت الاختيار .. لقد تسرعت في حكمها على هذا الشاب الذى اختارته .. انه ليس بالرجل الذى توقعت السعادة معه في حياتها .. فهو لم ينل من العلم والثقافة الا القدر اليسير ، ثم مرتبه ، .. انه لا يكاد يكفى ضروريات الحياة ..

وتنقشع السحابة التى كانت تخفى عن عينيها حقيقة شخصيته قبل الزواج ، وتصحو الفتاة من نومتها القصيرة ، وتحاول ان تصلح ما افسدته بسبب تسرعها وطيشها ، ولانها لم تجد احدا يقول لها : « لا ، ان هذا الشاب لا يصلح لك زوجا يا ابنتي » !

فشل الشاب !

وما يحدث لمثل هذه الفتاة يحدث للشاب ايضا ، ولكننا كما راينا من خلال هذه القصة ، نعتقد ان السبب الاساسي لفشل الشباب في الحياة ، هو عزوفهم عن اتمام تعليمهم الجامعى ، الذى يؤهلهم لحياة افضل وكسب اوفر ، ورغبتهم في الخروج الى الحياة العملية قبل استكمال دراستهم ، رغم انف والديهم !

ولقد كان من الممكن ان يتغير مصير مثل هذا

الشاب وحياته ومستقبله ، لو انه كان ابنا لاب حازم ، يعرف متى يقول نعم ، ويعرف متى يقول لا ، دون أن يسمح لنفسه بان ينساق وراء عاطفته نحو ابنه !

الخلاف بين الوالدين

يستدل الدكتور ستيفن لاندرز ، استاذ علم النفس ، ان هناك حالات اخرى ، يتسابق فيها الابوان على كسب حب ابنائهما لهما ، والتمادي في اظهار عواطفهما نحوهم .. وفي مقدمة تلك العوامل التي تتحكم في تصرفات الوالدين ومسلكهما ازاء ابنائهما ، ان يكونا غير موفقين في زواجهما ، فالشجار والخلاف المستمر بين الوالدين ، يدفع كلا منهما الى العمل على كسب عطف الابناء وحبهم ، حتى لو كان هذا على حساب سعادتهم ومستقبلهم !

فالام التي تشعر ان زوجها لا يحبها ، تحاول ان تتودد الى ابنائها ، عن طريق الاستجابة الى كل طلباتهم مهما غلت ومهما كان الثمن الذي ستدفعه مقابل شعورها بانهم قد عوضوها عن حب والدهم لها ..

وكذلك الاب الذي يشعر بان زوجته وام ابنائه تنفر منه وتكرهه ، لا يتردد عن القيام بنفس الدور مع ابنائه !

شراء الحب

وعندما يحاول الوالدان ان يشتريا حب ابنائهما ، يرتفع سعر هذا الحب ويظل يستمر في الارتفاع ، وخاصة عندما يدرك الابناء انهم امام تجربة جديدة .. تجربة ابتزاز من نوع غريب فهم لا يعطون حبهم الا لمن يدفع اكثر !!

وتكون النتيجة كارثة بالنسبة لمستقبل هؤلاء الابناء التعساء !

كيف نجنب ابناءنا خطر هذا الحب الذي نسخو في منحه احيانا ، او نحاول ان نستجديه بمالنا في بعض الاحيان !

حكم بالاعدام

يقول ليتين ان نظرية خضوع الاباء هي حكم بالاعدام على الابناء .. فقد دلت الاحصاءات على ان ٨٠٪ من بين هؤلاء الابناء الذين سخا اباؤهم في منحهم كل حبهم وعطفهم وحنانهم ، قد فشلوا في حياتهم العلمية والعملية والعاطفية ..

ان ما يحتاج اليه الابناء في مختلف مراحل حياتهم الى جانب حب آبائهم لهم ، هو التوجيه والارشاد والقدرة على ان نقول لهم لا عندما يضلون الطريق ، حتى لا نجعلهم يتصورون ان الدنيا كلها قد اصبحت ملكا لهم !

ان مفتاح التربية الصحيحة السليمة الذي يمكن ان يؤدي الى ايجاد جيل صالح من الشباب ، هو الطاعة والنظام .. فهو دستور الحياة ، وهو شيء يجب ان يتعلمه الطفل وهو ما زال في مهده، حتى قبل ان يخطو اول خطواته على الارض .. فالطفل .. اي طفل في حاجة لان يشعر دائما بان هناك من هو اقوى منه ، واكثر منه تعقلا .. انه يريد ان يشعر ان هناك ذراعا قوية يستطيع ان يعتمد عليها ، ويستند اليها حتى في غضبه وبكائه ..

قل لابنك لا !

فاذا جد الجد ، قلها ولا تخف .. قل لابنك لا .. لن تفعل هذا .. او لن تاخذ هذا الشيء ، لانه ليس ملكا لك ، او لان في اقتنائك له ضررا عليك !

وقد يحتج ، وقد يبكي ويتهمك باذلاله امام اصدقائه .. ولكن اليس من الخير ان يبكي الان ، بدلا من ان يعض اصابعه ندما عندما لا ينفع الندم!

ان دموع الشاب او الفتاة في تلك المراحل المبكرة من حياتهما هي تعبير عن الم تصور احدهما او كلاهما انه قد فقده ، ولكنها ستتحول فيما بعد الى اعتراف بالجميل ، فهما لن ينسيا ابدا ان هذا الموقف الحازم من جانب ابويهما قد حماهما وانقذهما من مغامرة ثائر يمكن ان تتسبب في تحطيم مستقبلهما وربما تودي بحياتهما !

منير نصيف

ت التأنيث وبعض معانيها

١ ـ قائم ، قائمة ، محسن ، محسنة. جميل ، جميلة .
التاء في كل هذه الالفاظ للتأنيث .
٢ ـ غلام ، غلامة ، امرؤ ، امراة . طفل طفلة .
التاء في كل هذه الالفاظ ايضا للتأنيث.
٣ ـ بقرة ، جرادة ، بطة ، حمامة
التاء هنا ليست للتأنيث لان كل لفظ من هذه يشمل الذكر والانثى فالبقرة تشمل الثور والحمامة تشمل ذكر الحمام وهلم جرا .
وفي هذه الاحوال اذا اردت ان تشير الى ذكر الحمام تقول هذه حمامة ذكر ، او تقول هذه حمامة انثى ..
واسم الجنس من هذه بقر ، جراد ، بط ، حمام .
٤ ـ رجل علامة . ونسابة ، وراوية وفروقة ، وملولة .
التاء هنا ليست للتأنيث ، وانما هي دالة على المبالغة فهو كثير العلم ، بارع في الانساب والرواية ، وكثير الفرق والخوف ، وكثير الملل .
وفي الشعر في وصف المذكر :

بَعثْتَ غلاماً من قريش فَرُوقةً
وتترك ذا الرأى الأصيلِ المُهَلَّبَا

وفي وصف المؤنث قال مُوَيْلك المزموم يرثي امراته ام العلاء :

امرُرْ على الجدث الذى حَلَّت بـه
أمُّ العلاءِ فَنادِها لوتَسْمَـع
أنّى حَلَلْتِ وكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَة
بَلَداً يَمرّ به الشُّجاعُ فيفـزَع
صَلّى عليكِ الله من مفقـودة
إذ لا يلائمك المكان البلقـع
فلقد تركتِ صغيرة مرحومـة
لم تَدْرِ ما جَزَعٌ عليك فتجـزع
فقدَتْ شمائلَ من لِزامك حلوةً
فتبيت تُسْهِر أهلَها وتُفَجِّـعُ
واذا سمعتُ أنينها في ليلهـا
طفقتْ عليك شئون عيْنِي تدمـع

« قال التبرزى في شرح حماسة ابى تمام : انى حللت اى كيف حللت ومن اين . وفروق بناء للمبالغة ودخول الهاء فيها زادتها مبالغة » وهي كما رأينا يوصف بها المذكر والمؤنث . وقال المرزوقي في شرح حماسة ابى تمام وفروق بناء للمبالغة وازداد تناهيا بدخول هاء المبالغة عليه » .
وفعول بدون دخول التاء قد يشمل المذكر والمؤنث ايضا قال حميد بن ثور في وصف الانثى :

رأتني مُجَلِّيها فصَدَّت مخافـة
وفي الخيل روعاء الفؤاد فَـروقُ

٥ ـ المناذرة ، الفساسنة ، المهالبة .
التاء هنا للنسب ، فالمناذرة الجماعة الذين نسبوا الى المنذر ، والفساسنة الى غسان ، والمهالبة الى المهلب .
وتاء التأنيث في كل ما سبق تنطق هاء عند الوقوف عليها ، الا ماشذ من بعض اللهجات العربية التى تقف عليها بالتاء الساكنة. وهذه تفسر نطق لفظ «الحياة» بسكون التاء عند الوقوف عليها عند بعض الاقاليم العربية كلبنان
واصل الوقوف بالتاء الساكنة يرجع الى قبائل حمير كما قال ياقوت في معجم البلدان عند الكلام على (ظفار) . ■■

عبد الستار أحمد فراج





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الآلام الوخـزيـة فى الصـدر لاعلاقة لها بأمراض القلب

● تعتريني من آن الى آخر الام وخزيه كالسكين فى صدرى وتنتقل من مكان الى آخر – فهل لهذه الوخزات اى علاقة بامراض القلب ؟ .

– ان الآلام الوخزية التي تحسها تنتج من مصدرين .

اولهما : هو ما يشبه الالتهاب فى العضلات والالياف التي تحيط بها Fibromyositis وهي لها علاقة قوية بالآلام الشبه روماتيزمية التي تصيب العضلات – والملاحظ أن هذه الآلام تنتقل من مكان الى آخر ، وتزداد بالحركة ، وبالتنفس، ومن الممكن أن تكون مصحوبة بآلام فى الساقين أو فى المفاصل ، وتزداد هذه الآلام عنفا، اذا التهبت اللوزتان – او كان هناك التهاب مزمن فى الأسنان أو غيرها.

وكما ترى ليست لها علاقة بالقلب – وعلاجها هو علاج اى التهاب فى الجسم من اعطاء اقراص الاسبرين .

وفى بعض الحالات النادرة يكون ذلك عن زيادة فى املاح حامض اليوريك Uric Acid اى مرض النقرس – وتشكل مع المفاصل هذه الآلام التى تميز هذا المرض.

ثانيهما : تكون من مرض بالبلورا ، اى الغشاء المبطن للرئة عندما تلتهب باى ميكروب يدخل الجسم – وينتج الألم من احتكاك طبقتي البلورا وهي ملتهبة ، الطبقة فوق الاخرى – والآلام هنا أشد من الآلام التى تحدث فى العضلات ، وتكون في المكان الملتهب وحده ولا تنتقل – وتزداد كثيرا مع الشهيق خصوصا اذا كان عميقا – او مع السعال ، ويفضل المريض ان لا يأخذ نفسا عميقا ، بل يكون نفسه سطحيا ، خوف الألم – ويتفادى السعال – واذا سعل كان ذلك بخفة واحتراس – مستعينا بوضع يده على موضع الألم ، ويضغط على هذا الموضع خوف الحركة – وفى بعض الحالات يكون هذا مصحوبا بارتفاع فى درجة الحرارة ، وعلاج مثل هذه الحالات هو وضع لزقة انتيفلوجستين او بلادونا موضع الألم – واعطاء مسكن ليخفف الالم ، فاذا كان الالم بسيطا يعطي الاسبرين ، اما اذا كان شديدا اعطى البثدين او المورفين ، ثم اذا كان هناك التهاب فى الرئتين فيعطى المضادات الحيوية للتغلب على الميكروب، الذى سبب الالتهاب اذا كان هذا الميكروب يستجيب للعلاج بمثل هذه المستحضرات وعلى كل ففي مثل الحالات استشارة الطبيب واجبة ، ليعرف مصدر المرض ويعالجه .



الأسبرين .. هل هو مضر ..؟!

● اعاني من صداع مزمن واتعاطى كميات كبيرة من « الاسبرين » فما هي مضار الاسبرين ؟



ـ الأسبرين اذا اخذ بكميات قليلة فى اشخاص ليس عندهم استعداد للمضاعفات ، فانه لا يوجد ضرر من استعماله فى ازالة الآلام . ولكن فى بعض الاشخاص ربما حدثت منه المضاعفات . فلقد شوهد اشخاص يتسبب تعاطي قرصين من الأسبرين فى احداث نزيف شديد من المعدة والاثنى عشر ، مع خروج براز اسود يشبه القار (الزفت) ـ وهذا دليل على حدوث نزيف . وربما كان هذا النزيف من الشدة بحيث يحتاج المصاب لنقل دم لتعويضه ما فقد من دم .

وفى بعض الحالات تحدث حساسية لمن عنده حساسية للأسبرين ـ فتكون حساسية فى الجلد مع حكة ـ ورشح من الأنف ـ ثم فى الحالات التى عندها استعداد للربو ـ من الممكن ان تحدث نوبة بعد تناول قرص اسبرين ـ لذا كان من الواجب على كل مريض يعانى من الربو ان يحترس فى اخذ الاسبرين .

فى بعض الحالات يسبب الأسبرين زيادة فى حموضة المعدة ـ والم فى منطقة المعدة . وهذه كلها اشياء سيتنبه لها المريض عند تعاطى الاسبرين فيتجنبه .

الشلل الرعاش

● والدى عمره سبعة وخمسون عاما وصحته العامة جيدة ، وقد شكا منذ عام من آلام في المفاصل وعولج لمدة على انها آلام روماتزمية ثم ظهرت رعشة خفيفة في يده ورجله اليمنى ثم شعر اخيرا بثقل فيهما وعرضناه على طبيب فقال انه مصاب بشلل رعاش فما هي حقيقة هذا المرض وما علاجه ، لعلي اطمئن ؟ .

ـ الشلل الرعاش سببه اضطراب مزمن فى الجهاز العصبي المركزى ينتج عن طائفة من العوامل : فقد يكون احد مضاعفات التهاب المخ الوبائي ، أو بسبب تصلب فى الشرايين ، أو بسبب تسمم ببعض المواد الكيمائية ، أو ضربة قوية على الراس فى بعض الاحيان ، أو مرض الزهري واحيانا لا نجد له سببا على الاطلاق وخاصة عند متوسطى العمر وكبار السن من المرضى .

الاعراض كما ذكرتها ، وشكل المريض المميز بعينه الواسعة التى لا تطرف ، ووجهه الجامد الخالي من التعبير هذا بالاضافة الى الرعشة الخاصة اللاارادية . ويكون المريض بطيء الحركة والفهم وله مشية خاصة ذات خطوات ضيقة والجزع ملقى للأمام والذراع منثنية بجانب الجسم . وعضلات الجسم فى حالة تيبس .

وعلاج هذه الحالة يكون باحاطة المريض بوسط مرح وبهيج وتشجيعه على النشاط والحركة . وتدليك وتحريك الاطراف يساعد على تليين العضلات المتيبسة ، وغير ذلك من الادوية التى ينصح بها الطبيب .

الحساسية من البنسلين قد تؤدى الى الوفاة

● كثيراً ما نسمع عن «الحساسية من البنسلين» فما هي هذه الحساسية وكيف نتقيها ؟

ـ البنسلين من الأدوية الهامة والمفيدة والشافية لأمراض كثيرة تعترى الجسم ، وكان اكتشافه من الاكتشافات التى غيرت كثيرا من اوجه الطب فى مجالاته المختلفة ، سواء الباطنى او الجراحى ، وكان فاتحة اكتشاف المضادات الحيوية Antibiotics الاخرى ـ ولكن لما له من هذه الاهمية نجده فى الوقت نفسه سلاحا ذا حدين ـ حد يقتل الميكروب وبالحد الاخر يمكنه ان يسبب ضررا للمريض .

والضرر الذى ينتج من استعمال البنسلين هو ما نسميه « بالحساسية » وهي نتيجة لتفاعل بين البنسلين كمادة غريبة داخلة فى الجسم يأباها ويحاربها هذا الجسم بمضادات لها ـ وتكون نتيجة لذلك أعراض تظهر على المريض منها ما يكون خفيفا هينا ، ومنها ما يكون شديدا قاتلا فى بعض الاحيان .

والهين الخفيف هو ان يحس المريض بارتفاع فى درجة الحرارة مع حكة فى جلده وعينيه ـ ونزول سائل من الانف ، وطفح جلدى ، وآلام بالمفاصل ، وآلام فى الغدد الليمفاوية ، وفى الحالات المتوسطة الشدة ـ تنتاب المريض نوبات ضيق فى الشعب الهوائية الذى نسميه « ربو شعبى » مع سعال شديد والاحساس بالاختناق .

أما فى الحالات الشديدة ، فيحدث ما نسميه « صدمة » Anaphelactic Shock فيسقط المريض على الأرض مع هبوط شديد فى ضغط الدم مصحوب باغماء وفقدان للوعى ، وضعف شديد فى النبض مع تغطية جسم المريض بعرق بارد ، واذا لم يسعف المريض ويؤخذ الى المستشفى فى أسرع وقت، وربما أدى ذلك الى الوفاة .

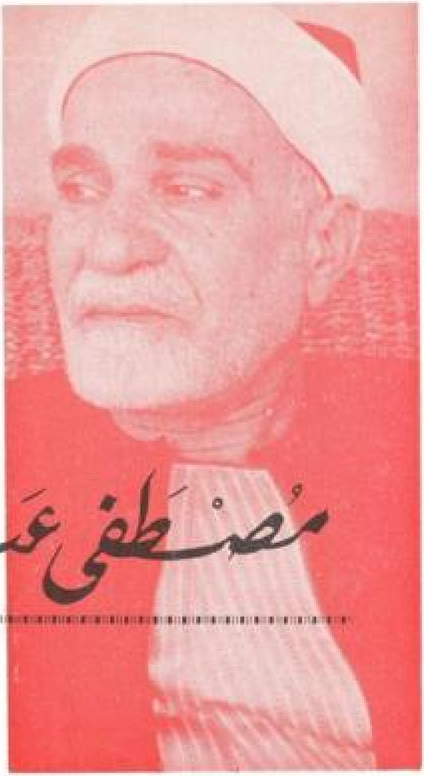
والوقاية فى هذه الحالات هامة جدا ـ ولقد اجريت تجارب كثيرة ان تعطى كمية قليلة جدا من البنسلين تحت الجلد وننتظر لنرى تأثير ذلك فى الجلد ، فاذا حدث طفح أو شعور بحكة فى الجلد لا يعطي البنسلين ، ويسمى هذا اختبارا للحساسية ، ولكن هذا الاختبار ، اثبت انه فى بعض الحالات التي تكون سلبية اذا اعطى البنسلين حدثت الحساسية منه ـ لذا اعتبر الاختبار غير معتمد عليه .

والأهم من ذلك ان يسأل المريض اذا كان عنده استعداد للحساسية من اى دواء او اى طعام ـ أو حدثت له حساسية من البنسلين ـ فاذا كان ذلك ، منع من أخذ البنسلين ، واعطى مضادا حيويا آخر .

وعلاج الحساسية يختلف باختلاف الحالة ففي الحالات البسيطة يعطى الادوية التى تعالج الحساسية كالبريتون Periton أو بريا كتين Petiacten مع الاورنالين ، وفى الحالات الشديد تعطى مركبات الكورتيزون مع علاج الصدمة اذا حدثت . ■■

الفيلسوف الذى جمع بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية

مصطفى عبد الرازق (١)



• كيف كان بالأزهر، ثم التقى بالإمام محمد عبده فتحول.

• كان أحد أولئك الأبرار الذين ظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء والأريحية.

بقلم : انور الجندى

■ يمثل العلامة مصطفى عبد الرازق نموذجا مفردا من النماذج القليلة فى الفكر العربى الاسلامى ، الجامعة بين ثقافة الاسلام وثقافة الغرب، وهو واحد من أساتذة الفلسفة الذين أقاموا مدرسة جديدة فى الثقافة العربية المعاصرة ، لها منهجها اليوم ولها أتباعها ودعاتها ، ولا شك أن منهجه الفلسفى كان خصبا وعميقا واكثر اصالة .

ولعله كان يعد نفسه واحدا من أولئك الأبرار (كرام النفوس) الذين ظهروا على مدى التاريخ الاسلامى ، هذه المدرسة التى اطلق عليها فلسفة « كرام النفوس » أولئك الذين عاشوا للعالم كله لا لأنفسهم ـ على حد تعبير تلميذه الدكتور عثمان البدر ـ وظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء وتتلخص هذه الفلسفة فى حالة نفسية يصح

(١) انظر أيضا ما نشر فى العربى العدد ٧٤ يناير ١٩٦٥ .

ان يطلق عليها اسم « الاريحية » وتلك حال النفوس التى تعطى ولا تأخذ ، وتسعى الى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء .

والحق ان مصطفى عبد الرازق أخذ من الريف ذلك الوفاء النبيل ، وتلك الطبيعة الثابتة العميقة الخصبة ، التى لا تتحول عن شيء ألفته ، سواء كان صاحبها فى القاهرة أو فى باريس ، فى الوزارة أو فى الأزهر أو فى الجامعة ، أخذ من الأزهر اللغة والبيان والرصانة ، وأخذ من السربون التحقيق العلمى ، ومزج الشرق والغرب ، وظل مع ذلك محتفظا بطابعه وجذوره ومزاجه النفسى .

وفى يوميات (ابراهيم الفزارى) التى كان يكتبها عن نفسه وينشرها تحت هذا الاسم الرمزى (وقد جمعت فى كتابه : آثار مصطفى عبد الرازق) يقول :

« ان حياتى ليست منطقية ، ان الحياة المنطقية هى مطابقة الحياة للمزاج ، والسير فى الشئون الخارجية على وفق طبيعة النفس الداخلية » .

نشأته وتعلمه ووظائفه

نشأ مصطفى عبد الرازق فى الريف من الصعيد فى قرية « ابى جرج » من أعمال المنيا ، ثم امضى فى الأزهر اثنى عشر عاما حتى حصل على العالمية ، ولما تخرج عين مدرسا فى مدرسة القضاء الشرعى ، ثم رحل الى باريس شيخا معمما فبقى بالعمامة نحو سنة وهو يروح ويغدو بها بين الباريسيين .

وتلقى فى السربون دروس علم الاجتماع على « دور كايم » ثم التحق فى « ليون » بمدرسة اللغات الشرقية ، فلما عاد الى مصر عام ١٩١٤ اشترك فى تحرير الجريدة والسفور والسياسة الاسبوعية ، وقد عين سكرتيرا عاما للمعاهد الدينية ، ثم مفتشا بالمحاكم الشرعية فاستاذا بالجامعة ، وقد ولى منصب شيخ الأزهر فى السنوات الاخيرة من عمره(١) .

تطلعه ونقطة التحول فى حياته

كان مصطفى عبد الرازق منذ شبابه الباكر يتطلع الى المجد ، ويرنو الى آفاق بعيدة ، لم تكن واضحة وضوحا صريحا فى نفسه ، ولكنها كانت تملأ قلبه وعواطفه ، تصورها هذه العبارات التى كتبها فى « مذكرات الشيخ الفزارى » :

« انا أستيقظ من منامى قبل أن تشرق الشمس ، فما أزال أنتقل من حلقة أستاذ الى مشاركة رفيق فى المطالعة الى انفراد بالدرس ، حتى آوى الى مخدعى قبل نصف الليل فاتر القوة متنبه عصب الدماغ ، محتاجا الى النوم ، غير واجد اليه سبيلا ، وليس لى من لذة العمل نفسه ولا من ثمرته . ثم ان فى أعماقى قلقا ينزع بى الى أمانى لا موضع لتحقيقها فى هذا الوسط » .

ولقد مضت أيامه فى الأزهر مضطربة حتى بلغ مرحلة الأزمة . ولكن لقاءه بالأستاذ الامام محمد عبده كان نقطة تحول فى حياته :

يقول : لم تكن دراستى فى الأزهر على طول مدتها بالتى تشبع رغبتى فى العلم ، وتحقق لروحى ما تتطلع اليه من الاطمئنان ، ولكن الدروس التى كنت أحضرها فى الأزهر على الشيخ محمد عبده كانت تنسينى ما أشعر به من مرارة ، وتصد عنى السأم واليأس اللذين كانا يساورانها ، اذذاك ، فلما انقطع ، رضوان الله عليه ، عن التدريس فى الأزهر ، عاودنى هذا اليأس ، وذلك السأم واسودت دنيا الدراسة فى الأزهر أمام عينى ، فكرهت المضى فيها ، بيد أنى رأيت الا أتركها قبل ان أستنير برأى الأستاذ الامام » .

وهنا وفى هذه المرحلة العاصفة ارسل الى الشيخ محمد عبده رسالة تاريخية هذا نصها :
« مولاى

« انى نظرت فى أمرى بعد ان قضيت ما قضيت فى الجامع الأزهر ، وأضعت ما أضعت من صحتى وشبابى فى طلب العلم ، فلم أجد ثمنا لما بذلت الا حشدا من الصور والخيالات ، لا تفىء

---

(١) العربى : تولى منصب وزير الأوقاف أيضا قبل توليه مشيخة الأزهر .

البصيرة ، ولا تبعث العزيمة ، ولا تمد للسعادة في الحياة الدنيا ولا في الحياة الأخرى .

ليت الحوادث باعتنى الذى اخذت
منى بعلمى الذى أعطت وتجريبى

طلبت السبيل الى العلم النافع فما وجدت الدليل ، ولا اهتديت الى السبيل ، وقد هدتنى اليك خاتمة المطاف وفاتحة الألطاف ، فجئتك أسالك أن تعلمنى مما علمك الله ، ولا تكلنى الى رأيى ، وها انا ذا أبسط يد الرجاء اليك ، ولم أبسط لغيرك يدا ، وأرفع اليك أمنيتى في الحياة ، وقد وضعت آمالي ببابك ، ومثلك من لا يخيب ببابه الأمل » .

مصطفى (١٩٠٥)

تأثير الامام محمد عبده

وقد استدعاه الأستاذ الامام وقال له :

« ان الحق معك ، وقد مرّ بي مثل حالتك ، وغاية ما أستطيع أن أرشدك اليه ـ قبل نيلك شهادة الأزهر ـ هو أن تمنى الى جانب دراستك الأزهرية بالتزود في الدراسات الأدبية » .

يقول : ان الامام قد اختار لي طائفة من الكتب لأطالعها في أوقات فراغي ، وما أشك أن هذا التوجيه الصائب كان له أثر كبير في ثقافتي الأدبية اذ صادف منى ميلا الى هذه الناحية كان يغذيه والدى رحمة الله عليه . على أن فضل الأستاذ الامام ليس مقصورا على هذا الجانب وحده ، فقد كان لتشبعي بمبادئه وتشيعي لها أثر كبير في حياتي العملية .

وصرت بعد انتهائي من الدراسة في الأزهر ، واشتغالي بالتدريس في مدرسة القضاء الشرعي أن انتخبت وكيلا لجمعية تضامن العلماء التى تألفت من تلاميذ الأستاذ الامام ، للسعى في اصلاح الأزهر واستقلاله ، وأن يكون حرا في اختيار قادته فتوجّس" ذو السلطان خيفة" من قيام هذه الجماعة بعد أن كثر الاقبال عليها وبدت تباشير نجاحها في مهمتها .

وكان أن استدعاني ناظر المعارف (عاطف بركات) وتحدث الى في هذا الشأن حديثا فهمت منه أن اتصالى بمدرسة القضاء الشرعى مع اشتراكى في الحركة التى تقوم بها جمعية تضامن العلماء يثير حول المدرسة ظنونا ، وسرعان ما آثرت استقالتى من المدرسة ، ذاكرا أن نفسى لا تطيب بأن أهجر شريفة المقاصد مرجوة النفع للاسلام وأهله ، من أجل أوهام ليس لها سند صحيح ، وقدمت استقالتى من مدرسة القضاء واعتزمت تحقيق أمنية السفر الى أوربا لأتمم ثقافتى هناك . . » .

نفس رقيقة ، هادئة ، طيبة ، متوارية

كان لقاؤه بالاستاذ الامام نقطة تحول في حياته ، فتخلص من تلك النظرة القاتمة ، وانطلقت طبيعته السمحة الكريمة فكان خير ما يمثلها : دراسته للبهاء زهير الذى يلتقى مع مصطفى عبد الرازق ، فالبهاء زهير شاعر رقيق حيى ، هادىء النظرات ، لا تطوف بحياته زوابع ولا عواصف ، ولا هو من المتدفعين الذين يقترعون المغامرات أو يدخلون حلبة صراع ، وهذا الطابع ، هو صورة من حياة مصطفى عبد الرازق الذى عاش حياته هادئا منتجا بعيدا عن مشاغبات الأدباء فلا يصول ولا يجول .

كان لمصطفى عبد الرازق طابعه الحيّ المتوارى ، وكان الى ذلك مثلا للاناقة والرقة والهدوء ، كأنما الحياة عنده أغنية جميلة ، ويتمثل في أسلوبه حب الجزالة والرصانة مع الحرص على المراجعة والتغيير والتبديل في صياغة الأثر الفنى الذى يكتبه قبل أن يظهر عليه الناس .

★ ★ ★

كان مصطفى عبد الرازق مثالا حيا للشخصية المتمة المحبة ، المؤمنة بالانسانية ، وكان واحدا من مدرسة كرام النفوس الذين عاشوا للعالم كله لا لأنفسهم ، وظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء .

(ولد ١٨٨٢ ـ وتوفى ١٩٤٧)

أنور الجندى

أنت تسأل .. ونحن نجيب

السد العالي .. ومجرى النيل في الجمهورية العربية المتحدة

● قرأنا أخيرا ان بناء السد العالي في الجمهورية العربية المتحدة سيؤثر على مجرى النيل في هذه البلاد ويعمل على تآكل ضفاف النيل ويخل بأساسات الجسور والقناطر الموجودة حاليا على النيل ، فهل ما قرأناه هذا صحيح ؟ .. وهل يعنى هذا أن مشروع السد العالى لن يؤدى فوائده المنتظرة للشعب المصرى ؟

محمد احمد سليمان ـ ليبيا

ـ هناك حملة دعائية ضخمة في بعض الدول الغربية ضد السد العالى .. وقد نشرت بعض الصحف الانجليزية ومنها الدبلى تلغراف Daily Telegraph مقالا تذكر فيه ما قلته في سؤالك .

وقد سألنا بعض الاخصائيين في هندسة الرى .. وكانت اجابتهم أن المهندسين المصريين والخبراء السوفيت كانوا يتوقعون ان يحدث بعض التآكل في ضفاف النيل نتيجة للسرعة الاضافية التى تنتج عن مرور المياه خلال توربينات السد العالي .. وبعد حسابات دقيقة قرروا ان درجة التآكل اقل بكثير مما توقعوا اثناء الدراسات المبدئية للمشروع .. وان كل هذا التآكل يمكن التحكم فيه عن طريق انشاء سدود صغيرة تتحكم فى سرعة المياه .. وبذلك تبقى كل جسور النيل سليمة .. وتكاليف هذه السدود بسيطة نسبيا ولن يتعدى عددها سدين او ثلاثة على الاكثر ، لا عشرة كما ذكرت بعض الصحف الغربية . ومن هذا يتضح لك انه لا خوف من هذا العامل الذى تبالغ فيه الصحف الغربية على مجرى النيل في ج.ع.م ، اذ ان الخبراء المصريين كانوا يضعون في حسابهم هذه النتائج .

اما عن فوائد السد العالى بالنسبة للجمهوريه العربية المتحدة فيكفى ان تعرف انه سيعمل بواسطة مخزون المياه فيه على زيادة المساحة المنزرعة في مصر بنسبة ٢٠٪ وانه سيعطى قوة كهربائية تبلغ ١٠ مليار كيلو وات ساعة في العام الواحد . وستؤدى هذه القوة الكهربائية الى انشاء عدد كبير من المصانع من بينها مصانع الالمنيوم والفولاذ والاسمدة الكيماوية . وقد بدا استغلال فوائد السد العالى بالنسبة الى ج.ع.م فعلا وبدأت الكهرباء تغزو القرى التى لم تكن ترى النور من قبل كما تم تحويل اكثر من مليون فدان الى الرى الدائم بدلا من رى الحياض وبذلك تتم زراعتها بثلاثة محاصيل في السنة الواحدة بدلا من محصول واحد . كما تم توفير المياه لاراض اخرى لم تكن تزرع من قبل . والمشروعات الصناعية المترتبة على كهرباء السد العالى تتم الان الخطوات النهائية للبدء فيها مما يرجى ان تتحول به الجمهورية العربية المتحدة الى بلد صناعى زراعي .

(م.ط)

قميص عثمان

● أفيدونا أثابكم الله عن قميص عثمان ما هو ، أو ماذا يراد به ، ولكم الشكر .

محمد عثمان الزينى ـ القاهرة

ـ امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى امره الى ان قتل في منزله ، وقميص عثمان هو القميص المضرج بدمه حين قتل فيه ، وفي معركة صفين التى كانت بين الامام على بن ابى طالب ومعاوية ، احس عمرو بن العاص في عسكر معاوية فتورا في المحاربة ، فاشار على معاوية ان يبرز لهم قميص عثمان، ليجعلهم يستأنفون المنازعة، ففعل ذلك معاوية ، وحين وقعت اعين العسكر على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنحيب ،وتحرك منهم الساكن، وثارت احقادهم ، واندفعوا يقاتلون.

ويذكر الثعالبي في ثمار القلوب ان المتوكل العباسي لما قتل ، ثم تولى المنتصر ابنه ، ثم بعده المستعين فالمعتز ، وكانت امراة المتوكل وام ابنه المعتز واسمها قبيحة ـ بعكس صورتها الرائعة الجمال ـ لم تزل تحرض ابنها لكى ياخذ بثار ابيه من قتلته الاتراك من جنده ، وكان المعتز قد مال اليهم ، وعلم انه لا يقوى عليهم ، لقوتهم وكثرتهم ، فكان يدافع امه ويمنيها بالتنفيذ ، فلما طال عليها الأمر ابرزت يوما للمعتز قميص المتوكل الذى قتل فيه ، وهو مضرج بالدم ، وجعلت تبكى وتبالغ في اللوم والتحريض كل المبالغة، فلما طال ذلك منها قال لها المعتز . يا امي، ارفعى القميص والا صار قميصين . فعندها امسكت ولم تعد لعادتها .

واذن فقميص عثمان صار يطلق على كل شيء يراد به التحريض والاثارة . والله أعلم .

ع. ف.

تقارب بين الشرق والغرب

■ اهتمت الصحف أخيرا بمعاهدة الصداقة وعدم الاعتداء بين المانيا الغربية وبولندا الاشتراكية ، فما سر هذا الاهتمام ؟ وهل هو بدء تقارب بين شرق اوربا وغربها .

عثمان محمد
دمشق ـ سوريا

ـ يعتبر توقيع معاهدة الصداقة بين المانيا الغربية وبولندا من اهم الأحداث السياسية التى شهدها العام المنصرم ، لعدة أسباب ، فالتوصل الى عقد مثل هذه الاتفاقية او المعاهدة بين هاتين الدولتين ، احداهما غربية والاخرى شرقية ، بعد سلسلة من المحادثات والمفاوضات المضنية التى دامت لأكثر من تسعة أشهر كاملة ، هو في واقع الأمر ، نقطة تحول هامة في تاريخ اوربا ، كما وصفها المراقبون السياسيون، نظرا لما كان من خلاف وخصام ومنازعات خطيرة ظلت قائمة بين البلدين

منذ نشوب الحرب العالمية الثانية حتى اليوم .

ويكفي للتدليل على اهتمام العالم بتوقيع هذه المعاهدة ، أن وقائع الاحتفال بتوقيعها في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر من العام الماضي ، قد اذيعت على جميع شبكات التلفزيون في اوربا، وبلغ عدد الصحفيين والمراسلين الاجانب الذين جاءوا الى «وارسو» العاصمة البولندية لحضور هذا الحدث السياسي الكبير اكثر من اربعمائة صحفي .

وقد وقعت المعاهدة في قصر « رادزويل » مقر وزارة الخارجية البولندية في وارسو ، وهو نفس القصر الذى كان حوله الجستابو مقرا لقيادته اثناء الاحتلال النازى لبولندا في الحرب الثانية ، ثم شهد بعد ذلك توقيع ميثاق حلف وارسو ، بعد انتهاء الحرب بسنوات عديدة ، وهو الميثاق الذى تلتزم دول أوربا الشرقية بمقتضاه ، برد أى عدوان يقع على احدى الدول الموقعة له من جانب الدول الغربية الاعضاء في حلف الاطلسي الذى تتزعمه أمريكا .

وتأتى هذه المعاهدة الجديدة بين المانيا الغربية وبولندا في أعقاب معاهدة عدم الاعتداء التى وقعت بين المانيا الغربية والاتحاد السوفيتي في اغسطس من العام الماضي ، وبذلك تصبح بمثابة حلقة اخرى في سلسلة من الخطوات السياسية الهامة التى تستهدف تأكيد الأمن الاوربي ، والتخفيف من حدة الحرب الباردة بين الغرب والشرق في هذه القارة ، وازالة اسباب الخلافات التاريخية بين المانيا الغربية وبولندا . وهي تعتبر استمرارا لسياسة التقارب بين المانيا الغربية ودول الكتلة الشرقية ، تلك السياسة التى سار عليها فيلى برانت مستشار المانيا الغربية منذ جاء الى الحكم.

اما أهم بنود هذه المعاهدة ، فهو اعتراف البلدين بتثبيت حدود بولندا الغربية على نهرى « اودر ونيس » ، وبذلك توافق المانيا الغربية على ضم جزء من أراضي المانيا الشرقية تبلغ مساحته ما يزيد على المائة الف كيلو متر مربع ، الى بولندا . وكانت المانيا الشرقية قد اعترفت بهذه الحدود ، ولكن لا بد لبولندا أيضا من الحصول على اعتراف المانيا الغربية باعتبارها احدى الدولتين الوريثتين للرايخ الالمانى .

أما البنود الاخرى ، فهي تنص على نبذ استخدام القوة ، واعادة العلاقات بين البلدين الى حالتها الطبيعية .

وقد وجه برانت مستشار المانيا الغربية كلمة الى الشعب الالمانى سجلها في وارسو ، وقال فيها ان هذه المعاهدة بين البلدين، ينبغى أن تقيم جسرا بين الدولتين ، وبين الشعبين من أجل الوصول الى سلام في أوربا ..

وقال برانت أيضا انه يتوقع ان يتم التوصل الى حل لمشكلة برلين في خلال الأشهر القليلة المقبلة.

والمعروف أن برانت كان عمدة للقسم الغربى من مدينة برلين التى تقع باكملها داخل أراضي المانيا الشرقية ، وهو بذلك اقرب الرجال واكثرهم ادراكا لأبعاد مشكلة برلين وتعقيداتها ..

وهكذا استطاع مستشار حكومة المانيا الغربية الجديد أن يقلب صفحة من التاريخ ويفتح صفحة جديدة ..

انه حقا تقارب بدا بين الشرق والغرب .

(م. ن)

اسرائيل ..

● نسمع كثيرا عن تغلغل اسرائيل في الدول الافريقية حديثة الاستقلال ، وآخر ما سمعناه هو ان اسرائيل كانت وراء الانقلاب العسكرى الاخير في اوغندا ، فهل لكم ان تذكروا لنا بعض الامثلة عن تغلغل اسرائيل في افريقيا ؟

سليم اليافى ـ لبنان

ـ لاسرائيل نشاط كبير في افريقيا .. وقد حاولت كثيرا التغلغل داخل الدول الافريقية حديثة الاستقلال لعزل هذه الدول عن التيار التقدمي وذلك لحساب امريكا بالذات ..

وتبدأ اسرائيل بالتغلغل داخل هذه الدول عن طريق المساعدات الفنية والاقتصادية التى تحتاج لها هذه الدول فور حصولها على استقلالها .

ومن امثلة هذا التغلغل الاسرائيلي في افريقيا ،

.. والدول الافريقية

ان اسرائيل قد تولت تدريب وحدات من القوات الاوغاندية ومن المظليين ، وكان ظهور الجنود الاوغانديين في شوارع تل ابيب مشهدا مألوفا في اسرائيل . وقامت بانشاء قوات مظلية للكونغو كينشاسا . وبتدريب رجال الشرطة في الحبشة ، كما زودت قوات ساحل العاج بالاسلحة والمدافع الرشاشة من طراز « اوزي » . وزودت كينيا بخبراء عسكريين وساعدت في انشاء الكلية العسكرية بها وقامت بتدريب الطيارين الكينيين.

وتقوم اسرائيل بارسال افراد من منظمة ناحال الاسرائيلية لتنظيم حركات الشباب في الكاميرون ، وداهومي ، وملاوي وجمهورية افريقيا الوسطى .

وقد قدمت اسرائيل لهذه الدول الافريقية مساعدات فنية لتطوير الزراعة هناك وقامت بانشاء مزارع على غرار مزارع الكيبوتز الاسرائيلية .

وتساعد اسرائيل المتمردين في جنوب السودان وتمدهم بالاسلحة وقد كشفت حكومة السودان النقاب اخيرا عن هذه المساعدات الاسرائيلية كما استطاعت ان تصادر كميات كبيرة من الاسلحة المصنوعة في اسرائيل في معسكرات للمتمردين تم الاستيلاء عليها اخيرا .

وتحاول اسرائيل اثارة الطائفية بين اهالي البلد الواحد واستغلال الدين كسلاح من اسلحة التفرقة بين ابناء الشعب الواحد . وفي نفس الوقت تشجع الاقليات على التحرر لكي يصبحوا عملاء لها في قلب القارة السوداء .. ولاسرائيل شركات ملاحة مثل شركة النجمة السوداء Black Star تعمل على خطوط ملاحية منتظمة بين موانيء افريقيا الشرقية والغربية .

(م.ط)

في البحر الميت

● قرأت في العدد ١٤٣ من « العربي » ان البحر الميت هو المكان الاكثر انخفاضا في العالم ، وكنت قد قرأت في عدد سابق ان بحيرة بايكال في سيبريا هي ذلك المكان .. فما هو الصحيح ..

توفيق طه القدوري ـ الزبيديه ـ العراق.

ـ لا تناقض بين ما قرأته في العدد ١٤٣ وما قرأته في عدد سابق من العربي ، فيما يتصل بالبقعة الاشد انخفاضا في العالم . اى ان بحيرة بايكال في سيبيريا يمكن اعتبارها المكان المنخفض رقم (١) في العالم كله اذا كان الانخفاض المقصود هو انخفاض قاع البحيرة لاسطحها . اذ يبلغ انخفاض قاع هذه البحيرة دون سطح البحر ٤٨٧١ قدما في حين لايجاوز انخفاض قاع البحر الميت ٢٦٠٠ قدم .

وغني عن البيان ان الانخفاض الذى يقصده الجغرافيون حينما يتحدثون عن البحيرات المنخفضة في العالم انما هو انخفاض سطح تلك البحيرات لاقاعها . وعلى هذا الاساس فان البحر الميت هو اوطا مكان في العالم على الاطلاق ، وقد بلغ انخفاض سطحه عن مستوى البحر ١٢٨٦ قدما ، اى ما يعادل اضعاف انخفاض سطح بحيرة بايكال ، وهو لايكاد يبلغ ١٠٠ قدم .

ومما يذكر ان بعض مناطق جزيرة جرينلند ، لا كل مناطقها ، ينخفض عن سطح البحر ايضا . ويبلغ انخفاض هذه المناطق ١٢٠٠ قدم ، وهي مغطاة بالثلوج ، وهذه الثلوج لها قمم تعلو احيانا فوق سطح البحر كثيرا ، نحو ١١٢٠٠ قدم . ومثل ذلك يقال ايضا عن عدد من بقاع المنطقة القطبية الجنوبية ، وهي مغطاة بالثلوج ايضا ويبلغ انخفاض اليابسة تحت تلك الثلوج نحو ٨٠٠٠ قدم .

(ى . ذ)



شهادة الدكتوراه اين ومتى نشات ؟ !

● انا طالب في الازهر ، وفي الازهر الشهادة التي عرفها آباؤنا واجدادنا للخريجين هي شهادة العالمية - ولكن سمعت ان هناك شهادة اسمها الدكتوراه يحملها خريجو الازهر الآن - فهل تتكرمون باعطائنا فكرة عن تاريخ هذه الدرجة واين ومتى نشات ؟!

علي زعتر ـ الصنادقية ـ القاهرة

ـ كلمة دكتور « Doctor » هي في الاصل كلمة لاتينية تعنى المعلم اى المدرس ، وقد اصبحت الآن لقبا لاعلى شهادة يمكن لاى جامعة ان تمنحها .

وقد بدات هذه الدرجة العلمية اول ما بدات في جامعة بولونا Bologne بايطاليا حوالي نهاية القرن الثاني عشر ومنحت اول ما منحت في القانون المدني . وتطورت بعد ذلك لتشمل الطب والكيمياء والعلوم اللغوية وغيرها من ميادين العلم المختلفة .. وتطورت بعد ذلك شهادة الدكتوراه فاصبحت اغلب جامعات العالم تعطى هذه الدرجة بعد الحصول على درجتى البكالوريوس او الليسانس ثم الماجستير . وان كانت هناك بعض الجامعات حتى الآن لا تفرق بين درجة الماجستير Masters ودرجة الدكتوراه .. وهناك ايضا شهادة الدكتوراه التى تعطيها الكنائس وهي تمنح للقديسين .. وتنقسم شهادة الدكتوراه الى دكتوراه الفلسفة .Ph. D.. ويمكن الحصول على شهادة دكتوراه الفلسفة في اى علم من العلوم كالطب او العلوم .. ولكنها تعتبر اقل درجة من الدكتوراه في الطب .M. D او الدكتوراه في العلوم . D. Sc

اما عن الشهادة التى كان يعطيها الازهر في الماضي ويسمونها الدكتوراه فهي في اصلها قسم تخصص المادة والذى الغى الآن وكانت الدراسه فيه جماعية وتستمر ٣ سنوات على الاقل ، وكان بعض من يحصل على شهادة التخصص في الماده هذه بعد شهادة العالمية يمنح نفسه لقب دكتور . اما الآن فان الازهر قد اصبح جامعة ويمنح شهاده الدكتوراه على نفس نظام الجامعات الحديثة

(م . ط .)

اكبر الصحف ليست باكثر الصحف انتشارا

● قرانا في عدد ديسمبر الماضي من « **العربي** » عن بيع اوسع المجلات الامريكيه انتشارا - مجله لايف وشقيقاتها ونرجو ان تعطونا فكرة عن توزيع الصحيفتين اليوميتين الشهيرتين ، النيويورك تايمز اوسع صحف امريكا انتشارا والتايمز اللندنية ، واوسع صحف بريطانيا انتشارا كذلك .

خالد قبلاوي ـ دمشق

ـ قد تكون صحيفة النيويورك تايمز اوسع الصحف اليومية في امريكا شهرة ، الا انها ليست اوسعها انتشارا . فهي توزع ٨٦٩٫٠٠٠ نسخة يوميا . وقد يبدو لك ان هذا الرقم كبير ، الا انه قليل نسبيا ، ولا يكاد يبلغ نصف توزيع صحيفة نيويورك ديلي نيوز ، اوسع صحف امريكا اليومية انتشارا . ونعطيك فيما يلي بيانا باهم هذه الصحف وتوزيعها :

توزيع الصحف في الولايات المتحدة الامريكية

النيويورك ديلي نيوز	٢٫٠٩٧٫٥٣٨
النيويورك تايمز	٨٦٩٫٠٠٠
شيكاجو تريبيون	٨٤٠٫٧٤٦
كريستشان سيانس مونيتور	٢٠٠٫٠٠٠

اما صحيفة التايمز ، وهي الصحيفة اللندنيه الاولى ، فلا توزع اكثر من ٤٢٦٫٠٠٠ نسخه يوميا . ولا يخفى ان هذا توزيع ضئيل جدا اذا قيس بتوزيع الصحف الامريكية اليومية التى ذكرنا، ويزداد ضآلة اذا قورن بتوزيع سائر الصحف اليومية في بريطانيا . فهو لا يكاد يبلغ ١٠٪ من توزيع صحيفة الديلي ميرور اوسع صحف بريطانيا

اوزان الذبابة والريشة وما اليهمـا

● طالما سمعنا أو قرأنا عن أوزان الرياضيين، ووزن الذبابة .. الى غير ذلك ، دون ان نعرف مقدار هذه الاوزان .. فهل في الامكان تفصيل هذه الاوزان في باب انت تسأل ونحن تجيب ..

سالم ابو حميد ـ المغرب

ـ الاوزان المقررة للرياضيين انما اتفقوا عليهـا اصطلاحـا ، وهي كمـا يلي :

وزن الذبابـة	١١٢	رطل ، حداً أعلى
وزن البنطم أو الديك	١١٨	رطل ، حداً أعلى
وزن الريشة	١٢٦	رطل ، حداً أعلى
الوزن الخفيـف	١٣٥	رطل ، حداً أعلى
الوزن الخفيف المتوسط	١٤٧	رطل ، حداً أعلى
الوزن المتوسـط	١٦٠	رطل ، حداً أعلى
الوزن الخفيف الثقيل	١٧٥	رطل ، حداً أعلى
الوزن الثقيـل		مازاد على ذلك .

على انه يؤذن للرياضيين من اى وزن بالدخول في المباراة على اساس الوزن الثقيل .

(ى . ز)

الجزائر .. اشتقت اسمها من جزائر صغيرة !

● الجزائـر .. البلـد العـربي الشقيق ، كيف صار اسمه الجزائر ؟ مع انني أعلم ان لا البلاد ، ولا العاصمة تقوم على جزائر ؟

عبد اللطيف السعداني ـ طنطا

ـ كلامك فيه الكثير من الصحة ، اذ ينطبق على حالة الجزائر اليوم ، اما في الماضي فقد كانت هناك مجموعة جزر صغيرة متناثرة امام موقع مدينة الجزائر الحالية ، ومن هذه الجزر اشتق اسـم المدينة الحالي ..

ولكن هذه الجزر لم يعد لها وجود في وقتنـا الحاضر ، اذ تم ردم المياه التى تتخللها ،واصبحت الجزر ومياهها لسانا من اليابسة ، يمتد من وسط مدينة الجزائر الى عرض البحر ،وعلى هذا اللسان اقيم فنار لارشاد السفن ، مع مبان حديثة .

وكانت الجزائر قديما تحمل اسم « اكسـوم » عندما اسسها الفينيقيون ، ثم اختط الملك بلكين ابن زيرى الصنهاجى مدينة جديدة اسماها جزائر بنى مزغنة ، ومع مرور الزمان اختصر الناس اسم بنى مزغنة ، واكتفوا باسم الجزائر الحالية ..

(س. ز)

اليومية انتشاراً . واليك فيما يلي بيانا باهم هذه الصحف البريطانية وبمقدار ما توزع في اليوم الواحـد :

توزيع الصحف البريطانية

ديلي اكسبرس	٣ر٧٥٠ر٠٠٠
ديلي ميـل	١ر٩٦٠ر٠٠٠
ديلي ميـرور	٥ر١٢٠ر٠٠٠
ديلي سكتش	٨٧٢ر٠٠٠
ديلي تلغـراف	١ر٢٨٠ر٠٠٠
فاينانشال تايمز	١٧١ر٠٠٠
جارديـان	٢٩٠ر٠٠٠
صَـن	١ر٢٥٠ر٠٠٠
التايمـز	٤٢٦ر٠٠٠

(ى . ز)



رَفائيل وَصاحِباهُ

عَمالِقةٌ لِلفنّ ثلاثةٌ، جمعَهُم في الدّهرِ عَصْرٌ مَشْهودٌ واحد

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ لايكاد يذكر المرء رَفائيل حتى يذكر ليوناردو دافنشي وميخائيل انجلو ، ولا غرابة في ذلك ، وقد عاصر الواحد من هؤلاء الفنانين الآخر ، وجمعهم بلد واحد هو فلورانسا ، وجمعهم على العمل بلد آخر واحد ، هو رومه . وكانوا فوق ذلك كله بمثابة الاركان التي قام عليها عصر النهضة الحديثة في ايطاليا .

والنهضة الحديثة اوروبية ، لا ايطالية فحسب . انها الانتفاضة الروحية التي عمت عددا من الاقطار الاوروبية ابان القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، والتي اتسمت باكثر من طابع . فقد غلب عليها الطابع الديني في المانيا ، والطابع الادبي في انكلترا . وطغى عليها طغيانا الطابع الفني في ايطاليا ، حيث كان مولدها .

كان ذلك في مستهل القرن الرابع عشر ، حينما اتفق للفنان جيوتو Giotto (١٢٧٦ – ١٣٣٧) ، وكان صديق دانتي ، ان يرسم في سنة ١٣٠٠ بالذات ، لوحة تختلف اختلافا جذريا عن كل ما عهدناه من رسوم القرون الوسطى . فقد جاءت تلك اللوحة بثلاثة ابعاد ، ولم تكن رسوم العصور الوسيطة الا ذات بعدين فقط ، مثلها في ذلك كمثل الرسوم البدائية التي تجدها في بعض الكتب القديمة ككتاب كليلة ودمنه .

وحسبنا ان نشير هنا الى ان هذا التحول الذي حققته ريشة جيوتو ، لاسباب ما زالت مجهولة ، كان خطوة كبيرة الى الامام ، بل قفزة هائلة بالمفهوم الحضاري . فالطبيعة نفسها ذات ابعاد ثلاثة وكذلك الانسان ، من حيث هو جزء من الطبيعة . اذن فالرسم الثلاثي الابعاد هو بحق نقطة البدء في النهضة الاوروبية الحديثة . فقد ايقظ الانسان وساعده على رؤية الطبيعة والجسم الانساني ، كما هما وعلى حقيقتهما ، وعلى نحو ما رآهما الاغريق والرومان في الماضي البعيد وقبل حلول العصر الوسيط . والاهم من ذلك ان هذا الرسم الثلاثي الابعاد شاع في ايطاليا وغيرها بسرعة خاطفة وكأنه الشعلة التي ظهرت فجأة فانارت المكان كثيرا او قليلا وطردت الظلام . ولم تلبث الشعلة ان اصبحت مصابيح ، بل نجوما نيرة كشافة ، ذكرنا منها ثلاثة ، ونقف الآن عند واحد منها ، رَفائيل .

ولد رَفائيلو سانزيو Rafaelo Sanzio ، في بلدة اوربينو الايطالية في ربيع سنة ١٤٨٣ . وبدا يتعلم مهنة الرسم منذ طفولته ، في الرسم الذي

كان لابيه جيوفاني (يوحنا) سانتي Giovanni Santi . ولم يطل عهد رَفائيل بابيه ، استاذاً، وقد كان الاب رساما عاديا ، بل تافها . وما اسرع ما وقع الفتى الموهوب تحت تاثير احد اساطين الفن واساتذته آنـذاك ، « ال بروجينـو Il Perugino » . وقد بلغ مـن تأثر التلميذ باسلوب هذا الرسام ان جاءت بعض لوحاته الاولى تبدو وكأنها من لوحات الاستاذ . ولكن هذا العهد هو الآخر لم يطل برسامنا ، ولـم يلبث رَفائيل ان استقل وتحرر وهو في السابعة عشرة من عمره ، فظهرت شخصيتـه متميـزة ، وبرزت مواهبه الخاصة الاصيلة .

وانتقل رَفائيل بعد ذلك الى مدينة فلورانسا سنة ١٥٠٤ ، وبدأ بذلك مرحلة ثانية من حياته . اذ احتضنت تلك المدينة احدى المدرستين اللتين سيطرتا على الفن الرسم في ايطاليا ابان النهضة، واحتضنت البندقية بالمقابل المدرسة الاخرى . وقد اختلفت المدرستان في اشياء كثيـرة اهمها المحافظة او الرصانة التي تميزت بها مدرسـة فلورانسا من جهة ، والتحرر مـن الاسـاليب الماضية ، وقد غلب على مدرسة البندقية مـن جهة اخرى .

لهذا ولسبب آخر ابعد اثرا كانت السنوات الخمس التي قضاها رَفائيل في فلورنسا اخطـر مرحلة في حياته . فقد عاش في تلك المدينة وفي تلك الفترة بالذات ميخائيل انجلو Michel Angelo ، (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤) وعاش فيهـا كذلك ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) . وكان الرجلان رسامين شهيرين ، بل عملاقين في الفن ، تجلت عبقريتهما للكثيرين من ابناء ذلـك الزمان ، وفي كثير من الميادين . فقد نبغ الرجلان في النحت ونبغ ليوناردو بالاضافة في الهندسـة المعمارية والشؤون العسكرية وكتب الكثير في اصول الفن ، وترك مذكرات تضمنت رسـوما مبدئية لعدد من المخترعات والمبتكرات . الا انهما برزا ايضا وبخاصة في الرسم ، وقد تركا مـن اللوحات الفنية ما كان له اثر السحر علـى معاصريهم وعلى الذين جاءوا من بعدهم .

لاعجب اذن اذا تأثر رَفائيل بليوناردو تأثرَ الطالب الجامعي بأستاذه ، وقد اقتبس عنه القوة والعنفوان فيما يرسم ، والاسلوب العملي المناسب للخلق الفني والابداع . ويكاد يجمع النقاد على ان تأثر رَفائيل بليوناردو زاد على تأثره بميخائيل انجلوا ، وقد اقتصر هذا الاخير على اتقان رسم جسم الانسان .

وجدير بالذكر ان الانتاج الفني الذي جاد به عمالقة فلورنسا الثلاثة انما جادوا به برعايـة بعض التجار وتشجيعهم . ويصدق ذلك ايضـا وبخاصة على فناني البندقية امثال تيتيان Titian (١٤٧٧ ـ ١٥٧٦) .

وانتقل رَفائيل سنة ١٥٠٩ الى الفاتيكان ، حيث بدأ المرحلة الثالثة والاخيرة من حياته ، مرحلة النضج والانتاج . ولم يأته التشجيع في هذه المرحلة من تاجر هـاوٍ ، وانما من البابا يوليوس الثاني ، الشهير بفهمه العميق للفنون ، وتقديره لقيمتها ورعايته للاعلام المجلين فيها . فقد تعاقد هذا البابا مع رسامنا دون تردد،واسند اليه مهمة تزيين جدران وسقف قاعـة في احدى مباني الفاتيكان ، اختارها لتكون مكتبة له ، وهي تعرف باسم Stanza Della Segnaturia .

ومن طريف ما يذكر هنا ان ميخائيل انجلو ، الذي كان يعمل في الوقت نفسه في تزيين مبنى آخر مـن مباني الفاتيـكان ، هو كنيسـة السيستين Sistine ، قد التمس من البابا ان يعفيه من اكمال عمله هذا ، وان يسنده الى رَفائيل ، وذلك لانه يعتبر نفسـه نحاتا اولا ، ورسـاما بالدرجة الثانية ، في حين كان رَفائيل في نظره هو الرسام اولا وآخرا . الا ان البابا لم يستجب لحسن الحظ ، لطلب انجلو ، فمضى هذا في انجاز مهمته في الكنيسة التي ذكرنا ، فيما انطلق رَفائيل ، وعلى بعد لا يزيد على مائة متر في تنفيذ شروط عقده في مبنى المكتبة .

وكانت النتيجة اربع لوحات كبيرة ، لوحات جدران وسقوف كبيرة من الجص Frescoes ، موضوع احداهما لاهوتي واسمها : الجدل في الشعـائر Dispute of The Sacrament وموضوع الثانية تشريعي ، واسمها : كتب القانون Books of The Law وكان الشعر محور اللوحة الثالثة واسمها : برناسوس Parnassus ، اما الرابعة فكان موضوعها الفلسفة او المعرفة باوسع معانيها ، وقد سماها رَفائيل مدرسة اثينـا School of Athens .

واللوحة التي تراها على الصفحة الثانيـة ليست الا جزءا من لوحة مدرسة اثينا التي سنعود اليها في عدد قادم ان شاء الله . ■■



الجُنَيه الأَحْمَر

قصة بقلم : محمود تيمور

■ خالتي سيدة غنية مفرطة الغنى ، على حين ان امي فقيرة مفرطة الفقر ...

توفى أبي بعد ان قضى على ثروته القضاء المبرم ... أضاعها في المضاربة والمقامرة والانسياق مع شهوات البذخ والترف .

وبعد وفاة أبي اضطرت امي أن تتزوج رجلا كان جزارا ، ثم أضرب عن الجزارة ، واخذ يتقوت مما يجتمع له من ريع ما يملك من عقار ضئيل .

قيل انه رجل مكتمل الرجولة ، ذو مال ، ولكن لم يمض على زواج أمي طويل وقت حتى انكشفت خفاياه ، فاذا هو بطين ، من مدمني الشراب ، شرس شغوب ، لا ينفك لسانه عن الشتيمة والسباب ، ولا تهدأ يده عن الضرب والدفع ، له زوجتان غير امي وقطيع من بنين وبنات .
عشت مع زوج امي هذا في رعب متصل .

والفت أن أزور خالتي في كل عام ، صبيحة يوم عيد الفطر ، فتنفحني بجنيه ذهبي ، تستله من كيس جلدى رخو باصابعها الدقيقة في عناية بالغة ، ثم تسائلني : « ماذا تنوى أن تصنع به ؟ » .

فاقول وانا مطاطىء الراس : « سأسلمه الى امي » .

فتبادرني بقولها : « اطلب منها بلساني أن تشترى لك حلة جديدة » .

وتتحسس الحلة القديمة التي أرتديها ، وعلى سيمائها تقزز وانفة ، وتواصل حديثها : « أهذه حلة يخرج بها صبي الى الطريق في يوم عيد ؟ » .

كنت أكذب على خالتي ، حين اخبرها باني سأسلم الجنيه الى امي ، كنت أطبق عليه كفي وأعود أدراجي الى الدار ، فلا أكاد أشرف عليها حتى يتبدى لي الجزار ، زوج أمي ، ويمد يده الي ، وقد ازداد جبينه من تعقد ، وسحنته من جهامة ، وهو يقول في غلظة وتحرش : « هات الجنيه يا ولد » .

فأناوله اياه في صمت ، وأهرع من فورى الى



.. واهرع من فوری
الى امي، وادفن وجهي
فى صدرها وانا اردد :
«لقد اخذ الجنيه ...
اخذه يا امي » .

امي ، وادفن وجهي في صدرها وانا اردد : « لقد اخذ الجنيه ... اخذه يا امي » .

فتحتضنني في حنان قائلة : « انها عادته» يسطو على مال غيره ... حتى عبدتك لا يتعفف عنها .. الله لا يكسبه ! » .

وتلاحقت أعوام ...

وعلى الرغم من بلوغي الثالثة عشرة ، كنت أمثل امام الجزار ، وانا كالماخوذ المخبول ،

اسلمه دون معارضة ذلك الجنيه الذهبي ، منحة خالتي لي في كل عيد ، وانا استشـــعر الذلــــة والهوان ...

وكان غير بعيد من دارنا حانوت « علاف » ... شطره الواقع على الطريق يحوى معروضـــات بضاعته ، والشطر الداخلي مسكن له ولأسرته ، فكان يطيب لي في عودتي من المدرسة أن اعرّج على ذلك العلاف ، اقضي وقتا في حانوته ، لا لسبب الا لأن أسرته المزدحمة بالعيال تحوى غير افرادها كلبة هزيلة ولودا لها شرذمة من الجراء ...

وبين كومات الشعير والفول والذرة والدريس ، تتمدد الكلبة على الأرض ، كأنها هيكل عظمي ، ومن حولها الجراء المنهومة تتزاحم منكبة على صدرها تنهش اثداءها نهشا .

ولم تكن زوج العلاف بأسعد حظا من كلبته ، فكنت أراها بوجههـــا الطـــويل البائن النحافة ، وخديها الغائرين ، معتمدة بظهرها الى الحائط ، ورضيعان يتشبثان بعنقها ، يجاهدان في امتصاص النزر اليسير من صبابة اللبن في ثدييها المتدليين ... وعلى حجرها يتمدد طفل تحـاول بهزاتهـا العصبية أن تهدهده كي ينام ... وعن كثب منها صبي صغير دائب التصايح يطالب بنصيبه من رعاية امه .

كنت أردد الطرف بين الأم ذات الأطفال ، والأم ذات الجراء ، فلا ادرى أيتهما أجدر بالاشفاق والرثاء ؟ .

واما الجراء ، فكانت اذا فرغت من الرضاعة انطلقت تتهاوش وتتواثب ، ويدنو مني بعضـــها فألاعبه طروبا بهريره الأنيس ، واسلم له يدى يعضها بأسنانه الفضة .

ونمت بيني وبين احد الجراء محبة وألفـة ، لونه أصفر ذهبي ، وشعره في ملمس الحرير ، ينظر الي في توفز ومرح بعينين عسليتين صافيتين ، فأطيل زيارتي في صحبته ، وبودي الا افارق الحانوت من أجله . بيد أن العلاف وهو جالس على مقعده المنخفض بباب الحانوت كان يخالسني النظر بين حين وحين ، وقد بدا يضيق بي وبما يتعالى حوله من صخب ، فاشعر بالحرج ، وانهض معتزما الانصراف .

واشتد شغفي بالجرو الذهبي ، فتقدمت مرة في جرأة الى العلاف ، وقلت له : « الا ترضى أن تعطيني هذا الجرو ؟ » .

فقال في حزم : « الديك ما تدفعه ثمنا له ؟ » .

ولما كنت في افلاس مزمن ، نكســـت رأسي ، وقلت : « ليس لدى نقود الآن ! » .

ـ وماذا تريدني أن افعل ؟ .

وبارحت حانوت العلاف ، واليأس يخيم على قلبي في الحصول على الجرو العزيز .

وحل عيد الفطر ...

وقصدت الى خالتي اهنئها به ، واتسلم منهـا عيديتي ، فاستلت الجنيه من كيسها الجلدى الرخو ، وقالت : « ماذا تنوى أن تصنع به ؟ قل لأمك تشترى لك به حلـة جديدة ! ... عيب أن تخرج في العيد بهذا الثوب الرث » .

وانطلقت من لدن خالتي ، وكفي قابضــة على الغنيمة في حذر ، ودفعت بخطاى عائدا ، ووجهتي البيت ، وانا منقبض الصدر ، اســائل نفسي : « ما انتفاعي بهذا الجنيه العظيم ؟ انني لا أكـاد أتسلمه من خالتي ، حتى أسلمه كمألوف العادة الى الجـــزار العتى ، زوج أمي ، في خضـــوع واستسلام » . والفيتني أتمهل في سيرى ، ولانت أصابعي ، فلم تعد تضغط الجنيه ... وتاهت بي الأفكار ...

ووجدتني عن كثب من حانوت العلاف ، وكان ينبعث من حواليه ضجيج وتصايح ونباح ... وما أسرع أن احتوتني الزيطة ، وهرع نحـوى الجرو الذهبي يبصبص بذنبه ، ويتواثب في خفة ومرح ، وهو ينظر الي بعينيه العسليتين الصافيتين نظرات أمل واستبشار ، فاقبلت عليه الاعبه ، ناشـــطا مجبور النفس .

وطال مكوثي .

وكان العلاف بباب الحانوت على مقعده الوطيء يسارقني النظر ، وقد بدا يضـجر بما اثيره انا والجرو من صخب .

واخيرا حملت الجرو ، وضممته الى صدرى ، فاحســست بخفق قلبه السريع المتواصل ، وتلاقى ذلك الخفق بما اقلبي من نبضات مهتاجة ، وكأنما قلب واحد له حركة مشتركة متناسقة ...

ودنوت من العلاف ، والجرو على صدرى أحميه بيدى .

وسمعته يلوك في فمه كلمات ، وهو يتفحصني بنظرات مريبة : « خير يا افندى ؟ » .

ــ سآخذ الجرو ...

ــ وهل أحضرت النقود ؟

ــ عندى ما يكفي .

وفي حركة آلية ــ دون وعي ــ افرغت في يد العلاف ما كنت قابضا عليه مما نفحتني به خالتي ...

وزايلت الحانوت في وثبات سراع ، والجرو في حضني ، احوطه بذراعي . وصاح بى العلاف من خلفي يقول : « انتظر يا افندى ... انتظر ... »

ولكنني تصاممت عنه ، ومضيت لطيتي ، أعدو عدوا ...

ورحت أخفى الجرو في قميصي ، حتى لا تناله العيون .

وما أن شارفت الدار ، حتى تراءى لي بالباب شبح الجزار ، ولمحنى عن على البعد ، فاقبل للاقاني مهتز الشارب ، معقد الجبين .

وتثاقلت خطاى .

وصرخ الرجل : « تقدم يا ولد ... مالك تتسكع ؟ » .

واصبح مني قاب قوسين : ..

وسمعت صوته المتحشرج يقول ، وهو باسط يده الي : « هات الجنيه يا ولد ... » .

فانحرفت بخطوى عن طريقه ، محاولا ان افلت منه .

فواجهني يأخذ عليّ الطريق ، وهو يصر بأسنانه قائلا : « أين الجنيه يا لئيم ؟ » .

فرددت عليه في جسارة ، وقد انقلب خوفي غيظا : « ليس لدى ما أعطيك اياه ... » .

ــ اسمع الكلام ، أحسن لك ! .. هات الجنيه والا خسفت بك الأرض ! .. فجلجل صوتي يجيب : « قلت لك ليس لدى شيء ... » .

واذا هو يهجم علي ، محتقن الوجه ، ويمسك بكتفي يهزهما في عنف ، وانفاسه المخمورة تتكاثف فاكاد بها أختنق ..

وهنا صحت متحديا : « لقد صرفت الجنيه... اشتريت به شيئا يهمني ! » .

ــ أى شيء ؟ ... انطق ! .

واحسست اصابعه تزحف على عنقي ، وفي هذه اللحظة أطل الجرو برأسه من صدرى ، وأخذ ينبح الرجل ... وصاح الجزار :

ــ ما هذا ؟ .

ــ جرو اشتريته ! ... اشتريته بما أعطتني خالتي ! .

فانبعث الشرر من عيني الجزار ، وحشرج بصوته :

ــ تدفع جنيها ثمنا لكلب ؟ ... يا كلب ! .

وامتدت يده تحاول اخذ الجرو من صدرى ، فجن جنوني ، وزعقت باعلى صوتي : « لا تمس الكلب ... والا ... »

فضحك ضحكة شوهاء ، كأنها عواء ذئب هائج ، وقال : « والا ماذا يا كلب ؟ » .

وانقض علي ، يريد انتزاع الكلب من حضني ، فجمعت كل قواى ، ورفست الجزار في بطنه رفسة محمومة ...

وسمعته يئن من الألم ، وقد أمسك بكرشه ... ثم رأيته لدهشتي البالغة يترنح ، وما عتم أن انهوى على الأرض ...

تم ذلك في لحظات خاطفة لم أكد أعيها ...

تسمرت في وقفتي ، وذراعاى على صدرى ، تحوطان الجرو ، وعيناى لا تفارقان الجزار ، وهو متهالك يتلوى .

وحاول الرجل أن ينهض مرات ، فخذلته قواه ، وبعد لأى استطاع أن يقوم منحنيا ، ويداه ممسكتان ببطنه ...

وخطا متحاملا على نفسه ، مستندا الى الجدار ، وقد تجمعت حوله السابلة تشيعه بألوان من التهكم والسخرية ...

وراقبته ، والطريق يبتلعه على مهل ...

لقد سقط « شمشون » الجبار سقطته الأخيرة ، فزال سحره ، وانكشف للملا سره ! .

منذ ذلك الحين أصبح الجنيه الذهبي ــ عيدية خالتي ــ حقا كاملا لي لا ينافسني فيه أحد ...

■■

محمود تيمور

الخبرة الوجدانية ودورها..

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس البشر مجرد عقول تفكر ، وارادات تعمل، بل هم ايضا قلوب تخفق ، وافئدة تنبض. وقد اعتاد الناس ان يقيموا تعارضا بين « القلب »و « العقل » ، ظنا منهم بأن النشاط الوجدانى ظاهرة نفسية مستقلة لاتكاد تمت بادنى صلةللنشاط العقلى . ولكن التجربة قد علمتنا انه ليس في الحياة النفسية « انشطة » مستقلة يمكنعزل بعضها عن بعض ، بل هناك تداخل عضوى بين وظائف النفس ، والا لما توافر للشخصية ایحظ من « التكامل » ، او اى قسط من « الصحة النفسية » . والحق انه اذا كان من الضرورى للانسان ان يفكر تفكيرا شخصيا ، حتى يكون له كيانه العقلى الخاص ، فان من الضرورى له ايضا ان يحيا حياته الوجدانية الشخصية ، حتى يكون له كيانه الوجدانى الخاص . ولسنا نعنى بذلك الا يشارك المرء غيره من الناس افكارهم ، او الا يقاسمهم مشاعرهم ، بل نحن نعنى بذلك أن تكون له شخصيته المتمايزة التى تتمتع باصالة فيالتفكير وعمق في الوجدان . وكثيرا ما يكون عجز الفرد عن الاحساس باية مشاعر عميقة راجعا الى نقص في خبراته الشخصية : نظرا لانه لم يمر في حياته النفسية بخبرات وجدانيةاو تجارب انفعالية تحمل طابع « الاستثارة » . وليس من شك في ان الشخصية التى تطفو على سطح الحياة ، دون ان تنفذ الى الاغوار السحيقة التى تهز كيانها كله ، لا يمكن ان تكون قد عرفت دلالة « الوجدان» في صميم الخبرة البشرية . والظاهر ان هناك « ضحالة وجدانية » تكاد تسير دائما جنبا الى جنب مع « الضحالة الفكرية » خصوصا لدى اولئك الذين لم يلتقوا فى تجربتهم الشخصية باية احداث هامة يمكن ان تولد لديهم ادنى استثارة عميقة . ولعل هذا هو السبب فيان عددا غير قليل من الناس لايكاد يعرف من ضروب « الخبرة الانفعالية » سوى ما اعتاد الاحساس به فى كنف الجماعة ، او بين غمرة الجماهير ، أو في دور التسلية ..

- الخبرة الوجدانية في بناء الشخصية
- لا قيام لعلم بدون الركيزة الوجدانية
- اللذة والألم حالتان وجدانيتان تصاحبان الحياة في انطلاقها وتعطلها
- جزاء من لا يجرى وراء السعادة أن يراها يوما جالسة إلى مائدته على غير ميعاد

في حياتنا النفسية

دور الخبرة الوجدانية فى بناء شخصية الطفل

ان التجربة الوجدانية ــ مثلها فى ذلك كمثل الخبرة العقلية ـ هى مظهر من مظاهر العمق والاصالة فى حياتنا النفسية . ولكننا حين نتحدث عن « التجربة الوجدانية » ، فاننا لا نعنى الاستسلام لحياة الاهواء والانفعالات ، بل نحن نعنى القدرة على استخلاص ما فى المواقف من شحنات وجدانية. واما حين يجيء الخوف الشديد ، فيسبب لنا ضربا من « الكف » الوجدانى ، أو حين يصبح المرء عاجزا عن مواجهة الحياة كما هى ، أو حين يعمد الى الاستعاضة عن الخبرة الواقعية بمواقف وهمية ، فهنالك لابد للوجدان الاصيل العميق من ان يصبح اثرا بعد عين ! وليس أمعن فى الخطا من ان تصبح كل « الحقائق » التى يحيا عليها الطفل او المراهق مجرد « معلومات » تزخر بها راسه ، دون أن تستحيل يوما الى « وقائع معاشة » يخفق بها قلبه . واذا كان أهل التربية قد ابتوا لنا ان « الحقيقة » ليست مجرد « فكرة » تحتل مكانا فى عقل الطفل أو المراهق ، بل هى ايضا « خبرة » لها مكانتها فى صميم حياته النفسية ، فلا جرم أن يكون للخبرة الوجدانية دورها فى بناء شخصية الطفل أو المراهق. واذا كانت « الحقيقة» خبرة تعاش ، لا مجرد « فكرة » تدرك ، فليس بدعا أن تكون « الحقائق » التى تؤثر على عقلية الحدث أو المراهق هى تلك التى تجيء عامرة بالكثير من الشحنات الوجدانية حافلة بالعديد من مظاهر الاستثارة الانفعالية .

صحيح أن بعض الانفعالات العنيفة قد تتسبب فى اضطراب تفكيرنا، أو قد تحول بيننا وبين الاستجابة للمواقف المحيطة بنا على النحو الملائم ، ولكن هذا لا يمنعنا من التسليم بأن للانفعال دورا منشطا فى حياتنا الذهنية بصفة عامة ، وفى نشاطنا التخيلى بصفة خاصة . ونحن نعرف كيف أن بعض حالات الفرح الشديد او التهيج الزائد قد تجيء فتعمل على تدفق المعانى فى الذهن ، أو انبثاق الصور فى المخيلة ، حتى لقد ذهب البعض الى حد القول بان « الالهام » نفسه لايكاد ينفصل عن حالة « الانفعال » البالغ أو «التاثر » الشديد . ولاغرو، فان الحالات الوجدانية العميقة هى اشبه ما تكون بتيارات نفسية جارفة، تمتزج فيها الافكار بالصور، وتختلط فيها المعانى بالاخيلة ، فينشا من هذا الامتزاج أو الاختلاط ما اصطلحنا على تسميته باسم « الابداع » أو « الابتكار » . وهذا ما حدا بفيلسوف مثل برجسون Bergson

الى القول بان « الانفعال » هو شرارة « الالهام » : لانه هو الذى يحيل المخيلة الى سَوْرة وهاجة متوقدة ، وهو الذى يجعل من التامل طاقة خلاقة مجددة !

هل يكون الوجدان « دوره » حتى فى صميم « العلم » ؟

اننا نعرف - بطبيعة الحال - ان التفكيرالعلمى نشاط موضوعى يقوم اصلا على عملية « استبعاد الذات » Self-elimination ، فلا غرابة فى ان يرتكز المنهج العلمى على النزاهة او الحياد العقلى . ولكن التجربة - مع ذلك - قد اثبتت لنا بما لايدع مجالا للشك انه ليس ثمة « تعلم » يمكن ان يخلو تماما من كل اثر من آثار الانفعال او الوجدان . صحيح أن المعرفة العلمية « تفكير عقلى » لامجرد « تاثر وجدانى » ولكن هناك « حقائق علمية » هى فى حاجة الى أن تكون ايضا « موضوعات » للوجدان ، لامجرد « معلومات » يستوعبها التفكير . وهذا هو السبب فى أن المربى لابد من أن يجد نفسه مضطرا الى تقديم «العلم» للحدث أو المراهق بصورة « البحث » الذى يتطلب الحماسة ، ويستثير الاعجاب ... وليس فى وسع الطالب الصغيران يقدم على تعلم «الرياضيات» بشغف ولهفة ، اللهم الا اذا وجد فيها « مادة عقلية » لاتخلو من جمال ومتعة . واذا كنا قد درجنا على تصور « الفن » باعتباره هو وحده « عالم الوجدان » ، فلا بد لنا الان من التسليم بان من الضرورى « للعلم » ايضا أن يقترن بشىء من الانفعال أو الوجدان ، حتى تكون له تلك « المتعة الجمالية » التى يتسم بها العمل الفنى . ومن هنا فقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان التفكير والوجدان رافدان اساسيان من روافد الشخصية ، وهما فى الحقيقة رافدان متعاونان يغذى احدهما الاخر . وقديما قال ارسطو ان « الدهشة » هى الام التى انجبت لنا « العلم » أو « الفلسفة » . واما اليوم اصبحنا نعرف جميعا انه لاقيام لاى « علم » بدون تلك « الركيزة الوجدانية » التى تمثل « روح الاعجاب » ، وتعبر عن الحاجة الى الانفعال بالحقيقة العلمية . واذن فلابد للتعلم من « تفكير » و « وجدان » ، كما لابد للذوق الفنى (هو الاخر) من « تاثروجدانى » و « حكمعقلى ».

ولكن ، ماذا نعنى بكلمة « خبرات وجدانية » ؟

وهنا قد يتساءل قارىء : « اليست هناك انفعالات بشرية متنوعة ، فما الذى تعنونه حين تتحدثون عن خبرات وجدانية ؟ » . وردنا على هذا التساؤل اننا حين نتحدث - بصفة عامة - عن « خبرات وجدانية » ، فاننا نعنى بها تلك الحالات النفسية التى نستشعر فيها احاسيس اللذة او الالم ، استجابة منا لبعض المواقف السارة او المكدرة . ولا نرانا فى حاجة الى القول بان للذة ارتباطا وثيقا بعمليات تنشيط الدوافع والحاجات والميول تنشيطا طبيعيا ملائما ، فانه لمن المعروف ان الخبرات الوجدانية السارة هى الاصل فى تعلق الموجود البشرى بالحياة ، واقباله على تحقيق ذاته ، واهتمامه بالبحث عن السعادة ، وحين قال ارسطو قديما : « ان اللذة هى كمال الفعل : لانها تنضاف اليه كالنضارة الى الشباب » ، فانه كان يعنى بذلك أن اللذة ظاهرة مصاحبة للنشاط العضوى ، وانها تقترن بالفعل حين يتم تحققه فى حرية واعتدال ، دون أدنى عقبة او عائق .

ولكن حياتنا الوجدانية لا تتالف من خبرات سارة فحسب ، بل هى حافلة ايضا بالكثير من الخبرات الاليمة . وقد تبدو لنا « اللذة » احيانا حالة وجدانية اقل تعينا واضعف شدة من«الالم » او قد نلاحظ احيانا ان « اللذة » لا تستاثر بمشاعرنا ، بقدر ما يستاثر بها « الالم » ، ومن هنا فاننا قد نميل الى الظن بأن « اللذة » ذات طابع سلبى ، فى حين ان « الالم » ذو طابع ايجابى ، وكان « اللذة » هى مجرد حالة « امتناع للالم » ! وقد يبدو لنا « الالم » احيانا اخرى مجرد ظاهرة عرضية شاذة ، فى حين تبدو لنا « اللذة » بمثابة ظاهرة اصلية سوية ، وعندئذ قد نميل الى الظن بان « اللذة » ذات طابع ايجابى ، فى حين أن

« الالم » ذو طابع سلبى بحت ، وكان « الالم » هو مجرد حالة « امتناع للذة » ! وهكذا نجد انفسنا مدفوعين الى التساؤل مع كل من ابيقور Epicurus ، وكنط Kant ، وشوبنهور Schopenhaure (وغيرهم) عما اذا كانت « اللذة » هي « امتناع الالم » او ما اذا كان « الالم » — كما قال ليبنتس Leibaitz — هو « امتناع اللذة » .

اللذة والالم حالتان نسبيتان لاقيام للواحدة منهما دون الاخرى

ان في القول بايجابية الالم وسلبية اللذة اعترافا ضمنيا بان جوهر ارادة الحياة هو بذل الجهد ، مع التسليم في الوقت نفسه بان الجهد — في صميمه — عذاب او معاناة ! ونحن لا ننكر ان ثمة آلاما قد لاتخلو من صبغة ايجابية ، ولكننا لا نرى مانعا من التسليم ايضا بوجود آلام اخرى هي في صميمها مجرد حالات سلبية تعبر عن امتناع اللذة ، او ضعف شهوتها ، او تناقص حدتها .... هذا الى اننا قد نستعذب العذاب في سبيل القيام ببعض الجهود الشاقة ، او قد نجد ضربا من اللذة في الاضطلاع ببعض المهام العسيرة . ولكننا اذا اخذنا بالرأى المضاد الذى يقول بايجابية اللذة وسلبية الالم ، فقد انكرنا على الآلام كل صبغة وضعية او ايجابية ، وكان نسيج وجودنا الاصلى مجالا من خيوط اللذة وحدها ، او كان الآلام هي مجرد « ظلال » تسقطها الاحداث على ذلك النسيج الاصلى . ومن هنا فانه قد يكون الادنى الى الصواب ان نقول ان كلا من « اللذة » و « الالم » — مثلهما في ذلك كمثل غيرهما من الحالات النفسية — ظاهرة حقيقية لها وجودها الواقعى في صميم مجرى الشعور . ولكننا هنا بازاء ظاهرتين نسبيتين لاقيام للواحدة منهما بدون الاخرى . هذا الى أن ثمة « ثنائية باطنية » تجعل من اللذة والالم حالتين وجدانيتين تصاحبان بالضرورة انطلاق الحياة او نمطها ، بل سيرها او توقفها ، سواء أكانت هذه الحياة عضوية ام نفسية ام اخلاقية ...

تداخل الخبرات السارة والخبرات الاليمة فى حياتنا النفسية

والواقع انه قد يكون من خطل الرأى أن نقيم تعارضا حاسما بين اللذة والالم ، او بين الخبرات السارة والخبرات المكدرة : لان التجربة العادية تشهد بان ثمة تداخلا حقيقيا بين هذين النوعين من الخبرات الوجدانية .

واول مظهر من مظاهر هذا التداخل هو تحول اللذة الى ألم ، او الالم الى لذة ، كما هو الحال مثلا حين يجيء الاحساس الملائم — اذا قدر له الاستمرار او الدوام — فيستحيل الى احساس غير ملائم ، او حين يجيء الجهد الذى نبذله على سبيل اللهو او اللعب — اذا طلب الينا القيام به وكأنما هو واجب نؤديه او أمر ننفذه — فيستحيل الى جهد شاق قد نجد فيه شيئا من الغث او الارهاق !

وأما المظهر الثاني لهذا التداخل فهو نفاذ الالم الى صميم اللذة ، او نفاذ اللذة الى اعماق الالم، بدليل اننا — كما سبق لنا القول — قد نعشق بذل الجهد وتحمل المشاق ، او قد نجد لذة في تناول بعض المشروبات المرة أو فى تذوق بعض الاطعمة اللاذعة (المليئة بالتوابل) .. ونحن نعرف كيف ان هناك لذات قد لا تخلو من مرارة ، وكيف أن ثمة دموعا قد تقترن بضرب من الاحساس بالراحة . وليس ادل على نسبية اللذة والالم ، وتداخل الحالات الوجدانية السارة والحالات الوجدانية المكدرة ، من أن الالم نفسه قد لا يكون في بعض الاحيان سوى مجرد حرمان من احدى اللذات او نقص في درجة الاشباع (اى التمتع ببعض الملذات) ، فضلا عن ان المرء قد يستشعر ضربا من اللذة حين تقل درجة تألمه ، او حين تضعف شدة المنبهات التي تؤثر على اعصابه .. وهذا هو السبب في أن علماء النفس لم يعودوا ينظرون الى اللذة والالم على أنهما حالتان نفسيتان متمايزتان ، او واقعتان وجدانيتان منفصلتان بل هم قد اصبحوا مجمعين على القول بنسبية اللذة ، والالم ، وتداخل الخبرات السارة والخبرات الاليمة ...

دور « الخبرات الاليمة » في حياتنا النفسية ..

وهنا قد يقال : « ان الالم ــ مع ذلك ــ مغاير في طبيعته للذة : فانه حالة نفسية لا تريد الذات ان تعانيها ، في حين ان اللذة حالة نفسية تقبل الذات عليها . » ونحن لا ننكر ان « الارادة » تواجه « الالم » غالبا بكلمة « لا » ، وتلقى « اللذة » دائما كلمة « نعم » ! ولكننا لا نملك الجزم بان « الالم » شر في جميع الحالات ، وان « اللذة » خير في جميع الحالات . والحق ان للخبرات الاليمة دورا هاما في حياتنا النفسية ، بدليل اننا قد لا نجد مانعا ــ في بعض الاحيان ــ من تحمل بعض الالام ، او العزوف عن بعض اللذات . واذا كان كثير من فلاسفة الاخلاق قد غالوا في تقرير اهمية « الالم » في حياتنا الروحية ، فذلك لانهم قد فطنوا الى ان « الالام النفسية » (او الروحية) التي نعانيها ، هي التي تخلع على وجودنا الشخصي كل ما له من فردية واصالة . ومعنى هذا ان خبرة الالم هي التي تبرز الجانب الشخصي من وجودنا : لانها هي التي تضطر الذات الى الغوص في اعماق وجودها ، من اجل العمل على اكتشاف ما يكمن في اغواره من « قيم ». واذا كان كثير من الناس ينسبون الى « الخبرات المؤلمة » دورا خطيرا في صميم حياتهم ، فذلك لانهم يشعرون في قرارة نفوسهم بان « الالام » التي كابدوها هي التي كونت معظم الجانب الشخصي من وجودهم . وحين تجيء الخبرات الاليمة التي يعانيها المرء ، فتندمج في صميم وجوده ، وتصبح جزءا لا يتجزأ من نسيج شخصيته ، فهنالك تتحول هذه الخبرات الى ثروات روحية هائلة تدخرها الذات لمواجهة المستقبل ، وتتسلح بها لصد كل ما قد يستجد عليها من هجمات . وقد يستحيل الالم احيانا الى اداة فعالة تزيد من خصب حياتنا النفسية ، وتعمل على صقل شخصيتنا ، ولكن على شرط الا يظل هذا الالم مجرد شيء دخيل نعانيه ونقع تحت تاثيره ، بل يستحيل الى واقعة معاشة نهضمها ونتمثلها ونستوعبها في صميم وجودنا . ومن هنا فان خبرة الالم تمثل تجربة ذاتية هامة تزيد من عمق حياتنا الباطنية ، وتكفل لنفوسنا ما هي في حاجة اليه من تربية خلقية . وهذا هو السر في ان بعض فلاسفة الاخلاق المعاصرين ــ من امثال هارتمان : ... N. Hartmann وماكس شلر .... Max Scheler ــ قد نظروا الى « الالم » على انه « قيمة » من القيم الاخلاقية الاساسية .

ما من شيء عظيم تحقق دون الم او عذاب

والحق انه ما من شيء عظيم أو جليل ــ في هذه الحياة الدنيا ــ قد امكن ان يتحقق يوما ، دون ما الم او عذاب . وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الالماني الكبير هيجل . Hegel ، حين قال قولته المأثورة « ان التاريخ البشرى لم يكن في يوم من الايام موئلا تاوى اليه السعادة ، بل لقد كانت عصور السعادة ــ في سجل التاريخ ــ هي صفحاته البيض » ! وحسبنا أن نرجع الى التاريخ البشرى لكي نتحقق من أن الانسانية قد اضطرت دائما الى أن تجتاز اقسى التجارب واقصى المحن ، من أجل الوصول الى مراحل اسمى من الرقي والتقدم . وكثيرا ما يقاس مدى ترقي الجماعات ــ كما هو الحال ايضا بالنسبة الى الافراد ــ بما عانته من تجارب ، وما مر بها من ازمات .

وفي هنا يتجلى الفارق الكبير بين الرجل البدائي والانسان المتحضر : فان الاول منهما لايكاد يعرف كل تلك الالام الحديثة المتعددة التي تجيء بها الحضارة الانسانية كلما اوغلت في سبيل التقدم والارتقاء في حين ان الاخير يعاني الكثير من الالام بسبب ترقي حساسيته ، ونضج وعيه ، ورهافة شعوره .. الخ . ومن هنا فقد لاحظ بعض الباحثين أن الانسان البدائي يكاد يحيا في شبه سرور دائم ، حتى لكانه يجهل الكثير من الالام الاولية البسيطة التي يعانيها الرجل المتحضر ، على الرغم من انه اكثر تعرضا من الرجل المتمدين لعوامل الصدفة ، وضغوط القوى الطبيعية ، وشتى ضربات القدر . وبينما يزداد شعور الرجل المتحضر بالخوف من جهة ، والبعد عن الطبيعة من جهة اخرى ، نجد ان الرجل البدائي يبدو اقل منه احساسا بالخوف ، وادنى منه شعورا بالبعد عن الطبيعة . وهكذا تقل لدى الرجل البدائي درجة الاحساس بالالم ، وتضعف لديه القدرة على تمييز المواقف الاليمة ، بينما

تعمل المدنية ــ لدى الانسان المتحضر ــ على زيادة احساسه بالالم ، وتقوية قدرته على ادراك المواقف الاليمة .

وليس غريبا ان يكون من آثار الحضارة البشرية تزايد آلام الفرد والجماعة : فانه لمن الواضح ان تعقد اسباب الحياة لا بد من ان يفضي الى تنوع آلام الانسان . واذا كان من شان المدنية ان تزيد من عمق الآلام البشرية ، فان من شانها في الوقت نفسه ان تزيد من تنوع اسباب السرور لدى الانسان المتحضر . وآية ذلك انها تفتح امام اهل المدنية مجالا واسعا للتمتع بضروب كثيرة من الخبرات السارة ، فتجعلهم يقبلون على انواع جديدة من الملذات ، ويتفننون في استحداث وسائل مبتكرة للاستمتاع بالحياة . ومهما يكن من شيء ، فان حياة الانسان المعاصر قد اصبحت تزخر ــ اليوم ــ باشكال متنوعة من الخبرات الوجدانية (سارة كانت ام اليمة) وان كان تعقد اسباب الحياة قد عمل على تعميق آلام البشر ، وزيادة حساسيتهم بما في الوجود البشري من شرور .

دور « الخبرات السارة » في حياتنا النفسية

... على ان « الآلام » لا تمثل ــ وحدها ــ الجانب الاكبر من خبراتنا الوجدانية ، بل هناك ايضا تلك « المتع » او « المسرات » التي لاتكاد تخلو منها اية حياة نفسية ، وفي مقدمتها « الصحة » ، و « القوة » ، و « الشباب » ، و « الحيوية » ، و « الامتلاء » ، وشتى ضروب « الاشباع » . ولا شك ان كل هذه الملذات التي تكمن جذورها في صميم « الطبيعة البشرية » ،انما تمثل « خبرات سارة » تلعب دورا هاما في صميم حياة الفرد والجماعة . ولو لم تكن لتلك اللذات اصول طبيعية تمتد الى اعماق التربة البيولوجية، لا كانت لها كل تلك الاهمية في حياتنا النفسية .

ولعل هذا هو السبب في ان كل ما هو « طبيعي » لا بد من ان يبدو لنا « بريئا » و « جميلا » في آن واحد .

وقد كان كثير من الفلاسفة القدماء يرون في « اللذة » مظهرا من مظاهر « الصحة النفسية » ، كما كانوا يعدون النفس العاجزة عن الاستمتاع بالملذات ــ جسدية كانت ام روحية ــ نفسا مريضة معتلة . وحسبنا ان نعود الى ابيقور ، وافلاطون ، واهل الرواقية ، لكي نتحقق من ان « الاخلاق » عند هؤلاء جميعا كانت تستند الى « نظرة طبيعية » توحد بين « ما هو صحي » من جهة ، و « ما هو خير » من جهة اخرى ، فكانت تعد « الخير الاقصى » هو ما من شانه ان يكفل للانسان « الصحة النفسية » . وهذا الاعتراف الصريح باهمية « القيم الحيوية » هو الذي عمل على ادخال « اللذة » في دائرة « الحياة الخلقية » وهو الذي ادى في الوقت نفسه الى ارساء دعائم تلك « النزعة الاخلاقية الطبيعية » التي رفضت منذ البداية التوحيد بين « ما هو طبيعي » وما هو سيء (او شرير) . ولم تلبث بعض الديانات السماوية ان عملت على زعزعة اركان هذه الثقة المتزايدة بالطبيعة ، وهذا التمسك البالغ بالقيم الحيوية ، فانتشرت اخلاقيات الزهد والتقشف ، وارتفعت الصيحات معلنة بطلان حياة الجسد والاستمتاع العضوي . ثم جاء العصر الحديث بسعيه اللاهث وراء « الملذات » ، فلاقت المذاهب القائلة بالزهد والتقشف حملات عنيفة من جانب اولئك الذين لم يفهموا معنى للاستمرار في معاداة « الطبيعة » ، وانكار اهمية « القيم البيولوجية » . وهكذا عادت « فلسفة اللذة » الى الظهور ، تحت ستار الدفاع عن « قيمة الحياة » .

ونحن لاننكر ان للخبرات السارة دورها في تعميق احساسنا بالحياة ، وتنويع اسباب تعلقنا بالوجود ، ولكننا نميل الى الظن بان الاقتصار على البحث عن الملذات ، كثيرا ما يحيل الحياة باسرها الى مجرد سعي تافه مبتذل ، وكان « اللذة » قد اصبحت هي « الخير الاقصى » الذي يطلب لذاته . وكثيرا ما تجيء فلسفة اللذة فتحجب عن اعين الناس العديد من القيم الاخرى التي تحفل بها الحياة : كالمعرفة ، والتذوق ، والفن ، والثقافة ، وما الى ذلك ، وهي جميعا قيم انسانية لاتحصل الا بشق الانفس . وربما كان الخطر الاكبر الذي يتهدد الماخوذين بسحر « مذهب اللذة » هو الوقوع تحت اسر « اوهام السعادة» فلا يلبث الواحد منهم ان يعدو ــ لاهثا ــ وراء سراب المنفعة ، والرفاهية ، والملذات ، وشتى

اشكال الخبرة السارة ، ثم ينتهي به الامر – في خاتمة المطاف – الى الشعور بالخواء ، والفراغ ، والعبث ، والضياع ! والظاهر أن توجس فلاسفة الاخلاق من حياة اللذة ، والتلقائية ، واليسر ، والسهولة ، هو الذى حدا بهم الى الشك في قيمة كل « سعى رخيص وراء السعادة » ، خصوصا وانهم فطنوا الى العلاقة الوثيقة التى طالما جمعت بين « خبرة الالم » من جهة ؛ ووعى الانسان بالقيم من جهة اخرى .

هل من صلة بين « خبرة الالم » و « الاحساس بالسعادة » ؟

بيد أن الملاحظ – فيما يقول هارتمان – أن الفور الذى تقوم به « خبرة الالم » لا يقف عند التسامي بالشخصية البشرية ، وزيادة عمق احساسها الخلقى ، وصبغها بصبغة المثل الاعلى ، بل ان من شان هذه الخبرة ايضا أن تزيد من قدرة الانسان على الاحساس بالسعادة . وآية ذلك أن من شان الخبرات الاليمة – في كثير من الاحيان – أن تكسب المرء ارهافا وعمقا يجعلان منه كائنا حساسا رقيقا يتمتع بقدرة اعظم على تذوق السعادة . فالشخصية التى صهرتها الآلام لا تعود تجزع لاتفه المخاوف ، او تقلق لاصغر الاحداث ، بل هي تقف في وجه مصيرها بقلب عامر بالشجاعة والقوة ، دون أن يقض مضجعها اى تلهف على اللذة ، او اية رغبة عارمة في السعادة . وقد عودتنا الحياة أن يكون جزاء من لا يجرى وراء السعادة ، ان يراها يوما جالسة الى مائدته على غير ميعاد ! وهكذا تجيء السعادة – على اطراف اصابع اقدامها – فتتسلل الى منزل ذلك الرجل « المجرب » الذى اكتوت نفسه بنيران الآلام ، وانصهرت شخصيته في بوتقة الاحزان ! ومَنْ غير المعذب يستطيع ان يستعذب طعم السعادة ، بل مَنْ غير المجرب يعرف كيف يتذوق حلاوة الفرحة بعد مرارة الالم ؟

وآخيرا ، لا بد من اقامة توازن عاطفى بين الخبرات السارة والخبرات الاليمة .

ان التجربة لتشهد بان الموجود البشرى الذى اعتاد ان يقبل على اللذة ويعزف عن الالم ، لا بد من ان يجد نفسه مدفوعا الى المبالغة في تقرير اهمية الخبرات السارة على حساب الخبرات الاليمة . وليس من شك في أن البشر اجمعين يميلون الى تفضيل حياة التلقائية والسهولة واللذة ، على حياة المجاهدة والعسر والمشقة . ولكن « خبرة الالم » مظهر من مظاهر صراع الانسان ضد ذاته من جهة ، وضد العالم الخارجي من جهة اخرى ، فهي تعبير عن انتقال الانسان من المستوى الطبيعي الصرف الى المستوى الحضارى البشري . وربما كانت عظمة الانسان انه الموجود الوحيد الذى يبتاع اسمى « القيم » باقصى المحن ، وكانما قد كتب عليه الا يشترى الحضارة الا بافدح الاثمان ! ومع ذلك ، فان احدا لايستطيع ان يحيا ، اللهم الا اذا حقق لنفسه – بصورة أم باخرى – ضربا من التوازن العاطفى بين الخبرات السارة والخبرات الاليمة . ومهما يكن من دور « الالم » في حياتنا النفسية ، فان « الخبرات الاليمة » لا تكفى وحدها لتكوين نسيج وجودنا كله . وبالمثل ، لا يمكن ان تكون ثمة حياة بشرية قد حيكت باكملها من نسيج اللذات وحدها : فان « اللذة » لو رانت على الوجود البشرى باسره ، لأحالته الى حياة ضحله ليس فيها الا الخواء والسأم ! ومن هنا ، فان النضج النفسى يستلزم بالضرورة اقامة ضرب من الاتزان الوجدانى في صميم بناء الشخصية ، حتى يتمكن الفرد من الاقبال على اللذات بقدر ، والانصراف عن الآلام بقدر ، دون أن يكون وجوده مجرد سعى لاهث وراء السعادة ! وليس ايسر على الانسان – بطبيعة الحال – من أن يستسلم لسحر اللذة ، او أن يستجيب لنداء الهوى ، ولكنه – عندئذ – لن يكون الا مخلوقا ضعيفا تتجاذبه الانفعالات ، وتزقه الاهواء . وهل كان الانسان موجودا واعيا الا لانه الموجود الوحيد الذى يملك القدرة على احالة « الطبيعة » الى « حضارة » ، وتغليب حياة العقل والنظام على حياة العاطفة والفوضى ؟ وماذا عسى ان يكون « التوازن العاطفى » نفسه ان لم يكن مظهرا لقدرة « العقل » على تنظيم الانفعالات وقدرة « الارادة » على تعقيل الاهواء ؟ ■■

زكريا ابراهيم



إني .. انتظرتُكِ

إني انتظرتُكِ .. هل علمتِ ؟ — وهل رَضيتِ ؟ وهل صَبرْتِ ؟
أتُراكِ حطّمتِ القيودَ .... — فما ذكَرْتِ ... ولا عبأْتِ ؟
وهَربتِ من دنيا القلوبِ ، — ويا ضلالَكِ إن هَربْتِ
النيلُ والهولُ المُروّعُ .... — حيث رُحْتِ ، وحيثُ جئْتِ
وحقيقةُ الأجسامِ تَصرُخُ للدَّمارِ إن استجبْتِ
ولأنْتِ رُوحٌ ما خُلِقْتِ لنارِ جِسْمِكِ ، ما خُلِقْتِ

★★★

عُودِي إلى الوَكْرِ الحبيبِ ، فما أظُنُّكِ قد كفَرْتِ
عُودِي ، فوكْرُكِ في بِعادِكِ ، ما يزالُ كما تركْتِ
سيظلُّ يَسألُ — في الصّباحِ — النُّورَ عنكِ ، وهلْ صَحَوْتِ
ويُسائلُ الإمساءَ عنكِ ، — وهل إلى وَكْرٍ جنَحْتِ
ويسائلُ الصدّاحَ عنكِ ، — وهل على أيْكٍ صدَحْتِ
سيظلُّ في ذِكْراكِ ، يذْكُرُ ، — إن نسيتِ وإن ذكَرْتِ
إني انتظرْتُكِ ، شاردَ الأفكارِ ، — أسألُ : أينَ أنْتِ
إني انتظرْتُكِ ، هل عرفْتِ ؟ — وهل رَحِمْتِ ؟ وهل أتيْتِ ؟

القاهرة — محمد التهامي

من غرائب القضايا

القاتل الذى أخفى شخصيته

بقلم : حسن الجداوى

■ فى أواخر القرن الماضى كان يقيم باريس بشارع دوربجار الأستاذ دوكرو، وهو محام سابق فى العقد الثامن من عمره، بعد ان كون ثروة لا بأس بها، يستمتع بالراحة التى استحقها بعد أن عمل فى المحاماة قرابة نصف قرن. وكانت تقيم معه أخته وهى فى مثل سنه. وخادمة صغيرة اسمها جان بيشون. وقد عرف عنه وعن أخته أنهما يحتفظان بأموالهما فى منزلهما، وأنهما لا يبخلان على طالبى المساعدة بالمال والعطف وانهما من الصنف الذى قال عنه الشاعر العربى.

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله

وفى عصر أحد الايام من شهر ابريل بينما المحامى يستريح وبجواره اخته، دق جرس الباب فذهبت الأخت تتعرف على الطارق، لان الخادمة كانت قد ذهبت تشترى بعض المطالب من السوق، فوجدت شابا لا تعرفه ولا سبق لها ان رأته يسأل عن جان بيشون ـ أخى الخادمة. فقالت له ان هذا الشخص لا يقيم بالمنزل، وان أخته ستعود بعد قليل.. فانصرف.

وبعد نصف ساعة دق جرس الباب من جديد، فاعتقدت ان الخادمة عادت وذهبت لتفتح لها الباب، فاذا بالطارق هو نفس الشاب السابق. وما كادت تفتح الباب حتى انهال عليها بمطرقة كان قد أخفاها فى طيات معطفه. فصرخت صراخا مفزعا، واسرع اخوها لينقذها، فانهال عليه الطارق بضربة قوية القته مضرجا بدمائه، ثم التفت الى الاخت ليوقف صراخها فاستل خنجرا كان معه واخذ يطعنها ولكن الجيران سمعوا صراخها فاقبلوا للنجدة فاستدعوا البوليس الذى فتش المنزل فوجد القاتل ـ الذى لم يستطع الفرار ـ مختبئا تحت مجموعة من ملابس معدة للغسيل فقبضوا عليه.

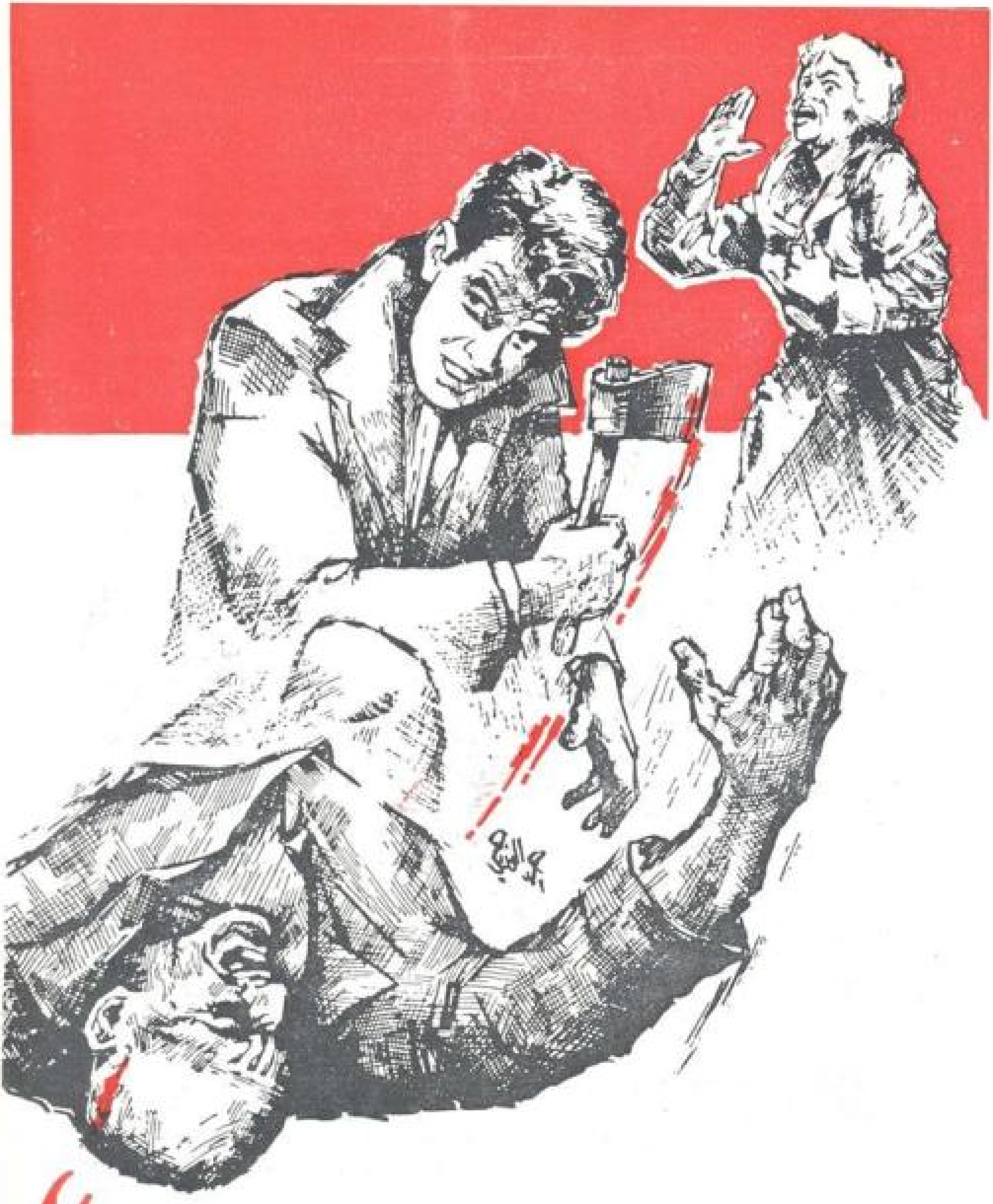
ولما ساله البوليس عن اسمه اخفاه وزعم ان اسمه ميشيل كامبى وانه من مواليد مارسيليا عام ١٨٥٠. وقد تبين فيما بعد انه، لا الاسم ولا سنة الميلاد ولا مكانه صحيح، فقد قلب المحققون الارض والسماء بحثا عن شخص بهذا الاسم فذهبت جهودهم هباء. وعرضوا أوصافه وصورته فى جميع انحاء فرنسا وجميع مراكز البوليس بلا فائدة، وواجهوه بالاف الاشخاص ليتعرفوا عليه فلم يتعرف عليه احد، وبقيت شخصيته مجهولة، وكل الذى اظهره البحث انه انسان متعلم مثقف له اسلوب راق فى الكتابة يحسن التعبير عن نفسه بلغة سليمة والفاظ منتقاة قوى البنية فيه جراة وتبجح..

واستقر راى قاضى التحقيق على أن يقدمه للمحاكمة بالاسم الذى ادعاه لنفسه خاصة بعد ان كتب الى القاضى خطابا يصر فيه على موقفه نصه :

« السيد جيو قاضى التحقيق

« منذ شهر اكتوبر الماضى ـ اى منذ ما يزيد على الثمانية أشهر ـ وأنت تقول لى ان التحقيق معى قد انتهى ولكننى لا ارى أثرا لهذا الادعاء.

« لقد مللت أكاذيبك. وما دمت لا تريد انهاء



التحقيق معى فسأقوم من جانبى بوضع حد له .
« فأنا منذ هذه اللحظة لا اريد ان ارى وجهك ولن اقبل اية مواجهة ان مجموعة المغفلين الذين عرضتهم على؟ — ولا اقول عرضتنى عليهم — قد اصبحت كاملة . وقد مللت رؤية وجوههم . واعترف لك انى حين قبلت ان اواجه فى المرة الاخيرة ، قبلت ذلك مصمما على اعطاء درس لاينسى للاشخاص الذين يقحمون انفسهم فيما لا يعنيهم ، فانى لا افهم لماذا يتقدم هذا العدد من الناس يريدون التعرف على .
« ان رقبتى ملكى . وانا اتركها لك . اما اسمى فموضوع آخر . ان كانت لى اسـرة — كما

يقولون ــ واذا كان الدم نفسه يجرى فى عروقنا فانى ارثى للشخص الذى يريد ان يحمل عارى معلنا فى الناس . والمرجح أن جزاء ذلك الانسان سيكون ضربة فاس تزيله من الوجود .

« وقد لا تكون لاحظت ــ ولكنك تستطيع ان تتذكر ــ انه كان من اسهل الامور على ــ حين كان ذلك المخلوق الاخير يتفحص يدى أن اسحبه من ذقنه ، وفى اللحظة التى ينحنى فيها أضربه بركبتى بسرعة لا تمكن الحراس من انقاذه . والذى منعنى من ذلك مظهر البساطة والعبط الذى بدا عليه .

« وانا اذكر ذلك لك لانها المرة الاخيرة التى ستراك او ترانى .

« لقد كنت ' البداية معتزا بذكائك ، اما الآن فقد بدأت تعترف بغلطاتك . انك لا تعرفنى حتى الآن اما انا فقد عرفت ــ منذ اللحظة الاولى ــ اى انسان اواجهه .

« انك الآن تبدو لى يدا فى قفاز من الحرير ولكننى المح الاظافر من خلاله ولم اعد انخدع بنواياك نحوى . هل تعتقد اننى لم الاحظ ــ برغم تظاهرى بعدم الاهتمام ــ كيف تستبعد فى اسئلتك واجاباتى ما قد يفيدنى وتركز على ما يسىء الى، ولكن ذلك لا يهمنى لاننى لا ادافع عن جسمى .

« انك ماهر . ماهر جدا يا سيدى القاضى لانك لماح ، ولكن غلطتك الوحيدة انك تنسى أن المهارة والذكاء ليسا وقفا عليك .

« لقد تعلمت فى شبابى المصارعة وتعلمت منها ان المهارة الحقة تكمن فى أن تستعين بقوة خصمك لتوقع به . وقد تذكرت ذلك فى كل مواجهة بينى وبينك واستطيع أن أذكر لك : وأنا مرتاح ، الاخطاء التى ارتكبتها انت ومعاونوك .

« افعلو ما حلا لكم . ولكننى ضقت ذرعا بكم ولذلك انبهك الى انه ما لم يصلنى يوم عشرين الجارى اعلان بالحضور امام غرفة الاتهام فسأتولى الامر بنفسى . وسأعرف كيف أجعل احتفاظك بى مستحيلا . ولن يجديك ان تضع القيود فى يدى ورجلى او تلبسنى قميص المجانين او تحيطنى بالحراس والجواسيس فسوف ترى النتيجة . ومهما فعلت فستجد نفسك مضطرا اما أن تقتلنى او تجد احد رجالك صريعا ، فاننى سالجأ لجميع الوسائل وعليك وحدك تقع المسئولية الادبية عن كل ما يحدث . ولقد امضت معى ستة اشهر فى التحقيق وفى هذا الكفاية وفوق الكفاية . ولذلك لا اريد رؤية وجهك تحت اى ظرف .

« كامبى »

ثم كتب كامبى الى جورج كليمنسو ــ عضو مجلس النواب الجرىء ، ومنقذ فرنسا فيما بعد، والذى عرف باسم « النمر » خطابا غريبا يقول فيه :

« اننى قاتل شارع دوريجار ولكننى واحد من المعجبين بنبوغك فقد قرات باهتمام خطابك عن ذوى السوابق .. وادهشنى انك تعرف عن حياة السجون اشياء لا يعرفها الا من جرب مثلى تلك الحياة ، انت الذى لم تدخل السجن .. لذلك ارجو منك ان تتولى الدفاع عنى » .

ولم يكن كليمنسو محاميا بل كان طبيب اسنان احترف السياسة . لذلك احال خطاب كامبىالى محام من انصاره ــ عضو بمجلس النواب هو الاستاذ لاجير فتولى هذا الاخير مهمة الدفاع بينما مثل الاتهام الاستاذ كيستى دى بوربير المحامى العام الذى اصبح فيما بعد نائبا عاما واديبا يشار اليه بالبنان وعضوا بالاكاديمية الفرنسية .

بدا رئيس المحكمة استجواب المتهم

ــ اسمك ؟ كامبى

ــ سنك ؟ ٣٢ سنة

ــ مهنتك ؟ مجهولة .

ــ محل اقامتك ؟ لا اعرف .

ــ لقد وجدت معك فاس لتكسير الاحجار . فمن فمن اين جئت بها ؟

ج ــ لا استطيع الاجابة على هذا السؤال .

س ــ وكنت تخفيها [معطفك ؟

ج ــ نعم .

س ــ وهجمتعلى الآنسة دوكرو وضربتها بها فصرخت عدة صرخات ؟

ج ــ (فى هدوء) بل صرخة واحدة .

س ــ ولما استدعت الخادمة البوليس وجدوك مختبئا لانك لم تتمكن من الهرب ؟

ج ــ ابدا . لقد تعمدت ان يقبض علي حتى لا يفشل البوليس فى البحث عنى .

س ــ لقد قتلت لتسرق ؟

ج ــ ابدا .

س ــ هل الذى حملك على القتل الانتقام ؟

ج ــ ربما .

س ــ اننى لا استطيع ان ابين الباعث لك .

انك وحدك ـ ولمصلحتك ـ تستطيع أن تنير لنا الطريق ؟

ج ـ (بقوة واصرار) ابدا .

ـ ولكنك اعترفت بانك قتلت لتسرق ؟

ج ـ نعم . لكي اضلل التحقيق .

ـ س ـ انك قلت انك ارتكبت جريمة عادية بنية السرقة ؟

ج ـ قلت ذلك للمسيو ماسيه (مدير البوليس) لاستريح من مضايقاته . انني اعرفه . فهو ليس افضل مني . لقد قضى ثمانية اشهر ليجعلني افضي اليه بسري . دللني . وقدم الى السجائر . والخمر وورق اللعب . بل واسكرني بلا جدوى فلم اقل له من انا ولا لماذا قتلت .

س ـ اذا لم تكن السرقة هي الباعث فتحدث الى قضاتك الذين بيدهم مصيرك . فهذا هو الوقت ؟

وظهر التردد على كامبي . ونظر الى اسفل . واخذ يحرك قبعته بين يديه . وخيل للحاضرين انه سيتكلم ولكنه رفع رأسه وقال بعصبية :

« لقد جرى بيني وبين المسيو دوكرو حديث قبل ان يقع صريعا . اما ما قاله لي فساحتفظ به لنفسي . ولن افضي اليكم بما احتفظت به طوال ثمانية اشهر . لقد عبثت بالمسيو ماسيه وبعثت به الى بريتاني والى مارسيليا وامكنة عديدة اخرى وسخرت بالعدالة . وكذبت وكذبت دائما » .

س ـ الك اسرة ؟

ج ـ نعم ومن اجلها اخفي شخصيتي .

س ـ هل انت فرنسي ؟

ج ـ ربما

س ـ هل ابوك او امك او اخوتك احياء ؟

ج ـ اجل . انني افكر في شرفهم .

س ـ كان يجب ان تفكر فيهم عند ارتكابك للجريمة . ان الجريمة هي التي تسبب العار لا العقاب .

ج ـ العقاب ؟ المقصلة ؟ ليكن . انكم تطلبون رقبتي فخذوها .

س ـ هل تحس بالندم ؟

ج ـ سيدي . لست الرجل الذي يندم على ما فعل . ولكنني لن اعود لمثلها . لن اعود .

س ـ لقد قلت انك ندمت لأنك مكنتهم من القبض عليك ؟

ج ـ قلت ذلك لقاضي التحقيق لاضع حدا لمضايقاته الكثيرة .

س ـ ولكنك قلت ايضا «لقد قتلت وستقتلونني. فان الحكومات تقتل فلماذا لا يحق لي ان اقتل ؟»

ج ـ قلت ذلك على سبيل الازدراء .

س ـ ولكنك قذفت بحذائك في وجه قاضي التحقيق ؟

ج ـ نعم . في ساعة غضب. لقد كان يستجوبني لمدة عشر ساعات بدون انقطاع .

س ـ وهددت بان تقتل احد الحراس ؟

ج ـ كان يحرضني على أن احدث شغبا ليتقض علي ويحصل على وسام الشرف .

وضحك النظارة وابتسم كامبي .

س ـ وهجمت على موقد البوليس (الدفاية) وبذل رجال البوليس جهدا كبيرا لاسترداد الغطاء منك ؟

ج ـ لقد اعتدى رجال البوليس علي وبهدلوني.

س ـ وهددت قاضي التحقيق المحترم وكتبت له تقول انك تعرف انه يهتم بارضاء السيدات اكثر من اهتمامه بتحقيق العدالة ؟

وهنا ايضا ضحك من في الجلسة ضحكا متواصلا اضطر رئيس الجلسة الى وضع حد له وهدد باخراج الموجودين من القاعة .

س ـ لقد قلت عند القبض عليك انك نادم. ولم تكن قد اجترأت على الحقيقة كما تفعل الآن . والمجرمون ـ ساعة القبض عليهم ـ يقولون عادة الحقيقة ؟

ج ـ لذلك اجبت على أول سؤال علي بذكر اسم غير اسمي . (ضحك) .

س ـ ولكن المتهمين لا يكذبون في تلك اللحظة . وانا استشهد على ذلك بتجربة السيد المحامي العام ؟

ج ـ (وهو لا يتمالك نفسه من الضحك) تجربة المحامي العام ؟ اوه .. لا .. لا ..

س ـ لقد قلت في تلك اللحظة . انك تعرف مسيو دوكرو . وانك عملت معه . وانه احسن اليك واهداك كتبه واشعاره . وانك عرفت عنوانه مما كتبه على احد الكتب التي اهداها لك . وقلت انك كنت في باريس جائعا وبدون مورد وانك تعلم ان في بيته نقودا .. هذه هي الحقيقة ؟

ج ـ ان كان ذلك ما تريد ان تعتقده . فلك ذلك . انكم ستحكمون علي ولكنكم لن تلطخوا بالعار اسم اسرتي .

وجلس كامبي غير منتظر اذن رئيس المحكمة

مظهرا بحركته انه لن يجيب على اى سؤال آخر.
وسمعت اقوال الشهود .

الآنسة دوكرو ــ ذات الثمانين عاما ــ لا تزال مريضة ــ لا تعي ما تقول حتى انها لا تذكر الجريمة.

ومدير البوليس ماسيه يشرح الجهود التي بذلت لمعرفة اسم القاتل الحقيقي بلا نتيجة . وقال ان الظاهر انه سبق له الاشتغال بحارا لأنه يستعمل بعض تعبيرات رجال البحر ويتمايل في مشيته ويمضغ التبغ. وكان متشردا عند القبض عليه اذ كان يحمل في جيبه حتى الصابونة والمشط والفرشاة .

ووجه اليه محامي المتهم السؤال الآتي :

س ــ قال المتهم انه يعرف المسيو دوكرو فهل فحصت اوراق القتيل للتحقق من ذلك ؟

ج ــ نعم . فحصت كلها ورقة ورقة ولم يعثر فيها على ما يؤيد هذا الزعم .

وهنا قال المحامي العام ان القتيل كان رجلا محسنا يقابل كل من يلجأ اليه ولذلك اصبح فريسة سهلة .

وشهد الاطباء الذين كلفوا بدراسة حالة المتهم العقلية انه كامل المسئولية .

وطلب المحامي العام ان يقضى على المتهم باقصى العقوبة . انه مجرم عتيد يريد ان يضفي على جريمته ثوبا كاذبا من الغموض . انه ممثل مضحك ملوث اليدين بالدماء يتلاعب بالالفاظ ويهزأ بالعدالة ويندم لأنه لم يستطع الاجهاز على الآنسة دوكرو . وليس في الامر اى غموض . انه متشرد لا مورد له . احد المجرمين الذين ينتشرون في شوارع باريس يسكنون ارصفة نهر السين ويناموت تحت جسوره ويبحثون عن جريمة يرتكبونها وقد وقع اختياره على المرحوم دوكرو لأنه يعيش واخته في مسكن منفرد . تظهر عليهما آثار النعمة . يساعدان المعوزين ويفتحان بابهما لكل طارق . وقد اعتدى عليهما كامبي ليسرقهما ولكن الفرصة لم تواته . ولا شك في انه ليست له سابقة معرفة بهما ولا بمسكنهما لأنه سأل بواب العمارة اسئلة مفصلة عنهما وعن مسكنهما ولأنه بعد الجريمة لم يهتد الى طريق الخروج .

اما اسمه الحقيقي فلا اهمية له . انه بلحمه وعظمه الماثل بهما امامكم مجرم يجب ان نتخلص منه الهيأة الاجتماعية .

وترافع الاستاذ لاجير محامي المتهم قال :

حضرات المحلفين

يضيق صدري ولا ينطلق لساني لأنني مقيد بسر المهنة ، ولكن ذلك لا يمنعني من ان اؤكد لكم ان المتهم من اسرة كريمة محترمة . واذا كان قد سبق له ان دخل السجن فان ذلك كان نتيجة لنزوة شباب في معركة اشبه ما تكون بمبارزة شريفة لم تنتقص من شرفه قيد انملة . وقبل اليوم الذي اعتدى فيه على المرحوم المسيو دوكرو كان يجوز للسيد المحامي العام ولي ان ندعوه الى موائدنا وتستقبله في بيوتنا .

لقد جاءت الى مكتبي منذ يومين ارملة مسكينة كانت تعتقد ان ابنها متغيب خارج البلاد . فلما ابلغتها انه رهين السجن منذ ثمانية اشهر بتهمة القتل . قالت لي ان لها ابنا آخر ضابط بالجيش . فاذا حكم على كامبي باسمه الصحيح كان معنى ذلك الحكم على ابنها الآخر حتما لأنه سينتحر .

من اجل هذا يرفض كامبي ان يبوح باسمه الحقيقي .

اما سبب الجريمة والباعث عليها فهو الانتقام من اساءة لحقته لم يشأ ان يفصح لي عنها ..

ان عجرفة كامبي التي تتحدث عنها الصحف انما هي درع يخفي وراءها تضحيته بحياته لينقذ حياة اخيه وشرف اسرته . فادخلوا ذلك في حسابكم حين تختلون الى ضمائركم لتصدروا قراركم .

واختلى المحلفون لاقل من نصف ساعة وعادوا بقرارهم الاجماعي بالادانة بدون ظروف مخففة ونطق القاضي بحكم الاعدام .

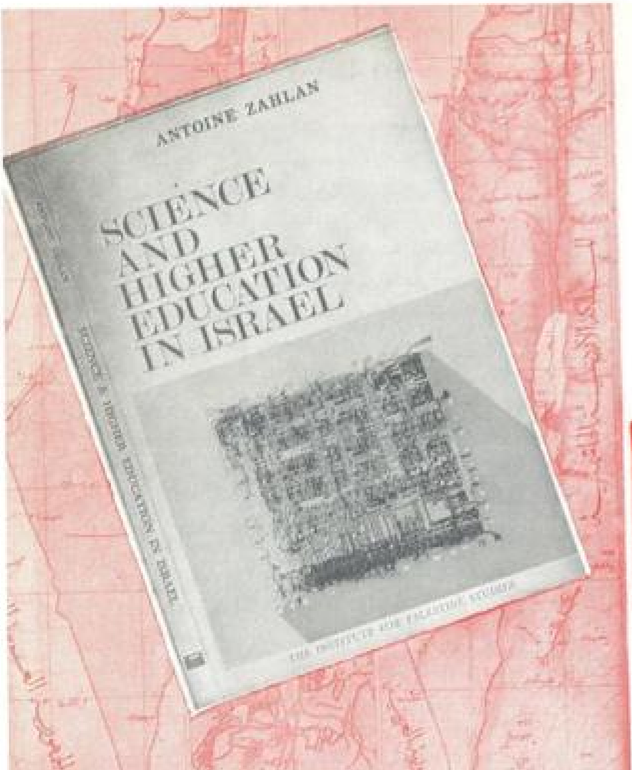
وانقاد كامبي لحراسه بدون اعتراض او تأثر .

وجرت محاولات كثيرة من محاميه ومن الاب مورو راعي السجن لتخفيف العقوبة كادت تنجح ولكن رئيس الجمهورية تحت ضغط الرأى العام ترك العدالة تأخذ مجراها .

ونصبت الجيوتين (المقصلة) في ميدان روكيت بباريس ، وبكر الاب مورو بالحضور الى الميدان وقد ظهر عليه التأثر الشديد لعدم نجاح مساعيه وسمعه الصحفيون يتمتم « مسكين كامبي » لو ان الصحافة لم تهتم بقضيته لما اقيمت المقصلة لقطع رقبته فقد اصدر الرئيس قرارات اعفاء لقتلة اعتى منه .

ودفن كامبي ودفن معه سره الذي لم يشأ ان يبوح به حتى لمحاميه .

حسن الجداوى



كِتَابُ الشَّهْر

كما تَعْرِفْ وطَنَك اعرفْ عَدُوَّك

العِلْمُ والتَّعْليم العَالِي في .. إسْرَائيل (١)
(في فلسطين المغتصبة)

للدكتور انطوان زحلان

عرض
الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب صدر قبل شهور عن « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » ببيروت. وقد صدر اولا باللغةالانجليزية، ثم صدرت ترجمته العربية عن هذه المؤسسة بالاشتراك مع « دار الهلال ». وقد قام بترجمته محمد صالح العالم. ولكن لم تتح لي الفرصة للاطلاع على هذه الترجمة. وهذا الكتاب نموذج جيد للكتب المتقنة التاليف : تبويب حسن، واسلوب ناصع، وعبارات تسلم الواحدة منها القارىء الى اختها، ومعلومات مدعومة بالوثائق والاحصائيات الرسمية.

والمؤلف، الدكتور انطوان زحلان، يحمل شهادة الدكتوراه في الكيمياء الطبيعية من جامعة سيراكيوز بالولايات المتحدة الامريكية. ويعمل

(1) Antoine Zahlan, Science and Higher Education in Israel.

استاذا في دائرة الفيزياء بالجامعة الامريكية ببيروت . وقد نشر عددا من المؤلفات والبحوث العلمية باللغة الانجليزية .

والكتاب في ستة فصول هي : مقدمة ،القوى البشرية ذات المستوى العالي ، المعاهد ، البحث العلمي والدراسات العليا ، الصلة بين العلماء الاسرائيليين والمؤسسات العالمية، سياسة اسرائيل العلمية . ثم خلاصة مركزة لما مر .

فلسفة الصهيونية قائمة على الايمان بالعلم

وفي هذه المقدمة يورد المؤلف بعض الاراء الجديرة بالنظر ، من ذلك : ان الدولة التي يبلغ عدد سكانها ٢و٦ مليون نسمة ، تكون امكاناتها في البحث العلمي محدودة ، مهما كانت هذه الدولة حديثة . ولكنها تكون في الوقت نفسه قادرة على حشد طاقاتها ، ووضع سياسة دقيقة للبحث العلمي . وهي ايضا قادرة على ان تقيم علاقات بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية واوروبا ، فتاخذ منها نتائج بحوثها العلمية ، وبهذا تعوض عن ضعف امكاناتها . وهذا هو ما تفعله اسرائيل .

ومن المسلم به ، في ايامنا هذه ، ان العلم هو مفتاح التقدم الاقتصادي ، والتطور التكني ، والقوة العسكرية . ومع ان هذه حقيقة واضحة، الا ان جل البلاد النامية لا تستفيد منها في واقعها العلمي . اما الحركة الصهيونية في فلسطين ، فقد وضعت نصب عينيها منذ البداية ان تقيم فلسفتها على الايمان بالعلوم البحتة والتطبيقية ،وتابعت تنفيذ هذه الفلسفة بهمة لا تعرف الكلل . وقد كان زعيم الحركة الصهيونية ، طيلة مدة الانتداب البريطاني على فلسطين ، كيمائيا باحثا هو الدكتور وايزمان ، الذي اصبح اول رئيس لدولة اسرائيل . واليه يعود الفضل في ادخال العلم الى كل مناحي الحياة فيها .

ومن الحقائق التي يجب علينا ان نذكرها ان العلم اصبح اليوم عالميا ، اي ان العلماء في اي بلد يجب ان يكونوا في ارفع مستوى وصل اليه البحث العلمي ليستحقوا هذا الاسم ، وهم لا يستطيعون ان يكونوا كذلك الا اذا كانوا على علم بما يجري من بحوث في البلاد الاخرى ،ووضعت تحت تصرفهم كل الامكانات اللازمة لاجراء هذه البحوث . وقد ادركت المنظمة الصهيونية هذه الحقيقة ، وعمل المسؤولون فيها على تحقيقها . وكان من نتيجة تطبيق هذه السياسة العلمية : ان ارتقى مستوى الزراعة ، وقامت الصناعات ، وتطورت القدرة العسكرية للصهيونية تطورا باهرا . ويقول هارولد جكسون في بحث له بعنوان « اقتصاد اسرائيل ينتعش »

« لقد قررت الحكومة ان تنتج اكثر المصنوعات محليا ، وتشجع تصدير الصناعات الى الخارج . وقد تم تقدم كبير في ميدان الصناعات الالكترونية ، ومكنات الطائرات . » ونتيجة لهذه السياسة التي آتت أكلها ، ان اشتركت اسرائيل في معرض هانوفر Hanover للطيران سنة ١٩٦٨ ، حيث عرضت طائرة ركاب ونقل . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان وزير النقل الاسرائيلي صرح في ١٩ يونية (حزيران) ١٩٦٩ قائلا : « ان صناعة الطائرات من أضخم الصناعات القائمة في اسرائيل، واسرعها نموا وتطورا . وفي سنة ١٩٦٨ كان يعمل فيها نحو ١٢٫٠٠٠ عامل .. وهذا امر لم يكن منتظرا ، اذ عندما افتتحت التخنيون Technion بحيفا دائرة لهندسة الطيران قبل خمس عشرة سنة ، لم يكن فيها سوى اثني عشر طالبا .وكان المعتقد انه لا مستقبل لهذه الدائرة ، ولا عمل لخريجيها . اما اليوم ففي الدائرة ٢٠٠ طالب ، وتخرج منها ٦٠ طالبا سنة ١٩٦٨ ، وهي تخطط من اجل التوسع بحيث تكون قادرة على استيعاب عدد اكثر من الطلبة » .

وقد حاولت اسرائيل ، بعد حرب يونية (حزيران) ، ان تعزو انتصارها الى تقدم التكنية الاسرائيلية وذلك من اجل الدعاية للصناعات الاسرائيلية في الخارج لتجد لها سوقا رائجة . ولكن الواقع ان انتاج المصانع الاسرائيلية محدود . كما ان جل هذه المصانع تملكه الدولة ، او وزارة الدفاع خاصة ، وصناعاتها تكلف كثيرا ، ولولا اعتمادها على الدولة لما استطاعت ان تحيا طويلا . وهذا القول يصدق ايضا على الكيبوتس والموشاف .

المنتجات الصناعية في اسرائيل تساوى ١٪ من الانتاج القومي

ورغم الكتابات الدعائية الكثيرة التي كتبت حول التصنيع في اسرائيل ، فان المنتجات الصناعية

لا تمثل سوى جزء بسيط من الانتاج القومي العام ، ولعل هذه النسبة تقل عن ١٪ . ومن المعروف انه يقف على راس الصادرات الاسرائيلية: الماس المصنع ، والحمضيات .

وهذه قائمة توضح ما ينتظر ان تكون عليه صادرات اسرائيل في عام ١٩٧١ :

الماس المصنع	٢٣٠	مليون دولار
الكيماويات والوقود	٩٣	مليون دولار
الاطعمة	٧٥	مليون دولار
الاقمشة	٥٢	مليون دولار
المعادن	٤٤	مليون دولار
الالات	٤٠	مليون دولار
الملابس الجاهزة	٣٤	مليون دولار
عربات النقل	٢٥	مليون دولار
الكاوتشوك والبلاستيك	٢٢	مليون دولار
الاخشاب والمصنوعات الخشبية	١٨	مليون دولار
المصنوعات المعدنية	١٥	مليون دولار
الاجهزة الكهربائية والالكترونية	١٤	مليون دولار
المطبوعات	١٠	مليون دولار
الجلود	١٠	مليون دولار
الانابيب المعدنية	١٠	مليون دولار
الورق والورق المقوى	٥	مليون دولار
متنوعات	٢٨	مليون دولار
	٧٢٥	

٢٠٪ عجز في كل عام

ويبلغ الانتاج القومي العام في اسرائيل نحو ٨٠٪ من المصروف القومي العام ، وهكذا يبلغ العجز نحو ٢٠٪ في السنة ، اي (٧٠٠) مليون دولار . وهذا العجز يغطى من المساعدات التي تتلقاها اسرائيل من الخارج وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية ويهود العالم .

ومن الاخطاء التي نقع فيها ، نحن العرب ، اعتقادنا ان مساعدات اليهود لاسرائيل آنية ، ولا يصح الاعتماد عليها كمورد ثابت . ويرى المؤلف ان هذه المساعدات التي تبلغ ٢٠٪ من ميزانية الدولة ، هي مورد ثابت لا تختلف ابدا عن دخل اسرائيل من الماس او الحمضيات .

البحث العلمي ضروري لتكنية الحرب

والتكنية في اسرائيل ، وخاصة تكنية الحرب هي من نتاج العلم . ومن المستحيل اجراء تحسينات على تكنية الحرب دون الاستعانة بالبحث العلمي . واسرائيل مثل جيد يوضح كيف ان دولة صغيرة لم تكتف باستيراد ادوات الحرب، بل اجرت عليها تطويرا جعلها مناسبة تماما لاهدافها وغاياتها . وقد قام بهذا التطوير العلماء المختصون ، والمهندسون الباحثون ، الذين يتقدمون ببحوثهم في المراكز المعدة لذلك . ان هؤلاء الباحثين يتعاونون تعاونا وثيقا مع العسكريين من اجل تطوير ادوات القتال ، بحيث تستطيع تحقيق ما يخطط له العسكريون .

وقد استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها في الخارج ، فعقدت المؤتمرات العالمية في ميادين العلم المختلفة ، ودعت اليها رجال العلم البارزين في العالم : ومثال ذلك انها في المدة بين ١٩٦٦ و ١٩٦٨ عقدت ٧٢ مؤتمرا عالميا ، كان منها : ١٢ مؤتمرا للتكنية ، و ٥ للعلوم الزراعية ، و ١٢ للعلوم الطبية ، و ٣ للعلوم الاجتماعية ، و ٦ للعلوم البحتة . وقد رسمت هذه المؤتمرات لاسرائيل صورة مشرقة في نفوس المشتركين فيها ، هي صورة الدولة الحديثة المتقدمة علما . وبسبب عدم اهتمام الدول العربية بهذه المؤتمرات العالمية اهتماما كافيا ، فان صورتها في العالم الخارجي هي صورة شعوب متخلفة جاهلة .

استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها

وقد استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها بين دول افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، مستفيدة في ذلك من تجربتها في حرب السويس ١٩٥٦ : فقد وقفت دول هذه القارات الثلاث ضدها في تلك الحرب . ولذلك اقامت بعد الحرب علاقات وثيقة مع دول هذه القارات ، وقدمت لها الخبراء والمصنوعات ، والقروض ، لمساعدتها على التطور . ولهذا السبب وقفت كثير من دول هذه القارات مع اسرائيل في حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، رغم انها كانت المعتدية .

القوى البشرية ذات المستوى العالي

ان قوة اية دولة انما تقاس بنوعية القوى البشرية فيها ، وعددها ، وتنظيمها . وتعتبر القوى

البشرية في اي بلد ذات مستوى رفيع ، اذا كانت نسبة حملة الشهادات الجامعية ، من الليسانس الى الدكتوراه ، عالية فيها . ولكن يشترط ان ينظم هؤلاء الخريجون بحيث يوضع كل واحد في المكان المناسب له ، والا كان عدد الخريجين لا قيمة له . وفي اسرائيل (٥٥,٠٠٠) خريج جامعة، اي نحو ٢٪ من عدد السكان ، وكل واحد منهم يعمل في ميدان تخصصه . ويورد المؤلف ان عدد خريجي الجامعات بين الفلسطينيين يبلغ (٥٠,٠٠٠) من مجموعهم البالغ مليونين ونصف مليون نسمة ، وانه خلال العشرين سنة الماضية تخرج من الجامعة فلسطينيان مقابل كل يهودي تخرج من الجامعة . ومع هذا فان هذه القوى البشرية ذات المستوى العالي بين الفلسطينيين مهدرة بسبب تشتتهم في الآفاق .

وتشير التقارير الرسمية الاسرائيلية الى ان نصف الخريجين بين المهندسين في كل عام ، وقد اتموا دراستهم خارج اسرائيل ، بينما نجد ان ⅚ اطباء اسرائيل هم من المهاجرين اليها من الخارج . وقد كانت سياسة المنظمة الصهيونية هي محاولة اغراء الاطباء ، والمحامين ، والمهندسين، والعلماء ، بالهجرة الى فلسطين . ولكن نسبة كبيرة من هذه الفئات تهاجر أيضا من اسرائيل الى الخارج ، وخاصة الى الولايات المتحدة الامريكية، بحيث يمكن القول ان عدد المهاجرين الى اسرائيل ومنها ، من هذه الفئات ، متساو . ورغم المحاولات الكثيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية للحيلولة دون هجرة الاختصاصيين من اسرائيل الى الخارج، الا ان الملاحظ ان الشباب الاسرائيلي المثقف يؤثر الحياة خارجها . ولكن هذا لا يعني ان القضية الصهيونية تخسر مثل هؤلاء الشباب اذ الواقع انهم حيثما وجدوا يكونون عناصر نشيطة تعمل من اجل اسرائيل ، وضمن مخطط المنظمة الصهيونية.

الجامعات والمعاهد

لم يعد البحث العلمي الحديث عملا يقوم به باحث لوحده ، لان البحث العلمي ، في ايامنا ، يجب ان تتوفر له امكانات كثيرة . ونستطيع القول ان اي مبلغ من المال ينفق على المؤسسات العلمية هو انفاق في محله ، لان الفوائد التي تجنيها الامة من هذه المؤسسات تزيد كثيرا عما تنفقه عليها من مال .

وحتى سنة ١٩٤٨ ، كان عدد الاطباء والمهندسين والعلماء ، بين اليهود المهاجرين الى فلسطين ، كبيرا جدا . ولهذا فان المشكلة ، بالنسبة لاسرائيل ، لم تكن تخريج عدد جديد من هؤلاء الاختصاصيين ، بل الاستفادة منهم في ميادين تخصصهم ، وخاصة في مجال البحث العلمي . وهكذا نرى ان اسرائيل انشات الجامعات والمعاهد لتكون مراكز للبحث العلمي ، اولا وقبل كل شيء : ومن اجل ذلك زودت هذه المراكز العلمية بكل ما يلزمها للبحث العلمي ، واعطيت لاعضاء الهيئة التدريسية فيها شروط عمل مغرية ، من اجل الاحتفاظ بالموجودين ، واغراء من هم في الخارج للعمل فيها . اما هذه الزيادة في عدد الطلبة في الجامعات والمعاهد فحديثة ، وهي تعود الى عام ١٩٦٠ فقط . وتدل الاحصائيات على انه كان فيها (٣٠) الف طالب في عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .

والملاحظ ان المنظمة الصهيونية قد بدأت بانشاء هذه المراكز العلمية في وقت مبكر : فانشات الجامعة العبرية بالقدس سنة ١٩٢٥ ، والتخنيون Technion بحيفا سنة ١٩٢٥ ، ومعهد وايزمن برحبوت سنة ١٩٣٤ . هذا مع العلم ان عدد الصهاينة في فلسطين لم يكن يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ حتى سنة ١٩٣١ . وملاحظة ثانية هي ان هذه المراكز العلمية موزعة ، بحيث ان الدراسة العليا متوفرة في كل ناحية من انحاء البلاد . وملاحظة ثالثة هي ان اسرائيل تولي العلوم عنايتها الاولى في الدراسات العليا : ومثال ذلك ان الجامعة العبرية منحت في العام الجامعي ١٩٦٢ - ١٩٦٣ احدى وسبعين شهادة دكتوراه كانت ثلاث وخمسون منها في العلوم الطبيعية . وباختصار نستطيع ان نقول ان الذين يدرسون لنيل شهادة الدكتوراه في الانسانيات من الجامعات والمعاهد الاسرائيلية ، لا يزيدون عن ١٥٪ وهذا الاقبال الشديد على العلوم ليس هو اختيار الكلية ، بل سياسة الدولة التي توجههم الى هذا النوع من الدراسات ، التي تهمها ، قبل كل شيء ، من اجل تطوير قدرات وزارة الدفاع .

وهذه المراكز العلمية الاسرائيلية لا تعتمد اعتمادا كليا على الحكومة في تمويلها ، وتدل الاحصائيات على أن مساهمة الدولة تتراوح بين ١١ و ٦٥٪ . وهي تغطي ميزانيتها من المعونات التي تتلقاها من الداخل ، ومن اليهود خارج

اسرائيل ، ومن المؤسسات العلمية الاجنبية ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية . وهذا مثل واحد من امثلة عدة يوضح ما نقول : فقد حصلت الجامعة العبرية في عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ على مبلغ ٦٫١٤٠٫٠٠٠ دولار منحة من اجل اجراء بحوث في الميادين التالية :

ميدان البحث	المبلغ المخصص له بالدولارات	النسبة المئوية لمساهمة الولايات المتحدة
الطب	٢٫٢٠٠٫٠٠٠	٨١
الصيدلة	١٧٠٫٠٠٠	٧٥
طب الاسنان	٤٠٠٫٠٠٠	١٠٠
العلوم	٥٠٠٫٠٠٠	٧١
الزراعة	٨٧٠٫٠٠٠	٦٤
المجموع	٦٫١٤٠٫٠٠٠	

وهنالك ظاهرة واضحة في الجامعات والمعاهد الاسرائيلية ، وهي ان نحو نصف السكان ، وهم اليهود الشرقيون ، غير ممثلين فيها . وقد كان هؤلاء اليهود الشرقيون في البلاد العربية التي جاؤوا منها من الطبقة البرجوازية، وينعمون بالخير العميم ، ويتمتع ابناؤهم بالتعليم العالي . اما في اسرائيل فقد حرموا من كل هذا . ولا ينطبق هذا القول على الطلبة وحدهم ، بل على اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات ايضا : ومثال ذلك ان عدد اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية كان ٥٣٨ عضوا في سنة ١٩٦٣ ، ولم يكن بينهم من اليهود الشرقيين سوى اثنين من مواليد العراق، وواحد من سوريا . ومعنى هذا ان ٤٥٪ من السكان ، ليس لهم بين اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية الا ٠٫٥٪ . ولا تختلف هذه النسبة كثيرا في الجامعات والمعاهد الاخرى : ففي التخنيون بحيفا يوجد ثلاثة من اليهود المصريين ، ويهودي تركي واحد . واليهود الفلسطينيون الذين يحتلون ٤٠٪ من السكان ، تبلغ نسبتهم بين اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية ١١٪ ، ويصلون الى ١٥٪ في التخنيون . وواضح ان هذه النسبة ضئيلة . هذا مع العلم ان اليهود الفلسطينيين ، هم في غالبيتهم ابناء يهود هاجروا من غربي اوروبا وشرقيها .

وهذه الاحصائيات السابقة تدل بوضوح ان النظام الذى تقوم عليه الدولة في اسرائيل ، يفتح الابواب على مصاريعها امام الفئة المحظوظة ، التي هي اليهود المهاجرون من اوروبا ، والتي تسيطر على كل ما في اسرائيل . وهذا النظام ، في الوقت نفسه ، يغلق الابواب امام الفئات الاخرى .

ولاشك ان هذا التمييز قد احدث مرارة في نفوس اليهود الشرقيين . ويكفي هنا ان انقل هذه العبارات القليلة من مقال بعنوان « المناخ الروحي في اسرائيل » بقلم اسحق دويتشر Isaac Deutscher نشره سنة ١٩٥٤ . يقول دويتشر : «ان اليهودى الاوروبي يدرك ادراكا تاما مدىما في نفس اليهودى الشرقي من مرارة ، وحسد ، وضغينة ، حتى انه يحس احيانا بالخوف منه . وتستطيع احيانا ان تسمع من اليهود الاوروبيين شكهم حتى في ولائهم للدولة ، وامكانية انضمامهم الى العرب اذا سنحت الفرصة ، وذلك لانه لا يوجد هنالك فرق يذكر بين اليهودى الشرقي والعربي» . !!

البحث العلمي والدراسة العليا

ان الجامعة تلعب دورا هاما في المجتمع ، فخريجوها من حملة الليسانس والبكلوريوس يلبون حاجة المجتمع في ميادين تخصصهم . ولكن هؤلاء الخريجين انما يخدمون مجتمعهم بطريقة روتينية : فالطبيب ، والمهندس ، والمعلم من هذا المستوى.. غير قادرين على الابداع في هذه الميادين . ونسبة هذه الفئة من خريجي الجامعات تتراوح بين ٨٠ و ٩٠٪ من مجموع الخريجين . اما الفئة القادرة على الابداع في ميادين تخصصها ، فهي تلك التي تعكف على الدراسة العليا والبحث العلمي . ولهذا السبب فان الجامعة لا تكون جامعة حقا ما لم توفر الامكانيات للبحث العلمي . والبحث العلمي يفيد من ناحيتين : فهو يجعل مستوى الطلبة جيدا لان اساتذتهم يكونون مسايرين لأحدث ما يجرى من بحوث في ميادين تخصصهم ، ومساهمين فيها . واذا لم يكن اساتذة الجامعة كذلك ، فان تخلفهم العلمي سينعكس على طلبتهم، وتبعا لذلك ينعكس ايضا على المجتمع الذى يعيشون فيه . ومن ناحية اخرى فان البحث العلمي في الجامعة هو القادر على المساهمة في حل مشكلات المجتمع الذى تخدمه الجامعة .

وانطلاقا من هذا المفهوم السليم لرسالة الجامعة،

فان المنظمة الصهيونية قد قررت حتى قبل الحرب العالمية الاولى ، ان تقيم في فلسطين جامعات ، رسالتها الاولى البحث العلمي . ويتركز البحث في الجامعات والمعاهد الاسرائيلية في ميادين : الطب ، والبيولوجي (واذكر هنا ان اسرائيل تفخر بان فيها اعلى نسبة اطباء في العالم ، فهي ١ : ٤٠٠) ، ومجموع الاطباء (٦٠٠) طبيب) . وعدد الاطباء الذين يعملون في البحث العلمي هو (٧٠٠) ، بالاضافة الى (٦٠٠) طبيب يقومون ببحوث في ميدان العلوم البيولوجية . وهناك (٥٠٠) باحث في مشاكل الزراعة وتطويرها وتحسينها ، و (٩٠٠) باحث في العلوم الفزيائية.

★ ★ ★

والباحثون على صلة بالهيئات العلمية العالمية عن طريق القيام ببحوث علمية مشتركة ، والاشتراك في المؤتمرات ، والزيارات الكثيرة التي يقومون بها لزملائهم في الجامعات في الخارج ، والذهاب الى الجامعات الاخرى كاساتذة زائرين . والملاحظ ان الاسرائيليين يهتمون اهتماما خاصا بالبحوث في ميدان العلوم الفيزيائية ، والسبب في هذا هو اهتمام وزارة الدفاع في اسرائيل بهذا النوع من البحوث ، اما عنايتهم بالبحث في ميدان العلوم الاجتماعية فهي دون هذا بكثير .

وتدل الاحصائيات التي تقوم بها الهيئات العلمية العالمية ان اسرائيل هي الدولة السادسة عشرة في العالم في عدد الباحثين العلميين فيها : ففيها من الباحثين العلميين اكثر مما في كل امريكا اللاتينية واكثر بكثير مما في كل افريقيا : ففي اسرائيل (١١٢٥) باحثا ، وفي امريكا اللاتينية (١٠٣٩) ، وفي افريقيا (٧٣١) . وفي القدس وحدها من الباحثين العلميين بعدد ما في بلغاريا او جنوب افريقيا . وفي الجمهورية العربية المتحدة (٢٩٢) باحثا ، وهي بهذا متقدمة على يوغسلافيا ، واسبانيا ، ونيوزيلنده ، والبرازيل ، وايرلنده الشمالية ، وايرلنده الجنوبية ، والمكسيك ، واليونان ، وباكستان ، وتركيا ، وايران .. (١)

واذا قسنا ما ينشر من بحوث علمية في العالم بالنسبة لسكان العالم ، فان اسرائيل تنشر احد عشر ضعفا من نصيبها من هذه البحوث بالنسبة لعدد سكانها ، بينما تنشر الولايات المتحدة الامريكية سبعة اضعاف نصيبها . ولكن علينا ان نذكر ان عدد البحوث العلمية التي تنشر ليس مقياسا دقيقا للحكم على تفوق بلد ما في البحث العلمي ، اذ قد يكون كثير من هذه البحوث ذا مستوى عادي او وسط ، والمقياس الصحيح هو مدى ما تقدمه هذه البحوث من مساهمة جديدة ، وابداع ، في الميدان الذي تبحث فيه .

وفي رأي يوسف بن داود Joseph Ben - David, Fundamental Research and the Universities ان من الواضح انه من غير المحتمل ابدا ان تستطيع اسرائيل منافسة اوروبا او امريكا في الاسواق العالمية لتفوق التكنية والعلم في تلك البلاد عنه في اسرائيل . اذا نظرنا في ما تنفقه اسرائيل على العلم والتعليم العالي لوجدنا انه مبلغ ضخم جدا بالنسبة لما تنفقه الدول النامية ، ولكنه اقل بكثير مما تنفقه دولة كبرى في غربي اوروبا ، ولا يزيد ما تنفقه في هذا المجال عن ميزانية جامعة من الدرجة الاولى في الولايات المتحدة ، وتوضيحا لهذا يقول المؤلف : ان ما انفقته اسرائيل على البحث العلمي والتعليم العالي في سنة ١٩٦٧ – ١٩٦٨ بلغ مئة مليون دولار ، عدا ميزانية مختبرات وزارة الدفاع ، وهذا المبلغ يقل عما ترصده جامعة من الدرجة الاولى في الولايات المتحدة الامريكية لشؤون التعليم والبحث العلمي فيها .

وهنا يشير المؤلف الى ان من المشاكل الرئيسية في البلاد النامية انها لاتخصص للبحث العلمي سوى مبالغ ضئيلة ، ومع هذا تريد ان تحصل على نتائج في وقت قصير . ونحن نعرف ان البحث العلمي محتاج الى توفير الامكانيات اللازمة من مال واجهزة وباحثين ، اولا ، ثم هو محتاج الى زمن كاف ، ثانيا ، لانه يعتمد على التجربة والخطا ، واصلاح الخطا . ومن الطبيعي ان

---

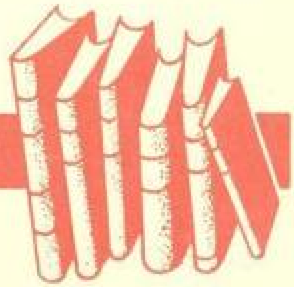
(١) هذه الاحصائيات مأخوذة من : International Directory of Research and Development Scientists 1967 .

تفشل مثل هذه الدول النامية في تحقيق احلامها في ميدان البحث العلمي . وهذا الفشل يبعث في نفس المسؤولين والباحثين ، على السواء اليأس . ولو انها عملت على توفير الامكانات اللازمة ، واستمرارية المبالغ الضرورية للبحث العلمي . واستقدمت الباحثين القديرين ، لاستطاعت ان تحصل على نتائج مرضية .

وهذه هي ايضا مشكلة الجامعات في البلاد النامية : فهي تبدا ضعيفة لانها تغرس في بيئة متخلفة علميا ، وتستمر في الانحدار لعدم توفير المال الكافي للتعليم الصحيح ، والبحث العلمي في مستواه العالي .

اقول هذا ، واحب ان اذكر بان اسرائيل التي قالت الاحصائيات عنها انها الدولة السادسة عشرة في العالم في عدد الباحثين العلميين فيها ، لا تكتفي بهذا ، فهي تحاول ان تحسن من مركزها في هذا الميدان ، وكل الدلائل تشير الى انها جادة في هذه السبيل . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الملاحة في الخليج العربي

تأليف : عيسى احمد الشمي .

الناشر : مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية الكويت .

مجموعة مذكرات هي عبارة عن قصص من حياة البحر هي واقع البحر التي كان يحياها ابناء الكويت قبل انفجار البترول في اراضيها ، كما يوضح الخليج العربي وكيف كانت اساليب الملاحة البحرية في ذلك الزمان قبل ان يكون للكويت اسطول من السفن والبواخر والناقلات . ثم درس المؤلف موقع الكويت البحري ونشاطها التجاري في الخليج وميناء الكويت والدور التجاري الذي لعبه وسيلعبه في المستقبل في هذه المنطقة .

طوابير تتكلم

تأليف : عبد المطلب حامد الراوي .

الناشر : دار النذير للطباعة والنشر بغداد ــ العراق .

● مجموعة قصائد متنوعة .

مرشد المصاب بالسكر

جمع وتأليف : محمد علي الشكرجي .

الناشر : مطبعة شفيق ــ بغداد ــ العراق .

● يتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة وضرورية عن مرض السكر تعين المرضى وترشدهم الى الوسائل الكفيلة للحفاظ على حياتهم والعناية بصحتهم . يذكر المؤلف في هذا الكتاب التغذية والاغذية المناسبة لمرضى البول السكري مع نماذج من الأطعمة والاشربة التي تناسب هؤلاء المرضى .

حقيقة معركتنا مع اسرائيل

تأليف : عبد الغفور المقرب

الناشر : دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع .

● كتاب يتناول حقيقة المعركة التي نخوضها مع إسرائيل والملابسات التي أوجدت اسرائيل واسبابها الرئيسية . يرجع المؤلف هذه الاسباب الى تجرد العالم العربي من عقيدته الدينية هذه العقيدة التي كانت نظاما للحياة كفل لها السعادة ردحا من الزمان بلغت به من العظمة ما لم تبلغه امة من الامم . والبحث يؤكد جانب العقيدة الدينية ويبين مدى اهميتها وخطورتها في سير الامة وموقفها خصوصا بالنسبة الى قضية فلسطين .

ديوان ابي الحب

تاليف : الشيخ محسن ابو الحب .

تحقيق : سلمان هادي الطعمه .

الناشر : مطبعة الاداب ـ النجف ـ العراق

● ديوان شعر يحوى مجموعة من القصائد في مدح ورثاء اهل البيت وترجمة لحياة الشاعر حيث كان احد خطباء المنبر الحسيني وحيث كان يعالج البحوث الاسلامية المهمة والقضايا التاريخية الغامضة ثم مساهمته في الثورات الوطنية التي حدثت بالعراق وقصائده الوطنية والثورية فيها .

العلاقات الانسانية في الادارة

تاليف : صالح الشبكشي .

الناشر : مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث مجالات اهم عمليات الادارة ومقوماتها سواء كانت هذه العلاقات ايجابية او سلبية . هذه المشكلات تاتي على صورة مشكلات يعاني منها الافراد والرؤساء بل واجهزة الادارة كلها . وقد عرض المؤلف لهذا التكامل بين العمليات الادارية والنظرة الانسانية لزواياها المختلفة عرضا وثيقا الى الحد الذى يصعب على القارىء التميز فيما اذا كان يقرا كتابا في الادارة العامة او العلاقات الانسانية .

وتقوم العلاقات الانسانية على بعض الظاهرات النفسية وسيكلوجية العمل وعلاقاتها الوثيقة بالسلوك البشرى لذا فقد خصص المؤلف فصلا كاملا عنهما قبل الدخول في مادة العلاقات الانسانية نفسها .

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

تاليف : الدكتور علي الوردى .

الناشر : مطبعة الارشاد بغداد ـ العراق .

● يدرس هذا الكتاب الاحداث التاريخية منذ بداية الحكم العثماني للعراق وتحليلها اجتماعيا والكتاب لايهتم بالاحداث الماضية لذاتها وعلى منوال ما يفعله المؤرخون بل هو يهتم بما تنطوى عليه الاحداث من دلالة فكرية واجتماعية اى الاستقراء التاريخي فهو ياتي في اهميته بالدرجة الثانية .

تاريخ من الحرب

تاليف : الجنرال ستروكوف

نقله عن الروسية : العميد الركن صباح الدين الاتاسي .

الناشر : ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوى وزارة الدفاع ـ الجمهورية العربية السورية .

● يدرس هذا الكتاب اساليب خوض الاعمال الحربية واساليب التدريب والتربية في القوات المسلحة وعوامل تطورها للوصول الى فهم الفن الحربي المعاصر .

ان الدراسة التاريخية لفن الحرب تعرفنا كيف تطور هذا الفن منذ الماضي حتى تبلور في شكله الحاضر كما ان مبادىء خوض الصراع المسلح التي استخلصت من الحروب الماضية وحافظت على صحتها حتى في الحروب المعاصرة ، مثل ذلك مبدا التوزيع اللامتساوى للقوى الوسائط على طول الجبهة ، ومبدا حشد القوى والوسائط على اتجاه الضربة الرئيسية ، ومبدا المفاجاة والمباغتة . حيث تسمح لنا هذه الدراسة بادراك هذه المبادىء وفهم مضمونها بالتعرف على الامثلة الناجحة في استخدامها خلال المراحل التاريخية المختلفة ، كما ان الدراسة التاريخية للحرب تعتبر وسيلة هامة للتوصل الى الفهم الكامل للفن الحربي المعاصر وافاق تطوره .

عبر وعبرات من دمشق الاندلس

تاليف : جواد المرابط .

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / لبنان .

● ليس هناك من يزعم انه يمتلك المفتاح الذى يعطى الاجوبة لكل الاسئلة عن سبب تخلفنا ، ولكن في نكبة العرب في الاندلس كما في نكبتهم في فلسطين وجدت عوامل متشابهة ، والاحرى الا يستفظر من احداثهما الحقد والنقمة ما دام التخلف نحن السبب فيه بل ان ترتد الى معرفة العوامل المتشابهة والاتعاظ بها الى ما يلهم ، لتستعيد ما ابتنته عبقريات العرب من امجاد وليتبلج من انوار تشرق بالخيرات على الجميع ولكي لا يتكرر ما تنذر الغفلة عنه بماسي مفجعة . ■■


بامكانك ان توصله بسيّارتك
هذه الليلة . خذها في نزهة بالسيارة .
وخذ معك هذا المسجل الكاسيت النقال موديل TRQ-290
الخاص بالسيارة . بامكانك أن توصله بولاعة
السجاير المثبتة في سيارتك . وبالاضافة الى
ذلك يمكنك أن تخرج المسجل من السيارة
الى حيث أردت .
وهو يعمل على بطاريات المصباح الكهربائي أيضاً ،
وعلى الطاقة الكهربائية العادية بطبيعة الحال ، بروعة
فائقة ، إذ يعود ذلك الى نظام الدائرة الصغيرة
المدموجة IC'S . جمال هذا الجهاز الصغير في شكله
البديع . ويتميز باللونين الأسود والفضي . أوصل
مسجل TRQ-290 بسيارتك الليلة . وقد ترغب أن تأخذ معك
ايضاً جهاز راديو مزود بأربع موجات قصيرة وعادية ومميز
بهوائي مفرط الطول . انه موديل WH-1060 ذو هوائي تلسكوبي
في طول تقريباً ١٥١ سم . أو قد ترغب في جهاز يجمع
راديو من ثلاث موجات ومسجل كاسيت معاً .
انه موديل SCT-1150 فسيكون لك
عالم موسيقى نقال خاص بك .
TRQ-290
SCT-1150
WH-1060
هيتاشي
HITACHI

البنك الوطني هو بنك العائلة



اجعل بنك الكويت الوطني صديقا لعائلتك.
فقد استمر البنك في النمو والتقدم مع تطور الكويت وشعبها منذ عام ١٩٥٢.
وهو يفهم الأعمال المصرفية الخاصة بالعائلات، وبمتطلبات رجل الأعمال وزوجته، وبأطفاله ومستقبلهم.

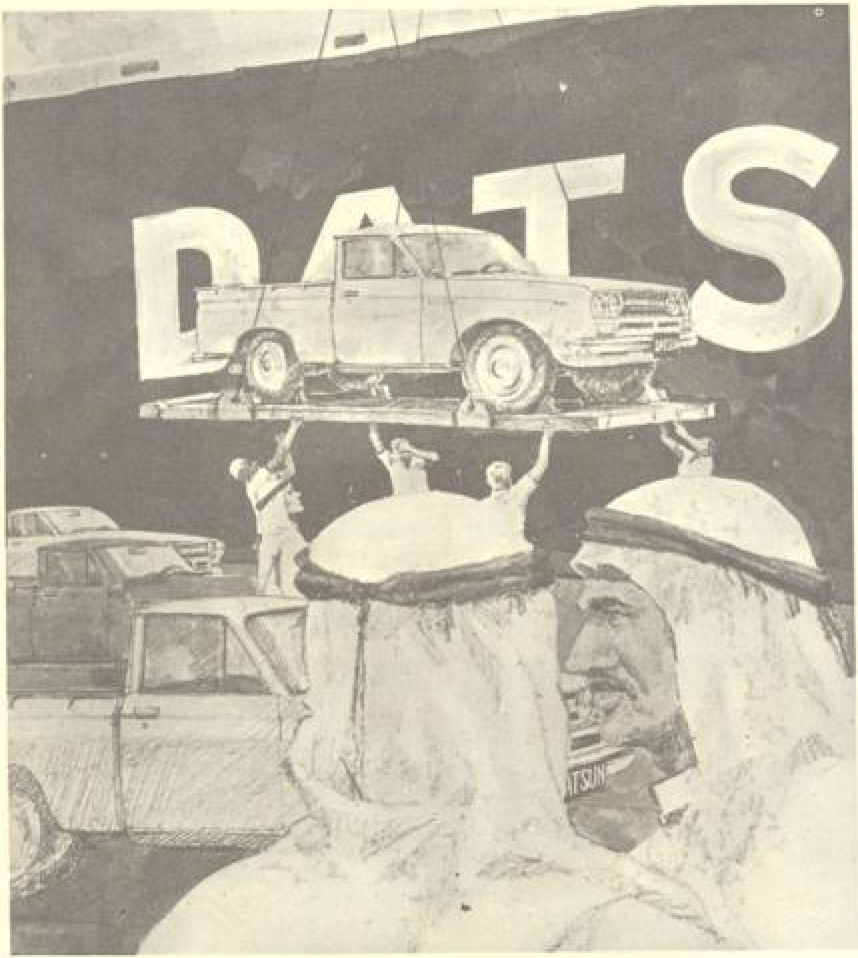
بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

راس المال الاحتياطي : ١٨٫٨٢٩٫٧٤٢ د.ك.
مجموع الموجودات : ٢٢٦٫٧٢٢٫٦٣١ د.ك.

المركز الرئيسي : ص.ب. رقم ٩٥ الكويت ، الهاتف : ٢٢٠١١ (٢٠ خط)

مراكزنا في: لندن – بنك الكويت المتحد، لندن دبي – بنك دبي الوطني، دبي بيروت – بنك الريف، ش.م.ل.، بيروت



شحنة من الصداقة !

عندما يجري تفريغ سيارات نيسان وداتسون على أرصفة الموانىء ، فإن نيسان تعني أكثر من مجرد تفريغ شحنة ! إن نيسان تجلب معها الثقة والأمان والوثوق . إن بائعي سيارات نيسان وداتسون يقومون بأكثر من مجرد بيع السيارات !

فهم يقدمون الخبرة والمتانة والجودة في التصميم والفن الصناعي . إن نيسان تجاهد للاحتفاظ بالمستوى الرفيع لشهرتها ولمنتجاتها في بلادكم . فلنعمل معاً ، يداً بيد ، لنحقق لكم الأفضل .

NISSAN MOTOR CO., LTD

SX-9000



الصوت الذي "يحيا" ... في كل مكان

بايونير ، الاسم المرادف للجودة في ميدان الهندسة الصوتية ، يجعل الآن الاصوات "تحيا" في جميع الشروط ، وحتى في الغرف التي لا تعكس الاصداء . لذلك ، تستطيع أن تحصل على أرخم وانقى الأصوات والالحان مع جهاز الالتقاط الستريو SX-9000 لأنه مجهز بمضخم ضمني لعكس الاصوات . هذا المضخم الخاص يمكنك تضبط رخامة الصوت بالنسبة الى اية شروط صوتية أو اي مصدر للانغام . وعند استخدام مع طاقة المزج للميكروفون SX-9000 ، فإنه يعطي صوتك رخامة وجمالاً زائدين ويجعل من كل فرد نجماً غنائياً لامعاً - في منزلك ، على الأقل .

مع جهاز التقاط ممتاز ، تحتاج الى تجهيزات اضافية ذات جودة مماثلة . هذا هو السبب الذي تعتمد عليه بايونير لتنصح أصحاب جهاز SX-9000 بمجموع صينية الاسطوانات التي تدور بقشاط PL-41A ونظام الحاكي ٤ وجهات ٦ حاكيات CS-63DX ، هذه المجموعة المتكاملة تقدم لك أفضل ما يمكن في صناعة الأجهزة الصوتية .

جهاز الالتقاط الستريو ذو الدائرة الصلبة SX-9000 240W AM/FM
تجاوب ترددي من ١٠ الى ٧٥٠٠٠ هرتز ± ١ ديسيبل
التواء نغمي يقل عن ٠.٥ ٪
حساسية FM أقل من ١٫٦ وحدة / فولت (IHF)
صينية الاسطوانة التي تدور بقشاط PL - 41A
محرك متزامن ٤ اقطاب
اضطراب وتشويش أقل من ٠.٨ ٪
نظام ٦ حاكيات ٤ وجهات CS-63DX
تجاوب ترددي من ٢٠ الى ٢٢٠٠٠ هرتز
طاقة نغمية ٨٠ وات



PL-41A CS-63DX

Tomorrow's Sound—Today

PIONEER®

الوكلاء المعتمدون في الشرق الأوسط
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

للمعلومات والحصول على شرح عن هذا الجهاز ، الرجاء اعادة القسيمة ادناه

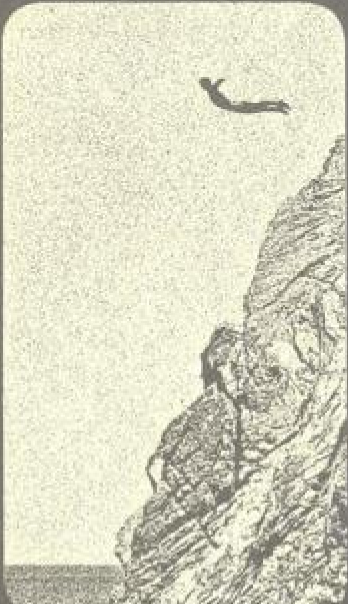
PIONEER ELECTRONIC CORPORATION
15-5, 4-chome, Ohmori-nishi, Ota-ku, Tokyo, Japan

Name ....

Address ....

Occupation .... AA-ME-4 AC


إمباسي
الجديدة
Embassy
SUPER KINGS
طويلة ومشبعة سيجارة الرجل الايجابي
سيجارة العصر في كل مكان



هذا الغطاس في أكابولكو
يحمل في معصمه
ساعة ايدوكس

تحملت ساعة ايدوكس/اكابولكو الجديدة غطسة
من أعالي صخور الكبرادا قدر ارتفاعها ١١٠ أقدام
بدون أن تصاب بأي خلل وذلك لأن ساعة ايدوكس
تتميز بقوة تحملها للصدمات الشديدة وقدرة مناعتها
لتسرب الماء فيها مما يجعلها عازلة للماء تماما .



راشد ابراهيم الحميضي واخوانه ـ الرياض ـ السعودية
متجر العواصمة ـ الخبر ـ السعودية
عنبليان اخوان وشركاهم ـ بيروت ـ لبنان
أحمد رشدي ـ عمان واربد ـ الأردن
نيقولا اخوان ـ بغداد ـ العراق
عامر محمد عامر ـ بنغازي ـ ليبيا
يحيى نجيب ـ اللاذقية ـ سوريا
خضير عبد الله الشهاب ـ الكويت
متجر فخروي ـ المنامة ـ المحرق
محلات المشيري ـ الدوحة ـ قطر
جواد يوسف خوري واخوانه ـ دلهي

EDOX
acapulco
Swiss Precision

مستحضر عجيب
لازالة بقع الوجه



"ازال د.د.د. البقع الجلدية عن وجهي في وقت قصير"

هذا ما قاله كيث نيكولس (١٧ سنة)

« رأيت د. د. د. في الصيدلية وقررت ان اجربه. استعملته على بقع وجهي فزالت، طبعا لم تزل كلها في مرة واحدة ولكن بصورة تدريجية. انه يعطي مفعولا سريعا شرط أن يستعمل بانتظام.

انني مرتاح تماما لعلاج د. د. د. ولم أزل استعمله حتى الان. انه لا يحتوي على مواد دهنية كغيره ».

وقد اكتشف كيث نيكولس كيف ان مستحضر د.د.د. ينفرد بخمسة عناصر علمية مطهرة وقوية ذات مفعول ملطف ومهدىء يزيل البقع الجلدية بصورة اكيدة.



D D D
PRESCRIPTION

سائل - مرهم - صابون

متوفرة الآن بغلافات جديدة

لاتكونوا نحلاء

اذا كنتم نحلاء الجسم ناقصي الوزن جربوا هذا الاكتشاف الذي هو آخر ما توصل اليه علم التغذية. انه يدعى "سوبر ويت - اون". هناك اناس بصحة جيدة جربوه فزاد وزنهم ثلاثة كيلوغرامات أو أربعة أو خمسة ... بسرعة مدهشة.

بادروا الى زيادة وزنكم بسرعة وبطريقة مأمونة

"سوبرويت-أون" طعام اضافي جديد مغذ سهل الهضم ذو قيمة كالورية عالية، يحتوي على الفيتامين د١ والفيتامين ب١٢ (لبناء الدم) بالاضافة الى الفيتامينات ب١ وب٢ وب٦. وهو يعيد الشهية ويصحح عسر الهضم ويعطيكم المزيد من الغذاء. "سوبر ويت - اون" ينشئ الانسجة الصحية المتينة في الجسم ويزيد في نشاطكم وحيويتكم فيزول شعور التعب والارهاق، وخلال بضعة اسابيع تبدون اقوياء الجسم مفعمين بالنشاط.

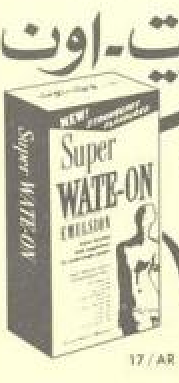
النساء يكتسبن شكلاً جذابا

باستعمال "سوبر ويت - أون" يزداد وزنك في الاماكن اللازمة خلال بضعة أسابيع.

الرجال يكتسبون قواماً جديداً

"سوبر ويت - اون" يملأ الجسم الرقيق، ويكتسب الرجل انسجة متينة فيزداد قوة وعزما.

جديد! سوبر ويت-اون



Super WATE-ON

بطعم الفريز

• يزيد في وزن الجسم بصورة سريعة
زيادة ٥٠٪ في مقدار الكالوريات
• اكثر تركيزا
للحصول على افضل النتائج

17 / AR

سمعتم عن جهاز "سانسوي" الجديد المبتكر
"كوادرفونيك سينثيسايزر" (QS-1)
والآن اسمعوه وهو يؤدي وظيفته.
هذا الجهاز الثوري، وإن لم يكن غالي الثمن،
يستطيع بصورة غريبة "تحويل" الأداء الستيريوفوني
من مسلكين إلى ٤ مسالك، وهو على استعداد
لأن يجلب إلى أسماعكم أروع ما في العالم
من معزوفات ستيريوفونية.
ادخلوه في مجموعتكم الستيريوفونية الحالية.
كل ما عليكم سوف أن تضيفوا مضخماً واحداً جديداً
ومجموعة ثانية من المكبرات. وعليكم أيضاً أن تقرنوه
بهذه الأجهزة الأخرى الفائقة الجودة
من صنع "سانسوي".

جهاز تدوير الشريط SD ٧٠٠٠ المحتوي على
٣ محركات و ٤ رؤوس والمزود بحافظ للشريط تضبط
بواسطة جهاز توصيل بالبوليتون، والقرص الدوار
الأوتوماتيكي SR-C OC ذو السرعتين المزود بأجهزة
فرز أوتوماتيكية للرفع والترجيع، ومجموعتا المكبرات
إحداهما بقوة ٧٠ واط من ٦ مكبرات SP-٢٠٠٠
ذات ٤ اتجاهات والثانية بقوة ٢٥ واط من مكبرات
اثنين SP-٥٠ باتجاهين.
أما بشأن المضخمات ذات "سانسوي" تقترح
استعمال المضخم A ٥٠٠٠ بقوة ١٨٠ واط للمسالك
الأمامية ومضخم الضبط AU-٦٦٦ بقوة ١٠٠ واط
للمسالك الخلفية.
إن السماع الستيريوفوني الجديد بأربعة مسالك
كما يتيحه لكم الجهاز الجديد QS-1، قد أحدث
انقلاباً في مفهوم الاستمتاع بالموسيقى من أساسه.
فاستمعوا إليه في أقرب فرصة عند
أقرب بائع معرض لمنتجات "سانسوي".



الآن، السماع الستيريوفوني بـ ٤ خطوط!

Sansui

The Symbol of Quadphonic Sound

Kuwait: **MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O. Box 146, Kuwait / Jordan: **JORDAN AUTO PARTS** P.O. Box 281, Amman / Iran: **TEHERAN ELECTRIC CO., LTD.** Aluminium Bldg. Shah Av., Teheran / Southern Yemen: **BHICAJEE COWASJEE LTD.** Steamer Point, Aden / Bahrain: **AMBASSADOR STORES** P.O. Box 237, Bahrain Is. / Qatar: **AHMAD ALUTHMAN & BROS.** P.O. Box 218, Doha / Trucial States: **VITHALDAS V. & SONS** P.O. Box 105, Dubai, P.O. Box 784 Abu Dhabi / Morocco: **ETS. GEORGES BAYLE** 61, Bd. Lalla Yacout, Casablanca / Lebanon: **KAMERA PHOTOCINE** P.O. Box 2248, Beirut / Saudi Arabia: **AHMED ALI BADOGHAISH** P.O. Box No. 65, Alkhobar, P.O. Box 815 JEDDAH, P.O. Box 238 RIYADH / Libya: **BROTHERS TRADING CO.** P.O. Box 733, Tripoli / Muscat-Oman: **YAHYA MOHAMMAD NASIB & BROS.** P.O. Box 22 / **SANSUI ELECTRIC CO., LTD.** 14-1 2-chome, Izumi, Suginami-ku, Tokyo, Japan

مؤسّسة "ريكِت وكولمان" تقدّم اليكُم...

ديتول المطهر الذي يستعمله الأطباء . براسو لصقل وتلميع المعادن في جميع أنحاء العالم . هاربيك الذي يحفظ المراحيض متلألئة صحية . مولز هيد بلو مسحوق الغسيل لجلاء ملابسكم . خردل (مستارد) وفاتح الشهية كولمان يضفي على الأغذية نكهة لذيذة . ستيرادنت أجود منظف للأسنان الصناعية .

بروكلاكس و بونومينت مسهلات لذيذة المذاق . ديتول ، براسو ، هاربيك ، بولز هيد بلو ، خردل كولمان ، فاتح الشهية (سافورا) ، ستيرادنت ، بروكلاكس ، بونومينت . هذه تسعة فقط من مجموعة منتوجات ريكت وكولمان الهائلة . المجموعة التي تزيد من الرفاهية في منازلكم .



منتوجات "ريكِت وكولمان" تزيد من الرفاهية في منازلكم



حتى يظل جمالك دائماً متألقاً ، ولكى تشعرى أنك الأجمل :
اكتشفى الطرق والوسائل من اليزابيث آردن . تمتعى بحماية الكريم
الرائع : فيلفا Velva Moisture Film. وأجملى الغطاء السحرى
ولون كريم الأساسى ، الشبيه بالحلم Illusion Foundation
ومختلف ألوان وظلال أحمر الشفاه .
انتقى وسائل التجميل الثلاث ذات الروعة الساحرة التى تقدمها
اليزابيث آردن . وسوف تشعرين بواسطتها أنك أصبحت فى ذروة جمالك



Right : Velva Moisture Film
اليمين : كريم فلفا السحرى
Centre : Lipstick
الوسط : أحمر الشفاه
Below : Illusion Foundation
تحت : كريم الأساس الحالم


PIAGET
ساعات
بياجيه
PIAGET
مراد يوسف بهبهاني



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA



أخبار الغد الرئيسية في متناول يدك.

بواسطة الموجات الأربع القصيرة الخاصة بجهاز سوني الرائع، يمكن التقاط جميع إذاعات العالم بما فيها (الإذاعات البحرية والاستوائية والإذاعات الخاصة بالهواة والإذاعات ذات الذبذبة العالية) التي تعطيك أنباء الغد، بالإضافة طبعاً الى محطات الاذاعات المحلية.

إن تركيب سوني المتطور ذو التصميم القوي، جعل هذا الجهاز في غاية من الفعالية خاصة بعد أن تمكنا من تركيب مفتاحين خاصين: الأول لضبط نقاوة الصوت والثاني للحساسية وذلك ليعطيك الاستقبال المثالي للاشارات الملتقطة مهما كانت قوتها أو بعدها أو اتجاهها وكيفما كانت تقلبات الطقس.

إن هذا الجهاز الخفيف الوزن (٣،٦٦ كغ مع البطاريات) يعمل إما على التيار الكهربائي العادي أو على ٤ بطاريات صغيرة اقتصادية.

اذا كنت تفكر بشراء راديو جديد، عليك بالاستماع إلى سوني.

Research Makes the Difference

SONY.



باستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي"

المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي" تستخدم حالياً مع قوات الدفاع في ايران وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وغيرها. وهناك مركبات حوامة أخرى تنتج في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وإيران. المركبات العسكرية طويلة طراز "إس آر إن-٦" و"بي اتش ٧" تنتج الآن بالجملة بمصانع شركة برتيش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت إمكانياتها البحرية الكبيرة أفقاً جديداً واسعاً في ميدان الدفاع نظراً لقدرتها العجيبة على التنقل فوق الاراضي المكشوفة وتحل محله والمياه الضحلة والمناطق الصخرية التي يصعب اجتيازها بواسطة وسائل النقل الأخرى.

التجارة العربية الانكليزية

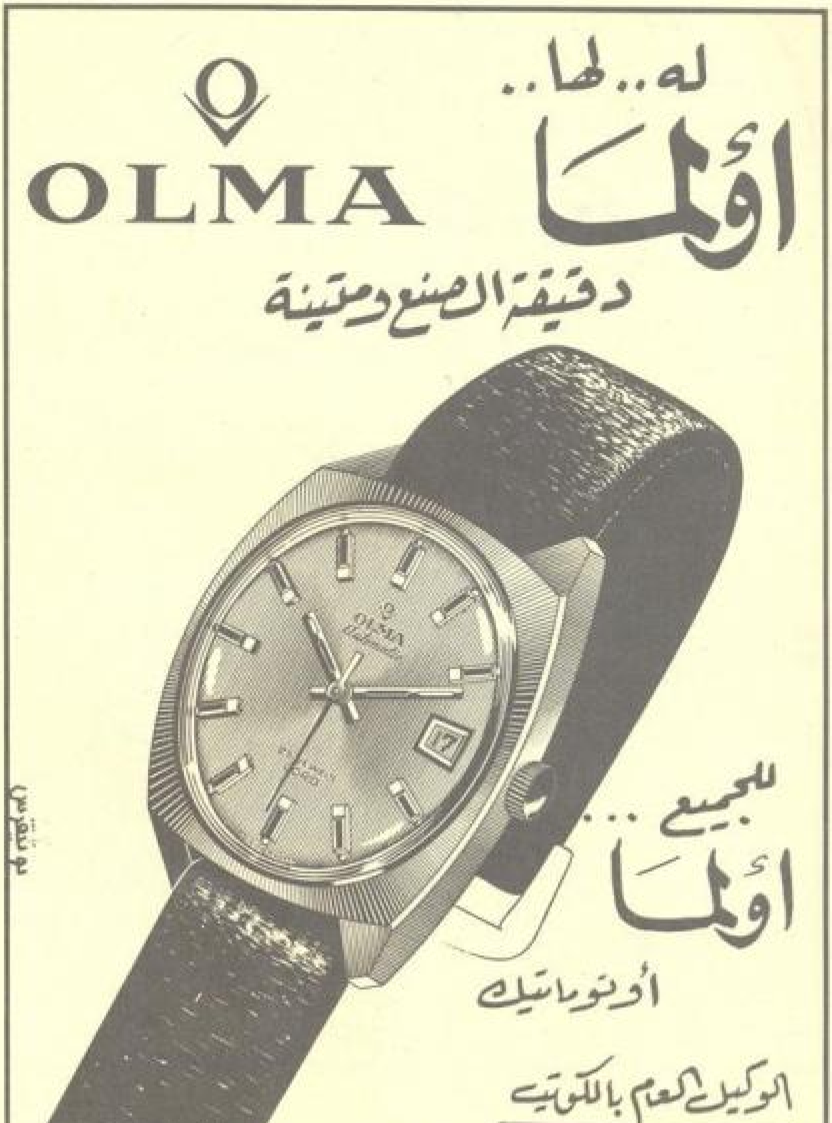
شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن

الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

british hovercraft corporation

EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND


له.. لها..
أولما
OLMA
دقيقة الصنع ومتينة
للجميع...
أولما
أوتوماتيك
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
معرض ساحة الصفاة - معرض حولي شارع تونس

automatic

continuous INVERT-O-MATIC reverse



موديل CS-50

اكاي تنتج آلة تسجيل ثورية اخرى
أول آلة تسجيل كاسيت ستريو في العالم تستطيع التسجيل والاداء للتواصل بواسطة عكس الشريط تلقائيا . ان آلة التسجيل كاسيت ستريو CS-50 مجهزة بالعاكس التلقائي الفريد من نوعه "انفرتوماتك" INVERT-O-MATIC الذي يجعل هذا الامر ممكنا

انه حقا امر يكاد لايصدق ... لكنه حقيقي - طبعا يمكنكم ايضا عكس الشريط يدويا - ساعتان كاملتان من تسجيل ستريو هاي - فاي - صوت ذو جودة فائقة - تجاوب التردد يمتد من ٣٠ الى ١٦,٠٠٠ هيرتز لسرعة ١ ⅞ إنش في الثانية مما يماثل تقريبا اداء آلات التسجيل ذات البكرات المكشوفة. رجرجة الصوت لاتتجاوز ٠,١٦٪ الى ٠,٢٪. وتمتاز ايضا آلة التسجيل - كاسيت - المثالية هذه بانها مجهزة بموقف وقاطع للتيار تلقائيين . ولدينا ايضا نظام متوافق يتألف من المسجل ستريو كاسيت CS-50D ومن نظام تكبير الصوت الستريو هاي - فاي SW-30

Audio & Video

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.

Ohta-ku, Tokyo, Japan

THE BEST TOBACCO MONEY CAN BUY

تبغ زاهر. ناضج. غني. مزروع في أعظم أقاليم التبغ.
منتقى بعناية شديدة. معد بحرص فائق. لسيكارة
تصنعها أيادي ماهرة تعمل في أحدث مصانع العالم.
وفق أعلى المستويات. روثمان كنك ساين أوسع
سكاير كنك ساين فرجينيا رواجا في العالم. تعطيك
نعومة وإشباعا لا تحصل عليهما من أية سيكارة أخرى.







الولاعة التي تفتخر بها

رونسون

للجيب للمكتب للصالون

افضل هدية لكل مناسبة

بتعبئة واحدة تشعل
مايقرب من ٣٠٠٠ سيكارة

RONSON

مجموعة واسعة من ولاعات رونسون الغازية، تتباين في الشعلة وتناسب كل غاية



هل تحتفظ بجودة صوتها بعد خمس سنوات؟
لا تحتفظ كافة أجهزة الحاكي (بيك أب) بجودة صوتها مدة طويلة بعد شرائها.
لكن هذه الأجهزة تحتفظ بحسن أدائها. لأنها من انتاج فيليبس.. الشركة التي اشتهرت في جميع أنحاء العالم بصنع أجود الأجهزة الكهربائية.
هناك مجموعة واسعة من أجهزة الحاكي "فيليبس". فمنها ما يستمد التيار من مصادر الكهرباء العادية، ومنها ما يعمل بالبطارية. جميعها تعطي نفس الصوت البديع والأداء الممتاز اللذين اشتهرت بهما فيليبس.. وبالطبع حتى أجود أجهزة الحاكي تتطلب المعاينة والخدمة من وقت لآخر. ولذلك فإننا ندعم مبيعاتنا بأفضل نظام للخدمة في العالم. أينما كنت، تجد باعة لأجهزة فيليبس على استعداد لخدمتك. هذا هو شأننا في شركة فيليبس. لأننا لا نريد لك إلا الأفضل.. ولا ندخر جهداً لنيل رضاك.
لا نريد لك إلا الأفضل
PHILIPS


اضغط على الزر وتخلص
فى الحال
..من الذباب والبعوض وكافه
الحشرات الزعجة! بيد الحشرات
بيف باف فى علبة الإيروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جدا. انه يجعل بيتكم في مأمن من
الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.
COOPER'S
Pif
بيف
Paf
باف
مبيد الحشرات الطائرة
Insect Killer
Spray



عندما يكون البنك
عالمياً مثل تشيس
عليه أن يبقى على اتصال دائم
بآخر ما توصل إليه
علم تجهيز المعلومات

وهذا ما يترتب علينا - لنتحقق من تزويد عملائنا بالخدمات التي يتوقعونها منا . ومثل ذلك أن تشيس قد ساعد على وضع وتطوير لغة جديدة كاملة للحساب (الدماغ الالكتروني) اخترعها الاختصاصيون في هذا الحقل ابداعا وخطا جديدا في هذا المضمار . وباستطاعة هذا التفكير المبدع عنه أن يقدم الشاملة والخدمات إلى شركتك . ان تشيس هو البنك الذي يصنع الاحداث .
فتذكر ... ان لك صديقا في تشيس .

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : — 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الاوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح ، ص. ب. ٣٦٨٤ ، بيروت - لبنان الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي (الخليج العربي) : بنك دبي التجاري المحدود ، ص. ب. ١٧٠٩ ، دبي

حاسبتنا الالكترونيّة الميني تحسب لغاية

٩،٩٩٩،٩٩٩،٩٩٩،٩٩٩،٩٩٩



12345678 + ⊙ = ١٦ رقمًا

الحاسبة الالكترونية الأولى في العالم التي تحقق هذه المزايا: الاعداد الثمانية التي تظهر على الموديل ICC - 82 D هي البداية ولدى الضغط على مفتاح التحويل، تظهر ثمانية أرقام لتصبح ١٦ رقماً وبذلك تتفوق على معظم الآلات الحاسبة الكبيرة. وانها مزودة بجهاز انتقاء للكسور العشرية ومصباح للاضاءة وامكانية للقيام بالعمليات الحسابية الأربع.

بالبطارية
أو بالكهرباء
= **تعمل في كل مكان**

ان حاسبتنا الميني في حجم كتاب الجيب (تزن ٢ ليبرا و ٣ اونس) تنقل بدون اسلاك، وتعمل ببطارية كادنيكا CADNICA التي يعاد شحنها. (ويمكن تشغيلها بالتيار المتناوب أو بالبطاريات العادية ايضاً) انها معكم في كل مكان ومحاسبكم المرافق وان كانت الاسعار تقارب بالارخص وكذا توفر عليكم تذكرة سفر اضافية.

SANYO **سانيو**

SANYO ELECTRIC CO., LTD OSAKA, JAPAN

سانيو الكتريك كومباني ليمتد - اليابان


RADO
دياستر ٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
NCC 101
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد